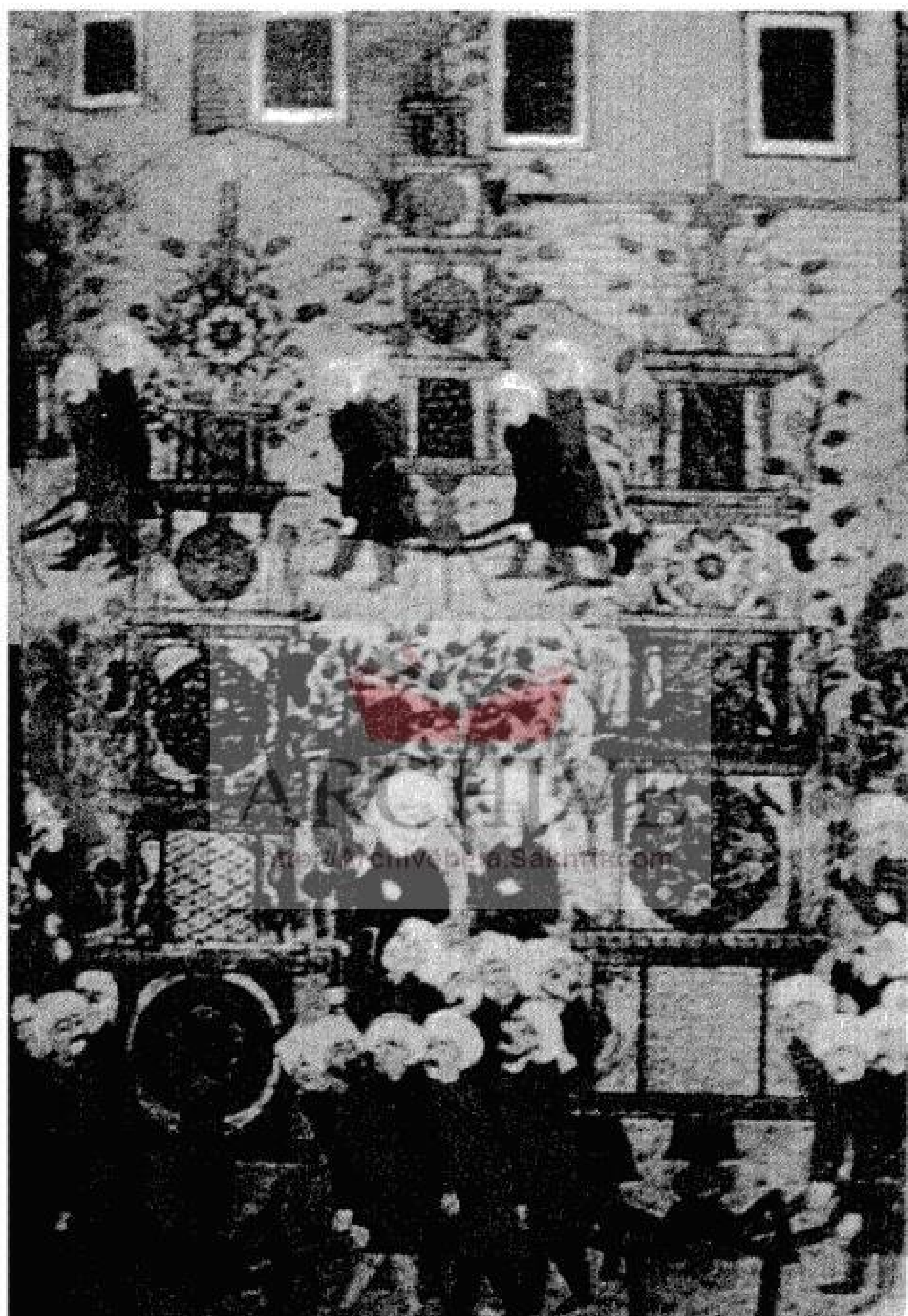

الهلال
يناير
سنة ١٩٨٦
الثمن ٥٠ قرشا
رحلة السيد المسيح إلى مصر
محنة الاقتصاد والاقتصاديين



من روائع الفن الإسلامي

● لوحة تركية تصور موكب السلطان العثمانى مراد الثالث ، فى طريقه إلى أحد الاحتفالات الدينية .. وتكشف قدرة الفنان على استخدام الألوان وبراعة التكوين ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - أول يناير سنة ١٩٨٦ - ٢٠ ربيع الثانى ١٤٠٦



● رحلة العائلة المقدسة إلى مصر .. ص ٤٨



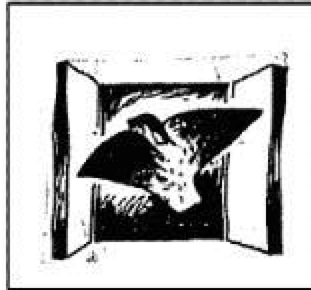
● اعلام معاصرون ص ٧٠

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●



● العقاد بين الكفر والإيمان ص ٣٠



● ندوة الهلال الشعرية ص ٩٩



● المهرجان الحائر بين الفوضى والاستقرار ص ١٤٦

● ملزمة الألوان ●

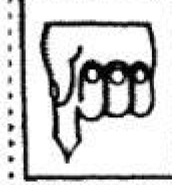
● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

ص

● الأبواب الثابتة ●

●



عزيزى القارئ

كل عام وأنت بخير وسعادة .. ونرجو أن نلتقى معا ـ إن شاء الله ـ فى الاعوام القادمة ، فنزجى إليك التهنئة ونتلقى منك التشجيع الذى اعتاد « الهلال » أن يتلقاه من قرائه الذين تتابعوا أجيالا على إمتداد بضعة وتسعين عاما منذ صدور أول عدد منه حتى الآن ..

إن بداية كل عام جديد ، تذكرنا بتواصل السنين والاجيال ، فالجيل الذى صنع وأصدر العدد الأول من « الهلال » فى أخريات القرن التاسع عشر ، يطل علينا الآن بروحه من سجف الغيب ونحن راكضون فى الشوط الاخير من القرن العشرين ، وقد أوشكنا أن نطل على بداية القرن الواحد والعشرين ، قرن الاحتمالات المثيرة العاصفة ..

لقد كانت الأمم تتساءل وهى تتطلع إلى بداية القرن العشرين منذ ستة وثمانين عاما : ماذا تخبىء لنا المائة الجديدة القادمة من الاعوام ؟!.. وهاهى ذى أجيالنا التى عاشت أكثر هذه المائة الساخنة من السنين ، قد علمت ماذا كانت تخبىء من عجائب التطور المذهلة فى الفضاء والهواء والماء وفوق الأرض .. ولكنا نتساءل الآن كما تساءل أسلافنا : ماذا يخبىء لنا القرن الواحد والعشرون ؟!..

ذلك أن تطلع الانسان إلى المستقبل لاينتهى ، وسؤاله عن المستقبل معناه فى الحقيقة سؤاله عن التقدم والتطور وارتقاع الانسان درجات فى صعوده الشاق ماديا وروحيا على امتداد التاريخ ..

ويخيل إلينا أن الاجابة عن هذا السؤال ليست رجما بالغيب ، لأن القرن الواحد والعشرين هو عصر الأمم المتقدمة فى تنظيماتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، أى فى بنيتها الاقتصادية وعلاقاتها الانتاجية ومؤسساتها العلمية والثقافية والحقوقية ، وفى كل ما يتصل جملة وتفصيلا ببنائها الفوقى التحتى ، المادى والثقافى ، الواقعى والروحى .. تطورا وتقدما واتساعا فى تكريم الانسان الذى قال فيه القرآن الكريم : « ولقد كرمنا بنى آدم ».

وأهل الفكر والأدب والفن والعلم الذين هم حملة الاقلام فى « الهلال » من قديم ، حاولوا دائما ويحاولون الآن ـ على اختلاف الظروف ـ أن يكافئوا بعملهم الفكرى عمل الشعب المادى والأدبى من أجلهم ، فقد كانوا ومازالوا يسهمون فى تكديس الثروة الفكرية للمجتمع وهى الأساس الذى لاغنى له فى بناء ثروة المجتمع التى يقوم عليها

كيانه برمته .. وهذا فى الحقيقة جوهر رسالة « الهلال » ورسالة كل صحيفة ثقافية فى أى بلد عربى وفى أى ركن من العالم ، إذا صدقت فى أداء رسالتها ..

ومنذ اليوم ، تبدو آفاق المستقبل المصرى والعربى ، مرتبطة بنجاح المصريين فى الوصول بسلام وتماسك إلى مطلع القرن الواحد والعشرين وشهود شمسه البازغة على الأمم الحية التى اتخذت الوسائل للوصول إلى ذلك اليوم فى أفضل حال .. وبقدر عملنا سوف تتسع آفاق المستقبل بين أيدينا ..

و« الهلال » مجلة الواقع المعاصر ، والتراث الحى المتواصل ، وهى أيضا مجلة « مستقبلية » فى النظر إلى المجتمع والحياة ، تدرك أن الواقع والتراث يجب أن يتكاتفا لصنع المستقبل ، وإلا بطل عمله ، وتحولا إلى مجموعة مرتبكة من أوراق الحاضر والماضى تختلط بلا ترتيب ، تتمخض عن لاشىء ، أو عن أسوأ شىء !..

ويشعر الكاتب والشاعر والفنان بالسعادة حين يرى أن لعمله فائدة عملية فى بناء بلاده بناء صحيحا قويما مفتوحا لأعظم التطورات .

ومن أعمال الأدباء والشعراء والفنانين تنبثق أغانى العمل والفرح والتفاؤل .. وقد عرفت بلادنا حقبة من تاريخها المعاصر ، كان أدباؤها يكتبون من أجل اليقظة والتحرر ، وكان مثالوها ينحتون تماثيل النهضة الوطنية والقومية ، وملحنوها ومغنوها يرسلون أغانيهم وألحانهم من أجل الانسان المصرى الذى كان فى ذلك الحين مستبشرا بمستقبله لايساوره يأس ولا يفكر فى النكوص أو التوقف عن المضى الى الأمام .

وفى بداية عامنا الجديد هذا ، نلقى نظرة على ذلك المنظر البانورامى القديم لمجتمعنا ، منذ صدور أول عدد من « الهلال » فى نهاية القرن التاسع عشر إلى وقتنا هذا ونحن نتشوق إلى بدايات القرن الواحد والعشرين .. بالها من نظرة مثقلة بالفكر العميق ، والتعبير الصادق عن أملنا فى مستقبل مصر والبلاد العربية ، وفى السلام والتقدم لنا ولجميع شعوب العالم ..

وهكذا تجد عدد « الهلال » الذى بين يديك لايمتاز بحجمه وشكله فقط ، بل يمتاز كذلك بمادته وتوجهاته الأدبية والفنية والفكرية والصحفية بوجه عام ، وهى توجهات تخاطب مستقبل الأنسان المصرى والعربى كما تخاطب حاضره .. ولا تنسى ماضيه ..

إننا لانريد فى هذه المناسبة أن نقوم لك بدور الدليل السياحى فى هذا العدد .. فالأجدر بنا أن نقدم العدد إليك لترى وتحكم بنفسك .

ثم إننا نشد على يدك من جديد ، ونكرر التهنئة : « كل سنة وأنت طيب ».. وكل عام وأنت بخير وسعادة واللقاء بيننا موصول على الدوام إن شاء الله ..

المحرر

الزيدية
وظلها على التاريخ والجغرافيا

بقلم : فهمى هويدى

● تلك دعوة اجتمع على ظلمها التاريخ والجغرافيا . فقد شاء قدر المذهب الزيدى أن يظل خارج دائرة الضوء والاهتمام . سواء لأن التاريخ الاسلامى المتداول هو فى الأساس تاريخ العواصم والحواضر والانظمة التى سادت فى المشرق أولا وفى المغرب ثانيا . أو لأن الزيدية استقرت فى اليمن ، فحجبت عن الجميع بسبب البعد والكمون فى الاطراف من ناحية ، وبسبب ظلم آل حميد الدينى من ناحية ثانية ، وقد حكموا باسم المذهب ، فأساءوا اليه ابلغ اساءة ، اذ داسوا على تعاليمه وانتهكوها واطفأوا كل ما فيها من وهج وبريق ونور ●



الإمام احمد

■■ عندما غاص بعض المستشرقين فى اعماق التاريخ الاسلامى ، فإن الفرق الاسلامية اثارت انتباههم ، واعتبروها صيدا ثمينا ومرتكزا قويا لمختلف محاولات تفتيت العالم الاسلامى ، وتشتيت قواه ..

وتشهد المنطقة العربية فى زماننا الراهن سعيا إلى الوراء نحو دول الطوائف .!!

وإذ ندرك هذا البعد ، فإننا نحاول استكشاف آفاق تلك الفرق من منظور مختلف ، باعتبارها دليلا على ثراء الفكر الاسلامى عبر مسيرته العريضة ، وعلى قدرة تلك الفرق على الاستمرار والتعايش جنبا إلى جنب ..

ويبدأ الكاتب الاسلامى فهمى هويدى هذه المقالات بإلقاء الضوء على الزيدية فى اليمن

• الهلال •

وفى خضم التيارات الإسلامية المتعددة التى حفلت بها مسيرة الاسلام عبر ١٤ قرنا ، يبرز المذهب الزيدى باعتباره دعوة صريحة وبالغة الوضوح والجراة فى التصدى للظلم والظالمين . ويظل يحسب للمذهب الزيدى انه ارتكز اساسا على فكرة الخروج على الامام الظالم بغير تردد . وقنن هذا الخروج دارسو اسسه ، فضلا عن انه قدم لنا معيارا محددا لثبوت الظلم وقياسه .

دعوة لها هذا القدر من الاهمية ، لايملك المرء الا ان يعرب عن دهشته من اهمالها وتجاهلها من جانب الباحثين . واذا كان طبيعيا ان تهتم بعض الكتابات اليمنية بالمذهب الزيدى واعلامه ، لاسباب مفهومة ، فانه من المستغرب ان يتناول المذهب بهذا القدر من الشح والاعراض من جانب الباحثين العرب عامة ، والمصريين خاصة . وفيما نعلم فاننا لانكاد نجد فى مصر ـ مثلا ـ سوى مؤلفين اثنين حول الموضوع ، اولهما كتبه الشيخ محمد ابو زهرة فى عام ١٩٥٩ عن الامام زيد مؤسس المذهب ـ والثانى اصدره الدكتور احمد محمود صبحى استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الاسكندرية عن الزيدية ، فى عام ١٩٨٠ . وفى غير ذلك اشارات متناثره الى تعاليم المذهب فيما كتبه الدكتور محمد عمارة عن المعتزلة والثورة ، او فى مختلف الابحاث والرسائل الجامعية ، التى تناولت تاريخ اليمن وبعض مشاهير حكامه .

واذا كان هناك شح عام فى تناول موضوع الزيديه ، الا اننا نسجل ايضا ان الفكر السياسى للمذهب لم ياخذ حجمه الطبيعى ، وانما عالجه الباحثون جنبا الى جنب مع الفقة الزيدى ، وآراء الزيدية الفلسفية والكلامية . ذلك رغم ان فكرهم السياسى هو الاضافة الاهم والابرز . حتى

الزيدية

اننا لانبالغ كثيرا اذا قلنا ان الزيدية هى فكر سياسى باكثر منها مذهب فقهى

● ظلال دم الحسين ●

لقد كانت نقطة الابتداء فى فكر مؤسس المذهب تتمثل فى الكيفية التى ينبغى ان يواجه بها الظلم ، هل هى السكوت والمهادنة والتقيه ، أم المواجهة والتصدى و« الخروج » طرح السؤال بشدة منذ تولى الامويون السلطة ، بالحيلة والسيف ، وتوارثوا الحكم فى سلالتهم . حتى حولوا الخلافة الى ملك عضوض . كما قيل بحق . واذا كان السؤال عاما فى الضمير المسلم . فانه كان اشد الحاحا فى أوساط آل البيت ، من سلالة على بن ابى طالب . الذين كانوا على قناعة من انهم الأحق والأولى بحكم المسلمين وخلافة رسول الله .

لقد اغرق دم الحسين بن على ، الذى قتل ومثل به وباهله فى كربلاء آل البيت فى بحر من الصمت والذهول . اذا كانت سلالة رسول الله معرضة للانقطاع والاندثار ، لولا ان شاءت قدرة الله ان يخف ابن الحسين ، على زين العابدين ويهرب خارج ساحة القتال .

راى على زين العابدين الموت والهول بعينيه . فآثر ان يعتصم بالصمت ويكتم غضبه بين جنبيه . وانصرف للعبادة والعلم ، وهو مانشأ عليه ابنه الأكبر محمد الباقر ، ولم يسترح له ضمير الابن الاصغر زيد . الذى راى فى جده الحسين القدوة والمثل . وادرك ان بيعة الظالمين اقرار للظلم واشتراك فيه . وان السكوت عليهم قد يكون قبولا بالظلم وسكوتا عليه ، وليست تلك شيمة آل البيت فى احضار على بن طالب والحسين .

بعد مقتل الحسين سادت فى سلالته فكرة اعتزال السياسة ، وقيل عن الائمة الذين جاءوا بعده انهم اهتموا بامامة العلم دون إمامة الدعوة . لكن السياسة ظلت تلاحقهم فى كل زمان ، او ظل الأمويون ومن بعدهم العباسيون يلاحقهم فى مختلف الامصار .

فى عهد الخليفة الاموى هشام بن عبدالملك كان الظلم قائما والملاحقة مستمرة . فاختار محمد الباقر المهادنة والتقية . واختار زيد ـ شقيقة الاصغر ـ المواجهة والخروج . الاول قرر الرفض بالصمت . والثانى انحاز إلى الرفض بالسيف وهو ما اشار إليه يحيى ابن الامام زيد من قوله ان اتباع عمه ـ محمد الباقر ـ اختاروا الحياة . اما من ساروا وراء ابيه زيد ، فقد اختاروا الموت . وبالفعل فان القتل كان مصير الامام زيد ومصير ابنه ، ومصير من جاء بعده من ائمة الزيدية الذين اعلنوا الخروج . حتى وصفوا بحق ـ انهم ائمة جهاد واستشهاد .

وليس صحيحا ان الامام زيد (٨٠ ـ ١٢٢ هـ) خرج على هشام بن عبدالملك لانه اهانه وجرحه ووصفه بابن الأمه ، كما يذكر المسعودى صاحب " مروج الذهب » . انما الاصح ان ثورته كانت على ظلم بنى امية . يذكر ابن الاثير فى مؤلفه « الكامل » ان زيدا دعا الناس الى مبايعته قائلا : « انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين وقسمه هذا الفيء بين

اهله بالسواء ، ورد المظالم ونصر اهل الحق !!

● فرق الشيعة الثلاث ●

كان خروج زيد من البداية ثورة على الظلم ، ودفاعا عن العدل ، ونصرة للمستضعفين والمحرومين .

في البداية كان الرجل يؤسس معارضة سياسية ، وليس مذهبا فقهيا رغم انه كان فقيها ومحدثا ، ومن ابرز علماء عصره .

كان موقف الامام زيد في الخروج . هو الاساس الذي قامت عليه دعوته ، التي صارت بعد ذلك مذهبا نسب إليه ، هو الزيدية .

وكان موقف شقيقه محمد الباقر في التقية احد الأسس التي قام عليها مذهب الشيعة الاثنى عشرية ، وقد عد الباقر احد اولئك الائمة الاثنى عشر ، من سلالة الحسين عليه السلام .

وقد اوجز الدكتور احمد صبحي الفرق بين مواقف المعارضة التي تبنتها كل من الزيدية والاثنى عشرية والاسماعيلية ، اهم المذاهب التي تحصر الامامة في آل البيت ويتفق اكثر الباحثين والمؤرخين على انتمائها للتشيع ، فيما يلي :

- الزيدية تبنت مبدأ الامامة السياسية ، وجعلت من « الخروج » مبدأ اساسيا لآرائها . كانت المعارضة المتمثلة في سلاح السيف .

- الاثنى عشرية ، اتخذت مبدأ الامامة الروحية ، وجعلت من « التقية » مبدأ اساسيا لمعتقداتها ، فكانت معارضة متمثلة في سلاح الكلمة .

- الاسماعيلية ، تبنت مبدأ « الامامة الباطنية » القائمة القول بأن لكل ظاهر باطن ، هادفة بذلك الى إخفاء مقاصدها . فكانت المعارضة المتمثلة في سلاح « الحركات السرية » .

واذ تنتسب الزيدية الى الامام زيد ، الذي سار على درب علي والحسين ، فان الاثنا عشرية مضت على نهج الحسن بن علي (الذي آثر السلامة وتنازل لمعاوية) وعلي زين العابدين الذي مررنا به قبل لحظات . اما الاسماعيلية بسريتها وغموض حركتها ، فتتبلور في شخصية الامام الغامض اسماعيل بن جعفر الصادق الذي لا يعرف عنه ! هل مات في حياة ابيه ، ام اخفاه ابوه نعلنا موته خوفا من بطش العباسيين ، ام انه شرب الخمر فنحّاه ابوه ونزع عنه استحقاق الامامة . وتلك روايات موجودة باسانيدها في كتب التاريخ .

ويصف الدكتور صبحي الفرق الثلاث قائلا ان الزيدية بحكم « العلانية » اكثر انفتاحا على سائر الفرق ، وبخاصة اهل السنة . بينما كانت الاثنى عشرية بحكم « التقية » اكثرها انغلاقا وتوجسا من المخالفين . اما الاسماعيلية فقد كانت اكثرها « استغراقا » لمذاهب المخالفين من اجل جذبهم الى الحركة السرية لتقويض الدولة .

● الخروج : الركيزة الاولى ●

للامام زيد كتاب تضمن اراءه واجتهاداته باسم « المجموع » ، وهو يعد اول مدونة في الفقه الاسلامي . ورغم وضع زيد اساس المذهب ، الا ان بناءه اكتمل باضافات فقهاء الزيدية التي استمرت حتى القرن الثاني عشر الهجري . وكان لاعلام الفقه الزيدي في اليمن اضافاتهم الجليلة التي اثرت المذهب واغنته الى ابعد مدى . وفي مقدمة هؤلاء خمس هم : العلامة محمد بن ابراهيم الوزير ، والعلامه محمد بن اسماعيل الامير ، والعلامة الحسن بن احمد الجلال ، والعلامة صالح بن مهدى المقبلي ، والعلامة محمد بن علي الشوكاني .

واذ اعتبرنا ان الموقف السياسى 

الزيدية

للزيدية هو الاولي والاجدر بالاهتمام . فاننا سنعطيه اولوية فى عرض فكر المذهب . وهو ما يمكن ان نوجزه فى عنصرين اساسيين !

اولا ـ الخروج ، هو الركن الركين فى حركة الامام زيد وفى فكر المذهب وفى فقهه . وطبقا لقول الامام زيد فان « كل فاطمى شجاع ، عالم زاهد سخى ، خرج ثائرا على الظلم يكون اماما ومهديا . وليس الامام منا من جلس فى بيته وارخى ستره وثبط عن الجهاد . ولكن الامام منا من جاهد فى سبيل الله ودافع عن رعيته » .

وفى تعاليم المذهب الزيدى ان الامام يعد ظالما اذا استاثر بمال اوراى (بالثروة والسلطة) ويذهب بعضهم الى ان الامام اذا تميز عن المحكومين باثواب فخمة وجب الخروج عليه ، فتلك علامة الانشغال بالنعمة عن احوال الرعية .

وطبقا لهذه التعاليم فان الخروج يصبح واجبا اذا ما لبى نداء الراعى عددا مماثلا لاهل بدر . اى ثلاثمائة شخص كحد ادنى

● يمثل الخروج نقيضا مهما لفكر الشيعة الاثنى عشرية الذى يعتمد التقية

ثانيا : الامامة : يلتقى الزيدية مع الاثنى عشرية فى وجوب ان تكون الامامة فى آل البيت . وان قالوا بان شرط الامام ان يكون فاطميا ، من سلالة الحسن او الحسين . اما الاثنى عشرية فقد حصروها فى سلالة الحسين وحده ، لذلك انضم الائمة من اولاد الحسن الى المذهب الزيدى .

لكنهم لم يتركوا الامامة مطلقة فى آل البيت ، ولكنهم اشترطوا شروطا محددة فى الامام علاوة على كونه فاطميا . فغير الشجاعة والزهد ، فانه يجب ان يعلن دعوته ويبين احقيته فيها ، فى خروجه لمواجهة الظلم وتكريس العدل .

فالخروج والدعوة وتبرير الاحقية شروط واجبة فيمن يطلب الامامة . ويسجل التاريخ اليمنى انه عندما كان يظهر فى الساحة اكثر من مريد للخلافة ، فانهم كانوا يجتمعون امام اهل الحل والعقد ، رموز المجتمع ، ويعرض كل منهم دعوته ويجيب على الاسئلة فى مختلف شئون الفكر والفقه والدولة . وهو شىء اشبه بالمناظرات التى تجرى فى زماننا بين مرشحى رئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة الامريكية .

وفى ضوء تلك المناقشات كان اهل الحل والعقد يختارون الامام الاصلح من بين الراعين . اى انها ليست امامة متوارثة ، لكنها مشروطة ومقيدة . ودور اهل الحل والعقد اساس فيها ، بدليل انهم اذا وجدوا المصلحة فى اختيار آخر ، من غير آل البيت لكان لهم ما ارادوا . وهو ما يسمى فى الفقه الزيدى بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل ؟ اى انه اذا كان آل البيت هم افضل الناس ، بحكم انتسابهم للرسول ، الا انه يجوز لاهل الحل والعقد تفضيل غيرهم فى الامامة اذا اقتضت المصلحة ذلك

وهو ما حدث فى خلافة ابى بكر وعمر ، وتفضيلهما على الامام على بن ابى طالب . اذ رغم انه يعتبر الافضل ، الا ان الخلافة فوضت الى ابى بكر بعد وفاة الرسول ، لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها .

ويشكل هذا الموقف مصدرا لاختلاف الزيدية عن الاثنى عشرية . ففضلا عن توسيع قاعدة الاختيار من آل البيت ، فان الزيدية لا يتمسكون بضرورة ان يكون الامام من سلالة النبى . ويشترطون مراعاة المصلحة واقرار اهل الحل والعقد .

ذلك يسقط من فكر الزيدية مقولات توارث

آل البيت للامامة بشكل تلقائي كما يسقط مبدأ عصمة الامام ، فضلا عن مسالة الامام الغائب والمستور اضافة الى التقية التي اسقطها مبدأ الخروج .
ومن الظروف الهامة في هذا الصدد ايضا بين الزيود والاثنى عشرية ، ان الاولين يقولون ان النبى عين خليفته بالوصف لا بالاسم ، فى حين ان الاثنى عشرية يقولون ان النبى اوصى للامام على بالخلافة من بعده .

ثمة عنصر ثالث فى الفكر السياسى للزيدية ، هو اجازتهم لخروج امامين فى قطرين متباعدين ممن تتوفر لهم شروط الامامة . ويرى الدكتور احمد صبحى ان الامام زيد عندما اجاز ذلك فانه لم يكن يقبل تقسيم الدولة الاسلامية . وانما قصد فتح الباب لتعدد فرص الخروج على الامام الظالم فى انحاء الدولة ، حتى تعجز السلطات الغاشمة عن مواجهتها معا ، وذلك ادعى الى انتصارها .

● أزمة الفكر السياسى ●

ثمة اتفاق على ان فكر الامام زيد تاثر بالمعتزلة والاحناف . والثابت انه التقى بـ « واصل بن عطاء » راس المعتزلة فى الكوفة ، وسواء انه درس على يديه كما يقول الشهرستاني ، ام انهما تدارسا معا كما يقول الشيخ ابو زهرة ، فالمهم ان اللقاء الفكرى قد حدث بالمثل ، فالثابت ان الامام زيد تدارس الفقه مع ابى حنيفة ، الذى ايده فى خروجه على الخليفة هشام بن عبدالملك .

ويرى الاديب والباحث اليمني الكبير . الدكتور عبدالعزيز المقالح ، فى كتابه « قراءة فى فكر الزيدية والمعتزلة » ان الفكر الزيدى فى صورته الاولى تاثر بتلاقح افكار الشيعة والمعتزلة والسنة ، وان الامام زيد اكتسب الملمح الشيعى عن طريق شقيقه محمد الباقر ، والملمح



الزيدية

الاعتزالي عن طريق واصل بن عطاء ، والملمح السني عن طريق ابى حنيفة » .

اكتسب الفكر الزيدى من المعتزلة افكارا عدة ، اهمها ذلك الاتجاه الى اعلاء العقل ، حتى ذهبا الى تقديمه على الكتاب ، بحجه ان الكتاب والرسول يعرفان بالعقل ، بينما لايعرف العقل بهما ، وهو ما قال به القاسم الدسي حفيد الامام الحسن ومن ابرز اعلام الفقه الزيدى . ورغم ان المعتزلة هم اصحاب النزعة العقلية الا اننا نتفق مع الدكتور احمد صبحي في ملاحظته ان احدا منهم قدم العقل على الكتاب بهذا القدر من الوضوح والصراحة .

وقد كان انفتاح الزيدية على الفكر السني ورفضهم للتعصب المذهبي واخذهم بالرأى ، من اثر اتصالهم بالاحناف ثم الشافعية من اهل السنة . ويرى الدكتور المقالح ان اتجاه بعض الزيدية الى معارضة بعض صور التمرد على الامام او السلطة ، حدث نتيجة للتأثر ايضا بالفكر السني .

اما اتصالهم بالشيعة فاكثر ما يدل عليه هو حصرهم الامامة في آل البيت ، واعتبارها من الاصول ، وليس من الفروع كما هي عند اهل السنة والمعتزلة .

والسائد في كتابات التاريخ والفرق الاسلامية ان الزيدية من فرق الشيعة . غير اننا قرانا معارضة لهذا الاتجاه في بحث الدكتور عبدالعزيز المقالح ، الذى قال في مؤلفه انه « لولا بعض الفوارق الصغيرة ، لاعتبرت الزيدية تيارات من تيارات الفكر المعتزلي ، وليس الفكر الشيعي » . ثم قال في موضع آخر من كتابه انه كان من الطبيعي ان يوضع مؤسس هذه الفرقة ـ الامام زيد ـ الى جوار النظام وغيلان الدمشقي وغيره من اعلام المعتزلة .. لان افكاره جزء لايتجزأ من الفكر المعتزلي ، بكل ما فيه من اعظام للعقل ، ومن خروج على الظالمين ، ومن ازراء بالمقلدين » .

واستشهد في ذلك بالصلة بين الامام زيد وواصل بن عطاء ، وبان الزيدية تبنوا اصولا اربعة من الأصول الخمسة لفكر المعتزلة . فاتفقا في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . واضاف الزيدية اثبات الامامة في آل البيت كاصل خامس ، بديلا عن « المنزلة بين المنزلتين » التي قال بها المعتزلة . وهو مبدأ قرروه في شان مرتكب الكبيرة ، اذ اعتبره المعتزلة عاصيا ، بينما اعتبره الزيدية كافرا ، وهو الامر الوحيد الذى يبرر الخروج من وجهة نظرهم .

ولايعنينا في هذا المقام ان نفصل في قضية انتماء الزيدية الى الشيعة او المعتزلة ، فضلا عن ان ذلك امر اولى به ان يحال الى المتخصصين . انما الذى يهمنا ويعنينا هو ضرورة الانتباه الى هذا الفكر الذى ظل كالآثار اليمنية ، مطمورا تحت تراب النسيان ، كما يصفه الدكتور المقالح . والاهم من ذلك هو ان تعاليم المذهب الزيدى تلفت انظارنا الى ضرورة البحث عن صيغة للعمل السياسي الاسلامي صيغة تتجاوز الخروج واشهار السلاح عند اول بادرة ، كما يقول الزيدية . وتتجاوز التقية كما كان يبشر ائمة الاثنى عشرية ، كما تتجاوز المهادنة او النصيحة ـ التى كثيرا مالا تجدى ـ التي يقول بها بعض اهل السنة ، ممن عنوا بضرورة اقامة دولة الاسلام باى ثمن ، حتى ولو كان القبول بالحاكم الظالم . وهى نظرة مازالت متاثرة بلحداث « الفتنة الكبرى » ايام عثمان بن عفان ، حيث استشعر بعض الصحابة ان صرح الاسلام مهدد بالانهيار من جراء الخروج على خليفة المسلمين .

أقوال معاصرة


جورباتشوف


شيمون بيريز


آية الله منتظرى

● "نحتاج الى الحقيقة ، مثل احتياجنا للهواء الذى نستنشقه"

جورباتشوف

● "الخطيئة الوحيدة فى التجسس ، أن يقبض على المرء متلبسا"

هيلز رئيس المخابرات الأمريكية السابق

● "الخطوة القادمة هي العمل من أجل تشكيل نوع من الاتحاد الدولى لكل المحافظين .."

بيرتون باينز نائب رئيس
مؤسسة التراث الأمريكية .

● "الجيش الذى لم يضيع وقتا لنسف قصر العدالة ، لم يستطع أن يحضر طلمبة ماء الى "أرميرو" لانقاذ حياة طفلة صغيرة !!"

محام من كولمبيا التى ثار فيها البركان

● "ان سوريا هى البديل الأفضل ، وعلى الملك حسين الابتعاد عن منظمة التحرير .."

شيمون بيريز ينصح الملك حسين

"لدى انطباع بأن جميع مناصب الدولة يحتلها غير الأكفاء .."

آية الله منتظرى
خليفة الامام خومينى .

الجريمة

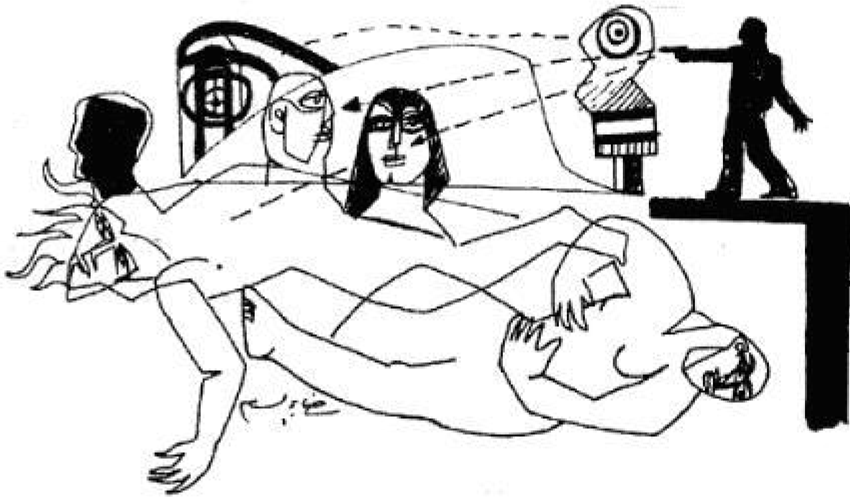
والمرأة المصرية

بقلم : د. سيد عويس

فى الدراسات العديدة التى قمت باجرائها فى محيط الاناث المصريات سواء كن احداثا اوشابات أو نساء رشيدات فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية التى يعيشن فى ظلها لاحظت انهن لا يكتفين باطلاق عقيرتهن اذا ماواجهن مواقف اجتماعية معينة ، بالتعبيرات الشعبية النابية على اختلافها ، ولكنهن قد يتعدين ذلك فيرتكبن الجرائم .

والملاحظ ان الجريمة ، هى ظاهرة اجتماعية . اى انها توجد بالضرورة فى المجتمعات الانسانية ، اى توجد فى محيط البشر سواء كانوا ذكورا او اناثا ، حيثما وجد هؤلاء فى المدينة او فى القرية او كانوا يحيون حياة البداوة .

والملاحظ ايضا ان الجريمة تتضمن نمطا معينا او انماطا معينة من السلوك من طبيعتها ان تكون بشرية . وهى قانونا انماط من السلوك يحرمها قانون العقوبات وتستوجب العقوبة باسم الدولة ، وذلك بعد المحاكمة وثبوت الادانة . ويفترض عادة ان كل مخالفة لهذا القانون تكون ضارة بالمجتمع ، وعليه يجب ان تمنع او على الاقل يجب ان تقل .



ومع ذلك فان من الملاحظ ان الجريمة المخالفة لقانون العقوبات ، هى مجرد مخالفة لنوع من القوانين السلوكية السائدة فى المجتمع .. أى مجتمع . وعلى هذا فالمجرمون ذكورا او اناثا، هم فئة من الاشخاص لا يختلفون عن غيرهم من الاشخاص الذين يخالفون القوانين السلوكية الاخرى . انهم ليسوا قط فئة فريدة فى نوعها . ومن الناحية الاخرى فاننا نجد ان القوانين بعامة وقانون العقوبات احدها ، تتغير من وقت لاخر . ونجد ان ما يصطلح عليه بانه ضار اجتماعيا يختلف من مجتمع لاخر كذلك . لان المجتمعات تختلف فى اجهزتها وثقافاتها بعضها عن البعض . وكذلك بمرور الزمن نجد انه فى المجتمع الواحد تتغير اهداف القيم الاجتماعية والاخلاقية كما تتغير الاراء والمبادىء ووجهات النظر السائدة فيه . ذلك لان تطور الاساليب الانتاجية فى مجتمع من المجتمعات واتساع رقعة الحضر فيه ، والمتغيرات الكبرى فى المسائل المالية والاقتصادية وفى الصناعة ، وفى طرق المواصلات والقوى الالية وغير ذلك من الظواهر التى تؤدى عادة الى تعريفات جديدة لانماط جديدة من الجريمة او تؤدى عادة الى اعادة تعريف انماط الجريمة القديمة . والملاحظ أن كل هذا لايحدث ميكانيكيا ، بل يحدث حتما فى ضوء اعادة التربية لاعضاء المجتمع .

***

والمرأة فى المجتمع المصرى وفى غيره من المجتمعات تؤدى عادة ادوارا اجتماعية عديدة . فقد تكون اما او زوجة او ابنة او اختا او جارة او زميلة او رئيسة فى العمل او مرءوسة .. الخ . ونجد أن الجرائم التى يرتكبها الاناث على وجه العموم تختلف باختلاف الاعمار والمستوى الثقافى والاجتماعى والمستوى الاقتصادى فضلا



والمرأة المصرية

عن محددات كل انثى العقلية منها والنفسية • أى ان هذه الجرائم تختلف باختلاف شخصية المراة فى ضوء ادوارها الاجتماعية، تؤديها فى المجتمع الذى ولدت فيه وتعيش ، مع الاخذ فى الاعتبار ان الانثى الحدث لم تستكمل شخصيتها فى العادة ، وان المراة فى ضوء ادوارها الاجتماعية يمكن ان ترتكب جميع صور الجرائم التى ينص عليها قانون العقوبات المصرى ما عدا جريمة واحدة هى جريمة الاغتصاب •

وفى ضوء البحوث والدراسات التى قمت باجرائها فى محيط الاناث المصريات المجرمات سواء كن احداثا او شابات او نساء رشيدات ، وجدت ان نسبة الجرائم التى يرتكبنها نسبة ضئيلة • ففى ضوء البحث العلمى عن عدد المحكوم عليهم بالاعدام فى مصر فى خلال خمسين عاما ، وجدت ان هذا العدد كان ٧١٤ شخصا • كان منهم ٧٠٢ من الذكور واثنتا عشرة من الاناث • وكان متوسط نسبة عدد النساء اللاتى اتهمن فى جنايات فى السنوات العشر التى تنتهى فى عام ١٩٨٢ نحو ٦ر٢٪ • وكانت نسبة جرائم السرقة بطريقة النشل فى محيط الاناث المصريات اعلى من ذلك اى نحو ٣ر٧٪ •

***

ومهما يكن من الامر فان من المتوقع وقد خرجت المراة المصرية الى ميدان العمل فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع المصرى المعاصر ، ان تزداد الجرائم التى ترتكبها بكل صورها (ما عدا صورة جريمة الاغتصاب بالضرورة)•

ومع ذلك فاننا يجب ان نلاحظ ان عوامل ارتكاب اية جريمة تتوقف على نوع هذه الجريمة او صورتها او صورها • فالملاحظ ان عوامل جريمة مثل جريمة السرقة او احدى صورها غير عوامل جريمة القتل او احدى صورها مثلا• وهذه العوامل ترجع فى العادة الى العوامل التكوينية للمراة والى العوامل الثقافية والاجتماعية (اى الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى تواجهها منذ ولادتها حتى ارتكابها احدى الجرائم ، وفضلا عن ذلك الى العوامل النفسية والعقلية التى تتسم بها ، والمصالح التى تكون عادة من المواقف الاجتماعية التى تواجهها • فالمعلوم ان المصالح تصنع النوايا وان النوايا تصنع المواقف وان المواقف فى ضوء محددات شخصية كل واحد منا تكون عادة من وراء انماط سلوكه •

***

وفى ضوء نتائج احدى الدراسات التى تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن



القناطر اللاتي حكم عليهن في جرائم القتل بصورها ، تبين ان الغالبية اعمارهن تتراوح ما بين ١٥ ـ ٤٥ عاما بنسبة نحو ٧٢٪، وان نحو ٥٢٪ منهن كن أراملا ، ونحو ٨٪ فقط كن مطلقات، ونحو ١٢٪ منهن لم يتزوجن منهن : اثنتان مخطوبتان • وكانت الاغلبية الساحقة من الجانيات يقمن خارج القاهرة • وكان اكثر من نصفهن فلاحات وخادمات وبائعات ومنهن « دادة » واحدة • وكان المجني عليهم من الذكور من الاناث ، ونسبة كبيرة منهم (نحو ٦٤٪) من الاقارب (مثل الزوج وابن الضرة وابن السلفة واخت الزوج والاب وابن العمة وزوجة الاخ وابن الخالة وابن الاخت) ، وكان الباقي من الجيران ومن المخدومين ، ووجد من هؤلاء خادمة وصديقة وعشيق وجندي شرطة •

وقد وجدت ان دوافع ارتكاب جريمة القتل عديدة (يلاحظ ان دوافع ارتكاب الجرائم غير عوامله) منها : الانتقام والغيرة والكسب المادي والعراك وسوء الخلق والاخذ بالثأر والتخلص من الزوج للزواج بآخر ، ثم الدفاع عن النفس ••

وقد ارتكبت الجرائم داخل المنزل بنسبة نحو ٦٨٪ في مسكن الجانية او في مسكن المجني عليه او عليها •وكانت اساليب ارتكاب الجريمة عديدة ايضا، منها : الخنق والمسدس والضرب بالعصا والضرب باليد وحشو الحلق بالرمل والحرق والغرق وكتم النفس واستخدام المدية وقذف المجني عليه من فوق المنزل والبندقية واستخدام الزرنيخ والفنيك وال د • د • ت والتوتيا الخضراء واستخدام ماء البوتاس مع الخنق والبالطة والساطور والسكين والمسمار والشومة والفاس•ويلاحظ ان كل هذه الاساليب او معظمها اساليب بدائية يسر استخدامها المناخ الثقافي الاجتماعي الذي كانت الجانيات يعشن في ظله •

● حالات فريدة ●

واذا كان المجتمع المصري المعاصر لم يصادف اما تتهم بقتل ابنها الا اخيرا فانني لا استطيع ان أدعي تفسير ذلك • وذلك لان مثل هذه الحالة في هذا المجتمع فريدة في نوعها • ولكي نتعرف على عوامل ارتكاب جريمة القتل هذه فانني ادعو المتخصصين سواء كانوا اطباء او علماء نفس او علماء اجتماع ان يحاولوا كفريق دراسة هذا السلوك الفريد • ان دراسة هذا النوع من السلوك أمر ضروري وبخاصة اذا كان قد حدث • والرجم بالغيب في هذه الامور لا يفيد احدا ويشيع البلبلة والضباب الفكري في محيط اعضاء المجتمع • واذا كانت أم تقتل ابنها فقد تجد ابنا يقتل امه • وهذه جريمة اخرى شنعاء ولكنها ايضا جريمة فريدة في نوعها في مجتمعنا • ولا يمكن لشخص جاد يهتم بدراسة السلوك البشري ان يغامر ويبدي رأيا في عوامل ارتكاب هذه الجريمة • ومن حق العلوم التي تهتم بدراسة السلوك البشري ان تجند متخصصيها الجادين كفريق للقيام بدراستها والتعرف على عواملها •

ولا يمكن ان نكتفي بوصف هذه الجرائم بانها جرائم شنعاء ان الهدف المرجو هو ان نتعرف على عوامل ارتكابها في ضوء دراسة الجانية او



والمـرأة المصرية

الجاني دراسة موضوعية اى دراسة المحددات التكوينية والثقافية والاجتماعية والنفسية والعقلية لشخصية هذه الجانية او هذا الجاني وعلاقة الجاني او الجانية بالمجني عليه ، فضلا عن دور المجنى عليه نفسه فى ارتكاب الجريمة ففي جرائم القتل بخاصة لقرب صلة الجاني والجانية بالمجنى عليه نجد ان للمجنى عليه دورا فقد يكاد انيكون المجنى عليه فى بعض الحالات جانيا وقد يحدث العكس • ومن الضرورى ايضا التعرف على اسلوب او اساليب ارتكاب الجريمة والمكان والوقت الذى تم ارتكاب الجريمة فيهما والمصالح



التى تكون من وراء هذا السلوك الاجرامى • ذلك ان المصالح كما سبق ان اوضحت تصنع النوايا وان النوايا تصنع المواقف وان المواقف فى ضوء محددات الشخصية غير السوية أو السوية تكون عادة من وراء انماط سلوك هذه الشخصية سواء كان سلوكا غير سوى او سلوكا سويا •

● جرائم غير منظورة ●

والراصد للمجتمع المصرى فىضوء الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة يلاحظ ارتكاب انماط عديدة من الجرائم ولما كانت جريمة القتل لامعة اجتماعيا فاننا نجد أن الحديث عند ارتكابها لا يخلو منه جهاز من اجهزة الاعلام والثقافة منه ، وبخاصة اذا كانالقاتل اما كما ذكرت انفا او ابنا أو ابنة او زوجا او زوجة او احد الاقارب المقربين لمن قتل • واذا كانت جريمة القتل فى مجتمعنا لا يرتكبها عادة الا من كانت له صلة بالمجنى عليه فاننا لا يمكن اعتبارها فى ضوء المستوى التكنولوجى للمجتمع المصرى المعاصر من الجرائم غير المنظورة اى التى لا تصل الى رجال الشرطة أو الى المحاكم • ولن يستطيع مجتمعنا ان يغير الحال الا اذا تيسر لاعضائه القادرين ان يسهموا مع المسئولين على اختلاف مواقعهم فى وضع استراتيجية يتم الاتفاق على اهدافها ووسائلها وامكاناتها المالية والبشرية حتى تواكب الحضارة المصرية السائدة التى ارجو ان يتفق معى أسادة القراء على ان تكون ابرز سماتها سيادةالعلم والديمقراطية بانماطها واحترام انسانية الانسان المصرى •

لغويات



ام كلثوم ابراهيم ناجى

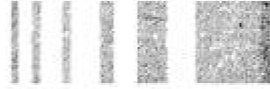
● فى أغنية الأطلال من شعر ابراهيم ناجى تردد ام كلثوم كلمة « ذياك » .. و« ذياك » تصغير « ذاك » .. والشاعر لم يصغر هذه الكلمة هنا إلا ليستقيم الوزن ، وكان شعراء الرومانسية فى الثلاثينيات يستعملون كثيرا هذا التصغير إعجابا به ، أو لضرورة الوزن .. فتجد « ذياك » فى شعر رامي والهمشرى وصالح جودت وغيرهم ..

● ولام كلثوم أغنية جميلة على شكل الموال ، تاليف بيرم التونسي وتلحين زكريا أحمد ، مطلعها : « الأولة فى الغرام والحب شبكونى .. والثانية بالامتثال والصبر امرونى .. والتالتة من غير ميعاد راحم وفاتونى » .. وقد سمعت بعض الأدباء يقول : إن كلمة « الأولة » تصح فى العامية ، اما فى الفصحى فلا تصح إلا كلمة « الأولى » .. قلت : إن كلمة « الأولة » صحيحة فصيحة ، وهى مؤنث « أول » كما أن كلمة « ثانية » مؤنث « ثان » و« ثالثة » مؤنث « ثالث » .. ولكلمة « الأولى » معنى السبق فى الأولية . ويطول الكلام فى هذا الباب ..

● نجد فى الصحف كلمة « إنشاء الله » مكتوبة هكذا حتى فى كتابة بعض المشاهير .. والصواب : « إن شاء الله » .. لأن الفعل الماضى « شاء » لا يتصل عند كتابته باداة الشرط « إن » .. ولعل كاتبى « إنشاء الله » يحسبونها كلمة واحدة .. وهذا بعض الجهل المؤلم باللغة المغلوبة على امرها ..

● يقال فى الاذاعة والتليفزيون : « نقدم هذه الفقرة » .. بفتح الفاء ، والصواب كسرها .. ويقال : « نقدم هذه الفقرات » .. بفتح الفاء والقاف .. والصواب : كسر الفاء وفتح القاف .. وقلما يلتزم بهذا النطق الصحيح أحد إلا فى الاذاعات الناطقة بالعربية من خارج الوطن العربى .. وتلتزم به أحيانا بعض الأصوات فى إذاعة القاهرة ..

● عندما نقول : « هذه فلتة » .. فإن أصل « الفلتة » هو الفعل « فلت » بفتح الفاء واللام .. ويتحاشى بعض الكتاب استعمال هذا الفعل ظنا منهم انه عامى وان الفصيح هو « افلت » .. والحقيقة انهما صحيحان فصيحان معا .. وإذا أردت المرة الواحدة من الفعل « أفلت » فهى « الافلاتة » وليست « الفلتة » .



الأشواك

ماذا تصنع بالكعكة ؟

● « لا يمكنك ان تحتفظ بالكعكة وتاكلها »
مثل انجليزى لم يكن يمر على الا وتعجبت لسذاجته ، اين هو من امثالنا المفعمة بالحكمة ، الناضجة بتجارب الحياة ؟ ولكننى تذكرته حين روى لى صديق سافر الى الاتحاد السوفييتى ان مرافقه هناك ـ وكان دبلوماسيا متقاعدا ، سبق له ان مثل بلاده فى قطرين عربيين ـ حدثه عن الشقة التى يقيم فيها مع ابنتيه الشابتين : انها شقة ـ قال السفير السوفييتى السابق ـ فسيحة ومريحة ، فمساحتها خمسة واربعون مترا مربعا (اكتبها بالحروف لا الارقام حتى لا تحسبها غلطة من الطابع) ، واستحى صديقى ان يساله اذ كانت احدى ابنتيه او كلتاهما لها زوج او ابناء ، ولكنه عرف من ثنايا الحديث ان الكبرى تعمل فى وزارة الخارجية ايضا.

حدثنى صديقى العربى بهذه القصة ليبين لى غرابة الاحوال فى الاتحاد السوفييتى . لم يكن صديقى هذا دبلوماسيا كبيرا ولا ثريا من اثرياء البترول ، ولكنه استاذ جامعى مثلنا يرتزق ـ مثلنا ايضا ـ ببعض قشور العلم . وكان قد اتفق له ـ قبل سنين كثيرة ـ ان قضى عاما فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهناك تعرف بمواطن امريكى ميسور الحال ، ولابد ان صديقى ذكر لى شيئا عن صفة ذلك المواطن او مهنته ، والارجح على كل حال انه لم يكن استاذا ، فحال الاساتذة هناك لا يختلف عن حالهم فى اى بلد من بلاد العالم ، ناس لا يطمعون فى اكثر من حياة كريمة مستورة ، وهذا المواطن الامريكى كان يملك فيلا يمكن ان تعتبر بالمقياس المتوسط قصرا . كان ثمة حديقة واسعة تطل عليها غرفة طعام طويلة عريضة ، لا يفصل بينها

بقلم: د. شكري محمد عياد

وبين الحديقة الا حائط من زجاج • انبهر صديقي بهذا المنظر اكثر من اى شيء اخر في الولايات المتحدة الامريكية • وحين عاد الى وطنه كان قد اصبح له هدف في الحياة وهو أن يمتلك مثل هذه الفلا او القصر • ولا اعلم كم من سني عمره كلفه هذا الحلم ولكنى أعلم انه تحقق آخر الامر ، كما أعلم ان صديقي عجز عن تحمل تكاليف خدمة القصر الذى بناه ، ولم تطب نفسه بتاجيره ، فتركه لاحد ابنائه يعيش في قسم منه ، وانطلق هو ساعيا في بلاد البترول كي يوازن ميزانيته المتصدعة ، ويعود الى قصره بين عام مرهق وآخر شقي ، فيجلس هنيهة في غرفة الطعام ويتامل زجاجها الذى رسم عليه المطر والغبار خريطة مهوشة للعالم ، ولا يمد بصره اكثر من ذلك خشية أن يتعثر في مزابل « الحديقة » •

حين حدثني صديقي بحكاية الدبلوماسي السوفيتي كانت صورة القصر المهمل في الوطن البعيد غائبة عن ذهنه بكل تأكيد • أو لعله كان عاجزا عن رؤية هذه الصورة لان خياله لم يكن يرى سوى صورة قصر الثرى الامريكي منقولة الى العاصمة العربية ، وصورته هو نفسه جالسا كما كان يجلس ذلك الثرى ، يحدث ضيوفه (كبطل المقامة المضيرية) عن المهندس المشهور الذى بناه ، والرخام ومن اين اشتراه ، والزجاج وكيف حصل عليه ، بينما هم يسرحون النظر في الحديقة الفينانة ثم يرجعونه الى اطباق الصينى الفاخرة بين ايديهم •

هكذا يعيش الناس في الاتحاد السوفييتي - قال صديقي - يعملون كالآلات ولا تتاح لهم تلك المتع الطبيعية البسيطة التى هى حق لكل انسان ، كان يكون للمرء منزل يملكه وحديقة فيها بعض الزهور وبعض الاشجار المثمرة • ووافقت صديقي على رأيه في الاتحاد السوفييتي ، ولكنى قلت له ان الناس في العالم الغربي يعملون كالآلات ايضا ، ويمتلكون احيانا شققا واسعة او فلات انيقة يموتون قبل سداد اقساطها . وان الافراد في العالم الراسمالي لهم مشكلاتهم كما أن الافراد في العالم الاشتراكي لهم مشكلاتهم ، ولكن كلا الفريقين يعرف نوع المشكلات التى سوف تصادفه في كل مرحلة من مراحل

حياته ، ويعد نفسه للتغلب عليها او التصالح معها أو الاستسلام لها بحسب استعداده • ولكننا في بلادنا العربية (لا شرقية ولا غربية ، لا اشتراكية ولا رأسمالية) نتبارى - حكومات وأفرادا - في خلق المشكلات وارتجال الحلول التي تصبح بدورها مشكلات • والسبب هو أننا نكذب - بكل بساطة - نكذب حين نقول ان فلسفتنا الخاصة التي ليست بشرقية ولا غربية ، ليست باشتراكية ولا رأسمالية • فلسفتنا الوحيدة التي أعرفها هي أننا نريد أن نأكل الكعكة ونستبقيها في الوقت نفسه •

كأفراد ، نريد من الحكومة ، مثلا ، أن تعلم أولادنا وتوظفهم ، على أن نقرر نحن وأولادنا ماذا يريدون أن يتعلموا ، ومتى يهجرون وظائفهم للعمل في الخارج • ونريد من الحكومة أن تبني لنا المساكن ، وتمد الطرق ، وتصلح المجاري ، وتوفر المياه والكهرباء وخطوط التليفون ، بينما نتهرب من سداد الضرائب لتبقى نقودنا في جيوبنا •

وكحكومة ، نخلق وظائف غير منتجة ، ونضع فيها أناسا غير منتجين، ثم نطالب « الشعب » بزيادة الانتاج ، وندعو « الشعب » (من هو «الشعب»؟ هذه مسألة تحتاج الى بحث) للاقتصاد والتضحية كي نواجه ديوننا المتراكمة، ونقول لهذا الشعب في الوقت نفسه أن من حق كل انسان أن يستمتع بالحياة التي نمثلها له في شكل ثلاجات وتليفزيونات وسيارات وما لا نهاية له من الكماليات ، التي لا تلبث أن تصبح ضروريات ، يستدين المواطن أو يرتشي أو يسرق ليحصل عليها •

والمشكلة ليست مشكلة شعب في جانب وحكومة في الجانب الآخر • فلم تعد الحكومات العربية تمثل الترك ولا الانجليز ولا الفرنسيين ولا الطليان، ولم تعد تستند الى حق تاريخي أو ميراث قديم ، بل هي حكومات تخرج من صميم الشعوب ، وتستند في شرعيتها الى الشعوب وحدها • وكما تكونوا يول عليكم •

وقد جعلت أراجع نفسي حول دلالة ذلك المثل الانجليزي - الذي كنت احسبه تافها - فاذا له في الحقيقة أكثر من معنى واحد ، فهو يعني أولا أن الانسان لابد له أن يختار ، فهو لا يمكن أن ينام يقظانا ، أو يهاجم متقهقرا ، أو يتقدم وهو واقف ، أو يصعد وهو هابط ، وان كان الشعراء يقولون عبارات مثل هذه لأنهم يريدونها أن تحمل على المجاز ، الذي هو نوع من الكذب ، والكذب خاصية للشعر لا ينبغي أن توجد في الأمثال ، وهنا تتجلى بلاغة المثل الانجليزي الذي طهر من المجاز تطهيرا ، فليس ثمة مجاز في الدنيا يسمح

بالاحتفاظ بالكعكة مع اكلها ، هذا المعنى ، كما ترون ، هو معنى اخـلاقى صارم لا يسمح لقائله او سامعه ان يتلاعب بالالفاظ ٠

وهناك معنى ثان يرجع الى الاقتصاد الذى اشتهر به الانجليز ٠ وهذا المعنى هو ان الاستهلاك ضد الامتلاك وعدوه اللدود ، فما تستهلكه ينتقص مما تملكه ، وما تحرص على بقائه يجب الا تعرضه للاستهلاك ، وما تضطر الى استهلاكه يجب ان تكون قادرا على تعويضه ٠ وعليك دائما ان توازن بين حاجتك الحقيقية الى الاستهلاك ، وقدرتك الحقيقية على التعويض ٠

واعتقد مخلصا ان هذا المثل الساذج يفسر قيام أول مجتمع رأسمالى فى التاريخ ، باوضح مما تفسره نظريات آدم سمث ٠

ولان صديقى هذا عربى وليس أمريكيا ولا انجليزيا فانه لم يستطع ان يختار بين امتلاك الكعكة ـ القصر واكلها ـ السكنى فيه ، ويمكنك ان تقول انه اختار ، اختار القصر أى الكعكة ، ولكنه اختيار المضطر ، فقد كان يتوهم انه قادر على ان يحتفظ بكعكته وياكلها فى الوقت نفسه ، ان يضع كل ما يملك،





او ينتظر ان يملك ، فى هذا القصر ويستمتع بالحياة فيه • وهو ايضا لم يستطع أن يوازن بين حاجاته وقدراته . فربما كانت تكاليف القصر بالنسبة الى الثرى الامريكى مساوية لرغبته فى التعالى على أنداده او التأثير فى عملائه ، ولكن قصر الاستاذ لم يكن عديم الفائدة له فحسب ، بل كلفه الحرمان من الحياة الطبيعية •

والاستاذ لا يشعر بانه اخطأ التصرف ، بل يرثى لحال السفير السوفييتى السابق ، ويكاد يتهمه بالكذب والنفاق لانه ابدى سعادته بالسكنى فى شقة مساحتها خمسة وأربعون مترا مربعا • ولم يسأل نفسه : هل يحتاج الفرد المتوسط ، فى مدينة جيدة المرافق ، تنتشر المراكز الثقافية والاندية الرياضية في كل حى من احيائها ، الى اكثر من هذه المساحة لمأواه ؟ ولا سيما اذا كان يعلم ان ميزانيته الخاصة هى فى النهاية جزء من ميزانية بلاده ، وانه إذا سكن فى فيلا ذات حديقة ، تحتوى على مكتبة وادوات الممارسة الرياضية (وربما ملعب او مسبح صغير)

وجهازى فيديو وستريو فضلا عن التليفزيون (وربما آلة للعرض السينمائى) فان مقامه فى هذه الجنة الخصوصية لن يطول لان بلاده لن تستطيع توفير الأموال اللازمة للدفاع عن اراضيها ٠

وقد اصبحت مسالة السكن من المشكلات المزمنة فى بلادنا لأسباب كثيرة ولكن ليس اقلها أن معظمنا يفكرون بطريقة ذلك الصديق ٠ من الثابت أن الثروة القومية وقد نمت ، وأن مستوى الدخل الفردى قد ارتفع فلماذا هذه الديون المتلتلة على المستوى القومى ، ولماذا هذا الشقاء

الملازم على المستوى الفردى ؟ لماذا أصبح السكن معضلة يحـار امامها معظم الافراد ؟ أليس السبب هو اننا لم نفهم بعد معنى المثل الانجليزى البسيط ، أو نفهمه (فنحن أذكياء !) ولا نريد ان نعترف بانه حقيقة ؟ أليس نموذج الشقة المناسبة لكل عروسين ، فى نظر المصرى المتوسط ، هى ذات الغرف الثلاث التقليدية ، وربما اضيف اليها « الانتريه » ، وبعضهم يصمم على حجرة رابعة لينزل فيها اقرباؤه الذين يأتون من الريف ؟ نريد ان نعيش فى المدينة بأسلوب اعيان القرى ، كما أن الذين سافروا منا الى بلاد البترول يعـودون الى قراهم ليبنوا بيوتا ريفية فسيحة تحتوى على كل مميزات بيوت المدينة ٠ لا نريد مطلقا أن نتخلى عن شىء الفناء فى سبيل شىء آخر نريد أن نستمتع به ٠ والنتيجة على المستوى القومى هى اننا نبور أرضنا التى لا تعوض ، لنبنى شققا وفيلات تزيد عن حاجتنا ٠ ونضع « تحويشة العمر » فى شقة يمكننا ان نكتفى بنصفها لنستثمر الباقى فى عمل منتج يمكننا من العيش براحة وأمان وشرف فى شقتنا الصغيرة ٠

وربما كانت مشكلة السكن مثلا واحدا من امثلة كثيرة على عزمنا الأكيد أن نحتفظ بكعكتنا وناكلها فى الوقت نفسه ، ونموذجا لأسلوب حياتنا المبتكر الذى زعمنا انه لن يكون اشتراكيا ولا رأسماليا ولا شرقيا ولا غربيا ، فلم ننجح فى أن نجعله شيئا ما ، بل ثبت اننا نريد فقط أن نحتفظ بالكعكة وناكلها بأسلوب اشتراكى صميم ـ بل متطرف ـ وضعنا ثرواتنا الاقتصادية (والفكرية ، والسياسية) خلف قفل حتى لا يباح لاحـد التصرف فيها وحتى النظر اليها ، وبأسلوب راسمالى الى درجة الفوضى قلنا للناس : كلوا وتمتعوا فقد أصبحتم بنعمة الله احرارا ٠ ويبـدو أننـا اضعنا مفتاح القفل وبقينا خارج المخزن ناكل الهواء ، الا فئراننا التى عرفت كيف تشق الانفاق ، وتتسلل فى الظلام لتصيب من الكعكة ما تشاء ٠



قنديليات

بقلم :
يحى حقى

جيل .. وجيل

عرفتهم لاكثر من نصف قرن مضى ، وانا فى مثل عمرهم يجذب نظرى اليهم وجل خفى يهمس لى .. كان من المحتمل جدا ان تقع فى الخطر وتصبح بينهم لولا الصدفة ، وحسن الحظ وتنشأ افنديا يدخل المدارس ثم يجلس على المكاتب ويده دائما نظيفة لانها مغسولة وعاطلة .. والنجاة من خطر جسيم قد تكون اشد زلزلة للنفس من الوقوع فيه .. هم طبيعة ارباب المهن والحرف الصغيرة ، يعملون اغلب الوقت فى دكاكين مكشوفة ، عراة الرءوس ، يلبسون الجلابيب ولا اذكر كيف كانت نعالهم ان كانت .

ويقاس طولهم بنصف المتر اكثر قليلا او اقل كثيرا .

صبى المطبعة . رايته يعمل فى قبو على يساره منضدة فوقها كوم عال من الفرخ الورق متر فى متر ، وامامه منضدة أخرى ، وفى يده اليمنى شبه مسطرة من خشب او من حديد لست ادرى ، يتناول الفرخ بيده اليسرى ، ويضعه على المنضدة امامه وبحركة سريعة يطويه نصفين ثم يمر عليهما بالمسطرة بقوة ، وبشرط ان تقع الحافة على الحافة لا تختل ، ثم يطوى النصفين الى ربعين وتتكرر حركة التسوية ثم الى ثمنين وهكذا الى أن تتم الملزمة ..

لم اكن رايت فى حياتى حركة سريعة مثل حركته ، كانما هو محرك قد انفلت عياره ، لو حدث لآلة المطبعة مثله لاسرع اليها صاحبها ليصلحها ، ويعيدها الى صوابها بعد جنون ، ولكن احدا لا يجرى الى هذا الصبى ويقول له استرح قليلا . هكذا دابه من طلوع الشمس الى غروبها حتى ينتهى من الكوم كله فهذا هو شرط دفع الاجر ، فصاحب المطبعة احن على الآلة منه على صبى فى عمر الزهور ، هو فى اغلب الامر يتيم .

ما اعجب هذا الجهاز العصبي في جسم الانسان الذى يؤدى هـــذا الجهد بهذه السرعة المنتظمة بدقة واحكام ..

صبي السباك ، يسير وراء المعلم .. هو الذى يحمل الصندوق الممتلىء بالعدد والآلات ، ويجلس وراء المعلم .. في بيت الزبون ليلبى له كل طلب لآلة يريدها ، فتدور يد الصبي في قعر الصندوق ، فاذا تاخرت لحظة واحدة ، انهال عليه السب والشتم ، وعليه كذلك ان يلزم الصمت ولا يوجه سؤالا ليعرف اسرار الصنعة بل عليه أن يرى بعينيه وان يتعلم ..

صبي الحلاق .. هو الذى يمسح البــلاط فور فتح الدكان ، ويكنس الشعر الساقط من رءوس الزبائن ، ويغسل الطست المشطوف له حافة بحجم دوران الرقبة .. فقد كانت العادة أن يغسل المعلم وجه الزبون بعد حلقه ..

ثم يعود الصبي الى الصنبور ليغسل وعاء صغيرا من المطاط به خليط من رغاوى الصابون وجذور شعر اللحية كأنه في لونه بلغم رجل مصــدور فاذا فرغ هذا الصبي ، عليه ان يقف كالصنم وراء الزبون وبيده منشة من القش الرفيع لينش بها الذباب ..

استمعت الى صوتها ذات مرة فخيل الى أن الصبي يتسلى بتوقيع نغمة موسيقية يتصور أنه يؤديها بحركة المنشة وخشخشتها في الهواء .

وكان ادعاهم الى الابتسام صبي ، البسكلتاتي » ، فهو وحده الذى اتسخت يداه كائنا من هداه ، فعليه تصليح الجنزير ، ويستخرج الانبوبة المطاط ويضعها في اناء به ماء ليكتشف اين الثقب ويعالجه ثم يعيــده الى مكانه بحركة من اصابعه كانه يحشو باذنجان .. ثم ياتي دور نفخ هـــذا الانبوب بعمل من قدم هذا الصبي ـ انه يعمل بيديه ورجليه ، ولكن لعـله كان اسعد هؤلاء الصبية ، فهو مسموح له بالمجان أن يركب الدراجة ـ بدعوى انه يجربها ، وهو محــاط في أغلب الامر بصــبية في مثل سنه يستأجرون الدراجات فيكون بين الجميع عبث ومزاح .

رايت بعيني كيف كان ينهال على رءوسهم جميعا ما شاء لك التخير من السب والشتم والاهانة ، وربما من الضرب ايضا او جذب الاذن ..

واجارك الله يوم دفع الاجر من نقد معدني تدس القطعة في يد الصبي بقوة .. لست أدفع لك اجرا بل احسانا عسى ان تقدره فانت لا تستحقه ..

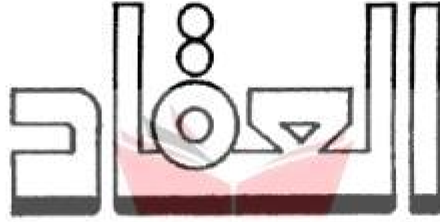
وكانت حلقة مفرغة حين يصبح هذا الصبي معلما فهو يعامل صبيه ربما بقسوة اشد .. هل هو انتقام مؤجل الدفع أم تسليم بحكمة كانت شائعة في ذلك الوقت ان هذه القسوة هي لصالح هؤلاء الصبية ..

اختفى جيلهم والحمد لله فقد تغيرت الدنيا ..

وماتزال نظرتي اليوم مشدودة ولكن الى جنس آخر هم جيل حمير عربات القمامة ، فانى لا أعرف صورة للبؤس والشقاء والضــياع والمذلة مثلهم ..

بئس هذا المجتمع الذى يرضى بمثل هذه الصورة ..





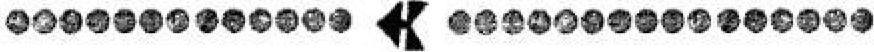
بين الكفر والإيمان

بقلم : محمد سيد كيلاني

١ ـ ان انتظام العالم لا يصلح ان يتخذ دليلا على حدوثه ، كما لا يصلح أن يتخذ دليلا على قدمه ٠

٢ ـ لا يمكننا أن نحكم على الشيء أنه متقن الا اذا وقفنا على الغاية منه ، فما هي اذن تلك الغاية التي تبين له انها مقصودة بخلق العالم ؟ وهل يعقل ان نحكم على شيء بأنه محكم ، أي أنه يؤدي الغاية منه تمام الاداء من غير أن نعرف ما هي تلك الغاية ؟

٣ ـ الاحكام الشامل والتطابق التام اللذان لابد أن يشيرا الى القصد مفقودان من الكون ، فأين هو ذلك الشيء الذي تراه ولا نود أن يصير



كان العقاد فى مطلع حيـــاته ملحدا زنديقا ، يقول بالتعطيــل وينكر النبوات . ولم ينفرد بهذه الصفات، بل شاركه فيها كثيرون ـ وكان محمد فريد وجدى يعطف على العقاد الذى كان يعـانى من الفقر وسوء الحال . وقد اصدر فى ذلك الوقت الجزء السابع من دائرة معارفه وخصصه لاثبــات وجود الله . فانبرى العقاد للرد على وجدى وتسفيه آرائه . فمن ذلك قوله :.



اكمل مما هو ؟ فالاجرام الســماوية تتصادم فى كل فترة فتتساقط فى الفراغ ونواميس الطبيعة تثير نكباتهـــا وطوفاناتها وأوبئتها وحرائقها فتدمر ما عملت فيه نواميس أخرى ملايين السنين . ولا يتلف ما بدأ فى صنعه الا من يعمل مخبطا فى الحالتين . وهذا الكون ما كان فى وقت مضى محكما حتى لا موضع فيه للخلل ، أو كامــلا حتى لا شائبة فيه للنقص . فهو يتــدرج فى الرقى فيسد نقصا فنقصا ويأخذ فى تكمل جديد . ونحن نعلم العـــوامل التى تدفعه الى هذا الرقى ، فــكلها منه واليه فنظامه هذا البديع قــد استفاده بذاته ، أى بعوامله ونواميسه من اختلاله ذاك . وما هذا النظــام بأدل على الاعجاز من ذلك الاختــلال لانهما كلاهما أثر لتلك العـــوامل والنواميس القهرية . وما قال احـد ان الكون انتظم اليوم لان الله موجود ، وانه كان مختلا الامس لانه لم يــكن موجودا ؛

٤ ـ ان العدم تصور فاســد من تصورات الانسان ، فلا وجـــود الا للوجود ، ولا حقيقة الا له . فنحن لم نر عدما ولا يمكن أن نرى عدمـــا ، فمن اين لنا أن نتوهم غير الموجـود ، فلا مقتض مطلقا لتصور الوجـــود منفصلا عن الازلية والابدية .

٥ ـ ان الالهيين هم المطـــالبون أولا بالاثبات لانهم هم المدعـــون ، ولا يطالب الملحدون لانهم منكرون ليس الا ، ولا يصح ان يطلب الدليـل ممن ينكر قضية لم يقم على اثباتها دليــل

كان العقاد يحـــرر فى صـــحيفة الدستور لصاحبها محمد فريد وجدى . وكان من الطبيعى بعد أن كتب هـــذا المقال أن يطرده صاحب هذه الصحيفة فأصبح متشردا لا يجد ما يمســك الرمق . فأراد أن يتصل بلطفى السيد رئيس تحرير « الجريدة » وكان هـذا





ملحدا ، يأوى اليه الملحدون . واخذ يتقرب اليه بكتابة المقالات الالحادية . مثال ذلك قوله :

الحر والخصب كلاهما طبعـــا
الشرقى على الكسل وقلة العمــل .
وكلا هذين من دابه أن يطلق للفكــر
عنان التصور والخيال ويغرى النفس
بالاسترسال فى الامانى والامــال
فالشرق من قديم الزمان مهد الاديان
ومهبط وحى الوجدان . وليت شعرى
اذا لم تكن العقائد من نتاج الخيـال
فلماذا لا ينشأ الا فى الشرق امثـال
برهما ، وبوذا ، وكونفشيوس وزردشت
وموسى وعيسى ومحمد وسـواهم من
الانبياء وواضعى الاديان ؟

ويقول العقاد : لا أعلم لماذا يسوغ للرجل أن يستحوذ على اكثر من أربع نساء ولا يسوغ للمرأة أن تطمع فى اكثر من ربع رجل ان لم يكن أقل

ويقول فى مقال آخر : وبعد أن كان – يعنى الانسان – كله فى قبضة ما وراء المادة ، أصبح للمادة كله . وارتدت الغيبيات من العقل الى زاوية ضيقة بعيدة عن مشاغل الحياة وعلائق الانسان بالانسان ، ومن الارض الى بقاع مقصورة على المعابد والمساجد والبيع . وهـكذا انحسر الدين عن بقعة عاشت مجال رفاق ووئام بعد أن كانت ميدان نضال وخصام .

وكان العقاد هو الـكاتب الوحيد الذى وقف فى مجلس النواب مدافعا عن طه حسين وكتابه « فى الشـعر الجاهلى » .

وقد مرت الايام ، وتبدلت الاحـوال واصبح العقاد الكاتب الاول لحـزب الاغلبية الساحقة ، فترك التهجم على الدين بهذه الصراحة التى مرت بنا . ولما انشق على الوفد عانى الفقـر وحالفه البؤس والشقاء واصبح مؤمنا شديد الايمان ، مسلما متعصبا للاسلام من ذلك قوله « فى بيتى » ص٦٠ العدد ٣٢ من سلسلة اقرأ – اغسطس ١٩٤٥ –

قال صاحبى : وهل وصلت قط من فلسفة حياتك الى شىء ؟

قلت : نعم ، أن الله موجود

قال : باسم الفلسفة تتكلم الان أو باسم الدين ؟

قلت : باسم الفلسفة أتكلم الان . والفلسفة تعلمنا ان العدم معـدوم ، فالوجود موجود بلا أول ولا اخـر ، لانك لا تستطيع أن تقول : كان العـدم قبله او يكون العدم بعده . وموجـود بلا نقص لان النقص يعترى الوجـود من جانب عدم ، ولا عدم هنـاك . موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقـص ولا قصور . والوجود الكامل الامثـل هو الله .

وهكذا انقلب العقاد من الالحاد وانكار وجود الله الى الايمان الراسخ بوجود الذات الالهية . واصبح كاتبا اسلاميا يشار اليه بالبنان ، ويقبل النـاس على اقتناء كتبه ومطالعتها .

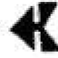


وكان العقاد الفقير المعدم يواسى نفسه بمثل قوله :

لاتحسدن غنيـا فى تنعمـه
قد يكثر المال مقرونا به الكدر
تصفو العيون اذا قلت مواردهـا
والماء عند ازدياد النيل يعتكر

وهذا الشعر أشبه بكلام الوعاظ فى خطب الجمعة وليس ممـــا يحرك الوجدان ويثير العواطف . وقـــوله « قد يكثر » أضعفت المعنى بل زادتــه ضعفا وبرودا . وقوله « ازدياد النيل» فانه خصص النيل دون سائر الانهار، وهذا ضعيف ايضا .

***



طه حسين

كان طه حسين والعقاد قد بلغــا منزلة رفيعة فى الادب ونالا شــهرة واسعة عن طريق الدراســات الادبية والمقالات السياسية التى امتــازت بالعنف ومعارك النقد الادبى . وكان الشاب الذى يريد ان يظفر بما ظفر به هذان الفحلان ، فعليه أن يسلك سبيلهما ويخوض فيما خاضا فيه ولم يكن للقصة اى ذكر او اهتمام،بل كانت ضربا من العبث او التسلية فى اوقات الفراغ . وكانت القصص الرائجة فى السوق هى المعربة أو المترجمة .وقد ظل الحال كذلك حتى منتصف الثلاثينات حين نشــر توفيق الحكيم : مذكــرات نائب فى الارياف ، واهل الكهف وعودة الروح . وقد عرض لها طه حسين فى مقــال طويل نوه فيه بموهبة توفيق الحكيم وقال انه فتح فتحا جديدا فى الادب . وكان هذا الحدث منبها للشبان الى ان الشهرة الادبية يمكن ان تنال عن طريق كتابة القصص . فبدأ فى اواخر الثلاثينات نجيب محفوظ ينشر قصصــا فى مجلة الرسالة والرواية . وتبعــه محمد عبد الحليم عبد الله . وبعد ان كان محمود تيمور يطبع قصصه ويوزعها هدايا على الاصدقاء والمعارف تشجع قبناً يعرضها فى المكتبات . وقد لعبت الخيالة دورا عظيما فى جلب الشهرة لكل من نجيب محفوظ واحســـان عبد القدوس .

عز على العقاد أن تســطع هذه


احمد شوقي

النجوم وينتشر ضوؤها في الافاق بينما هو محصور في دائرة ضيقة هي دائرة الكتب ، وخاصة ان كتبه الاسلامية تهم المسلمين فقط ، في حين ان قصص هؤلاء النجوم يقرؤها الناس على اختلاف اديانهم وأوطانهم • وقد ترجمت بعض هذه القصص الى عدة لغات اجنبية ووضعت عنهم دراسات مستفيضة • وعلاوة على ما تقدم فان اسلوب العقاد لم يكن من السهولة بحيث يفهمه الشبان •

أخذ العقاد يقلل من شأن القصة ويقول ان خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذي يعطيك بيت كهذا البيت •

وتلفتت عيني فمنـذ خفيت
عني الطلـول تلفت القلب

وهذا رأى خطأ من ناحيتين : الاولى انه اعتقد أن القصة ستدفع الشعر بعيدا لتحل محله • وهذا لم يحدث ولا يمكن أن يحدث • فللقصة وظيفة وللشعر وظيفة ، فكلاهما فن من فنون الادب • وهل اغنت المقامات ـ وهى قصص خيالية ـ عن الشعر ؟ ثم ان الانسان من قديم الزمن مغرم بسماع القصص والتأثر بها • فوضع القصص على السنة الحيوان والطير ، كما وضع السير الشعبية كسيرة الظاهر بيبرس وسيف بن ذى يزن ، وغيرهما وفي القرآن الكريم قصص الغرض منها العبرة والموعظة •

والناحية الاخرى ان الموضوع لا يتعلق بالمعاني وانما يتعلق بكيفية صياغتها وتوجيهها ، والقالب الذى توضع فيه بحيث تكون مقبولة ومقنعة ونحن نعرف أن القصص هى التى مهدت للثورة الاشتراكية فى روسيا • وقد وجد علماء النفس والتربية أن خير وسيلة لتعليم الاطفال هى طريقة القصص •

ويقول العقاد ان القصة كالخرنوب الذى قال التركي عنه انه قنطار خشب ودرهم حلاوة • ولا يقف العقاد عند التقليل من شأن القصة ، بل راح للجمهور الذى تروج عنده القصة دون غيرها من فنون الادب ، قال :

« ولا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من فنون الادب سواء اذا نظرنا الى منزلة الفكر او منزلة الذوق ، او منزلة السن ، أو منزلة الاخلاق فليس اشيع من ذوق القصة ولا أندر من ذوق الشعر والطرائف البليغة • وليس أسهل من تحصيل ذوق القصة ولا



احسان عبد القدوس



نجيب محفوظ

أصعب من تحصيل الذوق الشعرى الرفيع حتى بين النخبة من المثقفين . ويرى العقاد من اسباب انتشار القصة هى شيوع الدعوة الشيوعية بين طائفة من طلاب الهدم والانقلاب . وهذا خطأ أيضا ، لان خصوم الشيوعية اتخذوا القصة لعرض مساوىء الحكم الشيوعى .

ومن شعر العقاد الذى نشر فى « الجريدة » بتاريخ ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩١٠

قد اقبل الربيع
بنشره يضوع
ففاحت الزهور
وصاحت الطيور
حديثها تلحين
ولحنها شجون
سجية فطرية
وقدره سرية
ما ركبت مزمارا
او هذبت اوتارا

فهذا شعر لا اثر للعاطفة فيه وهو قريب الشبه من ألفية ابن مالك فى النحو او هو كموضوع تعبير يكتبه تلميذ مبتدىء . ورأين هذا من قول احمد شوقى .

آذار اقبل قم بنا يا صاح
حى الربيع حديقة الارواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه
وانثر بساحته بساط الراح
صفو اتيح فخذ لنفسك قسطها
فالصفو ليس على المدى بمتاح

فشوقى اندمج فى الطبيعة ونظر الى الربيع على انه حديقة فيها بهجة وسرور . وهو لا يريد أن ينفرد بهذه الحديقة ، بل يحب أن يشاركه فيها اخوانه ، وهم جالسون حول مائدة الخمر . وفى البيت من عوامل الاغراء مالا يخفى .

عقيدة "السلطان"

عند الانكشارية الجديدة

بقلم : عبد الرحمن شاكر

توقفت طويلا عند التشبيه او المقارنة التى عقدتها الكاتبة الامريكية « كلوديا رايت »، ما بين الامبراطورية العثمانية ، (والامبراطورية) الامريكية الجديدة ، فى « الشرق الاوسط »وذلك فى بحثها المنشور تحت عنوان « العذاب المتصاعد ـ الحرب فى لبنان والسياسة الامريكية » ، ونشرت ترجمة له كواحد من فصول كتاب «الاجتياح الاسرائيلى للبنان ـ ١٩٨٢» والصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

تقول الكاتبة فى شرح « نظريتها » عن استمرار ذلك الوضع « الامبراطورى » فى المنطقة بعد سقوط الامبراطورية العثمانية ، وبالرغم من هذا السقوط :

« لقد ساد الاعتقاد حتى الآن أن الحربين العالميتين تمثلان العتبة التى دخلها العرب والشرق الاوسط ليصلوا الى عالمهم الحديث والمتأجج بالنفط صحيح أن السلطة التركية قد انهارت ، ولكن عناصر الامبراطورية العثمانية وخطوطها على الارض ومناطق نفوذها وأساليب حكمها قد تبنتها دول اوربا المتحالفة والولايات المتحدة ، وحافظت عليها كأنها غنائم حرب » .

ولا تعتبر الكاتبة ، التى تعمل فى بلادها مراسلة بمجلة « نيوستيتسمان » البريطانية ، أن الثورات العربية كانت العامل الحاسم ، فى التخلص من الوضع الامبراطورى ، للدخول فى بديل له ، بل الاسباب تتعلق بمركز الحكم الامبراطورى ذاته ،تقول:

« ولكن الإطار العثماني لحكم العرب ظل قائما ، فالامبراطورية نفسها أصابها الوهن ، لا لأن الدول من مواليها ثارت عليها، ولم يكن فى استطاعة الجيش التركي حينئذ ان ينتصر على الثورات بسبب انتشاره الواسع بل لأن عاصمة الامبراطورية ، أستنبول ، انهارت ، أما محاولات بريطانيا وفرنسا للحفاظ على أسهمها فى الامبراطورية العثمانية ، فقد أخفقت هى الاخرى وللسبب ذاته ، اى للضعف السياسى وانهيار الارادة السياسية فى العاصمة ، لا بسبب الفشل فى اخماد الثورات . لذا فإن ثمن الحفاظ على الامبراطورية أصبح فى كلا الحالتين أكبر مما تستحق . ثم تمضى قائلة :

« وقد ورثت الولايات المتحدة مهمة حماية مناطق النفوذ الانجلو - فرنسية فى الشرق الاوسط ، كما ورثت تلك الدول من الموالى، التى أعطيت استقلالا اسميا ضمن ذلك الإطار ، وبعد التكتم الذى كانت ادارة ترومان وادارة ايزنهاور الاولى قد أظهرتاه حيال التدخل المباشر فى المصالح البريطانية أو الفرنسية ، بدأت المحمية الامريكية تتسع الى ان قاربت سعة السلطة العثمانية التاريخية فى المنطقة .

« وقد كانت هناك بعض الثغرات تمثلت فى قيام ثورات وطنية ناجحة (غير مرغوب فيها وغير منظورة لدى الامريكيين) فى مصر والعراق والجزائر وليبيا . وعمد الامريكيون حيثما استطاعوا الى المؤامرات للاطاحة بأعدائهم فى تلك الدول ، وللاتيان بأنظمة عملية من شأنها ان تدفع ثمرة الوصاية الامريكية . وفى الخمسينات والستينات كانت سورية ولبنان مثالا لجهود واشنطون الحثيثة من أجل فرض ارادتها ، ففى عملية « الخفاش الازرق » ، أى عملية التدخل العسكرى فى بيروت فى يوليو ١٩٥٨ ، اكدت الولايات المتحدة لاول مرة عزمها على استعمال القوة العسكرية بشكل

مباشر لنيل اهدافها السياسية في بلد عربي مهدد بثورة وطنية»

وبعد مقارنة تلك العملية باجتياح اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ، تقول الكاتبة : « وبصفة الولايات المتحدة وريثة للامبراطورية العثمانية فان لها مزية مهمة تتميز بها عن الاتراك والبريطانيين والفرنسيين فهي لم تضطر قط الى ارسال قوات للتدخل او حاميات محلية لحماية حدود الدول التابعة لها او للحفاظ عليها من اعدائها من الداخل ، وكان التدخل الاميركي في لبنان سنة ١٩٥٨ تكتيكا استثنائيا ولا يمثل القاعدة في السياسة .. الى ان تقول .. وعوضا عن انشاء حاميات اجنبية ، استطاعت الولايات المتحدة أن تعتمد على قوة الردع السريع اى على الاستفادة من قوات الانتشار السريع تتدخل من مسافة بعيدة ، وعلى اسرائيل . ومن خلال اسرائيل اصبحت مصر وسوريا ، اللتان كانتا اكثر الدول العربية تهديدا للمصالح الامريكية خلال ربع قرن ، مقيدتين هادئتين ومن خلال اسرائيل اصبحت امكانات العراق العسكرية عرضة للهجوم السهل ، والتهديد بالقوة الاسرائيلية ضد الاردن عسكريا ، كما قيد ارادة باقي الدول العربية وامكاناتها وقدرتها على التدخل في الصراعات الاقليمية التي تهدد المصالح الامريكية او الاسرائيلية او تهدد الاطار العام للمحمية الامريكية » .

وتصل الكاتبة الامريكية الى ذروة تحليلها او نظريتها لتنتقل منها الى طرح المشكلة من وجهة نظر المصالح الامريكية فتقول :

« ومن خلال هذا المنظار من المفيد لنا ان نعتبر اسرائيل بمثابة الانكشارية في امبراطورية اميركا العثمانية، فهي مكلفة بالنسبة الى استنزاف المعونة الامريكية ، لكنها رخيصة بالنسبة الى دورها في تفادي الضرورة التي قد تنشأ فتجبر الولايات المتحدة على الحفاظ على مصالحها من خلال حامياتها الخاصة بها في المنطقة .. وكما اشرنا أعلاه ، فان المشكلة الوحيدة في مثل هذا الاطار للسيطرة على الشرق الاوسط تكمن في أن الاعتماد الزائد على السلاح الاسرائيلي قد يربك علاقات اميركا بالدول العربية التابعة. وحتى الان فان الحل ـ اى تثبيت قوة ردع اميركية مركزها تركيا تحصل على امداداتها من منشآت في كل الدول التابعة ـ يبعث على الارتياح والاطمئنان »

● تركيا مرة أخرى؟! ●

ان الكاتبة في تلك الفقرة الاخيرة لم تكتف بتشبيه موقف اسرائيل في المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة

بالانكشارية بالنسبة للامبراطورية العثمانية الغاربة ، بل ترى أن الحل بالنسبة لمشاكل تلك الانكشارية الجديدة هو وجود قوة ردع اميركية موقعها هو نفس موقع الجيوش «الاصلية» للامبراطورية العثمانية ، وهو تركيا ذاتها ! الى هذا الحد قادتها المقارنة !

على ان التشبيه الذى استخدمته الكاتبة الامريكية صحيح فى جوهره الى حد كبير ، ولعل اقتران عملية الغارة الاسرائيلية الاخيرة على تونس ، مستندة الى المساندة الامريكية من الاسطول السادس ، بعملية اختطاف الطائرة المدنية المصرية المقلة للفلسطينيين بواسطة سلاح الجو التابع للاسطول ذاته ، يعطى صورة جلية للعلاقة بين القوات التابعة (الانكشارية) والقوات « الاصلية » للجيوش « الامبراطورية » !

تبقى بعد ذلك اوجه الخلاف بين طرفى المقارنة وهما الانكشارية القديمة والانكشارية الجديدة ، لتفعل فعلها فى مصير كل من القوتين ، وامكانية اعتماد الدولة الامبراطورية المعنية عليها ، وذلك لان الانحلال السريع فى حاضرة الامبراطورية الجديدة وهى الولايات المتحدة، على نحو ما حدث للامبراطورية العثمانية لا يبدو على الافق منتظرا فى المدى القريب •

اول اوجه الخلاف هذه واوضحها هو مسألة العقيدة ، بالمعنى الدينى والسياسى لهما على السواء •

ومن المعروف ان الانكشارية



لقطة لاجتياح اسرائيل لبيروت

القديمة (العثمانية) التى كانت تعتمد عليها « الدولة العلية » فى تدعيم سلطانها فى البلاد التابعة لها ، ومنها مصر ، كان افرادها من أبناء بلاد اخرى تابعة لها فى البلقان ، تعتنق المسيحية فى معظمها ، وكان افراد الانكشارية يتم خطفهم من بلادهم وهم صغار وينقلون الى اسطنبول ، حيث يتم تربيتهم من جديد ، على أساس اعتناق

عقيدة "السلطان"

الدين الإسلامي ، والولاء العثماني الذي كانوا ينظرون اليه باعتباره ابا لهم ، يتلقون العلوم العسكرية ليصبحوا قوة ضارية لا تدين بالولاء لشيء او لاحد الا للسلطان العثماني ذاته ، ربما اكثر من الاسلام الذي يفرض عليهم اعتناقه ! »

كانت تلك «العقيدة القتالية» عند الانكشارية القديمة ، مزيجا من الاعتقاد الديني والسياسي ، الغلبة فيها للوجه الاخير منها، وكانت غربتهم في كل شيء الا فيما يتعلق بالدين ، عن البلاد التي يكلفون بالعمل فيها ، هي اساس الاعتماد عليهم كحامية موالية للجالس على عرش الامبراطورية .

اما الانكشارية الجديدة فان « عقيدة السلطان » هذه تختلف عن سابقتها في امور كثيرة ، ولكن الدين اصل فيها لا مفر منه :

● فعناصر الانكشارية الجديدة هم من اليهود الذين جندتهم الحركة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين ، اي ان المعتقد الديني هو اساس تجمعهم ، ولكن هذا المعتقد لا يتفق والعقيدة السائدة في المنطقة التي جاءوا اليها ، مما يمثل نقطة ضعف فيهم لم تعرفها الانكشارية القديمة ، كما يختلف عن العقيدة السائدة في حاضرة الامبراطورية ، التي تستخدمهم ذاتها .

● وعلى هذا فان « عقيدة السلطان » عندهم ، تأخذ تحويرا جديدا ، هي ايمانهم بالتفوق التكنولوجي الهائل للولايات المتحدة الامريكية التي تمدهم بالسلاح وكل شيء تقريبا، وبامكان الاعتماد عليها الى مدى طويل ، وجزء من هذا المعتقد السياسي الايمان بأن ما حدث للهنود الحمر على يد الامريكيين يمكن ان يحدث للعرب او فريق منهم على الاقل، لولا أن المدد البشري اليهودي لقوى « الانكشارية » الجديدة لا يكفي للحلول محل كل العرب او المطلوب القضاء عليهم منهم ممايجعل فريقامن عقلائهميحاول التشوف الى مستقبل يسوده التعايش السلمي مع العرب بدلا من القهر او الاعتماد على القهر بمفرده .

ونعود الى « صاحبتنا » ـ كلوديا رايت لنطالع بنوءاتها بالنسبة لمستقبل الامبراطورية الامريكية في المنطقة العربية . لنراها تقول :

« اذا استمرت الولايات المتحدة في المجازفة في مصالحها بالشرق الاوسط بواسطة شبكة من الحماية للانظمة العربية التابعة ، حيث تقوم القوات الاسرائيلية وجيش التدخل الامريكي بدور الشرطي ، فأن الحرب في لبنان هي ايضا مؤشر للتحالف الذي قد يبرز من أجل التصدي لذلك . وفي



هارى ترومان



ايزنهاور



سيمون بيريز

المستقبل فان المعارضة لامريكا فى المنطقة سوف تاتى من جانب الطبقات الاجتماعية السفلى فى الدول التابعة ، ومن الفقراء والمشردين فى الامبراطورية ، ومن الطبقات المثقفة الشابة التى لا نفوذ لها ، ومن الاقليات العرقية والدينية من الشيعة والبربر والفلسطينيين ، ومن ايران . ان التحالف العثمانى القديم ـ اى تحالف النخبة الحاكمة من مسلمى السنة والموارنة فى لبنان ، والصهيونيون ، وتركيا والغرب لا يمكن مقاومته بعد الان بتحالف مبنى على القومية العربية بل عبر تحالف بين قوى مناهضة الامبريالية ، والتحرر الوطنى والاصولية الاسلامية » .

وتستدرك الكاتبة على هذه الصورة التى استوحتها مباشرة من الاوضاع اللبنانية فتقول : « ان الحرب فى لبنان توحى بانه على الرغم من ان الوحدة العربية لا تؤدى الى سيادة قومية حقيقية ، فهناك بعض القوى الاخرى التى هى الان فى قيد النشوء والتى فى امكانها ان تنجح فى ذلك المسعى » .

ولست ادرى ما الذى تقصده الكاتبة بالعبارة الاولى من تلك الفقرة ؟ وهل قامت الوحدة العربية لنرى اذا ماكانت تؤدى الى سيادة قومية حقيقية أم لا ؟ على ان المنطق يقول انه لاسيادة حقيقية للعرب فى بلادهم الا على طريق الوحدة ، على شريطة ان تكون وحدة ديمقراطية يشعر الجميع فى ظلها بالمساواة والامن ، ذلك اذا ما أراد العرب الا يكونوا ، والى أبد الابدين ، دولا تابعة تتلقفهم هذه الامبراطورية لتسلمهم الى تلك .
ولعل ذلك هو اول ما ينبغى ان تعيه « القوى الاخرى » التى اشارت اليها الكاتبة الامريكية ووصفها بانها فى « طريقة النشوء » ، وان فى امكانها ان تنجح فى مسعاها ..

ولست أرى تلك القوى الا فى أجيال عربية شابة تعى ماضيها وحاضرها ، وتامل فى ان يكون لها مستقبل ..

قضيـة | للمناقشة

الدولة العثمانية

دولة مفـتري عليها

بقلم : فتحي رضوان

● نجح الغرب في القاء فكرة او عقيدة في نفس وعقل العرب والمسلمين وعند ضخم من الشرقيين مؤداها ان دولة بني عثمان التي استمرت تحكم مساحة واسعة في آسيا واوربا وافريقيا ، قرونا عديدة وبنجاح سياسي وعسكري متصل الحلقات ، متعددة المراحل ، والتي تركت اينما ذهبت ، عواصم زاهرة متألقة ، تزينها مساجد وتكايا وأسبلة وقصور وجسور وشوارع وميادين ومكتبات وتكنات وآثار حية في لغة الاقوام التي تحكمهم سواء كانت لغة الحياة اليومية اى لغة المأكل والمشرب والملبس ، وركوب الجياد ، أو لغة الفكر والادب .. هذه الدولة بكل جلالها وهيبتها وضخامتها واتساع مداها ، كانت عورة في تاريخ الاسلام والعرب ، والتمدين الانساني ، والحضارة البشرية ، وان حكمها كان ظلما وعسفا ، ومحاربة للعلم ، ووأدا للفكر ، وقد صعب على المصريين والعرب بعد ذلك أن يراجعوا انفسهم في هذا الحكم الظالم ، وان يلتمسوا المعرفة الحقيقية في نطاق التاريخ الحديث الذي سطرت صفحاته ، ونسقت بفصوله اقلام مؤرخين اجانب ينتمون الى الغرب ، ويؤمنون بالمسيحية ، ويطوون صدورهم في الاغلب الاعم ، على كراهية شديدة للاسلام والمسلمين ، الا عن تعصب لدينهم ، بل ولكثرة ما سمعوا من القدح والذم ، في تركيا وحكامها ، واساليب دولتها ، ومناهج قادتها .

ولو تنبه هؤلاء المساكين والمضلل بهم ، ان تركيا منذ عبرت جيوشها من الاناضول سنة ١٣٥٦ على عهد السلطان اورخان ثاني السلاطين العثمانيين ، استمرت تحكم وتتوسع في

الفتح حتى بلغت فى اوربا مشارق النمسا ، كما اتسع ملكها فى اسيا وافريقيا ، واستمرت متماسكة ، سلطانها باذخ ، وامرها نافذ ، وقوتها متصاعدة حتى افل نجمها فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ، اى بعد ستة قرون متصلة العمر الذى لم تبلغه دولة اخرى لا فى القديم ولا الحديث ، وانها حين امال عليها الزمان فى الحرب العالمية الاولى التى بدأت فى اغسطس سنة ١٩١٤ ، كانت دولة ذات شان تعتبر قوة عسكرية وسياسية ، يحسب لها فى السياسة الدولية كل حساب ، ولو احسن قادتها التدبير ، واثروا الحياة على اقتحام حلبة الحرب فى صف المانيا والنمسا ، ضد انجلترا وفرنسا ، لعاشت زمنا آخر وربما لحافظت على وجودها فى اسيا وافريقيا ٠

ولقد تنبه عدد من علماء التاريخ العربى الى ما فى حملة اوربا وامريكا، من التجنى على الدولة العثمانية ، وما خالط احكام ساستهم وعلمائهم ، من التحيز والميل مع الهوى ، فانبروا يردون عليهم اغلاطهم باسلوب علمى قائم على الوثيقة التاريخية ، والواقعة الثابتة ، والحقائق غير المنكورة ، ومن هؤلاء الاستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى الذى وضع موسوعة



السلطان عبد الحميد الثانى

تاريخية من ثلاثة أجزاء اهـدى الى اثنين منها •

قال الدكتور الشـناوى فى مقدمة الجزء الاول من موسوعته العظيمة :

« وعلى مبلغ علمى لم تتعـرض دولة فى العالم لمثل ما تعرضت له هذه الدولة من حمـلات عنيفة ضـارية استهدفت التشهير بها والنيل منهـا ، وقامت بهذه الحمـلات المكثفة قوتان عالميتان عاتيتان همـا الاسـتعمار الاوربى والصـهيونية واتخذت هذه وتلك من المؤلفات التاريخية والبحوث (العلمية) والتصريحات الرسـمية ، ومن مجموعات الوثائق التى نشرتها بعض الحكومات الاوربية مجالا رحيبا لاذاعة ماراق لها أن تنشره عن الدولة تحاملا عليها وقـد ردد بعض المؤرخين والباحثين العرب عن جهالة وتجاهل او حقـد تلك الآراء الخاطئة والظالمة معهم فى مؤلفاتهم واستقرت فى أذهان الأجيـال المتعاقبة من رجال الفكـر العربى والاسلامى صور حالكة الظلام عن الدولة العثمانية ، واقترن ذكرها فى اذهانهم بمظالم ومحن تكدست على رعاياها من استغلالهم بتقرير ضرائب تعسـفية وجزافية عليهـم ، ومن مصـادرة أموالهم وأراضـيهم ومحـاصيلهم • وماشيتهم ، واجراء مذابح عامة ، وعن عزلة عن العالم فرضتها الدولة على ولاياتها العـربية بوجه خاص ، وهى خدمات يجب أن تذكر لها وتشكر عليها •

وتناسوا ايضا ان الدولة العثمانية واجهت أخطارا دولية جسـيمة كانت تهدد العالم العربى بافدح الاخطـار وكان من بينها وصول البرتغاليين الى البحار الشرقية ، وتسللهم الى شرق الجـزيرة العربية واستيلاؤهم على مواقع عسكرية هامة ، ومحـاولاتهم دخول البحر الاحمر من منفذه الجنوبى للاستيلاء على جده والزحف منها على مكة المكرمة ، لهدم الكعبة الشريفة ثم موالاة الزحف على المدينة المنورة ، لنبش قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه • وكان الغزو البرتغالى الشرقى الجـزيرة العربية هو اول غزو اوربى عسكرى صليبى فى التاريخ الحـديث لاقاليم •

وانتقل المؤرخ الكبير الى جـانب آخر من تاريخ الدولة العثمانية كان يعتبـر عند أهل اوربا ، الجـريمة الكبرى ، من جرائم الدولة العثمانية، واعنى ؟ فتوحـاتها فى تلك القارة ، وهو رد فعل طبيعى لاهل كل دولة او قارة او للمؤمنين باى دين • فـان تقتحم عليهم معبدهم ، وان يحـكمهم اقوام لا يؤمنون بعقيدتهم ، فذلك هو اعظم البلاء •

قال الدكتور الشناوى :

« لقد عاشت الدولة العثمانية اكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشـها الاسـلامية العثمانية اقاليم شاسعة فى جنوب شرق أوربا ووسطها ، وهى اقـاليم لم تخضع قط من قبل لحاكم مسـلم • واحرزت باسم الاسلام انتصارات خاطفة وباهرة وتساقطت فى ايديها دول أوربية عديدة ، وامتلأت قلوب الحكومات والشـعوب الاوربية

فزعا وهلعا من هذه الدولة الاسلامية الطارئة عليها فى عقر دارها ٠

واحب بعد هذه الاقتباسات الطويلة ان انقل ثلاث فقرات من كتـاب دولة مفترى عليها :

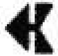
الفقرة الاولى تقول :

ويلاحـظ أن العثمانيين اعتنقـوا الاسلام عقيدة رسـمية لهم ، وكان العثمانيون ينظرون الى انفسـهم على انهم مسـلمون قبل كل شىء ٠ فكان ولاؤهم يتجه الى الدين الاسلامي اولا ثم الى السـلطان ثانيا الى الدولـة ثالثا ٠

الفقرة الثانية :

نظر الاوربيون الى الفتوح العثمانية فى اوربا على انهـا فتوح اسلامية ـ وقد اعتزم محمد ابو الفتوح (أو محمد الفاتح) ان يتخذ من اوترانت قاعـدة يزحف منهـا شمالا فى شبه جـزيرة ايطاليا حتى يصل الى روما واقسم ليقدمن الطعام بيديه الى حصانه وهو واقف على مذبح الكنيسة البابوية ٠ ولكن عاجلته المنية فى اليوم التالى من شهر مايو عام ١٤٨١ وتنفست أوربا الصـعداء حين علمت بوفاته ، وامر البابا ان تقام صلاة شكر ثلاثة ايام ٠

والشق الثانى من الفقرة :



« ومما هو جدير بالذكر ان ريتشارد نولز مؤرخ عصر الملكـة اليزابيث فى انجلترا (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) وصـف الشعور الاوربى العام باتجاه الحروب التى خاضـتها الدولة العثمانية ضد أوربا فكتب هذه الجملة المعبرة « ان الامبراطورية العثمـانية هى مصدر الرعب فى العالم » ٠

ومع ذلك فان العثمانيين لم يزجوا بانفسـهم فى الصراع الدموى الذى نشب بين الكاثوليك والبروتسـتانت ولذلك كانت الدولة العثمـانية ملاذا تستهوى افئدة المضطهدين والمعذبين فى الارض الاوربية يلتمسون فى رحابها الامن والملاذ والتسـامح ٠ وقد كتب مارتن لوثر فى كتيب نشره فى عـام ١٥٤١ ٠ أن الفقراء المسـيحيين الذين



مصطفى كامل

قضـيـة | للمناقشة

يظلمهم الامراء الجشعون واصحاب الاراضى يفضلون أن يعيشوا تحت حكم الاتراك ولا يعيشـوا فى كنف حكام مسيحيين يمارسون أساليب ظالمة فى حكم الفقراء ٠

بعد هذه الحقـائق التاريخية التى تحـدد اصول المناقشة فى موضـوع الدولة العثمانية ٠
يتضح الآتى :

اولا : تركيا دولة عظمى بمعـايير القرن السادس عشر وما بعـده وقد اتسع ملكها وترامت آفاقه بالاساليب التى كانت متبعة فى ذلك العهـد لم تزد ، وربما لم تنقص وان كانت قد تحملت بما تقضى به قواعد الاسـلام من رعـاية اهل الذمة ، وهم غيـر المسلمين الخاضعين للحكم الاسلامى والذى نهى الاسلام عن الاساءة اليهم، او قهرهم على دخول الاسلام او ترك دينهم ٠ وقد أورد مصطفى كامـل فى كتابه الشهير (المسألة الشرقية) أن بعض مستشارى سلاطين بنى عثمان زين لهـم اغـراء او حمـل الاقليات المسيحية فى شرق أوربا ولكن شيوخ الاسـلام نهوا السـلاطين عن ذلك ، وكان من الممكن انذاك اخراج الاقليات من ملتهم ، فالظروف الدولية فى تلك الايام كانت تسمح بأشياء من هذا القبيل بسبب النزاع الدولى والحروب الدينية بين المسيحيين بعضهم البعض ٠ وهى الحروب التى استبيحت فيها أرواح الابرياء، واعراض النساء ، واستعملت فيها ضروب من العنف عف عنهـا الفـاتحون المسلمون وحتى الجنود الصغار ، لفرط تشديد القادة المسلمين على اتباعهم بوجوب رعـاية حرمات غير المسلمين مالا وعرضا وعقيدة ٠

ثانيـا : ان الحكم التركى فى كـل ممتلـكات السلطان العثمانى لم يكن اسوا من حكم ملوك وامراء أوربا فى تلك الفترة ، بل ان حكم هؤلاء كـان امعن فى الظلم ، وابعد فى الاساءة الى الشعوب ، وكان حكامهم جهالا ، ولم تكن تربطهم عقيدة تأمر بالعـدل والاحسان كما كان يأمر الاسلام ملوك بنى عثمان ٠

ثالثـا : أن الشكاوى التى لاتزال عالقة باذهاننا وخاصة لاسماعنا عن الحكم العثمانى ، هى شكاوى العرب بصفة خاصة ففى فترة افول الحـكم العثمانى ، وهى فترة سيئة فى ظل كل دولة ولا يمكن أن تحاسب عليها تركيا، ولا أن تعتبر مقياسا للحكم على كـل الحكم العثمانى ٠ وحسب تركيـا شرفا انهـا وهى تكاد تلفظ انفاسها الزمت سلطانها السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ٠ وحسب السـلطان عبد الحميد الذى اسىء اليه بفعل الدعاية الاستعمارية والصهيونية انه رفض أن يأذن بوطن صهيونى على أرض فلسطين وبقى مصرا على هذا الرفض حتى تم عزله ثم موته ٠

هذه هى تركيـا الحقيقية ، التى لا نزعم أن الله براها من كل عيب ، ولكنا جهلنـا تاريخهـا ، واسلمنا انفسنا لتقولات خصوم تاريخنـا . فتجنينا عليها ٠

ابتسامات

● مثالية ●

● قال احد الكتاب : عندما كنت شابا قررت الا اتزوج الا من المرأة المثالية وقد وجدتها بعد اعوام ، ولكنها كانت تبحث هي الاخرى عن : رجل مثالي .

● عثرت الزوجة على دفتر حسابات قديم كان زوجها يسجل فيه مصاريفه ووجدت في السنة التي تزوجا فيها بندا تحت عنوان مصاريف لن تتكرر عبارة « شهر عسل واحد » !

● منظر بالغ الروعة ! ●

● كان الدليل السويسري يصطحب احد السياح الامريكيين في تسلق بعض الجبال ، عندما قال له : كن حريصا جدا ، لكي لا تسقط في هذا المكان . ولكن اذا سقطت تطلع الى يمينك ، فان المنظر هناك ، بالغ الروعة !

● تضايق الاخ الاكبر من سلوك اخيه الصغير ، الذي اسرع باخذ السمكة الكبرى من الطبق الموضوع على المائدة وترك فيه السمكة الصغرى ، فقال له : لو كنت مكانك لاخذت السمكة الصغرى فرد الصغير : اعرف ذلك ، ولذلك تركتها لك ..

● قال المدير لسكرتيرته : ماذا قالت لك زوجتي عندما انبأتها بانني سأتأخر هذا المساء ؟

– قالت « هل استطيع أن أعتمد على ذلك !! »

● سراج جديد ●

● فقد رجل زوجته المحبوبة فنقش على قبرها هذه الكلمات : « لقد انطفأ سراج حياتي » وبعد بضعة اعوام تزوج الرجل مرة اخرى فسأل القس :

– اليس من الاوفق ان امحو هذه العبارة عن قبر زوجتي الاولى ؟

وكان القس رجلا لبقا فاجاب : كلا حسبك أن تضيف هذه العبارة « ولكنني اضأت سراجا جديدا »

● اخلاص ! ●

● اراد احدهم بيع كلبه فسأله المشترى : « هل هو مخلص ؟! »

فاجاب : مخلص جدا . لقد بعته ١٠ مرات من قبل وهو يعود الى ثانية !

● نصيحة ●

● سألت فتاة تهوى السينما ، احد النجوم الكبار في هوليود من نصيحة يسديها لها ، لكي تشتهر ، فقال لها : غيري تصفيفة شعرك ، وتعلمي كيف تسيرين جدا ، واشتري فستانا مثيرا ، وسوف تجدين نفسك فجأة متزوجة : ولديك ستة اطفال ، وتنسين كل شيء من هذا .. الهراء .



رحلة العائلة المقدسة في مصر

بقلم: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

● عاش السيد المسيح في فلسطين ، لم يغادرها الى اى اقليم آخر . والاقليم الوحيد الذى انتقل إليه ، غير أرض موطنه ، هو مصر . أتى إليها في طفولته ، مع السيدة العذراء مريم والدته ، ومعهما يوسف النجار . ●

كان السبب هو أن جماعة من المجوس ، أتوا من المشرق إلى اورشليم « القدس » بعد مولد السيد المسيح بقليل . وقالوا « أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه في المشرق ، وأتينا لنسجد له » فخاف هيرودس الملك ، وحسب هذا المولود منافساً له . ولما لم يستدل عليه ، امر بقتل جميع أطفال بيت لحم ، البلدة التى ولد فيها المسيح ، لعله يكون ضمن هؤلاء المقتولين . وهكذا انتقلت العائلة المقدسة كلها إلى مصر ، بناء على رؤيا مقدسة وأمر إلهى .

اتوا إلى مصر من الشرق طبعاً . مارين على العريش والفرما . ولم يسيروا في خط واحد يمكن تتبعه . ولم يستقروا في مدينة واحدة . وكانت المدن الكبيرة التى مروا بها حوالى عشرين مدينة أو منطقة . غير القرى العديدة التى في الطريق ... كما كانوا



● خريطة تبين خط سير الرحلة ، بدءا من فلسطين حيث ولد السيد المسيح في « بيت لحم » حتى اسيوط بصعيد مصر

يعبرون النهر الى الشرق احيانا . والى الغرب أحياناً اخرى .

ونستميح القارىء عذراً - من اجل تسهيل الموضوع عليه - أن نذكر كل تلك الأماكن بأسمائها الحالية على قدر الامكان ، حتى لايرتبك فى أسماء كثيرة لايعرفها ، وغير موجودة على الخرائط الحالية . إننا لانريد لهذا المقال ان يكون موضوعاً علمياً بحتاً ، إنما نريده مبسطا على قدر الامكان .

رحلة العائلة المقدسة شملت مناطق فى الوجه البحرى ، وأخرى فى الوجه القبلى ، اقصى ما وطأته تلك الاقدام المقدسة فى شمال مصر ، كان العريش شرقاً ، ومدينة سخا غرباً (من محافظة كفر الشيخ) . واقصى ماوصلوا إليه جنوباً كان محافظة اسيوط (جبل قسقام ، وربما جبل اسيوط ايضاً) .

وهكذا تقدست كثير من بلاد مصر ، بزيارة السيد المسيح والسيدة العذراء

رحلة العائلة المقدسة في مصر

عرض : سعيد عبد الحميد

● مقصورة بكنيسة العذراء بسمنود ، تحوى رفات الشهيد اباتوب ومعه رفات ثمانية الاف شهيد

مريم . وورد فى سفر إشعياء النبى قول الرب « مبارك شعبى مصر » (اش ١٩ : ٢٥) . وكذلك نبوءة فى نفس الفصل عن عبادة الله فى مصر « ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم » (اش ١٩ : ٢١) . وتحققت نبوءة فى سفر هوشع النبى ، عن رجوع السيد المسيح من مصر . « وفى من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١) (متى ٢ : ١٥) .

استمرت رحلة العائلة المقدسة فى مصر حوالى ٤ سنوات من سنة ٢ م الى ٦ م تقريبا . الى ان مات هيرودس الملك . وحكم بدلا منه ارخيلاوس .

وفى بعض المدن قضت العائلة اسبوعاً ، أو بضعة ايام . وفى مدن اخرى شهراً أو أكثر . وكانت أطول مدة هى فى جبل قسقام ، حيث بنى فى قريبة الدير المحرق على اسم السيدة العذراء فيما بعد ...

ولعل البعض يسأل : لماذا كان هذا التنقل من مكان الى آخر فى مصر ؟ وتجيبه بسببين :

١ - لأن هيرودس أرسل أيضا يطاردهم فى مصر .

٢ - لانه كانت تحدث معجزات فى البلاد التى زارتها العائلة المقدسة . وأحيانا كانت تسقط الأصنام محطمة على الأرض ، فكان كهنة الاوثان يطردونهم من مدينتهم فيلجأون الى أخرى

فلنتتبع اذن رحلة العائلة المقدسة ، والبلاد التى دخلوها ، حتى يمكن للسوّاح والدارسين ان يزوروها ، ويعرفوا معالمها وما تبقى فيها من آثار هامة ، مع دراسة تلك الآثار والحفاظ عليها ، وتصويرها وشرحها ... وسنعطى لكل مدينة رقما خاصا ، لتسهيل المتابعة .

الرحلة فى شمالى مصر

١ ، ٢ مدينتان على الحدود الشرقية الشمالية ، هما العريش والفرما ، اتجهت العائلة المقدسة بعدهما الى منطقة محافظة الشرقية . وكانت أول مدينة فيها هى :

٣ - تل بسطه : وهى قرب الزقازيق . دخلوها ظهراً ، واستظلوا تحت شجرة . عطش المسيح ، وإذ لم يجد ماء ، رسم بيده على الأرض ، فتفجر نبع ماء . سقطت اصنام تلك المدينة من قدسية الزائر العظيم . فطردهم الكهنة من المدينة فتركوها .

صارت تل بسطه فيما بعد احدى اسقفيات الكرسى المرقسى .

٤ - مسطرد (المحمه) :

نزلت العائلة المقدسة بعد ذلك جنوبا الى مسطرد . وجدت هناك نبع ماء ، استحم منه السيد المسيح ، فسمّى (المحمة) . وتغير اسم المكان بعد ذلك



الى مسطرد . بنيت هناك فيما بعد كنيسة على اسم السيدة العذراء . وفى عودة العائلة المقدسة ، مرت على مسطرد أيضاً

٥ ـ بلبيس :

ومن مسطرد انتقلت العائلة المقدسة شمالاً بشرق إلى بلبيس ، واستظلت عند شجرة عُرفت باسم « شجرة العذراء مريم » . وصارت بلبيس اسقفية فيما بعد . ومرت العائلة المقدسة على بلبيس أيضا فى رجوعها .

٦ ، ٧ ـ منية سمنود ، وسمنود

من بلبيس رحلت العائلة المقدسة شمالا بغرب الى منية سمنود ، وكانت تعرف باسم (منية جناخ) ، ومنها عبرت النهر الى سمنود ، داخل الدلتا . واستقبلهم شعبها استقبالاً حسنا ، فباركهم المسيح .

وبنيت فى سمنود كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء . ثم تهدمت فبنيت على أنقاضها كنيسة الشهيد ابانوب حالياً

ومن هناك رحلت العائلة المقدسة شمالاً بغرب الى منطقة البرلس الى سخا

٨ ـ سخا

وهى حالياً فى محافظة كفر الشيخ . وقد ظهر قدم السيد المسيح على حجر . ومنه اخذت المدينة اسمها بالقبطية . وقد

● شجرة العذراء مريم بالمطرية ، أراد الخديو اسماعيل ان يهديها للامبراطورة « اوجينى » ولكنها فضلت بقاءها فى مكانها



أُخفي هذا الحجر زمنا طويلا خوفا من سرقته في بعض العصور ...

ولقد بنيت في سخا كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء ، مع مغطس ، ثم عمّر فيها دير المغطس .

٩ ـ وادي النطرون

من سخا عبرت العائلة المقدسة نهر النيل الى غرب الدلتا ، وتحركت جنوباً الى وادي النطرون ، وباركته ، ومنه رحلت الى منطقة القاهرة الحالية .

العائلة المقدسة في منطقـــة القـاهـــرة

اهم الاحياء التي زارتها في هذه المنطقـة : عين شمس ، والمطرية ، ومنطقة بابليـون (مصر القـديمة) ، ومنف ، والمعادي .

١٠ ـ المطرية :

اهم مافي هذه الزيارة الشجـرة المعروفة باسم (شجرة مريم) حيث استظلت السيدة العذراء . وقد أنبع السيد المسيح هناك نبع ماء ، وشرب منه وباركه . وغسلت السيدة العذراء ثياب ابنها من مياه هذا النبع ، وسكبت الماء ، فنبتت في مكانه شجرة البلسم ذات الرائحة العطرية .

وهذا المكان الأثري العظيم يحتاج الى عناية من مصلحة الآثار والبلـدية ، وإعداده ليكون مركزاً سياحياً لائقاً ، لأن

● قباب كنيسة المعادي ، المكان الذي ابحرت منه العائلة المقدسة الى الصعيد ، في مركب ◄







● قباب ومنارة دير السيدة العذراء بسمنود . والتي بنيت في المكان الذي عاشت فيه العائلة المقدسة

معلومات كثيرة مكتوبة عنه في الكتب التي يحملها معهم السائحون لارشادهم .

ولعله في زيارة هذه المنطقة مرت العائلة المقدسة على منطقة الزيتون . ثم تحركت بعد ذلك الى بابليون .

١١ ـ بابليون (مصر القديمة) :

وقد تباركت هذه المنطقة كلها بزيارة العائلة المقدسة ، التي اقامت حيناً في مغارة صارت جزءاً من كنيسة « ابا سرجه » فيما بعد

ثم اتجهت الرحلة نحو منف

١٢ ـ منف :

وفي منف تحطمت اصنامها من قدسية الزيارة ، فعزم الوثنيون على قتل العائلة المقدسة ، التي تركت لهم المدينة . وفي نفس الوقت تركت أثراً في النفوس . فبنيت في منف كنيسة قديمة جداً يعتبرها البعض اقدم الكنائس بعد الاسكندرية . وبنى هناك دير أيضاً . وصارت منف احدى اسقفيات الكرسي المرقسي فيما بعد .

١٣ ـ المعادي :

اقلعت العائلة المقدسة بعد ذلك في مركب بالنيل من عند المعادي . وبنيت في ذلك المكان كنيسة قديمة هي كنيسة العذراء بالمعادي . ومن ذلك الموضع تحركت العائلة المقدسة جنوباً نحو

الصعيد . ومن أشهر المدن التى اقامت فيها : البهنسا .

العائلة المقدسة فى الصعيد

١٤ ـ البهنسا :

وهى من أهم المراكز التى زارتها العائلة المقدسة وباركتها . وصارت إحدى الاسقفيات الكبيرة فيما بعد . وسميت (بيت يسوع) . وبنيت فيها كنائس كثيرة ، وعمرت بأديرة للرهبان والراهبات . وكانوا يأتون إليها للزيارة للتبرك مشياً على الاقدام .

١٥ ـ جبل الطير :

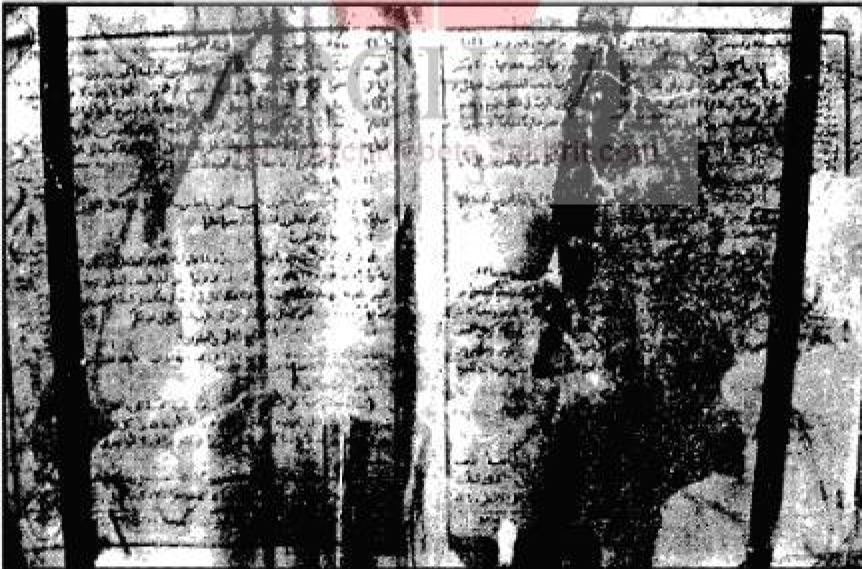
سارت العائلة المقدسة جنوبا حتى سمالوط ، ثم عبرت النيل شرقاً الى جبل الطير . وهناك سند السيد المسيح بيده حجراً كاد يسقط ، فانطبع كفه عليه . وبنت القديسة الملكة هيلانه (فى القرن الرابع) كنيسة باسم السيدة العذراء

ثم نزلت العائلة المقدسة جنوباً ، وعبرت النهر غرباً الى الاشمونين

١٦ ـ الاشمونين :

وقد حدثت معجزات كثيرة فى هذه

● على ضفاف النيل وبجوار كنيسة العذراء بالمعادى ، وجد الكتاب المقدس مفتوحاً على الصفحة التى جاءت بها الآية التى تقول : « مبارك شعبى مصر »



البلدة وسقطت أوثان . وقد صارت الاشمونين فيما بعد احدى الاسقفيات الشهيرة . ومن اساقفتها الانبا ساويرس ابن المقفع المؤرخ والكاتب المعروف .

١٧ ـ ومن الاشمونين نزلت العائلة المقدسة جنوباً الى **ديروط الشريف** ، وكانت تعرف وقتذاك باسم فيليس .

١٨ ـ ومنها الى **قرية قسقام** ، حيث سقط الصنم معبودهم وتحطم ، فطردهم أهلها خارج المدينة . وعرفت هذه المنطقة باسم القوصية ، وهى غير القوصية الحالية .

● فى كنيسة العذراء ، بسخا ، محافظة كفر الشيخ وجد هذا الآناء ويقال عنه ان السيدة العذراء كانت تصنع فيه العجين



١٩ ـ فرحلوا من هناك الى **مير**

٢٠ ـ ومن هناك ذهبوا الى **جبل قسقام** ، حيث بنى الى جواره **الدير المحرق** على اسم السيدة العذراء .

وأقاموا فى تلك المنطقة ستة شهور وعشرة أيام ، وبني يوسف النجار بيتا صغيراً الى جوار بئر ماء باركه المسيح .

وفى هذه البقعة المقدسة ظهر الملاك ليوسف النجار ، وطلب إليه الرجوع الى فلسطين ، لانَ هيرودس قد مات .

٢١ ـ وقيل إن العائلة المقدسة مرت فى رجوعها على **جبل اسيوط** ، (المنطقة المعروفة باسم جبل درنكه) حيث بنى دير باسم العذراء .

فى خط العودة :

لم يكن هناك داع فى العودة الى المرور على اماكن استدعتها امور اخرى فى المجىء .

فمثلا مرت الرحلة على بابليون ومسطرد وبلبيس . ولم تكن محتاجة ان تدخل فى الدلتا الى سمنود ، أو تتجه غربا إلى سخا ، أو تنزل جنوباً الى وادى النطرون . وانما من الممكن أن تتجه من بلبيس مباشرة الى القرما والعريش .

كان الطريق فى العودة آمناً بعد موت هيرودس

السيد المسيح اختفى من هيرودس فى طفولته ، مع قدرته على إبادة هيرودس

العائلة المقدسة في مصر

ولكن الساعة لم تكن قد أتت بعد ، التى فيها يسلم المسيح نفسه للموت ، كان لابد ان يقوم برسالته أولاً ، ويعلم الناس ويحذر من حرفية اليهود فى فهم وصايا الله ، ويختار التلاميذ الذين يقودون الايمان من بعده ، ويعلمهم ان هذا الايمان هو لكل شعوب الأرض ، وليس لليهود فقط .

وفى انتظار تأدية رسالته ، جاء الى مصر ، فبارك مصر

نعم ، ولتكن مباركة ...

● على اليمين مذبح للسيدة العذراء ، وفى هذا المكان وداخل مغارة بجبل درنكة بأسيوط عاشت العذراء حتى عادت مرة أخرى الى فلسطين ، والصورة الثانية المنارة الجديدة لدير السيدة العذراء بأسيوط .



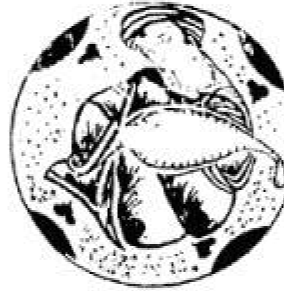


مظاهر الاستمرارية فى الفن المصرى عبر التاريخ

بقلم : د . صبرى منصور

ان البحث والتقصى عن مظاهر الاستمرارية فى الفن المصرى عبر العصور المختلفة ، والكشف عن عوامل الاتصال بين اشكاله المتغيرة لهو جهد يكتسب اهمية بالغة فى المرحلة الثقافية التى تعيشها بلادنا اليوم ، والتى يتضح فيها ضرورة السعى نحو تخليق فنون لها استقلاليتها عما عداها من فنون عالمية اخرى . وقد يرى البعض ان هذا الجهد هو مسعى لا نفع فيه ، ولا طائل من ورائه ، فحتى لو كان هناك اتصال ما بين فنوننا القديمة فما بالنا نحن المعاصرين بهذا الاتصال . فهم يرون أن العصر الحديث ـ الذى يعنى لديهم دائما حضارة الغرب ـ قد اسفر عن فكر فنى جديد هو الاحرى باتباعه والاولى بالاخذ عنه ومجاراة افكاره .

ومنشا هذه النظرة الاعتقاد الخاطىء بأن الفنون هى مجال مماثل لمجالات الصناعة واوجه الحياة الاقتصادية والتكنولوجية



التى اعتمدنا على مبادئها فى مجال تحديث حياتنا العامة وتنظيم أحوال مجتمعنا المعاصر · متناسين أن الفنون منشؤها الروح والتقاليد المستمرة فى أعماق الوجدان الانسانى ، وأن الجانب التقنى فيها ـ رغم أهميته ـ لا يشكل عاملا جوهريا فى تكوينها · فالفنون على اختلاف فروعها انما هى لغة تواصل بين مجموعة محددة من البشر فى المقام الاول ، وقبل أن تكون لغة اتصـــال عالمية فى مقامها الثانى ، كما أن مبدأ نبذ الماضى ـ اذا كان يصدق على النظريات العلمية التى تتطور نظرياتها نحـو الاكمل والافضل دائما ، لينسخ الجديد منها ما سبقه من نظريات ـ فان الامر يختلف أشد الاختلاف فى الفنون التى لا يحكمها قانون للتطور بهذا المعنى ، فالاشكال الجديدة منها لا تلغى ما سبقها ، بل تشتق من ثناياها ، وتضيف اليها أو تحور فيها ، وتاريخ الفن يحفل بنماذج عـديدة عـلى عـودة فنانين وطرز باكملها للاشتقاق من مراحل قديمـــة بل وموغلة فى القدم ، فالفن الكلاسيكى قد استمد من الفن الاغريقى ، والمصور الانجليزى وليم بليك اعتمد فى أسلوبه على الطراز القوطى ، وبول جوجان اشتق اتجاهه من الفن البدائى ، وأســلوب المصور الايطالى دى كيريكو كان على صلة وثيقة بطراز عصر النهضة ·

واذا كان كل فنان ـ سواء أدرك ذلك أم لم يدركه ـ يشـيد ابداعه فوق ابداع الفنانين السابقين عليه ، كذلك فان الكيان الفنى لأمة من الامم ـ وخاصـــة اذا كانت تتمتع باستمرارية تاريخية كبلادنا ـ انما هو حلقات متصلة لا يمكن فصل احداها عن الاخرى ، كما لا يمكن المفاضلة بينها جميعا من ناحية القيمة أو من جهة البساطة والتعقيد · ولقد كان من أقدار مصر أن تمر فى فترة تاريخية استمرت عـدة قرون بحالة جدب فنى ، فانقطعت سلسلة التواصل والعطاء والابداع الفنى باحتلال الاتراك العثمانيين وما تبعـه من استنزاف لخيرة صناعنا وفنانينا · وحين تم الاتصال بالحضارة الغربية وكانت فى أوج نضجها كنا قد تحولنا الى أمة خلت من مقومات الخلق والابداع، لهذا لم ينتج هذا اللقاء الحضارى ـ فى جملته ـ سوى أشكال باهتة من الفنون الغـربية ، وذلك شىء طبيعى ، اذ أن التأثر والتأثير بين حضارات وثقافات الامم المختلفة لا يكون ايجابيا الا حين تتكافأ عوامل النضج والقوة فيما بينها · وربما كـان نتاج هذه المرحلة قريب الشبه الى حد بعيد بذلك الطراز المخلوط الذى ظهر فى مصر بعد غزو الاغريق ، اذ كان طرازا ممسوخا لا هو اغريقى ولا هو مصرى ·

ومن هنا بات من الاهمية بمكان ـ فى المرحـلة الراهنة البحث داخل أغوار الكيان الفنى المصرى عبر تاريخه الطويل

مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

تمهيدا لاستكشاف امكانيات الامتداد به ، ووصل ما انقطع من استمرارية حلقاته .

● تواصل الابداع ●

ومفهوم الاستمرارية في مجال الفنون يحتاج الى توضيح

الفن المصرى القديم عبر عن الاشكال بحس فنى متميز



وتحديد لمعناه ، اذ أن الفهم العادى والشائع للاستمرارية هى الثبات والجمود على حال بعينها دون تبديل ، بينما تعنى الاستمرارية الفنية التتابع والتواتر فى العطاء ، والتواصل فى الابداع فى سلسلة مستمرة من الاشكال والطرز التى تجمع بينها قيم جوهرية . اذ أن تلك الطرز لا تأتى من فراغ ، فهى تتوالد بشكل طبيعى ، فكل مرحلة يتم استخلاصها من مراحل سابقة عليها وصلت الى ذروة عطائها . وهذا التوالد لا يعنى أن الطرز الجديدة تنسج على منوال الماضى ، وانما تستمد منه خيوطا تساعدها على بلورة حلقة غنيــة جديدة وفقا لطبيعة الحياة الانسانية المتغيرة والمتجددة دائما . وهكذا تســتمر

قدرة عالية وامكانية بارعة فى رسم الاشـــخاص بدقة لا يقدر عليها سوى الفنان المصرى القـــديم



مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

الحلقات متصلة بما قبلها في البداية ، ومستقلة عنها حين نضوجها ، وممهدة في نفس الوقت لما سيأتي فيما بعد · وسيعنى مقالنا بتتبع اثر الاستمرارية من خلال استعراض التحولات الفنية الكبرى في تراثنا الفني ، والكشف عن تلك الصفات الجوهرية ، والسمات الغالبة على هذا التراث ، والبحث عن الخيوط التي تصل بين جميع أشكاله على تنوعها واختلاف مظاهرها ، والتي اسبغت عليه في النهاية شخصيته الفريدة بين أشكال وطرز الفنون العالمية · ولعله يحسن بنا في البدء أن نشير الى أن مصر قد توفر لها منذ فجر التاريخ عوامل طبيعية واقتصادية كانت هي الاساس في تكوين ثقافة متجانسة، عكست آثارها على شخصيتها العامة ، وساعدت على تبلور هذه الشخصية واستمراريتها ، تلك الشخصية التي كانت مجالا خصبا لعديد من الباحثين المصريين والاجانب ، الذين اثبتوا في بحوثهم توفر عنصر الاستمرارية في الشخصية المصرية عبر تاريخ مصر الطويل رغم ما طرأ على هذا التاريخ من تغييرات فيرى جمال حمدان في كتابه « شخصية مصر » أن بلدا من بلاد الارض لا تصدق على حضارته صفة الاستمرار كما تصدق على مصر ، وأن مصر قد تعرضت للغزو ولكن روحها لم تقهر، لانها عرفت شيئا غريبا على التجربة الانسانية الا وهو الانسحاب الى داخل الذات · ويسوق لنا حسين مؤنس في كتابه « مصر ورسالتها » دلائل عديدة يثبت بها عدم فقدان الشخصية المصرية لمقومات استمرارها ، فالدين واللغة في مصر قد تغيرا خلال حوالي خمسة الاف سنة مرتين فقط ، في حين أن بلدا كبريطانيا التي لايرجع تاريخها الى أبعد من ألفين وخمسمائة سنة فتتغير الدين فيها مرتين واللغة اربع مرات ، واسبانيا تغير الدين فيها خلال ألفين وخمسمائة سنة ثمان مرات واللغة ست مرات كما أن الجنس المصري لم يتغير في جملته سوى تغييرات طفيفة، كل ذلك ساهم في عدم اختلاف طبيعة الحياة في مصر رغم مرور الاحقاب ، ومازالت هناك ملامح ثقافية واجتماعية عديدة ، وتقاليد والفاظ متوارثة ، وبعض العادات المتصلة بالزراعة والزواج والدفن قد استمرت في حياتنا منذ ايام الفراعنة وحتى اليوم ·



الفن القبطي ترجم بصدق عن سمو الروحانيات

ويرى « روس » أن مصر قد شاهدت مجيء ورواح أنواع الغزاة الذين تركوا كثيرا من التأثيرات العميقة على روحها ، ذلك لان وادي النيل مسجل حقيقي للمراحل الناجحة فى حياة الانسان ، وأن هناك ملامح قومية وأصيلة قد استمرت خلال هذه الحضارات المركبة ٠

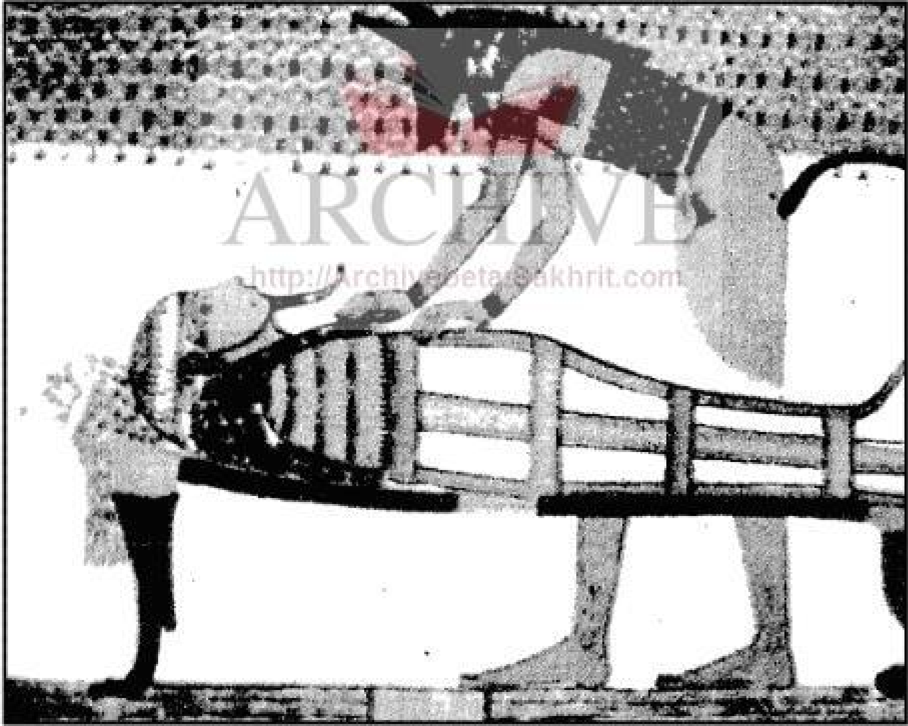
ويؤكد « رينيه ويج » أن تاريخ مصر يكشف عن لوحة ذات غنى خارق تلاقت واتحدت فيه أشد العناصر اختلافا ٠

ليس غريبا اذن على هذه الشخصية التي لم تفقد أبدا استمرارها واستقلاليتها أن تعكس هذه الاستمرارية على الفنون التي أبدعت على أرض مصر عبر القرون والحضارات المتعاقبة ولعل اطلالة سريعة على أهم خصائص التحولات الفنية الكبرى فى التراث الفني المصرى سوف تساعدنا على الكشف عن الخيوط التي تصل بين أشكاله جميعا ٠

مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

كان الفن المصرى القديم - أول عطاء فنى استمر لآلاف السنين - قائما على عدم العبودية للواقع التسجيلى ، وكان هدف الفنان فيه دائما هو ابراز الاشكال فى أجمل وأكمل أوضاعها ، لهذا تظهر الموجودات والاشياء ليس كما تراها العين ، وانما كما هى موجودة فى الحقيقة ، ونجم عن هذه النظرة تلافى قواعد المنظور والبعد الثالث ، تلك القواعد التى لا تحمل فى حد ذاتها قيمة تشكيلية. وكان لطبيعة المكان والبيئة

الطقوس الدينية - كما عبر عنها الفنان المصرى



تأثيرها على الحس الهندسي والتوازن والتماثل في الفن المصرى القديم ، فمن خصائص البيئة الزراعية المنبسطة اعتمادها على التقسيم وتحديد الارض في أشكال هندسية ، ومن هنا جاء التصميم في الفن المصرى قائما على تقاطع الخطوط العمودية والافقية • كما كان طابع السكون والاستقرار من أهم سمات الفن المصرى القديم ، فلا تنم أشكاله عن أحاسيس أصحابها ، ولا دلائل انفعالاتهم ، والحركة هادئة وقورة لاتكاد تتعدى تقديم رجل عن الاخرى •

واحتفل الفن المصرى القديم في مجمله بالخطوط ، واتسم بقدرة عالية على التلخيص والتبسيط وتحاشى التفاصيل الزائدة وغير المفيدة لجوهر العمل الفني،وكذلك اتصف بمهارة فائقة في المبالغات الذكية للاشكال والعناصر ـ ورغم ما يبدو على هذا الفن ـ من خلال النظرة المتعجلة ـ من رتابة وتكرار ، الا أن الدارس المتفحص يستطيع أن يكتشف الامكانيات الهائلة في حبك التصميم ، والحوار التشكيلي البليغ بين العناصر ، وتلك التنويعات والايقاعات المتميزة داخل العمل الفني الواحد•

ولقد اختفى الطابع المصرى القديم بعد أن أصبحت مصر جزءا من امبراطورية الاسكندر ، وفي أثناء العصر البطلمي الذي استمر حوالي ثلاثة قرون نشأ في مصر فن هو خليط من الفن المصرى القديم والفن اليوناني ، وكان هذا الفن الجديد ينم عن شيء من الحرية في الحركات ، وليونة في الاوضاع ، وكثيرا من خصائص الفن اليوناني بالاضافة الى بعض ملامح الوقار والصلابة المعروفة في الفن المصرى القديم •

وبدأ عصر الفن القبطي منذ حوالي عام ٢١٣ م •واستمر حتى دخول العرب مصر عام ٦٤٠ م • ويعتبره عديد من الباحثين فنا وطنيا وانقلابا ضد الهيللينية ، فعلى الرغم من أن هذا الفن كان فنا مسيحيا يعبر عن اتجاه جديد في الحياة أخذ ينتشر بسرعة في المشرق والمغرب الا أن الفن المسيحي في مصر ظل مصريا • فلقد انبثقت أسس الفن القبطي وخاصة في فن التصوير من الفن المصرى القديم ، وهناك ارتباط واضح بين الفنين في الاوضاع والتقاليد الفنية ، وكذلك في الموضوعات، وحتى في طرق الاداء والتلوين • ومما ساعد على الترابط بين الفنين تلك التشابهات في العقيدة • اذ كان المصريون أول من قدس الثالوث ، وكان ثالوث طيبة من أهمها ، فقد عبدوا الاله آمون وزوجته الالهة نوت وابنها خنسو • وأيضا من التشابهات العقائدية فكرة الولادة من الروح ، ففي الاسطورة الشهيرة للاله أوزيريس تخيل القدماء أن أخاه اله الشر ست قد قتله ، وذكروا أن اخته وزوجته الالهة ايزيس سعت فجمعت أشلاءه، وتلت عليها التعاويذ حتى عادت اليه الحياة فتزوجها عرفانا بجميلها ، وأنجب منها ابنهما من الروح الاله حوريس • وكذلك

مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

نجد أيضا القيامة عند المصريين القدماء ، الذين آمنوا بأن الاله أوزيريس قد قام من الموت بعد أن هزم الشر ، ولقد مهدت تلك التشابهات العقائدية - بالاضافة الى العلاقة القوية بين اللغة الهيروغليفية والقبطية - الطريق أمام لفناني العصر القبطي للاقتباس والاستعارة من عناصر الفن القديم ، فلم يقف الامر عند حد الرسم على منوال احدى الطرق المصرية القديمة وهى الرسوم الحائطية ، وتزيين أماكن العبادة بصورة القديسين والقديسات ، بل تعدوا ذلك الى صميم التقاليد الفنية ، حين أباح الفنان القبطي لنفسه فى الفترة المبكرة أن يمثل السيدة العذراء وهى ترضع طفلها من ثديها ، وهذا الوضع لم يكن ليقدم على اظهاره فنانو البلدان المسيحية الاخرى · لقد استقى الفنان القبطي مصدرة من الرسوم والتماثيل المصرية القديمة التى تمثل الالهة ايزيس وهى تخرج ثديها لترضع ابنها حوريس ، كذلك نجد أن كثيرا من فنانى العصر القبطي يخلطون بين علامة عنخ الفرعونية وبين الصليب ·

الميل للرمزية

ولقد تميز الفن القبطي باتجاهه نحو الرمزية ، واستخدام العناصر النباتية الزخرفية الى جوار الرموز الدينية ، اذ أننا غالبا ما نرى الصليب يتوسط وحدات عناقيد العنب فى نسق زخرفى ونظام هندسى جميل ، وكما اشتق الفنان الفرعونى أسلوبه الفنى من الواقع دون تقليد لهذا الواقع تقليدا حرفيا، كذلك فعل الفنان القبطي حين جرد عمله من البعد الثالث ، ولم يلق بالا الى التجسيم واستعمال التظليل للايهام بالواقع ، كما أن عناصر عمله لم يكن يجمع بينها وحدة واقعية ، بل انها تبدو منفصلة عن بعضها البعض ، وغير مرتبة ترتيبا منطقيا ، مما أضفى عليها طابعا زخرفيا ، اكدته المهارة فى تنسيق الاشكال وتحويرها · وكثرة استخدام الوحدات الزخرفية وتنوعها ·

ويرى أغلب الباحثين أن الفن القبطي قد استمر فى نشاطه بعد زوال الدولة الرومانية فى مصر ، وظل مزدهرا حتى القرن

التاسع تقريبا ، وبانه يعد حلقة اتصال بين الفن المصرى القديم وبين الفن الاسلامى ، ويؤكدون بان وجود التقسيمات الزخرفية والهندسية ، وعناصر الفن العربى « الارابسك » والزخارف الاخرى التى تنتمى الى كلا الفنين القبطى والاسلامى ليست الا دليلا قاطعا على اتصالهما وترابطهما .

ولم يكن الفن الاسلامى فى مرحلته الاولى سوى مرحلة انتقال كانت تتصف بالتوفيق بين التقاليد والعناصر الفنية السائدة فى مصر وبين الميول الاسلامية والذوق الاسلامى ، وسوف نلاحظ أن استخدام العناصر الزخرفية التى كانت غالبة فى الفن القبطى – مثل رسوم أوراق العنب وعناقيده ، وورق الاكانتس والنخيل والسمك والحمام – قد استمر فى الفن الاسلامى ، كما ظلت تلك العناصر كما كانت فى الفن القبطى مسطحة لا تجسيم فيها .

وكانت أوراق الشجر التى استخدمت كعناصر زخرفية – والتى وصفها « دريتون » بأنها غالبا ما كانت مفرغة ذات حواف مسننه ومستمدة من الشكل الطبيعى – قد أصبحت بقيمتها الزخرفية العالية تقليدا واصطلاحا فنيا ، وهذه المعالجة الهندسية والزخرفية لها قد مهدت الطريق لفن « الارابسك » الاسلامى .

واستمرت من خلال الفن الاسلامى فى مصر – وحتى مجىء التأثير القاتل للفن الاوربى فى القرن التاسع عشر على حد قول هربرت ريد – الخصائص الاساسية التى سادت الفنين المصرى القديم والقبطى ، تلك الخصائص التى تمثلت فى الابتعاد عن المحاكاة الحرفية للواقع او تقليده . والنزوع نحو خلق كيان فنى مستقل عن الطبيعة ، وفق قوانين فنية خالصة، كان اهمها تبسيط العناصر وتحويرها فى نسق هندسى ، ينحو أحيانا نحو الزخرف، ويصل فى أحيان أخرى الى مرتبة التجريد الكامل ، والاعتماد على لغة تشكيلية ذات ايقاع خاص يولى للمتعة البصرية اهميتها ويوفيها قدرها . كل ذلك بالاضافة الى تلك المسحة الروحانية التى ترقى بالرائى الى عالم مطلق ولا نهائى ، نستشعرها فى الفن المصرى القديم بايماءاته نحو الخلود بعد الموت ، وفى الفن القبطى بسموه على الواقع المادى ، وفى الفن الاسلامى باتجاهه نحو تمجيد الخالق الواحد الاحد ، والتسبيح بحمده ، والايحاء بمدى عظمته وفائق قدرته.

تلك هى الخيوط الرئيسية التى استمرت خلال مراحل تراثنا الفنى ، ونستطيع أن نؤكد بأن معظمها يبدو واضحا حينا ، وخافتا فى أحيان أخرى تحت سطح ابداع الفنان المصرى المعاصر ، وحتى عند أولئك الفنانين الذين يدعون الى نبذ هذا التراث وهجره الى أشد مذاهب الفنان الغربى حداثة وتطرفا.

الدكتور جمال حمدان

العاشق العظيم لمصر

فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات، كنت أعمل أمينا لمكتبة قسم الجغرافيا - التابع لكلية الآداب - جامعة القاهرة ((فؤاد آنذاك)) . ورغم سعادتى بالعمل فى هذه المكتبة ، الا انى اعيش الى حد كبير تناقضا بين دراسات قسم الجغرافيا التى تكاد تقتصر على وصف التضاريس الخارجية للظواهر الارضية من طبيعية ونباتية وبشرية، وبين استغراقى آنذاك فى اهتمامات وهموم وأحلام فلسفية . اذ انى كنت متخرجا فى قسم الفلسفة لا فى قسم الجغرافيا . ولهذا ، ما اكثر ما كانت تتحول مكتبة قسم الجغرافيا الى ساحة للحوار حول قضية المنهج فى العلم ، فضلا عن ساحة لانشطة ادبية وفنية وفكرية عامة . وما كان اكثر فرسان هذه الساحة ، لامن اساتذة قسم الجغرافيا وطلبته فحسب، بل من طلبة مختلف اقسام كلية الآداب ، وكليات اخرى . على ان الطالب جمال حمدان كان فارس الفرسان فى هذه الساحة .

بقلم : محمود أمين العالم

والحقيقة



استشعرت نبوغه منذ حوارنا الاول . لم يقف الامر عند سعة اطلاعه ، وذكائه وعمق حجته ، بل كان شعلة من قلق خلاق ، يستوعب ويتمثل وينتقد ، ويرتعش بالتساؤلات الفلية ، وبارادة الغوص الى الاعماق البعيدة والتحليق فى الافاق الفسيحة كشفا لاسرار الاشياء والحياة . ما كان يرضيه ان يكون العلم مجرد وصف خارجى ، او تفسير ظاهرى ، او وقوف عند حدود الجزئيات الثابتة الساكنة . كانت النظرة الشاملة التاريخية الحية الديناميكية همه الاكبر حتى بالنسبة للظواهر الطبيعية .. ولقد ترك فى اذنى طويلا اصداء احاديثه الحارة ، حول البحث عن رؤية منهجية جديدة للجغرافيا . وعندما غادرت قسم الجغرافيا ، ثم غادرت مصر بعد ذلك بسنوات ، والتقيت فى فرنسا بعالم كبير من علماء الجغرافيا هو « ايف لاكوست » احسست فى احاديثه ، فى منهجه فى كتاباته ، ببقايا هذه الاصداء القديمة لاحاديث جمال حمدان . وايف لاكوست هو صاحب اهم كتاب بالفرنسية عن ابن خلدون ، وصاحب العديد من الكتب الجغرافية التى تعالج مختلف القضايا فى العالم ، وهو رئيس تحرير مجلة « هيرودوت » وهى مجلة متخصصة فى الجغرافيا والجغرافيا السياسية ، ولعل اختياره اسم المؤرخ هيرودوت اسما للمجلة يعبر عن رؤيته التاريخية الخاصة للجغرافيا . لست اقيم مقارنة او تماثلا بين فكر ايف



لاكومست ورؤية جمال حمدان المبكرة وانما أردت أن أعبر عن مواصلتي الاهتمام بجمال حمدان رغم انقطاع أخباره عني ، فضلا عن التأكيد بأن همه في البحث عن رؤية جغرافية جديدة ، كان هما مشروعا ورائدا في الفكر الجغرافي الحديث .

وأخيرا بدأت أقرأ هذه الرؤية التي كان يحدثني عنها جمال حمدان فمنذ سنوات بعيدة وهي تتجسد في كتاباته التي أخذت تخرج علينا تباعا في موضوعات متفرقة ، لتمهد الطريق لخروج ملحمته الجغرافية الكبرى « شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان » .

ولا أعرف بالدقة ماذا كتب عن هذه الملحمة الجغرافية في مصر ، أو خارج مصر ، ولكنني أشعر بضرورة تجديد الحديث باستمرار عن هذا العمل الكبير ، وبذل الجهود المتصلة من أجل التعريف والتوعية والاستفادة بمضامينه . والى جانب هذا كله ، فانني أريد ـ على المستوى الشخصي ـ أن أواصل ما انقطع من حديث وحوار بين جمال حمدان وبيني منذ سنوات بعيدة ، وأتطلع بأمل كبير أن يخرج جمال حمدان من عزلته شبه الصوفية الى الجماهير الغفيرة من قرائه ومحبيه ومقدري فضله على فكرنا المعاصر .

***

حقا ، لقد استطاع جمال حمدان أن يحقق رؤية علمانية حمدانية خاصة للجغرافيا في كتابه هذا بوجه خاص . ان الجغرافيا هي علم الخاص ، علم التفرد ، علم الواقع الملموس المحسوس الجزئي . ولكن في هذا الخاص الجزئي يكمن العام الكلي ، وفي داخل المظهر السكوني لهذا الخاص الجزئي تكمن الحركة . وبدون الربط التكاملي بين الجزئي والكلي ، بين الساكن والمتحرك ، لا يكون هناك علم حقيقي . وهكذا يرتبط المكان بالزمان ، وترتبط الطبيعة بالانسان . لا جغرافيا بلا تاريخ . ان البيئة الجغرافية خرساء تنطق بلسان الانسان » . والجغرافيا علم حي تاريخي ، « ليست آلية واصفة بل هي عضوية هادفة » ، « تحلق فوق ما تحدق » . بهذا المدخل الصعداني المنهجي العام ، تبدأ رحلتنا داخل الكتاب .

وكتاب « شخصية مصر » ليس في الحقيقة كتابا علميا تقريريا ، بل هو كتاب رغم علميته وبفضل علميته ، يوظفه جمال حمدان توظيفا ايديولوجيا لخدمة هدف . ليس مجرد هدف معرفي ، بل هو هدف سياسي اجتماعي قومي فكري . انه ليس كتاب معرفة فحسب بل هو كتاب معركة كذلك . فجمال حمدان لا يكتب لنا كتابا عن شخصية مصر ، وانما يقيم بهذا الكتاب سدا جديدا لمصر ، في مواجهة محاولات شتى لهدم روحها والقضاء على شخصيتها القومية . يقول جمال حمدان في المقدمة « في هذا الوقت الذي تتردى فيه مصر الى منزلق تاريخي مهلك قوميا ، ويتقلص حجمها ووزنها النسبي جيوبوليتيكيا بين العرب وينحسر ظلها ... نقول في هذا الوقت تجد مصر نفسها بحاجة أكثر



مز اى وقت مضى الى اعادة النظر والتفكير فى كيانها ووجودها ومصيرها بأسره ... من هى ... ما هى ... ماذا تفعل بنفسها ... ثم ماذا يحق السماء يفعل بها ... الام ... والى اين . ثم يقول « بالعلم وحده فقط لا الاعلام الاعمى ولا الدعاية الدعية ولا التوجيه القسرى المغرض يكون الرد » .

وهذا الكتاب ذو الالفين وخمسمائة وخمسة وثمانين صفحة هو الرد على محاولات طمس الشخصية المصرية . انه دفاع عن مصر ، واقعا جغرافيا وانسانيا ومكانيا وتاريخيا وقوميا واجتماعيا . انه فى الحقيقة ملحمة فى حب مصر . فجمال حمدان عاشق عظيم لمصر وعاشق عظيم للحقيقة . ولان عشقه عظيم فهو عشق يقظ مسئول واع مدرك أمين . يغار وينتقد ويرفض يقترح ويكشف العيوب والمحاذير ويقدم الحلول . فليس حبه بالحب الاعمى الشوفينى الضيق . ولهذا يقول « ان ابن مصر البار الغيور على أمه الكبرى .. هو وحده الذى لصالحها ينقدها بقوة وبقسوة » . هكذا يقول وهكذا يفعل فى كتابه ، ولهذا ، فهذا الكتاب العلمى جدا ، هو كتاب سياسى جدا ، وهو كتاب ملتزم جدا ، يعبر عن نموذج رائع للمثقف العضوى الشجاع الملتزم بهموم أمته ، وهو دفاع واع مناضل عن طريق مصر المستقلة ، مصر المتقدمة ، مصر الديمقراطية ، مصر العربية ، على ان هذا كله ، لا يتحقق على نحو خطابى عاطفى ، وانما فى اطار « نظام فكرى ونسق منهجى ومعيار يذوى يتبنيا الاصالة والخلق والجدة والابتكار اساسا » . ومن هذه العناصر جميعا تتشكل بنية الكتاب ومنهجه . ولهذا يمكن تقسيم الكتاب الى ثلاثة اقسام كبيرة : القسم الاول هو التقويم ، كتقويم البلدان بمعنى وصفها ، والقسم الثانى هو التقييم اى تحديد القمة ، والقسم الثالث هو التقويم بمعنى التغيير والتصحيح والتعديل .

بالتقويم او بالتحديد الوصفى يبدأ الكتاب جزاه الاول : شخصية مصر الطبيعية . ولكن هذا التحديد الوصفى نر ، مستمرا ممتدا فى بقية اجزاء الكتاب . فى الجزء الثانى الخاص بشخصية مصر البشرية ، وفى الجزء الثالث الخاص بشخصية مصر الاقتصادية ، وفى الجزء الرابع

الخاص بشخصية مصر الاجتماعية أو خريطة المجتمع المصري • على أن هذه الرحلة الوصفية ليست مجرد وصف خارجي بل هو وصف عمقي لو صح التعبير • ليس وصفا لتضاريس خارجية بل هو وصف للحركة التاريخية للجغرافيا أو لجغرافية الحركة التاريخية • انه لا يقف عند جزئيات وان وقف عندها • فوقوفه عندها انما يكون لتحديد علاقاتها الافقية والعمودية ، أى التداخل بين المكان الممتد والزمان المتحرك (الزمكان) • فالمكان عنده دائما متزمن بزمن ، أي بالتاريخ بالبعد الرابع • والعلاقات الجغرافية علاقات وظيفية أيضا ، انها فعل وتفاعل وحركة ، وليست مجرد تواجد • ولهذا فهو في الجزء الطبيعي يتحدث عن تاريخية طبيعة مصر الجغرافية المتجانسة كأنما يتحدث عن جسد حبيبته في حركته ونموه وفي صراعه وتأبيه ضد أعدائه ، من أجل الاحتفاظ بكيان متسق وحر • وفي الاجزاء البشرية والاقتصادية والاجتماعية يتحدث عن التجانس الحي بين الطبيعي والانساني : التجانس المورفولوجي ، والتجانس السكاني والعمراني والاقتصادي والحضاري والجنسي • فرغما لاختلافات هناك التجانس دائما • حقا ، هناك ثنائيات متضادة دائما ، ولكنها في النهاية – عنده – متجانسة متسقة • فبين الموضع جغرافيا وبشريا والموقع المحيط بمصر جغرافيا وبشريا هناك ثنائية ، سرعان ما تصل الى التجانس .. وما أكثر الثنائيات الاخرى : بين الصحراء والوادي ، بين الرمل والطين ، بين البر والبحر ، بين الماء والسلطة ، بين السلطة والشعب ، بين الشمال والجنوب ، بين الشرق والغرب ، بين القرية والمدينة ، بين التعرية والارساب ، بين السماء والسياسة ، بين العزلة والاحتكاك بين الثبات والتغير ، بين الضرورة والامكان ، بين الاستمرار والانقطاع ، بين الانغلاق والانفتاح ، بين الاستقرار والعبور ، بين العزلة والاتصال ، بين الوحدة الاقليمية والوحدة القومية ، بين هذه الثنائيات المتضادة جميعا التي تمتلىء بها تضاريس مصر البيولوجية والبشرية ، ويتكشفها جمال حمدان يتحقق التجانس والتكامل كقانون عام لمصر « المكان – الزمان » ، لمصر « الجغرافيا – التاريخ » • ومع مفهوم التجانس والتكامل هذا – عند جمال حمدان – يرتبط مفهوم آخر هو مفهوم « التدرج » • ان « التجانس » عنده هو قانونها الاول و « التدرج » هو قانونها المكمل ، ومن هذين القانونين ينبع « التوسط » كتعبير جغرافي و«الاعتدال»كتعبير بشرى هذا التجانس والتدرج والتوسط والاعتدال هو ما يشكل ظاهرة فريدة هي ما تعبر عنه عبقرية مصر ، مصر « المكان – الزمان » ، « الجغرافيا – التاريخ » • ان مصر هي مركز الدائرة ، هي ملتقى الابحر ، هي ملتقى القارات والمتناقضات ، وهي حجر الزاوية ، وهي خط الاستواء البشرى من حيث خطوط العرض •

وقد يكون من الطريف ان نذكر ان



هذا الذى يعتبره جمال حمدان « عبقرية المكان » ، سبق أن اعتبره سلامة موسى من قبله « مأساة جغرافية » !.. يقول سلامة موسى « ان مصر تقسيها مصادفة سيئة لكل مصرى ، من حيث انها مأساة جغرافية . اذ تقع فى ملتقى القارات الثلاث الكبرى ، كما انها تقع فى طريق الملاحة بين آسيا وافريقيا ثم فوق ذلك تخلو من الجبال التى تيسر لها الدفاع عنها . ولهذا وقعت فى أسر الغزو المتكرر » .

والحق انه لا فرق — فى التحليل الاخير — بين رأى سلامة موسى ورأى جمال حمدان رغم هذا الاختلاف المظهرى . فعبقرية المكان هى سبب مأساتها عندهما معا . وسنجد جمال حمدان فى القسم التقييمى من دراسته يسعى لتفسير هذه المأساة بعوامل مختلفة أغلبها عوامل خارجية وان كان لا يغفل العوامل الداخلية وان غلب عليها فى تفسيره لها الطابع السيكولوجى أو الايديولوجى أحيانا (مثل الاهتمام بالموضوع وعدم الاهتمام بالموقع ، أو أن عقليتنا عقلية برية وليست بحرية ، الى غير ذلك)

واذا انتقلنا من الرحلة التقويمية الوصفية الى الرحلة التقييمية أى الحكم والتقدير والتقييم ، فاننا نجد أن الرؤية الوصفية السابقة للواقع الجغرافى التاريخى لمصر ، أى التجانس والتدرج والاعتدال والتوسط ، تكادان تكونان منهجا للحكم والتقييم، فاذا كان الاعتدال والتوسط والتجانس والتكامل هو عبقرية مصر وخصيصتها الجوهرية ، فان ما يسىء اليها ويحط من قدرها هو اختلال هذا الاعتدال وهذا التوسط .

ولا شك أن القول بالاعتدال والتوسط والتجانس هو حكم قيم مستخلص من استقراء وصفى ، ولكنه فى الوقت نفسه هو معيار يتخذ للحكم والتقييم . فما اتفق معه كان صحيحا وما خرج عليه كان سيئا . وما أكثر الامثلة ، التى سأكتفى ببعضها :

اشرنا من قبل الى غلبة الموضع على الموقع أحيانا .. انه اختلال لهذه الموازنة « ولو اهتمت مصر بالموقع لتغير تاريخها كله » . أن سيادة عقلية البر على عقلية البحر هى التى اضعفت من البعد التجارى لمصر .

أن السلطة المركزية المرتبطة بنظام الرى ، تتعاون فى هذا مع المشاركة الجماعية التضامنية الشعبية . ولكن .. كان هناك دائما طغيان السلطة . والطغيان ليس حكما جغرافيا كما يقال

بل هو حكم بشرى منحرف .
(المأساة ليست فى ضبط النيل وانما ضبط الحكم) . وازمة هى خضوع الشعب للطغيان . هناك دائما مقاومة ولكنها ليست متصلة ولم تتحقق ثورة شعبية جذرية .

فى الاقتصاد هناك ثنائية الانغلاق والانفتاح . والانفتاح هو انزلاق ، واختلال للتوازن والتجانس . « انه فتح الباب للرأسمالية الفردية والاستعمار وسيطرة طبقة طفيلية استهلاكيةمليونيرة عاتية » « الرأسمال الاجنبى خرج من باب التأميم ودخل من باب الانفتاح » « الانفتاح اعلى مراحل الرأسمالية » .

هناك افراط السكان فى مواجهة انخفاض المعيشة .

وهناك زيادة البيروقراطيةوانخفاض الكفاءة .

وهناك الجنوح احيانا الى الفرعونية على حساب العروبة .. الخ .. الخ ..

خلاصة هذا كله ، ان التجانس والتكامل والتوازن والتدرج والاعتدال هم الصفات الاساسية لمصر ، مكانيا وتاريخيا وسكانيا واقتصاديا واجتماعيا وايديولوجيا وحضاريا .

ان الخروج عن هذه المعايير – فى رأى جمال حمدان – هو خروج عن حقيقة مصر .

بقى بعد ذلك القسم الثالث فى بنية الكتاب وهو آفاق المستقبل ، واسس التقويم والتأيير ، اى الاجابة على السؤال : الى اين ... وكيف ؟

● نقطة البداية عنده هى الديمقراطية .. فقضية القهر السياسى هى أس وجذر مشكلة الشخصية المصرية ومصدر كل سلبياتها وعيوبها وامراضها الحادة المزمنة ، بالديمقراطية تسير مصر فى طريق الشفاء من هذه الامراض والسلبيات . هذه هى دعوته .

على ان الامر فى تقديره يتطلب حدثا عظيما يرج مصر رجا ، ويخرجها من مأزقها التاريخى الوجودى ، ومن دوامة الصغار والهوان والازمات المتراكبة » .. بل لابد من العنف ، العنف الثورى ، على ان يكون « عنفا حميدا » معتدلا . فالعنف الثورى عنده « قليل منه يصلح الامة ، كما ان كثيره يضرها ، بل من غياب هذا العنف العنف الثورى » جاءت السلبية الواضحة المخزية فى سجل مصر عبر التاريخ » .

ويعرج جمال حمدان على الاقتصاد ، فيرى ان كلا الانفتاح والانغلاق مطلوب ومفيد . فالانفتاح تنمية طبقية بورجوازية واستغلال باسم الوطنية ، والانغلاق تنمية وطنية لمصلحة القاعدة العريضة من الجماهير . وهو يدعو الى قدر موزون من الانفتاح والانغلاق ، والى نوع من المواءمة بين الايدولوجية والتكنولوجيا فى صيغة تجمع بين الانغلاق الواسع والانفتاح الضيق ، او على حد تعبيره « تجمع بين كثير من الانغلاق الضيق مع قليل من الانفتاح الواسع » .

اما من الناحية السياسية فهو يرى ان مطلب الدولة السياسية القائمة على العلم والتكنولوجيا ليس مطلب

بقاء فحسب وليس هدفا اقتصاديا او ماديا فحسب ، بل هو مطلب سياسي كذلك ، وهو مفتاح الوحدة العربية ٠ ان الوحدة العربية في تقـديره هي الاطار للدولة العصرية ، كما أن الدولة العصرية هي مفتاح الوحدة العربية ٠ وهو يؤكد أن لا وحدة للعرب بغير زعامة مصر ، ولا زعامة لمصر بدون استرداد فلسطين للعرب ، لانه لا وحدة للعرب بدون استرداد فلسطين ٠

ولكن ماذا عن التوجه الايديولوجي والاقتصادي العـام لهـذه الدولة السياسية الجديدة ؟ يقول فلناخذ من الحضارة الغربيـة جانبها المادي التكنولوجي ، اما العمق الثقافي فهو الثقافة العربية الاسلامية ٠ انهـا اصالتنا الثابتة ٠ ان الثقافة عنده هي الثوابت اما الحضـارة فهي المتغيرات ٠ فليكن اذن ارتباطنا بالعصر الحديث ارتباطا علميـا تكنولوجيا على اساس من ثقافتنا العربية الاسلامية ٠ هذه هي دعوته ٠

وهذه باختصار شديد ومخـل ، العناصر العامة الاساسية لشخصية مصر كما يراها جمال حمدان ، سواء في مستواها الوصفي او التقييمي او التفاصيل الدقيقة الطبيعية والبشرية ، ٠٠ وهو يعرضها علينا عبـر آلاف التفاصيل الدقيقة الطبيعية والبشرية ، وخلال عمليات تحليلية وتركيبية على مستوى عـال من العقلانية والذكاء ، مستخدما لغة عربية رصينة خاصة تجمع بين العمق والرنين الشعري والقدرة الفائقة على صك الصياغات الجديدة ٠

ومع احترامي وتقديري العميق لهذا البناء المتكامل الشـامخ ، الذي هو ذروة جهد خـارق ، ومعـرفة عميقة وأمانة فكرية ووطنية صـادقة ، فقد تكون لي بعـض الملاحظات المنهجية خاصة ٠

حقا ، ان جمال حمدان في اكثر من موضع من كتابه يؤكد بانه ليس هناك حتم جغرافي ، وان كـان يؤكـد فقط وجود حسم جغرافي ، وقـد يكون المحسم قريبا من الحتم ، ولكن الحسم هو تاكيد للفاعلية الجغرافية ، التي يعني انكارها انكار السببية العلمية٠ كما يؤكد كذلك أن الجغرافيا عامل هام في تفسير الحيـاة الحضارية المصرية ، ولكنها ليست العامل الوحيد بل ليست العامل الاهم ٠ ولهذا فهو يرفض التفسير بالعامل الواحـد ، فعند حديثه مثلا عن السكان وتوزيعهم يقول « ان الاطار البشري غطاء فصله النيل على قد مصر ٠٠٠ » ثم سرعان ما يستدرك قائلا : « وهذا لا يعني ان النيل هو العامل الوحيد في تفسير توزيع السكان ، فهناك عوامل اخرى عديدة ، طبيعية وبشريـة واقتصـادية واجتماعية وحتى تاريخية ٠ ولهـذا كذلك فهو يرفض التفسير المنـاخي كما يرفض التفسير العنصري العرقي له ، بل يتبنى بشكل صريح في بعض الاحيان الجدل الهيجلي في التحول من التقرير الى النقيض فالى التركيب على حد تعبيره ، وهو يتحرك دائمـا في دراسته للظواهر من التحليل التفصيلي لها الى التركيب الفكري العام ٠

هذه بالفعل بعض السمات البارزة

فى منهج دراسته العملية فى هذا الكتاب • الا أن فى بعض تطبيقاته وتنظيراته العامة ما يثير بعض التساؤلات والملاحظات النقدية :

● فهو وان لم يقل بالحتم الجغرافى ، فانه كاد أن يجعل العوامل الجغرافية الطبيعية فى مستوى العوامل الجغرافية البشرية والاجتماعية من حيث الفاعلية ، مما أفضى به الى هذه الأحكام العامة المجردة الاطلاقية بالتجانس والتكامل والتناسب والوسط والاعتدال سواء فى المستوى الطبيعى او المستوى البشرى بغير تمييز بينهما او تمايز ، وان جنح أحيانا الى الجانب الطبيعى الخالص مما يرجح رؤية مادية ميكانيكية الى بعض الظواهر

● وتأسيسا على هذه الملاحظة الاولى ، فان عملية التفسير السببى او العلى عنده تكاد تكون عملية عواملية ، اى تضع مختلف العوامل على مستوى واحد من الاهمية فى بعض الاحيان مما يحول التفسير الى مجرد وصف ، لانه بهذا لا يقدم تحديدا للعامل الحاسم فى الحركة وخاصة فى المجال الاجتماعى والسياسى •

● وتأسيسا على ذلك ، تبرز سمات التجانس والتكامل والوسطية والتوازن والاعتدال الى اخر ذلك كعملية ناجمة عن متوسط حسابى ، او متوسط عوامل متداخلة ، ولا يبرز اى شكل من اشكال الصراع فى الجانب الاجتماعى والبشرى خاصة • ولهذا تفتقد الرؤية الطبقية فى التضاريس الاجتماعية ، بل تصبح المعادلة الهيجلية عملية انتقال يندولى بغير صراع من حالة الى حالة أخرى « مختلفة » ثم الى حالة ثالثة « متوازنة » •

ولهذا فانه برغم الطابع التاريخى العام للمنهج ، يكاد يسود الثبات فى الرؤية العامة ، ويكاد التاريخ البشرى يصبح مجرد تدفق زمنى ، لا حركة تاريخية اجتماعية صراعية •• «فالاستمرارية» تكاد تصبح استمرارية خطية ، طولية ، و « الانقطاع » يكاد يفسر فى أغلب الاحيان بعامل خارجى، كما تفسر بعض الظواهر تفسيرا دوريا على الطريقة الخلدونية ، وخاصة فى مسالة السلطة •

ولهذا كله ، قد تسود فى الكتاب بعض الاحكام المثالية التوفيقية مثل :

١ ـ انه ينفى عن القرية المصرية الصراع الدامى الذى عرفته القرية الاوروبية بين الانسان والانسان ، ويقول بان الحكومة المركزية والمجتمع التعاونى هما الظاهرتان الحتميتان فى كيان مصر الفيضية •• ويستخلص من هذا بانه اذا كانت البيئة الفيضية تحتم قيام حكم قوى وتنظيم سياسى مؤثر ، فما معنى هذا ؟ معناه ببساطة ـ كما يقول ـ « بان النظام النهرى وايكولوجية النيل تؤهل بطبعها وتلقائيا لعنصر كامن اصيل وبعيد المدى من الاشتراكية التعاونية بالدقة » •

٢ ـ وتاكيدا لنفس هذا المفهوم السابق يميز بين الثورة المصرية والثورة الفرنسية والثورة السوفييتية مستعينا بالقاعدة الهيجلية بحسب

تعامله معها فيقول : « اذا كانت الثورة الفرنسية هي التقرير والشيوعية هي النقيض فان الثورة المصرية بحق هي التركيب الذى يجمع بين محاسن كل منهما دون أضداد أى منهما • وهي لا تعرف التطرف بل تقف في الوسط • ومن هنا يبرز مفهومه عن « العنف الحميد » الخالي من اى دلالة اجتماعية •

٣ – وينعكس هذا المفهوم كذلك فى موقفه من القوى الدولية الكبرى ، فهى جميعا تكاد ان تكون على مستوى واحد من حيث استعماريتها • يقول فى نص من نصوصه « انتقلنا من قطب الاستعمار القديم المباشر والتبعية الكاملة الى قطب الاستعمار الايديولوجى والصداقة الزائفة ثم الى قطب الاستعمار الجديد والصداقة الزائفة •• تخلصنا من التبعية لاوروبا خلال روسيا ، ومن التبعية الروسية خلال أمريكا ولذلك عدنا الى الغرب » •

٤ – ولقد سبق أن اشرنا الى قوله بالوسطية بين الانفتاح والانغلاق ، وبالتوفيقية بين تكنولوجية الحضارة الغربية •

وما أعتقد انه يقصد بهذا التنمية الراسمالية فقد نفي امكانيتها) وبين الايديولوجية العربية الاسلامية والواقع أن هذه الوسطية والتوفيقية تكاد لا تشكل مركبا جديدا من طرفين ، بل هى تركيب وسطى يجمع بين هذين الطرفين •

٥ – على أن منهجه يتحرك دائما بين ثنائيات سعيا وراء زواج سعيد بينهما ، اى وسط عادل متزن متعادل بين طرفيها • ولا يقف هذا الامر على المفاهيم بل يمتد الى الجانب الاسلوبى من لغته وتعابيره البلاغية الجميلة مثل « التهويل والتهوين » و « التهليل والتضليل » و « التمجيد والتنديد » و « الانبهار والانهيار » و « التقوقع والتميع » و « والاصيل والدخيل » و « التقاليد والتقليد » و « النافورة والبالوعة » و « التمالك والتهالك » الى غير ذلك ، بين هذه الثنائيات المفهومية والبلاغية يصوغ جمال حمدان فلسفته التوازنية التجانسية التوفيقية التى قد لا تفضى – رغم نواياه التغييرية التثويرية – الا الى رؤية قومية اصلاحية متقدمة •

هذه بعض ملاحظات منهجية ، لا تقلل بحال من ضخامة وشموخ هذا العمل العظيم الذى قام به جمال حمدان • وهى تعبير عن نفس الصراحة والامانة العقلية التى يتوخاها فى كتاباته • كما هى تعبير عن الاحترام العميق لعمله العلمى ، فعملية العمل وجديته تقاس بمدى ما يثيره لدى قارئة من افكار واشكاليات • وهى فوق هذا وذاك امتداد لحوار قديم قديم منذ سنوات بعيدة تزيد على الثلاثين ، ارجو أن نعاوده معا مساهمة منا فى تنشيط الحوار العلمى والفكرى فى بلادنا •

على انى اقول فى النهاية ، لعل بعض هذه الملاحظات النقدية التى اوجهها لكتاب جمال حمدان أن تكون نتيجة لما حاوله جمال حمدان من تقية – على طريقة اهل الشيعة – فى عرض افكاره ، حرصا على ضمان نشر كتابه

•• اقول هذا مستندا الى أمرين :

الامر الاول هو أن فى الكتاب ما يرد على هذه الملاحظات النقدية الذى لا اشك فى أن جمال حمدان كان واعيا بها •

الامر الثانى هو هذا النص الذى جاء فى مقدمة الفصل الاخير من الجزء الرابع من الكتاب وهو الفصل الخاص بالعلاقة بين مصر والعرب • وهو نص طويل اكتفى بأن اجتزىء منه هذه الفقرة تحت عنوان « توضيح لابد منه للقارىء » تقول الفقرة « الى ان يزول » وجه مصر القبيح « نهائيا وكذلك وجه العرب الكالح القمىء المنتطع ايضا ، فان من الواضح تماما فى الوقت الحالى الردىء استحالة كتابة هذا الباب كما ينبغى ، وكما كان فى خطة هذا العمل الكبير • ليس هذا - ليثق القارىء - حرصا على سلامتنا او حتى على أمتنا ، ولكن فقط حرصا على سلامة وصول هذا الكتاب اليه •• وكل لبيب بالاشارة يفهم » •

اليس من حقنا اذن ان نقول لعل فى بعض صفحات الكتاب الاخرى ، وبعض فصوله واحكامه ، بعض التحفظات او الافكار التى لم يعبر عنها جمال حمدان كما كان يجب أن يعبر ؟!

أيا ما كان الامر ، فتحية للدكتور جمال حمدان ، المثقف الملتزم ، والعالم الجاد ، والمفكر الجسور والوطنى المتفانى فى حب وطنه وأمته •• وتحية لعمله العظيم الذى يعد بحق اضافة خصبة الى تراثنا الجغرافى والعلمى والى ثقافتنا القومية عامة ••

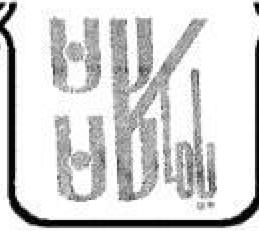
مقالات فى كلمات

● لا تمار فقيها ولا سفيها ، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يجترىء عليك .
ابن عباس

● سقوط الانسان ليس فشلا . وانما الفشل ان يبقى حيث سقط .
دانتون

● عليك بالصدق فهو سفينة النجاح ومركب الشرف ومطية الفلاح .
عثمان كمال الدين

إن أسلوبى فى المزاح ان اقول الحقيقة ، إنها ابدع نكات الارض .
برنارد شو



مملوك في لندن

انجلترا والألفي بك

بقلم: حسين أحمد أمين

كانت الحملة الفرنسية على مصر فى نظر الجميع وقت انسحابها، وبالنسبة لفرنسا بالأخص، حملة فاشلة من كافة الوجوه، قد وصفها البعض مثل تيير Thiers بأنها «أكثر محاولة فى التاريخ تهورا، وأكثر تهورا من حملة بونابرت على موسكو»، ولانكاد نجد فى التاريخ مشروعا بدأ بمثل ما بدأت به هذه الحملة من الطنطنة والمبادىء الرفيعة والأهداف واسعة النطاق، ثم إذا هو بعد بضعة أشهر يتدهور إلى حد أن يهجره صاحبه، بونابرت، لمصيره، ولايكاد خلفه كليبر يفكر إلا فى كيفية تخليص رجاله من الورطة والرحيل.

والواقع أن السبب الأكبر فى فشل الحملة هو ذلك الافتقار الرهيب إلى التناسب بين ضخامة المشروع والوسائل المستخدمة لتنفيذه، وقد أضطرت الضائقة التى عاناها الفرنسيون فى مصر بعد رحيل بونابرت المفاجىء، والتى نجمت عن ضغط قوات العثمانيين والانجليز وثورة الأهالى، اضطرت الفرنسيين إلى التخلى عن الكثير من الاصلاحات التى دشنوها أو فكروا فيها، وإلى انتهاج وسائل قمع وجمع للمال لاتقل قسوة عن وسائل المماليك والعثمانيين غير أنه من الظلم أن نشارك البعض فى اعتقاده أن هذا التراجع عن الاصلاح والضائقة كشفا النقاب عن الوجه الحقيقى للنوايا الفرنسية فى مصر. إذ مهما خالط هذه النوايا من الدجل وبواعث النفع الذاتى، ومهما تدهورت إلى حد اللجوء إلى العسف والعنف، فلا مفر من الاعتراف لهم بقسط كبير من الرغبة



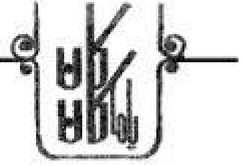
محمد على يصدر اوامره فى مذبحة المماليك كما تخيل الرسام هوراس فرنية

الصادقة في الاصلاح وفي تحرير البلاد من أغلال العصر الوسيط وأوهامه . فإن كانت الأهداف قد تعثرت ، فما كان ذلك إلا لقصر الأمد ، وبسبب الظروف المضطربة المعاكسة التي لم تتح الفرصة لأحداث تغييرات عميقة واسعة المدى .

ومع قصر المدة التي قضاها الفرنسيون في مصر ، فقد كان لاقامتهم آثار باقية في تاريخها . فقد فتحت الحملة أعين الجميع : فتحت أعين المصريين الذين فقدوا عذريتهم باطلاعهم الاول هذا على عادات الفرنجة ونظمهم ، بعد أن ظلوا اكثر من خمسة قرون كزوجة هييرو التي يتحدث عنها مونتني والتي كانت تظن لعفتها أن رائحة افواه الرجال كافة خبيثة لأن رائحة فم زوجها خبيثة ! وفتحت أعين العثمانيين على حقيقة أن تمسكهم بتقاليدهم الشرقية لن يجدي شيئا في مواجهة عدوانية الغرب . وأن عليهم أن يتبنوا نفس سلاح الغرب لمحاربته به ، وإن كان هذا التبني من شأنه حتما أن يقضي تدريجيا على هذه التقاليد ، حتى مالم يكن له علاقة بالسلاح والحرب . وفتحت أعين الدول الأوروبية على اهمية الاستحواذ على مصر ، او على الاقل ، مراقبة سير الأحداث فيها باهتمام ، وضرورة التدخل في الوقت المناسب لفرض إرادتها قبل أن تأخذ الأمور فيها مجرى في غير صالحها .

● انجلترا تفكر في مصير مصر ●

وقد بادرت انجلترا بالذات ، فور خروج



الفرنسيين ، وأثناء إقامة قواتها فى مصر للاشراف على رحيل الحملة عن البلاد وإقرار الوضع الجديد فيها ، إلى التفكير الجدى النشط فى مستقبل هذه الأمة التى طفرت فجأة الى مسرح السياسة الدولية وكان تفكير أعضاء الوزارة البريطانية ومن استعانت بهم من الدبلوماسيين والساسة فى دراسة الموضوع ، على المنوال التالى :

لقد كان المماليك قبل قدوم الحملة الفرنسية هم أصحاب السلطة الحقيقية فى مصر ، بينما كانت سيادة العثمانيين إسمية فحسب . وقد وجه الفرنسيون إلى المماليك ضربة قوية غير انه لم يزل بهم رمق ، والعثمانيون اضعف من أن يجهزوا عليهم . ومن الواضح أن كلا من الفريقين عاجز عن حماية مصر من غزو كالغزو الفرنسى . ولذا فإنه ليس من الحكمة السماح بالعودة إلى حالة الفوضى والاستبداد التى سهلت وقوع البلاد فى ايدى أعداء الانجليز . وقد عاد المماليك والعثمانيون إلى مصر ، وعادوا إلى الصراع فيما بينهم ، مما يوضح أن انفجارا ماقد أصبح وشيك الوقوع ، وإن صعب التنبؤ بالجهة التى سيصدر عنها . فالحل إذن هو احد ثلاثة أمور .

الاول : احتلال بريطانى صريح لمصر . والثانى : أن تظل مصر تحت سيادة الباب العالى ، مع تعيين بعض امراء المماليك ذوى الشعبية والنفوذ حكاما للأقاليم ، وتعيين مندوب بريطانى مع كل منهم ، ومراعاة نقل هؤلاء الحكام من المماليك بين حين وآخر من إقليم لاقليم . والحل الثالث هو تدمير مصر عن طريق إغراقها ، وإن كان فى ذلك خطر الاساءة إلى سمعة بريطانيا إساءة بالغة . (من مذكرة الدبلوماسى ج . ب . موربيه إلى حكومته بتاريخ ٧ يوليو ١٨٠١) . والرأى على كل حال هو أنه « يجب الا يسمح لمصر بأن تبقى فى وضع نشط ، أو فى أيدى نشطة. « EGYPT must not emain in an active stete or in active hands » (من تقرير للكابتن بلانكيت إلى الحكومة البريطانية بتاريخ ٢٦ يناير ١٧٩٩) .

بريطانيا مع المماليك

غير أن رأى الحكومة البريطانية استقر فى النهاية على أن تقوم بدور الوسيط بين الأطراف المختلفة ، وأن تسحب جيشها من مصر . وإذ رأت أنه قد ينجم من جراء هذا الانسحاب خطر عودة البلاد إلى الطغيان والفوضى ، فقد اوصت الباب العالى بإجراء إصلاحات فى مصر ، ابدت بريطانيا استعدادها للمساهمة فى تنفيذها . بيد أن نظرة البريطانيين إلى طبيعة الاصلاحات المطلوبة كانت تختلف عن نظرة الفرنسيين فهم شعروا بأنه من الواجب اولا إحداث تغيير جذرى فى عادات المصريين واخلاقهم ونظم الحكم



الجنرال كليبر

فى بلادهم . وان عليهم أن يتعلموا نمطا من التفكير لم يعهدوه وسلوكا لم يألفوه ، وأن تمر سنوات من السلام والنظام والأمن والحكم الصالح قبل النهوض بالاصلاحات المالية الضرورية . والمصريون بوجه عام ضعيفو الرغبة فى تبنى أى تغيير فى عاداتهم . وهم مع تمتعهم بالصفات التى قد تجعلهم ، لو أنها نميت ، قادرين على ان يصبحوا أمة حرة ، سيظلون أمدا طويلا محرومين من الحرية ومن الطاقة اللازمة لنيل الاستقلال . وكان البريطانيون يؤمنون بانه من الضرورى من اجل إقامة وحدة وطنية ، أن تقوم سلطة مركزية توفر الأمن وتستاصل احتكار الامتيازات ، كما ينبغى خلق صلة حقيقية او مفتعلة بين مصر الفرعونية ومصر الحديثة ، حتى تحرر البلاد من الارتباط بالتاريخ الاسلامى ، وتسهل إقامة المسيحيين من اقطار البحر الابيض المتوسط فيها ، وهذا المسلك الهادىء التدريجى كفيل بأن يجنب البلاد الفشل الذى كان نصيب تجربة الفرنسيين ، وهم الذين حاولوا « إلحاق عضو حى بجثة عفنة » !!

وكانت بريطانيا تميل إلى ان تكون السلطة الفعلية فى مصر فى يد المماليك دون العثمانيين فهم رغم عيوبهم قد الف المصريون حكمهم . فإن ساعدتهم بريطانيا على استعادة مكانتهم ، ووثقت صلاتها بهم ، امكنهم فى المستقبل طرد العثمانيين من مصر ، وحفظوا لبريطانيا مشاعر الولاء والامتنان .

وانسحبت القوات البريطانية من مصر عام ١٨٠٣ مصطحبة معها إلى انجلترا اميرا من اعظم امراء المماليك نفوذا وجاها ، وهو محمد بك الالفى ، زاعمة انها تود أن يكون فى انجلترا ممثل للمماليك يعرض وجهة نظرهم ، وآملة فى قرارة نفسها ان يصبح هذا الأمير فى الوقت المناسب اداة قوية فى يد الحكومة البريطانية تستخدمها فى بسط نفوذها على مصر . وكان الالفى قبل رحيله معهم بنحو عامين قد خطرت بذهنه فكرة الهجرة إلى بريطانيا . غير انه حين اراد ان يطمئن على معرفة نسبة الفائدة التى سيحصل عليها من إستثمار أمواله فيها وأخبروه أنها تزيد عن ستة فى المائة . غيّر رايه إذ رأى هذه النسبة ضعيفة بالمقارنة بالثلاثين فى المائة التى

يتقاضاها على مايقدمه من قروض إلى الفلاحين فى مصر ، والتى كان الفلاحون يدفعونها بشعور من الامتنان له !

كان الانجليز إذن يعلقون آمالهم على إعداد الألفى لحكم مصـر . وكان القصد من حملة فريزر التى أرسلوها إلى مصر عام ١٨٠٧ ، مساعدة الألفى وحزبه ضد محمد على الذى أصبح واليا على مصـر قبل الحملة بنحو عامين ، والذى كان الانجليز يرونه « رجلا تنقصه كل مبادىء الشرف ، على استعداد لتقديم خدماته لأية حكومة تدفع له مبلغا أكبر من المال ، على حد اعترافه هو نفسه » ، ويخشون من أن يكون قد باع نفسه بالفعل للفرنسيين .

وإذ كان الألفى هذا إذن قاب قوسين أو أدنى من تولى حكم مصـر ، بما ينطوى عليه هذا من احتمالات ضخمة بالنسبة لتاريخ مصـر اللاحق ، ولما كانت قصة هذا الرجل الفذ ليست بالخالية تماما من المغزى وتلقى ضوءا على ظاهرة تأثر الشرقيين بالنظم الغربية فى ذلك العصر ، فانه قد يكون من المفيد التعرض لهذه القصة ببعض التفصيل :

محمد بك الألفى

ولد الألفى فى حوالى عام ١٧٥١ م ، ورغم ان المؤرخين اغفلوا ذكر موطنه الأصلى ، فالراجح أنه كان جركسيا ، وفى عام ١٧٧٥ جلبه بعض التجار إلى مصـر لبيعه ، فتنقل من ملكية أمير إلى ملكية آخر من أمراء المماليك ، حتى استقر



عمر مكرم

مملوكا لمراد بك شريك ابراهيم بك فى حكم مصـر .

وكان الألفى رجلا صعب المراس ، قوى الشكيمة ، مشهورا بالفجور والعسف فخافته الناس ، وخافت مماليكه الذين بات يكثر من شرائهم وينشئهم على طبيعته . ولم يزل على حالته هذه وسطوته حتى حضر حسن باشا الجزايرلى واليا على مصـر من قبل العثمانيين ، فخرج مع مماليكه إلى الوجه القبلى مقيما به أكثر من أربع سنوات أحدث به تغييرا كبيرا فقد رزن عقله خلالها ، وأحب العزلة وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والاهتمام بالعلوم خاصة علمي الفلك والهندسة ، يخالط أهل العلم بهما ويقتنى الكتب فيهما وفى التاريخ غير ان هذه الاهتمامات الجديدة اثارت احتقار مماليكه له ، فتجرءوا عليه وترفعوا وضعف سلطانه عليهم ، حتى

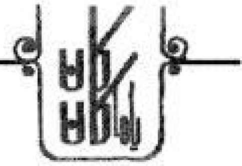
اضطر إلى التراجع بعض الشيء عن ميوله المستحدثة وشغفه بالعلوم إلى ما كان عليه قبلها .

ثم عاد الى القاهرة فبنى لنفسه دارا بالغة الفخامة فى حىّ الأزبكية . وكان له أصدقاء من الفرنجة زودوا حديقتها بنافورة ضخمة من الرخام على صورة أسماك يخرج الماء من أفواهها . فما أنتهى العمل فيها وانقضت ستة عشر يوما على انتقاله للسكنى بها حتى وصلت الحملة الفرنسية ! فهرب الالفى إلى الصعيد هو ومماليكه ، حيث دارت بينه وبين الفرنسيين وقائع هائلة استخدم فيها الكر والفر ، دون أن يفلح الفرنسيون فى اقتناصه .

غير أن متاعبه لم تنته بخروج الفرنسيين من مصر (١٨٠١) . كان فى الخمسين من العمر من وقت عودته إلى القاهرة . وكان القلق يساوره بشأن مستقبل الحكم فى البلاد ومصير المماليك . ذلك لانه ، على حد تعبير الجبرتى ، « كان صحيح النظر فى عواقب الأمور . فكان لايستقر له قرار ، ولم يدخل إلى الحريم ، ولم يبت بداره إلا ليلتين على سجادة ومخدة فى القاعة السفلى » ويضيف الجبرتى قوله : « ذهبت إليه مرة فى ظرف اليومين ، فوجدته جالسا على السجادة ، فجلست معه ساعة . فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه فى زواج .. فنتر فيه وشتمه وطرده . وقال لى : انظر إلى عقول هؤلاء المغفلين هؤلاء ! يظنون انهم استقروا بمصر ، ويتزوجون ويتأهلون ، مع أن جميع ماتقدم من حوادث الفرنسيين وغيرها أهون من الورطة التى نحن فيها الآن .. إن هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة يتمنون نفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الاقليم . ومضت الاحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ليس لهم معهم إلا مجرد الطاعة الظاهرة ، وخصوصا فى دولتنا الأخيرة ، وماكنا نفعله معهم من الاهانة ومنع الجزية وعدم الامتثال لأوامرهم . وكل ذلك مكمون فى نفوسهم ، زيادة على ماجُبلُوا عليه من الطمع والخيانة والشره . وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة ، وتأمروا علينا ، فلا يهون بهم أن يتركوها لنا كما كانت بأيدينا ويرجعوا إلى بلادهم بعد ما ذاقوا حلاوتها » .

● الالفى بك فى لندن ●

وكان من رأى الألفى أن يستعين المماليك بالانجليز فى وضع الشروط مع العثمانيين التى تضمن سلامة المماليك وعودتهم إلى نفوذهم السابق ، وجلاء العثمانيين عن مصر غير أن غالبية المماليك كانوا مطمئنين لوعود العثمانيين ، ورفضوا الاستعانة بالانجليز « أعداء الدين ، فيحكم العلماء بردّتنا وخيانتنا لدولة الاسلام » وكان رد الألفى عليهم أن العثمانيين أنفسهم استعانوا بالانجليز ، وانه لولا هذه المساعدة لما قدروا على إخراج الفرنساوية من البلاد » ولم تمض أشهز قلائل على هذا النقاش حتى أوقع العثمانيون بأمراء المماليك فهرب منهم من القاهرة من استطاع



الهرب ، ودارت بين الالفى وجنود العثمانيين معركة هائلة بالبحيرة كان النصر فيها حليفه .

بيد ان الالفى فضل بعد هذا النصر وبإلحاح من المماليك ، أن يسافر إلى انجلترا فوصل إلى لندن فى اكتوبر عام ١٨٠٢ حيث اقام لمدة تزيد عن سنة مع خمسة عشر شخصا من مماليكه . فاما التقارير البريطانية الخاصة بإقامته فى لندن فلا توحى بانه استفاد كثيرا من اطلاعه على نظم الحياة الانجليزية ففى عدد اكتوبر ١٨٠٢ من « الجنتلمانز ماجازين » اللندنية ، صفحة ٩٧٢ ، ذكرت المجلة إن لم يتبين من العادات الانجليزية ، غير عادة شرب البنش ... ولا يخلص إلا لغليونه ، مبهورا بكل شيء هنا خاصة النساء ، ويشرب زجاجتين من الشمبانيا

نابليون فى احدى حملاته الحربية



او البرجندى بعد كل وجبة عشاء » ! وأما قارىء الجبرتى فيخرج بانطباع قوى عن مدى استفادته من إقامته هذه بإنجلترا فقد تهذبت اخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة احكامهم ، وكثرة أموالهم ، ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم فى رعيتهم مع كفرهم ، بحيث لا يوجد فيهم فقير ولامستجد ولا ذو فاقه ولا محتاج . وقد اهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية واشكالا هندسية وأسطر لابات وكرات ونظارات ، وفيها ما إذا نظر الانسان فيها فى الظلمة يرى أعيان الاشكال كما يراها فى النور ! ومنها لخصوص النظر فى الكواكب فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لاتدرك بالبصر الحديد ، ومن انواع الاسلحة الحربية اشياء كثيرة ، واهدوا له الة موسيقى تشبه الصندوق ، بداخلها اشكال تدور بحركات فيخرج منها أصوات مطربة على ايقاع الانغام ، وضروب الالحان !

ويظهر تأثير « عدلهم فى رعيتهم » فى نفس الالفى من القصة التالية التى يرويها الجبرتى عنه :

« أخبرنى بعض من خرج لملاقاته عند منوف العلا ، انه لما طلع إليها وقابله سليمان بك البواب ، وكان قد بلغ الالفى كافة افعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف ، تسامروا فى ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد . فقال الالفى لسليمان بك : الانسان الذى يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها

وجبنيا . يلزمه أن يرفق بها في العلف حتى تدرّ وتسمن وتنتج له النتاج بخلاف ما إذا أجاعها وأجحفها واتعبها واشقاها واضعفها ، حتى إذا ذبحها لايجد لها لحما ولادهنا ، فقال سليمان بك : هذا ما اعتدناه وربينا عليه . فقال الألفي : إن اعطاني الله سيادة مصر والامارة في هذا القطر ، لامنعنّ هذه الوقائع ، وأجرى فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده وترتاح أهله ، ويكون أحسن بلاد الله . ولكن الاقليم المصرى ليس به بخت ولا سعد ، وأهله تراهم مختلفين في الاجناس ، متنافري القلوب منحرفي الطباع ».

انظرى يامصر إلى أولادك .

عاد الألفي من انجلترا إلى مصر في أواخر عام ١٨٠٤ ، فإذا به يفاجأ بنجم آخر في صعود سريع ، هو نجم مغامر ألمعي تمكن من الاستفادة لصالحه من ضعف العثمانيين والمماليك جميعا .

وعندما نجح العلماء في تولية محمد علي حكم مصر ، غضب الألفي وهاج ، واتجه إلى البحيرة محاولا الاستيلاء ، على دمنهور ، فقاومه أهلها بما كان يرسله إليهم عمر مكرم من الاسلحة ، في حين وجد محمد علي من السهل استمالة أمراء المماليك إلى صفه بالمراسلات والهدايا ، وبسبب ماكانوا يكنونه للألفي من الغيرة والحقد ، رغم تحذير الألفي المتكرر لهم من نوايا محمد علي .

وارسل إليه محمد علي جيشا ليحاربه عند دمنهور ، فهزمه الألفي شر هزيمة غير أنه لم يطارد فلوله . وبادر فارسل إلى الحكومة البريطانية يلتمس منها إرسال قوة عسكرية تساعده . فوعدته بانفاذ ستة آلاف جندي بريطاني . واقام الألفي ينتظر قدوم الانجليز قرابة ثلاثة اشهر . وإذ هو قرب قناطر شبرامنت في طريقه مع مماليكه إلى الصعيد ، « نزل على علوة هناك ، وجلس عليها ، وزاد به الهاجس والقهر ، ونظر إلى جهة مصر (القاهرة) وقال : يامصر ! انظرى إلى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرنؤد ، وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون أولادك ويقاتلون ابطالك ويسكنون قصورك ... » ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموى . وفي الحال تقيأ دما ، وقال :

قضى الأمر وخلصت مصر لمحمد علي ، وليس ثمة من ينازعه ويغالبه ، وجرى حكمه على المماليك المصرية ، فما اظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم .

ثم مات في تلك الليلة » .

وعندما دخل على محمد علي من يبشره بوفاة الألفي ، صاح الرجل في فرح عظيم :

ـ الآن طابت لي مصر ، وما عدت احسب لغيره حسابا .



وفي ١٣ مارس ١٨٠٧ ، أي بعد وفاة الألفي بأربعين يوما بالضبط ، وصل الجيش البريطاني بقيادة فريزر إلى الاسكندرية .

قاهرة القرن السابع عشر

حقيقة أن رحلة أوليا جلبي فى مصر رحلة مثيرة لانها تتضمن تفصيلات دقيقة قيمة عن مشاهدات هذا الرحالة التركى الذى زار مصر فى القرن السابع عشر الميلادى •

يقتصر عرضنا هنا لبعض جوانب قاهرة القرن ١٧ اى قاهرة العثمانيين اثناء زيارة اوليا لمصر • نحاول ان نذكر الجديد فى القاهرة مبتعدين عن تناول ما هو معروف مثل الآثار المملوكية اى نقتصر على الجديد المثير الذى لم نكن نعرفه الا من خلال هذه الرحلة •

والواقع ان رحلة اوليا جلبى رحلة فريدة فقد قضى هذا الرجل بها حوالى نصف قرن زار فيها ٢٣ دولة من دول العالم اليوم فى كل من اسيا وافريقيا واوربا •

زار اوليا جلبى مصر مرتين الاولى عام ١٦٧٢ م والاخرى عام ١٦٧٦ وكان قد جاء الى مصر من رحلته الى الحجاز اذ دخل مصر عن طريق العقبة وشبه جزيرة سيناء وغادرها الى السودان وافريقيا ، ثم عاد اليها مرة اخرى •

فى ٤ يونيو ١٦٧٢ وصل هذا الرحالة الى القاهرة وكان يبلغ من العمر واحدا وستين عاما •

يبدأ وصفه للقاهرة بوصف قلعة صلاح الدين ومصنع البارود فى القلعة واتخاذ الوالى العثمانى سكنه فيها وتفوق البارود المصرى على البارود الاوربى من حيث الصناعة •

● أحياء قاهرة القرن ١٧ ●

بيوت القاهرة ٣٦٫٠٠٠ بيت فى

فى رحلة أوليا چلبى

بقلم : د. محمد حرب



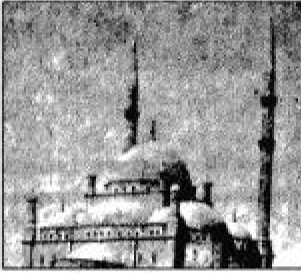
قاهرة القرن السابع عشر

حارات لها أبواب وحراس ، ولا يمكن المرور من حارة الى أخرى ليلا الا اذا تعرض المار للسؤال . وفى القاهرة ٢٧٠ حارة مسلمة أغلبها للعرب ، لكن الاتراك موجودون يسكنون قسم القلعة المحاط بالسور .

وفى القاهرة ٧٨ قصرا كل واحد منها فخم وبعضها يضـــارع أعظم قصور العالم ، مثـل قصر السلطان قايتباى على شفاف بركة الفيل وقصر محمد باشا الشواربى وقصر محمـــد باشا البلتاجى .

٢٢٠٠٠ بيت من مجمـــوع بيوت القاهرة خاص بالمسلمين . أما القبط فهم فى ٢٠ حـــارة و ٦٠٠ منــزل و ٩٠٠٠ نسمة . واليهود تجمعوا فى بعض حارات تشكل حيا واحدا ،وعدد اليهود بالقاهرة ٦٠٦٠ نسمة منازلهم خمسة أدوار أو أكثــر والمسلمون فى القاهرة لا يحبون المنـــازل العالية . أزقة اليهود ضيقة لدرجة أن من المتعذر مرور جمل منهـــا أو فرس . وتقوم فصيلة من الانكشارية بمراقبة اليهود دائما فى حيهم . وللاروام فى القاهرة أربع حارات وللارمن حارتان ومجمـوع ســـكان الروم والارمن ٣٠٠٠ .. والنصارى من التابعين لبلدان أوربا أو الدولة العثمانية ، فيتراوح عددهم بين ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ نسمة وهـــؤلاء يتجمعون فى حارة يسكنونها وفيهـــا مراكز لقناصل سبع دول أوربية . .

الفجر من المسلمين فى القاهرة قليلون والفجر من النصارى كثيرون . وفى القاهرة تجد ناسا من كل الاجنـــاس والزنوج المسلمون كثيرون . والعبيد والجوارى من كل الاجناس وبأعداد كبيرة ، وهؤلاء العبيـــد والجوارى يتعلمون العربية سريعا واذا اشتغلوا فى بيوت تركية فانهم سريعا مايتعلمون اللغة التركية .



قلعة محمد على

جوامع القاهرة

بالقاهرة ١٥٦ جامعا كبيـــرا من جوامع الحكام ، أقدمها جـامع عمرو ابن العاص الذى لم يبن مثله ـ لفترة طويلة من انشائه ـ فى البلـــدان العربية ، وبه من المنارات أربع ، وقد

رممه الداماد بايرام باشا عندما كان اميرا لامراء مصر •

وفى القاهرة : الجامع الازهر الذى ليس كمثله جامع قط فى الدنيا تعدد الطلاب به ١٣٫٠٠٠ طالب اسكنوا فى بيوت حوله ، به أربعة محاريب للمذاهب الاربعة و ٩٠٠٠ دولاب ممتلئة بالكتب ، وفيه من حفاظ القرآن الكريم من ٢٫٠٠٠ ــ ٣٫٠٠٠ مقرىء اغلبهم من العميان • والمذهب السائد هو الحنفى • واروقة الطلاب فى الازهر مقسمة حسب قومياتهم والطلاب من كل جنس ولون ولغة الا ان تفاهمهم بالعربية • والمذاهب الاربعة متساوية فى التعامل • فى الازهر ١٧٠ شيخا واروقة الطلاب العرب فى الازهر قذرة

المآذن والقباب التي تميزت بها القاهرة منذ اقدم العصور

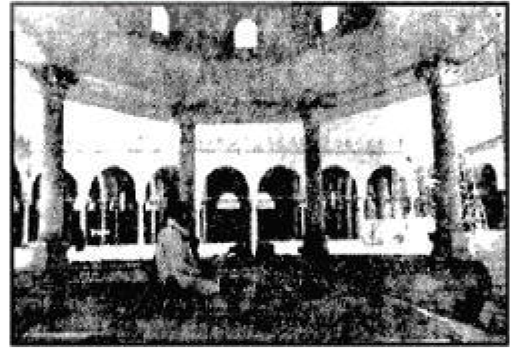


قاهرة القرن السابع عشر

وفى الازهر طلاب سنيون من ايران وكثير من اتراك تركستان • والطيور لا تعشش فى الازهـــر وسبب ذلك مجهول ، ومطبخ الجامع الازهر مفتوح دائما للفقراء •

ثم عدد «اوليا جلبى» الجوامع الكبيرة فى القاهرة بوصف دقيق وعلى مـــر العصور الاسلامية اما الجـــوامع العثمانية، التى ذكرها فمنها : جـــامع «التى بارماق» فى ميدان الرماية وجامع الداودية نسبة الى داود باشــا من ولاة مصر فى عهد السلطان سليمان القانونى وجامع اسكندر باشــا وهو ايضا من ولاة مصر العثمانيين وهـــو جامع على نمط جامع رستم باشا فى استانبول ويناوه تقليـــد لاسلوب المعمـــارى سنان فى استانبول وجامع سليمان باشا (وبنى عام ١٥٢٩ م) وامام محرابه اربعون مصحفا خطها اعظم الخطاطين ومن الجوامع العثمانية بمصر جامع محمد كتخدا الحبشى وجامع ابراهيم اغا وكان هذا اغا الانكشارية فى مصر • قال « اوليا جلبى » ان المقيد فى دفاتر مصــر أن مساجدها كلهــا ٤٦٫٠٠٠ مسجد •

مسجد عمرو بن العاص من الداخل



● مدارس القاهرة ●

٦٨٠ مدرسة للحديث فى القاهرة فى القرن ١٧ يطلق على الواحدة منها « دار الحديث » واكثــر من ٥٠٫٠٠٠ من المحدثين حصلوا على اجـــازة الحديث فى القـــاهرة • وهم يحفظاون من ٢٠٫٠٠٠ ــ ٣٠٫٠٠٠ حـــديث بسلاسلها • وحفـــظ الحديث منتشر بالقاهرة وقسم من الحفاظ عميان ولا يوجد بلد فى العالم به نسبة عميـــان كبيرة بقدر مصر • والحفظ فى نظـــام التعليم المصرى أساس •

فى القاهرة ٢٫٠١٥ مدرسة ابتدائية للصبيان كلها وقف وفى كل مصـــر ٦٫١٧٦ مدرسة ابتدائية من ذلك نعلم أن ثلث مدارس مصر مركز فى القاهرة •• والاذان فى هذه المدارس يرفع على مقام حجـــاز أوسيكاه او حسينى ، وليس هذا بعادة فى البلاد العثمانية الاخرى • والدراسة فى المدارس تتم باللغة العربية •

بالقاهرة ٣٦٠ تكية صوفية و ٦٨٠ زاوية (تكية صغيرة) و ٢٠٠ من هذه التكايا تابعة لطريقة أحمد البدوى وهى طريقة منتشرة فى القاهرة انتشارا كبيرا · وعدد زوايا هذه الطريقة فى مصر ـ كما هو مسجل بدفاترها ـ ٢٠٦٠ زاوية يبلغ عدد المنتسبين اليها ٣٠٠٠٠٠ مريد ومركزها طنطا ·

والتكية الرفاعية تتبع الطريقة الرفاعية وهى منتشرة بالقاهرة وتقع هذه التكية أسفل جامع السلطان حسن ، وهى تكية ضخمة وفى مصر ١٠٠٠٠٠ منتسب للرفاعية ·

ورغم أن الشافعية ليست طريقة الا أن فى القاهرة تكية شافعية يتجمع فيها ـ فى كل أسبوع مرة ـ حوالى ستة آلاف شخص لقراءة القران الكريم حتى الصباح ·

وتكية عمر بن الفارض بالقاهرة يتجمع فيها خمسة أو ستة أشخاص عقب صلاة كل جمعة لقراءة القصيدة التائية لابن الفارض بصوت مرتفع وعلى مقام حجاز وعشاق ·

عدد « أوليا جلبى » التكايا الاخرى بتفصيلات · من هذا : التكية القادرية وتكية قدم النبى والشيخونية وخواجا كان » والازبكية والنظامية الكاشفية ، والواحدية وهذه الاخيرة خاصة بمسلمى الهند ·

أسهب أوليا جلبى كعادته ، فى وصف حمامات القاهرة ومن بين الاسماء التى عددها ، حمام سليمان باشا بالقلعة وحمام مصطفى باشا فى سوق السباهى وهو أوسع حمام فى مصر تقريبا وحمام الدرب الاحمر وحمام الصوباشى وحمام الشيخ البكرى فى الازبكية وحمام تحت الربع وحمام الحبانية وحمام الجماميز وحمام كوبرى الليمون وحمام النساء ·

ويقول أوليا جلبى أن الحمامات فى القاهرة آثار عثمانية لاهتمام الاتراك بالحمامات ، وان كان بالقاهرة بضع حمامات بقيت من العصرين المملوكى والايوبى ·

● بولاق وقصر السبتية ●

كلمة بولاق تركية والاتراك هم الذين أسسوها ومساحتها فى القرن ١٧ كانت ٢٥٠٠ ذراع طولا و ٣٠٠٠ ـ ٨٠٠ اتساعا · ومسجل فى دفاتر رئيس ميناء بولاق أن ١٠٠٠٠ سفينة تتجه من بولاق الى البحر المتوسط · ولوالى مصر ممثل فى بولاق برتبة أمير سنجق ·

وبولاق ميناء هام على النيل ، فيه ١١ مدرسة و ٦ دور للقراء و ٣ دور للحديث وست تكايا و ٧٣ خانا · والتكية الكلشنية أكبر تكايا بولاق ·

تكون بولاق من ٤٥ حارة و ٦٧٠٠

قاهرة القرن السابع عشر

جامع و ٣٠٤ مسجد • وترسانة بولاق عظيمة قطرها ٢٠٠٠ ذراع •

فى شمال بولاق يوجد قصر عظيم مكون من سبعة طوابق يطلق عليه قصر السبتية يطل على النيل يتسم بالجمال فى كل شىء : حوضه وشادروانه ونوافذه وحدائقه وهو مخصص لوالى مصر الذى يأتى يوما واحدا فى الاسبوع مع معيته ليستريح فى قصر السبتية •

مصر القديمة

وكانت تحتوى على ٤٩٠٠ منزل ويمر على مينائها ١٠٫٠٠٠ سفينة ولوالى مصر ممثل أيضا فيها بدرجة امير سنجق معه ٣٠٠ رجل • وحول قلعة مصر القديمة خندق عميق من جهاتها الاربع ، يجرى تنظيفه كل عام ولا يستخدم فى الاغراض العسكرية كما كان من قبل ، وكانت هذه القلعة ذات يوم هائلة مجهزة بكل ما يلزم ولم تعد كذلك ومع كل ذلك ممنوع دخول المدنيين اليها •

مقاهى القاهرة

٦٤٣ مقهى فى القاهرة وقت زيارة أوليا جلبى لها • يقول أن بعض المقاهى كانت الواحدة منها تستوعب الفا من الرواد • المقاهى وقتها كانت مجهزة بالفسقيات وأحواض المياه والشادروانات والمقصورات • ومن أشهر مقاهى القاهرة وقتها وأجملها وأكثرها تكلفة هى مقهى الغورية ومقهى باب الفتوح ومقهى ميدان الرحلة ومقهى باب الشرعية ومقهى الكتخدا الحبشى ومقهى الجماميز وكان مجموع من يعمل فى مقاهى القاهرة ويخدم فيها ٣٠٠٠ شخص •

كانت مقاهى القاهرة تقدم الدخان • كما كان بها « المقدون » و «المضحكون» للتسرية عن الرواد •

تجارة الرقيق بالقاهرة

يقول أوليا جلبى أن بالقاهرة - وقتها - مهنة لا توجد الا فيها وهى صيد العبيد • القائمون على هذه التجارة تجار لا يعرفون الرحمة ، قساة ، انعدم النور من وجوههم ، يطلق على الواحد منهم « جلاب - وهم بالقاهرة ٢٠٠٠ لهم خانات خاصة بهم ... يقومون فى العام مرة بعملية صيد العبيد من أواسط افريقيا • يصطادون الزنوج من غير المسلمين • اغلب تجار هذه المهنة من العرب المصريين من جنوب مصر • يتجمعون فى القاهرة . ولهؤلاء عشر جراحين يشتغلون معهم يتخصصون فى اجراء عمليات الخصى • يخدرون الزنجى بواسطة شراب معين ثم يربطونه ويقطعون بالموسى مواضع الحدساء وعضو الذكورة مع وضع بوصة أو قصبة فى مكان نزول البول حتى لا ينغلق المكان ، ويوقفون نزيف الدم بأدوية نباتية ويضعون مسحوق



احياء القاهرة تميزت بعمارتها الاسلامية الفريدة فى بابها

البيوت على الجوارى البيض والسود من غير المسلمات وعلى الاعرابيات والحبشيات ونساء من مختلف الشعوب الاخرى ٠

وان كان بالقاهرة ٨٠٠ بغى يتجمعن فى باب اللوق - غير ١٢٠٠ منهن يعملن فى البيوت للتعيش بهذا ، فانهن تحت رقابة ثلاثة موظفين كل واحد منهم فى القاهرة وواحد فى بولاق وواحد فى الفسطاط و ٤٠ موظف بلدية لمراقبتهن ويطلق على كل واحد من الثلاثة الرئيسيين « شيخ العرصات »٠ ولا يمكن للبغى قضاء الليل فى غير بيتها ، والقوادة مهنة ملحقة بالبغاء ، يحترفها ٣٠٠ من النساء السابقات فى هذه المهنة ٠ ويطلق على الرجل فى هذه المهنة « ديوث » وعلى المراة فيها « واسطة النسوان » ٠

والواقع أن أوليا جلبى تحدث عن القاهرة كثيرا وبالتفصيل فى كل مجالات الحياة تقريبا مما شاهد ، فهو يذكر - فيما يذكر - التمر هندى الشراب الخاص بالمصريين ودكاكين المشروبات وعن دكاكين قص شعر الحمير وعددها وأماكنها واماكن بيع الفراخ والتفريخ الصناعى ، ومدافن القاهرة والطرق الصوفية ، واستقبال المصريين للوالى العثمانى وابتهاجهم بمروره فى موكبه ورفعهم اصواتهم بالدعاء له بقولهم : « حفظك الله يا والى مصر » و « حفظك الله يا عزيز مصر » ٠

اشجار الصنطة مع دهان أسود ثم يلفون الجرح بقماش معين ٠ يموت كثير من الاطفال الزنوج الابرياء فى هذه العملية ويباع هؤلاء الاطفال الى القصور ٠

ومما اختصت به مصر من دون الولايات العثمانية الاخرى وجود بيوت للبغاء بالقاهرة رغم شدة تدين اهلها ٠ يقول أوليا جلبى أن هذا الامر موجود فى مصر منذ الازمنة البعيدة فلما دخلها العثمانيون لم يستطيعوا الغاءه ، الا أن عمل المراة المسلمة فيها ممنوع وانما يقتصر العمل فى هذه



كتاب الهلال
يقدم:
الأفغانى و محمد عبده
تأليف: د. س. بلنت
ترجمة: د. على شلش
يصدر
٥ يناير
١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم:
الريح
الرواية الفائزة
بجائزة نوبل
تأليف: كلود سيمون
ترجمة: د. زينب عبد العزيز
١٥ يناير ١٩٨٦

ندوة الهلال الشعرية



على الصفحات التالية سبع قصائد من الشعر الموزون المقفى والشعر التفعيلي ، تتجاور بلا تنازع ولاتضارب بين مذاهب الشعر ومدارسه . فقد هدأت تلك الضجة الشكلية التى فرقت منذ زمن بين المبدعين من الشعراء فى المذهبين الجديد والتليد ، وصارت القاعدة فى النظر إلى الشعر هى الأثر الفنى والوجدانى الذى يجده القارىء فى الشعر حين يقرؤه او يسمعه . مصداقا لقول أحمد شوقى امير الشعراء :

والشعر فى حيث النفوس تلذه
لافى الجديد ولا القديم العادى

يقصد شوقى بالشعر « العادى » الشعر الذى يضرب فى الزمن القديم إلى عهد « عاد وثمود » .. فلو عثرنا الآن على شعر من ذلك الزمن وتذوقناه وأحببناه لكان بمثابة الجديد الذى لم يعتوره البلى ، لأن الجديد فى الشعر والفن هو ما تستطيع الأجيال المتعاقبة أن تحبه وتتذوقه ..

وهذه القصائد السبع ليست معلقات كالقصائد السبع القديمة « المعلقات » .. وإنما هى منشورة هنا كما ينشر الشعر فى زماننا الذى لايعرف تعليق الشعر على الأستار .. وقد اجتمعت هذه القصائد فى هذه المناسبة بغير اتفاق ، ولكن بهدف مقصود ، هو مخاطبة قارىء الشعر المصرى والعربى فى زماننا ومحاولة التأثير فى وجدانه أجمل الأثر كما كان شأن الشعر دائما مع قارئه وسامعه منذ عرفت مصر الشاعرة أبناءها الشعراء المجيدين ..

والشعراء السبعة الذين اجتمعوا لشعرهم هنا يدعونك ـ عزيزى القارىء ـ إلى هذه الندوة الشعرية التى يقدمها إليك الهلال .



"العاطفة المجنحة"

شعر : عبدالشافى داود

في دائرة الرقص المتحيز للنشوة
نقضم في رفق احرف عشق .. نتداخل
نحسو من شفق ..
نسقط في بوتقة ننسج أروقة حمراء
بلون العمق ..
نطير باجنحة محرقة للأطياف .. نسطر
عبر الأنفاس اغاني الأجراس الكونية ..
نكتب شعرا دمويا .. ابديا
فنضيء
الحب الدافيء كالأنفاس على قيثار جراح
شتويه
يفتح بوابات عوالم حلم مغلقة الإسرار
آه في لحظات بالغة الدقة
نلتف معا بغموض الروعه

....

فوق صليبي أنبع من زهرة صدرك
واكون مع النجمات .. مع القمر الثلجي
اكون ..
اتابع صوتك اين يكون .. تراني ..
يجمعنا كاس الخمر الوهجي .. فنشرب
نخب محبتنا

....

ارسم صورتك الممطرة الابداع
« صامتة كالسحر
ينشر صوتك أجنحة فوق الغابات .. تغنى
تطلق منك عصافير تغرس فى صدرى ..
تلتقط النغمات الشفقية .. لحنا لحنا ..
وتعود الى ثغرك تسبح عبر ازاهير
القبلات
عارية .. خلفك يمشى فجر ..
وعلى قدميه أشعة شمس كعلامات
الدهشة
كل شعاع يتغرغر فى قدميك
كازاهير منحنية
ترشف من بحر أريج »

....

أنت ..
كسهم راعش
نصب تذكارى فوق الأولمب لأفروديت
أنت ..
الجسم المنحوت على همس شراع
يصخب حولى دون توقف
يبعث فى جسدى انفاس البعث
كنسيج من مطر ممزوج بقبائر شمس
خمرية
أنت ..
عصافير تمرق راقصة من بحر شفاف
أسمع ..
صوتا يبحر من عينيك
أعمق من صوت الأصداف

....

نمزج عبر بحار الشفق المجنون
وكضوء قاتل
كحراب وسهام نتداخل فى ذوب دموى
نعتصر اللحظات
نتصاعد شيئا شيئا فى لهب الزرقة

نتكهرب عبر حديث البرق
برعمة النهد كلحن موسيقى
يندس بغابة صدرى
يعزف فوق لهاثى شهقات مجون
برعمة النهد كلحن موسيقى
يندس بغابة صدرى
يعزف فوق لهاثى شهقات مجون
غمغم فى ثغرك قلبى
طاف يرتل عبر حبيبات الكرز ..
ويقطف عطرا سحريا واناشيد خصوبة
غمغم طيرك عبر مسابح صدرى
غمغم بحرك عبر دمى
......
ياشبح الموت
خبرتك انا
بين الليل وسقسقة النجمات
بين الضوء وانفاس الخضرة
خبرتك انا
ليلة حب عاطرة ابدا
كعبير فضى يبعث تحت رماد بصبر
اجفان البركان
ياشبح الموت
دعنا نهبط فى النهر ..
فتغتسل الاصداف بنيران الوجد الخالد
دعنا نمسك اجنحة الريح ...
نحلق فى اللهب الوثاب ...
ونهجع فى كهف الوهج الخالص
خبرتك انا
عشتار وتموز
نختزن البعث
ابدا نبقى
....

« عمى الطيب »

شعر : جليلة رضا

ماذا أصنع ياربى فى أمى المزواج ؟
هل قُدّر لى افتح للطارق باب المزلاج ؟
أن اشهد أمى تتزين وتزف لكل الخطاب ؟
وانادى « ياعمى » كل الأزواج ؟
فإذا ما عارضت يقال أدسّ الأنف
فأنا فى البيت الصفر .. وأنا فى البيت الضيف .

أنا أعلم أنك ياأمى مازلت ، مع الدهر جميله
لا يعبث بشبابك عمرٌ .. لاتشبع منك العينان
لكنك طيبة القلب وصافية النيه ..
يغريك خطيبك بالكلمات المعسوله
فإذا ما نام على فرشك فى استمتاع ..
صار إلها وهويت أنا ياأمى للقاع ..
ورأيتك تخفين الوجه الفاتن فى صدر الأحزان !
ولماذا ياأمى يدفن أزواجك كل كفاءاتى .. ؟
وأنا فى سن التمييز وإبداء الرغبات ..
ولماذا تحيين مع الأزواج وقد غلتك قيود ..
وابنك يرقص ، رقص الموت ، على حبل مشدود ..
لكنى اليوم أصلى كل صباح ومساء :
فلعل الزوج الحاضر يعدو لك خير عزاء ..
حتى ادعوه ـ بلا زيف ـ « ياعمى الطيب » .. !

«من آخر كلمات ابن حزم»

شعر : عبد اللطيف عبد الحليم

غادرتكم ، لاتروق صحبتكم
غمامكم راعد ، ولا مطر
ويأسكم بينكم ، وشانئكم
يحكم فيكم ، وشانه البطر
كل دعي تدعونه ملكا
وماله همة ، ولاخطر
سيان ، نغريلة ،[1] و ، مقتدر ،
كلهم بالأعاجم انأطروا
والامويون غال نخوتهم
انهم بالمهانة انشطروا
يسطرون الأحكام نافذة
وبئس ما نفذوا وما سطروا
والناس لا حيلة ، ولا امل
كيف ، وهم بالمذلة انفطروا
فى ، منت لشم ،[2] الفت معتزلى
غمامكم راعد ، ولا مطر

الهوامش :

(١) هو الوزير اليهودى الذى رد عليه ابن حزم فى كتابه ، الرد على ابن النغريلة ، .

(٢) هى قرية ابن حزم ، عاش فيها اواخر ايامه .

«بكاءُ النّاى»

شعر : أحمد حمدى

نفض الفجر من يديه تراب اللـ
يل وانساب تحت جلد النهار
مسح النوم من عيون العصا
فير وقد نمن فى دجى الأوكار
فسرت رعشة الحياة على الأرض
وتغنى وحولها الحب سارى
والبساتين تغنى واشرابت
سنبلات الغرام للأنوار

همس النور فى فؤادى ونادى
هات حبايتيه بالأسرار

اطرق القلب وانحنى واطلت
ملىء عينيه دمعة الأعذار
قلت : مات المساء وانبلج الصبح
وماتت غناى عند القهار
قال : لكن فى النهار ضياء
يكشف الخير فيه للأخيار
قلت : ما عاد فى البسيطة خير
ذبح الخير عند باب الدمار
أكل الناس بعضهم ثم ناموا
كالسكارى على وجوه القفار
صمت النور وارتمى نحو عين الش
مس واجتاح ساحة الأنظار
نظر القلب لم يجد غير ناى
أثقلته الهموم عند جدار
قال هات الدموع ياناى فالليـ
ل صديق العشاق فى القلب جارى
واعد انه الحبيب على سمعى
فقد فرق الأسى اوتارى

"تثاؤبُ حديقة"

شعر عبد الرحمن عبد المولى

رَدّني الموت ثم جئتُ إليك
فاسمحى أن أموت فى عينيك
شرف لم أنل نصيبى منهُ
ثم أحرزتهُ لدى لفتتيك

أتمرين فى فؤادى نسيماً
أم فؤادى يسير فى قدميك
لثغة العطر برعمتني ربيعاً
ساكبا لونه على كرزتيك
طبع الحسن باسمه . وتناسى
لونه مرتبز فى خديك

نغمات الكاكاو تغرق روحى
أوقفى العزف . أو مدى يديك
صحناً خذ كل ما فى لماً
قد تجلى العبيرُ فى شفتيك

المسافات مابين عينيك
والثغر انفتاح على تثاؤب أيك
استديرى وحدثيني قليلاً
إن طعم الحياة فى ناظريك
حدثيني فربما ترجعيني
بشراً مثلما أتيت إليك

"مَن كان يصدق"

شعر محمود عبد الحفيظ

شكرا ياكل مطارات العالم
شكرا .. ياكل محطات قطارات العالم
يامتجهات الدنيا السبع .. وياكل موانيها
ياكل شوارعها .. وحواريها
ياكل خرائبها .. ومبانيها
ياارخص اغلى مافيها ..
ياحبات من عرقى ..
تسقى بين ضلوعى أفدنة الجوع
شكرا يامولاى الانسان
معروف ..
لا ادرى كيف اوفيك الشكر عليه :
قهر ودموع .. وذهاب ورجوع ..
ونزول وطلوع
ودماء وضلوع .. وبنوك وفروع ..
وفؤاد موجوع
شكراً .. فانا الآن ..
- ياالف نهار ابيض
صار بوسعى ..
- من شر الحسد احفظنى ياربى -
ان اجلس فى بيت ملكى .. مل ..
كى ..
وافكر .. (فى جو هادىء)
كيف أحل مشاكل أسرتنا
ماكان .. وما سوف يكون
وارد هموما تاتى حتما
مادمنا نسكن هذا الزمن المجنون .

«مضى من حياتى»

شعر : خليل فواز

مضى من حياتى سلطانها
وغاب عن العين إنسانها !
وخلفتنى فى خضم الحياة
كفلك تخلف ربانها !
وما انت إلا مناط الفؤاد
ونبع الحياة وشريانها !
مضيت .. وصارت حياتى حطاماً
كدار تهدم جدرانها !
مضيت .. وصارت حياتى طلولاً
لأن وجودك بنيانها !
كأن السما غادرتها النجوم
وغاب عن الأرض سكانها !
فلا نضبت من عيونى دموع
ولا فارق النفس اشجانها !
أودع فيك زمان الأمانى
فاتت الأمانى وازمانها !
أودع فيك زمان الأغانى
فاتت الأغانى والحانها !
أودع فيك زمان المغانى
فاتت المغانى وافنانها !
أودع فيك زمان المعانى
فاتت المعانى وتبيانها !
وكم كان لى فيك من ذكريات
يعز على القلب نسيانها !
وكم لك فى الصدر من وحشة
تعربد فى الصدر نيرانها !
وياقلب جرحك بين القلوب
مثال الجراح وعنوانها !
جفاك - وكان الهوى - خائن
فأوحش فى النفس خوانها !
وسالت دماؤك خلق الحبيب
ففيه تدفق شريانها !

هل مات الشعر فى مصر؟

بقلم : د. سيد إبراهيم

طلعت علينا أخيرا بعض الاتجاهات التى تحاول إنكار دور مصر الأدبى وريادتها للشعر العربى الحديث ، فمن ذلك ماردده بعض الشعراء من أن الشعر مات فى مصر وانه نشأ فى العراق وترعرع فى الشام ، وما اتجهت اليه بعض البحوث التى تقدم فى المؤتمرات الشعرية فى البلاد الشقيقة من محاولة القفز على حقائق التاريخ الأدبى وصياغتها من جديد

ومن الأمور المقررة لدى الباحثين فى تاريخ الأدب العربى أن نجداً بأرض الحجاز كانت هى السابقة الى زعامة الشعر العربى وليس العراق ، وإن كنا قد وجدنا أن شعراء نجد كانوا يفدون على أمراء الحيرة بالعراق أحيانا . ولكن ذلك لايغير من جوهر هذه المقولة شيئا . وقد ظلت امارة الشعر منعقدة لأهل نجد طوال العصر الجاهلى ، إلى أن جاء الاسلام فاتجه نشاط الشعر الى المدينة ومكة ، فانتقلت إليهما زعامة الشعر وانعقد لهما لواؤه . كل ذلك ولم تتعد هذه الزعامة أرض الجزيرة العربية . ولم يظهر دور العراق ومشاركته فى النشاط الأدبى إلا بعد ذلك حتى تفرد بالزعامة الأدبية حينا ، وحتى شاركه شعراء الشام فى هذه الزعامة حينا آخر ، حين ظهر شعراء الشام العظام من أمثال أبى تمام والبحترى ومن بعدهما شاعر سيف الدولة الذى طار صيته فى سمع الدنيا ، وتغنى به المتنبى الذى ظهر فى القرن الرابع الهجرى ، وغيرهم .

أما مصر فقد آلت اليها الزعامة الأدبية خالصة فى عهد الدولة الايوبية على يد


محمود سامى البارودى

صلاح الدين ، فتفوقت فى الشعر والنثر ، كذلك على جميع الأقطار العربية وصار أدبها مثالا يحتذيه أدباء الشام والعراق . ومن أشهر أدبائها فى ذلك الوقت فى الشعر ابن سناء الملك ، وهو صاحب كتاب (دار الطراز) . وهو كتاب يدرس فن الموشحة الأندلسية ، ويحاول أن يرسى نظامها وقواعدها . وبعض الباحثين يجعله ندا للخليل بن احمد الفراهيدى الذى اكتشف أوزان الشعر وحصر أنماطها ، فهو بالنسبة لفن الموشحة كالخليل بن أحمد بالنسبة لفن الشعر ، كلاهما اكتشف قواعد الفن الذى تصدى لبحثه ، حتى صار علما فيه يعرف به وينسب اليه . وقد ترك الشاعر المصرى ابن سناء الملك بصماته الواضحة على أجيال من الشعراء سواء فى مصر أو خارجها فى بلاد الشام والعراق ، كما ثارت حول شعره حركة نقدية واسعة شأنه فى ذلك شأن كبار الشعراء فى تاريخ الشعر العربى . أما فى النثر فمن الكتاب الذين حققوا شهرة واسعة فى تاريخ الكتابة الأدبية القاضى الفاضل الذى كان وزيرا لصلاح الدين وهو صاحب الأسلوب الذى عرف باسمه وشاع فى الأقطار العربية واعجب به الكتاب واقتدوا به وصارت له سطوة على الكتابات الادبية .

● زعامة ادبية ●

ثم انحسر دور مصر الأدبى حقبة من الزمن ، حتى جاء البارودى رائد الشعر الحديث . وهو الذى هيأ للنهضة الأدبية ولصحوة الشعر بعد أن تردى فى الضعف والابتذال . وقد عكف البارودى على قراءة الشعر العربى القديم فى عصور مجده وازدهاره ، فأتيح له مع سلامة طبعه ومواتاة استعداده وموهبته أن يكتسب معرفة عميقة بأساليب الشعر العربى وتقاليده ، فجاء شعره قويا صادقا كحياته وشخصيته . يقول عنه الدكتور شوقى ضيف (اضطرمت الروح العربية الأصيلة فى أشعاره بكل مقوماتها بحيث استطاع ان ينفذ من خلالها الى موسيقاه الرصينة الصافية ، موسيقى يتصل فيها الماضى بالحاضر اتصالا خصبا حيا ـ اتصالا تنمو فيه شخصيتنا الشعرية العربية نموا رائعا . وعنت الوجوه لشعره فى جميع الاقطار العربية بحيث عد ـ بحق ـ حامل لواء الشعر العربى الحديث . وسرعان ماحمله بعده حافظ وشوقى ، فإذا هما يمكنان لمصر من الزعامة الأدبية مالا عهد لها به فى اى زمن من أزمنتها الماضية .

ومن الاشياء التى يراد الترويج لها هذه الأيام إنكار الدور الذى ادته مصر فى رعاية الشعر العربى وغمطها حقها فى زعامة هذا الشعر ولو بإنكار التاريخ . كل ذلك لتثبت ـ فى المقابل ـ

هل مات الشعر في مصر ؟

زعامة العراق للشعر . فمن ذلك ماردده بعض الالسن من أن الشعر إنما نشأ في العراق وأنه ترعرع في الشام ومات في مصر . وإن القول ليعزى بالقول . فإذا الكتابات تدمج في هذا المعنى والبحوث تطرح للتداول ، حتى تقدم بعض الناس في المؤتمر الذى عقد أخيرا للشعر في العراق ، وهو مؤتمر المربد ، ببحوث تذهب الى الطعن في الريادة الأدبية للبارودى وشوقي وكذلك العقاد والمازني . فعدنا بحاجة من جديد الى تكرار القول في البدهيات والاستدلال عليها . وليت شعرى هل ياتي زمان ينكر فيه الناس وجود البارودي وشوقي والعقاد والمازني ، مثلما رأينا أخيرا من ذهاب أعداء الاسلام الى انكار ان يكون لشخصية نبى الاسلام وجود حقيقي .

ولكن لهؤلاء غاية من وراء ذلك ، وهم يلتمسون أسلحتهم حيث كانت . فما الغرض الدافع لمتحدث بالعربية يشتغل بآدابها وثقافتها الى اثارة النعرات الاقليمية . ونهوض الشعر في العراق لايغض منه نهوضه في مصر أو غيرها من البلاد ، وإنما يدعمه ويقويه . وتاريخ الشعر العربى لايقال فيه هذا مصرى وهذا عراقى ، مادامت العربية هي الصفة التي تجمعهما .. وأولى من ذلك أن يقال هذا شعر جيد وهذا شعر ردىء ، أو إن هذا شاعر يملك أدوات فنه أو لايملكها ..

وهكذا ، فهذا أجدى للشعر والفكر والثقافة ، والعبقرية لا وطن لها اذا اتجهت الى الانشغال بقضايا واحدة هى قضايا الفكر العربى والوطن الذى يضمه .

ولن ترى كلاما مثيرا كالطعن في الحقائق الثابتة بأسلوب المتعالم الساخر ، كأن يستنكر كاتب أن يكون العقاد والمازني مؤسسى مدرسة أدبية في الشعر العربى المعاصر ويتعجب كيف انطلى ذلك على كثيرين ، وبكتيب سمياه - على حد تعبيره - الديوان ، لانه يرى ان حركات التجديد كلها ليست من التجديد في شىء وأنها رغبات وأهواء ومحاكاة واقتباس .. يرى ذلك في شعر المهاجر وأصحاب الديوان وعند جماعة أبولو وفي كل فئة حاولت التجديد على مدى النصف الأول من القرن العشرين ، ولكنه يستثنى أواخر العقد الخامس منه ، لانه يريد أن يجعل الفضل كله والشعر كله والتجديد كله للعراق ، كما دلت الفاظه على ذلك صراحة في كلام أورده للقارىء - بعد - ليتبين المعنى بنفسه . وللعراق فضل لاننكره ، ولكن فضل مصر لايذهب به فضل العراق . وما العراق وما مصر .. أليست هذه الفاظا كان لاينبغى أن يزج بها حين يتعلق الكلام بالفكر والأدب . ولكن



احمد شوقي — عباس العقاد

جعل الشعر صنواً للسياسة وجعل الأدب رديفا لها ، فجاز عليه ماجاز عليها .

ثم يكر الكاتب بعد ذلك الى البارودى ، فيقول عنه بالحرف الواحد انه فى مقدمة من وصُفوا ظلما بالتجديد ، أما أحمد شوقى فيبقى فى نظره شاعرا مقلداً ليس غير . ثم انظر اليه حين يقول عن هؤلاء جميعا ـ العقاد والمازنى والبارودى وشوقى : (التجديد لم ينبع لديهم من إيمان أصيل تدعمه مواهب عالية يتجاوز الزمن والمستوى الثقافي والتقاليد السائدة ، ولكنه كان نتيجة مظاهر غريبة انبهر لها الانسان الخارج من عصور أقبية السبات الجماعى التى تلت انطفاء جذوة الحضارة فى بغداد ، فاضطرت ارادة التغيير والتجديد بمحاكاة مظاهر خارجية مستعارة ومستوردة سرعان ما انطوت أو تنكر لها أصحابها ، على ماتجد عند العقاد فى سنواته الأخيرة) .

ولن تجد كلاما ابلغ من هذا فى الاثارة وأعدى للمرء على العدوان . واشارة الكاتب الى عصور سبات جماعى تلت انطفاء جذوة الحضارة فى بغداد ليس لها الا معنى واحد ، أن كل شىء خارج بغداد لم تكن له قيمة .

ولست أدرى لماذا لاتتجه البحوث ـ لكى تكون جديرة باسمها ـ الى محاولة الفهم والتبصر وتحديد المساحات المبحوثة فى نطاق ضيق حتى تستوعبه قدرات صاحب البحث وامكاناته ، إذ كيف يعطى كاتب لنفسه الجسارة على الخوض فى مساحات هائلة من الفكر أو الانتاج الأدبى اقتضى وجودها أعمارا وأعمارا ، فضلا عن مواهب أصحابها التى لايسمح بها الزمان فى كل حين . ولو أنا سلمنا لهذا الكاتب بأن له من جوهر الموهبة والعبقرية ما للعقاد والمازنى والبارودى وشوقى وغيرهم . فكيف نسلم له بأن يخوض من موهبة أدبية الى سواها ويصدر عليها أحكاما عامة ، وهو لم يطلع بنفسه على تفاصيل اعمالها التى انفقت فيها أعمارا توفر لها فيه الجد والحرص والاخلاص وقدر لايهمل من شرف العصر بصفة عامة واخلاصه للفكر واحترامه اياه .

ولايمكن الاجابة عن ذلك بأن الكاتب يكفيه ان يقرأ أحكاما عن هذا الأديب أو ذاك لفلان من الباحثين وفلان وفلان ، وانه يعتمد عليهم فى تكوين النظرة العُامة التى يستقر عليها ، فكل شىء فى فكرنا العربى يحتاج الى مراجعة وإن توافر له حظ عظيم فى النزاهة .

ولوقد فعل الكاتب ذلك لحمى نفسه من مزالق النظرة الذاتية وانحصارها داخل افقها الضيق ، وهو شىء يشهد به كل من عانى الفكر وعرف كيف تستهين النظرة السطحية الغافلة باعمال المبدعين اذا قاستها الى ماتنجذب اليه بالاهواء فتستغرق مقدرتها على التمييز الصحيح فى الانبهار بما هو زائف . ولو كان للكاتب من الاخلاص والفهم ما للمبدعين الصادقين لأحجم عن القفز بين اعلام الثقافة والأدب بالاحكام يرسلها يمينا وشمالا الى العكوف على فهم اعمالهم واستخراج دقائقها وبعث كنوزها وانصاف أوقاتهم التى افنوها تدقيقا وتاملا ونظرا ، فلربما ذهب عمره كله ـ من غير مبالغة ـ فى فهم عمل أدبى واحد .



الزواج فى الأمثال

● من امثال الانجليز ●

- من تزوج ارملة لها ثلاث بنات ، تزوج اربعة لصوص .
- الزوجة الصالحة لن تبحث عن ابنتها فى الفرن إلا إذا كانت ايضاً قد ذهبت إليه .
- من يتزوج وهو معوز ، يثر وهو مدفون .

● من امثال الروس ●

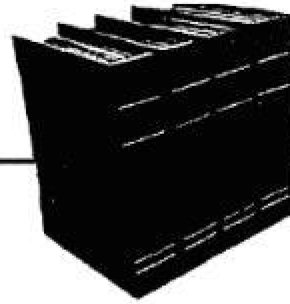
- لا توجد إلا امرأة شريرة واحدة فى العالم . وكل زوج يعتقد انها زوجته .
- زوجة الجندى ، ليست زوجة ولا ارملة

● أمثال اسكتلندية ●

- إذا اردت أن تلام فتزوج ، وإذا اردت أن تمدح فمت .
- زوج ابنك متى أردت ولكن زوج ابنتك متى قدرت .
- إن ابنى هو ابنى إلى أن يتزوج ، وابنتى هى ابنتي طول حياتها .

● أمثال إستوائية ●

- لا يسير الحصان ولا الزوجة بلا أعنة .
- إذا أردت ان يذاع أمر ، فافشه لزوجتك .
- الزواج قفل الرجل .



مكتبة الهلال

دفاع عن الديمقراطية

صدر عن دار ثابت، كتاب «دفاع عن الديمقراطية».. للأستاذ خالد محمد خالد، تناول فيه تجربة الديمقراطية منذ عام ١٩٢٤.. حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو.. ثم عرض التجربة الديمقراطية منذ قيام الثورة حتى الآن. كما قدم تصوره عن الديمقراطية والاسلام. وان الشورى هى تمام الديمقراطية السياسية.

أما تعريفه للديمقراطية فيقول: «الديمقراطية هى قدرة الشعب على التغيير.. تغيير حكامه وتغيير قوانينه عن طريق الاقتراح الحر وبواسطة نوابه وممثليه فى برلمان إثمرته انتخابات حرة نزيهة..

ونحن مع الكاتب الكبير فى دفاعه عن الديمقراطية وندين معه أية تجاوزات حدثت. ولكن نختلف معه فى تقويمه للتجربة الديمقراطية قبل ثورة يوليو. وتزداد شقة الخلاف فى حديثه عن ثورة ٢٣ يوليو المجيدة. لقد وقف الكاتب عند الديمقراطية السياسية. بل نجد انه وقف طويلا عند ديمقراطية «القول». وحتى فى تعريفه للديمقراطية لم يحدد لنا كيف ينفذ هذا المفهوم؟

وإذا كانت الديمقراطية السياسية لعبت دورا هاما فى تاريخ الشعوب، فلا شك ان غياب الديمقراطية الاجتماعية قد حرم الأغلبية من ممارسة هذا الحق، بل كانت قضية الأغلبية هى قضية وجود، والوصول إلى حياة إنسانية.

وفى ظل الديمقراطية قبل ثورة يوليو والتى يقول عنها الكاتب «لقد نجحت تجربتنا مع الديمقراطية بكل مقاييس النجاح». ويقول «كنا يامن لم تسعدوا بمعايشة تلك الايام - نعيش فى مهرجان عروسة الحرية والديمقراطية». نشير إلى بعض الحقائق ونضع بعض التساؤلات.

من الذى كان يحكم مصر؟ ومن الذى كان يتحكم فى ارزاق الملايين من الفلاحين؟ ومن الذى كان يستطيع أن يصل إلى مجلس النواب والشيوخ؟

كانت هناك ثلاث اسر تملك كل أسرة اكثر من ١٠ آلاف فدان. يقابل ذلك ملايين من الفلاحين المعدمين والتملية والحظرية

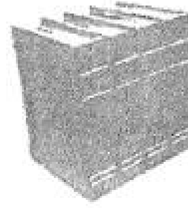
خالد محمد خالد

دفاع

عن الديمقراطية

الطبعة الأولى

دار ثابت ... ١٩٨٥





وعمال التراحيل ، اما تحكم الاقطاعيين فى حياة الفلاحين ووجودهم واصواتهم التى حققت « الديمقراطية » فالشهود مازالوا احياء والحالات بعدد قرى مصر ومراكزها .

هل نحن فى حاجة إلى تذكير الكاتب الكبير بالذين كانوا يجندون فى الجيش ، لأنهم لم يستطيعوا دفع « البدلية » .. والذين كانوا يتعرضون للخطر من الفلاحين لأنهم كانوا يواجهون فيضان النيل باجسامهم والذى عرف فى القرى بـ « حرس البحر » .. والم يكن احد بنود خطب العرش ، ان الحكومة ستعمل على مكافحة « الحفاء »! ونذكر الكاتب الكبير بما نشره فرسان الديمقراطية قبل ثورة ٢٣ يوليو عندما اعلنت الثورة انه يجب على الأحزاب أن تطهر نفسها ، واستجابت هذه الأحزاب وطهرت بعض عناصرها .

وقامت هذه العناصر التى اعلنت احزابها إدانتها ، واتهامها بالفساد والرشوة ، برد الاتهام ، لزعمائها واحزابها ، ومازالت صحف عام ١٩٥٢ .. فى شهور اكتوبر ونوفمبر وديسمبر حافلة بشهاداتهم ، وقد كانوا نوابا وشيوخا ووزراء فى التجربة الديمقراطية من ١٩٢٤ .. حتى ١٩٥٢ .



● تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر ●

صدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ـ كتاب : تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر ـ دراسة تحليلية لآخر برلمان مصرى قبل ثورة ١٩٥٢ ـ تاليف : عزة وهبى وتقديم الدكتور بطرس غالى

وموضوع الكتاب قدم اصلا كدراسة تقدمت بها المؤلفة لنيل درجة الماجستير فى العلوم السياسية وحددت الكاتبة هدفا محددا فى إطار زمن محدد ، وهو دراسة برلمان ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ .. آخر برلمان عرفته مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وللوصول إلى النتائج ، قدمت الكاتبة التفصيلات العديدة حول هذا البرلمان ، فعرضت للظروف التى احاطت بتكوين البرلمان ، ومشكلات المعركة الانتخابية والتى منها توزيع الدوائر الانتخابية وتحديد الموطن الانتخابى للعمال ، كما قدمت تحليلا للانتماء الاجتماعى والسياسى للمرشحين ، واما اسفرت عنه عملية الانتخاب .

وعرضت الكاتبة لتحليل البيئة الاجتماعية للبرلمان بمجلسي « النواب والشيوخ » وذلك من خلال تعريفها العلمى

للطبقات والفئات . وتابعت موقف البرلمان من القضية الوطنية اى قضية الاستقلال الوطنى . وكذلك موقفه من القضايا الاجتماعية وركزت على قضية الاصلاح الزراعى .

والكتاب مدعم بالأرقام ومواقف الاعضاء من خلال المضابط . وكذلك انتماءاتهم الاجتماعية ونسب كل فئة حسب تصنيفها للأعضاء : كبار ملاك - متوسطو ملاك - راسمالية صناعية - راسمالية تجارية - مهنيون - موظفون .. وتابعت نسبة كل فئة فى اللجان ورؤساء وسكرتيري هذه اللجان .

وعلى ضوء المقدمات . وصلت الكاتبة إلى اخفاق تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر فى الفترة السابقة على ثورة يوليو .

وعزت ذلك إلى عدة اسباب . منها : نقل التجربة من الغرب . ودون مراعاة ظروف المجتمع المصرى وقتذاك . كما ان التجربة لم تكن ليبرالية بالمعنى الحرفى . وقد ساهم هذا التصوير الليبرالى فى إخفاقها . وأشارت إلى الإنتهاك الذى تعرض له دستور ١٩٢٣ .. سنوات طويلة .

وكان دور الملك محوريا على الرغم من عدم مسئوليته . وكيف كان يستخدم سلطاته الكبيرة الممنوحة له . وكانت طبيعة النظام الحزبى فى تلك المرحلة . قد اتسمت بسمة شخصية مع اختلافات طفيفة فى البرامج . وكان التقارب الشديد فى البيئة الاجتماعية للاحزاب بما فيها الوفد . وكان كبار الملاك والرأسماليون الصناعيون يسيطرون على هذه الأحزاب . وأن هذه الأحزاب - بسبب قصور النظام الحزبى - لم تكن حريصة على التجربة الليبرالية . هذا مع سبب خارجى . وهو التدخل البريطانى فى الحياة السياسية .

● النظام الإعلامى الجديد ●

صدر للدكتور/ مصطفى المصمودى خلال اكتوبر ١٩٨٥ .. كتاب بعنوان « النظام الاعلامى الجديد » عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ضمن سلسلة كتبه الثقافية الشهرية عالم المعرفة . والكتاب اضافة الى الجديد فى عالم الاعلام والاتصال وكتب مقدمته الدكتور/ محمد الرميحى رئيس تحرير مجلة العربى وسن ماك برايد الحائز على جائزة نوبل وجائزة لينين للسلام والكتاب ٤٠٠ صفحة . ضمت ثلاثة ابواب .

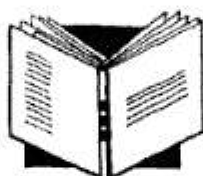
● النظام العالمى الجديد للإعلام والاتصال دوافع وتعريف .

● من أبعاد النظام العالمى الجديد للإعلام والاتصال

● النظام العربى الجديد للاعلام والاتصال (من النظام العالمى الى النظام الاقليمى).

وما جاء فى كتاب (النظام الاعلامى الجديد) للدكتور/ مصطفى المصمودى قوله : (وبطبيعة الحال فان ابناء الأمة العربية بمالهم من تاريخ مشترك وتكامل جغرافى وتجانس ثقافى وانتماء الى الحضارة العربية الإسلامية مرشحون قبل غيرهم لتحقيق نظام إعلامى عربى جديد يستمد اصوله من النظام العالمى . ياخذ منه مايتمشى مع اهداف الامة العربية . ويدعم بمميزات اضافية كما تتوفر فى مناطق اخرى ولا يستقيم بدونها العمل الانمائى السليم . هذا الرهان الاساسى وهذه هى الرسالة التى يتعين على جيل القرن الحادى والعشرين حملها بعد ان عجزت عن ذلك الاجيال السابقة).

محمد العائش القوتى
تونس



كتاب جديد قديم

تقديم : مصطفى نبيل

ماهنالك !

كيف تتداعى وتنهار الدول؟

لا تنهض الدول على الاباطيل ولا تشيد صروحها على الاكاذيب ••

النظام البوليسى يبعد الاكفاء ..
ويقرب بطانة السوء .!

كتاب المركز العربي

١

إبراهيم المويلحي

ما هنالك
من
أسرار بلاط السلطان عبد الحميد

احمد حسين الطماوي
د. علي شلش

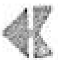


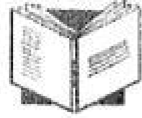
تعود السلطان أن يسمع من جواسيسه كل يوم خبراً ، إذا لم يأته وقع ما يخشاه ، ويبقى متكدراً حتى تأتي له التقارير بشيء فيشتغل بتحقيقه ، فإذا ظهر زيفه استراح .

وماذا يبقى من الوقت للدولة وتشييدها والشريعة وتأييدها ، والجنود وترتيبها ، والأحكام وتقويمها ، والمالية وتنظيمها ، والمعارف وتعميمها ، وعلائق الدول وتوثيقها ، والسياسة وتنسيقها ، والسفن وتعميرها ، والمنافع العامة وتكثيرها ، لايبقى من الوقت سوى مايكفي ليأخذ زيد مكان عمرو ، وينال بكر منزلة خالد .

لقد بالغوا في إشغال السلطان وقلب الحقائق حتى صاروا يقدمون لجلالته في اليوم ماينيف على مائة وخمسين تقريراً كلها كذب وإفك ..

فيا كساد العلم ورواج الجهل ، وياشقاء الحق وسعادة الباطل ، وياخيبة الصادق ونجح المنافق ،





كتاب جديد قديم

ويابكاء الأمين وضحك الخائن ، بعد أن أصبحت دار السلطنة التى كانت عرينا للأسود خلايا تطن فيها زنابير الجواسيس ، وأصبح العالم من شر الجهلاء بدعا على قواعد العلم يكتبها من تأليفه ، وأصبح الجاسوس الذى يظلم العلماء يمشى مرحاً ويختال تكبرا ، وأصبح يصدر عشرات القرارات كل يوم لتفتيش بيت زيد أو استنطاق عمرو أو إبعاد خالد أو سجن بكر ، وأصبحت الأستانة طبقا من الفضة مملوء بالعقارب والأفاعى . !

هذا ماجاء على لسان إبراهيم المويلحى فى كتاب قديم ، نشر على شكل مقالات فى صحيفة المقطم لصاحبها فارس نمر ، تحت عنوان « ماهنا لك . » ، وجمعت هذه المقالات فى كتاب صدر عام ١٨٩٦ ، ولكن سرعان مااختفت نسخه من الأسواق .. والكتاب يتضمن تجربة شاهد عيان يحكى ماشاهده فى البلاط العثمانى فى الأستانة أيام حكم السلطان عبد الحميد ، بعد أن عاش كاتبه فى عاصمة الخلافة بين عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٥ .

وكشف المويلحى الحفيد سر اختفاء الكتاب بقوله : « بعث السلطان عبد الحميد بأمره الى مؤلفه إبراهيم المويلحى يطلب منه إرسال النسخ الى الآستانة ، فخضع إبراهيم لأمر جلالته ، لذا يندر وجوده »

وبالفعل لايوجد من هذا الكتاب رغم أهميته أى نسخة فى دار الكتب ، ويقتنى الباحث أحمد حسين الطماوى نسخة منه قام بتحقيقه ونشره ..

وتظهر خطورة هذا الكتاب وأهميته ، إذا نفذنا الى الخيط الذى يربط مقالاته ، وتجاوزنا عن الخلاف الحاد حول تقويم شخصية السلطان عبد الحميد ، وتناولنا ماجاء من شواهد انهيار الدولة العثمانية ، وهو ماوقع بعد نشر هذا الكتاب بأقل من عقدين من الزمان .

لقد إهتم الغرب طويلاً بأسباب سقوط الدولة الرومانية ، وصدر حولها عشرات الدراسات والأبحاث ، حتى يتجنب السقوط ويحمي حضارته من الأنهيار ، وكان ينبغي أن يشغل الشرق أسباب سقوط أطول دولة في تاريخه وهي الدولة العثمانية .

يقول أحد كبار المؤرخين : إن أكبر معضلات التاريخ قضيتان ، الأولى ، تفسير قيام الدول والامبراطوريات ، والثانية ، تفسير سقوطها . وإذا كان قيام الدول وصعودها قد حظي باهتمام مؤرخيها الذين عاشوا في ظلها ، إلا أن عملية السقوط لم تلق نفس الاهتمام لما في هذا الحديث من أسى ، والسقوط ليس حادثا واحدا ، بل عملية تداع طويلة تمتد إلى عدة أجيال ، وعدم إهتمام المؤرخين بها يخفي الكثير من الدروس والعبر ..

ويقدم المويحلي في كتابه الفصل الأخير من حياة الدولة العثمانية التي امتدت ستة قرون . ويحلو للكثيرين تفسير سقوط الدول الى القوى الخارجية ، متجاهلين أن هذه القوى لاتنفذ إليها الا بعد أن تقضي هي على نفسها من الداخل ، فسقوط روما يعود الى شعب روما ، عندما إنتشر بين افراده الفساد الخلقي ، ونشبت بينهم المنازعات ، وقادته حكومة استبدادية .

ان الفساد الخلقي عجل بانحلال الامبراطورية الرومانية ، عندما فقد أهلها صفات الرجولة التي قامت من بساطة العيش وتحمل المشاق ، وأضعفها بهرج الثروة ، وأصبحت الفئات المسيطرة تنكب على شهواتها وتستسلم للغوايات ، فلا يراعون الآداب العامة وساهم ازدحام المدن بالسكان في إنحطاط الخلق والجمال ، وضاعت الحرية السياسية ..

وتعود الأسباب السياسية لانهيار الامبراطورية الرومانية الى الاستبداد المتزايد الذي قضى على شعور الفرد بحقوقه . مما أضعف قدرته على القيام بأعباء الحكم ، وعندما لم يصبح أمام المواطن الروماني فرصة للتعبير عن آرائه السياسية سوى بالعنف ، فقد اهتمامه بشئون الحكم ، وانهمك في أعماله ومتعه ، ولم يعد أمامه سوى الخلاص الفردي !

هذا عن الامبراطورية الرومانية ..

فماذا عن الدولة العثمانية كما يصورها إبراهيم المويلحي في مشاهداته ؟

يزخر كتاب « ماهنالك » بمظاهر الضعف والوهن الذي ينخر في كيان دولة الخلافة ، في كل مناحي الحياة يبين عللها وأسباب عجزها في مواجهة التحديات الخارجية وفي تحديث مؤسساتها ونظمها ..

وأمام هذا العجز الفاضح ، لجأت الدولة الى أسهل الحلول وأكذبها ، واعتمدت على نظام بوليسي يعد على الناس أنفاسهم ويلتقط كلماتهم ويحلل اعمالهم ، بتصور سدنة هذا النظام ، أنه يقدم أداة طيعة تحمي الدولة من الانهيار ، والحقيقة انه يعجل بانهيارها ، بما يساهم به من إخفاء الحقائق وستر جوانب الخلل ، فيقود إلى الهاوية ، ويسد المسالك للقيام بعمل عام من أجل الانقاذ الوطني ..

يوضح المويلحي ذلك في مقالته عن أعمال دائرة الخفيات ، يقول : « للانسان في الآستانة طريق مختصر ينال الاثراء والعلياء وشهرة العلم في يوم واحد ، بأن يكتب تقريراً ملفقا يتهم فيه الأبرياء الأمناء والصادقين والغافلين فتنهال عليه



الدنانير ، ويطلع فى صدره قمر الوسام بازغا وتخاطبه الدول بألقاب الفضيلة والسعادة ..

فى مجتمع لم يعد فيه من هو فوق الشبهات ، ويتحول الجميع وكأنهم أعداء لساكن قصر يلديز (قصر السلطان) ، ولاحساب ولاعقاب لمن يقدم فرية يثبت التحقيق كذبها ، وتتنافس .. « الخفيات » فى عرض هذه الافتراءات ، فى مجتمع لايتورع الابن فى الدس على أبيه لينال رتبة أو يحقق حظوة ، وهكذا شاع جو من الريب والشكوك ، وتلاحقت الفتن القاتلة فلا تنهض دولة على الأباطيل ، ولاتشيد صروحها على الاكاذيب .

ويرد السلطان عبد الحميد بعد خلعه فى مذكراته أسباب إهتمامه بجهاز الأمن - من مذكرات السلطان عبد الحميد ، تحقيق الدكتور محمد حرب - يقول : « كنت أعلم أن السر عسكر عونى باشا قد أخذ من الانجليز أموالاً ، إن رجلا من رجال الدولة يأخذ مالاً من دولة أخرى لابد وأن يكون قد قدم لها خدمات ، كان حسين عونى يعمل كل مافى وسعه دون أن يطلع أحدا عما ينتويه ، وعندما سافر إلى أوروبا طرق أبواب رجال الحكم هناك ، وخلال سفره إلى فرنسا وانجلترا إرتمى فى أحضان الانجليز ، وأخبرنى سفيرنا فى لندن موسوروس باشا تسلم حسين عونى نقودا من الانجليز ، ان الصدر الأعظم وهو يحكم البلاد باسم السلطان يخون دولته ، لذلك تكدرت وتأثرت ، ومسألة أن قائدا عثمانيا يقبل نقوداً من دولة أجنبية لم يكن عملا يستهان به ، فوقفت طويلاً أمام هذه المسألة ، فلا يمكن لدولة أن تكون آمنة إذا تمكنت الدول الكبرى أن تجند لخدمة أهدافها أشخاصا فى درجة وزير أعظم ، وعلى هذا قررت إنشاء جهاز مخابرات يرتبط بشخصى مباشرة ، وكان ضروريا أن أعرف أن بجوار هؤلاء لابد أن يوجد أشخاص مفترون ، لكنى لم أصدق ولم آخذ أى شىء يأتى من هذا الجهاز دون تحقيق دقيق .. »

ويفسر بعض المؤرخين إنتشار هذه الظاهرة السرطانية ، بالهزائم العسكرية التى اقترنت بالسنتين الأولتين من حكم السلطان ، وأن عبد الحميد رأى بعينيه عمه السلطان عبد العزيز وهو يخلع ثم يقتل ، ووقعت محاولة لخلعه قبل مضى عامين على حكمه ..

ويظل النظام البوليسى محاولة يائسة لمنع الانهيار والأخذ بشكل القوة دون حقيقتها .

ولننظر ماذا كانت نتيجة النظام البوليسى ، ؟ .. قامت الرقابة على المطبوعات ومنعت وصول الحقائق والأفكار للمواطن ، حتى حجبت المعلومات عن المنوط بهم إتخاذ القرارات السياسية ، فتخبطت الدولة فى الظلام ، ويروى المويلحى ، كيف تجمع الكتب وتحرق مثل كتاب فى الفقه تضمن شروط الامامة ، وتلقت الصحف تعليمات بعدم ذكر جمهورية أمريكا واستبدالها بمجتمع أمريكا ، ولم تكن صحيفة تستطيع ان



ابراهيم المويلحي

تكتب ولي عهد روسيا خشية أن يحدث لفظ ولي العهد إنقلابا في السلطنة .!

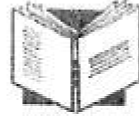
● الأغوات والحريم ●

وهناك نتيجة واحدة للحكم البوليسي . وهو ظهور بطانة السوء وابتعاد الاكفاء من العناصر القديرة .. فالحكومة إذا غلب عليها الجبن وأحاط بها الخوف وتولى الأدنياء أمورها وساس الأغبياء جمهورها وانتشر في جسمها ميكروب التجسس فبشر حكامها بالخراب القريب والدمار الوشيك .

ورأى السلطان أن الكون لايستتب وأن النظام لايحفظ ، وأنه لايأمن على ملكه ونفسه الا اذا قبض بيده القوية على زمام كل الأمور كبيرها وصغيرها ، وطاف حول العرش زمرة مختلفة الأجناس والأنواع من نزاع الأفاق .. رأوا أن أغراضهم لاتنال ومراكزهم لاتحفظ وراحتهم لاتدوم إلا بمضاعفة مخاوف السلطان ، فتشتت أهل الفضائل الذين كانت الدولة تنتفع بهم في حل مشاكلها ، ولم يبق منهم إلا من تغابى أو تجاهل أو افرط في إظهار الجبن حفظا لوظيفته او طمعاً في وظيفة ، واصبح التعيين في وظائف الدولة هو مجرد مزاج سلطاني ، حتي لقد عزل والى الحجاز عبد الحميد باشا عثمان لأن أهل الحجاز أحبوه ..

واصبح الصدر الأعظم لايعلم بتوظيف زيد وعزل عمرو الا بعد وقوعه ، وصار الباب العالى ديواناً للقيد والتسجيل وانحصرت أمور الدولة في رجال المابين (الحاشية وهى تعبير يعنى الحجرة التى لها بابان ، باب الى جهة الحريم وباب الى جهة الخدم) ، فاختلطت الوظائف وتقلدها غير اربابها ، واصبح الشيخ سفيراً ، وطابخ الشاى والبا ، ولاعب التياترو مبعوثا ، حتى أمست الوظائف كخرزات مختلفة الألوان وضعها واضع في جعبة ثم جلجلها ما استطاع وفتحها فانكب عليها شبان القصر يفرقون ماوقع في ايديهم على أصحابهم ، وكانت نتيجة هذا ماتراه من حال الدولة في نصفها الثانى بعد ضياع النصف الأول . !

وتأمرت بطانة السوء لابعاد ذوى الكفاءة .. فمن الياوران الأكارم فؤاد باشا المصرى الذى تفتخر به مصر لعزة نفسه وثبات جأشه وقوة فؤاده وصداقته للسلطان ، إلا أن فضائله رمت به في مشاكل لم يسلم منها ، وضيعت عليه



حلقات الاستنطاق ـ التحقيق ـ فى أمور رمته فيها سذاجة الصادق الأمين ..

بعثه السلطان الى امبراطور النمسا بنيشان فاشترى من فينا سلاحاً أعجبه ليقدمه الى السلطان . فابلغوه ان فؤاد باشا إشترى سلاحاً لقصد سيىء ، فأخذ عند قدومه الى التحقيق ، واتهمه خصومه باكبر من هذا حتى رمى بشرائطه العسكرية أمام السلطان ، كان هذا حال الأمين اذا وجد بين الخائنين ، فى إضاعة الأوقات الضرورية لاصلاح حال الدولة ..

ووصل الأمر الى سقوط الوزارة بعد يوم واحد من تشكيلها لوشاية أو دسيسة ، دخل أبو الهدى على السلطان فى اليوم الثانى من صدارة أحمد وفيق باشا مضطربا ، ويقول : ياأفندينا إن عثمان بك مع الصدر وبعض الوكلاء يكتبون ورقة فى السر بخلع جلالتك بناء على فتوى من عريانى زادة شيخ الاسلام ، فأمر السلطان باحضار عثمان بك تحت حراب البنادق ، وأمر بتفتيشه لاخراج الورقة ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا ، ورغم هذا عزلت الوزارة بعد يوم وليلة من تاليفها . !

● من رجلى إلى يدى ! ●

وأخذ المويلحى يروى الحكايات فى عبارات نافذة عن سيطرة بطانة السوء ، فمثلا ارادت الدولة أن تبعث زكى باشا قائدا على عساكرها فى طرابلس الغرب ، فوقف بين يدى الآغا وقال : يامولاى إن الدولة عينت عبدكم قائداً على عساكرها فى طرابلس الغرب ولى أمنية هى تقبيل يدكم الشريفة .

قال الآغا : متى وصل قدركم أن يتعدى رجلى الى يدى !!

وانقلب الهرم فى الدولة العثمانية ، وأصبح أسافلها فى أعلى الهرم الاجتماعى ، وأصبح عدد المشيرين حول السلطان ستون مشيراً ، ويعلن المويلحى قائلا : ليس فى الدولة البريطانية سوى ستة مشيرين ، والدولة الفرنسية عندها أربعة وبعد حربها مع المانيا لم يخلفهم أحد بعد وفاتهم .

وفى الدولة البوليسية يتوارى القضاء وتهتز مكانته .. فكان على الآباء أن يدعو الله لابنائهم الايحكم عليهم بدعوى ، فالدعوى تصامة الظهور لابطاء الحكم واهمال الفصل فيها أو لمصيبة الحفظ لأوراقها ، وربما ورث الابن دعوى أبيه وجده .

مر عبد الله باشا فكرى فى أحد أسواق الأستانة فوجد رجلا يبيع المناديل ، ووقف يشترى منه وخلال حديثه تبين طيب أصله فسأله عن بلده ، فقال : من بغداد ، كنت من علية قومى فرمانى القضاء والقدر فى البلد لدعوى بينى وبين جماعة من أهل بغداد ، فجئت الى دار الخلافة لأنال عدل الحكومة فبقيت ثلاثا وعشرين سنة ، ودعواى واقفة لايحكم لخصومى فاستريح باليأس ، ولايحكم لى فأحصل على حقوقى ، وبعت جميع ماأملك ، وانتهى بى الحال الى ماترى !

● الرشوة والبذخ ●

وبدلاً من أن تنفق الدولة التى فى

طريقها للانهيار أموالها على حل مشاكلها والخروج من مأزقها ، تعيش حالة من البذخ المدمر وتنتشر فيها الرشوة والفساد ، ولقد فاقت السلطنة العثمانية وهى فى ذروة ضعفها جميع الدول الأوربية فى الأبهة والفخار بأعظم مقتنيات الزينة ، ويصف المويلحى موكب السلطان بأنه ليس مثل قيصر فى موكب انتصاره ولا الاسكندر فى يوم افتخاره ، ففى يوم الجمعة ترد عشرة آلاف من العساكر الى ساحة المسجد أمام باب السراى ، وتصطف صفوف مضاعفة بعضها وراء بعض ، وتتسابق مركبات المشيرين والوزراء والمشايخ والأجانب من السفراء ، ومجلس السفراء فى قاعة الجيب الهمايونى المطلة على تلك الساحة .. أما المراقبة والمحافظة على المسجد ، فترى على كل نافذة من نوافذ المسجد حافظين غليظين يمنعان كل قاصد للنظر ، وعلى سطح المسجد عشرات من العيون والأرصاد ، ولايدخل المسجد مصل إلا فتشه المراقبون تفتيش اللص سرق فص خاتم ، فإذا دخل المسجد دخل وعن يمينه جاسوس وعن شماله آخر ومن خلفه إثنان ..

وفى شهر رمضان ، يفطر السلطان فى سراى طوب كابى ، ويأتى الخدم من سراى يلديز بالأوانى الذهبية المرصعة والموائد الفضية ومايتبعها من أنواع الزخارف والزينة التى لاتوجد عند جميع ملوك الأرض لافطار جلالته ، وأفطر مرة الى جانب المخلفات النبوية التى بقيت ثلاثة عشر قرنا . وماهى بذهب ولابحجر كريم ، انما هى صوف خشن من لباس خاتم المرسلين !

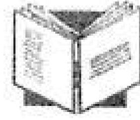


السلطان عبد الحميد

ويحكى عن الفساد الذى ضرب أطنابه فى الدولة ويقول : « يأتى المعزولون من المأمورين الى دار السلطنة ، فيدخلون وعبابهم مملوءة بالمال ورءوسهم بالأحلام يطوفون على بيوت الكبراء والوزراء والكتاب والحجاب ، ويقدمون الهدايا والتحف للناظر والوكيل والكاتب والحاجب والنديم ، وعندما يعودون الى وظائفهم لاترى الرعية منهم الا نموراً تمزق الأعضاء وأسوداً تفرق الأشلاء وأفاعى ناهشات وعقارب قاتلات ، وعرفوا أن لاعقاب على الرشوة ولامؤاخذه فى استعمال القسوة ، ولاجناح على الكاذب ، ولاعيب على الخائن ، ولاصحة على منافق ..

● راسبوتين العثمانى ●

وشاع فى أعلى درجات المجتمع والادارة العثمانية الخرافة بدلاً من العلم ،



وتفسير الأحلام والتنجيم ، ولعل قصة أبو الهدى الصيادى خير دليل ، على نوعية الشيوخ الذين أحاطوا السلطان ، ويروى هذه القصة ابراهيم المويلحى ويكملها الدكتور عبد العزيز الشناوى فى كتابه القيم عن الدولة العثمانية .

قدم الشيخ ابو الهدى الصيادى الى الآستانة من حلب فى آخر حكم السلطان عبد العزيز فى زى أهل الطريق ، وأخذ ينشد الذكر ويضرب على الدف فى احدى التكايا الرفاعية ، وعاد وهو يحمل لقب نقيب الاشراف فى حلب ، ورجع الى الآستانة بعد تولى السلطان عبد الحميد بشهرين ، ورأى السلطان رؤيا ففسرها له الشيخ أبو الهدى تفسيراً راق له ، وبعد أيام أبلغ الشيخ رجال التابين ، انه النبى صلى الله عليه وسلم قد جاءه فى الرؤيا وأبلغه رسالة إلى السلطان عليه أن يبلغها من غير واسطة ، وقيل له إن السلطان لايعرف اللغة العربية وأنت لاتعرف اللغة التركية ولابد من وسيط ، وعاد الشيخ فى اليوم التالى وقال لقد علمنى النبى اللغة التركية ! ، فبحثوا إن كان الشيخ يعرف اللغة التركية وتأكد عدم معرفته بها من قبل ، فدخل على السلطان ، ونال حظوة لديه لم ينلها أحد من قبله ..

وهو بحق راسبوتين الدولة العثمانية ، فإذا كان راسبوتين أحد أسباب سقوط القيصرية فى روسيا فأبو الهدى أحد أسباب سقوط الدولة العثمانية بنفس



عبدالله النديم

الوسائل والأساليب .. فقد كان افاقا دفعته المقادير إلى السلطان ، ماهراً ذكيا ، قادرا على التغلغل فى أعماق النفس البشرية ، ومعرفة مواطن الضعف والقوة فى كل منهم ، استحوذ على السلطان ، ولايطيق أن ينافسه أحد ، وانتزع نقابة الأشراف فى حلب من أسرة عبد الرحمن الكواكبى ، ولم يقف نفوذه عند الأمور الدينية والتكايا بل إمتد الى الأمور السياسية والقصور ، وحمل العديد من الألقاب فهو مستشار السلطان وحامى العثمانيين وسيد العرب وشيخ الشيوخ ، ويقف خلف كل القرارات التى أدت الى سقوط السلطان وانهيار الدولة ..

تعرض لدسائسه جمال الدين الأفغانى ، وعبد الله النديم ، فبعد أن عفا عبد الحميد عن عبد الله النديم وسمح له بالسفر الى استانبول وعينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالى ، استقبله الصيادى بالعداء ، ونازله النديم بلسانه اللاذع وفضح دسائسه وشغفه بوضع تقارير ملفقه للسلطان ، ووضع كتابا إسمه

المسامير » أطلق فيه على أبى الهدى ابا الضلال ، وصور الشيطان فى كتابه مكتئبا حزينا لأنه وجد منافسا له من بنى الانسان هو الصيادى ، ورد الصيادى باستعداء السلطان ومحاولة مصادرة الكتاب ، ولكن النديم استطاع أن يصدره فى مصر ، ورد عليه الصيادى بكتاب سماه « صوت الهزار ونعيق العذار » قال فيه عن مصر : « إنها دار الفاسدين ، ودار الفجور ، وموضع فن غير مستور ، ومقر فضائح تضيق لها الصدور .. » !

وعرف عن « أبو الهدى » عداءه لكل إصلاح وخصومته لكل رجل حر ، ويكفى انه أفتى للسلطان أن اهلاك الثلث فى إصلاح ثلثى الرعية جائز . !!

● اليأس .. اليأس ●

ومن الطبيعى أن تصيب الناس أمام تلك الهزائم ونتيجة هذه الأوضاع جرثومة اليأس التى تفضى إلى موت الأمم والافراد ، وينقل المويلحى عن اسعد باشا سفير الدولة العثمانية فى باريس قوله لأحد الذين يعملون من أجل نصح الدولة وايقاظها بكتاباته وخطبه : « أيها السيد الفاضل أن الله أراد موت هذه الدولة فكيف تقدر على إحيائها .. »

● ● بقيت كلمة أخيرة تتناول الشاهد وشهادته ، لقد كان إبراهيم المويلحى من أهم كتاب النثر الأدبى فى نهاية القرن التاسع عشر ، وعاش مرحلة كثرت فيها الحوادث والخطوب ، وشهد التدخل الاجنبى من خلال صندوق الدين ، وخلع الخديو اسماعيل وقيام الثورة العرابية وأخيراً الاحتلال الانجليزى لمصر ..

وكان قريبا من هذه الأحداث ، وعمل سكرتيرا للخديو اسماعيل خلال وجوده فى نابولى ، يحرر رسائله ويعلم أولاده ..

ومن العسير أن تجد أحد الكتاب فى المسائل السياسية فى هذه الحقبة ، يثبت على موقف واحد ، فنلاحظ انتقال المويلحى بين المعارضة والتأييد للسلطان عبد الحميد ، ولعله كان متأثرا لبعض الوقت بالفرمان السلطانى بخلع الخديو بأمر الدول الكبرى ، فهاجم السلطان ودولته فى الصحف التى أصدرها فى اوروبا مثل صحيفة الخلافة عام ١٨٧٩ ، وصحيفة الاتحاد ، ثم عاد وأصدر جريدة « عين زبيدة » يدافع فيها عن السلطان والدولة العثمانية ، ويهاجم الانجليز ، ثم إنضم الى جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فى تحرير العروة الوثقى فى باريس ..

ووصل الى استانبول عام ١٨٨٥ ، وعينه السلطان فى « انجمن المعارف » وبقى بها عشر سنوات ، ثم عاد الى مصر وأصدر صحيفة « مصباح الشرق » عام ١٨٩٨ يدافع خلالها عن الدولة العثمانية ..

وأخيرا نشر هذه السلسلة من المقالات عن الدولة العثمانية فى صحيفة المقطم الموالية للانجليز .. فهل كانت المقطم مجرد منبرا يعبر فيه عن آرائه ، أم كانت هذه الكتابات جزءاً من حملة منظمة على الدولة العثمانية فى مصر .. ؟

والأرجح .. أنه كان مدافعاً صادقا عن الدولة العثمانية ، مثل كل أبناء جيله ، فكانت بالنسبة اليهم رمز وحدة الشرق وحاميه ، تعلق بالاحلام طويلاً بأن تخرج من مأزقها وأن تصحح أخطاءها ، وأن تتمكن من الانتصار على أعدائها .. وخذلته وأحبطته ..

وكان هذا الكتاب .

الجدران الأخرى
سياسات عملية السلام العربي - الإسرائيلي

بقلم : تحسين بشير

هذا عنوان الكتاب الذى نشره اخيرا هارولدسوندرز الزميل المقيم بمعهد امريكا انترابيز الامريكى للشئون العامة والذى عمل لفترة طويلة فى وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى الامريكى فى مجال الشرق الأوسط ولعب بذلك دورا هاما فى إدارة وصناعة القرار الأمريكى في كثير من مشاكل المنطقة وعلى وجه خاص فى النزاع العربى الأسرائيلى وقد شارك مستر سوندرز فى محادثات كيسنجر ومحادثات كامب ديفيد وعين فى عام ١٩٧٨ مساعدا لوزير الخارجية الامريكى لشئون الشرق الأوسط وجنوب اسيا .

وقد عكف منذ أعتزاله فى عام ١٩٨١ عند مجىء الرئيس ريجان للحكم فى البحث والتحليل فى مشكلة الشرق الأوسط وكيفية إيجاد الاطار المقبول للمفاوضات ودراسة العوامل المؤثرة عليها وأنماط التفاعل والتداخل بين العوامل الكثيرة ـ داخلية كانت أو خارجية ـ التى تلعب دورا أو تطرح تغيرا على شبكة التوازنات التى تعزز التغيرات والثوابت فى هذه المشكلة المعقدة .

وهو يعرض مختلف المفاهيم التى يطرحها كل جانب محللا المعنى العلمى والمغزى الحقيقى لما يستخدم من الفاظ فالكل مثلا يستخدم لفظ السلام ولكن لكل طرف معانى مختلفة لما يعنيه بالسلام . بل أن هذه المعانى تطرأ عليها التغيرات حسب تغيرات رؤيا هذا الطرف أو ذاك لمصالحه أو تقديره لما جد من تغيير .

ماهى « عملية السلام » ؟ لفظان ليس لهما تعريف محدد لافى ادبيات علم السياسة أو فى علم العلاقات الدولية ، لان هذا المصطلح قدسك فى أعوام ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ليناسب تطورات المفاوضات القائمة بين مصر





وإسرائيل وبقية الدول العربية التى استلزمت اطارا واسعا يشمل البعد الزمنى غير المحدد لعملية المفاوضات وكذلك الاطراف المختلفة مثل سوريا والاردن والتى دخلت فى عملية التفاوض والدول العربية الاخرى وخاصة البترولية التى تمسك بزمام مادة استراتيجية ذات تاثير هام على المستهلك الامريكى وحال السياسة الامريكية اخذ ينمو ويتحدد بحيث يشمل العوامل الداخلية والسياسية لكل طرف وكذلك التفاعل بين الاطراف والاطار الدولى المتغير الذى تتم فيه هذه التفاعلات .

ومن الأسئلة الهامة التى يطرحها هو لماذا يجب أن يهتم الرئيس الأمريكى بايجاد حل لهذه المشكلة . ويعتقد سوندرز بأن الضغط المستمر للتحرك نحو تسوية سلمية مؤمنة ومضمونة يخدم مصالح الولايات المتحدة فى دورها العالمى والاقليمى فى الشرق الأوسط وهو يرى بأن عملية السلام النشطة تعتبر البديل الايجابى للتطرف والراديكالية فى البحث عن حلول أخرى وهذا الرأى من جانبه لايشاطره فيه عدد من الخبراء الذين يعتقدون بأن البحث عن حل لهذه المشكلة هو اضاعة لجهد الرئيس الأمريكى وسمعته ودفعه الى موقف سياسى لايحقق فيه مكسبا أو ربحا سياسيا .

وعلى عكس الخبراء المتشائمين يرى مستر سوندرز ان هناك ارضية مشتركة لعملية السلام الآن أقوى من الأرضية التى كانت قائمة عام ١٩٧٣ وهو ينوه بالدور المصرى الذى يرتبط بالسلام كمبدأ أو هدف ولكن مصر تشترط ان تكون طبيعة السلام والتطبيع مرتبطة بالطريقة التى تتعامل بها اسرائيل مع الفلسطينيين وغيرهم من جيرانها العرب وهو

الجدران الأخرى

يرى تقدما محدودا وغير كاف فى مقررات مؤتمر ١٩٨٢ ..

والكتاب لايعرض معادلة أو مقترحا أو تصورا يشكل الحل النهائى ولو بصورة عامة مثلما قدم تقرير معهد بروكينجز لعام ١٩٧٥ ولكنه يطرح مدخلا لفهم وتحليل المناخ السياسى وكيفية التأثير عليه والتركيز على خطوات محدودة ومركزه للمرحلة القادمة من عملية السلام . فالكاتب يهتم بالمدخل والأطار والأسلوب اكثر من اهتمامه بالنتائج التى يتركها تتشكل وتنتج من خلال التفاعل الذى يطلق عليه عملية السلام .

وهو يركز على إيجاد البؤرة الصالحة للتركيز عليها محاولا ان يحترم حساسية كل طرف للنقاط الهامة بالنسبة لكل طرف كما يتصورها هذا الطرف ويحاول ان يجد أرضية مشتركة يمكن التحرك عليها رغم وجود ارضيات تختلف حولها الاطراف بشدة واندفاع .

وهو يؤكد ان الوقت مجرد مرور الوقت يخلق حقائق جديدة وان عنصر الزمن هو بعد هام فى هذه المشكلة .

وهو يحلل الموقف الفلسطينى والاردنى ويطالب بصوت سوريا لان استبعاد سوريا يعرقل من عملية السلام ويحبطها وهو يرى صعوبة تكوين وفد ثلاثى اردنى فلسطينى سورى للتفاوض ويقترح بديلا عن ذلك لجنة عربية للتنسيق . كما يبحث عن مقترحات رمزية لتأكيد الشرعية الدولية للمفاوضات مثل حضور سكرتير عام الامم المتحدة او ممثلين من مجلس الأمن لتوفير هذا المطلب العربى .

وهو يرى ان مصلحة السلام تتطلب ان تتبوأ مصر مركزها القيادى فى العالم العربى وفى عملية السلام . ويرى أن مساعدة مصر فى حلها لمشاكلها الاقتصادية عنصر هام فى تقوية السلام ويمكن الدعم الاقتصادى ولكن على الولايات المتحدة ان تعلم ان تقدم عملية السلام واشتراك الفلسطينيين والاردنيين فيها يقوى مركز مصر وقدرتها على الأستمرار فى دعم السلام وخلق وتطوير علاقات طبيعية مع أسرائيل .

ويعرض الكاتب لدور الدول العظمى ويناقش مختلف النصائح والمقولات التى تتردد بين السياسيين والمحللين ويطرح نقاطا كثيرة لتشجيع الاطار السياسى والنفسى لعملية التفاوض واهمية ان تكتسب العملية عنصر الأهمية العاجلة والمتصاعدة لخلق الضغط المناسب لبلورة القوى اللازمة لتأكيد العملية وتقويتها امام القوى التى تعوق مسارها .

وهو يرى ان السؤال السياسى الهام ليس فى امكانية قبول الطرف الاخر للحل المقترح بل فى الخطوات التى يقوم كل طرف ليسهل للطرف الأخر قبول الحل وهو يرى ان المناخ المناسب قادر على جعل مايبدو اليوم غير ممكن يتحول فى اطار مناخ سياسى مناسب الى حل يلقى القبول .

ان الكاتب اعد كتابا يصلح لهؤلاء الذين يقومون بمهمة المفاوضات وأسلوبها وهؤلاء الذين يتابعون بتحليل تطوراتها وهو بذلك يشذب أدوات المفاوضة ويحلل تفاعلاتها مقدما . دليلا نافعا للمفاوضين فى امور النزاع العربى الاسرائيلى وتاركا لعملية المفاوضة مهمة انتاج الحل المقبول من الاطراف .

وهو يبتعد بالمدخل الذى اختاره عن الخوض فى المواقف القانونية للأطراف ملتزما بأسلوب برجماتى عملى للبحث عن الممكن والعمل على التأثير على الظروف المتغيرة لتوسيع وتقوية وتأهيل الارضية المشتركة .



هنري كيسنجر

والكتاب بذلك لايعرض حلا ولاتصورا لحل شامل للقضية الرئيسية وروافدها وانما يقدم دليلا لمساعدة الاطراف المختلفة على الخوض في عملية السلام .

وهو يعتقد ان هذه العملية هي خير بديل عن الاختيارات الأخرى سواء كانت الاختيار التصادمي عن طريق الصراع العسكري أو اساليب الصدام المتنوعة كما هي افضل من الاختيار الآخر وهو عملية التعليق لأجل غير مسمى .

وفي رأيي أن للكتاب معطيات ايجابية في مجال وسائل واسلوب المفاوضة ، اى في المجال الفني الضيق لعملية السلام بشكلها العام والذي تتفاعل فيه موازين القوى والعناصر القيادية والمحركات الاقتصادية والنفسية ودور الدول العظمى والوسيطة والاستفادة البناءة من الفرص المتاحة . فهي مجال اوسع يتطلب منا فهما اعمق واشمل بحقيقة المتغيرات الدولية والاقليمية في منطقتنا ووسائل تحريكها واسلوب دفعها لتحقيق سلام شامل دائم .

وفي اطار المنظور المحدود الذي اختاره الكاتب لمعالجته يستفيد القاريء من خبرة مستر سوندرز ويكتسب بقراءة الكتاب فهما لعقلية القائمين على السياسة الامريكية واسلوب تناولهم للقضايا المصيرية التي يشكل عنصرا محوريا في واقعنا السياسي

وفي ختام هذه العجالة السريعة لهذا الكتاب اذكر الأيام الأولى لشهر سبتمبر ١٩٧٥ وكان وزير الخارجية المصرية حينذاك السيد اسماعيل فهمي قد ابقى تفاصيل اتفاق فك الارتباط الثاني سرا مفضلا ان يذكر بعض الجوانب الايجابية ومبقيا الجوانب الاخرى التي كان يتوقع اعتراضي عليها في طي الكتمان . وجاء هارولدسوندرز في دورة المفاوضات واطلعني على تفاصيل الاتفاق في اطار مناقشة بيننا وكان وقع هذه التفاصيل شديدا على نفسي وقلت له كيف تضعون مصر في تقديم ثمن باهظ في سبيل الحصول على تقدم ضئيل ومن ضمن للعرب الحصول على الأرض المحتلة بهذا الاسلوب التفاوضي فاجاب بان الحل يتوقف عند قوة دفع السلام ... ومرت الايام بل الاعوام ولازلت انتظر قوة دفع السلام وقدرتها على تحريك الاحتلال الاسرائيلي من الضفة والقطاع . ان فن المفاوضة واسلوب التفاوض هو احد وسائل التحرك السياسي ولكن لايمثل الا عنصرا من عناصر كثيرة تشكل مسرح الوضع السياسي المواتي لانتاج حلول مقبولة .

يقيني ان مهمة تحقيق السلام العادل تتطلب جهودا صامتة ومبدعة تجمع بين الرؤيا الثابتة والتحرك السريع والتاييد الشعبي والتاثير على الاطراف الاخرى والمناورة وخلق الظروف المواتية وهي تحتاج كذلك الى العمل الدائم الدائب لبناء قوى المجتمع الخلاقة . التي تمثل عصر الأمن والامان وفي نهاية المطاف تمثل القاعدة الصلبة للسلام العادل .

متابعات أدبية



بقلم : يوسف القعيد

الشعراء كثيرون
ولكن ..
ماقل الشعر

●● اختار وزير الثقافة والاعلام العراقي ، لطيف نصيف جاسم الدليمي ، ان يتكلم في نهاية المربد ، بعد ان يستمع أولا لمن جاءوا الى المهرجان ، وفي كلمته الاخيرة ، قرر الوزير أن يصبح المربد مهرجانا سنويا بدلا من إقامته كل عامين ، وان تخصص له قناة ارسال تليفزيونية وإذاعة خاصة به .

ويبدو ان الوزير اراد ان يمسك بالمثقفين العرب من أحلامهم ، فوقف أمام الحلم المستحيل وقال : إن المهرجان سيصبح منطقة حرة للجميع .

هذا الكلام الكبير يفرض علينا ضرورة الكتابة ، ولن تكون الكتابة هي السطور المتوقعة ، بل هي الكلمات الاخرى ، التي قالها المثقفون طوال المهرجان ولكنهم عند العودة الى بلادهم سبحوا في بحار الازدواجية الخالدة ، وقرروا ان مافعلوه وماقالوه هو امر ولكن مايكتب في مثل هذه المناسبات يجب ان يصبح امرا أخر تماما ، يصل إلى حد النقيض في بعض الأحيان .

وعندما اكتب هذه الكلمات لااحب ان أبدو مثل عواجيز الفرح ، والمهرجان كان فرحا فعلا ، ألف مثقف عربي منهم حوالي ٦٥٠ من ابناء العراق ، والباقون من ابناء الأمة العربية ، وبعض المستشرقين .

ومجرد ان يلتقي هذا العدد من مكان واحد في بغداد وان يسافر جنوبا حتى البصرة ، حيث مكان المربد الأول في التاريخ ، وحيث السياب أحد الحقائق المؤكدة في تاريخنا الشعري كله ، وان يسافر شمالا حتى أم الربيعين ، الموصل الجميلة فهذا أمر طيب

ولكن يبقى ان المربد مهرجان شعري وأي مهرجان شعري له أضلاع ثلاثة اساسية هي : الشعراء ، والنقاد والجمهور ، والمحك الاساسي لأى نجاح


بدر شاكر السياب


محمود درويش

يبقى فى لقاء هذه الاطراف الثلاثة واحتكاكها وتفاعلها . تخرج منه الشرارة العظيمة التى هى الفائدة المرجوة من مثل هذه المهرجانات .

الذى حدث هو انه لا النقاد استمعوا الى الشعراء ولا الشعراء استفادوا من النقد . ففى وقت واحد كانت تعقد جلسة شعرية وجلسة نقدية فى مكانين مختلفين . مع انه كان يمكن العثور على صيغة لقاء مابين الطرفين .

الجمهور لم يتمكن من حضور جلسات النقد التى بدت اكاديمية ونظرية ، وان كان قد تفاعل بصورة جيدة مع الشعر فهو تفاعل يتم عبر التليفزيون الذى نقل مشكورا كل ماجرى فى المهرجان شعرا ونقدا . وان كان تفاعل التليفزيون غير اللقاء الحى والمباشر .

المفروض ان المربد مهرجان شعرى . ولكن الشعراء عوملوا فيه إعلاميا بمنطق النجوم والكواكب على الطريقة الغربية من صناعة النجوم . إفتتاح المهرجان كان مخصصا لنزار قبانى وسعاد الصباح . ومنتصفه ـ ولكن بصورة خافتة واقل ـ لأحمد عبد المعطى حجازى . ومحمود درويش الذى قرر ان يحضر فى الختام فقط . إيمانا بقاعدة ان الختام مسك . فقفز نزار قبانى وقرر ان يشاركه لحظة نجومية الختام . والقى شعرا قال عنه انه جديد . ذلك انه يؤمن ان من يتحدث اخيرا يبقى فى الذهن دائما .

وهذه امور طبيعية . ولكن الغريب ان يحدث هذا فى مهرجان ثقافى . حضوره الف من مبدعي الكلمة وجمهوره الملايين من متذوقى الشعر .

اما الشعر نفسه . فقد تاه فى دروب الصفقات الشعرية . وتحول الى نوع من القص الشعرى ومعظمه يسكن فى خانة شعر المناسبات الذى لايبقى منه ـ بعد ان تمضى المناسبة كثيرا او قليل . وحتى الشعر الذى لم يتناول المناسبة بشكل مباشر بدا وكانه قد قيل من قبل .

فلا المعانى جديده ولا التناول فيه توهج الشعراء .. والظاهرة الغريبة ان كثيرا من الشعراء قال شعرا منشورا من قبل . بحجه انه ليس لديه جديد كما ان كثرة القصائد والشعراء جعلت القدرة على التلقى تتوقف من منتصف الجلسة الشعرية .

وفى اطار ماقيل من الشعر ، فإن التقليدي منه كان سيد الموقف . والجديد

متابعات أدبية

كان اقل بصورة لافتة للنظر .

المربد مهرجان تقيمه العراق الذى تدخل حربه مع ايران شهرها الرابع والستون هذه الايام . وهذا معناه ان العراق الذى يواجه ظروفا اقتصادية بالغة الصعوبة عليه ان يدقق كثيراً في فكرة المهرجانات . والمسئولون عن المربد هم : عبد الأمير معله الشاعر الروائى ووكيل وزارة الثقافة والاعلام . وحميد سعيد الشاعر ورئيس تحرير جريدة الثورة . وعبد الرزاق عبد الواحد الشاعر المعروف ولابد وان نضم معهم الدكتور محسن جاسم الموسوى . رئيس تحرير مجلة آفاق عربية والوجه الجديد للثقافة العراقية . والمسئولية عليهم كبيرة والعبء غير عاد . ومطلوب منهم الآن الاجابة على عدد من الاسئلة الهامة :

● هل من صالح المهرجان ان يقام كل سنة بدلا من عامين ؟ وفى هذه الحالة كيف ينظم بحيث يخرج من دائرة التكرار الممل احيانا ..

● كيف يلتقى قولا وفعلا الثلاث : الشاعر والناقد والانسان العادى .. فى لحظة شعرية نادرة .

لامفر من الخروج من فكرة الشاعر النجم الأوحد الى الشاعر صاحب الموهبة الشعرية اولا واخيرا ..

ايهما اجدى للثقافة والسياسة معا . ان يكون المهرجان مظاهرة سياسية دون محتوى ثقافى . أم ان يكون لحظة إبداع ثقافى تطرح هما سياسيا . ؟ !

اننى اكتب هذا لاننى أحب العراق الارض والناس والتجربة والجنود والثقافة اكثر من الذين عادوا لكى يقولوا كل شىء تمام والمؤتمر كان 'عظم إنجاز فى النصف قرن الأخير ..

فالهدف الاساسى هو ان يكون المهرجان القادم افضل من الذى عدنا منه منذ ايام .

حضر المصريون ولكن .. غابت مصر .

● ● كان من مسلمات المربد أن الوفد المصرى هو اكبر الوفود فى المهرجان . وقد تحدث حالة من الطرب عند سماع هذه الكلمات . ولكن بعد السكرة تاتى الافكار دائما . فالذين سافروا من مصر لم يكونوا وفدا بأى معنى من المعانى . كانوا مجموعة من الشعراء والكتاب والمفكرين والصحفيين . تم اختيارهم على الناس فردى وبصفتهم الشخصية . وكانوا يعانون حالة من عدم التجانس . لدرجة انهم تحولوا الى مجموعات لايربط بينها سوى المكان الذى يقيمون فيه .

ولنتحدث حتى بالصراحة التى تغضب الاخرين ليس احيانا ولكن فى كل الاوقات فمسالة الحضور المكثف للمصريين وعملية التغييب التى جرت لمصر تتمثل فى حالات من الغمز واللمز من احد الذين قالوا أن الشعر مات فى مصر ولانه قال هذه الجملة بهدف ان يخلق موضوعا للرد

عليه اساسا وانه يهدف الى دفع عشرات من المصريين الذين كانوا في المهرجان لكي يكتبوا مقالات حول حال الشعر في مصر . فإنه يمكن ان نقول الكثير عن شعر الامة العربية في احضان مصر دون ان يكون ذلك ردا على احد .

لامفر من اقول ماهمس به الكل لنفسه وللآخرين في الغرف المغلقة . ثم عندما قرروا الكتابة بلعوا الاحرف في بطونهم وكتبوا كلاما اخر . يوجد الآن في الوطن العربي حالة من السعار اسمها : وراثة الدور المصري . منذ ست سنوات وهناك من يتصور ان عربة العقل المصري اصبحت فارغة ولابد من ان يكون هناك من يملؤها . وملء العربة تحول الى حالة من الجنون . في بعض الاحيان . وهذا الجنون عبر عن نفسه باكثر من صورة واكثر من شكل . مرة باهالة التراب على وجه مصر الثقافي . واخرى تريد اطلاق النار على الواقع الثقافي في مصر وثالثة بتجاهل الانجاز المصري في اي ميدان ثقافي .

وقد شعرت بأن هناك محاولة لتغييب الحجم المصري في المربد السادس .. قد يقال إن هناك ٨٠ مصريا جاءوا .. وإنهم ثلث من حضر من العالم العربي .. ولكن حضور الأشخاص - مع احترامي التام لهم - لايعني حضور الابداع . لست شوفينيا والحلم القومي العربي هو الثابت الوحيد في خيالي وماأكثر المتغيرات ، ولكني عدت وفي ذهني سؤال حزين : من



احمد عبد المعطي حجازي

المستفيد من تحويل مصر الى هذا الغائب الحاضر بهذه الصورة ؟!

يمكن ان يرد على بعضهم بأن مصر لم تنس وكانت في البال والخاطر وهذا صحيح تماما لمن يتعامل مع سطوح الاشياء ولكن من يحاول النفاذ إلى ماتحت السطح . واه من عذاب هذه المحاولة . سيدرك ان ثمة خيوط غير مرئية . واموراً في الذهن تحدد الحضور الشعري والنقدي المصري . وربما حدث هذا بحسن النوايا . والنيات علمها عند الله . ولكن تدارك الامر ضرورة هامة في المربد القادم .

اكتب هذه الكلمات في اوراق المنطقة الحرة التي قررها وزير الاعلام العراقي نفسه واكتب هذه الكلمات لكي اقول - الى اللقاء في المربد السابع ..

من الأقاليم المنصورة

عاطف مصطفى

لطفي السيد

الفلاح الذى نادى بمصر للمصريين

تحتفل المنصورة بذكرى ميلاد أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد في ١٥ يناير الحالي . وهو تقليد طيب لتكريم أبنائها من الأدباء والفنانين . الذين لعبوا دورا هاما في الفكر المصرى المعاصر . وأسهموا بجهودهم في كل الميادين منذ بداية القرن العشرين .

وقد بدا قصر ثقافة مدينة المنصورة عاصمة الدقهلية هذا التقليد منذ فترة قريبة . وكان آخرها الاحتفال بميلاد الشاعر على محمود طه في منتصف الشهر الماضى ، وحضره صفوة من أدباء المنصورة حيث ألقيت قصائد الشعر ، وتبارى الحاضرون في الحديث عن دور الشاعر في إثراء الحياة الأدبية من خلال شعره الرصين .

وأحمد لطفي السيد ولد في قرية « برقين » من أعمال مدينة السنبلاوين بالدقهلية ، وظهر نبوغه منذ نعومة أظفاره ، ولم يأبه بالجاه والغنى الذى كانت تحياه أسرته . بعدما شاهد المعاناة التى يحياها المصريون في ظل الاستعمار والاستبداد . وحرص على أن يعيد للمصرى كرامته وعزته ، ولذلك فقد ظل طوال حياته يحرص على إثبات أن مصر برجالها وبأبنائها أعز وأعظم شعوب الأرض قاطبة ، بل إنه أول من نادى بشعار « مصر للمصريين » كما كان اول من نادى بالديمقراطية في الوطن العربى .

وهو أستاذ الجيل بغير منازع ، فلم يختلف على أستاذيته لجيله وللجيل الذى لحق بجيله إنسان . وامتدت أستاذيته عبر تلاميذه إلى جيلنا ، ممن رأوه ولم يستمعوا إليه ، إلا من واتتهم الفرص على قلتها للاتصال به والاستماع إليه .

عاش أكثر من تسعين عاما ، وما كان في حياته على طولها إلا كل عمل جليل ، فكان موظفا نابها ، ووصل في سلك الوظيفة إلى أعلى مراتبها . وشارك في الأعمال العامة ، وكان من الرعيل الأول في كل عمل قومى أو سياسى أو وطنى .. فكان من مؤسسى الوفد المصرى عام ١٩١٩ ، وكان مديرا للجامعة ومن مؤسسيها ، ووزيرا وعضوا بمجلس الشيوخ ، ومفاوضا في وفد المفاوضات المصرى مع الانجليز ، وكان في كل هذا شخصية متميزة لها دورها التاريخى الذى يذكر به ،



احمد لطفى السيد

كما يذكر به غيره من النابهين الذين شاركوه ، أو شاركوا مثله فى تلك الاعمال العامة ، ولكنه لم يخلد بهذا كله ، وإنما خلد لأنه كان صاحب فكرة تمثلت مايحتاج إليه جيله ، فكان لطفى السيد ـ بحق ـ الناطق الحقيقى بلسان عصره .

● مصر للمصريين ●

وكان احمد لطفى السيد رجلا فى امة ، وامة فى رجل ، أو هكذا وصفه الرسميون حينما أهدته الدولة جائزتها التقديرية ، فقد كان أمة وحده حين أخذ يعرف المصريين بأنفسهم ، ويفتح لهم أفاقا من الفكر ويدلهم على معان جديدة للحياة ، غابت عنهم حين وقف بهم الجمود عن التطور ، ووقف بهم الجهل عن الارتقاء والتمدن .

وقد عاش أخصب فترة فى تاريخ مصر الحديث .. حيث نشأ فى ثورة ، وختم حياته فى ثورة ، وشغل فكره أثناء الحرب العالمية الأولى بمستقبل مصر بعد الحرب ، وما ينبغى أن تحصل عليه ، خاصة وأن الانجليز سخروا طاقات الشعب بهذه الحرب المدمرة ! .

وكان نداء « مصر للمصريين » مهما حتى فسره لطفى السيد ، وكشف عن معناه ، كما انصف أحمد عرابى يوم وفاته ، ولم يأبه بما يمكن أن يحدث له ، حيث كان الخوف من تهمة العرابية مازال قابعا فى الأذهان فى تلك الحقبة .

لم يضع أحمد لطفى السيد مؤلفات كثيرة ، فمعظم كتبه عبارة عن مقالات فى الجريدة ، واحاديثه بعد أن نفض يده من العمل الصحفى ، وقد تولى جمعها ونشرها بعد ذلك « إسماعيل مظهر » فنشر الجزء الاول من المنتخبات عام ١٩٢٧ ، ثم الجزء الثانى فى عام ١٩٤٥ ، ونشر فى عام ١٩٤٦ « تأملات فى الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع .. » وفى العام نفسه نشر « صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر » وفى عام ١٩٦٢ نشر كتاب الهلال مجموعة من الأحاديث ، رواها لطفى السيد للأستاذ طاهر الطناحى تحت عنوان « قصة حياتى » وفيما عدا ذلك ترجماته للفيلسوف الاغريقى « أرسطو » وفى كتاب « الطبيعة » و « الكون والفساد » و « الأخلاق » .

* * *

وإذا كان احتفال المنصورة بواحد من ابنائها ، وعلم من أعلام مصر فينبغى أن يكون التكريم الأول له فى أن تحظى مكتبته الخاصة التى اهداها لمكتبة المنصورة ، وكذلك مقتنياته الشخصية بوضعها فى متحف خاص به ، أو فى مكان يليق بها ، بدلا من وضعها بهذه الصورة التى تجعلنا نأسف على ما يحظى به أعلامنا من جحود ! .

أدباء تصرعهم المخدرات

بقلم : د. محمد رجب البيومي

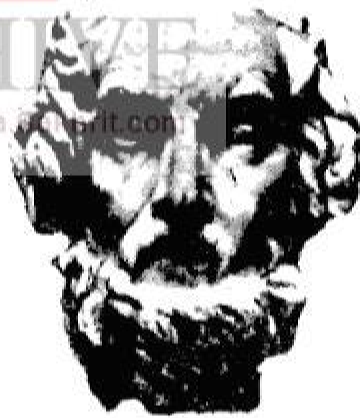
ليست هذه هي المرة الاولى التي يدهم مصر فيها وباء المخدرات ، فمنذ عهد الدولة الاخشيدية حين كانت زراعة الحشيش مباحة في الدولة ، ومصر تتعرض لهذا البلاء على فترات متباعدة ، وقارىء المقريزي يقف على سلسلة من ضروب الكفاح المستمر لهذه السموم القاتلة ، وليس من همنا الآن ان نجلو صفحة من تاريخ هذا النضال الشاق وانما نمهد به لنذكر ان ماتعانيه البلاد الآن هو اشد ضروب المعاناة في تاريخها الطويل ، اذ اصبحت هذه السموم في هذا العهد قريبة من ايدي النشء الصغير ، وهذا مالم يحدث من قبل ، اذ كان تعاطي هذه البلايا مقصورا على الكبار وحدهم ، فتدفق المال في ايدي الجهلة جعلهم يسعون في منح التلاميذ من ابنائهم مايفيض عن حاجتهم ، فيفتح امامهم باب الشر ، وهكذا وجدت المخدرات ميادين كثيرة للفتك بالارواح فتكا بطيئا عن طريق الادمان ، بل هكذا ساعد الجهلة من الاباء على انتشار هذا الداء ، بالاتجار في السم القاتل تارة ، وبتهيئة الظروف لادمان ابنائهم ، وتحطيم قواهم في عمر الزهر ! ولا ننكر ان الحشد الضخم من الافلام الهابطة ، الداعية عمليا لانتشار هذه السموم قد جعل الفن السينمائي مسئولا عن انحداره الشائن مهما اختلقت بواعث التبرير لهذا الالحاح المتواصل في عرض المشاهد المنكرة دون حياء ! ومن المؤسف ان نفرا من كبار الفنانين شرقا وغربا وقديما وحديثا قد تورطوا في الادمان القاتل ، ومنهم من ادرك سوء مصيره ، وتحدث عن مأساته بما يقدم العبرة الناصحة ، والموعظة الامينة ، وسنختار من ادباء الغرب بعض من كتبوا عن ادمانهم المزمن ، فهم بتجربتهم الصحيحة القدر على الصدق في وصف الداء اذ ينقلون عن انفسهم دون افتعال .

الذين قرءوا الياذة الشاعر الاغريقي الكبير هوميروس يعرفون انه ذكر بها نبات الافيون ،

وهوميروس لسان الشعب اليوناني يتحدث عن أهوائه بما يبرز خفاياه ، وكذلك عرف ابوقراط اله الطب اليوناني اثر هذه المادة في التخدير ، فاوصى بها في العلاجين الجسمي والنفسي ، اذ رآها تخـدر الداء تارة وتذهل المريض عن مواجهة الاليمة تارة أخرى ، وطبيعي ان ينقل الرومان عن اليونان مالديهم من شر وخير ، اذ جعل اطباؤهم الافيون مصدر راحة للمريض ولعلهم كانوا معذورين بعض الشيء اذ لم يجدوا من وسائل التخدير سواه ، وقد قيل ان طبيب الامبراطور نيرون ، وهـو « اندروماكلوس » كان يحرص على وصـفه لنيرون حين تهيج انفعالاته ، ولعل جنونه المتقطع كان من بواعث هذا الادمان ، وقد غلبت الخمرة على الافيون في احقاب تالية اذ آثرها الاطباء في التخدير على ماسواها ، حتى جاء القرن الثامن عشر فعادت السـيطرة للافيون ، واتسـع الامد لدراسته علميا على وجه مقارب ، وفي مدى مائة عام تجلى للاطباء خطره الداهم ، فاصدر الطبيب الفرنسي مورودي تور سنة ١٨٤٥ كتابه « الحشيش والجنون » وهو خلاصة تجربة اليمة شاهدها المؤلف لدى مرضاه الكثيرين ، اذ كان مديرا لمستشفى الامراض العقلية بباريس ، فادرك ان اكثر مرضاه من صرعى الافيون ، وقد جازف بنفسه حين تناوله ليدرك اثره الجسمي والنفسي ، وهي مجازفة دفعته الى شن حرب قاسية عليه اعلنها في كتابه المشـار اليه ، وحق له أن يؤلف مستنكرا ، اذ انتشر الافيون في فرنسا وانجلترا لعهده على نحو مزعج ، وقد وقع في براثنه اعـلام من رجال الادب منهم توماس دي كنسي ، وشارل بودلير ، وتيوفيل جويتيه ، وكلهم قد عاش في القرن التاسع عشر ، وله في الحديث عن المخدرات كلام ذائع نشير الى بعضه الآن .

توماس دي كنسي

اصدر توماس دي كنسي كتابه « اعترافات آكل الافيون » ليبرر لنفسه وللناس عكوفه على الادمان القاتل ، فقد احس احساسا قويا باثر المخدر في انهاك جسمه ، وتدهوره الى الهاوية في عجلة سريعة ، كما احس بنظرات اللوم ، وعبارات التهكم من عارفيه ، فاراد ان يجعل من اعترافاته وسيلة مسترحمة للدفاع عن مذنب يلمس آثار جريمته في كيانه الذاتي قبل أن يلمسها في نقد السـاخر ، وتهكم الشامت ، لذلك نجده يسرف في الحديث عن لذة الافيون ضعف مايتحدث عن عواقبه الوخيمة ، وهو انسياق لا شعوري الى التبرير اكثر منه اعترافا بفداحة المصاب ، وقد بدأ اعترافاته ليقول للقارئ انه لا محالة سيسائل نفسـه : كيف يستسلم العاقل لسلطان هذه العادة مع مافيها من شقاء وتعس للنوع الانسـاني ، وكيف يلقي بنفسه طائعا مختارا في هاويتها حتى تثقله باوزار ليس للخلاص منها سبيل ؟ وفي الاجابة عن هـذا التساؤل اخذ الكاتب يسهب في تعداد مآسيه التي واجهته في مطلع شبابه ، وكيف التمر به الاوصياء حتى حرموه ماله ، واضطروه الى التشرد ، ومن خلال ماذكر الكاتب نعلم أنه كان ذا موهبة كبيرة ، وانه اتقن اللغة الاغريقيـة في الثالثة عشرة من عمره اتقانا جعله يصحح اخطاء مدرسـه ، ويعجب لجهله الشائن بمادة الدرس ! وقد كان يتناول الصحيفة الانجليزية ليقرأها باليونانية فورا دون ان يشعر صاحبه انه يترجم ، ثم كره الدراسة التقليدية في المدرسة وأراد أن



هوميروس

أدبـاء تصرعهم المخدرات

يكون حرا في مطالعاته فسخط عليه اوصياؤه ، وتعرض لانياب الفقر والجوع والشرد ، ومد يده للصدقة والتسول ! ويقول انه ذاق من مرارة الجوع مالم يذقه انسان اذ كان يتضور تضورا لاينقطع وخزه القاتل ببعض الفتات حتى يرجع كما كان بل اشد ، وبعد اسهاب مطيل في شرح ضروب الفاقة التي عاناها ، ذكر انه احس بضرب مؤلم في ضرسه كاد ينزع روحه فخرج هائما على وجهه ليدله احد الناس على استعمال الافيون كي يهدىء ضربات الضرس ، وقد ذاقه لاول مرة فجن به جنونا .» وعز عليه ان يسلوه ، وقد كتب توماس صفحات مثيرة تصور احساسه بهذا المخدر ، صفحات مسرفة يسوقها تبريرا لانحداره ، يقول في بعض سطورها مصورا احساسه به لاول مرة :

« يا للسماء ! ماهذا البعث الذي حدث ، انتقلت مرة من ابعد الاغوار سحقا ، الى ارفع الذرى ارتفاعا ، شعرت بتغيير كلي ، زالت آلامي كلها دفعة واحدة ، على ان زوال الالم لم يكن بالامر العظيم اذا قيس بغيره ، فقد فتحت امامي ابواب الفردوس ، فنعمت بالحياة حتى خيل الي اني قد تعاطيت سر السعادة الذي اضاع الفلاسفة اعمارهم في البحث عنه ، اجل ، استطيع الان ان اشتري هذه السعادة وان احملها في جيبي « بيني » واحد !

يقول هذا توماس ، وقد اعترف انه غب ادمانه لم يعد يصلح لشيء ، حتى انه كان لايستطيع ان يخط رسائل من ثلاثة اسطر لاصدقائه الا بعد جهد جهيد ! وقد قضى عمره لم يؤلف شيئا غير اعترافاته التي كتبها ارتجالا وكانه يتحدث ، ويلحظ الناقد خللا في سياقها ، اذ يستطرد كثيرا الى مالايمت الى موضوعه ، ثم يكرر ماقال ثانية وثالثة ! وهذا ليس باسلوب كاتب مقتدر ذي موهبة ، بل ليست هذه طاقة من كان يخطيء اساتذته ويدلهم على الصواب ، وهو تلميذ ! والذين يتحدثون عن نشوة المخدرات ، يستشهدون بفقرات مما كتب توماس ويرددون قوله في مناجاة الافيون :

« ايها الساحر العظيم ، ياذا القدرة التي لاتتلاشى ، والقوة التي لاتقهر ، يا من تجلب العزاء لقلوب الاغنياء والفقراء على السواء ، اذا انطلق لسانك بسحر بيانك انتزع من القلوب الحقد والبغضاء واذا ماجلبت الاحلام ليلة واحدة عادت الى المجرم اللص ذكرى ايام الطفولة ملأى بالعابها الهانئة فتغسل عن يده دم الجريمة »

وهذه الاقوال التي تنتزع انتزاعا من اعتراف توماس يجب ان يضاف اليها ماقاله في عواقب هذا البلاء حين يخمد الحس ، ويخبل العقل وينهك الجسم فيصبح متعاطيه مشلولا جسما وعقلا وارادة ! كان عليهم ان يستشهدوا بمثل قوله :

« اني احاول ان اصف او اصور حالة الخمول التي اصبحت فيها ، وهي صورة لكل يوم من ايام السنين التي قضيتها تحت سحر هذا الوباء الخادع ، احاول ذلك فلا استجمع ادراكا يكفيني لكتابة ثلاثة اسطر ، بل لااستطيع ان اكتب رسالة قصيرة الا بعد اشهر واسابيع فاتالم لمصيري لان آكل الافيون لايفقد شعوره بالمه النفسي ، وانحدار اماله ، بل يتزايد هذا الشعور مع انحطاطه الجسمي والعقلي فيزيد سعيرا والتهابا ، يشعر ان الواجب يدعوه الى النهوض ، ولكنه لايستطيع التحرك كرجل اصابه الشلل ، فلزم الفراش عاجزا عن مغادرته اني عاجز عجز الرضيع في يدي مرضعته ، اذرف الدموع ، واقلق بالاهات دون جدوى ، ويزيد

على هذا الرهق النفسي ما احسه من الم في التنفس ، وضيق في الصدر ، وفساد في التخيل اذ كان يخيل الى انى كل ليلة انزل ثم انزل ثم انزل الى اغوار مظلمة سحيقة يتلو بعضهـا بعضا ، واشعر ان من المستحيل ان اخرج منها فازداد تعاسة واود الانتحار لانجو » .

هذا بعض ماذكره توماس عن تجربة صادقة ، اعترف بها تلقائيا دون الزام .



بودلير

شارل بودلير

شارل بودلير صـاحب ديوان « ازاهير الشر » شاعر اسمه اكبر من شعره ، فان غرائب شذوذه وظواهر انحلاله دفعت اقلاما كثيرة الى الاحتفاء بادبه ، فكتبت عنه الدراسات الكثيرة التي لم يحفل أولو الجد بامثالها ، وكان الذين يعلقون على دراسة هؤلاء يروحون عن انفسهم اذ يعبرون عن عواطفهم الذاتية فى ستار من التحليل الادبى المحايد ! ولا تظلم الشاعر حين نذكر انه شاعر الرذيلة ، لان اخلص حوارييه من النقاد قد وصفوه بذلك الوصف عن اعجاب وتقريظ لا عن قدح وتجريح ، وكان صديقي الاستاذ ابراهيم المصرى لا يعدل به شـاعرا اخر من ارباب اتجاهه ، وهو مع ذلك يقول عنه في كتاب « الفكر والعالم » .

والحياة في عرف بودلير لاتبدو في مختلف الوانها الصارخة الا في الرذيلة والشر ، فقد خلبت الرذائل لبه ، يود ان يهبط الى اعماقها السحيقة ، حيث تبدو الفطرة الحيوانية مجردة من العرف الاجتماعي ، والواجبات المفروضة ، شريرة متخبطة عارية من كل دثار ، فشعره مفعم بالجنون الشهوى ، تتوارد فيه ابشع صور الدعارة ، يختلط فيها الالحاد والعبث والفوضى الخلقية المجتاحة » .

ويكفي هذا لنقرر ان الرذائل تتابع متلاحقة لدى اصحابها ، فبودلير قد عشق النسـاء والسواقط منهن بنوع خاص ، وعشق الخمر ، ثم قرا كتـاب « اعترافات آكل الافيون » لتوماس دى كنسى المشار اليه من قبل ، فجره الى هذا المخدر ، وكتب عنه كثيرا مما اوحاه تفكيره المنحدر ، وصحب معه الحشيش ايضا ، فكانت الخمر والافيون والحشيش حلقات في سلسلة تغل الشاعر لتهوى به الى القتام السريع ولم يغب عنه ان يقلب فكره الهابط بغلائل ذات بريق يخـدع بهـا قارئه حين قال عن الحشيش :

« ان فى الانسان رغبة مستاصلة لادراك المثل العليا ، والوصـول الى الحقيقة ، لذلك يحاول ما امكنه ان يخلص الروح ويطلقها من سجنها المادى ، العائق لها عن الوصول الى هذه الاهداف كذلك السعادة هي الضالة المنشودة لبنى الانسان ، وبما انها ليست فى متناول الجميع ، فهو يحاول ما امكن ان يتوهمهـا ويصطنعها ، فقدح من مدام ، وشهقة من تبغ ، ومضغة من حشيش ، تجد بها الروح تخلصت وتبدلت » .

ياعجبا ! يحاول الصوفيون ادراك المثل العليا والوصـول الى الحقيقة فيتجردون من الشهوات ، ويطيلون مناجاة الخالق فى الخلوات ويخرجون عن اموالهم للفقراء والمساكين عن رغبة مخلصة ! وقلما يصلون بعد ذلك ! اما بودلير فيرى ادراك المثل العليا والوصول الى الحقيقة محصورا فى قدح من خمر ، ومضغة من حشيش ، وشهقة من تبغ ! وهو تفكير لايستغرب من مدمن مخدرات !

هذا الاديب الفرنسى اللامع حبيب لدى المثقفين من المصريين . فقد خلد تاريخ مصر

أدباء تصرعهم المخدرات

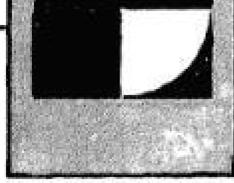
الفرعونية في أدبه شعرا ونثرا اذ تحدث عن مدينة طيبة القديمة في كتابه « قصة المومياء » كما نظم قصيدة من ارقى قصائده على لسان المسلة المصرية القائمة بباريس ! ولكن هذا القرن التاسع عشر ادركه حين وقع في اسر المخدرات ، وبلغ به الادمان مبلغا وصف تأثيره في كتاب خاص اسماه « نادى الحشاشين » وقد استطاع أن يرصد اوهامه الباطنية في لحظات تخديره ، فاعلن انه تخيل بعد تناول الحشيش ان جسده قد ذاب ذوبانا ، وصار شفافا ، وان اهداب عينيه قد امتدت كاسلاك رفيعة من الذهب ، ثم اخذت تلتف حول كرات صغيرة من العاج اخذت تدور حول نفسها ، وقد انفجرت من حول الشاعر انهار من الفضة ، شواطئها من الذهب ، وبعد امد عاوده الصحو قليلا ثم ادركته السمادير ليرى نفسه بين جماعات من الطيور والفراشات وليسمع اغاريد جميلة لا عهد له بها ، كما راى اكثر من خمسمائة ساعة دقاقة ترن في سمعه رنينا يشبه الاهازيج ، وحين صحا مرة ثانية ادرك ان هذه المناظر الجميلة قد مرت عليه في اقل من ربع ساعة فقط ! عاد بها الى الفتور والهمود .

لم تكن هذه الخيالات الموهومة وقفا على تيوفيل جوتييه وحده ، فاكثر المتعاطين يتوهمون مالا يحصى من الاخيلة . ولكن مايعقب فترة الذهول يرجع بالفكر الاليم فيحتسى مرارته هذا العالم السكران ، وقد نقل الدكتور يعقوب صروف في كتابه « فصول في التاريخ الطبيعي » وصفا كتبته مدمنة انجليزية اديبة عن عذابها النفسي الشاق اثناء الاوهام وعقب انتهائها ، اذ كانت تسمع اصواتا تخترق جسمها حـ د. كالسهام فتمزقه تمزيقا ، وكانت الارض تنشق تحتها لتهوى فيها صائحة مستغيثة ، وقد اومضت البروق الحمراء من كل الجهات امامها ، وانطلق مدفع رهيب لم تسمع اقوى من دويه المزعج طيلة حياتها ، وقد خيل اليها انه ينطلق متوجها اليها في وحشية ، كما تصورت انها انفصلت عن جسدها ، وانها رات هذا الجسد ملقى طريحا لا حراك به ! ومن العجيب انها بعد ان افاقت تحدثت مع من اخبرها بان صوت المدفع المدوى لايعدو ان يكون ترجمة عن خفقان قلبها المتكرر في فزع !

هذا لون من العذاب النفسي يضاف الى ما نعلمه من العذاب الجسمي حين ينحل الجسد ، وترهك المفاصل وتشل الارادة ، وينعقد اللسان .

على ان بعض الشعراء يقع في روعهم ان المخدر اللعين يساعد على صفاء القريحة ، وروعة التصوير فالشاعر الانجليزي «كولردج» وقد كان مدمنا كبيرا زعم انه الهم معاني قصيدته « كبلخان » بعد أن تعاطى ما تيسر من الافيون ، وهو لون من التبرير المكشوف يتوجه به المدمن الى لائميه من العقلاء ليخففوا من تأنيبه ، كما راينا بين المخمورين من شعراء العربية من يحاول ان يبرىء نفسه من اثم الخمرة مدعيا انها تذهب الحزن ، وتجلو الهم ، ولئن صح بعض مايقال عن مكابرة هشة تمحلا وتبريرا في هذا المجال ، فان شاعر الحكمة ابا العلاء المعري قد عصف بهذا الخداع حين قال :

اياتى نبى يجعل الخمر طلقة | فتحمل شطرا من همومى واحزانى
وهيهات لو حلت لما كنت شاربا | مخففة في الحلم كفة ميزانى



بقلم : صبحى الشارونى

● مائيات ٨٥ ●
فى معرض عدلى رزق الله

اقام الفنان عدلى رزق الله معرضا جديدا للوحاته المرسومة بالالوان المائية - والتي اطلق عليها اسم « مائيات ٨٥ » - حيث أضاف اشكالا وعناصر جديدة الى الورود والازهار التى كانت الموضوع الرئيسى لمعارضه خلال العامين الماضيين .. لقد اضاف البيت الريفي والنخلة . وقدمهما بطريقته الشاعرية في الرسم ، وهي الطريقة التي تجعل تدرج الالوان وتداخلها مماثلا لتدرج النغمات في الموسيقى .

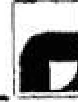
بدأ الفنان معارضه عام ١٩٧٣ اثناء اقامته في باريس ، وكانت لوحاته عبارة عن شرائط متعددة الالوان متجاورة ومتحاورة ، ولكنها تنطوى على هيئة هرم او طائر بين هذه الشرائط الملونة .. ثم انتقل الى رسم الورود والثمار وحالات الاخصاب والتكاثر فى النبات وتنطوى على اسقاطات وتلميحات الى حالات الحب فى عالم البشر .

ان اضافة عنصرى البيت والنخلة في معرضه الاخير تشير بوضوح الى زيادة ارتباط الفنان ببيئتنا الريفية والمحلية ، وخروجه الى حد ما من اسار الفن الاوربي الذي كان يجعل لوحاته منذ عودته من رحلة السنوات العشر في باريس - بلا وطن ، بينما كانت رسومه على الشاطىء الاخر للمتوسط مملوءة بالحنين الى مصر : النيل والهرم والحمامة وحورس .

ولا شك ان استمرار الفنان في الرسمومواصلته الانتاج ، مع احساسه بالانتماء الى هذه الارض وتاكيده على ذلك في كل احاديثه الصحفية الغزيرة ، قد جعل « مائياته » تحقق التعبير عن العناصر المحلية وعن اشكالها البسيطة ، بعد ان كان يهاجم من يسلكون هذا السبيل ويعتبرهم باحثين عن عصا يرتكزون عليها من اشكال البيئة او التراث .

وها هو عدلى رزق الله يتالق - كما كان في معارضه السابقة - بلوحاته الغنائية المبهجة ، وفي نفس الوقت يعبر عن عناصر مصرية باسلوبه الخاص ..ليثبت ان هذه العناصر في يدى الفنان المتكامل الشخصية ، لا تؤدى فى النهاية الى انتاج لوحات « سياحية » بل اعمال فنية لها خصوصيتها وشخصيتها المحلية ، ولها قدرتها على النفاذ الى ذهن المشاهد المدرب على متابعة الاعمال الفنية وتذوقها .. ولها قدرتها ايضا على عبور الحدود للتخلق جمهورا من المعجبين فى مصر وخارجها .

وعدلى رزق الله فنان متفرغ لفنه، لا يؤمن بالهواية او الرسم فى اوقات



الفراغ ، فالرسم عنده مهنة لابد ان يمارسها كل يوم .. وهو يقف موقفا وسطا بين التجريدية والتشخيصية فيرضى بذلك المتعصبين لهذا الاتجاه ويامن فى نفس الوقت هجوم المتعصبين لذاك الاتجاه .. فلوحاته تبدو لاول وهلة وكانها خطوط والوان مختلفة عن الذهن ولا تهدف الا الى امتاع البصر سطحيا .. ثم لا يلبث المشاهد ان يكتشف بين هذه الالوان المتدرجة والمتداخلة : عناصر لها وجودها الواقعى وان كانت غير واقعية الهيئة ، فيفرح باكتشافه ، ويطيل النظر والتامل ، حتى يالف الاشكال ويتعاطف معها ويحبها .

ولعل افضل ما يميز لوحات هذا الفنان هو فهمه وتمكنه من استخدام الالوان المائية لتعبر بقوة عن الشفافية والضياء مع الايقاع والتنغيم الذى يجعل من اللوحات معروفات مرسومة .

• بيوت سيوة •
عند محمود بقشيش

عرض محمود بقشيش لاول مرة بعد عودته من باريس ، حيث اقام ستة اشهر كجائزة لتفوقه فى دراسة اللغة الفرنسية .. لكنه سافر كرسام ، فاهتم بمتابعة انجازات الحركة النقابية فى مدينة النور .

المعرض يضم مجموعة أعماله التى رسمها عقب زيارته لواحة سيوة فى رحلة نظمتها الثقافة الجماهيرية لعدد محدود من الفنانين ، حيث شاهدوا ما تتميز به واحة سيوة من

حد اعمال الفنان عدلى رزق الله ضمن معرضه : مائيات ٨٥ .





بيوت سيوة من اعمال الفنان محمود بقشيش

خصوصية شـديدة فى بيئتهـا مع مجموعة القرى والواحات الصـغيرة المحيطة بها •

ان بيوت « سيوة القديمة » المقامة من الطين والملح على هضبة مرتفعة فى مدخل الواحة العريقة ، ومظـاهر القدم على هذه البيوت حتى تبـدو كاطلال مهجورة : هى اكثر ما يشد الانتباه ويجتذب عين الزائر الغريب•

وهكذا كان موضوع اعمال معرض الفنـان هـو هـذه البيـوت التى تشبه القلاع •• فتحاتها ضيقة تنطوى على ظلمة فى الداخل ، جدرانها خشنة الملمس ومتعرجة فتحقق تأثيرات مدهشة مع تغير زاوية سقوط الشمس عليها •• ابوابها موصدة دائما وتبدو متآكلة •• من النادر ان ترى خـلال النهار سكان القرية فى شوارعها ، حيث لا يظهر – من حين لآخر – سوى الاطفـال يسرعون الخطى الى السوق لشراء بعض الحاجيات •

وفناننا لم يهتم برسم الاطفال او الملمس الخشن للبيوت وانمـا وقع فى غرام المبانى المتراصة المتكاثفـة وتلك المتوحدة التى تبدو خالية موحشة •• وراح ينسج لوحـات معرضه من هذه المبانى ، مستفيدا بالخبرة التى اكتسبها خلال شهور اقامته فى باريس

•• والتى جعلت اقدامه اكثر رسوخا فيما يتعلق بعجينة اللون وجـراة التكوين والتحرر من الالتزام بمصدر ضوئى يتم على اساسه توزيع الظـل والنور فى اللوحة •

لقد بدا الفنـان ككاتب قصة ، ثم انتقـل الى الرسم والكتابة النقدية ، واعلن حربا على النموذج الاوربى ثم تصالح معه •• كما رفض الخضوع للتراث ثم اقام حوارا مع هذا التراث •• وهاجم الذين يصورون البيئـة وتخلو صـورهم من البشر ، ثم اقام معرضه الاخير وكل لوحاته تصـور البيوت وحدها خاليـة من البشر •• لكنه عوض اختفاء الوجه الانسانى من لوحاته بان اضـفى ما يشبه ملامح الوجوه الانسانية على بيوته المتكاثفة المتوحـدة ، حيث ترسـم الابواب والنوافذ ملامح بشرية •

لكن اهم ما يميز اسلوب الفنان فى الرسم هو الاحساس بالحيوية والحركة فى لوحات يغلب على عنـاصرها المرسومة الشـكل السكونى الصامت وذلك باستخدامه الذكى للخطوط المائلة •• فنجدها تختزن ايقاعات داخليـة ديناميكية نتيجة للتلاعب بالاضـاءة واستخدام الظلال الطويلة الممتـدة فتحدث اثرا تراجيديا على المشاهد •

المهرجان الحائر
بين الفوضى والاستقرار

بقلم: مصطفى درويش

عجيب امر مهرجان القاهرة السينمائي الدولي فله من العمر سنين او يزيد .

ومع ذلك فثمة لعنة تطارده كل سنة .. لعنة ان يكون او لا يكون .

فدائما ، ومع اقتراب الموعد المحدد لاقامته يثير غير المستفيدين منه حملة شعواء ضده ، تشكك في جدواه، تقيم امامه العراقيل تفتعل اسبابا لالغائه لو اقتنع بها حماة المصلحة العامة لانتهت بهم الى اراحة بالهم بالتضحية به خلاصا من مسئولية لا تحمل لصاحبها الا كل هم وغم .

الزعم بأن « طريق الى الهند » فيلم الافتتاح معاد للاسلام ، و « شاهد » الذي اشتركت به هوليوود ـ بعد مقاطعة للمهرجان دامت سنوات ـ فيلم يمجد شعب الله المختار .

ولولا هاتين الشائعتين لكان معظم الكلام عن الروائع السينمائية التى عرضت خلال المهرجان ـ وما أكثرها ـ وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .

١ ـ « الروح .. السيمفونية الخيالية » « لتيترس ليبر » ـ نمساوى ـ

٢ ـ « المرأة والغريب » لرينر سيمون ـ ألمانيا الديمقراطية ـ .

٣ ـ « ويزربى » لدافيد هير ـ انجليزى ـ وكلاهما حاصل على الجائزة الاولى لمهرجان برلين « ١٩٨٥ » .

٤ ـ « أحلام المدينة » لمحمـــد ملص « سورى » وحاصل على الجائزة الاولى لمهرجاني قرطاج وفالنسيا « ١٩٨٤ » .

٥ ـ « تعالى وانظـــر » « لكليموف » « سوفييتى » وحاصل على الجائزة الاولى لمهرجان موسكو « ١٩٨٥ » .

٦ ـ « برلين على الشاطىء » لايريك روميز « فرنسى » .

٧ ـ « بلاد يحلم فيها النمل الاخضر » لفيرنر هرتزوج « ألمانيا الاتحادية » .

٨ ـ « البرازيل » لتيرى جيليـــــام « انجليزى » .

٩ ـ « الدواء » لشريف جوزن وحاصل على الجائزة الاولى لمهرجان دمشق ١٩٨٥ .

١٠ ـ « يرما » عن مسرحية الشاعـــر الاسبانى « جارسيا لوركا » ـ مجرى ـ .



دكتور احمد عزيز مع اديلا فوق ظهر فيل

وأسباب ١٩٨٥ التى افتعلها دعاة الالغاء تنحصر فى :

أولا : ان فكرة المهرجانات لا تتناسب مع نداءات التقشف وشد الاحزمة ســـدادا للديون .

ثانيا : ان المهرجان بهرجة لا تليق مـــع ما نحن فيه من حزن حزين على من مات ومن سيموت فيما هو آت من الايام .

فلما أسقط فى يدهم ، وبدا أن المهرجان على وشك أن يقام ، أطلقوا وابلا عـــن الشائعات حول طبيعة الافلام لعل أهمهـــا



المهرجان الحائر


كيلي ماكجيليس والعيون الشاهدة

١١ ـ « المرآة » للمخرج التركي « ايردن كيرال » و ألمانيا الاتحادية » .

الاستثناء لماذا

وعند الفيلم الاخير ، وقبل الكلام عن الفيلمين المتهمين ـ أتوقف قليلا .. لماذا ؟

لانه ينتسب الى سينما بلد محسوب ضمن بلدان العالم الثالث المتخلف .

ولانه يعتبر ، ورغم فقر الامكانيات واحدا من اجمل الافلام التي ازدان بها المهرجان

واخيرا لانه لو سالت الرياح تجرى بما تشتهى السفن لوقع الاختيار عليه دون « طريق الى الهند » ليكون فيلم الافتتاح.

والمرآة فيلم يتميز باسلوب يذكرنا بعباقرة السينما العالمية امثال « ميزو جوش » الياباني و « روبرت بريسون » الفرنسي و « بيير باولو بازوليني » « الايطالي » مع قدرة على الاحتفاظ باصالة تستطيع ان تستخرج من الاشياء الصادية اشعارا واقمارا .

وفكرة المرآة بسيطة كل البساطة ..

ابطالها ثلاثة : فلاحة « زيليهان » وفلاح زوجها وفارس « الاغا الصغير » الذى هو في حبها ولهان .

والفيلم يبدأ بلقطة مكبرة لورقة مالية تسقط في الحقل حتى تراها عينا «زيليهان» التي ترفض الاغراء .

يلقى الاغا المشوق القوام بباقة من الزهور في دلو مليء بالماء تحمله «زيليهان» التي تفرغه من كل ما فيه دون أن تطرح الفارس التحية .

يقترب الاغا حذرا ومعه مرآة صغيرة من زيليهان الى أن تبصر وجهها ثم وجهه فيها .

وعندما تشكو « زيليهان » آفاعيل الفارس الى زوجها تبدأ المأساة .

فبقرة جذب هائلة وليدة ليل طويل من الهوان بأس الفلاح زيليهان » بان تقبل الهدية وتطرح التحية .

فاذا ما عاد الى الكوخ ووجد ورقة مالية، تأكد ان الاغا طامع في زوجته . فقر قراره على اعداد كمين له ينهى به دهرا من الحرمان .

الموت والتحول

ومع قتل الاغا ودفن جثته في الكوخ لم سفر الزوج القاتل الى المدينة في محاولة منه لاخفاء معالم الجريمة ، تنعطف الحكاية انعطافا شديدا .

فها هي « زيليهان » وحيدة ، خائفة ، حزينة مع جثة في مملكة الموت .

وعندما يعود الزوج ترفضه ، لتنشغل عنه بطيف القتيل العاشق الذى تبصره في

كل مكان . تبصره في الوديان فارسا ملء الارض والفضاء ممتطيا آلامه ، حاملا في كفيه مرآة كبيرة تتوحد معه فيها في لقطة نادرة ساحرة .

وتزداد هوة الصمت بين الزوجين اتساعا تملأ الفائل خوفا يمتد في كل الجهات ، يحيط بالانسان الذي فيه .

كل ذلك بأقل القليل من الكلمات ، بلا موسيقى تصويرية في أغلب المشـــاهد اكتفاء بالمؤثرات الصوتية ، تأكيدا للغة سينما راقية تصعد بالانسان ليبصر .

والان الى الفيلمين المشبوهين ..

طريق أو ممر الى الهند أجمل قصـــة أبدعها خيال الاديب الانجليزي «فورستر».

وعن حكايته معها يقول صاحب الفيـلم « دافيد لين » « جزء من كيان صانع الفيلم هو سعيا بحثا عن قصة يقع في حبها » .

رحلة عذاب

ولقد حدث اللقاء السعيد مع « طـريق الى الهند » التي تعلق بحبها ، عندماوقع بصره على شخصياتها تتحـرك على المسرح بفضل « سانتا راما راو » الذي حـول القصة الى عمل مسرحي .

حاول أن يشتري حق التحـول بها الى فيلم ، ولكن عبثا ، فمؤلفها عبس وأبى لا لسبب سوى أنه كان لا يثق في السينما، متخوفا مما قد تلحقه بقصته من تشـويه يفقدها تماسكها القائم على توازن حساس دقيق في رسم حدود العلاقة بين الانجليز والهنود وما يحيط بها من مآخذ بسبب التسلط والاحتلال .

ولم يلبث ان ودع « فورستر » الحياة ومضت أعوام والحلم لا يتحقق منه شيء الى أن اتصل المنتج « جون براوبورن » قريبا من نهاية سنة ١٩٨١ بالمخـرج الكبير المعتزل الاخراج منذ فشل فيلمه « ابنـــة ريان » ـ ١٩٧٠ ـ ، طالبا اليه ان يصنع فيلما من قصة « فورستر » .

ولم يكن يتم الاتفاق حتى كتب «لين» السيناريو ، اختار لورد « ستودن » مصورا للفيلم ، يمم شطر أرض الغرائب والعجائب بحثا عن موقع لالتقاط المناظر ، وعن ممثل هندي « فيكتور باترجي » يتقمص شخصية الدكتور « احمد عزيز » تلك الشخصيـة التي أراد « فورستر » لها ان تكون محورا لقصته ، تبدأ بها وصاحبها حائر متردد ، فاقد للكيان الموحد .

فاذا ما عبر الى بر الامان متغلبا على محنة الاتهام له بالشروع في الاغتصاب ، انتهى الامر به متجاوزا التجربة ، مستردا الثقة بالنفس والاعتبار صائحا في أنفة وكبرياء صائحا قريبا من نهاية الفيلم « اخيرا أنا هندي » .

الامبراطورية صدى

والظاهر ان تخوف « فورســـتر » على مصير درته في السينما كان له مايبرره . « فلين » مال الى شخصية الانسة «اديلا كويستد » « جودي دافيز » .

بدأ الفيلم بها وهي في انجلترا تحجز تذكرتي سفر الى الهند ثم بها مع السيدة « مور » « بيجي اشكروفت » أم خطيبها ، وهما معا في القطار المتجه الى «شاندرابور» حيث يشغل الخطيب منصب رئيس محكمة.

انها فتاة في حيرة من أمرها ، ساقها الفضول الى بلاد تركب الافيال ، هيا لها التردد ان بالامكان اكتشـــاف الهنـــد الحقيقية .

فاذا ما دخلت احد كهوف « مارابار » في محاولة منها للغـوص في الاعمـــاق ، اضمحلت الهند التي سعت الى اكتشافهـــا حتى غدت لا شيء .. مجرد صدى يتردد ، يذهب الى كل نداء .

كيد النساء

وهنا قد يكون من المناسب التساؤل : لماذا مال « لين » الى العنصر النســـائي ، لماذا جعل من « اديلا » محورا للفيلم بدلا من الدكتور « عزيز » ؟

وفي اخر حوار أجرته معه مجلة «بريمير» الفرنسية ابريل ١٩٨٥ « حول فيلمه قال « في انجلترا دائما ما نردد الاتهام بأن الامبراطورية قد فقدت بسبب النساء .

وفي اعتقادي أن هذا الاتهام لا يجانبـــه الصواب ، فالرجال الذين بعثت انجلترا بهم الى الهند قاموا بأداء ما كلفوا به من واجبات .

المهرجان الحائر



وهذا الاداء كان فى بعض الاحيان رائعا، وفى أحيان أخرى بشعا .

أما النساء فموقفهن بشكل عام كان محل استهجان ، كان مثيرا للاشمئزاز .

و « فورستر » فى كتابه قد وجه الاتهام الى جميع البريطانيين الرجال منهم والنساء على حد سواء .

ولكنى آثرت التفرقة واضعا التعبيرات الاكثر بلاغة على لسان النساء » .

حساسية الانحياز

واضح اذن ان « لين » قد انحاز الى جانب رجال الامبراطورية الذى شدمراقى «جوهرة التاج» ميزهم بالفعل والقول على الجنس اللطيف .

ومن هنا فقدان الفيلم للتوازن الحميد فالرجال رسمت شخصياتهم على وجه أوشكت ان تختفى معه رذائل التدخل والاحتلال وعيوب العنصرية والتعالى .

وهذا التجميل لغزاة الشمال كان لابد وان يصاحبه انحدار فى رسم شخصية الرجال الهنود .

فعلى سبيل المثال شخصية الاستاذ « جود بول » « اليك جينيس » ـ وهى هندوسية براهمية ـ تناولها « لين » بسطحية كادت تصل بها الى حالة الكاريكاتورية المقيتة .

سحر الاداء

ومهما يكن من امر هذه المآخذ ، فالقدر المتيقن ان الفيلم أخذ ينساب من خلال لقطات أجاد « لين » توليفها فاشعت سحرا على مدى ثلاث ساعات الا قليلا .

ومع ذلك فلا ملل أو سأم يصاب به المشاهد ولو لثوان .

وهو يبدأ بمدينة بومباى فى العشرينات فرقة تعزف موسيقى عسكرية ، فرسان يمتطون جيادا مطهمة ، حشود من البشر على امتداد البصر ، نائب الملك وحاكم الهند مع قرينته عائدين من انجلترا .

هاهما يمران تحت بوابة ضخمة تعلو الشاشة فاذا بهما يتضاءلان ، يتحولان الى رمز لا غير لابهة امبراطورية عابرة ، يذوبان فى شبه القارة التى تبدو وكأنها لا أول لها ولا انتهاء .

الهائمون

وفجاة ينتقل بنا صاحب الفيلم الى ليل وقطار يتلوى كالثعبان بين الوديان تستقله انجليزيتان أكثر تواضعا « اديلا » والسيدة « مور » فى طريقهما الى « شاندرا بور » .

بعيدا عن المدينة تجىء الاهوال من الاخرين



وها هو القطار يظهر وكأنه لعبة صغيرة تائهة تحت أقدام أرض الهند تطل علينا بمعابدها وقصورها فنحس دوارا يأخذنا أخذا شديدا .

وكيف لا .. وأمامنا تتلاحق أطياف ثقافات وأديان وتاريخ عجيب يشبه المعجزة لا يملك الغرباء له تفسيرا أو تأويلا .

وفي صباح يوم ، وبعد أسابيع من الاستقرار في شاندرابور عثرت أديلا على مغامراتها ، التقت أو ظنت انها التقت بالواقع الهندي ، التقت عليه نظرة قصيرة ولكن مريرة .. كيف ؟

تعرفت على الدكتور «عزيز» - وهوطبيب أرمل وأب لثلاثة أطفال - تعرفت عليه بفضل المدرس « ريتشارد فيلدنج » « جيمس فوكس » أنبل أفراد الجالية البريطانية في « شاندرابور » وأكثرهم تبرما بكل ما حوله ، لا يروقه من سلوك مواطنيه العجرفة واحتقار الهنود .

د.اسعدلين في حالة انفراج



واحتفالا بها رتب الدكتور لها هي والسيدة « مور » رحلة مكلفة على حسابه الى كهوف « مارابار » الواقعة في التلال القريبة من شاندرابور .

وها هما معا على ظهر فيل مهول .

ومع ذلك فهذا الحيوان الضخم القديم قدم الدهر وطابور الخدم والحشم الذي من خلفه يسير ، هذا كله تقلصت به الصخور الوحشية المطلة من التلال المحيطة بطريق القافلة ، فاذا به يضيع فيما حوله ، واذا به كأن لم يكن شيئا .

وفي فوضى الكهوف وحشود الزوار ضلت « اديلا » الطريق . وجدت نفسها في كهف يحيط بها الظلام ولا تسمع سوى لسان الصدى .

اندلعت الى الخارج فزعة ، عادت الى شاندرابور حيث نسبت الى الدكتور « عزيز » تهمة الشروع في الاغتصاب .

وطبعا أسرع ضابط الامن البريطاني فالقى القبض على الدكتور المتهم وزج به في مهاوي السجون لا يخرج منها حتى يوم الحساب أمام القضاء .

انقسمت شاندرابور الى فئتين متخاصمتين .. أقلية أجنبية تقف وراء « اديلا » دفاعا عن الشرف الانجليزي المهان والغالبية أهل البلد تساند الدكتور السجين ايمانا منها بانه بريء مما يصفون .

القول الفصل

وقبل بدء المحاكمة بقليل غادرت السيدة « مور » الهند ، وقد فقدت ايمانها بابنها وخطيبته ، غادرتها دون ان تعرف عن جوهرة التاج شيئا .

وفي الطريق الى عدن فارقت الحياة ، دفن جسدها في مياه المحيط حيث ألقى مجهول باقة من ورود .

ويوم المحاكمة المشهود ، وأثناء الجلسة الاولى والاخيرة حدث أمر لم يكن في الحسبان .

نطقت « اديلا » بالحق . اعترفت بأن الدكتور لم يقتف أثرها في الكهف وسحبت الاتهام .

المهرجان الحائر



بعد هذه الجلسة الفريدة ، وبعد ان ثبت ان الدكتور مسلم برىء لم تمكث « اديلا » فى شاندرابور الا أياما ثم غادرت شبه القارة منبوذة من الانجليز ، ملعونة من الهنود غادرتها وليس فى ذاكرتها من جوهرة التاج سوى صدى يلقى الرعب فى القلوب .

الفردوس المفقود

والفيلم الآخر المتهم « شاهد » تدور معظم أحداثه فى ريف ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة حيث يوجد قوم بيض يعيشون كما كان يعيش أجدادهم فى سويسرا وأجزاء من ألمانيا منذ حوالى مائتى سنة ، أى بدون راديو أو تليفون ، سينما أو تليفزيون ولا يستعملون داخل مملكتهم الصغيرة السيارات أو القاطرات أو الطائرات .

باختصار يمارسون الحياة ، وكأن ساعة الزمن قد توقفت عند بداية القرن الثامن عشر ، يمارسونها متحررين من رق الاشياء التى ابتدعها خيال انسان القرنين التاسع عشر والعشرين ، وذلك لانهم أصحاب ملة تؤمن بفلاحة الارض وقدسية العمل اليدوى ، تعتقد فى جمال البساطة وسحر البراءة ، ترى الخير كل الخير فى الطيبة والحب ومسالمة الغير .

وعلى كل ، فما علاقة هذه الجماعة واسمها « الاميش » التى تعيش فى الماضى بالسينما ؟

من المعروف عن مخرج الفيلم « بيتر فير » - وهو استرالى - انه مولع بتناول موضوعات تعرض لشخصيات يتنازعها عالمان ، و « جون بوك » « هاريسون فورد » فى « شاهد » نراه مضطرا للذهاب الى عالم « الاميش » هربا من أيام سود ، بحثا عن مأوى يلوذ به من رفاق سوء خشية جبروتهم ، ومخافة بأسهم .

حتى اذا ما استقر به المقام وشعر بالامن والامان أحس بأن ثمة أسلوبا آخر للمعيشة والحياة لم يعهده من قبل ، فنراه ، وقد أصبح ممزقا بين دنياه ودنيا « الاميش » التى تبدو معلقة فى الزمن ، ثابتة بلا حراك .

العزاء للجميع

والفيلم لا يبدأ به فى فيلادلفيا حيث يعمل شرطيا انه يبدأ بلقطات رعوية فى ربوع ريف أخضر لجمع من طائفة « الاميش » مرتدى السواد حدادا على « يعقوب لاب » ، فى وداعه حتى مثواه الاخير .

وها هى امرأة المتوفى « راشيل » « كيلى ماكجيليس » تتقبل العزاء فى الفقيد العزيز مع ولدها الوحيد « صاموئيل » « لوكاس هاس » البالغ من العمر ثمانية أعوام والاب « ايلى » « يان روبيس » بلحيته الوقور .

ومن خلال هذه اللقطات الاولى بما فيها من عربات عتيقة تجرها جياد خشنة وأردية وعادات وتقاليد عفا عليها الزمن ، يذهب بنا الظن الى ان أحداث الفيلم مستوحاة من عصور موغلة فى التاريخ البعيد .

أما كيف ومتى نكتشف حقيقة تلك الاحداث ، وانها قريبة وليست موغلة فى القدم ، فهذا ما يحكيه « شاهد » بطريقة جذابة خلابة .

المصير المجهول

بعد مدة من رحيل زوجها الى دار الموتى ، اسودت الدنيا فى قلبها وعينيها ، حاولت

الريفي من قسوة وحدتها قررت أن تشد الرحال مع صغيرها الى « بالتيمور » حيث تقيم شقيقتها .

وها هي الآن مع الصغير داخل محطة في انتظار القطار السريع المتجه الى فيلادلفيا .

اذن نحن لسنا في زمن قديم . نحن في قرن غزو الفضاء

وبينما هي في محطة فيلادلفيا تنتظر قطار «بالتيمور» المتأخر ثلاث ساعات عن الميعاد كان الصغير يلهو ويلعب مشدوها بالسلالم المتحركة . بالتليفونات الاوتوماتيكية وما الى ذلك من أعاجيب والاعيب ليس لها في دنيا « الاميش » مثيل .

طبعا ، وهو هكذا منبهر ، لم يكن ليتصور انه مقبل خلال ثوان ، على أمر خطير به تتغير حياته هو وأمه الشكل من حال الى حال .

جرائم شرطة

فقد ذهب الى دورة مياه الرجال حيث رأى منظرا لن ينساه ما دام حيا .

رأى فيما رأى رجلا اسود يذبح رجلا أبيضا ذبح الشاه .

ولا يكاد يخرج مذهولا من مخبئه ويلقى نظرة مذعورة على جثة القتيل التى انطفأ من عينيها نور الحياة . حتى يتأكد ان صاحبها قد أسلم الروح .

وهنا ، وبطبيعة الحال ، يتدخل ضابط الشرطة الرائد « بوك » انه يحتاج للصغير باعتباره الشاهد الوحيد .

وتتوالى الاحداث سريعة لنشاهد من خلالها صراعا دمويا بين نقيضين عجيبين .. بين البراءة في أروع مظاهرها والوحشية في أبشع صورها .

ففي رحلة البحث يكتشف الرائد بفضل الشاهد الصغير أن القاتل واحد من رفاق حملة الفوانيس .

ولوقع هذا يكتشف - بعد أن أصابه طلق ناري بجرح خطير - ان رئيس الشرطة في المدينة هو العقل المدبر لجريمة محطة السكة الحديدية . والسبب احراز كوكايين تقدر قيمتها بالملايين .

وتمضي اللقطات كالطلقات ، فها هي الارملة الفاتنة يحيط الشر بها وبصغيرها ، يطاردهما في غير رحمة ، يستبد بهما في غير عطف .. فما العمل ؟

لم يضيع « بوك » الفرصة ، رأى من الحق عليه ان يعود بالارملة والصغير من حيث جاءا حماية لهما ، انطلق بهما في سيارته الى اكناف السهل والجبل حيث فردوسهما المفقود .

وبحكم ان الفيلم أمريكي وبطله «هاريسون فورد» « انديانا جونز » ومسلسلها الذى لا ينتهي ، فقد كان لابد ان نراه في الختام وقد هزم الاشرار وحده ، نراه وقد خرج من الفردوس منتصرا وحيدا .

لا علينا من هذه النهاية ، ولننظر الى جماعة « الاميش » وقد قال عنها مطلقو الشائعات انها من جنس اليهود .

فما هو نصيب هذه الشائعة من الصحة ؟

بالرجوع الى الموسوعة البريطانية تبين أن « الاميش » جماعة تنحدر من طائفة مسيحية اسمها المينونية نسبة الى الاب « مينو سيمونس » « ١٤٩٦ - ١٥٦١ » وهو من المحتجين على كنيسة روما .

ومهما يكن من الامر فلا ذكر لليهود ، ولاسرائيل في « شاهد » اللهم لقطة خاطفة لمسافر ملتح في محطة فيلادلفيا ممسك بجريدة « الجيروساليم بوست » فهل تكفي دليلا على الاتهام ؟ .



تهذيب الحيوان

لأبي عثمان الجاحظ

الجاحظ هذا الرائد الكبير للفكر العربي ، وهذا الاديب الخالد في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية وهذا القلم البليغ الذي عاش ابداعه طول العصور نموذجا رفيعا يجتذبه كل الكتاب والناشئين .. من واجبنا القومي والفكري والادبي ان نعنى بتراثه وان نوليه حظا من الخدمة الصادقة الدءوب .

وليس في جيلنا ولا في الاجيال السالفة من أولى تراث الجاحظ كل وقته وعلمه وعمله وأنيه مثل الاستاذ شيخ المحققين في عصرنا عبد السلام هارون الذي نذكر له بالحمد تحقيقه لكتابي الجاحظ الخالدين « البيان والتبيين » و « الحيوان » وتحقيقه لرسائل الجاحظ وغير ذلك من تراث هذا القلم الخالد . في تاريخنا العقلي .

وأخيرا يصدر لنا هذا الاستاذ المحقق الكبير كتابا نفيسا هو خلاصات من كتاب الحيوان جعل عنوانه « تهذيب الحيوان » والذي صدر في اكثر من ثلاثمائة صفحة فأضاف بذلك رصيدا ثمينا لتراث الجاحظ العظيم .

***

ولقد كانت عناية الجاحظ بالحيوان والتاليف فيه عناية موفورة فالحيوان رفيق العربي في الحل والسفر يقاسمه حياته ومعيشته اينما كان والحيوان كذلك ظل دائما موضع اهتمام العلماء والمفكرين منذ القدم ، وأقدم من كتب عنه ارسطو الذي الف فيه كتابا مشهورا عنوانه « الحيوان » ، نقله الى العربية المترجم العربي القديم ابن البطريق وذلك من اليونانية وترجم

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

حديثا منها الى الانجليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات •

والجاحظ كما يذكر الاستاذ الجليل المحقق في مقدمته لكتابه « تهذيب الحيوان » أول واضع لكتاب عربي جامع في علم الحيوان وان سبقه علماء اللغة الذين استقصوا الالفاظ اللغوية التي ينعت بها أعضاء الحيوان في رسائل صغيرة ولكن الجاحظ ينطق كتابه بالقصد العلمي التفصيلي للحيوان معتمدا في ذلك على كتاب الله وحديث رسوله الكريم ، وعلى التراث العربي الضخم المنقول الينا عن العرب والمروى عن بدوهم وحضرهم والذي وعاه ابو عثمان الجاحظ في القرنين الثاني والثالث طيلة حياته الطويلة (١٦٠ ـ ٢٥٥هـ) (٧٧٧ ـ ٨٦٩م) ، ومعتمدا كذلك على كتاب « الحيوان » لارسطو وارسطو يلقبه الجاحظ في كتابه بصاحب المنطق وقد نقل عنه بعض النصوص التي تعد من القيمة والنفاسة بمكان كبير، وقد وافق ابو عثمان الفيلسوف أرسطو في بعض آرائه وخالفه ونقده في بعض آخر ، واعتذر عنه في بعض ثالث بأن المترجمين لم يحسنوا ترجمة كتاب ارسطو الى العربية ولم يتوخوا الدقة والمطابقة فنجده يقول حينا: ولعل المترجم قد اساء في الاخبار عنه ويقول حينا آخر ولعله ـ أى أرسطو ـ ان وجد هذا المترجم ان يقيمه

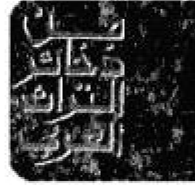


عبد السلام هارون

على المصطبة ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ومن افساده معانيه بسوء ترجمته •

ويعتمد ابو عثمان الجاحظ كذلك في كتابه « الحيوان » على اراء معاصريه وبخاصة رجالات المعتزلة وقد كان الجاحظ اماما من كبار ائمتهم •

والكتاب ـ كما يقول المحقق ـ معلمة واسعة وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي متشعبة الاطراف وقد حوى طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية كما تحدث عن سياسة الاقوام والافراد وكما تكلم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية •



وفي الكتاب الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية واللغوية والادبية والنقدية والدينية ، وتحدث الجاحظ فيه عن العرب والاعراب واحوالهم وعلومهم وتراثهم وافاض القول في اي الكتاب الحكيم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجمع كتاب « الحيوان » للجاحظ صفوة مختارة من حر الشعر العربي ونادره ومن بلاغات العرب وثقافتهم ، وقصصهم وتاريخهم ، وقيمة الكتاب قيمة كبيرة في تراثنا العربي بل وفي تراث الانسانية قاطبة لانه دائرة معارف واسعة عن العرب وادابهم ، ويعد حقا من خوالد التراث الانساني الذي اثرى الفكر والبحث والحضارة الانسانية وهو مطبوع في عدة مجلدات بتحقيق شيخ المحققين عبد السلام هارون ·

***

وهذا العمل العلمي الكبير الذي يوليه العلماء والمفكرون والمثقفون كل اهتمام وتقدير دفع المحقق الى تقديم خلاصة موجزة له ليكون فكر الجاحظ وادبه المثلان في كتابه في ايدي القراء وبخاصة الشباب منهم في سائر بلاد العروبة والاسلام فكان هذا الكتاب الجديد وهو كتاب اليوم « تهذيب الحيوان » ·

ومن اجل ذلك اختار محققنا الجليل في تهذيب الكتاب ما كان من النصوص غير مألوف للقراء وما كان من الادب الذي يجب ان يحفظ ويروى ويتنافس ويستشهد به وهو الادب الرفيع النبيل وحذف من « تهذيبه » الكثير من النصوص الحوشية الغريبة ، ومن المسائل الفلسفية والكلامية واثر النصوص القريبة الى الذوق والطبع والى ادب الاديب والى ثقافة القارىء الفطين المثقف ووضع فهارس وافية للكتاب واخرجه في اجمل صورة واجل مظهر ·

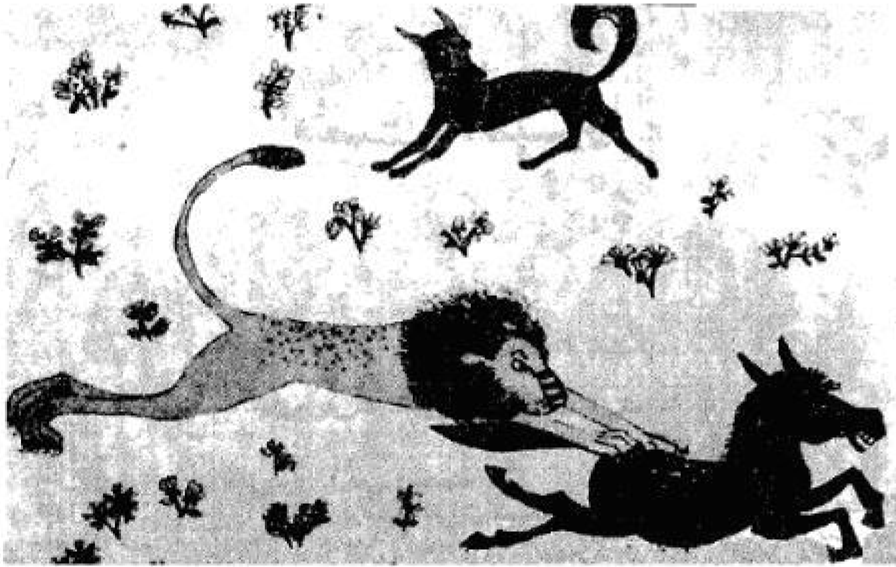
وبين دفتي الكتاب تجد كلام الجاحظ البليغ المأثور عن الكتاب والترجمة وعن الخلاف بين صاحب الديك وصاحب الكلب ويتحدث عن الثعلب والدجاج والخفاش والنمل والسنانير والحمام والاسد والذباب والخفاش والحيات والعصفور والظليم والفار والعنكبوت والقطا والضباب والارانب والفيل والجاموس وغيرها ·

ويضم التهذيب الكثير من القصص العربي الطريف ومن الفكاهات المرحة الطروب ومن الامثال والحكم والبلاغات والاشعار والروايات والطرائف التي تستعذب وتنقل وتروى ويستشهد بها ·

وغير ذلك من طرائف ابي عثمان الجاحظ وشوارد ادبه ومأثور بلاغته في كتاب « الحيوان » ··

وليس هناك اشهى من ادب الجاحظ الذي كانت تتناقله الملوك والخلفاء ويرويه الادباء والعلماء انه ليس هناك اشق من تهذيب كتاب ضخم وخاصة اذا ما كان هذا الكتاب لاديب كبير ولمفكر في حجم الجاحظ فهنا تضخم المشقة ويصعب الاختيار ·

ولكن المحقق وهو من هو ثقة بالعربية ومعرفة باصولها ومصادرها وتراثها وبتراث الجاحظ خاصة من بين تراث العربية الكبير قد سعد



الى الغاية وتأتى فى أداء الغـرض ونجح فى القصد ووفق فى الاختيـار توفيقا ما بعده من توفيق مما تشهد به رائعته الثمينة • « تهذيب الحيوان »

ونقف عند نص من نصوص الكتاب وليكن حديث الجاحظ عن الكركـدن هذا الحيوان الضخم المعروف • يذكر الجاحظ هذا الحيوان ويسـخر به ويتحدث عنه فيقول :

« ان النبى داود ذكره فى الزبور وان صاحب المنطق ارسطو ذكـره فى كتابه الحيوان وسماه الحمـار الهندى فجعل له قرنا واحدا فى وسط جبهته ويعرفه أهل الهنـد كبيرهم وصغيرهم وتزعم الهند أن سـائر الحيوان تهابه وترهبه ويرد الجـاحظ على أرسطو فيما يزعم من ان ولـد الفيل يخرج من بطن أمه ثابت الاسنان لطول لبثه فى بطنها فيقول فى استطراد ان هذا جائز فى العقل فى ولد الفيل غير منكر لان جماعة نساء معروفـات الاباء والابناء قد ولدن ابناءهن ولهم أسنان ثابتة وليس هذا بالمسـتنكر وان كنت لم ار قط قابلة ـ أى مولدة تقر بشىء من هذا الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما علمت ولكن العجب كل العجبماذكروه من اخراج ولد الكركدن رأسه من بطن امه واعتلافه أى اكـله العلف ـ ثم ادخاله رأسه بعد الشبع والبطنة •

ومثل هذا الاستقصـاء والتحقيق والاحتكام الى التجربة والى العقل فى أدب الجاحظ كثير وان هـذه الدقـة العلمية التى عرف بها الجـاحظ وهذه الحرب التى يعلنها على الاوهام والاساطير وهذا المنهج العلمى الـذى يسير عليه كل ذلك لما تروع العلمـاء والمفكرين ويجعلهم شديدى التعلـق بأدب الجاحظ والتذوق لبلاغته •

وبعد فهذا هو كتاب تهذيب الحيوان الذى نهض بعبئه واختيـاره من ادب كتاب الحيوان لابى عثمان الجـاحظ شيخ جليل من شيوخ العربية والتحقيق العلمى للنصوص فبلغ الغاية واثـرى قراء العربية بكتاب جـديد يجمع بين بلاغة الجاحظ فى ادبه وطرافة الاختيار من مأثورات ابى عثمان فى كتـابه « الحيوان » فكان البدء والختام اجمل شىء واطرف شىء واعون على وصـول ادب الجاحظ الى جيل الشباب اليوم •

قصة قصيرة

لا أراكم الله المكروه

جمعه محمد جمعه

ـ لا أراكم الله المكروه أبدا ..

قالها وضحك، ترجرجت دقة بيضاء الكثة ، حبات كالندى المبلور ، أو قطرات من اللبن الناصع ترقرق على جانبي أنفه العريض ، تغوص في شعر الذقن الابيض ، تتسربل بين الشعيرات حيث الاخاديد والانهار ..

كان مستلقيا على ظهره لمدة أيام خلت، يستعيد قصة السرير الحديدي الذى يرقد فوقه ، تقف أعمدته الحديدية الاربعة مشرعة نحو السقف ، يذكر الدرجات الخشبية التى اندثرت ، والتى صنعت للصعود عند النوم، كانت حميدة زوجته ترفع الدرجات كل صباح ، وتضعها مع قدوم الليل ، وتردد متباهية .

ـ يظل السرير نظيفا طول اليوم ..

يوم تزوجها كانت كالريشة ، رفعها ، ويرفق وضعها فوقه ، كانت خجلة قال مبتسما :

ـ سنة الحياة بالمراة، ارفعى اليشمك ..

ارتعش الفراش تحت جسدها الخفيف ، خبط حافة الفراش بيديه وقال :

ـ الا تريدين انجاب الاولاد !

قالت :

ـ طبعا ..

قال :

ـ خلاص ، ارفعى اليشمك ..

لم تكن حميدة ـ بعد تلك الليلة الاولى ـ تخافه أو تهابه ، وانما تحبه ، انجبت الولدين والبنت ، البيت واحة امن وطمانينة، لم يكن فيه أب فقط ، أو زوج ، وانما رجل ، ولم تكن هى زوجة وانما، أم ، وأخت ، بكاها سنوات طويلة بعد وفاتها، ومازال يذكرها دائما بالخير ..

ـ لا أراكم الله المكروه أبدا ..

قالها بعد أن توضأ فوق الفراش ، قامت ابنته بزحزحة جسده الثقيل الى جانب من السرير ، وفردت نصف الملاءة النظيفة ، ثم أعادته الى موضعه وفردت النصف الاخر ، قال بعد أن استلقى منهوكا .

ـ لو حافظت على الدرجات الخشبية لارتحت من متاعبى ..

امسكت يده وقبلتها ، قالت :

ـ أبى ، لا تقل هذا مرة ثانية ..

ابتسم ، وتمتم :

ـ الله الحى القيوم ..

ثم استغرق فى صلاة صامتة ..

ـ لا أراكم الله المكروه أبدا ..

قالها وهو يفتح عينيه الشبه مغمضتين بصعوبة، وابنه الكبير يتناول يده ويقبل ظهرها ، تمتم وهو يمسح بيده الاخرى رأس ابنه :

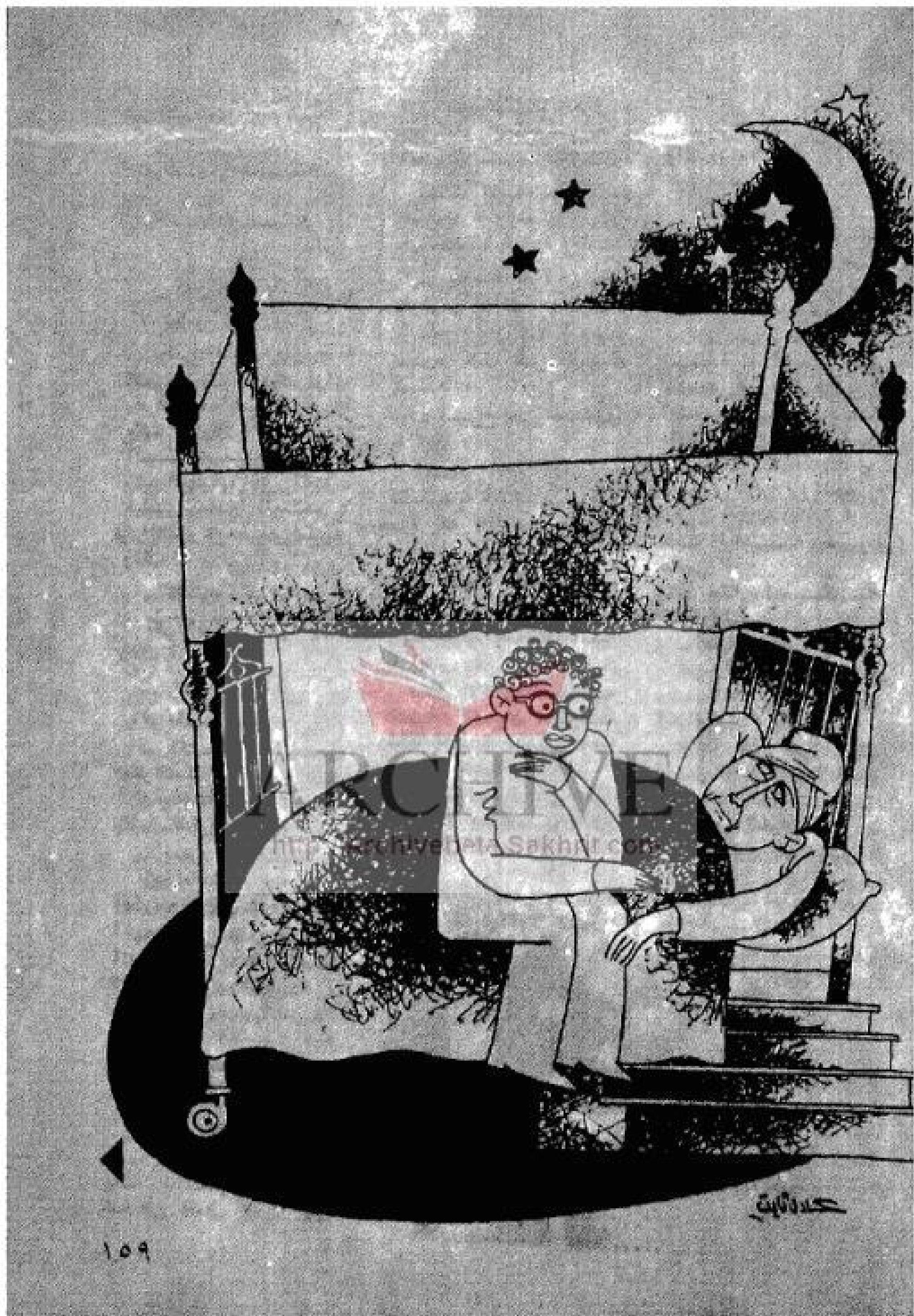
ـ بارك الله فيك ، وفى أبنائك ياولدى ..

ثم استفاق وساله :

ـ من هذا السيد ياولد ..؟

ـ الطبيب يا أبى ..

قال مشيحا بوجهه .



دقات ساعة العمر

ـ ألم أقل لا فائدة ، لا تيأس أبدا ..

جلس الطبيب على حافة السرير ، أمسك ذراعه وعراها ، قاس النبض ، طلب معاونة الابن لرفع الجسد نصف جلسة ، رفع الجلباب حتى العنق ، قبلت سماعته الصدر ، ثم الظهر ، مصمص شفتيه وقال :

ـ لا شيء ..

نظر العجوز الى ابنه وقال :

ـ ألم أقل ..

ثم قهقها :

ـ اكتب يالطبيب فى تذكرتك لا شيء ..

ضحك الطبيب وهو يخط بقلمه تذكرة العلاج قائلا :

ـ بعض المقويات ياحاج .

حين عاد الابن بعد وداع الطبيب ، قال له أبوه :

ـ لا داعى للاسراف يابنى أنا لست مريضا ، أنا أتأمل الدنيا الفانية ، هذا كل شيء ..

قال الابن :

ـ وساقاك اللتان لاتقويان على حملك ؟

قال فى غضب :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ، أنسيت أنهما حملانى العمر كله ؟ لماذا الآن تتهمولهما بالتقصير ، وهل تنفذ الحقن ، وابتلاع الحبوب سيمدهما بالقوة

دخلت الابنة بطبق الحساء ، وضعت الصينية على منضدة صغيرة وقالت :

ـ ساعده يا أخى على الجلوس ليأكل ..

قام الأخ بالمهمة ، وضع صدره خلف ظهر أبيه كمسند .

ـ استرح على صدرى يا أبى ..

أمسك الأب الطبق بكلتا يديه ، دلقه فى جوفه ، حمدا لله ، وتمتم .

ـ لم يعد له زاد ..

ثم بصوت واضح لابنته :

ـ جزاك الله كل الخير يا ابنتى ..

تبادل الأخ وأخته النظرات الحيرى ، خرجت دامعة العينين وصوته يتخافت خلفها :

ـ اعرف يا بنى من الذين لا يحاسبون فى القبر ؟

ـ من يا أبى ؟

ـ الأنبياء والصديقين والشهداء ، واللذين يرافقهم يوم موتهم الأطفال ..

قال الابن :

ـ الأطفال أحباب الله .

قال الأب بصوت عفى :

ـ قم من ورائى ، اذهب لأطفالك ، أنا بخير ..

حين أراح رأسه على الوسادة ، أخذ يتمتم بكلمات غير واضحة ، ثم استغرق فى الخيط الفاصل بين اليقظة والنوم ..

جلس الابن فى الحجرة الأخرى ينهنه بالبكاء ، قالت أخته بصوت هامس :

ـ حذار أن يسمعك

وأردفت :

ـ هل أعددت عدتك ..

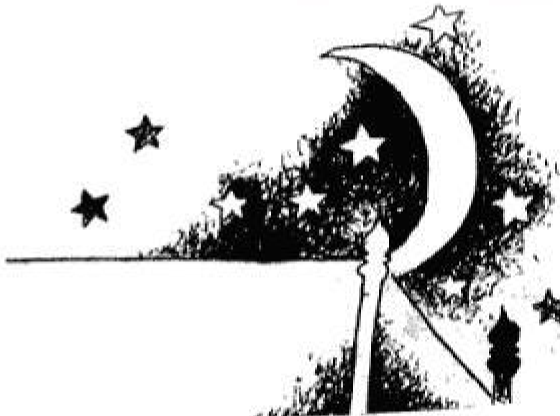
هز رأسه بالايجاب ..

ـ ألم يسألك عن أخيك ..

توقفا على صوت صفق راحتى الأب ، هرولا اليه ، سأل ابنه :

ـ أين أخوك ؟

ـ سيأتى بعد قليل ..





ـ ظننته لن يأتي كعادته ..
ثم تطلع الى رف المذياع وقال :
ـ اسمعني القرآن ..
أدار الابن المذياع ، جلس على حافة الفراش واخته تعد له كوب الشاي ، أخذت رأسه تميل يمنة ويسرة مع صوت المقرئ ، والعجوز يشارك المقرئ التلاوة بصوت رخيم ، تسح عيناه الدموع ، لمسها الابن بطرف اصبعه :
ـ مايبكيك يا أبي !
ثم جفف دموعه وقال :
ـ الفرحة يابني ..
ـ أتعرف يابني أن قلوب البشر جامدة ! يقول الناس لبعضهم « لا أراكم الله المكروه أبدا » ، هذا جحود ، والمفروض محاربة هذا الجحود في لغة الناس ، لا يصيب الله عبدا من عباده بمكروه أبدا ، فلماذا ينطقون الناس بها !
قال الابن :
ـ يرددها الناس يا أبي ..
قال الأب بعد حمد الله :
ـ أريد شربة ماء ..
حمل الابن كوب الماء ، قربه من شفتي أبيه ، تناول الأب رشفة ثم حمد الله وتمتم :
ـ لم يعد له ماء ..
وبعد أن استلقى على ظهره ثانية قال :
ـ يابني ، لا أريد صرخة واحدة في جنازتي ، ولا عزاء بعد ثلاثة أيام ، ولا تزور أختك قبري .. ! اللهم !
ـ أمرك يا أبي ..
ـ فليسامحها الله ..
ـ من يا علي !
ـ أختك !
ـ لماذا يا أبي !
ـ لأنها ستخالفك ، وستزور قبري .. ستقلق راحة الأطفال حولي ..
ـ أي أطفال يا أبي ..
ـ ملائكة رحمتي يابني .. انهم أتون الي ، ألا تراهم !
ـ أجل يا أبي .. كنت أراهم في كتابك وأنت تعلمهم القرآن ..
أمسك الأب يد ابنه ، مسحها بيده الأخرى ، قال :
ـ دعني وحدي ، أغلق الباب وراءك ..
خرج الابن ، ترك الباب مواربا ، وقف ساهما ، شد انتباهه صوت أبيه ، مليئا بالفرحة :
ـ هيا يا أحبائي ، اقرأوا الفاتحة ..
نظر الابن من فرجة الباب ، رأى ابتسامة ترف على شفتي أبيه ، رأى اللبن يترقرق تحت جلد وجهه ، رآه يصل الى يديه ، يبدو واضحا جليا في رجليه ، سمعه يقول:
ـ أحسنتم ، أحسنتم يا أحبائي ..
وارتفع صوته شاهقا :
ـ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ..
اقتحم الابن الحجرة ، اقترب بوجهه من وجه أبيه ، تحسس النبض في معصمه ، أجهش بالبكاء.
وتحققت نبوءة الأب ، حمل معه في كفنه طفلين صغيرين ، ولحق به على باب القبر طفلان آخران .





موسم
الجوائز
الأدبية

الشباب يخطفون الجوائز في فرنسا!

آن الاوان لبعض المفاهيم ـ فى حياتنا الثقافية ـ انتتغير او ان تذهب ادراج الريح . مثل تلك التسميات المتداولة فى الصحافة الادبية والاوساط الثقافية . كان نلقب ادبا ما بالاقليمية . او نتوج لكاتب العمارة او الامارة . او نطلب ريادة لجيل من الاجيال . او ان تمنح الجوائز الادبية لنوع معين من الادباء وغير الادباء دونا عن غيرهم لاعتبارات بالغة الخصوصية .

بقلم : محمود قاسم



تسوق هذا الكلام غير القاسي بمناسبة حديثنا عن الجوائز الادبية التي منحت في الشهر الماضي في فرنسا فقد منحت اكثر الجوائز الادبية للشباب الاقل من الخامسة والثلاثين وهي جوائز كما سنرى لها اهميتها • ليس في فرنسا وحدها بل في الخارج ايضا • وفي الاعوام الماضية كانت هذه الجوائز تمنح للشباب والشيوخ على السواء • المشاهير الاقل شهرة معا ، فهي تمنح للادب الجيد المكتوب بالفرنسية بصرف النظر عن سن الكاتب او مدينته او ديانته أو جنسه • بعض هذه الجوائز أعلى قدرا في فرنسا من جائزة الدولة التقديرية - في بلادنا مع الفارق - التي لا تمنح سوى لشيوخ الفكر والعلم ، والبعض الاخر يقل درجات لكنها في الاعم جوائز كبيرة • مثلا باتريك بيسون الذي نال جائزة الاكاديمية الفرنسية عن روايته « دارا » يبلغ التاسعة والعشرين من العمر ، ثم هناك هكتور بيانشوتي الذي منح جائزة فيمينا عن رواية «بدون رحمة من السيد المسيح » ، ميشيل برادو الذى نال جائزة مدسيس عن « مولد شاعر » ، يان كوفليك الذى نال جائزة جونكور عن « عرس البربر » كلهم في سن الشباب • والطريف أن ابناء اكبر منهم بربع قرن في بلادنا يطلق عليهم ابناء شباب •

لندع هذه المرارة التي تقطر دما ونحن نتابع ما يدور في العالم الثقافي ونتحدث عن أحد هؤلاء الشباب لن نقول اديبا شابا لأن هذا التعبير أصبح سيىء السمعة • فباتريك بيسون الذى نال جائزة الاكاديمية الفرنسية يعد الآن علامة بارزة في الرواية الفرنسية وقد سعد بيسون كثيرا بحصوله على الجائزة •• خاصة انه قد نالها في اطار احتفالات الاكاديمية بمناسبة مرور ثلاثة قرون ونصف على انشائها •

وبيسون الذي ولد عام ١٩٥٦ نشر روايته الاولى « شرور الحب الصغيرة » وهو في السابعة عشرة من عمره في احدى كبريات دور النشر • وقد كشف في عام ١٩٧٤ عن مولد كاتب من الطراز الاول •• نشر حتى الان قرابة عشر روايات تتبعها النقاد الواحدة وراء الاخرى ليؤكدوا أن بيسون ليس كاتبا بالمصادفة او كاتب الرواية الواحدة • من أهم هذه الروايات « الم تر سلسلتى الذهبية ؟ » ١٩٧٩ ، « رسالة الى صديق مفقود » ١٩٨٠ ، « حنين الاميرة » ١٩٨١ • « المسكين اللبناني » ١٩٨٢ • ثم « سفاهة » ١٩٨٥ ، « دارا » ١٩٨٥ التي نالت جائزة الاكاديمية •

جاءت روايته « شرور الحب الصغيرة » معبرة عن المرحلة التي يمر بها الكاتب اثناء كتابتها • فقد بدأ يكتبها وهو في الخامسة عشرة من عمره لذا تناولت هذا الجيل من الشباب الذين يعبرون عن مستقبل قادم ملىء باطفال حزانى لا طموح لهم ولا روائح تحرر او رغبة في النجاح •• كل ما يودونه هو التدمير بلا سبب او دافع • جيل ضائع يحمل حقيبة

الشباب يخطفون الجوائز في فرنسا

صغيرة يجوب الشوارع ويبحث عن العزلة • يؤثر الصمت لانه لا يجيد الكلام • ولا يمكن لاحد ان يقتنع بما يقوله • واذا كان هذا هو حال الصغار فان الكبار ينظرون اليهم بارتياب • والبنات في حال يرثى لها ، فهن يبحثن عن تفاهم واضح • ان يحبهم الشباب بنفس الطريقة التي تعرضها افلام السينما • لقد علمتهم الافلام ان يمارسوا الحب بأى ثمن • وبلا شعور محبب • او انتماء واضح ، ويقول بيسون في المقدمة ان هذه ليست رواية، ولكنها خيالات مؤلف يعتذر لهؤلاء الذين لا يعرفونه •

« نمنا معا • دون ان نمارس شيئا • لم تعد لور ترغب في المزيد • لعبت لعبة العروس • لعبة اقل غواية • ضحكنا اقل • وكنا اقل تعبا • ولكن اكثر حياة • فثارت الى لور ثم ضحكت ولهثت • عندما انتهيت نامت على مقربة مني كاخ واخته » ص ١٤١ •

وفي روايته « خطاب الى صديق مفقود » يتحدث عن فتاة تدعى جلاديس ، في السابعة عشرة • ترحل اثناء ثورة مايو عام ١٩٦٨ الى احدى بلاد اوروبا الشرقيةحاملة معها حقيبتين كبيرتين • اما مارك البر فهو شاب فرنسي عادى • لايمتلك سيارة ولا مالا •• يعمل في احد ستوديوهات التصوير •• كما يرتزق من اعطاء دروس في لعبة الكاراتيه بين حين واخر • اما صديقه موقتار فهو بطل رياضي • يعاني من اعجاب الفتيات بجسده المفتول واللائي يدعونه الى اسرتهن « يجد نفسه نائما فجأة • ولا يتذكر اى تفصيلات سوى ان هناك رغبة في النوم ويتساءل • ترى من كانت تلك الفتاة • ص ٩٢ •

وتختلف جلاديس عن هذه النماذج من الشباب • انها تحب الرحيل • وترى ان من لا يرحل يجب الا يعيش • تحتفظ بمذكرة سميكة دونت فيها كل مشاهداتها • تروح هنا وهناك • تجد ان في الحياة اشياء اكثر جدية من اسرة الرجال • تكتب رسالة الى صديق لم تعثر عليه بعد • تحدثه عما شاهدته • وعن بعض الشباب الذين قابلتهم • وقد تناول الكاتب هذه المستويات دون ان يربط بينها برباط واضح • فهي مجرد نماذج تتحرك في الحياة من خلال احداث الشباب • «كنا اربعة • وكانت لنا اربع حيوات مختلفة » •

وقد اهتم بيسون ايضا بابناء جيله من الشباب في روايته « حنين الاميرة» حول دافيد كيسلنج الجندى الشاب • هو ايضا تكفيه ليلة واحدة كي يألف الاشياء من حوله • يكتشف يوما جثة للصول اريك في مخلته • يهاجم بفكا ويكسب في مباريات الكرة • هناك رجال عديدون يحيطون هذا الرجل الذى على عجالة دائمة • انه رجل يحب الادب والتاريخ والحركة • ويقول فردريك فيفو في مجلة لونوفيل اوبز فاتور - ٥ ديسمبر ١٩٨١ - ان بيسون قد قدم في هذا المجلد الصغير عشر روايات مجتمعة وانه قد القاها جميعا عبر النافذة حيث تتراكم الجثث فوق السلم • والعشاق يتعانقون • لقد حلم بجزيرة خيالية مليئة بحكايات

السحرة » • ويقول ان الكاتب قد قارن بين المرأة والليل في روايته • فالمرأة اشبه بكراس ذي الف فرخ كالكرتب متعاقب الاوراق • ولا نعرف ماذا نجد كلما نزعنا ورقة •••

اما روايته الاخيرة التي حصلت على جائزة الاكاديمية « دارا » فقد غير فيها الكاتب اتجاهه • والنزعة التي يعرف عنها • لقد اصبح اكثر نضجا ووعيا بواقع العالم من حوله • ولم تعد المرأة بالنسبة له ولابطاله جسد يرتعش لحظات عابرة ، ولكنها مخلوق يعي قضايا المجتمع • دارا امرأة يوغسلافية • فقدت السنوات الاولى من حياتها في زغرب • ثم تقرر الرحيل عن بلادها متجهة الى ايطاليا • وما تلبث ان ترحل الى فرنسا حيث تقيم في احد الفنادق الصغيرة • تعمل بالتطريز داخل الفندق كي يمكنها ان تقتات • انها امرأة بلا عائلة ولا اهل تتسم بالتمرد • وقد تبدو لهؤلاء الرجال الذين يحومون حولها غامضة لكنها بكل بساطة امرأة تنظر الى الامام •• تحلم بان تكون ذات جدوى سياسية من اجل انقاذ هؤلاء البائسين في كل مكان بالعالم وخاصة في بلادها •

ودارا تعترف ان التمرد ليس سوى حالة فردية • ولكنه حركة تاريخية يجب ان يحتويها هؤلاء الصامتون في كل مكان بعد ان يحطموا العزلة التي يعيشون فيها ، لم تعد المرأة في ادب بيسون مجرد جسد يرقد فوق اسرة الرجال • تهتم بالغزل والعري • لقد نضجت وارتبطت بحركة التاريخ • تعترف دارا انها لجأت الى التطريز كدليل ان المرأة يمكنها ان تمارس عملا بسيطا من اجل سد جوف بطنها الاكول بدلا من ان تكون فتاة من الرقيق الابيض •• لذا فانها تفكر ان تعود مرة اخرى الى يوغسلافيا كي تضم تحررها الى تحرر بنات بلدها وتنهي عزلتها التي صنعتها لنفسها •• انها ليست متمردة تجتر الشكاوى •• ولكن عليها ان تعمل •• فالعمل تدبير •• وثورة •

وشخصيات بيسون قلقة في كل رواياته •• لكنها تتحدث عن ادق التفاصيل المتعلقة بحياتها وهو لا يزحم هذه الشخصيات بهموم تتوالى فوق بعضها البعض • وكما راينا فان المشاكل التي يعاني منها ابطاله اقرب الى الرفاهية •• وهذا النوع من الادب يجد له قراءة خاصة من الشباب ••

السؤال الذي يمكن ان نطرحه الان• هل منح بيسون الجائزة حين اختار امرأة متحررة • حتى وان كان تحررها سلبيا ؟ • وهل يمكن لهذا الاختيار ان يأتي بجائزة الى كاتب ؟ من المعروف ان الاكاديمية الفرنسية تتسم بالتحفظ الشديد • ويفكر اعضاؤها الف مرة قبل ان يمنحوا جوائزهم لرواية قد تبدو فيها الشبهة السياسية • فمن المعروف ان هذه الاكاديمية قد تعرضت خلال الثلاثة قرون ونصف الماضية لمحن بسبب السياسة • وعندما استقرت بها الامور لم تود ان تكون جائزتها مشبوهة وبالنظر الى الاسلوب المتبع في اختيار الفائز بالجائزة ندرك الى اي حد يبتعد الاختيار عن الشبهات الا في حالات قليلة • فمن بين مئات الروايات التي تصدر خلال العام الذي تمنح فيه الجائزة والتي تقوم اللجان بالتصفية فيما بينها واختيار ست روايات أو اكثر بقليل كي يتم اختيار احدها •• حتى اذا جاء يوم الاقتراع يكتب كل عضو من لجنة التحكيم اسم الرواية التي يختارها • وتفوز الرواية التي حصلت على اعلى الاصوات ••

الشباب يخطفون الجوائز في فرنسا

ومن المعروف ان الصحف الفرنسية تنشر ترشيحات الاكاديميات الادبية الكبرى : الاكاديمية الفرنسية ، جونكور ، رينودو ، فيمينا ، مدسيس• وفي اغلب الاحوال فان الروايات المرشحة تتكرر اسماؤها في كل هذه الاكاديميات • حيث ان المفروض يتم اختيار أحسن الروايات على مستوى العام • ومن هنا تبعد شبهة المجاملة او المصادفة • وعندما تعلن الاكاديمية الفرنسية اسم الفائز بجائزتها في الرابع عشر من نوفمبر يتم استبعاد اسمه من بين المرشحين في الاكاديميات الاخرى كي يمكن لكاتب آخر ان يأخذ فرصة ترشيحه او فوزه •

وقد حدثت المفاجأة بالفعل هذا العام • حيث ان الروايات التي فازت بجوائز في الاكاديميات كانت موجودة في قوائم ترشيحات الاكاديمية الفرنسية•

يسوقنا الامر الى الحديث عن نظام منح الجوائز في بلادنا اولا : لا توجد اكاديميات ادبية لدينا تعمل بنفس الطريقة •• واذا وجدت بعضها ـ مثل المجمعات اللغوية ، فانها لا تؤدى هذا الدور • اما الجهات التي تمنح الجوائز فهي حكومية • وقد منحت جوائزها لاسماء قيل انها دون مستوى الجوائز ـ التقديرية والتشجيعية ـ واكثر هذه الجوائز تمنح لغير المبدعين كما انها تمنح عن ماض ادبي او فكري معين • ونحن ندعو بهذه المناسبة الى انشاء اكاديمية ادبية تلعب نفس الدور• فاذا كانت فرنسا قد انشأت اكاديميتها الادبية عام ١٦٣٦ ثم تم انشاء اكاديميات اخرى لها اهميتها • فاننا حتى الان لم نؤسس اكاديمية ادبية واحدة • رغم ان الوقت قد حان منذ أمد طويل • واعتقد انها يجب ان تبدأ بمبادرات خاصة بعيدا عن التنظيمات الرسمية ، وعندما ستجد اكاديمية ادبية مصرية او عربية في بلادنا اعتقد ان الحياة الثقافية ستتغير بشكل ملحوظ الى الافضل •

● احتفظ بشخصيتك ●

لا يرتضين احد بأن يكون مجرد آلة يديرها عقل شخص آخر . لقد وهبنا الله المقدرة على التفكير والعمل ، فإذا تصرفنا بعناية ، طالبين من لدنه الحكمة فهو يجعلنا اكفاء لحمل الأعباء . فحافظ على ما وهبك الله من شخصية ولا تكن ظلاً لأحد .

لا تظنن انك تعلمت مافيه الكفاية ، وانه قد آن لك ان توقف جهودك ، ان العقل المثقف هو مقياس الانسان فلتستمر ثقافتك مدى حياتك ، لا تدع يوماً يمر دون أن تتعلم شيئاً وتستخدم معرفتك استخداماً عملياً .

اذكر انه أياً يكن المركز الذى تشغله فانت تكشف عن الباعث وتنمى الخلق . وايا كان عملك بدقة واتقان واجتهاد ، وتغلب على الدافع الذى يميل بك إلى نشدان عمل هين .

العالم في سطور



الاسكندرية

المصلح .. في الثغر
درينمات .. درينمات ..

لم يكن للصحافة الادبية المصرية حديث سوى عن زيارة فردريك درينمات الى القاهرة . فبينما يتناول درينمات غذاءه فى جريدة الاهرام وسط « رجال » الثقافة المصرية . فإن حادثا ادبيا هاما قد تم فى نفس اللحظة بقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية . حين ألقى الكاتب الفرنسي المعروف ميشيل بيتور محاضرة فى السادس والعشرين من نوفمبر الماضي حول الرواية الجديدة . اتجاهاتها . ومستقبلها .

لم تنشر الصحافة الادبية سطرا واحدا عن هذه الزيارة التى كأنها تمت فى الخفاء . رغم أن بيتور لايقل شهرة وأهمية عن درينمات .. فهو روائى وناقد وفيلسوف . وهو لايزال يقدم عطاءه حتى هذه اللحظة ـ ولد عام ١٩٢٦ ـ انه أحد الذين انطلقوا للبحث عن شاعرية الرواية تمسك بالشكل وعروض الشعر . وهو من الذين صنعوا مايسمى بعبقرية المكان . قالت موسوعة الأدب الفرنسي « أدب اليوم » أن بيتور يستطيع ان يصبح اكبر روائى فى فرنسا لقد مزج الفلسفة بالشعر بالرواية فتوهجت سطوره ومعانيه .

تقول موسوعة ادباء فرنسا ان كل رواية لبيتور هى نوع من الحج الابداعي الذى يسعى الى التحرر . وجمع الصياغات . والنسق الانشائي وتتجه الرموز نحو « مطهر » ليصبح مطهر المؤلف ومطهرنا .

بيتور كاتب قليل الانتاج قياسا الى زملائه من ادباء اللارواية . من أهم هذه الابداعات نرى « التبديل » ١٩٥٨ ، و « رحيل العهد الذهبي » و « ابريل المتسع » وقد صدرت له فى العام الماضي خماسية روائية تحت عنوان « المصلح » .



صنعاء

سليمان .. وملكة سبا

كثيرا مالفت النظر علاقة التواجد المرتبطة بين الكتب السماوية وبين كتب التاريخ خاصة

ويمكنني منه أن أرى البحر البعيدة .

ملكة سبأ اذن امرأة ساحرة مثل نساء التاريخ الاخريات . كليوباترا وسميراميس . ولذا فيجب ان ترتبط برجل عظيم مثل سليمان لتحقق امبراطوريتها وقد اجتمع في الطرفين كل الوان الثراء والقدرات الخاصة .. وكونا ثنائيا لامثيل له في التاريخ .

الجدير بالذكر ان السينما الامريكية قد قدمت فيلما عام ١٩٥٨ عن « سليمان وملكة سبأ » قامت فيه جينا لولو برجيدا بدور بلقيس .. وهو ممنوع من العرض في البلاد العربية لانه يسيء الى التاريخ العربي القديم .



فيما يتعلق بالشخصيات التاريخية المذكورة في كل منهما .. ملكة سبأ هي إحدى الشخصيات التاريخية الهامة المذكورة في الكتب السماوية .

بلقيس ملكة سبأ التي حيرت النبي سليمان وحيرت العلماء والباحثين .. وحول هذه المرأة الساحرة الغامضة قدم جابرييل دويارد كتابه الذي يقول فيه ان اكثر المصادر التي استمدت عنها معلومات حول ملكة سبأ مأخوذة عن مصادر عربية . هذه الشخصية بالغة الاهتمام سميت بلقيس . التي حكمت بلاد اليمن السعيد ذات الشمس المشرقة دوما . والتي اكد العباسيون انها قد ولدت في الحبشة ويقول ان اسمها الحقيقي ماكيدة .

ويذكر الكاتب أن المرأة كانت تحلم بانشاء امبراطورية كبيرة قبل زمن الاسكندر الاكبر تضم كلا من الحبشة والسودان ومصر وكينيا . ولذا فضلت أن تنتقل من اثيوبيا الى مصر واختارت اليمن لأنه بؤرة طيبة لبدء تحقيق امبراطوريتها . وامرت بانشاء مدينة سبأ أو « مأرب » أود انشاء مدينة فوق الرمال لايوجد مثيل لها في العالم كله . اريد انشاء قصر ضخم تطل كل شرفاته على الحدائق المليئة بكافة أنواع الخضر والحيوانات النادرة

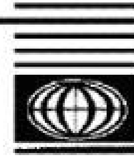
ريودي جانيرو

الفنان .. والديكتاتور

أخيرا خرجت « ذكريات السجن » الى العالم ..

فبعد عامين من الرقابة حول الفيلم الذي أخرجه نلسون بيريرا دوس سانتوس عرض فيلمه في الولايات المتحدة واوربا . ويتناول الفيلم كأغلب الوان الفنون في امريكا اللاتينية العلاقة بين الحاكم الديكتاتور وبين الفنان المثقف . فقد استمد الفيلم عن سيرة ذاتية كتبها أديب برازيلي يدعى جراشيليانو راموس وجد نفسه مسجونا سياسيا عام ١٩٣٥ ابان حكم الدكتاتور جتليو فارجاس .

يقول المؤلف أن الدكتاتور لم يسجنه وحده بل سجن كل الشعب البرازيلي ابان فترة حكمه . وان الحاكم عندما يزج بكاتب الى السجن لاسباب سياسية فانه يخنق روح الشعب واحساسه . وان العلاقة متوترة دائما بين اى فنان والديكتاتور . اما المخرج الذي يبلغ من العمر الثامنة والخمسين فيقول ان



ليون

صحوة الاسلام .. في مدينة فرنسية

كان المؤتمر الاعلامي الاسلامي الذى عقد فى مدينة ليون فى الاسبوع الاخير من نوفمبر الماضى بمثابة نقطة مضيئة اخرى لتصوير الاسلام والمسلمين بالصورة اللائقة بهم . فقد قامت كل الصحافة الفرنسية بالحديث عن الاسلام ومستقبله فى اوروبا ومن الصعب ان نحصر كل ماكتب هنا لكن مجلة لوبوان - ٢٥ نوفمبر ١٩٨٤ - تؤكد ان اعداد المنضمين الى الاسلام فى تزايد مستمر بسبب اعجاب الاوربيين باسلوب الحياة الاجتماعية الذى يعيشه المسلمون فى اوروبا .

وتتحدث جريدة لوموند فى أول ديسمبر ان تعاليم الاسلام تجد هوى فى قلب الاوربى حين تنكر العنصرية والتعصب الاعمى وتدعو الى المحبة ونبذ الشرور وترى الجريدة ان هجرة المسلمين من شمال افريقيا الى فرنسا كانت سببا لتكوين هذه الجالية الكبيرة من المسلمين .

وقد قام جان فرانسوا ريفيل بعرض كتاب « عودة الاسلام » لبرنارد لويس فى مجلة لوبوان - ٢ ديسمبر - وهو كتاب صدر باللغة











الشعب البرازيلى لم تنطلى عليه حكاية ان الفيلم تدور أحداثه فى الثلاثينات . فقد سعى الشعب الى تغيير الاوضاع السياسية فى الانتخابات الاخيرة .

يتناول الفيلم بالطبع ألوان القهر التى يتعرض لها الفنان فى السجن مع بقية زملائه من المساجين السياسيين والجدير بالذكر ان دوس سانتوس سبق أن قدم افلاما مماثلة . وتاثر بوضوح بالواقعية الايطالية حيث تدور أحداث افلامه كلها فى الاحياء الفقيرة بالبرازيل . اخرج اربعة عشر فيلما من اهمها « ريو ٤٠ درجة » « ريو منطقة الشمال »

الانجليزية يتحدث عن عصور الازدهار الاسلامية في القرون الوسطى . ويرى ان عصور الازدهار تبدو قادمة مع سنوات المستقبل . ومن بين العبارات التي كتبها لويس في هذا الكتاب : « يحتوى القرآن الكريم على مئات الآيات القرآنية التي تنظم الحياة الاجتماعية والاستقرار الأسرى واذا تناولنا خمسين كتابا تتناول التقاليد الاسلامية . فهناك كتابان او ثلاثة منها تتحدث عن واجب الانسان تجاه ربه . اما الباقي فتدور حول المجتمع والاقتصاد والقانون والسياسة في الأسلام »

ويقول ريفيل أن الفرصة قد جاءت للمسلمين لاستعادة امجادهم فترى هل يمكنهم اقتناص الفرصة .. أم سيتركونها تفلت من بين أيديهم ؟

الجزيرة العربية

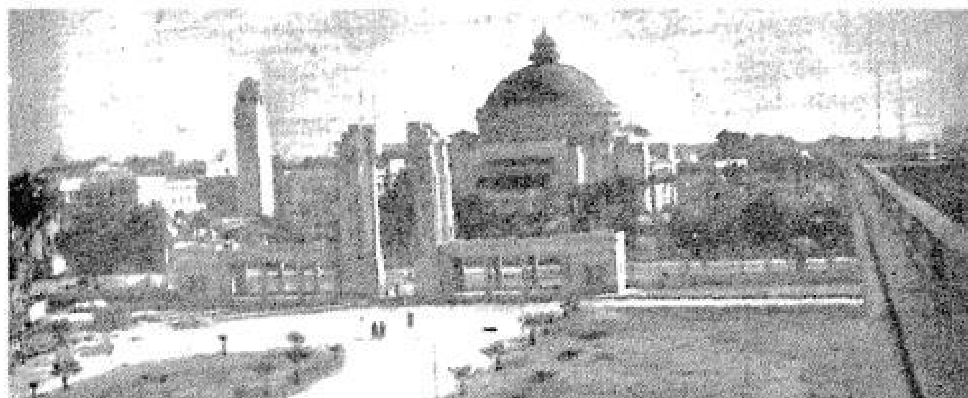
البخور وسحر الشرق

تعتبر منطقة شبه الجزيرة العربية هي الموطن الاصلي لأفضل انواع شجر البخور فتنمو اشجار البخور على امتداد ٢٤٠٠ ميل بداية من اليمن الجنوبية مروراً بمرتفعات اليمن الشمالية ثم صحارى عمان وحتى منطقة بترا بالاردن وتعتبر افضل مناطق شبه الجزيرة العربية لزراعة البخور على وجه الخصوص هي المنطقة الضيقة من سهل صحراء عمان المتاخم لسلسلة الجبال الخضراء في منطقة دوفار باليمن الجنوبية حيث تتوافر الظروف الملائمة لنمو هذه الاشجار والتي تتمثل في درجة حرارة استوائية ثابتة وتربة من الحجر الجيرى ورطوبة عالية طوال العام بفضل الرياح الموسمية . ويتم استخراج مادة البخور عن طريق عمل عدة شقوق في لحاء الشجر فتخرج منها بعد فترة من الوقت مادة لبنية



بيضاء تجمع في وعاء ثم تجمد لتتحول الى مادة ذهبية نصف شفافة وهذا هو انقى انواع البخور في العالم وتواجه زراعة البخور في منطقة شبه الجزيرة العربية مشكلة انقراض جيل العاملين في جمع عصارة البخور فمعظمهم اتجه الى صناعات اخرى كحقول البترول لما تدره من دخل كبير مما ادى الى انتشار انواع البخور الرخيصة السعر والمفتقدة للجودة والتي تبيعها الهند والصومال لكافة انحاء العالم رغم ان منطقة شبه الجزيرة العربية كانت هي الموطن الاصلي لتصدير أجود انواع البخور في الزمن القديم الى بلاد اليونان وروما وغيرها من الحضارات القديمة .

ولعل اول من عرف البخور وفوائده هم المصريون القدماء فقبل الاف السنين استخدم المصريون البخور او ماأطلقوا عليه « عطر الآلهة » في اداء طقوسهم داخل المعابد كما استخدمته النساء للتزين والتعطر . وقد جاء ذكر البخور لاول مرة في التاريخ في القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث دونت على مقبرة الملكة حتشبسوت وعلى جدران معبدها وصف لرحلتها الى بلاد بنت (الصومال) للحصول على البخور . وفي عام ٤٥٠ قبل الميلاد عندما كانت اثينا في عز مجدها وصف هيرودوتس ابو التاريخ اليوناني بخور الجزيرة العربية في قوله « إن المنطقة كلها تتعطر بهذا البخور وتستنشق رائحته الذكية » وفي عصر ازدهار الحضارة الرومانية . استخدم الرومان البخور في طقوس حرق جثث الموتى حتى يقال أن نيرون استخدم مايوازى انتاج الجزيرة العربية كاملاً في عام في حرق جثة زوجته بوباي .



جامعة سنة ٢٠٠٠

جامعة مفتوحة ومكان لكل طالب

بقلم : محمد فتحي

● رسخ في الاذهان ارتباط مصطنع بين جامعة الاعداد الكبيرة، وبين تدهور العملية التعليمية ، وتدنى معارف الخريجين ، وضعف مستوى الدراسات العليا والبحث العلمى .. الى آخر المثالب التى يعانيها نظام التعليم العالى حاليا .

وجامعة الاعداد الكبيرة ضرورة حضـارية ، يفرضها الواقع . فالمتعلمون الكثيرون ـ ان أحسن اعدادهم واستثمارهم ـ طاقة دافعة صاحبت كل النهضات ، وكل موجات المد الحضارى .

هذا بالاضافة الى أن تراثنـا الروحى يرقى بطلب العلم الى مستوى الواجب الدينى ، الامر الذى طمحت اليه فيما بعد الاتجاهات الديمقراطية ، فجعلت العلم بين الحقوق الاساسية للانسان ، ممـا أوجب اتاحة أوسع فرص التعليم الجامعى ، وتخفيض تكاليف هـذه الفرص فى نفس الوقت .

وهناك موقف يبعث على التساؤل عن طبيعة المعضلة الكامنة بين الواجب والحاجة من جهة ، وبين امكانية تلبية ندائهما من جـانب آخر .. هل هى معضلة حقيقية أم مصطنعة ؟ وما هو المخرج من هذه المعضلـة ●

● إمكانيات تعليم طالب واحد تكفى لتعليم خمسة طلاب فى الجامعة الحرة ..

● لماذا لا يصادف قطار التعليم العالى المرء إلا مرة واحدة فى حياته ؟

التعليم عملية اتصالية من حيث الجوهر . أى أن هناك رسالة « مواد » ، ينقلها مرسل « مدرس » ، ليستوعبها مستقبل « طالب » . وطبيعى أن يبدأ التعليم ، كغيره من العمليات الاتصالية ، بالشكل الشخصى .. أى بطالب ومدرس ونص فى مكان واحد .

لكن بينما اتخذت العمليات الاتصالية الاخرى وجهة الاعتماد المتزايد على الوسائل الجماهيرية ، فانقرض مثلا ـ أو يكاد ـ الراوى الذى كان يحكى « سيرة أبى زيد » ، خالفا مكانه لوسائل الاذاعة المسموعة والمرئية .. بينما حدث ذلك بقيت الصلة التعليمية فى اطار ماكان يجرى فى الكتاتيب ..

● مميزات الشكل الكتاتيبى ●

وقد يراود الاذهان ان مميزات الشكل الكتاتيبى « الشخصى » هى ما تجعله الانسب للعملية التعليمية عامة ، وان هذه المميزات هى الدافع وراء تمسك الجامعة به ، ادراكا منها لدورها فى الحفاظ على الاصالة شكلا وموضوعا ..

ولا جدال فيما يتمتع به الاتصال الشخصى من دور مميز فى العملية التعليمية . لكن علينا ان نملك ناصية التفريق بين الامانى والاوهام . فمن الوهم ان ندافع ، ونحن نقوم تعليمنا الجامعى الراهن ، عن مزايا مثل استفادة الطالب من توجيه « العالم الخبير بصفة مستمرة وفورية » ، أو من « التفاعل بين الفعل ورد الفعل فى العملية التعليمية » ، أو من « الاثر الذى تصنعه هيبة المعلم » ...

واذا أدرنا ظهورنا لما هو مرتبط بظروف الجامعة الراهنة ، تحدثنا عموما عن مزايا نظام الاتصال الشخصى وانه من الزم اللوازم فى المراحل التربوية الاولى ، جريا وراء التوجيه الناجح للطفل المبهور باللعبة الجديدة « التعليم » ناهيك عن انبهاره الاعظم بهيبة المعلم « الاب » ، القادر على كل شىء ، حتى لو كان الاقتراف من وجه القمر ، باعتلاء قاعة العلم ..

لكن هذا الطفل يكبر مع الزمن وحين يصل عتبة الجامعة ، يصبح من الزم اللوازم التربوية له تقليص جرعة الاعتمادية الى اقل حد ممكن « مع جعل التوجيه انجح بالضرورة » ، وحث الميل الى التعلم « لا التعليم » والبحث الذاتى ، بل والى جهود الاعتماد على النفس عامة . ذلك بالاضافة الى ان



جامعة سنة ٢٠٠٠؟

اهمية الاب في هذه السن يكون قد شابها ماشابها ، مع نضج الطفل وادراكه لحقيقة الاوضاع .

من هنا نرى ان نظام الاتصال الشخصي ليس قدرا تفرضه طبيعة الدراسة الجامعية . وهكذا نكون قد قطعنا نصف الطريق الى التخلص من جاذبية الحركة بالتصور الذاتي ، ويبقى النصف الاخر الذي يمكن أن تساعدنا عليه الاجابة عن سؤال : وهل هناك طريقة اخرى ممكنة للتعليم ؟

وجولة سريعة في عالمنا يمكن ان تقدم لنا اجابة السؤال . فاذا اتجهنا بانظارنا صوب الصين ، وعيا بابعاد المشكلة المطروحة - الامكانيات والاعداد - لوجدنا ان « الجامعة التليفزيونية » قد صارت ادارة اساسية في التعليم العالي ، فطلابها يمثلون ٧٥٪ من مجمل عدد الطلاب المسجلين في معاهد التعليم العالي الصينية .

واذا استدرنا باتجاه المملكة المتحدة ولي الامر الشرعي لنظامنا الجامعي لوجدنا فيها اشهر الجامعات الحرة في القديم كله .

فان مثل هـذه الجامعة لن تغيب عن انظارنا .

وحتى اذا تطلعنا الى التحدي الحضاري الذي نواجهه اليوم ، فان مثل هذه الجامعة لن تغيب عن انظارنا فيما يعرف باسم جامعة « الجميع » الاسرائيلية

لقد شهد عالمنا تجارب كثيرة ، حملت مسميات مختلفة ، مثل « جامعات الهواء » وجامعات التليفزيون » و « الجامعات الحرة » و « الجامعات المفتوحة » و « جامعات المراسلة » .. وعلى اختلاف المسميات تلتقي هذه التجارب جميعا في تخليها عن الاطار التقليدي . فهي لا تجمع بين الطالب والاستاذ داخل حرم جامعي في كل وقت وانما تتمحور حول مركز اداري يعد المادة التعليمية ، ويوصلها بوسائل متعددة ، الى اناس يدرسون عن بعد ، في مجال اقاماتهم .

وقد يبدو ان الجوهري فيما يخص هذه الجامعة هو تطويعها لتكنولوجيا الاتصال « الاذاعة الصوتية المرئية والحاسبات الالكترونية » ، وتوسلها بمجموعة من وسائل ينعكس على الاطراف الاخرى للعملية الاتصالية ، مما يفتح الباب واسعا لان يكون الطالب غير الطالب ولان تكون المناهج غير المناهج ، ولان يكون الاستاذ غير الاستاذ .. اي لان تكون الجامعة غير الجامعة ، أو ان شئنا الدقة لان تكون الجامعة ارقى من الجامعة الحالية .

● الجامعة الحرة البريطانية ●

وربما احتاج ايضاح ذلك الى فكرة سريعة عن هذه الجامعة ، ولا باس من ان يكون نموذجنا هنا هو الجامعة الحرة البريطانية .

لما كانت غالبية الطلاب تاتي الجامعة الحرة من شتات مختلف المنابت ، ولما كان الساعون الى الالتحاق بها قد انهوا دراسات مختلفة ، في اماد زمنية مختلفة ، ولما كانت الجامعة تتبنى نظام الالتحاق الحر دون اشتراط سن او مؤهل فهي تفضل لو أن الطلاب التحقوا قبل بدء العام بدروس تحضيرية في مؤسسات اخرى ، او قاموا بقراءات ذاتية - تحددها الجامعة - تساعد في تاهيل الطلاب على نحو جيد لمشوار الدراسة .

وبعد الالتحاق بالجامعة يقضي الطالب معظم الوقت في بيته ، يتسلم مادته الدراسية بالمراسلة عن طريق البريد ، او الاذاعة المرئية « نصف ساعة اسبوعيا

● وقت الدرس والاستيعاب في الجامعة الحرة يقل عن الوقت الذى يقضيه الطالب في المواصلات ..

فى التوسط » والاذاعة المسموعة « نصف ساعة اخرى » .

ويستطيع الطالب اذا اراد ، ارتياد مراكز دراسية فرعية قريبة من محل اقامته ، لاستيضاح ماقد يغمض عليه ، والاشتراك فى حلقات مناقشة ، تحت اشراف موجهين متخصصين .

وهناك بعض المقررات التي تلزم الطالب بان يقيم اسبوعا فى دراسة عملية صيفية مكثفة ، قد تصل الى ٧٢ ساعة، باحدى المعاهد التعليمية « وبالمناسبة تتجاوز ساعات هذه الدراسة اذا اضيف الى التجارب التي يجريها الطالب فى منزله ، وما يتابعه عبر الشاشة الصغيرة ، مما يدخل فى باب التطبيقات العملية .. تتجاوز الساعات الاضافية التى تستغرقها الدراسات العملية لطالب الجامعة حاليا .

هذا ويكون على الطالب ان يؤدى بانتظام ، خلال العام الدراسى اختبارات واعمال تحريرية يقدمها الى المراكز الفرعية ، او يرسلها الى المركز العام. وتساهم الدرجات التى يحصل عليها فى هذه الاختبارات التحريرية ، مع درجات الامتحان النهائى ، الذى يؤديه الطالب بالمركز العام ، فى تحديد التقدير السنوى للطالب فى هذا المقرر او ذاك .

هذا وتبدا الجامعة الحرة « ارسالها » فى شهر يناير يمتد نشاطها ٣٦ اسبوعا . يكون على الطالب خلالها ان يدرس مادة تستغرق ١٠ - ١٢ ساعة اسبوعيا « وقت يقل عما يقضيه طالب الجامعة حاليا فى المواصلات » . وسمح الامتداد الزمنى للدراسة على هذا النحو بالاستفادة من منشآت المعاهد التعليمية التقليدية « الورش والمعامل والمدن الجامعية » اثناء العطلة فى تنظيم الدراسات الصيفية ، كما يسمح بالاستفادة من اساتذة الجامعات التقليديين، غير المشغولين خلال العطلة ..

وان كان زمن الدراسة المقرر بالجامعة للحصول على درجة البكالوريوس هو ست سنوات ، فالفيصل النهائى بصدده هو ظروف الطالب نفسه . فقد تدفعه حاجته او حماسته الى ان ينهى مقررات عامين فى عام واحد . وقد تعوقه ظروف اخرى « الحمل والولادة مثلا » من دخول الامتحان عامين ، او تدفعه الى الاكتفاء بثلث المقررات فى عام .

هذا ولا تقف الجامعة الحرة فيما تمنحه من درجات علمية عند درجة بعينها ، ومستويات الدراسة مفتوحة حتى درجة الدكتوراة ..

ومن الجدير بالذكر هنا ان استفتاءات الطلاب ، حول مدى استخدام الاذاعة المسموعة والمرئية فى التعليم ، كشفت عن ان اكثر المتحمسين لهذا الاستخدام هم طلاب كليات العلوم والرياضيات والتكنولوجيا فى الجامعة الحرة «بل وطلاب الجامعات التقليدية ، فالبرامج مذاعة ، وليست مغلقة على اناس بعينهم» . وهذه هى الفروع التى يزداد الاقبال عليها اجتماعيا ، والتى قد يتبادر الى الذهن ان الجامعة الحرة تقصر عن امكانيات دراستها ، مقارنة بالعلوم الانسانية مثلا .

● جامعة جديدة اكثر رقيا ■ هنا يمكن العودة الى تفصيل التغيرات



جامعة سنة ٢٠٠٠

الجوهرية ، التى تفتح مثل هذه الجامعة الباب لاحداثها .

ان الجامعة الحرة باب مفتوح لمن لم تمكنهم ظروفهم ، أو لم يرغبوا فى التفرغ للتعليم أو فى مواصلته بلا انقطاع . وهنا واحدة من أكبر مميزاتها . اذ انها تقضى على محنة قطار التعليم ، الذى لا يصادف المرء الا مرة واحدة فى حياته . ويكون عليه ، خلال هذه المرة ، الفلاح فى التعليق باهدابه ، مهما كانت الظروف ، ودون أن تتواءم وجهته مع الميل الحقيقى للمرء فى أغلب الحالات .. فأين الفرصة لواحد شغلته معمعة الشهادات العامة ، والدروس الخصوصية ، على نحو مستمر ، حتى أتم الثانوية العامة ، ولم يصل العشرين بعد « ناهيك عن معمعة التنسيق » .. أين لمثل هذا الشخص أن يكتشف ميله الحقيقى بالفعل ، وعلى مهل ، وبالتجربة والاختيار تحت الفرس والسن ، هذا كما ان قدرات الكثيرين لا تتفق ، كما لا تتجلى مواهبهم ، الا فى عمر متأخر من خلال الممارسة . كما أن هناك من يتوقفون عن الدراسة لاسباب متعددة ، لكن التوق يعاودهم الى التعليم بعد فترة مدفوعين بحوافز ومثيرات جديدة تطرأ على حياتهم ، وتشحذ اراداتهم لاكتساب الجديد من المعارف والمهارات . وليس من العدل أن نقضى ، مرة والى الأبد ، على هؤلاء بالحرمان من فرصة التعليم العالم .

ويمكن المؤشرات تأكدت بين طلاب الجامعة الحرة ، مثل تزايد نسبة الدراسات ، ونسبة العاملين ، ونسبة نجاح من هم أكبر سنا .. يمكن لمثل هذه المؤشرات أن تضيف رتوشا بالغة



الدلالة الى صورة هذا الطالب الجديد .

ولاينبغى ان نغفل فى هذا الصدد ان عددا من طلاب هذه الجامعات ، لا يحملن اى شهادات دراسية ، ولا ان جامعة من هذا النوع تتيح فرصا ايسر للمعوقين والمحكوم عليهم بالسجن ، فضلا عن ثرائها بالبرامج النوعية والمهنية المتكاملة .

ولعله من الواضح ان المقررات الدراسية فى الجامعة الحرة ستكون غير المقررات المعهودة . ذلك ان ظروف الجامعة من اتساع قاعدتها ، الى المركزية والمرونة فى امكانيات التغيير والتطوير ، ستتيح الفرصة لالتزام أعلى مستوى من الجودة ، فضلا عن الحداثة ، مع عدم المساس بالمستوى الاكاديمى ، عن طريق حذف وجهات نظر وتجاهل اخرى ، وفق مايتراءى لهذا او لذاك . ناهيك عن ان مثل هذه الجامعة تتيح رقابة اجتماعية حقيقيةعلى المقررات الدراسية ، وتضعها على اهون السبل المؤدية الى استخدام الاساليب والامكانيات التربوية الحديثة .

ولعله من الواضح ايضا ان بامكان الاستاذ مع الجامعة الحرة التخلص من الاعباء التكرارية التى لا تحتاج الى قدراته ، اذ يمكن ان يتحملها ءاخرون ليتفرغ هو لما يتعذر ان يقوم به غيره . هذا كما ان الجامعة الحرة تضاعف من فعالية القدرات المتفردة لاساتذتها ، باستخدام الوسائل الجماهيرية . وذلك كله بالاضافة الى الصيغة الخلاقة التى تطرحها الجامعة الحرة لعلاقة الاستاذ بالطالب .

● الجامعة الحرة ومشاكل تعليمنا ●

ولا اعتقد اننا فى حاجة بعد ما سبق الى تفصيل مدرسى للدور الذى يمكن ان تلعبه الجامعة الحرة فى التغلب على مشاكل التعليم العالى فى بلادنا . لكنه يبدو من المفيد الاشارة هنا الى قضايا من قبيل :

- ● الربط بين الجامعة والمجتمع .
- ● الاهتمام بالبحوث التطبيقيةالوثيقة الصلة بالبيئة .
- ● قيام الجامعة بدور بيت الخبرة لمؤسسات المجتمع .
- ● دور الجامعة فى التنشيط الفكرى والتنوير والتثقيف العام .

فضلا عن .

● ربع تكلفة التعليم التقليدى ●

بقى ان نشير بسرعة الى بعض الاعتبارات الهامة بصدد الجامعة الحرة . ولعل اهم هذه الاعتبارات هو تكاليفها . ونكتفى فى هذا الصدد بالاشارة الى ان متوسط تكلفة تعليم الطالب فى الجامعة الحرة البريطانية تعادلتقريبا ربع متوسط تكلفة تعليم الطالب فى الجامعة العادية .

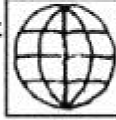
ويجب الا يغيب من الاذهان ان مثل هذه الجامعة تفتح الباب امام مساهمة اوساط اجتماعية مختلفة ـ تستفيد من خدمات الجامعة ـ فى مصروفاتها ، وان تكلفة تعليم الطالب فيها تقل كلما زاد عدد الطلاب ، لان الجزء الاكبر من التكاليف يذهب الى اعداد المناهج والمقررات طباعيا واذاعيا ..

ولا باس فى هذا الصدد من الاشارة الى ان الجامعة الحرة البريطانية تشغل مايدور حول ٥٠٠ ساعة من الارسال التلفزيونى ، ومثلها من الارسال الاذاعى . ولا اعتقد ان هذا الكم يعز على امكانياتنا ..

هذا ولا يمكن ترك الموضوع دون التنويه باننا نبدأ ـ اذا بدانا ـ من نقطة متقدمة كثيرا مقارنة ببدايات الاخرين . فلدينا شبكة ارسال تليفزيونى تغطى جل ارضنا . بل ولدينا قمرا صناعيا عربيا ، يمكن جعل الجامعة الحرة معه . مشروعا قوميا بالغ الاهمية والتاثير .

وجدير بالذكر اننا لن نبدا هذه التجربة من فراغ ، فلدى وزارة التعليم العالى ، ووزارة الثقافة ووزارة الاعلام والاذاعة والتلفزيون تجارب عديدة ، غطت جوانب كثيرة من انشطة مثل هذه الجامعات ..

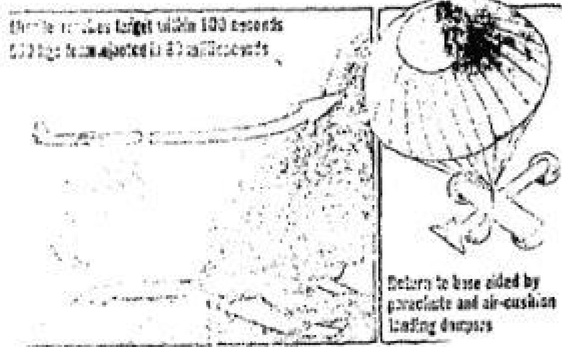
العالم.. غدا



● قذيفة موجهة لانقاذ الطائرات من الحريق ●

تقوم المانيا الغربية حاليا بتطوير قذيفة طائرة تستخدم لاطفاء الحرائق التى تندلع على متن الطائرات ، وعلى مدى خمس سنوات انفقت الشركة التى تتولى هذا المشروع ١٢,٨ مليون جنيه استرلينيا لابتكار نظام لاطفاء الحرائق التى تشتعل على الطائرات التى تطير على مسافة ٨ كيلو مترات من المطار حيث تقع ٨٠٪ من حوادث الحريق لأن الاقلاع والهبوط مازالا من اخطر لحظات الطيران ويتمثل النظام الجديد فى اطلاق قذيفة تزن ٥٠٠ كيلو جرام وتحمل مادة رغوية فعالة من ارض المطار أوتوماتيكيا ردا على اشارة الطوارىء المنبعثة من الطائرة المشتعلة وتصل سرعة انطلاق القذيفة الى ٣٦٠ كيلو مترا فى الساعة مما يجعلها من الممكن أن تصل الى الهدف المطلوب فى حوالى مائة ثانية وهناك ثلاث رسائل تضمن وصول القذيفة إلى الهدف تتمثل فى جهاز اشارة الطوارىء ووجود رأس استكشافية تعمل بالاشعة تحت الحمراء فى القذيفة بالاضافة الى كاميرا فيديو موجهة من برج المطار . وعند إطلاق القذيفة ووصولها إلى مصدر الحريق فانها تفرغ حمولتها من المادة الرغوية فى جزء من الألف من الثانية ثم تهبط القذيفة مرة اخرى إلى الأرض عن طريق باراشوت بحيث يمكن ان تعبأ بالرغوة وتعاد إلى موقعها مرة أخرى وتعتمد القذيفة على جهاز رادار وكمبيوتر مصغر مخزن فى الذاكرة ويصل سعر القذيفة الواحدة إلى ١٢٥ ألف جنيه استرلينى .

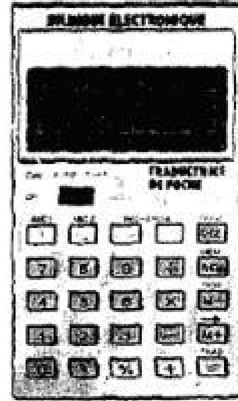
العالم غدا



● قاموس .. كومبيوتر ●

احدث قاموس صدر عن دار لاروس الفرنسية هو قاموس جيب . ويعد بالفعل أول قاموس يمكن أن تضعه فى جيبك وتستعمله بسهولة ويسر . القاموس عبارة عن حاسب اليكترونى عادى خزنت فيه اربعة الاف كلمة باللغة الانجليزية ومقابلها باللغة الفرنسية وحين يضغط الطالب على حروف الكلمة التى يريدها تظهر أمامه على الفور الترجمة الانجليزية أو الفرنسية المقابلة للكلمة التى يبحث عن معناها ..

هذا القاموس سيظهر قريبا فى الاسواق العالمية الأخرى . ومن لغات عديدة إلى لغات أخرى .. وسوف يغير تماما اشكال



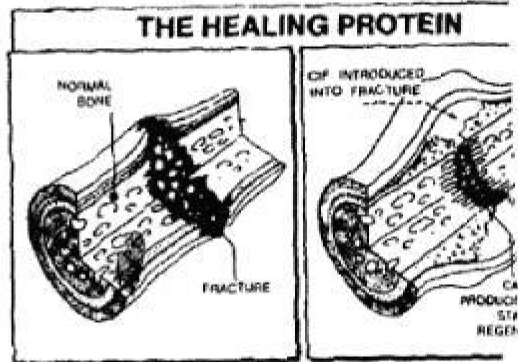
القاموس المعروفة حاليا ..
الاسم المتداول حاليا لهذا القاموس هو : «مترجم الجيب»

● أسلوب جديد وسريع لعلاج الكسور ●

هناك حالات تكون فيها العظام ضعيفة بسبب ضعف البنية المحيطة بها أو بسبب تقدم السن . لذلك فغالبا ما تحتاج عملية التئام الكسور إلى وقت طويل . توصل الباحثون مؤخرا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحديد مادة كيميائية حيوية تعمل على الاسراع من عملية إلتئام الكسور إلى جانب إعادة القوة إلى العظام التي ضعفت بسبب الشيخوخة . فقد قام العلماء بعزل بروتين يعمل على تحويل خلايا الانسجة المحيطة إلى الغضروف الأبيض الذي تتكون منه العظام . وقد اطلق على هذا البروتين اسم العامل المكون للغضاريف وهو يوجد في عظام الانسان والحيوان ولكن بكميات قليلة جدا لاتكفي لالتئام كسور العظام الاساسية بسرعة واستطاع العلماء مؤخرا استخلاص هذا البروتين من مسحوق عظام الحيوانات ومن المتوقع أن توافق وزارة الغذاء والدواء الأمريكية على البروتين الجديد مع عام ١٩٩٠ .

● تقنيات جديدة ضد تقدم الرياح ●

بعد الكوارث التي تعرضت لها الطائرات بسبب تغير اتجاه الرياح بخطط خبراء الأمن الجوي لتطبيق تكنولوجيا مراقبة اتجاه الرياح في المطارات المعرضة للعواصف الجوية . ومن بين هذه التقنيات الحديثة نظام الرادار المعقد الذي أطلقوا عليه اسم «دوبلر» . وهو مزود بالكومبيوتر ولايقتصر عمله على متابعة سرعة الرياح واتجاهها فقط . ولكنه يقوم بقياس حجمها وقوتها . وتبلغ تكاليف هذا النظام ٤ ملايين دولار وسيبدا في العمل خلال السنوات الست القادمة . كذلك فالولايات المتحدة الأمريكية في طريقها إلى إنتاج نظام رادار جديد اطلقوا عليه اسم «نيكسارد» وتبلغ تكاليفه نحو بليون دولار ومن المقرر ان يبدأ عمله عام ١٩٨٨ . ويقوم النظام الجديد بتزويد برج المراقبة والطيارين بالمعلومات عن ظروف الجو وهو يستخدم أيضا نظام دوبلر . ويمثل نظام نيكسارد تقدما اساسيا نحو التغلب على عنصر الرياح كعامل اساسي في حوادث الطائرات .





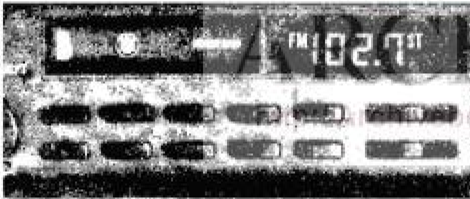
● قدم جديدة للمعوقين ●

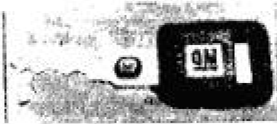


بفضل (قدم سياتل) أصبح بإمكان الشخص الذى تعرضت قدمه للبتر ان يسير ويجرى ويقفز كما لو ان قدمه سليمة تماما قدم سياتل ابتكرها الأطباء بمركز ابحاث الاعضاء الصناعية التعويضية فى مدينة سياتل . وهى عبارة عن جهاز مصنوع من البلاستيك ومغطى من الخارج بطبقة من الجلد على شكل القدم بالضبط واهمية الجهاز البلاستيك انه يمتص قوة ثقل جسد الشخص الذى بترت قدمه ثم يعمل فى نفس الوقت مثل الزنبرك ليدفعه عن الارض . وقد تم اختبار هذه القدم على ٥٠ شخصا كان اداؤهم نموذجيا بل تمكن بعضهم من ممارسة لعبة التنس وكرة السلة وقام احدهم بالاشتراك فى السباق حيث كان يقطع الميل فى سبع دقائق . يقوم ٥٠٠ طبيب متخصص حاليا بدراسة مكثفة على قدم سياتل تستمر شهرا ليقرروا عرض قدم سياتل فى الاسواق حيث يتوقع أن يصل سعرها الى مائة دولار .

● سيارات عام ١٩٨٦ محصنة ضد السرقة ●

بسبب ارتفاع نسبة سرقات السيارات فى كافة انحاء العالم بدأت الشركات المنتجة للسيارات تفكر فى ابتكار وسائل لحماية السيارات ضد السرقة لعل احدثها استخدام مفاتيح اليكترونية تحمل شفرة سرية فى السيارات المنتجة خلال العام القادم . ويشتمل كل مفتاح على كرة صغيرة من السيرامبك بداخلها شفرة اليكترونية خاصة لها نموذج مشابه مثبت داخل السيارة . وعند إدخال المفتاح فى الفتحة المخصصة له يتطابق النموذجان . وعندئذ يتمكن السائق من تشغيل سيارته . أما إذا كان النموذجان غير متطابقين فلن تعمل السيارة . يصل سعر مفتاح السيارة الاليكترونية إلى ٤٠ دولار . وبجانب سرقة السيارات فان سرقة محتوياتها فى الداخل يثير اهتمام اللصوص ايضا الذين قد يكسرون السيارة لسرقة الراديوعلى سبيل المثال ولهذا السبب انتجت الشركة اجهزة راديو مخصصة ضد السرقة .





● عطور المستقبل تشفى من الامراض النفسية ●

تبحث إحدى الشركات الامريكية امكانية انتاج عطور مخصصة لشفاء المرضى المصابين بأمراض نفسية أو جسمانية مثل ارتفاع ضغط الدم . والاكتئاب فمن



المعروف ان مايصل الى المخ من اجهزة الاستقبال الخاصة بحاستي الشم والتذوق يؤثر على العمليات الحيوية للمخ ، مثل التذكر والمعرفة والتكاثر والمشاعر المختلفة التي تغير بدورها من انشطة حياتنا . ومن خلال هذه النظرية توصل أحد المتخصصين في صناعة العطور إلى ما أسماه «البيولوجيا الجديدة» للعطور .. وتقوم الشركة التي يعمل بها بدراسات لتحديد مدى تاثير الرائحة على المشاعر المختلفة كالغضب ، والقلق ، والاكتئاب ، والخوف . ويقول المتخصصين أن العلاقة الحميمة بين الرائحة وجهاز الاعصاب تعد اداة مثالية لخفض الضغط ولذلك فسوف يطرح قريبا في الاسواق أول عطر يعالج إرتفاع الضغط وهو يخطط على المدى الطويل لانتاج عطور تستخدم كعلاج بدون اى مخاطر جانبية .

● عبدالوهاب على جرس الباب ●

جرس الباب الذى بدأ ينتشر داخل البيوت الآن بسيمفونياته المتعددة سوف يدخل المكاتب ايضا مع مطلع العام الجديد ..

هذا الجرس الذى يحتوى على مختارات موسيقية من موزار وبتهوفن وخاتشاتوريان وغيرهم سوف تسمعه سكرتيرتك بدلا من الصوت التقليدى للجرس الذى تسمعه الآن .. فقد اعد المهندس سليمان فوقي من محلة مرحوم بطنطا جرسا صغيرا يطلق هذه المقطوعات الموسيقية يستعملها المدير في النداء على سكرتيرته .. وهناك وحدة عمل منفصلة خاصة بالجرس يمكن بها ان يبلغ سكرتيرته من خلال شفرة موسيقية طلباته دون ان يتكلم منعا للاحراج . مثلا ان تعبر مقطوعة موزار عن رغبته في مشروب لضيف او احضار ملف له اهميته . او ان تعتذر عن ادخال ضيوف جدد ..

المهندس سليمان فوقي يعد الآن نوعا جديدا من الاجراس المنزلية تعزف الحانا عربية بدلا من الاحان الغربية لهواة الموسيقى العربية .. من اهم الالحان التى سيقدمها «عزيزة» لعبدالوهاب . و «الديك بيدن» لسيد درويش . وسوق العبير لفريد الاطرش .. و ... ويخشى أن يسيء البعض استعمال هذه الاجراس فيتحول المنزل الى جلسة رقص عشرة بلدى ! ..

● الكومبيوتر .. مخبر شرطة ●

بعد مرور عام على الاختبار توصلت إحدى الشركات الأمريكية إلى استخدام فريد من نوعه لشرائح الكومبيوتر والذى يؤدى إلى انخفاض مذهل فى جرائم سرقة السيارات . إذ انتجت جهازا الكترونيا لتعقب السيارات المفقودة . وهو يركب بالسيارة فى مكان يصعب الوصول إليه ويتصل بالكومبيوتر المركزى للشرطة والذى يضم الشفرة التى تساعد الجهاز على العمل وإرسال إشارات كما يضم رقم وسنة تسجيل السيارة ولونها . وعند الابلاغ عن سرقة السيارة يقوم البوليس بإرسال إشارات خاصة لتنشيط الجهاز الالكترونى فى السيارة المسروقة حتى يبدأ فى إرسال إشاراته التى تستقبلها سيارات الشرطة الموجود بها جهاز الاستقبال الخاص بالجهاز الالكترونى الجديد على لوحة اجهزة القياس لتحديد الاتجاه والمسافة النسبية للسيارة المفقودة . وعادة ماتستغرق عملية ضبط السيارة المفقودة نحو عشر دقائق فقط .

تحقيق : هبه عادل عيد

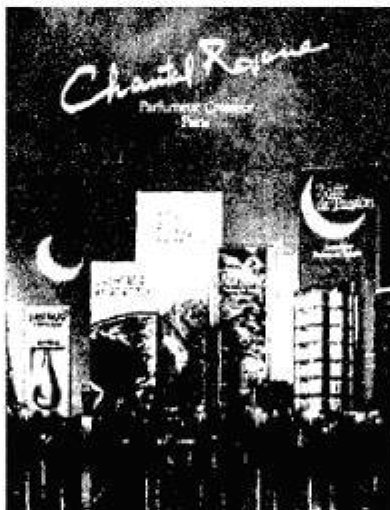
الإعلان التليفزيوني

خدمة تجارية .. أم موقع إعلامي له خطورته

الاعلانات في التليفزيون .. تلك الدقائق التي تقطع ثلث ساعة من افضل ساعات الارسال كل يوم ، يجب النظر اليها على انها جزء من مشكلة اكبر واخطر .. انها محاولات صيغت بذكاء شديد وتقنية متقدمة لتجعل من بعض السلع عادات استهلاكية ثابتة .. تصبح فيها بعد افكارا ثقافيـة تسهم في صنع اسلوب حياة باكمله ..

ان الاسلوب المستخدم في الاعلان .. ونوعية السلع المعلن عنها .. تعبر الى حد كبير عن الاتجاه الاقتصادى الذى ينتهجه المجتمع ، وعن نمط الانتاج والاستهلاك الذى تتبعه .. وعندما يقوم الاعلان بترويج السلع الكمالية المستوردة .. فهى تزيد من روح الاقتناء عند الفرد .. وتشكل عقله ومزاجه ليصبحا مستعدين لاستقبال السلعة الجديدة ..

وقد ظهرت الاعلانات عندما تعددت السلع وأصبح المعروض منها اكثر من الطلب عليها ، وقلت الفروق بين سلعة واخرى الى درجة كبيرة . وبزيادة التشابه بين السلع أصبحت الحاجة ملحة الى الاعلان ليضخم تلك الفروق ويقنع بها المستهلك ، وقد تحتم أن تكون تلك السلع المتنوعة والمتشابهة فى أن واحد سلعا كمالية .. حيث ان السلع التى تلبى الحاجات الضرورية للفرد



لا تحتاج عادة الى الاعلان عنها !•

والاعلان من حيث هو دعاية تجارية لا يخاطب العقل بل يتجه الى اثارة العاطفة ، حتى يصبح نوعا من «الايحاء التنويمي» وخاصة عند جيل الشباب•

● الشباب ومشروعية الحلم ●

يبيع الاعلان •• الاحلام للشباب ، حيث يختار لعرضه شبابا وشابات في غاية الاناقة والجمال••وتصبح السلعة السحرية التي يقدمها الاعلان•• وكأنها المفتاح الى العالم الذي يتمنى كل شاب ان يدخله ، ويشعر الشاب بالعجز والضآلة اذا لم يسع للوصول الى هذا العالم وهذا الحلم • •

فالاعلانات الامريكية على سبيل المثال تعطي صورة براقة عن الحياة الامريكية •• وتصور المواطنين الامريكيين كما لو كانوا جميعا من النجوم •• ويصبح الاسلوب الامريكي في الاستهلاك مرادفا للتقدم ••

ومن هنا يحرص الكثير من الشباب على متابعة الاعلانات لمعرفة الجديد في الاسواق ولو لمجرد التحدث عنه مع اصدقائهم وذلك في حالة عدم استطاعتهم الحصول على ما يقدمه الاعلان لهم ••

وغالبا ما يصاب الشاب بالاحباط والشعور المتزايد بالفشل في الحصول على هذه الكماليات الانيقة المرتفعة الثمن •• التي يمكن ان تعزز وجاهته امام اقرانه ، ويأتي هذا الشعور ممزوجا بالغضب لان هناك من يستطيع الحصول على كل ما تقدمه تلك الاعلانات ••

واخطر ما تشير اليه الاحصائيات عن اثر الاعلان على الشباب •• ان الاعلان اليوم يعتبر واحدا من الاسباب التي تدفع الشباب الى تعاطي المخدرات •• فهم يريدون البقاء في الاحلام التي تقدمها الاعلانات •• وابسط واقصر طريق الى ذلك •• هو تغييب وعيهم•• ليعيشوا فترة اطول في عالم الاعلانات ! ••

● ٥ ساعات اعلانات اسبوعيا ●

وقد يبدو ان في ذلك كثيرا من المبالغة ، ولكن اذا عرفنا ان الاعلانات تقتطع خمس ساعات اسبوعيا تقريبا ، اي ٨٪ من ساعات الارسال التليفزيوني و٢٢٤ ساعة اسبوعيا من واقع «٨٤٣٠» ساعة طبقا لاحصاء الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء لعام ١٩٨٠ • فان نظرتنا الى الامور قد تتغير •

وتبدو هذه الارقام ذات اهمية خاصة اذا عرفنا ان معظم الابحاث والدراسات والاحصائيات تشير الى ان الاعلانات هي المادة التي تتمتع باكبر نسبة مشاهدة بالنسبة للاطفال والشباب على حد سواء •• اي انها المادة الاعلامية الاولى المفضلة لديهم ، وهم بذلك يحرصون على مشاهدتها لذاتها •• ليس انتظارا لما يليها •

الإعلان التليفزيوني

وكلما زاد الاقبال على مشاهدة التليفزيون كلما زاد الاقبال على مشاهدة الاعلانات ... ويمكن اعتبار العكس صحيحا ايضا ... طالما ظل الاعلان والتليفزيون يتمتعان بشعبية كبيرة.. فالاعلان تفوق شعبيته المواد التليفزيونية الاخرى ، وكذلك يتفوق التليفزيون على غيره من وسائل الاعلام .

● تغيير العادات الغذائية الى الأسوأ ●

بالاضافة الى دور الاعلان فى خلق فجوة حادة بين المعايير السائدة فى المجتمع .. دونما اعتبار للاختلافات الجوهرية بين متطلبات مجتمع واخر .. يعمل الاعلان على تغيير العادات الغذائية فى المجتمعات النامية الى الاسوأ ..

واذا تتبعنا الدور الخطير الذى يلعبه الاعلان فى نشر سوء التغذية فى امريكا اللاتينية على سبيل المثال فسوف نجد ان الاعلان فى مصر يقوم بدور مماثل الى حد كبير ، وخاصة بالنسبة للمواطنين محدودى الدخل . ويؤكد الكاتبان الامريكيان ريتشارد بارنت ، ورونالد مولر فى كتابهما (الوصول العالمى) ذلك بقولهما :

تشترى العائلات الفقيرة فى غرب البنجال تحت تاثير حملات الاعلان - الالبان المعلبة لاطفالهم ، فى حين يمكنهم شراء لبن ابقار طبيعى طازج باسعار اقل كثيرا - لقد اغرتهم الاعلانات بدعوى ان الغذاء المعلب ذو قيمة غذائية مرتفعة . وان المذاق الحلو والملاءمة والمركز ومسايرة العصر بدعوى الحضارة اهم من القيمة الغذائية ...

من ذلك ما يقوله الاطباء فى قرى الريف - فى انه قد صار الطبيعى ان تبيع الاسرة ما لديها من البيض القليل الذى تحتاج اليه من اجل شراء الكوكاكولا .. بينما يذبل الاطفال لنقص البروتين - وهذا ما اسماه خبير التغذية (جيليف) « سوء التغذية لاسباب تجارية » .

وهكذا يبدأ الغزو الثقافي بالاعجاب بنمط واسلوب يستتبع التقليد .. وينتهى بفقدان الشخصية واللغة .. فالاعجاب بالنمط الغربى يقود حتما الى الاعجاب بالشخصية الاوروبية ولغتها الثقافية والمنطوقة ، هذا اذا اخذنا فى اعتبارنا ان الثقافة لغة فى نهاية الامر .

ويقودنا هذا الى القول بان اللغة التى تقدم بها الاعلانات تعد عاملا لتغريب اللغة وجعلها مسخا مشوها . اما عن طريق الحرص على ذكر اسم السلعة بلغة اجنبية او استخدام كلمات بالانجليزية داخل الحوار فى الاعلان .. وكان اللغة الاجنبية مرادفة للمركز الرفيع .. وهى لغة الثقافة الراقية ..

ان اللغة ليست كما قد يقال .. مجرد وسيلة للتعبير وليست غاية لذاتها . وانها مجرد وسيلة لايصال الفكرة .. ولا تهم الطريقة التى يتم بها ايصال الفكرة الى ذهن متلقيها .. ولكننا رغم ان هذا القول قد يبدو صحيحا ، لا يمكننا اغفال ان تكرار ايصال الفكرة بلغة معينة .. انما يعكس تفضيلا معينا لهذه اللغة بما

تمثله من قيم وثقافة اجتماعية .
فاللغة ليست على هذه الدرجة من الحياد .. اذ انها يمكنها أن تعكس مدى التبعية الثقافية .. التي تبدأ عادة باللغة لتنتهي عادة بالتفكير بها ...
ومن هنا تنشأ الخطورة الكبرى .. وهي السعادة بتلك التبعية الفكرية .. فالشاب سرعان ما يصبح سعيدا .. مزهوا بتفكيره الغربي المتحضر، وعند هذا الحد تصبح ثقافته الوطنية مجرد فولكلور .. وتسقط الشخصية بضياع الثقافة ..

ان الغزو الثقافي الذي يبثه الاعلان .. تكمن خطورته في انه ليس موجها لفكر .. او منطق .. خطورته تكمن في دقة الكلمات المختارة بعناية شديدة .. وهي مع جمال المشاهد وسلاستها تشكل تقنية متقدمة .. لا تستفز مقاومة ولا تدعو الى اعمال الذهن للرفض او القبول .. انها تهيىء المتلقين ليكونوا متلقين جديرين .. دون استفزاز للشعور الوطني او النخوة القومية من جانبهم ، فالاعلان يقنعه بذكاء وتحضر .. ورقة بالغة ..
ومن ينادي بعد ذلك بحماية ثقافية يكون عرضة لاعتباره حاقدا على الغرب .. وليس متحضرا .

● المرأة في الاعلان

ان استخدام المرأة كنموذج للجمال



في الاعلان يجعل المرأة اسيرة تلك النظرة الاحادية القديمة ..
ولكن لن تتغير صورة المرأة الا اذا ساهمت هي نفسها في ذلك .. فمنذ عامين رفضت مجموعة من الفتيات اليابانيات وضع صورهن على اغلفة بعض النشرات السياحية وكانت وجهة نظرهن ان الفتاة اليابانية ليست سلعة لترويج السلع والخدمات .. حتى ولو كانت هذه الخدمة خاصة بجذب السائحين الى بلادهم .. فالمرأة اكثر من مجرد صورة حلوة ..وكلمة ناعمة وهكذا رفضت الفتاة اليابانية أن تكون مجرد سلعة تروج سلعة أخرى ..
وفي مجال المرأة ايضا يعمل الاعلان على تدعيم القيم الجمالية الغربية .. فما تزال الفتاة الشقراء هي العنصر الغالب في معظم الاعلانات .. انها نموذج للجمال الغربي .. وهكذا فالاعلان يؤكد على الانصياع للغرب بالنسبة للغة .. واسلوب التفكير والشكل الجمالي ..
والسؤال الاخير هو : هل الاعلان في حد ذاته ترف واسراف لا ضرورة له ؟ ..

الجواب بالنفي .. فالاعلان نفسه ليس المشكلة ولكن ما يبثه من قيم وافكار هو ما ينبغي التنبه له ، مثله مثل اي مادة اعلامية اخرى..
لقد اصبح الاعلان الآن علما اساسيا للتسويق وترويج المبيعات ، وهو عامل هام لحفظ التنافس والجودة والتجديد بين مختلف السلع والخدمات ، وهو ..نافذة على الحركة التجارية في المجتمع ...
ولكن كل ما نطلبه هو النظر اليه ..على انه مادة اعلامية وثقافية .. وفكرية .. يتعدى تأثيرها الدقائق القليلة التي يذاع فيها ..

محنة الاقتصاد والاقتصاديين مرة أخرى!

بقلم: د. حازم الببلاوى

نشرت منذ عدة سنوات مقالا بعنوان «محنة الاقتصاديين وجناية السياسيين». وقد حاولت في هذا المقال أن أشير إلى التناقض الواضح بين الدور الهام الذى تحتله الأمور الاقتصادية فى حياتنا وبين التردى الذى وصلت إليه السياسات الاقتصادية فى العالم أجمع.

وليس الغرض من هذه المقالة اعادة ترديد ما أوردته فى المقال السابق، وانما أود أن أستعير العنوان لتناول بعض هموم الاقتصاد والاقتصاديين فى مصر خلال الحقبة الأخيرة والتى تمتد الى مايقرب من ثلث القرن.

اكتشاف العالم الثالث وظهور قضية التنمية الاقتصادية:

فى كل وقت وجد الفقر والغنى كما قامت دول غنية الى جوار دول فقيرة، ولكن الوعى بمشكلة الفروق فى مستويات المعيشة بين الشعوب والعمل على ازالة هذه الفروق لم يصبح من اهتمامات العالم الا منذ فترة وجيزة نسبيا، ربما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فمنذ ذلك الوقت ظهرت على السطح قضية التنمية الاقتصادية فى الدول الفقيرة وضرورة العمل على علاجها كاحدى المشاكل الاساسية فى العلاقات الدولية.

ولم تشذ مصر عن هذا النمط العام، فلم تحتل المشكلة الاقتصادية المكان الرئيسى من الاهتمامات العامة الا بعد

الحرب وخاصة منذ الخمسينات. حقا لقد عرفت مصر ومنذ بداية الكفاح للاستقلال السياسى مع ثورة ١٩١٩ وقبلها ارهاصات للعمل من أجل الاستقلال الاقتصادى وكانت حاربة الثلاثى "الفقر والجهل

والمرض أحد أهم أهداف العمل العام . كذلك فقد كان انشاء بنك مصر وجهود طلعت حرب تعبيرا واضحا عن هذه الاتجاهات . على أن الوقت لم يسمح ببلورة فلسفة أو رأى عام حول قضية التنمية الاقتصادية . فلم تلبث ازمة ١٩٢٠ أن أمسكت بخناق الاقتصاد المصرى شأن معظم الاقتصاديات التابعة . فانصرفت الجهود بالضرورة الى محاولة تطويق آثار هذه الأزمة وخاصة على الملاك العقاريين ، ثم بدأت بوادر الاستعداد للحرب الثانية التى لم تلبث ان استعرت فى ١٩٣٩ على ماترتب عليها من وضع الاقتصاد المصرى برمته فى خدمة الحرب عن طريق ماعرف باسم تنظيم "منطقة الاسترلينى" .

ومع ذلك فإنه سيكون من الظلم أن ننسى ان هذه الفترة قد شاهدت عدة إصلاحات أساسية للسيطرة على مقدرات الاقتصاد المصرى . فوضعت أول تعريفة جمركية مستقلة لمصر فى ١٩٣٠ وبها حصلت مصر على استقلالها الجمركى كذلك وضعت الدولة قوانين الضرائب على الدخول من ١٩٣٩ وأضيف إليها ضريبة التركات خلال الحرب ١٩٤٢ ثم الضريبة العامة للايراد فى ١٩٤٩ . كذلك تم الاتفاق على انهاء الامتيازات الاجنبية فى ١٩٣٧ وصدرت اول قوانين للعمل خلال الحرب .

● المتغيرات الدولية الجديدة ●

والاهتمام بالقضية الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية لم يكن وليد الصدفة بل إنه حصيلة التغيرات على الساحة الدولية والتى أدت الى ظهور قضية التخلف والتنمية الاقتصادية على السطح كأحد اهم مشاكل العالم المعاصر . فقد ادى مزيد من الاتصال بين الشعوب خلال الحرب الى زيادة الوعى بالفروق فى مستويات المعيشة . كذلك ساعد الاستقلال السياسى لعديد من دول المستعمرات القديمة بعد انهاك دول الاستعمار القديم (انجلترا وفرنسا) الى بدء الاهتمام بتحقيق الاستقلال الاقتصادى لدعم الاستقلال السياسى . وفى نفس الوقت فقد كان الاهتمام باعادة تعمير أوربا واليابان مؤشرا للاهتمام بقضايا التنمية بصفة عامة . وساعدت التطورات التكنولوجية الحديثة فى وسائل المواصلات والاتصالات على مزيد من الربط بين اجزاء المعمورة والمعرفة بأوضاع مستويات المعيشة فى مختلف الدول والمناطق مما ساعد على اطلاق ثورة التطلعات ومحاولة تقليد انماط الحياة فى الدول الغنية . وهكذا ظهرت قضايا التنمية الاقتصادية وبدأت نظريات التنمية تتبلور كفرع أساسى جديد فى النظرية الاقتصادية .

● الفكر الاقتصادى فى قضايا التنمية ●

بدأ الاهتمام - كما ذكرنا - بقضايا التنمية منذ الحرب العالمية الثانية ومن ثم فقد بدأ يتميز فرع جديد من فروع النظرية الاقتصادية بقضايا التخلف فى الدول الفقيرة والتى تحررت حديثا من الاستعمار الغربى . ولقد عرف الاقتصاديون الأوائل أدم سميث ومن تبعه ثم كارل ماركس ومن

شايعه ـ اهتماما عاما بقضايا النمو بصفة عامة . ولكن الفارق الأساسى بين هؤلاء الكتاب وبين كتاب التنمية الاقتصادية المحدثين هو أن هؤلاء الأخرين لم يهتموا بمشكلة تطور المجتمعات ونموها الاقتصادى بصفة عامة وانما بظروف التطور الاقتصادى لدول لم تستطع أن تشارك بشكل فعال فى التقدم الاقتصادى والتكنولوجى العالمى . وغنى عن البيان ان ظروف الدول المتخلفة الآن والتى تتعرض لها نظريات التنمية لاتعانى فقط من اوضاع الفقر والتخلف بصفة عامة ولكنها تعانى بشكل خاص من وجودها فى أدنى سلم التطور فى عالم قطعت بعض اجزائه اشواطا هامة من التقدم والرقى ، ولذلك فإن أخطر مشاكل التخلف الذى تعانى منه تلك الدول هوانها تأتى فى عالم متقدم بالفعل ومن ثم فانها تعانى من مشاكل التأخر الزمنى late comer وهى بهذا المعنى دول متأخرة ولذلك فان هذه الدول لاتعانى فقط من ظروف التخلف الاقتصادى والاجتماعى الداخليين وانما بوجه خاص من مواجهتها لهذه المشاكل فى مواجهة عالم متقدم وعلاقات دولية قائمة تعكس سيطرة هذا العالم المتقدم تكنولوجيا واقتصاديا . وهى أمور لم تعرفها الدول الصناعية فى بدء نموها الاقتصادى منذ نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر .

ولعل الملاحظة الاولى التى ترد على الفكر الاقتصادى فى قضايا التنمية هى ان بداية وأساس هذا الفكر قد ولد فى العالم المتقدم ومن اقتصاديين من دول غربية واهم الاسماء فى هذا الصدد جاءت من غربيين ولعل اسماء « نركسه وارثر لويس وهرشمان وموريس دوب وميردال » لخير دليل على ذلك ، ولم تبدأ المساهمات الأصيلة من ابناء دول العالم الثالث فى مناقشة قضايا التنمية إلا فى فترة متأخرة نسبيا واقتصرت بشكل عام على مساهمات من الهند وامريكا اللاتينية ، أما مساهمات المفكرين العرب أو المصريين النظرية فقد كانت محدودة ولم يلمع منهم على المستوى العالمى سوى أقل من القليل الذى يعد على اصابع اليد او اليدين فى احسن الأحوال

ومن الطريف أن أهم مساهمات كبار مفكرى التنمية الاقتصادية قد بدأت بمحاضرات القيت فى القاهرة فى سلسلة محاضرات البنك الاهلى (نركسه ، ارثر لويس ، هابرلر)

وقد عرفت نظريات التنمية الاقتصادية تطوراً معاكسا للتطور الذى عرفته النظرية الاقتصادية . فالكتابات فى التنمية الاقتصادية قد سلكت طريقا خاصا بمزيد من الانفتاح على الاعتبارات غير الاقتصادية المؤثرة فى الظاهرة الاقتصادية من مشاكل اجتماعية أو مؤسسية أو قيم حضارية وثقافية أو قيود سياسة أو ضغوط دولية . وهكذا بدأت نظريات التنمية الاقتصادية بالاهتمام والتركيز على مشاكل نقص راس المال ، وضعف القدرة على الادخار ونقص فرص الاستثمار ، ثم مالبثت ان توسعت لمناقشة المؤسسات الاجتماعية والقوى السياسة والتراث الثقافى والارتباطات التاريخية





طلعت حرب



جمال عبدالناصر

وعلاقات القوى الدولية . وهذا التطور فى نظريات التنمية الاقتصادية إنما يعكس موقفا أساسياً فى علاقة الفكر بالحياة وهى العلاقة بين مايمكن أن نطلق عليه الدقة أو الضبط Rigor وبين العملية أو الواقعية Relevance وعلى حين اتجهت النظرية الى مزيد من الضبط فإن الكتابات فى قضايا « التنمية » قد اهتمت بشكل اكبر بالمشاكل العملية ولو على حساب الدقة والضبط ، وهكذا انتهت الكتابات فى قضايا التنمية الاقتصادية بخليط من الأفكار المتنوعة ـ والمتعارضة احيانا ـ وبما لايمكن القول معه بأن هناك كيانا نظريا متفقاً عليه بين كتاب التنمية الاقتصادية . وجمع مفكرو التنمية الاقتصادية بين خليط غير متجانس من الافكار والاتجاهات تتفق كلها فى ضرورة تغيير أوضاع الدول الناميه ، ولكنها تختلف فيما بينها فيما يتعلق بتشخيص مشاكل التخلف كما تختلف فى اساليب العلاج المقترحة . كذلك جمع مفكرو التنمية بين خلفيات متعددة ، فهناك من يبدأ من منطلقات النظرية الاقتصادية المجردة واساليب التحليل الاقتصادى المستقرة ، وهناك من يتجاهل هذه المنطلقات كليا ويرى فيها عقبة خطيرة ، ويفضل عليها منطلقات سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ، ولذلك فإن الأساس الفكرى لقضايا التنمية الاقتصادية أساس بالغ الثراء ، ولكنه بسبب التنوع والتعارض فى المنطلقات أدى الى كثير من التخبط والغموض ، وهكذا فإنه لايمكن القول بأن هناك كيانا نظريا متجانسا فى قضايا التنمية أو لغة مشتركة يتحدث بها اقتصاديو التنمية الاقتصادية .

● مسئوليات الإصلاح الاقتصــــــــادى ●

فى مواجهة هذا الاطار الفكرى لقضايا التنمية الاقتصادية تولت الحكومات الوطنية فى مصر مسئولية السياسة الاقتصادية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد حاولت الحكومات المتعاقبة بعد الحرب إعادة الحوار لاستكمال الاستقلال السياسى تجاه انجلترا وحل ذيول المشاكل الاقتصادية الناجمة عن

الحرب وخاصة مشكلة الأرصدة الاسترلينيه التى تراكمت لمصر خلال فترة الحرب . وقد تم الاتفاق على كيفيه الافراج عن الارصدة لصالح مصر عام ١٩٥١ . وكانت مصر قد أنضمت - نتيجة لمشاركتها فى الحرب - إلى كافه مؤسسات النظام العالمي الجديد (الامم المتحده ووكالاتها المتخصصة) كعضو مؤسس . وفى ١٩٥٢ قامت الثورة المصرية وبذلك ارتبطت جهود التنمية الاقتصادية فى مفهومها الحديث مع سياسات حكومات الثورة المتعاقبة . وقد أدى التوافق بين بداية الأخذ بسياسات التنمية الاقتصادية وبين قيام الثورة الى طبع التجربة باكملها بطابع خاص وهو الهيمنة والسيطرة الساحقة للسلطة السياسية على المفاهيم والتطورات الاقتصادية .

وقد سبق أن أشرنا الى ان الاطار الفكرى الاقتصادى كان هشا فى مسائل التنمية الاقتصادية . ونضيف الى ذلك ان قيام الثورة فى ١٩٥٢ وقد قوضت اساس النظام القديم القائم على الملكية العقارية مع قانون الاصلاح الزراعى ثم تصفية النفوذ الاجنبى فى البنوك والتجارة بعد العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ - قد أدى الى تقليص المصالح الاقتصادية القائمة واضعاف نفوذها وثقتها بنفسها . وهكذا بدأت حكومات الثورة فى مواجهة قضايا التنمية الاقتصادية وفى مواجهة فكر اقتصادى مشتت وغير متجانس ، ومصالح اقتصادية ضعيفة وغير منظمة . ومن ثم فقد كان للسلطة العسكرية السياسية الدور الكاسح فى رسم توجهات التنمية الاقتصادية . ومع ضعف والغاء الاحزاب السياسية وعدم تنظيم القوى الاجتماعية توافر للسلطة السياسية - كما مثلتها حكومات الثورة المتعاقبة - سيطرة شبه كاملة على مسار التطور الاقتصادى اللاحق . وازاء هذه الاوضاع كان دور الاقتصاديين محددا للغاية واقتصر على الجوانب التنفيذية دون أن يكون للاقتصاديين دور مؤثر فى التوجهات الاقتصادية الاساسية .

ولم يكن من الغريب فى مثل هذه الاوضاع ان نجد اقتصاديين من مشارب مختلفة ينفذون سياسات تتعارض مع افكارهم أو ميولهم . فسياسة عبد الناصر التدخليه - مثلا - قد تم تنفيذها لفترة طويلة عن طريق وزيره للاقتصاد عبد المنعم القيسونى المعروف بميوله الليبرالية . وعلى العكس فحين أعلن السادات سياسة الانفتاح الاقتصادى فى ورقة اكتوبر ١٩٧٤ كان المسئول عن الاقتصاد احد ممثلى اليسار المعروف بميوله الاشتراكية . وهكذا نجد ان سياستنا الاقتصادية فى قضايا التنمية قد غلب عليها بشكل عام سيطرة السلطة السياسية . وساعد على ذلك سيادة شعار " اهل الثقة " لفترة طويلة مما فتح الباب لعدد من الهواه للتصدى للأمور الاقتصادية .

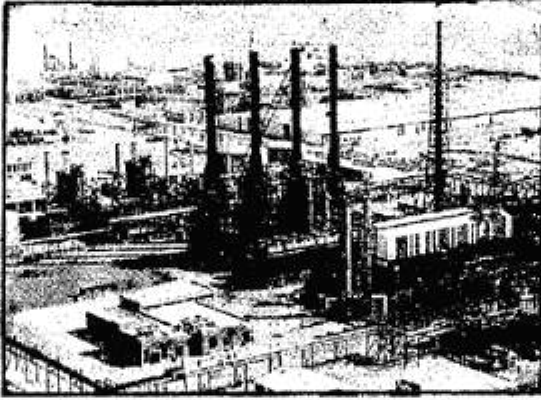
وقد أدت هذه السيطرة أو الهيمنة للسلطة السياسية على مقدرات التنمية الاقتصادية الى عدد من النتائج الهامة التى أثرت على مسار التجربة المصرية . ولعل وأهم هذه النتائج هو الأولوية المطلقة التى اعطيت لتدعيم واستمرار السلطة السياسية القائمة . فالنظام الجديد كان -

ولفترة طويلة - مأخوذا بفكرة الأمن والتخوف من أعداء النظام . وكذلك فان مفهوم التنمية الاقتصادية قد غلب عليه لفترات ليست بالقصيرة فكرة قوة الدولة على نحو قد لايختلف كثيراً عن مفهوم التجاريين عن ثروات الدول فى القرنين السادس والسابع عشر . وقد أدى هذا المفهوم « التجارى » لقوة الدولة الاقتصادية الى مزيد من الاهتمام بابراز مظاهر قوه الدولة فى الخارج وقبل أن تكتمل عناصر قوتها الانتاجية فى الداخل . وهذا أمر يتعارض كلية مع تجارب الدول السابقة في مجال التنمية . فانجلترا مثلا انعزلت تماما عن حروب اوربا الدينية فى القرنين السادس والسابع عشر لكى تعود من جديد إلى ساحة العلاقات الدولية فى القرن الثامن عشر وقد تحقق لها بوادر الثورة الصناعية . والولايات المتحدة الامريكية اخذت بسياسة العزلة لبناء اقتصادها الداخلى في القرن التاسع عشر لكى تعود الى ممارسة سيطرتها على العالم فى القرن العشرين . وسلكت اليابان سلوكا مماثلا فى القرن التاسع عشر قبل ان تقوم بدور مؤثر فى العلاقات الخارجية فى القرن العشرين .

ومع استمرار سيطرة السلطة السياسية على توجهات التطور الاقتصادى فإن ذلك لم يمنع من تناقض توجهات السياسة الاقتصادية فى مصر بشكل اساسى وخاصة فى الستينات والسبعينات ومع ذلك فقد كانت الخمسينات هى فترة الاعداد والترتيب للمرحلتين التاليتين .

الخمسينات وفترة الاعداد والترتيب

عندما واجهت حكومات الثورة فى



منتصف الخمسينات المشكلة الاقتصادية كان واضحا أن الأمر يحتاج الى اعادة هيكلة الاقتصاد المصرى وترتيب العلاقات الجديدة . كان النظام القديم يعتمد على الزراعة ويسيطر الملاك العقاريين على الحياة السياسية . وكانت نسبة كبيرة من التجارة والبنوك مرتبطة بنفوذ اجنبى او بعناصر متمصرة . وكانت بداية الصناعة المصرية الوليدة تخطو خطواتها الأولى وهى أيضا لاتخلو من سيطرة هذه العناصر المتمصرة مع وجود اساس وطنى واضح فى صناعات بنك مصر .

وقد بدأت الثورة بتصفية عناصر الملكية الزراعية السابقة لتدعيم سلطتها السياسية الجديدة ثم جاء العدوان الثلاثى فى أثر تأميم قناه السويس فمكن السلطة المصرية الجديدة من مطاردة المصالح الأجنبية والتى كان يغلب عليها المصالح الانجليزية والفرنسية . وهكذا بدأت حركه التمصير منذ ١٩٥٧ .



وفيما يتعلق باتجاه النشاط الاقتصادى ، فقد كانت الموجة السائدة بين المفكرين الاقتصاديين فى ذلك الوقت فضلا عن توصيات المنظمات الدولية ، وهى أن التصنيع هو طريق التنمية وأن الدول المتخلفة إنما تعانى من مشاكلها الاقتصادية بسبب عدم دخولها مجال التصنيع . وقد وجد هذا الاتجاه ترحيبا من السلطة السياسية الجديدة فى مصر ، والتى كانت تنظر بعينى الريبة والشك الى رجال العهد القديم وجلهم من المرتبطين بالزراعة أو النشاط التجارى . ولذلك فقد كان من الطبيعى ان تتجه الدولة الى الاهتمام بالتصنيع . فانشئت وزارة للصناعة وتم وضع أول برنامج للتصنيع فى ١٩٥٧ .

وهذا التغيير فى توجه الاقتصاد المصرى من الزراعة الى الصناعة كان يحتاج بالضرورة الى عناصر بشرية ومؤسسية لكى تحقق هذا التغير . وقد فرضت الظروف القائمة حينذاك الاعتماد على الدولة لتحقيق هذا التغير الهيكلى . ويرجع ذلك الى اعتبارات متعددة منها : ندرة عناصر المنظمين من المواطنين الذين لهم تجربة مفيدة كذلك فقد كان هناك نوع من التشكك فى العناصر القليلة الموجودة نتيجة ارتباطاتها السابقة بطبقة الملاك العقاريين أو بالشركات اللصيقة بالنفوذ الأجنبى أو المتمصر . وهكذا واجهت الدولة فراغا فى العناصر التى يمكن ان تستند اليها فى تحقيق التطوير الاقتصادى المطلوب وكان من الضرورى الاعتماد على أجهزة الدولة لتحقيق ذلك . وينبغى الاعتراف بان هناك محاولات قد جرت لجذب اهتمام المستثمرين من القطاع العقارى والتجارى إلى الصناعة ، ولكن دون نتائج سريعة أو ملموسة .

وينبغى ان تضيف الى ماتقدم بعض الاعتبارات النظرية التى اكدت ضرورة الاعتماد على أجهزة الدولة لتحقيق التطوير الاقتصادى المطلوب ، فقد ابرز عدد من المفكرين الاقتصادين عجز جهاز السوق ودافع الربح عن ولوج الصناعات الاساسية التى تحقق تغيير الهيكل الاقتصادى بشكل فعال . وأكد هذا الاحساس بأهمية دور الدولة فى الصناعة ان تجربة مصر المحدودة فى الصناعة والتى كان تسيطر عليها المصالح الأجنبية والشركات الصناعية المصرية المحدودة كانت دائما فى حاجة الى حماية خاصة من الدولة . وهكذا بدأت تجربة التنمية الاقتصادية فى مصر لفترة ما بعد الحرب فى حضن الادارة المصرية .

كذلك بدات مصر فى هذه الفترة وقبل بداية الستينات فى العودة الى عادة قديمة مارستها قبل ذلك بقرن من الزمان ، وهى عادة الاقتراض من الخارج . ففى ١٩٥٨ بدأت مصر فى الاعتماد على قروض المعونة الامريكية للقمح وفقا للقانون الامريكى الشهير رقم ٤٨٠ . وفى نفس الوقت تقريبا بدا الاقتراض من دول الكتلة الشرقية لتمويل المشروعات التنموية الكبرى فضلا عن صفقات السلاح .

وهكذا فان فترة الخمسينات تمثل مرحلة اساسية فى تاريخ مصر الاقتصادى اللاحق حيث ان معظم الاتجاهات الاقتصادية لسياسات التنمية إنما قد بذرت بذورها فى هذه الفترة .

الستينات وسياسة التدخل

بدأت الستينات بوضع الخطة الخمسية الاولى على اساس برنامج التصنيع . وقد كانت هذه التجربة أحد التجارب الرائدة فى العالم الثالث وقد استقطبت مع تجربة الهند فى التخطيط قدراً لا بأس به من الاهتمام العالمى ، وقد تضمنت هذه الخطة برنامجا طموحا للتصنيع واستندت فى تمويلها الى جانب المدخرات المحلية الى بعض القروض الخارجية من الكتلتين الشرقية والغربية على السواء . وفى بداية تنفيذ الخطة لجأت الدولة الى الاجراءات الاشتراكية المعروفة فى ١٩٦١ . وبدأ اهتمام الدولة بالجوانب المذهبية واعتناق الاشتراكية العربية او التطبيق العربى الاشتراكى على خلاف بين المفسرين - يغلب على اعتبارات الكفاءة والانجاز الاقتصادى . وقد حققت هذه الفترة معدلات معقولة من النمو بلغت فى المتوسط بين سنوات ٦٠ - ٦٤ حوالى ٦ر٤ ٪ وهو معدل جيد ويتفق مع معدلات التنمية السائدة فى عقد الستينات بين دول العالم الثالث الأكثر نجاحا . ولذلك فانه لايمكن التقليل من حجم الانجاز الذى تحقق فى هذه الفترة ومع ذلك فانه لايجوز ايضا التجاوز عن السلبيات التى نشأت عنها . ومن أخطرها ماواجهته هذه الخطة هى أنها وقد كانت موجهة اساساً الى « انشاء » العديد من الصناعات الجديدة فإنها لم توجه العناية الكافية للتنسيق بين هذه الصناعات من ناحية فضلا عن ان اعتبارات حسن إدارة وتيسير هذه الصناعات لم تحظ بنفس القدر من العناية من ناحية أخرى . وبعبارة اخرى فقد غلب على برامج التصنيع التى تمت فى ظل هذه الخطة الجوانب الفنية دون الاعتبارات الاقتصادية فى الربط بين العائد والتكلفة

وقد ساعد على ذلك ماساد فى هذا الوقت من أن التصنيع فى ذاته نافع للاقتصاد القومى بصرف النظر عن التكلفة وعن مراعاة المزايا النسبية التى تتطلب اختيار بعض الصناعات فقط .

وهذا هو الوقت الذى طرح فيه شعار من الابرة الى الصاروخ وهو شعار يتضمن من حسن النية والمقصد بقدر مايخفى من السذاجة وقصر النظر . وعرفت مصر عجزاً **فى محصول** القطن فى ٦٢ / ٦٣ وفى **نفس الوقت تقريبا بدا** الانغماس فى **حرب اليمن فكان أن** قررت الولايات **المتحدة** الامريكية **وقف** المعونات **فى ٦٤ مما** ادى الى **إنهيار** الخطة **فى سنتها** الأخيرة وتدهور معدل النمو **الى اقل من** ٣ ٪ . وهكذا توقف عمليا **استمرار النمو** المرتفع الذى عرفته مصر **فى بداية الخطة لكى يواجه الاقتصاد نوعا من الركود استمر منذ ١٩٦٤ وحتى حرب ١٩٦٧ المشئومة .**

وجهت هزيمة ١٩٦٧ ضربة قاسمة لتجربة الستينات بكل مافيها من انجاز أو قصور ، وبدأت السلطة السياسية فى التخلى عن مسئولياتها فى التنمية الاقتصادية وتمت ادارة الاقتصاد على اساس مواجهة الاحتياجات اليوميه للشعب وبما يحقق اكبر قدر من الاستقرار

والأمن ومع استرضاء الجماهير . فخفت القيود المفروضة وتوفرت سلع الاستهلاك وبدأ التهاون فى الانضباط وانتشرت مظاهر التسيب . وكان الثمن الذى دفع لكل ذلك هو تردى معدل الاستثمار وإهمال صيانة المرافق وعناصر البنية الأساسية ودخلت مصر فى عصر من الأفول . على أن اكبر خسائر هذه الفترة هى فقد الثقة الذى عانى منه الشعب المصرى ، ثقته فى نفسه وثقته فى حكامه وثقته فى مثله . ومن هنا فقد بدأت مصر تدخل مرحلة نفسية جديدة من الانكفاء على الذات ومن الأنانية الفردية وغير ذلك من سلبيات المجتمعات المهزومة واستمر هذا الوضع حتى ١٩٧٣ حينما منحت مصر فرصة جديدة لبداية مختلفة . على أنه من الضرورى قبل أن ننتقل الى مرحلة السبعينات ان نشير الى اهم امراض مرحلة الستينات والتى لاتزال تعيش معنا حتى الآن .

مصيدة البيروقراطية وعيال الدولة

رغم ماحققته تجربة الستينات من إنجاز فانها تركت سلبيات خطيرة لاتزال تمسك بخناق الاقتصاد المصرى وتؤثر على قدرته الانتاجية . ولذلك من الضرورى الاشارة الى أخطر هذه السلبيات والتى لاتزال تعيش معنا

مع الدور المتزايد للدولة فى النشاط الاقتصادى بدأ تغلغل الاجهزه الادارية باسمائها المختلفة - (حكومة مركزية إدارة محلية ، قطاع عام ، هيئات عامة ، جمعيات تعاونية ، نقابات ..) يسيطر على الحياة الاقتصادية . ولايتعلق الأمر هنا بالسلطة السياسية والتى تباشر مظاهر السيادة والحكم ، وإنما بأجهزتها المتعددة فى تنفيذ قراراتها ومباشرة سلطتها . والعلاقة بين الدولة بالمعنى السياسى والسيادى من ناحية وأجهزة الادارة التنفيذية التابعة لها من ناحية أخرى علاقة مركبة وبالغة التعقيد . فالادارة وأجهزتها تابعة وخاضعة للسلطة السياسية ولكنها مع الممارسة اليومية اصبحت مسيطرة على السلطة السياسية ترهنها من خلال شبكاتها المتعددة وخاصة فيما يتعلق بحجم ونوع المعلومات المتاحة للسلطة السياسية . فالسلطة السياسية العليا لم تلبث أن تصبح رهينة فى يد أجهزة الادارة والتنفيذ ، وهكذا تشعبت الاجهزة الادارية بمختلف مسمياتها تشعبا سرطانيا لم يعد من السهل السيطرة عليه

والادارة المصرية عريقه ولها جذور عميقة فى التاريخ ، ولكنها فى معظم هذا التاريخ الطويل لم تكن دائما مثالا للنزاهة والعدالة كما لم تكن أبدا عنوانا للكفاءة . وليس هنا مجال استقصاء تاريخ الادارة المصرية ، ولكن ماينبغى التأكيد عليه هو الدور الذى تباشره هذه الادارة فى التأثير فى توزيع المزايا والاعباء الاقتصادية بمقتضى قراراتها الادارية مما جعلها مصدراً وقوة اقتصادية لايستهان بها . وهذا الخطر الذى تمثله الادارة لايرجع الى طبيعة الملكية العامة بقدر مايرجع الى اسلوب الادارة الذى يستند الى اعتبارات السلطة وليس الى اعتبارات الكفاءة



انور السادات



والربط من العائد والتكلفة . فالملكية العامة لاتختلف فى طبيعتها عن الملكية الخاصة ، ولكن الادارة العامة تستند الى اللوائح والقرارات وتستمد اساسها من السلطة السياسية فى حين أن الادارة الخاصة (حتى مع الملكية العامة) تستند الى الانتاجية والكفاءة .

وأمراض البيروقراطية معروفة سواء من حيث الجمود وطول الاجراءات وتبديد الموارد وقتل الابتكار والافكار الجديدة . وقد لاحظ أحد تقارير مؤتمر الرشوة والاختلاس والانحراف الادارى للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ظاهرة انتشار هذه الجرائم مع غلبة الحديث عن المصلحة العامة . وهو أمر طبيعى ، فمع تزايد دور البيروقراطية فى الحياة الاقتصادية يكثر بالضرورة الحديث عن المصلحة العامة . ولكن هذه الجرائم بالذات لاتجد سببا لوجودها إلا مع وجود أجهزة إدارية تستطيع بنفوذها الادارى أن تؤثر فى توزيع المزايا والأعباء الاقتصادية .

على أن خطر البيروقراطية لايقتصر على جوانب عدم الكفاءة وأحيانا عدم العدالة ولكن أخطر ماتمثله البيروقراطية هى أنها تقضى على هيبة الدولة نفسها والتى تستمد منها قوتها وسلطتها وذلك نتيجة لفقدها لفاعليتها ومصداقيتها . فلعل اكبر تناقض تخلقه البيروقراطيه والتوسع فى دور الدولة هو ان الدولة مع توسعها وتدخلها فى كل كبيرة وصغيرة فانها تصبح غير قادرة على تنفيذ قراراتها ويتجه الجميع الى تجاهلها بما فيها عمالها وموظفيها . فالدولة المتشعبة ليست دولة قوية ولكنها دولة مريضة ومترهلة . ففى خلال السنوات العشر الماضية صدر اكثر من ٧٢٠٠ قانون . فماذا كانت النتيجة . لم نعاصر وقتا امتهن فيه القانون والاجراءات الحكومية كما يحدث الأن . وهكذا فان قوة الدولة لاترتبط بحجمها وإنما بفاعليتها .

على أن مخاطر تزايد تدخل الدولة لم تقتصر فقط على عدم كفاءة الاجهزة الادارية ونموها السرطانى ، وإنما جاوزتها لم هو اخطر وهو التأثير فى اخلاقيات



العمل وحيث بدأ يتحول الافراد من منتجين مسئولين الى نوع من عيال الدولة تعولهم من المهد الى اللحد . وقد تأكد هذا المفهوم من خلال التطبيق الادارى لمفهوم الاشتراكية خلال الستينات .

فالاشتراكه فى اساسها التاريخى جزء من حركات تحرير الانسان ورفع قيمة العمل باعتبارها القيمة الأساسية . ومع ذلك فإن التطبيق الاشتراكى - ليس فى مصر وحدها - دفع الحكومات وأجهزتها الادارية الى محاربة رأس المال الخاص وتعقب احتمالات سيطرته على الحكم بأكثر مما تعمل لرفع قيمة العمل . بل أن هذه الحكومات لجأت على العكس الى تملق العمال واسترضائهم واسرفت فى بذل الدعوه ومنح الحقوق دون ان تطالبهم بتحمل مسئولية حقيقية لبذل الجهد وتحقيق النتائج .

واذا كان الاقتصاد يتعامل مع الجهد الانسانى فان المنتج الاساسى والنهائى هو الفرد ولكن الفرد لاينتج منفرداً وانما من خلال تنظيمات متعددة سواء اكانت تنظيمات انتاجية (مشروعات) أو تنظيمات سيادية (الدولة ومؤسساتها) . وهذه التنظيمات اساسية وضرورية لترشيد وتنظيم عمل الفرد المنتج ولكنها قطعا ليست بديلا عنه ، فهى فى النهاية اطاراً للنشاط الانتاجى ورقابة وتنظيما له .

ولكن يبدو انه مع تزايد دور الدولة فى النشاط الاقتصادى ساد شعور بأن الانتاج هو مسئولية الدولة وتخلى الافراد بالتالى عن مسئولياتهم . فالدولة تضمن للافراد التعليم والصحة والخدمات الاساسية ، الدولة توفر لهم السلع بأسعار رخيصة ، والدولة تضمن للجميع حق العمل وتوفر المعاشات والتامينات للجميع . وهكذا اصبحت مسئولية الانتاج فى يد الدولة وتخلى الافراد بالتالى عن مسئولياتهم ليصبحوا عالة على الدولة . وبذلك وجدنا تناقضا غريبا وهو انفصال العمل عن العائد من مجتمع اشتراكى يستمد مثالياته من تقديس قيمة العمل .

وفى هذا الجو غلب النفاق العام وانفصل القول عن الفعل . ومع كثرة الحديث عن المصلحة العامة غلبت المصالح الخاصة على عدد كبير من قرارات واجراءات الادارات والاجهزة الادارية . وأخيرا فقد كان « الكيف » احد ضحايا هذه العلاقة الابوية بين الحاكم والمحكومين . فمع رغبة الدولة فى ارضاء اكبر عدد من « العيال » فقدت قدرتها على تقديم خدماتها على نحو ومستو مقبولين . فالدولة تعد بالتعليم المجانى فى المدارس الابتدائية وحتى الجامعة ، ولكن خدمة التعليم تختفى تماما فى المدارس الحكومية ويصبح التعليم مع الدروس الخصوصية خدمة بالغة التكاليف .

عصر النفط

مع بداية السبعينات بدأت تظهر فى الأفق متغيرات جديدة وخاصة فيما يتعلق بثورة النفط وتدفق الأموال على المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل وكان من الطبيعى

محاولة الافادة من هذا التغيير الجديد خاصة وأن سياسة التدخل السابقة في الستينات كانت قد استغرقت حدودها منذ نهاية الخطة الخمسية الأولى وخاصة مع ١٩٦٧ وقد حاولت ورقة اكتوبر ١٩٧٤ أن تفتح صفحة جديدة في مسار الاقتصاد المصرى مع مزيد من الاهتمام بتهيئة المناخ للاستثمارات العربية والاجنبية وافساح المجال بشكل أكبر للسوق والقطاع الخاص . وهى السياسة التى عرفت فيما بعد باسم سياسة الانفتاح الاقتصادي .

ومن المفيد أن ندرك أن عصر النفط لم يكن مجرد توافر اموال جديدة وفرص للمشاركة في عائداتها عن طريق العاملين ، وإنما يتضمن هذا العصر منطقا خاصاً للعلاقات الاقتصادية وقواعد السلوك ولم يلبث هذا المنطق ان انعكس على الأوضاع فى مصر مما كان له أبلغ الأثر .

كلنا نعرف ان الظاهرة النفطية هى فى أساسها ظاهرة ريع بمعنى أن اصحابها حققوا دخولا نتيجة لصدفة جيولوجية وهى تواجد النفط فى باطن أرضهم فى مرحلة معينة من تطور الاقتصاد العالمى . حقيقة من الناحية النظرية فإن عائدات النفط لاتمثل دخولا بالمعنى الاقتصادي الدقيق بل هى عبارة عن تصرف فى أصول أو ثروة ولكن هذا التحليل لاقيمة له لأن المحك هو كيفية سلوك الأفراد والجماعات إزاء الظاهرة الجديدة . وقد عاملت الدول النفطيه إيراداتها من النفط باعتباره دخولا جديدة تنفق على مظاهر الاستهلاك أو صور الاستثمار المختلفة . وبذلك فقد استقر فى الاذهان ان هذه ايرادات تحققت دون ان يكون لها صلة بالعمل .

وهكذا تكرست مفاهيم جديدة تفصل بين العمل والعائد . فالدخول ترتبط باشياء كثيرة ليس من بينها العمل الجاد احيانا الحظ أو الصدفة أو الخير . كذلك ادت الفجائيه التى تحققت بها زيادة اسعار النفط الى الاعتقاد بامكان تحقيق الارباح السريعة من اية استثمارات . ففى خلال الفترة من ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ وحتى يناير ١٩٧٤ ارتفعت اسعار النفط حوالى اربعة اضعاف . وهكذا كانت صورة المستثمر النفطى الجديد وليس من الغريب ان يتوقع هذا المستثمر الوافد تحقيق ارباح كبيرة وسريعة أما ارتباط العائد بالعمل الجاد المضنى فهو أمر غير مألوف لديه لايستطيع عليه صبرا . ولذلك فقد كان ميدان المضاربات وخاصة فى العقارات اكثر المجالات اثارة لاهتمامه وكذلك مجالات السياحة والتجارة بدرجة اقل .

على أن سيطرة العقلية الريعية المصاحبة للظاهرة النفطية لم تقتصر على الاستثمارات الوافدة وإنما انعكست على سلوك اعداد كبيرة من المصريين الذين فتحت امامهم فجأة فرصة العمل فى دول الخليج بأجور ومرتبات لاصلة لها بالعمل الذى يؤدونه فالحصول على عقد عمل فى احدى دول الخليج نتيجة لوجود قريب أو صهر يعمل فى احدى هذه الدول هو الطريق الى الثروة . ولم تقتصر هذه الفرص الجديدة على عدد محدود بل أنها أصابت شرائح كثيرة من المجتمع بكل المستويات ومن كافة المناطق . ففرص الترقى والتقدم لم تعد متاحة للعمل الجاد أو الافكار المبتكرة وإنما لسعيد الحظ الذى يوفق فى الحصول على عقد عمل فى

احدى هذه الدول . ومع كثرة المهاجرين لدول النفط أصيب الباقون بحالات من القنوط والاحباط وبحثوا عن فرص مماثلة للكسب السريع بكل الوسائل واستغلال كافة المنافذ لتحقيق منافع لهم لمجاراة زملائهم حسن الحظ اصحاب عقود العمل .

ولم تقتصر العقلية الريعية على فصل العلاقة الاساسية بين العمل والعائد بل انها فجرت فوق ذلك ثورة التطلعات والشره الاستهلاكى . فانماط الاستهلاك الترفى والتفاخرى لم تعد فقط معروفة لدى شرائح محدودة من المواطنين وانما أصبحت فجاة متاحة لعدد كبير لمجرد السفر الى الخارج أو سفر أحد افراد الاسرة الى احدى الدول النفطية . وقد شكلت هذه الانطلاقة للتطلعات الاستهلاكية ومع وفرة القوة الشرائية ضغطا شديدا على انماط الاستثمار . فمع وجود سوق محلية كبيرة وشرهة لأشكال الاستهلاك الترفى أصبحت اكثر النشاطات ارباحاً هى تجارة السلع المستوردة . ومن ثم فقد اتجه النشاط الاستثمارى المتاح لخدمة هذا الطلب المتزايد .

ولم يقتصر الاتجاه الريعي على الفرص المتاحة للافراد للافادة من اموال النفط الريعية فى دول الخليج بل ان الاقتصاد المصرى اتيح له عدد من مصادر التمويل الخارجية التى كادت تحوله الى اقتصاد ريعى لايعتمد على عمل ابنائه وانما على أوضاع العلاقات الدولية وظروفه المكانية . فزادت موارد الدولة من النفط بعد استرجاع حقول سيناء ـ ومن قناة السويس ـ بعد فتحها ومن القروض والمعونات الأجنبية ومن تحويلات العاملين ومن السياحه . وأصبحت هذه الدخول تمثل حوالى ٤٠ ٪ من مجموع الناتج المحلى . وهكذا واجهت مصر عصر السبعينات وقد كادت أن تصبح دولة ريعية لا تختلف عن غيرها من دول النفط الريعية .

سياسة الانفتاح

لايمكن مناقشة فترة السبعينات دون التعرض لسياسة الانفتاح الاقتصادى وقد بدأ تطبيق سياسة الانفتاح فى ظل نظام كان يغلب عليه تدخل الدولة بشكل واسع ولكنه قليل الفاعلية . فهناك دولة كبيرة ولكنها مترهلة وضعيفة وكان الغرض من سياسة الانفتاح هو تخفيف القيود الادارية والعودة للمؤشرات الاقتصادية فى الكفاءة مع فتح الباب للقطاع الخاص للمشاركة فى النشاط الاقتصادى على نحو اكثر فاعلية ، ودعوة رءوس الاموال العربية والأجنبية للاستثمار فى مصر .

وينبغى الاعتراف بأن الاقتصاد المصرى كان يعانى فى ذلك الوقت من مشكلات اساسية تحول دون إمكان الافادة القصوى من الظروف المواتية للافادة من ثورة النفط وتدفق الأموال التى صاحبها . فقد كانت هناك مدن القناة المدمرة وسكانها المشتتين فى ربوع القطر . ومع انتهاء العمليات العسكرية بعد حروب استمرت ثلاثين عاما كان هناك ضغطا سياسيا ـ وربما دوليا ـ لاعادة تسكين وتعمير هذه المناطق . كذلك ترددت حالة

المرافق الاساسية بشكل شديد نتيجة لاهمال الصيانة لسنوات طويلة . ومن ثم فان مرافق التليفون والتلكس وشبكات الكهرباء والمواصلات بصفة عامة فضلا عن شبكات المياه والمجاري - كانت كلها في اوضاع بالغة السوء لاتساعد على التفكير في القيام بنشاط إنتاجي مكثف وسريع ، ولذلك فقد كان من الواجب القيام ببرنامج استثماري سريع لتأهيل البنيات الأساسية والمرافق العامة وهو من انواع الاستثمارات الأساسية والتي لاتغل عائداً مباشراً . وقد تم بالفعل إنجاز معقول في هذا الميدان مما أدى الى تحسين العديد من المرافق الاساسية . ولكن لازالت هناك العديد من التحفظات حول أسلوب تنفيذ هذه الاستثمارات وخاصة فيما يتعلق بدور المكاتب الاستشارية وعلاقتها بأجهزة الادارة .

على أن أخطر ماواجه سياسة الانفتاح هو أسلوب تطبيقها والذي ساعد على تشويه العديد من ممارساتها . فالاساس في سياسة الانفتاح هو مزيد من الاعتماد على المؤشرات الاقتصادية واعتبارات الكفاءة سواء بالنسبة للقطاع العام أو القطاع الخاص . وهذا مايتطلب حكومة وادارة قوية وفعالة من ناحية وادارة اقتصادية قوية وقادرة من ناحيه أخرى . وفي كثير من الاحيان كان ينقصنا الأمران فالدولة - رغم كبر حجمها وتوسع نشاطها - كانت ضعيفة وغير فعالة والادارة الاقتصادية للقطاعين العام والخاص - كان ينقصهما الكفاءة والقدرة . وليس الامران منفصلين اذ في كثير من الاحوال كانت هناك شبهه تواطؤ بين البيروقراطية وبين ممثلي الادارة - من القطاعين العام والخاص - بحيث بدا الانفتاح كما لو كان ثغرة فتحتها البيروقراطية لكي تشارك في المزايا الاقتصادية تحت عباءة الانفتاح الاقتصادي .

فعندما تم البدء في تنفيذ سياسة الانفتاح لم يتم ايه اعادة نظر في أجهزة الادارة وظلت معظم قواعدها واجراءاتها ونفوذها على ماهي عليه ، وأضيف الانفتاح بمعنى اتاحة الفرصة للقطاع الخاص الى هذا البناء القائم . ومن ثم فقد اضحى الانفتاح نوعا من السماح للنشاط الخاص في ظل سلطان الادارة غير المنضبطة والتي لاتخلو من غموض حينا وتحكم ' بيانا ، وهكذا وجدت أجهزة الادارة بأشكالها المختلفة في الانفتاح الاقتصادي فرصة جديدة لمزاولة ومضاعفة مزاياها الاقتصادية . ولذلك فقد كانت مشاركه ممثلي القطاع العام السابقين والحاليين في اشكال النشاط الجديد تحت اسم الانفتاح أحد العناصر الأساسية للسياسة الجديدة وقد اشارت دراسة حديثة لباحثه (ساميه حسنين) عن التحالف بين عناصر البيروقراطية والانفتاح الجديد . وأن هذه العناصر « استغلت وظائفها ومناصبها داخل الجهاز الحكومي والقطاع العام في تجميع الثروة مسخرة جهاز الدولة لتحقيق مآربها الشخصية وهاهي الآن تواصل مسيرتها بعد أن قننت لها الفرصة في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي » .

ان البيروقراطية والاجهزة الادارية التي خرجت من القمقم في الخمسينات استولت على الاشتراكية في الستينات وهاهي تفسد الانفتاح في السبعينات باسم المصلحة العامة . وكم من الجرائم ارتكبت باسم المصلحة العامة .

بنك مصر ومسيرة خمس سنوات مع التطور العلمى والتكنولوجى



صالة الحاسب الآلى ببنك مصر

● اذا كانت الدول تعتمد فى تقدمها على وجود نظام مصرفى قومى يدعم الاقتصاد ويدفع بخطواته نحو التقدم . فان بنك مصر هو دعامة هذا التطور فى الاقتصاد المصرى بما يحويه من الرجال المتخصصين ذوى الكفاءة العالية . والقيادة الواعية التى ادركت دورها فى نمو الاقتصاد الوطنى ، وبما استقدمته من اجهزة متطورة حديثة .

نشأة جهاز الحاسب الآلى :

وحتى تستمر مسيرة التقدم اتخذ مجلس ادارة البنك فى منتصف عام ١٩٧٦ قرارا بتشكيل لجنة عليا لدراسة مستقبل ميكنة حسابات البنك بعد مضى ما يقرب من ٢٢ عاماً منذ صدور أول قرار للبنك باستخدام آلات ميكانيكية عام ١٩٥٤ . وقد اصدرت اللجنة تقريرا خلاصته :

● ان عددحسابات العملاء بالبنك سوف يبلغ عام ١٩٨١ حوالى مليون حساب ، وان استخدام الالات الميكانيكية لن يؤدى الى ملاحقة التطور فى كم ونوع الخدمات المقدمة للعملاء

● ان البنك قد درج لظروف خاصة بالسياسات الاستثمارية فى الدولة الى التوسع الافقى فى عدد الالات دون التوسع

الهلال

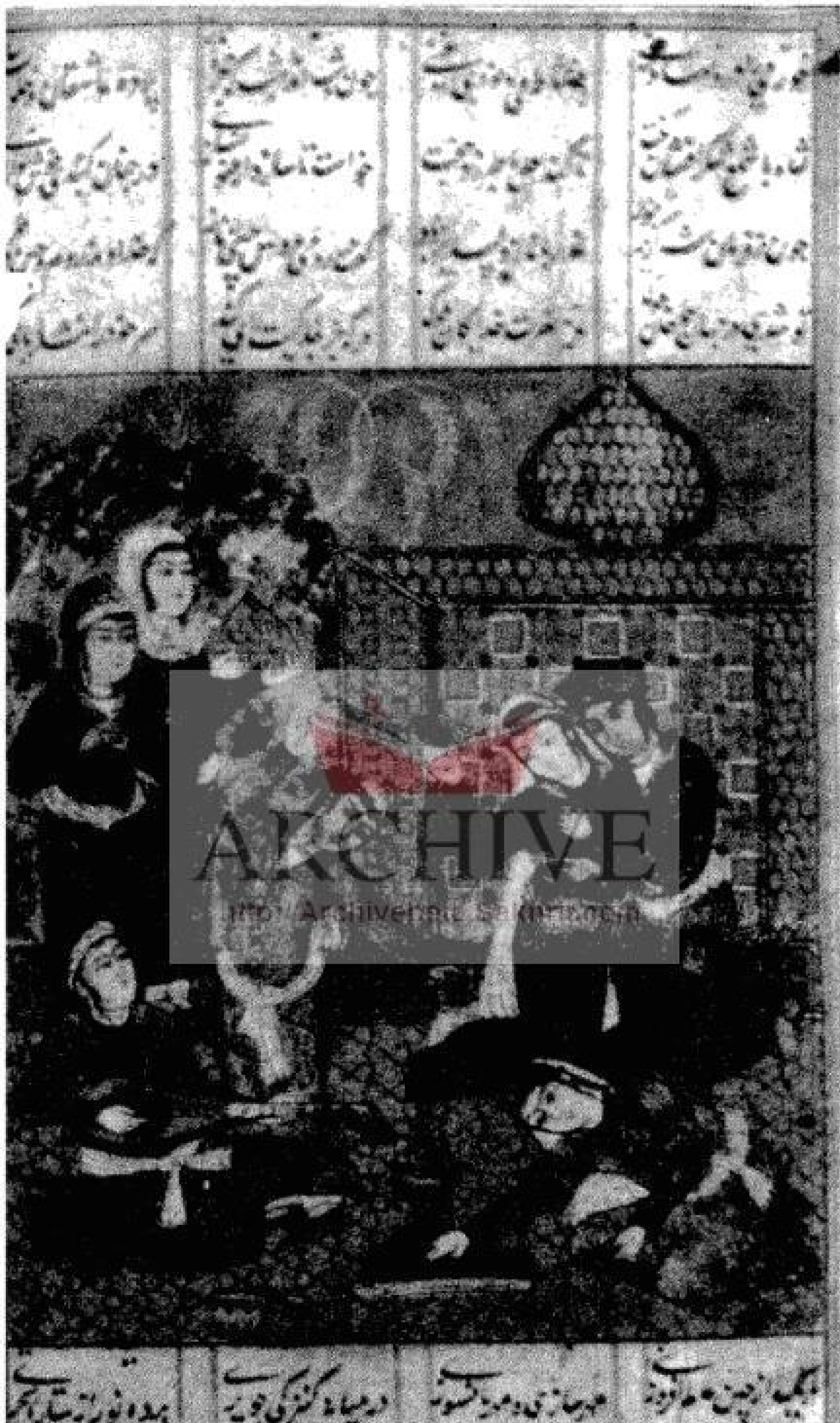
فبراير
سنة ١٩٨٦

الثمن
٣٠ قرشا

■ شيعة وسنة .. إلى متى ؟!
■ البطل فى الأسطورة الشعبية

الذكرى المئوية لمىّ زيادة
جزء خاص





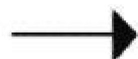
من روائع الفن الإسلامي

هذه لوحة بديعة تزين ديوان «خمسة نظامي» للشاعر الاذربيجاني ابن يوسف نظامي ١١٤١ ـ ١٢٠٩ والذى يضم مجموعة أعماله الشعرية الخمس مثل ليلى والمجنون واسكندرنامه وخسرو وشيرين .

وكان الشرق أول من زين الكتب وأحسن أخراجها ، ويزين هذا الديوان لوحات رومانسية مستوحاة من قصائد الشاعر نظامي

واللوحة لمجلس فيه كل عناصر الطرف فى العصور الوسطى العود الشرقى والراقصة والمغنية تعبر عن مشهد من قصيدته خسرو وشيرين .

اللوحات التى يضمها المخطوط يضمها متحف حيدر اباد فى الهند ..



الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ اول فبراير سنة ١٩٨٦ ـ ٢٢ جمادي الاولى ١٤٠٦

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفني
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتير التحرير الفني
عيسى دياب



جزء خاص عن مى زيادة فى ذكرى ميلادها المئوى ص ٦٨



الرقابة على شاشة الذاكرة ص ١٠٢

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●



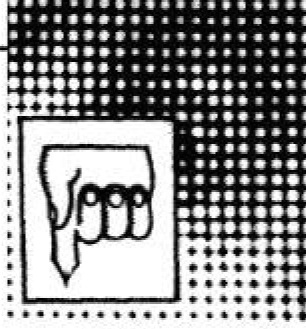
قصة العباقرة الفائزين ببطولة العالم في الشطرنج
ص ٤٤



دار ابن لقمان شاهد على الانتصار على لويس التاسع ص ١٢٧



الفتوحات العثمانية
ص ٣٤



عزيزي القارئ

بعد ان افسدت السياسة العديد من جوانب الحياة العربية بقي الامل معقودا على الثقافة ، على أمل أن يلتقي عشــدها القارىء العربي في كل مكان ، فتحت هذه الراية تشهد القاهرة معرض الكتاب العربي الثامن عشر · ويلتقي في هذا المهرجان الثقافي الدول العربية جميعا ، ويلتقي القارىء باحدث ما انتجته المطابع العربية من كتب ، انه مؤتمر « قمة » ثقافي بــالغ الدلالة ··

وتعكس كتب المعرض حالة العقل العربي الراهنة ، وسط ظروف قاسية تحاصر الوطن العربي كله ، ويتعلق الجمـيع بأمل أن يتمكن الفكر العربي من الخروج من هذا الحصار ، ويعد صدور كتاب جديد يحمــل افكارا جديدة حدثا هاما جديرا بالاحتفــال ·

لهذا المنطق نحتفي بمعرض الكتاب · باعتباره يحمل ظاهرة ثقافية عميقة الدلالة ، ويوفر للقارىء الكتب العديدة التي تنشر في الوطن العربي والعالم ··

في زمن تباعدت فيه المسافات بين أطراف الجسد ، وحفرت الخنادق في أرجاء الوطن الواحد ، واشهرت المدافع بين الاشقاء،

وجاء الكتاب يخترق هذه الحواجز ويعلي من جديد نور الفكر والعقل ·

ومن جانب آخر يقام هذا المعرض والكتاب يتعرض لأكبر محنة ، بعد أن انصرف عنه القراء ، حينا أمام مصاعب نشره، وحينا أمام ارتفاع أسعاره ، وحينا آخر عندما حل محله التليفزيون والفيديو ··

ومازالت الثقافة التي يعبر عنها الكتاب العربي ، كما تدل الاحصاءات تتجه الى الادب بمعنى القصة والشعر ، وتخاطب الوجدان ، وغابت أو قلت الكتابات النقدية التى تخاطب المستقبل وتجدد الحياة ، وغابت ايضا الكتب العلمية التي تزخر بها المكتبة الاجنبية ، وخاصة تلك التي تقدم فلسفة العلوم الكفيلة بتغيير المفاهيم وشيوع الفكر العلمي بدلا من الخرافة ! ··

وكان أقصى ما تعرض له الكتاب العربي عملية تيبس الفكر ، والذى لم يصبح مقتصرا على استخدام الاعلام لصالح السياسات القائمة ، بل تجاوز ذلك الى دس الدعاية السياسية فى كل جوانب الحياة ، مما يقلل امكانية الحوار واعمال العقل ··

ولكن أمام هذا اللقاء الثقافي نغض الطرف عن كل ذلك ، فمجرد اقامة هذا المهرجان الثقافي قيمة يجب ان نتمسك بها ، بعد ان تمزقت الامة العربية ، واصبحنا نبحث عن ارض مشتركة للحوار وللتفاعل ·· مما يجعل هذا المعرض هدفا فى ذاته ، وعلى أمل أن يصل اهل الثقافة والنشر ما قطعه اهل السياسة ·

المحرر

السنة والشيعة
والحاجة إلى حوار جديد

بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

لا اعرف احدا من المعاصرين تعرض من قريب او بعيد لقضية انقسام المسلمين الى اهل سنة وشيعة ، الا اصابه من ذلك ما لا يحب وتناوشته - فى غضب وثورة - سهام الاتهام من هنا ومن هناك ..

لا يشفع له عند احد انه كتب ما كتب او قال ما قال لرأب الصدع ، ويؤلف القلوب .. ويضيق دائرة الخلاف .. ورغم ذلك فقد غالبت كل هواجس التردد ، ومشاعر الاشفاق على النفس ، ودواعى ايثار السلامة بالبعد عن مواطن الخلاف .. ايمانا بأن الحق احق ان يقال (وان مصلحة القراء وهم الكثرة الغالبة اولى بالرعاية واجدر بالاعتبار من مصلحة الكتاب والنقاد وهم القلة القليلة) .. وايمانا - فوق ذلك - بان ما نعانيه اليوم من اثار هذا الانقسام الذى بدأ مبكرا فى تاريخ الاسلام والمسلمين يرجع - فى جانب منه على الاقل - الى الجهل المتبادل بين الفريقين اكثر مما يرجع الى التفاوت الحقيقى فى الرأى حول مواطن الخلاف ..

وبعد ذلك كله فنحن المسلمين والعرب نعيش مرحلة تمزق وتفرق أخشى أن نكون بها على أبواب فتن لا آخر لها .. نستخرج فيها كل ما ضمه تاريخنا القريب والبعيد من أسباب الفرقة والاختلاف فنبث فيه الحياة من جديد . ونتخذه محورا لصراعات فكرية وسياسية ، تستنفد الجهد ، وتستغرق الطاقة .. وتغتال - فى غير رحمة - فرصتنا الباقية فى اللحاق بالآخرين وممارسة دورنا الحضارى الذى نتحدث عنه كثيرا .. ولا نكاد نعمل من أجله شيئا على الاطلاق ..

ويحتاج القارىء غير المتخصص الى ملاحظة عدد من الحقائق التى تتصل بالشيعة والتشيع ، قبل أن يتخذ موقفا او يكون رأيا فى موضوع هذا الحوار .

١ ـ وأول هذه الحقائق أن الشيعة يعرفون عن عقائد أهل السنة والجماعة ما لا يعرفه أكثر أهل السنة عن عقائد الشيعة ومذهبهم وراء علمائهم وعامتهم .. (وهذه المعرفة ليست قاصرة على علماء الشيعة وخاصتهم انما يشترك فيها ـ باقدار متفاوتة ـ عامتهم وغير المشتغلين بالعلم الدينى منهم) . بينما لا يكاد أكثر المثقفين غير المتخصصين من أهل السنة يعرفون عن الشيعة الا انهم طائفة اسرفت فى التشيع لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وترى أنه كان أولى بالخلافة من أبى بكر وعمر .. وأنهم ـ لهذا ذلك ـ أصحاب بدع يخالفون بها مذهب أهل السنة ، ويخرج بها المتطرفون منهم عن دائرة الاسلام الصحيح ..

٢ ـ الحقيقة الثانية أن الشيعة ليسوا طائفة واحدة .. وليسوا سواء فى مظاهر مخالفتهم لمذهب أهل السنة والجماعة .. وأشهرهم فى أيامنا هذه ـ وعلى امتداد التاريخ ـ الشيعة الزيدية المستقرون فى اليمن.. والشيعة الامامية (أو الاثنا عشرية) المنتشرون اليوم فى ايران والعراق وسائر دول الخليج وباكستان حول مذهب هذه الطائفة الاخيرة يدور اليوم أكثر حديثنا..أما بعض الطوائف المحسوبة على التشيع والتى تدين بعقائد لاسبيل الى التوفيق بينها وبين الاسلام ، كالقول بالوهية على كرم الله وجهه ، أو نبوته ، أو أن محمد (ص) ليس آخر الانبياء فهذه لا يمكن نسبتها اليوم الى الشيعة حتى ولو كان ظهورها تاريخيا مرتبطا باحدى فرق الشيعة المتعددة .. ومن هذا الطوائف السبابة (نسبة الى عبد الله ابن سبأ وهو شخصية غامضة لعبت دورا فى الترويج لكثير من العقائد الفاسدة ، وينكر عامة الشيعة كل صلة بها ، بل يذهب بعضهم الى انكار وجود ابن سبأ أصلا) والخطابية والغرابية والقرامطة والبابية والبهائية وفى ذلك يقول مؤلف كتاب « أصل الشيعة وأصولها » : ان الشيعة الامامية : « يبرءون من تلك الفرق براءة التحريم .. ويبرءون من مقالاتها ، ويعدونها من أشنع الكفر والضلالات » . (أصل الشيعة وأصولها . للامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٠٣).

٣ ـ أن القضايا الخلافية التى فجرها ظهور الحركة الشيعية ظلت على امتداد التاريخ الاسلامى محور جدل طويل ومتشعب بين علماء أهل السنة والجماعة وعلماء الشيعة .. وهو جدل موثق فى مؤلفات عديد من العلماء من الفريقين .. جرت خلاله مساجلات طويلة .. محصت فيها الأدلة ، وحققت النصوص ، بحيث لم تبق حجة يحتج بها أو دليل يستند اليه الا وقد أوسعه العلماء تحليلا ونقدا .. ومع ذلك بقى كل فريق على رأيه ومذهبه .. لذلك يكون من الاسراف فى تبسيط الامور أن يتصور الداخل اليوم الى ساحة هذا الجدل أن فى وسعه حسم القضية وتصفية الخلاف واقناع محاوره بخطأ ما هو عليه .

ان علينا جميعا ـ بدلا من ذلك ـ أن ندرك جيدا أن الخلافات ذات الجذور التاريخية الضاربة فى الارض لا يلغيها أو يمحوها جهد فرد ، ولا يمكن ـ مع ذلك ـ القفز عليها بغير مخاطر هائلة .. وأن مواجهتها تحتاج الى جهد متصل وصدر متسع وصبر طويل ..

٤ ـ أن الجدل التاريخي المتصل بين أهل السنة وبين الشيعة قد ظل خلال المئات الأخيرة من السنين محصورا في الدائرة الاعتقادية والفكرية ·· وأن « الاستقطاب » الاجتماعي والسياسي ظل في حالة هدوء واستقرار عند نقطة محددة ·· لم يهبط عنها بحيث تتحقق الوحـدة النفسية والاجتماعية الواجبة بين المسلمين ·· ولم يرتفع عنها كثيرا بحيث يتحول الى نذير بفتنة طائفية جديدة ذات أبعاد سياسية واجتماعية ··

غير أن قيام الثورة في ايران عام ١٩٧٦ ، وتولى رجال الدين قيادتها ، وقيادة الدولة كلها بعد نجاحها ·· وسعيهم الى نشر مبادئها خارج حـدود ايران ·· ثم اندلاع الحرب ـ بعد ذلك ـ بين العراق وايران ·· وامتـداد آثارها الى دول عربية مسلمة مجاورة يتوزع أهلها المذهب الشيعي الى جانب مذهب أهل السنة والجماعة ·· كل ذلك قد فتح الباب على مصراعيه أمام مخاطر استقطاب عقائدي وسياسي جديد محوره ذلك الانشقاق التاريخي ·· ومصدره ـ فوق ذلك ـ ما نؤمن به أشد الايمان من وجود حرص واع لدى بعض الدوائر غير العربية وغير الاسلامية على تأجيج كل صور الانقسامات العقائدية والسياسية في هذه المنطقة من العـالم ··

لذلك لم يعد أمامنا خيار ·· فقد صارت الحاجة ماسة الى حوار جديد ـ بدلا من ترك ظاهرة الاستقطاب تنمو وتتطـور في الخفـاء ·· ونحن نغمض أعيننـا عنها ، ونزعم أنها ليست هنـاك لأننا نتمنى لها ألا تكون هناك ··

غير أن الحوار الذي نحتاج اليه يجب أن يظل محكوما بهدف واحـد لا يتجـاوزه ولا يعدوه ·· وليس ذلك محاولة للحجر على حرية أحد في البحث والحوار ، وانما هو دعوة تأخذ في حسبانها أن الحوار حين يبدأ وسـط توترات قائمة ومشاعر متأججة قد يزيد الأمر اشتعالا · ويزيد الخـلاف حدة والقضية تعقيدا والهدف المحدد الذي نريد له أن يحكم هذا الحوار هو زيادة المعرفة المتبادلة والاستبصار الهـادىء المنصف لموقف الآخرين ، والتأمل ـ من جديد ـ في مواضع الخلاف ، والبحث الدءوب في الوسائل والصيغ التي يمكن أن يتراضى عليها الفريقان بتجاوز تلك المواضع دون تصفيتها بالغـاء موقف فريق منهما ·· وذلك كله رجاء أن يتعاون المسلمون فيما اتفقوا فيه· وهو الكثرة الغالبة التي تشمـل أساسيات العقيدة كما تشمل الجـزء الأكبر من فرعياتها ·· وأن يعذر بعض المسلمين بعضا فيما اختلفوا فيـه ، أو يجـدوا لهم ـ على الأقل ـ سعة لا تحول دون المؤاخاة والتواصل ، وتقطع الطريق على الساعين الى ايقاظ فتنة نائمة ·· أو خلق فتنة جديدة ···

والحق أن الحديث في أمر العقـائد والمذاهب والمواقف التاريخية ـ خصوصا حين تكون محلا للخـلاف الشـديد ـ لا يصلح له الايجـاز

والاجمال .. ومع ذلك فسنحاول ـ وفاء بحق هذا الهدف الذي حددناه .. أن نضغط آلاف الصفحات في سطور .. وأن نجمل تراثا فكريا متراكما في عبارات وجيزة .. وأن نشرح قضايا فكرية وفقهية معقدة في كلمات واضحة.. وأن نلخص حركة تاريخ حي طويل .. سالت فيه دماء .. وسقط شهداء .. وتخلقت خلاله معالم الوجدان الجمعي للشيعة في هذا المقال القصير ..)
وقد يكون أوفق السبل لبلوغ هذا المرام الصعب أن نصوغ القضية في شكل أسئلة محددة نلتمس لها الجواب .. من الزاد العلمي الغزير الذى تركه لنا المؤرخون وعلماء الفقه والفلسفة وأصول الدين .. على جانبي الحوار ..

أولا : متى ظهر مذهب الشيعة ؟

وليس لهذا السؤال جواب واحد .. لان التشيع قد اتخذ منذ بدايته الى اكتمال نموه .. ثم بعد هذا الاكتمال .. صورا متعددة .. ظهر كل منها في مرحلة أعقبتها مراحل أخرى ..

(أ) فاذا كان المقصود بالتشيع مجرد حب على كرم الله وجهه والانحياز العاطفي اليه .. فقد ظهر ذلك على نحو فردى في عهد النبي (ص) اذ ان علماء الحديث من اهل السنة والجماعة يوافقون الشيعة في القول بصحة كثير من الاحاديث الدالة على فضل على كرم الله وجهه والدالة فوق ذلك على منزلته العالية من نفس النبى (ص) .. فهو كرم الله وجهه اول من آمن من الصبيان .. وهو خليفته في فراشه يوم هجرته .. وأخوه بعد الهجرة يوم آخى بين المهاجرين والانصار .. وهو حامل راية المسلمين في يوم خيبر ..وهو ـ فوق ذلك ابن عمه وزوج ابنته التي هي قطعة منه ـ وأكثر علماء الشيعة قديما وحديثا يحرصون اشد الحرص على رد أصل التشيع الى عهد النبى (ص) ليمنحوه بذلك شهادة الشرعية والصدق وليجعلوا منه مذهبا اسلاميا خالصا وليبعدوا عنه ما اتهمهم به المناقدون من تأثرهم بآراء اليهود والنصارى في كثير مما قالوا به .. وهم فوق ذلك يحرصون على هذا الاثبات لانه وحده المتفق مع مذهبهم في أن النبي (ص) قد أوصى لعلى بالامامة من بعده .. فكان بذرة التشيع قد وضعها النبى بنفسه قبل أن يلحق بالرفيق الاعلى .

(ب) أما اذا كان المقصود بالتشيع القول بالفضلية على كرم الله وجهه واستحقاقه للامامة بعد وفاة النبى (ص) .. وللاعتراض ـ بسبب ذلك ـ على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان .. فان هذا القول قد ظهر في أعقاب وفاة النبى (ص) وازداد وضوحا بعد أن تمت البيعة لابى بكر رضى الله عنه في سقيفة بنى ساعدة .. اذ تخلف عن تلك البيعة عدد من الصحابة قالوا بأحقية على بن أبى طالب منهم العباس بن عبد المطلب وابنه الفضل والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى وعمار بن ياسر .. لذلك يحتل هؤلاء جميعا ، وخصوصا سلمان وأبو ذر وعمار مكانة خاصة في الوجدان الشيعى والادب الشيعى الى يومنا هذا . على أن من الضرورى أن ننبه هنا الى أن أحدا من هؤلاء جميعا لم يحمل معالم العقيدة الشيعية التى تكونت بعد ذلك وتحددت فكريا ونفسيا في أعقاب حوادث ومواقف تاريخية لاحقة على يوم السقيفة أو متأخرة عنه اعواما كثيرة .. اذ لم يكن تشيع هؤلاء

النفر من كرام الصحابة ، الا موقفا سياسيا وفكريا معبرا عن تقديرهم لعلى كرم الله وجهه ، واعتقادهم بافضليته لمنصب الخلافة ..

(ج) وأما الانحياز الجماعى المتمثل فى قيام « حزب سياسى » ممالىء لعلى رضى الله فقد ظهر واضحا فى أعقاب واقعة التحكيم وما انتهت اليه من خذلان الحق الذى يمثله الامام كرم الله وجهه .. وربما كان هذا الانحياز موقفا طبيعيا لمواجهة الانحياز المعاكس الذى تمثل فى ظهور « الخوارج » وانشقاقهم على على رضى الله عنه ثم قتلهم اياه ، واسرافهم فى الانكار عليه الى حد تكفيره .. فكان طبيعيا أن ينحاز الموالون له الى « حزب » يسرد عليهم ، ويواجه تهمة « التكفير » بالجنوح الى المبالغة » فى تقرير الحق الثابت للائمة من آل بيت النبى (ص) ، وفى نفى هذا الحق عمن سواهم .. وابتداء من واقعة التحكيم بدأ ظهور نظرية الشيعة فى الامامة وأنها تثبت بالنص عن النبى (ص) ، وان اقامتها بهذه الطريقة ، ومتابعة الامام الذى يتولاها ركن من أركان الاسلام يضاف الى أركانه المسلم بها من المسلمين كافة .

والحق ان عليا رضى الله عنه قد وضع بنفسه أساس التمييز السياسى للشيعة ، فى مواجهة الخوارج (وهو فيما نرى تميز لاهل السنة والجماعة وكذلك فى مواجهة الخوارج) حين رد على الخوارج قولهم « لا حكم الا لله حيث خطب قائلا : « كلمة حق يراد بها باطل . نعم انه لا حكم لله ولكن هؤلاء يقولون : لا امرة الا الله ، وانه لابد من أمير بر أو فاجر ، ويعمل فى امرته المؤمن ويستمتع بها الفاجر ، ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفىء ويقاتل به العدو وتؤمن به السبل ... » ...

(د) أما الأساس النفسى الثابت للمذهب الشيعى ، والذى لازمه الى يومنا هذا ، وجعل من الشيعة مذهبا متميزا عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وأدى — فوق ذلك — الى تحديد سائر معالمه الاعتقادية فى الامامة وغيرها ، فقد نشأ فى أعقاب الفاجعة التى المت بآل بيت النبى (ص) فى كربلاء والتى استشهد فيها الحسين رضى الله عنه وعدد كبير من آل بيت النبى (ص) ، فبعد هذه الفاجعة التى قدم فيها ابن بنت رسول الله (ص) مثلا فريدا فى الاستشهاد من أجل المبدأ ترسبت فى الفكر والوجدان الشيعى أمور ثلاثة :

الأول : الاحساس بفقدان جولة حاسمة فى الصراع السياسى من أجل بقاء الامامة فى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم .. ولذلك اتجه الشيعة بعد هذه المعركة اتجاها انعزاليا وانشقاقيا عن سائر جماعة المسلمين .

الثانى : الاحساس الدفين بالظلم ، والرغبة المكبوتة فى الثأر من هذا الظلم والشعور بالمرارة الشديدة تجاه كل من تسببوا فيه و الاحساس الغامر بالحزن المستغرق المستولى على الكيان ، وهو حزن عبر عنه بعد ذلك الامام على بن الحسين (زين العابدين) حين كلمه بعض الناس فى أمر ذلك الحزن فقال : ان يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يعلم

انه مات ، وانى رأيت بضعة عشر من اهل بيتى يذبحون فى غداء يوم واحد افترون حزنهم يذهب من قلبى ؟ » (١) ٠

الثالث : الاحساس بالحاجة الى المداراة عن اظهار الخصومة فى مواجهة من يملكون تصفيتهم او ايقاع الاذى الشديد بهم ، وهو ما عرف بعد ذلك بمبـدأ « التقية » ٠

ولذلك كله نقول مع القائلين ان دماء الحسين رضى الله عنه كانت ابعد اثرا من دماء علي رضي الله عنه فى نمو الحركة الشيعية وازدياد انصارها، ويؤكد ذلك ما نلاحظه اليوم من احتلال الحسين رضى الله عنه مكانه فى الوجدان الشيعي تقارب مكانه علي كرم الله وجهه بل تعلوها احيانا حين يذكر التاريخ الشيعى او يعدد المظالم التي وقعت على ال بيت النبى (ص) ٠

وبقى أن نضيف أن كثيرا من المعالم الفكرية والآراء الفقهية للتشيع الاثنا عشرى انما تحددت واكتملت فى عهد الامام جعفر الصادق رضى الله عنه (وهو الامام السادس المتوفى سنة ١٤٨ هـ) ولعل ذلك يرجع الى شخصيته العلمية الفذة ، فقد أخذ عنه العـلم الامامان الجليلان ابو حنيفة ومالك بن أنس ٠

● منصب الهى

● ثانيا : ما هى معالم العقيدة الشيعية ، وفى اى شىء يختلف مذهب الشيعة الامامية عن مذهب اهل السنة والجماعة ؟

١ ـ الامامة منصب الهى يثبت لصاحبه بالنص عليه من النبى صلى الله عليه وسلم :

فبينما يذهب اهل السنة والجماعة الى أن الامامة او الخلافة هى رئاسة عامة ـ فى أمر الدين والدنيا خلافة عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠٠ وان المسلمين فى كل عصر يختارون خليفتهم بمبايعة من يرونه أصلح لرئاستهم ، بعد أن يختاره أهل الحل والعقد فيهم ـ يذهب الشيعة الى أن الامامة منصب الهى لا يعقل ان يترك امر اختياره للناس وانما يختاره الله بوحى يوحيه الى نبيه فينص على شخص الامام ٠٠ ويدللون على رأيهم بأدلة عقلية ونقلية يضيق المقام عن مناقشتها بما تستحقه من تفصيل ومن الآيات التى يسوقونها لتأييد مذهبهم فى الامامة قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » وقوله تعالى : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » وقوله سبحانه لابراهيم عليه السلام « انى جاعلك للناس اماما » فهو وحده سبحانه الذى يختار للمسلمين امامهم ٠ ولقد لخص رأى الشيعة الامامية فى طبيعة منصب الامامة العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه « اصل الشـيعة واصولها » فقال ان الشيعة زادوا فى اركان الاسلام ركنا هو « الاعتقـاد بالامامة يعنى أن يعتقد ان الامامة منصب الهى كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة ، فكذلك يختار للامامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه اماما للناس من بعده

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ، ص ١٠٧ ٠

للقيام بالوظائف التى كان على النبى أن يقوم بها ، سوى أن الامام لا يوحى اليه كالنبى وانما يتلقى الاحكام مع تسديد الهى (١) ..ومنصب الامام ـ بهذا المعنى ـ ليس واجبا على المسلمين فحسب ، ولكنه واجب على الله سبحانه حتى تستقيم الامة بعد النبى على الحق وحتى يقوم أمرها كله على الرشد .

والامامة متسلسلة عند الشيعة الامامية فى اثنى عشر اماما كل سابق منهم ينص على اللاحق . وهم على التسلسل :

على رضى الله عنه ـ ثم الحسن بن على ـ ثم الحسين بن على ـ ثم على بن الحسين (زين العابدين) ـ ثم محمد بن على (الباقر) ـ ثم جعفر ابن محمد (الصادق) ـ ثم موسى (الكاظم) ـ ثم على (الرضا) ثم محمد (الجواد) ـ ثم على الهادى ثم الحسن العسكرى واخيرا ابنه محمد (المهدى) وهو الامام المستور الغائب الذى ينتظر الشيعة خروجه فى آخر الزمان .

عصمة الامام

ويتصل بنظرية الشيعة فى الامامة قولهم بعصمة الامام ، ويلفت النظر فى هذا المقام أن علماء المسلمين من أهل السنة والشيعة لم يخوضوا كثيرا فى قضية عصمة الانبياء بقدر ما خاض الشيعة فى أمر عصمة الامام ..

وليس من العسير تعليل هذه الظاهرة فقد كان الشيعة فى أشد الحاجة الى القبول بعصمة الائمة ليثبتوا استحالة الوصول الى هذا المنصب الالهى بالاختيار .. وليمنعوا انقياد الناس لخصومهم من الخلفاء المغتصبين لهذا المنصب الالهى .. والعصمة عند علماء الشيعة تعريفات عديدة ، لعل أوضحها تعريف الطوسى لها بأنها : ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكنا منها ولعل أقربها الى رأى أهل السنة والجماعة قول الامام على بن الحسين (زين العابدين) حين سئل عن معنى المعصوم فقال : هو من اعتصم بحبل الله المتين أى القرآن فلا يفترق الامام عن القرآن الى يوم القيامة » (٢) .

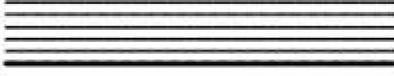
---

(١) أصل الشيعة وأصولها ـ طبعة المطبعة المصرية ، بالقاهرة ١٩٥٨ ص ١٥٨ .

(٢) انظر هذه التعريفات وغيرها فى مؤلف الدكتور أحمد محمود صبحى « نظرية الامامة عند الشيعة الاثنى عشرية ـ دار المعارف ـ ص ١٠٦ وما بعدها » .

وسنواصل الحديث العدد القادم

أقوال معاصرة





حسنى مبارك

● لست نبيا . ولي طاقة البشر وحدوده . أعمل ليل نهار . وابذل كل ما استطيع . ولا انعم حتى بالقدر الضئيل من الحرية الذي يتمتع به المواطن العادي . ولا افعل شيئا لحسابي . ولا افعل شيئا لأنال المجد او الشهرة . وفي تصوري ان الوطنية المصرية سوف تكون حافزنا على عمل الجميع من اجل مصر ..

حسنى مبارك



مارك شاجال

● . الفن العظيم يلتقط من حيث تنتهي الطبيعة .

مارك شاجال

● . في الطائرة لاتوجد سوى عاطفتين .. الضجر والرعب .

اورسون ويلز



اورسون ويلز

● . نحن ولدنا لنتذكر ومن اجل ذلك نحن هنا .

هاينريش بل

● . الكلام بصراحة قوة مطهرة .

يوفتيشينكو الشاعر السوفييتي

● . شالوم لبنان .. الوداع الى الابد .

لافتة على دبابة اسرائيلية منسحبة من لبنان

● . لا احب الاشياء العابرة . وانما احب الاشياء التي لها صفة الدوام .

لورا أشلي مصممة ازياء انجليزية

● . نموت عشر مرات يوميا .

جمال ميري من الميليشيا المسلحة في بيروت

الأدبَاء فى انتعاش والأدب فى انكماش!

● للأدباء رب رحيم ، فبعد ان اغلقت الصحافة المصرية ابوابها امامهم ، إيماناً بان أهل الدار احق بخيرات الدار ، وجدوا ابواباً أخرى مفتحة على رزق وفير ، ومع أن المورد العذب كثير الزحام ، فقد كانت الموارد في هذه الحالة اكثر من الواردين .

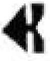
في العالم العربي اليوم قرابة ثلاثين مجلة ثقافية ، بين شهرية وفصلية واسبوعية ، غير عدد من « السلاسل » وان كانت كلها « سلاسل » كلها تصدرها وزارات الثقافة والإعلام في عالمنا العربي السعيد جدا ، الغني جدا ، المثقف جدا . وكلها سمينة انيقة ، وكلها تدفع بسخاء .

لم تعد « حرفة الأداب » تعني البؤس والضياع . في إمكانك أن تجلس في دارك وتدبج كل يوم مقالة أو قصة أو قصيدة ، وتضعها في ظرف وتكتب عليه عنواناً من هذه العناوين ، واذا احببت ان تنوع نشاطك فتكتب مرة تعليقاً ومرة تمليقاً ومرة تشليقاً ، ومرة نكتة ومرة حكاية ، فامامك الصحافة « المدعومة » بين يومية واسبوعية ، وهي اضعاف ماذكرت ، ومعظمها يدفع بسخاء ايضا ، ومعظمها يرحب بالكتاب المصريين ، بصرف النظر عما تنشره احياناً عن مصر والمصريين .

عليك فقط أن تراعي شيئاً واحداً : وهو ان هذه الصحافة او هذه الثقافة ـ ولا استثني بلداً واحداً حتى ولامصر ـ مريضة بالسكر وضغط الدم ! على حد تعبير صديق عربي همس في اذني بهذه الكلمات ، فهي لاتتحمل الحلو ولا المالح ولا الحراق .

فإذا استطعت أن تراعي « الرجيم » في كتاباتك فابشر بالخير العميم ، واسرع بفتح حساب في أحد البنوك المشتركة بالاسترليني والدولار ، واستعد منذ الآن للمساهمة في جلب الرخاء لمصر المستقبل بعدد من المشاريع الاستثمارية . اما إن كنت فاسد الطبع ، سقيم المزاج ، محباً للعناد ، عاشقاً للفقر ، فليس امامك إلا « الماستر » .

بقلم : د . شكرى محمد عياد



انى لازعم ان ادباء العربية لم يعرفوا منذ عصر الدولة الفاطمية وملوك الطوائف عصراً احفل ولا اجمل ولا ازهى ولا ابهى من هذا العصر الذى نعيش فيه نعم لقد كانوا دائماً يقصدون إلى قصور الخلفاء والأمراء ، ويلقون بين أيديهم القصائد العصماء او يهدون إليهم الكتب الجليلة . ولكن الدولة الفاطمية فى مصر سنت للأدب سنة حميدة عم خيرها كل شاعر وناثر ، إذ كانت هذه الدولة تؤمن بقيمة الدعاية ، فملأت ديوان الإنشاء بالكتاب ، وجعلت للشعراء ديواناً آخر خاصاً بهم يقبضون منه رواتب فى اول كل شهر . ولا يطلب منهم إلا ان يلقوا قصائدهم ايام الاحتفالات الرسمية (وماأكثرها !) بين يدى الوزير الأول . ومن الدلائل على رواج الحال ان الإنتاج الشعرى تضخم حتى كان يطلب إلى الشعراء ان يسرعوا فى إلقاء قصائدهم حتى يتسع الوقت لسماع جميع الشعراء المهمين ، ولاشك ان كثيراً منهم كانوا يضطرون إلى الاكتفاء بإيداع قصائدهم فى الديوان ، وإن كنا لانملك - حسب علمى - دليلاً قاطعاً على هذا ، فقد ذهب الديوان بما حواه كما ذهبت معظم القصائد التى انشدت انفاساً فى الهواء . وقرانا عن بعض ملوك الطوائف فى الأندلس انهم جعلوا للشعراء وظائف ثابتة فى دواوينهم - ولعلهم اخذوا هذا النظام عن الفاطميين ، فلم يشغلهم عن بر اهل الأدب والعناية بهم ، جهادهم فى حرب الأسبان . ولا اضطرارهم إلى إنفاق الأموال الجزيلة على قصورهم . بما حوت من الرياش والتحف والجوارى والمغنين ، حتى يحتفظوا بمظهر الهيبة والسلطان ويعظموا فى عيون الرسل والوفود القادمين من بلاد الأعداء

ونحن نعيش الآن فى عصر الورق ، والميكروفيلم ، والميكروفيش ، ودور الكتب ، وبنوك المعلومات ، فليس من المستغرب ان يبقى إبداع ادباء عصرنا على مر الزمان ، حتى يقراه احد مؤرخى المستقبل ولو انه قلما يقرا الآن .

ومن الذى يمكنه ان يحل هذه المعادلة الصعبة : كثرة عدد الكتاب مع قلة عدد القراء ؟ آلاف الصفحات تنشر كل شهر . ولا احد يجد وقتا للقراءة : الكبار مستهلكون فى السعى لطلب الرزق ، والصغار مستهلكون فى الحفظ والدروس الخصوصية لأنهم يخافون ألا يحصلوا على مجموع فى الثانوية العامة . ماأشبه هذه المشكلة - ومعذرة للأدب والأدباء - بمشكلة المجارى : الماء ينزل من الصنابير بكمية اكبر من الكمية التى يمكن أن تستوعبها المواسير . وهكذا يحدث الطفح . فى المجارى وفى الثقافة على حد سواء . ولكن الأدباء لم يعد يهمهم - فيما يظهر - أن يوجد لهم قراء . والدليل على ذلك انهم لم يعودوا

يهتمون بأن يكتبوا كلاماً مفهوماً . بل أصبح الإبداع والفهم عندهم نقيضين لايلتقيان ولايمكن أن يلتقيا .

اللهم جنبنا الزلل . وألهمنا الصواب . فأنا لاأكتب هذا كيداً في أحد ، أو طلباً لمرضاة أحد ، أو رغبة في قطع أرزاق العباد . بل انني لاأنكر أن هذه الحركة كانت - في أولها - خيراً وبركة على الكتاب والقراء جميعاً ، كما انني لا أحقد على الدولة الفاطمية التي آثرت أن تستخدم سلاح الدعاية بدلاً من سلاح القهر والإرهاب ، ولعله ليس من المصادفات أن الحركة انطلقت من مصر حديثاً كما انطلقت منها قديماً . عندما بدأ مشروع الألف كتاب ، وصدرت مجلة « المجلة » ، وانطلقت إذاعة البرنامج الثاني ، وأسست الدار القومية برعاية مصلحة الاستعلامات ، رحب جمهور الأدب والثقافة من منتجين ومستهلكين بهذه المشروعات كلها ، وأقبلوا عليها بحسن نية ، إيماناً بأن الثقافة « خدمة » تتولاها الدولة مثل التعليم والصحة ، وليست سلعة يقصد بها الربح ويحكمها نشاط التاجر ومزاج المستهلك . ولكن هذا المفهوم لم يكن مستقراً في جميع الأذهان ، فقد نافسه مفهومان آخران : أحدهما لم يكن مصرحاً به ، ولكنه كان صاحب السلطان الأعظم في أكثر الأحيان : وهو أن تكون الكلمة دائماً في خدمة الحكم وفلسفة الحكم - إن كانت له فلسفة - وإلا فلتكن كلمة محايدة لاتضر ولاتنفع . وإن أظهرت أن هناك ثقافة . وهكذا بدأ طوفان كان شعاره « كتاب كل ست ساعات » وشعر الكتاب أن أفكارهم تعتقل داخل سجون من الورق الذي يرمى في المخازن ، أو إذاعة البرنامج الثاني التي لاتسمع خارج القاهرة . أما المفهوم الثاني فهو أن « صناعة الكتاب » صناعة مؤممة كصناعة الخزف والبسكويت ، فيجب أن تدر أرباحاً وإلا فلتنخفض المصروفات ولتنقص الاعتمادات . وهكذا شهدنا عصراً أوقفت فيه مجلات وزارة الثقافة - كلها دون تمييز - بدعوى أنها تكلف الدولة أموالاً طائلة ، والحقيقة أنها لم تكن تكلف أكثر مما تكلفه مدرسة متوسطة عادية ، ولكنها كانت - فيما يظهر - قد استنفدت أغراضها ، فقد تم ترويض المثقفين ، وأصبحوا موظفين في الدولة .

في الوقت نفسه كانت الدول البترولية قد أخذت تحسب حساباً للمد الثقافي الذي يأتي من مصر ، ولاسيما أن هذا المد كان يحمل أفكاراً لاترضى عنها . وهكذا بدأ طوفان آخر من المجلات الثقافية ذات الورق المصقول والطباعة الفاخرة ، وأيضاً ذات الأجور العالية التي جعلت أجور المجلات المصرية تتوارى حياء . وجعلت الكتاب المصريين « يهاجرون بأقلامهم » كما يقال . ولهم العذر مرتين : مرة لأنهم ينشرون هناك أشياء شبيهة بما ينشرونه هنا ، كله كلام بلا فكر ولا موقف ، ومرة لأن البائع إذا استطاع أن يبيع البضاعة نفسها بعشرة أضعاف الثمن الذي كان يدفعه الزبون القديم ، فمن الغباء أن يترك الزبون الجديد .

وهكذا أقبلت الدنيا على كتابنا صغاراً وكباراً . وأصبح الكاتب العربي العادي - ولا أبالغ - يربح أكثر مما يربحه نظيره في أوربا وأمريكا . ولكن الشيء الذي يحير العقول هو أن هؤلاء الكتاب العرب كثيراً



مايسودون صفحات المجلات التي يكتبون فيها بمقالات واحاديث عن « ازمة الأدب » ولا احد يجرؤ على القول إنها ازمة فرط إنتاج من جهة . ولزمة حرية من جهة اخرى .

فلاول مرة لم يعد النشر مشكلة عندنا . حتى بالنسبة للكاتب الناشيء . وذلك بشرط واحد . وهو ان يسير في الصف ولكن هذه السهولة نفسها تعني انحدار المستويات . كل المستويات : انحدار المستويات الفنية . فلم يعد مطلوباً من الكاتب ان يجود . حتى اللغة اصبحت ـ فوق ركاكتها وعجمتها ـ قوالب مكررة . وكلما ادعى الكاتب أنه « حديث » و « عصري » كان اشد تورطاً في هذه القوالب . وقد اصبحت النزعات . او « الصراعات » الحديثة ترد علينا ـ مشوهة مبتورة ـ من الغرب بمعدل مرة كل عشر سنين . وسمعنا ان احد مشايعي « الحداثة » في عالمنا العربي وقف مرة في محاضرة عامة « يفسر » عدداً من القصائد لشعراء مدرسة بإحالة بعضها على بعض ، زاعماً ان هذا الشعر قد اصبحت له « لغته » المميزة . بدلاً من ان يلاحظ ، كما يلاحظ كل إنسان . ان هؤلاء الشعراء ينقل بعضهم عن بعض . ومنذ اكثر من ثلاثين سنة صرح الناقد الفرنسي الكبير الذى يفخر صاحبنا بانه من شيعته ، ان البلاء الأكبر الذى يهدد كل حركة ادبية جديدة هو ان مبتكراتها لاتلبث ان تصبح تقليداً يتبع .

على ان الآفة الكبرى في نظرى هي انحدار المستوى الخلقي . ولا نزعم ان الأدباء او الكتاب كانوا دائما من فضلاء الناس . ولكنهم كانوا ـ عادة ـ مخلصين صادقين حين يمسكون بالقلم . وكان هذا ـ ولايزال ـ هو الشرط الضرورى لكتابة ادب جيد . اما حين يكتب الكاتب ليسود ورقا ويأخذ عليه أجراً فمن اين تاتيه الإجادة لايكون الكاتب كاتباً حقا إلا إذا ظن ـ ولو خطا ـ انه يكتب ليبلغ إلى قارئه رسالة معينة . ولوكانت رسالة التسلية او الإضحاك فهو إذا سلّى فإنما يسلى عن هموم الدنيا . وإذا اضحك فإنما يضحك من سخافات البشر . وهذه او تلك « رسالة » جديرة بكل احترام . اما الكاتب الذى يسود الورق لياخذ الأجر فقلما يفكر في « رسالة » من اى نوع . وحينما يتذكر انه كاتب وانه ـ على كل حال ـ مقيد مع قارئه في سلسلة واحدة فقد تراه يرقص في السلاسل . او يقفز ـ مثلى ـ على الأشواك . ولكن هذه لحظات نادرة . تعجز عن تبديد الظلام الذى يخيم على كلماتنا ـ ظلام الكذب .

ومادمت لحاول ان اكون صادقا معك ايها القارىء فارجوك الا تسالني عن حل لهذه المعضلة . فانا لااعرف لها حلاً . ليس من السهل ان يقال للدولة ـ لأى دولة في العالم العربي ـ ارفعى يدك عن الثقافة ، لان الثقافة . مثل التعليم . مرفق علم ، لايمكن ان يقوم بجهود الأفراد وحدهم . وهل المتاحف ودور الكتب ـ مثلا ـ اقل شانا في حياة الأمة من المدارس والكليات ؟ ولكن المشكلة ـ أم المشاكل كلها ـ هي ان العلاقة بين « الدولة » و « الأمة » في عالمنا العربي لاتزال علاقة مبهمة . تنتظر الفيلسوف الذى يسوغ نظريتها كي تستقيم العلاقة بينهما في الحاضر والمستقبل .. ولايزال بعض رؤساء الدول يقومون بوظيفة الفيلسوف لدولهم . بل للعالم العربي على امتداده . بل للعالم كله إن امكن . ولكنى اظن ان معظمهم سئم هذه الشغلة . ولم يتقدم غيرهم لملئها . لأنها شغلة بلا مكسب . فإلى ان تبرز حضارتنا الروحية

مفكرا واحدا يقبل القيام بهذه المهمة . كما ابرزت حضارة الغرب المادية مفكرين من هذا النوع ، فستظل العلاقة بين الامة والحكومة متوقفة على المصالح الوقتية القريبة لكلا الفريقين .

واحسبك تسأل : وماعلاقة الثقافة بهذا الموضوع الطويل العريض؟ فاذكرك بالمفاهيم الثلاثة التى سبق ان قلت إن كلا منها كان له دور فى تدبير امور الثقافة فى مصر : فمفهوم ان الثقافة خدمة تقوم بها الدولة مرتبط بما يسمى دولة الرفاهية او دولة الخدمات . ومفهوم ان الدولة تتولى توجيه الفكر والفن هو جزء من مفهوم الدولة الشمولية . ومفهوم ان الدولة تحتكر الإنتاج الثقافى كما تحتكر سائر انواع الإنتاج المهمة راجع إلى مفهوم اوسع وهو مايطلقون عليه اسم راسمالية الدولة . وهذه كلها مفاهيم سياسية واخذناها عن الغرب كما ناخذ السلع المصنعة : لم نسأل انفسنا عن قيمة كل منها عملياً بالنسبة إلينا ، ولاعن إمكان الجمع بينها او ضرورة اختيار واحدة منها وعلى اى اساس يكون الاختيار .

وهكذا اصبح الإنتاج الثقافى ـ مع انه يبدو مشكلة ثانوية ، بل اقل من ثانوية ، بين المشاكل الضخمة التى تواجه الدولة والشعب ـ اشبه بنموذج كامل يمثل هذه المشاكل كلها ، وقد يصبح حله ـ ولنكن متفائلين ـ مفتاحاً لحل جميع المشاكل الاخرى .

● كلمات عاشت ●

● ... وانى لمعترف بفضل هذا الوطن العزيز علىّ . فلقد نشأت فى ظله ، وتقلبت فى مهده ، وتربيت فى حجر كفالته وتعهده ، حتى صرت من ابنائه المعدودين ، ورجاله المعروفين ، وتمتعت ، صغيرا وكبيرا ، بكثير من خيراته وثمراته ، ولا ازال متنعما بطيباته .. فاجدنى ، وان استوفيت الجهد ، وقضيت العمر فى خدمته ، لم اقم بعشر معشار ما علىّ من واجباته وحقوقه .

ولكن عرفانى لذلك واعترافى به لايمنعنى من بذل جهد المقل ، والانتهاء لغاية الاستطاعة .. ولهذا التزمت ، فى كل ما تقلدت من الاعمال ، وجميع ما تقلبت فيه من الاحوال ، ان اخدم وطنى بكل ماتناله يدى ويبلغه امكانى ، مما اراه يعود عليه بالفائدة والنفع ، قل او جل ، كالسعى فى استكثار المكاتب والمدارس .. وتعميم التربية والتعليم .. ونشر الكتب المفيدة ، اما بالاشتغال فى تاليفها بنفسى او الحث والتحريض عليها لمن ارى فيه اهلية القيام بها ...

● على (باشا) مبارك ●

لغويات


بيرم التونسي


زكريا احمد


فيروز

● يخلط بعض الناشئين الذين يرسلون إلينا محاولاتهم الشعرية بين كلمتي « عذل » بالذال .. و« عزل » بالزاي فاما « عذل » فتقول « عذلت فلانا في الحب فاعتذل » اى « لمته في انسياقه للهوى فعدل عنه » .. ونقول « عزلته فاعتزل » .. اى « نحيته عن شيء من الاشياء او عمل من الاعمال فتنحى عنه » .. والفرق ـ كما ترى ـ هو الفرق بين حرفي الذال والزاي . ولم يكن هذا الفرق يخفى على الكاتبين باللغة العربية قديما ..

● عندما نشبت حرب اليمن في اوائل الستينات اشتهر اسم مدينة « صعدة » اليمانية . واصر بعض الصحفيين على تسميتها « صاعدة » ظنا منهم ان العامة يحرفون هذا الاسم الى « صعدة » كعادتهم في خطف الالف في مثل هذه الكلمة . ولكن هؤلاء . الزملاء اخطاوا ـ واستمروا على الخطأ ـ حتى تساءل الناس « أهي « صعدة » ام « صاعدة » ؟ » والصواب ـ كما قلنا ـ « صعدة » .. وهي الرمح المستقيمة . يقال « قناة صعدة » .. اى رمح مستقيمة . وبها سميت مدينة « صعدة » ..

● في مصر يقول العامة « سنكر الباب » .. اى اغلق الباب . وفي الشام يقول العامة « سكر الباب » .. بفتح السين وتشديد الكاف المفتوحة .. والصواب قول العامة الشاميين ، وهو من الفصيح .. وللمطربة فيروز اغنية مشهورة عن بيروت تقول فيها : « سكروا الشوارع » .. « اى اغلقوها » ..

● تشتهر بين العامة كلمتا « الطرشي » و« المخلل » لكثرة استعمالهم هذا اللون من الاكل كفاتح للشهية .. وكلمة « الطرشي » دارجة . وكلمة « المخلل » فصيحة ..

● يقول العامة : فلان يشرب القازوزة .. ويظن بعضهم ان القازوزة كلمة غير صحيحة ، ولكنها صحيحة ، وهي من المعرب الذى صار عربيا .

● يحرص بعض المتكلمين على ان ينطقوا كلمة « الدلالة » بكسر الدال المشددة . وهي مصدر « دل .. يدل » ويظنون ان ذلك افصح من قولهم « الدلالة » بفتح الدال المشددة .. والحقيقة ان فتح الدال هو الأفصح .. وهناك كلمات كثيرة على وزن « فعال » بكسر الفاء . فيها لغتان . اى الفتح والكسر .. مثل : جهاز ومخاض ورضاع و« وفاء » و« وثاق » وحصاد وقطاف ... الخ



ايزيس والبطل في الاساطير والملاحم الشعبية

بقلم : د. عبدالحميد يونس

● مهما اختلفنا في تحديدنا لمفهوم الاسطورة فاننا لا نستطيع ان ننكر اهميتها في دراسة الفولكلور او المأثور الشعبي ، وكل من يعرض لمقومات السلوك الانساني مطالب بمحاولة المواجهة العلمية الواقعية للاسطورة. ودرج الكثيرون على أن يقولوا ان الاسطورة هي كل شيء يناقض الواقع او بتعبير آخر مالا وجود له في الواقع ●

والراجح أن هذا الاستعمال انما جاء من اجتهاد المترجمين فى اوائل النهضة عندما جعلوا الاسطورة ترجمة لكلمة كانت تعنى ما يناقض الواقع وأكد هذا الاستعمال الدلالة التقليدية لاساطير الاولين التى كانت تتعلق بأخبار السلف وما يتصل به . واختلفت اراء المفكرين والدارسين حتى فى العصر اليونانى القديم حول جدوى الافادة من الاساطير فى الابداع الادبى والفنى . واذا كانت الياذة هوميروس تعد من الروائع العالمية فى الأدب الشعبى ، فاننا نذكر اعتراض فلاسفة الاغريق على تجاوز الشاعر هوميروس للواقع وعدوا ما أورده من اساطير عبارة عن وهم وخيال .. ومع هذا كله فاننا نذكر أن البعض أخذ يحتكم الى العقل فى تفسير الاساطير ، ويذهبون الى أن الآلهة كانت فى اصلها طائفة من الملوك بلغت من القوة والتأثير شأوا عظيما جعل الناس يتجاوزون بها عالم الواقع الى عالم الخوارق ثم يؤلهونها . ولهذا الاتجاه أهميته ، ذلك لأنه جعل الاساطير واقعا تاريخيا ، ولعل الاصح أن يقال أن الاساطير قد اصبح لها بفضل هذا الاتجاه واقع فيما قبل التاريخ ، وهو ما يؤكد أن البطل هو المحور الرئيسى للاسطورة فى الوجدان الشعبى .

ولا يتناقض هذا التصور مع المسار الحضارى للمجتمعات على اختلافها . فالاسطورة وان كانت تحكى المبالغة فى الخيال فانها تساير التطور من مرحلة حضارية الى اخرى ، والدلالات والرموز فى اللغة الفنية لها علاقتها الوثيقة بالاسطورة ونستطيع أن نقول أن المجتمعات الانسانية ظلت تتصور التاريخ ممتزجا بالخيال والمبالغة . ومهما اختلفت وجهات النظر فاننا يمكن أن نقول ان الاسطورة تروى تاريخا له قداسته وتسرد حدثا وقع فى عصور معينة فى القدم . واذا أردنا أن نحدد مجال الاسطورة فاننا نشير الى انها حكاية اله أو شبه اله كائن خارق تفسر بمنطق الانسان البدائى ظواهر الحياة والطبيعة والكون والنظام الاجتماعى وأوليات المعرفة وهى تنزع فى تفسيرها الى التشخيص والتمثيل والتعليل ، وتستوعب الكلمة والحركة والاشارة والايقاع ، وقد تستوعب تشكيل المادة وهى عند الانسان البدائى عقيدة لها طقوسها ، فاذا تعرض المجتمع الذى تتفاعل معه الاسطورة لعوامل التغيير تطورت الاسطورة بتطوره وقد تبتعد تحت وطأة عناصر ثقافية [illegible] فتفرط عقيدتها وتنحدر الى سفح الكيان الاجتماعى أو ترسب فى اللاشعور وتظل على الحالين عقيدة أو ضربا من ضروب السحر أو ممارسة غير معقولة أو شعيرة اجتماعية . وكثيرا ما تتحول الى محاور رئيسية تعاد صياغتها فى حكايات شعبية .

والاسطورة تعد مادة للعلم المتخصص فى دراستها ، وهو علم الاساطير أو « الميثولوجيا » وهذا العلم انما يعنى بها وهى حية فعالة تقوم على العقيدة والشعيرة والشكل التمثيلى ، فاذا تحولت الى عقيدة ثانوية أو ارتبطت بالشعائر الاجتماعية أو اصبحت حكاية شعبية فانها تخرج من اطار علم الاساطير وتصبح مادة رئيسية من مواد علم الفولكلور والمأثورات الشعبية .

ومنذ ايام قليلة احتفلنا فى القاهرة بترميم المسرح القومى ، واعيد افتتاحه بتمثيل مسرحية ايزيس للاستاذ الكبير « توفيق الحكيم » وهو ما يثبت قيمة الاسطورة ، لا فى تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية فحسب ، ولكن فى استلهامها لتكون رائعة من روائع

ايزيس والبطل

ادبنا المصرى والقومى •

وتعنى الاسطورة دائما بنشأة ابطالها ، ونجد الشاهد على ذلك فى اقتران هذا الظهور بتفسير الظواهر الطبيعية والكونية • ومن المشهور ما رواه بلوتارخوس من المرحلة الاولى لهذه الاسطورة ، وهو ان الهة السماء نوت خانت زوجها رع مع اله الارض سب ، وعلم اله الارض رع بهذه الخيانة فغضب وصب عليها لعنته وقضى بالا تتخلص من حملها فى اى شهر من شهور السنة • وتوسل الاله توت بالحيلة لانقاذ حبيبته نوت واستطاع ان يأخذ من القمر الجزء الثانى والسبعين من كل يوم فوفر بذلك خمسة ايام كاملة اضافها الى السنة المصرية القديمة التى تتألف من ثلاثمائة وستين يوما فقط • وهذا هو الاصل الاسطورى الذى يفسر ظاهرة ايام النسىء الخمسة التى تضاف كل عام الى التقويم المصرى حتى يساير التقويم الشمسى • وهكذا استنقذت نوت من لعنة رع وانجبت فى اليوم الاول من ايام النسىء اوزيريس وفى الثانى حورس الكبير وفى الثالث ست وفى الرابع ايزيس وفى الخامس نفتيس ، وتزوج اوزيريس من اخته ايزيس كما تزوج ست من اخته نفتيس • وتذهب الاسطورة الى ان الفضل فى تحول المصريين من حياة البداوة الى الاستقرار انما يعود الى اوزيريس الذى علمهم زراعة القمح والشعير والذرة فاعجب به الشعب واحبه وجعله بطلا اسطوريا يرتقى الى مقام الالهة •

ولابد ان نتأمل فى حكاية هذه الاسطورة وشعبيتها لاننا نجد الصراع هو المحور الرئيسى فيها ، ويقوم ذلك على ان الاخ « ست » الذى يمثل الشر قد حقد عليه لانه ادرك ان الشعب احب اوزيريس وجعل له مكانة سامية فى الحياة والمجتمع ، وكاد له مع جمع من معاونيه وصنع له تابوتا نفيسا على قد جسمه ثم اقام حفلا دعا اليه اصدقاءه المتآمرين معه واستدرج بعد ذلك اخاه الى هذا الحفل ومد الطعام والشراب • وبينما كان الجميع يقصفون احضر ست التابوت النفيس واعلن انه من نصيب الذى يكون على قده وتبارى الحضور فى قياس اجسامهم الى التابوت بالرقاد فيه ، واخيرا جاء دور اوزيريس الذى تقدم بعد الحاح ورقد فى هذا التابوت واذا بالمتآمرين يسرعون باحكام غطائه ثم القوا بالتابوت الذى رقد فيه اوزيريس فى نهر النيل •

وعرفت ايزيس ان شرا مستطيرا قد حاق بزوجها فذهبت مولولة تبحث عنه وانتهى بها المطاف الى مدينة بيلوس واكتشفت ان التابوت الذى يضم جسم زوجها قد حملته المياه الى تلك المدينة حيث برزت شجرة رائعة من « الاثل » او « السرخس » وضمت التابوت بما يحمل فى اطوائه • وشاهد ملك الاقدم تلك الشجرة فراعه حسنها وامر بقطعها وصنع منها عمودا لقصره دون ان يدور بخلده ان فى باطنها تابوت اوزيريس • واحتالت ايزيس حتى حصلت على هذا العامود واستخرجت منه التابوت وانطلقت بكنزها الثمين عائدة الى مصر •

ووضعت التابوت على تربتها وراحت تبحث عن ولدها حورس فى مدينة بوتو • وامر « ست » على تتبع اوزيريس ونجح فى العثور عليه وتعرف على جثمانه ومزقه اربعة عشر شلوا فرقها على الاقاليم • وعلمت

يزيس بما حل بجثمان زوجها فأخذت تبحث عن الاشلاء متوسلة بزورق من البردى تجوس به المستنقعات • ويقال ان هذا هو السبب فى ان التماسيح لا تتعرض لركاب الزوارق المجدولة من البردى • ولا نريد أن نطيل فى عرض هذه الاسطورة وحسبنا أن نذكر أن ايزيس رفرفت بجناحيها فبعثت زوجها أوزيريس الى الحياة وأصبح منذ ذلك يرقى سفينة الملايين أى الشمس يراقب اعمال الناس وذلك فى رواية أو اصبح ملكا على الموتى فى العالم الاخر وتخذ هناك عدة القاب منها اله العالم الاخر ورب الخلود وعالم الموتى • ويرأس فى قاعة الحقيقتين محكمة الارواح يعاونه اثنان وأربعون مساعدا يمثلون اقاليم مصر الرئيسية • فتوزن أمامه قلوب الموتى بميزان العدالة ويحكم عليها اما بالخلود واما بالقصاص المناسب لخطاياها • وذلك فى رواية أخرى •

والناظر فى أدب الشعب يجد ملامح أسطورية فى الملاحم والحكايات وفى ترديد ما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية والمواسم الطبيعية من غناء وطقوس • والشعب المصرى يرى مصداق تلك واضحا فى النزوع الى التوحد •• يجده فى هذه الاسطورة التى قمنا بتلخيصها والتى جعلت من اوزيريس رمزا للخير والعلم والنفع وجعلته ينقل الى خارج حدود مصر اشارة لامتداد الرسالة الحضارية المصرية الى مدى أبعد من حدود الوطن المصرى •

● الملحمة الشعبية تطوير للاسطورة ●

وفى الادب الشعبى الذى لا يزال حيا فى قلوب الناس وعقولهم • ولايزال مرددا على ألسنتهم • ملحمة عربية اخذها الشعب المصرى كما يأخذ الفنان موضوعا بارزا من موضوعات التاريخ او واقعة عظيمة من وقائع الابطال • ولاءم بينها وبين مطالب حياته الوجدانية • وسوف يروعك ان تعلم أن هذه الملحمة فى صنق أخذ نزوع الشعب المصرى الى التوحد بفعل نيله العظيم •• انها الملحمة التى كان يحفظها أبناء الجيل الماضى من المثقفين وغير المثقفين على السواء، والتى لايزال الشعب يطلق أسماء ابطالها على بنيه وبناته انها ملحمة بنى هلال فبطلتها اسمها « الجازية » ولسنا فى مقام التوفيق بين هذا الاسم وبين « ايزيس » فقد يكون ذلك تعسفا لاغناء فيه • وحسبنا أن نذكر أن الجازية هى التى تجمع متفرقات هذه الملحمة • وهى شريانها الاكبر • وهى رمز الوفاء للزوج والولد والعشيرة والوطن، ولا نظن انها المصادفة وحدها هى التى جعلت تلك الكتلة الخشبية الكبيرة التى تجمع بين « الصغير » وبين « الكبير » فى « الساقية » المصرية وترمز بذلك الى وحدة الجهات كله • تسمى هى الاخرى بالجازية •

والملحمة من اعرق الاجناس الادبية وفيها ملامح أسطورية بارزة • وهى من الناحية اللغوية المعظمة فى الحرب والقتال • ثم اصبحت تدل على الشعر المطول فى واقعة او مجموعة من الوقائع تقترن ببطل او اكثر برز فى فنون الحرب وانتصر على عدوه •

والملحمة اصطلاحا جنس ادبى يقوم على مطولة من الشعر وتحكى عجائب الاحداث التى تتجاوز الواقع الى الخيال المحض فى الغرابة وتتركز حول شخصية البطل أو الابطال • واذا كان البطل فى الاسطورة كائنا خارقا فانه فى الملحمة انسان • ولكن الخيال الشعبى يسبغ عليه المبالغة فى القوة والسلوك • لانه يعبر عن الصراع بين الشعب وبين اعدائه • ولابد من أن ينتصر عليهم اخر الامر • وابطال السير الشعبية يحولون الكثير

ايزيس والبطل

من الوقائع والمواقف الى حديث مباشر يعبر به البطل عن نفسه . والشعبية في الملحمة تستوعب الوقائع والاحداث التى تخرج أحيانا عن مجال المحاور الرئيسية لها ، ووجه الشبه بين البطل فى الاسطورة وبينه فى الملحمة ان الاخير يشخص ايضا الفضائل والمزايا التى تؤكد المثل والقيم العليا كما يصورها الوجدان الشعبي فى بيئته الاجتماعية ، وان كانت الخوارق التى توجد في الملاحم الشعبية لا تتناقض عند المتذوقين لها فى التاريخ .

ومن اهم الصفات التى تشبث الشعب بها هى « السمرة » فى البطل لان الحرب كانت دفاعا عن العروبة فى وجه الصليبيين ، ومن هنا نجد أن السمرة تعد ميزة عند العربى أمام اصحاب البشرة البيضاء والصفراء . لقد كان عنترة بن شداد بفطرته اسود اللون لانه كان فى الروايات العربية ابن أمة حبشية ، وان كان الوجدان الشعبي جعله ابن أميرة حبشية ليسبغ عليه المكانة والشرف وواجه موقفا دراميا لانه كان يفزع الى ان يتخلص من العبودية وأصبحت سيرته تقوم على تحرير نفسه بتحرير مجتمعه ، فلما برز فى الفروسية وتغلب على خصومه حرره ابوه ، ومن ثم نجد ارتباط السمرة بالمحافظة على استقلال الارض وحرية الشعب .

وهذا يقودنا الى الحديث عن احد الابطال المشهورين فى الوجدان الشعبي فى السيرة التى لا يزال الشعب يحفظها ويرددها وهى « سيرة بنى هلال » وكان التحول من الحلقة الاولى فيها والتى تحكى تاريخ الاباء الى الحلقة الثانية التى تروى بالتفصيل سير الابطال ، مثلا رائعا من الناحيتين الانسانية والقومية وهذا التحول لا يفسر موقف العرب من ذوى البشرة البيضاء الذين غلبوهم على الحكم . ومن ثم جاءت بعض الاحداث والظواهر وكأنها تفسير نفسى وفنى يذكى هذا الموقف ، فقد أوردت السيرة الهلالية بالتفصيل الظروف والملابسات التى خرج فيها ابو زيد الى الحياة وجسم المنشئون للملحمة لهفة العربى على الولد ،فرووا أن رزقا تزوج الى عشر نساء ، ولم يكن يجمع بطبيعة الحال الا بين اربع منهن فقط كما يقضى بذلك الشرع الحنيف . ومما آلمه وحز فى نفسه انه أنجب من زوجاته العشر ابنتين ، كما اتت احدى نسائه بصبى ولدته مشوها ، وقبيل هذا الحادث غير السعيد تزوج رزق زوجته الحادية عشرة ، وهى « خضرة » ابنة شريف مكة ، ومن ثم عرفت بالشريفة وأثلج صدره ما رآه من امارات الحمل عليها ، اذ كان يتوقع ان يأتى له بغلام سوى يجمع الشرف الهاشمى الى الدم الهلالى ، فبعث الى الامير غانم رأس بنى زغبة يدعوه ورجاله ليشاركوه الحفل بولادة ابنة من بنات الاشراف ، فاستجابوا لدعوته واصبحوا ضيوفا ينتظرون واياه الحادث السعيد .

واتفق للسيدة خضرة أن تخرج مع الاميرة « شمة » احدى زوجات سرحان فى جمع من العقائل ، فرأت طائرا أسود ينقض على مجموع من الطير مختلف الالوان والانواع فيغلب عليه ويقتل الجانب الاكبر منه ، فأعجبت به ورفعت وجهها الى السماء تدعو الله أن يريها غلاما على شاكلته ولو كان فاحم اللون ، واستجاب الله لها .. وغضب الامير رزق ولم يكن يصدق

ان الغلام ولده ، ولكنه ابقى زوجته لكلفه بها ، وابى على نفسه أن يرى الغلام بعينيه ، واكتفى بما سمع من المرأة التي أبلغت النبأ ، وحال بين الجمع وبين رؤيته الى أن جاء اليوم السابع فمد السماط واحضر الغلام للضيوف ـ كما تقضي بذلك العادة المتبعة ـ تحمله جارية على صحن من الفضة تغطيه غلالة لاتبين منه شيئا والقى السادة عليه النقوط من ذهب وفضة ، ورفع احدهم الغلالة فهاله أن يرى الغلام أسود فاحما ٠ وكان الامير رزق أثناء هذا كله عند باب خيمته ، فلما دخل اشار عليه معظم اصحابه أن يخلى بينه وبين زوجه هذه ، وشككوه في خلقها واعلنوا ان بقاءه عليها يجر العار عليه وعلى قومه جميعا ، فاذعن كارها وأرسلها وابنها الى أبيها في مكة ٠

ورأت « خضرة » أن تنزل واديا في الطريق والا تعود الى أبيها متهمة في عرضها حتى لقيها الامير « فضل بن بيسم » رأس قبيلة الزحلان وعرف خبرها فاحترمها واكرم وفادتها وطلب الى زوجه أن تتلقاها ، وتبنى ولدها ونشأه مع ابنيه « مفرج ونعيم » واكن بركات ـ وقد أصبح هذا اسمه بزأترانه في القوة والشجاعة ٠ ولم يكن البطل متفوقا في الفروسية وفنون النزال وحدهما وانما كان يتسم بالنبوغ في العلم ٠٠ فما ان بلغ ابو زيد الحادية عشرة من عمره حتى كان قد ثقف معارف الدين والدنيا مما كان يدرس في جزيرة العرب بما فيها من علوم اللسان العربي وغير العرب والرياضيات والتنجيم والسحر والكيمياء ، ونجد ملامح أسطورية في البالغة ورفع الحاجز بين الخيال والواقع ٠ وتحكي السيرة ان الامير رزق اعتزل قبيلته بعد ما غادرته زوجته وعاش في خيمة من الشعر الاسود واصطحب معه عبدا واحدا يقوم بحوائجه ، ولم يمض طويل وقت حتى اجتاح نجوع بني هلال جدب قحل استمر امدا فرأى سرحان والاشياخ من الهلالية ان يهاجروا الى نجوع بني الزحلان ، ولما بلغ سرحان وقومه منقهم تصدى لهم بركات والحق بهم هزيمة منكرة ٠ فأرسل سرحان يستنجد بالامير رزق فأجابه الى سؤاله وذكر له اسم بركات في الطريق ، وكاد يعرف أنه ولده ، وتساءل بينه وبين نفسه اذا صح ما توقعه ، فلماذا سمي بهذا الاسم وقد سماه عند ولادته أبا زيد ولما بلغ موضع الهلالية المنتصرين حمل عليه بركات وقد أخذته ثورة الغضب ، عندما عرف اسم منازله ، ولكن الله واتره في ابيه ٠ وسوف رزق ما وسعه التسويف ، وكاد الابن أن يقضي على أبيه لولا أن نهته امه وتلقت اليه بجلية الخبر ، فاقر الاب ابنه واسترد زوجه واعترف « بنو هلال » جميعا بمكان بركات من أبيه ومنهم ٠ واستمرت الملحمة في الرواية والتغريبة لكي تؤكد صفة العروبة وتواجه الموجات التي تريد أن تجتاح الوطن العربي الكبير ٠

وجميع الاداب اتخذت الاساطير والملاحم حافزا على تحقيق المثل العليا عند الفرد وعند الجماعة كما عملت على رفع الروح المعنوية وخلقت الظروف التي تعين على مواجهة الاعداء ، بيد اننا يجب أن نسجل ضرورة معاونة الوجدان الشعبي على مسايرة التطور وبخاصة في المرحلة التي تكرر انها اصبحت اقرب الى الطفرة منها الى الخطوات حتى ولو كانت متزايدة السرعة ٠٠ وستظل الاساطير والملاحم من الروائع التي تحفز الاديب والفنان الى استلهامها ٠

الفن القصصى في القرآن

بقلم : محمد سيد كيلانى

نشرت صحيفة الأهالى حديثا للدكتور محمد أحمد خلف الله تحت عنوان «أنا لا أخاف السلفية» ، جاء فيه :

« أن ضجة قد حدثت حول هذه الرسالة استغلت فيه بعض الجماعات الدينية وانتقلت هذه الضجة الى الصحف . وكنت قد تعرفت فى هذه الفترة على الشيخ حسن البنا عن طريق أصدقاء سوريين والتقيت به وقال : لاتهتم بهذه الضجة ، إن الاخوان ليسوا ضد رسالتك » .

فالمعترضون على رسالتى لم يقرءوا الأصول الاولى التى اعتمدت عليها فى الرسالة فاكتشفت ان من السهل تحديهم ومواجهتهم . ومنذ ذلك الحين اعود للمصادر الأولى للقرآن والثقافة الاسلامية والرازى وماشابه ذلك لمواجهة الجمود فى الفكر الدينى . وهكذا ساعدنى جهل الآخرين على مزيد من الدراسة ، وكان هذا الجهل يملؤنى إيمانا بأننى على حق »

هذا ملخص مانشرته الاهالى وإنها لجراة عجيبة من الدكتور محمد أحمد خلف الله . فإن رسالته قد رفضت بإجماع أعضاء لجنة المناقشة ، الأمر الذى دعاه الى رفع شكوى الى وزير المعارف الذى أحال الرسالة إلى الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء فى ذلك الوقت



د. محمد احمد خلف الله



الشيخ محمود شلتوت

فوضع تقريرا جاء فيه :

« يذكر المؤلف أن الذى دفعه الى هذا بحث ماراه من

١ ـ أن المستشرقين يطعنون على القرآن فيما جاء به من قصص وأخبار يرون أنها لاتتفق والواقع التاريخى الذين يعلمون، وانها تدل على جهل محمد بالتاريخ .

٢ ـ وأن المسلمين منذ عهد النفر الأول الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وسلم قد استقبلوا كل ماذكر فى القرآن على انه تعبيرات جادة ، يراد بها معانيها فيما جاءت به وتأثرت عقليتهم بما جاء من الآيات الدالة على أنه يقص أنباء الغيب التى لم يكونوا يعرفونها ، فقالوا بأن أخبار الأولين آية صدق النبى ودليل على إعجاز القرآن »

« ثم يجمع بين هؤلاء المسلمين وأولئك المستشرقين فى حكم واحد اذ يقول :

« وليس من شك عندى فى أن مصدر الخطأ فيما ذهب اليه من امن بهذه الأشياء وصدق كل مافيها من تاريخ ، أو من أنكرها وادعى أنها اخطاء تاريخية أو قصص ملفقة ، جهل أولئك وهؤلاء أو تجاهلهم لما بين الأدب والتاريخ من علاقات »

هذا هو أهم مادعاه الى أن يسلك سبيلا أخر فى فهم القرآن سماه « الفن القصصى » ورأيه فى ذلك يتلخص فى أن القصص القرآنى نمط من أنماط القصة الفنية التى لايلتزم الفنان فيها الصدق وتحرى الواقع ، وإنما يعطى نفسه من الحرية مايغير به ويبدل ، ويزيد ويخترع »

الفن القصصي في القرآن

• ولايقف بهذا عند قصة او قصص بعينها ولكنه يطرد هذا الشأن فى كل ماقصه القرآن سواء فى ذلك ماجاء عن الانبياء والرسل والأمم وماجاء عن غيرهم . فيذكر قصة ادم وإبليس ، وقصة الخليقة والملائكة وقصة كلام عيسى فى المهد ونجاته من اليهود وانهم لم يصلبوه ولم يقتلوه وقصة ناقة صالح الى غير ذلك »

ثم لايقف عند القصص القرآنى ، بل يطرد هذا الحكم ايضا على غيره مما جاء فى الكتاب الكريم من أوصاف ونسب ماضية كانت او مستقبلة . فيذكر سؤال الله لعيسى يوم القيامة (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) ويذكر مثل قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) يذكر ذلك وأمثاله فى مجال مايقرره من ان القرآن ليس فيه مايدل على أن حوادث هذه القصص تلتئم مع الواقع الفعلى او لاتلتئم ، وأن هذه النسب والأوصاف تصدق أو لاتصدق . وإنما هو اسلوب قصد به غرس فكرة وراء ماتدل عليه الألفاظ بمعانيها اللغوية المعروفة او مشايعة الواقع النفسى الذى كان سائدا عند المعاصرين ، استغلالا لمعلوماتهم وإن لم تكن صحيحة فى سبيل تأييد الدعوة التى جاء بها . وقد زعم أن هذا تأويل للآيات وخاصة آيات القصص التى هى عنده من المتشابه ، يجرى فيها مذهب السلف ومذهب الخلف من التسليم او التأويل »

• ويستند الى ماعرف عن العرب من التمثيل وماجاء فى بعض تمثيلات القرآن وتشبيهاته على هذا الأسلوب الذى لاينظر الى الواقع وانما يجرى الكلام فيه على ماألفه العرب فى هذا الباب كما زعم ان بعض المفسرين يقولون بمثل هذا ايحاء او تصريحا . وقد ذكر منهم الامام الرازى والامام محمد عبده .

هذه خلاصة فكرته وأهم عناصرها وعواملها .

ولاريب أن هذه الأسس التى بنى عليها الكاتب بحثه أسس فاسدة . ولننظر بعد هذا فيما يرمى به المسلمين منذ العهد الأول ، عهد المعاصرة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن عباس وابن مسعود ومن اليهم من أصحاب النبى وأهل اللسان العربى ، وقد سمعوا من رسول الله وتلقوا منه هذا الكتاب الكريم وفهموا معانيه التى يدل عليها بمقتضى أساليب اللغة العربية ، وقد طبعوا عليها ورضعوا لبابها ، واستمر هذا الشأن على جميع عصور المسلمين وعهودهم مدى أربعة عشر قرنا . ننظر فيما رمى هؤلاء جميعا به من جهل أو تجاهل أوتأثر بما يخالف الواقع أوقعهم فى فهم القرآن على غير وجهه الذى فطن اليه

واحوال مستقبلة كالبعث والحشر والحساب والجنة والنار ونحو ذلك ، وانفتح لكل إنسان ان يقول في كل هذا : ليس له مدلول ولاواقع يدل عليه ولكنه سبق لمجرد بعث الرغبة أو الرهبة او العظة او تقويم النفس واصلاح المجتمعات .

سبحانك هذا بهتان عظيم .. إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين .

ذلك هو الرأى في هذه الرسالة وفيما تجرأ به مؤلفها على كتاب الله وإنها لشر مستطير من شأنه ان يفتح ابوابا من الفتن اذا مكن لها اجتاحت الدين والعقيدة والقرآن فكانت هى الحالقة .

وكنا نحب ان نسمع رأى الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى رسالة « الفن القصصى فى القرآن » ورأيها فى شيخها الذى أشرف على تلك الرسالة وكان موجها للطالب فيها . ولكنها لم تفعل بينما هى تعرضت لآراء كثيرين من الذين حاولوا أن يفسروا القرآن الكريم تفسيرا يختلف عما ذهب اليه القدماء ومن العجيب أن تبلغ الجرأة بالدكتور خلف الله أن ينسب الى الشيخ حسن البنا مانسبه اليه وهاهم الاخوان المسلمون موجودون ، وفى استطاعتهم أن يردوا عليه .

إن الرجوع الى الحق فضيلة ، فمن الخير له أن يعترف بخطئه ثم يعلن توبته وبراءته مما وقع فيه من الخطأ والله غفور رحيم .



د . بنت الشاطىء



حسن البنا

الاستاذ وأمثاله ممن يتناولون القرآن الكريم بمثل هذه الدراسات وقد ختم الشيخ شلتوت تقريره قائلا

« وإن القرآن اذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط فقد اقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه ، وزلزلت قضاياه فى كل ماتناوله من عقائد وتشريع وأخبار



بقلم : يحيى حقي

قنديليات

لغتنا الجميلة

● اللهم اهدنا بحق نبيك : وضوح الرؤية ، وسداد المنطق ، فلا نتحدث عن الثمرة المعطوبة قبل الشجرة العليلة ، ولا نطلب الى حد الاملال فى التأسى على حال الكتاب قبل تأمل أوضاع المطبعة ·· ومشكلاتها ، كانت لنا مطبعة لها المجد والحمد كله « مطبعة بولاق » اسمها على الكتاب ضمان وامتياز لا يسمو اليها كتاب آخر ، الاحرف بينه ، والتشابك بينها مريح للنظر ، فى آخر الكتاب تشارك رجلا يسمى نفسه « بالعبد الفقير » دعاؤه بأن يكون ثوابه عند الله لا بين الناس · هو الذى قام بتحقيق الكتاب ، وتصحيح طباعته ، ليس فى الكتاب كله غلطة مطبعية واحدة شأن الكتب الاجنبية التى كنا نقرؤها ··

ثم بدأ الهبوط وان استمر احترام القارىء · فى آخر اغلب الكتب التى دب فيها الفساد قائمة ببيان الاغلاط المطبعية ومكانها فى السطر والصفحة ، ثم أصبح الهبوط دحرجة ، واختفى احترام القارىء ·

تلقى فى وجوهنا اغلب الكتب مملوءة باغلاط مطبعية شنيعة دون التنبيه اليها ·

كتبت مرة مقدمة لمجموعة قصصية بقلم الاستاذ سمير ندى ، « أين

هو الآن ؟ » اشدت فيها بالدماثة فــاذا هذه الكلمة الحلوة انقلبت الى دمامة ، والغريب ان بعض أصدقائي قالوا لي أنها أجمل مقالة كتبتها ٠٠

ثم بـدأ استيرادنا لانمـاط غريبة في الطباعة من قولة « لينوتيب » وما تلاها سريعا من انماط اخرى متطورة ، يطبـع فيها النص سطرا سطرا لا حرفا حرفا فتصحيح حرف واحد يتطلب اعادة صب السطر كله ٠٠ واجدني اميل الى الاعتقاد بان سبب الورطة التي تعانيها المطبعة العربية هي اننـا استوردنا تكنولوجيا لطباعة لغـة باحرف منفصلة لتطبيقها لطباعة لغـة باحـرف متصـلة ٠

ولا ينقطع لي سؤال ٠٠ من الذى رسم مشق الاحرف الحديثة وهو يتصف بلا جـدال بالدمامة لا بالدماثة ٠٠ هل هو اجنبي ؟

فاني لم اسمع عن استشارة واحـد من اعلام الخطاطين عنـدنا وهم كثرة بحمـد الله ٠٠

انني اناشد مجمع اللغة العربية ، ان يستخرج من الادراج ، دراسـاته السابقة عن اختصار احرف الطباعة التي اشترك فيها الاستاذ « شوقي أمين » ويسال ماذا تم فيها ٠٠ هل اهملت ؟ ولماذا ؟

واميل للاعتقاد بأن الحلول المقترحة ستتخبط في حبائل الانماط الحديثة للطباعة في أوروبا ، والي الاعتقاد بالا مفر من ان أجدد الدعوة التي سبـق لي ان ناديت بها مرارا دون أن تجد اى سامع ٠ بان تطبع اللغة العربيـــة باحرف منفصلة ، وان نستبقي الاحرف المتصلة لخط اليد ، كما هو حـادث عند الغربيين ، فلربما امكن بذلك وضـع تشكيل على الحروف ٠

فاللغة العربية تلاقي صعوبة كبيرة في التحول من لغـة منطوقة الى لغـة مكتـوبة ، وبالاخص في اوقات هبوط مستوى الالمام بهذه اللغـة واترحم على الخليل بن احمد الذى تنبا بماساة بما سوف تعانيه اللغـة المكتوبة فابتـدع لنـا علامات التشكيل ٠

ولا اطالب بتشكيل كل حرف فلا حاجة الى تشكيل كل حرف مطبـوع بحرف علة ، ولكنني اصر على ضرورة تشكيل الحرف الاول في الفعل المبني للمجهول ، وعين مضارع الثلاثي الذى يحتمل الفتح والكسر والضم ، ويبقى باب واسع لا ضابط له وهو قولهم بالسماع ٠٠

انني لا أجزم بأن رأيي هو الصواب ، ولكن قصدى أن افتح ملف قضية ، ان القي بحجر في البحيرة الراكدة ، وينبغي ان نستمع لكل الاراء لعـل وعسى ان نصل الى طباعة كتب تحترم القارىء وتيسر له نطقا صحيحا حين يقرأ ، فاذا استقام النطق استقام الفهم ، وخف ولا اقول انقطع التواء السنة العرب حين ينطقون لغـة العرب ٠٠٠

قضيّة للمناقشة

الفتوحات العثمانية

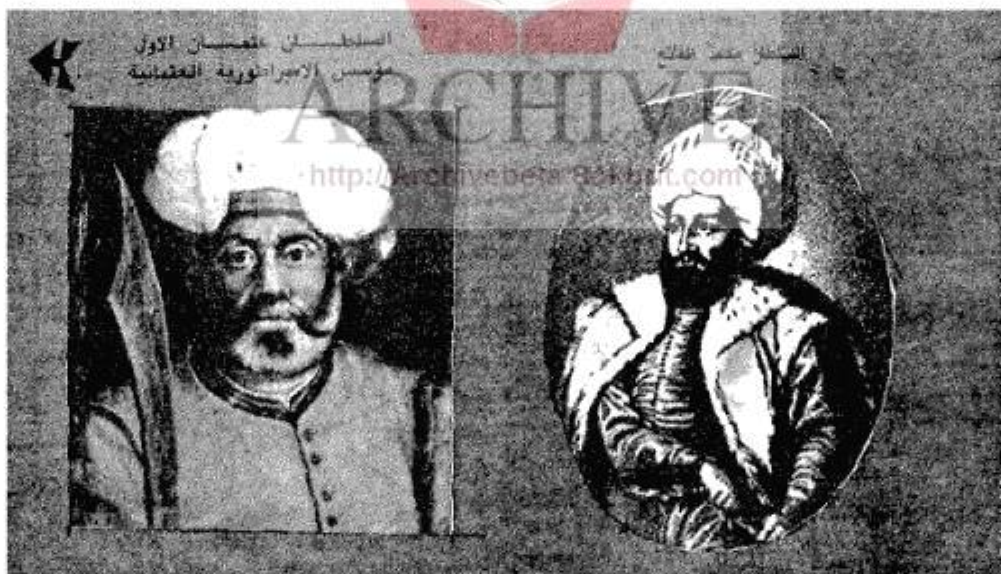
العثمانيون فى مواجهة "دار الحرب"

بقلم: د. أحمد صدقى الدجانى

عهد الىّ "الهلال" ان اكتب فى "تفسير تحول الدولة العثمانية من التوسع غرباً إلى التوسع شرقاً فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ، وذلك ضمن طرحه "تقويم الدولة العثمانية" كقضية للمناقشة . وكاتب هذا السطور يحمد لمجلتنا العريقة طرح هذه القضية الهامة ، ويرى ان هذا الطرح يقع ضمن توفير وضوح الرؤية التاريخية امام جيل جديد من ابناء امتنا يحملون مسئولية متابعة انبعاث امتهم الحضارى فى هذه المرحلة من تاريخنا العربى . ووضوح الرؤية التاريخية عامل اساسى فى صنع التقدم . وهو لا يتحقق إلا بتداول فن التاريخ ـ على حد تعبير شيخنا ابن خلدون ـ واكتساب الوعى التاريخى . كما ان وضوح الرؤية التاريخية يعنى أن تكون لنا نحن العرب رؤيتنا التى بلورناها بجهدنا . وقد عانينا الكثير على مدى القرن الماضى من تحكم "رؤية" الآخرين لنا ولتاريخنا وتراثنا فى "نظرة" "المستغربين" من مثقفينا لأمتهم وتاريخها وتراثها . ولنا أن نشير كامثلة على ذلك الى نظرة هؤلاء الى ادبنا وشعرنا وعلومنا وخصائص امتنا ورؤية "الآخر" ، واعتبار كل ماهو "غربى" "عالميا" ، وحصر صفة "العالمية" بالغرب . وكم نحن بحاجة الى طرح ذلك كله للمناقشة والبحث الموضوعى ، من موقع فهمنا للظروف التى احاطت بهؤلاء المثقفين وادراكنا انهم فُصلوا عن تراثهم فى مرحلة فرض فيها المستعمر الأوربى علينا مفاهيمه بالقوة ، فعرفوا كل شىء عنه ، وقامت بينهم وبين مفاهيم حضارتنا العربية الإسلامية فجوة مازلنا نعانى من وجودها ، ولا بديل لنا عن ردمها . ●●

في تناولنا موضـــوع توسع الدولة العثمانية غربا وشرقا نلاحظ بداية مع الدكتور عبد العزيز الشناوي في كتابه « الدولة العثمانية دولة اســـلامية مفترى عليها » ان هذه الدولة شغلت حيزا كبيرا للغاية في التاريخ - سواء تاريخ العالم الاسلامي او تاريخ العالم الاوربي المسـيحي • وقـد امتدت فتوحاتها في ثلاث قارات هي اســيا واوروبا وافريقيا •• فعبرت جيوشها البحر من الاناضول الى اوربا عـام ١٣٥٦م في عهد السلطان اورخان ثاني السلاطين العثمانيين ، ومضــت في زحفها فاستولت على بلاد اليونان بما فيها شبه جزيرة المورة ، وعلى بلغاريا ورومانيا والصرب والمجر وترنسلفانيا والبوسنة والهرسك والبانيا والجبـل الاسود ، وبلغت مشارف فينا عاصمة النمسا في أواسط أوروبا • كما نلاحظ مع المرحوم العلامة ســاطع الحصري في كتابه « البلاد العربيـــة والدولة العثمانية » ان الدولة العثمـانية لم تلبث ان استولت على معظم البـلاد العربية خلال القرن السادس عشــر الميلادي في مدة لا تتجاوز الاربعين عاما ، ولم يبق من البـــلاد العربية خارج حدود السلطنة العثمانيـــة الا المغرب الاقصى من جهة ، وقلب الجزيرة العربية من جهة اخرى وقد اســتمرت هذه الدولة ستة قرون منذ نشاتها في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي حتى نهايتها في الربـــع الاول من القـــرن العشرين الميلادي •

كيف ســار خط الفتوحات العثمانية في القرون الاربعة الاولى من عمــر الدولة العثمانية ؟ وما هي العــوامل التي حكمته والظـروف التي احاطت به أثناء سيرة ؟



قضية المناقشة

نشأت الدولة العثمانية « امارة جهاد » صغيرة اسمها السلطان عثمان بن ارطغرل عام ١٢٩٩م • وكان عثمان ينتسب الى عشيرة تركية اسمها « قايى خان » تعيش على مقاطعة تابعة لدولة سلاجقة الروم • وقد تولى رئاسة العشيرة بعد وفاة والده ، ثم نال رتبة الامارة من السلطان السلجوقي علاء الدين متقباد • وكانت عشيرته قد نزحت مع عشائر تركية اخرى من موطنها الاصلي تركستان متجهة نحو الغرب ، وذلك ضمن ظاهرة متكررة رصدها علماء الجغرافيا السياسية ، وهى ظاهرة خروج جماعات من السهول تسيح غربا وشرقا وجنوبا ويلاحظ جمال حمدان ان غارات الاستبس لم تتوقف خلال العصور الوسطى بل ربما زادت عنفا وتخريبا ، وانتقل مركز ثقل الموجات « الاستبسية » الى حد ما من الطريق الشمالي السهلي المؤدى لاوربا الى الطريق الجنوبي الهضبي المؤدى الى الوطن العربي • وقد هربت هذه العشيرة من القلاقل التى احدثتها غارات جنكيز خان •

كانت هذه الامارة الصغيرة عند نشأتها واحدة من امارات عدة تفوقها مساحة وقوة مثل امارات صاروخان وكرميان وقرمان • ولكنها تميزت بالموقع الذى احتلته على تخوم الدولة البيزنطية التى كانت انذاك فى حالة انحلال عام • ويصف اكثر من مؤرخ اختيار السلطان السلجوقى لذلك الموقع الاستراتيجى على الطريق بين بروسية ونيقية كى يقطعه لعثمان ، بأنه من حسن حظ آل عثمان •

وجه هذا الموقع انظار العثمانيين الى فتح الاقاليم البيزنطية المجاورة له وادخالها فى حوزة دولة الاسلام • وكان الصراع محتدما بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وساد بفعل هذا الصراع مفهوم دار الاسلام ودار الحرب • وارتفعت راية الجهاد عالية للدفاع عن دار الاسلام التى تعرضت على مدى قرنين للغزوات الفرنجية الاوربية • وقد كان من حسن سياسة العثمانيين انهم اتجهوا بفتوحاتهم غربا نحو الدولة البيزنطية كما يقول استاذى الدكتور محمد انيس فى كتابه « الدولة العثمانية والشرق العربي » ، حيث مكنهم ذلك من النفاذ الى اوروبا وبسط نفوذهم فيها •

بدأ توسع الامارة العثمانية فى مطلع القرن الرابع عشر ، فقد حدث اول التقاء بين العثمانيين والبيزنطيين عام ١٣٠١ بجوار نقوميديا ، ولم تسفر الموقعة عن نتائج حاسمة • ولكن عام ١٣٠١ بجوار نيقوميديا ولم تسفر للامارة العثمانية على حساب الدولة البيزنطية حيث استولى عثمان على قلعة عك حصار ، واطل العثمانيون على البوسفور • وقد توفى عثمان عام ١٣٢٦ والعثمانيون يدخلون مدينة بروسة ، فتولى ابنه اورخان الذى استهل عهده بالاستيلاء على نيقية ونيقوميديا • ويلاحظ ان المغول كانوا منهمكين انذاك فى القضاء على سلاجقة قونيه ، فلم يعكروا على العثمانيين صفوهم فى اقصى الشمال الغربى من اسية الصغرى •

قام اورخان بتنظيم الادارة العثمانية فضرب السكة ، ونسق اللباس ، ونظم الجيش وقد اشتهر التنظيم العسكرى الذى اوجده اورخان والذى اعتمد على

تجنيد فتيان الروم فى «القوة الجديدة» او « النظام الجديد » « الينى شرى » وفق طريقة تضمن تكوين جيش دائم. وقام هذا النظام الجديد على ادخال هؤلاء الفتيان فى الاسلام بعد اخذهم من عائلاتهم وتدريبهم ليتفرغوا تفرغا كاملا للحياة العسكرية • ويختلف المؤرخون اختلافا كثيرا فى تقويمهم لهذا النظام وفى عرضهم لردود افعال الناس عليه • وتستحق هذه الجزئية حديثا خاصا ليس مجاله هنا •

اتجه خط الفتوحات العثمانية فى عهد مراد ابن اورخان الذى تولى عام ١٣٦٢ الى البلقان ، متابعا السير غربا وتوافرت للعثمانيين القاعدة التى ينطلقون منها والعقيدة التى يعتنقونها والقوة العسكرية المناسبة والقيادة ، فانطلقوا فى فتوحاتهم • وما اسرع ما اكملوا فتح بلاد البلقان •

ولا يكتمل تعليلنا لعوامل نجاح التغلغل العثمانى فى اوروبا الا بالاشارة الى الضعف الذى كانت تعانى منه الدولة البيزنطية هناك • ويشير الدكتور محمد انيس الى ثلاثة احداث نزلت بالعالم المسيحى الشرقى بين عامى ١٣٤٨ و ١٣٥٣ فعلت فعلها فى اضعافه • وهى اولا ظهور وباء فى اوروبا نشر الرعب فى نفوس الناس وشغلهم عما اصاب الدولة البيزنطية وثانيا حدوث نزاع تجارى بين جنوة والبندقية تطور الى حرب انتصرت فيها البندقية عام ١٣٥٣ ، وتحالفت فيها جنوة مع العثمانيين • وثالثا تجدد النزاع بين الحكام البيزنطيين على الصرب وبلغاريا ، واستعانة بعضهم بالعثمانيين • وقد تحدث جيبون فى كتابه الشهير « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » بحسرة عن تحالف الجنويين مع العثمانيين واتهمهم بانهم نقلوا مرادا الى اوروبا، وانهم هم الذين اظهروه على اختراع البارود • وذكر ان الامل الوحيد الذى كان باقيا لانقاذ الامبراطورية اليونانية والممالك المجاورة هو اختراع سلاح قوى يستخدمونه وقد تلاشى هذا الامل حين استخدم العثمانيون البارود، وكان الامتياز لهم لانهم اعتمدوا سياسة الهجوم •

سارت فتوحات العثمانيين بسرعة حتى عهد السلطان الرابع بايزيد الاول (١٣٨٩ ـ ١٤٠٢) ثم اعتراها التوقف مدة من الزمن بسبب الحرب التى قامت بين الدولة وتيمورلنك • فقد تهددها الخطر المغولى من الشرق بظهور تيمورلنك الذى وصل اسيا الصغرى وهزم بايزيد سنة ١٤٠٢ واسره ثم يمم وجهه قبل المشرق من جديد • ونلاحظ هنا مع عدد من المؤرخين ان غارة تيمورلنك التى اوقفت فتوحات العثمانيين فى اوربا لفترة لم تخرب قلب الدولة الذى بقى سليما • الامر الذى مكنها من متابعة فتوحاتها بعد انتهاء فترة الركود هذه التى اسماها المؤرخون العثمانيون « فاصلة السلطنة » والتى نشب اثناءها النزاع بين اولاد بايزيد على العرش •

انتهت هذه الفترة بتولى السلطان محمد الاول ١٤٠٢ ـ ١٤٢١ • وبدا عهد جديد من الفتوحات تغلغل خلاله العثمانيون فى شبه جزيرة البلقان حتى اتموا فتح جميع اقسامها فى عهد السلطان مراد الثانى ١٤٢١ ـ ١٤٥١ • كما فتحوا القسطنطينية وقضوا بصورة نهائية على الدولة البيزنطية عام ١٤٥٣ م فى عهد السلطان محمد الثانى الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١) وكان لهذا الفتح صداه الهائل فى العالم القديم شرقا وغربا • ولم تلبث الدولة العثمانية ان عانت بعد وفاة محمد

الفاتح من شرور النزاع بين الاخوة من ابنائه • وقد نشبت الحرب بين جم وبايزيد وانتهت بانتصار بايزيد الثاني (١٤٨١ ـ ١٥١٢) كما نشبت الحرب بين اولاد هذا السلطان ، وكانت حربا شرسة ، وانتهت بانتصار ابنه الاصغر سليم الاول الملقب « ياووز سلطان » اى « السلطان المهول » لميوله العسكرية ،على اخيه احمد الذى قتل عام ١٥١٣ ، وفر ابنه مراد الى بلاد فارس • واشتهر السلطان سليم الاول بانه اتجه بفتوحات الدولة الى الوطن العربي •

لنا بعد هذا العرض لحركة سير الفتوحات العثمانية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ،وقبل ان نعرض لحركة سيرها فى القرن السادس عشر الميلادى ، ان نسجل بعض النتائج التي يمكن التوصل اليها فى معرض اجابتنا عن السؤال الذى طرحناه •

● اهتمام بالاسلام ●

مثلت الامارة العثمانية فى القرن الرابع عشر الميلادى « قوة رعاة وفرسان » • وتميزت بالموقع الاستراتيجى الهام،وبايمان العثمانيين شعبا وقيادة بالاسلام ونهوضهم بفريضة الجهاد •

اختار العثمانيون الوجهة الصحيحة المناسبة لفتوحاتهم ، فتوجهوا بجهادهم الى الدولة البيزنطية والى اوروبا التى لم تفتا ترسل الغزوات الى « دار الاسلام » • ووجهوا جل طاقاتهم الى « دار الحرب » ولم ينشغلوا الا قليلا وعند الضرورة بالنزاعات داخل دار الاسلام •

اقام العثمانيون نظاما عسكريا جديدا لبى متطلبات دولتهم فى تلك الفترة • كما اقاموا نظاما اداريا تكامل معه •

تميز التوسع العثمانى فى اسيا الصغرى واوروبا بما يسميه جمال حمدان فى كتابه « استراتيجية الاستعمار والتحرير » ظاهرة القفز الضفدعية ، بمعنى انه لم يكن متصلا، وانما تحرك من منطقة الى اخرى متخطيا منطقة بينهما يعود اليها فيما بعد فقد قفز الى البلقان قبل ان يستكمل السيطرة على الاناضول ، ووصل الدانوب قبل ان يستكمل سيطرته على البلقان ، واقام فى البلقان قرابة قرن قبل ان يستولي على القسطنطينية •

احاطت بالتوسع العثمانى فى اوروبا ظروف حكمت العالم المسيحى والدولة البيزنطية اضعفت من قوة المواجهة فى « دار الحرب » •وقد عانت البلقان من وجود فراغ فيها على الصعيد السياسى بسبب انحلال الدولة البيزنطية وكان لاستراتيجية الهجوم التى اعتمدها العثمانيون دور حاسم فى تحقيق انتصاراتهم المتتالية •

ما الذى جد فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ، فحول انظار العثمانيين الى ما يجرى فى « دار الاسلام » واتجه ببعض فتوحاتهم الى الاراضى العربية ؟

نلاحظ بداية بين يدى الاجابة عن هذا السؤال ان انشغال العثمانيين باوروبا « دار الحرب » لم يتوقف • فبعد ان انشغل سليم بمواجهة الصفويين وانتصر عليهم فى جالديران عام ١٥١٤ ، ثم فتح بلاد الشام بعد انتصاره على السلطان المملوكي قونصوه الغورى فى معركة مرج دابق عام ١٥١٦ ، وانتقل الى فتح مصر عام ١٥١٧ ، نجد انه رجع الى ادرنه عام ١٥١٨ وتهيا لقتال فرسان القديس

يوحنا فى رودس ، ولكن المنية عاجلته عام ١٥٢٠ . وقد تابع سليمان(١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ التغلغل فى أوروبا وتمكن من احتلال بلغراد عام ١٥٢١ ، ثم احتل رودس عام ١٥٢٢ ، واستأنف الحرب ضد المجر منذ عام ١٥٢٦ على فترات وتفرغ لها بعد ان رتب أمور « دار الإسلام » فى شمال افريقيا، حتى توفى اثناء حملة مجرية عام ١٥٦٦ وهو على ابواب سكتوار . واستمر انشغال خلفائه باوروبا فحارب سليم الثانى عام ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤ البندقية التى تنازلت له عن قبرص سنة ١٥٧٣ . وعزز مراد (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) النفوذ العثمانى فى جنوب روسيا اثناء انشغاله بالحرب ضد فارس ، كما حارب فى البوسنة . وقد احتل العثمانيون فى القرن السابع عشر الميلادى اقريطش ـ جزيرة كريت ـ عام ١٦٦٩ . كما تابعوا حروبهم ضد المجر ووصلوا الى مشارف فيينا وحاصروها عام ١٦٨٣ ثم لم يلبثوا ان ارتدوا عنها . وكانت تلك ذروة خط فتوحاتهم فى « دار الحرب » .

واضح من هذا العرض انه لم يحدث تحول كامل فى اتجاه مسار فتوحات العثمانيين من « الغرب » حيث « دار الحرب » ، الى الشرق حيث « دار الإسلام » . وواضح ايضا ان طابع الدولة العثمانية « الجهادى» استمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين . وواضح أخيرا أن الدولة العثمانية انشغلت خلال تلك الفترة بما يجرى فى « دار الاسلام » وضمت اليها أجزاء كبيرة من ديار المسلمين ، وذلك بعد أن جدت أمور . فما الذى جد ؟

● خطر البرتغاليين ●

يمكننا ان تشير الى امرين جداء، لاحدهما علاقة بدار الحرب والآخر نابع من دار الاسلام نفسها .

فاما الامر الاول فهو بروز الخطر البرتغالى فى المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج ، واشتداد هجمات الاسبان على ديار الاسلام فى شمالى افريقيا . وقد اعتبر المؤرخ العزاوى مجيء البرتغاليين عبر طريق رأس الرجاء الصالح من « الحوادث الفادحة .. وقد كثروا وصاروا يقطعون الطريق


د. محمد انيس


د. جمال حمدان:

قضية | المناقشة

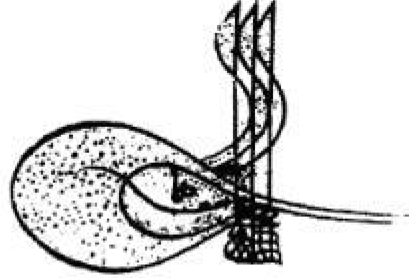
على المسلمين اسرا ونهبا » ويداوا يعتدون على دولة المماليك • ثم احتلوا سوقطرة عام ١٥٠٦ واحكموا السيطرة على باب المندب ، واصبحت جدة خرابا « بسبب عبث الافرنج في بحر الهند » وكم حزن السلطان الغوري لحالهـا حين زارها وهو في طريقه الى الحـج عام ١٥١٤ •ودخل البرتغاليون الخليج، ومثلوا في وجودهم « فك كماشة » احاط بدار الاسلام من ناحية الجنوب الشرقي واحاط « فك الكماشة » الآخـر بدار الاسلام من ناحية الغرب بعد ان قوى في اسبانيا والمانيا • فقد احتـلت ايزابيلا ملكة قشتالة غرناطة اخـر معقل للعرب المسلمين في الاندلس سنة ١٤٩٢ • وانطلق اسطول شارل حفيدها في البحر المتوسط فاحتل وهـران بالجزائر سنة ١٥١٠ • واحتـل تونس وطرابلس في العام نفسه ، واحتـل طنجه • وهكذا تفاقم الخطر الاوروبي على دار الاسلام•

اما الامر الثاني النـابع من دار الاسلام نفسها فتمثل في تحرك الدولة الصفوية غربا من ايران لبسط نفوذها على العراق وبلاد الشام واسـية الصغرى ، ومحاولتها نشـر مذهبها الشيعي • وقد كان في دار الاسـلام انذاك ثلاث دول اسلامية كبيـرة هي الدولة العثمانية والدولة الصـفوية ودولة المماليك • وكانتاالاولى والثانية تعيشان عهد الفتوة والنشاط بينمـا عاشت الثالثة طور الوقوف والخمول• وقد نجح اسماعيل الصفوى في دخول بغداد عام ١٥٠٨ بعد ان اعلن نفسـه في تبريز عام ١٥٠٢ حاميا للمـذهب الشيعي ، واخضع البصرة والموصل ، وبدا بالنفاذ الى بلاد الشام واسـيا الصغرى •

● تفهم الوضع الدولي ●

واجه السلطان سـليم الاول هذين الامرين اللذين برزا معا بحزم •واتخذ قرارات حاسمة « استراتيجية » عبرت عن فهمه للاوضاع الدوليه التي سادت انذاك • ويقول استاذي الدكتـور عبد الكريم غرايبة في كتابه « تاريخ العرب الحديث » كان السلطان العثماني اكثر تفهما للوضع الدولي واخطـاره من الشاه والسلطان المملوكي وادرك سليم الخطر الكبير الذي يهدده اذا ما انطبق فكا الكماشة الاوربية على دار الاسلام وقد غدا الفـكان قويين وقادرين على الاطباق • فكان عليه ان يبذل جهـدا مستميتا لمنع اطباقهما •• وادرك سليم ان لا سبيل لحماية البلاد العربيـة ومنع فكي الكماشة من الاطبـاق الا بالاستيلاء على البلاد العربية واحتلال المراكز الاستراتيجية الضرورية » •

استشعر سليم قبل توليه عظم خطر التحرك الصفوي القادم من الشـرق على الدولة العثمانية فاجل حال توليه انشغالاته في البلقان وتحـول الى الانشغال بشئون دار الاسلام ومقاومة نفوذ الصفويين في بلاد الشام• وهكذا تحرك الى الشرق وقاتلهم وانتصـر عليهم في جالديران عـام ١٥١٤ ثـم تحرك الى الجنوب لمحـاربة المماليك وانتصر عام ١٥١٦ في مرج دابق ثـم في الريدانية عام ١٥١٧ وضم الشـام ومصر الى الدولة العثمانيـة • ولم يلبث سليمان ان فتح العراق وضـمه وسيطرت الدولة العثمانية على البصرة واتخذتها قاعدة بحرية في حربها ضد البرتغال • ولو لم تصـبح البصرة عثمانية لباتت حصنا برتغاليا كمـا يقول استاذي الدكتور غرايبة وفتـح العثمانيون الجزيرة العربية،وانطلقوا



من مصر والعراق والجزيرة العربية لقتال البرتغاليين على مدى سنوات طويلة • ويلاحظ انهم لم يستطيعوا الاحتفاظ باكثر اجزاء الجزيرة العربية فقد ثبتوا وجودهم في مكة وجدة ولكن نفوذهم في حضرموت كان اسميا ، وجابهوا ثورة مستمرة في اليمن ، وفشلت محاولاتهم لاخراج البرتغاليين من الخليج • وحين ضعف شأن البرتغاليين بعد ضم بلادهم الى اسبانيا عام ١٥٨٠ كان العثمانيون بدورهم قد وهنوا • ودخل ميدان النزاع في الخليج كل من هولندا وانجلترا •

لقد تم فتح العثمانيين لسوريا والحجاز ومصر بسهولة خلال سنتين كما يلاحظ ساطع الحصري وكانت نظرة الناس اليهم في هذه الديار ودية بسبب ما عرف عنهم من الجهاد في سبيل نشر الاسلام • ولم تلبث ديار المسلمين في الجزائر وتونس وليبيا ان دخلت في الحكم العثماني وتم ذلك بدون حرب وبمحض ارادة اهلها ، كي توقف الدولة العثمانية الهجمات الاسبانية على ديارهم وتدفع عنهم اخطار اطباق فك الكماشة الغربي الاوروبي عليهم • وهكذا حكمت الدولة العثمانية جل اقطار الوطن العربي • وجاء ذلك حين قاربت دولتهم ذروة مجدها •

وبعد •• فانه يمكننا ان نخرج من تأملنا في تاريخ الدولة العثمانية في القرون الاربعة الاولى من عمرها بالافكار التالية •

الاولى هي ان هذه الدولة هي حلقة من سلسلة الدول التي قامت في ديار الاسلام - استمرار للدولة العربية الاسلامية الاولى • وقد جاء قيامها بعد حدوث الصحوة العربية الاسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي في بداية القرن الثاني للغزو الفرنجي لديارنا، تلك الصحوة التي عبر عنها عماد الدين ونور الدين محمود زنكي وصلاح الدين والايوبيون والجيل الاول من المماليك وقامت الدولة العثمانية « دولة جهاد » فدفعت حركة الصحوة دفعا قويا وبلغت بها ذروة لم تبلغها دار الاسلام في اوروبا من قبل • وقد توافر لها الموقع الاستراتيجي والعقيدة والنظام والقيادة عند قيامها فانطلقت وحققت الكثير

الثانية هي ان هذه الدولة مرت شأنها شأن كل دولة في اطوار وعرفت اجيالا تتالت فيها • وقد عاشت في القرون الاربعة الاولى من عمرها طور الفترة ثم طور التفسخ • ولم تلبث ان عاشت في القرن السادس من عمرها طور الشيخوخة، « وتلك الايام نداولها بين الناس » ورحم الله شيخنا ابن خلدون الذي تحدث عن الاجيال الثلاثة في الدولة عموما •

الثالثة هي ان الانشغال الرئيسي للدولة كان في « دار الحرب » وقد فرضت ظروف جدت في مطلع القرن السادس عشر على صعيد المواجهة مع الاوربيين ، وعلى صعيد احوال ديار المسلمين ان تنشغل الدولة بامور دار الاسلام » ، لتعود مرة اخرى الى انشغالها الرئيسي •

صافي ناز كاظم

وثريات

سناء تنسج مجد الاستشهاد

● «تحية للصبية التي قامت بالعملية الاستشهادية في لبنان ضد قوات الاحتلال الصهيوني ١٩٨٥/٤/٩ ، تحية كُتبت في حينها لكنها تنشر لأول مرة بين يدي قراء الهلال ، تذكرة لبطولات لاترتبط بمكان أو زمان ، فهي راياتنا على الدوام» ●



سناء

سناء محي دلّة .
سناء مهيدلّة .
أيهما يكون لقبك ؟
لانعرف ولايهم .
تجاوزت بسنائك الألقاب جميعها ،
والأسماء كلها وصرت علما يعلق ،
في زمن المسلمين الصعب ،
خولة بنت الأزور وأم حرام .

لحظة أن انطلقت سناء بسيارة الحب المتفجرة نحو الاستشهاد ، كان الحزن في قلبي جرحا ينز مادة الخزي الصفراء وعبئا تجففها ليلم الجفاف .

كم كان عمرك يوم أن زوّروا بأسمنا التاريخ ومنعونا البكاء ؟
كنت في ظهر أبيك غيبا إسلاميا :
يختزن البشارة ،
ويكتنز الألق ،
ويهدينا المسرّة .



تركت كلَّ شيء ،
لتعطى كل شيء :
لتنبثقى من بين سيقان ياسنا ،
نوارة أمل دائم الاخضرار :
تنسجين مجد الاستشهاد ،
فاه من وطاة الفرح المخضل بالمحنة !
وآه من التماع البهجة المطلة على اسراب المعصوبة اعينهم ، والمقيدة سواعدهم يساقون من وطن محتل إلى وطن محتل والغضب فى النفوس المهزومة داجن اجرد !

آه ياابنة الأمهات اللاتى يلدن للسكين !
آه ياسناء عُلّمتنا كيف يضاء الكبرياء من زيت «الشهادة» المشتعل :
استجاشة وتوقا !
آه ياعروس الاسلام :
سنكتب عنك الشعر ، فلا تعذرينا ، فلقد خططت المنهج وعرفنا منك أن الشعر لايكتب فلا تعذرينا !
ولاتعذرى الذين تقيحوا فى مآزرهم ، وتجصصوا خلف نوافذهم يندبون صباك .

آه ياتوشيحة النواح الممتدة من «غرناطة» حتى «طشقند» و «سمرقند» :
تجددى فوق «كابول» وتعالى صوب «القدس» واجلدى النوّم الهلجعين وسط القتلة !

دباباتُهم تحاصر القرى ،
ونفيرهم يُرغم الرجال على الخروج عزّلا ،
وليالي الذل بالاندلس تنهمر علينا رُغاماً
اسود يَنْسَخُ الوجوه ، والسيف لايزال مصلتا :
«الردة عن الاسلام او الموت» !
ـ وآه من إجابة هى صِنوُ الابادة ! ـ
حتى اتيت سناء ،
مندفعة بالرد العزيز ،
وبالقيادة :
بل عليكم سوف ينهمر الرغام ،
عليكم سوف ينهمر الرغام !



معارك الشطرنج والسياسة

قصّة العبَاقرة
الذين فازوا ببُطولة العَالم

بقلم: فتحى غانم

●● مع كل عدد جديد من الهلال، تستضيف صفحاته قلما مصريا أو عربيا أو عالميا جديدا. وفى هذا العدد يكتب الروائى الكبير فتحى غانم للهلال. ومايكتبه ليس قصة قصيرة وليس فصلا من رواية ولكنه مقال عن الشطرنج. وفتحى غانم ليس لاعب شطرنج دولى فقط ولكنه يعتمد فى رؤياه الفنية والروائية على أصول وقواعد لعبة الشطرنج ويتجلى ذلك بوضوح فى رائعته: زينب والعرش.

● انتزع شاب صغير لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بطولة العالم فى الشطرنج، فى شهر نوفمبر الماضى، عندما تغلب جارى كاسباروف على اناتولى كاربوف - ٣٤ سنة - بطل العالم السابق والذى احتفظ باللقب منذ عام ١٩٧٤.

وكلا اللاعبين من الاتحاد السوفييتي . كاسباروف من مواليد باكو عاصمة جمهورية أذربيجان التى تقع على شبه جزيرة في بحر قزوين وبها اشهر آبار البترول في الاتحاد السوفييتي . ولقد كانت في الماضي من أراضي الامبراطورية الفارسية الاسلامية ●



أما كاربوف فهو من مواليد قرية زلاتوست بجبال الأورال . ولقد التقى الاثنان في مباراة البطولة التى اقيمت في مسرح تشايكوفسكي في موسكو الممتلىء على آخره بالمتفرجين وامام عشرات من كاميرات التليفزيون والسينما تسجل كل حركة او نقلة على رقعة الشطرنج وتنقلها وكالات الأنباء للملايين الذين يتابعون المعركة باهتمام متزايد بلغ حد الإثارة الذى حركته بمهارة الدعاية والمناورات السياسية عندما الحت صحافة الغرب ومحطاته التليفزيونية على تصوير المباراة على انها صراع حاد داخل الاتحاد السوفييتي بين تيارين متعارضين .

قالوا ان كاربوف عضو في منظمة الشباب بالحزب الشيوعي . وان سلطات الحزب تؤيده ضد كاسباروف

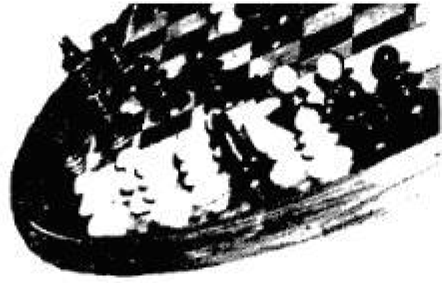
قالوا إن كاربوف يرأس لجنة حقوق الانسان في الاتحاد السوفييتي . وهي لجنة لاتؤدى واجباتها كما يجب ..

وفي نفس الوقت رحبوا بكاسباروف شابا يافعا ثائرا يتحدى كاربوف رجل الحزب وقالوا ان امه يهودية وانه يمثل عنصرا معارضا وتيارا جديدا في الاتحاد السوفييتي .

ولاشك ان هذا الكلام فيه كثير من المبالغة . ولقد قابلت كاربوف وكاسباروف في أولمبياد الشطرنج الذى اقيم في مدينة لوسرن بسويسرا عام ١٩٨٢ . وكان الاثنان يلعبان في فريق واحد والعلاقة بينهما عادية . بل رأيت كاسباروف وهو يواجه موقفا صعبا عندما جلس ليلعب ضد لاعب هرب من الاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٥ وهو المهندس فيكتور كورتشنوى . الذى كان يسعى للفوز ببطولة العالم . وخلع كاربوف عن عرشه . ورأيت كورتشنوى الذى بلغ الخمسين من عمره وهو يرفض أمامنا مصافحة الشاب كاسباروف الذى كان في



التاسعة عشرة من عمره ونحن واقفون على بعد خطوات من المنضدة التى يجلسان اليها . وكان كورتشنوى يلعب لفريق سويسرا . ولم يجلس على مقعده واكتفى بأن ينقل الفرس فوق الرقعة ويدير ظهره لكاسباروف ويخرج من القاعة . معلنا عدم اكتراثه بهذا الشاب . بعد حوالي نصف ساعة كان الموقف قد تغير تماما . فقد جلس



قصة العباقرة

كورتشنوى مسمرا الى مقعده يفكر فى العضلات التى اقامها له خصمه الشاب . بينما يتمشى كاسباروف مرحا ، فى عينيه السوداوين بريق حاد ، وكان جمهور المتفرجين يحبس انفاسه امام الجمهور الصاعق الذى يواجهه كورتشنوى ، ولم يمض وقت طويل حتى استسلم كورتشنوى والتففنا حول كاسباروف نهنئه بثبات اعصابه وليشرح لنا خطته فى المعركة ، وسمعته يقول :

– الدور ملىء بالأخطاء من جانبى .

كان فوزه الكبير فى نظرنا ، مجموعة من الأخطاء فى نظره !

وعندما سمعت مايتردد أنه يصارع كاربوف لأسباب غير الشطرنج تذكرت لقاءه بكورتشنوى ، فى ذلك الوقت كان متهما بانه يمثل الجانب الشرير ، وكورتشنوى الذى هرب من الاتحاد السوفييتى هو الذى يمثل الجانب الطيب . اما الآن وقد اصبح الصراع بين اثنين من الاتحاد السوفييتى ، فكان لابد من صنع معركة سياسة أو الايهام بها . وليس هذا غريبا على مباريات بطولة العالم فى الشطرنج منذ ان قامت كما سنرى فيما بعد .

واذكر انى سالت ذات مرة احد السياسيين فى الاتحاد السوفييتى ، عن لاعبى الشطرنج ، او اساتذة الشطرنج كما تعودوا ان يلقبونهم وطلبت منه ان يقول لى بصراحة إذا كان اكثرهم من اليهود . فقال لى :

– ثق انه حتى لو كان الواحد منهم أصله يهودى ، فهذا عند غالبيتهم العظمى أمر لايذكره ولايهتم به .

ولكن ها هى صحافة الغرب تردد من جديد ان ام كاسباروف يهودية ، وان هناك مؤامرات ضده حتى لايتربع على عرش العالم فى الشطرنج ، ولقد انتهت هذه الاشاعات بمجرد اعلان فوز كاسباروف بالبطولة . وإن بقيت معركة اخرى إذ يريد كاربوف ان يلعب مباراة ثارية خلال شهر فبراير ، ولكن كاسباروف يقول إن المباراة على البطولة لاتقام إلا كل ثلاث سنوات وهو مصر على ان يتمتع باللقب وحده طوال هذه الفترة .

وبطولة العالم فى الشطرنج لم تبدأ إلا فى منتصف القرن التاسع عشر فى اوربا . وقبل ذلك كان هناك دائما من يزعم انه احسن من يلعب الشطرنج فى العالم بغير منازع . وتاريخ العرب به قصص وطرائف كثيرة عن مهارة هارون الرشيد او عمر الخيام او حصة بن داهر ، او عنان جارية الناطفى ، وكيف انهم كانوا رجالا او نساء بارعين فى لعبة الشطرنج ، ولكن احدا لم يدخل فى مباراة او مسابقة رسمية يشترك فيها المرشحون للفوز باللقب كما يحدث الآن .

وعندما انتقل الشطرنج مع العرب الى اسبانيا تركوا هناك مدرسة للشطرنج نقلت او اذاعت اسرار اللعبة فى اوربا كلها . ومن اوائل من وصلتنا اخباره كبطل للشطرنج لايجاريه احد قس اسبانى اسمه ، روى لوبيز ، وقد سافر الى روما فى عام ١٥٦٠ م ، حيث تبارى مع اشهر اللاعبين الايطاليين وفاز عليهم وعندما عاد الى اسبانيا الف كتابا عن الشطرنج . ثم سافر من روما لاعب الشطرنج جيوفانى ليوناردو

دى بونا وهو من مقاطعة كالابريا ليلعب مباراة ثارية مع القس لوبيز. واقيمت المباراة في قصر الملك فيليب الثاني وانتصر اللاعب الإيطالي.

وفى القرن السابع عشر اشتهر اسم اللاعب جياكيمو جريكو وتحدثت عنه مخطوطات شطرنجية يرجع تاريخها إلى عام ١٦٢٥ م.

وفى القرن الثامن عشر برز اسم اللاعب فرانسوا اندريه فيليدور الذى ولد عام ١٧٢٦ وهو فرنسي وكان موسيقيا بارعا. والف كتابا في الشطرنج وعمره الثانية والعشرين ـ نفس سن كاسباروف الآن ـ واسم كتابه . تحليلات شطرنجية . وقد مات بعد نشوب الثورة الفرنسية بعامين ومن بعده ظلت باريس عاصمة للشطرنج فى اوربا الغربية. واشهر مباراة فى النصف الاول للقرن التاسع عشر. تلك التى انتصر فيها اللاعب الفرنسي لابوردونيه على اللاعب الايرلندى الكسندر مكدونيل. وكان ذلك عام ١٨٣٤ وقد فرحت باريس بل فرنسا كلها بانتصار لابوردونيه. واعتبروه ثارا لهزيمة الجيش الفرنسى بقيادة نابليون بونابرت فى معركة وترلو والتى انتصر فيها القائد الانجليزى ولنجتون عام ١٨١٥ وكتب الشاعر الفرنسي ميرى قصيدة انتشرت بين الفرنسيين عنوانها . الثار لواترلو . وصف فيها احداث المعركة على رقعة الشطرنج وجاء فى القصيدة.

. ادرك الجنرال الفرنسى .
. ان الاسود وقع فى الفخ .
. وسوف يموت ! .
. عرف الاسود انه يموت .
. يموت ميتة يستنكرها .

وواضح فى هذه الأبيات تشفى الشاعر وسروره بموت الملك الاسود على رقعة الشطرنج الذى كان يمثل جانب الانجليز. وهكذا اصبحت معركة شطرنج . نصرا قوميا وسياسيا من الدرجة الأولى فى فرنسا

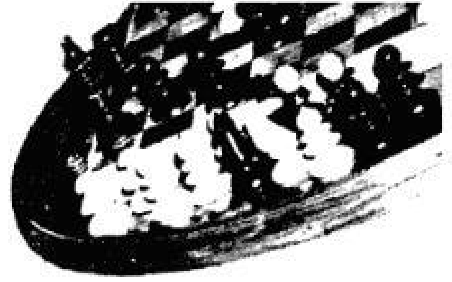
غير ان زعامة الشطرنج انتقلت الى لاعب انجليزى اسمه . هوارد ستونتون . وقد شاع انه ابن غير شرعى لاحد نبلاء انجلترا وهو ايرل اوف كارليل الخامس وكان ستونتون ممثلا . ثم تحول الى النقد المسرحى . وتخصص فى نقد مسرحيات شكسبير وكان حجة فيها وعندما انتصر ستونتون على لاعب فرنسا . سانت امانت عام ١٨٤٣ . اعلن انه الآن اقوى لاعب شطرنج فى العالم وكان فى الثلاثين من عمره.

واستغل ستونتون كتابته في الصحافة ليكتب عن نفسه . ثم اصدر اول مجلة للشطرنج فى انجلترا . وقد نشر ستونتون كتابا عن الشطرنج يحتوى على الادوار الهامة التى لعبها ويعتز بها.

وحدث ان قرا هذا الكتاب صبى فى الخامسة عشر من عمره اسمه . بول مورفى . يعيش فى امريكا . وبعد ان قرا الصبى الكتاب اضاف بقلمه الى العنوان الذى كان . صديق لاعب الشطرنج الكلمات الآتية . والعب شيطانية رديئة .

وكان الغرور قد ركب راس ستونتون . فاعلن عن مباراة دولية فى عام ١٨٥١ ليثبت تفوقه على اى لاعب فى العالم فاصيب بصدمة مزعجة عندما جاء من المانيا مدرس حساب فى مدرسة صغيرة بمدينة برسلاو . وهزمه . وكان اسم المدرس . ادولف اندرسن . وكان فى الثالثة والثلاثين من عمره.

واستشاط ستونتون غضبا . وقال إنه كان مشغولا بتنظيم المباراة وانه يتحدى اندرسن مرة اخرى ويراهنه بمبلغ مائة وخمسين جنيها . ولكن مدرس الحساب كان لايستطيع ان يترك عمله . وكان لايستطيع ان يوفر نفقات رحلة اخرى الى انجلترا ويدفع قيمة الرهان.



قصة العباقرة

ثم ظهر صبي قادم من امريكا اسمه بول مورفي يريد ان يلعب مع ستونتون فرفض ولعله خاف ان يهزمه صبي في العشرين من عمره .

وفي دراسة قام بها استاذ علم النفس ، ارنست جونز ، بعنوان « مشكلة بول مورفي » نراه يحلل اسباب مرض مورفي بجنون الاضطهاد « البارانونيا » . عندما رفض ستونتون ان يلاعبه . ولكن المرض لم يظهر في الحال . فقد تغلب مورفي على جميع لاعبي امريكا واوربا وهزم اندرسن الالماني ، الذي فاز من قبل على ستونتون . وتحول مورفي الى ظاهرة سياسية بين الجماهير الأمريكية . لانه بانتصاراته اثبت ان العقل الأمريكي قادر على ان يتفوق على العقل الأوربي . وكانت اوربا في القرن التاسع عشر مازالت تنظر الى امريكا على اعتبار انها كانت مستعمرة اوربية موزعة بين انجلترا وفرنسا واسبانيا حتى وقت قريب . وكانت اوربا هي مصدر الثقافة والحضارة فلما فاز مورفي في مبارياته باوربا قوبل عند عودته مقابلة الغزاة الفاتحين ، ودعته الجامعات الامريكية ليزورها وقام بجولة في ربوع الولايات المتحدة ، وكانت كل جامعة تقدم له الجوائز وشهادات التقدير ومن بين هذه الجوائز رقعة شطرنج من العاج والابنوس مرصعة بلؤلؤة نادرة . وقطع الشطرنج من الفضة البيضاء والذهب الاصفر . ولكن مورفي كان ابن قاض ومن عائلة كبيرة في الجنوب . ورفض ان يقال عنه انه مجرد لاعب شطرنج وهو الذي تخرج في كلية الحقوق . وهو يلعب الشطرنج لانها لعبة المثقف او المفكر الفيلسوف ولتزجية الفراغ اثناء راحته من العمل .

فلما فوجيء بالشهرة والاهتمام الشعبي يحيط به لانه لاعب شطرنج ، لا لانه فيلسوف او استاذ في القانون . انهار واختلت القيم في نفسه . وكان رفض ستونتون للعب معه ، اشبه برفض الاب لابنه ، او عدم الاعتراف بشرعيته ، ومن هنا فقد مورفي توازنه . ولم يتحمل الضجة التي اقامتها امريكا لانتصاره ولم يتحمل مسئوليات هذا الانتصار وتبعاته فانهار واصيب بالبارانويا ! تحول الاهتمام به كقائد او رمز للتفوق الامريكي على اوربا الى اضطهاد لايحتمله ودعوه الى طموح فوق قدراته . وظهرت عليه علامات الجنون فاتهم زوج شقيقته بانه يسرق ميراثه من ابيه ، وانه يدس له السم في الطعام ليتخلص منه . وكان يمشي في شرفة بيته جيئة وذهابا يردد كلمات غريبة ويصيح ، سنرفع علم كاستيل على جدران مدريد ، استولينا على المدينة . وسوف يتوارى الملك الصغير خجلا .

ولم يعرف احد ما الذي تعنيه هذه الكلمات التي يتفوه بها احد العبقريات في الشطرنج لم تعرف مثلها امريكا ، حتى ظهر « بوبي فيشر » عبقرية القرن العشرين .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ، ظهر استاذ في الرياضيات زميل لالبرت اينشتين كبطل عالمي للشطرنج عندما فاز على مدرس يهودي لمادة الحساب هاجر الى امريكا وكان يتغلب على كل من ينافسه . كانت المباراة في امريكا بين ايمانويل لاسكر وشتاينتز عام ١٨٩٤ . وعندما فاز لاسكي ، اصيب شتاينتز بعدها بثلاث سنوات بالجنون ولكنه ارسل الى صديق له في

النمسا من المصحة التي يقيم فيها يقول له . انا مثل كل المجانين هنا اعتقد ان الاطباء اكثر جنونا مني !.

كان لاسكر ـ ١٨٦٨ ـ ١٩٤١ حاصلا على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة ايرلانجي عام ١٩٠٠ . وكان مهتما بالفلسفة . ولما بلغ السادسة والخمسين عام ١٩٢٤ كان مازال يحصل على بطولات وتزوج كاتبة المانية عام ١٩٠٨ ، وقال انه عندما تزوجها اصبح في الحال زوجا وابا وجدا . لان زوجته كانت تكبره في السن وكانت اما لاولاد متزوجين ولها احفاد . فصاروا اولاده واحفاده. والف لاسكر كتابا في الشطرنج بعنوان ، كفاحي ، مثل هتلر وكتب اينشتين مقدمة للكتاب عن تاريخ حياة إيمانويل لاسكر ، ذكر فيها مناقشاته الطويلة مع لاسكر حول نظرية النسبية وكان لاسكر يقول لاينشتين .

ـ انك لم تثبت بعد في تجربة عملية ان سرعة الضوء في الفراغ هي سرعة لانهائية . ان هذا الفرض الذي هو حجر الزاوية في نظرية النسبية يجب ان يثبت عمليا .. وليس من حقك ان تقول انك اكتشفت نظرية قبل أن تقدم البراهين والتجارب التي تثبت صحة الفرض النظري أو تدحضه .

وكان اينشتين يجيب لاسكر قائلا:

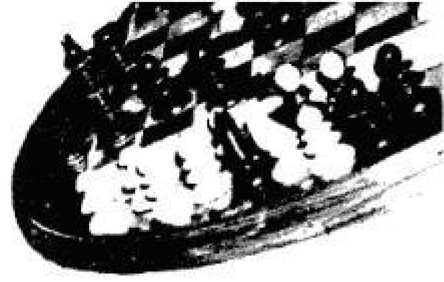
ـ لاتوجد وسيلة عملية لاجراء تجربة من هذا النوع . ولن انتظر الى مالانهاية حتى اثبت صحة الفرض !

وقال اينشتين معقبا على هذا الحوار . ان اصرار لاسكر على رأيه مصدره مزاجه الشطرنجي ، فهو يريد ان يثبت الفروض النظرية عمليا ، كما لو كان يجربها على رقعة الشطرنج !

واذا كانت ابحاث اينشتين قد ادت الى اكتشاف القنبلة الذرية . فقد اخترع صديقه لاسكر في الحرب العالمية الأولى دبابة المانية وعندما توفى لاسكر كتب اينشتين رثاء له ، كزميل له وصديق . وفيلسوف يعشق الموسيقى واستاذ كبير في الرياضيات .

ولقد انتزع بطولة الشطرنج من لاسكر . دبلوماسي من جزيرة كوبا اسمه ، كابا بلانكا ، عام ١٩٢١ . وكان كابا عبقرية فذة . ولد في هافانا عاصمة كوبا عام ١٨٨٨ وكان في الخامسة من عمره عندما فوجىء والده وهو يلعب الشطرنج مع صديق له. والطفل كابا يبدي ملاحظات على نقل القطع فوق الرقعة تدل على انه فهم طبيعة اللعبة . دون أن يخبره احد بها . وبمجرد ملاحظته عن بعد ولعدة أيام مليفعله والده





قصة العباقرة

وصديقه . وهما يحركان القطع فوق الرقعة .

واهتم الأب بموهبة ابنه . فعلمه الشطرنج ، وتفوق بسرعة على اللاعبين فى نادى هافانا للشطرنج . ولما ذهب كابا الى امريكا ليدرس فى جامعة كولومبيا استطاع ان يهزم فرانك مارشال بطل امريكا وهو مازال طالبا فى الجامعة . ولما انتصر على لاسكر عام ١٩٢١ عينته كوبا سفيرا متجولا لها فى العالم . وكان يلعب ببساطة واتقان ، حتى وصفوه بانه آلة حاسبة لاتخطىء . حتى تحداه روسى ابيض ابن مليونير روسى هارب من الشيوعية ، ويعيش فى باريس . اسمه الدكتور الكسندر اليخين وهو حاصل على الدكتوراه فى القانون من السوربون فى باريس .

● استراتيجية مقنعة ●

كان اليخين عبقرية من نوع آخر . فهو مهاجم شرس ، وكان يعيش مع امه التى انفصلت عن زوجها الذى يخسر الملايين فى كازينوهات القمار فى مونت كارلو . وكان اليخين يتمتع بخيال خصب ، وقدرة على اكتشاف وسائل للهجوم واختراق التحصينات ، والاهتمام باحتلال مساحة اكبر من رقعة الشطرنج ، ووضع قواته فى مواقع يسهل الانتقال منها الى حيث تتطلب ظروف المعركة الانتقال . ادخل اليخين فنون الاستراتيجية والتاكتيك بصورة مقنعة وحاسمة فى لعبة الشطرنج ، وكانت دراساته من العمق بحيث يحسده عليها اكبر خبراء الاستراتيجية فى فنون الحرب .

واستطاع اليخين ان ينتزع البطولة من كابا بلانكا عام ١٩٢٨ . ومنذ ان حصل عليها رفض فى عجرفة ان يتيح لكابا بلانكا فرصة للعب مباراة ثارية . وركب الغرور راس اليخين وافرط فى شرب الخمر ، وقبل تحديا من استاذ هولندى فى الرياضيات اسمه « ماكس اوفى » عام ١٩٣٥ . فانهزم اليخين وكان يظهر على المسرح ليلعب وهو سكران . ووقف ذات مرة اثناء اللعب ، ليتبول امام الجماهير .

وافاق اليخين على الهزيمة ، فعالج نفسه ، واستعد للثار ، فاستعاد البطولة بعد عامين ، عام ١٩٣٧ واحتفظ بها حتى مات بالسكتة القلبية فى حجرته بفندق فى لشبونة بالبرتغال يوم ٢٤ مارس ١٩٤٦ . فقد فتح خادم الفندق الباب عليه ، ليجده جالسا ساقط الراس امام رقعة الشطرنج وبجواره طعام العشاء ووجدوا فى فمه قطعة من لحم لم يكمل مضغها عندما هاجمته النوبة القلبية .

كان الاتحاد السوفييتى يتهم اليخين بمعاداته للشيوعية ، وكان اليهود يتهمونه بالنازية ، فقد عاش ايام الحرب العالمية الثانية . متنقلا بين المانيا واسبانيا والبرتغال وهى ديكتاتوريات منحازة للنازية ، ولكن عبقرية اليخين فرضت على الاتحاد السوفييتى ان يعترف به بعد وفاته ، وان يقيموا له مباراة دورية باسمه توزع فيها الجوائز احتفالا بذكرى اليخين وماكان السوفييت ليفرطوا فى عبقريته او يتنكروا لها حتى لو كان من اسرة غنية هربت من روسيا الشيوعية .

بعد وفاة اليخين ، بدا اتحاد الشطرنج الدولى يتدخل لاول مرة لتنظيم مسابقة رسمية لبطولة العالم تحت اشرافه ، ولم

تعد البطولة مجرد تحديات فرديه . وتصريحات من احد اللاعبين بانه اقوى لاعب في العالم . ومن يرفض هذا التصريح فعليه ان يقبل التحدي على رهان يتفقان عليه .

واقيمت أول مباراة رسمية لبطولة العالم ينظمها اتحاد الشطرنج فى هولندا يوم ٢ مارس ١٩٤٨ فى لاهاى بمسرح البلدية . واشترك فى المباراة ثلاثة من الاتحاد السوفييتى هم بوتفنيك وكيريس وسميسلوف . واشترك من الولايات المتحدة بطلها ، سام ريشفسكي ، وهو من اصل بولندى . واشترك من هولنده ، ماكس اوفى ، الذى سبق وحاز بطولة العالم بانتصاره المؤقت على اليخين بين عامى ١٩٣٥ و١٩٣٧ .

وكسب المباراة ، ميخائيل بوتفنيك ، وكانت قاعة مسرح تشايكوفسكى فى موسكو المكان الذى انتهت فيه المباريات التى بدات فى هولندا .

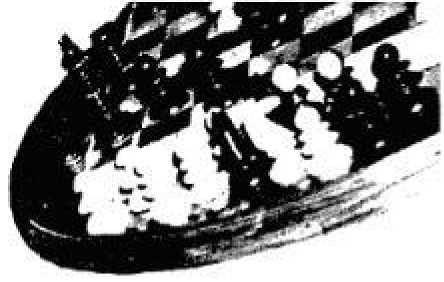
● عصر جديد ●

وبدأ مع بوتفنيك عصر جديد لمباريات الشطرنج . فها هو استاذ فى الفيزياء يخرج من الاتحاد السوفييتى بافكار جديدة . اكدت ان خطة مدروسة قد اعدت لتعليم الصغار الشطرنج فى المدارس وان اعدادا كبيرة من الأولاد سوف يدخلون عالم الشطرنج فى جماعات كبيرة كاسحة تحت تنظيم دقيق وخطة علمية مدروسة للاعداد والتدريب . وانطلقت صيحات فى الغرب تحذر مما يحدث فى الاتحاد السوفييتى ، وانه يريد ان ينتزع عرش الشطرنج ليثبت للعالم ان لعبة العقل والاستراتيجية والتكتيك لعبة الشطرنج التى لاتعتمد على الحظ مثل الألعاب الأخرى . اصبحت تحت سيطرة الاتحاد السوفييتى بكل ماتحمله هذه السيطرة من دلالات .

وصحت مخاوف الغرب . وامريكا بالذات . فقد استمر بوتفنيك بطلا للعالم ولم يتنازل عن البطولة إلا لفترة قصيرة . عام واحد . لأستاذ روسى ايضا هو فاسيلى سيميسلوف . وهو مغنى اوبرا من طبقة تينور . وكان يندم احيانا لأنه لم يستمر فى الغناء وانشغل عنه بالشطرنج وكان يقول

- إذا كسبت مسابقة فى الغناء فى الأوبرا فلن اتعرض لفقدها فى العام التالى ، كما حدث لى عندما كسبت بطولة العالم فى الشطرنج من بوتفنيك عام ١٩٥٧ وفقدتها عندما استردها منى عام ١٩٥٨ :

وانتظر بوتفنيك حتى عام ١٩٦٠ ليفقد عرشه امام لاعب من جمهورية لاتفيا السوفييتية اسمه ميخائيل تال مولود فى ريجا عام ١٩٣٦ ويصغر بوتفنيك بستة وعشرين عاما . وقد رايت تال وهو فى السادسة والاربعين من عمره فى سويسرا وكان مازال يلعب الشطرنج كبطل سابق للعالم . وقد تميز بقدراته غير العادية على اكتشاف خطط للهجوم . ولكن صحته المعتلة لم تسعفه . وقد لاحظت أن يده ليست كاملة الاصابع فهو يمسك السيجارة التى يدخنها بشراهة باصبعين من ثلاثة فى يده . وهو يعانى من ازمات مستمرة فى الكلى . لذلك لم تطل مدة بطولته . وجاء من بعده اللاعب القادم من جمهورية أرمينيا بالاتحاد السوفييتى ، يتجران بتروسيان ، وكانت له شخصيته الهادئة . وقالوا انه يلعب كالنمر الذى يختبيء فى الغابة لينقض على فريسته . ولكنه كان احد تلاميذ المدرسة السوفييتية والتخطيط البعيد المدى لاعداد اجيال بعد أجيال من لاعبى الشطرنج على مستوى يصعب على بقية اللاعبين فى العالم التصدى له . ومن بعد بتروسيان ، ظهر بوريس سباسكى وكان قد حصل على بطولة العالم فى الشطرنج للشباب ، وهو آخر مجموعة ابطال العالم السوفييت . الذين انتهى عصرهم بظهور الامريكى ، بوبى فيشر ، .



قصة العباقرة

كانت الولايات المتحدة بكل ثقلها وراء فيشر . فقد كان امرا اشبه بالفضيحة ان ينتزع السوفييت بطولة الشطرنج هذه السنوات الطوال منذ عام ١٩٤٨ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . والآن جاءت فرصة لظهور عبقرية امريكية حقيقية ممثلة فى « بوبى » الذى فاز ببطولة الولايات المتحدة وهو فى الرابعة عشرة من عمرة .

ولد فيشر فى ٩ مارس فى شيكاغو عام ١٩٤٣ وتعلم الشطرنج من شقيقته جوان وهو فى السادسة من عمره . وصعد بسرعة خارقة فى المباريات الدولية . وكسب بطولة العالم للمرشحين لتحدى بطل العالم بوريس سباسكى . واقام اتحاد الشطرنج مزادا عالميا بين الدول ليقيم مباراة القرن العشرين بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فى الشطرنج . وكانت الدولة التى تقدم جوائز اكبر هى التى تفوز بالحدث الكبير بما يتبعه من دعاية سياحية واعلامية لها . وانتهى الاتفاق على اختيار « ريكجافيك » عاصمة ايسلنده بعد مشاكل كثيرة اثارها فيشر حول المكافاة المالية التى سيحصل عليها . وقد تدخل مليونير امريكى اسمه جيمس سلاتر رئيس مجلس إدارة شركة قابضة لعدة شركات . فاعلن انه سيدفع مبلغ مائة وخمسة وعشرين الف دولار جائزة اضافية لفيشر ليلعب ضد سباسكى . وحتى لايخيب امل الامريكيين عندما ينسحب فيشر من المعركة . ولكن فيشر واصل اثارة الأزمات . فامتنع عن حضور حفل الافتتاح ولم يهتم كثيرا بان شركة امريكية للمقاعد اعدت له مقعدا يجلس عليه ليريح عضلات جسمه واعصابه اثناء الساعات الطوال التى يقضيها امام رقعة الشطرنج وقد تكلف المقعد ربع مليون دولار واعترض فيشر على وجود مصورى الصحافة والتليفزيون . ولم يهتم عندما قالوا له انه وقع على عقد مع التليفزيون ليذيع المباراة وانه لو رفض التصوير فسيدفع تعويضا قد يصل الى مليون دولار . واعتذر فيشر عن الحضور فى الموعد المحدد لأول مباراة .

وكان المفروض ان يعتبر مهزوما بالانسحاب . ولكن سباسكى تصرف كبطل للعالم ورفض ان يكسب هذه النقطة وسمح باعادة اللعب مرة اخرى . وكان هنرى كيسنجر قد اتصل تليفونيا بفيشر من واشنجتون وطلب منه ان يقبل رجاءه بالا يثير المزيد من العقبات ويلعب . وصرح كيسنجر فى مؤتمر صحفى انه اطلع الرئيس نيكسون على المكالمة التى اجراها مع فيشر وان الرئيس مسرور من النتائج التى توصل اليها كيسنجر .

● أغرب مباراة شطرنج ●

كانت موافقة فيشر للعب . انتصارا اخر من انتصارات كيسنجر الدبلوماسية . ولكن فيشر خسر المباراة الأولى . وارسل يحتج بانه لن يلعب حتى يقرر الحكم عدم السماح بدخول المصورين قاعة اللعب . ولكن الحكم رفض طلبه . لان فيشر وقع عقود التصوير وحصل على مقابل مادى . وانسحب فيشر وخسر المباراة الثانية . وهكذا بدا فيشر المباراة بخسارة نقطتين ثمينتين . واخيرا قرر الحكم ان تجرى المباراة فى حجرة صغيرة بعيدا عن

الضجة وان تنقل المباراة على شاشة تليفزيون ضخمة للمتفرجين . ومنذ تلك اللحظة توالت انتصارات فيشر وانهارت مقاومة سباسكي . وتربع بوبى فيشر الامريكي على بطولة العالم لأول مرة بعد مورفي ! واتهم بعض السوفييت الامريكيين بوضع اجهزة خاصة ترسل اشعاعات تؤثر على تفكير سباسكي الذى انهار بلا مبرر من وجهة نظرهم . وجاءت لجان للتحقيق وفحص الكهرباء ومصابيح الاضاءة والمقعد الخاص لفيشر ولم يعثروا على شيء . وتحولت هذه الحكايات الى نوادر وطرائف لأغرب مباراة شطرنج فى القرن العشرين .

ولكن فيشر عاد ورفض ان يلعب مدافعا عن لقبه ضد كاربوف عام ١٩٧٥ ، لأنه يستحق من وجهة نظره مكافأة لاتقل عن المليون جنيه ليلعب ، ولأنه لايعتقد ان هناك لاعبا للشطرنج افضل منه . فخصم فيشر هو فيشر نفسه . وهكذا قرر اتحاد الشطرنج تصعيد كاربوف بطلا للعالم دون مباراة على البطولة مع فيشر الذى انسحب واعتزل الشطرنج .

وكان فيكتور كورتشنوي هو المنافس لكاربوف . فلما هزم كاربوف ، شعر كورتشنوى ان فرصته فى كسب بطولة العالم سوف تضيع امام موجات اللاعبين الجدد فى الاتحاد السوفييتى . فانتهز فرصة ذهاب الفريق السوفييتى الى هولندا ليشترك فى مباراة دولية . ولجا الى السلطات الهولندية واعلن عدم رغبته فى العودة الى الاتحاد السوفييتى . وذلك حتى يلعب فى الغرب ، ويحصل على فرصة اخرى ليمثل الغرب فى منافسة جديدة على بطولة العالم ضد كاربوف .

واتيحت الفرصة بالفعل لكورتشنوى ان يلعب ضد كاربوف على بطولة العالم فى باجيو عاصمة الفلبين عام ١٩٧٨ ولما توالت هزائم كورتشنوى . اعلن ان كاربوف جاء معه طبيب نفسانى اسمه زخارى يجلس فى القاعة ويرسل اشعاعات خاصة للتشويش على افكاره . وقررت لجنة الحكام إبعاد الدكتور زخارى الى الصفوف الاخيرة من القاعة . ثم أعلن كورتشنوى انه سيستعين بحرس خاص لحمايته من مؤامرات السوفييت وان هذا الحرس يتكون من مجموعة من الفتوات من خريجى السجون فى الفلبين . ولابد ان هذا التصريح ازعج كاربوف فقد بدا يخسر . فبعد ان كان فائزا بخمسة ادوار ضد دور واحد ولم يبق له الا الدور السادس ليكسب البطولة . توالت انتصارات كورتشنوى حتى تعادل مع كاربوف . وطار وزير الشباب والرياضة فى الاتحاد السوفييتى الى الفلبين ، وطلب اجازة لكاربوف وأخذه معه فى طائرته ليشاهد مباراة لكرة السلة التى يهواها . وبعد ان اطمأن الى انه استعاد هدوءه . عاد به الى المباراة فكسبها كاربوف .

ولكن كورتشنوى اعاد الكرّة وكسب كل بطولات الغرب ليواجه كاربوف مرة اخرى فى ميرانو بجبال الألب الايطالية عام ١٩٨٢ . واستطاع كاربوف ان يفوز عليه بسهولة . وكان قد تقدم فى السن . وهكذا احتفظ كاربوف ببطولة العالم . حتى انتزعها منه جارى كاسباروف الشاب الصغير القادم من اذربيجان بينما الغرب مازال يبحث عن عبقرى آخر يواجه السوفييت . وهناك اصوات ارتفعت اخيرا تقول إن ظهور كاسباروف ، سوف يشجع فيشر على العودة الى ساحة المعركة . وان مباراة بين جارى كاسباروف . وبوبى فيشر ستكون حقا معركة نهاية القرن العشرين بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . ومعركة ساحتها رقعة الشطرنج افضل مليون مرة من معركة ساحتها الفضاء تنطلق فيه الصواريخ النووية بين الكواكب .

قصة قصيرة

عازف الكمان

بقلم: محمد حافظ رجب • ريشة: عادل ثابت

تعود رواد المشرب رؤيته كل مساء حينما يدخل عليهم بخطواته البطيئة، ونظارته السوداء، يقوده كلبه الصغير، وبيده كمانه العتيق.

وفي وسط ضجيج السكارى، ورنين الكئوس، وصياح المخمورين. تنبعث الالحان من كمانه فسرعان ما يسود السكون والصمت انحاء المشرب الهائج، ويتطلع الكل في نشوة حالمة الى تلك اليد السحرية التي تنقلهم الى عالم حلو جميل يعيشون فيه لحظات، حتى ينتهي من عزفه فيرجعون الى عالمهم ويدوي المشرب بالهتاف والتصفيق .. وفي هذه اللحظات يدرك الكلب ان هذا وقته فينهض ويقترب منه فلما يحس به صاحبه الذي يكون قد وضع الكمان في كيسه البالي، يمد يده الخالية ويلتقط رباطه، ويترك للكلب الصديق ان يقوده، فيقف به عند كل مائدة، ويمد كل سكير يده بما تجود به نفسه، او قد يدعوه احد المعجبين للجلوس معه، ويطلب له كاسا مع عشاء شهي، ولا يحرم الكلب من رزقه فيلقى اليه ببقايا المائدة!

وينتهي عمل اليوم، فيعود الكلب الى صاحبه، ويغادران المشرب وعازف الكمان يلقي تحية المساء على كل من يصطدم به.

لم يكن احد يدري عنه شيئا .. فهو يقيم هناك حيث يعيش من هم على هامش الحياة ولم يكن يزامله في دنياه الا كمانه وكلبه الذي لم يكن من العسير تبين مقدار الود الذي يربطه بصاحبه وكان الحظ قد ساقه الى ذلك المشرب مساء يوم، وما ان بدا العزف حتى صاح فيه الجرسون ناهرا اياه .. فاسودت الدنيا في خياله اكثر من سوادها وهم بالرحيل الا ان صاحب المشرب اشفق عليه وسمح له بالعزف، ومن يومها وهو يذهب الى ذلك المكان الذي يقع في منتصف المدينة حيث يعيش الاحياء.

وفي هذه الليلة كانت المدينة تعيش في ضجيج الاحتفال بعيد الميلاد، وكان المشرب حافلا برواد من كل جنس .. من الذين وفدوا على المدينة للاحتفال بعيد الميلاد، حينما دخل



عازف الكمان



الكلب وخلفه صاحبه ، واسترعى هذا المنظر انتباه الغرباء الذين لم يروه من قبل ، فتعالت ضحكاتهم وقبع الكلب بجوار مائدة ، وتأهب الأعمى للعزف على كمانه ، وبدأ اللحن يفسح لنفسه مكانا وسط الصخب والضجيج .

وتطلع مخمور يجلس بين أصحابه الى عازف الكمان ، ثم الى كلبه الذي يرقد فى هدوء وحلا له أن يلفت الانظار اليه فتقدم مترنحا منه ورفع قدمه وضربه ، فتطلع اليه الكلب بعتاب وعاد الى جلسته ، وغاظه عدم اهتمامه فرفع قدمه وركله بقوة ، فعوى الكلب بألم ، وعلى الفور توقفت الموسيقى الساحرة ، وتطلع الناس الى عازف الكمان الذى قال بهدوء :

ـ ارجو من السيد الذى ضرب الكلب ألا يضربه ثانية .

وعادت يده تعزف من جديد .

واستبد الطيش بالمخمور فقام من مكانه متثاقلا واستجمع كل قوته وركل الكلب ركلة قاسية فعلا عواؤه .. وهنا توقف الاعمى عن العزف وقال بصوت فيه رنة الغضب :

ـ ارجو من السيد الذى ضرب الكلب أن يكف عن ضربه .

وكانت الخمر قد عملت بالمخمور عملها فراح يقهقه عاليا وشرع يطارد الكلب بين الموائد التى كان يحتمي فيهامنه ، والاعمى يدعوه الى المجيء اليه .. وحال المخمور بين الاعمى وكلبه ثم اخذ يقترب من الكلب شيئا فشيئا حتى امسك به من ذيله وصار يدور به ويدور وهو



يقهقه بجنون ، والكلب يعوى ويعوى .

واستطاع الكلب أن يفلت منه اخيرا ، وقبل أن يدركه الاعمى غادر المشرب هاربا لا يلوى على شيء وصاح الاعمى وهو يصطدم بالموائد الحافلة :

ـ أين كلبى ؟ أين كلبى

واسرع يتحسس طريقه الى الخارج بين الموائد حتى خرج الى الشارع ووقف كالتائه فى عالم مجنون غير عابئ ، وقد احس بالظلام الكثيف يقبض على روحه بقيود سوداء والناس تصطدم به فتزحزحه عن مكانه .

وانتابته مشاعر كثيرة كلها ألم ، ويأس ، وضياع ، وفجأة أحس بأنفاس ساخنة تداعب يده بحنان ، ولسانا خشنا يمسح اصابعه فى غبطة ، فقفزت الفرحة الى قلبه وعنقه وشعر بالضباب الكثيف ينقشع من حوله وتمتم بانفعال :

ـ أهو أنت ؟ .. حسبتك قد تركتني يا صديقى كما تركتنى من قبل نور عينى ؟

وانحنى يبحث عن رباطه حتى التقطه والكلب يحرك ذيله فى سرور وغبطة ، ثم قال

ـ هيا بنا .. أحسبنا سنبيت على الطوى الليلة والدنيا فى عيد ، ولكن لا يهم يكفينا اننا معا .

هل انكشف سر المتنبى؟

بقلم الفنان: عبد السميع عبدالله

هذا هو الجزء الاخير من مقالة فقيد الفن والأدب الأستاذ عبد السميع عبدالله عن شاعر العربية الأكبر ابى الطيب المتنبي وهذا الجزء هو آخر ما كتبه الفقيد العزيز الذى استأثرت به رحمة الله فى الشهر الماضى ، تاركا فراغا لايسده سواه فى الفن التشكيلى والقصة والمقالة الادبية والتاليف المسرحي ..

لقد كان عبدالسميع موهوبا متعدد الجوانب ، فهو رسام كاريكاتير له اسلوب متميز ورائد ، وله تاريخ فى هذا الفن يمتد اربعين عاما . وكاتب قصة من طراز متميز . فضلا عن جهد بارز فى الكتابة للمسرح ..

اما البحث الادبى .. فكان المتنبى بالذات موضوعا لبحوث دقيقة اجراها خلال كتابته مسرحية عنه . ونقدم الجزء الأخير . ذاكرين فضله على الفن والادب ، غير ناسين ماعاناه الفقيد فى حياته من جحود لمواهبه احيانا ومن محاربة جاهلة لعمله احيانا أخرى ، وهو فى هذا كله يمثل جيله الذى توزعته صروف الزمن الذى عاشه ، وبخاصة من يحمل مهتديا بضميره ..

إن عبد السميع عبدالله هو الفنان الأديب الذى عاش حياته يخاطب الشعب بريشته وقلمه ، واخذ يرسم ويكتب حتى آخر يوم فى حياته ..

وقد شاء له علو همته ان يجعل المتنبى ملهما فى الفن والأدب ، وشاءت الاقدار أن تكون هذه الصفحات هى آخر لقاء بين عبدالسميع والمتنبى ، واخر لقاء بينه وبين الحياة !

• الهلال •



الفنان الراحل عبد السميع عبدالله

هل انكشف سر المتنبي؟

المتامل يفهم دائما عن المتنبي ما يريدان يقوله . وما يريد اخفاءه ايضا ... والمحقق لى نسب يكتنفه الغموض يرجع الى الف عام قد شوهته الاكاذيب يكون حريصا على أن يمسك خيطا فى هذا الموضوع . ثم يرى الى اين ينتهي به .. وقد كانت بداية الخيط هو هذا البيت من شعر المتنبي :

مت ان لم تاخذوا بدمى ... بالقحطاني ويعربيه

وقد حدث ابن جنى فقال – اخبرني بعض اصحابي قال : جيء بالمتنبى الى ابى بكر محمد بن الحسن بن دريد فقيل انه شاعر . فقال انشدنا يا فتى شيئا من شعرك فانشده المتنبي هذا البيت – فمسح ابن دريد على راسه بيده وقال .. بل ناخذ بدمك .. هذا البيت لم يرد فى ديوان المتنبى لكنه ورد فى مجموعة اوراق لابن جنى باسم « كتاب مجموع فى علم البلاغة » وقد ذكرت هذه البيانات فى كتاب المتنبي للاستاذ محمود شاكر . هامش الصفحة ٨٧ ... فى هذا البيت يقول المتنبي وهو ما زال فتى تفور فيه دماء الشباب أن له ثارا يملأ عليه نفسه وقلبه جميعا .. وانه سيلوق كاس المنون لما ان لم يؤخذ له بهذا الثار .. وهو يستنجد بعشيرته لمساعدته فى اخذ هذا الثار .. فيقول مستثفرا : يا لقطحانى ويعربيه

اى ان ثاره هو ثار القحطانيين . كان هذا البيت هو بداية اتجاه تفكيرى الى ان المتنبي ينتمي الى قبيلة كنده القحطانية . فقد ولد فى ربع كنده فى الكوفة . وقد فخر باليمانيين حين قال :

ومجدى يدل بنى خندف ... على ان كل كريم يمانى

وقد كان انتماء المتنبي الى كنده معروف فى عصره . وتامل قول ابى فراس الحمدانى الشاعر وابن عم سيف الدولة حين سمع المتنبي ينشد اخر قصائده فى حضرة الامير – وهى قصيدة – واحر قلباه – وحين صاح متحديا الامير وحاشيته :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... باننى خير من تسعى به قدم

تامل رد ابى فراس على هذا البيت – لقد قال .. ومن انت يا دعى كنده ؟ .. فكان انتساب المتنبي الى كنده كان معروفا وكان معروفا ايضا ان هذا الانتساب مشكوك فيه .. او هذا ما اراد ابو فراس ان يستقر فى اذهان الحاضرين ... وكلمة دعى كنده توضح المعنى الذى قصده ابو فراس .. ومعنى ذلك انه كان معروفا ان المتنبي ينتمى الى كنده لكنه لايستطيع ان يجهر بذلك .. فقد كان حريا بالمتنبي ان يرد على ابى فراس حين تساءل ساخرا .. ومن انت يا دعى كندة ؟ كان يستطيع ان يقول انا فلان ابن فلان . ابن فلان حتى ينتهى الى من يرضى من اعلام كنده .. لكن المتنبي كان حريصا كما قال من قبل .

انما يذكر الجدود لهم ... من نفروه وانفدوا حيله

لكنى لا تنفد لى حيلة فى ستر نسبى هذا حتى لا اقع عند ذكره فى المهالك كما يرجو الاعداء وانت اولهم يا ابا فراس .

● كبرياء الشاعر ●

كذلك كان رد المتنبي عليه مليئا بالدهاء والكبرياء فى نفس الوقت حيث قال مجيبا على تساؤل ابى فراس :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى ... واسمعت كلماتى من به صمم

وقد نقل المفاخرة مسرعا الى اعتداده بمواهبه وليس بنسبة – وثمة بيت آخر من الشعر يشير الى ان المتنبي ينتمى الى كنده هو ..

أمشى السكون وحضرموا « ووالدتى وكنده » والسبيعا

انه هنا يقرن والدته بكنده وكلتها يقول لنا ولن قبلنا ممن اهتم بتحقيق نسبه ان هناك علاقة حميمة تربط امه بقبيلة كنده .. لكن الاستاذ محمود شاكر يقول فى كتابه « المتنبى » انه لم يذكر امه ابدا فى اشعاره ... وانه يقصد جدته حين يذكر كلمة الام .. وانا أوافق الاستاذ شاكر على انه كان يقصد جدته كلما تحدث عن امه .. لكن المتنبى كان كما قلت شديد الدقة فى انتقاء الفاظه يسددها من قوس افكاره الى صفاء الثغرة التى يريدها بالضبط .. فهو فى هذا البيت يقول « ووالدتى » ومعنى الوالدة بالتحديد هى الام التى ولدته وليس الجدة التى كفلته .. هذه الجدة التى نعرف جميعا انها تنتمى الى همدان .

وقد علمت كما علمت مثلك ان المتنبى كان جادا فى اخفاء نسبه فكيف يستقيم هذا الامر اذا كان انتماؤه الى كنده معروفا ؟.. واى شىء يحرص على اخفائه من هذا النسب الذى يعلم به الجميع ؟.. ان المتنبى كان يخفى تسلسل نسبه فى كنده وليس انتماءه اليها . لان تسلسل النسب كان قمينا ان يوقعه فى الخطر الذى حذرته منه جدته ..

نحن نعرف انه استنصر قحطان للاخذ بثاره فلماذا .. لماذا لم يستنصر قبيلة كنده وهى قبيلة ابيه التى سفك دم واحد منها .. لماذا قفز هذه القفزة الهائلة حين استنصر قحطان ولم يستنصر كنده .. وكما قلت وكررت القول حتى اخالك قد مللت ان الشاعر دقيق جدا فى اختيار الفاظه ليخبر من يريد ان يفهم اين يوجد ثاره .. اين هم القتلة الذين سفكوا دماء رجل معروف من كنده ينتمى اليه الشاعر ويطالب بدمه ..

● محاولة اخفاء السر ●

وانى ادعوك ياعزيزى القارىء الى رحلة بحث عن قتيل من قبيلة كنده . له مواصفات خاصة . اولها انه شخص معروف . لم يتساءل عنه « ابن دريد » حين استمع الى المتنبى يطالب بالثار له .. وثانيا : ان يكون على علاقة بذلك الشىء الذى يهم المتنبى نفسه ويعينه فى طلب المجد الذى ورد كثيرا فى شعره .

وثالثها : ان يكون قتلته من العدنانيين .

لقد اخفى المتنبى نسبه حتى لا يضطر لافشاء السر الذى يتعلق بثاره والذى اوصته جدته بكتمانه .. لاسيما وهو يعلم علم اليقين ان هذا الثار يستقر فى هذا القسم من عدنان وهم العلويون الاقوياء .. اى سادة الكوفة الذين ناصبهم المتنبى العداء طوال حياته ولم يمدح منهم مختارا الا الاشتر النقيب الذى قيل عنه انه اخو المتنبى فى الرضاع والذى اسدى الكثير من المعروف للشاعر .. فلماذا نتهم العلويين من دون العدنانيين بسفك دم جد المتنبى من قبيلة كنده ؟..

يقول ابن خلدون فى كتابه « تاريخ العبر » مخالفا لكتب الشيعة ـ ان من العرب من ساق الامامة بعد على وابنيه السبطين الى اخيهما محمد بن الحنفية .. ثم انتقلت بعده الى ولده ابى هاشم .. ويقول « الشهرستانى » مؤيدا هذا الراى انه بعد ابى هاشم انقسموا الى خمس فرق قالت فرقة منهم ان ابا هاشم اوصى بها الى « عبدالله بن عمرو بن حرب الكندى » الذى تحولت روح ابى هاشم وحلت فيه .. وان هذا الكندى قد قتل لخياناته كما قيل .. ومن ثم عادت الامامة الى على زين العابدين والى العلويين .. لكن الشيعة ينكرون ذلك كله وينكرون هذه الاحداث كلها . ليقولوا ان محمد بن الحنفية سلم الامامة الى على زين العابدين مباشرة بعد استشهاد الحسين ..

● الثار .. لماذا ؟ ●

وانا ارجح ترجيحا يقرب من اليقين ان « عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى » هو الجد البعيد للمتنبى .. وان المتنبى يرث الامامة عنه .. لان الامامة لاتعود القهقرى وانما تكون فى اكبر الابناء « الكتاب الاسماعيلية » دكتور مصطفى غلاب .. وان قتل هذا الكندى وازاحته من الامامة بواسطة العلويين هو « ثار المتنبى » الذى اضرم فى صدره كل

هل انكشف سر المتنبى ؟



هذه الحفيظة على العلويين . والذى انطقه هذين البيتين وهو فتى صغير فى كتاب العلويين حين استحسن أحد رفاقه لمته التى كانت تغطى شحمتى اذنيه .. قال معبرا عما يشعر به من الضغينة ..

لا تحسن اللمة حتى ترى
منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعده
يعلها من كل وافى السبال

الفتى الصغير يضطرم حقدا على أعدائه الذين وتروه لكنه لايستطيع أن يحدد هؤلاء الاعداء فى شعره عملا بنصيحة جدته الحازمة .. فهم لن يسكتوا ان علموا أنه عرف بقصده ثار كنده .. لكن الفتى يضيف سببا آخر لحقده الطاغى على شيوخ العلويين . سببا غير ثاره الذى يطالب به .. سببا ذكره صراحة فى شعره حين قال :

سآخذ حقى بالقنا ومشايخ
كأنهمو من طول ماالتثموا مرد

الحق المغتصب .. حقه فى وراثة الامامة عن جده الاعلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى . والا فلماذا يدعو العلويين بالادعياء.

وكانت جدة المتنبى الحازمة قد نشأته على مكارم الاخلاق لتمده اعدادا خاصا لاستلام حقه فى الامامة . وكانت تعلم تماما أن هذا الحق دونه خرط القتاد فاوصت حفيدها بكتمان هذا الامر حتى لا يصيبه مكروه .. وقد امتثل الصبى لامر جدته فكتم أمره مضطرا حتى لاحت له الفرصة فى سلمية أو غير ذلك فقام بثورته هناك .. فأحيط به وسجنه العلويون .. ولم يخرج من السجن حتى استتابوه فتاب وكذب ما ادعاه من انتمائه الى امام معصوم . هو عبدالله بن عمرو بن حرب الكندى .. واصبح لايستطيع ذكر هذا الامر والا تعرض لعقاب شديد ..

قد خلصنا من ذلك الى ان المتنبى من كنده وان نسبه ينتهى الى ذلك الكندى الذى قتله العلويون لاسترداد الامامة وان أبا المتنبى عندما تزوج امه تحدث بهذا السر ونمى هذا الامر الى العلويين فهددوه ثم تخلصوا من الرجل بقتله لقطع النسب ولكنهم لم يعلموا ان ام المتنبى حامل فيه ، حينئذ عمل شيوخ الكوفة من العلويين على استرضاء الجدة حتى تسكن ولما وضعت ابنتها طفلا هو المتنبى ثم فقدت نحبها ربما حزنا على زوجها الذى قتل ظلما وعدوانا بادر العلويون بارضاع الطفل من احدى نسائهم . ثم ادخلوه من بعد كتاب اولاد اشراف الكوفة . واستمر الصبى حتى بلغ السن التى تسمح بالافضاء له بسر خطير . فاخبرته جدته بالامر بعد ان اوصته بالكتمان .. وقد التزم الصبى بما وعد به جدته غير انه كانت تصدر منه بين الحين والحين تلك الاشعار الملتهبة التى تفضح مايضطرم داخل صدره الصغير من نيران الحقد .. فعلموا انه يعلم الامر وان جدته قد اخبرته به . لم يعد فى الامر خفاء وانما عداء صريح بين العلويين وشاعرنا المتنبى وجدته حتى لقد قال عند موتها :

لئن لذ يوم الشامتين بموتها .. فقد ولدت مني لأنافهم رغمـا

وهذا البيت يعني بوضوح وبساطة ان ميلاده تم رغم آناف شيوخ الكوفة من العلويين . وان وجوده ذاته فيه تحد لهؤلاء الشيوخ الذين حاول كثير من المؤرخين الصاق نسبه بهم عنوة واعتسافا .

فمثلا يقول الاستاذ جاسم عبود في مقدمة كتابه « التطلع القومي عند المتنبي » يطلق الاهالي على الضريح الموجود ببلدة النعمانية في محافظة وسط « أبو سوره » ويعتقدون ان المدفون فيه هو « سيد أحمد المتنبي » ابن الامام موسى الكاظم ـ انتهى كلام الاستاذ جاسم عبود .. وهو ان دل على شيء فانما يدل على انه حدث خطأ في نسبة هذا الضريح الى « سيد احمد المتنبي » ابن الامام موسى الكاظم لتشابه اسمه مع ابي الطيب احمد المتنبي . شاعرنا .. ويدل أيضا على أن كلمة المتنبي التي نبذ بها أبو الطيب كانت تطلق على من يتحنف ويلتزم بمكارم الاخلاق .. وكان شاعرنا كذلك .. ويستطرد الاستاذ جاسم عبود فيروى أن الشيخ عبد الزهراء الصغير قد شافهه في ١٤ـ٣ـ٧٤ واذن له بتسجيل رأيه في المتنبي وابيـه كالاتي : واعتقادي بأن والد المتنبي هو نقيب العلويين بالكوفة .. وكان في ذلك الوقت هو الشاعر الحماني علي بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » ـ ديوان الحماني وانا أرجح ان علاقة المتنبي بكلمة النقيب جاءت من لقب المشطب الذي ذكره ابن ماكولا في كتابه الاكمال هكذا ـ الاشتر « النقيب » أبو الحسين محمد بن عبد الله العلوي المعروف بالمشطب . وان هذا الاشتر النقيب قيل انه أخو المتنبي بالرضاع ..

ويؤيد الاستاذ سعيد الملاح في كتـابه « المتنبي يسترد اباه » الرأي الذي يقول بانتساب المتنبي الى العلويين ويلحق بأب منهم كان اماما معصوما .

● انتسابه للعلويين ●

وقد حام هؤلاء المؤرخون حول الحقيقة لكنهم لم يصلوا اليها .. فقد نسبوه الى امام معصوم كما توحي بذلك اشعاره في الفخـر على ابي الحمدانيين وهو من تغلب من نزار من عدنان وليس هناك سبيل لفخر المتنبي هذا الا أن يكون له شرف يعلو على شرف الامير ولن يتيسر له ذلك الا بانتسابه الى امام معصوم .. ولم يكن امام هؤلاء الباحثين الا طريق واحد يوصله الى الائمة المعصـومين هو انتسابه الى العلويين .

لكن الامر كان له وجه اخر هو علاقة كنده بالامامة كما قال بذلك الشـهرستاني لذلك اصبح انتماء المتنبي الى كنده يساند الحقيقة ويدعم صلته بالامامة في نفس الوقت . وابن رشيق يقول في كتابه «العمدة» « ذلك أن ابا تمام والبحتري ينتميان الى طيء كابي الطيب وهي قبيلة عربية جنوبية وكانت تسيطر على ابي الطيب طول حياته فكرة تفوق العرب على بقية البشر ، وتفوق عرب الجنوب شرفا ونبلا على من سواهم وكان يعتقد كاكثر معاصريه ان العبقرية الشعرية وقف على اليمنيين » انتهى كلام ابن رشيق .

ولنعود الى حكاية ثاره فنقول ان هـذا الثار وقد مضى عليه اكثر من مائتي سنة وتحول فيه القتيل الى عظام نخرة ما كان ليبعث في شعر المتنبي مثل هذه الحرارة وهو يستغيث بقحطان .. ولابد ان هذا الثار قد تجـدد بحدث قريب اجج النيران المختبئة تحت الرماد ونكا الجراح القديمة .. هذا الحدث هو قتل ابيه ثم امه قهرا وحزنا .. أمه التي حرم ثديها وحنانها لوفاتها اسى على قتل زوجهـا تنفيذا لحكم شيوخ العلويين العتاة .. هاهم اعداؤه العلويون يعودون ليشـيروه مرة اخرى : فليمطلوا بعداوته طول العمر

وفي شرح الواحدي يقول المؤلف ان المتنبي عوقب في عدم مدح اهل البيت .

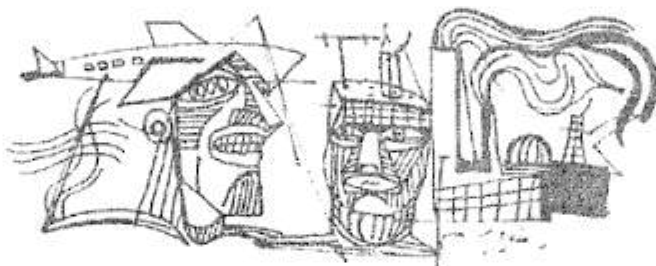
فانت ترى ياعزيزي القارىء ان مفتاح سر المتنبي جاء من ناحية انتماء ابيه الى امام معصوم .. ليس من العلويين كما تبادر الى ذهن كل الباحثين الذين تصدوا لجلاء نسبه من منطق جلال هذا النسب .. ولهم عذر في ذلك .. ولكنه من قبيلة كنده التي شرحت آنفا علاقاتها بالائمة المعصومين .. وهـذه المعلومة لم يتعرض لها باحث من قبل ..

إلى الصناعة

مهداة الى شقيقة البعير العربي من المحيط الى الخليج

للشاعر اللبناني : سليم الرافعي

هي الصناعة تحيينا .. هو الخلق
فلا تهينوا تراثا اهله سبقوا
عشنا من الدهر جيلا غير جيلهم
حتى ازدواج هما التقليد والنزق
يا ايها العرب الاحرار قد نبضت
لكم حياة وقد حياكم الفلق
يا ايها الوارثون الصيد ارثكم
هياكل الامس في اعطافها عبق
لستم ضفادع هذا العصر يجمعكم
مستنقع طحلبي العشب او نفق
ان الحياة بمصراعي حضارتها
لكم وللنشء والامال تاتلق
الحقد والفخر ما اشقاهما مثلا
لنهضة يعتريها الجهل والملق
غاليتم . . وتراخيتم .. بمجتمع
على ذراعيه محروم ومنسحق
ما الذات؟ ما الروح في جوع وفي ظما
ما النفس في مازق الاضغان ما الخلق؟



هى الصناعة فلاقوام تجمعهم
هى المداخن كالاعلام تنطلق
لكل عصر من التاريخ آلته
بها التفوق .. فالتاريخ مفترق
كانوا اذا خطبوا هزوا مشاعره
واليوم بالطائرات الصم قد نطقوا
بالمركبات الى بحر الفيوم مضوا
ما اروع النسر بالفولاذ يخترق !
عبء على الارض من يحيا بلا عمل
عار على الحقل جذع ما به ورق
الريح تجتاحهم .. ليست مؤامرة
تلك الرياح اذا دوى بها الافق
سر الصناعة ان الشعب مجتمع
على عطاء يعيه الجهد والعرق
فى كل جارحة مجد اذا عملت
فهو انتماء من الاعماق منبثق
هذا الدخان يغطى الشمس غيثكم
حقل خصيب لكم بالرزق يندفق
فالكون متضح بالعلم منفتح
والكون منبهم بالجهل منغلق
لا تحجب الشمس عن شعب مصانعه
ان الصناعة شمس ليس تنمحق

مصر
فى الشعر السودانى

بقلم : مصطفى عوض الله بشارة

لايزعم احد ، مهما اوتى من قدرة على استقراء التاريخ ، ان باستطاعته تحديد الفترة الزمنية او العوامل التاريخية التى نشأت من جرائها العروة الوثقى بين شعبى وادى النيل : مصر والسودان .

انها صلات ازلية حميمة نمت وشائجها وترعرعت اواصرها فى قلوب ابناء الوادى منذ بدء الخليقة ، اوجدها الخالق عزوجل ، ورعاها بعنايته وجعل النيل الخالد لهذين الشعبين الشقيقين مصدر خير وبركة ومنبع مجد وازدهار ، ودافع فكر والهام ونهضة ، ورقى ، واباء ... وكم من عدو غاصب .. اراد ان يفرض سلطانه وجبروته على اهل الوادى ، يفرق الشمل بين ابنائه فى شماله وجنوبه حتى ارتدت اليه سهامه مدحورة خاسئة ولم ينل من جراء اطماعه وطغيانه الا الذل والهوان ، ولاذ بالفرار خشية الموت والدمار .. انها عناية الله عزوجل وارادة ابناء الوادى القاهرة العاتية ، الجبارة ..



كامل الباقر

وربما انا ، بصـــدد الابانة عن بعض الجوانب الشعرية المتعلقة بذكر « مصر » الحبيبة الى القلوب، والتي عشقتها أفئدة الشعراء السودانيين تماما مثلما احترقت في مجامرها ، وفي آتون محبتها قلوب أشقائنا من شعراء مصر .. وهي كما نعلم ، قلب العروبة النابض ، وأرض النور والحضارة والازدهار و « ادخلوها بسلام آمنين » ..

وها هو ذا شاعرنا الكبير ، دكتـــور عبدالله الطيب يقول عن مصر ، في قصيدة له عن اللغة العربية ، كتبها عام ١٩٤٦م في ديوانه : « سقط الزند الجديد » الصادر عن دار التاليف والترجمة والنشر بجامعة الخرطوم ، عام ١٩٧٦ م :

سقى الحيا مصر انها وطن الـ
عـــلم ومجنى الاداب من كثب
والشيخ طه شيخ العـــروبة با
ني النقد في الشرق حجة الادب
وشيخ اسوان انه بطـــل
هزبر غاب متى يشأ يثب
والرافعي اللذ لوى ، فهمت
عليه هطالة من الهضب
ولو أعد الاسجاع ادركني
عن حصرها عدوك من التعب
متسع لجها ، وينبع منه
كل بحر بالعلم مصطخب
الشعر والنثر والرواية والاخبا
ر من موروث ومكتسب

وشاعرنا ، العالم ، دكتور كامل الباقر ، أنشأ قصيدة بعنوان « ياعيد » ونشرها في مجلة « السودان » الصـــادرة بتاريخ ١٩ يناير عام ١٩٤٥ ، وكان ذلك ابان اقامته بأرض الكنانة مصر ، وهو يتلقى العلم في ذلك الحين ، وجاء في قصيدته :

قومي ، وما في مصر الا فتيـــة
غر تمتهم للعلا احســـاب
قوم نزلنا أرضـــهم فاذا بهم
اخوان صدق خلص وصحاب
يسدون للضيف الجميل، فما
ذكرنا أننا في دارهم اغراب



النيـــل روانا ووحـــد بيننـــا
والدين والاخـــلاق والاداب

ومن قصيدة أخرى للدكتور كامل الباقر، كان قد ألقاها في محطة « مصر » بالقاهرة عند استقبال وفد السودان برئاسة الزعيم الراحل ، السيد اسماعيل الازهري ، وقد نشرت هذه القصيدة في ديوان الشـــاعر ، وفي مجلة « السودان » الصادرة بتاريخ ٧ ابريل عام ١٩٤٦ م ، واخترت منها الابيات التالية :

بني النيل ، أن النيل شعب موحد
فلا اللحت ايد تريد له فصما
تعـــالوا نوحدها جهـــودا فتيـــة
ولا نتخذ غير الكفـــاح لنا همـــا
فلم ار كالمستعمر الغمر غاصـــبا
ولم ار غرا مثله يعشق الهـــدما

والشاعر الكبير احمد محمدصالح ـ طيب الله ثراه ـ وحب مصر حبه ، وأحفاها من رفيع نظمه باقات أشعاره ، واصـــفا اياها بزعيمة الشرق ، ومنهل المجد التليد ، ومنبع الود والوفاء ، وفي قصيدته «يوم التحرير» التي ألقاها بنـــادي الجيش بالزمالك في يوليو سنة ١٩٥٣ م ، اخترت لكم الابيات التالية :

وزعيمة الشرق المفـــدى
في الجهاد وفي الجهـــود
هي موئل للمستجير
ومنهـــل عذب الورود
أمجادها منقوشـــة بالتبر
في ســـفر الخـــلود
وعلى جنوب النيـــل كم
فاضت أياديها بجـــود
جئنـــا وبين ضـــلوعنا
شوق العميد الى العميـــد
لنثيب مصر واهلهـــا
ودنا على الود الاكيـــد
يامصر سودي في الحياة
فان حقك أن تســـودي
زيدي على الايام عـــزا
فـــوق عزك لم تزيدي

مصر
في الشعر السوداني



مبارك المغربي

واستقبل العهد الجديد
بطالع اليمن السعيد ..

وشاعرنا المبدع الناصر قريب الله عبر عن عميق سعادته وعن مودته الصادقة وهو يستقبل بكل الحفاوة والترحيب وفد الكنانة الذي زار السودان في عام ١٩٣٦ م ، وغرد الشاعر « الناصر قريب الله » بأبيات من الشعر ، جاء فيها :

مرحبا بالنجوم تسعى الينا
في جلابيب من عفاف وطهر
وبها فاضت البلاد شعاعا
وبدت كلها مطالع فجر
يا شباب الكنانة اليوم عيد
عاد في حلتي سرور وبشر
عادنا والقلوب ملأى اشتياقا
لم يدع شوقها مكانا لصبر
لمساعيكم التي غمرتنا
لم تعادل لدى ثناء بشكر
جعلت حبنا الكنانة فرضا
شأن كف الندى بقلب الحر
وبمصر لنا قلوب القلعت
المحسونها بانحاء مصر
فاقمصوا السن التكلف انا
اخوة في الهناء وفي الضر
عصمة الدين وحدتنا ، وما عن
عصمة الدين وحدها من مفر

وأما شاعرنا ، الراحل المقيم ، مبارك المغربي ، فقد كتب قصيدة بعنوان « تحية بطل » أهداها الى اللواء محمد نجيب — طيب الله ثراه — وقد وصفه الشاعر بأنه منقذ مصر .. وكانت بمثابة التهنئة القلبية بمناسبة نجاح الثورة في عام ١٩٥٢ م ، قال « المغربي » :

اهديك من طيب الجنوب
تحية الوالي الخصيب
واسوق اعجابي بما احدثت
من نبأ عجيب
هز البلاد باسرها
وغدا احاديث الشعوب
لما طلعت على الطغاة
تذود عن شعب حبيب
لجوا الثبات مكملا
في وجهك السمح المهيب
لم ترهب الملك العتيد ،
ولم تخف دس الرييب
وخطوت خطوة ضيغم
حر تهيأ للوثوب
اقلت يا ابن النيل
شعب النيل من ذل معيب
وغمرت مصر واهلها
بالسعد من بعد الكروب

وأما شاعرنا المعروف مختار محمد مختار، لقد نظم قصيدة عصماء أسماها « مصر المجاهدة » قال فيها :

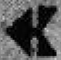
الا فاسلمي رغم النوائب يامصر
لك العز والمجد المؤثل والفخر
قصيرا ، فان الظلم ليل مجنج
سيسطع من الثناء فلماكه الفجر
سيكنسه يامصر عنك ضراغم
لقد حلفوا : اما الممات او النصر

ان النماذج الشعرية عديدة ، تلك التي عبر من خلالها الشعراء السودانيون عن حبهم الكبير لمصر الشقيقة ، فهي محبة — بحق — كامنة في اعماق قلوب ابناء الشعبين الشقيقين .

الهلال

الذكرى المئوية لميلاد مىّ زيادة

جزء خاص















● تمر بنا فى هذه الأيام الذكرى المئوية لميلاد الأديبة العربية الكبيرة "الآنسة مى" التى ملأت دنيا الأدب والأدباء المصريين والعرب فى العشرينيات والثلاثينيات ، وتمثلت فى أدبها الرفيع عبقرية كاتبة عربية عاشت بين فلسطين ولبنان ومصر ، وعمرت شهرتها الأدبية مابين المحيط والخليج . فكانت رسالة الى الشعوب العربية المغلوبة على امرها فى ذلك العصر ، وارهاصا بنهضة هذه الشعوب وانعتاقها المأمول . فإن نبوغ أديبة من طراز مى ، لايحدث الا فى امة ناهضة ، أو فى سبيلها الى النهوض ، وقد كان مستحيلا ظهور مى فى عصر المماليك العثمانيين ـ مثلا ـ لان النبوغ فى الأدب والفن لايتم بمعزل عن حالة المجتمع ، صعودا وهبوطا ، وقد كان ابن خلدون يقول قديما ان المغنى لاينبغ مع تدهور العمران ، وانحسار قوة المجتمع ، فكيف بالأديب ؟ ! .. وكيف بالأديبة التى يعتبر نبوغها أمرا عظيما حتى فى أعظم المجتمعات الناهضة ؟ ! .. ●

كانت مصر ، عندما استقرت بها "مي" في اوائل القرن العشرين ، تنهض من كبوتها بعد الثورة العرابية ، وكان فيها من الزعماء الوطنيين والأدباء والشعراء والمفكرين عدد لم يجتمع مثله في تاريخها كله قبل تلك الأيام ..

ولم ينقض العقد الأول من القرن العشرين حتى جاءت ثورة ١٩١٩ الوطنية في آخر العقد الثاني ، ثم اقبلت النهضة الاقتصادية في اعقابها ، فعاصرت مي اعظم الأسماء التي لمعت في العصر الممتد بين اوائل القرن العشرين واوائل الثلاثينيات ، وتضوأ اسمها بجوار اسماء احمد شوقي وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري ولطفي السيد وسلامة موسى وعباس العقاد ومصطفى صادق الرافعي وعشرات من أهل الادب والفن ..

وارتفعت قامة "مي" فوق قامات من عاصرنها من الأديبات . فلا يمكن ان نقارن بها اديبة او شاعرة اخرى .. ان أكبر الشاعرات قبل ظهور مي كانت عائشة التيمورية .. وبعد ظهور مي كانت باحثة البادية ونبوية موسى وأسماء اخرى قليلة خافتة من المنتسبات الى الأدب والفكر ، عاصرن "مي" ولكن اسمها لبث طوال حياتها ارفع الأسماء .

لقد كانت "مي" رمز نبوغ المرأة في عصر النهضة المصرية الذي كان طليعة النهضة العربية ، وساعدتها ظروف نشأتها الخاصة على أن تكون ايضا رمز تحرر المرأة العربية وانتصارها على قيود الأنثى المحجوبة بالأستار ، فالمرأة المصرية التي لم تكن حينئذاك تجرؤ على مجرد التفكير في الظهور على المسرح ـ مثلا ـ كانت لاتجرؤ ايضا على الظهور بين أهل الأدب والعلم والفكر .. وعندما اتيح لعائشة التيمورية ان تكتب شعرا ، كان ذلك من وراء الحجاب ، وكذلك باحثة البادية ، وحتى نبوية موسى التي خرجت الى الحياة العامة واشتغلت بالتدريس ثم صارت صاحبة مدارس "بنات الأشراف" كانت تعتصم بحجابها . بل ان النهضة النسائية التي قادتها هدى شعراوي ، كانت من وراء حجاب في بدايتها ، وكانت تهتف بمطالبها على استحياء .. وكانت المرأة المتعلمة بوجه عام "عثمانية" او "الا توركا" كما كانوا يسمون السيدات المحافظات في تلك الأيام ..

اما المرأة البرزة التي تختلط بالرجال ، او تتخفف من الحجاب ، فكانوا يسمونها "الا فرانكا" أو "متفرنجة" ..

ثم انقسم المجتمع النسائي المتعلم بين اغلبية "الا توركا" .. واقلية "الا فرانكا" ..

وقد نشأت "مي" في هذا المجتمع ، ومصر يومئذ لم تخرج بعد من رابطة الخلافة العثمانية مع وجود الاحتلال البريطاني ، وكانت مي القادمة من "الشام" هي الفتاة الوحيدة التي استطاعت أن تحرر فكرها وحياتها من طريقة الحياة السائدة في عصرها ، وأن تجمع في ثقة واناقة بين تحرر فتاة عصرية "الافرانكا" .. ومهابة فتاة وقور رزينة "الا توركا" .. فاجتمع حولها في صالونها الأدبي كبار مفكري وادباء عصرها ، وخفقت قلوبهم جميعا بحبها ، على تفاوت بينهم في درجة الخفقان ، ولكن هذا الحب ظل "شفويا" .. فإن تحول الى حب "تحريري" لم يتعد الرسائل المهذبة المتحفظة كما رأينا في رسائل العقاد ولطفي السيد وانطون الجميل وغيرهم ... اليها .. اما جنون الحب الذي كان في رسائل الرافعي وكتبه ، فهذه حالة نفسية خاصة ، لم تتعد الصفحات التي كتب فيها الرافعي الشاعر رسائله الغرامية التي لامثيل لها في الأدب العربي ، وحسب مي فضلا على الادب العربي انها كانت ملهمة الرافعي في هذا العمل الأدبي الفريد ..

لقد كانت "مي" إيماءة الى المستقبل ،

على كونها علامة بارزة ، وشارة مجسمة للعصر الذى عاشت فيه .. كان ظهورها فى صالون ادبى يؤمه الرجال وهى الفتاة الوحيدة بينهم ، ايماءة الى مستقبل المراة المصرية والعربية التى سوف يحررها التطور ، وكان ظهورها من العلامات الخاصة لعصرها ، لأن ذلك العصر كان يقصر ظهور المراة فى الاعمال الادبية والفنية على فتيات الشام المهاجرات الى مصر هربا من الطغيان العثمانى .. ولهذا لم يكن بروز مى فى صالونها الأدبى مستنكرا ، بل كان عند معاصريها تتمة لعمل المراة الشامية فى المسرح والغناء والفنون الأخرى ، فكانت المرأة الشامية المتمصرة طليعة للنهضة النسائية فى مصر وفى كل الأقطار العربية ، ومن هنا ظفرت "مى" بمكانتها "الخاصة فى الوطن العربى ، ومازالت مى الأديبة العربية الاولى هنا وهناك برغم ظهور عدد كبير من الاديبات بعدها على امتداد خمسين عاما .. ومازالت القيمة الفكرية لأدبها اعظم من كل ماجاء بعده من اداب النساء العربيات ، ومازال أسلوبها لغة وبيانا ارقى من كل اساليبهن .. بل ان "مى" كانت ومازالت ـ فى الحقيقة ـ اكبر كاتبة فى الأدب العربى كله .

لقد حالت النظم الاجتماعية القديمة دون ظهور اديبة عربية تؤلف وتكتب على غرار "مى" او على مستواها ، ثم جاءت دول المماليك والعثمانيين ، فانقطع الأدب العربى ، حتى جاءت نهضة الأمة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكان من ارهاصات تقدمها وتطورها ظهور كبار الشعراء الذين ردوا أساليب الشعر الى ذوق العرب ولسانهم ، بزعامة محمود سامى البارودى ، وظهور الكتاب الذين تركوا السجع والمحسنات الفارغة واشهرهم الشيخ محمد عبده .. وكانت عائشة التيمورية تمهيدا لظهور فتيات اكثر تطورا فى صناعة الادب ، ولم تلبث "مى" ان كانت اول الفتيات فى هذا المضمار ..

وهكذا كانت مى ـ اولا واخرا ـ رمزا للعصر العربى الذى ورث العصر العثمانى فى الأرض الممتدة بين المغرب والعراق ..

وبعد .. فإن اشهر مابقى فى ذاكرة بعض الناس من ذكريات "مى" انها كانت صاحبة صالون ادبى ، وقد افتتن بعض الفتيات والسيدات بفكرة الصالون الادبى فى عصرنا وخيل اليهن ان المجد الأدبى لايجىء الا من طريق هذا الصالون ..

ولكن ينبغى ان تتذكر هؤلاء الأخوات ان صالون مى كان رمزا لمرحلة فى تاريخ الادب والمجتمع ، وان محاولة بعثه الآن تشبه ان تكون محاولة لاعادة العقدين الاول والثانى من القرن العشرين الى الحياة فى العقد التاسع ..

لقد صارت الحياة كلها صالونا كبيرا لأدب المراة وأدب الرجل .. ولم يعد المجتمع منقسما الى "الاتوركا" و"الافرانكا" .. لقد انطوت مرحلة تاريخية كاملة منذ ذلك الزمن الى اليوم ، وانقضت الظروف الاجتماعية التى كانت مى رمزا لها ، ومضت مائة سنة على ميلاد "مى" وبضع واربعون سنة على وفاتها .. وخير تحية تقدمها اديبات عصرنا الى رائدتهن العظيمة مى ، هى أن يضفن جديدا الى ادبها ، وينشئن أعمالا عظيمة تقارن بأعمالها ..

وهذا هو "المعنى" الذى أراده "الهلال" من احتفاله بالذكرى المئوية لمى .. فإن "مى" التى صارت اعمالها الأدبية العظيمة نماذج كلاسيكية فى ادب المراة المصرية ، مازالت اقرب الى روح عصرنا الحاضر من كثيرات او قليلات يغمسن اقلامهن فى المداد الآن ، او يكتبن باقلام حبر جاف !..

● الهلال ●



مىّ زيادة
الخطيبة الأولى فى العالم العربي

بقلم: د. محمد رجب البيومي

● سيتحدثون عن مىّ، ويطيلون الحديث عن ندوتها الادبية التى تلألأت فى سمائها نجوم الأدب والفكر فى مصر. إذ كانت مىّ هى البدر المتألق بين النجوم، وما استطاعت هذا السطوع بين أعلام الأدب إلا لسموها الفكرى، ونظرها الموضوعى، وقيادة الحوار المتشعب إلى حيث لا يجد مجالاً للاصطدام، ولن تبلغ هذه المنزلة غير أديبة ممتازة تدسست إلى أهواء النفوس، فرصدت الخلجات الدفينة، واستنطقت الأحاسيس الصامتة، وشهدت مسار العواطف فى نبضاتها البعيدة طىّ العروق، وبهذه القدرة الفائقة صارت مىّ خطيبة الشرق الأولى، لأن أول خصائص الخطيب المحلق، أن يعرف أهواء سامعيه، وأن يضرب على أوتار قلوبهم بما تتحرك له المشاعر النائمة فتهب من رقدتها على صوت النذير، هكذا كانت تقف مىّ الشابة الصغيرة فى المحفل الجهير ●

وقد تقدمها اعلام النثر والشعر من الكهول الوعاة ، فتنسى من تقدم ، ويُسدل الستار على من تأخر ، ويخرج المستمعون ليتحدثوا عن ميّ وحدها الم تكن ميّ بدعاً في جمالها الجسمي ، حتى يقال ان أريج حواء قد عطر الأفق بعبيرها فقد رأينا من تماثل ميّ في جمال الصورة ، ثم تتحدث في الجمع ، أو تكتب في الصحيفة ، أو تؤلف الكتاب فلا تجد معشار ماتبلغه خطبة واحدة من خطب ميّ ، لأن شعاع الحسن الذى تلألأ في عينيها ، وطافت هالته الوضيئة بمحياها الأسمر الشفيف ، قد ماثل شعاعاً ثالثاً في روحها المتألقة ذات الشفافية الرقافة ، وشعاعاً ثالثاً في عقلها المكتمل الذى يتعمق المعضلة المظلمة تعمقاً يحاصرها بالضوء الكاسح حتى تنجلي بينةً ساطعة ، وبهذه المواهب المجتمعة كانت ميّ ساحرة البيان في عصر يزدحم بأمراء البيان ، ولو كان المجال خالياً لقلنا إنها وحدها كانت فارسة الحلبة ، فكسبت الرهان ، ولكن الحلبة صاخبة ، والفرسان متزاحمون

● شهادة صريحة ●

وقد يتعاظم أبناء هذا الجيل بأنفر من هذه الحقيقة ، فيظنون أن المبالغة قد عرفت سبيلها إلى هذا القلم ، ولكنى أستشهد بسواى ، وإذا كان المستشهد به هو الدكتور طه حسين ، فقد بطل الظن ، لأن الناقد الكبير لا يغلو في الثناء ، وقد عرفناه شديد المحاسبة في مجال النقد ، فلاذا أفصح عن كل ماتريده في وضوح ساطع وإذا جاء هذا الإفصاح بعد رحيل ميّ بعشر سنوات ، حين بدأ يكتب الجزء الثالث من الأيام في مقالات نشرت بمجلة آخر ساعة قبل أن تجمع في كتاب ، إذا أفصح الدكتور طه حسين عن تأثير ميّ الخطابي بما لا بيان بعده ، فكل مايقال عن تفردها الأدبي وسموها الخطابي حق صريح .

أخذت ميّ تنشر مقالاتها الرقيقة في صحيفة والدها ، لتترك صدى محدودا في نفوس القارئين ، ولكن مناسبة جهيرة فسحت لها الطريق إلى الذيوع الرنان ، حين قامت الدولة بتكريم الشاعر الكبير خليل مطران في حفل رسمي تحت رعاية الخديوى عباس ، إذ رأس الحفل شقيق الخديوى نيابة عنه ، وحضر العلية من الوزراء ورجال الأدب والصحافة والقضاء ، وفريق من وجهاء الشام وشعرائه ، وقد بعث الكاتب المهجرى جبران خليل جبران بكلمة كان من حظه الباسم أن تلقيها الآنسة ميّ ، وأن تضيف إليها تعليقاً خاصاً بها ، يحمل تقديرها لمطران ، وللثاني مرة بعد موقف باحثة البادية في المؤتمر الرسمي بمصر ، يرى الجمهور فتاة نابغة تنطق الفصحى في روعة خالبة ، وتؤدى حق الإلقاء إيماء وإثارة ، وخفوتاً وجهرا ، وتمهلا وإسراعا وفق مقتضيات السياق ، مع صباحة الوجه وموسيقى الصوت ، ورشاقة القامة ، فإذا انتهت كلمة جبران ، ومضت في إلقاء كلمتها فقد بادهت السامعين بنموذج من التصوير الأدبي الفاتن كاد أن يحمل حديث جبران ! وقد وقف طه حسين إزائه موقف الحائر الداهش ، وإنه ليصدق التعبير عن نفسه حين يقول :

كان شقيق الخديوى الأمير محمد علي رئيسا للاحتفال ، وقد أتيح للفتى - أى طه حسين - شهود ذلك الحفل ، وفيه سمع كثيراً من الشعر ، وكثيرا من الخطب ، فلم يحفل بشيء مما سمع ، لم يعجبه حافظ في ذلك المقام ، ولم تعجبه قصيدة مطران .. لم يرض الفتى عن شيء مما سمع ، إلا صوتا واحدا ، سمعه فاضطرب اضطرابا شديدا ، وأرق له ليلته تلك ، كان الصوت نحيلا ضئيلا ، وكان عذبا رائعا ، وكان لا يبلغ السمع حتى ينفذ في خفة إلى القلب فيفعل



الذكرى المئوية لميلاد مىّ زيادة

به الأفاعيل ، ولم يفهم الفتى من حديث ذلك الصوت العذب شيئا ، شغله الصوت عما كان يحمل من الحديث ، كان صوت الآنسة مى التى تتحدث إلى جمهور من الناس للمرة الأولى ، ولم يستطع الفتى حين أصبح من ليلته أن يمتنع عن السعى إلى مدير الجريدة ـ أحمد لطفى السيد ـ وقد جلس إليه ، فقال له ، وسمع منه ، ثم لايزال يدور بحديثه حتى انتهى إلى حفل مطران ، وحتى انتهى إلى ذكر الفتاة التى تحدثت فيه ، والتى لم يسمع الفتى عنها قبل يومه ذاك ، وقد سأله مدير الجريدة عما قالت الفتاة ، فلم يحسن ردا ، وإنما لجلج القول ، وأثنى الأستاذ على مىّ ، وأنبأ الفتى بأنه سيقدمها إليه فى وقت ، وابتهج الفتى بهذا الوعد ، وإن لم يعرب عن ابتهاجه ، وظل يرقب العربة ، ولكن الأستاذ نسيه واستحيا الفتى أن يذكره ، فحمل نفسه على المكروه ، وأعرض عن ذكر مىّ .

● من كلمة مىّ فى مطران ●

تتحدث مىّ فى محافلها الأدبية بلغة الشاعر المصور ، وهذا موضع الإبداع فى حديثها ، إذ ألف الجمهور أن تكون الخطبة تقريرية تلجأ إلى الإقناع بذكر الحقائق مع توشية بلاغية للفكرة تحيل بنا إلى الاستمتاع مع الإقناع ، أما أن يكون الخطيب شاعرا عالى السبْح ، بعيد الخيال ، رنان الموسيقى ، فتلك مأثرة انفردت بها مىّ لعهدها ، وعرفها الأدباء عنها ، فهم يترقبونها فى المحافل شاعرة دون قافية وبحر ، وهى تعرف مجال التأثير فى نفوس أحبت الخطبة الشاعرة ، وكرهت القصيدة الخطيبة ، وقد صدق طه حسين حين قال إنه لم يفهم عنها ، لأن طرافة منحاها قد فاجأه بما لم يكن يتوقع ! كان يتوقع أن تتحدث مىّ الخطيبة عن مجالى السبق فى شعر مطران ، تعبيرا وتصويرا وفكرة ولكنها علقت على كلمة جبران ، وهى أيضا من منحى مىّ ، تعليق الناقد المصور ، قائلة إن حديثه التصويرى مازال يرن على أبواب فؤادها ، منبها فى أعماقه قوة اكتفت بالإصغاء أولا ثم بالهمس ثانيا ثم بالترنم ثالثا ثم استحالت إلى صوت إنسى ينقل إلى عالم السمع سرائر التأثيرات الوجدانية .

إن النبوغ شعلة إلهية تضىء الظلمات ، غير أن تلك القوة السامية تذبل وتجف ، وتموت أن لم تجد التأييد ، وينعشها أرباب البلاد ، تنطفىء إن لم تلق نسيم استحسان تتغذى من عنصره السرى ، وتنمو بجوهره النارى فإذا لم تتح لتلك الشعلة قوة ذاتية تغذيها وتنميها إلى حين فهى لا تلبث حتى تحرق نفسها بنفسها محلقة ـ لهيبها بدموعها ، مبيدة حياتها بيأسها ، وكانت الشعوب هى الخاسرة .

أيها الشاعر العذب ، كم من ليلة غادرت العالم الحسى لأطير معك إلى تلك العوالم البعيدة ، المملوءة نورا وطربا ، كم ليلة قضيتها منحنية على كلومك الشعرية أرقب دماء أحزانك السائلة أنغاما ، واستنشق رائحة دموعك ، وأحلل ألوان أشجانك ، ولأشجانك ألوان بديعة ساحرة ، كألوان الشروق والغروب ، ولدموعك أريج عطر مسكر كأرواح الزنبق والفل والياسمين .

لقد فاجأت ميّ سامعيها بهذا الشعر المنثور سنة ١٩١٣ فرنّ وتر جديد لا يشابه أوتار الخطباء ، ومازال وترها يرن في نمطه المنفرد رنينا مشجيا دفع الشاعر الكبير أحمد محرم أن يقول عنه متسائلا

من أى جنس أنت ياطير الربى
إن الطيور كثيرة الأجناس ؟
دنيا من الآداب لم تر مثلها
دنيا أمية أو بنى العباس

● خصائص خطابية ●

رفرفت روح الخطابة التصويرية فى أكثر إنتاج ميّ ، رفرفت فى المقالة الأدبية ، والمقالة النقدية ، بل ظهرت فى بعض مانشرت بالهلال والمقتطف من أقاصيص ، لأن الشجرة الفارعة البالغة التى أسقطت هذه الثمار نبتت فى أرض واحدة ، وسقيت بماء واحد ، وأنا حين أقرأ مقالاتها الأدبية أتصور أنها كانت تكتبها بصوت مسموع ، وكانت تعيد قراءة السطر بعد السطر ، كما يعيد الشاعر بيته ساعة النظم لتجعل من أذنها الموسيقية ميزانا دقيق الإيقاع ، وهكذا جاء بيان ميّ ، عذب التلوين ، شجى الإيقاع ، هذا إلى توهج انفعاله البارز أحيانا ، والمستتر حينا آخر بحيث لا يغيب عن وعى القارىء الفاحص ، مهما تكدس الرماد فوق اللهيب .

لقد تحدث مؤرخو ميّ عن أسلوبها الخطابى ، وهو أسلوب تندرج تحته المحاضرات التى ألقتها فى شتى الأندية إذ أن الذاتية دائما تطغو على الموضوعية فى أكثر ما تتعرض له من بحوث ، وقد تستنكر ذلك من نظير البحث الموضوعى حجارة يرصف بعضها فوق بعض حتى ينهض بناء يتصف بالمتانة ، وإن بعدت عنه معانى الجمال ، ولئن جاز ذلك فى البحوث الخاصة بالعلوم البحتة ، إذ أن الدراسات الأنسانية تخبر كاتبها الحساس على أن يفصح عن ذات نفسه ، بحيث ينبع الكثير من آرائه متدفقا من تأمله الوجدانى ، ومسايرا تأمله العقلى ، ومن هنا ينفرد الباحث بلون لا يتماثل ، وهو فى هذا المجال باحث فنان ، وكذلك كانت ميّ ، أجل لقد تحدث مؤرخو ميّ عن أسلوبها الخطابى فأعطوه قسطه من الإيضاح ، فالدكتور منصور فهمى يقول عن ميّ :

« لا أعدو الحق إذا قلت إنها كانت خطيبة ومحاضرة من أرقى طراز ، ولعل أسبابا اصطلحت على تفوقها فى ذلك الميدان ، فقد كان لها فى عذوبة صوتها ، وحسن أدائها ، وحلاوة إلقائها ، ووسامتها وحسن سماتها معين على ذلك ، وكانت تميزها حين تقف للخطابة فى حفل ، أو للمحاضرة فى جمع ، ثقة فى نفسها ، واعتداد بشخصيتها ، فما عرفت أنها تهيبت منبرا ، أو خشيت موقفا ، أو غشيتها سحابة من جبن ، أو جللتها غمامة من خوف ، بل كانت دائما الواثقة بنفسها » .

وقد نقلت الأديبة الباحثة وداد سكاكينى كلام الدكتور منصور فهمى وزادت فقالت : على أن أستاذنا المرحوم الدكتور منصور لم يذكر من أسباب تفوقها براعتها فى اختيار الموضوع الموافق لوعى المستمعين لها ، ولا ثقافتها الواسعة التى يحتويها موضوعها ، لقد كانت ميّ فى خطابها تعرف كيف تتكلم ، وكيف تنتهى من كلامها ، فلا يمل سامعها ، بل يتطلب فى سره المزيد ، أما صوتها الرخيم المنغوم ، وفى لهجتها المصرية العذبة ، فكان ذا سحر يجتذب الأسماع والقلوب ، وكم من خطيب أو محاضر ، أوتى خصائص الفكر والكلام ، ولكنه إذا تصدى للخطابة أو المحاضرة ، تسلل الحذر إلى الأذهان ، ودب الضجر فى النفوس .



ولعل الشاعر الكبير خليل مطران كان اسدّ بيانا وادق تحديدا حين قال عن أسلوب ميّ .

أين ذاك الصوت الذى يملك الأسما
غ فى كل موقف تقفينا ؟
فهواناً يبث بثاً رقيقاً
يملأ النفس رحمة وحنينا
وهواناً يثور ثورة حر
عاصفاً عصفة تدك الحصونا
بكلام حوى الطريفين تنغيما
كما يستحب او تلوينا
قدرته لفظاً ولحظاً وإيماءً
بما ودت المنى ان يكونا !

وكيف ننسى قول العقاد :

اين فى المحفل ميّ ياصحاب
عودتنا هاهنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب
مستجيب حين يدعى مستجاب

● الموضوعات المطروقة ●

يضطر الكاتب فى احيان ما ان يتحدث فى موضوع كتب فيه من قبل ، وليس لديه الجديد بشانه ، فيعمد إلى بعض التكرار ، وقد لا يستطيع الاعتذار لظروف تلجئه إلى الحديث ، بل قد يكون الأمر من الصعوبة بالغا حده حين يكون قارئه غير مختلف ، او يكون الموضوع نفسه مما لا يتحمل الترداد ، لوضوح اغراضه، وشيوع معانيه ، وهذا أمر معهود نلمسه وفى كل حين ، وهو فى الوقت نفسه موضع البراعة لدى قلم متجدد ، تنفسح الآفاق امامه ليتراءى إلى أوج جديد ، وقد قدر للآنسة ميّ ان تخطب فى الجمعيات الخيرية لتتحدث فى موضوع واحد هو الإحسان ! ولا اظن حديثا كررته الألسنة ، ولاكته الاقلام كهذا الموضوع ، والخطيب المسئول يقع فى حرج ، حين يطالع سامعيه فى احتفال عام بكلام ساقه من قبل ، ولكن الآنسة ميّ قد استطاعت ان تجعل من هذا الموضوع المنبرى رافدا جديدا للنظر ، فلها خطب كثيرة سبقت هذا المساق ، إذ كانت تسرع لإجابة الداعي دون تلبث ، إذ ان جماعات البر فى طنطا والقاهرة وسوريا اهابت بها ان تتكلم بل ان بعض هذه الجماعات اهابت بها ان تكرر الكلام فى مناسبات متتالية ، وهنا يرى السامع عجبا اى عجب ، فى استحداث الطريف الرائع فى موضوع تليد !

فهى فى خطبة أولى ترى الرحمة بالضعيف مجال التقدير الخلقى ، ومناط الارتقاء النفسى ، وترد فى قوة على من يقولون إن الاشياء العظيمة تنحدر من الأعالى، لأن فى هذا القول تملقا للكبار ، وازدراء للصغار .

فهناك اشياء رائعة اتية من الاعماق لا من القمم ، وهل من محيط ادنى مستوى واعمق قرارا من البحر ، والبحر مستودع اللآلىء والعجائب ، وهو مرضع الينابيع والانهار ثم هو ينبوع تمتص منه الشمس وما تعقده فى الجو غيوما ، لتهطله على الأرض بركة وخيرا .

فبنت الفاقه ، وبنت الالم لن تكونا ضعيفتين لانهما فى اسفل المحيط ، بل هما البحر الإنسانى وفى اعماقهما المجهولة

	
مصطفى عبد الرازق	أحمد حسن الزيات

كثير من الكنوز ، ولابد أن نرعاهما ، ولئن ضاعت دموع كثيرة تسكبها الإنسانية فى الظلام تحت لواحظ الكواكب الصامتة فلن تضيع دموع عرفتها نفوس خيرة فهبت للإنقاذ .

وهى فى خطبة ثانية تدعو إلى ترابط الاقلية مع الأكثرية ، فلابد لذوى الثراء ان يفيضوا بخيرهم على الضعفاء ، ثم تلجا الى التصوير البارع فتتساءل :

ماهو النهر ايها السادة ، لن يكون النهر نهرا إذا انبثق من مصدره ، وانصب فى البحر دفعة واحدة ، إنما يتفجر ينبوع النهر من أعالى الجبال ، فيهرول مقهقها على الصخور ، ويتدفق وسط الشواجن الخضراء ، ويجرى فى الصحارى لتعود رياضا وجنات ! يرضع الأشجار بتخلغله فى صدر الأرض الملتهب، ويغذى الاثمار بالنمير العذب ، وكلما وزع من مياهه زاد اتساعاً وحركة وهديرا ، فيتابع السير الى مداه فى عطاءٍ وكرم ، حتى إذا جلب النفع للكائنات وملأ الديار خيرا وجمالا ، رأى البحر منبسطا لاحتضانه فشهق شهقة الرضى ، وانصب فى صدر البحر مهللا مكبرا ، كذلك عاطفة الأخوة لا تكون حقيقية إلا إذا خرجت من حيز القول إلى العمل ، تنفجر عذوبتها على الذرى ، وتجرى نهرا كريما بين طبقات المجتمع ، ترفع المسكين من بؤس الفاقة وتنشر ضياء الرجاء لعيون اظلمتها احداث الليالى ، فكم من درة فى أعماق البحر لم تسر بها النواظر ، كم من زهرة سطعت فى القفر فضاع عبيرها جزافا فى الخلاء » .

وهي في خطبة ثالثة تدعو إلى الأخذ بيد الضعيف فتقول فى لهفة :

« لقد مرت ملايين الأعوام ، وألوف الدهور ، والطبيعة صماء ، لاتلين لصراخ الضعفاء ، وزفير المتوجعين ونبضات قلبها الكبير لا تضرب إلا على وفق نبضات القلوب المنتصرة ، وكان أصواتها الكثيرة ، تهتف للصاعد فى سلم الغلبة ، وتشجعه فيدوس اعناق المندحرين متخذا من جماجمهم تراقى يصل بها إلى القمة المنشودة ، هذا هو ناموس تنازع البقاء ، ناموس جائر إلا انه قاهر ، الا سكبت عليك البركات ياقلوبا سمت بكرمها ، فادركت ان فوق نظام الظلم نظام الرحمة ، واسبغت عليك النعم ، يأيدى الشفقة والإحسان ، لأنك تكونين الحلقة الإنسانية الذهبية المتعالية على جور الطبيعة ، طموحا الى عظمة الألوهية ! » هذه شذرات من خطب ثلاث فى موضوع واحد !! شذرات تنبع من عاطفة ثرة لا ينضب لها معين ، بل يظل ينبوعها يجيش ويتدفق ويهدر ، لانه يفيض من قلب نبيل ! ينبوع له صفاء البدر ، ونفاسة اللؤلؤ ، ودفء الشمس ، ونفح العبير .

● الشفق الغارب ●

واعنى بالشفق الغارب آخر محاضرة القتها ميّ فى جمع حاشد من أعيان لبنان بالجامعة الأمريكية هناك ، بعد أن مضت محنتها الدامية متهمة بالجنون ، وبعد أن



شربت المرّ من كاس القريب ، وجفاء الصديق ، وحياد الزميل ، وإن شنيعا كل الشناعة ان ترمى بالجنون قدما متوحشا من قطاع الطريق ، وهو عاقل واع ، فكيف ترمى به إنسانة شاعرة بلغت ارق ما تبلغه النسمة العاطرة من لطف شفاف ، لقد كان من نكبات العبقرية ان تحتجز مىّ فى مستشفى العصفورية وهى متقدة الشعور قوية الإحساس ، متيقظة التفكير ، تفطن إلى مدب الزر فوق حذائها ، فكيف لا تفدحها الكارثة المزعومة وقد الصقت بعقلها المنير .

لقد شاءت ان تثبت للملا فداحة ما اتهمت به فالقت محاضرة عن رسالة الاديب فى الحياة العربية ، واتسع لها المجال قرابة ساعتين لتتحدث فى قوة دافعة ، ومقدرة ساطية عن رسالة الادب فى الحياة وعن ذخائر التوراة والانجيل والقران من نفائس الافكار ، فرسالة الاديب فى رأى المحاضرة النابغة تعلمنا ان الحضارة الميكانيكية ادوات نستعبدها ونستخدمها ، وانه لا يكفى ان نضغط على الزر الكهربائى لننال سحرى النتائج ، ولا يكفى أن نمتطى الطائرة لنبلغ ابعد الآماد فى ساعات ، لان الحضارة الآلية التى الفناها تحتاج إلى رسالة ادبية تدعمها تستند إلى الشعور الحى والوجدان المتيقظ ، وترعى تراث الادباء ، باحثين عن الكمال ، نازعين إلى الحس الادبى ، والجمال الروحى مناجين المتطور وغير المتطور لنجعل من حياتنا المتناثرة حياة متناسقة متماسكة ! .

● خاطرة من مصطفى عبد الرازق ●

ظهرت مجلة السفور الادبية اثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان محمد حسين هيكل ومنصور فهمى وطه حسين ومصطفى عبد الرازق واحمد حسن الزيات وعبد الحميد حمدى من صفوة كتابها ، وقد تحدثت عنها حينئذ الآنسة مىّ فقالت : اما السفور فجريدة حرية بكل اهتمام ، ينشر فيها مقالاتٍ شائعة كاتبان هما خيرة كتابنا ومن ادقهم فكرا واعمقهم نفسا .

قالت ذلك مىّ ، فدفعت الاستاذ مصطفى عبد الرازق إلى ان يقول : كل من له صلة بالسفور قد اغتبط بشهادة الآنسة الفاضلة ، ولكن الذى تنازعوا فيه هو تلك الزهرات التى نثرتها يد الآنسة على راسى كاتبين لم تعنيهما .

لقد خفت ان تقع الشحناء بين محررى السفور فياخذ بعضهم بخناق بعض تسابقا الى ذلك الفضل العظيم ، فضل الثناء من آنسة مجلة المحروسة .

إن الثناء من الانسة جدير ان يرسل الخيلاء إلى اشد الناس تواضعا ، واكثرهم ورعا ، وجدير بان يتدافع إليه بالراح من لا يتزاحمون على جزاء من الناس ! .

تلك خاطرة صادقة تبرز قيمة مىّ لدى اعلام الفكر فى الادب المعاصر ، كما ابرز رحيلها العاجل حسرة اليمة لدى من يعرفون معدنها الأصيل .

● عصر السرعة ■

● خلال تناول طعام الغداء ذات يوم شكوت لمدير المستخدمين في شركتنا لان الطابق الذي اعمل فيه ليس به فتيات جميلات . وبعد ظهر نفس اليوم جاءتني فتاة ساحرة الجمال وهي تحمل مظروفا كتب عليه «عاجل جدا» وفي الداخل وجدت رسالة فيها هذه الكلمات «مارايك فيها ؟».

● بقية الكلام ●

● كان الزوج يقود السيارة ولما وصل الى تقاطع الطريق خفف السرعة . وسأل زوجته أن تنظر الى جهة اليمين لترى ان كانت هناك سيارات قادمة من تلك الجهة فالتفتت الزوجة ، وقالت : كلا .. وسكتت قليلا .

وانطلق الزوج بسيارته فاذا بالزوجه تكمل جوابها : ولكن توجد سيارة شحن واحدة

● أجرة سفر ●

● دخل رجل مطعما وطلب دجاجة - فسأله الجرسون هل تريد دجاجة بلدية ام مستوردة فسأل الزبون : وما هو الفرق ؟ فاجاب الجرسون : الدجاجة المستوردة تكلف مائة قرش اكثر فرد الزبون : اريد دجاجة بلدية .. لماذا ادفع سفر الدجاجة الاخرى الى بلادنا .

● ميزة ●

● أشتهر احد السقاة في احد مطاعم ميلووكي باعجاب زبائنه من الجنس اللطيف في امسيات الصيف الحارة .. ففي الوقت الذي يجلسن فيه لارتشاف المشروبات المرطبة للتغلب على الحر يقوم هو بتبريد احذيتهن داخل ثلاجته .

● رابطة ●

● يحكى الفنان الشعبي جاسبر جونز انه عندما اقام معرضه الاول في ولاية ساوث كارولينا «مسقط رأسه» .. سمع سيدة تقول بصوت مسموع :

- هذه لوحة جميلة حقا .

وهنا التفتت السيدة التي إلى جوارها وقالت :

- وهل انت أيضا من اقاربه ؟!



ميّ أديبة العصر

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

أكتوبر الشهر الحزين ، شهر الدموع والألم في التاسع منه فقدنا كامل كيلاني ، وفي الرابع عشر منه فقدنا أمير الشعراء احمد شوقي ، وفي التاسع عشر منه فقدنا أديبة العصر مي زيادة ، على اختلاف الاعوام بين هذه الاحداث في حياتنا الادبية .

وقرأت نعي مي في الاهرام ، الذي اصدرت عددا خاصا بها يوم وفاتها وذلك في عدد ٢٠ اكتوبر ١٩٤١ ، ثم اصدرت في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤١ عددا خاصا عنها في ذكرى الاربعين ، والحرب العالمية الثانية مشتعلة الاوار ..

ولا انسى حدثا آخر ، حدثا مؤثرا ، كان بعد ذلك بسنوات ، ففي خان الخليلي جلست الى مكتبة لاشتري منها بعض الكتب فوجدت بمكتبة مي ، او بما بقي منها من كتب المكتبة مع اشياء اخرى من تحف مي ، فبكيت ، لان حياة الادباء رخيصة في مجتمعنا وذخائرهم التي كان يجب ان يضمها متحف تصير الى ... موزعا في كل مكان .

وكاما ذهبت الى ندوتنا في رابطة الادب الحديث في مساء كل ثلاثاء اتذكر مي زيادة وندوتها الاسبوعية

التي كانت تعقد مساء كل ثلاثاء ايضا وكانت صالونا ادبيا رفيعا ، يجتمع فيه اعلام الفكر والادب في مصر ، من امثال : اسماعيل صبرى ، واحمد لطفى السيد ، وانطون الجميل ،وداود بركات ، وخليل مطران ، وطه حسين، وولى الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعى ، وسواهم ، وقد استمر هذا الصالون الادبى ، الذى خلف صالون الاميرة نازلى ، منذ اوائل الحرب العالمية الاولى حتى اواخر عام ١٩٢٦

وكانت مى بنت لبنان ، قد شهدت فجر حياتها فى الناصرة بفلسطين ، حيث كان والدها زيادة مدرسا فى احدى مدارسها ، وكانت والدتها فلسطينية من بيت مشهور فى الناصرة وولدت له مريم أو مارى او مى حيث هو مقيم هناك .

وفى مدرسة عنطورة بلبنان اخذت مى تتذوق الادب ، وتنظم الشعر بالفرنسية ، حتى اجتمع لها منه جزء سمته « ازهار الحلم » ونشرته بامضاء « ايزيس كوبيا » سنة ١٩١١ فى مصر بعد هجرتها مع والدها الى الى ارض النيل ، وكانت تكتبه فصولا فى جريدة يصدرها والدها فى القاهرة باسم « المحروسة » .

وفى مصر اقبلت على الادب العربى وترجمت من الفرنسية الى العربية رواية « رجوع الموجة » بأسلوب بليغ ثم ترجمت رواية « هجرة الفرنسيين الى امريكا » وطبعتها بعنوان « الحب فى العذاب » ، وعن الالمانية ترجمت رواية « غرام المانى » وطبعتها بعنوان « ابتسامات ودموع » .

وعرفت مى فى الوسط الادبى فى القاهرة ، وفى عام ١٩١٤ عقدت صالونها الادبى ، وكان احمد لطفى السيد من رواده ، ونصحها احمد لطفى السيد بتلاوة القرآن الكريم لتقتبس من فصاحة اسلوبه وبلاغته

واثناء الحرب العالمية الاولى انتسبت الى الجامعة المصرية القديمة، وبعد وفاة باحثة البادية ملك حفنى ناصف اصدرت عنها كتابا بعنوان « باحثة البادية » عام ١٩٢٠ ، وكانت وفاة اخوتها ثم والدها عام ١٩٢٩ ثم والدتها بعد ذلك بسنوات ذات صدى عميق فى نفسها ، وبعد صدور الرسالة صارت من كبار كتابها .

وانتهى الامر بهذه العبقرية الرائدة الى مستشفى الامراض العقلية فى العصفورية بلبنان عام ١٩٣٦ الى ان القت بها الايام ثانية فى مصر عام

الانسة مى زيادة
فى العشرين من عمرها



الذكرى المئوية لميلاد مي زيادة



١٩٢٩ ، وفي التاسع عشر من اكتوبر عام ١٩٤١ ودعت مي الحيساة الى الابد ، وبكاها الادباء والشعراء بكاء مريرا .

كانت مي اديبة موهوبة حقا ، وكانت مقالاتها الجميلة دررا تحلى صدر الصحف والمجلات ، وكان الادباء يعدون لقاءها حظا عظيما من حظوظ حياتهم .

وكانت مي حقا صاحبة موهبة ادبية عالية ، وشخصية انسانية رفيعة

● مي وجبران ●

كان جبران خليل جبران قبل وفاته عام ١٩٣١ بزمن طويل يراسلها من نيويورك ، وكانت رسائله اليها مملوءة بالشجن والحب العنيف .

في عام ١٩١٢ ارسل جبران اليها كتابه « الاجنحة المتكسرة » وقرأته ثم كتبت اليه تناقشه في فكرة « الخيانة الزوجية » التي حبذها جبران في روايته ، وتوالت الرسائل والكتب بينهما ، ولما صدر كتاب « المواكب » لجبران عام ١٩١٩ واهداه اليها كتبت عنه ناقدة .

وكتب جبران اليها عام ١٩٢٠ يقول من رسالة له : ماذا أقول عن قلب يضعه الله بين سراجين ، ماذا اقول عن هذا الرجل ؟ لا أدري ولكني اسألك : هل تريدين ان يبقى غريبا عنك ؟ لست وحدك ، نحن اثنان ، انا اعرف من انت .

وفي رسالة اخرى منه لها يقول فيها : متى يا ترى تتفتح الابواب الدهرية ، هل تعلمين ؟ هل تعلمين متى تتفتح الابواب الدهرية ؟

وعرض جبران عليها ان تسافر اليه في نيويورك ليتزوجا ولكن كيف تترك ابويها الشيخين وتذهب الى نيويورك وعرضت عليه الحضور للقاهرة ولكن جبران مات وماتت احلامه الوردية معه ، وانتهت قصة حب عنيفة اشتعل في قلبيهما فترة طويلة من الزمان ..

● مي واحمد لطفي السيد ●

وتعرف احمد لطفي السيد بـ « مي » في لبنان اثناء اصطيافه فيها عام ١٩١١ ، وكان واسطة التعارف خليل سركيس صديقه ، ثم اهدته مي في القاهرة كتابها « ابتسامات ودموع » ثم اخذيقرأ لها يومياتها في « المحروسة » بعنوان « يوميات فتاة » وبتوجيه لطفي السيد لها الى بلاغة الاسلوب والى القرآن الكريم ، اخذ اسلوبها يتطور يوما بعد يوم الى ان يصبح قريبا من اساليب كبار الادباء .

وملأ حب هذه الفتاة قلب أحمد لطفي السيد ، وبخاصة ما بين عامي ١٩١١ و ١٩٢١ .

وكتب اليها من الاسكندرية رسالة عام ١٩١٣ يقول فيها : انني اذكرك دائما كلما هبت نسمات البحر ، وكلما تجلى علينا البدر .. »

فردت عليه ، ثم كتب لها رسالة ثانية يقول فيها : يسرني ان اظل اكتب لك ، طول وقتي ، فلا تنفد مادة انت ينبوعها العذب .

وكتب لها رسالة في ١٦ نوفمبر ١٩١٣ من برتين بلدته يقول : مازال طيفك يسري معي وكلانا تغمره اشعة القمر الباهتة .

ولولي الدين يكن كذلك مع مي قصة

حب تبدو لنا في رسائله العديدة اليها. ففي رسالة له اليها يقول فيها : سيدتي ملكة الالهام • عندي قبلة هي اجمل زهرة في ربيع الامل اضعها تحت قدميك ، ان تقبليها تزيدي كرما ، وان ترديها فللصبر اذن الاستقلال •

مي والرافعي

وكتب مصطفى صادق الرافعي في حبه العذري لمي معظم رسائل « احزان الورد »

وكتب اليها في ٧ يوليو ١٩٢٣رسالة جاء فيها : لم اتطفل على احد قبلك ، ولن اتطفل عليك مرتين ، نقول الشمس والقمر والنجوم ، فاذا انت تريدين ان نراك من مرصد فلكي ••

وكتب اليها ابياتا في مناسبة عزيزة عليها يقول فيها :

يعز علينا ان تكوني بموسم
ولا نلتقي فيه سلاما ولا ردا
فان كان هذا الغصن انبت شوكه
فما ذاك الا انه انبت الوردا

مي وانطوان الجميل

ولانطون الجميل صلات مع مي واية صلات ؟

في جريدة المحروسة لوالد مي التقى الجميل بمي ، وقرأ لها « يوميات فتاة »التي كانت تكتبها فيها واشتعل قلبه حبا لهذه الفتاة الجميلة الموهوبة « ماري زيادة » وبعث لها برسائل كثيرة سجلت هذا الحب الذى دام طويلا ، كتب لها في ١٢ يونيو ١٩٢٦ يقول :

يلذ لي ان اخاطبك ـ يا مي باسمك مجردا من الوصف واللقب ، لان كل وصف قليل اذا ما قيس بصفاتك

وكتب اليها من الاسكندرية رسالة يقول منها : بلغت البحر مازودتني له من سلام وتحيات حارة •• استودعك الله ـ يا حبيبي ـ على امل لقائك بخير •

وامين الريحاني هو الاخر له قصة حب مع مي وكان من اصدقائها المعجبين المحبين

اهدته كتابيها : « اشعة وظلال » و « الصحائف » ، عام ١٩٢٤ فبعث اليها برسالة طويلة جاء منها :

اشكر الله انك صديقتي فتذكرينني مع من تذكرين •

والتقى الريحاني بمي عام ١٩٣٨ على اثر خروجها من مستشفى « العصفورية » ، حيث استضافها في داره قبل عودتها الى القاهرة ، وقبل عودته هو الى نيويورك فكتب بعد ذلك لها يقول : صديقتي الغالية : وتختفي الرواق الشرقي لبيتي فان ذلك البيت لا يعرف غير طيف واحد في حياته كلها، هو الطيف الذى اشرقت فيه شمس مي، وتورت فيه ازاهر مي ، وعدت فيه الى الاشجار ثمار انب مي

مي والعقاد

والعقاد الخالد له هو كذلك مع مي قصص لا تنسى ، ورسائل كثيرة تعبق بعطر الحب وشذاه ••

في عام ١٩٢٥ كانت مي في زيارة لالمانيا وايطاليا فكتبت اليه رسالة من روما رد عليها برسالة يقول فيها :

ال روما لكمو مني الولاء
وثناء عاطر بعد ثناء

في حماكم كعبة ترمقها
مهج منا واثاق ظماء

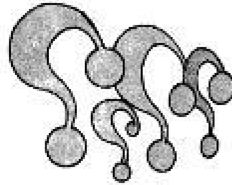
ارقب البدر اذا الليل سجا
فلنا فيه على البعد لقاء •

وفي مي كتب قصيدة يقول فيها :
ولد الحب لنا عاش الوليد •
وحماه الله من كيد الحسود •

وكتب فيها قصيدة اخرى عنوانها موت الحب بداها بقوله :
ولد الحب لنا ، والرحناه
وقضى في مهده ، واسفاه ••



هل يفسد العقل الأنوثة



بقلم: د. نوال السعداوي

شاءت تكتب . وكان هذا غريبا في عصرها .
فالمرأة كانت للاحساس وليس للتفكير .
وكانت جميلة . وهذا أيضا غريب .
فالجميلة لا تمسك القلم .
لا تشوه شفتيها .
وكانت أيضا ذكية . وهذا هو الأغرب .
فالعقل يفسد الأنوثة .
وهي كما تبدو لهم أنثى .
وكل ثلاثاء يتوافدون إليها .
ويحدث الجدل والنقاش .
كان غرامها الجدل .
وكان غرامهم المرأة بغير جدل .
الفم المطبق بغير جدل .



عيون أنها وبياض الحور بغير جدل .
لم يستطع واحد منهم أن يراها كما رأت نفسها .
وقتل الجميع في حبها .
لم تكن مصرية حسب قانون الجنسية .
أمها من فلسطين وأبوها من لبنان .
لكنها تجاوزت القانون والأرض والمكان .
وأحبت مصر . وماتت ودفنت في مصر .
رأت الوطن في عقلها قبل أن تطأه بقدميها .
الوطن عندها كان الإنسان وأي مكان .
حيث الحب وحيث العقل .
كانت سابقة لزمانها . وكانوا سجناء عصرهم .
لا يرون الوطن إلا مسقط رأس .
أو قطعة أرض كالمرأة تمتلك .
كانت في العشرين من عمرها . وكانوا كهولا تحت القبة
لكن شبابها كان أشبع من كهولتهم .
أرادت أن تكون كما هي
وأرادوها مثل كل نساء عصرها .
وظلت تدافع عن كيانها كعقل .
فاتهموها بفقدان العقل .
ووضعوها في مستشفى كالسجون .
فقاومت وأضربت عن الأكل
ولم تضرب عن الكتابة .
وماتت في شبابها وحيدة بلا أهل .
وملايين النساء ماتت يحرقهن الأمل
لأننا فكرة ولا نذكرهن .
أليس هذا عزاء لها ؟
ولكل امرأة تفكر مثلها ؟



الذكرى
المئوية
لميلاد
مىّ
زيادة

بقلم : أحمد حسين الطماوى

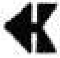
غرام مىّ وجبران .. بين الحقيقة والخيال



جبران خليل جبران



مى زيادة



تواترت الكتابات فى حب مى لجبران خليل جبران ، وعشق جبران لمى . وكاد يقسم الكتاب على صحه هذا الغرام ، وأثره البعيدة فى نفس كل منهما ، حتى ان بعض الاحداث التى جرت فى حياة الاثنين تم تفسيرها فى ضوء هذه العلاقة الغرامية ، فقيل ان من بين اسباب ازمة مى النفسية موت جبران عام ١٩٣١ .

وقد شغلت قصة الحب هذه عددا كبيرا من الكتاب لدرجة اننا نجد كتبا بكاملها لاتتعدى هذا الموضوع ولا تغير الحديث فيه الى سواه مثل كتاب « مى وجبران لجميل جبر واهم ما استند اليه الادباء فى هذا تلك الرسائل المتبادلة بين الاثنين وما تخللهـا من تعبيرات رقيقة وكلمات ناعمة حالمة . ولايداخلنا شك فى صحة المراسلات بين الصديقين ولا فى مادتهـا او اسلوبها الشفيف المعبر عن اشواق كل منهما للاخر .

ولكن هل كان هذا الحب عميقا شديدا فى القلـوب على نحو ما جاء فى الرسائل وفى وصـف الكتـاب والمترجمين لمى وجبران ؟ او ان الامر صار قصـة غرامية تستريح الاذن فيها على اسلوب انيق خيـالى وعبارة موسيقية لطيفة الايقاع . وكلمات حـافلة بالشوق والحنين ، تستسلم النفس فيها حزنا على هذين العشيقين الذى مات كل منهمـا دون ان يقضى وطره من الاخر ؟

ان هذه القصة يجب ان تثار من جديد ، ونحكم فيها العقل قبل الهوى ، ونتساءل : الم يكن فى حياة جبران غير « مى » تؤنسه بصورتها فى وحدته ، ويقول لها فى أحلامه ما لم يستطع أن يقوله لها فى رسائله ؟ وهل لم يكن فى خيال « مى » وواقعها غير جبران الذى لم تره الا فى الصور من خلال ما يسطره ؟ ان الاجابة على هذين السؤالين قد تفيد من يستهدف الحقيقة . وينشد الصدق دون مبالغة أو غلواء .

وقبل الاجابة والايغال فى القضية نتساءل أيضا : ماذا يقول أى انسان بغض النظر عن كونه من رجـال الفكر ـ فى رجل يبعث برسائل العشق الحارقة ، وكلمات الغرام اللاهبة لعدة فتيات أو سيدات ؟ وماذا يقال فى انثى تفعل نفس الشىء بالنسبة للرجال ؟

اتكون كل هذه الرسائل صادقة ؟

أتكون كل هذه الخطابات عبارة عن شقشـقة كلامية ومهارة أسلوبية ، وبخـاصة من أناس يجيدون هـذه الصنعة ؟



واقع الامر أن فى حياة جبران الذى اقام فى امريكا اكثر من امرأة حبر لها الرسائل الغرامية وصرح لها بالحب من خلال كلمات لا تقبل اللبس . وفى حياة « مى » التى اقامت فى القاهرة اكثر من رجل سهرت الليالى من أجله تدبج له خطابات طافحة بالعشق ، وتظهر عاطفة أنضجتها نيران الشوق.

● غراميات جبران ●

لقد تحدثت الكتب التى ترجمت لجبران بعد وفاته عن علاقات نسائية فى باريس وبوسطن ونيويورك . وكان من بين هؤلاء النسوة اللائى عرفهن سيدة تدعى « مارى هاسكل » ، لقد رآها فى بوسطن وتعلق بها وتعلقت به . وأرسلته الى باريس على نفقتها ليصقل موهبته الفنية فى مجال الرسم والتصوير . وهى السيدة التى شجعته على الكتابة باللغة الانجليزية ، وكانت تراجع له ما يخطه بالانجليزية قبل أن يدفع به الى المطبعة كما تقول بعض الروايات . وقد اعترف جبران بجميلها فكان يهديها بعض كتبه ومقالاته العربية (قبل أن يتحول الى الانجليزية) التى كان ينشرها ، فرفع الى M.E.H (أى مارى ... هاسكل) مقالته « رجوع الى الحبيب » ومقالة « ايها الفن » (١) ولم نعرف أن جبران أهدى كتابا أو مقالة الى « مى » طيلة معرفته بها .

وكانت هذه السيدة الامريكية تروق لجبران « جماليا وجسديا وحسيا » ، ويورد طنى زكا فى كتابه « بين نعيمة وجبران » نصا من كتاب « أضواء جديدة » يوضح لنا فيه مدى اعجاب جبران بجسد مارى هاسكل يقول : « فى خريف ١٩١٤ يحادث (أى جبران) مارى عن الاجساد الجميلة ويقول لها ان جسدها مناسب التقاطيع بشكل جميل ، وأن النسب فيها بديعة جدا ، ويقول لها أن بنيانها خارق لأنها خارقة جدا من ناحية جسدية . ونراه فى سنة ١٩٢٢ يأخذ عليها امنيتها بأن يكون ردفاها أصغر حجما مما هما فعلا ، ويقول لها ان ردفيها لهما بالحجم الصحيح تماما . وأن عليها أن تكون شكورة عليهما ، وانهما متناسبة التركيب فى جسدها كله بدون استثناء » انتهى النص كما ورد فى المصدر المشار اليه .

وكانت مى على صلة بجبران عن طريق الرسائل منذ ١٩١٢ وحتى موته. ترى هل احل جبران «ميا» فى قلبه بعد ان سحره قوام مارى هاسكل الفاتن ؟ وهل كانت « مى » قادرة برسائلها الانشائية أن تفك عن جبران الاجساد العارية المتعانقة .

بل نتساءل : أكان جبران يتذكر « ميا » ، وهو مستو على مكتبه يسطر رسائل الحب لمارى هاسكل حينما كان يكتب لها : « اقبل يدك بجفنى يا ام قلبى العزيزة » وحينما يقول لها ايضا : « والان دعينى أصرخ بكل ما فى حنجرتى من صوت أنى احبك » .

ولم تكن مارى الامريكية أقل اعجابا بالحبيب الفنان كانت تقول له : « يا أعز تجليات الله يا معلمى » بل كانت تحدثه بكلمات فيها جنس

وعبودية فى وقت واحد • تقول : « آه يا رمانتى ، ويا زهرة الرمان ، أنت حريتى ، وربى الذى يفهم كل شيء » (٢)

ونوع العلاقة بين جبران ومارى هاسكل واضح من وصفه لجسدها لكيف رآه ، ومن كلامها عن حريتها معه ، نأية حرية يمكن ان تتخيلها بين رجل وامرأة • ترى كيف يطالع القارىء كلمات جبران ، وكيف يتمثلها ، وبماذا يحكم على عواطفه الخفاقة ؟

وهذا غير ما قيل فى علاقة جبران بميشيلين الفرنسية ، وهيلدا اليهودية كما وردت فى كتاب « سبعون » لميخائيل نعيمة •

وأثناء علاقات جبران بهؤلاء الغربيات الشقراوات كان على صلة بمى زيادة ، يبعث لها بالرسائل المفعمة بالهوى على نحو ما نقرأ فى كتاب « الشعلة الزرقاء » لسلمى الحفار الكزبرى ، ورسائل جبران لمى التى قام بجمعها جميل جبر • فمع من تكون عواطف جبران ، أتكون مع ميشيلين أم مارى هاسكل أم هيلدا أم « مى » •

طاهر الطناحى



وهذا ما أمكن الكشف عنه ، والله أعلم بما حجبته الايام ، وطوته الليالى فيما طوت من أخبار وأسرار •

غراميات مى

أما « مى » فلم تكن أقل من جبران فى هذا المجال •

فقد كان صالونها الادبى يجمعها بالرجال حيث تتحدث اليهم فى شئون الادب ، وتعزف لهم الموسيقى ، وتقوم بالغناء وكان من جراء ذلك أن تعلق بها معظم الذين ترددوا عليها وافصحوا لها عن غرامهم بالتلميح او التصريح فى رسائلهم وأشعارهم • وكانت تبدو سعيدة بتنافس كل هؤلاء الافذاذ عليها • وكم سمعزوار صالونها الشعار ولى الدين يكن فيها وهى تلقيه جهرا عليهم (٣) ولا تجد حرجا فى ذلك لان ولى الدين يكن رجل مريض أنهك الربو قواه ، وكان يكبرها سنا ، ولكنها كانت تخفى اشعار العقاد فيها مثلا • لان العقاد شاب فى ذلك الوقت، ودونها فى السن ، وقد تحوم حولهما الشبهات • انها تعرف ماذا تظهر وماذا تخبىء •

كانت « مى » معشوقة من قبل الجميع على وجه التقريب • أما هى فقد كانت تخص بعضهم بعلاقات خاصة. ولها رسائل غرامية تكشف شيئا من هذا الجانب فى حياتها •

وقد أورد الاستاذ محمد عبد الغنى حسن (٤) رسالة غرامية بعثت بها الى مصطفى صادق الرافعى •

وتقول فيها :

« أتذكر اذ التقينا وليس بيننا شابكة ، فجلسنا مع الجالسين لم نقل شيئا فى أساليب الحديث • غير أننا قلنا ما شئنا بالاسلوب الخاص باثنين فيما بين قلبيهما •

وشعرنا أول اللقاء بما لا يكون مثله الا فى التلاقى بعد فراق طويل



كان في كلينا قلبا ينتظر قلبا من زمن بعيد • ولم تكد العين تكتمل بالعين حتى أخذت كلتاهما أسلحتها ، وأثبت اللقاء بشذوذه انه لقاء حب » وقلت لي بعينيك : أنا ••• وقلت لك بعيني : أنا ••• وتكاشفنا بأن تكاتمنا •

« وتعارفنا بأحزاننا كأن كلينا شكوى تهم أن تفيض بيثها ،

مكتبة مي . والمكتب التى كتبت عليه روائع الادب النسائى العربى الحديث



وجدتني صحتك الفكرية النبيلة التي تضيء الحزن في نفس من يراها •• فاذا هو اعجاب •• فاذا هو اكبار •• فاذا هو الحب ••

. وعودت عيني من تلك الساعة كيف تنظران اليك ؟ وجعلت اراك تشعر بما حولك شعورا مضاعفا كأن فيه زيادة لم تزد •• وكان الجو جو قلبينا •

« وتكاشفنا مرة ثانية بأن تكاتمنا مرة ثانية » •

● مي والرافعي ●

وقد علق الاستاذ محمد عبد الغنى حسن على هذه الرسالة قائلا : «لعل في هذه الرسالة ابلغ رد على من ينكرون تبادل الحب بين مي والرافعي ماذا يمكن أن تقوله امرأة في التصريح بالحب من جانبها اكثر من هذا » انتهى •

ان « ميا » لا تبالي وهي تودع رسالتها أسرار قلبها ، وتكتم الحب باللسان ، لتكشفه بالعيون • وهو وما يتناسب مع رجل أصم مثل الرافعي • وفي مثل هذه الاحوال يغني التلذذ بالنظر عن الاستمتاع بالحديث ومثل هذا الكلام يفعل بالقلوب، مالا يفعله اى شيء اخر حتى السحر بل ان كل عاشق يتمنى لو تصله رسالة لفرط بلاغتها ، وقوة دلالتها •

وقد تناقض القول في حب الرافعي ومي • فمن الادباء من أقره ، ومنهم من انكره ، حتى هذه الرسالة تشكك السيدة وداد السكاكيني في نسبتها الى « مي » في دراستها عنها •

واذا كانت علاقة مي بالرافعي فيها بعض الشكوك ، فان علاقة مي بالعقاد ليس فيها ما يدعو الى عدم التصديق لكثرة الاحداث وتنوعها ، ووفرة الشواهد والمواقف فيها •

فمما رواه الاستاذ طاهر الطناحي

عن علاقة العقاد بمى والتأكيد عليها بالادلة والوثائق ، فقد أثبت فى كتابه « أطياف من حياة مى » رسالة بعثت بها أديبتنا الى العقاد من برلين فى ٣٠ من اغسطس سنة ١٩٢٥ تقول له فيها ردا على قصيدة بعث بها اليها :

« ٠٠ اننى لا استطيع ان أصف لك شعورى حين قرأت هذه القصيدة وحسبى ان اقول لك ان ما تشعر به نحوى هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها اليك وأنت فى بلدتك التاريخية اسوان ٠

« بل اننى خشيت ان افاتحك بشعورى نحوك منذ زمن بعيد ـ منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة المحروسة ٠ ان الحياء منعنى ٠ وقد ظننت أن اختلاطى بالزملاء يثير حمية الغضب عندك ٠ والان عرفت شعورك وعرفت لماذا لا تميل الى جبران خليل جبران »(٥) ٠

وتكاد تتنصل من علاقتها بجبران أو تقلل من عمق هذه العلاقة فتقول :

« ٠٠ لا تحسب أننى اتهمك بالغيرة من جبران فانه فى نيويورك لم يرنى ولعله لن يرانى ، كما انى لم أره الا فى تلك الصور التى تنشرها الصحف ٠

« ساعود قريبا الى مصر وستضمنا زيارات وجلسات أقضى فيها لك بما تدخره نفسى ، ويضمه وجدانى ٠ فعندى اشياء كثيرة سأقولها لك فى خلوة من خلسات مصر الجديدة ٠٠٠٠ »

واذا كان تاريخ هذه الرسالة هو عام ١٩٢٥ فان شعورها الذاتى نحو العقاد يرجع الى زمن سابق على نحو ما تصرح به فى أول رسالتها الا أن الحياء منعها من مكاشفته بوقوعها فى شباك غرامه . وهذا يعنى أنها بدأت تتعلق بالعقاد بعد معرفتها بجبران ومع ذلك استمرت رسائل الغرام بينهما وبين جبران وبينها وبين العقاد ٠

ولم يعد العقاد يذهب الى « مى » يوم الثلاثاء بل كان تلقاه معها يوم الاحد من كل اسبوع ٠ ويذهبان فى بعض الاحيان الى كنيسة الظاهر حين تعلن عن أفلام الفانوس السحرى وفى هذه الاثناء التى كانت « مى » هائمة فيها مع العقاد فى صحراء مصر الجديدة ، وكنيسة الظاهر ، وجلسات يوم الاحد ٠ كانت تبعث الى جبران بالرسائل العاطفية ، ففى يناير ١٩٢٤ تقول لجبران « ولتحمل اليك رقعتى انى أخاف الحب » ، وفى يناير ١٩٢٥ تقول لجبران « ولتحمل اليك رقعتى هذه عواطفى فتخفض من كآبتك ان كنت كئيبا ، وتواسيك ان كنت فى حاجة الى المؤاساة » ٠

واستمرت بعد هذا التاريخ فى صحبة العقاد تستشفى باشواقه المتدفقة فى اشعاره ، وفى نفس الوقت لا تتوقف عن مراسلة جبران الذى كان بدوره لا يمل النظر الى جسد مارى هاسكل وينداته الحارق ٠

اين ذلك التوحد فى الحب والوفاء للحبيب ؟ يقول ابن حزم : « واول مراتب الوفاء ان يفى الانسان لمن يفى له ، وهذا فرض لازم ، وحق واجب على المحب والمحبوب لا يحول عنه الا خبيث المحتد لاخلاق له ولا خير عنده » والانسة مى لا تلعب مع الحبيب الدور الاوحد منساقة فى ذلك بمشاعرها مدفوعة بارادتها ، مستجيبة لطبيعتها ، وانما تخاطب هذا وتخالط ذاك مستندة فى ذلك الى أن هذا لا يعرف من أمر ذاك شيئا ، وهل هذا هو الحب حتى فى أدنى معانيه ؟ او انه من جنى الادب وفيض القريحة ، ومجاز الشعراء والكتاب ٠

وواضح من رسائل مى وجبران ان كلا منهما يهوى الآخر على مهل و [illegible]



احدهما برسالة وينتظر من الاخر الرد عليها ، وكان الحالة بينهما تمثلية غاربة ، وتقوم بدور الفضفضة عما ران على نفسيهما من آلام الحياة وأوجاعها ·

أما « الوله » وهي أشد حالات الحب ، حيث يذهب صواب المحب ، فاغلب الظن لم تكن بينهما ، والا كان اندفع احدهما الى الآخر دون حساب للتقاليد او اعراف ، فالعاشق عندما يجمح به العشق لا يتبين الغي من الرشد ، ولا يميز بين الغلط والصح ، والحب ليس كلاما جميلا ، وانما هو قدرات نفسية تدفع قدرات نفسية لتفعل معها ، وقوة روحية تؤازر قوة روحية لتتعانق معها في وحدة واحدة ، وانفعالات جسدية تحرك انفعالات جسدية وتتلاقى الابدان في رباط مقدس لا تنفصم عراه ·

وما جرى بين مي وجبران لم يتجاوز حد الكلام والسلام والشوق والوئام دون أن يحاول أي منهما أن يطوي المسافات التي تفصل بينهما ·

وهل كانت « مي » تعتقد في قرارة نفسها أن جبران يحبها حقا ؟ لقد دعته الى لقائها في أوربا فلم يستجب ، وارسلت اليه ليزور مصر فلم يلب النداء · ألم تقرأ كلام جبران عن الحب في كتاب النبي :

« فلتكن هناك فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض في حياتكم المشتركة، ولتدعوا رياح السموات تتراقص فيما بينكم ·· أجل فليحب أحدكم الآخر · ولكن لا تقيدوا الحب بالقيود · بل ليكن الحب بحرا متموجا بين شواطىء نفوسكم » ·

فالحب عنده ليس اتحادا أو فناء كل حبيب في الآخر ، وانما الحب يحيا بعيدا عن التضام · وأية فتاة في الشرق تقبل الحب من خلال هذا المفهوم·

والخلاصة أن جبران لم يكن له واحدة فقط هي « مي » مثلا يعشقها ويهيم بها ·

و « مي » لم تنفرد بواحد فقط هو « جبران » مثلا تحبه وتتوق اليه ·

وان تقرير شيء في هذه القضية ـ والحالة هذه ـ فيه صعوبة ، والاحرى ان نتساءل عمن كان أرفع منزلة في عيني كل منهما بدلا من حسم الكلام والقول بأن « جبران ومي » كان كل منهم يذوب حبا في هوى الآخر ·

هوامش

(١) انظر مجلة الزهور لانطون الجميل ·
(٢) انظر كتاب « بين نعيمة وجبران » اطفى فركا · مكتبة المعارف بيروت ·
(٣) انظر كتاب « مي زيادة في حياتها وآثارها » لوداد سكاكيني ·
(٤) انظر كتاب « مي أديبة الشرق والعروبة » لمحمد عبد الغني حسن ·
(٥) انتقد العقاد قصيدة المواكب لجبران في جريدة الاهالي « لعبد القادر حمزة » ثم ضمن النقد في كتابه « الفصول » ·



المصادر الأجنبية لأدب مىّ

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

● تتيح حياة مى ونشاطها الأدبى جوانب عديدة لمن يهوى البحث، ويرغب فى الدرس، ويتحمل معاناته وأهواله ●

ثمة جانب لايقل أهمية فى حياة مى، وأعنى به المصادر الأجنبية لأدب مىّ وثقافتها، ماذا عرفت من لغات، وإلى أى حد اجادتها، وأين يتجلى ذلك فى كتاباتها، وفى هذا الجانب ـ ولاأعرف أحدا عرض له من قبل ـ أحاول أن أسهم بشىء يجىء خطوة أولى على الطريق.

● ● ●

● نبوغ مبكر ●

كان أول لقاء لمىّ مع اللغات الأجنبية فى سن مبكرة جدا، ولانعرف متى بدأت تتعلم الفرنسية، ولكنها تذكر لنا أنها قرأت للمرة الأولى وهى فى العاشرة من عمرها قصة «أبرص بلدة أروستا» باللغة الفرنسية، بقلم كزافييه دى ميستر، وأعجبت بها، واستمرت فى دراستها لها حتى أدخلها أبواها، وهى فى الثالثة عشرة من عمرها، داخليا مدرسة راهبات الزيارة فى عين طورة فى لبنان، حيث قضت أربع سنوات، ١٨٩٩ ـ ١٩٠٣ـ، وانتقلت بعدها إلى مدرسة الراهبات اللعازريات فى بيروت، وأمضت بها عاما واحدا عادت بعده إلى الناصرة فى فلسطين حيث يقيم أبواها.

ولايحتاج المرء إلى جهد كبير ليدرك أن لغة

المصادر الأجنبية لأدب مي

التعليم في كلتا المدرستين كانت الفرنسية لجميع المواد ، ماعدا العربية بالطبع ، وان التلاميذ كانوا يدرسون إلى جوارها شيئا من اللاتينية ، ثم الإيطالية أو الإسبانية ، أو هما معا . فقد كانت سوريا إذ ذاك منطقة نفوذ فرنسية في المجال الثقافي ، وكانت مدارس الإرساليات الكاثوليكية ، وتدين بالولاء المباشر للفاتيكان في روما ، تعنى بلغات كبريات البلاد الكاثوليكية في أوربا . فرنسا وإيطاليا وإسبانيا على الترتيب .

ويضم كتاب « سوانح فتاة » لمىّ ونشرته عام ١٩٢٢ ، مجموعة من المقالات نشرتها في صحف مختلفة ، ومن بينها مقالة بعنوان « عائدة تتذكر » . وعائدة هو الاسم المستعار الذي كانت توقع به مقالاتها أحيانا ، وهي عن ذكرياتها تلميذة في مدرسة راهبات الزيارة ، ونعرف منه أنها كانت تحب الجرى واللعب والضحك ، ولكنها وحيدة الروح ، كثيرا ماتنزح إلى أطراف الساحة ، تنظر إلى البحر البعيد ، وتتأمل زرقته الفيحاء ، واستدارة الأفق المخيم عليها تتمتع بجمال الطبيعة ، وتحس نحوها بالهيبة والجلال .

وانها كانت تحسن ركوب الخيل على حداثة سنها ، وقطعت على ظهر الجواد سهولا وجبالا ، بين الأشجار ، وعلى الصخور ، وحول القمم .

وأن صداقة حارة تكونت بينها وبين إحدى الراهبات على مرور الأيام ، ذكاها غزارة العاطفة وحدة الذكاء عند كليهما ، وكانت هذه الراهبة وحيدة بين لداتها وحدة عائدة بين التلميذات .

وانها كانت تعمل في المدرسة مرغمة ، تحت مراقبة راهبة لاتحبها ، تجهل أساليب التعليم ، وكل فضائلها أنها ابنة مارشال فرنسي ، وكانت « عائدة » توجه إليها كل كلمة حواها كتاب الصلاة في هجو الشيطان واحتقاره .

وفي الدير ، خلال أعياد الميلاد ، ترحل الفتيات إلى أهاليهن ماعداها ، فتقضى وقتها في غرفة الموسيقى المنفردة ، في أطراف الحديقة ، تخيم عليها الأشجار ذات الغصون العارية ، تعزف على البيانو .

غير انها لم تقدم لنا ولالمحة واحدة عما درست أو قرأت ، أو أحبت أو كرهت ، من مواد تعليمها .

وفي عام ١٩٠٥ عادت إلى الناصرة ، وخطبت لابن عمها ، وتكشفت عن شغف بالعلم لاحد له ، وبدأت تنظم أشعارا باللغة الفرنسية .

وبعد ذلك بعامين ، في ١٩٠٧ ، تنزح الأسرة إلى مصر ، وكانت في تلك الفترة الباكرة من يقظة العالم العربي مهبط المفكرين ، وموئل المناضلين ، وملاذ المضطهدين والخائفين ، وغاية الذين ضاقت بهم في بلادهم سبل العيش والحياة .

وفي القاهرة بدأت ميّ تدرس اللغة الفرنسية لبعض بنات العائلات ، إذ كانت لغة الطبقة العالية ، والاقبال عليها بينهم كبير ، رغم الاحتلال البريطاني الجاثم على العقول والقلوب ، لأن المزاج المصرى ، فيما يرى يحيى حقى ، كان في ذلك العهد لايحس بالغربة إذا اتصل بفرنسا ، كما يحس بها إذا اتصل بإنجلترا ، وهو أثر من تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر الأبيض المتوسط ، وساعد عليه أن بعض كتاب فرنسا لعبوا أدوارا سياسية في حياة بلادهم ، وأصبح اسمهم رمزا للحركات التحررية ، فذاع صيتهم في مصر ، مثل فيكتور هيجو ، وترجم له حافظ إبراهيم البؤساء ، أما المنفلوطي فلم ينقل إلا عن الأدب الفرنسي .

يتجلى تمكنها من اللغة الفرنسية وأدبها في باكورة إنتاجها ، إذ كان ديوانها الأول « زهرات

حلم . « FLeurs De rève » باللغة الفرنسية . وصدر في القاهرة عام ١٩١١ . وهى فى الخامسة والعشرين من عمرها . وكان بتوقيع إيزيس كوبيا . وإيزيس الهة الخصب والأمومة عند المصريين القدماء . وكوبيا كلمة لاتينية تعنى الغزارة والوفرة .

تغلب على ديوان . زهرات حلم . نزعة رومانسية حادة . تتجلى فى الشغف بالطبيعة ، وسيطرة الكآبة والحزن على قصائده . وصوّرت فيه انطباعها عن الطبيعة والحياة ، والكون واسراره . بما يتلاءم ومشاعر فتاة يافعة . فى بساطة متناهية . وسذاجة حلوة .

يتجلى تاثر مىّ واضحا فى ديوانها باثنين من كبار شعراء الرومانسية الفرنسية . أولهما لامرتين (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩) . وكان ذا طبيعة مثالية . رقيقة ونبيلة . صلب العود . رجلا بمعنى الكلمة . بعيدا عن العواطف المتدنية . وامضى حياته من اجل الجمال والخير . وله من دواوين الشعر « التأملات » و « الأنغام » و« جوسلان » . ويتميز إبداعه بالضبابية والغموض . وهما صفتان يتيحان للانفعالات ان تعبر عن نفسها فى حرية اكثر . واهدت مىّ ديوانها إليه . وفيما بعد سوف تقوم مثله برحلة إلى إيطاليا . وسوف تؤخذ بما أُخذ به . من روعة الضياء . وسحر المياه المتدفقة . ووشوشة النوافير فى الميادين . وسوف تكتب مقالها : « نشيد إلى ينابيع روما » . وتنشره فى مجلة الهلال [جـ ٣٤ . أول يناير ١٩٢٦] .

وكان الثانى الفرد موسيه (١٨١٠ ـ ١٨٥٧) وكان متقد الذكاء . خياليا ساحرا ، سار فى الاتجاه الرومانسى لفترة قصيرة ، ثم فجع فى غرامه . فأخذ يكتب أشعارا حزينة رائعة . وكان القانون الوحيد الذى يلتزمه فى إبداعه أن يخلص لمشاعره . ومن ثم فهو يزدرى الصنعة فى الفن مهما كانت عالية . وعاش طفلا مدلّلا قبل أن يكابد الم العشق الذى جعله اكثر رزانة . دون أن يغير من طبعه . ومرهف الحس محبا لنفسه . وعلى استعداد للحب . وشديد النهم ان يكون محبوبا . متقلبا فى هواه . شديد الحماسة . يطيب له ان يتمتع بالحياة . ولايرتوى من الملذّات قط .

أما الآخران فهما اللورد بايرون (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤) وشيلى (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) . وهما من اعلام الرومانسية الانجليزية . واتصور ان تاثرها بهما فى هذه المرحلة من حياتها . كان عن طريق قراءة أشعارهما مترجمة إلى الفرنسية . إذ لااتصور أن دراستها للغة الانجليزية بعد وصولها إلى مصر كانت كافية . لضيق الوقت . أن تتعلمها وتجيدها . وتقرأ بها شعرا . ويترك فى أعماقها وإبداعها صدى .

يبدو تاثر مىّ بهذه الباقة من الرومانسيين واضحا فى اندماجها مع الطبيعة . وهروبها إليها . وجموح خيالها ، وسيطرة الاحلام على مشاعرها . وتغنيها بمرابع طفولتها فى الناصرة . **ومهابط صباها** فى جبال لبنان **واوديته وغاباته وشطانه** . وخطاها على **سفح المقطم وفوق صفحة** النيل فى مصر . **وجاءت القصائد فى** اوزان الشعر الفرنسى **الكلاسى . اما المقطوعات** فكانت ضربا من النثر المشعور .

انحيط الديوان عند صدوره بهالة من الترحيب والتبجيل . فقرظه أنطون الجميل فى مجلة الزهور . والدكتور شبلى الشميل فى مجلة المقتطف . وأهدى لها خليل مطران بمناسبة قصيدته : « إلى مىّ » .

وفيما بين عامى ١٩٢٢ و١٩٢٥ نشرت مجلتا الهلال والمقتطف عددا من هذه القصائد مترجما إلى اللغة العربية . وقد تكون له ترجمات أخرى لمّا تكتشف . وفى عام ١٩٥٢ قام الدكتور جميل جبر بترجمة بعض قصائد الديوان . وضم إليها مانشرته الهلال والمقتطف . واعطاها عنوان : « ازاهير حلم » . تاليف مىّ زيادة . ولكن مانشره ليس

المصادر الأجنبية لأدب مىّ

كل قصائد الديوان ، ولاحتى جله ، إذ بقى جانب من قصائده لم يترجم بعد .

وبعد هذا الديوان لم تعد مىّ تكتب باللغة الفرنسية ، إلا بعض المقالات والتعليقات بين حين وآخر ، وإنما اتخذت من العربية اداتها ، فالأديب يبدع ليقراه الناس ، والقارئون بالفرنسية فى مصر والعالم العربى قلّة ، أما قراء العربية فهم الكثرة الغالبة ، ومن المؤكد انها لوقصرت نشاطها على اللغات الأجنبية لما بلغت هذا القدر الذى حققته من الشهرة والخلود .

ولكن مىّ بعد أن تركت الفرنسية لغة اداء لم تتخل عنها مصدر تثقيف ، فنجدها معجبة اشد الاعجاب بالكاتب القصاص الفرنسى بيير لوتى (١٨٥٠ - ١٩٢٣) ، وطالما عاشت فى الصفحات الجميلة من كتبه ، فيما تقول ، وطالما استسلمت لسحر بيانه ، وذات يوم حملت كتابه « موت انس الوجود » وطالعت بعضا من فصوله فى المتحف المصرى ، على مقربة من قاعة المومياء ، بهدوء وتأمل ، وهذا الكتاب كتبه لوتى عام ١٩٠٧ وأهداه إلى مصطفى كامل ، وكان مثله ابنا روحيا لمدام جولييت أدم ، وحبذت الدعوة التي ارتأرها على أيامها بعض الكتاب من تعريب الكتاب ، وبقية مؤلفات لوتى الأخرى عن الشرق الأدنى . ومع أنها تراه صديق الشرق ، لاترى شبيبتنا فى حاجة إليه ، وإنما هم احوج إلى كتب أساتذة أقوياء ، يكيّفونها ويستحثونها على الرجاء ، ويبثون فى نفسها اليقين . فترجمة كتبه خطيرة لمن لايعرف أن يتسلى بسحر لوتى تسلية ، ويعجب ببيانه دون أن يحسب قوله درسا وامثولة .

فهى تقرؤه بإعجاب ، ولكنها لاتتردد فى الحكم عليه بأنه كثير النواح والشكوى والتذمر ، يؤذى من لا إلمام له بآداب الغربيين ، أو من كان قليل الالمام بها ، كما كان قبله روسو ، ناصب المناحات الكبرى ببلاغته العميقة الملتهبة ، وشكاواه الحزينة المؤثرة (مجلة المحروسة ، عدد الثلاثاء ، ٢٦ يونية ١٩٢٢) .

غير أن الحق ليس مع مىّ ، وكل ماهنا لك أن بيير لوتى لم يكن رومانسيا خالصا ، وإنما احتفظ بأفضل مافى الأدب الواقعى من عناصر ، وحلّق فوق المذهب الطبيعى ، ويراه قومه من كبار المصورين فى الأدب الفرنسى ، ويضعونه إلى جانب شاتوبريان ، وإنتاجه ضخم جدا ، يملأ ثلاثة وسبعين مجلدا ، من القصص والخواطر والرحلات ، فقرأته مىّ وهى رومانسية الشعور والباطن ، وإن لم تؤمن بها نظرية وإتجاها ، فلم تر فيه إلا هذا الجانب البكائى الحزين .

● إلهام وتوافق ●

وفيما بعد سوف يحتفى طه حسين بلوتى احتفاء شديدا ، وأراه وقع على اسمه فى منتدى مىّ بعدها ، إذ كان بالغ الذكاء فى التقاط مادته وثقافته من أى مكان يرده ، ومن أى كلمة تصك سمعه ، ثم مضى مع فكر الكاتب الفرنسى سائحا حين تمكن من الفرنسية وآجادها .

كذلك تأثرت مىّ فى كتابة الرسائل ، وماأكثر ما كانت تكتب منها بمدام دى سفينييه (١٦٢٦ - ١٦٩٦) ، وكانت هذه أحد ثلاثة شهروا بكتابة هذا النوع الأدبى ، شيشرون فى القديم ، وهى وفولتير فى عصرنا الحديث . ونشرت مىّ عنها دراسة فى مجلة المقتطف ، يولية ١٩١٨ ، أتت فيها على حياتها وأدبها وعصرها ، لانها لاتذكر إلا ويذكر معها القرن السابع عشر ، وفيما أرى أنها اختارت هذه السيدة لأوجه شبه كثيرة كانت بينهما ، ليس

من الضرورى أن تجيء وليدة درس وبحث ، وإنما قد تنبثق عفوا من الاعماق إلهاما ورضى .

ذلك القرن شهد عظماء الفكر والادب الفرنسى ، إنه عصر لويس الرابع عشر ، وعرف صالون دى رمبوليه ، سيدة عظيمة كانت على جانب عظيم من العلم والذكاء ، تستقبل زائريها من كبار القواد ، وأعاظم الاشراف ، ومشاهير الشعراء والكتاب ، فى غرفة دخلت التاريخ تحت اسم « الغرفة الزرقاء » وفيها كانت تدور المباحثات حول موضوعات أدبية ولغوية واجتماعية ، وإلى جانبها صالونات أخرى شهيرة ، مثل صالون مدام دى ستال وصالون مدام جوفرن .

أليس هذا هو ماكان يحدث فى منتدى مىّ ؟

كانت مدام دى سفينيه تختلط بالاعيان والأشراف ، وتراقص الملك ، وتلتقى بكثيرين من مدعوى البلاط ، ولكنها دخلت التاريخ بالعديد من رسائلها البليغة ، تخطها لابنتها بقلمها الرشيق ، أو إلى أصدقائها العديدين ، تصف لهم كل مايجرى فى الصالون أو فى باريس .

ولاتقف مىّ عند حد الاعجاب بها ، وإنما تقارن بين شيشرون وفولتير ومدام سفينييه ، وترى الأول مشرعا وخطيبا ، والثانى باحثا ومفكرا ، والثالثة امرأة لم تكن متفوقة فى فكرها ، بل فى شعورها ، وذلك يقول البعض أعظم نبوغ وأفضل عبقرية .

إن مىّ هنا تصف نفسها !

وقد قرأت كتاب التأملات لفيكتور هيجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) ، وتنقل عنه قوله : « إن الكلمة كائن حى » ، وأوجزت حكايته : « إمبير حلوا : رمز الشبيبة المعذبة » ، وعرضتها فى مجلة الرسالة (العدد ٩٩ ، ١٧ مايو ١٩٣٥) مع أنها أقل كتاباته ذيوعا ، لأنها رأتها أكثر ماتكون انطباقا على حالة طائفة من الشبان في عصرها ، وفي بلادنا ، مع اختلاف نوع الحافز لانعدام الغرام .

وحين درست عائشة تيمور شاعرة الطليعة ، أرادت أن تقدم وصفا للحياة فى قاهرة القرن التاسع عشر حيث عاشت الشاعرة ، وهى أيام لم تعشها مىّ ، إذ صدر كتابها عام ١٩٢٦ ، وكانت هناك أشياء كثيرة قد تبدلت ، نقلت لها وصفا دقيقا مفصلا عن كتاب أكزافييه مرنييه « من القسطنطينية إلى القاهرة » ، وكتب رحلته هذه عام ١٨٤٥ ـ ١٨٤٦ ، وكان عضوا فى الأكاديمية الفرنسية

وإذا أرادت أن تصف بيت عائشة التيمورية من الداخل اعتمدت على وصف منازل الطبقة العليا فى ذلك العهد وحتى أوائل القرن العشرين ، كما تقدمه نية سليمة NIYA SALIMA ، وهو الاسم المستعار الذى


فولتير


جان جاك روسو


ديكارت

المصادر الأجنبية لأدب مي

كانت تكتب به زوجة حسين رشدى الفرنسية ، أحد رؤساء الوزارات فى تلك الأيام . ولها كتابان باللغة الفرنسية . أولهما : « حريم مصر ونساؤها المسلمات » والآخر رواية حملت اسم « المطلقات » . وطبعا فى مصر عام ١٩٠٧ . وكانت هدى شعراوى أعارتها الكتابين ، وأطرتهما إنهما أصدق ماقرأت من نوع هذه الكتب فى وصف العادات المصرية ، وأكثر إنصافا وأقربها إلى الواقع .

وهى تعرف المستشرق الفرنسى كليمان وار (١٨٥٤ ـ ١٩٢٦) ، وكتابه « تاريخ الأدب العربى » ، وصدرت طبعته الأولى فى باريس عام ١٩٠٢ ، وكانت تملك الطبعة الثانية منه ، وصدرت عام ١٩١٢ ، وهو سفر جامع لتاريخ الأدب العربى منذ الجاهلية حتى أيام المؤلف . ولما يترجم إلى العربية . ولكن احمد حسن الزيات اتكا عليه كلية فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » . وقد التقطت مى خاتمته لتبدأ بها تعليقا جيدا على كتاب « حضارة مصر اليوم » . ونشرد قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، وجاء تعليقها عليه فى مقالين متتابعين نشرتهما فى مجلة المقتطف . [جزء ٨٣ يولية ١٩٣٣] وجاء فى هذه الخاتمة : « أما مانود أن تأخذ به اللغة العربية فى المستقبل فهو جلاء التعبير ، وبساطة الأسلوب ، فإذا يوم يحقق هذه الأمنية استطعنا التنبؤ بعهد زاهر للآداب العربية » .

وهى حين تورد قوله هذا تلمح إلى ما فى قائمة الصحف والمجلات التى صدرت فى القرن التاسع عشر ، وأوردها المستشرق فى نهاية كتابه ، من خطأ فى نسبة بعض الصحف إلى غير أصحابها ، وفى التاريخ الذى عينه لصدور صحف غيرها .

وعبر كتاباتها ، فى أمكنة مختلفة منها ، نلتقى بأسماء فولتير ، وروسو ، وديكارت ، ومارمونتل ، وغيرهم من أعلام الفكر الفرنسى ، وترجمت عن الفرنسية رواية « رجوع الموجة » ، ولكنى لم أهتد إلى مؤلفها ، ولم تشر هى إليه ، فيما قرأت لها .

● إجادة تامة للانجليزية ●

كان الرافد الثانى فى ثقافة مىّ الأجنبية هو اللغة الانجليزية ، وبدأت فى دراستها بعد وصولها إلى مصر ، وساعدها على التمكن منها فى وقت قليل الجو السائد فى مصر يومئذ ، وفى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ أعلنوا عليها الحماية ، وحكموها مباشرة ، وبدأت اللغة الانجليزية تأخذ مكانها فى مناهج التعليم ، والادارة ، والحياة العامة ، وذلك إلى جانب الاستعداد الفطرى عند مىّ نفسها ، ونلتقى بها متمكنة فى هذه اللغة ، تكتب بها المقالات فى جريدة الاجيبشيان ميل اليومية ، بتوقيع خالد رأفت ، وفيها دخلت فى مناقشة حامية وطويلة ، شغلت عدة مقالات بين أخذ ورد حول المجمع اللغوى والحاجة إليه ، ومهمته ، واللغة العربية ورقيها ، لزمت فيها جانب الدفاع عن العربية فى مواجهة سبيرويك ، وكان إنجليزيا من دعاة العامية فى مصر ، ويرى العربية عقبة صعبة فى طريق تطور مصر حضارة وفكرا .

ومن الواضح أن إجادتها اللغة الانجليزية لم تقف عند حد القراءة فحسب ، وإنما تجاوزتها إلى القراءة بها ، ففى الحفل الذى اقامه طلبة قسم الآداب الانجليزية فى الجامعة المصرية ، فى فندق شبرد ، فى إبريل من عام ١٩١٨ ، تكريما لاستاذهم ، اسهمت فيه ، وكانت طالبة بالجامعة يومها ، بكلمة ألقتها باللغة الانجليزية ، ونشرت ترجمتها إلى اللغة العربية فيما بعد .

وكان الشاعر الانجليزى تنيسون (١٨٠٩ - ١٨٨٢) من اقرب الشعراء الانجليز إلى قلبها فيما بعد ، وإلى كل ادباء عصرها فى مصر فى الحقيقة ، وكان قد انتهى به الحال فى وطنه إلى ان ينعت بانه اكبر شاعر فى وطنه وفى عصره ، كما كان يقال عنه ، عند الخروج من المدرسة التصويرية أو الشعورية يبدو تنيسون رائعا ، وكل الاشكال والأفكار التى ذبلت عادت إلى الظهور معه ، مصفاة ، ومعتدلة ، وتلبس ثوبا لغويا مذهبا . ويتجلى ذلك واضحا فيما تنقل عنه عبر كتابها ، فهى تاخذ قوله ، إن قضية المرأة هى قضية الرجل ، وان هذا وتلك عامودا العائلة ، فإن مال احدهما وقصر واختل وضعه ، تداعى سقف الأسرة ، وانهار صرح الاجتماع القائم على دعائم العائلة .

وكانت على وعى جيد بأن اللغة الانجليزية لها آداب أربعة : الانجليزية ، والاسكتلندية ، والايرلندية ، والأمريكية ، وان لكل واحد من هذه الآداب روحه الخاص ومزاياه ، ونقلت عن الانجليزية رواية « اللاجئون » للكاتب الاسكتلندى أرثركونن دويل ، ١٨٥٩ - ١٩٣٠ ، وكان طبيبا وكاتب قصة بوليسية ، وغيرت عنوانها فأسمتها « الحب فى العذاب » ، وهى رواية أدبية تاريخية حدثت فى عهد لويس الرابع عشر ، ونشرتها عام ١٩١٧ ، ولكن أحدا لم يوفق فى العثور على نسخة منها حتى الآن ، كما لم يوفق أحد فى جمع فصول رواية كتبتها بالانجليزية ونشرتها فى مجلة « سفانكس » التى كانت تصدر فى القاهرة عام ١٩١٧ ، بعنوان « ظل على الصخر « Shadow on the Roc » وجاء ذلك فى حديث أجراه معها نقولا باز ، ونشر فى مجلة الفجر البيروتية عام ١٩٢٣ .

● إتقان للايطالية ●

المصدر الثالث ، ولايقل أهمية عن المصدرين السابقين ، هو الأدب الايطالى وأرجح أنها كانت تعرف الايطالية بقدر كاف لأن من يدرس اللاتينية ، ويجيد الفرنسية ، لايحتاج إلى كبير عناء لكى يقرأ الايطالية ويتمثل أدبها ، وأرجح أنها درستها فى مدرسة الراهبات ، إذا كانت الارساليات الكاثوليكية بعامة تدرس الايطالية إلى جانب الفرنسية ، كما المحنا بدءاً ، وكانت تقرأ بها أدبا عاليا ، فهى تقص علينا فى مقال لها بعنوان : « تكلموا لغتكم » ، أنها دخلت مكتبة صغيرة فى القاهرة لبيع الكتب الايطالية ، لتشترى منها بعض أعمال جبرائيل دانزنتزيو ، فإذا بصاحب المكتبة يقدم لها مؤلفاته بالفرنسية ، وكان يكتب فيها إبداعه أحيانا ثم يترجمه إلى الايطالية ، فردتها وطلبت منه مؤلفاته الايطالية الاصيلة لا المنقولة ، فسألها عما إذا كانت تريدها لنفسها أم لغيرها ، فأجابته بل أريدها لنفسى ، فسألها : إذن تعرفين الايطالية ، فردت عليه : نعم .

لم يكن جبرائيل دانزنتزيو (١٨٦٣ - ١٩٣٨) أديبا إيطاليا عاديا ، كان جنديا طيارا ومحاربا ، وشاعرا وروائيا ، وصاحب أسلوب لامع وجذاب ونال شهرة مستفيضة فى النصف الأول من هذا القرن .

وتعرف شاعرا إيطاليا آخر كان معاصرا لجبرائيل ، وهو كاردوتشى ١٨٣٦ - ١٩٠٧ ، تعمقت فى أدبه ، وتتبعت مراحل تطوره ، ووصفته فى دقة بأنه صاحب موهبة شعرية ونقدية ، وأنه كان يزدرى شاعرية المرأة ، وله فيها رأى صار مضرب المثل : « اثنان عليهما الا يعالجا الشعر : الكاهن المسيحى والمرأة » ، ولكنها فيما ترى عدل عن رأيه أخيرا ، بعد أن قرأ أشعار إليزابيث براوننج الانجليزية ، وأنى فيفانتى الايطالية ومدام ديبور فالمور الفرنسية .

والعجيب أننا نجد صدى رأى كاردوتشى فى فكر العقاد ، ففى دراسة له عن عائشة التيمورية ، وجاءت بعد دراسة مىّ ، نجده يقول : « فالمرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفنى

المصادر الأجنبية لأدب مَيّ

من ضروب الفنون الجميلة ، ولكنها لاتحسن الشعر ، ولما يشتمل تاريخ الدنيا كله بعد على شاعرة عظيمة ، ولا أرى العقاد هنا ، إلا صدى لمَيّ ، فلم يكن كاتبنا الكبير يحسن من الايطالية شيئا .

وكانت ميّ فيما يذكر توفيق الحكيم فى كتابه « وثائق من كواليس الأدباء » ونشره فى القاهرة عام ١٩٧٧ ، ويضم ماوجده عنده من رسائل تلقاها من كبار الكتاب ، ووثائق احتفظ بها من الضياع ، أول من اكتشف فى رسالة بليغة وجهتها إليه فى ١١ / ٧ / ١٩٣٤ ، بمناسبة صدور مسرحيته أهل الكهف الصلة الفنية والفكرية التى تربطه بالكاتب المسرحى بيرانديللو (١٨٦٧ ـ ١٩٣٦) ومن أخصب الكتاب الايطاليين إنتاجا ، وحاز جائزة نوبل للأداب عام ١٩٣٤ ، وظل يعتبر لفترة غير قصيرة مجدد المسرح الغربى بأجمعه ، ولعل ماشدها إليه فى هذه الفترة من عمرها ، أن حياته كانت كحياتها ملأتها عواصف عائلية مؤلمة .

● كتاب بالألمانية ●

ثمة أدبان أوربيان آخران كان إلمامها بهما خفيفا ، وهما الأدب الألمانى والأدب الاسبانى .

أما اللغة الألمانية فقد بدأت بتعلمها فى القاهرة شتاء عام ١٩١٠ ـ ١٩١١ ، على يد سيدة بروسية ، والألمانية ليست طيعة فى تعلمها كبقية اللغات الأخرى ، ومع ذلك كانت ميّ عنيدة فى دراستها ، وربما شدها إلى اللغة الألمانية أنها حفلت على امتداد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بجمهرة من خيرة المستشرقين ، وليس من قبيل الصدفة البحتة أن الرواية الوحيدة التى اختارت أن تترجمها من الأدب الألمانى الى اللغة العربية ، لمستشرق يعرفه دارسوا اللغات الشرقية ، ومن بينها العربية ، وهو مكس موللر (١٨٢٣ ـ ١٩٠٠) ، وعرفته ميّ فى سن مبكرة ، حتى قبل أن تجيء إلى القاهرة ، وقبل أن تعرف الألمانية ، ونشرت عنه مقالا فى مجلة المقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٠ .

وفيما بعد ، وهى فى طريقها لتصطاف فى شهور الشوير بلبنان ، وصيف عام ١٩١١ ، وكانت أمضت بضعة شهور فى دراسة اللغة الألمانية ، حملت معها كتاب « الحب الألمانى » لمكس موللر ، أوصتها به مدرّستها .

وأضيف إلى هذا أنه صادف فى أعماقها نفسا ومزاجا رومانسيا من جانب ، وأنها بدأت تتمرس بالألمانية عن طريق الترجمة من جانب آخر ، ومع أن مفرداتها الألمانية كانت محدودة ، وحظها من التعبير بالعربية لما يزل متواضعا ، ولم يكن لديها معجم ألمانى ، كانت تكتفى بأن تحيط بالمعنى العام ، ولو فاتها من المفردات كثير ، فلما أكملت الترجمة عادت تقرؤه مرات ومرات من جديد ، ورأته ليس حبا ألمانيا فحسب ، وإنما خلاصة بسمات الانسان وعبراته ، فسمته حين نشرته عام ١٩١٢ « دموع وابتسامات » .

وقد نفد الكتاب فى زمن وجيز نسبيا ، ولم تر إعادة طبعه ثانيا ، لأنها لم تكن راضية عن الترجمة ، فلما تمكنت فى الألمانية ، وملكت زمام العربية ، أعادت ترجمته ، متقيدة بالأصل معنى وتعبيرا ، وحاولت إبرازه إلى العربية بصيغته الشعرية البسيطة ، خالية من الاستعارات الغريبة ، والتنميق الشرقى ، مما حفلت به الطبعة الأولى ، وصدرت هذه الطبعة الثانية عن مطبعة الهلال عام ١٩٢١ .

أما علاقتها باللغة الاسبانية ، فكانت متواضعة فيما أرى ، وكان حظها من الأدب الاسبانى كذلك ، وقليلا مانقع فى أعمالها على اسم لكاتب أو شاعر إسبانى ، باستثناء أستيبان منويل دى فيجاس (١٥٩٥ ـ ١٦٦٩) .

وتقارن خلال دراستها شعر عائشة التيمورية فى الغزل والاخلاق والدين وبين مارية تيريسا دى ابلة الاسبانية (١٥١٥ ـ ١٥٨٢) وكانت شاعرة عظيمة ، وتقية متصوفة ، ونظمت فى لغتها الاسبانية ابتهالات دينية رائعة ، وتورد من شعرها فقرة ترجو الله فيها ان يمن عليها بالموت لتتجرد من ثواب التراب ، فتراه حينئذ وجها لوجه ، وتترجم هذه الفقرة إلى العربية :

« أحيا دون أن أحيا فى نفسى ، وأنتظر حياة هكذا رفيعة .

حتى إنى اموت لأموت لأنى لاأموت .

وإنى ليزيد فى كلفى .

ان أرى إلهى لدى سجينا .

حتى انى لأموت لأنى لاأموت .

انظر كيف اذوب شوقا إلى رؤياك ، ولاطاقة لى على الحياة بدونك .

حتى انى لأموت لأنى لاأموت .

فمتى يتيسر لى ، ياإلهى ، ان اقول القول الفصل :

بانى اموت ، لأنى لاأموت » .

ولانلمح اى صدى للأدب الروسى فى كتاباتها ، ولو عن طريق قراءته فى لغات اخرى ، رغم انها كتبت عن المساواة والاشتراكية بالوانها الغابية وتربية ، وتعرضت للبلشفية ، والثورة الشيوعية ، بقدر ماكانت تسمح به القوانين يومها ، ربما لأن ما كان رائجا منه على ايامها ، ومحببا إلى المثقفين المصريين ، هو القصة والراوية ، واتسما بالواقعية ، وكانت هى مندفعة بطبيعتها إلى جوانب اخرى من النثر ، تتسم بالرومانسية ، وتتجه الى الطبيعة ، وتغرق فى الذات ، وكل ذلك رغم انها كانت عالمية الثقافة ، وعرضت لعديد من المذاهب والاتجاهات فى السياسة والادب والنقد والاقتصاد فى الفلسفة ، مما لايعرفه إلا الباحثون المتعمقون ، فهى تعرض للاقطاع وتطوره ، واسباب نشأته ، والفوضوية ، والعدمية ، وفنون الشعر عند العرب واليونان ، وغير ذلك كثيرا .

ولاأود ان امر عجلا بظاهرة تبينت لى . هى ان مىّ اهملت تماما ثلاث أوربيات معاصرات لها ، وكن على ايامها ، وبعدها ، ملء السمع والبصر ، فلم تعرض لهن من قريب أو بعيد .

أما أولاهن فهى أنا دى نواى (١٨٧٦ ـ ١٩٣٢) وكانت شاعرة رقيقة ، واعرف لها ديوانين من الشعر العذب هما : « القلب الذى لاحصار له » والثانى « الانبهارات » ، والثانية هى : مارى بشخير تسيف (١٨٦٠ ـ ١٨٨٤) ، وكانت كاتبة ورسامة ، ودرست فى باريس ، وبعد موتها نشرت اسرتها يومياتهاالعاطفية عام ١٨٩٠ ، فجاءت وثيقة إنسانية بارزة .

ومن الواضح أن لكل منهن صدى فيما كتبت مىّ ، فى رسائلها وحين ركزت على الطبيعة فى التقاط صورها الأدبية ، وفيما صاغت من نثر شعرى ، ومع ذلك لاتأتى على اسم واحدة منهن أبدا ، واشك كثيرا فى انها كانت تجهلهن ، وربما كانت تغار منهن ، ولاأدفع هذا انها أول من وقفت جهدها فى عصرنا الحديث على دراسة شاعرتين عربيتين محدثتين : عائشة التيمورية وباحثة البادية ، لأن فى حديثها عنهما لونا من الدفاع عن نفسها ، وبنات جنسها ، قبل أن يكون تعريفا بهاتين الشاعرتين وإنصافا لهما .

وتبقى كلمة ، تتصل بتقويم أعمال مىّ فى جملتها ، ولن يبلغ بنا الاعجاب حد الثناء بلا حساب ، ولن يقعد بنا الجحود حد التقليل أو الانكار ، وإنما أراها فى ظروف عصرها ، وتمتد من أواخر القرن الماضى حتى الثلث الأول من هذا القرن ، جديرة بكل ماقيل عنها من ثناء ، وصاغه مواطنوها والمعجبون بها من إعجاب وإطراء ، ولكن حين ننظر اليها الآن ، من اية زاوية شئت ، نجد الزمن تجاوز الفترة برمتها ، وان عشرات من الفتيات العربيات تجاوزنها ، ويكتبن خيرا من مىّ ، وإن مئات منهن لسن دونها ، فى الفكر واللغة والأسلوب .



الهلال ومي

عطاء متبادل

تعد مي زيادة احدى ابرز الكاتبات اللاتي ارتبطن بمجلة الهلال منذ نشأتها انها علاقة عطاء متبادل .. تكتب مي حبا وايمانا .. وتصدر المجلة كلماتها الرقيقة الحامية .. فقد كتبت مي عن الديمقراطية وعن اوضاع المرأة والادب العربي . وعن المستقبل . وقد نشرت القصة والقصيدة المسرحية بالاضافة الى الدراسة الادبية والاستفتاءات الصحفية .

ففي حديثها عن تأبين سعد زغلول تقول : « سيقولون ان المرأة لا تفهم معاني التأبين كما يفهمها الرجل فاجيب اننا اهتممنا بالخطب والقصائد اهتماما عقليا واستعملنا عند قراءتها ملكتي النقد والاستحسان وهذا ينم عن استعداد فينا غير قليل تتجاهلونه عمدا او تجهلونه سهوا واهمالا » « اول يناير ١٩٢٤ ص ٣٦١ .

وفي رسالتها « الى كل فتاة مصرية » تقول : « الحياة امامك ، ايتها المصرية الصغيرة ، ولك ان تكوني فيها ملكة او عبدة » .

« عبدة بالكسل ، والتواكل والغضب ، والثرثرة ، والاغتياب والتطفل ، والتبذل ، وملكة بالاجتهاد ، والترتيب ، وحفظ اللسان والصدق ، وطهار القلب والفكر ، والعقال والعمل المتواصل » فبراير ١٩٢٤ ص ٤٩٦ .

وتحدث عن حاجتنا الى ثقافة اجتماعية ، قائلة انه « ما اعظم ما تقدمه السينما في ايامنا وما ابعد تأثيرها ! انها تأخذ شيئا فشيئا . بالموضوعات الجادة المجدية متجردة بطبيعة تقدمها من السخافات التافهة . وكم كانت الوزارة موفقة في تنظيم الاذاعات المدرسية ! قد تفوتني اذاعات المحطات مرات ، ولكن لا تفوتني اذاعة مدرسية مرة واحدة لاني اجدها مليئة حياة » .

« لتنشيط الثقافة الاجتماعية وتعميم الروح الاجتماعي اصبح الآن فرضا على كل ذي نفوذ في اية ناحية من نواحي المجتمع

فيساعد كل بما عنده ، فرضا على الاغنياء ، فرضا على الاقوياء ، على المدرسين ، على على كل رجال الحكومة ، على كل من المثقفين ، على المشرعين ، على رجال الدين ، يتلفظ بكلمة الوطنية » فبراير ١٩٤٠ ص ٣٧٣ ٠

وترجه تحيتها الى المجلة فى عيدها الفضى قائلة : « فى عمر يشبه الحلم عرفتك ٠ ايها الهلال الفضى ، وليس لدى من تذكار مطبعى القدم مشك ، لذا يختلط ذكرك فى حافظتى بخيالات جبال الطود وفرعون والكرمل ، وخضرة مرج ابن عامر الواسع ، وانفاس الليمون ، والصعتر والياسمين المنبعثة من تلك الارض التاريخية ، ارض الجليل الجميلة ٠٠

« ٠٠٠ وما اقدر الهلال على ارسال النور مهما يكن الليل غرافيا ! هلالا تجمع كيانك الروح الفتاة العاملة فيك بيدها وفكرها تحت رعاية الروح الكبرى التى تنظر اليك غير منظورة ، وتخيم عليك باهتمامها وحبها نافخة فيك وحيا ونشاطا» اكتوبر ١٩١٧ ص ٩ ، ١٠ ٠

وفى تساؤلها « اين وطنى » تنظم :
« عندما ذاعت اسماء الوطنيات
كتبت اسم وطنى ووضعت عليه شفتى
البله ،
واحصيت الامة مفاخرة بان كى كذوى
الاوطان وطنا
ثم جاء دور الشرح والتفصيل فالمحت
بالمشاكل التى لا تحل
وحنيت جبهتى ، وانشات افكر
وما لبث أن انقلب التفكر فى شعورا ،
فشعرت بانسحاق عميق يذلنى
لانى ، دون سواى ، تلك التى لا وطن
لها » اكتوبر ١٩٢٢ ص ١٢ ٠

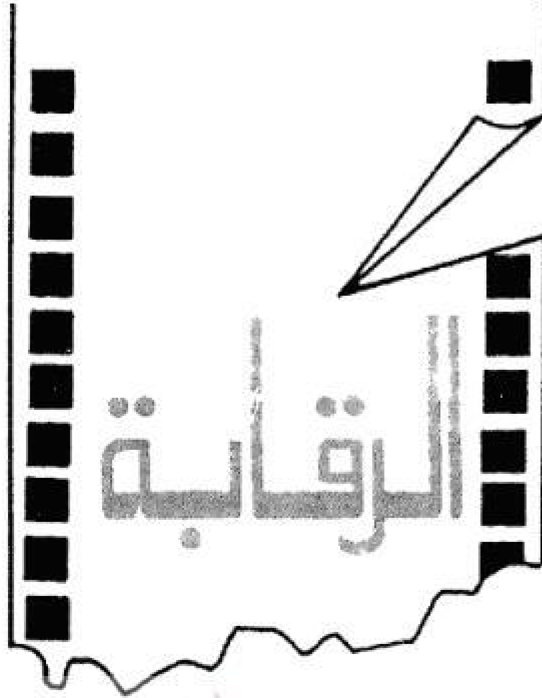
وفى حديث اجرته المجلة مع الآنسة مى تتحدث عن كيف بدات فى الكتابة قائلة :

« لما كنت تلميذة فى مدرسة الراهبات بعينطورة كنا نكلف بالقاء خطب تنشئها لنا المعلمات ونمثل احيانا بعض القصص الصغيرة فكان هذا يستفزنى الى التاليف والخطابة حتى اشتهرت فى المدرسة بجودة الالقاء فى الفرنسية والعربية وظفرت بالجائزة الاول فى الانشاء فى هاتين اللغتين ٠ ولما جئنا مصر وتسلم ابى تحرير المحروسة اخذت انشر فيها بعض المقالات وشرعت من ذلك الوقت فى درس اللغة وقام فى ذهنى ان اكون كاتبة » ٠

وعن الادب المصرى فى نفس الحديث قالت انه ينزع ثلاث وجهات ٠ فهو ينزع نحو السياسة والقومية وهذه النزعة عامة لجميع الكتاب ٠ فالكاتب يكتب عن اى موضوع ووراء ذهنه هم هو هم الوطن فهو اذا كتب عن العلم او الادب او الاجتماع التفت الى مصر ولم يقنع بالوصف التقريرى كما يجرى فى اوروبا مثلا ٠ والنزعة الثانية هى الرغبة فى ثقافة عالية وهذه النزعة محصورة فى فئة راقية من الكتاب ٠ فالكاتب من هذه الفئة يرغب فى استيعاب الثقافة العالمية واحيانا لفرط رغبته فى هذه الثقافة يكاد يناقض نفسه عندما تنزع به النزعة الاول الوطنية ٠ اما النزعة الثالثة فهى الرغبة فى الاصلاح الاجتماعى وهى تشمل كل الكتاب تقريبا » ابريل ١٩٢٨ ص ٦٦٠ ٠

وقد كتبت مجلة الهلال العديد من الدراسات حول مى ٠ من ابرزها ذلك المقال الذى كتبه سلامة موسى بعنوان « مى » عام ١٩٤٢ ٠ اما ابرز هذه المقالات فهى تلك التى نشرها طاهر الطناحى عن « غراميات مى » فى سلسلة متتابعة من المقالات بداها فى العدد الصادر فى اول يناير ١٩٦٢ ٠ تحدث فيها عن رسائلها المتبادلة مع ادباء مثل عباس العقاد واحمد لطفى السيد وجبران خليل جبران وانطون الجميل وامين الريحانى ٠

وقد اختتم عباس العقاد هذه المقالات بدراسة نشر فيها عام ١٩٦٣ رسائلهما المتبادلة ٠٠ وبعد وفاة العقاد بثلاثة اشهر « يوليو ١٩٦٤ » نشر الطناحى مقالا مطولا عن « ربيع الحب » بين مى والعقاد ٠٠



على شاشة الذاكرة

بقلم : مصطفى درويش

أول كتاب من تاليف رقيب أتيحت لىّ فرصة قراءته كان بقلم « جون تريفيليان » رئيس الرقابة على الافلام فى انجلترا على مدى ثلاثة عشر عاما من عمر الزمن .

رأيت الكتاب في واجهة إحدى مكتبات لندن .

وما كاد بصري يلمح عنوانه « ماشاهده الرقيب » حتى وجدتنى أدخل المكتبة مندفعا ، وفى ثوان أخرج بشرائه سعيدا ، متطلعا إلى قراءة تجربة صاحبه مع الرقابة على الأفلام ، تلك التجربة الفريدة التى كانت حديث جميع المهتمين بصراع الفن السابع ضد الرقابة .

كان ذلك منذ اثنى عشر عاما (١٩٧٣) ، أى بعد خمسة أعوام من قيام وزير الثقافة باصدار قرار يلغى بموجبه ندبى لوظيفة مدير عام للرقابة على المصنفات الفنية ، فإذا بى مرة أخرى فى مجلس الدولة ، اعود إليه سالما ، معززا مكرما باحد عشر اتهاما .

أما ثانى كتاب اقرؤه بقلم رقيب ، فهو « مذكرات رقيبة سينما ـ ٣٠ عاما » لصاحبته السيدة/ « اعتدال ممتاز » .

« الشيطان يضحك »

كان ذلك قريبا من نهاية ١٩٨٥ ، حينما تفضلت المؤلفة بإهداء كتابها لصاحب هذه السطور رغم انه « قد رخص بمجموعة من الافلام أثناء وبعد النكسة أثارت مجلس الشعب (تقصد مجلس الامة) ومجلس الوزراء والرأى العام ، واعتبرت من اشد الافلام جراة سواء فى موضوعاتها الجنسية المكشوفة او فى حوارها الفاضح او مناظرها الخارجة .

ولم يسبق فى تاريخ الرقابة ان اجازت افلاما مثلها ، حتى اننى عندما سالت مدير المصنفات الفنية فيما اذا كان يصرح بهذه الافلام والموضوعات من تلقاء نفسه ام أن هناك توجيها ما صدر إليه ، كان يطلق ضحكاته العالية مقهقها ويقول « لقد رخصت الرقابة بما لم ترخص به قبلى ، ولن ترخص به بعدى »

والى الآن لم أعرف حقيقة الدوافع التى دعته الى ذلك ، وانما كل ما تأكدت منه انى انا شخصيا التى تحملت نتائج عمله دون ما ذنب جنيت .

والغى ندب مدير المصنفات الفنية وقمت بأعمال المدير العام دون صدور قرار .

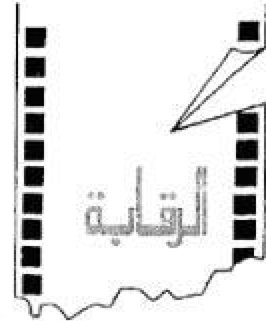
وبقلم عاصف ، صدرت الىّ التعليمات باعادة مراقبة جميع الافلام التى ترخص بها فى تلك الفترة ، ماعرض منها بالأسواق ، وما لم يعرض بعد ، على ان احذف منها كل ما يعتبر ماسا بالآداب العامة وخارجا على المجتمع والتقاليد .

يالها من مهمة شاقة وقاسية للغاية » (ص ١١٨ ، ١١٩) وعلى كل ـ ومع رجاء قبول الاعتذار عن هذا المقتطف الطويل ـ فما أن وصلت فى القراءة إلى نهاية مذكرات الرقيبة الفاضلة ذات المهمة ، حتى وجدتنى باحثا عن كتاب « ترفيليان » منكبا على قراءته مرة ثانية ، مستزيدا مما رأى وسمع أثناء قيامه بواجب الرقابة حماية للمجتمع الانجليزى من رجس الأفلام ، محاولا القياس بين ما انتهى إليه من صواب فيما يجوز ولا يجوز فى حكم الرقابة ، ماذا يحلّ للجمهور أن يبصره ، وماذا يحرّم عليه ، وبين ما انتهت إليه صاحبة المذكرات فى الربع الرابع من القرن العشرين .

● الميتة الصغرى ●

وهنا ، وقبل ان اعرض لما قد يكون بينهما





من خلف كبير وليد الفارق العظيم بين التقدم والتخلف واليقظة والنوم العميق ، أرى من المناسب أن اذكر أن كليهما كان متخوفا على قيم المجتمع من أن يجرفها تيار العنف والجنس ، مستهدفا حماية النظام العام وحسن الآداب .

ولكن هنالك تخوفا وتخوفا .

فهنالك التخوف من منطلق رؤية واحدة تجمع بين الفهم لمصالح الدولة العليا وبين الوعي بحركة التاريخ أى بتغيّر الأزمنة وحتمية ان نتغيّر معها ، وكل ذلك بدافع من همة وثابة طموح .

وهنالك كذلك تخوف من منطلق رؤى متعددة متعارضة للمجتمع المحيط بنا ، تؤدى بصاحبها إلى تهيّب مجازفة التجربة والوقوع فى الخطأ تشل حركته ، تنتهى به إلى الجمود .

ولعل الطراز الثانى من التخوف هو السائد عندنا ، ولعله دليل على انعدام الثقة بالنفس .

● شروق وغروب ●

واضرب مثلا على ذلك بفيلم اشترك صاحبا الكتابين فى الاشارة إليه وهو «شقة العازب» للمخرج «بيتر كولينسون» .

فماذا قالا .. وماذا فعلا ؟

قال اولهما «تريفيليان» فيما قال : أن الرقيب الذى شاهد الفيلم تقدم إليه بتقرير ضمنه رأيه الذى يخلص فى أنه «عمل فنى يختلط فيه الواقع بالخيال ، تدور أحداثه فى شقة حيث يغتصب رجلان فتاة فى حجرة النوم ، وفى حضور حبيبها بحجرة مجاورة أسيرا مقيدا .

وإنه من المستحسن أن تزداد جرعة الخيال وذلك لأنه وقد انتهى الاغتصاب بالفتاة إلى الاستمتاع بالواقعة فمن المحتمل ، والحالة هذه أن يكون الفيلم باعثا على التقليد ، دافعا البعض الى الاعتقاد بأن الجنس بالاكراه قد يؤدى إلى هذه النتيجة .

حقا استطاع «كولينسون» أن ينجز الكثير ، ومع ذلك فالجانب الخيالى غاب عن عدد كبير من المشاهدين بل إننى اتذكر ان واحدا من النقاد كتب قائلا انه لم يتبين له ان الفيلم محض خيال إلا بعد ان قطع فى مشاهدته شوطا اقترب من نصفه على الاقل .

وعلى كل حال فأملى الا يكون هذا الفيلم قد تسبب فى الاضرار بأحد (ص ١١٢)

كليوباترا .. الملكة التى عادت مع التلميح



وواضح من هذه السياحة القصيرة مع « شقة العازب » أن حماس الرقيب الانجليزى له ، كان فاترا ، فضلا عن انه كان متوجسا منه خيفة .

ورغم ذلك لم يشأ ان يعامل الجمهور معاملة طفل محجور عليه .

وثقة منه في ملكة الفهم لدى هذا الجمهور صرح بعرض الفيلم كاملا غير منقوص .

فاذا ما انتقلنا الى سياحة صاحبة المذكرات مع ذات الفيلم ، لوجدنا انفسنا فى عالم كل ما فيه لمما يدخل فى باب العجب العجاب .

فالرقباء قد اجمعوا على ان « الفيلم على مستوى فنى جيد ، وطالبوا بعرضه على الكبار فقط مع حذف منظرين ، الا أن مدير الرقابة على المصنفات الفنية وقتها وافق على العرض دون حذف » .

فلما الغى ندب هذا المدير ، اذا بصاحبة





المذكرات تعيد مراقبة الفيلم .. كيف ؟

« حذفت مشهدا كاملا اعتبرته خارجا على الآداب العامة وجرى العرف على حذف امثاله بالرقابة » .

أما المشهد الثانى فقمت بحذف أغلبه ، ولم يبق منه الا ما يشير إلى الحدث نفسه دون تبذل أو خدش للحياء .

● انحمار والبردعة ●

وكان وزير التربية (دكتور حلمى مراد) يقوم بحملة واسعة ضد الافلام التى رخص بها مدير المصنفات من قبل ونزلت الاسواق .

واتصل بى تليفونيا وزير الثقافة وسالنى عما فعلت بالفيلم ، وكان سبق له ان شاهده فى عرض خاص وذكرنى انه رأى منظرا مخلا ، فقصصت عليه ما فعلته به ، وانتهى الامر مع الوزير واقتنع بقولى .

وبعد قليل اتصل بى وكيل الوزارة تليفونيا ايضا ثم جاء مكتبى وأفهمنى بان وزير التربية غاضب ويشكو من أن بالفيلم مناظر مخلّة ، ولا بدّ من حذفها ، ولم اقتنع بما سمعت لاني انا التى قمت بنفسى بعملية الحذف والمونتاج ، وحاولت الدفاع عن كيان الفيلم دون جدوى وسحبته من دار العرض مغلوبة على أمرى ، وشعرت وكأننى مخلب قط ، وأنا اقوم بما لا ارضى عنه ، ولن اغفره لنفسى ابدا ، (ص ١٢٠ ، ١٢١)

والآن وبعد الاعتذار عن الاضطرار إلى اقتطاف هذا الفاصل الطويل ، اعود مرة اخرى الى موقف صاحبى الكتابين من النظام العام وحسن الآداب .

● التوحد والتمزق ●

الامر اللافت للنظر فيما سجله « تريفيليان » ، وهو يستعيد ذكريات ما كان من أمره فى دنيا الرقابة .

انه لم يحاول ، ولو بكلمة واحدة عابرة ، ان يفصح عن ضيق بأى وجه من أوجه نظام الحكم فى انجلترا ، ان يصدر أحكاما سليمة أو غير سليمة على السياسات التى تحكمت فى صياغة أحداث تاريخ بلده وتياراته .

ولا غرابة فى هذا فهو بحكم وظيفته كرقيب ، كان لزاما عليه أن يكون متلائما مع الدولة ومصالحها العليا ، متجانسا مع خطها السياسى العام ، أى باختصار متوحدا مع نظامها العام ، ساهرا على حمايته .

ولكن صاحبة المذكرات انتهجت ، وهى تروى حكايتها على مدى ثلاثين عاما مع الرقابة قضى معظمها على ارض وطن يرفرف عليه علم الجمهورية العربية المتحدة ، يتصارع ابناؤه صراع حياة او موت مع عدو صهيونى لايرحم ، انتهجت نهجا مخالفا .

● مصر .. أولا ●

فلقد آثرت الكلام ، عبرت عن ضيقها بالجمهورية العربية المتحدة قائلة بل قل باكية ان فترة تلك الجمهورية « كانت من أقسى فترات حياتى العملية وأشدها مرارة لانه كان لزاما علينا كرقباء شطب اسم مصر الحبيب من كل المصنفات الفنية المختلفة السابق اجازتها واللاحقة .

كيف يمكن ان يكون هذا ؟ وكيف يلغى من الوجود هذا اللفظ الحبيب وبأيدينا واختيارنا كنت اترك مكتبى وأنزل إلى الطابق الذى يليه

وادخل حجرة الحذف وأغلق بابها على وقد اظلمت الحجرة تماما .. وامسك بالفيلم وعلى ضوء الجهاز الخافت أحدد المكان وامسك بمقص الرقيب وقد سالت دموعي .. وابكي ماشاء الله لي ان افعل .. واستبعد الجزء الذي يحمل الاسم الحبيب مصر .. واشعر وكاني طعنت كل ابنائي واهلي وعشيرتي ...» (٢٠١)

ثم افصحت عن فرحتها بالسلام مع اسرائيل صائحة ، وتركت الرقابة . وكانت المبادرة التاريخية الشجاعة في احلال السلام بين البلدين المتحاربين وتوقعت ان اليوم الذي سيشاهد فيه جمهور الشرق الأوسط هذا الفيلم (تقصد كليو باطرة) لن يكون بعيدا » (ص٩٩)

ومرة ثالثة فليغفر لي القارىء هذا الانجراف في الاقتطاف .

وختاما فبعد أن انتهى ، تريفيليان ، من استعادة الذكريات حتى عام اعتزاله العمل الرقابي ، رأى ان يضيف فصلا هادئا يتحدث فيه بلسان المفكر الاجتماعي عن مستقبل الرقابة في بلده .

وهو في هذا الفصل يقول :

« لا أظن أن الرقابة على الفيلم يتعين الغاؤها ولكني اظن انه قد يكون من اللازم المبادرة الى تعديلها .

وفي ظني ان ثمة ضرورة تستوجب حماية الأطفال والصغار على الدوام ، وان في ذلك ارضاء للضمير الاجتماعي العام .

ولكن في ظني كذلك ان الاوان قد أن كي نعامل الراشدين كراشدين . فنطلق لهم الحرية في مشاهدة الفيلم من عدمه .

هنالك بعض أفلام قد تلحق الاذى ببعض الناس ولكن هذه المخاطرة ليست من الجسامة بحيث تبرر استمرار الحدّ من حرية الراشدين .

وهنالك أفلام تمنع بمقولة انها تؤذي شعور البعض .

لا اعتقد أن ذلك له أهمية لان البعض الذي قد يتعرض شعوره للايذاء ، عليه هو أن يمتنع عن الذهاب إلى السينما . فهنالك معلومات متوفرة دوما عن طبيعة الأفلام الجاري عرضها » (ص ٢٢٩)

● أغنية البجعة ●

ثم يختتم الفصل ومعه الكتاب بتغريدة « أحببت الافلام طول حياتي . وامل ان تواصل صناعة السينما إمدادنا بمستوى راق من الترفيه لسنوات كثيرة قادمة .

اعتقد ان المزيد من الحرية سيفيد صناعة الفيلم والجمهور معا ، وسيكفل أن يتحول ذلك من مجرد حلم إلى واقع » (ص ٢٣١) .

والعجيب حقا ان كل هذا ليس له ادنى تاثير على صاحبة المذكرات ، فالرقابة عندها خالدة تتحدى الزمان ، والرقيب او الرقيبة خزّان من الحكمة يحمي المجتمع من الطوفان .

ومن المحزن والمؤسف **انها لاتفرق بين** الصغار والكبار . فلا احد راشد ، **ولا احد** من حقه ان يرى بلا وصاية رقيب .

● اسطوانة مشروخة ●

واعجب مافي الامر انها على وعي بالشلل الذي اصاب فن السينما من جراء تشدد الرقابة ، وتدرك بوضوح كيف ان مقص الرقيب يشوه الابداع ويحطه ، ومع ذلك فانها لم تحاول معالجة القضية من منطلق انتقاد مبدأ الرقابة واقتراح الحلول التي تحدّ من غلو المقص .

وانما كتبت تقول لابدّ ان تبقى الرقابة كاملة على الراشدين .

ومن هنا الاحساس بعد الانتهاء من قراءة المذكرات ـ بالاحباط احساس من رأى فيلما قديما مكررا ، او من سمع اسطوانة مستهلكة ومشروخة تعيد وتزيد .

الأدب العربى المكتوب بلغات أوربية

المنفى.. المهجر.. الانتماء..

هاجر العرب الى العالم الجديد ـ مثلما هاجرت القوميات الاخرى ـ مع اوائل هذا القرن ـ وصنعوا لانفسهم ادبهم الخاص بسماته وهويته على المستويين العالمى والمحلى . وها نحن على مقربة من نهاية القرن العشرين نرى كيف ابتعد الاحفاد عن وطنهم الاصلى وذابوا مع القوميات الاخرى داخل ثقافة جديدة عرفت بالامريكانية . واذا كان هذا هو حال اهل المهجر وادبائه فى العالم الجديد فان ادب مهجر اخر بدأ يولد مع حالات الهجرة العربية المكثفة الى جنوب اوروبا، وخاصة القادمين من شمال افريقيا . ويبدو ان هذا الادب الجديد يتسم بسمات جديدة . ليس فقط بالنسبة لابنائه . بل بالنسبة لابناء الوطن الذى رحل المهاجرون اليه .

ونبدأ بالحديث عن السمات العامة لهذا الادب الجديد . فحسبما جاء فى كتاب «المسلمين فى فرنسا» ـ الذى قدمته آنى كريجيه كرينكى عام ١٩٨٥ ـ أن الجالية الاسلامية تزداد عددا وتأثيرا فى فرنسا وبعض البلاد الاوربية مثل المانيا وايطاليا قادمة من شمال افريقيا وتركيا وباكستان، وان المسلمين قد بلغ تعدادهم فى فرنسا وحدها مليونين ونصف المليون نسمة . دفع هذا الامر السلطات الفرنسية ـ كما جاء فى جريدة الاهرام ٤ يناير ١٩٨٦ ـ الى ان تصبح اللغة العربية هى اللغة الثانية فى المدارس الفرنسية . أما كريجيه فقد ذكرت فى كتابها أن المناضلين الذين اشتركوا فى حرب الجزائر ضد فرنسا قد سعوا اليها وهم يعلنون « لقد كسبنا الحرب » ليعملوا ويقيموا بها . ويبدو أن القادمين من شمال افريقيا قد أرادوا أن يردوا الصاع لفرنسا فسعوا لاستعمارها مثلما استعمرتهم !

بدأت حركة الهجرة مكثفة بعد أن رحلت القوات الفرنسية من الجزائر . ووصل عدد الجزائريين هناك الان الى ١٫٨ مليون نسمة . والآن وبعد أكثر من عشرين عاما ظهرت ثلاثة اجيال من المهاجرين . يعملون فى مختلف المهن . ويسعون للتجنس بالجنسية الفرنسية من جانب مع احتفاظهم بهويتهم من جانب اخر . لان حصولهم

بقلم : محمود قاسم

على الجنسية ليس شيئا جديدا بقدر ماهو سعى للحصول على الكثير من الحقوق التى يحصل عليها الفرنسي كالتصويت فى الانتخاب .

● أدب عربي منفى في لغة أجنبية ●

يقول احد الشباب الذاهبين حديثا الى فرنسا : « نتلقى ثلاثة أنماط من التعليم . تعليم من آبائنا . وآخر من مدرسينا . وثالث من الحياة . وهذه الانماط تتضارب » . فهؤلاء الاطفال الذين رحلوا فى النصف الاول من الستينات قد بلغوا الان العشرين من العمر . وتقول كريجيه ان العرب يعملون فى مهن عديدة لكن عيونهم على الفنون .. وقد جاءت هذه الفنون مختلفة .. فهى لا تدعوا الى الذوبان داخل المجتمع الجديد ولكن تنادى بالارتباط بالوطن الام من ناحية . او العودة اليه ثانية حتى لا تنقطع الروابط بين المرء ووطنه فى حالة طول الغياب .

هذه هى اذن السمة الاولى من سمات ادب المهجر الجديد . فالكاتب بن جولون يصرح فى كتابه « الكاتب الشعبى » - الذى نشرته دار سوى ١٩٨٣ - انه منذ ان هاجر من المغرب فى اوائل السبعينات وهو لا ينقطع عن زيارة بلده . لدرجة أثارت حيرته . فهو لم يعد يعرف ماهو الوطن الاول . أو الثانى بالنسبة له . لانه دائم التنقل بين الوطنين .

اما السمة الثانية المترتبة على الاولى فان هم الكاتب لاينحصر فى الانبهار بهذا العالم الجديد الوافد اليه . رغم وعيه بالتباين بين العالمين . لكن المهجر قريب منه . واذا كان البعض يرى أنه منفى اختيارى . فان ادب المهجر يتحدث عن التباين الذى يراه له فى هذا المجتمع الذى يعامله على انه « عربى » أو مواطن من الهوية الثانية . فلا يسعى الى انكار هذه الكينونة . بل ويؤكدها ويسعى الى تطوير صورتها . ولذا فان أغلب الادب العربي المكتوب باللغة الفرنسية هو بالفعل أدب « عربى » مهاجر داخل لغة أوربية . وقد أقر بذلك المسئولون فى دار نشر « سوى » فى مقدمة رواية « نديمة » لكاتب ياسين . فأغلب الادب العربى المكتوب بالفرنسية ليس شاهدا على وضع


اسيا جبار

المهاجرين فى المهجر بقدر ماهو شاهد على وضع العرب فى بلادهم . كاتب ياسين يكتب عن الجزائر واندريه شديد والبير قصيرى عن مصر . وطاهر بن جولون عن المغرب .. فتحس أن اقدامهم تطأ فى أديم بلادهم أكثر من تفاعل رءوسهم مع قضايا هذه البلاد التى هاجروا منهـا ومن لغتها .

والسؤال الآن : لماذا الهجرة الى لغة اخرى .. السبب الاول يرجع الى اللغة الاولى التى تعلمها واستطاع أن يعبر بها. فاندريه شديد وقصيرى وجورج شحاده قد تعلموا فى المدارس الفرنسية فى مصر وعاشوا داخل اسر تتكلم الفرنسية فى البيوت . اما بن جولون وياسين واسيا جبار فقد تعلموا الفرنسية حتى النخاع.. وهم يحفظون ويعون مفردات هذه اللغة اكثر من العربية وهـذه حقيقة لايمكن انكارها على طريقة ادفن رأس النعامة فى الرمل .. ورغم المحاولات التى تبذل لتعليم اللغة العربية الا أن هناك الكثير من الشباب يكتبون بلغات غير عربية فى شمال افريقيا . وقد عبر كاتب ياسين عن خطورة هذا الموقف فى حديثه الذى ادلى به لجريدة لوموند فى ١٢ اغسطس ١٩٨٥ . حيث يرى ان هناك اسبابا عديدة للهجرة الى اللغة الفرنسية منها ان هذه اللغة أوسـع انتشارا ويقرؤها العرب انفسهم . فضلا عن سبب اخر فى منتهى الاهمية وهو افتقاد الديمقراطية فى البلاد العربية . « اذا كتبت اليوم كتابا بالفرنسية وحاولت نشره فى الجزائر . فان الامل ضئيل فى هذا . لاننى اذا كتبت كتابا فيجب ان أمس نقاطا ساخنة . وحساسة واضع اصابعى فوق مواطن الجراح . واذا نشرته فى فرنسا فان هذا فشلا ، ليس لى ولكن للجزائر . ونجد انفسنا نطرق - من جديد - باب فرنسا . وكأننا لم نتقدم . واذا استمر الحال هكذا . فعلى أن استمر فى معارضته .

● الكاميرا .. تتكلم عربى ●

والسمة الثالثة ان هذا اللون من الادب ليس منفيا بنفس المفهوم الذى يعبر عنه كتاب المصر الذين هاجروا من بلادهم الى عالم جديد .. خاصة اليهود الذين رحلوا من الاتحاد السوفييتى وبولندا لاسباب سياسية وعنصرية . ووجدوا انفسهم يكتبون بلغات انجليزية وفرنسية مثل حالات بيرسى كوسينسكى وسولجنتسين ونابوكوف وبيللو . فالمنفى يختلف هنا ، هو مهجر الى بلد قريب . والرابطة قوية بين المهاجر ووطنه .. وهو على اتصال دائم بها .. وتنظر الحكومات العربية - خاصة فى شمال افريقيا - الى المهاجرين بعين الارتياح خاصة وهى تراهم يحققون انجازات طيبة فى مجالات عديدة خاصة فى مجالى الادب والسينما . لقد اصبحوا فى أماكن مرموقة فى الصحف والتليفزيون وشركات الانتاج السينمائى .. وتبث الجزائر مثلا اذاعة خاصة لابنائها المهاجرين كى يستمعوا منها الى القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض التعاليم الدينية التى يجب أن يحافظ المسلم عليهما فى غربته وحثهم على اتباع تعاليم دينهم وشرقيتهم . ولذا فان العربى ما ان يعود الى داره - الفرنسية - حتى يحس انه فى بيئة شرقية . لانه افترشه على طرازه العربى . الجدران والاثاث . اللغة عربية احيانا . ولذا فان الحنين اقل حدة من ادب اخر منفى .. او مهاجر ويظهر التقارب بين هذه الحيوات الثلاث التى يتعلمها العربى هنا .. ومن هنا يكتسب الادب سمته الثالثة .

وقد رأى الفنانون العرب - كسمة رابعة - فى المهجر ان الفنون الجماهيرية اكثر اولوية من الادب المكتوب . واذا وجد الادب نفسه أمام مشكلة اللغة الملحة



غلاف رواية « طفل الرمل » لطاهر بن جلون

عليه خاصة فيما يتعلق بالنشر ، فان السينما تختلف ، يمكن أن يقدم الفيلم باللغة العربية ، بل وباللهجة المحلية ، ثم تتم الترجمة الى اللغة التى يتم تصدير الفيلم اليها . وقد شهدت السينما المهاجرة اهتماما كبيرا لان الاشخاص الذين يتكلمون فى الفيلم يفعلون ذلك بنفس الطريقة التى يمارسها الاباء . وتجسد البهجة متنفسا . وقد وعى المثقف العربي المهاجر الى غير لغته هذه الحقيقة بعد المناداة بالتعريب خاصة تعريب الادب .

واذا اخترنا أن نتناول ماقالته آسيا جبار فلانها اعتقدت ـ كما كتبت لالا خفاجة فى مجلة أوراق ـ : « ان بامكانها ان تصبح كاتبة عربية » اى أن تترك الكتابة بالفرنسية » واجهت مشكلات كبيرة فى التكيف . وكان عليها أن تمضى فترة طويلة فى التجارب الصعبة » .

« فجأة اكتشفت ان الكتابة بالكاميرا قد تكون الاكثر تأثيرا . فالامية المتفشية تجعل الاعمال المكتوبة قصرا على مجموعة محدودة ، هذا فضلا عن الاقبال العربى على المطالعة محدود بشكل عام . السينما هى البديل . البديل الرائع » .

والاعمال السينمائية التى قدمت تنادى فى غالبها بالعودة الى الوطن او الارتباط به مثل « ظل الارض » للطيب الوحيشى . و « الارض والدم » لمولود فرعون . ثم الفيلم الذى يصوره الان الاخضر حامينا تحت عنوان « الصورة الاخيرة » . أما المسرح فهو ناطق باللغة العربية حينا وباللغة الفرنسية أحيانا اخرى . وسمى هذا النوع من الفن بـ «سينما المهاجرين» أو « مسرح المهاجرين » . وهناك حالات استثناء فى هذه الامور . لقد نشر مهدى شرف روايته « الشاى فى حريم أرشى أحمد » عام ١٩٨٣ ثم قام بنفسه ـ بعد عام ونصف ـ باخراجها بالفرنسية للسينما ويتناول فيها أوضاع المهاجرين العرب فى جنوب فرنسا . وغير عنوانها الى « أرشميدس » بدلا من أرشى أحمد . كى تكون أقرب الى مسامع الجمهور الاوربى .. ويسعدنا أن نقتطف تعبير المؤلف عن شخصيته الرئيسية فيقول : « ابن لابوين من المهاجرين تتنازعه ثقافتان وتاريخان ولغتان . فلا يجد مناصا من أن يخترع جذوره ويبتكر سلالته » .

ويسعى الكاتب المهاجر الى أن يوسع دائرة انتشاره . ويخاطبهم على قدر مفاهيمهم . واذواقهم . وحول هذه النقطة تحدثت آنى كريجيه ان التلاميذ العرب يسعون الى تغيير أسمائهم العربية الى أسماء اخرى أوربية . وان هذه الظاهرة بدات تتضح فى الاونة الاخيرة . لان المراهقين يشعرون انهم فى حاجة الى الجماعة . كى يذوبوا فى داخلها ويخشون ان يبدوا مختلفين عنها . اى أن حالة الذوبان التى حدثت للمهاجرين الى الامريكتين قد بدأت تجد « بعض » أفرادها لكن ليس الكل .

الأدب العربى

فى مقاله الشهير حول وضعية الثقافة العربية قال بن جولون فى جريدة لوموند - اول اغسطس ١٩٨٥ - : « اليوم . نلاحظ أن ابرز كتاب أمريكا اللاتينية هم من ذوى الأصول العربية ومن بينهـــم البرازيلى رضوان نصار وجميل المنصور حداد . وكارلوس نجار وخوان خوسيه صابر وجريجوريو منصورو .. » اذن هل هم عرب فى المهجر . أم انهم امريكيون يحملون أسماء عربية لم تحريفها مثلمـا حرفت هويتهم الى الهوية اللاتينية !..

اما السمة الخامسة . فان هؤلاء الادباء يكتبون كل ألوان الكتابة .. مثلمـــا يحدث فى كل الدول العربية . كان تجد الواحد منهم يكتب الرواية والاقصوصـة والمسرحية والقصيدة بالاضافة الى عمله الصحفى أو النقد السينمائى والأدبى . نرى هذه السمة عند اندريه شديد وبن جولون وكاتب ياسين . اما نصرى نالة لايكتب سوى الرواية .


محمد ديب

لم تعد توجد فواصل بين ألوان الكتابة طالما أنها تحقق انتشارا لاسم الكاتب - وهو يسعى دائما الى ذلك - ويشكل هؤلاء الادباء جذوة لاتنطفىء من العطاء فى هذه المجالات . فهم موجودون دائما فى كل المحافل الادبية والفنية خاصة تلك التى تنتمى الى القضايا العربية .

وتنحصر السمة السادسة فى الاجابة على سؤال مثل : هل يعد هذا الادب عبئـا على اللغات المكتوب بها أم اضافة لها !. لقد خصصت الحكومة الفرنسية فى عام ١٩٧٧ مبلغ عشرة الاف فرنك لكل مهاجر يعود الى بلده . ففرنسـا تسعى اذن الى التخلص من « بعض » المهاجرين وليس كلهم . لانها استفادت من هـذه العمالة على كافة المستويات مثلما قال عبد الله بو حميدى فى مجلة رسالة اليونسـكو - العدد ٢٩٢ - : « أن ماقدمه المهاجرون الى الثقافة العربية لم يكن يستهان به فى خاتمة المطاف . فبفضل رحلاتهم المتعددة بين شاطىء البحر المتوسط شمالا وجنوبا أصبحوا يشكلون رابطة عضوية بين فرنسـا والغرب العربى ويسهمون بذلك فى التقاء الثقافتين » .

هذه الثقافة الفرنسية - الجـديدة اصبحت أكثر وعيا بتعدد مقومات هويتها، وعرفت تلك الهوية على حقيقتها ووقفت على مصادر تراثها . واذا تصفحنا صفحات الكتب فى المجلات والصحف الفرنسية . لرأينا الى أى حد تزخر بكتب العـرب المهاجرين ومدى تنوع وجدية ونشاط هؤلاء الكتاب والفنانين . فهم لا يتوقفون عند ستاتيكية ثابتة . بل يتحركون . ولا تتوقف المطابع من تصدير كتاباتهم . فهو - باعتراف النقاد - ليس أدبا هامشيا بالمرة . بل انه أدب جاد واع لمشاكله وعالمه يفرض نفسه على مجتمع متحضر يتذوق الفن جيدا ولا يمكن أن يغفر لكاتب اقل موهبة ..

هذه هى بعض السمات العامة للأدب العربى المهاجر داخل لغات اخرى .. وفى مقالات قادمة سوف نتناول أبرز هـؤلاء الكتاب فى مقالات منفصلة .

العالم في سطور



• فيينا ـ وارسو •

ليم : أحسن كاتب في أوروبا

يتوجه الكاتب البولندي ستانيسلاف ليم مع مطلع شهر مارس الى فيينا لحضور حفل التكريم الخاص به بمناسبة حصوله على جائزة أحسن كاتب أوروبي التي منحتها له وزارة التعليم والفنون والرياضة بالنمسا .

يعد ليم أحد أبرز أدباء الخيال العلمي . ليس في أوروبا الشرقية وحدها بل في العالم أجمع . وقد قدم لادب النوع مجموعة من الروايات الهامة مثل « قاهرو الفضاء » ١٩٥١ التي تدور حول بعثة استكشافية الى كوكب الزهرة مخدرة من عواقب الحرب الذرية أما روايته « سوبرمان » ١٩٥٥ فتدور حول عالم اسطوري للانسان الآلي تصنع فيه الآليات البالغة الذكاء آلات اخرى . وفي هذه الرواية يقدم ليم الآلات البشرية كمخلوقات من الدرجة الاولى . أما الآدميون فهم مخلوقات متردية متلصصة .

وفي رواية « ايدن » تحدث عن مغامرات اقرب الى عالم روبنسون كروزو في الكون الخارجي . فهناك عالم طوبوي يحكمه ديكتاتور مجهول قاسي الطباع تتم في عهده الاعدامات الجماعية .

وعن تأثره باسطورة سيزيف صاغ ليم روايته « سولاريس » أشهر أعماله على الاطلاق والتي اخرجها للسينما عام ١٩٧١ المخرج الروسي المعروف تاركوفسكي . وفي هذه الرواية يتناول الكاتب حكاية الدكتور كريس عالم النفس الذي يرحل الى احدى المحطات الفضائية كي يقوم بعلاج بعض الحالات المرضية . وهناك يشاهد بعض ضحايا التطور العلمي والتقني . يسمع أحد المرضى يردد : « لقد عذبنا الفضاء . نحن نصعد اليه دوما ثم ننزل بدون جدوى ولذا فان كريس يرفض تكملة مهمته العلمية التي سافر من أجلها الى الفضاء الخارجي فيقرر العودة الى الارض . وقد اقتنع ان العلم يحمل في طياته شرورا بنفس القدر الذي يحمل به خيرات . ويردد : « لقد فشلنا في الفضاء . ونحن نحتاج الى مرآة لنعرف أنفسنا » .

الجائزة التي منحت لستانيسلاف ليم سبق أن منحت في الاعوام السابقة لادباء معروفين مثل فردريك دريمات ودرريس ليسنج والايطالي فولفيو توميتسا .



العالم في سطور

• موسكو •

• ابن عبد ربه ينافس الجاحظ في موسكو •

في اواخر ديسمبر ١٩٨٥ شهدت موسكو حدثا ثقافيا هاما ـ على حد تعبير وسائل الاعلام السوفييتية ـ وهو صدور طبعة جديدة باللغة الروسية من بخلاء الجاحظ وصدور الطبعة الاولى من العقد الفريد لابن عبد ربه ٠

يقول المستشرق بارانوف مترجم البخلاء ان الكاتب مكسيم جوركي قد طالب في العشرينات بترجمة مؤلفات رواد الادب العالمي الى اللغة الروسية فاختار البخلاء لسببين : أن الجاحظ كان أغزر رجال عصره علما وانه ارسى اسس الادب النثري عند العرب: فمؤلفاته مادة غنية لاستيعاب حياة ومعيشة سكان المدن الكبرى في عصره ويرسم المؤلف شخوصه من الطبيعة ويكشف عن عيوبهم أمام الملا للتنديد بهم والسخرية منهم ٠ فيبدى في ذلك مقدرة وتمكنا لسبر نفسية البخلاء وميولهم وفلسفتهم في الحياة ٠

أما المستشرق سفيرفار المتخصص في أدب العرب خلال العصر العباسي والذى قدم عدة ابحاث عن تلك الحقبة عن « الادب الاندلسي » و « بحث في الثقافة العربية ـ الاسلامية » و « ابو العلاء المعري » ٠٠ فقد ترجم « العقد الفريد » عن النسخة التي طبعت في القاهرة عام ١٩١٢ ٠ ويرى المستشرق الباحث أن الكاتب قد اختار بالفعل لالي الكلام الفريد ونظمها على نسق نظام صارم حيث يرى ان كل شخص متعلم يجب ان يلم باسس الادب والتاريخ والشعر والاخلاق وأن يعرف كيف يتصرف بكياسة في المجتمع ٠





بين القصرين في طبعتها الفرنسية

• القاهرة •

• اورويل ٠٠ وتولستوى ٠٠ من مصر •

قد لا تبدو حركة ترجمة الأدب العربي المعاصر الى اللغات الاخرى مهمة الا بدرجة تفاعل هذا الأدب ـ بعد ترجمته ـ مع القارىء الوافد اليه هذا الأدب ٠ ومع حركة النقد الأدبي الذى يعتبر المرآة في أي مجتمع يتعامل مع الفكر الراقي ٠

والروايات التى صدرت فى العام الماضى من اللغة العربية الى اللغات الحية وقد وجدت قارئها وناقدها من خلال منافذ عديدة . فبعض هذا الأدب المترجم قد قبع فى ركن النسيان فكأنه لم يخرج من داره حتى الآن . ولكن آدابا أخرى استطاعت أن تومض وأن تجد قسطا طيبا للغاية من الاهتمام لدى القارىء والناقد معا . مثلما أطلقت الصحافة الأدبية الفرنسية لقب « أورويل المصرى » على الكاتب الروائى جمال الغيطانى .

لكن كيف قابلت أوربا روايات الكاتب نجيب محفوظ .. لقد وجدت أكثر أعماله طريقها الى القارىء العالمى . وبدأ يعاملها كشوامخ الفكر العالمى ويهمنا هنا أن نقتطف بعضا مما كتب عن رواية « بين القصرين » التى تتداول الآن بين أيدى القارىء الاوربى .

فجريدة لوموند تكتب : أن « بين القصرين » تنتمى الى عالم لا يصنعه سوى بلزاك وتولستوى » . أما جريدة لوفيجارو فانها تقول : « انه مسرح الواقع فى كل بساطته وتعقيده » . وتتحدث جريدة « بلجيكا الحرة » أن هذا الكتاب « يقرأ كأنك تشرب نبيذ بلاده المستخرج من فاكهته وأرضه . وينساب متدفقا » . وتقول جريدة « ليبراسيون » أن « محفوظ قد أدخل الواقع بشكل رومانسى فى الأدب العربى » .

وتتحدث لونوفيل أوبسر فاتور قائلة: « محفوظ كاتب انطباعى وسوف تعرف ذلك فى كثير من الروايات التى تقرؤها كأنك تشاهد لوحة فنية » .

● طوكيو ●

● هوية فنون بلاد الشمس المشرقة ●

أقيم أحدث معرض عن الفن التشكيلى فى اليابان خلال الاسبوع الاول من ديسمبر الماضى تحت « العالم فى عيون اليابانيين » حول رحلة الفنان اليابانى الى أوكار الفن فى العالم خلال قرن من الزمان تضمن المعرض مجموعة من أبرز لوحات الفنانين اليابانيين مثل لوحة « الليل فى باريس » لناكا نيشى المرسومة عام ١٩٢٦ . « أرصفة السين » لشيكانو سوك اوكا المرسومة عام ١٩٢٧ . وقد بدا الى حد كبير مدى تأثر الفنان اليابانى بالاتجاهات الاوربية . فى الفن التشكيلى كما تأثر أوكا بالفنان رومبر . ووضح أوتريللو بصماته على لوحات تونشى باندى . وبدا مدى شغف الفنان اليابانى المعاصر بمظاهر الحياة الاوربية والميادين التى يغرق فيها الفنان تسكره خمرة اللون وروائح الحواش .

هناك سؤال طرحه العالم فى سطور من قبل حول هوية الفكر اليابانى المعاصر . يؤكد هذا المعرض الرؤية اليابانية الخاصة التى افتقدتها فنون التعبير القادمة من بلاد الشمس أخيرا فأصبح اليابان الذى يصدر للعالم تقنياته يستورد منه فنونه .

أرصفة نهر السين للفنان توشيو





● براغ ●

● شاعر .. نعم .. سياسي .. لا .. ●



ياروسلاف سيفيرت

ياروسلاف سيفيرت هو اول اسم كبير تنقل وكالات الانباء خبر وفاته مع مطلع عام ١٩٨٦ .. سيفيرت الذى كان حديث الناس منذ نيف من الشهور عندما حصل عام ١٩٨٤ .. على جائزة نوبل فى الأدب .. كثرت الاقاويل حول الشاعر العجوز (٨٥ عاما) دالبعض يرى انه قد منح الجائزة لانه مجرد منشق على الشمولية ، ويرى البعض الأخر أن شعره قد وصل الى الطبقات الكادحة التى اهداها دواوينه اكثر من مرة .

إتسم شعر سيفيرت بقدرته على التعبير المتدفق العفوى الذى امتزج بتلقائية السرياليين .. ولذا رفض ان تكون قصائده « ملتزمة » استطاع فيها ان ينتقد سياسة بلاده .. من اهم دواوينه « تفاحة صدرك » ١٩٣٣ .. « ربيع مع الله » ١٩٣٧ .. تولى عام ١٩٦٨ .. رئاسة اتحاد الكتاب التشكيين .. وهاجم دخول القوات السوفيتية الى براغ فى نفس العام فمنعت اعماله من النشر حتى اواخر السبعينات الى ان سمحت السلطات باعادة نشرها مرة أخرى .. وفى تلك الآونة بدا العالم يقرا اشعاره مترجمة لاول مرة .. يقول فى حديثه الذى نشرته مجلة تايم فى ١٧ ديسمبر ١٩٨٤ .

« ليس من السهل فهم شعرى رغم انه يبدو سهلا .. ففى بداياتى كشاعر كان يتضمن بعض الايقاعات وتقرؤه كانك تنشده .. أما الآن ، فهو شعر حر التفعيلة .. وان كان لايخلو من ايقاعية ».

خيب سيفيرت آمال الكثيرين حين رد على سؤال حول ممارسته للسياسة قائلا : انا شاعر فحسب .. اما السياسة فهى شيء هامشى بالنسبة لى .. لانها تفسد الاحاسيس الجياشة .. ورغم هذا فانا صاحب مواقف محددة ».

● بكين ●

● الشرق ومنظور الفلسفة الجديدة ●

« هل مات زمن الفلسفة ؟ وهل الفلسفة اختراع حضارى أوروبى فقط ؟ اثير هذا التساؤل من جديد مع رحيل الفيلسوف فرانسوا شاتليه فى الاسبوع الاخير من عام ١٩٨٥ ..


برنار هنري ليفي

ويصـدور كتاب « مشاعر اسـيا » لبرنار هنرى ليفى رحـل شاتليه فى الستين من عمره أما ليفى فلم يتجاوز الخامسة والثلاثين . ومع ذلك يعتبرونه فيلسوف العصر . أو بالاحرى فيلسوف العالم الغربى .

تم اعداد ليفى ليكون نموذجا جديدا من سـارتر الذى رحل منذ خمس سنوات . وهناك أوجه شبه عديدة بين الاثنين خاصة فى خصالهما .. فكلاهما من أصل يهودى مزج الفلسفة بالسياسة بالابداع الأدبى بالفين . وأعـلن كل منهما موقفه المتشدد من النظم الشمولية ومن هنا جاءت شهرة ليفى فى كل العالم الغربى .

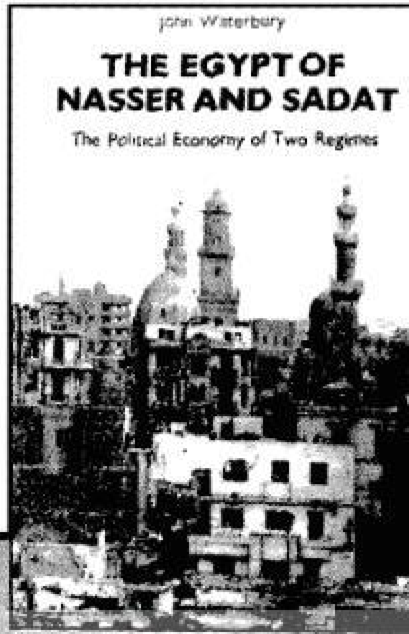
ليفى هو أحد أبرز الفلاسفة الجدد الذين أسسوا « الفلسـفة الجديدة » والتى اعلن سارتر عن ايمانه بها قبل رحيله بقليل . وأتت الشـهرة ليفى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره مع كتـابه « من الهمجية الى الوجـه الانسـانى » عام ١٩٧٧ ضد النظم الشمولية ثم توالت كتبه التى من أهمها « وصـية الله » . وفى عام ١٩٨٤ فاز بجائزة مدسيس عن روايته الاولى « الشيطان فى الرأس »

من أبرز أنشطة ليفى فى السنوات الاخيرة قيامه برحلات الى بعض دول العالم الثالث ليعلن فيها تمرده على الاوضاع السياسية والاجتماعية هناك وعاد ليقدم كتابا عنها . كما سافر الى افغانستان فى نفس العام .

وقد رحل عام ١٩٨١ الى كمبوديا أحدث رحلة قام بها ليفى فى العام الماضى كانت الى بكين باحثا عن وجه آسيا الحقيقى كما يقول بوجهة نظر رجل فخور بهويته . بذاكرته وثقافته متجهـا نحو الشرق . ربهذه الهوية الكاذبة التى أنكـرها يوما فى مقدمة كتابه « وصية الله » غاص فى المدن الصينية . مدينة تلو اخرى . ثم رحل الى طوكيـو وسيول . وبمنظـوره الايديولوجى تحـدث عن الشرق فهو لا يعترف بأديانه . وينظر الى عقائده بسخرية مقلقة كمـا يسعى الى الهجوم على النظم الشـمولية ـ من جديد ـ من خلال حملته على ماوتسى تونغ . ويطرح اسـئلته على غرار : « هـل سـعى الى تغييـر طبيعة الانسان الصينى فعلا ؟ » ..

يقول ان هونج كونج ـ التى قد عرفت لغة الارقام فتفوقت واصبحت المدينة الحقيقية الوحيدة فى الصين . وانه بينما فقدت تايوان احاسيسها واصبحت كونج يرضع من ثـدى أمه فان هونج كونج ـ التى ستعود الى الصين بعد أعوام ـ تعانى الآن من انفاسـها التى تختنق شيئا فشيئا .

وكتـاب ليفى ضخم يلزم أن يقوم أصحاب الشـأن بالرد عليه . ليس فقط فيما يتعلق بأيديولوجية الشرق وفكره . بل وبعقـائده التى يقلل من قدسيتها القادمين من الغرب .



كتاب
الشهر

عبد الناصر والسادات
الاقتصاد السياسى فى عهدين

تأليف: جون ووتربرى
عرض: د. أمين العيوطى

الكتاب الذى بين أيدينا اليوم يحاول ان يقدم كشف حساب عن ثلاثين سنة فى التجربة الناصرية والساداتية . والكاتب يستعرض فى الحالين الاختبارات المتاحة لصانعى القرار المصريين فى محاولتهم التوفيق بين الاصلاح وتوفير الأموال اللازمة فى ظل ضغوط المجتمعات المتقدمة صناعيا . وهو يرجع فشل التجربة فى الحالين الى فشل القطاع العام فى توفير الراسمال اللازم للتنمية لكنه يقلل الى ابعد حد من دور الضغوط الخارجية التى كانت ومازالت تعمل على إفشال التجربة المصرية ورغم ذلك يظل الكتاب واحدا من الكتب التى تستحق منا ان نتابعها .

عندما تولى عبد الناصر السلطة كانت اهداف الثورة القضاء على الاستعمار والاقطاع والاحتكارات واقامة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وبناء جيش قوى . كان تحقيق الأهداف الثلاثة الأولى كفيلا بتحقيق الأهداف الثلاثة الثانية . وكان تحقيق الأهداف العسكرية والسياسية يتطلب اقتصادا متنوعا يقوم على قطاع صناعة ثقيلة يؤدى بدوره الى مزيد من التصنيع والتحديث الزراعى وكان الهدف الأسمى من هذا كله استعادة القوة الوطنية المصرية والازدهار الاقتصادى .

وقد تحرك مجلس قيادة الثورة على عدة جبهات : برنامج الاصلاح الزراعى ، كهربة خزان أسوان ، بداية التفكير فى وضع السد العالى موضع التنفيذ ، وانشاء مصنع كيما للسماد ومجمع الحديد والصلب . وعن طريق اضفاء صفة الملكية العامة على هذه المشروعات وضع المجلس اساس القطاع العام . وحاول النظام تشجيع الاستثمارات الجديدة خارج نطاق الزراعة بثلاث وسائل : تحطيم الملاك الزراعيين الذين كانوا يديرون السياسة فيما بين ١٩١٩ ـ ١٩٥٢ ، اعادة توزيع الملكية الزراعية ، تشجيع الراسمالية الزراعية على استخدام ما يحصلون عليه من بيع اراضيهم والسندات التى تلقوها تعويضا عن الأراضى المصادرة فى قطاع الصناعة ، غير أن الاجراء الثانى أوجد فجوة بين القطاع الخاص والعام ، خاصة بعد حل البرلمان والأحزاب ووقف العمل بالدستور ، والحقيقة أن عبد الناصر كان عميق الشك فى القطاع الخاص البرجوازى مما جعل الدولة تأخذ على عاتقها ادارة الاقتصاد والعمل بمبدأ الملكية العامة . كان على صانعى القرار ان يواجهوا مشكلة تمويل المشروعات الصناعية من خلال عدة

وسائل من بينها مصادرة الممتلكات الخاصة وتحويلها الى ملكية عامة . وفى عام ١٩٥٥ صادرت الدولة مصانع تكرير سكر أحمد عبود وكسرت بهذا احتكاره لهذا القطاع .

غير أن الوثبة الكبرى فى هذا جاءت نتيجة الحظر الذى فرضته الدول الغربية على تصدير السلاح للدول العربية وسحب أمريكا لعرضها فى بناء السد العالى . هكذا جاء قرار عبد الناصر بتاميم قناة السويس وأدى فشل حملة السويس لا الى تأميم القناة فقط ، ولكن الى الاستيلاء على كل البنوك التجارية وشركات التامين والوكالات التجارية التابعة لانجلترا وفرنسا ووجدت الدولة نفسها مالكة لمؤسسات ضخمة وأصبحت قوة اقتصادية خاصة بعد سيطرتها على القطاع المصرفى . وبين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ كان لدى الحكومة من البنوك والجمعيات التعاونية الزراعية ما يمكنها من البدء فى التخطيط للاستثمار القومى . وفى ١٩٦٠ أمم بنك مصر وشركاته والبنك الأهلى بهدف كسر اى احتكارات قادرة على استخدام ثقلها لتعويق سياسة التنمية العامة كذلك أمم البنك البلجيكى بسبب أزمة الكونغو . والبنوك الخاصة وشركات التأمين والشحن ومؤسسات الصناعات الأساسية والثقيلة . وامتد التاميم ليشمل مصانع الأدوية والمؤسسات الانشائية الكبرى .

وهكذا أصبح فى يد الدولة كل الأعمال المصرفية وشركات التامين . وكل النقل الجوى ومعظم النقل البحرى وكل المنافع العامة فى مجالات المواصلات والاسكان ومتاجر وفنادق ودور سينما ومسارح وصحف ودور نشر وكل الاراضى المستصلحة والاسمدة والتقاوى والمبيدات الحشرية وكل شركات التعمير : والسد العالى وقناة السويس وكل الموانى الجوية والبحرية .

وفى عام ١٩٦١ الغى عزيز صدقى وزير الصناعة المؤسسات العامة الثلاث القائمة واحل محلها ٣٩ مؤسسة عامة تضم ٤٣٨ شركة مقسمة الى قطاعات يتبع كل قطاع منها احدى الوزارات كل حسب طبيعته . كذلك حدد لكل بنك دورا قطاعيا بحيث تخصص البنك الأهلى فى عمليات التجارة الخارجية ، وبنك مصر لتمويل التجارة الداخلية الزراعية وبنك الاسكندرية لتمويل الصناعات والحرف اليدوية وبنك القاهرة لتمويل قطاع الخدمات وقد خلق بهذا سلسلة من القطاعات المتوازية تحتكر تقريبا السيطرة على مجالاتها الانتاجية .

وفى عام ١٩٦٥ كان القطاع العام قد وصل الى اقصى مدى له ، وتطور الاقتصاد المصرى بمعدلات عالية ، وشهدت المرحلة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ مرحلة ديناميكية شديدة فى إنشاء الصناعات المتوسطة والثقيلة وكان من الممكن أن يجنى النظام ثمرات هذا فى الخطة الخمسية الثانية ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ . ولولا فشل المدخرات المحلية فى الوفاء باحتياجات المشروعات والاعتماد على

القروض الأجنبية وفشل الصادرات فى الحصول على النقد الأجنبي وحرب ١٩٦٧ وقد أدت كل هذه العوامل الى ازمة اقتصادية أساسية .

● القطاع العام فى أزمة ●

على الرغم من التوسع الصناعى ، وارتفاع الانتاج ، الا انه كان اكثر ميلا فى نهاية الخطة الخمسية الاولى الى انتاج السلع الاستهلاكية من جلود وأثاث وملابس توفر الاحتياجات المحلية وتحقق الحد من الاستيراد . وعلى الرغم من مستوى أداء أطيب فى انتاج السلع المتوسطة إلا ان الكثير كان يعتمد على قدرة القطاع الصناعى على ايجاد أسواق لمنتجاته . فلم تحقق هذه السلع سوى ٦ ملايين جنيه وفرا من قيمة الواردات وفى ١٩٦٥ انتهى الأمر بمصر الى استيراد ماقيمته ٤١٣ مليون جنيه فى مقابل ٢٢٩ مليون جنيه فى ١٩٥٧ ، دون تحقيق موازنة فى ميزان المدفوعات كما كان من المتوقع فى نهاية الخطة .

كان من أهم أسباب هذه النتائج تزايد حجم العمالة فى مدة الخطة بمعدل ٢٢ ٪ فى قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات . فقد أدى التزام الدولة بايجاد عمل لكل قادر بهدف الوصول الى اعادة توزيع الدخل الى فرض زيادة فى العمالة تشكل عبئا على الكفاءة الاقتصادية ، بما تمتصه من أجور ومكافآت دون أن تؤدى الى نمو الانتاج ، بل ان الانتاجية العمالية تدنت بعد ١٩٦٢ حتى فى قطاع النسيج .

وقد أدى هذا ، بالاضافة الى تدهور محصول القطن ، ودفع قيمة الممتلكات المؤممة لانجلترا (٢٥ مليونا) وتعويضات حملة أسهم قناة السويس (٢٧٫٥ مليونا) ودفع ١٥ مليونا للسودان لاعادة توطين النوبيين أدى كل هذا إلى أزمة فى ميزان المدفوعات فى ١٩٦٢ .

كان التصدير هو العامل الأول فى الأزمة فحتى بعد التغلب على فشل محصول القطن ، ظل ميزان المدفوعات يتدهور حتى الى ١٤٧ مليون جنيه فى ١٩٦٣ مما أدى الى نقص احتياطى النقد الاجنبى . وكانت النتيجة تخفيض قيمة الجنيه المصرى وتضاعف تكاليف الاستيراد دون أن يتحمل المستهلك أى زيادة نتيجة للدعم . ولم تؤد موازنة ١٩٦٢ الى حل المشكلة ، بل تفاقمت الأزمة فى ١٩٦٤ .

أدى العجز فى ميزان المدفوعات الى موجة تضخم زاد من حدتها قرار الولايات المتحدة وقف شحنات القمح ، مما أدى بمصر الى دفع مايستورد من الحبوب من احتياطى النقد الأجنبى وأدى نقص المواد الغذائية الى زيادة أسعارها . فزادت قيمة القمح والدقيق المستورد عن قيمة الصادرات المصرية الى الأسواق الأوربية . وفى مواجهة احتياجاتها من الاستيراد عجزت مصر عن الوفاء بالتزاماتها المادية ازاء الدين التجارى الخارجى .

جاءت أزمة المدفوعات الجديدة فى وقت تم فيه وضع الخطة الخمسية الثانية . ولهذا لجأت مصر الى تقليص الاستيراد والآلات والمواد الخام . وأدى ذلك الى اغلاق عدة مصانع وكان الانكماش والتقشف هما الخياران الوحيدان ، وكان لابد أيضا من تقليص

الاستهلاك ، وزيادة المدخرات والغاء المكافآت وفرض ضريبة دفاع على الدخل وارتفاع ضرائب الدمغة وجمارك السيارات وأجهزة التليفزيون واسعار تذاكر السينما والمسرح واطارات السيارات والزيت .

كانت الأزمة ترجع فى حقيقتها الى عدم كفاءة القطاع العام الذى كان يطلب منه أن يبيع المنتجات بسعر التكلفة أو بخسارة ، وأن يستخدم عمالة لاعلاقة لها بحاجات الانتاج وأن يدر عائدا من النقد الاجنبى وأن يلبى الاحتياجات المحلية . كانت ترجع ايضا الى اهمال القطاع الزراعى وعدم تمكينه من أن يصبح أداة تنمية فى حد ذاته .

كذلك لم تكن الأرباح والخسائر تعنى كثيرا فى قياس نجاح الشركات والادارة ، وأصبحت المساومة على مصادر التمويل مهارة إدارية أكثر منها كفاءة فى مواجهة معايير الانتاج وعلاوة على ذلك لم يكن أى حافز يشجع على تقويم الأداء تقويما أمينا . وكان لابد من التغطية على كل أسباب الفشل باسم حماية سمعة الاشتراكية ومكانة مصر الدولية ولم يكن بإمكان مديرى القطاعات أن يضاعفوا دخولهم بطريقة قانونية . كان هذا ممكنا فقط من خلال الفساد : صفقات مع مقاولى القطاع الخاص ، التعامل فى السوق السوداء ، والرشاوى من المتعاملين الأجانب .

بعد ١٩٦٦ بدأ نموذج الاحتمالات القطاعية والتخطيط الشامل يتحلل وفى ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ تخلى نظام السادات عن هذا النموذج تماما وأصبحت أهداف المرحلة الجديدة شبيهة بأهداف الفترة ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ إذ كان المفروض أن يقوم المدراء بعمليات تتسم بالكفاءة وأن يحققوا أموالا لا لأنفسهم ولكن لخزينة الدولة وللبنك الاستثمارى الوطنى . غير أن إمكانيات التوسع الشخصى تزايدت بشكل هائل مع بعث القطاع الخاص المحلى وفتح الأبواب للرأسمال الأجنبى . ومنذ ١٩٧٤ دخلت مصر رسميا مرحلة الانفتاح على العالم الخارجى .

● الانفتاح ●

أملت العوامل الاقتصادية الداخلية والسياسية الخارجية سياسة الباب المفتوح وكان الهدف الأول من الانفتاح المزاوجة بين الرأسمال العربى والتكنولوجيا الاوربية . وكانت حرب ١٩٧٣ تهدف فى جانب منها الى وصل الجسور مع امريكا وإعداد مصر للانفتاح من خلال توفير حوافز مغرية للرأسمال العربى والأجنبى . من بين هذه الحوافز كان اصدار قانون ٤٣ لعام ١٩٧٤ الذى أعتبر أى مشروع جزءا من القطاع الخاص حتى لو كان الشريك المصرى قطاعا عاما كان هذا يعنى ان كل المشروعات الاستثمارية الخاصة لاتخضع لقوانين العمل ولا لشروط تمثيل العمال فى مجلس الادارات أو المشاركة فى الارباح ، ولا لشروط الحد الأقصى للمرتبات الذى يطبق على القطاع العام .

وحدد القانون أولويات الاستثمار



جمال عبد الناصر



انور السادات

بمشروعات تتمتع باكتفاء ذاتي من النقد الأجنبي وتؤدى الى زيادة الصادرات ومشروعات تاتى بتكنولوجيا واساليب ادارية متقدمة ، وصناعات تغنى عن الاستيراد . كما مكن القانون المستثمرين الاجانب من تقاضى نسب أرباح عالية كذلك وضع القانون حدا لاحتكار القطاع العام للبنوك نص على منح المشروعات المقامة داخل مصر إعفاءات ضريبية لمدة خمس إلى ست سنوات من بداية العمل ، واستيراد المواد الخام والأجهزة دون ضرائب ومنح المستثمرين العرب حق امتلاك عقارات .

غير أن هذا القانون لم يجتذب المستثمرين الأجانب فاعيد النظر فيه في ١٩٧٧ بحيث أصبحت تحويلات الراسمال والأرباح بأعلى معدل سائد ، ولم يشترط أن تكون المشروعات متعلقة بالصناعات الأساسية كما سمح بشراء العملة الأجنبية بالعملة المحلية ، وبيع المنتجات المحلية بالنقد الأجنبي وشراء العملة الصعبة في السوق الموازى .

وما أن صدر القانون حتى بدأ الهجوم على القطاع العام والاشتراكية والمطالبة بالغاء كل القوانين المعوقة للقطاع الخاص وتصفية القطاع العام ، ومراجعة قوانين العمل للتخلص من العمالة الزائدة . وفي يوليو ١٩٧٧ صدر قانون بتصفية شركات القطاع العام الضعيفة وطرح الشركات الباقية للمساهمة وبات من المتوقع تصفية القطاع العام خاصة بعد أن تآكل بسبب ضغط المستثمرين والبنوك وخبراء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي . ولأن بعض عناصر القطاع العام وجدوا فرصة للازدهار من خلال المشروعات المشتركة ولظهور فئة جديدة من رجال الأعمال تتطلع الى قطاع الاستثمار الأجنبي كمصدر لاعمالها وعقودها وعمولاتها وهكذا طرحت فكرة توسيع رأسمال القطاع العام من خلال اشتراك حملة أسهم من المواطنين على أن تعتبر الأعمال التجارية جزءا من القطاع الخاص ، وفي خلال طرح عقارات القطاع العام الثابتة مقابل الدخول في مشروعات مشتركة كما حدث في حالات شركة نصر للسيارات واطارات نصر وشركة ايديال .

ومع صدور القانون تحسن مناخ الاستثمار في مجالات السياحة والاستثمار والبنوك والسماح لبعض البنوك الأجنبية بالتعامل فى حسابات بالعملة المحلية ولبعضها الآخر بالتعامل فى النقد الأجنبي والاستثمار المحلي ومنح القروض. كما الغى تخصص بنوك القطاع العام لتستفيد من امتيازات البنوك الخاصة.

غير أن قطاع البنوك الأجنبية اجتذب ودائع النقد الأجنبي من المصريين ثم قام بتحويلها إلى الخارج ولم يستغل الا ٤٢ ٪ من جملة الودائع والارصدة في مشروعات محلية، رغم أنه كان يمتلك اكثر من ٨٠ ٪ من جملة أرصدة النقد الأجنبي، وحتى، بنوك القطاع العام اتجهت الى تحويل ارصدتها من النقد الأجنبي الى الخارج. ولكن مع انخفاض قيمة الجنيه المصرى في مواجهة الدولار بدأ الاتجاه الى الحد من حرية البنوك في تحويل النقد الأجنبي الى الخارج.

كذلك أدى سوء استغلال الانفتاح الى طرد الانتاج المحلى في مجال استيراد السلع الكمالية وطالب الشركاء الأجانب فى المشروعات المشتركة (الجرارات والاطارات) باحتكار السوق المحلى، أو باستيراد الأجهزة اللازمة للصناعة اجهزة ضغط الغاز والهواء في الثلاجات والمكيفات من الخارج كما أن الشركات الاجنبية قامت بتقدير ممتلكات الشريك المصرى تقديرا مجحفا، وظهرت أيضا مشروعات تتهدد تراث مصر التاريخي (هضبة الهرم) أو مشروعات لاتقوم على تقدير دقيق لمتطلبات السوق المصرية أو لامكانيات التصدير (مشروع مجمع الاميرية) ومع كميات النقد الهائلة المتداولة ظهرت فئات من المستغلين والمنتفعين اضرت بالاقتصاد المصرى.

● منافسة القطاع الخاص ●

كانت الثورة المصرية قد تركت قطاعا من صغار الصناع والتجار اعتبرته رأسمالية غير مستغلة. وقد تمكن هذا القطاع من المحافظة على انتاجه الصناعي وسيطرته على تجارة الجملة والقطاعي وفى ظل الانفتاح اتجهت السياسة الى تشجيع نشاط هذا القطاع الخاص، ومد حوافز الاستثمار الممنوحة للأجانب لتشمله وتوفير النقد الأجنبي له، وتشجيعه على التعامل فى التصدير والاستيراد.

كانت شركات الاستيراد المستفيدة الأساسية فى المرحلة الاقتصادية الجديدة. فمن خلال استغلال الحاجات الاستهلاكية واستقطاب مدخرات النقد الأجنبي للمصريين العاملين في الخارج كون المستوردون ثروات هائلة من استيراد السلع المعمرة والملابس والأطعمة الفاخرة والكماليات رغم أن ما يستوردونه ينافس صناعات القطاع الخاص.

كذلك يعتمد رجال الصناعة الجدد على مدخرات المصريين فى الخارج لمواجهة متطلبات الاستيراد من النقد الأجنبي وبالاضافة الى هؤلاء هناك قطاع الانشاءات التقليدية حيث تعتمد

مجموعات المقاولات والتعمير على حجم العمل الضخم الذى تقوم به الدولة كما أفاد آخرون من التحكم فى السوق السوداء لتوفير احتياجات الطبقة الوسطى ومن بين. هذه القطاعات يبدو أن رجال الصناعة الجدد الذين تقوم البنوك بتمويلهم هم الوحيدون الذين يقومون بنشاطهم بعيدا عن الدولة وما لم يتوفر لهم اكتفاء ذاتيا من النقد الأجنبى فسوف ينتهى بهم الأمر الى العمل مع المستثمرين الأجانب .

● عدالة التوزيع والطبقات ●

على الرغم من أن برجوازية الدولة قد ضعفت ماتزال القوة السائدة فى الاقتصاد . وفى حين أن مصالح القطاع الخاص البرجوازى الصغير تتزايد قوة إلا انها ما تزال ضعيفة ومنقسمة بين الانفتاحيين وبين قطاع صناعى يكافح ضد ما يتعرض له من تهديد الواردات الاستهلاكية والامتيازات الممنوحة لمشروعات القانون ٤٣ ومن ناحية أخرى لم تكتسب الطبقات المطحونة أى قوة بل أصبحت مطحونة أكثر بفعل التضخم اما الحرفيون والعمال المهرة فإنهم يستفيدون اكثر من الانفتاح ومن اتجاه الطبقة الوسطى الى الاستهلاك . واكثر الفئات شعورا بالضغط هى فئة موظفى الدولة الذين يعيشون على مرتبات ثابتة وإعانات الغلاء والاشتغال بوظيفتين .

مجمل هذا كله انه لاتوجد فى مصر طبقة سائدة جديدة . وربما أدى ادماج الانفتاحيين وأصحاب الصناعات الخاصة والمزارعين التجاريين والمستفيدين السابقين من رأسمالية الدولة الى تشكيل مثل هذه الطبقة مما يؤدى الى أن تصبح الدولة تابعة لها . ولكن ربما يفشل الاستثمار الأجنبى فى احداث أثر ملموس وربما ظلت أسواق أوروبا مغلقة دون مصر ، وربما شهد منتصف الثمانينات أزمات ميزان مدفوعات جديدة . وفى هذه الحالة سوف يؤدى هذا الى اعادة بعث قطاع الصناعة الوطنى وتأكيد التكامل على مستوى المنطقة وعودة الدفء الى العلاقات المصرية السوفيتية . وسوف يؤدى هذا الى تقليص دور برجوازية القطاع الخاص الوليدة . وسوف يظل القطاع العام القناة الأساسية للاستثمار والملك الأكبر للصناعات الاستراتيجية ، ولكن مع تشجيعه على الدخول فى مشروعات مشتركة مع القطاعات الخاصة الاجنبية والمحلية وسوف تستمر الطبقة الوسطى الزراعية فى السيطرة على الأسواق فى مجال الانتاج الزراعى والحيوانى وفتح مجالات تصدير الى أوربا .

● مصر والقوتان الاعظم ●

قامت تجربة مصر الاشتراكية وتجربتها الليبرالية على أساس الاعتماد على القوتين الأعظم . ويميل أنصار تحليل اعتماد دولة على أخرى الى الأخذ بفكرة انه ما أن تقوم دولة نامية بإحداث تغييرات أساسية فى استراتيجية التنمية فإن المصالح التى تضار من هذه التغييرات تحاول زعزعة النظام من خلال قطع القروض والمعونات عنها واغلاق الاسواق فى وجهها .

مصـــر
عبد الناصر والسادات

وقد قامت مصر بإحداث تغييرات سياسية أضرت بمصالح القوتين الأعظم ولكن ليس هناك ما يدل على أن أيا منها حاول زعزعة حكم الصفوة المصرية فعلى الرغم من قرارات ١٩٦١ الاشتراكية الا أن مبيعات القمح الامريكية استمرت وخلال المرحلة الاشتراكية ظلت مصر تحصل على قروض من البنوك الغربية ، رغم حرب السويس وتجميد أرصدة مصر فى الخارج فى ١٩٥٦ ومنع شحنات القمح الأمريكية فى ١٩٦٦ . ولم ينتج عن طرد الخبراء السوفييت ، واتجاه مصر الى الغرب ، ووقف سداد دين مصر للاتحاد السوفييتى الى اى شىء سوى وقف شحنات قطع الغيار العسكرية . ولم تكن الولايات المتحدة هى التى وضعت حدا للتحول الاشتراكى فى مصر ، بل عدم كفاءة قطاع الدولة ، ولم يكن هناك ما يستطيع الاتحاد السوفييتى أن يفعله لوقف التحول بعيدا عن الاشتراكية ، وليست المؤسسات المتعددة الجنسيات مسئولة عن التحولات الاقتصادية الاساسية فى مصر منذ ١٩٥٦ .

وقد مرت مصر بتجربة تأسيس اعتمادها الخارجي بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى وحتى ١٩٦٦ كانت الولايات المتحدة الامريكية تسهم فى هذه العلاقة من خلال شحنات القمح ولكن منذ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢ كان اعتماد مصر على الاتحاد السوفييتى كاملا . ومنذ زيارة نيكسون لمصر فى ١٩٧٤ عادت مصر الى الغرب والى الدول العربية المصدرة للبترول لبعض الوقت . ولم يكن أى من دائنى مصر سعيدا بسياساتها وادائها الاقتصادى على امتداد العشرين سنة الأخيرة . وفى حين انه كانت هناك شروط للمعونات والمساعدات الا انها لم تنقطع

ولعل اكثر أوجه اعتماد مصر على الخارج حدة هو قوة العمالة المهاجرة التى تبلغ اكثر من مليون عامل . وهذه مشكلة حساسة بمعنى مزدوج لأن مكاسبهم تساعد على دعم ميزان المدفوعات ، ولأن وجودهم فى الخارج يحرم قوة العمالة المحلية من أمهر عمالها . ولهذا فإن وجودهم فى الخارج عامل ذو حدين .

وعلى الرغم من مدخراتهم ، وعلى الرغم من عوائد مبيعات البترول والسياحة ، فإن اقتصاد مصر الآن يشبه الى حد بعيد ما كان عليه فى عام ١٩٦٧ . فقد أدى التضخم الى زيادة دخل الفرد ، ولكن تعداد السكان زاد عشرين مليون مولود جديد ، وربما استطاعت مصر أن تعيش الى اجل غير مسمى على المنح والمساعدات الخارجية بسبب اهميتها الجغرافية السياسية . لكن أموال الدعم ، وعدم كفاءة رأسمالية الدولة لايمكنها أن تخفى محدودية المصادر وزيادة السكان ، وهو ما يشكل أزمة حادة فى مجتمع فوق ما يطيق أكثر من غيره من المجتمعات على مر العصور .

والملاحظ بوجه عام ان الكتاب يركز على طول الخط على سلبيات التجربتين وخاصة سلبيات القطاع العام . ولعلنا لهذا السبب نحظى برد عليه من جانب أحد المتخصصين فى الاقتصاد السياسى .

دار ابن لقمان

وأحد أهم انتصارات مصر

كيف انتصر المصريون على أعتى ملوك أوربا؟

تحقيق : عاطف مصطفى

● ● فى وسط مدينة المنصورة عروس الدلتا . وبالقرب من نيل مصر العظيم يطل مبنى صغير . يتكون من دورين فى الدور الأول غرفتان صغيرتان . تعلوهما غرفة شهدت أسر لويس التاسع ملك فرنسا . ذلك الملك المغرور الذى استسلم فى خضوع . بعد معركة فارسكور فى ١٦ ابريل ١٢٥٠ لتكون نهاية واحد من اكبر ملوك اوربا الذين ظنوا ان مصر فريسة سهلة . وحيث استهان الملك المغرور بالمقاتل المصرى الذى نسج خيوط مجد بلاده من دمه . و أباد من جيش الغزاة ٣٠ الف قتيل . من بينهم الكونت دارتوا شقيق لويس التاسع ● ●

وبيت ابن لقمان هو الأثر الوحيد الباقى . والمشاهد الحى على هزيمة لويس التاسع . حيث أسر لمدة شهر كامل إبتداء من ٧ ابريل حتى ٧ مايو ١٢٥٠ م . بعد أن انتهت المفاوضات بان يدفع لويس التاسع فدية قدرها ١٨٠ الف دينار بيزنطى من الذهب . والجلاء فورا عن دمياط دون قيد أو شرط . وقبل الملك الحزين هذه الشروط لادراكه التام بعدم جدوى المقاومة . وحملته سفينته الحربية عائدا إلى بلاده وفى رأسه صورة الشعب المصرى

المنتصر . وصورة مصرع شقيقه الكونت « دارتوا » الذى قتل فى شوارع مدينة المنصورة . فى ملحمة بطولية . كانت اروع ملاحم الفداء الشعبية لأبناء مصر . وصورة دار ابن لقمان التى سجن فيها مع شقيقه « الكونت دانجو » و « الكونت بواتييه » والعديد من نبلاء فرنسا .

حينما تصل إلى مسامعنا قصص الفداء والبطولة . التى ابلاها ابناء مصر لصد تلك الحملة والحملات السابقة . نتصور ان رمز الانتصار يحظى باهتمام المسئولين . ولكن

دار ابن لقمان

للأسف الشديد . حينما شاهدت دار ابن لقمان احسست بالأسى والحسرة . فلم يتبق من تلك الدار التى انشئت قبل مجيء حملة لويس التاسع بثلاثين عاما على مساحة ٢٠٠٠ متر . سوى أربعين مترا مربعا فقط . ومن حولها العمارات الشاهقة . وحتى السلم الذى يوصل إلى الغرفة التى اسر فيها الطاغية . والذى كان يعد اشهر ملوك العالم منذ ٧٣٦ عاما ـ بدأت بعض اجزاء منه تنهار كذلك تشققت جدران الغرفة العليا . بسبب أعمال البناء لعمارة هائلة . هى خير دليل على عصر الانفتاح والرخاء ! ..

دون أن ندرى اهمية الاثر التاريخى الهام . او نصدر قرارا جريئا بالمحافظة عليه . ليظل الشاهد على عظمة شعب مصر . واستعداده الدائم للبذل والفداء .. ولاشك أن هناك تعقيدات إدارية وروتينية تحول دون الحفاظ على دار ابن لقمان . وتحتاج إلى قرار من محافظ الدقهلية اللواء سعد الشربينى بحماية دار ابن لقمان . دون الانتظار إلى عون مصلحة الآثار أو غيرها ! .

وما يجعلنا نتفاءل هو إقامة الجزء الحديث ضمن متحف المنصورة القومى الذى يضم دار القاضى فخر الدين ابراهيم ابن لقمان كاتب ديوان الانشاء فى عهد الصالح نجم الدين .. وهو عبارة عن قاعة تضم عددا من اللوحات والتماثيل استوحاها كبار فنانينا التشكيليين . وترمز إلى كفاح الشعب المصرى . ووقوف ابناء مصر فى وجه الطغاة . وقد قام الفنانون بعمل التماثيل ورسم اللوحات . بعد أن استلهموا تاريخ مصر العظيم والموا بكل دقائق المعارك . وبطولات ابناء المنصورة

ومن ابرز مايضمه المبنى الاثرى الغرفة التى اسر فيها لويس التاسع ويوجد بداخلها . كنبة . اثرية كان يستعملها كسرير . كرسى من الخشب الارابيسك دواليب فى الحائط كان يضع فيها لويس التاسع ملابسه . بالاضافة إلى مكتبة خشبية من الأرابيسك . و . مسرجة . علقت بسقف الغرفة . كانت توقد بالزيت الذى كان يستخدم فى ذلك الوقت .

وسقف الغرفة مغطى بالخشب . وبها شباك من الأرابيسك مازال يحتفظ بالطراز القديم . فلا توجد به مفصلات ثابتة . ويوجد فى صحن دار ابن لقمان . زير . من الرخام . الألبستر . مكون من ثلاث قطع . اما الباب الخارجى للدار فمازال كما هو لم يتغير .

والصالة الحديثة بمتحف المنصورة القومى انشئت عام ١٩٦٠ وافتتحها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ثم اصابها التصدع بسبب عمارة شاهقة بنيت ملاصقة لها . واغلقت لفترة إلى ان تم تجديدها مؤخرا . وتضم مجموعة من الأسلحة التى تخلفت عن المعركة . من بينها سيوف فرنسية نقش الصليب على مقبضها . وكذلك بعض الأسلحة التى استخدمها الجيش المصرى والشعب مثل القوس والرمح والخناجر الشعبية .

كما تضم الصالة تماثيل لتوران شاد وشجرة الدر . ولويس التاسع بالاضافة إلى لوحات للمقاومة الشعبية وللمعارك الشهيرة التى ابلى فيها الجيش المصرى بلاء حسنا فى معارك البحر الصغير وفارسكور والمنصورة .

وقد تبارى الفنانون فى إبراز الهزيمة من خلال تماثيلهم ولوحاتهم فقد صنع الفنان الراحل عبد الحميد حمدى تمثالا من الجبس للويس التاسع جسد فيه كيف واجه الأسر .. هزيلا .. ضعيفا يفكر فى

المصير الذي ساقه إلى مصر في المعركة التي نتج عنها قتل واصابة ٥٠ الفا من جنود الغزو الصليبي على مدى ١٢ شهرا من اول يونيو ١٢٤٩ إلى ٨ مايو ١٢٥٠ يوم خروجهم من دمياط . وفي هذه الفترة انجبت مارجريت زوجة لويس التاسع ابنا بمدينة دمياط سمود . طفل الاحزان . !

كما توجد لوحة للفنان الحسين فوزي يجسد فيها اسر لويس بدار ابن لقمان . كما تعبر إحدى اللوحات عن الأسى والحزن يكسوان وجهه . ونراه كما لو انه بلغ عامه السبعين بسبب الهزيمة الثقيلة التي لقيها على ايدي المصريين .

لقد قبض على لويس بعد هزيمته وهو يحاول الفرار ببيت الخولي عبد الله وكبل بالحديد . وظل سائرا على قدميه لمدة يوم كامل . حتى وصل إلى دار ابن لقمان . ولم ينس الفنان التشكيلي أن يصور هذا المشهد .. لويس مكبلا بالحديد وجموع الشعب من حوله . يحملون اعلام النصر . والفرحة تغمرهم . لما حققوه بفضل بسالتهم وشجاعتهم التي ابلوها في الحرب ضد الصليبيين .

وكانت معركة البحر الصغير من المعارك التي شهدت بسالة المحارب المصري وشجاعته . في هذه المعركة انقض الجيش المصري على مؤخرة قوات لويس . بعد ان نسي ان يتلف القنطرة التي بناها على البحر الصغير لعبور قواته .

لويس التاسع يدخل المنصورة مكبلا بالأغلال

وكان الجيش المصري بالمرصاد . وقد امتلأ البحر بجثث القوات الفرنسية . وابرز سبل المقاومة التي شهدتها تلك المعركة ان الفرد العادي كان يضع بطيخة على راسه ويعوم في مياه البحر الصغير ويتصور الجنود الفرنسيون انها بطيخة تعوم في مياه النهر . وينزل جندي للحصول عليها . فيفاجأ بمن يقتله . أو يسحبه ناحية القوات المصرية ليوضع في الأسر . وماأكثر الصور الفدائية التي قام بها شعب المنصورة ودمياط في المعارك التي انتهت بالانتصار .

● حملات صليبية وهزائم : ●

إن استلهام التاريخ والعودة إلى الماضي . يجعلنا في شوق دائما لكي نعرف الحقيقة التي لم تغب عن أحد . وهي أن كفاح العالم العربي ضد الغزو الصليبي أخذ سمة واضحة في عهد صلاح الدين الأيوبي . إذ رأى ببصره الثاقب أنه لا سبيل إلى القضاء على الاستعمار الصليبي . إلا بتوحيد قوى العرب وتكتلهم ضد القوى المستعمرة . واجتماع كلمتهم على الجهاد في سبيل الوطن وتطهيره من الصليبيين . فضم مصر وشمال افريقيا وبلاد النوبة واليمن وبلاد الشام وشمال العراق في دولة واحدة تحت إمرته . وبهذه الدولة الموحدة واجه الصليبيين وطوق إمارتهم . وحصد قواتهم بالجيوش العربية موحدة القيادة . من الشمال والشرق والجنوب . فكان النصر له لكن ماهي الأسباب الحقيقية لفكرة الحروب الصليبية ؟ .

تذكر كتب التاريخ أن القرن الحادي عشر الميلادي قد شهد صراعا عنيفا بين أوربا والشرق الاسلامي . الهدف منه هو استعمار الشرق الأدنى . وتعرف هذه الحملات في التاريخ السياسي بالحروب الصليبية .

نسبة إلى الصليب الذى اتخذته اوربا شعارا لها فى هذه الحروب . كما ارادت الكنيسة الغربية ان تبسط سيطرتها على الكنيسة الشرقية . وكانت الدعوة لهذه الحملات تقوم على اساس تخليص بيت المقدس من ايدى السلاجقة المسلمين .

ولكن المطامع الاستعمارية تغلبت على الطابع الدينى الذى اتسمت به هذه الحروب . وظهر الحقد الفرنسى والجشع بالنسبة للشرق العربى .

ففى عام ١٠٩٧ م نجحت الحملة الصليبية الأولى فى الاستيلاء على بيت المقدس وتاسيس إمارات صليبية فى الشام وشمال العراق . وتم ذلك فى ظل تفكك العرب . وحينما جاء صلاح الدين الأيوبى جمع شمل المسلمين وانتصر فى موقعة حطين عام ١١٨٧ م . وتوج انتصاره بدخول بيت المقدس مما اثار اوربا . وجعلها تجهز حملات اخرى انتقامية بعد ان ادركت أن مصر اصبحت قاعدة الهجوم ضدهم . وانها راس الحربة الموجهة ضد بقائهم فى هذه المنطقة .

وقد صدت الدقهلية حملة جان دى برين التى اتت لغزو مصر فى يونيه ١٢١٧ م بعد كفاح بطولى من المقاومة البطولية فى دمياط والمنصورة بقيادة الملك الكامل . والذى اسس مدينة المنصورة . واطلق عليها هذا الاسم تيمنا بنصره على جحافل الصليبيين .

وبالرغم من الهزيمة الساحقة التى لحقت بحملة جان دى برين وبجيشه الذى زاد على ٧٠ الف فارس و ٤٠ الفا من المشاة . جرت الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا . لتحقيق غرض الصليبيين فى القضاء على مصر . ولتلقى نفس المصير الذى لاقته حملة جان دى برين .

وقد ظل لويس التاسع يستعد لهذه الحملة طوال ثلاث سنوات ووعد كل من يحمل الصليب بغفران ذنوبه . وأوفد البابا . انسنت . بناء على طلب الملك لويس مندوبا عنه للتبشير بالحملة فى فرنسا . كما أرسل دعاة آخرين للطواف بباقى بلدان أوربا . ولكن جهودهم لم تلق تاييدا كافيا . ولذلك اتسمت هذه الحملة دون غيرها من الحملات السابقة بالطابع الفرنسى .

ولم تكن الفكرة من أجل الجهاد . بل طمعا فى أن تتهيا الفرصة لتكوين مستعمرات فى مصر وإحالتها إلى إقطاعيات وإمارات كما فعل اسلافهم فى الشام .

● صد الغزاة ●

كما استعد الصليبيون للغزو فاجاهم المصريون بما لم يتصوروه من استعداد وشجاعة منقطعة النظير ولقنوا الملك المغرور وجيشه درسا لم ينسوه وبرغم مرض الملك الصالح الا انه أعطى أوامره فى ابريل ١٢٤٩ بالاستعداد فشحنت دمياط بالأسلحة . واستعد الجنود . كما أعطى امرا بإعداد قطع الاسطول فى دار صناعة السفن فى الفسطاط وتزويده بالمقاتلين .

وفى ٤ يونيو ١٢٤٩ وصلت سفن الحملة الصليبية إلى دمياط . وكانت الجيوش المصرية تقف على الشاطىء بكامل عدتها . ويصف جوانفيل مؤرخ الحملة الفرنسية هذا المشهد قائلا : "وصل الملك أمام دمياط ووجدنا هناك كل جيوش السلطان تقف على الشاطىء كتائب تسر الناظرين . ذلك أن أسلحة السلطان قد صنعت من ذهب . فكانت الشمس تشرق على هذه الأسلحة فتزيدها بريقا ولمعانا . وكانت جلبتهم التى ياتونها بصنوجهم وأبواقهم الشرقية تدخل

الرعب فى افئدة السامعين" وفوجىء لويس وجنوده بالألوف المحتشدة من الجنود المصريين ، وقد فت ذلك فى عضد الجند الفرنسيين الذين قضوا حوالى ثمانية أشهر فى قبرص ، قبل مجيئهم إلى دمياط ، وكان لذلك اثره السيىء على نفسيتهم . ويذكر المقريزى فى نص الانذار الذى أرسله لويس التاسع إلى الملك الصالح "أما بعد فانه لم يخف عنك انى أمين الأمة العيسوية ، كما انى اقول إنك أمين الأمة المحمدية ، وانه غير خاف عنك ان اهل جزائر الاندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستاسر البنات والصبيان ونخلى منهم الديار ، وقد ابديت لك مافيه الكفاية وبذلت لك النصح إلى النهاية ، فلو حلفت لى بكل الأيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان

لوحات انتصار شعب المنصورة داخل قاعة متحف المنصورة القومي



وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان . ماردنى ذلك عن الوصول اليك وقتالك فى اعز البقاع عليك . فإن كانت البلاد لى فياهدية حصلت فى يدى ، وإن كانت البلاد لك والغلبة علىّ فيدك العليا ممتدة إلىّ وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسياف القضا" .

ويبدو من نص هذا الإنذار صلف المعتدى وإصراره على محاربة مصر بالذات لاستخلاص بيت المقدس واسترداد فلسطين وذلك عن طريق التخلص من مصر التى يعدها العقبة الكئود امامه . ويؤيد هذا الراى جوانفيل مؤرخ الحملة ، إذ ذكر أن الكونت ، دارتوا ، اخا الملك لويس أشار بالزحف على القاهرة دون غيرها من بلاد مصر ، وذلك على حد قوله "اذا اردت ان تقتل الحية فهشم راسها أولا" .

لم يجزع الملك الصالح من انذار لويس ملك فرنسا ، ورد عليه بكتاب شديد اللهجة بخط القاضى بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الانشاء وقد ذكر المقريزى نص هذا الرد "أما بعد فإنه وصل كتابك وانت تهدد بكثرة جيوشك وعدد ابطالك . فنحن ارباب السيوف وماقتل منا قرن إلا جددناه ، ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ، فلو رات عيناك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وإخرابنا منكم ديار الأواخر والأوائل ، لكان لك ان تعض على أناملك بالندم ، ولابد ان تزل بك القدم فى يوم أوله لنا وآخره عليك ، فهنالك تسىء بك الظنون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ، فإذا قرات كتابى هذا فكن فيه على أول سورة النحل : "اتى امر الله فلا تستعجلوه" وكن على آخر سورة ص .. "ولتعلمن نباه بعد حين" ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" وإلى قول الحكماء : إن الباغى له مصرع وبغيك يصرعك وإلى البلاء يقلبك والسلام ..."

● صراع من أجل النصر ●

نزل الصليبيون إلى البر الغربى لدمياط فى ٥ يونيه ١٢٤٩ م ، وقاومت المدينة ببسالة . ورغم حدوث اخطاء ادت إلى انسحاب القوات المدافعة عن المدينة ، وكعادة الفرنسيين حولوا مسجد المدينة إلى كنيسة اطلقوا عليها اسم كنيسة مريم العذراء .

ويذكر جوانفيل ان الاهالى عمدوا إلى إشعال النيران فى سوق المدينة قبل تركها حتى لا ينتفع الصليبيون بما فيه من غالى المتاع والذخيرة ، كما يذكر العينى فى كتاب عقد الجمان "إن الحراشفة كانوا يقدمون إلى معسكر الفرنجة ، يتخطفون منهم فلقوا منهم اذى عظيما" .

كما أخذ السلطان فى تشجيع حركة المقاومة بمنح قطعة ذهبية عن كل رأس من رءوس الأعداء ، وتوالت الهجمات الليلية على معسكر الفرنسيين .

وكان لسقوط دمياط صدى فى دمشق إذ شن اهلها الحرب على الفرنج وقاتلوهم واستولوا على مدينة صيدا بعد حصار وقتال ، وذلك ردا وانتقاما على سقوط مدينة دمياط فى ايدى الفرنسيين ، غضب الملك الصالح لما حدث فى دمياط وبرغم مرضه نزل بقصره فى المنصورة ليكون بالقرب من المعارك ، وليرفع من عزيمة رجاله ويحضهم على الجهاد .

توقفت أعمال الصليبيين الحربية لمدة ستة اشهر واتاح ذلك للمصريين تقوية



الأثر المتبقى من دار ابن لقمان يحتاج لرعاية واهتمام بعيدا عن التعقيدات والروتين !

مواقعهم الدفاعية ، كما أتاح الفرصة لأفراد المقاومة الشعبية لتصيد الفرنسيين حتى دب الرعب فى نفوسهم وبالرغم من سقوط مدينة دمياط ، لم يتوقف استعداد المصريين ، وأثناء الحملة توفى الملك الصالح فاخفت زوجته شجرة الدر النبا حتى لا يفت ذلك فى عضد المقاتلين ، وسيرت أمور الحكم حتى وصل توران شاه فى ٢٤ فبراير ١٢٥٠ ليحقق نصرا كبيرا على لويس التاسع فى معركة فارسكور .

● معركة المنصورة ●

فى ٨ فبراير ١٢٥٠ اقتحم الكونت« دارتوا » شقيق الملك لويس التاسع بفرسانه أسوار مدينة المنصورة وانتشرت فى أزقتها المستقيمة والمسدودة بحثا عن الأسلاب ، وخرجت عليه قوات الفرسان المصرية من كمائنها خلف أسوار القصر الملكي بقيادة الظاهر بيبرس تبيد كل من أمامها من فرسان الصليبيين ، ومن خارج المنصورة التقت الفرقة الثانية من الناحية الأخرى ، وكانت مفاجاة للقوات الفرنسية أن خرج الشعب المنصورى ، الرجال والنساء والشبان يهاجمون فى ضراوة قوات العدو الهاربة فى الأزقة بالحجارة والطوب والأوانى النحاسية من فوق أسطح المنازل حتى افترشت الأرض باجسادهم الممزقة . وسقط الكونت « دارتوا » شقيق لويس التاسع قتيلا ومعه ١٨٠٠ فارس .

وفى ثلاثة أيام استطاع الملك المذعور لويس التاسع تنظيم صفوف جيشه فوضع على ميمنته شقيقه الكونت « دانجو » وعلى ميسرته شقيقه الثانى الكونت « دى بواتييه » وفى القلب الملك لويس نفسه بفرقة الخيالة الملكية ، ومن أمامهم اصطف جيش المسلمين المنظم حيث تقام معركة البحر الصغير العسكرية والتى استخدمت فيها النار الاغريقية . وانتهت المعركة بإبادة صفوة الجيوش الصليبية وقتل فى المعركة ١٠ آلاف من القوات الفرنسية

ويذكر جوانفيل أحد قادة الفرق ومؤرخ



تمثال سيد قطز المنتصر على وجه لويس ملك فرنسا

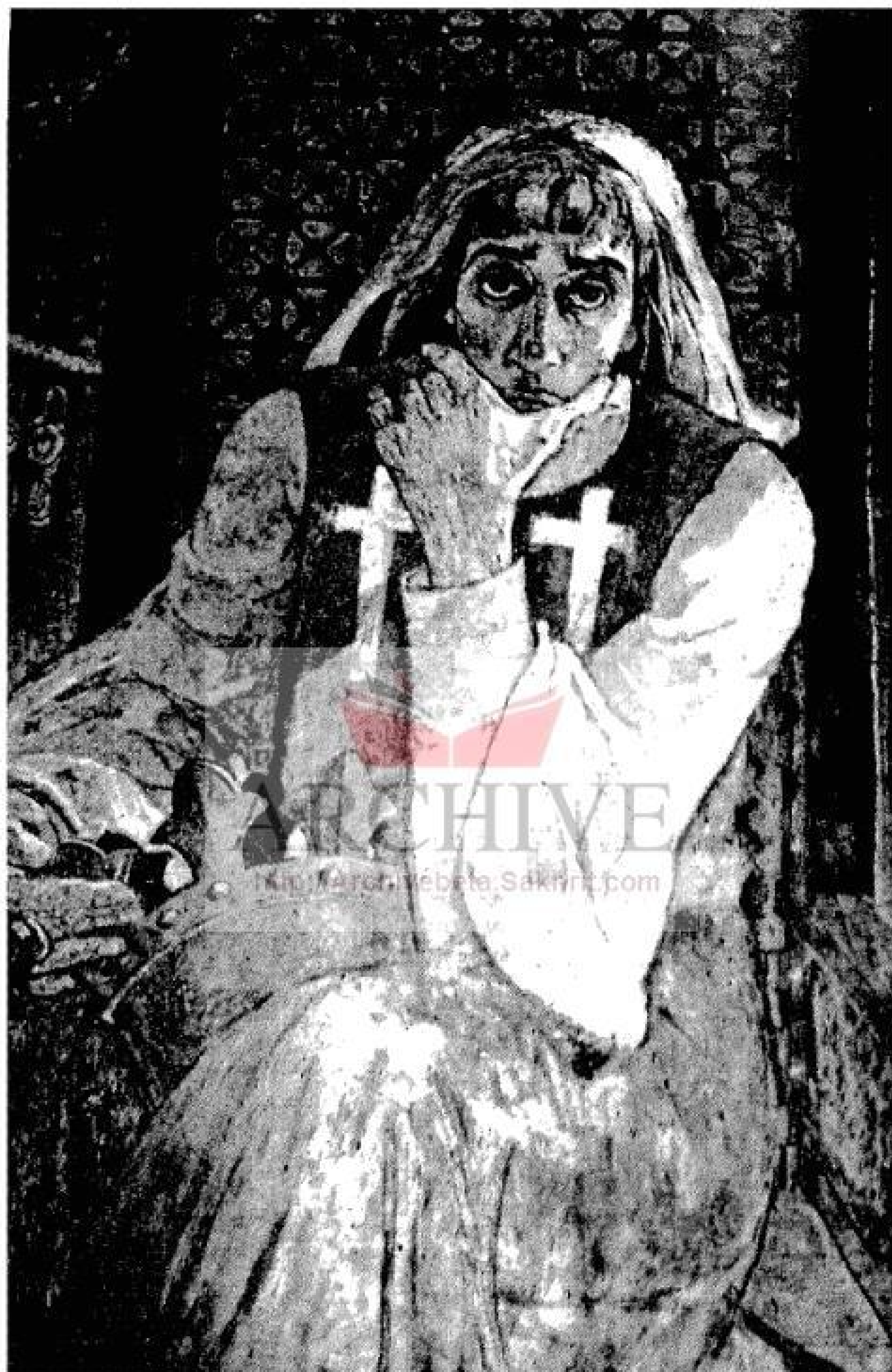
دار ابن لقمان

الحملة الفرنسية فى مذكراته ان البحر الصغير امتلأ بجثث القتلى الفرنسيين إلى ان انتشر الوباء فى الجيش الفرنسى وطفت جثث القتلى تغطى سطح الماء فى بحر اشمون طناح . ففكر لويس فى الانسحاب إلى دمياط لينظم صفوفه ثم يعود للاستيلاء على المنصورة مرة اخرى .

وفى ١٦ ابريل ١٢٥٠ كان النصر الأخير على الصليبيين فى معركة فارسكور ، وفيها انتهت اسطورة لويس واصبح قائدا بلا جيش ووقع رجاله فى ايدى المصريين بين

الغرفة التى اسر بها لويس التاسع وعلى الصفحة المقابلة صورة تخيلها الرسام للويس يفكر مهموما بعد ان هزمه شعب دمياط





دار ابن لقمان

اسير وقتيل وجريح وأجمع المؤرخون على ان عدد قتلى الصليبيين المعتدين فى هذه المعركة وصل ٣٠ الفا .. وهرب الملك لويس من ميدان المعركة . خوفا من قتله . ولجا إلى تل قونه "بيت الخولى عبد الله" واختبا هناك ولحق به شقيقاه وعدد كبير من كبار البارونات وتمكن الجيش والشعب من القبض عليه . ثم يساق الملك المهزوم مشيا على الاقدام على مدى يوم كامل ليصل إلى المنصورة فى ٧ ابريل ١٢٥٠ .. ولم يدخل لويس المنصورة التى اراد اخضاعها الا وهو مكبل بالسلاسل ...

وقد فكر المصريون فى قتل لويس التاسع فور اسره . ولكن البعض اثر اسره والاستفادة من الفدية التى يدفعها لتعويض خسائر الحرب . وفرض شروط بالا يعاود الهجوم مرة أخرى على مصر وخلال المحادثات التى تمت اسر لويس بدار ابن لقمان مع شقيقيه وعدد من النبلاء . وكان اسره فى بيت ابن لقمان نوعا من التكريم . حيث كان هذا البيت يلى قصر السلطان مباشرة فى المكانة فى ذلك الوقت

وكل ما استطاعت أوربا ان تقدمه للملك المهزوم جمع الفدية لإطلاق سراحه ، وعودته يجر اذيال الهزيمة الساحقة .

● موكب النصر ●

فى ٧ ابريل خرج شعب المنصورة فى موكب النصر يزف الملك لويس لإيداعه دار ابن لقمان ، وكان يسير على قدميه بلا كبرياء ، رأسه يكاد يلامس الأرض ، وعيناه تتابع الأقدام التى كانت تبحث لها عن مكان وسط موكب الشعب وابطال جيش مصر الذين كانوا يحيطون به فى فخر وخيلاء وهو ذليل مستسلم خاضع ..

وكانت نهاية واحد من اكبر ملوك أوربا الذين ظنوا أن مصر فريسة سهلة ، سرعان ماتستسلم ، صاغرة بين انيابهم واستهان لويس بالمقاتل المصرى الذى نسج خيوط مجد بلاده من دمه ، وتحطمت على يديه غزوات متتالية عبر التاريخ ، وهو قادر فى كل عصر على تحقيق النصر على أعدائه ، مهما كانت قوتهم .

ويقول شاعر مصر جمال الدين بن مطروح مودعا الغزاة الفرنسيين بعد هزيمتهم من ابناء المنصورة :

قل للفرنسيس اذا جئته
مقال نصح من قؤول فصيح
آجرك الله على ماجرى
من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصر تبتغى ملكها
تحسب أن الزمر ياطبل ريح

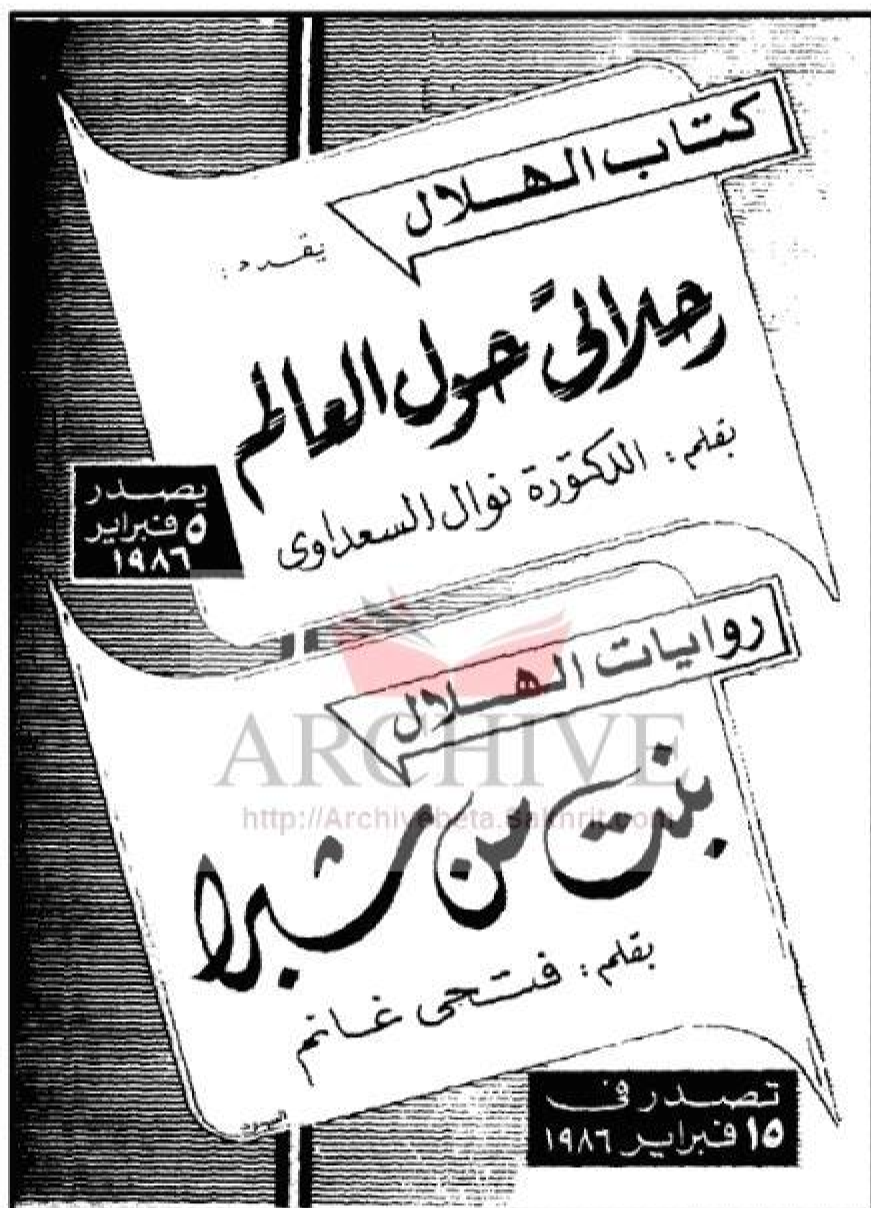
إلى ان قال :

وقل لهم إن ازمعوا عودة
لأخذ ثار أو لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح

× × ×

وإذا كانت دار ابن لقمان هى الأثر الوحيد لانتصار الحق على الباطل ، وقدرتنا على سحق العدوان ، فلابد من العناية الكاملة بها مهما كلفنا ذلك ، وكما حدثنى الأستاذ عبد الرازق السيسى مدير عام المتاحف بالوجه البحرى بأنها المكان السياحى الوحيد والمزار رقم واحد بالدقهلية بل إنها فى مقدمة المتاحف القومية بالنسبة لعدد زوارها ...

لذلك كان الاهتمام بها واجبا قوميا ، على ان تلحق بها مكتبة تضم كل ماكتب عن الحملات التى تصدى لها ابناء الدقهلية وفى اعتقادى كواحد من ابناء المنصورة أن شعب الدقهلية قادر على أن يحافظ على رمز الانتصار والإرادة ، بدلا من الدخول فى متاهات الروتين والقول المأثور .. "مفيش ميزانية" !!



كتاب الهلال
يقدم :
رحلاتي حول العالم
بقلم : الدكتورة نوال السعداوى
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٦
روايات الهلال
بنت من شبرا
بقلم : فتحى غانم
تصدر فى
١٥ فبراير ١٩٨٦

شركة فودة للنظارات الطبية

بالمنصورة : ٢٣ شارع الثورة - ت : ٣٢٢٠٢٠



تقدم لعملائها الكرام :

أحدث أنواع العدسات المضغوطة فلنت وتيتال

وأحدث أنواع الشنابر والعدسات العالمية

فوتو براون . فوتوجراي . زايس وكروكس

جميع الألوان الطبية

يتم تجهيز النظارات بأحدث الأجهزة الإلكترونية

مع تحيات : محمد فودة

ابتسامات

الزواج والصداقة

■ على مقربة من مكتب تراخيص الزواج في احدى المدن الفرنسية ، وضع احدهم لافتة كتب عليها : عندما يحتاج الانسان الى صديق ، قد يخطيء احيــــانا ، ويحصل على زوجة .

حافظة نقوده !

■ فسخت احـــدى نجوم هووليود الناشئات خطبتها من احد الاثرياء ، وقالت تشرح السبب لصديقتها : لقد رايته في ثياب الاستحمام ، فبدا شــكله مختلفا تماما ، بدون حافظة نقوده !

تنبؤات

■ قالت السيدة الامريكية لصديقتها:
ـ في العام الماضي ، ذهبت ابنتى الى احدى العرافات فتنبأت لها بانها ستقابل شابا أشقر واسع الثراء ، وانه سيتزوجها وسترزق منــه بتوأمين .. وقد تحققت النبوءة كلها ،
ـ كلهــا ؟
ـ كلها .. فيما عدا الزواج ..!

لا أكاد أرى ..

■ استقل احد الاشخاص سيارة اجرة ولاحظ السائق انه يضع سماعة على اذنه، فقال له : لاشك ان ضعف الســمع يضايقك كثيرا ، وعلى اية حال فان كل منا لديه شيء يضايقه ، فانا مثلا لا اكاد ارى الا بصعوبة !

حاجة خفيفة !

■ غني الانفتاح لصاحب المكتبة : انا اريد ان تختار لي كتابا من عندكم
صاحب المكتبة : حاجة خفيفة ؟
غني الانفتاح : لا يهم انا معي السيارة!

حفل زفاف

■ كان لاعب الكرة المشهور بين المدعوين الى حفلة الزفاف ، واقترب منه احــد الاشخاص وسأله : هل انت العريس ؟ فهز اللاعب رأسه وقال : كلا ، فقــد استبعدت في المباراة قبل النهائية !

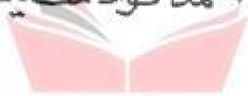
ذكاء

■ قليلون من الناس لهم ذكاء ذلك العاشق الذى كان يتنزه مع صــديقته وامها في قارب .. سالته الام :
ـ اذا انقلب هذا القارب .. فاينــا تنقذ ؟
فاجاب على الفور :
ـ أنقذك بغير شك .. واموت معها !

أعلام معاصرون

حامد ندا
بين الفن والجذور

بقلم: أحمد فؤاد سليم



لوحة الزفاف ـ زيت على خشب ٨٠×١٥٠سم ـ ١٩٧٧



● ينحدر حامد ندا من أسرة ذات سلالة عريقة فى أصول العقيدة والتقاليد فجدوده السبعة لأبيه المعروفة أسماؤهم بالفعل هم علماء أصوليون فى الدين ، وفى تفسير القرآن الكريم ، والحديث وشيوخ كذلك فى علم الترتيل القرآنى من بين أولئك جده السادس المعروف بـ " سيدى الشيخ عبد السلام القلينى " أما الجد الخامس فهو المعروف ايضا بـ " سيدى الشيخ احمد عبد السلام القلينى (١) " الذى كان من أوائل من وضعوا الأساس العلمى لمناهج الترتيل القرآنى ، ثم إنه كان شيخا مناضلا ، وثوريا من الطراز الأول حين اشترك فى اتون الثورة العرابية ، ودعمها بالمال والسلاح وبسط حمايته على ثوارها فى مواجهة الخديوى ، غير انه سقط شهيدا عندما اغتاله رجال الخديوى حين تعاظمت الثورة العرابية ●

أما أبوه ، فقد كان شيخاً وإماماً للمذهب الشافعى ، ومؤذنا ذائع الصيت لمسجد " السيدة زينب " رضى الله عنها ، الى ان وافته المنية فى الخامس من فبراير من عام ١٩٥٩ .

من تلك الروافد المتعاظمة فى الخيال والتقديس تربى منبع الادراك الفنى عند حامد ندا . وظل فنه منذ بدأ والى الآن ، رهنا ، يروح ويجيء بين المعتقد والموروث والبحث فى الظواهر الكائنة والخافية ، متمثلا فى الصورة الكلية للصوفية الدينية ، وبين النقيض الآخر متمثلا فى التجريب والاجتهاد والجدل ونقد العقل والقياس الوضعى منذ اقترابه للروافد الاجتهادية فى مذهب الأمام الشافعى .

كانت الظواهر جميعاً عند حامد ندا ـ الفنان ـ تلتقى عنده فى بؤرة الادراك ، ولكنها تساق الى كيانه من رافدين . وكان ينام وهو طفل صغير فى حى القلعة فلا يشغله عن الاستغراق فى نوم الاطفال الا صياح الديكة . فإن السيدة العجوز فى حوش الدار قد قالت له يوما : " ان صياح الديكة هى صلاتهم لخالق الكون فى كل فجر " ـ على حين قال له ابوه : " يصيح الديك ليوم جديد ، فحين يرى انبلاج الشمس فى الأفق يصيح " .

● حياة تلقائية ●

فى تلك الأحياء القديمة المعبقة بالأنفاس لاتكون الشوارع والحوارى ، الا ممرات ضيقة ، فلا تخجل امرأة عارية أمام طفل صغير الا باقل مما تخجل امام الماعز او الديكة . رأى ندا الثنيات والبطون والظهور ، والشعور المسدلة حتى الأفخاذ ، وكان يتجول داخل البيوت فى وقته الضائع يلعب ملاعب الاطفال ، هو ، طفل ، لايستر النساء عوراتهن من عيونه ، بل يختلن أمامه أحيانا ، بحمام الصباح ، ويتلذذن امام نقص المعرفة كما لو كن قد أنجزن مرادهن الدفين وتحررن من حرمانهن .



ومن الغريب أن اسم " ندا " هو لقب من أسماء الشهرة ، فلا توجد لحامد ندا أصول

ابويه تحمل هذا الأسم ، بل انه كان اللقب الذى تحمله جدته الخامسة لامه ، كانت تلقب بـ " قطر الندى " .

، وعندما استشهد زوجها [٢] إبان الثورة العرابية ، هربت " قطر الندى " بأبنائها من مركز المحلة الى القاهرة ، حيث خلعت على اسماء ابنائها لقبها هى نفسها (ندا) ، حتى لايواصل رجال الخاصة الخديوية مطاردة ابناء الشيخ الشهيد ، كانوا اذن ينادون الطفل الصغير بـ " ندا " ، ولكنه فى المدرسة كان

، المرأة والقط والديك (١٩٧٩) - وفي الصفحة المقابلة ملاك وطير وحجر - ١٠٠ × ١٣٠سم - زيت وتصويلك على خشب ١٩٨٣




VA

" حامد محمد حامد احمد احمد عبد السلام القليني محيي الدين " " الشريف " (٣)

وحين شب عن الطوق انفك امام عقله معجم الألغاز، وزال اللبس، ولكن المطبوع ظل مطبوعاً على حاله.

ليس من سبب - هنا - يدعونا الى تذكر بابلو بيكاسو (١٨٨١ - ١٩٧٣)، سوى ان بيكاسو اختار ان يحمل اسم عائلة الام «بيكاسو»، بدلا من اسم عائلة الأب «رويز» - وعلى حين ان بيكاسو اختار ذلك بإرادته الواعية، فإن ندا لم يجد امامه الا اختيار الجبر حين ولد ومعه اسم شهرته. وعندما مرت السنوات صار ذلك الجبر اختياراً كاملا.

● حامد ندا وجماعة الفن المعاصر ●

بدأ حامد ندا (١٩٢٤) صنع الفن في منتصف الاربعينيات جنبا الى جنب مع سمير رافع (١٩٢٦) ، وابراهيم مسعودة (١٩٢٥) وعبد الهادي الجزار (١٩٢٦ - ١٩٦٥) وماهر رائف (١٩٢٦)

وهي المجموعة التي عرفت - على نطاق واسع - " بجماعة الفن المعاصر " حتى أواخر الخمسينيات.

كانت القضية : كيف يمكن التعويل على الموروث الشعبي في مسألة التعبير الفني وكانت الاشكالية الخاصة بمقولة «الشخصية المصرية في الفن» قد طرحت مرادها في مواجهة عاملين أساسيين :

اولهما : المفاهيم الملكية التي يتبناها القصر لتكريس احترام مغال فيه لقليل من الفنانين المصريين، وغالبية من الفنانين الاجانب.

ثانيهما : الاستناد على تدعيم وتشجيع الطبقات العالية والغنية لطرح مفاهيم المدرسة الغربية، وربما بسبب ذلك كان انتشار المدرسة السوريالية بين عامي ١٩٤٢ - ١٩٥٠، دون سند أو علة تبرران التجاهل الفني شبه المتعمد في مواجهة حركة وطنية عارمة، ومظاهرات لافتة للنظر، وانهيارات سياسية مشينة تحت السيطرة والرعاية البريطانية.

في مواجهة هذين العاملين قامت جماعة الفن المعاصر وكان حامد ندا " بالذات " واحدا من تلك الركائز الاساسية التي حفرت بأظافرها في قاع المجتمع المصري، واستخرجت ذخائره الكامنة، وقامت باختيار، وانتقاء، بل وشطر مفرداته المشبعة بالفن الشعبي، وبالقديم وبالموروث.

لقد اشتركوا جميعا في التعبير عن سمات رئيسية بغض النظر الآن عن التناول التقني، وتنوع القضايا، ووجهات النظر، والمنهج الفلسفي، ومنابع الانتماء والنسيج الفكري لكل واحد من تلك الجماعة على حدة.

كانت هذه السمات الرئيسية تتمثل في ثلاثة مصادر هامة للغاية :

● حالة من الحس " الميتافيزيقي " المحزن تجاه مجهول كوني، تشع في جميع انحاء العمل الفني وتصبغه بطابع ملحمي.

● فكرة " الوجود والعدم " التي تلح على

---

(٢) الشيخ احمد عبدالسلام القليني.
(٣) الشريف لقب يطلق على السلالة النبوية. ويرجع نسب ندا إلى "الحسن" رضي الله عنه.

تأكيد البعد التراجيدى بأقوى من تكريس الفعل الجمالى للانطباع .

● ظهور المرأة - والرجل أحيانا - فى حالة بدائية قاسية ، وخشنة ، وغالباً منفرة

● ● ●

ولعل اقدم عمل فى هذا السبيل هى لوحة (الاخصاب) التى انجزها سمير رافع عام ١٩٤٥ ، ثم لوحة (مصباح الظلام) لحامد ندا عام ١٩٤٦ ، ثم لوحة (استقبال العذراء) لابراهيم مسعوده عام ١٩٤٧ ، ثم لوحة (دورة الحياة) لماهر رائف عام ١٩٤٨ ، ثم اخيرا (درس فى العالم الروحى) لعبد الهادى الجزار عام ١٩٤٩ .

● حامد ندا ، وعبد الهادى الجزار ●

إن قسطا من التأمل الدقيق لأعمال أولئك الفنانين الخمسة فى الفترة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٩ ، هام للغاية حين يتعلق الحال بالطرح المميز الذى قدمه حامد ندا بالذات فبرغم اشتراكهم جميعا على نحو أو آخر فى ابراز " المرأة " ، ورسمها بصورة تبدو فيه بدائية وفجة وربما مثيرة للاشمئزاز ، الا أن ذلك النطاق ليس هو مجال تعرضنا للكشف الآن ، بل اننا نكرس تعرضنا بطريقة أساسية لنوع « الفعلية » الدرامية التى جاء عليها النسق التصويرى عند هؤلاء الفنانين ، عندما استخدموا مفردات شعبية ، وغيبية ، وربما صوفية أيضا فى العمل الفنى المطروح أمامنا .

ثمة رموز شجية مثل السمكة ، والدراويش ، وعين الحسد ، ويد " فاطمة " والوداع ، والرمل ، و " الكوتشينة " ، والزير ، والجرة ، والسبحة ، والشمعة ، والديك ، والعصفور ، والقط ، والتميمة والرسوم الجدارية العفوية ، فضلا عن الاشكال الآدمية شديدة التهوس ، والولع بالاحزان ، وتجسيد البؤس الروحى .

ومع أنه كان قد أستقر فى الاذهان - على نحو دعائى بحت - مقولة فحواها أن الفنان الراحل عبد الهادى الجزار هو الذى بدأ بفتح ذلك الباب الفنى على مصراعيه ، الا أن المصادر المتوفرة .. . . . - بين أيدينا تدحض هذه المقولة بصورة قوية وفعالة .

وفى هذا النطاق ، فإن ندا يسبق الجزار بثلاث سنوات كاملة ، فضلا على أنه - أى ندا - هو صاحب الكشف بطريقة قاطعة فى إبراز هذا النـوع الفنى من السمات التصويرية المميزة .

ولعله من المفيد أن نقدم هنا تقريرا وصفيا لواحدة من بين أوائل اللوحات التى انجزها حامد ندا « مصباح الظلام »

- من مجموعة جورج حنين - باريس ١٩٤٦ - ، وتتلخص مفرداتها الامامية فى « مصباح الكيروسين ذى الشعلة » ، شمعة مرتكزة فوق « قبقاب » ، وعائلة مكونة من رجل وامرأة وطفل واقفون ثلاثتهم فى حالة متعبدة مع التأكيد على الطابع المنفر فى شكل المرأة - ثم نرى فى خلفية العمل « زير » ، وامرأة عارية ، ومقبرة ، ورسوم حائطية ذات طبيعة سياقية « طوطمية » - ، واللوحة بكاملها مرسومة بالأحبار الصينية على الورق (٣٥ × ٥٠ سم) .

ويلاحظ هنا - فضلا عن ذلك - اهتمام الفنان الواضح بتحديد الاشكال عن طريق استخدام الخط الخارجى بدلا من الاعتماد على الظل والنور ، وكذلك تكريس اهتمام اقل من الناحية التقنية للبعد الثالث (التجسيم) .

فى المقابل ، فإنه من بين اللوحات الأولى التى انجزها الجزار (١٩٤٩ / ١٩٥٠) - أى بعد ما يقرب من ثلاث سنوات على لوحة ندا - لوحة (درس فى عالم الروح) ، حيث نلاحظ

في الأمامية انية من الاواني التي تخصص عادة للبخور ، وقد خرج منها ثعبان ، ثم رجل وامرأتان على نفس النسق الوصفي السابق شرحه . وقد جلست احداهما على اريكة خشبية . ـ ثم هنالك رسوم حائطية في خلفية الحقل يبرز من بينها شكل قريب إلى الفأر وبين يديه رأس ادمية . ثم يلاحظ بالاضافة إلى ذلك الاهتمام الواضح ليس فقط باستخدام

ـ الحقل ٦٠ × ٩٠سم زيت على خشب ١٩٧٤



الخط الخارجي لتحديد الشكل ، وإنما ايضا تكريس واقع جمالي لعوامل الظل والنور والتأكيد على فعاليات البعد الثالث بصفة أساسية .

ثم إننا نصادف بعد ذلك - فى أعمال ندا - ابتداء من الأعوام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، أى قبل إنجاز الجزار للوحته السابقة (درس فى عالم الروح ١٩٤٩/ ١٩٥٠) - . الاستخدام المتعمد للرموز الشعبية المحملة بالوان تراثية مثل السمكة . والديك ، والسحلية والثعبان ، وأم الخلول ، وفرس النبى ، والطائر ، إلى غير ذلك من المحمولات الغيبية البحتة .

وبرغم تشابه غير خاف فى المعالجات البنائية للشكل ، والطرح المتعمد لكلا الفنانين فى تلك المرحلة الزمانية . إلا أن التفريق الهام بينهما ينحصر فى - اعتقادنا - فى تلك الشحنات غير المؤقوتة الخاصة بكل فنان على حدة . إذ انه على حين كان ندا غنائيا . ورومانسيا ، وملونا ، وحزينا ، ومتفائلا فى نفس الوقت ، ... فإن الجزار كان على نقيض ذلك بصورة واضحة . فقد كان فعاليا على شكل « درامى » قوى ، وتشاؤميا الى حد بالغ .

ثمة بعد ذلك ... اولئك الذين قد لا يرون أهمية ذات بال فيما سقناه من توضيح وتفريق وتوصيف . ذلك ان كلا الفنانين - أيا كان الأمر - مؤثران ورائدان حقيقيان ليس فقط فى محيط « الفعلية » الفنية . وإنما - وهذا هو المهم - فى كونهما طرقا مجالا غير مسبوق على مثل الأوصاف التى اوضحناها .

غير أننا بقدر إيماننا بالقيمة العالية للفن الرفيع ، نؤمن - بنفس المقدار - باهمية التاريخ الذى تقوم على صنعه وترتيبه أحداث ومبادرات لايمكن التقليل من شأنها عندما نضرب بمجاديفنا فى بحار العلم .

● ندا بين الفن ، والجذور ●

عندما قلنا فى البداية ان حامد ندا قد نهل من رافدين أساسيين منذ أخذ يتهيأ لقضية التعبير الفنى ، فإننا كنا نقصد إلى قدر انتمائه القوى لفكرة « العلم » ، وفكرة « الدين » . أى لخاصية « التفكير » من ناحية ، ثم لـ « خاصية الايمان » بعالم غيبى وقدسى من ناحية أخرى . يعنى لطبيعة « ظاهرية » تخضع لبرامج « التجريب » ، وفى نفس الوقت لطبيعة « جوانية » لاتخضع إلا لكوامن عميقة وغامضة .

وتزداد أهمية هذه المقولة كلما كان ذلك له مساس لايمكن تجاهله فى صياغة فنه . ومن اللافت للنظر ان حامد ندا قد استطاع أن يهضم الروافد . ويعيد صياغتها فى معظم انتاجه منذ بدا بشكل مبكر منذ منتصف الاربعينيات حتى اليوم . فمع انه اخذ يرسم المرأة فى معرضه الأخير [٤] (١٩٨٥ - ١٩٨٦) ، وقد بدت فى حالة عابثة ، ولاهية بعض الشيء إلا انه قبل ذلك كان قد قدمها على صورة « مقززة » انتصارا لفكرة « الفضيلة » على ما يبدو فى الاربعينيات ، ثم عاد والبسها ثيابها وجعلها « أما » شقية وحزينة فى الخمسينيات ، ثم معادلا لفكرة « الخصوبة » والوطن فى نهاية الخمسينيات ، ثم عاملة تمتلئ بالعافية وهى تجمع الحصاد وتروى الأرض فى

---

(٤) معرض حامد ندا فى قاعه إخناتون - مجمع الفنون ديسمبر - يناير ١٩٨٥/ ١٩٨٦

الستينيات – ثم جردها من ثيابها مرة اخرى فى السبعينيات وجعل منها امراة متناسقة التقاطيع ولكنها مبتذلة وليلية الشجون

وبنفس المقدار رسم حامد ندا « الديك » فحين بدأ فنه المبكر كان الديك العجيب يذبح كل مرة . فلعله كان كذلك معادلا لفكرة « الرذيلة » . وفى الخمسينيات الأولى صار الديك معادلا للفحولة والرجولة ، وفى النصف الثانى من الخمسينيات تحول الديك إلى رمز للآمال البعيدة ، وللثورة ، فهو يقف صائحا فوق كل المفردات والأشكال فى المساحة اللونية . ثم هو يقف بعد ذلك فوق « المذياع القديم » . وفوق « الزير » . وفوق مساحات الحقول . ويتقمص شكل الصقر مرة ، وشكل النسر مرة ، ونجده فوق كتف المرأة ، وعلى راسها ، ويدها ، وجسدها ، ثم إنه أخيرا رسمه كالهيكل المعبود على الحوائط القديمة أقرب مايكون إلى « التميمة » .

ومن مثل ذلك رسم ندا القطة ، والجواد ، والسمكة ، والطوطم ، والتميمة ، والمهرج ، والدرويش ، والشيخ ، وقارئة البخت ، ومشاهد القبور ، وطيور مخلقة ، وحيوانات اسطورية ، وزواحف عجيبة ، وابطال ملاحم ، واوانى معلقة ، وعربات يد ، واسطوانات موسيقية ، وعازفين ماسلويين ، ثم اناس منتشرين لا يكلم بعضهم بعضا كما لو كانوا فى يوم القيامة .

وفى النصف الثانى من الخمسينيات كان ندا قد استكمل « صيغته » على صورة وضعته بالانتخاب الطبيعى فى مقدمة أولئك الصناع الذين يقدمون للناس فنا رفيعا . وفى تلك الفترة ، فإن نوعا من الظلام المكين كان يغطى لوحاته طولا وعرضا . فإن فنه من ذلك النوع الذى يحتاج إلى مجموعات متواترة من رقائق اللون المنبسط بعضها فوق بعض بحيث تحل فى كثير من أغلب اعماقها ضوءا دفينا هو من أسباب ذلك السحر الروحى المشع امام مشاهديه .

فى ذلك الزمان ، كان ندا يعتمد محور ارتكاز اساسى واحد فى منتصف العمل ، بحيث يبدا النظر منها ثم ينتقل الى مختلف جوانبه

غير أن التغيير الذى طرا على أعمال ندا فى السنوات العشر الأخيرة ، وفى معرضه الأخير بالذات (١٩٨٥ / ١٩٨٦) ، هو اعتماده مجموعات « بؤرية » على مساحة كلية موحدة الضوء تقريبا . وبالضرورة فإن كل مجموعة بؤرية تبدأ من محور وسطى يضمن توازنها البنائى .

ثمة هنا ما يدعو المشاهد إلى أن يتنقل بحرية فى جميع أرجاء العمل دون اى انصياع لمحور واحد فقط فى اشكالية التوازن ، بل إن المشاهد قد يكون قادرا على ان يحتفظ بصريا وجماليا بجزء بؤرى مستقل من بين مؤلفات العمل – ذلك العمل الذى الغى فيه ندا فكرة الالتزام برسم مفردات ثانوية حول بطل مفرد شكلى لمجرد تلبية الحاجات الجمالية .

واغلب الظن ، ان هذا النهج الجديد عند حامد ندا قد استتبع تكريسا مماثلا لمحاولات تكسير الضوء ، وتحليله . فإن الوان ندا المشبعة بالظلام قد انقشع عنها ظلامها ، وتحللت إلى عناصر تكوينها الاولى . ولعل ذلك كان من احد الاسباب الرئيسية التى جعلتنا نرى اعماله فى معرضه الاخير بالذات وقد انسحب منها الظلام برغم احتفاظها بمساحة دافئة لنفس ذات الاحزان القديمة

كيف تتجنب الأزمات القلبية ؟

● إعداد : سناء حنفي ●



هناك ما يقرب من مليون امريكى يموتون سنويا لاصابتهم بامراض القلب والاوعية الدموية وهو نفس عدد الوفيات بالامراض الاخرى مجتمعة وفى نفس الوقت الذى تصل فيه معدلات الوفيات الى درجة تبعث على الخوف تظهر اتجاهات مشجعة .. فخلال العشرين عاما الماضية هبطت نسبة الوفيات نتيجة الاصابة بالازمات القلبية الى ٣٧ ٪ فقط وقد كان انخفاضها شديدا بين الأشخاص الذين يتراوح عمرهم ٣٥ و ٤٥ سنة على وجه الخصوص اذ بلغت نحو ٥٠ ٪

ويرى الخبراء ان الاحصائيات المشجعة ترجع جزئيا الى تحسن العناية فى المستشفيات والتدخل الجراحى وخدمات الاسعاف · والاهم من ذلك تزايد قدرتنا على تجنب العوامل التى تؤدى الى هذه الازمات ..

ويرجع الكثير من المعلومات حول عوامل الخطورة الى الشروع المستمر المعروف باسم دراسات فرامينجهام



للقلب . ومنذ عام ١٩٤٩ والمسئولون عن الصحة العامة يتتبعون العادات البيئية والتاريخ الطبي لنحو ٥ آلاف من المقيمين في ضاحية بوسطن . وعلى مر السنين وجدوا ثلاثة عوامل تلازم مرض القلب وهي تدخين السجائر وارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة الكولسترول .

وقد حددت دراسات فرامينجهام والدراسات المشابهة الاسباب الاخرى والتي يمكن السيطرة عليها وتتضمن الاجهاد والبدانة والبول السكري وقلة اداء التمرينات الرياضية . وهناك ظروف متعددة ايضا لا يمكن التحكم فيها وتزيد من احتمال الاصابة بالازمة القلبية ومنها :

● السن : اذ تقع أربع من كل خمس حالات للوفيات بسبب الازمة القلبية بعد سن ٦٥ .

● الجنس : تحت سن الستين يصاب الرجال بنسبة تبلغ ضعف السيدات بالازمة القلبية بالرغم من ان هذه النسبة تقل بعد الستين .

● الوراثة : يقدر دكتور « جان برسلو » عالم الوراثة « بجامعة روكفيللر » أن نسبة تتراوح بين ٥ ٪ الى ١٠٪ من السكان معرضين للاصابة بمرض القلب بدرجة كبيرة نتيجة للعامل الوراثي وكذلك هناك نسبة مساوية لمن يملكون قدرة كبيرة على المقاومة . وحالات مرض القلب الخلقي يصعب التغلب عليها الا فيما ندر .

ومع ذلك ففي التعامل مع المخاطر التي يمكن التحكم فيها حدث الكثير من التقدم خلال العشرين سنة الماضية ومن المتوقع تحقيق المزيد فيه .

وفيما يلي سنعرض بعض هذه المخاطر التي تصيب القلب وما يمكن القيام به لتجنبها .

● الكولسترول : يجب التقليل من تناول لحم الخنزير والبيض والزبد والشحوم . فالعناصر الرئيسية للوجبة الغذائية مثل منتجات الالبان ذات النسبة المرتفعة من الدهون واللحوم هي المصادر الاساسية للدهون المشبعة والكولسترول في الغذاء . ويمكنهما رفع الكولسترول في الدم الى معدلات زائدة تساعد على تصلب شرايين القلب - أكثر أمراض القلب شيوعا - وتزيد من خطر التعرض للازمة القلبية .

وتصلب الشرايين عبارة عن ترسيبات على طول الجدار الداخلي للشرايين من مادة مكونة من الدهون والكولسترول والكالسيوم وبالتالي تصبح جدران الاوعية صلبة وسميكة لدرجة يتحرك معها الدم بصعوبة خلال قنوات ضيقة وهذا يمكن ان يسبب آلاما في الصدر او ازمة قلبية . وعلى الرغم من أن العملية الدقيقة التي يحدث بها تصلب الشرايين لم تفهم جيدا الا انه ليس هناك شك انه بدون الكولسترول لن يحدث التصلب ، ونتيجة ذلك يعتبر

الاطباء حاليا النسب المرتفعة من الكولسترول فى الدم أحد أكثر العوامل القاتلة ٠

وفى اليابان حيث تشيع عادة التدخين كما فى الولايات المتحدة الامريكية وحيث يعتاد ارتفاع ضغط الدم تصل نسبة الاصابة بالازمات القلبية الى نحو ثمن المواطنين ٠ والاختلاف الواضح بين الشعبين هو معدلات الكولسترول لكل منهما ٠ وقد اظهرت دراسات قام بها احد اليابانيين الذى هاجر الى هاواى وكاليفورنيا واتبع أساليب الحياة الامريكية وعاداتها الغذائية أن معدلات الكولسترول قد زادت بين الامريكيين وكذلك نسبة اصابتهم بالازمات القلبية٠

وفى العام الماضى أصدر أحد معاهد القلب والرئة والدم دراسة استغرقت عشر سنوات حول الكولسترول ٠ ويرى د٠ ويليام كاستيللى مدير معهد فرامينجهام لدراسات القلب أن هذه الدراسة تشكل تقدما هائلا فقد أوضحت بما لا يدعو للشك انه اذا ارتفع معدل الكولسترول فى الدم فى مقابل تخفيض هذه النسبة ١ ٪ تقل فرص الاصابة بالازمة القلبية ٢ ٪ ٠

وتتراوح درجة كولسترول الدم عند الامريكى العادى بين ٢١٠ الى ٢٢٠ ميللجرام لكل عشر لترات وتبعا لعلماء المعاهد القومية للصحة فيجب للشخص فوق سن الثلاثين أن تقل نسبة الكولسترول فى دمه عن ٢٠٠ ميللجرام

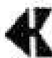
وقد توصل العالم روبرت ليفى الى أن التعديل فى النظام الغذائى وحده يمكن أن يقلل من المعدلات المرتفعة للكولسترول فى الدم بنسبة تتراوح بين ١٠ الى ١٥ ٪ وبالتالى يقل عدد الموتى نتيجة الاصابة بالازمات القلبية فى الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ٢٠ الى ٣٠ ٪ ٠

وصحيح ان العقاقير التى تساعد على خفض معدلات الكولسترول متاحة الا أن بعضها غالى الثمن وغير مستساغ والبعض الاخر ذو فائدة محدودة ، وحتى مع توقع توفر العقاقير الفعالة لخفض الكولسترول خلال العقد الحالى الا أنه بالنسبة للغالبية فسوف تكون التعديلات فى النظام الغذائى هى أساس كل الجهود المبذولة فى هذا الصدد ٠

● **التدخين : ـ يرجع السبب فى وفاة ما يقرب من ١٧٠ الفا من المصابين بالازمات القلبية سنويا الى تدخين السجائر وهو ما يعادل نحو ٣٠ ٪ من كل الوفيات بامراض القلب ٠ وتوضح الدراسات أن المدخنين يتعرضون لخطر الموت بنسبة تزيد عن غير المدخنين بنحو ٧٠ ٪ وتزداد نسبة الخطورة الى ٢٠٠ ٪ للشخص الذى يدخن علبتين من السجائر فى اليوم الواحد ٠**

وفى الوقت الذى يبدو فيه أن تدخين السجائر التى تحتوى على نسب ضئيلة من القار والنيكوتين يساعد على تقليل نسبة الاصابة بسرطان الرئة بدرجة ضئيلة الا انه لا يبدو انه يقلل من خطر الاصابة بالامراض القلبية ٠

والتدخين يزيد من التصلب فى شرايين القلب خاصة فى شريان الاورطى الذى يعد الوعاء الدموى الاساسى فى الجسم ٠ كذلك يحل اكسيد الكربون الاحادى محل الاكسجين فى خلايا الدم الحمراء فى حين يعمل النيكوتين على تقلص الاوعية الدموية٠ وقد أوضحت الدراسات التى أجريت على الحيوانات أن تدخين السجائر يمكن أن يضعف من الانقباض العضلى للبطين وهو ما يحدث عدم التوازن الكهربى فى عضلة القلب الذى يؤدى





كيف تتجنب الأزمات القلبية ؟

الى الموت المفاجيء ٠

وبالرغم من أنه مازال هناك ٥٠ مليون مدخن فى الولايات المتحدة الا أن انتشار تدخين السجائر قد لتحصر خلال العشرين سنة الماضية ويعتقد الكثير من الخبراء أن ذلك أحد أسباب انخفاض الوفيات الناتجة عن الامراض القلبية٠ وقد ذكر د٠ جون هو ليروك رئيس اللجنة الفرعية للجمعية الامريكية لمرض القلب عن التدخين ان النصيحة التى يوجهها لمرضاه انهم اذا اقلعوا عن التدخين لمدة من أسابيع الى شهور قليلة فان نسبة الاصابة بالازمة القلبية تنخفض بنسبة النصف ٠

● ارتفاع ضغط الدم : يصيب ارتفاع ضغط الدم نحو ٥٥ مليونا الى ٦٠ مليون امريكى ٠ ولكن أكثر من نصفهم بقليل يعلمون باصابتهم به واقل من الخمس يعالجون منه بنجاح وذلك تبعا لدكتور « ارام شوبانيان » مدير معهد القلب التابع لكلية الطب بجامعة بوسطن ٠ ويؤدى ارتفاع ضغط الدم الى اصابة الكثير من ١ر٥ مليون بالازمات القلبية سنويا وهو السبب المباشر للسكتة احد اشكال مرض القلب ـ التى يموت بها نحو ١٥٤ الف مواطن امريكى سنويا وذلك بانغلاق أو انفجار الاوعية الدموية التى تقوم بمد المخ بالاكسجين٠

والضغط المرتفع عند الانسان هو الذى يزيد عن ١٤٠ على ٩٠ ويمكن أن يؤدى الضغط المتزايد على جدار الاوعية الدموية الى جرحها والاصابة بتصلب الشرايين وتضخم القلب ، ولم تعرف بعد أسباب ارتفاع ضغط الدم فى معظم الحالات ولكن وزن الجسم والنظام الغذائى ربما يلعبان دورا هاما ٠ فقد وجد أن المواطنين الذين يكثرون فى اغذيتهم من بعض العناصر الغذائية مثل البوتاسيوم والكالسيوم والدهون غير المشبعة ومعدلات قليلة من الصوديوم يعانون من انخفاض ضغط الدم ٠

ومع ذلك فالعلاقة بين الاملاح وارتفاع ضغط الدم ليست محسومة، اذ يفترض احد التحليلات الحديثة لجامعة اوريجون لعلوم الصحة ان النسب القليلة من الكالسيوم والعناصر الغذائية الاخرى ، والافراط فى الصوديوم ربما تكون احد اسباب ارتفاع ضغط الدم ٠ ويعتقد بعض الخبراء أن علاقة الاملاح من المحتمل ان تتاثر وراثيا وربما يكون ٢٥ الى ٥٠ ٪ من الاشخاص الذين يعانون من الضغط المرتفع للدم ذوى حساسية للملح ٠

ومهما تكن الاسباب فارتفاع ضغط الدم هو احد اكثر العوامل التى تؤدى الى الاصابة بالازمات القلبية والاكثر سهولة فى العلاج ٠ وهناك العديد من العقاقير المتاحة لعلاجه ٠

● فوائد الرياضة البدنية ●

● عدم ممارسة التمرينات الرياضية بدرجة كافية ، كان الدكتور « كينيث كوبر » يعتقد ان التمرينات الرياضية

يمكن أن تقضي على كل المخاطر ولكنه اعترف بخطئه الان وذكر انه على مر السنين كان الاشخاص الذين يقومون بأداء التمرينات الرياضية كما يصفها تماما ويتجاهلون وزن الجسم والنظام الغذائي وعادات التدخين يموتون بالازمات القلبية في الخمسينات من العمر • ولكن مع ذلك لا يمكن تجاهل فوائد التمرينات • فيمكن ان تشكل التمرينات العنيفة خطورة على الافراد الذين يعانون بالفعل من مرض القلب ولكن التمرينات بصفة عامة تساعد على وقاية الاشخاص من الازمات القلبية • وقد بينت احدى الدراسات الحديثة أن نسبة الاصابة بتوقف القلب بين الرجال الذين يقومون بأداء تمرينات رياضية عنيفة لمدة ٢٠ دقيقة مرة واحدة في الاسبوع تصل الى ٤٠ ٪ من تلك التي يصاب بها الرجال الذين يميلون الى الجلوس لفترات طويلة وعدم الحركة• وقد استجاب لتوصيات التمرينات الرياضية وأوضح استطلاع للرأى أن ٥٩ ٪ من المواطنين يمارسون التمرينات الرياضية بانتظام بالمقارنة بـ ٢٤ ٪ فقط عام ١٩٦١ •

● نوع السلوك : والمثال التقليدي له هو الانسان الذي لا يتحلى بصفة الصبر بدرجة غير عادية وينزع الى العدوانية بسهولة • وقد فسر الدكتور « ميار فريدمان » أن نمط السلوك « ١ » هو الصراع الذي يقوم به الشخص عند محاربته للوقت والاشخاص الاخرين • وفي الوقت الذي حدد فيه فريدمان وطبيب القلب راى روزينمان عام ١٩٥٩ نمط السلوك اوضحت الدراسات أن نمط الانسان « ١ » أكثر عرضة للاصابة بالازمات القلبية عن النمط « ب » الذين يتميزون بالصبر وقلة العدوانية • وبالرغم من أن بعض السلطات لا توافق على هذه النتائج يعتقد فريدمان أن عوامل الخطورة الثلاثة نتيجة للنمط « ١ » للسلوك • وقد ذكر أنه يعتقد أن مدخن السجائر بكثرة يكاد ينضم الى النمط « ١ » وهو يرى أنه من الصعب الاصابة بضغط الدم المرتفع دون أن يكون الانسان من النمط « ١ » • كذلك الانسان الذي يصل معدل الكولسترول في دمه الى ٢٧٥ او اكثر يشابه النمط « ١ » وفي الواقع تستخدم معدلات الكولسترول كمؤشر لمدى القدرة على تقليل وجود نمط السلوك « ١ » •

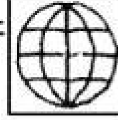
● ذكر فريدمان انه من الصعب أن ندفع النمر الارقط الى تغيير البقع التي يتميز بها جلده ولكن بالنسبة لاشخاص النمط « ١ » فتغيير السلوك هو المفتاح لتجنب الازمات القلبية •

وبالنسبة للكثير من الخبراء فان فوائد التحكم في عوامل الخطورة واضحة لدرجة تثير دهشتهم حول السبب في عدم اعتبار الطب لها كاهم قضية •

وقد ذكر مدير برامينجهام « اننا نقوم باجراء جراحات الشرايين القلبية كما اننا نعالجها بالليزر ونقوم بزراعة قلوب صناعية ونقل القلب وغيرها من العمليات المتخصصة بدلا مما يجب أن نقوم به • نحن لا نحاول أن نقوم بأسهل الاشياء بل نحاول اداء اصعب الاشياء » •

ومع ذلك فالمستقبل مشرق وسوف تكون الجراحات القلبية اقل شيوعا خلال الثلاثين عاما القادمة • وهنا يكمن هدف الطب للعقد القادم وهو تقدم وسائل مرض القلب بدرجة اكبر من معالجته في مراحله المتقدمة

العالم.. غدا



جسر البحرين والمخاوف المتبادلة

كان من المفترض ان يفتتح جسر البحرين الذى يربط جزيرة البحرين بالجزيرة العربية يوم ٢٠ يناير الحالى ، والذى تأجل استخدامه الى العام القادم .

ويعتبر هذا الجسر من اهم المشروعات التى تمثل ترجمة حقيقية للتعاون العربى والوحدة العربية ، ويبلغ طوله حوالى ٢٢ كيلو مترا ، والذى يتكون من خمسة جسور يبلغ طولها ١٢ كيلو مترا . تصل بينها سبع ردميات يبلغ طولها عشر كيلو مترات . ويمر على جزيرة ام النعسان . ويبدأ من قرية الجسرة البحرانية حتى العزيزية السعودية التى تبعد حوالى ستة كيلو مترات من مدينة الخبر ..

وتكلف هذا الجسر مايزيد على بليون دولار تحملتها السعودية كاملة .. والذى سيجعل ساكن البحرين يخرج بسيارته من البحرين ويصل بها الى اية عاصمة اوربية ..

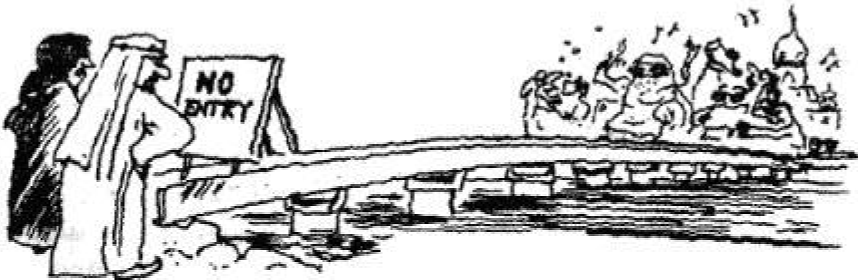
ولكن المخاوف المتبادلة اخلت المشروع. فالبحرين جزيرة صغيرة يتمتع اهلها بقدر من الحرية الاجتماعية ، والسعودية بلد تملك ثراء نقديا هائلا .

وتساءل أهالى البحرين : كيف تصبح الحياة على الجزيرة الوادعة مع تزايد عدد السيارات التى يمكن ان تدخل الجزيرة عبر الجسر .. ؟! وما اثر حرية التنقل وسهولته على حياة البحرين .. ويتذكر اهل البحرين كيف كانت مدينة البصرة قبل الحرب العراقية الايرانية ، عندما تدفق عليها الخليجيون ، لمجرد انه يمكن ان يتمتعوا فى حاناتها ونواديها الليلية .. !

علاوة على المخاوف على طبيعة اقتصاديات البحرين ..

ونجحت هذه المخاوف مؤخرا فى تأجيل افتتاح الجسر حتى العام القادم بحجة تنظيم مداخل ومخارج الجسر ..

ومنعت المخاوف المتبادلة من جديد تأجيل الاستفادة من هذا المشروع الكبير!



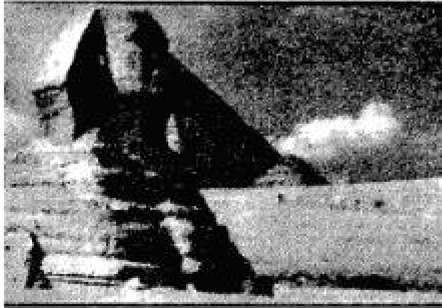
● البكترين .. سماد مصري جديد ●

● « البكترين » أحدث سماد ميكروبي مصري تم تحضيره وإعداده بالمركز القومي للبحوث بعد دراسات وابحاث استمرت عشر سنوات .. السماد الجديد يحتوى على مجموعة من ميكروبات التربة التي توفر عناصر غذائية للنبات والتي تفتقر اليها التربة المصرية في الوقت الحالي . ويقول الدكتور محمد صابر استاذ ميكروبولوجيا الاراضي بالمركز القومي للبحوث أن السماد الجديد تم تجربته على نطاق واسع في محافظات الاسماعيلية والفيوم والشرقية ومديرية التحرير وقد ثبت نجاحه في امداد المحاصيل البقولية ، وبعض محاصيل الخضر بالازوت . وهناك اتجاه للتعاون بين المركز ووزارة الزراعة لانتاج السماد على مستوى تجاري وتعميم الاستفادة منه .

● أبو الهول يحير العلماء ●

مازالت الاثار المصرية مبعث حيرة علماء الاثار في العالم . فقد ظهر في الولايات المتحدة الامريكية اتجاه جديد يرجع وجود أبي الهول الى فترة تتراوح بين عامي ١٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ قبل الميلاد لكي يكون ذلك الاثر الذي استمر بعد تعرض مصر للفيضان الكبير آنذاك . واذا صحت هذه النظرية فسوف يكون على العلماء اعادة كتابة تاريخ مصر من جديد .

والنظرية الجديدة التي ينتهجها العالم الامريكي « انتوني ديست » تشكك



في تاريخ بناء أبي الهول . فكما هو معروف أن خفرع قام ببنائه في نفس الفترة التي بنى فيها الهرم الثاني عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد الا أن أبا الهول تبدو عليه آثار الزمن والقدم أكثر من هرم خفرع ويدل على ذلك التآكل الواضح في جداره والذي يرجع انه نتج عن فعل الماء أكثر من الرياح

الا أن جامعة « لويز فيل » الامريكية قد عارضت هذه النظرية على أساس أن ما حدث لأبي الهول قد نتج عن تعرضه لندى الصباح والذي يتبخر مع شروق الشمس تاركا وراءه الاملاح وهي تأخذ دورها فقط بعمل على تحليل صخور التماثيل .

● ماك – ٢٥ طائرة المستقبل ●

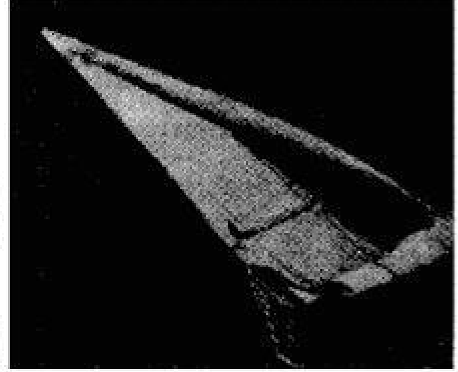
في القرن الحادي والعشرين يمكنك الانتقال من لوس انجلوس الامريكية الى طوكيو اليابانية في ساعتين فقط ، فالولايات المتحدة الامريكية في طريقها لانتاج طائرة تبلغ سرعتها ضعف سرعة الصوت خمس مرات ويطلق عليها اسم « ماك – ٢٥ » لذلك يستغنى فيها عن وجود نوافذ كما هو الحال في الطائرات العادية لانها تضعف من قدرة



يعكف قسم العقاقير الآن على دراسة كيفية عودة الناس الى الاستفادة من النباتات الطبيعية المنتشرة في حدائق المدن - وليس فقط عند العطار - مثل اعشاب الخلة والكوليا والدنيكا . وهذه النباتات مزروعة في الحدائق العامة مثل حديقة الحيوان وحديقة البرج بكميات كبيرة .

يرى الدكتور محمد مصطفى العزيزى رئيس القسم ان المواطن العادى يمكنه استحضار مستخلصات او منقوع من هذه النباتات لعلاج امراض عديدة مثل نبات الكوليا الذى يحتوى على مادتى الكوكولين والكوكولتين اللتان تعملان على خفض ضغط الدم .

اما نبات الخلة فقد امكن استخراج مادة الخلين التى يستعمل منقوعها فى علاج امراض الكلى والتقلصات المعوية والبهاق .



الطائرة على تحمل الضغط فى مثل هذه السرعة الفائقة ، ويمكن لماك - ٢٨ ان تقطع اكثر من ١٧ الف ميل فى الساعة. والطائرة الجديدة سوف تقلع من نفس المطارات التقليدية الى الفضاء الخارجى ويمكن ان تكون بديلا اقل تكلفة للمكوك الفضائى كما يمكن استخدامها عسكريا فى مهاجمة قاذفات القنابل للاعداء . وتقوم وزارة الدفاع الامريكية ووكالة ناسا الفضائية بتمويل المشروع الذى يستمر ٣ سنوات .

● اسطوانات الفيديو ●



تمكنت شركة اليكترونيات عالمية من انتاج أول اسطوانات تسجيل خاصة بجهاز الفيديو .. يصل قطر الاسطوانة لحوالى ثماني بوصات واقصى مدة تسجيل تصل الى ١٥ دقيقة . يمكن للاسطوانة أن تسجل وتحتفظ بحوالى ٢٤ الف صورة ثابتة أو متحركة ويمكن استرجاع اى منها على الفور فى اقل من ثانية . تسجل اسطوانات الفيديو

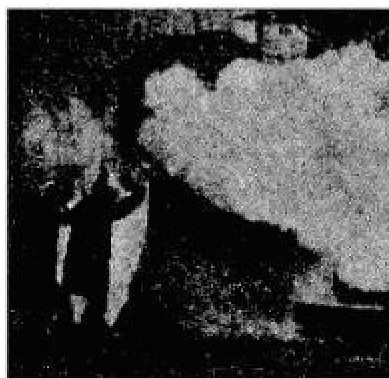
● العلاج فى حديقة حيوان الجيزة ●

الاعشاب ادوية
ذلك الموضوع التقليدى القديم تنظر اليه كلية الصيدلة بجامعة الازهر بمنظور تطبيقى يجب تنفيذه بدلا من استمرار الحديث عنه ..

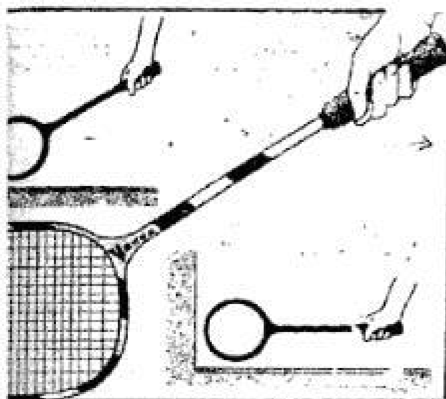
الجديدة بالالوان او بالابيض والاسود • يعيب استخدام اسطوانات الفيديو امران اولهما ارتفاع سعر الجهاز الخاص بالاسطوانات وثانيهما عدم امكانية التسجيل على الاسطوانة اكثر من مرة واحدة •

• نسيج جديد مقاوم للاشتعال •

انتجت الولايات المتحدة الامريكية نسيجا جديدا مقاوما للنيران وهو لايساعد فقط على حماية الانسان من الحريق ولكنه يلعب الدور الاكبر فى العلاج من الحروق ايضا • والنسيج الجديد الذى يصنع منه اغطية وملابس ضد الحريق عبارة عن نسيج صوفى معامل بمادة الجيل المستخلصة من الزيوت الطبيعية للنباتات والخضراوات وتحتوى هذه الزيوت على عوامل ضد البكتريا التى تساعد على قتل البكتريا الموجودة فى الجو والبكتريا داخل الجسم التى يمكن ان تسبب العدوى فى الجروح المكشوفة للحروق ، ويمكن للاغطية مقاومة الحرارة حتى ٢٨٠٠ درجة فهرنهايت • وهى تقوم بتغليف الجسم المصاب بالحروق من الحرارة عن طريق مادة الجيل التى تنقلها بدورها من خلال الغطاء الى الخارج وبمجرد رفع الغطاء يمكن ازالة الجيل من البشرة باستخدام المياه العادية •



• مضرب جديد للاعب التنس والاسكواش •



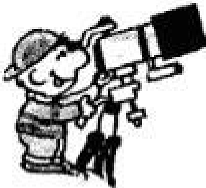
يعرف لاعبو الاسكواش والتنس الاسلوب النظرى الصحيح لامكانية صد الكرات المنخفضة الشاردة التى تنطلق على بعد ياردات قليلة خارج حدود الملعب بسرعة تكاد تساوى سرعة الضوء فعليهم أن يصدوا الكرة بضربة افقية تكون فيها خيوط المضرب فى وضع الزاوية القائمة على أرض الملعب • ولكن عند تطبيق هذه النظرية بشكل عملى غالبا مايجد اللاعبون حتى المحترفون منهم صعوبة فى اللحاق بهذه الكرات • لذلك توصل لاعب التنس والمصمم الانجليزى جيرى ايفنتان الى ابتكار مضرب تنس جديد فى شكله تحول شكل المضرب البيضاوى الى مربع مع تركيب الذراع فى احد الاركان وبهذا تمكن من انتاج مضرب اسكواش وتنس متميز فى تصميمه وصناعته واكتشف اللاعبون المحترفون ان الشكل الرباعى للمضرب يساعدهم على التقاط الكرات التى تسقط فى الزوايا الضيقة • سيتم انتاج هذا المضرب بشكل موسع خلال العام القادم ويطلق عليه اسم « شارك » •



المحطة الاتوماتيكية ومذنب هالى

● مُذنّب هالى وقيام القيامة ●

يَدُ الإنسان تتحسّس شَعر هالى بحثاً عن أسرار الكواكب والحياة



بقلم: محمد فتحى

● خلال الزيارة السابقة التى قام بها المذنب هالى لمجموعتنا الشمسية (عام ١٩١٠) كان البشر يهرعون موجات إثر موجات إلى المنجمين ، مستطلعين ماوراء هذه الزيارة من مآس وكوارث ..

ولم يتردد الدجالون عن بيع الناس البلابيع والحبوب التى تقيهم شر ما يجلبه المذنب معه من خبيث الأمراض ! ويومها بلغ الخلط والجهل والخوف مبلغا أكد معه بعض مدعى العلم أن القيامة قائمة لامحالة ..

لم تقم القيامة طبعا . ومرت ٧٦ سنة ، وحل موعد زيارة المذنب هالى لمجموعتنا الشمسية من جديد

لكن سبحان مغير الأحوال .. كم اختلفت صورة اللقاء !! ؟

لم تنحسر مظاهر الجهل والخرافة والخوف فقط ، بل وبلغت الجسارة حدا بالانسان جعله يفكر فى ملاحقة هذا الجرم السماوى الغريب ، فى مهرجان علمى عالمى نادر الحدوث .. يصنع حلقة بارزة فى سلسلة محاولات كشف الانسان ليس فقط عن أسرار نشأة المجموعة الشمسية ، بل ومرة واحدة - وبالغرور الانسان - عن أسرار نشأة الكون والحياة !!

كان وجود الانسان البدائى يخضع ، إلى حد كبير ، لما يحيط به من ظروف طبيعية . وشغل هذا الانسان كثيرا بالتطلع إلى السماء ، التى انطوت دوما على ما يمارس تأثيرا حاسما على أنشطته .

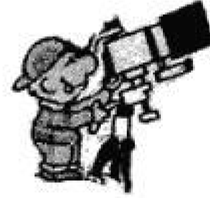
لم يكن هذا الانسان قد امتلك ساعة أو تقويما بعد ، ولذلك اتكأ على ما يجرى بصفحة السماء من تغيرات ، فى معرفة فصول الصيد والقنص والغرس والحصاد .. وهكذا اعتاد الانسان ربط شئون حياته

بما يجرى على صفحة السماء .

ولما كانت حياة الانسان لا تخلو ، مثلها مثل صفحة السماء ، من ظروف استثنائية كالحروب والزلازل والاوبئة فقد جرى الانسان على ما اعتاده وصار يربط بين ظروف حياته الطارئة وبين ما يستجد على صفحة السماء مما لم يعتده ، بالذات وقد كانت هناك علاقات سببية واضحة فى بعض الاحيان لمثل هذا الربط .

من هنا ظهر الارتباط بين ما يشهده مسرح الحياة من كوارث ومآس وبين ظهور اكثر الأجسام السماوية تفردا وغرابة فى السلوك ، التى اصطلح على تسميتها بالمذنبات ..

تطلع الناس إلى هذه الاجسام الغريبة فى دهشة ، ورأى بعضهم فيها نجوما بذيول (ومن هنا جاءت تسمية : المذنب فى اللغة العربية) ، بينما رآها البعض نجوما بشعر متهدل (ومن هنا تسمية : " كوميت " فى



● مُذنب هالى وقيام القيامة ●

اللغات الأوربية) ، كما رآها آخرون وجوها بلحية ، وغيرهم ...

لكن هذا التوصيف المظهرى لم يمنع كل مشاهد من أن يخلف رؤيته بما يتماشى مع ما يملأ عليه حياته . وطالما وقر فى الأذهان أن المذنبات نذير شؤم . فلم يعدم أىٌ من المتربصين كوارثا يرصدها مع مجىء هذا المذنب أو ذاك ..

● كل يناجى ليلاه ●

هكذا نسج البشر أساطيرهم وخرافاتهم حول المذنبات ، وللأهمية التى كانت تضفى على هذه الأجسام الغريبة ، والرهبة التى كانت تحيط بها وجدت المذنبات طريقها إلى كثير من سجلات تطور الجنس البشرى ..

فقارىء إلياذة هوميروس (٧٥٠ سنة قبل الميلاد) سيجد وصفا للمذنب على أنه النجم المتهدل الشعر ، الذى يمطر الأرض بالأوبئة والحرب (!) هذا كما سيجد القارىء صورا عديدة من تطير الناس نتيجة لظهوره مثل ماجاء فى كتاب الكامل لابن الأثير (٨٣٨م) : " .. فهال الناس ذلك ـ ظهور المذنب ـ وعظم عليهم الأمر ، وفى كتابات ابن اياس (١٤٥٦م) : " .. وزاد الكلام السىء بسببه .. "

وليت الأمر وقف عند هذه العموميات فسرعان ماراح كل يناجى « ليلاه » فى شخص المذنب . فرأى الصينيون ظهوره علامة على غضب السماء من إمبراطورهم . بينما رآه الرومان تعبيرا عن حزن الآلهة على مصرع يوليوس قيصر (١٢ ق . م) . ورآه المؤرخ اليهودى (٦٦م) نذيرا بالكوارث التى حلت بمدينة القدس فيما بعد ، ورآه الانجلوسكسون (١٠٦٦م) نذيرا مشئوما لملكهم هارولد الذى اغتيل فيما بعد ، ورآه الأمريكيون (١٦٠٧ م) نذيرا بأهوال الصراع بين المهاجرين والهنود الحمر ..

وهكذا ما إن كان أحد المذنبات يطل من عليائه فى صفحة السماء حتى يهرع الناس إلى المنجمين والعرافين مستطلعين مستفسرين عما يمكن أن يلحق بهم فى اتصال بهذا الظهور .

وحلت أزمنة ترعرعت فيها الخرافات حتى جاهر الأساقفة فى الكنائس بأن خطايا الانسان تصعد إلى السماء ، وتتجمع هناك مكونة تلك المذنبات ، كنذير بالشؤم واللعنة . ولم يكن غريبا أمام تصورات كهذه أن يدعو الأوربيون (١٤٦٦ م) فى صلواتهم قائلين : " إنقذنا يارب من براثن الشيطان والأتراك ، ومن شرور المذنب الذى يتهددنا فى السماء "

وذلك كله ناهيك عن فضائح من قبيل سعى مواطنى أوكلاهاما (١٩١٠ م) إلى تقديم عذراء قربانا للمذنب ، توقيا للشرور التى يمكن أن يجرها عليهم ..

● بعيدا عن الخرافة ●

لكن النشاط الانسانى لم يكن مقصورا على الخرافة فقد واصل الانسان ملاحظاته وتسجيلاته الحيادية ، حتى فى أكثر الحقب إظلاما ..

وهكذا رسم الفنان جيوتودى بوندون (١٣٠١ م) المذنب على سقف أحد الكنائس الإيطالية ، بشكل بليغ فى صدقه وتسجيليته .

وفى عام ١٧٠٥م استخدم العالم ادموند هالى نظرية نيوتن الخاصة بالجاذبية ، وكانت

احد المستحدثات الثورية فى حينه ، استخدمها فى حساب مدارات ٢٤ من المذنبات التى رصدها الانسان فى سماء مجموعتنا الشمسية ..

ولاحظ هالى أن المذنبات التى زارت المجموعة الشمسية فى أعوام ١٦٨٢ و ١٦٠٧ و ١٥٣٠ لها مدارات متشابهة . واستنتج بعد كدح ذهنى مرهق ، وأخذ ورد طويلين مع نفسه ، أنها مذنب واحد يدور حول الشمس ، كل ٧٦ سنة تقريبا ، وعلى ذلك فانه سيعاود الظهور عام ١٧٥٨ ..

لم يمتد عمر الرجل حتى يتحقق من صحة توقعه . لكن الأوساط العلمية تذكرت العالم الفطن وهى تتابع المذنب ، فى الوقت الذى حدده . وكرمته هذه الأوساط باطلاق اسمه على المذنب ..

وكشفت الدراسات التى أجريت بأثر رجعى أن المذنب الذى حمل اسم هالى ، لم يفلت من رقابة وتسجيل الانسان المتطلع إلى السماء منذ عام ٢٤٠ قبل الميلاد ولم يكن ذلك بالأمر الغريب ، لأن المذنب من النوع الذى يمكن رؤيته بالعين المجردة ، فهو يقترب كثيرا من كوكبنا ، ناهيك عن أنه ليس من المذنبات الصغيرة ..

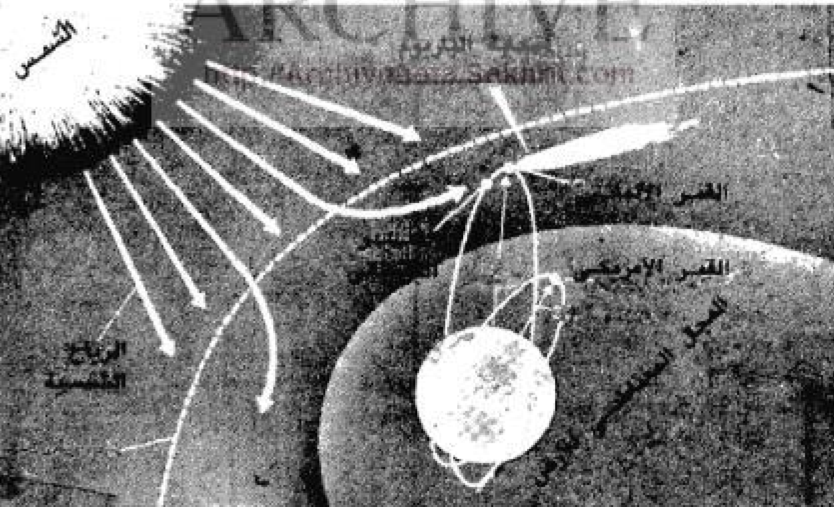
ويبدد التقدم العلمى المطرد هالة الخرافة التى احاطت بالمذنبات فقد ظهر مع صنع التلسكوبات الكبيرة أنها ـ المذنبات ـ لاتعد بتلك الآحاد التى يراها الانسان بعينه المجردة ، أو بالعدسات المقربة ، وإنما بالمئات والالوف ..

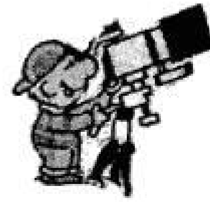
هكذا اتسعت حركة التسجيل والدرس

ومع استطلاع المواد المكتونة للمذنب بواسطة تحليل طيف الأضواء الصادرة عنه . صار مفهوما أن المذنب عبارة عن كتل من الجليد والأتربة الكونية والأبخرة المتجمدة ، يقدر قطرها بالكيلومترات ..

ومع تتبع التحولات الديناميكية التى تطرأ عليه فى مداره ، وجد أن الجليد يأخذ فى

مذنب اصطناعى لدراسة الرياح الشمسية والمغناطيسية الارضية





● مُذنب هالي وقيام القيامة ●

التبخر حين يقترب المذنب من الشمس ، لتتحرر الغازات والأتربة ، مكونة غلافا هائلا يقدر بآلاف الكيلومترات ، يتألق رغم شفافيته ، لطبيعة تكوينه من جانب ، ولانعكاس أشعة الشمس عن مكوناته من الجانب الآخر .

ونظرا لأن كتلة المذنب المركزة في مادته تعجز عن الاحتفاظ بغازات وغبار الغلاف ، لضعف جاذبيتها النسبي ، فان هذه الغازات تتباعد مع الرياح الشمسية مكونة ذيلا للمذنب يقدر طوله بملايين الكيلومترات .

ومن هنا الشكل المذهل الرهيب الغريب الذي يراه من يتطلع إلى المذنب من كوكبنا .

ومن هنا التقسيم الذي اصطلح عليه لشكل المذنب ، بين نواة وغلاف وذيل .

● الكثير مازال مجهولا ●

لقد كان كل ما في حوزة الانسان حتى المرة

هالي سنة ١٩١٠



الأخيرة التي زار فيها المذنب مجموعتنا الشمسية (١٩١٠ م) أجهزة تتيح للدارس ان يتأمل المذنب ويكدح ذهنه ، دون مغادرة سطح الأرض .

وعلى الرغم من أن هذه الأجهزة قد مكنت من التوصل إلى كثير من المعلومات المفيدة عن المذنبات وابعادها وتكوينها ... إلا أن كثيرا مما يشغل العلماء ظل بلا جواب ..

فعلى سبيل المثال مازالت التساؤلات قائمة حول ما إذا كانت نواة المذنب كتلة واحده أم عدة كتل ، وحول سر تغير درجة وميض المذنب في دورة تتكرر كل ٢٤ ساعة ، وحول التركيب الدقيق لمكونات المذنب ، والتغيرات التي تطرأ عليها ، والكم الذي تتناقص به كتلته مع كل دورة حول الشمس ، والمآل الذي سيؤول اليه المذنب حتما : الموت ، ومتى سيحدث ذلك .. وماذا يمكن أن يصيب الأرض من ذلك كله ؟

باختصار مازال المعروف عن المذنبات ذا طبيعة وصفية واحتمالية ، في أغلبه . ومازالت الحاجة ماسة إلى معرفة الكثير من العلاقات السببية التي تربط بين ما يحيط المذنبات من ظواهر ..

● إمكانيات عصر الفضاء ●

ومع تسلح الانسان بعتاد علمي جديد وباهر ، ينتمي إلى عصر الفضاء ، صارت الفرصة متاحة لأن يمد الانسان يده مئات الملايين من الكيلومترات ، للقاء هالي وتحسسه عن قرب .

وهكذا أطلق الاتحاد السوفييتي محطتين أوتوماتيكيتين ، تحملان أجهزة شاركت في صنعها مايقرب من عشر دول ، بينها فرنسا ، لتلتقيا مع هالي على بعد ١٥٠ مليون كيلومتر من الأرض ، في نقطة تبعد عن نواته ١٠ ـ ٣٠ ألف كيلومتر ، لترسلا صورا مقربة أو مكبرة للمذنب إلى الأرض ، فضلا عن تحليل أتربته ..

كما أطلقت اليابان قمرين صناعيين لرصد

المذنب على مسافة مائة ألف كيلومتر ودراسة الرياح الشمسية التي تعصف بهالة المذنب ، صانعة له ذيلا يقدر طوله بملايين الكيلومترات ..

وأطلقت الدول الأوربية مجتمعة محطة أوتوماتيكية ، أطلقت عليها اسم الفنان الذى رسم المذنب (١٣٠١ م) : جيوتو ، تكريما له على ماأداه للعلم من خدمات ، لتقوم ـ المحطة ـ ناهيك عن القياسات البعيدة بمهمة انتحارية ، تقترب وفقها لمسافة ٥٠٠ كيلومتر من نواة المذنب ، للحصول على اكبر قدر من المعلومات عنه ، قبل ان تلقى حتفها ..

هذا وقد وقفت ميزانية ابحاث الفضاء فى الولايات المتحدة الأمريكية حجر عثرة امام تنفيذ برنامج أمريكى للقاء هالى . لكن الولايات المتحدة راجعت أوراقها القديمة ، ووجهت قمرا صناعيا كانت قد أطلقته عام ١٩٧٨ لدراسة الرياح الشمسية ، وجهته إلى مذنب آخر (جاكوبيني زينر) زار مجموعتنا الشمسية خلال أغسطس وسبتمبر ١٩٨٥ ، لرصده عن قرب والمساهمة بذلك فى الدراسة الجارية للمذنبات بوجه عام .

واصدر العلماء الأمريكيون أوامرهم أيضا إلى محطة أوتوماتيكية أخرى (بيونير) ، تدور فى الأصل حول الزهرة ، لالقاء نظرة عن قرب على المذنب هالى ، اثناء مروره بين الزهرة والشمس ، وحدث ذلك بالفعل خلال ديسمبر ١٩٨٥ ..

وشاركت أمريكا بريطانيا والمانيا الغربية فى تجربة تمت بثلاثة اقمار صناعية أطلقت بصاروخ واحد ، صنع أحدها (الألمانى الغربى) مذنبا إصطناعيا بينما قام القمران الأمريكى والبريطانى برصد هذا المذنب من ارتفاعات مختلفة ، لدراسة تأثيرات الرياح الشمسية ومغناطيسية الأرض .

وهذا كله فضلا عن استطلاع المذنب وتصويره من خارج الغلاف الجوى لكوكبنا .

خلال رحلات مكوك الفضاء الأمريكى

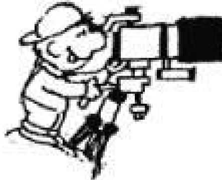
● أولاد العم فى مواجهة الغريب ●

هذا ولا يمكن ترك الحديث فى هذا الصدد دون إشارة إلى ان هذه الجهود لاتجرى متفرقة ، خبط عشواء ، إذ ان أطرافها قد جمعت فى إطار برنامج عالمي موحد لمراقبة مذنب هالي ، تشارك فيه كل الدول التى تملك معدات فلكية حديثة ، تحت تنسيق أحد المعامل العلمية فى باسيدنا بكاليفورنيا .

وهذه واحدة من المرات النادرة التى يلتقى فيها الفرقاء لتنسيق أنشطتهم فى مواجهة ظاهرة كونية ، تواجه الكوكب بمجموعه ، دون تفرقة بين من يقتتلون عليه .

ولاتقتصر الفائدة المنتظرة من هذا البرنامج العالمي على المعارف الخاصة بطبيعة المذنبات ، فطموحات الانسان ـ واوهامه ـ تمضى إلى حدود ابعد إذ يوجد افتراض بأن مادة المذنب هى نفسها المادة التى تتكون منها كوكبنا ، مع غيره من كواكب مجموعتنا الشمسية ، قبل ٤٫٦ مليار سنة . ومن هنا الاعتقاد بان المذنبات تنطوى على معلومات لاتقدر بثمن ، عن المرحلة الابتدائية للسحابة التى ولدت الكواكب من رحمها .

كما أن هناك افتراض بأن التغيير الكيميائى الحادث داخل المذنب هو السبب وراء ظهور المادة العضوية فى جو ارضنا ، وأن المذنبات على وجه التحديد هى التي صحبت مادة الحياة إلى كوكبنا ، حين مسح الذيل الهائل لأحد المذنبات سطح الأرض ..



دراسة الهلال

الوفد و٤ فبراير

بقلم: د. محمد أنيس

● يكتسب الحديث عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ اهمية اليوم ، ليس لاننا فى الذكرى الرابعة والاربعين على هذا الحدث التاريخى الهام ، ولكن لانه يسهم بالتاكيد فى الوعى بقضية تثار هذه الايام من جانب احزاب المعارضة، والحزب الحاكم فى مصر ، واقصد بها قضية التبعية لدولة كبرى ، الامر الذى يجعل الاستقلال الوطنى امرا ناقصا ، او مهزوزا . ●

ومازلت اذكر حين كان فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن وابراهيم فرج يفكرون فى احياء حزب الوفد من جديد فى عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ - وكنا معهم - قدر الفزع الذى اصاب حزب مصر (الحزب الوطنى الديمقراطى سابقا) من عودة حزب الوفد حتى ان صحف الحزب الحاكم ظهرت وتتصدرها عناوين تحمل قدرا كبيرا من القلق والجزع . فقد كان المانشيت الرئيسى (عودة حزب ٤ فبراير) يومها تعجبت كثيرا فلم كانت المحاولات الكثيرة لتبرئة الوفد وبالذات مصطفى النحاس من الاشتراك فى تدبير حادث ٤ فبراير مع السلطات البريطانية فى القاهرة انذاك او حتى علمه بما كانت تعتزمه هذه السلطات مع الملك فاروق . فقد بدا واضحا رغم كل هذه الدراسات التى تستند بعضها على الوثائق البريطانية انها لم تنجح فى ازالة الاتهام عن الوفد . ومازالت قطاعات واسعة من الطبقة الوسطى المصرية تعتقد اعتقادا جازما بان الوفد شريك مع السلطات البريطانية فى محاصرة



فؤاد سراج الدين



مصطفى النحاس



محمد حسنين هيكل

قصر عابدين بالدبابات واجبار الملك فاروق على تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة وان هذه الجريمة لا يمكن ان تغتفر فى حق الوطن واستقلاله .

والحقيقة اننى حين كتبت كتاب ٤ فبراير فى التاريخ المصرى لم يكن هدفى تبرئة الوفد او مصطفى النحاس بالذات من المشاركة فى تدبير الحادث او العلم المسبق بما يعتزمه الانجليز فى ٤ فبراير ، فهذه التبرئة جاءت مع نشر الوثائق الانجليزية التى امكن الاطلاع عليها فى اوائل السبعينات وكتبت وكتب غيرى انـذاك بعض المقالات استنادا على هذه الوثائق وهى دون جدال تؤكد ان الوفد - او مصطفى النحاس بالذات - لم يكن على دراية بما يعتزمه الانجليز . غير ان فكرتى الرئيسية فى كتابى (٤ فبراير فى التاريخ المصرى) كانت مختلفة تماما بل عكسية تماما - فقد كنت اسعى لاثبات أن الوفد كان مشتركا فى تهديد القصر قد كنت - ومازلت - ارى الموقف انذاك على النحو التالى هناك صراع عالمى بين جبهتين : الجبهة الفاشية المشكلة من المانيا النازية وايطاليا الفاشستية واليابان العسكرية ضد الجبهة الديمقراطية التى تتكون بصفة اساسية من انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى (لم تكن الولايات المتحدة الامريكية قد دخلت الحرب بعد) - فى ظل هذا الاطار الدولى ماذا يستطيع الشعب المصرى ان يفعله او ماذا يجب على الحركة الوطنية بقيادة الوفد ان تفعله - الخيارات واضحة : اما ان تستمر فى عدائها للانجليز وبالتالى تعاون الجبهة الفاشية فى العالم او تقف موقف الحياد واللامبالاة وهو موقف يساعد - بدرجة ما - المعسكر الفاشى او أن تقف حتى نهاية الحرب فى

جانب الجبهة الديمقراطية ثم تسعى الى تسوية حساباتها مع بريطانيا بعد نهاية الحرب ؟ فاذا عرفنا الى جانب ذلك انه كان هناك صراع داخل مصر بين القصر من ناحية والوفد من ناحية اخرى حول قضية الديمقراطية بالذات واذا عرفنا ان القصر كان ممالئا للمعسكر الفاشى فقد كان من الطبيعى والمنطقى جدا ان يقف الوفد مع قضية الديمقراطية العالمية لنصرتها عالميا وبهذا يكون الوفد قد اسهم فى النظام العالمى بعد الحرب العالمية الثانية . وكنت اسأل نفسى : ماذا يمكن ان تكون صورة العالم اذا انتصرت الفاشية العالمية ؟ بالتأكيد سيحكم مصر جبهة من القصر ومصر الفتاة والاخوان . هل هذا مقبول .

هذا التصور من جانبى كان يتطلب بداهة ان تكون قيادة الوفد على وعى بطبيعة ما يحدث عالميا .. ورحت أبحث فى صحافة الوفد عن تصريح او مقال يشير الى هذا الادراك ولم أجد غير مقالين لعزيز فهمى - أبرز عناصر الطليعة الوفدية - يهاجم فيهما النازية العالمية ويدافع بحرارة عن قضية الديموقراطيات العالمية وتحمست لما كتب عزيز فهمى وكتبت فى معنى ان قيادة الوفد كانت تدرك طبيعة المعركة الدولية ومن المنطقى تماما ان تقف الى جانب قضية الديمقراطية لاسيما وان القصر يقف سرا وعلانية الى جانب الفاشية الدولية وعلى صلة سرية بها .

ولازلت اذكر اننى حين طرحت قصة ٤ فبراير بهذا الفهم فى عدة مقالات فى صحيفة الاهرام ان الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس التحرير الذى طلب منى نشر هذا البحث فى جريدته فى فبراير ١٩٦٧ بمناسبة مرور ٢٥ عاما على الحادث لم يكن مسرورا او راضيا بوجهة نظرى . واذكر ان الاستاذ هيكل قال لى : اذن انت تقر بأن الوفد - او قيادته - كان ضالعا فى الحادث او على الاقل على علم بما ينويه الانجليز . وكانت اجابتى : نعم كان مشاركا ويعلم وهذا لا يقلل من وطنيته بل هو امر طبيعى جدا نظرا للصراع الدولى بين النازية والديمقراطية وكما قلت لم يكن هيكل مسرورا بما قلته ولكنى اشهد انه كان على قدر من الديمقراطية بحيث نشر كافة ما كتبت فى جريدته دون حذف كلمة واحدة .

لكن هذه المقالات فى فبراير ١٩٦٧ جلبت للاستاذ هيكل المتاعب من زاوية اخرى : لان احد مصادرى كتاب كان قد كتبه ضابط فى المخابرات البريطانية فى مصر ابان الحرب العالمية الثانية والكتاب تحت عنوان spy on the spies وروى المؤلف بشىء من التفصيل كيف تمكن من اكتشاف صلة الراقصة حكمت فهمى برجلين من رجال المخابرات الالمانية فى عوامتها على النيل وكان معهما جهاز لاسلكى وجىء بالرئيس المصرى السابق انور السادات - الضابط انذاك فى سلاح الاشارة لاصلاح العطب الذى



الوزارة التى شكلها مصطفى النحاس فى ٤ فبراير ١٩٤٢

اصاب الجهاز . وتوقف المؤلف كثيرا عند علاقة انور السادات بالالمان وحكمت فهمي وتوقفت معه بعض الشيء في مقالاتي حول هذه العلاقة . اظن ان هذه النقطة بالذات هي التى جلبت لهيكل بعض المتاعب - وقد فهمت ان السادات شكا لعبد الناصر مما ينشر في الاهرام واعتقد ان عبد الناصر اتصل بهيكل يساله في قلق متى تنتهي هذه المقالات . وكان هيكل يريد ان يفتح بهذه المقالات نقاشا واسعا جادا حول حادث ٤ فبراير ولكن اشارة عبد الناصر لهيكل انهت فكرة المناقشة بنهاية المقالات .

وما كان يعني الاستاذ محمد حسنين هيكل وبعض الطبقة المتوسطة المصرية: هو تورط حزب الوفد وقياداته في الحادث . وما كان يعنيني ان تكون قيادة الوفد على وعي بالدور الذى قامت به بصرف النظر عن اشتراكها بل ربما يكون اشتراكها مبررا كافيا من وجهة نظرى للدفاع عن الوفد لان وعيه بالصراع الدولي يجعل لقبوله الوزارة معنى وكنت اخشى ان لا تكون قيادة الوفد واعية بذلك فيكون وصول الوفد الى الحكم لمجرد انه يريد ان يحكم بعد فترة طويلة من الابتعاد عن الحكم .

فيما بعد وحين فتحت ملفات الخارجية البريطانية عن الحرب العالمية الثانية وقدر لنا الاطلاع عليها عدت الى الكتابة في الاهرام ايضا حول هذا الموضوع عام ١٩٧١ - ١٩٧٢ ولم اكن سعيدا لان الوثائق البريطانية كانت حاسمة في قولها ان مصطفى النحاس لم يكن يعلم بما تدبره انجلترا ضد الملك صاحب التوجهات النازية .

كان هذا المجهود سواء من جانبي او من جانب الاخوة المؤرخين او المثقفين ، ضاع هباء فيما يبدو - فلازال حادث ٤ فبراير في نظر شرائح كثيرة من الطبقة الوسطى المصرية جريمة وطنية لا تغتفر في حق الوفد

ويبدو ان القضية سوف تبقى على هذا النحو : اختلاف حاد في وجهة النظر حول تقويمها وستظل تفتقد الى اجماع موحد .

اذ كيف يمكن تفسير المنطق الذى يقف وراء هذا الاتهام بمثل هــــذا الاصرار ؟ رغم ان مصطفى النحاس اقدم فيما بعد على اعظم خطــوة فى حياته ضد الانجليز بالغائه معاهدة ١٩٣٦ فى وزارته الاخيرة وهكذا اقدم النحاس على الخطــوة التى كان من شأنها ان تطيح بحكمه وتتسبب فى حريق القاهرة وعودة العمل بمعاهدة ١٩٣٦ حتى الغاها عبد النـاصر فى ١٩٥٤ ؟

كثير من الذين يتخذون من حــادث ٤ فبراير مبررا لادانة الوفد يرون فى محاصرة الجيش البريطانى بالدبابات لقصر عابدين واجبـــار الملك على استدعاء مصطفى النحاس لتشكيل الوزارة اعتداء على السيادة المصرية حتى ولو كان الملك فاروق موضـــع كراهية الشعب المصرى ، الا انه يظل رمزا للسيادة المصرية واشتراك الوفد – كما يعتقدون – فى تدبير هـــذا الحادث معناه ان الوفد قد ساهم فى تخريق هذه السيادة • وكانت اكثـر قطاعات الشعب المصرى اســتنفارا لهذا الحادث هى ضـــباط الجيش المصرى • ويروى لنا التاريخ ان عددا من ضباط الجيش ، منهم عبد اللطيف البغدادى – خصم عبد الناصر البارز كما تدل على ذلك مذكراته – توجــه فى اليوم التالى على الحادث الى قصر عابدين وقابلوا رئيس الديوان الملكى وعبروا عن اســـتيائهم لما حـــدث واستعدادهم لعمل ما يريد صـــاحب الجلالة • وكان احمد حسنين يــدرك طبعا حجم هذه المظاهرة الفــــارغة فصرفهم بعد ان طيب خاطرهم •

كذلك لعب الشعور العدائى لانجلترا – باعتبارها الدولة المحتلة منذ ١٨٨٢ – دورا كبيرا فى تصعيد هذا الحادث والحقيقة انه من الناحية العاطفيـــة البحتة فقد كان من الطبيعى ان تجتاح جماهير الشعب المصرى الفرحة لهزيمة انجلترا بصرف النظر عن طبيعــــة المنتصر ، وكانت لدعاية المحور القوية من اذاعة « بارى » الايطالية اثر كبير فى تأجيج مشاعر المصريين كمـا كان لموقف هتلر من يهـود المانيا فى اوربا اثر ضخم جدا بين الشعوب العربيـة عامة فى التعاطف مع المحور بســـبب القضية الفلسطينية • وصحيح ايضـا ان بعض مظاهرات الطلبة فى صـعيد مصر كانت تهتف «الى الامام ياروميل» حينما كانت المعارك فى الصــحراء الغربية فى صالح جيوش المحور وحين كان روميل يتقدم بسرعة نحـــــو الاسكندرية واصبح من المتوقع دخـول الالمان الدلتا والقاهرة ووقتها طـرح الانجليز مشروع اغراق الدلتا لتعويق سير الجيش الالمانى لولا اعـتـراض رئيس الوزراء مصطفى النحـــاس ووقتها ايضــــا بدأت بعض الادارات البريطانية المسئولة فى مصر تغـادر القاهرة فى طريقها الى السودان وكان الجميع يتوقع سقوط الاسكندرية •

وصحيح ايضا انه وسط الفـــرحة العربية بهزيمة دولة بريطانيا قـامت الثورة فى العراق وكان احد أجنحتهـا

الشيخ امين الحسينى الزعيم الفلسطينى المعروف -

لكن المعاصرين لهذه الاحداث يذكرون جيداً ان الاحساس باقتراب خطر الاحتلال الالمانى لمصر اخرج الكثير من المصريين من حالة الشماتة فى الانجليز الى حالة الاحساس بالخطر الحقيقى ..

والغريب انه على الرغم - ليس فقط من الدراسات المتعددة التى برات الوفد من حادث ٤ فبراير او بررت موقف الوفد - بل وان الوفد بتعاونه مع الحلفاء قد جعل من السهل على مصر دخول الامم المتحدة بعد ذلك ، بل وعلى الرغم من الصراع بين الوفد والانجليز بعد ذلك فى وزارة النحاس الاخيرة التى الغى فيها معاهدة ١٩٣٦ ورفض الدخول فى الاحلاف الاستعمارية كحلف شرقى البحر المتوسط وعلى الرغم من كراهية المصريين للملك فاروق فمازالت شرائح كثيرة تنظر الى حزب الوفد نظرة اتهام واضح لانه « حزب ٤ فبراير » كما طلعت علينا صحافة الحزب الحاكم .

فما هى مدى الصحة فى هذا الادعاء ؟ هل حقيقة ان حزب الوفد الجديد هو حزب ٤ فبراير القديم ؟ الحقيقة تقول لا . فالوفد الراهن ليس هو حزب الوفد القديم ولكنه حزب العهد القديم (قبل ١٩٥٢) بكل ايجابياته وسلبياته بل ربما يكون الوفد الراهن اكثر تمثيلا لسلبيات العهد القديم من ايجابيات ذلك العهد - فاذا كانت ايجابيات العهد القديم تتمثل فى وجود حزب شعبى على راسه مصطفى النحاس وسلبيات ذلك العهد تتمثل فى الاحزاب القديمة الاخرى والقوى المؤيدة للملكية فان الوفد الجديد دون جدال اكثر تمثيلا لسلبيات العهد القديم وهذه الحقيقة تفسر عدة ظواهر : فى مقدمتها ان قيادة الوفد الراهنة تمثل الجناح اليمينى الشرس فى الوفد القديم ، ومنها تجمع كافة العناصر المعادية لثورة ٢٣ يوليو ولعبد الناصر فى حزب الوفد الجديد مع ان بعضها كان من اشد المعارضين لحزب الوفد القديم ولمصطفى النحاس بالذات ، ومنها ذلك التحالف بين الوفد الجديد وجماعة الاخوان المسلمين وهو امر لم يكن يخطر مطلقا على بال مصطفى النحاس ومنها فى الاخير رفض الوفد الجديد للتيار العلمانى الذى عاش عليه الوفد منذ ظهوره فى ١٩١٩ . ان الوفد الجديد منبت الصلة بالوفد القديم : الوفد الحقيقى لذلك يكون من الخطأ البين تسميته بحزب ٤ فبراير .

ان ٤ فبراير من المسائل التى يجب ان تحسب لمصطفى النحاس لا عليه ، والاقرب الى الصواب ان يسمى حزب الوفد الجديد بحزب النظام القديم . هكذا تستقيم الامور .

ومع ذلك فهذا الحزب فيما يبدو يعد نفسه لتولى السلطة فى مصر فى اوائل التسعينات . الا ان الشعارات التى يرفعها تجد قبولا لدى شرائح متعددة فى المجتمع سواء تلك التى تقف شامتة فى ثورة ١٩٥٢ بعد هزيمتها فى ١٩٦٧ او تلك التى خاب ظنها فى الكثير من توجهات السلطة المصرية ابان حكم الرئيس السابق محمد انور السادات .

قصة كفاح عمرها ٣٥ عاماً

نظارات فودة.. التى بدأ صاحبها العمل بمائة قرش فى الشهر



الحاج / محمد ابراهيم فودة صاحب شركة فودة للنظارات

فى المنصورة . عروس النيل . وفى اهم شوارعها التجارية (شارع الثورة) تطل عليك واجهة شركة فودة للنظارات . وصاحبها محمد إبراهيم فودة هو صاحب قصة الكفاح الطويلة التى توجها الله بالنجاح . والتى بدأها سنة ١٩٥٠ عندما كان طالباً بالمرحلة الأبتدائية . وقد إستهوته صناعة وتجهيز النظارات والتى كان يعشق دراستها .

وتحول ظروفه الإجتماعيه عن تكملة دراسته . فالتحق صبى بمحل لتجهيز النظارات حتى يشبع هوايته . ويتعلم صناعة احبها . وكان اجره الشهرى مائة قرش . وبالممارسة إكتسب الخبرة والتفوق واظهر نبوغاً ملحوظاً فى هذه الصناعة .

واخذ يواصل العمل ويقبل عليه بكل الحب والإهتمام ويعطيه بلا حدود . حتى حظى بإهتمام كل من عمل معهم . فوصل أجره إلى ثلاثة جنيهات .

ويقول الحاج محمد فوده . لقد احببت هذا العمل واعطيته كل جهدى ولم ابخل عليه بوقتى وعرقى . وكنت دائما ابحث عن

كل جديد ومتطور .
وفى سنة ١٩٥٥ إنتقلت من محل إلى اخر اعمل صانع تجهيز وزاد أجرى إلى ٦ جنيهات . وقد حظيت بحب الساده العملاء والأطباء ورضاهم عن عملى .
وفى سنة ١٩٧٠ حيث كنت اعمل فى محل واحد لمدة ١٥ سنة . جاء إبنى وكان عمره ٦ سنوات وسألنى هوه ده محل مين يابابا ؟ . ولما اشرت له إلى صاحب المحل . قال يعنى ده مش محلك . ومن تلك اللحظة فكرت فى أن يكون لىّ محل خاص يحمل إسمى ويستمر ابنائى من بعدى فى أداء هذه المهنة الشريفة .
وفعلاً بدأت في البحث عن محل لأبدأ فيه نشاطي وقد وفقنى الله .
ويشاء العلى القدير . ان يكون هو نفس المحل الذى بدأت فيه صبياً بعد ان ازيل المبنى واقيم آخر جديد بدلاً منه . هو الآن الذى يضم شركة فودة . والتى بدأت نشاطها سنة ١٩٧٣ . وحصلت على اول ترخيص من محافظة الدقهلية يحمل رقم (١) من مديرية الشئون الصحية لمزاولة المهنة .
ويضيف الحاج محمد فوده . لقد دعوت الله أن يوفق ابنائى ويستمرون مثلى فى هذه المهنة . وقد من الله علىّ بالولد الصالح والتحق إبنى الأكبر بمعهد البصريات . اما الآخر فهو بالثانوية العامة واتمنى ان يلتحق بعد نجاحه بهذا المعهد حتى تستمر الشركة وتنهض بجهودها .

هذه هى الرحلة التى بدأتها باجر ١٠٠ قرش فى الشهر . والآن اصبحت شركة فودة للنظارات من اكبر شركات النظارات بالدقهلية .

● وكان لنا ان نسأل الحاج محمد فوده صاحب خبرة ٣٥ سنه فى مجال تجهيز النظارات وصاحب شركة فودة بعض الأسئلة التى تهم الجماهير عن النظارات .

● نظراً لأن الإبصار نعمة من المولى عز وجل ولأهميته بالنسبة للإنسان فهو يحتاج إلى الكثير من العناية والرعاية فما هى البلاد التى تتقدم فيها صناعة العدسات . وماهى الماركات العالمية التى تتوفر لدى شركتكم ؟

● البلاد التى تقدمت كثيراً فى صناعة العدسات هى المانيا حيث تتعامل مع العدسات الزايس والتيتال المضغوطة حيث تمتاز بدقة كبيرة . كذلك فرنسا حيث تتعامل مع العدسات الفرنسية الفوتو براون والفوتو جراى والبنى والأبيض السوفريل والسوبر فلنت .

● هناك دعوى الآن لاستعمال العدسات اللاصقة . فهل يقتصر صرفها على السادة الأطباء . ام يتم صرفها للأطباء والجمهور على السواء ؟

● يقتصر صرف العدسات اللاصقة للسادة اطباء الرمد المتخصصين .

● ماراى سيادتكم فى العدسات التى تتلون مع الضوء ومالفرق بينها وبين العدسات الشفافة (البيضاء) ؟

● العدسات التى تتلون مع الضوء تعفى صاحبها من شراء نظارتين واحدة للنهار وأخرى اثناء الليل . اما العدسات الشفافة البيضاء فهى دائما مطلوبة لنظارات القراءة وغير مكلفة .

● ماهى الماركات التى تقوم الشركة بترويجها فى مجال الإطارات (الشنابر) ؟

● هى كثيرة ومتعددة الجنسيات مثل الإيطالى والفرنسي والألمانى وكذا شنابر هابى المحلية وكل نوع منها له مزاياه وإستعماله وشركتنا ليس لها فروع اخرى بالدقهلية ومقرها ٢٣ شارع الثورة بالمنصورة وبعد فهذه قصة كفاح مختصره لإبن من ابناء الدقهلية بدأها من ٣٥ عاماً وأصبحت شركة فوده للنظارات علماً على هذا الكفاح وثمرة من ثماره .

اعداد : سامى الميهى



● الدولة العثمانية وتاريخها ●



● قضية للمناقشة (تقويم الدولة العثمانية) هل هي فردوس مفقود ؟ أم صورة للاستبداد والتخلف ؟) رئيس تحرير مجلة الهلال • (ان فتح مجلة الهلال صفحاتها قضية للمناقشة لاعادة تقويم الدولة العثمانية ، والتي يشكل تاريخها جزءا هاما من التاريخ العربي ويكفي ان المنطقة العربية مازالت تعيش نتائج تداعيات سقوط تلك الدولة فليس بعيدا عن تلك التداعيات ما يجرى على أرض فلسطين ولا الحرب العراقية الايرانية ولا الحرب الاهلية في لبنان ••

اذن ليس مقصد الهلال معالجة قضية قديمة ، تكتفي منها بمجنىء زيارة احد متاحف التاريخ ، أو هي مجرد حنين الى الماضي •• بل نهدف الى تأمل أحداث الماضي التي تمس الحاضر وتخاطب المستقبل •

ففي تونس مثلا بذل الولاة العثمانيون من العناية في سبيل تقدم القطر التونسي ولم يظهر تاثيره الا في زمن الدولة الحسينية ، واقد عنى افراد من امراء هذه الاسرة واعيان رجالها بالاكثار من عدد المدارس والكتاتيب ونشر المعارف فجلبوا المعلمين من انحاء البلاد واجروا عليهم النفقات فلم يبطىء الزمان حتى ظهرت مبادىء حركة علمية ادبية مناسبة لحالة ذلك العصر وذوقه ونبغ بفضلها كتاب نالوا منزلة رفيعة في الدولة وتحلت بهم دواوين الحكومة وواصلهم الامراء والكبراء بالجوائز السنية والعطايا اما مباهاة او تنشيطا لهم •

ففي سنة ١٨٦٨ م اخذ المصلح خير الدين التونسي الشركسي الاصل بزمام اللجنة المالية في جد وحزم ووطد الصلة بين تونس والدولة العثمانية ، ان الدولة العثمانية دار الخلافة الاسلامية •

كتاب الشهر : من ذخائر الفكر في حديث الذكريات بقلم : د• محمد عبد المنعم خفاجي وبعد مطالعتي لهذا الحديث وجدت فيه بعض الاخطاء التاريخية وهي كما يلي :

١ ـ حسن حسني عبد الوهاب (١٩٦٩ م) والصحيح هو ان حسن حسني عبد الوهاب توفي يوم السبت ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٨ م واما تعيينه عضوا دائما في مجمع اللغة العربية بالقاهرة فكان في سنة ١٩٣٢

٢ ـ محمد الفاضل ابن عاشور توفى (١٩٧١ م) والصحيح هو ان محمد الفاضل ابن عاشور توفى يوم الاثنين ٢٠ ابريل سنة ١٩٧٠ م ٠

٣ ـ محمد الحبيب بن الخوجة (١٩٧٣ م) والصحيح ان محمد الحبيب بن الخوجة كان مفتى الديار التونسية وانتقل الان يعمل كامين عام لمنظمة رابطة الدول الاسلامية بالمملكة العربية السعودية ٠

محمد العائش القوتى ـ تونس

●●●●●●●● بين الخطا والصواب

محمد سيد كيلانى

على ما اعتقد فان شهر يناير بالنسبة للاستاذ العلامة محمد سيد كيلانى هو شهر كشف المستور والقاء الاتهامات ! بمعنى انه فى شهر يناير ١٩٥٩ اصدر كتابا اسماه « فصول ممتعة » ضم بين صفحاته كل من « طه حسين بين الكفر والايمان والشيخ « على عبد الرازق » ومنصور فهمى » و « وامين الخولى » كل هؤلاء بين الكفر والايمان : ويأتى دور العقاد فى شهر يناير ١٩٨٦ ٠ على صفحات الهلال : ؟ العقاد الكاتب الاسلامى بين الكفر والايمان وظننت من عنوان المقال ان الاستاذ صاحب المقال قد وضع يديه على مستند يجعل من العقاد « زنديق » « وملحد » « وفقير معدم « وشعره مجرد من العاطفة » كل هذه الاتهامات من خلال ذلك المقال اتهامات لا تقف على قدم ولا تنسب للحقيقة فى شىء من بعيد او قريب ٠ ولكنه قدر العقاد ٠

ولى ان اسال كاتب المقال لماذا لم تتهم العقاد بالالحاد حين دافع عن كتاب « فى الشعر الجاهلى لطه حسين ولم تذكر هذه الواقعة مجرد سؤال ؟ هل لان العقاد وقلمه سوط ينهال على اجساد المتطفلين على الادب ؟ ولى ان اذكره بشىء لعل الذكرى تنفع يقول صلاح الدين البستانى فى السطر السابع عشر من مقدمة الناشر « وقد اخالف مؤلف هذا الكتاب محمد سيد كيلانى فى اكثر من راى ولكن الانسانية تقضى على بان احترم رأيه ، فلكل حريته فى التعبير عن ادائه » وان دلت هذه السطور على شىء فانما تدل على ان الاتهامات التى وجهت لاشخاص كتابه « فصول ممتعة » اتهامات واهية ٠ وقد كتب الناشر هذه السطور لانه يدرك ان هذا لا يمت للحقيقة بشىء : ولكن يخلو من مسئولية التسرع !

ونأتى للعقاد بين الكفر والايمان، هل سمعتم او قرأتم يوما ان الفقر عار على صاحبه : وكيف يثور على محمد سيد كيلانى ان محمدا نبى الانسانية ورسول الله عاش ومات فقيرا ؟ والكفر والايمان فى ميزان

أنت.. والهلال

محمد سيد كيلاني يمتد الى الشعر شعر العقاد بأنه خال من العاطفة وجاء بقصيدة لاحمد شوقي للمقارنة ، اقول له ان لكل انسان أن يتذوق ما يريد ويقرأ ما يشاء فليس هناك فرض لشاعر على محبي الشعر .

واحب ان اقول لكاتب المقال اذا اراد العقاد ان يكون من الاثرياء لفعل ذلك ، ولكنه اعتز بالعقاد الاديب ، خيرا من العقاد الباشا او اى لقب اخر . واود ان أشير لمثل عامي يقول « من شب على شيء شاب عليه » فما بال كاتب المقال حين يعرف أن العقاد قد نشأ بين أبوين شديدي التمسك بالدين وقد فتح عينيه على الدنيا فوجد اباه يستيقظ قبل الفجر ليؤدي الصلاة ويبتهل الى الله بالدعاء : كيف يدقل ان تكون مثل هذه البيئة الدينية ويخرج من بيتها ملحد او كافر ؟ ولا اجد شيئا اختم به هذا الموضوع خيرا من سطور للاستاذ والكاتب الاسلامي عباس محمود العقاد « رحمه الله » حين قال « ايه يا خفافيش الادب : اغثيتم نفوسنا اغثى الله نفوسكم الضئيلة

ابراهيم محمد طنطاوى
مصر الجديدة

● رثاء القرش ●



ابكيك يا قرشي الفقيد
وضحية السوق العنيد
انى رايتك غائبا
عن مسرح الطلب المديد
قد كنت قبل مقدما
يشرى بقيمتك العديد
قد كنت منحة والد
ترضى الوليدة والوليد
كم كنت تشبع فاتكا
فى حجم شيطان مريد
واليوم صرت مؤخرا
وعجزت عن ثمن الزهيد

هيهـــات يـرضى أن يـنـــا
لـك سـائل وجـع شـريـد
كـانت لـنـــا موعـودة
فشـفعتها ... صـرت الوئيـد
ابكيـك يـا قـرشى الشـهيد
وغـدا سـنبكى مـا يزيـد

احمد قاسم احمد ــ قنا

ماذا قال دورينمات ؟

● فى البرنامج التليفزيونى « نادى المسرح » الذى تقدمه السيدة سميحة غالب قال الكاتب العالمى « دورينمات » « ان » المسرح فن بـدأ يندثر وانه سيصبح فنا متحفيا .. بعدها فى جريدة « الاهرام » كتب الاستاذ د. مصطفى ماهر ان « دورينمات لم ، يقل هـذا » ثم كتبت السيدة سميحة غالب تدعو كل ، أساتذة اللغة الالمانية ، وادابهـا ليضعوا لنا النقط فوق الحروف فى هذا الموضوع .. والان نريد ان، نعرف ماذا قال دورينمات فاذا كان قال هذا فهناك قضية هامة ، فى حاجة الى مناقشة ، واذا كان العكس فهناك ايضا قضية هامة فى حاجة الى مناقشة وفى كلتا الحالتين سوف نستفيد فكريا وادبيا .

عاصم مزيد البرقوقى ــ الاسكندرية

سراب الاغتراب



سـلاما دار دنيـانا ، سـلاما
متى تهـبين احـلامى الفطـاما ؟!
كثيـرا مـا حلمـت ، وفى كثيـر
مـن الاحـلام جافيـت المنـاما
ومـا شىء تحقـق لى ، وانى
وجدت جميـع احـلامى كـلاما !
وقيل لى : (اغترب) ، فشددت رحلى
وودعـت العشـيرة ، والمقـاما
وبين جـوانحى اتقـدت امـان
رأيـت بلوغهـا امسى لـزاما
حشـدت لها ، ولم اتـرك سـبيلا

انت والهلال

مهذبة ، وما خنت النظاما
وبعد كفاح أعوام .. أراها
قرونا .. عدت مطحونا ، تماما
صحيح .. قد رجعت بما تأتى
متاعا مستقلا ، أو حطاما
ولكن .. أين أحلامى ؟! تلاشت
وعدت أقول : يا دنيا ، سلاما !!

رمضان أبو غالية
وكيل مدرسة قويسنا الثانوية

● تعليقات وملاحظات ●●●●●●●●●●●●●●●

● ايمن على دسوقى - طالب بالمعهد التجارى بالروضة :
- قصيدتك « لهفى على الاسلام » والقصيدة الأخرى « جرح الليالى » تدلان على موهبتك الطيبة فى الشعر الموزون المقفى .. ان أوزانكم صحيحة ، ولغتكم أيضا .. ماعدا هنات قليلة فيها .. نرجو أن تستمر والا تنقطع رسائلكم عنا .

● عبد الرحيم الماسخ - نجع الماسخ بسوهاج :
- قصيدتكم الغزلية التى تقول فيها : « يا عزتى فى رضاك .. يا ذلتى فى جفاك » .. موزونة مقفاة ، لكنها تفتقر الى الروح الشعرى الذى ينبع من صدق الاحساس والتجربة والتمرس بأداء المعانى ..

● أحمد حسن صادق - محاسب :
- قصيدتكم التفعيلية التى عنوانها « شرقية » تهاجمون فيها المرأة الشرقية ، وتقولون : « مظلومة .. مضطهدة .. وفية .. شقية .. تبحث عن قيد .. تبحث عن حرية .. أحزانك سيدتى .. تبحث عن عنوان ..ولدى مكان .. هناك بمملكة النسيان » ..
ان الهجوم على المرأة التى تسميها « المرأة الشرقية » انما هو « موضة » فات أوانها وتفسخت المعانى التى لهج بها فى هذا المقام شعراء من أمثال نزار قبانى .. حاول أن تجد طريقا الى الافكار الصحيحة ..

● رفعت محمد روبى - سوهاج :
- قصيدتكم « عذابات شاعر » .. تدل على تقدمكم فى نظم الشعر

موزونا مقفى ٠٠ نرجو الاستمرار ، وتمنياتنا لكم ٠٠

● **عبد القادر القادرى ــ قاض مستشار بوزارة العدل المغربية :**

ــ الأستاذ محمد سيد كيلانى ليس من حفدة عبد القادر الكيلانى مؤسس الطريقة القادرية ٠٠ وليس كل من اسمه « كيلانى » يكون من أحفاد الشيخ الكيلانى ٠٠ أما اعتقادكم أن اللورد كتشنر قد غرق فى البحر لكى تظهر فى موته كرامة الامام المهدى السودانى ، فهذا اعتقادكم لا نجادلكم فيه ولا نقاسمكم اياه ٠٠ وأما اقتراحاتكم بشأن كتب الهلال فنشكركم عليها ٠٠

● **سمير رمزى المنزلاوى ــ منية المرشد ــ مركز مطوبس :**

ــ قصتكم « مرثية طائر مهاجر » خليط من الشعر المنثور المحلق فى الفضاء ، والحكاية اليومية العادية المتداولة بين الناس فى أحاديثهم ٠٠ لا نعارض مزج القصة بالشعر أحيانا اذا اقتضى الامر ، ولكن على كاتب القصة أن يعرف تماما فرق ما بين الشعر والقصة ٠٠ ومع ذلك فكتابتكم تدل على موهبة نرجو لها النماء ٠

● **ابراهيم على حسن بوخشيم ــ المنيا :**

ــ نحييكم على جهدكم الذى تبذلونه فى التعلم فى « منازلكم » حتى بلغتم مرحلة الدراسة الثانوية دون أن تتلقوا تعليما فى أية مدرسة ٠٠ وأما قصتكم التى أرسلتموها بعنوان « حصان » فينقصها الكثير فى الحقيقة ، مثل اللغة الصحيحة بلا أغلاط نحوية ولغوية وتعبيرية ، فضلا عن فن القصة وما يقتضيه ٠٠ وسيتم ذلك لكم ان شاء الله خطوة بعد خطوة ، فلا تتعجلوا والله معكم ٠٠

● **محمد سعيد رشاد ــ الاسماعيلية :**

ــ لا تتوهم أن رسائلك لا تلقى اهتماما ، فهذا التوهم يسيطر أحيانا على بعض المتأدبين الشبان ٠٠ نحن نهتم بكل رسالة مهما كان المستوى الادبى فيها ٠٠ أما قصيدتكم التى عنوانها « ستقول عنى » فليها هفوات غير قليلة فى الوزن واللغة والنحو ، ولكن استمرارك فى هذا الفن سيبلغك مرادك ان شاء الله ٠٠

● **السادة : عبد الله عبد الله أحمد ٠٠ سيد أحمد محمود ٠٠ جمال عبد الباسط :**

ــ أرسلتم الينا أزجالا عامية فى موضوعات مختلفة ٠٠ نرجو أن نلفت عنايتكم الى أن الهلال هى مجلة الادب العربى الاولى فى البلاد العربية ، ولم تنشر موضوعات بالعامية منذ صدورها قبل تسعين عاما ، ومازالت على هذا المبدا ، فهى سجل الادب العربى الفصيح المكتوب باللغة القومية التى يفهمها كل العرب ٠٠ أما انتاجكم الزجلى فلعلكم تتمكنون من نشره فى بعض الصحف اليومية او الاسبوعية ٠ ونشكركم ونعتذر اليكم ٠٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ـ ١٢ عددا ـ في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادي وفي بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستاني عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ

القاهرة ـ تليفون ٣٦٢٥٤٥٠
سبعـة خطـوط
مجلـة الهـلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد الممتاز فى ٣٠ قرشا

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣.٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سوداني	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بني	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بني	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

مصر للطيران

علم مصر فى كل مكان





أكثر من

٥٠

سنة خبرة

مصر للطيران

فى خدمتكم

أوربا - أفريقيا

آسيا - أمريكا

(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)

الهلال

مارس
سنة ١٩٨٦

الثمن
٣٠ قرشا

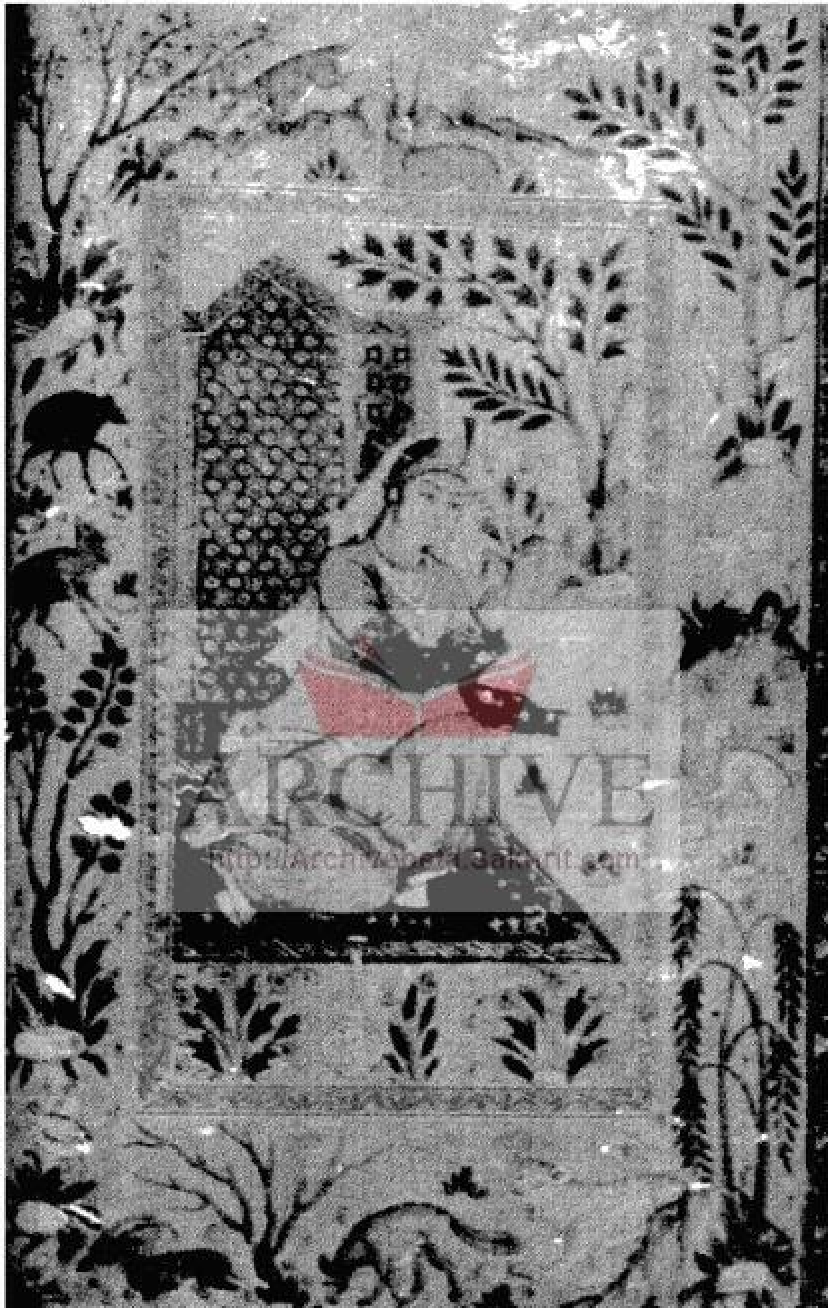


ملف خاص

المرأة والسينما



- أهل الذمة.. رأى جديد
- الجريمة فى أدب عبد الرحمن الشرقاوى



من روائع الفن الإسلامي

إحدى اللوحات الفنية التى تزين ديوان "خمسة نظامى" للشاعر يوسف نظامى وللوحة تشير إلى مغنية تشدو بإحدى قصائد الشاعر، وقد استغرقها الغناء، حيث اندمجت فى أدائها المتقن المعبر وهذا المخطوط الفريد يوجد فى حيدر اباد بالهند



الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - اول مارس سنة ١٩٨٦ - ٢٠ جمادي الثانى ١٤٠٦

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتير التحرير الفنى
عيسى دياب



● جزء خاص عن السينما والعرب ص ١٠٢



● مصريون في بلاد العرب ص ٤٢

في هذا العـــدد

● فكر وثقافة ●



● العقاد مؤمنا لاكافرا ص ٨٦



● ثروة نجيب الريحانى الفنية ص ١٤٦



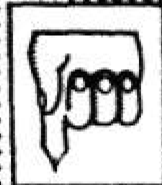
● حول كارثة مكوك الفضاء تشالينجر ص ٩٢



● جزء خاص .. العرب والسينما ●

● شعر وقصة ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

رحل عن دنيانا منذ أسابيع قلائل المؤرخ العربى الاسلامى الكبير الاستاذ محمد عبد الله عنان .. استأثرت به رحمة الله بعد عمر حافل بالعطاء فى المجال الذى خصه هذا الكاتب العظيم بعنايته ، وأوشك أن ينقطع له طوال عمره انقطاع الزهاد ، أو انقطاع الرهبان ، فجاءت مؤلفاته فى فى التاريخ الاسلامى نسيج وحدها ، منهجا وأسلوبا وفكرا وتوثيقا وتحقيقا .. واستكمل بها هذا التاريخ نقصا ظل يعتوره طويلا ، وبخاصة تاريخ الاندلس الذى أسدل الدهر عليه الستار ، ونسيه العرب والمسلمون كأنه لم يكن جزءا غاليا من حياة أمتهم ثمانمائة عام ، وكأنما كان هذا الامد الذى لا يحصيه الا الله ، حلما من الاحلام !

بدأ محمد عبد الله عنان اهتمامه بالمجتمع والسياسة والادب والتاريخ فى سن مبكرة ، فكان اسمه بين الاسماء القليلة التى عرفتها مصر لدعاة الاشتراكية قبل ستين عاما .. وقد لبث عمره من دعاة المساواة والحرية ، ولكنه انتزع نفسه من عمله الذى يعيش منه ، ليبحث فى التاريخ العربى والاسلامى ،ويحقق بوجه خاص تاريخ الاندلس وعصوره المتتابعة التى تساقطت كحبات العقد حتى انقطعت بسقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ ثم طرد بقايا العرب الذين عرفوا باسم « الموريسكس » أو «الموريسكسيين»الى مياه البحر الابيض المتوسط ليلجأوا يائسين محطمين الى شواطىء البلاد العربية الافريقية حيث تلقفت الكثيرين منهم عصابات قطاع الطرق وتجار الرقيق الذين كانوا - مع أسف التاريخ والمؤرخين - عربا ومسلمين ، وأبناء عمومة وخئولة للموريسكيين البائسين !! ..



محمد عبدالله عنان

ان محمد عبد الله عنان هو المؤرخ العربى المعاصر الوحيد الذى أنفق عمره يشد الرحال الى بلاد العالم للتحقيق والبحث واستكمال المصادر والوثائق لكتبه التاريخية .. وقد قام ـ مثلا ـ بأكثر من عشر رحلات دراسية فى أسبانيا والبرتغال ، وعاين هناك الآثار والاطلال والنقوش الاندلسية ، وكان لذلك أعمق الاثر فى نفسه وفى امداده بكثير من الآراء والافكار المتعلقة بتاريخ الاندلس والامة الاندلسية ..

ولما أراد أن يكتب العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام فى الاندلس وهو : « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » ـ الموريسكيين ـ عن عناية فائقة بالتجول فى مملكة غرناطة العربية القديمة التى كانت مسرحا لهذا الفصل الاخير من تاريخ العرب والمسلمين فى الاندلس .. قال رحمه الله فى مقدمة هذا الكتاب : « زرت مدينة غرناطة ذاتها ست مرات ، وشهدت فى بسائطها ونجودها وأحيائها كثيرا من الاماكن التى كانت مسرحا لكثير من الحوادث والوقائع الشهيرة ، وتجولت فى مرجها الشهير ، وعلى ضفاف نهرها القديم ـ شنيل ـ وصعدت الى جبال سييرانفادا ذات الآكام الناصعة ، وشهدت بمدينة غرناطة التى مازال قصرها المنيف عنوانا لمجد غرناطة الاسلامية .. سائر الاماكن التى اختتمت بها المأساة الاندلسية المسيحية » !

بهذه الرحلات وما أتيح له من دراسات فى دور المحفوظات الاندلسية استمرت طويلا ، وما اجتمع له من فيض وثائقى زاخر انفرد بين المؤرخين جميعا بالاطلاع عليه ، كتب محمد عبد الله عنان بقلمه البليغ ، الفخم الرنين،



عزيزي القارىء

الصادق اللهجة ، أوثق نص تاريخى فى اللغة العربية وفى سائر اللغات ، عن نهاية الاندلس العربية ونهاية العروبة فيها والاسلام ! ..

قرأ ـ رحمه الله ـ ألوف الوثائق بالعربية ذات الحروف الاندليسية والمغربية ، وبالقشتالية ، الاسبانية ، القديمة ، وبالانجليزية والفرنسية والايطالية ، فجمع التحقيق الوثيق من اطرافه ، وانقلب كل من يكتب فى هذا الباب عيالا عليه وان كانوا من ذوى الاقدار والاخطار ، لا نستثنى من ذلك أحدا من مؤلفى عصرنا عربا وغربيين ! ..

ان محمد عبد الله عنان قد افرغ كتبه كلها فى هذا القالب الذهبى النفيس .. وعاش يكتب فى التاريخ والادب والسياسة والاجتماع ، بكل التواضع وانكار الذات والتفرغ للعلم وحده ، دون أدنى تفكير فى الاضواء خارج صومعة العلم ، حتى كاد يخفى وهو الطود الشامخ ، وتأخر اسمه وهو ارفع الاسماء ، وتخطته الالقاب والجوائز والمناصب وهى جميعا دون سن قلمه ، والتبس أمر مؤلفاته على القراء وهى التى أزالت بتحقيقها ودقتها وشمولها كل لبس فيما تصدت له من شئون تاريخنا وشجونه ! ..

لقد كان محمد عبد الله عنان ـ رحمه الله ـ موسوعة حية هائلة زاخرة بالعلم والفكر الحى، وان حديثنا هنا ليضائل من هذا الرجل العظيم اذ نجترىء بعض مؤلفاته عن الاندلس ، ولكنا فى الحقيقة تعمدنا ذلك ، معتذرين اليه ، لان فى هذه الكتب عبرة بالغة لنا نحن العرب فى مرحلتنا التاريخية الراهنة التى تشبه من وجوه كثيرة موقف الامة العربية فى الاندلس عندما أخذت تنهار وتتساقط وينحل عقدها حتى قال شاعرها يناديها ببلاغة :

يا اهل اندلس شدوا رحالكم
فما المقام بها الا من الغلط

فها نحن هؤلاء ـ اخيرا ـ يشد بعض الخائرين من امتنا رحاله من أرضه هنا وهناك هربا من الغزو والقتل والسبى والابادة ، فنقع فى الغلطة

التى وقع فيها أسلافنا الاندلسيون حين رأوا سعة العالم العربى وترامى اطرافه فراحــوا يتقهقــرون وينســحبون من الاندلس قطعة بعــد قطعة حتى لم يبق لهم اثر فيه .. ثم جئنا نحن على آثارهم فقمنا على قبر هذا الماضى « المجيد » الذى لا عودة له ، نندبه ونقول فيه المراثى !.. ثم نكرر نفس أخطائهم ! ..

لقد ذهب محمد عبد الله عنان الى لقاء ربه دون أن تشعر به أمته العربية والاسلامية ، وكيف تشعر به فى موته وقد غفلت عنه فى حياته ؟!.

ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يقنط من رحمة ربه حين أحاطت به غفلة أمتـه من جميع الجهات ، ولم يحطم قلمه ، ولم يطو صفحات التاريخ وهى تتواثب بين يديه قائلا كما يقول بعض قومنا الآن فى غفلة لهوهم :

ما مضى فــات والمؤمـل غيـب
ولك الســاعة التى انت فيهـا

لقد لبث الرجل يكتب تاريخ هذه الامة صارخا فى البرية . يحاول ايقاظ النيــام ، وتحريك الموتى ، ثم لحق بالرفيق الاعلى ، وصمت قلمه ، ولكن كتبــه الرفيعة الشأن تواصل من بعده تبيان التاريخ ومغزاه لمن عجـزوا عن فهم مغزى التاريخ ، وتعظ ذوى الغفلة كاشفة لهم عقبى الغافلين ...

وعسى الا يكون محمد عبد الله عنان ، وكتبــه من بعده ، أشبه بالراهب القديم الطيب الساذج الذى كان يقف على شاطىء البحر يعظ الاسماك ويدعوها الى سواء السبيل ، فلا تسمعه الحيتان العظيمة ولا الاسماك الصغيرة التى ابتلعتها بطون الحيتـان ..
وسلام عليـك أيها الراحل فى الخالدين ! ..

المحرر

بقلم: فتحى رضوان

الأوبك واليونسكو في مواجهة التحديات!!

ما أبعد الواحدة عن الأخرى، ولكنهما معا مؤسستان دوليتان أولا: تسودهما أغلبية من دول فقيرة ومتوسطة ومنتسبة للشرق. ثانيا: هما معا ضحية كراهية عنصرية. ثالثا: وهما الآن هدف جملة من دول الغرب. رابعا: ولاتمنع وجوه الشبه هذه من انهما مختلفتان غاية الاختلاف. أولهما تشرف على شئون النفط المتدفق من آبار المنطقة العربية، في الأغلب الأعم، ثم من مواقع اسلامية، وأخيرا من أمريكا الجنوبية، أى أمريكا الفقيرة التى غزتها عمليات التحرر والتطور.

وظهور مؤسسات لاتخضع للغرب، ولاتطيعه وتنفذ أوامره، وتفكر على الأقل لنفسها، وتنحو في أكثر الأمور، نحوا لايصطبغ بصبغة الغرب وعقليته ومناهجه، أمر جديد على تاريخ الانسانية، على الأقل في مراحلها الحديثة التى تبدأ في مفتتح القرن التاسع عشر والتى استمرت حتى اليوم أى حتى نهاية القرن العشرين.




هنرى كيسنجر


احمد مختار امبو



واحد من الاجتماعات الأخيرة لوزراء الأوبك

والأوبك ظهر بظهور مادة جديدة سمع عنها الانسان من أبعد العصور وهى النفط ، ولكنها كانت مادة متواضعة ومتوارية ولاتشغل بالا لأنها لاتحرك آلة ، ولا تدر مالا ، ولاتؤثر على شئون حياة البشر . ولكن فى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين ، وأمور الدنيا تتأزم ، وتحتقن ، وتتهيأ لحرب لم تسمع عن مثلها الأمم ، يتحارب فيها الناس بأسلحة لم ترد على خاطر ، ولم يتصورها لاعالم ولاعاقل .

بدأت هذه المادة تتفيض ، وتواصل فيضها حتى أصبحت مادة الحياة كلها ،

الأوبك واليونسكو

فهى تستعمل فى الصناعة والطباعة ، والتجارة والزراعة . وتزود آلات الحرب والهلاك ، وأدوات التعمير والبناء ، وبذلك أصبحت الانسانية كلها . عالة على هذا السائل الاسود الثقيل . لاتستغنى عنه ، ولايمكن أن تعيش بدونه ، وبذلك أصبح هذا السائل مصدرا لايبارى للغنى والثراء . غنى للافراد ، وغنى للدول ، وشاءت ارادة الله ان يكون موطن هذا السائل بالدرجة الأولى فى المنطقة العربية وعلى وجه أخص فى المملكة العربية السعودية والعراق والكويت ثم الدول التى تطل على خليج العرب الذى ضم سبع امارات ولا أحسب أن هناك انتاجا من الطبيعة ، فعل فى الناس وفى شئون السياسة والمال وعلاقات الدول الكبيرة بالصغيرة وبواعث الاتفاق والاختلاف وقواعد المجتمع ، وأصول المعاملات الانسانية ، ما فعله البترول ، ولو أقتصر الأمر على بروز دول كانت تعوزها الثروة القومية كدول الخليج وماحولها ، لهان شأن التغيير الطارىء ، ولكن أصبح البترول ، وسيلة لايرد لها أمر من وسائل الضغط السياسى ، ولذلك كان لابد أن تنشأ للدول المتحكمة فى هذا السائل ، منظمة تضمهم ، وتنسق سياستهم ، وتستريح تحت مظلة واحدة تحميهم من الافراط والتفريط ، وتكشف ظهورهم لهجمات الأقوياء ، وتهديد المتمردين بشئون السياسة ، وقد كانت ، فقد ظهرت (الأوبك) وهو لفظ يمثل الحروف الاولى من اسم هذه الجماعة وهو اسم نصه منظمة الدول المصدره للبترول .

لكن تدفق البترول فى بلاد فقيرة ولم يكن لها دور فى توجيه السياسة الدولية أو الاقتصادية ، لم يصاحبه فى الحال ميلاد (منظمة الأوبك) بل مرت السنوات وعرش الهيمنة على استخراج البترول ، وتسويقه ، بعد تكريره تشغله سبع شركات كبرى هى الشركات الشقيقة كان اكثرها امريكية مثل استاندارد أو نيوجرسى ، ثم بريتش بتروليم ، وشل ... الخ .

وقد بقيت هذه الشركات تفعل فى مجال البترول ماتشاء ، وقد بقيت الدول المنتجة للبترول صابرة على تحمل سياسات الشركات الكبرى التى وضعت امام ناظريها أهدافا اهمها تخفيض أرباح هذه الدول ، والحيلولة دون تحولها الى قوة مؤثرة فى سوق البترول أولا ، ثم فى مجال الاقتصاد وأخيرا السياسة ، حتى وافت سنة ١٩٦٠ ، وفى شهر اغسطس من هذه السنة خفضت تلك الشركات سعر البترول ، تخفيضا فاض على أثره غضب الدول المنتجة للبترول ، فأحست تلك الدول انها محتاجة الى انشاء تكتل يقيها عدوان الشركات المتجبرة وقد تزعم هذه الحركة الشيخ عبدالله الطريقى السعودى مع زميله بيريز الفونسو الفنزويلى ، فتمت الدعوة الى مؤتمر بغداد الشهير ، وقد أسفر انعقاد المؤتمر عن ميلاد منظمة الأوبك وهى اختصار لعبارة منظمة الدول المصدرة للبترول .

ولم تهتز الشركات الكبرى صاحبة السيادة البترولية بميلاد هذه المنظمة ، وقد ساندت هذه الشركات في موقفها الحكومات الغربية التى كانت تنتمى اليها ، تلك الشركات الكبرى ، وقد عبرت الشركات عن هزئها بالأوبك فرفضت أول الأمر الاعتراف بها كطرف صالح للتفاوض الجماعي ، وراحت تتعامل مع الدول المصدرة للبترول (فرادى) ولم تكن المنظمة قادرة على الرد بسبب حداثتها وعدم توافر جهاز تخطيطى وإدارى ذى كفاية وتجربة ، وقد كانت أهداف المنظمة فى البداية متواضعة لاتزيد عن ..

● العمل على تحقيق اكبر قدر من الربح ، وتحسين شروط التعامل مع الشركات المشترية للبترول .

● التحكم فى البترول المعروض ، صيانة لمخزون البترول عند الدول البائعة من الاستنزاف .

والحق أن (الاوبك) كانت محقة فى تحديد هذين الهدفين ، فقد كان سعر برميل البترول عند ميلادها أقل من دولارين فى حين ان المستهلك فى أوربا الغربية كان يشترى البرميل بعشرة دولارات . ولذلك فقد عقدت الأوبك مؤتمرها الأول فى كراكاس سنة ١٩٧٠ ، وقد اعانتها الظروف الدولية انذاك لأن تدهور انتاج نيجيريا (وهى عضو فى الأوبك) بسبب حرب بيافرا أدى الى انخفاض المعروض من البترول ، وبهذا تمكنت الأوبك من رفع سعر البرميل بنسبة ٢٨ ٪ وقد تقرر رفع النسبة الى هذا الحد ، فى مؤتمر طهران الذى عقد سنة ١٩٧١ .

وعلى الرغم من نجاح الأوبك فى تحقيق هذه الزيادة الا ان ميزان القوى بين الاطراف الثلاثة فى عملية بيع وشراء البترول ، وتوزيع الانتاج بقى على ماهو عليه عند توزيع الانصبة من الارباح كما يلى :

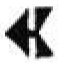
٥٢ ٪ للحكومات فى شكل ضرائب تؤديها الشركات على اعمالها

٤٢ ٪ للشركات المنتجة .

ويبقى الباقى القليل وقدره ٦ ٪ يذهب الى جيب الدول المنتجة للبترول والمصدرة له .

ولكن ارهاصات تغيير أو تعديل ميزان القوى قد توالت ، فالدول المنتجة زادت قوتها ونفوذها فى المجال الدولى سياسيا واقتصاديا ، وحكومات الغرب ، والشركات المنتجة لهذه الحكومات ، والمشمولة برعايتها ، تعلم جيدا فلسفة الأمر الواقع ، ولاتتحداها أو تتجاهلها ، ومن ثم فإن النسبة السابقة تعدلت بحيث زاد نصيب الحكومات الغربية ، فقد أصبح ٥٧ ٪ على حساب الشركات التى انخفض نصيبها الى ٢٧ ٪ (بعد ٤٢ ٪) أما نصيب الأوبك فقد ارتفع ارتفاعا هزيلا إذ أصبح ٧ ٪ بعد أن كان ٦ ٪ ، ولكن مالبثت حرب سنة ١٩٧٣ أن شبت ، وانتصرت مصر فى العبور ، وبددت اسطورة أن اسرائيل قوة لاتغلب وبالتالى فإن العرب سيبقون دائما مهزومين ، ولانسمع لهم كلمة تسمع ولانفوذ يحس به ، وفى ظل هذا التغيير الضخم وغير المتوقع ، هبط نصيب الحكومات الى ٤٥ ٪ لبعد ٥٢ ٪ وارتفع نصيب الدول المنتجة للنفط الى ٣٠ ٪ (بعد ٧ ٪) أما الشركات الأجنبية فقد تدني نصيبها الى ٢٥ ٪

وفى هذه الفترة ذاتها زاد نصيب دول الخليج العربى من جملة انتاج العالم من البترول الى ٣٠ ٪ وبعبارة أخرى زاد من



الأوبك واليونسكو

٦٧٩ مليون طن عام ١٩٦٠ الى مايزيد المليار بنحو مائة مليون تقريبا .

وتتضمن هذه الاحصائية وجها آخر فدول الغرب . عملت اقصى مافي وسعها لتنفيذ خطة جديدة تواجه بها نفوذ اعضاء الأوبك ـ وبالذات الدول العربية من هؤلاء الاعضاء . وذلك باستنباط مصادر أخرى للطاقة ، حتى يتم الاستعاضة تدريجيا عن البترول ، أو على الأقل لاضعاف نفوذه ، ولكن تطورات سنة ١٩٧٣ وما بعدها قضى على هذه المحاولة ولو مؤقتا ، فقد بقي البترول على رأس قائمة مصادر الطاقة مستأثرا بنسبة ٦٥ ٪ وكان على الفحم سيد مصادر الطاقة قبل مزاحمة البترول وبعد البترول .

ولكن اذا القينا نظرة اكثر تعمقا ، لألفينا ان زيادة اسعار النفط الذى تبيعه اوبك لأمريكا ، على الرغم من ضخامتها ، الا أنها لم تكن خسارة مطلقة للولايات المتحدة . فان دول أوروبا واليابان ، بعد هذه الزيادة بسبب حظر بيع البترول بوصف هذا الخطر سلاحا من اسلحة العرب في معركتهم ضد اسرائيل ، ربيبة وعميلة الولايات المتحدة ، محسور بالحاجة الى حماية الولايات المتحدة فتوقفت مساعيهم التى بدأوها قبل حرب ٧٣ ، التى تهدف الى ان تحقق أوروبا قدرا اكبر من الاستقلال . وقد أحسن وزير خارجية الولايات المتحدة هنرى كيسنجر استغلال هذه الحالة عند أوروبا ، وراح يطوف على دول الغرب ، داعيا الى الوحدة في ظل الزعامة الامريكية مبشرا بحرب ضد دول الخليج اذا هى لجأت الى تهديد امريكا ودول الغرب بحرمانها من بترول الخليج بخاصة وبترول العرب بعامة . وبهذا يكون كيسنجر اليهودى ، قد تولى قيادة حرب صليبية ضد بترول العرب ، مما يرفع قدر الدولة التى ينتمى اليها ويحارب بسيفها ولكن كل هذا لم يمنع من انفجار اسعار البترول فبعد أن كان في اخريات سنة ١٩٧٢ ثلاثة دولارات للبرميل الواحد وصل الى ١٥ دولار في منتصف سنة ٧٥ ، وواصل ارتفاعه بعد ذلك حتى وصل الى ٤٠ دولارا . وانتقلت عدوى الزيادة الى باقي المواد الخام ، مما زاد من سعر المنتجات الأوربية الامريكية التى يشتريها العالم الثالث ، وبالتالى زيادة ديونه ، ونجم عن ذلك حالة كساد دولية

قرأت الدول الصناعية ان تعقد مؤتمرا ومظاهرة في الوقت نفسه قبلت الدعوة لها اكثر من عشرين دولة صناعية ورأسمالية في شهر فبراير ١٩٧٤ في عاصمة الولايات المتحدة ، وكانت الداعى الى هذا المؤتمر هو هنرى كيسنجر بعينه ، وقد اثمر هذا المؤتمر ، ميلاد وكالة الطاقة الدولية التى اريد لها ان تكون تكتلا غربيا صناعيا راسماليا ، يقف في وجه الأوبك ويمنع نشاطها الذى يؤدى الى زيادة اسعار البترول من وجهة وزيادة مكانته كمصدر للطاقة من جهة أخرى وقد أخذت هذه الوكالة على عاتقها تنفيذ سياسة اشرنا الى اهدافها فيما سبق وهى تقليل استهلاك البترول لتوفير ما ينفق في سبيل

الحصول عليه ، ثم تقليل اللجوء الى البترول ، بالاعتماد على مصدر أخر للطاقة ، وقد حققت هذه الوكالة مع الظروف الدولية والاقتصادية السائدة فى العالم النزول بنصيب الاوبك من مبيعات البترول الى ٤ ٪ عام ٨١ و ٣٥ ٪ فى عام ٨٣ ذلك بعد ان كان هذا النصيب ٦٣ ٪ وقد زاد الطين بلة اكتشاف مواقع جديدة لانتاج البترول كبترول بحر الشمال ، اى بترول بريطانيا والنرويج . وقد بات الأمل يساور دول الغرب فى إمكان الاستغناء عن بترول العرب بالاعتماد على بترول المثلث الغربى : بحر الشمال ، المكسيك ، كندا .

فى جو الازمة تفككت علاقات أعضاء الأوبك من الداخل ، فان حالة الركود فى سوق البترول التى ادت الى تدنى اسعاره جعل من الصعب حفظ النظام داخل المنظمة التى كانت تقوم به على وجه حسن السعودية ، بفضل انتاجها الضخم الذى لايطاوله انتاج أخر بين الدول المنتجة فى الشرق والغرب وبعد أن نجحت منظمة الأوبك فى فرض حدين على اعضائها حد الانتاج المسموح به كليا للمنظمة ، والمسموح به لكل عضو من اعضائها أو ما يوصف بأنها حصة العضو . ولكن لما واصلت اسعار المنظمة فى الهبوط ، وأشتدت حاجة بعض الأعضاء الى مصادر (دولارية) حذفت هذه الدول هذين الحدين أو هذين السقفين كما يعبر عنهما باللغات الاجنبية من خلف ظهور بقية الاعضاء بسعر أقل التماسا للعميل الراغب فى الشراء وبعضها باع اكثر بشدة الضغوط الاقتصادية عليها إما لظروفها الداخلية كنيجيريا وأما لاحتياجات الحرب كالعراق وقد ضاعف من هذه الضغوط التنافس من الخارج اى تنافس كل من بريطانيا والنرويج والمكسيك مع الأوبك ، وهو تنافس كانت غايته القريبة تحقيق الأرباح ، وغايته البعيدة ، نسف منظمة الأوبك نهائيا . بعد أن عاشت طويلا منظمة يحسب لقراراتها الحساب عند اعضائها وعند المنافسين فى سوق البترول

ولذلك أضطرت المنظمة فى آخر اجتماع لمجلسها فى جنيف الى اعتماد صيغة جديدة ، هى تحقيق النصيب العادل للأوبك من ارباح السوق . ويرى بعض المتشائمين أن هذا القرار هو ايذان بانهيار قدرة الأوبك على تحقيق الضبط والربط داخلها ولو تحقق تصور المتشائمين ، يكون الغرب قد حقق مأربه ، وقضى على منظمة استطاعت لفترة غير قصيرة أن تقف ندا للغرب فى مجال البترول ممثلا فى شركاته الكبرى ، وحكوماته ذات النفوذ .

● مأساة أخرى ●

أما اليونسكو فهى الجانب الآخر من المأساة ، فبعد أن قضى الغرب على منظمة الأوبك ، فى مجال الاقتصاد والتجارة الدولية ، أراد أن ينسف منظمة اليونسكو ، باعتبارها منظمة يسودها ـ كما سبق القول ـ النفوذ أو الاغلبية المنتسبة الى العالم الثالث .

والثقافة تهم الغرب ، ربما بأكثر مما يهمه الاقتصاد ، لأن الثقافة تتيح للغرب ، تغلغلا فى العالم الثالث ، أعمق من جهة وأبقى من جهة ثانية ، فاليونسكو ، تصنع الافكار ، وتصوغ العقول ، والحروب كما يقول شعار اليونسكو المكتوب على مقرها

الأوبك واليونسكو

فى باريس ، تنبت فى الأفكار . ولهذا فقد ضاقت الولايات المتحدة بالنشاط الذى تمارسه اليونسكو فى عالم الصحافة والاعلام بصفة عامة ، وربما كانت البداية بعض قرارات أدانت نشاط اسرائيل ووصفتها بمالا تطيقه أو تحتمله الولايات المتحدة ، وتوالت بعد ذلك قرارات فى شأن الأنباء ، ووكالاتها ، وطرق توزيعها . فقد بدا للولايات المتحدة أن اليونسكو تتبنى اساليب اليسار ومناهجه فى هذا السبيل ، فاتهمتها الولايات المتحدة بأنها منحازة للشرق ، وضد الغرب ثم ركزت هجومها على الأمين العام (مختارامبو) واعتبرته المسئول عن كل هذه الاتجاهات ، واضافت الى هذه الاتهامات العامة ، أن أسلوب الانفاق فى اليونسكو متسم بالتبذير ، وأن العناية بمقر اليونسكو فى باريس زاد عن الحد المعقول .

وقد اشتدت حملة الولايات المتحدة ، على اليونسكو ، وتصاعدت ثم انتهت الى التهديد بانسحابها فى أخر السنة الماضية ان لم تعدل اليونسكو عن الأخطاء التى نسبتها الولايات المتحدة لها وقد نفذت الولايات المتحدة تهديدها ، وهى تعلم اهمية بقائها فى اليونسكو على الأقل من الناحية المالية التى تحب الولايات المتحدة فى التلويح بها واستغلالها ، فان الولايات المتحدة تعلم انها تساهم فى موارد اليونسكو بالربع وان حرمانها من هذا القدر غير القليل مع تزايد النفقات لاحتياجات الشعوب الفقيرة المتفانية فى مجال الثقافة والاعلام ، ولارتفاع اسعار كل السلع بما فيها الأوراق والاحبار والافلام وأشرطة التسجيل ونفقات الطبع وتكاليف البريد .

ولم تكتف الولايات المتحدة بتنفيذ تهديدها ، بل فتخطت على شريكها فى حلف الاطلسى بريطانيا ، لتحذو حذوها ، وقد اوفدت الولايات المتحدة مندوبين عن حكومتها الى لندن ليتولوا تنظيم حملة ضد اليونسكو ، وقد اثمرت هذه الحملة ، فقد نشرت صحف بريطانيا اكثر من عشرين مقالا ، وبحوثا وتحقيقات تتضمن كلها الحملة على اليونسكو ، وسوء مسلكها . وعلى الرغم من أن جميع امناء اللجنة القومية البريطانية لليونسكو لم يوافقوا على هذه الحملة ولا على الانسحاب من اليونسكو .

وقد وضعت حكومة مستر تاتشر فى سبيلها ـ تضامنا مع امريكا .

فهل تسقط (اليونسكو) أم انها ستصمد امام هذه الحملات المغرضة لتؤدى رسالتها الانسانية .

إن أغنياء العالم الثالث والاتحاد السوفيتى ، يملكون الرد . فلننتظر ماذا يفعلون ؟!


ياسر عرفات

● ان اعتراف منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢ ، هو تذكرة المرور الوحيدة الى المؤتمر الدولى ، وللأسف فان الضغوط التى تمارس على منظمة التحرير الفلسطينية ليست أمريكية فقط !

ياسر عرفات
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

● من الافضل للمرء أن يعيش أسدا يوما واحدا ، من أن يعيش نكرة فى قطيع الاغنام مئات الاعوام .

المخرج الامريكى « ارسون ويلز »


ارسون ويلز

● الرجال بدون ماض ، رجال بلا مستقبل ، وأحد لا يهتم برجال فقدوا المستقبل .

الاديب الامريكى اسحق سنجر

● اذا لم يسترجع العسكريون فضائلهم فان عاجلا أو اجلا سيتحولون الى مدنيين يحملون غدارات .

جنرال ابراهيم بابا نجيد
رئيس جمهورية نيجيريا

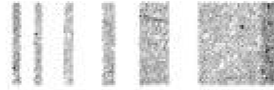
● لو سارت الامور فى الفلبين حسب التوقعات « فماركوس » يفرض نفسه ، ومن بعده « ماركس » .

الجارديان الانجليزية

● الاقتصاد الامريكى الان معجزة بالنسبة للاغنياء ولكنه كارثة بالنسبة للفقراء .

جيمس رستون ـ صحفى بالنيويورك تايمز

المتميز على



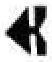
الأشواك

هؤلاء العائدون

ماذا يحملون وماذا أعددنا لهم..؟

الفوج الاول جاء من ليبيا ، ولان عددهم كان كبيرا ، ولان « صاحب ليبيا » اراد ان يحول المسألة الى مظاهرة سياسية ، فقد اثار قدومهم ضجة غير عادية . ولكن العائدين يتوافدون باعداد اقل ، ومن مختلف الاقطار البترولية . معظمهم الآن عمال غير مهرة لم يعد لهم مكان هناك بعد ان تمت البنية الاساسية . بعد قليل سوف يرجع العمال المهرة والفنيون والمهندسون والاطباء ، فوجا بعد فوج . السذج من الوعاظ والشباهه يتعرضون ايضا للالقاء في مسائل العمالة والمشكلات السكانية ، يحرمون تحديد النسل ولا تزعجهم الاعداد الكبيرة من العمال والفنيين والمهنيين الذين يرجعون الى بلد يعاني اصلا من اختلال الموازين بين القوى العاملة وفرص العمل ، فهم يقولون لك : افريقيا محتاجة الى مهندسينا ومعلمينا واطبائنا وعمالنا ، كأنهم ما سمعوا بان افريقيا تضيق بسكانها الذين يموت منهم الملايين جوعا ، وتحتاج الى الغذاء اكثر من حاجتها الى المعلمين ، والى ادارة عليا ورءوس اموال قبل حاجتها الى مهندسين وعمال .

الذين يعيشون في جنة البلهاء لايبصرون ولا يسمعون ولكن ما بال جامعاتنا ؟ ما بال مراكز البحث الاجتماعي عندنا ، وهي معروفة ولا احتاج ان اسميها ؟ هل بدات تدرس احوال هؤلاء العائدين ، وتوجهاتهم نحو المستقبل ، والمصاعب



بقلم : د. شكري محمد عياد

التى تواجههم فى اعادة التكيف مع بيئة ابتعدوا عنها سنوات ، وهم قد تغيرت أحوالهم ، وهذه البيئة نفسها قد تغيرت ؟

ونحن نأخذ منذ سنين طويلة بسياسة التخطيط الاقتصادى· وليس فى وسعى ان اناقش هذه السياسة ، على الاقل لن احاول ذلك فى الوقت الحاضر · فسافترض انها سياسة اقتصادية حكيمة ، تقوم على فلسفة واضحة وتعتمد على دراسات علمية ، ولكننى اتساءل : هل ادخل المخططون الاقتصاديون فى حساباتهم هذا الكم الهائل - والمجهول - من القوى العاملة ورءوس الاموال المحتملة ؟ اغلب ظنى انهم لم يفعلوا · والامر لا يحتاج الى دليل اكثر من هذا الدليل : « شركات توظيف الاموال » التى نبتت فى كل مكان كما ينبت الفطر فى الصحراء ولم تملك المؤسسات المالية الرسمية ازاءها الا التحذير والانذار ، ولاتزال هذه الشركات ماضية فى طريقها ، معتمدة - كما هو واضح على مدخرات المصريين العائدين ، او الذين لايزالون يعملون فى الخارج ، وسيعودون فى وقت غير بعيد ·

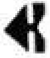
قرانا عن مؤتمرات المغتربين،والشركة القابضة التى انشئت بجهود وزارة الهجرة وتحت رعايتها ، ولكن الحقيقة التى نحاول اخفاءها هى ان الناس - حتى فى اعلى المستويات الثقافية والاجتماعية - يتعاملون مع الحكومة طبقا لمبدأ « الحكومة تضحك علينا ، ونحن نضحك على الحكومة » ، وكثير ممن حضروا هذه المؤتمرات لم يشتركوا فيها الا ليحصلوا على تخفيض ٥٠٪ من ثمن تذاكر الطائرة ، وجلسوا طوال المؤتمر واضعين ايديهم على قلوبهم خشية ان تورطهم الحكومة فى تسليم بعض دولاراتهم ·

لذلك اقول ان المشكلة تجب ان تبحث على ارض الواقع ، بعيدا عن الرسميات ، وكلما كانت هيئات البحث مستقلة عن الحكومة كان ذلك ادعى لاطمئنان الافراد اليها ، وتعاونهم معها ولا يمكن ان يكون البحث اجتماعيا صرفا ولا اقتصاديا صرفا ، بل يجب ان يشترك فيه خبراء فى الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس ايضا ، والى جانبهم مفكرون ينظرون الى كل مسالة تثار من جوانبها المختلفة التى قد لا يلتفت اليها اهل الاختصاص ·

فالمغترب العائد ليس مجرد شخص رجع من الخارج بمقدار من المال ولكن شخص اكتسب عادات استهلاكية جديدة بفضل الزيادة التى طرات على

دخله ، ولديه فائض ادخره بهدف معين ، قد لا يتجاوز المحافظة على هذه العادات الاستهلاكية • هذا تعريف تقريبي للمغترب بوصفه وحدة اقتصادية في عصر سمته الاساسية هي التوسع المستمر في الاستهلاك • والاستهلاك ليس رذيلة دائما فهو الذى يضمن سوقا للانتاج ، وبذلك يكون عنصرا اساسيا في التنمية وانما نشكو الان من زيادة الاستهلاك لانها لا تقابل زيادة في الانتاج • وقد صاحبت هذه الظاهرة زيادة عدد العاملين في الخارج ففى خلال الاثنتى عشرة سنة الاخيرة كان قسم كبير من القوى العاملة المصرية – بل من افضلها – يبيعون قوة عملهم – سواء في قطاع الانتاج او في قطاع الخدمات – خارج البلاد ، مقابل اجور يستهلكون قسما منها في شراء سلع منتجة – غالبا – في الدول الراسمالية الكبرى ، ويصب قسم اخر في الاستهلاك الداخلي الذى اصبح – هو ايضا – معتمدا على الاستيراد نتيجة لشيوع هذا النمط في نمو الراسمالية الوطنية الحديثة ، والباقي يتحول غالبا الى ودائع مجمدة لدى المصارف الوطنية او الاجنبية • هذه الودائع هي – بدون ادنى شك – ملك لاصحابها بكل معاني الملكية ، ومن الحكمة الا تضع الدولة قيودا على الجهاز المصرفي تمنع اصحابها من التصرف فيها ، لان النتيجة الطبيعية لذلك هي ان تهرب من البلاد الى حجر المستثمر الاجنبي •

العائدون من الخارج ليسوا راسماليين كبارا ولا صغارا – الا فيما ندر – ولكنهم اساسا قوة عمل ، تتفاوت بين الخبرة العالية والمتوسطة والعمالة الماهرة وغير الماهرة • ولكنهم اصبحوا – على غير انتظار – مالكين لقدار من « السيولة » يسمح لهم بالدخول في سوق الانتاج • ومهما نسيء الظن بالطبيعة البشرية فان الاغلبية الساحقة منهم تود ايضا ان يكون سعيها في سبيل الرخاء الفردى اسهاما في رخاء الوطن ، الذى يعنى مستقبلا افضل لابنائهم واحفادهم فالمتوقع اذن ان هؤلاء العائدين الذين يجيئون هذه المرة مختارين او مضطرين للاستقرار في حضن الوطن الام ، لا يحملون معهم مسجلا واجهزة فيديو فقط ، ولا يشحنون في امتعتهم ثلاجات وافرانا فقط ، ولا يتربعون في سيارات فاخرة فقط ، ولكنهم يحملون ايضا – كل بحسب قدراته – افكارا ومشروعات • اى انهم ليسوا مجرد خامات يشكلها المخططون الرسميون ، ولا وارثين اغرار يلتقطهم بعض المغامرين ، ولكنهم افراد لهم تجاربهم وطموحاتهم ، ولهم ايضا اراؤهم في مستقبل بلادهم ، وقد خرج الكثيرون منهم فرارا من حكم الراى الواحد وهم احرياء ان يكونوا في عودتهم دعامة « للصحوة الكبرى » في عهد ديموقراطي • كثير منهم لا يريدون من الدولة الا ان تسهل لهم الاجراءات الرسمية وتظلهم بالحماية المشروعة التي تمنحها كل دولة لصناعاتها الناشئة • لا احد يطعن في كفاءة اى



وزارة من الوزارات ولا في قبضة ، الابحاث التي تجريها ، ولكن الوزارة هي جهاز تنفيذي اولا ، ولا قوة لهـا الا بقوة المؤسسات العلمية والاقتصادية والسياسية خارج الجهاز التنفيذي • ولان هذه المؤسسات لا تزال ضعيفة جدا ، فان صورة « الحكومة » لدى المواطن العادى تجعله مترددا وشكاكا وربما اغرته بشيء من الحرص ، او حتى الخداع • لذلك كان شعار الحرية في الوقت الحاضر ، هو الشعار الذى يلقى اعظم استجابة من الجماهير •

ان المغتربين العائدين ، بامكانياتهم المتميزة نسبيا ، وطموحهم الذى دفعهم اصلا الى البحث عن فرص حياة افضل خارج الوطن ، يجب الا ينظر اليهم على انهم غنيمة تلك ازمة ، ولا على انهم عبء يزيد مشاكلنا تعقيدا • انهم في مناخ الحرية والديمقراطية امل كبير ، ودعامة مهمة • بعض النـاس يمكن ان يشموا من هذا الكلام رائحة الليبرالية والحرية الاقتصـادية ، وسيـنبرون للدفاع عن « المكاسب الاشتراكية » • وعبـارة « المكاسب الاشتراكية » هى بالفعل تعبير جيد عن عهد من المـذاهب السياسية والاقتصادية المبهمة او المحـرفة والفوضى الادارية التى يحـاول فيها كل فريق ، بل وكل فرد ، ان يحصـل على اكثر ما يمكـن من « المكاسب » لنفسه ، مرة تحت اسم «الاشتراكية » واخرى تحت اسم « الانفتاح » •

ومصر تحاول الان ان تخـرج من فوضى الاسماء والاهواء الى شيء من الجدية والالتزام • ولابد لها من ذلك فان الاخطار المحدقة بها كثيرة جدا ، والاضرار لن تنزل بفريق دون فريق • وقد بدات الدولة تراجـــع دورها ، وتتجه الى الشعبمطالبة اياه بالتصدى لمواجهة مشكلاته • ومعنى ذلك انهـا وجدت من المستحيل ان تســتمر فى محاولة احكام قبضتها على كل نشـاط سياسى او اقتصادى او فكرى فى هذه البلاد • ولكن القوى الشعبية ، خارج اطار الدولة ، لم تستانف نشـاطها الطبيعى بعد ، ولا تزال ، علىالمستوى السياسى ، تتوجس شرا من اعدائهـا الحقيقيين او الموهـومين ، اما على المســتوى الاقتصادى والفكرى فان الصورة لم تتضح بعد • ويخيل الى ان « العـائدين » مرجـوون ومؤهلون ، اكثر من غيرهم ، لتوضيح معالم هذه الصورة •

ليس من المنتظر ان يدخلوا فى جهاز الدولة ، المثقل بمن فيه • المرجح انهم سيكونون اكثر رغبة فى ممارسة نوع من النشاط الخاص • وحسـنا فعلت الدولة بتخطيط « المجتمعات الجديدة » فى هذا الوقت بالذات ، فانها يمكن ان تصبح مركزا لنشاط اقتصادى مهم • ومن الواضـح ان عملية انشـاء المجتمعات الجديدة لا تنتهى بمجـرد التخطيط ، بل ان مهام الدولة سوف تزيد بنمو هذه المجتمعات ، ولكـن عصب الحياة فيها سيكون مواطنـا مصــريا من نـوع جـديد ، نوعايجابى طموح كفء نشـيط لديه الشجاعة والقدرة على تجاوزالطـرق المالوفة فى العمل والحياة •

ان كتاب المقالات امثالنا لا يرسمون سياسة ولا يقترحون سياسة • انهـم

الأشواك

يكتبون عن خبرات الناس وآمالهم ، ليضعوها بين ايدى الخبراء ورجال السياسة ، كى لا ينسوها وهم يخططون وينفذون • والمغتربون العائدون الذين يستأنفون حياتهم على ارض الوطن يشعرون بانهم فى حاجة الى ان يكتشفوا هذا الوطن اولا ، ان المشروعات التى تولتها الدولة خلال الثلاثين سنة الاخيرة - ولا تزال تتولى معظمها - تعنى ان لدى اجهزتها المختلفة خبرات متراكمة يجب الانتفاع بها فى كل مشروع جديد • مديرية التحرير مثلا • ان الدولة فى الوقت الحاضر تحل اهداف التنمية الزراعية والامن الغذائى فى المكان الاول من اهتماماتها ، وتشجع المغتربين والعائدين - بالذات على الاستثمار فى الاراضى الزراعية المستصلحة ونصف المستصلحة، فهل نشرت على الناس نتائج خبراتها فى مديرية التحرير ؟هل بدأت حوارا بينها وبين هؤلاء المستثمرين المحتملين حول امكانيات الاستثمار فى كل منطقة من المناطق الجديدة المستصلحة ، او المرشحة للاستصلاح ؟ واين دور وزارة البحث العلمى ، واكاديمية البحث العلمى ، فضلا عن كليات الزراعة واقسام الجغرافيا ومعهد الصحراء وادارات البحوث فى وزارة الزراعة - اين دورهم جميعا فى هذه المشروعات ؟

تحضرنى بهذه المناسبة واقعتان : الواقعة الاولى اخبرنى بها المرحوم الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وكيل وزارة التعليم العالى سابقا • وهى انه قام مع مجموعة من الخبراء بمسح شامل لشبه جزيرة سيناء بهدف اكتشاف امكانيات تعميرها لتكون بكثافتها السكانية درعا للوادى من جهة الشرق وكان ذلك قبل حرب ١٩٦٧ • وقال لى الرجل بحزن ان المشروع طوى ، ولو بدىء تنفيذه فى وقته لكان من الجائز ان تتغير نتيجة هذه الحرب •

اما الواقعة الثانية فلا يزال الناس يذكرونها • وهى ان مغتربا مصريا انعم الله عليه ، فعاد الى مصر وافتتح مكتبا واعلن عن مشروع سماه « مشروع مصر المستقبل » •وخلاصته ان مصر يمكن ان تزرع عشرين مليون فدان بدلا من ستة ، ونشر الرجل فى الصحف اليومية اعلانات ضخمة مدفوعة الاجر ، ذكر فيها تفاصيل المشروع واورد اسماء عدة شركات من شركات الخبرة العالمية شهدت بسلامة الفكرة وصلاحيتها للتنفيذ • ولكن الوزير المختص لم يكن مقتنعا ولعل الوزير كان على صواب ، او لعل الوزارة باجهزتها الفنية كانت على صواب ولكن السؤال المحير هو : كيف تأتى ان يظل الحوار منحصرا بين الوزير وصاحب المشروع ؟ اين العلماء والخبراء ؟ ام ان الحاكم يجب ان يبقى هو العالم ايضا ، وهو الموجه ، وهو الحاكم كذلك ؟

ان المغتربين يعودون باشياء كثيرة، ليس اقلها حلمهم بمصر المستقبل ،كما يستطيع كل منهم ان يراها • فلا تجعلوهم يهربون !

لغويات

● يقول الابناء : « فلان يتململ في فراشه » .. أى يتقلب فيه كأنه يتقلب على شيء ساخن او حار او حارق .. والاصل في قولهم «يتململ» « الملة » .. بفتح الميم ، موضع يتم فيه انضاج الخبز ، كالفرن مثلا .. ومن الابناء من يقول « يتملل » بدلا من « يتململ » وقولهم هذا هو الاصل ولكن جرى الكلام على ابدال « الميم » من احدى اللامين ..

● ويقال : « خرجنا نتنزه » ... اذا خرج القائلون الى الحدائق .. وقد حكم بعض اللغويين قديما بغلط هذا التعبير ، وقالوا : انما التنزه التباعد عن المياه والريف ، ومنه يقال : « فلان يتنزه على الاقذار » .. أى يباعد نفسه عنها ، « فلان نزيه كريم » .. اذا كان بعيدا عن اللؤم والعيب .. وقد اقر اللغويون المحدثون قول الناس « خرجنا نتنزه » وحكموا بصحته ..

● يخلط بعض الكتاب بين « الاعجمي » و « العجمي » .. أما الاعجمي فهو غير الفصيح اللسان وان كان نازلا في البادية .. أما العجمي ، فهو المنسوب الى العجم وان كان فصيحا .. والاعرابي هو البدوي وان كان نازلا بالمدن ، والعربي هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا ..

● بعض العامة يقولون : «علوان» اذا ارادوا « عنوان » .. وهو صواب .. وتستطيع ان تقول : عنوان « بضم العين » وعنوان « بكسر العين » وعلوان — بضم العين — وعنيان « بضم العين » .. ولكن الافضل ان تستعمل الكلمة الشائعة ، لان استعمال الكلمات المهجورة يدخل في باب الحذلقة ..

● يخطيء بعض الكتاب أحيانا حين يريدون جمع يوم من الايام كالسبت والاحد والاثنين .. قال اهل اللغة : جمع السبت : السبوت ، والاسبت .. والاحد : الاحاد .. والاثنان لا يثنى لانه مثنى في الاصل ، وجمعه أثانين .. وجمع ثلاثاء : ثلاثاوات .. وجمع اربعاء : اربعاوات .. وجمع خميس : اخمساء واخمسة .. وجمع « الجمعة » : الجمعات والجمع ..

● بعض الاذاعيين — في غير مصر — ينطقون كلمة « القوى » — جمع قوة — بكسرة تحت القاف ، وفي اللغة كلمات من أوزان مختلفة تنطق بالكسر والضم ، فتقول : « القوى » بضم القاف وكسرها ، وتقول « عيون » بضم العين وكسرها .. وتقول « ملوك » بضم الميم وكسرها الخ ..

السنة والشيعة
والحاجة إلى حوار جديد

بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

● في الجزء الاول من هذا البحث دعونا أهل السنة وعلمائهم إلى التعرف الهادىء على معالم الفكر الشيعي، وأخذنا في استعراض تلك المعالم عند الشيعة الإمامية (الاثنى عشرية). بادئين بمذهبهم في "الإمامة" وانها عندهم منصب إلهي يثبت بالنص. ولايجوز أن يكون فيه دخل للاختيار. وأن الإمام ـ فوق ذلك ـ معصوم من الذنوب. وذلك حتى يكتمل فيه معنى الكمال الذى يوجب طاعته والانقياد له. والذى يتناسب مع اختيار الحق تعالى له ●

والشـــيعة بما يقررون من عصمة الأئمة يختلفون عن أهل السنة الذين لا يرون لاحد غير الانبياء عصمة عن الذنوب، بل يذهب بعضــهم الى أن الذنوب جائزة على الرسل الا التقصير فى التبليغ، ويذهب آخـرون الى ان الانبياء معصومون فى زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد اما على سبيل السهو فهو جائز وهو المشار اليه فى قوله تعالى لنبيه (ص): « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ويقول الرازى فى هذه الاية وغيرها مما ورد فى القرآن عن ذنوب الانبياء بانها اما ان تكون على سبيل النســـيان

كمعصية اثم واما على سبيل ترك الاولى (١) .

ولا نريد هنا أن نتوقف طويلا عند آراء الشيعة فى عصمة الائمة اذ ان ذلك مرتبط ـ فيما نرى ـ بمدى حاجتهم الى اثبات تلك العصمة فى مواجهة مغتصبى الامامة من غير آل بيت النبى (ص) ، ولذلك لا نستغرب أن يميل المحدثون منهم الى الاقتراب فى شأنها من رأى علماء أهل السنة ، فيقول واحد منهم « ان الامامية لم يجيزوا السهو والنسيان على الائمة فيما يؤدونه عن الله فأما ما سواه فقد جوزوا عليهم أن ينسوا وأن يسهوا ما لم يؤد ذلك الى اخلال العقل ... ومن نسب غير ذلك الى الامامية فقد ظن فاسدا ... » (٢) ويلخص العلامة كاشف الغطاء نظرة الشيعة الامامية للامام بقوله « فالامام فى الكمالات دون النبى وفوق البشر » .

وحين يسرف بعض علماء الشيعة فى بيان الحاجة الى عصمة الامام حتى تسلم الجماعة من الزلل يجيبهم علماء السنة بأن العصمة من الخطأ ثابته لمجموع الامة « .. وان عصمة الامام لا يمكن ان تؤدى وظيفتها المدعاة فى غيبة الامام وهو الحاصل بعد الامام الثانى عشر ويلخص هذا الموقف كله تقى الدين بن تيمية وهو أكثر علماء أهل السنة نقدا للشيعة وردا لادلتهم فيقول عن عصمة مجموع الامة أو مجموع علمائها « هذا هو الواقع المعلوم الذى أغنى الله به عن واحد معدوم » .

ولقد بذل علماء الشيعة بعد ذلك جهدا هائلا فى اثبات الامامة لعلى كرم الله وجهه بوصية صريحة من النبى (ص) وقد حشدوا فى هذا الجهد عشرات من الادلة النقلية والعقلية أسرفوا خلالها فى تأويل آيات القرآن وصرف ألفاظها وتراكيبها عن دلالاتها ومعانيها المتبادرة الى دلالات ومعان بعيدة تتجه كلها الى اثبات الوصية لعلى كرم الله وجهه (٣) .



كذلك تعلقوا فى اثبات الامامة له رضى الله عنه بالحديث الذى يروونه عن النبى (ص) وهو الحديث المعروف بحديث غدير خم: وخلاصته أن النبى (ص) لما أحس بدنو أجله جمع الناس بعد الحج الاكبر فى حجة الوداع ،

---

(١) انظر نص عبارته فيما نقله عنه الدكتور أحمد محمود صبحى ـ المرجع السابق ص ١١٣ .

(٢) محمد جواد مغنية ـ مع الشيعة الامامية ص ١٤ .

(٣) انظر استعراضا مفصلا لهذه الآيات ومناقشة هادئة لآراء الشيعة فى تفسيرها فى مؤلف الدكتور أحمد محمود صبحى السابق ذكره ص ١٧٥ وما بعدها بعنوان : هل يشير القرآن الى امامة على ؟ » .

وقد انزل الله عليه قوله تعالى : « يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .
المائدة ٦٧

فوقف (ص) يخطب الناس ثم قال : يايها الناس ان الله مولاى وانا مولى المؤمنين وانا أولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ... » وقد وقع ذلك منه (ص) فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة من السنة العاشرة من الهجرة ويضيف الشيعة انه بعد ان بلغ النبى (ص) الرسالة كما امره ربه نزلت اخر آية فى القرآن : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ..

وكثير من علماء المسلمين ومحدثيهم يرون صحة هذا الحديث ولكنهم يروونه بالفاظ مختلفة ، كما يحملون « الموالاة فيه » على غير معنى الامامة الذى يعرفه الشيعة ، ويقول الرازى فى ذلك ان الامة تثبت بهذا الحديث فضيلة على اما الشيعة فتثبت به امامته » ..

وفى تقديرنا أن بعض تفسيرات الشيعة للنصوص القرآنية فى هذا المقام تبتعد بها ابتعادا كبيرا عن معانيها المتبادرة مما يفتح الباب واسعا لسؤال كبير : ذلك انه اذا كانت الامامة ـ بمعناها المقصود عند الشيعة ـ ركنا من أركان الدين ، واذا كان تعيين الامام المعصوم واجبا على الله تعالى ولطفا منه بعباده ، فكيف يتفق بعد ذلك أن تاتى النصوص الدالة على ذلك محتاجة الى هذا القدر الهائل من التاويل » . وكيف يتاتى بعد ذلك أن يدور الجدل الطويل بين الصحابة بعد وفاة النبى (ص) فلا يحتج خلاله على كرم الله وجهه بوصية النبى له .. وباشارات القرآن الى هذه الوصية وكيف لم يتجدد ذلك بعد وفاة أبى بكر وبعد طعن عمر رضى الله فى مسجد الرسول (ص) .. نعم ان لعلماء الشيعة كلاما مفصلا فى الرد على هذه المطاعن .. ولكن السؤال يبقى ـ مع ذلك ـ عندنا قائما بغير جواب مقنع ..

● غيبة الامام ، وانتظار المهدى ●

يرى الشيعة الامامية ان الامام الثانى عشر هو محمد بن الحسن العسكرى قد استتر عن الناس واختفى ولكنه لا يزال حيا ، وان غيبته قد مرت بمرحلتين : الاولى غيبة صغرى قام خلالها اربعة وكلاء بالنقل عنه الى عامة الناس ، واولهم عثمان بن سعيد ثم ابنه محمد بن عثمان، ثم الحسين بن روح ، ثم على السمرى فلما مات هؤلاء الوكلاء انقطع اتصال الامام الغائب بالناس وصارت الغيبة غيبة كبرى ..

وهذا الجزء من عقيدة الامامية هو بغير شك ـ اكثرها غموضا ، فهم لا يذكرون شيئا محددا عن حياة الامام الثانى عشر وصورته وسيرته فى الناس ، كما لا يذكرون طبيعة اختفائه والحكمة منها ولا يروون شيئا واضحا

فى شأنه منقولا عن وكلائه الاربعة وانما يكتفون بالتوجه الى الله أن يعجل بظهوره ومع هذا الغموض فان علماء الشيعة لا يتحاشون الخوض فى قضية المهدى ٠٠ بل يتجاوزون ذلك الى الرد على من يشككون فى أمره فيقولون ان غيبته أكثر من الف عام ليست أمرا غريبا فى نواميس الكون فنوح عليه السلام لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وذلك بنص القرآن الكريم ٠٠ وكثير من علماء السنة يرون أن الخضر عليه السلام حى موجود ٠٠٠ أما حين يصل الامر الى التساؤل عن الحكمة والمصلحة فى بقائه مع غيبته فان عالما ومجادلا شيعيا قوى العارضة مثل محمد الحسين آل كاشف الغطاء لا يزيد على أن يقول : « **ليت شعرى هل يريد اولئك القوم ان يصلوا الى جميع الحكم الربانية والمصالح الالهية** » ٠

وبقى أن نلاحظ أن المهدوية رغم ارتباطها بالتشيع وبغياب الامام الثانى عشر فانها قائمة فى الفكر الدينى كله وقائمة كذلك فى الفكر الاسلامى السنى ٠ تشهد لها أحاديث نبوية خرجها المحدثون فى كتبهم ٠٠ وهى فى مجموعها ــ وبعيدا عن النصوص التى يحتج بها المحتجون ــ تعبير عن الاحتجاج على الواقع الظالم ، وعن التطلع الى مرحلة يجدر خلالها اصلاح ذلك الواقع ومحو الظلم القائم فيه ويلفت النظر ونحن نقارن بين آراء أهل السنة وآراء الشيعة أن ابن تيمية وهو حنبلى سلفى متشدد يقبل أحاديث المهدى بينما يرفضها الزيدية وهم من الشيعة ٠

والتقية ـ فى معناها العام ـ أن يضمر المسلم غير ما يعلن دفاعا عن نفسه واتقاء لخطر لا يقدر على دفعه اذ قد أجازت شريعة الاسلام المقدسة للمسلم فى مواطن الخوف على نفسه أو عرضه أخفاء الحق والعمل به سرا ريثما تنتصر دولة الحق وتغلب على الباطل كما أشار اليه جل شأنه **(الا أن تتقوا منهم تقاه)** وقوله « **الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** » ٠

والحق أن هذا المسلك الدفاعى فى مواجهة الخطر الداهم ليس مما ينفرد به الشيعة ؛ ولكنهم لجأوا اليه لما تعرضوا له منذ بداية الحكم الاموى من اضطهاد وتضييق والذى وقد لخص ذلك العلاقة محمد الحسين آل كاشف الغطاء بقوله :

والتعيير بالتقية ليس على الشيعة بل على من سلبهم موهبة الحرية والجاهم الى العمل بالتقية » ٠

كما أنه من التجنى أن يصور مسلك الشيعة فى عمومه بأنه مسلك يعتمد التقية ويركن اليها ٠٠ اذ معلوم أن الحسين رضى الله عنه قد آثر أن يجود بنفسه على أن يرضى بجور الحكم الاموى أو أن يمالئه على ما كان فيه من عوج ٠

وانما تمثلت التقية فى مسلك الحسن رضى الله عنه حين تنازل عن الخلافة لمعاوية ، قائلا لاصحابه حين دعوه بعد ذلك الى الخروج على معاوية : « انتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فارضوا بقضاء الله وسلموا الامر والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر » ٠

● ولاية الفقيه ٠ ٠ والحكومة الاسلامية ●

لا يتحدث علماء الشيعة الاوائل عما يتحدث عنه المحدثون منهم فى شأن « ولاية الفقيه » ٠ ذلك أن قضية الحكم والسلطة السياسية كانت قد

حسمت فى الفكر الشيعى على أساس « ثنائية » فرض التاريخ السياسى للمسلمين على الشيعة ان يقبلوها : فامام العصر او الامام الشرعى يجرى اختياره بمشيئة الهية بالنص عليه من جانب سلفه ·· والله سبحانه لا يخلى الارض من حجة على العباد من نبى أو وصى ظاهر مشهور أو نائب مستور»(١)· وهذا الامام الشرعى هو المعصوم الذى تجب على الامة طاعته وموالاته ··· أما الذى يتولى رئاسة المسلمين من غير الائمة فهو فى نظر الشيعة حاكم مغتصب ولكن طاعته قد تجب على الناس وجوبا واقعيا وهى طاعة قد تجيز السكوت عليه درءا للخطر عن الشيعة الذين يدخل سكوتهم عندئذ فى باب « التقية » ·· وهذا السكوت قد يشارك فيه امام العصر كما فعل الحسن رضى الله عنه حين تنازل عن منصب الرئاسة لمعاوية ·· وقد يرى الامام ان يختار الجهاد والخروج على الحاكم الجائر على نحو ما فعل الحسين رضى الله عنه حين خرج على يزيد بن معاوية ·

وقد كان يمكن لهذه الثنائية أن تكون حلا لمشكلة السلطة السياسية ى وجود امام العصر ·· ظاهرا كان أو مستورا ·· أما بعد غيبة الامام الثانى عشر غيبة كبرى ، واختفاء وكلائه ·· وانتظار رجعته وخروجه ·· فقد كان من الضرورى ايجاد مخرج عملى يستقيم به أمر الجماعة فى قضية « الحكومة » · والصيغة التى قدمها الفكر الشيعى لهذه الحكومة (١) ·· تقترب – فى نظرنا – مما انتهى اليه علماء السنة ·· ولا نجد تعبيرا عن هذه الصيغة الشيعية الجديدة أوضح مما قرره الامام الخمينى فى محاضراته المنشورة بعد الثورة الايرانية بعنوان : « الحكومة الاسلامية ·· ولاية الفقيه » وخلاصة هذه الفكرة ان الفقهاء يجب ان يضطلعوا بنفس المسئولية التى تحمل اعباءها الانبياء عليهم السلام فى التنفيذ والتطبيق · ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم قد اقام حكومة اسلامية تأخذ الناس بأحكام القانون الاسلامى ، فان على الفقهاء متابعته فى هذا المسلك ··· ويلجأ الخمينى فى عرض نظريته فى ولاية الفقيه الى منهج معاصر يؤكد بداية انفصال الفكر الشيعى – فى جانبه السياسى على الاقل – عن اطاره التاريخى الذى حصرته فيه الحوارات التى دارت على امتداد التاريخ بين المتكلمين والفلاسفة من

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٦ ·

(٢) الواقع – مع ذلك – أن الفكر الشيعى تأخر كثيرا فى تقديم هذه الصيغة ، ويشير بعض المعاصرين الى أن أول من قدمها فى شكل محدد هو محمد بن مكى الجزينى المتوفى ٧٦٨ هـ – ١٣٦٦ م · وهو من أهل جزين بلبنان الذى شرح آراءه فى كتابه « اللمعة الدمشقية » – ويلفت النظر كذلك أن الفكرة لم تظهر فى المركزين الرئيسيين للشيعة فى ايران والعراق الا متأخرة كثيرة عن كتابات ابن مكى ·

اهل السنة وبين الشيعة ·· فهو يتحدث عن فساد القول بفصل الدين عن السياسة مؤكدا أن الاسلام حكومة ودولة » ، وأن وضع القانون الاسلامي لا يكفي وحده بل لابد ان يكون هناك « ضامن اجرائي » تقيم به الامة حكومة تنفذ هذا القانون « فان لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) ·

ثم يوضح الخميني جوهر القضية كلها حين يقول : « اننا في عصر الغيبة الكبرى وقد طال الامد اكثر من الف ومائتين عاما وربما تطول احقابا من الدهر قبل أن تتحقق الظروف المناسبة لظهور الحجة المنتظر - عجل الله فرجه - فهل تترك وتهمل الاحكام الاسلامية وقوانين الشريعة الى زمان الظهور ليبقى الناس في فترة الغيبة طويلة الامد بلا تكليف ؟ » (٢) ويجيب بلا تردد : « كلا ثم كلا ·· ان الاسلام تصدي لعلاج الامر بانجع علاج : انه فوض تولي أمور المسلمين الى الفقهاء العدول - من يجتمع فيه العلم والعدالة وهذا هو الشرط المعتبر توافره في ولي الامر على الاطلاق (٣) ··

وهكذا يحل الخميني معضلة المفارقة بين مثالية المذهب الشيعي وغيبيته في قضية « الامامة » وبين الحاجة الى « ولي امر » يطبق الشريعة ويسوس الناس ·· لينتهي الى أنه لا شك « في ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية في عصر الغيبة كما كانت ضرورية قبلها» ·· وهو في سياق كلامه يحافظ على نظرية الامامة محافظة شكلية خالصة ··· حين يستدرجه المقام الى التصريح بأن سائر الخصوصيات التى اختص بها « الامام » من المعرفة بالغيب - لو صح لغير الله - والعلم بأوصاف الملائكة وصفات الخالق تعالى وما اشبه فغير دخيل في مسالة الخلافة ·· » وانما الامر المهم الذى تسالم عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم من العلماء والفقهاء هو لزوم توافر شرطين في الخليفة وفي زعيم المسلمين على الاطلاق : العلم والعدالة ·· هذا هو الامر الذي يتوافق العقل والشرع عليه ·· » ·

ثم يزيد الخميني الامر وضوحا وتحديدا فيقول في صراحة : لو قام بالامر - (في عصر الغيبة) فقيه عادل ذو كفاءة ودراية ونهض بأعباء ولاية أمور المسلمين عن جدارة ولياقة كان له من الزعامة الكبرى ما كان للنبي (ص) وللامام (علي) وله نفس الامتياز الذى كان لهما في اطار الحكم والولاية وعلى عامة المسلمين طاعته والانقياد تحت قيادته الحكيمة (٤) ·

وفي محاولة ذكية للتوفيق بين نظريته في ولاية الفقيه ، وبين النظرة الشيعية الثابتة « للامامة » من انها منصب الهي ، يقول الخميني : « ان ولاية

---

(١) الحكومة الاسلامية للخميني - طبعة دار القدس بيروت مع مقدمة للشيخ جعفر المهاجر ص ٣٠ ·

(٢) الحكومة الاسلامية ص ٤١ ·
(٣) الحكومة الاسلامية ص ٤٢ ·
(٤) الحكومة الاسلامية ص ٥٥ ·

الفقيه شأن من شئون المجتمع الاعتبارية وليس لها واقعية ذاتية سوى المواضعة الالهية الشرعية بالجعل والتقنير والاعتبار (١) ··

ولا نريد أن نتوقف أكثر من ذلك عند تفاصيل نظرية « ولاية الفقيه » عند الخمينى ، ولا عندما تحمله من بذور الانفراد بالسلطة وافتراض التنزه والارتفاع فوق الرغبات الشخصية لدى الزعيم الفقيه ··· ففي تصورنا أنه كان يصوغ نظرية سياسية تفسر ما يعتزمه من عمل سياسى ، وتضفى عليه شرعية اسلامية دون التزام حقيقى بكثير من الاصول الشيعية ·· وانما نتوقف عند أمر واحد ·· هو أن الفكر الشيعى قد بدأ ـ تحت ضغط الواقع التاريخى ـ يتخلى عن بعض صيغه القديمة ليقترب من مذهب أهل السنة والجماعة فى بعض جوانب الفكر السياسى على الاقل · وذلك بغض النظر عن المثالب والمآخذ التى تحيط بفكرة ولاية الفقيه من الزاوية السياسية الخالصة وانها تقيم « حكومة دينية » ، يتولى السلطة فيها « رجال الدين » مع ما يحمله ذلك من مخاطر لا تخفى على الحكم وعلى الرعية على السواء ·

ونخلص من هذا العرض كله الى أن ندعو الى أمرين من عدة أمور مبتعدين تماما عن واقع الصراع السياسى والعسكرى الدائر فى منطقتنا والذى تلعب فيه « حكومة الفقهاء » دورا لا يخفى ، ولابد أن تتحمل بسببه مسئوليتها عن كثير مما يدور ···

١ ـ ندعو علماء السنة ـ والمثقفين منهم بصفة عامة ـ ان يعرفوا عن

(١) ليس هذا عرضا شاملا لمعالم الفكر الشيعى للامامية الاثنى عشرية، وانما اخترت منه هذه المعالم لاتصالها بما نريد الوصول اليه من خدمة الحوار فى أمور بدأ النظر فيها يتقارب بين علماء السنة وعلماء الشيعة ·· ـ وحسبنا أن نشير الى مواضع اخرى للاختلاف لا نعرض لها هنا ·· من أهمها أن علماء الشيعة لا يقبلون الاحاديث النبوية ، الا اذا رواها آل البيت عن آل البيت ، ومنها أنهم يقولون باخراج الخمس من الغنائم والكنز والمعادن وأرباح المكاسب الى الامام ان كان ظاهرا ، والى نائبه أن كان غائبا ، وبذلك وفر الشيعة لعلمائهم موردا ماليا يضعهم موضع الاستقلال فى مواجهة الحكومات · وأنهم يرون مشروعية زواج المتعة وهى عندهم لا تختلف عن الزواج المعروف الا فى شرط التأبيد ويضيق المقام عن مناقشة ذلك كله وان كان الحوار حوله مبسوطا وموثقا فى كثير من المؤلفات المتاحة للمرء ·

التشيع اكثر مما يعرفون ·· وان يتفهموا الابعاد النفسية والاجتماعية والسياسية التى أحاطت بنشأة التشيع ووجهت مساره وحددت كثيرا من معالمه ·· فليس أمر المسلمين كله امر مقابلة نصوص بنصوص ومقارعة حجج عقلية بحجج عقلية اخرى ·· فتلك كلها اسلحة يستخدمها البشر فى تحقيق مقاصدهم وتسوية حساباتهم وادارة صراعاتهم ··· ولو فعل علماء أهل السنة ذلك لقطعوا نصف الطريق الى « تعايش اسلامى شامل » ولقطعوا الطريق على دعاة الفتنة الطائفية الذين يقبعون كالقناصة على جانبى الطريق ينتظرون الفرصة لاشعال نيران التعصب والانحياز والانقسام ··

٢ ـ أن يساعدوا ـ من جانبهم ـ على انهاء العزلة النفسية التى فرضها الشيعة على أنفسهم فى ظروف تاريخية بالغة التعقيد ·· وذلك بأن يتقبلوا الفقه الشيعى فى الفروع تقبلهم آراء المدارس الفقهية الاربعة ·· ومعلوم أن بين الفقه الجعفرى (المنسوب الى جعفر الصادق رضى الله عنه وبين فقه المدارس الفقهية السنية نسب عريق وصلة وثيقة ، وتقارب عظيم ·

أما علماء الشيعة فان عليهم واجبا اكبر يحتاجون معه الى مغالبة الرواسب النفسية المتراكمة عبر تاريخ الشيعة الطويل فلم يعد « الفكر الشيعى » بحاجة الى أن يتستر وراء نظرية الامامة ، والامام المعصوم ،والتقية ، لينزع الشرعية عن احد من الحكام المغتصبين ·· ولم يعد الشيعة جميعا بحاجة الى مواصلة اجترار مشاعر الحزن والاسى المكبوت لتظل جذوة الرغبة فى الانتصار للامام المظلوم ·· حية فى النفوس ·· بل ان الشيعة لم يعودوا بحاجة الى مواصلة « الانقسام » الذى بدأ فى تاريخهم بعد كربلاء ·· فالهموم التاريخية كلها قد مضى عليها زمان طويل ·· « وهموم الحاضر » لها لون خاص ومذاق ـ على مرارته ـ جديد ···

والامام المعصوم ـ فى عقيدتهم ـ غائب طويل الغيبة ، لا يعلم أمره أحد الا الله ··

أما الحاضر الوحيد فهو « أمة المسلمين » ··· فهل نذهل عن مصالح الامة ··· ونتفرغ لمأساة الامام ؟؟

ان تذويب الرواسب التاريخية أمر بالغ العسر ·· متعذر على كثير من النفوس ·· ومن الحكمة التسليم بأنه يحتاج الى جهود سنوات لمحو آثار ما صنعته القرون ··· ولكن ذلك وحده هو الطريق ·· ولم يعد أمامنا ـ نحن المسلمين ـ خيار ·· اما أن يتسابق علماؤنا الى الافق الذى تدعوهم اليه مسئوليتهم امام الله ·· وهم عند أهل السنة وعند الشيعة ـ على السواء « ورثة الانبياء » فيتقوا الله فى الامة كلها ، ويتوجهوا الى معالجة أمور الحاضر والمستقبل فى اطار من « مصالح المسلمين » متوقفين عن اجترار الماضى واغراق العامة فى مآسيه ·· والا فنحن فى انتظار مأساة هائلة تحل بنا جميعا ، تهون الى جوارها فاجعة كربلاء وسيكون الشهيد فيها هذه المرة فيها ·· الامة كلها ·· وليس الامام ·



عن أهل الذمة رأى جديد

بقلم : د . محمد عمارة

« الذمة » ـ فى مبحثنا هذا ـ هى : العهد والأمان والكفالة ... و « أهل الذمة » : هم المعاهدون ، من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم ... والذمّى : هو المعاهد ، الذى أعطى عهدا يأمن به على ماله وعرضه ودينه ...

وعقد الذمة ، وتنظيم شئونها ، والأثر المالى المترتب عليه ـ وهو الجزية ـ .. مكانها جميعا فى علوم الإسلام وحضارته : « فقه المعاملات » ... وليس « علم الكلام » .. فهى ، إذن ، من الفروع المتعلقة بالسياسة .. وليست « أصلا » ولا « ركنا » من أصول الدين وأركانه .. مقصدها « ثابت » من « الثوابت » لكن شكلها ووجودها وأحكامها من « المتغيرات » ..

ان « الذمة » ، فى جوهرها : عقد مع الغير .. فلابد من وجود « الغيرية» حتى يقوم الداعى المبرر لعقد الذمة بين الدولة الاسلامية وبين هذا الغير ، الذى تنطبق عليه شروط اهل الذمة ، اذا هو قبلها وارتضاها ورغب فيها .. انها تفترض الثنائية ، فالمسلمون يعطون عهدها للمغايرين ، لا للمماثلين .

وهنا يثور سؤال : ماهو العامل الاساسى والاول والحاسم الذى يجعل هذه « الغيرية » مبررا لعقد « الذمة » دون الاخرى من عوامل « المغايرة » .. فالدولة الاسلامية قد تضم — وهى قد ضمت تاريخيا — رعية بينها الوان من « الوحدة » وانواع من « المغايرة » .. فهى قد ضمت جماعات تغايرت فى « النســب » و « القبيلة » و « الجنس » و « اللون » و « المذهب » و « الدين » و « اللغة » .. الخ .. الخ .. فما هو « عامل المغايرة » الذى انفرد باستدعائه عقد الذمة من بين هذه العوامل ؟!..

قد يتبادر الى الذهن أن « المغايرة فى الدين » هى هذا العامل .. وهذا هو الشائع فى « العقل الاسلامى العام » !.. فكثيرون يتصورون أن المغايرة فى المعتقد الدينى هى الفيصل الداعى لاقامة نظام الذمة وعقدها ، ولتحصــيل الجزية من هؤلاء المخالفين فى الدين ، والتمييز بينهم وبين المسلمين فى بعض الحقوق والواجبات .. ولقد عرف هذا الرأى فى تراثنا الفقهى بانه راى الذين قالوا : ان الجزية — وهى أهم سمات عقد الذمة — هى مقابل الخلاف فى المعتقد الدينى ، ولقاء السماح لغير المسلمين ببقائهم على عقائدهم المخالفة للاسلام ، يتمتعون بحماية دولته وذمة امته ..

لكن هذا الرأى الذى ارتآه المالكية فى سبب « المغايرة » ، المستوجبة للذمة وجزيتها ، قد خالفه ورأى غيره الفقهاء الاخرون ، الذين قالوا ان الجزية قد وجبت على أهل الذمة « بدلا عن النصر والجهاد » .. فالمغايرة بين طرفى عقد الذمة ، التى استوجبت عقد الذمة ، وفرض الجزية — على هذا الرأى — ليست الخلاف فى الدين ، وانما هى غيبة الولاء « للدولة » الإسلامية ، لغيبة الانتماء اليها ، حتى أن هذه « الدولة » لا تأمن لهذا « الغير » ، غير الموالى وغير المنتمى ، لا تأمن له فتسلحه وتقبله جنديا فى جيشها ينهض بمهمة الجهاد دفاعا عنها وحماية لمقوماتها الفكرية والمادية .. فالعلة التى تدور معها الذمة واحكامها ، امام اجتهادين فى فقه المعاملات الاسلامى :
فى « الولاء والانتماء » للدولة الاسلامية ..

اذن ، نحن ، فى تعليل وتحديد طبيعة « الغيرية » المستوجبة لعقــد الذمة واحكامها ، أمام اجتهادين فى فقه المعاملات الاسـلامى .

● أحدهما يرى أن الغيرية هى الاختلاف فى الدين .. وطالما بقى هــذا الاختلاف فى الدين فالغيرية قائمة ، وعقد الذمة وأحكامه هو الصيغة الابدية الحاكمة علاقة الجماعة المسلمة ودولتها الاسلامية بهؤلاء الاغيار ..

● وثانيهما يرى أن الغيرية مصدرها غيبة الولاء للدولة الاسلامية والانتماء لنظامها ، فاذا قام هذا الولاء وتحقق هذا الانتماء ، حتى مع بقاء الاختلاف فى الدين ، كان باستطاعة الدولة الاسلامية أن تدمج غير المسلمين ممن ولاؤهم لها وانتماؤهم لنظامها فى جيشها ، ينهضون بتصيبهم فى « النصر والجهاد »



عن أهل الذمة

مع المسلمين على قدم المساواة .. وفي هذه الحالة لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، تسقط عنهم الجزية – وهي المظهر المادي الرئيسي المميز لأهل الذمة في الاقتصاد والاموال ..

وعند هذا الحد من تبيان جذور القضية – قضية « الذمة » ، وماهية سبب « المغايرة » – نود ان نقول : ان للرأي الثاني الحظ الاوفر من القوة ، والنصيب الاعظم من عوامل الاتساق مع منطق الفكر الاسلامي ، وله تشهد جميع الوقائع والاحداث والوثائق في عصر صدر الاسلام !..

فلو كانت علة الجزية هي المغايرة في الدين ، دونما نظر الى الولاء للدولة والانتماء لنظامها ، لوجبت على كل المخالفين في الدين ، بينما الامر فيها ليس كذلك ، فهي لاتجب الا على القادرين على القتال من الرجال ، أما الشيوخ والاطفال والنساء والعجزة والمرضى ، من غير المسلمين ، فهم ، مع خلافهم واختلافهم في الدين ، لا جزية عليهم .. بل ان اكثر الناس خلافا واختلافا في الدين ، وهم الاحبار والرهبان ، لا تجب عليهم الجزية ؟!.. فهي ، اذن ، « بدل جندية » يدفعها القادر على حمل السلاح ، عندما تفتقد الدولة الاسلامية ولاءه لها وانتماءه لنظامها ، فيصبح ، في مقام « الرعية السياسية » ، « غيرا » ، بحيث لا تأمنه الدولة على الانخراط في قوة جهادها وجيشها الحامي لبيضتها ومقوماتها وفكريتها .. ومع هذا الانتماء والولاء تدور « الغيرية » وجودا وعدما ، وبقيام « الغيرية » او اختفائها تظهر الحاجة الى عقد « الذمة » وجزيته ، او تحل محله وحدة الامة ، كرعية سياسية ، يوحدها الولاء والانتماء للدولة الاسلامية ومقوماتها الفكرية والقانونية ، مع بقاء التعددية في الدين !..

ومع « شهادة المنطق » هذه ، كانت « شهادة وقائع تاريخ الدولة الاسلامية » في صدر الاسلام ..

● ففي دولة المدينة ، على عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وجدت « الغيرية » في الدين بين رعية هذه الدولة ، ومع ذلك قامت « وحدة الرعية السياسية » ، فكانت « أمة واحدة » ، بالمعنى القومي ، اذ تألفت الرعية السياسية والقومية الواحدة من العرب المسلمين ، مهاجرين وأنصارا ، ومن القطاعات العربية التي كانت على يهوديتها من قبائل المدينة .. فالجميع عرب – بالمعنى الحضاري ، لا العرقي ، ساوت العروبة بهذا المعنى بين من ولدوا من أصلاب عربية الجنس وبين سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي ، لانهم قد تعربوا باللسان والولاء والانتماء .. والجميع ، مع المغايرة الدينية – مسلمون ويهود – جمعهم الولاء للدولة الواحدة والانتماء للسلطة الجديدة.. فانتفى مبرر عقد الذمة – وما يترتب عليه من جزية – بانتفاء « الغيرية » الداعية اليه ، الغيرية في الانتماء والولاء السياسي والقومي والحضاري ، فلقد رضي العرب المتهودون دستور الدولة الاسلامية وقانونها .. ونص هذا

الدستور (الذى اسماه المؤرخون : « الصحيفة » و « الكتاب ») ـ نص على وحدة الامة ، بالمعنى السياسى والقومى ، رغم المغايرة الدينية .. فقال : « المؤمنون والمسلمون ، من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، امة واحدة من دون الناس » .. وبعد أن عدد القطاعات العربية المتهودة من قبائل المدينة : يهود بنى عوف ، وبنى الحارث ، وبنى ساعدة ، وبنى جشم ، وبنى النجار ، وبنى الاوس .. الخ .. تحدث هذا الدستور عن قيام امة واحدة تضمهم والمؤمنين ، فقال : « **وان اليهود امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ..** »

فرغم المغايرة فى المعتقد الدينى ، قامت الوحدة القومية ـ العربية ـ للرعية السياسية ، فكانت « أمة واحدة » ، بالمعنى القومى ، ورعية سياسية واحدة ، حاربوا معا ضد أعداء الدولة ودستورها وقانونها وقيادتها ومقوماتها الفكرية ، وتحملوا معا نفقات هذه الحرب ، اقتسموا مغانمها .. فكانت وحدة الولاء والانتماء ، وكان النهوض معا بتحمل أعباء وتبعات فريضة « النصر والجهاد » ، الموحد للامة ، قوميا وسياسيا ، والنافى للغيرية والمغايرة ، ومن ثم انتفى داعى « الذمة » وموجب « الجزية » فى الدولة الاسلامية الاولى .

● لكن البعض قد يعترض ـ وهذا حقه ـ فيقول : ان الاستدلال بهذا الدليل لا يثمر هذه النتيجة كاملة ، فلم تكن « الجزية » قد فرضت بعد بنص القرآن .. فالاية الوحيدة التى فرضت الجزية ، وهى قول الله سبحانه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(1) .. هذه الاية قد نزلت بعد قول الله « ياايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أن شاء ان الله عليم حكيم »(2) .. وهو نازل فى موسم حج السنة التاسعة من الهجرة ، عندما حج ابو بكر بالناس ، ولقد شرع الله فى هذه الاية الاخيرة منع المشركين من الحج الى بيته الحرام ، وكانوا يجلبون الى مكة ، أثناء حجهم ، التجارة والرواج المالى ، فتوقع أهلها الفاقة والعيلة ، فوعدهم الله بالغنى ، وحدثهم عنه فى الاية التالية .. آية « الجزية » (3) .. فهى ـ آية الجزية ـ قد نزلت « الآن » عقب موسم حج السنة التاسعة من الهجرة ، والحج يكون فى ذى الحجة ، أى أنها قد نزلت فى السنة العاشرة للهجرة ، كما يقول قتادة بن دعامة السدوسى « ٦١ ـ ١١٨هـ ٦٧٩ ـ ٧٣٦ م » .. والمفسرون يقولون عن رأيه هذا : انه « هو الصحيح الذى يقتضيه مقتضى اللفظ .. » فلم تكن الجزية قد فرضت يوم تألفت الرعية الواحدة للدولة الاسلامية الاولى ، ولم تقدح فى وحدتها القومية والسياسية « المغايرة » فى المعتقد الدينى ..

من حق المعترض أن يقدم هذا الاعتراض !..

لكن استمرار توالى الوقائع التاريخية والممارسات السياسية ، فى دولة

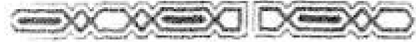
---

(1) التوبة : ٢٩ .

(2) التوبة : ٢٨ .

(3) « الجامع لاحكام القرآن » جـ ٨ ص ١٠٩ .





عن أهل الذمة

النبوة والخلافة الراشدة ، يشهد لاستمرارية المعيار الذى قلنا ان الاسلام قد حكمه فى « الاتفاق والوحدة » أو « المغايرة والاختلاف والتعددية » فى هـذا الموضوع ..

أ - فآية الجزية قد فرضتها والمسلمون يستعدون لغزو الروم فى موقعة « تبوك » - وكانت آخر غزوات الرسول ، صلى الله عليه وسلم - ولم يحدث فيها قتال - ولم تفرض فيها جزية من الناحية العملية والتطبيقية .. **والروم « غير » بالمعنى القومى والحضارى ..**

ب - وعندما فتح المسلمون ، فى عهد الخلافة الراشدة ، البلاد الجديدة والكثيرة لم يكن معيار فرض الجزية أو التنازل عنها وجود « الغيرية الدينية » بل ولا « الغيرية القومية » ، وانما كان المعيار هو قيام أو غياب « الغيرية فى الولاء والانتماء » للدولة الواحدة .. فعندما كان القـادرون على « النصر والجهاد » - من الرجال الذين هم فى سن القتال - يسهمون فى تحمل تبعاته ، كانت تسقط عنهم الجزية ، تعبيرا عن انتفاء الغيرية فى الولاء والانتماء ، وقيام الوحدة فى المواطنة والرعية السياسية ، رغم المغايرة فى المعتقد الدينى ..

حدث ذلك فى « جرجان » ، ونصت معاهدة القائد المسلم سويد بن مقرن مع أهلها عليه ، اذ جاء فيها : « ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضا من جزائه » ..(1)

وحدث ذلك مع أهل « أذربيجان » ، ونصت عليه معاهدة القائد المسلم عقبة بن فرقد - عامل عمر بن الخطاب - مع أهلها ، اذ جاء فيها : « ومن حشر - « أى استدعى للقتال » - منهم فى سنة وضع عنه جزاء - « جزية » - تلك السنة .. » ..

وحدث أيضا مع أهل « ارمينية » ، ونصت عليه معاهدة القائد المسلم سراقة بن عمرو - عامل عمر بن الخطاب - مع أهلها ، اذ جاء فيها : « .. على أن يوضع - « الجزية » - عمن أجاب الى ذلك الحشر » - « الحشد للقتال » - ، والحشر عوض من جزائهم - « جزيتهم » - ومن استغنى عنه منهم ، وقعد ، فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء - « الجزية » .. »(2)

وحدث ذلك أيضا مع الجراجمة ، سكان « الجرجومة » ، فى شمالى سورية ، بالقرب من انطاكية ، عندما حاربوا ، وهم على نصرانيتهم ، ومعهم حلفاؤهم واتباعهم ، فى جيش المسلمين تحت قيادة حبيب بن مسلمة الفهرى ..

وكذلك مع نصارى « حمص » ، عندما حاربوا فى صفوف جيش أبى عبيدة بن

(1) محمد حميد الله الحيدر آبادى « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة » ص ٣٢٦ . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

الجراح فى موقعة « اليرموك » ، ضد الروم البيزنطيين(١) .. الخ ..
وعندما فتح القائد المسلم امارة « الباب » ، قال له ملكها « شهر براز » : « انا اليوم منكم ، ويدى مع أيديكم ، وصغوى — « ميلى وتوجهى وولائى » — معكم .. فلا تذلونا بالجزية ..! » .. تشاور المسلمون ، واستقر الرأى على اسقاط الجزية عنهم — رغم المغايرة الدينية والقومية — فهم فرس — لقيام الوحدة فى الولاء والانتماء للسلطة والدولة الواحدة — واصبح هذا الموقف سنة متبعة .. وبعبارة الطبرى : « وصار ذلك سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين .. » !..

ولذلك ، فلقد كان طبيعيا اسقاط عمر بن الخطاب الجزية عن نصارى عرب تغلب ، عندما قيل له : « ان بنى تغلب قوم عرب ، يأنفون من الجزية !.. »(٢) .. وفرضت عليهم ، بدلا منها ، ضريبة تقابل الزكاة التى يؤديها المسلمون .. فهنا انتفت الغيرية القومية — فهم « قوم عرب » — وغيرية الولاء والانتماء للدولة الواحدة ، مع وجود الغيرية فى الاعتقاد الدينى ..

فنحن ، اذن ، امام حقيقة اسلامية هامة تقول : ان « الذمة » عهد وعقد لا تقوم الا بين طرفين ، فالمغايرة شرطها وداعيتها .. وهذه المغايرة الداعية للذمة وعقدها وعهدها وجزيتها هى المغايرة فى الولاء والانتماء للدولة والسلطة، فلو قام هذا الولاء والانتماء ، وعبر عن نفسه بالاشتراك ، على قدم المساواة فى النهوض باعباء ضريبة « النصر والجهاد » ، انتفت الغيرية والثنائية ، وقامت مقامها وحدة الرعية سياسيا ..

وهذه الحقيقة قد عرفتها تطبيقات الدولة الاسلامية الاولى وفكرها السياسى ومعاهداتها مع البلاد التى فتحها المسلمون .. فلقد انتفت الغيرية ، احيانا بالولاء والانتماء السياسى للدولة الواحدة .. وانتفت اكثر لاتفاق فى الهوية القومية — كما كان الحال مع الرعية العربية للدولة التى فى المدينة .. ومع العرب النصارى من بنى تغلب — فاذا نحن نهجنا هذا النهج الاسلامى ، ورأينا فى ضوئه واقع امتنا العربية الاسلامية ، وهى الان « قوم واحد » ، تجمع ابناءها وحدة الولاء للقومية واحدة ، والانتماء لامة واحدة — ومن ثم الولاء للدولة الواحدة — على المستوى القطرى — او القومى عند وجودها — اذا نحن رأينا واقعنا « كقوم واحد » ، يجمعهم الولاء الواحد والانتماء الواحد ، فسنحكم ، اسلاميا ، بانتفاء الغيرية والثنائية التى تستدعى عقد الذمة وعهدها وجزيتها .. فالمسلمون ، حيال غير المسلمين من العرب ، ليسوا بازاء « قوم آخر » ، بل الجميع « قوم واحد » و « قومية واحدة » ، رغم المغايرة فى شرائع الدين و « الوحدة .. والمساواة » فى حقوق المواطنة وواجباتها ، هى المعيار ، حيث انتفت « الغيرية » فى الولاء والانتماء .
ولم يكن هناك بد من التقديم بين يدى فكر المودودى عن « اهل الذمة »

---

(١) أبو يوسف « كتاب الخراج » ص ١٣٨ ، ١٣٩ . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ . والبلاذرى « فتوح البلدان » ص ١٨٩ . تحقيق : د. صلاح الدين المنجد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .
(٢) ابو عبيد القاسم بن سلام «الاموال» ص ٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م . وأبو يوسف « كتاب الخراج » ص ١٢٠ . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ .



عن أهل الذمة

بهذا الحديث .. ذلك أهل الذمة ، فى ذهن الرجل وفى فكره هم « أقوام آخرون » ، بالمعنى القومى والحضارى .. ومن ثم فان التنظيم الذى وضعه لعلاقتهم « بالدولة » الاسلامية ، وسلطات « الحكم والتوجيه » فيها علاقات بين قوميات متغايرة حضاريا .. والذين ينقلون فكر المودودى وتصوراته فى هذا الموضوع ليوظفوه فى اطار الامة العربية الواحدة ، والمتحدة قوميا انما يستعيرون اسلحة فتاكة بوحدة الامة العربية ، لأنهم ، بدلا من وحدة الامة القومية يتصورونها تعددية فى الامم والقوميات .. وبدلا من الدولة القومية الواحدة ، يتصورونها تعددية تشبه « دولا داخل الدولة العربية الاسلامية » .. ومأساة هؤلاء المقلدين لفكر الاستاذ المودودى أنهم قد حسـبوا أن « المغايرة » مصدرها الوحيد هو اختلاف المعتقد الدينى .. ولم يبصروا ان اسلامنا قد اعتمد ، فى هذا المقام ، معيارا اخر ، هو « الولاء والانتماء » .. ولم يبصروا ان حديث المودودى عن أهل الذمة انما كان حديثا عن « أقوام آخرين » غير القومية الاسلامية فى الهند ، وبين هؤلاء « الاقوام » وبين القومية الاسلامية مغايرة « قومية ـ حضارية » ، وليس مجرد مغايرة فى الدين !.. فالاديان ، فى شبه القارة الهندية ، كانت قوميات حضـارية متمايزة ، ولم تكن مجرد اختلاف فى الشرائع الدينية داخل قومية حضـارية واحدة ، كما هو حالنا فى واقع الامة العربية ..

والآن .. فلقد أصبح من الميسور أن نعرض لفكر الاستاذ المودودى حول « أهل الذمة » فى عدد من النقاط :

● لقد كانت الهندوسية ـ وهى ابرز الـديانات الاخرى ، التى تواجـه القومية الاسلامية ـ ليست مجرد دين مغاير للاسلام .. فهى « نظام دولة واسرة وقانون .. ولم تعد دينا بحتا ، بل غدت مجموعة ثقافية تشـمل الدين والحضارة والعادات والتقاليد والسلوكيات الخاصة بشعب الهندوس .. فى مواجهة الاسلام .. »(١)

فهى ليست ـ كما هو حال المسيحية العربية والشرقية ـ مجرد رسـالة روحية توحد اهلها مع العرب المسلمين قوميا ـ وانما هى حضارة مختلفة ، وقومية أخرى غير القومية الاسلامية ..

وسواء أكان الامر ، فى الواقع الذى أثمر فكر المودودى عن أهل الذمة ، هو الهند ـ قبل التقسيم ـ أم باكستان ، فان الاخرين ـ أهل الذمة ـ الذين كانوا فى ذهن المودودى ، كانوا قوميات أخرى ، و « قوما » آخرين .. وليسوا مجرد متدينين بديانات أخرى ، تجمعهم والمسلمين قومية حضـارية

---

(١) د. رءوف شلبى « الاديان القديمة فى الشرق » ص ٢٣١ ، ٧٩ . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م .

واحدة .. فحتى فى باكستان – ووفق احصاء سنة ١٩٦٣م – فان غير المسلمين هم من الهندوك والسيخ أساسا ، ونسبتهم لتعداد السكان ١٤٪ .. (١) فالديانات هناك قوميات حضارية متميزة ، والحديث عن « أهل الذمة » حديث عن « قوم » اخرين ، تتعدد هويتهم الحضارية بتعدد قوميات هذه الديانات !.. والاستاذ المودودى لايقف بأهل الذمة عند المسيحيين واليهود والمجوس ، كما هو شهير فى كتب الفقه الاسلامى ، وانما هو يقيس عليهم ، ويدخل فى عدادهم ديانات اسيا والشرق الاقصى : الهندوكية .. والبوذية.. والكنفشيوسية .. والسيخ .. الخ .. ويقول : « .. فنحن نؤمن بكل من عسى أن يكون جاء من رسل الله ، الى **بلاد الهند والصين وايران ومصر وافريقية واوربا** ، وسائر نواحى الارض وارجائها ، ولكننا لانستطيع أن نقول عن فلان منهم بالضبط : انه كان أو لم يكن رسولا من الله ، وذلك أننا لم نخبر من ذلك بشىء . غير **انه لايجوز لنا بحال من الاحوال ان نذم أو نذكر بالسوء أحدا من الذين يتبعهم رجال مختلف الديانات فى الارض** ، وما أدرانا **ان كانوا من رسل الله حقا ، ثم بدل الناس دينهم من بعدهم** ، كما بدل أتباع **موسى وعيسى ، عليهما السلام ، دينهما الحق من بعدهما** ، وان كان لنا رأى نظهره ، فليكن عن طقوس دياناتهم ورسومهم فى وضعها الحاضر ، ولنسكت سكوتا تاما عمن اسسوا هذه الديانات ، لئلا يصدر عنا شىء يخالف الادب فى شأن رسول من رسل الله ..(٢) » !.

لقد فتح المودودى ، **بهذا النص المتسامح** ، باب « الدين » – عموم « الدين » – « للديانات – القوميات » – التى كانت تواجه « قومية الاسلام » فى **شبه القارة الهندية** .. فهى ، عنده ، ليست مجرد ديانات أرضية مدعاة ، بل لابد من افتراض كونها ديانات سماوية ، ومن افتراض ان قادتها الاول من رسل الله ، وان خلافها **واختلافها عن الاسلام قد** جاء ثمرة « لتحريف الاتباع » .. فهم « أهل ذمة » **بالمصطلح الاسلامى** ..

● واهل هذه الديانات ، الذين عناهم المودودى عند حديثه عن « اهل الذمة » – كما قلنا – « قوم » و « قوميات » أخرى ، غير القومية الاسلامية ، خلافهم مع المسلمين خلاف « قومى – حضارى » ، وليس مجرد **اختلاف** فى شرائع الدين .. فهو يتحدث منهم باعتبارهم « **الاقوام غير المسلمة** » .. ويرى ان مايجمعهم بالمسلمين هى « البشرية والآدمية » ، أما الحضارة والقومية الحضارية فهى فاصل يفرق بينهم وبين المسلمين ، على النحو الذى يجعلنا – والحديث بعبارة المودودى – « **لا نجتمع واياهم فى اى وحدة مادية ودنيوية تجعلنا سويا قوما واحدا** ..(٣) » ؟! .. فالانفصال القومى

---

(١) احمد عطية الله « القاموس السياسى » مادة « باكستان » . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م .

(٢) المودودى « مبادىء الاسلام » ص ٨٦ ، ٨٧ . طبعة دار الانصار . القاهرة . بدون تاريخ .

(٣) المودودى « الحكومة الاسلامية » ص ١٥٢ – « هامش » – طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م .



عن أهل الذمة

بين ... وبين القومية الاسلامية قائم وتام ..

● ولذلك ، فلقد تصور المودودى علاقة هؤلاء « الاقوام » الاخرين ، عندما يكونون أقليات عددية ، بالدولة الاسلامية على النحو الذى يجعلهم شبه مستقلين ، كقوميات مغايرة ، فى اطار الدولة الاسلامية الواحدة .. فلكل قومية من هذه القوميات الاخرى وضع شبيه بـ « دولة داخل الدولة الام » !! .. فيشملهم والمسلمين :

قانون جنائى واحد .. وقانون مدنى واحد .. ونظام ضرائبى واحد .. ونظام تعليمى واحد — فيما عدا التعليم الدينى ، فيستقل به كل فريق — ومساواة فى ميادين الكسب المالية ، زراعة وتجارة وصناعة وحرفا مختلفة .. ومساواة فى الوظائف غير الرئاسية والتوجيهية .. والاشتراك معا فى المجالس البلدية والمحلية ..

فى هذه الامور والميادين يتساوى الجميع ، جميع الاقوام « القومية الاسلامية مع القوميات الاخرى — « أهل الذمة » — أما مجالات الاختلاف وميادينها .. فأهمهـــا :

انفراد المسلمين بالهيئة الحاكمة ، أى « المناصب الرئيســية » ذات المنزلة الخطيرة فى نظام الاسلام المدنى .. مثل الخدمات التى تتعلق بوضع الخطط العملية وتوجيه دوائر الحكومة المختلفة .. فلا يحق لغير المسلمين أن يتولوا رئاسة الحكومة ، أو عضوية مجلس الشورى ، كما لايجوز لهم الاشتراك فى انتخاب أعضاء هذه المناصب ..

وفى مقابل مجلس الشورى ، ذى التكوين الاسلامى الخالص ، يكون من حق كل « قوم غير مسلمين » أن يكون لهم مجلسهم النيابى الخـــاص .. فيجوز أن يؤلف للطوائف غير المسلمة مجلس نيابى مستقل ، حتى يتمكنوا بواسطته من قضاء حاجاتهم الاجتماعية ، ومن عرض وجهة نظرهم فى شئون الدولة الادارية ، وهذا المجلس ستكون عضويته وحق التصويت فيه خالصة لغير المسلمين ، وتكون لهم فيه « الحرية الكاملة » على نحــو يساوى بينهم وبين المسلمين حتى فى حرية ، ليس نقد الحكومة ورئيسها فحسب ، بل « سيكون لهم من الحق فى انتقاد الدين الاسلامى مثل ما للمسلمين من الحق فى نقد مذاهبهم ونحلهم » !.. فلهم ما للمسلمين من « حرية الخطابة والكتابة والراى والتفكير » ..

وكما يستقل كل « قوم » بمجلس نيابى خاص .. كذلك يكون الاستقلال فى الاحوال الشخصية ، تقنينا وقضاء وتنفيذا .. وفى الشعائر والعبادات ..

وفى التعليم الدينى .. ولكون عليهم الجزية مقابل الخدمة العسكرية — اى مناصبها التوجيهية — ..

تلك هى صورة « الوجود القومى » للاقوام الاخرين ، غير المسلمين ، فى اطار القومية الاسلامية ، وتحت حاكمية دولتها .. تمايز قومى ، ووضع يشبه « دولا داخل الدولة الاسلامية » .. ينفرد المسلمون بـ « الجماعة الحاكمة » ، حفاظا على « اسلامية الحاكمية » ، وتتعدد التنظيمات الكافلة بالمحافظة على التمايز القومى ، وتتحد فى الميادين التى لا تضر فيها الوحدة بهذا التمايز ..

على أن المودودى — وتلك قضية هامة — يفتح الباب لغير المسلمين كى يشتركوا فى المناصب العليا والرئيسية والتوجيهية ، اى يعمم المساواة بينهم وبين المسلمين فى « الجماعة الحاكمة » ومناصب « الحاكمية » ، ان هم وافقوا على الدستور الاسلامى والقانون الاسلامى ، وكان ولاؤهم للمقومات الفكرية للدولة الاسلامية ، مع بقائهم على معتقداتهم الدينية الخاصة .. « فاذا رضوا بمبادىء الاسلام وقبلوها .. يفتح لهم باب الدخول فى الجماعة الحاكمة .. » ؟! .. فلو رضى غير المسلمين بحاكمية الشريعة الاسلامية لانتفى مبرر التمييز فى الجماعة الحاكمة بينهم وبين المسلمين (١) .. حتى فى رأى المودودى ؟! ..

تلك هى صورة وضع « أهل الذمة » فى فكر الاستاذ المودودى : اقوام آخرون ، مغايرون للقومية الاسلامية فى السمات الحضارية التى تمايز بين القوميات .. لا يجمعهم بالمسلمين « اى وحدة مادية ودنيوية تجعلهم سويا قوما واحدا .. » وهى ، كما رأينا ونرى ، خصوصية تميز بها الواقع الذى فكر له المودودى وصاغ لمشكلاته الحلول الاسلامية المناسبة لخصوصياته .. ولا وجه للشبه بين هذه الخصوصية المتميزة « بالتعددية القومية » ، وبين حال الامة العربية ، التى وحدتها سمات وقسمات القومية العربية ، مع تمايز الاعتقاد الدينى ، كما ربطت وشائج الاسلام اقلياتها المسلمة بالاقليات القومية غير العربية ، من مثل البربر والاكراد .. فنحن هنا بازاء قومية واحدة ، تمثل الحضارة الاسلامية رباطها الجامع ، والقانون الاسلامى شريعتها المدنية ، ولا أثر للتعددية فى العقائد الروحية لدى المسيحيين العرب على وحدة الامة الكاملة فى شئون الدنيا والدولة والعمران ..

ومرة أخرى ، تجب قراءة فكر الاستاذ المودودى من « أهل الذمة » فى ضوء خصوصيته القومية ، وتميز واقعه عن الواقع القومى للامة العربية .. فلقد كان غياب هذه البديهة مصدرا لكثير من الخلط والبلبلة ، زرعهما الذين ينتزعون النصوص دون دراية ، ويتعبدون بها — وهى فكر سياسى لا قداسة له ولا عموم — فى واقع عربى مخالف للواقع الهندى ، فى هذه القضية ، تمام الاختلاف !.

---

(١) « حقوق اهل الذمة فى الدولة الاسلامية » ص ٣٤١ ، ٣٤٣ — ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ — ٣٦١ ، ٣٣٢ طبعة بيروت — ضمن مجموعة عنوانها نظرية الاسلام وهدية فى السياسة والقانون » — سنة ١٩٦٩ م .

مصريون
فى
بلاد العرب

الحرب فى البرّ الغربى

صالح حرب

والجهاد فى صفوف الليبيّين

بقلم : مصطفى نبيل

هذه صفحات مطوية من التاريخ ، ما أحوجنا أن نسترجعها ..

أبطالها عدد من الشخصيات المصرية ، التى ساهمت فى الأحداث التاريخية العربية الكبرى ، عندما إنتقلوا إلى مواقع الأحداث ، وخاضوا معارك الأقطار العربية ضد الغزاة ، وساهموا مع أبنائها فى تحديثها وتطويرها ..

وتضم هذه القائمة فى مطلع هذا القرن شخصيات مثل عزيز المصرى وعبدالرحمن عزام وصالح حرب والإمام محمد عبده ومصطفى الوكيل وحافظ وهبه ، وفى مرحلة لاحقة زكى مبارك وعبدالرزاق السنهورى ..

وتقدم الهلال تباعاً هذه الشخصيات وتلقى الضوء على الأدوار التى قاموا بها .





صالح حرب شغل منصب وزير الدفاع وكان رئيسا لجمعيات الشبان المسلمين

صالح حرب ، ضابط شرطة شاب ، إنضم في ظروف بالغة الصعوبة إلى المجاهدين الليبيين . وخاض المعارك على رأس قواته مهاجماً البريطانيين في مصر والإيطاليين في ليبيا . في مرحلة إختلط فيها الخيط الأبيض بالخيط الأسود ، وتعرضت البلدان العربية إلى هجمة الغرب الاستعمارية ، وخذلت العرب دولة الخلافة التى مزقتها المنازعات وأقعدها العجز وعوامل الانحلال ..

ولعل كلمات جان جاك روسو تقدم التفسير الصادق لما قام به صالح حرب .. تقول هذه الكلمات : « إذا كانوا ألفاً فسأكون واحدا منهم ، وإذا كانوا مائة فسأكون واحدا منهم ، وإذا كانوا عشرة فسأكون واحدا منهم ، وإذا كانوا واحدا فسأكون هذا الواحد .. » .

وكان صالح حرب هو الواحد الذى تقدم بشجاعة نادرة مستجيبا لنداء الواجب ..

مصريون في بلاد العرب

وتبدأ القصة من أولها . ليلة ٢٥ نوفمبر عام ١٩١٥ . يقف النقيب صالح حرب في ليلة ظلماء وسط صمت الصحراء العميق . لايشعر ببرد الصحراء من حوله ويتأمل النجوم في سماء الصحراء الصافية . فأخيرا يشعر بالارتياح بعد أن إتخذ قراره

إنه قومندان مرسى مطروح والسلوم . دوره الحفاظ على البوابة الغربية لمصر . يقف بين قوتين متصارعتين . إحداهما القوات البريطانية التي تحتل بلاده . وقوات المجاهدين الذين يقاتلون القوات الإيطالية الغازية . أخذت تنهال عليه التعليمات التي تنكرها نفسه . ومطلوب منه أن يمنع وصول شحنات الغلال والأدوية إلى المجاهدين . وهم في أشد الحاجة إليها . وأن يحول دون دخول هؤلاء المجاهدين الأراضي المصرية ..

وأخذت وتيرة الأحداث في المدة الأخيرة تتلاحق . مما حمله على اتخاذ قراره . فجمع قواته المنتشرة في صحراء تمتد بين مرسى مطروح والسلوم وسيدي براني وحتى القرى القريبة من واحة سيوة . وكانت هذه القوات لاتزيد عن خمسة وأربعين جنديا وأربعة ضباط وباشكاتب

● شجاعة ودهاء ●

وقاد قواته . وكان عليه أن يمر خلال معسكرات القوات البريطانية . وهو يعرف أن الإنجليز لايميلون إليه . ولكنهم يحترمونه ويقدرون مواهبه . فهو أكفأ رجال الشرطة . ويتجنب إبلاغهم عن خططه وتحركاته . ووصل إلى نقطة الحدود الهامة وقد سبقته سمعته أيام كان يعمل في أسوان . وقضى على أحد المجرمين العتاة . والذي كان يدعى ياسين . وساهمت في شهرته تلك الأغنية التي ترددت على طول الوادي والتي تقول كلماتها .. « يابهية خبريني ع اللي قتل ياسين .. » . وكان الشرطي صالح حرب هو الذي قتل ياسين بعد أن طارده في الجبال وتمكن منه في أحد الكهوف ..

قال البريطانيون : لعله يعتزم القيام بجولة إستطلاعية . فاتجه مسرعاً إلى ناحية السلوم .

وكانت كلمات « سيسيل سنو » محافظ الغربية لايزال يتردد صداها . عندما وقف يتحدث وسط عدد من الجنود البريطانيين . ويطلب سحب الآليات من سيدي براني وبقبق . ويسألونه .. وماذا بشأن القوات المصرية . هل نتركها بلا أية حماية .. فقال : « إنهم مسلمون والأتراك مسلمون . وليفعلوا في بعضهم مايحلو لهم . ! »

وسرعان ما انتشرت هذه الكلمات وعرف بها كل جندى يقف على الحدود . وقد اثارت عليه كلمات المحافظ الإنجليزى مع اى جانب عليه ان يقاتل

واخذ يلتقى فى طريقه بعمد ومشايخ السلوم الذين يعرفونه ويقدرونه ، واخذ يدعوهم إلى الإنضمام إلى قواته ، وكانت قواته ماعدا ضابطا واحدا يعرفون حقيقة هدفه .

وعند الفجر وصل الجميع إلى « دوار » عائلة العاصى من قبيلة القنيشات ، وهناك تحدث صالح حرب إلى الجنود والمشايخ والعمد قائلا : « نقف الآن بين معسكرين ـ احدهما معسكر العرب والترك الذين يقولون أنهم جاءوا من أجل تخليص الدول العربية من نير الإستعمار الأجنبى وقد اقنعنى ضميرى وواجبى بعدم الوقوف فى صفوف الإنجليز ... » ... ومن كان منكم يحرص على حياته ، أو لديه مسئوليات ، فله أن يعود إلى مرسى مطروح ، ولن أحول بينه وبين ذلك ، على ان يترك مامعه من سلاح ومئونة » .

وأكد الجميع تصميمهم على البقاء إلى جانب قائدهم . « يعيشون معاً ، ويموتون معاً . » ، ووجد إستجابة وتاييدا من قبيلة اولاد على التى تمتد بين مصر وليبيا . وتعاهدوا جميعا على الجهاد ضد المستعمرين ..

وبدا مع رجاله رحلة جهاد طويلة شاقة قاسية . ضد الإنجليز والإيطاليين .

لقد ولد صالح حرب فى اسوان جنوب مصر عام ١٨٨٦ ، أى عقب هزيمة عرابى واحتلال بريطانيا لمصر باربع سنوات ، وكان والده ضابطا فى الجيش ، وتربى بين اسرة تشعر بالحزن العميق بعد سقوط حلم عرابى فى وطن متحرر تسوده العدالة والمساواة . وتعلم فى كتاب سيدنا الشيخ ابو زهران الذى كان يروى لهم هزيمة عرابى على امل ان يظهر بين صفوف الاطفال من يثار يوما للوطن ولثورته ، والتحق فى القاهرة بمدرسة العباسية الثانوية عندما كانت تموج بالتمرد والغضب . ويعرف الشباب بسيطرة اللورد كرومر على الحياة السياسية وكبار المشتغلين بالحياة العامة ، ويشاهدون امامهم رموز التورد تتساقط واحدا وراء الآخر ، واصبحت العسكرية حلم صالح حرب فهى التى ستقدم له المدفع والبارود والتى تمكنه من الثأر من الإنجليز ، وتخرج عام ١٩٠٣ فى مدرسة السواحل قبل عام من الاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا ، وتخلت فرنسا عن تاييدها للحركة الوطنية ، واخذ يقرأ مع ابناء جيله مقالات مصطفى كامل التى تندد بهذا الاتفاق على صفحات جريدة اللواء ، والتى يطالب فيها الشعب بقبول التحدى والإعتماد على الذات ، من اجل تحقيق الاستقلال ، ثم وهو يرى مصطفى كامل يقيم الدنيا ويقعدها على الأحداث الدامية فى دنشواى ، ويراه يقف وحيدا بعد إنحياز عدد كبير من السياسيين للانجليز باسم الواقعية ! .

● رجل الشرطة يقود الجهاد ! ●

فكيف إنتقل رجل الشرطة واصبح احد قادة الجهاد ، وهو الذى مهمته منع وصول المساعدات الى المجاهدين .. ؟ وما الذى جعله ينتقل فى وثبة واحدة من النقيض الى النقيض ؟ ..

مصريون في بلاد العرب

لعل في ظروف الحرب العالمية الاولى . وماشهدته مصر خلالها من تغييرات عنيفة . هو ما احدث ذلك القدر من تصادم الولاءات . بين الدولة القومية الناشئة . والدولة العالمية الإسلامية . والتحدى الاستعمارى من جهة أخرى .. ففي هذه الفترة اسفرت بريطانيا عن وجهها . فقد هاجمت مصر بحجة القضاء على التمرد ـ الثورة العرابية ـ وتثبيت الخديو الحاكم الشرعي . وظلت مصر جزءا من الدولة العثمانية . ومع بشائر الحرب اعلنت الحماية على مصر . واعقبها إعلان الأحكام العرفية . وعبثت بالشرعية بمنعها الخديو عباس من العودة الى مصر . وعينت حسين كامل سلطانا بدلاً منه . وتغيير وضع مصر السياسي من دولة تنتسب إلى دولة الخلافة إلى دولة تحت الحماية البريطانية !

وكان صالح حرب خلال عزلته في الصحراء يتابع الأحداث ويرى إشتداد العواصف والانواء . وتوزع القوى الوطنية وتنازعها . وضياع الدرب واختلاط الحق بالباطل . واخذ الكثيرون يتساءلون اين هي المصلحة الوطنية وما هو الطريق لتحقيقها .. ؟

وفي حياة الأمم والأفراد . يقع فجأة حدث فيتحول ـ بلغة الطبيعة ـ الى الدرجة المئوية التى تصل بالماء إلى درجة الغليان . او يصطدم الشعاع بما يحوله عن مساره في انكسار واضح ..

ولعل تراكم الاحداث وتلاحقها هو الذى نقله من التراكم الكمي إلى التحول الكيفي .. فاخذ يبحث عن طريق الخلاص ويفكر في السؤال الخالد . ما العمل .. ؟ ! . وهو يرى بريطانيا تنقل إلى مصر قوات هندية واسترالية ونيوزيلندية . ويرى الموظفون البريطانيون يمسكون كل خيوط الحياة في مصر . يتابع السلطان الجديد الذى لم يكتف بالموافقة على الحماية البريطانية . بل إنتقل إلى داعية لها . واخذ يمتدح الدولة الحامية . ويصف الإنجليز بانهم . بركة . مصر وسبب سعادتها ورخائها . وهي مدينة لبريطانيا بالكثير !

ويعرف محاولات الإنجليز إغلاق الأزهر الشريف . ولكن الأزهر جامع وجامعة . تؤدى فيه الصلاة ولايمكن إغلاقه . ويعود الإنجليز مطالبين بفصل الطلبة الذين عرفوا بعدائهم لبريطانيا . وتصدر مشيخة الأزهر منشوراً يحظر على الطلبة الخروج من بيوتهم بعد السادسة مساء . .. . تلفت مشيخة الجامع الأزهر نظر الطلاب بمناسبة الأحكام العرفية إلى وجوب التفرغ لدروسهم . وعدم الخوض في الأمور السياسية . وان يكونوا بمعزل عن المجتمعات . وان

لايتكلموا فى الأحوال الحاضرة ، وأن يلزموا بيوتهم بعد الغروب ، وأن يكونوا قدوة داخل الأزهر وخارجه

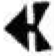
● تشتت الحركة الوطنية ●

ونجح جورستا المندوب السامى البريطانى ، فى إضعاف الحزب الوطنى الذى كان يمثل وعاء الحركة الوطنية ، باستخدام اللعبة الدائمة « فرق تسد .. » ، واصبحت القيادة الوطنية التى يمثلها محمد فريد مطاردة تعيش خارج البلاد . كما تمت إعتقالات واسعة للعناصر الوطنية ، حتى لقد تم نفى الشاعر احمد شوقى باعتباره احد رجال الخديو عباس ، واخذت قوات الاحتلال تاخذ الرجال قسراً للعمل فى المنشات العسكرية ، وجمعت الدواب من القرى .. ! .

وتعلق الأمل بالحملة العثمانية الزاحفة على مصر من الشرق والتى ستخلصهم من الاستعمار البريطانى ، ولكن سرعان ماتكشف للأهالى أنها سحابة صيف ، بعد ان واجهت فشلا ذريعا ..

أما ماكان يدور على الجانب الآخر من حدود مصر الغربية .. فكان التنافس محتدما بين الدول الإستعمارية على وراثة واقتسام الدولة العثمانية ، فبعد

صورة نادرة وتاريخية للملك ادريس السنوسى بزيه العسكرى عام ١٩١٦





مصريون في بلاد العرب

احتلال فرنسا لكل من الجزائر وتونس ، واحتلال بريطانيا لمصر وقبرص ، عملت ايطاليا على إحتلال ليبيا ، ورغم مقولة الجورنالي ديتاليا : « إن الحصول على ليبيا ليس اكثر من الحصول على قطعة من العظم العارية من اللحم » إلا ان الخطط وضعت للاستيلاء على ماتبقى من الدولة العثمانية وبدات الخطط كالعادة ـ بفتح فرع للبنك الإيطالي في طرابلس .

وبعد وصول قوة العثمانيين إلى ليبيا في أقل من خمسة الاف جندي عام ١٩١١ بعد سحب معظم القوات العثمانية ونقلها الى اليمن ، أرسلت إيطاليا إنذاراً شبيها بذلك الانذار بعثت به إنجلترا وفرنسا لمصر عام ١٩٥٦ ..

وتتناقل كتب التاريخ كيف سلم السفير الايطالي في الأستانة الإنذار إلى الصدر الأعظم بينما كان يلعب البريدج مع حسناء إيطالية . فتسلمه ولم يقرأه لانهماكه في اللعب !

ويطلب الإنذار جوابا خلال ٢٤ ساعة ، وإلا ستضطر القوات الايطالية لاحتلال طرابلس ، واعقب الإنذار هجوم القوات الايطالية على الأراضي الليبية ، مما احدث هزة عنيفة في بلاد العرب ، وظهر شعور عميق بضرورة مساعدة الدولة العثمانية في محنتها والتكاتف من اجل مواجهة الخطر الاجنبي ، وكان المصريون اسبق الجميع في تقديم المساعدة ، واصبحت الحرب الايطالية الليبية هي شغل مصر الشاغل ..

● اللجنة العليا ●

وتاسست اللجنة العليا بعد أيام قليلة من بدء الهجوم الايطالي في يوم ٤ اكتوبر عام ١٩١١ . برئاسة الامير عمر طوسون ، وانشأت فروعاً لها في سائر انحاء البلاد ، وتدفقت التبرعات بعشرات الآلاف من الجنيهات الذهبية ، وتالفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة الشيخ علي يوسف ، والتي أرسلت الأطباء والادوية إلى أرض المعركة ، وسافرت اولى البعثات في ٧ نوفمبر من ذات العام ، وساهم الحزب الوطني بعدد من اعضائه الأطباء منهم حافظ عفيفي ونصر فهمي وسيد شكري ، وتوالي إرسال البعثات والتي ضمت كل من محجوب ثابت وعلي إبراهيم .

اما موقف بريطانيا فقد إدعي الحياد ، ولكن ماروله أحمد شفيق باشا يكشف حقيقة موقف بريطانيا عندما يروي إجابات اللورد كيتشنر على طالبي التطوع يقول .. « ذهب وفد مع بداية الحرب من كبار المسلمين الى اللورد كيتشنر ،

وطلبوا منه إرسال بعض فرق من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم هذه فكرة صائبة ، ولكن من الصعب أن نجد جنوداً آخرين ليحلوا محل المطلوب سفرهم ، وسأضطر إلى جنود من الانجليز ، وبعدها ذهب جماعة من الضباط المصريين وطلبوا السماح لهم بالتطوع لقتال الغزاة ، فقال ، انبه مقدماً انه إذا سافرتم فمن الضرورى ملء مراكزكم من الجيش بصغار الضباط ، وعند عودتكم تجدون انفسكم فى كشف الإستيداع ، ثم جاء وفد من مشايخ العربان واستاذنوه فى جمع المتطوعين لكى ينضموا للمجاهدين فقال لهم : إنه يهنئهم على هذه الشجاعة ، ولكن حرام أن تفقد مصر رجالا مثلهم ذوى شجاعة وستضطر الحكومة أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه ! » .

وتحكى قصة الهجوم الصحف المصرية التى نقلت الكثير من الحوادث التى تثير مشاعر الأهالى ، ومنها ذلك المنشور الذى وزعته ايطاليا ، والذى يعامل السكان كمجموعة من السذج والدراويش ، وهو مايمارس حتى اليوم ، فقد توعد المنشور كل من يقاوم أو يثور على العناية الإلهية التى أرسلت إيطاليا ، ... ويقول ... إذكروا أن الله قال فى كتابه العزيز « ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » . ويقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .. » فقد قضت إرادة الله أن تحتل إيطاليا هذه البلاد ، لأنه لايجرى فى ملكه إلا مايريده فهو مالك الملك ، ومن أراد أن يظهر فى الكون غير ما أظهر مالك





صالح حرب يستقبل ابراهيم إبتاس زعيم المسلمين بإفريقيا الغربية



انور باشا فى حفل زفافه

الملك . فقد جمع الجيل بانواعه . فإيطاليا تريد السلام . وتريد ان تبقى بلادكم إسلامية تحت حماية إيطالية وملكها المعظم .... !!.

● اغلاق الصحف ! ●

وكلما إستمر القتال . بذلت السلطات البريطانية في مصر جهوداً متزايدة لمواجهة الحركة الشعبية المؤيدة للمجاهدين الليبيين . فاغلقت الصحف المؤيدة للمجاهدين . وعطلت صحيفة « العلم » لسان الحزب الوطني لانها إنتقدت الانجليز واتهمتهم بانهم اوعزوا للحكومة بالامتناع عن إيصال البرقية التي كانت القوة التركية المحاربة في طرابلس قد ارسلتها إلى الأستانة عن طريق مصر .

وكان الاعتقاد السائد في البداية ان الجيش التركي سيتمكن من دفع الاعتداء الإيطالي ، وعندما ظهر ضعف الدولة العثمانية ، وبعد ضرب الأسطول الإيطالي للموانىء العثمانية على البحر الأحمر مثل الصليف والقنفدة والشيخ سعيد والحديده ، بدا المصريون يتصدرون المتطوعين للقتال في صفوف المجاهدين .

ويكشف الكاتب الأمريكي ستودارد العديد من التفاصيل عن تكوين الجيش التركي بقيادة انور بك في ليبيا ، والذي تسلل اليها من مصر ، وانشا جيشا كبيرا من السكان واخذ يقود المقاومة . والذي تولى الدفاع عن برقة ، وادهم باشا الحلبي تركزت قواته شرقي برقة ، ومقر قيادة انور بك جنوبي درنة يساعده مصطفى كمال (اتاتورك فيما بعد) ، وتولى عزيز على المصرى الدفاع عن بنى غازى .

ويروى ستودارد خلال لقاء مع احد الضباط الأتراك هو اشرف بك . ان الضباط الذين تسللوا من الحدود المصرية واجهوا بعض الصعوبات نتيجة الإجراءات التي إتخذها الإنجليز ، وكشف الضابط التركي الدور الفعال الذي قام به صالح حرب في مساعدة المتسللين عندما تمكن حوالي مائة وسبعة من الضباط . وعدد يتراوح مابين ثلاثمائة واربعمائة جندى وصف ضابط من الدخول إلى برقة بمساعدته .

وراس المتطوعين المصريين عبدالرحمن عزام ـ أول امين عام للجامعة العربية ـ وراس المتطوعين من الشام الأمير شكيب ارسلان ، كما راس نجيب السعد المتطوعين من إربد .

ويروى انور باشا فى مذكراته عن هذه الفترة المحاولات التى بذلها الشرق لكى يفلت من الخضوع للاستعمار الغربى . وقرر عدد من رجال الإتحاد والترقى إقامة تنظيم سرى يسمى « تشكيلاتى مخصوصة » لكى يكون اداة مواجهته إنهيار الدولة العثمانية . ولم يكشف سوى عن النذر اليسير منه . وقام بتاسيسه انور باشا وجعفر العسكرى ، على ان تكون مهمة التنظيم محاربة التسلط الاستعمارى الروسى والفرنسى والبريطانى والايطالى على المناطق الاسلامية . ويذكر انور باشا فى مذكراته : « ان الحرب الطرابلسية ماهى سوى شكل جديد من الحروب الصليبية ضد الإسلام فى القرن العشرين ... » .

وانتهى عملياً دور الجيش التركى فى ليبيا عندما وقعت الدولة العثمانية وايطاليا إتفاقية اوشى /لوزان عام ١٩١٢ ، وتسليمها لإيطاليا بانسحاب قواتها من ليبيا . وأرسل أحمد الشريف السنوسى قائد المجاهدين رسالة لأنور يقول فيها : « نحن والصلح على طرفى نقيض . ولا نقبل صلحاً إذا كان ثمنه تسليم البلاد إلى العدو ... » .
وكان من نتائج هذه الاتفاقية مع بداية حرب القرم أن غادر انور بك ميدان القتال سراً وسلم القيادة الى عزيز المصرى .
ووصف ساطع الحصرى هذا الاتفاق بأن معناه « تسليم ليبيا للطليان ... » .

● أهداف الأتراك الخاصة ! . ●

مع قيام الحرب العالمية الأولى وتحالف الأتراك مع الالمان ، ارسل العثمانيون بعثة برئاسة نورى بك شقيق انور باشا ومعه القائد العراقى جعفر العسكرى تحملهم غواصة المانية ومزودين بالمال والسلاح . وقد برزت اهداف خاصة للأتراك ، منها الهجوم على الحدود الشرقية لمصر ، لا من اجل تحريرها ، بل لتعطيل القوات البريطانية المتمركزة فى مصر . ولم تكن مساعدتهم للمجاهدين الليبيين سوى لذات الغرض .

وفى لقاء أجراه ستودارد مع صالح حرب ذكر فيه : « ان جعفر العسكرى كاد ييأس من إقناع أحمد الشريف بجدوى الهجوم على القوات البريطانية فى مصر . إلا انه نجح أخيرا .. » . وبدأ هجوما مباغتا على حدود مصر الغربية . تقهقرت امامه القوات البريطانية ، واستولى المجاهدون على سيدى برانى واقتربوا من مرسى مطروح ، بعد أن تقرر القيام بعمليتين فى وقت واحد .

- تحريك الثورة ضد إيطاليا والتى بدأت فى أغسطس عام ١٩١٥ .
- مهاجمة القوات البريطانية على حدود مصر الغربية .

وفى هذه الفترة برز دور صالح حرب وقتاله للقوات التى تحتل بلاده ، وقاد صالح حرب خمسة آلاف من المجاهدين وبعض القوات التركية . ووصل الى السلوم وسيدى برانى المناطق التى يعرف شعابها واهلها . وتوغل بقواته حتى وصل إلى زاوية ام الوخم غربى مرسى مطروح ..

مصريون في بلاد العرب

وانسحب البريطانيون امامه الى مرسى مطروح واتخذوها مقرا لقيادتهم وحشدوا جيشا بلغ ثلاثين الف مقاتل ..

● حرب العصابات ! ●

وخلال هذه الفترة عقد السيد احمد الشريف السنوسى مجلسا حربيا حضره نورى بك وجعفر العسكرى وعدد من الضباط الاتراك وشهده صالح حرب ، الذى رأى تغيير اسلوب القتال واعتماد حرب العصابات والضرب خلف خطوط البريطانيين ، واعتماد اسلوب الكر والفر . اما الضباط الاتراك فقد أصروا على الزحف نحو الدلتا على الشريط الساحلي ..

وانتهى هذا الإجتماع بتقسيم القوة إلى فريقين :

● فريق يذهب إلى الجنوب لاحتلال الواحات . يتألف من ثلاثة الاف وخمسمائة جندى بقيادة صالح حرب .

● وفريق اخر يقاتل فى الشمال بقيادة جعفر العسكرى وعدده ستة الاف جندى .

وتمكنت قوات الإحتلال البريطانى من الوصل إلى السلوم فى ١٤ مارس عام ١٩١٦ ، واستولوا على معسكر كان فريق من المجاهدين يرابطون فيه .

اما القوة الثانية التى كانت تحت قيادة صالح حرب فقد تحركت نحو سيوة واتجهت إلى الواحات البحرية والفرافرة والداخلة وانضم اليها جميع من كان بهذه الواحات من الموظفين المصريين ، ونجحت فى الاستيلاء على هذه الواحات . واستمرت حرب العصابات التى يقودها صالح حرب طوال عام ١٩١٦ وحتى أوائل عام ١٩١٧ ، وأخذ البريطانيون يشنون على هذه القوات هجمات متلاحقة من الواحات الخارجة .

ودارت سلسلة من المعارك لم تكن حاسمة وقعت إحداها عند « بير ماجدة » فى ٢٥ ديسمبر ، وانتهى عام ١٩١٥ والإنجليز مشغولون بدفع هذا الزحف من الغرب ، وهزم المهاجمون فى ٢٦ فبراير عام ١٩١٦ فى معركة « العقاقير » وأسر الإنجليز فى هذه المعركة جعفر العسكرى ، ولكن مالبث أن تفاهموا معه ، وانتقل الى القتال فى صفوف الشريف حسين واخذ يقاتل ضد الاتراك ، ولعب دوراً هاما فى التاريخ السياسى للعراق .

وفى هذه الفترة تركزت قيادة صالح حرب فى وادى ماجد على مسافة عشرة كيلو مترات الى الجنوب الغربى من مرسى مطروح ، ويقول حرب فى مذكراته : « استولينا على واحة سيوة والبحرية والداخلة . اما الخارجة فقد سبقنا الانجليز واحتلوها ، لوصول السكك الحديدية إليها » ، كما إنتشرت الثورة فى انحاء العقبة وهى المنطقة الممتدة من الحجاج غربى محطة فوكة إلى مريوط

وفوجىء الإنجليز بهذه الحركة . ودارت معارك عنيفة مع القوات البريطانية . وفى موقعة وادى ماجد الثانية فى ديسمبر ١٩١٥ . لقى البريطانيون الهزيمة . وتقدمت قوات صالح حرب الى الزرقاء فى الجنوب الشرقى من مرسى مطروح ، وتبادل الفريقان الهزيمة والانتصار .

وواصلت قوات الاحتلال البريطانى تقدمها على ساحل البحر الأبيض واحتلوا السلوم ، واخذوا يهاجمون منها واحات الفرافرة والداخلة وسيوة ...

وانسحبت القوات التى يقودها صالح حرب الى الجفرة ، وفيها تلقى صالح حرب رسالة من نورى بك يرجوه إقناع السيد احمد شريف السنوسى بان تتجه قواته إلى سرت لمحاربة الإيطاليين ، وهاهو القائد التركى يضغط من اجل ان يتحول القتال إلى الإيطاليين !.

لقد استخدم العثمانيون المشاعر الوطنية العربية وتطلع العرب للتحرر وقتال الغزاة لتحقيق أهدافهم على حساب أهداف الحركة الوطنية .

وكما بدات هذه الحملة على ظهر غواصة المانية ، إنتهت على ظهر غواصة المانية حملت أحمد الشريف السنوسى ومعه صالح حرب فى اغسطس عام ١٩١٨ . ونقلهم من ميناء العقيلة إلى ميناء بولا النمساوى ثم سافرا إلى فيينا ومنها إلى اسطنبول . واقام صالح حرب فى قصر « طوب كابى » ، وبقى فى تركيا حتى قيام مصطفى كمال بثورته ..

وتغيرت قيادة المجاهدين لصالح التفاهم مع بريطانيا ، وظهرت قيادة ادريس السنوسى ـ الملك فيما بعد ـ والذى انسحب إلى مصر للعلاج ..

وفى مصر حكم على المجاهد صالح حرب بالاعدام ، عندما كان بعيدا عنها ، وقامت ثورة عارمة قادها الزعيم سعد زغلول ، وفى عام ١٩٢٥ صدر عفو شامل على المحكوم عليهم لاسباب سياسية . وعاد صالح حرب الى أرض الوطن ...

وعمل فى الحياة السياسية المصرية ، ورشح نفسه للنيابة عن دائرة اسوان ، ودخل مجلس النواب عام ١٩٢٦ ، وعين مديرا لمصلحة خفر السواحل عام ١٩٣٦ .

واشترك فى وزارة على ماهر باشا عام ١٩٣٩ وزيرا للدفاع ، وانشا فى هذه الفترة « قوات المرابطين » ـ الحرس الوطنى فيما بعد ـ وقدمت الوزارة إستقالتها بعد عشرة شهور وسبعة ايام فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٠ .

واصبح رئيسا لجمعية الشبان المسلمين حيث امضى فى هذه الجمعية ٢٨ عاما ، واختارته لجنة وحدة وادى النيل للقيام بدور فى إنقاذ فلسطين ، فقام بجولة فى البلاد العربية لتقريب وجهات النظر والإشراف على معسكرات التطوع فسافر الى دمشق وبيروت وعمان ، وأشرف على معسكرات المتطوعين المصريين والليبيين فى الماظة ..

وحافظ طوال حياته السياسية بعلاقات وثيقة مع الحركة الوطنية فى ليبيا ، وقال إدريس السنوسى فى آخر لقاء معه :

« ياولدى لقد شاركتنا حربنا ، ولا يمكن ان ننسى ماقمت به مع إخوانك من المصريين ، ولولاكم ماقامت حرب ، وما إنتظم جهاد ، ولا وصل من اسطنبول ضابط ولا سلاح ولا عتاد » .

ويمضى التاريخ ....

قضيّة | للمناقشة

الأتراك عند نهاية الدّولة العثمانية

بقلم: د. محمّد أنيس

اذا كانت الدولة العثمانية قد تكونت كامارة فتية في القرن ١٣ فانها طوال القرن التاسع عشر وبعد فتوحاتها المذهلة في اوربا والعالم طوال القرون ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، اضحت في نظر الاوربيين منذ القرن ١٩ « رجل اوربا المريض »

ومع مطلع التاسع عشر بدأت المتاعب الداخلية المتمثلة في تخلف مؤسسات الدولة وفي مقدمتها نظام الانكشارية وديكتاتورية السلطة العليا ثم المتاعب الممثلة في الثورات ذات الطابع القومي في أوربا والتي ادت الى انسلاخ اجزاء هامة من الدولة العثمانية وانسحابها تدريجيا من المسرح الاوروبي وظهور الدول الاوربية في البلقان بدءا من اليونان حتى بلغاريا والصرب والجبل الاسود وانسحب الاتراك حتى ادرنة · واخذ سلاطين الدولة العثمانية مع هذا الانسحاب من اوربا يركزون على

ايالات العالم العربى وتأكيدا لهذا التركيز اعادوا تنشيط فكرة الخلافة الاسلامية العثمانية ومحاولة التوسع فى المناطق العربية التى كان يبدو النفوذ العثمانى فيها مهزوزا او غير مؤكد كمنطقة الخليج العربى وجنوب شبه الجزيرة وهو التوسع الذى تصدت له انجلترا بدعوى معاهدات الحماية على الخليج التى عقدتها بريطانيا مع شيوخ القبائل العربية هذه ٠

● محاولة اذلال ●

لكن الدول الاوربية التى ساعدت الشعوب البلقانية على الانسلاخ من الدولة العثمانية رفعت سياسة « المحافظة على تكامل الدولة العثمانية وهو المبدأ الذى يلتصق بانجلترا على وجه خاص وبيالمرستون - رئيس وزرائها - على وجه أخص وهو ايضا المبدأ الذى دفع الدول الاوربية فى الوقوف فى وجه مشروعات محمد على فى بناء امبراطورية عربية او اسلامية فى منطقة الشرق الاوسط ٠

ولقد ظلت الدول الاوربية تتبع هذه السياسة - مع اذلال الدولة العثمانية - حتى ظهرت المانيا كدولة موحدة فتية وهزمت فرنسا فى معركة سيدان وانشأت سلسلة التحالفات التيوتونية لعزل فرنسا عن بقية أوربا ٠ وهنا اسرعت الدولة العثمانية للتحالف مع هذه الدولة الاوربية الفتية - المانيا - والتى اصبحت اكبر دولة اوربية واكثرها تفوقا عسكريا وصناعيا - والاعتقاد بين المؤرخين بان التوجه العثمانى نحو المانيا هو الذى دفع انجلترا وفرنسا وغيرهما الى التخلى عن سياسة « تكامل الدولة العثمانية » فبدأت هذه الدول بدورها تقتطع من من الممتلكات العربية التابعة للدولة العثمانية واكثر الامثلة وضوحا على ذلك فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين يتمثل فى استيلاء فرنسا على تونس ١٨٨١ وانجلترا على مصر ١٨٨٢ وايطاليا على طرابلس (ليبيا) ١٩١١ ٠





محمد على



السلطان عبدالحميد

قضية

المناقشة

هكذا كان على الدولة العثمانية منذ اوائل القرن ١٩ مواجهة هذه الاخطار : الخطر القومى فى البلقان واخطار الاطماع الاوربية فى الارض العربية التابعة للدولة العثمانية ·

ازاء هذا كله كانت الدولة العثمانية تامل فى وقوف الشعوب العربية الى جانبها فى مواجهة هذه الاخطار ·لكن عند منحنى القرن ١٩ والسنوات الاولى من القرن العشرين امتدت عدوى القومية الى الشعوب العربية فبدأت الحركة القومية العربية تعبر عن نفسها فى شكل جمعيات مثل « القحطانية » و « اللامركزية » و « العهد » وها هو العالم العربى يتمرد بدوره على التبعية العثمانية ·

وازاء هذه المتاعب سواء من البلقان او الدول الاوربية او الحركة القومية العربية ماذا كان شعور الاتراك وهم يرون امبراطوريتهم التى سببت لهم من الحروب اكثر من السلام والتى جعلت الاتراك جنسا مكروها من الجميع؟ فى الحقيقة لم يكن الاتراك أواخر الدولة العثمانية ـ سعداء بهذا الوضع كان يحدوهم الشعور بالمرارة نحو الموقف العربى والغضب نحو الشعوب البلقانية والاحساس بالمهانة ازاء الدول الاوربية الكبرى والاحساس بالاحباط ازاء فشل حركة الاصلاح سواء فى ذلك « التنظيمات العثمانية » او حركة الاتحاد والترقى · هنا اخذ الاتراك يهربون الى تراثهم التركى القديم وكان هذا الهروب هو ارهاصات الحركة الوطنية التركية ·

● تاثر بالادب الاوروبى ●

وظهرت هذه الظاهرة اول ما ظهرت فى الادب · فبدلا من النماذج الفارسية والعربية ظهر اتجاه نحو تقليد النماذج الاوربية عامة والفرنسية خاصة فكانت الحركة الرومانتيكية فى الادب التركى · ومع ان هذه الحركة لم تكن لها قوة كبيرة ولم تترك اثرا بعيدا الا ان اهميتها تاتى من انها كانت لازمة الضمير التركى ازاء الدولة الهرمة كما انها ساعدت فى نفس الوقت على تقوية الاتصال بانماط الحياة الثقافية الغربية فظهرت فى كتابات الاتراك تعبيرات جديدة « كالحرية الفردية » و « الدستور » و الحياة النيابية وغيرها ·

ولما كان من الواضح ان مثل هذه الحركة لا تستطيع ان تعيش فى ايالات الدولة العثمانية بسبب الخوف من استبداد السلاطين العثمانيين وكراهيتهم لكافة الاتجاهات التحررية فقد عاشت الحركة فى المهجر واتخذت لها مقرا فى لندن وباريس حوالى عام ١٨٦٠ وفى عام ١٨٦٤ ظهرت أول جريدة معبرة عن اتجاهات الاحرار الاتراك وكانت تسمى « الحرية » كما كان رئيس تحريرها رفعت بك ·

ثم تحولت هذه الحركة من ادبية الى سياسية · ففى هذه الاثناء ظهرت مسرحية (الوطن) للكاتب التركى نامق كمال التى كان لها دور هائل فى اوساط المثقفين الاتراك · وكان فى مقدمة احرار المهجر ثلاثة : اولهم خليل غانم وهو مسيحى عربى من بيروت وكان نائبا فى مجلس المبعوثان (١٨٧٨) عن احدى مناطق سورية فلما عطل السلطان عبد الحميد البرلمان

فر هذا الى اوربا وانشأ جريدة « تركيا الفتاة » وكان قبل ذلك قد اسس جريدة فى جنيف تحت اسم « الهلال » ومن هؤلاء احمد رضا الذى وصل الى باريس عام ١٨٨٩ : تلقى تعليمه هناك وكان يجيد الفرنسية اجادة تامة ولم يكن هناك شك فى رغبته فى الاصلاح لكنه كان مثاليا لذلك لم يكن محبوبا فى دوائر الحركة بسبب صرامته • وكانت اتجاهاته المتحررة قد دفعته الى اعتزال الخدمة كمدير للتعليم العام وسافر الى اوربا ليحمل على السلطان عبد الحميد واستبداده مع زملائه الاتراك الاحرار كما اشترك احمد رضا فى تنظيم الاتراك الاحرار فى باريس وتولى بالاشتراك مع خليل غانم تحرير جريدة (مشاورات) التى اتخذت لسان حال هذه الحركةمنذ ١٨٩٥ ـ اما الشخصية الثالثة الهامة فى نشاط الاتراك الاحرار فى باريس فكان مراد بك • ومراد هذا كان مدرسا للتاريخ فى « الكلية المدنية » فر بدوره من وجه السلطان عبد الحميد ولجأ الى مصر وكانت مصر انذاك تحت الاحتلال البريطانى الذى كان يشجع انذاك كافة الحركات المعادية للسلطان عبد الحميد وسياسته الاسلامية • وفى مصر اسس مراد بك جريدة « الميزان » •

وارتبطتحركة تركيا الفتاة بالطريقة الصوفية البكتاشية التى تضم بصفة اساسية الفلاحين الاتراك والجنود كما تضم ايضا عددا كبيرا من الطبقة المتوسطة وفى البكتاشية رغم نزعاتها الدينية اتجاهات وطنية تركية فهى تستخدم اللغة التركية والاساليب التركية فى الادب ولذلك ساهم الادب البكتاشى مساهمة فعالة فى احياء الثقافة التركية الوطنية •

والحق ان الاتراك الجدد كانوا اصحاب ميول استعمارية كالاتراك القدامى والفارق الوحيد بين الفريقين يكمن فى ان الاتراك الجدد كانوا يتخذون اساليب اقوى للاحتفاظ بامبراطوريتهم • لكن الحرب البلقانية الثانية (١٩١٢ ـ ١٩١٣) شهدت اتجاها جديدا فى الحركة الوطنية التركية• هذا الاتجاه يتمثل فى الحركة الطورانية • فقد كان استيلاء الاتراك فى اواخر هذه الحرب على ادرنة اول عاصمة تركية فى اوربا فى يوليو ١٩١٣ قد اثار ذكريات الانتصارات التركية القديمة ومجد الاتراك الغابر • ولقد قدر لهذا التيار الطورانى ان تخرج منه الوطنية التركية الحديثة بل والجمهورية التركية المعاصرة بعد انهيار الامبراطورية •

والحركة الطورانية فى صميمها اتجاه الى احياء امجاد الاتراك الاوائل وربط الاتراك المحدثين بتراثهم الحضارى القديم ، كما يهدف الى تخليص الفكر التركى واديه من الاثرات الفارسية والعربية •

والطريف ان بداية هذا الاتجاه جاء اول الامر من مصدر غير تركى : من كتابات الروائى الفرنسى الشهير ليون كاهون الذى خطر له انيتخذ كموضوع لمؤلفاته القصصية المغول الكبار مثل جنكيز خان وتيمور لنك فصورهم فى فىصورة الابطال العظام ـ فلماترجمت هذه القصص الى التركية ظهر لها اثر بعيد المدى فى نفوس الاتراك •

والحقيقة ان كتابات كاهون جاءت فى وقت شعر فيه الاتراك بنقص فيما يتعلق بتراثهم الحضارىامام القوميات البلقانية والقومية العربية وانتهى الكثير من الاتراك بعد حروب البلقان الى نتيجة واحدة وهى ان الجماهير التركية وحدها هى التى يقوم على اكتافها اعباء الابقاء على تلك الامبراطورية الهرمة وانهم وحدهم

قضية للمناقشة



لقطة من اسطنبول القديمة

العنصر الذى تستطيع ان تعتمد الدولة العثمانية عليه فى بقائها ومن ثم فيجب طرح فكرة الجامعة الاسلامية جانبا لان العرب ليسوا حريصين على بقاء الدولة العثمانية وطرح الجامعة العثمانية جانبا ايضا ـ لان الشعوب البلقانية ليست بدورها حريصة على الدولة العثمانية : لا العرب ولاشعوب البلقان ـ راضون على بقاء هذه الدولة فلماذا يتحمل الاتراك وحدهم أعباء المحافظة عليها وحدهم ـ وظهرت هذه الاتجاهات فى كتابات رجل مثل اديب ومسرحيته (تركيا تواجه الغرب) حيث ظهرت الشخصية التركية (اسمها أسود العينين) كشخصية رئيسية فى المسرحية ـ بل تطرف بعض الكتاب من امثال عبد الله افندى فى كتابه (تنيم جديد) فدعا الى ازالة اسماء الخلفاء الراشدين من على الجوامع ووضع أسماء السلطان سليم وغيره من السلاطين الاتراك بدلهم •

كما كان هناك جانب آخر فى الحركة الطورانية وهو الدعوة الى تخليص التراث التركى الحضارى من المؤثرات الفارسية والعربية وقد تمخض هذا الاتجاه عن تأسيس الاكاديمية التركية فى عام ١٩١٢ وهذا الاتجاه هو الذى انتهى كذلك الى ترجمة القرآن الكريم الى التركية بعد ذلك ـ كما دعت الحركة الطورانية الى تقوية الرابطة بين الاتراك العثمانيين والفروع التركية الجنسية فى البلاد الاخرى خارج الدولة العثمانية وكان من مظاهر هذا الاتجاه الاخير ما فعله مؤتمر تركيا الفتاة فى عام ١٩١١ حين قرر تشجيع الهجرة لاتراك التركستان والقوقاز الى الدولة العثمانية • هكذا باتت اتجاهات الحركة الطورانية فى ثلاثة خيوط : اولا تخليص التراث التركى الحضارى من المؤثرات الفارسية والعربية ثانيا ـ خلق صلة حميمة وقوية ودائمة بين اتراك الدولة العثمانية والاتراك خارج الدولة ثالثا ـ اعلاء العنصر التركى والايمان بتفوقه على غيره داخل الدولة وخارجها •

هكذا لم يكن الاتراك سعداء بالاعباء التى تحملها الدولة العثمانية وبتحملهم وحدهم مسئولية البقاء عليها كما لم يتباكوا كثيرا على ضياعها واعتمد الاتراك الحركة الوطنية التركية او الشوفينية التركية كنقطة ارتكاز لهم وهو الامر الذى بنى عليه مصطفى كمال اتاتورك له حركته فى بقاء تركيا الراهنة •

كان يا ما كان

محاولة سداد ديون مصر في القرن التاسع عشر

بقلم : د. وليم سليمان قلاده

ليست هذه اول مرة يحاول فيها ابناء مصر المشاركة فى سداد ديونها ، لقد ترك سعيد باشا مصر مدينة بحوالى احد عشر مليونا من الجنيهات ، وهو مبلغ ليس بالقليل اذا نسب الى ميزانية مصر وقتئذ . وتولى اسماعيل الحكم عام ١٨٦٣ . وفى السنة التالية اقترض من بيت فروليبنج وجوشن الانجليزى ٢٠٠ر٧٠٤ر٥ جنيه وفى عام ١٨٦٥ اقترض من بنك الانجلو ٣٠٠ر٣٨٧ر٣ جنيه .. وفى بداية عام ١٨٦٦ استدان من بنك اوبنهايم ثلاثة ملايين ... ومازال اسماعيل وقتها محتاجا الى المزيد .

وكانت الزراعة المصرية قد حققت فى سنوات الحرب الاهلية الامريكية التى انتهت عام ١٨٦٥ ازدهارا كبيـرا ، الامر الـذى اغـراه على أن يتجـه الى مـلاك الاراضى ليحصـل منهم على الاموال .

ثم انه كان يعد العدة لاعلان استقلال مصر عن الدولة العثمـانية ، ولذلك فهو يحتاج الى التأييد الشعبى .

يضاف الى ذلك انه كان بحاجة الى هذا التأييد لمواجهة ضغوط بيوت المال الذين تؤيدهم حكوماتهم .

لهـذه الاسباب ، ولانه كانت قـد نشأت فى داخل المجتمع المصرى طبقة لا يمكن تجـاهل وجودها تتكون من المـلاك الزراعيين ، نتيجة للتغيرات التى حدثت فى المجتمع منذ أيام محمد على وخصوصا اثناء حكم سعيد ـ هكذا اضطر اسماعيل فى عام ١٨٦٦ الى انشاء « مجلس شورى النواب » ليضم الاعيان وكبار الملاك الزراعيين وممثلين لمكونات الجماعة المصرية .




رفاعة الطهطاوى

« تخليص الابريز فى تلخيص باريز » يعود رفاعة رافع الطهطاوى فيصدر ، بعد ثلاث سنوات من انشاء مجلس شورى النواب « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الألباب العصرية » .

لقد وجد لأول مرة تحقيقا للتوجيهات التى كان يحاول تسريبها الى الحكام ـ وعلى الخصوص الى « المحكومين » فى كتابه الأول . فعلى الرغم من أن قرارات المجلس استشارية الا انهـا بداية صالحة لطريق لابد أن يتواصل احتفى بها هذا المفكر الدستورى . ومن هنا توجيهه النواب الى واجبهم نحـو وطنهم ، ومسـئوليتهم فى مراكزهم التى يجلس فيها المصريون لأول مرة . ضمن هـذا المثقف المصرى الرائد مؤلفه وبدون اجراء مواجهة صريحة مع الحاكم ، أى اسلوب معلمه الشـيخ حسن العطـار ضمنه نقـدا لسياسـة اسماعيل ، وبرنامج عمـل شامل لمجلس شورى النواب . وفى نفس الوقت مواجهـة للمشـروع الاستعمارى والرجعى بتعبئة امكانيات الرعية وبانحيـاز كامل لها وثقة فى قدراتها ـ فهى التى بجهـدها ستتم زيادة الدخل القومى .

ان نقطة البداية فى تفكير الطهطاوى سجلها فى مقدمة كتابه التى وضع لها عنوانا « فى ذكر هذا الوطن وما قاله فى شأنه اصحاب الفطن » . يقول : « وارادة التمدن للوطن لا تنشأ الا عن حبه من اهل الفطن ، كمـا رغب فيه الشارع ـ ففى الحديث : « حب الوطن

وفى هذا المجلس ستجرى محاولات سداد ديون مصر . وهى جهود يمتزج فيها الكفاح الوطنى ضد الاجانب ، بالصراع الدستورى لتقييـد سلطات الحاكم المطـلق ، بالمصلحة الطبقية لملاك الاراضى .

● تفكير ذكى ●

وكان فى مصر وقتئذ صعيدى ذكى ، نافذ الرؤية حصيف حذر . وجد الفرصة سانحة ليقدم اجتهاده من أجل تغيير اسلوب الحكم فى البلاد . لقد استطال عمره فعاصر النهضـة المصرية منذ محمد على ، وعانى نكستها أيام عباس ـ ليعود الى موقعه يرصد ويرشـد . فبعـد أن كتب أيام محمـد على

كان يا ما كان

من الايمان ، ... » لا سيما اذا كان الوطن منبت العز والسعادة ، والفخار والمجادة ، كنيار مصر ـ فهى أعز الاوطان لبنيها ، ومستحقة لبرها منهم بالسعى لبلوغ أمانيها ... » ويؤكد شيخنا هذا ويكرره فى مختلف مؤلفاته ٠

وهكذا يواصل الطهطاوى التقليد الالفى الذى بداه المؤرخ الاول عبد الرحمن بن عبد الحكم وتابعه فيه المؤرخون الذين جاءوا بعده ، حين كانوا يفتتحون ما يكتبون بفصل : فى ذكر فضائل مصر » ٠ يواصل الطهطاوى هذا التقليد فى صياغة واضحة تبين النتائج العملية التى تترتب على الانتماء للوطن والالتصاق به ٠

ثم يسجل الخطوة الهامة التى اتخذها الخديو بانشاء مجلس شورى النواب ، وينبه الأعضاء الى واجباتهم « ولو لم يكن له من المآثر الا كونه حمل الاهالى على أن ينتخبوا عنهم نوابا ذو فكرة اليمنة ، ليتذاكروا فى شأن مصالحهم المرعية ـ لكفاه شرفا ومجدا وعزا وسعدا ٠ حيث صار مستوليا على أمة حرة الرأى باستشارتها فى حقائق التراتيب والتنظيمات التى يراد تجديدها لأجلهم » ويؤكد هذا الفقيه الدستورى أهمية الحرية : فبهذه الوسيلة القوية يتمكن من اداء ما وجب عليه فى حق الرعايا مع كونه يمتدح بالحكم على رعايا أحرار يتمتعون بحقوقهم ويحظون بمزاياهم » ٠

هنا فى بردة من المدح ـ تنبيه واضح للحاكم الى أهمية حرية المواطنين ٠

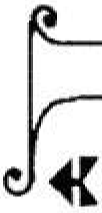
ويبدو أن الرجل كان يحس بخطر النفوذ الاجنبى الوافد مع استمرار سياسة الاستدانة ، ولهذا نجده فى الفصل الأول من الباب الاول ، وفى حذر وحنكة ـ واذ يتحدث عن منشآت الخير يستطرد : « وهذا كله انفاق ممنوح وعلامة القبول عليه تلوح ، بخلاف من يحمل نفسه ولو فى الصدقات فوق ما يطيق ، فيعلوه الدين الذى لا يعرف له جهة وفاء ، فيدخل نفسه فى رقبة الضيق ويعدم الحميم والصديق ، ويورد الاحاديث النبوية واقوال الحكماء والعامة ويسخر ممن يستدين حتى لعمل الخير ، مع أنه بمعزل عن الحزم والاستقامة ، معتمدا على قضاء دينه الذى استدانه بدون باعث شرعى ولا مقتضى سياسى ٠ ومعولا على « سوف » و « عسى » و « لعل » ٠ فهذا هو المديان الذى يتراكم عليه الدين ، ودين الدين ، لا الى نهاية ولا الى أجل بل ربما لا ينقضى وان انقضى الاجل » (١) ٠

ولكن ما هو بديل الاستدانة للحصول على الأموال اللازمة ؟

تأتى اجابة الطهطاوى : « المنافع العمومية التى تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال وتنعيم البال على عموم

---

(١) رفاعة الطهطاوى ، الاعمال الكاملة ، طبعة محمد عمارة ، الجزء الاول ، ص٢٨٣



الجمعية ... ، والتمدن لديه أصلان . معنوى وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب . والثاني تمدن مادي وهو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة والتجارة والصناعة . ويقدم في كتابه برنامجا شاملا للتنمية في جميع هذه المجالات ويورد بخبرة العارف بما في بلده من الامكانيات أنواعا من المشروعات تستطيع بها أن تنمي دخلها وتستغني عن الاستدانة .

لقد بدأ المجلس عمله كمجرد هيئة استشارية رايها غير ملزم . ولكن لن تمضي أقل من ثلاثة عشرة سنة الا ويجد الخديو أن من مصلحته أن يكون راى المجلس ملزما ، لأن هذه الهيئة بصفتها التمثيلية ومن ورائها جموع المحكومين هم القوة الحقيقية التي تحميه وتحمي الدولة والمجتمع في مواجهة الاغتصاب الذى تمارسه القوى الأوربية والذى لا تستطيع الخلافة العثمانية دفعه - بل انها تخضع لسطوته وتتواطأ معه .

اننا الآن في فترة مفعمة بالحيوية . كان الصراع حادا بين أصحاب المصالح الموجودين في الساحة ، ونستطيع أن نتبين ثلاثة أطراف - كانت المعارك بينهم سجالا ، تتغير فيها التحالفات ويتبادلون النصر والهزيمة :

والأطراف الثلاثة هم الخديو والقوى المالية والسياسية فالعسكرية الاوربية - ثم المصريون .

● الوعي بحقوق المواطنين

بسبب الديون التي أغرق الخديو مصر فيها أصبح للقوى المالية والسياسية الأجنبية نفوذ كبير في الحكومة المصرية . وفرضوا على الخديو أن يتنازل عن سلطاته المطلقة لوزارة يشاركون في أهم مناصبها وتحكم مصر لصالح الأجانب .

ونتيجة للتطور الداخلي للمجتمع المصرى منذ أيام محمد على وخاصة أيام سعيد نشأت في مصر طبقة من ملاك الاراضي ، صارت لهم مصالحهم التي يعملون على حمايتها . وازداد الوعي بحقوق المواطنين الذين تعلموا في مدرسة الطهطاوى وتلاميذه وزملائه ولم يستطع الخديو وان كان حاكما مطلقا أن يتجاهلهم ، فأنشأ لنوابهم مجلسا له رأى استشارى . جهد لزيادة سلطاته ثم وجد الخديو أن هذه هذه الطبقة والمجلس الذى يمثلها هي السند الحقيقي له . وهكذا نشأ التحالف بينهما ، وتنازل الخديو عن سلطاته مرة أخرى ولكن للمصريين وممثليهم . ووقف الحاكم والمحكوم في مواجهة الزحف الأجنبي ، وامتزجت المصلحة الطبقية بالوطنية وتعهد المصريون بسداد ديون بلادهم من اموالهم .

الا أن القوى الأوربية لم تهدأ - فوجهت ضربتها الأولى الى رمز التحالف الجديد ، الخديو نفسه . وتواطأ معها في ذلك السلطان العثماني .

ثم جاءت الضربة الثانية - حين استطاعت أن تحدث الانقسام في الصف المصرى . وصار ثمة تناقض

كان يا ما كان

بين المصلحة الطبقية والوطنية لدى الشريحة العليـا من طبقة الملاك الذين انضموا للخديو الجديد توفيق ·

واذ لم يكن الخراب المالى لاخضاع الارادة المصرية كان حتمـا التدخــل العسكرى البريطانى ، يتخذ من الخديو الخــائن رأس حربة ومبررا ، ومعه أعوانه ·

وتتصدى قوى الشعب الأخرى لهذا التحالف القبيح ، وتقف مع جيشــها بقيادة أحمد عرابى تدافع عن مصر · ويعلن السلطان العثمانى مرة أخرى عصيان عرابى · وتحدث الهزيمة · لتبدأ مصر مرحلة جديدة من كفاحها المتواصل ·

● جولات الصراع ●

لقد مضى « الديان » فى طريقه ، اقترض فى سنة ١٨٦٨ من بنك اوبنهايم مبلغ ٠٠٠ر٨٩٠ر١١ جنيه واســتدان سنة ١٨٧٠ من البنك الفرنساوى المصرى ٨٦٠ر١٤٢ر٧ جنيــه · وبلغت الديون الســائرة فى ١٨٧٣ مبلغ ٢٥ مليون جنيه · وفى سنة ١٨٧٣ اقترض من بنك اوبنهايم ٣ ملايين جنيه · وبلــغ دين الرزنامة سنة ١٨٧٤ مبلغ ٠٠٠ر٢٣٧ر٣ جنيه · وبلغت المطلوبات من الحكومة للتجار والمقاولين ··· الــخ مبــلغ ٠٠٠ر٢٧٦ر٦ جنيه · هذا كله فضلا عن تراكم الفوائد الفاحشة ···

وبدأ زحــف الدائنين الأوربيــن تساندهم حكوماتهم :

فلمــا ان ساءت حالة الخــزانة المصرية حضرت الى مصر فى ديسمبر ١٨٧٥ ، بناء على دعوة الخديو لجنة انجليــزية ، برئاسة المســتر كيف ، لدراسة الحالة المالية ويعاون الحكومة على اصلاح الخلل فيها · واقترحت لذلك أن تخضع للمشورة الأوربية من خلال مصلحة للرقابة على ماليتها ·

ومضت الضائقة فى طريقها وبسبب عجز الحكومة عن الوفاء أصدر الخديو مرسوما فى ٦ ابريل سنة ١٨٧٦ بتأجيل دفع السندات والأقساط المستحقة على الحكومة فى أبريل ومايو ثلاثة أشهر· ولاسترضاء الدائنين أصدر مرســوما فى ٢ مايو ١٩٧٦ بانشاء « صــندوق الدين » ليكون خــزانة فرعية للخزانة العامة تتولى تسلم المبالغ المخصصة للديون من المصالح المحلية · فكان هذا الصــندوق اول هيئة رســمية اوربية لفرض التدخل الاجنبى ·

ولكن الحكومة الانجليزية لم تقتنع بذلك ، ونسقت مواقفها مع الحــكومة الفرنسية ـ وهــكذا حضر الى مصر جوشن الانجليزى ثم جوبير الفرنسى فى اكتــوبر ١٨٧٦ ، وبنــاء على ما ارتياه أصدر الخديو مرســوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٦ بفرض رقــابة أجنبيــة أشد ـ يتولاها مراقبان أحدهما انجليزى لمراقبة الايرادات والثانى فرنسى لمراقبة المصروفات ·

الا أن أحوال الحكومة المالية سارت الى الأسوأ ، وازداد ارتباكها وعجزها فاتفق الرقيبان وصــندوق الدين على تأليف لجنــة تحقيق أوربية قــدمت توصياتها ـ وكان من بينها أن يحدث





الخديوى عباس

الخديو تغييرا فى نظام الحكم وينزل عن سلطته المطلقة .

وهكـــذا أصدر اسماعيل فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ أمره بانشاء مجلس النظار وتخويله مسئولية الحكم وعهد الى نوبار باشـــا بتأليف الوزارة . وتضمن خطاب تكليفه نزول الحاكم عن سلطاته المطلقة . يقول :

والشىء اللافت للنظر فى التاريخ الدستورى المصرى ، أن تقييد ســلطة الحاكم تم بناء على توصية من قوى أجنبية ، ولتحقيق مصالحها . على أن المصريين ممثلين فى نوابهــم سرعان ما استردوا زمام الموقف . وكان هذا التحول فى مسار الصراع وفى أطرافه أبرع الانجازات الوطنية والدستورية فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر .

ولقد ضـــمت وزارة نوبار وزيرين أوربيين أحدهما انجليزى لوزارة المالية هو السير ريفرس ويلسون ، والثانى فرنسى للأشغال . على أن يحل النظام الجديد محل الرقابة الثنائية .

وفى السنوات التالية سيدور الصراع بين مجلس شورى النواب وبين هذه الوزارة . وستمتزج فى هذه المواجهة الحركة الوطنية مع الحركة الدستورية، بحيث أن تقييد سلطة الحاكم ســيكون مرتبطـا بازاحـة الوجـود الاجنبى فى مؤسسة الحكم .

● انجازات الحركة الدستورية

اجتمع مجلس شـــورى النواب فى ٢ يناير ١٨٧٩ وكانت خطبة العرش اقل خطب الخديو ، ذكر فيها أن سبب الاجتماع هو ان الوزراء سيناقشون مع النواب « بعض مسائل مالية وأشـغال داخلية » .

ولقد سجل المجلس فى رده الوارد فى مضبطة المجلس جلسة ٦ يناير ١٨٧٩ ما حققته الحـــركة الدســتورية من انجازات :

أولا ـ وجود هيئة مقصود بها تمثيل المحكومين . يقول المجلس : « نحن نواب الأمة المصرية ووكلاؤها ، المدافعون عن حقوقها ، الطالبون لمصلحتها ، التى هى فى نفس الأمر مصلحة الحكومة » .

ثانيا ـ تسجيل مبدأ الحكم من خلال وزارة مسئولة أمام المجلس . جاء فى الرد : « ونكرر الشكر لهذه الحضرة الجليلة (الخديو) حيث شكلت مجلس وزارة جعلته مسئولا كافلا أمام الأمة تأييدا لمجلس النواب وتتميما له » .

كان يا ما كان

وأستقل المجلس ما ورد فى خطبة الخديو البالغة الايجاز ليؤكد حقه الدستورى ، فقال : « ولذلك حينما تعلقت ارادتها (الحضرة الخديوية) بان ينظر الوزراء فى أمور المالية والاشغال الداخلية ، دعت نواب الأمة ليتداولوا معهم فى ذلك ، حفظا لحقوق الرعية ومصلحة الحكومة » ٠

وبدأ المجلس فى مناقشة هذه المسائل ، فطلب من وزيرى المالية والاشغال ارسال ما يخصهما من المسائل ٠ فاستجاب لذلك الوزير الفرنسى ، أما وزير المالية الانجليزى ريفرس ويلسون فرفض ٠ بل صدر مرسوم فى ٦ يناير ١٨٧٩ يتحدى مجلس النواب ، ويقضى بأن القوانين المتعلقة بالشئون المالية تصدر وتصبح نافذة بعد اقرارها من مجلس الوزراء والتصديق عليها من الخديو ـ أى دون اشتراط موافقة مجلس شورى النواب عليها ٠

اعترض المجلس على ذلك وأصدر بيانا سجل فيه حقه فى مناقشة هذه القوانين قال فيه : « ولم نر لمجلس النواب فى هذا الدكريتو اسما ولا خبرا ، مع أن سائر ما يختص بالادارة العمومية من تحصيل أموال وفرض ضرائب ووضع لوائح او قوانين لذلك، وما كان من هذا القبيل انما يقصد به الأهالى لا غير ، وكل ما يقصد به الأهالى لابد أولا من عرضه عليهم ورضاهم به عن طيب خاطر منهم قبل وضعه وتكليفهم به ٠وحيث أنهم أنابوا عن أنفسهم نوابا منهم متوطين بالمدافعة عنهم ، والمحاماة عن حقوقهم ، والنظر فى شئونهم بعين المصلحة فمن الواجب أن يعرض جميع ما يتعلق بالأهالى على نوابهم لينظروا فيه ويتدبروه ٠»

وصمم المجلس على ضرورة حضور وزير المالية لمناقشته ، ولكنه أصر على الرفض وحضر بدلا منه نوبار نفسه الذى حاول استرضاء المجلس دون جدوى ٠ ثم أدت ثورة الضباط وتبرم الموظفين الى سقوط وزارة نوبار فى ٩ فبراير ١٨٧٩ وتأليف وزارة برياسة توفيق باشا استبقى فيها الوزيرين الأجنبيين ٠

ووصلت المواجهة الوطنية الدستورية الى ذروتها حين اعتزمت القوى الأوربية من خلال هذه الوزارة التخلص من مجلس النواب ٠ وهنا نصل الى أحد المواقف المجيدة فى تاريخ الشعب المصرى :

حضر رياض باشا الى المجلس فى ٢٧ مارس سنة ١٨٧٩ وتلا قرار فض المجلس لانتهاء مدته ٠ ولكن أعضاء المجلس رفضوا ذلك مصرين على مناقشة المسائل المالية ٠٠ وقال النائب محمد راضى انه مضت ثلاثة شهور دون أن ترد هذه المسائل الى المجلس ـ فلا يمكن فى هذه الحالة القول بأن مدة المجلس انتهت ٠ وقال النائب باخوم لطف الله : « ان توجهنا الى البلاد بهذه الكيفية ربما يحصل منه زعزعة للأهالى بناء على الوعد السابق حصوله من حضرات النظار بسبب التشكى الذى

حصـل من الأهالى - وقيل لهم بأن نوابكم موجودون للنظر فى راحتكم »٠

وكانت فوائد دين ١٨٦٤ تستحق فى أول ابريل ١٨٧٩ ، ولم يكن فى الخزانة ما يكفى لدفعها ٠ فأعد وزير المالية السير ريفرس ويلسون مرسوما كان أحد بنوده تأجيل السداد ٠ ولكن اسماعيل رفض التوقيع عليه ، ذلك أن معنى هذا الاجراء هو اشهار افلاس مصر ، الامر الذى كان الخديو يكافح طوال عهده لتفاديه ٠

وفى ٢٩ مارس ١٨٧٩ قدم النواب عريضة الى الخديو اعترضوا فيها على مسلك الوزارة فى امتهانها حقوق المجلس ، واحتجوا على المشروع المالى الذى أعدته وكانت فى سبيل اصداره ، يعلن فيه أن الحكومة المصرية فى حالة افلاس ٠ وطلبوا من الخديو أن يتدارك الموقف ٠

● تحالف ضد الأجنبى

وهكذا نشأ التحالف بين الخديو والنواب المصريين فى مواجهة القوى الأجنبية ٠ ومن الواضح أن الحاكم الآن ليس كما كان يوم أن تولى الحكم ٠ ان زمام الأمور الآن أصبح فى يد مجلس النواب ، وأصبحت لديه قدرة أكبر على توجيه الحياة السياسية فى البلاد ٠

وتردد صدى المواجهة بين الوزارة والمجلس بين صفوف الشعب ، فأخذ صفوة المجتمع وأصحاب الرأى يجتمعون ويتشاورون لانقاذ البلاد ٠

واجتمع الأحرار فى دار السيد على البكرى نقيب الأشراف ثم فى منزل اسماعيل راغب باشا وزير المالية السابق ورئيس مجلس شورى النواب فى أول نشأته ، وعقدوا بداره « جمعية وطنية » تضم صفوة كبراء البلاد وأصحاب الرأى فيها ، واتفقوا على وضع بيان بما استقر عليه رأيهم ، ويتضمن مشروع تسوية مالية يعارضون بهمشروع ريفرس ويلسون ويجعل البلاد قادرة بضمانتهم وكفالتهم على وفاء ديونها ، والمطالبة بتأليف وزارة وطنية مستقلة ، واقصاء الوزيرين الاوربيين عنها ، وتقرير نظام دستورى للبلاد قوامه جعل الوزارة مسئولة أمام مجلس النواب » ٠

وقالت « الجمعية الوطنية » فى بيانها المؤرخ ٢ ابريل ١٨٧٩ والذى سمى « اللائحة الوطنية » انها تقدم مشروعاتها حفاظا لحقوق الامة داخلا وخارجا ، وانه لم يتم تحريره ، الا بعد حصول علم اليقين لدينا بأن ايرادات مصر هى كافية لسداد الديون المطلوبة من الحكومة حسبما هو موضح بالمشروع المذكور » ثم ختمت بالتعهد التالى :

« فلأجل ذلك نحن عن انفسنا ونيابة عن ابناء وطننا صممنا جزما على بذل كل مجهودنا فى تادية ديون الحكومة وبذل كافة ما وسعنا وطاقتنا فى اجراء ذلك ٠ وبذا صار ختم هذا اعلانا بتصديق ذلك ٠ وباننا متحدون اتحادا تاما قولا وفعلا فى الاجراء » ٠

كان يا ما كان

وفى شأن سلطات المجلس والحكم من خلال مجلس للوزراء يكون مسئولا أمام البرلمان قالت « اللائحة الوطنية » : « قد تحرر هذا المشروع ببيان مفصلات ما هو مقتضى اجراؤه فى تسوية ايرادات الحكومة وتسوية تسديدات ديونها ومصاريفها على وجه ما توضح . بحيث أن الحضرة الخديوية تمنح شورى النواب الحرية التامة وجميع الحقوق فى كافة الامور المالية والداخلية .. ويكون مجلس النظار مفوضا تفويضا تاما فى جميع اجراءاته ومسئولا أمام مجلس النواب فى جميع اجراءاته المختصة بالداخلية والمالية ... »

ووقع على البيان ستون من أعضاء مجلس شورى النواب ، وستون من العلماء والهيئات الدينية وفى مقدمتهم شيخ الاسلام وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود و٤٢ من الاعيان والتجار و ٧٢ من الموظفين و ٩٣ من الضباط .

ووافق الخديو على « اللائحة الوطنية » ، وأرسلها الى قناصل الدول وأعلن عزمه على تأليف وزارة وطنية ليس فيها أعضاء أوربيون وتكون مسئولة أمام مجلس النواب ينتخب على نظام جديد .

واحتج الوزيران الأوربيان على « اللائحة الوطنية » وعلى قبول الخديو لها ولكن الخديو عهد الى شريف باشا بتأليف الوزارة الجديدة .

وابتهج الناس لقبول الخديو



الخديوى توفيق

« اللائحة الوطنية » وتأليف الوزارة الجديدة ، واجتمع يوم الثلاثاء ٨ أبريل بدار السيد البكرى جمع كبير من علماء الديار المصرية والاعيان والتجار وتوجهوا الى سراى عابدين لتقديم واجب الشكر للخديو ، فاستقبل أولا العلماء ومعهم بطريرك الاقباط كيرلس الخامس ، وتلقاهم بالرعاية والاكرام ، وحثهم على التضافر والتعاون . وألقى السيد البكرى خطبة وأقيمت الحفلات والأفراح ابتهاجا بالعهد الجديد ، وأقام السيد البكرى فى داره مأدبة كبرى يوم الاربعاء ١٩ ابريل ١٨٧٩ حضرها الكبراء والعلماء وفيهم بطريرك الاقباط وممثلو طبقات الأمة ووجوه البلد وأعيانه . واشترك

فيهـا الخديو اسماعيل اذ حضرها ليلا . واقام الكبراء والتجار الزينات امام منازلهم (٢) .

وكان من أول أعمال وزارة شريف باشا اقرارها استمرار انعقاد مجلس شورى النواب . وقدمت الوزارة للمجلس مشروع الدستور ولائحة الانتخاب وذلك طبقا لما تضمنته « اللائحة الوطنية » . وشكل المجلس لجنة لدراسة مشروع الدستور .

● من اجل سداد ديون مصر ●

ونستطيع أن نضع أيدينا هنا على نقطة البداية فى تاريخ الحركة الدستورية المصرية ، التى اذا كان قد اتيح لها ان تتطور من خلال تفاعل القوى المحلية ، ودون اجهاض من الخارج ، لصار لمصر نظام دستورى راسخ الأركان :

نعم ان المجموعة التى قادت المواجهة مع القوى المالية والسياسية الأوربية كانت تعمل لتأكيد مصالحها الطبقية كملاك للأراضى ـ ومن هنا اعتراضهم على الغاء قانون المقابلة وزيادة الضرائب على الملكيات الكبيرة . ولكن الحركات الدستورية الكبرى كانت لها بداية مماثلة : فالماجناكارتا الانجليزية عام ١٢١٥ ومجلس الطبقات الفرنسى عام ١٣٠٢ لم يكونا الا للدفاع عن حقوق الطبقات العليا ـ وتواصل الكفاح والتطور هناك لتحصل طبقات وشرائح جديدة على حقوقها الدستورية (٣) .

ثم ان هذه الطبقة التزمت بسداد ديون مصر من أموالها كما وضح ذلك من الوثيقة التى أورد الرافعى نصها على النحو السالف ذكره . وهذا الموقف بالذات كان سيفرض عليها قرارات كبيرة . ولقد اضطر الخديو الى التنازل عن أمواله وسلطاته من أجل سداد الديون . ولابد أن قرارات مماثلة كانت تنتظر النواب ومن يمثلونهم لتحقيق الخلاص الوطنى لو مضى الى مداه الطبيعى . ولابد انها كانت ستحقق برنامجا شاملا للتنمية تحشد فيه كل الامكانيات المادية والبشرية المصرية ، وهو ما كان يوجهها اليه رفاعة الطهطاوى العظيم فى كتابه الذى كتبه لهذا الغرض .

ومن ناحية أخرى فان المواجهة الحادة بينها وبين القوى الأوربية كانت قائمة ومن هنا فالضرورة كانت ستفرض عليها ابقاء التناسق والامتزاج بين المصلحة والوطنية ، فتكون الثانية عامل هداية وترشيد للأولى .

وليس من شك فى أن القوى الأوربية كانت مدركة لذلك كله ـ وهى تعلم من

---

(٢) هذا كله نقلا عن عبد الرحمن الرافعى«عصر اسماعيل » ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨ ، ص ١٨٠ وما بعدها

(٣) لويس عوض، تاريخ الفكر الحديث فى عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ الى الجزء الثانى ، ص ٢٢ وما بعدها

كان يا ما كان

واقع تاريخها الدستوري ـ كما ذكرنا ـ أن مسار التطور واضح • وأن نجاح الحركة الدستورية يعني في نفس الوقت زوال النفوذ الأجنبي في مصر •

نعم ـ ان الخديو كان يعمل لصلحته وهو يعرض النواب ومختلف القوى المصرية على أن تقف في مواجهة الأجانب (٤) • فلقد كان محاصرا بين الدولة العثمانية التي يجهد الخديو لتحقيق الاستقلال عنها ، بين القوى الاوربية التي ترغمه على التنازل عن كل شيء فلم يعد له من سند الا الشعب المصري • ولقد ارغم مرة على التنازل عن أملاكه وسلطاته لصالح الأجانب فاصبح الآن وهو يتنازل مرة ثانية عن سلطاته الى المؤسسة المصرية مجرد رمز • ومن الحتمي أن المصلحة الطبقية والنضال الوطني كانا سيلتقيانه حيث انتهى اليه وضعه • وما كان من الممكن قط أن يعود لممارسة الحكم المطلق • بل نظام الملكية الدستورية كان يتخلق جنبنا في الواقع المصري •

ثم ان المارد الكبير ـ جماهير المثقفين والموظفين والفلاحين والعمال، أخذت تظهر على الساحة تطالب بالاعتراف بوجودها في الحياة الدستورية ، مستعدة للمشاركة في الكفاح الوطني • ففي هذا الوقت قد ، الشبان المصريون ، عريضة للخديو يطالبون فيها بتوسيع قاعدة الناخبين فلا يكون هؤلاء وحسب هم عمد البلاد ومشايخها في المديريات وجماعة الاعيان في القاهرة والاسكندرية ودمياط ـ كما هو الشان في مجلس شورى النواب ، بل يكون المبدأ الاساسي هو الاقتراع العام ، لانه الوحيد المنطقي العادل ، (٥)

ثم ان الطهطاوي بدأ يرسي في ، المناهج ، الاسس العلمية لنظرة اجتماعية عادلة شاملة ، اذ كان يدعو الى مواصلة بذل الجهد باعتبار ان العمل هو منبع السعادة الاولى •

كان الرجل يحشد المجتمع لمواجهة الكارثة الاقتصادية المقبلة والتي بدأت نذرها تظهر ـ فقد كان يكتب هذا الكلام قبل عام ١٨٦٩ • انه يدعو الملاك الى الاهتمام بالمشروعات الزراعية والتجارية والصناعية • ويحذرهم من التمادي في الحرص على مصالحهم الطبقية وتجاهل مطالب العدل والعلم الاجتماعي، وهو يريد ايضا أن يحقق العدل للكادحين الذين ليس لهم مصدر الدخل سوى عملهم وفي نفس الوقت يحفزهم على العمل والكد ومزاولة الخدمة •

وهكذا ـ ومن خلال التفاعل بين

---

(٤) الكسندر شولسن ، مصر للمصريين ـ أزمة مصر الأجتماعية والسياسية ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢ ، ترجمة رؤوف عباس حامد ، ص ١١٤ وما بعدها .

(٥) انور عبد الملك ، نهضة مصر ، ص ٢٩٥

مكونات الجماعة المصرية ـ كانت ستتكون الجبهة الداخلية الموحدة التى تواجه صفا واحدا العدو المشترك ، ولكن القوى الاوربية لم تقف ساكنة ازاء هذا الموقف المصرى غير المسبوق . وتتابعت مناوراتها وضرباتها :

فأولا ـ وجهت كل جهدها ضد من أصبح رمزا لهذا الموقف الوطنى : لقد كانت الخطيئة العظمى لاسماعيل فى نظرها أنه ـ تحت وطأة الحصار الذى احاط به ـ استطاع أن يحرك كتلة المحكومين وممثليهم لتقف موقفا صلدا أمام المشروع الاستعمارى ، ولتبطل مفعول القوة الضاربة لهذا المشروع بتهديدها بسداد الديون .

ولهذا كان لابد من التخلص منه وذلك لاجهاض هذا المشروع الشعبى المضاد الوطنى الذى لم تعرفه مصر من قبل حتى أيام محمد على الذى كان ينفذ مشروعه دون مشاركة شعبية حرة وواعية . وهكذا أخذت تضع العراقيل أمام الوزارة الجديدة ، وبذلت جهودها لدى السلطان العثمانى فأصدر فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ « ارادة » بخلع اسماعيل ويبدو أن السلطان خشى لو نجحت الحركة الدستورية المصرية أن ينتقل تأثيرها الى الدولة العثمانية نفسها .

وهكذا جاء هذا الاجراء ضد اسماعيل ليكون أيضا ـ درسا لمن يأتى بعده .

وقد استفاد الخائن توفيق من الدرس

ثانيا ـ ولكن هذه الضربة الموجهة الى الحاكم الذى فرضت عليه الظروف أن يحكم بالدستور ـ لا تكفى . فالقوة الحقيقية التى استطاع اسماعيل بمناوراته تكوينها وصارت مصدر تدعيم له هى التأييد الشعبى بقيادة طبقة الملاك الكبار وممثليهم .

ولذلك كان لابد كسر هذه القوة الشعبية لاحداث الانقسام فى طبقة الملاك . وحين جاءت اللحظة الحاسمة للاختيار فاما المصلحة أو الوطنية ، وضح ، من خلال تتابع أحداث الثورة العرابية ، أن من بين من وقفوا عام ١٨٧٩ ضد التغلغل الاوربى فى الحكومة ستظهر عام ١٨٨٢ شريحة تناصر الخيانة والاحتلال .

ليبدأ المصريون مرحلة جديدة من الكفاح الوطنى الدستورى والاجتماعى وصار على القوى المصرية المخلصة ـ ليس وحسب أن تسدد ديون مصر ، بالاضافة الى ذلك ـ ان تزيح الاحتلال العسكرى ومؤيديه .

لتبدأ مصر بعد ذلك مشروعها الوطنى الاجتماعى القومى ، ثم تواصل تحقيقه فى مراحل متعاقبة ومستمرة

ويبقى الدرس المستفاد ، هو نفسه نقطة البداية فى التجربة المصرية : ان طريق النجاة لبلادنا هو فى الاقتناع بأن المصلحة الخاصة لكل فئة ولكل فرد المصلحة الحقيقية والمشروعة والدائمة تتحقق بقدر ارتباط هذه المصلحة بالكفاح الوطنى الاجتماعى وبالحركة الدستورية .

من يتناسى لغته مصيره الزوال!

بقلم: عبد الرحمن شاكر


مصطفى فهمى


سعد زغلول

في مقالي للهلال عدد يناير الماضى . ناقشت "النظرية" التى صاغتها الكاتبة الأمريكية كلوديا رايث . عن وراثة الولايات المتحدة الأمريكية . للوضع الامبراطورى للدولة العثمانية فى المنطقة العربية أو مايسمى "بلغتهم" الشرق الأوسط : متخطية بذلك الامبراطوريتين المؤقتتين فى المنطقة ـ البريطانية أساسا ثم الفرنسية . ومستخدمة الدولة الصهيونية الحديثة التكوين باعتبارها "الانكشارية" الجديدة التى تعتمد عليها فى الحفاظ على سلطانها فى المنطقة .

ولقد كان من "مساخر" الحركة الوطنية في مصر ، في اواسط الاربعينات من هذا القرن ، والحركات الوطنية ـ مثل كل نشاط إنساني ـ قد تكون لها مساخرها ، إلى جانب جوانبها الجادة الايجابية .. اقول كان من بين تلك المساخر ، ان ابدى الطلبة ، على سبيل الاحتجاج واظهار البغضاء للاحتلال الانجليزي ، رغبتهم في الكف عن تلقي دروس اللغة الانجليزية ، وقرروا في بعض مظاهراتهم ان يجمعوا كتب اللغة الانجليزية ويحرقوها تعبيرا عن هذا الاحتجاج والسخط .. وربما اقدم بعضهم على تنفيذ ذلك القصد ، ولكن الغالبية منهم ـ على ماأذكر ـ احجمت عن تلك الفعلة ، حينما جاءتهم "فتوى" ، من احد زعماء المظاهرات المتدينين في الجامعة في ذلك الحين ، بانه ليس علينا ـ نحن جموع الطلبة في ذلك الحين أيضا ـ ان نحرق الكتب الانجليزية ، وإنما نكتفي بإعلان اننا لانتعلم الانجليزية ، وإنما نتعلم الامريكية "

كان ذلك في وقت لم يكن ينظر فيه إلى الولايات المتحدة الامريكية كقوة استعمارية مثلها مثل بريطانيا العظمى او فرنسا ، بل اكثر من ذلك كانت تعتبر عند بعض الساسة قوة عاملة على تحرير شعوب المستعمرات ، ولم يكن التاريخ قد كشف بعد عن نواياها في العمل على تقويض الامبراطوريات التقليدية لحسابها الخاص ، على نحو مافعلت في منطقتنا ، بدعمها للدولة الصهيونية حتى تصبح هي القوة العسكرية المهيمنة لحسابها ، اي لحساب الامبراطورية الامريكية في المنطقة ، والوريث الدائم للوضع العثماني التقليدي فيها .

***

ويبدو ان الامبراطوريات لاتحتاج إلى قوة عسكرية فحسب ، لتبقى ، وتحكم ، وإنما تحتاج في ذلك ايضا ، إلى لغة ، رسمية أو شبه رسمية ، المهم ان تكون غالبة مسيطرة لكي تستطيع الاستمرار في إدارة شئون الحكم في الممتلكات والبلدان التابعة

فإذا عدنا إلى المقارنة مع الدولة العثمانية ، فلقد كانت اللغة التركية ، هي التي تصدر بها الفرمانات الهمايونية ، اي السلطانية ، وكانت هي لغة الدواوين ، والصحف الرسمية ، مثل الوقائع المصرية مثلا حينما انشئت في عهد محمد علي ، إذ كانت تصدر باللغة التركية إلى جوار اللغة العربية ، كان ذلك الوضع قائما ، بالرغم من كون « المتروبوليتان الامبراطوري » اي قاعدة الامبراطورية وهي تركيا ، قد اعتنقت الاسلام ، وباسمه حكمت المنطقة ، حتى اتخذ السلاطين العثمانيون لقب الخلفاء . ومن طبيعة الأمور أو من طبيعة الاسلام ، أن تدخل معه العربية ، لغة القرآن الكريم ، ولغة العبادة ، ثم لغة الثقافة المتفرعة عن علوم الدين ، والتي كان من شأنها ، ان تغزو اللغات الاصلية للشعوب غير العربية التي اعتنقت الاسلام ، فدخلت كثير من الفاظ العربية .. اللغات التركية والفارسية والهندية ، واصبحت تلك اللغات تكتب بالحروف العربية ، ومازالت تكتب بها الفارسية حتى الآن ، وتوقف الاتراك عن الكتابة بتلك الحروف بعد انقلاب اتاتورك على الخلافة ، واقتصرت الكتابة بها في لغة الهنود ، على الاردية لغة المسلمين في باكستان وبنجلاديش .

وقد اقترن مصرع الامبراطورية العثمانية في المنطقة العربية ، بمحاولات القوميين الأتراك الجدد ، في اواخر عهد الدولة ، فرض التتريك على المنطقة العربية ، وخاصة في ربوع الشام ، بمعنى الاقتصار على استخدام اللغة التركية في الدواوين ودور العلم ، واستبعاد العربية ، وعلق شهداء الدفاع عن العربية في مشانق جمال باشا السفاح ، بمن فيهم بعض

من يتناسى لغته مصيره الزوال!

البارزين من نصارى الشام العرب ، وكانت مصر بمناى عن تلك التجربة الاليمة ، لانه كان لها مع الاستعمار البريطانى فى مصر قصة اخرى :

***

اما الامبراطورية الأمريكية ، فلم تكن لها مع اللغة المسيطرة مشكلة بالمرة ، فمن "حسن طالعها" ، وهى الوريث الأكبر للامبراطورية البريطانية الغاربة ، انها كانت كبرى بنات تلك الامبراطورية ، وهى التى مهدت لها الطريق فى المنطقة العربية بسيطرتها عليها قبلها ، وفرض سطوة اللغة الانجليزية ، التى تنطق بها الأمتان او الامبراطوريتان على الاصح ! وربما كان الاستثناء الوحيد هو المنافسة من جانب اللغة الفرنسية فى بعض اجزاء المنطقة العربية ، ولكنه وضع صائر إلى زوال ، ولايحول دون انتشار واستكمال سطوة اللغة الانجليزية ، باعتبارها لغة التعامل الدولى ، ولغة التحصيل العلمى والتكنولوجى ، والاتصال بالثقافة العالمية .. الخ

ولا باس ايضا من العودة إلى بعض "الذكريات" فى هذا الصدد : من ذلك اذكر انه فى اعقاب ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ مباشرة ، انتشرت فى مصر حمى التعريب ، فى شكل إزالة اللافتات المكتوبة بلغة غير العربية ، من الشوارع والميادين ، واسماء المؤسسات والمحلات التجارية .. الخ وكان ذلك بقرار سياسى من مجلس قيادة الثورة .. وعليك ان تقارن الآن لتعرف مقدار التراجع !

اما عن التعليم ، فاول صفة وطنية اكتسبها المغفور له سعد زغلول باشا ، او اول بطولة وطنية له على الاصح ، كانت يوم استطاع فى ذروة سيطرة الاحتلال البريطانى على مصر ، حينما كان وزيرا للمعارف العمومية ، فى وزارة مصطفى فهمى باشا فى اوائل هذا القرن ، ان يفرض ان يكون التعليم كله فى المدارس الاميرية باللغة العربية ، باستثناء دروس اللغتين الأجنبيتين بالطبع ، وهما الانجليزية والفرنسية ، بعد ان كانت جميع المواد تدرس - باستثناء دروس اللغة العربية - باللغة الانجليزية !

وعليك ان تقارن الآن ، وبعد الثورة ايضا ، وبعد إقرار مجانية التعليم ، وجعله كالماء والهواء - على حد تعبير المرحوم الدكتور طه حسين - والتوسع فى إنشاء المدارس .. واكثر من ذلك ، بعد اتهام جمال عبد الناصر ، بانه كان يسعى إلى إنشاء امبراطورية عربية قاعدتها مصر ! عليك ان تقارن وضع اللغة العربية إلى جانب اللغة الانجليزية فى دور العلم ، المدارس الاميرية باقية على حالها ، تعلم بالعربية ، ولكن الاولاد لايتعلمون فيها شيئا او لايكادون يتعلمون ، لابالعربية ولابسواها ، المستوى الافضل ، المختار ، عند "اولاد الناس" هى مدارس اللغات .. الانجليزية اساسا ، واكثر من ذلك لقد اصبح لدينا الآن دور حضانة لغات ، تحرص على ان يكون تعليم الأولاد البدائى جدا فيها ، ولا اقول الابتدائى ، باللهجة الأمريكية على وجه الخصوص ..

بسم الله ماشاء الله !!

ثم نتحدث بعد ذلك عن الوطنية واستقلال الارادة .. الخ !

***

لقد افاض كثير من الادباء والكتاب فى موضوع إهمال اللغة العربية والاستخفاف بها ، على جميع المستويات الرسمية والاعلامية والثقافية والتعليمية ، بما لا احتاج إلى الاضافة إليه ، وقد لا استطيع

ان ابلغ مبلغهم لو حاولت .. هذا بالرغم من كوننا نجحنا ـ اسم الله علينا مرة اخرى ـ فى فرض ان تكون العربية إحدى اللغات الرسمية فى الامم المتحدة !

ولكنى ابادر إلى ذكر ان هناك حمى جديدة تجتاح اقطارنا العربية الآن ، ربما يكون بعضها بحسن نيه ، اسمها حمى التراث الشعبى والفولكلور ، قد لاتزعج احدا على المستوى المحلى ، وليست جديرة بأن تزعجه ، ولكن النظر إليها على الصعيد القومى يبدو مخيفا اشد التخويف ، حينما نرى صحفا ومجلات خاصة تصدر احداها فى الخليج ، والاخرى فى المغرب ، وهلم جرا ، وكل واحدة منها تحرص على ان تكون وعاء لما يسمى بالتراث الشعبى فى منطقة عربية بذاتها ، او تصورها على انها هى الثقافة الحقيقية لتلك المنطقة ، دون سائر اتصالها من خلال الفصحى بالثقافة العربية فى مجموعها .
وتعجب اشد العجب ، حينما تسمع عن شاعر مثقف ، اى تعلم فى المدارس ويعرف الفصحى ربما أكثر منى ومنك ، ويكتب لنا شعره بالعامية ـ وهذا من حقه بالطبع ـ ولكن لا احسبه صادقا فى دعواه بعد ذلك انه من دعاة الوحدة العربية !!

ايها الناس ، على طريقة الخطباء ، لن تبقى لنا عروبة ولاوحدة ولايحزنون لوضاعت اللغة العربية ، بمعنى الفصحى ، بمعنى لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وملايين الكتب العربية فى كل علم وفن ، بما فى ذلك ترجمة الآداب العالمية ، واربعة عشر قرنا من التراث الثقافى تحسدنا عليه الأمم ، وتضحك منا فى اكمامها ونحن نتفنن فى الزراية عليه وتضييعه ، عن طريق التراخى فى تعليم اولادنا العربية ، وبالعربية ، حتى يسيطروا عليه ويشعروا بالشخصية التاريخية لأمتهم .

بالطبع لم ادع احدا يتعامل او يتعلم او يعلم اولاده بالانجليزية ، إلى طرح ذلك ، وانا نفسى لا استطيع ، ولكننى ادعو فحسب إلى إعطاء العربية حقها بأعتبارها لغة قومية ، أما الانجليزية فهى لغة قوم لو عرفناها فقد نامن شرهم كما كان يقال فى الماضى ، ولكن ليس إلى حد ان نجلب على انفسنا شر نسيان لغتنا ..
ثم اعود إلى قصة الامبراطورية ، وإنكشاريتها الجديدة :
الامبراطورية الأمريكية مستريحة تماما إلى سيطرة الانجليزية ، وتخريب الثقافة العربية ، على النحو الذى اعترف باننى كنت شديد العجلة فى تفصيله ، والانكشارية الجديدة العاملة فى خدمة الامبراطورية لاتقل عنا فى قدرتها ـ بل تزيد بالطبع ـ على استخدام اللغة الانجليزية عند الضرورة .
ولكن اللغة الميتة التى بعثتها الدولة الصهيونية من مرقدها ، واعنى بها اللغة العبرية ، تلقى احتراما داخل تلك الدولة ، لاتلاقيه العربية فى سائر بلادنا ، حيث يتعين على جميع اليهود ، وربما غير اليهود من سكان تلك الدولة ، ان يتعلموها ويتقنوها حتى يستطيعوا العيش داخلها .
على ان العربية تمثل سلاحا ماضيا فى ايدينا لو احسنا استخدامه فى الصراع التاريخى حول السيطرة على المنطقة ، وتحضرنى فى ذلك الكلمة التى حررها الزميل الأستاذ محمود قاسم فى عدد ديسمبر من العام الماضى ، على صفحات الهلال فى باب "العالم فى سطور" ، بعنوان "ايها العرب اتحدوا" ! لخص فيها قصة كاتب يهودى مغربى الأصل يعيش فى اسرائيل ، اصدر كتابا يصف فيه نفسه بانه عربى فى الدرجة الاولى ، وأن المواجهة الحقيقية تجمع بينه وبين سائر العرب ، هو وكافة اليهود والشرقيين ـ إزاء اليهود الأشكناز القادمين من اوربا ، ويشعرون

من يتناسى لغته مصيره الزوال!

بانهم من جنس ارقى من سائر سكان المنطقة الأصليين . بما فى ذلك السفارديم . اى اليهود الشرقيين !

هل كان لهذه الصورة ان تقوم لها قائمة لو لم يكن ذلك اليهودى المغربى فى اسرائيل . يشاركنا نحن العرب ذات اللغة التى نتكلمها وهى العربية ؟!

هل العروبة بهذا المعنى تعنى شيئا اكثر من التحدث بذات اللغة ؟ إننا نذكر اللغة العربية . باعتبارها واحدا من عناصر القومية العربية . وهى توشك ان تكون جماع تلك العناصر وخلاصتها .

وبدهى ان إعطاء اللهجات العامية فضلا عن اللغات الاجنبية . فوق ماتستحق من قدرها إزاء اللهجة الفصحى . الجامعة لنا فى كل مكان يوصف بانه عربى . معناه اهدار المقوم الرئيسى لوجودنا كامة تواجه مخاطر العدوان من كل جانب . وتفتيت الارادة العربية هو سلاح رئيسى لهذا العدوان .

قد يصح القول او لايصح بان من تعلم لغة قوم امن شرهم . ولكن من المؤكد ان من ينس او يتناسى لغة قومه إنما يرشحهد للزوال ..

ونحن اولى الجميع بان نعتبر !

البادى أظلم

دخل « شريك بن الاعور » على معاوية فى خلافته . وكان « شريك » دميما قبيح الوجه ، فقال له معاوية:

ـ انك دميم ، والجميل خير من الدميم . وانك شريك ، ومالله من شريك ، وان اباك الاعور ، والصحيح خير من الاعور . فكيف سدت قومك؟ فقال له « شريك » :

ـ وانك معاوية ، ومامعاوية (الاكلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وانك ابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وانك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب . وانك ابن امية ، وما امية الا امة فصغرت ، فكيف صرت اميرا للمؤمنين ؟

فقال معاوية : « حسبك ياشريك . واحدة بواحدة والبادى اظلم ! ..

"شقة للإيجار"

● علق أحد أصحاب المنازل على بيته لافتة كتب عليها "هنا مسكن للايجار ، ولكنه لا يؤجر الا لشخص واحد عزب ، او لزوجين ليس لهما اطفال" . وبعد قليل جاء الى صاحب المنزل صبى فى الخامسة من عمره ، وقال له بعد أن حياه : "أريد أن استأجر هذا المسكن الخالى ، وليس عندى اولاد ، فانا عزب وأسرتى تتألف منى ومن شخصين كبيرين هما والداى !" ثم هرع نحو الباب واشار الى والديه بالدخول وقدمهما لصاحب البيت ، فلم يسعه الا ان يؤجر لهم المسكن !

اللحوم والورق

● مرت على مدينة لندن خلال الحرب العالمية الثانية فترة من الزمن عانت فيها ازمة شديدة فى كل انواع الورق ، وكانت اكثر متاجر اللحوم هناك تضع على واجهاتها لافتات كتب عليها : "نرجو من حضرات الزبائن احضار أوراق للف مشتراوتهم" . وقد انعكست الآية بعد الحرب فقلت اللحوم فى العاصمة البريطانية الى درجة كبيرة تبعا لقلة الوارد منها فى حين زالت ازمة الورق . فأعلن احد الجزارين الظرفاء لافتة على متجره كتب عليها : "لدينا الآن مقادير وفيرة من اوراق اللف ، نرجو من حضرات الزبائن ان يحضروا معهم اللحوم !"

كـــذب

● تقضى التقاليد عند بعض الطوائف الهندية بتحريم الكذب الا فى حالتين إطراء المرأة ، أو إنقاذ حياة !

الخطر بعيد

● نزل احد الصيادين الاجانب ضيفا ذات ليلة على احد زنوج اواسط افريقيا . فلما اصبح سأل مضيفه : "هل من خوف على امتعتى اذا تركتها فى فناء الكوخ ؟" فأجابه :

ـ اطمئن تماما على كل ما تتركه هنا ، فبيننا وبين اقرب رجل ابيض مالا يقل عن مائة ميل !

فتنة للظنون

● دعى قروى من الاثرياء هو وزوجته الى حفل زفاف بالمدينة . واتفق ان جلس فى الحفلة بين زوجته وسيدة من حسان المدينة الفاتنات .. فلاحظت زوجته أنه يختلس النظر الى جارته فى اعجاب شديد ، ولكنه لايجرؤ على التحدث اليها . وكظمت الزوجة الريفية غيظها منه ، ثم همست فى اذنه قائلة :

ـ تكلم معها ولو كلمة واحدة .. والا ظنوها زوجتك !

الجريمة

فى أدب عبد الرحمن الشرقاوى

بقلم : عبد المنعم الجداوى

•• سوف تبقى رواية ((الارض)) التى كتبها عبدالرحمن الشرقاوى فى مرحلة فتوته الادبية . تحتوى احشاؤها على جرائم عديدة . شغله عنها حين كتابتها ، الهدف الذى كان يسعى اليه محاولا ابرازه ، والتركيز عليه . متجاوزا فى الوصول اليه . كل ما يعترض طريقه .. فقد سيطر عليه ، واضاء جوانحه . يلقى بنفسه على ما حوله ، ينتقل منه الى اشخاص روايته وابطالها ، يكشف عن خفايا ودقائق حياتهم ، ويضعهم امام حقائق تعز عن مفاهيمهم ، وتجل عن ادراكهم .. فقد كان القلم فى يده قويا حادا كالفاس فى يد الفلاح .. يدفعه فى الارض فيقلب عاليها سافلها . يكشف عن الاعماق الطيبة التى غطاها التراب ، وعفت عليها الشوائب ، واقدام الادميين ، والحيوانات . فيتعرض بطن الارض للشمس والهواء .. ويتهيأ لاستقبال البذور القليلة ، ليعيدها خيرا كثيرا . وقلم الشرقاوى ازداد بعد ذلك قدرة ، واقتدارا ، ولكنه اصبح كالمبضع فى يد الجراح .. وشتان بين الفاس ، والمبضع ..!

• جريمة قتل « خضرة » فى الأرض سوف تظل بلا مجرم الى الأبد .. !

ومن هذه المساحه ، وهذا الفـــرق ، جاءت الجريمه في روايه « الارض » على مستويين . المستوى العام ، وهي الجريمه العامه التي يرتكبها الذين لهم قـدره فاعلة تربط بينهم مصالح مشتركه . ضد جماعة مستضعفه . بحكم وضـــعها الاقتصادي والاجتماعي . ضيقة الرزق ، والعقل ، والفهم ، وهي جريمه لهـــا صفة الاستمرار . لا زمان لها ولا مكان .. فكما شهدها « الشرقاوي » في قريته في الثلاثينات . شهدناها جميعا ..وشاهدها الاجداد ، والاباء ، وقد يشهدها الاحفاد، طالما في الوجود فئة لا تعـرف سـوى العمل في الارض ، واخرى تتفنن في استغلال ما عليها من آدميين، ودواب..!

و « محمود بك » ابن الجه هانم . مجرم يمارس من خلال وجوده، وضحاياه هم أهل القرية جميعا ، بلا تمييز ، وجريمته مدعومة بمعاونة الحكومة التى جاءت عقب انتخابات زيفـت بمختلف الطرق ، واكره الناس فيها على انتخاب حزب الشعب ، والعمدة مجـرم محـترف الاجرام . أدمن طاعة الحكومة ، والانصياع للسلطة ، وتنفيذ أوامر من يشغلون المناصب العليا ، وهي بالضرورة ضد الذين يعملون في الارض ، وادمانه هذا جعله يمضي المدة بكره الفلاحين ، وكرهه الفلاحون ، وحرض الخفراء لانهم أدواته على كراهية الفلاحين . لكن بعضهم عجز عن كراهية الفلاحين لانهم اهله ، اخواله ، واعمامه .. فكره نفسـه ، وعاش في صراع ..!

• جريمة مقاومة يقتلها مظاليم •

ويسوق « الشرقاوي » الجريمة الكبرى ضد الفلاحين ، وبعين المجـرمين الذين قاموا بارتكابها ، ويدمغهم طوال الرواية،

• القرية كلها اشتركت في قتل « خضرة » شريفة ومسكينة ..!!



عبد الرحمن الشرقاوي

الجريمة

في أدب عبد الرحمن الشرقاوي

ويشير اليهم ، لكن لا يلقى القبض عليهم. لانهم يمارسون الجريمة بشكل قانوني رخيص . فالعمدة يستخدم المدرس الالزامي « محمد افندي » ، والشيخ « الشناوي » فى جمع الاختام من الفلاحين . يوقع بها على شكوى يوهمهم « محمود بك » انها لتنظيم ايام الرى فى الترعة ، وهى فى الحقيقة موافقة منهم على مد الزراعية التى ستربط قصر الباشا بالطريق السريع ، وتاخذ من اراضيهم ماتأخذ .. رغم انها تتلوى كالثعبان حتى لا تمس ارض العمدة أو بقية الحكام .. ! وتتداخل جريمة جمع الاختام ، استغلال جهل الفلاحين ، وتتصاعد مع كل صفحة من الرواية ..

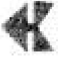
وعلى المستوى الشخصي تجىء جريمة قتل تذهب ضحيتها « خضرة » تلك المرأة التى وجدت ذات صباح ، ووجهها مدفون فى طين الترعة .. ولم تدهش القرية . لم يحزن أحد . لم تذرف دمعة عليها من عين .. لم تصب القرية برجفة .. ولا حتى احست بالذنب .. الكل يقول ماتت خضرة .. وجدت مقتولة ، ووجهها فى الطين .. وقال العمدة لابد ان النوبات التى كانت تفاجئها فاجأتها وهى تغسل وجهها من الترعة .. فسقطت وانغرس وجهها فى الطين فماتت ..! هكذا سقطت « خضرة » من وجود القرية ، وهى التى كانت تملأ حواريها ، وأزقتها بوجودها . فهى ترقص فى الافراح دون دعوة ، وتبكى فى الجنازات بكاء حارا . كانها تبكى على حياتها .. فهى نبات شيطاني . كل ماكان لها فى القرية من أهل هى خالة . تركتها فى العاشرة ، واختفت من القرية على أثر فضيحة .. وعاشت الفتاة تعمل في الحقول اياما ، وفى البيوت اياما أخرى .. ولكن بين البيوت والحقول كبرت ، واستدار جسدها ، ولم يمهلها المراهقون ، والرجال ، والشيوخ أيضا . حتى تكتمل. فاقتنصها منهم من استطاع اقتناصها ، وحملوها هى كل الوزر فهم يطردونها من بيوتهم ، ومن الكلام مع بناتهم ، ونسائهم ، ولكن الحريم لا يشبعن من كلامها وهزلها ، يقلن عنها انها بنت حظ ، « وضاربة الدنيا صرمة » .. مع أن الدنيا هى التى تضربها كل لحظة ألف « صرمة » .. !!

والآن « خضرة » في الرواية جريمة الماضي ، والحاضر ، والمستقبل .. فأهل القرية جميعا اشتركوا فى قتلها . الظلمة والمظلومون . حتى الشيخ «الشناوى» عريف الكتاب الذى يقرأ « عمدية » يس للمظلومين ضد الظلمة ، و « محمد ابو سويلم » كبير المظلومين ، و « عبد الهادى » قوة المظلومين ، والشيخ يوسف . طالب الازهر الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ ثم طرد من التعليم، وافتتح « بقالة » يسرق من خلالها اهل القرية باسم التجارة ، و « محمد افندى » المعلم الالزامى ، بل هو كان من اوائل الذين اهدروا آدميتها، وكذلك شقيقه « دياب » .. كل القرية شاركت فى قتل « خضرة » حية قبل أن يعثر عليها ميتة فى الطين .. !

ان المصير الذى لاقته « خضرة » ، كان يمكن أن يكون مصير خالتها . لولا أن الخالة هربت الى « القاهرة » ، وبعد سنوات . عرف بعض اهل القرية مكانها ، وقالوا انها صاحبة « بار » فى شارع كلوت بك ، وانها أصبحت تلعب بالفلوس ، وتحمل الذهب فى كل أعضاء جسدها الظاهرة .. وحاولت « خضرة » أن تلحق بخالتها .. لكن الذى كان



وصيفة وعبد الهادى
الحوار فوق الأرض



• قرية المظلومين ..
كانت أيضا قرية ظالمة .. !

ينقصها هو أجرة القطار الى القاهرة ، وثمن ملابس عليها القيمة تصلح لنزول القاهرة .. ولكنها قتلت قبل أن تدخر أجرة القطار أو تشترى الفستان ..! بعد أن تحولت تحت سمع أهل القرية ، وبصرهم ، وبمعرفتهم الى « بغى » ..!

جرى ذلك أمامهم ، وشاركوا فيه . دون أن تتحرك فى أحدهم نخوة! وتظهر عليه ذرة شهامة .. كانهم لطول عشرتهم للظلم ووطأة الظالمين على رقابهم . نسوا العدالة ، وخلعوا عنهم كل المشاعر النبيلة ، وفقدوا آدميتهم المهيضة ..!

القرية ضالعة فى الجريمة ، ورغم ذلك فهى مجنى عليها من « محمود بك » ومن « العمدة » ، ومن « الحكومة » .. لكن بواعث الجريمة هنا ودوافعها .. تختلف تماما عن البواعث ، والدوافع هناك .. لكن الجريمة هى الجريمة ..!

ان قاتل « خضرة » تغافل عنه المؤلف. كما تغافل عنه أهل القرية ، وهو لابد أن يكون صاحب مصلحة فى ان تموت « خضرة » وأى مصلحة سوف تكون لدى « خضرة » . لاى ضائع من الضياع الذين تعرفهم . انها تتعامل مع الضياع منذ أن أصبحت أنثى ، ولم يحدث أن قتلها أحد .. لكن هذه المرة اذا سرنا مع الغرض الجنائى . فهى لابد أن تكون تعاملت مع أحد الذين لهم فى القرية من مكانة يخاف عليها ، هددته أو خشى أن تتباهى بصلتها به وهى لا تهدد بطبعها . فقتلها أو استأجر من يقتلها له . لتظل مكانته حيث يريدها عند أهل القرية .. !

« فعبد الهادى » ، و « محمد الندى » ، و « دياب » شقيقه ، وحتى « محمد أبو سويلم » ، « والشيخ يوسف » صاحب الحانوت .. الجميع

الجريمة

في أدب عبد الرحمن الشرقاوي

ربطت الاشاعات بينهم وبين « خضرة » فهل يمكن ان يكون الجانى « أحدهم »..؟

أم انه « شعبان » المجذوب .. الذى يستخدمه « العمدة » فى استعمالات شتى ، هو الذى قتلها ..؟ وهو شخصية مشبوهة .. سبق له أن اتهم بالقتل .. وهرب ، ولم يحقق معه .. لم اختفى عدة سنوات ، وعاد وعلى راسه عمامة « خضراء » .. يهذى بكلمات كالدراويش .. لكنه يبدو عاقلا عند اللزوم .. وقد دفع به « العمدة » الى صفوف القرية . ليكون عينه على كل الرجال الذين يناصبونه العداء، ويحطمون اوامر الحكومة ، ويعصونه علنا . لا يستهدفون سوى اسقاط هيبته ، والسخرية منه ، واستطاع هذا الدرويش المزيف ، لا أن ينقل « للعمدة » كل شيء فحسب ، بل نجح فى أن يمشى بالنميمة بين اكبر راسين دوخا « العمدة » هما « محمد ابو سويلم » « والشيخ حسونة » حضرة الناظر . اللذى جاء القرية ليعاونها فى معركتها ضد الحكومة ليوقف الزراعية التى سوف تجتاح ارضهم . ولكي يساهم فى تنظيم أيام الرى من الترعة .. لولا انهما اكتشفا الخدعة فى اللحظة الاخيرة ..

ورغم أن « شعبان » . عرف عنه أنه يكمن فى الاذرة . حتى اذا ماراى امراة وحيدة . هاجمها ، وجرها الى داخل الحقل ، واعتدى عليها ، واللواتى هربن من يده ، وقاومنه أذعن ذلك عنه ، وقد يكون اغراه ماسمعه من « خضرة » بأن يهاجمها . فقاومته لخنقها فقتلها ، الا ان القرية لم تجرؤ على توجيه التهمة اليه ، ولا حتى من باب الاشتباه .! لماذا ..؟ لانهم يعرفون جميعا أنه فى حماية العمدة ..!

غير أن « العمدة » عندما دس «شعبان» على القرية يمتص أسرارها بالتصاقه بهم ، وافتعل صداقة مع « علوانى » العرباوى . فاعترف له الاخير انه هو الذى سرق غلال العمدة من مخازنه ، وباعها للشيخ « يوسف » .. أضمر العمدة الشر « لعلوانى » ، والقى عليه القبض بتهمة قتل « خضرة » ، ولم يفتح « الشيخ يوسف » فمه لا هو ، ولا غيره من كبار المظلومين فى القرية .. لكن النيابة افرجت عن « العلوانى » بعد أيام .. وعاد الى القرية ..!

وهنا يقفز السؤال الذى يطرح نفسه فى مثل هذا الموقف .. هل من حق المظلوم ان يظلم الاخرين ..؟ وهل العبارة التى تقول « المساواة فى الظلم عدل » عبارة سليمة المعنى ، والمغزى ..؟ لا اعتقد ابدا ان زيادة رقعة المظلومين تصبح عدلا . لكن العكس هو الصحيح، وان قليلا من العدل يمكن ان يرفع بعض العبء عن الاعناق التى احناها الظلم ، ولم يغفر لاهل القرية انهم ظلموا « خضرة » . لانهم لم يعرفوا طوال حياتهم لحظة عدل ..! بل كان اجدر بهم وقد ذاقوا طعم الظلم ومرارته الا يذيقوه لغيرهم .. كسكوتهم على ظلم « العلوانى » مثلا ..؟

أما « يوسف » البقال . فهو رغم بدايته الازهرية الطيبة . الا أن ممارسته للتجارة ووجوده فى القرية . حوله الى لص . يحمل فى جوانحه نية السرقة لجمهور القرية بصفة مستمرة ، ولا يهمه سوى أن يضع القرش على القرش ، والجنيه على الجنيه . لعله يسترد ارضه التى رهنها عند « محمد أفندى » . و « محمد أفندى » يحمل نفسية طماع . تهم ال

● الظلم أفقد المظلومين آدميتهم ، وانسانيتهم . فظلموا بعضهم بعضا .. !!

المال ، والى النساء . لا تسلم امرأة من نظراته الوقحة سوى أمه ، وقبل أن يختتم « الشرقاوى » الرواية يحوله الى انسان . يتصرف نحو المحبوسين فى حجرة التليفون بكل نبل ، واخلاص ، وكذلك يقف من « وصيفة » وأمها الموقف الذى يجعل الجميع يثنون عليه .. وهى يقظة عاجلته بعد فجيعته فى أحلامه التى كان قد بناها على « محمود بك » ابن « انجه هانم » وبعد القبض على شقيقه مع « محمد أبو سويلم » ، و « عبد الهادى » ، و « علوانى » عقب اعتدائهم على « الصول » ، وهم يحاولون مساعدة « أبو سويلم » فى جمع قطنه . قبل أن تدهسه تروس عمال المقاول الذين يمهدون للزراعية ، وقد نزعت ملكيته ..!

فجاة شعر « محمد افندى » بانه عليه أن يصحح مساره .. فهو سواء رضى أو لم يرض . مرتبط بأهل قريته ، أعمامه ، وأخواله . أما « محمود بك » فهو شخص لا يخلص الا لمصلحته فقط ويكفيه منه أنه ورطه فى جريمة جمع الاختام لتوقيع العريضة ، وحتى يستعيد بعض احترامه لنفسه الذى فقده ، وتجفف من أعماقه الشعور بالذنب الذى تضطرب به .. فانحاز الى الخير ، وكان هذا الموقف الاخير ..!

وتبقى بعد هذا كله . شخصية « شعبان » التى أرسلها « الشرقاوى » وتركها تهرب من القرية مرة أخرى . بعد أن انكشفت جرائمه ليلة القناء حدد الزراعية فى الترعة .. دون أن يلقى الجزاء الذى يجب أن يلقاه مثله ، فهو ليس مجرما . فقط ، بل هو جريمة مستمرة تسير على قدمين . هارب من أحكام . يكسب عيشه بكافة الوسائل غير الشريفة . يترصد بالنساء ، ويهاجمهن ماوجد الى ذلك سبيلا ..!

اعتزله الناس ، وعزلوه عنهم ، رفضته القرية فهرب منها منذ سنوات ، ولكن ظل وحيدا مرفوضا حتى من الناس الذين ذهب اليهم . وضاق بالوحدة . أحس أنه احتال على القانون ، وأفلت من العقاب . لكنه . سجين داخل نفسه . لترك « شعبان » القديم ، وارتدى ملابس « درويش » مزيف . هربا من الوحدة . لكنه فى عودته الى القرية .. أحس بالعزلة من جديد .. فقد كان الشمس مازال يسكن أعماقه ، ولعله بعد أن خرج من الترعة بعد أن ألقاه فيها « عبد الهادى » .. مضى فى الظلام الى قرية أخرى .. يبيع فيها درويشته ، ونصبه على آخرين لا يعرفون ماضيه ..!

وظلت جريمة مقتل « خضرة » بلا فاعل يقبض عليه ، وينال الجزاء الذى يستحقه مثله .. القرية كلها سكتت ، والعمدة سكت ثم مات ، والمركز كان مشغولا فى استقبال وزارة حزب الشعب ، والقرية برجالها مشغولة فى حكاية الزراعية ، والمؤلف شغل بالاحياء عن القتيلة ، وضاعت دماء « خضرة » هدرا ، وسوف تبقى جريمة « خضرة » بلا مجرم الى الابد .. !!



قنديليات

بقلم: يحيى حقي

الزى الشعبى

اشتهى للشباب المثقف الذى يحب وطنه ويتلهف على الاحاطة بتاريخه وبالاخص فى العصر الحديث الذى ينتمى اليه ان يشغف ببوابة اتعشقها، أننى اتجاوز كلام المؤرخين واجرى وراء البحث عن صور فوتوجرافية تسجل وتشهد بما ترى على امتنا العربية ، من اثر وقوع ظلال من الحضارة الغربية عليها ، ابتداء من عصر محمد على .

أحب ان اتامل الصور التى رسمت لبعض أحياء القاهرة كما كانت قديمة : قصر عابدين قبل ان يقام له سور حديد ميحطم احد مصابيحه ذات يو مشئوم .. حديقة الازبكية أيام زمان .. شارع عدلى « المناخ سابقا » وقد حفت به الاشجار على الجانبين .. الزمالك وليس به بيت يعلو عن طابقين أو ثلاثة ، ولكن غاية متعتى أن اعثر على صور الناس الذين كانوا يعيشون يوم ذاك لاتامل ما طرا على زى الشعب .

فنتامل عمامة محمد على ، وطربوش ابراهيم ثم سعيد واسماعيل وطربوش نوبار باشا ، ثم طربوش توفيق الحكيم الذى كان يلبسه بجانبى بمدرسة الحقوق « قصير جدا » .

كم عدد العمائم التى حضرت حفلة افتتاح قناة السويس ، تدل احدى الصور على ان الاغلبية العظمى كانت للطرابيش ثم توالى انحسار العمامة لصالح الطربوش وطغت على طلبة دار العلوم ، ثم بقية المعاهد الازهرية .

أما زى الناس فى الشوارع فكان خليطا لا حد له ، الزى الغالب طبعا هو الجلابية مقلمة أو غير مقلمة ، وعلى الراس طاقية من نفس قماش الجلابية مستديرة أو على شكل قمع ، وقد تكون بيضاء ، وهى تدل اذا كانت مزهرة على مدى حرص الزوجة على كرامة زوجها ، وطاقية من الشبيكة وهذه الطاقية تتردد فى اغانينا الشعبية الى اليوم من قولة : «الغاوى ينقط بطقيته»«يا ابو الطاقية مزهرة » .. دع عنك طاقية الاخفاء .

وعلى الجلابية احيانا « زاكيت » أو معطف من القماش ثم يجىء دور القفطان الازهرى ، وفوق الراس

عمامة أو أحيانا طربوش ولا اعـرف الا رجلين اثنين لبسا البرنيطة همـا محمود عزمى السياسى العظيم الذى كان يمثلنا فى الامم المتحدة وكانت له مساهمة جليلة فى تقنين بعض مبادئها، وشاب اخر من عـائلة الشريعى كان يجلس معنا فى قهوة فينكس بعماد الدين .

ثم بعد ثـورة ١٩١٩م والبحث عن الذات صار سؤال .. هل لنـا زى قومى ؟ او لماذا لا يكون لنا زى قومى كبقية الشعوب ؟

اننا نرى اهل برمة يجوبون خلال اوروبا وهم يلبسون شيئا اشبه بفوطة الحمام ولا يخجلون ، وذهب غـاندى الى بلاط « سان جيمس » وهو يلف على بدنه ملاية سرير ، فلماذا نخجل نحن من العمامة والجبة والقفطـان او من الطربوش .

وتركز الاهتمـام على الطربوش فتمسـك به بعض المصريين وهم قلة نادرة اذا سافروا الى اوربا يلبسه ، كما تمسك به الملك فؤاد فى رحـلاته الرسمية ، وهذا ما لم يفعـله الملك فاروق من بعده .

اما بقية ابناء المدارس فاثـروا أن يلبسوا البرنيطة وهم فى اوروبا ، بل هذا ما فعله رجال الوفد المصـرى الى باريس للمطالبة بضرورة الاعتـراف بحق الشعب المصرى فى الـوجود متميزا عن غيره .

لم اعثر مع الاسف على صـورة للافغانى ومحمد عبده فى باريس أيام « العروة الوثقى » ولكن الشيخ محمد عبده تعرض للتشـنيع ذات يوم واتهم بانه لبس البرنيطة وهو على ظهـر سفينة .

ثم قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م فقضت بعد قليل على مطلب « الـزى القومى بالغاء غطاء الراس واصبح الجميع حاسرى الرءوس ولا ادرى هل كانت الثورة متاثرة بما فعله مصطفى كمال . بالغاء الطربوش بل باصدار قانون يقضى باعدام كل من يلبسـه وقد اعدم بالفعل رجل فى قلب الاناضول لانه اصر على لبس الطربوش .

واصبح الزى الغالب على ابنائنـا أولاد المدارس بنطلونا وقميصا اغلب السنة بنصف كم والراس عـار ، والغريب اننا حينما اصبحت رءوسنـا حاسرة ، وذهبنا الى اوربا وجدناهـا قد سبقتنا ، فقد إختفت القبعـة من الشوارع بعد ان كان غطاء الـراس دليلا على الطبقة الاجتماعية ، والعمال يلبسون الكاسكيت ، ويانف لبسها من هم اعلى منهم درجة كانها وصمة ..

اما الطبقة الوسطى فتلبس برنيطة من الجوخ ولهم انواع اخـرى من القبعات يلبسونها فى بعض المناسبات كالقبعة الشمسية التى تلبس مع السموكن ، والقبعة العالية التى تلبس مع الفراك وقبعة عالية تطوى كالمنفاخ عند الذهاب الى الاوبرا .

كرنفال فى مصر ، وكرنفـال فى اوربا ثم طوية صفحته ولا ادرى هل كسبنا توحدا ام خسرنا متعة التفرج على هذا الكرنفال ..

كم اتمنى ان ينشا عنـدنا متحف للازياء يخدم الحركة الثقافيـة والمسرحية ودراسة التاريخ كما هـو حادث بمعظم البلاد المتمدنيه ..

الوجه الآخر

العقاد

مؤمنًا لا كافرًا!

بقلم: د. محمد وجيه الصاوى



طالعتنا مجلة « الهلال » الغراء بمقال تحت عنوان «العقاد بين الكفر والايمان» بقلم الاستاذ / محمد سيد كيلاني — في عدد يناير ١٩٨٦ .

ولقد جاء في المقال عبارات واحكام ينبغي أن ترد عليها احقاقا للحق من منطلق الامانة العلمية والموضوعية حتى لا يصبح رجال الفكر والادب ، ومن هم في ذمة التاريخ، موضع هجوم وتجن ، تعصف بهم الاقلام ، وتنبش قبورهم بالفاظ لا يصح ان نلصقها بمفكري الاسلام ، وخاصة العملاق عباس محمود العقاد .

فاذا سمحتم لي أن أرد على ما جاء في المقال — حيث انني من المهتمين بكتاباته ، وحفيد في مدرسة العقاد ، صناعتي ليست الادب والنقد ، ولكنها التربية وفلسفتها .

بدأ الاستاذ محمد الكيلاني مقاله بعبارة (كان العقاد في مطلع حياته ملحدا زنديقا يقول بالتعطيل ، وينكر النبوات ..).

فماذا يعني الكاتب بكلمة تعطيل ؟. هي في لسان العرب بمعنى تفريغ، وتعطيل الحدود : الا تقام على من وجبت عليه .

فما اظن أن النصوص التي أوردها الكاتب — على لسان العقاد — تعني انه أراد تعطيل حدود الله ، والصورة التي قدم بها الكاتب مقاله . ودعم فيها فكرته ، معظمها هجوم على العقاد ، اخلاقه وأدبه ، ففي ثناياها اتهام للعقاد بانه ليس مخلصا وليس عنده وفاء لمن يقدم له العون والمساعدة ، حين قال : « وكان محمد فريد وجدي يعطف على العقاد الذي كان يعاني الفقر وسوء الحال ، وقد أصدر « محمد فريد وجدي » دائرة معارفه وخصصه لاثبات وجود الله . فانبرى العقاد للرد على « وجدي » وتسفيه ارادته .. » .

وفي موضع آخر يقول : « كان العقاد يحرر في صحيفة « الدستور » لصاحبها « محمد فريد وجدي » وكان من الطبيعي بعد أن كتب هذا المقال أن يطرده صاحب هذه الصحيفة فاصبح متشردا لا يجد ما يمسك الرمق .

فاراد أن يتصل بلطفي السيد رئيس تحرير « الجريدة » ، وكان هذا ملحدا يأوي اليه الملحدون ، واخذ يتقرب اليه بالمقالات الالحادية » .

اولا : فليعلم الكاتب أن العقاد لم يكن طيلة حياته أسير المادة ، او متملقا لأحد فهو أسير كرامته وكبريائه ، لا ينافق ، يعتز برأيه ويدافع عن حرية الكلمة ، فما كتبه العقاد ليس الا ما يمليه عليه فكره الحر ، دون أن « يعض » اليد التي امتدت لمساعدته .

ثانيا : كلمة أصبح « متشردا » لم ترد في لسان العرب ، وأرفض وصف العقاد « بالتشرد » فالمعنى في لسان العرب : شريدا ، طريد لا يؤوى — والتشرد : الطرد ، وشرد الجمل شرودا : ذهب مطرودا ، واشرده ، وشرده ، طرده ، فمن أين اتت كلمة متشرد الآن ؟.

وهل يصح أن نصف العقاد بشيء ليس فيه ؟.

ثالثا : لم يطرد محمد فريد وجدي —

العقاد
مؤمنا لا كافرا !

رئيس تحرير الدستور — العقاد بسبب كتاباته واليك الدليل .

« كتب العقاد في « الدستور » حتى العدد الاخير منه .. وقد اضطرت الصحيفة الى التوقف بسبب العجز المالي ، ولقد عم الصحفيين من الكساد والكآبة اثر صدور قانون المطبوعات الجائر عام ١٩٠٩ » .

ويقول العقاد : « بقيت في تحرير « الدستور » حتى فرغنا من كتابة الكلمة الاخيرة في عدده الاخير ، وقد مضت علينا قبل احتجابه اشهر ونحن نعلم اننا نكتب الاعداد الاخيرة ، وان كنا لا نعلم ايها يكون الاخير الذي ليس بعده اخير .. وابت المروءة على صاحب الصحيفة ان يماطل احدا من اصحاب الديون عليها او اصحاب الاجور فيها بدرهم واحد » .

وفي « الدستور » كانت للعقاد سلطة شبه مطلقة في عمله على الرغم من انه كان في الثامنة عشر من العمر ، وقد وضع نصب عينيه أن ينتهز هذه الفرصة ليكتسب سمعة بين الادباء وليبني مكانه بين الصحفيين . ولم يحاول محمد فريد وجدي قط أن يفرض على العقاد رأيا في قضية من قضاياها بغير الاقناع أو السكوت ، وكانت مخالفة العقاد لفريد وجدي اكثر من موافقته له في القضايا الفكرية والسياسية ، ومع ذلك فان « فريد وجدي » لم يغير كلمة كتبها العقاد لمخالفته لرأيه ولو كان الخلاف على مسألة من مسائل الاصول . هذه هي الحقيقة .

فمتى طرد فريد وجدي العقاد من « الدستور » ؟.

رابعا : والعقاد بعد أن أغلقت جريدة الدستور — كما ذكرنا — لم يذهب الى لطفي السيد صاحب « الجريدة » كما قال الكاتب .

كان العقاد في نحو العشرين من عمره فاخذ يبيع كتبه على دفعات ، يقتات من ثمنها ، وفي غمرة اليأس هذه ، توقع العقاد الموت او حتى رجاه ، ووضع كل امله في نشر اول كتبه « خلاصة اليومية عام ١٩١١ » الذي قام « جورجي زيدان » بنشره . ولكن يبدو ان النجاح الذي لم يتوقعه لهذا الكتاب — حيث نفدت طبعته في اقل من ستة شهور .. قد كفلت له اجتياز تلك الازمة . وقضى العقاد بالاسكندرية شهرين ثم عاد بعدها الى القاهرة يكتب بالاجر بعض فصول الكتب الترجمة وبعض المجلات من مجلة « البيان » ويتلقى بعض المعونة من اهله (١) .

ومن حسن الحظ ان الانتظار لم يطل به هذه المرة ، فقد تم تعيينه في ديوان الاوقاف عام ١٩١٢ ، واستمر عمله في الديوان حتى عام ١٩١٤ ، . حين انتقل الى « المؤيد » لكي يشرف على تحرير الصفحة الادبية بها (٢) . وكان « المؤيد » يزدهر ابان نشاط صاحبه «على يوسف» الذي اصابته نكبة قاسية ، وتراكمت عليه المشكلات حتى ترك « المؤيد » وما لبث ان استقال العقاد من العمل « بالمؤيد » في عام ١٩١٤ م . ليعود الى اسوان يؤلف الكتب الاتية :

« ساعات بين الكتب » ، « دارون» ، ومذهب « نيتشه » في السوبرمان ، و « الانسان الثاني » ورسالة « مجمع الاحياء » ثم يعود الى القاهرة للعمل بالتدريس ، ثم يلتحق بالعمل في جريدة « الاهالي » بالاسكندرية ، ثم يكتب في الاهرام .

فلا اعتقد ان اتصال العقاد بلطفي السيد من اجل استجداء المال او حل المشكلة المادية على حساب مبادىء العقاد وكرامته ، وسلوكياته ، وما ذكرته يوضح

كيف عالج العقاد أزمته المالية بكل كرامة .

خامسا : ان اتهام العقاد بالزندقة والالحاد ذنب ، فلا يصح ان نكفر مسلما. مهما كانت كتاباته فى زمن مضى ، فان مسالة العقيدة والايمان هى علاقة بين الانسان وربه ، وليس لبشر ان يحكم على الاخر بهذه الفرية التى يتحمل وزرها والعقاد - كمفكر وباحث فيلسوف - لم يخل من رشاش هذا الاتهام يوجهه الناس ظلما اليه ، كما وجهوا مثله الى سائر المفكرين المعاصرين كالدكتور مصطفى محمود والفلاسفة السابقين كالامام ، ابى حامد الغزالى ، « وقد تأثر الكثيرون بما ذاع عن فتور فى عقيدة العقاد الدينية » (٣) .

وربما يجد بعض الناس الصدر فى اصدارهم هذا الحكم اذا ذكروا ان الدعوات الدينية لم تجد طريقها سهلا الى قلوب ذوى الادمغة الكبيرة ، لانهم بطبيعة جنوحهم الى جانب العقل لا يصدرون حكما ، ولا يعتنقون مذهبا الا بعد تقليب اوجه الرأى فيه وتناوله من كافة نواحيه ، وهم يؤثرون الترقب والانتظار حتى يصدر عن روية تامة .

ومن قبل هذا ما يعزى الى عمرو بن العاص من انه « آمن » بعد أن « أسلم » الناس ، وكان هو وخالد من ابطأ الملبين للدعوة المحمدية الجديدة ، ثم كان لهما بعد ذلك اكبر الاثر فى نشرها ودعمها فى مختلف الأمصار .

ولكن عدالة الله تأبى ان يظل العقاد فى قفص الاتهام لفترة تطول أو تقصر . فقد توالت آثاره الادبية والتاريخية وذاعت ابحاثه فى الشئون الدينية ناشرة الوية اليقين الصادق الدال على ايمان عميق يستند الى فهم سليم لا تشوبه شائبة لاصول العقيدة وأسس الدين الحنيف (٤) .

سادسا : اما عن مساندة العقاد لطه حسين فى قضية كتاب « الشعر الجاهلى » وكونها دليلا على ان العقاد يناصر النزعات الالحادية ويؤيد ما جاء بالكتاب فهذا يجانبه الصواب .

لم يكن دفاع العقاد عن طه حسين مؤداه انه يوافق على ما جاء به ، بل كان دفاعا عن حرية الكلمة ووقوفه بجانب حرية الرأى ، وحرية الفكر .

« كان العقاد يعتقد ان هزيمة الفكر فى هذه الازمة هى هزيمة منكرة سيعقبها افتئات اصحاب الحكم على رجال الاقلام» .

لم يكن العقاد وحده من بين الكتاب والمفكرين الذين وقفوا بجانب طه حسين « فيذهب هيكل الى أن حرية القلم هى المظهر الاسمى لحرية الانسان فى أسمى صورها ، وحرية القلم انما تكون حيث يمسك القلم رب من أربابه لا عامل من عماله » .

ويتفق هيكل مع طه حسين فى تأييد حرية البحث فى الادب على أنه أثر اجتماعى ونفسانى له قيمته العلمية العظيمة فى فهم تاريخ الانسانية .

وقف أيضا زكى مبارك بجانب طه حسين « أزعج طه من حملة الاهرام لارائه فى الشعر الجاهلى ، أشد الازعاج ، ولم يعرف كيف يجيب ، مع انه من اقدر الناس على اللجاجة والجدال .. وظهر مقالى فى صدر الاهرام ورأى فيه طه حسين انتصافا من خصمه العنيد وشكر صنيعى بكلمات تدل على مبلغ ارتياحه لدفع مقالة السوء عن مركزه المهدد فى ذلك الحين .. وكذلك قررت ان ادفع عنه شر خصومه فى جريدة المقطم (٥) .

وهذا سعد زغلول الموقف عندما ألقى خطابا فى احدى المظاهرات التى قامت تطالب برأس طه حسين قال فيه : « ان مسألة كهذه لا يمكن ان تؤثر فى هذه الامة المتماسكة بدينها ، هبوا ان رجلا مجنونا يهذى فى الطريق فهل يضير العقلاء شيئا من ذلك ، ان هذا الدين متين » (٦) .

فهل كل من وقف مع طه حسين كان يؤيد الالحاد ؟. او كانوا ملحدون ؟.

العقاد

مؤمناً لا كافراً !

سابعا : خرج الكاتب عن موضوع مقاله الذى يظله بعنوان « العقاد بين الكفر والايمان » الى ميدان آخر ، عندما كتب مستشهدا ببيتين من شعر العقاد ذاكرا كان العقاد الفقير المعدم يواسي نفسه بمثل قوله :

لا تحسدن غنيا فى تنعمه
قد يكثر المال مقرونا به الكدر
تصفو العيون اذا قلت مواردها
والماء عند ازدياد النيل يعتكر

ويواصل الكاتب تعليقه فيقول : «هذا الشعر اشبه بكلام الوعاظ فى خطب الجمعة وليس مما يحرك الوجدان ، ويثير العواطف ، وقوله : « قد يكثر » أضعف المعنى بل زاده ضعفا وبرودا ، وقوله : « ازدياد النيل » فانه خصص النيل دون سائر الانهار وهـذا ضعف أيضا .

ولكننا نعقب فنقول :

ان الكاتب فى اول المقال دافع عن الاسلام والمسلمين ثم ما لبث أن تهكم على الائمة والوعاظ بالمساجد ووصفهم بلا استثناء بان كلامهم لا يحرك الوجدان ولا يثير العاطفة عند تعليقه على تأثير ابيات العقاد .

وبهذا نقول لم يحالف الكاتب التوفيق. اقول لكاتب المقال : وان كان لا يعجبك كلام الوعاظ ، فاننى ارى أن ما جاء فى البيتين يفيد الوعظ ومواساة النفس ، وبذلك حققت الابيات الغرض منها .

وكلمة « قد يكثر » التى لا تعجب الكاتب هى اساس الموضوعية والواقعية فليس كل من لديهم المال الكثير مصابون بكدر ، ونكد ، فكان العقاد حكيمـا وحريصا اذا جاء بكلمة « قد » للاحتمال لكى لا يطلق الحكم على عواهنه فيقع فى الخطأ الذى وقع فيه الكاتب بحكمه على كل الوعاظ بالمساجد .

وكلمة « ازدياد النيل » يراها الكاتب ضعيفة وباردة لان العقاد خصص نهر النيل دون انهار العالم .

ولا اجد فى هذا شيئا من الضعف فانها صورة تقرب المعنى وتجسده فى البيئة المصرية من فيضان النيل ، يصحب هذا الفيضان تعكر المياه ، وهى صورة ناطقة حية قريبة لتصور اى مستمع .

فهل كان الكاتب يريد من العقاد أن يذكر اسماء الانهار الاخرى فى العالم ؟. لا ادرى !!

الشعر موهبة وتذوق تختلف فيه وجهات النظر من حيث التذوق ، فربما تكون هذه نظرة فردية للكاتب ، فعند النقد « اذا قلت : هذا خطأ او هذا ركيك فى الاسلوب وهذه الكلمة ضعيفة » ينبغى أن تقدم البديل ذلك هو النقد البناء يثرى الفكر والادب .

ومما يؤكد أن الكاتب كان مهاجما للعقاد منذ بداية المقال حتى نهايته ان الكلمات التى جاءت به مثل « زنديق ــ ملحد ــ متشرد ــ فقير ــ معدم » ومن شعر العقاد بصفه « ضعيف المعنى ــ ازداد برودا ــ لا يثير العاطفة ــ هو كموضوع تعبير بكتبه تلميذ مبتدىء » .

كلها عبارات لا يصح أن تكتب عن العقاد ، والكاتب كان غير منصف حين اختار قصيدة للربيع للعقاد وقارنها بقصيدة لشوقى فاقول : ان لكل مقام مقال وهذه أبيات لبشار بن برد ــ مع مكانته السامية فى الشعر يقول :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
ولها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت

لقد تناسى الكاتب دواوين العقاد العشرة التى تضم ٨٨٧ قصيدة تشتمل على ١٢٤٠٠ بيت مما يدل على ثراء قريحة العقاد وتمكنه من القريض ففى شعره قصائد ترتفع الى القمة وتتدرج وفق موضوع القصيدة .

اخيرا :
مع احترامي الشديد لمقال سيادتكم القيم ارى انه يمكن تقسيمه الى جزأين بحيث يكون عنوان الجزء الثاني « راى العقاد في القصة - والشعر » ..
تأمل عند الحديث عن الشخصيات القمم ان نتعرض لها بحياد وموضوعية ونذكر المحاسن والمثالب ، وان نعطي لكل ذي حق حقه ، وان نتخير عند الحديث كلمات تتناسب مع قدر العظماء امثال العقاد الذي ستظل كتاباته زادا لمن يريد ان يستزيد .

هوامش

(١) - محمد المويلحي « العقاد كما عرفته » المجلة - ديسمبر ١٩٦٢ ، ص٦
(٢) - اقرأ تفاصيل القصة واسباب خروجه من المؤيد ، حياة قلم - ص ٩٤ - ٩٧ .
(٣) - محمود صالح عثمان - «العقاد والعقيدة الدينية » العقاد دراسة وتحية » .. القاهرة - الانجلو المصرية ١٩٦٤ .
(٤) كتب العقاد في الاسلاميات من الكتب ما يلي :
عبقرية محمد ١٩٤٢ - عبقرية عمر ١٩٤٢ - عبقرية الصديق ١٩٤٢ - عبقرية الامام ١٩٤٣ . الصديقة بنت الصديق ١٩٤٣ - عمرو بن العاص ١٩٤٤ - ابو الشهداء الحسين بن علي ١٩٤٥ - عبقرية خالد ١٩٤٥ - الله ١٩٤٧ - الفلسفة القرآنية ١٩٤٧ - الديمقراطية في الاسلام ١٩٥٢ - ابو الانبياء الخليل ابراهيم ١٩٥٣ - عبقرية المسيح ١٩٥٣ - فاطمة الزهراء والفاطميون ١٩٥٤ .
- الاسلام في القرن العشرين ١٩٥٤ - ذو النورين عثمان بن عفان ١٩٥٤ - مطلع النور والبعثة المحمدية ١٩٥٥ - معاوية بن ابي سفيان في الميزان ١٩٥٦ - حقائق الاسلام واباطيل خصومه ١٩٥٧ - ابليس ١٩٥٨ - المرأة في القرآن ١٩٦٠ - الانسان في القرآن ١٩٦١ - التفكير فريضة اسلامية ١٩٦١ - الاسلام دعوة عالمية (جمع بعد وفاته ١٩٧٠) - الاسلام والحضارة الانسانية .
(٥) - زكي مبارك - الرسالة ١٦/١٢/١٩٤٠ - انظر زكي مبارك ناقدا - مطبوعات الشعب ص ٥٨ - ٥٩ .
(٦) - محمد سيد كيلاني - فصول ممتعة . انظر ايضا عبد العزيز شرف ، محمد حسين في ذكراه ص ١٨٨ .

العراف الحكيم

● تنبأ احد العرافين بموت سيدة كان يحبها لويس الرابع عشر حبا ملك عليه قلبه ، في حادث . وقد تحققت النبوءة بعد فترة قصيرة ، فخيل للملك ان تنبؤ العراف كان السبب في وفاتها .. فارسل في طلبه واعتزم ان يعدمه عقابا له .. وحين مثل العراف بين يديه قال له الملك ساخرا : « اذا كان في وسعك ان تقرأ المستقبل حقا . فخبرني ماذا سيكون مصيرك ؟ » وفطن المنجم لما ينويه الملك ، ففكر قليلا ثم اجاب « انبأ بانني سأموت .. ولكن قبل جلالتك بثلاثة ايام ! » . وصدق الملك كلامه ، ولم يكتف بان عدل عن قراره ، وانما امر بالعناية بصحة العراف والاهتمام به !!



حول كارثة مكوك الفضاء

بقلم : محمد فتحى

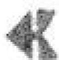
● لا جدال فى ان الناس سيحسون يوم يكشف النقاب عن السجل الحقيقي للانشطة الفضائية ، بعيدا عن اعتبارات الحرب الباردة والتجارة والدعاية والهوس الاعلامى . لا جدال فى انهم سيحسون بمرارة الفقد لسلسلة التضحيات ، التى لن يكون ابطال المكوك « شالنجر » السبعة سوى حلقة واحدة من سلسلتها الطويلة ..

لكن الناس سيحسون على نحو اكبر بنشوة الرضاء ومشاعر السعادة والفخر ، لان بشرا - مثلهم على اية حال - كانوا على هذا القدر من الجسارة والطموح وطالت اكتافهم الانجازات التى بلغت فى عملقتها حدودا فلكية .

ولعل الجهد الجبار والتضحيات الكامنة وراء المشاهد الاستعراضية المسرحة التى تطالعنا على واجهات التلفاز والصحف .. لعلها مما يستحق ان يطرح على الراى العام العربى ، الامر الذى لابد وان يقود المرء الى سؤال : ولماذا كل هذا الجهد وكل هذه التضحيات ؟

ولعل الموقف يدفعنا الى ادراك ان وراء الاكمة ما وراءها ، مما يتصل بمصائر امتنا اوثق الارتباط .. ●

الوجه الآخر لمشاهد
الأنشطة الفضائية المسرحة



قبل سنوات (عام ١٩٧٤) هيض لي أن أتابع بعض رواد الفضاء • وكان هذا التدريب غـاية من حيث العنف والقسوة والغرابة ، يتطرق الى مجالات قد تبدو بعيدة تماما عن انشطة الفضاء (اختراق نيران حرائق هائلة •• عيش الملاح وحيدا وسط مخاطر جمـة بين الاحراش والادغال •••) •

ويومها لم يملك أحد رواد الفضـاء نفسه وصرخ : « لست أدرى من هـو (المجنون) الـذي أعد مثل هـذه التدريبات » • أن هذا « المهفوف » كان بين من يتابعونه عن بعد، وأنه كان معه على الخط لاسلكيا ، فرد عليه للتو « أتمنى ألا ترى اليوم الذى تلهج فيه بالشكر لهذا « المهفوف » •

كان الرجل يقصـد أنه يتمنى ألا يتعرض ملاح الفضاء لحالة من حالات الطوارىء ، التى لابد وأن يأخـذها التدريب فى الحسـبان • لكن رغم التمنيات لا ولن يخلو ـ للأسف ـ نشاط فضائى ، أو أى نشاط انسانى برجه عام ، من مثل حالات الطوارىء هذه •

● **عصر بيزنيس الفضاء** ●

هذا ويحضرنى مشهدا آخر أكثر قربا من الناحية الزمانية (عام ١٩٨١) فعلى اثر أول رحلة لمكوك الفضـاء الامريكى سئل ملاحا المرحلة عن أهمية الانجاز الذى قاما به ، فأجاب جـون يونج المنبهر المنفعل ، اجابة أقرب الى الشاعرية : « لقد قربنا المكوك خطـوة من النجوم » • وعندئذ عاجله المـلاح الآخر روبرت كريبين، فى شبه استنكار وتأنيب للخروج على النص : « نستطيع ان نقول أن عصر (بيزنيس) الفضاء قد أوشك على البدء » •

وبالطبع لقى قول كريبين ترحيبـا وابرازا وتأكيدا مـن القـائمين على برنامج المكوك، فالدعـاية والاعلان والتجارة لها متطلباتها ••

مشهدان متباعدان بينهما مسـاحة شاسعة هى المساحة التى وقعت فيهـا كارثة « شالنجر » مكوك الفضـاء الامريكى قبل أسابيع ، وهى مسـاحة نادرا ما يتطرق الحديث اليها ، فـلا الامريكيون ولا السوفييت يسـمحون ـ فى الحـالات غير الاضطرارية ـ

باعلان ما لا يريدون ، وكل منهما يريد اشياء يحددها سلفا ، مبتعدا كثيرا عن الواقع الذى لابد للرأى العام العربى أن يعيه - كما يعى ما وراءه - عن عالم الفضاء الأسر ، رغم هذه التضحيات ، حتى لا تظل السطور التى تخصنا فى سجل اكتشاف الفضاء من قبيل أخبار الاسرة العربية التى حجزت ثلاث تذاكر قيمتها ١٥٦ ألف دولار فى أول رحلة فضائية سياحية عام ١٩٩٢

ولا بأس هنا من بعض مشاهد تلك المساحة التى تفصل بين الواقع والاستعراضات المسرحة •

وسط ضجة اعلامية ودعائية خاصة انطلقت سفينة الفضاء « سويوز » وعلى متنها ملاحان أحدهما سوفييتى والثانى بلغارى •• ورغم التحفظ الاعلامى السوفييتى المعهود فى تغطية الانشطة الفضائية كان كل قريب من هذا المجال يعلم أن وجهة السفينة كانت الالتحام مع المحطة الفضائية « ساليوت » التى تدور حول الارض • وأن ذلك يحدث عادة بعد يوم واحد تقضيه السفينة فى مناورات تغيير مدارها ، لتصل الى مدار المحطة ، ويتم الالتحام •

مضى اليوم ولم يعلن عن اتمام الالتحام •• ثم أعلن عن عودة ملاحى السفينة الى الارض سالمين •• وظهر فيما بعد أن خللا قد أصاب احد المحركات الرئيسة للسفينة ، وأدى الى انهاء الرحلة على نحو استثنائى •

وللقارىء أن يدرك مدى المعاناة التى أحاطت بالموقف اذا عرف أنه كان على السفينة ، بعد العطب ، أن تعود دون محرك بطريقة خاصة - أقرب الى الطيران الشرعى - يتهددها الاحتراق عند دخول الغلاف الجوى (كالشهاب) ان دخلته بسرعة تزيد بعض الشىء عن السرعة المفروضة •• ويتهددها الضياع - بمن فيها والى الابد - فى الفضاء الرحب ، ان قلت السرعة بعض الشىء عن السرعة المفروضة لدخول الغلاف الجوى ••

للقارىء أن يدرك مدى المعاناة التى احاطت بهذه الرحلة •• سواء بالنسبة لطاقم السفينة المعنية ، أو بالنسبة لمركز التابعة الارضية ، ولطاقم المحطة المدارية الذى كان ينتظر طاقم السفينة ولكل من تمكنه معارفه من ادراك طبيعة الموقف ••

ولا يبقى لنا قبل الانتقال من هذا المشهد سوى الاشارة الى أن الهبوط ، حتى بالطريقة التى تم بها ، كان يمضى وفق أحد الاحتمالات المحسوبة (!) - رغم أنها كانت المرة الاولى - التى تم التدريب عليها •• أى أننا حتى مع هذا الوضع المؤسى ، لم ندخل فى باب الطوارىء بعد ••

● ستة أشغال شاقة فى الفضاء ●

والمشهد الثانى خاص بواحد من أطقم « ساليوت » محطة الفضاء التى تدور حول الارض • كان ملاحا الطاقم قد قضيا على متن المحطة ما يقرب من الستة شهور ، أنجزا خلالها برنامج عمل مكثف ، استنفد كل ما لديهما من طاقة بدنية ونفسية ، وباتت كل مشاعرهما مرتبطة بالارض والوطن والاسرة ، واللقاء المرتقب بعد طول غياب ••

كان للمحطة المدارية التى عاشا على متنها وصلتا التحام (كل منهما عاشق ومعشوق تقريبا) ترتبط باحديهما السفينة التى صعدا بها الى الفضاء ، والتى سيعودان بها الى الارض ، بينما



رواد الفضاء في طريقهم الى الرحلة [illegible]

● أبلغت محطة الفضاء الأرض عن الأطباق الطائرة التى تلاحقها فساد القلق وتكهرب جو الرحلة أياما ●

تستقبل الوصلة الثانية «وابور التموين» (سفينة بدون ملاحين) الذى يمد المحطة ، على نحو متواتر ، بما تحتاجه من وقود وغذاء ومعدات ، بل وجرائد ورسائل وهدايا للملاحين من ذويهم على الارض .. كما تستقبل نفس الوصلة ، بعد تفريغ « الوابور » والتخلص منه ، السفن الفضائية التى تحمل « الضيوف » ، الذين يحلون على ساكنى المحطة فى مهمام عمل سريعة ..

كان الملاحان قد قاما خلال تحلقهما ببعض التجارب مستخدمين تلسكوبا اقاماه على متن المحطة . وعند تخلصهما منه بعد اتمام تجاربهما التف الهوائى الخاص به ، ليغطى وصلة الالتحام الخالية ..

وكان مأزقا لا يحسد عليه الطاقم الذى أعد « حقائبه » للعودة بعد برنامج عمل مكثف مرهق ، فقد كان الامر يعنى الهبوط بامكانيات المحطة الى النصف بالحسابات البسيطة ، وان كان يمكن

ان يحولها الى « خردة » وفق حسابات الفضاء المعقدة ..

وجاء صوت مدير التحليق من المركز الارضي قاسيا فاليرى ريومين مهندس الثنتين : « الارض ممتنة جدا لما بذلته من جهد ولا ترى ان من الممكن ان تطلب منك المزيد .. الا انك تدرك ابعاد الكارثة ، ولك مطلق الحرية في تقدير الموقف بصورة شخصية . ولن يكون لاحد ادنى تعليق ـ ناهيك عن اللوم ـ بصدد اى قرار تتخذه ... » .

كان المطلوب ان ينحى الملاح جانبه رحاته النفسية جانبا ، ويعبىء طاقاته ويخرج من السفينة ـ بدلا من العودة الى احبسائه ـ الى الفضاء الرهيب الرحب ، ثم التحرك فيه الى وصلة الالتحام ليقوم بقص معدن الهوائى وازالته .. عمل رهيب يتطلب جهدا نفسيا هائلا تركت له الارض فرصة ومسئولية القيام به أو الاحجام عنه..

وكان أن خرج ريومين الى الفضاء..

وكان أن قص الهوائى وازاله ، واستغرق ذلك منه وقتا لم يكن متاحا له فى معظمه الاتصال بمركز ادارة التحليق على الارض لطلب المشورة أو المشاركة فى الرأى ، أو حتى مجرد الدعم النفسى ..

والطريف والمثير والمبهر ـ ويجب الا ننسى العبء والجهد والعرق والتضحيات لانها ما نتحدث عنه أصلا ـ ان نفس الملاح كان بطلا لموقف اخر.. فبعد ستة شهور « اشغالا شاقة » فى الفضاء لم يكد يقضى اياما عنى

ملاحا فضاء يستعيدان على اثر هبوط اضطرارى فى المحيط



الارض ، حتى ترك دفء أحضان أسرته متطوعا ، وعاد الى الفضاء يؤدى مهمة جديدة لم يكن مفروضا عليه ان يقوم بها ، استمرت ستة شهور أخرى .. اى انه قضى ما يقرب من السنة ـ وان تخللتها اجازة قصيرة ـ محلقا فى الفضاء ، وحتى ندرك حجم هذه التضحية لا بأس من مشهد أخير ..

● اغنية حب تصيب بالاكتئاب ●

كانت المرة الاولى التى يتم فيها حل مشكلة الاتصال التليفزيونى المتبادل بين محطة الفضاء ومركز ادارة التحليق على الارض ..

حتى تلك اللحظة كان بامكان الارض متابعة أفراد الطاقم على متن المحطة تليفزيونيا لكن كل ما كان ممكنا بالنسبة للملاحين هو سماع صوت الارض دون صورة .

وبعد حل المشاكل الفنية للقاء التليفزيونى المتبادل ، وبعد مجموعة لقاءات للملاحين مع زملائهم واسرهم، تقرر أن ينقل التليفزيون ـ عبر برنامج علمي ـ واحدا من لقاءات الدعم النفسى الذى تنظم للملاحين ..

استمتع المشاهدون بلقاء نجوم الفكاهة مع الملاحين ، والنمر التى قدموها وفقا لطلبهم .. ولست أدرى لسوء حظ الملاحين أم لحسنه ، أم لأى حكمة أخرى ، حلت فقرة جديدة .. لقاء مع نجمة غناء باهرة الجمال اختارت أن تغنى خصيصا لهم واحدة من اشهر تحفها : أغنية حب (بيسنيا ليوبفى) ..

لحظات ولم تخطىء عيوننا ـ المشاهدين ـ حالة الاكتئاب التى حطت على الملاحين ، اللذين قضيا شهورا بعيدا عن الارض ، لا يفتح كل منهما عينيه الا على وجه زميله يداعبه :

« قم أيها (السيد البطل) فكم من (المهام العظيمة) تنتظركم ».

يومها لم يخطىء المسئول الطبى عن أنشطة الفضاء حالة الاكتئاب ، بل لعله اكثر الناس احساسا بها ، فقال تهدئة للموقف : « لا أدرى حين سنعود الى شريط رسم القلب الخاص بهذه الدقائق كم سنرى من قفزات فى ايقاع قلبى (البطلين) ..

ولعل القارىء يتصور بعد ذلك البروفيلات أو الوجوه الكثيرة للمعاناة التى يحسها انسان يعمل ستة شهور ـ ناهيك عن عام كامل ـ فى الفضاء دون أن يرى أحدا !!

وليت الامر يقتصر على مثل ماسقناه فى المشاهد السابقة ، فكثيرا ماتصادف الانشطة الفضائية مواقف تراجيكوميدية طريفة ورهيبة ، تكاد تميت الناس خوفا وضحكا فى نفس الوقت ..

على سبيل المثال لاحظ ملاحو أحد محطات الفضاء وهم يطلون من النافذة يوما ، طبقا طائرا يلاحق محطتهم .. وأبلغوا الامر الى الارض فأسقط فى يدها ، ولم تجد ما تنصحهم به الا مواصلة متابعة الموقف .. واستمرت المتابعة أياما تفاقم الموقف بعدها ، اذ صار الطبق طبقين !

للقارىء أن يتوقع الحال التى صار اليها افراد الطاقم ، بل وكل مطلع على الموقف .. لكن لم تمر أيام أخرى حتى كاد الجميع أن يموتوا ، ولكن من الضحك هذه المرة ..

فعلى متن محطة الفضاء اكياس قمامة يجمع فيها الملاحون بقايا المحطة، ويلقوا بها الى الفضاء كل بضعة أيام .. ولم يكن الطبق الطائر الاول فالثانى

• حول كارثة مكوك الفضاء •

سوى بعض اكياس القمامة وقد اتخذت اشكالا غريبة وهى تدور وراء المحطة بعد القائها ، وتبرق مصدرة اشعاعات غريبة عند تعرضها للشمس ..

وحتى تكتمل الصورة لا بأس من مشهد اخر .

ذات صباح كان المفروض ان يستيقظ الملاحون فى الثامنة تماما .. وعبثا حاول مركز ادارة التحليق على الارض ان يسمع منهما ردا على تحيته : « صباح الخير » . لم يكن هناك سوى الصمت القاتل . وازداد المركز عصبية والدقائق المتبقية للمحطة فى مجال الاتصال مع الارض تذوب ..

عاش المركز مهموما ما يقرب من الساعة ، حتى عادت المحطة فى دورانها الى المجال الذى يمكن منه معاودة الاتصال .

وللقارىء أن يتصور هموم هذه الساعة وما اتخذ خلالها من احتياطات لمواجهة الطوارىء المحتملة ، فقد كان المتوقع ان الطاقم قد اصيب بمكروه ، فالعوامل القاتلة تحيط بالملاحين من كل جانب (خلل فى تركيب ما يتنفسونه



من هواء او نقص ضغطه او جرعة هينة من الاشعة الكونية أو حريق .. وكل ذلك سبق وان حدث بالفعل ، وما يمكن أن يحدث أكثر هولا بما لا يقاس) .

لكن حين وصلت المحطة مجال الاتصال من جديد كان الملاحان يتصايحان وبراءة الاطفال في صوتيهما: « وفيها اية الياس من حقنا ان تروح علينا نومة يوما كل مائة يوم » .

ولن اخوض فيما يتصل بالتكاليف المالية حيث يمكن الاكتفاء بمؤشرات مثل :

* وصول تكلفة وجبة الافطار في بعض الاحيان ٢٠٠٠ دولار .

* وصول تكاليف المحاولات السبع لاطلاق المكوك « كولومبيا » (يناير ٨٦) الى ٢ر١ مليون دولار .

* ان تكاليف صنع المكوك « شالنجر » بلغت ٢ر١ مليار دولار ، ويحتاج صنعه من جديد الى ضعف هذا المبلغ .

والقارىء بعد ذلك أن يتخيل تكاليف الاذاعة الطوارىء في مجمع الانشطة الفضائية — على مستوى العالم — نتيجة لخطأ بسيط بدى فيه كيس القمامة طليقا طائرا ، أو لان ملاحا راحت عليه نومة . أو تكاليف غير ذلك مما تطرقنا اليه ، أو تكاليف الانشطة الفضائية عامة .

● شاءوا وشاءت الاقدار ●

هذا هو الوجه الاخر لما تطالعنا به صفحة التلفاز ، والذى كان مقدرا لرحلة « شالنجر » المنكودة أن تقوم بدور أساسى فى اشاعته وتأكيده ، لقد كان بين أفراد طاقمها أول مواطنة عادية، اجتهدوا أن تكون مدرسة للاجيال التى يمكن أن ترفد جيش العمل فى الفضاء. واحاطوها بحملة اعلامية هائلة، مركزين على ما تؤديه من اقوال مثل : « ان قيادة مكوك الفضاء أكثر امنا من قيادة سيارة .. ولا يجب لاحد أن ينظر لمكوك الفضاء بشىء من الخوف لانه لا يمكن تصور (!) أن يتعرض المكوك لحادث طريق (!) (كانت الوحيدة التى أمنت على حياتها قبل الاقلاع بمليون دولار)

هذا وكانت الرحلة قد نظمت بحيث تتمكن المدرسة كريستا ماكوليف من توجيه درسين وهى محلقة فى الفضاء، مباشرة الى ٥ر٢ مليون تلميذ ربطت حجراتهم الدراسية بدوائر اتصال تليفزيونى مع المكوك ، وكان فحوى الدرسين اللذين اعدا على الارض « كم تنطوى حياة الفضاء على مثيرات ، وكيف أصبحت روتينا ... » .

وبالطبع لامجال لان نتطرق هنا الى جوانب اخرى للحملة الاعلامية من قبيل ما أكده رئيس موظفى البيت الابيض للصحفيين قبل الكارثة من أن رسالة الاتحاد — التى كان الرئيس سيلقيها بعد اطلاق المكوك « شالنجر » مباشرة لن تكون كسابقتها . فقد كانت النية تتجه الى استغلال المناسبة فى اقامة عرس لنجاح الرئيس السياسى ...

لكن الاقدار شاءت شيئا آخر ..

ولعلى أكون قد الححت فى أن أدفع القارىء الى أن يسأل: « ولماذا كل هذه التضحيات ، وكل هذا الجهد ، وكل هذه التكاليف ؟ » ليدرك أن وراء الاكمة ما وراءها ، ولعل الاهم من ذلك كله أن نعى حاجتنا نحن العرب ، أكثر من غيرنا ، الى هذا النشاط . وذلك موضوع مقالنا القادم باذن الله .

الدماء

شعر : أحمد فضل شبلول

هذا انا ..
وحده الخيوط قطرة من الدماء
انه دمى
يجرى على قمصانكم
رأيته .. يسيل من لعابكم
ينز فى وجوهكم
رأيتكم
تعلقونه على رفوفكم
تقايضون فى الطريق باسمه
وفى الفضاء تلعنونه
فى ساحة القضاء ترجمونه
هذا دمى ..
معلق على نوافذ المتاجر
وفى كصائد الدولار

فى ملاعب القروب
فى فساتين النساء
فى التماع هذه الاسواد
فى اظافر النساء
فى المساحيق الصعيدة
رأيته .. ..
تفجرت عروقه
احدودبت دوائر النهار فى احمراره
رأيته ..
يسابق الظلام
انه يقاوم التجلط الاخير
طهروا قلوبكم به
فانه ..
دمى





سينما عربية وأوبرا وأشياء أخرى

بقلم : مصطفى درويش

لو ألقينا نظرة طائرة على ما يجرى حولنا على امتداد **الوطن العربى من المحيط** إلى الخليج فى الربع الرابع من القرن العشرين **الذى نراه منسحبا** منحسرا من عمر الزمان .

لو ألقيناها وحاولنا أن نتذكر ملتفتين إلى الوراء قليلا ، **لوجدنا شيئا من التشابه** بين مايجرى الآن وبين وقائع جرت **بطول وعرض شبه الجزيرة** الإيطالية فى الربع الثالث من القرن التاسع عشر ، **ولذهب بنا الظن** مذهب القائلين بأن التاريخ مولع بإعادة نفسه .

من المعروف أنه إثر ثورات سنة ١٨٤٨ التى اصطلح على تسمية فترتها القصيرة الزاهرة بربيع الشعوب ، تطورت الأمة الايطالية فى جهد مضن يمتد من حروب استقلال ووحدة ضد الامبراطوريتين النمساوية والفرنسية والكنيسة البابوية ، تحت زعامة رجال معتدلين ومتطرفين امثال "مازينى" و"كافور" ومحاربين بواسل أبطال "كجار يبالدى" ، عبّر مئات الهزائم والخيانات والانقلابات وآلاف القتلى والضحايا والشهداء ، حتى انتهى الأمر بها إلى الصيغة المشتهاة ، أن تكون أمة لها كلمة واحدة ودولة واحدة من أقصى الشمال حيث جبال الالب بثلوج قممها الشامخة تناطح السماء ، إلى أقصى الجنوب على أطلال مملكة صقلية حيث





"المخدوعون"

الشمس مشرقة ابدا لا تفقد حرارتها صيفا أو شتاء .

● الحلم .. الأمل ●

وهنا قد يكون من المفيد الاشارة إلى ان موقع مملكة "بيدمونت ـ ساردينيا" فى الشمال الملتصق بسهل لومبارديا حيث "ميلانو" المركز الصناعى والثقافى الهام .

وفوق هذا تمتع تلك المملكة بنوع من الاستقلال تحت حكم آل سافوى سبقت به غيرها من ممالك شبه الجزيرة إلى دخول العصر الحديث ، وذلك بفضل صراع المصالح بين ملوك فرنسا من "البوربون" وأباطرة النمسا من "الهابسبورج" كل ذلك قد هيأها لأن تكون نواة الوحدة الايطالية .

وقد تفاعلت مع هذه العوامل فى تكوين دور مملكة "بيدمونت" الايطالى . الثقافة التى هى روح الامة ، ولعبت الاوبرا فى هذا الشأن دورا وأى دور .

ولكن ما علاقة كل هذا . لاسيما الاوبرا بالسينما العربية ، وما قد يكون لها من تاثير على سير الاحداث فى الوطن العربى صعودا نحو تحقيق الحلم ـ الأمل .. الوحدة ؟

ظهر فن الاوبرا أول ما ظهر فى شمال إيطاليا وبالتحديد فى فلورنسا عاصمة توسكانيا (اوبرا اوريديس سنة ١٦٠٠) ، ومنها انتشر إلى جميع مدن ايطاليا .

● صوت من الغيب ●

ومع مدّ الوحدة أصبح للاوبرا دور بارز فى الهاب حماس جماهير الطبقة المتوسطة المهيأة للكفاح من أجل الاستقلال والوحدة ، واصبحت مملكة بيد مونت بالتالى منطقة جذب للابداع الاوبرالى .

فليس صدفة أن يسمع صوت حنجرة "جيسبى فيردى" (١٨١٣/١٩٠١) لأول مرة فى قرية "لورونكول" من أعمال ولاية "بياشينزا" التابعة لتلك المملكة .

وليس صدفة أن تكون "نابوكو" أول أوبرا من إبداعه يتحمس لها الايطاليون وأن يكون هذا الحماس أول عهده بالشهرة ، فتلحينه لها نابع من الأسى لشعبه المغلوب على أمره . المنهوبة خيراته كيما تتمتع بها أقلية ثرية مرفهة فى فيينا .

وطبعا لم يكن فى إمكان الاعمال الأوبرالية الاخرى لغيره من الموسيقين ان ترتفع إلى مستوى "نابوكو" أو غيرها مما أبدعته عبقريته ، وكانت سببا فى وصوله إلى قمة الأوليمب .

فمعظم أعمال هذا الغير كان ميلودراميا تافها ، قاصرا عن بلوغ الحكمة المختزنة فى عقل وقلب الشعب .

والاكيد أنها ذهبت جفاء ولن يسمع بها احد فى مستقبل الايام .

ومع ذلك فهذه الاعمال فى مجموعها ـ وبحكم انها ناطقة باللسان الايطالى ـ قد أسهمت بشكل أو بآخر فى خلق الظروف المواتية للوحدة .

● أول الغيث ●

فإذا ما انتقلنا بعد هذه السياحة فى القرن التاسع عشر مع الأوبرا والوحدة الايطالية إلى السينما والوطن العربى ، لما وجدنا فارقا كبيرا ، وذلك رغم اختلاف الأمكنة والأزمنة .

ظهر فن السينما فى الوطن العربى أول ما ظهر على أرض مصر سنة ١٩١٢ .

أما الانتاج السينمائى الروائى الطويل فيؤرخ له بالخامس من مايو سنة ١٩٢٧ ،





صلاح ابو سيف

وهو اليوم الذى عرض فيه فيلم "قبلة فى الصحراء" بمدينة الاسكندرية .

قبل ذلك ـ وخلال سنة ١٩٢٦ ـ شاءت الاقدار أن يصل إلى عروس البحر الابيض شابان فلسطينيان ـ ابراهيم وبدر لاما ـ كانا فى طريقهما من شيلى الى فلسطين ، ومعهما معدات للتصوير السينمائى بغرض انشاء صناعة للسينما على ارض الآباء .

غير انهما ـ وبعد أن لمسا النشاط الفنى الذى كانت تذخر به مدينة الاسكندرية وقتذاك ـ استقر بهما الرأى على البقاء فيها حيث ساهما فى تاسيس شركة " مينا فيلم " . وكانت باكورة إنتاجهما " قبلة فى الصحراء " الذى يعتبر بحق أول فيلم عربى روائى طويل .

بعد ذلك بخمسة شهور ، وبالتحديد فى ١٦ من نوفمبر سنة ١٩٢٧ ، عرض فى القاهرة ـ ولأول مرة ـ فيلم "ليلى " إخراج "ستفان روستى" وانتاج وتمثيل "عزيزة امير" وهو فى رأى نفر من مؤرخى السينما الفيلم الذى بدأ به إنتاج الافلام الروائية الطويلة على ارض مصر . وذلك باعتبار أن منتجته ونجمته تحمل الجنسية المصرية !!

● مصر .. لماذا ؟ ●

وسواء أكان أى من هذين الفيلمين ، هو الأول أم الثانى ، فمن المتيقن ان الانتاج السينمائى بدأ فى الوطن العربى انطلاقا من ارض مصر .. لماذا ؟

أولا : لانها كانت تتمتع بنوع من الاستقلال تحت حكم أسرة محمد على .

ثانيا : لانها مرآة الوطن العربى كما يقول بحق فؤاد عجمى فى كتابه المأزق العربى .. الفكر السياسى والممارسة العربية منذ ١٩٦٧ .

وثالثا : لأنها قادت الوطن العربى الى عصر البرجوازية ابان القرن الماضى .

ولا غرابة فى هذا ، فوضعها الجغرافى المركزى يجعلها بمثابة القلب من الوطن الكبير .

وتأكيدا لهذا الوضع المتميز يقول "فؤاد عجمي" فى كتابه المشار اليه أن التقدم النسبى لاقتصاد مصر ، ومتعة مدنها الكبرى المشعة ثقافة وبهجة ، هذا إلى تعرضها لتأثير الافكار الحرة السائدة فى أوربا ، كل ذلك أهّلها لأن تكون قاعدة وطليعة للوطن العربى ، لتتقدم على باقى اجزائه بأكثر من عقد ، وبالتالى جعل نتاجها الادبى والثقافى اكثر تفوقا على انجازات سائر العرب (ص ٧٩ ـ ٨٠)

● صمت ونطق ●

ولم تكن الفترة الصامتة من حياة السينما العربية طويلة .

فبعد فيلم الأخوين لاما بخمس سنوات او يزيد ، وبالتحديد يوم ١٤ من مارس سنة ١٩٣٢ عرض أول فيلم عربى ناطق "أولاد الذوات" لصاحبيه المخرج "محمد كريم" وممثله الأول "يوسف وهبى"

وفى هذا اليوم التاريخى اكتشف جمهور حفلة الافتتاح أن الفيلم نصفان الأول ناطق عربى اللسان ، والثانى أخرس لا ينطق حرفا واحدا .

ولم يكن لهذا الاستهتار من سبب سوى رغبة منتجى الفيلم فى الحد من تكاليف جعله ناطقا بالكامل ، وهى تكاليف باهظة لا قبل لهم بتحمل أعبائها .

وهكذا ولدت السينما المتكلمة مريضة بداء "الاستسهال" والتسطيح والجرى وراء المكسب السريع ، وهو داء يرجع إلى الخطيئة الأولى ، وهى ميلاد السينما العربية أصلا على ارض مصر ، فى وقت كان الوطن العربى فيما عدا المملكة السعودية وإمامة اليمن يئن من الاحتلال ، ترفرف على جنّاته اعلام الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى .

وكان الحكم فى وادى النيل يتقاسمه حكام من الانجليز والسراى واحزاب اقلية مع شراذم من المغامرين والافاقين الاجانب .

ولقد ادى هذا الداء إلى الانحدار بافلام تلك السينما إلى درجة ان جيدها اصبح جد ضئيل بالمقارنة مع رديئها الذى هو كم كثير ، بل وكثير جدا إلى حد الشذوذ

كما ادى إلى انصراف السينمائيين لا فى مصر وحدها ، بل فى اقطار عربية أخرى كسوريا ولبنان عن تناول اى موضوع جاد يؤدى إلى صحوة وطنية أو نهضة فكرية بل العجب أن يكون الأمر على خلاف ذلك فى ظل احتلال اجنبى ليس له هدف سوى حجب المعرفة عن الأمة العربية ، بمزيد من التشدّد فى الرقابة على حرية الفكر ، وبالذات حرية التعبير بلغة الفن السابع .

● أشعة فى الغمام ●

ورغم ذلك فبمثل هذه الأفلام التى خاطبت أفئدة وقلوب الناس فى الوطن



العربى الفسيح ، لمجرد أنها كانت تتكلم وتغنى بلغة الضاد ، بمثلها وتحت تأثيرها بدأت أسوار القُطْرية والقبلية تنهار .

وبطبيعة الحال لم تكن جميع الافلام من نوع الميلودراما الغالب على السينما عندنا ، والمتسم بالهبوط والانحدار .

كان ثمة أفلام من نوع آخر ، من ذلك النوع الذى يحطم الأصنام ويعيد تقويم المقاييس السينمائية ، من ذلك النوع فى الفن الذى صفق له قلب ناسك الشخروب عندما اكتشف عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى فى الأدب فاندفع بحرارة وايمان لا يعرف الحدود قائلا "الا بارك الله فى مصر" فما كل ما تنثره ثرثرة ، ولا كل ما تنظمه بهرجة ، وقد كنت أحسبها وثنية تعبد زخرف الكلام ، وتؤلّه رصف القوافى .

فكم زمرت لبهلوان وطبلت لمشعوذ ، وطبيت لسكران !

غير أنى عرفت اليوم بالحس ما كنت اعرفه أمس بالامل .

عرفت أن مصر مصران لا واحدة ،

شادية [illegible] في "عمر فاتته الرجولة"



مصر ترى البعوضة جملا ، والمذرة جبلا ، ومصر ترى البعوضة بعوضة ، والمدرة مدرة . " (ص ٢٠٩ من سبعون المرحلة الثانية لميخائيل نعيمة)

كان هناك "الفتوة" لصلاح ابو سيف و"الحرام" لهنري بركات والثلاثية "صراع الابطال" و"المتمردون" و"المخدوعون" لتوفيق صالح و"المومياء أو ليلة حساب السنين" لشادى عبد السلام ، و"البرىء" لعاطف الطيب . و"للحب قصة أخيرة" لرأفت الميهى ، إلى غير ذلك من افلام دوى لها جو الوطن العربى بالرعد والبرق .

● إحتكار ام حصص ●

وهناك من يعيبون على السينما العربية

عمر واحلامه التائهة في

رض الطيبون سهيد



تمركزها شبه الاحتكارى في مصر ، مع إجداب بعض اجزاء الوطن كالسودان والصومال وأرض الجزيرة العربية من الابداع السينمائى وفى ظنى أن هذا التمركز لا يشكل أزمة للفن السابع فى ربوع الوطن الواحد .

فليس مطلوبا أن يكون لكل جزء من الوطن الذى تمتد خريطته من المحيط الهندى إلى المحيط الأطلسى سينما خاصة به ، ذلك أن السينما هى اكثر الكائنات قدرة على السفر والرحيل .

وليس بوسع السينما العربية أن تنعزل بين جدران اقليمية ضيقة الأفق .

المطلوب وسط الحضارة الطموح التى نعيش بين احضانها أن تصب جميع الروافد السينمائية العربية فى تيار سينمائى واحد جارف ، تيار يعكس ازمات المواطن العربى الخاصة ، أزماته الواقعية ، ما اتصل منها بصراعه ضد الاستعمار قديمه وجديده وضد الاستيطان الصهيونى لأرض من الوطن فى فلسطين وما يتصل بكفاحه اليومى من أجل الرغيف والمسكن والعلم .

● فجر جديد ●

وعلى كل فالثابت ورغم العقبات ، ان ثمة سينما تتفجر أصالة وحيوية ، بعض افلامها أت من مغرب الوطن ، وبخاصة الجزائر عقب انتزاعها الاستقلال من



براثن الاستعمار ، والبعض الآخر أت من مشرقه لا سيما الجزء المطل منه على البحر المتوسط ، وهي مع سينما القاهرة تكوّن تيار السينما العربية بجميع ابعاده وتناقضاته .

وغنى عن البيان أن غلبة تيار سينما القاهرة ، او كما يحلو للبعض أن يسميها "هوليوود العرب" ليس مدعاة لإغفال ذكر التيارات أو الروافد العربية الاخرى ، ومن ثم الانتهاء إلى حصر السينما العربية فى التيار الاقوى وبالتنكر لأى تيار آخر مهما كان صغيرا .

فضلا عن أن هذه النظرة تخالف ما يحدث فى حلبة السينما العربية ، فانها لا ترى من واقع تلك السينما الا ظاهرة دون الغوص فى اعماقه بحثا عن التأثير الجدلى المتبادل بين التيارات المتصارعة داخله .

● الفيلم الوثيقة ●

ففيلم "كعمر قتلته الرجولة" لصاحبه "مرزاق علواش" - وهو مخرج من الجزائر - عندما يعرض لأزمة الشباب معاناة وضياعا على أرض المليون شهيد ، إنما يعرض لها فى حقيقة الأمر ، من منطلق عربى عام يتجاوز الحدود ، كل الحدود .

وبيانا لذلك اقف عند فيلم "علواش" قليلا ، أعرض له تفصيلا .

بطله ، وهو من الطبقة المتوسطة الصغيرة ، تلك الطبقة التى تفرز حكام معظم اقطار الوطن الكبير ، قد عرّى تمام وبلا هوادة .

والفيلم يبدأ به - واسمه عمر - جالسا فوق سريره يعرفنا فى حوار مباشر مع الكاميرا بنفسه وبأفراد أسرته التى يقيم معها فى منزل متواضع بضواحى الجزائر العاصمة .

● ضياع وعزلة ●

ومن حواره مع الكاميرا نعرف أنه شاب ضائع ذو أحلام تافهة ، فهو موظف له صفة الضبطية القضائية ، ليس له مهمة فى الحياة سوى أن يذهب صباح كل يوم إلى المصلحة حيث يظل حبيس المكتب مع زملاء لا حديث لهم إلا عن النساء والكرة ، وما إلى ذلك من اهتمامات فقيرة ، لا تترك وراءها ثمرا ولا أثرا ، أو أن يخرج مع هؤلاء الزملاء وراء أحد الرؤساء فى زفة لضبط الغش التجارى فى محلات المجوهرات والبطش بتجار الذهب فى السوق السوداء .

والغريب فى أمر هذا الشاب أن الصلة بينه وبين المجتمع منقطعة ، وأنه يسعى إلى اعادتها فلا يجد سبيلا إلى ذلك الا فى اقتناء جهاز تسجيل يعيش من خلاله مع الوهم مخدرا باغان هندية ، وأخرى شبه شعبية "لعبد القادر الشاوى" أحد

مطربي الجزائر أرض المعارك والشهداء.
وجهاز التسجيل في البناء الدرامي لقصة "عمر"، بل قل مأساته ـ الفيلم كوميدي ـ يلعب دورا محوريا.

● فقر وتحدلت ●

فبفضله استطاع المخرج ـ وهو كاتب السيناريو ـ ان يكشف عما بنفوسنا من هزال نحاول ان نعوّضه بالانبهار بما اخترعه الغرب من لعب تسلبنا، تشيئنا، تفقدنا حرارة الحياة.

وعمر في حواره المباشر مع الكاميرا يحاول أن يتسامى بوجوده، ان يظهر حياته على غير حقيقتها (الفحولة من الصفات التي يدعي التحلي بها)

ولكن المخرج يتلصص على بطله، يذهب بنا الى ما وراء الديكور والطلاء ليرينا الهوة السحيقة بين تطلعات عمر وبين الحياة التي يعيشها.. حياة ضاعت في جهود مجدبة لا تغني صاحبها.. بل تزيده فقرا على فقر.

إنه يعيش على الهامش، خارج التاريخ، حياته خواء، يحاول أن يملأها بنفر من الزملاء كلهم وبلا استثناء من صنف الرجال، وبالموسيقى وأشرطة التسجيل وكرة القدم والسينما الهندية.

ومشاكل المجتمع الذي هو جزء منه لا تهمه، فهو لا يتساءل ابدا عن أسبابها، ولا يحاول أبدا أن يشارك في إيجاد حلّ لها.

فأزمة المساكن، والمواصلات المزدحمة، والسوق السوداء، وغير ذلك من المشاكل التي تعانيها الجزائر المعاصرة لا يهتم لها ولا يهتز، فهي عنده وكأنها مشاكل بلد آخر.

وفجأة، وبينما هو عائد من عرس سجل فيه للمطرب "عبد القادر الشاوي"، في طريقه الى منزله عبر حيّ القصبة، إذا بعصابة تنقض عليه وتسلبه أعز ما يملك.

ولا تطول المأساة، فواحد من أصدقائه يجمع بين الوظيفة والتهريب، استطاع أن يوفر له مسجلا جديدا بالتقسيط المريح.

ولم يكتف بذلك، بل أهداه شريطا فارغا يعيد فيه تسجيل الاغاني المحببة إلى قلبه.

● ملك الفؤاد ●

ولدى تجربة الشريط يفاجأ بسماع صوت نسائي مسجل يتحدث في عذوبة ورقة عن آلام الوحدة ومرارة الفراق والحرمان.

ويستفسر من صديقه الموظف المهرب عن صاحبة هذا الصوت الساحر الذي ملك الفؤاد.

وإزاء إلحاحه يخبره باسمها "سلمى" ويعطيه رقم هاتفها فى المصلحة التى تعمل بها .

وفى مشهد سينمائى رائع يتصل عمر بها هاتفيا .. واثناء الحديث معها يرسل نفسه على سجيّتها ، فيعبّر عن حبه لصوتها حبا صريحا حرّا ، ويتفق معها على موعد للتلاقى فإذا ما حلّ الموعد ، ورأى ـ وهو على الجانب الآخر من الطريق ـ "سلمى" تنتظره قريبا من مدخل المصلحة خانته شجاعته ، فظل واقفا فى مكانه لا يتحرك ، معلقا بين اليأس والرجاء وكأن ثمة قوة خفية تقطع كل سبب بينه وبين صاحبة الصوت الساحر حتى انصرفت يائسة .

وبعد هذا المشهد الدامغ لأخلاقيات المجتمعات التى تقوم على الفصل بين الجنسين ، ينتقل بنا إلى فجر يوم جديد فى حياة عمر ، فنراه ، وهو يستعد للذهاب إلى العمل ، ونسمعه وهو يحدث نفسه قائلا "هذا الصباح سأكلم سلمى" .

ثم ـ ينتهى الفيلم الذى اراد المخرج أن يصور من خلاله قطاعا مهماً من الشباب فى الوطن العربى ، يراه عبدا للاشياء ، منفصلا عن الواقع ، معلقا لا يدرى ماذا يريد ، ولا اين يمضى .

تعديل لابد منه

● كان من عادة ((تيودور روزفلت)) ان يملى رسـائله على سكرتيرته الخاصة ، فتكتبها بطريقة الاختزال ، ثم تنقلها على الآلة الكاتبة وتقدمها له يوقعها . وبرغم انها كانت تتوخى الدقة ، فانه كان دائما يضيف عبارات جديدة بخط يده او يبدل بقلمه كلمة باخرى . وحدث ان كتبت احدى هذه الرسائل مرة اخرى بعد ان ادرجت فيها اضافاته وتصحيحاته . ثم قدمتها ليوقعها ، فقال لها : ((لا تفعلى ذلك مرة اخرى .. اننى اتعمد اجـراء هذه التعديلات بخط يدى حتى تحمل الرسالة طابع الاهتمـام ويعظم اثرها فى نفس المرسل اليه ! .

لحظات الكبرياء في السينما العربية

بقلم: كمال رمزي

هل هي مجرد مصادفة ان تلتقي ذاكرة السينما العربية حول حدث تاريخي واحد ، وقع في مصر ، وترك أثره القوي في انحاء الامة العربية .. وان تقدمه ثلاثة افلام من عيون السينما العربية ، خارج مصر ، على نحو بالغ الاعزاز ؟

الحادث الكبير هو حرب السويس ١٩٥٦، مقدماتها ووقائعها ونتائجها، والافلام الثلاثة تاتي من العراق حيث قدم محمد شكري جميل فيلمه ((الاسوار))، ومن لبنان حيث حقق برهان علويه ((كفر قاسم)) ومن سوريا حيث حقق محمد ملص فيلمه ((احلام المدينة)) .





لقطة من فيلم احلام المدينة

والافلام الثلاثة ذات نزعة واقعية ، تلتقى فى اهتمامها بالحياة اليومية للمواطن العادى ، فالاسوار يدور فى احد أزقة الناصرية ، ويقدم هموم سكان الزقاق وآمالهم ، ويهتم بنضالهم ، سواء من أجل لقمة العيش أو من أجل وطن متحرر من أغلال الاحلاف العسكرية الاستعمارية والسلطة العميلة .

ومن خلال مقهى قرية « كفر قاسم » ومدرستها وبيوتها ومزارعها وحواريها يهب علينا نسيم فلسطين .

وفى أحد شوارع دمشق الجانبية ، بدكان الكواء والجزار والمتسكعين وتلاميد المدارس والأملين والمظلومين تكاد تحس بانفاس سوريا .

والافلام الثلاثة تدور أحـــداثها فى الشهور السابقة للمواجهة الدامية بين مصر والقوى الاستعمارية ممثلة فى انجلترا وفرنسا واسرائيل .. وتتحول المواجهة الكبيرة الى أمر شـــخصى ، بالغ الخصوصية ، يمس أبطال الافلام الثلاثة، عراقيين وفلسطينيين وسوريين .

عن رواية « القمر والاسوار » لعبد الرحمن الربيعى أعد صــبرى موسى سيناريو فيلم « الاســوار » ، وتتعرض الرواية للواقع العراقى فى الفترة التى

سبق مباشرة حرب ١٩٤٨ ، الى ما بعد ثورة ١٩٥٢ المصرية ، ويرصد الروائى ، من خلال تطور وعى أبطاله ازدياد الشعور المعادى للأحلاف التى تتبناها طغمة الحكام الذين لايستطيعون البقاء على عروشهم وفى مناصبهم ، الا فى حماية الاستعمار.. ان الرواية تتابع نهم الجماهير العراقية العريضة لما دار فى أرض فلسطين حيث تم تشريد ومطاردة شعب ، بينما يمد ملك العراق يده ليتحالف مع نفس الذين ساهموا فى كارثة اقامة دولة اسرائيل . وتتصاعد مقاومة الشعب العراقى ، وتزداد قوة وصلابة وأملا عندما ترد أخبار القاهرة القائلة بأن الشعب قد خلع الملك وسينازل الاستعمار .. « القصر والاسوار » بقدر ماتوغل فى أحراش زقاق صغير فى مدينة الناصرة ، بقدر ما تحلق فى آفاق الوطن العربى ، تتلمس رياح التغيير التى تعتمل هنا وهناك وتقدم شخصيات تتشكل وتتكون وتكتمل فى ظل مقاومة حكام ظالمين وسلطة باطشة وحشية .

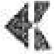
اعتمد الفيلم على روح الرواية ، وشخصياتها الاساسية ، ولكنه اختزل المساحة الزمنية التى تستغرقها أحداث الرواية ، وتقدم بها عدة أعوام ليبدأ بمقدمات العدوان الثلاثى على مصر ، ويوفق الفيلم تماما فى اختياره للزمن ، فالفترة التى يتعرض لها ، كما يصفها الكاتب الانجليزى باتريك سيل « فترة تصفية حسابات قاسية اذ انشغل نورى السعيد بانقاذ عرش فيصل من مد مياه أمواج السويس » وهو — أى نورى — قد لجأ الى أبشع وسائل الارهاب : الاغتيالات والاعتقالات الجماعية ، واطلاق الرصاص على المتظاهرين .

ان الفيلم الذى يدور قبل عامين من الثورة العراقية ١٩٥٨ ، يعبر عن عناء الشعب وتضحيته وقوته فى ذات الوقت الذى يعبر فيه عن مأزق نظام مهلهل متداع ، يدافع عن وجوده واستمراره بأحط الطرق ، لذلك فان الثائر « محسن الحلاق » الذى تنتهى به الرواية وهو لايزال يفجر الوعى فى نفوس الاخرين يلقى مصرعه على يد السلطة الوحشية الجريحة فى الفيلم ، ولكن بعد ان يظهر عشرات آخرين من طراز محسن الحلاق .

● الصراع وتفاصيل دقيقة ●

وعلى الرغم من الطابع الملحمى للاسوار المتمثل فى الصراع بين قوى الثورة من جهة والقوى المحافظة من جهة أخرى ، الا أنه اهتم بعشرات التفاصيل الدقيقة ، الصغيرة ، التى منحت الفيلم دفئا خاصا .. فهو يتتبع مشاعر الحب الاول ، الرقيق ، لاحد طلبته ، ويرصد طرفا من حياة تاجر شره داخل أسرته ، ويتعقب السيرة الشينة لرجل بوليس فاسد ومرتش فى احدى دورياته ويسجل أحاديث نساء الزقاق التى تعبر عن العديد من الطموحات والاتجاهات ، المتوافقة أحيانا ، والمتناقضة أحيانا أخرى .. ان هذه التفاصيل الفنية قد أنقذت الفيلم من جفاف وعمومية الطابع اللحمى ليصبح الفيلم نابضا بدفء الحياة الواقعية .. اليومية .

قدم برهان علوية فيلمه قبل محمد شكرى جميل بخمسة أعوام ، اى فى سنة ١٩٧٤ ، ويبدأ كفر قاسم بالمحاكمة الصورية للكولونيل عيسا شار شادومى ، الذى أصدر أوامره لجنوده بقتل سكان قرية كفر قاسم العائدين الى بيوتهم قبل أن يعلموا بقرار الحكومة الاسرائيلية الخاص بحظر التجول والذى صدر من نصف ساعة فقط .. وتنتهى المحاكمة باصدار حكم بالغ الدلالة ، فالكولونيل



القاتل ، الذى صرع مع عصابته ٤٨ فلسطينيا وفلسطينية ، عليه أن يدفع غرامة قدرها قرشا اسرائيليا ، وان ينفذ الحكم قبل ان يعين مسئولا عن الشئون العربية فى مدينة تحت الحكم الاسرائيلى. اذن لمذبحة « كفر قاسم » لم تحدث بسبب كولونيل مجنون ، متعطش للدماء، ولكنها تعبر عن فلسفة واسلوب نظام عنصرى ، يرى أن دم ٤٨ فلسطينيا لا يستحق اكثر من قرش واحد . ان المحكمة لا تدين الكولونيل بقدر ما تفضح نظاما .

وبعد المحكمة التى تدور بعد عامين من المجزرة ، يرتد الفيلم الى الاسابيع القليلة التى سبقت الاعتداء الثلاثى ، ويكشف الفيلم عن الظروف القاسية التى يعيشها الفلسطينى فى الارض المحتلة ، على نحو بالغ التأثير ، ولعل من اكثر المواقف التى تمس شغاف القلب فى «كفر قاسم » ، موقف السيدة العجوز التى تنتظر امام بيت المختار او العمدة لكى تسجل حديثا فى برنامج « نحن بخير » الذى تقدمه الاذاعة العبرية .. وتبدو العجوز حزينة لوفاة زوجها الذى رحل من الدنيا وهو يتمنى ان يرى ابنه الوحيد الذى حمل بارودة ذات صباح واختفى ، وعاد مرة واحدة لياخذ طعاما لاصحابه ولم يعد .. وتهدى العجوز سلامها لابنها وتقول وهى تجهش بالبكاء « ابوك مات يا اسعد » ، وفى مشهد لاحق ، على الطريق الزراعى يستمع الفلاحون الى البرنامج الذى سجلته بعثة الاذاعة فى قريتهم ، وتعلق امرأة تعليقا يهزنا تماما : ماذا لو عرفت ان ابنها أسعد قد مات ؟.

وفى القرية نعايش مأزق ذلك العجوز الذى يصله خطاب بالعبرية يخبره باستيلاء الدولة على أرضه بحجة انه تركها بلا زراعة فاصبحت بورا ، وتظهر فاشية النظام واضحة عندما يؤكد الفيلم بان وزارة الدفاع سبق ووضعت يدها على ارض الرجل « لاسباب امنية » بعد أن طردته منها ، وها هى السلطة تطبق قانونها الجائر بالاستيلاء على الارض البور !.

ويقدم الفيلم نماذج تمثل القوى السياسية المتباينة الاتجاهات ، والتى ينتمى اليها رجال القرية ، ابتداء من « الناصريين » و « الماركسيين » حتى « اللامباليين » والعملاء .. وهو لا يقدمهم على نحو فكرى جاف ، ولكنه يضعهم فى معترك الحياة ، ويجعل لكل منهم نوعا من الخصوصية الفردية ، فهم جميعا ، مبدئيا ، بشر من لحم ودم ومشاعر ، وكلهم .. يقتربون من لحظة المذبحة الدامية .

● رؤية شاعرية ●

ويتعرض « احلام المدينة » الى ذات الفترة التى يتعرض لها فيلم « الاسوار» ١٩٥٣ – ١٩٥٨ ، ولكن فيلم محمد ملص ١٩٨٤ ، يقدم رؤيته الشاعرية الرقيقة، التى تجمع بين نفاذ البصيرة وشمولها ، من خلال عينى فتى لم يتجاوز العاشرة من العمر.. والفيلم يبدأ مع ظلام الليل، فالاوتوبيس يحمل أسرة صغيرة : ام فى شرخ الشباب ، مات زوجها حديثا ، وها هى فى الطريق الى منزل والدها مع طفليها ، وهاهى تصدم – وتصدم معها – بوالدها الجلف البخيل ، الذى يرفض ان يفتح لها الباب ، ولكن ، بعد تدخل أحد الجيران ، يقبل استقبال « لحمه» على مضض .

وتعيش الام ، مع ولديها أياما قاسية في رعاية والدها الذى لا يرحم .. لكن محمد ملص ينتبه الى ان الايام القشينة لا تخلو من لحظات بهجة ، الامر الذى جعل لفيلمه مذاقا بالغ الصدق والعذوبة، ان الام الشابة ، الممثلة العظيمة « ياسمين خلاط » تشترى مذياعا يدخل السعادة الى قلبها الحزين ، ويستريب والدها الشرس في مصدر ثمن المذياع ، ويتهمها في شرفها ، وتضطر ، في مشهد عاصف الى لطم خديها دفاعا عن سمعتها .. وفي مشهد لاحق تهدأ ثورتها ، وهاهي تحمم طفليها مستمتعة بصوت سيدة الغناء ام كلثوم ، وبعد أن تغتسل من همومها تمشط شعرها الناعم الطويل أمام المرآة ، وتغني متمسكة باهداب امل ما « المغنى حياة الروح ، يسمعها العليل تشفيه » .

ويبدأ ابنها « باسل الابيض » اكتشاف العالم الخارجي ، ففي اليوم التالي لوصوله العاصمة يذهب لمشاهدة استعراضات الجيش احتفالا بعيد الجلاء، وتهرول والدته بحثا عنه ، ويهدف المساعدة في نفقات الاسرة الصغيرة ينخرط في العمل كصبي للكواء ، ويتعرف على شباب الشارع ورجاله : الحالم بالسفر الى احدى دول الخليج ، الجزار الذى يهتف باسم كل رئيس جديد ، السياسي الذى لا يعلم - ولا نعلم - انتماءاته والذى يضرب سياسيا آخر لانه يحرض الناس على شيء ما ، الضرير الذى يأمل في السفر الى موسكو لاجراء عملية تعيد له بصره ، الشاب الذى اعتقل وخرج معلنا بأنه تعلم كثيرا داخل المعتقل ، وصاحب دكان حياكة ينازعه شقيقه وتندلع بينهما معركة وحشية تنتهي باحدهما وقد طعن شقيقه بالمقص .. ويخفق قلب الطفل ، لاول مرة ، بنوع بريء من الحب تجاه فتاة رقيقة يقوم بكي حزام مريلتها.

وتنساب السياسة في نسيج الفيلم بنعومة ، فالطفل يتسمع ، مع من يتسمع ، الى محطة « صوت العرب »، ويتابع سلسلة الانقلابات التى تبدو كما لو كانت لن تنتهي ، ويشهد مظاهرات تلاميذ المدارس ، ويردد ، دون وعي كامل ، الشعارات التى يرددونها .. ويتعرض لوجة عاتية من العذاب عندما تتزوج والدته ، وتخفت أحزانه بعد عودتها . ومن موقعه في ذلك الشارع الجانبي يعايش ، مع السوريين جميعا ، تلك الاحداث الكبيرة التى تعيشها مصر.

الاحداث الكبيرة التى تعيشها مصر ١٩٥٦ هى محور الافلام الثلاثة .. توضع في موضع القلب في الاعمال الثلاثة .

● توازن فريد ●

يستعين الفيلم العراقي بالعديد من الاشرطة التسجيلية ، يجدلها محمد شكرى جميل بمهارة في نسيج عمله ، تأتي في مكانها الملائم تماما ، وتحدث نوعا من التوازن الفريد ، فثمة مشاهد أرشيفية لوصول أسلحة امريكية لاحد الموانيء العراقية ، مع تعليق ، من خارج الكادر ، حول حلف بغداد الذى يدور في فلك الاستعمار .. وفي المقابل ، يطالعنا عبد الناصر وهو في عنفوان قوته، المستمدة من ارادة التحرر عند الجماهير العربية ، معلنا في الاسكندرية تأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية.. هنا ، في هذه اللحظات التاريخية العظيمة ، والتى تثير عند مشاهدتها على الشاشة ، عشرات المشاعر النبيلة ، تكتسب ، من خلال سياق « الاسوار » قيمة مضاعفة . فهي تأتي كرد حاسم على محاولات الاستعمار لتكبيل المنطقة بأغلال الاحلاف والمعاهدات، لم تتأكد قيمتها ودلالتها في المشاهد





المخرج محمد ملص



برهان علوية

الرواية التالية ، والتي تظهر اثر تأميم القناة على الشارع العراقي .. فالرجال الذين يتهيئون للثورة ، يعتبرون ان هذا التأميم ، في جوهره ، نصر للقوى الوطنية العراقية ، بقدر ما هو انتصار للثورة المصرية .

ومرة اخرى يقدم « الاسوار » طرفا من خطاب عبد الناصر الشهير في ميدان الازهر ، عندما بدأ الاعتداء الثلاثي ، وعندما اعلن الرئيس ، وسط جماهير امتلأت بروح الفداء وعشق الوطن «ساحارب معكم الى آخر قطرة من دمي» .. وسرعان ما تدفق المظاهرات في شوارع بغداد ، ليس من اجل العراق فحسب ، ولكن من اجل مشاركة شعب مصر في النضال ضد الغزاة .

وفي « كفر قاسم » ، بعد مشهد المحاكمة الصورية للكولونيل المجرم ، يقدم الفيلم رجال القرية مجتمعين في المقهى ، ينتظرون خطاب عبد الناصر ، وبعد ان تذاع اغنية وطنية يبدأ خطاب التأميم الذى القى في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .. ويلاحظ الناقد السوري صلاح ذهني أن فقرات الخطاب الواردة في « كفر قاسم » ، كانت طويلة الى حد كبير ، ولكني اميل الى رأى الناقد المصري هاشم النحاس الذى يرى أن تحليل فقرات الخطاب تؤكد أهميته ، فضلا من دوره المحوري بالنسبة لبقية الاحداث التالية ، فعبد الناصر في خطابه يهاجم حلف الاطلنطي وامريكا .. يفخر بزحف القومية العربية وتقدمها ، يشيد ويؤازر ثورة الجزائر ويتوقع هزيمة القوات الفرنسية التي اعدوها لمواجهة الاتحاد السوفييتي ثم نقلوها الى الجزائر لقمع الثوار . ويتكلم عن حقوق شعب فلسطين ، ويخطر الجماهير بحصوله على السلاح من الاتحاد السوفييتي ، وان السلاح ، مهما كانت جهة انتاجه ، يصبح عربيا عندما تحمله يد عربية .. ثم ها هو يعلن تأميم قناة السويس .

وكما رصد محمد شكري جميل حماس الجماهير العراقية للنصر المصري ، يرصد برهان علويه رد فعل سكان كفر قاسم تجاه الخطاب . حقا ان النساء تزغردن ، والنشوة تعم الجميع ، ولكن ثمة شيء ينذر بالخطر يشعرنا به الفيلم عندما نستمع قبل الخطاب ، الى مقرىء يتلو من القرآن « اقتربت الساعة وانشق القمر » ، ثم نتأكد منه عندما نرى بعض الشباب مستسلما لنوع من الاطمئنان الخادع فيقول أحدهم « الضربة الثانية فلسطين » بينما يعلن آخر « أبو خالد عمل كل شيء .. نغمض عين ونفتح عين فنجدها محررة » يقول قوله هذا وهو لا يعلم أن المذبحة على الابواب .

اما في « احلام المدينة » فان خطاب التأميم — ذات المشاهد التسجيلية التى وردت فى الاسوار — تأتى في سياق واقع مختلف .. فالانقلابات ، والانقلابات المضادة كانت السمة الغالبة على الحياة السياسية ، ومع كل انقلاب يستمع

الناس الى ذات البيانات التى تهاجم السلطة السابقة وتعد الجماهير بحياة جديدة .. وعندما يعلن عبد الناصر عن التأميم يصبح رمزا للنضال الوطنى ، ومعبرا عن أحلام القوى الوطنية ، ليس فى مصر فحسب ، ولكن فى الوطن العربى كله .. ان « أحلام المدينة » يجسد ، على نحو غنى بالدلالات ، الفرح السورى بالنصر المصرى .

واذا كان « أحلام المدينة » يعكس وقائع من حرب السويس على وعى الصبى ، حيث نشهد اذاعة خطاب عبد الناصر فى ميدان الازهر ، خاصة تلك الجملة التى يقول فيها « لن نستسلم ، لقد فرض علينا القتال ولن يفرض علينا الاستسلام ، سأقاتل معكم الى آخر قطرة من دمى » ـ فان فيلم « الاسوار » يعكس وقائع معارك بور سعيد على مشاعر القوى الوطنية العراقية التى لا تحتل الشوارع فحسب ، بل وتدور داخل جدران المعتقلات ، ان المشاهد التسجيلية للغارات الاستعمارية ضد مصر وانزال قوات المظلات فوق بور سعيد تتلاحم مع المشاهد الروائية التالية والتى تعبر عن تأجج المشاعر والمواقف العراقية ضد السلطة العميلة والاحلاف العسكرية .

وتتباين نهايات الافلام الثلاثة وان كانت تلتقى مع بعضها على نحو ما ، ففى الوقت الذى تتصاعد فيه ثورة الجماهير العراقية ، والتى لم تحسم المعركة بعد ، يبدو مشوار النضال طويلا امام اهالى « كفر قاسم » .. كيف ؟.

جنود العدو يأخذون مواقعهم عند مدخل القرية ، وببرود يستعدون للمذبحة ، وها هى طلائع سكان القرية تعود من حقولها ، وتبدأ الاغتيالات الجبانة ، بلا انذار او تردد .. ان الرصاصات الغادرة تستقبل اول العائدين ، ثم الثانى ، ثم الثالث راكب الدراجة ، ثم تقترب شاحنة بها بعض النسوة ، يوقفها الجنود وينزلون من بها ، ويطلقون الرصاصات ، ومع تساقط الشهداء يكتب المخرج الاسم والسن : على نمر فريج ١٧ سنة ـ عبد الله عبد الجابر بدير ٢٥ سنة . آمنة طه ٥٠ سنة ـ خميسة عامر ٣٠ سنة .. وينتبه « كفر قاسم » الى ان المجزرة ليست النهاية ، فهاهو أحد الجرحى الذين تمكنوا من النجاة يبعث لنا برسالته المنتقاة من أشعار محمود درويش :

انني عدت من الموت لأحيا
واغني
انني مندوب جرح لا يساوم
علمتني ضربة الجلاد أن أمشي على جرحي
ثم أمشي
ثم أمشي ، وأقاوم ..

ويجدل برهان علوية شريط الصوت الجماعى الذى يردد المقطع الاخير من الانشودة مع صور قبور الشهداء التى تنقلها الكاميرا .. وتلمح على احد الحوائط تقول « عاش جمال عبد الناصر » .. وهى نهاية تؤكد ـ شأنها شأن نهاية الاسوار ـ أن مشوار النضال لا يزال طويلا .. شاقا .. قاسيا .

أما نهاية « أحلام المدينة » فتترك فى نفس المشاهد احساسا يمتزج فيه الفرح بالاسى ، والبهجة بالحزن .. فنشوة الوحدة بين سوريا ومصر ، والايمان بها ، يعبر عنها أحد رجال الشارع عندما يضع يده حول الصبى ويدعوه لان ينظر للقمر المكتمل ، المتألق ، فى سماء صافية ، ويقول بيقين « انظر .. حتى القمر يحتفل بالوحدة . ان الله مع الوحدة » .. وبالطبع ، يعلم المتفرج تماما كيف تهشمت الوحدة لاحقا .. تهشمت ، لكن الحلم لا يزال حيا .. ان « أحلام المدينة » ، مثله مثل الاسوار وكفر قاسم ، وهذه هى ميزتهم الكبيرة ، يجسدون ، على نحو بديع اخاذ ، لحظات الكبرياء العظيمة .. فى الايام الخوالى ..

عندما تهاجر السينما العربية إلى لغات أجنبية

بقلم : محمود قاسم

شكلت اللغة التي يقدم بها الفنان العربي أعماله في المهجر عقبة مع المجتمع الذي ينتمي اليه • أو ذلك الوافد تجاهه • فالفنان العربي الذي هاجر الى أوربا واتقن التعبير بلغاتها اصبح يجد نفسه بين هوتين لا يمكنه بسهولة أن يوفق فيما بينهما •

وقد ظلت مشكلة اللغة تطارد الفنان العربي المهاجر • خاصة القادم من شمال افريقيا الى فرنسا التي بلغ عدد المهاجرين بها مليونين ونصف يتكلمون باللغة الفرنسية • وكما ظل الفنان يقاوم رغبته في أن يعبر في آدابه وفنونه بلغات أجنبية • لكن السؤال المطروح أمامه، ترى ما هي اللغة الاجنبية بالنسبة له • هل هي الفرنسية التي يجيدها تماما أم العربية التي يتأتأ في كتابتها والحديث بها ؟

بلاشك فان الفنان المهاجر يشعر بعروبته متاصلة بداخله من الدرجة الاولى . والا ما سمعناه يردد ويعبر عن الهوية المزدوجة التي يعاني منها دائما .. وعليه فان الفن المهاجر الى لغة أخرى هو فن عربي بالدرجة الاولى . خاصة في الادب والفن التشكيلي والمسرح . لكن الامر يختلف في السينما . فاذا كان الفيلم يحمل اسم صاحبه المخرج . فانه يحمل هوية البلد الممول ماديا .. ولان المشكلة ازلية بين المنتج الذي يملك المال ، والمخرج الذي يصوغ العمل فان هذا الاخير قد ينصاع في أحيان كثيرة لبعض شروط صاحب المال ، وعليه فقد بدأت مقاومة الفنان العربي تقل بصورة ملحوظة مع المنح المالية التي تقدمها وزارة الثقافة الفرنسية للمخرجين السينمائيين خاصة للمهاجرين او لهؤلاء الذين ينتمون الى البلاد الناطقة بالفرنسية في أفريقيا •

وفي السنوات الثلاث الماضية ظهرت مجموعة أفلام يخرجها العرب لكنها ناطقة بالفرنسية وتسمى باسم فرنسا ، والغريب أن بعض المخرجين الذين اتجهوا

الى التعبير .. بلغة غير عربية قد سبق لهم ان قدموا أفلاما بلغة الضاد . والبعض الاخر يقبل على تجربة الاخراج للمرة الاولى ..

تطرح آنى كريجيه كرنيكى تساؤلا فى كتابها « المسلمون فى فرنسا » الذى نشرته فى العام الماضى . هل يمكن لثقافة مهاجرة حقيقية ان تتولد فعلا؟ لقد بدأ المهاجرون فى صناعة سينما خاصة بهم تسمى بسينما المهاجرين . وبدأ يظهر مسرح جديد به الكثير من أصالة البلاد التى جاءوا منها لكنه يختلف .

وقد وجد هذا المهاجر الفنان نفسه اخيرا أمام تمويل البلاد والتى هاجر اليها . فاقبل على التجربة مفتوح الصدر غير متردد . ولم يحدث هذا للمهاجر وحده . فاذا كانت الشخصية الفرنسية قد تكلمت باللغة العربية فى فيلم « جميلة بوحريد » - تمويل الممثلة ماجدة ، فان هذه الشخصية تنطق باللغة الفرنسية فى فيلم « الوداع بابونابرت » . وقد لا تكون هذه الظاهرة جديدة على السينما عامة . لكنها جديدة على السينما العربية : فقديما سبق رأينا المخرجين الذين تلقوا تعليمهم فى فرنسا يعودون الى بلادهم ليخرجوا أفلاما عربية تماما خاصة فى اللغة - وهى النقطة التى تهمنا هنا . فان ظاهرة جديدة بدأت تظهر .

يقول طاهر بن جولون فى لوموند - أول أغسطس ١٩٨٥ - : « وربما يتنا فى السينما» خلال السنوات الخمس الاخيرة» لعثر على تفتح العديد من ضروب ومجالات الابداع .. أما أسياجبار فترى أن السينما هى البديل الرائع من الكتابة . لان الشخصية تظهر بمختلف أبعادها» تماما كما هو الفرق بين الرسم والنحت .

واغلب السينما العربية المهاجرة عربية الانتاج واللغة تمولها بلادها فى المغرب العربى لكن ظاهرة هجرة بعض هذه السينما الى اللغة الفرنسية بدأت تتضح فى فيلم « شاى بالنعناع » لمخرج يعمل لاول مرة هو عبد الكريم بهلول . وفى نفس العام ١٩٨٣ نشر شاب من العمال المهاجرين يدعى مهدى شرف روايته الاولى الشاب فى مخدع ارشى أحمده فى دار نشر « مركور » ولم تلفت اليها الانظار كثيرة .

● رحلة الى المكان واللغة والثقافة ●

وقد لعبت المصادفة دورا هاما فى تاريخ هذه الرواية عندما قرأت المنتجة ميشيل راى مقالا كتبه الناقد جول روى فى مجلة لونوفيل اوبسرفاتور فبحثت عن الرواية وقررت انتاجها ، وهنا بدأت مرحلة انتقال السينما العربية الى اللغة الفرنسية . فمهدى شرف قد نشر روايته بالفرنسية . ولم يكن يطمع مثل عشرات الروائيين الذين يكتبون بالفرنسية أن تقدم روايته الى السينما . خاصة اننا لا يمكن ان نعتبر تجربة اخراج « شحاذين ومتكابرين » لالبير قصيرى عربية لان مخرجا فرنسيا قدمها فى أوائل الستينات .

تقول ميشيل راى : « لن تنسى أن زوجى كوستاجافراس مهاجر » وقد قرر أن يجمع كل المعلومات التى تتعلق بالجيل الثانى من المهاجرين » من الاطفال الذين وصلوا الى فرنسا فى نهاية الستينات وما بعدها .

الجيل الثانى الذى تقصده ميشيل هو ذلك الجيل الذى وصل الى فرنسا بعد استقلال الجزائر . أى انه قد تجاوز العشرين عاما من العمر . والذى يردد أحدهم : « نحن نتلقى ثلاثة أنماط من التعليم . تعليم من آبائنا . وآخر من مدرسينا وثالث من الحياة . وتتضارب





مروان الاخضر حاميدا مع ميشيل بوجناح في فيلم "الصورة الاخيرة"

هذه الانماط الثلاثة فيما بينها ومن أبرز أبناء هذا الجيل الروائية ليلى صباد التى لا تعرف من اللغة العربية سوى كلمات متناثرة .

وتتناول رواية مهدى شرف نفس الموضوع الذى يلح على الانسان العربى فى المهجر . انه يتحدث عن الهجرة . فمهدى عامل بسيط استطاع أن يكافح فى حياته . يعيش فى دائرة الاختلاف بين الثقافة العربية التى جاء منها والفرنسية التى ذهب اليها . عمل فى البناء ، واعتاد ان يسمع عمال البناء يغنون ملء أشداقهم وعيونهم . وتدور الرؤية حول عمال البناء فى العديد من المدن الفرنسية . ويتحدث الكاتب فى الرواية انه لم يكن يستطيع التلفظ بكلمة « أرشميدس الا اذا نطقها الى « أرشى .. أحمد » ، لكنه عندما اندمج داخل اللغة الفرنسية بدأ ينطقها بطريقة طبيعية . فالرحلة الى فرنسا هى داخل المكان واللغة والثقافة : « لقد كتبت الكتاب كى أنشره .. ولم يبع الكتاب لفترة طويلة ... فبدأت أفكر فى تحويله الى سيناريو » « لوموند ٢ مايو ١٩٨٥ » .

والسؤال عن الفيلم الآن ــ بعد أن عرض فى مهرجان كان العام الماضى . ومهرجان القاهرة الاخير : هل هو فيلم فرنسى أم عربى ناطق بالفرنسية . ففى

المهرجانين حمل الفيلم الجنسية الفرنسية . رغم ان صانعه عربى . ويناقش موضوعا من العرب . ويقوم ببطولته ممثلون من العرب . ويجد المفكر العربى نفسه يذوب فى لغة جديدة . وفى هوية جديدة ..

● حكاية حقيقية عند بوابة الصحراء ●

واذا كان هذا هو حال مهدى شرف فى فرنسا . فان هناك حالة مماثلة تماما فى المانيا الديمقراطية متمثلة فى العديد من المخرجين القادمين من الشرق مثل الايرانى صهراب شهيد والعربى هارون الفاروقى الذى بدأ باخراج افلام من العرب فى المهجر فى اواخر الستينات لكن هذه الموضوعات أصبحت بالنسبة له « انماطا » خارجة عن دائرة اهتمامه فبدا يذوب تماما فى افلامه الاخيرة حيث قدم فيلمه « اشياء حقيقية » ١٩٨٢ حول قصة حب رقيقة تدور فى فيتنام ابان الحرب .

اما التجربة التى تنتظر الحكم عليها الان فهى تجربة الاخضر حامينا الذى انتهى فى الشهر الماضى من اخراج فيلمه « الصورة الاخيرة » باللغة الفرنسية ويقول جان ميشيل كلونى فى موسوعة السينمائيين العرب أن حامينا قد أدخل صناعة السينما الى الجزائر . وحسب البيان الفيلمى للمخرج حتى عام ١٩٧٥ ، فان كل أفلامه تدتم انتاجها فى الجزائر على نفقة مؤسسة السينما الجزائرية التى يعمل بها . وهذه الافلام عربية ناطقة باللهجة الجزائرية . وقد قام ببطولتها ممثلون من الجزائر .

لكن ما الذى دفع حامينا الى ان يقدم فيلما ناطقا باللغة الفرنسية . لقد أسند بطولة فيلمه الى مجموعة من الممثلين الفرنسيين على رأسهم فرونيك جانو وميشيل بو جناح - وهو يهودى فرنسى من اصل جزائرى لمع أخيرا فى السينما والمسرح - اما من الجزائر فقد استعان بولديه الصغيرين مالك ومروان .

مهدى شرف - على البصار - اثناء اخراج فيلم الحريم فى جناح ارشميدس



تدور احداث الفيلم فى قرية أبوسعادة التى تقع على مسافة ثلاثمائة كيلو مترا من مدينة الجزائر ويسمونها بوابة الصحراء . كما تدور احداث أخرى من الفيلم فى قرية ميسلا التى ولد بها المخرج عام ١٩٤٢ .

اذن فالفيلم عربى رغم أن لغة الفيلم غير عربية . وبينما نرى الكثير من الدول تقوم بجعل الافلام الاجنبية تنطق بلغتها مثل فرنسا وايطاليا والولايات المتحدة فان العرب يجعلون بعض أفلامهم التى يصنعونها تنطق بلغات المستعمر الذى حاربوه سنوات طويلة . و الفيلم تجربة ذاتية شهدها المخرج عام ١٩٣٩ ، «احكى



محمد الاخضر حامينا

قصة كليوبوايه من خلال منظر طفل يدعى مولود يقوم بدوره ابنى الاصغر مراون » .

فى هذا المكان تعيش مدرسة فرنسية ابان سنوات الاحتلال الفرنسى للجزائر فى حياة هادئة وهى لا تعتبر نفسها غريبة ولكن هناك بعض « الخصوم » الذين لا يحبونها .. وهناك رجل يحب العرب ولكنه لا يميل الى اليهود .. ونخشى أن يكون هذا الرجل صورة من هتلر مع بداية الحرب . لذا فهو يرى كل امرأة داعرة . هناك نماذج أخرى يقدمها الفيلم ــ الذى لم يعرض بعد ونستمد مادتنا عنه من مجلة بروبير يناير ١٩٨٦ ــ مثل بعض سكان القرية . والمدرسات وناظر المدرسة . واما الصغير ماليك فانه يميل الى المدرسة كانتى . ويلعب ميشيل بو شاع دور سيمون اليهودى الجزائرى الذى يصبح فرنسيا ويعامله البعض معاملة سيئة .. وهو انسان بسيط ، يتسم بطيبة وتلقائية .

ويقول الاخضر حامينا فى فى نفس العدد من المجلة أن فرنسا قد اشتركت فى تمويل الفيلم بثلاثة عشر مليون فرنك .. وانه مع ذلك يعتبر فيلمه «جزائرى» .. ويعلن أن المركز القومى للسينما الجزائرية قد قام بانتاج ثلاثة وعشرين فيلما بين عامى ١٩٨١ و ١٩٨٤ . بينها فيلم « الحفل » لايتورى سكولا . وان هذا المركز قد اشترك من قبل فى اخراج افلام أخرى منها « معركة الجزائر » و « زد » .

كانت أول نتيجة لهذه الهجرة العربية الى اللغة الفرنسية ما نشرته الصحف الفرنسية اخيرا ضمن ترشيحات جوائز سيزار السنوية . فقد تم ولاول مرة فى تاريخ هذه الجوائز ترشيح اثنين من السينمائيين العرب . الاول هو قادر بو حتف الذى قام ببطولة « الشاى » .. كاحسن ممثل مساعد ، والثانى مهدى شرف لجائزة احسن عمل أول كمخرج .. ومثل هذا الترشيح ــ فى حد ذاته ــ انتقال جديد بهذه السينما الى آفاق أخرى قد تدفع بسينمائيين جدد الى الاقبال على نفس التجربة .

فمما لا شك فيه أن ظاهرة الهجرة الى لغات أوروبية سوف تتسع مع اتساع نشاط الهجرة ، ومع كثرة الابداع الفنى المكتوب بلغة فرنسية ، ورغم ماتتضمنه مثل هذه الظاهرة من ايجابيات . فلاشك انها سلبيات عديدة خاصة على المستوى الزمنى .. ويبقى السؤال : هل هاجر العرب الى جنوب القارة لتأسيس حضارة عربية . أم للذوبان البطئ داخل معالم هذه الحضارة . أم لعمل مزيج مختلف بين الحضارتين .

الملامح التقليدية للشخصية العربية فى السينما العالمية

حينما نناقش دور السينما العالمية فى تجسيد ملامح الشخصية العربية .. وحينما نقول ان هذه السينما قد اكدت منذ نهاية القرن الماضى وحتى الآن انها لم تستطع ان تلتقى بالآمال العربية .. بل بعثت الشك والريبة فى النفوس العربية تجاه العالم الغربى .. وافسدت على الانسانية بشكل عام املا عزيزا فى ان يسود التعاون والتفاهم مختلف الاجناس .. نكون قد حددنا رؤية عامة وشاملة لمئات الافلام التى تؤصل لملامح الشخصية العربية فى السينما العالمية .. دون الوقوع تحت تأثير ردود الفعل الوقتية التى تصيبنا بين فترة واخرى .. كلما شاهدنا فيلما يهاجم العرب وحضارتهم .. او كلما كان لنا موقفا مضادا للسياسات الغربية فى الشرق العربى!

لقد حددت السينما العالمية عدة ملامح تقليدية للاجواء التى تقدم من خلالها الشخصية العربية .. وكلها ملامح ليس لها على الدوام ميزة التغلب على التميز والتعصب لطغيان عدة عناصر عليها لعل اهمها :

اولا : ان هذه السينما غالبا ما تنتج فى بلدان لها اهدافها السياسية والاستعمارية مما يدفعها الى ابراز ضروب الصراع المعروف بين القديم والجديد والى داب الغرب على اثارتها عند تصوير ما يحدث فى بلدان الشرق العربى .. او فى سلوك الشخصية العربية عندما تحاول التلاؤم مع البيئة الغربية .



بقلم : أحمد رأفت بهجت

ثانيا : ان الفكر اليهودى كان دائما خلف هذه الافلام بكل ثقله . فى كل مجال من مجالات صناعة الفيلم السينمائى .. مما ادى وبشكل تلقائى الى مساندة الالتقاء بين المصالح الاستعمارية والصهيونية

ثالثا : ان محصلة التزاوج بين عناصر الثقافة والاعلام الغربى افرزت على حد تعبير المفكر الامريكى والعربى الاصل ادوارد سعيد ـ شبكة عنكبوتية من العرقية .. والتنميط الثقافى والامبريالية السياسية .. والعقائدية التى تقضى على انسانية الانسان .. وتاسر العربى او المسلم فى دواماتها .. وتتحكم على كل مصادر الثقافة والاعلام فى العالم الغربى .. مما أدى الى وضع السينما الروائية فى مقدمة الوسائل الفعالة التى تساند هذا الاعلام فى خطوات متوازية ومحسوبة بدقة وعناية .

● الجوارى والسود ●

ولقد كانت علاقة العرب بالجوارى والعبيد من اكثر الموضوعات اثارة للزيف فى الافلام العالمية .. ويتجه هذا الزيف الى ناحيتين .. اخلاقية وسياسية .. فبعض الافلام تأخذ على العرب العرائهم

دوجلاس فيربانكس الاب فى فيلم "لص بغداد" ١٩٢٤



الى الايغال فى اقتناء الجوارى ومايرتبط بهن من عوامل الجنس والعنف .. بينما تستغل افلاما اخرى هذه الموضوعات لارتياد بعض الجوانب السياسية التى تحاول ان تضفى شكلا موضوعيا على احداثها لمهاجمة العرب .

وفى الافلام التى صورت قصص « الف ليلة وليلة » او الاحداث ذات الطابع التاريخى او المرتبطة بالقبائل العربية نراها تتمسك بتصوير الرق والجوارى والتقاليد والعقائد الجامدة الفاسدة التى تفصل بين الطبقات فى المجتمع العربى كقضايا مسلم بها .. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر .. ومع ظهور الفيلم الفرنسى الصامت « بيع جوارى الحريم » ١٨٩٨ لجورج ميليس .. نرى عرض الجوارى فى اسواق النخاسة العربية هو البداية التقليدية لظهور البطلة العربية او الاوربية .. والغريب ان السينما الفرنسية صورت خلال بداية هذا القرن اكثر من ثلاثين فيلما كلها تدور حول اجواء الجوارى ومنها : « ابن الليل » ١٩٢٢ ، « ابنة الشرات » ١٩٢٦ ، « والجارية البيضاء » ١٩٢٧ « تحت سماء الشرق » ١٩٢٧ ، « فى ظل الحريم » .. وخلال الاربعينات والخمسينات دخلت السينما الامريكية حلبة المنافسة عندما وجدت أن الفرصة مواتية لاستحواذ اعجاب الجمهور من خلال اجواء المغامرات والاثارة داخل « الحريم العربى » وظهرت الشخصيات الغربية وهى تلعب دورا بطوليا فى تحرير المرأة من جحيم الرق والعبودية فى أفلام مثل « الجوارى » ١٩٢٧ ، « ياكي باشا » ١٩٥٤ « حاجي بابا » ١٩٥٥ .. وخلال السنوات الاخيرة عادت السينما الامريكية والعالمية لتقديم نفس الموضوع بكل ملامحه الدعائية فى أفلام مثل « الطوارق » « بترول .. بترول » « حريم » « الرياح والاسد » .

وبنفس المنطق الذى عولج به موضوع الجوارى قدمت السينما موضوع السود وعلاقتهم بالعرب .. ومن خلاله اكتفت بترديد الدعاوى الكاذبة والمتناقضة فى آن واحد .. فهى تحاول العزف على نغمه أن السود كانوا دائما ضحايا لتجار الرقيق العرب فى حين كان الابيض هو منقذهم من مخالب هؤلاء التجار .. ثم يأتى التناقض عندما تدعى نفس هذه الافلام بان البرابرة والسود العرب يعكسان قمة الهمجية فى التاريخ الانسانى !!

وفى الوقت الذى كانت فيه السينما الانجليزية تتبنى الفكر العنصرى المعارض للزواج والتزاوج الاجتماعى بين الاوروبيين والزنوج .. كانت فى نفس الوقت ترفع راية محاربة الرقيق الاسود ولصق تهمة النخاسة على الشخصيات العربية دون غيرها .. وقد وصل هذا الاتهام الى ذروته فى أفلام مثل « الغروب » ١٩٤١ ، « غرب زنجبار » ١٩٥٤ ، « الخرطوم » ١٩٦٥ .

وفى السينما الفرنسية ظهرت اتجاهات متباينة فى مجال تصوير العلاقة بين الفرنسيين والعرب السود .. وكانت فى جوهرها ترتبط بما سمى بالمدرسة العنصرية اللاتينية .. وهى تسمح بالزواج بين البيض والملونين .. وبعض نواحى التقدم .. وتعمد فى الاساس الى امتصاص الوجود الفرنسى فى عشرات المستعمرات الافريقية .

وتبدو أدوار الممثل الاسود « حبيب بنجليا » ـ الذى يعتبره النقاد اهم ممثل أسود ظهر فى السينما الفرنسية ـ وكأنها نموذج لطبيعة الادوار السوداء فى السينما الفرنسية .. ففى فيلم « ياسمين » ١٩٣٦ يلعب دور حارس الحريم وفى « المفقود » ١٩٣٠ يؤدى شخصية



خادم أسود ينقذ فتاة عربية اختطفتها عصابة من اللصوص فى جنوب مراكش ، وفى فيلم « قصة فارس الصباحى » يلعب دور والد خادمة زنجية صغيرة .. وفى « الرياح » ١٩٢٣ يعمل فى خدمة الصيادين العرب .. ويكرر دور الخادم فى فيلم « المرأة والعندليب » ١٩٢٥ .. ثم يصبح الخصى الذى يساند احدضباط الجيش الاسبانى لمحاربة أجواء الحريم العربى فى فيلم « المرتد » ١٩٢٧ .

وكانت شخصية تاجر العبيد العربى .. من الشخصيات التى دابت السينما على تقديمها بشكل يدعو الى الاستفزاز .. وعلى الاخص عندما تقدم من خلال ممثلين لهم قدرتهم على تجسيد الادوار الكاريكاتورية مثل « الانجليزى » هارى اندروز فى فيلم « ليزا » ١٩٦٢ والالمانى بيترلورى « ٥ اسابيع فى بالون » ١٩٦٣ ، او الروسى الاصل بيتر اوستينوف فى « اشانتى » ١٩٧٩ .

والسينمائيون الذين ادعوا ان العربى لم يحسن غير متاجرة العبيدواذلالهم .. هم انفسهم الذين هاجموا الشخصيات السوداء عندما أصبحت تنتمى الى الامة العربية .. وانكروا كل فضل للسود على الحضارة الانسانية ..

ومنذ عام ١٩٥٢ ومع ظهور فيلم « على بابا والاربعين حرامى » للمخرج الفرنسى فرناندويكا والسينما العالمية لا تمل من تقديم حكايات الف ليلة وليلة .. وشخصياتها الشهيرة : « شهرزاد » على بابا ، علاء الدين ، لص بغداد ، السندباد ، معروف الاسكافى .. الخ وقد قدمت جميعها فى أكثر من مائة فيلم رغم تباين امكانياتها . وتتشابه احداثها ولا تختلف الا فى التفاصيل .. لعوالم السحر والصراع الازلى بين الاخيار والاشرار تجد مجالها الخصب



فالنتينو فى "الشيخ"

فى احداثها وترسم مصائر أبطالها وكأنهم محكومون بقدر لا فكاك منه .. وفى مجموعها كانت شديدة الوقع والتأثير على المتفرج العربى وتساير فى جوهرها الرؤية الغربية الاستعمارية تجاه العالم العربى .

ولقد ظهرت أفلام « الف ليلة » .. كجرعات هروبية تقدم لشعوب العالم مع نوعيات سينمائية متشابهة فى فترة الصراعات الدولية والحروب الباردة ..

فالهروبية والحنين الى الاجواء الخيالية جعلت من ألف ليلة معينا وافرا لا ينضب .. ظهر الجزء الأكبر منها في الفترة التي بدأت بقيام الحرب العالمية الثانية مثل « لص بغداد » ١٩٤٠ ، « الليالي العربية » ١٩٤٢ ، « علي بابا والاربعين حرامي » ١٩٤٤ ، « الف ليلة وليلة » ١٩٤٢ ، « اغنية شهرزاد » ١٩٤٧ ، « البحار سندباد » .. ثم انحسرت لتظهر مع بداية الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي خلال الخمسينات .. واختفت تدريجيا خلال الستينات وعلى الاخص في السينما الامريكية بحجة أن الناس يرغبون في متابعة ما يحدث في الفضاء وعلى سطح القمر وليس الذهاب الى مدن الف ليلة .. ولكن مع السبعينات عاودت الظهور بنفس التوليفة التي قدمت بها من قبل وبرغبة أكيدة في مواصلة الهجوم على الشخصية العربية بأسلوب لا يحمل أي جديد ولو من منطلق الرؤية السياسية .

● شيخ الصحراء ●

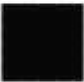
وكانت الحياة العربية موردا خصبا للافلام العالمية .. التي لا تبحث عن صميم العلاقات الانسانية والاجتماعية في الحياة العربية بقدر ما تدور حول العلاقات المشبوهة بين المرأة الاوروبية والشاب العربي الذي يوقظ مواطنها بعد أن تتجاهله وتذله . ومع ظهور فيلم « العرب » ١٩١٥ اخراج سيسيل دى ميل .. أصبحت الصفة الرومانسية لهذه الافلام تحمل خليطا غريبا .. فالشاب العربي لا يعقد العزم على الانتقام من الفتاة الاوروبية التي أهانته في بداية رؤيتها له فحسب .. وانما يسعى جاهدا لكي يجعلها ترضخ له بكل الوسائل الوحشية واللاانسانية .

وقد حاولت أفلام مثل « الشيخ » ١٩٢١ لفالنتينو ، « بيللا دونا » ١٩٢٣ ،



مارلين ديتريش في دور الجارية في فيلم قسمت

« التمرد » ١٩٢٧ ، « الهمجي » ١٩٣٣ استغلال أسلوب الاثارة من خلال مواقف لا تمل من تكرارها .. فهي تدفع العربي الى اذلال الفتاة الاوروبية ثم استثارة غرائزها الجنسية مما يدفع الفتاة الاوروبية الى الاعتقاد بأنها تعيش قصة حب مشبوبة بالرغبة .. ولكن النتيجة تأتي لتؤكد أن هذا الحب المزعوم لا يمكن أن يثمر علاقة سوية لانها بين أطراف متناقضة .. لذا استسلمت المرأة البيضاء حتى نهاية



القصة لنزواتها مع العربى .. فلابد أن تفقد كبرياءها .. وتعرض نفسها للادانة والتحقير من أبناء جلدتها .. اما اذا كانت هذه العلاقة مجرد تجربة تعى من خلالها الفرق بين التمدن والبدائية فهى بذلك تصبح نموذجا مثاليا لكشف أوهام الغربيين تجاه الشرق ورومانسياته المزعومة ! ..

ومرة اخرى شهدت السنوات الاخيرة عودة لهذه الرومانسيات الزائفة من خلال افلام صهيونية مثل صحارى الذى انتجه المنتج الاسرائيلى مناحم جولان .

● الاوروبى ●

ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة للمغامر الاوروبى عندما يجد نفسه فى أرض الشرق .. سواء كان جنديا او سائحا او عميلا سريا او أثريا .. فالشاب الاوروبى أو الامريكى عندما يستسلم فى الصحراء العربية للفتاة العربية الحسناء .. فانى يبقى مخلصا أمينا لعقيدته من أن الاوربيين والامريكيين رغم انهم فى حاجة الى ان يقبلوا روتين حياتهم راسا على عقب .. وفى حاجة الى أن يفعلوا كل شىء غير متوقع الحدوث .. وأن يسافروا ويرحلوا وان يبحثوا أو أن يحظى شغلهم بحب الجمال والاثارة والمغامرة ومساعدة الشعوب المتخلفة .. بمزيد من الارضاء .. الا انه يجب عليهم أيضا فى نهاية الامر أن يتهكموا على حياة الصحراء .. وأن لا يستسلموا لها .. الا اذا كانت هذه الحياة ستكون مع حبيبة القلب الاوروبية او الفتاة العربية ذات الاصل الاوروبى !!

ومن خلال مغامرات الاوروبى فى الشرق العربى نتعرف على نماذج متباينة من النساء العربيات اللائى قدمتهن السينما الغربية .. لمنهن الزوجة الخسائنة التى تحاول التخلص من القيود الاجتماعية المجحفة التى تكبل انطلاقتها ورغبتها فى الحياة .. وقد ظهر هذا النموذج فى السينما منذ عام ١٩٢٢ فى فيلم « دماء الله » ثم تتابع ظهوره فى عشرات الافلام ومنها « جحا » ، « موت أميرة »

وكان للمؤلفات التى عالجت شخصيات من النساء العرب مثل رواية «عائشة» للانجليزى سير رايدر هاجارد ، « الاطلنطيد » لبير بينوا نصيبا وافرا فى الافلام الاوربية .. حيث بلغ عدد الافلام التى صورت عن شخصيته و « انتينيا » بطلة الاطلنطيد ذات الاصل العربى أكثر من عشرين فيلما من جنسيات مختلفة .

والفتاة العربية المختلطة اى التى أنجبت من أب عربى وام اجنبية او العكس قدمتها السينما الاوروبية فى افلام كثيرة .. فهى اما متمردة على واقعها وتحاول تعويض ما ضاع من عمرها مع رجل أوروبى يرمز لمصدر الحياة والرقة « الرياح » ١٩٣٢ .. واما انها تحاول الاستمرار فى الانتماء الاوروبى « قلق الصحراء » ١٩٥٣ .. او على الاقل ترتبط باكثر الرجال ايجابية وشرفا من بين ابناء قومها « الصقر » ١٩٤٩

وهكذا تتلاعب السينما بنمط المرأة العربية التى تحاول التخلص من قيودها .. بحيث أصبحت فى النهاية نمطا وليست فردا بحجة أن المجتمع الذى تعيش فيه لا يسمح لها بالتطور كفرد عادى .

وعموما هذه بعض الملامح التقليدية التى دأبت السينما العالمية على تقديمها عند تصوير الشخصية العربية .. هناك ملامح اخرى استجدت تحاول أن تقدم العربى بشكل اكثر عصرية .. قد يكون لبها مثقفا او ثوريا او رجل أعمال ولكنها فى جوهرها لا تختلف كثيرا عما قدمت الافلام ذات الملامح التقليدية ..

لطالما الاهداف ثابتة .. فالتغيير غير وارد !!

العرب والسينما

النوايا الطيبة لا تصنع الأفلام!

بقلم : على أبوشادى

يظل الحلم الدائم لدى عشاق السينما .. ان تمتلأ دور العرض ، فى كل انحاء الوطن العربى بافلام من انتاج دول عربية اخرى لتعود السينما، مرة اخرى كما كانت فى فترات ماضية من التاريخ القريب ، اداة فعالة من ادوات الوحدة الثقافية ومن ثم عامل قوى من عوامل الوحدة العربية .. ذلك الامل العظيم لدى جماهير الامة العربية .. لكن هيهات .. ان يتحقق الحلم .. حيث تغرق صالات السينما فى كل ارجاء الوطن بافلام اجنبية تسمح لها الرقابة بان تساهم فى تخدير الجماهير وان تكرس واقعا متخلفا وان تجعل من ارادة التغيير، املا مجهضا ، وتقاوم هذه الرقابات المختلفة افلاما عربية ذات مستوى فنى وفكرى ، وتشارك هذه الرقابات ، تجار السينما فى رفضهم لتسويق الفيلم العربى، وخصوصا فى مصر بحجة ان الافلام العربية ليست افلاما تجارية ولا يقبل عليها الجمهور ،وان كان فيلم « الحدود » اخراج دريد لحام قد كسر هذه القاعدة ، فقد كان الفيلم مرفوضا هو الاخر لولا اقدام احدى الشركات على توزيعه بعد نجاحه فى مهرجان القاهرة السينمائى .

وفي هذه الدورة تتناول فيلمين ، لم يكن قد أتيح لهما فرصة العرض على أرض عربية ، في ظل الظروف الشاذة للوطن العربي ، وفي ظل حكومات تختلف فيما بينها أكثر مما تتفق ، ويجمع بين هذين الفيلمين ، أن أحدهما من الشرق والثاني من الغرب وأن مخرجيهما ينتميان للثقافة الفرنسية ، وقد عرضا ضمن مجموعة من الأفلام العربية عرضت في إطار برنامج



مهرجان كان -- الفرنسي في مايو الماضي

● غزل البنات ●

ضمن برنامج نصف شهر المخرجين ، عرضت المخرجة اللبنانية جوسلين صعب (٣٢ سنة) فيلمها الروائي الأول «غزل البنات» ، وجوسلين صعب صحفية ومصورة سينمائية ، وحاصلة على الدكتوراه في العلوم الاقتصادية من باريس ، وهي من مواليد بيروت ، وعملت

كمال الشناوى ومديحة كامل فى لقطة من فيلم "الملائكة"

فى العديد من تليفزيونات العالم (التليفزيون الفرنسى والياباني والسويدى والسويسرى).

وجوسلين، قبل هذا الفيلم، عرفت كمخرجة للافلام التسجيلية منذ عام ١٩٧٢ ومن بين افلامها التسجيلية فيلم «خمس موضوعات عن حرب أكتوبر»، وفيلم «كردستان» وعرضا في عام ١٩٧٣، وفى عام ١٩٧٤ قدمت «النساء الفلسطينيات» وسنة ١٩٧٥ «لبنان فى العاصفة» ثم توالت افلامها «حرب الاطفال» و «بيروت لن تكون ثانية» و «جنوب لبنان» و «الصحراء ليست للبيع» و «مصر مدينة الموت» و «رسالة من بيروت» ثم «بيروت مدينتى».

وقد عرضت معظم هذه الاعمال فى تليفزيون باريس، وبعض التليفزيونات العربية وحققت نجاحا على المستويين الفنى والفكرى، وتعد جوسلين صعب واحدة من اشجع المخرجات العرب اللائى اقتحمن الحرب، وصممت على تقديم وثائق انسانية عن لبنان .. بيروت، الارض والمدينة، المبانى والرجال .. وتنقلت عبر الجبهات لتنقل بالصوت والصورة ملامح معبرة وانسانية عن تلك الحرب اللعينة، وخلفياتها ونتائجها وضحاياها، ولذا كانت، أفلامها من ابلغ الوثائق المصورة ومن أكثرها تعبيرا عن الحرب.

وفى فيلمها الروائى الاول، شأن افلامها التسجيلية، تعاود جوسلين صعب الحديث من همومها وهموم وطنها الممزق لبنان، وتحاول ان تقدم اطلالة - يمتزج فيها الجانب الروائى، بالحس التسجيلى - على ما يجرى حاليا داخل الوطن وفى أتون الحرب المشتعلة بين كل الاطراف، وتحاول أن تنعى لبنان للجميع وان تفقأ عيوننا ومشاعرنا بما يحدث فى الوطن الشقيق.

من خلال «سمر» وهى فتاة صغيرة على عتبة المراهقة، تعيش مع اسرتها احلك اللحظات واصعبها يوميا مع طلقات الرصاص التى تنهمر فوق رءوسهم جميعا، وفى وسط الخطر الدائم، تعيش سمر مع أحلامها الصغيرة، بأن تحب وتعشق، وهى الاحلام التى تصورها لها الافلام المصرية التى تشاهدها يوميا على شاشة التليفزيون، حيث لا وسيلة غيره منه يعرفون أخبار الدمار والخراب .. والحياة - الحلم - فى الافلام.

وتلتقى سمر بكريم، الفنان المهزوم، الذى ينكفىء على ذاته ويعيش سجنا اختياريا داخل احد القصور المهجورة، يرسم حروفا عربية، لا يتقن الحديث بها وفى لقائهما - سمر - كريم - يتقابل الحلم والهزيمة، لنشاهد مأساة توامها عدم التواصل، فكريم مزيج من الثقافتين العربية والفرنسية، يحيا أحزانا خاصة به، كمثقف سلبى، وجد نفسه عاجزا ازاء الحرب، فوقف يتفرج على الاحداث .. وعجز عن التواصل مع سمر، وعبثا تحاول سمر الاقتراب منه او من مشاعره التى تعانى الاغتراب الكامل، حتى يموت برصاصة احد القناصة، ويموت معه حلم سمر، الموؤد أصلا ..

● الضياع فى الزحام ●

ان فيلم جوسلين صعب، يحوى الكثير من النوايا الطيبة التى ضاعت في زحام الافكار المتناثرة التى حاولت المخرجة أن تطرحها فى عملها الروائى الاول، ورغم كل ما يقال عن أخطار العمل الاول، الا ان الفيلم حاول أن يكون متاملا لقضاع ابتاعه، وحاول أن يفكر، فتلعثمت افكاره، وحاول أن يتفلسف فتهاوت مقدماته ونتائجه، وحاول ان يطرح علاقة حميمة فجاء باردا مترهلا، وحاول ان يتكلم عن الافتراب، فوقع فى الاغتراب.





لقطة من فيلم غزل البنات من إخراج جوسلين صعب

اننا فى الحقيقة نشاهد بيروت ، ولا نراها، نشاهد العلاقات ولا نستشعرها، ندرك اننا أمام محاولة ، ننحنى اجلالا لها ، وهى محاولة التصوير وسط الدمار والرصاص والطلقات الطائشة ، لكن النتيجة كانت أقل كثيرا مما نامل ، وتامل جوسلين صعب .

حاولت المخرجة أن توضح أن الافلام المصرية التى تشاهدها سمر ، ومعها كل اللبنانيين فى التليفزيون ، أثرت على طريقة تفكيرهم وسلوكهم، وجعلت الشباب يتحدث بلغة الحوار السينمائى ، خاصة حوار أفلام نادية الجندى « سلملى على البادنجان .. وخلافه » وعلى الصعيد النظرى ، فهذه مسالة واردة ، فاوقات الحصار طويلة ، وليس امام المختبئين سوى مشاهدة هذه الافلام ، وعمر سمر (١٥ سنة) لا يزيد كثيرا من عمر الحرب اللبنانية ، ولها الحق ، هى واقرانها أن يتأثرن بتلك الافلام ، لكن ما جاء على الشاشة أعطى احساسا بأن السينما المصرية هى احد أسباب ما يجرى فى لبنان ، وان افلام نادية الجندى عامل رئيسى فى الهزيمة التى لحقت بالجميع، وهى قضية قد تكون صحيحة الى حد ما ، ولكنها قضية اكبر من الفيلم ذاته الذى عجز من توصيلها كقضية عامة ، وضيعها ذلك الاداء السطحى الذى قامت به هالة بسام فى دور سمر ، والتى ، كما اعتقد ، تمثل لاول مرة ، كذلك جاء اداء جاك ويبر (كريم) ركيكا وشابه

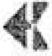
سوء النطق بحيث تاه في منتصف الطريق، فلم يعد فرنسيا ، ولم ، ولن يكون أبدا لبنانيا .

وشأن كل الأفلام العربية التي ينطق بعض أبطالها باللغة الفرنسية ، يتجاهل مخرجوها ضرورة وجود ترجمة عربية على الشريط لكلمات الحوار الأجنبية ، رغم أنهم يضعون ترجمة فرنسية لكلمات الحوار العربية ، ولا يتعلل البعض بأن ذلك يحدث في المهرجانات حيث لا ضرورة لوجود ترجمة عربية على الشريط ، فمتفرجو مهرجان كان، يعرفون الفرنسية واعتقد ، من جانبي ، أن القضية ليست قضية من اللغة يشاهد ، بقدر ما هي قضية احترام اللغة العربية ، واحترام أن الفيلم ، لبناني - عربي ، وأن ساهمت في تمويله كندا وفرنسا .. أن من حق المخرجة أن تجعل أبطالها يتكلمون باللغة التي تريدها ، أو هكذا واقع الحال في لبنان ، الفرنسية بجوار العربية ، لكننا كما أكدنا على الفرنسية واحترمنا شاعريتها ، فيجب أيضا أن نحترم العربية وأن نفسح لها مكانا على الشريط .

ورغم سيناريو جيرار براخ ، وتصوير

جوسلين صعب مخرجة غزل البنات





كلود لابو ، أو بمعنى أدق بسبب سيناريو براغ جاد الفيسلي بلوندا ، لم يشعر بما يحدث ، ولم يستطع بالطبع ان يجعلنا نستشعر مرارة ما يحدث .

والتعامل مع الحرب مسألة شائكة ، وخاصة اذا كانت تلك الحرب ما زالت دائرة ، وان حربا مثل حرب لبنان ، تتداخل فيها الكثير من القوى وتتشابك المصالح ، لا يمكن التعبير عنها بسهولة من خلال السينما الروائية ، التى تحاول بطبيعتها ، فك واعادة تركيب العلاقات واعادة بناء الواقع ، وهى مسألة عسيرة ولذا جاءت المحاولات الروائية للتعبير عن الحرب مثل حروب صغيرة لمارون بغدادي ، وبيروت اللقاء لبرهان علوية ، مختلفة من حيث قدراتها ، وتوفيقها ، فى التعبير من واقع هذه الحرب القذرة ، لذلك فان الآمال الطيبة والنوايا الحسنة التى حاولت جوسلين صعب ان تقدمها ولم توفق فى هذا الفيلم ، كفيلة بأن تتحقق فى أفلام أخرى ، ونعتقد انها قادرة على ذلك .

● الملائكة .. والبطولة المصرية ●

آخر افلام المخرج التونسى الشاب ، رضا الباهى (٢٨ سنة) والذى شهدت

لقطة من فيلم الملائكة

له القاهرة في مهرجاناتها السينمائية فيلمه الشهير « شمس الضباع » الذي قام ببطولته الفنان الكبير محمود مرسي.

والباهي من المخرجين المقلين جداً في انتاجهم ، فخلال ثلاثة عشر عاما لم يقدم سوى ثلاثة افلام ، أولها عتبات ممنوعة ثم شمس الضباع وآخرها الملائكة ، ذلك ان الباهي يحاول ايجاد ، أو المساهمة في خلق سينما مختلفة سواء في الشكل او فيما تطرحه من قضايا شديدة الالتصاق بالواقع التونسي بشكل خاص ، وبالواقع العربي في دائرة اوسع .

وتأتي تجربة « الملائكة » ببطولة مصرية تقريبا ، كمال الشناوي ومديحة كامل وليلى فوزي ، وكذلك بنطق بلهجة مصرية كاملة ، حتى مع الممثلين غير المصريين ، بهدف تجربة توسيع رقعة المشاهد في المشرق العربي الذي وحدته لهجة الفيلم المصري اكثر من اي شيء آخر باعتبارها اكثر اللهجات شيوعا وفهما ، لدى كافة المشاهدين في البلاد العربية .

والتجربة ، تنطلق انطلاقا تطلعتريا سليما ، فتوحيد لهجة نطق الافلام ، وان كان يبعدها قليلا عن التعبير عن المحلية ، فانه من الممكن ، عبر عدة سنوات ، أن تكون السينما اداة تقريب بين اللهجات المحلية العربية ، ومن ثم توحيد هذه اللغة ـ اللهجة بعد ذلك وتكريسها كلهجة مشتركة تتفهمها وتفهمها جماهير الامة من المحيط الى الخليج ، لكن هذه التجربة ايضا تحتاج الى عدة مقدمات مثل محاولة تصفية اللهجات المحلية من الصياغات التي قد لا تكون مفهومة في قطر عربي آخر او الاقتراب باللهجة من اللغة الفصحى وهي اللغة المشتركة والاكثر فهما ، وغير ذلك من محاولات الحلول، لكن اللغة في « الملائكة » لم تكن اداة



المخرج التونسي رضا الباهي

طيعة في يد رضا الباهي ، بل ساهمت في تغريب الموقف ، وجعلت هناك حاجزا غريبا بين الشاشة والمتلقي ، وافتقدت مشاهد الفيلم الصدق المطلوب ، ذلك ان الجمهور ، يعرف اكثر من غيره ، ان هذه الاصوات ليست هي الاصوات الحقيقية لممثليه التونسيين الذين يظهرون على الشاشة ، وقد هوجم الفيلم ، وهوجمت معه السينما المصرية ، بسبب ذلك في مهرجان قرطاج الاخير .

لكن اللغة لم تكن هي العامل الوحيد الذي جعل الفيلم يبدو غريبا على العين والاذن . فالباهي حاول ان يرضي من خلال فرقة مسرحية ، تعزل نفسها باختيارها في أحد القصور القديمة ، تقيم على ارضه البروفات لمسرحيات تمزج بين العديد من كتاب المسرح المعاصرين ، في محاولة للبحث عن صيغ مسرحية جديدة تعبر عن اشواق وهموم المجتمع . وبطلة الفرقة سلوى (مديحة كامل) تقع في حب دكتور يوسف (كمال الشناوي) وهو

طبيب مشهور ورجل أعمال متزوج من امرأة تحكمه وتتحكم فيه وتدير له أعماله، وتحاول جاهدة أن تخنق العلاقة بينه وبين سلوى .

ويقف على الطرف الاخر ، لطفى ، مخرج الفرقة ، الذى يحب سلوى ، هو الاخر ، لكن اسلوبه الجاد ومظهره المتزمت ينفرها منه ، فيقرر فى لحظة جنونية أن يخطف يوسف ، ويعقد له هو وفرقته ، محاكمة ، باعتباره ممثلا للبورجوازية التى تحاول ان تسرق القصر القديم ، رمز التراث ، لتهدمه وليحل محله مصنع للادوية . ترفض سلوى ما حدث ليوسف ، ويكون ذلك سببا جديدا فى توثيق العلاقة بينهما ، لكن زوجة يوسف (ليلى فوزى) ومعها اخوها ودفاعا عن مصالحها ومصالح طبقتها الاقتصادية التى قرر يوسف تدميرها بشرائه البيت القديم لحساب سلوى ، ورفضه لفكرة بناء المصنع ، تقوم الزوجة باتهام زوجها بالجنون وتدفع به الى مستشفى الامراض العقلية .

ان رضا الباهى يحاول من خلال هذه القصة البسيطة التى تبدو وكأن السينما المصرية قد قدمتها عشرات المرات قبل ذلك ، من العجوز الذى يحب لفتاة صغيرة ، أو العكس ، لكن الباهى جعل عناصرها هنا مختلفة ، فهناك مجموعة المسرحيين بأحلامهم فى خلق مسرح جديد - وهم يمثلون المعذبين فى الوطن العربى - مسرح او فن ، يلتصق بهموم مجتمعهم ، لكنهم يعجزون لانهم ايضا منعزلون بشكل كامل عن مجتمعاتهم ، بل وينظرون الى هذا المجتمع نظرة سلبية ، والباهى ، يدينهم ، بل ويسخر منهم ومن موقفهم حين يحاكمون يوسف محاكمة سياسية بعد خطفه ، وان كانت عملية الخطف ذاتها قد تمت لدوافع عاطفية (العلاقة بين سلوى ويوسف) ويمزج الباهى بين ما يحدث ليوسف على يد جماعة المسرح وبين ما حدث له فى النهاية حيث تلقى به زوجته فى مستشفى المجانين .

واستخدم الباهى اسلوبا سينمائيا اقرب الى التجريب ، من خلال ايقاع بطيء يحاول التأمل والوصف ويتسم بالبرود الشديد ، ويفشل فى خلق حالة تواصل حقيقية مع المتلقى ، ان الباهى حين أدان مجموعة المسرحيين ، داخل فيلمه بوصفهم مثقفين منعزلين ، قدم فيلما ، أشبه بمسرحياتهم ، فما كان أحوجه هو نفسه الى ان يكون فيلمه اكثر دنوا يناقش منه مشكلات الشباب العربى فى علاقته بواقعه وتاريخه، ويطرح فيه رؤيته لاسلوب التغيير ، ويطرح فيه ايضا المشكلة الثقافية التى تؤرق العرب جميعا ، وهى مشكلة الاصالة والمعاصرة او الموقف من التراث ، وهو ما حاول طرحه وان لم ينجح بشكل كامل .

ان الباهى رغم هذه الملاحظات يقدم لحنا جديدا ، مختلفا ومتميزا فى أنشودة السينما العربية ، ووعدا حقيقيا بسينما جديدة ومختلفة تصلح لغد جديد ، تشاركه فى هذا جوسلين صعب ، التى ستظل افلامها ، رغم كل الملاحظات ، وثيقة حب عظيم ، لوطنها ، ووثيقة ادانة لكل النظم العربية التى تشارك بقصد ، او بغير قصد فى تدمير لبنان العظيم .

الكتابة العربية

ومحاولات البحث عن الشخصية المصرية فى الفن

بقلم : أحمد فؤاد سليم

منذ انشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا فى مصر فى عام ١٩٠٨ ظلت مشكلة التعبير فى الفن المصرى تعلق بسبب محاولات البحث عن شخصية متميزة. واشتغل عديد من الفنانين المصريين بالبحث عن تلك الشريان القاطع بين الفكر الغربى الذى تمثله باريس وبين الاسلوب الفنى الذى تمثله فلورنسا .. اذ كان الغرب لزمان طويل يمثل قدرا عاليا من النموذج للفنانين المصريين. وربما كان البعثات والمنح الفنية التى كان يرعاها امراء ورجال دولة فى اوائل القرن - ثم الحكومة فيما بعد - الاثر الفعال فى تأكيد النموذج الغربى باعتباره القدوة التى لامفر منها نحو مشكلة التعبير الفنى وبالتالى نحو اصطناع هذا المصطلح الشامل لفكرة العالمية .



الحق ـ كتابة عربية للفنان سامي رفيع ٦٠ × ٧٥سم ـ ١٩٧٩

● ومنذ الاربعينات حتى بداية الخمسينات كان الفن المصرى قد ارتدى عدة اقنعه تتعارض مع بعضها فى شكل جماعات فنية ، وطفحت على السطح اتجاهات فنية بعضها وطنى الطابع وبعضها الآخر يدين بأسلوب سيزان وسوراه وماتيه ، وأخرى تدين بيابلو بيكاسو وجورج براك فى المرحلة التكعيبية ، وثالثة تدين بكالدر وجياكومتى وارميتاج فى النحت ورابعة تدين بجاكسون بلوك والبر ، وروشنبرج ، وخامسة تدين بموراندى بالتصعيد ، وسادسة تدين بسلفادور دالى ، وماجريت ، وسابعة تدين ببول كلى وخوان ميرو ، وثامنة تدين بالمدرسة التعبيرية الالمانية ، وتاسعة تدين بمدرسة الباوهاوس الالمانية وعاشرةتدين بالواقعية المدرسية وحادية عشرة تدين بالواقعية المثالية وثانية عشرة تدين بما يول فى النحت تاره ، وهنرى مور تارة أخرى .

ومنذ الستينيات بدأت محنة التعبير الفنى تمثل ضميرا ضاغطا لدى جانب هام من الفنانين المصريين .. لقد كان الشعار هو البحث عن الشخصية المصرية . كيف ، ومن أين ، ونحو أى سبيل ؟ وتميزت فى الستينيات دعوتان يضمهما شعار واحد هو (البحث عن الشخصية المصرية فى الفن المصرى):

● أولهما : اعادة تأكيد ملامح الحلية الشعبية ، ثم اعادة تركيبها .

● ثانيهما : الفن الاسلامى باعتباره موروث أساسى للشخصية المصرية والعربية وباعتباره الوريث الشرعى للواقع التصويرى للكتابات القديمة .

ومنذ عام ١٩٦٧ تميزت الجماعة التى ترى الفن الاسلامى الشخصية النموذجية، وأخذت هذه الجماعة تخطو خطوات سريعة نحو الهدف متسلحة بالفكر الفلسفى والثقافة الانسانية ومنحى التحديث ، .. وفى نفس الوقت بدأت تقدم للمشاهد المصرى الكثير من الاجابات على تساؤلات كثيرة ظلت لزمان طويل دون اجابة واضحة ، ومن هذه الزاوية الاخيرة نحن نطرح موضوع اليوم .

● الكتابة العربية جزء من الفن الاسلامى ، لماذا ؟

لاشك أن المنطقة العربية تمثل النموذج المجسد لتلاقى أعرق الحضارات فى التاريخ الانسانى لقد عاشت منذ البدايات الاولى فى حالة اتصال عميق فيما بينها .

اتصال لم يقتصر فقط على المكان والموقع ، وانما تعدى ذلك الى اللغة واللهجات ، والمناخ والجنس، والتاريخ .. ولقد كانت منطقة سيناء، على مر العصور هى المكان والموقع الذى استقبل مختلف الحضارات تلك التى كانت تهب من مصر القديمة على بلاد ما بين النهرين ، وتلك التى تهاجر من بلاد ما بين النهرين الى مصر وشمال افريقيا .

ومن ثم فليس امامنا من سبيل ونحن نحاول الكشف عن بعض جوانب التفاعل والتقابل بين الكتابة العربية وحركاتها الصوتية وبين الاساليب الفنية للكتابة العربية ـ ليس أمامنا من سبيل



الا ان نشفع ذلك بجانب من هذه الخصائص الانسانية .

فنحن عندما نتناول التركيب الفني لاصوات اللغة العربية ولحركة الخطوط العربية المكتوبة المطابقة لها لا نستطيع ان ننزع وجودها من المكان او الزمان، كما اننا لا نستطيع ان نرقب ذلك بمعزل عن التقاليد والثقافات العليا بل والفلسفة ايضا - ولعل فكرة (الوحدانية) - هي واحدة من اهم العناصر الراسخة في تكوين الجوهر الخاص بالشخصية العربية ، فهي التي جسدت الى حد بعيد هذه الصيغة القدسية للابعاد الروحية تلك التي تتمثل في الخلاص بعقيدة «الوحدانية»، ومن ثم التسامى والتعالى عما هو سائد بين الناس في المكان وفي الزمان .

ويذهب الدكتور عفيفي بهنس في كتابه (دراسات نظرية فى فن العرب) الى حد ابعد من ذلك اذ يقول : (ان التوحيد قديم فى حياة العرب - بل هو سابق للتوحيد الابراهيمى ، بل ان الوثنية وهى صنع التمثال للعبادة عند عرب الجاهلية لم يكن الا وسيطا الى رحاب الذات العليا وجاز لنا ان نعتبره نافذة جوهرية الى الذوبان مع المطلق كل المعانى ، ولقد أعطت عقيدة الوحدانية كمحتوى فلسفى مبنى على قناعة عليا نتاجا ذا سمات خاصة للغاية في الشخصية العربية ، اذ جعلتها تتعدى الحدود المادية فى التعبير باعتبارها واقعا عرضيا محددا، على حين دعتها الى السعى وراء ذات الله باعتبارها الجوهر المطلق) .

ومن ثم فلم يكن الانسان العربي يحفل بأن يقيم وزنا للمحسوس والملموس طالما أن الجوهر سيبقى دون حدوده المادية ، ولا حاجة بنا الى البحث عن اشكالات الكمال الخالص فى التعبير اذ أن الكمال موجود وازلى ، فغاية ما اخذت تصبو اليه الشخصية العربية هى الذوبان فى الذات المطلقة ، الخلاص فيها . ان الشخصية العربيه اذن هى شخصية حدسيه . وهذ الحدس يضع الافتراضات الغيبية باعتبارها حلولا نهائية بل ان الحدث يكاد ان يكون متواضعا عضويا فى الشخصية العربية يصل بها فى اغلب الاحيان الى مستوى قدسى ولعل ذلك يفسر لنا ايضا الكيفية التى دعت الفنان العربى الى تحوير الاشكال الماثلة أمام عينيه.

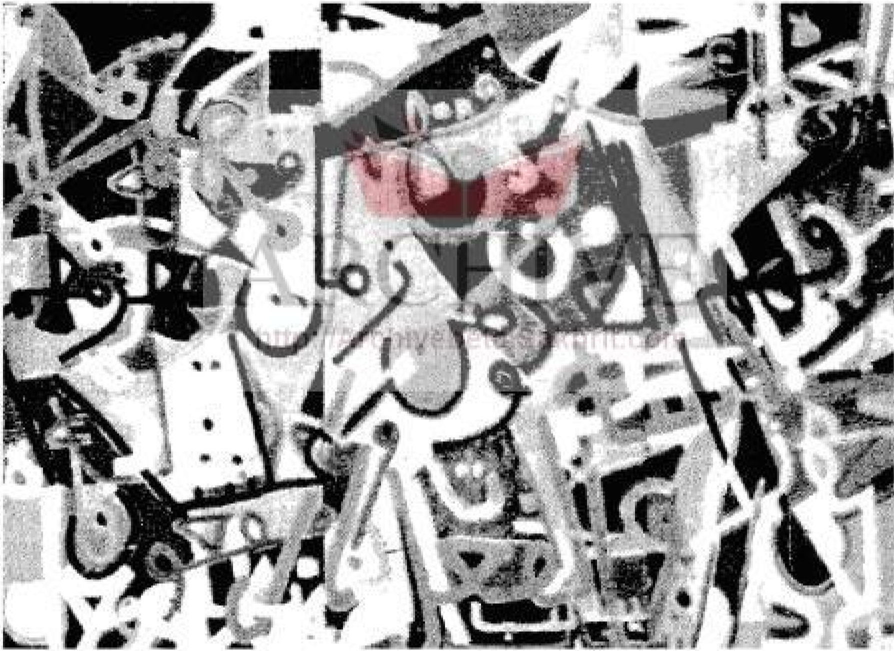
● اللغة العربية والكتابة بين التحوير والتحويل والتغيير والتشكيل :

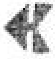
اننا اذن عندما نتحدث عن فكرة التحوير لا نسوقها باعتبارها عنصرا من العناصر التركيبية للشخصية العربية فحسب ، وانما باعتبارها ضرورة واحتياج فرضتها على هذا النحو مجموعة العوامل القدسية الملحة التى ارتبطت بها الشخصية العربية وامتزجت فيها . فاذا عددنا أن اللغة هى الطاقة الاساسية لصياغة الفكر الانسانى وبان اللغة على ما يقول ليبنتس (هى أصدق مرآة للعقل الانسانى ، وأن التحليل الدقيق لمعانى الكلمات - يمكننا

جزءا من أي شيء آخر – من فهم عمليات العقل) . فاننا نستطيع الزعم بأن اللغة العربية كانت واحدة من الأهداف الأساسية التي لحقت بها فكرة التحوير

فاللغة العربية كحركة صوتية ، هي لغة ايقاعية بطبيعتها التشريحية والايقاع فيها يكاد أن يكون في أغلب الظن أخلاقيا بيولوجيا – فالحروف العربية التي تكون كلمة ما ، ترتبط الى بعضها حسب مجموعة عوامل صوتية ساكنة أو ممتدة فـارغة أو ممتلئة ، قصيرة أو طويلة ، بحيث تكاد الحركة الصوتية المنطوقة أن تكون مرادفا ثانيا لمعنى الكلمة ويقودنا هذا الى نوع من القياس العجيب الذي تتميز بهـا هذه اللغة الفريدة ، الا أن أي سواكن أو مدات طـارئة عـلى ايقاعات الحروف قد تطرح علينا الكلمة بمعنى

تكوين من الحروف العربية للفنان يوسف سيده ٨٠ × ١٢٠ سـم – ١٩٦٨





تكوين للفنان ضياء العزاوى

آخر يخرج عن نطاق حروفها المكتوبة.

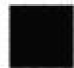
وهذا هو ما نقصد اليه في كلامنا عن طبيعة التحوير في اللغة العربية. وتتميز اللغة العربية بما توصف به بعض حالات الموسيقى باصطلاح « الليجاتو » وهى كلمة لاتينية تجتهد فى ترجمتها الى « الوصول الانسيابى » وذلك على عكس معظم اللغات اللاتينية ـ حسب علمنا ـ التى تخلد الى الطابع المعروف فى لغة الموسيقى باصطلاح « الاستكاتو » وهى كلمة لاتينية أيضا تجتهد فى ترجمتها الى معنى « التعبير المنفصل » . والحروف العربية وهى تعتمد اعتمادا أساسيا على الطبيعة اللحنية للحركة الصوتية قادرة بمكوناتها الوراثية هذه على أن تتحول من حرف الى آخر دون أن تسبب سقوطا فارغا للايقاع المتصل بين الحروف على خلاف ما نجده فى معظم اللغات الاخرى ، وربما يفسر لنا ذلك هذه الطبيعة الاشتقاقية المبدعة التى انفردت بها اللغة العربية ليس فقط كحركة صوتية بل أيضا كلغة بلاغية بحيث ظلت بعيدة عن الوقوع فى اطار الحواجز الرياضية التى تكسب اللغات اللاتينية نوعا ما ، طابعا ميكانيكيا ، ولنضرب لذلك بعض الامثلة ونختار من العربية كلمة « فعل » لندلل على قولنا فى طبيعة التحوير والتشكيل اذ نقول أفعل ، فعل ، فعلة ، أفعال فعال ، انفعل ، تفعل ، تفاعل ، افتعل ، افتعال ، استفعل ، مفاعل ، مفعول ، ولعلنا نلحظ هنا أن الحركة الصوتية للواقع النغمى تكشف لنا عن القيم العالية للتحويل والتشكيل البلاغى كما تكشف النقاب عن هذه الطبيعة الفياضة القادرة على اختزال الاصوات اللحنية وتحويلها الى معانى مغايرة .

ولكننا فى اللغات اللاتينية بشكل عام نصطدم بواقع رياضى المفردات داخل اطار هندسى صارم ، ويؤكد ذلك ما يعرف باللواصق والبادئات فى هذه اللغات . وهى مجموعة حروف متحركة توضع فى مقدمة الكلمة أو مؤخرتها لنفيها أو التأكيد عليها ، وهذا هو ما أضفى عليها طابعا مغايرا وربما فقيرا بعض الشيء أسميناه كما قدمنا باصطلاح « الاستكاتو » أى التعبير المنفصل .

وكما تتميز اللغة العربية بالتحوير والتحويل والتشكيل ، فهى أيضا تتسم بنطاق آخر يضعها فى موقع فريد للغاية وذلك هو ما نطلق عليه صفة « التغيير » اذ ان اللغة العربية بمكوناتها الفنية هذه ، وبعناصرها الايقاعية واللحنية التى لا مندوحة عنها للتعبير عن الفكر الانسانى فى المنطقة العربية بعامة ، قادرة على تشطير نفسها عن طريق خاصياتها الاشتقاقية المبدعة الى معانى مغايرة للكلمة الواحدة ، بل أيضا وهذا هو المهم ـ قادرة على ابتداع معنيين هما نقيضين تماما من خلال مفردات كلمة واحدة .

● اللغة والكتابة والتعبير الفنى:

لا شك اذن فى أن وشائج الصلة بين المنطوق والمكتوب لاسبيل الى نفيه



او تجاهله بل ان الكتابة بمثابة المدونة الموسيقية الامينة لحركة الصوت فى اللغة ، ولا غرابة اذن فى تقويمنا للخط العربي باعتباره ليس فقط لغة صوتية مدونة وانما على اعتبار أنه فن قومى خالص يحمل فى طياته كل المميزات التى تخالج الشخصية العربية وتشترك فى بنائها الكيفى والعضوى ، اذ لم تبخل هذه الطبيعة الفياضة للغة العربية أن تصبغ المدون والمكتوب بنفس خصائصها القدسية فى الالهام الفنى عن طريق التحوير الخلاق لسار الخط وترتيب النقط ، وانتظام العناصر والاشكال فى حالات التطابق والتماثل والتقابل والتبادل والتباين على السواء .

غير أن الكتابة العربية وقد اصطبغت بهذه الخواص الحضارية عن طريق اللغة المنطوقة ، كانت أيضا قد اكتسبت عناصر أخرى استخلصتها من الواقع التصويرى للحضارات التى امتزجت بها ، والذى خلص فى النهاية الى هذا الاختزال العجيب وهو « الحرف » .

فليس الحرف العربي فى حقيقته الا واقعا ماديا لطبيعة « تصويرية » خالصة فى الاساس ـ ولا سبيل أمامنا الا أن نؤكد على أساليب الكتابة المسمارية والقبطية والبابلية والاشورية ، والمصرية القديمة أيضا ، لكى نبرهن على خاصية الابداع الفنى التى تميزت بها أساليب الكتابة العربية . اذ كان للعمل التصويرى آنذاك ميزتان أساسيتان ، أولهما خاصية نفعية تتلخص فى تسجيل الاحداث وتدوين التاريخ .

والثانية خاصية فنية مبنية على التشكيل الجمالى تكاد أن تكون فى بعض الحالات تصويرا عاليا لذ ابات الجمال وحده ـ فنحن عندما نتكلم عن الخط العربي باعتباره فنا قوميا خالصا لا يمكننا أن نهمل هذا التراث العظيم الذى امتزج فيها ومهد السبيل لمختلف أساليبها الفنية وفتح الطريق فيما بعد على مصراعيه لان يتخذه الفنانون المعاصرون مادة غنية للتعبير الفنى « المجرد » فى لغة التصوير .

ولا غرابة الان اذا وجدنا ما يزيد على واحد وعشرين أسلوبا راسخا لفن الكتابة العربية بقواعده الجمالية الخاصة وملابسات تشكيلاته الفنية ، ولسنا هنا بسبيل الحديث عن أنواع الخط العربي من كوفى ونسخ وثلثى وتعليقى وفارسى وديوانى الى غير ذلك من الانواع ، انما نحن فقط نؤكد على هذه العلاقة الوشيجة بين اللغة العربية والكتابة العربية وبين محاولات الفنان المصرى لاستخلاص شخصية قومية فى العمل .

لقد هدفنا بهذا المقال الموجز أن نلقى الضوء على القيم التصويرية التى تتميز بها الكتابة العربية بمختلف أساليبها ، والتى دعت الفنان العربي مؤخرا الى أن يستخدم مفردات تشكيلية بحتة فى استعماله للخط العربى كالكتلة والحيز واللون والظل والنور وملامس السطوح والحركة الذاتية للخطوط لكى يشارك من جديد فى بث واحد من الجوانب الهامة فى فن المنطقة العربية وحضارتها .



ثروة نجيب الريحاني الفنية

لأشهر رسّام عالمي

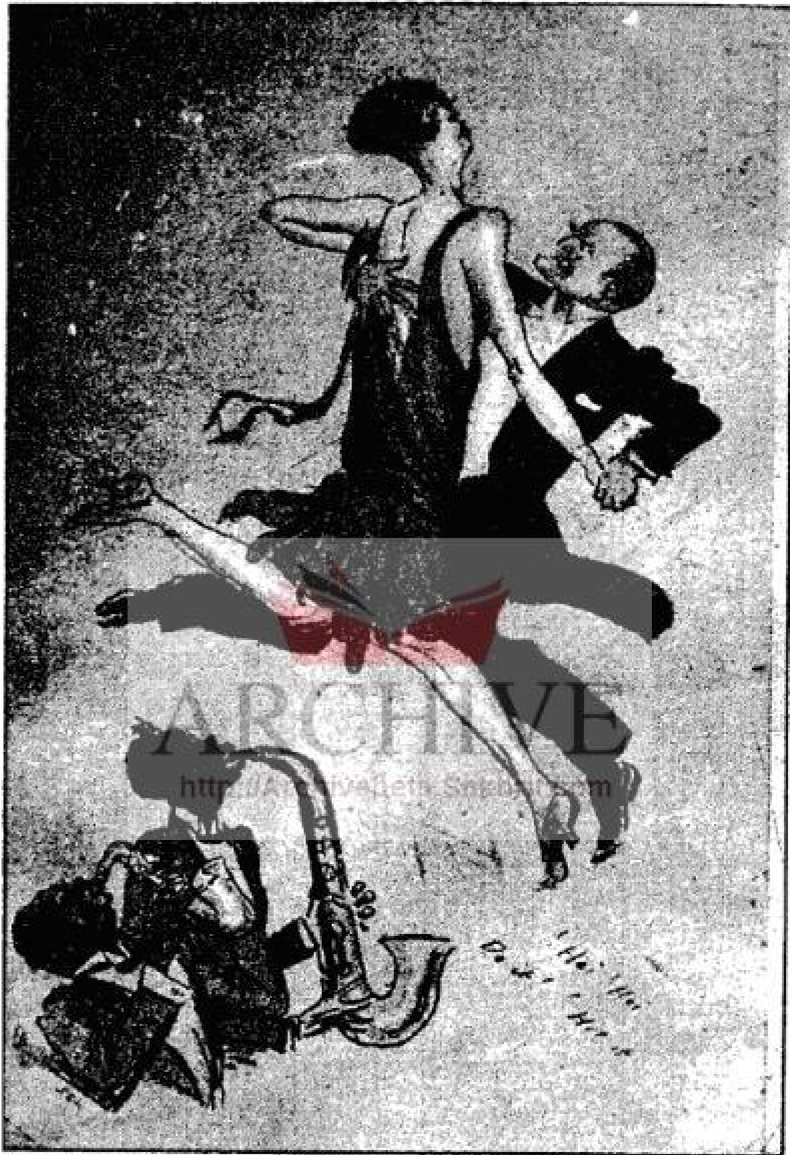
بقلم : غنيم عبده

في حياة كل فنان صفحات مجهولة ، وأوراق باهتة يعرفها وحده ويخفيها عن عشاق فنه مع ساقطه ، أو سنوات فقر أمضاها شريداً وحيداً .. أو .. أو ..

لكن للفنان الكبير الممثل المخرج الكاتب نجيب الريحاني لم يترك شاردة أو واردة عن حياته لم يضمنها كتابه « مذكرات نجيب الريحاني » الذي نشر في سلسلة كتاب الهلال عام ١٩٥٩ . أو كما يقول هو في مقدمة مذكراته :

آليت على نفسي أن أملي الواقع مهما حالت في مرارته ، وأسجل الحقائق مهما كان فيها من ألم ينالني قبل أن ينال غيري ممن جمعتني بهم أية جامعة ، وربطتني بهم أقل رابطة .

ولهذا كانت المفاجأة كاملة عندما وجدت معرضاً لفن الكاريكاتير في صالة المركز الثقافي الفرنسي للفنان العالمي جورج جورسا الشهير « صام »



ـوسيقى الجاز .. الجنون الذى اجتاح اوربا فى النصف الاول من هذا القرن - وعبرت عنه فرشاة "سام"

ثروة نجيب الريحانى الفنية

يضم اربعين لوحة كتب تحت كل منها من مجموعة الفنان المصرى الكبير نجيب الريحانى، اهداها للمعرض ابن شقيقه بديع الريحانى ٠

لم تكن مصادفة اذن ان يكون ضمن الحاضرين لحفل الافتتاح بديع الريحانى الذى يحتفظ بمعظم نصوص الريحانى والذى اهدى قصر الريحانى تمثال « كشكش بك » الشخصية التى ابتكرها الريحانى عام ١٩١٦ عمده القرية الذى كان يمثل المجتمع الزراعى التقليدى والذى عبر من خلاله الريحانى عن روح المجتمع المصرى واصبح اشهر شخصية فى تاريخ الكوميديا الى ان صار نموذجا باليا بعد قيام الحركة الوطنية عام ١٩١٩ وادرك الريحانى بحسه الاصيل ان الشخصية الرئيسية هى التى يجب ان تعبر عن المشكلات التى تواجه البلاد وقتها فابتكر « ياقوت » مدرس الابتدائى وافلاطون ٠ ملاحظ عمال رصف الطرق وبندق كاتب الحسابات وغيرها من الشخصيات التى تخدم قضية التطور وتعبر عن الوقائع الحديثة للحياة المصرية ٠

ارتباطات فكرية للريحانى

وبديع الريحانى حريص كل الحرص على تراث عمه ، وهو فنان مثقف لا يتكلم الا بمقدار وحين سألته عن سر هذه اللوحات التى اهداها للمعرض فى المركز الثقافى الفرنسى لم يزد قوله عن لقد وجدت تلك اللوحات فى اوراق كنت احتفظ بها ٠٠ وجدتها منذ شهر واحد، وتأكدت ان نجيب الريحانى قد اشتراها من جاليرى « لالا بيت » فى باريس بعد عودته من رحلة البرازيل والارجنتين مع بديعة مصابنى، ٠٠ وسوف تجد التفاصيل فى مذكرات الريحانى ٠

عدت الى المذكرات لاجد ان الريحانى كانت له منذ صغره ارتباطات فكرية وعاطفية وفنية بالناطقين بالفرنسية او ما يطلق عليه فى عصرنا الحالى « الفرانكفون » ٠

لقد غادر الريحانى مدرسة الفرير بالخرنفش فى سن السادسة عشرة بعد ان تزود بالمئونة الكافية من تعليم وخبرة، وخلال عمله فى البنك الزراعى تعرف على عزيز عيد المخرج السورى الشاب وجمعت بينهما صداقة تأصلت فى ظلها حب الريحانى للمسرح وتمكنا من الحصول على وظيفتى كومبارس بدار الاوبرا حيث كانت



شخصيات "سام" من الظهر تصرخ بحقيقة الشخصية

الفرق الاجنبية تعمل فى موسم الشتاء، وبذلك اتيح للريحانى مشاهدة تمثيل مونيه سيلى وكوكلان ولوسيان جيترى وسارة برنار .

● موهبة متالقة ●

وفى فرقة عزيز عيد كما تقول د . ليلى ابو سيف فى كتابها « نجيب الريحانى وتطورات الكوميديا فى مصر» تلقى الريحانى تدريباته الفنية الوحيدة فى حياته ، اذ تعلم فن الاخراج وتعرف على تكنيك الفارس الفرنسى الذى قدر له ان يكون ذا الاثر الاكبر على اغلب مسرحياته التالية ، واخيرا تأكد الريحانى من ان موهبته التمثيلية تتالق فى الكوميديا وذلك بعد براعته فى اداء دور بوشيه .

على ان الريحانى لم يلبث ان اختلف مع عزيز عيد فى احدى المسائل الحيوية فقد كان يرى ان اقتباس المسرحيات الفرنسية ينبغى ان يتمشى مع ذوق المجتمع المصرى وعاداته ، والا تخرج هذه المسرحيات مطابقة بصورتها الاصلية ، واتسعت هوة الخلاف بينهما حتى اضطر الريحانى الى ترك الفرقة فى ابريل ١٩١٦ .

ويقول الريحانى فى مذكراته أن الاقدار قد ساقت له فتاة فرنسية «لوسى دى فرنادى» صديقة له وعونا فى الشدة ، وساعدا يشد ازره ويشد عزمه ويقول على لسانه :

« لئن ذكرت فى حياتى شيئا طيبا فانا اذكر ايام زمالتها وعهد صداقتها » وانفصمت علاقة الريحانى بالفتاة الفرنسية « لوسى » عام ١٩٢٠ ، وقد كان الريحانى يعد هذه القطيعة نذير شؤم ، فقد فشلت مسرحية العشرة الطيبة التى مثلت فى مارس ١٩٢٠ والتى وصفها الريحانى انها كانت اول عهد « الاوبرا كوميك » والاوبريت فى مصر ، وكان قد كلف بترجمتها الكاتب المسرحى الكبير « محمد تيمور» عن مسرحية فرنسية بعنوان « اللحية الزرقاء » وعهد الى بديع خيرى بكتابة ازجالها والى الفنان الخالد « سيد درويش » بتلحين موسيقاها ، واسند الى عزيز عيد اخراجها .

كانت العشرة الطيبة تنقسم الى اربعة فصول وتتبع النظام الفرنسى فى تقسيم الفصول الى مشاهد وكانت تضم فى كل مشهد اغنية واحدة على الاقل .

لم تنجح العشرة الطيبة رغم انه قد انفق عليها بسخاء واعدها عمالقة فى مختلف فروع الفنون فى حينه بسبب ما اشيع وقتها من انها تسخر

ايقاعات سريعة وحركات صاخبة تصرخ بها لوحات الفنان الفرنسى



ثروة نجيب الريحاني الفنية

من الاتراك . وكانت تركيا قد خرجت من الحرب العالمية الاولى مهزومة وكانت الافكار في مصر تعطف عليها وتحن اليها ، كما كانت حاقدة على الانجليز باعتبارهم عقبة في سبيل استقلال مصر اولا ، وباعتبارهم اقوى عامل في هزيمة تركيا ثانية .

واستغل خصوم الريحاني الموقف ونشروا فرية مؤداها أن الغرض من عرض رواية العشرة الطيبة هو تجسيم مساوىء الاتراك في عين المصريين وتقريب الانجليز لقلوبهم ولم تكن تمر ليلة الا ويقف في احدى مقاصير كازينودي باري في اثناء التمثيل او في فترة الاستراحة خطيب ينادي بالويل والثبور وعظائم الامور ويهتف بسقوط الريحاني داعية الانجليز وربيب نعمتهم !!

كل ذلك وهم يعرفون تماما أن الريحاني كان منفذا لنقمة الانجليز وسلطتهم العسكرية في مصر .

وتركت تلك الاحداث كلها اسوأ الاثر في نفسية الريحاني ، وفي بداية الموسم الشتوي لعام ١٩٢٠ صحب الريحاني فرقته الى سوريا ولبنان في اولى رحلاته الفنية بهدف الترويح عن النفس وتجديد النشاط ، ونزل في بيروت لكن ضاعت الامال من الليلة الاولى وبلي الريحاني باخفاق لم يكن يتصوره لان امين عطا الله الذي كان ممثلا قبل ذلك بسنوات في فرقة الريحاني استطاع ان ينسخ جميع روايات الريحاني والف فرقة



لوحة نادرة من مجموعة "نجيب" الريحاني ، للفنان العالمي الفرنسي سام

من مواطنيه في سوريا وعرض بضاعته كلها ولم ينس أن يغتصب كذلك اسم « كشكش بك » . واعتبر الناس أن الريحاني مقلدا لكشكش الاصلي الذي هو أمين عطا الله !! . وكان الريحاني يسمع المتفرجين في الصالة وهم يصيحون « مايدا مانه كشكش مايدا ، تقليد !! » .

ورغم هذا الاخفاق الا ان الريحاني لفت نظره في أولى حفلاته سيدة « تلعلع » في اول مقصورة وقد ارتدت الفخم ملابس وتحلت بأبهى زينة وأدهشه أن تأتي هذه السيدة لتحيته وتهنئته في حجرته بالمسرح .

كانت هذه السيدة هي « بديعة مصابني » التي ذاع اسمها في انحاء سوريا ولبنان كراقصة وانضمت بديعة في هذه الليلة الى فرقة

الريحاني .. وعادت معه الى القاهرة.

توالت المصائب على راس الريحاني بعد عودته وهو يصف هذه الفترة فى مذكراته بقوله « يئست من هذه الحياة التى انكر الناس فيها الوفاء ، وباعنى الاصدقاء ، فاعتزمت أن ارحل بعيدا عن الناس اشتريتهم فباعوني،واخلصت لهم فانكروني ، ثم فكرت ان اجد فى الزواج تعزية أو شبه تعزية ، فكان قرانى ببديعة مصابنى ، وامتلأ رأسى بفكرة النزوح عن الوطن .

وبالفعل فى اواخر عام ١٩٢٤ ابحر الريحاني وبديعة والممثلان محمود التونى وفريد صبرى وجوجو ابنة بديعة الى البرازيل على ظهر الباخرة « غريبا لدى » .

نجحت رحلة الريحاني وبديعة الى البرازيل والارجنتين وخلال عودته عرج على باريس كى يتفسرج على الدنيا ، وامضى فى باريس خمسة عشر يوما يصفها الريحاني بقوله :

لم نزر خلالها متحفا ولا رأينا مسرحا ، بل كان همنا كله البقاء فى جاليرى لافاييت فقد كنا نقصد الى هذا المحل يوميا من التاسعة صباحا الى الثامنة مساء لنشترى كل ما طاب لنا من ملابس وما راقلنا من ادوات وكماليات . وكم مرة اتفقنا على قضاء السهرة فى دار السينما او فى مسرح معين حتى اذا حان الحين كان التعب قد تملكنا ولا نجد الا أن نتخذ سبيلنا الى الفندق كى نستأنف فى اليوم التالى زيارتنا المعتادة لجاليرى لافاييت .

وفى ختام وصفه يقول :

ان جاليرى لافاييت التهمت كل ما كان معنا ، فقد انفتحت انفسنا لشراء كل ما وقعت عليه انظارنا

● مجموعة نادرة ●

فى جاليرى لافاييت اذن عثر نجيب الريحاني على تلك المجموعة النادرة من اعمال اشهر فنان كاريكاتير فرنسى ظهر فى النصف الاول من القرن العشرين وهو الفنان جورج جورسا او « سام » كما اطلق هو على نفسه احتراما لاسم « سام » العجوز اشهر رسام كاريكاتير فرنسي فى نصف القرن السابق على مولده .

كان الناس موضع اهتمام سام فى رسوماته تماما كما كانوا موضع اهتمام الريحاني فى مسرحياته ، وكان سام يكشف عن خبايا من ينظر اليهم ويتعمق فى تفاصيل الشخصيات من خلال التقاطيع ويعبر عن ذلك برسوماته التى اعتبرها الفرنسيون « اكثر حقيقة من صور أصحابها » .

كان سام يعطي اهتماما كبيرا لاجساد الشخصيات التي يرسمها فى حين ان فنانى الكاريكاتير الذى عاصروه من امثال « جيل دوميبه » كانوا يركزون أساسا على تقاطيع الوجه ويلصقونها على أجساد مضحكة او غريبة او محطمة ، اما سام فقد كان يبرز الاكتاف المقوسة او الظهور المحنية . حتى أن الشخصيات التى رسمها من ظهورها كانت تصرح بالحقيقة .

ولعل الشيء المميز فى شخصياته كما اسماه هو نفسه هى الخطوط التى تحيط بسلويت الشخصية

وقد عاش سام فى بيريجو حيث ولد عام ١٨٦٣ واتم دراسته فى مدارس الجيزويت القريبة من منزل عائلته التى كانت تتكون من تسعة اطفال واب تاجر بقالة جملة .

وكان واضحا منذ صغره براعته فى الرسم وامتلاكه لروح الدعابة والسخرية ، وبدا يكتب ويرسم فى الصحف المحلية ، ورغم انه كان يتردد على العاصمة باريس ويزور الكباريهات الادبية حيث ملتقى أهل الفن والفكر وبصفة خاصة فى خمارة القط الاسود

ثروة نجيب الريحانى الفنية

الا انه كان يرى انه لم ينضج بعد ولم يصبح مبدأ لمهنته كي ينتقل الى العاصمة .

وفى عام ١٩٠٠ جاءت الاشارة اليه ليترك بلدته ويتجه الى باريس من خلال كلمات اشهر ناقد فرنسي وقتها « جون لودان » . فى باريس أصبح سام رساما لفن البورتريه فى جريدة «بال ابيوك» وكان يصدر فى كل عام البوما يضم ما بين ٢٠ الى ٤٠ بورتريه لنجم من نجوم المجتمع وقتهـا . الا أن اهتمامه الحقيقى كان منصبا على المسرح الذى غزته فرق موسيقى الجاز وعلى حلبة سباق الخيل .

واشتهر سام بنقده اللاذع للحياة الاجتماعية الباريسية فى عصره وكان يتبع الفريسة حيث تكون ، فكان ينتقل وراء نجوم المجتمع الباريسى الى « مونت كارلو » فى الشتاء ودوفيل فى الصيف وكان يقضى شهورا فى متابعة الوجه الذى يريد رسمه حتى يكتشف سره .

وقد زار « سام » الجزائر وتونس والمغرب ، وتركيا ، وكان يحب الشمس والبحر والدفء والالوان الزاهية .

وفى عام ١٩١٤ حطمت الحرب الحياة الاجتماعية فى أوربا وكان سام قد كبر فى السن لكن أصر على أن يكون محررا فى الجبهة ، ومن هناك ارسل العديد من المقالات والرسومات التى أظهرت مدى شفافيته وانسانيته وقد تم تجميعها بعد الحرب فى مجلدين اطلق عليهما « سام والبومات الحرب » .



المسرح كان عشق سام وعشق الريحانى ايضا

وبعد ما انتهت الحرب عاد سام الى باريس وعاد قلمه وريشته يسجلان الحياة الاجتماعية لفترة ما بعد الحرب وقد أحزنه فقدان كثير من الاصدقاء والشخصيات التى رسمها وكان ينظر الى مجلدات أعماله ويقول « ان البومات ما هى الا مدافن .. وجاءت نهايته هادئة عام ١٩٣٤ .

لقد اجتمعت فى الريحانى وسام روح السخرية من واقع المجتمع اللذين يعيشان من خلاله وتصوير عيوب مجتمع كل منهما بالوسيلة الفنية التى اختار بهدف الاصلاح وكان كلاهما يتمتع بمواهب وقدرات فذة ، ولهذا لم يكن غريبا ان تكون ضمن مقتنيات نجيب الريحانى الذى سعى جاهدا الى الارتقاء بالكوميديا واتخاذها منبرا للنقد الاجتماعي لا للتهريج والاسفاف وملاعبة غرائز الجمهور .. لم يكن غريبا ان يقتنى اعمال « سام » وان يحرص عليها .

متابعات أدبية



بقلم : يوسف القعيد

لماذا لا نجعل معرض الكتاب منطقة حرة ؟!

يعد معرض القاهرة الدولى للكتاب اقدم مشروع ثقافى ، ليس فى مصر وحدها ولكن فى الوطن العربى كله . وربما العالم الثالث ايضا .

انه الان ـ ثالث معرض كتاب ـ على مستوى العالم كله ، وان كان قد اكمل عامه الثامن عشر هذا العام . فمن المفروض أن يصل الى سن الرشد بعد ثلاث سنوات من الان . وكل هذا لابد وأن يدفع أى مثقف مصرى لان يعتبر قضية الحرص على هذا المعرض من الاولويات الاساسية له .

ذلك ان المعرض كان حى من الصعب قيامه بقرار ـ أيا كانت السلطة التى تصدر هذا القرار ـ وكذلك من الصعب أن يتحول معرض عادى الى معرض خاص ومتميز وقوى بقرار من احد .

ان الاستفتاء الاساسى على أى معرض هو الكلمة الاخيرة لجمهور هذا المعرض أو ذاك . وهذا الاستفتاء يزداد قوة سنة بعد أخرى .

لكن هذا العام جاء يحمل معه الجديد لمعرض الكتاب ، والجديد كثير هذه المرة فقد ذهب الرئيس حسنى مبارك بنفسه الى معرض الكتاب لكى يفتتحه وهى المرة الاولى فى تاريخ المعرض .

كذلك كانت المرة الاولى التى تغيب فيها اسرائيل عن المعرض وهكذا بدا هواء المعرض نقيا صافيا غير ملوث . ولان اسرائيل غابت عن المعرض جاءت اليه ١٧ دولة عربية مرة واحدة .

أيضا فهذا المعرض هو الاول فى فترة ولاية الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة الذى لم يعد جديدا ، وهو الاول فى مرحلة الدكتور سمير سرحان وتوليه لرئاسة هيئة الكتاب .

كذلك كانت المرة الاولى التى يحضر كبار كتاب مصر حفل الافتتاح . حيث كان هناك نجيب محفوظ ويوسف ادريس

متابعات أدبية



د. سمير سرحان

وسعد الدين وهبه ومحمد جلال . وبذلك تحول المعرض من سوق للكتاب الىمظاهرة ثقافية . ايضا ، يمكن القول ان عدد الدول زاد ، وعدد الناشرين تضاعف . وعدد الكتب المعروضة زاد وكذلك عدد الرواد تضاعف أكثر من مرة . لدرجة أن الناشرين طلبوا من الدكتور سمير سرحان في الايام الاخيرة للمعرض مدفترته اياما اخرى ولكن حالت بعض العقبات الروتينية دون ذلك .

كل ذلك من الامور الجميلة التي تسعد الانسان . ولكن من باب حب هذا المعرض والرغبة في الابقاء عليه وتطويره ، لابد من محاولة القاء نظرة على الوجه الاخر من العملية كلها .

واول هذه الملاحظات تدور حول قضية الحرية المتاحة في المعرض . والذى حدث هذا العام ان الجهات الرقابية صادرت في الايام الاولى من المعرض اربعةكتب. هذه الكتب هي . مصر في ١٧، ١٨يناير لحسين عبد الرازق . وهدر الامكانية لنادر فرجاني ، وكم عمر الغضب ، للدكتور فؤاد زكريا .. ومن قتل سليمان خاطر للدكتور محمد مورو .

صحيح ان جهود الدكتور سمير سرحان قد تمكنت من اعادة هذه الكتب الاربعة . ولكن هذا الاجراء يثير أكثر من علامة استفهام . فلم لا يصبح هذا المعرض منطقة حرة ! خاصة وان فكرة المعرض قد نشأت أصلا لكي يكون منطقة حرة للكتاب العربي .

ان كل كتاب يدخل منه حوالي ٥٠نسخة فقط . ومهما كان محتوى هذا الكتاب فلا خطر منه ابداً . فلم هذه الضجة وتلك الاجراءات كلها حول ٥٠ نسخة من كتاب . مهما كان هذا الكتاب ومهما كان ما فيه .

كذلك فقد كان في المعرض وفيالسنوات الماضية ندوة ثقافية تقام خلاله . وكان موضوع هذه الندوة في الاعوام السابقة هو: كتب الاطفال.. ولكن الندوةاختفت هذا العام . مع ان الموضوعات التيىمكن ان تناقشها ندوات هذا المعرض يمكن ان تكون كثيرة وبدون نهاية .

ايضا كان يقام في المعرض في سنواته الاولى ، معرض للجديد في أدوات وماكينات الطباعة وانواع الورقوالاحبار. وهي من الامور الهامة في عملية الكتاب . وبدونها لا يصل الكتاب الى القارىء اصلا ، ولكن هذا المعرض اختفى منذ ان نقل المعرض من ارض المعارض في الجزيرة الى ارض المعارض في مدينة نصر . رغم اهميته لجماهير الناشرين والمهتمين بصناعة الكتاب .

ثم ان هناك مسألة اخرى هامة وهي أن هذا المعرض ـ هو في النهاية ـ حديقة مليئة ومفروشة بالورق المطبوع . والجماهير التي تحضر المعرض ـ من المفروض ان تكون فرصة نادرة لمعرفة موقف القارىء من الكتاب أي الكتب يفضل . كذلك فرصة لمعرفة أيالناس تقرأ في هذه الايام .

ان المؤلفين يكتبون لجمهور لا يعرفون

منه الكثير من الامور ومن القضايا ، والمعرض فرصة لمعرفة جماهير الكتب من هم ؟ واى الكتب يريدون بالتحديد ؟ وهذا الامر لا يتطلب أكثر من استمارة ابداء رأى توزع عند دخول المعرض وتؤخذ عند الخروج منه .

كذلك كانت هناك مسابقة لاحسن الكتب فى المعرض . ولقد نفذت هذه المسابقة سنة واحدة .. ثم جرى العدول عنها ولا أدرى السبب وربما كان السبب الحقيقى اننا نعرف جيدا كيف نبدا الخطوة الاولى فقط . ثم تتوه باقى الخطوات منا بعد ذلك .

تبقى جماهير المعرض . وقد لفت نظرى فى السنوات الاخيرة كثرة من يذهبون الى المعرض . انهم يتعدون الآلاف فى بعض الاحيان والملايين فى احيان أخرى . ولكن من يذهبون الى حيث الكتب القلة . وهناك من يشترون . ولكنى أشعر ان القراءة تتراجع فى حياتنا على الرغم من بعض الرواج فى عمليات البيع والشراء .

وان توقفت امام هذا الرواج أجده اولا فى كتب الجنس ثم الكتب الدينية ثم الكتب السياسية . والكتب التى تتحدث عن البخت والحظ والتنجيم والخوارق . وفى نهاية القائمة تأتى الكتب الثقافية . وانا لا أحب أن أقول ان بعض الكتب المتقدمة فى سلم الاولويات لا تمثل بعدا ثقافيا حقيقيا .

اخشى ان ابدو فى نظر الاخرين كمن لم يجد فى الورد عيبا فقال له يا أحمر الخدين ، ولكن أكتب هذه الكلمات من شدة حبى لمعرض الكتاب . ولهيئة الكتاب ولرئيس الهيئة .

ان معرض القاهرة الدولى مشروع ثقافى ضخم وعظيم . له ماض مشرف ومتألق . وعلينا نحن أن نجعل مستقبله فى مثل عظمة وتألق ماضيه .

وتلك ليست مهمة الدكتور سمير سرحان وحده ولكن كافة المثقفين المصريين والعرب جميعا فالمعرض مشروعنا وأملنا . وصلتنا الاساسية بالقارىء . تلك الصلة التى تتجدد كل سنة ..


نجيب محفوظ


د . يوسف ادريس


سعد الدين وهبة

العالم فى سطور



● المسيسبى ●

امراة صعيدية فى امريكا

لم ينس الامريكيون ان بلادهم كانت مقسمة يوما الى شمال وجنوب . وان حربا طويلة قد اشتعلت بين الطرفين منذ مائة عام تقريبا. ويبدو هذا الامر واضحا عند الحديث عن كاتب قادم من الجنوب. مثل وليـــام فوكنر وجيمس بولدوين ووليام ستايرون . ثم أخيرا ادورا فيلتى التى صدرت لها طبعة جديدة من روايتها « الرجل المتحجر » فاثارت ــ مرة اخرى ــ الحديث حـول الجنــوب الامريكي . خاصة بعد ان اختفى اكثر فرسانه وهاجر البعض الى المدن الكبرى فى الشمال .

و « الرجل المتحجر » عبارة عن مجموعة قديمة من القصص القصيرة التى نشرتها الكاتبة من قبل تدور وقائعها فى ريف الجنوب . او ما يمكن تسميته بالصعيد الامريكي . وقد اعيد نشرها بمناســبة افتتاح مكتبة تحمل اسمها فى مدينــة جاكسون بالمسيسبى . وقد أجرت معها مجلة الاكسبريس حديثا نشرته فى ٧ فبراير الماضى قالت فيه انها معجبة بفن القصة القصيرة وتعد نفسها امتدادا لتشيكوف وادجار الان بو وكاثرين مانسفيلد. وان القصــة القصـيرة تتلاءم مع طبيعتهـا كانسانة . « حاولت فى أعمالى ان اصور ما يجرى فى مدن الجنوب الصغيرة . حيث لايوجد امام الناس سوى الشرود بعيدا عن عائلاتهم . انهم يبالغــون . ويكـون الاحداث مأساوية . ويلقــون بالتهديدات فى الهواء . ولا يؤمنــون بانفسهم . وهذا اسلوبهم فى أن تغدو حياتهم اكثر اهمية . بالتاكيد فان هذا يعكس شيئا ما عميقا . ولكن على الاقل يدفعنى ان اكتب عنهم دوما » .

وتقول ان سكان الجنوب يحتفظــون بكتب فوكنر فى منازلهم الى جوار الكتب المقدسة . وقد لعب فوكنر دورا هاما فى حياة الكاتبة فدفعها الى الكتابة . وقالت ان فوكنر لم يكن يكتب لاحد سوى لسكان الجنوب ولذا اكتسبت كتاباته صدقها واصالتها .

ادورا فيلتى



● براغ ●

مي .. على الطريقة التشيكية



ميلينا يانسكا

مثلما احتفلت « الهلال » في الشهر الماضي بالكاتبة مي زيادة . فان هناك احتفالا مشابها شهدته الاوساط الثقافية في تشيكوسلوفاكيا والعالم احتفاء بالكاتبة ميلينا يانسكا . وقد صدرت بهذه المناسبة مجموعة من الكتب حيث قدمت مرجريت بوبر كتابين « ميلينا » و « منفية في سيبيريا » حول السيرة الذاتية للكاتبة. كما صدرت مجموعة مقالات لميلينا بعنوان « عش » .. ونشرت كل مراسلاتها الى الكاتب فرانتز كافكا .

الجدير بالذكر ان ميلينا قد اكتسبت شهرتها من تلك الرسائل التي تبادلتها مع كافكا . وذاعت هذه الرسائل بنفس الطريقة التي شهدتها الرسائل المتبادلة بين مي وأدباء عصرها .. وقد تعدت العلاقة بين ميلينا وكافكا من تبادل الرسائل الى العشق والجوى .. وهي التي ترجمت له كل رواياته الى اللغة الفرنسية لاول مرة عام ١٩٢٠ .

انخرطت الكاتبة في الحياة الادبية والسياسية خلال الثلاثينات حيث انضمت الى الحزب الشيوعي ثم انفصلت عنه كي تشهد كبريات أحداث العالم مثل الحرب الاهلية في اسبانيا . واضطهدتها القوات النازية ابان الحرب .. وقد ماتت في أحد معسكرات الاعتقال عام ١٩٤٤ .

تقول ميلينا في احدى مقالاتها : « الشيء الوحيد الذي اعرفه هو الكتابة. فالكتابة هي رسالة التواصل والحب بين الناس . وتحمل كل مقالاتي هذا المفهوم ».

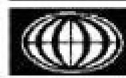
اما زميلتها مرجريت بوبر فتكتب عنها في كتابها المشار اليه : « وجدت حريتي متمثلة في مدى التعبير عن وصية ميلينا، فكتبت كتابا حول معسكرات الاعتقال . قالت لي قبل أن تموت بقليل : أعرف انك لن تنسيني قط . وبك انت يمكن أن استمر حية . حدثي الناس عني . وكوني القاضي الذي يحكم علي في كل مكان » .

● لندن ●

مذكرات ابن شكسبير

المذكرات هذه المرة تستحق كل الاهتمام الذي حظيت به . فصاحب المذكرات اليك جنيس رجل له تاريخ طويل فوق خشبة المسرح وعلى الشاشة . وعاش حياة شخصية حافلة بالحكايات المثيرة .

سير اليك جنيس الان ليس كتابا يوضع فوق الارفف . ولكنه مكتبة متنقلة. ولد عام ١٩١٤ . عمل في احدى دور النشر وهو في سن الشباب، ولع بشكسبير فمثله كله فوق خشبة المسرح . تنوعت أدواره في السينما . من ابرز ادواره ذلك القائد الانجليزي الذي اعطى كلمة شرف لاعدائه حتى ولو اضر هذا بجيشه الذي يقوده في « جسر على نهر كواي » . أدى شخصية العربي في « لورانس » والروسي في « دكتور زيفاجو » وعمل في الهند من خلال « غاندي » و « رحلة الى الهند » يقول من مذكراته : « قررت أخيرا ان أكتبها بنفسي والا أتركها لاحد يفعلها





اليك جينيس

بابه عنى . وكانت المشكلة هو ان اتخلص من اطنابى ومدحى . فحاولت أن اتخلص من سطوتى على نفسى . وجاءت النتيجة ممزوجة باشياء عديدة » .

واليك جينيس ابن غير شرعى لم يلتق ابدا بابيه وقد روى انه لم ينس ابدا هذه الواقعة . « عندما كنت صغيرا لم افكر كثيرا فى هذا الامر . فالاطفال يقبلون الحياة على علاتها . ولكننى فيما بعد بدأت أبحث عن الحقيقة . واردت ان ارى الرجل الذى احمل اسمه . عرفت أنه من ملوك البيرة . ويتمتع بثراء فاحش . ولا أعرف لماذا لم اسع بعد ذلك الى ان اراه .. لقد احسست أن شكسبير هو ابى » .



باريس

الادب .. اختيار أنانى

الارتباط الاول :

عنوان أحدث رواية تقدمها الكاتبة الفرنسية نيقول آفريل . صدرت فى الاسبوع الماضى تتناول فيها علاقة غريبة بين رجل وابنته الصغيرة . فالابنة تسعى جاهدة ان يفشل ابوها فى كل الارتباطات العاطفية التى يسعى لعقدها بعد ان ماتت زوجته الاولى .

وسونيا التى تعرقل أباها تسعى من ناحيتها الى الارتباط برجل يدعى جابريل .. انها تود ان تمتلك الرجلين فى نفس الوقت . اباها . وحبيبها . وبينما يقبع الاب وحيدا فى غرفته فان جابريل يتركها حاملة جنينا تحاول جاهدة ان تتخلص منه بلا جدوى .

رواية متدفقة جديدة تقدمها كاتبة من جيل السبعينات فى فرنسا ولدت عام ١٩٤٧ . نشرت روايتها الاولى « ناس من

نيقول افريل



ميصار » وهى فى الخامسة عشر.. عملت مدرسة للأدب . وكان عليها أن تختار بين مهنة الادب والماتيكان والتمثيل . لكن الكتابة هى قدرها . قابلت جان بيير الكباش الذى ينحدر من أصل عربى خلال محادثة تليفزيونية اجراها معها فتزوجا: « كان اختيارا اثانيا . فقد جمعنـــا الادب » . من اهم رواياتها الاخـــرى « المتمردة » عام ١٩٨١ ثم « جان » عام ١٩٨٤ .

وتتسم بطلات نيقول بجنون شديد فيما يتعلق بعلاقتهن بالرجال . فالمرأة تسعى وراء الرجل بجنــــون . وتتعلق به حتى لو اضطرت ان تدفع الثمن غاليا سواء كان من دمها أو دم الآخرين .



...ا شور بطل قومى .

تلفـــزيــون

الاخوة كارامازوف
فى ايرلنـــدا ..

لابد للكاتب ان يعود الى اهتماماته الاصلية.. مثلما عادت الكاتبة الايرلندية ايريس مردوخ الى الفلسفة تخـــرجها بالرواية فى كتابها الاخير «تلميذ الفلسفة». فايريس .. المولودة عام ١٩١٩ ـ قــد تخصصت فى أول حياتها فى دراســـة الفلسفة التحليلية . ورغم انهـــا قامت بتدريس الفلسفة فى الجامعة الا أنهـــا وجدت فى الرواية وسيلتها الافضل للتعبير عن نفسها، وبعيدا عن المجردات والتحليلات كتبت الرواية باسلوب انسيابي رقيق . نشرت روايتها الاولى « تحت الشبكة » عام ١٩٥٤ . ثم توالت اعمالها التي من اهمها « الناقوس » . « راهبات وجنود » « البحر البحر » . « الامير الاسود » ...

قبلت ايريس مردوخ ـ عن صدر رحب ان يفوز زميلها وليام جولدنج بجائزة نوبل منذ عامين آملة ان ينالها الدور فى الاعوام القادمة . عرفت بانها تبحث لنفسها عما يسمى بالنظرية الثالثة التى تناولتها بالتفصيل فى كتابها عن «سارتر» الذى نشرته فى أعقاب احداث الشغب باوروبا .

فى روايتها الاخيرة تتحدث عن مجموعة اشخاص لايتوافقون مع المجتمع، فيلسوف وتلميذه المخدوع فيه وراهب ونساء يتسمن بالبرود . وذلك فى قرية ايرلندية صغيرة وطالما ان هناك فيلسوف فيجب ان يطرح للنقاش موضوع « المطلق والنسبى » فبينما تجد ان الراهب غير مؤمن بالمطلق . فان الفيلسوف يؤمن بالفلســـفة مجردة تدفعه الى ارتكاب جريمة قتــل ، فى الوقت الذى يتم العثور على جثث مجهولة الهوية فى طبق طائر حط فى حديقة تسمى الثعالب .

يقول الناقد جاك كابو ان ايريس قد سعت الى تقديم رواية دوستويفســـكية فجسدت نفس الاخوة كارامازوف فى اطار عصرى ينتمى فى اغلبه الى ايرلندا .

قصة

تأليف: الكاتب الألماني
هرمان هسه
ترجمة: فؤاد كامل



قال أبي وهو يناولني نايا صغيرا من العاج « إليك هذا .. خذه ولاتنس والدك العجوز عندما تسرّي عن الناس بعزفك في بلاد غريبة . فلقد حان الوقت لكي تشاهد العالم وتكتسب المعرفة . ولقد امرت بصنع هذا الناى لك لأنك لاتحب عملا سواه . ولايطيب لك إلا أن تغني . ولكن تأكد دائما من أنك تختار الأغاني المشرقة المرحة ، وإلا ستكون الهبة التي أودعها الله فيك مدعاة للأسف .

كان أبي العزيز لايفهم عن الموسيقى إلا قليلا . فقد كان من رجال العلم وكان يعتقد أن كل ما ينبغي أن أفعله هو النفخ في الناى الصغير اللطيف . ولايزيد الأمر على ذلك شيئا . ولم أكن أريد أن أبدد وهمه ، ومن ثم فقد شكرته ، ودسست الناى في جيبي ، وشرعت في الرحيل .

وكان وادينا مألوفا لي حتى طاحونة المزرعة الكبيرة ، وهكذا كان العالم بالنسبة لي يبدأ بعدها . وقد سرّني هذا كثيرا .

واستقرت نحلة أجهدها الطواف على كمي ، فأخذتها معي حتى يكون لدى في أول مكان استريح فيه رسول استطيع أن أرسله إلى البيت حاملا تحياتي .

ورافقتني الغابات والمروج وأنا سائر في طريقي ، وكان النهر يجري مرحا إلى جانبي ؛ ورأيت أن العالم لايختلف إلا قليلا عن بيتي . وكانت الأشجار والأزهار ، وسنابل القمح ، وأجام البندق المتشابكة تتحدث إلى ، فكنت أردد معها أغانيها ، فتفقه عني

كما كانت تفقه فى بيتنا ؛ بيد أن الغناء أيقظ نحلتى ، فزحفت متمهلة حتى بلغت كتفى ، ثم طارت ، وحلقت حولى مرتين بطنينها العذب العميق ، ثم اتجهت فى خط مستقيم ، وانطلقت كالسهم عائدة صوب البيت .

وهنا خرجت من الغابة فتاة صغيرة تحمل سلة على ذراعها وتضع على رأسها الأشقر قبعة عريضة من القش لتحميها من الشمس .

قلت لها : سبحان الله .. أين تقصدين ؟ »

فردت على قائلة وهى تسير إلى جوارى : « إننى أحمل لرجال الحصاد غداءهم . وأنت ، أين تذهب اليوم ؟ »

« أنا ذاهب إلى العالم ، كما أرسلنى أبى . فهو يعتقد أن من واجبى تقديم حفلات على الناى .. ولكننى لا أدرى حقا كيف يكون ذلك ، إذ ينبغى على أن أتعلم أولا . »

ـ « هذا حسن .. ولكن ما الذى تستطيع أن تفعله حقا ؟ على كل إنسان أن يكون قادرا على فعل شىء ، أيا كان . »

ـ لاشىء بوجه خاص .. كل ماأستطيعه هو أن أنشد الأغانى . »

ـ « وأى نوع من الأغانى هذا الذى تنشده ؟

ـ « كل أنواع الأغانى ، للصباح والمساء ، ولكل الأشجار والحيوانات ، والأزهار . الآن مثلا ، أستطيع أن أغنى أغنية



بريشة : سميحة حسنين



أحلام البناء

جميلة عن فتاة صغيرة خرجت من الغابات وتحمل لرجال الحصاد غداءهم . »
ـ « اتستطيع ذلك حقا ؟ إذن ، هيا ، انشدها على الفور ! »

ـ « اجل » ولكن ما اسمك ؟ »
ـ « بريجيت . »
ـ وهنا انشدت اغنية عن « بريجيت » الفاتنة بقبعتها المصنوعة من القش ، وبما تحمله في سلتها ، وكيف أن الأزهار جميعا تحملق فيها ، وزهور اللبلاب الزرقاء فوق سور الحديقة تحاول بلوغها ، وكل تلك التفاصيل . وأرعت اهتمامها جيدا للاغنية ، ثم قالت إنها جيدة فلما اخبرتها بانني جائع ، رفعت غطاء السلة ، ومنحتني قطعة من الخبز ، فقضمت منها كسرة ، ثم واصلت سيرى مسرعا ، فقالت : « لاينبغي ان تجرى اثناء الأكل ، فليأت احدهما بعد آخر . » وهكذا جلسنا معا على العشب ، واكلت خبزى ، بينما طوقت ركبتيها بيديها السمراوين ، وجعلت تنظر إلى .

سالتني بعد أن فرغت من اغنيتي : « الن تغنى شيئا آخر من اجلى ؟ »
ـ « طبعا ، سافعل . ترى ماذا يكون ؟ »
ـ « عن الفتاة هجرها حبيبها ، فهي حزينة . »
ـ « كلا ، لا استطيع أن اغنى هذا . فلا ادرى ما سيكون عليه هذا الشعور ، وعلى كل حال ، لاينبغي على المرء أن يكون حزينا إلى هذا الحد ، وما ينبغي على إلا ان اغنى الأغاني المبهجة المرحة ، كما قال لي أبي . ساغنى لك عن العصفور أو عن الفراشة . »
ـ فسالته : إذن ، فانت لاتعرف شيئا على الاطلاق عن الحب ؟ »
ـ « عن الحب ؟ بلى ، اعرف عنه . انه اجمل الأشياء جميعا . »

وبدات فورا ، فغنيت عن اشعة الشمس الذي وقعت في غرام زهور الخشخاش الحمراء ، وكيف اخذت تداعبهن وهى في أوج السرور ، وعن عصفورة الحسون عندما تنتظر زوجها ، فإذا جاء ، طارت بعيدا ، وتظاهرت بأنها مذعورة . وواصلت الغناء عن الفتاة ذات العينين العسليتين ، وعن الشاب الذي اعترض طريقها ، واخذ في الغناء ، فكافاته بقطعة من الخبز : بيد أنه الآن لايريد مزيدا من الخبز ، وإنما يريد قبلة من الفتاة ويتمنى ان ينظر في عينيها العسليتين ، وسيمضى في الغناء ، ولن يتوقف حتى تبتسم وتغلق فمه بشفتيها .

فانحنت بريجيت ، واغلقت فمي بشفتيها ، واغمضت عينيها ، ثم فتحتهما ثانية ، فنظرت في تلكما النجمتين العسليتين الذهبيتين ، اللتين ابصرت فيهما نفسي وبضعة من زهور الروض البيضاء منعكسة فيهما .

قلت : « العالم في غاية الروعة . وقد كان أبي على حق ، تماما . والآن ساساعدك على حمل سلتك ، وسناخذها معا إلى أهلك . »

وتناولت سلتها ، وسرنا معا ، وقد تناغمت خطواتها

مع خطواتي ، وانسجم مرحها مع مرحي ، وتهامست الغابة في لطف وانتعاش من أعالي الجبل · لم أتجول في حياتي بمثل هذا الفرح ، واستأنفت الغناء مرحا حتى لم أجد بدا من التوقف نتيجة للفيض الغامر من الأغاني الذي تدفق علي : من السهل والجبل ، من العشب والنهر ومن النجم والشجر ، ومن الهمسات والحكايات جميعا .

ثم وقفت أمعن الفكر : لو استطعت في وقت واحد أن أفهم هذه الآلاف من الأغاني وأن أنشدها للعالم ، عن العشب والأزهار والناس والسحب ، عن كل شيء ، عن الغابات المورقة ، أشجار الصنوبر ، وعن الحيوانات جميعا ، وكذلك عن البحار البعيدة ، والجبال ، والنجوم ، والقمر ، وإذا تردد هذا كله في داخلي ، وغنى في الحال ، فسأكون كالإله القادر على كل شيء ، وستحتل كل أغنية جديدة مكانها في السماء بوصفها نجمة .

ولكن ، بينما كنت أفكر في هذا كله ، هادئا تمام الهدوء من الداخل ، تملؤني الدهشة لأن مثل هذا الخاطر لم يطرأ على عقلي من قبل ، توقفت « بريجيت » وأرجعتني إلى الوراء بأن شدت السلة من يدها .

قالت « الآن ، ينبغي أن أصعد من هذا الطريق وقومي هناك يعملون في الحقل . وأنت إلى أين تمضي ؟ هل ستأتي معي ؟ » .

- « كلا ، لا أستطيع أن أذهب معك · ينبغي أن أخرج إلى العالم شكرا جميلا على الخبز يابريجيت ، وعلى القبلة . سأفكر فيك » .

فتناولت مني سلة الغداء ، وأطبقت بعينيها على مرة أخرى في ظلها العسلي ، وتشبثت شفتاها بشفتي ، وكانت قبلتها من العذوبة والحنان بحيث حزنت من فرط السعادة . ثم ودعتها مسرعا ، وهرولت منحدرا في طريقي .
وارتقت الفتاة سفح الجبل على مهل ، وتحت الأغصان المتشابكة لأشجار الخوخ عند حافة الغابة توقفت ، وشخصت ببصرها في أثري ، وعندما أشرت إليها ، ملوحا بقبعتي فوق رأسي ، أومأت مرة أخرى ، ثم لم تلبث أن اختفت في ظل أشجار الخوخ ، الساكنة كأنها مرسومة في لوحة .

أما أنا ، فقد مضيت في طريقي مستغرقا في أفكاري ، حتى انعطف بي الطريق عند ركن . وهناك انتصبت أمامي طاحونة . وإلى جانبها كان يطفو زورق على صفحة النهر ، يجلس فيه رجل متوحد يبدو عليه أنه كان في انتظاري ، ذلك أنني ماكدت ألبس قبعتي ، وأهبط من الشاطيء ، حتى تحرك الزورق من فوره وانساب على صفحة الماء . وكنت أجلس وسط الزورق ، على حين كان الرجل يجلس في المؤخرة عند الدفة . ولما سألته إلى أين نقصد ، رفع رأسه ، وسدد إليّ عينين رماديتين عليهما غشاوة .

- قال بصوت منخفض
« حيثما تشاء ، مع التيار إلى المحيط ، أو إلى المدن العظيمة .. لك الخيار . إنها كلها ملكي » .

- « كلها ملكك ؟ إذن فأنت الملك ؟ » .

- قال « ربما .. وأنت شاعر ، على مايبدو .. إذن أنشد لي أغنية أثناء سفرنا هذا » .

- فاستجمعت شتات نفسي . كان الخوف يملؤني ، من ذلك الرجل المهيب ، ولأن زورقنا ينساب بسرعة فائقة وفي هدوء على صفحة النهر . فغنيت · أغنية عن النهر الذي يحمل القوارب ، ويعكس الشمس ، ويرتطم بالضفاف الصخرية ، ويشعر بالسعادة حين يتم تجولاته .

أحلام الناي

ـ وظل وجه الرجل خليا من كل تعبير وعندما توقفت عن الغناء ، انتفض برأسه صامتا كالحالم وفجاة . ولدهشتي الشديدة جعل هو نفسه يغني ، وكانت اغنيته عن النهر وعن رحلة النهر عبر الوديان . وكانت اغنيته اجمل واقوى كثيرا من اغنيتي ، بيد ان كل مافيها كان مختلفا كل الاختلاف .

ـ وفي اثناء اغنيته عن النهر ، اندفع النهر من التلال كالمقاتل المجتاح ، قاتما شرسا ، وبانياب بارزة قاتل الطواحين التي تقيد حركته . والجسور ذات الاقواس ، وكانه يمقت كل زورق عليه ان يحمله ، وفي امواجه ، واعشابه الخضراء الطويلة كان يهدهد مبتسما جثث الغرقى .

ـ لم يبعث هذا شيئا من السرور إلى نفسي . ومع ذلك كان صوته جميلا غامضا الى درجة اصبحت معها مضطربا تماما ، فاخلدت الى الصمت ، متلفحا بحزني . فإذا كان هذا الذي يغنيه ذلك المنشد العجوز البارع بصوته المكتوم ـ حقا وصدقا ، إذن لكانت اغنياتي جميعا مجرد هراء وعبث أطفال إذن لم يكن العالم في قرارته خيرا مشرقا كقلب الرب . بل قاتما بائسا ، وشريرا محزنا ، وعندما ينبعث حفيف الغابات ، فليس ذلك من الفرح . وانما من العذاب .

ـ وواصلنا رحلتنا على حين اخذت الظلال تطول وتطول . وكلما شرعت في الغناء ، بدا صوتي اقل ثقة بنفسه ، وازداد خفوتا وفي كل مرة كان المنشد العجوز يجاوبني باغنية تجعل الكون اشد إلغازاً وحزنا ، فاذا انا أيضا كمداً واسى .

وتوجعت روحي وانتابتني الحسرة لأنني لم امكث على الشاطىء مع الأزهار ومع « بريجيت » الجميلة . ولكي أعزي نفسي مع اقتراب الغروب ، شرعت في الغناء مرة اخرى بصوت مرتفع ، وغنيت وسط توهج المساء الأحمر اغنية بريجيت وقبلاتها .

ـ وجاء الغسق ، فالتزمت الصمت ، وأخذ الرجل الممسك بالدفة ، يغني . وكان هو ايضا يغني عن الحب ومسرات الحب ، وعن العيون العسلية والعيون الزرق ، وعن الشفاه الحمر الندية ، وكان غناؤه الخالي من الانفعال الذي يتردد فوق التيار المعتم شجيا مؤثرا . غير ان الحب أصبح ايضا في اغنيته قاتما مرعبا ، وسراً قاتلا يسعى الناس الى اكتناه حقيقته ، وقد اصابهم مس من الجنون وسالت دماؤهم من التعاسة وهم يعذبون ويقتلون بعضهم بعضا .

ـ واصغيت بكل سمعي ، فاستولى علي الارهاق والحيرة وكانني قطعت رحلتي في أعوام طوال ، ولم اسافر إلا في الأسى والبؤس . واحسست بتيار دائم من الحزن والقلق يزحف نحوي من ذلك الرجل الغريب ، ويتسلل الى قلبي .

ـ وصحت في نهاية الأمر بمرارة : « إذن فالحياة ليست هي الأسمى والأفضل ، بل الموت .. إذن فانا اضرع إلى ايهاالملك

الحزين ، ان تنشد لى أغنية عن الموت ' ،

- واخذ الرجل الجالس عند الدفة يغنى للموت ، وكان غناؤه أجمل من اى شيء سمعته من قبل . غير ان الموت لم يكن هو ايضا اسمى الأشياء وافضلها ، وحتى فى الموت لم تكن هناك راحة . كان الموت هو الحياة ، وكانت الحياة هى الموت . فقد اوصد عليهما معا فى صراع عاشق ابدى مجنون ، وكانت هذه الكلمة النهائية ، ومعنى الكون ، ثم اتى حينئذ نور باهر ، وإشعاع ساطع يستطيع ان يمجد كل بؤس ، وجاء ظل اخر عكر صفو السرور والجمال واشتمل عليهما فى ظلام قاتم . ولكن من خلال هذه الظلمات خرج الفرح أشد سطوعا ولمعانا ، وتوهج الحب توهجا أعمق وسط هذا الليل البهيم

- أصغيت ، فى سكون تام ، ولم تعد لدى إرادة سوى إرادة هذا الرجل الغريب . واستقرت نظرته هادئة على ، يشوبها شيء من العطف الحزين المتسم بالود ، وكانت عيناه الرماديتان مفعمتين بالأسى ، وبما فى الكون من جمال . وابتسم لى ، فتشجعت ، وتوسلت إليه مدفوعا بتعاستى : « دعنا نفرغ من امرك ' إننى خائف هنا فى الظلام ، وارجو ان اعود حيث استطيع ان اجد بريجيت او الى البيت حيث اجد والدى » .

- فنهض الرجل ، واشار الى الليل ، فسطع الصباح على وجهه النحيل الممتلىء عزما « لاسبيل الى الرجوع ! قال هذه العبارة فى رزانة ولطف معا . « على المرء ان يواصل السير الى الأمام إذا كان يبغى سبر اغوار العالم . ولقد حصلت على خير مايحصل عليه المرء من الفتاة ذات العينين العسليتين ، وكلما ابتعدت عنها ، كان ذلك خيرا لك ولكن ، لاباس ، ابحر حيثما تشاء . وساتخلى عن مكانى لك لتمسك بالدفة » .

- كنت يائسا يأسا مميتا ، مع ذلك رايت انه على حق ، وفكرت فى بريجيت ، وفى بيتى وفى كل شيء كان قريبا مشرقا ، امتلكه بين يدى ، فاذا هو الآن ضائع تماما .. فكرت فى هذا كله يملؤنى الحنين ، ولكن علىّ الآن ان احتل مكان الرجل ، وان ادير الدفة ، هذا امر لامناص منه .

- وعلى هذا ، فقد نهضت فى صمت ، وخطوت خلال الزورق متجها صوب مقعد الربان ، وخطا الرجل نحوى صامتا ، وفى اثناء عبورنا تفرس الرجل فى وجهى وناولنى المصباح

- ولكن ، عندما جلست الى الدفة ، ووضعت المصباح بجانبى ، كنت وحيدا فى القارب . وادركت - وقد أخذتنى قشعريرة عميقة - ان الرجل قد اختفى ومع ذلك لم تساورنى الدهشة ، إذ كنت اتوقع فى قرارة نفسى شيئا كهذا وخيل الىّ إن يوم التجوال

الجميل ، وبريجيت ، وابى ، ووطنى .. لم يكن هذا كله سوى احلام ، واننى عجوز حزين ، رحلت فعلا ، وكنت راحلا دائما وابدا على صفحة هذا النهر الليلى .. »

- وكنت أعلم انه لاينبغى على ان انادى على الرجل العجوز ، وهبطت على معرفة الحقيقة كانها رعدة

ولكى اكون على يقين مما ارتبت فيه ، فعلا ، انحنيت على الماء ، ورفعت المصباح ، ومن خلال مرآة الحياة السوداء حملق الىّ وجه ، وجه ، ذو ملامح قاسية مهيبة وعينين رماديتين ، وجه عجوز يعرفنى .. كان وجهى أنا .

ولما لم يكن ثمة سبيل للعودة ، فقد واصلت رحلتى الى الأمام فوق المياه المظلمة ، متوغلا فى قلب الليل .

العالم .. غدا

● الاعتماد على الذات ●

● بعد ٥ سنوات من العمل الجاد ، تقرر ان يتم الانتهاء من خطوات العمل التنفيذية لوثيقة السياسة التكنولوجيه القومية لمصر وتحويلهـا الى برامج ومشروعات على قطاعات الانتاج والخدمات استغرقت صياغتها ثلاث سنوات اشترك فيها اكثر من ٦٠٠ باحث وخبير من اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، والمركز القومى للبحوث ، ومراكز البحوث المتخصصة والوزارات والمؤسسـات القومية . ومن المنتظر أن تقام الشبكة القومية للتنمية التكنولوجية بعد أن تقدمت الاكاديمية بمشروع القرار الـذى يحدد خطة التنمية التكنولوجية لمصر بهدف اعتماد مصر على الذات تكنولوجيا ، وقـد تضمنت المبادىء الاساسية وان يتم انشاء مركز او هيئة داخل الاكاديمية تتبعهـا وحدات قطاعية داخل الوزارات ومؤسسات الدولة ترتبط فيما بينها بعـد أن تم الاتفاق مع كافة الوزراء على أسس ومبادىء التنمية التكنولوجية لدراسـة عمليات نقل التكنولوجيا وعمليات التفاوض مع الدول المصدرة للتكنولوجيا الى مصر، وتدريب الكوادرالوطنية للتغلب على مشكلة الشروط المجحفة التى تفـرضها الدول الموردة للتكنولوجيات الحديثة. وسيصدر قريبا قانون نقل التكنولوجيـا الـذى تقدمت به الاكاديمية ووزارة الاقتصـاد لتنظيم النواحى القانونيـة لنقـل التكنولوجيا . واصبح وشيكا أن تتحول اكاديمية البحث العلمى الى بيت خبرة وطنى للقيام بدراسات الجدوى والاعمال الاستشارية للقطاعين العام والخـاص والبنوك والوزارات ومؤسسـات الدولة نظير اجر للقضاء على ظاهرة التخبـط التى تعانيها هذه القطاعات من جـراء دراسات الجدوى والاستشارات ، وهنـاك اتجاه لاستصدار قرار جمهورى للوحدات البحثية ذات الطابع الخاص لتقـديم خبراتها وخدماتها لكافة اجهـزة الدولة نظير اجر والاعتماد على الذات فى تمـويل خططها البحثية من حصيلة الاجور التى تتقاضاها .

ويقول الدكتور محمد كامل محمـود رئيس اكاديميـة البحـث العلمى والتكنولوجيا :

ان السيادة التكنولوجية تبنى اساساً على الحلول الذاتية للمشاكل على مستوى النشأة وليس على امتلاك خبرة جاهزة من الخارج . لقد تقدمت كوريا الجنوبية من خلال قدراتها الذاتية ولم تعتمد كثيرا على الاستثمار الاجنبى او التراخيص ، كما ان تجربة الهند لم تات من فراغ ، فقد خصصت جزءاًمناسبا من استثماراتها فى اقامةالبنية الاساسية للعلموالتكنولوجيا والقدرات الذاتية وحماية ذلك بوضـع سياسة تكنولوجية . ومع ان مصر تملك قاعدة علمية تكنولوجية متميزة فمـايزال مجتمع العلم والتكنولوجيـا على هامش عملية التنمية القومية وان اى تغييريحدث فى المجالات الاقتصادية والخدمية اساسه تكنولوجيات مستوردة بكاملها .

● محاذير الكمبيوتر فى المـدارس الامريكيـة ●

فى بلادنا وفى الشرق العـــربى ،

فان الاستثمار الحقيقي والفعال من اجل المستقبل . هو الاستثمار على التعليم والتدريب ، فالثروة الحقيقية هي الانسان ..

ورغم ان اعداد الاجيال الجديدة اعدادا جيدا هو المعبر الوحيد لمستقبل افضل ، الا ان خططه وبرامجه مازالت تقليدية بعيدة عن الخيال والمبادرة تسير بخطى وئيدة لا تتناسب مع وتيرة العصر ولا احتياجات المستقبل . فماذا يجري في العالم من حولنا .. ؟

في بريطانيا ، كان احد اسباب نجاح حزب المحافظين ، ووصول تاتشر للحكم ، انها وعدت الناخبين بادخال الكمبيوتر في المدارس البريطانية .. وفي الولايات المتحدة الامريكية انتشرت أجهزة الكمبيوتر الصغيرة في مدارسها . باعتباره أداة مساعدة بين أيدي الطلاب ووسيلة ايضاح في يد المعلم ..

ولم يعد المثقف في هذا العصر ، من يقرأ ويكتب ، بل اصبح من يستطيع استخدام الكمبيوتر .. واولياء الامور يعتبرونه ضروريا لكي يجد ابناؤهم فرص العمل ، خاصة وقد اصبح الميكروكمبيوتر متوفرا باسعار تصل الى ۲۰۰ دولار مما يسهل استخدامه ..

وقد صدر مؤخرا دليل يتضمن توصيف ما يزيد على خمسة الاف برنامج تعليمي ، تشمل فلسفة فكرية وعملية حول أهمية استخدام الكمبيوتر في التعليم ..

وفكرة الاعتماد على أجهزة الكمبيوتر لكي تتحول مظاهر تربية الاطفال والشباب آلية ومثالية تستمد ليس فقط من مخاطرات صانعي هذه الأجهزة ، ولكن من أن لديها قدرات عقلية تستطيع مخاطبة التصورات لتربية الاطفال بصورة مباشرة .

وهذه القدرات هي :

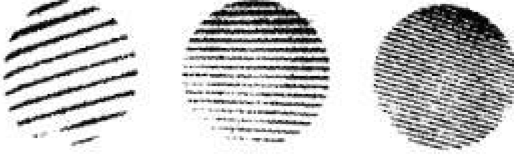
- القدرة على اشغال التلاميذ في انشطة ومناقشات فكرية مرتفعة المستوى ، وتوفير حوافز تعليمية ، وتقديم شخصيات مؤثرة .



- خلق بيئات فكرية تحفز الطلاب على اكتشاف مواضيع ليست موجودة في المنهج الحالي ، وربما فوق مستوى كفاءة المدرس، وهي مهمة مفيدة من اجل اعداد الطالب للمستقبل ، تخيل مثلا كيف يستطيع الطالب ابتكار قطع موسيقية وفنية بواسطة آلة غاية في التعقيد ، بامكانها أن تدمج التعليم في الظواهر الطبيعية والفسيولوجية وتشجع العمل الخلاق المبدع .
- تزويد كل طالب بمحتويات المكتبة وبامكانيات امين المكتبة ، وبآلة كاتبة، وبمساعد تحرير شخصي بطريقة مريحة وسهلة لتنمية مهارات قد تكون ضرورية عند تحملهم المسئوليات في المستقبل .
- توفير خبرات وفرص تعليمية عن طريق الاعمال الدراسية والمواقف التمثيلية ، فالطلاب يتعلمون بطريقة افضل بالمشاركة الفعلية بدلا من مجرد الوقوف متفرجين ، والكمبيوتر يوفر وسيلة لهذه المشاركة دون التعرض لمخاطر المشاركة الفعلية .

وهذا يساهم في تربية جيل من الشباب قادر على القيام بالوظائف التحليلية وحل المسائل الصعبة ، نتيجة تلقينهم في سن مبكرة وبصورة مستمرة مفاهيم وادوات معينة لحل المسائل بمساعدة الكمبيوتر .

ويهتم التربويون في الولايات المتحدة ، ويناقشون مسائل مثل أثر الكمبيوتر



على القدرة الابداعية للطلاب ، وبقيت لديهم بعض التساؤلات التى لم تجد اجابتها بعد مثل :

● ايهم اجدى فى تنمية قدرات الطلاب ومهاراتهم ، هل الوسائل الشفهية والرياضية وتدريس المعارف ذات القيم الثقافية ، أم استنفاد وقتهم امام اجهزة الكمبيوتر ؟

● لاى نوع من الطلاب ولاى جزء من المناهج يمكن استخدام الكمبيوتر كطريقة مثلى لتحسين كفاءات الطلاب ورفع مستواهم ؟

● وحتى لو افترضنا أن اجهزة الكمبيوتر افضل وسيلة تعليم من الناحية النظرية ، فهل تستطيع المدارس استعمال العدد القليل نسبيا من هذه الاجهزة؟!

فخسارة فرصة استخدام الكمبيوتر تظهر عندما يستخدم من أجل تخريج اعداد كبيرة من الطلاب غير مؤهلين او قادرين على استخدام الكمبيوتر لما يرونه ، اذا استخدم كنظام تعليمى فقط ، دون توجيه أو اعطاء التلميذ توجيهات عن كيفية عمله ، فكم تكون الخسارة ، اذا ما سخرت مهارات القراءة والكتابة من أجل تخريج اعداد كبيرة من الطلاب غير القادرين على القراءة والكتابة الحقيقية !!

● اختبار جديد للابصار ●

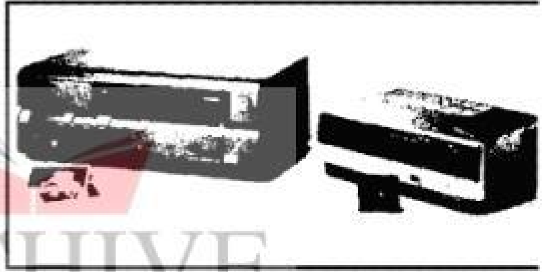
لم يعد اختبار قوة الابصار يقتصر على معرفة العلامات التقليدية السوداء على الخلفية البيضاء . فالاختبار المعتاد لم يكشف عن العيوب التى من المحتمل ان يصاب بها النظر مثل مرض العشاء الليلى وعدم رؤية الاشياء فى المساء أو الضوء الخافت وقد توصل مؤخرا أحد الاطباء فى الولايات المتحدة الامريكية الى اختبار جديد عبارة عن مجموعة من الدوائر التى تحتوى على خطوط رمادية وبيضاء لمعرفة قدرة الانسان على الرؤية وخاصة فى الظلام والضباب . كذلك يمكن للاختبار الجديد الكشف عن المتاعب التى تسببها الاصابة بالمياه البيضاء والزرقاء وتصلب الانسجة فى العين .

● جهاز فيديو جديد يطبع الصورة ●

خلال السنوات العشر القادمة سوف يحل جهاز الفيديو محل جهاز البروجيكتور الذى يقوم بعرض الصور اذ أنه سيصبح فى الامكان نقل صور فيلم فى مجمعة ــ ٣٥ ميلليمترا ــ على اسطوانات مغناطيسية لتخزينها وعرضها على شاشة التليفزيون .. ويوجد بالجهاز الجديد نظام تسجيل مغناطيسى يمكنه تحويل موجة الاشارات الخاصة بالفيديو لتسجيلها على اسطوانة مرنة ، ثم تقوم كاميرا الفيديو بتحويل الصورة الملتقطة على الفيلم الى اشارات.

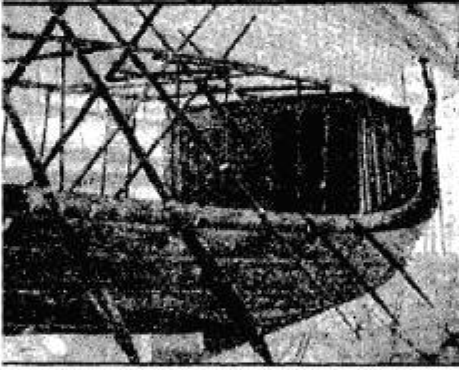
ويمكن أن تستوعب كل بوصتين من الاسطوانة ما يقرب من ٥٠ صورة وهى بذلك تفوق المعلومات التى تسجلها اسطوانات الكومبيوتر الشخصى .

ولطبع الصورة تدخل الاسطوانة الليتتسة فى الجهاز ويتم اختيار الصورة على الشاشة ثم يضغط على زر لتحديدها وقبل الطباعة يمكن ضبط اللون ودرجاته والاضاءة وبعدها يضغط على زر الطباعة فى الجهازحيث تعمل شرائح الكومبيوتر به على تحويل اشارات الفيديو من صور الى ضوء يمكن التقاطه على فيلم ملون وفى اقل من دقيقتين تتم طباعة الصورة . ويمكن استخدام الجهاز الجديد فى اغراض التصوير الطبى وفى الفيديو المستخدم فى الامن والمراقبة والاعلان . كذلك فى حفظ الوثائق والمعلومات .



● استخدام التكنولوجيا الحديثة للبحث عن مركب شمسي جديد ●

.. يبدأ فريق عالمي من علماء الآثار والجيولوجيين والمهندسين بقيادة الدكتور فاروق الباز احد ابحاثهم الاستكشافية الدقيقة فى محاولة للكشف عن امكانية وجود مركب شمسى آخر اسوة بالمركب الذى اكتشف بالصدفة عام ١٩٥٤ فى سرداب بتاع الهرم الاكبر . ويجرى العمل فى هذا المشروع بدقة شديدة من أجل الحصول ايضا على عينة من الهواء عمرها ٤٦٠٠ عاما . وكان المركب الشمسى الاول قد اكتشف اثناء الاعداد لزيارة الملك سعود لمنطقة الاهرام وقد عثر عليه فى حالة جيدة وكان يبلغ طوله ١٣٠ قدما . البحث الجديد سيتضمن استخدام العديد من وسائل التكنولوجيا الحديثة للكشف عن حجرة مجاورة للسرداب القديم تضم مركب شمسى آخر . ويامل العلماء فى الحصول على عينة من الهواء لان تحليلها سيساعد الاثريين والمتخصصين فى الحفاظ على الآثار القديمة من قياس نسبة الرطوبة . ودرجة الحرارة والعوامل الاخرى المطلوبة لتحديد البيئة الملائمة للحفاظ على الاخشاب والملابس والمواد العضوية الاثرية ويقول الدكتور فاروق الباز رئيس فريق البحث أن تحليل الهواء سيساعد العلماء على التنبؤ بالتغييرات طويلة المدى التى ستحدث للغلاف الجوى المحيط بالارض فقياس معدلات ثانى اكسيد الكربون واول اكسيد الكربون سيساعدان على تحديد نسبة تركز ثانى اكسيد الكربون فى الهواء خلال العقود القادمة . بدا البحث عن اكتشاف وجود القارب باستخدام جهاز يعمل باشعة الميكرويف وكمبيوتر يعطى صورة لما تحت الارض كشف بأن الحجرة ليست خالية وسوف يتم استخدام اجهزة استشعار عن بعد لتحديد المحتويات وتصميم الحجرة قبل اختراق الصخور .



أنت و الهلال

● ملاحظات حول تاريخ مى ●

● قدمت مجلة الهلال فى عدد فبراير ١٩٨٦ دراسات عن « مى زيادة » بمناسبة الذكرى المئوية لمولدها . وقد وقعت بعض الهنات والاغلاط فى مقال الاستاذين الفاضلين د. خفاجى و د.الطاهر مكى وجدنا من الواجب الاشارة اليها تتمة للفائدة العائدة على القراء .

يقول د. خفاجى فى مقاله : « وفى عام ١٩١٤ عقدت (أى مى) صالونها الادبى » والواقع أن الصالون كان ينعقد قبل ذلك التاريخ . ولكنه أنتظم بشكله المعروف بعد أبريل ١٩١٣ .

ويقول : « وقد استمر هذا الصالون الادبى حتى أواخر عام ١٩٣٦ » .

والصحيح انه استمر الى اوائل الثلاثينيات . وفى حديث صحفى أجراه الاديب المرحوم محمد عبد الغنى حسن مع طه حسين ونشرته مجلة المقتطف فى عدد يناير ١٩٤٢ قال طه عن « مى » : « أخذ ميلها الى العزلة يظهر بعد أن فقدت أبويها .. ولكنها لم تقطع صلتها بالناس فجاة وانما قللت لقاءهم .. » فاذا عرفنا ان موت أمها كان سنة ١٩٣٢ ادركنا أن صالون « مى » أخذ فى الافول بعد هذا التاريخ ولكن المنتدى استمر بعد ذلك مع قلة رواده .

ويقول د. خفاجى عن ديوان شعرها الفرنسى « ازاهير حلم » : « كانت تكتبه فصولا فى جريدة يصدرها والدها فى القاهرة باسم المحروسة » .

والثابت ان الديوان نشر عام ١٩١٠ أو ١٩١١ ، ولم يترجم الا بعد حين . أما الخطرات النفسية الادبية التى كانت تنشرها فى المحروسة فكانت بعنوان « سوانح فتاة » .

ويقول خفاجى : ترجمت عن الفرنسية رواية « هجرة الفرنسيين الى أمريكا » وطبعت بعنوان « الحب فى العذاب » .

وقد يقع القارىء فى حيرة فبينما يقول د. مكى فى دراسته المنشورة فى « الهلال » أن ميا ترجمتها عن الانجليزية ، يقول خفاجى أنها ترجمتها عن الفرنسية والرواية للكاتب الانجليزى « دويل » وقد ترجمتها عن الانجليزية لا عن الفرنسية .

ويقول د. خفاجى : « وتعرف لطفى السيد بمى ... وكان واسطة التعارف خليل سركيس » .. والصحيح انه سليم سركيس لا خليل سركيس ..

ويقول د. خفاجى : « كتب الرافعى فى حبه العذرى لمى رسائل أحزان الورد » .. ولا يوجد كتاب للرافعى بهذا الاسم وانما له : « رسائل الاحزان » و « اوراق الورد » .

ويقول خفاجى ان ميا أهدت الى أمين الريحانى كتاب « أشعة وظلال » .. واسم الكتاب خطأ فليس لمى كتاب بهذا العنوان وانما لها كتاب « ظلمات واشعة » ..

ومقال د. خفاجى قصير والمعلومات التى قدمها متداولة ومكررة فى الكتب التى

تناولت الآنسة « مي » وبخاصة كتاب « أطياف من حياة مي » للطناحي ، ولكن الاخطاء في هذا المقال القصير كانت كثيرة ..

● أما الدكتور الطاهر مكي فيقول في دراسته بعنوان «المصادر الاجنبية لأدب مي» عن مكس موللر (١٨٢٣ – ١٩٠٠) ص ٩٨ : « وعرفته « مي » في سن مبكرة حتى قبل أن تجيء الى القاهرة وقبل أن تعرف الالمانية . ونشرت عنه مقالا في مجلة المقتطف نوفمبر ١٩٠٠ » .

ولأني معني بدراسة « مي » فقد شددت الرحال الى دار الكتب المصرية ، ووقفت على عدد المقتطف الصادر في أول نوفمبر سنة تسعمئة وألف الموافق ٨ من رجب ١٣١٨ . وفعلا وجدت المقالة الثانية في العدد بعنوان « العلامة اللغوي مكس ملر » ورحت أبحث عن التوقيع لتحديد اسم الكاتب فوجدت المقالة غفلا من أي توقيع ولا ذكر لي أو مارى في العدد كله بما في ذلك الفهرست . وأدركت أن المقال الذي أشار اليه د. مكي من عمل المحرر . فالمقالات التي ترد في المجلة عاطلة من التوقيع غالبا ما تكون بقلم المحرر أو رئيس التحرير . ولا توجد هناك أدنى صلة بين مقال المقتطف عن موللر وبين « مي » لاسباب كثيرة منها :

كانت « مي » سنة ١٩٠٠ في عامها الرابع عشر ولا تستطيع أن تتعامل مع هذا اللون من الفكر الجاف ، وكانت تتلقى تعليمها باللغة الفرنسية في مدرسة راهبات الزيارة في عينطورة شمال بيروت حتى سنة ١٩٠٣ ، ولم تتقن العربية بدرجة تمكنها من الكتابة . وحينما مارست التأليف كان ذلك بالفرنسية . وقد مر بنا ذكر «أزاهير حلم » فهو من نتاج تلك الفترة وما بعدها . ومقالة المقتطف عن موللر مكتوبة بلغة عربية علمية تمكن كاتبها من لغته ومعارفه ولا قدرة لصبية على ذلك .

توفي مكس موللر في ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٠٠ (كما أشارت المقتطف) ونشر المقال المشار اليه في عدد أول نوفمبر ١٩٠٠ . فهل تمكنت « مي » في عدة أيام أن تعكف على كتابة مقال عن موللر وترسله من عينطورة الى القاهرة ويقتحم حجرة رئيس التحرير فيحفل به ، وينظر فيه ويصرح بنشره . هل هذا يمكن تصوره ؟ . وربما تأخر ظهور المقتطف عن موعدها عدة أيام كما يبدو لي ؟ ولكن علة تأخير صدور أية مجلة لابد وأن تكون معلومة للمحرر ، بسبب استيفاء موضوع مثلا أو علل أخرى . والسؤال هو هل كان صروف على علم مسبق بأن ميا سترسل اليه مقالة بمناسبة موت موللر فأخر صدور مجلته ؟ فيما أعرف فان ملزمة رئيس التحرير غالبا ما تكون آخر الملازم التي تدور عليها آلات الطباعة ، وعندما عرف نبأ موت موللر هم صاحب المقتطف بالكتابة فكتب . ومما يؤيد هذا أن المقال الاول دبج بمناسبة موت « السرجون لوز » وهو عالم زراعي . والمقال الثاني عن « موللر » وجاء في مستهله : « لم تكد تتم السطور المتقدمة عن السرجون لوز حتى نعت الينا الصحف الاوربية عالما آخر من شيوخ العلماء ، وأستاذ جليل الشأن طبقت شهرته الخافقين .. » فهل ترى يا سيدي أن « ميا » هي التي كتبت عن جون لوز ؟ فالذي كتب عن « لوز » هو الذي كتب عن موللر . والراجح انه يعقوب صروف صاحب المقتطف .

وأهم من كل ذلك أن المقال لم يمهر بتوقيع « مي » فكيف عرف د. مكي أنه من نتاجها ؟

هذا ما رأيته . فاذا كان الدكتور الفاضل عنده ما يخالف هذا فليتكرم على القراء بما يعرف .
ويقول د. مكي ان رواية « الحب في العذاب » لم يوفق أحد في العثور عليها . والرواية مطبوعة في دار نوفل عام ١٩٧٦ .

احمد حسين الطماوى

● الحزن النبيل ●

يايها الحزن النبيل بلا نواح
انا على درب الوفاء لنا قلم
كي تسعد الدنيا اغاريدي الفصاح
وانا انوء بما حملت والغصم
فاذا سقطت فمأتمي بين الاقاح
بين الطيور الباكيات على القمم

الشاعر الدكتور احمد عامر

● شيء من المرارة ●



انا يا ابي ، انا يا ابي ، انا يا ابي
لا عذر اقبل يا ابي ، لا تهرب !
في كل يوم .. ذاك يحدث مرة
او مرتين ... بمنطق مستعذب
فلتستجب يا من ولدت ، وان تكن
ــ فيما تقدم مرغما ــ بمعذب
لا تعتذر بالفقر .. لست مصدقا
شرق بهمك .. مفردا .. او غرب
فصغارك البرءاء ، ليس لديهمو
بعض التصور ، عن حقير (مرتب) !
هم يعرفون بان والدهم له
صوت ، وان يامر ابوهم يرعب
لكنهم لا يعرفون بانه
(طبل) ، وهذا الطبل جد مثقب !

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

● العقاد بين الكفر والايمان ●

● طالعت في عدد يناير الماضي من « الهلال » مقالا للاستــــاذ محمد سيد كيلاني عنوانه « العقاد بين الكفر والايمان » .. وهو مقال موجه للنيل من العقاد ، فهل كان من الخطأ أن يبحث العقاد عن الادلة المؤكدة لفــكره آنذاك ؟ .. وهب انه تجاوز هذه المرحلة واصبح متمسكا بالاسلام فهل نحاسبه على ما مضى أم نرحب به في اســلامه ونبحث في كتبه الاسلامية ؟! ..

رمضان الهجرسي
المنصورة

● العقاد العملاق ●

● نشرت « الهلال » مقالا عن الكاتب العملاق عباس العقاد للاستاذ محمد كيلاني ، وقد انتابني وجوم عند قراءته اذ تذكرت ما يحدث لاعلام الفكر الاســـــلامي والعربي الذين خدموا العروبة والاسلام ! ..

هل كان العقاد ملحدا وهو الذى الف مكتبة كاملة عن الاسلام .. وهل كتب محمد كيلاني في الاسلام شيئا ؟!

ان كتب العقاد في الاسلام مازالت تطبع بعشرات الالوف من النسخ ، وقد صدرت عنه خمسون دراسة وثلاث رسائل دكتوراه . فلا يضير العقاد أن ينكر اسلامه أحد من الناس .

رجب عبد الحكيم بيومي الغول
كلية دار العلوم ـ القاهرة

● العقاد المسلم ●

● توقفت طويلا عند مقال « العقاد بين الكفر والايمان » بقلم الاستاذ محمــد سيد كيلاني حيث اتهم عملاق الفكر العربي بانه كان في مطلع حياته ملحدا يقول بالتعطيل وينكر النبوات ، واستدل على ذلك بما نشره العقـــاد ردا على محمد فريد وجدي في جريدة الدستور وضمنه خمس قضايا عقلية وفلســفية لتسفيه رأى فريد وجدي في اثبات وجود الله ، وهذه القضايا ليست قطعية في الدلالة على تهمة الالحـاد للاستاذ العقاد ، بل على العكس تماما تؤكد وجود الله من وجهة نظر العقاد ، ولم يذكر احد من مؤرخي الادب العربي المعاصر أو من كتبوا سيرة العقاد هذه التهمة التي رماه بهـا الاستاذ كيلاني . فهل نقب الاستاذ الكاتب في سيرة حياة العقاد واكتشف هذه التهمة بعد ان رحل العقاد عن دنيانا ؟ وما كتبه المرحوم العقاد في ذاته ردا على فريد وجـدى يظهر قدرته العقلية على اقتحام المعضلات المنطقية والعقلية والقضايا الفلسفية ببراهينه الدامغة وحججه القاطعة ، وهي قدرة ظلت ترافقه طوال حياته ، ولا يعاب على العقـاد وهو في بداية حياته الفكرية والادبية ان يقف موقف المفكر المتســــائل ، وأن يقيم ما شاء من أبنية وأقيسة عقلية ومنطقية يقتنع بها بحثا في العقيدة والدين توصلا الى الايمان الراسخ .

وتهمة الالحاد التي نسبها سيد كيلاني للعقاد في مطلع حياته تتنافى مع قوة ضميره الديني وهي قوة ورثها عن أبويه ، ويعزى تعلقه بالاسلاميات وتراجم الشخصيات الإسلامية الى وراثاته ويقول العقاد في ذلك « ولدت لابوين من أهل السنة أبي على المذهب الشافعي وأمي على مذهب ابي حنيفة ، وفتحت عيني على الدنيا وانا اراهما يصليان ويتيقظان قبل الفجر لاداء الصلاة حاضرة .. وفتحت اذني على عبارات الحب الشديد للنبي عليه السلام وآله » وهذا القول من العقاد عن طفولته يدفع اتهام الاستاذ كيلاني ويهدمه من اساسه ، ويؤكد العقاد تأصل ايمانه بالله ومصادره فيقول « أؤمن بالله وراثة وشعورا وبعد تفكير طويل » ويذهب الى ابعد من ذلك في انكار الحاد الماديين فيعلن بأعلى صوته : « ما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين الا وهو يوقع العقل في تناقض لا ينتهي الى توفيق ، او يلجئه الى رغم لا يقوم عليه دليل » ويرتب سيد كيلاني واقعة طرد العقاد من جريدة الدستور كنتيجة مباشرة لنشره الرد على صاحبها محمد فريد وجدي ، وهذا ما يجافي الحقيقة ، فقد توقفت جريدة الدستور سنة ١٩٠٩ عندما استنفد محمد فريد وجدي ما قدر على انفاقه ، ولم ينقطع عمل العقاد في الجريدة « الدستور » غير بضعة أسابيع لخلاف وقع بينه وبين احمد وجدي شقيق فريد وجدي ، ويودع الاستاذ محمد فريد وجدي العقاد عند توقف الدستور آسفا على الظروف التي ادت الى افتراقهما ويقول له : « ارجو ان نتعاون معا في عمل صحفي نحن اقدر عليه واصلح من الصحافة السياسية » ، وعليه فواقعة طرد العقاد من جريدة الدستور غير صحيحة من اساسها ، وقد اشاد العقاد بفضل فريد وجدي وفضائله النفسية والفكرية واثره في شخصيته في بداية حياته في كتابه « رجال عرفتهم » .

ويكرر سيد كيلاني في مقاله تهمة الالحاد ، ويلصقها باستاذ الجيل أحمد لطفي السيد وتلاميذه « فهو ملحد ويأوي اليه الملحدون » وليس جديدا ان نسمع تلك التهم تكال لأعلام المفكرين التي تتراوح بين الاتهام بالشيوعية والالحاد والماسونية ، والتبشير ، وهكذا فان اي مفكر مصري ظهر منذ اوائل هذا القرن لا اثر ولا وزن له في تاريخنا الثقافي والفكري من وجهة نظر بعض دعاة الفكر المحافظ ، وتكتمل هذه السلسلة باتهام العقاد ببعض هذه التهم واخطرها .

وينعى سيد كيلاني على العقاد وقفته في مجلس النواب مدافعا عن طه حسين بسبب ازمة كتابه « في الشعر الجاهلي » سنة ١٩٢٦ ، والحقيقة ان العقاد لم يكن يدافع عن طه حسين في شخصه ، ولا عن الآراء التي احتواها الكتاب ، بقدر ما كان يدافع عن حرية الفكر وحرية البحث العلمي .

وعندما عرض لموقف العقاد من فن القصة وتفضيله لفن الشعر عليه ، تناسى اعتراف الادباء رواد فن القصة والرواية باستاذية العقاد لهم واشادتهم بفضله سواء كان طه حسين او توفيق الحكيم ومن بعدهما جيل شباب الثلاثينات والاربعينات من

امثال نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ولم يعز على العقاد ان تسطع هذه النجوم كما يزعم الاستاذ في مقاله ، ومن الثابت ان الاستاذ نجيب محفوظ اعترف بتأثره بادب العقاد لا سيما بروايته « سارة » كنمــوذج للقصة والرواية النفســية التحليلية ، التي اغفلها الاستاذ وهو بمعرض حديثه عن تفضيل العقاد للشــعر على القصة .

ولا تثريب على العقاد ان كان يفضل بيتا من الشعر على القصة ، لان بيت الشــعر يركز له التجربة الانسانية أو الموقف الانساني في الفاظ قليلة ووقت قصير وسريع ، وهذا التفضيل يتفق وطبيعة تكوين العقاد وطبيعة القصة .

ان اجيالا واجيــالا من كتــاب وادباء مصر العربية تحن الى ان تلد مصر الولود مثل العقاد شمسا ساطعة في عالم الفكر والادب ، بدلا من ان تحــاول النيل من كل عظمة وكل بطولة وكل عبقرية بالاباطيل والاضاليل التي سرعان ما تزول تحت شمس الفكر لا سيما وان كانت العظمة والبطولة والعبقرية في حجم العملاق العقاد .

عمرو عبد المنعم حمودة
برما ـ طنطا



● يا اول الشهر ●



يا اول الشهر : اقبل
هيا الى وعجل
مطالب البيت شتى
وليس عذرى يقبل
فذاك يبغى كساء
اغلى كساء واجمل
وتلك ترجو رداء
من الحرير وافضل
والخطب خطب حذاء
فيه النفائس تبذل
وان يئن مريض
فالهم اعتى واثقل
اجر الطبيب كبير
منه فؤادى يجفل
وللدواء « بيان »
من ليل « غربة » اطول
من شدة الضيق اخشى
امد كفى واسأل .. !!
يارب انك تدرى
ان « الموظف » مثقل
فامنحه سترا بدنيا
وجنة « الخلد » انزل

احمد قاسم احمد
قنا



• لهفي على الاسلام •



لهفي على الاسلام في اشجانه
اضحى غريبا في حمى اوطانه
في ارضه يطغى عدو غاشم
بسلاحه البتار او لعبانه
ياشرق دع هذا السبات لكي ترى
اسلامنا يزهو على وديانه
ابليس قد وضحت لكم بغضاؤه
ويريدكم في النار من اقرانه
شهواتكم ونفوسكم اعوانه
لا تعبدوا الشيطان في اعوانه

ايمن على دسوقي
المعهد التجاري بالروضة ـ القاهرة

• دعني •

دعني اهواك ولاتسرف ★ في الصد فانك لاتعرف
مايحمل قلبي من شوق ★ للقائك دوما فلتنصف
من غيرك اطمع ان يسقي ★ ريحانة حبي من يعطف
من سوف ابوح له دوما ★ بسرائر قلب ينعطف
ان يفشي سر صبابته ★ لعذول منك له موقف
فارحني منك بتلبية ★ او قل لي حتى « متأسف »

محمد ابراهيم المجريسي
(ابو تيج)

حوار مع الاصدقاء

● عمر عمران احمد طه :

ـ قصيدتكم « غازلة الضياء » تدل على شاعريتكم . الا أنك ـ فيما يبدو ـ معجب ببعض شعراء المهجر الذين كان لهم صيت قبل خمسين عاما ، وهذا لا يعيبك ، ولكن الافضل أن تستقل بمذهبك في الشعر مهما أعجبك غيرك من الشعراء .

● صلاح شفيع ـ بلقاس :

ـ السطور التي ارسلتموها الينا بعنوان « آخر الانفاس » تصلح خاطرة نثرية شعرية ، ولكنها ليست « قصة » قصيرة ، ولا قصة قصيرة جدا ، فان فن القصة شيء آخر ، وان كنا لا نقول بالتزام القوالب في هذا الفن .

● ابراهيم علي حسن بوخشيم ـ المنيا :

ـ انك تعود الى القول الشائع بأن الادباء الكبار في السن يحجبون الادباء الصغار،

وهو قول غير صحيح ، وقد أثبتت الحياة أنه خطأ ، ولو عددت ما ينشره الادباء والشعراء الشبان من مطبوعات الآن لوجدته أضعاف ما ينشره الشيوخ ‥ ونحن معك

فى أنه ينبغى تدعيم الحرية الفكرية للادباء جميعا ‥ واخيرا نرجو أن تكتب بخط حسن واضح ، أو تكتب على الآلة الكاتبة ان كنت لا تستطيع تحسين الخط ، ومعذرة !

● **محمد ابراهيم القرحاتى ـ كلية الهندسة بالمنصورة :**

ـ تقول فى مطلع قصيدتك : « قل للذى بالحب أغرانى ‥ انت الحبيب وانت ‥ انت الجانى » ‥ والشطران من وزنين مختلفين ‥ أما بقية قصيدتك ففيها أشطار موزونة وأخرى تحتاج الى اعادة النظر ‥ أما الاقصوصة التى كتبتموها بعنوان : «وغياب عن الوعى » فانها خطرات شعرية مكتوبة نثرا ، وليس من العدل فى حق فن القصة ، أن تلحق به فن الخواطر الشعرية المنثورة .

● **رمضان الهجرسى :**

ـ قصيدتكم التفعيلية التى تبداونها بقولكم : « الحب الساكن روحى واحشائى » تدل على شاعريتكم ، ولكن الاوزان تحتاج الى مراجعة فى هذه القصيدة مع أن معظم التفعيلات لا غبار عليه ‥

● **محمد احمد ابو جابر ـ كفر قاسم ـ « فلسطين » :**

ـ شعرك يفتقر كثيرا الى اللغة الصحيحة والى الوزن ، ولكنك معذور لصغر سنك كما يبدو من صورتك ، ولان اللغة العربية لابد أن تموت فى ظل الحكم الاسرائيلى الذى يحاول محو العرب ولغتهم وكل ما له شأن بهم ‥ وليست مذبحة كفر قاسم بعيدة عن أذهان العالم كله ! ‥

● **محمد عبد العزيز عبد الله :**

ـ أرسلتم الينا شعرا عاميا « زجلا » ‥ ونحن « متخصصون » فى نشر الشعر باللغة الفصيحة ، وقد سبق أن قلنا ذلك فى الاعداد الماضية ‥ نعتذر اليكم ، وننصح بارسال أزجالكم الى الصحف اليومية والاسبوعية .

● **محمد العائش القوتى ـ تونس :**

ـ قصيدتكم التى عنوانها « المسافر » شعر منثور أكثر منها شعرا موزونا ، فليس فيها وزن الا فى بعض سطورها ‥ ولم نفهم ماذا تعنى هذه الاسطر التى عنوانها « المسافر » ‥ ونشكركم على كلماتكم الطيبة عن مجلة الهلال ‥

● **احمد عبد المولى سليمان :**

ـ قصيدتك التى عنوانها « رثاء أم كلثوم » تزعج أم كلثوم فى قبرها ، فهى خليط مدهش من الاغلاط اللغوية والنحوية والعروضية لا يجتمع مثله فى شعر شاعر حتى فى عصرنا هذا الاعجمى الذى انهار فيه الشعر العربى واللغة العربية ‥ يابنى : اترك هذا كله ، وحاول أن تتعلم اللغة من البداية .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستانى عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الإشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ

القاهرة ـ تليفون ٣٦٢٥٤٥٠
سبعة خطوط
مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

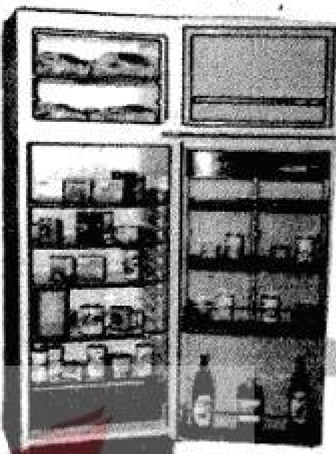
اسعار البيع للعدد الممتاز ثمنه ٣٠ قرشا

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

إيديال
IDEAL

تلبية لرغبة السادة العملاء ...
يسرنا استمرار فتح باب الحجز بالجنيه المصري
لإنتاجنا الجديد من الثلاجات "ببابين"
فخر الصناعة المصرية

الثلاجة ١٢ قدماً ببابين تبريد * * * *
"أبيض فقط"
* إذابة الثلج أوتوماتيكيا
* بالفريزر رف
* أرفف متحركة
* كابينة متسعة



٣٧٥ جم
+ م. بالنقل والضمان أو ٢٧٥ دولاراً

الثلاجة ٤ و١٠ قدم تبريد * * *
٢٨٠ لترا
* فريزر بحجم ٧٠ لترا يمثل ٢.٥ ضعف الفريزر العادي
* إذابة الثلج داخل الكابينة أوتوماتيكيا



٢٩٠ جم + م بالنقل والضمان أو ٢٢٥ دولاراً

ونقدم الأولى في مصر
الغسالة فول أوتوماتيك
غسيل شطف تجفيف

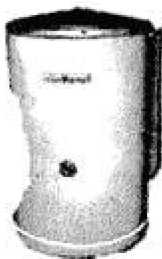


٥٣٠ جم بالنقل أو ٣٧٥ دولاراً

مع التمتع بالمزايا الآتية :
- تسليم الثلاجة ٤ و١٠ قدم ببابين أبيض أو ملونة للحاجزين بالعملة الأجنبية بدون سداد فارق سعر الملونة .
- التسليم بأولوية الحجز لمقار إقامة العملاء بسيارات الشركة مع أسبقية خاصة للتسليم للحاجزين بالعملة الأجنبية .
- ضمان ٣ سنوات للثلاجات .

وضمان للغسالات مع توافر مراكز الخدمة المتخصصة .

وللتسليم الفوري
غسالة مطورة بالتايمر



أو عادية ملونة
٩٥ جم أو ٧٥ دولاراً

الحجز بالعملة المحلية ، فروع ومعارض الشركة .
والاستعلام بالعملة الأجنبية ، بنك الإسكندرية / قصر النيل بالقاهرة وفروعه وممثلونا بالدول العربية وبالخارج

الهلال

ابريل
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشا





من روائع الفن الإسلامي

● لوحة بديعة من الفن الاسلامي التركي ، في المناطق التركية التي اصبحت جزءا من الاتحاد السوفيتي

وحتى عهد قريب لم يكن يعرف سوى القليل عن الفن الاسلامي التركي ، وظن الباحثون ان كل هذه اللوحات من أعمال فنانين فرس خاصة عندما كانت اللغة الفارسية هي لغة الثقافة في العهد العثماني

وسرعان ما تبين ثراء الفن الاسلامي التركي .. في التعبير عن حضارة الشرق برؤيته الفنية الخاصة .

وهذه اللوحة نموذج فريد للخطوط الانسيابية والالوان ، والتي تمثل حياة الشرق ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - اول ابريل سنة ١٩٨٦ - ٢٢ رجب ١٤٠٦

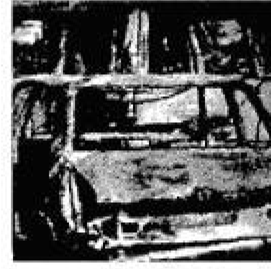
رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفني
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتير التحرير الفني
عيسى دياب


العنف مشكلة العالم
جـــزء خاص ص ٦٩


رسالة العـــــراق
ص ١٢٨

في هذا
العـدد

● فكر وثقافة ●



حنا مينه وثلاثية "حكاية بحار" ص ١٦



المرأة بين تولستوى وتشيكوف ص ١٢٣



ثلاثة معارض فى القاهرة ص ١٣٦



عزيزى القارئ

محاكم تفتيش أدبية فنية!

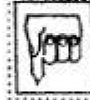
● يتحدثون بحرارة فى هذه الايام عن النهوض بالاغنية المصرية نصا ولحنا وصوتا ، ويقول الغيورون على فن الغناء : لقد تدهورت الاغنية المصرية التى كانت تتلألأ فى السماء قبل عشر سنوات ، ولابد من العمل السريع الناجز لاعادة النجوم الغنائية الى مكانها المتلألىء فى كبد السماء ، لان مصر التى هى « أم الدنيا » هى ايضا « أم الغناء » ولا يصح ان ينتقل فن الغناء من ارض الكنانة الى اية ارض اخرى بين المحيط والخليج ، ولا ينبغى ان ينظر الناس الى الفضاء الاعلى فيجدوا فيه شيئا غير سفن الفضاء ، والمذنب هالى ، ونجوم الغناء المصرى ! •


ابن خلدون

أمنية طيبة جميلة بلا ريب ، وغيرة مشكورة بلا جدال ، يتلقاهما فن الغناء المصرى فى الوقت المناسب ، فالحقيقة ان هذا الفن اوشك ان ينقطع عن اسماعنا فى مصر ، واوشكت بلادنا المصرية العريقة فى الغناء والتلحين ان تصبح ((مستوردة)) للالحان والاغانى والاصوات من هذا البلد العربى او ذاك ، فضلا عن ((اغانى الزار)) التى يذيعها علينا برنامج ((العالم يغنى)) فى التليفزيون فيحشد على الشاشة اقبح الاصوات والالحان الاوربية والامريكية فيما يسميه ((اغانى الشباب)) .. وما هى فى الحقيقة الا صورة أوربا وامريكا اللتين بلغتا مرحلة الشيخوخة الحضارية ، وعادتا القهقرى فى فن الغناء الى مثل ما كنا نحن عليه قبل ثمانين عاما ، عندما كانت ((اغانى الشباب)) الراقصة المجنونة تدور رحاها كل ليلة فى مقاهى وملاهى وحانات وشوارع حى الازبكية القديم ! .. على اننا كنا حينذاك ارقى فنا وسلوكا من هؤلاء المتحضرين ..

نعم .. اوشك فن الغناء ان ينقطع فى مصر .. وقديما قال ابن خلدون فى مقدمته ان اول ما ينقطع من العمران عند تراجع الحضارات هو فن الغناء ! ..

وهذه القاعدة التى صاغها ابن خلدون ، برهنت على تمام صدقها طوال القرون الستة التى انقضت بعد تاليفه لمقدمته الخالدة ، فان الغناء انقطع عن بغداد والدولة العباسية منذ بداية تراجع قوتها وعمرانها ، ولم يزدهر فى مصر غناء عربى متقن بعد سقوط بغداد وانتقال الخلافة العباسية الى القاهرة ، لان انتقال الخلافة الى القاهرة كان صوريا ، ومجرد رمز ، أما الخلافة نفسها والدولة ذاتها



عزيزى القارىء

فكأننا قد دخلنا فى ذمة التاريخ ! ..

ولم ينفض الغناء العربى المتقن الغبار عن كاهله ويعود الى فتوته القديمة ، ويتطور الى الاحسن الا فى عصرنا الحديث ، وبخاصة بعد استقلال مصر فى الثلاثينات ، وعلى الاخص بعد أن أصبح هذا الاستقلال حقيقيا فى الخمسينيات ، ثم ارتبط بحركة التحرر العربى وحركة التحرر الوطنى فى العالم كله بعد ذلك ..

ان فن الغناء لا يتعلق فى الفضاء ، بل ينبت فوق الارض ، فاذا اردنا أن نصد موجة الانحلال والتفاهة الغنائية ، فلابد من تمهيد الارض لفن غنائى حقيقى ، وانما الارض هى المجتمع والناس الذين يعيشون فيه ويفكرون ويعملون وتقوم فيما بينهم العلاقات الانسانية ، او علاقات الغابة ! ..

ومثل ذلك يقال عن فن كتابة الاغنية ، فان انحدار الشعر والزجل اللذين ينطلقان الآن من حناجر ادعياء الغناء رجالا ونساء يرجع سببه الى ما يرجع اليه سبب انحطاط الاغنية ! .. ان الشعر لا يتنزل على أصحابه من عل ، بل يخرج من وجدانهم الذى هو بين صدروهم وملء قلوبهم ! ..

ونظرية ابن خلدون تعطينا أملا فى عودة الغناء وكلام الغناء الى المستوى الرفيع ، اذا توافرت لهذين الفنين العظيمين عوامل النماء والبقاء ..

ولكن وزارة الثقافة فيما يبدو لا تؤمن بابن خلدون ولا نظرياته .

فالوزارة قررت ــ فيما قرأنا ــ أن تعالج انحطاط الغناء وكلام الغناء بطريقتها الخاصة ، التى تتلخص فى منع جميع شعراء وزجالى البلد من ايصال انتاجهم الى مستمعى الغناء ، الا اذا مر بثلاث مراحل من « الرقابة » على الاقل فيعرض الشاعر او

الزجال انتاجه على ما يسمى ((لجنة الشعر)) وعلى ما يسمى ((لجنة الاستماع)) فاذا كان يتعلق بالتراث فعلى ((لجنة التراث ، .. ويجب على المؤلف قبل ذلك وبعد ذلك أن يكون عضوا فى ((اتحاد الكتاب)) فاذا لم يكن عضوا فى هذا الاتحاد فلا يجوز له ان يؤلف الاغانى لا بالشعر ولا بالزجل ! ..

وهذه أول مرة فى تاريخ الامة العربية وجميع أمم الارض تشترط فيها الحكومة أن يكون الشاعر عضوا فى اتحاد أو نقابة ، والا فلا حق له في قول الشعر تصريحا أو تلميحا ! .

تصور - يا عزيزى القارىء - أن النهوض بفن الغناء الذى سقط على ركبتيه ، يجىء عن طريق اقامة ثلاث رقابات فى طريقه ، وربما أربع رقابات أو أكثر ، فضلا عن العقبات الكثيرة الاخرى .

ايها السادة هواة الرقابة ..

صحيح أن الغناء قد تدهور وانحط وانهار وصار خزيا فنيا بعد أن كان فنا رفيعا .

وصحيح أن مقولة ابن خلدون عن انقطاع فن الغناء قد صدقت كل الصدق ، مع الاسف ..

ولكن ابن خلدون - رحمه الله - لو بعث حيا لاضاف الى أسباب انقطاع فن الغناء وزواله فى مصر ، مجموعة الاسباب الاخرى المبتكرة التى تتمثل فى سلسلة رقاباتكم ومحاكم تفتيشكم الفنية الادبية التى انفردتم بها دون العالم أجمع .

ويا أيها الرقباء الاوصياء الفضلاء ..

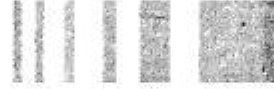
ارفعوا أيديكم عن فن الغناء المسكين ، فانه سينهض ذات يوم بقوته الذاتية عندما تتوافر له عوامل النهوض الطبيعية فى المجتمع بعد انقطاعها ..

وسينقطع الامل الى الابد فى نهوضه اذا أصررتم على انهاضه تحت رعاية محاكم تفتيشكم الفنية الادبية التى حدثتنا عنها الصحف ونرجو ألا يكون ذلك صحيحا ..

المحرر

التفـز عـلى

الأشواك

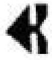


من أيـن نبْدأ ؟

● ترى هل آن لنا ان نسال انفسنا هذا السؤال ؟ فمن الواضح اننا لايمكننـا ان نسال : من اين نبـدا ؟ الا اذا كنا قد قررنا قبل ذلك اننا يجب ان نعمل ، ومثل هذا القـرار ليس مجـرد كلمة تفال او امر يصدر ، وانما هو اقتناع وعـزم يستقر فى نفوس الجماهير اذا كنا نصفق للديمقراطية فلان الجماهير لتى تقتنع اقتناع الواعى وتعزم عـزم الحر هى الاقدر على العمل المثمر .. فهل قررنا ؟ ●

والقرار الذى تتخذه الجماهير يكون عادة قرارا هادئا ولكنه مصمم ، لايعلن عن نفسه بالصوت الجهير ولكنه يصهر فى بوتقة الفكر وتظهر آثاره بالعمـل المثابر . وعندما تتراكم هـذه الاثار تحدث الطفرة ، وينتقل المجتمع من حال الى حال . تاريخنا الحديث يثبت ان نظام الحكم لم تكن له الا اهمية ثانوية . مطامع محمد على حطمتها السياسـة الاوربية ، وفخفخة اسماعيل لم تنفـع الفلاح والعامل بل تركت البلد غارقا فى الديون . وعندما قامت ثـورة ١٩ بعد اربعين سنة من الاحتلال البريطانى الصريح ، كانت هى الطفـرة التى اثمرتها جهود شعبية فى مجال الفكـر والتعليم والاقتصاد ، تواصلت بصبر وثبات بينما كان « الحكم » مشـغولا بامور اخرى . ولكننا اصبحنا اكثـر اعتمادا على « الحكومة » كلمـا زادت سلطتها فى اتخاذ القـرار المستقل ،

بقلم: د. شكري محمد عياد



بعيدا عن الهيمنة الخارجية • ونسينا أن قرار الحكومة وحدها لا يحل أى مشكلة ان لم تسنده ارادة الشعب •

وجربنا ديمقراطية عرجاء ، ثم دكتاتورية سافرة وأخرى مقنعة ،وبقيت مشاكلنا كما هي بل زادت تعقيدا • وها هي حكومتنا اليوم تطالب الشعب بأن يتحرك ويعمل • فهل آن الاوان لنسأل انفسنا : من اين نبدأ ؟

مشكلتنا الاساسية ، التي تظل راسخة وراء كل العواصف الوقتية ، اطلق عليها في الاربعينات اسم مثلث « الفقر والجهل والمرض » ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام الامم المتحدة وحد الاسم فأصبح « التخلف » ، وعمم على مستوى العالم فدخلنا في زمرة الشعوب المتخلفة ، ونظرا للتقدم العالمي السريع في الطب بقسميه الوقائي والعلاجي فقد اصبح لكل داء - تقريبا - دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها ، والا الفقر فلو كان رجلا لقتله الامام على كرم الله وجهه • بعبارة اخرى لم يعد المرض مشكلة كبيرة حتى بالنسبة للشعوب المتخلفة ، ما لم يكن ناشئا عن الجوع او سوء التغذية،وانحصرت مشكلتنا في قطبين اثنين بدلا من اقانيم ثلاثة : الجهل (وهو الحماقة ايضا) والفقر (أى انحطاط مستوى المعيشة تبعا لانحطاط مستوى الانتاج) وأنا افضل هذين الاسمين الصريحين على كلمة « التخلف » التي تضعني دائما في موضع مقارنة قد لا اكون مستعدا لها ، وتضع امامي نموذجا للتقدم قد لا اقبله ، وتشعرني بمهانة لا يخفف منها ذلك المرادف الاخر الذى ابتكروه في الامم المتحدة ، أعني النمو، وأى عزاء هناك في ان نسمى «شعوبا نامية » اذا كان المقابل دائما « شعوبا صناعية » او « شعوبا متقدمة » ؟

منذ حصلنا على استقلالنا الكامل، منذ امتلكت حكوماتنا الوطنية سلطة اتخاذ القرار ، وهي تعمل جاهدة للخروج بنا من طوق التخلف • ولا ادرى ، ولا يعنيني ان أدرى ، مدى التقدم الذى بلغناه بمعايير الامم المتحدة • لان التخلف ومعاييره ، أو التقدم ومعاييره ، ادخلتني في متاهات بحيث صعب على الحكم • هل وجود تليفزيون ملون ، واحيانا فيديو ، في منزل فلاح عادى ، او في عشة فوق

الأشواك

السطوح ، او فى مسكن بين المقابر ، ظاهرة تدخل فى حساب الحسابيين عندما يقيسون انجازاتنا فى محاربة « التخلف » ؟ هل وقوف الاف السيارات امام كليات الجامعة (التى لا تحصل على اى رسوم دراسية من الطلاب سوى ما يجمعه الاساتذة انفسهم من اثمان مؤلفاتهم)وعلى جوانب الشوارع الصغيرة وحتى الحوارى ، دليل ينبغى ادخاله فى المؤشرات الكمية على درجة « التقدم » ؟

اعترف لكم انى اشعر نحو كلمتى « التقدم » و « التخلف » بما يشبه مرض الحساسية ، ويمتلىء قلبى عطفا والما لحال اولئك الذين يمثلوننا فى المحافل الدولية ، ووجوههم تنطق بانهم اتون من بلاد مختلفة ، وان كانت ثيابهم الفاخرة مشتراة من ارقى المتاجر ، وسياراتهم المنتظرة فى الخارج بسائقيها الرسميين مختارة بعناية من افخر الماركات • فلوتهم تلك الهالة اللعينة التى تقول ، دون حاجة الى لافتات ، انهم يمثلون تلك البلاد المتخلفة الحديثة الاستقلال فى افريقيا او اسيا او امريكا اللاتينية •

يخيل الى ان تاريخ العالم فى الستينات يبدأ من هنا • يخرج ممثلونا السياسيون من هذه الاجتماعات وهم يضغطون على اسنانهم من الغيظ لم يلحقهم اذى فى اشخاصهم ولكن كرامتهم الوطنية قد جرحت • لم تذكر بلادهم او حكوماتهم باى كلمة مهينة فيردوا الصاع صاعين ، ولكنهم يفهمون ما تعنيه النظرات واللفتات وهذه تملؤهم بالغيظ ولكنهم لا يمكنهم الرد عليها لانها اشبه بحركات النساء يخرجون وقد صمموا على الانتقام يعودون الى بلادهم ويهاجمون الاستعمار بعنف لانه حرص على ان تبقى البلاد متخلفة ، والان وقد تحررت فسيبدا الانطلاق العظيم • وبما ان قدرة الناس على الانطلاق ليست عظيمة بالدرجة الكافية ، فالحل هو ان تنهض الدولة نفسها بالمشروعات الكبرى •

وهكذا يظهر نوع جديد من الاشتراكية يمكننا ان نطلق عليه اسم اشتراكية العالم الثالث • وترجمتها العملية قطاع صناعى كبير تملكه الدولة • والقاعدة العامة هى ان القرارات التى تتخذ لانشاء هذا القطاع وادارته هى قرارات « سياسية » ، اى ان الاعتبارات الاقتصادية ليس لها المحل الاول، وقد يضرب بها عرض الحائط • والنتيجة التى تعرفها جميعا ولا نزال ندور حولها منذ سنين ، مع انها حدثت لناس قبلنا وبعدنا سلكوا نفس الطريق، حدثت للبرازيل والارجنتين كما حدثت لتنزانيا والكونغو وتحدث الان للجزائر، هى اننا اكتسبنا بعض الوجاهة بعض الوقت ، ومزيدا من الفقر طوال الوقت •

والسبب واضح : وهو ان هذه المصانع عبارة عن سلع رأسمالية ، اشتريت كلها بالعملات الصعبة من

بلاد صناعية (في الشرق او في الغرب سيان) واحتاج تشغيلها والاشراف عليها الى خبرة اجنبية (ولو لمدة معينة) ولا بد لها لتبقى عاملة من ملع وسيطة (مصنعة) تستورد ايضا من


محمد علي — الخديوي اسماعيل

الخارج . وهذا كله يعني ان مدخرات الشعب تدفع للبائع ، ولكي يتعادل الميزان التجاري - ولو الى حد ما - يجب علينا ان نبيعه خاماتنا (القطن مثلا) وبالسعر الذي يحدده ايضا . وبما أن السلع الراسمالية باهظة الثمن والتكاليف فلا بد ان يكون البائع كريما معنا ، ويقبل منا الدفع بالتقسيط ، ولا باس بفترة سماح ايضا .

هكذا كانت الديون تتراكم ، والانتاج الذي يخرج من مصانعنا الجديدة يعجز عن منافسة الانتاج الجيد في الاسواق العالمية ، بل وفي السوق المحلية ايضا ، فيتراكم بدوره في المخازن . لم نكن نشعر بذلك في الستينات، فقد كانت الدورة في اولها، وكنا نتزعم العالم الثالث ، ويحيينا ممثلو حركات التحرير من كل مكان ويهمس في اذاننا بعض اخواننا العرب وكانهم يقدرون فينا العلم بادق الاسرار صحيح ان مصر ستطلق قمرا صناعيا؟

كيف انسى تلك الايام وقد بليت اثناءها بالعمل سنتين في احدى سفاراتنا في امريكا الجنوبية وفوجئنا يوما ببرقية وزيارة غير منتظرة ولا مرتبة من احد وزرائنا ، جاء ومعه وفد من الوزراء والنقابة لحضور مؤتمر تعليمي لا اهمية له ، وعندما كان في المطار استاذن صحفي عربي ليأخذ منه حديثا ، واذكر من هذا الحديث سؤالا واحدا : « هل ترون ان مصر اصبحت بالفعل دولة صناعيه ؟ فنفخ الوزير صدره ومد قامته بقدر المستطاع (وكان القصر من عرفت من الرجال) وقال : « من الابرة الى الصاروخ ! » .

وقد اصبح القطاع العام الان موضوع خلاف ، المدافعون عنه يزعمون انهم يدافعون عن « الاشتراكية » و « مكاسب العمال » ، والذين يهاجمون يقولون انه عبء على الميزانية،ويلمحون الى ان اصلاحه مستحيل ، وربما اشاروا ببيعه الى القطاع الخاص ، وما اظن أن ممولا من القطاع الخاص يمكن ان يشترى مصنعا بهذه الحالة الا اذا دفع فيه اوكس الاثمان . القطاع العام بصورته التي وصفناها - لم يبدا بداية صحيحه ، على الاقل من الناحية الاقتصادية ، اى انه لم يكن موجها من الاصل لمعالجة مشكلتنا الكبرى مشكلة الفقر . ولو قيلت في امره كلمة حق ، بعيدا عن الاكلشيهات الايديولوجية ، والمنازعات الحزبية ، والمصالح الفئوية او الشخصية ، لقيل انه يجب

ان يقسم قسمين : فالصناعات الاستراتيجية ـ واخص الصناعات التعدينية والحربية ـ تبقى على حالها تحت ادارة مباشرة من الدولة ، مع اشراف دقيق تتولاه اجهزة الاشراف العليا . وما عدا ذلك من مصانع امتها الدولة او انشاتها انشاء لانتاج سلع استهلاكية فالاولى ان يحول الى شركات مساهمة او تعاونية يملكه العاملون فيها من اداريين ومهندسين وعمال القسم الاكبر من راسمالها فهؤلاء هم اعرف الناس بعيوبها وما يصلحها .

ما لي اتوقف فجاة ؟ انني اخشى ان تكون انت الذى توقفت ايها القارىء ، ان كنت بلغت الى هذا الحد . فهل تراك عجبت لامر هذا الكاتب الذى يقحم نفسه في السياسة الاقتصادية وما هو من اهل الاقتصاد ، وما عرفته ـ ان كنت عرفته ـ الا ناقدا او كاتب قصة ؟ فاسمح لي ان اعجب من عجيب فكل الكتاب يكتبون المقالات ، لان المقالة هي اقدم انواع الكتابة ، ولا لوم على احد ان رجع الى الاصل . ثم انهم يكتبون عن السياسة التي يتخبط الجميع فيها ، حتى مخططوها الكبار . يكتبون عن اصوات المغنين والمغنيات . ينظمون اغاني غزل يومية في الحرية . وانت تعرف بدون شك انهم ليسوا من اهل الموسيقى ولم يحرقوا اصبعا في سبيل الحرية يوما ، وان احرقوا اصابعهم كلها في سبيل اشياء اخرى . فلماذا تريد ان تحرم علي الكلام في الاقتصاد ، وما رماني عليه الا الفقر ؟ .

تعال نتخيل معا ان الصحف اليومية اختصرت صفحتي الرياضة الى نصف صفحة ، واستغنت بالكلمة عن آخر اخبار فلان وآخر مناسبة شوهدت فيها علانة ، واعطتنا صفحتين كاملتين ـ مثلا ـ عن اوضاع صناعة النسيج او صناعة الجلود العلمية ، او عن امكانيات تعمير سيناء كما اظهرت الدراسات العلمية ، او عن التاريخ الحقيقي (والسري !) لمشروع الوادى الجديد ، والمصاعب والامكانيات التى تواجه ملاك الاقطاعيات الصغيرة في مديرية التحرير الخ . الخ

لا شك ان معظم القراء سيرمون الجريدة من ايديهم في قرف ، كما اخشى ان تفعل بمقالتي الآن . ولكن اين ميثاق الصحافة ، بل اين فن الصحافة؟ اين عين المصور وقلم الكاتب ، تشعرك بنبض الحياة في بلادك ، من النوبة الى العريش الى السلوم ؟

فمن هنا ، يا صديقي ، سوف نبدا ! من الاهتمام الايجابي ، على مستوى الشعب كله ، من هنا يبدأ العمل . «حسن» بل حسن جدا أن تشمر الدولة عن ساعديها للقضاء على الفساد ، ولكن الفساد ما كان ليضرب بجذوره لو كانت التربة سليمة ، ولو كان صاحب الارض الذى يفلحها يفتشها كل يوم لينزع كل نبت طفيلي يمد راسه بين العيدان البريئة .

دعني اعود بك مرة اخرى الى تلك


مصطفى كامل


طلعت حرب

الأيام العظيمة ، ربع قرن لا يزيد بين هزيمة الثورة العرابية وقيام ثــورة ١٩١٩ ٠

الحكومة المصرية تعمل تحت امرة الانجليز ٠ الاحزاب اما غير موجودة ، واما أفكار تفتقر الى تنظيمات (الحزب الوطنى لم يعلن قيامه رسميا الا سنة ١٩٠٨ ، السنة التى توفى فيها مصطفى كامل) ٠ ولكن الشعب كان يعلم نفسه قامت الجمعيات الخيرية بانشــاء المدارس الوطنية بعيدا عن سيطرة دنلوب مفتش التعليم البريطــانى ٠ انشئت الجامعة المصرية (الاهليــة) لتخرج مثقفين وطنين (لا مجرد حملة شهادات تقدم لوزارة القوى العاملة)٠ واخيرا بدأ نشاط اقتصادى حر، تبلور أخيرا فى بنك مصر وشركاته ، بفضل رجل اسمه طلعت حرب ، سمى فى تلك الأيام « زعيم مصر الاقتصادى » ٠

ومـــــع ان ثورة ١٩ لم تحقق كل اهدافها : فقد استمر الوعى الوطنى لدى مختلف طوائف الشعب مدركا ان العلم والاقتصاد هما دعامتا الاستقلال السياسى ٠ وكان النــاس يرددون بيت شوقى ٠

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهمو
لم يبن ملك على جهل واقــلال ٠

وفى اواخر العشرينات او اوائـل الثلاثينات قامت حركة قوية لمقاطعــة البضائع الاجنبية (ومعظمها انجليزية بطبيعة الحال) ٠ واقام شباب المدارس « حفلات» فى الميادين العامة القوا فيها ملابسهم المصنوعة من الصــــوف الانجليزى الى النيران ٠

لقد تغيرت امور كثيرة خلال هــذه السنين التى قاربت الســتين تعقدت السياسة وتعقد الاقتصاد،ولكن القاعدة التى لم تتخلف ، ولا يمكن ان تتخلف، هى ان الشعب يظل صاحب السلطان الحقيقى فى كل زمان ومكــان ، وان الذين ينجحون احيانا فى سلب هــذا السلطان منه ، انما يسلبونه بالخداع والتنويم ٠

ليس امامنا الا مشكلتان : الجهل والفقر ، وكل المشاكل الاخرى نابعة من هاتين ٠ وعلى الشــعب ان يتصدى بنفسه لحلهما ٠ الشعب بمثقفيه وعماله ، باغنيائه وفقرائه ، بشيوخه وشبابه ، بنسائه ورجاله ، وعنــدما يدرك الشــعب ان الدولة ما هى الا جهازه الاقوى لتحقيق اهدافه ، وحشد قواه عند الضرورة ، ولكنهــا ليست الجهاز الاوحد ، ولا هى الجهاز الاهم او الافعل فى جميع الظروف ــ عندئذ يصبح للديمقراطية معنى ويصـــبح للحرية معنى ٠

ويصبح الشعب ــ حقا وصدقا ــ هو القائد ٠

عن الرواية الفريدة

ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الإبن الأبدى"

بقلم: فاروق عبد القادر

حنا مينه «المولود فى ١٩٢٤» هو الاخ الاكبر للروائيين والقاصين فى سوريا، واحد اهم الروائيين العرب فى جيله. كانت روايته الاولى «المصابيح الزرق ١٩٥٤» على ما شابها من اوجه ضعف وقصور ـ حدثا هاما فى الرواية السورية، وحين صدرت روايته الثانية «الشراع والعاصفة كتبت فى ١٩٥٨ ونشرت فى ١٩٦٣» اكد حنا وجوده الروائى، ولعل اهم ما قدمت انها تركت الارض الى البحر، وحكت لنا حكاية بحار عربى، تجسدت بطولته فى مواجهة البحر والعاصفة والانتصار عليهما، وكان هذا جوهر وجوده. بعدها نشر حنا «الثلج ياتى من النافذة ١٩٦٩» و «الشمس فى يوم غائم ١٩٧٣» و «الياطر ١٩٧٥» وعملين من ادب السيرة الذاتية هما «بقايا صور ١٩٧٥» و «المستنقع ١٩٧٧».



ومع بداية الثمانينات صدرت الاجزاء المتتالية من « حكاية بحار الاول بالعنوان نفسه فى ١٩٨١ والثانى بعنوان « النقل – أى الصارى الكبير فى المركب الشراعى – فى ١٩٨٢، ثم « المرفأ البعيد » فى ١٩٨٣ . بعد هذه الثلاثية – وقد تجاوزت صفحاتها الالف صفحة .. نشر حنا رواية جديدة هى « ربيع وخريف » ١٩٨٤ » .. هى اخر اعماله ، فيما أعرف .

ومن تابع هذه الاعمال كلها يستطيع أن يحس اهمية الثلاثية بينها ، لقد ظل حنا سنوات طويلة يفكر فيها ويخطط لها ويحدث أصدقاءه عنها ، وهى – على مستوى من مستويات القراءة – جماع أعماله ، او تلك البلورة التى تعكس وجوهها المتعددة اهم هواجسه ، حتى لتكاد شخصياتها وأحداثها وأماكنها وخواطر أبطالها أن تردك الى أدبه كله ، وهى عندى – على مستوى أعمق من مستويات الفهم والتفسير – اكمل تعبير واكثره تفصيلا عن هذا الموقف المثلث الذى يتردد فى تلك الاعمال أعني الموقف « الاوديبى » المشهور – لو أحببت هذا التعبير – الذى يتخبط فيه الابن بين أبيه وأمه ، بكل الصور والتجليات والصور والبدائل التى يتخذها القبطان ، « بكل أشكال الصراع والتمرد والاستخذاء والتماهى . الصريحة والمضمرة ، التى يتخذها الابن فى هذا الاتون الذى لا ينطفىء أواره ، ولاتفلح السنون والتجارب فى تهدئته ، بل انه – فى هذه الثلاثية ، وعلى طول الالف صفحة – يكاد يشغل معظم المساحة الروائية ، فلا يترك لشىء غيره مكانا ، ويصيب شكل الرواية فيكاد يفجره تفجيرا ويسوق الى فحش فى التصور وعرى فى اللفظ لم يسبق اليه الكاتب من قبل ، ويلح على المشاعر الحاحا قد يدفع القارىء المتعجل للتوقف عن القراءة دع الان الثرثرة والتزيد والاطناب والاسهاب وتسلل الكاتب وراء أبطاله، فهذا من مألوف ما يعتاده قارىء حنا مينه ، وان اختلفت حظوظه من عمل لآخر .

ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الابن الأبدي"

هذا سعيد حزوم ، البحار الذى تجاوز الخمسين يتذكر . والرواية كلها هى هذه الذكريات . بعبارة اخرى اننا نتلقى العمل من خلال بطل واحد ، يحدد وعيه مساره ، لا نرى الكون الا بعينيه ، ولا نرى الاخرين الا بمنظار حبه او كرهه ، شبقه او بغضه ، والاهم من هذه العواطف موقفه منه : بالاستخذاء او التمرد القبول او الرفض . ولا شيء يحدث الا غير ما يتذكره سعيد : طفولته وصباه فى مرسيلى شبابه فى اسكندرونة ، ثم رجولته فى اللاذقية

هو وحده دائما : فى طفولته ليس ثم ير صورة الاب ، مضخمة مكبرة والام ، خانعة ومستسلمة . أما الاخوة والاخوات فهم منفيون لا نرى منهم احدا او نعرف احدا الا فى كلمات قليلة عابرة . هم ــ بالمنطق النفسى ــ زائدون عن الحاجة ، منافسون محتملون فى التوحد بالاب والبحث عن بدائله والتمرد على الام والبحث عن بدائلها ، ومن ثم يستبعدهم بضربة واحدة ، كى يبقى ــ وقد جاوز الخمسين ــ ابنا الى الابد . ولكى يظل هذا الابن الابدى تحتم الا يصبح ابا ، لهذا يسرق الينا ــ فى سطر واحد ــ هذه المعلومة : « وحين تزوج لم ينجب اطفالا ، كانت زوجه عاقرا ، ولم يقيض له ان يرى ابنا من صلبه يوما .. » (١ ، ص ٦٠) ولانها ذكرى مشاكلة يعود فيرويها مرة اخرى على نحو اخر : وزواجه كان عقيما فلم ينجب بسبب ما اصابه من امراض جنسية خلال تجواله الطويل .. (٣ ، ص ٢٤٣) .

وعلى نحو احتفالى غنائى يتقدم الاب فى وعى الابن : .. حين تقول صالح حزوم فكأنك تقول عريس البحر الشجاع ، انه تتوج بزهور القاع البيضاء ، واستوى على متن الموج كملك عن جدارة .. » (١ ، ص١٤٣). وتروح كل الفضائل تتكرس على رأسه: الرجولة ، الشهامة ، النخوة ، القوة الهرقلية ، الزعامة الشعبية ، مناصرة الضعيف وكراهة الظلم ، التضامن مع اهل الحى والمدينة ، البطولة فى الصراع : ضد الطبيعة ، وفى الصراع القومى والوطنى والطبقى فى مرسيلى حيث كان الصراع بين الاتراك والعرب دخل الاب السجن اثر صدام بين الجانبين » وخاض صراعا اخر ضد النهر حين نزل وسط السيل والعاصفة كى يقطع الحبل الذى يربط السفن الصغيرة الى خشبة المرفأ وينقذها من الغرق . هو ذات الصراع الذى خاضه الطروسى من قبل فى « الشراع والعاصفة » ، على هذا النحو ختم حياته فى النهر ختما رائعا وانطلق الى البحر . وبعد الحرب العالمية الاولى وقيام حكم الملك فيصل فى سوريا رجع الاب مع من رجع ليقيم فى اسكندرونة . وحين جاءت سنوات الثلاثينات بالجوع والبطالة اسفر الاب عن وجه البطل الشعبى الذى كان فى مرسيلى ، يحمل هموم البحارة الجياع ويخوض الصراع ضد فرنسا ، ويلتقط حنا مينه حدثا عابرا من « الشراع والعاصفة » كان بطله بحارا اسمه فؤاد المرسيلى ، كى يجعله اللحن الاساسى فى « حكاية بحار » . هذا ما جاء عن المرسيلى « نزل الى السفينة الغارقة قرب الميناء ، يسبح ويغطس وينزع صفائح

الكاز من جوفها ، فيعومها ويعطيها للبحارة الفقراء يبيعونها ويفرجون ضائقتهم . لقد نزل فؤاد الى قاع السفينة الغارقة مرة ولم يستطع الصعود ، أضاع الطريق وهو تحت الماء فمات مختنقا ، ولما أخرجوه في اليوم التالي بكى جميع البحارة ، وشيعوه وهم يتحسرون .. « (الشراع والعاصفة ، ص ٢٥٧) . الفرق يتسق والقراءة التي نقدمها لهذا العمل . ان صالح حزوم - الاب الكلى القدرة - لا يموت ، نزل الى قاع السفينة ولم يخرج ، ونزل الابن يبحث عن جثة ابيه فلم يجدها ، ورجع بجثة اخرى وبقى صالح حزوم حيا لا يموت وبقى الابن الابدى يبحث عن ابيه ، حتى الصفحات الاخيرة من الثلاثية . - وقد انقضى حوالى الاربعين سنة ، فنحن في أوائل السبعينات (حين حدثت « حركة التصحيح » في سوريا!) - يقول سعيد « بصوت حاسم النبرات « والدى حى .. وأنا ذاهب للبحث عنه .. » (٣ ، ص ٤٠٧) .

● صورة متواترة ●

هذا الاب الاسطوري بحاجة لامراة اسطورية كذلك . امرأة جديرة بفيض الرجولة الذى كان . هنا تتقدم كاترين الحلوة كي تصبح محور العمل وبؤرة خواطر البطل الواحد . استجمع حنا مينه كل قدراته - التي يحركها اشتهاء غليف للمرأة واحتقار عميق لها في الوقت ذاته - ليرسم صورتها ، ولتبقى - حتى الصفحات الاخيرة كذلك - محط اشواقه الجامحة وشهواته الداعرة ، وموضوع نجواه التي لا تتوقف ، في صحوه وسكره في حله وسفره ، على ظهر سفينة في البحر او على مقهى في الميناء . هي المرأة - بالالف واللام - وكل امرأة اخرى تقارن بها وتنسب اليها . وكل الاحداث الخارجية لا تعنى سعيد حزوم كثيرا ، ما اسرع ما يعبرها سريعا كي يبلغ مركزي الجذب في عالمه : الاب وكاترين .

كاترين كانت عشيقة الاب وكانت عاهرة كذلك . ولنقف لحظة هنا لنشير الى ان هذه صورة متواترة في عالم حنا مينه ، يكفي أن نتذكر أن عشيقة الطروسى في « الشراع والعاصفة » ، كانت عاهرة ، وامرأة القبو في « الشمس في يوم غائم » - وهي الجائزة التي سيحصل عليها الابن في النهاية - كانت كذلك ، وعلى مستوى أدب السيرة الذاتية - أعنى في « بقايا صور » - كانت زنوبة - عشيقة الاب الموضوعي - عاهرة أيضا . وليس هذا وجها من وجوه التغنى بفضائل العواهر ، لكنه وجه من وجوه تعهير المرأة ، كما سترى تقابلصورةالعاهرة صورةالامالموضوعية وهي دائما مستسلمة متضامنة في ظل الاب - الرجل - الذكر مثل « دجاجة متبلة » ، وهذا وصف حنا مينه للام في « الشمس في يوم غائم » . التي لا تختلف عن صورتها في جزئي السيرة الذاتية .

ونحن نعرف من ادبيات التحليل النفسي - بتبسيط وايجاز - صورة « الام العاهرة » من حيث هو ميكانيزم لحل الموقف الاوديبي : بأن تتجه عواطف المحبة الخالصة والتقديس نحو الام - العذراء ، وينفصل الجانب الجنسي والدنس عنها ، ليتجه نحو العاهرة .

تجد أن الجديد المدهش الذى يقدمه سعيد حزوم انه يقيم علاقة جنسية مع كاترين ذاتها . وهي علاقة سعى اليها الطرفان ، واستمرا على ممارستها ، وان ظلت قيادة هذه العلاقة ، وصلها أو قطعها ، بيد كاترين ، لا يهم الان تلك الاسباب اللقلقة التي تبقى على كاترين في

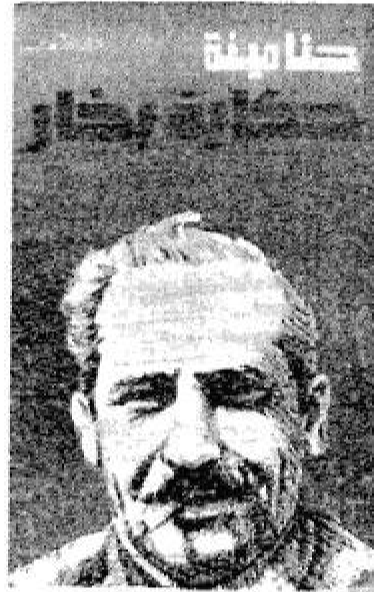
ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الابن الابدي"

اللاذقية وعلى اتصال بعائلة صالح حزوم ، المهم أن سعيدا يلتقي بهسا وهي زوجة الريس عبدوش الذي سيعمل سعيد بحارا تحت امرته ، وأنها تعطيه كوفية أبيه كي يحتمي بها وتكشف عن فخذها لتغريه ، وها هو يعترف بعد خروجه من بيتها : لايمكن مقارنة كاترين بأية امرأة أخرى ، نوع خاص من النساء ، فريد ، نادر هذه هي اللؤلؤة التي يغوص عليها البحارة .. (...) وسواء كان انكشاف الفخذ مصادفة أم تعبيرا ، فان الحدث بذاته لا يعني انها ترغب في ..

هذا الاعتراف المدهش في مباشرته وفجاجته ليس سوى دفعة لا شعورية استطاعت ان تجتاز عقبة الرقابة ورغم محاولة الابن – الذي تخطى حاجز المحارم ، بالنية ثم بالفعل – أن يطرح عنه الشعور الفادح بالذنب ، عن طريق ، اسقاطه ، عليها هي ، بمعنى أن الرغبة جاءت من جانبها هي ، الا أنه لا يفلح في محوه ، فينبثق في هذا النشيد النثري الركيك – الذي يفتتح به الفصل التالي : « رهبت اكتشاف السر .. – وافتضت بكارته هي الا تلعنها الآن ، بل نفسك العن .. العن نفسك يا سعيد .. الخ » ويتخايل له السفر على مركب الريس عبدوش خلاصا من هذا الشعور والريس متشكك في العلاقة بين امرأته وسعيد (رغم اننا لا نجد بادرة واحدة تبرر هذا التشكك ، لكنه يتسق مع قانون اللاشعور : الرغبة تساوي الفعل) ، وحين يسافر معه تتعرض المركب لاعصار يحطمها ويهبط ركابها جميعا الى قوارب الانقاذ ، ولا يبقى وسط اللجة غير الريس وسعيد ، ويصر الريس على ان يهبط سعيد قبله ، وحين صار سعيد في منتصف الطريق الى قارب النجاة قطع عبدوش الحبل ، « وهو يفح كالافعى : لنتفرق معا يا سعيد ، انت في البحر وانا على ظهر المركب .. هكذا لا تكون كاترين الحلوة لك ولا لي . وتتحقق العدالة بيننا .. »(٢ ، – ص ٢٣٢) .

على هذا النحو ينتهي الجزء الثاني من الثلاثية ليبدأ الثالث مباشرة بهذه الكلمات : انني لم أمت في تلك العاصفة يا بحر .. ضاجعت الموت على فراشك وتقرير مصير كاترين الحلوة : انها لي ، لعنة ابوة أبد الدهر وتبدأ دورة ثانية تكرر الاولى على نحو لا يعرف سوى آسري عصاب القهر : تتزوج كاترين من الريس زيدان ، ويدعى سعيد للعمل على مركبه . ومرة ثانية لا تهتم تلك الاسباب الملفقة التي تؤدي لخلق هذا الموقف ، المهم أن سعيدا يعود ليصبح عشيقها وعاملا على مركب زوجها ، ومرة ثانية ايضا يسقط الرغبة عنه اليها .

وليست كاترين وحدها هي التي ينصرف اليها تعهير المرأة في رواية سعيد حزوم ، هي فقط التي تحظى بالنصيب الاوفى ، فثمة ايضا تلك الحادثة التي يرويها عن اغتصابه امرأة اسيوية في أحد محلات التحف بميناء « بلد اسيوي نال استقلاله غير نظامه منذ عشرين عاما او اقل » – نفهم من قرائن متعددة ، خاصة في ضوء روايته التالية « ربيع وخريف » – أنه يعني الصيني حين يدخل سعيد – الذي يهوى التحف القيمة وينفق ماله في شرائها – المحل الوحيد الذي يجده مفتوحا في يوم



عيد ، ويهدد المرأة الوحيدة التي يجدها بخنجر ثم يغتصبها · أسوأ من واقعة الاغتصاب ذاتها ما يليها « وحين عدنا من تلك الغيبوبة الرائعة كنا أقرب الى بعضنا ، وقد زال الحقد من العيون ·· » ، ليس هذا فقط ، بل هي أيضا « فتحت الصندوق وتناولت هذا الخاتم الذي في يدها والبستنيه وهي تنظر في وجهي نظرة معبرة ، نظرة تقول : هذا تذكار مني ا. وبعد أن نال مكافأته على الاغتصاب راح ، منتفشا مزهوا يتغنى : « كانت السعادة التي غمرتني وأنا على الباخرة غير عادية ، أحسست أنني ولدت من جديد ، وأن عمرا اضافيا قد كتب لي ، وأن الدنيا جميلة رائعة من حولي ، والبحر في المدى البعيد خارج المرفأ يبتسم لي ، وأن حظا طيبا قد واتاني هذا اليوم · (واقعة الاغتصاب هذه مروية ، حتى أدق التفاصيل ، في فصل كامل يستغرق ستا وثلاثين صفحة ، وسعيد يرويها لجمع من الرجال والنساء · ١ ، ص ـ ص ١٠٦ ـ ١٤٢) ·

يكتب الاستاذ جورج طرابيشي تعليقا على هذه الواقعة : ان الفعل الاغتصابي ، الذي هو فعل اعتداء من انسان على انسان في لحم لحمه ، يخالف قانونا أساسيا من قوانين البطولة ·· فالبطولة في التعريف مذهو خارق للانسانية ، لا ما هو مضاد لها ، وفعلة كالاغتصاب مذلة للنصف المؤنث من «لانسانية في لحم لحمها ، ومؤسسة لعلاقة القوة والعنف المطلق في قلب علاقة الحب ، تحبط سلفا أي عملية تماه مع البطل ، المغتصب ·· وتنصب حاجزا منيعا بين القارىء وبين التعاطف معه ·· » · غير ان هذا النمط الاغتصابي هو ما يميز نظرة سعيد حزوم ـ ونظرة صاحبه وخالقه ـ الى العلاقة الانسانية بين الرجل والمرأة وقد اختزلت تماما الى علاقة بين ذكر وأنثى وما هذا الغزل المتكرر سوى دليل على تدخل الرغبات النفسية ـ الجنسية تدخلا يؤدي لتشويه الكائن الانساني وهذا مثال يتكرر : « البحار امرأة أخرى فخذها جميل أبيض مستدير مثل ناب الفيل ورغم علاقته بكاترين فما أكثر ما يتصور أن يغتصبها ، ويمعن في العبث العنيف بجسدها ، وهذا أيضا مثال يتكرر : الآن ·· لا يوجد أحد بالبيت ·· على أن الاطفها ، اذا رضيت ملكتها ، قطعت رحمها ، جعلت جسدها أزرقا عضضت شفتيها حتى الادماء ·· واذا ظلت مغاضبة استفززتها وضربتها ·· (٣ ، ص ١٦٧) ·

هذا الاختزال والتشويه لدلالة الكائن الانساني يعكسه حنا مينه في العلاقة المفتعلة والهشة التي يجعلها لبطله سعيد حزوم بامرأة أخرى : امرأة رآته فوق سطح القبو الذي يسكنه في

ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الابن الأبدي"

اللاذقية عاري الجذع ، فهامت به واحبته على رغمها ، وارسلت صبيا في خدمتها يقوده الى فراشها ، وجاء اللقاء الجنسي بينهما مشهداً فاحشا آخـــر (٢ ، ص ١٦٨ ـ ١٧٤)

ثم هو لا يكتفي بهذا اللقاء المجاني الذي يأتيه دون أي جهـــد يبذله من جانبه ، فيدخل معها في معركة تحـــد جنسي ويهزم فيها ، وحين تحـــاول ان تأسو جرحه يصل ذروة الموقف الذي يهواه ، ويفرق ـ لا شعوريا لتحقيقه: وبصوت أبح متهدج ينطوي على رغبة قاتلة بالاهانة ورغبته في قهـر ذلك الجسد الواهي بالكلام بعد أن عجـز عن قهره بالفعل ، قال لها: « يا عاهرة» وكان جوابها صاعقا بابها طلاء عبرت عنه برفسة من قدمها في مسطره وهي تقول له : « قم ·· انت لست برجل ·» وللفور رنت صفعة على خدها ، صفعة مدوية ·· » (٢ ، ص ١٩٧) ·

ان هذا مشهد نموذجي لرجل لايرى في العلاقة بين الرجل والمرأة غير علاقة قهر من جانب واستخذاء من الجانب الاخر ، وان عجز الرجل عن قهر المرأة بجســده فليقهرها بالصفعات المدوية والسـباب الفاحش · ومن عجب انه يروح ـ بعد ذلك ـ يسم هذه المـرأة بالطهر ، ويسم كاترين بالعهر ، ويرى نفسه في صراع بين الطهر والعهر ·

هكذا يبلغ حنا مينه ببطله سـعيد حزوم ·· المشحون بطاقة نرجسية هائلة ـ اقصى درجات تحقير المرأة وتعهيرها

اذا كان هذا حال المرأة ، فما حال الرجل في « حكاية بحار » ؟

سنرى الميكانيزم نفسه « هو يعمل الاب ، كلي القدرة ، الذي يحـوز كل الفضائل ، الذي يفيض وجوده فـلا يترك لابنه المتطلع اليه سوى ان يتخذ منه موقف الخضوع والاستسلام ، ثم التمرد على هذا المـوقف ذاته ، الاب ينقسم في هذه الثلاثية الى صورتيـه النموذجيتين : الرئيس وصـــاحب العمل من ناحية ، والمعلم ـ المناضـل من الناحية الاخرى · في الفئة الاولى يتوالى الريس عبدوش الذي غـرق والريس زيدان الذي قتـــل ، وفي المرتين نجا سـعيد وفي المرتين كان الموقف المثلث مكتملا ، فهو عشـيق لامرأة الريس ، حتى خرج في باخـرة يقودها ريس ايطالي ، كان لابد للابن ـ الذكر أن يتحداه ، ويوقع به الهزيمة أيضا ، فبعد أن ينجح القبطان أرتورا في مواجهة الاعصار والانتصار عليه يتحداه سعيد ويهزمـــه : « وانتهت الحلقة لهذا اليوم ، وقد فهم الجميـع أن الفائز فيها هو سعيد ، وأن أرتورا نال نصيبه من الاهانة ·· » (٣ ص ٣٠) ، غير ان الابن المتشـــوق للتماهي لا يمكن ان يترك الامر مـع الاب ينتهي الى القطيعة ، فيجعـــل القبطان يسعى لمصالحته ، ويشـرب معه ، ويطلب منه أن يحـــدثه عن كاترين ! ·

الفئة الثانية يمثلون « المعلمين و « المناضلين » الذين يتحـولون ـ مباشرة ـ الى « أبواق » للمـؤلف كل مهمتهم أن يقدموا التقـارير عن الاوضاع السياسية في سوريا والعالم، واهم هذين اثنان : قاسم في الجـزء الثاني ، وينضم اليه سيد في الجزء الثالث (فالاب يقوم بهذا الـدور ـ بطبيعة الحال ـ في الجزء الاول) ، ونحن لا نعرف أيا منهما معرفة حقيقية كل ما نعرفه عنهما هو تلك التحليلات السياسية العريضـة ، والتي تلتصق مباشرة لوعي المؤلف ، فبعد انتـزاع أرض اللواء وتولي رجال الـكتلة

الوطنية المحكم فى سوريا يستدعي المؤلف قاسما كي يقدم لنه التحليـل السياسي التالي : « ومن هي الكتلة الوطنية ؟ مجموعة من زعماء الاقطاع والبورجوازية ، وليست الكتلة حزبا سياسيا ذا برنامج او عقيدة وطنية محددة .. نحن معهم ضد الاحتلال الفرنسي ، ولاجل جلاء تام ، ولكن حذار من المساومة .. ثم أن الكتلة بمفردها لن تستطيع شيئا ، وعليها أن تتعاون مع الاحزاب الاخرى العقائدية خاصة .. لقد ان الاوان لطرح موضوع العدالة الاجتماعية على بساط البحث .. الخ .. (٢ ، ص ٢٠٧) ، وسيظل قاسم موجودا تحت الطلب ، يقدم تحليلاته السياسية الجافة لاحداث الحرب العالمية وما بعدها ، الطريف هنا ان الكاتب يقدمه لنا فى صورة

لا تختلف كثيرا عن « المتمرد صاحب القضية » ، فهو متجول ابدا على الشاطىء وفى المقهى ، فى ثياب رثة ، بلا زوجة ولا عمل ولا اولاد ولا سكن . وسعيد يريد أن يلوذ به ويشكو له همومه ذات الطابع الجنسي ، غير أن هذا الاخير « قلبه حجر ، قطعة حديد ، لا يعرف المشاعر ولا يقدرها ، انه يصدر احكامه ببرود قاتل ، وأحكامه صدئة كالنحاس » (٣ ، ص ٦٢) ، ونحن لا نقترب أبدا من هذا المناضل ، الذى يكشف لسعيد عن هويته بأنه « من حزب العمال والفلاحين » ، ٣ ، ص ٦٢ ولا نعرفه ، ولا نرى فعلا ولا مسلكا كل ما نسمعه منه ، طق حنك ، يحلل فيه الاوضاع السياسية المحلية والدولية ، بل ويحاول كذلك أن يشرح لسعيد قوانين تطور المجتمع الانساني « منذ كان الانسان يعيش على الثمار البرية .. حتى قامت دولة «المسكوب» التى تمنع الظلم والاستغلال ، وكذلك ستمنع الحروب فى المستقبل .. » (٣ ، ص ١٨٢ وما بعدها) ، وبعد قاسم سياتي سيد الاسكندراني يكمل الشوط على ظهر الباخرة عبر المحيط ، فيقول لسعيد أن « عمال الاسكندرية وعمال اللاذقية واحد ، قضيتهم واحدة وعدوهم واحد .. » (٣ ص ٢٤٩) ، وما أن يقول هذه الكلمات ، ويعرف من سعيد ان « أيار » هو « مايو » وان العمال يحتفلون به هنا وهناك حتى « تصبح العلاقة بينهما اكثر من علاقة بحر .. انها علاقة قضية .. » !

حتى حين ينهار سعيد حزوم وهو يهذي بذكرياته مع كاترين وينقل الى مستشفى للامراض العصبية ، سيجد هناك من يؤنلج ، له ايضا : مريض مثقف سيروح يحدثه عن « الامبريالية » و « الصهيونية » ـ لاحظ أننا الان بعد حزيران ـ وسيقول لنا المؤلف ، من



ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الابن الأبدي"

ورائه ، وبلسانه : « ان المعركة صعبة ، صعبة ، وطويلة ، بطول عمر الرجعية العربية التى تتواطأ مع امريكا اما اسرائيل التى تحتل فلسطين وترغب فى احتلال البلاد العربية فهى عدونا المباشر .. الخ .. الخ .. » (ان الثرثرة السياسية بين سعيد ووليد تشغل حوالى العشرين صفحة من الجزء الثالث (ص ٣٨٠ – ٤٠٠) .

هذا النمط من العلاقة « الاتكالية » هو ما يميز علاقات سعيد حزوم بسواه من الرجال ، فنحن لا نكاد نرى له ندا او صديقا ، حتى عمر البحار الذى يغريه بالسفر ويصحبه والذى كان يمكن أن يكون صديقه سرعان ما يأخذ منه سعيد الموقف ذاته : « تركت لعمر أن يسيرنى كيف شاء ، أن يدير امره وأمرى ، صرت – باحساس صادق – تابعا له ، من دونه لا اقوى على شىء ، كبر فى نظرى صدر مرشدى ودليلى » (٣ ، ص ٢١٦) .

وحين خرج سعيد الى الدنيا الواسعة على ظهر الباخرة عابرة القارات ، ظل يتخبط فى حيرة التقس ، لم ينس شيئا ولم يتعلم شيئا ، وهو يصف لنا بعض المرافىء التى عرفها وصفا لا خصوصية فيه ، لا يدل عليها أو يوحى بمعرفتها فهذه اثينا ، بوسع من لم يرها ان يقول عنها نفس الكلمات : « يا لكثرة البواخر .. الصوارى غابة .. البواخر تلاء .. ضجة المارة ضجة الحياة فى المرفأ ، التحميل والتفريغ ، الرافعات ، زحمة الناس البائعون الشارون المكاتب البحرية ، الشاحنات السيارات الصغيرة .. الخ » (٣ ص ٢١٧) ، ولم يقل لنا عن سواها شيئا ، قضى فى الاسكندرية بضعة شهور انفقها فى « البحث عن والده » ، ولم يذكر عنها سطرا واحدا ، ذهبت به الباخرة الى امريكا اللاتينية فلم تشهد فيها الا تلك المرأة وذهبت به الى الشرق الاقصى فلم يعد من هناك الا بواقعة الاغتصاب تلك ! . ليس فى جعبته غير كلمات انشائية مكرورة يصف بها البحر والموج ، سواء كان يسير على شاطىء اللاذقية ، او هو وسط اللجة فى المحيط : « الريح ذئب والمطر ذئب والبحر ذئب ، والبرق المشتعل فى اقصى الافق يكشف عن قطعان من الذئاب تدوى وهى ترمح بآلاف الاقدام المتوقدة على ذرى امواج عالية . قال سعيد فى نفسه : « هذا ما يدعونه المحيط . المتوسط ليس هكذا ، هناك تعرف أين أنت ، ترى السماء ، النجوم ، الزبد الابيض ، وفى النهار تسطع الشمس .. » (٣ ، ص ٢٤٠) .

هذا آخر ما فى جعبة بحار يزعم لنا انه قضى اكثر من عشرين سنة على ظهر عابرة تجوب المحيطات ! .

● احكام القبضة على الشخصيات ●

قلت اننا نتلقى الرواية كلها كذكريات يستند عليها سعيد حزوم « هو يمشى على طول الشاطىء بين طرطوس واللاذقية . هذا يعنى أن الكاتب يحكم قبضته على وعى الشخصيات حتى تختنق ، ويبقى وعيه ، وحده يملأ مساحة الصفحات الالف . بعبارة أخرى : اننا لا نرى شخصيات قد اكتملت لها اسباب الحياة فهى تحياها ، قدر ما نرى « ابواقا » تردد ما يقول المؤلف

الخالق ـ العليم بكل شيء (حتى مشهد اللقاء الفاحش بين الاب وكاترين انما نتلقاه ، ـ بتفاصيله كلها ـ من ذاكرة سعيد !) ، ولذلك أيضا يعود ليذكرنا اكثر من مرة : « وسعيد لا يزال يمشى ويتذكر .. » أو « انت الان يا سعيد على ظهر الباخرة .. » ، لكنه يبدو سافر الوجه حين يتوقف ليهجو المرأة ـ وما اكثر ما يهجوها ! ـ او يناجى البحر والارض والسجن والسمك : ايه أيها البحر .. » ايه أيها السمك .. وبعدها تبدأ غنائياته الانشائية المكرورة ، وحين يدرك المؤلف ـ متأخرا ـ أنه قد نسى بطله الذى يقدم لنا العمل بعينيه ومن خلاله يستدرك معتذرا : « والبحار ، حتى لو كان متعلما مثل سعيد لا يعرف أن يحلل الاشياء ويرتبها على هذا النحو ..

لان البطل ـ كما ارجو ان تكون هذه القراءة قد أوضحت ـ محاصر بضلعى المثلث الاولى ، فان الموقف من هذين (الاب والام بكل صورهما وبدائلهما) هو ما يلون وجه الحياة ويتدخل فى تقييم الناس والافكار انه ـ هذا الحصار ـ هو ما يشكل رؤية سعيد حزوم للعالم ، وهو ـ من ثم ـ لا يبالى ان كان ما يستدعيه محتملا او غير محتمل ، بمنطق الواقع او منطق الفن ، فما اكثر الشخصيات الزائدة والمواقف المجانية والاحداث غير الموظفة فنيا فى عمل يطمح لان يكون ثلاثية روائية تمتد ـ من خلال وعى بطلها ـ لاكثر من نصف قرن (تبدأ ذكريات سعيد قبل نهاية الحرب العالمية الاولى ، وتنتهى بعد بداية السبعينات) .

لكن القهر العصابى الذى يتخبط البطل فى ساره هو ما يدفعه دفعا لتكرار دورات مقفلة ، فى محاولات لا شعورية متصلة ـ مقضى عليها بالفشل سلفا ـ لايجاد حل لصراع لا حل له . وعلى سبيل المثال . ما الفرق بين الريس عبدوش والريس زيدان ؟ وما الفرق بين كاترين وعزيزة ؟ وما ضرورة كل تلك الشخصيات التى يقدمها لنا ـ فى تفصيل مضجر ـ فى سجن اسكندرونة؟ بل وما ضرورة خبرة السجن اصلا ، الا كى يستطيع أن يتفنج ، بعد ذلك بأنه سجن ، مثل أبيه ، لانه كان ضد فرنسا ! .

ان يستبعد أهم الاحداث فى سطور قليلة ، كى تتفسح الصفحات ، لثرثرة لا تنتهى الا لتبدأ ، ويوسع سعيد حزوم فى وهم طفلى يرى أن رغباته حقائق ـ أن يستدعى اليه ، وهو جالس « فى كسل ملوكى » على المقهى ، متفاضلا يتفلسف ويؤدلج ، ومهريا يتحدث عن حياته ، وريسا يتقدم اليه بالتحية ، وخمارا يكيل له المديح . ومعركة يدخلها ويخرج منها منتصرا ، وغرقا يقربه وحشيشا يدخله ، ثم ينهى ليلته فى البغى ، ويخرج ليناجى البحر : ايها البحر .. اين صالح حزوم ؟ .

وكل هذه المحن الصماء فى فصل واحد ! .

لا يمكن أن يكون لحكاية بحار ، يكتبها الثلاثة ، سوى قيمة « سيكو ترابية » .. فلعل سعيد حزوم ـ ومن ورائه صاحبه وخالقه ـ أن يكون قد ارتاح الان ..

لكننى ازعم انه لا يزال يوالى البحث عن أبيه ، ويحلم بكاترين الحلوة ، ويناجيها بخواطر فاحشة ، وقد بلغ من العمر ارذله ! .

ان « حكاية بحار » هذا الحكم الهائل من الكلمات ، تثير ظهرها لكل انجازات الرواية العربية فى هذه السنوات الاخيرة بوجه خاص .

افريقيا في الثقافة المصرية

بقلم : د . عبد الملك عوده

من الخطأ القطعي الدلالة القول ان النخبة المصرية لم تتعرف على اوضاع القارة الافريقية ، وأن الثقافة المصرية لم يكن من بين اهتماماتها وموضوعاتها قضايا ومشكلات القارة الافريقية ـ قبل منتصف القرن العشرين .

● ويهدف هذا المقال الى كشف وتبيان موقع القارة الافريقية في اهتمامات الثقافة المصرية منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ، أى منذ بناء الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي الكبير حتى الغاء النظام الملكي في مصر بقيام ثورة ١٩٥٢ .

والموضوع يطرح عددا من النقاط والاسئلة للنقاش على النحو التالي :

١ ـ كيف كان الوضع والمستوى المعرفي بافريقيا في مصر مع بدايات القرن التاسع عشر ؟

٢ ـ كيف نما وتطور تدريجيا هذا الوضع المعرفي وتعمقت مستوياته وعبر عن نفسه بالتوسع وبالانتشار من خلال وسائل الاتصال والتثقيف خلال فترة الدراسة التي يتعرض لها هذا المقال ؟

٣ ـ كيف ارتبط هذا النمو والتطور بأوضاع النخبة المصرية المتعلمة طبقا لمفهوم الثقافة العربية الاسلامية ، وطبقا لمفهوم ونظام التعليم الحديث والجامعي ، ثم طبقا لدور ولتأثير وسائل الاتصال والاعلام الجماهيري وهي الصحافة والاذاعة في الفترة الزمنية للدراسة ؟

● والنخبة المصرية المتعلمة التي نعنيها في هذا المقال هي أولا النخبة المدنية المتخرجة في مستويات التعليم بالجامع

الازهر أو المثقفة بالثقافة العربية الاسلامية بدون الانتظام الرسمى فى سلك التعليم ، ثم هى المتخرجة أيضا فى المدارس العليا والجامعة المصرية والمتفاعلة مع الثقافات واللغات الاجنبية ، وهى ثانيا التجار المصريون والمتعاملون فى التبادل التجارى مع خارج الدولة المصرية ، وهى ثالثا النخبة العسكرية التى نشات ونمت مع التنظيم الحديث للجيش المصرى وأسهمت فى حروبه جنوب مصر فى السودان والحبشة .. الخ . واعتنقت العقيدة العسكرية المصرية الخاصة باولوية وأهمية المحور الجنوبى الافريقى فى مفهوم الامن القومى المصرى . وأخيرا مع التوسع فى قاعدة التعليم والثقافة والاتصال الجماهيرى أصبحت النخبة المصرية تعنى قطاعات المثقفين بوجه عام .

● والاجابة على الاسئلة المطروحة لن تقدم الصورة الكاملة للتفاصيل والمسح الاكاديمى للموضوعات المثارة ، وانما سوف تنتقى عددا من المعالم والمؤشرات الكاشفة لاثبات المقولة الاساسية التى يبدا بها المقال .

اولا :

من الحقائق المؤكدة حاليا فى الدراسات الافريقية ـ ان المصادر العربية الاسلامية هى المصدر الوحيد لدراسة افريقيا فى الفترة من القرن الثامن الميلادى « القرن الثانى الهجرى » الى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى « القرن العاشر الهجرى » وان الاستناد الى هذه المصادر والاخذ منها والاستفادة بما فيها من معلومات عن قارة افريقيا استمر حتى ظهرت المؤلفات الاجنبية الاوروبية خلال فترة الكشوف الجغرافية الاوروبية وبداية الحركة الاستعمارية وما جاء بعدها « منذ القرن السادس عشر » .

● ان هذه المصادر العربية الاسلامية تكلمت عن افريقية التى اطلقها العرب اولا على منطقة تونس الحالية ، ثم تكلمت عن افريقيا التى تعنى بلاد القارة باجمعها ، كذلك درست وعرضت. هذه المصادر العربية الاسلامية بلادا وشعوبا لم تكن قد اعتنقت الاسلام دينا فى ذلك الوقت ، ومعنى هذا أن العلم والمعرفة فى نظر وممارسة الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب لم تقتصر فقط على بلاد المسلمين فى افريقيا ، وانما امتدت الدراسات والمعلومات الى غير بلاد المسلمين الافارقة .

● ان قراءة هذه المصادر العربية الاسلامية تتطلب فهم ومعرفة المسميات والدلالات التى كانت تستخدم فى الثقافة العربية الاسلامية ، وهذا أمر طبيعى فالحدود السياسية وأسماء الدول وأسماء الشعوب والقبائل لم تكن موجودة بالشكل او بالتحديد المعروف الان فى أفريقيا ، ومن الامثلة نجد هذه المصادر تستعمل مصطلح السودان وبلاد السودان لتشير به الى جميع الاراضى والشعوب الواقعة فى المنطقة من السنغال وجامبيا غربا حتى السودان وساحل البحر الاحمر شرقا ، وأيضا تستعمل اسم بلاد الحبش والحبوش لتشير به الى مناطق القرن الافريقى حاليا ، وكذلك تستخدم بر الزنج وزنجبار للاشارة الى سواحل شرق افريقيا .. الخ كما تشير الدراسات العربية الاسلامية الى دول ومدن اندثرت او مازالت قائمة حتى اليوم فى غرب افريقيا وفى شرقها ووسطها ، ومن الامثلة تشير الى مدن تمبكتو فى الغرب والى سفالة الذهب فى الشرق ، والى ممالك غانا ومالى فى الغرب ، والى مناطق ومدن فى منطقة هضبة البحيرات وشرقى حوض نهر الكونغو .

● أضف الى هذا رحلة العلم والحج ، أما رحلة العلم فقد قام بها الوف من اجيال الطلاب الراغبين فى الدراسة فى مراكز العلم الاسلامى الكبرى فى الازهر الشريف وفى الزيتونة فى تونس وفى القيروان فى المغرب الاقصى .. وكان هذا يتم بجوار طلب العلم فى زوايا الطرق الصوفية المنتشرة تدريجيا فى نواحى القارة الافريقية . ومن الامثلة على ذلك نظام الاروقة فى الازهر مثل رواق السنارى والتكرور والجبرته .. الخ .

ومن الطرق الصوفية زوايا القادرية والتيجانية والسنوسية والحمالية والصالحية

وأما رحلة الحج فقد كانت معروفة وما زالت عبر طرق التجارة وتتجه من غرب ووسط افريقيا أما الى سواحل البحر الاحمر وبحر العرب والمحيط الهندى ، وأما الى الشمال الافريقى عبر الاراضى المصرية الى



افريقيا
فى الثقافة المصرية

السويس والبحر الاحمر ، وقد اشارت هذه المصادر العربية الاسلامية الى هذه الرحلات وطرقها واشهر من حج من ملوك وزعماء الشعوب والقبائل الافريقية ، وهـذا غير الطرق من الوسط الى الساحل الشرقى أو ساحل البنادر .

● ونقدم عينة من الكتب والمصادر العربية الاسلامية بدون ترتيب فيما يلى :

ابن حوقل : المسالك والممالك والمفاوز والمهالك « ومشهور باسم صورة الارض »

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب

المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر

الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق

ابن بطوطة : تحفة الانظار فى غرائب الامصار وعجائب الاقطار

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر « مقدمة ابن خلدون » .

القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا .

المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

ياقوت الحموى : معجم البلدان .

محمود كعت التنبكتى : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس .

وبجوار هذه المؤلفات العامة نجد ان بعض الكتب والمؤلفات قد اقتصرت على منطقة معينة او شعب معين بالحديث وبالشرح مثل

المقريزى : الاعلام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام .

السيوطى : ازدهار العروش فى اخبار الحبوش .

ابن عبد الباقى : الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش .

الجاحظ : لفضل السودان على البيضان .

عرب فقيه : فتوح الحبشة .

ونشير فى هذا المقام الى موضوعين لهما صلة بما نقول وهما :

الاول : ان علاقات ملوك مصر وسلاطينها مع الحبشة والسودان كانت قائمة ، وان من موضوعاتها كانت التجارة وكانت العلاقات بين الكنيسة المصرية القبطية الارثوذكسية وبين كنيسة الحبشة ، وكتابات المقريزى والقلقشندى تشير الى هذا .

الثانى : ان أول ما كتب بلغة غير عربية عن افريقيا كان مؤلف الحسن بن الوزان « المعروف باسم ليو الافريقى » وعنوانه وصف افريقيا وقد انتهى من كتابته عام ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦ ميلادية ، وطبع الكتاب لاول مرة فى مدينة البندقية عام ٩٥٦هـ الموافق ١٥٥٠ ميلادية . وان هذا الكتاب كان أساسيا وتم الاعتماد عليه فى مؤلفات الاوروبيين عن افريقيا ، ونشير بالذات الى كتاب مارمول كارفجال بعنوان افريقيا الصادر عام ١٥٧١ م . واستطرادا نشير الى راى الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر التى ترجمت ونشرت الكتابين وتقول : « الف مارمول كتاب افريقيا بعد أن اطلع على كتاب وصف أفريقيا للحسن الوزان ونسج على منواله ، بل اقتفى اثره حذو النعل بالنعل ، ونقل منه فصولا كثيرة حرفا بحرف » .

● متنوع المعارف ●

ثانيا :

انتشرت أخيرا كتابات ومؤلفات تتخصص فى طرق التجارة القوافل الافريقية قبل وصول وسيطرة الاستعمار الاوروبى ، وتحويل الطرق التجارية من الداخل الى الموانىء والمواسم على شاطىء المحيط الاطلسى . ومن هذه الموانى يتم التصدير والاستيراد مع اوروبا منذ بدايات العصر الراسمالى حتى اكمال السيطرة والتقسيم الاول الاستعمارى لافريقيا وما بعد ذلك .

الثابت ان طرق التجارة والقوافل من السودان الغربى والاوسط والشرقى ، ومن شرق افريقيا ومن القرن الافريقى .. الخ كانت تنتشر وتتشعب فى اتجاهها الى الشرق وسواحل البحر الاحمر وبحر العرب ، وفى اتجاهها نحو مصر ومنطقة دول المغرب العربى . والثابت فى هذه

الدراسات كثرة وتنوع انواع البضائع والمصنوعات والمعاملات النقدية ، فيسر تجارة الرقيق التى كانت تقوم بها شركات او جماعات افريقية عربيةمشتركة والدراسات عنها كثيرة حاليا • ومن اشهر الطرق التى عرفتها مصر درب الاربعين من دارفور (غرب السودان) الى اسيوط « صعيدمصر» وهذا غير الطرق التى كانت تربط ليبيا وما بعدها من دول المغرب العربى مع مصر .

● ومن الدراسات الحديثة المرتبطة بموضوع التجارة دراسات نشوء ونمو الراسمالية التجارية نتيجة لتراكم ولتوسع المبادلات التجارية فى ذلك الوقت وان اجهاض دورهذه الراسمالية الاقليمية «عربية وافريقية » انما تم على يد الاستعمار الاوروبى ونتيجة لسيطرة الراسمالية الاوروبية وما اتصفت به من مزايا نسبية فى صراعها مع القوى الاقليمية سياسيا واقتصاديا •

ان كمية المعلومات والمعارف المرتبطة بهذا الموضوع غزيرة ومتنوعة ، ليس فقط على الجانب المصرى او فى مناطق المغرب العربى ، بل فى مناطق غرب ووسط وشرق افريقيا حيث دلت الكشوف الاثرية والتنقيب والعثور على انواع من العملات والنقوش والمخطوطات على معلومات كثيرة وجديدة حول هذا الموضوع .

● وخلاصة القول فى هذه النقطة ان تفاعل الموروث الثقافى مع الممارسات التجاريه الواسعة اضاف الى المناخ العام والتراكم العام الثقافى معلومات جديدة ، ومعرفة ذاتية عند هذه النخبة المتعلمة والتى دخلت العمل فى ادارات ومؤسسات الحكومة المصرية المركزية التى اقامتها ووسعت من سلطاتها ووظائفها الدولة الملكية المصرية . واذا اخذنا فى الاعتبار ان المجتمع المصرى ايضا بدأ يشهد دور المدرسة الحديثة منذ عهد محمد على وارسال البعوث الى اوروبا، وان المجموعات المتتالية للخريجين والمبعوثين لم يكونوا منفصلين عن جذور ومنابع الثقافة العربية الاسلامية ، امكن ان نقدر معنى ومدى انتشار هذه المعارف عن افريقيا بين النخبة المصرية . واذا اضفنا الى هذا التفاعل الذى شهده المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر مع الثقافه واللغات الاجنبيه وظهور الصحافه المصرية والاطلاع على الصحافة الاجنبية والقراءة بلغات اوروبية والترجمة عنها ، لذلك يصح القول عندى ان تراكم المعلومات كان يتزايد عن القضايا الافريقية بصورة نسبية خاصة ان هذه الفترة كانت هى فترة التسابق الاستعمارى لتقسيم القارة الافريقية .

ثالثا :

نتيجة للتنظيم الحديث للجيش المصرى منذ عهد محمد على الكبير بدأت النخبة العسكرية تظهر فى حياة المجتمع المصرى، وهى تختلف عما عرفه المجتمع المصرى من قبل من عسكريين أمام حكم المماليك منذ نهاية الدولة الايوبية • وهذه النخبة العسكرية هى قطاع من نخبة القوة التى سيطرت على المجتمع والدولة حتى الاحتلال البريطانى ، والذى فى ظله عاشت النخبة المدنية والنخبة العسكرية وان كانت المراكز والمستويات الاجتماعية قد تغيرت نتيجة للحكم البريطانى وتسيير• امور البلاد ، وبعية اجهزة الدولة المصرية له وهذه النخبة العسكرية لها اسهام ودور فى الحروب المصرية فى المناطق الواقعة جنوبى مصر فى السودان وفى اوغندا وفى الحبشة والقرن الافريقى ومناطق على الساحل الشرقى لافريقيا بوجه عام .وما نهتم به فى هذا المجال هو كمية ونوعية المعلومات التى تراكمت لدى هؤلاء العسكريين او لدى بعضهم عن القارة الافريقية ، والثابت هو الحقائق التالية

● بدأت الكشوف الجغرافية المصرية باستكشاف اعالى النيل ، ابتداء من رحلة البكباشى المصرى سليم قبودان فى الفترة من ١٨٣٩ الى ١٨٤٢ ، وتوالت بعد ذلك الجهود المصرية فى ظل حكم الخديو اسماعيل فى منطقة المديرية الاستوائية وهضبة البحيرات ومناطق القرن الافريقى والساحل الشرقى بوجه عام .

افريقيا في الثقافة المصرية

● نشر تقارير الكشوف الجغرافية وأوضاع الشعوب القاطنة في هذه البلاد ورسم خرائط عسكرية وجغرافية لهذه المناطق في المجلات العسكرية وفي صحيفة الوقائع المصرية .

● المشاركة المصرية في الغاء تجارة الرقيق ومحاربتها في مناطق وسط افريقيا « غرب وجنوب السودان وأوغندا .. الخ » ونشر تقارير متنوعة عن القضايا الاساسية والفرعية للموضوع .

● بداية وضع حجر الاساس في العقيدة العسكرية المصرية التي ترى اهمية وحيوية الدور المصري في هذه المناطق وارتباط مفهوم المحور الجنوبي بمفهوم الامن القومي المصري ، وظهور كتابات حول هذا الموضوع بعنوان الضمان والامن النيلي . وهذا الرافد الفكري يتفاعل مع الروافد الفكرية الاخرى التي كانت تتفاعل في داخل المجتمع المصري وفي مقدمتها القضية القومية ضد الاحتلال البريطاني بعد عام ١٨٨١ .

رابعا

بدأ المجتمع المصري والنخبة المصرية عامة في الاحساس وفي التأثر بنتائج ظهور قطاعات النخبة المصرية المتخرجة في المدارس العليا وفي الجامعة المصرية أو المتخرجين في جامعات وتعليم عال خارج مصر ، وتزامن مع هذه الفترة نمو ودور الصحافة المصرية واهتمامها بأخبار العالم الخارجي .

ايضا كانت هذه الفترة هي فترة الدعوة الى الجامعة الاسلامية وظهور الآثار ورد الفعل في مجتمعات اسلامية وفي مناطق المسلمين في افريقيا وفي غيرها . وقد اهتمت بقضايا هذه البلاد الصحافة المصرية المؤيدة لدعوة الجامعة الاسلامية ووحدة العالم الاسلامي ضد الغارة على العالم الاسلامي من جانب أوروبا .

وشهدت هذه الفترة العنف الاستعماري ضد كل ما تبقى من حركات المقاومة الافريقية دفاعا عن الاستقلال وضد السيطرة الاستعمارية ، وكان هذا في فترة التقسيم المترتب على نتائج مؤتمر برلين ٨٤ ـ ١٨٨٥ واهتمت الصحافة المصرية بأخبار افريقيا نتيجة ان بريطانيا كانت السلطة الحاكمة في مصر وكانت أيضا طرفا في هذه الحروب وهذه المقاومة العسكرية الافريقية ، واستطرادا نشير الى ان الصحافة المصرية اهتمت بوقائع وبتطورات حرب البوير في جنوب أفريقيا ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ م . كذلك المواجهة بين العسكرية البريطانية والعسكرية الفرنسية في فاشودة بالسودان وان كانت المواجهة قد وجدت حلا سياسيا بين الدولتين .

● دور هام للصحافة ●

ان اهمية هذه الفترة في تكثيف المعرفة بافريقيا في الثقافة المصرية ترتبط بدور الصحافة وانتشار التعليم وآثار الدور الذي قامت به قطاعات النخبة المصرية الحديثة ، خاصة ان البلاد كان لها معركة قومية ضد الاحتلال البريطاني في مصر والسودان ، وان الصراع الاستعماري حول تقسيم افريقيا لم يكن قصير الامد أو سهلا فقد استمرت فترة الصراعات بين الدول الاستعمارية حول المناطق الافريقية حتى قيام الحرب العالمية الاول عام ١٩١٤ ، وهو صراع اشتركت فيه انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا .

وفي داخل المجتمع المصري كانت هناك اهتمامات ثقافية جديدة ، فقد تألفت الجمعية الجغرافية المصرية ونشرت مجلتها المتخصصة ، وفي الفترة من ١٨٧٥ حتى ١٩٢٢ نشرت مجلة الجمعية الجغرافية ٢٠٠ مقال عن موضوعات مصرية وسودانية ، ونشرت ٦٨ مقالا عن موضوعات تتعلق باجزاء ومناطق اخرى من افريقيا . ومن ناحية اخرى ازدهرت الدراسات التاريخية عن مصر الفرعونية وحضارتها التي تشير بعض الدراسات الى جذورها واصولها الافريقية .

وفى فترة اوائل القرن العشرين تم نشر كتب ومطبوعات عن القـارة الافريقية من بينها مايلى : ـ

فى عام ١٩١٢ نشر اسماعيل رافت بك الاستاذ بالجامعة كتابا عن جغرافية افريقيا بعنوان التباين فى تخطيط البلدان ، ثم نشر الامير محمد على عام ١٩٢٤ كتابا بعنوان رحلتى فى جنوب افريقيا ، وبعد ذلك نشر الرحالة المصرى محمد ثابت كتابا بعنوان جولتى فى ربوع افريقيا عام١٩٣٥ ولما نشبت الحرب الايطالية الحبشية نشر الصحفى المصرى وعضو البرلمان المصرى محمد لطفى جمعة كتابا عام ١٩٣٥ بعنوان بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى .

واستطرادا القول انى سبق ان قمت بدراسة عن الرأى العام المصرى والحـرب الاثيـوبية الايطالية ، وجمعت المادة من الصحافة المصرية التى كانت حافلة بالاخبار وبالتعليقات وبالتحقيقات وبالصـور عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ وتم نشرها فى مجـلة السياسة الدولية بالقاهرة عام ١٩٦٩ .

وهذا التركيز على قضايا افريقيا العامة لايجعلنا نغفل عن قيمة المؤلفات والكتابات المنوعة والكثيرة التى اهتمت اساسا بقضية السـودان وقضايا وحدة وادى النيل على اعتبار انها كانت فى ذلك الوقت جزءا من القضية القومية ، ومن جانب آخر تشير الى ماتم من تسويات بعد الحرب العـالمية الاولى فى افريقيـا ، فقد تمت تصفية الاستعمار الالمانى فى القارة الافريقية وتم توزيع مستعمراته المتسابقة بين انجلترا وفرنسا وجنوب افريقيا باسم نظام الانتداب وقد اهتمت وســائل الاعلام الجماهيرى « صحافة واذاعة » بهذه الموضوعات والانباء خاصة :

فى فترة الحرب العالمية الثانية ومابعدها حتى قيـام ثورة ١٩٥٢ ، ازداد وتعمق الاهتمام بالقضـايا الافريقية على مستويات متنوعة فى الثقافة المصرية المطبـوعة والمسموعة ، بجوار ماسبقت الاشارة اليه من اهتمامات ، نشير الى مايلى : ـ

● الاهتمام الشعبى والرسمى بقضايا تصفية الاستعمار الايطالى فى ليبيا واريتريا والصومال وخاصة بعد ان ثار حولها الجدل فى مؤتمرات وزراء خارجية الدول الكبرى وعرض القضايا فى الامم المتحدة ، واصبحت هذه القضايا قسما ثابتا فى نشاط وسائل الاعلام .

ظهور مؤلفات عن قضايا افريقيا بمعناها العام ، ومن الامثلة كتابان للاستاذ محمد كامل بعنوان العمل لمصر وبعنوان تحرير وادى النيل ، وترجمة الاستاذ عبد الغنى خلف الله لكتاب المستقبل السياسى لافريقيا ... الخ

● خطاب لرئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا عام ١٩٥٠ قال فيه « مصر جزء من افريقيا .. » وما اثاره الخطاب من حوار ونقاش وتعليقات واسعة .

● غطت وسائل الاعلام ، وظهـرت مطبوعات متنوعة حول ثورات المغرب العربى والحركات الوطنية هناك ، كما اشـارت وسائل الاعلام الى احداث نيجيريا عام ١٩٤٩ وايضا استقبلت مصر رسميا زعيمين من نيجيريا فى طريق عودتهما من الهند عام ١٩٥٢ .. الخ

● رفضت الحكومة المصرية المشـاركة فى مؤتمر دعت اليـه عام ١٩٥١ الدول الاوروبية الاستعمارية فى افريقيا وانعقد فى نيروبى لبحث قضايا الدفاع عن افريقيا فى حالة نشوب حرب عالمية ثالثة .

● نمو الكفاح المصرى الشعبى ضـد الاستعمار البريطانى ، وعقد صلات فكرية وتنظيمية مع حركات الكفاح الشعبى فى دول آسيوية وافريقية ، وكان هـذا فى فترة تصاعد ثورة شعوب العالم الثالث لتصفية الاستعمار وللتحـرر الوطنى ، وايضا تشير الى المشاركة المصرية فى الامم المتحدة ومناقشة قضايا تصفية الاستعمار فى العالم الثالث بوجه عام .

واخيرا

جاءت ثورة ١٩٥٢ ، واصدر الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٣ كتاب فلسفة الثورة الذى تحدث فيه عن الدائرة الافريقية وتلا هذا الموقف الفكرى ، موقف جديد فى نظرة نظام الحكم تجاه قضايا افريقيا ، وفى مفهوم العلاقات المصرية الافريقيـة وهـذا معنـاه ان مرحلة جديدة فى الكم والكيف قد بدأت فى حياة مصر الرسمية والشعبية حول موضوع افريقيا فى الثقافة المصرية .

تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

بقلم: عبد الرحمن شاكر

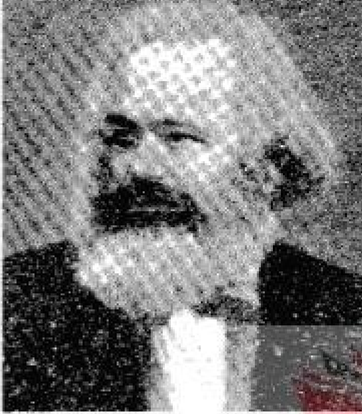
لم تكن الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفيتي ، التى نوقشت واقرت فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب المنعقد خلال الاسابيع الماضية ، ولا التقرير الذى القاه ميخائيل جوربا تشوف السكرتير العام للحزب امام المؤتمر ، مجرد نقد للمرحلة السابقة من حياة المجتمع السوفيتي ، مرحلة بريجنيف ، كما ذهب كثير من المراقبين ، ولا الاسبق منها ، مرحلة خروشوف الذى صاغ البرنامج الثالث للحزب البلشفى فى بداية الستينيات ، ذات البرنامج ، الذى أعيدت صياغته فى المؤتمر الاخير ، وإنما جاء العمل الاساسى لهذا المؤتمر ، من خلال وثائقه الرئيسية بمثابة إعادة تقويم واسعة النطاق للأفكار الشيوعية على المستويين المحلى والدولى

اعمال هذا المؤتمر هى بداية ثورة فكرية فى المجتمع السوفيتي ، سوف تتردد اصداؤها بلا جدال فى الحركة الشيوعية والاشتراكية العالمية وذلك لاستيعاب ثورة واقعية بدات ومازال مستمرة ، فى الحياة الراهنة للجنس البشرى وهى الثورة العلمية التكنولوجية التى تعيد تشكيل مصير الجنس الانسانى على نحو لا يدرك مداه ، وكان من طبيعة الأمور الا يدرك مداه فى الماضى هذا او ذاك من المفكرين ، مهما بلغت درجة عبقريته ؟

وتتبدد الاحلام ايام الحقائق ، وينظر كل عاقل إلى موقع قدميه على خارطة الوجود الفعلى المتحرك ، وهذا ما حاوله الشيوعيون السوفيت ، بقيادة زعيمهم الجديد الشاب ميخائيل جورباتشوف فى مؤتمرهم الأخير فماذا فعلوا وقالوا وماذا ينتظرهم ، أو ينتظر منهم ؟

● هل يتحول الحزب الشيوعى السوفيتى إلى اتحاد اشتراكى ؟

● "الانتلجنسيا" .. الثورة الصاعدة فى الشرق والغرب !



كارل ماركس

لم يتقدم جوربا تشوف الى المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفى ببرنامج جديد ، ورفض أن يتقدم به تحت اسم البرنامج الرابع للحزب ، وانما أصر على تسميته اعادة صياغة البرنامج الثالث ، الذى أقره المؤتمر الثانى والعشرون للحزب فى عام ١٩٦١ بزعامة خروشوف .. لماذا ؟

لانه فى المراحل السابقة كان كل برنامج جديد يبنى على الذى سبقه بعد أن يتم انجازه . الا البرنامج الثالث ، فلم يتم انجازه ، ولا يبدو اتمامه فى الافق ، وانما تعين أن يلغى، ويحل محله برنامج اخر ، يحمل ذات الترتيب .

الصياغة الاولى للبرنامج الثالث كانت تغرق المجتمع السوفييتى فى الاحلام الوردية وتصور له أنه فى الثمانينات سوف يصبح مستوى الفرد السوفييتى أعلى من نظيره الامريكى؟! وأن بشائر المجتمع الشيوعى سوف تهل ، ممثلة فى الحصول على مزيد من الخدمات المجانية للمواطنين منها المواصلات الكهرباء والغاز الطبيعى، بل لقد نوقش أيضا فى ذلك الحين احتمال توزيع الخبز بالمجان على جميع المواطنين ! وبالطبع فان هذا المستوى من الرفاهية ، يقتضى أن يكون الاقتصاد السوفييتى قد بلغ من التطور والازدهار القدر الذى يتيح له أن يفى، على افراد المجتمع من كل ما بلغ فيه حد الوفرة الكاملة .. كالماء والهواء .

ولكن جورباتشوف ، وقد أصبحنا بالفعل فى منتصف الثمانينات ، يقرر فى تواضع أن الاشتراكية قد ولدت وبنيت فى بلاد ليست متقدمة أبدا من

تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

حيث المستوى الاقتصادى والاجتماعي انذاك • ومتباينة جدا من حيث انماط الحياة والتقاليد التاريخية والقومية وسار كل منها الى التشكيلة الجديدة بطريقه الخاص •• ولم تكن تلك الطرق معهدة يسيره ، فالنهوض بالاقتصاد المتخلف وتعليم ملايين الناس مبادىء القراءة والكتابة ، ومنحهم المأوى والطعام والخدمات الطبية المجانية كان امرا فى غاية الصعوبة • وان جدة المهمات الاجتماعية بحد ذاتها •• وضغط الامبريالية العسكري والاقتصادى والسياسى والسيكولوجى المتواصل ، وضرورة بذل جهود هائلة للدفاع كل ذلك ما كان بوسعه الا ان يؤثر على سير الاحداث وطابعها ووتائر وتنفيذ البرامج والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية ، وقد وقعت بعض الاخطاء فى السياسة ومختلف انواع الانحرافات الذاتية •

ويقرر فى نقده الصريح للصياغة السابقة للبرنامج الثالث انه « من السابق لاوانه تحويل مهام بناء الشيوعية على نطاق واسع الى مجال الاعمال الفعلية »،واذا كانت الصياغة القديمة ، صياغة خروشوف قد جعلت شعارها بناء المجتمع الشيوعى ، فان الصياغة الجديدة تقرر ان هذه محاولات للتعجيل ، وادخال المبادىء الشيوعية دون مراعاة لمستوى النضوج المادى والروحى للمجتمع مصيرها الفشل !!

ومن المقارنة والتأمل يتضح ان لفظه « اعادة الصياغة » متواضعه جدا ، ومحتشمة فالواقع ان ما فعله جورباتشوف هو الغاء البرنامج الثالث واجلال اخر محله يحمل ذات الترتيب كما ذكرت من قبل •

على ان جورباتشوف لم يكن اول زعيم شيوعى ، يتخلى عن الاحلام الوردية بحكم الواقع الاقتصادى ، ولكن سبقه الى ذلك دنج سيابنج الزعيم الحالى للصين ، حينما بدأ سياسته الجديدة الانفتاح الاقتصادى ، منقلبا فى ذلك على سياسة زعيمه الراحل ماوتسى تونج ، الذى كان يحلم بتطبيق الشيوعية فى الصين ، على مستوى ادنى اقتصاديا من المستوى السوفييتى الذى اسس عليه « خروشوف » احلامه فى صيغته الملغاة !

والان اتفق جورباتشوف . ودنج فى ذلك الموقف ايضا ، كل على مستواه أو مستوى التطور الاقتصادى فى بلاده !

● غول القرن العشرين !

ليست هذه التسمية من عندى ، ولكن الوصف الذى اطلقه جورباتشوف على رأسمالية الثمانينات ! حيث قرر: « ان تقدم البشرية يرتبط ارتباطا مباشرا بالثورة العلمية التكنيكية،وقد نضجت هذه الثورة بشكل غير ملحوظ وبالتدريج ، لكى تؤدى فيما بعد ، فى الربع الاخير من القرن الحالى ، الى زيادة هائلة لامكانيات الانسان المادية والروحية • وهى امكانيات ذات صيغة مزدوجه ، فامامنا طفرة نوعية فى القوى المنتجة للبترول • ولكن هناك ايضا طفرة نوعية فى وسائل التدمير ، فى الشئون العسكرية التى « منحت » الانسان لاول مرة فى التاريخ قدرة مادية لاتلاف كل ما هو حى على وجه البسيطة ويضيف :

« ان الثورة العلمية التكنيكية فى مختلف الانظمة الاجتماعية السياسيه تواجهنا بجوانبها وعواقبها المختلفة فان رأسمالية الثمانينات ، رأسمالية عصر الالكترونيات ، والمعلوماتية والكمبيوتر والروبوت ، تلقى الى قارعة الطريق بملايين جديدة من الناس ، بمن فيهم الشباب والمتعلمون وتتركز الثورة والسلطة تركزا كبيرا بايدى القليلين ، وتنتفخ بشكل مهول بفضل سباق التسلح النزعة العسكرية الطامعة فى امتلاك ركائز السلطة السياسية ايضا • وهى تغدو غول القرن العشرين الأكثر قبحا وخطرا ، وبجهودها تتحول أكثر الافكار العلمية التكنيكية تقدما الى سلاح للابادة بالجملة » •

وبغض النظر عن العبارات الانفعالية فى الجزء الاخير من هذا الكلام ، فان الحقيقة الموضوعية ، هى أن « الطفرة النوعية فى القوى المنتجة للبشرية ، قد تحققت على أوسع نطاق فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، التى حدد البرنامج الجديد ركائزها الثلاث بالولايات المتحدة الامريكية ، واليابان وغرب أوربا ، وبذلك تخطت الرأسمالية « العمر الافتراضى » الذى قدره لها كل من ماركس ولينين !

لقد ذهب كارل ماركس » فى اشتراكيته العلمية » الى أن الثورة الاشتراكية سوف تقوم فى البلدان الرأسمالية المتقدمة صناعيا ، لان علاقات الانتاج السائدة فى تلك المجتمعات سوف تكون فى تناقض حاد مع قوى الانتاج النامية فيها ، ولابد أن تتمزق تلك العلاقات وتقوم علاقات انتاج جديدة تواصل فى ظلها قوى الانتاج تقدمها •

ومات « كارل ماركس » وواصلت قوى الانتاج تقدمها ولم تتمزق علاقات الانتاج الرأسمالية ، حتى جاء لينين ، وقرر أن الرأسمالية قد استطاعت أطالة عمرها من خلال الامبريالية ، مرحلة الرأسمالية المزدهرة والمحتضرة فى آن معا ، وأن ذلك العصر هو عصر الثورة الاشتراكية التى سوف تبدا




جورباتشوف


خرتشوف

تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

من اضعف حلقات الرأسمالية العالمية، وكانت تلك الحلقة هى روسيا ، التى قاد فيها لينين ثورته الاشتراكية ، رغم كونها اكثر بلدان أوربا تخلفا .

ولم تتحول الى الاشتراكيه الا مجموعة من البلدان تشبه روسيا فى تخلفها . أما الرأسمالية فقد استمرت فى البلدان الصناعية المتقدمة ، وأكثر من ذلك ، كان لتلك البلدان النصيب الاوفى من الثورة العلمية التكنيكية التى يتحدث عنها « جورباتشوف » ، ومعنى ذلك أن علاقات الانتاج الرأسمالية لم تستنفد طاقاتها بعد فى تطوير قوى الانتاج ، بل يفتح أبوابه لها بلد اشتراكى كبير مثل الصين لكى يستفيد من قدراتها فى تطوير اقتصاده .

ذلك هو المدلول النظرى الرئيسى فى تحليل أوضاع العالم المعاصر ، والذى دعا « دنج سياو بنج » الى القول بان كثيرا من افكار « ماركس ولينين » قد عفا عليها الزمن ، ودعا « جورباتشوف » الاكثر تحفظا الى التحذير من جمود الفكر الماركسى وضرورة استيعاب حقائق العصر عند الجيل المعاصر من الشيوعيين . فالرأسمالية الراهنة ، كما تقول مقدمة الصياغة الجديدة للبرنامج : « تختلف فى جوانب كثيرة عما كانت عليه فى بداية ، بل أواسط القرن العشرين » . « فمن النتائج المباشرة للتمركز والتحويل الرأسمالى للانتاج » . كما تمضى المقدمة ذاتها اشتداد سطوة الاحتكارات المتعددة القوميات التى تجنى أرباحا فاحشة من استغلال العمال على الصعيد العالمى ، وهى لا تعمل على تقويض سيادة الدول الفتية فحسب ، بل وتتطاول على المصالح الوطنية للبلدان الرأسمالية المتطورة أيضا » . ثم تقول :

« بيد أن النضال الطبقى للعمال فى ظروف النفوذ المتعاظم للاشتراكية العالمية ، يجبر الرأسماليين على تقديم تنازلات جزئية احيانا واجراء تحسينات معينة على ظروف العمل وأجوره والضمان الاجتماعى » .

لم يعد المتبطلون فى رأسمالية الثمانينات هم جيش الصناعة الاحتياطى كما كان يسميهم « كارل ماركس » ، بل أصبحوا فتيانها المدللين الذى تعجز النظم الاشتراكية حتى الآن عن ان تعول أمثالهم ! وكثير من « المتعطلين » ف المجتمعات الرأسمالية يكتفون من العمل بشهور معدودة ريثما يتم تسجيلهم فى احدى النقابات ، ثم يعيشون سنوات طويلة بعد ذلك اعتمادا على صناديق النقابات والضمان الاجتماعى ، وربما احترف بعضهم « البلطجة » سواء على الفتيات العاملات أو على المحلات التجارية كما شهدت شوارع انجلترا فى السنوات الاخيرة هؤلاء هم الملايين الذين يحزن جورباتشوف القاؤهم فى الشوارع ، وهم بها راضون !

أمثال هؤلاء لم يعودوا هم الطبقة الثورية التى افترض كارل ماركس أنها التى تحقق الثورة الاشتراكية بل يفرز التاريخ طبقة جديدة سوف تكون لها ذات القيمة الاقتصادية والسياسة التى كان يخلعها كارل ماركس على البروليتاريا الصناعية ،



ماوتسى تونج

وكان من طبيعة الامور ان يعترف بها « جورباتشوف » فى نظرته الواقعية الجديدة ، حتى ولو كان اعترافه محدوداً !

● الانتلجنسيا ●

فى بداية الستينات ، وبالتحديد فى ١٩٦٠/١/٢٤ ادلى « بتلر » وزير الخزانة البريطانية فى ذلك الحين بحديث الى صحيفة « الصنداى تايمز » تحدث فيه عن « تكنوقراطية عصر الفضاء التى شرعت تحل محل المفهوم الماركسى للبروليتاريا » ، ويعنى بهم طبقة العلماء والفنيين الذين يتعاظم دورهم فى الانتاج والادارة ، ويزداد هذا الدور الان تعاظما بحكم الثورة العلمية التكنولوجية ، على حد تعبير « جورباتشوف » ، سواء بالمقياس الى العمل اليدوى الذى تتقلص الحاجة اليه باستمرار ، او حتى بالنسبة الى « حقوق » الملاك فى البلدان الراسمالية .. ممن اصبحوا يعجزون فى واقع الامر عن ادارة املاكهم ، لو لم يشركوامعهم ـ باكثر الشروط ملاءمة ـ الذين يستطيعون ويعرفون كيف يديرون الالة التكنولوجية الجبارة التى يفرزها العصر الحديث .

يعتبر جورباتشوف فى صياغة البرنامج الجديد ، تلك الفئة من « الانتلجنسيا » مجرد رافد جديد يضاف للطبقة العاملة ، وذلك فى قوله « ان الاستخدام المتنامى للعلم فى الانتاج يرفدصفوف هذه الطبقة بممثلى العمل الذهنى » . ولكن لما كان احد اهداف المجتمع الشيوعى الغاء الفرق بين العمل الذهنى والعمل اليدوى،فان الطريق الى ذلك هو تقلص العمل اليدوى وازدياد نسبة العمل الذهنى ، بازدياد آلية العمل وخضوعه للتظم الاتوماتيكية التى يتيحها التطور العلمى ، وهو مايتطلع الحزب البلشفى الى استيعابه فى برنامجه الجديد .

وبالرغم من المغالطة السابقة فان الفقرة الاولى من اللائحة الجديدة للحزب الشيوعى السوفييتى تصف الحزب بانه « طليعة الشعب السوفييتى التى توحد ... القسم الطليعى الاكثر ادراكا من الطبقة العاملة والفلاحين الكولوخوزيين والمثقفين فى الشعب السوفييتى » ، كما يتحدث جورباتشوف عن ضرورة العناية الدائمة « بتحالف الطبقة العاملة والفلاحين والانتلجنسيا » ، تماما كما كان « الميثاق » والاتحاد الاشتراكى العربى لدينا فى الستينات يتحدث عن تحالف قوى الشعب العاملة المكون من الطبقات الثلاث المذكورة مضافا اليها ـ لظروف خاصة ـ الجنود والراسمالية الوطنية اما الجنود فلأن « الثورة » فى مصر كانت عسكرية فى الاساس ، واما الراسمالية الوطنية فقد اختفت تقريبا

تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

فى الاتحاد السوفييتى ، وان كانت عناصر جديدة منها تولد الان ، وربما كان فى مقدمتها طبقة « الميكانيكية » التى تقوم باصلاح السيارات ، اعتمادا على الجمع بين عملها الذهنى واليدوى معا ، ويتيح لها تخصصها الفريد مكاسب خاصة قد تدفعها الى التطلع الى مستوى اعلى من مجرد « الحرفيين التعاونيين » .

ان آفاق التطور الاجتماعى فى ظل الثورة العلمية التكنولوجية لم يعد لها حدود ، ولم تعد خاضعة لاى نوع كان من التكهن المسبق ، ولكن برامج الفضاء المشتركة من نوع « سيوز - ابوللو » ، التى اقدمت عليها كل من الدولتين العظميين، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ، تشير الى أن القوة المتعاظمة داخل كل من المعسكرين ، هى لذلك النوع من العلماء والفنيين ، ممن ينتسبون الى « تكنوقراطية عصر الفضاء » ، وهى التى تستطيع التحليق فوق الصراعات المذهبية وصولا الى نظام عالمى جديد، كالذى دعا اليه البرنامج الجديد للحزب البلشفى ، يجنب البشرية خطر الدمار على أيدى طائفة من تلك التكنوقراطية ذاتها .

● الميزان الاقتصادى .. والديمقراطية ! ●

يعتمد « جورباتشوف » فى برنامجه الجديد ، من أجل تحقيق « الاشتراكية المتطورة » عن طريق استيعاب المنجزات التكنولوجية والتوسع فى تطبيقها فى كافة نواحى الاقتصاد السوفييتى ، على عاملين : الاول منهما هو الميزان الاقتصادى ، والثانى هو الديمقراطية .

أما عن الميزان الاقتصادى فهو يقرر ضرورة « جعل مستوى دخول جماعات العاملين معتمدا اعتمادا مباشرا على مردود عملها » ، و « قيام حاجز منيع فى وجه أى محاولة للحصول على دخول من الممتلكات الاجتماعية دون اداء عملى » .

و « أن حجم رصيد الاجور فى المؤسسات يجب أن يكون على صلة مباشرة بعوائد تسويق منتجاتها » .

وهكذا ، فان سياسة ربط الاجر بالانتاج ، تستلزم أن تكون المؤسسات الاقتصادية مستقلة فى ميزانياتها ومواردها ، وبالتالى فى ادارتها ، بحيث يصبح من حقها أن تبيع فائض انتاجها عن المطلوب تحقيقه فى اطار الخطة ، أو حتى ما يتبقى من خاماتها من أجل التمويل الذاتى ورفع مستوى العاملين بها ، وبالمقابل ، فان الدولة على حد تعبيره - « لا تتحمل مسئولية عن التزامات المؤسسات والاتحادات ، وهاهنا بالذات يكمن جوهر الميزان الاقتصادى » .

أما المؤسسات المتخلفة ، التى تنتج « السقط » على حد تعبيره من المنتجات الصناعية التى لا يريدها احد ، أو بعبارة أخرى تنتج « للمخزن » فيقول عنها : « لماذا يجب أن ندفع أجر عمل ينتج بضائع لا يشتريها أحد » ؟

ويرفض « جورباتشوف » ادعاء أن كل اصلاح من هذا النوع بادخال اقتصاديات السوق ، تراجعـا فى الاشتراكية ، كمـا يدين التصور الجامد بأن مجرد اقامة العلاقات الاشتراكية يكفل نمو قوى الانتاج تلقائيا ، دون جهود حقيقية من أجل التطور به وتحسين نوعيته • أما برنامج الحزب فيطمح فى الوصول بنوعية الانتاج الصناعى السوفيتى الى مستوى القدرة على المنافسة فى الاسواق العالمية •

وفى مواجهة من وصفهم بالكسالى والمرتشين والمغرورين والمتزلفين والبيروقراطيين وسارقى الممتلكات العامة •• وغيرها من الصور السلبية فى الادارة الانتاجية •• فيعتبر أن الديمقراطية على كافة المستويات وفتح مختلف الابواب لحرية النقد ، وتحقيق الرقابة الشعبية من أصغر وحدة انتاجية تمارسها جماعة العاملين الى أعلى مسئوليات الحكم والادارة ، هى الضمانة المثلى لتحقيق برنامجه الطموح فى تطوير الاقتصاد السوفيتى •• ويضع على أجهزة الاعلام السوفييتية مسئولية خاصة فى هذا الصدد ويدعو الاذاعة والتليفزيون الى التخلى عن « الكليشيهات المجوجة » و « الاخذ فى الحسبان بصورة أكمل تنوع اهتمامات المشاهدين والمستمعين »

يعتبر « جورباتشوف » أن التهديد بالحركة النووية وسباق التسلح ، لا يعرض البشرية لخطر الدمار الشامل فحسب ، بل يعتبره المعوق الرئيسى لوصول الاقتصاد الاشتراكى فى بلاده

وفى مختلف أجزاء المنظومة الاشتراكية ، الى ما تصبو اليه ، كما أنه يعوق استفادة البلدان النامية من القوى الانتاجية الضخمة التى تملكها الدول الصناعية المتقدمة ، وحل المشكلات الحضارية التى تواجه الجنس البشرى فى مجموعة من نوع حماية البيئة ومواجهة نقص الموارد الطبيعية ، وهلم جرا •

ويعتز « جورباتشوف » فى تقريره باقتراحه من أجل تحقيق السلام والامن الدوليين عن طريق نزع السلاح النووى ، الذى يتحدى به قوى اليمين، فى الولايات المتحدة الامريكية اساسا وهى التى تسعى الى الهيمنة العالمية واستطاعت حتى الآن أن تفقد كثيرا من أجزاء العالم الثالث استقلالها عن طريق السيطرة الاقتصادية واغراقها فى الديون • وترتبط مصالحها بشكل مباشر مع احتكارات صنع السلاح وتهدر فيه أعظم المنجزات العلمية للجنس الانسانى •

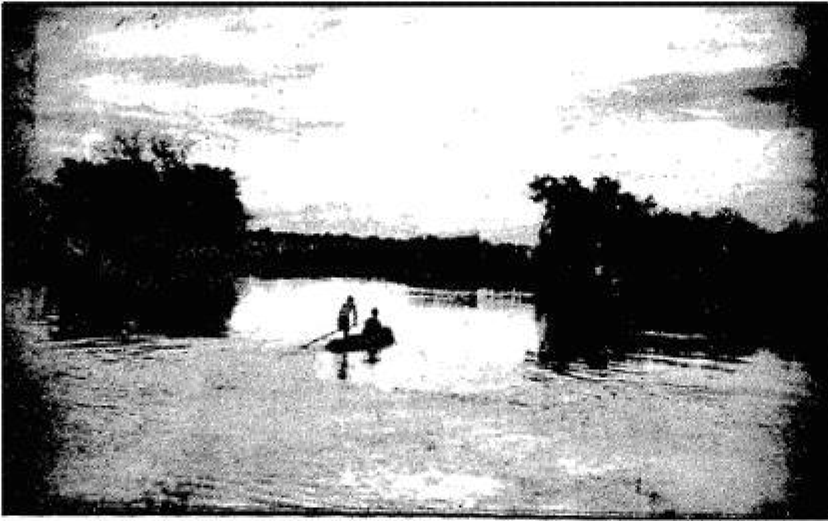
ويبدى جورباتشوف مرونة كبيرة ازاء مختلف القوى السياسية فى العالم ، بما فى ذلك استعداده للتعاون على أساس المساواة والنفع المتبادل مع الولايات المتحدة الامريكية ، التى يدعوها « بالبلد العظيم » •• رغم جميع خلافاته مع ساستها ، وبنفس القدريتحدث « بارتياح » ، عن « تحسن معين لعلاقات الاتحاد السوفييتى مع جارته « العظيمة » الصين الاشتراكية •• رغم الفروق فى المواقف وخاصة فى بعض القضايا الدولية » •

بقلم : فتحى رضوان

ثلاثة أيام فى السودان

لابد لمن يريد ان يزور السودان ، زيارة دراسة ، وتامل ، تتضمن لقاء رجال الحكم ، ورجال السياسة، واساتذة الجامعة، وهيئات الطلاب ، واتحادات العمال والنقابات المهنية ، ان يقرر البقاء فى هذا القطر العربى الافريقى الذى هو فى واقع الامر ، قارة عظيمة ، او قل ثلاث قارات يدخل بعضها فى بعض .

لابد لهذا الزائر ، أن يهيىء نفسه ، لرحلة تدوم ثلاثة أشهر ولكنى زرته فى ثلاثة أيام فقط . حسبك أن تعلم أن مساحة السودان ، هى ٥٠٥ر٥٠٠ر٢ كيلو متر ؛ يعنى ما يساوى ثلاثة أضعاف مساحة أوربا ، وهو يتمتع بأنهار عديدة من اكبر الانهار ، منها النيل الابيض ، الاتى من بحيرات خط الاستواء ، والنيل الازرق ، النابع من بحيرة تانا بالحبشة ، وانهار فى الجنوب ، كبحر الغزال ، واكبر بحيرات الدنيا العذبة كبحيرة فكتوريا ، ورودلف ، وابراهيم . وهو يضم السهول، الغابات،



منظر طبيعي من جنوب السودان



والصحارى ، والاودية الخصبة ، وفيه من الاراضي الصالحة للزراعة ، ما يقدره بعض خبراء الاغذية ، بمائتي مليون فدان ، يمكن أن تنبت لاهل وادي النيل ، وللعرب ، والعالم الثالث ، مايكفي كل الافواه في هذه العوالم ، من القمح والحبوب ، لان الافدنة التي تقدم القمح لسكان الدنيا لا تصل الى ١٢ مليونا من الافدنة · ومـــع ذلك فان السودان يعاني هذه الايام من غولين هائلين لا يرحمان :

أولهما هو الجفاف ، وثانيهما هـــو التصحر ، وأمام هذين الغولين يسقط من أهل السودان مئات الالوف التي تصل الى الملايين ، والعالم كله بعلمه الحديث ، و « التكنولوجيا » التي تأتي بالمعجزات ، ومنظماته الدولية ، يقف يشاهد ويتحسر ، والمذبحة الرهيبة تتوالى أحداثها ، وتتصاعد مآسيها ·

ولكن الســودان الذي دعيت لمشاهدته ، وهو السودان الذي حقق شيئا يعد في عالم السياسة ، معجزة كاملة ، فقـــد قام بالانتفاضة في ٦ من ابريل ســنة ١٩٨٥ ، التي بفضله عن كاهله ، نير حكم عسكري استمر ستة عشر عاما ، اخضع خلالها كل الناس ، والهيئات ، والمنظمات ، لحكــم شديد الوطأة ·

ولم يحدث في العالم ، قبل ثورتا يران ، أن استطاع شعب فقير ، تواجهه وتتحداه ، أشد التحديات ،أن تتجمع مؤسســاته الشعبية والمدنية لتسقط حكما عســكريا مدججا بالسلاح ·

ولكن هذه المعجزة تمت ·

وقد بدأ أول فصول هذه المعجزة في عام ١٨٩٨ ، وندع الكلام هنا الى كتاب أصدره وفد السودان الذي ضم جميع قيـــاداته الحديثة ، والذي وصل الى القاهرة في ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ قالت مقدمة هـــذا الكتاب المعنون

« مآسي الانجليز في السودان » ··

من المفارقات العجيبة ان يبدأ هذا الحكم البغيض « حكم الانجليز في السودان » عام ١٨٩٨ مدعيا أنه انما جاء لرفاهيـــــة

ثلاثة أيام في السودان

السودان ، لتادية رسالة السالية ، فى نفس العام الذى دخل فيه الامريكان جزر الفلبين ، لقد سمعنا بالامس « مايو سنة ١٩٤٦ » أصوات الابتهاج تتصاعد معلنة ميلاد الجمهورية فى تلك البلاد بعد أن وصلت درجة من الرقى والحضارة تضارع اعرق البلاد حرية . واستقلالا ،ويقينا نحن والى هذا اليوم نكافح فى الداخل والخارج، بينما تنصب المحاكم كل يوم للاحرار ومازال نصف شعبنا من المراة ، وتسعة اعشاره من الاميين وجميعهم محروم من الحرية فى ابسط مظاهرها ، وما زال الامر بين حكومة اوتقراطية مستبدة تهمين على مصائرنا بالحديد والنار وتضيق علينا الخناق وتعثر فى الارزاق ، وتكمم الاصوات المنادية ولا تسمح بنقد أو توجيه .

ومن الطريف انه فى الوقت الذى تنجح فيه جماهير شعب الفلبين فى فبراير ١٩٨٦ لتسقط حكم طاغية مستبد ، كان شعب السودان قبل ذلك بنحو عام ، وبالذات فى يوم ٢٦ من مارس قد خرجت مجموعة بقيادة اتحادات العمال ، والمهن الحرة كالاطباء والمحامين والمهندسين وموظفى المصارف ، وموظفى هيئات التامين واصدروا بيانا معنونا «الى قواعد تنظيمنا المملاق» قالوا فيه : « تعايشون هذه الايام انتفاضة شعبنا العظيم ضد كل مظاهر القهر والمعاناة ممثلة فى الارتفاع الخرافى فى تكاليف المعيشة بصورة لم يسبق لها مثيل فى سياسات . اقتصادية متخبطة انتجت وتنتج كل يوم فقرا وكسادا وبطالة .. »

واستمرت المظاهرات فى شوارع الخرطوم وغيرها من المدن حتى ساعات الليل المتاخرة، وقد توجت هذه المسيرات الضخمة ، ببيان من القيادة العامة للقوات المسلحة التى ترددت فى اقحام نفسها فى هذه الانتفاضة خشية أن تحدث انقسامات بين القوى الشعبية لتورط الجيش فى استعمال السلاح لفريق ضد فريق ، فلما تاكدت من وحدة القوى الوطنية أصدرت بيانا قال :

« ان قوات الشعب المسلحة حقنا للدماء وحفاظا على استقلال الوطن ووحدة اراضيه لقد قررت بالاجماع ان تقف الى جانبه ».

وما كاد بيان القائد العام للقوات المسلحة يذاع ، حتى تدفقت الجماهير الى شوارع السودان كشلالات بشرية كانت تحتجزها السدود ، والتشبيه للاستاذ صلاح عبد اللطيف فى كتابه المثير « عشرة أيام هزت السودان » ـ تدفقت جموع الشعب ، كانها قد تحررت من قيود ثقلت عليها سنين طويلة ثم سقطت فجاة ، وقد سجلت تلك الجماهير فى فرحتها التى انبثقت من أعماق قلبها ، وراحت تحمل أغصان الشجر وهى تهتف « مبروك : حمدا لله على سلامة الشعب . الجيش جيش الشعب . والبوليس بوليس الشعب » واندفعت تلك الجماهير الى سجن كوبر وقلعت أبوابه ، وحطمت ما فيه ليخرج منه أكثر من ألف معتقل ، وكان نصفه اقتحام سجن الباستيل فى ١٤ من يوليو سنة ١٧٨٩ فى باريس قد أعيدت من جديد ، ولكن اذا كان الشعب بعد بيان القائد العام للقوات المسلحة من حقه أن يقول ان الجيش جيش الشعب فبأى حق يهتف الشعب بأن الشرطة شرطة الشعب. فانني هنا انقل اليك بيان تجمع ضباط الشرطة الذي أصدره هذا التجمع فى ٢٧ من مارس سنة ١٩٨٥ ، والذى كان قذيفة كبيرة وقوية وجهت الى الصرح الذى أقامه النظام الذى أسقطه الشعب فى يوم ٢٦ مارس وما تلاه جاء فى هذا البيان الطويل هذه الفقرة الختامية ..

« ونعلن منذ الآن أن تجمع ضباط الشرطة سيعمل بكل قوته على عصيان أى أمر باستعمال القوة ضد أبناء هذا الوطن ،

وان الشرطة ستعمل على اسقاط هذا النظام المستبد بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة التحاما وتضامنا مع الشعب وان محاولة النظام البائد لشراء ضمير الشرطة باجازته للائحة المالية للشرطة في هذه الظروف وهي اللائحة التي جمدها بمكتبه لاكثر من عام فهي محاولة مكشوفة لعزل الشرطة عن الجماهير والمساهمة في هذا التحرك التاريخي .

ولكن رجال الشرطة بما عرفوا به من صدق وطنية لن تجوز عليهم هذه الحيلة الخبيثة فقضية الشرطة لاتنفصل عن قضية الشعب السوداني من أجل سودان جديد -

وإذا الشعب يوما اراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل ان ينجلي

ولا بد للقيد ان ينكسر

عاشت قوات الشرطة وعاش كفاح الشعب السوداني المستقل .

هذا هو السودان الذى ذهبنا لنراه ، والذى ذهبت اليه أنا لاول مرة الامر الذى لم يصدقه الاخوة في السودان ، فقد كانوا جميعا يعرفون مدى ارتباطي بهم ، وعلاقتي بوطنهم ، فلم يصدقوا أني بقيت بعيدا جسديا عن هذا الوطن الى اليوم، يوم الاحد ٢٣ من فبراير هذا العام ، حتى استقللت الطائرة الخاصة للدكتورة سعاد الصباح الشاعرة الكويتية العربية ، ضمن وفد للمنظمة العربية لحقوق الانسان ضم وزراء سابقين وأساتذة جامعيين وأدباء وصحفيين فاستقبلت جميع دوائر السودان الرسمية والشعبية والادبية والفكرية هذا الوفد وعقدت ندوات ضمت المئات وأحيانا الالوف ، لتبادل الرأى مع قادة السودان ، وأعضاء الوفد المصرى ، ونوقشت جميع ما يهم القطر السوداني الشقيق بعد انتفاضته التي كانت



لقطة لمدينة الخرطوم عاصمة السودان من الجو

ثلاثة أيام في السودان

عملا نضاليا وتحريرا نموذجيا ، اثبت أن السودان يحب الحرية ، ويعرف كيف يدفع ثمنها ، ويؤدى ضرائبها .

وكان أهم أحداث ووقائع تحرك هذا الوفد ، لقاءه مع السيد الفريق أول عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب القائد العام للقوات المسلحة التى عرف العالم بأسره أنها وقفت مع الشعب ، وتوجت جهاده وحمت نضاله . وفى هذا اللقاء ، صرح السيد القائد العام أن القوات المسلحة السودانية ستفى بالعهد الذى قطعته على نفسها ، ومؤداه أن الانتخابات العامة ستجرى بعد عام من الانتفاضة ، أى فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٨٦ ، وانه حينما سينتخب الشعب ممثليه ستكون الكلمة كلمة هؤلاء الممثلين أى كلمة الشعب ، يضع أولا مبادىء الدستور ثم يقرر جميع الأمور التى يثور عليها الخلاف .

وقد عرف الوفد المصرى أن الخلاف محتدم بين القوى الوطنية حول مسالة الموعد الذى ستجرى فيه الانتخابات .

صحيح أن القوات المسلحة لاتريد أن تتحلل من العهد الذى قطعته على نفسها ، ولن تطمع ولو لدقيقة واحدة فى ان تطيل بقاءها فى سدة السلطة والاستمتاع بها . ولكن هناك داخل المجلس العسكرى المؤقت الذى يرأسه القائد العام للقوات المسلحة آراء أخرى كثيرة حول موعد الانتخابات من ذلك ما يبشر به ، ويدعو اليه نائب رئيس المجلس العسكرى الانتقالى اللواء تاج الدين عبدالله فضل ويؤيد رأيه بأن القوى الوطنية الحديثة التى نشأت فى فترة الستة عشر عاما الاخيرة ، داهمتها الانتخابات ، قبل أن تحدد مواقفها من اهم مشكلات الوطن ، وانه لابد من تأجيل الانتخابات حتى تتيح الفرصة لهذه القوى ، فضلا عن أن المناطق التى تقع فيها الحرب الداخلية فى الجنوب لا يمكن ان تجرى فيها انتخابات .

ومع ذلك قد جرت عملية قيد الناخبين بهمة عظيمة ونشاط كبير مما يثبت ان الشعب السودانى مقبل على الانتخابات باهتمام بالغ ، وقد بلغ عدد الاصوات التى قيدت خمسة ملايين صوت ، وهذا قدر ضخم .

والامر الذى يستوقف النظر ان عدد الاحزاب التى تكونت بعد الانتفاضة حتى الان كادت تبلغ الثلاثين حزبا ، وقد ناقش هذه الظاهرة الوفد المصرى مع رئيس الوزراء وقد ذهب بعض اعضاء الوفد الى أن هذه الظاهرة لاتسر ، لان الوعى السياسى الصحيح كان يجب ان يحول بين الشعب وبين الاسراف فى انشاء الاحزاب ، التى لابد ان يكون اكثرها لا يستند الى تأييد من الشعب ، كما يمكن ان يكون متزعمو هذه الاحزاب ممن لا ماض سياسى لهم يؤهلهم للزعامة ، وقد رد الدكتور الجزولى دفع الله الى ان هذا رد فعل طبيعى لفترة طويلة من الحرمان السياسى ، فان الشعب الذى حيل بينه وبين النشاط الحزبى يريد الان ان يعوض ما فاته لذلك اقبل على تاليف الاحزاب التى ستصفيها معركة الانتخابات القادمة فلن يبقى فى الساحة السياسية الا عدد قليل من الاحزاب ، ستتجمع حولها الاتجاهات السياسية الكبيرة .

وقد أصبح السودان يحكم فى فترة الانتقال بهيئتين : المجلس العسكرى الانتقالى ، والتجمع الوطنى الذى يضم النقابات والاتحادات وبالتفاوض واخذ العطاء بين هاتين الهيئتين تشكلت الوزارة السودانية برياسة نقيب الاطباء الجازولى دفع الله ، ومن وزراء مستقلين لا ينتمون الى حزب ، عددهم ١٥ وزيرا . واذا كانت قيادة انتفاضة ٦ من ابريل سنة ١٩٨٥ قد



العمارة الحديثة انتشرت فى ارجاء العاصمة المثلثة

استاثرت بها النقابات المهنية لا الاحزاب . كنقابة الاطباء والمحامين والمهندسين ونقابة اساتذة الجامعات ، وهل هذه هي اول مرة ، تلعب فيها النقابات هذا الدور العظيم ، لكن هذا لا يمنع من ان الاحزاب لا تزال موجودة وانها ستخوض الانتخابات فى ٢٦ ابريل . اذا انتهى الرأى الى وجــوب اجرائها فى هذا الموعد ولم يؤخذ بالرأى الذى يدعو الى تأجيل الانتخابات وهــذه الاحزاب هى :

★ حزب الامة الذى أسسه الســيد عبد الرحمن المهدى باشا عام ١٩٤٦ والذى يتزعمه الان حفيده الصادق المهدى .

★ حزب الاتحادى الديمقراطى ويتزعمه الان الشريف زين العابدين الهندى شقيق المرحوم الشريف حسين الهندى .

★ الحزب الوطنى الاتحادى وقد تأسس سنة ١٩٤٦ برياسة الاستاذ اسماعيــل الازهرى وكان من ابرز اعضائه مبــارك رزق .

★ حزب العمال والمزارعين وقد أنشئ فى سنة ١٩٦٨ وهو حزب شيوعى .

★ حزب البعث العربى الاشتراكى أسس سنة ١٩٧٦ برياسة أمينه العام بدر الدين امين .

★ الحزب الاشتراكى الإسلامى وتشكل سنة ١٩٤٩ ومن زعمائه بابكــر كرار وميرغنى النصرى نقيب المحامين الحالى .

وقد اعتمدت فى الحقائق التى اوردتها عن الاحزاب السودانية الحالية الى كتاب الاستاذ صلاح عبد اللطيف « عشرة أيام هزت السودان » .

هذا هو السودان الجديد الذى ذهبنا لزيارته ، حقق لنفسه انتصاراً لم تشهد امم العالم الثالث انتصاراً مثله ، وهو الان يصنع مستقبله بيده حراً طليقاً ، وهو يصنع هذا المستقبل فى أناة وابتعــاد ، لايتعجل ، ونظره طول الوقت على تجارب ماضيه ، مستخرجا العظة ، من كل ماجرى فى هذا الماضى ، منذ اتفاقية الحكم الثنائى ، حتى ٦ ابريل سنة ١٩٨٥ ، يوم الانتفاضة الكبرى .

قضية للمناقشة

● فتح ملف الدولة العثمانية ●

هل يُعَدّ الحكم العثمانى مسئولاً عن تخلف العرب؟

بقلم: د. صلاح العقاد

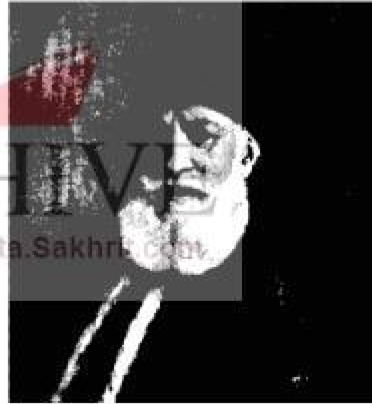
كانت مجرد صدفة ان يتزامن دخول معظم الاقطار العربية فى حوزة الدولة العثمانية مع بدء عصر النهضة فى اوربا . كما انه من قبيل الصدفة ايضا اكتشاف البرتغاليين لطريق راس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ ، اى قبيل الفتح العثمانى لمصر والشام والعراق باقل من عشرين عاما . وكانت هذه الاقطار الثلاثة تستفيد من موقعها كحلقة فى طريق التجارة بين الشرق والغرب سواء عبر الخليج او البحر الاحمر . فجاء هذا التحول فى طرق التجارة ليصيب اقتصاد هذه الاقطار بضربة قاصمة ظهرت اثارها فى العصر العثمانى .

ولاشك ان هذه المصادفات قد اغرت بعض المؤرخين فى عصرنا بأن يعزو سبب تخلف البلاد العربية الى الحكم العثمانى قائلين بأن تلك البلاد بعد خضوعها لفترة طويلة من الحكم الاجنبى سواء كان تركيا او بريطانيا او فرنسيا تحتاج الى زمن طويل حتى تنفض عنها غبار التخلف .

ونحس فى هذا التصوير التاريخى الخاطىء او المضلل ان بعض الكتاب يبحثون عن عذر يبررون به تخلف



الحضارة العثمانية تمثلت فى الاهتمام بالعمارة فى كل مجالاتها



محمد علي

جيلنا عن ركب الحضارة بحجـــة ان اسلافنا عانوا طويلا من حكم اجنبى وهكذا يبرأ هذا الجيل المعاصر من التقصير سواء فى تقاعســه عن العمل الجاد والانتاج ، وانعدام شـــعوره بالانتماء الى آخر تلك العيـــوب التى شاعت فى مجتمعاتنا العربية وانظمتنا السياسية التى هى افرازة لهـــذه المجتمعات ذاتها •

واذا ما عدنا الى موضـــوعنا فى الاصل فان خير وسيلة لمعالجتـــه هى طرح عدة قضايا جوهرية قبل التوصل الى نتائج واضحة •

ولتكن القضية الاولى التى نطرحها هى : هل كان الاتـــراك العثمـــانيون متخلفين حضـــاريا فى الوقت الذى امتدت فيه امبراطوريتهم لتشمل شبه جزيرة البلقان والمجر فى اوربا وآسيا الوسطى وشبه جزيرة العرب فى آسيا ثم تمتد فى شمال افريقيا حتى تصـــل الى الجزائر غربا •

قد يقـــول قائل : ان الاتراك كانوا متفوقين فقط فى المجال العسكرى ، ولم تتوفر لديهم عناصر حضـــارة انسانية • وهذه مغالطة لان التفـــوق



العسكرى لا يمكن ان يتحقق دون تقدم فى معرفة الرياضيات وفنون البناء والحرف المساعدة وما اكثرها لخدمة فنون القتال .

وتشير بهذه المناسبة الى ان الكتاب البيزنطيين الذين اعتبروا من رواد النهضة الاوربية قد سجلوا باعجاب ودهشة المفاجآت الفنية الرائعة والحيل العسكرية التى استخدمها العثمانيون اثناء حصارهم للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، من ذلك تركيب ممر خشبى هائل وصل ما بين احد التلال المحيطة بالمدينة وبين الميناء الداخلى للقسطنطينية والذى كانت تحميه سلسلة هائلة من الحديد تصل ما بين الشاطىء الاوربى والشاطىء الاسيوى للبسفور . وقد استخدم هذا الممر لكى تنزلق من فوقه قطع البحرية التى فكت وركبت بعد نزولها الى الماء فى سرعة فائقة اثارت دهشة سكان بيزنطة العتيقة . وما كان هذا العمل الفنى ليتحقق لولا وجود الصناع والمهندسين المهرة ، وذلك قبل ان يستولى العثمانيون على مصر بزمن طويل ، وقبل ان تتردد تلك القصة المشهورة عن تجميع العمال المهرة فى مصر وارسالهم كرها الى استنبول لسد حاجات الدولة من الفنيين . واذا صحت تلك القصة فدلالتها هى ان العثمانيين كانوا يقدرون الحرف والصناع حق قدرها فلم يفكروا فى استقدام الفقهاء ورجال الدين واصحاب المعارف النظرية . ونحن نشكو فى عصرنا نقص هؤلاء الفنيين المهرة ، ونعتبر ان ندرتهم هى من اسباب تخلفنا . وعلى اية حال فقد تركت الحرية لهؤلاء الصناع لكى يعودوا الى مصر اذا رغبوا .

● اسباب الجمود ●

على ان الاتراك العثمانيين لم يفتقدوا الاطلاع على المعارف النظرية السائدة فى ذلك العصر فقد احتكوا بالحضارة العربية والفارسية منذ القرن الثالث الهجرى . وتفاعلوا مع هذه الحضارة ولمعت بينهم اسماء فى علوم الفقه والتصوف مثل جلال الدين الرومى الشاعر المتصوف وابن كمال باشا الذى له اضافات مشهورة فى فقه الحنفية ، وكان يعيش فى القرن السادس عشر ومن بعده اشتهر حاجى خليفة واوليا شلبى الذى يعد من اهم الرحالة المسلمين فى عصره ، سجل مشاهداته بطريقة لا تختلف عن الرحالة الاوروبيين .

ان صفة التخلف لا تنطبق على العثمانيين خلال هذه القرون التى ازدهرت فيها الدولة وانما يصدق هذا الوصف على فترة متأخرة ونتيجة المقارنة بين جمود العالم الاسلامى سواء اكان داخلا فى حوزة الباب العالى ام خارجا عنها ، فالامر لا يختلف فى فارس التى لم تخضع للعثمانيين وكذلك المغرب الاقصى البلد العربى الذى لم يستطع العثمانيون الوصول اليه .

ان الجمود الذى ادى الى التخلف انما يأتى نتيجة مقارنة اوضاع العالم الاسلامى باوروبا منذ نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر ففى هذه الفترة اخذت اوروبا تطبق

ثمرات تقدمها في العلوم المختلفة وخاصة في الطبيعة والكيمياء مما مكنها من التوصل الى مخترعات في شتى المجالات • وقد كان المسلمون يحتكون بأوربا في مجال التجارة ، ويتحاربون معها أو يتصالحون ولكنهم رفضوا التعامل معهم في المجالات الحضارية والثقافية على أساس أن هذه الامور تتصل بالدين • فلا سبيل الى الاخذ والرد مع أناس يختلفون عنهم في الدين • وفي هذا لا يفترق العرب عن الترك •

وحينما اراد محمد على أن يقتبس من منجزات الحضارة الغربية وقف ضده عدد كبير من علماء الازهر حتى انه اضطر الى انشاء مدرسة الطب في مكان بعيد عن القاهرة (ابو زعبل) لان علماء الازهر استنكروا التشريح واعتبروه من المحرمات • وقضية الخلاف بين انصار التجديد وخصومه من القضايا المعروفة التي اقترنت بتاريخنا الحديث ، مرت بها أسطنبول كما مرت بها القاهرة ، وكانت هناك ازمة في عاصمة السلطنة كما ظهرت ازمة في دولة محمد على في سنوات حكمه الاولى • فهل يجوز لنا ان نقول ان الازهر الشريف كان سببا من اسباب التخلف في مصر ؟

القضية الثانية تتعلق بمفهوم الدولة وواجباتها ازاء المواطنين • فهذا المفهوم يختلف اختلافا جذريا في عهد الدولة العثمانية عما هو معروف في عصرنا • ففي العهود السابقة كان المألوف هو أن الدولة وجدت لخدمة الملك او السلطان ، لا اختلاف في ذلك بين العثمانيين أو ملوك وأمراء المانيا او فرنسا قبل الثورة • اما التعليم او المشروعات العمرانية فليست الدولة مسئولة عنها فضلا عن الرعاية الصحية او توفير المؤن فلم يدر بخلد جهاز حكومي أن ينهض بها •

وقد كان التعليم في العالم الاسلامي مكفولا بواسطة مؤسسات أهلية • والمهمة الوحيدة التي كانت ملقاة على عاتق الدولة ازاء المواطنين هي الدفاع عنهم ضد الاخطار الخارجية • فاذا تساءلنا عن دور الدولة العثمانية في اداء تلك الوظيفة فلا جدال في انها أدت دورها بكفاءة عالية • ففي الوقت الذي دخلت الاقطار العربية في حوزتها كان الخطر يتهدد العالم العربي بجناحيه المغرب والمشرق •







وفي المغرب يكاد يجمع المؤرخون على أن قدوم العثمانيين في أوائل القرن السادس عشر أنقذ الجزائر من خطر سقوط محقق في يد الاسبان ، كما أنقذ تونس من حكامها الحفصيين الذين استسلموا للغزاة الاوربيين • ولربما تغير مصير المغرب ومحيت شخصيته العربية الاسلامية كما محيت من الاندلس •

والحق أن تقييم المؤرخين المغاربة للحكم العثماني يختلف عن تقييم الكتاب العرب في المشرق • فالمغاربة يعتبرون العصر العثماني عصر ازدهار بالقياس الى ما قبله • ربما لان البحرية العثمانية التحمت بالاهالي وحققت انتصارات باهرة على الاوربيين عدت انتصارات وطنية للمغاربة في نفس الوقت •

ومع أن عديدا من الكتاب المشارقة أخذوا في السنوات الأخيرة يعيدون النظر في تقييمهم للعهد العثماني ، الا ان الكتب المدرسية وغيرها مازالت متأثرة بالرأي القائل بأن الحكم العثماني يمثل احتلالا أجنبيا ويشكل سببا من أسباب التخلف • وربما كان هذا الرأي صادرا في الأصل عن الكتاب المسيحيين في الشام والذين كان لهم تأثير كبير في النهضة الثقافية العربية في المشرق •

أما دفاع العثمانيين عن المشرق العربي فيتمثل في تلك المواجهة التي حلت فيها أسطنبول محل القاهرة ضد البرتغاليين • وقد استطاع العثمانيون أن يطردوا البرتغاليين من البحر الاحمر سنة ١٥٢٨ ولكنهم لم يتمكنوا من متابعتهم الى أبعد من ذلك ، وتولى العرب والفرس فيما بعد مهمة انقاذ الخليج من السيطرة البرتغالية •

على اننا لا نخلي الحكم العثماني من جميع المآخذ • وأخطر ما يوجه اليه من المآخذ هو النظام المالي • وعلى حين تطورت أوربا وانتقلت من عهد الاقطاع الى الرأسمالية لم يتح النظام السائد في الدولة العثمانية مثل هذا التطور • فبقي نظام الانتاج على أشكال مختلفة من الاقطاع الزراعي مع التسليم بوجود فرق كبير بين الاقطاع في أوربا أيام العصور الوسطى ، وبين الاقطاع في الدولة العثمانية • فهنا كانت الفوضى ضاربة أطنابها بصدد ملكية الارض : هل هي ملك السلطان ؟ أم ملك الزعامات المحلية من رؤساء العشائر والمذاهب في الشام أو المماليك في مصر؟ أم أنه من حق الدولة أن توزع هذه الاراضي على أفراد ينتفعون بريعها دون أن يمتلكوها ملكية رقبة ، وهو نظام الالتزام المعروف • والذي يعنينا هنا هو أن المنتج الحقيقي أي الفلاح كان يتحمل عبئا مزدوجا من الضرائب فهناك نصيب الوسيط ، سواء أكان أميرا أم زعيم قبيلة أو مملوكا في مصر وهناك نصيب الحكومة المركزية •

هذه الصورة السيئة للاستغلال المالي تؤدي بنا منطقيا الى طرح القضية الثالثة ، وهي مقارنة التحولات الاقتصادية والاجتماعية في أوربا بذلك الجمود الذي استمر عليه نظام الانتاج

السياسية . وهكذا نشأت الديمقراطية الغربية وترعرعت فى أوربا الغربيــة والولايات المتحـدة فى ظل المجتمع الرأسمالى .

والذى يعنينا فى هذا الصدد هو انه لم يتح للاقطار العربية المرور بهـذه المراحل التاريخية حينما بدأ احتكاكها بالحضارة الغـربية ونتج عـن ذلك اختلال فى التوازن وفـراغ مـلاه الاستعمار .

اما تجربة محمد على الفاشلة على الاقتبـاس من الغرب فقد اثبتت انـه بدون هذا التطور التاريخى الطبيعى أى الانتقال من مرحـلة الاقطاع الى الرأسمالية تغدو الاصلاحات الزراعية والانشاءات الصناعية محدودة الاثر فلم يفد منها المجتمع المصرى الا قليلا. وقد فهمت الرأسمالية الاوربية المستنيرة أن نجاح صناعاتها لا يتـأتى الا اذا توفرت قوة شرائية كبيرة ، ولهذا كان يهمها ان يعم الرخاء مختلف فئـات الشعب ولكن اذا بقى سواد الشـعب عاجزا عن شراء السلع الاستهلاكية ، فكيف تنهض الصناعة .

وخلاصة القول ان مصر سواء كانت بعيدة عن الحكم العثمانى أو خاضـعة له ، فان النتيجة لا تختلف لان القضية اكبر من نمط التبعية السياسية ، ولان انفصال مصر عن الدولة العثمـانية مبكرا لم يحل مشكلة التخلف .

القضية الرابعـة تتعلق بالتغيرات التى طرأت على المفهـوم القومى . فالمؤرخ المدقق ينبغى عليه الا يطبق مقاييس العصر الذى يعيش فيه على الفترة التى يدرسها .



نابليون

فى الدولة العثمانية فلم يسمح بنمـو رأسـمالية محـلية تؤدى وظيفتها الاجتماعية والسياسية ، ومن المعروف أن النهضـة الاوربية اقترنت بنمـو الرأسمالية التجارية نتيجة الكشوف الجغرافية . وبفضـل تعاظم شـأن البرجوازية حدثت التغيرات الهامة فى مختلف المجالات : فى مجال الاقتصاد تكفلت الرأسـمالية ببناء الصـناعة الحديثة وفى مجال المجتمع اسـقطت البرجوازيةالامتيازات الطبقية الموروثة .. وفى ميـدان السياسة كافحـت البرجوازية من أجل النظام الليبرالى، فقد كان هدفها فى الاصل الاقلال من تدخل الدولةفى نشاط الفرد اقتصاديا. ثم توسعت فى هذا المفهوم ليشـمل عدم تدخل الدولة فى حـرية الفـرد



وانطلاقا من هذا المبدأ نقول ان العصر الذى حكم فيه العثمانيون البلاد العربية كان الناس يتميزون فيه بعضهم عن بعض بالانتماء الدينى ، ومن ثم لم يشعر المصريون بأن العثمانيين اجانب سيما وان الحكام السابقين من المماليك لم ينتموا هم ايضا الى صميم الاهالى فى البلاد ، غاية الامر ان المصريين شعروا بأن مقر الحكم قد انتقل من بلادهم الى مكان بعيد ، وتأثر البعض بهذا التحول مثل المؤرخ المصرى المعاصر ابن اياس الحنفى .

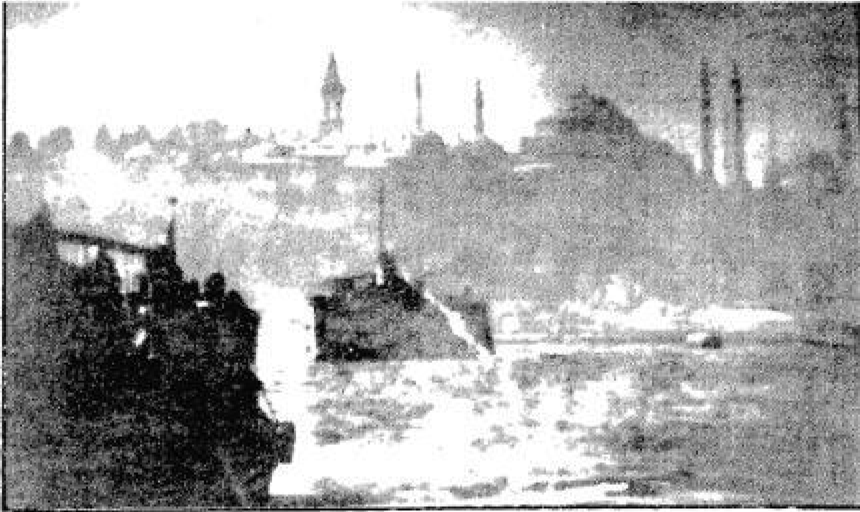
ومن ناحية اخرى لم يتعصب الاتراك العثمانيون لمتمرهم أو ثقافتهم فى هذه المرحلة فالسلطان الكبير سليمان القانونى فكر فى وقت ما ان يجعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة . وان لم يكن قد فعل ذلك فان تعلم اللغة العربية كان يعتبر شرفا نكل من استطاع تحقيقه .

والادلة على ارتضاء الشعوب التى سكنت الشام والعراق ومصر بالانتماء الى دولة الخلافة كثيرة بحيث يضيق المقام عن سردها . ولعلنا نستطيع أن نذكر بحادثة واحدة مشهورة وقعت ايام الحملة الفرنسية . فقد ألح بونابرت على هيئة العلماء فى مصر أن تقبل تعيين قاضى قضاة جديد من بين اهل البلاد . فأبوا قائلين بأن قاضى القضاة لا يكتسب شرعية وظيفته الا اذا صدر بتعيينه فرمان من السلطان . ولم يستوعب المصريون النداءات التى وردت فى منشور الجنرال الفرنسى والتى حثهم فيها على الاهتمام بإحياء الوطنية المصرية ، فالوقت لم يحن بعد لاستيعاب هذا المفهوم العصرى . ولم يكن الامر مختلفا بالنسبة للشام .

واذا كانت ولايات دمشق وصيدا قد تعرضت فى هذه الفترة لمنازعات طائفية عزاها المؤرخون خطأ الى الحكم العثمانى فيكفى أن نذكر بأن لبنان فى عهد الاستقلال قد عانى من المذابح الطائفية بشكل لم يسبق له مثيل ، لا فى العصر العثمانى أو العهد الاستعمارى الذى تلاه .

ولعل الحقبة الاخيرة من الحكم العثمانى فى الشام والتى تعود الى تولى جماعة الاتحاد والترقى السلطة فى أسطنبول سنة ١٩٠٨ هى التى خلقت فى أذهان الكتاب العرب تلك الصورة البغيضة للحكم التركى المتعصب للجنس واللغة الاجنبية المفروضة على البلاد ، ذلك ان الاتحاديين جاءوا من الغرب بالفكرة القومية التى تنهض على أساس الانتماء الى ثقافة معينة وجنس بعينه فأوجد هذا التعصب رد فعل مضاد عند الاهالى الناطقين بالعربية فى الشام والعراق . وهكذا روجوا لفكرة القومية العربية ، ومع ذلك فان الاجماع لم يتعقد حتى فى هذه الظروف على نبذ السلطة العثمانية ، واستنكر الرأى العام فى مصر أن يقوم الشريف حسين فى الحجاز (بتمرد) على العثمانيين وقت الحرب العالمية الاولى باسم الدعوة للقومية العربية .

ان من يريد ان يبحث عن اسباب تخلف المنطقة العربية ، عليه ان ينظر



استانبول وترى المآذن والعمارة الإسلامية الفريدة

الى الموضوع فى اطار اشمل من تلك النظرة المحدودة بحقبة تاريخية ، فالقضية تنبثق من الاوضاع العالمية التى شملت أوربا وآسيا وأفريقيا منذ القرن السادس عشر ، فبينما ساد التفكير العقلانى فى اوربا ، استمر التفكير الغيبى مسيطرا على المنطقة المعرسة ، ولم يغير من هذا الاسلوب فى التفكير المهد الاستعمارى الذى لم يؤثر الا فى بيئات محدودة ، وهو ما سمى بالنخبة ، وبقيت الجماهير العريضة بعيدة عن التحولات الهامة ، بل يمكن القول ان النخبة التى كان يعول عليها القيادة الجماهير نحو التقدم فقدت جزءا كبيرا من فعاليتها تحت ضغط الانظمة العسكرية التى الت اليها معظم الاقطار العربية فى ظل الاستقلال .

● علم دراسة الآثار ●

● علم الآثار .. هو علم دراسة الأشياء القديمة ، وهذا العلم تطور الى درجة بحيث يستطيع الحكم على اى قطعة اثرية قديمة ، ويحدد تاريخها من خلال اشعة الليزر ، كما يسمح بتحديد ما اذا كان هذا العصر يقع فى فترة ماقبل التاريخ ، او انه يقع فى الفترة التى تمتد من العصر البرونزى ، حتى الاستيلاء على فرنسا القديمة عام ٥١ ق . م ، او أن هذا العصر هو العصر الكلاسيكى (اى الفترة الجريكو رومانية) أو انه من العصور الوسطى . علما بأن أولى صفحات التاريخ تبدأ بالعصر الكلاسيكى .

بقلم: محمد سيد كيلاني

حمارة منيتي.. ومعارك صحفية

محمد توفيق صاحب هذه المجلة تخرج من المدرسة الحربية ، وقد عين ضابطا بالجيش وظل به الى أن رقى الى رتبة يوزباشى . وكان ثائرا متمردا على الاوضاع التى وصلت اليها البلاد فى ظل الاحتلال . فأصدر وهو بالجيش نشرة كان يطبعها على البالوظة ويوزعها على زملائه ، وضمنها النكات الساخرة والفكاهات المضحكة فيجد فيها زملاؤه ما يخفف عنهم آلام الجو الخانق الذى يعيشون فيه .

لم تطب حياة الجندية لمحمد توفيق ولم يرض بالعيش فى السودان مع وجود المحتلين فترك الوظيفة غير أسف ، وعاد الى القاهرة ليعمل بالصحافة ، ويعلن حربا قلمية على الانجليز واعوانهم وعلى الخديو عباس وأفراد العائلة الخديوية ، وعلى الآفات الاجتماعية التى انتشرت فى حماية الامتيازات الأجنبية كالمخدرات والدعارة والميسر .

وكان محمد توفيق الشاعر الوحيد الذى مدح احمد عرابى حين عاد الى مصر ، وكان احمد شوقى قد هجاه بقصيدة مطلعها

صغار فى الذهاب وفى الاياب .
اهذا كل شانك ياعرابى ؟

فرد عليه محمد توفيق بقصيدة جاء فيها :

إيابك سيدى خير الاياب ..
فأهلا مرحبا بك ياعرابى
تنظر إن رفعت بحصر طرفا ..
رجال الوقت من خير الصحاب
ومصر بالسرور تطيب نفسا ..
اذا ما قيل عاد لها عرابى

أصدر محمد توفيق مجلته الأسبوعية "حمارة منيتى" وهو اسم غريب ومضحك قالت صحيفة المحروسة (١ ـ ١١ ـ ١٩١٦) "وهى المجلة الهزلية الشهيرة التى لاقت رواجا كبيرا ، وكانت أول صحيفة هزلية فى مصر بعد صحيفة الأرغول التى كان يصدرها الأستاذ النجار الزجال المشهور".

بعض مقالات المجلة محرر بأسلوب عربى سليم ، وبعضها الآخر كتب بأسلوب عامى دارج ، واحتوى احيانا على كلمات نابية . وكان ينظم قصائد بأسلوب عامى . وكثيرا ما طالب محمد توفيق بالغاء

مخصصات أمراء العائلة الخديوية وكانت تزيد على الثلاثمائة ألف جنيه في السنة وهو مبلغ ضخم اذا قيس بقيمة العملة فى تلك الأيام . جاء فى مقال نشر بتاريخ (٤ - ٥ - ١٩٠٠) "هذا وقد يتساءل الناس ايضا عن الفائدة التى يجنيها الشعب المصرى من أعضاء العائلة الخديوية حتى يصرف اليهم فوق الثلاثمائة ألف جنيه في السنة الواحدة ، ينفقونها فى متنزهات باريز وجبال سويسرا ومجتمعات لندره في الصيف ، وفي البوديجا ودراكتوس فى الشتاء ؟ ولم لاتنفق الحكومة هذه الأموال على تخفيف الضرائب ومساعدة الفقراء ، وتدع هؤلاء الشبان يسعون كما نسعى نحن وغيرنا من كل عاقل فى تحصيل أرزاقهم بالكد والاجتهاد الزائد ؟"

وبعد استرداد السودان ازدادت قدم الاحتلال رسوخا فى مصر ، وزاد صلف المعتمد البريطاني لورد كرومر فمال عباس الى سياسة المسالمة ، ولم يصادف هذا قبولا لدى العناصر الوطنية . وقد أراد الخديوى أن يقدم دليلا على رغبته فى الحفاظ على علاقة طيبة مع الانجليز ، فشد رحاله إلى لندن . فكتب محمد توفيق معبرا عن سخطه على الخديو (٢٣ - ٤ - ١٩٠٥)«سيسافر الجناب العالى الى بلاد الانجليز فى هذين اليومين بعد أن كانت أنواره محجوبة عنهم وعن جلالة ملكتهم بحكم الوطنية ، والوطنية - كما تعلمون - لها مع الانسان دورتان : دورة نارية ودورة ترابية . ومتى كانت وطنية المرء فى دورتها الترابية ترونه يفعل مالا يفعله وهى فى دورتها النارية . واليكم الفرق بين هذه وتلك . إنكم تعلمون ما كان يفعله سموه فى الأمس من التباغض والتنافر مع هؤلاء الانجليز ، وما يفعله اليوم معهم من التبجيل والتعزيز ، وكل ذلك لا يحط من منزلة سموه التى بلغت أرفع شأن فى قلوب المصريين . والمصريون لايزالون متعشمين فى وجهه خيرا . أما نحن فلا نتعشم فى هذا الخير الا اذا عدل سموه عن زيارة بلاد الغير"


أحمد عرابى


قاسم أمين


الشيخ محمد عبده

حمارة منيتي

وهو ساخط على ما تتكلفه الحكومة المصرية من نفقات سفر الخديو . ففى مقال له بتاريخ (٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٠٠) مانصه "طلبت المعية السنية ٨٠٠ طن من الفحم الحجرى ليخت المحروسة الذى سيقل الجناب الأكرم الى لوندره . ومعلوم أن ثمن الطن الواحد يزيد على الثلاثة جنيهات . فيكون مجموع ما تأكله النار وحدها فى هذا السفر السعيد ٢٥٠٠ جـ . م فلا حول ولاقوة ..."

● هجوم على محمد عبده ●

كان الأمير حسين كامل يتنظر على وقف قدره خمسمائة فدان ، فاستخدم عباس نفوذه واستصدر حكما من محكمة مصر الشرعية بأن تنقل نظارة الوقف الى ارشد افراد الأسرة ، أى الى الخديو ، فتوجه حسين كامل الى كرومر وشكاله مما فعله عباس . وكان رئيس المحكمة الشرعية تركيا معينا من قبل الخليفة العثمانى ، فلا يمكن عزله . ولكن كرومر حاول ان يغير من تشكيل هيئة هذه المحكمة بأن يضيف اليها قاضيين مدنيين منتدبين من محكمة الاستئناف الأهلية ، لأن محكمة مصر الشرعية كانت تأتمر بأمر الخديو . وكان من الطبيعى ان يعارض عباس فى ذلك معارضة شديدة . وفى هذا الموضوع كان الحق مع لورد كرومر ، مؤيدا من الشيخ محمد عبده . فنشأت عداوة عنيفه بين الشيخ الامام وقصر القبة . فى هذه الخصومة وقف محمد توفيق الى جانب الخديو . ونشر فى مجلته صورة زائفة للشيخ مع نساء عاريات . فقد أحضر صورة منفردة للشيخ ووضع الى جوارها صورة لنساء فى ملابس البحر . وحملوا الصورة الى كرومر محاولين اقناعه بأن محمد عبده لاقيمه له ولا لكلامه عند المسلمين وقالوا عنه إنه زنديق .

فرفع الشيخ محمد عبده دعوى ضد صاحب المجلة ورئيس تحريرها عبد الرحمن الهندى المتمتع بالحماية البريطانية . وقد نظم ابراهيم اللقانى المحامى قصيدة جاء فيها :

مكيدة لفقوها .. بصورة مستعاره
ودبروها وكانوا .. بقبة الاستشاره
ولطخوا بعد هذا .. بالطين وجه الحماره

يعنى بقبة الاستشارة قصر القبة . وقد حكم على محمد توفيق بالحبس ثلاثة أشهر ، وعلى عبدالرحمن الهندى بالحبس شهرا ، وتقديم ضمانة من اثنين على مائة جنيه واذا عاد بعد خروجه من السجن الى خطته السابقة أو تعرض بالطعن لأحد أو تعذر عليه وجود الضمانة ، نفى من البلاد المصرية . وقد جاء فى حيثيات الحكم ان محكمة القنصلية تنظر فى هذه الدعوى نظرا ملؤه الاهتمام لعلاقتها برجل صاحب مكانة فى القطر المصرى ، وهو الأستاذ

الشيخ محمد عبده ، وهى ترغب أن يكون هذا الحكم رادعا لأمثال هذا البذيء"

معارضة قاسم أمين

وكان محمد توفيق معارضا لقاسم أمين فى دعوته الى تحرير المراة . قال من قصيدة :

فدع التفرنج للفرنج وكن كما ..
كان الجدود وإن عدلت فتندم
هذى حمارة منيتى جاءت على ..
قدم الهدى لتريك مالم تعلم
فاقبل نصيحتها وطاوع امرها ..
واسحب كتابك والقه بجهنم
ان الفجور بهن زاد تفاقما ..
من قبل قولك فارتجع وتحشم .

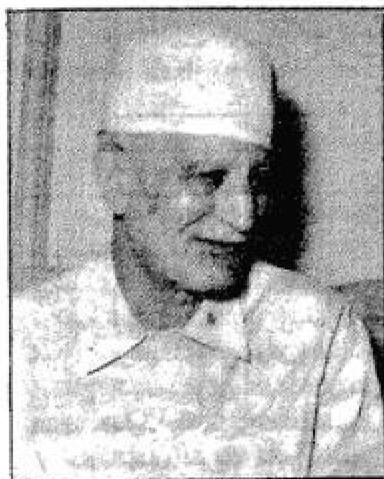
بعد أن خرج من السجن أصدر مجلة باسم "تقويم منيتى" فصادرتها الحكومة لاعتبارها هى نفس "حمارة منيتى" الملغاة ، فأصدر مجلة "الارنب" ثم قامت الحرب العالمية الأولى وفرضت الرقابة على المطبوعات فترك العمل الصحفى وفتح مقهى بحى السيدة زينب كان منتدى للادباء والظرفاء . وأخيرا مات فى أواخر اكتوبر ١٩١٦ .

كان محمد توفيق يخصص قسما من مجلته يكتبه باللغة العامية . فمن ذلك ما كتبه منتقدا أحوال خطباء المساجد فى يوم الجمعة وهو :

"فيا حضرات خطباء المساجد وخصوصا بتوع صلاة الجمعة . قولوا لى بالله عليكم : ما الفائدة ملخطبة الطويلة العريضة دللى بتقروها علينا نهار الجمعة مع أننا ما بنفهمشى منها حاجة غير الموت ويوم المحشر وللى ماهواش محشر وابصر ايه وإيه إيه للأصناف ودللى كل واحد حافظها فضلا عن كون اللى بتقولوه النهارده بترجعوا تعيدوه بكره زى اللى ما حيلتكوش كلام غير ده تقولوه . فإذا كان الغرض منها كون الناس تعرف الحاجات دى فنقدر نقراها فى المصحف ولا الحوجه لواحد جاهل ما يعرفش طظ من عاشور يقعد يفكرنا بالموت ويهبط عزايمنا بخطبته وللى نهار ما يتشاطر ويصححها نبص تلاقى فيها كل غلطة قد مديرية طنطا

واذا كان الغرض منها قولة "أموالهم وأغنامهم وقططهم وكلابهم غنيمة للمسلمين فلا ربنا بيقبل ولا المسلمين فالحين ، لأنهم ايه الطريقة اللى حتوصلهم للأملاك كلها بقا مادام حضرة الخطيب بتاعهم عمال يوجع فى بطنهم أول بأول فى الموت وللى ماهواش موت مع علمه ان الكلام ده يكسر القلب ويمنع الواحد من كونه يشوف شيء أو يشتغل فى شيء غير كونه يقعد يفتكر فى الأصناف اللى زى دى ؟ معناها فاهمين على أن الأموال دى حتيقى للمسلمين بالجهجهون كده من نفسها من غير ما يشتغلوا من غير ما يتعبوا ، من غير حاجة بمجرد ما الشيخ مايكون قال الكلمتين دول ؟ طب وللى عاوز إن المسلمين يكون فى يدهم كل شيء يقوم يقرالهم فى الموت ويربى لهم الرعشة واللايوريهم الطريقة اللى توصلهم لكده"

استمر عباس فى حقده على الشيخ محمد عبده . ولما توفى الشيخ لم يجرؤ أحمد شوقى على رثائه فى حين أنه رثى من هم أقل منه شأنا وأدنى مقاما .



عباس محمود العقاد



عبد الرحمن الرافعي

زعماء مصر بين العقاد وعبد الرحمن الرافعي

بقلم: د. محمد رجب البيومي

كتب الاستاذ عبد الرحمن الرافعي تاريخ مصر الحديثة في مجلدات حافلة، وجدت طريقها الى القراء في يسر وترحيب، وقد ذكر المؤرخ الكبير انه لقي عناء شديدا في تاليف هذه الموسوعة وفي طبعها، اما من حيث التاليف فقد قدر عليه ان يكتب تاريخ الاسرة الحاكمة وهي لا تزال صاحبة الامر والنهي، وضميره العلمي لا يسمح له ان يتنازل عن تدوين الاخطاء، فكان ذا شجاعة حاسمة في مواجهة الموقف الدقيق، ولم يكن ككثيره ممن ملأوا جيوبهم وخسروا انفسهم،

واما من حيث الطباعة فقد ظل المؤرخ اكثر من عشرة اعوام ...وم بالنفقات من ربحه المهني مضحيا محتسبا ، حتى اذن الله ، والتفتت مكتبة النهضة الى مكافاته فازاحت عن كاهله ما يرهقه ، وانتشرت الطبعات المتعددة لاجزائه المتتالية فكانت دليلا حاسما على مثوبة الجهاد وعاقبة الصبر ، ونحن نعلم ان الرافعي اراد بادىء ذى بدء ان يكتب تاريخ الزعيم الوطنى مصطفى كامل، فبحث فى الاصول الهامة لتاريخ صاحب اللواء فوجد حركته القومية تمتد بجذورها البعيدة الى عهد الحملة الفرنسية ، التى تعد المحاولة الاوربية الاولى لاحتلال مصر فلابد من متابعة هذه الجذور فى نموها الطبيعى بدءا من غزوة نابليون ومرورا بمحمد على وخلفائه حتى ياتى زمان مصطفى كامل ، والرحلة شاقة عسيرة ، فلابد من التضحية بالجهد والوقت والمال حتى يصل صاحبها الى ما يبتغيه ، وقد انفرجت الساحة بعد مصطفى كامل الى حيث توالت جهود محمد فريد وزعماء الثورة المصرية وما اعقبها حتى مفتتح ثورة يوليو ، وكتب الرافعى ذائعة لامعة وليس من همنا الان ان نتحدث عن منهجها العلمى، ولكننا نمهد بما قدمناه ، لحديثنا عن وجهات النظر المختلفة احيانا ، والمتفقة حينا بين عبد الرحمن الرافعى وعباس العقاد •



والحق ان الوقوف المتئد امام مؤرخ مصطفى كامل ومؤرخ سعد زغلول مما يفسح مجال النظر الشامل للجوانب المتعددة ذات الوجوه المختلفة ، وهو فى الوقت نفسه يكشف عن طبيعة مستترة فى خلق العقاد قد تخفى على بعض دارسيه ، فقد عرف عن العقاد عنف المناظرة ، وسطوة الصيال ، حتى حسب هذا العنف خلة ذاتية لديه لا محيص عنها ، والحق أن العقاد لا يلجأ الى العنف الا حين يلمس من معارضه شططا والتواء ، فهو حينئذ يرمى بالقفاز فى وجهه ليصارعه فى ميدان النقاش صراع الاسد الجموح ، أما حين يأنس فى معارضه نزاهة القصد ، وخلوص السريرة ، واستقامة الرأى فهو حينئذ يبادله الحجة فى هدوء ، ويخالفه فى سماح رحب ، بل ربما التمس له من العذر ما يقيم له وجه السداد فيما انتحاه ، ونحن نعلم مكانة سعد لدى العقاد ، ونعرف أن الرافعى قد نال من سعد بما لا يطيق ان يصبر عليه العقاد ـ كما سنلم بذلك عن قريب ـ وكان المظنون بالعقاد أن يرتفع صوته بالضجيج صاخبا ، ولكنه عرف خلوص النية لدى الرافعى ، فناقشه بالتى هى أحسن ، وقسا الرافعى

ما كتبه صاحبه ، وآثر الصمت بسبب أن كتب ربما طواه ، وحفظته أوراقه الخاصة فى مكتبته ، ولعله عرف أن النشر من جانبه سيعقب الرد السريع والعقاد هو العقاد فالصمت أولى وليس معنى هذا أنه توقع الشطط من مناظره ، فقد عرف عنه الاعتدال معا فى النقاش ، ولكنه أخذ بالحزم دون العزم .

● مصطفى كامل ●

ونبدأ بالحديث عن مصطفى كامل فنذكر ان الرافعى كتب عنه مؤلفا رائعا كان انشودة حب ، ونفحة وفاء ، لان عبد الرحمن طالب مدرسة الحقوق قد اتصل بالزعيم الشاب ، وظفر بتشجيعه، وفسح له مكانا طيبا بجريدة اللواء ولن يعيب كتابه أن يصرح بمسائل مصطفى ، فلابد لمن يكتب الترجمة التاريخية أن يتغلغل الى مراقي صاحبها ، كما أن تعاطفه معه أدعى الى تفهم بواعثه ، واستشفاف مراميه ولن يصبح مصدر خطر على الحقائق الا عند من تدفعهم العاطفة الجامحة الى تناسى الحقائق ، وتلفيق الاوهام وما هكذا كان الرافعى .

وقد استقبل العقاد كتاب الرافعى عن مصطفى كامل استقبالا رصينا أمينا من وجهة نظره ، فبدأ حديثه بتقدير المؤلف الكبير فهو فى رأيه جدير ان يسمى بحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة اذ تبعها فى أدوارها المتتالية ، ونهجه فى كتابه عن الزعيم شبيه بنهجه فى الكتب السابقة من حيث الطريقة والوجهة فهو يتتبع الحقائق ، ويستقصى ما احتاج اليه من الاسانيد وينصف فى الحكم على الرجال والحوادث مع ميل يسير الى تخفيف التبعات ، أو تجميل المحاسن فى بعض الجوانب ، وسهولة فى التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارىء ، ولا تكتفى مع ذلك بالظواهر دون ما يلازمها من الاسباب والعواقب

وهذا الكلام من العقاد يدل على انصاف معتدل فالناقد الكبير حين يقرر أن الرافعى متتبع مستقص منصف لا يترك منفذا للوم ، كما انه حين قال ان الرافعى ذو سهولة فى التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارىء ، ولا تكتفى مع ذلك بالظواهر دون البواعث قد صدم من حاولوا أن يجعلوا من كتب الرافعى مجرد احداث جمعت من الصحف والوثائق ، لحاجة فى نفوسهم لان العقاد أدرى منهم بالحكم حين يرى غير ما لا يرون ، وهو يعرف مناخ كل مؤرخ ومواضع ارتفاعه وانحداره ، وليس ذا تعصف مريض .

ولكنه قرر فى وضوح أن المؤرخ لم يتحدث عن موقف مصطفى كامل من الخلافة العثمانية اذ كان الزعيم الشاب - وقد وصفه العقاد بأنه زعيم الوطنية فى عهده - من أنصار السيادة التركية ، مع الاستقلال الداخلى لمصر ، وقد كان الانصاف التاريخى يقضى ببيان هذه الحقيقة ولا يمنع المؤرخ أن يفصل أعذار المتحمسين بالسيادة العثمانية فى ذلك الحين ، بل يوجب عليه ان يذكر هذه الاعذار وان يذكر معها صواب المخالفين ، ولكن الرافعى قد أغفل الموضوع كل الاغفال ، ولو تحدث عنه لاقر الحقائق فى نصابها ، وأتاح للقارىء ان يلم بمعانى الحركة الوطنية

لان بريطانيا نفسها سعت الى تأييد الخلافة لها فى مجابهة الثورة العرابية ، لتضمن ما تتوهمه من كسب عالمى وداخلى ، فاذا رأى مصطفى الا يحارب فى جبهتين مختلفتين فى موقف واحد ، فله وجهة نظره ، كما أن تركيا حينئذ لم تكن ذات تدخل فعلى فى شئون البلاد بل كان الامر كله فى يد المعتمد البريطانى ، كما كانت العلاقة الاسلامية بين مصر والخلافة الاسلامية ذات قوة ونفاذ فهى اولى ان تكون سلاحاً حاسماً فى خصومة المحتلين ، هذه وجهة نظر مصطفى ، واعرف ان العقاد يدركها تمام الادراك ولكنه فى مجال التاريخ لزعيم الوطنية فى عهده يرى من الضرورى ان يلم الرافعى بها . وأن يذكر مبرراتها ، وعذر المتصلين بتركيا ، ووجهة نظر المخالفين ، ليتم التاريخ الحقيقى للزعيم الشاب على وجهه الصحيح .



محمد عرابى



مصطفى كامل

من جميع نواحيها ، وان يستخرج العبرة المقصودة بالتاريخ من صواب او خطأ لكل فريق ، وما من فريق واحد ، لديه كل الخطأ والصواب »

هذا ما قاله العقاد ، وحين نقرر من ناحية ثانية أن مصطفى كامل يحارب انجلترا ، ويراها العدو الاول لمصر ، مستندا الى معاهدة سنة ١٨٤٠ التى قررت حق الخديوى الممثل للسيادة المصرية فى نطاق السيادة العثمانية ، وهو بذلك يريد أن يضمن تأييد الخلافة له فى مواجهة بريطانيا ،

● سعد زغلول ●

كان الرافعى أحد اقطاب الحزب الوطنى ، وللحزب نظرته السياسية لمن يخالفه فى الاتجاه ، ولم يكن سعد زغلول فى اكثر احواله موضع الرضا من زعامة الحزب أيام مصطفى كامل ومحمد فريد ومن تلاهما ، وقد رحب اللواء بسعد زغلول حين تولى وزارة المعارف ، ولكن سياسته المتسدلة كانت موضع نقد لدى المتشددين ، وفى مجال التاريخ السياسى لمصطفى كامل تعرض الرافعى لسعد ليحصى عليه أشياء ، يراها العقاد بعيدة عن الصواب ، والرافعى ليس وحده لصاحب هذه النقدات ، ولكن نفرا من خصوم سعد دأبوا على نقده قبل زعامته للثورة وبعدها ، وليس

سعد العظيم فوق النقد فهو سياسي ماهر ، يخطيء ويصيب ، واذا كانت عين الرضا عن كل نقـد كليلة فان عين المراقبة ولا اقول عين السخط قد دفعت الرافعي الى تسجيل وجهة نظره في سعد حين كان ناظرا للمعارف أيام مصطفى ، وحين تزعم الثورة المصرية في عهده الاخير •

ففي عهد نظارته للمعارف اخـذ عليه الرافعي في كتبه عن مصطفى كامل أنه انسحب من رئاسة الجامعه المصرية تحقيقا لرغبة الاحتلال كي يحبط المشروع ، كما انه دافع عن سياسة الاحتلال في التعليم حين احل اللغة الانجليزية محل االلغة العربية في التدريس بالمدارس الاميرية •

وفي عهد زعامته للثورة المصرية ذكر الرافعي في تاريخها ان سعدا لم يكن الحافز الدافع لها ، وانه لم يطلب الاستقلال التام في اول الامر ، وهذه المآخذ لم تجد ارتياح العقاد فهب لتفنيدها ، وقد تحدث اكثر من مرة عن خطأ الرافعي فيما حاوله من انتقاص سعد ، وكان مقاله الصادر بجريدة الاساس ٢٨ ـ ١٢ ـ ٥١ من اجمع ما دار حول هذا النطاق ، وقد جاء بجريدة الجمهورية الصادرة في ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٨٦ ان الرافعي رحمه الله كتب ردا على مقال العقاد ، وجد في مسوداته ، وقد كتب عليه « لاداعي لنشره ، واذا لم يجد الداعي للنشر فلماذا كتبه اذن ؟! لعله حذر صيال العقاد ، وهو في هذه الناحية ذو منطق وبرهان •

يذكر العقاد بصدد النقد الاول ان ولاية سعد لوزارة المعارف لم تكن اجحافا بالجامعة بل كانت خدمة لها من الوجهة المالية والادبية ، لانه فتح لها في الميزانية اعتمادا بعشرة آلاف جنيه ، وهو مبلغ ذو قيمة انذاك ، ولولا هذه الخدمة المادية ما استقام للجامعة وجود •

أما الخدمة الادبية فهي اعتراف الحكومة بشهادات الجامعة والاهلية ولولا هذا الاعتراف لانصرف الطلاب عنها واصبح شأنها كشأن أندية المحاضرات ، واذا كان سعد قد انتقد نظام الجامعة فهو انتقاد الغيور عليها ، والحرص على كمالها ، اذ

سعد زغلول



محمد فريد



كان يريدها معهدا للمتخصصين الذين يبتكرون ولا يقلدون •

اما ان سعدا قد اعترض التعليم باللغة العربية فهو زعم لا أصل له لان سعدا هو الذى أوفد عشرات الطلاب الى اوربا ليعودوا الى مدارس مصر فيعلموا التلاميذ باللغة العربية ، والذى يقول ان نقل التعليم من لغة الى لغة لا يتم فى يوم واحد لا يحارب لغة بلاده ولكنه ينتظر من يستطيع التأليف باللغة العربية والتدريس بها قبل تقرير التعليم باللغة العربية ، وما نظن خبيرا يمترى فى ذلك !

اما النقد الخاص بموقف سعد من الثورة فقد عجب له العقاد ، لان فضل سعد فى ثورة ١٩١٩ لاينكره احد بدليل معقول ، لان الامة بغير زعيمها لا تعرف كيف تتحرك ، بل انها تحار وتضطرب ما لم تتلق على زعيم يملؤها بالثقة والرجاء ، وتشعر بقيادته شعور اليقين والايمان ، وقد كان سعد هو الزعيم المنقذ ، وقد عرفت الامة المصرية ذلك فى أعماق وجدانها فكان اسم سعد على كل لسان وملء كل ضمير •

● احمد عرابى ●

كان مصطفى كامل قاسيا اشد القسوة حين هاجم احمد عرابى ودمغه بالخيانة على صفحات اللواء ، ولم يكن من المنتظر ان يصدر هذا العنف الظالم من زعيم مخلص يعرف اقدار المجاهدين ، ولنفرض ان احمد عرابى قد تورط فى مدح الانجليز بعد رجوعه شيخا محطما مكدورا من منفاه ، وان الزعيم الشاب قد استاء من هذا المدح ، انما كان الاجدر به ان يتعمق البواعث النفسية التى دفعت الرجل الاعزل المضطهد الى محاولة العيش فى سلام بعد أن ذاق بلاء النفى والتشريد والمرض والشيخوخة ! واذ كان عرابى خائنا فى منطق مصطفى كامل ايكون وطنيا فى منطق الاحتلال مهما يكن من شىء فان عبد الرحمن الرافعى لم يخلص من تاثير مصطفى كامل حين تحدث عن الثورة العرابية فأخذ يبحث عن المساوىء بحث المتتبع المريض ، وقد تكون مساوىء فى رأيه فحسب ، وقارىء ما كتبه عن احمد عرابى بالذات يلمس ما يشبه التناقض، فالرافعى فى حديثه عن مقدمات الثورة واسبابها يقول عن زعيمها الباسل انه كان فى مقدمة هذه الاسباب فهو الذى بث فى نفوس الضباط روح التضامن والاتحاد للمطالبة بحقوقهم المهضومة ، وتقدم الصفوف لعرض مطالبهم جبارا على ولاة الامور ، وكانت هذه المطالب فاتحة الثورة ، فهذه الجراة كان لها اثر كبير فى ظهور الثورة ولو لم يظهر عرابى ، ولو لم تكن له تلك الشخصية التى اجتذبت اليه صفوف الضباط، وبثت فيهم روح التضامن والاقدام لكان محتملا الا تظهر الثورة العرابية او لظهرت فى زمان اخر •

فاذا انتقلنا الى ما كتبه الرافعى تحت عنوان لماذا اخفقت الثورة العرابية فاننا نجده يقول ، ولو كان على رأس الثورة قائد « كفء » لتغير مصير الوقائع الحربية بها ، ولكنها مع الاسف لم توفق الى قواد اكفاء •• ثم ينعى على الزعماء قلة البطولة والتضحية فعرابى ذاته لم يشترك فى المواقع الحربية ثم سلم نفسه للانجليز،

وكان مع زملائه قدوة سيئة فى الخضوع والاستسلام والضعف النفسى .. الى اخر ما ينحو هذا المنحى .

وقد تحدث العقاد عن الثورة العرابية فى كتابه (١١ يوليو وضرب الاسكندرية) فانصف عرابى واشاد ببطولة ، وقال ان الجيش المصرى لعهده لم يوجد به من هو اقدر منه ولا احق منه بعرض مطالبة والدفاع عنها ، وقد استمر يقاوم فى ميدان الدفاع بما عنده من وسائل المقاومة الى ما بعد ضرب الاسكندرية ، ولم يكن نجاحه فى صد الجيش الانجليزى ميئوسا منه ، بل كان نقيض ذلك أملا راجحا ، لولا الاوامر التى صدرت بمساعدة الجيش الانجليزى ، ولولا خيانة المأجورين على هداية ذلك الجيش فى دروب الصحراء ، ولولا اعلان السلطان عصيان عرابى بالمرح من الانجليز ، فمن شاء أن يلوم عرابى فليلمه لانه طلب الاصلاح وتعرض للانتقام ، أو فليلمه لانه رفض الدسائس والذرائع المختلفة من الدول الاجنبية وليقم الدليل القاطع على ان الخير فى ذلك الملام » .

هذا قول العقاد فى عرابى ! ولم يسقه فى مجال الرد على الرافعى ولكنه فى موضع اخر لم يغفل مواجهة الرافعى معارضا منحاه فى الحديث عن الثورة العرابية حين ذكر فى مقاله بجريدة الاساس أن المؤرخ الذى يعلم عواقب الحوادث بعد زمانها يجب ان يذكر ان المشتركين فيها لم يعلموها ولا يجوز لنا ان نطالبهم بعلم الغيب أو السيطرة على منافذ القضاء ، وليس للمؤرخ الذى يعيش فى القرن العشرين فضل فى القرن التاسع عشر ، فانه عاش مع أبناء القرن التاسع عشر لصنع كما صنعوا ، وتوقع الحوادث كما توقعوا !

محمد فريد

جهاد الزعيم محمد فريد كان موضع الدهشة البالغة لدى كل دارس ، لان المجاهد الشهيد قد ارتفع بفدائيته الى مستوى القداسة ، وهنا نجد الرافعى والعقاد معا لا يختلفان فى تقدير قداسته الرفيعة ، واذا صار الرجل قديس الوطنية لديهما فان كل ما يقال عنه يتضاءل فى تسجيله اذا قيس بحقيقة واقعه ، وقد اصدر الرافعى مجلدا حافلا ينطق بأمجاد هذا الصابر المحتسب، الفدائى المضحى بالنفس والجاه والمال والصحة والاسرة فى سبيل مصر ، كما رثاه العقاد بقصيدتين أولاهما تعد من اعظم ماجاء فى دواوين العقاد من شعر ، بل من أعظم ما تخيل به فكر العقاد شعرا ونثرا ، وقد رحب العقاد بكتاب الرافعى عن محمد فريد ، وخصه بافتتاحية فى صدر مجلة الرسالة .

وهكذا اتفق الرافعى والعقاد كل الاتفاق فى تقديرهما لفريد ، واختلفا فى تقدير غيره ، ولن تطلب الحقيقة من كاتب واحد ، ولا من كتاب واحد ، ولكنها تطلب بعد الاطلاع الشامل ، والموازنة البصيرة بين الاراء المتقابلة ، والتنزه عن الهوى ، ثم لا مانع من الاختلاف بعد ذلك كله ، فلو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين .

● « قوة الشعب اقوى من قوة النيران »

الجنرال ((فيديل راموس))
رئيس اركان حرب الجيش الفيلبينى


اولف بالم

● « ان الاوان للنظام ان يقرر الامر فورا باعدامى او اطلاق سراحى »

من بيان ((أكينو)) المعد من قبل
اغتياله فى مطار مانيلا (١٩٨٣/٨/٢١)

● « لم استطع التزام الصمت ازاء ما جرى لفيتنام ورفضت الضغط كى أصمت »

اولف بالمى رئيس وزراء السويد
الذى اغتيل فى استكهولم (١٩٨٦/٢/٢٨)


جورباتشوف

● « لا تستطيع ان تنزع السلاح فى الارض وانت تسلح السماوات »

اناتولى دوبرينين سفير
الاتحاد السوفييتى فى واشنطن

● « الوضع يتطلب التغيير » ومع ذلك سادت حـالة نفسية شاذة .. هى كيف نصلح الامور بدون تغيير أى شىء»

جورباتشوف امين عام
الحزب الشيوعى السوفييتى

● « ان يوما ينقضى من دون الخروج بفكرة جديدة يشبه يوما لم تشرق فيه شمس »

ارثر فيشر مخترع لعب امريكى



قنديليات

بقلم : يحيى حقى

... لا أقول ...
ما أشبه الليلة بالبارحة

الإدراك بالفطرة والتلقين لحقيقة معنى الفن ، فى كافة مجالاته ومنها الأدب طبعا ، والمعاناة الذاتية وتجربة الآخرين وشهادة الواقع ، كل هذا يؤكد لى أن الفنان هيهات له أن يبدع إلا إذا تمتع بحريته كاملة دون أى ضغط ، فليست علاقة الفنان هى بالمجتمع وحده ، بل بعالم الرؤى والاحلام ، وعشق الجمال ، ولكننا فى الستينات واجهنا مغالطة وفدت علينا مع أمواج مذهب سياسى تتمثل فى قولنا :

« الفن » للمجتمع وقمنا بشن حملة على الذين يزعمون ويتمسكون بأن هناك فنا لوجه الفن وحده ، هى مغالطة لأن الفنان لا يعيش وحده أو فى فراغ ، فهو مرتبط بمجتمعه وهو متوجه إليه فى كل ما يبدعه ، وغرضه الأول أن يستعين بالفن لكى ينقل الانسان من مرتبة حيوان يأكل ويشرب الى مرتبة بنى آدم له أشواق روحية واهتمامات كونية ، رقيق الحس ، وأقول بنى آدم بهدى من القرآن الكريم ، فانظر إليه حين طلب منا ان نتزين عند كل مسجد ، لم يقل يا أيها الناس أو يا أيها المسلمون أو يا أيها المؤمنون بل قال يا بنى آدم ..

اشتدت الحملة على أصحاب هذا المذهب ، بلغت حد الارهاب بل بلغت حد الاتهام بخيانة الوطن ، وكثرت لدينا قصص هى فى صميمها مقالات سياسية واهتمامات مقصورة على طبقة دون بقية الطبقات ، وغاب عنا طيف الفن .. والغريب أننا كنا نرى رأى العين آثار هذه المغالطة فى البلد الذى اعتنق هذا المذهب ، وجدت نعم الغذاء الروحى فى إبداع تولستوى ، ودستوفسكى وترجنيف وجوجول وبشكين وتشيكوف ثم بعد الانقلاب السياسى تحول أدب هذا البلد الى دعاية سياسية فوليته

ظهرى ، ولم أعد إليه الا مع «باسترناك ، وسولسجستين » ثم تراجع هذا الارهاب لحسن الحظ وعاد أغلب المبدعين عندنا إلى احترام رسالة الفن الأولى .

واليوم بدأت أخشى رغما منى على أن تمتد هذه الضلالة إلى ميدان العلم ، وأقول ما أشبه الليلة بالبارحة ، فانى أشهد الآن إلحاحا يكاد يبلغ حد الإرهاب على علمائنا بأن تكون أبحاثهم مقصورة على خدمة المجتمع مع أن الإدراك السليم لمعنى العلم ، يؤكد لى ان العالم هيهات له هو أيضا أن يبدع إلا إذا تمتع بحريته كاملة ، يجب أن نتركه لاستعداده الذاتى وقدرته على البحث والتجربة والحدس فللعلم مفاجآته تقع فى يد الباحث على غير انتظار منه بل قد تأتى من قبيل الصدفة ، وقد ينشغل عالم بدراسة ميكروب فى معدة ضفدعة فإذا بأبحاثه تؤدى الى اكتشاف وسيلة للقضاء على القواقع فى ترع ريفنا وهى موطن البلهارسيا .

ينبغى ان نثق بعلمائنا ونصدق حبهم لوطنهم ورغبتهم فى خدمته وحل مشاكله وبتركهم يعملون فى حرية تامة دون إلحاح عليهم أو تخويفهم أو استعجالهم أو اتهامهم بأنهم يخونون بلدهم اذا لم يخضعوا لهذا الإلحاح . وسبب خوفى هو هذا الخبر الذى قرأته فى الصحف أخيرا تحت عنوان

« الارتقاء العلمى شروط التعيين بمركز البحوث » تقرر تعديل أسس تقييم الانتاج العلمى لأعضاء هيئة البحوث المرشحين للتعيين فى وظائف الاساتذة الباحثين والباحثين المساعدين بالمركز .

تضمنت أسس التقييم الجديدة أن يدخل فى تقييم الانتاج العلمى للمتقدمين للتعيين ما حققته أبحاثهم من نتائج وانجازات تخدم الارتقاء التكنولوجى لمصر وتفيد الاقتصاد القومى فى قطاعات الإنتاج والخدمات المختلفة من خلال المشروعات والأعمال التى تشارك فيها أو كلف بتنفيذها . كما وكيفا بما يتفق ومصالح الاقتصاد القومى فى مصر ويسهم فى حل بعض مشكلات التنمية .. » .

اننى أؤمن أن مهمة هذا المركز الأولى تقتصر على أن يعد لأساتذته المعامل والمراجع العلمية ، وييسر لهم الاتصال بالأبحاث العلمية فى البلاد المتحضرة ، ويكفل لهم معيشة ميسرة كريمة ، ثم يتركهم يعملون أحرارا فإنه فى هذا الجو من الحرية يصبحون أقدر على تلبية مطالب وطنهم مما لو عملوا فى جو من الإلحاح أو الإرهاق أو الإرهاب ، إننى كلما قرأت أو سمعت عن خطوة يتقدم بها العلم فى الخارج قد أجد اسم الهند فأبلع ريقى ، واسم اسرائيل فلا أبلعه وأظل أبحث عن اسم مصر وقلما وجدته ! ..


تولستوى


دستوفيسكى


نيقولاى جوجول

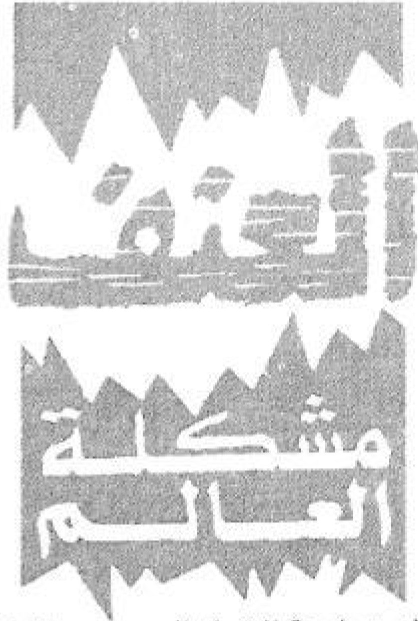
كنز الأمومة

شعر : أحمد عبد الحفيظ سلام



وتخطرت في ثوبها الخمري ... في ناظريها منهل السحر
الوجه وردى ومبسمه ... نبراته فواحة العطر
عبثت أناملها الرقيقة في ... شعر يثور كموجة البحر
وتدللت بالجيد حالمة ... كالحور في اشراقة الفجر
دقت على قدم مجلجلة ... خطواتها تهتز بالخصر
وتبسمت كالبدر في نغم ... مترقص من نشوة السكر
قالت : اما يكفيك من نعم ... موهوبة جلت عن الحصر
ريحانة كم أنت تقطفها ... وتضمها شوقا الى الصدر
هذا الجمال لديك تجمعه ... في رشفة تنساب كالخمر
يا سيدا والكنز تملكه ... يمناك فاغنم منحة الدهر
قلت:الجمال بخاطرى هتفت ... صيحاته من حيث لا أدرى
لا اعشق العين الكحيلة او ... خدا بدا في نضرة البدر
حواء أسمى أن يقال لها ... فتانة في محفل الطهر
انى اقدس فيك موهبة ... جلت عن التقدير والقدر
يا أم أبنائى ومن وهبت ... أثمارها حبيت بالشكر
ما أنت الا دوحة نثرت ... أزهارها للارض في يسر
كنز الامومة لا يعادله ... سحر العيون ورقة الثغر

جــزء
خـاص



●● ماذا جرى ، هل تغيرت طبيعة الانسان المصرى ، وهل استطاع العنف أن يجد طريقه إلى سطح المجتمع وحياة الناس فى هذا البلد الطيب ؟ ●●

سر ماجرى
للدكتور/ احمد كمال ابو المجد ص ٧٠

●● إن الاستبداد قد فقد إلى الابد دوره التاريخى فى المجتمع المصرى ، وأن الواقع يلح فى سبيل إطلاق الحريات الديمقراطية ، لتتسع هذه الحريات عن الدائرة الضيقة التى تدور فيها الآن ●●

قراءة فى التاريخ والواقع
الدكتور . محمد نور فرحات ص ٧٦

●● جماعات قوات الأمن أصبحت جماعات منعزلة وغير مقبولة اجتماعيا ، وأصبح التعامل مع أعضائها يولد الشعور بالعداوة ! ●●

الأمن المركزى والأمن الاجتماعى
الدكتور سيد عويس ص ٨١

●● بعجلتى الجنس والعنف تحركت عربة هوليوود لتصل بقيم الفيلم ونجومه إلى أقاصى الأرض ●●

إعصار العنف فى السينما .. إلى أين ؟
مصطفى درويش ص ٨٩

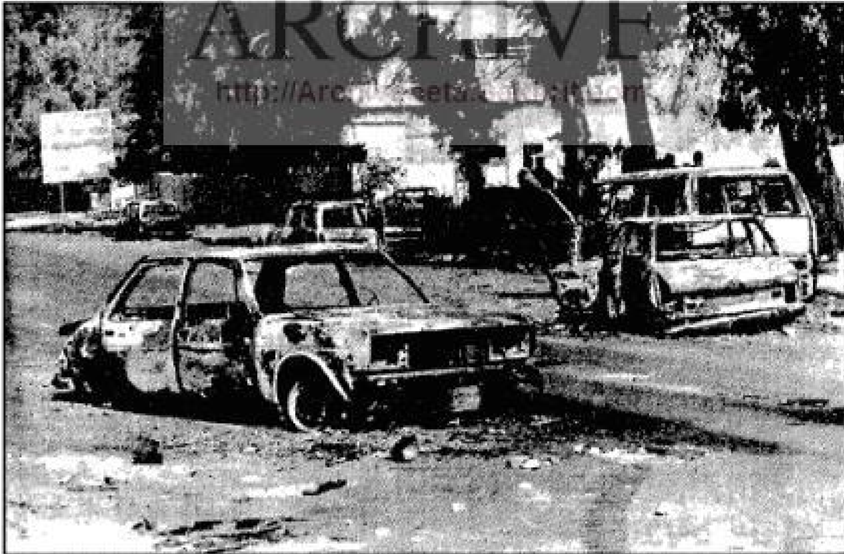


سِرّ ماجرى!

□ جذور ماشهدته مصر من أحداث .
وكيف نقضى على ظاهرة العنف الكامن ؟

بقلم : د. أحمد كمال أبو المجد

آثار العنف الذى خلفته أحداث ٢٧ ، ٢٨ فبراير



يكشف التاريخ السياسي والاجتماعي لمصر عن حقيقة مؤكدة تتعلق بالمزاج العام للمصريين ، وهي أنهم شعب مسالم ودود ، يميل الى الرفق ، ويجنح الى الاعتدال ، ويؤثر الرحمة حتى بالمعتدين والظالمين .. فعلى تعدد التقلبات السياسية والاجتماعية التي تبادل فيها الافراد والجماعات مواقع القيادة والانقياد فان التاريخ المصري يكاد يخلو من اخبار التنكيل بالخصوم ، والقسوة المفرطة في معاملة المهزومين والعنف المتبادل بين اصحاب المصالح المتناقضة والافكار المتنافسة ، والذي يصل في دول عديدة الى حد السعي لتصفيتهم جسديا عن طريق اكثر الوسائل عنفا ودموية .

وحين وقعت أحداث القاهرة الاخيرة ، وتمردت بعض فصائل « الامن المركزي » على النظام والقانون ، وخرجت الى « الشارع العام » تمارس تخريبا عشوائيا واعتداء على الارواح والممتلكات ، ارتفعت أصوات كثيرة تتساءل عن سر ماحدث وتقول : ماذا جرى هل تغيرت طبيعة « الانسان المصري » ، وهل استطاع العنف أن يجد طريقه الى سطح المجتمع وحياة الناس في هذا البلد الطيب .. واذا كان ذلك قد حدث فعلا فما هي الاسباب القوية التي استطاعت ان تزلزل طبعا مفروسا ، وان تغير سلوكا مطردا ومستقرا فتنقله على هذا النحو من النقيض الى النقيض .

● العنف ظاهرة انسانية ●

وبغض النظر عن تفاصيل ماجرى في القاهرة مما لايزال أمره ماثلا أمام جهات التحقيق القضائي فان العناصر الاساسية لما وقع من متمردي الامن المركزي ودوافع هذا الذي قاموا به قد اكتملت اكثر عناصرها أمام الباحثين والمحللين ، مما يسمح لنا - علميا - بالخوض في بعض دلالاتها ونحن نتحدث عن العنف وأسبابه .

واول ماينبغي أن نستحضره قبل أن نتورط في أحكام متعجلة ان العنف ظاهرة انسانية عامة ملازمة للسلوك الانساني منذ فجر التاريخ ، وحسب الباحث أن يسجل اخبار التعذيب الفردي والجماعي الذي وقع في السجون وفي بلاط الملوك والحكام وفي ساحات الاحتفالات الشعبية في كثير من العواصم والمدن القديمة وفيما تمتلىء به المتاحف والمعارض العامة من تماثيل وصور لاشهر وقائع التعذيب التي سجلها التاريخ .. ولكن الذي لفت الانظار اليها مؤخرا ومعها تتخذ شكل المشكلة الحادة في هذا العصر امور ثلاثة :

اولها : تطور ادوات ممارسة العنف .. فبعد أن كانت القوة العضلية أو وسائل التعذيب البدائية كالعصا أو السوط هي الوسائل المتاحة لممارسة العدوان على كيان



بسرماجرى!

الانسان ، ظهرت تباعا وسائل أشد ايذاء وأكثر تعبيرا عن العنف فى درجته القصوى، بحيث لم تعد مجرد أدوات للايذاء ، وانما صارت ادوات للابادة الجماعية الكاملة فى لحظات قليلة .. واذا كان اختراع البندقية او البارود هو احدى نقط التحول الحاسمة فى تاريخ « أدوات العنف » فان التطور المتلاحق والسريع لصناعة الاسلحة وبصفة خاصة الاسلحة الاوتوماتيكية ، والقنابل والمتفجرات ووسائل التحكم فيها ، وأدوات الحرب الكيميائية والعضوية .. قد سجل تطورا آخر بالغ الخطورة يتمثل فى السرعة الهائلة التى يتم الانتقال بها من « قصد العدوان » ونية ممارسة العنف ، الى النتائج التخريبية الهائلة التى تصيب الانفس والممتلكات .

ثانيا : نشأة أوضاع سياسية واجتماعية ساهمت فى خلق صور جديدة من صور « العنف الجماعى » ، فقد تبلورت فى المجتمعات النامية والمتقدمة مصالح فئوية وجماعية متميزة ومتصارعة فى كثير من الاحيان ، كما أدى التقدم الصناعى والتغيير الاجتماعى الى وجود تجمعات بشرية كبيرة يتم حشدها فى أماكن محدودة . ومن أمثلة ذلك ظاهرة تجمع اعداد هائلة من العمال فى المصانع والمناجم والموانىء ، واعداد كبيرة من الشباب فى الجامعات والمعاهد .. واعداد هائلة من المحكوم عليهم لخروجهم على القانون داخل السجون والاصلاحيات .. واعداد اخرى هائلة من الرجال فى مراكز تجمع الجيوش وقوات الأمن .

ان هذه التجمعات – على اختلافها – تساعد على تحول ظاهرة العنف – اذا بدات بقيام اسبابها – الى ظاهرة « جماعية » يتدخل فى مسارها وفى اشكال ممارستها كل خصائص « العقل الجماعى » و « السلوك الجماعى » .. وتصل صورها احيانا بسبب ذلك الى درجات من القسوة والعنف يصعب فهمهما او العثور على تفسير معقول لها ..

ويكفى أن نشير فى ذلك الى صور التعذيب الجماعى التى مارستها بعض الانظمة السياسية الديكتاتورية على خصومها ، ابتداء من النظام النازى فى ألمانيا الهتلرية الى بعض النظم الديكتاتورية التى قامت خلال العشرين سنة الاخيرة فى عديد من دول امريكا الوسطى والجنوبية .. أو نشير الى صور العنف الدموى الذى صاحب بعض حركات التمرد داخل السجون الامريكية ، حيث سجل أحد المحللين منذ أعوام قليلة أن ماشاهده من صور القسوة والعنف البشرى الذى مارسه بعض المسجونين انتقاما من زملائهم الذين وشوا بهم لادارة السجن قد فاق كل صور العنف التى شاهدها خلال حرب فيتنام ...

ولقد ادى انتشار ظاهرة العنف داخل المجتمع الامريكى ، والاحداث التى وقعت فى مدينة شيكاغو عام ١٩٦٨ بين قوات الامن وجموع المتظاهرين من الشباب احتجاجا على حرب فيتنام أثناء اجتماع المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى ثم اغتيال روبرت كيندى

ومارتن لوثر الى تشكيل لجنة قومية للبحث عن أسباب ظاهرة العنف ..

ثالثا : تآزر وسائل النشر والاعلام وتوجيهها عناية خاصة الى أخبار العنف في كل مكان ، وتسليطها الاضواء على أدق تفاصيلها بحيث صار المتابع لما تبثه تلك الرسائل يتصور « العالم » بؤرة واسعة لممارسة العنف والتخريب ، او يتوهم أن العنف ظاهرة طارئة وجديدة .. كذلك فان انتقال أخبار هذا العنف ومحركاته كثيرا ما يلعب دورا في اثارة تلك الاسباب في مواقع اخرى ... ولعل الاتصال الفوري الذي سهله ارتباط معسكرات الامن المركزي في القاهرة والجيزة بشبكة لاسلكية واحدة قد كان له دوره - خلال احداث فبراير - في انتقال روح التمرد من معسكر الى اخر ومن موقع الى موقع ..

هذه بعض الحقائق والملاحظات العامة عن ظاهرة العنف نرجو أن نستحضرها قبل التطوع بتقديم تفسيرات متعجلة لبعض ظواهره في مجتمعنا المصري المعاصر ...

● تحت عباءة واحدة ! ●

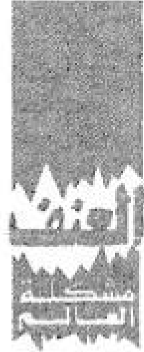
ونلاحظ بعد ذلك ان حوادث التمرد أو الشغب او الاعتداء الفردي او الجماعي التي نتحدث عنها تضم تحت عباءة واحدة عددا من الظواهر المتداخلة التي يحسن التمييز بينها : فهي تضم عنصر « العنف » بمعناه الضيق اى استخدام للقوة المادية لايذاء الغير او الاضرار بمصالحه وممتلكاته .. وهي تضم فوق ذلك عنصر « التخريب » اى اتلاف الاشياء وتعطيل ادائها لوظائفها وقطع منفعتها .. كما تضم في النهاية عنصر « التمرد » اى الخروج المتعمد على الانظمة والقوانين ورفض الانصياع لها .. ومن المؤكد أن هذه المكونات الثلاثة تظل على تداخلها متميزة في أسبابها وجذورها النفسية ودلالاتها السلوكية .. وغاية ما نفعله هنا أن نستحضر حقيقة هذا التميز ونحن نتأمل ماوقع في مصر أخيرا محاولين فهمه واكتشاف دلالاته السياسية والاجتماعية

١ - أن ماوقع في مصر اخيرا لايبلغ في جسامته مابلغته ظواهر العنف التي تصلنا اخبارها كل يوم من انحاء العالم .. وهو - في تقديرنا - ادخل في دائرة التمرد والتخريب الاجتماعي منه في دائرة العنف بمعناه الحقيقي .. اذ لم تسجل خلال تلك الحوادث وقائع عنف شديد تستوقف النظر لا من جانب الذين اشتركوا في اعمال التخريب ، ولا من جانب القوات النظامية من القوات المسلحة والشرطة التي تصدت للمتمردين وقضت على تمردهم ..

٢ - أن ماوقع اخيرا يكشف عن حقيقة هامة ، وهي أن طبيعة الشعب المصري التي تحدثنا عنها ليست امرا منفيا لازما يعصم من العنف حين تقوم أسبابه ... ولذلك لايجوز الاسراف في الاعتماد على تلك الطبيعة الملازمة على نحو يصرف عن توقي أسباب العنف ومنع قيامها ...

ولقد بدأت مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية تشهد صورا من العنف الطارىء على تلك الطبيعة المسالمة .. وذلك في ميدانين مختلفين : أحدهما .. ميدان « العنف المتبادل » بين الحكومة وبين بعض الجماعات السياسية ، والاخر ميدان « التمرد الاجتماعي » القائم على أسباب ومحركات اقتصادية واجتماعية ..

أ - وقد بدأت سلسلة العنف المتبادل بين الحكومة وبعض الناس في النصف الثاني من الاربعينات في أعقاب حل الحكومة لجماعة الاخوان المسلمين وما أعقب ذلك من اغتيال النقراشي باشا رحمه الله ، ثم قيام جهاز تابع للحكومة باغتيال الاستاذ حسن البنا عليه رحمة الله ، مرشد الاخوان المسلمين ، ثم اعتقال الالاف من أعضاء الجماعة ومحاولة الحكومة تصفيتها عن طريق تعريض أعضائها المعتقلين لصور عديدة من صور الايذاء والقهر والتعذيب وقد بدأت هذه المواجهة في أعقاب عدد من حوادث العنف الفردي من جانب بعض أعضاء الجماعة المنتمين الى تنظيمها السري شبه العسكري ، وتكررت هذه الصورة من صور العنف المتبادل بحذافيرها عام ١٩٥٤ « لاسباب سياسية



سر ما جرى!

هذه المرة » كما تكررت مرة ثالثة عام ١٩٦٥ واذا لم يكن من أهداف هذه الدراسة أن تصدر حكما تاريخيا على هذه المواجهات الثلاث او أن تحدد المسئولين عنها ، فان من المفيد – مع ذلك – أن تسجل في شأنها عددا من الملاحظات الهامة ..

الملاحظة الاولى : ان الذين مارسوا العنف من اعضاء الجماعة لم يكونوا معبرين عن تيارها العام الذى ضم الاكثرية الساحقة بين اعضائها، لقد كان هذا التيار العام سويا متواصلا مع المجتمع مشتغلا بالعمل السياسى والاجتماعى باشكاله الطبيعية المشروعة .. وانما كان الذين مارسوا العنف متأثرين بجو العزلة النفسية والفكرية الذى وضعتهم فيه صيغة « العمل السرى » القائم على الجندية الصارمة والطاعة المطلقة للقيادات شبه العسكرية .. و « الانحياز النفسى والشعورى » بعيدا عن « الشارع الاجتماعى » اذا جاز هذا التعبير .. كما ساعد عليه احساس شديد الخطأ بالقوة الذاتية والقدرة على تغيير المجتمع عن طريق الوسائل المفاجئة وغير الطبيعية .. وهو احساس يتولد بسهولة غريبة داخل جميع التنظيمات التحتية « على اختلاف منطلقاتها الفكرية » حين ينفصل اعضاؤها عن واقع المجتمع ، ويفقدون لذلك تدريجيا سلامة النظر الى الواقع والقدرة على رؤية الاحجام النسبية للظواهر والاحداث والاشخاص ..

الملاحظة الثانية : ان القرار الحكومى تجاه الجماعة ، وظواهر العنف العارض فى نشاطها كان خاضعا لرؤية أمنية قصيرة النظر تصورت أن استعمال « جرعة زائدة » من العنف والقسوة هو الحل الجذرى القادر على تصفية الجماعة، وعلى استئصال ظاهرة « العنف » من المجتمع كله .. فاذا بالعنف لا يولد الا عنفا مضادا، واذا بالشعور بالظلم يتحول الى سبب جديد لممارسة العنف .. واذا بالتاريخ اللاحق لهذه الحوادث يسجل فى تاريخ الحركات الاسلامية فى مصر وخارج مصر « عقدة » شبيهة بعقدة «كربلاء» التى ولدتها فاجعة مصارع آل بيت النبى « ص » على أيدى الامويين ، والتى تركت فى الفكر والوجدان الشيعى آثارا عجزت مئات السنين عن محوها ..

الملاحظة الثالثة : ان الظاهرة قد التقطت لنفسها أسبابا جديدة بعد أن طويت صفحة «التنظيم السرى الخاص » داخل الجماعة وصار تيارها العام « والوحيد » تيارا بالغ الاعتدال ، نافرا نفورا حقيقيا من العنف ، رافضا للوسائل الانقلابية ، ومتواصلا – على نحو مطرد ومتزايد – مع الشارع السياسى والاجتماعى فى البلاد .. فقد ظهرت جماعات اسلامية صغيرة العدد نسبيا ، ولكن بعض افرادها او روافدها تتجه الى العنف وتستبيحه ، لاسباب متعددة بعضها اجتماعى وسياسى تشترك فيه سائر جماعات الرفض والاحتجاج التى ولدتها التطورات السياسية والاجتماعية فى مصر خلال فترة الستينات والسبعينات .. وبعضها «يجتر» وقائع العنف الحكومى ، والاضطهاد الذى تعرض له كثير من أعضاء « الجماعات الاسلامية » .. فيجتمع لهم من هذه الاسباب

كلها مبرر « داخل على الاقل » للسير فى طريق العنف الغريب على الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر ..

ومن الضرورى أن نسجل هنا أن الحكومة قد عدلت اسلوب تعاملها مع ظاهرة « الميل الى العنف » داخل بعض الجماعات الدينية وادركت خطأ الاعتماد على « العنف الحكومى » وحده ، وفتحت أبوابا واسعة للحوار مع أعضاء هذه الجماعات ومع الشباب بصفة عامة بقصد تصفية الجذور الفكرية للعنف .. وان لم يكن بين أيدينا مايسمح لنا بتقويم نتائج تلك السياسة الجديدة ومدى استقرارها .. وما اذا كانت ظاهرة « العنف » فى هذا الميدان بالذات قد تراجعت تراجعا حقيقيا .. أم أنها لاتزال كامنة متشبثة ببعض المواقع ..

العنف والمستقبل !

ب ـ اما المكمن الاخر لاخطار العنف فى هذه المرحلة فهو مكون الاستفزاز الاجتماعى والاحساس بغياب العدل والمساواة فى الفرص وامام القانون ، وتراكم الشعور بالاحباط وعدم جدوى « الالتزام » و « اداء الواجب » وفقدان الامل الواضح فى المستقبل القريب .. وهو شعور تصنع جانبا منه الظروف الموضوعية المصاحبة للضائقة الاقتصادية القائمة ، كما يصنع جانبا اخر منه نقص الثقة فى كفاءة وكفاية الجهد المبذول للخروج من هذه الضائقة ، وغياب صيغة قومية واضحة للعمل السياسى والاجتماعى توفر للمجتمع الموارد اللازمة للتنمية من الداخل والخارج على السواء ، دون ان تضحى بمصالح الفئات التى تحملت كثيرا من المعاناة فى عصر راسمالية الدولة وعصر الانفتاح على السواء ..

ان الاحساس المرهف بمعاناة الناس الذين يكاد يقتلهم الكدح اليومى طلبا لتوفير اثمان ضروريات الحياة .. ثم يرون الملايين تجرى فى أيد لم يطهر بعضها العمل المنتج الحلال .. هذا الاحساس المرهف هو فى تقديرنا مفتاح الموقف كله وهو صمام الامان للمجتمع فى مواجهة احتمالات العنف الذى تحركه مثل هذه الاسباب الاجتماعية والاقتصادية ..

ان حوادث فبراير الماضى فى القاهرة وبعض المدن الاخرى هى النذير المبكر الذى ينبغى أن يفتح عيوننا على حقيقة كبيرة .. هى أن المجتمع ملىء بالتوترات المكبوتة والضغوط النفسية المحتبسة فى الصدور .. وفى ظل هذه التوترات والضغوط يمكن أن تؤدى شرارة صغيرة الى نار عظيمة .. واذا كان البعض لايزالون عاجزين عن رؤية هذه الحقيقة الكبيرة ، فان الحكومة ـ وجميع العقلاء المصريين ـ يرونها رأى العين .. ولذلك ينبغى عليهم أن يعالجوا الموقف ـ حتى بعد اخماد الفتنة وعودة الهدوء الى الشارع المصرى ـ على أنه موقف ملتهب .. ولابد ـ لذلك ـ ان يكون على رأس اولويات العمل الحكومى والشعبى اتخاذ سلسلة من الاجراءات والقرارات السريعة الكفيلة بتخفيض مستوى التوتر والضغط المكبوت .. الى ان ينتشر تنفيذ سياسات أطول مدى وأثبت أثرا ، تعالج أسباب التوتر علاجا جذريا يعصم المجتمع عصمة حقيقية من التعرض لظواهر العنف .

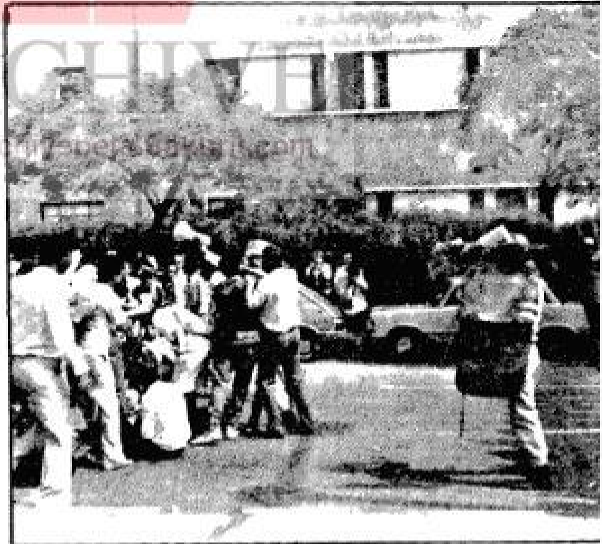
ان الخطأ الذى لايغتفر ان تمضى هذه الحوادث بغير عبرة نعتبرها او أن تذوب حرارة العمل السريع لتخفيض درجة التوتر الاجتماعى تحت تأثير الهدوء الذى اعقب انتهاء الشكل الخارجى للتمرد .. او نقع جميعا تحت تأثير الرؤية الضيقة والنظر القصير لبعض من يتحكم فساد بصائرهم فى سلامة ابصارهم ..



قراءة.. في التاريخ والواقع

- حان الوقت لمراجعة بعض المسلمات التاريخية
- الذعر والحرافيش ودورهم في احداث العنف

بقلم : د. محمد نور فرحات



المقدمة الضرورية لفهم مجتمعنا المصرى بواقعه وتفاعلاته لاتكون الا بالتخلى عن الافكار المسبقة التى اعتدنا ترديدها عن مجتمعنا باعتبارها خصائص تلازمه ملازمة الظل . وهذه الافكار والخصائص المزعومة كثيرة ، داب المفكرون والعامة عندنا على ترديدها بلا وعى دون ان يعبأوا بتقديم دليل عليها او برهان على صحتها كأنها حقائق ساطعة ثابتة بذاتها وهى فى واقع الامر ابعد ماتكون عن ذلك .

من ذلك قولهم أن الفلاح المصرى مستقر فى الارض عاشق لترابها لا يفارقه الا بمفارقته الحياة ، حتى أنه يسمى فى أدبيات الريف « بالفلاح القرارى » اشارة الى قراره فى الارض . ومن ذلك قولهم أن المصريين لا يميلون الى تخطى أطر الشرعية بل يتعاملون مع هذه الأطر بالخضوع لها تارة وبالحيلة تارة أخرى تحسبا لفعل الزمان الذى هو أمضى من فعل الانسان . ومن ذلك قولهم بأن المصريين قوم مسالمون لا يميلون الى العنف بل يجنحون الى اللين والسماحة والوداعة والفكاهة لما حباهم به النيل من رغد العيش ووفر الرزق ولما انتجته الطبيعة فى وجدانهم من اعتدال المزاج .

● زمان عجيب ! ●

وهذه كلها تقريرات ليست مطلقة بل هى نسبية مشروطة مقيدة . وتاريخنا القديم والوسيط والحديث يشير الى ما يخالف هذه الحقائق وغيرها فى أكثر من موضع . وانما يرددها المرددون فى زماننا هذا لكى يبينوا لنا أن ما نعايشه من واقع هو مخالف لأصول الاشياء ولنواميس الطبيعة التى جبل عليها المصريون فليس علينا اذن الا أن نفغر أفواهنا دهشة من هذا الزمان العجيب الحافل بالنوادر والأعاجيب ثم نمضى مطمئنين الى أن كل شىء سيعود الى حاله ، فليس علينا بعد ذلك أن نتساءل أو نستفسر ، وهل يستفسر الانسان عن الصواعق والبراكين والسيول ؟ أم يتقبلها تقبل الاحداث الفريدة ؟.

اقول ، ان مطالعة التاريخ الاجتماعى المصرى سرعان ما تدفعنا الى اعادة تقليب هذه الحقائق وغيرها من التى يطلب منا البعض أن ناخذها ماخذ المسلمات وماهى بالمسلمات على اطلاقها .

فظاهرة فرار الفلاحين المصريين من الارض ظاهرة متكررة فى التاريخ المصرى نلحظها فى العصور الاقطاعية الفرعونية وخاصة بعد انهيار الدولة القديمة ، كما نلحظها ولاحظها المؤرخون فى عصور الظلم البطلمى والرومانى ، كما يرصدها الباحثون كظاهرة مطردة فى العصر العثمانى حين عم الظلم الاجتماعى ربوع البلاد وشح القوت والرزق فى أيدى الفقراء .

● عنف وثورة ●

وفى المقابل يحفل التاريخ الاجتماعى بمظاهر العنف والثورة وأول ما نطالعه فى هذا الشأن حديث ايبور مؤرخ أول ثورة مصرية فى عصر الدولة القديمة الذى يخبرنا أن المصريين قد هاجموا دور العدالة وداسوا وثائقها ومراسيمها بالاقدام ، وانه نتيجة لهذه الثورة أصبحت النبيلات يلبسن الأسمال وتلبس الفقيرات الحرير وناعم الثياب .

وبالمثل ، يحدثنا الجبرتى عن الثورة الشعبية المصرية فى أواخر العصر المملوكى ، تلك الثورة التى كان من المفروض أن تنتهى الى ما يشبه الماجنا كارتا فى انجلترا لولا غيبة التنظيم والاصرار الشعبيين . وهذه الحركة التى تزعمها الشيخ الشرقاوى احتجاجا على ظلم أمراء المماليك وتعسفهم وتعديهم على الأموال والارواح . اذ يحكى الجبرتى أنه فى عام ١٢٠٩ هـ هاجت العامة وأرباب الطوائف « وذهبوا الى الجامع الأزهر وقفلوا أبوابه . وأرسلوا مندوبهم لزعيم المماليك يقولون له « نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها . فقال : لا يمكن الاجابة الى هذا كله فاننا ان فعلنا ضاقت علينا المعايش والنفقات ، فقيل له : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على اكثار النفقات وشراء المماليك والامير يكون اميرا بالعطاء لا بالاخذ » .. « ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم .. وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الاسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر ثم عاد



كل ما كان مما ذكر وزيادة » (الجبرتى ، عجائب الاثار ، طبعة بيروت ، حـ٢ ، ص ١٦٦ – ١٦٨) .

وتحفل صفحات التاريخ المصرى بأحداث العنف ترصدها تفصيلا ثم ترصد أيضا كيف أن التمرد قد عاد الى حاله فى حياة المصريين دون أن يغير عنفهم شيئا من واقعهم وهى الظاهرة التى رصدها الجبرتى بقوله « ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة » ، والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها أحداث ١١٣٤هـ عندما شح النيل وارتفعت أسعار القمح فقامت جماعات الرعية « وضربت السناجق وهم طالعين الى الديوان .. ونهبت جميع الرقع التى فى البلد فامتنع الجالب وصار القمح لا يوجد » ومنها أحداث ١١٣٧ هـ « حين قامت الرعية وقفلت حوانيت المدينة ونهبت أسواق القاهرة وهجمت على الجامع الازهر والعلماء فى الدروس . ووقع الضرب فى الجامع مع الرعية وهربت العلماء الى بيوتهم، ولم يبق فى الجامع الا المغاربة و«المجاورين» فضربوا الرعية بالبندق والنبابيت..» (أحمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الاشارات ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص ٤٣٢) وغير ذلك الكثير مما تحفل به وثائق التاريخ .

● الجند ومظاهر العنف

بل ان الجند أو افراد الحاميات العسكرية فى التاريخ المصرى لم يكونوا أبدا بعيدين عن مظاهر العنف والاحتجاج . وهذا ما يخالف ما ذهب اليه د. يوسف ادريس فى حديثه المذاع عشية أحداث الشغب المركزى من قوله ما يعنى ان تمرد الجند ظاهرة تاريخية غريبة على البناء الاجتماعى المصرى . ويكفى أن نشير فى هذا الى ما بحدثنا به هولت فى كتابه عن (مصر والهلال الخصيب ، ص ٧١) أن الفترة من ١٥٨٦ – ١٦٠١ قد حفلت بمظاهر تمرد الجند فى مصر وانتفاضهم . ففى عام ١٥٨٦ تمرد الجند مطالبين برواتبهم . وفى عام ١٦٠١ تجرأ الجند على مخازن الغلال فى مصر فاقتحموها ونهبوا ما بها من غلة البلاد . وبعد ذلك يحكى الجبرتى من أحداث ١٠٨٦ هـ – ١٦٧٥ م أثناء ولاية احمد باشا الدلتردار ، ويقول « أشيع عنه بأن قصده احداث مظالم على البيوت والدكاكين والطواحين مثل الشام ويفتش على الجوامك وغيرها ، فاجتمع العسكر فى خامس الحجة بالرميلة وقاموا قومة واحدة وقطعوا عبدالفتاح أفندى الشعراوى كاتب الغلال وهو نازل من الديوان » (الجزء الاول ، ص ١٤٩ – ١٥٠) .

اذن فليست ظاهرة عنف الرعية أو تمرد الجند على أطر القانون والنظام والشرعية بالظواهر الغريبة فى الحياة الاجتماعية المصرية . وعلى هذا فان مظاهر العنف المعاصر : تمثلت فى حرائق يناير ١٩٥٢ أو تمثلت فيما كان يسمى فى السبعينات بالأحداث المؤسفة ، أو فيما تلاها من أحداث العنف الطائفى ، أو فيما تبعها من انتفاضة الجياع عام ١٩٧٧ أو فيما شهدناه منذ أيام من تمرد وعصيان وشغب جند الامن المركزى ، هذه المظاهر جميعها يجب أن تفهم فى

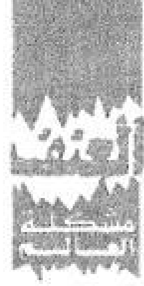
سياقها التاريخي الاجتماعي باعتبارها جميعا وجها واحدا لظـاهرة اجتماعية واحدة علينا أن نبحث عن أصولها في أغوار المجتمع المصرى وأعماقه مستلهمين عظة التاريخ ومتغيرات واقعنا المعاصر . ولنا في ذلك مجموعة من الملاحظات نوردها فيما يلي :

أولها : ان أحداث العنف العشوائي هذه لابد لنا حتى نفهمها في موضعها الصحيح ان نميزها عن الحركة الثورية المصرية . فالاخيرة هي حركة منظمة تهدف الى أحداث تغييرات جذرية في المجتمع المصري ، يساهم في لحمتها ونسيجها اساسا فقراء مصر ومثقفوها وكل قواها الوطنية ، وتستخدم تكنيكات محـددة قد يكون العنف من بينها وقد لا يكون . وان كان العنف من بين وسائلها فهو عنف محسوب هادف يكفي مع غيره من الوسائل للتأثير والتغيير، والامثلة علىذلك نجدها في ثورات القاهرة ضد الاحتلال الفرنسي ، وفي ثورات عرابي وثورة ١٩ وثورة ٥٢ وغيرها من الانتفاضات والتحركات الاجتماعية الهادفة . أما العنف الذي نتحدث عنه الان ونضرب له الأمثلة فهو هذا العنف العشوائي الذي ينفجر فجأة كفوهة بركان لم يتوقف فجاة كما يتوقف السيل العرم بعد ان يحطم بعض الجسور دون ان يخط طريقا جديدا للحياة . اذ يعود بعد هدوئه « كل شيء الى مثل ما كان عليه وزيادة » .

ثانيا : ان المتأمل في الظروف الاجتماعية التي تحيط بأحداث العنف العشوائي هذه سواء في التاريخ المادي أو في الواقع المعاصر ، سرعان ما سيلحظ بوضوح وثبات واطراد ارتباطها اللازم بمظاهر الظلم الاجتماعي التي تخرج عن أى حدود مقبولة لرضاء الفقراء والمعدمين بها ، وفي هذا المقام فانني ارصد مع كثير من الباحثين حقيقتين تاريخيتين تعتبران علامتان بارزتان في الحياة الاجتماعيةالمصرية ومجتمعات الشرق على وجه العموم :

أولهما الغيبة التاريخية لمفهوم المشاركة الشعبية في الحكم واتخاذ القرار السياسي . فعلى حين شهدت الدولة الرومانية والدويلات اليونانية وحكم الانجلو سكسون والنورمان صورا من مشاركة المجالس ، غاب هذا المفهوم تماما في مجتمعات الشرق ومنها مصر ، ولم يشرق ـ مفهوم المشاركة الشعبية ـ على العقل المصرى الا في اواخر القرن التاسع عشر ، حتى أصبح الاستبداد والانفراد بالسلطة حقيقة تاريخية يحيا المحكومون ولا يطلبون في مقابلها الا قدرا من العدل والحدب على المصلحة الاجتماعية للفقراء .

وثانيهما انه حتى في ظل هذا التراث التاريخي الاستبدادي فان العدل المطلق من الحكام وانحيازهم الكامل لمصالح الفقراء لم يكن متوقعا من قبل هؤلاء الفقراء . ومن هنا حدث نوع من التعايش التاريخي لفقراء المجتمع مع الاستبداد ومع قدر محسوب من الظلم لا يصل الى حد مصادرة حقهم في الوجود المادي ذاته . اما عندما يتعدى الظلم الاجتماعي هذه الحـدود ، هنا يكـون العنف العشوائي في أوج غضبه ، لا باعتباره عملا واعيا يهدف الى التغيير وانما باعتباره مظهرا عشوائيا للاحتجاج والدفاع الالى المنعكس في سبيل البقاء . لا بديل عنه في غياب أي قنوات ديموقراطية للاحتجاج . وقد رصد جيبه وبودين هذه الظاهرة في كتابهما المجتمع الاسلامي والغرب (حـ ١ ، لندن ١٩٦٦ ، ص ٢٠٥) بقولهما : « ثمة قيود معترف بها ضمنا على ممارسة الطغيان والظلم. أولها ما يمكن ان يسمى بمعيار حدود الظلم المباح أو الجور المعترف به ، وهو المعيار الذي يقر لسراة القوم بقدر من مزايا السلطة لا يحسن تجاوزه . وثانيها ان الرأى العام يشترط لكي يتغاضى عن الظلم من قبل ممارسي السلطة ان يحوزوا خصائص أخرى كالتحرر أو الاريحية أو الشجاعة أو النخـوة أو الشهامة . فاذا انعدمت هذه الصفات أو عندما ينتهك ممثلو السلطة القانون



قــراءة..
في التاريخ والواقع

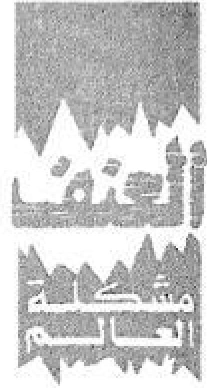
غير المكتوب لتحمل الجور يصل الصبر الاجتماعى الى منتهاه ويحل أوان الضجر والعصيان والتمرد .

● جماعات السلطان ●

ثالثا : أنه من السمات المميزة لفترات الظلم الاجتماعى فى التاريخ المصرى هو أن أسلوب الانتاج لافرازه فى الاستبداد من ناحية ، ولافتقاده الى الكفاءة والقدرة على التشغيل الكامل للعمالة من ناحية ثانية ، يصبح مؤهلا تماما لافراز أكبر عدد من الفئات الهامشية فى المجتمع . والهامشيون هؤلاء هم جماعات من السكان يقعون خارج عملية الانتاج الاجتماعى تماما ، ويهربون منه لافراطه فى قسوته وظلمه واستبداده ، ويعملون على التعيش على فتاته وتخريبه كلما حانت فرصة لذلك ، وهؤلاء هم من تطلق عليهم كتب التاريخ المصرى ووثائقه اسماء مثل الحرافيش والجعيدية والزعر والهباشة ، وهم جميعا فئات رافضة غاضبة تعيش فى الطرقات كالطيور والهوام ويقيمون عادة فى الاحياء الفقيرة التى فى أطراف المدن . **وما يهمنا هنا القول ان هؤلاء الهامشيين رافضون للتنظيم الاجتماعى** برمته ، فقد كانوا عبر مراحل التاريخ المختلفة **اقرب فئات المجتمع** ميلا الى العنف غير المنظم الذى لا يهدف الى الى مجرد **التقاص القوت والرزق** . وقد كان هؤلاء طوال التاريخ المصرى وقودا تشتعل به **حركات العنف الهادف** وغير الهادف فى **المجتمع المصرى وتزداد** به هذه الحركات **اضطراما وقسوة** .

رابعا : أن العنف العسكرى غير المنظم فى التاريخ المصرى ، او التمردات العنيفة العشوائية للعسكر والجند ، دائما كانت تحدث من هؤلاء الجند الذين ينشغلون بالدفاع عن الحاكم . وهؤلاء فى التاريخ العثمانى هم الينكرجية والعزبان والمستحفظان ، فهؤلاء واولئك شئنا أم ابينا ، يخفت او يتلاشى لديهم الاحساس بالوطن ، وهو الاحساس الذى تتقد جذوته المقدسة لدى الجنود المحاربين المدافعين عن حدود الوطن والمحررين لترابه .

لنرفع عيوننا الان عن أضابير التاريخ ، وهى خير معلم فى مجتمعاتنا طويلة الأمد ، ولنتأمل ما عاناه مجتمعنا من أحداث شغب الامن المركزى . وهى أحداث لا تخرج فى ظنى عن سياق ظاهرة العنف العفوى فى التاريخ الاجتماعى المصرى، وان معالجة هذه الفوارق بسياسة اقتصادية رشيدة اصبحت امرا تحتمه اعتبارات أمن المجتمع نفسه أكثر مما تحتمه اختيارات الايديولوجيا . والحقيقة التى تعلن عن نفسها أن اسلوب انتاجنا اليوم ، الذى لا يضمر أى احترام لقيمة العمل قد أصبح يفرز كل عام زرافات من فئات الجعيدية والزعر الذين تزدحم بهم طرقات مصر ويغذون كل أعمال العنف فيها ، والحقيقة التى اصبحت تفرض نفسها ان الاستبداد قد فقد الى الابد دوره التاريخى فى المجتمع المصرى ، وان الواقع يلح فى سبيل اطلاق الحريات الديموقراطية ، لتتسع هذه الحريات عن الدائرة الضيقة التى تدور فيها الان ، ولتنتقل من مجتمع الصفوة لتتخذ من جموع الشعب فى كل ربوع مصر قاعدة حقيقية لها .



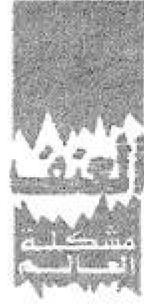
الأمن المركزى.. والأمن الاجتماعى

بقلم : د. سيد عويس

ستقتصر هذه الدراسة على محاولة دراسة مفهوم ((العنف)) دراسة علمية بقصد فهمه فهما موضوعيا اى محاولة التعرف على معناه وعلى انماطه وعلى بعض صور التعبير عنه بعامة وفى المجتمع المصرى المعاصر بخاصة .

ومفهوم العنف ، لغة بضم العين ضد الرفق تقول عنف عليه بالضم عنفا وعنف به ايضا . والملاحظ ان العنف غير التعنيف اى التعيير واللوم .

والملاحظ ان مفهوم العنف فى هذه الدراسة يقصدبه ((العنف الانسانى)) اى الذى يصدر عن البشر من بنى الانسان ، وفى محيط البشر يلاحظ ان العنف يحدث على مستوى الافراد وعلى مستوى الجماهير . وقد يكون تلقائيا، اى لم يخطط او ينظم له من قبل. وذلك على عكس ما يصدر من سلوك العنف عن بعض الجماعات او التنظيمات الاجتماعية او الثقافية او الدينية او السياسية المنظمة ، كالجامعات والاحزاب والتنظيمات المهنية .



الأمن المركزى..
والأمن الاجتماعى

وفى ضوء تعدد أنماط العنف تتعدد تعاريفه أيضا . ومهمـا يكن من الامر فهو سلوك عدوانى ، اى هو وليد الشعور بالعداوة . ومحاولة تعريف الشعور بالعداوة ليست امرا سهلا . وهى تحتاج الى أن تلاحظ واقعنا الاجتماعى ونحن نعيش فيه كأشخاص او كأعضاء فى جماعات . واذا كان مفهوم العنف صورا وانماطا فالشعور بالعداوة صور وانماط أيضا . والملاحظ ان الشعور بالعداوة فى احد انماطه ، النمط الفردى او الشخصى ، ما هو الا انفعال يندفع من شخص معين ضد شخص آخر . وقد يكون هذا الشعور بغضا مقنعا ، او يكون فعلا بغيضا موجها ضد شخص ، وما الفعل البغيض الموجه ضد شـخص الا تعبيرا ظاهرا عن الشعور بالعداوة ضده . نحن نلاحظ بوضوح أن تهديد اى شخص بالقيام بفعل بغيض او توجيه هذا الفعل البغيض ضده ، يثير عادة انواعا متباينة من الاستجابات فى نفسه قد يكون الشعور بالعداوة أحدها . والمقصود بالتهديد هنا هو الخوف الحقيقى او حتى **الوهمى** من أمور بغيضة مثل الاذى او الضرر او التحقير أو حرمان الذات حرمانا على مستوى معين . وقد يتحقق هذا التهديد ايضا عند اعاقة شخص معين من فرصة فهم نفسه حق الفهم ، او من توقع هذا الشخص تحقيره أو تقييده وقد يتحقق هذا التهديد كذلك اذا خشى الشخص من رفض الاعتراف بحاجاته المشروعة أو رفض الاعتراف بحقوقه كعضو فى جماعة معينة .

● ضعف القيم ●

واذا كنا نجد الشعور بالعداوة فى محيط بعض تصرفات الأشخاص ، كذلك نجده فى محيط بعض تصرفات الجماعات فى المجتمع الواحد ، مع الاخذ فى الاعتبار وجود بعض التعقيدات الاخرى التى تنبثق من تباين أعضاء الجمـاعة وتعدد علاقاتهم فضلا عن وضوح الجماعة او الجماعات . ويبرز هذا الوضوح امران :

الأمر الاول : هو المظهر المادى للجماعة أو الجماعات ويتضمن اللون وملامح الوجه والملبس .. الخ .

أما الامر الثانى : فيحققه التعريف الاجتماعى للجماعة او الجماعات ويتضمن بالضرورة الدعاية التى تبرز الفوارق وتؤكدها . والملاحظ ان أيسر الظروف التى تؤدى الى الصراع بين الجماعات يتضمن الاحتكاك بعضها ببعض ووضوحها، ماديا او اجتماعيا فضلا عن التنافس بينها . وكلما ضعفت قيم هذه المتغيرات ادى هذا الضعف فى بعض الحالات الى التقليل من وقوع الصراع . ونجد فى بعض الظروف ان الطريق الى الصراع يبدو ميسرا بقليـــل من الاحتكاك غير الشخصى او الاحتكاك غير المباشر ، وسرعان ما يكبت هذا الصراع عن طريق الاحتكاك الشخصى الوثيق . والملاحظ أيضا أنه عندما يتيح المجتمع فرصـة وجود الطبقات الاجتماعية او حتى بعض الفئات الاجتماعية المعينة فيه ، نجد فى مجالات العلاقات الاجتماعية ظهور درجة من التحيز المادى اذا بدا وضوح هذه الطبقات الاجتماعية او هذه الفئات الاجتماعية جليا ، كما بدات المنافسة بينهـا ونحن لا نرى مايراه « ماكرون Mac. Crone, I.D.» من أن العوامل

الاقتصادية لكى يكون لها تأثير فعال على خلق التحيز الجماعى ، يجب ان يفترض سلفا وجود تقسيم نفسى معين للجماعات بين موالية او غير موالية « In - and - out groups » ، وان اليهود او اليابانيين ، كما يقول ، لا يثيرون الشعور بالعداوة بسبب منافستهم الاقتصادية فحسب ولكن لانهم يهود او يابانيون أصبحت منافستهم تعتبر غير عادلة أو غير مشروعة أو مجرد اساءة لمن ليسوا يهودا أو يابانيين . ولا جدال فى ان هذا التفسير جزئى ولا يمكن ان يكون صحيحا ، والأولى ان يقال ان العوامل الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية التي تنبثق عنها ، وفى ضوء الظروف الاجتماعية القائمة ، هى التى تخلق هذا التقسيم النفسى بصرف النظر عن القائلين بالمنافسة الاقتصادية نفسها . فاذا كانت العلاقات الاجتماعية المنبثقة هى علاقات استغلالية فلا يتوقع الا ان يتكون الشعور بالعداوة عند المستغلين ، يهودا كانوا أو يابانيين او غيرهم ، ضد من يستغلونهم ، يهودا كانوا كذلك او يابانيين او غيرهم . صحيح ان مفهوم « اليهود » أكثر من مفهوم « اليابانيين » قد يعطى صورة ذهنية معينة ، اى صورة ذهنية تاريخية معينة ضد اليهود عند شعوب العالم ، كلها أو بعضها . ولكن هذه الصورة الذهنية التاريخية عن اليهود لم تتكون من لاشىء . ان مرجع تكوينها كان ولا يزال يعود الى الظروف الاجتماعية التى عاشتها معهم هذه الشعوب ، تلك الظروف الاجتماعية التى انبثقت منها ولا تزال تنبثق منها ، بالضرورة ، علاقات اجتماعية معينة هى التى حددت ولا تزال تحدد هذا المفهوم .

● ظاهرة الجماعة ●

ويلاحظ ان الجماعة هى احدى قوى الحياة البشرية . وان ظاهرة وجودها ظاهرة عامة وضرورية . فالناس ينتظمون فى جماعات لأن لديهم حاجات أساسية لا يمكن اشباعها الا عن طريق علاقاتهم بغيرهم من الناس . والشخص منا لا يتحقق له الحب مثلا أو القبول الا اذا وجد آخرين يحبونه ويتقبلونه . والشخص منا ايضا لا يستطيع ان تكون له مكانة اجتماعية معينة ، ولا يستطيع ان يحس بأهميته وقيمته او يتحقق عنده الشعور بالانتماء ، الا اذا وجد أشخاصا آخرين يستجيبون لهذه الحاجات وييسرونها له . واذا حرم الشخص منا من تحقيق هذه الحاجات الاساسية ، أو حرم من تحقيق بعضها ، فان الشعور بالعداوة يتسرب الى قلبه ، والشعور بأنه غير مرغوب فيه يملك عليه نفسه ، ويحس بالعزلة الاجتماعية القاتلة ، وربما أصبح سلوكه سلوكا غير اجتماعى .

واذا كان الشخص « العادى » يبدأ حياته أول ما يبدأ (عند ولادته) فى اسرة ، اى فى جماعة ، فانه منذ ذلك الحين حتى يصير شخصا بالغا يصبح بالضرورة عضوا فى العديد من الجماعات الاخرى . وفى كل جماعة من الجماعات يتعلم الشخص منا كيف يسلك السلوك الذى يحقق له أكبر مقدار من الشعور بالامن الاجتماعى . وكل جماعة جديدة يمارس الشخص الحياة الجديدة فيها ، تعتبر له تحديا جديدا . فهو يحاول أن يوفق فى خلال عملية ممارسة الحياة الجديدة بين تحقيق حاجاته الشخصية الأساسية وبين كسب ثقة الجماعة الجديدة وموافقتها . ويعتبر هذا الكسب فى ذاته حاجة من حاجات الشخص . وقد تتعارض هذه الحاجة الاخيرة عند الشخص مع غيرها من الحاجات الاخرى . ومع ذلك فان نمو شخصية معينة يعنى وجود هذا التعارض او هذا الصراع ، كما يعنى وجود محاولات التوفيق بين الحاجات الشخصية وبين كسب ثقة الجماعات . وينتج من هذه الصراعات ومحاولات التوفيق وجود خبرات ، وتتراكم هذه الخبرات . ومن الخبرات الكلية ، حلوها ومرها ، يتكون نموذج



معين للشخصية . ونماذج الشخصيات مختلفة ، لأن الاشخاص مختلفون ، ولان خبراتهم الكلية حلوها ومرها ايضا مختلفة .

ويلاحظ ان الجماعة ليست اداة سحرية ، اى انها لا تصنع آليا عجائب التوافق عند اعضائها . فالناس قد ينتظمون فى جماعة لانهم خائفون ، او لان الحقد يجمعهم او التعصب الدينى او العنصرى . وهم ينتظمون ، بنفس اليسر، فى جماعة لانهم أصدقاء ، او لان اهتماماتهم موحدة .

واذا تركت الجماعة وحدها قد تصبح جماعة منعزلة ، او جماعة غير مقبولة اجتماعيا ، او جماعة تميل الى التعصب بنوعيه او بأحدهما ، اى التعصب الدينى او العنصرى ، او جماعة تميل الى الاعتداء على الاخرين او تميل الى الجناح . ونحن نلاحظ بعض هذه الجماعات الاخيرة أحيانا نلاحظها فى الشوارع، كعصابات الاحداث الجانحين ، او عصابات البالغين الجانحين ، حيث تزداد مكانة عضو العصابة ارتفاعا كلما ازدادت مهارته فى استخدام المدية .. يعتدى بها على الاخرين ، ويحطم بها الاشياء ، او يكره عن طريقها ضحاياه الذين يسرقهم. ان الجماعة تستطيع ان تعزز فى اعضائها كل الاحتمالات ، وكل الامكانات . مهما كانت هذه الاحتمالات والامكانات . فهى قد تعزز فيهم روح الديمقراطية او روح الخضوع. وهى قد تعزز فيهم تقبل الاخرين او الشعور بالعداوة نحوهم. وهى قد تعزز فيهم روح التفهم والتفاهم او روح التعصب . هى قد تعزز فيهم الجهود البناءة او الجهود الهدامة . ومع ذلك فانه لابد أن نلاحظ أن الجماعات فى تغير مستمر . وأن أعضاء الجماعات فى تغير مستمر كذلك . وانه اذا كانت الجماعة تصنع الاعضاء ، فان اعضاء الجماعة يصنعون الجماعة كذلك . فما يقدمه الاعضاء فى الجماعة من قدرات وآراء ومشاعر يحدد بالضرورة مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق أهدافها . وما تقدمه الجماعة للاعضاء يعتمد بالضرورة على مستوى قيمة التجربة او التجارب التى يصنعها الاعضاء معا ، كفريق ، داخل الجماعة .

● الشعور بالعداوة ●

واذا كنا نجد الشعور بالعداوة فى محيط بعض تصرفات الاشخاص وفى محيط بعض تصرفات الجماعات فى المجتمع الواحد ، كذلك نجده فى محيط المجتمعات المختلفة . وهو يوجد ايضا فى مختلف الاوقات . وقد تزداد نسبة الشعور بالعداوة فى مجتمع معين او فى زمن معين وقد تنقص هذه النسبة وتضعف . اى أن الشعور بالعداوة قد يكون فرديا او شخصيا ، وقد يكون شعورا جماعيا ، او بين مجتمع معين ضد مجتمع آخر ، وقد يكون قويا اوضعيفا . وتختلف نسبته قوة أو ضعفا من مجتمع الى آخر ومن زمان الى زمان اخر . وبالاضافة الى ذلك نلاحظ أن الشعور بالعداوة قد يكون موجها او غير موجه ، علنيا أو غير علنى ، مباشرا او غير مباشر . واللاحظ أن أساليب التعبير عن الشعور بالعداوة عديدة ومتباينة . لأن الناس ككائنات حية مختلفون ومتباينون ، ولانهم

يعيشون فى ظل مناخات ثقافية اجتماعية مختلفة ومتباينة كذلك . ويبدو الشعور بالعداوة واضحا فى مجالات عديدة . فهو يبدو فى المجالات المادية مثل حالات الحروب بين الدول ، وهى أقصى حالات العنف ، ومثل جرائم القتل بأنواعها، فضلا عن المشاكسات التى تحدث بين الجيران . كما يبدو الشعور بالعداوة فى المجالات غير المادية كالمجالات النفسية مثل حالات الاحلام !.

واذا كنا نلاحظ فى الحياة الانسانية أن الشعور بالعداوة يوجد كما يوجد الشعور بالمحبة ، فاننا نلاحظ أيضا أن هذين النوعين من الشعور الانسانى فى صراع مستمر . فهما فى الواقع سمتان من سمات هذه الحياة ، والصراع بينهما هو فى الحقيقة سنة هذه الحياة . وكلنا يعلم أن الشعور بالمحبة ، محبة الناس بعضهم لبعض ، فى ضوء تراثنا الثقافى المصرى ، هو هدف كل الأهداف . والشعور بالمحبة ، محبة الناس بعضهم لبعض ، فى ضوء قيم المجتمع المصرى المعاصر ومبادئه ومثله العليا هو « أيضا » غاية كل الغايات .

مجموعة من مثيرى الشغب بعد القبض عليهم





وفضلا عن ذلك ، وربما مع كل ذلك فهو فى ضوء التراث الثقافى الانسانى ، أمل كل الامال . واذا كان الشعور بالعداوة والشعور بالمحبة يتصارعان ، فاننا نجد أن الدعوة الى العنف الانسانى والدعوة الى السلام فى محيط البشر يتصارعان كذلك . ومفهوم الصراع مثل المفاهيم الانسانية الاخرى له معان عديدة ، وهو يعنى فى الدراسة الحالية :

« عملية اجتماعية وموقف يحاول فيه اثنان او أكثر من الكائنات البشرية أو الجماعات الاجتماعية أن يحقق كل أغراضه وأهدافه ومصالحه ، ومنع الاخر من تحقيق ذلك لو اقتضى الأمر القضاء عليه وتحطيمه » .

ويرتبط الصراع جوهريا بوجود حدود لمصادر الاشباع المختلفة ، وفى معناه السوسيولوجى يتضمن بالضرورة كائنات انسانية . وهو ذو درجات مختلفة من الشدة والانتشار تبعا لأهداف وأغراض أطراف الصراع . ويعد الصراع ظاهرة عامة تلحظ فى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، فى الاقتصاد والسياسة واللغة والدين والمعايير الاخلاقية وبين الطبقات . وقد يكون داخل الجماعات الاجتماعية أو بينها . واذا اعتبرنا الصراع نوعا من التفاعل الاجتماعى بمعنى انه عملية من العمليات الاجتماعية ، فانه يجب التمييز بينه وبين « المنافسة » وقد يرى البعض أن الصراع نوع من التنافس ، يحاول المتنافس أن ينظم فيه جهوده وقوته أملا فى الفوز . ولذلك يرون انه أقسى عملية بين العمليات الاجتماعية أو انه نوع عنيف من التنافس . ومع ذلك فهناك فارق بين المنافسة والصراع . فالوعى شرط ضرورى للصراع فى حين ان هذا الوعى ليس ضروريا بالنسبة للمنافسة بل ان هناك أنواعا من المنافسة تكون لا شعورية . هذا ويعتبر كل من الصراع والمنافسة اشكالا للنضال أو الكفاح « Struggle » . واذا كان الشعور بالعداوة ، كما سبق أن أوضحنا ، يكون أحيانا علنيا او غير علنى ، ومباشرا أو غير مباشر ، فان الصراع قد يكون واضحا أو ضمنيا كامنا ، مباشرا أو غير مباشر . وانه قد يكون وظيفيا حيث يساعد فى التغير والوحدة والتضامن وقد يكون معوقا وظيفيا .

● ظاهرة ارتكاب الجـــرائم ●

ويبدو الصراع بين الأفراد وبين الجماعات فى مجتمعنا المصرى المعاصر واضحا فى ارتكاب الجرائم . وهو صراع ينتصر فيه الشعور بالعداوة عادة . وقد يتسم بالعنف الشديد كما نجد ذلك فى الجنايات التى ترتكب وبخاصة **جنايات القتل**، والضرب الذى **أفضى الى موت** ، والضرب الذى أحدث عاهة ، **وجنايات الحريق العمد** ، اذا كانت هذه الجنايات يرتكبها أفراد . وفى حالة **جنايات مقاومة السلطات والتجمهر** نلاحظ أن العنف الذى يتضمنها يكون عادة **عنفا جماعيا وجماهيريا ضد ممثلى السلطة** . وهو فى هذه الحالة يكون عادة سلوكا عدوانيا ايجابيا ، كما يكون بدنيا ماديا ضد بعض ممثلى **السلطة** . وهو فى العادة عنف موجه من بعض أعضاء المجتمع **على أساس انتمائهم لجماعات معينة** ، او

دفاعهم عن قيم معينة لتعارض مع قيم المجتمع ككل بوجه عام ، او تتعارض مع القيم التي يرعاها ممثلو السلطة الذين وقع عليهم العدوان .

● اليد القوية ●

وفي ضوء كل ما سبق يتضح ان ما تمت به مجرد دراسة علمية ولم يكن بحثا علميا . اي انها دراسة بنيت في ضوء نتائج بعض البحوث التي اشتركت في بعضها . والملاحظ ان مفهوم الدراسة غير مفهوم البحث . وذلك لان المفهوم الاخير يحتاج الى معلومات واقعية اذا كنا نبغي ان نعلم شيئا او اشياء عن عوامل حوادث العنف التي جرت في مجتمعنا في خلال يومي ٢٥ و ٢٦ من شهر فبراير عام ١٩٨٦ . ومن ثم فانني لا يمكن ان ادعي معــرفة ذلك ، ولكني أستطيع أن أصل الى بعض النتائج التي يمكن ان تلقي الضوء او بعضه على هذه الحوادث .

١ ــ ان قوات الامن المركزي منذ انشائها كانت اليد القوية لاصحاب السلطة والسلطان في الدولة . وقد اختير اعضاؤها ودربوا لكي ينفذوا الاوامر في ظل شعار « النقمة تعم والنعمة تخص » وقد بدأ انشاء هذه القوات منذ عام ١٩٦٩ باعداد ظلت تتزايد على مر الايام حتى بلغ عددها في الوقت الراهن حوالي ٣٠٠,٠٠٠ عضو .

٢ ــ ان وجود هذه القوات يعني وجود جماعات او تنظيمات مهنية جديدة في مجتمعنا المعاصر . وقد اتسم اعضاء هذه الجماعات بسمات انسانية معينة . منها بل ربما تكون اهمها انهم في مستوى عقلي معين وانهم في سن المراهقة المتأخرة ، أي السن التي يكون المرء منا فيها أكثر حساسية واقل نضجا . أي السن التي لم تتكون فيها المحــددات التكوينيــة والثقافية الاجتماعيــة والنفسية والعقلية لعضو هذه الجماعات ، أي السن التي لم تتكون فيها شخصيته الاجتماعية .

٣ ــ ويلاحظ أن وضوح تباين هذه الجماعات عن غيرها من جماعات المجتمع الاخرى يرجع الى مظهر اعضائها المادي (الملابس مثلا) فضلا عن آثار سلوك هؤلاء الاعضاء على اعضاء الجماعات الاخرى في المجتمع ، وهي آثار كانت في الاغلب الاعم سلبية ويراها ويسمع عنها اعضاء المجتمع المصري افرادا او جماعات. وكان من هذه الآثار السلبية ميل اعضاء هذه القوات الى الاعتداء على الاخرين حيث تزداد مكانة العضو فيها ارتفاعا كلما ازدادت مهارته في استخدام الاسلحة المختلفة يعتدي بها على الاخرين ويحطم بها الاشياء .

٤ ــ ومن ثم فان جماعات قوات الامن أصبحت جماعات منعزلة وغير مقبولة اجتماعيا . وأصبح التعامل مع أعضائها يولد الشعور بالعداوة بينهم وبين غيرهم من اعضاء المجتمع المصري الاسوياء وغير الاسوياء على الســواء .

٥ ــ واذا كان اعضاء المجتمع المصري لم يبلغ شعورهم بالعداوة مستوى يجعلهم يستعملون العنف ضدهم ، فان اعضاء هذه القوات عاشوا في قلق مرضي وفي حيرة من امرهم فهم قبل كل شيء من أبناء الوطن المفدى ، هذا الوطن الذي يتعطر مناخه الثقافي الاجتماعي ، في ضوء تراثه ، بالسلام وبالقيم الاجتماعية العديدة ذات الاهداف الايجابية التي منها الشعور بالمحبة ، محبة الناس بعضهم لبعض ، والتعاون على البر ، والايمان الخالص ، وبذل النفس والنفيس في سبيل شرف الوطن والتضحية من اجله .. الخ .

٦ ــ واذا كان أعضاء قوات الامن المركزي في خلال الفترة الأخيرة قد ارتكبوا جنايات عديدة تتسم بالعنف الشديد ، فان هذه الجنايات كانت في الاغلب الاعم جنايات مقاومة السلطات والتجمهر . أي أنها جنايات يرتكبها عادة جمــاعات ولا يرتكبها افراد . والملاحظ أنه اذا صدر العنف عن الجماعات او التنظيمات



الأمن المركزى..
والأمن الاجتماعى

الاجتماعية او الثقافية او المدنية أو السياسية المنظمة كالجامعات والاحزاب والتنظيمات المهنية (اللاحظ ان قوات الامن المركزى تنظيم مهنى) يكون هذا العنف عادة مخططا له من قبل .

٧ ـ وفى ظل بعض ألوان القهر التى يعيش فى ظلها أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ، وجد أن بعض هؤلاء الاعضاء قد اشتركوا فى ارتكاب الجنايات التى ارتكبها أعضاء قوات الامن المركزى . ولكن يلاحظ ان الاغلبية الساحقة من اعضاء هذا المجتمع وقفت موقف المتفرج . ولعل هذا الموقف أن يكون متوقعا . وكون بعض ساكنى حى الهرم وغيرهم من سكان العمارات التى حول حديقة الحيوانات قد تبرعوا لجنود الجيش المصرى وضباطه بالشاى الساخن وبعض الحـلوى والكعك ، فان هذا يعتبر استثناء .

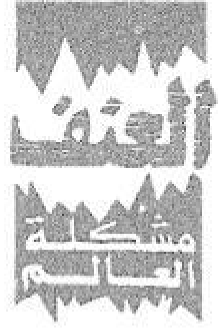
٨ ـ ولعل كون أعضاء قوات الامن المركزى من الشبان الذكور الذين تقع اعمارهم فى مرحلة سن المراهقة المتأخرة والذين فى ضوء مستواهم العقلى سريعو الاستجابة للايحاء . ولعل أنواع العمل التى يطلب منهم القيام بها ، ولعل التفاوت الجسيم بين ما يتقاضونه من مرتبات وبدلات وبين ما يتقاضاه غيرهم من الاقارب وغير الاقارب ـ الذين يتسمون بنفس سماتهم ولكنهم يختلفون فى مواقع العمل ـ من أجور ومرتبات ، فضلا عن استمرار التهديد الذى يعيشون فى ظله فى معسكراتهم ، الذى يعنى أقصد هذا التهديد فى الدراسة الحالية الخوف الحقيقى أو حتى الوهمى من امور بغيضة مثل الاذى أو الضرر أو التحقير او حرمان الذات حرمانا معينا . لعل كل أولئك ان تكون عوامل العنف الذى صدر عنهم اوبعض عوامله ، هذا العنف الذى كان بالضرورة مخططا له من قبل .

٩ ـ وارجو ملاحظة المكان الذى بدأ فيه العنف وتوقيت حدوثه . فالمكان كان سياحيا والتوقيت كان فى الموسم السياحى حيث يكثر الأجانب من الجنسيات المختلفة وهم خير وسيلة اعلامية خارج حدود مصرنا الخالدة للنيل من النظام الذى يعيش أعضاء مجتمعها تحت رايته .

١٠ ـ وقد اتخذت صور عنف المتمردين من أعضاء قوات الأمن المركزى ، وبخاصة منطقة القاهرة الكبرى ، صورا عديدة . وكانت تهدف هذه الصور فى الأغلب الاعم الى ما يملكه ذوو اليسار من أبناء الوطن ، واحراق الملاهى الليلية (الكاباريهات) والفنادق والمطاعم . وقد يرجع ذلك الى شدة صور العنف الذى حدث وليس بالضرورة الى تدين هؤلاء الأعضاء المتمردين وان اتخذ التدين فى هذه الاحوال أحيانا ذريعة .

* اشترك الكاتب مع تسعة آخرين من طلبة الدراسات العليا بجامعة بوستن فى دراسة عن « الشعور بالعداوة » ، وقد وصل الدارسون الى ثلاثة وعشرين اسلوبا من اساليب التعبير عن الشعور بالعداوة .





إعصار العنف في السينما .. الى أين ؟!

بقلم : مصطفى درويش

سارت سفينة الحياة به في بحر ساكن لا موج فيه ، حتى قارب الستين هنا فاجاه شيء لم يكن في الحسبان كان خارجا من السينما بعد الانتهاء من مشاهدة فيلم « الاخوة موزار » عائدا مع شريكة حياته الى المنزل سيرا على الاقدام ، واذا به – ودون مقدمات – على الثلج ملقى يقترب من عالم الاموات ، يصبح ماضيا جميلا لايبقى منه سوى ذكريات .

العنف على الطريقة الامريكية





إعصار العنف في السينما.. إلى أين؟!

من القاتل ؟

فمن هو ذلك الرجل الذى دارت به الايام دورتها ليجد نفسه وجها لوجه امام عنف عنيف يعترض سبيله برصاصات واين ؟.

في بلد هادىء وجد حلا لبعض مشاكله بالبعد عن الحروب لا يشارك فيها منذ بونابرت وايامه السود .

انه اول رئيس وزراء لدولة اوروبية عريقة في الديموقراطية يغتال - وهو في السلطة - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، انه ذلك الرجل الذى انفرد بشخصية متميزة جعلت منه سياسيا شجاعا لا يهاب باس واشنطن ، لا يتردد - وهو رئيس وزراء - في ان يدين العدوان على فييتنام ، يصف قصف «هانوى» بالصواريخ والنابالم بالبربرية ، يصم استخدام اسلحة الابادة الكيمائية ضد الشعب الفيتنامي بالنازية .

ولعله ليس صدفة - بعد ذلك - ان يكون آخر ما كتبه بخط يده ، قبل ان تجيئه الطعنة القاتلة من حيث لم يكن يتوقع - وهنا ضعفه - هو التوقيع باسمه « اولف بالم » على نداء سلام يدعو الى وقف التجارب النووية .

وليس من شك ان اختفاء رئيس وزراء السويد بهذا الاسلوب الدموى ، قد كشف عن حقائق عديدة من بينها ان استمرار بقاء العالم على شفا الهاوية مهدد بالفناء الذرى كما يشكل تربة خصبة تستنبت فيها كل ضروب العنف وتزدهر ، وان احدا ليس بمنجاة من العنف يعصف أعصاره بالاخضر واليابس ، لا يقف شيء امام دوامته التى تحمل الموت والدمار .

التكامل

وبعد هذا كله فما علاقة الفن السابع بهذا الاعصار ومنجل الموت الذى يحمله، هل ثمة منازلة بينهما .. ولماذا ؟.

من الملحوظ ان العنف مرتبط بالسينما ، موجود فيها منذ وجودها ، متصاعد مع صعودها .

فهو اذن ليس بدعا وافدا عليها .

ان له اصولا قديمة ترجع الى ايام ان كانت السينما خرساء لاتستطيع الكلام، اى منذ مائة عام الا قليلا ، وقت ان كان الجمهور يقف مشدوها في الاسواق كي يشاهد لقطة لرأس ملكة سكوتلاندا ، وهى تنفصل بالمقصلة عن جسدها ، فتسقط متدحرجة على الارض .

وبعد العنف جاء دور الجنس انطلاقا من قبلة بين رجل وامرأة تظهر على الشاشة البيضاء لأول مرة بفضل جرأة نفر من رواد السينما في مملكة صغيرة او جزيرة منعزلة اسمها الدنمرك .

وبمحلتي الجنس والعنف تحركت عربة هوليوود لتصل بقيم الفيلم ونجومه الى اقاصي الارض ، فلا تلبث أن تؤثر بالغ الاثر في التفكير ، وفي نهج الحياة الاجتماعية والسياسية .

اللقطة الرصاصة

وفى الحق فلو أردنا أن نؤرخ للعنف فى السينما فلابد أن نبدأ بالفيلم الامريكى « سرقة القطار الكبرى » (١٩٠٣) لماذا ؟.

لانه اول فيلم عظيم ، والمقصود بالعظمة هنا انه كان أول عمل سينمائى باسر الوعى ، يبقى أثره مترسبا فى تلافيف العقل الباطن الامريكى ودهاليزه .

ولا ريب فى أن اللقطة التى ينتهى بها كان لها دور فاصل فى احداث هذا الامر .

ففيها نرى الشاشة ، وقد احتلها شخص ذو ذقن عريض مشقوق ، وشنب كث ، تغطى رأسه قبعة راعى بقر كبيرة ، تبصره يستل غدارته ، يصوب فوهتها نحونا ، يشد الزناد ، فتنطلق رصاصة منها متوجهة الينا ، تصرعنا جميعا ، بلا استثناء !!

وابتداء من هذه اللقطة الاخيرة المهلكة ، اصبح من تراث السينما الامريكية ان يصوب مخرجوها فوهات البنادق الى المتفرجين ، أن يشدوا الأزندة اثارة وابهارا .

وطبعا كل هذا كان قبل اكتشاف أرض الميعاد فى هوليوود ، قبل ان يتحولوا بها الى كعبة السينما وخير وارث للعنف ، تعتبره نعمة لا نقمة ، شيئا عاديا كارتشاف قدح قهوة .

ومن حسنات العنف على السينما الامريكية – اذا كان له حسنات – انه جعل منها سينما زاخرة بالتوتر والحرارة ، بالعنفوان والحركة .

صوت العالم

وهكذا كان مؤداه النجاح والاكتساح ، أن تفرض هوليوود نمطها ، بل قل اسلوبها على جميع صانعى الافلام فى العالم مهما اختلفت البيئات والثقافات .

وعلى كل ففى خضم الازمة العالمية وما تلاها من انتصار النازية واندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، فى ذلك الخضم الهائل ، المتلاطم بشتى الاهواء والشهوات والنزوات والتيارات ، اخذ الجنس والعنف فى التصاعد ، واعتاد جمهور السينما على مشاهدة الحب والعنف من القبلات الى الكلمات كما تصورها هوليوود داخل اطار رقابى انحدر فى نفاقه الى حد حظر ظهور الرجل والمرأة معا بالكامل فى مخدع واحد ، حتى ولو كان مخدع الزوجية .

افعال فاضحة

وظل الحال كذلك حتى اقتراب الخمسينات من النهاية ، تحت تأثير الفيلم الفرنسى ، وبخاصة المد الفنى الذى اتى بالموجة الجديدة ، اخذت الجسور الرقابية فى الانهيار .

ولعل فيلم « العشاق » للمخرج الفرنسى « لويس مال » احد الامثال السينمائية القليلة التى لعبت دورا ايجابيا هاما فى تحرير الفن السابع من القيود الرقابية فى مجال الجنس .

فقد استطاع صاحبه أن يتغلب على كل العقبات الرقابية وذلك رغم جرأة الموضوع الذى يدور حول حب محرم من خلال مشاهد عارية أخاذة لعاشقين يتبادلان الحب بمصاحبة انغام احدى رباعيات « برامز » تحلق بالمتفرج الى اقصى سماء .

وبفضل نجاح الفيلم فنيا وتجاريا خرجت من أحضان عاشقيه مشاهد أخرى من الحب لا تنسى فى روائع « انطونيونى » و « ريتشاردسون » و « تروفو » وغيرهم كثير ، وفى نفس الوقت خرجت منها مشاهد جنسية سوقية فى افلام لا عد لها ولا حصر ازدحمت دور العرض بطوفانها المبتذل .



إعصار العنف في السينما.. إلى أين ؟!

ومع انهيار الكثير من الجسور الرقابية الى حد أدى الى الترخيص بعرض أفلام الجنس الفاضح المسماة بالزرقاء ، بل والى الغاء الرقابة تماما على جميع الفنون بما في ذلك السينما ، كما هو الحال الان في مملكة الدنمرك وبعض دول أوروبا وآسيا والامريكتين ، مع هذا الانهيار بدأ اقبال الجمهور على أفلام الجنس في الانحسار .

مرحلة تنتهي

وكان لابد من البحث عن بديل ناجح للجنس . وسرعان ما وجد تجار السينما ضالتهم المنشودة في العنف والتصعيد له .

وهنا قد يكون من المفيد ان أسرد حكاية السينما مع العنف في مرحلة مابعد انهيار الرقابة ، لا من البداية وانما من النهاية .

منذ عام أو يزيد ، وضمن جدران احدى دور السينما بمدينة نيويورك ، صاحت شابة في العتمة غاضبة «با للبشاعة » .

هذه الصيحة تبعتها صيحات متفرجين آخرين داخل قاعة العرض أثار اشمئزازهم ما يجري أمام بصرهم من مشاهد منبتة الصلة بالذوق السليم .

كان من بين المشاهد محل الاستنكار ، منظر مائدة عشاء عامرة بالطيبات ، صفت عليها جماجم محشوة بامخاخ قردة تتصاعد منها الابخرة ، اناء كبير مليء بحساء يغلي تقفز منه كرات أعين تشع فزعا ، تنين مزقت احشاؤه لتخرج منها حيات صغيرة تسعى .

هذا المنظر ، مع مناظر أخرى شبيهة في الفظاعة والبشاعة من بينها لقطة لقلب ينبض بالحياة ، نراه ينتزع من صدر انسان ، تكون بعضا من تسالي قتيلة موسم ١٩٨٥/٨٢ « انديانا جونز والمعبد الملعون » لساحر هوليوود وصانع معجزاتها « ستيفن سبيلبرج » صاحب « الفك المفترس » فيلم الرعب الشهير .

الان ، وبعد هذه النهاية المفزعة ، فقد آن الاوان للارتداد الى الوقائع القديمة التي بدأت بها حكاية ما بعد الانهيار .

محرر العبيد

لعلي لست بعيدا عن الصواب اذا ما قلت ان اشارة البدء بتصعيد العنف هي أفلام «بكلنت ايستوود» في مرحلتها الايطالية وذلك بما ادخلته على أفلام « رعاة البقر » من عنف بدائي ساذج ورخيص .

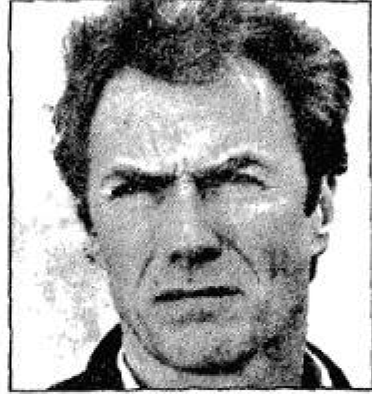
فنجاح تلك الافلام وولع الجمهور « بكلنت ايستوود » لوجهه القاسي الحاد التقاطيع نبه منتجي السينما الى أهمية العنف وضرورة الاسراع بتصعيده جلبا لمزيد من الربح .

والأدهى والأدهش أنه في الدعاية لفيلمه الاخير « الفارس الشاحب » (١٩٨٥) ــ وهو من اخراجه وتمثيله ــ أفردت صفحات وصفحات في كبرى المجلات لعقد مقارنات بينه وبين الرئيس « رونالد ريجان » في مدى الشعبية وبينه وبين رئيس آخر « ابراهام لينكولن » في مدى تشابه ملامح الوجهين .

وكيهدنا بكل اتجاه جديد في السينما خرج من العنف المتصاعد تياران :



● البرتقالة الآلية .. ازمة لوزير الداخلية ●



● كلينت ايستوود
وجه العنف الجديد ●

تيار غير فنى سائد يستغل العنف بغير هدف سوى الربح ، وآخر فنى يتناول العنف دراميا بهدف الدمغ والكشف له .

فارس الاوهام

ومن عجب أن الرقابة وقريبا من الساسة والنقاد خلط بين التيارين علىوجه التعيين الى تقبل الافلام غير الفنية التى تسيل دما طالما انها تعرض للعنف بخفة واستهتار وكأنه نكتة تثار .

والى الاعتراض على الافلام الفنية التى تطرح قضية العنف فى المجتمعبجدية تحمل الاتهام له فى مختلف صوره واشكاله .

ففى الوقت الذى ارتاح فيه ضمير بعض الرقباء والساسة والنقاد الى افلام صممت العنف ، ولا هدف لها سوى ان تتخذ من ذلك وسيلة للاثارة المدرة للربح كافلام « الطيب والشرير والقبيح » و « الفجر الاحمر » و « رامبو » هذا الفيلم الذى يمجد العنف وسفك الدماء بلا حساب ، والذى اشاد به « ريجان » عند استقباله لرهائن الطائرة الامريكية المختطفة فى بيروت ، قائلا « لقد شاهدت فيلم (رامبو) واصبحت اعرف كيف اتصرف فى المرات القادمة » .

فى هذا الوقت بالذات استيقظ الضمير لجأة ضد روائع « كالقطيع المتوحش» لسام بيكينباه و « أندريه روبليف » لأندريه تاركوفسكى لما فيها من عنف جامح لم تألفه عين ، وصمت به بعض الشاهد بغرض احداث تأثير درامى يجنح بالمتفرج الى استنكار العنف والايمان بعدم جدواه وسيلة للحياة .

صدمة عنيفة

ومما زاد من حدة هذا الاضطراب فى الحكم الرقابى ، وهذا الاهتزاز فى الميزان النقدى هجمة لمجموعة من الافلام ذات المستوى الفنى الرفيع ، ومع ذلك فيها من العنف الشىء الكثير .

وعند فيلمين من هذه المجموعة اقف قليلا :

أولهما « كلاب قش » لصاحبه « سام بيكنباه » وبطله « داستن هوفمان » الذى يمثل دور أستاذ رياضيات امريكى وديع ، آثر الاقامة مع زوجتهالانجليزية



إعصار العنف في السينما.. إلى أين ؟!

« سوزان جورج » في قريتها الهادئة على ساحل « كورنوول » بانجلترا بعيدا عن فوضى العنف بالولايات المتحدة ، آملا في ان يتفرغ للبحث العلمي عاما كاملا، غير أنه غاب عنه أن العنف لا فكاك منه في عالم يسوده العنف .

ففي هذه القرية التي تبدو هادئة رجال يطمعون في زوجته ، ويدفعهم هذا الهوى الطائش الى الاغتصاب والتعرض لحق الاستاذ في أن يكون سيدا في بيته .

وفي لحظة استفزاز ، وبعد أن فاض اناء الصبر ، يقول الاستاذ « هذا بيتي .. ولن أسمح بارتكاب العنف ضد بيتي » وتنشب المعركة بينه وبين عصابة المشاغبين الهاجمين لتنتهي بافرادها جميعا مقتولين .

اما الفيلم الثاني وهو « البرتقالة الآلية » فمن اخراج « ستانلي كوبريك » صاحب « لوليتا » و « سبارتاكوس » و « اوديسة الفضاء » و « باري ليندون » .

وفيه يتناول من خلال رؤياه الساخرة القاتمة مشاكل مجتمع المستقبل القريب .

القطعان والطوفان

ووفقا لهذه الرؤية تتنازع شوارع لندن قطعان من الفتيان تائهة في البلدة ؛ يتحكم فيها هوى الخروج على القانون بالاغتصاب والسرقة والقتل بما الى ذلك من الوان الانحراف .

اما السلطة ففي يد حكومة فاسدة يستبد بها وزير داخلية يحاول بوسائل التكنولوجيا الحديثة ان يروض زعماء هؤلاء الفتيان .. ان يجعل منهم آلات طيعة مجندة لتحقيق اطماعه السياسية .

فاذا ما انتقلنا الى المعارضة وجدناها متمثلة في صحفي مضلل يتشدق بالفاظ جوفاء عن الحرية ، يصف الشعب بهذه العبارة « الشعب قطيع يساق .. يقاد .. يدفع » .

ومن مهازل القدر ان يلقى عرض هذين الفيلمين من الجمهور والرقابة التاييد كل التاييد ، في حين لا يلقى الفيلم الاول من النقاد سوى الاعتراض ولا يلقى الفيلم الثاني من وزير داخلية انجلترا سوى الامتعاض .

صحوة رقابة

فالجمهور أقبل على مشاهدة « القش » بكيباه » و « كوبريك » مستمتعا بداستن هوفمان وهو يقتل المعتدين على كوخه دفاعا عن شرفه ، معبرا عن اغتباطه بنجاح الاستاذ في ابادة القطيع الهاجم بالصياح « حسنا فعلت » مندمجا مع « ملكولم ماكدوول » بطل « البرتقالة الآلية » حين يتغلب على غسل المخ ويعود سيرته الاولى منه ، مفتتنا اللذات .

ومدير هيئة الرقابة على السينما في انجلترا يدافع عن قرار اباحة عرض « كلاب القش » قائلا لمراسلة « الصنداي تايمز » « لقد شاهدت الفيلم ثلاث مرات .. وما ازال اتناقش من تاثيره حتى الآن .. انه يحاول ان يقول شيئا ما بامانة .. ونحن لم نشعر ان العنف في الفيلم جاء اعتباطا وبلا مسوغ .. ربما يحمل

النقاد له كراهية شديدة ، ولكني لا اظن ان احدا منهم عاب في اخراجه او قال عنه انه غير رائع .

يقال لنا دائما ان الحرب والعنف وسيلتان لفض المنازعات .. ولكنك لايمكن ان تشاهدي . هذا الفيلم ثم تخرجي من السينما وانت مؤمنة بأن العنف يصلح وسيلة لحل اية مشكلة .

ان الرقابة لايجب ان تحول بين الناس وبين مشاهدة كل ما هو ماجل وهام حتى ولو نجم عن ذلك بعض معاناة » .

غباء وغضب

اما النقاد فأرسلوا خطابا غاضبا الى جريدة « التايمز » هاجموا فيه « كلاب قش » عابوا على الرقيب «ستيفن مورفى» تناقض احكامه الرقابية وتضاربها وضربوا مثلا على ذلك بقرار منع عرض فيلم « مفاشة » لصاحبه « اندريه وارهول » الذي يعرض فيه لمأساة تعاطي المخدرات .

ولقد انعكست سورة الغضب هذه في « ديليز باول » حين كتبت مقالتها الاسبوعية في « السنداي تايمز » لتقول وهي جزعة « لاول مرة في حياتي اجدني احس بالقلق على مستقبل السينما » .

والظاهر ان اهتمام وزير الداخلية بالمنفى السينما اقتصر على «البرتقالة الالية» .

فلاول مرة في تاريخ انجلترا يتوجه الوزير بنفسه لمشاهدة فيلم سبق وان اجازته الرقابة ليتأكد مما اذا كان عرضه يتهدد القانون والنظام العام .

واغلب الظن أن ما حدا به الى اعادة مراقبة الفيلم خروجا على التقاليد هو انطواؤه على سخرية مريرة بدولة الغد العصرية ذات الطبيعة البوليسية . وكشف لوسائلها الفاشية في القضاء على ملكة الادراك ، واحالة المواطن الى لاعق حذاء .

ومهما يكن من امر هذه الازمة التي فجرها تصعيد العنف في الافلام . فان ازمة السينما المعاصرة انما ترجع في جوهرها الى اسباب اكثر عمقا واتساعا .

ومن بين هذه الاسباب تحكم الغرباء في السينما على وجه يضطر معه صانعو الافلام الى البحث عن وسائل للاثارة حتى ولو ادى الامر الى التضحية بالفن السابع وبحرية التعبير من خلاله .

وارتفاع المستوى الثقافي لجمهور السينما – على عكس جمهور التليفزيون – الامر الذي اثار التساؤل حول مصير الرقابة هل استمرارها لازم أم اختفاؤها هو اللازم .

فمن المعروف ان الرقابة تقوم اساسا على فكرة مضمونها وصاية من يعرفون « الرقباء » على من لا يعرفون « الجمهور » ، وهي وصاية تستهدف حماية الجمهور من مخاطر مشاهدة ماقد يضره ، وذلك بافتراض أن الرقباء لا يتأثرون بما يشاهدون مهما كانت درجة خطورته لانهم محصنون ضد جرثومة الافساد .

وان الجمهور ضعيف وبالتالي لايمكن أن تمنح له حرية مشاهدة كل ما شاهده الرقباء ، لان مثل هذه الحرية المسرفة في الثقة به ، لابد وان تؤدي الى انحرافه على وجه ضار بالصالح العام .

وغني عن البيان ان هذا المنطق المتعالي لا حجة فيه ، آية ذلك الاتجاه العام – رغم خطر العنف المتزايد في الافلام – الى الغاء الرقابة على السينما بالنسبة للكبار او تخفيف احكامها في كثير من الدول التي للرأي العام فيها وزن واحترام بسمح للمواطن باسترداد كل او بعض حرياته السليبة في مجال الاستمتاع بالفن السابع ابداعا وتلقيا بلا رقيب او حسيب .

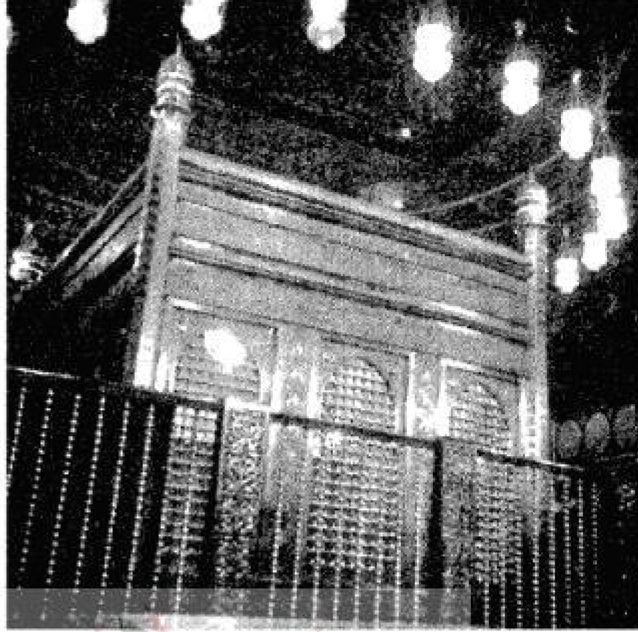


بقلم : محمد العزب موسى

الفرق والطوائف

البهرة ... الظاهر والباطن

ترددت كلمة « البهرة » فى مصر خلال السنوات الاخيرة عندما قامت الطائفة التى تعرف بهذا الاسم باهداء المقصورة الفضية لضريح سيدنا الحسين ، وكذلك تجديد جامع الحاكم بامر الله بباب الفتوح ، وعرف الناس ان هذه الطائفة تنتمى الى الشيعة الاسماعيلية الذين كانوا يحكمون مصر زمن الدولة الفاطمية ، ولكن تاريخ هذه الطائفة المقيمة حاليا فى الهند ظل غامضا ومشوشا فى اذهان الناس . وهناك بالتحديد نوع من الخلط بينها وبين اتباع اغاخان مع انهما ينتميان الى فرعين متنافسين فى الحركة الاسماعيلية الى حد القطيعة والعداء .



مقصورة الحسين الفضية التي اهدتها جماعة البهرة

وفيما يلي بعض النقاط التي تجلو شيئا من تاريخ البهرة واصل نشأتهم وعقائدهم بقدر ما تسمح هذه المساحة المحدودة .

● **ينتمي البهرة الى الجناح الاسماعيلي من الحركة الشيعية الكبرى التي تمثل الانقسام الاكبر في تاريخ الاسلام . وقد نشطت الاسماعيلية كحركة دينية سياسية من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر الميلاديين .**

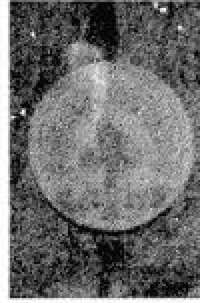
ظهرت حركة « الشيعة » او شيعة علي ، اثناء الفتنة الكبرى التي اعقبت وفاة الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » . وكانت في اول الامر اقرب الى مجرد حزب سياسي يناصر احد المرشحين للخلافة بلا ادنى فروق دينية او عقائدية تميزها عن جمهور المسلمين ، ثم اخذت هذه الحركة تتحول شيئا فشيئا الي فرقة دينية لها سمات عقيدية خاصة ابرزها الايمان بالامامة ، اي ان ورثاء السلطة النبوية الشرعيين الوحيدين هم نسل علي بن ابي طالب .

وبعد وفاة الامام جعفر بن محمد « الصادق » سنة ٧٦٥ م وهو الامام السادس للشيعة حدث انقسام في الفرقة ، فالذين قبلوا امامة ابنه موسى الكاظم باعتباره الامام السابع واعترفوا بخلفائه من بعده حتى الامام الثاني عشر عرفوا باسم الشيعة الاثنى عشرية ، وهم محافظون ، مسالمون ، يؤثرون التقية ، وهم في نفس الوقت اغلبية الشيعة ، ومذهبهم هو السائد الان في ايران .

ولكن بعض العناصر الاكثر ثورية من الشيعة رفضت الاعتراف بامامة موسى الكاظم ، وهؤلاء توقفوا عند اسماعيل الابن الاكبر لجعفر الصادق ، وقالوا انه الامام السابع والاخير ، وعرفوا « بالواقفية » او « السبعية » وفيما بعد بالاسماعيلية .

وقال هؤلاء السبعية انه ليس هناك امام ظاهر بعد اسماعيل ، وان ابنه محمد التام هو المهدى المنتظر الذى اختفى وسيظهر في نهاية العالم ليعيد العدل ويمحق الظلم .

وتطورت النظرية الاسماعيلية خلال



البهرة... الظاهر والباطن

اواخر القرن الثامن والقرن التاسع الميلاديين ، وكانت تركز على الطبيعة الثنائية لتفسير القرآن ؛ أى أن كلام الله له ظاهر وباطن وهم أهل الباطن ، ولذا أسموا أيضا « بالباطنية » وكانوا يفرقون بين المسلم العادى الذى يلتزم بظاهر النصوص والاسماعيلى الذى يتلقى المعانى الباطنية بالتعليم عن طريق استاذه. وهذه التعاليم السرية الباطنية لا يمكن الاطلاع عليها الا خلال منظمة متعددة الدرجات تنتهى الى الداعى الاكبر وهو الذى يحل محل الامام الغائب ، ويشرف الداعى الاكبر على تنظيم متدرج من الدعاة او المبشرين الذين يقودون المؤمنين بالعقيدة عبر درجات المعرفة حتى يصل البعض منهم الى المرتبة العليا وهى مرتبة الصفوة .

● نشاط فى منطقة الخليج ●

وقدم الاسماعيليون مساهمات بارزة فى الفكر الفلسفى فى الاسلام منها « رسائل اخوان الصفا » وهى دائرة معارف دينية وفلسفية متأثرة بالافكار الافلاطونية الجديدة وضعتها خلال القرن العاشر الميلادى جماعة سرية من الاخوة الاسماعيليين .

ونشط الاسماعيليون فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى فى منطقة الخليج وجنوب العراق تحت زعامة حمدان قرمط. وتمكن هذا الفرع من الطائفة الذى عرف أنصاره بالقرامطة من تثبيت اقدامهم فى العراق واليمن وخاصة فى البحرين ، وظلوا يناوئون الخلافة العباسية السنية حتى القرن الحادى عشر الميلادى .

وفى عام ٩٠٩ م تمكن زعيم اسماعيلى يدعى عبيد الله من اعلان نفسه كأول خليفة فاطمي فى تونس مدعيا أنه حفيد سلسلة من الائمة المستترين ينتسبون بمحمد التام بن أسماعيل ، ومنه ينتسب نسبه بفاطمه الزهراء بنت النبي ، ومنها جاء اسم هذه الاسرة الحاكمة فى تونس .

وفي عام ٩٦٩ م فتح الفاطميون مصر حيث بنوا مدينة القاهره والجامع الازهر، وبالرغم من انهم لم يتمكنوا من تحويل الشعب المصرى الى العقيدة الاسماعيلية الا انهم اتخذوا من مصر قاعدة لبناء امبراطورية تمتد لتشمل شمال افريقيا والشام والحجاز ، كما انشأوا شبكة واسعة من الدعاة فى كل انحاء العالم الاسلامى تمكنت من اجتذاب كثير من المؤيدين وخاصة فى سوريا وايران .

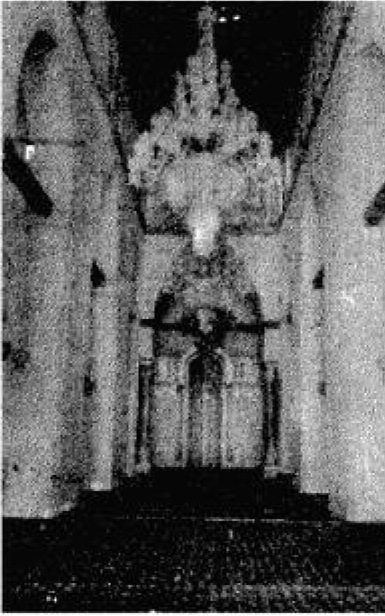
وفى أوائل القرن الحادى عشر حدث ثانى انشقاق فى الاسماعيلية بعد حركة القرامطة ، وقام به المؤمنون بقداسة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى الذى اختفى فى ظروف مجهولة اثناء تجواله فى جبل المقطم ، وتبع هؤلاء داع يسمى « الدرزى » ، وهم يقيمون حاليا فى جنوب لبنان ويعرفون بالدروز ، وكونوا ديانة مغلقة خاصة بهم .

ولكن الانشقاق العميق الاكبر فى الحركة الاسماعيلية حدث بعد وفاة الخليفة الفاطمى المستنصر عام ١٠٩٤ م وهو الانشقاق الذي ادى الى ظهور طائفة البهرة من جانب ، وطائفة الحشاشين من جانب آخر .

● بداية الشقاق ●

● دب الشقاق بين صفوف الشيعة الاسماعيلية فى داخل مصر وخارجها حول خلافة المستنصر ، فالاسماعيليون فى مصر اعترفوا بابنه المستعلى كخليفة ، ولكن اسماعيلية ايران وسوريا دافعوا عن حق ابنه الاكبر نزار فى الخلافة ، وهكذا ظهر فرعان فى الاسماعيلية هما : المستعليون والنزاريون .

فى النصف الثانى من القرن الحادي عشر الميلادى دب الضعف فى الدولة الفاطمية ، وتضاءلت قبضة الخلفاء ، وتزايدت سلطة العسكريين ، فاستدعى الخليفة المستنصر فى عام ١٠٧٤ م القائد



التجديدات داخل جامع الحاكم بأمر الله



بدر الجمالي حاكم عكا العسكري للحضور الى مصر بقواته ليأخذوا بزمام الامور .

وسرعان ما أصبح بدر الجمالي السيد الفعلي للبلاد يحمل الالقاب الثلاثة التى منحها له الخليفة : أمير الجيوش ، وداعي الدعاة ، والوزير ، دلالة على سيطرته على فروع الحكم الثلاثة : العسكرى والدينى والادارى ، غير أنه أصبح يعرف عادة باللقب الاول .

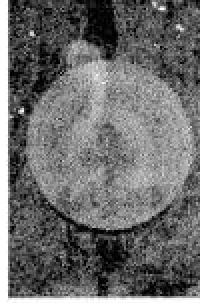
ولا تزال آثار سلطة بدر الجمالي باقية حتى الان ، فالبعض ينتمى حي « الجمالية » الذى أسمى باسمه ، وكذلك حي «مرجوش» اى أمير الجيوش. وهما من الاحياء العتيقة بالقاهرة الفاطمية القديمة .

وبعد وفاة بدر الجمالي خلفه فى منصبه وسلطاته ابنه ، ثم حفيده من بعده . وهكذا سقطت البلاد فى قبضة سلسلة متتابعة من الحكام العسكريين الذين يحكمون بأسلوب دكتاتورى . وكانت هذه اشارة النهاية للاسرة الحاكمة الفاطمية .

ولكن هذا الانحطاط السياسى الذى أصاب الدولة آثار السخط والمعارضة من جانب العناصر الاكثر نضالية من أعضاء الفرقة الاسماعيلية ، وتجمعت هذه العناصر وراء نزار الابن الاكبر للخليفة المستنصر وولى عهده الرسمى الذى ارتضاه رجال الفرقة ، وكان نزار شابا ناضجا ميوله مع الثوار ، ولكن عندما مات المستنصر فى عام ١٠٩٤م رفض أمير الجيوش الافضل الذى خلف أباه بدر الجمالي فى وضعه كدكتاتور عسكرى أن ينصب « نزار » ، وأجلس أخاه الاصغر « المستعلى » على عرش أبيه ،وهذا المستعلى كان شابا ضعيف الشخصية لا يخشى خطره ، وفوق ذلك كان زوجا لابنة الافضل الذى دبر هذا الزواج عن عمد استعدادا لهذه اللحظة ، حتى يكون الخليفة الجديد طوعا لبنانه .

وفر نزار الى الاسكندرية مع مجموعة من أنصاره ، وهناك هب فى ثورة محلية أحرزت نجاحا مبدئيا ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر وقتل فى سجنه بعد ذلك .

وأدت هذه الاحداث الى انقسام الفرقة الاسماعيلية من الراس الى القدم ، فالذين



البهرة... الظاهر والباطن

كانوا يناصرون نزار ، ومعظمهم من اسماعيلية الشرق فى سوريا وفارس ، رفضوا الاعتراف بخلافة المستعلى، وقطعوا علاقتهم بالمؤسسة الفاطمية الواهنة فى القاهرة . وهؤلاء تزعمهم حسن الصباح على الفور وانشأ بهم فرقة ثورية جديدة عرفت فيما بعد « بالحشاشين » ولعبت دورا متزايد الاهمية فى سياسات المنطقة.

ولم يمض وقت طويل حتى كان الاسماعيليون الذين قبلوا المستعلى كخليفة قد قطعوا علاقتهم كذلك بالنظام القائم فى القاهرة . ففى عام ١١٣٠ اغتيل «الأمير» ابن المستعلى وخليفته بأيدى النزاريين، ورفض اتباعه ان يعترفوا بالخليفة الجديد ، ونمت بينهم عقيدة بأن ثمة ابن طفل ضائع للأمير يدعى « الطيب » هو الامام المخفى والمنتظر ، ولن يكون هناك ائمة بعده .

وعندما لغى القائد الكردى صلاح الدين



جامع الحاكم بأمر الله
قامت البهرة بتجديده وترميمه

« الأيوبى » على الخلافة الفاطمية فى مصر عام ١١٧٢ غادر اتباع المستعلى البلاد ، وذهبوا الى اليمن ثم الهند حيث جنحوا الى الهدوء والركود ، واصبحوا يسمون « بالبهرة » .

● ورث البهرة « المستعليون » العقائد التقليدية فى الفكر الاسماعيلى مثل فكرة الامامة والتفسير الباطني للقرآن .. الخ فهم محافظون على « الدعوة القديمة » بعكس النزاريين « الحشاشين » الذين حوروا فى هذه العقائد واسموا انفسهم اصحاب « الدعوة الجديدة » .

● محورية الامامة ●

ويرتكز النظام الاسماعيلى ، فكرا وتطبيقا ، حول فكرة محورية هى « الامامة » .

فهم يؤمنون أنه بعد أن تم خلق العالم نتيجة فعل « العقل الكونى » فى « الروح الكونية » دخل التاريخ البشرى فى سلسلة من الحقب أو الدوائر ، على راس كل منها امام « ناطق » وهو النبى المرسل من الله ، ويتتابع بعده أئمة « صامتون » وهؤلاء الائمة يكونون احيانا « مستترين » واحيانا « ظاهرين » تبعا لفترات اختباء العقيدة أو ظهورها .

ويقولون ان الامام الناطق للــدورة الحالية هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتلوه الائمة الصامتون « الظاهرون والمستترون » من نسل على وفاطمة عبر اسماعيل .

والامام الناطق أو النبى يعلن « الشريعة » ولكن الامام الصامت يفسر « الحقيقة » ، ولذلك فان مقام الامام يكون احيانا أعلى من مقام النبى !.

والامام هو ينبوع المعرفة والسلطة معا ، لانه مطلع بالتلقين اللدنى على الحقائق المخفية عن الاخرين ، ولذا فان أوامره تقتضى الطاعة التامة التى لا تناقش ، وهو الذى يعلم أتباعه ومريديه ، وليس هناك مصدر آخر للعلم سواه . ولذا أسموا أحيانا « بالتعليمية » لان مذهبهم يدعو الى ابطال الرأى ، وابطــال تصرف العقول ، ودعوة الخلق الى التعلم من الامام المعصوم « فضائح الباطنية للغزالى تقديم عبد الرحمن بدوى » .

وعلى ذلك ، فان الائمة فى الفــكر الاسماعيلى معصومون من الخطأ وموحى اليهم ، اى انهم فى الحقيقة مقدسون لا تجوز مخالفتهم او مساءلتهم فى شيء مهما بدا غريبا فى اعين البعض .

ويرون ان القرآن الــكريم له ظاهر وباطن ، والامام هو القادر على « تأويل الباطن » اى التفسير الرمزى للقرآن ، ومن ذلك اشتق تعبير « الباطنية » الذى عرفت به الفرقة احيانا .

وقد فتح هذا المجال أمام بعض فروع الفرقة لانتهاج تعاليم مناقضة ترجع الى اقصى التطرف الالحادى والصوفى الذى عرفه الاسلام ، الى حد أن قالوا أن حرفية الشريعة تلغى بالنسبة للاسماعيلى المؤمن .

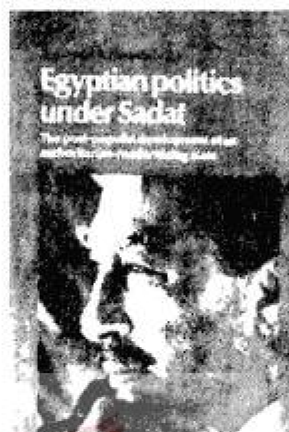
● بهرة الهند ●

عندما غادرت طائفــة المستعلية مصر نقلت مركزها الدينى الى اليمــن حيث كانت قد اكتسبت لنفسها موطأ قدم هناك عن طريق الدعاة فى القرن الحادى عشر . وقصد بعضهم الهند حيث اشــتغلوا بالتجارة فى جوجارات ، فعرفوا بالبهرة ومعناها بلغة جوجاراتى « التجار » .

وفى عام ١٥٣٩ ، وكانت طائفة البهرة قد قويت فى الهند ، انتقلت القيادة من اليمن الى سيدهبور بالهند . ولكن لم يلبث ان حدث انشقاق فى الطائفة عام ١٥٨٨ بين أتباع داود بن قطب شــاه واتباع سليمان ، وكل منهما كان يدعى لنفسه الاحقية فى الزعامة على الطائفة .

ولا يزال الداوديون والسليمانيون هم اكبر مجموعتين داخل طائفة البهرة الى اليوم ، وليست بينهم اختلافات عقائدية كبيرة . ويقيم داعى الداوديين فى بومباى ، وزعيم السليمانيين فى اليمن . والداوديون هم الذين اهدونا مقصورة الحسين الفضية ورمموا جامع الحاكم بأمر الله .

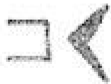
أما الخلاف العقائدى بين البهرة واتباع اغاخان ، وهم احفاد النزاريين ، فكبير ، بالــرغم من ان الفــريقين يدعيان بالاسماعيلية ، فالبهرة يعتقدون فى وجود امام مستتر ، أما أغا خان فهو فى اعين اتباعه امام ظاهر ، وهذا ما يعطيه قداسة ترفعه من مستوى البشر .



السّياسة المصريّة في عهد: السادات

تأليف : ريموند ا . هينبوش
عرض : د . أمين العيوطي

هذا كتاب يحاول أن يجيب على أسئلة كثيرة : كيف استطاع السادات أن يقوض الكثير مما فعله عبدالناصر في فترة وجيزة ؟ كيف أمكنه أن يقوم بهذا دون إجماع شعبي على شخصه أو سجله ؟ هل جاء التغيير نتيجة ضغوط قوى اجتماعية داخلية ، أو قوى سياسية خارجية ، من الذي كسب من التغيير ومن الذي دفع الثمن ؟



وبداية فإن الكتاب ينطلق من مفهوم أنه على الرغم من الانفصال بين المرحلتين، إلا انهما فيما بينهما تشكلان مرحلتين فى عملية تكوين الدولة المصرية الحديثة التى وضع عبدالناصر قواعد مؤسساتها، وأوجد لها مكانا بين النظم الاقليمية الدولية، فى حين اكد السادات هذه الدولة الجديدة من خلال مصالحتها مع القوى السائدة فى بيئتها.

بدأ المشوار منذ أن أشعل القضاء على الملكية صراعا على السلطة شاركت فيه قوى اجتماعية عديدة. غير أن الضباط الاحرار قرروا الايتقاسموا السلطة مع أحد ولاحتى باسم الديموقراطية، خشية أن يؤدى التقاسم إلى تهديد حلمهم بالتحديث والاصلاح وانشاء دولة قوية. وادت المعارضة المدنية التى لقيها الحكم العسكرى الى تصفية كل القوى السياسية المعارضة. وكان على النظام أن يخرج من عزلته السياسية بتكوين قاعدة جماهيرية. وقد ساعدت شخصية عبدالناصر الفذة على تقبل الجماهير له بطلا شعبيا يمكنها أن تثق فيه، وخاصة بعد انتصاراته السياسية مع الاستعمار والاحلاف الغربية بالمنطقة وحظر بيع السلاح لمصر وتاميم قناة السويس وتحديه للعدوان الثلاثى والوحدة مع سوريا وإحياء الروح القومية واستعادة الكرامة المصرية. أطلق كل هذا يد عبدالناصر فى تغيير مصر بإحساس أن الشعب قد أوكل إليه وصاية شعبية. لكنه فى الوقت نفسه دعم ميول الضباط الاحرار الدكتاتورية واهمالهم خلق مؤسسات سياسية.

● دولة دكتاتورية - بيروقراطية ●

كون هذا النظام دولة تقوم على الدكتاتورية والبيروقراطية على قمة الدولة كان الرئيس يسيطر على النظام، ويسخر الرئاسة فى خدمة رؤياه للصالح العام. وكان عبدالناصر يتمتع بالنزاهة والشرف، والتوحد مع الجماهير، والحائز، وقوة الاحتمال، وبهذا جعل الرئاسة مصدر المسئولية الأول فى النظام، وركز المبادرات فى الرئاسة على حساب المؤسسات السياسية الأخرى.

حول عبدالناصر كانت هناك صفوة من العسكريين وحفنة من المدنيين خارج حدود هذه الدائرة، كانت الصفوة الحاكمة تتألف من محترفى السياسة والتكنوقراط يشغلون وزارات اقل اهمية سياسيا، مع وجود وكلاء وزارات ومحافظين من الضباط كهمزات وصل أمينة سياسية بين القيادة ومواقع العمل، كان العسكريون المنتشرون فى قمة جهاز الدولة يقومون بتنفيذ سياسات النظام، والخبراء المدنيون يوفرون لهم الكفاءة التقنية اللازمة.

ولم يتقاسم عبدالناصر السلطة مع أحد، كان المسئول الأول عن المبادرات السياسية التى كانت تناقش فى اجتماعات مجلس قيادة الثورة، أو داخل الوزارة، وإن كان يسمح أحيانا لمجلس الشعب والصحافة أو أصحاب المصالح بابداء الرأى، وكان تركيز السلطة فى يده عاملا هاما فى احداث تغييرات أساسية سريعة، وإن كانت القرارات الخاصة بهذه التغييرات تتجاهل العقلانية التقنية ووجهات نظر أصحاب المصالح.

فيما دون هذا المستوى كان كبار البيروقراطيين والوزراء وقادة الجيش يديرون الوزارات والقطاع العام والقوات المسلحة. وقد جاء معظمهم إما من النظام القديم، أو من تكنوقراطى الطبقة الوسطى الكبرى، أو من أبناء الطبقة الوسطى والوسطى الصغرى الذين أتاح لهم توسع التعليم فرصة الصعود الاجتماعى. وكان أحد أهداف النظام الجديد رفع كفاءة البيروقراطية وتوسيع وظائفها، غير أن التوسع البيروقراطى سرعان ما أثبت أنه عقبة فى سبيل التنمية لانعدام كفاءته وفاعليته واحساسه بأخلاقيات العمل والاحساس بالواجب. هذا بالاضافة إلى سوء معاملة الجمهور واستغلال الموقع. رغم ذلك لم يكن

هناك بديل للبيروقراطية لتنفيذ برامج النظام من الاصلاح الزراعي الى توسيع الخدمات الاجتماعية .

كان نظام عبدالناصر سلطويا بيروقراطيا ، لكنه لم يستغن عن بناء سياسي تحتي للتحكم في المعارضة ، واقامة قاعدة شعبية ، وتوفير قناة اتصال بين الصفوة والجماهير . لكن مثل هذه الابنية لم تحقق استقلالا ذاتيا ، وكانت المؤسسات التنفيذية ترجح المجالس النيابية ، كذلك كانت الوزارة مسئولة أمام رئيس الجمهورية ، لاامام المجلس النيابي . وكان من سلطات الرئيس التشريع بمرسوم ، وحل المجلس النيابي .

كذلك اسس النظام حزبا واحدا لم يكن له **هو الآخر** استقلال ذاتي . كان يضم اسميا **كل السكان** بغض النظر عن **التزاماتهم السياسية** . وبالتالي انضمت اليه عناصر **معادية** للنظام . على قمة الحزب كان **الضباط الأحرار** ، يليهم البيروقراطيون ، **يليهم المسئولون** المحليون او الشخصيات **البارزة** . لكنه لم يكن مسموحا له بوضع **سياسات بديلة . ولما كان ينقصه التماسك العقائدي والهيكل التنظيمي فقد فشل في تعبئة الجماهير وتنفيذ السياسة . هكذا فشلت الناصرية في أن تؤسس نفسها من خلال حزب عقائدي يضمن استمرارها .**

وبالمثل كانت نقابات العمال تحت وصاية الدولة ، تستخدم للمحافظة على النظام في المهن المختلفة وحظر الاضرابات . أما وسائل الاعلام فكانت أداة لتكوين الرأى العام ، ونقل وجهات النظر الحكومية . ورغم السماح لها بالنقد والمناقشة ، إلا أنها لم يكن يسمح لها بمعارضة سياسات النظام . في كل الحالات فشل النظام في تأسيس مشاركة سياسية فعالة .

● تحلل الدولة الناصرية ●

كان اتساع التناقضات بين السياسة الاشتراكية وبين شرائح البرجوازية السائدة في قاعدة النظام الاجتماعية العامل النهائي في تقويض الناصرية . فقد سمحت استراتيجية التنمية لفئة الرأسمالية الوطنية بالعمل في مجالات الانشاءات والزراعة والتجارة . فاكثروا من احتكارات تجارة الجملة ، والتعامل في السوق السوداء . وفي الريف حول ملاك الأراضي سياسة التنمية الزراعية لصالحهم كذلك استغل المقاولون والتجار الدولة واخفوا أموالهم بدلا من استغلالها وكان كثير من المشرفين على تخطيط الاقتصاد الاشتراكي وادارته ليبراليين غير متعاطفين مع الاشتراكية ، شأنهم شأن مديري القطاع العام الذين جاءوا من صفوف ملاك سابقين أو من مؤسسات مؤممة . حتى العناصر التي اجتذبها النظام من أبناء الطبقة الوسطى الريفية ووصلت إلى مراكز عليا مالبثت أن التقت أهدافها مع أهداف الفئات السابقة . بل وإن بعض الضباط الأحرار أنفسهم مالبثوا أن «تبرجزوا» بزواجهم من العائلات القديمة ، وانفصالهم عن أصولهم ، ودخولهم في تحالفات مع برجوازية القطاع الخاص ، وفقدان الاهتمام بدفع الثورة . كان الاعتماد على عناصر معادية لتنفيذ الاشتراكية هو ما قوض الجهد كله . كان عبدالناصر يحاول بناء اشتراكية بدون اشتراكيين ، وبدون حزب قوي فعال ، وبدون نشر وعي سياسي حقيقي في الشارع المصري . وبدون مؤسسات سياسية ذات مصلحة يمكنها الدفاع عن النظام .

وقد قوضت هزيمة ١٩٦٧ الناصرية كسياسة خارجية ، ودمرت مصداقية القومية العربية . ووضعت حدا لتحدى عبدالناصر للدول البترولية المحافظة . كذلك ادى فشل الاتحاد السوفيتي في حماية حلفائه في المنطقة الى تقوية العناصر

ماقام به الزعيم . ومن داخل النظام كان اليسار يدعو الى تعميق الثورة . وتعبئة الجماهير لحرب شعبية . والتقشف . وكان اليمين يدعو الى تحرير الاقتصاد والاتجاه للغرب . وأدى هذا الى حل « منظمة الشباب الاشتراكي » ، واهمال الجمعيات الزراعية ، وعودة الأثرياء الى مجلس الشعب ، والسماح باستيراد الكماليات لارضاء البرجوازية ، مع فرض ضرائب جديدة على رواتب العمال وضروريات الحياة . وأدى عدم توزيع الأعباء توزيعا عادلا الى مزيد من الهجوم على الاشتراكية بعد تولى السادات .



جمال عبدالناصر

● صنع مصر السادات ●

في الفترة ما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ كان السادات يكافح ليؤكد وضعه كرئيس جديد ضد منافسيه من الجناح اليسارى فى مجلس قيادة الثورة ، وهو الصراع الذى كشف عن وضع الجناح اليسارى الهش داخل مؤسسات الدولة العسكرية والسياسية ، وعجزه عن تحريك الجماهير لصالحه ، وانتهى بالقبض على معارضى السادات وشغل مواقعهم بشخصيات موالية له ، هكذا انتهى الضباط الاحرار كقوة سياسية تسيطر من موقع القوة ، مما ترك السادات حرا فى توجيه مصر الى اليمين .



انور السادات

كان هم السادات الأول إيجاد طريقة لانهاء احتلال سيناء ، ليكسب شرعيته كرئيس . وكان حل الموقف العسكرى يعنى حل الموقف الاقتصادى المترتب على اغلاق القناة وتكاليف الجيش عند ضفة القناة . ومنذ البداية أبدى السادات استعداده لاقرار المشكلة ولو جزئيا من خلال المفاوضات غير أن الولايات المتحدة كانت مصممة على إبقاء اسرائيل قوية ، فى حين راحت تلوح للسادات بامكانية الحل السلمى تحت رعايتها . ولم يكن السوفيت على استعداد لاعطاء مصر العتاد العسكرى اللازم للهجوم لتشككهم فى جدية مصر فى الاعداد

المناوئة لموسكو والموالية للغرب . وجاء قبول عبدالناصر بخطة روجرز اعترافا منه بالدور الذى يمكن ان تقوم به أمريكا .

ولدت الهزيمة ايضا أزمة اقتصادية استنزفت النظام من الداخل لانقطاع دخل قناة السويس وحقول بترول سيناء والسياحة . كذلك فرضت على الدولة أعباء إعادة إنشاء القوات المسلحة وتوطين اللاجئين مما ترك اثره على جهود التنمية والركود الاقتصادى .

وفى الداخل ولدت الهزيمة عدم ثقة الجماهير بالنظام . ومع اليأس والسلبية لم تكن هناك اية مقاومة لمن كانوا ينشدون تفويض

السادات

للحرب ، وخوفهم من أن ينتهى نفس نهاية ١٩٦٧ مما قد يؤدى الى مواجهة مع الولايات المتحدة ، خاصة من أجل نظام تخلص من الجناح اليسارى فيه وابدى استعداده للتوجه غربا . وكان أن طرد السادات المستشارين العسكريين السوفيت فى ١٩٧٢ . غير أن مناورات السادات بين القوتين الأعظم أدت الى حصوله على كميات هائلة من السلاح الروسى كافية لتحقيق عبور القناة ، فى حين كانت الدبلوماسية المصرية تناور فى واشنطن لحل الأزمة سلميا . لكن الوسائل الدبلوماسية لم تكن كافية لاقناع الأمريكيين ، مما دفع السادات الى اشعال حرب محدودة لاحرب شاملة . كانت الحرب تعنى فى النهاية خطوة نحو سلام جزئى ، وتخلى مصر عن التزاماتها العربية وموقفها ضد الامبريالية .

● السادات يعيد توجيه مصر ●

اكتسب السادات شرعيته باعتباره « بطل العبور » واستغل مكتسبات الحرب لتغيير سياسة مصر الخارجية واستراتيجيتها الاقتصادية . وهكذا قاد ثورة مضادة أدت الى استعادة البرجوازية لمكانتها والى الانفتاح على الغرب . وكان هذا يعنى تغيير سياسة عبدالناصر الخارجية القومية فالانفتاح يقابله التخلى عن عدم الانحياز ، والوحدة العربية يحل محلها شبكة علاقات اقتصادية ودبلوماسية بين مصر والغرب ، وتقويض العلاقات المصرية السوفيتية ، وانسحاب مصر من الصراع العسكرى .

وقد أدركت الولايات المتحدة أن مصر كانت مستعدة لاتفاقية سلام ، وأن وساطتها ستمكنها من حماية مصالحها وتقليص النفوذ الروسى فى المنطقة ، لكن اتفاقية السلام حرمت المنطقة من تسوية شاملة ، وأضعفت اختيار الحرب خاصة بعد موافقة السادات على سحب الصواريخ من ضفة القناة وعلى وجود قوات رمزية فى سيناء . وبفقدان هذا الاختيار راهن السادات على الوساطة الأمريكية بمكانته ، وأضعف العلاقات المصرية السوفيتية . وبحرمان مصر من الدعم العسكري السوفيتي تدهورت قدرة مصر العسكرية ، وقدرتها على المساومة .

وقد أدى الانفتاح إلى تحديد اتجاه جديد فى السياسة الاقتصادية . فقد أدى إحياء القطاع الخاص واجتذاب رءوس الأموال العربية والعالمية الى قلب الاقتصاد الناصرى وربط مصر بالنظام الرأسمالى العالمى . وساعد على دعم هذا الاتجاه الكساد الاقتصادى والديون الخارجية وغياب الدعم السوفيتى المادى والتكنولوجى ، وانعدام الثقة فى القطاع العام ، والتطلع نحو الدعم المتاح من الغرب ، وتزايد السكان ، واعتماد مصر على فائض الطعام فى الغرب . وأدى هذا المسار الى تزايد طلب المستثمرين الاجانب والعرب التخلص من السياسات الناصرية فى صالح السوق الغربى . وعلى المستوى المحلى استعادت برجوازية القطاع الخاص سيطرتها الاقتصادية ونفوذها السياسى ، وراحت تطالب بتحرير الاقتصاد وفتح فرص جديدة مع الشركات الغربية وعيونها على فرص الثراء والعمولات والوظائف المجزية فى الشركات الأجنبية . وكان السادات يشاطر البرجوازية الرأى فى أن اشتراكية عبدالناصر قد وصلت الى طريق مسدود ويشعر بالحاجة الى تدعيم مكانته وسط البرجوازية الجديدة ، وباركت الولايات المتحدة هذا الحلف بين السادات والبرجوازية .

● كشف حساب ●

وصلت سياسة السادات الخارجية الى قمتها فى أواخر السبعينات بتضحية مصر

بمكانتها فى العالم العربى فى مقابل سلام منفرد مع اسرائيل . بل ان السادات اكتشف فى كامب ديفيد كم كان فى امكان الضغط الامريكى أن يجلب له فى غيبة أى تهديد عسكرى حقيقى لاسرائيل . ولم تقدم اسرائيل تنازلا كبيرا فيما يتعلق بالحكم الذاتى للضفة الغربية ، أو تقليل بترتيب اتفاق مشابه مع سوريا بشأن الجولان . وكان على السادات أن يعترف بفشله وأن يخسر مكانته « كبطل السلام » ، أو أن يقبل صلحا منفردا . وربما صدقت التاكيدات الأمريكية بان كامب ديفيد سوف تؤدى الى تنازلات اسرائيلية جديدة . والحقيقة انه هو الذي اعطى تنازلات ابعد حين تنازل عن الربط بين السلام والتطبيع وبين الحكم الذاتى للفلسطينيين . بل ان بنود المعاهدة ذاتها أضعفت من سيادة مصر على سيناء . ولم تكن عزلة مصر عن العالم العربى تعنى فقدان السوق العربية والاستثمارات العربية ، لكنها تعنى ايضا فقدان المستثمرين الاجانب الذين كانوا يريدون مصر قاعدة لعملياتهم فى الشرق الأوسط . وفى مقابل حرق كل سفنه مع الاتحاد السوفيتى تزايد اعتماد السادات على المساعدات والدبلوماسية الأمريكية . وقد تزايد ظن السادات أن اقناع امريكا بأن تلعب مصر دور اسرائيل فى المنطقة قد يضعف قيمة اسرائيل بالنسبة لأمريكا . هكذا جاءت مساعداته العسكرية للسودان وزائير ، وحرب الحدود مع ليبيا ، ومنح القوات الأمريكية تسهيلات فى مصر . وكان كل ما حصلت عليه مصر من أمريكا أسلحة لا تسمح لها بالتفوق على اسرائيل ، وبليون دولار مساعدة اقتصادية .

● السادات والمعارضة ●

أدى الانفتاح الى انتعاش المقاولين والمضاربين فى العقارات والتجار والمستوردين ووكلاء الشركات الأجنبية ووكالات السياحة والبرجوازية الزراعية وبرجوازية الدول العاملة فى المشروعات المشتركة والمسئولين الذين يحصلون على عمولات من إبرام عقود الدولة والبرجوازية الطفيلية . ومن ناحية أخرى تحملت الطبقة الوسطى الصغرى والطبقات الدنيا تكاليف الانفتاح ، وزاد التضخم والبطالة ، وزادت الفروق بين الطبقات . لكن المصادر الجديدة ، والدخول المتزايدة ودعم المواد الغذائية وتصدير العمالة ساعدت على تخفيف حدة الصراع الطبقى .

لكن السادات واجهه فى ١٩٧٦ رد فعل متزايد ضد سياساته فى اليمين واليسار معا ، وصل إلى قمته فى انتفاضة يناير ١٩٧٧ ، التى كانت ضربة موجعة لسلطته وهيبته . وكانت مناسبة لأول هجوم مكشوف قام به على عبدالناصر والاشتراكية واليسار ، وفى صيف نفس العام جاءت الضربة التالية من الجماعات الاسلامية التى كان النظام يشجعها من قبل والتى تحولت ضد السادات بعد اتجاهه للغرب . وقد حاول احتواء هذا التيار بتحريك المؤسسة الاسلامية الرسمية ضدها ، وعن طريق تبنى سلوك ورع محافظ . وفى ١٩٧٨ ظهرت موجة من النقد تركزت حول المشاكل الاقتصادية والفساد وبيع هضبة الهرم وأسلوب السادات الشخصى فى الحياة المرفهة وأنشطة معاونيه . وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ أعاد السادات تشكيل « وزارة سلام » هدفها الديموقراطية والسلام والرخاء ، غير أن الرخاء لم يأت ، وبدت آثار عزلة مصر عن العالم العربى وخيبة الظن فى رخاء السلام تبدو فى معارضة سياسة الانفتاح وانعدام الديموقراطية وديكتاتورية الحكم ، وفى انضمام الجماعات الاسلامية الى صفوف المعارضة خاصة بعد نجاح ثورة الخمينى ، مما أدى الى عزل السادات عن حلفائه السابقين . وقد حاول تلطيف معارضة الجماهير بتخفيض الأسعار وفرض الرقابة عليها ليحول المعارضة

السادات

المتزايدة لعلاقاته مع الغرب واسرائيل ، لكنه لم يلبث أن لجأ الى سياسة القمع فى ١٩٨١ مما أدى الى مصرعه فى أكتوبر من نفس العام .

● حكم السادات : ملكية رئاسية ●

فى ظل حكم السادات ظل تركيز السلطة فى يد الرئيس . لكن قواعد السلطة وتوجيهها أصبحت أقرب إلى « ملكية رئاسية » فى ميله الى التعامل مع الدولة كما لو كانت ملكية خاصة ، ومع المواطنين على أنهم اتباع سياسيون . كما انه اعتمد على استخدام أسلوب الحكم التقليدى « فرق تسد » ، واحتمال الفساد . وخلق شبكة عائلية فى مواقع استراتيجية . كما أصبحت سلطة السادات تقوم على رموز الحكم الدينى والأبوى (كبير العائلة) . وأصبحت السلطة فى يده وسيلة للمحافظة على نظام ما بعد الثورة وتثبيته .

وفى عهد السادات اختفت رموز الثورة ، بل أصبحت موضع هجوم لم تسلم منه الاشتراكية أيضا . فى مقابل هذا دعا السادات الى مجتمع يقوم على العائلة والدين وجد له مجتمعا نموذجيا فى مجتمع القرية الذى يتسيده كبير العائلة ، وتنبع منه قيم العيب ، ويتناغم فيه الفقير والثرى ، ويختفى منه الحقد الطبقى . وتسوده قيم التحمل والارادة والتسامح والتماسك ، ويستمد مصادر طاقته من الدين الذى يحميه من الالحاد الماركسى والمادية الفردية

كانت هذه النغمة تعكس محاولة لتخدير الصراع الاجتماعى لم تنخدع بها الصفوة المثقفة ، لكن الفئات الدينية والملاك الزراعيين المحافظين راوا فيها عودة إلى القيم التقليدية الأصيلة .

وقد استمر خط دكتاتورية الرئاسة خاصة فى تصورات أبوية الحكم . لكن الصفوة أصرت على أن مصر كانت تتحرك فى ظل السادات من الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية ، بعد إحلال حكم القانون محل الحكم الشخصى ، واحلال تعدد الأحزاب محل الحزب الواحد . ورغم ذلك فإن السادات كان يرى ان الديموقراطية تجلب معها أخطارها خاصة مع جماهير اعتادت الديكتاتورية بحيث تنساق الى الفوضى والتمرد إذا منحت حريتها بسرعة كبيرة ، وكان بعض أفراد الصفوة الحاكمة يرون أن الجماهير ينقصها الاحساس بالمسئولية التى تتمشى مع حقوقها السياسية .

● الجماهير والمشاركة السياسية ●

ظلت مصر فى عهد السادات دولة دكتاتورية بيروقراطية بلا مؤسسات فعالة قادرة على تعبئة الجماهير فى المشاركة السياسية . ورغم أن تغير الظروف الموضوعية قد جعل المصريين أكثر ميلا الى التعبئة السياسية . فقد أدى تحول مصر من مجتمع زراعى الى مجتمع طبقى إلى خلق وعى سياسى ذاتى كبير . وقد أسهم التعليم ووسائل الاعلام فى توسيع القاعدة الاجتماعية للمشاركة السياسية ويشهد بهذا النشاط السياسى فى الجامعة والمصنع والشارع .

وقد كان ربط الجماهير بالصفوة الحاكمة فى ظل عبدالناصر والسادات يهدف الى احتواء المطالب الجماهيرية والسيطرة على المعارضة حتى يتوافر النظام على متابعة السياسات التى يعتقد انها الأفضل . لكن عبدالناصر كان يخشى النشاط



حسنى مبارك

السياسى للطبقات المتعلمة والبرجوازية والمثقفين ، اما السادات فقد كان يرى فى البرجوازية قوى صديقة ويتيح لها المجال فى المشاركة السياسية فى حين كان يخشى الجماهير ويخشى تسييسها .

وكان نظام السادات مرتبطا بالمجتمع من خلال الحزب الحاكم ، المجلس النيابى ، النقابات ، المجالس المحلية ، كقنوات لاستيعاب متطلبات المشاركة وتعبئة دعم الناس للنظام . غير أن كفاءة هذه الأجهزة لم تتضح إلا فى حالة المتعلمين الذين يملكون . وكانت البيروقراطية رابطة هامة اذ كانت تضم آلاف المواطنين وتتغلغل أبنيتها فى أوساط الناس . وكان السادات نفسه يلعب دور الراعى الأول وهو يوزع الأراضى المستصلحة والمساكن الجديدة على سكان الأحياء الفقيرة ، أو فى منح مكافآت لموظفى الدولة فى المناسبات . وكان الوزراء يربطون ما بين الناس والحزب . كما كان السادات يستخدم المؤسسة الدينية لعقد صلات مع الطبقات الدنيا ، ولاضفاء المشروعية على السياسات الحكومية ، أو استنكار المعارضة . وكانت وسائل الاعلام وسائل ربط أخرى . وفى حالة فشل كل هذه الوسائل كان السادات يلجأ الى جهاز القمع لمواجهة أى محاولة لتحدى النظام . وفى أواخر السبعينات لجأ الى توسيع قوات الأمن ضد أى معارضة نشطة .

ولما كان السادات قد أسس حكمه على دعم البرجوازية ، فقد اصبح المجلس النيابى والنقابات المهنية وسائل فعالة للتعبير عن مصالح البرجوازية ، فى حين أن اية محاولة لاستخدام اتحادات الطلبة أو الجوامع أو نقابات العمال كقنوات للتعبير عن مصالح أخرى لم تكن تلقى نفس التسامح ، وهو ما يعنى أن المشاركة السياسية كانت مقصورة على اصحاب المصالح الاقتصادية التى تتمشى مع سياسة الانفتاح .

● ما بعد السادات ●

بعد أربع سنوات من وفاة السادات ظل النظام الجديد الذى اسسه متماسكا ، وظلت بنية الدول السلطوية البيروقراطية قوية . ويشهد بذلك تولى الرئيس مبارك السلطة فى هدوء على خلاف ما حدث عند تولى السادات نفسه السلطة . وتدل سرعة ممارسة الرئيس مبارك لكامل سلطاته على اكتساب منصب الرئاسة صفته الدستورية ، ومدى سيطرة الشرعية القانونية . وقد أعاد الرئيس مبارك بعث الليبرالية التى أوقفها السادات فى ١٩٨١ ، فسمح بصحافة المعارضة وأحزابها بممارسة نشاطها من جديد . وقد أدت محاكمات الفساد الى اعادة ثقة الجماهير فى النظام . كان هذا دليلا على القوة والمرونة .

وقد طرحت آراء حول اصلاح الانفتاح ، لاعن التخلص منه . ذلك أن السادات قد خلف وراءه بناء سياسيا متماسكا يضرب بجذوره فى تربة القوى الاجتماعية السائدة ، قادرا على الصمود امام أى تغيير . وسوف يؤدى استمرار الانفتاح الى مزيد من توسيع قاعدة الليبرالية .

قصة

المقابلة

بقلم : حسين عيد

« لقد كان الوعد ظهرا .. فلماذا لم يظهر حتى الان ؟! »

كانت الشمس تصلى الواقفين نارا حامية . احس بها تلهب راسه . تذكر البرقية حاول ان يخترق الجموع المحتشدة امامه .. بصعوبة شديدة امكنه ان يتقدم . وصل الى البوابة الضخمة وجد رجال الامن امامها ، يوقفون تقدم اى شخص ..

اقترب من احدهم . اخرج له البرقية: لقد قال لى ان نقابله هنا .. فهل سيأتى اليوم ؟!

ازاحه رجل الامن للوراء بقسوة ـ : لا تحاول ان تتقدم .. ارجع للوراء فورا ..

ـ ولكنى فقط ..

ـ قلت لا تحاول ..

كان الى جواره عجوز يرتدى جلبابا .. وعمامة بيضاء ضخمة على راسه .. اندفع للامام محاولا اختراق البوابة، وتجاوز رجال الامن ، الذين سرعان ما احضروه .. فاخرج لهم برقيته ايضا . نشرها امامهم . انتزعها احدهم، مزقها قذفها الى اعلى فتناثرت مزقها في الهواء .. وبسرعة دفعوه للخلف . اجبروه على التراجع ..

كان الرجل يرقب العجوز صامتا .كور البرقية في يده . اندس بين صفوف الواقفين بهدوء ..

قال الرجل لمرافقه : حتى السؤال فشلت محاولته ..

ـ لننتظر .. فالبرقية تؤكد مجيئه..

ـ الى متى يمكن ان نحتمل ؟!

بدا الرجل يجفف عرقه .. كانت الشمس الحمراء تطارده الان : تكاد تفجر راسه .. جلب مرافقه من يده : لنتزو في مكان ظليل ..

انقاد له الاخر ، تحركا بين جموع المحتشدين . وجدا مكانا قريبا على حافة الرصيف في الظل . جلسا فيه . تطلع الرجل حوله .. كان المكان مزدحما .راى ـ بجواره مباشرة ـ بعض الرجال جالسين وآخرين ممددين على الارض . وقد توسد بعضا منهم متاعه . بينما انهمك بعضهم الاخر في تناول طعامهم او شرابهم بنهم . كان هناك بعض الاطفال الصغار يلهون حول المكان .. سمع اصوات الحاضرين وقد امتزجت بنداءات الباعة الجائلين . وارتفعت بينها اصوات غناء انبعثت من مسجلات مع بعض الاشخاص ، من اماكن متفرقة .. والى يمينه . كان هناك صفان من المبانى ، ذات الطابق الواحد ، مقسمة ، ربما لتكون محلات .. ومن بعيد ، وراءالجميع كان يرتفع حائط السور ، رهيبا ، ممتدا حتى الافق .. ومن خلفه بدت بناية ضخمة ، كقصر . وبجوارها رافعتان من الحجم العملاق ..

تنحنح المرافق : اشعر بالعطش ..



بريشة : حامد صقر

ساشترى زجاجتى مثلجات ، لعلهما تساعد ..

اومأ له الرجل موافقا . ثم قال : ينبغى أن نأكل أيضا مادمنا سننتظر .. فلنشتر بعض الساندويتشات

ـ سافعل فعربات الساندويتشات كثيرة .. ومنتشرة هنا ..

عند الغروب .. كان قرص الشمس الذهبى يتدحرج عبر الافق بهدوء ، بجوار مدخنة ضخمة ـ وراء السور ـ انتشر دخانها الاسود فى السماء الباهتة اللون ، التى عبرتها عندئذ بعض السحب الرمادية المتفرقة .. بينما بدأ القمر المحاق ، فى الجانب الاخر ـ يبزغ براق .. نهض الرجل مع مرافقه . تجولا عبر المكان . اتجها بعيدا عن زحام البشر . مسترشدين بالسور . حيث انتشرت مساحات من الارض بها مياه راكدة . تخللتها بعض الاعشاب والنباتات الشيطانية .. اراضى تفر ، لا اثر فيها لانسان ..

من باب جانبى صغير فى السور ، شاهدا شابا يخرج منه ، لم يغلقه وراءه . كان يحمل حقيبة رقيقة مطوية فى يده . اندفعا اليه . تبادلا معه تحية سريعة . قال الرجل بعدها : نحن هنا منذ الصباح .. ننتظر ..

اضاف الرافق : كل ما نطمع فيه ان نسال سؤالا واحدا .. لكن لا احد يستجيب لنا ..

هز الشاب رأسه متفهما .. اخرج الرجل برقية . ناوله اياها : لقد اورد فى البرقية ان نقابله هنا . .

وحدد اليوم موعدا .. فهل تعتقد اننا سنقابله اليوم ؟

قال الشاب بعد ان قرأ البرقية : ان كلماته محددة .. موعده اليوم .. وهنا فعلا ..

اعاد البرقية للرجل : فلننتظر قليلا .. اذا كان قد حدد هذا الموعد .. فقطعا سياتى ..

قال الرجل : ولكن الا يمكن ان تفيدنا قليلا ؟

ـ اننى لا استطيع . فعملى فى مجال اخر .. ولا افهم فى هذه الاشياء ..

هز الرجل رأسه . حملق فى البرقية ثانية ، بينما مشى الشاب امامهما بثبات ، مبتعدا .

« انتصف الليل منذ قليل .. واصبح الجو باردا .. »

وضع الرجل يديه فى جيبى بنطلونه ، محاولا ان يدفئهما .. تفرقت ـ الان ـ جموع الحاضرين .. تجمعت فى حلقات . كان لدى البعض منهم مواقد كيروسين اشعلوها . تحلقوا حولها . يتسامرون مع اكواب الشاى الداكن اللون . انتشرت بعض الانوار هنا وهناك . وان لم يخف الازدحام حول البوابة القائمة فى صدر المكان .. بينما كان القمر المحاق يطل من عل .

قال الرجل : اشتد البرد ..

رد مرافقه : لقد تعشينا منذ فترة .. وتناولنا الشاى ايضا .. على امل ان نحتمل ..

ـ لقد كرر فى خطاباته السابقة انه سياتى اليوم .. وحدد هذا المكان .. ثم اكد الامر بالبرقية ..

فلماذا لم يات حتى الان ؟

ـ فلننتظر .. وهل نملك الا الانتظار؟.

رفع الرجل رأسه .. نظر حوله .. كان المكان غارقا بين النور والظلمة . لفحت اذنيه ضوضاء طافية .. بينما كان السور هو الشىء الوحيد الواضح امامه . الان هز رأسه بعدم اقتناع ، ولم يجب .

لغويات

● يقال في العربية الفصيحة : خطر البعير بذنبه أو بذيله « والمصدر خطرا .. بتسكين الطاء .. وخطرانا .. بفتح الطاء » .. وهذا أصل قولهم : خطر الشيء ببال فلان « والمصدر هنا : خطورا » .. وخطر الرجل في مشيته .. يخطر . خطرا - بسكون الطاء - وخطرانا .. أي يتبختر وكأنه يهز ذيله كالبعير ..

● من الألفاظ التي يتوهمها بعض الأدباء عامية : زاغ .. كع .. خنس . وهي ألفاظ أو أفعال فصيحة .. يقال : زاغ عن الشيء زياغة .. وكع عن الشيء كعاعة . وخنس أيضا .. ومعناها : أحجم عن الشيء ونكص عنه ..

● من أغلاط الكتابة في الصحف الآن ، أنهم اذا كتبوا : « كان فلان نسيج وحده » .. أخطأوا فظنوا أنها تكتب هكذا : « كان فلان نسيجا وحده » .. باعتبار « نسيجا » خبر كان .. وهذا من ضعف المعرفة بالكلام العربي ، لأن « نسيج وحده » مضاف ومضاف اليه في جميع الحالات فاذا كانت منصوبة لم تنون الجيم وكذلك في حالتي الضم والكسر ، أما « وحده » فان الدال فيها مكسورة في جميع الحالات .. ومثل « نسيج وحده » .. قولهم : « جحيش وحده » بضم الجيم وفتح الحاء .. وقولهم : « عيير وحده » بضم العين وفتح الياء الأولى وتسكين الثانية .. ولا يستعمل الكتاب هذين التعبيرين الآن

● من أغلاط الصحف المتكررة يوميا قولهم : « رزق فلان بمولودين توأم » .. والصواب « توأمين » لأن كلا منهما توأم الآخر .. والتوأم واحد . فاذا أردت الاثنين معا قلت : التوأمين ! ..

● « السبب » هو ما يتوسل به المرء من عمل أو سعي للوصول الى مرامه .. وأصل كلمة « السبب » في اللغة قطعة صغيرة من حبل كان العربي يصل بها الحبل الطويل اذا قصر ، حتى يبلغ ماء البئر ، ثم أطلقت هذه الكلمة على كل عمل يتسبب به المرء الى مقصوده ..

● يحرص مذيعو نشرات الأخبار في هذه الأيام على نطق كلمة « الشغب » بتسكين حرف الغين ، كأنما هو النطق الوحيد الصحيح .. ولكن نطق هذه الكلمة بفتح الغين ، صواب أيضا ، وهو الشائع على الألسنة ، فالنطق به أفضل وأخف على الأسماع ! ..

● « السفلة » بفتح وتشديد السين وكسر الفاء وفتح اللام . وكذلك بكسر وتشديد السين وتسكين الفاء وأيضا بكسر وتشديد السين وكسر الفاء .. وتستعمل كلمة « السفلة » بهذه الصور الثلاث . للجمع والمفرد فيقال : هؤلاء سفلة ، ويقال : هذا سفلة .. قال عمرو بن العاص : « موت مائة من العلية خير من ارتفاع سفلة واحد » .. ويقال أيضا في الجمع : « الأسافل » .. قال ابن دريد اللغوي العالم الشاعر :

أرى زمنا حمقاه أسعد أهله ... ولكنما يشقى به كل عاقل
مشت فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

قصة بناء



متحف اللوفر

رسالة باريس • نجوى صالح

كانت تلك هي زيارتي التاسعة لمتحف اللوفر .. ذلك المتحف الذي قلما يمر زائر بفرنسا .. ولو بشكل عابر الا ويكون ضمن برنامجه زيارة لمتحف اللوفر ، الذي يضم داخل جدرانه كتابا مرئيا لتاريخ الفن .. ذلك الصرح الحضاري ، والثقافي ، والفني .

في كل زيارة له أخرج وفي ذهني انطباع جديد تاريخيا أو فنيا . فهو يوقظ في نفسي إحساسا خاصا بالحنين الى الماضي والتواصل به ، وقررت أن أشرك القارىء معي في هذا التواصل مع ماضي متحف اللوفر ، ومغزى بنائه ، وتطور تفكير ملوك فرنسا بشانه ..

وقصة تطور اللوفر قصة شائقة .. فهذا المبنى لم يكن المقصود به ان يكون متحفا على الاطلاق .. بل كان قصرا لسكنى الملوك الفرنسيين .. وقد تحول على مدى أربعة قرون الى اكبر متحف فى العالم .

والطريف فى هذه القصة ليس قصة بناء اللوفر فحسب ولكن كيف استجلب اللوفر كل هذه الأعمال التى ليست بفرنسية .. ولم تنجز بأيد فرنسية بل إن ثلاثة أرباع المعروضات فى اللوفر من صنع فنانيين غير فرنسيين .. واكثر من ذلك فهذه الاعمال الفنية تظهر حضارة باكملها مثل الحضارة الفرعونية .. وهذا الفن ، أو تلك الحضارة التى انتقلت الى متحف اللوفر .. إنما جيء بهما فى فترة الحملة الفرنسية على مصر وقد فعلوا ذات الشيء مع الحضارة الأشورية .. حقا انها ليست بذات الكم الذى عليه الآثار الفرعونية التى تحتل ثلثى « اللوفر » ولكنها تحتل جناحا واحدا منه .. حتى أن المرء ليتصور انه من وفرة الحس الثقافى عند الفرنسيين ـ وخاصة ملوكهم ـ تجاه قيمة التاريخ ومعرفتهم بقيمة الفن القديم جعلتهم يشنون تلك الحملات السريعة على البلاد ذات التراث الفنى ، وأن الاستيلاء على تلك الثروات التاريخية كان هدفهم الأول !

وقد اطلقوا على فرانسوا الأول لقب « الملك ذو العقل الناهض » إشارة الى اهتمامه بعصر النهضة فى ايطاليا . ولم يكن اهتمام فرانسوا الأول منصبا على اللوحات فقط . ولكنه اقبل على جمع التحف المختلفة وتلاه فى تلك الهواية « الدوق دى بيرى » الذى اهتم بجمع الاعمال الفنية المختلفة على نطاق اوسع ، مثل اللوحات الفنية والسجاد . و « المنياتير » وهى رسوم بالزيت أو الحفر تنفذ على مساحات صغيرة .. لايزيد حجم الواحدة منها عن حجم الريال القديم او العشرة قروش الفضية ! وكذلك جمع المنمنمات الفارسية وقطع الاقمشة الشرقية وقطع النقود المعدنية .

وفى سنة ١٩٣٨ .. ظهر فى القاموس الفرنسى لأول مرة تفسير كلمة « انكيكوايروس » اللاتينية ، ومعناها « رجل يهتم بالاشياء القديمة » ومن قبلها أدرجت ولأول مرة ايضا كلمة « انتيكات » فى القاموس الفرنسى . فى القرن الخامس عشر وكانت اللوحات التى استجلبها فرنسوا الأول من ايطاليا ، توضع فى احدى ممرات قصره الصغير « فونتبلو » .. بجانب حدائق التويليرى ..

قصة اللوفر

فى بداية القرن الخامس عشر اظهر فرانسوا الأول ، ملك فرنسا اهتماما بالفن ، القادم من الجنوب .. من ايطاليا رائدة الفن فى عصر النهضة .. وبدأ فى استجلاب وجمع اللوحات الايطالية لفنانى ذلك العصر عن طريق سفرائه لدى ايطاليا .

كانت تلك هى البداية .. بداية اهتمام الملوك والأمراء الفرنسيين بالفن وتقديرهم له ، وقد دفعهم حسهم الثقافى المتذوق الى اقتناء تلك اللوحات ووضعها فى قصورهم !

● التأثير الإيطالى ●

وقرر الملك فرنسوا ان يضاعف مساحة قصره حتى يتسنى له وضع جميع لوحاته بشكل لائق ، فهذا القصر الضيق لايتيح له الافق اللازم لتأمل مقتنياته كما يهوى !

كانت ايطاليا فى ذلك الوقت هى منارة النهضة والفن . وكان الفرنسيون يأخذون منها كل ماهو جديد على انه « موضة » يحتذونها ولم يعد تأثير الذوق الايطالى مقصورا على الفن فقط بل بدأ يغزو الرجل الفرنسى فى عاداته اليومية . حتى الطعام



متحف اللوفر

الايطالى وطريقة طهيه بدأت تدخل المطبخ الفرنسى .. ووصلت الى الموائد الملكية فى الحفلات الرسمية

ولم تكن الحروب حائلا دون هذا التواصل الثقافى بين الجارتين والعرفان بتفوق الذوق الايطالى فقد عمد هذا الملك المثقف بعد انتصاره فى معركة « مارينو » ضد الايطاليين فى ١٤ سبتمبر ١٥١٥ م وبعد أن تم الصلح رأى طلب الفنان « ليوناردو دافنشى » للحضور الى فرنسا لأخذ مشورته الفنية والمعروف عن ذلك الفنان انه كان مهندسا معماريا وعالما فلكيا . كما كان بارعا فى اخراج الاعياد والحفلات الملكية فى قالب فنى بديع ..

حيث كان يتدخل فى اختيار نوع الازياء واشكالها التى سوف يرتديها المدعوون والمدعوات حتى تصبح جميعها سيمفونية واحدة منسجمة تجمع الجسم البشرى ، المتحرك والديكور المحيط به ! وبالاضافة الى ذلك كان رساما مبدعا ، ولكن فى النهاية كان من أشد الناس تمسكا بآداب دينه .

بعد تردد طويل قبل « ليوناردو دافنشى » الحضور الى فرنسا ، لما سمع عن فرانسوا الاول ، وحبه للعدل ، والدين ، والفن .



ونزل « ليوناردو دافنشي » في ضيافة الملك في بيت صغير ملحق بقصر « بالامبواز » - وهو جزء من اللوفر حاليا - ولكن « ليوناردو » كان يعاني في ذلك الوقت من شلل في يده لم يعد قادرا على الامساك بالفرشاة .. ولكنه لم يبخل على الملك بنصائحه المختلفة في الهندسة والبناء .. وكان الملك بدوره يود ان ينجز بناء يضاهي في جماله وابهته الابنية الإيطالية . ويدخل الفن الإيطالي في كل جزء من قصره الذي شرع يقيم فيه جناحا جديدا .. وحتى يغير شكل القلعة الكئيب الذي كان عليه من قبل، واتفق على بنائه بشكل مربع اي باربعة اجنحة وعلى ان يترك بداخله فناء مربعا كبيرا .. وامام مدخله حديقة التويليري الرائعة .

● قصة إقتناء الجيوكندا ●

بدأ دافنشي يمارس حياته العادية في فرنسا .. من اشراف على البناء .. إلى تبادل الزيارات مع اكبر رجالات الدولة .. وقد كان صديقا حميما « للكاردينال دي اراجون » .

وحضر هذا الاخير لزيارة « ليوناردو » في منزله في مساء ١٠ اكتوبر سنة ١٥١٧ .. واخبره « ليوناردو » انه احضر من ايطاليا لوحتين يعتز بهما كثيرا ، وهما لوحة « سانت جان بابتيست » ولوحة « سانت ان » وهي وجه أوبورتريه لامرأة .. هي التي سميت فيما بعد « الجيوكندا » .

حينما وصل خبر هاتين اللوحتين الى فرانسوا الاول .. طلب رؤيتهما واشتراهما من دافنشي دون ادنى تردد وضمت هاتان اللوحتان الى مجموعة التاج - كما اطلقوا على مجموعة اللوحات التي يملكها الملك ..
وقد كتب الاب « دان » فيما بعد ، سنة ١٦٤٢ .. أن الملك « فرانسوا الاول » دفع اربعة الاف قطعة ذهبية ثمنا « للجيوكندا » وحدها وبعد ان وافت المنية دافنشي سنة ١٥١٨ بعث فرانسوا الاول في طلب بعض الفنانين من ايطاليا مثل « اندريادل ساردي » حتى يضموا لوحتين من اعمال كل منهم إلى مجموعة التاج . وجاءت بعض اللوحات على صورة هدايا دبلوماسية من قبل الجمهورية الفينيسية بواسطة لورنت الثاني دي ميديسيس حاكم فينسيا مثل لوحة العائلة المقدسة الكبيرة وسانت ميشيل من رسم رفائيل وهما مؤرختان بتاريخ ١٥١٧ - ١٥١٨ .

وقد اهديتا الى الاب ليون الخامس .. وقد تم كل هذا ولم يكن قصر اللوفر قد اكتمل بناؤه .. فقد انجز جزء صغير جدا منه فحسب في حياة « ليوناردو دافنشي » وكان على فرانسوا الاول نقل مهمة البناء والديكور الى مهندسين فرنسيين تلقوا العلم في ايطاليا ..



ثم بدا الملك في بناء القصر في « غابة البيرة » وهو تكملة لقصر « الفونتبلو » الذي بناه « فيليب اوجست » . واوكل هذه المهمة للمهندس الفرنسي « جيل لبروتون » الذي بناه على طراز « الروستيك » وهو يميل إلى الشكل القروي الفاسي .. وأعطاه شكل القصر اكثر من شكل « الجاليري » أي الاجنحة كما كان متفقا عليه من قبل . وبنى بداخله ولأول مرة حمامين من ماء الذهب الخالص ، وأرسل في احضار الودع والمحار من إيطاليا ، وقرر أن يضعه في ممرات حديقة القصر !!

وقد انتهى فرانسوا الأول من البناء عام ١٥٤٢ .. ثم بدا يحس بالشيخوخة والوهن .. ولم يكن تنفيذ القصر قد جاء كما كان يتمناه هو ، وكما وضع رسمه « ليوناردو



متحف اللوفر

دافنشي .. كما أن مساحته لم تكن كافية لاستيعاب اللوحات التي كان يقتنيها .

● لبنة الحضارة ●

ثم جاءت المرحلة التالية في بناء هذا الصرح الذي يعتبر بداية للنهضة الفرنسية .. فـ « اللوفر » في نظر الرجل الفرنسي . هو اللبنة الأولى التي وضعته على طريق الحضارة فهو الذي يعبر من الناحية الهندسية عن جمال المعمار الفرنسي الكلاسيكي .

بوفاة « الملك فرانسوا الأول » واضع لبنة الفن واللوفر معا في ١٤ اغسطس ١٥٤٧ . توقف العمل في هذا الصرح إلى حد ما .. فقد بدأت الملكة « كاترين دي مديسيس » تطلب بناء قصر صغير لها في حديقة « التويليري » بواسطة مهندسها المفضل « فيلبرت دي لورم » الذي بناه لها في وسط حديقة التويليري في الجانب الغربي للوفر .. فجاء ذلك بمثابة ضلع ثالث ولكنه غير ملتصق باللوفر ، او بالقصر الاساسي الذي بناه فرنسوا الأول .. ولكن كاترين التي تنتمي إلى عائلة مديسيس الإيطالية الأصيلة نقلت الفن الفلورنسي الى ذلك القصر ... وبدأت في إنجازه سنة ١٥٦٤ ..

وقد تم تأثيث هذا القصر سنة ١٥٧٤ .. اى ان الديكور الداخلي له قد استغرق عشر سنوات !

وجاء هنرى الرابع الى الحكم .. واصبح مشروع بناء اللوفر هو شغله الشاغل .

وأعد المهندسون الفرنسيون رسما سمي « بالرسم العظيم » لأنه يتضمن الرؤيا الأولى لدى فرنسوا الاول والفنان الايطالي « ليوناردو دافنشي » مع بعض التعديل .. فقد جد على الرسم القديم قيام القصر الصيفي للملكة « كاترين دى مديسيس » وهو يعد من أجمل القصور الفرنسية من الوجهة المعمارية بعد قصر « فرساى » الشهير . وكان عليهم ضم هذا القصر إلى الضلعين الآخرين ثم بناء ضلع رابع .. وهو المطل على شارع « ريفولي » حاليا ـ حتى يصلوا إلى الشكل « المربع » الذي اتفق عليه من قبل .

وبدأ تنفيذ « الرسم العظيم » في عهد هنري الرابع .. الذي ورث حب الفن من والده فرانسوا الأول .. خاصة الفن الايطالي ولكنه في نفس الوقت شجع الفنانين الفرنسيين على إنجاز اعمالهم الفنية الأصيلة .. وشجعهم على تنفيذها في البناء من الخارج .. والداخل على السواء .

وقد بدأ يغزو فرنسا في ذلك الوقت كل من الفن الألماني ، والفلندى وقد استوحى الفرنسيون منهما الكثير .. واستمر البناء في عهد هنرى الرابع ، وشارل التاسع ـ وهنرى الثالث .. وكل منهم لايخرج عن الرسم المقرر للوفر ..

واستمر البناء يتقدم ببطء حتى لقد استغرق ثلاثة قرون كاملة .. وكل فترة حكم في تلك الحقب تعطى هذا البناء .. من روحها واحساسها الخاص .. حتى أن الحالة الاقتصادية للبلد كانت تنعكس على تنفيذ هذا البناء المعمارى الضخم .

ففي عصر الملكة كاترين مثلا .. حينما بنت قصرها في التويليرى كان يتسم بالبذخ الايطالي .. فقد جعلت الفنانين يرسمون لشخصها اكثر من اثنين وثلاثين لوحة .. وقد علقت على جدران من خشب الورد واختيرت اطرها من « الليموج »

الصينى الفرنسى الفاخر وفى قاعة المرايا المجاورة لهذه القاعة وضعت مائة وتسع عشرة مراة فينيسية ، وهى ارقى انواع المرايا فى العالم .

مثال اخر .. حينما تولى هنرى الرابع الحكم كانت البلاد تمر بأزمة اقتصادية من ناحية .. ومن ناحية اخرى دارت رحى الحرب الاهلية ، وبحكمة هذا الملك عادت البلاد الى استقرارها .. وكان من سياسته الحيمة أنه .. خاطب الشعب عن اهمية الفن فى الحياة .. وشجعة الفرنسيين على الانتاج الفنى ، واشترى هذا الانتاج ، وقد يعود الى هنرى الربع الفضل فى دخول عديد من الفنانين الفرنسيين الى اللوفر . او الى قصر فونتبلو مقر اقامة الملك وهو احد ابنيه اللوفر ، وقد قام فى عصره بمد البناء سنة ١٥٩٥ بمساحة ٤٤٢ مترا حتى يلتصق قصر كاترين مديسيس فى التويليرى باللوفر حاليا .. وهو ماكان مخطط بشكل مسبق فى (الرسم العظيم) لقصر اللوفر .

وقد استجلب فى ١٦٠٦ بعد اكتمال البناء عددا كبير من الحرفيين الفرنسيين .

● فى الطريق إلى المتحف ●

وقد استمر هؤلاء الفنانون والعمال فى العمل داخل اللوفر حتى عصر الامبراطورية الأولى (نابليون) . وقد كان من أهداف هنرى الرابع إيجاد نوع من الاندماج بين الفنانين العظام فى اللوفر .. وكبار رجال المملكة حتى تستمر حلقة الاتصال بين الأرستقراطية والفنون الجميلة . وحتى ينتشر التذوق الفنى فى البلاد .. وتتسع دائرته حتى تصل فى يوم ما إلى رجل الشارع .

وقد كتب الاب (دان) سنة ١٦٤٢ .. كتبه (عجائب الكنوز فى القصر الملكى فونتبلو) وفيه يصف هذه الكنوز وصفا دقيقا كما يذكر عددها وخصائصها وتلاه فى ذلك ايطالى يدعى (كاسيو نورديل بوزو) الذى وصف القصر فونتبلو بانه جوهرة اوربا الفريدة .

عندما تولى لويس الثالث عشر الحكم فكر فى تكملة متحف اللوفر بنفس المنظر الذى رآه أسلافه من الملوك .. وعرض عليه مشروع اكتمال البناء بحيث تكون المساحة مربعة .. وقد تطوع لهذا العمل بعض المهندسين .. لكن مالبث أحدهم ان اعتذر لظروف مرض زوجته فاثر لويس أن يترك المشروع .. فاعتبر انه احدى النقاط السوداء فى تاريخ متحف اللوفر .. خاصة أن زوجة لويس الثالث عشر لم تكن متحمسة لاحضار اى لوحات فنية من بلادها اسبانيا .

وعندما تولى لويس الرابع عشر الحكم اعاد للمتحف عصره الذهبى .. حيث اقام علاقاته الدبلوماسية مع الدول المجاورة ، وسعى للتبادل الثقافى والفنى مع هذه البلدان .. فجاءته الهدايا - واغلبها مقتنيات فنية - فشهد عصره الاعمال الفنية النادرة .. ولكنه مالبث ان فكر فى أن يجعل من اللوفر مقرا رسميا للملك .

وعندما تولى لويس الخامس عشر مقاليد السلطة دفع اثمانا خيالية لكل المقتنيات التى استهوته .. وخاصة لوحات رمبرانت وروبنز ودافنشى .. وقد اشتهر عن الملك ذوقه الفنى الرفيع .. فكان يقوم بتنسيق اللوحات واوصى بتحويل قصره الى متحف .. وقد حدث هذا فعلا بعد ان قامت الثورة الفرنسية .. فأمر نابليون بتعيين فيفيان دونان مديرا للمتحف الذى اهتم باحضار الفن النادر الى اللوفر وكان نابليون يفكر فى احضار مقتنيات البلاد التى يغزوها خاصة من الشرق وساعده دونان فى ذلك الذى عمل مستشارا عسكريا لفترة فى جيش الامبراطور .. والذى امر بافتتاح المتحف رسميا فى ٢٥ يوليو عام ١٨١٤ ..



بقلم : توفيق حنا

● تمثال الحرية ●

هذا التمثال الذى يرفع عاليا شعلة الحرية من اهم معالم مدينة نيويورك .

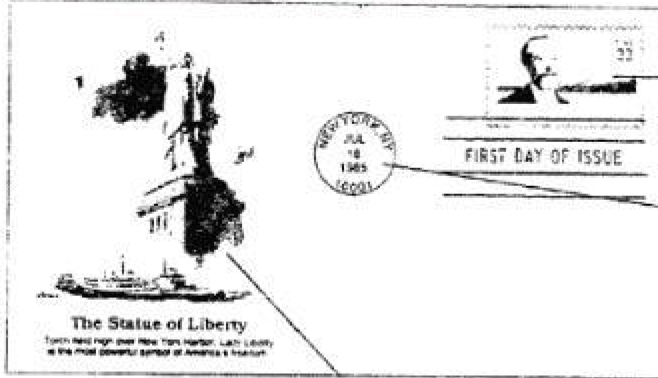
« ان كنت تؤمن بى — لاتزال — فانقذنى عليك ان تعمل على دوام شعلة الحرية » هذه العبارات نجدها فى كل النداءات والاعلانات التى تدعو الشعب الامريكى للاسهام فى انقاذ هذا التمثال من التصدع والانهيار .

ولهذا اخرج كين بيرنز فيلما تسجيليا عن هذا التمثال هذا العام ١٩٨٥ .. وايضا لان الولايات المتحدة الامريكية تحتفل العام القادم ١٩٨٦ بمرور مائة عام على اقامة تمثال الحرية فى نيويورك .

يقوم الممثل الامريكى جيريلى ايرنز بدور المثال الفرنسى فردريك اوجست بارتولدى الذى انشأ هذا التمثال .

ويروى لنا عنه كلاما رحلة هذا العمل الفنى منذ مولده فى فرنسا حتى اقامته فى نيويورك عام ١٨٨٦ ، وتصحب روايته الصور واللوحات والوثائق التى توضح مراحل هذه الرحلة الطويلة .

ويقدم لنا الراوى تعليقاته وقراءاته



اصدار أول اليوم لطابع بريدى بمناسبة الاحتفال بالعام الامريكى لتمثال الحرية

التى تتصل بقيمة الحـــرية والقيم الانسانية الاخرى التي ترتبط بهـ ٠

وسنمع فى هذا الفيلم الوثـائقى الى قراءات من ميلوش فورمان (مخرج فيلم « اماديوس ») والكاتب المسرحى ارثر ميللر وميريك جـاكوبى وبـول روثلنج ٠٠ توضح عـــلاقة الفرد الامريكى فى حياته وسلوكه بقيمــة الحرية ٠

ويحاول هذا الفيلم ان يجيب عـلى هذا السؤال « ما هى الحرية ؟ »

وفى لقاءات مـــع حاكم نيويورك ماريو كويومو والكاتب جيمس بلدوين والشـاعر اندريه لودريسكو والكاتب جيرزى كوسينسكى والموسيقى راى تشارلس ٠٠ نجد محاولات للاجابة على هذا السؤال ٠

والفيلم رغم جـديته وموضوعيته يحوى شيئا من الدعابة والسخرية اذ يعرض لتجارب شارلى شابلن وجوزيه فيرر وتشارلتون هيستون مع الحرية٠

ولا تخلو مجلة او جريدة امريكية من صفحة عن هذا التمثال ومعـــه اعلان من الاعلانات التجارية ٠٠ ولقد احتج كثيرون على استغلال هذا العمل الفنى فى محنتـه هـذا الاسـتغلال التجارى ٠٠ وهذا يشبه ما يحـدث فى بلادنا عندما تفرد صفحات كاملة فى صحفنا فى المناسبات القوميـــة والاعياد ٠

هذا الفيـلم الوثائقى الملون الذى يستغرق عرضه سـاعة كاملة والذى يشترك فى الحملة الداعية لتــرميم تمثال الحرية وعلاجه من هــــذه الشيخوخة المبكرة يتصادف عرضه مع هذه الاحتفالات والتحقيقـات فى كـل اجهـزة الاتصـال الجمـاهيرية من تليفزيون وصحف ومجـلات واذاعة بمناسبة مرور اربعين عاما على قنبلة هيروشيما وعلى انشاء هيئة الامـم المتحدة ٠٠ وبمناسبة مرور عشــر سنوات على خروج امريكا مهزومة من سايجون (هوشى منه الآن) فى حـرب فيتنام ٠٠ عام ١٩٧٥ ٠

وتستعد الولايات المتحدة الامريكية من الآن للاحتفال فى عام ١٩٨٧ بمرور قرنين من الزمان على صدور الدستور الامريكى ، لبيتنا نعمى جميعا فى كل ارجاء هذا العالم المنكسر المنقسم على ذاته على ترميم قيمة الحـــرية التى تعانى فى هذا العصر كل الوان القهر والكبت ٠

وهذا التمثال الذى يرفع شـــعلة الحرية عالية وكأنه يقود مظـــاهرة انسانية تشمل كل شعوب هذا العالم٠ اقيم رمزا للصداقة بين فرنسا وامريكا

وفى شـــهر يوليو من هذا العام (١٩٨٥) صدر طابع لهذا التمثـال يحمل صورة الفنـان الفرنسى فردريك بارتولدى الذى ابدعه بمناسبة مـرور ١٥٠ سنة على مولده ٠٠

قام الفنـــان الامريكى شـــانون استيرتقايس بتصميم هذا الطابع ٠٠

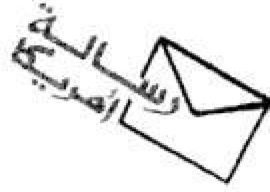
***

ترى هل يكون لقاء القمة فى جنيف بين ريجان وجورباتشوف بداية صادقة لطريق جديد ٠٠ تتحقق فيه الوحـــدة الانسانية على هذا الكوكب ؟!

أيكون هذا اللقاء الخطـوة الاولى لبناء عالم جديد يخلو من كل الوان الارهاب والخصومات والانقسـامات والاعتيالات وحوادث خطف الطائرات والسفن ٠٠ عالم جديد تسوده الحرية ويحكمه العدل ويعمه السلام ؟!!

ليس هذا مجرد تساؤل ٠٠ بل هـو دعوة للعمل حتى يتحقق هذا الحلم





● طيور وزهور ●

قام الفنان الامريكى أرثر سنجر بالاشتراك مع ابنه الان بتصميم طوابع بريدية يحمل كل طابع تذكرى منهما طائر وزهرة يميزان كل ولاية من ولايات امريكا الخمسين .. ولقد صدر اليوم لهواة جمع طوابع البريد يحوى هذه المجموعة الفريدة .

ومن اشهر الطيور الامريكية طائر الكردينال الذى اتخذته سبع ولايات امريكية رمزا لها .. اطلق عليه هذا الاسم بسبب لونه الذى يشبه ملابس الكاردينال - رجل الدين المسيحى - (لون جسمه احمر ولون منقاره أسود) ولانه طائر يبدو عليه الوقار والاتزان والتأمل .. وهو يختلف كثيرا فى سلوكه عن طائر آخر هو رمز ولاية تينسى التى عشت خريف هذا العام (١٩٨٥) فى احدى مدنها الصغيرة وهى مدينة نوكسفيل - هذا الطائر يطلق عليه موكنج بيرد (الطائر الساخر) .. لانه يقوم بدور المهرج فى عالم الطيور .. لانه يملك موهبة تقليد الطيور الاخرى .. واتخذته خمس ولايات رمزا لها .. ويمتاز كذلك بسرعة الحركة التى تعبر عن لون من الوان القلق فى عالم الطيور .. والموكنج بيرد يتخذ فى كل ولاية وضعا خاصا .. فهو فى ولاية تينسى نجده فى حركة تأهب للتحليق والطيران ومنقاره الصغير .. بينما نجده فى ولاية مسيسيبى يجلس هادئا على فرع شجرة فاتحا منقاره للغناء .. وكأنه يستريح من جولاته وانطلاقاته فى سماء الولاية .. وفى ولاية اركانساس نجده فى اللحظة التى تسبق الاستعداد للطيران قبل ان يفرد جناحيه ..

والزهرة التى ترمز الى ولاية تينيس مع طائر الموكنج بيرد هى زهرة ايريس (قوس قزح) ..

وزهرة البنفسج ترمز الى اكثر من ولاية امريكية .

اما نيويورك فطائرها هو ايسترن بلوبيرد (الطائر الشرقى الازرق) وزهرتها هى الوردة .

ولا ادرى لماذا لايقوم فنان مصرى بتصوير طيور مصر وزهورها وتقوم هيئة البريد باصدار طوابع تذكارية لها حتى يعرف كل مصرى زهور بلاده وطيورها .

الطائر المسافر .. شامخا .



المرأة

بين: تولستوى وتشيكوف

بقلم: د. مكارم الغمرى

« ان دور المراة يجب ان يظل دائما من خلال اولادها »
تولستوى

« ان سعى المراة الى التعليم والمساواة فى الجنس، اتفهمه كسعى تجاه العدالة »
تشيخوف

بهاتين العبارتين المتجادلتين استهل الكتابة فى موضوع المرأة عند تولستوى وتشيخوف، وموقف الاديبين الكبيرين من قضية تحرير المراة دون سواها من الموضوعات الخاصة بالمراة فى انتاجهما.

ان المقارنة بين موقفى اديبى روسيا الكبيرين تولستوى وتشيخوف من قضية تحرير المرأة جديرة بالتامل، فهذان الاديبان اللذان ملأت شهرتهما الاذان كانا معاصرين لفترة زمنية حاسمة بالنسبة لقضية تحرير المراة فى بلادهما « الثلث الاخير من القرن الماضى »، وقد كانا ينتميان الى تيار ادبى واحد، فهما من اكبر ممثلى الواقعية النقدية، بالاضافة الى ذلك فقد اتسمت كتاباتهما بالتفاعل الشديد مع الواقع ورد الفعل المرهف على احداث هذا الواقع ومشاكله. وقد برزت قضية تحرير المراة كأحد اهم مشاكل ذلك الواقع آنذاك، حيث اكتسبت هذه القضية حيوية خاصة فى الثلث الاخير من القرن الماضى بفعل المرحلة التاريخية الانتقالية التى كانت تعيشها روسيا حيث بدأت تتفتت القيم السائدة المرتبطة بالنظام الاقطاعى الزائل وبدأت تشكيل علاقات وقيم جديدة ترتبط بالتحول الرأسمالى الجديد.

● حسم قضية المراة ●

ومن المعروف أن عام ١٨٨٦ فى روسيا كان بمثابة عام حاسم بالنسبة لقضية تحرير المرأة، فقد نالت الحركة النسائية فى ذلك العام ضربة قوية، حين

المرأة
بين : تولستوى وتشيكوف

افتتحت جامعات موسكو وبطرسبرج « لينتجراد حاليا » وكييف وكازان باب الدراسة العالية أمام الشابات ، وقد ادى هذا الاجراء الى حدوث ردود فعل حادة ، واحتدم الجدل في الصحافة حول هذا الاجراء الذي فجر بقوة قضية تعليم المرأة وعملها ، وانقسمت الاقلام بين معارض لهذه القضية ومناصر لها .

وعلى قمة المعارضين كان يقف ممثلو الطبقة الاقطاعية الذين كانوا يهاجمون خروج المرأة الى العمل ، لأن البيت ـ في رأيهم ـ هو المكان المناسب للمرأة ، اما دورها في الحياة فهو تربية أولادها ، اما حق المرأة في التعليم التخصصي فقد رأوا فيه شيئا غير ضروري وزائدا عن الحاجة .

اما رواد الحركة الديمقراطية من امثال تشرنيشفسكي ودبروليوبوف ، فعلى النقيض كانوا ينادون بحق المرأة في التعليم والعمل ، وكانوا يهاجمون الاوضاع القائمة للمرأة في ظل المجتمع الاقطاعي .

كيف كان ـ اذن ـ موقف كل من تولستوى وتشيخوف من دائرة الجدل هذه ؟

● فكرة المساواة ●

في احدى مؤلفاته المبكرة « السعادة العائلية » ـ ١٨٥٣ ـ أعطى تولستوى صورة لزوجة شابة « ماشا » كانت تعيش « حياة عائلية هادئة » مع زوج يكبرها باعوام كثيرة . كانت حياتهما تمر في رتابة هي زوجة تعيش لتعطى (من اجل زوجها) . « ولاجل أن تكون في عين زوجها » . « تلك التي كان يريدها » وفي ظل هذه الحياة كانت ماشا تشعر بنفسها .. تماما كالطفل الذي لا يجرؤ على اظهار ارادته ، اما زوجها فقد كان له عالمه الخاص .. الذي لا يسمح لزوجته بالنفاذ اليه ، فهي في نظره « طفلة » ، وتمر الاعوام ، ثم يأتي الوقت الذي تشعر فيه الزوجة بأنها تريد الخروج من هذه الحياة الرتيبة المملة الى حياة أكثر رحابة حيث تستشعر « القلق والمخاطر » ، فقد كانت تجد بداخلها فائضا للقوى لا يجد له مكانا في حياتهما الهادئة . وكانت تشعر بأنها تملك « الشباب » والحاجة الى الحركة التي تناديها بأن .. تتقدم الى الامام مع كل يوم ، ومع كل ساعة ، كانت تريد الجديد ، اما هو فقد كان يريدها التوقف وان توقف عليه ، لماذا لا تخرج الى الحياة ؟ لماذا لا تكون ـ مساوية في الحياة مع زوجها ؟ ، الحت عليها هذه الفكرة مما جعلها تصر على ضرورة الخروج الى المجتمعات ، فيجيبها زوجها على طلبها على مضض .

ان خروج ماشا الى المجتمعات يغير من حياتهما ويطيح بأمن الاسرة وسكينتها .. لقد خلق حاجزا بينها وبين زوجها ، وصار من الواضح انه « كما لو كان كلاهما يحس بوجود هوة في مكان ما تفرق بينهما والهما كانا يخافا الاقتراب منها وبات لكل منهما عالمه الخاص الغريب عن الآخر » ان حياتهما المحبة تصبح بعد خروج الزوجة « باردة » ، وبدأ ابتعاد زوجها التدريجي عنها .

ان تولستوى يحطم مساعى بطلته في الخروج من حياتها الضيقة وذلك حين يجعلها « تخطىء » حين تخرج الى المجتمع لتقرر بعد ذلك العودة الى بيتهما طواعية لتعيش من جديد « بالضبط هكذا ، كما كان يريد زوجها » . وذلك بعد أن بدأت تستشعر فقدان « ثقة وحب واحترام » زوجها ويمعن تولستوى في ابراز هزيمة بطلته حين يجعلها تلوم زوجها على اعطائها الحرية التي « لن تحسن استخدامها » وانه كان بالاحرى به **أن يستخدم سلطته ويربطها « ان خروج المرأة في رأى تولستوى هو « هراء »** ،



تولستوى



تشيكوف

اما عودتها الى البيت فهو بمثابة العودة الى الحياة نفسها.. أما «الشىء الاخر» ، فمن المستحيل تصديقه .

وكذلك لم يصدق تولستوى ايضا نشاط بطلته ناتاشا فى روايته الشهيرة «الحرب والسلام» « ١٨٦٩ » فبعد ان كان فى بداية الرواية يبدى اعجابه بحيوية ناتاشا وايجابيتها ويثنى على نشاطها فى المقاومة الشعبية ابان الحرب ، فجأة وبعد أن تزوجت بطلته يخمد بها كل نشاطها الاجتماعى ولم يعد يرى بها سوى المرأة الام: «لقد كان من الصعب التعرف فى هذه الام القوية على ناتاشا السابقة الدقيقة والنضرة» كما بات الشاغل الوحيد لناتاشا بعد الزواج « هو العائلة ، اى الزوج الذى كانت تحب المحافظة عليه بدرجة تستطيع ان تجعله ملكا لا يتجزأ لها وللبيت ، وايضا الاطفال الذين كانت تحب أن تحمل بهم وان تلدهم وتربيهم » . ومن خلال بطلته « ناتاشا » حاول تولستوى ان يجادل بل ويعارض الاصوات التى كانت تنادى بتحرير المرأة ، فتولستوى يروى فى ارتياح كيف أن الاقوال والمناقشات عن حقوق المرأة « لم تكن فقط غير مثيرة لاهتمام ناتاشا ، بل لم تكن ايضا تفهمها » .

● الهجوم على المجتمع ●

اما فى رواية « البعث » « ١٨٩٩ » فقد اهتم تولستوى اهتماما كبيرا بتجسيد مأساة بطلته كاتيوشا : الفلاحة البسيطة التى حرمها الاقطاعى من شرفها . ولان الرواية كانت تحمل اتجاها ناقدا للاوضاع الاجتماعية القائمة آنذاك لقد اتخذ تولستوى من بطلته سندا للهجوم ضد المجتمع ومن ثم حاول تصوير البطلة كضحية للمجتمع والظروف الاجتماعية، تلك الظروف التى تحول دون أن تكسب المرأة فى ظلها لقمة العيش الشريفة . غير ان دفاع تولستوى عن البطلة التى عانت فى سبيل لقمة العيش لم يكن دفاعا عن حق المرأة فى العمل بل كان دفاعا عن العدالة الاجتماعية بشكل عام ، ذلك لان تولستوى لم يكن يجد ثمة ضرورة فى ان تخرج المرأة لتكسب رزقها ، فقد كان نموذج المرأة الحقيقية يرتبط عنده بالمرأة الزوجة والام ، ولذا لم يكن من قبيل الصدفة ان يستقبل تولستوى قصة تشيخوف « الحبيبة » بحماس منقطع النظير ويخلع عليها كبير الثناء وعظيم التقدير .

● مثال يحتذى ●

فى قصة « الحبيبة » يرسم تشيخوف صورة لامرأة تتميز بالوداعة الشديدة والسذاجة التى لا تخلو من سذاجة وتتسم شخصية الحبيبة بعدم الاستقلالية فى الرأى ، فآراؤها دائما من خلال آراء من تحبهم . انها ببساطة النساء

المرأة

بين : تولستوى وتشيكوف

خاضعة فى مشاعرها وآرائها لمن تحبه ولا تجد سعادتها الا من خلال هذا المحبوب الذى تصبح – تقريبا – صورة مكررة لافكاره واقواله ، بل تصبح كذلك جزءا من نشاطه ، فحين كانت زوجة لصاحب حديقة للملاهى ومسرحا؛ كانت تجلس فى شباك التذاكر لديه وتراقب النظام فى الحديقة ، وتسجل النفقات وتصرف الرواتب ، وكان خداها المتوردان وابتساماتها اللطيفة الساذجة التى تشبه الاشعاع تومض تارة فى شباك التذاكر ، وتارة وراء الكواليس ، وتارة فى البوفيه ، واصبحت تقول لمعارفها ان اروع واهم الزم شىء فى الدنيا هو المسرح .. » وبعد أن توفى زوجها صاحب الملاهى والمسرح ، حزنت لفترة ثلاثة شهور ثم تزوجت بعدها رئيسا لمخزن الاخشاب ، وكان زوجها هذا يبقى فى مخزن الخشب « عادة حتى الغداء ، ثم يمضى لاعماله » لتحل محله اولنكا « الحبيبة » وتبقى فى الكتب حتى المساء وتسجل الحسابات وتصرف البضاعة . لقد خيل اليها انها تتاجر فى الخشب منذ زمن بعيد ، وان اهم والزم شىء فى الحياة هو الخشب .. وفى الليل يتراءى لها فى المنام جبال من الالواح والعروق ، وقوافل طويلة بلا نهاية من العربات التى تنقل الخشب الى مكان بعيد خارج المدينة .»

ان الحبيبة حين تكون وحيدة لايكون لديها « اية اراء » كانت ترى من حولها الاشياء ، وتدرك كل مايجرى حولها ، لكنها لم تكن قادرة على تكوين رأى فى اى شىء ولا تعرف عما تتحدث » ..

لقد هلل « تولستوى » لهذه الصورة التى جاءت عليها بطلة تشيخوف الحبيبة فهذا النموذج فى رأيه مثالا لما يجب ان تكون عليه المرأة من اجل ان تكون سعيدة ، ومن اجل أن تسعد كل من يسوقه مصيره اليها ورفع تولستوى هذا النموذج للحبيبة الى مصاف « روائع الادب العالمى » « المؤلفات الكاملة لتولستوى الجزء العشرين ص ٢١٢ » ، ومن شدة اعجاب تولستوى بهذه القصة وبطلتها كان يعيد قراءتها تكرارا امام اصدقائه ومقربيه .

لقد شاهد « تولستوى » مغزى قصة الحبيبة فى ان روح بطلتها « بموهبتها ان تكرس نفسها وكل كيانها لذلك الذى تحبه » « مقدسة ومدهشة » ، وفى غضون ذلك لم يلحظ تولستوى الحالة التى تؤول اليها البطلة حين لايكون عندها « ذلك الذى تحبه » ، انها وحسب وصف تشيخوف « لا يكون لديها اى اراء وما افظع ان تكون بلا رأى » حسب تعليق لتشيخوف ..

لقد وقف تولستوى بارائه ومؤلفاته ضد الاصوات التى كانت تنادى فى عصر بمساواة المراة بالرجل وبحقها فى التعليم والعمل ، لقد كانت المساواة – فى نظره – ممكنة فقط فى الجانب الشخصى ، اى من حيث حق المراة المساواة فى السعادة العائلية ، اما ماهو ابعد من ذلك فليس من حقها .. ولكن اى مساواة يمكن ان تحققها المراة فى ظل الخضوع الاقتصادى الكامل للرجل ، وهو الخضوع الذى يفقدها الاستقلالية والتى بدونها لاتستطيع ان تحقق اى مساواة ! ... لقد آثار موقف تولستوى من قضية تحرير المراة حنق وسخط المثقفات فى عصره ، مما حدا باحداهن ان تكتب اليه مسجلة لموقفه هذا :

اما تشيخوف فعل عكس تولستوى برز كمدافع حاد عن حق المراة فى المساواة فى التعليم والعمل وقد اتضح اتجاهه هذا من خلال مؤلفاته واقواله وايضا مراسلاته .

فى خطاب للكاتبة ليديا أفيلوفا والتى كانت تتحدث عن التعارض والتناقض بين واجبات المراة المتزوجة والتزاماتها تجاه اسرتها وبين قدرات المراة على الابداع كتب

تشيخوف يقول : « هذا النظام غير الطبيعى للعائلة عندنا ، هذا الخضوع وعدم الاستقلالية للمرأة ، هذا هو مايجب النضال ضده ، أنه رواسب الماضى » .

● المساواة للمرأة ●

وقد أكد تشيخوف على حق المرأة فى التعليم فى قصته « أدياندا » « ١٨٩٥ » وهى القصة التى أوضح بها تشيخوف صراحة موقفه من تعليم المرأة من خلال الكلمات التى وردت بالقصة : « ان سعى المرأة تجاه التعليم والمساواة فى الجنس .. أتفهمه كسعى تجاه العدالة . »

وقد هاجم تشيخوف فى قصته هذه أسلوب التربية الذى تربى عليه البنات وتوجه الى الاباء بالنداء : « علموا الفتاة منذ المهد ان الرجل قبل كل شىء ليس رفيقا فى الرقص وليس عريسا ، بل قريب لها ومساو لها فى كل شىء ، علموها التفكر فى منطقية ، والنظرة الشمولية ، ولاتقنعوها بان عقلها يزن أقل من عقل الرجل ، وانه بناء على ذلك يمكنها أن تنظر بلا مبالاة الى العلوم والفنون وكل المهام الثقافية عامة .

وتعد قصة « العروس » « ١٩٠٣ » لتشيخوف من أهم مؤلفاته التى تعرضت لموضوع تعليم المرأة ، فى هذه القصة تحلم ناديا الشابة الثرية الجميلة بالبيت والزوج ، وتعيش ناديا فى منزل جدتها حيث تعيش أيضا أمها التى تعانى من خضوع تام لسيطرة أمها . وهاهى نادية تخطب لاندريه اندريتش ويحدد يوم الزفاف لكن ناديا « مع ذلك لم تشعر بالفرحة ... وكانت تنام نوما سيئا ... » وكانت ناديا لاتعرف ، لماذا اصبحت الان ولم يبق على العرس أكثر من شهر ، تحس بالخوف والقلق ، كانما ينتظرها شىء غير واضح وصعب . ويأتى الى ضيافة بيت الجد القريب الفقير ساشا ، ان هذا القريب الذى يبدو متواضعا فى ملبسه يحدث انقلابا فى افكار ناديا . أن ساشا الذى يعجب من نمط الحياة الفارغة التى تعيشها ناديا وامها وجدتها كان يعلن عن رفضه لهذه الحياة حين كان يقول مرارا لناديا « ياعزيزتى ينبغى عليك أن تدركى كم هى ملوثة ولا أخلاقية حياتكم الفارغة هذه » ان ساشا يحرض ناديا ويحثها على نبذ هذه الحياة الداعية الكسولة والرحيل طلبا للعلم « لو انك رحلت للدراسة ، الاشخاص المتنورون والقديسون هم وحدهم الشيقون ، هم وحدهم الضروريون ، فكلما ازدادت أمثال هؤلاء ، اقترب موعد قيام ملكوت الله فى الارض . وعندئذ لايبقى من مدينتكم بالتدريج حجر واحد ، كل شىء سينقلب رأسا على عقب ، كل شىء سيتغير وكانما بسحر » . ان كلمات ساشا عن التعليم والعمل تثير اشمئزاز ناديا من خطيبها الذى لايفعل شيئا ولا يستطيع أن يفعل شيئا ، أن هذه الكلمات تساعد ناديا على تكشف جوهر حياتها وحياة أسرتها وتفتح عينيها على حقيقة هذه الحياة .

ان عروس تشيخوف وهى تستدير للحياة الخانعة الضيقة تسعى الى حياة جديدة على مايبدو ، مناقضة لتلك التى كانت تعرفها فى بيتها والتى كانت يمكن ان تعيشها مع خطيبها ، وفى سعيها هذا تجاه المستقبل تصبح رمزا لنفس فكرة الحياة الجديدة ، وروحها ، وحين قررت ناديا الرحيل « انكمش كل هذا الماضى الكبير والخطير لبقعة صغيرة ، وتكشف مستقبل ضخم عريض لم يكن واضحا قبل الان ... وفجاة بهرتها السعادة وتذكرت انها ذاهبة الى الحرية ، ولتتعلم » ورغم أن مستقبل البطلة يبدو « مجهولا مملوءا بالاسرار » ، الا أن نفس خروج البطلة طلبا للتعليم كان يعنى الخروج الى « الحرية » حسب مفهوم تشيخوف .

لقد راقتنى فكرة الكتابة عن هذا الموضوع بمناسبة مايتردد صداه الان عندنا من اراء تجادل وتناقش امرا صار واقعا الا وهو حق المرأة فى العمل والابداع ، لقد مر قرابة القرن منذ كان تولستوى ياخذ موقف المهاجم لخروج المرأة الى التعليم العمل ، بينما كان يقف قرينه تشيخوف - على الطرف الاخر - يساند ويؤازر حق المرأة فى المساواة فى التعليم والعمل ، ترى من كان منهما اصدق فى رؤاه ؟

رسالة العراق
من: يوسف القعيد

الأهواز، البصرة، الفاو عبقرية المكان التي أصبحت مسرحاً للحرب

١ ـ فينسيا العرب

لكل مدينة مدخلها الخاص بها، ومدخل البصرة بالنسبة الى مدخلان • الاول بدر شاكر السياب، والاخير: الخليل بن احمد الفراهيدى، الحداثة والتراث • ابدا من زماننا وصولا الى العصر القديم • ولكنهما معا • السياب • واحد من اكبر شعراء زماننا، والخليل ابن احمد يقفان الان وسط اكياس الرمال، التى فرضتها ازمنة الحرب التى تتجول فى هذه الأيام فى العام السادس من عمرها •

والبصرة يقولون عنها بندقية المشرق العربى وفى الزمان البعيد كانت المرفأ والميناء الذى انطلق منه السندباد الى ابواب الدنيا وأساطير العالم وحكاياته البريئة •

فلك فيها ـ يقول ابن الرومى فى وصفها ـ وفلك اليها، منشآت فى البحر كالاعلام •

هذه زيارتى الرابعة للبصرة • زيارتان فى ايام السلم • وزيارتان فى زمن الحرب • وهكذا اكون قد ساويت بالعدل بين هذه الايام وتلك •

انها نفس المدينة وان كانت تضع على راسها فى هذه الايام خوذة الحرب الشتاشيل، والقصور • حيث تزهو الحجارة بنفسها وهى تشاهد انعكاسها على صفحة مياه شط العرب

والبصرة مدينة السفر وبيت المسافرين • منها سافرالسندباد واليها عاد • والعودة قادته الى رحيل آخر نحو بغداد • ومنها رحل جلجامش لكى يبحث عن سر الكون ولغزالوجود •

ولانها مدينة السفر والمسافرين فالبيوت فيها لا يعرف الضجر طريقه اليها ابدا • والمسافرالذى يحط الرحال فيها لا يتسلل اليه الاحساس بالاغتراب ومن يتجول فى شوارعها يشعر أن كل بيت حكاية • يمكن ان تروى اتحمل الدهشة وراء كل كلمة فيها • وقلوب

الناس سكك مفتوحة على كل من يطرق أبواب البصرة ·

تجولت في البصرة ليلا · تخيلت ان الخليل بن أحمد يتحدث مع بدر شاكر السياب ، حاولت أن أسمع ما يقولانه · ولكن أصوات مدافع القتال ووقع اقدام الفيلة والخراتيت منعتني من تسجيل الحوار الهام ·

والبصرة مدينة النخيل ، الذى لا يعرف الانحناء ولا الغرق ، والبصرة مدينة المياه التى لا يعرف الجفاف طريقه اليها ·

٢ ـ طفولة الماء

القرنه مدينة صغيرة ، واكتسبت اسمها من اقتران نهرى دجلة والفرات قديما ، وفى القرنة مكان يقال انه شهد انبات شجرة آدم المقدسة ·

لقطة تمثل جمال الحياة الريفية في هذه المنطقة ذات الحضارة العريقة



الاهــوار
البصــرة
الفــاو

وحول هذه المنطقة توجد « اهـوار العراق» حيث كان يتجول ذلك الزمان المنسي ، في مكان فيه كل مقـــومات عبقرية المكان ·

ولا انسى ذلك الظهـــر الحار الذى وجدتني وجها لوجه فيه مع ذلك العالم الفريد الذى اسمه اهوار العــراق ·

شاهدت فيلما تسجيليا للقاسم حـــول عن الاهوار · وفى اليوم التالى كنت اخترق الاهوار من النــاصرية حتى العمارة والبصرة مرورا» بالجبايش « المدينة الوحيدة فى قلب الاهوار ،وفى ملحمة جلجامش حكايات عن فيضـان ضخم جـرى فى جنـوب العـراق · وهى قصة قريبة من طوفان نوح ·

زرت الاهوار مــرتين · الاولى فى زمن الســلم · والثانيـة فى ايام الحرب ، بعد ان دخل هور الحـويزة وجزر مجنون قاموس هذه الحـرب ـ التى تشبه حروب طروادة وحــرب

وسيلة النقل الوحيدة فى الاهواز وعلى الصفحة المقابلة منظر عام لقرية سيجال ويظهر هنا جمال البيئة التى تدمرها اقدام العدوان





الاهـوار
البصـرة
الفـاو

البســوس • من زاوية • انـه من السهل معرفة متى بدأت ولكـن من المستحيل معـرفة لا كيف و لامتى تنتهي ابدا •

والاهوار منطقة لا تعرف الجفاف ، مكان يمكن ان تكون اجمل بقعـة في شرقنا الاوسط الذى يعاني من الصحراء ومن التصحر ومن خطر الجفـاف وشبحه ، ومع هذا فان ماء الاهـوار مازال يعيش حتى الان طفولة مـاء البشرية كله • وكانه يحيا اليوم الاول في الخلق •

ومن يتأمل في حياة ساكني الاهوار يدرك انه يقف امام شخصيات خارجة لتوها من صفحات تراثنا العـربي الاصيل والقديم • يعيشـون في ريف رائع وغريب وبيوت الاهوار مبنية من القصب • كما كانت تبنى في عهـود السومريين صف خلف صف من اعمدة القصب الخليطة تثنى وتقرن معا في اطار مقوس تدعمه ركائز قصبية تربط بها حصر من قصب تغطي السـقف والجدران •

وكل منزل مبنى فوق جزيرة صنعها الانسان نفسه عندما يكون جبلا صغيرا من نباتالاسل ويدوس برجليه فيالماء داخل سياج قصبي يرتفع فوق وجـه الغمر • وتتم عمليه تكديس القصـب ودوسه حتى تصبح في حجم جـزيرة صغيرة •

وفي الاهوار مواصلات فريدة هي : المشحوف ، او البلم ، او الطـرادة • وهي ثلاثة اسماء للـثلاثة انواع من المراكب الانسيابية الناوبلة المطاية بالقار • وقد اشتهرت لصبغها قرية الهوير بالاهوار •

واهل الاهوار هم اكثر العـراقيين وداعة ، فجرائم القتل والسرقة بينهم معدومة والحوادث الوحيدة هي نزاعات بسيطة حول صيد الطيور والاسماك وزراعة الارز •

والاهوار فينسيا ليست العـراق وحدها •• ولكنها تعد فنيسيا الشرق الاوسط كله •• فالهواء فيها يبدو مبللا بالماء والندى والطل النهارى ـ قبـل الليلي ـ يلون الاشياء • وصفحة الماء تبدو لامعة مثـل الزجـاج • وفي المنطقة طيورها الخاصة الاخـاذة : الرفراف ، الارقش ، اللقالق ، البجع الابيض الزاهي يبدو من بعيد مثـل الاساطيل الهادئة •

وفي الماء حياته ايضا ، تعلب الماء• طيور مالك الحـزين ، ان نوعا من الحنين الكولي يشد الانسان الى هذا المكان الفريد •

وفي المياه وامام الاكـواخ نوع من الجـاموس الذى يعيش هنـا •• والسلاحف الصغيرة تجرى نحـو جحرها في هذه الجزر التي صنعهـا الانسان •

وعند الغــروب ، تبدو الشمس البرتقالية ، وهي تنطفىء في الميـاه على البعد • وتذوب في ضباب سمائي بنفسجي رقيق

في الاهوار تبدو السماء شاهقـة وضخمة وعاليـة وبعيدة ، تعطى كل شيء سواها صورة قزمية وصفحة الماء امتد الى حافة الدنيا كلها •

ومكان الاهوار يصنعون حضارة باللغة الندرة فى عصرنا ..

لكن الخرتيت الذى جرى فى اوروبا قبل الحرب العالمية الاخيرة . يهدد المنطقة كلها ..

فهل من خلاص .. ؟!

٣ ـ بساتين الشاطىء

لم اضع قدمى فى الفاو الا بعد الحرب ، وهى امتداد جغرافى لقناتى البصرة والاهوار ومع هذا يختلف المكان هنا تماما .

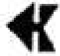
عندما يقترب المكان من البحر ، تكون هناك البساتين والاشجار، وبعدها منطقة الملحة ، ثم الارض الجافة ، ذهبت الى الفاو والحرب على اشدها .. وان كان المكان يترك بصمته الظاهرة والواضحة على ما يجرى فيه نطقة حدودية ، فيها اثار بترول



البجعة في الأهوار الغنية بطيورها ونباتاتها

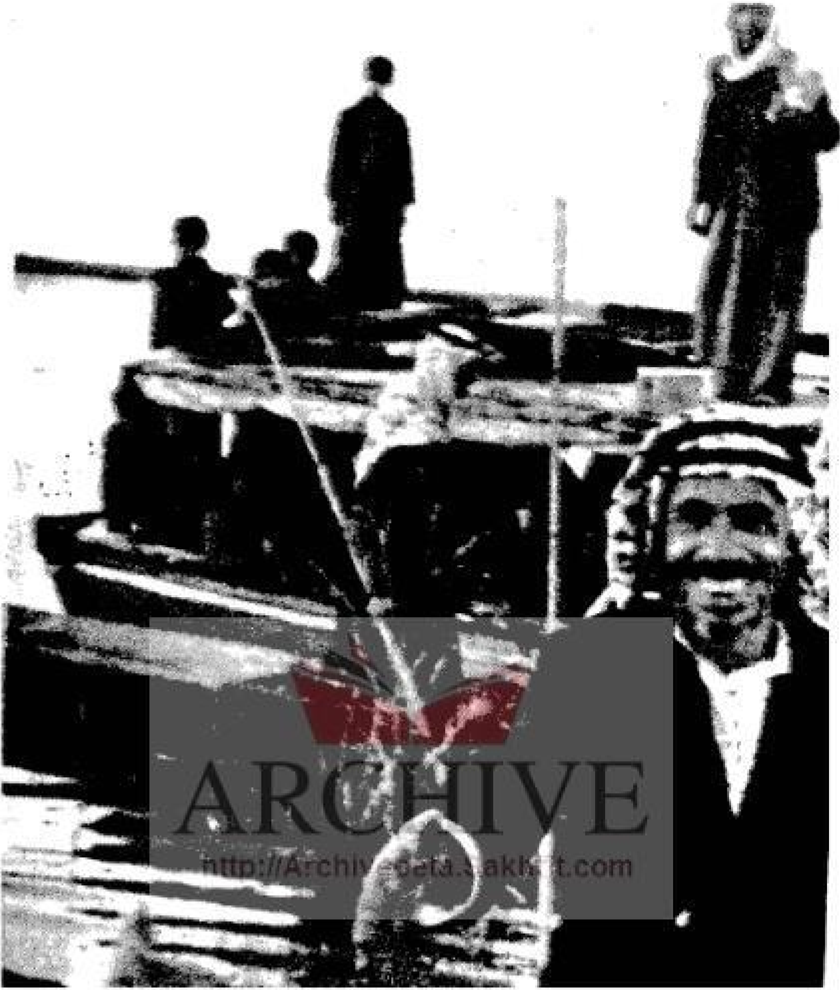


خريطة العراق . ويظهر عليها مثلث الأهواز والفاو والبصرة





انواع متعددة من قوارب الأهواز وسط بيئة جميلة



تلك الحياة الآمنة التى عاشها سكان الاهواز ، يتهددها اليوم الحرب والدمار .

سابقة • والفاو نفسها ميناء قديم • والمنطقة كلها مهجرة من سكانها منذ سنوات •• تسيل فى النفس العديد من الذكريات عن المدن والقرى عندما يهجرها ساكنوها فى ازمنة الحرب ••
ان أرض الملح ترفض الحرب ، وتقاوم ولكن بطريقتها الخاصة •

الغريب في شبه جزيرة الفاو هو حكاية الجزر والمد • يحدث الجزر القادم من الخليج العربى فترتفع المياه وتغطى الملحة • ويأتي الجزر فتنزل المياه ولكنها تترك ارضا لا يمكن الحرب فيها انه احتجاج الارض الذى لابد وان نسمعه •

السراج والرزار وزينب عبد العزيز

ثلاثة معارض بالقاهرة

بقلم : أحمد فؤاد سليم

بدأ كمال السراج اول معارضه الفنية فى عام ١٩٦٠ ، حين تخرج فى نفس العام فى كلية الفنون الجميلة ، فيكون معرضه الذى اقيم بالقاهرة — فبراير مارس — موافقا للعام السادس والعشرين منذ بدأ طريق الفن .

وفى عام ١٩٦٥ / ١٩٦٦ بلغ السراج احدى المراحل الهامة وسط حركة الفن المتجددة فى الستينيات . فى ذلك الوقت لم يكن السراج فنانا « طبيعيا » ، او «انطباعيا» ، بهذا المنحى ، بل كان قريبا الى مدارج الفن الشكلى بمقدار واضح. كان فن السراج يعتمد « الخط » باكثر ما يعتمد المساحة الضوئية ، واللون ، كاساس للعمل التصويرى . « فالخط » هو ممارسة الصدق الاولى العمل الفنى ، وانه — على ما يقول « آنجر » — « تخطيط الشكل ، او رسمه هو جوهر الفن » .

وقد جاء استخدامنا لكلمة الخط هذه مشوبا بالتصور بالمقارنة لكلمة Design التى تشتمل على مجموعة معان عمومية ومغايرة تبدأ من الخط او التخطيط ، او الرسم ، او الخيال ، أو الالهام ، او التصميم على اختلاف صوره ومدارجه .. ولعل ذلك التصور جاء بسبب اننا لم نقصد الى الخط بمفهومه السائد لفكرة الرسم ، ولا الى التصميم بمفهومه السائد لفكرة القالب المعد .. وانما كان ذلك بسبب اهتمامنا لتوضيح منهج كمال السراج الذى يلجا فيه الى «الخط» فى العمل التصويرى على اعتبار انه « قاطع » متنام يبدأ من « النقطة » . اى أن الخط بالنسبة للسراج هو مجموعة من النقاط التى تتحرك تلقائيا من داخلها ، وتلتوى أو تستقيم كيفما كان اتجاهها ، فاذا بها تصنع شكلا « تخطيطيا » فى النهاية على سطح معد . وهو فى ذلك يختلف اختلافا جوهريا فى

منهج العمل بالنسبة لفنانين مثل فؤاد كامل أو رمسيس يونان ، اللذين كانا يعتمدان اللون والضوء مدخلا الى الشكل ، وبمقدار مسافة الاختلاف هـذه ، فان السراج ربما هو قريب ـ من الناحية القاعدية ـ الى المنهج النسائي عنـد فاسيلي كاندينسكي « ١٨٦٦ – ١٩٤٤ » في المرحلة التي تزامل فيها مع بول كليه ، وفاينتجر ، والتي بدأت منذ العام ١٩١٨ .

● جماليات الكتابة العربية ●

ولعله كان طبيعيا ان يلجـأ السراج فيما بعد ذلك بسنوات الى الجماليات « الحروفية » في الكتابات العربية ، بل الى انتخابه لتوليفات وتشاريح حـرف « السين » العربي ، وأن كان ذلك وليد الصدفة على مايصرح هو بنفسه ، الا انها « صدفة » متسقة مـع سـياق ومعالجات كمال السراج الى درجة تجعلنا أسرى للظن بأن هذه الصدفة نفسـها لم تكن الا اختيارا خالصا .

وبقطع النظر عن الدوافع النبيلة التي تتبنى فكرة البحث عن شـخصية مصرية خالصة من خلال استغلال تويم ومصري لامكانيات تراثية ، ومعتقدية ، الا أن المتامل لفن كمال السراج في الاعـوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، يلمس لمسا تلك الارهاصات التي هي ـ بالتأكيد ـ بمثابة مقدمات ضرورية لفكرته عن التراث ، وعن الشخصية القومية .

فمع ان « الفكرة القومية » لم تكن مطروحة بشكل علني عند السراج في ذلك الوقت ، الا ان بعض لوحاته كانت قد اخذت تنحو منحى طبيعيا الى عالم قريب من أجواء الكتابات العربية ... وذلك قبل ان يخاطر بتجربته علنا في العـام ١٩٦٩ .

ولقد لفتت تجربته باقامة معرض كامل على تنويعات حرف « السين العربي » انظار الكثيرين ، ولعلها اثارت الدهشـة ايضا . وفي حين أن البعض وقف أمامها دون محاولة الخوض أو التدقيـق في أحكام التجربة ، فان البعض الآخـر ، قد اعتبرها هبوبا عابرا لنزوات الفنان الذاتية ، وما تلبث أن تزول حين يستطيع الفنان أن يمسك ضالته الهاربة . غير ان التجربة صارت بقيناتوبا حين أخذت معارض السراج تبث منابع فكرته الجمالية ودوافعها الموضوعية ، بكافة الاسـاليب التقنية ، وبمختلف الخامات المتـاحة في مسافة زمنية زادت على سـتة عشر عاما . وفي حين جرى ذلك ، فان تجـربة السراج كانت قد أخذت تشـق لها طريقا راسخا ، ومكانا ، ورايا ، وسط الحركة الفنية المصرية .

مصطفى الرزاز

بدأ مصطفى الرزاز « ١٩٤٢ » التجربة الفنية في سن مبكرة .. وفي وقت قصير للغاية « ١٩٦٥ / ١٩٦٦ » اسـتطاع ان يحتل مركزا مرموقا في المقدمة بين الفنانين المصريين الصاعدين . وفي العشرينات الاولى من عمره كان قد اخذ يشـق طريقه بقوة ويسر ، مجسدا النموذج المصري الجديد للفكرة الشعبية التي تتمثل في المعتقد ، والرمز الغـامض للاسطورة . كان الانسان هو همه الاول وقد ظل الحال كذلك في تجاربه اللاحقة جميعا ، مسـتندا على قـدر كاف من اليقين ، والتنوير الذاتي ، ومـدركا لطبيعة التجربة الجمالية مادامت هي من سبيل البحث عن شخصية مصرية .

كانت هنالك تلك القوالب الجـاهزة لمفهوم الجمال الشعبي : الذي كان يمثله سعد الخادم « ١٩١٣ » من ناحيـة ، وسيد عبد الرسول من ناحية أخرى . كان « الخادم » يمثل السياقات الخا'ـة للفن الشعبي من خلال فكرة الخـال ، والدرك العقلي ، على حين ان سـيد عبد الرسـول كان مترجما للعواطف الشـعبية

ثلاثة معارض بالقاهرة

التي تبثها تفاصيل منهج الجمال الشعبي كما هو كائن في مواريث عاشقية . على أن الرزاز جاء وقد حمل دماء جديدة ، وصياغات مميزة من دون وقوع غير محسوب في بحار العقل ، ومن دون انغماس خطر في الموروث كحل جمالي ، بل انه دخل الى صميم الشخصية الشعبية ، واخذ يتأمل من داخلها ، حتى يكون قادراً على أن يترجم روحها ، وان يرسمها . كان يعنيه العالم الباطني الجواني ، الذي يختزن الموروث . هذا الموروث الذي هو قادر على ضبط الفعل ، وتحويله الى اعتياد يومي ، والى عراكس حركية منظمة للسلوك المتقدي عند الشخصية الشعبية .

وبعد سنوات ، كان الرزاز قد حاز على ثروة عالية من التحصيل التقني للعملية الجمالية ، وصار يمثل نموذجا قويا للفنان المستنير القادر على حل المعادلة المستعصية بين فكرة التراث ، وبين فكرة

لوحة للفنان كمال السراج



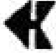
التجديد . بين المعتقد الموروث بجماله اليقيني ، وبين العمليات المعتقلمارسات عالم معاش بالفعل ، عالم حسي ، وعقلي ورياضي ، واحتمالي ، وغير معتقدي ، بل ومحفوف بمخاطر التغير في كل مناقذه ، ومدارجه .

● صياغات الفكرة الموضوعية ●

وفي معرض الرزاز عام ١٩٨٤ ، كان واضحا انه قد اخذ يسعى في أعماله التصويرية الى تأكيد حالة من الصدام بين الواقع الجمالي ، وبين صياغاته هو للفكرة الموضوعية .

ان الوجوه الكاملة ، والجسمانية ، والترديد الخطي ، والظلي ، للاشكال والالوان ، والحيوان ، والطير .. ليست الا علامات من شأنها ان تجعل العمل « مشروعا » أمام المشاهدين ، في حين انها ليست سوى جزئيات تراكمية ، خضعت للانتخاب الذاتي من صميم ذاكرة الفنان المحضة ، واستجابت لعمليات التداعي المرادة في مواجهة لفكرة الجمال بحد ذاتها .

وعلى حين ان ذلك «الصدام» الذي نتحدث عنه ، بين الواقع والخيال ، كان يبدو تلقائيا في أعمال الرزاز ١٩٨٤ ، الا



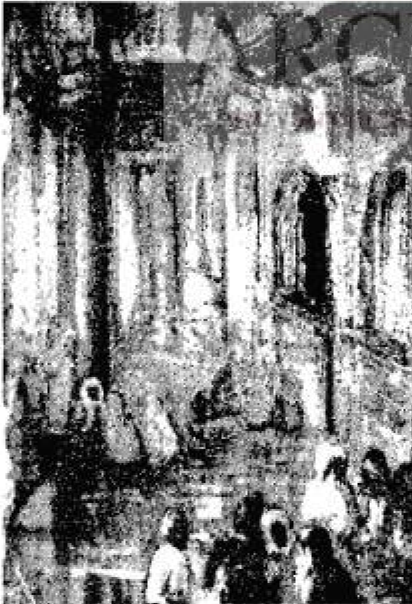
لوحة للفنان مصطفى الرزاز



ثلاثة معارض بالقاهرة

انه فى تجربته الاخيرة ١٩٨٦ اخذ يؤكد على فكرة الصدام هذه بصورة متعمدة، وربما هجومية . وربما يعود ذلك الى البنية التركيبية لشخصية مصطفى الرزاز ذاتها التى تعتمد « التجريب » من بين غايات البحث عن اللغة الجمالية . لقد اخذ الرزاز فى معرضه ١٩٨٦ ، يستند على محور « فكرى » ، « ورياضى » ، بمعنى انه اخذ يقوم ببث سياق ادراكى للعملية الجمالية ، باعتبارها بديلا للمعتقد المصرى تجاه الواقع . يعنى « تعليم » المعتقد الجمالى عن طريق تفسيره بصريا ، اى فى جعله « علميا » . ومن حيث هو كذلك ، فان العمل يطرح محتواه على اعتبار انه شركة « مساهمة » لمجموعة الشاهدين بما فى ذلك صانع العمل ذاته . بمعنى ان هذا الاشتراك الجماعى يدعو العمل الى ان يتحرر تلقائيا من النوازع العاطفية لصانع العمل ، وكذلك — ربما — يتحرر من تلك الدوافع اللحظية اثناء عملية الممارسة الفنية . نحن عندما نتأمل الطيور فى اعمال الرزاز ، لا نعرف ما اذا كانت هى مذاكرة للوهم ، ام هى وشم على ساعد فلاح ، ام هى اسطورة اوزوريسية ام هى ذكريات تاريخية لابراج الحمام ، ام هى الرمز الفاضل للجنس ، ام هى ببساطة تضج لفعلية جمالية تستلهم بساطتها من تعقيدها الغامض . غير اننا لا نخطىء حين نتصور ان هذه الطيور ذاتها هى « حالة » موضوعية صبت على قالب جمالى مثير ، وبان الفكرة الجمالية رهينة بهذا « الصدام » جميعه . وربما كان ذلك ، هو نفسه الدافع الذى دعى الرزاز الى استنهاض طيوره من مساحاته المرسومة ، ودعاها للخروج فى حجم مجسم مستقل ، وجعلها معلقة بذاتها ، وبمفردها ، فى قاعة معرضه الاخير ، بل وضعها — وهى مجسدة بابعادها الثلاثة — فى اشكالية برنامجة لتدلل على العلاقة المركبة بين المسافة الحقيقية لمجموعة طيور متوالية خلف بعضها ، وبين الحيز الواقعى الذى يفصل طائرا عن طائر ، ويشرح الرزاز ذلك بقوله : « ترتبط هذه الظاهرة بالمجال الادراكى اكثر من الماديات المحسوسة اذ انها نوع من الخداع البصرى » وبانها تبدو وهى معلقة « على درجات من التفاوت الحجمى ، بينما هى فى واقع الامر متماثلة كميا من الناحية المادية » . واننا نكتشف ذلك على التو حين يعن لنا ان نختار زاوية معاكسة لرؤية العمل المجسم عند الرزاز ، اننا نتاخا فى هذه الحالة بقوة « الفصل الجمالى » ، فان شكل الطائر الذى بدا لنا كبيرا فى الزاوية الكبيرة ، صار صغيرا من الزاوية المعاكسة ؛ على حين ان الحقيقة نفسها ليست كذلك . فنحن

لوحة للفنانة زينب عبدالعزيز



اذا قمنا برسم شكل لطائر على قطعة من الورق ، ثم قمنا بفصل الشكل المرسوم من طريق القص ، فاننا نحصل على حيز فراغى مماثل للشكل المرسوم ، ونحن اذا وضعنا ذلك الحيز الفراغى على بعد معين من الشكل المرسوم فسوف نكتشف على التو ان الحيز الفراغى اصبح اصغر من الشكل المرسوم للطائر فى حين انهما متطابقان ، ومادام هذا الواقع هو ضرب من الوهم الخالص ، فان عملية تكبير رياضية للحيز الفراغى بنسبة مسافة البعد من الشكل المرسوم للطائر سوف تمنحنا تطابقا جديدا بين الطائر وفراغه، مع ان الحقيقة مختلفة بالفعل بين حيز فراغى هو اكبر بالفعل من شكل الطائر ، وهذا هو نفسه ما فعله الرزاز ، بحيث يضع الشاهد ــ لا اراديا ــ أمام مثير عجيب من مجموعة متواليات وهمية لتنفيذ عملية جمالية شديدة التعقيد . ومن هنا تبدو الاهمية البالغة فيما يعرضه الرزاز ١٩٨٦ .

زينب عبد العزيز

واما المعرض الثالث فهو لفنانة نوبية تتميز بقدر عال من الاصرار والارادة وربما من أجل ذلك ، فان زينب عبد العزيز أخذت تكرس امكانياتها التصويرية على الدوام فى طرح معان مغايرة تعبر عنها فى نتاجها المتصاعد .

ومنذ بدات الفن على نحو جدى فى النصف الثانى من الستينيات ، فانها اخذت تتعرض لطرح موضوعات بعينها ، كما انها ظلت حريصة على الدوام ، على ان تسمى كل لوحة باسمها . ومن قبل ذلك ، قدمت زينب عبد العزيز النيل ، والنخيل ، والريف ، والفلاحين ، والسمراء وتاملات الاوانى على شواطىء الانهار : والنوبة ، ودراسات تصويرية متأنية لتساقط الاضواء على الاحجار والمرتفعات ، ومراسى المعادين .. ومن بعد ذلك ، اخذت الفنانة تستلهم الجماليات العلوية فى العمائر الاسلامية ، وشحذتها التجاويف الداخلية . بكياناتها الظلى المعتم حين يكون الملون جزءا من بين تكويناتها الصوتى ، الى أن قدمت معرضها الاخير هذا ، تحت اسم مغاير آخر هو « انطباعات من السعودية » .

وزينب عبد العزيز فنانة وفية للمعنى التصويرى ، بمعنى انها تكرس احتراما وتوقيرا للخامات ومعاجين الالوان الزيتية ، وكذلك للمصادر الضوئية غير الاصطناعية فوق مساقط السطوح والاشكال التى ترسمها . وبرغم أننا لا نلحظ خطا صاعدا فى تجربتها الجمالية بالنظر الى معالجاتها السابقة منذ سنوات ، الا انها وبنفس القدر ، قد استطاعت ان توفر تمكنا افضل فى المجال التقنى الخالص ، وفى الحلول الضوئية الشائكة للعمل التصويرى .

وتعد زينب عبد العزيز فنانة تقف على مسافة مادية وزمانية بين « الطبيعة » و« الانطباعية » . فهى تنقل الطبيعة من « خارج الاستوديو » ، ثم تعود الى « داخل الاستوديو » لتعيد صياغتها . غير أن اعادة الصياغة هذه ــ باعتبارها عملية الجمال المعقدة ــ لا تلحق بالشكل الذى هو جوهر العمل فى البث التصويرى ــ كما نرى عند فنانة مثل نحية حليم ــ الا بالمقدار الذى تقتضيه ال الجسات اللونية للمنطق الانطباعى من زاويته التقنية البحتة . ويبدو الحال اكثر وضوحا حين تتناول رسم المنائر والمآذن والمساجد فى السعودية مثلا ، باكثر ما يكون الحال حين تتناول الفنانة الطبيعة الساكنة فى ارتفاعها وانخفاضها. .. وربما يفسر ذلك ما نعنيه هنا ، بالوقوف المادى والزمانى بين ما اسميناه ب « الطبيعية » ، وبين ما اسميناه ب « الانطباعية » فى معرضها الاخير .

الشركة الوطنية للأمن الغذائى

والمساهمة الجادة فى حل مشاكل الأمن الغذائى



السيد / حسن الجريدلي رئيس مجلس إدارة الشركة

لاشك ان قضية الأمن الغذائى قضية تهم شعوب العالم النامى عامة ، وشعب مصر خاصة .. فالغذاء هو العصب الأساسى لاستمرار الحياة .. ولقد اولت الدولة عناية خاصة بتنمية موارد الغذاء فى مصر فى الفترة الأخيرة وبذلت جهوداً كثيرة ، ومازالت تبذل من أجل توفير الغذاء .

ولقد كانت الشركة الوطنية للأمن الغذائى ، هى الشركة الرائدة فى هذا المجال والتى اصبح نشاطها ملموسا يستشعر المواطنون وجوده نظرا لما توفره الشركة من منتجات غذائية تغطى جانبا كبيرا من احتياجات المواطنين ..

لهذا كان لقاؤنا مع السيد اللواء / حسن محمد الجريدلى رئيس مجلس ادارة الشركة الوطنية للأمن الغذائى ضروريا ليكون لنا معه حوار يوضح مدى الدور الذى تقوم به الشركة فى مجال الأمن الغذائى ؟ والى أى مدى يمكن زيادة هذا الدور حتى يتحقق الأمن الغذائى وتتوفر السلعة للمواطنين بالسعر المجزى الذى يحقق التوازن لكل من المنتج والمستهلك على السواء ؟

● وبسؤال سيادته عن طبيعة الشركة تفضل سيادته بقوله .

- إن الشركة انشئت لحل جزء من مشاكل الأمن الغذائى فى مصر .. وتم الحصول على الترخيص للقيام بثلاث عمليات هى الانتاج ، التصنيع ، التوزيع .

وبالنسبة للانتاج فنحن ننتج جميع المواد الغذائية ، ولكننا لا نستطيع وحدنا أن نقوم بالانتاج الكلى للاحتياجات . ولذلك فالشركة تقوم بانتاج جزء من الاحتياجات ونتعاقد على الباقى مع المنتجين على أساس من التعاون بحيث احصل على السلعة من المنتج وأقوم بتوصيلها الى المستهلك راسا ، فالشركة لديها جهاز تسويق وعربات نقل ومنافذ توزيع .. وبهذا تصل السلعة الى المستهلك بسعر أقل من مثيلتها فى القطاع الخاص . كما ان الشركة لديها اسطول من سيارات النقل المغلقة حتى تصل السلعة بصورة صالحة للمستهلكين .

أما بالنسبة للتوزيع فقال سيادته : من المعروف أن النقل والتداول يسببان تلفا لبعض المنتجات وتكون هناك نسبة من الفاقد تصل فى بعض الاحيان الى ٤٥٪

ولذلك فنحن .ننقل المنتج الى الثلاجات مباشرة وبعد ذلك نقوم بتعبئتها وتوصيلها الى المستهلك وبذلك نستطيع تقديم سلعه نظيفة بسعر اقل نظرا لقلة الفاقد الذى يقلل من سعر التكلفة .

والتخزين . الشركة لديها ثلاجات للتجميد تسع ١٠٠٠ طن ، وثلاجات تبريد تسع حوالى ١٠٠٠ طن أخرى ، وكذلك لدينا نفق للتجميد .. فمثلا اللحوم اننى اقوم بتعبئتها بأسلوب معين ومغلفة تغليفا جيدا وباوزان معقولة ومناسبة لكل القدرات وتناسب كافة الدخول .

● وعندما سالنا سيادته عن التصنيع داخل الشركة وهو احد انشطتها اجاب :

ـ تقوم الشركة بالتصنيع للمنتجات وتقوم ايضا بتصنيع الفاقد . أى انه لا يوجد عندنا فاقد على الاطلاق فنحن نعيد تصنيع الاجزاء الفاقدة . وباختصار نحن نراعى التعبئة الممتازة وباحجام مختلفة تراعى اذواق ومتطلبات واحتياجات المستهلك من جميع الفئات واصحاب الدخول المختلفة .

● وعند سؤاله عن منافذ توزيع الشركة .. وهل المنافذ تنتشر فى جميع انحاء الجمهورية ؟ وهل توجد منافذ اخرى لتوزيع المنتجات غير منافذ الشركة . قال سيادته :

ـ الشركة لديها منافذ التوزيع الخاصة بها . وهى تنتشر فى جميع انحاء القاهرة الكبرى .. وتقوم بتنفيذ مايسمى بمشروع توفير الغذاء لمليون فرد داخل القاهرة فى المرحلة الاولى .. ولدينا تصريح بالانتشار فى جميع انحاء الجمهورية ، ولكن فى المرحلة الاولى نقوم بتوفير الغذاء لمليون فرد ومن الممكن زيادتها بعد ذلك .. أما الآن فمنتجاتنا توزع خارج القاهرة عن طريق موزعين كما توجد هذه المنتجات لدى محلات السوبر ماركت والمحلات العاديه

● ثم سالنا سيادته عن مدى التزام الشركه بالاسعار فقال

ـ الشركه ملتزمه بالاسعار وهى تقوم بطبع هذه الاسعار على العبوة وهذه الاسعار خاصة بالمستهلك ولا زيادة مطلقا لهذه الاسعار وكذلك تقوم بتوضيح مدة الصلاحية ونحن ملتزمون بالمواصفات القياسية التى وضعتها وزارة التموين

● وبعد أن لمسنا ان انتاج الشركة يتمتع بالجودة الفائقة سالنا سيادته عن مدى الاستفادة من الخبرة الاجنبية فى مجال تصنيع الغذاء .. فقال

ـ لقد ارسلت الشركة ستة افراد الى جميع الدول التى حصلنا منها على معدات المصنع لدراسة احدث اساليب التصنيع على الطبيعة مثل فرنسا والمانيا وبلجيكا والدانمرك وبعد ذلك حصلوا على منهج لدراسة تكنولوجيا الغذاء فى بلجيكا وحصلوا على شهادات تخرج معتمدة . وبعد ذلك عادوا لممارسة عملهم . كما تعاقدنا مع اثنين من المدرسين الذين كانوا يدرسون لهم بالدورة لمدة سنة لمتابعة العمالة والانتاج وتدريب الصف الثانى من العمال . وكذلك يوجد لدينا مكتب استشارى للمصنع .

● أما عن العمالة فقال سيادته

ـ لقد تم اختيار الأطقم الفنية اللازمة للمصنع من خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة ، أى من الشباب المثقف الواعى الذى لديه نية جادة ومخلصة لخدمة الوطن وتم اعدادهم وتدريبهم . ونقدم لهم الحوافز والارباح المجزية

وبعد .. فلعل هذا القدر البسيط من المعلومات يوضح لنا مدى الجهد الذى تبذله الشركة الوطنية للأمن الغذائى فى سبيل تحقيق الأمن الغذائى وتوفير السلع للمواطنين وهو جهد مشكور نتمنى له المزيد حتى يتحقق الرخاء للوطن وللمواطن على السواء

اعداد / مصطفى البسيونى

مجموعة شركات المنوفية للاستثمار والتنمية .

مونيفكو اسهام رائع فى التنمية والاقتصاد القومى



الاستاذ احمد البدوى رئيس مجلس الادارة والاستاذة زينب فؤاد عبدالمجيد المستكاوى السكرتيرة التنفيذية .

بارك الله كل يد تبنى فى صرح هذا الوطن .. وبارك الله أصحاب الهمم الوثابة والقلب الشجاع الذين يأخذون بيد أمهم مصر حتى تنهض من كبوتها وتدخل مع أبنائها وبهم عصر الرخاء .

كان هذا هو دعاؤنا من القلب ونحن نتجه الى مجموعة شركات المنوفية للاستثمار والتنمية ـ مونيفكو لنطل إطلالة على صرح من صروح الاقتصاد والتنمية المصرية ولنلتقى بالرجل المسئول والذى

يقف وراء هذا الصرح . يدفعه إلى الأمام ليحقق المزيد والمزيد من النجاح ولينشر العمران ويبشر بالرخاء فى كل مكان فى مصر .

وكان لنا لقاء مع الاستاذ أحمد البدوى محمد رئيس مجلس الادارة الذى يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة فى هذا الصرح الشامخ يراقب ويوجه حتى يتأكد بنفسه من سلامة الخطوات ووسط مسئولياته الكثيرة وانشغاله الكبير استطعنا أن نأخذ بعضا من وقته نلقى فيه الضوء على هذا العمل الكبير من أجل مصر وحتى نعطى صورة لشبابنا عن الرجل الذى تأخذه همته ليتحمل مسئوليته فى التنمية وصنع الرخاء لمصر وشعبها .

● درس لا أنساه

يقول العميد أحمد البدوى محمد رئيس مجلس الادارة :

لقد بدأت رحلة الألف ميل بخطوة !!

لقد بدأت مربيا للماشية .. ثم بدأت بمشاركة بعض الإخوة فى السودان الشقيق ثم تطورت الأمور وأصبح المصنع ملكى حيث أصنع أعلاف المواشى ، ثم اتجهت إلى الاستيراد على حسابى للمزارع الخاصة بى . استورد الأبقار العشار والجاهزة للذبح والتسمين وكذلك توجد الهناجر فى طريق بورسعيد وأصبحت أملك أحقية تداول الأعلاف وقدمت دراسة الجدوى للمشروع وأقمنا مصنعا غير تقليدى حيث نقوم بتدبير الذرة الصفراء ونستورد العليقة من الخارج وخصوصا الكتان وعند بداية تشغيل المصنع كنا نقوم بتجربة العلائق على المواشى من الحلاب والتسمين ثم نقوم بوزنها وكانت النتيجة ١٠٠ ٪ والحمدلله .. لقد أثبتت العلائق التى قمنا بتصنيعها جدواها وأعطت نتائج باهرة مع رخص سعرها عن مثيلاتها .. ولذا فانا أنصح السادة المربين بالتعامل معنا مباشرة أو مع السادة الوكلاء الذين ينتشرون فى كافة المحافظات حتى لايكون هناك مجال للوسطاء الذين يعملون على رفع الأسعار .

● استصلاح الأراضى

● هذا عن مجال استيراد المواشى وتصنيع الأعلاف .. فماذا عن المجالات الاخرى التى تعمل فيها مجموعة الشركات ؟

- تقوم الشركة بدراسة طبوغرافية التربة ويقوم بهذه الدراسات مجموعة من الخبراء المتخصصين فى مجال التربة والزراعة ونستخدم أحدث الطرق التى تستخدم فى هذا المجال بالرى بالتنقيط والرش .. وتقوم الشركة بتسليم الآلات بالتقسيط .. كما تقوم الشركة بعمل الهناجر وعنابر

الدواجن للسادة المربين وتقوم بعمل دراسات الجدوى الاقتصادية للأخوة المستثمرين سواء في مصر أو في الخارج .

والشركة تمتلك مساحات من الاراضي البور في منطقة صان الحجر والصالحية وطريق مصر الاسماعيلية الصحراوى ، وطريق مصر الاسكندرية الصحراوى وتمتلك ارضا صناعية في مدينة العاشر من رمضان وباذن الله سوف تقيم الشركة عليها مصنعا لتجهيز اللحوم كما ستقوم بانشاء مصنع اخر للحوم بمدينة ٦ اكتوبر ولدى الشركة مجموعة من الأطباء البيطريين للإشراف عليها .

كما توفر الشركة مجموعة جرارات زراعية من انتاج شركة النصر للجرارات قوة ٦٥و٦٦ حصانا وطلمبة البدوى وهي من أقوى الطلمبات .

● هل هناك نشاطات للشركة ؟

– نعم .. إننا نعمل بجهد في مجالات متعددة .. فهناك مجال التشييد والبناء فقد اقامت الشركة عمارات سكنية وهوتيلات وشاليهات سياحية في راس سدر اسهاما منها في تعمير سيناء .. وسوف يفتح باب الحجز بها قريبا بالاشتراك مع البنك العقارى المصرى وبنك القاهرة .

كما تعمل الشركة في مجال نقل الركاب فلدينا عبارتان في البحر الاحمر وقد ساعد ذلك الشركة على الدخول في مجال الأمن الغذائي والتصدير الى السودان والسعودية .

● وماذا عن المشروعات الجديدة ؟

– يوجد خط لانتاج الأعلاف للدواجن وسوف نقوم باذن الله بتسويق الانتاج قريباً .. كل مانرجوه هو مساعدة وزارة الزراعة في استيراد الذرة الصفراء

كما تقوم الشركة بتجهيز مصنع في الخطاطبة بطاقة ٢٠٠ طن للدواجن وهو مصنع للأعلاف غير التقليدية .. وسوف يفتتح في ١٩٨٦/٤/١٠ على مساحة ٣٠ فدانا وبجواره ثلاجة لتخزين الخضراوات واللحوم وتروى الاستاذة زينب فؤاد عبدالمجيد المستكاوى السكرتيرة التنفيذية لرئيس مجلس الاداراة أن وجهة نظرى بالنسبة للعمل التجارى ممتازة جدا وخاصة الجدية في تنفيذها شاملة الدراسات – الائتمان – السيولة النقدية .

● وماذا عن وكلاء الشركة في المحافظات ؟

– حتى يسهل على المربين التعامل معنا بدون وسطاء اخترنا مجموعة من الوكلاء في المحافظات المختلفة يمكن التعامل معهم

● شركة ربايكو للتجارة والتوكيلات – محافظة الشرقية – المهندس مختار محمود دياب

● مؤسسة الطحطاوى للتجارة ادفو – المهندس حسين الطحطاوى وشركاه

● شركة جرين لاين للاستيراد والتجارة – اسكندرية البحيرة – العميد عبدالرحمن اسامة مشالي

● مرسي مطروح – العميد أحمد البدوى

وتركنا الرجل الذى يقف خلف هذا العمل الكبير الذى يحمل الأمل في غد اكثر اشراقا يبنيه أبناء مصر لخير مصر وخير أبنائها .

ابتسامات

تخفيض

● قررت احدى الفتيات الا تتزوج رجلا يقل طوله عن ١٨٠ سنتيمترا .. وقالت عشرة اعوام ترفض كل من يتقدم للزواج بها ، لان طولهم يقل عن الحد المقرر . واخيرا جاءها شاب وعرض عليها الزواج فورا ، وكان طوله ١٦٢ سنتيمترا فقط . ورغم ذلك وافقت الفتاة وجدت انها تستطيع أن تمنحه تخفيضا قدره ١٠ في المائة نظير الزواج فورا !!

الطفل الرائع

● قالت فتاة حسناء للكاتب الساخر برناردشو : مارايك يامستر شو في ان نتزوج حتى ننجب ذلك الطفل الرائع الذي يجمع بين جمالي وذكائك ؟

فقال لها « شو » : وماذا لو وقعت الكارثة وجاء الطفل جامعا لجمالي انا وذكائك أنت !!

قبلة الوداع

● كان صديقه يقوم برحلات كثيرة كما يقتضيه عمله ، ولاحظ انه لم يترك المنزل مرة في احدى رحلاته الا وقد اصطحب معه زوجته .. فلما قابله ذات يوم سأله :

ـ بالله .. ان حبك لزوجتك يفوق الوصف .. فانت لم ترحل مرة عن بيتك دون ان تأخذها معك ..

ـ يالك من غبي .. انني آخذها معي دائما لكي لا أكون مضطرا كلما أردت الرحيل ان أقبلها قبلة الوداع !!

سوء حظ

● لعل من اسوأ الناس حظا ذلك المدعو « جون جريفيت » من ولاية تكساس بامريكا ، كان جريفيت يحرث الارض في حقله حين هبت عاصفة شديدة فوقف تحت احدى الاشجار ليحتمي من العاصفة . ولكن صاعقة انقضت على الشجرة فقذفت به بعيدا فسقط في جحر للثعابين ولدغته افعى ، واستغاث الرجل فجاءت سيارة اسعاف لتحمله الى اقرب مستشفى .

ولكن السيارة انحرفت في الطريق وسقط في النهر . ولم يكن جريفيت يجيد السباحة فغرق !!

● قالت السيدة للطبيب : ان مشكلة ابني عويصة جدا يادكتور فهو يتخيل انه دجاجة !

ومنذ متى يشعر بهذه الحالة ؟

ـ منذ سنة يادكتور

ـ منذ سنة .. ولم تفكروا في علاجه الا الآن !

ـ انت تعرف يادكتور اننا فقراء ، وكنا نظن ان الانتظار قد يأتي بنتيجة .. خاصة وان اسعار البيض مرتفعة !!

صورة كاريكاتورية

● بينما كان احدهم يزور صديقه الرسام ويطوف بالاستوديو متفرجا على الرسوم استوقفه منظر ، فسأل صديقه :

ـ أظن هذه صورة كاريكاتورية ؟

ـ كلا .. هذه مرآة !!





● باريس ●

ولكن هل يبقى النقد الصحفى ؟

تثير وفاة الناقد الفرنسى ماتيو جال النقاش حول ماذا يتبقى من النقد الصحفى بعد رحيل الكاتب ، فماتيو هو ابرز النقاد الصحفيين خلال الربع قرن المنصرم فى الصحف والمجلات بفرنسا . ولكن ماذا يتبقى منه بعد رحيله . هل هى تلك القصاصات التى قام فيها بتغطية الاحداث الادبية والثقافية فى فرنسا : الكتب الجديدة ، الجوائز ، الادباء الشباب ، الراحلون من الكتاب ..

بلا شك فان جال قد لعب دورا كبيرا فى خلق الحس الفنى للقارىء من خلال تقديمه لادب عصره وخاصة الادب النسائى الذى اهتم به . واصبح جال بمثابة بوابة يعبر منها كل من القارىء والكاتب سعيا الى الالتقاء ..

وقد ساعد جال فى لعب هذا الدور موسوعيته الشاملة . خاصة مايتعلق بالمسرح والرواية . فاستطاع ان يقدم ذلك الكم الهائل من الادباء الجدد الذين ظهروا فى العالم وترجمت اعمالهم الى اللغة الفرنسية . وقد شغلت الصحافة اليومية جال فلم يقدم دراسة متكاملة فى كتاب واحد . والكتاب الوحيد الذى نشره عام ١٩٨٠ هو عبارة عن حوار طويل اجراه مع الكاتبة مرجريت يورسنار تحت عنوان « عيون مفتوحة » بمناسبة اختيارها اول امرأة عضو فى الاكاديمية الفرنسية .

وتثير وفاة ماتيو جال اسئلة هامة . فالنقد الصحفى هو ذلك النقد السائد الآن والاكثر شهرة . وقد استطاع ان يجد قارئه فى كل انحاء العالم . واثار جدلا عند المتخصصين مما دفع بعضهم الى ممارسته بحثا عن الشهرة . فساد هذا النوع من النقد . الا انه فى النهاية يظل نوعا من الانطباعات السريعة تحكم الناقد فيها عدة انطباعات مثل المساحة المتاحة للنشر . واهمية سرعة التغطية مما يبعده فى احيان كثيرة عن التعمق .. كما انه من الصعب الاحتفاظ به ـ لدى القارىء ـ حيث انه منشور فى مجلات او صحف سيارة . وعندما يجمعها الناقد فى كتاب يبدو فيه ـ غالبا ـ عدم وحدة الموضوع لان كل مقال منها كتب فى ظروف تختلف تماما عن الآخر ..

● ماتيو جال ●



• نيويورك •

مدن .. قلوبها فى جيوبها

جويس كارول اوتس هى أهم كاتبة على قيد الحياة فى الولايات المتحدة الامريكية . وتنبع أهميتها فى انها استطاعت ان تتجاوز الموضوعات التقليدية التى تغرق فيها الرواية الامريكية المعاصرة . خاصة ان السينما لم تقدم أيا من رواياتها الست عشر التى نشرتها خلال العشرين عاما الماضية .

فى الشهر الماضى صدرت طبعة جديدة من روايتها الخالدة « آخرون » التى نشرتها عام ١٩٧٠ . والآخرون فى هذه الرواية هم الذين عاشوا على هامش حياة امرأة ريفية تدعى لوريتا فيما بين عامى ١٩٣٧ و ١٩٦٧ .. لقد ولدت فى أسرة فقيرة يعمل كل افرادها فى شركة احتكارية ضخمة . فبعد ان ماتت أمها . غرق أبوها فى زجاجات الخمور يحتضنها بدلا من امرأته الراحلة . وتبلغ المأساة قمتها عندما يقتل بعض المتشردين حبيبها وهو بين احضانها . تتقطع بها السبل . تجد أن الدعارة هى المهنة الوحيدة التى يمكن ان تمارسها فى مدينة امريكية لا تعرف سوى لغة) « النقود ولا شىء سوى الاوراق المالية » ، التى تنتقل من الجيوب الى البنوك مرورا باجساد النساء . ويصبح الآخرون مجرد مجموعة من الارقام تتضخم كلما زاد الاهتمام بها . وتصبح ديترويت نموذجا لمدينة أمريكية تفقد حريتها الادبية رغم كل البشر الذين يقيمون بها .


جويس كارول اوتس

• هافانا •

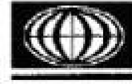
لا وقت للشعر !



منذ أشهر قليلة تحدثنا عن فيلم قادم من امريكا اللاتينية تحت عنوان « ذكريات السجن » .. وتحت نفس العنوان أيضا يقدم الشاعر الكوبى ارماندو فالادارس كتابه الضخم الذى يسكب فيه مرارة تجربته كسجين سياسى فى أحد سجون كوبا .

ومن المؤكد أن تجربة السجين كانت بالغة القسوة لارماندو الذى قضى بين الجدران ثلاثة وعشرين عاما حيث تم القبض عليه عام ١٩٥٩ بعد أن تزوج باشهر قليلة . ولذا فقد جاء كتابه ثقيلا أشبه بتجربته . يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة . مليئة بوقائع شاهدها ، تسردها سادية وعنف . فيبدو الكتاب كأنه آهة عميقة تنزف دماء ساخنة غير مكررة بقدر ما هى متجشأة من صدر الكاتب . ويقول ارماندو عن كل ما اقترفه انه كان ضد نظام كاسترو . وعندما تم القبض عليه لم تعثر الشرطة على اى اوراق أو أسلحة تهمهم . « وحلوا وايديهم خاوية تماما . الا منى » .

ويقول الشاعر انهم وضعوه فيما يعرف « بالزنزانة المقبرة » مسعودة



النوافذ وكانوا يضعون أثقالا في قدميه تزن ستين كيلو جراما . يتركونه في بعض الاحيان عاريا تماما فوق ارض رطبة . ولا يمدونه بماء الغسيل طوال ثلاثة أشهر . وكان الحراس يتلذذون حين يسكبون بولهم على جسده أثناء نومه . أما الناموس فلم يكن أكثر رحمة من ايدى الحراس .

وقد أطلق سراح ارماندو عام ١٩٨٢ عن عمر يناهز الخامسة والاربعين . ويبدأ كأنه نسي كل ما يتعلق بهويته عدا أنه مسجون سابق زامل الزنزانة القبرة قرابة ربع قرن . لذا فهو لم يشر الى كينونته كشاعر او الى ابداعاته التي ابتدعها في السجن وربما لانه « لم يكن هناك وقت للشعور بالذات » .

● لندن ●

الكاتب المصري والحب غير المعصوم

يصدر قريبا عمل أدبي جديد للمؤلفة البريطانية ديانا آثيل بعنوان « الحب غير المعصوم » بعد أن نجحت قصتها « بدلا من خطاب » . والعمل الجديد له اهمية خاصة فبطله كاتب مصري وهو نوع من السيرة الذاتية للمؤلفة تتناول فيهما علاقتها مع هذا الكاتب التي رمزت اليه بالحرف « د » وهذا الكاتب المصري يتمتع بالذكاء وخفة الروح . وعندما التقت به المؤلفة عام ١٩٦٣ لاول مرة شعرت بانها يمكن أن تقع في هواه ولكنها تغلبت على هذا الشعور لاكتشافها أنه يصغرها بنحو ١٨ سنة ، وتبينت فيما بعد من خلال أوراقه الشخصية أنه يصغرها بعشر سنوات فقط . الغريب في الامر أن « د » كما ترمز له المؤلفة لم يكن يبادلها نفس الشعور .

كانت ديانا تشعر بنوع من الامومة تجاه الكاتب المصرى الا أن العلاقة بينهما كانت تتخذ شكلا آنيا اضافة الى المآسي الاخرى التي يرتكبها . فقد كان طفيليا ومغامرا ومحتالا وزيرا للنساء ربما لانه كان يعاني نفسيا من رفض امه له ابتعد الكاتب المصرى عن صديقته ثم عاد اليها فوجدت نفسها مسئولة عن اعالته وأصبح حملا ثقيلا على كاهلها وعلى نفسه أيضا وكان الاثنان على علم تام بمرضه العقلي .

وقد انتهت هذه العلاقة بانتحار الكاتب المصرى وقد ارجعت ديانا السبب وراء هذه المأساة الى شعوره بهجر والدته له .

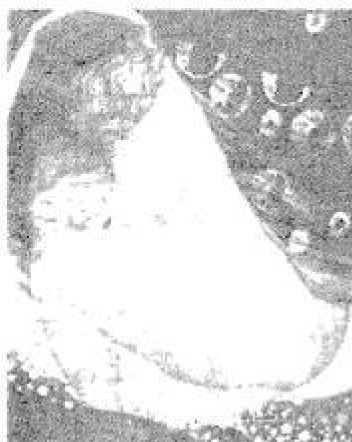
● فيينا ●

فيينا .. دولة يهودية

وعن المدن أيضا يقول الروائي النمساوي روبرت موزيل : « نحن نعرف المدن من سلوكها » . المدينة ـ هذه المرة ـ هي فيينا التي يتم الاحتفال بها ـ من خلال عامي ١٨٨٠ ـ ١٩٣٨ ـ في معرض ضخم يقام الآن في متحف بومبيدو ، حيث تترك مجموعة من أضخم اللوحات الفنية والمخطوطات الادبية مكانها لاول مرة في فيينا الى مدينة أخرى .

لم يقتصر الاحتفال هنا بالمدينة من خلال لوحات الفن التشكيلي . بل بتكريم مجموعة من الادباء والمفكرين والموسيقيين الذين عاشوا ابان تلك الحقبة الزمنية في العاصمة النمساوية . فامتزج كل منهم بالمدينة يأخذ منها ويعبر عنها يملأ سماءها حركة وردهاتها انغاما وجدرانها الوانا .

من ابرز هذه الاسماء سيجموند فرويد . وجوستاف ماهيرو وشتراوس والادباء ستيفان زفايج وروبرت موزيل وجوزيف روث . وفناني تشكيليين مثل : شيل كوكوشا .



يقـول موزيل : « في كل مرة وطأت فيها قدماى ارض النمســا تهب على رياح كتابة رواية جديدة ». ويقول الفيلسوف فتجنشتين : « اذا كنت في فيينا فعليك الا تتكلم . بل أن تنصت الى صدى المدينة ».

لم ينس اليهود ان يستفيدوا من هذا المعرض الضخم بالدعاية لبني جنسهم مما يذكرنا بكتاب ناحوم جولد مان « كلنا يهود ألمان » . فاكثر هذه الشخصيات التى تضمنها المعرض يهودية . وعلى رأسهم تيدور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » . ولم تنس مجلة لوبوان الفرنسية في عددها الصادر فى ١٠ فبراير الماضي ان تؤكد ان فيينا هي أيضا « دولة يهودية » ! ..

● التبت ●

اغاني من بلاد الدلاى لاما

لكل شعب اغنياته الخاصة التي يشدو بها وتشجيه في المناسبات المختلفة . وفي بلاد التبت يشدو الشعب منذ ثمــانية قرون باغنيـات عديدة كتبها الشـاعر الشعبى ميلاربا الذى عاش في القـرن الحادى عشر .. لدرجة ان ديوانه « مائة الف اغنية » يعد بمثـابة كتاب مقدس يحتفظ به كل ابناء التبت في بيوتهم الى جوار كتاب التعاليم لبوذا .

استقى ميلاربا هذه الاغنيات من بيئته التى عاش فيها . ومن افواه الفقراء الذين تربى بينهم . ومن الحيـوانات والطيور التى كان يربيها في منزله . ومن الحدائق الغنــاءة التي يتجول فيها .. ثم من الشوارع التى كان ينام فوق اطلالها ..

في الشهر الماضى صـدرت طبعة جديدة من « مائة الف اغنية » باللغة الفرنسية وجاء في مقدمة الكتاب أن ابرز سمـات ميلاربا - كما جاء على لسانه في احـدى هذه الاغنيات - انه : « شحاذ بلا مأوى . متشرد عار يجـوب الطرقات » .. فمن المعروف أن ميلاربا نفسه كان أغنية لايكف عن الغناء طيلة يومه . يغنى حين يتكلم ، وحين يشرب وحين يأكل . اذا تألم او اذا ضحك . ولم تنفصـل الاغنية عن حياته اليـومية .. ومن بين هذه الاغنيات التي يرددها ابناء التبت نورد :

قوس قزح . الضباب . وندا الصبحية
تشرق في نفس الفضاء
وتغرب في نفس الفضاء
الجدول والموج وزبد البحر
تصب في نفس المحيط
وتنصب من نفس المحيط



فواصل الزمن الشرس

شعر :
محمد مهران السيد



هذا دمي ،
فتالقي يا أم .. فيه
او .. فاطرحيه
هذا العناق .. سعيت مشتاقا
اليه ، يخضنى .. واذوب فيه
ردى على عذوبة الاشياء ، بين
فواصل الزمن الشرس .
فالحلق مسدود بما القمت من
قطع الفلس
هذى الصدور البور ، مغلقة على
ورق الخريف .. ودمدمات
ـ الجدب في أوصالها ، وصرير
احذية الحرس
فرعون في أعماقها ، ومحاجر
البازلت ، والصبر العميم المحترس

●

صعدت في النهر العجوز ، اشقه
في زورق الشعر التعس
ناديته :
اقبل شقيق الروح ، وامنحنى
مفاتيح القصائد من بيوت البوص،
بكرا لم تمس
فاتى ، يحمحم كالفرس
ما بين عينيها حروف النار ،
والتوق المجنح ، والنضالى
المفترس
فتبعته في خرقة النساك ،
منتشيا ، وسكران الرؤى ريان من
هذا القبس

قد كان معراجي الى كبدالحقيقة،
مشرع العينين ،
لا ينسى ، ولا يطأ الدنس

●

سقط الشتاء على رءوس الزهر،
وانطلقت كلاب النـــار ، وانقض الحلك
وتكوم الاطفال . والنور الذبيح
واغنيات القمح في قاع الوطن ،
فضت أصابع من ملك
اختام انهار المبوعة والعفن
هذا كتاب العشق فاقرأ :
قد تغيب الشـــمس يوما في عباءات الصغار
او قد يصيد الغول .. عنقـاء النهار
لكن آيات الشـعوب لها بروج
تشرئب ، وتعتلي
ـ صهوات جنـد الخـان ..
والخاتون ، تحفظها كتائب الازقة والنجوع ..
تتلى ، فلا أحد يخـــاف ، ولا
اصفرار .. ولا رجوع ..
.. هذا جنته عصابة القـــوت الشحيح ، فجربوا علك القـديد المر .. من صحن النجيع !



بقلم : محمود قاسم

ثمانون عامًا على ميلاد صموئيل بيكيت



من سجن الوجود.. إلى سجن العدم

في الثالث عشر من هذا الشهر تحتفل الاوساط الادبية في العالم ببلوغ الروائي والكاتب المسرحي صموئيل بيكيت سن الثمانين عاما..

ويعد بيكيت من أبرز كتاب العصر الحديث الذين سعوا إلى تحطيم كافة صياغات الكتابة التقليدية . ليس في المسرح فقط . ولا في الرواية . ولكن حتى في المنظومات الشعرية التي كتبها . وفي الدراسات الادبية التي اعدها حول ادباء تأثر بهم كثيرا مثل مارسيل بروست وجيمس جويس اللذين يعدان أسياد فن الرواية في كل عصورها ..

وقد ارتبط بيكت بهذين الكاتبين من خلال اللغة والنمط الادبي وعلى المستوى الخاص . اما جويس فقد عمل سكرتيرا له فترة من الزمن وقدم عنه دراسة نقدية طويلة تعد مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه حول صاحب « عوليس » . اما بروست فقد رحل بيكت من أجله إلى فرنسا عام ١٩٢٨ كي يدرسه عن قرب واجاد اللغة الفرنسية لدرجة أصبح يكتب بها رواياته ومسرحياته .. حتى اذا قام بكتابة عمل باللغة الانجليزية قام بنفسه وترجمه الى الفرنسية وبالعكس ..

ورغم أن شهرة بيكيت في عالمنا العربي قد قامت على اساس أنه صاحب مسرحية « في انتظار



أحدى مسرحيات بيكيت على خشبة المسرح الالمانى

جودو » التى نشرها عام ١٩٥٢ إلا أن شهرته كروائى قد سبقته ككاتب مسرح . ففى عام ١٩٤٦ نشر مجموعة من القصص القصيرة . وفى أوائل الخمسينات نشر ثلاثيته المعروفة . « مولوى » عام ١٩٥١ ، مولوى يموت » ١٩٥٢ ، ثم « اللامسمى » ١٩٥٣ . فساهم فى تأسيس مدرسة الرواية الجديدة التى كان من أعمدتها فى تلك الآونة كلود سيمون . والتى نسب تأسيسها فيما بعد إلى الآن روب جرييه .

ورغم أن المسرح قد جذب بيكيت بعض الوقت إليه الا أنه عاد عام ١٩٦١ يكتب رواية جديدة تحت عنوان « وات » . وبعد ذلك بعشرين عاما ينشر روايته الأخيرة « رؤية رديئة . وكلام سىء » .

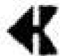
كان يمكن لكاتب مثل بيكيت أن يظل مغمورا لسنوات طويلة اذا لم ينتبه إلى ذلك الطوفان القادم للمسرح الفرنسى فى أوائل الخمسينات من خلال المسرحيات التى قدمها « اوجين اونسكو » لم يسارع بيكيت بإلقاء الحجارة على اونسكو مثلما فعل الكثيرون . ولكنه فاجأ الكثيرين بمسرحية من نفس اللون فى يناير ١٩٥٢ تحت عنوان « فى انتظار جودو » أثارت جدلا كبيرا مثلما فعلت مسرحيات اونسكو . بل إن النقاد والجمهور قد فوجئا بتلك القتامة التى تسيطر على مسرحه وشخصياته عكس ذلك الجو الوردى الذى ترسمه شخصيات المغنية الصلعاء » ..

وفى نفس العام ايضا عرضت مسرحية اخرى لبيكيت تحت عنوان « نهاية جزء » . الا أنه كان اقل إنتاجا من زملائه فى مسرح العبث فلم تتعد مسرحياته عدد أصابع اليد الواحدة . ومن أشهر هذه المسرحيات « سقطوا جميعا » عام ١٩٥٧ . « الشكر » . « الايام الجميلة » ثم « اوهويو » عام ١٩٨١ .

وفى عام ١٩٧٨ نشر بيكيت اول ديوان شعر تحت عنوان « قصائدى » جمع فيه كل الاشعار التى كتبها منذ عام ١٩٣٧ وفى عام ١٩٨١ وبمناسبة الاحتفال ببلوغه الخامسة والسبعين الف ـ لأول مرة ـ سهرة تليفزيونية قصيرة باسم « تكلم يا سيد جوى » .

● تحطيم الحكايات التقليدية ●

يقول أرفنج وارول فى كتابه « الدراميون الانجليز



ثمانون عامًا على ميلاد صموئيل بيكيت

الجدد . ان مسرح اللامعقول يتسم بالتعويض من خلال مشهد داخلي عما يدور في العالم الخارجي من خلال غياب اي مقارنة واضحة بين الوهم والواقع . موقف طليق تجاه الزمن ، يتحدد او يتقلص حسب المتطلبات الذاتية . محيط سائل يبرز اوضاعا عقلية في هيئة استعارات منظورة ، ودقة متناهية في اللغة والتركيب باعتبارها حرز الكاتب الوحيد ضد فوضى التجربة الحية (موسوعة المصطلح النقدي ص ٥٢٢) .

إذن فليس من السهل ان نعرض اعمال صموئيل بيكيت عرضا تقليديا مثلما يحدث مع الوان الادب الاخرى . فهو احد الذين الغوا الحكايات التقليدية وسعوا الى تحطيمها . والطريف ان هذا الادب الذي هوجم بعنف ابان ظهوره قد اصبح الآن من الكلاسيكيات . فمنح جائزة نوبل - منحت لبيكيت عام ١٩٦٩ - اكثر من مرة والعديد من الجوائز المتحفظة ويصبح ادباؤه اعضاء في اعرق الاكاديميات الادبية مثل الاكاديمية الفرنسية المعروفة بتزمتها الشديد .

فو نظرنا الى مسرحية « في انتظار جودو » لرأينا رجلين يمارسان اقدم عمل في التاريخ الا وهو الانتظار . ولا يهم ستراجون وفلاديمير ان يجيء هذا المدعو جودو او لا يجيء .. المهم ان الانتظار قائم .. وجودو لا يحضر .. وكلا الشخصين لا يعرف من هو هذا « الجودو » . وهل هو شخصية حقيقية . أم مجرد وهم ماثل في داخل كل منهما . فعندما ينتهي الفصل الاول نفاجأ ان جودو لا يظهر عند قارعة الطريق . وعندما تنتهي المسرحية لا يأتي اي شخص .. لا هذا « المنتظر » .. ولا غيره .

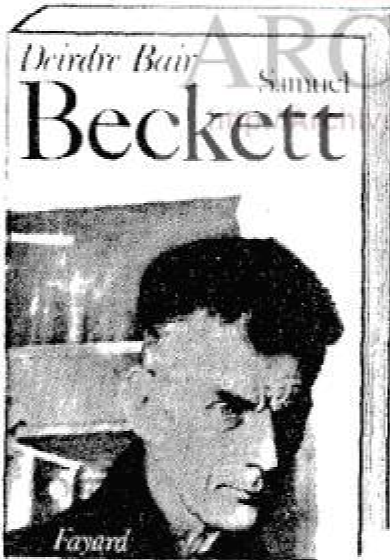
● زمن وهمي كئيب ! ●

وتنبع أهمية جودو - مثلما تقول كوليت جودار في لوموند - ٢٤ فبراير ١٩٧٨ - في انه الشخص الكامن فينا جميعا . ويعطي رموزا للموجودات مثل الموت والحب والسلطة والجنة والنار . فلكل منا « جودو » .. الخاص يهرب معه من خلال احلامه المرتبكة مرتديا جسدا يافعا لشاب تراكبت اعضاء جسده الواحد منها مكان الآخر ..

يتحول جودو في مسرحية « نهاية جزء » الى رجل منظور يجر نفسه فوق بقايا أعضائه المبتورة . بين غابة مظلمة وبحر غير مرئي . يردد السيد كلوف : « لا شيء غريب غرابة البؤس » وكي يهرب من هذا البؤس فانه يثرثر بلا هدف مع صاحبه « هام » مثلما فعل ستراجون وفلاديمير ..

نحن من جديد أمام اشخاص تلف داخل دوائر عابثة . في زمن وهمي كئيب متجهم يفصل الوجود الذي يدركونه عن العدم السرمدي . وتسعى هذه الأشخاص للهرب من هذا السجن - الوجود - الى سجن آخر غير ملموس - العدم - داخل رحلة تشاؤمية تخلو من اي امل . وذلك عكس شخصيات اونسكو التي تتغلب على كل مشاكلها في كوميديا سوداء .. وعلى كل فان شخصيات هذه المسرحيات العبثية جميعها تجد ان الثرثرة هي الشيء الوحيد

كتاب جديد عن صموئيل بيكيت في اطار تكريمه



الذى يمكن ان يفعله الانسان فى رحلته المعتادة من الوجود . نحو العدم .

وتؤرق قضية الحياة والموت شخصيات بيكيت سنما يحدث فى ثلاثيته الروائية المشهورة تلى رواية « مولوى يموت » تتكلم عن الحياة . وعن الموت فالحياة شىء مقتاه تارة . أو هى نكتة لا يزال الآخرون يلقونها بحثا عن التسلية ولا تهم الطريقة التى يلقى بها الآخرون نكاتهم . المهم ان النكته قائمة .. ولكن تبقى اثارها باهتة . فى مسرحية « نهاية جزء » أكد بيكيت اننا جميعا نولد مجانين ومن خلال عبارة يتفوه بها كلوف ويبقى العبث هو التعقل الوحيد الذى يتلاءم مع نكتة الحياة . لان الحياة صعبة بنفس القدر الذى يصعب فيه الموت . والكلام صعب بنفس الدرجة التى يكون فيها الاصغاء صعبا أيضا ..

ولأن علاقة الانسان بالوجود واهية . ولأنه دائما الى زوال من خلال عبث سرمدى . فان « الأنا » تحاول تعويض هذا الزوال بكثرة الحديث عن نفسها . فالكاتب حين يجلس الى مكتبه يبدو صامتا لا يتكلم قط بلسانه . ولكنه حين يكتب يتحول الى غليان متحرر . وليست هناك أى صلة بين غليانه الداخلى ومظهره الهادىء من الخارج . لكنه يحاول نقل هذا الفوران الى القارىء والمتفرج بكل ما يمتلك من موهبة .. وحسب درجة موهبته يمكنه ان يؤثر فى جمهوره ويجذبهم اليه ... ورغم غرابة الشكل الذى قدمه بيكيت الا ان الجمهور قد اقبل عليه لان الكثيرين قد وجدوا كيانهم فى ستراجون وكليموف .

● اللغة .. وتفسيرات الكاتب ●

وتعد روايات بيكيت امتدادا لمسرحه . فبطل روايته « وات » يزحف فى نفس العرض الذى زحف فيه كليموف . وهو يناجى الاشياء المجردة التى تحوطه أثناء متابعته لهذا الزحف . هناك حشرة ضخمة تلتصق بالاجساد . وينطق بلغة أشبه بحيوانات فقارية أو هلامية غريبة الشكل . « ليس لدى شىء أقوله . فأنا الوحيد الذى يستطيع ان يرد الى أى أحد لا امتلك شيئا اقوله . أو تضطرنى أمور ان اقوله » .

ورغم ذلك فانه حسب تعبير الدكتور صبار سعدون ـ عالم الفكر صيف ١٩٨٥ ـ فان السمة البارزة فى الثلاثية ككل هى التركيز على اللغة

الاستخدام الدقيق الكلمات ومعانيها الضمنية . وقد يعنى هذا ان اللغة هى الشىء الوحيد الذى يحظى باهمية . كذلك يعكس جانبا معنويا فى شخوص بيكيت الشوهاء . وكما هو شأن مسرحياته العبثية . تعطى الثلاثية صورة جادة . عبثية عن حالة الانسلاخ والاغتراب فى المجتمع الغربى . المجتمع الذى مزقته الحروب . وأهوالها والتيارات والحركات والصراعات الفكرية وانعكاسات ذلك على نفسية الفرد وموقفه ازاء ذاته ومن حوله » .

والسؤال الذى يمكن ان تطرحه ـ مثلما فعل لوسيان جيسار ـ اذا كانت هذه هى فلسفة ونظرة بيكيت الى الحياة . فلماذا الاستمرار فى الكتابة بهذه الطريقة .. هل هى وسيلة أخرى لثرثرة عبثية بلهاء لا معنى لها لاتقابل الحياة فى تناقضها ولا معقوليتها .. فجودو الذى يمتد به العمر حتى الثمانين يستقبل القرن التاسع من العمر بحالة نفسية رائعة تختلف عن التشاؤم الذى صوره فى مسرحياته التى قدمها منذ خمسة وثلاثين عاما .. وقد حاول كلود مورياك أن يفسر هذه الظاهرة من خلال الاحتفالات الضخمة التى أقيمت لبيكيت بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين قائلا :

« ليست المفردات هى التى تعوز المؤلف كى يفسر ما لا يمكن تفسيره . بل القدرة على تنسيق الكلمات وفقاً لاستمالة الواقع البشرى . فمن يتكلم يساق بمنطق اللغة وتلفظها . وكذلك الكاتب الذى يواجه ما يعجز عنه » .

ومن نفس الاحتفالات كتب يوجين ارنسكو مقالا حول مسرح العبث عند صموئيل بيكيت قال فيه تكريما لصديقه : « لقد أصبحت شخصياته نماذج تختلف عن كل الانماط التى عهدناها فى المسرح إنها تمثل الانسانية الخاصة فى انتظارها ومحاناتها الطويلة التى لاتنتهى . مما جعل من بيكيت نموذجا عالميا . ورغم هذا فلا يمكن أن نقول أن زمن الانتظار قد أشرف على النهاية » .



هل هناك جدوى لفقراء العالم الثالث؟

بقلم: محمد فتحي

● الكرة الأرضية من الفضاء ●



● خمس دقائق من التصوير الفضائي تتيح قدراً من المعلومات تستغرق الطـــائرات في جمعـــه عامين ولايتيسر للبعثات المساحية الا على مدى ٨٠ عاما !! ●

● مالنا نحن الفقراء وانشطة الفضاء الكوني الباهظة التكاليف والاعباء ؟ أي اغتراب وتغريب ان تفتوا لنـا احاديث عن امور لايمكن ان يكون لها بواقعنا الا علاقة الخيال والهروب والوهم ، ولا يمنعنا من ان نضـيف التضليل ـ الى ماسبق من صـفات ـ سـوى بعض التادب ..

ان اقصى مايجب ان نطمح اليه ـ نحن الفقراء ـ هو ان نحاول جادين الخروج من الدائرة الجهنميـة .. « الفقر والجهل والمرض » ، التي يبدو ان شيطانا بارعا قد ربطنا اليها بخيوط تزداد متانة ، على مر الايـام ، حتى لكاننا لانتقدم ساقا مبتعدين عن مدارها الجنوني، الا ووجدنا انفسنا قد تقهقرنا فراسخ وفراسخ ..

على هذا النحو درج من يفكرون بصـورة اعتيادية على أن يمدوا حبال منطقهم . فهـل يمكن ان يتسـع اللهاث ـ على دائرة مغالبة « الفقر والجهل والمرض » برهة نشرع خلالها البصر الى انشطة الفضاء ؟ لعلنـا ندرك حاجتنا ـ نحن الفقراء ـ اكثر مـن غيرنا الى ثمارها ، ولعلنا نعي انها ليست الا بعض العتاد ، الذي يستحيل الاستغناء عنه ، على نفس طـريق مغالبـة « الفقر والجهل والمرض » .

شرع الانسان منذ خرج للمرة الاولى الى الفضاء القريب من الارض ، بل ومنـذ اخذته نوبات التفكير في هذا الخروج .. شرع يبحث عن الفوائد التي يمكن أن تعود عليه مقابل التكاليف الباهظـــة التي يتكبدها ..

كان الانسان قد خبر الاستطلاع الجوي، وبلغ ادراكه لفائدته حدا قبل معـــه ان يتجشم الكثير من المخـــاطر ، وان يركب آلاف الحيل ، في ســـبيل التطلع الى « الممنوع » الواقع خـارج مجـــاله الجوي ووراء اراضيه ..

ومنذ اللحظة الاولى للتحليق في الفضاء كان هناك ، بالاضافة الى هذه الافكـــار والخبرات والاماني ، حب الاســـتطلاع الذي فطر عليه ابن آدم .. فشرع الرواد

هل هناك جدوى من أبحاث الفضاء

الاول ابصارهم من على مدار سفنهم وبهرهم ما طالعهم مما لم يكونوا ليشاهدوه لولا ابتعادهم عن الارض ..

ورويدا هال الانسان البوح الاكثر لجسد الارض — على البعد — رغم وثوق الالتصاق الذى جمعهما اجيالا بعد اجيال ، قبل الخروج الى الفضاء ..

ما يجرى فى بيوت الاخرين

وكان من المنطقى أن يسعى أول من ارتادوا الفضاء الى تسجيل مشاهداتهم بوسائل التصوير المعروفة حتى يشرع الواحد منهم نتاجه للويه على الارض ، وكأنه يقول . هاهو برهانى، الا تصدقون؟

كان التصوير من الفضاء قد جرب قبل ذلك ، بتثبيت آلات تصوير اوتوماتيكية، على الاجهزة الفضائية غير المأهولة . لكن شتان بين ما كانت تنقله هذه الآلات ، وبين المعارف البصرية للانسان . ورويدا اختلف الامر بصورة جذرية ، مع تطلع عيون الرواد ، الذين خبروا عينات دالة من كل ما كان يلوح تحتهم ، خلال تحليقاتهم الجوية الطويلة ، قبل الخروج الى الفضاء .. وهكذا سرعان ماكانوا يتعرفون على ملامح القارة فالوطن فالمدينة ، وقد يبالغ بعضهم او يغالى فيرى الزقاق ، بل وملعب الطفولة وبيت العائلة ..

ورويدا راح الواحد منهم يتملى أوطان الاخرين ومدنهم و « بيوتهم » متصايحا متفاخرا مبتهجا بقدرته على اختراق السحب، ولملمة الخطوط والمساحات والظلال ، فى بروفيلات وصور وخرائط ، يسهل التعرف عليها ..

هكذا انطلقت الخبرة الانسانية العصرية الفضائية القريبة ، وهكذا جرى اثراء المعارف البصرية للانسان بباب جديد ، خاص بالتصوير الفضائى ..

ومع ما اصاب الانسان من انبهار ودهشة امام « المعلومات » التى تفصح عنها الصور بدأ تفكيره يتفتق عما هو جديد تماما ..

ان التصوير الفوتوغرافى ليس سوى نوع واحد من انواع « التصوير » التى خبرها الانسان على الارض . ومن المعروف ان هناك نوعا آخر من الصور تتعامل معه اجهزة التلفاز ، ونوعا ثالثا تتعامل معه اجهزة الرادار ، ونوعا رابعا تتعامل معه أجهزة الرؤية الليلية ، ونوعا خامسا ...

انواع وانواع من الصور يرجع تعددها الى كون الضوء (الموجات الكهرومغناطيسية) سلم طويل لا نرى بعيوننا الا جزءا يسيرا من درجاته ، ويتعامل كل نوع من انواع التصوير مع درجات آخرى عليه ..

كان الانسان يدرك ان الصورة التى يلتقطها الصور الفوتوغرافى له ، وللاشياء بالطبع » غير الصورة التى يلتقطها له جهاز أشعة اكس ، الهيكل العظمى، غير الصورة التى يلتقطها له جهاز الرؤية الليلية ...

وهكذا شرع الانسان فى نقل خبراته « التصويرية » الى الفضاء ومضى يرصد ما تحته بمختلف الطرق . واكتشف الدارسون انه ليس بمقدور الانسان التفرقة — فى صور طريقة معينة — بين الخضرة والرمال ، وان امكن له تفريقهما معا عن سطح المياه . ثم تبينوا ان خلال طريقة ثانية لا تفرق بين المياه والخضرة ، وان فرقتهما معا عن الرمال ..

وهكذا امكن من حصيلة صورتين التفرقة بين الخضرة والرمال والمسطحات المائية . ومن حصيلتهما مع صورة ثالثة الكشف عن طبيعة الصخور وطبيعة الخضرة ، ومع صورة رابعة التفرقة بين المساحات السليمة والمساحات المصابة بافة من الآفات فى حقول نبات بعينه .. هذا كما مكنت صورة خامسة من الكشف

عما هو كامن تحت سطح الارض أو سطح الماء ..

عيوب الفسيفساء

رويدا رسخت اقدام نوع جديد من التصوير الفضائي ، تستخدم فيه آلات تلتقط صورا عديدة ، في وقت واحد ، لنفس الشيء « المساحة » ، في مناطق مختلفة على درج الضوء ، السابق الاشارة اليه .. ورويدا رسخت اقدام قراء هذه الصور ، على اتساع ماتشي به من « معلومات » ..

قبل التصوير الفضائي كان اقصى ما يمكن ان يمدنا به الاستطلاع الجوي صورة فسيفسائية « موزايكو » ، ناتجة من جمع وتركيب المواد التي تم الحصول عليها ، خلال طلعات مختلفة ، والتقطت من زوايا مختلفة ، في ظروف اضاءة مختلفة . وبسبب الظروف المتنوعة للتصوير ، وبسبب المعالجة المتعددة الصور ، كانت عناصر الصورة تتميز او تتموه بدرجات مختلفة من الوضوح ..

لكن الصور الفضائية جاءت خالية من عيوب « الفسيفساء » ، وبفضل تقليل خطوات صنع الصورة ، وبالتالي تقليل حجم المعلومات الخاصة للتحليل ازدادت دقة مفردات الصور ، التي تشمل وللمرة الاولى ، التكاوين الضخمة ، التي كانت تتصاغر معها التحليقات الجوية ..

ببساطة برزت قيمة المشهد الشامل ، الذي يمكن للقارىء ان يدركه اذا تذكر قصة العميان عندما وصف كل منهم الفيل : الاول بعد أن امسك ذيله ، والثاني بعد ان احتضن ساقه ، والثالث بعد أن روع بمس طرف زلومته ..

وليت الامر توقف عند حدود المشهد الكامل اذ سرعان ما أتاح الفضاء امكانية الحصول على المشهد المجسم « ستريو » بتصوير منطقة ما من نقطتين على مسار الجهاز الفضائي ، لتبدو الصورة على وجه التقريب ، كما لو كنا ننظر الى المنطقة بعين من على نقطة محددة فوق المدار ، وبعين ثانية من نقطة اخرى على نفس المدار.

بل وسرعان ما اتاحت الصور الحرارية مشهدا مجسما آخر ، يشي أو يكشف عما هو موجود تحت سطح الارض ، ناهيك عما هو فوقها ..

المهم انه مع الخبرات المتعددة أكد النشاط الفضائي مفارقة أن الانسان يرى الارض « أوضح » كلما ابتعد عنها . وكلما تم التصوير من ارتفاع اكبر زادت دقة الصور ، بل وظهرت التفاصيل التي يعجز الانسان ان يراها بوسيلة اخرى . وذلك ناهيك عن تمكن الانسان من رصد السطوح الطبوغرافية عبر المساحات الهائلة المغمورة بالمياه أو الرمال « ٨٠ ٪



صورة فضائية مركبة من صور ملتقطة بطرق مختلفة



هل هناك جدوى من أبحاث الفضاء

من سطح الارض » ، وفي متصل انسيابي، للمرة الاولى في تاريخ الحضارة البشرية..

دولار واحد

واكاد ارى القارىء الصبور يتساءل : لكن ماعلاقة ذلك كله بالفقر والفقراء ؟

لقد تبين مع الزمن والدرس ان ماتكشفه الصور الفضائية من خطوط كسور في القشرة الارضية ، على سبيل المثال ، غالبا ما تكون حدودا لمكامن الخامات الطبيعية . وان معالم اخرى بعينهما تعني وجود المياه العذبة ، وان معالم ثالثة تعني وجود ...

باختصار سرعان ما تشكلت مع التصوير الفضائي ابجدية جديدة باهرة للتنقيب والكشف عن الثروات الطبيعية ، لم يكن مطروحا على الانسان قبلها الا أن يسلك الاساليب التقليدية ، ولا بأس من مثال تطبيقي تجلو به القيمة الحقيقية لمثل هذه الابجدية .

كان البحث عن المياه الجوفية في الصحراء يتطلب في الاحوال العادية اعداد خرائط جيولوجية تبين ، بنوع من التفصيل نظم العرف وانواع الصخور ، حتى يمكن اكتشاف المواضع المتوقع أن تنطوي على كميات معقولة من المياه . وبالطبع يفتقر الفقراء الى مثل هذه الخرائط، وحتى ان وجد ماهو قريب منها فهو غير دقيق، وغير مجد . ورسم مثل هذه الخرائط بالطرق المساحية التقليدية « البعثات المساحية المتنقلة » اجراء بطيء وباهظ التكاليف تعوقه كثيرا ظروف التخلف والفقر ، وضعف البنى الاساسية ، ونقص الكوادر الفنية ..

هذا بينما جاء التصوير الفضائي بصور مفصلة على نحو ملحهل ، يمكن التعرف منها على المعالم الارضية بصورة دقيقة ، وتظهر عليها كل ملامح العرف الطبيعي ، وانواع الصخور ، والمعالم الطبوغرافية ، وما اليهما من معلومات يحتاجها المختص للتنبؤ بمكامن المياه تحت الارض ..

وللقارىء آن يتصور الفارق بين الطريقتين قياسا على اتاحة خمس دقائق من التصوير الفضائي لكم من المعلومات تستغرق الطائرات في جمعه عامين ، ولا يتيسر للبعثات المساحية الا فيما يقرب من ثمانين عاما !!

ولعل القارىء يتساءل لكن ماذا عن التكاليف ؟

ولا باس هنا من واقعة قريبة . ففي اطار جهود اغاثة سكان ارتريا والسودان فيما يتصل بظروف الجفاف والمجاعة ، قامت الجامعة الحرة البريطانية بتحديد مائة موقع ، تعد بين أنسب المواقع لوجود المياه العذبة في كل اراضي ارتريا والسودان ، حتى يتم حفر الابار فيها ، وقد روعي في اختيارها الى جوار عوامل التنقيب البحت سهولة الوصول اليها ، ومناسبة تربتها للزراعة وبالتالي للاستيطان الدائم ..

ويلفت النظر في هذه الواقعة ان فريق الجامعة الحرة البريطانية قد اعتمد في انجاز عمله على خمس صور فقط التقطت خلال رحلات مكوك الفضاء، وتقوم هيئة الفضاء الامريكية ببيع الصورة الواحدة منها مقابل ٢٥ دولارا فقط !!

ويلفت النظر ثانيا أن الجامعة الحرة البريطانية فكرت في الامر للمرة الاولى خلال اكتوبر ١٩٨٥ ، ولم ينته العام نفسه الا وكانت الجامعة قد سلمت خريطة المواقع المقترحة الى رابطة الاغاثة المعنية بالامر !!

ويلفت النظر ثالثا انه بعد زيارة المختصين لهذه المواقع واختيار الافضل والصالح منها لن يبقى ، حتى يتم حفر الابار ، الا عملية بسيطة يمكن أن تقوم بها سيارة نقل واحدة ، مجهزة بمعدات



● تشكلت مع التصوير الضوئي ابجدية جديدة للتنقيب عن الثروات الطبيعية ●

الحفر ، تتجول بين المواقــــع التي تم اختيارها ..

وبقي بعد ذلك الكثير مما يمكن أن يلفت نظر القارىء الفطن ، الذي لا أشــك في أنه يدرك ، بعد تفصيلنا المسهب ، ان المسألة ليست آبار مياه عذبة فقط، لان دراسة الارض من الفضــاء اتاحت امكانية تحديد المناطق المتوقع ان تكــون غنية بمختلف الثروات الطبيعية ، بل والتنبؤ بحالة المحاصيل و ...

وليس هدفنا هنا الاستغراق في تفاصيل مدرسية ولهذا فلا بأس من نظـرة عابرة تضع يدنا على الدلالة العامة ..

سد رمق الفقراء

ان معادلة النشاط الاقتصــادي التي يصعب ان يختلف عليها اثنان تتلخص في: « ضرورة سعى الانسان الى افضــل استفادة من الموارد المتاحة له » . ووضع هذه المعادلة موضع التطبيق يتطلب مراحل ثلاث من العمل ..

الاولى هي اكتشاف هـــذه الموارد « الثروات الطبيعية المختلفــة ... » وحصرها ، والثانية هي التخطيــط لاستغلال هذه الموارد « اختيار مواقــع المشروعات المختلفة ، وتمهيــد البنية الاساسية ووسائل النقل ... » . والثالثة هي الادارة الواعية لهـــذه المشروعات « اتخاذ قرارات قائمة على اكبر قدر من المعلومات الصحيحة ... » .

واذا اخذنا الزراعة والرعي والصيد ــ كمستوى مباشر من مستويات سد رمق الفقراء ــ لوجدنا ان الرقعة الصــالحة للزراعة ــ وان كانت قد تحددت على مدار التاريخ في كثير من الانحاء ــ ما زالت بعيدة عن التحديد والدرس فمثلها موارد اخرى تعد بين مقومات الزراعة « مصادر المياه الجوفية مثلا » واخرى يمكن ان

هل هناك جدوى من أبحاث الفضاء

تظفر بنتائج الارض ، خامات الاسمدة مثلا » ..

غير أن الدور الأكبر للتصوير الفضائي يكمن في الخدمات الجارية التي يمكن ان يؤديها لادارة ومراقبة سير الزراعة بما يحقق نتائج افضل من حيث الانتاجية والاستقرار والتكلفة الاقتصادية ، من خلال العناية بتدابير الهندسة الزراعية ومواجهة تقلبات الطقس ، والمبادرة بالاعمال الوقائية ، ناهيك عن مقاومة الامراض ..

ان التصوير الفضائي يتيح رسم خريطة جغرافية للتربة تتضمن أحدث المعلومات واكثرها تفصيلا مما يفيد في وضع برامج الاستصلاح والاستزراع ، ومقاومة التصحر ، واستخدام الاسمدة ، وتنظيم دورة البذر وعمليات الرى .. اى الاستخدام الرشيد لكل شبر من الارض.

ولم تكن مثل هذه الخرائط متاحة من قبل ، حتى في اكثر المجتمعات تقدما ، الا من خلال دراسة بعض عينات التربة ـ لا مجمل الارض كما في حالتنا ـ ولم يكن بالامكان تجديد مثل هذه الخرائط الا كل ٧ ـ ١٠ سنوات ، بينما يمكن ، مع التصوير الفضائي ، أن تجدد كل اسبوع .. وغنى عن القول أن ذلك كله يتم على نحو ادق ، وبتكاليف وجهد اقل بما لا يقاس .

ومادمنا في مجال الحديث عن غذاء الفقراء فيمكن أن نضيف الى فوائد التصوير الفضائي الكشف عن مناطق المراعى الصالحة ، بالذات وسط المساحات الصحراوية الشاسعة ، وتحديد مناطق وجود الاسماك في اعالى البحار « من العوالق الموجودة بالمياه ، التى تتغذى الاسماك عليها » ومثل هذه الامور مما يرفع كثيرا من فعالية عمليتى الرعى وصيد الاسماك ..

واذا تجاوزنا هذا المستوى المباشر لسد رمق الفقراء الى مستوى أرحب لوجدنا ان الخرائط الفضائية تسمح بتقييم كل الثروات الطبيعية للمجتمع، اى انها تعد اساسا للتخطيط الانمائى ، بدءا من وضع انظمة استخراج الخامات، والى انشاء المراكز الصناعية ، والمدن والموانى ..

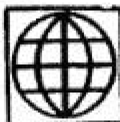
ان انشاء الطرق والسكك الحديدية والقنوات وخطوط نقل الكهرباء وخطوط الانابيب وغير ذلك من وسائل المواصلات يحتاج الى خرائط طبوغرافية ضخمة تمكن من اختيار افضل المواقع اثناء التصميم، وتؤمن اقل تكاليف للتشييد ثم الاستثمار فيما بعد . والمعلومات الفضائية التى تتيحها الخرائط الجغرافية والجيولوجيه الفضائية تيسر ذلك كله . فضلا عن انها ـ المعطيات الفضائية المتكاملة ـ تتيح مباشرة العمل في اجزاء مختلفة على التوازى « في خط المواصلات او المنطقة الصناعية او الزراعية ... » مما يختصر فترات الانشاء كثيرا .

بقى ان نشير في النهايه الى ان اختيار مقولة : « الفقر والجهل والمرض » لم يكن سوى مسالة اجرائية ، استهدفنا من ورائها ايضاح بعض القضايا الفنية . ولمن يريد ان يأخذ ايه رموز تروق له في تحديد اوضاع مجتمعنا ، واهداف النهوض به ، وسيجد أن امكانيات النشاط الفضائى في خدمتها هائلة ،سواء كانت هذه الرموز : « الخروج من مازق التبعية » ، او « التحديث والديمقراطية والعدل الاجتماعى » او ...

وعلى الرغم من تداخل دوائر ثالوث : « الفقر والجهل والمرض » على نحو عضوى وجدلى ، الا انه يمكن اعتبار مقالتنا هذا الصق بدائرة الفقر ، اما بالنسبة لدائرتى الجهل والمرض فلنا عود ..


كتاب الهلال
يقدم :
المستقبلية والمجتمع المصرى
بقلم : هانى عبد المنعم خلاف
يصدر ٥ ابريل ١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم :
بقايا النجوم
بقلم : عبد الوهاب داود
تصدر فى ١٥ ابريل ١٩٨٦

العالم غدا



لا تزوير بأقلام الغد



مازالت جهود العلماء مستمرة لمنع عمليات التحايل والتزوير خاصة داخل البنوك . وقد ابتكرت احدى شركات الكمبيوتر الامريكية قلما خاصا للتحقق من التوقيع على الشيكات أو أوراق المعاملات البنكية ، يحتوى القلم فى داخله على جهاز اليكترونى معقد وهو يتصل عن طريق دائرة اليكترونية بملف التوقيعات الخاص بالعملاء والموجود داخل جهاز الكمبيوتر . من خلال مقدار الضغط على المحور الطولى للقلم والتحميل على المحورين العرضيين ، يمكن الكشف عما اذا كان التوقيع هو بالفعل توقيع العميل أم شخص آخر مزور .

سخن مياهك على الطريقة المصرية

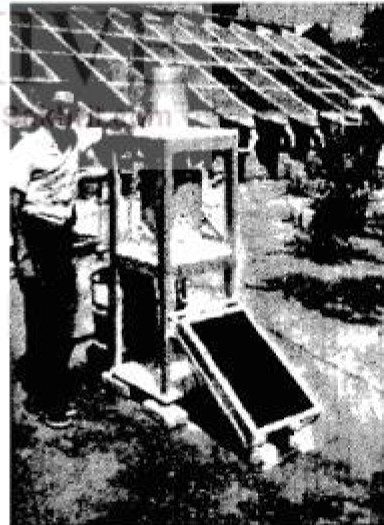
بعد أن فازت مصر بجائزة التفوق والامتياز فى المعهد القومى للاختراعات باليابان .. ما هى الخطوة القادمة .. للمخترعين الشباب .. والى أى حد تجد الاختراعات المصرية طريقها الى التنفيذ .. وخاصة الى الاسواق المصرية ؟

يطرح هذا التساؤل المخترع الشاب ايهاب صلاح الدين الذى نال هذه الجائزة عن اختراعه .. للسخان

الشمس .. لانه يعمل فى جعبتــه اختراعات أخرى تسعى الى التمويل والى أن ترى النور .

وتعتمد فكرة الســخان الشمسى الذى قدمه الشاب المصرى ـ ٢٢ عاما ـ على استخدام الطاقة الشمسية فى تسخين الماء وتعتمـــد على تجميــع الاشعة الشمسية الساقطة على مسطح شمسى ماص يقوم بامتصاصها وينقلها الى شبكة من المواسير الملامسة لهـذا المسطح وتنقل عبر هـذه المواسير الى خزان للماء معزول حـــراريا لحين استخدامها عند الحاجة .

ويتكون السخان من ثلاثة اجــزاء رئيسية هى خزان للماء البارد واخــر الماء الساخن مزود بمادة عازلة لمنع تسرب الحرارة بعد تسخين الماء . ثم مجمع حرارى وهو وحـــدة التسخيـن وهو عبارة عن لوح من الصاج تعلوه مادة عازلة ثم لوح اخر ملحومة به شبكة من المواسير مطلية بلون أسود. ومثبت فى أعلاها لوح زجاجى يعمل على الاحتفاظ بأشعة الشمس .



عـــدادات الســيـــارة مجسمة على الـزجـــاج



متابعة السائق لعـــدادات البنزين والسرعة والحرارة اثنـــاء قيـــادته للسيارة قد يتسبب فى وقوع كثير من حوادث السيارات ، فى المستقبل القريب لن يجد السائق ما يعيقه عن متابعة الطريق أمامه بفضل جهاز اليكترونى، حيث يعكس صورة مجسمه لعدادات السيارة على الزجاج امام القائد . وقد صمم هذا الجهاز فى الاصل لخـــدمة الطيارين المقاتلين . الا ان العديد من الشركات الكبيرة فى اليابان والولايات المتحدة ، بدأت تسعى لتطوير هـــذا الجهاز لاستخدامه فى انتـــاجها من السيارات خلال السنوات القادمة .

فيتامين ج من البكتريا

فى المستقبل القريب ستصنع اقراص فيتامين (ج) من البكتريا . فقد توصل العلماء الامريكيون من خلال أبحاثهم

على بعد يصل الى عشرة أميال تقريبا ٠ الا انه ليس منافسا للمصابيح الكهربية العادية والفلورسنت لذلك لا يمكن القراءة فيه ٠

رد من كمال الملاخ حول مراكب الشمس

دهشت عندما قرأت فى عدد مارس ١٩٨٦ لمجلة الهلال خبرا مفاده ان فريقا من علماء الاثار والجيولوجيين بقيادة د ٠ فاروق الباز يجرون ابحاثهم الاستكشافية فى محاولة للكشف عن امكانية وجود مركب شمسى اخر اسوة بالمركب الذى اكتشف بالصدفة عام ١٩٥٤ فى سرداب بقاع الهرم الاكبر ٠ وكان المركب الشمسى الاول قد اكتشف اثناء الاعداد لزيارة الملك سعود لمنطقة الاهرام ٠

يبدو ان الخبر مترجم عن تصريح من احد غير المختصين اثريا نشرته مجلة اجنبية ٠٠ تبغى فيه لونا من الدعاية ليشارك فى اغتصاب كشفى عن مراكب الشمس وهو اول كشف مزدوج فى عالم الاثار ٠ لانى كشفت عن فجوتى مركب الشمس لخوفو صاحب الهرم فى ان واحد ٠ وليس فى قاع الهرم ٠ ولكن على خط مواز لضلعه الجنوبى وعلى بعد عنه باكثر من ١٢ مترا ٠

ومن قبل كشفت عن فجوة لمركب الشمس للملكة زوجة خوفو الى الشمال من هرمها الصغير نسبيا وهو الثالث من مجموعة الاهرام النسائية الى الشرق الجنوبى للهرم الاكبر ومن هنا يجىء تعبيره الدائم : (مراكب الشمس) ٠٠ بصيغة الجمع وليس بالمفرد (مركز الشمس) ٠ وقد بدأت البحث عنها



الى طريقة جديدة لتحويل السكر وذلك بمساعدة مادة يفرزها نوع من البكتريا غير الضارة للانسان ٠ ويتميز الاسلوب الجديد بانه اقل تكلفة من اقراص فيتامين (ج) المستخلصة من مادة طبيعية ٠ وسوف يفتح هذا البحث المجال امام العلماء لتربية كميات كبيرة من البكتريا لتصنيع مواد عضوية اخرى من الكافيين الى المضادات الحيوية ٠

مصابيح تعمل بدون كهرباء

تمكن العلماء الامريكيون من انتاج نوع جديد من المصابيح يمكن استخدمها فى الاضاءة دون استخدام الطاقة الكهربية ٠ وهى عبارة عن انابيب مضغوطة تحتوى غاز التريتيوم الذى يقوم باطلاق الفوسفور الذى يتصادم بدوره مع جزيئات اشعة بيتا ، وينتج عن ذلك اضاءة المصباح ، ويمكن ان تستخدم المصابيح الجديدة كاشارات على الطرق السريعة ، وفى الاغراض العسكرية باضاءة اماكن الهبوط حتى تتمكن القوات العسكرية من الانتشار ٠ ويمكن ملاحظة ضوء المصباح الجديد

بعد حادث سقوط تلميذ صغير فى فجوة مركب • وكانت فارغة وراء الاستراحة الملكية شرق شمال الهرم الاكبر •

ولما كنت حينئذ المهندس المعمارى الذى استكمل دراساته العليا فى الآثار والمصريات •• فقد بدأت الاهتمام بتسوير هذه الفجوات واستمر اهتمامى للكشف عن الغائب منها •• وكان ذلك مع بداية ١٩٥٠ اى ان كشفى هذا استغرق اكثر من ٤ سنوات واعلنته فى ٢٦ مايو ١٩٥٤ •

اذن لا صدفة هناك • وانما عمل جاد وكان اضخم كشف قام به اثرى بعد كشف كارتر لمدفن توت عنخ امون الذى اعلنه فى ٤ نوفمبر ١٩٢٢ فى وادى الملوك بالاقصر •

ولم تكن لى صلة بزيارة عاهل السعودية الذى توفاه الله ٢ ربيع الاول ١٣٧٣هـ • الموافق ٩ نوفمبر ٥٣ بعد مرض الزمه الفراش • وقد كان لى شرف مرافقة سيادته فى سيارة مكشوفة • وهناك جلس فى الاستراحة الملكية بعض الوقت • وكان هذا فى العصر الملكى اى قبل ١٩٥٢ !!

اما لماذا مركبا الشمس جنوب الهرم الاكبر والتى كشفت الشرقية منها عن سقف كتل المركب الغربية وعددها واطوالها تماثل تماما المركب الشرقية وكان يعلوهما سور للتمويه موازى للضلع الجنوبى للهرم ومن تحته مادتين احداهما طينية فوق مادة من صخر الحجر الجيرى للهضبة • التمويه وبعيدتان جنوبا عن الطريق الذى افسحته لترميم الهرم لاول مرة فى تاريخه الذى يمتد الى اكثر من ٤٦٥٠ سنه !!

المركبان فى العقيدة الشمسية وفى متون الاهرام تخدمان الروح فى رحلة الابد فى الهرم الا مقبرة



كمال الملاخ فى متحف مراكب الشمس

لجسد خوفو وقد اضيفت الى الغاية (سا • رع) يعنى ابن الشمس • ومن هنا كانت اسماء اولاده متصلة بعقيدة الشمس (جد ـ اف ـ رع) و (خا ـ اف ـ رع) • (من ـ كاو ـ رع) وهكذا ظهر اسمه وولده الاكبر على باطن اغلب كتل السقف وعددها ٤١ كتلة وحجر زاوية وكانوا يسمونها (محنحت) وسقف الغربية موضع البحث ذات العدد • ويسمونها مسكتت وهى لخدمة الروح ليلا بينما الاولى نهارا فى مركب النور وراء رحلة الشمس وهكذا كانوا يتصورونها حين تشرق فى مشرق الدنيا فى اتجاه الغرب لتشرق اثناء اختفائها على العالم السفلى رحلة الابد ومن هنا عرف المصرى ايضا كروية الارض !!

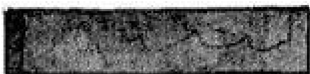
اما مهمة د • فاروق الباز بعد ان سمع منى وصفا للرائحة العبقة الذكية التى تصاعدت من فجوة المركب الشرقية •• عندما زار وتفرج معى على كشفى فابدى رغبته فى دراسة نقاء مثل هذا الهواء عند لحظة فتح الفجوة الغربية •

ومع خالص المودة ارجو نشر ردى تصحيحا • وكانت الصحافة العالمية والتليفزيون واكثر من ٥٠ كاتبا اجنبيا قد نشر عن كشفى للفجوش من ٣١ سنه •





الوجه الآخر



الرقابة على الأفلام ليست قانونًا فقط!

بقلم: اعتدال ممتاز

كتب الزميل المستشار مصطفى درويش مدير عام الرقابة السابق مقاله المذكور فى مقارنة بين ماكتبه مدير رقابة لندن "جون تريفيليان" فى كتابه "ماشاهده الرقيب" وما جاء فى كتابى "مذكرات رقيبة سينما" . مقتطفاً سطورا من هنا وسطورا من هناك ، راميا نفسه "بالشيطان يضحك" ثم وصفنى بأوصاف ونعوت ـ سامحه الله ـ لعل أخفها التخلف والنوم العميق والتخوف الذى ينته بصاحبه إلى الجمود دليلا على انعدام الوزن والثقة بالنفس ، إلى آخر ما انتهى إليه من كلمات .

واختتم كلمته بقوله "ان جاءه الاحساس بعد الانتهاء من قراءة "المذكرات" بالاحباط ، إحساس من رأى فيلما قديما مكررا ، أو من سمع اسطوانة مستهلكة ومشروخة تعيد وتزيد لأن "المذكرات" انتهت كما يقول بأن "لابد أن تبقى الرقابة كاملة على الراشدين" .

واني أعجب ، ألم تقم أنت سيدى شخصيا يوم كنت مديرا عاما على "رقابة المصنفات الفنية" بتجربة عرض الافلام كاملة على الراشدين ؟! فماذا حدث ؟ "أصدر وزير الثقافة قرارا يلغي بموجبه ندبك لوظيفة مدير عام الرقابة على المصنفات الفنية" ، وكما ذكرت انت فى أول مقالك "واذا بك مرة أخرى فى مجلس الدولة تعود اليه سالما معززا مكرما باحد عشر اتهاما » .

انا لا ادرى بالضبط ماهى الاحد عشر اتهاما ولكنى اجزم لك ياسيدى لو انك لم تندفع فى السماح بعرض مجموعة الافلام التى رخصت بعد النكسة ، بما فيها من مشاهد وحوار وموضوعات جنسية الأمر الذى استفز الكثيرين ، ربما لو انك فعلت ، لخدمت الرقابة بالسير بها قدما دون ان تعرضها لما تعرضت له من هزة عنيفة بسبب الضجة الكبرى ورد الفعل العصبى الذى كان سببه المباشر هو ترخيصك بهذه الافلام ، ولجنبت الرقابة ما لقيت من تضييق ومتاهات من ثمارها تشويه أعمال فنية كثيرة منها شقة العازب الذى اتخذته مثلا لتلك الافلام تحت عنوان : افلام ممتازة وكيف ان ضغوطا مختلفة اثرت على ظهورها امام المشاهد المصرى .

وبعد ان شرحت بكتاب "المذكرات" الرحلة الرقابية مع الفيلم وكيفية وقوع الضغوط التى ادت الى الحذف حتى التشويه للفيلم وذكرت بالهامش الاجزاء التى حذفت بالضبط ، اردت فى النهاية ان اخلص مع القارىء الى تقييم لنتيجة هذا الفيلم ، أى انى بالفعل كنت قصدت - عندما


مصطفى درويش


اعتدال ممتاز

سردت قصة الفيلم - ان انتقد نوع الرقابة التي كانت قائمة بالفعل وقتها

ثم خلصت الى الحلول التى تحد من غلواء المقص الرقابي بان ذكرت بالحرف ص ١١٢ "والآن وبعد سنوات من هذا الحادث . ارى انه لو لم تؤخذ الأمور بعصبية وحدّة لأمكن ارضاء جميع الأطراف دون تعنت او خسائر او تشويه . وبمعنى آخر انى اناشد فى "المذكرات" الرقباء والرؤساء معاً عدم التعنت والعصبية والحدة مع الاحكام على الافلام حتى لاتخرج للناس مشوهة .

واظن السيد / المستشار اقتنع الآن انى اهبت فى كتابى باحد الحلول للحد من غلو المقص والذى اتهمنى السيد المستشار انى لم اذكر شيئا من هذا القبيل فى كتابى .

سيدى ، اننى عندما وضعت كتابى "مذكرات رقيبة سينما" اردت ان اضع فى الميزان تجربة رائدة . اكشفها واقيمها امام الناس ومع الناس لا دفاعا عن النفس او اعتذارا عن تصرف ما ، ولكن بهدف محاولة مناقشة جميع الاوضاع مناقشة موضوعية بناءة فى محاولة منى لوضع الامور فى نصابها مستقبلا ان امكن بتلافى ما اكون قد وقعت فيه من اخطاء والافادة من هذه الاخطاء .

اردت ان اوضح ماهية الرقابة واعمالها وحدودها وجهدها . لانى رايت انها ميدان مجهول لدى الكثيرين ، وغير معروف معرفة وثيقة من الناس حتى الدارسين . فابرزت بعجالة سريعة نشاتها وتطورها وقوانينها واحكامها وحدودها . كما وضعت تعريفا بالرقيب الامثل . كما تصورت قراره الامثل المتوازن مستخلصا بقوانين لا ياتيها الباطل من هنا او هناك .

ثم تطرقت الى تجربتى الشخصية بكل الامانة والصدق وما لقيت من اخلال بالقانون الرقابى بسبب التدخلات المختلفة . وما ظهر اثناء التطبيق العملى من ثغرات فى القانون ، استغلها البعض اسوا استغلال . واثر الضغوط المختلفة على الرقابة مما كان سببا فى الاخلال بالميزان الرقابى . وبالتالى الاخلال بالميزان الفنى . ثم انى قدمت لكل حدث خلاصة راى ، رايت من وجهة نظرى انه الحل الذى قد ينفع او يؤدى الى الطريق السليم .

سيدى انت تعلم جيدا ان كان هناك خلل ما بالقطاع العام مثلا مما سبب اغراءه للقطاع الخاص بالترخص والتبذّل والتهاون احيانا فى صناعة السينما المصرية ، واظنك تذكر كيف انك رفضت ان تضع اسمك على ترخيص فيلم "قصر الشوق" الذى انتجته المؤسسة وذلك لهبوط فى مستواه الفنى .

لقد قاومت مؤسسات وزارة الثقافة القوانين الرقابية ، رغم انها والرقابة ، تخدم هدفا واحدا وهو خدمة الفن . الهادف وبناء الانسان المصرى . واذا كان هناك فجوات قانونية مرق منها بعض صنّاع الافلام ، مما اضرّ بمسيرة الافلام فى رايى ، فماذا يضير ان اشير الى كل ماذكرت "فى كتاب المذكرات" وان اضع امام القيادات الاحداث وربما الاقدر . ماوجدت من خلل بهدف الاصلاح ، فاكون بذلك قد اديت واجب وطنى دون تقصير ، ولمن يشاء : ان ياخذ بالرأى او يتركه بالقائه فى سلة المهملات . ولكنى اكون قد بلّغت اللهم فاشهد .

واذا كان قد جاء فى "المذكرات" بعض احساسيسى او الامى أو آمالى مما ضقت

انت به سيدي ، فاذكرك انها مذكرات لانفصام بينها وبين المشاعر والام النفس ، فماذا يضير ان اذكر ما المنى تنفيذه كرقيبة - وبعد سنوات عديدة - انصياعا فى تنفيذ قرار وطنى قد اتخذ الرأى منه بحذف كلمة "مصر" الحبيبة لتسميتها باسمها الجديد "الجمهورية العربية المتحدة" ليس معنى هذا انى خنت الامانة او خالفت النظام او لم اكن امينة عليه ، ولكنى افصح عن شعور ضايقنى رغم جرحى على التنفيذ مثل الكثيرين غيرى من الكتاب والمفكرين والناس او ربما اردت ان اقول : ان لا اختيار للرقيب او لا مكان لاحساسه فى عمله .

واذا كنت سيدى قد فرحت بالمبادرة الشجاعة فذلك سيدي لان للسلام فرحة ولحقن الدماء فرحة ، ولو انك سيدى ذقت مرارة فراق الاحبة على البعد ، ولوعة قلوب الآباء لضياع الابناء والتى تحرق قلوبهم مدى حياتهم ، لعرفت كم تساوى فرحة السلام وليس معنى هذا سيدي انى خنت وطنى او بخلت عليه بمال او ثمين لا سيدى فداه روحى ودمى وجميع ابنائى واحبائى ، ولكن السنا دعاة سلام ونعمل على ارساء قواعده بكل طاقاتنا ؟!

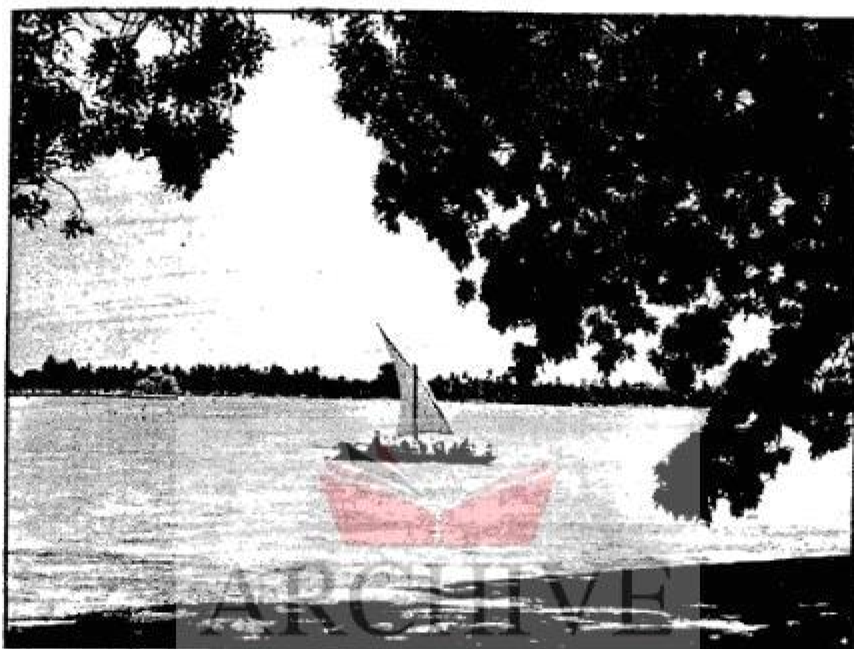
سيدى اذا كانت غاية الغايات ان يرى جميع الراشدين - كما اراد الرقيب الانجليزى - جميع الافلام كاملة ، فهو ايضا يعترف بان سيكون هناك ضحايا وهم ان كانوا قلة فى انجلترا كما قال ، فانى اجزم ان عددهم فى مصر سيكون كثيرا جدا . ومع ذلك فالرقيب الانجليزى يتكلم من منطلق الدعة والراحة والاستقرار النفسى والسياسى والديمقراطى وهناك فارق كبير بين ظروف مصر التى مازالت تحاول جاهدة ارساء قواعد استقلالها وحريتها وديمقراطيتها وامنها ، وبين انجلترا التى ارست تلك القواعد منذ ازمان بعيدة ، ومع ذلك بقيت الرقابة هناك اربعين عاما على المسرح ، واستعيض عنها برقابة خاصة يقوم بها مدير المسرح والقانون العام . كما انى اذكرك سيدى بانه رغم الفارق الشاسع بين البلدين لم يطالب الرقيب الانجليزى بإلغاء الرقابة على السينما تلك الرقابة الاختيارية التى طالب بها اصحاب صناعة السينما انفسهم ، بينما الأمر يختلف فى مصر اذ يطالب حفنة من المصريين المتحذلقين الذين لا يرون ابعد من انوفهم بإلغاء الرقابة المصرية الوقائية .

سيدى لقد قابلت هذا الرقيب الانجليزى نفسه ، واثنى ثناء شديدا على منهاجى فى الرقابة ، كما قابله بعد ذلك بسنوات وكيل وزارة الثقافة وطالبه الرقيب الانجليزى ذاته بالانصات الى صوتى والى ما اطالب به من رؤية فى مجال الرقابة المصرية .

وانى اخلص فى كتاب "مذكرات رقيبة سينما" بالمطالبة برقابة رشيدة امينة قوية باشخاصها وسلامة قوانينها بعيدة عن التدخلات الخارجية والهزات والضغوط عندئذ ستؤدى عملها الوقائى تماما بقرار رشيد لن يكون ظالما .

ومع كل ذلك سيدى فانى على يقين : ان الشعب المصرى يوم تتاصل فيه ديمقراطيته باعماقها فى وجدانه ويوم يتعلق بحريته المسئولة ، لأن الحرية هى المسئولية ، ثق ، انه يومها سينفض الرقابة عنه نفسه بنفسه لانه سيكون رقيبا على فنه ووجدانه ولن يكون بحاجة الى رقيب ينبه الفنان الى حدود فنه وان للمجتمع حقوق وان امنه ونظامه يجب الا يمسهما احد ، ويومها سيدى سيرى الناس فنه الراقى والواعى ، كل الناس ، الراشدون وغير الراشدين لانه لن يكون هناك فن هابط او مسف أو مدمر والله الموفق .

دراسة الهلال



النيل والزراعة والتاريخ

بقلم : د. رشدى سعيد

المجدلك أيها النيل
تخرج من الأرض
لتأتى لتروى مصر
تعطى الغذاء وتجلب الرزق
ياخالق كل شىء طيب



هذه السطور هى من نغم قديم للنيل تلخص الدور الرئيسى الذى لعبه هذا النهر فى الحضارة العظيمة التى نشأت على ضفتيه ـ فقد كان النيل ولايزال هو مصدر المياه الوحيد لأرض مصر العطشى ، كانت مياهه تفيض على جنباته كل عام فى انتظام رتيب ثم تتسرب فى الأرض فتنبت المحاصيل الوفيرة ـ كان الفيضان العالى مصدرا للفرح ، والابتهاج ، والواطىء نذيرا بالمجاعة والويل .

ولم يحمل الفيضان الماء فقط بل كان يحمل أيضا فتات الرمل والطين والغرين التي كانت تترسب في الحقول بعد حرثها فتخصبها بسماد طبيعي ـ لقد كانت مصر بحق هبة النيل كما قال عنها الرحالة الاغريق الذين كانوا ينظرون إلى النهر نظرة تحليلية لدراسة سبب ومصدر فيضانه ولغز ارتفاع مياهه السنوى الرتيب ـ أما المصريون فكانوا ينظرون إلى النهر نظرة عملية فقد عرفوه في جميع حالاته ومواسمه ورتبوا حياتهم عليها فلم يكن النيل بالنسبة لهم موضعا للتساؤل والاستفسار بل كان مصدرا للحياة وجزءا من النظام الكونى الذى تجسد في الاله حابي الذي كان النيل يمثل روحه وقواه الخفية ـ كان النيل يحمل مياه نون ، المحيط الأولى الذى خرجت منه كتلة الشمس والأرض ـ لقد كان بحق نهرا قدسيا يترنم به الكهنة ـ

ويعود اعتماد المصريين على النيل الى انتظامه الرتيب إذ يكاد أن يكون هذا النهر هو الوحيد من بين أنهار العالم الكبرى الذى يمكن التنبؤ بأحداثه بدرجة كبيرة ـ فالأنهار الأخرى مثل دجلة والفرات أو الهندوس التى أمدت الحضارات النهرية الأخرى بالمياه تعتمد على أحداث جوية عرضة للتقلب مثل السيول أو ذوبان الجليد ، مما يجعل التنبؤ بأحوالها صعبا والعيش فى ظلها مضطربا ـ أما النيل فإنه يحصل على مياهه من منطقتين مناخيتين : هضبة البحيرات الاستوائية ذات الفصلين من الأمطار (الربيع والخريف) وهضبة أثيوبيا ذات الأمطار الموسمية الصيفية ـ وبعد أن تبرق السماء وترعد ، وتهطل الأمطار كاسحة الجبال والغابات فإن المياه تتجمع فى عدد من الأفرع التى تصب فى نهاية المطاف وقبل أن تخترق الصحراء الكبرى فى نهر واحد ـ وفى ظل هذا الانتظام استطاع المصريون القدماء أن يكون لهم تقويم يبدءون فى فيضان النيل الذى كان يأتى رتيبا ، وإن ارتفع أو انخفض لعدة أقدام على مر معظم القرون .

والیوم فإن نظاما معقدا من الرى يضبط مياه النيل وينظم استخدامها من يوم الى يوم ويدفعها من مكان إلى مكان كما أن السهل الفيضى للنهر قد أصبح كالبساط الأخضر الذى سوى حقولا تتخللها قرى متناثرة ، وفى وسط هذا المنظر الذى صنعه الانسان فإن من الصعب أن نتخيل كيف كان شكل هذا السهل النهرى ، قبل أن يزرعه الانسان ـ هل كان هذا السهل مليئا بالأحراش والمستنقعات التى احتاجت من الانسان القديم ان يصرف مياهها على امد اجيال طويلة قبل أن يستقر فيها ؟ أم أن السهل كان ممهدا وخصبا تتناثر فيه الأشجار والنهيرات والبرك كجنة عدن الأولى التى حلم بها الانسان منذ القدم ؟ ومن هم هؤلاء الناس الذين استقروا فى وادى النيل ؟ ومن اين أتوا ؟

● النيل والفيضان ●

إن شكل حوض النيل بمصـر قبل أن يستقر فيه الانسان لابد وأنه كان يشابه احواض الأنهار الكبرى التى يغمر فيضانها سهولا واسعة ـ ومثل هذه الأنهار تتعرج وسط هذه السهول فى مجار محددة بواسطة جسور طبيعية بناها النهر نفسه من الرواسب الخشنة التى يخلفها حول مجراه عندما تبدأ مياهه فى الارتفاع وقت الفيضان ـ وتحدد هذه الجسور مجرى النهر فى معظم الوقت إلا أنها لا تستطيع إيقاف اندفاع المياه نحو سهل النهر عندما ترتفع المياه فيه ـ وعندما يكون الفيضان متوسطا فإن المياه تنحدر من فوق المواقع الواطئة من جسر النهر إلى السهل الفيضى وتغرق اجزاء منه ـ وعندما يبدأ الفيضان فى الانخفاض تعود المياه مرة أخرى إلى مجرى النهر الأصلى ـ ومثل هذا النظام النهرى يجعل السهل الفيضى سهل المنال ورطبا وحاملا لكمية كبيرة من المياه الجوفية التى تكفى لنمو النباتات ونضجها .

ويسود مثل هذا النظام الآن فى أجزاء من نهر المسيسيبى وعدد من الأنهار المدارية مثل السنجال واللوجون شارى اللذين يخترقان جنوب الصحراء الكبرى بافريقيا فعلى سهول هذين النهرين وحتى العقد الثالث من هذا القرن كان الناس يمارسون الزراعة الناجحة فى سهولهما دون الحاجة الى ضبط فيضانها او استخدام طرق صناعية للرى او الصرف . كانت القرى مبنية فوق جسور النهر أو على الامكنة العالية المتاخمة لجانبى الوادى وكان الناس يبذرون السهول بعد أن تنحسر عنها مياه الفيضان وخلال فترة نمو المحاصيل هذه تساق الماشية إلى السهول لكى ترعى ـ وقبل أن تعود المياه الى الارتفاع تكون المحاصيل قد ضمت والماشية قد سيقت الى الاماكن العالية حيث تقف القرى .. وكأنها معلقة خلال الفيضان فى وسط الماء .. ولايحتاج الانسان الى تقنية متقدمة لاستيطان هذه المناطق غير تنظيم اجتماعى معقول للاستفادة من هذه البيئة ذات الخير العميم .

وهناك من الأدلة ما يجعلنا نتصور ان هذا النمط من الحياة هو الذى كان سائدا فى مصـر قبل التاريخ ـ فعلى جنبات وادى النيل وجدت جبانات وبقايا قرى قديمة يعود تاريخها (كما تحدد بطريق القياس الراديومترى للكربون المشع) إلى ما بين خمسة وأربعة آلاف سنة قبل الميلاد وهى الفترة التى تعرف فى تاريخ مصر باسم



عصر ما قبل الأسرات . وقد ظن الأثريون الأوائل أن هذه المحلات الأثرية انما تشير إلى مكان اوائل المستوطنات الزراعية بوادى النيل والتي بنيت في هذه الأماكن العالية على جانبي الوادى لأن الناس لم تستطع في ذلك التاريخ القديم أن تتغلب على مشاكل استيطان سهل الفيضان نفسه لأن ذلك كان يحتاج إلى تقنية متقدمة لصرف المياه وحصرها في أحواض قبل استخدامها في الرى - وكانت النظرية السائدة لذلك ولمدة طويلة هي أن استيطان الوادى ذاته لم يبدأ إلا بعد قرون طويلة ربما قبل مائتين أو ثلاثمائة سنة من توحيد الوجهين البحرى والقبلي والذى تم فى حوالى عام ٣٠٥٠ قبل الميلاد .

وقد كشف الأثريون عدة آلاف من الجبانات التى تنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات على جانبى وادى النيل ولكنهم لم يعثروا إلا على عدد قليل من مستوطنات نفس العصر على شكل قرى صغيرة كان الكثير منها يمثل مواقع موسمية للرعاة او محلات لبدو أطراف الصحراء - ولاشك ان العدد الكبير للجبانات انما يدل على أن عدد السكان كان اكثر بكثير مما يمكن أن تستنتجه من القرى الصغيرة . والمستوطنات المتناثرة القليلة التى تم الكشف عنها باطراف الصحراء ولابد لذلك من ان هؤلاء السكان كانوا يعيشون داخل وادى النيل ذاته في قرى بنيت فوق جسور النيل في سهله الفيضى تم اندثرت واختفت تحت طمى النيل الذى كان يترسب طبقة فوق طبقة على مر الزمان او تحت انقاض عديد من القرى الحالية والتي ظلت مقرا مستمرا لسكنى الانسان للآلاف من السنين ..

● كشف هام لآثار الإنسان ●

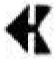
وقد كان للأبحاث الأثرية العديدة التي تمت في أعقاب بناء السد العالى ضمن الحملة العالمية لانقاذ آثار النوبة اثرها في الكشف عن آثار انسان ما قبل التاريخ الذى استوطن وادى النيل وعن الطرق التى استخدمها لاستغلال هذه البيئة النهرية التى ساهمت الأبحاث الجيولوجية في تفهم شكلها وتطورها على مدى الزمان - وتشكل الآلات الحجرية وبعض الهياكل العظمية القليلة وفتات النفايات العضوية كل ما تبقى من آثار إنسان ما قبل التاريخ مما يجعل معرفة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجتمعات القديمة أمرا صعبا - وقد ارتبطت معظم آثار انسان ما قبل التاريخ بالنيل الحديث (النيونيل) آخر الانهار التى شغلت وادى النيل والذى شق طريقه إلى مصر من الهضبة الاثيوبية منذ حوالى ١٢٠ الف سنة مضت - ويتميز النيل الحديث عن الأنهار التي سبقته بأنه يشبه النيل الحالى من حيث هيدروجرافيته ومصادر مياهه ونوع الرواسب التي يحملها - أما الانيال السابقة فقد اختلفت من حيث مصادر مياهها أو نوع الرواسب التي خلفتها وراءها - ويعود أصل النيل إلى حقبة الميوسين الأعلى (منذ حوالى ٦ ملايين سنة) حينما بدأ النهر فى حفر مجراه إلى أعماق كبيرة جعلته خانقا عظيما يفوق فى طوله وعمقه ودرجة انحداره خانق كولورادو العظيم الحديث ثم أخذ هذا فى الامتلاء برواسب عديد من الانهار حتى جاءت الفترة التى سبقت وصول النيل الحديث (الفترة من ٢٥٠ - ١٢٠ الف سنة مضت) وكانت فترة مطيرة في مصر اخضرت فيها أجزاء كبيرة من الصحارى

المصرية ورعت فيها حيوانات ضخمة أفريقية وجال فيها الانسان فى أماكن كثيرة كما انقطعت فيها صلة النيل المصرى بمصادره فى افريقيا الاستوائية والهضبة الاثيوبية واصبح النيل بذلك موسميا تغذيه مياه الأمطار المحلية فى مصر التى كانت تسقط سيولا شتوية على جبال البحر الأحمر

وقد وصل النيل الحديث إلى مصر فى أوائل العصر الجليدى الأخير وفى وقت جفت فيه الصحارى المصرية وخلت تماما من بقايا الانسان الذى يبدو وأنه قد عاد إلى جانبى الوادى فى أعداد يبدو أنها كانت صغيرة جدا على أن هذا الحال لم يدم لأكثر من ثلاثين ألف سنة عندما عاد النيل إلى الانخفاض كما زادت الأمطار على صحارى مصر ، وعاد الانسان يستوطن الصحارى مرة أخرى وقد تميزت الفترة (٩٠ ـ ٣٠ ألف سنة مضت) والتى تسمى بالفترة الموستيرية بانتشار الأعشاب فى مساحات كبيرة حول منخفضات الصحراء الغربية الجنوبية بل وبامتلاء بعضها بالمياه على شكل بحيرات كبيرة ولعل منظر الصحراء العام كان يقارب ذلك الذى نراه الآن فى جنوب السودان أو تشاد كما رعت فى هذه المناطق حيوانات مناطق السفانا مثل فرس النهر وبعض انواع الجاموس المنقرض ، والحمار البرى ، والغزال ، وأنواع من الجمال المنقرضة وهذه مجموعة من الحيوانات التى تعيش الآن فى المناطق التى لاتزيد فيها كمية الأمطار عن ٤٠٠ مم فى العام ـ كما امتلات بحيرات هذه المناطق بالأسماك ومنها البلطى ـ وفى رواسب هذه الفترة عثر على أقدم هيكل عظمى للانسان بأحد الوديان النشطة والتى كانت تصب فى النيل عند أسوان ـ ويعتبر هذا الهيكل العظمى الذى اكتشف فى موسم ١٩٨٢ أقدم هيكل عظمى وجد بمصر للإنسان ـ على أن بقايا الانسان الموستيرى وآثاره لاتعطى لنا شيئا كثيرا عن الطريقة التى كان هذا الانسان القديم يدبر بها أمور معيشته غير انه كان يعيش على صيد الحيوان والأسماك كما انه كان يعيش فى مجموعات صغيرة

● حضارات حول النيل ●

على أن الاستيطان الكبير المنتظم لوادى النيل لم يبدأ إلا بعودة النهر إلى نظامه الحالى منذ حوالى ثلاثين ألف سنة ـ كان النهر يتعرج فى سهل فيضانه فى مجار متعددة كان بعضها يحمل الماء على مدار السنة وبعضها الآخر يحمله وقت الفيضان فقط وكان الناس يعيشون على ضفاف هذه المجارى فى معظم الأحيان أو على طرف الوادى وفى الصحراء المتاخمة فى القليل من الأحيان ـ وقد ساهمت الابحاث التى تمت على هذه المستوطنات القديمة فى فهم النمط الذى عاشه الإنسان فى مصر منذ ذلك التاريخ ـ كان سكان هذه المستوطنات يستخدمون آلات من الصوان صنعوها على شكل البلطة أو السكين أو المخراز أو السهم .. وقد أدت دراسة هذه الآلات بواسطة الكمبيوتر إلى تصنيفها



إلى عدة مجموعات تبعا لتواتر انواع معينة منها وتبعا لطراز وتقنية صناعتها ـ ففى بعض المستوطنات كان الناس يصنعون آلات قليلة ولكنها كانت كبيرة الحجم نوعا ودقيقة الصناعة بينما كان الناس فى مستوطنات أخرى يصنعون آلات كثيرة ولكنها كانت صغيرة الحجم وكأنهم ينتجون بالجملة ـ وحتى فى هذه المستوطنات الأخيرة كانت هناك تخصصات معينة لكل مستوطنة ، فتميز بعضها بالآلات العريضة والكاشطة وبعضها الآخر بالسنون الضيقة والمخاريز والمثاقيب والأسهم التى لابد وأنها كانت مركبة على مقابض من الخشب اندثرت منذ وقت طويل .

وهذا التعدد فى أشكال مجموعات الآلات هذه تبين بوضوح انها صنعت بأقوام مختلفة ذات مهارات وخلفيات متباينة ـ وتدل الدراسات التى تمت على هذه العصور القديمة أن مجموعات حضارية بل وعرقية متعددة تتراوح بين الثلاثة والخمسة قد تعاصرت واستوطنت وادى النيل ويبدو أن كلا من هذه المجموعات كانت مكونة من وحدات سكانية صغيرة ومتناثرة لا



يزيد عدد أفراد الواحدة منها عن الخمسين كانت تتجول في محيط مجموعتها بل واطراف المجموعات الأخرى .

وقد ظل الحال رتيبا حتى الفترة التى تمتد بين ١٢ ، ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد حين وفد على وادى النيل مجموعات تتشابه صناعة الاتها بتلك المعروفة في بلاد المغرب مما يجعلنا نظن أن وادى النيل وحتى ذلك التاريخ كان اكثر اتصالا بافريقيا عنه بالشرق الأوسط ـ لقد جذبت بيئة الوادى الغنية الكثير من أقوام العصور الحجرية مما أدى فى بعض الأحيان على ما يبدو استخدام العنف كما اثبت ذلك اكتشاف جبانة ترجع إلى هذا العصر وبها هياكل ذات عظام مكسورة أو بها أسهم من الصوان مدفونة فيها .

وقد أعطتنا مخلفات هذه المستوطنات فكرة طيبة عن الطريقة التى كان يعيشها هؤلاء الناس الذين أقاموا بوادى النيل بين ١٢ ، ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد ـ فنحن نعرف الآن أنهم كانوا يصيدون الماشية البرية وبعض انواع الغزال والحمار البرى وفرس النهر كما كانوا يصيدون السمك ويأكلون الأصداف النهرية ، كما أن مستوطنة واحدة فى شمال سهل كوم أمبو احتوت على العديد من بقايا الطيور مما يوحى بأن سكانها كانوا يستخدمون الشباك لصيد الأوز والبط .

وتحتوى أرضيات الكثير من مستوطنات ذلك العصر على رحايات مصنوعة من الحجر يرجع تاريخ اقدمها الى حوالى ١٢٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد والتى كانت تستخدم لطحن اللحوم أو اصباغ التجميل كما وجدت بغرف اسنا بعض هذه الرحايا التى يرجع تاريخها إلى مابين ١٠٫٧٠٠ ، ١٠٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد والتى ربما كانت تستخدم لطحن الشعير وذلك لوجودها ضمن رواسب بها حبوب لقاح هذا الحب وضمن ادوات حجرية مصقولة ربما عاد صقلها الى انها كانت تستخدم فى حش الشعير الذى تحتوى سوقه على السيليكا الصاقلة للصوان عند احتكاكها به ـ ولابد لذلك من أن نستنتج أن بعض مستوطنى وادى النيل كانوا يعرفون أو كانوا يتعاملون مع بعض الحبوب البرية كمصدر للغذاء فى هذا الوقت المبكر والسابق لظهور الزراعة فى جنوب غرب أسيا بأكثر من ألفى سنة .

ويبدو ان تجارب هؤلاء المصريين القدامى المبكرة مع الزراعة قد توقفت منذ حوالى ١٠٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد عندما انتاب النيل ولمدة ٧٠٠ سنة سلسلة من الفيضانات العالية التى يبدو وانها أعادت الناس الى التجوال والرعى مدة أخرى ـ ففى هذه الفترة قل عدد المستوطنات واختفت الرحايات من بقايا الانسان وظهرت ادوات أخرى متخصصة من الصوان أو العظم معظمها لصيد الحيوان أو الأسماك وقد ظل الحال كذلك حتى عام ٥٢٠٠ قبل الميلاد ـ فقد ظل النشاط الأساسى

للمصـريين القدامى فى هذه الفترة هو صيد الحيوان والأسماك وجمع النبات البرى وذلك بالرغم من أن الزراعة كانت قد اكتشفت بجنوب غرب آسيا قبل هذا التاريخ بالفين من السنين ، وبالرغم من أن اقواما من الرعاة كانوا بجوار الوادى وفى الصحارى بحيواناتهم المستأنسة من الماشية والخراف ، والماعز - وإذا أردنا أن نصف مصريى هذا الزمان بلغة العصر لقلنا أنهم كانوا متخلفين ! لقد ظل مصريو ذلك الوقت محافظين على طريقة حياتهم على الرغم من انهم لابد وأن سمعوا عن الزراعة والرعى واستئناس الحيوان التى كانت قد انتشرت فى اجزاء كثيرة من هذا العالم القديم حتى وصلت إلى واحات مصر ذاتها - ويبدو أن عجز المصـريين عن البدء فى عمليات الزراعة فى هذا الوقت المبكر انما يعود الى حاجة الزراعة الى اعداد اكبر من الأيدى العاملة التى لم تكن متاحة فى ذلك الزمان بمصـر



• تجانس الحضارة •

وقد دخلت الزراعة مصـر فى النهاية حوالى عام ٥٢٠٠ قبل الميلاد وهو التاريخ الذى يبدأ فيه عصر ما قبل الأسرات بواسطة اقوام استقروا حول ضفاف بحيرة قارون ثم اطراف الدلتا الغربية مستأنسين الماشية والخنزير والخراف والماعز وزارعين للقمح والشعير والكتان - وقد استخدم هؤلاء القوم أدوات حجرية ذات طرز مختلفة عمن سبقوهم بوادى النيل تميزت بكبر حجمها وبكثرة الاسهم والسكاكين العريضة فى مجموعاتها وهى مميزات تختلف اختلافا تاما عما كان سائدا فى ذلك الوقت بجنوب غرب اسيا حيث نشأت الزراعة ولكنها تقترب من تقنية الأدوات الحجرية الافريقية المعاصرة - ويبدو أن هؤلاء الاقوام قد نزحوا إلى مصـر من الغرب واستقروا فيها دون حروب وانهم بدأوا تاريخهم بالرعى ثم بالزراعة فى الدلتا أولا ثم فى الجنوب بعد ذلك - على أن فترة الانتقال هذه والتى دامت حوالى ألف سنة غير معروفة تماما - وحوالى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد انتشر هؤلاء الاقوام على طول أرض مصـر ، وشكلوا مجموعة حضارية متجانسة حافظت على استقلالها وقاومت الغزو من إسيا ، وليبيا ، والنوبة لعدة الاف من السنين ، وحتى ظهور المسيحية بمصـر - وحتى لغة هؤلاء المصريين القدامى كانت متميزة تطورت من اللغات الافريقية الأسيوية فى الألف الخامسة قبل الميلاد او قبل ذلك .

وقد تشكلت حضارة عصر ما قبل الأسرات من أصول متعددة جعلت افضل ما فيها فمن أفريقيا جاءت حضارة الزراعة والرعى وصناعة الادوات الحجرية المتقدمة لتتفاعل مع ماكان سائدا من حضارات الصيد وجمع الأسماك ومع تقدم الوقت جاءت صناعة تشكيل الفلزات والنحاس جنوب غرب اسيا وسيناء فمهدت بذلك لنشأة الحضارة الفرعونية الخالدة .

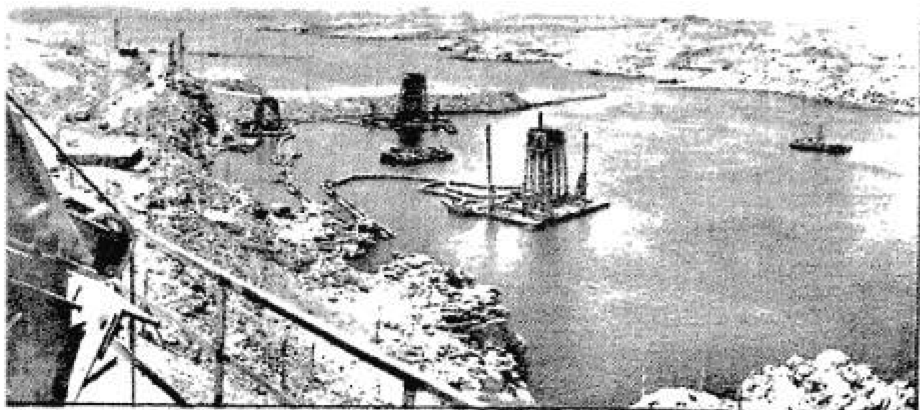
كان شكل اللاندسكيب (Landscape) فجر نشأة الحضارة الفرعونية حوالى ٣٠٥٠ سنة قبل الميلاد يدور حول نهر النيل الذى كان سهل المنال بالمركب يدفعه التيار إلى الشمال وريح مصر السائدة إلى الجنوب وحتى عندما يتوقف الريح فإن المركب يمكن أن تشد بالحبال من ضفاف النهر - كانت القرى تقبع على جوانب النيل وسط اشجار الطلح وأم الشعور والجميز وأمامها المساحات المزروعة كما كانت

الصحراء ، كما هي الآن ، حول الوادي في كل اتجاه مصدرا لثروات معدنية ، وإلى الشرق من إدفو يقع طريق الصحراء المؤدي إلى مناجم الذهب ـ وكانت عاصمة الصعيد آنذاك مدينة رنخن (التي اسماها الاغريق فيما بعد هير اكونبوليس) التي كانت تقع على بعد ١٨ كم إلى الشمال من ادفو على حافة الصحراء والتي لاتزال آثارها باقية على شكل منازل بنيت من الطوب الأخضر ودعمت بالأخشاب والألياف وسورت بغصون الشجر المليسة بالطين وبقايا معبد بني على تل يطل على المدينة يبدو انه كان مزينا بأعلام ومحروسا بجند يحملون علامة الملك وهي ريشة مزدوجة لطائر الرخم ـ وكان مسكن الملك مبنيا من الطوب الأخضر ، نصفه تحت الأرض في سراديب ، ومحاطا بسور حوله حراس وجند وعلى الباب كان يقف بعض الموظفين الذين كانوا يحملون سعاف النخيل لكي يرفعوها فوق الملك لكي يمشي في ظلها عندما يخرج من منزله .. ولم تكن الصحراء التي كانت تقع على طرف المدينة على هذا الجدب الشديد الذي نراه الآن فقد كانت الأمطار في عصر ما قبل الأسرات اكثر تواترا والوديان بها عشب واشجار متناثرة تصلح للرعي وبعض الصيد فقد كان الغزال والنعام اكثر انتشارا .

وإلى الشمال من ادفو حيث توجد أخصب الأراضي كانت القرى تتناثر على ضفاف النهر بين أشجار النخيل وأمامها حقول القمح والشعير وبين كل مسافة واخرى كان الفلاحون يقطعون جسر النيل لكي يسمحوا لمياه الفيضان بأن تغرق السهل حتى إذا ما امتلأت وارتفعت المياه فيها إلى اكثر من متر وتصف سدوها بالألياف وابسوها بالطين لكي تتشرب بالماء وتتغطى بطبقة من الغرين الذي كان النيل يحمله معه في كل فيضان ـ وعندما ينحسر النيل ويأتي الخريف .. بجوه المعتدل والجميل تبدأ زراعة الفول والعدس والبصل والشعير والقمح ـ ولم تمتد زراعة الحياض هذه الى الشمال كثيرا ، ذلك لأن هذه المناطق وعلى الأخص حول أسيوط كانت مناطق متنازع عليها بين حكام الدلتا وحكام الصعيد فكان « اللاند سكيب » حولها بريا وموحشا خلال عصر ما قبل الأسرات .

أما مناطق الدلتا فكانت مليئة بالمستنقعات حول فروع النيل . بحيث كانت غير ملائمة لحياة الانسان الذي استقر في قرى بناها فوق قليل التلال العالية في هذا اللاندسكيب المسطح والذي شكل مرعى هائلا للأبقار التي كانت منتشرة انتشارا كبيرا بمنطقة الدلتا . كما انتشر أيضا فرس النهر والتماسيح كما كان صيد الأسماك عملا مجزيا ـ وعند الخريف كانت السماء تمتلىء بالطيور المهاجرة .

كان عدد سكان مصر في ذلك الزمان حوالي نصف المليون يرتعون في أرض واسعة ربما كان أكثر من ثلثيها بريا وموحشا لم تلمسه يد إنسان : أحراش وبرك في مصر العليا وبرك اللوتس والبردي والمستنقعات في مصر السفلى ـ وقد ظل الأمر كذلك لوقت طويل فحتى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد لم تزد مساحة الأراضي التي كانت تفلح في وادي النيل عن نصف السهل الفيضي للنيل أما النصف الآخر فقد كان مرعى طبيعيا ـ ولابد أن نفترض أن الأرض التي أفلحت في عصر ما قبل الأسرات كانت صغيرة جدا ولابد أن نستنتج ايضا ان الأرض التي كان الانسان يرويها ريا صناعيا لم تزد عن ١ ٪ من جملة الأراضي الزراعية فقد اقتصرت طرق الري



النيل واهب الحياة لمصر منذ الاف السنين



الصناعى على تزويد الحدائق وبعض الأماكن العالية بالماء أو لتحسين رى الحياض أما بقية الأرض فكان النيل يرويها ريا طبيعيا .

كان وادى النيل فى عصر ما قبل الأسرات مقسما الى اقاليم تحددت بعوامل طبيعية وسكنت كل منها قبيلة معينة وكانت القرى تقع على جسر النيل بجوار مصدر المياه ومطلة على سهلها الفيضى الواسع المليء بالاحراش والذى كان جزء منه يستخدم كحوض للزراعة الموسمية - ولابد أن الناس كانوا ينتظمون تحت قيادة شيوخ القرى فرئيس القبيلة لدرء الأخطار والتعاون على المعايش وكان رئيس القبيلة يسكن بجوار المعبد قبلة السكان ومقر الاله المحلى .

وفى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد اتحدت بعض الأقاليم فى وحدات أكبر واستطاع بعض رؤساء القبائل الأقوياء أن يشكلوا « كونفدراليات » واسعة حتى تم فى النهاية توحيد كافة أقاليم الصعيد تحت رئاسة واحدة استطاعت مع الوقت أن تربط الصعيد بالوجه البحرى أو باجزاء كثيرة من اقاليمه المتعددة .. وبالرغم من أنه لا توجد لدينا الوثائق التى تسجل الطريقة التى تم بها هذا التوحيد ، والذى سبق اختراع الكتابة ، إلا أن هناك من المؤرخين من يعتقد أن توحيد الدلتا مع الصعيد قد تم دون حروب بل ومنهم من يشك فى أن أقاليم الدلتا قد توحدت فى أى وقت قبل عملية التوحيد الكبرى - على أن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن تسعة على الأقل من أمراء الصعيد قد دخلوا فى معارك مع حكام كونفدراليات بعض أقاليم الدلتا أو مدنها - ونحن نعرف على وجه التأكيد أن توحيد الوجهين البحرى والقبلى قد تم نهائيا فى عام ٣٠٥٠ قبل الميلاد على يد الملك مينا أو نارمر وهكذا بدأ تاريخ

الأسرات في مصـر ـ ومهما كان الطريق الذى اتخذه الملك مينا أو من سبقوه لتوحيد مصـر فقد أصبح للملك الجديد سلطة كبيرة وملك عظيم وثراء هائل ـ وقد شارك الملك فى هذا الثراء بعض مساعديه فأدى ذلك إلى نشأة طبقة جديدة ونظام سياسى مستقر استمر سائدا فى مصـر لعدة آلاف السنين .

النيل والرخاء الاقتصادى

وقد ظل تصريف شئون القرية اليومية فى يد رؤسائها ، أما الملك فقد تركزت مشاغله على بناء الجيش ورعاية طبقة الكهنة الذين كانوا يخدمون آلهة الأقاليم ومعابدهم التى كانت المراكز الأساسية التى استقطبت شعب مصـر ووحدته مع طول تاريخه القديم ـ كانت الدولة تحت هذا النظام مستقرة تماما وحامية لحدودها فى حزم صارم ولم تهزها إلا أصعب الأزمات . وقد مرت بمصر واحدة من هذه الأزمات عندما تحطمت قاعدتها الاقتصادية فيما بين أعوام ٣٠٠٠ ، ٢٨٠٠ قبل الميلاد بهبوط مستوى النيل فيما بين المتر والمتر والنصف ففقدت البلاد بذلك حوالى ثلث ما يصلها من ماء ـ ويمكن أن نتصور ما حل بالبلاد من خراب خلال هذه المائتين من السنين بمعرفة ما أصاب مصـر فى عام واحد هو عام ١٨٧٧ بعد الميلاد عندما هبط منسوب النيل عن منسوبه الطبيعى مترين كاملين ، فترك ثلث الوادى جافا ولاشك أن مصيبة مصر القديمة كانت أفجع بكثير وليس عجبا لذلك أن عم مصر الخراب وبدأ سكان الصحارى حول مصر بالهجوم عليها واحتلال أجزاء من واديها كما هجر الكثير من الناس بلادهم ، ولا نعرف تفاصيل كثيرة عن هذه الفترة من التاريخ غير أن الأسرة الحاكمة قد تغيرت واستطاع حكام الأسرة الثالثة الجديدة أن يعيدوا لمصـر أمنها ورخاءها وبدأوا عصرا من أمجد عصور مصر فى الفن والتشييد والعلم والحضارة كما استطاعوا أن يقووا جسر النيل الغربى وأن يستصلحوا مساحات كبيرة من أراضى الصعيد والدلتا وربما وصل عدد سكان مصر خلال عصر الأهرامات هذا إلى أكثر من المليون ـ وقد حلت بمصر أزمة جديدة حوالى عام ٢٢٥٠ قبل الميلاد وذلك بهبوط النيل مرة أخرى ولثلاثمائة سنة متصلة وهناك بعض النصوص الأدبية التى تشير الى شحة مياه الشرب وإلى وفيات بالجملة وتعفن الجثث ، والانتحار ، وانتشار أعمال السلب والنهب والفوضى .

وفى مجتمع يعتقد الناس فيه أن الفرعون هو المسئول عن النظام الكونى وأنه الوسيط بينهم وبين الآلهة فإن سلسلة هذه الفيضانات الواطئة كانت تعنى بالاضافة الى الفوضى الاقتصادية انتهاء سلطة الملوك الذين راحوا وحل محلهم سلسلة من الأمراء المجهولى الهوية وعديمى التأثير ـ وقد وصف إيبووير الكاتب المعاصر القديم حال انهيار النظام الاجتماعى بقوله « انظر لقد أصبح الأعيان عمالا وسيداتهم شغالات فى الحقول وأما الذى لم يكن لديه مكان يضطجع فيه فقد أصبح مالكا لسرير فاخر » .

وفى عام ١٩٥٠ قبل الميلاد تأسست الدولة المتوسطة على أنقاض هذه الفوضى فأعادت النظام فى وقت انتظم فيه النيل ـ وقد استطاع فراعنة هذه الدولة أن يقووا

جسر النيل على البر الشرقي وأن يحموا مصـر من سلسلة الفيضانات العالية التى انتابتها حوالي عام ١٨٤٠ قبل الميلاد باصلاح ترعة الفيوم وضبط المياه الداخلة إلى منخفض الفيوم والخارجة منه وتعميره ـ على أن استمرار الفيضانات العالية لمدة تزيد عن سبعين عاما ، وفي تواتر قد يزيد عن ثلاث مرات فى كل عقد ، قد حطم الكثير من الخزانات والجسور ـ وقد حدث مايقارب من ذلك فى عصر محمد على فقد حطم الفيضان العالى لعام ١٨١٨ بعد الميلاد شبكة الرى المصرية والخزانات وأغرق الكثير من القرى ـ ومما هو جدير بالذكر أن ملوك الدولة المتوسطة كانوا من أعظم مهندسي الرى فى مصـر فإليهم يرجع الفضل فى انشاء أول مقياس للنيل على الشلال الثانى والذى عرفنا من سجلاته المنقوشة عليه هذه السلسلة من الفيضانات العالية التى انتابت مصـر إبان حكمهم ـ وهكذا اضمحل حال مصـر ودخلت فى عصر من العجز السياسى فى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد حتى احتلها غزاة من أسياهم الهكسوس فى عام ١٦٧٠ قبل الميلاد .. وسقطت منف عاصمة مصـر .

● مصـر هبة النيل ●

وظلت مصر تحت حكم الهكسوس حتى تحررت بقيادة امراء الصعيد الذين نظموا انفسهم واستخدموا العجلة الحربية التى بزوا فى استخدامها الغزاة الذين ادخلوها الى مصر واستولوا أولا على الفيوم فتحكموا فى المياه التى كانت تصل الغزاة واسسوا ملكهم وبدأوا الاهتمام بالزراعة فادخلوا الشادوف لأول مرة وأزادوا المساحات المزروعة وبنوا مخازن كبيرة لتخزين الحبوب على مقياس واسع لتفادى تأثير السنين العجاف التى عرفوها عن أجدادهم . ومع ذلك فقد أدت سلسلة من الفيضانات الواطئة فيما بين ١١٧٠ ، ١١٠٠ قبل الميلاد إلى أزمة جديدة أثرت فى قدرة الحكومة وأنهت حكم الزعامة والدولة الحديثة ذاتها .

هذا التاريخ الاقتصادى الطويل لمصر يثبت الارتباط الوثيق بينها وبين النيل .. فمصـر هي حقا هبة النيل .. لقد حاول المصريون أن يقووا جسر النيل على بره الغربي أولا ثم على بره الشرقى ثانيا ، وأن ينظموا فتحة النيل الى الفيوم لكى يتفادوا الفيضانات العالية وأن يخزنوا الحبوب فى معابدهم لكى يتفادوا شح المياه . كما اقاموا على ضفافه مزارع شاسعة ومنسقة حتى استطاعوا فى النهاية أن يحولوا أرض الوادى كلها الى عمل انسانى بالكامل ـ كانت أرض النيل السوداء ومازالت الدار ومكان العمل أما ارض الصحراء فكانت مكان الهباء والقسوة .. وفي هذه البيئة المحدودة من الجانبين نشأت حضارة مصـر القديمة فى اكتفاء ذاتى وجو متناسق ومحافظ ـ لقد كانت مصـر أول دولة فى التاريخ جمعت مدنها وأهلها وحدة واحدة .

أنت والهلال



● المتخمون ●

المتخمون على التكايا يحتسون القار
يحترفون برقعة اللسان بلا حياء
يتداولون قضية التحرير والتعريب ملء
جنوبهم قهر وافيون وعار
أواه يا وطن العروبة كيف صرت جماجما
يرتاح فيها الدود والهوس الغبى
كيف صرت مجامرا
ملأى بآلاف الخلافات العقيمة
جمراتها جثث الضحايا فى الجنوب وفى
الشمال
تباع فى سوق التراشق والنكايات القديمة
أواه يا وطن التشتت ألف مرثية عليك
وألف آه
يتراءسون
الذل ينهش فى المقل
وعرائس السجب القـــزز والشعارات
السقيمة تنهمر
« لا يسلم الشريف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه » الصخب
اين الدم ؟
والوحدة الكبرى .. دعاة التعبين مبدده
صور على سرد الكواعب ترسم
اين الدم ؟
يتعاركون !!
وأنا هنا أرغى وأزبد مثلهم
أرمى الحروف على الحروف قصائدا
فى وجه هاتيك الوواجع
لا صدى
لا نار تشعلها القصائد
لا دخان ولا أمل
« لا صوت يعلو فوق صوت » الأرصدة
لا صوت يعـ ....
لا صوت
لا ...

فوزى صالح

تنمية ثقافية

أثار الهلال في افتتاحية ديسمبر الماضي عددا من القضايا الفكرية والثقافية ، في وقت ارتفع فيه النداء إلى « الصحوة الكبرى » لانتشال مصر من وهدتها والارتفاع بها الى العمل الجاد الذى لا يتم الا اذا قامت كتيبة من ابناء مصر مناضلة تجمع الكتاب والمفكرين والادباء الدعاة الى تنمية انسانية وثقافية شاملة، تبدع الادب الجديد والفن الراقى الذى يبنى الانسان المصرى جوانيا - اذا جاز لنا أن نستعمل تعبير المرحوم الدكتور عثمان امين .. نريد لصحوتنا الكبرى أدب الفكرة الواعية الذى لا يعرف التعصب وضيق الافق ، ويقدس الكرامة والشرف والمثل العليا .. نريد لصحوتنا الكبرى أدبا جديدا يستمد من جوهر الحياة تجديدا وخلقا وابداعا ، ويعيد للانسان المصرى سلامه الروحى والنفسى وتوازنه الداخلى فى مواجهة الحياة المعاصرة بكل تعقيداتها .

عمرو عبد المنعم حمودة

برما - مركز طنطا

العقاد ورايه فى البغاء والزواج

كان الشيخ محمود أبو العيون قد دعا الحكومة الى الغاء البغاء الرسمى على اعتبار أن بلدا دينه الرسمى الاسلام لا يحسن ان يوجد به مثل هذا البغاء، فما كان من الكاتب الاسلامى عباس محمود العقاد الا أن كتب مسفها تلك الدعوة . ثم انهال على الشيخ أبى العيون طعنا وتجريحا .. قال تحت عنوان : « حركة معقولة وأخرى فى غير أوانها » ما نصه : « ... أما تلك الحركة القائلة التى يدعون اليها فى هذه الايام - ونعنى بها الدعوة الى الغاء التصريح بالبغاء ، فهى حركة أيسر ما يقال فيها أنها فى غير أوانها ، وأنها لن تنجح . » .. ثم قال العقاد : « لقد كانت الدولة العباسية أقوى دول الارض فى أبان مجدها وعزتها، وكانت دولة اسلامية تحد شريعتها الزانى والزانية بالرجم والجلد والتشهير ولكننا نرجح أن البغاء فى عهدها كان أروج سوقا وأنبح فعلا فى النفوس والابدان من البغاء فى العصر الحديث . فالمسألة اذن أعظم خطرا من أن يبت فيها بكلمة عاجلة ويقضى فيها بالفتاوى والمقالات . » ! .. ثم قال : « بقيت كلمة نود أن نقولها فى هذا المقام للشيخ أبى العيون . انه كما يعلم هو ويعلم عارفوه كان من المقربين الى حسن نشات باشا والوزارة الزيورية وجماعة الاتحاديين ، وانه كان أحد العاملين فى ذلك الشغب الذى اثاره نشات فى الجامع الازهر على عهد الوزارة الشعبية ، وانه أصاب خيرا كثيرا من صاحبه هذا وأذنابه فى أيام تلك الحكومة المشئومة . وان الحكومة الزيورية كان لا يكلفها الغاء البغاء أكثر من كتابة ورقة صغيرة فى ساعة قصيرة . فلماذا لم يلحف الشيخ أبو العيون فى طلبه الذى يشتغل به الان على أصدقائه أصحاب السلطان بالامس وأولئك السادة الذين كانت له عندهم حظوة حسنة وكان له بينهم سعى مشكور ؟ ولماذا كل هذه الحملة فى عهد

الوزارة الحاضرة التي لم يقل أحد منها انها تعد المعدات الحربية لمؤتمر الخلافة ... ! او انها تستخدم ابا العيون كما كان يستخدمه الاتحاديون ؟ هي غيرة دينية لها مواسم ومواعيد ؟ أم هي مسألة احراج وتغرير بالجماهير على حساب اسم الدين واسم الاخلاق؟»

ويقول في مقال آخر : « ابدءوا أولا برفع موانع الزواج ثم اجعلوه فرضا محتوما يلام من يحجم عنه » .

ولما كان العقاد عزبا فقد برر العزوبة بقوله : « وقد تكون العزوبة مزيدا مع الاعتداد بالشخصية ، وقد تكون الابوة مزيدا من الايثار » واستخدام « قد » هنا يفيد التقليل . وهكذا نراه يرغب في هدم الزواج ، بل انه يخوف منه وذلك في قوله : « اعرف من شبابنا الموسرين فتى تزوج فأراد أن يستعين على المخدع بالمطبخ فأصيب بداء السكر في أقل من شهرين ، وكان مصابه بالمطبخ المعين قبل مصابه بالمخدع المستعان عليه »

فنرى من هذا ان العقاد كان يعارض الغاء البغاء ويطالب بالزام الشبان على الزواج ، بينما هو لم يلزم نفسه بالزواج، بل راح يخوف الناس منه ويزعم ان العزوبة مزيد من الاعتداد بالشخصية ، فكأنه المعنى بقول الشاعر

يأيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم !!

ولم نر للعقاد شعرا في الغزل ينبىء عن عاطفة حب واعجاب بالجمال . وقد حاول ان ينظم شعرا صالحا للغناء فلم يوفق فمن ذلك قوله : « تفضض الماء يا قمر » فكلمة « تفضض » ثقيلة على الاسماع ، وهذا لا يعيبه فكل انسان ميسر لما خلق له .

وحينما انضم العقاد الى حزب السعديين رضى لنفسه أن يكون عضوا في مجلس النواب عن طريق انتخابات مزورة ولم يجد الكاتب الاسلامي وازعا من الدين

ويظن بعض الناس ان كثرة الكتب التي يؤلفها الكاتب دليل على العبقرية والفحولة ، وليس الامر كذلك فالعبرة بقيمة الكتب لا بكثرتها .

محمد سيد كيلاني

● **المسرح والتليفزيون** ●

عندما كان الكاتب المسرحي الكبير دورينمات يزور مصر ، قرأت في صحفنا انه قال في احاديثه مع ادبائنا أن المسرح فن قديم أخذ في الاندثار وأن التليفزيون اصبح الوسيلة الاولى للاتصال بالجماهير وبذلك أصبح أكثر اهمية من المسرح الذى سيصبح عما قريب لنا متحفيا

هل لي ان أقول رايي : كيف يندثر فن المسرح وهو الاصل فالمسرح هو المدرسة الاولى التي يتلقى منها التليفزيون تعليمه ، ونجوم السينما والتليفزيون والفيديو اشتهروا أولا على المسرح .. ان وجود التليفزيون متوقف على وجود المسرح والا أصبح صورة مهزوزة .

لقد فجر الكاتب الكبير قضية مسرحية خطيرة وتركنا نتصارع ، ولكن المسرح مع ذلك سيبقى الى جوار التليفزيون . بل ربما ظهر في المستقبل جهاز يغنى عن التليفزيون ، ولكن لن يظهر شيء يحل مكان المسرح ! ..

عاصم فريد البرقوقي – الاسكندرية – جليم

قصة الامس

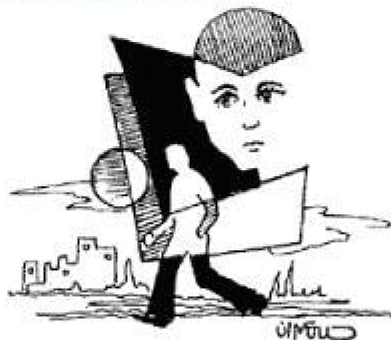
تعالى ننشد الذكرى
لحب كان يروينا
ونحكى قصة الامس
على أطلال شاطينا
نبدل عمرنا سحرا
ونروى جدب ماضينا
نبدل ظلمة الامس
بنور من أمانينا
ونشرب نخب قصتنا
على انقاض وادينا



رفعت محمد بروبى
سوهاج

شاعر

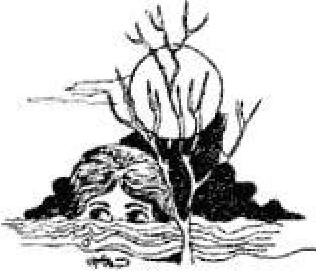
حسبوه ثانى عطفه كبرا
لما انتحى للضفة الاخرى
وتناقلوا قصصا تروعه
لما تعثر جذبه قسرا
قالوا : تعود ان يسامرنا
متدفقا ينبوعه - ثرا
ويمص كالاسفنج شقوتنا
ويبث فى احشائنا الصبرا
ونجيئه والليل يملؤنا
فيضىء فوق دروبنا فجرا
ما باله قد خان رحلتنا
ولن تسلق ينشد الشعرا.
لو يعلم الحمقى فجيعته
وعذابه .. ماأجمعوا أمرا
ساخت بليل الحزن خطوته
وتخشبت أوتاره حيرى
فانسل يخفى دمعة حرى
متماسكا فى الضفة الاخرى



مصطفى غنيم
شبراخيت - البحيرة

● بكائيـــة ●





عم صباحا ايها الوجه المتيم
عم صباحا
كل شيء بات « حرا »
مستباحا
كل شيء بات يمشي مثقلا ..
بالدمع والحلم المحرم .
ها هو النيل . انتصب
ـ لو شئت ـ
فوق الموج ، واضمم
حزمة الضوء وشاحا
ول شطر النيل نخلا .. ونواحا
فالرفاق الآن تعدو ..
خلف دولار .. ودرهم
اخضرا . ما زلت تحلم
من يحط الآن في كفيك راحا
من ...
سوى الحزن المصفى ..
ايها الوجه المتيم

علي منصور

● مع الاصدقاء ●

● صفوت عبد الفتاح محمد ـ كلية التربية باسيوط :
ـ قصيدتك التي عنوانها « كفاك باعيني » تفتقر الى الاوزان .. حاول مرات كثيرة ..

● حمدي محمود السيد يوسف ـ كفر الشيخ ابراهيم ـ بنها :
ـ القصة كالشعر فن صعب وطويل سلمه ، اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه، زلت به الى الحضيض قدمه ! .. نرجو أن تقرأ كثيرا وتجرب الحياة وتتعرف على فن القصة قبل ان تتقدم الى نشر انتاجك .. فالنشر آخر الخطوات ..

● رافت ابراهيم ابو دومة ـ دار العلوم :
ـ قصتك « يوم العيد » لا شأن لها بفن القصة ، ولاندرى ماذا تقصد بها.

● رمضان الهجرسي ـ المنصورة :
ـ رغبتكم في زيادة عدد الصفحات المخصصة للرد على رسائل القراء ، تجد احيانا ما يساعدنا على تلبيتها ، ويحول ضيق المقام احيانا عن ذلك .. ثم ان الرسائل كثيرة جدا . ويحتاج الرد عليها الى عشرات الصفحات ، اما قصيدتكم « وللهلال صحوة » .. ففيها أشياء موزونه واخرى ليست كذلك .. حاول مرات كثيرة اخرى ، فان طريق الشعر طويل ..

● فاطمة رجب جمعة حسن ـ كلية الآثار بجامعة القاهرة :
ـ قصتك « الهاربة » تدل على استعداد طيب لهذا الفن ، ولكن النشر لايجيء في

اول طريق الكاتب ، وانما يجيء بعد أن يصبح ناضجا ..

● السيد عمر ـ الواسطى :
ـ تقول فى قصيدتك التى عنوانها « جناب المدير » مايلى :

وصل المدير على جناح صلات
وبخيرة الحرباء فى الافلات
مرئينه بلغ السماء سلفا
وكما يظن القزم فى الشطحات
افلا تراه وقد بدا حينما
من خلفه الكهان خلف اللات
نظم النفاق لاجله دررا
طول النهار لشخصه بالذات

وتمضى قصيدتك الى اخرها على هذا النحو .. فالشطر الاول من كل بيت له وزن يختلف عن وزن الشطر الثانى، فهل انت تتعمد ذلك أم تظن أنك تنظم القصيدة فى بحر « الكامل » ولا تنتبه الى أن « الكامل هنا هو الشطر الثانى فقط.. يبدو انك تتعمد ذلك ، لان قصيدتك الاخرى التى عنوانها « أرق على أرق » تمضى فى بحر الكامل فى الشطرين معا بلا اجتزائه فى شطر واستكماله فى الاخر !. بقى أن تقول لك أن الشعر الفكاهى لايصح ان يستولى على وقتك كله !..

● صبرى عبدالله قنديل ـ الاسكندرية:
ـ سبق أن تعرضتم بالنقد للدكتور عباس بيومى عجلان لانه اورد الفاظا مكشوفة فى رسالته التى نال عليها الدكتوراة فى الادب .. ولعلك تعلم أن هذه الالفاظ موجودة فى كتب التراث المعتبرة . وفى كتب شرح الحديث . لانه لا حياء فى العلم ، ولا دخل للنظرة الصحفية فى هذا الموضوع .. فنعتذر اليكم من عدم نشر كلمتكم فى هذا الموضوع لاننا نراها خارجة عن الموضوع ..

● محمد حسن محمد خير ـ طنطا :
ـ أنت تعلن بصراحة انك تضيق ذرعا بقواعد اللغة العربية وتريد الخلاص منها، وتقول انك تقرأ فى لغات اخرى ، فهل تراها بغير قواعد .. نرجو اذا كنت تكره العربية الى هذا الحد ان تترك الكتابة بها ، واكتب اذا شئت باللغات الاخرى.

● الى السادة الفضلاء : محمد طرموس .. محمد عبد العزيز .. اسماعيل تمام . عصام ضاهر نجدى .. محمود مصطفى حسن .. محمد حسن البحطيطى .. ابراهيم محمد جمال . حسن محمد عجايز .. خالد عبد الله الصيفى .. محمد عبد الستار محمد . طارق عزالدين على خليل .. محمد حسن محمد خير .
ـ قصائدكم محاولات تدل على الاستعداد لفن الشعر ، ولكن اوزانها تحتاج الى مراجعة بدرجات متفاوته .. وبعض هذه القصائد يفتقر الى الوزن واللغة . ولا باس بهذا مادام الشاعر مازال ناشئا ، ولكن اذا استمر عاجزا عن قول الشعر موزونا صحيح اللغة ، فلينصرف عن الشعر غير آسف عليه !..
وقديما قال الشاعر :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣.٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بني	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بني	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	ايبانيا	٢٥٠ بيزيتا

بنك الإسكندرية التجاري والبحري

ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK

خدمات مصرفية متكاملة — مراسلين في جميع أنحاء العالم



ACMB

شهادات الإدخار **الثلاثية** — شهادات الإدخار **الخمسية**

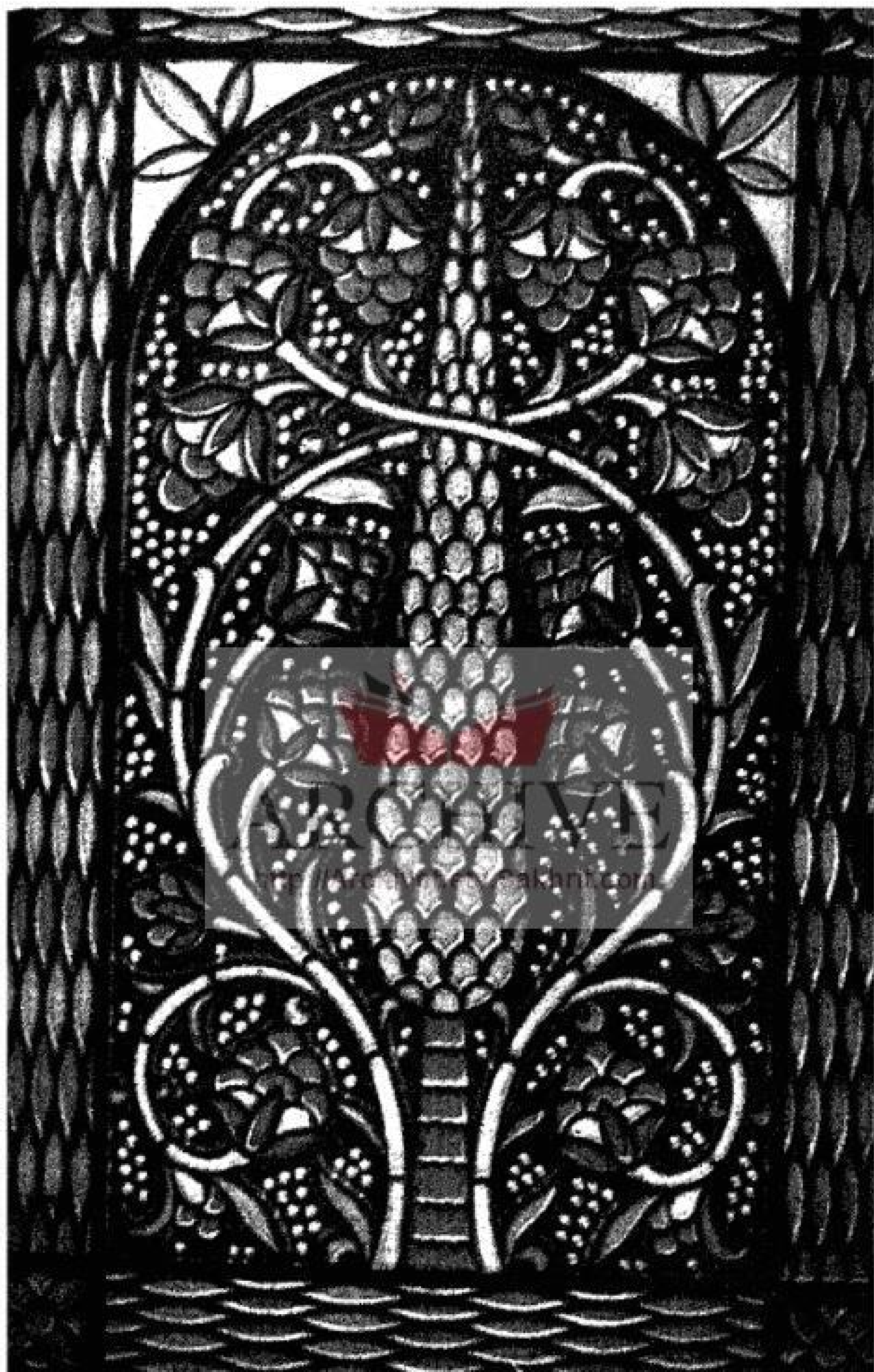
ذات الدخل الربع سنوى

- حسابات جارية بالعملات المصرية والأجنبية
- تسهيلات ائتمانية للأنشطة الاقتصادية المختلفة.
- حسابات توفير وودائع بالعملات المصرية والأجنبية.
- إدارات لدراسة الجدوى وأمناء استثمار.
- فتح اعتمادات مستندية وإصدار خطابات الضمان.
- شهادات إدخار بفائدة مجزية.

★ ولمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك.

الإسكندرية: المركز الرئيسي ٨٥ طريق الحرية ت: ٤٩٢١٥٥٦ / ٤٩٢١٢٣٧ / ٤٩٢٩٢٠٣
تلكس: ٥٤٥٥٣ - العنوان البرقي: كومارتيت - ص. ب ٢٣٧٦
فروع جديدة تحت التجهيز: -
القاهرة: ١٠ شارع طلعت حرب - عمارة القمرين
الإسكندرية: ٧ شارع أديب ناصية سعد زغلول والنبي


مايو ١٩٨٦
الثمن ٥٠ قرشا
الهلال
مأساة
أميرة
عربية
هدية العدد: إمساكية



من روائع الفن الإسلامي

شباك جامع السيدة زينب فى القاهرة من القرن الرابع عشر الميلادى .. وهى رسوم نباتات مع التخطيط الهندسي الدقيق ، وتتميز هذه اللوحة بالبساطة والعمق ، وتستخدم فيها أساليب الزخرف والألوان والظلال ..

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ اول مايو سنة ١٩٨٦ ـ ٢٣ شعبان ١٤٠٦



الاحلام بحاجة
إلى تفسير ص ٦٠



ثورة الجينات
إلى اين ص ١٤٢

في هذا العدد ● فكر وثقافة ●



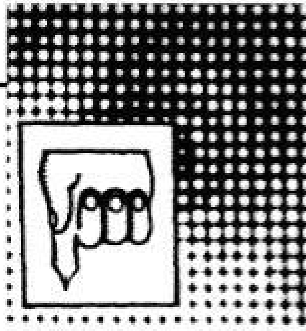
لغز جزيرة العبيد ص ٥١



برنارد شو يؤيد تعدد الزوجات ص ١٠٤



رسالة امريكا ص ٤٠



عزيزي القارئ

اللمحات البهية

في الجائزتين التقديرية والتشجيعية

يثير توزيع جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية كل عام على الأدباء والفنانين والمشتغلين بالعلوم ، خواطر كثيرة ، تنحدر على الوجدان من أقصى التاريخ العربي في الجاهلية حتى يومنا هذا ، فتملؤه غبطة وأملا في المستقبل ، برغم تحفظات معينة ينبغي إبداؤها في هذا المقام ..

فالجائزة للشاعر ، تقليد عربي قديم ، لم يبدأ بالنابغة الذبياني كما تقول الكتب ، بل بدأ - فيما نرى - قبل ذلك بعهد عهيد ، لأن الشعر نشأ ثم نضج خلال مئات السنين قبل ظهور النابغة ومعاصريه . وقبل الجاهليين الذين سبقوا النابغة ومعاصريه في الشعر ونقلوا إليهم أوزانه وطرائقه الفنية ..

وفي الإسلام اتسعت الدنيا ، فشملت الجوائز الشعراء والكتاب والعلماء والمترجمين والفنانين من مغنين وعازفين وغيرهم .. وتضيق كلماتنا هذه عن التوسع في الاشارة إلى هذه الفئات المتميزة التي نجمت في حضارة الاسلام ، وكانت أكبر الدلائل على عظمة هذه الحضارة في عصرها الذهبي .

وحتى في العصور المتأخرة جدا ، مثل عصر العثمانيين في مصر ، كان المماليك "المصرلية" الذين يتولون مشيخة البلد ، من أمثال رضوان كتخدا ، يخصون أهل الشعر والفن بالجوائز الكبيرة ، تكريما لهم وتشجيعا لمواهبهم . وبهذا استمر الشعر والأدب والعلم - ولو في حال ضعيفة - ولم ينقطع أثر

الشعراء والأدباء والعلماء فى بلادنا طوال عصور التدهور الاجتماعى والسياسى والقومى ..

ثم جاءت النهضة الحديثة فى مصر . وتطور معنى الجائزة التى يتلقاها الأديب والمفكر والعالم والفنان ، حتى قررت حكومة الثورة منذ ربع قرن تقريبا جائزة الدولة ، وجعلتها درجتين : تقديرية وتشجيعية . وقد علمنا أخيرا انها ستصبح ثلاثا من العام القادم ، بتقرير جائزة اسمها «جائزة التفوق» .. أعلى من التشجيعية وأقل من التقديرية ..

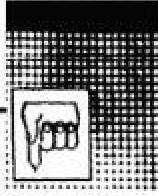
ولا شك أن تخصيص هذه الجوائز للمتفوقين والمجتهدين فى الآداب والعلوم والفنون ، حافز لهم على التنافس فى انتاجهم الذى تعود فائدته فى آخر المطاف الى الشعب كله .. ولكن لنا فى هذا المقام ملاحظتين ، نعرضهما بإيجاز وصراحة ونعتذر سلفا عن قسوة الصراحة ، إن وجد أحد فيها قسوة ، ولكنا إذ نعتذر من الصراحة لا نبرأ منها ، لأننا نزجيها خالصة لله والوطن ! ..

● يحصل الأديب او الفنان او العالم على جائزته التقديرية أو التشجيعية ثم تنساه الجهة التى قدمت اليه هذه الجائزة ، وقد يضطره واقع حاله الى إنفاق ما حصل عليه ثم الانضمام الى القافلة الضخمة فى مجتمعنا التى تضم المكدودين الذين «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف» على حد التعبير القرآنى الرائع ..

وقد لايستطيع بعض هؤلاء النوابغ أن يطبعوا مؤلفاتهم ، وقد يتوقفون ويعجزون عن الاستمرار ، إلا من أتيح له منهم أن يعيش سنوات فى قطر بترولى ، فكسب شيئا يجعله فى عداد المياسير او المساتير على الأقل ..

وفى الدول المتقدمة تنظر الجهات المعنية الى أمثال هؤلاء الممتازين نظرة تكريم بعد حصولهم على الجوائز ، فتتيح لهم من أسباب الاستمرار فى الانتاج ما يحميهم من العوائق والمثبطات التى تقتل المواهب فى بلادنا .. ولم نسمع قط عن أديب أو شاعر نال جائزة كبيرة فى أوربا أو أمريكا أو الاتحاد السوفييتى ثم اضطرته دواعى العيش الى العمل فى بلاد البترول .. وما أوجع السخرية هنا ! ..

● ولقد بدأت الجوائز فى أول أمرها بأمثال طه حسين والعقاد وأم كلثوم وعبدالوهاب ، وعمالقة آخرين فى الآداب والفنون والعلوم ، ثم تدرجت الجوائز متدنية عاما بعد عام ، حتى تحولت فى كثير من حالاتها أو فى قليل ، إلى ما يشبه الجوائز المدرسية ، يحصل عليها مدرسو الجامعات على حسب درجاتهم فى «الكادر» الوظيفى .. ويقدمها بعضهم إلى بعض باتفاق متين وإن يكن غير مكتوب كأنه الدستور الانجليزى لايخالفه أصحابه ، حتى إن عدد الحاصلين على جوائز الدولة من أعضاء هيئات التدريس يفوق ـ نسبيا عدد الحاصلين



على مثل هذه الجوائز من المدرسين في جميع الدول المتقدمة وفي الدول الكبرى مجتمعة . لأن هذه الدول إنما تعطي أمثال هذه الجوائز للمشتغلين بالأدب لا بتدريس الأدب . وللعلماء والفنانين . لا للمشتغلين بتدريس العلم والفن لصغار الطلبة والطالبات .

وفي هذه الظروف وجد «الفساد» - ونذكره هنا باسمه الصريح - ثغرات نفذ منها إلى حيث استقر واستراح وبات آمنا في سربه . وتألفت «شلل» معروفة بأسمائها وسماتها . بارزة بأشيائها وشياتها . تتمتع بنفاذ الكلمة . تمنَح وتمنع . قادرة على المنح والمنع . وتقبض أيديها أو تبسطها كل البسط حين تشاء أن توجه الجوائز خالصة معجلة . على حسب اتجاه ريح الصبا التي تغنى بها الشعراء قديما وهي تهيج من نجد . أو ريح الجنوب قادمة من تلقاء اليمن . أو ريح الشمال تجر ذيول عطرها نافحة من الشام ! ..

صحيح أن بين أهل التدريس - وهم في البلاد المتقدمة غير أهل العلم وغير أهل الأدب والفن - عددا من فضلاء المشتغلين فعلا بالأدب والفن قد لحقوا بقطار هذه الجوائز . ولكن غيرهم لايستطيع أن ينفذ إلى هذا المرام إلا من خلال "الشلل" المدرسية التكوين الذي يسمونه «اللجان» وهي «شلل» مدرسية العقلية أيضا . عاجزة عن التذوق والحكم في غير مجالها المدرسي البحت . وقد تكون عاجزة حتى في هذا المجال !

ولقد صارت هذه الشلل أو اللجان - مع الأسف والعجب - مراكز قوة لا يزعم أحد أنها مثل امرأة قيصر . فوق الشبهات . أو مثل قيصر نفسه فوق القيل والقال وكثرة السؤال . في كل الأحوال ! ..

كيف الإصلاح إذن ؟! ..

كيف تصل الجائزة لا إلى المشتغلين بمجرد التدريس الذين ينالون الجوائز على محاضرات مجموعة في كتب . يشتريها التلاميذ الصغار ملزمة بعد ملزمة بنقودهم التي يحصل بعضهم عليها بشق النفس . وقد تكون محاضرات مترجمة أو شبه مترجمة أو غير مترجمة . أوتكون كيفما تكون ؟! ..

سؤال تصعب الإجابة عنه . لأنه يتعلق بالوضع الشامل في المجتمع المصري كله . بل في جميع المجتمعات العربية ومجتمعات العالم الثالث .

فالحقيقة أن هذا العالم الثالث مضطر إلى أن يعتبر معظم فنانيه وأدبائه

وشعرائه وعلمائه وخبرائه هم اهل التدريس لانه لا يملك بيئة علمية أو ادبية او فنية كالتي تملكها الدول المتقدمة ..

ولو ان جوائزنا هذه اقتصرت خلال ربع القرن الذى عاشته . على الشعراء والادباء والفنانين والعلماء فقط . بدون إضافة هيئات التدريس إليهم . لانقطعت هذه الجوائز منذ سنين . فلا مناص من التماس عذر لمن يوزعون الجوائز ويجعلون نصيب الأسد منها لهيئات التدريس . وإن كنا لا نعفى المهيمنين على الجوائز . وتوزيعها من جريرة اغفالهم من لا يلوذ بهم من اهل العلم والأدب والفن . او يكون له إليهم شافع من قوة او جاه .. والأسماء في هذا المجال كثيرة . والحقائق مريرة .. مثيرة ! ..

● فياسدنة الجوائز الكرام . ويا سقاة الحجيج الوافد اليها في الضجيج والزحام .. نتقدم اليكم يا أصحاب السدانة والسقاية خاشعين قائلين : إن لدينا الآن جائزتين تقديرية وتشجيعية .. وغدا تجيء جائزة التفوق فتكون وسطا بين الجائزتين .. فإلى أين هى صائرة إن شاء الله من عام إلى عام . وعلى الدوام ؟! ..

إننا نرى منذ اليوم نشاطا يدب بين القوم أويدب به القوم دبيبا مسموعا مزعجا للضمائر .. وقد ظن أناس أن هذه الجوائز تاتيهم منقادة اليهم تجرجر اذيالها كما جاءت الخلافة إلى المهدى بعد وفاة أبيه الخليفة أبى جعفر المنصور، كما زعم ذلك الشاعر أبو العتاهية ..

وإن اعضاء «الشلل» المتربعين على سرر متقابلين . في جنة الثقافة . لم يقترحوا هذه الجائزة الثالثة ليقدموها على اطباق من ذهب او فضة إلى ذويها المستحقين الجديرين ! ..

ولقد تكاثر المستحقون في أوقات التقديرية والتشجيعية بغير حق . فإذا صارت الجوائز ثلاثا . فإلى كم وإلى متى يتكاثرون ثم يتكاثرون ؟! .. وماذا عسى ان يقول او يصنع امرؤ منصف محايد إذا فتح عينيه على هذه الكثرة الكاثرة .. الا يحق له عندئذ ان يتمثل قول الشاعر :

إنــي لافتــح عينــي حين افتحـهـا
عـلـى كثيـر ولكـن لا أرى أحـــدا

وبعد ..

فنحن لم نتكلم بهذه الصراحة لنخدش طلاء يستر ما وراءه . ولم نقصد ـ علم الله ـ أن نسيء إلى أحد .. فإن ساء قولنا أحدا . فإليه نعتذر . فإننا لم نرده باسمه ولا برسمه . ولكن أردنا التعبير عن المعنى العام للقضية التى نحن بصددها . بيانا لوجه الحقيقة الذى اوشك ان تضيع ملامحه ! ..

وقد تعلم يا عزيزى القارىء ان وجه الحقيقة تضيق به أحيانا عيون قوم وصدورهم . وإن كان اجمل وأبهى من وجه القمر ليلة تمامه

كان يا ما كان

مأساة أميرة عربية

١٨٤٥ - ١٩٢٢

بقلم: أحمد حسين الطماوى



الأميرة سالمة
بنت السيد سعيد
بن سلطان
البوسعيدى
سلطان مسقط
وزنجبار

في سنة ١٨٨٦ وضعت الاميرة سالمة كتابا بالالمانية تضمن ذكرياتها عن الشرق، وانطباعاتها عن الغرب ، وروت مغامرة غرامهـــا ، ومناوراتها في اوروبا ، وتبين المذكرات كيف تجمعت السياسات الاستعمارية على تحطيمها، والى اى مدى تغرقت هذه السياسات في استغلال اوضاع الاميرة لتحقيق مآرب استعمارية دنيئة .

في صميم القرن التاسع عشر كانت بداية قصة الاميرة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان البوسعيدى ، سلطان مسقط وزنجبار . وقد استقر حكم السيد سعيد في عمان وشطر كبير من سواحل افريقيا الشرقية بما في ذلك جزر زنجبار ، وفي الاخيرة قضى أطيب أيامه ، وكانت له جملة من الحريم ينتمين الى جنسيات متعددة ، أنجبن له عددا من الاولاد والبنات . وفي قصر المتنى بزنجبار ومن أم شركسية مفدية ولدت بنته سالمه حوالي ١٨٤٥ م وكانت وحيدة أمها .

توفي السلطان سعيد عام ١٨٥٦ ، وبعده بثلاثة أعوام ماتت أمها فشعرت الاميرة باليتم وهي في سن الخامسة عشرة ، وتفيد مذكرات سالمة انهـا كانت نجيبة فقد استطاعت ان تحفظ ثلث القرآن وتتعلم في مدرسة القصر القراءة وتعلم نفسها الكتابة ، فقد كانت الاوامر تقضي بأن يتعلم الاولاد القراءة والكتابة ، وتتعلم البنات القراءة فقط ، وتبين المذكرات انهـا كانت مغامرة فقد تدربت على ركوب الخيل والرماية بالنار والمبارزة بالسيف والخنجر، واشتركت في مؤامرة فاشلة ضد أخيها السلطان ماجد (الذى تولى الحكم بعد أبيه) لصالح أخيها برغش الطامع في الحكم ، وبعد احباط الثورة شعرت سالمة بعزلتها وضيق افراد اسرتها منها ، على أن ماجدا لم يعاقب الثائرين عليه بمن فيهم سالمة، وتحت احساس فتاتنا بنفور الاهل منهـا ، انتقلت الى مزارعها ، وسرعان مـا استقرت في مزرعة بوبوبو ، ولما وقع اختيار السلطان ماجد على مزرعة بوبوبو ليقيم فيها القنصل الانجليزى ، فقد انتقلت سالمة الى السكن في مدينة زنجبار .

الكارثة من النافذة

كان يجاور منزل سالمة منزل آخر يعيش فيه شـاب الماني يعمل وكيلا لاحدى الشركات التجارية يدعى هنريخ روث ، وكانت الاميرة تنظر من نافذتها بين الحين والاخر فلمحت هذا الفتى الالماني ولمحها ، « وكنت غالبا ما ارقب من نافذتي حفلاته الرجـالية الباذخة التي كان يتعمد اقامتها في الاماكن التي يقع عليها نظـرى لعلمه برغبتي في

كان يا ما كان

الاطلاع على هذه الحفلات الغربية ، وسرعان ما تحولت النظرات الى صداقة الى حب ، الى اتفاق على الهرب والزواج ، فلم يكن يسمح لها بأن تتزوج مسيحيا المانيا فى أوساط عربية وهى الاميرة بنت السلطان ، تقول عن محاولات الفرار : « وقد فشلت محاولتى الاولى ثم تهيأت لى فرصة ثانية بفضل المسز (س) زوجة الدكتور والقنصل الانجليزى التى نقلتنى فى احدى الليالى بزورق مع المستر (ب) ربان الباخرة الحربية البريطانية هاى فابر التى كانت جاهزة للحركة فما أن صرت على ظهرها حتى غادرت الميناء على التو ، واتجهت نحو الشمال حيث أوصلتنى الى هدفى المقصود وهو ميناء عدن ، وكان ذلك فى شهر اغسطس سنة ١٨٦٦ :

وفى عدن نزلت بضيافة أسرة اسبانية وراحت تتشلقى دروسا فى الديانة المسيحية حتى وافاها فتاها من زنجبار فى مارس ١٨٦٧ ، وما أن وصل المحب حتى تم تعميدها فى الكنيسة الانجليزية فى عدن باسم « اميلى روث » وفى الحال « بدأت مراسم الزواج طبقا للشعائر الانكليكانية (١) ثم سافرت وزوجى الى وطنه هامبرج » • أوجزت « اميلى روث » قصة حبها لفتاها حتى زواجها منه فى نصف صفحة تقريبا ، وهى التى عودتنا على ذكر التفاصيل والدقائق فى حياتها الماضية ، ولم تبين كيف تم تدبير ذلك •

واذا نظرنا فيما أوردته الفينا الامر كان مرتبا باحكام شديد ، فالالمانى عرف كيف يغرر بها ويقيم حفلاته الراقصة فى مرمى نظرها ، وكان المسألة مدبرة ، ولا يفوتنا أن من وسائل المبشرين اقامة حفلات راقصة تصخب فيها الموسيقى لاستدراج الشباب واثارتهم ، ولابد انه من خلال لقاءات الالمانى بها عرف كيف يدمر عاطفتها الدينية حتى تهون فى نظرها كل القيم التى تاصلت فيها ، مستغلا ظروفها النفسية والاجتماعية ، حتى اذا شعر بنضوج الثمرة اتفق معها على الهرب• وربما يكون فى الامر ابعاد سياسية ولا يغرب عنا أن الاوروبيين مهرة فى نصب شباك الغرام للنساء لمآرب خفية. وقصة مترنيخ وزير خارجية النمسا مع مارى لويز زوجة نابليون معروفة حيث دفع اليها بـ « نايبرج» دونجوان النمسا ليغازلها الى أن وقعت فى حبائله وكان ذلك لاغراض سياسية •

وتثور فى الذهن عدة أسئلة : لماذا لم ينهض السلطان ماجد للقبض على الفتى الالمانى رغم علمه بعلاقته بأخته وفرارها ، هل خشى تدخل الالمان فى الجزيرة للدفاع عن أحد رعاياهم أوهل شعر براحة لرحيل أخته التى لا يؤمن جانبها وقد اشتركت ضده فى

---

(١) « الكنيسة الانجليكانية الرئيسية مقرها انجلترا ، وكانت تعد المبشرين وتبعث بهم الى الشرق ، ولها مراكز عديدة فى افريقيا ، والكنيسة الانجليزية عدن تابعة لها •

ثورة ؟ وثمة سؤال آخر ، لماذا تطوعت زوج القنصل البريطاني في تسهيل مهمة هروبها ؟ ويجب أن نلاحظ أنها أستقلت سفينة حربية انجليزية ، وهذا الامر لا يتم الا بموافقة سلطات عليا ، وقد كانت المانيا وانجلترا في حالة تنافس دائم في تلك الفترة على استعمار شرق افريقيا ، لذلك فان هذا الزوج الالماني « سيكون مدخلا لبث كراهية الاسرة الحاكمة للالمان » على حد قول د. محمد حسن عبد الله ، وهنا يخلو الجو للانجليز ثم تأمل كيف تعاون انجليز وألمان وأسبان على تنصير فتاة في نحو العشرين وهو سن طيش .

● المحنة والندم ●

وبعد رحيل سالمة وزوجها الى المانيا، صارت أرملة حزينة لا تجد من يأخذ بيدها ولها ثلاثة أطفال اثر اصابة بعلها في حادث أودى بحياته بعد ثلاثة أعوام من الزواج . ومن الطبيعي أن تشيع في عباراتها عقب هذا الحدث كلمات الندم والحسرة والمرارة، وقسوة الظروف وثورة الشجون والنحس وسوء الحظ ، بل تحدثنا عن استغلال وابتزاز بعض الالمان لاموالها، وازدراء أهل هامبرج عنها مما دعاها الى التنقل في عدة مدن المانية بحثا عن الراحة، وتقول « مررت بأقسى التجارب وأعنفها مما لا يتمناها المرء لاشد خصومه عداء والتي كانت حصيلتها نفسا مرهقا وجسما متعبا » . ومن أقوالها واعترافاتها : « انني استحق من أهلي احتقارا أكثر مما استحقه لو كنت مسيحية أصلا » ، وفكرت في العودة الى بلادها ولكن حال دون ذلك موت أخيها السلطان ماجد في نفس سنة وفاة زوجها (١٨٧٠) وتولى السلطان برغش الحكم الذي كان ينقم عليها بسبب تغيير دينها ومصالحتها مع ماجد .

عاشت اميلي روث في ضنك وضيق وهي التي كانت منعمة مرفهة محناة مضمخة بماء الورد ، ترفل في حرير وتسهر على خدمتها الوصيفات . لذلك كانت ملحاحة ترتجي من يساعفها ويرد لهفتها بالعودة الى بلادها والصلح مع أهلها على نحو ما تذكر .

وبينما هي في هذه الحال ، قرأت في الجرائد أن أخاها برغش سيزور لندن بدعوة من الانجليز (سنة ١٨٧٥) فرغبت في لقائه ليمد « يد الصفح والغفران الى أخته المستعطفة النادمة » فتوسطت الخارجية الالمانية لدى الساسة الانجليز لتمكينها من لقاء أخيها ، وفي لندن قابلت الحاكم العام لمستعمرة الكاب الذي طلب منها الابتعاد عن أخيها طيلة فترة زيارته مقابل ضمان الحكومة الانجليزية مستقبل أولادها ، وبعد رحيل السلطان برغش عن لندن تنكر الانجليز لوعودهم وقد بينت الكاتبة أسباب منع الانجليز لها من لقاء أخيها وأرجعت ذلك الى أن الغرض من زيارة « برغش » الى لندن هو التوقيع على اتفاقية الرقيق التي تضع زنجبار تحت السلطة البريطانية ، وخشية الانجليز من أن تؤثر اميلي روث الالمانية على أخيها فيمتنع عن التوقيع، وربما تجذبه في ناحية الالمان ، وهو مالا توده سياسة الانجليز الاستعمارية.

كان ياما كان

وعادت سالمة بلا شيء من لندن ، ولابد أن الالمان قد شعروا بخيبة وساطتهم ·

● العودة الى زنجبار ●

ولكن الاميرة لم تفقد الامل فى العودة الى بلادها للمطالبة بحقوقها الشرعية ولمشاهدة الأهل والاوطان فقد كان يعتادها طرب قديم ، فتردد أنغام صباها فى مذكراتها ، ورات أن تنعم بدفء الشرق بعد أن ساءت صحتها ، فعرضت الامر على السلطات الالمانية ، فاستجاب الالمان بعد دراسة لاتخاذها ذريعة للتدخل فى زنجبار واذلال الانجليز وبرغش الموالى للسياسة البريطانية ، وكان فى ضميرهم ، أنه لو تعرض لها (السلطان) باى سوء فان الحملة الالمانية تجد مبررا للتدخل بحجة حماية مصالح احد الرعايا الالمان على حد قول عبد المجيد القيسي · ولم يكن الامر خافيا على « سالمة » فقد قالت : « لا لزوم لتكرار القول عن الجوانب السياسية لهذه الرحلة فقد أوفتها بحثا الصحف الصادرة تلك الايام » ·

وفى يوليو ١٨٨٥ كانت سالمة فوق احدى السفن المدنية فى طريقها الى زنجبار بعد غيبة تسعة عشر عاما مرورا بالاسكندرية ، وفى بورسعيد ركبت سفينة حربية المانية ، حتى اذا وصلت الى زنجبار انضمت الى السفينة التى كانت تستقلها عدة قطع من الاسطول الالمانى الشرقى ولا يعقل أن يتحرك الاسطول الالمانى من أجل حماية سيدة الا اذا كان ذلك ذريعة لاعمال عسكرية وبموافقة أعلى سلطة فى المانيا ·

وعندما ترددت سالمة على شوارع زنجبار لم يتعرض لها أحد بسوء فقد فوت السلطان والانجليز على الالمان حجتهم فى التدخل ، وسرعان ما التف الناس حولها بعد ما كثر الكلام عنها ، وهو نوع من الفضول وليس ترحيبا وتكريما كما فسرت هى ، وبعد أيام غادرت الجزيرة دون أن تحصل على حقوقها ، أو تدخل دارا · على أن الالمان الذين تحمسوا لها سرعان ما أهملوا قضيتها بعد تحسن الاحوال بينهم وبين الانجليز ·

تلك هى قصة الاميرة سالمة ، وهكذا كانت العوبة فى يد الاوربيين ، ولم تكن غافلة عن الاعيبهم ولكنها كانت كالقارب الفارق الذى تتقاذفه الامواج وبعد عودتها من زنجبار عكفت على مذكراتها واكملتها ، ونشرتها بالالمانية عام ١٨٨٦ ثم ترجمت الى الانجليزية والفرنسية بعد صدورها بقليل ، وظل الكتاب مختفيا عن الشرقيين حتى قام بترجمته الاستاذ عبد المجيد القيسى مع مقدمة مستفيضة ، وتعليقات شارحة ، وهوامش مفيدة ، وقد حاول المترجم أن يلملم أخبار المؤلفة بعد عام ١٨٨٦ فاهتدى الى أخبار خفيفة ولكنها أحسن من عدمها ·



سلطان عمان وزنجبار

• اميلى روث تضع كتابا تدافع فيه عن العرب والاسلام •

• سالمة تهرب فى باخرة حربية انجليزية بمعاونة الانجليز •

دبجت سالمة كتابها ليقرأه الاوربى لذلك فقد تضمن كلاما كثيرا عن الاسلام والعرب والشرق ، عرضت فيه كثيرا من الأصول الاسلامية والتقاليد العربية والشرقية . ولا يجد القارىء المسلم فيما كتبته عن الاسلام ما يؤلمه أو يجرح شعوره ، وقد ظهر مما سطرته المؤلفة أنها عارفة للاسلام وقضاياه ، ولم تخطىء فى التعبير أو التفكير ازاء الملة الاسلامية ، فاذا تحدثت عن القرآن قالت «القرآن الكريم» «النص القرآنى الشريف» ، وتعرب عن امتعاضها مما يقال فى الغـــرب عن الاسلام فتقول « ولكن مما يؤلمنى أن أرى الاوربيين يتحاملون على الاسلام والمسـلمين بشتى الاسـاليب ويوجهون اليهم شتى التهم دون أن يفهموا حقيقة الاسلام والمسلمين » . وأخذت تشرح للاوربيين اركان الاســلام فى بساطة واقنــاع فتقول عن الصلاة « فالمسلم حين يؤدى صلاته ينقطع كلية عن العالم الخارجى وما من أحد يجرؤ على أن يقتحم عليه خلوته ، ويقطع صــلاته حتى ولو اشتعل البيت نارا » ، وتقول عن مكة : « هو آخر ملاذ يركن اليه المسلم الزاهد فى الحياة » ، وتقول عن الزكاة « أحسن نظام ضرائبى فى العالم » لان المسـلم يؤديها عن طيب خـاطر ولا يتهـرب من الدفـع وتقـول عن ليـلة القدر : « ليلة مباركة مقدسة عند المسلمين اذ فيها انزل القرآن أول مرة » ، وتتناول الصوم والعيدين ، وتدافــع عن نظام الارث فى الاسلام ، وتتحدث عن القضاء والقدر ولا تقول بالمصـادفة والطبيعة مثلما يقول الاوربى .

وتواصل دفاعها عن الاســلام على طريقتها فتعرض لنظام الزواج وتناقش قضية تعدد الزوجات وتنتصر لها بحجج عالية ثم تتحول الى نظام الزواج فى الغرب فتقول : « ولكن ما هو حــال الزواج بين الأوربيين المثقفين منهم ؟ ولأضرب الآن صفحا عن مزاولة تعدد الزوجات تحــت اسم مارمونيســم ،

كان ياما كان

(المارمونيسم طائفة مسيحية ظهرت في أمريكا عام ١٨٣٠ وكانت تبيح تعدد الزوجات) وهي طائفة مسيحية صرفة تقوم على أرض مسيحية صرفة ، ولنرى هل أن الزواج عند الاوربيين هو نظام مقدس فعلا ، وأليس من السخف في اكثر الأحيان أن نتكلم عن زوجة واحدة للرجل الغربي ؟ أن الغربيين يتعمدون أثمين مخالفة تعاليم دينهم باتخاذهم الخليلات بالخفي والفجور ؟ ولعل الفرق الوحيد بين المرأة الشرقية وزميلتها الغربية أن الأولى تعرف بوضوح وبالضبط من هي منافستها أو منافساتها وعددهن وشكلهن ووصفهن وعندما تتناول الحضارة عند الاوربيين تقول : « ولا ادري لماذا يجب أن تقترن المدنية عندهم بالرذيلة » . وتقول عن النساء في الشرق أن حالهن واحدة ، وحيثما يسود الاسلام تتشابه الاحوال والأحكام باستثناء بعض المجتمعات التي غزتها فأفسدتها سفسطات الغرب » ولا أستطيع أن أوردها هنا أو حتى أوجز كل ما كتبته عن الاسلام ، وما سطرته ساله في هذا المجال هو للاوربيين لأنها تعرف أننا لا نجهله ، ويبدو لنا من كلامها حرارة عواطفها واستنارة ذهنها ، وفي الوقت نفسه تكتب بارادتها الحرة ، ولا يفوتنا انها تحدثت عن « الحب الأعمى » ومما قالته : « وهل نسمع لصوت الحق أو الضمير اذا ما علا صوت الحب وعربد ، أولسنا في سبيل الحب ومن اجله نتخلى عن مبادئنا وآرائنا وأفكارنا وأنفس معتقداتنا ، وهذا ما حدث لها على ان الحب لا يظل على الدوام في عنفوان ولهيب ، فعندما هدأت لواعج الحب تحركت في نفسها العواطف الدينية الاسلامية .

ومن هياج عاطفتها الدينية الاسلامية ما قالته عندما رأت الاسكندرية : « وما أن وطئت قدماي أرض الاسكندرية وصرت بين مساجدها ومنائرها ونخيلها حتى طغى على شعور غامر بالشوق والحنين للاهل والاوطان .. » وعندما رأت زنجبار قالت : « فهنا ولدت ونشأت عربية مسلمة وفي اعز دار ثم حكمت على الظروف بالهجرة .. وها أنا اعود الى بلادي نصف مسيحية ونصف المانية » فهي بعد عشرين عاما تقول انها نصف مسيحية ، وهو تعبير غريب غامض يفصح عن قلقها الروحي .

ومذكرات الاميرة العربية تحفل بالصور العربية والشرقية ، وفي مجال الموازنة بين الاوضاع في الشرق والغرب تفضل كل ما هو شرقي عربي على كل ما هو غربي أوربي . فتقول عن العربي : أن نفسه صافية ، اخذنا ذلك من سماء بلادنا الصافية وشمسها الساطعة ، وتبين كيف تتعرى الاوربية في بلاد البرد والجليد وتتحجب الشرقية في بلاد الحر ، وتقول عن الرقيق ان العربي يعتق الرقيق اذا كان في غير حاجة اليه أما الاوربي فانه يبيعه اذا اضطر الى سفر ، وتهاجم معارف الغربيين عن الشرق التي مصدرها السائح الاوربي الذي يستقي معلوماته من خدم الفنادق

او أصحاب الحمير الذين ينقلونه . وتبين أن العربى ينفر ممن يتطفل عليه ليعرف أسراره وبخاصة اذا كان أجنبي الجنس والعقيدة واللسان • وتنتقد التعليم الاوربى لأنه لا يعتنى بالجانب الروحى • واذا كان الطفل الاوربى يمارس رياضة الجمباز فان الطفل العربى يزاول أعمال الفروسية والقفز من حصان الى حصان آخر ، وتوازن بين المربية الأوربية والجارية الشرقية فى مجال تربية الاولاد وتغلب الثانية . وانتصرت للمرأة الشرقية وأوضحت مدى ما تتمتع به من حرية واستقلال فى اطار الشرع الشريف والأعراف السائدة ، واذا كانت سالمة قد حملت اسم « اميلى روث » ، فانها توضح أن الفتاة العربية لا تفقد فى الزواج اسمها العائلى ، وهذا ما تفضله ، وفى مجال عمل المرأة كانت تدافع عن قلة عمل الشرقية ، وترى أن البرودة الشديدة فى أوربا أوجبت على المرأة العمل لسد احتياجاتها من الملابس ، ومعالجة الامراض الناجمة عن الجو القارس ، أما ، المرأة الشرقية فانه بسبب الدفء تقل احتياجاتها ، ويخف عملها ، وتضرب مثلا بالنساء فى ايطاليا واسبانيا حيث يقل عمل المرأة عن نظيرتها فى انجلترا والمانيا ، وترجع ذلك الى الطقس وقلة الاحتياجات تبعا لذلك •

ولا غرابة فى دفاع سالمة عن الشرق فقد كانت تقول انها تعيش فى أوربا أما مشاعرها ففى الشرق وتقول أيضا : « فما من تسلية •• كانت أفضل لى من الانكباب على قراءة كتاب يصف الجنوب أو يبحث فى أحواله » ويخبرنا الاستاذ القيسى انه وجد فى مخلفاتها بعد وفاتها « مكحلة فضة •• وشالا أخضر •• وكتاب تحفة الاعيان فى سيرة أهل عمان » والاغرب من هذا أنها أطلقت على ابنها اسم سعيد اعتزازا باسم أبيها العربى ، وصورتها التى تتصدر الكتاب تبين بوضوح ملابسها العربية الزنجبارية واحتشامها فلم يظهر منها غير الوجه وأصابع اليدين والقدمين •

● اهمية الكتاب ●

ومن أوجه اهمية هذا الكتاب أنه دافع عن وجهات النظر الشرقية ، وصحح معلومات الاوربيين عن الاسلام ويتناول الكتاب أوضاعا كثيرة مفصلة عن زنجبار ذلك القطر العربى الذى لم نعد نذكره الآن فى كلامنا ولو فى جمل اعتراضية • ولعلها اول سيدة عربية تكشف عن بعض عورات اوربا، وفى حين كانت الأصوات تتاهب فى الشرق للمناداة بسفور المرأة كانت سالمة تنتقد هذا السفور الفاضح فى الغرب • ومن وجوه اهميته انه يبين لنا مدى تآمر الغربيين على الاسلام وتشويهه •

وبعد فقد انتابتنى مشاعر متباينة اثناء قراءة هذا الكتاب (٣٢٠ صفحة من القطع الكبير) امتزج فيها القلق والوجع والدهشة والاعجاب والشفقة والاستنكار •

وقد تحدثت المؤلفة فى الموضوعات التى أشرنا اليها وفى غيرها بعاطفة حماسية ، وذهن متقد قادر على التفكير التامل والارتفاع الى مستوى القضايا التى يعالجها • وحكمى الاخير على الكتاب انه لا يعدو أن يكون رسالة ندم واعتذار واستغفار والله رحيم غفار •

● هذه خواطر اوحى بها مؤتمر القضاء الاول، الذى عقد فى المدة من ٢٠ الى ٢٤ ابريل الماضى ، وهو اول جهد يقوم به القضاة على هذه الصورة الواسعة والعلنية لاصلاح النظام القضائى فى بلادنا ومعالجة ما اصابه من قصور وآفات بفعل الادارة السيئة ، والعجز الحكومى واغراض السياسة لعل هذا المؤتمر فاتحة عهد جديد يقوم فيه القضاء برسالته المجيدة على احسن وجه ، وخير منهج ●

مذبحة القضاء

بقلم : فتحى رضوان

يحسب بعضنا أن القضاء فى مصر قبل الثورة ، كان بمنأى من التدخل الصريح فى أعمال القضاة ، أو فى الضغط والترهيب والترغيب ، ليحصل أصحاب السلطة أو الجاه او المال على ما يطمعون فيه من المحاكم التى تعرض عليها قضاياهم ، التى تصور صراعا اوخصومة أو تنافسا بينهم وبين آخرين قد يكونون فى مثل قوتهم ، أو أضعف منهم كثيرا أو قليلا والحقيقة تخالف ذلك الاعتقاد ، فالقاضى المصرى منذ وضع الاحتلال البريطانى قدمه فى ١٤ من سبتمبر ١٨٨٢ الى حين قامت ثورة يوليو ، كان يخضع تعيينه وندبه ونقله وترقيته وتخطيه فيها ، لارادة ممثل بريطانيا بغض النظر عن الاسم الرسمى لهذا الممثل ، الذى عرف اول الامر بالقنصل العام لبريطانيا العظمى ، ثم بالمندوب السامى ، واخيرا بالسفير البريطانى فى عقب معاهدة سنة ١٩٣٦ التى أبرمت فى أغسطس من ذلك الشهر .

وبذلك كان القضاة قلقين ، يعرفون أنهم معرضون للنقل أو التخطى ، أو النقل الى مدن أقل شأنا من مدن يعملون فيها فعلا . ذلك لان المندوب البريطانى وممثلها ، يعلم أن القضاء بطبيعته ، هو حماية للمظلوم ، ودرع للمطالبين بالحقوق العامة ، والمدافعين عن الشعب ، فان كان مستقلا مصونا من الضغط والتأثير ، زاد المناضلون عن حقوق الناس المهدرة ، وحرماتهم المنتهكة ، وتمردهم على الغاصب الدخيل وعندها يعانى الاحتلال البريطانى وممثلوه من الضغوط الوطنية ، ما يفسد



السيد علي يوسف



السيد محمد توفيق البكري



مصر استمرت قرناً !



السيدة صفية السادات زوجة الشيخ علي يوسف

خططهم ، أو على الاقل ، يؤخرها ، ولما كان الخديو أو السلطان أو الملك المصرى ، هو رجل أختير ليكون عونا لهذا الاحتلال وسندا له ، فى مقابل مزايا يمنحها ، وسلطات يستمتع بها ، وحماية من المساءلة والمؤاخذة تقيه أن يحاكم او ينزل به عقاب او تسترد منه اشياء سلبها ، أو أعراض هتكها ، أو اعتداءات ارتكبها . وبذلك أصبح الحاكم المصرى الذى كان يسمى خطأ بالحاكم الشرعى او الحاكم الاصيل ، لتميزه عن الحاكم الاجنبى الدخيل او الذى لا شرعية لسلطته ، أصبح هذا الحاكم شريكا فى العدوان على القضاء المصرى ، فلما قامت الحياة الحزبية ، بعد تصريح ٢٨ من فبراير سنة ١٩٢٢ التى أعلن بها الانجليز من طرف واحد ، الغاء الحماية البريطانية

مذبحة القضاء

التى فرضت على مصر عقب اندلاع الحرب العالمية ، ذلك فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وتحويل سلطانها الى ملك ، وتخويل للملك اعداد دستور تقوم فى ظله حياة نيابية يمثل فيها الشعب ، نواب يختارون فى انتخاب عام . لما تم هذا التغيير تنافست احزاب الحكم فى مصر . بعد انتخابات حرة مرة او انتخابات زائفة ، تعبث فيها السلطة كما تشاء ، ويعبث خلالها بارادة الشعب على ماتهوى احيانا ، فانضم شريك ثالث للسفر البريطانى والملك المصرى ، ذلك هو الحزب الذى تمارس بعض السلطة حكومته ، ففى ظل الحكم النيابى كان يتم افساد القضاء بصور منها :

١ – يكون لزعيم الحزب قضية خاصة ، فيرفعها الى محكمة ، فيقضى له بما يطلب . فيكافأ المستشار الذى يراس المحكمة بتعيينه وزيرا . وقد تم تعيين اكثر من وزير ، لمثل هذا الغرض .

٢ – يبلو محام ما فى تاييد حزب ما بلاء حسنا ، فيضم الى الاعضاء ، ويضم لرؤساء الحزب عند تجولهم فى الاقاليم والولائم الفاخرة ، ولعقد السرادقات الواسعة ، فيصل الى منصب القضاء فى اقرب فرصة تالية باهون سبيل .

٣ – يخرج المحامى الوزير الذى يشغل مكانا مرموقا فى حزبه ، من الوزارة فيشتغل بالمحاماة ، ويصبح منتظرا عند الجميع ان يعود فى تعديل وزارى قريب وزيرا ، فيقبل على مكتبه اصحاب القضايا ، ويتقدونه اتعابا ضخمة ، تتيح له ان يقتنى الضياع ويبنى القصور ، فاذا ذهب الى المحكمة ترافع امام قضاة عينهم حينما كان وزيرا او عينهم حزبه الذى ينتمى اليه ، ليقابل بالاجلال علنا ، وبلا تحشم ، وكثيرا ماشاهد المترددون على جلسات المحاكم المحامى الحزبى ، الوزير الحزبى ، يدخل الجلسة ، فيقف رئيس الجلسة ، ويحييه علنا ، كما اصبح من التقاليد المرعية ان الوزير الحزبى السابق ، حينما ينتهى من مرافعته فى احدى مدن الريف فى الصعيد او فى الدلتا ، يمضى الى المحطة ليستقل القطار ، ومن حوله القضاة والمستشارون الذين كان يترافع امامهم منذ ساعات ، وربما ينضم اليهم السيد مدير الاقليم او محافظه ، ولا يخلو الحال من ان ينضم الى هؤلاء جميعا انصار حزب صاحب المعالى الوزير ، فيهتفون بحياته ويلهبون الاكف بالتصفيق .

٤ – وجاءت الاحكام العرفية – بحالة جديدة من حالات فساد القضاء واتلاف كل اسباب النزاهة وضماناتها للحكم ، ففى ظل الاحكام العرفية ، لا تستانف الاحكام ، وانما تعرض على مكتب ينشئه الحاكم العسكرى لمراجعة تلك الاحكام ، ثم يثبت ما يشاء فيها ويلغى ما يشاء ، بلا قيد والى غير حد ، وهذه المكاتب ليست محاكم ، فليس لها حصانة القضاء ولا هيبتها ، وقد ترى المكتب مليئا بالمحامين وذوى المتقاضين واصدقاء القضاة ، فاذا بالعدالة قد اصبحت شبحا ، والحق طيعا ، والقانون يداس بالاقدام علنا .

ومع ذلك يبقى المواطنون فى مصر مؤمنين بان قضاءهم من انظف القضاء فى الشرق والغرب ، وهذا الظن لم يكن كله وهما فالقضاء المصرى حيث تنأى الخصومة عن اصحاب السلطة ، ويصبح طرفاها من افراد الناس ، حتى ولو كانوا على شىء من الثراء او الجاه ، لا يهتز ميزان العدالة فى يد القاضى ، فى حين ان فساد انظمة التقاضى فى بلاد عربية كثيرة كان امرا مقطوعا به ، وقد

حدثني أديب الشيشكلي وكان رئيس الدولة الحقيقي في سوريا ، وهو يزور مصر وأنا وزير خارجيتها بالنيابة بأن أكثر القضاة في وطنه ، كانوا من فساد الزمة ، وكان بذل الاعطية لهم يتم على مسمع من الجميع ، بل بعلم الخصوم . اما القضاء في أمريكا اللاتينية فذهب بهما القضاء فهو مثل في العبث بحقوق الناس ، وتلقى الرشوة بلا تحفظ ولا خجل ، وقد رأينا صورا من هذا التعفن في قصص رأيد تعرضها الشاشة الفضية .

لقد بدا لي ان أروى للقارئ قصصا تدخلت فيها السلطة علنا في قضايا شهيرة معروضة على القضاء في واقع الامر قصص طريفة في ذاتها منها :

١ ـ قضية زواج الشيخ على يوسف « باشا » صاحب جريدة المؤيد

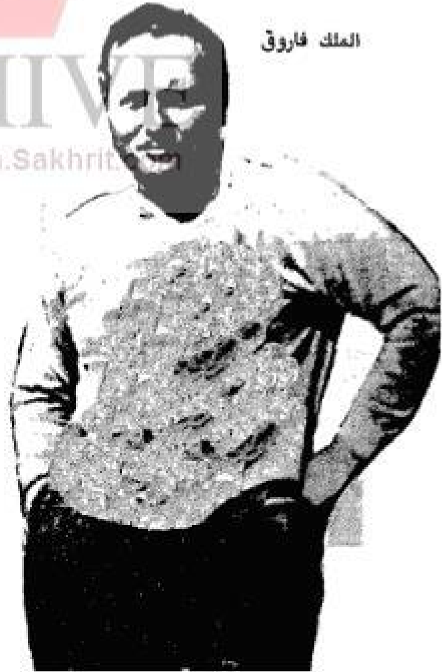
٢ ـ قضية مقتل على كامل فهمى ، الثرى الذى قتلته زوجته الانجليزية مرجريت ، التى حوكمت في لندن فبرئت .

٣ ـ قضية سليم بك حسن وكيل مصلحة الاثار المصرية سنة ١٩٣٨ وما حولها

٤ ـ قضية مقتل السرداولي ستاك ـ قائد الجيش المصرى وحاكم السودان في الوقت نفسه .

وأقدم هذه القضايا هى قضية الشيخ على يوسف الذى كان صحفيا ، وفد الى مصر من قرية في الصعيد ، هى قرية بلصفورة التى هى من أعمال محافظة جرجا ، وقد طلب العلم في قريته ، التى ولد فيها . وقد ترك قريته وذهب الى قرية بنى عدى بمركز منفلوط حيث اخواله . ثم مازال يلتمس أسباب المجد ، متذرعا بصلابة خلقه ، ولباقة وطموحه غير المقرون بالتهيب ، حتى أصدر جريدة المؤيد في اول ديسمبر ١٨٨٩ ، فما لبثت حتى أصبحت أكثر الجرائد المصرية ذيوعا . ولم يكن لواء مصطفى كامل قد صدر بعد اذ كان صدوره في يوم الثلاثاء ٢ من يناير سنة ١٩٠٠ ، وبفضل سطوع نجم

الملك فاروق



الملك فؤاد



مذبحة القضاء

اللواء ، وانتشاره ، اصبح علي يوسف احد كبار ذوى النفوذ ، اذ اتخذه الخديو عباس حلمى مستشاراً يهتدى برأيه ويعمل بنصحه ، وكان يطيب له الجلوس معه ، والتحدث اليه . ولما كان طموح على يوسف لا يقف عند حد فقد طمع فى ان يخطب لنفسه الآنسة صفية بنت السيد عبد الخالق السادات شيخ الطريقة الوفائية . وكانت فتاة جميلة وذكية ، وكان ابوها يصحبها الى كل مكان يقصده فرآها الشيخ على يوسف فوقعت من نفسه موقعا ملك عليه زمام قلبه ، وكان والد صفية صديقا لعلى يوسف ولم يكن لديه مانع من تزويجها لعلى يوسف وان كان يكبرها كثيرا فى السن الا انها كانت ماخوذة بشهرته وعلو مقامه ، وتردد اسمه على الالسن ، فوافقت على الزواج ، ولما كان زوج اختها السيد محمد توفيق البكرى هو نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وكان يخشى ان تقوم عقبة فى طريق هذا الزواج ، فقد اخذ العروس الى قصره ، وعقد لها على الشيخ على يوسف ، ثم نشرت جريدة المقطم نبأ هذا الزواج فى عدد ١٦ يوليو سنة ١٩٠٤ ، وفوجىء ابوها بهذا الزواج فهاج هائجه ان تزوج ابنته الحبيبة الى قلبه والاثيرة عنده بغير علمه ، وفى غير دار أبيها ، وان كان العقد تم فى بيت اختها الشقيقة ، وانتهى الامر بان اعلن الشيخ عبد الخالق السادات بانه غير راض عن هذا الزواج ولا يقره لا للظروف التى لابسته ، فحسب ، بل لعدم كفاءة الزوج ، لانها من نسل النبى ، وشمل الخديو صديقه وجليسه ومستشاره على يوسف ، بعطفه فانقسم المصريون الى فريقين ، فريق يؤيد الزواج ، ويرى على يوسف اهلا للزواج من صفية بنت عبد الخالق السادات ، وان كانت حفيدة لرسول الله ، فان على يوسف بعلمه ومكانته وثروته ، وعقله وقربه الشديد من الحاكم ، يرتفع الى مقامها ، ورفع والد صفية الامر الى القضاء الشرعى ، ووكل الزوج اكبر المحامين ، وشغلت القضية الناس ، ولما كان الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل قد اغضبه هذا الزواج بما شابه من اخطاء كان على يوسف وتوفيق البكرى جديرين بتجنبها فقد اشتد موقف الوطنيين ضد على يوسف ، وعندها لم ير الخديو عباس بدا من ان يتدخل فى القضية صراحة فى جانب صديقه على يوسف ، ولما عرضت القضية فى صيف سنة ١٩٠٤ وكان الخديو عباس خارج مصر مصطافا فى باريس فقد أوفد اخاه الامير محمد على ليضغط على القضاة ليحكموا لصالح الزواج باقراره ، ولكن الرأى العام كان ضد هذا القرار ، وانتهى الامر بصدور حكم فى يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٠٤ بالحيلولة بين الزوجين حتى يفصل فى القضية نهائيا اذ أجلت بناء

د. سليم حسن



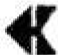
على طلب محامى على يوسف ، وهو الاستاذ حسن صبرى الذى عين رئيسا لوزراء مصر سنة ١٩٤٠ . ولم تتحمس الحكومة لتنفيذ حكم الحيلولة اذ سافر على يوسف الى الاسكندرية يقابل وزير الداخلية بطرس غالى باشا ، الذى كان قد وضع الحكم فى درجه ، فاستحال تنفيذه فما كان من الشيخ أحمد ابوخطوه الذى أصدر الحكم الا أن لجأ الى قاضى القضاه وكان تركيا تعينه تركيا حسب الاتفاقات الدولية آنذاك بين مصر وبريطانيا وتركيا ، فأعلن انه سيقفل ابواب المحاكم الشرعية ان لم يتم تنفيذ حكم الحيلولة ، ولما سمعت الناس بقرار القاضى وقاضى القضاة بالدعوة الى اضراب المحاكم الشرعية حتى يتم تنفيذ حكم الحيلولة بين الزوجين ، هتفوا فى الشوارع للاسلام ولقضاة الشرع ، والتهب الموقف . حتى انتقلت الزوجة الى منزل الشيخ عبد القادر الرافعى وكان من كبار قضاة الشرع ، حتى حكم بالحيلولة فأحس كل من الخديوواللورد كرومر بالهزيمة ، ولكن عاد الوالد فرضى عن زواج بنته من على يوسف بعقد جديد أبرم فى بيته . بعد ان تدخلت السلطات جميعا فى هذه القضية وطلنا .

أما القضية الثانية فقد بدات بجناية وقعت فى باريس ليلة العاشر من يولية سنة ١٩٢٣ بفندق سافوى بلندن.

وكان القاتل هو ابن الثرى المصرى على باشا فهمى الذى كان يملك مساحة كبيرة من الارض الزراعية فى المنيا ، وقد مات وترك اكثرها لابنه على كامل فهمى ، الذى كان قد رأى الشابة الفرنسية مرجريت آن فهام بها ، ودعاها وهو فى الثانية والعشرين من عمره فى مصر ، فرات من آثار غناه والترف الذى ينقلب فيه ، مدعاة الى قبول زواجه فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، وما لبث ان تنافر الزوجان حتى انتهت حياتهما الزوجية برصاصة اطلقتها على زوجها الشاب ، فأردته قتيلا ، ثم قدمت الى المحاكمة فترافع عنها المحامى الانجليزى الشهير مارشال هول الذى حصل لها على البراءة من محكمة انجليزية متحازة ضد الشرقيين بعد أن صور لها الزوج القتيل بوحش آدمى أذاق زوجه الويلات ، وجاءت الزوجة الى مصر ومعها حكم من محكمة جنايات لندن ببراءتها وقد رفعت دعوى ميراث طلبت فيها الحكم لها بربع تركة زوجها ، لانها برئت من تهمة القتل والشريعة تمنع ميراث القاتل فى تركة قتيله .. وهى بمقتضى حكم البراءة ، لم تقتل زوجها انما دافعت عن نفسها .

وعرضت القضية على المحكمة العليا الشرعية برياسة الشيخ طه حبيب والسيد انور حبيب الذى عينه السادات مدعيا اشتراكيا ، ثم رئيسا لديوان المظالم ، فأبى الشيخ طه حبيب ان يقضى لمرجريت آن قاتلة زوجها على فهمى لان محكمة لندن برأتها لقد قرأ ترجمة الحكم الى العربية، فعرف ان المحكمة برأت القاتلة المضبوطة


محمود فهمى النقراشى



مذبحة القضاء

بآلة تنل فى يدها ، لا لان الدليل ضدها ضعيف بل لأن القاتلة اوربية والقتيل مصرى ، فلم تمثل بالحكم ، ورفضت طلب الزوجة الاجنبية وكان الملك فؤاد يريد أن يحكم لها بربع التركة رغبة فى ارضاء الاجانب والمندوب السامى البريطانى ، فطلب صراحة من الشيخ طه ان يقبل دعواه فلم يمثل القاضى الشرعى الشجاع لطلب الملك واصر على موقفه فكان ان عزله الملك من القضاء وهو بعد صغير السن وكانت امامه سنوات منتظرة فى المحكمة الشرعية ، وكان المتوقع ان يزيد مرتبه اثناءها ، وأن يعين رئيسا للمحكمة الشرعية .

فكانت هذه هى القضية الثانية التى تدخلت فيها السلطة بلا حياء فى قضية معروضة على القضاء الشرعى ، وفى اتجاه الظلم والعسف .

اما القضية الثالثة وهى قضية سياسية بحتة ، اسفرت فيها السلطة البريطانية من وجهها القبيح كما لم تفعل قط من قبل .

فقد كان الحكم فى تلك القضية يهمها أعظم الاهتمام ، فقد كانت قضية زعيمين كبيرين وان كانا فى وقت القضية رجلين اقرب الى الشباب واعنى بهما الدكتور احمد ماهر والاستاذ محمود فهمى النقراشى وكلاهما تتلمذ على يد عبد اللطيف بك الصرفانى احد زعماء حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، اى الحزب الوطنى القديم ، ومدبر حركة العمل السياسى المباشر اى قتل الانجليز واعوانهم ، وقد تحول هذان الزعيمان من صفوف الحزب الوطنى الى صفوف الوفد ، ولما تدهور الموقف السياسى والوطنى فى مصر بعد اجهاض ثورة سنة ١٩١٩ ، راحت السلطة البريطانية تتعقب الوطنيين وتراجع ملفات القضايا السياسية القديمة ، لتسوق الذين تصدوا لها بالبندقية الى المشانق والسجون . وكان من هؤلاء الخصوم القدامى للاحتلال البريطانى ماهر والنقراشى . وعرضت قضيتهما على محكمة جنايات مصرية يرأسها مستشار انجليزى اسمه « مستر كرشو » .

وكانت حالة العدالة فى مصر قد ساءت حتى اصبح من قضاة مصر اجانب منهم انجليز ومنهم فرنسيون ومنهم ارمن . ولما انتهت المرافعة من الاتهام والدفاع عن قضية ماهر والنقراشى هذه ، ودخلت القضية فى دور المداولة من القضاة اصر المستر كرشو على وجوب الحكم على « ماهر » و « النقراشى » بالموت ، وعلى اقل تقدير على « ماهر » لثبوت الاتهام ضده ، وكان مع « المستر كرشو » مستشاران مصريان هما كامل ابراهيم بك ومصطفى عزت .. ويرفض المستشاران المصريان راى المستشار الانجليزى ، فبذل جهدا مضنيا لثنيهما او لثنى احدهما على الاقل من رايه فلما لم ينجح ، نطق مضطرا بحكم البراءة ، ولكنه كتب خطاب استقالة أرسله الى المندوب السامى البريطانى يعلن فيه ان الحكم لا يتفق مع رايه ولكنه نطق به عملا بتقاليد القضاء ، ولكنه يخرج على تقليد آخر وهو افشاء سر المداولة لان ضميره غير مستريح . وبذلك ثبت للمصريين ولغيرهم كيف كانت تتدخل السلطة التنفيذية فى اسود العدالة .

والقضية الاخيرة هى قضية سليم حسن بك وكيل مصلحة الاثار فى سنة ١٩٢٨ وكانت مصلحة الاثار تتهم دولة فرنسا بشكل دائم . اذ ان الظروف اتاحت لفرنسا بفضل كشف حجر رشيد اثناء حملة نابليون على مصر ، ان تكون وثيقة الصلة بهذه المصلحة ، فبقى رؤساؤها على وجه التواتر فرنسيين ، وبلغ من اهتمام فرنسا بهذا المنصب والاستئثار به دون غيرها من الامم أن تنص اتفاقية سنة ١٩٠٤ المعروفة بالاتفاق الودى الذى

أبرم بين فرنسا وبريطانيا لتسوية خلافات الاستعماريين الفرنسي والبريطاني في مصر والمغرب على أن منصب رئيس مصلحة الآثار المصرية من حق فرنسا . ولكن الايام جرت طويلا منذ سنة ١٩١٤ ومعها تطورات وتغيرات حتى وصل اثرى مصرى الى منصب وكيل المصلحة ، وكان سليم حسن هذا الاثرى ، مصريا صميما تنطق قسمات وجهه بمصريته وربعيته ، وتدوفق الى اكتشاف الهرم الرابع من جهة ، والى وضع قواعد لتقسيم ما تسفر عنه الحفريات الاثرية في مصر وهي الحفريات التي كانت تقوم بها بعثات أجنبية بريطانية امريكية وفرنسية والمانية وايطالية . ولما كانت مصلحة الآثار قد غزاها النفوذ الاجنبي فقد كان نصيب تلك البعثات الاجنبية من غنائم الحفريات نصيب الاسد ، وكان نصيب مصر فشيلا ، ذلك لان مندوب مصلحة الآثار في عملية التقسيم كان دائما بمقتضى عرف غير مكتوب بين جنسية البعثة الاجنبية التي يتم الاقتسام معها ، وبذلك كان يحابيها ويحقق اغراضها ، فلما جاء سليم حسن قلب هذا النظام الظالم وأمر بان يكون ممثل مصلحة الآثار في جميع الحفريات مصريا ، وبذلك استقام الميزان وضاعت على المكتشفين الاجانب فرص النهب والسلب باسم العلم ، فحقد الاثريون الاجانب في مصلحة الآثار المصرية على « سليم حسن » وما زالوا يتربصون به الدوائر حتى اتهموه باختلاس مبالغ ضخمة من اعتمادات حفريات الهرم التي كان يديرها ويشرف عليها، وبدأت النيابة المصرية تحقق مع سليم حسن ، وأخذ مدير المصلحة العام المسيو « دريتون » يدير الحملة على سليم حسن ، وكان « دريتون » صديقا للملك فاروق ، فانحاز الملك بكل ثقله مع الاتهام الموجه لسليم حسن ، واهتز ميزان العدالة في هذه القضية ، وكان سليم حسن اول اثرى مصرى عرفه العالم أول مستكشف بين مستكشفي آثار مصر ، يدخل السجن ، لتطيب نفوس الدوائر الاجنبية التي أضاع عليها هذا الاثرى اسلابا ذات قيمة لاتقدر بمال ولكن شاء الحظ ان يكون هناك صراع حزبي بين عنصرى الوزارة التي كانت تحكم آنذاك وهما الحزب السعدى برياسة احمد ماهر ، والحزب الدستورى برياسة الدكتور محمد محمود . وشاء الحظ ايضا أن يكون وزير المعارف والتربية ، آنذاك الدكتور هيكل وكان وزير العدل احمد حسين دستوريا كذلك كما كان النائب العمومي بكن باشا أحمد من الدستوريين ، ولذلك استحال حبس سليم حسن وارساله الى المحكمة لحماية هؤلاء الثلاثة له في حين كان رئيس الحكومة ورئيس الديوان الملكي تقربا الى الملك ضد سليم حسن ، واستمر الشد والجذب بين الفريقين ، وتبدو مخاطر الجو مهددة لسلامة الاثرى المصرى الكبير لانهيار أعصابه ، لم يبرق نور الامل ليستعيد هدوءه ، حتى سقطت الوزارة وتولى الوزارة الجديدة على ماهر حليف السعديين خصوم سليم حسن فايقن الرجل أن النهاية وافت وانه ذاهب الى السجن ولكن شاء الحظ الحسن للمرة الاخيرة أن يكون وزير العدل مصطفى الشوربجي بك وهو من زعماء الحزب الوطني القديم ، وكنت أعرفه ، فذهبت اليه وحذرته من مغبة الانسياق مع مؤامرات الاجانب ، فأمر في الحال بحفظ الدعوى ، ووافق على ذلك رئيس الوزارة الجديد على باشا ماهر الذى كان يناصر سليم حسن وهو في الديوان الملكي اذ غلبت عنده دواعي المصلحة الوطنية حينما تلقى عبء الحكم وأدرك أن التاريخ سيحاسبه .

وحسمت القضية لصالح مصر ، بعد أن كادت هذه المصلحة تتبدد وتضيع

وكانت احدى القضايا التي يطيب فيها للسلطة التنفيذية العبث بانعدامه وسفك دمها علنا والقانون يشاهد ويسكت عقدة .

طاح النفط

وبقيت الأحلام القومية!

بقلم: عبد الرحمن شاكر

حينما وقعت هزيمة ١٩٦٧ بالجيوش العربية ، واحتلت « دولة » الكيان الصهيوني اراضي من ثلاث دول عربية هي مصر والاردن وسوريا ، ذهب المندوب « الاسرائيلي » الى مجلس الامن الذي اجتمع لمناقشة تلك الحرب وفي جعبته « مشروع » من اثنين وثلاثين بندا ، مما سماه بالتعاون الاقتصادي ، بين دولته والدول العربية التي لحقت بها الهزيمة !

سيف المعز وذهبه ، ذلك ما لوحت به الصهيونية في ذلك الحين انها ليست فقط قادرة على قهر الوطن العربي في ميدان القتال ، بل ايضا قادرة على تعميره بطاقاتها الاقتصادية الجبارة !

وبالطبع لم يلتفت احد في ذلك الحين ، الى ذلك المشروع الاقتصادي ولم يفكر احد من العرب في مناقشته ، بل كان الجميع يعملون في ذلك الحين ، تحت الشعار الذي أعلنه جمال عبد الناصر في اثر النكسة ، وهو البحث عن طريقة «لازالة آثار العدوان» بمعنى اجلاء القوات الصهيونية عن الاراضي العربية ، التي احتلت في تلك الحرب ، وظلت تلك القضية هي موضوع مختلف المباحثات ، حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بما هو معروف عن انجاز الجيوش العربية فيها ، وما تلا ذلك من مفاوضات حول فض الاشتباك ، حتى كانت معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية ، التي اعتبرها صانعوها احدى ثمار تلك الحرب !

واليوم تعيد الدولة الصهيونية الكرة ، بعد اشتداد ازمة النفط ، وتدهور أسعاره في الاسواق العالمية ، ليذهب رئيس الوزراء الاسرائيلي شيمون بيريز الى الولايات المتحدة الامريكية ، وفي جعبته مشروع آخر ، من نوع ذلك الذي قدم في عام ١٩٦٧ ، يسميه « مشروع التعاون الاقتصادي بين دول الشرق الاوسط » ، لتلافي الآثار السلبية الناجمة عن تدهور أسعار النفط ، ويناقشه هناك مع الادارة الامريكية ، ويواصل التباحث بشأنه بعد عودته الى عاصمة



حرب اكتوبر المجيدة كانت حجر الزاوية فى ارتفاع اسعار النفط فى العالم

■ استغلال الأزمة فى محاولة بسط الهيمنة

دولته فى الارض المحتلة مع السفير الامريكي ، وقبل ذلك كان قد ناقشه مع مستشار النمسا عند زيارته لها ، باعتبار النمســا واحدة من الدول الأوربية ذات الصلة الوثيقة بالعالم العربى وكثيرا ما تتيح لها مواقفها لعب دور الوســيط بين الطرفين فيما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ·

لقد كان ارتفاع أسعار النفط بدرجة كبيرة ، ودخول العــالم العربى فيما يسمى « بالحقبة النفطية » المزدهرة ، بدوره ، واحدا من آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، بعدان اثبت النفط خلال تلك الحرب ، أنه كان ســلاحا ماضيا من أسلحتها ، حينما نجحت معظم الدول العربية المنتجة له فى الاتفاق على منعه عن الدول التى تساند الكيان الصهيونى فى حربه ضد العرب ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية ، وأضطرت كثير من الدول الاوربية الغربية، الى اظهــار الحياد فى تلك الحــرب ، والامتناع عن مناصرة الدولة الصهيونية باستثناء هولندا ، التى عوقبت هى الأخــرى بقطع النفط عنها ·· وساد الفزع أرجاء أوربا والعالم الغربى من شبح انقطاع النفط وخطره على كافة نواحى الحياة المعاصرة ، من تدفئة ومواصلات وصناعات بتروكيميائية ·· الخ ، ودار الحديث فى ذلك الحين عن العــالم العربى ، باعتباره « قــوة

طاح النفط

دولية سابقة ، حينما استطاع أن يوحد بين العمل العسكرى واستخدام قوة النفط الفعلى ، فى خوض معركة أصاب فيها كثيرا من النجاح ..

الدولة الصهيونية بموقفها الجديد او مشروعها « الثانى » للتعاون الاقتصادى وتوجيه رسالة ضمنية الى العالم العربى بانه قد تمت هزيمته مرة اخرى كما حدث عام ١٩٦٧ ، وان سلاح النفط فى يده قد اصبح سلاحا مفلولا ، بل اكثر من ذلك اصبح العرب فى فترة تدهور اسعاره بحاجة الى القوى الاقتصادية الصهيونية فى مواجهة الآثار الاقتصادية المترتبة على هذا التدهور !

● الفرص الضائعة ●

وعلى طريقة « الكروبين » فى تعليقاتهم ، عن الفرص الضائعة لتحقيق أهداف معلقة ، فلقد ضاعت على العرب فرص كثيرة فى « الحقبة النفطية » التى اعقبت حرب اكتوبر فرص استغلال مكاسب النفط الطائلة فى بناء الاقتصاد العربى ، وتطوير انتاجه الزراعى والصناعى ، بما فى ذلك صناعة السلاح ، وترقية العلوم فيه بما فى ذلك القضاء على الامية واكتساب علوم العصر التكنولوجية . بل لقد ذهب ضياع الفرص الى حد شل العالم العربى ، بكل ماتدفق عليه من أموال ، فى انعاش الاقتصاد المصرى «الذى أنهكته الحروب المتوالية، دفاعا عن القضية العربية الرئيسية . قضية فلسطين ، حتى انتهى الامر بالحكومة المصرية التى قادت حرب اكتوبر ، وحققت التنسيق الرئيس فيها مع قوى النفط العربية ، الى طلب التصالح مع دول العدو الصهيونى ، وانتهى الامر الى « خروجها » مما يسمى بالصف العربى !

ولست أنكر أن كثيرا من أموال النفط قد استخدمت فى تطوير العمران العربى على نحو ما ، ولكن كثيرا منها أيضا ، قد أهدر فى أعمال مظهرية لا تغنى شيئا فى مواجهة مطالب المستقبل العربى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، فضلا عن كثير أهدر فى بذخ جنونى وجرى وراء الملذات هنا وهناك ! غير أن أخطر ما فى الموضوع أن أنماطا جديدة للاستهلاك قد نشأت فى الوطن العربى وشملت مختلف بلدانه ، طبقا للجرعة المتاحة لها من أموال النفط ، وتعتمد هذه الانماط اعتمادا اساسيا على الاستيراد من الخارج ، ومن الدول الصناعية الغربية على وجه الخصوص ، ولم تقض هذه الانماط على مجرد فرص تنمية الانتاج المحلى فحسب ، بل كثيرا ما احلت الاستيراد محل الانتاج الفعلى الذى كان قائما فيها ، ولنا من تجربة « الانفتاح الاستهلاكى » فى مصر بعد حرب اكتوبر ما يغنى من الافاضة فى التفصيل ، ومازلنا نعانى اثاره حتى الآن !

ثم جاءت حرب الخليج ، التى اهدرت فيها الطاقات الاقتصادية لكلتا الدولتين الاسلاميتين المتحاربتين ، وكلتاهما من دول النفط ، وفوق ذلك اضطرت بقية دول الخليج الى تخصيص الكثير من اموالها لمساندة العراق فى تلك الحرب ، الامر الذى يمثل نزيفا رهيبا لكل دول المنطقة ومواردها



جمال عبد الناصر

النفطية ، واضطرت ايران حتى تقوى على مواجهة الحرب الى زيادة انتاجها ومبيعاتها من النفط الى اقصى درجة غير مبالية بخطط «الاوبك» واتفاقاته، حتى تدهورت الاسعار وصارت الى ما صارت اليه ، وعادت « اعقل » الدول النفطية تتنافس بدورها على اغراق الاسواق بانتاجها حتى اصبح تدهور الاسعار يمثل سقوطا حقيقيا لحقبة النفط بأسرها !

● المخطط الصهيوني ●

وترقب الدول الصهيونية ما يدور في جدل شديد ، فبدلا من ان تتوحد جهود العرب والمسلمين ، ومواردهم المالية الهائلة في المواجهة ضدها ، ووضع حد لعربدتها في المنطقة وعدوانها المستمر على حقوق الشعب الفلسطيني ، فضلا عن الاستمرار في احتلال اراض سورية ولبنانية .. الخ ..

يهدر العرب والمسلمون طاقاتهم على هذا النحو على الحرب فيما بينهم . واليوم ، وقد تدهورت اسعار النفط ، وتوشك ازمته ان تمسك بخناق جميع دول المنطقة بلا استثناء ستقدم الصهيونية بمخطط جديد للزعامة على المنطقة بأسرها .

وبالطبع ، لا تملك الدولة الصهيونية - في حد ذاتها - طاقات تكفي لاعادة بناء اقتصاد المنطقة وتعويضه عن خسائر النفط ، انها تعتمد في خطتها على الولايات المتحدة الامريكية، وعلاقتها معها ، أي مع الدولة الصهيونية ، من جهة وكثير من الاقطار العربية أو معظمها من جهة أخرى . سوف تكون مهمتها هي ان تعترض ، قدر ما تستطيع العلاقة ما بين الولايات المتحدة والاقطار العربية، ويكفيها وقاحة في هذا انها أبدت استعدادها لحث الولايات المتحدة على زيادة معونتها لمصر ! وربما كان ذلك هو عماد السيناريو ، الذي سوف تمارس به مشروعها للتعاون الاقتصادي ، أن تبدي استعدادها لتلبية كل حاجة اعتاد العرب أن يطلبوها من امريكا » .

وتكون مهمة اللوبي الصهيوني في امريكا ، ان يكف يد الدولة الكبرى على تلبية تلك الحاجة ، الا اذا قبل طلابها ، والحاحهم عليها سوف يكون اكبر في المستقبل ، بعد أزمة النفط ، اقول الا اذا قبلوا ، ان تحصل عليها عن طريق اسرائيل ، حتى ولو كانت امريكية الاصل ، والارجح أو الاغلب، انها سوف تكون كذلك . منذ عدة سنوات ، وقبل ان توثق الهند علاقتها مع الاتحاد السوفييتي ، طلبت خبراء زراعيين من امريكا ، فقيل لها هناك : اطلبيهم من اسرائيل ! وكان تعاطف الهند مع القضية العربية انذاك يمنعها ان تفعل !

● الاحلام الباقية ●

وقبل أن يأتي اليوم الذي يمد فيه

طاح النفط

العرب ، جميعهم أو معظمهم أيديهم الى اسرائيل طلبا لمونتها ، التي تضن أو سوف تضن بها الولايات المتحدة الا عن هذا السبيل ، فعلى العالم العربي والاسلامي والقارة الافريقية أن يعرفوا مواقع اقدامهم في هذه الحالة التي تشبه الرمال المتحركة ، والتي توشك أن تضع مقومات وجودهم في مهب الرياح .

لقد راحت السكرة وجاءت الفكرة وحان أن تزول غشاوة الثروة الطائلة من أعين شعوب المنطقة ، والذين كانوا يمرقلون نمو الدوائر الثلاثة المترابطة – على نحو مافصلها جمال عبد الناصر في كتابه عن فلسفة الثورة ، بدعوى الحرص على الامتيازات الاقليمية الخاصة ، فان تلك الامتيازات توشك ان تزول ويحل محلها ضرب من الهيمنة الاجنبية الثقيلة ، تريد الصهيونية أن تكون لها فيه نصيب الاسد أو بالاقل نصيب النمر المختلس من اجساد المستضعفين

ما هو الشرق الاوسط ، الذي تحاول الصهيونية الان أن تتقدم بخطط لاعادة بناء اقتصاده ، ان لم يكن هو مجموع تلك الدوائر الثلاث : العربية والاسلامية والافريقية ؟ .

ما حاجته الى هذا الكيان العنصري المصطنع المفروض بقوة السلاح والمتوجه بولائه الى المصالح الاجنبية دون سواها ، حتى يكون لهذه المنطقة من العالم تنظيمها الاقتصادي الجماعي على شاكلة السوق الاوربية المشتركة على الاقل ، في عصر لا تتقدم فيه وتأمن على مستقبلها الا الكيانات الدولية الكبرى ، وحاجة هذه المنطقة الى التعاون أكبر من سواها ، ومقومات وحدتها أوفر وأوضح ، ولم تكد معظم دولها تحصل على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، الا وأوشكت ان تفقده بسبب من بعثرتها وتمزقها ، وضياع مواردها الا فيما يهلكها او يهلك طائفة منها ؟ ويكفي ان العالم العربي كان يكتظ بتلك الثروة التي توشك على التبدد في الوقت الذي كانت فيه شعوب شقيقة افريقية واسلامية يموت ابناؤها جوعا ، وفي الوقت الذي كانت مظاهر الاسراف العربي نادرة تسخر منها الصهيونية في وسائل اعلامها الدولية ، وفي الوقت الذي كان فيه أيضا كثير من الارصدة العربية في البنوك الغربية في اوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، تصب مباشرة في جيوب الصهيونية العالمية ، وفي المساعدات التي تقدم الى « حاميتها » أو معسكرها الدائم في المنطقة العربية ، بما في ذلك السلاح الذي تضرب به وتقتل في أجزاء متفرقة من الوطن العربي .

هل يكفي ما تبقى أو سوف يتبقى من أرصدة النفط ، مع الطاقات البشرية العربية ، مع الاراضي الشاسعة الصالحة للزراعة ، ومختلف المصادر الطبيعية والخامات في القارة الافريقية لصنع مستقبل أفضل لشعوب المنطقة

نرجو ذلك ، ونعتقد ان مجلسا اقليميا لحصر تلك الطاقات ووضع الخطط الصحيحة لاستخدام تلك الموارد ينبغي ان يقوم الان ، متجاوزا كل الخلافات والصراعات الهزلية المفتعلة التي فرضت على شعوب المنطقة وتورطت فيها بعض حكوماتها او قواها السياسية .. قبل فوات الاوان ، وقبل ان يقوم التوحيد والتخطيط والتنسيق على ايدي الصهيونية ، ولحسابها !

أقوال معاصرة


الشيخ جاد الحق

● "حول الرئيس ريجان الحرب ضد الفقر الى الحرب ضد الفقراء"

● **ستيث سويتش**
رئيس الجمعية الخيرية باتلانتا

● "إن العملية الأمريكية ضد ليبيا أفادت العالم بأسره"

● **شيمون بيريز**

● "إن الغارة الأمريكية على ليبيا ، لا تزيد على أن تكون ممارسة امريكا حق الدفاع عن النفس ،"

● **تاتشر**


القذافى

● "ادين باسم حركة عدم الانحياز العدوان الأمريكى على ليبيا ، إنه انتهاك للقانون الدولى وسيادة دولة مستقلة"

● **راجيف غاندى**

● "إن الأزهر يهيب بالحكام أن يقفوا وقفة شجاعة دفاعا عن كيانهم ووجودهم ، فالأمر ليس اعتداء على فرد وانما على شعب عربى مسلم"

● **الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر**


ريجان

● "ريجان ممثل عجوز فاشل تافه"

● **القذافى**

● "إن القذافى عدو جيرانه فى افريقيا ، والشعب الليبى صديق لأمريكا"

● **ريجان**

● "عليك أن ترى أخطاء مجتمعك ، ولكن بابتسامة ودون إيذاء"

● **الممثلة جوليتا ماسينا**

التفـزعلى

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

اقتصاديات جُحَويّة

لسنا من جهابذة الاقتصاد ولا حتى تلامذته • وجحا كذلك لم يكن اقتصاديا • فلا علينا اذا تكلمنا في الاقتصاد على المستوى الجحوى ، واذا ضحكت فهذا هو المنتظر من جحا وسيرته ، أما اذا اردت ان تغتاظ فنحن غير مسئولين •

يحكى أن جحا لقى ابا نواس ، فتشاكيا سوء الحال ، وقلة المال وكثرة العيال ، فقال جحا لابي نواس: لم أر أغنياء مثل التجار • قال ابو نواس لجحا : واين نحن من التجار والتجارة ؟ قال جحا : كل شيء يكون صغيرا في أوله • تعرف فلانا التاجر ، صاحب الضياع والقصور لقد كان في أول امره يبيع زلابية في السوق • قال ابو نواس : انا لا احسن أن اقلى الزلابية • قال جحا : ولا انا • ولكننا كلينا نعرف احسن خمارين في البلد ، وكلهم اصدقاؤنا ، ولو ذهبنا نشترى شيئا من بضاعتهم لاكرمونا في السعر ، وربما اجلوا لنا بعضه وصحيح أن بائع الخمر ملعون مثل شاربها ، ولكن لعنة واحدة مثل اثنتين •

قال الراوى : فاشتريا خابية نبيذ، وابريقا ، وكاسا عليها تصاوير كالذى وصفه ابو نواس في بعض شعره ، وذلك طبعا بعد ان باع كل منهما شيئا من متاع الدار • ثم قصدا مكانا نزها لطيفا في ضاحية من ضواحي بغداد يرتادها الفتيان والادباء الظرفاء • ووضعا بينهما خابية النبيذ وعليها الابريق والكاس ، وجلسا يتوسمان العابرين وينتظران الزبائن ومرت سويعة زمان خالها كلاهما دهرا، لشدة ما كانا يصبران نفسيهما ويصرفانهما عن افكار السوء • وكانما تذكر جحا شيئا فتهلل وجهه وفتش في جيوبه حتى وجد نصف درهم ، فناوله لابي نواس ، واشار الى الابريق والكاس • قال ابو نواس وقد فهم الاشارة : هذه خمرة جيدة ولا ابيعك الا نصف كاس بنصف درهم ، فاومأ جحا موافقا ، وبل ريقه بنصف كاس اما وقد انتقل نصف الدرهم الى يد ابي نواس فقد اصبح بدوره زبونا • وهكذا ظل نصف الدرهم ينتقل باليمين

والكاس تنتقل بالشمال ، وقد نسي الصاحبان انهما تاجران ناشئان وراحا يتناشدان الاشعار ، ويتذاكران الطرائف والاخبار ، ويسبحان في آفاق السعادة ، حتى نفدت خابية النبيذ ، وهنا تذكر ابو نواس ، فبسط راحته وصاح فرحا : انظر ياجحا ! ربحنا نصف درهم !

قالت شهرزاد : ايها الملك السعيد.. وليست هذه الحكاية باعجب من حكاية واحد من بلدنا ، كان يملك فدانا من اجود الاراضي ، يكد فيه بالصيف والشتاء ، بالليل والنهار ، ولكنه كان يعيش منه هو وعياله الكثيرون مكتفين قانعين . ثم سمع اناسا يقولون أن التاجر يربح أضعاف ما يربحه الفلاح، فباع فدان الارض واستاجر دكانا ملاه بأصناف البضائع ، وبما انه لم يكن يقرأ ولا يكتب ولا يحسب ، فقد شارك كاتبا حاسبا سبق له الاشتغال بالتجارة : هذا براس المال ، وهذا بالخبرة والشطارة . ثم ان الفلاح التاجر كان يجلس امام باب الدكان واضعا ساقا على ساق ، يدخن النرجيلة ويشرب الشاى ، ويدعو العابرين الى مجالسته تظاهرا بالنعمة والثراء ، وفى آخر النهار يعود الى داره محملا بالارز والدقيق والسمن والسكر وسائر خيرات الدكان ما يلزم منها وما لا يلزم ، واهل الدار يلطلطون الدقيق ويبلبطون فى السمن، ولا يقولون ابدا لا . وكان كل واحد من ابنائه الكثيرين يزور الدكان فى اليوم الواحد مرات ، مرة لقطعة حلوى ومرة للعبة ، ومرة لياخذ قرشا يذهب به الى المراجيح او الى لاعب الثلاث ورقات .

اما الكاتب الحاسب يا مولاى فلم يكن يعترض على شيء من هذا ، فقد كان له هو ايضا بيت وعيال . وكان له ولدان كبيران يتعلمان فى المدرسة ويأتيان احيانا لمساعدته فى اعمال الدكان . فاما اصغرهما فلم يكن يعجبه الحال ، ولذلك كان يجيء فقط عندما يطلبه أبوه لفك ازمة او علاج مشكلة . واما الكبير فكان كثير المرور، يزعم انه شديد الاشفاق على ابيه لكثرة اعماله ، ولكنه لا يبقى الا ريثما يغافل



الأشواك

اياه فيدس شيئا في جيبه : بدأ يعلب الدخان ، فلما مرنت اصابعه على الخطف اصبحت تمر على الدرج فتلتقط جنيها او جنيهين ·

وفي اثناء ذلك كان الكاتب الحاسب يذهب الى المدينة حيث التجار الكبار فيشتري شيئا من البضاعة بما يتبقى من ايراد الدكان · وكان هذا المتبقى يقل مرة بعد مرة ، حتى تعود أن يشتري بالدين · فلما طالت هذه الحال سئم التجار الكبار فحجزوا على الدكان وبيع كل ما وجد فيه بالمزاد حتى الرفوف · فاما الفلاح الذي اصبح تاجرا فقد غدا طريح الفراش بعد أن ضربه الفالج ، وأما ابناؤه وبناته فتشردوا في بلاد الناس ، يعملون بالاجرة في الحقول والبيوت ·· ويتحملون اصناف الهوان · واما الشريك الكاتب الحاسب فيقال انه هاجر من البلد ·

قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك: فهذا يا مولاي مثل الشريكين اذا لم يتناصحا · فان اغماض احدهما عن عبث الاخر يحيق بكليهما · قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : دعك من لعب القرود هذا ، فانه كلام لا يليق بغير كليلة ودمنة ، وهذا زمن وذاك زمن · البلد حرية وفيها دستور ، فتكلم يارجل ولا تخف · قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك : وعلى الامان يا مولاي؟ قالها متلعثما ، فبش الملك في وجهه قائلا : وعليك الامان ·

فتكلم بيدبا كلاما كثيرا نسيت معظمه ، ولكن الذي اذكره سيكون فيه مقنع ان شاء الله · قال :

الشعب والحكومة شريكان في مؤسسة اسمها الاقتصاد الوطني · الشعب هو الذي يملك كل شيء في هذه المؤسسة ، وهو الذي يعمل وينتج ايضا · اما الحكومة فهي الشريك الذي ينظم الحسابات ، ويخطط للمستقبل ، ويقوم بدور الوسيط لتسيير الامور داخل المؤسسة ، وبينها وبين غيرها من المؤسسات· يحدث في احيان كثيرة ان ينقسم الشعب قسمين : قسما يملك كل شيء ولا يعمل شيئا ، وقسما يعمل كل شيء ولا يملك شيئا · هنا تنذر الحالة بالخطر ، ويخشى ان يفقد الكادحون المحرومون رشدهم ويرتكبوا اعمالا غير لائقة ، فيتدخل الشريك الثاني ـ الحكومة ـ باختصار تقوم ثورة بيضاء، وتقول الحكومة الجديدة للملاك : خلوا عنكم · توزع الأرض على الفلاحين المعدمين ، وتتولى بنفسها ادارة المصانع لحساب الشعب كله ·

الى هنا وكل شيء حسن جداً ، الحكومة حبيبة الشعب ، والشعب حبيب الحكومة · الشريكان منسجمان غاية الانسجام ، ولم تعد الحكومة توجع راسها بحل الخلافات الداخلية لدى الطرف الآخر ـ الشعب · ولكن مشكلات من نوع جديد تبدأ في الظهور، وتتلخص في أن اقتصاد الشركة اخذ يميل بالتدريج الى الشكل الجحوى

فالعاملون ـ وقد اصبحوا الان ملاكا ـ احبوا الوجاهة بقدر ماكرهوا العمل · واصبحت المسالة مسالة شطارة : من استطاع منهم أن يدير ظهره للمصنع ويجلس في الطريق العام واضعا ساقا على ساق فعل ذلك ، ومن

استطاع أن يخلع بدلة الشغل ويترك موقعه أمام الماكنة ليلبس قميصا أبيض ويجلس على مكتب فعل ذلك ، ومن استطاع أن يدور في الأسواق على أنه عضو في لجنة المشتريات أو لجنة المبيعات فعل • وأصبحت ترى الموقع من مواقع العمل وفيه كادح واحد عليه ستة ملاحظين ، وراءهم ستة عشر بين مفتشين ومحاسبين ومراجعين ، هذا عدا الرؤساء الكبار الذين يجلسون ومن يصطفونهم من العمال في غرفات فسيحة مكيفة الهواء فاخرة الأثاث ، كأنها من غرف الجنان •

لم يعد العمال الكادحون المحرومون هم عصب الحياة في الحقل والمصنع والمدينة ، أصبحوا من الناحية النظرية عمالا وملاكا في الوقت نفسه ، ولكنهم من الناحية العملية يهجرون العمل ليلتحقوا بصفوف « الادارة » أي الحكومة ، التي لم يعد عملها مقتصرا على دور المحاسب والمخطط والوسيط، بل أصبحت كل شيء في المؤسسة الاقتصادية • نام المالك عن حقوقه بوصفه مالكا ، ونسي واجباته بوصفه عاملا ، وترك مصير المؤسسة في يد المدير الذي لا يملك ولا يعمل • وهكذا أصبح المال بغير صاحب ، والعمل يسير فقط لانقاذ المظاهر •

والقاعدة الاساسية في الاقتصاد الجحوى تختلف عن قاعدة الاقتصاد الراسمالي التي تتلخص في أن القيم التبادلية لها مصدران : رأس المال والعمل • فلكي تحصل على شيء من هذه القيم التبادلية – للغذاء والكساء الخ • – لابد لك من أحد هذين المصدرين على الأقل : أن تملك رأس مال ، أو أن تعمل • كذلك يختلف الاقتصاد الجحوى عن الاقتصاد الاشتراكي الذي يقوم على أن العمل هو المصدر الوحيد للقيمة ، ومن هنا جاءت القاعدة الذهبية في النظام الاشتراكي – وهي قاعدة اقتصادية وأخلاقية في الوقت نفسه – والقائلة بأن « من لا يعمل لا يأكل » •

الاقتصاد الجحوى اقتصاد انساني : يرفض استغلالية النظام الراسمالي، كما يرفض وحشية النظام الاشتراكي • فقاعدته الذهبية هي « شيلني واشيلك »، ومع أن هذه القاعدة مرجعها في الأصل الى نظام رابع – هو في الحقيقة أقدم النظم الاقتصادية كلها ، وهو النظام التعاوني – فقد حولها الاقتصاد الجحوى الى معنى الحكمة المعروفة : « تراعيني قيراط أراعيك قيراطين » ويقال أيضا : « أشهدلي بلقمة أشهدلك برغيف » والواقع أنك اذا قلت اليوم « شيلني واشيلك » فلابد أن يكون هناك اتفاق ضمني بين طرفين ضد طرف ثالث ، والغالب أن هذا الطرف الثالث هو ما يسمى «المصلحة المشتركة » •

وهكذا لم تعد الادارة الاقتصادية تحاسب العمال على كم الانتاج أو جودته ، وفي مقابل ذلك أصبح العمال لا يسألون عن خطة الانتاج ولا حساب الأرباح والخسائر• واذا كانت النتيجة الطبيعية لذلك هي ضعف الانتاج والهبوط الحقيقي والمستمر في دخل المؤسسة بالنسبة الى حجم العمالة ورأس المال ، فان الاقتصاد الجحوى لديه وسائل خاصة في علاج هذه المشكلات ، وتقوم على ركنين : طبع كمية كافية من الأوراق المالية، وتوزيعها على العمال تحت اسم « حوافز » أو « مكافآت تشجيعية » ، أو « نصيب العمال في أرباح المؤسسة » • وبما أن العمال يعلمون حق العلم أن المؤسسة

الأشواك

تخسر منذ مدة ، وتتزايد خسارتها باطراد ، فسيكون عليهم ان يتجاهلوا هذه الحقيقة وهم يمدون ايديهم للقبض ، الحوافز والمكافآت الخ . ويتجاهلوا معها مجموعة اخرى من الحقائق عن مكافآت اعضاء مجلس الادارة وبدلات السفر وبدلات التمثيل الخ .

كم ان الاقتصاد الجحوى يأخذ بمبدأ اسمه ، تكافؤ الفرص ، ويطبقه بطريقته الانسانية السمحة . فابواب المؤسسة الاقتصادية مفتوحة للجميع الكبير والصغير ، العالم والجاهل ، الذى يعمل والذى لا يعمل . الكل داخلون خارجون لا الداخل يسأل الخارج ولا الخارج يسأل الداخل . معاهد العلم مفتوحة للجميع ، ابناء الاغنياء كأبناء الفقراء ، رفعت المصروفات الدرسية عن كاهل الفقراء ، وطبقا لمبدأ تكافؤ الفرص رفعت عن كاهل الاغنياء ايضا . الطالب المتخلف يتمتع بفرصة الرسوب مرتين وثلاث مرات حتى لا يحقد على الطالب المتفوق كل الشبان يمكنهم ان يتموا دراستهم العالية ، مع ان المدارس الابتدائية لا تكفى لجميع الاطفال . السر ان المعهد العالى يمكنه ان يحشد الف طالب فى المدرج ، ولا يمكن ذلك فى المدرسة الابتدائية . المؤسسة الاقتصادية الجحوية تسوى بين جميع الخريجين فكلهم له الحق فى ان يعمل ولو بلا عمل .. معظمهم اتيحت له الفرصة للحصول على شهادة عالية ولكن لم تتح له الفرصة للتعلم اى مهنة . يصبحون هم ايضا اعضاء فى المؤسسة الاقتصادية الجحوية التى توفر لهم وظائف ولا توفر لهم اعمالا ، ويزداد حجمها بينما تتناقص كفاءتها . يتعلمون قاعدة التعامل الجحوى : لا تحاسبنى ولا احاسبك . انت تعطينى مرتبا لا يكفى لضرورات الحياة ، وانت تعلم ذلك ، ولكنك تعلم ايضا انى اقبله راضيا لانى لا اودى عملا يستحق حتى نصف هذا المرتب ، وكلانا يعلم ذلك .

هؤلاء هم ابناء الشعب العامل الذين اصبحوا عاطلين يسيحون فى الشوارع لانهم وجدوا الوظيفة ولم يجدوا العمل وبعضهم لا يجد حتى كرسيا يجلس عليه فى المكان الذى يقال انه يعمل فيه . قلة نادرة منهم هى التى تستطيع أن تتسلل — كما تسلل الآباء — الى صفوف الادارة . الكفاءة ليست هى المؤهل المطلوب ، واذا وجدت فبالصدفة المحضة ، كما تجد فى اى مجموعة من الناس القصير والطويل ، النحيف والبدين ، الابيضانى والاسمرانى .

واذا اصبح شخص ما ، كبيرا كان او صغيرا ، منتميا الى «الادارة» فقد تغيرت حاله تغيرا كليا . ذلك انه لا يأخذ ما يعطاه ، من على باب الدكان ، ويمضى ، لقد اصبح من اهل الداخل ، داخل الدكان او المؤسسة الاقتصادية ، يعرف ما فى الخبايا والاركان ، ويمكنه بشىء من اللباقة أن ينال ما يكفيه ويرضيه . ولكن ابناء الادارة ليسوا سواء . فمنهم الطامعون ، ومنهم القاعدون ، وهؤلاء لا يكفيهم ما ينالونه باللباقة ، فهم يلعبون فى الدفاتر ، ويعبثون بالمستندات .. وتتناقص البضاعة فى الدكان ، او فى المؤسسة الاقتصادية ، لا فرق ، فتلجأ الى الاستدانة . والدين همبالليل

وذل بالنهار ، واهم من هذا وذاك أن للدين أقساطا وفوائد ، وإذا حل موعد القسط أو الفوائد وعجز المدين عن السداد لم يستطع ستر موقفه الا بدين جديد ، ولا بد له أن ينزل على شروط الدائن مهما تكن مجحفة . ومن شروط الدائنين المعروفة أن يذهب القسم الاكبر من الدين فى شراء بضائع من الدائن بالسعر الذى يحدده ، والقسم الباقى فى دفع مرتبات « لخبراء » يأتون من بلد الدائن . وهم فى الغالب خبراء غير خبراء ، ولكنهم وسيلة يلجأ اليها الدائن لاسترداد دينه قبل موعد سداده .

وهكذا يتحول الكادحون فى المؤسسة الجحوية ـ وهم قلة من الناس الطيبين لا يشعر احد بوجودها ـ الى قلة من العبيد عاملة فى « خدمة الدين » ، أو فى خدمة الدائن . ويشعر خبراء المؤسسة الجحوية باليأس ، لانهم يرون أناسا اقل منهم علما وخبرة يأتون من الخارج وعليهم هالة البلد الذى ارسلهم، فينصحون ويقترحون وربما كان فى نصائحهم واقتراحاتهم مزيد من الخراب للمؤسسة . وشيئا فشيئا يتعود خبراء المؤسسة الجحوية بلادة العقل والشعور ، ويصحو الواحد منهم ذات يوم فيجد نفسه مواجها بخيارين : اما أن ينسى علمه ويعدم ارادته ويستسلم لما يعتبره قضاء وقدرا ، واما ان يهاجر من البلد ويلحق بأرض الخبراء، اسوة بأولاد الادارة الاشقياء الذين خطفوا خطفاتهم واختفوا ثم وردت الاخبار بأنهم يعيشون فى الخارج عيشة الملوك.

هذا حال القلة من الخبراء والكادحين .. أما الكثرة الغالبة (بل المغلوبة) من ابناء المؤسسة الجحوية (فريق العمال وفريق الادارة ايضا) فهم حائرون لا يستريح لهم جنب ، ولا يطمئن بهم مقام ، يرومون الفكاك ولافكاك .

يرميهم اليأس والحاجة فى مطارح الذل ، ومنازل الهوان ، او يروضون انفسهم على القناعة بما هم فيه، ويمنونها بفرج يأتى من عند الله ، أو يفرون من الداخل الى الخارج حينا ، ومن الخارج الى الداخل حينا ، فيكون حالهم يا مولاى ـ هكذا يقول بيدبا ان كنت قد نسيت أيها القارىء الكريم ـ كحال تلك السمكة الحمقاء التى حدثتك بقصتها من قبل ، والتى لم تزل فى اقبال وادبار حتى صيدت .

قال بيدبا : هذا يا مولاى هو المعنى الخبىء فى حكاية جحا وصاحبه النواسى وفى قصة تلك الفتاة الماكرة شهرزاد . وقد بلغنى يا مولاى أن جماعة من المتعصبين اخذوا يطاردون هذه الفتاة ويرمونها بأشنع التهم، مع انها تفضلهم جميعا لانها ملكت امرها ساعة الهول ، فلم يطر عقلها شعاعا وهى تعلم ان القتل يتربص لها عند الصباح، بل استنفرت ذكاءها وخيالها ليلة بعد ليلة حتى كسبت الحياة ، وكسبت الملك ، وكسبت الخلود !

هذا ما وعيته من حديث بيدبا . وقد خطر لى ـ بعد أن انصرفنا من حضرة الملك ـ أن أسأله عن كينز ، وكارل ماركس ، وآدم سمث . وإذا به لم يسمع بواحد من هذه الاسماء . قلت: فمن أين لك هذا الذى زعمته عن الرأسمالية والاشتراكية والتعاونية ايضا ؟ قال : يابنى ، هذه المذاهب قديمة قدم الانسان ، والمذهب الجحوى كذلك ، وهو ايسرها مأخذا ، واسوءها عاقبة . فاذا رجعت الى قومك فلا تنس أن تحدثهم بهذا الحديث .



قنديليات

بقلم : يحيى حقي

هذه الصكوك

اترى لماذا كان القدر محترما ؟ لانه مكتوب ، وأين ؟ على الجبين ·

واذا كانت الكلمة المنطوقة تتبخر فى الهواء مع الزفير ، فان الكلمة المكتوبة تفيد تسجيل وبقاء وخلود

وقد ترتفع قيمتها عند الشعوب البدائية الى أعلى الدرجات ، تعتبرها ـ وحدها ـ برهان الصدق ·

لست أدرى هل انا صادق ام واهم ، اذا قلت : ان الانسان ـ فيما يخيل الى ـ اقدر على الكذب ، اذا كتب اذ يكون قادرا على ان يتصيد بعناية، ما يشاء من الكلمات ، ويدس بين السطور ما لا يريد الافصاح عنه وفى نطاق العلاقات الدولية الامثلة التى احتكم اليها ·

فى ذاكرتى نص الضمان الذى قدمته انجلترا الى بولندا قبيل الحرب العالمية الثانية لكى يطمئنها الى انها لن تقف وحدها فى حالة اعتداء روسيا ·

يقول الضمان : اذا وقع اعتداء خارجى بدون استفزاز ، وهبت بولندا تحشد كل قواها لصده فان انجلترا حينئذ تنظر فى اتخاذ ما يلزم لمساعدة بولندا ·· فانظر كم فى هذا الصك من شروط مدسوسة بين السطور ·

اولا : ان يكون الاعتداء من اجنبى، فاذا قامت ثورة داخلية قلبت الحكومة فان انجلترا بريئة الذمة ·

ثانيا : الا يكون الاعتداء استفزازيا · فاذا قامت بولندا بأى حركة أو مسعى يضر بروسيا فان انجلترا بريئة الذمة ·

ثالثا : ان تبذل بولندا كل قواتها لرد الاعتداء فاذا بذلت اربعة اخماسه فان انجلترا بريئة الذمة ·

رابعا : وانظر الى كلمة حينئذ فهل هى تعنى فورا ·· ام بعد ايام ·· ام بعد اسابيع ام بعد شهور ·

خامسا : ان التعهد هو ان تعمد انجلترا الى النظر لا الى الفصل المباشر والحكم الوحيد على توفر هذه الشروط منفردا أو جميعا هى انجلترا وحدها .

وبراعة صياغة مثل هذه الصكوك قد تنفرد بها انجلترا دون سائر الدول وهى متوارثة .. فانظر فى نص قرار ٢٤٢ الشهير الذى كتبه اللورد « كارنجتون » فانه قال ، جلاء اسرائيل عن اراض بالتنكير لا عن الاراضى ـ بالتعريف وهو فى الحقيقة يقصد أن الباب مفتوح لتسوية يتنازل فيها العرب عن بعض اراضيهم ثم يقول كارنجتون حينئذ : انها ليست سلبا للاراضى بل مجرد تعديل حدود لدواع جغرافية او قبلية .. فى حين ان صدر هذا القرار ينص على تحريم سلب دولة لاراضى دولة اخرى بالقوة اى انه قرار يضاد عجزه صدره .

ثم انظر الى البراعة والنفاق فى صياغة وعد بلفور ، فان انجلترا لم تعد الا بالنظر بعين العطف على مشروع اقامة الوطن الاسرائيلى فى فلسطين ، ولكنها حققت لها اهم نصر ، لانها اشترطت ، وهى لا تملك حق هذا الشرط الا يمس التصريح بوضع اليهود فى البلاد الاخرى ، حيث يتمتع كل يهودى بوضع جوازى سفر فى جيبه ، واحد باسم البلد الذى يقيم فيه وواحد عليه نجمة اسرائيل ، وفى نظرى أن هذا النص يعادل نصر اسرائيل فى الحصول على اعتراف بها دون أن ترسم لها حدودا تقف عندها ولا تتجاوزها .

ثم انظر الى محاولة الوعد استنامة العرب فى فلسطين الى ان هذا الوعد لن يضرهم .

كل هذا ينطبق عليه براعة انجلترا فى امساك العصا من الوسط .

وما قيمة الصك فى العلاقات الدولية فى نهاية الامر .. لقد وقف « بيتمان هولفيج » مستشار المانيا قبل الحرب العالمية يعلن فى « الريشستاغ » ان المعاهدة الدولية التى وقعتها بلاده لضمان حياد بلجيكا ما هى الا قصاصة ورق وكانت الجيوش الالمانية قد دخلت بلجيكا فعلا وقد مزق النحاس باشا معاهدة سنة ١٩٣٦ م ، وفرحنا نحن عشاق اللغة العربية لا لهذا الالغاء وحده بل لان « لطفى السيد » استحدث لنا تعليلا أعجبنا به كل الاعجاب اذ قال : انها اصبحت غير ذات موضوع .

ومع ذلك فاننا نصر على ان نستحوذ من الخصم على صك يمهره بامضائه كم من الوقت اضعناه ، ونحن نسعى بكل جهد على ان نستخلص من انجلترا اعترافا مكتوبا بأن ملك مصر هو ملك مصر والسودان ، ويعلم الجميع اننا حتى لو حصلنا على هذا الصك فان السلطة والنفوذ ، والتصرف كل ذلك باق فى يد سردار الجيش المصرى وحاكم السودان وهو انجليزى ولن يتغير شيء بعد صدور هذا الصك .

ومازلنا الى اليوم نصر قبل ان ندخل جلسة المفاوضات أن يكون فى يدنا صك مكتوب صادر من الخصم .

رسالة
أمريكا
من
مصطفى
نبيل

الظاهرة الأمريكيّة وتفجير الطاقة البشريّة

عندما تزور الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة تنتقل الى النصف الآخر من الكرة الأرضية ، وتطارد الضياء ، في الطريق اليها تؤخر ساعتك سبع ساعات ، وربما تفقد توازنك عندما ترتب مواعيد نومك وطعامك ..

فزيارة أمريكا مغامرة غير مأمونة ، زيارة لمجتمع **يزعم انه قادر على تغيير كل شيء حتى الوقائع ذاتها .. الى مجتمع يتطلع الى تجربته كل سكان العالم ، بعد ان شهد تطبيق احدث ماتوصل اليه العلم ..**

واذا حاولت تلخيص انطباعاتي وملاحظاتي ، قلت إنها قارة ضخمة تزخر بالصور المتعاكسة ، وكلما تنقلت بين مدنها أرصد تلك الصور ..

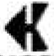
فوجئت لدى زيارتي نادي العلماء في واشنطن - كوزمو كلوب - الذي يضم صفوة من العلماء ويضم كل من حاز جائزة نوبل في العالم والقائم في قصر فورستال

وزير الدفاع الأمريكى السابق ، أذهلنى التحذير الذى يحظر على النساء الصعود الى المبنى ! .

هذا رغم أن الولايات المتحدة هى أولى دول العالم التى تطبق المساواة بين الرجل والمرأة ، والتى شهدت مايمكن أن نطلق عليه ثورة النساء الثانية ، والتى ألغت الألقاب التى تبين هل الفتاة سيدة أو آنسة .!

ومازالت هذه الحركة نشطة فى كل المدن الأمريكية ومازالت قائمة ايضا اليافطة التى تفترض انه لايوجد بين النساء عالمات .!!

وتتلاحق الصور فترى الحلم والخرافة



مجتمع استهلاكى ضخم مولع بالتغيير ويحتفى بكل جديد ..

الظاهرة الأمريكيّة

جنبا الى جنب ، فهذا المجتمع الذى يخضع كل شيء فيه للعقل وحساباته الدقيقة ، تنتشر فيه الخرافة ، والسحر والشعوذة وصور اللامعقول !

ترى كتب السحر والشعوذة مع دراسات علوم المستقبل جنبا الى جنب ، فهل امتزاج العلم بالخرافة ، هو انعكاس لظاهرة أخرى ؟ ، فالمجتمع الأمريكى هو أكثر المجتمعات المادية ، الربح والنجاح هما القيمة والمقياس والمحرك ، نجد ساسته يزعمون أن الولايات المتحدة هى حاملة الرسالة الروحية فى العالم كله .!

وكيف يتوافق وجود الخرافة مع شيوع المعرفة وتنظيمها ؟

فأجمل مبنى شاهدته فى واشنطن ، هو مبنى مكتبة الكونجرس الأمريكى التى تقدم لروادها تسهيلات لانظير لها ، ولمكتبة الكونجرس مثلا مكتب إقليمى فى القاهرة ، يمدها بالكتب الجديدة والمخطوطات والكتب التى نفدت ، وتضم حتى منشورات الاحزاب السرية العربية وتعد لأعضاء الكونجرس الدراسات والأبحاث التى يطلبونها ..

● القانون والجريمة ●

وتتلاحق الصور ..

ترى أرقى مراكز البحث وأقوى عصابات الجريمة ، ففى الوقت الذى ترصد فيه المؤسسات والشركات مبالغ ضخمة للبحث والعمل على تطوير المنتجات المختلفة يدهشك تلك التحذيرات الرسمية التى تلاحقك وتنصح بعدم السير وحيدا فى بعض الأحياء وعدم حمل الكثير من الأموال . وأن تحمل القليل منها وأن تعطيه لمن يهاجمك ، بعد ان كشفت التجارب ، أن المهاجم غالبا مايكون من المدمنين ، إذا لم يعثر مع الضحية على الأموال فربما يهاجمه بطعنة خنجر أو طلقة مسدس !..

وهو مالاتصادفه فى معظم دول العالم

وتفتقد الشعور بالأمان فى بعض أحياء المدن الكبيرة رغم القوة الكبيرة لأجهزة الشرطة ..

ومازلنا نذكر ماوقع فى نيويورك من عمليات نهب وسرقة عندما انقطعت عنها الكهرباء ..

فكيف يجتمع احترام القانون ، وتقدم الأجهزة العلمية فى اكتشاف الجريمة وملاحقتها ، مع هذه الصورة التى يلمسها كل من يزور الولايات المتحدة .؟!

وأى شقة واسعة ، بين متعة تلك الليالى التى تقضيها مع البالية أو الموسيقى أو المسرح وصور الفنون الرفيعة المختلفة ، أو متنقلا بين قاعات العرض تشاهد الفنون التشكيلية بمدارسها وأجيالها وبين مايقدم من خلاعة فى علب الليل ، والذى لاتقدم عروضه على استحياء ، بل له مؤيدوه ومتاحفه ، ومن الأمثلة الصارخة التى شاهدتها ذلك المتحف الذى أقيم فى سان فرانسسكو والذى يخلد أول راقصة تخلع ملابسها قطعة قطعة وهو ما انتقل منها الى علب الليل فى العديد من المدن .. وتكتشف

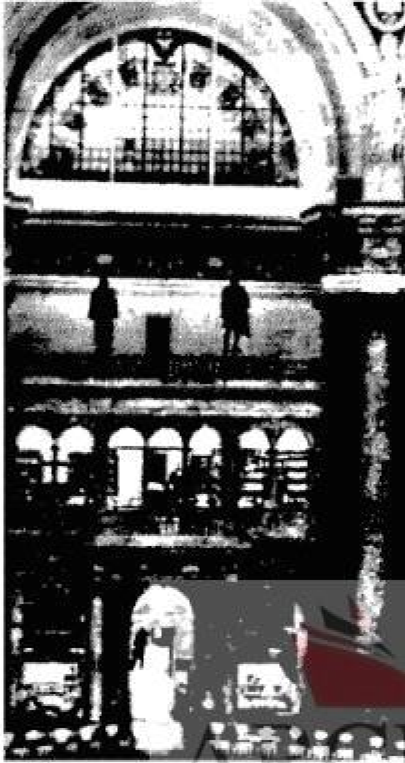
هناك أن هذا النوع من الرقص ماهو سوى اختراع امريكى . !

● اقــوى دولــة واقصـرها عمرا ! ●

امريكا واحدة من أقوى دول العالم المعاصر .. هى اقصـر المجتمعات البشرية عمرا .. يثير إعجابك ناطحات السحاب والمطارات التى تنتشر فى كل المدن الأمريكية تنساب منها الحركة وتجذب الولايات المتحدة الامـريكية الخبراء والعقول من كل أنحاء العالم وتشاهد أوسع شبكات المعلومات ، تتذكر أن اكثر المجتمعات تقدما فى العلوم والمخترعات وصاحب أهم نظريات الادارة والانتاج هو اقصر المجتمعات الانسانية عمرا ، لاتزيد عمره على مائتين وعشرة أعوام .

كيف يجتمع لهذا المجتمع مراكز **البحث التى تضم** هذا الجيش الجرار **من الخبـراء** ومايعيشـه من ثورة **المعلومات وما** يقدمه لصانع القرار من **معلومات وبدائل** . وهذا الذى تقوم به **الولايات المتحدة من حماقات فى الكثير من مناطق العالم ، والتى تصيب سياستها العالم بالتمزق وتقترب به من حافة الحرب ، وكيف يتفق وجود الخبراء مع تصورها انها بوليس العالم ، من حقه التدخل فى شئون دولة متجاهلين المنظمات الدولية والقانون الدولى وكأنهم قد حصلوا على صك الهى بذلك ..؟!**

الآن اصحاب القرار فى المجتمع الأمـريكى ليسوا الخبـراء ولكنهم جماعات المصالح **وقوى الضغط فى المجتمع الأمريكى** .؟!



مكتبة الكونجرس من الداخل

● الغنـى والفقـر ●

وكيف يتفق أن تكون الولايات المتحدة بلد الثروات الضخمة ، والتى تفوق ميزانية بعض شركاتها ميزانية بعض الدول مع استمرار صور الفقر بها .؟

رموز هذا المجتمع وأبطاله هم رجال الأعمال والصناعة ، وليسوا الجنرالات ولا الملوك والعلاقة بين رجال الأعمال ورجال

الظاهرة الأمريكية

السياسة متداخلة . والشعار الذي يتردد دائما ، إن مصالح جنرال اليكتريك أو فورد في مصالح الولايات المتحدة ذاتها ، لذا توضع تماثيل رجال الأعمال في الساحات والحدائق . وليس كما تحتفي فرنسا بالقادة السياسيين والفنانين والكتاب . ولابريطانيا التي تحتفي بقادة البحرية والمستكشفين والقادة الذين قامت على أكتافهم الامبراطورية البريطانية ..

ورغم هذا الغنى والثراء ، فيا ويل العاجز بدنيا أو نفسيا على ملاحقة وتيرة الحياة الأمريكية والتوافق معها . فكما ترى العمل الدائب بلا كلل ولا ملل في مواقع الانتاج المختلفة ترى القوى الهامشية التي تعيش حول المدن الكبرى ينتشر بين سكانها الادمان والجريمة

وعندما قامت حملة واسعة لجمع التبرعات من أجل الجفاف في أفريقيا ، ارتفعت الأصوات تطالب بحملة مشابهة من اجل فقراء امريكا .!

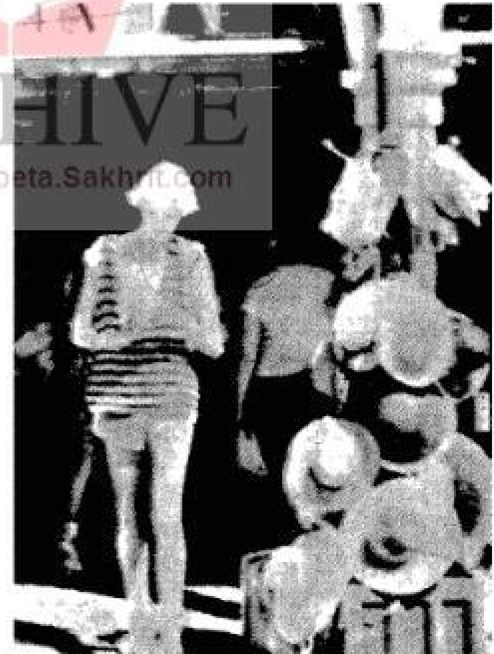
وتضم هذه القوى الهامشية ، الزنوج والهنود الحمر وبعض الأقليات العنصرية الأخرى ومازال الهنود الحمر يعيشون في المعازل ولاتقدم اليهم الخدمات العامة التي تقدم للمواطن الأمريكي ، بحجة أنهم لم يطلبوا ذلك .!

ورغم المساواة القائمة بين المواطنين بحكم القانون ، ورغم أن ركيزة المجتمع هي الحرية والمساواة ، فمازال الحس العنصري عميقا في المجتمع الأمريكي ، وإذا كان الزنوج يحتلون أعلى المناصب فالأسود في الجنوب هو لآخر من يتم تعيينه وأول من يتم الاستغناء عنه ، وتلحظ صور الاستعلاء العنصري رغم وجود هيئة قضائية يعرض عليها شكوى اى جماعة تواجه الاضطهاد بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة !

● في تغير دائم ●

ورغم هذه الصور المتناقضة يمضي المجتمع الأمريكي ، يحقق كل يوم إنجازا علميا جديدا ، وهو أول مجتمع يحقق الثورة التكنولوجية وثورة الاتصال ويعيش ثورة المعلومات ، كل ذلك يتم في قارة كاملة ، كل شيء فيها ضخم ومتعدد ومتنوع الجوانب ، وهي بلد في حالة تغير دائم وحركة سريعة ، وليست بلدا تم تشكيله واتخذ طابعا مستقرا ..

تلحظ انفجار المجتمع الأمريكي في كل مكان .



كيف تتعايش هذه المتناقضات ؟

هذا هو اللغز الذى اخذت احاول تفسيره ، كما اخذت أحاول تلمس القواعد التى تحكم أمريكا ..

فهل نجد التفسير فى التاريخ الأمريكى ، الذى شكل الشخصية الامريكية ..؟ أم فى طبيعة المجتمع الأمريكى كمجتمع قام على الهجرة وجذب اليه الثقافات المختلفة والتجارب الانسانية المتعددة ، وإلى أى حد اثرت بصمات هذه النشأة على فلسفة وطرق حياته ..؟

قام المجتمع الأمريكى على المهاجرين من شمال أوربا ، فى فترة كانت فيها أوربا تموج بالأفكار الجديدة بعد أن عصفت بالعالم القديم ورموزه الثورة الفرنسية والثورة الصناعية ، وكان الشاطىء الشرقى المواجه لأوربا هو محطتهم الأولى وانطلقوا الى قارة بكر شاسعة غنية بالمياه والمواد الأولية ، بعد أن ضاق بهم عالمهم القديم ، وتقطعت صلتهم بموطنهم الأصلى ، ويتميز المهاجرون بأنهم انشط عناصر المجتمع . واكثره شبابا ، والأقدر على المخاطرة ومواجهة المجهول . يشمل المهاجرون الثوار والحالمين والمغامرين ، والباحثين عن فرص ضاعت ، ويأملون فى تحقيقها فى عالم جديد ويسعون الى الافلات من أسر الضغوط الفكرية أو العنصرية أو الدينية .

وأتيح لهم تطبيق أفكارهم دون عقبات تضعها قيم سائدة أو مؤسسات تقليدية مسيطرة .

وكان أمام تنفيذ هذه الأحلام الأهوال والعقبات ، فوجد المهاجرون أنفسهم على ساحل تكتنفه غابات كثيفة ، لايعلمون ماتخفيه أدغالها ، وأمامهم البرارى الموحشة ، وبدأت القصة الحقيقية لسيطرة الرجل الأبيض ، والتى قامت على افناء الهنود الحمر ، وتأكد فى هذا المجتمع أن البقاء للاقوى ، وتدور العجلة وتدوس على الضعيف الذى يسد الطريق أمام الرجل الابيض القادم من بعيد ..

وبدأ الاتجاه الى الغرب ، والسعى الى آفاق جديدة ، ولايهم الثمن ولا الوسيلة ، وانقلب المهاجرون الوافدون من مظلومين الى ظالمين ، يحكم عليهم بمعيار النتائج وحدها ، ونشأ المجتمع الجديد على قانون سرعة إطلاق النار ، وبرر ذلك الشاعر الأمريكى والت وايتمان بقوله : « لم نعش أهوال الماضى ، ولم نعبر المحيط ، ونأتى الى هنا .. لنتوقف !. »

● أضخم مجتمع استهلاكى ●

واستمرت الولايات المتحدة تقوم على العناصر المهاجرة . ولم يتجاوز عدد سكانها عند الاستقلال خمسة ملايين نسمة منهم ثلاثة أرباع مليون من الزنوج يشكلون قوة العمل بها ، واستمرت ظاهرة الهجرة ووصل اليها فى الفترة مابين ١٨٠٠ و ١٩٠٠ خمسون مليون نسمة ، واستمرت الهجرة حتى وضع قانون يحد منها عام ١٩٥٢ ، وبقيت مركز جذب للعلماء والقادرين من كل أنحاء العالم ، وانتقلت قيادة العالم الغربى اليها بعد الحرب العالمية الثانية فقادت تطوره فى كافة المجالات ، واقامت أضخم مجتمع استهلاكى بعد أن طبقت الراسمالية فى ظروف مواتية مع وفرة مواردها ، ولم يكن أمام الفرد سوى أن يعمل وينتج ويبتكر ويثرى ، ومع كل اكتشاف جديد تتغير صور الحياة والمجتمع الأمريكى يتغير ويتخلق ويتشكل ..

الظاهرة الأمريكية

وكان من المنطقى أن يسود المجتمع الأمريكى الفلسفة البراجماتية التى تتفق مع احتياجاته ، وتقوم على أساس ان اهمية الافكار تظهر من خلال نتائجها العملية ، واصبحت الحقيقة عندهم فرضا قابلا للاختبار ، لافرق بين الخطأ والصواب بالمعايير الاخلاقية أو التاريخية او الدينية فللنجاح قيمة وحيدة تنبع منه ، وله مقياس هو عدد الدولارات التى يمكن كسبها ، ومن يحقق هذا النجاح يملك الحق والعدل والقانون ، ويبقى للفاشلين الانين والشكوى ..

ورأينا الولايات المتحدة تضم الكثير من الأراضى عن طريق الغزو أحيانا والشراء أحيانا أخرى ، وتم شراء ولاية لويزيانا من أسبانيا لقاء ستين مليون فرنك . كما تم شراء فلوريدا من اسبانيا بمبلغ خمسة ملايين دولار ، واستولت على كل من تكساس وكاليفورنيا من المكسيك بعد قتال انتهى باعتراف المكسيك للولايات المتحدة بملكية تكساس وكاليفورنيا ونيومكسيكو مقابل ١٥ مليون دولار ، كما تم شراء الاسكا من روسيا !

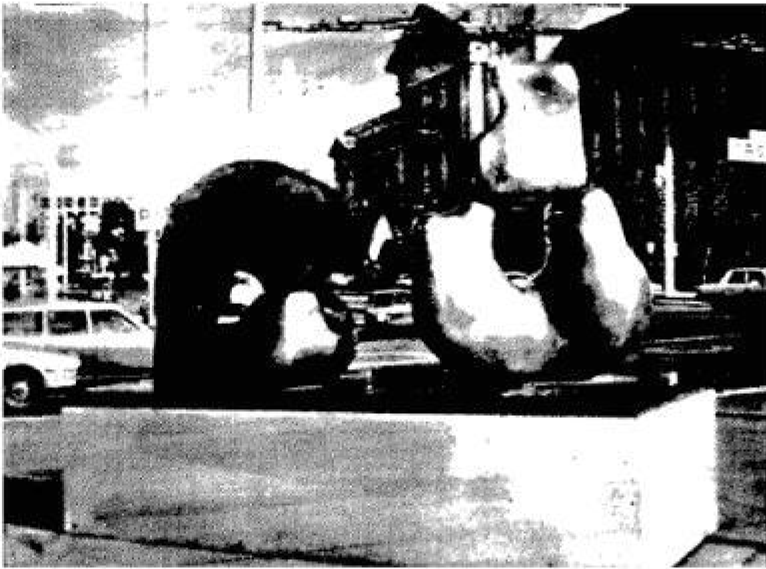
وحق للمؤرخين الأمريكيين - وهى بلد بلا تاريخ - أن يعتبروا الحقائق التاريخية ، مسألة نسبية لكل جيل من الأجيال أن يحددها ..!

وغدا حلم الأمريكى يتركز فى ارتياد الآفاق الجديدة ، وتتراوح هذه الآفاق بين الاختراعات والابتكارات واقتفاء لأثر الآباء المؤسسين ، وأية مبادرة أخرى فحلم الكاتب فكرة جديدة تحقق له اعلى أرقام التوزيع وحلم العامل الوصول الى وسيلة جديدة لزيادة الانتاج ، وتصل الى ابتكار نوع جديد من الكوكاكولا لاتؤدى الى السمنة أو طراز جديد من البلوجينز ، وحتى الابتكارات المذهلة فى وسائل الطب والعلاج ، وعلى الفور يتغير من حول صاحب الابتكار كل شىء وينتقل الى أصحاب الملايين ..

فكل مافى المجتمع يساعد على تفجير طاقة الابداع والمبادرة وتفجرت الطاقة الانسانية كما تنفجر الطاقة النووية ، حتى أصبح الكشف والاختراع والريادة سمة مميزة للظاهرة الأمريكية ..

يعيش الانسان فى المجتمع الأمريكى على نحو ليس له نظير بعد أن اصبحت الولايات المتحدة اكبر سوق استهلاكية ، واصبح السائد فيه ، لاتجعل الناس يشترون مايرغبون ، بل ماتريد لهم أن يشتروه ! ، ومع تدفق السلع الاستهلاكية يأتى حب التغيير ، والسعى الى التبديل والتجديد ، ولم تعد المسألة مجموعة من السلع ، وإنما مجموعة من القيم تتشكل مع طبيعة السوق والقدرة على الشراء ، واصبح هذا النمط هو النموذج الذى يجذب المستهلكين فى الكثير من دول العالم وقامت السينما والمسلسلات الأمريكية بنشر إنماط الاستهلاك والقيم التى وراءها فى بلاد مازالت فى مرحلة النمو ..

وإذا كانت السوق والدخول الأمريكية تجرب كل جديد فما أخطر ذلك على الدول حديثة الاستقلال والتى تتطلع الى التنمية ، والتى لاتتحمل مثل هذا الترف ، وحيث يتمكن لأنماط الاستهلاك الامريكية أن تسد الطرق أمام كل محاولات التنمية والتحديث ..



تشكيل فى الفراغ أمام المسرح فى سان فرانسسكو ..

والمؤكد أن الظاهرة الأمريكية لها ظروفها الخاصة ، وأنها غير قابلة للتكرار خاصة عندما يقتصر النقل منها على النهايات ، متجاهلين ذلك الجهد السابق على الانتاج.

● حلم أم كابوس ●

وإذا كانت هذه هى انطباعات سريعة لزائر لأول مرة ، فماذا يقول الأمريكيون أنفسهم ..؟

هناك أصوات ترتفع فى المجتمع الأمريكى ، مازالت تحلم بالعودة الى بساطة الحياة ، وتتوق الى البرارى وتدرك مخاطر الفلسفة البراجماتية ، وتجد فى صور الفن المختلفة أدوات التعبير عن همومها ، عبر عن ذلك الكاتب الأمريكى ليندر ستوكنج فى رواية بطلها رجل تجرى فى عروقه الدماء الهندية والبيضاء ، ينتمى الى الطبقات الدنيا فى المجتمع ، وهو عاشق للطبيعة ويجد نفسه مقيدا بقوانين المجتمع الأمريكى ويسعى الى التحرر ، ويتجه الى احضان الطبيعة وينطلق الى آخر الآفاق غربا ، ولكنه يصل فى نهاية الرحلة الى البرارى رجلا كهلا يصدمه شبح غروب الشمس .!

ولعل مسرحية ، الحلم الامريكى ، لادوارد البى تعبر عن كيفية تحول الحلم الأمريكى الى كابوس عندما تكشف المسرحية تبنى القيم الزائفة التى حلت محل كل القيم الأصيلة . وتدين الادعاء والتفاخر وتتناول الحلم الامريكى فى مجتمع نظيف متقدم هو قمة ماوصل اليه الانسان من مدنية ، وقد تحول هذا الحلم الى خواء ، جسد بلا قلب ، وقوة بلا شعور وجنس بلا حب !!

فالتجربة الامريكية تثبت حتى الآن : انها نجاح تكتيك واستراتيجية فاشلة .. هذا ماستكشفه الأيام .

وقفة أمام الأرز

شعر: سليم الرافعي
بيروت

رجال لهوا ورجال بكوا
بسفحك يا أخضر الميسم
وأنت حكيم حزين الذرا
تجملت بالثلج في مأتم
جذورك غاصت بمستنقع
وتلك الجذوع بمن تحتمي ؟
رأوك مع الشمس أم لم يروا
سوى الفحم في ذهب المنجم ؟
على الارض زيتونة درة
تضيء .. وعاصرها قد عمي
تهاتوا الى الكهف في موكب
سلام على الموكب المرتمي
أتاسى لنا يا أبانا .. وقد
سقيت كئوس عقار الدم ؟
ألست تذكر (فينيقيا)
ومارد أسطولها المعلم
على الموج يجري بحيتانه
و (صيدون) تهتف ملء الفم
الى وعند (قرطاجة) يا له
نداء النبوة من ملهم
أهازيج فتسح على مائج
أشم يزمجر كالضيغم
وقيل : هو البحر .. لكنه
بحيرة (بعل) (1) على أدهم
تحاذر « روما » محاذاته
وجبارها صيد في مغنم

---

(1) «بعل» اله فينيقيا القديمة

ريشة : مصطفى الرزاز



بنينا (اوربة) في عـــالم
على البعد والقرب لم نحجم
وكان مجـــاهل مرصــودة
لآلهــة الرعب والطلسـم
من الشرق والغرب لم يلتبس
على الحرف في نسق محكم
ابانا ! تذكر .. ولا تبكنــا
ولا تبكهم .. نحن لم نهزم
لعشر ســنين شياطيننــا
افاقت باسطولها المجـــرم
تعيد الحضــارة اسـطورة
الى الحوت مبتلع الانجـــم
وتلعق (بيروت) في مشرب
وتنهش (صيدون) في مطعم
هو الفتح مرتهنــا للعــدا
بعــار الجماجم والاعظـم
أتســكرهم كـرمة اينعت
بلؤم الطبيعــة من مكرم ؟
ترفق بنا يــا ابانا .. ولا
تظن بنــا السوء من مأثـم
معاذ النهى ومعــاذ الحجى
لمبتــكر الوحش اذ ينتمى
ترقى الى الخلف في علمــه
كأن العقـــائد لم تعلم
هى الســكر في قدح فارغ
هى الشــوق للظما المبهـــم
أليس التناقض من طينـــة
شذى الزهر في جيرة العلقم؟

لغز جزيرة العبيد

كيف خرج العبيد من جزيرة جوريه إلى العالم ؟

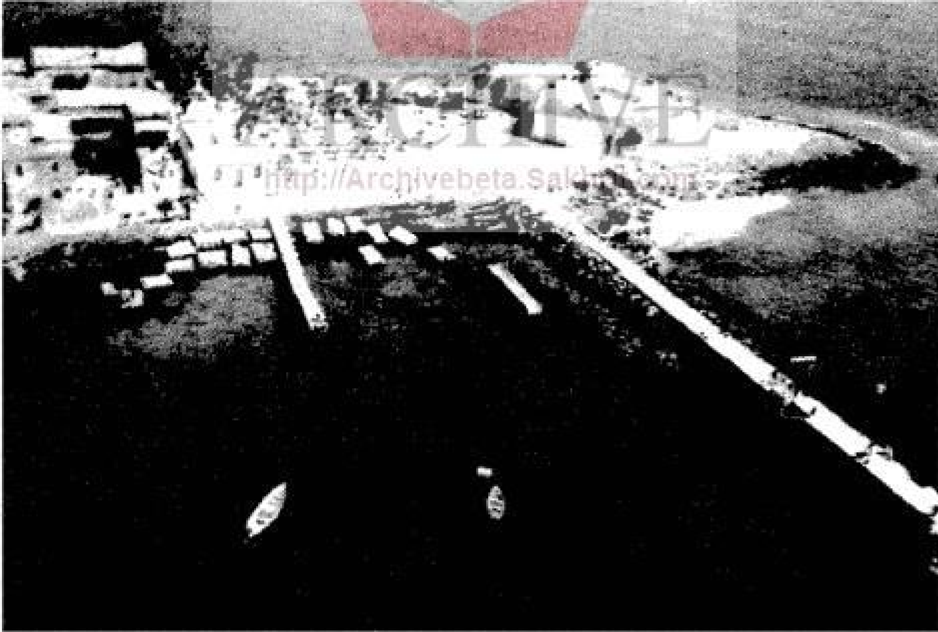
تحقيق : ساميه عباس

كان للاستعمار دور وحشي ولاإنساني في تجارة الرقيق واستباحة النساء واغتصابهن .

وفي قارة افريقيا تقف جزيرة « جوريه ريديه » بالسنغال ، شاهدا على القسوة التي تعرض لها أبناء القارة السوداء ، فقد دلت الاحصائيات على أن الرقيق من الأفارقة الذين اختطفوا بلغ عددهم ٨٠ مليونا خلال قرن من الزمان !

وهذه الجزيرة شاهد حي على الدور الذي تعرض له الانسان الافريقي من ادعياء المدنية والتحرر !

● جوريه أو جزيرة « العبيد » التي تجسد مأساة الظلم والقهر الاستعماري



لغز جزيرة العبيد

ان التاريخ يذكر لنا أن البرتغاليين وقعوا عقودا مع الاسبان تبيح لهم توريد مائة وخمسين الف عبد سنويا الى المزارع الاسبانية ومزارع القصب والبن البرتغالية فى البرازيل مما دفع الكاتب الفرنسى الشهير « برناردان سان بيير » الى القول :

« لقد كانت سعادة أوربا فى الحصول على السكر والقهوة ـ القصب والبن ـ لكن توفير هذه السعادة للاوربيين استلزم تعاسة قارتين ، اولاهما امريكا التى استلزم الامر خلاءها من السكان الاصليين ـ الهنود الحمر ـ لايجاد الارض اللازمة لزراعة البن والقصب ، وثانيتهما افريقيا لحاجة الارض المتعبة الى سواعد الزنوج القوية لزراعتها !! »

ولنا ان نتصور النزيف البشرى الذى تعرضت له قارتنا على ايدى المستعمرين من برتغاليين وهولنديين وفرنسيين وانجليز اذ بلغ عدد الافارقة الذين اختطفوا وارسلوا الى الدنيا الجديدة للعمل كعبيد قرابة ثمانين مليونا فيما بين الاعوام ١٦٨٠ و ١٧٨٦ ٠

وليس ادل على بشاعة ما فعله البرتغاليون فى افريقيا من ان عدد العبيد من الافارقة فى البرتغال عند نهاية الربع الاول من القرن السادس عشر كان يفوق عدد المواطنين البرتغاليين ٠

● صعوبة الحياة بالجزيرة ●

تبلغ مساحة جزيرة جورية وقد كانت خالية من السكان عندما وصل اليها البرتغاليون عام ١٤٤٤ خلال احدى جولاتهم الاستكشافية للسواحل الافريقية والتى تحولت الى وسيلة للسلب والنهب ٠

كانت الجزيرة خالية لان قبائل الولوف ـ غالبية سكان غرب افريقيا فى ذلك الوقت رأوا استحالة العيش فى الجزيرة لصعوبة ارضها وعدم توفر الماء اللازم لزراعتها ٠ اما البرتغاليون فقد وجدوا فيها قلعة طبيعية حيث ان الشكل المقوس للجزيرة قد حمى سفنهم من الامواج الصاخبة ، ووفر لهم شاطئا هادئا يمكنهم من تفريغ البضائع بسهولة ، كما ان الموقع المعزول وسط المحيط الاطلنطى يضمن لهم عدم هجوم الوطنيين ، ويؤمن لهم استحالة هروب العبيد منها ٠

لكن هذا الموقع بمزاياه تلك زاد من مطامع الاوربيين تجاه الجزيرة ٠ مما جعلها تشهد معارك مستمرة لاحتلالها وخاصة نمو وازدهار تجارة العبيد حتى انه طوال قرنين من الزمان شهدت الجزيرة معارك مستمرة بين المحتلين بعضهم البعض ، فقد كان المستعمر الجديد يصل بسفنه الى الجزيرة ويضرب بمدافعه القلاع والمنشآت الخاصة بالمحتل السابق ثم يبدأ فى بناء قلاعه ٠ وتوافد على الجزيرة بهذه الصورة البرتغاليون والهولنديون والانجليز والفرنسيون ٠

وقد اطلق الهولنديون على الجزيرة اسم « جوريه ريديه » ، وهى تعنى « المرسى الجيد » ، وتحول الاسم على لسان شعب السنغال الى « جورية » وهو الاسم الذى اصبحت الجزيرة معروفة به ٠

● بيت العبيد ●

على ارض الجزيرة دليل حى على وحشية المستعمرين ٠٠ دليل مادى مازال على صورته كما بناه سينياران بيبان » فى القرن الخامس عشر ٠٠ انه

« بيت العبيد » الذى يقوم على مساحة مائتى متر ويتكون من طابقين ٠
الطابق الاول هو « بيت العبيد » وهو عبارة عن مجموعة من الحجرات المنخفضة الارتفاع والتى لا تزيد مساحة كل منها عن مترين ٠٠ وهى غارقة فى الظلام وتشع منها رطوبة عالية ، وفى اعلاها فتحة صغيرة للتهوية ٠
داخل كل حجرة من هذه الحجرات كان يحشر ما لا يقل عن عشرين عبدا !
الحجرات مقسمة كما يبدو من العلامات الموضوعة اعلاها الى حجرات للرجال والاطفال والنساء والفتيات٠٠ هذا التقسيم كان يخضع للثمن الذى يدفع فى العبد ، فالشباب اعلى سعرا تليهم الفتيات العذارى ثم الرجال فالنساء والاطفال ٠
بجانب حجرات الانتظار هذه توجد حجرات اخرى لا تسع الا شخصا واحدا بشرط ان يظل مكوما على نفسه ، وهى الحجرات المخصصة للمتمردين من العبيد او الذين يبدون تبرما بالعمل ٠
وكان كل عبد يصل الى بيت العبيد يحمل رقما وعليه بعده ان ينسى اسمه وعائلته الى الابد ٠
الطابق العلوى من بيت العبيد فسيح وعال ٠٠ حجراته مريحة وواسعة ٠٠ انه مقر السادة او التجار الذين استباحوا لانفسهم كل شىء بما فى ذلك اغتصاب الشابات الزنجيات
ويصف لنا « جوزيف نجياى » امين بيت العبيد الذى يحفظ تاريخ تجارة الرقيق ويتولى امانة البيت منذ سبعة عشر عاما ٠٠ يصف الحالة التى كان يصل عليها العبيد المخطوفون الى سواحل الجزيرة ٠٠ يقول :
كانت قافلة الرقيق تصل الى ساحل الجزيرة مكونة من الرجال والنساء والاولاد ٠٠ ولكن الرجال كانوا يكونون الغالبية العظمى ، وكانوا يربطون بالحبال كل اثنين معا ٠٠ ثم يربطون صفين متتابعين يجمعهم عمود كبير من الخشب يربط الى اعناق الرقيق متتابعين ، وقد تطلق ايديهم ليتاح لهم ان يحملوا مئونتهم على رءوسهم٠ وكان يشرف على كل جماعة فرد يسير من خلفهم ممسكا فى يده سوطا يضرب به كل من يتوانى عن السير ٠
بعد وصول العبيد الى الجزيرة وحتى موعد رحيلهم كانوا يكلفون بالاعمال الشاقة ، ولا يستثنى من هذه الاعمال احد حتى النساء والاطفال ٠
كان العبيد يكلفون بفصل البازلت من الصخور لصناعة احجار البناء مستخدمين فى ذلك كرات حديدية مربوطة بالسلاسل الى ايدى العبيد بدلا من المطارق ، بينما يقوم النساء والاطفال بسحق المحار للحصول على الجير اللازم للطلاء ٠
وكان الذى يفكر فى الهرب قبل وصول السفن التى تقلهم الى الدنيا الجديدة يلقى مصيره غرقا او ينتهى بين فكى اسماك القرش كى تكتمل الصورة المأساوية ٠
وعندما تصل السفن التى سوف تقوم بنقل العديد من جوريه كانت تتم عملية شديدة القسوة ، وهى وضع علامة الشركة المصدرة على ذراع كل عبد ، وكانت تتم بواسطة الكى بسيخ محمى يحمل العلامة المميزة ٠ وفى ذلك اليوم التعيس تفوح رائحة اللحم الادمى المحترق لتملأ الجزيرة ٠
والسفن التى كانت تقوم بشحن الرقيق تبنى بشكل خاص ، فهى صغيرة الحجم قليلة الحمولة ، ومقسمة تقسيما افقيا على هيئة رفوف عرض الواحد منها ثلاث اقدام يرص عليها الرقيق وايديهم مصفدة بعد أن يقسم الرجال فى ناحية والنساء والاطفال فى ناحية اخرى ٠
وكانت السفن تصل « جورية » محملة

لغز جزيرة العبيد



● يحتفظ أهل « جوريه » بالتقاليد الافريقية الأصيلة والنسوة يحملن الأطفال خلف ظهورهن ويسرن بحرية في انحاء الجزيرة

● بيوت الجزيرة تحتفظ بطابع واحد هو طابع المستعمرين الذين توافدوا عليها

● "جوريه" أصبحت جزيرة الباحثين عن الهدوء والسياح لكنها تحتفظ بالطابع السنغالي في الأسواق




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغز جزيرة العبيد

بالاسلحه والكحول والمنسوجات والمصنوعات الزجاجية مثل العقود والاساور وهي الاشياء التي كانت تستخدم في مبادلة العبيد او تجارة الابنوس .

ولما كان الربح يتضاعف كلما زاد العدد فقد كانت المراكب تحمل اكبر عدد ممكن من الرقيق وقد تستغرق الرحلة شهرين في عرض البحر . مما يتسبب في وفاة نصف عدد العبيد الذين اختطفوا وشحنوا بهذه الطريقة .

ولكن وصول سفينة واحدة بما تحمله من عبيد كان يحقق ربحا يصل الى مائة وخمسين في المائة من ثمن تكاليف الشحنة وهي نسبة خيالية في مجال حساب الارباح حتى ان عمدة برستول البريطانية وصف ارباح تجارة العبيد عام ١٧١٣ بانها عمود شعبنا

● دمار مستمر ●

وقد شهدت جورية عدة عهود من التخريب والتدمير بواسطة مدافع المحتلين ففي عام ١٦٧٧ هاجم الاميرال الفرنسي « ديسترية » قلاع الهولنديين بالجزيرة ودمرها قبل احتلاله للجزيرة وثبت فيما اقدام فرنسا .. لكن بريطانيا دخلت حلبة المنافسة على احتلال « جورية » وخلال القرن الثامن عشر وحده احتل الانجليز الجزيرة اربع مرات واحتلها الفرنسيون خمس مرات .

وكانت نتيجة هذه المعارك المستمرة والتخريب والتدمير انه لم يبق على الجزيرة في عام ١٧٤٦ سوى « ستة » منازل مبنية بالطوب ارتفعت الى خمسة عشر منزلا في عام ١٧٧٠ ثم واحد وثمانين منزلا في عام ١٧٨٤ .

اما غالبية منازل « جورية » فقد تم بناؤها في القرن الثامن عشر وبعد الغاء تجارة الرقيق في عام ١٨٤٨ حيث تحولت « جوريه » الى نقطة ارتكاز للبحرية الفرنسية ولعب ميناؤها دورا كبيرا في تزويد السفن المارة عن طريق راس الرجاء الصالح - قبل افتتاح قناة السويس - بالمؤن والوقود .

وظهرت في هذا القرن ايضا في الجزيرة ظاهرة « السينيار » او سيدات الجزيرة الملونات اللاتي تزوجن من فرنسيين او انجليز .. واصبحن يعشن في رخاء ، وكن الحاكمات الفعليات للجزيرة .. ويذكر التاريخ منهن « كاتي لوات » التي كانت تمتلك عددا من الخدم داخل منزلها الذي تحول اليوم الى مستوصف للجزيرة « وفيكتوريا البيرا » التي تحول منزلها ذي الاعمدة الضخمة في شارع سان جيرمان الى متحف ، « وان بيبان » عشيقة الفارس « دي بوفلييه » والتي كانت تذهب للقاء عشيقها على شاطيء الجزيرة يصحبها حاملو الشعلة واتباعها المخصصون لحمل المجوهرات

وفي عام ١٨٥٠ ضاقت « جوريه » بسكانها الذين وصل عددهم الى ستة الاف اوربي وخمسة الاف افريقي كانوا يعملون في خدمتهم .. وكان يصل الى « جوريه » ما يقرب من ١٢٠٠ سفينة كل عام . لكن بافتتاح ميناء داكار عام ١٨٩٠ فقدت جوريه اهميتها وانخفض عدد سكانها الى سبعمائة نسمة .

● طابع مميز ●

وشوارع جوريه لاتزال تحمل اسماء المستعمرين ، فهذا شارع لويس الخامس عشر ، وذاك سان جيرمان وثالث باسم بوفلييه .. والعبرة من ترك هذه الشوارع بنفس الاسماء ان يظل



● بيت العبيد وقيد البوابة التي كان اذا خرج منها الافريقي قطعت كل صلة له بالوطن الام والى الابد ويبدو مقر السادة في الجزء العلوي

الماضي حيا وأن يدمغ الزائر والمقيم الى رفض اشكال الاستعمار والتبعية كما « قال جيبوكا » وزير الاعلام السنغالي والذي كان معنا خلال زيارتنا للجزيرة

ومساكن جورية لهـــا طابع مميز نظرا لتشابه وحداتها الهندسيــة ، ولا توجد بها فتحات كثيرة نظرا لشدة الرياح ·· وكل منزل يعتبـــر قصرا صغيرا يشبه القلعة وله باب واحــد يطل على الطريق وله حديقة خلفية وكل مجموعة من المنازل تكون مربعــا او مستطيلا يتوسطه حديقة ·

وقد تحولت قصور « جــوريه » الى مراسم للفنانين السنغاليين ··وتحولت المدافع التي يضعها المحتل على ارض الجزيرة الى ادوات يلعب بها الاطفال

وعلى ارض جوريه ترتفـــع مائذنة اقدم جامع بني في السنغال عام ١٨٩٢ ·· كما تمتلك الجزيرة اشهر حديقـة للنباتات اقامها عالم الطبيعة الفرنسي الاصل ميشيل دانسون عــام ١٧٤٩ ·

وخلال تجولك في جوريه ، تشــعر برائحة اشجار السنط التي تنبعث من براعمها المتفتحة أو رائحة ثمار المانجو التي تملأ اشجار الجزيرة التي لا تعرف حتى الان ضجيج الحضــارة العصرية من موتورات السيارات والدراجـات البخارية فأرض « جوريه » غير مسفلتة وغير مسموح باستخدام المركبات نيا ولا تسمع غير تنهدات أمواج البحــر التي شهدت كل الاحداث التي مــرت بها جوريه ·

لغويات



● اعتادت الصحف أن تصف الأرض الزراعية غير الصالحة للزراعة بأنها ارض بور .. وقرأنا لبعض الأدباء اخيرا تخطئة لهذا الوصف باعتبار ان " البور " جمع « بائر » فلا يستعمل فى المفرد مثل « الأرض » .. وليس هذا بصحيح لأن كلمة « بور » تجيء أحيانا جمعا لكلمة « بائر » أو مصدرا للفعل « بار » .. ويوصف المذكر والمؤنث والمفرد والجمع بكلمة « بائر » .. وبجمع هذه الكلمة أو مصدرها وهو « بور » فيقال « رجل بور » و « امرأة بور » و « رجال بور » و « أرض بور » و « أراضى بور » الخ ..

● « تلك » من أسماء الإشارة .. وفى مخاطبة المفردة يقال : « تلك » وفى المثنى « تلكما » وفى الجمع « تلكم » إذا كان مذكرا ، و « تلكن » إذا كان مؤنثا .. ويشار إلى الجمع الذى يعامل معاملة المؤنث وهو جمع التكسير وجمع المؤنث السالم بكلمة « تلك » ..

● يستعمل الكاتبون كلمة « تارة » استعمالا كثيرا فيقولون « تارة بعد تارة » .. وهذا تعبير صحيح ، ولكن هناك تعبيرات أخرى غير صحيحة يقع بعضهم فيها أحيانا .. ومعنى « تارة بعد تارة » هو « مرة بعد مرة » .. وقد تكون التارة بمعنى « الكرة » فيقال « عاد إلى الأمر تارة أخرى » .. أى « كرة أخرى » .. فالتارة هى المرة أو الكرة ـ بتشديد الراء المفتوحة ـ ..

● يخطىء بعضهم فى كلمة « تترى » فيظنها فعلا مضارعا ، فيقول مثلا : « جاءت الوفود تترى » وهو يظن أن « تترى » هنا تقابل قولهم : « تتوالى » وهذا خطأ ، والصواب أن الكلمة اسم فاعل وهى تقابل هنا كلمة « متوالية » لا كلمة « تتوالى » التى هى فعل وليست اسما .. وهذا خطأ يقع فيه حتى مشاهير الأدباء ..

● يخطىء بعضهم وبعضهن فى الاذاعة والتليفزيون بقولهم عن يوم القيامة إنه اليوم الآخر ـ بفتح الخاء ـ والصواب بكسر الخاء ، أى اليوم الأخير ، أما بفتح الخاء فيكون معناه اليوم الثانى .. فانظر إلى البعد الشاسع بين المعنيين !..

● سمعت أحدهم يقول فى الإذاعة : لاتقل : « الرقابة » بكسر وتشديد الراء ، ولكن قلها بفتح وتشديد الراء ، وهذا غير صحيح ، فإن القائل إذا أراد « الرقابة » أى « مصلحة الرقابة على المصنفات » مثلا ، فهذه بكسر وتشديد الراء ، ويقال للعامل فيها : أنت تعمل فى الرقابة ، بكسر وتشديد الراء .. أما إذا أريد مجرد مراقبة الشيء أو مراقبة رجل أو امرأة ، فيقال « رقابة » بالفتح لا بالكسر ، فيا مذيع الاذاعة لاتضيق الكلام على الناس ، فقد وسعه الله ! ..

مصريون في بلاد العرب

الدكتور مصطفى الوكيل
القديس الثائر
بين حركة مصر الفتاه وحركة رشيد عالى الكيلانى

بقلم : جلال السيد

كانوا جماعة من الاصدقاء التقوا على حب القراءة ، وهواية التمثيل ، ومتابعة قضايا الوطن ، نضجت طفولتهم من خلال أحداث ثورة ١٩١٩ وفى اعقابها ، وانطبعت اذانهم كلمات : مصر . الوطن . نموت وتحيا مصر . نحن فداء الوطن ، سمعوا الحان سيد درويش وشاهدوا اعمال مختار ، واشتركوا فى المظاهرات وعرفوا الاحتجاج ، منهم من الف جمعية نصر الدين الاسلامى ومنهم من دعا لمؤتمر للطلبة الشرقيين ، ومنهم من فكر فى مشروع القرش ، وساهموا جميعا فيه ، وكان اكبرهم من مواليد عام ١٩١٠ ، اتصلوا بالاحزاب السياسية بحثا عن دور يصبون فيه حماسهم الوطنى ونشاطهم الزائد ، لكنهم لم يجدوا مايبحثون عنه ، واصطدموا بمواقف الاحزاب وبعدها عن تصوراتهم ومثاليتهم ، ولم يجدوا امامهم طريقا سوى تشكيل جمعية خاصة بهم ، و انت جمعية مصر الفتاة ، اكتوبر ١٩٣٣ .



الدكتور مصطفى الوكيل

كان من بينهم الزعيم « أحمد حسين » والمفكر « فتحي رضوان » والقديس « مصطفى الوكيل » واستطاع هؤلاء مع زملائهم أن يتركوا بصمات واضحة في الحياة السياسية ، مازالت حية للآن ، ويكفيهم انهم أول جماعة سياسية أعلنت ضمن مبادئها فكرة الوحدة العربية ــ منذ بداية الثلاثينيات ــ كما أشارت الى الدوائر الثلاث : المصرية ــ العربية ــ الاسلامية.

وبين هؤلاء الشباب تميز مصطفى الوكيل بنقائه وزهده، وصلابته وشجاعته بتواضعه وكبريائه ، بصفات عديدة ، بعيدة عن سلوك السياسيين ومصالح السياسة . انها صفات قديس ثائر .

في قرية الميمون ــ محافظة بني سويف ــ كان مولده عام ١٩١٢ ، وكان يمتلك والده نحو خمسين فدانا ، والذى كان يهوى ركوب الخيل وتربيتها ، وغرس هذه الهواية في نفس مصطفى ــ الوسط بين الابناء ، وكان دائما يبث في نفسه الشجاعة ، واستطاع مصطفى أن يحظى بحب أفراد أسرته ، لقد كان نابغا في دراسته ، يساعد أقاربه من زملائه ، بل يساعد كل من يحتاج الى المساعدة او العون، وما كان يملك؟ وهو قليل كان ملكا للغير ، كلمات والده أوامر لاتناقش، وعليه دائما الطاعة والتنفيذ ، في مدرسة بني سويف الثانوية التقى بفتحي رضوان، ويمرض والده ، ويعالج بالقاهرة ، فيأتي مصطفى لاستكمال دراسته الثانوية بمدرسة الخديوية ، حيث جاء أيضا فتحي رضوان ، والذى يقدمه لصديقه أحمد حسين ، ويشترك الثلاثة في الانشطة الثقافية والاجتماعية والسياسية . وفي الجامعة التحق مصطفى بكلية العلوم ، كما ساهم في النشاط الذى كان يقوده كل من احمد حسين وفتحي رضوان ، فكان مندوبا عن كلية العلوم في مشروع القرش ، الذى دعا اليه أحمد حسين ، وعضوا في اللجنة التحضيرية التي أعدت لمؤتمر الطلبة الشرقيين الذى دعا اليه فتحي رضوان ، وحين أعلنت جمعية مصر الفتاة كان أحد مؤسسيها البارزين .

انهى دراسته بكلية العلوم بتفوق ، كما حصل على دبلوم معهد التربية ، وذهب في بعثة الى لندن للحصول على الدكتوراه ــ عام ١٩٣٥ ــ وبسبب نشاطه السياسي وهجومه على معاهدة عام ١٩٣٦ حرمته حكومة الوفد من البعثة ، لكنه استطاع بمساعدة الاصدقاء أن يحصل على الدكتوراه في عامين وكان موضوعها « ذبذبة الأرض المغنطيسية » .

ويعود الدكتور مصطفى الوكيل الى القاهرة ويرفض وظيفة بوزارة المعارف ، كما رفض ان يعين مدرسا بكلية العلوم ، واختار ان يتفرغ تماما للعمل في صفوف مصر الفتاة ، ويقول الاستاذ فتحي رضوان : « لقد رايت بنفسى الاستاذ الدكتور الحاصل على أكبر الشهادات من اكبر الجامعات ، حافي القدمين ، يحمل جردلا مثقوبا ومكنسة ليغسل ارضية نادى مصر الفتاة » كان « الديناموا » لحركة مصر الفتاة ، الكاتب والخطيب والمنظم المسئول ، وتعرض عدة مرات للاعتقال والتعذيب ، وظل صلبا وفيا لمبادىء مصر الفتاة ، ولزعيمه أحمد حسين .

الدكتور مصطفى الوكيل

القديس الثائر

وفي اعادة تنظيم الحركة والتي اعلنت عن نفسها انها حزب مصر الفتاة واعلنت عن تشكيل مكاتب الحزب ، كان الدكتور مصطفى مسئولا عن مكتب شئون التربية ، ثم اصبح نائبا للرئيس احمد حسين ، وكان فتحي رضوان قد بدأ يبتعد عن مصر الفتاة ، ويقول أحمد حسين :

كان نائب رئيس مصر الفتاة ، الدكتور مصطفى الوكيل ، وهو لم يكن نائبا للرئيس الا تواضعا منه فقد تنازلت عن رئاسة الحزب له ، ايمانا مني بانه يفضلني في كل شيء ، ولكنه ابى ذلك واستنكره ، وكان الدكتور مصطفى واضحا في فكره ، مستقيما في سلوكه ، متطابقا بين مايقول وما يفعل ، عن معاهدة ١٩٣٦ كتب احمد حسين وفتحي رضوان عن تعديل المعاهدة ، وكتب مصطفى الوكيل « يجب ان تلغى المعاهدة من اساسها » .

وقد الف مصطفى الوكيل كتابين صغيرين « كتاب الشهر » احدهما عن صلاح الدين الايوبي والثاني عن عمر بن عبد العزيز .

● الوكيل في العراق ●

بعد قيام الحرب العالمية الثانية بعدة شهور ، بدأت مرحلة جديدة من النضال في حياة الدكتور مصطفى الوكيل ، حيث سافر للعمل في العراق عام ١٩٤٠ .

وكان بين العراق ومصر علاقات ثقافية وطيدة — منذ العشرينات — حيث استعان العراق بعدد كبير من الاساتذة والمدرسين المصريين للتدريس في معاهده العالية وكلياته ومدارسه الثانوية ، كان من بينهم الدكتور حسن سيف — الدكاترة زكي مبارك — الدكتور عبد الرزاق السنهوري — الدكتور مصطفى زيادة ، الدكتور زكي حسن وغيرهم .

ويفسر الدكتور سامي شوكت — مدير المعارف العام — بكلمته التي القاها في الاذاعة المصرية — يناير ١٩٣٩ — يوم ان جاء الى القاهرة على رأس الوفد الطبي العراقي ، لحضور المؤتمر الطبي العربي ، العلاقة بين مصر والعراق ، بقوله : سألني سائل حين هبطت مصر عام ١٩٣٥ ما الذي دعاك الى ان تجتاز البلاد العربية القريبة وتأتي الى مصر البعيدة ، وانت باستطاعتك ان تسد حاجة العراق من الاطباء والعلماء من أقرب موضع اليك ؟

فاجبته : لان العراق صمم على تشييد جسر عربي تكون قاعدته الشرقية العراق وقاعدته الغربية مصر ، وهؤلاء الرجال الذين سناخذهم من مصر سيكونون حجر الزاوية في القاعدة الغربية ، وكان حاضرا هذه المحاولة حمد باشا الباسل وعزيز علي باشا المصري وابراهيم عبد القادر المازني فتحمسوا في قولي هذا وايدوني فيه فهذا الجسر هو الذي سيتسلق على جوانبه من غرق من اقطار اخواننا لينقذها من الهلاك وعندها ستكون أمة وعندها ستكون دولة أمة ، ودولة لا تكون عالة على غيرها » ،

واثرت الاحزاب السياسية المصرية على الحياة السياسية في العراق ، خاصة حزب الوفد ، كما تأثر البعض بمصر الفتاة ، ويقول الدكتور حميد الهلالي : « حاولنا تكوين مشروع القلس في العراق، على غرار مشروع القرش في مصر ، ونشط في العمل له سلمان البياتي وابراهيم الواعظ ، وكان وفد من شباب العراق قد زار القاهرة عام ١٩٣٢ ودعاهم احمد حسين الى زيارة مصنع مشروع القرش ، ولكنهم توقفوا طويلا أمام عبارة « مصر فوق الجميع » وشرح لهم ان المعنى انها فوق الاشخاص وفوق الاحزاب وفوق الخلافات الشخصية ، ولكنهم رددوا ان العروبة فوق الجميع ، وهتف الجميع بالعروبة .

وسافر الدكتور الوكيل الى العراق على جسر متين من العلاقات الودية بين البلدين ، وفي رأى الاستاذ محمد صبيح ان السفر كان مهمة حزبية للتنسيق بين

مصر الفتاة ومجموعات عربية بالعراق لمواجهة الاستعمار المشترك ـ اثناء الحرب ـ ويضيف الاستاذ احمد حسين بانه لم يعد قادرا على تحمل تصرفات مصطفى الوكيل ، فتصرفاته تجعل الحزب وقيادته دائما فى موقف الاحراج ومن الصعب عليهم جميعا أن يسلكوا مسلك مصطفى الوكيل ، ويحكى احمد حسين قصة السفر بقوله : لم اكد اطلع على اعلان فى الصحف المصرية عن حاجة مدرسة المعلمين فى بغداد الى استاذ متخصص فى الرياضة براتب قدره اربعون دينارا فى الشهر حتى اقترحت على الدكتور مصطفى أن يتقدم لشغل هذه الوظيفة ، ولم يقبل الا عندما لوحت له بأن حركتنا فى حاجة لبعض هذه الاربعين دينارا ، وكان الاختيار بين المتقدمين لوزارة المعارف ، وكان وكيل الوزارة فى ذلك الوقت الدكتور عبد الرزاق السنهورى وكان صديقا لنا ، فقصدته وعرضت عليه الفكرة وكان معى مصطفى الوكيل فسأله السنهورى : هل انت على استعداد أن تترك السياسة .

فاجابه مصطفى الوكيل : ان الجهاد فى سبيل الوطن والعروبة والاسلام ليس سياسة ، وانما هو الحياة والواجب ، ولذلك لست أعد بشىء من ذلك ، ولكن الذى اقوله : انني اذا عينت استاذا لطلاب فسوف أؤدى واجبى نحوهم .

وانتهت المدة التى أعلنها الاعلان لقبول الطلبات ، وجاء الوكيل على راس القائمة . فاستدعى الدكتور السنهورى تحسين العسكرى سفير العراق فى مصر وعرض عليه النتيجة وقال له : ان الدكتور يتفوق على كل من تقدموا ، ولكن واجبى يحتم على ان انبهك الى انه نائب رئيس حزب مصر الفتاة وهو متطرف جدا فى سياسته ، ولذلك ارى ان تعرض الامر على حكومتك لترى رأيها فى الموضوع .

● كراهيته لانجلترا ●

واسرع تحسين العسكرى بقوله : ان هذا الشخص هو عين ماريده بلادى .

وسافر مصطفى الوكيل ليعمل أستاذا الرياضيات فى دار المعلمين العليا ببغداد ، حاملا أفكار مصر الفتاة ، والتى كانت خليطا من القومية المصرية والعروبة والاسلام ، حاملا التعاطف مع دول المحور والكراهية الشديدة لبريطانيا ، ولم تكن افكاره بعيدة عن نشاط التيار القومى فى العراق والذى كان فى الثلاثينيات ، هدفه الاستقلال والوحدة العربية ، ولكن الحماس وعدم النضج السياسى كانا الطابع الغالب ـ فى تلك الفترة ـ الامر الذى ادى الى مزالق فكرية وسياسية . ولم يجد مصطفى الوكيل اى عناد فى ممارسة نشاطه السياسى ، فقد كانت دار المعلمين احد مراكز التجمع القومى ، اذ كان عميدها درويش المقدادى ـ فلسطينى ـ واحد اساتذتها الدكتور سليم التميمى اللذين شكلا مع مجموعة اخرى من العراق واقطار عربية تنظيما سريا عرف باسم « جماعة الوحدة » وهذا التنظيم هو الذى شكل « جمعية الجوال العربى » واسس « نادى المثنى » واشرف على تنظيم « الفتوة » واتصل بالضباط القوميه . فى الجيش ، وساهموا جميعا مساهمة فعالة فى حركة رشيد عالى الكيلانى ـ ٢ مايو ١٩٤١ ـ أو ما أطلق عليها حكومة الدفاع الوطنى .

وما اسرع ما كان مصطفى الوكيل يعمل بحماس بين هؤلاء ، والذين اكتشفوا حماسه الشديد للعروبة والاسلام ، وبدات الاتصالات به من خلال نادى المثنى حيث التقى به صديق شنشل وعبد الرحمن البزاز ، وكان قد تعرف على درويش المقدادى ، وسليم النعيمى ، وارتبط ارتباطا خاصا بالمفتى الشيخ امين الحسينى ، والذى كان منزله المقر الدائم لهذا التيار القومى النشط ، كما كان على صلة دائمة بضباط الجيش القوميين ، ورشيد عالى الكيلانى ، ويقول امين الحسينى عن مصطفى الوكيل فى ذلك الفترة « جاءنى يحمل رسالة من احمد حسين وابلغنى بتواضع عظيم وحياء جم

الدكتور مصطفى الوكيل
القديس الثائر

انه يجند نفسه فى سبيل الله وسبيل الاسلام وفلسطين والعروبة ، وكان يزورني حينا بعد حين ، فنتناول احاديثنا القضايا العربية والاسلامية ، فوجدت فيه عقلا راجحا وعلما ناضجا وحماسة متقدة وانكارا للذات قل نظيره فى هذا العصر المادى ، وكان مرتبه الشهرى تهبا مقسما يرسل نصفه الى جماعة مصر الفتاة ، ويوزع شطرا منه على جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد وعلى « منظمة الفتوة » العراقية وعلى شئون القضية الفلسطينية ويعيش بالقليل الباقى .. »

وبسبب نشاط مصطفى الوكيل المتزايد ، طلبت الحكومة المصرية ـ حكومة حسين صرى ـ عدة مرات من الحكومة العراقية ، ابعاد مصطفى الوكيل ، ولكن الاخيرة لم تستجب .

وكانت بريطانيا منذ أن اعلنت الحرب على المانيا ، مارست ضغطها على كل من مصر والعراق لقطع علاقاتهما السياسية مع المانيا ، وقد تم ذلك ، ثم طلبت نفس الطلب بالنسبة لايطاليا ، ونفذت مصر وريثت العراق ، مما جعل بريطانيا تتربص بها ، وتتدخل تدخلا سافرا سواء فى مصر او العراق ، لجرهما فى الحرب ، مع محاولة احكام السيطرة على العداء لبريطانيا ، الامر الذى زاد من حدة شعور العداء لبريطانيا ، والتعاطف الشعبى مع دول المحور ؛ لا عن ايمان واقتناع ، ولكن نكاية فى بريطانيا ، مع محاولات للاستفادة من الحرب الدائرة فى تحقيق الاستقلال واتخذ الساسة العراقيون مواقف متباينة من بريطانيا ، فمنهم من ايدها باكثر مما تتضمن معاهدة التحالف العراقية ـ البريطانية ـ معاهدة ١٩٣٠ ـ وكان على راسهم نورى السعيد . وعبد الاله ـ الوصى على العرش ، وعلى جودت الايوبى ، جميل المدفعى ، صالح جبر ، ويعضهم حاول الحصول على بعض الامتيازات من بريطانيا فى مقابل تنفيذ المعاهدة ؛ مثل حل قضية فلسطين لصالح العرب ، وكان من هؤلاء رشيدعالى الكيلانى ـ طه الهاشمى ـ ناجى شوكت ـ ناجى السويدى ـ توفيق السويدى .

● نضال رشيد عالى الكيلانى ●

وكان هناك بعض ضباط الجيش الذين اعتقدوا انهم يستطيعون تحرير العراق وفلسطين وكانوا قد عملوا ضد بكر صدقى وانقلابه ، وفرضوا نورى السعيد على الملك غازى ، ثم حاولوا فرض رشيد عالى الكيلانى على عبد الاله ؛ وهؤلاء هم العقداء الاربعة . صلاح الدين الصباغ ـ فهمى سعيد ـ محمود سلمان ـ كامل شبيب ، ومعهم يونس السبعاوى من الشباب القومى . كما كانوا على صلة وطيدة بالشيخ امين الحسينى .

وتفاقم الموقف بسبب اختلاف وجهات النظر حول قطع العلاقات مع ايطاليا ثم محاولة تشتيت العقداء الاربعة ، مما ادى الى تطور الموقف وسيطرة الضباط على السلطة وهرب الوصى عبد الاله ، وارغموا الهاشمى على الاستقالة وجاءوا برشيد عالى من جانب القوات للوزراء ، والشريف شرف وصيا على العرش وبدأ الاحتكاك من جانب القوات البريطانية ، حين اطلقت النيران على القوات العراقية فى مطار الحبانية ؛ ووقف الجيش يسانده الشعب العراقى مدافعا عن حريته واستقلاله ، وكانت حركة ٢ مايو ١٩٤١ ، والتى اطلق عليها البعض ثورة العراق ، او حركة رشيد عالى الكيلانى ، وتعلقت بها الانصار فى الاقطار العربية المجاورة ، وزحف البعض الى بغداد من الضباط العرب للمشاركة فى الحركة ، وانضم الى صفوفها العرب الموجودون فى العراق من الاقطار المختلفة ، وكان من بين هؤلاء الدكتور مصطفى الوكيل وفى نفس الوقت اخذت ابواق الدعاية الالمانية والايطالية



صورة نادرة للدكتور مصطفى الوكيل اثناء إقامته فى برلين وبجواره امين الحسينى مفتى فلسطين سابقا ، ثم احد الاصدقاء

فى اثارة الرأى العام العربى ضد بريطانيا . حتى اعتقد البعض ومنهم بعض المؤرخين انه كان هناك تفاهم مسبق بين الكيلانى ودول المحور ، ولا حقيقة مطلقا لهذا الادعاء .

وفى اليوم التالى لبدء القتال ــ ٣ مايو ــ بين العراق وبريطانيا ارسل مصطفى الوكيل برقية الى رشيد عالى الكيلانى يعلن فيها تأييد مصر الفتاة للحركة ونشرت البرقية فى معظم الصحف العراقية وكان نصها : « الى الزعيم المؤمن المنتصر ــ لفخامة السيد رشيد عالى الكيلانى .

« اعلن باسم حزب مصر الفتاة وباسم الشباب المصرى الحر الموجودين بالعراق ومصر تاييدنا الكامل لقضيتكم الظافرة ، وانى اقدم نفسى للتجنيد فى الجيش العراقى واضع حياتى وما املك تحت تصرف فخامتكم ، وكل رغبتى الاستشهاد فى سبيل نصر العراق الذى هو نصر لمصر وللعرب اجمعين ، وجميع الشباب المصرى الحر على استعداد تام للتضحية والجهاد حتى النصر على العدو المشترك » .

امضاء ــ مصطفى الوكيل ــ نائب رئيس حزب مصر الفتاة ــ الحزب الوطنى العربى الاسلامى .

ومن الملاحظ انه اضاف كلمة «العربى» لاسم الحزب الوطنى الاسلامى ، الذى كان قد اختاره احمد حسين عام ١٩٤٠ فى محاولته للتقارب مع الاخوان المسلمين .. وفشلت المحاولة ، ولم يستمر هذا الاسم ، وعاد اسم حزب مصر الفتاة ، ثم اصبح الحزب الاشتراكى فيما بعد .

ويقول صديق شنشل ــ السياسى العراقى المعروف ــ عندما قامت الحركة ــ ٢ مايو ــ عمل مصطفى الوكيل فى ميدان عمل مع يونس السبعاوى ــ احد قادة الحركة البارزين والذى اعدم فى ٥ مايو ١٩٤٢ ، وعمل مع كتائب الشباب ، وكان يذهب مع الطلاب والشباب ــ لنقل البنزين ويحمل الصفائح وهو صائم ، ويشترك فى جميع الاعمال ، وكان دور كتائب الشباب شبيها بدور الميليشيا ،

فى المحافظة على الامن الداخلى، الاسعاف، توزيع المواد الغذائية ، كما عمل معى فى الدعاية .

كان صديق شنشل مدير الدعاية فى حكومة رشيد الكيلانى فكان يلقى الاحاديث فى اذاعة بغداد ويكتب فى الصحف ويعقد الاجتماعات ، وبناء على اقتراح السماوى كلفته باقامة محطة اذاعة بالموصل ، يذيع منها فى حالة ضرب اذاعة بغداد ، ولكن المشروع لم يتحقق ، فقد تلاحقت الاحداث بسرعة مذهلة »

وفى ١٥ مايو ١٩٤١ ارسل مصطفى الوكيل برقية أخرى لرئيس الوزراء رشيد عالى الكيلانى ، نشرت فى جريدتى : الاستقلال والبلاد بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤١ . جاء فيها :

منذ ان اعلن العراق الجهاد الاكبر طلبت ان اكون جنديا مسلحا بالجيش العراقى ولكن مازال طلب تجنيدى معروضا على رئاسة اركان الجيش لم يبت فيه» ولما كنت لا اجد وجهة ارضاها لنفسى ولضميرى واستعدادى افضل من هذه الوجهة ، خصوصا بعد ان انتهيت من واجبى التعليمى فى دار المعلمين العلياء ولما كان الله قد امرنا ان نجاهد باموالنا وانفسنا فقد رايت :

اولا : ان اقدم مالى ــ وهو مال العراق ــ لقائدة الجيش فارجو قبول عشرين دينارا للتصرف فيها كما تشاءون « كان مرتبه ٤٠ دينارا » .

ثانيا : ان اتنازل عن استلام امر مرتبات قادمة .

ثالثا : اصر على طلب تجنيدى بالجيش العراقى وان كانت جنسيتى المصرية تقف حائلا فى سبيل تجنيدى فانى على استعداد للتشرف بالجنسية العراقية ، فاليوم وغدا لا فرق بين مصرى وعراقى وسورى، الجميع ابناء وطن واحد ويكافحون معا فى سبيل تحرير هذا الوطن وفى سبيل **اعلاء كلمة الحق والدين والله ناصركم والله اكبر والحق للعرب والاسلام »**

ويقول امين الحسينى فى مذكراته :

« تطوع مصطفى الوكيل لقتال الانجليز دفعا لعدوانهم على العراق والتحق بكتيبة المجاهدين الفلسطينيين بقيادة عبد القادر الحسينى » ولم يمنع نشاط الوكيل المتعدد من اتصاله الدائم بالمصريين الذين كانوا يعملون بالعراق ، فهو الذى يستقبلهم ويلتقى بهم ويدفعهم للمساهمة فى العمل الوطنى ويودع بعضهم وهم مغادرون العراق الى مصر وكان يتخذ من الاستقبال والتوديع فرصته يجعل منها مظاهرة سياسية ، وكان دائما هو قائدها ، وكثيرا ما نشرت الصحف العراقية الخطب المتبادلة اثناء توديع المصريين ، فى جريدة الاستقلال ــ ٢١ مايو ــ وصفت الجريدة توديع البعثة العلمية المصرية **ووصفت مصطفى الوكيل بالاستاذ المؤمن الذى هو قطعة من عقيدة واشارت الى كلمته** التى قال فيها : ان حبى **مصر ، مصر** التى الهمتنى هذا الشعور **تجاه العراق** والامة العربية وساموت فى **سبيل العراق** ويسرنى ان اكون اول **مصرى يضحى** بنفسه فى سبيل العراق **والعرب واذا** مت فسيانى من بعدى **من يموت ويهتف** بحياة العرب والعراق **ومصر وسوريا** وفلسطين والحجاز » .

ومنذ بداية الحركة ــ ٢ مايو ــ وخطبه فى الاذاعة لا تتوقف ، الى جانب مقالاته التى كانت تنشر بجريدة البلاد ، ثم تنشر خطبه التى يلقيها فى الاذاعة ، وكانت افتتاحية جريدة البلاد ــ ٥ مايو ــ نص خطابه الذى القاه فى الاذاعة : وكان بعنوان « بسم الله فليسقط الانجليز ــ باسم الله فلينصر العراق » وجاء فيه : « انتصار العراق معناه انتصار مصر والشام والحجاز وبلاد العرب المسلمين »

كانت مقالاته وخطبه أقرب الى التحريض ، منها الى التحليل السياسى، وكان حماسه بالغا وكان موقنا بهزيمة الانجليز فى العراق وخارج العراق »

وظل متمسكا بفكر مصر الفتاة وموقفها الاخلاقي الذى كثيرا ما دعت اليه ، الا ان فكرة الوحدة العربية أصبحت عنده أكثر تحديدا من فكر مصر الفتاة وان ظلت ممتزجة بالفكرة الاسلامية ، لكنه في جميع الاحوال كان صادقا ومخلصا لفكره وممارسا للسياسة أكثر منه صاحب فكر او اتجاه ، فقد كان وطنيا مصريا عربيا مسلما ، وكان سلوكه وتصرفاته محل اعجاب وتقدير جميع من التقوا به حتى الذين اختلفوا معه فكريا .

● نضال قوى ومستمر ●

وقد كان لحركة مايو ١٩٤١ العراقية اصداؤها فى بعض الاقطار العربية ، ففى مصر ، كانت جماعة مصر الفتاة تستمع الى خطب مصطفى الوكيل وتطبعهــا وتوزعها وكان الجميع يعلقون عليها الامال ، وتشير بعض المصادر الى أن الزعيــم الراحل جمال عبد الناصر قد ارسل برقية يرغب الالتحاق هو ورفاقه بالثورة .

فيقول الدكتور محمد حسن سلمان فى كتابه « صفحات من حياة د . محمد حسن سلمان » ص ٨٥ صدر عام ١٩٨٥ ــ الدار العربية للموسوعات ــ بغداد .

« حضر صباح أحد الايام الى غرفتى فى المستشفى الامريكاني الاخ تحسين قدرى وبصحبته قنصل العراق فى القاهرة السيد « خ . ج » وهو من الشباب القومى المؤيد للثورة حاملا الى رسالة مختومة ، معنونة الى وزير الشباب فى حكومة العراق الوطنية ففضضتها وكان بالمضمون التالى : « نحن جماعة من الضباط الاحرار، نرغب الالتحاق بالثورة العراقية الوطنية لخدمة امتنا العربيــة واهدافها القومية ، آملين اعلامنا السبيل الى ذلك ... » ــ جمال عبد الناصر ورفاقه .

ويقول الدكتور سلمان : كنت قد احتفظت بهذه الرسالة التاريخيــة امدا طويلا حتى فقدتها أثناء تنقلاتى ايام الهجرة والتشريد ، ولدى الاخ المجاهد منير الريس ــ صاحب جريدة بردى الدمشقية علم بذلك ، كما جاء ذكرها فى مقدم الاستاذ نزيه الحكيم كتــاب الاخ منير الريس ــ الكتــاب الذهبى للثورات الوطنية فى المشرق العربى ص١١ » ــ دار الطليعة ــ بيروت ــ ١٩٦٩ .

وعلى ضوء ما حدث لحركة مايو ، أو حركة رشيد عالى الكيلانى ، والتى لم تستمر أكثر من شهر ، وهــرب الزعماء الى ايران ، اما مصطفى الوكيل فقد كان آخر المجموعات التى تركت بغداد مع يونس السبعاوى وصديق شنشل ، وقد اتجه الى الموصل ومنها الى سوريا ثم الى لبنان ليذهب الى تركيا لم يستقر به المقام فى المانيا ليعيش مــع آخوانه العرب ــ على أمل ما ــ لكن هــذا الامل لم يتحقق ، وخلال اقامته فى المانيا ، قام بمهام خطيرة لم يجد الحاج أمين الحسينى من يأتمنه عليها ســوى مساعده الاول الدكتور مصطفى الوكيل ، وتلك قصة اخرى . لقد ترك الوكيــل العراق بعد ان أمضى بها فترة وجيزة ، لكنه مازال فى قلوب الذين عاصــروه ومازالوا يذكرونه بكل حب وكل فخــر

هذه بعض صفحات من حياة شــاب مصرى عاش فى العراق ، ثم عاش فى المانيا وتنقل بين تركيا ، ويوغسلافيا ، وشاء ظروفه أن يستشهد فى آخر غارة على المانيا فى ٤ مارس عام ١٩٤٥ ، وكما عاش بعيدا من وطنه منذ عام ١٩٤٠ ، عاش جثمانه بعيدا ايضا حتى مايو ١٩٥٤ ، يوم أن عاد ــ بفضل صديق عمره . فتحى رضوان ــ وشيعت رفاته فى ٢٨ مايو ١٩٥٤ ، وكان فى مقدمة المشيعين اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية ــ البكباشى جمــال عبد الناصر ــ رئيس الوزراء ــ الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القــومى ــ البكباشى زكريا محيى الدين وزير الداخلية ــ نور الدين طراف وزير الصــحة ــ فتحى رضوان وزير الدولة ــ فضيلة الشيخ احمد حسن البــاقورى وزير الاوقاف ــ الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الازهر ، الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين وأعضاء اللجنة العربية العليا .

وحمل نعش الفقيد على عربة مدفع ولف بالعلم الاخضر ، ووقف فتحى رضوان يتقبل العزاء .

• قصة قصيرة •

الوجه الآخر

بقلم : نجيبة العسال

امتد الطريق أمامي .. انه يمتد ويمتد وخلف خطوت خطوة زاد الطريق خطوات .. وخطوات .. والتفت حولي وانظر امامي ولا اجد ما يحد طريقي .. حولي متسع خاو وامامي لا نهاية لحدوده .. اللون الارجواني يصبغ السماء ، قارب الوجود على الغروب ولكن ما هذا الوهج الذي يحيط جوانبي ، ليس توهجا لكنه وهج مخيف ينبع من داخلي حتى اشعر بأنفاسي تكاد تختنق ، هذا ليس شروعا في البكاء ولكنه الطريق امامي ، فهو لا يمتد فقط ، ولكنه يضيق ويضيق رغم خلائه وبعده عن العمران ، لكن هل هو فعلا خال ابدا ، انه مملوء بمن حولي وهم كثيرون ، ولكنهم بعيدون بعيدون عني ، ومن هم ؟ انهم دمي وعروقي ومن تجري الانهار بيني وبينهم . انني لا اصدق ما حدث . فقد كنت أؤمن دائما بتبادل الاشياء في هذه الحياة وكما يقولون من أضمر خيرا وجد خيرا ومن كان مبيتا على الشر كان الشر نهاية ركابه فالتبادل ليس مقصورا فقط على حب الانسان للانسان ولكنه موجود بين الانسان وما يقابله في الحياة وما ينتظره من الحياة نرى هل هذا التبادل يوجد بالنسبة للتضحية في سبيل الآخرين .

هناك رأى يقول ليس من المؤكد أن تنال جزاءك من نفس الانسان الذي ضحيت من اجله وانما الحياة لا تنسى ابدا من قام بعمل طيب لاحد ابنائها وعلينا الا ننتظر الجزاء ممن ضحينا في سبيلهم حتى لا تكون صدمتنا كبيرة يوم لا يردون الجميل .. اذن هي الايام وما تحمله في بطونها وليس من يجمعني بهم النهر الكبير ..

توفى أبي وأنا في الخامسة عشرة من عمري ولم يترك لنا الا معاشه الضئيل وكنا بنتين وثلاثة اخوة صغار اكبرهم في الثامنة من عمره وكانت شقيقتي تصغرني بثلاث سنوات أي انها كانت في الثانية عشرة من عمرها .. ولجأت امي الى ماكينة خياطتها التي كانت لا تستعملها الا لملابسنا الخاصة .. كانت شقيقتي متفوقة عني في دراستها وكان امل أمي الوحيد أن تكافح وتجاهد لتراها

وقد حصلنا على اعلى الشـــهادات ولكن للاسف الشديد كنت أنا دائمـا لا أبشر بأنني ساحصل حتى على دبلوم متوسط ‥ في الوقت الـــذي كانت شقيقتي تلتهم علومها التهاما · وبدأت اشعر بمدى الارهاق الذى تعاني منه أمي في كفاحها من اجل اســتمرار البيت واستمرارنا ، نحن الابنـــاء المغمسة في دراستنا فصممت على ان ارحم أمي من احساسها بعدم تفوقي الدراسي وان ارحمها ايضا من الانفاق على دراستي ويكفي ان احمل عنهـا عبء العناية بالبيت او حتى أعاونها في عملها ، وربما استطعت ان احمل عنها العبء كله · وقد كان ، وبمرور الوقت بدأت اتفوق في فن حيـــاكة الملابس واطور عمل امي لكنها اثــرت ان تترك العمل كله لى وان تتفرغ هي للعناية بالبيت ·

وبدأت الايام تدور ، التحقت شقيقتي بالجامعة · ووصل اشقائي الصـغار الى المراحل الدراسية المختلفـة ‥ وزادت اعبائي حتى انى كنت اواصـل الليل بالنهار لكى اواجـه كل مطالب اسرتي ، لكنني كنت سعيدة ، أشـعر بأني اخيرا وجدت طريقي الذى خلقت له · ألم اواصل رسالة امى ورسـالة ابى ، أليس طريقي هذا ثماره يانعـة وآثاره باقية ، وهل بعد الوصـــول باشقائي الثلاثة وشقيقتي الوحيـدة الى اجمل الطرق وابقاها من شيء ؟ الست انا انسانة محظوظة أن انعـم الله على بنعمة الوفـــاء لامى وابى واشقائى وهل نجاحهم في الحياة الا نجاح لى انا قبل كل شيء ونسيت نفسي تماما ، لم افكر يوما بانى مازلت انسة تنتظر حياة اخرى غير حياة اخوتها ‥ حياة لها وحدها ، تصبح فيهـا



زوجة وربة بيت تعنى بأولادها وزوجها . حتى انني كنت عندما يفاتحني احد في امر زواجي انظر اليه في استنكار ودهشة وكأنه ذكر امرا غير موجود في قاموس الحياة .. ولكن هناك من الامور ما يحدث في حياتنا دون ان نفكر فيه ، وهكذا كان وارتبط قلبي بشاب من عائلة ابي كان قريبا الى نفسي وروحي منذ صباي المبكر وان كنت اخشى دائما التفكير فيه حتى لا يعوق مسيرتي .. لكنه عندما تقدم الي بعد ان احس به قلبي لم استطع الرفض ، فقط اشترطت شرطا واحدا الا يفاتحني في اتمام الزواج حتى تتخرج شقيقتي لتحل محلي في رعاية اسرتي ، او على الاقل تساهم معي في مطالب الاسرة حتى استطيع انا ان اتفرغ لحياتي بعض الشيء الى ان يقف اكبر اشقائنا على قدميه ويحمل عبء الاسرة .

في هذا الوقت كان قد تبقى عامان على تخرج شقيقتي ، عامان كاملان وقبل حبيبي شروطي عن رضا وطيب خاطر وبدأ يعمل على تأثيث بيتنا .. وتخرجت شقيقتي وزغردت الفرحة في قلبي . ساعمل ليل نهار لاكمل بيتي فها هي الحياة لم تخرجني من حسبانها وان لي ان اجني ثمار ليالي الماضية . ان بيت امي وابي مستمر في الحياة كما هو وطريق اخوتي ممتد في مساره الصحيح وها هي شقيقتي الصغرى ستواصل طريقي في سبيل اخوتي ولكن .. ما هذا لقد تعرضت امي لازمة مرضية مفاجئة كان من جرائها ان تعرفنا على طبيب شاب ممتاز تماما وفوجئنا به يتقدم طالبا يد اختي وهو على استعداد تام لكل مطالب بيت الزوجية على ان يتم الزواج فورا .. كانت اختي لم تتسلم عملها بعد واقترح الطبيب الشاب الا تحاول شقيقتي تسلم العمل ولا داعي ابدا لان تعمل وامتلات جدران بيتنا بزغاريد امي وفرحة شقيقتي وانغرس نصل حاد داخل قلبي لقد نسوا تماما ما انا مقبلة عليه وما هو مصير اشقائي الثلاثة ونظرت الى امي طويلا دون كلمة واحدة ولكن شقيقتي لم يكن في جدولها وقت لانظر اليها ..

خرجت الى الطريق وحدي .. اللون الارجواني يلفني والطريق يمتد ويمتد امامي والوهج يخنق حلقي ولكن رويدا رويدا هدات انفاسي وتلاشى اللون الارجواني مع ظهور الرمادية التي تسابق لترطب حلقي، اسرعت واسرعت خطواتي الى بيتنا .. انني لن استطيع ان احرم امي من فرحتها بابنتها ، كما لا استطيع ان افرض على اختي واجبها ولكنني انا وحدي ان اتخلى عن اخوتي ووقف خطيبي يدافع عن حبنا وبيتنا واتهمني بأنني افضل واجبي لاخوتي على واجبي لنفسي وحبي وحبيبي .. لكنني صممت على فسخ الخطبة، في هذه اللحظة نظرت طويلا الى وجه اختي . لقد اتسع جدولها حتى ملأ افقها بوجه اخر لم اره من قبل ، وجه ظهر بعرض الافق ليعلن للطبيب الشاب رفض طلبه نهائيا ما لم تتسلم عملها وتظل تحمل عبء البيت الى ان يتخرج شقيقنا الاكبر واحسست بروحي تحتضن الفضاء وقد امتلأ بأشعة الشمس الذهبية ، ويوم زفت اختي الى خطيبها الطبيب (الشاب) نظرت امامي وكان الطريق الممتد قد اتسع بعرض الكون كله .

● فى مثل هذا الشهر عام ١٢٩١ استرد المماليك عكا وانتهى حكم الصليبيين للأراضى المقدسة :

عسل وطحينه

بقلم : محمد سيد كيلانى

● أن الحروب الصليبية استمرت نحو قرنين من الزمان ، ولكن ليس معنى هذا أن المعارك ظلت متصلة ليل نهار طوال هذين القرنين دون توقف ، لا لقد كان الطرفان يشعران بالتعب والاجهاد فيتفقان على عقد هدنة تستمر عدة أعوام ●

وهذه صورة هدنة بين السلطان الظاهر بيبرس وبين الاخوة الاسبتار

« استقرت الهدنة المباركة الميمونة بين مولانا السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس وبين الكبير الهمام مقدم حصن الاكراد ، وبين مقدم حصن المرقب وجميع الاخوة الاسبتار لمدة عشرين سنة متوالية وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات ، اولها يوم الاثنين رابع رمضان سنة ٦٦٥ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة .

ـ على ان جميع المملكة الحمصية والشيزرية والحموية وبلاد الدعوة المباركة واقع عليها الاتفاق ومستقرة لها هذه الهدنة بجميع حدود هذه الممالك المعروفة .

على أن المستقر بمملكة حمص المحروسة وجميع القرى يكون ايرادها من الغلات مناصفة بين السلطان والاسبتار .

وعلى أن يكون امر فلاحى بلد المناصفات فى الحبس والاطلاق راجعا الى نائب السلطان باتفاق مع نائب بيت الاسبتار ، على ان يحكم فيه بشريعة الاسلام أن كان مسلما ، وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد . وان يكون الفلاحون الساكنون فى بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين .

وعلى ان ما يجبى من اموال يكون نصفه للسلطان والنصف للاخوة للاسبتار » .

عسل وطحينه

وقد ذكر القلقشندى ان العادة قد جرت انه اذا كتبت الهدنة كتب قرينها يمين يحلف بها السلطان او نائبه المفوض بعقد الهدنة . على التوفية بفصولها وشروطها . ويمين يحلف عليها القائم عن الملك الكافر المفوض بعقد الهدنة او تجهز نسختها الى الملك الكافر ليحلف عليها ويوقع باسمه ، ثم تعاد الى الابواب السلطانية .

والبلاد المذكورة فى هذه المعاهدة هى القاطعات التى تحت يد الصليبيين ، وكان معظم سكانها من المسلمين . ولما كان الفرنجة فى حاجة الى من يقوم باعمال الزراعة والصناعة والتجارة ، اضطروا الى معاملة رعاياهم المسلمين معاملة طيبة .

وقد وصف ابن جبير حالة المسلمين تحت الحكم الصليبى فقال « ... وانتهينا الى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبنين ورحلنا عن تبنين ـ دمرها الله ـ وطريقنا كله على ضياع متصلة وعمائر متنظمة وسكانها كلهم مسلمون وهم مع الافرنج على حالة ترفيه ـ نعوذ بالله من الفتنة . وذلك انهم يؤدون لهم نصف الغلة عند أوان ضمها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ، ولا يعترضونهم فى غير ذلك ، ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ايضا . ومساكنهم بايديهم وجميع اموالهم لهم ، وكل ما بايدى الافرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل ، رساتيقها كلها للمسلمين وهى القرى والضياع . وقد اشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يبصرون عليه اخوانهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم ، لانهم ضد احوالهم من الترفيه والرفق . وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكى الصنف الاسلامى بجور صنفه والمالك له ، ويحمد سيرة ضده وعدوه والمالك له من الافرنج ويانس بعدله . الى الله المشتكى من هذه الحال . »

فى أوقات الهدنة يجرى التعامل بين الطرفين فى ثقة تامة وأمن واطمئنان . حكى سالم الحمامى قال : « ان احد فرسان الافرنج دخل الحمام فرآني وعلى مئزر ، والافرنج ينكرون على من يشد فى وسطه المئزر فى الحمام . فمد يده فجذب المئزر ورماه ، فرآني وانا قريب عهد بحلق عانتى ، فقال : سالم ، فاقتربت منه وقال : سالم ، جيد وحق دينى .

ان هذا الفارس اطمأن ودخل الحمام واختلط هو وزوجته بالمسلمين ، ولم يخش على نفسه من ضرر قد يلحقه .

وقال ابن جبير عند تقرير المكوس على المسافرين ببلاد الصليبيين ، وذلك فى معرض الموازنة بين عمال المكوس عند المسلمين وامثالهم عند الصليبيين ما نصه « ... وكل ذلك برفق وتؤدة دون تعنيف ولاحمل » ثم قال عن عكا « وكانت عكا ملتقى تجار المسلمين والافرنج من جميع الافاق ، وكان بشرقى عكا مسجد بقى محرابه على حاله ، ووضع الافرنج فى شرقيه محرابا لهم . فالمسلم والكافر يجتمعان فيه . يستقبل هذا مصلاه ، وهذا مصلاه . وهو بايدى النصارى معظم محفوظ .

وقال عن صور « واهلها الين فى الكفر طبائع ، واجرى الى بر غرباء المسلمين شمائل ومنازع . فخلائقهم اسجح ، ومنازلهم اوسع وافسح . واحوال المسلمين بها أهون واسكن » .

وكان بعض المسلمين قد الموا باللغة اللاتينيه ، كما درس بعض الافرنج اللغة العربية . وكان اسامة بن منقذ يتخذ من الداوية اصدقاء يانس اليهم ويانسون اليه . وكان اذا زار بيت المقدس دخل الى المسجد الاقصى وفى جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة . قال : فكنت اذا دخلت المسجد الاقصى وفيه الداوية وهم اصدقائى ـ يخلون لى المسجد الصغير اصلى فيه .

وكان المسلمون يشاركون الصليبيين فى حفلات الزواج . وابن جبير وصف لاحد هذه الاحتفالات جاء فيه : « ومن مشاهد زخارف الدنيا زفاف عروس شاهدناه بصور وقد احتفل بذلك جميع النصارى رجالا ونساء . واصطفوا سماطين عند باب العروس المهداة ، والبوقات تضرب والمزامير وجميع الالات اللهوية حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال . وهى فى أبهى زى وافخر لباس ، تسحب اذيال الحرير المذهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم . وعلى رأسها عصابة ذهب وهى رافلة فى حليها وحللها ، تمشى فترا فى فتر . والمسلمون وسائر النصارى من النظار قد عادوا فى طريقهم سماطين يتطلعون فيهم ولا ينكرون عليهم ذلك .

وكان من الصليبيين من يسعى الى التحالف مع المسلمين ضد بعض ملوك النصارى . ومن هؤلاء امبراطور الروم فقد كان خائفا من الفرنج على بلده ، مدافعا عن نفسه ، كما أن ملك قبرص كاشف ملك انكلترة بالعداوة والحرب . وكاتب صلاح الدين يعرض عليه الدخول فى طاعته والمظاهرة على الملك المذكور . ويقول القاضى الفاضل « والله ما افلح ملك الروم قط ولا نفع ان يكون صديقا ولا ضر ان يكون عدوا »

وكان البنادقة والجنويون على علاقة طيبة بالمسلمين ، لانهم كانوا يحتكرون تجارة الواردات والصادرات . وقد حصلوا على حق انشاء مركز تجارى لهم فى الاسكندرية وبعض مدن الشام . فشيدوا وكالة وكانوا يخزنون فيها بضائعهم ويجعلون فيها كل ما يلزمهم من الطعام والملابس . ولم يكن لهم اهتمام بالشئون الدينية . ولذلك تحالفوا مع السلطان الغورى ضد البرتغاليين حين اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح . وقد حلت الهزيمة بالاسطول المصرى فى معركة ديوى البحرية .

وكان من المسلمين من يتحيز للافرنج لما عندهم من نساء جميلات . قال ابن كثير فى البداية والنهاية حوادث سنة ٥٨٦ « استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وامداد الافرنج تفد اليهم من البحر فى كل وقت حتى ان نساء الافرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تاتى بنية راحة الغرباء لينكحوها فى الغربة فيجدوا راحة وخدمة وقضاء وطر . قدم اليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن بهذه النية فاذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة حتى ان كثيرا من فسقة المسلمين تحيزوا لهم من اجل هذه النسوة واشتهر الخبر بذلك » . وفى وصف تلك النسوة يقول العماد الاصفهانى « فوصلن وذكرن انهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن . وانهن لا يمتنعن من القربان ، ورأين انهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان . وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب . وفتحن ابواب الصدور على الاعجاز وسححن بالسلعة لذوى الاعوال » .

وكان ابن القيسرانى الشاعر يذهب الى كنائس الافرنج ويتغزل فى النساء ويتمنى أن لو كان صليبا ، أو صورة مرجرجس . فمن ذلك قوله :

بدينك يا قس بربارة
وما بت تتلوه فى المقدس
اجرنى من الصور الناطقات
وقد قمن حولك فى مدرس
اذا هن الحظن وقت الصلاة
فى كل لون من الاطلس
فيا ليتنى عندها دمية
ترانى ولا ريب فى ملمس
فاقسم لو اننى استطيع
تحولت صورة مرجرجس

وبعد انقضاء مدة الهدنة ترك الصليبيون الشرق ، وانقطعت الصلة بينهم وبين الشرقيين ماعدا البنادقة والجنويين فانهم ارتبطوا بالشرق وخاصة مصر بروابط اقتصادية . ووجدوا من سلاطين المماليك خير مشجع . وكان بعض الرحالة من الاوربيين يزور مصر والشام ، ويدون مشاهداته . ومن أشهر هؤلاء فولنى الفرنسى وله كتاب ضخم عن رحلته .

قضية للمناقشة

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

الدولة العثمانية في الكتابات الغربية

منذ قيام الدولة العثمانية حتى انهيارها كانت الكتابات الغربية التي عرضت لها متأثرة الى حد كبير بعاملين رئيسين :

أولهما : ان هذه الدولة كانت امتدادا للدول الاسلامية السابقة وانها ظلت عدة قرون تشكل آخر الامبراطوريات الاسلامية . لهذا اصطبغت الكتابات الغربية عنها بالصبغة الصليبية التي اساءت فهم الاسلام والمسلمين خاصة وان الاتراك العثمانيين لم يندمجوا في رعاياهم وجيرانهم الاوروبيين ، بل ظلوا شديدي الحرص على دينهم الاسلامي وعلى التراث الذي استقوه من الحضارة العربية الاسلامية التي اختلفت عن الاسس التي قامت عليها الحضارة الغربية

(ثانيهما) ان الدولة العثمانية قد شكلت منذ ظهورها خطرا متزايدا على أوروبا . حقيقة ان الاوروبيين واجهوها منذ البداية بسلسلة من الحملات الصليبية ، الا ان العثمانيين أوقعوا بهذه الحملات هزائم مريرة ـ نذكر منها على سبيل المثال موقعة قوصوه (١٣٨٩) وموقعة نكوبوليس (١٣٩٦) وموقعة فارنا (١٤٤٤) . وأخيرا حقق العثمانيون حلم المسلمين القديم الخاص بالاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية ، وهي آخر ما تبقى من الامبراطورية الرومانية القديمة (١٤٥٣) . ثم مضى العثمانيون في توسيع أملاكهم فاستولوا على كل شبه جزيرة البلقان وجزر شرقي البحر المتوسط وسيطروا على جنوبي روسيا واحتلوا المجر (١٥٢٦) وحاصروا فيينا في عام ١٥٢٩ ، ولم يكن ذلك آخر حصار لهذه المدينة الهامة الواقعة في قلب أوروبا والتي لم تلبث أن أصبحت عاصمة لما عرف باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة . بل لقد نزلت

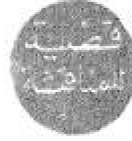

مصطفى كمال اتاتورك


السلطان عبدالحميد

القوات العثمانية فى جنوبى ايطاليا عدة مرات أولاها فى أواخر عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١) ـ وكان هدف هـذا التوجه العسكرى الزحف على روما والقضاء على البابوية التى ما فتئت تدعو الاوروبيين الى حمل الصليب وتدمير الدولة العثمانية وفتح الطريق نحو القدس ٠ وفى الوقت الذى هددت فيه الدولة العثمانية المانيا سيطرت على كل الوطن العربى باستثناء مراكش وسدت مداخل البحر الاحمر فى وجه الحملات الصليبية البرتغالية ٠

● تفتيت العالم العربى ●

وتصدت للوجود البرتغالى فى الخليج العربى وفى المياه الشرقية وساندت مسلمى الاندلس الذين تعرضوا للاضطهاد الاسبانى وحررت طرابلس الغرب وتونس والجزائر من الاحتلال الاسبانى ـ الصليبى وسيطرت بعض الوقت على الملاحة فى البحر المتوسط ، وبعد أن تحطمت وحدة العالم الغربى فى أعقاب حركة الاصلاح الدينى التى فجرها مارتن لوثر فى أوائل القرن السادس عشر ساندت الدولة العثمانية المذهب الجديد الذى استنجد انصاره بها ذاهبين الى أن مذهبهم أقرب الى التوحيد الاسلامى من المذهب الكاثوليكى ٠٠ ولاسباب سياسية فى المحل الاول انقذت الدولة العثمانية المذهب الجديد من الدمار الذى كان عرضة لان يلحق به على يد الامبراطورية الرومانية المقدسة التى هيمنت على ايطاليا واسبانيا واملاكهما فى العالم الجديد والمانيا والاراضى المنخفضة وتزعمت الجهود التى بذلت لمواجهة العثمانيين



والمذاهب المنشقة على سلطة البابوية وهكذا لعبت الدولة العثمانية دورا هاما فى تفتيت وحدة العالم الاوربى الذى انشغل بالحروب الدينية والاستعمارية - بل لقد استنجدت ملكة بريطانيا اليزابيث الاولى بالسلطان العثمانى فى أواخر القرن السادس عشر لكى يرسل سفنه لحماية الجزر البريطانية من الخطر الاسبانى ، مدعية هى الاخرى أنها تعتنق التوحيد الذى أخذ به سلاطين آل عثمان والعالم الاسلامى !

لكل هذا كان العثمانيون مصدر رعب بالنسبة للاوربيين الذين خشوا أن تقضى الدولة العثمانية على الدين المسيحى - لهذا دقت اجراس الكنائس فى ربوع القارة الاوروبية لدى وفاة السلطان محمد الفاتح ثم لدى فشل حصار العثمانيين لفيينا أكثر من مرة وظلت مخاوف الاوربيين من العثمانيين تلعب دورا رئيسيا فى تشكيل الصورة التى كونوها عن العثمانيين ، وهى الصورة التى امتزجت الى حد كبير ولفترة طويلة بالتراث الاوروبى الوسيط المتعلق بالاسلام والشرق، خاصة وأن الاوربيين خلطوا ما توصلوا اليه من المعلومات عن العثمانيين بأشكال الفكر والتعبير التى ارتبطت بالاسلام فى العصور الوسطى ، وهى أشكال ذات صبغة صليبية شديدة العداء للاسلام والمسلمين . لهذا ظل العثمانيون بالنسبة الى أوروبا يمثلون خطرا لا يستهان به ، وبالتالى كانت الوثائق الخاصة بتنظيمهم والدراسات المتعلقة بنواياهم السياسية والتواريخ المستفيضة التى تناولت تصاعد قوتهم تشكل الاساس الذى قامت عليه المؤلفات التى تطرقت اليهم، حيث ظل الاوربيون ردحا طويلا يعتبرون الصراع ضد العثمانيين وسائر المسلمين جزءا من صراع كونى واحد بين المسيحية والاسلام .

وفى اسبانيا التى حملت العبء الاكبر فى مواجهة العثمانيين تعقدت وجهة النظر هذه التى نمت فى ثنايا اضطلاع الاسبان بمهمة دينية تستهدف تحويل العالم الى الدين المسيحى على المذهب الكاثوليكى ، وبالتالى فانهم سعوا عقب سقوط غرناطة (١٤٩٢) الى تعقب المسلمين فى شمالى افريقيا، كما سعوا الى تنصير السكان الاصليين الذين خضعوا لهم فى الامريكتين عقب الكشوف الجغرافية الا أن بسالة العثمانيين فى مواجهة الاسبان جعلت هؤلاء الاخيرين يعترفون بقدرة عدوهم الحربية ويعترفون بدقة نظامهم، ولو أنهم عزوا فشلهم فى مواجهتهم لا الى قوة العدو ، بل الى سوء القيادة أو الى أوضاع الاجرام السماوية . وهكذا تطورت نظرة الاسبان الى العثمانيين خلال القرن السادس عشر من الخوف الى الاحترام والاعجاب . على انه فى أعقاب فشل الحصار العثمانى لجزيرة مالطة (١٥٥١) وهزيمة الاسطول العثمانى فى موقعة ليبانتو (١٥٧١) على أيدى التحالف المسيحى أخذت تتغير الصورة التى كونها الكتاب الاسبان عن الصراع ضد العثمانيين . فالانتصارات التى أحرزها الجند المسيحيون والاسبان فى مالطة وبوجه خاص فى ليبانتو قد استتبعت انتعاشا نفسيا رفع مستوى ثقة المسيحيين بأنفسهم فيما يتعلق بعلاقاتهم بالمسلمين وعدلت الصورة الادبية الخاصة

بالخصم المسلم الذى أضحى حينئذ أقل خطورة بكثير ــ فلم يعد الاتراك مصدر خطر مخيف يستوجب توخي العناية فى تحليلهم ، بل أصبح فى حيز الامكان أن يشكلوا موضوعا للاعمال تستند الى الخيال ٠

● حملات ضد العثمانيين ●

وحتى أواسط القرن السابع عشر أصبح تاليف أعمال خيالية عن الاتراك العثمانيين أداة استعان بها المؤلفون الاسبان فى تمجيد بلدهم ودينهم فى الوقت الذى لم يشهد حربا واسعة النطاق ضد المسلمين ٠ ولما لم يحل الانهيار بالعثمانيين بفعل الاسلحة المسيحية تمسك الكتاب الاسبان بأمل أن تنجز مثالب المجتمع العثماني مالم يتسن للسيف انجازه ٠ ومما تجدر الاشارة اليه أن الكاتب الاسبانى الكبير ميجيل دى سرفانتس مؤلف القصة الشهيرة (دون كيخوته) قد اشترك فى الحملات الاسبانية على الشمال الافريقى ، بحيث أثرت هذه التجربة فى كثير من الصور الادبية التى تمتلىء بها قصته ٠ وفى مجال المناقشة اهتم المؤلفون اهتماما كبيرا بأمراء العثمانيين وخلعت صفات سلبية ــ كالسكر والشهوات ــ على السلاطين العثمانيين من أمثال سليم الثانى (١٥٦٦ ــ ١٥٧٤) ومراد الثالث (١٥٧٤ ــ ١٥٩٥) ، وعزيت الى التركى كل المثالب التى فى مقدمتها ــ فى رأى الغربيين ــ تعدد الزوجات والطلاق ٠ وقد جرى هذا التحول فى وصف الاتراك العثمانيين والمجتمع الاسلامى وصفا خياليا فى الوقت الذى اشتد فيه ساعد حركة الاصلاح الكاثوليكى فى أوربا ، وهى الحركة التى وجهت هجومها الى أعداء البابا والمذهب الكاثوليكي ولجأت الى اسلحة قمعية منها محاكم التفتيش والحرق علنا ، وحظر الكتابات التى لا تقرها البابوية ومنها القرآن الكريم وكتابات افلاطون ودعم الجماعات الكاثوليكية المسلحة (وأهمها الجزويت بمعنى جند المسيح) التى كانت تسعى الى التصدى لأعداء المذهب الكاثوليكى واستغل امتلاك العثمانيين للبقاع المسيحية المقدسة فى فلسطين فى أحياء الروح الصليبية بصفة دورية ٠

● تركة الرجل المريض ●

ثم بدأ عصر الهزائم العثمانية المتتالية وبخاصة بعد ظهور روسيا القيصرية وتشكيل شتى المحالفات الاوربية التى استهدفت القضاء على الدولة العثمانية ٠ وفى ثنايا هذا الهجوم الاوربى المعاكس ظهر ما عرف فى المصطلح الدبلوماسى باسم « المسألة الشرقية » وتركة « الرجل المريض » ٠ وهكذا فمنذ القرن الثامن عشر بوجه خاص تحولت نظرة الاوربيين الى العثمانيين من الاعجاب والاحترام الى عدم الاكتراث والاحتقار ٠

وظهرت الى حيز الوجود مختلف المشروعات التقسيمية التى أحصى منها الكاتب جوفارا مائة مشروع تقدم بها ساسة وتجار ورجال دين وغير ذلك ٠ ويرتبط بهذه المشروعات تصميم اوربا على أن تفرض حضارتها على الشعوب الاقل حضارة فى شتى أنحاء العالم ، واتخذ هذا الاتجاه عدة أشكال استعملت فيها اسماء التجارة والتقدم والانسانية والدين أو أى اصطلاح مناسب آخر ، وجرى الافتراض بأن على كل الشعوب أن تقبل عن طيب خاطر الاخذ بالمثل والانماط الادارية الاوربية ولوقت طويل ظلت فكرة الاوربيين الخاصة بالاتراك والدولة العثمانية متأثرة بنفس المفاهيم الوسيطة التى ◀

سخرت لخلع الشرعية على الحروب الصليبية وثبت جدواها فى عصر الامبريالية الاقتصادية والثقافية ، فروسيا القيصرية ادعت أنها وريثة الامبراطورية البيزنطية وغلفت أهدافها التوسعية بمسيرة انسانيه الهدف منها تحرير الشعوب البلقانية الارثوذكسية من نير الاتراك العثمانيين ·

وتوافد المبشرون الامريكان والفرنسيون وغيرهم على الاملاك العثمانية وهم يحلمون بتنصير المسلمين و « هداية » الطوائف المسيحية المحلية واثارتها لكى تتمرد على الحكم العثمانى املا فى تمزيق الامبراطورية العثمانية وتحقيق الاحلام الصليبية القديمة · وحين لجات الدولة العثمانية الى قمع أعمال التمرد أثيرت ضدها حملات دعائية شرسة ـ بل ان السياسى البريطانى وليم ايوارت جلادستون صرح فى عام ١٨٧٧ فى أعقاب اعمال الشغب التى قام بها البلغاريون بأن الاتراك العثمانيين يشكلون وصمة عار فى جبين أوربا وانه قد آن الاوان لطردهم بقضهم وقضيضهم bag and baggage من القارة الاوربية ومن ناحية أخرى فان بعض الدراسات الاوربية التى جرت فى أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر وكتبها رجال على اطلاع وثيق بأوضاع الدولة العثمانية كانت تستند الى الواقع وتسعى الى تحقيق أهداف عملية ـ ومن هؤلاء اشخاص اضطلعوا بين وقت واخر بخدمة حكومات أوربية وانشغلوا الى حد كبير بمشاكل محددة تتصل بالتجارة والاقتصاد والتغييرات الادارية والسياسية ، فى حين نظر البعض الأخر احيانا الى المشاكل العثمانية من زاوية المصالح الاقليمية والاقتصادية الاوربية وبالتالى اقترحوا أن تعمد الدولة العثمانية الى القيام باصلاحات عصرية على النمط الاوربى من شانها أن تطور نظمها ومؤسساتها وفق أسس جديدة · ومن تحمسوا لهذه الاصلاحات كتاب وساسة بريطانيون كانوا يسعون الى تقوية الدولة العثمانية بحيث تشكل حاجزا فى وجه التوسع الروسى صوب المياه الدفيئة · وقد أبدى دعاة الاصلاح الاوربيون ، وبوجه خاص الانجليز ، ضيق صدورهم نتيجة البطء فى تحديث الدولة وتوقعوا أن يلمسوا تغيرات سريعة ، ومن ثم احكامهم السلبية وتجاهلهم لكون الصعوبات المحيطة بالدولة العثمانية اخطر بكثير مما كانت تواجهه معظم الدول المعاصرة

السقوط المتوقع !

وكان موقف الكتاب الاوربيين من الدولة العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متاثرا بالقضايا المعقدة التى أثارتها المسالة الشرقية وهى القضايا التى كانت تدور حول السقوط المتوقع والحتمى للامبراطورية العثمانية وتقسيم أملاكها وتوزيع مناطق النفوذ الجديدة فى الشرق الاوسط · ومن العسير توقع قيام الكتاب الاوربيين بدراسات موضوعية عن المجتمع العثمانى فيما اعتبر الايام الاخيرة من حياة الدولة · وعززت وجهة النظر السلبية هذه الكتابات القومية التى صدرت فى البلقان ووصفت الدولة العثمانية بأنها دولة أجنبية اعترضت التطور الطبيعى للنظم السياسية الحديثة لدى شعوب

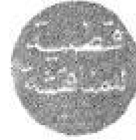
البلقان التى أرجعت تخلفها عن باقى الشعوب الاوربية الى خضوعها للحكم العثمانى الذى دمغ بالبربرية والقسوة والظلم والجمود ، وهى الأحكام العامة التى كانت لا تزال متداولة فى الغرب وكان لها أثرها فى موقف الدول الاوربية من الدولة العثمانية التى مالبثت ان اقحمها الاتحاديون فى أتون الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا وحلفائها، وحين حلت الهزيمة بدول الوسط، ومنها الدولة العثمانية حكم على هذه الاخيرة بالفناء وعوملت بقسوة استثنائية لم تطبق على باقى الدول المهزومة بحيث سعى اليونانيون الى بعث الدولة البيزنطية والقضاء على الوجود التركى فى أوروبا وشبه جزيرة الاناضول .

الا أن الاتراك ، ازاء روح التشفى التى صدرت عن المنتصرين والاقليات الدينية ، رفعوا لواء المقاومة بعد أن انتهى وجود الدولة العثمانية ــ من الناحية الواقعية ــ بصفتها دولة أوربية واخيرا وجدت حركة المقاومة الوطنية التركية قائدها فى مصطفى كمال (اتاتورك) الذى نسقها وبلور أهدافها وجسم امانيها ثم قادها الى النصر فى النهاية وأقام النظام الجمهورى الذى قضى على الخلافة العثمانية وأخذ بالعلمانية ووضع حدا نهائيا لجعل الشريعة الاسلامية الاطار العام للدولة وساوى بين الرجل والمرأة وبين المواطنين على اختلاف دياناتهم وأبطل استعمال الحروف العربية وفرض استعمال الحروف اللاتينية وارتداء الملابس الاوربية . ولم يخف الكتاب الاوربيون اعجابهم بالعهد الجديد ومحاولاته الاصلاحية التى قارنوها بما اعتبروه جمودا خلال العصر العثمانى . ومن اهم من أشادوا بالتحول الجديد المؤرخ البريطانى رنولد توينبى الذى كان شديد الحماسة للحضارة الغربية التى كان يتوقع أن تسود العالم بعد قضائها على الحضارات القديمة ، ومن ثم حماسته لأخذ تركيا الحديثة ببعض الانجازات الغربية . بل انه فى بعض دراساته ذهب الى أن اقتباس العثمانيين لبعض مظاهر الحضارة الغربية منذ أواخر


شفيق غربال


ارنولد توينبى





القرن الثامن عشر قد جر وراءه كل مقومات هذه الحضارة التى اكتسحت ديناميتها الاسس العامة التى بنيت عليها النظم العثمانية ، وهى النظم التى أرجعها الى أصول رعوية . وجارى توينبى فيما ذهب اليه تلميذه المصرى محمد شفيق غربال الذى تأثر بآرائه جيل كامل من تلامذته المصريين رغم أن هذه الآراء قد واجهت النقد فى الغرب هى ونظريات توينبى المتعلقة بقيام الحضارات وانحلالها . فرغم تأثر البنى الفوقية للدولة العثمانية ولتركيا الجمهورية بالانماط الاوربية فان جماهير الاتراك لا تزال متمسكة بكثير من العادات والتقاليد الشرقية والاسلامية

انصاف الحضارة العثمانية

وبعد الحرب العالمية الثانية كانت قد زالت مختلف المشاعر التى كان يثيرها الوجود العثمانى فى مخيلة الاوربيين مما مهد لظهور عدد كبير من المؤرخين المنصفين الذين اصطنعوا الموضوعية فى معالجة أسس الحضارة العثمانية واكدوا على دورها الحيوى بالنسبة الى تاريخ الاسلام والشرق الاوسط وأثاروا اهتماما جديدا بالتاريخ العثمانى . وفى طليعة هؤلاء المؤرخين فرانز بابنجر الذى لا تزال دراسته الخاصة بالسلطان محمد الفاتح تشكل مصدرا كلاسيكيا لحياة هذا السلطان وانجازاته ، وبول فتك الذى خرج فى كتابه « قيام الامبراطورية العثمانية » بنظرية جديدة عن أصل العثمانيين تناولت بالتحليل والمقارنة القصة التقليدية الخاصة بهجرة آل عثمان الى الأناضول فى زمن المد المغولى ، وأرجع قيام الدولة الى حركة الجهاد الاسلامى التى نمت فى غربى الاناضول فى أعقاب انهيار دولة سلاجقة الروم فى أواخر القرن الثالث عشر . ومن المؤرخين المرموقين الذين توخوا الموضوعية فى تناول التاريخ العثمانى برنارد لويس الذى أضاف الى المكتبة التاريخية عدة دراسات أصيلة حول التاريخ العثمانى لعل أهمها كتاباه « ظهور تركيا الحديثة » .. و « استانبول والحضارة العثمانية » ، هذا الى جانب مؤرخين غربيين مرموقين آخرين منهم كلود كاهان ـ وروبرت مانتران ـ وهاملتون جب ـ وهارولد بون وغيرهم . ومما ساعد على اعادة النظر فى التاريخ العثمانى بدء تنظيم الارشيف التركى وانتشار دراسة التاريخ العثمانى فى الجامعات الغربية . أما فى شبه جزيرة البلقان التى اعتنقت كثيرا من دولها ـ الايديولوجية الماركسية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فقد فسر التاريخ العثمانى باعتباره العصر الاقطاعى الذى سبق ظهور البورجوازية الصغيرة فالرأسمالية فى القرن التاسع عشر ثم الاشتراكية بعد ذلك . وترتب على ذلك ظهور مادة وفيرة ترتبط بالتطور الاقتصادى والاجتماعى . وهكذا تعدلت النظرة الى التاريخ العثمانى خلال السنوات الاخيرة بسبب الاهتمام بالوثائق العثمانية بحيث أصبح فى حيز الامكان وضع هذا التاريخ فى مكانته الصحيحة فى اطار التاريخ العالمى .

أما فى الولايات المتحدة فلم تتطور الدراسات الخاصة بالتاريخ العثمانى الا بعد الاربعينات من القرن العشرين

فقبل ذلك كان هذا التاريخ يشكل جزءا من التاريخ الاوربي العام ، وبخاصة فيما يتعلق بالدبلوماسية الاوربية والدراسات المتعلقة بجنوب شرقي أوروبا دون اهتمام كبير بلغةالعثمانيين وثقافتهم أو بالدراسات العربية والاسلامية • وكانت هذه الدراسات السابقة متأثرة بالاحكام الخاصة « بمذابح الأرمن » و « المآسي البلغارية » بحيث دمغ السلطان عبد الحميد في الغرب باعتباره « السلطان الاحمر » و « السلطان السفاح » و « عدو المسيح » • وكان من المعتقد حينئذ أن الامبراطورية العثمانية على وشك الانهيار بحيث كانت « المسألة الشرقية » هي شغل المؤرخين والساسة الشاغل• وكانت أوروبا وأمريكا لا تزالان تعتقدان اعتقادا راسخا بتفوق الحضارة الغربية على كل ما كان يمكن للبلدان « المتخلفة » في الشرق أن تنجزه ، ومن ثم نشاط المؤسسات التعليمية التبشيرية في الامبراطورية العثمانية وقبول وجهات نظرالمهاجرين الى الغرب من غير المسلمين الذين اعتبروا حجة في كل ما يتعلق بالعثمانيين وسادت آراؤهم وأحكامهم دون أن يخضعها تحليل نقدي • بل لقد ظل الامريكان حتى وقت قريب متأثرين بالاحكام التي اطلقها الكتاب الاوروبيون على الدولة العثمانية ، وهي احكام كانت متحيزة بوجه عام ومتأثرة بافكار مسبقة ، بعضها مستقى من معتقدات دينية ولا يستند الى أي مصادر عثمانية • ولكن لم تلبث الجامعات الامريكية ، وفي طليعتها جامعة هارفارد ، أن شجعت تقدم الدراسات العربية والتركية ، خاصة وان الجامعات الامريكية قد اهتمت في أعقاب الحرب الاولى بتاريخ وأوضاع جنوب شرقي أوروبا التي ارتبطت الى حد كبير بالامبراطورية العثمانية ، خاصة وأن تركيا الحديثة قد وثقت علاقاتها بدول البلقان • وكانت النتيجة هي أن الجامعات الامريكية اهتمت اهتماما متزايدا باللغة والمصادر التركية ــ العثمانية وخلال الحرب العالمية الثانية ازداد اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الاوسط ذات الموقع الاستراتيجي الهام والثروة البترولية الضخمة والامكانات التجارية المتزايدة ــ وهكذا أضيف الى برامج بعض الجامعات الامريكية دراسات شرق أوسطية تشتمل على التاريخ العثماني والتركي واللغة العثمانية التركية ــ ومن هذه الجامعات برنستون وكولومبيا وهارفارد وميتشجان وشيكاغو وكاليفورنيا • (لوس انجلوس) وما لبثت هذه الجامعات أن اجتذبت باحثين أوروبيين واتراك ، من امثال اندرياس تيتزه وخليل اينالجك وفاخر عز وكمال كربات ، لعبوا دورهم في تأصيل الدراسات التركية والعثمانية وتوجيه الدارسين الى المادة المتوفرة في تركيا التي لعبت دورها في تصحيح كثير من الاخطاء الموروثة المتعلقة بالاتراك والتاريخ العثماني •

من العرض السابق **يمكننا أن تكون فكرة عامة عن تطور نظرة الغربيين الى الدولة العثمانية وتاريخها • فقد شابت هذه الفكرة فترة طويلة نظرة مسبقة ومتحيزة حكمت على الاتراك العثمانيين بوجه عام من زاوية الاهتمامات والمصالح والمعتقدات الغربية • ثم جاء رسوخ الدراسات التاريخية في الجامعات الغربية واتباع وسائل البحث العلمي والرجوع الى المادة العثمانية ليصحح النظرة الى التاريخ العثماني ويزيل التعصب والاهواء التي لازمته •**

أعلام معاصرون

صبرى منصور

"الأحلام دائمًا بحاجة إلى تفسير"

بقلم: د. نعيم عطية

عرفت فى أواخر الستينيات صبرى منصور فنانا يضرب بعيدا موغلا فى دروب صامتة، معرضا عن الصخب الزائف، مصغيا الى الصوت الداخلى الهامس كل ما فى لوحاته روح البرية سابحة فى بحورها الخضراء الضبابية، وليس الزمان يحسب بالساعات، فهو زمان تراجيدى. عالم سكونى .. التفاصيل عنه منفصلية، فتقل المباشرة، والايحاء يقوى، عالم الحلم هو، لكنه الحلم الدرامى لا الفانتازيا، علاقة ضارية بين الانسان والمجهول، السماء انقضاض، والارض استسلام لتهديد، وانطراح على مذبح، الحركة استحالت رمزا، فالطائر مثلا ليس طائرا بذاته، لكنه المخلب الجارح، والمنقار الشرس، والنظرة التى لاتطرف. شبحيات بكائية خارجة من توابيت الفراعنة.

لوحات صبرى منصور لا تعطى سرها لاول نظرة، وعلى الرغم من أن حيزها يظل اميل الى الخواء، الا ان اجواءها تبقى مشحونة بالتوتر، وتنم عن معاناة اللغز، فالوجه الذى تغطيه جدائل الشعر الغزيرة المنسكبة، والنقاب الابيض الذى يلوب فى الخلفيات الخضراء الشاحبة تخفى على الدوام سرا، انها



قريتنا في الليل ١٩٨٢

اجواء غنية رغم الزهد اللونى ، ورؤية منفردة فى تصويرنا المعاصر .

الريف موضوع مطروق، كثيرون صوروا مناظر الحصاد ، والعمل فى الحقل ، وملء الجرار من النهر ، والعودة من السوق ، وغير ذلك من مناظر الحياة فى الريف . اما صبرى منصور فقد دخل منذ اواخر الستينيات الى موضوع « القرية » وهو موضوع حبيب الى قلبه منذ صباه الباكر — دخله من زاوية « الليل » واضحى شغله الشاغل فى هذه الرحلة التى تلى عودته من البعثة الى اسبانيا هو « الليل الريفى » .

ولهذا الموضوع بالنسبة لصبرى منصور شقان : الاول هو الموضوع نفسه، الذى يتناوله بشكل جديد ، يختلف عما سبق لكل من طرقه قبله . اما الثانى ، فهو ان صبرى منصور قد اقصى عن انشغاله الجوانب التى الفها الفنانون السابقون من الريف . ترك الريف السابح فى الضياء النهارية ، المتلالىء تحت وهج الشمس ، وركز على زاوية « الليل الريفى » الهامس ، المليء بالاسرار والحكايات الخرافية ، والحواديت ، والالغاز ، وهل ننسى على سبيل المثال « الجنية » التى تعيش فى بئر الساقية ، « وام الشعور » التى تحيا على ضفاف الترع وتتمايل فى رشاقة ومهابة عندما يطلع القمر ، والعفاريت التى تملأ الازقة والدروب و « القيطان» النائمة فى ظلمة الليل الريفى المعتمة ؟ وهذا الجانب الخراق بدأ يختفى من الريف المصرى بدخول الكهرباء ، وتشييد البيوت من الاسمنت المسلح ، وهما خامتان تفتقران الى الذوق والحس ، لان البيوت الريفية المبنية بالطين كانت من حيث الشكل الفنى مليئة بالجمال والدفء . ومن ناحية اخرى ، فقد انشغل صبرى منصور فى لوحاته عن الريف فضلا عن مصرية الموضوع والتصاقه الحميم بالبيئة — انشغل بان تجيء صياغته ذاتها للموضوع حاملة خصائص الاستقلال والاختلاف عن الصياغات التى تم بها التعبير عن موضوع الريف من قبل . ولنذكر من الصياغات القديمة فى هذا المقام اعمال يوسف كامل عن الريف

المصرى ، التى كانت تحتوى – فى تناول صبرى منصور – على نوع من التناقض بين بيئية الموضوع وأوربية المعالجة ، المتمثلة فى « المذهب التأثيرى » . على الاخص . فلم يكن هناك فرق بين اعمال يوسف كامل وبين اعمال اى فنان تأثيرى اجنبى تسنى له ان يسجل بنفس اللمسات المفعمة بالالوان المضيئة ، تلك الموضوعات التى طرقها يوسف كامل . وقد حاول صبرى منصور من ناحيته ان يزيل هذا التناقض بالمواءمة بين الموضوع وطريقة تناوله وتجسيده . لهذا كانت صياغته تستمد جذورها من قيم فنية منتمية الى مصر ، اكثر من انتمائها الى قيم التراث الفنى الغربى ، فعلى سبيل المثال هناك عنصر « السمترية » وهى فكرة ممجوجة اصلا فى الفن الغربى ، ولكنها محببة فى التراث المصرى القديم ثم القبطى والاسلامى . وهناك عنصر « هندسية التصميم » . وهناك ايضا عنصر « التسطيح » او المنظور الذى لا يعتمد على فكرة الايهام بالبعد الثالث ، وانما يركز على بعدين اثنين ، وهو منظور يختلف اختلافا كبيرا عن المنظور الغربى الذى يرمى اساسا الى تجسيد الواقع والايهام به ، هذه العناصر الثلاثة هى العناصر الاساسية التى اعتمد عليها صبرى منصور فى تصميماته ، وادت الى تحقيق شكل متميز .

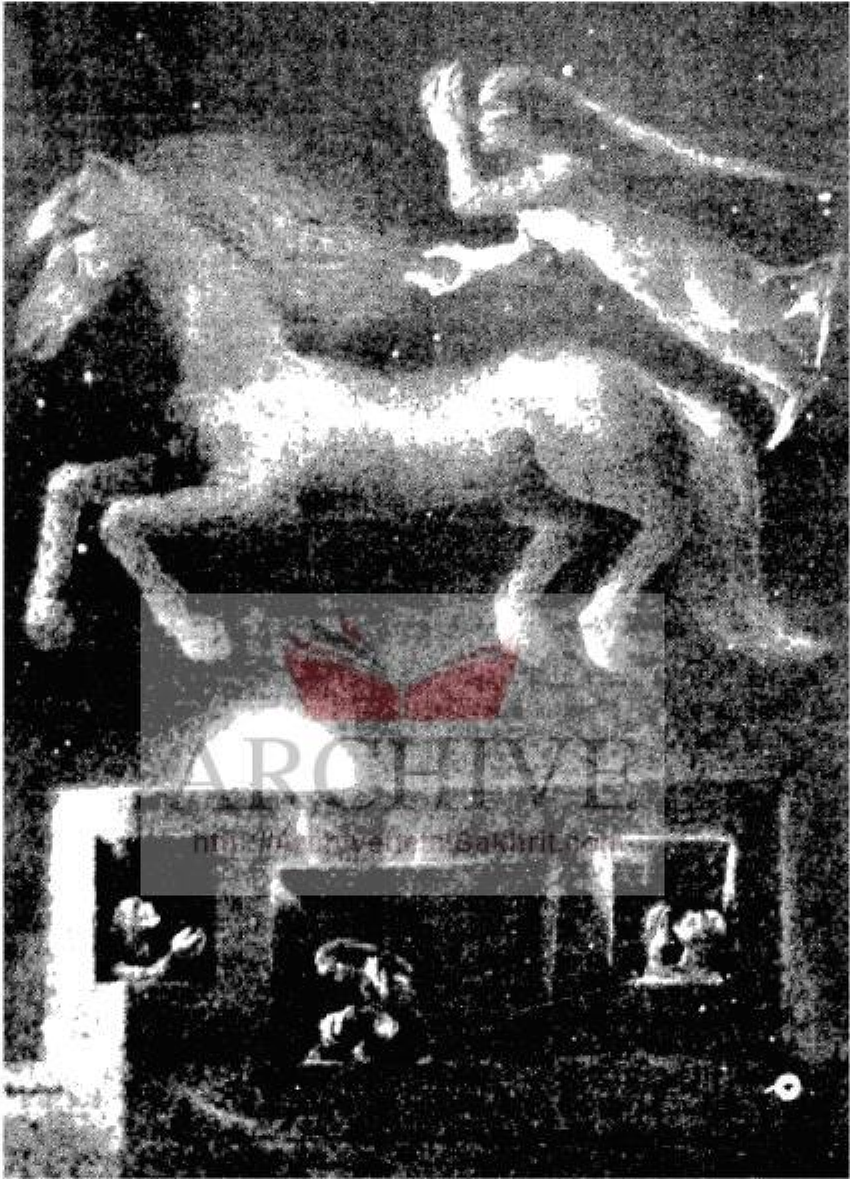
تعدد العناصر

ومن هذا المنطلق بدأت عناصر ومفردات جديدة تدخل اعمال صبرى منصور منذ عودته فى صيف ١٩٧٨ من بعثته الفنية الى اسبانيا ، فبعد ان كان الشكل ساكنا صامتا بدأت « الحركة » والايماءات تظهر بوضوح على الاشكال . وهناك عنصر « الضوء » الذى كان فيما مضى ينتشر على المسطحات بشكل متساو تقريبا ، اما الان فقد بدأ يستخدم من اجل اداء وظيفة تعبيرية وجمالية اكثر فعالية . وهناك ايضا اللجوء الى افساح المجال داخل اللوحة للعناصر وتعددها ، بعد ان كان يتم التركيز فى اللوحة على بضعة عناصر قليلة او على عنصر واحد ، بل وعلى جزئية دون غيرها ، مع ترك سائر الموضوع خارج اطار اللوحة ، تتسول الجزئيه المركز عليها او العناصر المنشغل بها الايماء اليه . ان اطار اللوحة الان اصبح يحتوى على عالمها كله ، وليس هناك امتداد بصفة عامة خارج هذا الاطار .

هذه العناصر الثلاثة : الحركة ، والضوء ، والتعدد ، هى مظاهر التطور الذى طرأ على اعمال صبرى منصور فى مرحلته الحديثة التى يمكن ان نطلق عليها مرحلة « الليل الريفى » .

وعلى الرغم من ان لوحات صبرى منصور الحاصل على جائزة بينالى الاسكندرية عام ١٩٧٢ فى مرحلته الحديثة ، التى تمتد اربع سنوات بعد عودته من البعثة ، قد زادت فيهما الحركة وتنوعت الايماءات ، وبصفة عامة زاد انحسار الستار عن جوانب المشهد الذى تنشغل به اللوحه ، فان المرء مازال يحس ازاء لوحاته بانه ثمة ماهو خارج عن اطار اللوحة ، يومىء الى ان ثمة ما سيحدث ، اكثر من مجرد تقرير ما هو حادث ، وفيما مضى من لوحات صبرى منصور فى مرحلته الاولى قبل البعثة كان المرء يحس بان ثمة شىء ما حدث ، وانه يعاين بقاياه فى اللوحة وانه انما يعاين فى اللوحه بقاياه فحسب ، ومن ثم عليه فى كل الاحوال ان يحدس .

وقديما كان عليه ان يشحذ التفرج فكره وخياله ليتمثل ما حدث ، واليوم عليه ايضا ان يقدح زناد فكره ويطلق



الرؤيا .. من اعمال الفنان عام ١٩٨٤ ـ حبر شيني على ورق ٥٠ × ٣٠ سم

الفنان لخياله كي يستوعب ما سوف يحدث .

ان العمل الفنى عند صبرى منصور يجدر ان يتذوق على مستويين ، مستوى ماهو ماثل امامه ، اللوحة ، ولكن تذوقه لن يكتمل ولن يبلغ ذروته الا اذا تجاوز المستوى الاول المباشر المحدود ، الى مستوى التفاعل مع اللوحة ، والولوج منها الى عالم اللامرئي واللا محدود . حقا ان لوحات صبرى منصور من هذه الزاوية مثل « الاحلام » تحتاج على الدوام الى تفسير . وسوف تكشف الى اى قدر استوعب فناننا القدير تعالم « الرمزيين » من رجال الفرشاة والقلم على السواء .

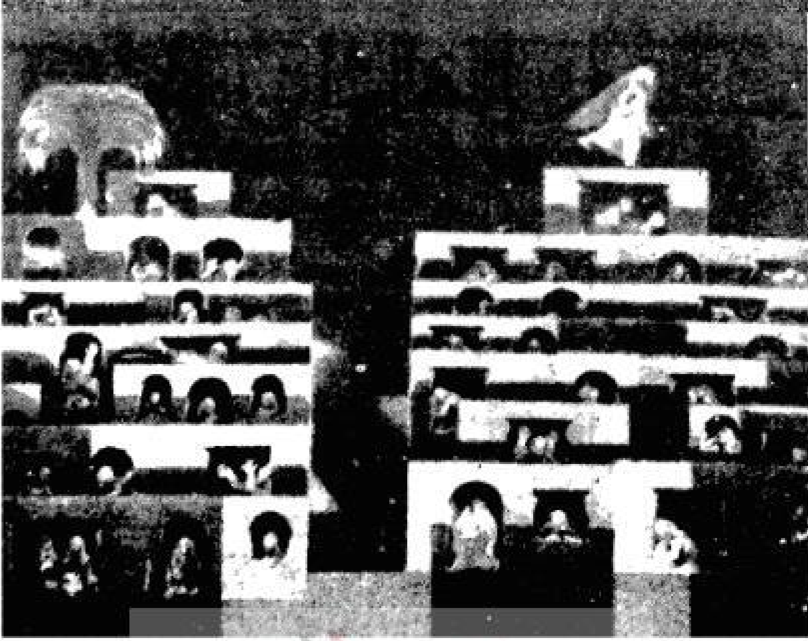
اننا فى لوحات صبرى منصور الحديثة على وشك ان نعاين امرا سيقع . اى ان عنصر التوتر والترقب موجود فى هذه اللوحات بشكل ملموس . ثمة شيء سيزحف . يثير فى الوجدان توجسا ورهبة ، على الاخص فى قلب الليل الساجي ، والاضاءات المبهمة لبعض الكاشفة والظلال الزاحلة على المشاهد الريفية .

وفى حديث لى مع صبرى منصور فى امسية الاول من اغسطس ١٩٨٣ قال لى الفنان :

« ان التعبير الفنى يصدر عن احساس معين بالحياة وبالوجود بشكل عام ، واحساس انا بهذا الوجود وبهذه الحياة هو - كما تمثل فى لوحاتى - احساس بترقب المجهول والايماء اليه فى الوقت ذاته ، الى الحد الذى يتم بدون وعى او قصد فى اعمالى . وعلى سبيل المثال ، اذكر انى عندما كنت طالبا بكلية الفنون الجميلة كانت تنحصر مهمتى فى الدراسة الاكاديمية ، وكانت الاشكال التى افرغها فى لوحاتى رغم جودة رسمها واتقان نقلها عن الواقع تشى بهذا المجهول ، وتفصح عن ارتباطها بعالم ابعد من العالم المرئى والمحسوس . وقد مضيت اكثف احساسى بالعالم الاخر وأركز تجربتى الروحية بحيث تكتب الغلبة لهذا الاحساس ، ويتبلور ادراكى المبهم له حتى يصل الى الرائى بشكل مصفى . وعلى ما اعتقد، فان هذه هى النوعية التى استطيع ان اسهم بها فى الحركة التشكيلية المعاصرة. فهذه رؤيتى التى اومن بها ، وأحاول بصدق ان اعبر عنها ، وذلك الى جانب رؤى الاخرين من زملائى الفنانين الذين يقدمون نوعيات اخرى من الرؤى . وان الثراء الحقيقى للحياة الفنية هو ان يقدم كل منا نفسه ببراءة وصدق . مؤكدين على استنبات سمات خاصة لفننا القومى لا نكون فيه مجرد مقلدين لاتجاهات اجنبية او مرددين لتعاليم غربية بدعوى المعاصرة ، ومواكبة الركب الحضارى ، الذى هو ركب تكنولوجى بالمقام الاول. ورفض التبعية - هذا، مع الاكبار والتبجيل للمنجزات التشكيلية الحقة على مر العصور شرقا وغربا - هو المجال الذى يعنينى ان اعمل فيه عقلى وتفكيرى . ولذلك فان لوحاتى خليط بين الاملاءات العقلية بكل ما تلقيته من خبرات ومعارف ، وبين اطلاق الفنان للملكات التعبيرية والقدرات الروحية العميقة التى يكون لها فى النهاية الغلبة فى عملى الفنى دون اجحاف او تجن .

واننا لو حللنا اغلب لوحات صبرى منصور الحاصل على جائزة المعرض العام سنة ١٩٨١ فى مرحلة « الليل الريفى » لوجدنا بعض المفردات تكاد تتكرر بحيث تصبح من العلامات المميزة لهذه المجموعة من الاعمال الجديدة . فهناك النخيل ، والاهلة ، والاشكال الاربية المطلة او البادية من فتحات فى عمائر ريفية مبسطة فى اشكال هندسية .

وقد ادرج صبرى منصور النخيل فى عالم الليل الريفى » ولم يكن قد التفت اليها من قبل . وقد تناول الفنان النخلة كمسبب تشكيلى يعود الى جمال



القرية .. كما رسمها الفنان صبرى منصور

شكلها بجذعها السامق في الهواء ونهاياتها المتفرعة فى الفضاء ، والظلال التى تلقيها هذه الفروع والجذوع على الارض والبيوت وما يمكن ان تشى به هـذه الظلال من الحنان والامان من ناحية والمهابة التى قد ترقى الى مرتبة ادخال الرهبة فى النفوس من ناحية اخرى . وهذا هو الجـانب التعبيرى لشكل النخيل .

كما يتأكد الجانب الجمالى للنخلة حين يختصرها الفنان الى خط رأسى مستقيم ينتهى باقواس ومنحنيات وعندئذ تستمع الى حوار بين صرامة الخـط المستقيم ورقة الخط المقوس . هذا بالاضافة الى ان عمر النخـلة عنصر بيئى تمتلىء به مصر من اقصاها الى أقصاها. ويحق للفنان المصرى أن يتغنى بعناصر تمتلىء بها عيوننا صباح مساء . وقد كان من اول اختيارات صبرى منصور من عناصر المشهد الريفى الذى اراد ان يعبر عنـه هو النخلة. ويقول الفنان : « من المؤكـد ان للنخلة جذوراً دفينة ترجع الى صباى فى قرية بخاتى بالمنوفية التى ولدت بها وعشت بها الاربع سنوات ، الاولى من حياتى قبل ان انتقل مع اسرتى الى طنطا » .

وتشبه صفوف النخيل المتراصة فى الحقول الملوية اعمدة المعابد الفرعونيـة بمهابتها ورسوخها . وفى لوحـة صبرى منصور « اغنية النخيل » تشعر بالايقـاع الطقسى الناتج عن التوالى لصـفوف النخيل عند الفنان على الدوام سامقـة منتصبة فيها شموخ وكبرياء ويضيف عليها الليل مزيداً من المهابة والوقار . ويقول صبرى منصور فى حديث له « لم اصور نخيلا محنية فى مهب ريح . او شوهاء النمو . وكم اشعرتنى النخيل باحتوائه للقرية واحاطته لها بالحنان والحماية ».

رفاعة رافع الطهطاوى

بقلم: جورجى زيدان

لا يختلف اثنان على ان الشيخ الطهطاوى هو ابرز رجالات النهضة الحديثة ومنارة مصر فى عصر البعث والتنوير، فقد ترك اثارا جليلة فى ميادين عديدة، ابقت عليها صروف الايام، كان اهمها مجال الترجمة، حيث نقل كثيرا من العلوم الاوربية الزاخرة بالمعارف الجديدة المجددة. ونذكر مما عربه رفاعه كتاب المنطق، وجغرافية ملطبرن، وهندسة ساسير، والقانون المدنى الفرنسى، وتعريب قانون التجارة، ورسالة المعادن وغيرها.

ولعله اول من عرف الشرقيين باخلاق واحوال الاوربيين وذلك فى كتابيه «قلائد المفاخر» و«تخليص الابريز».

والى جانب ذلك كان شعوره الوطنى والقومى واضحا فى اثاره، فقد تغنى بمصر، وذكر امجادها ونظم الاناشيد من وحيها، ودبج عنها الفصول الفياضة بالحب والتمجيد ولم يكن اقل وفاء للغته ودينه، فقد عمل على تسهيل تعلم العربية وله فى ذلك كتاب «التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية» وكتاب «جمال الاجرومية» كما انه سطر سيرة النبى (ص) وسجل مواقفه فى كتاب «نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز».

فلم يكن رفاعه رجلا عالما فقط، وانما كان ظاهرة ثقافية، حركت الجمود، وغيرت المناهج، وعدلت الخطط من اجل الاصلاح والنهوض، فلا جرم ان جرت بمدحه الاقلام واستنارت به العقول والافهام. اما كاتب هذا المقال فهو صاحب الهلال، نشره فى مجلته تكريما وتحية للرجل، ثم عاود ذكر سيرته مرة اخرى فى كتابه «تاريخ اداب اللغة العربية ج ٤».

قد أكمل الله ذياك "الهلال" لنا .. فلا رأى الدهر نقصاً بعد إكمال

شوقي



هو العالم العلامة السيد رفاعة ، ويتصل نسبه بمحمد الباقر بن علي زين العابدين .

وولد في طهطا بمديرية جرجا « سوهاج الآن » من صعيد مصر ، ويؤخذ مما كتبه عن نفسه ان اجداده كانوا من ذوي اليسار وأخنى الدهر عليهم وتعد بهم كما هو شأنه في بني الزمان ، فلما ولد المترجم كانت عائلته في عسر . وعندما ترعرع الغلام اخذ يقرأ القرآن الى أن حفظه ، وقرأ كثيراً من المتون المتداولة على أخواله وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبدالصمد الانصاري .

ثم توفي والده فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر سنة ١٢٣٢ هـ وجاهد في المطالعة والدرس جهادا حسنا .. ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الاعلام في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول والمنقول وكان في جملة من تلقى العلم عليهم من العلماء الافاضل الشيخ حسن العطار المتوفى ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر فأحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر أقرانه التلامذة وخصه بالتقرب منه .

وقضى صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثماني سنوات ، وكانت والدته تنفق عليه مما تبيعه من بقايا حليها ومصاغها فلما اتم

دروسه تعين سنة ١٢٤٠ هـ اماما في بعض آلايات الجند .

وكان ذلك العصر زاهيا بمحمد علي باشا .. وكان آخذا في مشروعاته تعزيزا لشأن هذا القطر وفي جملتها نشر العلوم فأحب ارسال لجنة من شبان هذا القطر الى أوربا لتلقي العلوم الحديثة ليكونوا له أعوانا في فتح المدارس وبث تلك العلوم في أبناء البلاد فأمر بتعيين صاحب الترجمة اماما لهم للوعظ والصلاة فسارت الارسالية المشار اليها من مصر سنة ١٢٤١ هـ وهي أول ارسالية مصرية الى فرنسا فتاقت نفس المترجم الى علوم الغرب « أي الفرب » فعكف على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه رغبة منه في تحصيل العلوم بها أو نقلها منها الى العربية . وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولكنه تمكن من فهم معانيها فهما جيدا وأخذ يطالع العلوم الحديثة فأتقن التاريخ والجغرافيا وعلوما أخرى وكان ميالا الى التأليف والترجمة فترجم وهو في باريس كتابا أسماه « قلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » وغيره . فبلغ محمد علي ما اظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة في العلم من تلقاء نفسه فسر به سرورا عظيما واستبشر بطالعه .

وفي سنة ١٢٤٧ هـ عاد الى الديار المصرية بعد أن نال الشهادات الدالة على درجته من العلم والفضل فولاه محمد علي منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي كان انشأها سنة ١٢٤٢ هـ في قرية ابي زعبل قرب القاهرة برئاسة كلوت بك وكان متوليا رئاسة الترجمة بها قبله يوحنا عنحوري من ابناء سوريا . وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق تولوه الترجمة وعمل على خدمة البلاد ولا سيما أن عارفي اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدون على الاصابع . ومما يعد له فضلا جزيلا أنه أول من باشر انشاء جريدة عربية في سائر الشرق وهي الوقائع المصرية فانها انشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٨ هـ .

وفي سنة ١٢٤٩ هـ انتقل من مدرسة ابي زعبل الى مدرسة الطوبجية في طرا لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية وفي سنة ١٢٥١ هـ انتبح المغفور له عزيز مصر مدرسة الالسن الاجنبية وعهد بادارتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة فقام الشيخ رفاعة اذ ذاك حق القيام بادارة هذه المدرسة واختار لها التلامذة وبلغ عددهم في أول الامر خمسين تلميذا ثم زاد حتى وصل ٢٥٠ . وكان في ابي زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية وعهدت ادارتها اليه نقلا عن مدرسة الالسن ومدارس أخرى

فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة واخرى للمحاسبة واخرى للادارة والاحكام الافرنجية .

وفى سنة ١٢٥٨ هـ تشكل قلم الترجمة من اول فرقة خرجت من مدرسة الالسن وبعد سنة ونصف من تشكيله نال رتبة قائمقام وكان قد نال ما يتقدمهما من الرتب تدريجيا فى اوقات متتابعة وفى سنة ١٢٦٢ هـ نال رتبة أميرالاى فصار يدعى رفاعة بك .

وما زال رفاعة ناظرا لمدرسة الالسن حتى اقفلت على عهد عباس الاول فأمر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم وما زال هنالك حتى توفى عباس باشا المشار اليه ١٢٧٠ هـ . وتولى سعيد باشا فعاد يشكر الله على نجاته من تلك الاقطار فمثل بين يدى سعيد باشا فعهد اليه سنة ١٢٧١ وكالة مدرسة الحربية بجهات الصليبة تحت رئاسة سليمان باشا الفرنساوى وبعد قليل انشئت مدرسة الحربية بالقلعة فاحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمعمارجية وعند ذلك نال الرتبة المايزة .

وفى سنة ١٢٧٧ هـ الغيت كل هذه المدارس فبقى رفاعة بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ فاعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضوا فى قومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة « روضة المدارس » مع مثابرته على التأليف وما زال قائما بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ بداء النزلة المثانية وله من العمر ٧٥ سنة .

وقد ملأ الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه .

وكان رحمه الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء أسمر اللون حازما مقداما على ذكاء وحدة ، وهذا ما نهض به من حضيض الصغر الى مراتب المجد والفخر حتى اصبح ممن يشار اليهم بالبنان ويقتدى باعمالهم بنو الانسان .

وكان فى اوائل حياته الى ان عاد من الديار الافرنجية يلبس اللباس العربى الخاص من الجبة والعمامة والقفطان ثم بدله باللباس الافرنجى المشهور .

ومن مؤلفاته : التعريبات الشافية لمريد الجغرافية ، وكتاب المرشد الامين فى تربية البنات والبنين ، مواقع الافلاك فى اخبار تليماك ، مباهج الألباب المصرية فى مناهج الالباب العصرية ، ومختصر معاهد التنصيص ، شرح لامية العرب .

● في الروايــة العــربية ●

الطاهر وطار.. كيف عاد اللاز؟!

بقلم : فاروق عبد القادر

● كانت رواية " اللاز " مفاجأة مدهشة وسارة حين قرأتها للمرة الأولى قبل عشر سنوات (انظر : اللاز ، رواية الانسان ـ فى الثورة * ، مجلة « الطليعة » ، يناير ١٩٧٦) : كنا لانكاد نعرف شيئا عن أدب جزائرى مكتوب بالعربية ، وقصارى مانعرف أعمال لكتاب جزائريين منفيين ـ على تعبير واحد من أهمهم هو كاتب ياسين ـ فى لغة أخرى ، محرومين من التعبير باللغة التى هى مغروسة فى صميم هويتهم ، ولابد لهم ـ كى يتوجهوا إلى قارئهم فى الوطن العربى الكبير ـ من وسيط آخر ، وسيط ليس محايدا على أى حال ، فهو لغة قاهريهم بالذات ، الذين ثاروا عليهم ، وانتزعوا حقهم فى الحرية والحياة عبر معارك طويلة وشاقة ، شملت جسد الجزائر كله : من البادية للقرية للمدينة ، ومن الصحراء للسهل للجبل . ثم كانت " اللاز " : رواية جميلة ومتقنة ، ومكتوبة بلغة عربية صافية وصحيحة ، لاعجمة فيها ولا التواء ، بل قدرة على التحليق والنفاذ . الى شمول فى الرؤية ، واحكام فى البناء ، وسيطرة على حركة الزمن فى العمل الروائى وتحديد دقيق لملامح الشخصيات والكشف عن تكوينها النفسى وانتمائها الاجتماعى .

ولم يكن هذا فقط مبعث الدهشة والسرور ، كان ثمة ماهو أثمن ، فقد استطاعت " اللاز " أن تجسد آلام شعب بأكمله : آلامه التى حتمت قيام الثور والامه فى الثورة ، وترصد ـ فى دقة ورهافة ـ كيف يصنع الانسان الثورة ، فتصنعه بدورها فى جدل لايتوقف ، وتبقى شخصيات مثل قدور وحمو ويعطوش ـ دع



الآن شخصيتي زيدان واللاز دامه.. ممتلئة بالحياة والحضور والتفرد قادرة - مع ذلك - على أن تكون نماذج لهؤلاء الذين حتموا قيام الثورة ، وكانوا وقودها وارتبطت مصائرهم بتقدمها عبر سـ داميات من النجاح والإخفاق . إن الثو هنا هي البطل : كانت الحياة تمضي مـ مرآة صقيلة وان كان وجهها مليئ بالخدوش و « الوجود الاستعماري لايستشعره أحد إلا كما يستشعر المريض داء مزمنا ، لولا أزماته من حين لحين لتوهم - بل لاعتقد - سلامته .. » ثم تفجرت أحشاء الشعب بالثورة ، سقطت المرآة فتناثرت شظايا ، ومع تقدم الثورة راحت تفرض وجودها وايقاعها الخاص ، وتحطم معالم الحياة العادية شيئا بعد شيء . بين حمو : الحمامجي المسحوق تحت وطأة حياة تستخدمه بلا رحمة ولا

ـل في المستقبل ، وصديقه قدور الذي ا.شترى أبوه دكانا في القرية فأقام فيها يشتري ويبيع ، بينهما يدور الحوار في نهايته يقول حمو : فات الحال .. إما وإما .. الشامي شامي والبغدادي بغدادي .. الذبح من جهة و الرصاص من جهة .. فأيهما نختار ؟ .. وعرف كل جواب السؤال وإن جاء من طريق .

الثورة تغير الانسان ، وقدر عمقها يكون عمق التغير . وحين يرى قدور صديقه البائس حمو يخرج من جيبه أموال الثورة بالملايين بينما عائلته تتضور جوعا ولباسه رث ممزق كالعادة ، وعمله الشاق كما هو لايزال ، فما أسهل الاقتناع بأن هذا العمل الذي يقوم به حمو وزيدان وكل الفقراء - وحتى هو أخيرا - عمل جاد وعظيم ، ولابد أن يغير الأوضاع فعلا .. » ومادام هناك من يناضل فلابد أن يكون هناك من يخون . أحد هؤلاء بعطوش ابن عم قدور ، كان راعيا للعجول ، ثم التحق جنديا بصفوف الفرنسيين ، وكشف أمر الشبكة التي تتولى تهريب الجنود الجزائريين للحاق بالثورة في الجبل وتقاضى ثمن خيانته ، رتبة ومزيدا من التقرب للضابط الفرنسي .

● تدمير الانسان ●

إقرأ فرانز فانون ، اقرأ ما كتب في نهاية « معذبو الأرض » عن تلك الحالات التي أوردها للجلادين وضحايا التعذيب ، وسترى كيف أن هذا الاستعمار من حيث هو نفي منظم للآخر ، من حيث هو قرار صارم بأنكار كل صفة انسانية على الآخر يجعل الشعب المستعمر - بفتح الميم -

الطاهر وطار..

كيف عاد اللاز؟!

مجبرا على أن يطرح على نفسه السؤال : من أنا فى الواقع ؟ » فتنفتح امامه كل الدروب ، وفى كل الحالات التى قدمها فانون - والتى دمرت فيها الشخصيات الانسانية تدميرا كاملا - كان الحادث الذى أطلق المرض - بتعبير فانون - هو فى الدرجة الأولى » ذلك الجو الدامى الذى لايرحم .. هو تلك الأعمال التى لاتعرف الروح الانسانية والتى أصبحت عامة وشاملة ، هو هذا الشعور الذى لايبرح نفوس الناس بأنهم يشهدون قيام الساعة » . (فانون معذبو الأرض ، الترجمة العربية للدكتور سامى الدروبى ، ص ٢٤١) .

وهكذا .. حين يقوم راعى العجول بعطوش باغتصاب خالته وامرأة عمه أم قدور الذى لجأ للجبل بعد اكتشاف الشبكة أمام عينى زوجها وعيون الضباط والجنود ، فانما هو من ضحايا هذا الجو الدامى ، يهرب منه الى الخمر والدم والجنون لكنه يجد خلاصه الحقيقى ذات ليلة ، قتل الضابط الفرنسى واستطاع مع مجموعة من الجنود الجزائريين تدمير الثكنة وقتل معظم رجالها .. » ارتفعت الزغاريد من كل منزل ، اشتعلت أنوار صومعة المسجد التى أصبحت لاتضاء إلا من عيد لعيد ، وارتفع الآذان فى غير وقته ، ظل يتردد زمنا طويلا .. » .

لقد تحطمت الحياة العادية تماما ولم يعد للفرد خلاص إلا بأن يلقى نفسه إلى الأتون .

حتى اللاز : اللقيط المتمرد والاشكال المطروح على القرية من ثلاثة وعشرين عاما فى مواجهة ازدراء القرية له تحول إلى طاقة عدوان يخشى الجميع بأسها ، لم يسلم احد من يده ولسانه ، حين قامت الثورة استبشر الناس بالخلاص منه لكنه عرف كيف يتدبر أمره ويسخر من الجميع بادر إلى مصادقة جنود الثكنة وأصبح يتردد عليها إلى أن اقتحم مكتب الضابط نفسه ولم يعد يغادره ، غير أن أحداً لايستطيع أن يقيم عليه دليل الخيانة » فقد كان دائما يشهد فى صالح من يستشهده ، ويقدم الماء والتبغ لكل من يطلبه ، فى حين أن الخونة الحقيقيين هم الذين يقومون بتعذيب اخوانهم .. »

● أسطورة كفاح ●

وحين التقى اللاز بزيدان - شقيق حمو ، والذى كان هذا يصفه بأنه ضائع أهلكته السياسة - يسأله اللاز عن الغلاقة ، وهل يعرفهم (وتلك كانت كلمة جزائرية تعنى « قطاع الطريق » أطلقها الفرنسيون على رجال المقاومة لينفروا الناس منهم) ولأن زيدان كان يعرفهم حق المعرفة فقد انعقدت الصلات بينهم وبين اللاز ، وأصبح مسئولا عن تجنيد الجزائريين العاملين فى صفوف الجيش الفرنسى ، وتحريضهم على اللحاق بالثوار فى الجبل ، ليس هذا فقط ما أخذه اللاز ، فقد ألقى اليه زيدان مفاجأة عمره ، هويته الضائعة : إن اللاز ليس لقيطا ، لكنه ابن .. زيدان نفسه ثمرة حب اندلع فى غمار مأساة : إنه ابنى ابن جميع الناس .. ابن ذلك الزمن .. ابن ماضينا كله .. » ويقول له زيدان : « كنت دائما أعلق عليك أمالا كبيرة ، وكنت أثق انك لن تخون ابدا لأنك لاتطمع فى شىء ولاتخشى ضياع

شيء .. » وحين يكشف بعطوش عن الشبكة يساق اللاز الى التعذيب ، وهو ممدد على طاولة التعذيب ، المسامير تدمى جسده والسياط تلهب ظهره والملح يحشو جراحه الناغرة كان اللاز القديم قد مات وما سيبقى منه بعد ذلك سيكون لازا جديدا ، يقول عنه الضابط الفرنسى فى خواطره : حتى هذا الاسم ليس له معنى واحد .. (...) إنك لاتمثل شيئا ، لاتمثل غير هذا الشعب اللقيط ، غير هذه القضية المفتعلة التى انفلتت من دبر التاريخ ! .. غير أن هذا الشعب اللقيط يمد يديه ليلتقط ابنه الذى من أحشائه خرج : يرتب الجنود الجزائريون فى الثكنة خطة وينجحون فى الهروب مع اللاز بعد خوض عدة معارك مع رجال الحرس ، وحين يصلون الجبل يجد اللاز فى انتظاره صدر أبيه العريض ، وحين توضع بين يديه البندقية ، يلتقى بوجوده ، طاهرا نقيا محررا .

لكننا لم نتعرف بعد الى زيدان : الشخصية الرئيسة فى الرواية وأكثر الشخصيات خصوبة وامتلاء بالمعنى والحضور تتجاوز قامته حدود زمانه ومكانه ، نحو مصاف الأبطال الكبار فى الأدب الروائى كله : يتقدم الينا أولا فى كلمات أخيه حمو ، فهو ضائع أهلكته السياسة .. ، ثم فى خواطر الضابط الفرنسى عنه : تدرب فى صفوفنا وتثقف فى مدارسنا ، وسبقتنا اليه موسكو .. ، وفصلا بعد فصل تتكامل شخصيته أمامنا بماضيه وحاضره وموقفه من الحياة والثورة والرفاق : جزائرى أمى فقير خرج الى العالم الواسع ، وفى فرنسا عرف اللغة والثقافة والحب ورأى ما بدا له أنه الحق فآمن به ، وحالت الحرب دون أن يكمل تعليمه فى موسكو ، فرجع الى الجزائر أوائل الأربعينيات منذ رجع وهو عضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الجزائرى .

● إصرار على النضال ●

هنا لابد من الوقوف لحظة عند هذا الحزب وموقفه من الثورة ، بدونها لن نفهم موقف زيدان ومأساته كبطل تراجيدى : فمن المعروف أن عوامل كثيرة قادت الحزب الشيوعى الفرنسى لأن يأخذ موقف المعارضة من الثورة الجزائرية حين اندلعت شرارتها فى نوفمبر ١٩٥٤ ، وحذا الحزب الجزائرى حذو الحزب الأم ، فأدان الثورة واعتبرها عملا من أعمال الأرهاب ، دون أن يناقش مضمون هذا الأرهاب وسياقه ، وقد أوضحت جبهة التحرير هذا الموقف اكثر من مرة : إن القيادة الشيوعية البيروقراطية عجزت عن تحليل الموقف الثورى تحليلا صحيحا ولهذا السبب شجبت الارهاب ، وأصدرت الأوامر ـ منذ الأشهر الأولى للثورة ـ للمناضلين الشيوعيين فى منطقة الأوراس ، الذين قدموا الجزائر لطلب التوجيهات ، أصدرت اليهم الأوامر بعدم حمل السلاح .. ، (عن : الياس مرقص : الحزب الشيوعى الفرنسى وقضية الجزائر ، ص ٨٦)

مثال نموذجى تكرر كثيرا : أن تعجز قوى اليسار العربى التقليدى عن فهم الواقع ، وتحليل معطياته تحليلا سليما ! .

لكن زيدان رأى الأمر على نحو آخر نستطيع أن نجمله من مونولوجاته المتناثرة على طول الجزء الثانى من الرواية : لأول مرة فى التاريخ يطرح موضوع تكوين جبهة من أفراد لا من أحزاب ، وهذا يعنى تكوين حزب جديد ،

الطاهر وطار..

كيف عاد اللاز؟!

وإذا كانت الخلافات والتصدعات داخل الحركة الوطنية تدعو بعض أعضائها لتكوين هذا الحزب، فانه ليس من الضرورى أن يطلب من الأحزاب الأخرى حل نفسها، والموقف المبدئى لكل حزب عقائدى الا يحل نفسه. فماذا فعل زيدان - عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى - حين قامت الثورة؟ إنه يجيب بوضوح: التحقت بالثورة، لم استشر احدا، لا الحزب ولا غيره، واذا ما سئلت هل انسلخت من حزبى فسأجيب فورا بالنفى .. لن انسلخ، ولن أدفع الأشتراك، ولن اسعى إلى تكوين خلايا جديدة، وسأظل اكافح من أجل الاستقلال الوطنى .. قال الشيخ مسئول الولاية: لو كنت شيوعيا عاديا لأمرت بذبحك، وارسل يطلب رأى القيادة فى الخارج، وما قد جاء الرد، والقى على زيدان عبء الاختيار: إما إعلان الانسلاخ وإما الذبح. لم يكن زيدان وحده، كان معه رفاق خمسة: أربعة فرنسيون، وأسبانى، كان الاختيار نفسه مطروحا عليهم، بالاضافة لاعتناقهم الإسلام!.

أمهلهم الشيخ يوماً يتخذون فيه قرارهم وكان القرار واضحا لاغموض فيه: إنه الموت كل ما بقى لهم أن يختاروا احد وجهيه: إما الموت الجسدى وإما الموت الحزبى والنضالى: تناقش الرفاق طويلا طوفت مناقشاتهم حول مورياك وبطلته تيريز دى - كيرو .. ، وحول هيمنجواى وعمله " لمن تدق الأجراس " وهاهم



أخيرا: لم ينضموا الى صفوف الثورة بإسم أحزابهم، لكنهم يعاملون كما لو كانوا ممثلين لها، ومن ثم ليس لهم سوى الموت فى صورته الجسدية. أمر الشيخ أن يحضر اللاز تنفيذ الحكم فى ابيه. وظل اللاز يقف مشدوها لايصدق عينيه .. وعندما انفجرت الدماء من قفا ابيه صاح فى رعب: ما يبقى فى الوادى غير حجارة! ثم ارتخت كل عضلاته ودارت به الأرض .. ومد يديه يحاول التشبث بشىء، .. ثم هوى .. "

اكتملت دورة الزمان فى رواية الطاهر وطار، والتقى طرفاها: بعطوش أصبح قائدا بعد زيدان، وقدور استشهد وهو يحاول عبور الحدود باللاز، الثورة انتصرت والفرنسيون خرجوا، ورجع حمو يبحث عن عمل يعيل أسرته، واللاز أفضل الجميع لأنه لايزال يعيش الثورة فى ثياب

عسكرية رثة يطوف القرية بصوت هادر : ما يبقى فى الوادى غير حجارة (أى : لايصح غير الصحيح أو : ماينفع للناس يمكث فى الأرض) .

يقول الطاهر وطار فى تقديم روايته إنه كان لابد من تصفية الحساب مع الماضى كان لابد من التعرية حتى الجذور ، فهذا وحده ما يمنح الكاتب شرعية الكتابة عن الحاضر ، وقد فعل : استطاع أن يقدم لنا صورة الانتفاضة التى شملت الجسد الجزائرى كله ، بكل ما فيها من أضواء وظلال لم يقع فى أسر رومانتيكية شاحبة ، أو رغبة فى تزييف الماضى ، بإلغائه ثم إعادة خلقه حسبما يهوى ، لكنه وضع يديه على كل جراح الماضى من أجل تجاوزها ، فاجتمعت فى عمله حرارة الرؤيا وجسارة الفكر .

وقبل أن يتقدم زيدان للذبح تخايلت لعينيه صورة جزائر المستقبل (يوحى لنا الكاتب بأن أحداث روايته وقعت فى ١٩٥٦) : هذه النطفة ، هذا الجنين يجب أن يرث كل الخلايا البيض والصفر وحتى السود ، ويجب أن يرضع اللبن الطبيعى .. وأن يحبو وينهض ويسقط ويمشى على ارضية طبيعية عادية .. ولأنه سيولد بدون قابلة ولأنه سينشأ بدون مربية .. وسيظل بلا منطق زمناً طويلا من يدرى أى عذاب سيلحقه قبل أن يكتسب المنطق ..

فهل اكتسبت ثورة الجزائر المنطق عبر سنوات التضحية والدم والعذاب ؟

لنبحث عن الجواب فى الأعمال التالية للطاهر وطار .



يذكر الطاهر انه ظل منشغلا بكتابة اللاز سبع سنوات (٦٥ ـ ١٩٧٢) بعدها صدرت له مجموعتان من القصص القصيرة الطعنات ، الجزائر ، د . ت . « و الشهداء يعودون هذا الأسبوع » بغداد ، ١٩٧٤ وفى ١٩٧٣ فرغ من رواية الزلزال لتنشر فى الجزائر فى ١٩٧٦ ، ثم تلك الرواية المتفردة فى عمله الابداعى كله « عرس بغل » (الجزائر ، ١٩٧٨) واخيرا رجع يذكر اللاز فكتب روايته « العشق والموت فى الزمن الحراشى » ، واصفا اياها بأنها الكتاب الثانى من اللاز (بيروت ، ١٩٨٠) .

وقد أحدثك ـ فى حديث قادم ـ عما يمكن أن تحدثه عودة الشهداء فى واقع الجزائر يكفى الآن القول بأن المرآة الصقيلة التى أحالتها الثورة الى شظايا ، رجعت للالتئام بعد الاستقلال ، وأصبحت مرآة صقيلة أخرى ، ولاشك فى أن عودة الشهداء ستحيلها الى شظايا من جديد نما لهذا يقاوم عودتهم كل صاحب مصلحة فى ابقائه على ماهى عليه ، مهما اختلف الدوافع والمواقع ، وقد أحدثك ايضا عن الشيخ عبد المجيد بو الأرواح تلميذ بن باديس ومتخرج جامعة الزيتونة ، ومدير الثانوية فى العاصمة ابن الأغا وحفيد الباشاغا ، الاقطاعى المرابى العقيم المولع بخنق الزوجات الصغيرات ، وقد أحدثك اخيرا عن شيخ أخر ، أصبح يتسمى باسم المكان الذى سجن فيه فهو الحاج كيان وعن عالم « الهزية » أو مانعرفهم فى عاميتنا المصرية « بالبورمجية » أعنى اولئك الذين يتعشقون العاهرات ويفرضون عليهن الحب والحماية والابتزاز ، وعن سيدات ماخور العنابية الجميلات : روح النفوس وعلجية والوهرانية ، وعن عرس البغل ، الذى شاركن فيه وكيف انتهى .

الطاهر وطار..

كيف عاد اللاز؟!

ذلك كله حديث مرجأ ، فلننظر الآن إلى اللاز وكيف عاد . هذه أيام الهوارى والثورة الزراعية ذلك يعنى أواخر الستينيات أو أول السبعينيات وتخرج جماعة من جماعات الطلبة المتطوعين للعمل اليدوى فى الحقول فتكاد سيارتهم تصطدم بشبح اسود مصلوب وسط الغبش والصقيع ويتبعهم الشبح المصلوب صيحته الواحدة : ما يبقى فى الوادى غير حجارة . وعلى الفور يصل الكاتب ما انقطع من تاريخ بطله : عاد مع العائدين فى مطلع الاستقلال يبشر بزوال وضع وحلول وضع آخر ، وفى حين راح الجميع يغيرون من حالهم ويهتمون بأنفسهم وشئونهم غارقين شيئا فشيئا فى متاع الدنيا ولذة الحياة بقى المسكين على الهيئة التى عاد بها ، رافضا كل الرفض تغيير البدلة العسكرية التى يرتديها شتاء وصيفا ..

لكن هذا وجه واحد من وجوه اللاز ، يعرفه صاحبه وخالته ، الوجه الآخر وجهه عند الناس الذين أحالوه نبوءة وتعويذة وأسطورة وواليا وسيدا وقديسا وفحلا وشهيدا ، وحاكوا حوله الحكايات : قالوا فيما قالوا : داهمته وجماعة من الثوار من بينهم زيدان سبع طائرات ملأى بالحقد والموت ، ظلت تتناوب على قنبلتهم يوما كاملا ، لم يبق من أجسادهم قطعة لحم واحدة أو حتى ذرة من عظم ، أختلط لحمهم وعظمهم ودمهم بالتراب حتى صار طينا أحمر ، إذ ذاك سقطت قنابل النابالم ، التهب كل شىء وتشكل جسم تكور وتكور واختفى .. كان الجسم نورانيا مشعا لا تستطيع العين التحديق فيه ، كذلك لم يستطع أحد حصر الاتجاه الذى أخذه أو المكان الذى اختفى فيه اللاز اثر ذلك ظهر اللاز ليس سوى جثة تسكنها أرواح جميع الشهداء .

وأيا ما كانت وجوه اللاز فهو يبقى - فى هذا الكتاب الثانى - الشاهد الحاضر الغائب . قلب هذا الكتاب هو واقع الجزائر بعد عدة سنوات من الاستقلال حين حاول الهوارى وجماعته السير فى طريق الاشتراكية ، بادئين - وهل ثمة بداية أخرى ؟ - بالأرض فيما عرف بالثورة الزراعية ، ومن خلال جماعة الطالبات والطلبة المتطوعين يرسم لنا الطاهر بانوراما هذا الواقع محددا القوى المتصارعة فيه : القوى المؤيدة للاشتراكية والمناوئة لها ، القوى صاحبة المصلحة فى التقدم وصاحبة المصلحة فى عرقلة التقدم ، على رأس الأولى يقف الشيوعيون والفقراء الواعون وقدامى المجاهدين وقلة من المسئولين ، وعلى رأس الثانية الرجعيون والمستفيدون وكثرة من المسئولين الصغار والكبار .

ولعل أهم وأدق توصيف لهذا الصراع مايدور فى خواطر جميلة الطالبة الشيوعية المتطوعة ، التى اهلها جمالها وطموحها للقيادة وثوريتها العاقلة لأن تصبح محط الأنظار ومثار التعليق والتى يربطها المؤلف بعلاقة خاصة به تتيح له أن يتسلل وراءها ويقول افكاره هو على نحو مباشر جاء فى خواطرها : مستقبل الجزائر هو القضية التى نختلف حولها ونتصارع من أجلها .. ماذا أفرزت معركة السنوات

السبع المسلحة بين الثوار والاستعمار وبين الثوار والثوار؟ ، قبل الثورة الزراعية لم تكن هناك سوى ومضات ، سوى إشراقات . الاحساس بضرورة ثورية الثورة قوى ، تجسد فى ميثاق الجزائر . فى كل بيانات وتصريحات القادة لكن تجسيد ذلك الاحساس ، وهذه الاسقاطات الشعبية الثورية فى تنظيم ثورى طلائعى تحتضنه وتسانده الجماهير الشعبية وفى الأنطلاق لخوض المعركة بكل متطلباتها ، وبدون عقد لم يتم بعد ، لم يتم بالشكل المناسب لطموحات وتضحيات هذا الشعب ..

تلك إذن رؤية الطاهر وطار لجزائر الهوارى والثورة الزراعية ، وطبيعى أن يدور الحدث الرئيسى فى هذا الكتاب الثانى بين جماعة من الطلبة المتطوعين - المتطوعات على وجه التحديد ، فمن المدهش ألا نعرف من هؤلاء سوى الفتيات ! - يؤمنون بأهمية هذه الثورة ، وأقلية تدعو الى « حزب الله » وتستغل الدين لضرب أى انجاز تسعى الحكومة الثورية الى تحقيقه ، ملوحة بالاتهامات المعتادة : الالحاد والتبعية لموسكو طارحة دعوتها المعروفة للعودة الى حياة « السلف الصالح » ، هذا مايقولون بألسنتهم ، أما حقيقة دعاواهم فهم ضد تاميم الارض ، وضد توزيعها على المعدمين وضد وضع أى قيود تحول دون بقاء الجزائرى مستغلا .

على ان هذه الاقلية ليست وحدها بل يساندها كثيرون من صغار المسئولين وكبارهم على السواء ، وهكذا يتحالف الطالب الرجعى مع مسئول الحزب فى المنطقة الذى يعده بتقديم العون له فى اللحظة المناسبة ، على حين يقف الباقون - عدا الاكثر وعيا ، وهم فى العادة من قدامى المجاهدين - منتظرين ان يقوم الهوارى وحده بكل شىء . وطبيعى فى مثل هذا الواقع الا تحسم هذه المعركة الدائرة فى قرية صغيرة الا حين تتدخل القيادة فى العاصمة وتبعد مسئول الحزب .

والى جانب من بقى من شخصيات الكتاب الأول (بعطوش الذى أصبح واحدا من كبار المسئولين فى العاصمة ، ولكنه لم يتخل عن فهمه الحاد ونقائه الثورى ، وحمو الذى رفض كل المغريات وبقى فى القرية كما كان ، ثائرا وفقيرا ، والناصر الذباح الفنان الذى انشأ سيركا متجولا يجوب معه العالم ..) فان الطاهر يقدم لنا فى هذا الكتاب الثانى شيئا ثمينا هو التعريف المفصل بهذا الجيل الشاب الذى يقع على عاتقه الآن - اعنى زمن الكتابة - عبء الاستمرار فى الثورة ، ابناء الفلاحين الفقراء والبورجوازيين الصغار الذين لولا الثورة مافتحت امامهم ابواب التعليم واتيحت لهم فرص الاستمرار فيه ، من هنا قد يكون اهتمام الكاتب بالطالبات كبيرا ، فهن اللائى يتعرضن لضغوط المجتمع اكثر من الطلبة ، وعليهن يقع عبء ايجاد الحلول لمشكلاتهن ومشكلات آبائهن واخواتهن جميعا !.

كانت « اللاز » - اعنى الكتاب الاول حسب تسمية المؤلف الجديدة - عملا صلبا ومتماسكا ومتألقا مثل جوهرة صقيلة ، اما قارىء هذا الكتاب الثانى فقد لايملك أن يدفع عن نفسه الاحساس بشىء غير قليل من التشتت والتفكك ، فثمة استطرادات طويلة ، وثمة تدخلات وآراء مباشرة للمؤلف يوردها احيانا فى خواطر جميلة ، كما سبقت الاشارة ، أو يوردها منسوبة اليه هو باسمه الحقيقى أو

الطاهر وطار..
كيف عاد اللاز؟!

باسمه الذى يطلقه على نفسه ، أو تطلقه عليه صديقته « براهما » . والحقيقة ان هذه الاستطرادات والآراء - وبصرف النظر عن صحتها او عدم صحتها - تضعف من تماسك العمل وتشير - فى ذات الوقت - الى شىء من رثاء الذات . ترى .. هل داخل المؤلف اليأس من ان يفهمه قراؤه حق الفهم من خلال أعماله ذاتها - بأحداثها وشخوصها ومواقفهم ومجمل بنائها - فتطوع لافهامهم مايقصد على نحو مباشر ؟ ثم .. ماذا سيفيد القارىء من مثل هذا الدفاع عن « اللاز » - أعنى الكتاب لا الشخص - يورده المؤلف فى خواطر جميلة . براهما فى رواية « اللاز » كان عبقريا حقا .. استطاع وهو يتحدث عن حوادث داخلية محضة ذات طابع خاص تجرى فى بلادنا ان يستشف جوهر حركة عبد الناصر .. كان شموليا وكان ذكيا .. الخ .. »

إننى افهم ان يكتب مثل هذا الكلام قارىء اللاز أو ناقدها ، أما أن يكتبه الطاهر وطار بنفسه ، فاننى لا أفهمه ! .

بقيت النهاية التى أرادها الكاتب لبطله عقب معركة صغيرة بين جميلة والطالب الرجعى الذى أراد تشويه وجهها بالحامض ، جرحت ذراع جميلة وتناثرت قطرات الدم ، رأى اللاز الدم المتناثر فتراءت له الجثث المسجاة ، وتراءى له وجه زيدان ابيه يتخبط والسكين يحز قفاه صاح اللاز صيحته الواحدة وسقط مغميا عليه ، ثم افاق من إغماءته ليعود الى الحياة التى هجرها اكثر من عشر سنوات قضاها الشاهد الغائب الحاضر . عم نبأ استيقاظ اللاز القرية بسرعة فائقة ، كان الدليل اليقينى لمن يعلن استيقاظه أنه غير ثيابه ، نزع القشابية المزينة بالحرير الاحمر ، ارتدى بدلة عصرية ، حلق ذقنه ، قص حتى شعر رأسه ، زار كوخ زيدان أول زار ، كان يسلم على كل سكان القرية كأنما يلتقى بهم لأول مرة ..

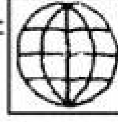
انتهت الاسطورة اذن كما تنتهى المسرحيات الكوميدية وأفلام السينما الهزلية بالنهاية السعيدة « المفتعلة غالبا » .

تقول لماذا ؟ .. لأن اللاز هو الشعب ولأن الشعب هو المستقبل ، ولأن الايمان بالمستقبل هو سلاح كل مناضل !.. أو .. هكذا تكلمت براهما .. أو .. هكذا تكلم الطاهر وطار ؟!

الرؤيا حق .. والتأويل باطل

لقى ابن جامع ابراهيم الموصلى ، وكانا من اقطاب الغناء فى عصر العباسيين ، فقال ابن جامع : رأيت كأنى وإياك فى ركاب واحد ، ثم سقطت أنت حتى كدت تلتصق بالأرض وعلا الشق (الجزء) الذى أنا فيه ، ففسرت هذا بأن صيتى سيعلو عليك فى الغناء ..

فقال ابراهيم : الرؤيا حق ، والتأويل باطل .. اننى وإياك كنا فى ميزان ، فرجحت كفتى وشالت (ارتفعت) كفتك .



العالم غدا

منازل المستقبل نظيفة للابد

الأمطار ، الاتربة ، ارتفاع درجات الحرارة وعوامل الطقس كلها ظروف تؤثر على المبانى وثبات ألوانها أو تلوثها ، لذلك انتجت احدى الشركات طلاء جديدا تطلى به المبانى من الخارج بحيث يمنع التصاق الاتربة أو أية مواد عالقة على السطح وبالتالى تظل المبانى لامعة نظيفة للابد . هذه المادة الجديدة شفافة اللون وهى تساعد على تماسك الطلاء الاساسى بحيث لايتأثر بظروف الطقس مثل ارتفاع حدة الرطوبة كما هو الحال فى المبانى الواقعة على السواحل والتى تتساقط مواد طلائها .

بطة غريبة من المرج

ماهو تفسير العلم لظواهر الأعضاء الزائدة فى أجسام الحيوانات . أو فى الانسان .. فى الفترة الأخيرة وفى إحدى المزارع بالمرج . ووسط آلاف البط . وجدت بطة ذات أربعة اقدام وفتحتى شرج .. حول مثل هذه الظواهر يتحدث الدكتور محمد حسين عامر قائلا :

« هذه ظاهرة غير طبيعية ، إن أى سلالة من السلالات لابد أن تكون لها صفات معينة تتوارث جيلا وراء جيل . فإذا ماتعرضت الشفرة الكروموسومية لما يغير من بعض سماتها . فإن ذلك يؤدى إلى حدوث مثل هذه الحالات . مثل عمليات التهجين بين انواع مختلفة من البط مع وضع أعلاف بها هرمونات ذات تركيز اكبر . أو اضافة مواد كيماوية مع الأطعمة .

كما يشمل التغيير البيئى الاشعاعات المختلفة والضوء . مما يؤثر على الصفات الوراثية للكروموسومات . فيتغير تركيبها البروتينى مما يؤدى إلى وجود أجنة ذات صفات مختلفة عن صفات النوع وينطبق هذا على كل المخلوقات الحية .

ومن النادر أن يطول عمر مثل هذه الكائنات . بسبب صعوبة التكيف مع البيئة ففى حالة مثل هذه البطة فإن القدمين الزائدتين وفتحة الشرج الاضافية تؤثر على الدورة الدموية والحالة الجسمانية لجميع اعضاء الجسم مما يؤدى انها لاتعيش عمرها الافتراضى المنتظر لقريناتها ..





الأقمار الصناعية تسير قطارات الغد

سيتم التحكم فى سير القطارات عن طريق الأقمار الصناعية كالصواريخ والطائرات . فقد كشفت إحدى الشركات الأمريكية عن ابتكار نظام لتسيير القطارات عن بعد عن طريق شبكة الاتصالات بالأقمار الصناعية . والتى ستساعد على خفض تكلفة الوقود بنسبة ١٠٪ ومنع انتشار الحوادث . وبموجب الشبكة الجديدة سيتم تزويد عربة القيادة بهوائى وجهاز استقبال . أما فى داخل العربة فيوجد جهاز فيديو ملون للمراقبة ، به شاشة تسجل عليها المعلومات عن اتجاه القطار ، وظروف الطريق ، واستهلاك الوقود ، واحتمالات الاصابة بالأعطال . وتعرض الشاشة صورة للقطار فوق خريطة متحركة لتكشف عن العيوب الالكترونية أو الفنية ومواقعها كما تسجل إشارات الفرامل الموجهة بفضل الكمبيوتر الذى يكشف الطريق بامتداد عشرة أميال للأمام .

قلبك وقلبها

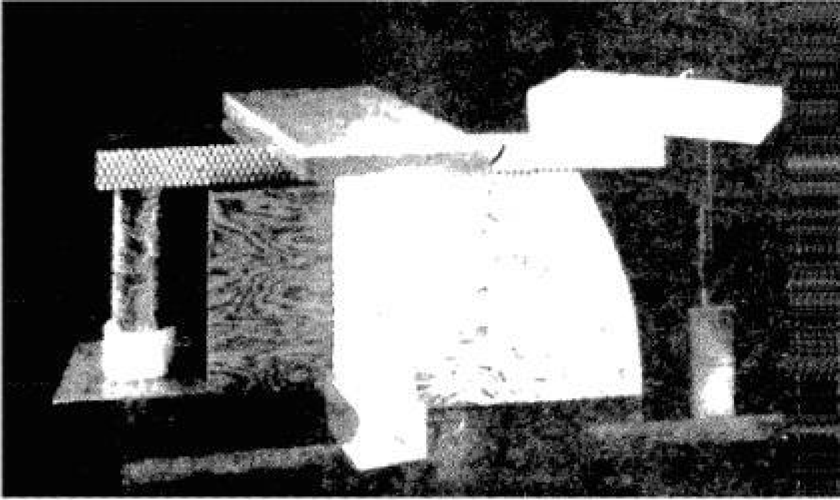
قلبه هو .. وقلبها هى .. أيهما يصاب بالعطل أكثر من الآخر ؟ أيهما أكثر حساسية تجاه الأحداث اليومية والقلق والتوتر .. الرجل أم المرأة ؟

هناك حقيقة تقول إن ٧٠٪ من الرجال يصابون بأمراض القلب عند سن الأربعين .. و٣٠٪ من النساء فى نفس السن يصابون بنفس المرض . هذا الكلام للدكتور محسن محمد ابراهيم أخصائى أمراض القلب . ويضيف أن التوتر العصبى الذى نعيشه فى هذا العصر ، يجعل الرجل أكثر قابلية لأمراض القلب عن المرأة فى نفس السن ، ولذلك سبب فسيولوجى ، فالمرأة تفرز هرمونا معينا يحدث نوعا من التوازن فى الدورة الدموية مما يقلل من إصابتها بهذا المرض .

إن أسباب الاصابة بأمراض القلب كثيرة ولكن من أهمها ارتفاع الدورة الدموية الذى يؤدى إلى حدوث قصور بالشريان التاجى لدى المرأة والرجل على السواء ، وأكدت الأبحاث الحديثة أن هذا القصور شائع بنسبة ٧٠٪ أو أكثر فى حالات ارتفاع ضغط الدم ، ونسبة المضاعفات تزيد فى الذكور وداكنى اللون أو السود .

هذا بجانب الأمراض الوراثية والخلقية التى تصيب القلب .





اثاث العصر القادم .
قطع من الفن التجريدي

يتجه بعض مصممي الأثاث اليوم .. إلى تغليب الاشكال المستوحاة من الفن التجريدي على قطع الأثاث .. حتى أن بعض هذه القطع لاتبدو للناظر اليها كقطع أثاث .. وقد حرص مصممو الأثاث على تصميم هذه القطع ووضعها في معارض الأثاث وعليها لافتة (للمشاهدة فقط) .. كإشارة واضحة لاتجاه الفن الى الأثاث يستلهم منه الأفكار الجديدة .. ويبدو أن قطع الأثاث توافقت مع الخطوط التجريدية والسريالية .. وهكذا ، امكن تحويل قطع من الأثاث إلى اشكال مثيرة للتندر والفكاهة ..

واليوم تقام معارض في كل انحاء العالم لهذا الطراز من الأثاث ، ففي ميلانو بإيطاليا عرض مجموعة من المصممين منضدة لم يتمكن رواد المعرض من التعرف عليها إلا بعد أن قرءوا اللافتة الموضوعة عليها ، فقد كانت أشبه بقطعة سريالية ملونة .. صنعت من الخشب الحبيبي الصناعي المغطى بالرقائق البلاستيكية . ايضا عرض مصمم فرنسي شاب مقعدا من المعدن الرقيق جدا .. ظهره على هيئة مروحة مقوسة .. وبالطبع كان للمشاهدة فقط وليس للاستعمال .

وفي معرض بنيويورك لقطع الأثاث العصري عرض مقعدين تحت اسم (المنديل) .. في اشارة إلى إمكان طبعهما ليصبحا مثل المنديل .. وقد بدا المقعدان وكأن ريحا شديدة قد عصفت بهما .. وهما من الفايبر جلاس القوى . وفي مانهاتن عرض مقعد معالج كيميائيا ليكشف عن البريق الناتج من التدرج اللوني للمعدن الواحد .. ويبدو المقعد وكأنه من الورق .. فقد صمم على هيئة رقائق رفيعة جدا .. بلا سمك في أي جزء منه .

بقلم : محمود على مراد - جنيف

برناردشو يؤيد تعدد الزوجات

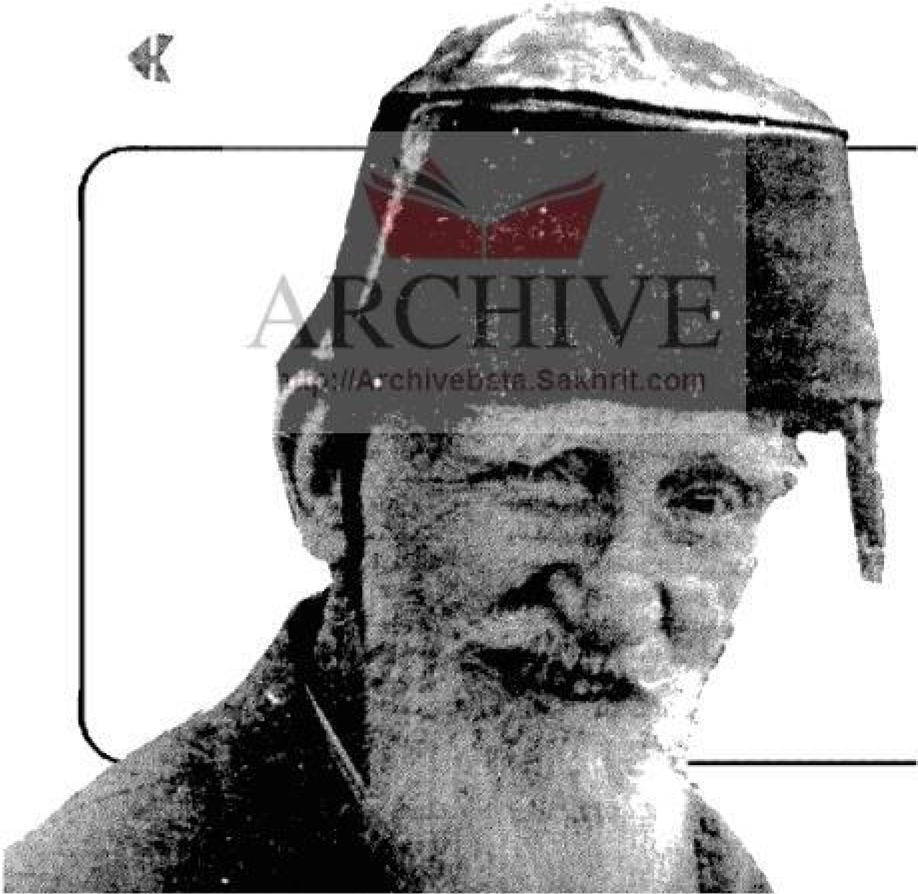
●● كثير من الناس في الغرب لايعرفون عن الاسلام سوى أنه دين تعدد الزوجات .

وتعدد الزوجات - حتى فى أهون صوره أى حالة الزواج من اثنتين - ليس عيبا وحسب فى جميع دول العالم الغربى ، بل هو جريمة يعاقب عليها القانون ، والدين الذى سيسمح به يعتبر فى هذه الدول دينا متأخرا وهمجيا بغض النظر عن مبادئه وتعاليمه ●●

لقد ظهر فى امريكا منذ قرن ونصف شخص اسمه «جوزيف سميث» (١٨٠٥ ـ ١٨٤٤) أعلن أن ملاكا قد قاده الى مكان دفنت فيه ألواح ذهبية كتبت بلغة مصرية قديمة مجهولة ، وأنه وجد بجوار هذه الألواح «نظارة» إلتقطها ونظر من خلالها الى الألواح فتكشفت له طلاسمها واستطاع أن يقرا ماقيها واتضح له أنها صفحات كتاب اسمه «كتاب المورمون» وهو ـ حسب قوله ـ كتاب أرسله الله لاصلاح مافسد من الدين المسيحى على مر القرون وعلى اساس هذا الكتاب انشا «جوزيف سميث» فى عام ١٨٣٠ دينا جديدا له كنيسة جديدة ، أسماه «ديانة يسوع المسيح لقديس اليوم الأخير»

واثار ظهور هذا الدين فى أمريكا ضجة كبرى ألبت ضده جميع المذاهب والكنائس الأخرى لاسيما وأن «جوزيف سميث» أعلن فى عام ١٨٤٣ أن ديانته تسمح بتعدد الزوجات بل وتحبذه بلا قيود .

وآمن برسالة «جوزيف سميث» كثيرون ، وكانت السلطات تنظر اليهم نظرة سيئة . وبلغت ثورة الرأى العام الامريكى عليهم درجة حملت حاكم ولاية «الينويس» التى كان يعيش فيها «جوزيف سميث» على القبض عليه وايداعه السجن . وفى يوم من الأيام اقتحم رجال مسلحون بوابة السجن وذهبوا الى حيث كان «جوزيف» واخوه وأطلقوا عليه الرصاص فخرا صريعين . ولكن ديانة «المورمون» لم تمت بموت نبيها بل واصل اتباعها رسالة هذا «النبى» وهاجروا بها من بلد إلى بلد ومن ولاية إلى ولاية حتى انتهى بهم المطاف الى ولاية إسمها



برناردشو يؤيد تعدد الزوجات



«اوتاه» فى غرب الولايات المتحدة واصبحوا يشكلون غالبية سكان هذه الولاية .

وعلى مدى اربعين سنة ، من ١٨٥٠ إلى ١٨٩٠ ، كان «المورمون» يمارسون تعدد الزوجات دون تقيد بعدد وكان لجميع الشخصيات البارزة بينهم زوجات عديدات .

● لاتحريم لتعدد الزوجات ●

وارادت «اوتاه» ان تنضم إلى الولايات الاخرى التى اصبحت تشكل الولايات المتحدة الامريكية فاشترطت عليها هذه الولايات ان تتخلى عن مبدأ تعدد الزوجات فاضطرت ولاية «اوتاه» صاغرة الى قبول هذا الشرط . اما باقى تعاليم الديانة التى جاء بها «جوزيف سميث» فلم تمس . وديانة المورمون الآن من الديانات المعترف بها فى امريكا ولها مبشرون فى بلدان عديدة ويبلغ عدد اتباعها نحو اربعة ملايين عاصمتهم هى مدينة «سولت ليك سيتى» بولاية «اوتاه» .

وخلافا لما يتصوره الكثيرون فليس فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مايحرم تعدد الزوجات أو يحظر التسرى بالاماء او يضع حدا لعدد الزوجات المسموح للرجل بالتزوج أو التسرى بهن بل إن فى هذا الكتاب انبياء كابراهيم وداود وسليمان كان لكل منهم عدة زوجات وسرارى . وقد كان للملك اليهودى «هيرودس العظيم» الذى ولد السيد المسيح فى عصره تسع زوجات فى وقت واحد . وظل تعدد الزوجات مسموحا به فى الديانة اليهودية بل إن بعض المصادر ومنها «قاموس الكتاب المقدس الجديد» الذى صدر فى اغسطس ١٩٧١ عن دار نشر ايرد مانز الامريكية تحت اشراف ج . د دوجلاس تقول ان تعدد الزوجات مازال الى يومنا هذا يمارس عند اليهود فى بلاد المسلمين .

ولكن الكنسية ورجال الدين المسيحى حرموا تعدد الزوجات وانتقل هذا التحريم بعد ذلك الى القوانين الوضعية فى العالم الغربى وظل قائما الى اليوم .

وفى انجلترا صدر عام ١٦٠٣ قانون يجعل من الزواج باثنتين جناية من الجنايات التى يعاقب عليها بالاعدام ، ثم خفضت العقوبة عام ١٨٦١ الى السجن سبع سنوات وبقيت دون تغيير منذ ذلك التاريخ الى الآن .

ولم تظهر فى العالم الغربى ، فى أى وقت من الأوقات ، فيما عدا ماذكرنا ، حركة تدعو إلى أباحة تعدد الزوجات . كما لم يظهر مفكرون او فلاسفة او مصلحون اجتماعيون يدعون الى هذا التعدد باعتباره ، ولو إلى حد ما ، علاجا لبعض المشكلات التى تعانى منها المجتمعات الغربية ، وذلك رغم ضعف الوازع الدينى الذى كان الأساس فى منعه ورغم كثرة الحركات التى ظهرت فى الغرب خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية وترتب عليها تغييرات فى الافكار والقيم والتشريعات غيرت جذريا أوضاع الحياة الاجتماعية والاقتصادية السياسية والثقافية فيه .

وقد استخدم أعداء الاسلام فى الغرب ترخيصه بتعدد الزوجات حجة للنيل منه وركز المستشرقون ومن نحا نحوهم ممن كتبوا عن رسولنا الكريم على موضوع تعدد زوجاته تركيزا القى الظل على باقى جوانب شخصيته وجعل كثيرا من الناس فى الغرب لايعرفون عنه صلوات الله عليه سوى كثرة أزواجه .

ولم يتصدّ للدفاع عن رسول الله وعن الاسلام من هذه الناحية أحد من مفكرى الغرب . وحتى المفكرون الذين دافعوا عن الاسلام وعن نبيه انصرف دفاعهم الى جوانب اخرى فى الرسالة وصاحبها وتجنبوا الحديث فى هذا الموضوع الحساس . والمفكر الوحيد الذى تصدى للدفاع عن تعدد الزوجات كنظام اجتماعى مقبول فى بعض الظروف الاستثنائية وعن تعدد زوجات النبى العربى هو - فيما نعلم - جورج برناردشو .

ولم يكتب هذا المؤلف عن تعدد الزوجات كتابا او مجموعة مقالات أو حتى مقالا واحدا ، بل اشار اليه

اشارات سريعة ومتفرقة فى عدد من مسرحياته وفى مقدماته لهذه المسرحيات وفى كتاباته الأخرى ، نخص منها بالذكر مسرحية «التأهب للزواج» ومقدمتها وكتاب «دليل المرأة الذكية» . وسنحاول فى مقالنا هذا تجميع هذه الاشارات وتحليلها واستخلاص فلسفتها العامة ووضعها فى إطارها العام المتصل بمجمل آراء برنارد شو عن الاسلام والعالم .

● رفض الاستعلاء ●

لقد كان «شو» يبغض لهجة العظمة والاستعلاء التي كان الانجليز يستخدمونها فى حديثهم عن سكان مستعمرات بريطانيا وعن المسلمين بالذات وكان ينبه قراءه ، المرة تلو المرة الى أن بريطانيا رغم قوتها العسكرية ليست سيدة العالم والى أن الانجليز ليسوا خيرا من غيرهم والى أنه ليس هناك بالتالى مايسمح لهم بتعدد أو ادانة غيرهم من الامم والشعوب أو النيل من انبيائهم . إنه يجعل احد اشخاص مسرحية «التأهب للزواج» مثلا ، يصرخ فى وجه محدثه قائلا :

من أنتم حتى تعرفوا اكثر مما كان يعرفه محمد اوكرنفرشيوس أو أى من أولئك الرجال الذين تصدوا لهذه المهمة «أى مهمة الاصلاح» منذ أن وجد العالم ؟

وهو يذكر القراء بما يتساءله أو يتناساه البعض من أن محمدا ليس هو الذى ابتدع نظام تعدد الزوجات كما أنه لم يكن اكثر الانبياء زوجات ، فيجعل احد الاشخاص فى نفس المسرحية يقول :

ـ لفهم هذه المسألة لايكفى أن يكون المرء قد تزوج مرة واحدة . الملك هنرى الثامن ـ لو أنه كان على قيد الحياة ـ لافتانا فى شأنها فتوى العارفين . لقد تزوج محمد أربع عشرة مرة ! وماذا عن سليمان ؟

والملك هنرى الثامن هو احد ملوك بريطانيا المشهورين (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧) وهو صاحب القرار الخطير الخاص بقطع صلات الكنيسة البريطانية مع الفاتيكان وانشاء كنيسة جديدة لانجلترا ، مستقلة عن البابا . وجعل ملك بريطانيا رئيس الكنيسة الانجليكانية الجديدة وراعيها . وقد اتخذ هذا القرار اساسا لأن البابا رفض أن يلغى زواجه من زوجته الأولى التى لم يرزق منها بوريث للعرش . وقد رفض البابا هذا الطلب لأن الزوجة المذكورة كانت خالة لملك اسبانيا الذى كان البابا يخشى سطوته . وقد ألغت الكنيسة الجديدة التى انشأها هنرى الثامن زواجه فاستطاع أن يتزوج من ثانية . ولم تنجب له هذه الزوجة الثانية ولدا وخيبت ظنه فى أشياء أخرى فما كان منه الا أن استصدر ضدها حكما بالاعدام ونفذ الحكم . وفى اليوم التالى لاعدامها تزوج الملك من زوجة ثالثة ورزق منها بابن ولكنها ماتت بعد الوضع بأيام . وتزوج هنرى زوجته الرابعة ولكنه زهد فيما بعد فترة فانفصل عنها وتزوج من خامسة ولكنها لم ترضه فاستصدر حكما باعدامها هى الأخرى ثم تزوج من سادسة . هذا بطبيعة الحال عدا المحظيات .

أما سليمان فقد ورد ذكره فى سفر «الملوك الأول» من أسفار العهد القديم فى الكتاب المقدس حيث جاء فى أول الاصحاح الحادى عشر من هذا السفر مايأتى :

وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لاتدخلون اليهم وهم لايدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه .

والشىء الذى لاشك فيه هو أن برنارد شو قد قصد من ايراد اسم نبى الاسلام (ص) إلى جانب اسم الملك هنرى الثامن واسم النبى سليمان [illegible] على نبينا الكريم فقد أراد للقارىء أن يعقد بين هؤلاء العظماء الثلاثة الذين عرفوا التاريخ بحبهم للمرأة مقارنة تنتهى لصالح محمد عليه الصلاة والسلام فهذا النبى الكريم لم يتخذ ، مثل «سليمان» من الزوجات سبعمائة ومن السرارى ثلاثمائة ، كما أن حبه لزوجاته لم يجعله ينحرف ، مثله ، عن عبادة ربه . وهو ، من الجهة الأخرى ، على عكس هنرى الثامن ، لم يكن عبدا لشهواته ولم يسمح لحبه للمرأة بأن يغريه ، كما اغرى هذا الملك ، بالتلاعب بالدين ، ولم يسخر دينه لارادته وأهوائه ولم يقتل ولم يطلق ولم يسىء معاملة أى من نسائه .

● ظاهرة تقبلها التشريعات ●

وفى معرض ابطال حجة من يهاجمون التعدد ذكر

برناردشو يؤيد تعدد الزوجات



«لو ان ثلاثة ارباع الرجال في بلد من البلاد قتلوا نتيجة لحرب عظمى لتعين ـ كضرورة حتمية ـ الاخذ بالرخصة التى اباحها «محمد لكل رجل فى الزواج من اربع لتعويض نقص السكان»

ولكن الحروب ليست العامل الوحيد الذى يؤدى الى نقص السكان بل هناك عوامل ثلاثة أخرى تؤدى اليه هى الاجهاض أو البنات ووسائل منع الحمل

برناردشو بأن تعدد الزوجات ظاهرة اجتماعية محدودة بطبيعتها وانها فى الوقت ذاته ظاهرة تقبلها تشريعات معظم المجتمعات البشرية :

هى ظاهرة محدودة بطبيعتها لانها تتعرض قبل كل شيء قدرة الرجل على إعالة اكثر من زوجة والرجال الذين يتمتعون بهذه القدرة فى اى مجتمع قليلون ، ولذلك فان الأصل فى المجتمعات التى تسمح بتعدد الزوجات هو وحدية الزوجة ، وهذا ثابت من جميع الدراسات التى اجريت فى هذا الموضوع . وقد ذكرت موسوعة يونيفرسالس «الفرنسية فى هذا المعنى أن علماء السكان قد اثبتوا أن ٦٠ الى ٨٠ فى المائة من الأسر فى المجتمعات التى تمارس تعدد الزوجات تتكون من زوجة واحدة .

وهى ظاهرة تقبلها معظم المجتمعات البشرية طبقا لنفس المصدر فقد ذكرت الموسوعة ان نطاق نظام تعدد الزوجات فى القانون اوسع بكثير من نطاق نظام الزوجة الواحدة وأن بعض العلماء قد قدر نسبة المجتمعات التى تسمح بتعدد الزوجات بـ ٨٠ فى المائة من المجتمعات المعروفة .

ومن الراجح أن يكون برناردشو قد اطلع على بعض البحوث التى خرجت بهذه النتيجة : فقد اجرى على لسان قسيس بريطانى فى مسرحية «التاهب للزواج» هذه العبارة :

إن الغالبية العظمى من رعايانا (المقصود بطبيعة الحال من سكان المستعمرات البريطانية فى الهند وفى افريقيا وأسيا ممن يمارسون تعدد الزوجات . وأنا كقسيس بريطانى ، لااملك أن اهينهم بالتحدث عن تعدد الزوجات بصورة تنم عن عدم الاحترام .

ويقرر المؤلف بعد ذلك حقيقة بديهية فيقول فى مقدمة المسرحية المذكورة :

تعدد الزوجات قائم

مؤلفنا يعتبر أن الخطا والنفاق ادعاء ان تعدد الزوجات لايوجد إلا فى الاسلام وأنه ينبغى تسمية الأشياء بأسمائها ، وأن تعدد الزوجات قائم مادامت للمرء علاقات جنسية مع اطراف متعددين سواء كان هناك زواج أم لم يكن . وهو يطلق على مايسمى الآن فى المجتمعات الغربية بالحرية الجنسية اسم «تعدد الزوجات السرى» أو «تعدد الزوجات غير المشروع» وهو يقول فى مسرحية «التأهب للزواج» إن فى انجلترا سلاطين وسلطنات وسرايات ولكن فى صورة انجليزية والمعنى واضح لايحتاج الى بيان .

والشأن نفسه قائم فى البلاد الأخرى التى تحرم تعدد الزوجات ويقول المؤلف فى «دليل المرأة الذكية» إن الزواج كان فى روسيا القيصرية رباطا لاتنفصم عراه ولم يكن الطلاق فيها مسموحا على انه كان عندهم ، كما هو الحال عندنا ، ممارسة لتعدد الزوجات غير المشروع على نطاق واسع ، فقد كان باستطاعة أى امرأة ان تعيش مع اى رجل دون أن تتزوج منه وكان باستطاعة اى رجل أن يعيش مع أى امرأة دون أن يتزوج منها والواقع ان كلا منهما كان يستطيع أن يتخذ اكثر من عشيق أو عشيقة .»

العبرة اذن هى بالواقع لا بالمواجهة القانونية والتسميات والمجتمع الغربى الذى يستهجن تعدد الزوجات ويرى انه شر محض لايرى بأسا فى العلاقات الجنسية خارج الزواج ولو كان احد طرفيها متزوجا بل أن هذا النوع من العلاقات هو الموضوع المفضل فى المسرحيات والأفلام والروايات ، وهو يثير من الابتسام لدى الناس اكثر مما يثير من الامتعاض والتقزز والشعور بالخطر

- الخطر على وظيفة الزواج الاساسية ، كما راينا
- والخطر على عدد السكان
- والخطر على الصحة العامة وصحة المواليد : إن

تعدد الزوجات السرى وغير المشروع يشجع البغاء وقد كتب برنارد شو مسرحية كاملة عن مشكلة البغاء أسماها «مهنة مسز وارين» وتحدث عن هذه المشكلة فى مواضع اخرى . وهو يقول بصددها فى «دليل المرأة الذكية» : او أن الفتيات الفقيرات الجميلات وجدن - وهن يجدن أن باستطاعتهن ، عن طريق الفاحشة ، كسب مبلغ من النقود اكبر من ذلك الذى يكسبنه بالعمل الشريف ، فانهن سيسمحن دم الشبان الاغنياء . وحين يتزوج هؤلاء فانهم سينقلون العدوى الى زوجاتهم وابنائهم ويسببون لهم كثيرا من الامراض التى تنتهى أحيانا بالتشوة او بالعمى أو بالموت » وخطر انجاب ابناء غير شرعيين بكل الآلام والمشاكل التى يسببها انجابهم وهو يقول «ان افظع الوان الاضطهاد التى تعرضت لها امهات الأطفال غير الشرعيين لم تحل دون ولادة مثل هؤلاء الأطفال» ويقول ايضا ان العلاقات الجنسية غير الشرعية أصبحت من الشيوع بحيث اضطرت الحكومة الى التدخل لتنظيمها « فيما يتعلق بهؤلاء الابناء » .

وخلاصة القول أن برناردشو يرى أن الاسلام الذى يحرم وأد البنات ويحرم الزنا ويحرم البغاء كان منطقيا مع نفسه حين اباح تعدد الزوجات فى حالات استثنائية خاصة وأن منهجه فى ذلك كان منهجا سليما .

وبرناردشو يسجل للاسلام كونه بخلاف الهندوسية وديانة المورمون ، يقيد تعدد الزوجات بأربع .

وقد حاول أن يصحح بعض المفاهيم الخاطئة بشأن تعدد الزوجات فى الشرائع التى تسمح به كالفكرة التى مؤداها أن للزوج مطلق الحرية فى التمتع بالزوجة الجميلة أو الشابة وهجر الزوجات الاخريات أو اهمالهن ، وتلك التى تصور زوج اكثر من الواحدة على انه إنسان شهوانى غارق فى اللذات ، وتلك التى تقول إنه ما من امراة تقبل برضاها التزوج من رجل متزوج أو البقاء فى عصمة الرجل اذا تزوج عليها .

اما القول بان من يتزوج بأكثر من واحدة رجل شهوانى لايهتم الا بمتعة الجسد فهو قول ينكره برناردشو أشد الانكار . وهو يرى أن تعدد الزوجات ، على العكس ، شىء ثقيل ومخيف بالنسبة للرجل ، ويسوق للتدليل على ذلك ماكتبه فى هذا الموضوع «بريجام يونج» أحد اتباع ديانة المورمون فى وصف ما انتابه من رعب حين جاءه الخبر بأن «جوزيف سميث» نبى المورمون قد تلقى وحيا يقضى بأن يتخذ كل مؤمن عددا من الزوجات قدر مايستطيع .

ويقول المؤلف أن «بريجام يونج» قد نشأ وتربى على عقيدة ان تعدد الزوجات خطيئة كبيرة ، وأنه كان يؤمن بذلك ولكنه كان فى الوقت ذاته يؤمن بأن ماأوحى الى «جوزيف سميث» هو من عند الله . وقد بلغ اثر الصدمة النفسية التى تلقاها حين علم بالوحى المتعلق بتعدد الزوجات انه خرج الى الشارع ورأى جنازة ونعشا محمولا وجد نفسه يحسد الميت على موته حين تصور انه سيكون عليه الا يكتفى بزوجة واحدة . وقال برناردشو ان هذا شعور طبيعى لأن أى رجل - حتى اذا لم يكن قد نشأ على اعتبار ان تعدد الزوجات خطيئة - ترتعد فرائصه خوفا لفكرة انه سيظل مرتبطا مدى الحياة بعشرين زوجة . ويضيف «شو» أن بريجام يونج قد تغلب مع ذلك على ما اصابه من رعب وتزوج اكثر من سبع وثلاثين مرة .

● المناداة بتحرير المرأة ●

ولم يطل برناردشو الحديث فى إثبات أن من النساء من تقبلن التزوج من رجل متزوج أو البقاء فى عصمة الزوج بعد زواجه بأخرى . ولعله لم ير داعيا لذلك اعترافا منه بأن معظم النساء تفضلن الزواج من غير المتزوج على انه لاحظ أن نساء المورمون التقيات واللاتى كن اكثر من الرجال تمسكا بمبدأ الزوجة الواحدة امكن اقناعهن بقبول تعدد الزوجات بنفس الفعالية والسهولة اللتين قبله بهما « بريجام يونج .

لقد كان المؤلف - وهذه حقيقة لامراء فيها - من انصار تحرير المرأة ومن أوائل من نادوا بتحريرها . وكان يرى أن من حق المرأة ان تتعلم وتعمل وتكسب لتحقق استقلالا ماديا كالرجل سواء بسواء بحيث يكون لها الخيار فى أن تتزوج او لا تتزوج دون أن تكون عالة على غيرها وبحيث لاتتزوج إلا من تشاء ولا تضطر الى قبول الزواج من رجل متزوج ولا الى البقاء فى عصمة رجل اذا تزوج عليها .

● دفاع عن زوجات الرسول (ص) ●

هذه هى آراء برناردشو عن تعدد الزوجات

برناردشو يؤيد تعدد الزوجات



عموما . وقد تحدث هذا المؤلف كذلك عن زوجات الرسول عليه صلوات الله ودافع عنه فى شأن تعددهن وقد كان يظن انهن اربع عشرة . ونتلخص ملاحظاته فى هذا العدد فيما يأتى :

اولا ـ محمد لم يكن رجلا عاديا ومن الاجحاف بحق العظماء أن تطبق عليهم المعايير التى تطبق على البشر العاديين .

ثانيا ـ عدد النساء فى حياة النبى العربى ـ رغم كثرة زوجاته ـ يعتبر قليلا بالنسبة لعددهن فى حياة كثير من الرجال فى هذا العصر الذى رفعت فيه القيود عن العلاقات الجنسية . ولو أن أحدا ممن يعتبرون انفسهم خبراء فى الموضوع رأى محمدا رأى العين لقال انه زاهد .

ثالثا ـ المرأة التى تشعر بجلال الامومة تفضل ان ينحدر ابنها من صلب رجل عظيم يكون لها فيه نصيب العشر او اقل ، على أن يكون من صلب رجل عادى لاتشاركها فيه زوجات اخريات ، ومحمد هذا الرجل العظيم .

رابعا ـ ليس المهم هو عدد النساء فى حياة الرجل العظيم المهم هو الا يحول حبه لهن بينه وبين جلائل الاعمال وحب محمد للنساء لم يمنعه عن اداء رسالته بوجه من الوجوه .

● تزمت واضح ●

بقى الآن ان نتساءل عن صدى آراء برناردشو عن تعدد الزوجات فى المجتمع الانجليزى والمجتمع الغربى بصفة عامة .

والجواب هو أنه لم يترك فيهما أى اثر على الاطلاق ، وان المجتمعات الغربية مازالت متمسكة بمبدأ الزوجة الواحدة مازالت تعتبر هذا المبدأ بين المقدسات . هذا على الرغم من أن السنوات الخمس والثلاثين التى انقضت على وفاة «شو» كانت حافلة ـ كما قلنا ـ بالتغييرات الجذرية فى حياة الناس فى الغرب وفى اخلاقهم وفى تشريعات الدول ورغم ان سلطان التعاليم والمبادىء الدينية على النفوس وعلى القوانين الوضعية فى المسائل المتصلة بالجنس اصبح ضعيفا بل شبه معدوم .

وبعد أن تفشى الزنا بين المتزوجين وغير المتزوجين بصورة محت تقريبا كل شعور بالاثم عند الناس بصدده ورغم ان كثيرا من المحظورات بل ومن الجرائم ، كالطلاق والاجهاض والشذوذ الجنسى اصبحت مباحة ، ورغم تفشى الأمراض السرية ، وبعد أن زاد عدد الابناء غير الشرعيين بدرجة خطيرة فوصلت نسبتهم الى مجموع المواليد فى بعض البلاد وبعض الطبقات الى واحد من كل خمسة او من كل اربعة والمجتمعات الغربية مازالت تتمسك بمبدأ الزوجة الواحدة رغم انها جميعا تعانى الآن من ظاهرة تناقص السكان ، وانها اصبحت تتقبل بصورة متزايدة عمليات لاتخلو ـ على الاقل من حيث نتائجها ـ من شبه تعدد الزوجات ونعنى بها عمليات التلقيح الصناعى . لقد أصبح هناك فى معظم بلدان العالم الغربى الآن مراكز تعرف «ببنوك النطف» واصبحت النساء اللاتى لايستطعن الحمل من ازواجهن ـ واحيانا بعض النساء غير المتزوجات ـ يقصدن هذه البنوك ويتلقين تلقيحا صناعيا تنتقل الى ارحامهن بواسطته نطف رجال لايعرفن عنهم شيئا ، واصبح بعض هذه المراكز ـ على ماذكرت الصحف ـ يشترى نطف عظماء الرجال من الفائزين بجائزة نوبل وغيرهم ويلقح بها من يرغبن فى الحمل من رجل عظيم مقابل دفع مبالغ كبيرة .

ورغم ان كثيرا من المفكرين والكنائس ورجال الاجتماع فى العالم الغربى يبدون تحفظات على التلقيح الصناعى ولايخفون القلق بشأن نتائجه المحتملة فإن الحركة التشريعية لم تصاحب هذا التطور ولم تصدر حتى الآن فى معظم الأحيان قوانين تمنع التلقيح الصناعى ، علما بانه ينطوى على مخاطر لايستهان بها من حيث اختلاط الانساب واحتمالات ان يؤدى الى زواج المحارم وحرمان الاطفال الذين يولدون عن طريقهم من حقهم المشروع فى ابوة معروفة ومسئولة ، وإلى عدد من المآسى الانسانية ، فى الأجل الطويل لايمكن لأحد ان يتخيله الآن .

أغنية إلى أبى زيد الهلالى سلامة

شعر :
مرسى جابر توفيق



رحل الفارس فالموت امامه
وعلى وجه صحارينا دمامة
وأيادى البدو قضبان ألم
تر فوق السجن طيفا لحمامة ؟!
انها روحى التى تهرب من
عسكر الوالى ومن أرض الندامة
هذه الصحراء لن تعرفنى
رغم أنى كنت والنخل علامة
مستباح الدم لا « نجد » بها
وجه من يهوى فؤادى او «تهامة»
ضائعا ابحث عن أرضى وعن
وجهى الضائع فى ليل الجهامة
كان عند النهر كوخ وغمامة
وحصان عربى وعمامة
وجهك الاسمنت يا سيدتى
لم يعد فى «خده» الاسحم شامة
قلت لى حارب فحاربتهمو
واضعت العمر حبا وكرامة
وليالى السجن صحراء فلا
كتب منك ولا نور ابتسامة
انت بعتنى لهم سيدتى
ليتهم ما تذرونى للامامة
هذه الجند التى قد قتلت
وردة الحب واشجار الشهامة
اننى ارجع يا سيدتى
وعلى الصدغ نخيل وحمامة
هل هو وجهى الذى عاد لكم
ام أبو زيد الهلالى سلامة

● حول قضية استطلاع الهلال ●

المذنب هالى يخرج لسانه للعرب

بقلم : محمد فتحى

● اغلب الظن انه لا دخل للهلال فى الصورة المؤسية التى نبدو عليها نحن العرب مرات كل سنة ، وان ما يطرا من اضطراب على مواعيد بدء صيامنا وافطارنا واحتفالنا باعيادنا .. يعود الى عوامل اخرى بعيدة تماما عن دورة القمر .. ●

قبل سنوات ، وبينما نحن غارقون فى حيص بيص .. « شرقنا » صائم لاعتقاده أن شهر رمضان قد بدأ ، و « مغربنا » مفطر لاعتقاده أن الشهر لم يبدأ بعد .. بينما نحن على هذه الحال نضرب أخماسا فى أسداس : « ظهر الهلال ام لم يظهر؟ » خرج علينا العالم بصورة أو خارطة خبيثة .

صورة يدعى « العلماء » أنها تحدد خط سير ونقط تواجد المذنب هالى ، على مدى سنوات مقبلة ، باليوم والساعة والثانية .

ولاننا صائمون او على وشك ، ولان الصيام يدعونا الى الحلم ، ولاننا نعرف أن أفضل سبل مواجهة الخبائث هو تجاهلها .. بلعنا الصورة بضمير مرتاح .. خاصة وقد كان المذنب على مبعدة ملايين الملايين من الكيلومترات من أرضنا ، وليس بمقدور اقوى المراصد ادعاء أنه قد رصده ، مما يجعل الامر كله فى حكم الغيب ، ومن يدرى ؟!

نسينا الامر كله فالانسان مفطور على النسيان .. لكن بينما نحن غارقون فى حيص بيص مرة أخرى .. « مغربنا » يصلى العيد ويرفع صوته بالتكبير ، و « مشرقنا » يغط فى النوم عازما على أن يصليه بعد يوم أو بعض يوم .. بينما نحن ضاربون ، هنا وهناك ، عرض الحائط بحكمة صلاة الجماعة ، وبحكمة رفع الصوت بالتكبير معا .. بينما نحن على هذه الصورة خرج علينا « علماء » العالم بأنباء خبيثة حول خطط يزعمون فيها أن مختبرات ومعامل ستنطلق بعد شهور كثيرة ، لتلتقى بعد شهور كثيرة

اخرى المذنب هالى ، فى مواعيد محددة باليوم والساعة والثانية .

● دقة فى التنفيذ ●

كان شهر الصيام قد انصرم هنا وأوشك أن ينصرم هناك .. أى ان عهدنا بالصيام كان قد طال مما أضفى طمأنينة وسكينة على نفوسنا ولم يكن من الحكمة ان نترك خبرا خبيثا ، من هنا أو من هناك ، يعبث بهذه السكينة .. ومرة اخرى وجدنا الحل فى حكمة شعبية : « اذن من طين واخرى من .. » بالذات والمذنب هالى ، الذى يعدون لقاءه ، فى مواعيد محددة باليوم والساعة والثانية، كان لايزال على مبعدة الاف الملايين من الكيلومترات من أرضنا ، ولا يستطيع أقوى المراصد ادعاء أنه قد رآه بوضوح بعد ..

ونسينا الامر كله سنوات ، حتى كان شهر مارس الماضى (١٩٨٦) فعلى مدى عشرة أيام ، منذ الخامس وحتى الخامس عشر منه ، توالت الانباء عن تنفيذ الخطط التى كانت قد اعلنت قبل سنوات .. نعم نفذت نفس الخطط بالحرف الواحد، وباليوم والساعة والثانية تتابعت المختبرات الفضائية تقترب من المذنب هالى بدقة بالغة ، رغم أنها كانت تمضى بسرعة تعادل خمسين مرة سرعة الطلقة النارية ، ورغم أن المذنب كان على مبعدة ما يزيد على مائة مليون كيلو متر من الارض ، ورغم

لقطة توضح :

١ ـ المركبة الفضائية السوفيتية فيجا ـ١   ٢ ـ المركبة الفضائية السوفيتية فيجا ـ٢

٣ ـ سويساى المركبة الفضائية اليابانية   ٤ ـ ساكيجاكى المركبة الفضائية اليابانية

نواة المذنب هالى والهالة التى تحيط بها ـ ذيل المذنب المزدوج ويتكون احد الذيلين من الغبار والآخر من البلازما



المذنب هالي

انه كان يتحرك بسرعة تقارب ربع مليون كيلو متر !!

ولم تكن الانباء وحدها هى التى طالعتنا حتى يتسرب شك بانها انباء خبيثة ، غير دقيقة وراءها ما وراءها (بالذات وقد كنا نستعد لاستطلاع هلال اول الشهر العربى) اذ كانت الصور التى تبعث بها المختبرات تباعا ، تنشر على رءوس الاشهاد ، بعد أن حولت ثورة الاتصالات العالم الى قرية صغيرة ، لا تقع فى زقاق منها واقعة ، حتى تعرف الازقة الاخرى فى التو واللحظة خبر ما حدث .

● مهرجان علمى عالمى ●

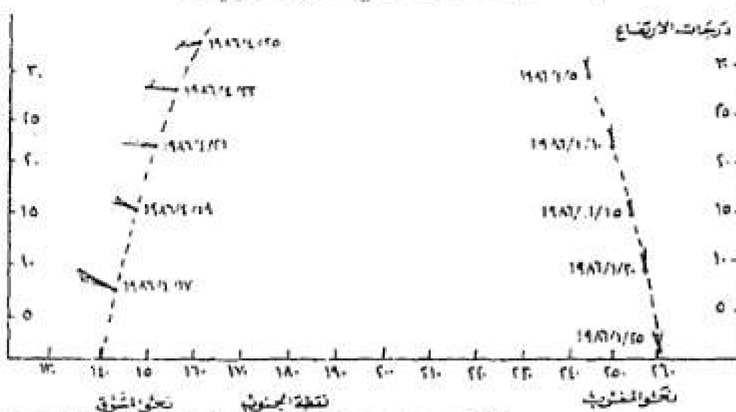
وليت الامر اقتصر على ما حدث خلال هذه الايام العشرة فحولها سمعنا عجبا .

على سبيل المثال احس العلماء الامريكيون بالغصة تأخذ بخناقهم وهم يتابعون انباء المهرجان العلمى العالمى الذى حرموا المشاركة فيه ، بعد ان رفض الكونجرس اعتماد الاموال اللازمة لتنفيذ مشروعهم الخاص بمتابعة المذنب هالى .. لكنهم لم يكتفوا بالغصة .

قلبوا اوراقهم القديمة ، واعملوا معارفهم الفلكية ، واصدروا اوامرهم لمحطة أوتوماتيكية (بيونير) تدور اساسا حول الزهرة منذ سنين ، طالبين منها ، وهى على مبعدة آلاف الملايين من الكيلومترات عن الارض ، أن «تلقى نظرة» على المذنب ، وتبعث باخباره عند مروره بين الزهرة والشمس .. ولم تكذب « بيونير » خبرا .. وشاهدنا ما ارسلته من معلومات ، مرة والمذنب فى رحلة الذهاب خلال ديسمبر ١٩٨٥ ، والثانية خلال رحلة الاياب ، فى بداية ١٩٨٦ .

كما فكر الامريكيون فى توجيه نسر صناعى كانوا قد اطلقوه عام ١٩٧٨ (بهدف دراسة الرياح الشمسية) ، الى مذنب صغير لا يتمتع بشهرة هالى هو « جياكوبينى زينر » تصادف انه كان يقترب من مجموعتنا الشمسية عام ١٩٨٥ ، لكنهم اكتشفوا استحالة ذلك من خلال الوضع الذى كان عليه القمر ، والسرعة التى كان يبحر بها .. اسقط فى يد العلماء لكن المهندسين لم يسلموا بالعجز ،

خرائط تحدد سير المذنب خلال الفترة من ١٥ فبراير و ٢٤ ابريل ١٩٨٦ .. اعدها قسم الفلك فى النادى العلمى



واستفادوا من المعارف الفلكية التى لعب أجدادنا العرب الاقدمون دوراً فى تطويرها، ووجهوا القمر الصناعى نحو القمر الطبيعى ، واستعانوا بجاذبية الاخير فى مضاعفة سرعة الاول ، حتى وصلت الى ٥٠ ألف ميل فى الساعة ، الامر الذى مكنهم من توجيهه بعد مجموعة من المناورات الى المذنب المقصود .. وهكذا تابعنا خلال أغسطس ١٩٨٥ المعلومات التى ارسلها القمر الصناعى عن المذنب بالفعل.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ..

لم ترض وكالة الفضاء الامريكية بالقوم ، ولم تكتف بحمد ربها على ما حققته من نجاح بلا تكاليف (لم تستثمر فيه الا المعارف الفلكية) فجرها «الطمع» الى التفكير فى توجيه القمر الصناعى الى فلك قريب من الارض ، لتقوم باسترداده يوم الثانى من اغسطس عام ٢٠١٢ ، لفحص الغبار الذى لابد ان يكون قد علق بسطحه لدى اختراقه ذيل المذنب ..

● هل نحن عصريون ؟! ●

والطريف فى امر هذه السيمفونية الفلكية المديدة ، التى احاطت بمذنب هالى، التى يستمر عزفها منذ عام ١٩٧٥، اننا نحن العرب لم نسترشد فى صددها بالحكمة الشعبية اياها : « اذن من طين والاخرى من .. » .. وحتى نثبت بالدليل القاطع اننا عصريون ، واننا نساهم فى مسيرة العلم ونفهم بروح التقدم .. حتى نثبت ذلك كله رحنا نتابع ما يحدث على قدم وساق ، بنفس وسائل الغربيين .. نعم تابعنا هالى بالحساب والمنحنيات والحاسبات الالكترونية التى لقمت وشملت وجرى استقراؤها وفقا للمعارف الفلكية .

نعم والله تابعنا كل شىء باليوم والساعة والثانية ، كما يرى القارىء مع الصور المنشورة على هذه الصفحات ، رغم أنه يجرى كما هو موضح بالجداول على مبعدة عشرات ومئات ملايين الكيلو مترات عن الارض (الف ضعف المسافة بينها وبين القمر) .

نعم والله فعلنا لكن يبدو أن فى عالمنا من لا يعجبه العجب ولا «الصيام فى رجب» !.

ولا يريد لنا سكينة أو هدوء بال فبعد أن قام العرب بنصيبهم فى رصد المذنب وأدوا ضريبة العلم على خير وجه .. وبعد أن خرجت الأرصاد العالمية نفسها تؤكد ان المذنب (بوجع الرأس الذى لابد وان ينتج بالتداعى من حكايته) قد اخذ طريقه مبتعدا عن الارض ، وانه لن يعود الا بعد ٧٦ سنة .

بعد ذلك كله ظلت اصوات الخبثاء اياهم تطالعنا من هنا وهناك بأنباء مغرضة تبدو وكأنها تخص المذنب ، وان استهدفت تعكير سكينتنا ..

قال الخبثاء – على سبيل المثال – وقبل استطلاع هلال شعبان : « بينما كان الشعراء العرب يشتغلون فى الماضى باداتة الخرافة مثلما فعل ابو تمام فى القصيدة التى عرض فيها بالمرجلين الذين كانوا يخوفون الناس من اقتراب مذنب هالى ، والتى استفتح هجومه عليهم فيها قائلا :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب

بينما فعل ذلك شعراء العرب فى الماضى، ينشغل « علماء » العرب اليوم بالهروب الى الامجاد القديمة وتدبيج القصائد حول مدح العلم العربى القديم ، وحول ريادة العرب للعالم فى مجال الفلك ، كما فى غيره من المجالات .

بل وادعى مراقب الخبث – مثال آخر – أن احدهم حقق اكتشافا مؤداه ان النجم «أبو ذنب» الذى يعرفه العالم بالمذنب هالى ، والذى كان قد أخذ طريقه مبتعدا من الارض قد غير رأيه وبدأ يعود أدراجه مقتربا منها ، بعد عملية تمويه بعيدة المدى ، غير فيها اسمه الى «أبو لسان» وغير مساره بحيث يكون ظاهرا فى المنطقة الجغرافية التى يعيش العرب على امتدادها .. كما غير دورته بحيث يظهر مرة كل شهر ، بالتحديد حول أيام ظهور الهلال ليستمتع العرب برؤيته وهو يخرج لسانه الطويل لهم .

وهذا ليس الا قليلا من كثير القولة الخبثاء الذين لا يودون للعرب راحة بال.



القلق

مرض العصر

إعداد : سناء حنفى

● اذا كان الخوف احد المظاهر الطبيعية ، الا انه كثيرا مايصبح مدمرا ، وكثيرا ماتكون المخدرات والكحوليات مجرد قناع لاخفاء ما يشعر به بعض الافراد من القلق ..
والرجال يخافون اكثر من المراة من ان يفقدوا السيطرة على انفسهم ، ولكنهم لايعترفون بذلك الخوف ..
كما ان هناك عقاقير يؤدى تناولها الى الاثارة وتساعد على اظهار الذعر .. ●

هذه الحقائق الاربع اعلنها مؤخرا علماء المعهد القومى للصحة النفسية والعقلية باحد المدن الامريكية ، واضافوا انه بالرغم من التقدم التكنولوجى الهائل الذى شمل جميع مجالات الحياة فى الولايات المتحدة ومع توفر الاجهزة الحديثة التى ابتكرت الا ان ذلك لم يحقق التوازن والسعادة للكثير من الافراد ، ولكنه خلق هوة سحيقة بين الانسان وبين وتيرة التطور الاجتماعى ، مما دفع الكثير الى شعور عميق بالقلق .

ولعل دوافع الخوف والقلق لدينا تختلف عن الولايات المتحدة ، الا ان الدراسات والابحاث التى اجريت هناك تقدم العديد من الدلالات عن طرق العلاج

□ الخوف والقلق وراء الكثير من مظاهر العنف

□ الكافيين يزيد القلق والخوف والعصبية

□ وصفة جديدة تقضي على القلق بدون عقاقير

وتساعد الكثيرين على التغلب على ما يجتاحهم من خوف وقلق .

لقد اصبح القلق اكثر الامراض العصبية شيوعا فى العالم لقداظهرت نتائج الدراسة التى اجراها المعهد القومى للصحة النفسية والعقلية لتقييم انتشار الاضطرابات العقلية فى الولايات المتحدة الامريكية ان الاضطرابات الناتجة عن القلق هى الاولى بالنسبة للامراض العقلية للمراة . اما الرجل فهى المشكلة الثانية بعد ادمان المخدرات والكحوليات والتى يعتبرها الكثير من الباحثين مجرد قناع لاخفاء القلق .

وربما يكون الشعور بخطر الحرب النووية ومعدل الجريمة والارهاب وعدم الاستقرار الاقتصادى من اسباب شعور الانسان بالقلق بدرجة تزيد عما كان عليه من قبل بالرغم من ان الاطباء النفسانيين يعتقدون انه ليس هناك تغير حقيقى فالقلق جزء من الطبيعية الانسانية .

ان القلق كما يقول علماء النفس استجابة عامة للجهاز العصبى تثير الجسم فى محاولة للتغلب على الاخطار التى يتصورها الانسان . ويمكن ان تصل شدة القلق الى درجة تتغير معها كيفية حياة الانسان او تتدخل فى قدرته على اداء مهامه .

ويجرى العلماء الان ابحاثهم لايجاد تفسير وراثى للقلق المرضى مثل التعرض لموجة من الرعب عندما يكون الانسان تحت ضغط شديد ، وللتغلب على الاضطرابات البيوكيميائية تنتج شركات الادوية سنويا عقاقير مضادة لحالات القلق ، ولكن باحثى السلوكيات يرون ان اضطرابات القلق تعتمد بدرجة كبيرة على كيفية ترجمة الانسان لخبراته وما يمكنه القيام به حيالها . فالقلق يظهر فى التفكير غير المنطقى وافراز العرق والتصرفات العامة ويمكن ان نعرف القلق بالشعور بالخطر ، وربما يكون الخطر نفسيا مثل خطر الشعور بالاذلال



القلق

والرفض والهجر ومواجهة نقاط الضعف في الانسان ، وقد يكون جسمانيا والشخص الذي يعاني من الخوف الجسماني يخشى ان تكون المشاعر التي مر بها . ما هي الا اضطراب عقلي او انه قد لحق به مرض خطير أو اصيب بازمة قلبية . واحيانا يعكس القلق ادراكا حسيا للخطر الحقيقي .

● الخوف من الخوف ●

ان الخوف كما يعتبره علماء النفس مظهر من مظاهر القلق . وهو ظاهرة صحية في الاساس ولكنه يصبح مدمرا عندما يبدأ الانسان في الخوف من الخوف . وعلى سبيل المثال فالقلق يدفع الى تصحيح الاخطاء فالانسان يصاب بحالة قلق شديد عند القائه لخطاب وسوف يكون اقل قلقا في المرة التالية ولكن اذا تغلب عليه الشعور بالقلق فانه سيصبح اسيرا لهذا الشعور . وقد حقق المتخصصون في الصحة النفسية تقدما هائلا عند معالجتهم الخوف من الخوف .

والقلق ليس مشكلة المرأة وحدها بالرغم من ان المرأة اكثر عرضة من الرجال للاصابة بانواع معينة من القلق والكثير من الرجال يجبرون انفسهم على تحمل المواقف التي تسبب لهم كربا وحزنا او انهم مقبلون على تناول الخمور لنسيان خوفهم . والسيطرة على العواطف بالطبع سمة من سمات الرجولة والمعاناة من المشكلة التي تصاب بها السيدات انما تثير الشك في الرجولة . والرجال اكثر من السيدات خوفا من فقدان السيطرة والتحول الى العنف . وقد ذكرت احدى الطبيبات النفسيات ان احد عملائها كان شرطيا ترك عمله لخوفه من استخدام مسدسه اثناء تعرضه لموجة من القلق وبالتالي التسبب في قتل شخص ما بطريق الصدفة .

ولا يميل الرجال الى الاعتراف بخوفهم لذلك تتزايد حالة قلقهم عند طلب المساعدة كذلك فهم اكثر اقبالا عن النساء على تناول الكحوليات للهروب من القلق وهم اكثر عرضة لظهور اعراض مرضية للتعبير عن قلقهم . ويعيش الرجال في قلق حول مستقبلهم او علاقاتهم والغريب ان معظم الرجال الذين يعانون من القلق يتمتعون بالقوة والنجاح ولكنهم يخشون من عدم استقرار نجاحهم .

● عصر الاكتئاب ●

لقد اصبحت الاضطرابات الانفعالية سمة العصر الذي انتشرت فيه . فقد تميزت الخمسينات بانها عصر القلق اما الستينات والسبعينات فهي عصر الاكتئاب . ويمكن ان نطلق على اي من هذه العقود لقب عصر القلق المشوب بالاكتئاب لان معظم الاشخاص الذين يعانون من احدهما يشعرون بالاخر . ومع ذلك فان اساليب التفكير في كل من حالات القلق والاكتئاب يمكن تمييزهما بوضوح . فالاكتئاب هو التأكد ان الامور تسير بصورة مرعبة ولا امل فيها . اما القلق فهو الاعتقاد بانه في اي لحظة ستصبح الامور مرعبة ولا امل فيها . وفي حالة الاكتئاب يؤكد الشخص على الماضي مثل القول : « انا امر بحالة سيئة لانني قد فقدت عملي » ويتحدث عن الماضي كما لو كان حدث بالفعل . اما في حالة القلق فيتوقع فيها الشخص حدوث كارثة مستقبلية مثل

القول سافقد عملي . وبالرغم من هذه الفروق الا ان معظم المصابين بالاكتئاب يعانون من القلق ايضا . فالمراة ربما تشعر بالاكتئاب لانها تعرف انها لن تجد من يحبها ولكنها تشعر بالقلق ايضا من تقدم عمرها وهي وحيدة .

● عقاقير تؤدي الى الاثارة ●

وفي اتجاه اخر يختلف عن اتجاه الاخصائيين في دراسة السلوك نجد مجموعة من الباحثين تهتم بالكيمياء الحيوية والصفات الوراثية للقلق .

ويرى عدد من الباحثين ان هناك بعض المواد تتسبب في الاثارة الفسيولوجية مثل الكافيين او لكتات الصوديوم التي تساعد على اظهار موجة الذعر بين المصابين بالخوف بدرجة اكثر من الاصحاء . وقد اثبتت مجموعة من العلماء الامريكيين في دراسة لهم ان الكافيين يزيد من القلق والخوف والعصبية والغثيان وخفقان القلب بسرعة والارتعاش بين مرضى الخوف من الاماكن الخالية اكثر من الاصحاء . ولكن ربما تحتاج الاجابة حول مدى تاثير الاضطرابات البيوكيميائية في القلق الى المزيد من الوقت ، فالحقيقة ان عقارا معينا مثل الكافيين يؤثر على مختلف الاشخاص بدرجة مختلفة لا يعني ان هناك اختلافا كيميائيا حيويا في مخ هؤلاء الاشخاص

ولكن هل يمكن ان يكون القلق المرضي وراثيا ، ويمكن ان ينتقل بين العائلات وتشير الدراسات الى ان هناك احتمال لذلك وهو يتزايد في حالة اصابة توائم متشابه في الاسرة به وهكذا يبدو ان هناك دليلا على وجود صلة بين اضطرابات الذعر والميكانيكية الوراثية .

ويرى احد العلماء المتخصصين في دراسة السلوك ان التعلم يغير من التركيب الوراثي للخلية داخل الجهاز العصبي المركزي .

● كيف تقضي على القلق ؟ ●

ومن الواضح انه ليس العلاج الطبي وحده او النفسي وحده كافيا . ولكن بتطبيقهما معا يمكن ان ينفذ العلاج الى المخ والجسم معا في العديد من النقاط والاعراض الفسيولوجية والتصرفات والافكار .

ولكن هناك خطورة من استخدام العقاقير اذ ان الكثيرين يسيئون استخدام هذه العقاقير ويدمنونها .

ويرى احد الاطباء في دراسة له ان الطريقة المثلى لمواجهة القلق تتلخص في المعرفة : تقبل القلق وتتبعه وراقبه بشكل موضوعي ثم قسمه الى درجات تتراوح من صفر الى عشرة وتتبع منحنى ارتفاعاته وانخفاضاته . تعرف كما لو كنت قلقا . تنفس ببطء ثم كرر هذه الخطوات بصورة طبيعية ثم توقع اصابتك به في المستقبل على انه جزء من طبيعة الحياة ومع توقعك له يمكنك الاستعداد للتعامل معه عند اصابتك به .



الموسيقى والأغاني

بقلم:
د. انشراح الشال

فى عصر الأقمار الصناعية

اذا كانت الاذاعة المصرية وسائر الاذاعات العربية قد خطت خطوات واسعه نحو توحيد الاغنية العربية ، وتعريف المستمع العربى فى كل مكان بمختلف الوانها المحلية ، فان الدور الآن هو على التليفزيون ليواصل تلك الرسالة الفنية القومية ، خاصة وقد اصبح هو الجهاز الاعلامى الاكثر سيطرة وتأثيرا عند جيل الشباب، وبفضل ما تتيحه الاقمار الصناعية حاليا من بث تليفزيونى على نطاق واسع ، ومن منطلق ان الاغنية التليفزيونية ـ باعتبارها عملا مسموعا ومرئيا فى آن واحد ـ تختلف بطبيعتها كل الاختلاف على شقيقتها المسموعة فحسب وأولى التجارب بالدراسة فى هذا المضمار هى تجربة اليوروفيزيون او التليفزيون الاوربى الموحد .

ان شبكة اليوروفيزيون ، يمكن ان نقول عنها دون مبالغة انها قد نجحت فى ميدان الاغنية التليفزيونية ، ليس على المستوى الاوروبى فحسب ، بل على المستوى العالمى ، ولم يتخط اليوروفيزيون الثلاثين من عمره بكثير ، لقد بدات التجارب التبادل رسميا فى شبكة اليوروفيزون فى ٨ يونية عام ١٩٥٤ م وهو التاريخ الرسمى لبداية اليوروفيزيون ، واستمرت التجارب الى ٤ يوليه عام ١٩٥٤ . وخلال هذه الفترة التى لم تتجاوز شهرا ، ...

بث ١٩ برنامجا تليفزيونيا ، قاما باعدادها ثماني دول مختلفة هي المانيا الغربية وبلجيكا والدانمارك وفرنسا وايطاليا وهولندا والمملكة المتحدة وسويسرا . وتم التقاط هذه البرامج على شاشات التليفزيون في هذه الدول من خلال ٤٤ محطة تليفزيون ، على مسافة ٦٤٠٠ كيلو متر ، ويقدر عدد مشاهدي هذه البرامج الاولى للبوروفيزيون باكثر من ٦٠ مليون مشاهد .

وعندما بدأ اليوروفيزيون، كانت أهم مشكلة قابلته وقتئذ هي تعدد اللغات واختلافها في اوروبا ، لذلك كان اهم برنامج موحد لليوروفيزيون هو اذاعة البرامج الرياضية ، التي احتلت فيما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦١ اكثر من نصف محتوى المواد المتبادلة على شبكة اليوروفيزيون . ولكن ، في بداية عام ١٩٦٠ ، بدأت البرامج غير الرياضية تأخذ مكانتها في اليوروفيزيون ، وترتفع نسبتها ، بعد ان كانت تعد على الأصابع .

ومن اهم البرامج الاولى التي ساهم اليوروفيزيون في نقلها بين الدول الاعضاء ، الى جانب البطولة العالمية لكرة القدم التي اقيمت في سويسرا ، نذكر برنامجا عن تكوين باليه خاص للتليفزيون في بروكسل عاصمة بلجيكا . وفي اعياد رأس السنة الميلادية ، خلال الفترة من ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٤ الى اول يناير ١٩٥٥ ، تم تبادل برامج خاصة بين الدول الاعضاء، تضمنت اغاني للكورال قدمتها الكلية الملكية في كمبردج ، ورقصة على الجليد من سويسرا ، الى جانب عدة برامج اخرى .

ومن البرامج التي تم نقلها عن طريق اليوروفيزيون عام ١٩٥٦ ، والمرتبطة أيضا بالموسيقى ، يمكن أن نذكر حفلات زفاف امير موناكو رينيه الثالث على ممثلة الشاشة جريس كيلي التي قام بنقلها راديو مونت كارلو .

● مجالات وبرامج متنوعة ●

والملاحظ هنا ، ان المواد الموسيقية التي تم تبادلها من خلال شبكة



الموسيقى والأغاني

اليوروفيزيون في بداية عهدها – كما هو الحال بالنسبة للمواد الرياضية وغيرها من مواد متبادلة – لم تكن تحتاج الى ترجمة لمتابعة مضمونها ، والتى تقف حجر عثرة امام المواد الاخبارية ، او المواد الثقافية الاخرى .. فالاخبار مثلا ان البرامج المتبادلة فى شبكة اليوروفيزيون الاخرى .. تخلو تماما من نشرات منتظمة للاخبار حتى عام ١٩٦٢ عندما بدات الاخبار تحتل مكانة متواضعة فى البرامج المتبادلة على هذه الشبكة الى ان اثبتت وجودها بصفة يومية فى صورة ثلاث رسائل، ووصلت نسبتها الى نحو ٦٠ ٪ من نشاط اليوروفيزيون .

وتغطى برامج اليوروفيزيون بصفة مجالات مختلفة هى : الاحداث الرياضية، والاخبار ، والمنوعات ، والمسابقات والمهرجانات ، والموسيقى ، والبرامج الدينية ، حيث يصل متوسط عدد البرامج التى يتبادلها سنويا ١٦٠٠ برنامج تستغرق ١٢٠٠ ساعة بث . وتحتل البرامج الاخبارية والرياضية نسبة ٩٠٪ من حجم المواد المتبادلة على هذه الشبكة . ولما كان من المفروض ان يبث اليوروفيزيون برامجه بثا مباشرا، ولصعوبة تحقيق ذلك بالنسبة للبرامج الثقافية بسبب تعدد اللغات ، فان اليوروفيزيون يلجا الى ما يمكن ان نطلق عليه اسم « البرامج المحايدة » مثل الرياضة والباليه والموسيقى وما شابه ذلك ، اى البرامج التى لا تقف اللغة عقبة امام بثها مباشرة ، وهى صعوبة تعانى منها كل الشبكات « الدولية » بل واكثر الشبكات « الاقليمية » ، ولكنها لا تشكل اى عقبة على مستوى الوطن العربى من الخليج الى المحيط .

وعلى الرغم من ان اليوروفيزيون شبكة تتولى تنسيق البرامج بين هيئات التليفزيون الاعضاء فى اتحاد الاذاعات الاوربية ، الا ان هذه الشبكة قد قامت بانتاج بعض برامج المنوعات مثل برنامج « الجائزة الكبرى لليوروفيزيون » وهو مهرجان سنوى للاغنية ، ويلاقى اقبالا شديدا ، نستطيع من خلال دراسة الاغانى الفائزة فيه ان نعرف خصائص الاغنية التليفزيونية .

وبالاضافة الى الاغنية التليفزيونية التى نجحت بالنسبة لشبكة اليوروفيزيون بفضل برنامج الجائزة الكبرى ، نذكر ايضا اغانى الفولكلور وموسيقى الجاز والموسيقى الكلاسيكية والباليه والاوبرا والمنوعات والرقص على الجليد .. وتتابع جماهير اليوروفيزيون امام الشاشة الصغيرة ما يقرب من اربعين خدمة تليفزيونية ، فى كل دول اوروبا الغربية وبعض دول اوروبا الشرقية بل وفى خارج اوروبا ايضا ، تتابع البرنامج الخاص براس السنة ، الذى يتضمن كونشرتو السنة الجديدة والذى يؤديه اوركسترا الفيلهارمونيك بفيينا . كما يقوم اليوروفيزيون ايضا بنقل الاحتفالات التى تقام فى مدينة اكس ان بروفانس ، وفى سالزبورج ، وكذلك المسابقات التى تذاع فى وطننا العربى تحت اسم تليماتش . ومن البرامج التقليدية ايضا التى تدخل فى مجال الموسيقى نذكر حفلات زفاف الامراء والملوك ، وحفلات التتويج ، وقفزت مبيعات اجهزة التليفزيون بسببه قفزة كبيرة فى فرنسا ، كان البرنامج الخاص بحفلات تتويج الملكة اليزابيث الثانية فى انجلترا يوم ٢ يونية سنة ١٩٥٣ ، والذى اظهر اهمية فكرة انشاء مركز لتنظيم تبادل برامج التليفزيون كان مارسيل بيزولسون مدير راديو لوزان بسويسرا قد طرحها عام ١٩٤٨ .

والى جانب برامجه الخاصة ، يشارك اليوروفيزيون كنشاط لاتحاد اذاعات دول اوروبا العسكرية فى عديد من الاحتفالات والمهرجانات الدولية .

وعندما نتكلم عن الاغنية من الجانب السوسيولوجي كرسالة اعلامية ، يجب ان نتناول بالتحليل جانبين اساسيين من مقومات نجاحها وهما الكلمات التي تغنى، والموسيقى التي تصاحب هذه الكلمات، متناسين الى حد ما مؤدى الاغنية وباقي عناصر الرسالة الاعلامية الاخرى ، التي طرحها لازويل في نموذجه الكلاسيكي الشهير : من ؟ يقول ماذا ؟ وان ؟ وباى وسيلة ؟ وما هو التاثير ؟ اى اننا في تحليلنا الاجتماعي للاغنية نرى ان نكتفي مؤقتا بتحليل ما يقال وكيف يقال « او القالب الذى تقدم فيه هذه الكلمات واهمها اللحن المصاحب للكلمات » .

والعنصر الاول الذى يهمنا من وجهة النظر السيوسيولوجية هو اذن الكلمات التي يتغنى بها . ولا نعنى بالكلمات هنا المفردات اللغوية فقط التي تشكل الرسالة في هذه الحالة ، ولكننا نعنى بوجه خاص المضمون الذى تتعرض له هذه الكلمات ، كما نعنى ايضا صياغتها ونظمها باللغة العربية الفصحى لا باللهجات المحلية ، حتى وان كانت هذه اللهجات مفهومة ومستساغة على مستوى الوطن العربي كله، وكفانا فرقة واختلافا .

نفهم من ذلك اذن ، اننا نحمل وسائل الاعلام ـ حتى على مستوى الاغنية ـ مسئولية توحيد اللهجات المحلية في الوطن العربي ، باستخدام اللغة العربية الفصحى . ويجب الا نخشى ذلك ، فالاذن العربية قد اعتادت سماع الفصحى، وتذوقتها من قارىء القرآن الكريم في المدن والقرى والنجوع .. ومن قارىء النشرة في الراديو والتليفزيون .

اما الشعر العربي الفصيح ، الذى لحن له وتغنى به كبار المطربين في الوطن العربي ، وخاصة القصائد التي تغنت بها ام كلثوم ، فغنى عن التعريف .

وغنى عن البيان ان الموسيقى، او بتعبير آخر المواد الموسيقية، تشمل فيما تشمل الفن الشعبي الغنائي والموسيقى ، والفولكلور ، الى جانب الموسيقى الحديثة اذا جاز لنا استخدام هذا التعبير .

والموسيقى كائن حي ، شانها في ذلك شان اللغة . ومن سمات الكائن الحي التطور والنمو الذى نلمسه في الموسيقى العربية سواء في الاستعانة بالات غربية وتطويعها للموسيقى العربية ، او في تطوير آلات كلاسيكية ، او في تطويع النغمات لطبيعة العصر .. وكل ذلك يمكن ان نلمسه اذا تتبعنا ما ابدعه الموسيقار محمد عبد الوهاب من نغمات ، وما ادخله من تعديلات في تشكيل الاوركسترا .. وهذا يعنى اننا وان كنا نميل الى الموسيقى العربية الكلاسيكية، فان هذا لا يتعارض مع ايماننا بان الموسيقى يجب ان تواكب التطور الذى يحدث في المجتمع .

والتليفزيون ظاهرة اجتماعية يتم من خلاله بث المواد الموسيقية الى جانب المواد الاخرى المعروفة ، وان كان نصيب المواد الموسيقية من المساحة الزمنية لخريطة البرامج محدودا بمقارنته بغيرها من البرامج . فعندما قمنا بتحليل برامج التليفزيون عام ١٩٨١ خلال اسبوع صناعى ، وجدنا أن نسبة زمن بث

فرقة ام كلثوم الموسيقية ودور كبير في ترقية الذوق الموسيقى



المواد الموسيقية لا تتجاوز ٩ر٨٪ من زمن البث الاجمالى للقنالين فى التليفزيون المصرى .

وعند تحليل هذه المواد لاحظنا ان اهتمام التليفزيون العربى فى مصر بالاغنية والموسيقى العربية اكبر من اهتمامه بالاخرى الاجنبية حيث وصلت نسبة المواد الموسيقية العربية الى ٥ر٨٧٪ من اجمالى زمن البث المخصص لهذه المادة من البرامج على القنالين .

ولكى نلخص رؤيتنا فى هذا الموضوع ، نقول ان المواد الموسيقية مثلها مثل اى فن آخر ، واى رسالة اخرى ، يمكنها ان تساهم فى تدعيم الهوية فى الدول النامية التى يجب أن تعمل على ان تكون لها موسيقاها الخاصة واغانيها الخاصة بها ، الا ان هذا لايعنى رفض موسيقى الاخرين ، بل يجب ان نتعرف عليها على الا نغفل موسيقانا الخاصة .

والخطورة التى تكمن فى المواد الاجنبية ترجع الى ان الفرد فى الدول النامية ـ وهو فى الغالب انسان امى ريفى ... اذا ما حاولنا تقديم صورة له ـ هذا الانسان سوف يشعر فى يوم ما أن التليفزيون قد أهمله ، وانه لا يهتم بمشاكله ـ ويجب ان نعرف أن هذا الانسان البسيط يعتقد ان هذا الجهاز يمثل السلطة فى بلاده ، لذلك فهو يضفى مكانة على الاشخاص وعلى الاشياء التى تظهر على شاشته ، وان هذا المجتمع « الكبير » يتجاهله ولا يشعر به ، اى أنه يعيش على هامش الحياة ، مما يجعله يفقد الدافع للمساهمة فى هذا المجتمع للايتعايش معه ، ولا يندمج فيه ، وهذا يعنى أننا يمكن أن نجد انفسنا فى يوم ما ، امام مجتمع فقد اهم مقوماته وخصائصه ، فقد الانسجام والتجانس مما يدعونا الى طرح عدة قضايا جديرة بالدراسة الواعية المتعمقة ، عن التأثير السلبى لوسائل الاعلام ، والذى قد يظهر على اربع مراحل على النحو التالى :

المرحلة الاولى :

ويطلق عليها الشك السياسى .. والذى يظهر فى احتقار العرف والتقاليد والرأى العام والاخلاق الشائعة وتسفيه العمل السياسى وعدم الثقة فى رجال الحركة السياسية ولا فى أولى الامر .. بالمفهوم الواسع لهذه الكلمة .

المرحلة الثانية :

وتتمثل فى عدم الاهتمام بالافراد او بالمواقف او الظواهر ، وعدم الاعتراف بالمسئولية الشخصية وتحملها ، وفقدان الشعور والحساسية بعواطف الاخرين .. وكل ما يشير الى حالات الخمسون واللامبالاة .

اما المرحلة الثالثة :

فهى مرحلة الاغتراب وهو شعور الفرد بان المجتمع والسلطة لا يحسان به ، ولا يعنيهما أمره ، وبانه لا قيمة له فى ذلك المجتمع مما يؤدى الى فقدان الفرد الحماس والدافع للمشاركة الفعالة .

والحالة الاخيرة ، او **المرحلة الرابعة :** هى رد فعل لحالة الاغتراب السابقة عندما يعتقد الفرد بان السياسة او الحكومة فى مجتمعه يسيرهما آخرون لصالح بعض ، على أسس وقواعد غير عادلة ، فتكون النتيجة أن يصبح الفرد أسيرا ، وعبدا لبعض الافكار الخاطئة ، هذا اذا لم تأسره التيارات المعادية ، والتى يمكن أن يتبناها الفرد عندئذ ويتبعها دون وعى . اى أن الفرد هنا يفقد حريته وذاته بسبب عوامل خارجية « اقتصادية وسياسية .. » ويطلق على هذه الحالة اسم التبعية . قمة المأساة على اى مجتمع . ولنناقش الان موضوعنا الخاص بالموسيقى من هذا المنظور الاجتماعى والنفسى .

ظهرت فى مصر بعض الفرق الموسيقية التى تنظم حفلات للموسيقى الكلاسيكية

العربية ونخص بالذكر فرقة ام كلثوم وفرقة الموسيقى العربية . ولهذه الحفلات جمهورها الخاص بها ، الذي يمكن ان نتعرف عليه اذا قمنا بدراسة اوائل الرواد لهذه الحفلات ، الذين كانوا – ومازالوا ربما – يشكلون طبقة خاصة في مجتمعنا المصرى ، نالت قسطا وافرا من التعليم ، واحتكت بالثقافة الاجنبية ، ولجأت الى هذه الموسيقى تبحث فيها عن هويتها التي تاهت منها وسط صخب الموسيقى المستوردة .

وفي مقابل هذه الحفلات الخاصة بالموسيقى الشرقية ، التي نشبهها وجمهورها بجمهور الترانيم داخل المعابد ، تقابلنا حفلات الجاز والديسكو الصاخبة ، التي تقدمها فرق اجنبية ، او ذات اسماء أجنبية تعرف بها على الاقل . وهذه الحفلات – اذا جاز لنا وصفها بهذا الاسم – لها أيضا جمهورها المتميز .

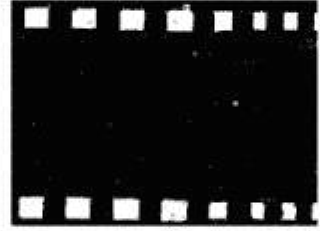
وبين هذين الطرفين ، ظهرت موجة جديدة في شكل افراد او جماعات تسمى نفسها فرقا اجنبية ايضا ، تقدم اغانيها المكتوبة باللغة العربية على نغمات غربية ، مما قد يكون السبب وراء انحدار مستوى الكلمات في هذه الاغاني – اذا جاز لنا التعبير – والتي تشكل خليطا غير متجانس بين الشرق والغرب .

وان كان من الممكن ان نطلق على الفئة الاولى التي تعشق الموسيقى العربية الكلاسيكية الاصيلة صفة المحافظين ، وان ننسب الفئة الثانية التي تميل الى الموسيقى الغربية الى الغرب ، الذين تبهرهم حضارته ، فان الفئة الثالثة لم تتضح بعد هويتها ، حائرة بين الحضارتين الشرقية والغربية ، وهي ظاهرة تصحب عمليات التحضر في المجتمعات النامية في نواح متعددة ، ونكرر تحذيرنا من خطورته على تجانس المجتمع .

يفهم مما سبق أننا نميل الى القول بأن الموسيقى التي تصلح لمجتمع ما ، قد لا تصلح لمجتمع آخر يختلف عنه في مقوماته وخصائصه . ورغم ذلك ، نتابع بنجاح الاغنية اليوروفيزيونية على مستوى العالم كله ، فلم تنجح بعد في الوطن العربي في العثور على الاغنية العربية للتليفزيون والتي تصلح للبث عبر الاقمار الصناعية ، ونرى ان الوقت قد حان الان لاتخاذ خطوة ايجابية في هذا الموضوع ، وليبدأ المسئولون في الاعداد لمهرجان خاص بالاغنية العربية ، أسوة بمهرجان الاغنية لدول البحر الابيض المتوسط .

وغني عن البيان أننا عندما نتكلم عن الاغنية العربية ، فاننا نقصد الاغنية العربية المتطورة التي تصلح للبث التليفزيوني – دون ان نغفل المقومات السابق ذكرها .

ومن المهام التي يمكن ان تقوم بها الاقمار الصناعية على مستوى العالم العربي ايضا ، تشجيع التنافس بين الفرق الموسيقية الكلاسيكية والحديثة ، ونقل حفلاتها الخاصة ، وحفلات المناسبات ، مثل الاحتفالات الخاصة باكاديمية الفنون ، وحفلات التخرج في كلية التربية الموسيقية ، معهد الموسيقى العربية ، والكونسرفتوار ، ومعهد الباليه وغيرها .. ولقد ركزنا هنا على مظاهر النشاط الموسيقى في مصر .. دون غيرها من الدول العربية الاخرى ، لمعرفتنا بما يجري هنا اكثر مما نعرفه من الدول العربية الشقيقة ، تاركين بذلك الفرصة لزملاء لنا في هذه الدول ، لكي يتقدموا بمقترحاتهم الخاصة بالاستعانة بالاقمار الصناعية في بث المواد الموسيقية .



سينما اليأس

بقلم : مصطفى درويش

نساء قاتلات ورجال أموات

مايلفت النظر فيما عرض من أعمال سينمائية خلال الأشهر الأخيرة من مسيرة الزمان تكفى لتبيان اننا امام أفلام ظاهرها اليأس كل اليأس من الحاضر ومن المستقبل ، ولاترى فى أيهما بارقة امل

والعجب كل العجب أنه رغم انعدام التجانس بين صانعيها فى الروح والهدف ، ورغم الاختلاف بينهم فى كل شىء ، فإنهم يتفقون فى النظر الى مايدور حولهم بمنظار أسود متشائم كل التشاؤم يعتبرون الحياة من حولنا كلها نكد وشر ، وبؤس ويأس ، فبشير الديك ، يرى المجتمع فى « الطوفان » ـ أول فيلم من اخراجه ـ وقد تحول الى دغل يسيطر عليه المال ، فينقلب بالانسان الى كائن شانه أشبه بالوحوش الكاسرة ، بل اشد هولا .

فالأبناء فى فيلمه « فاروق الفيشاوى » و « عبد الرحيم ابوريه » و « ليلى يسرى » يتآمرون للتخلص من امهم « امينة رزق » لا لشىء سوى انهم لو تركوها تشهد بالحق امام المحكمة لضاعت عليهم أرض زراعية موروثة ، اصبحت بالفساد ارض مبان ، ولتبدد حلم الثراء بغير حساب . وفى ختام مفجع ، ينتهى بهم صاحب «الطوفان» الى قتل الام بالسم .

● القتل الحلال ●

وقد يبدو للعين البريئة ان فيلمى « الحكم آخر الجلسة » لصاحبه المخرج « محمد عبد العزيز » و « عفوا ايها القانون »لصاحبته المخرجة « ايناس الدغيدى » اقل هولا .

ولكن لو دخلنا فى الاعماق ، وأمعنا النظر لتبين لنا ان بهما ضروبا وضروبا أشد من الطوفان هولا .

فكلاهما يتناول مشكلة الانسان فى مواجهة القانون ، وكلاهما يعرض لنا



يحيى الفخرانى وتحية كاريوكا فى فيلم الحب تحت هضبة الهرم

من منطلق حق المرأة فى ان تتساوى مع الرجل فيما له ، وفيما عليه .

فالمرأة سواء أكانت ، اوصاف « بوسى) الحاصلة على الدكتوراه فى علم الاجنة ووراثة الجنون او ، هدى « (نجلاء فتحى) الاستاذة الجامعية فى النفس ، ومايصيبها من اضطرابات ، المرأة فى كلا الفيلمين مهددة فى حريتها بقانون لايرحم .. القانون المكتوب.

وهى دفاعا عن الذات ، انما تستلهم قانونا أخر .. قانون السماء ..

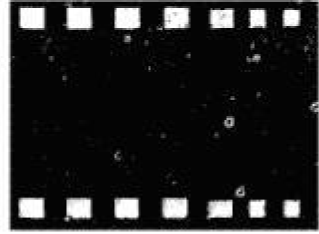
● الموت للحياة ●

وللحق فموقف المرأة ازاء القانون الظالم فى الفيلمين انما يذكرنا بـ «انتيجون» بطلة مسرحية « سوفوكليس » .. تلك البطلة التى تقف وحدها متحدية قانون المدينة .

وهنا قد يكون مفيدا من باب المقارنة أن نسترجع احداث تلك المسرحية التى اعتبرها كل من « جوته » و « هيجل » أعظم عمل فنى كتب للناس .

شبت حرب دموية اقتتل فيها شقيقا « انتيجون » وكلاهما وارث للعرش ، وانتهت بانقاذ طيبة وموت الشقيقين المتناحرين اثناء المعركة .

بعد ذلك أصدر الملك الجديد « كريون » فرمانا مقتضاه التمييز بين الشقيقين فى الدفن ، فأحدهما ، وهو الذى دافع عن تراب طيبة ، يوارى جثمانه الثرى بمراعاة طقوس الدفن بما تنطوى



سينما اليأس

عليه من خشوع واجلال للابطال .

اما الآخر ، وهو الذى تحالف مع العدو ، فقد تركت جثته نهبا لخساس الطير والكلاب تنهشها فى العراء .

وهنا تتدخل « انتيجون » .. لماذا ؟

لانها تعتبر أن من الحق عليها نحو شقيقها الميت ان ترتكب جريمة دفن جثته حسب الطقوس انزالا لحكم السماء .

وطبعا يلقى القبض عليها ، ويصدر « كريون » فرمانا يعاقبها فيه بالاعدام .

ويحتج خطيبها « هايمون » محاولا دون جدوى ، تبصير ابيه الملك الى عاقبة الظالمين .

وبعد فوات الاوان ـ وتحت تأثير الرائى « تيريسياس » وشيوخ المدينة يتوب « كريون » يبدى ندمه على فعلته فى حق « انتيجون » وشقيقها غير المدفون .

اقول بعد فوات الاوان لان « انتيجون » كانت قد فارقت الحياة .. و« هايمون » خطيبها كان قد انتحر حزنا عليها .. و « اوريديس » امه كانت هى الاخرى قد اختارت من بعده الانتحار طريقا للخلاص .

وهاهو ذا « كريون » وحيد محاصر بالموت أو بمعنى أصح بالحياة لان انتيجون ، وهى تقوم بدفن جثمان شقيقها متحدية القانون الظالم انما كانت تسعى بذلك الى اعدام اخيها بعد الموت لحياة اخرى ، لانه بدون دفن فلا بعث ولاحياة

اما أوصاف وهدى فى فيلمى « الحكم آخر الجلسة » و « عفوا ايها القانون » ، ففاجعتهما ذات طابع آخر مخالف تماما .

فهما تقاومان الطغيان لا من أجل استمرار الحياة وانما من اجل حق غريب كل الغرابة ، شاذ كل الشذوذ ، حقهما فى تسليم الحياة للموت بالقتل العمد .

فالاولى تتعمد قتل الجنين فى احشائها خوفا من أن يكون ملوثا بجنون موروث عن زوجها (نور الشريف) لا امل فى علاج منه أو شفاء .

والثانية تقتل زوجها (محمود عبد العزيز) بوابل من رصاص ، وهو فى الفراش ، واثناء المحاكمة يطلب الدفاع البراءة لها لأنها ضبطت القتيل متلبسا بخيانتها .

وغنى عن البيان أنه فى كلتا الحالتين ثمة افتعال لمأس تبريرا لقتل الاطفال والرجال .

فاذا ما انتقلنا الى فيلمى « للحب قصة اخيرة » لصاحبه المخرج رأفت الميهى و« مشوار عمر » لصاحبه المخرج محمد خان لوجدناهما فى كل مشهد ، بل فى كل لقطة يقطران يأسا أو ضياعا .

● جزيرة ورمز ●

فأحداث أولهما تجرى على ضفاف النيل امام القاهرة فى أرض خراب اسمها جزيرة الوراق ، حيث يختلط الريف بالحضر وحيث توجد صناعة طوب بناء فى طريقها الى الزوال .

وبفضل لقطات سريعة يبدأ بها الفيلم نعرف ان بطله « رفعت » (يحيى الفخرانى) مدرس ابتدائى وصاحب قلب عليل ، يماطل الداء ، لايحسبه رجفة فى القلب تزول بالحماية والوقاية ، ومع ذلك

فهو يعيش ماتبقى له من أيام غير متذمر ، مقبلا على الحياة ، لايكبل خوف الموت خياله واستمتاعه .

واذا كان « رفعت » - ورغم مرض الموت - يرى الحياة جمالا وسلاما ومحبة ، فزوجته (معالى زايد) لاتواجه المأساة هكذا بروح متفائلة ، انها تكوى بأوجاع الخوف عليه من هذا الموت القريب الذى يعكر صفو الحياة .

وكذلك حال أمه (تحية كاريوكا) التى يعتصر الألم قلبها لان ابنها الوحيد قد تزوج بالتحدى لارادتها .

وفوق هذا لانه لو جاءه الموت فثروة العائلة من صناعة الطوب - وهى ثروة طائلة - يتهدده الضياع ..لماذا ؟

لان امرأة ابنها عاقر ، ولاأمل فى ان ترزق بولد يرث ارض الجزيرة ومن عليها .

● عذابات وخزعبلات ●

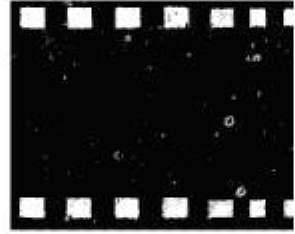
ولو اقتصر خطر الموت على « رفعت » لهان الأمر ، فأغلب الافلام يتشابك فيها الموت بالحياة دون ان يطغى عليها ، ولكن للموت شأنا آخر فى فيلم « رأفت الميهى » الأخير ، انه اقوى من الحياة التى تبدو بجواره ظلالا باهتة .

فطبيب الجزيرة الشاب (عبد العزيز مخيون) يعيش اسير ام عجوز بلغت من الكبر عتيا (٩٥ عاما) ، تعانى سكرات الموت منذ سنوات ، وهى فى غيبوبة لاتعى من امر نفسها شيئا ، حتى اذا ماكتب لها ان تلفظ انفاسها الاخيرة ، رأينا ولدها الطبيب يمارس الجنس مع عاهر مرتاح البال منشرحا ، يكاد لموتها يطير فرحا .

و (عبد الحفيظ التطاوى) وزوجته (روحية جمال) يعيشان على شاطىء الجزيرة الملعونة بالموت والخزعبلات (عودة الشيخ التلاوى) أزمة انقطاع اخبار وحيدهما « سامى » ، هو يخفى عنها انه هارب من الأيام مع مطاريد العدالة فى متاهات الجبال ، وهى تخفى عنه مانشر فى الجرائد من ان دمه قد سفك ، وان

● مشوار عمر - مشوار الضياع ●





سينما اليأس

وهدة الموت تفصل بينه وبينهما الى الابد .

والخالة «دميانه» هى الأخرى تستسلم للموت فجأة بعد ان غارت قطرات حياتها فى مسار الزمان .

وهاهو ذا جثمانها محمول فى موكب جنائزى حافل مهيب ماعرفت الجزيرة نظيره ، منقولا عبر النيل الى المقابر شرقى القاهرة الساهرة بعيون لاتنام .

ولعلى لست بعيدا عن الصواب اذا ماقلت انه ليس لمشهد الموكب الجنائزى هذا مثيل فى تاريخ السينما على ارض مصر ، بل هو من ناحية امتداد عرضه زهاء ربع الساعة يكاد يكون وحيدا فى نوعه خلال عمر السينما وهو مائة عام الا قليلا .

واذا كنا لانسمع فى «الحب قصة اخيرة» سوى صوت واحد .. صوت الموت ، فان الصوت الوحيد الذى نسمعه فى «مشوار عمر» هو صوت الضياع .

● مونت كارلو .. لماذا ؟ ●

واول مفاجآت هذا الفيلم المأخوذ عن سيناريو مبتكر كتبه الناقد «رءوف توفيق» مع المخرج هو شريط الصوت ، فلا موسيقى تصويرية تصاحب المشاهد بضوضاء حمقاء كما المعتاد فى معظم الافلام المتكلمة بلغة الآباء .

فمنذ لحظة ظهور العناوين تحمل اسماء مبدعى مشوار الضياع ، ونحن لانسمع مع متابعة اللقطات سوى صوت راديو مونت كارلو منطلقا تارة بالاخبار ، وتارة بالحوار مع نجوم المجتمع فى التافه والجليل ، وفى اكثر الاحوال منطلقا بموسيقى الروك والديسكو حارة صاخبة تشد السامع الى اسفل سافلين ، ولاتعطى الفكر راحة ، تتركه مضطربا ، متوترا .

فعمر «فاروق الفيشاوى» بطل المشوار ، وان كان متخرجا فى كلية الحقوق ، الا انه شاب مدلل لا يعمل ، حياته مدارها اللهو واللعب انه يمتلك سيارة فارهة الكترونية اشتراها له ابوه الثرى «محمد رضا» تاجر المصوغات باربعين الف جنيه فقط لاغير ، وهو اسير هذه السيارة اللعبة مسلوب الارادة ازاء سحرها ، لايعيش الا بها ولها ، لايتركها الا ليعود لها .

وطبعا صوت مونت كارلو من لزوم الانحباس فيها .

والمشوار يبدأ به فى سيارته يطارح فيها احدى الفتيات الغرام .. انه اذن شاب مستهتر ، تستبد به امبراطورية الحواس ، يحركه سلطان الغرائز ، لايستطيع ان يفرق بين ماهو صواب ، وماهو خطأ ، بين مايجوز فعله وما لايجوز .

● سكة الضياع ●

وبعد هذه الفاتحة يكلفه أبوه بتسليم كمية من الذهب الثمين الى احد التجار فى طنطا .

ومن هنا المشوار مع نماذج بشرية ، وصور من حياة مضطربة متنافرة بعيدة كل البعد عن الاستقرار .

وأول انحراف عن سكة السيد البدوى يقع عندما يتجه « عمر » بسيارته او معشوقته الى مطار القاهرة حيث يستقبل صديقا عائدا من انجلترا ، لم يجن من سنوات الغربة سوى بعض حقائب طويت على ملابس ، وبعض ذكريات لمغامرات مع نساء ساقطات ، وقارورة ويسكى هدية « لعمر » صديق العُمْر .

وتتتابع الاحداث من خلال لقاءات مع انماط غريبة اولها شاب ريفى ساذج (احمد بدير) يريد العودة الى « بنها » يشير الى السيارة بالتوقف ، يسمح له « عمر » بالركوب الى جانبه من منطلق التفاخر والابهار .

ولكنه تخوفا من جنون السرعة وحرصا على حياته سرعان ما يغادر السيارة فزعا ، بعد ان يكون « عمر » قد انعطف بها فى سكك زراعية جانبية تهربا من مطاردة شرطة المرور .

وهنا يبدأ مسلسل من مفاجآت تتحول بالمشوار الى فيلم اخانا مثير ، يريد ان يقول فى الضياع الشىء الكثير .

فها هو عمر نراه ، وقد اطلت عليه جاموسة من وراء زجاج نافذة السيارة .

وها نحن نكتشف انه قد بات الليل بطوله داخلها ، وانه يواجه معضلة كيف يحصل لها على وقود .

وماأن ينتهى هذا المشهد المدهش الذى ابدع تصويره الفنان الصاعد « طارق التلمسانى » ، حتى يبدأ مشهد مدهش ثان لسيارة لورى تحمل عمال تراحيل ، فيستقلها « عمر » الى اقرب محطة بنزين حيث يلتقى بنقيضه ، فلاح ضائع من المعذبين فى الارض يعمل فى المحطة ، ويحمل بدوره اسم « عمر » (ممدوح عبد العليم)

● الخُسران المبين ●

وعلى قارعة الطريق ، فيما بين السيارة والمحطة ، تجرى الوقائع لاهثة حتى ينتهى الأمر بعمر القرية منقذا لعمر المدينة من جريمة نكراء كان سائق اللورى (احمد عبد الوارث) قد اوشك على اقترافها .

وبصرف النظر عن التفاصيل الشيقة اللاحقة لمشهد الجاموسة وعمال التراحيل فالفيلم - بعد ان يقبل « عمر » المسكين عرض « عمر » الغنى العمل فى محل ابيه - ينتقل بهما الى سكة كلها بشاعة وعبث فقريبا من القرية يلتقطان غانية من بورسعيد « نجاح » (مديحة كامل) ومرة اخرى ينحرف « عمر » : يتغلب الحيوان الذى فيه .. ينصاع الى الجوع الذى فى دمه ، ينقاد الى نداء الجسد بجواره ، يشترى لذة لحظة بندامة عمر .

فعلى نغمات موسيقى مونت كارلو ، بعربد العمران والغانية يحتسون خمر قارورة الويسكى حتى الثمالة حتى اذا ماأفاقوا لم يجدوا من متاع الحياة شيئا ، فقد اختفت السيارة ، واختفى معها ذهب الأب ، وتفرق الجميع بعضهم لبعض عدو .

ويجىء الختام مناسبا منطلقا من شريط الصوت . انه سعر الدولار تسمعه مع « عمر » خبرا مذاعا من راديو السيارة بعد العثور عليها حطاما فوق صخرة بارزة من صخور شاطىء البحر الأحمر .

ومع صوت الدولار نرى « عمر » حبيس السيارة وحيدا ، ضائعا عاجزا ، معلقا لايدرى الى أين يمضى ..

وداعا أفريقيا

الفيلم الفائز بجائزة أوسكار

١٩٨٦

بقلم: محمود قاسم

تثير جوائز الاوسكار السينمائية العديدة التي منحت لفيلم بعيدا عن افريقيا ومن اخراج سيدني بولاك ـ الحوار حول العديد من النقاط .. منها الاضواء التي يمكن للسينما أن تلقيها حول كاتب اقل شهرة ، رقد اسمه في ظل النسيان منذ سنوات عديدة والتي يترتب عليها تهافت رجال الادب للعمل في ميادين اخرى اكثر جماهيرية كالتلفاز والسينما ومنها ذلك التعتيم الغريب الذي يخيم بظلال كثيفة على الادب في شمال اوروبا مثل الدنمارك وهولندا وبعض دول اسكندنافيا

لقد ساعد فيلم « بعيدا عن أفريقيا » في اخراج رفات الكاتبة الدنماركية كارين بلكسين من مقبرتها وضخ الدماء حية متدفقة في هذه الرفات من خلال الباسها ثوبا يحبه الامريكيون كثيرا في السنوات الاخيرة هو ميريل ستريب .. خاصة أن الفيلم المأخوذ عن احد كتبها هو بمثابة سيرة ذاتية لها في مرحلة ما من حياتها عاشت اباتها في قارة أفريقيا ..

كما يثير هذا الفيلم السؤال ايضا عن الادب الافريقي . وعن افريقيا كمكان سياحي يحج اليه ادباء العالم ويكتبون عنه مثل ارنست هيمنجواي وجون ابرايك .. اما أدب القارة نفسه فيظل مغمورا عدا ذلك الادب المكتوب اصلا بلغات أوروبا .. مثل أشعار سنجور الذي يعترف انه مواطن فرنسي ـ سنغال . وروايات دوريس ليسنج ونادين جورديمر وكوتيزى واندريه بريتك .

واذا كان ارنست هيمنجواي قد أعلن حين تسلمه جائزة نوبل عام ١٩٥٤ أن كارين بلكسين أحق منه بهذه الجائزة .



كارين بلكسين



ميريل ستريب

ليس لانه يرى انهـا اكثر منه اهمية . بل لان كارين صـديقته الشخصية قد تعرف عليها كرفيقة رحلات اكثر من تعرفه على ادبها . ولان كارين قد عشقت سهول افريقيا ـ وخاصة سهول كينيا ـ مثلما عشق هيمنجواى ثلوج كلمنجارو .

وقبل أن نتحدث عن كارين . نود أن نؤكد انها أسعد حظا من زميلاتهـا اديباء واديبات شمال اوروبا لانها آثرت أن تنقل نشاطها الى الولايات المتحدة فى فترة ما من حياتها . بينما ظل أبنـاء بلادها ـ حتى الآن ـ فى دائرة الظل . خاصة أن هـذه البلاد ـ كما جاء فى كتـاب الادب فى هولندا الصادر عن دار الاداب الجـديدة عام ١٩٧٥ ـ تضـع الادب ورجـاله فى إطار أقل اهميـة عن زملائهم فى الـدول المحيطة بهم وكما جاء على لسـان الناقد هارى مولبش فى هذا الكتـاب : « ظل الادب فى بلادنا ثريا ولكنه بقى معـزولا ، ولم يكن الجمهور يهتم كثيرا بالجـوائز الادبية على غرار ما يحدث فى البلاد الاخرى ولذا فعلى الكاتب أن يظل يعمـل على الهامش ، فالكتابة نشاط ثانوى على المرء ان يمارسه فى أوقات فراغه ، أما الكاتب المحترف فهو شىء نادر فى بلادنا ، وعليه ان يضحى بنبأ المجتمع الذى يعيش على هامش وجوده » .

من هذا الهامش اسـتطاعت كارين بلكسين أن تمر من مرشح ضيق صعب . لكنها لم تكن أبدا كاتبة محترفة . بل ان كتبها تخلو تقريبا مما يمكن تسميته بالادب النقى .. فلا رواية هناك . ولا مسرحية .. ولا قصيدة . واذا كانت الاعترافات

وداعاً أفريقيا

اديا فان هيمنجواى قد رشحها لتيسل الجائزة نيابة عنه رغم انها لم تحصل على جائزة ادبية واحدة فى حياتها ..

● نساء بيض .. فى قارة سوداء ●

ولولا رحلة افريقيا لما استطاعت كارين ان تقدم كتابا مثل « بعيدا عن افريقيا » التى عصرت فيه تجربتها الخاصة .. ليس مع ابناء القارة . بقدر ما هى تجربة حب مع رجل افردت له العديد من صفحات الاعجاب والولاء .. وفى الوقت الذى تجاهلت فيه السينما الامريكية روايات كاتبة عظيمة من طراز دوريس ليسنج او نادين جورديمر فان بولاك يرصد هذه الملايين من اجل حكاية حب تربط بين كارين وصائد الحيوانات دينيس فينش هاتون ..

على كل فهناك اوجه تشابه بين كارين ودوريس . فقد امتلكت كل منهما ارضا افريقية فى سنوات العشرينيات والثلاثينيات وعاش كل منهما تجربة حب وزواج فاشل داخل القارة . كما ان كارين خصصت كتابها الاول عن تجربتها فى افريقيا . وكرست دوريس ليسنج الفترة الاولى من حياتها الادبية لمساندة زنوج افريقيا فى قضاياهم من خلال روايتها « العشب يغنى » .. ومجموعة قصصية عرفت بـ « حكايات افريقية » . واذا كانت دوريس قد جاءت من انجلترا الى افريقيا لتعيش ثلاثين عاما فان كارين قد غادرت الدنمارك كى تعيش فى نيروبى بين عامى ١٩١٤ و ١٩٣١ . لتعود الى بلادها مرة اخرى مثلما عادت دوريس الى انجلترا عام ١٩٤٩ .

ولدت كارين تريستنز فى مدينة كوبنهاجن فى السابع عشر من ابريل عام ١٨٨٥ فى اسرة دنماركية ثرية معروفة تحت اسم دالسن . ولم تبد على الفتاة اى مواهب ادبية فى صباها . لذا سرعان ما تزوجت من ابن عمها برور بلكسن البارون السويدى ، فمنحها لقب بارونة . وذهبت لتعيش فى مزارع البن التى يمتلكها فى نيروبى . وهناك تعرضت المزارع لمجموعة من الكوارث المتتالية حيث اندلعت فيها الحرائق . ونضب الانتاج . فضلا عن بعض المواجهات الشرسة التى تعرض لها الزوج مع القوات الانجليزية . واصابة كارين بمرض الزهرى الذى لازمها حتى اخر سنوات حياتها .

واشتدت متاعب الزوج حين وجد نفسه ينفصل عن كارين . ويراها بعينيه تحب رجلا آخر هو الانجليزى دنيس فينش هاتون . وقد سعت كارين الى الاقتران بدنيس . الا انه كان دائم الزوغان منها . وعندما سمعت خبر مصرعه فى الرابع عشر من مايو ١٩٣١ فى حادث طيران آثرت الرحيل عن افريقيا فى نفس العام عائدة الى الدنمارك . وكانت تلك اخر علاقة لها بالقارة السوداء ..

● الكحل العربى فى عيون كارين ●

عندما عادت الى بلادها فكرت أن تقتل ذلك الفراغ القاتل الذى يتسرب فيها بكتابة بعض القصص القصيرة باسم مستعار هو اوزولا فى مجلات دنماركية . قامت بترجمتها بنفسها ونشرتها باللغة الانجليزية تحت عنوان « سبع حكايات خرافية عام ١٩٣٤ . ثم بدأت تجتر تجربتها فى افريقيا بكتابة كتابها « بعيدا عن افريقيا » الذى نشرته عام ١٩٣٧ . وفيه تقول « لم يدفع أحد الثمن غاليا كى يدخل الى عالم الادب مثلما فعلت » .. وتقول : « كان حبا عظيما ، حبا لا يوصف جرفنى معه وأصبح « شيطانى » الخاص » .

ولم تكن علاقة كارين بالادب قوية . فقد عرفت من خلال علاقتها بالحياة الادبية والادباء كسيدة مجتمع ، فلم تنشر فى حياتها سوى اربعة كتب هى « حكايات الشتاء » ١٩٤٢ ، « حكايات نهائية » ١٩٥٧ .



ارنست هيمنجواي

و « مرارة مصير » ١٩٥٨ ، ثم « عروض فوق العشب » ١٩٦٠ . وفي عام ١٩٦٥ – بعد وفاتها بثلاثة أعوام – نشرت لها مجموعة مقالات في كتاب مستقل .

اهتمت كارين بأن تخرج من المرشح الصعب كي تصبح معروفة خارج بلادها ، فكانت تترجم بنفسها الكتب التي تؤلفها الى اللغة الانجليزية . وقد صادقت العديد من الادباء الامريكيين وأصحاب دور النشر في بلدان عديدة . ومن الحديث الذي كتبته الناشرة الايطالية انجه فلنيتي تللي في مجلة بانوراما الايطالية – ٥ يناير ١٩٨٦ . يمكن أن نكتشف حدود هذه العلاقات : « في شتاء عام ١٩٥٩ قابلت الكاتبة الدنماركية الكبيرة في مدينة نيويورك . في جلسة ضمت كلا من ترومان كابوت ، جون شتاينبك ، وجلوريا فندربلت . في تلك الاونة كانت نيويورك كلها تتحدث عن الدنماركية التي جاءت تبحث عن فرصة لكتبها في هوليود » .

وتقول أن كارين كانت ذات وجه أبيض أقرب الى تلك المساحيق البيضاء التي يضعها المهرج الفرنسي مارسيل مارسو على وجهه . تبدو عيناها وكأنها وضعت « كحلا » عربيا .. واسمتين جميلتين رغم شيخوختها .. وتبدو عليها الاناقة واللباقة .. فكانت بؤرة الجالسين .

● البحث عن معنى الحياة ●

اما الناقدة جوديث ثورمان فتقول في كتابها عن كارين : « لم تكف أبدا في البحث عن معنى للحياة . وتحديد المصير الانساني » ان افريقيا بالنسبة لها كانت بمثابة خلاص مسيحي سمم شبابها . وانها قد شاركت نيتشه احتقاره للحياة . لذا وجدت نفسها في افريقيا التي كانت تمثل بالنسبة لها بكارة المكان . وان هذه البكارة قد سعى رجال الغرب مرارا الى فضها اكثر من مرة لكنهم فشلوا .

وقد سعت كارين كما تقول جوديث الى ان تمارس الادب بكتابة « حكايات » يمكن للمرء ان يقرأها بصوت عال مثلما كانت تتم القراءة في الازمنة القديمة . وترى ان كتابها « بعيدا عن افريقيا » اشبه بمرشح قاست من خلاله بتصفية رسائلها الخاصة التي أرسلتها من نيروبي الى بعض اقرانها في الدنمارك . ونحن نموت وسط السعادة الفياضة النابعة من مآسي الماضي » . وفي هذه الرسائل تحدثت عن بعض من عرفتهم هناك كالطاهي ورئيس الخدم وزوجها وحبيبها وبعض الافارقة المقربين اليها ..

وقد عرفت كارين باسم أدبي آخر هو ايزك دينسن . وماتت في كوبنهاجن في السابع من سبتمبر عام ١٩٦٢ . وقالت عنها مجلة لوبوان – ٤ مارس ١٩٨٦ – : ان اسلوب كارين يسعى الى المثالية وانها كانت تعرف كيف تضع النغمة الصحيحة في مكانها . وتختار الايقاع الامثل لتعبر عن الشرودة الحرية التي تتفق مع الواقع .

المعرض العام السادس عشر
التاريخ والقصة

بقلم : أحمد فؤاد سليم

فى الثامن من ابريل الماضى افتتح المعرض العام السادس عشر للفنون التشكيلية بالقاهرة ، حيث اشترك فيه ٢٨٧ فنانا مصريا فى فروع التصوير والنحت والرسم والخزف والحفر ، وضم اكثر من ستمائة عمل فى فروع الفن الخمسة . افتتح المعرض الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة ، وبذلك يكون هو وزير الثقافة الثامن الذى يحضر هذه المظاهرة الفنية السنوية خلال ستة عشر عاما منذ بدأ المعرض العام الأول فى صيف عام ١٩٦٩ .

وفى يوليو من عام ١٩٧١ كتبت فى هذا المكان من « الهلال » موضوعا مطولا حول المعرض العام الثالث أشرت فيه من بين ماأشرت ، الى ضرورة اعادة النظر فى صيغة المعرض العام للفنون التشكيلية ، وحذرت فيه تحذيرا ، من محاولات بث واقع عقيم لحركة الفن المصرى يكون فيه النشاط من السطح الظاهر هو المعيار ، على حين ان ذلك المعيار فى حقيقة أوصافه مهدر تحت سطح ومدفون على مسافة فى القاع .

آنذاك كانت اللجان المعنية قد عجزت عن ملاحقة السيل المتدفق لمعارض الفنانين ، فتفتقت القرائح حينئذ عن اقامة المعرض العام حتى يتجمع الفنانون كلهم فى سلة واحدة مثل سلة « تعويم العملات » وليقتتوا منهم جميعا حتى ترضى الناقة بحملها ، وتلوذ بنصيبها .

فحين دعونا فى شتاء عام ١٩٦٨ يسألوننا الرأى فيما هم عازمون عليه فى العام التالى ، ذهبنا إليهم وكنا سبعة نحمل فى ايدينا أوراقا وتفويضا من خمسة وسبعين فنانا مصريا . ناقشنا الأمر واعترضنا عليه وقدمنا البديل فلم ينفع . وكان البديل ان يقام المعرض العام هذا فى صورة تسابق بين الفنانين ترصد له جوائز احسن عمل ، على الآ يخل ذلك بنظام الاقتناء من معارض الفنانين الشخصية خلال الموسم .

ومرت السنوات والمعرض العام يقام

فى بعض دوراته خابيا وهزيلا دون ان يلقى تكريما او حتى اكتراثا من مجموعات المشاهدين .

يذهب الفنانون بأعمالهم ويعودون بها ، والكبرياء معتلة . ومحظوظ من كان يعود بأعماله سليمة دون كسر أو خدش او قطع ، وهى تحمل على ظهورها ارقام المعرض العام المسلسلة ، وقد كتبت باقلام قاسية ، غير مبالية بطبيعة قماشة التصوير المعدة ودون ادنى اعتبار للضرر .

● البداية ، والنهاية مرة اخرى ●

وفى عام ١٩٨١ بدأت محاولات الحقن والعلاج للجسد المريض ، وكانت قد تولت قيادة الفنون الجميلة شخصية طامحة وطموح وهى من بين صفات فنان جاد ، ومصور مكين . وبتضافر المجموعات المهمومة بالرسالة ، استطاعت ان ترصد لنشاط الحركة الفنية وحدها ميزانية خيالية قدرها ٢٥٠ الفا من الجنيهات لشراء اعمال الفنانين بزيادة عشرة أضعاف كاملة على الميزانية المخصصة اصلا ، ومرة واحدة . وارتفع تبعا لذلك ثمن لوحة الفنان من ٢٥٠ جنيها كحد اقصى الى الف من الجنيهات ، وارتفع ثمن قطعة النحت من ٦٠٠ جنيه كحد اقصى الى اطلاق الثمن فوصل فى بعض الاحوال الى اكثر من ثلاثة الاف من الجنيهات لقاء منحوتات فنان واحد وارتفع ثمن قطعة الحفر من ثمانين جنيها كحد اقصى الى ٢٥٠ جنيها ، وارتفع ثمن لوحة الرسم من اربعين جنيها كحد اقصى الى ٤٠٠ جنيه ، ثم ارتفع ثمن القطعة الخزفية من ٥٠ جنيها الى خمسمائة جنيه .

وبدأ الاهتمام بالفنانين الراحلين والرواد على اعتبار انهم يمثلون فى اقل الاحوال الذاكرة التاريخية لحركة الفنون المصرية ، وفى اكثر الاحوال فانهم ملف وتراث الفن المصرى منذ بدأ فى اول القرن العشرين .

ثم كان بعدئذ ذلك الرصد المنقطع النظير لعديد من المسابقات ذات الجوائز السخية بين الفنانين ، كان منها مسابقة التصوير والتصوير الجدارى ، ومسابقة النحت والنحت الميدانى ، ومسابقة الرسم ومسابقة فن الاعلان ، ومسابقة فن الميدالية ، ومسابقة النقد الفنى ، بل وتبع ذلك طرح موضوعات للتسابق حولها كمسابقة أشعار شوقى وحافظ ، ومسابقة النيل ، والطبيعة والقاهرة فى عيون الفنانين المصريين .

وبدأت الحياة تدب فى أوصال الفنانين .

كان المعرض العام لايزال حلما غائبا . نعم جرى تعزيزه بميزانيات طموح ولكنه فى جميع الاحوال كان يتطلب خطة حقيقية خطة برنامجية ذات رسالة وأهداف .

ولماذا يكون المعرض العام ! .. أكانت علته الوحيدة هو ان يكون صالونا على نمط صالون الفن الباريسى ، وهل كانت هى نفس الدوافع ، وهى نفس التوجهات .. ، بالاحرى هل كانت هى نفس الركائز والمسببات ، أم هى مسخ ضائع التقليد لنموذج عريق بعلله وتواريخه ، وفنانيه . ام كان هكذا منفذا وبابا وخلاصا ، للفنانين الضاغطين بحكم مناصبهم ، والفاعلين بفنهم ، وغير الفاعلين ، والزاعقين بالحق وبغير الحق ، والضائعين بين هؤلاء وأولئك جميعا سواء بسواء فإذا ماأتى يوم الافتتاح واجتمعوا فى

صالة العرض ، حاقت ببعضهم الهموم ، وضاقت عليهم السبل من فرط الإحساس بالغربة !

وفي غضون ذلك العام الهام ١٩٨١ اخذت الافكار الجديدة تطرح المعرض العام في ذمة البحث . انئذ تم ادراج المعرض العام للفنون التشكيلية في صورة سباق على التنافس بين الفنانين ، سباق على الجودة والابتكار وقوة الاثر الفاعل ، قبل ان يكون سباقا على « مساواة الرءوس » ببعضها البعض مثلما كان يحدث في السابق وهكذا اعلن عن المعرض العام للفنون التشكيلية لأول مرة بعد مرور ثلاثة عشر عاما كاملة على اجتماعنا الأول مع المسئولين بوزارة الثقافة عام ١٩٦٨ .. ، اعلن عنه باعتباره مسابقة رفيعة ، ومشروطة المستوى . كانت تلك هي اول صيغة ايجابية على الطريق نحو تحسين الوضع لسببين :

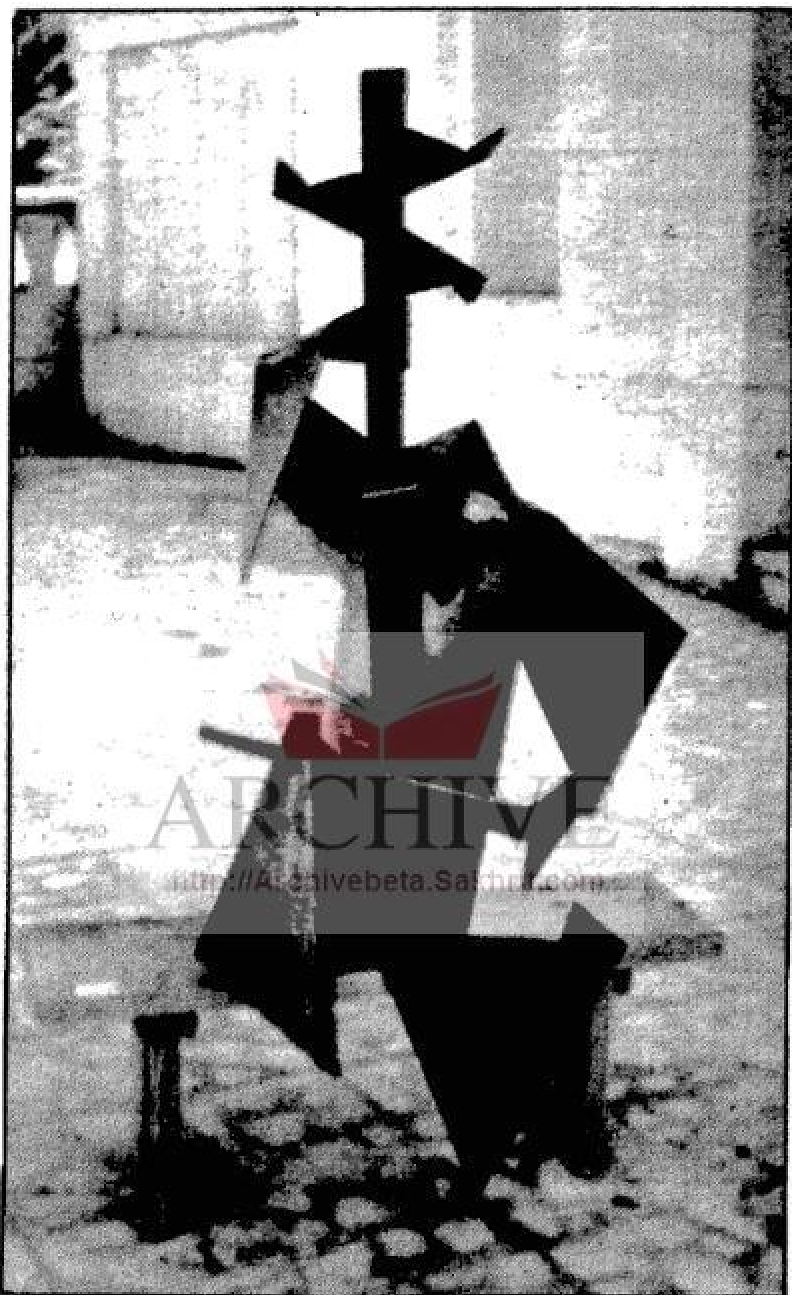
- **اولهما** : انه بذلك يكون على سبيل قويم نحو تهيئة المناخ لبث الروح في الحركة الفنية المصرية ، وشحذ ابتكارها وضميرها .
- **ثانيهما** : انه بذلك ايضا يطرح الفرص المتكافئة امام الفنانين جميعا للقيام بدورهم . .. فإن تساوى الرءوس اذا جاز في الاسواق فانه لايجوز في الفن بداهة .

وقام المعرض العام للفنون التشكيلية من كبوته بنجاح منقطع النظير . وكانت الافكار قد اخذت تعد لتطوير نجاحه من معرض عام جمعي ، الى معرض عام نوعي ، والى مسابقة على افكار وطروحات بين الفنانين .

نعم كانت هنالك اخطاء ، ذلك ان اى عمل ناجح ياتي من تلاقي مجموعة ارادات فاعلة .. ، ويخطيء من يتصور ان تلك الارادات الفاعلة هي بذاتها متساوية الثقافات والاهداف ، والاغراض ، بل وحتى الانتماء كذلك . برغم هذا ، فان الخطا ـ مهما كان الراى ـ لايبرر القضاء على نموذج صحي متوافق في رسالته الباطنة والظاهرة على السواء .

غير ان الطبول الزاعقة نجحت في ان توقف المد الصحيح . فان الذين كانوا قد اعتادوا على تساوى الرءوس ببعضها ، وجدوا أنفسهم امام سباق هم غير قادرين عليه . فاجتمع الزامرون ببعضهم ، وعلا الضجيج ، واستنهضوا سلطات المسئولين فيمن لايعرف من تاريخ حركة الفن المصرى مايعينه على اتخاذ موقع صحيح بين المختلفين .

وساد النكوص على الشجاعة ، فتوقف المعرض العام للفنون التشكيلية بصيغته الجديدة الناجحة الحية ، وعاد من حيث بدأ بكبوته ونجاحه الخادع .. ان مثالا واحدا صارخا كاف للدلالة على حجم النجاح المصطنع ، كاف للدلالة على مدى تبجيل الواقع الكمي في مقابل الواقع الكيفي ، ففي عام ١٩٨٣ تقدم للمعرض العام بصيغة المسابقة ٢١٦ فنانا بما يقرب من ٧٠٠ عمل فني ، وفي عام ١٩٨٥ تقدم للمعرض بصيغته العمومية ٣٤٢ فنانا بمجموعة اعمال مماثلة في العدد بالمقارنة لمعرض عام ١٩٨٣ . اى انه فجأة قفزت زيادة اعداد الفنانين



الفنان محمد رزق ـ نحاس (عمل جديد) ، عازف الربابة

المشاركين من ٢١٦ فنانا الى ٢٤٢ فنانا ، بزيادة ١٢٦ فنانا عارضا خلال عام واحد . برغم ان الزيادة محمودة ، غير اننا نريد زيادة ذات دلالات حقيقية ، ولا نريد زيادة ذات دلالات مصطنعة . نعم ... كانت النهاية محزنة حين ساعد على تكثيف ذلك الاهدار تخفيض مؤسف ، وجالب للدهشة ، لميزانية الفنانين ، من ٢٥٠ الفا الى ٦٠ الفا من الجنيهات هكذا ، ومرة واحدة !

● المعرض العام ١٩٨٦ ●

وأما المعرض العام المقام فى قاعة النيل بالجزيرة فقد اشترك فيه هذه المرة ٢٨٧ فنانا ، قدموا مايقرب من ٧٠٠ عمل فنى . ولعل من المفيد ان نلفت النظر نحو ثلاث ملاحظات على جانب كبير من الاهمية :

● أنه جرى اختصار اعمال الفنانين المقدمة من ثلاثة اعمال لكل فنان الى عملين فى اغلب النوعيات المعروضة تفاديا للازدحام ، من ناحية ، وتفاديا للضعف العام من ناحية أخرى .

● إن اكثر من ٩٥ فى المائة من الاعمال المعروضة هى أعمال سبق عرضها عدة مرات ، نذكر من بين هؤلاء فنانين لهم قدرهم مثل انجى افلاطون ، وحامد ندا ، وزكريا الزينى ، وكمال السراج ، ومصطفى الرزاز ، وصبرى ناشد ، وعدلى رزق الله ، ورضا عبد السلام ، .. وهى دلالة على ان المعرض العام لم يعد قادرا بصيغته الراهنة على ان يمثل مصداقية يعتد بها بين الفنانين .

● إن الاعمال الفنية الجديدة المقدمة بغرض العرض فى المعرض العام لاتمثل اكثر من اثنى عشر فنانا من بين ٢٨٧ عارضا ، وهى علامة ذات دلالات واضحة .

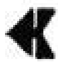
● مقدمات « كتالوج »
المعرض العام ●

ثمة ما هو جدير بالاشادة وهو ماأسسته المركز القومى للفنون أخيرا من نشر مقدمات تحليلية وتاريخية لحركة الفن المصرى المعاصر فى كتالوج المعرض من خلال تناول العرض المتنوع فى المعرض العام . فإذا كنا نشيد بالفكرة فى ذاتها ، فإن ذلك لايعنى موافقتنا على جانب كبير مما نشر ، كما أنه لا يجوز إغفال المراجعات الدقيقة للمقولات التى يتم نشرها ، وبخاصة حين تصل فى بعض الحالات الى حد الخطر . إن النقائص العلمية والفنية والثقافية والتاريخية ، تدفعنا الى ضرورة المناداة بأن نتحلى بالحرص فى دراسة الآثار المترتبة على ماينشر ، ذلك أنه ينتظم فى مكتبات حائزيه ، حتى اذا مر عليه الزمان صار مرجعا ومرشدا بين طلاب الفن .

وضع الفنان حامد عويس المقدمة الرئيسية لكتالوج معرض ١٩٨٦ ـ وهو استاذ وعميد سابق لكلية فنون الاسكندرية ـ ، وقد تضمنت تناولا شاملا للبواعث التاريخية والوطنية والثقافية التى افرزت الفن المصرى . وسرد الكاتب فى عجالة مخلة موضوعات حول الفن ، ومصر

القديمة ، والحملة الفرنسية ، والغزو الثقافي والعمارة وطرز الفن الاسلامي ، ومحمد علي ، والخديو اسماعيل ، والفن الاكاديمي الاوربي ، ثم ذكر رفاعة الطهطاوي ، وتعرض لانشاء مدرسة الفنون الجميلة ثم ثورة ١٩١٩ ، ثم الرعيل الأول ، ومر على التراث ، وثورة ١٩٥٢ وطه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل ، وختم موضوعه بشن حملة على النقاد لعجزهم الثقافي . وباستثناء هجومه على النقد بعامة وهو ماتوافقه عليه نظريا ، وبتحفظ أيضا ، فانه من الغريب ان يكون بقية الموضوع هو بحذافيره نفس الموضوع الذي تناوله الفنان محمد سالم ، في نفس كتالوج المعرض ذاته في عام ١٩٨٥ ، والأغرب من ذلك أن الكاتب قد اعتمد نفس المحاور ، ونفس الاسماء ، ونفس الشروح ، بل ونفس الالفاظ التي تناولها موضوع محمد سالم ، .. بخلاف ان هذا الاخير قد سرد لموضوعه ببرنامج علمي واضح ، واستعان بمنهج اجتماعي تحليلي النزعة يستحق الاشادة بالفعل . ومن المرجح ان محمد سالم قد استند الى مراجع وفيرة ليضمن الجيدة العلمية في مقابل موضوعات بعينها لم يحسم في شأنها الخلاف بعد . ونتساءل عما اذا كان الفنان حامد عويس قد قرأ موضوع سلفه المنشور في نفس كتالوج المعرض العام ، ذلك انه مما يثير الدهشة حقا أن يلجأ الكاتب دون « تحرج » الى حد « النقل المباشر » من موضوع سلفه دون أية إشارة ، أو حتى التلميح بوضع الاقواس . ففي السطر ١٠٤ مثلا يقول عويس : « ومصطلح الاكاديمية لايعني اسلوبا معينا في الفن بقدر مايعني أي اسلوب فني فقد مبررات وجوده التي أنبتته أصلا ليتحول في النهاية الى مجرد التمسك بمجموعة من الأصول والقواعد التي يجب اتباعها في انتاج عمل فني » ، بينما يقول محمد سالم بالنص في السطر رقم ٩٨ مايلي : « .. ومصطلح الاكاديمية لايعني اسلوبا معينا بل يعني أي اسلوب فقد مبررات وجوده التي أنبتته اصلا ليتحول ، لمجرد التمسك بمجموعة من الأصول والقواعد المرعية .. »! ، وفي السطر رقم ١٠٦ ينقل عويس للمرة الثانية : « ولقد انتشر هذا النوع من الفن المتدهور في مصر وسيطر على الحركة التشكيلية المصرية ولم يلبث ان اصبح هذا النمط من الفن المنحط مقياسا لما ينبغي أن يكون عليه الفن الجميل » ، بينما يقول محمد سالم بالنص في السطر ١٠١ مايلي : « انتشر هذا النوع من الدراسة الاكاديمية خلال القرنين الماضيين في اوربا ليؤدي الى شيوع صنوف من الفن الاوربي المتدهور ، أومايحاكيه من الانتاج المحلي لم تلبث أن أصبحت في مفهوم العامة مقياسا للفن الجميل » ! ، وفي السطر رقم ٩١ ينقل عويس للمرة الثالثة « أما الفن التشكيلي فعرفنا الفن الاكاديمي الأوربي وكل هذه الألوان من الفنون هي في الحقيقة جديدة علينا .. » بينما يقول محمد سالم في السطر ١٠٤ « إن مصر عرفت الفن التشكيلي أول ماعرفته بهذا الشكل الاكاديمي الذي كان سائدا في ذلك الوقت .. » ! .. وبرغم ان هناك الكثير مماكان يجب مراجعته ، فإننا نكتفي بالاشارة الى نقطتين :

● الأولى : ماأورده الفنان عويس في مجال تعريف « الفن » من أنه : تعبير عن



انفعال الانسان بالكشف العلمي .. » وهو قول غير سائغ ، زاخر بالخلط في تعريف الفن

● الثاني : ماأورده في نهاية كلمته « بوجوب » أن « ندمج عقل الغرب وقلب الشرق » لكي يكون خلاصنا الى فن مصري « متحضر ومعاصر » . وهو قول جزافي الطابع ، وخطير حقا ، .. هذا اذا كان لنا ان نفهم على الوجه العلمي ، ما الذي يعنيه « العقل الغربي » ، وما الذي يعنيه « العقل الشرقي » في مجال التصدي لفكرة الشخصية المصرية في الفن .

الفنان مصطفى عبد المعطي (زيت) عمل جديد .

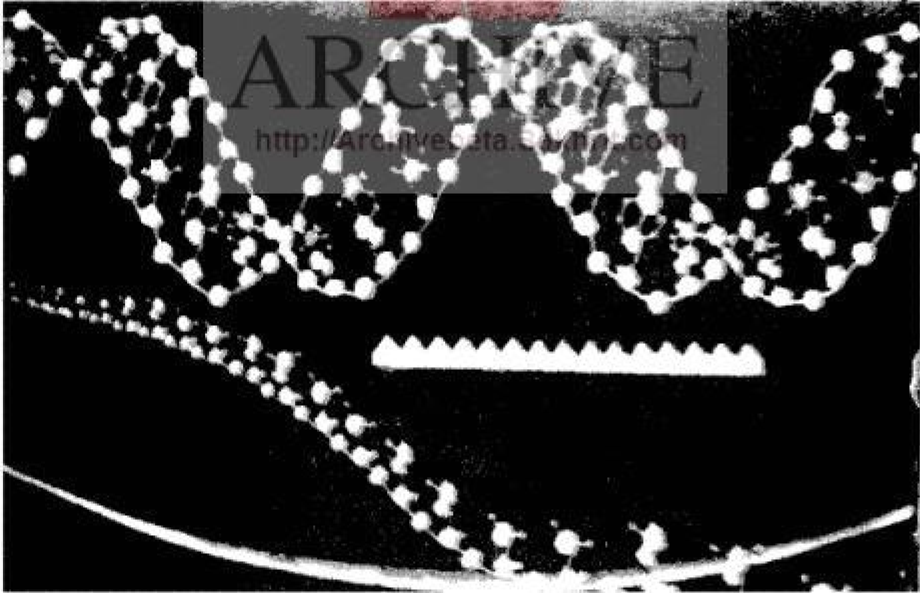


انها ثورة الجينات

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

طلبت منى «الهلال» ان اشارك بدراسة فى هذا العدد الخاص عن ثورة المعلومات، ومدى استيعاب واستفادة مصر خاصة، والدول العربية عامة من هذا التقدم المذهل الذى يتم الان فى كثير من المجالات بالدول المتقدمة.. ولقد قلبت الامر على وجوهه، على اختار موضوعا اقرب الى تخصصى، فلم اجد ما هو اولى بالتقديم من الثورة البيولوجية الجديدة فى الجينات، فالجينات ـ بلاشك ـ «بنك معلومات»

نموذج مبسط لجزء ضئيل جدا من شريط وراثى مجدول، وفيه تكمن شفرة الحياة التى تبدو كدرجات سلم، لكنها درجات كيميائية، ولا احد يستطيع ان يفرق بين اشرطة نوع ونوع



انها ثورة الجينات

الحياة ، وكما ابدعها الله ، ومن اجل هذا كانت بمثابة المرجع الحق الذى يستقى منه العلماء مادة معينها لا ينضب ، واسرارها لا تنفد وعطاؤها غير محدود ، ونتائجها تذهل العقول ، واخيرا فهى الثورة على كل ما هو مالوف . فما هى الحقيقة فيما قدمنا فاوجزنا ؟

ثورة الجينات أو المورثات قد تؤرق العقول التى لم تتهيأ لها ، لانها لاتعرف شيئا عن اسرارها ، ولا تدرك كيف بدىء الخلق بها ، ولقد ظلت هذه الجينات فى طى الكتمان ، الى أن جاء انسان هذا الزمان ، وغاص بعقله — وبكل ما قدمته له التكنولوجيا الحديثة من وسائل دقيقة ومتطورة — الى اعماق الكائنات الحية ، علّه يدرك سر الحياة كيف قامت ، والخلايا كيف بدات ، والجزيئات كيف تفاعلت ، والمخلوقات كيف تنوعت ، والسلالات كيف تباينت .. الى اخر هذا الطوفان الدافق من صور الحياة التى لا نكاد نحصيها عدا !

على اننا لن نتعرض هنا لشرح بدايات الحياة وتنوعها وتفاعلها وما شابه ذلك ، فهذا وحده كفيل بتغطية صفحات اعداد متتالية مثل هذه المجلة ، لكننا سوف نختصر كل ذلك فى جملة واحدة : أخيرا وضع العلماء ايديهم على الشفرة أو «الكود» الذى تستخدمه كل انواع الكائنات فى ادارة دفة حياتها ، والاحتفاظ بصفاتها ، ليرثها الخلف عن السلف .

يعنى ذلك اننا اكتشفنا اسرار لغة جديدة ، واستطعنا أن نفك رموزها ، تماما مثلما حدث مع رموز حجر رشيد ، وبها استطعنا ان نقرأ تاريخ الفراعنة ، لكن اكتشاف رموز « حجر رشيد » الحياة سوف يمهد لنا الطريق لكى نغير فى صفات المخلوقات ذاتها .. أى نستطيع ان « نفصل » الكائنات حسب الطلب ، ونقدم منها « موديلات » جديدة ما أنزل الله بها من سلطان !

● علامات دالات على ثورة الجينات ●

لكن .. ماذا يعنى كل ذلك حقا ؟

يعنى أن تظهر فى قواميس لغتنا الفاظ ومسميات جديدة .. الفاظ مثل بطاطم وشاعز وطماقل وتفايناع وكرنفس أو حتى نباتسان !

هل هذه احاجى والغاز ؟

ليس ذلك حقا ، بل هى نتيجة من نتائج ثورة الجينات التى لم تبدأ الا منذ نحو ١٤ عاما فقط .. ثم ان هذه المسميات تشير الى امكان ظهور مخلوقات جديدة ، وبصفات جديدة ، لكنك لاتستطيع ان تحدد ان كانت تنتمى الى هذا النوع او ذاك .. لانها ببساطة شديدة تحمل صفات من هذا ، وصفات من ذاك ، ولهذا لم نتعد الحدود عندما قلنا هذا بطاطم ، وذلك شاعز .. صحيح ان ليس لهذه او تلك معنى ، لكن الاولى تعنى انك امام نبات يحمل بعض صفات البطاطس ، وبعض صفات الطماطم ، لكنه ليس بهذا او ذاك ، بل هو بطاطم ،



نجح علماء الحيوان فى دمج خليتين حيوانيتين من نوعين مختلفين . فكان هذا المخلوق الجديد . شاعز لانه شاه فى ماعز او ماعز فى شاه

او طماطس .. اى بطاطس فى طماطم ، او طماطم فى بطاطس .

كذلك الحال مع شاعز .. أنها شاة فى ماعز ، او ماعز فى شاه .. او سمها « ماعشاة » مثلا – فلا أحد يلومك ، مادام الخلط قد وصل الى هذا الحد الذى يبدو وكأنما هو تهريف فى الالفاظ وتخريف !

لكنه ليس كذلك أيضا .. اذ يوجد الان حيوان جديد اسمه شاعز ، ونبات جديد اسمه بطاطم .. لا تنزعج ولا تبتئس فهذه بدايات متواضعة ، لكنها مثيرة وغريبة ، وهى تشير الى اى عصر مذهل نحن عليه مقبلون ، ولقد أثارت مثل هذه البحوث خيال فنان له بالعلم اهتمامات ، فراح يعبر عن ذلك بنبات ذرة خرافى ، لكنه يحمل ثمارا مختلفة وكان ان نشرته مجلة علمية امريكية فى صدر موضوع يتناول مستقبل هندسة الوراثة ، او هو ما اطلقنا عليه اسم ثورة الجينات .. لكن مما لاشك فيه ان الصورة خيالية ، او هى ممعنة فى الخيال ، لكنها تعبر عن مقتضى الحال !

ان ذلك يختلف مثلا عن بطاطم وشاعز ، فهما كائنان موجودان بالفعل .. اذ عندما نجح العلماء فى دمج خلية من طماطم مع خلية من بطاطس عبرت كل خلية عن بعض صفاتها الوراثية ، ونتج من ذلك نبات جديد ، لا هو بطاطس ، ولا هو طماطم ، بل الاثنان فى واحد .. وهذه التجربة ذاتها تكررت مع خلية من ماعز وخلية من شاة ، فنتج حيوان بوجه ماعز ، وجلد شاه ، لانه حمل الصوف بدلا من الشعر .

لهذا لا تقلق إن سمعت عن نبات اسمه طماقل ، لانه طماطم فى فلفل ، او فلفل فى طماطم « فلاطم » .. ولا تبتئس اذا اكلت « سماطيخ » – اى سمكا فى بطيخ ، او شربت « شاينانا » – اى شايا فى نعناع « لانه نبات واحد » .. او اشتريت الكرنفس – اى الكرنب فى الكرفس ، او انباك احد ان قدوم النباتسان على هذا الكوكب قد يتحقق بعد مئات السنين .. والنباتسان يعنى نباتا فى انسان .. اى مخلوق عجيب بعضه نبات ، وبعضه انسان .

ومن المحتمل جدا ان تكون احد المتمطقين من هذا السرد الرديء ، او من الناقمين على هذه الاوصاف التى لا طعم لها ولا معنى .. ولك فى ذلك بعض الحق .. لكنها – يا صاح – احد منجزات هذا الزمان الذى بدأ العلماء يتلاعبون فيه بصفات المخلوقات ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، فجعلت الناس يضربون اخماسا فى اسداس .. لكن ماخفى كان اعظم !

● انهم يتلاعبون باصول الخلق ●

وربما ترجع غرابة هذه البحوث ، وما تتمخض عنه من مخلوقات قد يصعب على العقل تصديقها – ربما يرجع ذلك الى عدم معرفة الناس « بلوح » الحياة المحفوظ ، اذ لو استطعت قراءة ماسجل فى هذا اللوح المذهل من مفردات الحياة التى كتبت بها لغتها ، فلا شك انك امام بنك ضخم من المعلومات المسجلة على اشرطة كيميائية دقيقة غاية الدقة ، والغريب ان هذه الاشرطة موحدة بين كل الكائنات .. بداية من الفيروس الضئيل ، ونهاية بالانسان العظيم ، فلها جميعا نفس الشفرات ، ونفس النظام ، ونفس



دفعت البحوث الغريبة التي يقوم بها العلماء الآن خيال فنان فتصور ظهور نبات جديد يعطى حبوبا وفاكهة وثمارا لاتنتمي لبعضها

انها ثورة الجينات

المقاسات ، ونفس طريقة التشغيل .. الخ .." ومن اجل هذا كان من الممكن أن نصل « قطعه » من شريط انسان بشريط ميكروب ، أو ننقل اخرى من ميكروب الى ميكروب آخر ، او من باذنجان الى طماطم ، أو من فار الى كلب .. الخ .. الخ ، فيعبر الشريط المنقول عن نفسه بصفة وراثية جديدة فى الكائن الذى نقل اليه ، رغم أن هذه الصفة لم تكن موجودة اصلا فى الاسلاف .. اى كأننا نحن نغير او نعيد برمجة الصفات الوراثية التى جاءت بها الانواع المختلفة، وتكسبها صفات غير صفاتها .

دعنا نوضح ذلك بمثال من واقع حياتنا ، وليكن مثالنا شريط تسجيل متكامل ، ثم لو فرضنا اننا أردنا أن نقطع هذا الشريط ، لنصل به قطعة من شريط اخر ، ثم أدرنا هذا الشريط فى جهاز تسجيل أو على جهاز فيديو ، عندئذ ستعبر قطعة الشريط الموصولة عن نفسها بما سجل عليها .. صوتا كان ذلك ، أو، صوتا وصورة ، ولا شيء يمنع ذلك مادام الموصول من صنف الموصول به .

وبفكرة قريبة من تلك ، يتعامل العلماء مع أشرطة الحياة ، فينقلون جزءا من شريط كائن الى شريط كائن اخر من نفس النوع ، او من نوع اخر مختلف ، وعندئذ يتقبل هذا ذاك ، لانه من نفس نوعه وتكوينه وسمكه .. الخ ، ويسمح له ايضا بالتعبير عن ذاته ، فيؤدى ذلك الى ظهور صفة جديدة .. اى كأننا نحن قد محونا الحدود الفاصلة بين المخلوقات ، وبدأنا فى ارتياد لعبة خطرة تتمثل فى التدخل فيما قدر الله .. لكنه تدخل مشروع ، لان الهدف منه استنباط مخلوقات معدلة او مفصلة حسب الطلب .. أو حسب مانظنه فى صالحنا ، او فى خدمتنا .. اذ بالعقل والمعرفة نعيد كتابة بعض فقرات كتاب الحياة .. اى الخطة الوراثية التى تحدد صفات المخلوقات .

هى — اذن — ثورة معلومات على كل ماهو تقليدى وعقائدى وفطرى ، وبحيث يؤدى ذلك الى ارق فكرى ، ويثير العديد من القضايا الهامة ، او علامات الاستفهام الحائرة التى سيطرت على خاصة الناس قبل عامتهم ، لان العامة قد لا تستطيع ان تستوعب أبعاد هذه اللعبة التى يعبر عنها البعض بأنها ستكون اعظم واخطر انجاز يصل اليه الانسان فى عصرنا الحالى ، خاصة عندما ينسب بعض العلماء هذه المخلوقات المعدلة الى انفسهم، ثم يسجلونها على أنها «براءات اختراع»، أو ملكية خاصة ، ومن حق اى منهم ان يستغلها لصالحه ، ذلك ان ثورة الجينات، ستتحول الى ثروات تدر سنويا بلايين الدولارات !

● الجينات فقرات فى الاشرطة ●

لكن قبل أن نتحدث عن معنى براءات الاختراع ، وكيف انها تدر ثروات هائلة على أصحابها ، كان من الاوفق أن نوضح هنا العلاقة بين الاشرطة الوراثية والجينات ، ثم ماذا يعنى ذلك فى اكساب المخلوقات صفات جديدة أو مختلطة .

الواقع ان الجينة أو المورثة فقرة محددة على الشريط الوراثى ، ويعنى ذلك ان الشريط ذاته مقسم الى عدد من الفقرات او الجينات ، وكل جينة تحتوى على عدد محدد من الشفرات الكيميائية التى تتحد وتتبادل مع بعضها ازواجا ازواجا ، وبحيث يؤدى ذلك الى شريط كيميائى مجدول او حلزونى .. وفيه تتراص اربعة مركبات كيميائية تعرف باسم : آدنين وثايمين وجوانين وسيتوزين — أودعنا نختصرها الى أ ، ث ، ج ، س « اخذنا الحرف الاول من كل مركب ليس الا » .. وهذه الحروف أو الرموز أو الشفرات الاربع هى ألف باء الحياة التى سجلت بها صفات كل المخلوقات فى تباديل وتوافيق لا تنتهى أبدا .. وهذا — فى حد ذاته — أمر يدعو الى الاكبار والاعجاب لروعة الفكرة ، واصالة اللغة التى سجلت نقط

انها ثورة الجينات

بحروف او مركبات اربعة لا غير ، لم تراها تتمخض عن انواع من المخلوقات التى لا نكاد نحصيها عدا .

ورغم أن هذه اللغة الوراثية المسجلة فى اشرطة كيميائية تبدو بسيطة غاية البساطة ، الا انها تنطوى على تفاصيل مذهلة ، ومتاهات هائلة ، وأسرار تعيى عقول الرجال – والنساء اذا أردت ذلك .. وطبيعى أننا لانستطيع أن نتعرض هنا للكيفية التى تتحول بها لغة الحروف الاربعة الى هذا الطوفان الدافق من المخلوقات ، فذلك يحتاج الى صفحات مجلة اكبر من هذه المجلة ، لكن يكفى أن نمس الموضوع مسا خفيفا ، وبقدر ما يسمح المجال .

ذكرنا ان الجهاز الوراثى « او الادارة العليا المخططة لكل العمليات » لاية خلية حية يستطيع ان « يستضيف » جينة او اكثر من أى جهاز وراثى لخلية اخرى، لان الاشرطة موحدة فى الشكل والشفرة ، وان كانت مختلفة فى المضمون .. فانا مثلا اكتب مقالى هذا بحروف لغتنا المعروفة ، وغيرى يكتب مقاله بنفس الحروف ، لم تجمع على نفس الالات .. لكن مضمون هذا المقال يختلف عن مضمون اى مقال آخر ، وكذا الحال مع خلية الميكروب او الدودة او الباذنجان او الكلب او القرد او الانسان .. الخ .. الخ ، فالشفرة موحدة ، والاشرطة متماثلة ، لكن المضمون مختلف ، وللتبسيط اعتبر أننا نتعامل مع أشرطة كاشرطة التسجيل او الفيديو .. هى من الظاهر متشابهة ، لكن الباطن او المحتوى مختلف .

وطبيعى ان المخلوق كلما ارتقى فى سلم التطور ، طالت اشرطته المسجلة ، وزادت جيناته المبرمجة ، واكتسبت المخلوقات صفات أرقى وأسمى بقدر ما مر عليها من ملايين او عشرات او مئات الملايين من السنين .. اى كانما هى تكتسب اضافات وخبرات ، وتزداد صقلا ، وتصبح أكثر تعقيدا وسموا .. فشريط الفيروس لا يزيد على جزء من الف جزء من الملليمتر ، ومع ذلك فهو مسجل بنحو سبعة آلاف شفرة ومكون من سبعة جينات تكفى لتكوين سبعة بروتينات، فى حين أن شريط الخلية البكتيرية يقع فى حدود ملليمتر واحد، وبه من اربعة الى خمسة ملايين شفرة ، تكفى لتكوين آلاف الجينات التى تشرف على صناعة الالاف من مختلف البروتينات ، ثم يزيد طول الاشرطة « وفى هذه الحالة تطويها أجسام اسمها الكروموسومات » ، كلما تعقد تركيب المخلوق ، حتى نراها فى كل خلية من خلايا الانسان وقد وصلت أطوالها الى حوالى ١٧٠ سنتيمترا ، وعليها تتراص مئات الالوف من الجينات التى تشرف على تكوين مئات الالوف من البروتينات .. اى ان لكل بروتين جينة محددة تشرف على جمعه من خاماته الاولية « الاحماض الامينية » .. تماما مثلما يجمع الطابع الحروف فى كلمات ، او يجمع الصانع الاجزاء فى آلات .. مع الفرق طبعا بين روعة عمليات الحياة المذهلة ، وبدائية عملياتنا التى لايمكن ان ترقى اليها بحال ، حتى ولو كان ذلك على مستوى الحاسبات الاليكترونية المتطورة .

● انهم يزرعون الجينات ●

لكن مما لاشك فيه ، أن لكل عصر أفكاره وانجازاته ، فقديما عرف الانسان زرع أجزاء نباتية على نباتات اخرى تختلف عنها ، وهو مايعرف حتى اليوم بالتطعيم ، ثم تطورت الامور ، وعرفنا زراعة الانسجة والاعضاء بين انسان وآخر ، ثم زراعة نوى الخلايا فى الخلايا ، او الجمع بين خلايا من نوع ، واخرى من نوع آخر .. واخيرا جدا تمكن العلماء من زراعة الجينات فى الاجهزة الوراثية للمخلوقات ، وهذه – فى الواقع – ادق واصعب أنواع الزراعات .. او قل انها جراحة على مستوى دقيق للغاية، وطبيعى ان الانسان هنا لا يجرى الجراحة وان اجراها فلا يراها ، لانه يتعامل مع عالم

دقيق من الجزيئات التى لا ترى بالميكروسكوبات ، حتى ولو كانت هذه من النوع الاليكترونى .

ان مهمة الانسان هنا ان يعزل الجينات المرغوبة ، وهذه وحدها عملية دقيقة تحتاج الى تدريب طويل ، و «تكنيك» حساس ، ومهارة عالية ، وصبر جميل، لان الانسان هنا كمن يعمل فى الظلام ، لانه يتعامل مع عوالم غير مرئية — كما سبق ان المحنا ، لكننا لن نتعرض هنا لكيفية عزل الجينات ، لان الحديث فيها يتشعب ويطول ، ثم انها تحتاج الى الالمام بمبادىء علمية لا بأس بها ، لكن يكفى أن نذكر ان اقتحام هذه الجينات فى الخلايا ، الى ان تصل الى هدفها فى انويتها ، حيث يوجد المخزون الوراثى « أو بنك معلومات الخلية » ، تحتاج ايضا الى علماء ذوى ذكاء ومعرفة بأصول الخلق على مستواه الدقيق ، لم يتركون الامور تجرى لاعنتها ، اى لا دخل لهم بعد ذلك فى زرع الجينة ، او تحديد المكان الذى ستأوى اليه ، او حتى معرفة ان كانت العملية قد أصابت أو خابت !

والواقع أن الذى يقوم بهذه «الجراحة» على مستواها الجزيئى الدقيق ، هى الخلية ذاتها ، لانها تحمل فى طياتها « أدواتها الجراحية » التى تصلح بها شأنها ، وما هذه الادوات الا جزيئات بروتينية عملاقة تعرف باسم الخمائر أو الانزيمات ، وبها تشق الاشرطة ، وتزرع الجينات ، ثم « تحيك » هذا بذاك ، ليتصل الشريط المزروع « اى الجينة » بالشريط الاصلى ، ويصبحان واحدا ، ثم تبدأ الجينة المزروعة فى اعطاء امر التشغيل للبروتين الذى تحمل خطة تصنيعه ، ودون أن تجد معارضة من الجهاز الوراثى الذى احتلت لها مكانا فيه !

وطبيعى أن الامر ليس ميسورا ، ولا هو بالبساطة التى نقدم بها شرح مايجرى من عمليات فى الخفاء بل ينطوى على متاهات كبرى ، لا يزال العلماء فيها غرقى ، لكنهم مع ذلك قد حققوا أهدافا عظيمة ، فتحت بدورها بابا واسعا لثورة جديدة من المعلومات التى ظلت حكرا على المخلوقات منذ أن نشأت على هذا الكوكب ، لكن انسان هذا العصر قد وقع على أسرار هذا الكنز العظيم ، وأخذ مبدأ المبادرة ، ثم راح يوجه هذه المعلومات لصالحه ، فيحذف منها ما يشاء ، ويبدل ما يريد ، ويضيف ما يراه ضروريا « ليفصل » ويوجه ويكسب الكائنات جينات غير جيناتها ، فيظهر فيها بروتينات غير بروتيناتها ، ويعنى ذلك تحويرا وتبديلا فى صفات غير صفاتها .. وهذا بيت القصيد !.

● انجازات هائلة ●

ورغم أن عمر هندسة الوراثة، او اعادة تشكيل الجينات ، او دس المعلومات الدخيلة فى « اللفات » التى تحتفظ بها الكروموسومات ، وتحافظ بها على صفحات المخلوقات من « الدس » او التغيير والتبديل — رغم أن عمر تلك الهندسة يعتبر حديثا ، فان العلماء قد حققوا أهدافا كبيرة وكثيرة ، لكننا لا نستطيع ان نتعرض لها هنا لضيق المجال .

يكفى مثلا أن نذكر ان الحدود الهائلة الفاصلة بين ميكروب وانسان قد تهاوت عندما نعلم ان نوعا من البكتيريا يقوم الان نيابة عن الانسان بتصنيع ما عجز جسمه عن تصنيعه من بروتينات وهرمونات وانزيمات كانت تشتغل له فى دمه ، او فى كبده ، او فى مخه ، او فى نخاعه .. الخ .. الخ ، نتيجة لخطأ فى الجينة التى كانت تنتج هذا المركب أو ذاك ، فينتج عن ذلك مرض عضال .

خذ على سبيل المثال مرض السكر الذى ينشأ عادة من عدم تمكن جسم المريض من افراز هرمون الانسولين الذى ينظم له عمليات احتراق السكر ، وامداده بالطاقة اللازمة لحياته .. والانسولين — كما هو معروف — بروتين ، وله جينة تشرف على تصنيعه ، لكن الجينة قد عطبت او توقفت عن افراز الانسولين ، ولابد ان يحصل المريض على انسولين من البقر او الخنازير او الخيل ، لكنه ليس صورة طبق الاصل من انسولين الانسان،

انها ثورة الجينات

لهذا قله محاذيره ، ثم انه من الصعب جدا تخليق الانسولين الانسانى ، ولقد ظل امل العلماء يتارجح بين الرغبة والرجاء فى الحصول على كميات كبيرة ورخيصة من الانسولين البشرى ، رحمة بعشرات الملايين من مرضى السكر .

وتحقق الامل اخيرا ـ حققه ميكروب يعيش على فضلات الطعام فى أمعاء الانسان والحيوان ، لكنه لم يصبح ذات الميكروب بل تحول الى ميكروب « معدل » او مفصل ، أو مزود « ببروجرام » وراثى من خلايا الانسان ، اى بروجرام لصنيع الانسولين ، اى انه مزود بالجينة المسئولة عن ذلك من بنكرياس الانسان « بالتحديد نسيج اسمه جزر لانجرهان » .. والغريب ان الجينة اشتغلت فى الميكروب ، واعطت انسولينا بشريا مائة فى المائة ، وطبيعى ان الميكروب لا يحتاج الى هذا الانسولين ، لكنه بالنسبة لنا حلم عزيز تحقق من خلال هذه الثورة الجديدة فى هندسة الوراثة ، لتتحول بعد ذلك الى ثروة تدر سنويا عشرات او ربما مئات الملايين من الدولارات .. فكانما الميكروب الذى لا يساوى ، اصبح الان يساوى كنزا هائلا .. انه ميكروب معدل او مبرمج بجينة من سيد المخلوقات ، وهو أيضا أمل الملايين !.

ولا شك ان نجاح هذا الهدف العظيم قد دفع حماس العلماء الى تحقيق المزيد ، اذ لم يقتصر اختيار الجينات ونقلها وزرعها على الخلايا البكتيرية فحسب ، بل اتسع المجال ليشمل عالمى النبات والحيوان ، بما فى ذلك الانسان بطبيعة الحال ، خاصة عندما يحدث خلل او مرض لبعض جيناته ، ثم يراد ابدال جينات سليمة بها ، ويستلزم الامر ان تعزل منه بعض خلايا لزرعها فى الدوارق والانابيب ، ثم اعادة برمجتها او تعديلها بجينات سليمة ، والتاكد من المسار الصحيح فى خط التشغيل الوراثى للخلية ، لانتاج السلعة البروتينية المطلوبة ، وعندما يصبح كل شىء على ما يرام ، يعاد زرع الخلايا المبرمجة فى الذى منه قد عزلت !.

ولتتصور معنا ـ بعد ذلك ـ ان يكون « بنك معلومات » الحياة قد اصبح ملكا للانسان ، وان عملة هذا البنك هى ملايين الجينات الموزعة بين كل انواع المخلوقات ، وانه يمكن تحويل هذه العملة من اى كائن تشاء ، الى اى كائن تريد ، وهى ايضا عملة ذات وجهين : وجه فيه الموت « الجينات التى تصنع السموم الحيوية فى الميكروبات » ، ووجه فيه الحياة « الجينات المرغوب فيها » .. عندئذ اطلق لنفسك عنان الخيال لما يمكن ان تتمخض عنه هذه الثورة العلمية الجديدة من انجازات مرعبة ، واخرى مثمرة ، وثمراتها تتركز فيما يمكن ان يكون عليه حال النباتات المعدلة ، او الحيوانات «المفصلة» حسب الطلب ، او حتى اعادة برمجة خلية انسانية جنينية باحسن جينات هذا الكوكب ، ليتمخض عنها انسان معدل .. ربما كان هو «السوبرمان» الذى ورد فى الخيال العلمى .. لكن هذه موضوعات طويلة ومتشعبة ومثيرة ويضيق بها هنا المجال ، وربما يكون لها مجال آخر ، لنعلم شيئا عن عظمة الانجازات التى تحققت ، ثم اتت اكلها ، فكان ان غيرت مفاهيمنا التقليدية عن الحياة .

وبعد ..

هل يمكن ان نستوعب هذه الثورة الجديدة ، وندلى فيها بدلونا ، ونلحق بركب التقدم العلمى !.

كل شىء ممكن .. لكنه يحتاج الى معامل متقدمة ، وميزانيات كبيرة ، وعلماء اذكياء وممتازين ومتفرغين ومتعاونين .. ومن فضلك لا تنس بلادة الروتين .. الخ ، فاذا تحقق ذلك فى الدول النامية «ونحن منها» فأبشر خيرا ، واذا كان غير ذلك ، فالامر متروك لتقديرك على اية حال !.

رسالة السودان
من
جمال الألفي

مصر والسودان ثقافة مشتركة

بعد التاسعة صباحا ، لا تحاول البحث عن صحيفة سودانية ، من اى لون ، او حزب ، ستجدها جميعا قد اختفت فالشعب السوداني قارىء ممتاز للصحف ، ورغم انه بعد الانتفاضة السودانية ، ظهرت صحف كثيرة ، دورية ومنتظمة يومية ، واسبوعية ، قد يزيد عددها عن الثلاثين صحيفة ، الا أنك بعد التاسعة صباحا لن تجد جريدة فى اكشاك بيع الصحف فى الخرطوم ..

والصحف المصرية التى تصل عادة الى الخرطوم ، فى اليوم التالى من صدورها ، لن تحصل عليها الا بتوصية من بائع الصحف الذى تتعامل معه ، واذا حاولت البحث عن جريدة مصرية عند المكتب الاعلامى المصرى ، فانت تبحث عن الذهب فى الصحراء ، ربما تفوز بابتسامة كسولة من موظفى المكتب ، اذا كنت حسن الحظ ، أما اذا كنت مواطنا مصريا عاديا، فسيكون خطاك وحدك ، واذا حاولت الحصول على نوع ما من المعرفة عن طريق صحيفة أو نشرة او كتاب ، من مكاتب الاعلام المصرية فى الخرطوم ، حتى لوحة الاعلانات فى مواجهة المكتب ، تعرض صفحات من جرائد مصرية قديمة ، لا يقرؤها أحد ..

يبقى سؤال ، لماذا لا تضاعف دور « الصحف المصرية » من اعداد المجلات والصحف التى تبعث بها الى السودان ، انهم هنا شعب محب للقراءة بطريقة مثيرة ، ولقد وجدت عدد المكتبات فى الخرطوم ونظافتها واتساعها وكثرة روادها ، بصورة تثير الاهتمام حقا ، ولم أجد مقهى واحدا يمكن الجلوس فيه ، فى معظم أحياء الخرطوم ، التى شهدتها طوال تجوالنا بها ، ولقد كنت اتوقع عددا هائلا من المقاهى فى الخرطوم ، بحكم المناخ والطبيعة ، غير أنى لم أجد بالفعل مقهى واحدا ، وهى ظاهرة جديرة بالاستفسار ، كما ان عدد المكتبات الكبير يثير الاعجاب أيضا، وقد وجدت أن أعداد الكتب المطبوعة



جامعة الخرطوم كانت حافزا قويا لانشاء فرع لجامعة القاهرة بالخرطوم ليتلقى ابناء السودان تعليمهم بها .

في بيروت ، هي السمة الغالبة على كل المعروض من الكتب ، ولم أجد دور النشر المصرية ، هنا بالقدر الذي يليق بحجمها وامكاناتها ، وحب القارىء السوداني لاقتناء كتبها ..

ولابد أنه توجد معوقات ، تمنع تواجد الكتاب المصري ، امام قارئه الطبيعي في السودان ، واذا كان ثمة معوقات مادية أو في وسائل النقل ، أو السعر ، فان الملحق الثقافي المصري أو الملحق الاعلامي - لا أدري - جدير ببحث الموضوع ، والاهتمام به ، ومتابعته ، فليست كتب التراث والتفسير ، التي تطبعها دور النشر البيروتية ، والمعروضة في كل مكتبات الخرطوم ، هي التي تثير فقط اهتمام القارىء السوداني ، رغم أسعارها الباهظة ، وانما يميل السودانيون ، الى كل ما تنتجه مصر ، خاصة اذا كان الامر يتعلق بعالم الكتب والصحف والافلام ، والاغاني ، وتسجيلات القرآن الكريم باصوات مشاهير القراء المصريين ، ان الثقافة المصرية جزء من التراث السوداني الاصيل ، لقد هزتني عبارة شاردة ، قالها ضابط سوداني متقاعد ، جمعتنا به جلسة ثقافة وفكر ، في شرفة منزل محمد السيد حمد ، أحد كبار زعماء الحزب الاتحادي الديموقراطي ، وأحد مرشحيه الاساسيين في الانتخابات وأبرز مرشحي الحزب أيضا للدخول في الوزارة الجديدة .

يقول الضابط السوداني وهو اللواء عمر البكر ، أن رحلته مع الثقافة ، مثل غيره من كافة المثقفين السودانيين بدأت مع كتب الكيلاني للاطفال وتبلورت مع كتاب الايام ، للدكتور طه حسين ، وبين هذا وذاك ، فقد قرأ لكل من استطاع أن تصل اليه يده من كتب مصرية ...

● صعوبات ينبغي تذليلها ●

ويقول أستاذ سوداني في جامعة الخرطوم ، أنه قد آلت اليه ، بحكم الميراث ، مكتبة والده ، وقد وجدها عامرة ، بكل مطبوعات دار الهلال ، التي صدرت منذ خمسين عاما ، ومن بينها مجلة الهلال لا تنقص عددا ،

وكتب ومجلات ، وروايات الهلال
وقال الاستاذ الجامعى فى جامعة الخرطوم، انه وجد وفاء لذكرى والده، أن يستكمل كل الاعداد التى تصدر عن دار الهلال ، من كتب ومجلات ، ودوريات، حتى يسلمها لاولاده، كاملة، ثم اشتكى فى النهاية بأنه يجد صعوبة فى الحصول بانتظام ، على مطبوعات دار الهلال، وخاصة المجلات المخصصة للأطفال ...

ولا أدرى أيضا ، ماذا يمنع دور النشر المصرية الكبيرة ، مثل دار الهلال ودار المعارف ، من أن يكون لهما مكتباتها الخاصة التى تعرض مطبوعاتها فى الخرطوم ، على أن تقوم الدار القومية ، بتوزيع ما تطبعه دور النشر الصغيرة ، التى لا تستطيع افتتاح مكتبات خاصة فى السودان ..

ان التواصل الثقافى بين مصر والسودان ، شيء بديع ، ويستحق الاهتمام،ليس على مستوى الحكومات، فهى تتغير ، وتأتى ، وترحل ، ولكن الشعوب باقية ، ولا يربطها الا الثقافة والعلم ، والخبرات المشتركة، والتراث الواحد . وقد هزتنى بالفعل المعرفة الكلية للسودانيين بكل الشئون الثقافية المصرية ، فلم تختلف فى شيء ، وعندما جاء حديث السياسة ، فقد كان لكل منا ما يخصه من آراء ..

● دور بارز ●

لقد شكا أبرز مثقفى السودان ، وأكثرهم شهرة أكاديمية ، وهو البروفسير عمر البشير وكان قد استضافنا على فنجان شاى فى بيته فى ضاحية المنشية من العزلة التى تفرضها على نفسها طواعية جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، وقال ان ٢٠ الف طالب وعشرة ملايين جنيه كل عام ، تعنى الكثير جدا ، بالنسبة للشعب السودانى ، والثقافة السودانية، وقال ان هذه المنارة العلمية والثقافية ، العظيمة ، تعزل نفسها عن معترك الحياة الثقافية والفكرية للبلاد ، وأن دورها مفتقد ، وأنها تقدم الخبرة العلمية للشعب السودانى فى كل مجالات الحياة ، وأنه لا يوجد موقع للعمل ، فى كل أنحاء السودان شمالا وجنوبا ، غربا ، ووسطا ، وشرقا ، الا يوجد خريج سودانى من جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، يقدم خبرته وعلمه ، لخدمة بلاده ، وقال الاستاذ السودانى العجوز ، انه من بين كل السياسيين السودانيين ، فى مختلف الاحزاب ، يوجد عدد هائل منهم ، تعلم فى جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، أو تعلم فى القاهرة ، فى الجامعات المصرية ، وطالب بدور بارز ، لجامعة القاهرة فى الخرطوم ، يتعدى أسوارها ويتفاعل مع مجمل الحياة العلمية والثقافية للشعب السودانى ..

وقال الدكتور عمر البشير، الذى يتمتع بعلاقات ممتازة ، مع معظم قادة الرأى والفكر فى القاهرة ، بأنه يتمنى ان تنجح مساعيه وتقتنع القاهرة، بجدوى التفكير فى تأسيس معهد كبير، يضم كافة الخبراء ، ويكون مكانه القاهرة ، أو الخرطوم ، شريطة أن يكون مطلا على شاطيء النيل الخالد ، وأن يكون اسمه ، معهد دراسات وادى النيل

وقلت لماذا لا تعرض فكرتك على محبى هذه الفكرة فى القاهرة ، وهم كثيرون، وقلت هل تحدثت مع د. عبدالملك عودة فى الموضوع .

أطرق العالم العجوز ، برهة ، ثم قال ، سأفعل ، ومن جانبنا ، فقد سجلنا دعوته على صفحات الهلال، حتى يكون لنا شرف المشاركة فى التمهيد لفكرة نبيلة ...



مكتبة الهلال

• شعـــر •

أصـــوات جديـده
في الشعر العامي

وزارة الثقافة . الثقافة الجماهيرية . مطابع هيئة الكتاب . بدون سنة نشر .
١٤٨ صفحة . بدون ثمن .

هـذا الديـوان من الشعـر العامى ، لشعراء شبان ، جرى نشره بتوجيه . من مؤتمر أدباء الاقاليم الأول والذى عقد فى المنيا منذ عامين .

الديوان كتب مقدمته فؤاد حداد . والمفروض ان يكـون الديوان مقدمة لسلسلة جديدة فى أصوات جديدة ..

والشعراء اصحاب القصائد فى الديوان تجمـع بينهم صفات كثيرة : فهم شبان ، وشعـراء عامية . والأغلب فيهم من ابناء ريف مصر . واقاليمه .

يقول فؤاد حداد فى مقدمة هذه الأشعار :

بوركت الارض التى أنجبت هؤلاء .
لست طبيبا فى الشعر ولا خبيراً
ولكننى لاأزال أجربه ويجربنى .
يعجم عودى ولا أعجم عوده ، أستشف وجوده فى غبش هو المغرب يؤدى الى العشاء بل هو السحـر يؤدى الى الصباح المبين .



• قصـص •

المبعدون
قصص قصيرة .
ادريس على .
الناشر : مطبوعات الفجر
١٦٨ صفحة ـ ١٢٥ قرشا

وهذا الكتاب هو الثالث من سلسلة مطبوعات الفجر ، وهى مطبوعات يطبعها الكتاب على نفقتهم الخاصة ، وان كان هذا الكتاب الثالث قد ساهم اتحاد الكتاب فى طباعته .

والمبعدون مجموعـة من القصص ، فيها خمس قصص

قصيرة هى : المبعدون ، غدر الفريانى ، المأزق ، انفجار ، حكايات غير مسلية من داخل المبنى المنعزل .

وادريس على صاحب هذه القصص يقدم تخوم عالم النوبة فى جنوب صعيد مصر وشمال السودان . وابطاله مسافرون الى بلاد البترول بحثا عن الحلم والثروة والمال .

وهو قاص تدفق قصص يوسف ادريس الأولى . ومثيولوچيا عالم الطيب صالح وجزئيات شمندورة محمد خليل قاسم . لكن ادريس على له مفرداته الخاصة ، وتدفقه النادر فى الحكى والقص . حاملا هما له مذاق شديد التفرد . وكل حرف فى قصصه وراءه تجربة خاصة مر بها الكاتب ..

● مذكــرات ●

استراتيجية المصالحة
الجزء الثانى من مذكرات
الفريق اول : محمد فوزى
٣٠٧ صفحة قطع كبير .
الناشر : دار المستقبل العربى ـ الطبعة الاولى ١٩٨٦
القاهرة : بدون ثمن .



الفريق أول محمد فوزى ، لعب دوراً هاماً فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وخاضت القوات المسلحة بقيادته حربا تكاد أن تكون حربا مستقلة تماما من حروب الصراع العربى الاسرائيلى ، هى حرب الاستنزاف .

الفريق أول فوزى يكتب فى أيامنا هذه مذكراته الشخصية . أصدر منذ فترة الجزء الأول منها . وهذه الايام يصدر الجزء الثانى . وقد نتفق مع مايكتبه فوزى من آراء ـ وقد نختلف معه . ولكن اهمية مايكتبه هذا المقاتل انه يقدم شهادة حية . من واقع المشاركة الحية فى صنع الحدث . والتروية عن قرب .

واستراتيجية المصالحة ، هى التى كانت تسعى اليها اسرائيل منذ ١٩٤٨ . ولم تتحقق سوى فى المرحلة الساداتية فى مصر . فطوال مرحلة مصر الناصرية كانت الاستراتيجية السياسية والعسكرية والاقتصادية لمصر هى استراتيجية المواجهة العربية الشاملة للعدوان والتوسع الاسرائيلى والمساندة الأمريكية له . الكتاب يعالج بصورة رفيعة من الدقة والموضوعية .





● الألف كتاب الثانى ●

احلام الاعلام وقصص اخرى
تاليف : برتراند راسل
ترجمة : شاكر ابراهيم
مراجعة : عبدالحليم البشلاوى
١٤٧ صفحة من القطع الكبير . الثمن مائة قرش . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

هذا الكتاب ـ كما تقول الجمله المدونة على غلافه ـ هو الكتاب الاول من سلسلة الألف كتاب الثانية . وكان قد صدر فى مصر منذ سنوات مشروع ثقافي طموح وضخم لاصدار الف كتاب مترجمة من عيون الأدب العالمى ، لكن مشكلة مصر الأولى ـ هى القدرة على البدء فى الخطوة الأولى . دون القدرة على الخطوة الثانية . والذى حصل ان المشروع القديم توقف قبل ان يكتمل وحتى الكتب التى صدرت نفدت ولم يعد لها اى وجود الآن .

المشروع الجديد ، الذى اصدرته هيئة الكتاب ، فيه نفس طموح المشروع الأول . ولكن هل يكتمل ؟ وهل يكون هناك حد مامن التنسيق بين كتبه ؟! ذلك ماستجسمه الخطوات القادمة .

لكن هذا الكتاب الاول . القريب من قصص الفانتازيا . كتبه راسل . عن تصور طريف . ماذا لو حلم الكبار والعمالقة ؟ ماذا لو حلم سكالين دايز نهاور وغيرهما ..؟ تلك هي قصص راسل . ولكن د . نصار عبدالله قد ترجم اجزاء من هذا الكتاب من قبل ونشرته دار المعارف .





● روايـــــة ●

فرط الرمان
راوية . الجزء الاول
محمد جلال
٢٢٦ صفحة قطع متوسط . الثمن ١٧٥٠ قرشا . الناشر مكتبة غريب ـ القاهرة ١٩٨٦ .





يعود محمد جلال ـ الروائى المصرى الكبير ، فى هذه الرواية الى عوالمه القديمة ، عالم الحارة المصـريـة ، عـالم روايتـه : الرصيف ، يعود الى البسطاء والمسحوقين . بعد فترة خرج فيها من هذا العالم . إلى عوالم أخرى .

لكن العودة كانت لها تصورات جديدة . فالكاتب يستخدم لغة اصبحت اكثر تألقا وشفافية . وعالم الرواية شفاف زجاجى ، والبشر فيه مسكونون بكل الأمثلة التى ترهق هذا العالم .

ان استمرار وتدفق العالم الروائى لمحمد جلال من القضايا المثيرة لأكبر قدر من الاعجاب والسؤال الوحيد الذى يثيره هو صمت النقاد الغريب تجاه هذا الروائى ـ الظاهرة .

● علـــوم ●

المستقبليـة والمجتمـع المصرى

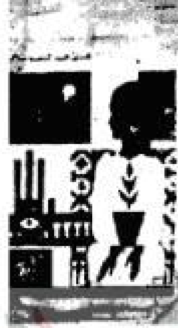
هانى عبدالمنعم خلاف .

كتاب الهلال ـ العدد ٤٢٤ ابريل ١٩٨٦ ـ ١٨٤ صفحة قطع صغير . الثمن ٧٥ قرشا .

"المستقبليات" علوم كثيرة قائمة بذاتها فى كافة انحاء العالم الآن . وهى علوم قائمة على فكرة القدرة على قراءة المستقبل . وفى عالم اليوم فإن الكتب التى تحاول رسم صورة المستقبل . هى الآن من اكثر الكتب توزيعا . وان كان هذا يحدث فى العالم كله . فإن موقفنا من المستقبل لا يتعدى التخمين الشخصى والتنبؤ .

وصاحب هذا الكتاب يقول فيه الى متى تستمر الفجوة لدينا بين العلم والفعل ؟! ثم يعرض لأبعاد وصول الرؤية المستقبلية فى كثير من قطاعات المجتمع المصرى الشعبى منها والرسمى ويتضح لنا كيف ان المستقبل يحمل من الدواعى والمحاذير والاخطار والحتميات مايستوجب ترشيدا بل وتنويرا لهذه الرؤية المستقبلية .

وهذا النوع من الكتب ينقص المكتبة العربية ، ويسد نقصا فارغاً فى الثقافة العربية .





● فـرق ونحـل ●

قراءة فى وثائق البهائية

المؤلف : الدكتورة عائشة عبدالرحمن « بنت الشاطىء »

الناشر : مركز الاهرام للترجمة والنشر

عدد الصفحات ٣٥٨ صفحة من القطع الكبير ـ ١٩٨٦ ـ بدون ثمن

هذا الكتاب من الكتب الأولى التى يستهل بها مركز الاهرام للترجمة والنشر عمله فى النشر ، ومؤلفة الكتاب هى الآن استاذ التفسير والدراسات العليا فى كلية الشريعة جامعة القرويين .

والدكتورة عائشة عبدالرحمن لم تكتب عن البهائية ، بمناسبة حديث اجهزة الاعلام عنها . تقول :

وهذه البهائية لا تشغلنى من حيث هى نحلة فئة ضالة . بل من حيث أسستهـا الصهيـونيـة العالمية ، لتكيد للاسلام واقعه ،

واخطر مافيها انها لاتبشر فينا بنحلتها صراحة فتأخذ الامة حذرها منها بحدس الدفاع عن الذات . بل قصدت الى ان تصوغ الفكرالاسلامى المعاصر صياغة بهائية يهودية لاعهد التاريخ بمثلها وهى تمويه وخبث ذرائع .

والكاتبة تقدم جذور البهائية القديمة .. عبر القرون .



● مقعد امام الستار ●

متى يرتفع الستار عن المسرح المصرى ؟

●● وتبقى للسؤال مشروعية البقاء حتى إشعار آخر ؟!

وربما يصبح السؤال عجوزاً معمراً دون ان يجد الاجابة عليه . فالسؤال يعود الى زمن الستينيات . الى تلك السنوات العجاف . التى اغلقت مسرح القطاع العام . وفتحت الباب لمسرح القطاع الخاص . الذى تحول إلى نوع من كباريه الضحك بدون هدف . والذى قدم جنسا وقفشات ودخان ودموع ولكنها لم تقدم فنا مسرحيا أبداً .

لكن السبعينيات مضت . وهاهى الثمانينيات انتصفت ومر العام الأول من النصف الثانى . ولكن يبقى السؤال يبحث عن الاجابة .

ربما تكون هناك عروض هنا او هناك ولكن هذه العروض المتناثرة من الصعب ان تصنع ربيعا مسرحيا يمكن الحديث عنه .

وآخر نكات المسرح السوداء . ما جرى لمسرح محمد نجم . فالرجل عمل فى المسرح التجارى سنوات طويلة وجمع حوالى نصف مليون جنيه . وقدر أن يتجه الى انتاج مسرحى جاد . ووقع إختياره بالفعل على نص مسرحية "الكلاب وصلت المطار" لعلى سالم . ولكن خلال البروفات احترق المسرح ولم يعد به مسرح . وكان هناك قوة ماتمنع هذه المحاولة (مجرد محاولة لانتقال مسرح خاص من الهزل الى نوع من الجد) .

على المسارح الاخرى ماذا نجد ؟!

على خشبة المسرح القومى نجد مسرحية شوقى الشعرية مجنون ليلى . حيث تعرض النص لاعادة تفسير جديدة . وهناك عروض اخرى فى بعض المسارح الأخرى . ففى مسرح مصر الدور الرابع شقة ٩ . التى كتب نصها فيصل ندا واخرجها شاكر عبداللطيف . وعادل امام مازال مبتسما وهو يتصدر

إعلانات "الواد سيد الشغال" وهو العرض الذى يبدأ لحظة انتصاف الليل ولا ينتهى قبل آذان فجر اليوم الثانى .

وهناك بعض عروض الثقافة الجماهيرية سواء فى القاهرة ، أو بعض الاقاليم ، ولكن يبقى السؤال هل تصنع كل هذه البؤر المسرحية ربيعا مسرحيا متكاملا .. هل تخلق جدا مسرحيا يمكننا من القول من انه فى مصر الآن جو مسرحى ثقافى . فى هذه الحالة من الصعب الحديث عن اجواء مسرحية أبداً . ولابد وان يبقى نفس السؤال .

ـ متى يرتفع الستار عن المسرح المصرى ؟!

خارج القاهرة

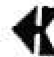
فى المؤتمر الثانى لأدباء مصر فى الأقاليم .. كثير من التوصيات قليل من الإنجاز

● انتهت اعمال المؤتمر الثانى لأدباء مصر فى الأقاليم بمدينة الاسماعيلية بنقطتين وإحدى عشرة توصية ، وقد سبق ان انتهى المؤتمر الأول بالمنيا باصدار سبع وعشرين توصية . وبذلك دخل هذا المشروع الأمل (مؤتمر أدباء الاقاليم) فى حرب التوصيات وهى آفة كثير من المؤتمرات التى لافعالية لها . تلك التوصيات التى تصدر عن الطموحات العاليه وضمور قيعان الامكانيات واستمرت أعمال المؤتمر ثلاثة أيام ، انعقدت خلالها خمس لجان للقصة والشعر والمسرح والدراسات الأدبية ونوادى الأدب . وكانت هناك ظاهرتان اساسيتان فى اعمال اللجان ، الأولى : وجود مقرر فى كل لجنة ثابت لايتغير منذ عامين ولانعرف هل عين أو انتخب أو مساعد مقرر مهمته الوحيدة هى اسكات كل من يبدى رأياً ومطاردته ومحاصرته فى مقعده وإقناعه قسراً مستخدماً حيل إقناع مزيفة ومتعللاً بضيق الوقت لاقتراب موعد الغذاء او الأمسية الشعرية مع ان المؤتمر قد انعقد أصلاً لكى نستمع إلى اراء الأدباء ومشاكلهم .

الظاهرة الثانية هى الرغبة العجيبة فى الخروج باكبر عدد ممكن من « التوصيات » دون داع . وقد شغلت جميع اللجان بمسألة التوصيات هذه كانها هدف بحد ذاته .

● حرب التوصيات ●

ولان اعضاء المؤتمر قد



استنفدوا طاقاتهم في حرب التوصيات فقد مر عليهم دون ان يشعر احد اهم توصية كان يمكن أن يخرج بها المؤتمر وأن تبدأ الخطوة الأولى في سبيل تنفيذها في الجلسة الختامية للمؤتمر . فالمشكلة الأساسية التي تواجه أدباء مصر في الأقاليم هي النشر . وفي جلسة إعلان توصيات وقرارات المؤتمر وجه عبد المنعم عماره محافظ الاسماعيلية كلمة حذر فيها من المؤتمرات المتتالية دون فائدة ودون إنجاز حقيقي . واقترح على الحاضرين فكرة إنشاء دار طباعة ونشر في الاسماعيلية لطبع مؤلفات ادباء مصر في الأقاليم . إلا أن أحداً من أعضاء المؤتمر لم يتلقف هذا الاقتراح ويطالب بتنفيذه ويتم التصويت عليه في الحال . والخروج به كتوصية رئيسية بدلاً من ركام التوصيات من نوع (أهمية أن تكون قيادة الأجهزة الثقافية بأيدي المثقفين) و (يوصي المؤتمر بترجمة عيون الأدب العالمي المعاصر وتوفيرها بأسعار مناسبة لتأكيد التواصل بين أدباء مصر والثقافة العالمية) !!



إلا أن أهم ما في المؤتمر كان خارجه ، في اللقاءات الجانبية التي تمت بين أدباء مصر الكبار والأدباء الشبان . فقد كان هناك دائما د . عبد القادر القط ود . عبد المحسن طه بدر ود . سيد حامد النساج وصبري موسى وابراهيم عبد المجيد وعبد الفتاح رزق ويوسف عز الدين عيسى وفؤاد حجازي وإقبال بركه وصلاح الراوي ويسرى العزب ومحسن الخياط ، يشكلون نقاط إرتكاز في اللقاءات الجانبية في حديقة النادي أو النزل ، ويتحاورون مع الأدباء الشبان في أهم قضايا الأدب والثقافة العربية .

وكذلك الأمسيات الشعرية التي خرجنا منها بعدد من القصائد الجيدة وأيضاً التعارف الشخصي الذي تم بين أدباء مصر في الأقاليم .

وقد عاد الأدباء المشتركون في المؤتمر وعددهم يزيد على المائتين إلى مدنهم والحق أن هناك قضايا لم تحسم بعد .

● تسمية مرفوضة ●

« أدباء الأقاليم » تسمية مرفوضة يصر الكثيرون على استخدامها . وهي نظرة إقليمية للأدب هدفها انعزالي رفضناها على المستوى العربي وانزعجنا ممن يقول : أدب مصري أو عراقي أو مغربي ، ونستخدمها على المستوى المحلي . فالأدب إما جيد أو رديء . وللاسف يساهم البعض من أساتذتنا في تعميق هذا

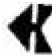


مؤتمر أدباء الأقاليم .. توصيات كثيرة .. هل تتحقق

المفهوم الأقليمي المتخلف للأدب . فقد قرأ الدكتور عبد الحميد ابراهيم مقرر عام المؤتمر في الجلسة الافتتاحية رسالة غريبة من شخص مجهول - ورفض الافصاح عن اسمه - أتهم فيها أدباء العاصمة بالعزلة والتفاهة والسطحية في تكريس خطير للتقسيم الاداري للأدب العربي في مصر .

كما شكا الكثير من الأدباء من هيمنة بعض موظفي الثقافة في المدن المصرية وتدخلهم دون وعي في العملية الثقافية وفي اختيار ممثلي المدينة في المهرجانات والمؤتمرات .

كذلك لم تحسم بعد قضية « الماستر » وهي الظاهرة التي ولدت لاختراق الحصار واختصار سنوات الانتظار الطويلة حتى يتمكن الأدباء الشبان من نشر أعمالهم . ولكن الأجهزة الثقافية في القاهرة لاتريد أن تعترف بالابداعات المنشورة بطريقة « الماستر » . فاتحاد الكتاب يرفضها ، والمجلس الأعلى للثقافة لايعتبرها نشراً . مع أن المأمول في مثل هذه الأجهزة أن تتعامل مع المادة المكتوبة بصرف النظر عن نوعية الورق وطريقة الطبع .



وقضية أخرى قديمة جديدة

وهى « شعر العامية » . وقد صدرت توصية بتخصيص جائزة من جوائز الدولة التشجيعية لشعر العامية وتمثيل شعراء العامية في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة . وقد ثار جدل كبير حول « شعر العامية » ، فلا أحد يتحمس لنشره إلا فيما ندر مع أن له فرسانا كثيرين ، كما يتهم بانه عدوان على وحدة لغة الضاد ، ويقف عقبة في طريق الوحدة العربية .

ولكن كل هذه القضايا التى قتلت بحثاً ، وتجد لها طريقاً فى مناقشات المؤتمرات شىء ، ومايتم على أرض الواقع شىء آخر ، فعدد كبير من الشعراء يواصلون إبداعاتهم بالعامية ، وكتب ومنشورات الماستر تزداد وتتحسن نوعيتها . كذلك مازلنا نسمى الأدباء خارج القاهرة بـ « أدباء الأقاليم » ، وسوف ننتظر عاماً أو عامين لنكون هناك في « سوهاج » ، حيث يعقد المؤتمر الثالث لاصدار عدد جديد من التوصيات .

أخبار ثقافية من الأقاليم ..

● « مسافر فى الطوفان » ديوان جديد للشاعر محمد محمد الشهاوى . وكان قد صدر له من قبل ديوانان : « ثورة الشعر - ١٩٦٢ » و « قلت للشعر - ١٩٧٣ » . والديوان الجديد يضم سبعاً وعشرين قصيدة من الشعر الحديث ، وجميعها سفر فى طوفان الواقع وارتحال فى بحار المعاناة .

والشاعر الشهاوى من أشد الشعراء صدقاً وأرهفهم حساً وأدقهم تصويراً ، وهو عاشق لتراب وطنه متيم بهواه ، صاغ شعره من نبضات فؤاده ودفقات وجدانه وفيض مشاعره .



● تستضيف محافظة السويس البرنامج التليفزيونى الجديد « قافلة المدينة الفاضلة » الذى تعده وتقدمه سميحة غالب ، لتسجيل حلقته الاولى مع أعضاء الندوة الأدبية بالسويس . ويهدف البرنامج إلى إبراز دور الكاتب تجاه مجتمعه وإبراز المثل والقيم فى الابداعات الأدبية والفنية .

● تنشر مجلة القصة فى عددها القادم ملفاً خاصاً عن كتاب القصة القصيرة بالسويس ، ويضم الملف قصصاً لمحمد عطا وعلى لاشين ومحمود الجمل وسناء محمد فرج وأحمد عبد اللطيف وامينة ابراهيم .

● يصدر خلال هذا الشهر العدد الجديد من النشرة الأدبية

« الكلمة الجديدة » التي يرأس تحريرها الأديب محمد الراوى .

● يلتقى أعضاء الندوة الأدبية بالأديب صبرى موسى فى لقاء أدبى حول ملامح العالم الروائى عند صبرى موسى .

● يقيم أدباء بنى سويف مهرجاناً أدبياً لتأبين الشاعر الراحل يوسف محمد رزق فى الذكرى الأربعين لوفاته . ويقدم الأديب أسماعيل بكر دراسة عن الشاعر الفقيد بعنوان « يوسف رزق ونظرته الخاصة الى الشعر » كما يقوم بإلقاء بعض قصائده .

● يعد النادى الأدبى بقصر ثقافة أسوان « ندوة الشريف » فى السابعة والنصف من مساء كل أربعاء . وتتعرض الندوة للأخطاء النحوية الشائعة وكيفية تسلل هذه الأخطاء إلى لغتنا ، ومدى تأثر الفصحى باللغات الأجنبية المختلفة ، وآثار تغلغل العامية فى حياتنا الثقافية . ينظم الندوة محمود الزمراوى رئيس قسم الثقافة العامة باسوان .

● يصدر هذا الشهر العدد الخامس من « اقلام أسوانية » وهو عدد خاص عن القصة القصيرة .

● بدأت فرقة أسوان القومية المسرحية عرض مسرحية « إتفرج ياسلام » تأليف د . رشاد رشدى وأشعار محمد هاشم زقالي وألحان عبد المنعم اسماعيل وأخراج فوزى فوزى .

● يقيم نادى الأدب بدمياط يوم ٨ مايو (العيد القومى) ندوة شعرية يشارك فيها عدد كبير من أدباء مصر . ويتخلل الندوة إضاءات نقدية على القصائد المقدمة .

● يصدر كتاب « القصة القصيرة فى دمياط » للناقد سمير الفيل . يضم الكتاب دراسة تطبيقية حول القصاصين : يوسف القط - مصطفى الأسمر - طاهر السقا - محسن يونس - أحمد زغلول - حلمى ياسين - حسين البلتاجى .

● يصدر العدد الثانى من مجلة « صوت سوهاج الثقافى » وهى مجلة فصلية تهتم بإبداعات ونقاد الأقاليم . وكان عددها الأول قد اثار عدة قضايا أهمها ظاهرة الغموض فى الشعر المعاصر . ويأتى العدد الجديد حاملاً حصيلة الاجابات على علامات الاستفهام التى وضعها العدد الأول . كما ينشر العدد الثانى مقالاً خطيراً بعنوان « الحب الضائع .. لمن ؟! » ينفى فيه نسبة رواية « الحب الضائع » للدكتور طه حسين .

محمد الشاذلى



كورازون أكينو

ربة بيت على عرش الفلبين

أول ربة بيت ، متفرغة ، تصبح رئيسة للجمهورية وتهزم طاغية متمرسا وقاتلا من ذوى السوابق . هى السيدة كورازون اكينو رئيسة جمهورية الفلبين .

وبغض النظر عن دور الولايات المتحدة الأمريكية وانحياز بعض رجال فرديناند ماركوس (الذين شاركوه جرائمه بنفس القدر) إلى معسكر اكينو فى اللحظة الأخيرة ، إلا ان ذلك لم يكن ليحدث لو لم تكتسح كورازون اكينو منافسها وتقود انصارها إلى صناديق الاقتراع وفى معارك الشوارع .

وربما يقال إن افضل الوسائل لمواجهة امرأة منافسة هى الهروب منها . لكن اكينو لم تكن « منافسة » لأحد . ولم تتخيل يوماً أن يشغلها شيء عن واجباتها المنزلية .

كأن زوجها زعيماً للمعارضة . أو زعيماً لأحد فرق المعارضة الممزقة والمنهكة بفعل الرجل الذى وضع كل ثروة الفلبين وكل سلطاتها فى خدمته . ولم يخرج عن طاعته إلا الذين يرفضون الذهب ولايخشون السيف . وهم ليسوا كثيرين عادة ، ومن بينهم ذلك الزوج « بنينو اكينو » .

ولم يحدث أن شاركت كورازون زوجها ـ قبل أن يقتله ماركوس ـ نشاطه السياسى ، إلا إذا كان تقديم الطعام أو القهوة للزوج وانصاره وأصدقائه فى لقاءاته المنزلية من أعمال السياسة !

ولذلك كان ماركوس أول الواثقين من النتيجة ، واكبر الساخرين من هذه



السيدة التى لاتعرف حتى بعض أصول « الماكياج » التى تجيدها النساء .

لم يقدر ماركوس ماذا يمكن أن يحدث لسيدة تشهد بنفسها جريمة الاغتيال الرسمية لزوجها قبل أن تلمس قدماه أرض الوطن . ولم يدرك ماذا فعل بشعب الفلبين وبهذه المرأة عندما دبر محاكمة مسرحية لمساعديه من الجنرالات القتلة ليبرئهم من دم الزوج أكينو .

إن التحقيقات التى تجريها رئيسة الجمهورية الجديدة أثبتت أن ماركوس سرق من قبل عشرة آلاف مليون دولار وقتل بدون محاكمة أو تحقيق نحو عشرة آلاف معارض . لكن فى لحظة ما يصعب حسابها بأعقد الأجهزة الاليكترونية ينقلب الوضع كله رأساً على عقب بمجرد إضافة قتيل واحد جديد إلى قائمة الشهداء أو إضافة دولار واحد إلى قائمة المسروقات .

وهى نفس اللحظة التى يجسد فيها شخص كان مجهولاً كل رغبات وآمال ومطامح الناس ، باتصال غير منظور وفقاً لقواعد « الكيمياء البشرية » فيصبح زعيماً !

ولذلك تربعت ربة بيت على « عرش » الفلبين أو « عرش الفلبينيين » ، وهرب طاغية إلى جزيرة معزولة بعد أن انكره حتى الذين قدم لهم بلاده وشعبه بلا مقابل . وضاعت السلطة والثروة جميعا !

فيليب جلاب

تغيير العالم

تأليف : د. أنور عبد الملك

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مع اكتشاف القنبلة الذرية والهيدروجينية ، وماحدث من تطور فى اسلحة الدمار ، والعلماء والفكرون لا يتوقفون عن التحذير من استخدام مثل هذه الاسلحة التى تعجل بنهاية العالم ، وعندما تحدث احد هؤلاء العلماء - فى بداية الخمسينات - كان قوله : « انى اتحدث لاخيفكم ، انا نفسى خائف » ، وكانت مؤتمرات العلماء والتى تزعمها الفيلسوف البريطانى برتراند راسل ، وقراراتهم التى ارسلوها الى كل رؤساء العالم ، من اجل الحفاظ على البشرية ، وكانت صرخة راسل فى كتابه « هل للانسان مستقبل » عن هذه القضية .

وبدأت قضية العالم تشغل بال المفكرين والفلاسفة والعلماء والسياسيين ، بحثا عن خلاص الانسان ، وظهرت فكرة الحكومة العالمية ، ومؤتمرات السلام ، واتفاق الدولتين العظميين « الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى » على تقليل الاسلحة ومحاولة تجنب ويلات الحرب .

وفى نفس الوقت كانت هناك حركات تحرر وطنى ، وشعوب تعانى من المجاعات ، واخرى اغرقتها الديون ، والكل يتحدث عن العالم ، ثم يقف عند قضيته بحثا عن الخلاص ، فى هذا العالم المتوتر . وظهرت افكار عديدة لتصور مستقبل العالم ، اعتمادا على التاريخ الحضارى للانسان ، ومدى استجابة الشعوب للتحديات التى واجهتها ، وكانت افكار المؤرخ البريطانى « ارنولد توينبى » عن تدهور الحضارات وصعود حضارات جديدة ، تعتمد فى الاساس على حضارات وأديان الشرق .

وحاول بعض المفكرين العرب ان يساهموا فى القضية ، فقدم بعضهم مشروعات حضارية عربية خاصة بالمنطقة العربية ؛ وحاول آخرون تقديم مشروع حضارى جديد للبشرية ، مع الوقوف عند المنطقة العربية او الدائرة الحضارية العربية الاسلامية ، ومن هؤلاء الدكتور أنور عبد الله ،





د. أنور عبد الملك

والذى تعرض للدعوة الى تكوين مشروع حضارى جديد ، وذلك فى كتابه « ريح الشرق » واستكمالا لما قدمه من دراسات حول « الفكر العربي فى معركة النهضة » او « نهضة مصر » أو ما جاء فى كتابه « ريح الشرق » كان كتابه الاخير « تغيير العالم » والذى صدر فى سلسلة « عالم المعرفة » التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت .

فى تقديمه للكتاب يحدد الدكتور عبد الملك بأن عملية « تغير العالم » لا تحدث بشكل موضوعى أى بحت ، من جراء تطور القوى الانتاجيه او مقتضيات المرحلة الثانية للثورة الصناعية ، انها عملية تلعب فيها الارادة السياسية دورا رئيسا ، يمتد مجاله من الجيو ـ سياسة العالمية والاقليمية الى الدين وصراع الحضارات ، اى أن عملية تغير العالم تقتضى بالضرورة دراسة القوى العاملة على تغيير العالم ، بعضها يعمل من أجل توسيع رقعة التحرر والحرية والتقدم والبعض الآخر يعمل من أجل اخضاع عملية التغير الى هيمنة المركز الواحد وان تشابك هذه الاتجاهات وتعدد مسالكها ومناهجها وتباين معدلات سرعة تحركها الذاتي أثارت وتثير بشكل متزايد مستوى جديدا من الاشكال يقتضى نوعا جديدا من التحليل .

واشار فى تقديمه ايضا الى اهمية مرحلة ما بين عامى ١٩٤٩ ، ١٩٧٣ ، اى بين انتصار ثورة التحرر الوطنى واقامة جمهورية الصين الشعبية من ناحية وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وتحرير فيتنام فى نفس المرحلة من ناحية اخرى ، وان هذا امر مركزى فى تطور المجتمعات البشرية الحديثة ، كما انه يمثل نقطة التحول فى تاريخ العالم ، وقد جاءت مقدماته هذه ليصل بها الى نتائج تصدره لتغيير العالم .

فى مقدماته التحليلية للوصول الى رؤيته للتغيير ، يرصد فكرة المركز المؤثر ، فى القرن التاسع عشر كانت القارة الاوروبية ، ثم تحركات هائلة فى قطاع الشرق الحضارى ، اى آسيا والعالم الاسلامى ـ العربى بامتداداته الافريقية ، خاصة حول تحرك الدولة المصرية بقيادة محمد على بين عام ١٨٠٥ ـ ١٨٤٠ ، والثورات الشعبية الفلاحية فى الصين والهند ، ثم تحديث اليابان فى عهد الامبراطور ميجى ١٨٦٨ ، ويرى أنه منذ عام ١٩٤٥ برزت قوتان عظميان ، وكانت المفاهيم تقوم على أساس نظام الهيمنة القائم حاليا ، ومنذ القرن الخامس عشر ، مع تغيير مركز الهيمنة .

ويطرح الدكتور أنور عبد الملك السؤال : الى أين ، اذن تتجه عملية تغيير

تغيير العالم

العالم ؟ وجهتها ، التصورات المستقبلية البديلة المطروحة واقعيا ·

ويقدم ثلاث رؤى - فى رأيه - تتنازع فى التنقيب عن أبعاد المستقبل ، أى على تغيير العالم لا على النظام العالمى الجديد ·

١ - الرؤية التقليدية : وهذه الرؤية قريبة من التشكل الواقعى للنظام العالمى القائم المتمركز حول مركزى القوتين العظميين ، وما هو قائم انما هو تجمع عدد من الدول الكبيرة والوسيطة تمت كلها الى طراز المجتمع الصناعى المتقدم بدرجات متفاوتة ، وتلتف حول قيادة الدولتين العظميين ، هكذا يتشكل واقع ، وبالتالى ظهرت فكرة « المعسكر » بوصفه بوتقة واطار الصراع العالمى ، فهناك معسكر دول حلف الاطلنطى ويضم مجموعة الدول الرأسمالية ، أو دول اقتصاديات السوق، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، وفى مواجهته معسكر الدول الاشتراكية «حلف وارسو » وغالبيتها العظمى اوروبية ، بالاضافة الى فيتنام وكوريا ومنغوليا وكذا أفغانستان ، بينما تظل الصين خارج هذا المعسكر تماما أسوة بيوغسلافيا ·

وما دام الامر كذلك فلم يعد هناك دور من حيث الفاعلية للدول التى لا تقبل احدى القيادتين · وهذه الرؤية تحاول ان تقيس تفوق كل معسكر على الآخر ، من حيث الناتج القومى ومتوسط دخل الفرد مع نوعية وكم الاسلحة النووية والتقليدية، فكيف اذن يتغلب معسكر على الآخر مادامت الحرب النووية مستبعدة من الطرفين ، وكذا انضمام احدهما الى الآخر ؟

هنا يتبارى كل معسكر فى التنديد بمساوىء الآخر ، معلنا امتيازه وتفوقه فى حرب أيدلوجية لاهوادة فيها · ثم ان هناك قضية القضايا : تلك المتعلقة بتشكل ونوعية المركز العالمى الثالث اى الصين فى حلف مع اليابان فى قلب الدائرة الاسيوية للشرق الحضارى ، فهل تراه سوف يقدم نمطا متمايزا ؟

وعلى ذلك فان النظرة التقليدية والتى ترى أنه لا مفر من تغليب نظام ومذهب على الآخر لا يمكن أن تتحقق ، وبالتالى لا يمكن ان تحدث تغييرا فى النظام العالمى الا بواسطة وعبر حرب ثالثة وهو ما يرفضه معظم المسئولين ·

٢ - الرؤية التكنولوجية : وتكونت هذه الرؤية تحت ظلال الرؤية الاولى ، لاكنقيض لها ، ويرى عدد من المفكرين والمشتغلين بالعلوم الاجتماعية وتطبيقاتها ان الانسانية تعيش الان مرحلة مغايرة تماما لمرحلة الثورة الصناعية ، واطلقوا عليها « الثورة العلمية والتكنولوجية » وقد بدات هذه الرؤية الثانية تؤثر فى كافة مجالات الفكر والعمل فى معسكرى الغرب الحضارى وفى اليابان - رغم خصوصيتها الحضارية والاجتماعية ، وذهب انصار هذه الرؤية الى أن الثورة العلمية والتكنولوجية تضع بين الانسانية - واول مرة فى تاريخها - ادوات ذات فاعلية هائلة تغير تماما من نوعية العلاقة بين الانسان والطبيعة وانها بذلك تملك جوهر عملية التغيير ، وظلت النعرة الى الثورة العلمية والتكنولوجية رافعة لواء امكان تغيير العالم بشكل جذرى ، واذا العالم نفسه ، وخاصة قطاع العالم الغربى المهيمن يندفع الى سباق جنونى للتسلح النووى يكاد يهدد وجود الانسانية على سطح الارض ، بينما انتشرت المجاعة والاوبئة فى مناطق شاسعة من العالم - العالم الثالث - وارتبك ميزان المداينة واستمر العديد من المناطق والقطاعات فى جو من الثبات أو التقدم البطىء ·

ومما لا شك فيه ان التقدم الهائل الذى تمثله معطيات الثورة العلميه يعتبر جزءا من

كل ، أى مجموعة من الادوات بين ترسانة الادوات الاخرى، ولكنها ليست المفتاح الهادى، الى مستقبل لامفر منه، وعلى العكس من ذلك فان تحكم قلة من المجتمعات فى هذه الادوات سوف يزيد قدرتها على صد وتحريف حركة تغيير العالم ، التى تبدو فى الاساس تهديدا للقطاع الاستعمارى وهيمنته ، اذ انها تعمل على تحقيق حياة انسانية خلاقة لشعوب العالم .

الرؤية الثالثة : فى راى الكاتب ان هذه الرؤية التى يقدمها ، والتى يقف طويلا عند تكويناتها ، تكونت تدريجيا ابتداء من السبعينات ، على أساس التمعن فى عدد من العوامل المؤثرة بشكل مركزى على الساحة العالمية .

ويبشر الكاتب بمولد هذه الرؤية ، ويحاول رسم صورة عامة للجو التكوينى الذى أحاط بمولدها ويحددها كما يلى :

● ان العملية الجدلية بلغت ذروة تفاقمها واحتدامها ، وان رؤية الثورة العلمية والتكنولوجية تندرج فى هذا الجو ، اذ انها تعمق الهوة بين المجتمعات الصناعية المتقدمة من ناحية والقارات الثلاث من ناحية اخرى ، بينما تندفع بعملية التسليح الهجومى الاستراتيجى والتسليح النووى الى تجاوز كل مدى . وهنا يطرح التساؤل اى اشكال تغيير العالم ـ بشكل جديد ، اقرب الى الواقع الموضوعى والوجدان ، وال واقع حياة الانسان على تنوع الانظمة والمذاهب الاجتماعية والفكرية .

● كما ان عامل الجيو ـ سياسة بدأ يحتل مكانته الطبيعية وهى مركزية ، بوصفه الاطار الاكثر شمولا للتحرك السياسى بعيد المدى ـ من حيث ان الجيو ـ سياسة تحدد اهمية المنطقة المعنية بالنسبة للقوى الاكبر ودوائر تحركها وسلم اولوياتها .

وتحدد نوعية ومستوى التفاعل بين مختلف القوى المتواجدة أصلا فى المنطقة المعنية ، ثم تنقب عن الطاقات الكامنة غير المستعملة حتى الان فى وحدة التحرك ، أى فى المجتمع ـ الدولة المعنية ، فتحليل هذه الابعاد بشكل جدلى واقعى وعلى أساس صياغتها التاريخية يضىء الطريق أمام امكانات التحرك المطروحة لصياغة المستقبل . فالاطار الجيو ـ سياسى ، يحكم ولكنه لايتحكم ، ذلك أن الوحدات الاجتماعية المختلفة التى تندرج فيه ليست متجانسة اى انها لاتملك نفس الطاقات والامكانات الحركية فى تفاعلها مع معطيات ومؤثرات الجيو ـ سياسى وهذه الوحدات فى الواقع تتكون من المجتمع ـ الدولة من حيث التحرك السياسى ، يتميز بخصوصية صاغها التاريخ على مدى عشرات من الاجيال او على مدى بضعة أجيال ، او عبر مدة محدودة للغاية . وفى هذا السياق يطرح الكاتب تعريفه لمفهوم الخصوصية .

ويرى أن تصور الخصوصية يتشكل من مستويات ثلاثة :

١ ـ التركيب الداخلى لتصور الخصوصية اى تبين النمط المتميز لاستمرار مجتمع قومى معين ، اى نمط العلاقة المتبادلة والتاليف بين أربعة عوامل محورية تكوينية لكل مجتمع أى لكل استمرار اجتماعى :

● عامل انتاج الحياة المادية لمجتمع معين فى اطاره الجغرافى وأسلوب التاجه .

● اعادة انتاج الحياة البيولوجية .

● النظام الاجتماعى «السلطة والدولة» .

● العلاقات مع البعد الزمنى « نهائية الحياة الانسانية ، الاديان والفلسفات » .

ويرى الكاتب ان تطبيق هذا المربع التكوينى على المعطيات الاقتصادية الاولية سوف يثرى التحليل للمجتمعات البشرية .

٢ ـ المستوى التالى ، يعنى تحريك هذا المربع التكوينى عبر التطور التاريخى فى اطاره الجغرافى المحدد ، فالتطور التاريخى يضع فى المقام الاول عنصر الزمان ، ومن

تغيير العالم

هنا تأتى الاهمية المركزية لعمق المجال التاريخى ، ومن حسن الحظ ان الغالبية الكبرى من المجتمعات البشرية تتكون من مجتمعات قومية تتراوح بين أقدم القوميات فى العالم « مصر أم الدنيا » وبين المجتمعات القومية الحديثة فى أوروبا الغربية مثلا • أما عنصر المكان ، فانه يعنى على وجه التحديد أن كل مجتمع بشرى يحيا ويتطور فى مجال جغرافى محدد بالنسبة للمجالات الجغرافية الاخرى ، وهذا ماتعنى به الجيو ـ سياسة ، كما أنه يمارس وجوده وتطوره التاريخى فى مجال جغرافى له تركيب داخل محدد وهذا ماتعنى به الايكولوجيا التى ترصد الامكانات والطاقات البشرية والحيوية معا •

٣ ـ المستوى الثالث ، هو مستوى التفاعل الجدلى بين عوامل الاستمرار والتغيير ، نتحريك المربع التكوينى على مدى التطور التاريخى فى أطاره الجغرافى سوف يشكل العلاقات المتبادلة وبالتالى الاهمية النسبية لكل عنصر من العناصر التكوينية الاربعة ، مما يؤدى على مر الاجيال الى تشكيل خصوصية كل مجتمع قومى محدد مثلا : دور الدولة والجيش فى الحياة المصرية ، أهمية مستوى الثقافة الوطنية فى ألمانيا وإيطاليا ـ أيديولوجية اقتحام الحدود غير القومية فى المجتمع الامريكى ، النزعة التجريبية الموضوعية فى المجتمع الانجليزى ، استيعاب التناقضات فى دائرة الشخصية القومية فى المجتمع الصينى ••• الخ ••

ويجمل الكاتب قوله بأن مفهوم «صورة الخصوصية الذى يقدمه ، يهدف الى التسليح الفكرى المعاصر ، وخاصة الفكر القومى العقل التقدمى بأداة علمية ، لتبين ما هو أصيل حقا فى الاستمرار التاريخى لمجتمع قومى معين وماهو بالتالى القالب القومى المتميز الذى يمكن ويجب اثراؤه بعدد من المعطيات والتجارب العصرية ، يمنح الفكر المعاصر ورجاله الوسيلة الفعالة للتعجيل بعملية تطوير المجتمعات القومية بحيث تصبح عصرية قومية على أساس أصالتها الموضوعية التاريخية ، ومن خلال هذه الاصالة ، دون تقليد الغرب المتازم حضاريا كما يبشر بذلك عملاؤه الحضاريون ، فتبين الفروق النوعية يمكننا من تبين سبل التحرك الاكثر فاعلية وتجنب مناطق التأزم المزمنة ، أى انه يمكننا من التحرك مع الجدلية الاجتماعية لمجتمعاتنا القومية فى طورها المعاصر ، أى ان نواكب ونمارس عملية الصيرورة التاريخية من الداخل ، كعقول واعية وصاحبة سيادة ، لا كعقول عميلة لقوى الهيمنة الخارجية التى لاتهدف الا الى الاحتفاظ بالعالم غير الغربى فى مكانة التبعية ، بينما وجهتنا هى النهضة الحضارية ، أى أنه لابد من الاعتماد على الشريحة الكاملة لمجموعة التحليلات الاجتماعية لتطور المجتمع ـ الدولة المعنى عبر التاريخ وكذا فى المرحلة الراهنة بغية تبين امكان تعبئة الطاقات الكامنة والافادة منها لاختصار الطريق نحو المشاركة فى عملية افساح المجال لتغيير العالم •

وهذه الرؤية الدقيقة ليست سوى نقطة بدء ، انما الاهم هو : صياغة مشروع التحرك صوب عملية التغيير ، وبمجرد أن نصل الى ذكر مشروع التغيير يصبح لزاما علينا أن نقبل فكرة التحدى ، تحدى حدود الظروف الموضوعية بهدف تخطيها نحو ماهو مغاير وجديد ، وهو تحد ينطلق من معرفة دقيقة لما يمكن أن نطلق عليه دائرتى الجدلية الاجتماعية ـ الدائرة الخارجية أى الجيو ـ سياسة ، والدائرة الداخلية أى الخصوصية القومية فى اطارها الجيو ـ ثقافى والحضارى ـ وكلاهما على نحو ماصاغهما التاريخ عبر الاجيال •

ان التركيز على التنقيب فى أبعاد ومكونات وتكوين الخصوصية القومية هو وحده الذى سوف يمكننا من معرفة الطاقات الكامنة وتعبئتها الفعالة ، أى الانتقال مما هو ممكن الى ماهو واقع أى الانتقال من الامكان الى الفعل •

وتؤدى بنا هذه الابعاد والزوايا الى نتيجة تمثل الاسهام المتمايز لهذه الرؤية الثالثة : ان الشرق الحضارى — شعوبا ودولا — هو الذى بدأ يتحرك منذ أوائل القرن التاسع عشر فى موجة عارمة من ثورات وحــروب التحرير الممتزجة أحيانا بالثورات الاجتماعية بحيث أصبح حامل لواء التحدى الرئيسى للنظام العالمى القائم ، وكذا صاحب المصلحة الرئيسية فى عملية تغيير العالم . انصحوة الشرق الحضارى محسوبة بطبيعة الحال فى الرؤيتين الاولى والثـانية ، ولكن بطريقة مختلفة تماما ، فهى صــحوة يقال انهــا استقلالية فحسب ، وليست تحريرية ثورية بمعنى الـكلمة ، ثم يضاف أنهــا فى مضـــمونها ، حركة تهدف الى التنميـــة والتحديث فحسب ، ولا يتصدى بحال من الاحوال النهضة الحضارية ، ثم ان مجال التحرك فى نظر الرؤيتين الاولى والثانية هو مايسمى « العالم الثالث » دون تحديد أن الشرق أساسا آسيا ، ثم الجزء الاكبر من افريقيا ، والعالم الاسلامى — العربى فى قلبه هو صاحب الريادة والتحدى الرئيسى .

اما الرؤية الثـالثة ، فانها تقرر أن للشرق الحضارى مكانة الريادة اى المبادرة التاريخية فى طرح اشكال تغيير العالم ، والافادة من انقسام الغرب الحضـــارى الى نظامين اجتماعيين وايديولوجيين متناقضين ، وكذا اسهامات المرحلة الثانية الصناعية فى بعدها العلمى والتكنولوجى .

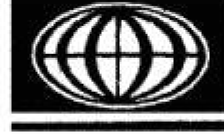
ان تغيير العالم فى حاجة الى صـــياغة مشروع حضارى جديد ، يتكون فى واقع الامر من عدة مشروعات حضارية ، وتقدمه الدوائر الحضارية والجيو — ثقافية التكوينية الكبيرة ابتداء من تفاعل وتواكب مختلف المدارس التكوينية الاصيلة للفكر والعمل بها ، ويقدم رؤى جديدة ، تتشابك فى رؤية عالمية جديدة تعيد الى الانســـانية ليس الامل الاكيد فى استمرارها فحسب وانما تعيد اليها أنماطا جديدة خلاقة ايجابية من التعامل الانسانى والحياة الهادئة ، والتقدم الروحى والمادى المتزن غير المدمر .

والدكتور انور عبد الملك فى كتـــابه الجديد — تغيير العالم — يؤكد على افكاره التى سبق أن طرحهـــا فى كتابه « ريح الشرق » سواء فى متابعته للمركز المهيمن منذ القرن الخامس عشر — الغرب — حتى تقسيم العالم بين الدولتين العظميين فى يالتا — ١٩٤٥ — ومنذ ثورة الصين عام ١٩٤٩ حتى حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ لم يعد العالم موزعا بين مركزين ، بل بدأ مركز حضارة الشرق .

ويرى التطور من خلال الدوائر الحضارية والتى بدورها تحتوى على دوائر حضــارية أخرى ، وفى كل دائرة حضارية يوجد قلب الدائرة أو مركزها ، مثل مصر وتحرك الامة العربية حولها فى قلب الدائرة الحضارية الاسلامية الاسيوية — الافريقية ، والصين التى تتحرك اسـيا حولها ، ومن خــلال التعددية ، واعتماد الدوائر الحضـــارية الشرقية على اصالتها الفكرية وســندها التاريخى ودورها الحضارى المستمر وموقعها يتكون المشروع الحضارى الجديد ، كما اكد الكاتب على تصوره التاريخى للخصوصية والتى أثارت جدلا واسعا بين المثقفين العرب اذ يرى البعض أن تركيز الكاتب على مفهومه للخصوصية ، كثيرا مايخرج بعض المجتمعات من القوانين العامة التى تحكم حركة المجتمعات وتطورها ، كذلك مفهومه حول القوة الفعالة اى القوة السـياسية والحربية الفعالة ، الامر الذى يغيب دور الجماهير ، ويخشى البعض من الوقوف عند دائرة حضــارية — ريح الشرق — قد يكون بها ظلال الاستعلاء الحضارى ، اذا جاز التعبير ، وخطورته فى انعكاس الموقف على مجالات وقضـــايا اخرى .

اننا ونحن نتطلع الى مشروع حضارى او تصور لمشروع يساهم فى تغيير العالم ، لا شك اننـا نهتم بما جاء فى تحليـــلاته الاجتماعية المتشابكة فى الاستفادة فى تصورنا لمشروع حضارى قومى عربى ، يجيب على الاسئلة الحائرة والمشاكل الراهنة والقضايا المصيرية لامتنا العربية .

العالم في سطور



● فيينا ●



بيتر هاندكه

لا شيء يهم .. في الادب النمساوي بيتر هاندكه

ظاهرة ادبية خاصة تلعب دورا في الحياة الثقافية النمساوية منذ اكثر من ربع قرن - عمره الان ٤٢ عاما - في المسرح والسينما والرواية .

شهدت فيينا هذا الشهر حدثين هامين يتعلقان بهاندكه . الاول صدور رواية « الصيني والالم » والثاني هو عرض مسرحية « العطر » على خشبة المسرح .

تدور رواية « الصيني والالم » حول تاريخ الالم في عالمنا المعاصر الذي سرعان مايصيبه بالنسيان . فالراوية هنا مدرس يقوم بتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية في احد احياء سالزبورج . يسمونه السيد « مفقود » . انه يميل الى البحث في اسرار البيوت القديمة والابواب العتيقة . هجر زوجته وأسرته من أجل هذه الهواية الغريبة . رجل غريب الاطوار . يصفع زميلا بلا سبب . وعندما يعود من عرض مسرحية « الصيني والالم » يلقي بنفسه في القناة ويسبح بلا توقف . وعندما يسير في الشارع يجمع الحجارة ويلقيها في وجوه المارة .

لقد اكتشف فجأة قانون انه « لا شيء يهم » وانه يجب هجرة قلعة « الذات » والهجرة خارج النفس تلافيا للالم . ولهذا فهو يقضي أغلب وقته في تأمل الاشياء من حوله . يتلذذ وهو يرى الاطباء يتحدثون عن أمراض الآخرين . ويحس كانه في أوبرا حين يسمع اصوات السوق القريب من مسكنه .

وعندما يرحل « مفقود » الى مدينة اخرى يدخل فندق المسافرين الغرباء سعيا لاكتشاف وجوه اناس يراهم لاول مرة . وعندما يعود من السفر يرى وجوه افراد اسرته وقد بدت غير مالوفة له .

بيتر هاندكه كاتب روائي ومسرحي وسيناريست ومخرج سينمائي . ممن اشهر اعماله « القلق الحاد الذي أصاب الجنايني في لحظة عقاب » عام ١٩٧٢ ، « الشولاء » ١٩٧٩ ، « عودة بطيئة » عام ١٩٨٢ .



سيمـــون دى بوفوار وسارتر وبجوارهما توفيق الحكيم اثناء زيارتهما لمصر

● باريـــس ●

سيمون دي بوفوار .. صديقه سارتر التي رحلت

●● من يذكر سيمون دي بوفوار عندما جاءت الى مصـر فى الستينيات !!

ومن يذكر كتبها الكثيرة فى ترجماتها العربية عندما كانت تملأ ارفف المكتبات فى الستينيات البعيدة ؟!

لقد ماتت سيمون في الشهر الماضي بعد سبعة وثمانين عاما من عمرها .. وبعد سنوات قليلة من رحيل رفيق عمرها .. وصديق عمرها .. جان بول سارتر .. والذى عاشت عمرها كله فى ظله .. ومع هذا لم تتزوجه ولم ترتبط به على الطريقة البرجوازية التقليدية .. وحتي عندما سافرت معه الى بلدان كثيرة من العالم .. انما سافرت كصديقته وليست كزوجته .

سيمون دي بوفوار لها كتاب هو " الجنس الأخر " الذى صدر فى الاربعينيات من هذا القرن .. وكان من الكتب الهامة التى لعبت دوراً فى الحركة النسائية فى العالم .

وقد سافرت ألى الصين واصدرت كتابا كبيرا من جزءين عن التجربة الثورية هناك عنوانه : الزحف الطويل .. كما ان لها رواية طويلة عنوانها : المثقفون .

وسيمون دى بوفوار .. مع سارتر هما صاحبا فلسفة كاملة هى الوجودية التى انتشرت في اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

● لنــــدن ●

الجاسوس المتميز .. والادب المشـبوه

رغم الشهرة العريضة التى يتمتع بها الروائى الانجليزى جون لوكاريه . الا انه احد الكتاب ذوى السمعة السيئة فى العالم . فهو بالنسبة لجهاز المخابرات البريطانى خارج على نظامه . ويسعى الى كشف اسراره فى رواياته العـــديدة . وبالنسبة للنقاد فهو ليس سوى «حكاواتى»



العالم في سطور

• بــــون •

عندما تحكم العالم فأرة ..

الفأرة .. هي أهم حدث ادبي في المانيا في الاشـــــهر الاخيرة بعد وفاة الكاتب هاينريش بل في العام الماضي ..

الفأرة هي عنوان أحدث روايات الكاتب المعروف جونترجراس التي اسـتغرق في كتابتها أكثر من عامين . وتدور أحداث الرواية حول فأرة صـــغيرة تقوم بدور الرواية من خلال حوار شبه فلسفي حول مختلف الكوارث التي حلت على العالم . وارتبطت في ذاكرة الفئران وامتزجت بتاريخ المانيا . لقد بقي بعض الفئران على قيد الحياة بعد اندلاع الحـــرب النووية استطاعت هذه الفئران أن تحكم العالم منذ زوال الجنس البشري .

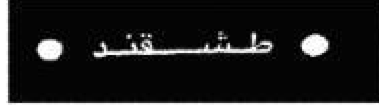
جونترجراس هو احد الذين اسـسوا جماعة ٤٧ الادبية التي حملت على أكتافها بعث امجاد الادب الالماني في أعقـــاب الحرب . ولد عام ١٩٢٧ في مدينة دانتسنج من أبوين نصف بولنديين ونصف المانيين. نشر مجمـوعة من الروايات من أبرزها « الطبلة » ١٩٥٨ . « القط والفأر » ١٩٦٠ و « سنوات كلب » ١٩٦٥ . ثم « مخدر موضعي » ١٩٦٨ و « الترسة » ١٩٨٠ وأخيرا « لقاء في وستفاليا » كما نشر مجموعة من القصائد والمسرحيـــات وقد عرف بمواقفه السياسـية الجريئة ضد السيطرة الامريكية على بلاده . وقد بدا هذا من خلال روايته « لقـــاء في وستفاليا » التي تدور حول مجموعة من الادباء يقررون انشاء قومية المانية رغم الصعاب التي يتعرضون لها ..

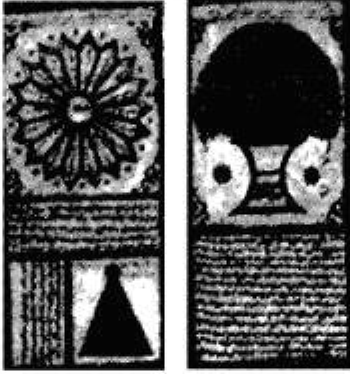
يكتب كي يسيل لهاث القاريء . أما بالنسبة للسياسيين فلا احد يعرف في أي اتجاه هو تارة يهاجم المعســـكر الشرقي ـ كما حدث في روايته الاخيرة « جاسوس متميز » التي صدرت في الشهر الماضي . وتارة يهاجم المخابرات الغربية مثلما فعل في روايته « التلميذ المحترم » التي نشرها عام ١٩٧٧ .

جاءت شهرة لوكاريه ـ وهو اسـم مستعار للكاتب ـ مع رواية «الجاسوس الذي أتي من البرد » عام ١٩٦٤ حول هروب رجل مخابرات انجليزي عبر سور برلين . وقد تتابعت رواياته الاخرى مثل « ناس من سميلي » ١٩٧٩ والتي تحولت الى مسلسل تلفازي شهير . ثم « الطبالة الصغيرة » التي نشرها عام ١٩٨٢ حـول تورط المخابرات الاسرائيلية في تصفية بعض رجال المقاومة الفلسطينية .

جون لوكاريه







في طشقند يدرسون المخطوطات الشرقية العريقة

ان معهد المخطوطات التابع لاكاديمية العلوم الاوزبكية هو من أحدث مؤسسات البحث في هذه الجمهورية من جمهوريات اسيا الوسطى السوفييتية ، وقد تأسس قبل عشرة أعوام .

يقول يعقوبجون جورايف نائب مدير المعهد : ان مهمتنا هي كشف وحفظ وتحليل ونشر الاثار المكتوبة باللغات الصغوية والخوارزمية والتركية القديمة والاويغورية والاوزبكية القديمة والعربية والفارسية ، يتضمن رصيدنا اليوم أكثر من ١٠ الاف مخطوطة وكتاب من طبعات قديمة .

يتحدث امين الرصيد عبد الواحد شاكيروف قائلا : في حوزتنا اشياء ثمينة للغاية ، على سبيل المثال مجموعة مؤلفات على شير نوائي المشهورة تحت عنوان « خمسة » نسخة من عام ١٥٧٩ .

يضع شاكيروف بحذر وعناية مجلدا ضخما على الطاولة ويقلب صفحاته ببطء ليعطي الفرصة للامعان والتمتع بخط الكاتب وألوان الرسوم الصغيرة البديعة التي تبدو كأنها رسمت اليوم ، رغم مرور قرون عديدة عليها .

ويحتوي الرصيد كذلك على كتب نادرة مثل تفسيرات كل سطر لمؤلفات حافظ لشيرازي ، الذي خلد ذكره بفضل نزلياته المكتوبة باللغة الفارسية .

كما يوجد مجلدان للشاعر حافظ الخوارزمي ، أصدرهما المعهد ، وحتى مدة قصيرة ، لم يعرف أي شيء عن هذا الشاعر الذي ولد قبل خمسمائة عام في خوارزم ، والذي كان يكتب أشعاره باللغة الاوزبكية القديمة . وقد عثر على مؤلفاته في متحف مدينة حيدر أباد الهندية ، البروفيسور حميد سليمانوف مؤسس معهد المخطوطات ، الذي يحمل اليوم اسمه .

كما اكتشف في الهند أيضا ، معجم موسوعي باللغة الاوزبكية القديمة من ثلاثة مجلدات كتبت باليد ومؤرخة في القرن الثامن عشر وكذلك ديوان الشاعر زيبونيسو « القرن السابع عشر » .

ويقوم المعهد باصدار نشرة « الثروة الادبية » تضم الدراسات والابحاث العلمية للباحثين العاملين بالمعهد . لقد حظي بتقييم عال من جانب الخبراء والقراء اليوم رسوم مصغرة رائع لمؤلفات على شير نوائي ومؤلفات خسرو ديهلوي من اعداد فاضلة سليمانوفا . ومنذ تسعة أعوام يصدر المعهد سلسلة «مختارات الشعر الشرقي» التي حظيت بشهرة عالية . وتصدر هذه السلسلة باللغة الروسية والاوزبكية وقد صدرت منها مؤلفات نوائي وبابور وماشراب وفورقاط وابن سينا وموقيمي وأوغاهي ونظامي وزيبونيسو وأويسي نوديرا وعمر الخيام والسعدي وغيرهم من المؤلفين . تصدر هذه الكتب بأحجام صغيرة وغنية برسوم مصغرة شرقية .

وجهة نظر

بقلم : د. محمد عامر

العلاقة بين الدين والعلم

يبدو ان استعدادنا فى الحاضر للنظر فى الجديد، او لاعادة النظر فى القديم، ليس بافضل من استعداد اجدادنا فى الماضى . فنحن لا نزال نعتبر ان القول بان رايا ما ، او فكرا ما ، او اتجاها ما ، يتعارض مع ما هو سائد ، نوع من تجريح ذلك الراى ، او الفكر ، او الاتجاه .

فالقول بان هناك تعارضا بين العلم والدين يعتبر فى المجتمعات التى فيها السيادة للدين تجريحا للعلم ، بينما يعتبر تجريحا للدين فى المجتمعات التى فيها السيادة للعلم .

واذا ما كان هناك تعارض ، أو مظنة تعارض ، بين فكرين عزيزين على مجموعة من البشر ، أو على مجموعتين تعيشان فى مجتمع واحد ، فكثيرا ما يلجأ الناس الى التجاهل او التلفيق أو التوفيق . والتجاهل والتلفيق قد يساعدان على الاستقرار النفسى ، وايضا الاجتماعى على المدى القصير . الا انهما يضران بقضية التطور على المدى الطويل ، كما أنه يصعب الدفاع عنهما فى أى مجتمع يقدر الامانة الفكرية . أما التوفيق فبامكانه أن يلعب دورا ايجابيا فى قضية الاستقرار النفسى والاجتماعى . فى ذات الوقت الذى يلعب فيه دورا ايجابيا فى قضية التطور . ومحاولة التوفيق قد تتطلب جهودا فكرية عميقة ومثابرة ، واذا ما جرت على اسس سليمة فسيكون من الصعب اتهامها بعدم الامانة . وحتى ان فشلت محاولات التوفيق ، فانها ستساعد على احسان الاختيار ، ان لم يكن هناك بد من الاختيار .

والمقصود بالدين هنا أى دين ، وليس دينا واحدا بعينه دون غيره .

ـ يسعى العلم الى وضع نظريات تربط الظواهر الكونية ، والبشر ومجتمعاتهم جزء منها ، بعضها ببعض . أو هو يفسر الظواهر الكونية بظواهر كونية اخرى . ولذا فانه لن يصل الى تفسير شامل وكامل ونهائى أبدا .

بناء على هذا فان قضية المحرك الاول ، او المسبب الاول ، او الخالق الاعلى الذى

هو فوق الكون ، تقع خارج اختصاص العلم . فالعلم لا ينفي وجوده . كما أن اثبات او نفي وجوده ليس ضروريا لبناء فلسفة علمية ، سواء عنينا بهذا فلسفة تتبنى العلم ، أو فلسفة يقوم عليها العلم ، وتساعد على تطوره ، أو الاثنين معا . وهذا يفتح الباب للتوفيق بين الدين وكل من العلم والفلسفة العلمية . اذ أن اثبات وجود الخالق الاعلى يمكن أن يكون متسقا مع كل من الآخرين .

وبناء عليه ايضا ، فان ارجاع الظواهر الكونية ـ بما في ذلك الظواهر المتعلقة بالبشر ومجتمعاتهم ـ الى اسباب خارج الكون ، أمر يتعارض مع العلم « الا أن يأتي هذا الارجاع كتحليل نهائي ، أو كسبب أخير » .

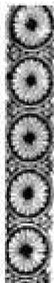
ـ ولان للعلم جاذبية طاغية في عصرنا هذا ، فان كثيرا من الذين يفسرون اديانهم بطريقة تجعلهم يرجعون بعض الظواهر الكونية الى أسباب خارج الكون . يتحرجون من القول بأن تفسيرهم ، أو دينهم ، يتعارض مع العلم . ويفضلون أن يقولوا ان تفسيرهم ، أو دينهم ، يتعارض ـ مثلا ـ مع الماركسية ، أو الوضعية المنطقية ، أو مع نظرية بعينها كنظرية التطور . وحتى عندما يفعلون هذا يفضلون أن ينزعوا صفة العلمية عن نظرية التطور « أو غيرها » على أن يقولوا ان تفسيرهم يتعارض مع نظرية علمية . وهذا نوع من تقديس العلم ، أو من الخضوع لتقديس العلم ، لا مبرر له . وهو يقع في اطار التجاهل أو التلفيق اللذين علقنا عليهما في اول حديثنا .

ـ حتى بالنسبة الى التفسيرات الواردة في هذا الصدد فنوع ما من التوفيق قد يظل واردا ـ ليس مع العلم كله ـ ولكن مع جوانب أو أجزاء منه . فمثلا قد يكون التوفيق ممكنا مع العلوم الطبيعية والبيولوجية دون الانسانية . أو مع العلوم الطبيعية دون البيولوجية والانسانية أو ..

ـ بينما يظل التعارض قائما حتى ان لم يكن العلم قد توصل الى تفسير للظواهر التي يرجعها البعض الى اسباب خارج الكون . لان التفسير الخارجي سيعطي الانطباع بانه لا توجد مشكلة . في حين ان النهج العلمي يقتضي القول بان هناك مشكلة . والسعي الى ايجاد حل لها .

ـ كيف يكون الحال اذا ما استقى اصحاب تفسير ما ـ لدين ما ـ من فهمهم لدينهم تفسيرا كونيا لظواهر كونية ؟ يمكن ان يكون هذا متوافقا مع العلم اذا ما اخذ هذا التفسير على انه فرض يخضع لما يخضع له غيره من فروض العلم حتى يقبل او يرفض او يعدل . اما الذى يتعارض مع العلم فهو ان يؤخذ هذا التفسير الكوني للظواهر الكونية على انه حقيقة ثابتة ، حتى وان كان متفقا او متطابقا مع النظريات العلمية المعاصرة له . ذلك لان النظريات العلمية خاضعة لاعادة النظر في اى وقت . واضفاء اى نوع من القدسية الدينية او غير الدينية . على اى منها يعوق اعادة النظر فيها . (راجع مثلا مشكلات الانتقال من فلك بطليموس الى فلك كوبر نيكوس وجاليليو . وايضا مشكلات الانتقال الى نظرية التطور من نظريات ظهور الانسان على الارض السابقة عليها) .

تتضمن صياغات بعض الفلسفات التي تنسب الى نفسها انها علمية ، مقولات من الصعب ـ ان لم يكن من المستحيل ـ اى توفيق بينها وبين اى تفسير لاى دين . وبعض صياغات الفلسفة الماركسية تقول بان الكون لا نهائي من الزمان والمكان . وان الله لم يخلقه . وهذا القول ـ بلا نهائية الكون ـ اقحام للفلسفة على العلم . فقضية لا نهائية الكون تقع في اطار علم الكون ، ولا يجوز لفلسفة تنسب الى نفسها انها علمية أن تتخذ منها موقفا مسبقا . اما القول بان الله لم يخلق الكون فلا يمكن قبوله على اساس علمي . لان قضية الخلق ـ كما اسلفنا ـ تقع خارج اختصاص العلم . ويمكن للماركسية أن تترك الباب مفتوحا لمواقف مختلفة من قضية الخلق دون اية مساومة على العلم .





فى فكر الأستاذ المودودى:
هل هناك تناقض بين الوطنية والإسلام؟

بقلم: د. محمد عمارة

قبل تقسيم الهند كان « حزب المؤتمر الهندى » يستقطب جمهور الحركة الوطنية الهندية ، واليه انضمت جماهير الوطنيين المسلمين الهنود .. ومن لم ينضم من المسلمين ، ذوى الاهتمام بالعمل السياسى الى « حزب المؤتمر » انضم الى « حزب الرابطة الاسلامية » وكانت للفكرة الوطنية مكانة بارزة ودور محورى فى فكرية كل من الحزبين .. فهما حزبان وطنيان بالدرجة الاولى، همهما الاكبر تحرير الوطن من الاستعمار الانجليزى .وانجاز مهام الثورة الوطنية ، واقامة سلطة وطنية ـ بدلا من السلطة الاستعمارية ـ فى الوطن المستقل ـ هندا كبرى ـ كما كان يريد « حزب المؤتمر » ـ أو باكستان المسلمة ـ كما كان يريد« حزب الرابطة » .

وكان خلاف الاستاذ المودودى مع « حزب الرابطة » حول « درجة اسلام باكستان »؟! لكن خلافه الاكبر كان مع « حزب المؤتمر »، لتوجه هذا الحزب « **وطنى** » ، وهو يريد الهند الموحدة ، غير ملق بالا للتعدد الحضارى لقومياتها ، استنادا الى أنهما « **وطن واحد** » ، وعلى حين كانت دعوة المودودى « اسلامية » كانت دعوة « حزب المؤتمر » « **وطنية** » .. فكانت هذه « الوطنية » هى حجة الحزب ضد تقسيم الهند ، وضد التعددية القومية ، حتى لقد غدت ـ « الوطنية » ـ الفكرية ـ « الايديولوجية » ـ التى تجمع التيار الذى يعاديه الاستاذ المودودى . فبلغ فى هجومه عليها ـ بمعناها هذا ـ وعداته لها حداً جعل العديد من صياغاته وعباراته ـ فى تلك الفترة الزمنية ـ يوهم الذين لا ينظرون الى هذه الصياغات فى ضوء هذه الملابسات بان الرجل لم يكن مؤمنا « بالوطنية » . وانه قد أسقط من حسبانه « دائرة الولاء للوطن » الذى نشأ فيه ، لحساب « الاسلام » .. الامر الذى أتاح لجزئى النصوص ـ كما صنعوا مع فكره القومى ـ افتعال وجود تعارض بين « الوطنية » و « الاسلام » ! ..

لكننا اذا سبرنا غور فكر الرجل حيال « الوطنية » ، فانا واجدون عداءه موجها لها اذا كانت ـ هى ـ نقيضا للاسلام ، وبديلا لاسلمة الدولة والحياة ، وسبيلا يستر هيمنة الاغلبية الهندوكية على الاقلية الاسلامية .. مع حدة فى الصياغات أحيانا ، تحدث لبسا اذا هى لم تعرض على الصياغات الاخرى الاكثر انضباطا فى هذا الموضوع .

ولذلك ، فان منهجنا فى جلاء حقيقة موقف المودودى من هذه القضية يستلزم أمرين :

١ ـ التنبيه الى العبارات التى بلغت بالحدة ، حد التعميم والاطلاق ـ والتى صيغت فى مرحلة ما قبل تقسيم الهند ، عندما كانت معركة المودودى الاساسية ضد الحزب الوطنى والفكرة الوطنية ، الداعية الى هند واحدة ، باعتبار أن « الوطنية » هى الرباط الكافى لقيام « القومية الواحدة » .. فضد هذه « القومية ـ الوطنية » ـ التى سماها المودودى « القومية السياسية » ـ كانت معركته الكبرى .. وفى هذه العبارات والصياغات مال المودودى الى التركيز على نقد « الوطنية » والتقليل من شأنها ! ..

ينبه منهجنا الى هذه العبارات والصياغات مبرزا ملابساتها .. كما ينبه على عبارات وصياغات أخرى للمودودى ، فى ذات الفترة التاريخية ، لا تنكر أثر « الوطنية »، **لكنها تتحدث عنها كثمرة للاسلامية ، وليست كعامل ومحرك وقيمة مستقلة .. لان النظر اليها بهذا المعنى كان السند والمنطلق لتيار « حزب المؤتمر » الوطنى فى عدائه لاقامة دولة خاصة للقومية الاسلامية بعد الاستقلال .**

٢ ـ والامر الثانى ، الذى ينبه اليه منهجنا فى هذه الصفحات ، هو أن حديث المودودى عن « الوطنية » ، بعد استقلال المسلمين الهنود بباكستان قد تغيرت لهجته .. فلقد تراءت « الوطنية » ، فى صياغات له ، عاملا فعالا وطاقة فاعلة فى صيانة ودعم وبقاء الوطن الجديد ..

● الحكم الصالح ●

فى معركة المودودى ضد « وطنية » حزب المؤتمر ، التى حاول بها هذا الحزب نقض مبررات التعددية فى « القومية » والتعددية فى « الدولة » ، اكتسحت « حماسة » المودودى فى طريقها كل ما للوطنيه من فضائل مستقلة .. ولم ير فيها الرجل ـ فى تلك الفترة وأثناء تلك المعركة ـ سوى عدوه اللدود !؟ .. فكتب تلك العبارة الغريبة ، والبالغة فى غرابتها حد الشذوذ، والتى يقول فيها : « **لوثنية عدو لدعوة الاسلام ـ بعد الكفر والشرك ـ فهو شيطان الجنس والوطن (١)** » !؟ .. وهى العبارة التى بدون فهم ملابساتها ـ التى تحدثنا عنها ـ لابد وأن نسىء الظن بولاء هذا المناضل العظيم للوطن الذى ولد وشب وعاش فيه ! ..

وفى مواجهة « **الايديولوجية الوطنية** » لحزب المؤتمر ذهب المودودى على درب العداء لها الى الحد الذى أسقط فيه اى قيمة واى اعتبار « للعامل الوطنى » .. فعند



فى فكر الأستاذ المودودى:

ان الحكم الصالح هو المطلوب حتى ولو كان الحاكم انجليزيا .. مهملا التفكير فى امكانية ان يكون هذا الحكم صالحا وغير وطنى ! ومتناسيا ان الوطنية، فى ذاتها، نوع ودرجة من «صلاح» السلطة الحاكمة .. كما ان غربة السلطة، فى ذاتها، عدوان لابد وأن ينافى «الصلاح»! ..

يقول المودودى، فى نص من نصوصه هذه المتميزة بتكثيف المثالب على الفكرة التى يعاديها الى الحد الذى يوقعه فى التعميم والاطلاق وسلبيات «النظرة وحيدة الجانب» ...: «ان القضاء على الاستبداد الانجليزى أمر ضرورى، بل هو واجب كل فرد يعيش فى هذه البلاد، ولا يمكن لأى مسلم حقيقى أن يقبل أبدا الخضوع للعبودية والاستبداد .. ولكن يجب الا ننسى فى ثورة الحماس أن نظرية المسلمين، فى معارضة السيطرة الانجليزية، تتعارض تماما مع نظرية الوطنيين، فلو قام العداء بيننا وبين الانجليز على أساس انهم ليسوا من سكان هذا الوطن، فلايمكن اعتبار هذا عداء اسلاميا، بل هو عداء جاهل، ولو قام العداء بيننا وبين الانجليز على أساس أنهم قوم غير صالحين، يحكمون البلاد بطريقة غير شرعية، ينشرون الظلم بدلا من العدل، يقومون بالفساد فى الارض بدلا من الاصلاح، فهذا بلا شك عداء اسلامى، ومن هنا تقوم الصداقة والعداوة على أسس معيارية، لاعلى اسس وطنية، فلو قام أحد باتباع نفس نهج وسلوك الانجليز، فلا يمكننا الوقوف بجانبه لانه من مواطنينا، اذ لا يوجد فى الاسلام وطنى او غير وطنى، فالاسلام يمكن أن يعانق ويحتضن كلا من صهيب «الرومى» وسلمان «الفارسى»، لكنه لا يمكن أن يقيم صداقة مع مواطنيه من مثل أبى جهل «العربى» وأبى لهب «العربى»، وهكذا، فنحن كمسلمين لا يجب أن نضع أفكارنا فى قالب الوطنية، بل يجب ان تصاغ على أساس العدالة والحق. ان واجبنا، كمسلمين، هو تحطيم قيود العبودية والسيطرة الانجليزية، ولكن لا يجوز لنا أبدا أن نساعد على قيام مثل هذه الحكومة التى تقوم على نفس الاسس التى وضعتها الحكومة الانجليزية، سواء كانت حكومة وطنية او غير وطنية..!» (٢).

انه من المفهوم - والمشروع - فى حالة الاستاذ المودودى النضالية، ذات الخصوصية التى سبق حديثنا عنها، من المفهوم والمشروع أن يعارض وحدة الهند القومية، المؤسسة على وحدة الوطن وفكرة الوطنية وحدها.. ولكن غير المفهوم وغير المشروع أن يذهب به العداء «لصلاحية الوطنية وحدها» كى تكون قاعدة ومبررا لوحدة الهند، الى تجريد «الوطنية» من آية صلاحيات .. الامر الذى أوقعه فى العديد من الاخطاء:

● فالوطنية، بمعنى الولاء للوطن، فى حد ذاتها «معيار» يقاس به صلاح الحكم وفساده .. وحزب المؤتمر اذا حكم الهند بفكرة الوطنية وعلى أساسها، لا يمكن أن نساويه مع الانجليز اذا حكموها بذات الفكرة وعلى أساسها .. لاسباب كثيرة اهمها استحالة حكمهم لها بفكرة الوطنية، لان الوطنية ولاء الوطن، ووطن الانجليز هو انجلترا وليس الهند .. لقد حكم المماليك - وهم ترك - مصر .. وحكمها العثمانيون - وهم ترك أيضا - لكن الخلاف بين السلطتين - وهما مسلمتان - لا يمكن أن تخطئه العين .. فولاء المماليك كان لمصر، يجلبون لها الخيرات، ويجعلونها مركز سلطنة ودار خلافة .. أما العثمانيون فكانت فى نظرهم مصدرا للجزية، ومنبعا لدعاء التقدم والتحضر الزكية التى نزفوها منها، فى صورة ارباب الحرف والصنائع والعلوم والفنون .. نزفوها منها، وحقنوا بها حاضرة سلطتهم! .. والفاطميون كانوا أجانب عن مصر، لكنهم بعد فتحهم لها لم يعودوا كذلك، فلقد أتوا اليها من المغرب ومعهم ثروتهم، بل ورفات آبائهم

واجدادهم ، فكانت وطنهم الذى جعلوه دار خلافة .. ولذلك ، فانهم - رغم خلاف المذهب - كانت دولتهم تسمى « الدولة المصرية » ! .. فالوطنية - بمعنى الولاء للوطن ، والتعمير فيه وله - وليس لمركز آخر - هى ، فى ذاتها ، قيمة و « معيار » من معايير تقييم الحكومات ..

● وليس صحيحا ما قاله الاستاذ المودودى - فى النص موضوع التعليق - من أن التعارض « تام » بين « نظرية المسلمين » و « نظرية الوطنيين » ..فنظرية المسلمين اسلامية .. والوطنية - بمعنى أن الولاء للوطن ، والنضال لتحريره من الانجليز - بعض من هذه النظرية .. وفى هذا الاطار وهذا الميدان - وهو هام - يوجد الاتفاق بين النظريتين .. والاستاذ المودودى ذاته - وفى ذات الكتاب الذى حكم فيه بالتعارض التام بين النظريتين - يقول : « ان هدفنا كمواطنين هنود هو نفس هدف حزب المؤتمر - أى تحرير الهند - . ان مشاعرنا وعواطفنا معه من اجل تحقيق الاهداف الوطنية المشتركة .. » ٤٣ !؟

لكنه الحماس الذى يدفع الرجل الى التركيز على جانب ، حتى لينسى الجوانب الاخرى للقضية موضوع الحديث !..

● ثم ان دولة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فى المدينة عندما احتضنت « صهيب » .. فانما احتضنته وولاؤه للعروبة الحضارية ، ومواطنته كانت فى هذه الدولة ، ولم يكن ولاؤه للروم الكفار .. وكذلك « سلمان » ، فلقد تعرب بالمعنى الحضارى لا العرقى - وغدا ولاؤه للعروبة ، بهذا المعنى ، وكان ولاؤه كمواطن لدولة المدينة ، وليس لفارس المجوسية ! .. ويشهد لذلك أن دفاع النبى عنهما وعن بلال انما قام فى وجه من أراد الانتقاص من عروبتهما ، فنبه النبى على انهم عرب ، باللغة والولاء والحضارة والفكر ، وقال : « ليست العربية بأحدكم من اب أو أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » ٤٤ !

● وكذلك ابو جهل وأبو لهب .. لقد كانا عربيين ، ولكن عروبتهما كانت عروبة الجاهلية العرقية ، وليست عروبة الحضارة التى نجاء الاسلام تزرعها بديلا عن العصبية الجاهلية « المنتنة » ! .. ولذلك فان ولاءهما لم يكن للوطن الذى انشأه الاسلام ، بل ضد هذا الوطن قاتلا فى صفوف المشركين .. فلم تجمعهما « الوطنية » مع المسلمين الذين أقاموا الدولة الجديدة للاسلام الوليد ! ..

لقد كان المودودى ، وطنيا حتى النخاع .. ومناضلا فى سبيل تحرير وطنه - الهند - من الاستعمار . لكن خلافه المبدئى مع « حزب المؤتمر » الذى جابه الفكرة الاسلامية والقومية الاسلامية بالفكرة الوطنية والقومية الوطنية - اى المؤسسة على عامل وحدة الوطن - وحده - قد تصاعد بحماسه الى الحد الذى جعله يفصل بين الوطنية وبين الاسلام .. ولو برئت صياغاته من هذا العيب لقال لنا ان هنالك وطنية اسلامية ووطنية هندوكية ، تناضلان ضد عدو واحد هو الاستعمار الانجليزى ، لحساب يتميز عند كل فريق .. فالوطنية الاسلامية غايتها وطن اسلامى للقومية الاسلامية والوطنية الهندوكية يجب أن تكون غايتها وطن هندى للقومية الهندوكية ، وليس - كما يريد حزب المؤتمر - وطن هندى تقهر فيه القومية الهندوكية غيرها من القوميات .. تلك هى الصياغة المثلى فى التعبير عن الفكرة الحقيقية للاستاذ المودودى !؟..

● دولة عقيدة ●

ولقد ذهب الاستاذ المودودى - فى المرحلة التى سبقت تحرير الهند وتقسيمها - على درب « الفصل » و « التعارض » بين « الاسلام » و « الوطنية » شوطا بعيدا .. فتناثرت فى كتاباته نفس الافكار ، وأخذ يجمع للتدليل على صحتها الوقائع والاسانيد ..

فهو يجرد الدعوة الاسلامية ، والمجتمع الاسلامى الاول والدولة الاسلامية الاولى من « المحتوى الوطنى » فهى - عنده -





فى فكر الأستاذ المودودى :

دعوة عقيدة .. ومجتمع عقيدة .. ودولة عقيدة - ميراة من فكرة الوطنيــة ونداء الوطنية ودعوة الوطنية .. لكنــه يستدرك فيقول أن هذه العقيــدة حققت لاهلها ودولتها . ومجتمعها ما يمكن ان تحققه الوطنية .. (*)

ولقد كان الاوفق لو أن الرجل قال ان هذه العقيدة - فى ذلك المجتمع - قــد تجسدت فى دولة ، تحكم وطنا ، رعيتــه مواطنون .. وأن الدفاع عن « المدينــة » كان دفاعا عن وطن العقيدة واهلهــا .. فليس هناك تناقض بين الاسلام وبين الوطنية الاسلامية ، بل ولا أصل ، وأنما التناقض بين « الوطنية الاسلامية » المسلمــة ، و « الوطنية المشركة » الوثنية .. فما دام الاسلام « دينا » قد أقام « دولة » ، فهو شامل للوطنية التى تجعل ولاء هذا المسلم لوطن هذه العقيدة جزءاً من شــعائر الاسلام ! ..

تلك كانت ملابسات الصياغات « الاثارية » التى صاغها المودودى عن « الوطنية » وعيبه مركزة فقط على « وطنية حزب المؤتمر » ، فجاءت حاملة لقدر من اللبس الذى يتيح لقليلى العلم وسيئى النية أن يصــوروا الرجل بما هو منه براء !! ..

والامر الذى يؤكد تفسيرنا هذا لحقيقة موقف المودودى من فكرة « الوطنية » كقيمة من القيم التى تشد الانسان برباط الولاء والانتماء لوطن من الاوطان ، دون أن تكون بالضرورة سجنا يحول بين الوطنى وبين أن يشمل بولائه - المتدرج - دوائر أخــرى خلف حدود وطن الولادة والمنشأ - .. الامر الذى يؤكد تفسيرنا هذا .. هــو كتابات المودودى نفسه - فضلا عن حبه لوطنــه ، الذى حمله مناضلا فى سبيل تحــريره وترقيته - فعنده أن الرسول ، صــلى الله عليه وسلم ، « قد ترك وطنه مكة وهاجــر الى المدينة مع أصحابه » .. وهذه الهجرة كانت فى سبيل « العقيدة » ، لكنهــا لا تنفى « الحب الفطرى للوطن » ، الذى كان يعمر قلب النبى وصحبه تجاه وطنهم مكة .. « فقلبه الشريف وقلوب صحابته لم تكن خلوا من حب الوطن الفطرى الذى يولد مع كل انسان ، فقد قال وقت هجرته مخاطبا مكة : « والله انك لاحب البلاد الى ، ولولا ان اهلك أخرجونى منك ما خرجت .. »

ولما وصل سيدنا بلال الى المدينة ألم به المرض ، وهاجت ذكريات مكة فى خاطره . فخرجت من فمه هذه الابيات المشهورة التى امتلأت لوعة وحسرة :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وجليــل ؟
وهل أردن يوما ميــاه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟! .. »

كتب المودودى هذه السطور .. لكن وقفة الشيخ حسن البنا أمامها كانت أجود مــن وقفة المودودى ، فلقد استشهد بها البنــا

حسن البنا



على أن حب الوطن « فريضة اسلامية لازمة لا مناص منها ، ان يعمل كل انسان لخير بلده ، وأن يتفانى فى خدمته ، وأن يقدمه فى العمل على سواه ، وان يقدم أكبر ما يستطيع من الخير للامة التى يعيش فيها » (٨)

والذين يرون أن « حب الوطن فطرة تولد مع الانسان » ، ولابد أن يروه « واقعا » لا يصادره الاسلام ولا يتجاهله ولا يقفز عليه .. ولقد كانت « مكة » ـ مع شركها ـ أحب بلاد الله الى رسول الله ، لانها الوطن الذى ولد وشب فيه .. لكنها لم تكن أحب اليه من الرسالة التى اصطفاه لها الله ! ..

● والمودودى يجيد تصوير العلاقة بين « المسلمين الهنود » وبين «الوطنية الهندية» فهم معها .. وهى جزء من غايات نضالهم، لكنها ليست نهاية المطاف وكل الاهداف ، كما هو الحال مع « الوطنيين الهنود » ، وانما للمسلمين مرحلة أخرى وغاية أبعد وهى أن تكون « حرية الوطن » سبيلا ـ « أسلمة هذا الوطن » ! .. « فللمسلمين فى الهند ، صفتان :

الاول : هى أنهم « مواطنون هنود » ..

والثانية : أنهم « مواطنون مسلمون »..

وهم يشتركون ، من حيث الصفة الاولى، مع بقية مواطنى الهند فى كل ما يحل بالبلاد وما تتعرض له .. أما فيما يتعلق بالصفة الثانية ، فان لقضايا المسلمين قضايا منفصلة تتعلق بالمسلمين والمسلمين فقط دون غيرهم .. أن الحرية هى هدفنا كمواطنين هنود وكمواطنين مسلمين .. ـ « أما الوطنيون فقط فيقولون » : ان حرية الوطن لها طريق واحد ، وهو الطريق الذى يمكن أن نسلكه كمواطنين هنود فقط.» (٩).

ان اخلاص المودودى لقضية تحرير الهند لاشك فيه ، ففكره ونضاله تجسيد لهذا الاخلاص .. لكنه كان ينبه على ضرورة التمييز بين وطن اغلبيته مسلمة ، وقوميته مسلمة ، وبين وطن متعدد القوميات ، والقومية المسلمة فيه أقلية ..ففى الحالة الاولى تكون حرية الوطن ، بلا منازع ، رصيدا ايجابيا يكسب منه المسلمون ..أما فى الحالة الثانية فان هذه الحرية قد تعنى ـ اذا لم تكن للمسلمين « حاكمية اسلامية » فى الوطن المستقل ـ وقوع المسلمين فى استعباد « حاكمية غيراسلامية » من نوع جديد ! ..

فهو يتساءل : « لماذا ترغب أية أمة فى الحرية ؟! »

ويجيب : « من أجل الحفاظ على نمطها القومى ، ورغبتها فى التطور والرقى .. »

ثم يستطرد : « .. انه فى البلد الذى تعيش فيه عدة أمم تتمتع كل منها بنمط قومى مختلف عن النمط القومى للامم الاخرى، لا يجعلنا نقول : ان حرية الوطن المحضة تعنى حرية كل أمة من الامم .. فحكم الاغلبية فى هذه الحكومة الحرة سيعنى أن الحرية القادمة ستكون مقصورة على الامة التى تتمتع بالكثرة العددية ، ولن يكون لهذه الحرية أى معنى بالنسبة للامم الاخرى قليلة العدد .. انها ستتخلص من استبداد الاجنبى لتخضع لسيطرة أمة أخرى من أمم وطنها .. وكذلك الحال فى تقاسم ثروة هذا الوطن ! » (١٠)

لقد كانت مشكلة المودودى أن قيادة الحركة الوطنية فى الهند ليست فى يد المسلمين ، ومن ثم فان قطار الحرية لن يتجه الى محطة الاسلام .. ولذلك كان نضال الرجل من أجل قيادة اسلامية ، لا تهجر قطار الحرية ، وانما تجعل من محطاته محطة الاسلام ! .. فلايجب أن تقع قيادة المسلمين فى يد عبيد الانجليز، أوفى يد عبيد الهنادكة ، بل علينا أن نحاول جاهدين أن تكون هذه القيادة فى يد تلك الجماعة التى تكون على استعداد لمشاركة بقية الطوائف من أجل تحرير الهند تحريرا كاملا ، على أن تكون هذه الجماعة مستعدة ـ مهما كانت الظروف ـ للتضحية بالمصالح الاسلامية .. »

تلك هى الصورة الكاملة للوطنية ، كما رآها المودودى ، فى المرحلة التى سبقت استقلال الهند ، وتقسيمها .. وقيام الوطن المسلم : باكستان ...

● حب الوطن ●

وعندما قامت باكستان سنة ١٩٤٧ ، تحدث عنها المودودى أكثر من حديث



فى فكر الأستاذ المودودى :

الشاعر فى الوطن الذى يهيم به ويتغزل فيه .. فهى ليست مجرد وطن ، « بل هى بيت الاسلام » .. وفيها سيقوم « المثال العملى لفلاح هذا الدين ونجاحه .. ويجب علينا أن نصونها ونحافظ عليها بشتى الطرق وبأى ثمن .. »

ورغم أن مسيرة المودودى فى وطنه المسلم باكستان قد كانت مليئة بالعقبات والاشواك .. ففى هذا الوطن اعتقل لاول مرة فى حياته .. وتكرر سجنه واعتقاله .. وصدر ضده حكم بالاعدام .. الا أن لغة « حب الوطن » والدفاع عنه قد علت ، دون تحفظات ، فى كتابات المودودى « الباكستانية » .. صحيح انه تحدث بوعى ناضج عن وجوب امتلاء وعاء الوطنية بالمضامين والحقوق الاجتماعية والسياسية التى تحققها الوطنية للمواطنين .. وعن مخاطر ذبول العاطفة الوطنية لدى الفقراء « اذا حرموا من العدل، وحيث يجعل الظلم الاقتصادى الناس فريسة الفقر المدقع، واذا افتقد الانسان فى الوطن المكان الذى يحفظ عليه حقوقه وكرامته وعزته وامنه .. »

كل هذا صحيح .. وجيد .. ولكن المودودى ظل يتحدث عن الوطن والوطنية ، وحبه لباكستان ، وصبره على جورحكوماتها، وعدم يأسه من التغيير والاصلاح .. وكما لو كان لسان حاله هو قول الشاعر :

بلادى ، وان جارت على ، عزيزة
واهلى ، وان ضنوا على كرام .

فهو يكتب الى احد اخوانه رسالة يسطر فيها عن « الوطنية » سطورا مضيئة يقول فيها :

« ... على كل انسان فرض تجاه البلد الذى ولد فيه .. ان وطن الانسان هو مجال عمله ، وهلد فطرة وطبيعة ، حيث يعرف الانسان لغة هذا الوطن وعاداته وتقاليده . والآن ، اذا كانت الارض ارضا صخرية ، فلنحاول معها ، وعلينا ان نرى هل يمكن ان تنبت البذور او الشتلات ، ام لا !؟ .. »

كتب المودودى هذه الكلمات فى ١٦ مارس سنة ١٩٤٩ م .. وكان قد اعتقل اعتقاله الاول ، ولما يمض على قيام باكستان اكثر من ثلاثة عشر شهرا ! .. لكن المحنة .. والاعتقال .. والمخاطر والظلمات التى تكالبت على حلمه الوليد .. لم تجعله يتخلى عن عشق « الوطن » والتغنى « بالوطنية » ..

هوامش

(١) (الحكومة الاسلامية) ص ١٤٩ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
(٢) (المسلمون والصراع السياسى الراهن) ص ٣٣ ، ٣٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٨١ م .
(٣) المرجع السابق . ص ٥٤ .
(٤) ابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) جـ ٢ ص ١٩٨ . طبعة دمشق .
(٥) المسلمون والصراع السياسى (الراهن) ص ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٧.
(٦) أذخر وجليل ومجنة وشامة وطفيل : معالم بمكة المكرمة
(٧) (الحكومة الاسلامية) ص ١٥٦ .
(٨) (رسالة المؤتمر الخامس) ص ٥٥ ومابعدها . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
(٩) (المسلمون والصراع السياسى الراهن) ص ٤٥ .
(١٠) (الامة الاسلامية وقضية القومية) ص ٣٧ ، ٣٨ . وانظر كذلك صفحات ٣٣ ، ٦١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٣٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٨١ و (المسلمون والصراع السياسى الراهن) ص ٣٩ ـ ٤١ .



● العقاد والزواج ●

● طالعتنا مجلة الهلال الغراء في عددها الصادر في ابريل ١٩٨٥ بمقال "العقاد ورايه في البغاء والزواج" للأستاذ محمد سيد كيلاني يقول ان العقاد سخر من الشيخ محمود ابو العيون عندما دعا إلى إغلاق بيوت البغاء في مصر . ولقد طالعنا كل كتب العقاد فلم نجد هذا المقال ولقد كتب العقاد كتبا جاءت فيها احاديث عن الزواج والحث عليه لبناء مجتمع اسلامي وانظر كتاب "حقائق الاسلام واباطيل خصومة من ص ١٤٧ : ص ١٦٨ وانظر كتاب المراة في القران ص ٧٢ : ص ٨٤ وانظر كتاب "هذه الشجرة" وهو تحليل نفسي لشخصية المراة في القديم والحديث .

والعقاد جاء شعره كله في العمق النفسي والفني والفلسفي ولم يكن مقلدا بل كان مجدداً ولقد استشهدت كتب كثيرة صدرت منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن بنصوص كاملة من كتب العقاد . اما اذا لم تستطع ان تنال من العقاد في حياته بل اردت ان تنال منه في مماته فالعقاد مازال حيا في كل عقولنا وقلوبنا وهدانا الله وإياك لحسن السبيل

رجب عبدالحكيم بيومي الخولي
دار العلوم - القاهرة

● لماذا لم يتزوج العقاد ؟ ● ●●●●●●●●●●●●

● بمناسبة الزوبعة المثارة حول رأى العقاد في الزواج والبغاء . نرجو إجابتنا عن هذا السؤال : لماذا لم يتزوج العقاد طوال حياته . بالرغم من ثبوت قصص حب منسوبة إليه . كحبه لسارة والممثلة السمراء . فضلا عما يقال من حبه للأديبة مي . إلى غير ذلك من قصص الحب التى نجهلها ويعرفها غيرنا ؟!

محمود عبدالعظيم عبدالواحد
اسيـــوط

● تعليق شرح العقاد ـ رحمه الله ـ عدم زواجه وعلل ذلك بانه انشغل بمقارعة خطوب الدنيا حتى تجاوز سن الزواج ، ولما فاته قطار الزواج وجد من الصواب الا يدخل فى تجربة زواج فاشل وهو فى سن الكهولة ، وقد كان صريحا فى تبيان هذا المعنى !..

● لماذا التشهير بالعقاد ●

● عاود الاستاذ كيلانى تناول العقاد وتراثه فى عدد ابريل من الهلال ، وهو فى كل ماكتب قصد التجريح والتشهير فى الجانب الاجتماعى الذى يعالج فيه العقاد قضايا المراة والزواج والاسرة والجنس ، وكان الاجدر به ان يعالج هذا الموضوع من خلال كتابات العقاد فى مجموعها فى مقالاته ومؤلفاته والدراسات التى كتبت عن التراث العقادى فى هذا المجال واهمها "المراة فى حياة العقاد" للاستاذ الدكتور عبدالحى دياب .

والعقاد فى كتاباته ومؤلفاته عالج هذه القضايا بنظرة موضوعية وشاملة منذ ان عاصر منذ بداية حياته الادبية والفكرية حركة تحرير المراة المصرية والنهضة النسائية ، واعتبر المراة قطب الرحى فى المجتمع ودعامة الاسرة وقوتها واعترف بحقوقها وبان النهضة لاتتم دونها ، فكتب فى "خلاصة اليومية" يقول : "لا ينبغى ان يقتصر الغرض من تربية البنت على تعليمها كيف تكون زوجة الا اذا كنا نعلم الفتى فى المدارس ليكون زوجا ، والواجب ان نعنى اولا بتعليمها ماتنشا به امراة قادرة على النهوض بنصف اعباء الهيئة الاجتماعية" . وكان موقفه من هذه القضايا جامعا بين الاصالة والمعاصرة ، محافظا على التقاليد والاداب الاجتماعية والشرائع السماوية من ناحية ، ودافعا بقلمه لحركة المراة والاسرة فى طريق التقدم العصرى من ناحية اخرى .

ولم يكن العقاد معارضا لالغاء البغاء فى المجتمع المصرى ، بل انه نظر الى هذه الظاهرة النظرة العلمية للباحث الاجتماعى الذى يربط الظاهرة باسبابها فكتب عن هذه الظاهرة فى خلاصه اليومية "كان البغاء يكثر او يقل حسب اشتداد تلك القيود ـ يقصد القيود الاجتماعية ـ او ارتخائها تبعا لاعتداد الرجل بقوته البدنية او قلة قيمتها عنده" ويستطرد الى القول "اذا بحثنا عن علة لهذا البغاء فلا نبحث عنها فى الرجل او المراة فانهما لم يتغيرا فى طبيعتهما عن ذى قبل ، انما نبحث فيما تغير من تلك القيود والحدود .. والذى علينا ان ننتظر حتى يهيىء المجتمع نفسه كما يلائم هذه الحال او تحدث لنا قيود جديدة فى موضع تلك القيود المنحلة" وهذا الكلام كتبه العقاد سنة ١٩١٢ سابقا بسنوات طويلة حواره مع الشيخ محمود ابو

العيون . دفعاه ضرورة تغيير المناخ والظروف التى تؤدى الى ظهور هذه الظاهرة فى المجتمع . وان العلاج يكون باحلال قيود وضوابط اخلاقية بدلا من القيود المنحلة . فالخلاف بين العقاد وابو العيون لم يكن على مبدأ الالغاء وانما على توقيته وظروفه كي لا يستغل هذا المطلب استغلالا سياسيا فيه قدر من الاتجار والمزايدة بالدين ، وهذا مارفضه العقاد من الشيخ «ابو العيون» .

وهو يرى ان الزوجية ليست شركة بين اثنين وانما هي وظيفة اجتماعية يشترك كل من الزوجين فى اداء حصتها من الفرائض والتكاليف ويحق للمجتمع ان يفرض القوانين التى تمكنه من الاشراف على امانة هذه الوظيفة ولو دعا الامر الى الحد من حرية الرجل والمرأة التى تفرض لهما وهما فردان مستقلان .

وكان العقاد يرى فى فقدان الشعور بالانتماء الاسرى نقصا خطيرا فى شخصية الانسان وتكوينه فكتب في ذلك يقول "اذا فقد الانسان هذا الشعور الحميم لم يكن قصارى الامر عنده ان يعانى نقصا بيولوجيا يؤثر فى الغريزة والعقل ويدل على ان المسألة فى اصولها مسألة الحياة لا مسألة الاوضاع والانظمة والقوانين . فالاسرة ضرورة انسانية وحيوية واجتماعية تحمى الانسان الفرد وتحقق مطالبه الانسانية والبيولوجية

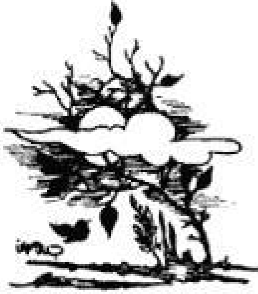
وينظر نظرة المفكر الاجتماعي الى تشريعات الاحوال الشخصية عندما يثار بحثها في اوائل الستينات فيرى ان تنظيم العلاقات الزوجية عمل حسن دعت اليه اطوار الحياة العصرية .. واحسن مافى التشريعات التى طرحت وقتها انها مطابقة للنصوص الدينية مع مطابقتها لمطالب الزمن وللمصلحة الاجتماعية وللنظرة السليمة الى حقوق الرجل والمرأة فى الحياة الخاصة والعامة . وفي كتابه "الفلسفة القرآنية" يتناول احكام الشريعة الاسلامية عن المرأة والزواج والميراث كاشفا عن عظمة التشريع الاسلامى وقدرته على ملاءمة العصر ومتطلباته .

وعندما تعرض لموضوع سيئات تعدد الزوجات دعا الى ضرورة حماية المرأة والاطفال الصغار تلك الخلائق الضعاف ووقايتهم من الشعور باليأس من الانصاف فى البيت والمجتمع . وحمل حملة على اساءة استعمال حق الزوج فى تعدد الزوجات . وانتهى الى ان هذا الحق اذا كان يساء استعماله

ذنب لاحد الزوجين فذنب المراة اسوأ من ذنب الرجل الذى قبلت ان تعيش فى كنفه مع ضرتها .

عمرو عبدالمنعم حموده
برما ـ مركز طنطا ـ محافظة الغربية

● الطُمَأنِينَة ●



تَسَاقطُ الأوراقُ مِن عُمرِ الرَّبِيْعِ المُنْتَهى
والأمْنُ قد اضحى مُحَالْ
غَيْمٌ ورِيْحٌ ومَطَرْ
صفصافةٌ مالَتْ إلى رَيْحَانةٍ
غَنَّتْ وقالتْ : لا خَطَرْ
فالمَوتُ إحياءٌ لمَنْ ضَلَّ المَنَالْ !!!

عبدالرحيم الماسخ
بجع الماسخ / المراغه / سوهاج



● مواقف متناقضة لنوال السعداوى ●

● تدافع الكاتبة د/نوال السعداوى فى (مذكرات طبيبة) عن المراة كعقل وذكاء وعلم ، وكذلك تسعى الى تحطيم القيود التى تعوق تحررها ومساواتها بالرجل ، فالمجتمع الشرقى يفهم المراة على انها للمتعة الحسية فقط ، بالاضافة الى أن الرجولة شرف وامتياز ، والانوثة ضعف ومهانة على حد قول الكاتبة .

من هذا المنطلق ، يحاول الرجل الشرقى السيطرة على المرأة كانها قطعة ارض يمتلكها !! . وهذا وهم بحجة أن المراة فى وسعها مشاركة الرجل فى الحياة .

وتبين (مذكرات طبيبة) مواقف متناقضة للكاتبة إزاء الرجل ، اذ تهاجمه تارة (ماأقبح الرجل ، من خارجه ومن داخله اشد قبحا) ص ٢٥ (ماأتفه مايملأ عقول الرجال وعيونهم) ص ٢٦ ، (لماذا ينهار الرجل هكذا امام رغبته ؟ لماذا تتلاشى إرادته بمجرد أن يغلق عليه باب مع امرأة ، فيرتد حيوانا أعجم يمشى على أربع ؟ اين قوته ؟ أين عضلاته ؟ أين زعامته ؟)

وتبالغ الكاتبة في ازدراء الرجل (وتكاثر حولى الرجال كالذباب) ورغم ذلك . فالكاتبة تبحث عن الرجل في نفس الوقت : (والسرير أصبح باردا واسعا مخيفا . والعملاق لا يريد أن ينام . والنجاح ليس له طعم . والشهرة ليس لها معنى . والمال مجرد أوراق ميتة لاتدب فيها الحياة)
كما أن (مذكرات طبيبة) تحمل في طياتها مواقف متناقضة تجاه العلم . فالكاتبة اعتنقت العلم بدعوى (أنه إله جبار قوى عادل يعرف أسرار كل شيء) . (أثبت لى العلم أن المرأة كالرجل . والرجل كالحيوان ... المرأة لها قلب ومخ وأعصاب كالرجل تماما . والحيوان له قلب ومخ وأعصاب كالانسان تماما ... ليست هناك فروق جوهرية بين أحد منهم . انما هى فروق شكلية تتفق جميعا فى الاصل والجوهر)
وتقول نوال السعداوى : (ان الحياة تسير الى الأمام ... تسير ببطء . ولكنها ستبلغ حتما ماتريد ... لقد انقضت ملايين السنين حتى أصبحت الهيولى هواء . وحتى أصبح الهواء ماء . وحتى أصبح الماء جمادا ... وانقضت ملايين أخرى حتى أصبح الجماد أميبا تتحرك . وحتى أصبح للاميبا زوائد حية ... وانقضت ملايين أخرى حتى صار للزوائد زعانف ثم صارت الزعانف أجنحة . ثم لتصبح الأجنحة أذرعا وذيولا ... وانقضت ملايين أخرى ليصبح للاذرع أصابع ولينقرض الذيل ويقف القرد على اثنتين)

ومع أن الكاتبة تؤكد على أهمية العلم وحقائقه . كما هو واضح من خلال عباراتها السالفة ... الا أنها تتبنى موقفا معاكسا . ومن خلال أقوالها (لقد حطم العلم ايماني القديم . ولم يهدني الى ايمان جديد . وأدركت أن طريق العقل الذى عاهدت نفسي أن أسلكه طريق ضحل قصير فى نهايته سد كبير) والأدهى أن الكاتبة تؤكد على أن (ثرثرة العلم القاصر العاجز) تفسد وجه الطبيعة الساحر الجميل .
كم كنا نود أن تدعو الكاتبة الى تحطيم القيود التى تقلل من شأن المرأة وتعوق حريتها دون ازدراء الرجل واحتقاره . فالمرأة انسان كالرجل تماما . وكنا نطمح الى عدم الاقلال من شأن العلم ومنجزاته التى لا ينكرها سوى الاعمى وعلاوة على ان مواقفها الفكرية غير المتناسقة كما أوضحناها .

لا تجعل القارىء يفهم ، اى الاتجاهات الفكرية تنحاز اليها الدكتورة نوال

محمد ابراهيم على
مدرس فلسفة بالثانوية الصناعية بفاقوس

● الاستسلام للجمال ●●●●●●●●●●●●●●

طفولتى الشرسة تسالنى
هل احمل علما أبيض بين يديك ؟
وتطيّرنى الغامك ورصاصات عيونك
تصبح فخا يخشى هربى منك اطمئنانى فى عينيك
تنتفض الطفلة تحمل كل مُنى الجوع
الراغب أن يتطهر بعذابات البشرية
تسالنى فلتكتبنى / حرفا فى قتبلة الدهشة
والحب الثاقب حين يكون فجائيا
طِرْ بى نتدفق فى اللا وطن
حَمَلا مفترسا قدريا
خذنى الآن إلى احضانك / بوداعة نمر
إنى جائعة لأظافر أحلامك / ناوى فيها سويا
تحرقنى تشربنى / نارا ترفض ماقيل
بان الحب جبان وبراءة (قيس) فى محكمة الحب و (ليلى)
استسلم لجمالك ينهشنى / اتدحرج لعيونك
تشربنى / فوق الخنجر نمشى / والعالم يتدارك انا
فوق صليب القصف
نتصاعد فى صلوات السيف
الصاعد فى مملكة الجمهور ومملكة النبل قضيه
خارطة للوطن العودة وهويه

جمال محمد فرغلى
أسيـوط

● ديوان شاعر ●

● ارسل إليكم بأربع قصائد إلحاقا بقصيدتين سبق لى ارسالهما ، و إنما ارسلت إليكم هذا القدر من القصائد لأننى قررت نسخ قصائدى المتناثرة



والتى بلغت دواوين اقدمها إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب بعد طول سبات فى الأدراج !..

فؤاد سليمان محمد
منيا القمح

ـ نرجو لكم التوفيق مع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ونرجو الخير لكم فى عودتكم إلى الشعر بعد طول انصراف .. و « مبروك » صلحكم مع شيطان الشعر !!..

●حوار مع أصدقائنـــا●

● نادية كيلانى :

ـ قصيدتك « عطرها » ينقصها استقامة الوزن فى بعض الأبيات ، فضلا عن أن قصيدتك هذه مجرد مواعظ منبرية تقدمينها لبنات حواء .. وهذا ليس من الشعر الحقيقى حتى لو استقامت أوزانه .. فالشعر شىء غير المواعظ ..

● محمد أبو ظاهر ـ فلسطين :

ـ قصيدتك « زهرة فى ربيع العمر » ينقصها الوزن فى جميع الأبيات !..

● سمير طنطاوى ـ كلية الطب بطنطا :

ـ قصيدتك التى عنوانها « توازى » صحيحة الأوزان ولكن ينقصها روح الشعر ، فاجتهد ولا تتعجل النشر ، ولا تجعل عاطفتك خارج أوزانك وقوافيك ..

● سيد محمد عودة ـ المعهد الفنى التجارى بالروضة :

ـ قصيدتاكم صحيحتا الوزن ـ ولا تتعجل النشر .. ونرحب برسائلكم دائما .

● جمال عبدالباسط أحمد ـ الاسكندرية :

ـ زجلك الذى عنوانه « باحبك يامصر » نعتذر إليك من عدم نشره لأننا مجلة للأدب العربى الفصيح .. ولعلك تجد لأزجالك مكانا فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية .. وقد سبق أن نبهنا إلى هذا الأمر فى الأعداد الماضية ..

● عصام ضاهر نجدى عبدالنبى ـ بلقاس :

ـ قصيدتكم عن الرشوة ينقصها الوزن وإن لم ينقصها السخط على تفشى الرشوة فى بعض الأوساط .. وماهى بلدتكم ؟.. لقد كتبتم أنها « بلقس » فهل تقصدون « بلقاس » ؟!.. اهتموا باللغة والنحو ، أما الوزن فمازلتم بعيدين عنه جدا ، مع الأسف !..

● **عبدالمطلب مرسى عبده ـ ادفو شرق :**

ـ نعم .. تقع احيانا اغلاط مطبعية فى الهلال وفى غيره من الصحف ، ونحن نحاول أن نتحاشاها بقدر المستطاع .. ولا تشغل بالك كثيرا بما يجىء فى الأساطير الفرعونية من أسماء الآلهة الوثنية ..

● **حزين عمر :**

ـ قصيدتكم « فصل من التاريخ الخاص » .. تحتاج إلى ثمانى صفحات من الهلال ، ولا نستطيع تخصيص هذه المساحة لأية قصيدة مهما كانت جودتها ، وبهذه المناسبة نستميح الشعراء عذرا فى عجزنا عن نشر القصائد المطولة فى جميع الحالات ..

● **محمد شكرى سويرجو ـ غزة ـ فلسطين**

ـ تشطيركم لقصيدة عزيز اباظة « يامنية النفس مانفسى بناجية » تشطير لابأس به ، ولكنا نعتذر من عدم نشره لطوله فقط ، وليس لأنه تشطير ، لأن التشطير الجيد فن لاباس بابتعاثه من جديد بعد موته أو ركوده !..

● **السادة الفضلاء : اشرف صالح .. مجدى عبدالنبى .. محمد عبدالعزيز بكلية الحقوق فى القدس .. خالد عرفات .. جهدكم فى القصة واضح ، ولكن مازال هناك الكثير قبل أن نهنئكم على تمام النضج فى هذا الفن الذى يبدو سهلا ، وماهو بسهل كما يبدو !..**

● **ونحيى أطيب تحية ونعتذر لضيق المقام من عدم النشر إلى السادة الأصدقاء :** زكى محمود محمد .. أحمد حمدى البدراوى .. حاتم جوعية .. رمضان الهجرسى .. درويش الأسيوطى .. محمد ابراهيم الفرحاتى .. محمد عبدالرحمن قطب .. عادل أنور محمد شاهين .. السيد سعد الجزايرى .. بهاء الدين حسن .. رفعت محمد بروبى .. أيمن على دسوقى ..

ونرجو ان نلتقى بأصدقائنا هؤلاء وبالأصدقاء الاخرين فى أعداد قادمة إن شاء الله .

● ملحوظة : نرجو أن تكون الرسائل أو القصائد مكتوبة على وجه واحد من كل ورقة وبخط واضح ، مع توضيح الاسم والعنوان .. مع الإيجاز بقدر الإمكان

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣.٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

يونيه
سنة ١٩٨٦

الهلال

الثمن
٥٠ قرشا



● المسلمون.. إلى أين؟ د. كمال أبو المجد

● عالم الإسلام (جزء خاص)



من روائع
الفن الإسلامي

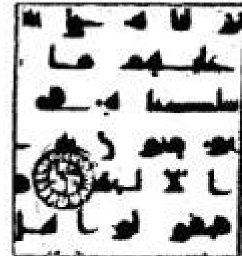
احدى لوحات الفنان العربى المعروف باسم الشيخ محمد ترجع الى القرن العاشر الهجرى الذى شهد عصر الصفويين الذهبى لفن المنمنمات . وتصور المنمنمة مشهدا من قصة « مجنون ليلى » . حيث يبدو العاشق العربى وهو يرسل نظرة والهة الى حبيبته الواقفة عند مدخل خيمتها .

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ — اول يونيو سنة ١٩٨٦ ٢٤ رمضان سنة ١٤٠٦

صورة الغلاف :



نموذج لكتابة القرآن بالخط الكوفي
في القرن الثالث الهجـرى



صـلاح جـاهـين مـغنـى
سنوات الزهو والانتصار ص ٥٢

في هذا العـدد

● عالم الإسلام : جزء خاص ●

● فكر وثقافة ●



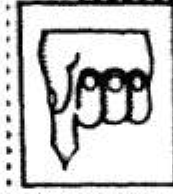
عبد الوهاب عزام
سفير العروبة ص ٦٤



الطوق والاسورة
بين الفيلم والاسطورة ص ١٣٠



قصة الرقص الافرنجي
في مصر ص ٩٦



عزيزى القارئ

الشخصيات الدينية على الشاشة الصغيرة

شهر رمضان المعظم يوشك أن يتم تمامه ، وعيد الفطر السعيد على الأبواب .. كل عام وانتم بخير ..

تغير وجه الثقافة العامة فى مصر والبلاد العربية فى زمن وجيز ! .. مازلنا نذكر كيف كان الاحتفال الثقافى بشهر رمضان بين الثلاثينيات والخمسينيات ، يقتصر على "حديث رمضان" تنشره الصحف يوميا ، وتبثه الاذاعة ليلا أو نهارا ..

الآن اتسع المجال الثقافى المتاح للجماهير العريضة ، فقد تعددت وسائل الاعلام وتطورت وفرضت سيطرتها الهائلة على عقول ملايين الناس وأذواقهم وأخلاقهم وأحلامهم وأعمالهم .. إن التليفزيون يشد الانسان المعاصر من عقله ووجدانه إلى حيث يراد له أن يقف من قضايا عصره الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية .

والثقافة التى يتلقاها الانسان المصرى المسلم فى شهر رمضان ، صارت موضوع جدل كثير ، ومحور هذه الثقافة ما يبثه التليفزيون والاذاعة وتكتبه الصحف طوال الشهر .. ولم يكن لهذا الجدل وجود قبل هذا الاتساع الهائل للامكانات الاعلامية الذى يبتلع الجماهير ابتلاعا ..

لقد أصبح التليفزيون ينبوع الثقافة فى عصرنا ، وانفرد التليفزيون المصرى - بعد الاذاعة - بابتكار أسلوب خاص فى البث الثقافى طوال شهر رمضان ، حتى

صار هذا الشهر الكريم شهرا للثقافة التليفزيونية والاذاعية .. ولا بأس بذلك ، فإن التطور يفرض نفسه .. ولكن لنا ملاحظات .

فالطابع الدينى هو طابع الارسالين التليفزيونى والاذاعى طوال شهر رمضان ، وتفوز المسلسلات والتمثيليات والأفلام الدينية بنصيب الأسد . وتتناول تاريخ الاسلام كله تقريبا ، من الأندلس إلى الهند ، ومن أوزبكستان إلى السودان .. وتخص تاريخ الدعوة النبوية وغزواتها وأبطالها من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ، باهتمام كبير وتقدير بارز ..

إلا أن أكثر النقاد يتفقون على أن المسلسلات والتمثيليات الدينية قد فشلت حتى الآن فى تجسيد التاريخ الاسلامى وعظمة أبطاله ، وبخاصة مايتعلق بالصدر الأول ، من بداية الدعوة النبوية إلى آخر عصر الخلفاء الراشدين .

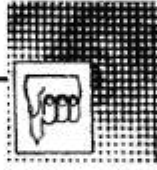
لقد شاهدنا أفلاما عربية ذات مستوى عالمى تناولت التاريخ العربى المعاصر ، مثل فيلم « عمر المختار » .. وشاهدنا أفلاما أخرى جيدة المستوى مثل « وا إسلاماه » و « الناصر صلاح الدين » ..

ولكن الأفلام والمسلسلات التى تناولت تاريخ الدعوة النبوية والصدر الأول كانت أشبه بالمونولوجات والديالوجات والمواعظ ، وغلب عليها أسلوب « التقرير » و« الخطابة » والميلودراما الساذجة ..

إن الأفلام الدينية المسيحية التى أخرجتها هوليود ، كانت من أعظم الأفلام فى تاريخ السينما العالمية .. أما عندنا ، فيقف دون إبراز تاريخنا الدينى فى الأعمال الفنية « فرمان » صارم يمنع تمثيل الأنبياء وصحابتهم فى الأجهزة الثقافية الحديثة التى يمكن أن تؤدى للاسلام أعظم الخدمات لو أتيحت لها عندنا الحرية المتاحة لأمثالها فى أوربا وأمريكا .

إن لدينا قاعدة رقابية معروفة ، تنص على أن الصحابة رضى الله عنهم لايصح ظهور شخصياتهم تمثيلا على الشاشتين الكبيرة والصغيرة والمسرح .. ولا يصح أن ينطق الممثلون بألسنتهم حتى لايقال إنهم هم الذين يتكلمون ، وإنما ينطق الممثل حكاية عنهم ، أو نيابة عنهم ! ..

ولكن هذه القاعدة تطبق بحسب الظروف فإن خالد بن الوليد ـ وهو الصحابى الجليل ـ سمحت الرقابة قبل عشرين عاما بظهور شخصيته تمثيلا فى فيلم يحمل اسمه ، ثم رأينا شخصيته فى بعض المسلسلات والتمثيليات ..



عزيزي القارئ

كذلك رأينا شخصيات أبي ذر الغفاري ، وابن مسعود ، وبلال ، وعمرو بن العاص ، والعباس بن عبد المطلب ، وعكرمة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبيدة بن الجراح وغيرهم .. ولكن شخصيات الخلفاء الراشدين الأربعة ممنوع تمثيلها ، وكذلك شخصيتا الحسن والحسين .. فضلا عن شخصيات الأنبياء عليهم السلام من نوح إلى ابراهيم إلى موسى إلى عيسى ، وكل نبي ورد ذكره في القرآن الكريم ..

وكانت لجنة الفتوى بالأزهر قد أفتت منذ سنوات بعدم جواز تمثيل الأنبياء والصحابة وأمهات المؤمنين ، حتي إن بعض الأعمال الأدبية مثل مسرحية « الحسين شهيدا » لعبد الرحمن الشرقاوي ظلت ممنوعة من التمثيل مدة طويلة بالرغم من تعديلها وتحويل شخصية الحسين عليه السلام الى شخصية راوية يتحدث نيابة عن الحسين في تكلف ليس له مثيل في المسرح العالمي كله !

وهناك حالات اعترضت فيها الرقابة على هذا العمل الفني أو ذاك لأسباب تتعلق كلها بالفتوى الصادرة عن لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ولكن الرقابة تسمح بظهور شخصيات أعداء الدين .. من فرعون وهامان إلى أبي لهب وأبي جهل ، فيرى المشاهد هذه الشخصيات المناوئة للدين ، ولا يرى الأنبياء والصحابة إلا من خلال شخصيات بديلة هزيلة تتحدث نيابة عنهم فلا يقتنع بها أحد ..

نحن نعرض لهذه المسألة أو هذه المشكلة بمناسبة شهر رمضان وما نشاهده فيه على شاشة التليفزيون ونسمعه من الاذاعة ولا ندرى اتكون الرقابة على خطأ أم على صواب في منع تمثيل تلك الشخصيات العظيمة التي لايتم تصوير تاريخ الاسلام إلا بتمثيلها أدق تمثيل على النحو الذي فعله الأوربيون والامريكيون بتاريخهم الديني ..

وفي رأينا أن المسيحية في اوربا وأمريكا قد استفادت من تمثيل هذا التاريخ في المسرح والسينما والتليفزيون .. ودعك مما كتبوه في الصحف بمنتهى الحرية والتوسع .. ولم يستفد الاسلام بمنع تمثيل شخصيات عظيمة بالغة الأهمية في صدر تاريخه .. حتى إن صدر التاريخ الاسلامي يبدو على الشاشة مفككا غير مقنع للمشاهد المحايد ، أو الخالي الذهن ، أو حتى للمشاهد المسلم ! .. فالخطب الرنانة والهتافات المدوية وصليل السيوف وما إليها من « المؤثرات

الصوتية » .. لاتدخل فى باب الفن .. وقد صارت جماهير المشاهدين ذات خبرة فنية لايصح أن يستهين بها أحد .

نحن لانطلب إلى الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح فى مصر ، اللحاق بأوربا وأمريكا فى هذه المجالات الفنية ، فذلك مالا يمكن إدراكه بسهولة .. ولكننا نلفت انظار أهل الاختصاص إلى أن المسيحية فى أوربا وأمريكا ، وكذلك اليهودية الصهيونية ، بل والهندوكية والسيخية والبوذية وغيرها من الملل ، حتى ما كان منها ملفقا حديث العهد كالبهائية والقاديانية قد استفادت من الامكانات الجبارة للتليفزيون والاذاعة والسينما لتدعيم عقائد أهلها وجمع شملهم واغراء الناس بالدخول معهم ومؤازرتهم .. أما نحن فمازلنا نخشى هذه الأجهزة الحديثة ونتعامل معها فى معالجة تاريخنا بطريقة تجعلنا نخسر ولا نكسب ..

وقد انتهز بعض محترفى كتابة التمثيليات والقصص هذه الفرصة ، فغمروا الأبصار والأسماع بانتاجهم التليفزيونى والاذاعى عن الاساطير الفرعونية والاسرائيلية والصوفية وشتى القصص العجيبة التى لاتخدم الدين ، بل تجر الناس الى المتاهات الفكرية وتبلبل نفوسهم وتملؤهم حيرة ! ..

فهل يصح فى الرأى أن يفوتنا عصر الأقمار الصناعية فى الدعوة إلى الإسلام مع أن أهل الأديان الأخرى قد وطئوا بأقدامهم أديم القمر الذى نعرف به نحن مواقيت صومنا وافطارنا وحجنا وأعيادنا . ولم تعترض هؤلاء الناس فتوى تعرقل صعودهم إلى الفضاء ؟! ..

نحن ننظر بتفهم تام إلى الاعتبارات التى جعلت فتوى لجنة الأزهر الشريف تسيطر على الانتاج الفنى المتعلق بتاريخنا .. ولكن نسأل : لماذا تسمح الرقابة بتمثيل بعض الشخصيات الصحابية وتمتنع بعضها الآخر ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ؟! ..

ثم نسأل : أيكون تاريخنا الى نقصه أم إلى تمامه ، إذا توسعنا فى التصوير الصحيح لأبطال صدر الاسلام ؟!

فى رأينا أننا قادرون على التمام فى هذا المجال .. ولكن الخوف ـ وهو أكبر عيوبنا ـ يعود علينا بالنقص .. كأننا الذين عناهم أبو الطيب المتنبى بحكمته القائلة :

ولم أرا فى عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

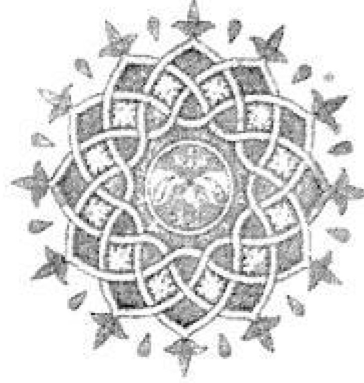
المحرر

جزء خاص عن:
عالم الإسلام

المسلمون إلى أين؟

بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

من غرائب حياتنا الثقافية والسياسية المعاصرة ان الحديث لاينقطع عن مظاهر الازمة التى نواجهها كامة .. وعن صور التحديات القادمة من الخارج او النابعة من الداخل والتى تهدد استقلال ارادتنا فى مواجهة الاخرين، وصور العجز الذى اصبح يلازم حياتنا كلها ونحن نحاول التصدى لتلك التحديات.. ومع ذلك فان هذه الاحاديث تتوقف وتنقطع فجاة اذا بلغت الخط الفاصل بين الحاضر القائم والمستقبل القادم .. كان فى عقلنا ووجداننا خصومة مع المستقبل تحول بيننا وبين التعامل معه او مجرد التفكير فيه . وحين يتحدث المخططون وراسمو السياسات الاقتصادية والاجتماعيه عن الاخطار الهائلة التى تنتظرنا فى مستقبلنا القريب، فان عقلنا الجماعى، ووجداننا العام لا يكادان ينفعلان بهذا الحديث او باخذاه ماخذ الجد، كانما استقر فى عقيدتنا ان قوة قدرية غالبة، سوف تتدخل فى الوقت المناسب لتردهذا المستقبل عنا، وتمنع وصوله ـ بكل ما يحمله ـ الينا، ولتضمن لنا استمرار الحاضر الذى الفناه وعرفناه، وجربنا التعامل معه.



ولو ان هــــذا الموقف العجيب كان موقف العامة وحدهم لهان الامــر ولقلنا ان استشراف المستقبل والتفكير في صورته يحتاج الى الوان من رصد الظواهر وتحليلها يتاح اكثرها لغير العلماء والمتخصصين .. ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في ان أكثر المثقفــين والمتخصصين من العرب والمســلمين لا يزالون مشــــدودين الى الماضى ، مشغولين بهمومه مختلفين حول قضايا جزئية وفرعية تذهلهم عن الظواهــر الكبرى والمعالم الاساسية لمسار التطورين المحلى ، والعالمى الذى تسارعت خطاه على نحو مخيف تحت تأثير الثــورات العلمية والتقنية وما حققته من تقدم هائل فى وسائل الحركة ، وادوات الانتقــال والاتصال ولانريد ان تستدرجنا الشكوى من هذه الظاهرة الثقافية العجيبة الى حديث طويل حول ابجديات التخطيط وأوليات التفكير في المستقبل وتصور معالمه .. وانما حسبنا أن نقول ان منهج التعامل مع المستقبل يقوم اساسا على اركان ثلاثة :

اولا : معرفة الواقع معرفة موضوعية دقيقة ، ورصــد ظواهره ومكونـاته الاساسية .

ثانيا : تحديد الوزن النسبى لكل من هذه الظواهر والمكونات ، ورصد حركة كل منها واتجاه تلك الحركة وسرعتها ورسم صورة للمستقبل القريب تصنعها هذه الظواهر والمكونات المتحركة حين تعبر من عالم اليوم الى عالم الغد .. متفاعلة متشابكة ، ومحكومة بقوانين الحركة ، واتجاهها وسرعتها ..

ثالثا : محـاولة التحكم فى صورة المستقبل عن طريق « التدخل » فى حركة الظواهر القائمة تدخلا تمليه وتحـدد وجهتـه مجموعة الاهـداف الاسـاسية للمجتمع ، ومجموعة القيم التى يراد لها ان تستمر وان تنتقل مع الزمن من الحاضر الى المستقبل .. وتـلك التى يراد لها أن تتراجع وان تسقط ..

● ظواهر اساسية ●

ولانستطيع فى هذه السطور القليلة ان نستعرض الظواهر العديدة لواقـع المسلمين ، فضلا عن ان نرصد اتجـاه حركتها وسرعة هذه الحركة .. ولكننا نستطيع مع ذلك ـ ان نشير الى عـدد من الظــــواهر الكبرى التى لابد ان يكون لها دور مؤثر فى تحـديد صورة المستقبل .. والتى تحتاج من اجــل ذلك الى ان نتعامل معها وأن نحـاول التدخل فى مسارها، والتأثير ـ بهـذا التدخل ـ على صورة المستقبل الذى ينتظرنا ..

ان فى مقدمة هذه الظـــواهر التى تصنع صورة حاضر المسلمين ، الامور الاتية :

١ ـ استمرار الاتكاء على الماضى عنـد محاولة التعامل مع ظواهر الحـاضر ◄

وغلبة المنهج الدفاعي الذى يحاول الاعتصام بحرفية النصوص « ابقاء على جوهر « الذات الحضارية » في مواجهة محاولات الاقتلاع ، والتذويب، وتصفية الوجود الحضارى المميز .

٢ـ تناقص الوزن السياسي والاقتصادى للشعوب المسلمة ، وتزايد السرعة التي يجرى بها هذا التناقص في اعقاب تصفية الدور السياسي والاقتصادي « للنفط » وتزايد اعتماد الدول المسلمة على الدول الكبرى اقتصاديا وعسكريا وسياسيا .

١ ـ توقف اسهام المسلمين في حركة التقدم الانساني وتجمد مظاهر الابداع في مجالات العلوم المختلفة .. واتساع الفجوة بين شعوبهم التي تنتمي اليوم الى ما يسمى « العالم الثالث وبين الدول المتقدمة التي تحتكر القوة العسكرية والاقتصادية ، وتكاد ـ لذلك تحتكر التأثير في توجيه حياة الشعوب الاخرى .. ومنها الشعوب المسلمة .

٤ ـ تراجع المد الوحدوى بين الشعوب المسلمة .. وهي ظاهرة ساهمت في خلقها اسباب عديدة بعضها يرجع الى اوضاع البنية الداخلية للشعوب المسلمة ذاتها ، مثل تناقص الاحساس بمعنى « الامة » الواحدة بمفهومها الاسلامي القائم على وحدة العقيدة ووحدة الرسالة والالتزام بالتكافل الاجتماعي والسياسي وما تقتضيه من واجب « النصرة » لرد العدوان والمحافظة على مصالح الجماعة ، ونشر الدعوة الاسلامية ومنها ما يتعلق بانتشار نظم للحكم قامت تاريخيا في ظل اوضاع التجزئة المستمرة ، بحيث صار تثبيت تلك التجزئة والمحافظة عليها هو السبيل الوحيد لاستمرار تلك النظم في حكم « الكيانات المجزأة » ، ولممارستها خصائص السيادة وطقوس الدولة ، ومنها كذلك ما احدثه ظهور النفط وما فتحه من ابواب الثراء الواسع المفاجىء من خلق فجوة « غنى » بين الدول المنتجة للنفط وتلك التي لانفط عندها .

وهي فجوة ترتب عليها احساس خاطىء بتناقض المصالح بين الدول النفطية المسلمة وتلك التي تواجه مشاكل التقدم والتنمية محرومة من هذا « المصدر الجيولوجي » للثراء السريع .. والى جوار هذه الاسباب الداخلية تراجع المد الوحدوى بين الشعوب المسلمة . عملت كثير من القوى الكبيرة خارج الدائرة الاسلامية ، على محاربة كل توجه صادق وجاد لتحقيق اية صورة من صور « التوحد » بين اجزاء العالم الاسلامي .. تارة بتحريك اسباب الخلاف ، واذكاء نارها حين يبدأ الخلاف .. على نحو ما نرى في الحرب العراقية الايرانية .. وما نرى في لبنان .. وفي سائر انحاء العالمين الاسلامي والعربي .. وتارة بخلق نماذج « زائفة » ، « وكاذبة » للتوحد الاسلامي . يشارك فيها من لا يؤمن بالوحدة الحقيقية ، في تثبيط الهمم ، وصرف الجهود عن المشاركة في أي عمل وحدوى صادق وحقيقي ومؤثر .. وليس ما يجرى على الساحة الاسلامية ـ من هذه الناحية ـ بعيدا او مختلفا عما يجرى على الساحة العربية اذ الامران ـ في النهاية ـ خادمان لنفس المصالح ، ومسخران

لتحقيق مصالح نفس القوى الداخلية والخارجية ..

● غياب الشورى ●

٥ ـ غياب الشورى ، وافتقاد المشاركة الشعبية في توجيه مسار الحياة العامة في الاغلبية الكبرى من الدول المسلمة .. ومع التسليم بتفاوت درجات هذا الغياب من بلد مسلم الى بلد آخر .. فان غياب هذه المشاركة ، قد مكن القوى صاحبة المصلحة في استمرار تخلف العالم الاسلامي ، واستمرار تمزقه من متابعة «مخططها» الذي يجرى تنفيذه بوعي ودراسة ، أو بالعمل المتواصل النشيط لحماية مصالحها المناقضة لمصالح الشعوب المسلمة..كذلك فان غياب « المشاركة الشعبية » قد حرم الشعوب المسلمة من ضمان إساسي من ضمانات النجاح في مواجهة التحديات والمشاكل الكبرى وترك مستقبلها كله ، رهنا بفوضى التجربة والخطأ والاجتهاد الشخصي الذي تمارسه أنظمة ومؤسسات تتصور انها قادرة « برأيها الواحد ، واجتهادها القائم على غير منهج » على تحقيق مصالح الرعية ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل جميعا .. وهو تصور مدمر لا يمكن أن تكون عواقبه الا استمرارا للتراجع ، وتثبيتا للأزمة ، وتعقيدا للمأزق السياسي والحضاري الذي تعيشه الشعوب المسلمة ..

● الصحوة الاسلامية ●

٦ ـ والى جوار هذه الظواهر التي تحاصر « الحاضر الاسلامي » والتي تجعل حركته نحو المستقبل محملة بكل ظواهر العجز واسباب التعثر التي رصدناها في واقعة .. فان هناك اتساعا ملحوظا في « دائرة القلق » الواعي بهذه الظواهر جميعها .. كما أن هناك نشاطا متزايدا وحركة متنامية على الساحة الاسلامية يهدفان الى وقف تيار التراجع وتزكية عناصر القوة والرشد المؤذنة بمواجهة تحديات المستقبل بمزيد من الرؤية الواضحة والاهداف المحددة والعمل المكثف المنظم الذي تقف وراءه روح جديدة من الوعي بالذات،والوعي الموضوعي لحقائق التحدى ، والحوافز القوية للبذل والعطاء والاستشهاد وهذه الظواهر النشطة الداخلة هي التي نسميها ويسميها الباحثون في حاضر العالم الاسلامي «الصحوة الاسلامية».

ولقد كثر الحديث عن الصحوة الاسلامية « داخل العالم الاسلامي وخارجه .. بل ان غيرنا قد كانوا اسبق الى هذا الحديث ، واشد اهتماما برصد مظاهر هذه الصحوة وتحليل اسبابها ومحركاتها .. وكان اهتمامهم مشوبا بالقلق ،ممزوجا بالرغبة الكامنة في رؤية هذه الصحوة تخبو وتموت .. أو تتعثر وتنزلق بأصحابها الى مسارات جانبية وقضايا هامشية تستغرق طاقتهم وتستنفد اوقاتهم ، وتبدد قوة الاندفاع الاولى لمواجهة هذه الصحوة ، حتى يتيسر احتواؤها وتصفيتها فيبقى المسلمون على ما هم عليه من حيرة وتمزق وبأس وعجز عن النهوض والحركة .. ويظل مكانهم على خريطة المستقبل مكانا هامشيا تابعا .. وتظل اجيالهم تنتظر دورة جديدة من دورات التاريخ يتاح لهم فيها أما جديد من آمال النهضة والانبعاث ، بعد ان تكون الفجوة بينهم وبين سائر الامم والشعوب قد زادت اتساعا ، وصار عبورها اشد صعوبة وعسرا ..

على ان هذه الصحوة الاسلامية قد افرزت على ساحة الواقع عديدا من الظواهر يعبر بعضها عن توجه أصيل نحو تأكيد الذات الثقافية ، والتحقق ◄

بمظاهر الخصوصية الحضارية .. نزوعا الى الاستقلال وأملا فى اقامة مشروع للتقدم والنهضة يستمد القائمون عليه حوافزهم الحركة من روح الاسلام .. كما يستمدون موقفهم من تحديات العصر ومشاكل المجتمع من « التصور الاسلامى الشامل » للانسان ووظيفته فى الكون ومسئوليته امام خالقه عن تعمير الدنيا وهداية اهلها ..

ومع ذلك فان الجماعات التى ترفع شعار « تطبيق الاسلام » وبناء النهضة الجديدة على اسس من مبادئه قد اتخذ بعضها وجهة أخرى ، محركها الاول الغضب على « الواقع » واحد منطلقاتها الرئيسية الاحتجاج على مسيرة حياة المسلمين بعيدا عن مبادىء الاسلام .. وقد عبر هذا الاحتجاج عن نفسه بصور مختلفة منها الانسحابى الرافض الذى يميل باصحابه الى العزلة وهجر المجتمع الذى يحمل سمات الانقياد لتصورات أساسية ، مخالفة للتصور الاسلامى .. ومنها العدوانى الذى نذر نفسه لمحاربة كل ما حوله من أوضاع اجتماعية وسياسية لاتتفق مع تصوراته الذاتية عن الاسلام .. متصورا ان اقامة احكام الاسلام ومبادئه لا يمكن ان تتحقق الا اذا سويت الارض بما عليها ، وجرى هدم كل ما فوقها من ابنية ومؤسسات ونظم .. ثم اعيد بناؤه من جديد .. ووقع بعض ممثلى هذا التيار فى خطأ اخر حين شددوا على انفسهم وعلى الناس وحين اتبعوا فى دعوتهم اساليب لا تخلو من العنف والمخاشنة واقتحام خصوصيات الناس ، وتعقب عوراتهم .. فوقعت بينهم وبين كثير من الناس جفوة ، وقام بينهم وبين كثير من مؤسسات الدولة سوء ظن متبادل . هم يتهمون « المجتمع » ومؤسساته بالجاهلية .. والمجتمع يتهمهم بالخروج على نظمه وقوانينه كما يتهمهم بالسعى لاقامة نموذج حياتى مستمد من الماضى وحده متجاهلين الاف المتغيرات التى تحيط اليوم بمسيرة الشعوب الاسلامية ، عاجزين لذلك ، عن تقديم اجابات مقنعة وحلول صحيحة لمشاكل لم يكن كثير منها موجودا فى عصور الاسلام الاولى ..

والى جانب هذه العثرات ، فقد تعرضت حركة الانبعاث الاسلامى الجديد لموجة هجوم كاسح بدأ بتشويه صورتها ، وتضخيم عيوبها وعثراتها ، والصاق عديد من التهم بدعاتها .. مع حرص على تعميم هذه التهم بحيث تصيب كل داع للاسلام مناد بتطبيق قيمه ومبادئه .. وحرص ماكر شديد المكر على الخلط المتعمد بين بعض الظواهر النادرة والعثرات التى تقع فيها روافد ضئيلة بين روافد تيار الانبعاث الاسلامى وبين التيار الواسع العريض الذى يمثل هذه الصحوة الجديدة .

● تشويه الصورة ●

ولقد كانت ثمرة ذلك كله ان اختلطت الامور فى عقل عامة المسلمين ووجدانهم ، واستولت الحيرة عليهم وعب دبيب اليأس فى قلوب كثيرة منهم وهم يرون الصراعات السياسية والاجتماعية والفكرية تستغرق العالم

الاسلامى على امتداد ساحته ·· ويرون الدنيا من حولهم تتحرك بخطى سريعة واثقة ·· وهم غارقون فى هموم بعضها قديم لم يفرغوا منه ، وبعضها جديد لا يعرفون الطريق الى مواجهته والتعامل معه ··

واذا هم يتساءلون - فى اشفاق ووجل - عن مكانهم على خريطة المستقبل ·· وعن مسيرتهم فى الغد·· الى اين ؟؟

ولا نستطيع ان نزعم - فى هذه السطور القليلة - اننا قادرون على تقديم جواب واضح وحاسم عن هذه الاسئلة ·· وانما حسبنا ان ننبه - فى غير رفق ولا مجاملة - الى حجم المخاطر الهائلة التى تنتظرنا نحن المسلمين فى مستقبلنا القريب ان نحن تركنا عناصر التراجع والضعف العامة فى حاضرنا تنمو وتستقر وتقتحم معنا ابواب المستقبل .

وان ننبه - فوق ذلك - الى المداخل الرئيسية لتغيير الواقع القائم وفتح ثغرة فى الجدار المطرد الذى يوشك ان يغلق فى وجهنا ابواب النهوض والانبعاث والتقدم ، وان يغتال ما بقى فى ساحتنا من فرص قليلة لتدارك ما فات واللحاق بالشعوب الكثيرة التى سبقتنا الى احتلال مواقع القيادة والتاثير على خريطة المستقبل ··

ونعود فنطرح على انفسنا السؤال الذى لابد من طرحه - على مرارته وقسوته - وهو هل لنا مكان فى هذا العالم الجديد ؟؟

● حضارة المستقبل ●

والجواب الذى نفهمه ان الاختيار المطروح امامنا لم يعد اختيارا بين اللحاق والتخلف ·· فلقد مضى زمن هذا الاختيار ، وصار الاختيار الوحيد المطروح اختيارا بين الوجود المستقل المشارك فى حركة الحياة ·· والوجود التابع الذليل الذى تضيع معه الذاتية ويتحول اصحابه - مهما كانت امجادهم القديمة - الى موال يخدمون الاخرين ·· وقد تنمو حضارة المستقبل على اكتافهم وجهودهم ، ولكنهم لن يكونوا ابدا من صناعها ولن يعرف التاريخ لهم كيانا مستقلا عن سادتها الذين يحتكرون معرفة قوانينها ويقودون - وحدهم - مسيرتها ·· ان خطر الانهيارين الحضارى والسياسى للعرب والمسلمين خطر حقيقى لا يمكن ان تجدى فى ابعاد شبحه شعارات الدنيا كلها ، واحاديث الماضى وامجاده واماني انتظار النصر الموعود لخير امة اخرجت للناس ، اذا كان هذا الانتظار لايصاحبه عمل، ولاتتحرك بسببه همة ولا يسعى اصحابه الى تغيير ما بانفسهم ·· ناسين ان الله تعالى ليس بينه وبين احد نسب وانه القائل :



كانوا يعهدي اوف بعهدكم واياى فارهبون » .

اما المداخل الرئيسية لتحقيق دخول المسلمين الى المستقبل دخولا يجددون به مكانتهم بين الناس والشعوب ، ويستأنفون به ما انقطع من عطائهم القديم لمسيرة النمو والتقدم والعمران والهداية .. فحسبنا ان نذكر منها امورا ثلاثة :

المدخل الاول :

الارتحال : العقلى والنفسى من الماضى الى المستقبل .. ومن العزلة والانكفاء على الذات الى الانفتاح على العالم . ومن الجمود على الموجود الى البحث الحر فى الافاق .. وتلك - عند التامل - ثورة ثقافية حقيقية لابد منها حتى يهتز النسيج الحضارى لامتنا التى تعيش مرحلة « بيات » ثقافى واجتماعى وسياسى .. طال مداه .. وهى ثورة لا يقدر عليها الا جيل من الشباب .. قدماه فى الارض ، ورأسه فى السماء .. جذوره تأخذ من الماضى .. واغصانه تسابق الدنيا الى المستقبل القريب والبعيد .. ولن يقدم الشباب على هذا الجهاد الجديد الا اذا وجد ذاته من خلال تراثه ، والا اذا استمد من « عنوزه على تلك الذات وادتدائه الى دوره الحضارى المرتقب حافزا للحركة والانبعاث .. ومصدر امل واسع رحب الافق فى مستقبل يحقق له مزيدا من السعادة ، ومزيدا من الاحساس بقيمة الذات » .

اننا ندعو الى هذا الارتحال من الماضى الى المستقبل ونحن نعلم حق العلم ان هذا الماضى كان ولا يزال سجل حضارتنا بمكوناتها كلها وتجاربها الممتدة عبر القرون ، وهو زاد لا يستغنى عنه العقلاء مسلمون كانوا او غير مسلمين .. ولكن هذا الماضى بكل ما فيه ينبغى أن يحضر الينا ولا يجوز أن « نرجع » نحن اليه ، وفرق بين الامرين عظيم لان التجارب الانسانية تزخر بكل ما هو جديد وأهل الحاضر يملكون أن يطلوا - من نافذة الزمن - على الماضى بكل ما فيه .. اما السابقون والماضون فلم يكن لهم الى معرفة الحاضر والمستقبل سبيل . فضلا عن ان يكون لهم فيه رأى نافذ وقول غير مردود .

المدخل الثانى :

الخروج من اسر الوهم القديم الذى وضع امتنا كلها - وعلى امتداد قرون طويلة - امام خيار كاذب خاطىء بين العقل من جانب ، والنصوص الدينية من جانب اخر .. وادى بنا فى النهاية الى التهوين من مكان العقل ومكانته فى حياتنا الوجدانية والعملية ... وادى بنا الى الذهول عن كثير من القوانين العلمية التى تحكم الطبيعة والمجتمع ، وحال بيننا وبين التعامل مع كثير من هذه القوانين .. وجعل كثيرين من بيننا يتصرفون فى حياتهم كما لو كانت الدنيا كلها مجموعة من الصدف العابرة والجزيئات التى لا يحكمها ناموس كما جعل كثيرين من « المؤمنين » يتعبدون فى حياتهم كلها بالنصوص ، لا يتجاوزون ظاهرها



وينفرون اشد النفور من محـــاولات النظر فى عللها ومقاصدها والمصـالح التى تسعى لحمايتها ·· وانتهى الامر ببعضهم الى الاعتقاد بأن « التجديد » فى الفقه ، والاجتهاد عن طريق النظر فى تجدد الحاجات واختلاف الازمنـة والامكنة افتئات على صاحب الشريعة، وتدخل فى « الحاكمية التى ينفرد بها »

ولقد آن الاوان لـــكى نعلن على أنفسنا ،من جديد ، وبصوت عـال لا تحجبه من الاسـتماع صيحات الخائفين والمترددين : ان العقـل ينبغى ان يعـــود فى حيـــاتنا كلهـا الى عرشه الذى أنزل عنه فى عصـــور التراجع والانتكاس · والاسلام يعلمنا ان صاحب « العلم » هو صـــاحب الشريعة وان واهب العقل هو الموحى بالنقل » ·· وان الــرواية ، اى رواية النصوص الدينية ، لا تغنى عن الدراية (اى معرفة العلل والمقاصد ووظائف التشريع واهدافه ·· ولنعلـم شبابنا وابناءنـــا ان يقرءوا – فى خشوع – كتاب الله المنزل على رسوله، وان يقرءوا – فى خشوع ممـــاثل – واستشراف مرهف ، كتاب الله المثبوت فى الكون ·· آيات بينات ·· تدل على القدرة والرحمة والعـــلم واللطف والوحدانية ··

ان كارثة تنحية العقل ومطـــاردته وقفل ابواب الاجتهاد امامه ينبغى ان ترفع عن كاهل هذه الامة حتى تستطيع عمل شىء – اى شىء للخروج من بياتها الحضارى الطويل

المدخل الثالث :

انه لا مجـــال – بعد الآن – لعزلة المسلمين عن العالم ·· والدعـوة الى هذه العزلة « تأجيل » موقوت لساعة اللقاء بين المسلمين والدنيا الواسعـة التى تحيط بهم··فالحواجز بين الناس والشعوب قد اسقطت الثورةالصناعية جانباً منها ·· ثم جـاءت الثورة فى وسائل الاتصال فأسقطت بقيتهاالباقية ولقد اخـذ الزمن يتسارع ، وأصبح التقدم العلمى يتم قفزا وانطلاقا··ومن ابتعد اليوم عن ركب الحياة ضـاع ، وقتلته الحيرة ·· وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ·· والحكمة – بعد ذلك كانت – وينبغى ان تظل – ضـالة المؤمن··واكثر مايقدمه العلم منأدوات ووسائل واسلحة ، يستطيع المسلمون ان يوجهوها وجهـة الخير ، وان يوظفوها لاشاعة « الرشد والقسط »··

ان الدعوة الى العـزلة ، مهمـا اختلفت شعاراتها ومبرراتها ، هى فى حقيقتها دعوة الانتحار الحضارى لانها تعزل أصحابها بكل ما يحملون من قيم وما يملكون من طاقات خـارج دائرة الحركة والصـراع ·· وهى وحدها الدائرة التى تحتاج الى جهد المسلمين والى معالم حضارتهم ·· ان التجارب الانسانية – منذ الآن سوف تقع كلها فى ساحات مكشوفة ·· والتبـادل الثقافى والحضارى بين النـاس والشعوب سوف

يجرى – هو الاخر – فى ميادين مفتوحة .. لاحجب بينها ولا حواجز .. وعلى مسلمى هذا الزمن والازمنة المقبلة ان يخوضوا تجربتهم ويؤدوا دورهم فى اطار هذه الشروط التى فرضتها مرحلة النمو العلمى والتقنى التى وصلت اليها المسيرة الحضارية للانسان .. ولهذا فان عددا هائلا من انماط سلوكنا واساليب عملنا الفردى والجماعى تحتاج – اليوم – الى اعادة نظر عاجلة ..

فاسوار الحماية والوصاية على السلوك الفردى لم تعد اسلوبا تربويا فعالا .. وانما صارت قضية تنمية الاحساس بالمسئولية ، وتشجيع الاقدام على ممارسة الحرية ، هى البدائل الشرعية الوحيدة فلا وقت هناك – ولامكان «الستر الحديدية» التى تنمو وراء جدرانها العالية بذرة الحضارة .. اننا لا نجادل فى شرعية الهواجس والمخاوف التى تدعو كثيرين الى التحذير من الاندفاع فى رفع اسوار الحماية عن مجتمعات المسلمين.وهى مخاوف ترجع فى مجموعها الى الاشفاق من تسلل قيم وتصورات وانماط سلوك وعلاقات مناقضه للاسلام يذهب معها « تميزه » وتضيع فى غمارها «ذاتية» حضارته وجوابنا ان الممكن الوحيد فى دفع هذه المخاوف هو تعميق الاحساس بالمسئولية الحضارية والمسارعة الى اعادة ترتيب الاولويات فى مناهج الدعوة والتربية والتعليم ، بحيث تتميز الاصول عن الفروع ، والثوابت عن المتغيرات .. وبحيث يكون «العقل المسلم» و«الوجدان المسلم» و«الضمير المسلم» حراسا حقيقيين لجوهر الحضارة .. يقومون مقام الاسوار العالية التى لم تعد قادرة على الصمود وبعد ....

فان التاريخ محايد ، والمستقبل لا يجامل ولا يحابى ، والحق – سبحانه – يتعامل مع عباده كلهم بالعدل والقسط بعد ان سن السنن ووضع الميزان ..

والمسلمون – كما نرى – على مفترق طرق تلتقى بداياتها لتفترق بعد ذلك اشد الافتراق .. وواقع المسلم محمل بمظاهر الضعف والعجز وسقوط الهمة عن محاولة اللحاق بالاخرين .. ولكن فى الافق – مع ذلك – بارقة امل لا ينبغى ان تغيب .. وهو امل معلق بخيوط ينبغى على جيلنا ان يتعرف عليها وان يمسك باطرافها قبل الا يستطيع الوصول الى تلك الاطراف ولقد ذكرنا بعض هذه الخيوط ...

ونحن نلمح وسط تيار الحيرة العريضه الذى يحيط باكثر المسلمين بشائر موكب جديد يتجمع اصحابه ومعالم وجه مشرق جديد تتخلق قسماته .. موكب الاتقياء الاقوياء العقلاء .. ووجه الاسلام الذى يعمر الكون ويبنى الحياة ثم يسير بها تحت ظلال قيم الخير الخالدة .. العدل والرحمة والسماحة واصلاح ذات البين والايثار واصحاب هذا التيار الجديد مطالبون فى غير هوادة – بان يسرعوا الخطى، وان يشحذوا العزم .. وان يبادروا بالخروج الى الناس .. فهم – وحدهم جواب الاسلام عن هذا السؤال الكبير .. المسلمون الى اين ؟

٣٧٠ مليونا

عدد الأقليات المسلمة فى العالم

يصل عدد الاقليات المسلمة فى العالم الى حوالى ٣٧٠ مليون مسلم ، ويقدر الباحثون عدد الاقطار التى تضم أقلية اسلامية بسبع وخمسين وحدة اسلامية، وبعضهم الاخر يقدر عدد تلك الاقطار بخمسين دولة فقط .

ومن اهم العوامل التى تحول دون تقديرات صحيحة للاقليات المسلمة فى العالم :

● عدم اهتمام كثير من الدول باحصاء الاقليات الدينية ، بحجة ان مثل هذه التعدادات تؤدى الى مشكلات طائفية .

● يلجأ كثير من المسلمين فى الدول الشيوعية الى اخفاء عقائدهم وشعائرهم الدينية ، حتى يكونوا بمنأى عن الاضطهادات ، ولا يحرموا من الوظائف الكبرى والحساسة .

● يعيش معظم المسلمين فى اقطار نامية ، لا تجرى احصاءات حيوية ، خاصة بعدد المواليد والوفيات ، وعدد افراد الاقليات الدينية المختلفة وقد قدر عدد السكان المسلمين والاقليات المسلمة فى العالم عام ١٩٨٥ على النحو التالى بالمليون :

المسلمون فى الدول الاسلامية	
آسيا	٤٧٠
افريقيا	٢٢٣
اوروبا	٢
الامريكيتين	—
استراليا	—
المجموع :	٦٩٥ ، ٦٥٪ ،
الاقليات الاسلامية	
	٢٨٢
	٧٠
	١٥
	٤
	٣٠٠ الف
المجموع :	٣٧١٫٣ ، ٣٥٪ ،

ويتزايد عدد سكان المسلمين فى العالم ما بين ٢١ الى ٢٥ مليونا فى السنة .

الاقليات المسلمة فى آسيا

يقدر عدد الاقليات المسلمة فى آسيا بنحو ٢٨٢ مليونا اى بنسبة ٦٣٪ من اجمالى عدد المسلمين فى آسيا ، وتضم الهند نحو ١٠٠ مليون مسلم ، والصين الشعبية ٩٥ مليونا والاتحاد السوفيتى ٦٩ مليونا .

ويتعرض بعض مسلمى آسيا الى الاضطهاد والمذابح ، كما هو الحال فى الاتحاد السوفيتى والفلبين وتايلاند والهند .

● الاقليات المسلمة فى افريقيا ●

يقدر عددهم باكثر من ٧٠ مليونا اى بنسبة ٢٤٪ من مجموع المسلمين فى افريقيا ، وتزيد نسبة المسلمين فى شرقى افريقيا لقربها من شبه الجزيرة العربية، ولقدم الهجرات الاسلامية اليها .

اما فى أوروبا فيصل عدد الاقليات المسلمة الى نحو ١٥ مليونا ، يعيش منهم فى يوغوسلافيا وحدها اكثر من خمسة ملايين ، ويعيش فى بلغاريا اكثر من ٢٫٥ مليون مسلم ، يتعرضون لضغوط تصفية خطيرة .

كما يقدر عدد الاقليات المسلمة فى الامريكتين بما يقترب من اربعة ملايين مسلم ، وهم يعانون من مشكلة التشرذم، بسبب الخلافات الاقلية التى حملوها معهم من أوطانهم .

وفى استراليا ٣٠٠ الف مسلم، ويوجد بها ٥٥ جمعية اسلامية و ٣٥ مسجدا ومركزا اسلاميا .

وفى الوقت الذى يزيد فيه عدد المسلمين فى العالم على مليار و ٦٦ مليون مسلم . فقد قدر عدد المسلمين فى العالم فى اوائل يناير ١٩٥٥ بنحو ٤٠٠ مليون مسلم كان اكثرهم فى آسيا « ١٥٠ مليونا » وتليها افريقيا « ١٠٠ مليون » والاتحاد السوفيتى « ١٠٠ مليون » والاتحاد اقليات فى أوروبا .

جـزء خـاص عن:
عـالم الإسـلام

المسلمون والتيارات الدولية المعاصرة

بقلم: عبد الرحمن شاكر

● لم يكن في مقدور المجتمع الاسلامي، أن يبقى بمعزل عن التطورات الحاسمة التي شهدتها أوربا والقارة الامريكية خلال القرون الثلاثة الأخيرة التي تحقق فيها الانقلاب الصناعي، وتبعه ماتبعه من تطور واسع النطاق. في النظم والمفاهيم السياسية والاجتماعية والفكرية، فقد بدات النهضة الأوربية والدولة العثمانية - كبرى الدول الاسلامية في ذلك الحين - دولة أوربية بمعنى من المعاني، حيث كانت تضم ممتلكاتها شطرا كبيرا من شرق أوربا، والمقابل، فمع النهضة الأوربية تجاريا وصناعيا وعلميا، شرع كثير من القوى الأوربية في وضع ايديها على أجزاء من العالم الإسلامي بدءاً من الهند التي كانت تعتبر امتدادا له، إلى إفريقيا السوداء التي كانت ولاتزال مسلمة في معظم أجزائها أو كثير منها على الأقل، انتهاء إلى قلب العالم الاسلامي ذاته وهي المنطقة العربية الممتدة من العراق والخليج إلى المغرب العربي في افريقيا ●

كان التداخل والتلاحم حربا وتجارة ، والتأثر والتأثير لامفر منهما على نطاق واسع شديد التشابك والتعقيد . بيد أن التفوق الأوربى الذى هيأته الصناعة وامتلاك ناصية العلوم الحديثة . قد جعل نصيب العالم الاسلامى من التأثر اكثر بكثير من نصيبه من التأثير ، وتبع ذلك سقوط كثير من مؤسساته التقليدية وفى مقدمتها الخلافة الاسلامية ذاتها بسقوط دولتها الكبرى والأخيرة : الدولة العثمانية .

وخلال ذلك وقبله وبعده ، وحتى الآن لايزال المجتمع الاسلامى مضطرا إلى التعامل مع مجموعة من المفاهيم السياسية الرئيسية من صنع أوربا ، وله مع كل منها تاريخ حافل بالسلب والايجاب والتناقض فى أحيان كثيرة ، انطلاقا من المأزق الذى وجد ذاته فى مواجهته ، من الاحتياج إلى الاستحواذ على عناصر القوة الأوربية الجديدة ، المتمثلة فى العلم والصناعة ، مع استمرار الشعور بالحاجة إلى التخلص من وضع التبعية ، والرغبة فى المحافظة على أصالته وهويته التاريخية المميزة .

● الديمقراطية والتعامل معها ●

ولعل أول المفاهيم السياسية التى اضطر العالم الاسلامى إلى التعامل معها هو فكرة الديمقراطية ، التى سادت المجتمعات الأوربية والأمريكية المتقدمة ، والتى جعلت من " الاستبداد الشرقى " عنوانا على التخلف والانحطاط ، وهو الطابع الذى كان يطبع نظم الحكم ، ليس فى الدولة العثمانية وحدها ، بل فى كل مايليها شرقا إلى الصين واليابان ، بما فى ذلك أجزاء من أوربا ذاتها ، وخاصة فى شرقها ، كالقيصرية الروسية على سبيل المثال .

ولقد اكتسبت كلمة " الدستور/ " ـ وهى كلمة فارسية قديمة دخلت العربية ، وأعيد إحياؤها لتعنى الحكم النيابى ـ سمعة مدوية فى كل ارجاء العالم الاسلامى ، باعتبارها أساسا للتخلص من ربقة " الاستبداد الشرقى" وتحقيق مشاركة " الرعايا" على الأقل فى حكم أنفسهم بأنفسهم . كانت هى شعار الثائرين فى مصر من أيام أحمد عرابى ، إلى الثائرين فى تركيا ذاتها أيام الانقلاب العثمانى ، ولم يكن مصطفى كامل يجد تناقضا بينها وبين دعوته إلى الجامعة الاسلامية بمعنى بقاء الرابطة من الدولة العلية ، وكانت هى محور صراع "الوفد المصرى" بقيادة سعد زغلول ثم مصطفى النحاس ، ضد السراى .

وإذا كان عبد العزيز فهمى ، قد وصف دستور عام ١٩٢٣ فى مصر بأنه ثوب فضفاض على الأمة ، فبالرغم من استنكار القوى الديمقراطية لتلك العبارة باعتبارها دعوة إلى تعزيز الاستبداد على حساب سيادة الأمة فإن الحقيقة الموضوعية كانت تقف إلى جانبها للأسف الشديد ، ليس بالنسبة لمصر وحدها ، بل بالنسبة للعالم الاسلامى فى مجموعه ، حيث اصطدمت إرادة المثقفين الداعين إلى الديمقراطية ، بوهن القوى الاجتماعية القادرة على فرض الديمقراطية ، أو صيانتها . فمن المعروف أن المجتمعات الأوربية لم تظفر بالديمقراطية لمجرد أن قلة من مثقفيها قد أكتشف أنها النظام

السياسى الأمثل ، بل لأن تلك المجتمعات قد نشأت فيها قوى حقيقية قادرة على فرض الديمقراطية ، بدءا من « البرجوازية » التى عزز مكانتها الاجتماعية ازدهار العلم والصناعة على ايديها ، وصولا إلى الطبقات العاملة الصناعية التى ناضلت بدورها من اجل توسيع الحقوق الديمقراطية أفقيا ، بأسقاط شرط التملك فى التمتع بالحق الانتخابى فى الترشيح والتصويت ، ورأسيا بمحاولة سحب الحقوق الديمقراطية إلى ساحة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، معا ولد المذاهب الاشتراكية ، التى تصبو إلى العدل الاجتماعى باعتباره تعبيرا عن الديمقراطية الاقتصادية .

ولقد كان من ابرز التناقضات التى سادت العالم الاسلامى فى هذا المجال ، أن القوى الاستعمارية الآتية اساسا من غرب اوربا ، أى من المجتمعات التى تتمتع بالديمقراطية ، كانت تساند استبداد القوى التقليدية فى مواجهة الشعوب الثائرة على السيطرة : المحلية والأجنبية على السواء ، مثلما حدث فى القضاء على ثورة عرابى فى مصر على يد الاحتلال البريطانى ، مما يعكس الحقيقة الرئيسية فى العصر الاستعمارى ، أنه لم يكن يريد للمجتمعات المتخلفة ـ من وجهة نظره ـ أن تصل إلى ما وصلت اليه مجتمعاته هو من تطور وازدهار ، بل يريدها باقية على تخلفها ، لتبقى فريسة لمصالحه الاستعمارية ، ولاينسحب هذا على قضية الديمقراطية وحدها بل يمتد إلى بناء الأساس المادى لها أيضا ، وهو التصنيع ونشر التعليم .

● الرأسمالية والقومية ●

من المعروف أيضا ـ تاريخيا ـ أن فكرة القومية قد نشأت فى أوربا مرتبطة بنشوء الرأسمالية الصناعية ، التى سعت إلى الاستحواذ على السوق "القومية" الخاصة بها ، سواء بالاستقلال عن الامبراطورية القائمة على أساس الرابطة الدينية ، مثل انفصال الدول الأوربية ـ بما فى ذلك كنائسها ـ عن البابوية فى روما ، أو التوحيد الداخلى لتلك البلدان بالقضاء على سلطة أمراء الاقطاع ، ولم تتردد الرأسمالية فى بداية عهدها عن تأييد الملكية المطلقة فى مواجهة هؤلاء الأفراد ، لإزالة المكوس التى كانوا يفرضونها على دخول البضائع الى مقاطعاتهم ، قبل أن تنقلب الرأسمالية باسم الديمقراطية على الملوك ذواتهم لتحويل البلدان الى ملكيات دستورية يملك فيها الملك ولايحكم او تسقط الملكية وتحل محلها الجمهورية .

ولكن القومية استخدمت فى العالم الاسلامى لأغراض أبعد ماتكون عن أغراض الرأسمالية الأوربية فى بلادها ، فتمزيق الرابطة الدينية التقليدية فى



مصطفى كامل



عبد العزيز فهمى

الدولة العثمانية كان مطلبا للاستعمار الأوربى ذاته ، حيث انتقل من تحريض الرعايا الأوربيين للدولة على الانشقاق عليها باسم القومية ، إلى نقل ذات العدوى إلى المواطنين الأتراك أنفسهم ، وربطها بقضية التطور العصرى الدستورى ، فكانت حركة التتريك التى تبنتها جماعة الاتحاد والترقى ، وحاولت ممارستها فى البلدان العربية ، الخاضعة للحكم العثمانى ، مما جعل نشوء الحركة القومية العربية فى مواجهتها رد فعل منطقيا لها ، استخدمه الحلفاء بدوره فى الحرب العالمية الأولى للقضاء نهائيا على الدولة العثمانية .

بيد أن نمو الرأسمالية الصناعية كان بعيدا تماما عن هذا المسار ، فلم تكد تستفيد أقل استفادة من فكرة الاستقلال بالسوق الوطنية ! ، فالدول الاستعمارية كانت تريد للأقطار الاسلامية أن تكون - شأنها شأن سائر المستعمرات - أسواقا لتصريف بضائعها هى ، واستثمار رءوس أموالها فيما بعد ، وفى سبيل ذلك لم تدمر فحسب الصناعات التقليدية فيها ، بل غيرت من أنماط الاستهلاك الداخلى فى تلك البلدان باسم التحضر حتى تخلق السوق الخاصة لبضائعها خلقا ، ولم تسمح للرأسمالية المحلية إلا بالعمل فى مجالى التجارة والاستيراد أساسا من الدولة الصناعية المسيطرة أو تصدير الخامات المحلية إليها مثل القطن ، ولم تفلح جهود " الصناعيين " الجدد من أبناء العالم الاسلامى فى تطوير الصناعة داخل أى من بلدانه على الطريقة الرأسمالية ، بالرغم من الجهود التى بذلت لتوطئة الأرض لهذا الفرض ، بما فى ذلك إقرار أنماط الاستهلاك الأوربى ، وإنشاء المصارف على الطريقة الأوربية ، واستصدار "الفتاوى" على مشروعية فائدة رأس المال ، بالرغم من التشابه الظاهر بينها وبين الربا الذى يحرمه الإسلام .

وكان من طبيعة الأمور أن تتجه أنظار وإعاة التصنيع فى العالم الاسلامى وجهة أخرى .

● الاشتراكية والتصنيع ●

بعد الحرب العالمية الثانية ، التى ادى انقطاع المواصلات البحرية خلالها إلى نوع من الازدهار فى الصناعة الوطنية داخل بعض الأقطار الاسلامية وفى مقدمتها مصر ، لاح شبح

الكساد أمام عودة الواردات الأجنبية مخيما عليها ، بما يعنيه ذلك من بطالة وتدهور فى مستوى المعيشة ليس بالنسبة للطبقات العاملة وحدها ، بل أيضا بالنسبة لكثير من المتعلمين إلى أعلى درجات التعليم الجامعى .

وفى هذه الظروف ظهرت القيادات الاشتراكية ، ولم تكن لمجرد الاحتجاج على تدهور الأوضاع الاقتصادية ، بل كانت تضع نصب عينيها بعض التجارب الدولية ، التى أثبتت أن الاشتراكية ـ وإن كانت لم تسيطر تماما على المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، اكتفاء بالاصلاح الاجتماعى فيها ـ قد أفلحت فى نقل بعض الدول المتخلفة ، التى عجزت عن تحقيق التطور الرأسمالى فى حينه إلى مستوى الدول الصناعية ، بل وفى مقدمتها ، خاصة الاتحاد السوفييتى ، وبعض دول شرق أوربا ، وتبعتها فى ذلك أكبر أمم العالم القديم ، وهى الصين .

وبالفعل اتجهت ثورة ٢٣ يوليو فى مصر إلى الاشتراكية كأداة للتطور الصناعى ، على غرار ماحدث فى عدد من بلدان العالم الثالث ، مثل الهند واندونيسيا ، دون ما حاجة إلى قيام حكم الأحزاب الشيوعية فيها ، كما حدث بالنسبة لروسيا والصين ، وكان ذلك من وجهة نظر التاريخ الاشتراكى ، طريقا جديدا للاشتراكية ، كان للعالم الاسلامى ـ أو اجزاء منه ـ الفضل فى اكتشافه وظهرت اجتهادات عدة للربط بين ذلك الطريق المعتدل للاشتراكية ، وروح العدل الاجتماعى فى الاسلام .

وفى ظل هذا الطريق انتعشت فكرة القومية على مستوى جديد ، باعتبارها أداة لتوحيد السوق القومية العربية على سبيل التحديد أمام الحركة الصناعية الوليدة النشطة فى بلدان عربية رئيسية مثل مصر وسوريا والعراق والجزائر .. الخ مع عدم إغفال الروابط التاريخية التى تعتبر بمثابة احتياجات واسعة إليها مثل الرابطة مع سائر العالم الأسلامى والقارة الافريقية .

ومرة أخرى تحركت القوى الامبريالية ـ وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، وريثة العصر الاستعمارى كله ـ لضرب هذا الطريق الجديد فى العالم الثالث بصفة عامة والاسلامى بصفة خاصة ، وكانت اداتها هى الدولة الصهيونية التى زرعتها فى قلب العالمين العربى والاسلامى وحولتها إلى قوة عسكرية باطشة ، فكانت هزيمة عام ١٩٦٧ التى قلبت موازين القوة رأسا على عقب فى المنطقة العربية ، وأجبرت مصر على التخلص من كثير من أحلامها القومية والصناعية على الصعيدين المحلى والعربى ، وأضافت الامبريالية العالمية الى ذلك إغراق العالم العربى فى مزيد من أنماط الاستهلاك المستوردة بسوء استخدام واردات النفط ، وهاهى بعد تدهور أسعار النفط تخطيط لربط هذا العالم بعجلة اقتصادها بوسائل أخرى

ليست بعيدة عن خطط الهيمنة الصهيونية .

● المفاهيم الجديدة ●

إزاء كل العثار الذى يعانى منه العالم الإسلامى فى محاولاته للتطور والتقدم شأنه فى ذلك شأن بقية العالم الثالث ، فإن الثورة التكنولوجية التى تنعم بآفاقها الدول الصناعية الكبرى فى الغرب ، وتحاول اللحاق بها الدول الاشتراكية فى الشرق ، تجعل أبرز المفاهيم التى يفرضها هذا الوضع هو الحاجة الى كيان كبير يكون إطارا للتقدم التكنولوجى المنشود ، حيث إن القوى الحقيقية فى العالم تتركز فى دول أشبه بالقارات مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتى ، وأوربا الغربية التى توشك أن تتحرك باعتبارها وحدة واحدة وليست دولا متفرقة إزاء العملاقين من حولها ، فضلا عن الصين الضخمة والهند التى تصارع من أجل الاحتفاظ بوحدتها .

ومن أجل إقامة هذا الكيان فإن جميع الروافد السابقة يمكن أن تصب فى مجراه الرئيسى ، بدءا من الديمقراطية ، التى لاتزال معظم بلدان العالم الاسلامى محرومة منها حتى الآن ، مرورا بالقومية وخاصة العربية فى حالتنا .

ومن المعروف أنه إذا عز العرب عز الإسلام ، والربط العلمى الصحيح ، هو بين ماقد تفلح الرأسمالية المحلية فى إنجازه ، وبين ما ينبغى أن تتولاه الدولة من مشاريع كبرى للنهوض السريع ، علما بأن العدل الاجتماعى لم يعد مجرد مستوى عصرى فحسب ، بل نحن نطالب به على المستوى العالمى بالنسبة للعالم الثالث الغارق فى ديونه ، فضلا عن كونه أداة بناء السوق الداخلية اللازمة لما نطلبه من تطور صناعى .

على أن الربط العلمى الصحيح ليس مقصورا على تلك النواحى فحسب ، بل إنه يتغلغل إلى جوهر وأصول التطور الصناعى والاجتماعى والثقافى ، فليس التصنيع هو مجرد استيراد آلات لانتاج مثيلات للسلع الأوربية أو الأمريكية ، بل هو فى مداه الأعلى صنع تلك الآلات ، لانتاج سلع تمثل ضرورة حقيقية للمستهلك المحلى أو لأسواق التصدير إن وجدت ، على أساس الاستخدام الأمثل لوسائط الانتاج من خامات طبيعية محلية أو مستوردة وقوى عاملة متوفرة مدربة ، واختيار السلع فى حد ذاته ليس قضية سهلة ، بل هى قضية تذوق اجتماعى عام تصنعه البيئة والثقافة وتمثل الهوية الحضارية ركنا أصيلا من أركانه ، وقد أصبحنا فى عصر تعتبر مخلفات الصناعة فيه عبئا ثقيلا قد يعصف بكثير من ثمار البناء الصناعى ويحيط البيئة بكثير من أخطار التدمير ، وربما كان التصنيع من أجل التوسع فى إنتاج المواد الغذائية عن طريق استخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة فى تكثيف الزراعة واستصلاح الأراضى الجديدة ، هو الحلقة الرئيسية فى النهوض الاقتصادى للعالم الثالث ـ والعالم الاسلامى جزء منه ـ والخروج من دائرة التبعية ، التى يمثل توفير الغذاء المستورد أداة رئيسية من أدوات سيطرتها .

الإسلام يقتحم وجدان الغرب

بقلم : أنور الجندى

اما أن الإسلام قد اقتحم وجدان الغرب فهذه حقيقة لاسبيل إلى إنكارها اليوم أو تجاوزها ، شهد بها كثير من نوابغ الغرب وأعلنوها واضحة جلية ، ولكن المفارقة التى يدهش لها بعض الناس هى أنه : كيف يمكن للإسلام أن يقتحم وجدان الغرب فى نفس الوقت الذى يعجز فيه أهله عن امتلاك إرادتهم وتطبيقه فى مجتمعاتهم ، ومعنى هذا أن الإسلام (أولا) قادر على العطاء فى كل البيئات بالرغم من وجود التعارض بين المنهج وبين التطبيق أحيانا (ثانيا) إن تراجع أهله وتخلفهم لايرجع إلى الإسلام نفسه وإنما يرجع إلى انصراف أهله عنه إلى مناهج أخرى ظنا منهم أنها تعطيهم القدرة على امتلاك إرادتهم أو شكامتهم فى قدرة الإسلام على العطاء أو مايدعونه من حاجته إلى التطور .

وهى مفاهيم دخلت على المسلمين من أجل تعويق مسيرتهم إذ أن الإسلام قد حقق الغاية من التطبيق الف سنة كاملة ، وأنه فى نفس الوقت قادر على العطاء فى مختلف العصور والبيئات لأنه مرن واسع الأطر ، ربانى الوجهة ، يختلف تماما عن الأيديولوجيات البشرية التى سرعان مايصيبها العطب وتحتاج فى مواجهة المتغيرات إلى الاضافة والحذف .

لقد تطلع أهل أوربا منذ وقت بعيد إلى منهج جديد يختلف عن منهجهم الذى راوه عاجزا عن العطاء وتطلعوا إلى الهندوكية والبوزية والى نحل مختلفة ظانين ، أنها قادرة على إخراجهم من أزمة الانسان الحديث ومن الغربة التى يواجهها مجتمعهم ، حين انصرفوا تماما عن منهج الدين كلية إلى الأيديولوجيات البشرية ، وحين اعتصموا بالفلسفة المادية ظنا منهم أنها تستطيع بناء مجتمع متماسك سليم ، بعد أن حجبوا تماما مفاهيم الروح والوجدان والمعنويات كلها أو فسروها تفسيرا ماديا .

واليوم وعلى ايدى كتاب منظرين لهم قدرهم فى الفكر الغربى يتبين :

أولا : أن عزل الدين عن المجتمع والحضارة هو مصدر الأزمة الأساسى

ثانيا : أن الدين الذى انتقل من المشرق إلى المغرب اختلط بالأديان البشرية والفلسفات التى كانت تعيش فى بيئة الغرب ولذلك فقد جاءت معطياته غير كاملة .

ثالثا : إن الحضارة التى شكلها الغرب والمجتمع الذى اقامه اخذ من المسلمين (المنهج التجريبى) ولكنه رفض منهج المعرفة ذا الجناحين (المادة والروح) ومن هنا فقد فصل بين المنهج والتطبيق ، وأعلى مفهوم المادية والوثنيات القديمة فعجز عن معرفة أبعاد الصلة بين الله تبارك وتعالى وبين المجتمعات والحضارات ، هذا البعد الالهى الغائب الذى هو وحده القادر على حماية حركة الحضارة من الانهيار والتمزق والصدع إذا هى عادت إليه واستمسكت به .

ومن هنا ظهرت تلك المفارقات العجيبة ، ففى مجتمع الوفرة تبرز ظاهرة الانتحار ، ونبذ الأبناء للآباء والقضاء على المريض إذا تعذر الشفاء ، والاستعلاء بالعنصر والدم وتصور الأمم الملونة وكانها من طبقة آخرى ، على النحو الذى كان سائدا فى حضارة الرومان مع اختلاف خفيف هو وضع مخالب العدوان فى قفازات حريرية ، ولقد مضت الحضارة على هذا النحو المتحرر من البعد الالهى إلى اقصى غايات الاستعلاء والاستهلاك والسرف فى الترف واستنزاف الثروات الطبيعية فاحست بالفزع والترويع

● حلول صالحة ... كيف ●

تلك هى أزمة الحضارة الصاعقة التى لفتت أنظار المثقفين الغربيين والمفكرين إلى مدى الخطر الذى يحيق بالبشرية ، ومن هنا تحرك الباحثون حول المذاهب المختلفة يحاولون إيجاد حلول منها صالحة ،أما الذين ذهبوا إلى المذاهب الروحية وعلى راسها (البوذية) فقد كانوا يطلبون عبثا فهذا تيار مختلف تماما يرفض المادة تماما

ويبرأ منها ويعكف على الزهادة من الحياة وهو فى هذا شأنه شأن الفلسفة المادية التى تنكر الروحيات والمعنويات . إذن فلابد من(منهج) قادر على الجمع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والعلم والدين ، والدنيا والاخرة ، وهو الاسلام الذى غيبه الغرب وحجبه وشكك فى عطائه خوفا من خطره .

وكانت غلبة مفهوم العقلانية والمادية والعلمانية على الفكر العربى بمثابة حجاب خطير يحول دون الوصول إلى الحقيقة .

ومن هنا كانت صيحة الذين استطاعوا أن يجردوا من الوهم : « أن العقل المادى يقود الحضارة إلى الهاوية وأن الاسلام هو الوسيلة الوحيدة لاعادة التوازن للعقل البشرى وتخليص الانسانية من السياسات الميكيافيلية » .

● فساد التجربة الغربية ●

وكان لابد للإسلام أن ينتظر أربعة قرون كاملة حتى ينكشف فساد التجربة الغربية بكاملها سواء فى مجال الحضارة أو مجال المجتمع . أو عجزها عن العطاء النفسى وأشواق الروح . لقد استطاع العلم التجريبى منذ وقت طويل ان يعترف بعالم الغيب ، خاصة عندما فجر الذرة وتبين له أن الطاقة تتحول إلى مادة وأن المادة تتحول الى طاقة ، وبذلك وقف العلم التجريبى على أبواب الإيمان بالخالق الذى هو النقطة الأولى والكبرى فى القضية كلها ، ولكن الفلسفة المادية ظلت تتحدث عن (الطبيعة) وحاولت بأساليبها ومغرياتها ان تخدع الكثيرين خاصة فى عالمنا الاسلامى بأن المادة مصدر الحياة كلها . لقد كان خلاف العلماء فى الغرب مع دين الغرب نفسه مصدر هذه الأزمة التى فصلت تماما بين العلم والدين ولكن هذه قضية خاصة بالغرب نفسه فإذا نقلت إلى إطار الإسلام كانت غريبة مجهلة ،لسبب بسيط جدا:هو أن الإسلام هو الذى فتح الباب واسعا أمام العلم وأعطاه فكرة النظر والتجريب والبرهان (اساس القاعدة الأولى للعلم والتكنولوجيا) .

أن الغرب فى بعض دوائره يخاف الإسلام ،كما يخاف العلم الحديث لأنه يكشف كثيرا مما أعتقده الناس مسلمات على مدى التاريخ دون أن يتبينوا حقيقته ،وكانت دعوة الإسلام الخطيرة فى نظر الغرب هى : (أعرف ثم أمن) وإن الشك مدخل إلى الإيمان وهى مناقضة تماما لدعوة (أمن ثم فكر) ومن هنا فان العلم اليوم يؤكد حقائق القرآن .

لقد دعا الغرب إلى النظرية المادية وقدم الإسلام المنهج الجامع احتراما لعقل الانسان .

لقد دعى الغرب إلى الحرية المطلقة ، وقدم الإسلام الحرية المنضبطة لحماية الانسان .

لقد دعا الغرب إلى فك القيود وإطلاق الارادة فماذا وجد الانسان نفسه بعد التقدم المادى الهائل:

يقول جارودى: اننى اقول بكل ثقة أنه بعد أربعة قرون من هيمنة الغرب فان العلم وفر وسائل الدمار ، إن الغرب والشرق الان لديهما ما يعادل مليون قنبلة مثل التى القيت فى هيروشيما ، أى لدى الحضارة الحديثة قنابل تستطيع أن تقتل ٦٠ مليارا من البشر أى نحو عشرين ضعف سكان العالم فى الوقت الحاضر ، إن البشرية فى حاجة الى الإسلام ليحقق التوازن بين الأهداف والوسائل ، وبين ما يمكن ان يفعله العلم الحديث وبين ما يجب ان يفعله فى حقيقة الأمر ، لأن العلم خلط بين الوسائل والأهداف وفقد (الحكمة) فى الاختراعات الحديثة بحيث وجدنا عشرات المخترعات الحديثة ليس من ورائها حكمة ، وليس من ورائها غايات . اجزم أن الإسلام كعقيدة وفكر ونظام حياة هو الوسيلة الوحيدة لاعادة التوازن للعقل البشرى وتوجيهه نحو فائدة الفرد والمجتمع والعالم . فالاسلام يركز دائما على أن الانسان هو خليفة الله فى الأرض وما دام الانسان هو خليفة الله فلابد أن يعمل ما يامر به الله وما يرتضيه» .

هكذا نجد أن هناك طبقة عالية من المفكرين فى الغرب :

(ارثر اليسون ، موريس بوكاى جارودى)

● صراع المفاهيم ●

كيف يمكن للغرب أن يواجه هذه الأزمة ، أزمة الصراع بين المفاهيم والمعايير المضطربة التى تقدمها الحضارة بين النفس والانسانية الحاسة بالفراغ الواسع ، لقد اقر هؤلاء أن الاسلام هو القادر على العطاء فى هذا المجال ، بما يطرحه فى قلب المؤمن من الحب والصدق والأمانة والصبر والشجاعة والوفاء والمروءة ويطرح فى عقل المؤمن : التواضع والرشد والحكمة ويطرح فى وجدان الانسان الايمان والثقة بالله تبارك وتعالى وصدق الوجهة إليه ، وإيمانا بأن الجانب الروحى والمعنوى سيظل أهم العوامل التى تقف وراء تقدم الحضارات أو انهيارها .

لقد افتقدت الحضارة الحديثة الروحانيات فافتقدت الأولويات والوجهة التى تتجه إليها فاضطربت منطلقاتها وتوزعت ، إن بعدنا عن الروحانيات قد أوصلنا فى مجال العلم إلى التجرد العلمي بعيدا عن الأهداف والحكمة وأصبح العلم علمانيا أو دينيا يسعى وراء اللذة وفى مجال السياسة أوصلنا الى القول المعروف (الغاية تبرر الوسيلة) = الميكافيلية هذه السياسة هى المسئولة عن الانانية والفردية التى تعم الغرب على مستوى الأفراد والجماعات ، وهى المسئولة عن اختراع وسائل الانحدار والدمار وعن حرب القوى العالمية

فالاسلام وحده هو القادر على إعادة هذه (الروحانيات) الى حياتنا وان نجعل العلم فى خدمة غايات الله تبارك وتعالى وان تخدم هذه الغايات (عباد الله) عن طريق تحديد الاولويات والتأكيد على الغايات ، ا.هـ.

على ضوء هذه المفاهيم المضيئة المنبثة الان فى الغرب نجد العشرات من المثقفين يدخلون فى الاسلام ويؤمنون به بالرغم من حالة التردى التى يعيشها المسلمون وأعتقد ان هذا التحول قد تم على مراحل خلال اكثر من خمسين عاما حين كتب برناردشو وكارليل . وجوستاف لوبون كتاباتهم الاولى .

(١) حين انكسر هذا الحاجز الذى كان يحول بين الغرب وبين الاعتراف بالدور الذى قام به الاسلام فى بناء المنهج التجريبى الذى قامت عليه الحضارة المعاصرة .

(٢) حين إنكشف لبعض كتاب الغرب الدور الذى يقوم به النفوذ الاجنبى فى تعويق نهضة المسلمين .

(٣) حين انكشف شىء من اصالة الاسلام بعد أن ارتفعت غاشية التعصب العقائدى الخالص .

(٤) حين انكشفت تحريفات بعض الكتب القديمة .

(٥) حين كشف العلم الاعجاز الطبى والعلمى الذى جاء به القرآن الكريم وفتوح أخرى على الطريق (سيريكم اياته فتعرفونها) صدق الله العظيم

● دور كبير للمراكز الاسلامية فى أوربا ●

تنتشر المراكز الاسلامية فى أوروبا ، حيث تقوم بدور كبير فى تعريف المسلمين بدورهم ، وتنظم لهم البرامج الدينية.. ومن اشهرها المركز الاسلامى فى لندن والمركز الاسلامى فى فيينا والمركز الاسلامى فى لندن ، يعتبر مؤسسة اسلامية دينية تقع فى اهم شوارع لندن .

ويضم مسجدا يسع ١٩٠٠ من المصلين، ومركزا ثقافيا ، وينظم فصولا للتعليم الدينى ، ويشرف المركز على تعليم الدين الاسلامى للاطفال المسلمين فى مناطق عديدة من لندن وبريطانيا .

القبة الموجودة بالمركز تشبه الى حد كبير قبة الصخرة ، وهى مصنوعة من البرونز الاصفر الشبيه بالذهب ، ويعتقد الناس ان القبة مصنوعة من الذهب الخالص ، ولذلك يطلقون على المسجد .. المسجد الذهبى ..

اقتصاد العالم الإسلامي

يمتد العالم الاسلامي من المغرب غربا الى الجزر الغربية فى المحيط الهادى ويبلغ عدد المسلمين فيه ٩٠٠ مليون مسلم من السكان البالغ عددهم ٢ بليون نسمة.

ويتزايد عدد السكان فى دول العالم الاسلامى بمعدل ٢٫٨ ٪ فى السنة ويبدو ان معدلات الزيادة بين المسلمين فى المنطقة الاسلامية سترتفع من ٤٥٪ الى اكثر من ٥٠٪ مع نهاية القرن الحالى ويصل مجمل الدخل بالنسبة للفرد الواحد فى الدول ذات الكثافة السكانية الكبيرة من المسلمين نحو ٦٠٠ دولار فى عام ١٩٨٥ وهو ما يقارب معدل الدخل فى كل الدول النامية . وقد بلغت معدلات الزيادة فى دخل الفرد فى هذه الدول فى الفترة بين ١٩٦٥ - ١٩٨٥ نحو ٣٫٥٪ وهى اقل من معدل الزيادة فى كل الدول النامية .

ويمكن تقسيم العالم الاسلامى الى خمس مناطق اقتصادية :

● الاولى تشمل الدول المستوردة للبترول ذات الدخل المتوسط فى جنوب اوربا والشرق الاوسط وشمال افريقيا .

● الثانية تشمل الدول المصدرة للبترول فى نفس المنطقة السابقة .

يبلغ عدد سكان هاتين المجموعتين نحو ٣٠٠ مليون نسمة واقتصادهما يتكامل بصورة جيدة مع النظم الاقتصادية العالمية ولكنه يختلف من حيث ان المجموعة الاولى عليها ديون ضخمة متراكمة فى الوقت الذى تملك فيه المجموعة الثانية كميات كبيرة من الاحتياطى الخارجى والارصدة

● المجموعة الثالثة تمثل الدول الافريقية التى تقع تحت الصحراء . وهى ليست فقيرة للغاية ولكن معدل دخل الفرد انخفض بثبات خلال العقدين الماضيين حيث كان دخل الفرد عام ١٩٨٥ فى هذه الدول اقل من دخله فى اوائل السبعينات

● المجموعة الرابعة وتضم الدول الاسيوية وتمتد من هندوكوش غربا الى خليج البنغال فى الشرق . ويعيش نحو ٣٠٠ مليون مسلم فى هذه المنطقة .

● المجموعة الخامسة وتمثل شبه الجزر والجزر الواقعة فى جنوب شرق آسيا . ويعيش فيها ٢٠٠ مليون مسلم.

وبالرغم من الاختلافات بين المجموعات المختلفة فهناك عدد من النقاط المتشابهة سوف تؤثر على اسلوب تطور الاقتصاد فيها فى المستقبل . ومن اهم هذه الملامح المشتركة :

● اولا : المساهمة الضئيلة نسبيا للتصنيع فى مجمل الانتاج القومى . ففى كل الدول الاسلامية يساهم التصنيع بنسبة اقل من سدس الانتاج القومى وهى نسبة تقل بكثير عن مثيلتها فى الدول النامية الاخرى التى لها نفس معدل الدخل تقريبا . وللزراعة اهمية اكبر من التصنيع وهذا يفسر المساهمة الضئيلة للتصنيع فى التصدير . وحيث أن التصنيع بصفة عامة والصادرات المصنعة بصفة خاصة تلعب دورا هاما فى دفع النمو الاقتصادى لذلك يجب أن يحدث تغير فى النظم الاقتصادية للعالم الاسلامى . وان كانت بعض دول العالم الاسلامى قد شهدت ازدهارا اقتصاديا خلال العقدين الاخيرين فذلك يرجع الى التغيرات فى الاسعار لبعض السلع مثل البترول والمطاط ومن ثم فالكساد الاقتصادى فى الكثير من هذه الدول هو نتيجة الانهيار الفعلى لاسواق السلع العالمية وباختصار شديد فالعالم يحتاج الى ثورة صناعية !.

● ثانيا : سيادة القطاع العام فى كل مجالات الاقتصاد حيث تلعب الدولة دورا هاما فى التصنيع والتجارة وتوفير الخدمات العامة . وقد انتعشت الاستثمارات الخاصة فى دول قليلة وهو احد الاسباب للمعدل المنخفض للتصنيع.

● ثالثا : المعدلات المرتفعة لهجرة العمال . فلقد اصبحت الهجرة عاملا هاما فى تشكيل اقتصاد العالم الاسلامي فى العصر الحديث .

جزء خاص عن:
عالم الإسلام

مسلمو الصين الغائبون الحاضرون

بقلم: فهمى هويدى

يشكل مسلمو الصين علامة استفهام كبرى فى سجل مسلمى العالم الآن، اذ شاءت المقادير ان تعيش ملايينهم ـ التى تتضارب الاقوال حول عددها ـ فى ظل غموض مركب، وعزلة مضاعفة ووسط محيط بشرى هائل تذوب فيه اية اقلية، وتنطمس معالمها بمضى الوقت.

ورغم أن موضوع الاديان فى الصين، والاسلام فى المقدمة، يحظى باهتمام عديد من الباحثين فى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وانجلترا، فان قضية مسلمى تلك البلاد النائية والمستعصية على الفهم، لم تشغل أيا من الباحثين فى العالم الاسلامى.. نستثنى من ذلك باكستان، التى اهتم البعض فيها بالامر، بحكم الجيرة والحدود المشتركة بين باكستان ومقاطعة سينكيانج الصينية، ذات الاغلبية المسلمة.

اما غير ذلك، فلا نعلم انه خلال السنوات الاربعين الاخيرة، صدر كتاب أو بحث مستقل باللغة العربية الا فى حالتين، دراسة نشرها احد الدبلوماسيين الصينيين المسلمين منذ ١٢ عاما باسم «تاريخ المسلمين فى الصين». وهو بدر الدين و. ل. حى، الذى نزح من الصين بعد نجاح الثورة الشيوعية فى عام



١٩٤٩ ، الى الهند ثم استقر فى المملكة السعودية ، وهى تركز على الخلفية التاريخية لهؤلاء المسلمين ، ولكنه توقف عند السنة التى هاجر فيها هو واسرته من هناك ، الدراسة الثانية لكاتب هذه السطور ، الذى اتيح له ان يقوم بزيارة ميدانية لمناطق مسلمى الصين فى آخر السبعينيات ، فى اطار مهمة صحفية – وصدر له فى عام ١٩٨٠ كتاب متواضع باسم « الاسلام فى الصين » ، ضمن سلسلة عالم المعرفة التى تصدر فى دولة الكويت . وباستثناء هذين الكتابين ، فان المكتبة العربية تكاد تخلو من دراسة مستقلة حول الموضوع ، دعك من المقالات او التعليقات المتناثرة فى بعض الكتب التى تتناول العالم الاسلامى ، او تعرض فى الصحف بين الحين والآخر .

ومن المفارقات الغريبة هنا ان المسلمين كانوا من اوائل من طرقوا ابواب الصين قبل ١٣ قرنا ، وان العلاقات الثقافية والتجارية بين العالم الاسلامى وبين تلك البلاد كانت وثيقة للغاية . والدراسات التى تناولت موضوع الملاحة والتجارة بين بلاد العرب واقاصى آسيا عبر المحيط الهندى ، حافلة بالاشارات الدالة الى عمق تلك الروابط المبكرة .

● اسلام مبكر ●

ومن الثابت ان المسلمين وصلوا الى بلاد الصين فى العصر الاسلامى الاول ، وان مبعوثين عن الخليفة عثمان بن عفان وفدوا على تلك البلاد فى عهد الامبراطور قاو تنغ ، احد ملوك أسرة تانغ ، حوالى عام ٦٥١ ميلادية (٣٠ – ٣١ هجرية) . وتشير السجلات الصينية الى انه فى ٢٥ اغسطس من ذلك العام ، وصل المبعوث العربى على رأس وفد ، والتقى بالامبراطور ، وتذكر السجلات ان الوفد القادم من ارض بعيدة جدا ، نقل الى الامبراطور انباء عن جزيرة العرب ، التى شهدت ظهور نبى بعثه الله بين العرب » .. وان « ملكهم يدعى هنجى مومنى (أمير المؤمنين)، وان حكومتهم اسست من اربع وعشرين سنة . وقد مضى منهم ثلاثة ملوك الى الان » .

تشير المصادر الصينية ايضا الى ان المبعوثين العرب كانوا يترددون على الصين طوال فترة حكم اسرة تانغ ، التى استغرقت نحو ثلاثة قرون ، وان السفارات العربية الرسمية فى تلك الفترة بلغت ٢٧ سفارة او وفدا ، وربما كان ابرز تلك السفارات تلك التى اوفدها القائد العربى الكبير قتيبة بن مسلم الباهلى فاتح اواسط آسيا ، الذى وصلت قواته الى كاشغر – على حدود الصين وقتئذ واستولت عليها الصين فيما بعد . وكان ذلك فى سنة ٩٦ هجرية . وتقول المصادر العربية (الطبرى فى تاريخ

الرسل والملوك) ان ملك الصين فى ذلك الزمان دفع الجزية الى مبعوث قتيبة ، ورده مع بعض الهدايا ، اذ كان القائد العربى يهدد حدود بلاده ٠

اضافة الى ذلك ، فان المصادر العربية تشير الى أن أول الرحالة والتجار العرب الذين وفدوا على الصين هو تاجر عمانى الاصل ، اسمه ابو عبيدة عبد الله القاسم الذى اقلع من عمان الى كانتون ـ ميناء الصين الجنوبى ـ حوالى عام ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م ، لشراء الصبار والاخشاب ٠٠ وهو الرجل الذى يقول عنه العمانيون انه اول من اطلق عليه وصف « السندباد » ٠

لكن أول مدونة عربية عن رحلة بحرية الى تلك المناطق كتبها تاجر عربى آخر اسمه « سليمان » ٠ كان كثير السفر الى الهند والصين ٠ وقد كتب مدونته بعد مائة عام تقريبا من رحلة ابى عبيدة ، ووصف فيها كانتون ـ كانت تدعى خانفو ـ قائلا انها مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب ، وبين أيدينا ايضا مدونة مختصرة تصف رحلة تاجر عربى آخر هو ابو الحسن السيرافى ، الى كل من الصين والهند ٠

ومن مشاهير من زاروا الصين بعد ذلك الرحالة العربى الاشهر ابن بطوطه ، الذى قام بجولة فى أهم حواضرها بعد خمسة قرون من رحلة التاجر سليمان ٠ وذهب الى ملكها موفدا من سلطان الهند المسلم «تغلق» ، وكان ابن بطوطة مقيما بالهند فى ذلك الوقت ٠

● علاقات قديمة ●

ومن الاشارات الدالة على وثوق العلاقات بين العالم العربى والصين ، تلك القصة التى يرويها « التنوخى صاحب كتاب « مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، وفيها يسجل رواية لاحد تجار عمان قال فيها انه كان فى بلدة الابلة ـ عبدان الان ـ يهيم بالسفر بالبحر ، ووجد سائلا بباب الجامع فأعطاه بعض الدراهم ، ثم ذهب ذلك التاجر الى عمان لعدة اشهر ، توجه بعدها الى الصين عبر كانتون ٠٠ « فاذا الرجل » بعينه قائما فى السوق يتصدق ، فتأملته فعرفته ، فقلت له : ويحك٠ سائلا بالابلة وسائلا بالصين؟ فقال ، لقد دخلت هذا البلد (يقصد كانتون) ثلاث دفعات وهذه الرابعة، لطلب المعيشة ، فلا اجدها الا من الكدية (الشحاذة) ، فارجع الى الابلة ، ثم ارجع الى هنا » ٠

الى هذا الحد كان الطريق مفتوحا بين الصين والعالم العربى ٠٠ للتبليغ والتجارة والسياحة ، والشحاذة أيضا !

ومن الامور المؤسفة أن تلك الصفحات طويت تماما فيما بعد ، باستثناء العلاقات التجارية التى استمرت سواء عن طريق المحيط الهندى ، او عبر طريق الحرير ـ البرى ـ الذى كان يمر ببلاد فارس والعالم العربى ـ الشام اساسا ـ وعبره كانت تصل البضائع الى استنبول فى تركيا ، ثم

اشـــهر الموانى التجـــارية فى آوربا وقتذاك ، وهى البندقية ·

وبينما توقف الرحـــالة والباحثون المسلمون عن متـــابعة ما يجرى فى الصين ، فان البـــاحثين الغربيين يكثفون جهدهم لكشف غوامضهـــــا والتعرف على أسرارها ، منذ اكثر من قرنين من الزمان · وذلك بالضبط ما حدث مع افريقيـــــا ، ذهب اليهـــــا المسلمون واكتشفوا معالمها وكتبـــوا عنها فى مرحلة ، ثم توقف جهدهم بعد ذلك . لياخـــذ الاوربيـــون مكانهـــم ويقطفـــوا ثمـــار جهـــدهم . وان كان المسلمون قد ذهبوا الى تلك المناطق دعاة وتجارا وراحلين ، فان الغربيين ذهبوا اليها بعدذلك طامعين ومحتلين·

● هؤلاء المسلمون : داشى ●

والمسلمون يذكرون فى السجـــلات الصينية القديمـــة باسم « داشى » ، وهى كلمة معناها « التاجر » فى اللغة الصينية · ولان التجـــار هم ابرز الوجوه المسلمة التى راهـــا أهـــل الصين ، فقد اختلطت المهنة بالملة ، واطلق على كل مسلم وصف التاجر منـــذ تلك العصور المبكرة ، حتى التصقت كلمة « داشى باى مســـلم يذكر فى مدوناتهم · فالامويون ـ مثلا ـ يذكرون فى سجلاتهم باسم « باى لى داشى » ، اى المسلمين ذوى الملابس البيضاء · اما العباسيون ، فيطلق عليهم « خى لى داشى » ، اى المسلمون ذوو الملابس السوداء ، اشارة الى اللون الاسود الذى اتخذه العباسيون شعارا لهم ·

غير أن المسلمين باتوا يعرفون منذ ثمانية قرون باسم هوى ، او خـــوى طبقا للنطق الصينى · وقصة هـــذه التسمية ترجع الى ان المســـلمين فى الصين كانوا فريقين أحدهما وافـــد من الخارج ـ التجار اساسا ـ وهـــؤلاء كانوا يعرفون باســـم داشى ، وكانوا يعيشون فى جنوب الصين ووسطه أما الجزء الاكبر فانه كان من سكان البلاد الاصليين ، الذين كانوا يســكنون فى غرب الصين ـ منطقة تركستان ـ حيث تستوطن قبائل ويغـــور ، التى اعتنقت الاسلام فى وقت مبكر · كان الويغـــور هم الاصل ، وعندما استقر الـ داشى ، فى مناطق الوسط والجنوب ، اطلـــق عليهم الصليبيون فيما بعد اســـما مشتقا من قومية مسلمى الغرب ذوى الاصول التركية ، وكان الاسم هـــو : هوى ، وهى المقطع الاول من ويغور ، التى كانت تنطق هو يغور ، فى العصور القديمة ·

ومنذ ذلك الحين والى الان ، فقد اعتبرت قومية «هوى» ،هى القوميةالتى ينتمى اليها المسلمون الصينيون ·

وتتعذر الاحاطة بتاريخ مســـلمى الصين فى سياق المقال ، لكنا نشـــير باختصار الى ان ملف العـــــلاقات الاسلامية الصينية بدأ فى ذلك الـــوقت المبكر الذى اشرنا اليه ، والذى تزامن مع عصر اسرة تانغ (٦١٨ ـ ٩٠٧ م) ـ التى اعقبتها اسرة سونغ (٩٦٧ ـ ١١٦٨م) وتشير سجلاتها الى ان ٤٩ بعثة عربية وفدت من حكام المسلمين الى بلاط الامبراطور ، فى تلك الفتـــرة وتلتقى المصادر الصينية والعربية على ان التجارة كانت محور العلاقات بين الصينيين والمسلمين ، وان المسلمين كانوا يحتكرون التجارة على الاقل فى ميناء كانتون ·

غير ان الاسلام حقق انتشارا أوســـع فى الصين ، فى عصر مملكة يـــوان المغولية (١٢٧١ ـ ١٣٦٨م) بعدمـــا اطاح قوبلاى خان حفيد جنكيز خان بحكومة اسرة سونغ · وقد برزت اسماء عديدة من المسلمين تولوا مناصب الحكم

والادارة ـ في البلاط والاقاليم ـ خلال تلك الفترة واشتهر منهم رجل يعرف باسم السيد الاجل ، واسمه الحقيقي عمر شمس الدين ، وقد كان قريبا من قوبلاى خان ، حتى نصبه وزيرا ، وعضوا في مجلس العرش الاعلى ، وكان لـه دوره الكبير في انماء البلاد واقرار العدل فيها .

وبعد مملكة يوان ، حكمت الصين اسرة مينج (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤) التى تعاملت بقدر من الود والاعتدال مع المسلمين الذين كانت اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، ومكانتهم في السلطة قد بلغت شأوا كبيرا ،واعقبتها اسرة مانشو (١٦٤٤ ـ ١٩١١) التي عانى المسلمون الامرين في ظل حكمها، رغم ان نشاطاتهم قد اتسعت واصبحت لهم جمعيات ومدارس ، وقيادات سياسية وفقهية بارزة ، فضلا عن ان تداخلهم في الحياة الصينية بات امرا واقعا ، حتى ان اسماءهم تعرضت للتصيين . وعلى سبيل المثال فان محمود صارت تنطق (ما) ـ ومحمد اصبح (مو) ـ وسعد الدين صار (سا) ـ ونور الدين (نو) ـ ويحيى (يى) .. وهكذا .

خلال تلك الفترة ، تعددت ثورات المسلمين ضد تعسف اسرة المانشو ، اذ كانوا قوة غير مستعدة لاحتمال الضيم والظلم . ولكن تلك الثورات كانت تقابل بقمع وحشى ، خسر المسلمون بسببه أعدادا هائلة ، وتاثرت مصالحهم نتيجة لذلك الى حد كبير .

ولهذا السبب فان مسلمي الصين كانوا في مقدمة المؤيدين للثورة على حكم المنشو ، واعلان الجمهورية عام ١٩١١ ، فبادرت الجمهورية الوليدة الى الاعتراف بهم ، واعتبارهم احد العناصر الاساسية الخمسة التى تقوم عليها البلاد ، ونص على ذلك صراحة في الاعلان الدستوري .. الذى صدر سنة ١٩١٣ .

ورغم انالثورة انعشت امال المسلمين في البداية ، فان الصدام مالبث ان وقع بين رجال شيانغ كاى شيك وبين المسلمين في عدد من المقاطعات ، الامر الذى دفع المسلمين للانحياز الى ماوتسى تونج في حربه على كاى شيك ، وتاييدهم له في مسيرته الشهيرة ، التى قام بها من اقصى الصين الى اقصاه، وانتهت بانتصاره في سنة ١٩٤٩ . وفي تلك المرحلة فانه كان لمسلمي الصين دورهم البارز في حرب المقاومة ضد الاحتلال الياباني (١٩٣٧ ـ ١٩٤٥) ـ حيث شكلوا فصيله قوميه هوى ، عرفت باسم الجحافل الحديدية ، بقيادة ضابط مسلم سجل تاريخ الصين الحديث لبسالته الفائقة ، اسمه مابن تشاى .

● ٤ مراحل بعد الثورة ●

ونستطيع أن نقسم رحلة مسلمي الصين بعد نجاح الثورة عام ١٩٤٩ ، الى أربع مراحل أساسية :

● مرحلة الاعداد لتاسيس الدولة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٨) ، وهي مرحلة اختلطت فيها مشاعر التقاط الانفاس ، بالانتظار والترقب من جانب المسلمين ولوحظ ان الجمعيات الاسلامية التى كانت موجودة من قبل ، بدات تختفى واحدة تلو الاخرى ، بينما ظهرت

الى الوجود الجمعية الاسلامية الصينية التى أرادت لها السلطة أن تكون وعاء جديدا للنشاط الاسلامى · وقامت تلك الجمعية بانشاء معهد تعليمى للمسلمين ، واصدار مجلة خاصة بهم فى سنة ١٩٥٥ ·

● مرحلة تطبيق النظام الشيوعى (٥٨ ــ ٦٦ م) ، التى ارتبطت بعام القفزة الكبرى (٥٨) الذى انشئت فيه الكوميونات ومارست الدولة سيطرتها على مختلف نواحى الحياة العامة · فى تلك الفترة أغلقت بعض المساجد وحولت الى اغراض اقتصادية وأغلق المعهد الاسلامى فى عام ١٩٥٩ ، أى بعد ٤ سنوات فقط من انشائه · وتوقفت مجلة « المسلمون فى الصين » ، كما أوقفت بعثات الدراسة للازهر ، والحج للاماكن المقدسة ·

● مرحلة الثورة الثقافية (٦٦ ــ ٧٦) التى كانت تتويجا للحرب التى أعلنت على الاسلام والمسلمين ، ضمن ما شن ضد الموروثات القديمة فى الصين ، حيث أغلقت جميع المساجد (يقال أن مجموع مساجد الصين عشرة الاف) ، باستثناء مسجد رمزى واحد بقى مفتوحا فى العاصمة بكين ، وتعرض شيوخ المسلمين للحبس والاهانة ، وأحرقت مكتباتهم ، وأغلقت المطاعم الاسلامية ، والغيت عطلتا عيد الاضحى والفطر اللتان كانتا تمنحان لهم. ومنع مسلمو سينكيانج من استخدام الحروف العربية فى كتابة لغتهم ، كما منع مسلمو المناطق الاخرى من ارتداء أزيائهم الخاصة ، واجبروا على لبس « البدلة » الزرقاء المقررة على الجميع

● المرحلة التى بدأت منذ عام ٧٨ والى الان ، بعد وفاة الرئيس ماو وتصفية ما سمى بعصابة الاربعة · وهى المرحلة التى شهدت انفراجا متزايدا فى أوضاع المسلمين ، ضمن حالة الانفراج العامة التى سادت الصين ، فأعيد فتح المعهد الاسلامى ، واصدار مجلته ، وأعيد طبع المصحف وظهرت ترجمات للعديد من كتب التاريخ الاسلامى ، واستؤنفت البعثات المسافرة الى الحج ·· وكان اخر تلك الخطى ، ان الحكومة سمحت بانشاء بنك اسلامى فى بكين ، لتتجمع فيه أموال المسلمين فى الداخل أو المهاجرين منهم الى الخارج

● دور لحم الخنزير ●

ليس هناك رقم متفق عليه بشأن تعداد مسلمى الصين ، وستظل تلك المشكلة بغير حل ما دام تعداد السكان هناك يقوم على اساس القوميات ·· ويحصر المسلمين فى قومية هوى دون غيرها · وطبقا للاحصاء المعلن فى سنة ٨٠ فان عدد مسلمى الصين نحو ١٣ مليونا ، وهو رقم أقل بكثير فى الحقيقة ، خاصة وان شواين لاى ــ رئيس الوزراء الصينى الأسبق ــ قد أعلن أمام مؤتمر باندونج سنة ٥٤ ان فى بلاده ١٠ ملايين مسلم ، وكان تعداد الصين وقتئذ ٦٠٠ مليون نسمة ، وبعد أن وصل العدد الى نحو الف مليون الان ، فقد يكون من المقبول أن يدور عدد المسلمين حول رقم ٢٠ مليونا ، اذا اعتمدنا كلام شواين لاى أساسا للقياس والتقدير · ورغم ذلك فان الامر لا يخلو من مبالغات تصل بعدد المسلمين الى ٣٠ و ٣٥ مليونا ·

واغلبية المسلمين تنتمى الى قومية هوى ، وهو الشعب الذى ينتمى الى أصول عربية وفارسية ، ويقدر عددهم ــ طبقا لارقام سنة ٨٠ ــ بنحو ستة ملايين ونصف مليون نسمة · أما

الويغوريون ذوو الاصول التركية فهم في حدود خمسة ملايين ونصف .. والقومية المسلمة التالية هم القوازق وهم اقل قليلا من مليون شخص ، وهناك الوف ينتمون الى قوميات اخرى ، وتتناثر اعدادهم في انحاء الصين ، خاصة في الغرب ، منهم القرغيز ، والطاجيك ، والاوزبك ، والتتار .

وطبقا للدستور فان مقاطعتي سينكيانج (مركز الويغوريين) وتلينغشيا (مركز الهوين) تتمتعان بالحكم الذاتي ، الذي يعطيهما قدرا محدودا من الاستقلال الداخلي ، وتتولى السلطة والقيادة فيهما ، شخصيات مسلمة .

والاغلبية العظمى من المسلمين اهل سنة ينتمون الى المذهب الحنفي ، ولكن تعاليمهم متاثرة الى حد كبير بالمذهب الشيعي ، ربما لان اكثر التجار الذين استقروا هناك كانوا من اصول فارسية . وهناك نسبة ضئيلة للغاية - عدة الوف - من الشيعة الاسماعيلية ، وهمن قومية الطاجيك، ويتوزعون على الحدود الصينية الافغانية .

وفي حقيقة الامر فان العزلة الشديدة التي عاشها المسلمون هناك جعلتهم يعانون من الفقر البالغ في المعرفة بتعاليم الاسلام ، ولذلك فانه قد يبدو من المبالغة القول بانتمائهم الى مذهب بذاته ، لان الاغلبية الساحقة لا تعرف الفرق بين مذهب وآخر ، فضلا عن المعرفة بأصول الدين وفرائضه واحكامه .

لقد تبلور الاسلام الان عند اغلبية المسلمين الصينيين في معرفة متدنية للغاية او منعدمة بالصلاة ، ثم في الامتناع عن اكل لحم الخنزير ، والتعامل مع المطاعم الاسلامية المنتشرة في المدن الكبرى وفي مقدمتها بكين العاصمة ، وفي احترام طقوس الدفن استثناء من القاعدة السائدة هي حرق الموتى .

وفي حقيقة الامر فان قضية لحم الخنزير تشكل عند المسلمين حدا فاصلا بين الايمان والكفر ، فبسبب رفضهم القاطع لتعاطي الخنزير ، فانهم انشأوا لانفسهم اماكن خاصة لذبح وبيع اللحوم فضلا عن اكلها ، وتخصصوا في ذلك واشتهروا به حتى اصبح المسلمون هم أبرع الجزارين في العاصمة ، لذلك فان الحي الذي يسكنونه في بكين يعرف باسم حي « السلخانة » ، في حين أن الشارع الذي استقرت فيه الجمعية الاسلامية التي ترعى أمورهم اسمه شارع البقر !

ومع ذلك ، فلا يزال مجتمع مسلمي الصين حافلا بالاسرار والغوامض التي تحتاج الى جهد مكثف لاستجلائها .. الامر الذي يمكن أن تصدق فيه مقولة الامير شكيب أرسلان عندما تحدث عنهم في كتاب لوثروب ستودارد « حاضر العالم الاسلامي » قائلا : مسلمو الصين ليسوا في هذه الدنيا .

العلوم والتكنولوجيا في العالم الإسلامي

منذ اكثر من الف عام اقيمت في العالم الاسلامي جامعات تحتل فيها العلوم مركزا بارزا . والعالم الاسلامي به اقل معدل للامية اذ يبلغ نحو ٤٢٪ فقط في حين انه في دول العالم الثالث يصل الى ٥٥٪ في الوقت الذى تصل فيه الى ٦٥٪ في الدول الصناعية ، ويرجع السبب في انخفاض نسبة الامية في العالم الاسلامي الى ٣٧٪ من السكان في سن يتراوح بين ٥ و ١٩ سنة يحرصون على حضور الفصول الدراسية .

وعلى العكس من ذلك نجد ان ٣٪ من السكان بين ٢٠ - ٢٤ سنة يلتحقون بالتعليم العالي في العالم الاسلامي في حين تبلغ نسبتهم في الدول الصناعية ٣٣٪ ، ٩ر٢٪ من دول العالم الثالث .

وبصفة عامة يبلغ عدد المهندسين في العالم الاسلامي نحو ٥ر٢ مليون مهندس وعالم في العالم الاسلامي وهو ما يعني ٣٢٠ مهندسا وعالما لكل ١٠٠,٠٠٠ «مائة الف» من السكان ، وهي نسبة ضئيلة بالطبع لا تكفي للتطوير التكنولوجي الجاد .

وخلال العشرين سنة الماضية فقدت بعض الدول مثل باكستان ومصر وايران وسوريا وبنجلاديش وتركيا ولبنان والجزائر عددا لا بأس به من خريجي الجامعات هاجروا الى الدول الصناعية . ويرجع السبب في ذلك الى ان البحث العلمي في الدول المتقدمة لا يرتبط بالتطور الصناعي في دول العالم الاسلامي لان الصناعات المحلية في هذه الدول تدعمها دول متقدمة مختلفة .

ويرجع عدم التوازن الهائل الى السياسة الاستعمارية خلال القرنين الماضيين التي ساعدت القوى الاجنبية على السيطرة على منابع المواد الخام التي تعتمد عليها الصناعات . وقد وقعت معظم الدول الاسلامية ضحية لهذا الوضع واقتصر اقتصادها على انتاج المواد الخام التي تحتاج اليها صناعات القوى الاستعمارية. ومنذ الاستقلال وهذه الدول تحاول حل هذه المشكلة بتشجيع استخدام التكنولوجيا في زراعتها وصناعاتها .

ومع ذلك تشير الاحصائيات الاقتصادية الى فشل الدول الاسلامية في الخروج من دائرة التخلف . اذ تمثل المواد الخام نحو ٩٠٪ من حجم صادراتها في حين ان ٧٠٪ من وارداتها من المنتجات المصنعة .. ولا شك ان لذلك اثرا سيئا على التطور التكنولوجي في الدول الاسلامية .

والسبيل الوحيد للتغيير هو تحطيم الدائرة المفرغة التي كان يفرضها النظام التجاري الاستعماري بتبادل المواد الخام من الدول الاسلامية مقابل المنتجات المصنعة . ويمكن تحقيق ذلك عن طريق التعاون الجاد بين اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي ببذل الجهد والطاقة لتطوير التكنولوجيا وفتح اسواقهم امام منتجات العالم الاسلامي .

ثانيا : هناك علاقة وثيقة بين التطور العلمي والتكنولوجي والازدهار التجاري بين الدول الاسلامية وليس هناك اى احتمال للتطور اذا استمرت اسواق الدول الاسلامية محدودة امام المنتجات المصنعة. لذلك يجب اقامة سوق مشتركة بين الدول الاسلامية .

جـزء خـاص عن:
عـالم الإسـلام

المسلمون في الهند وشهر رمضان

بقلم: د. عبدالمنعم النمر



قضيت فى الهند نحو سنتين ونصف سنة مدرسا للغة العربية فى جامعتها الاسلامية فى شمال دلهى "جامعة دار العلوم ديوبند" وهى اكبر جامعة اسلامية عربية ولذلك تسمى هناك "ازهر آسيا" نظرا لأن دراستها تقوم على نسق الدراسة القديمة فى الأزهر للعلوم الدينية والعربية والمنطق والطب العربى أو اليونانى أو الإسلامى .. وكان ذلك من يناير سنة ١٩٥٦ حتى مايو ١٩٥٨ ، موفدا من الازهر والمؤتمر الاسلامى فى ذلك الوقت ، وقد قضيت هناك رمضانين ، وأتيح لى أن أزور أكبر مدن وأقاليم الهند





الاحتفال بمقدم العيد ، يحرص عليه المسلمون فى الهند

والهند الآن ـ بعد أن قامت دولة باكستان فى الولايات التى يكون المسلمون فيها أغلبية ـ يعتبر المسلمون فيها أكبر أقلية ، إذ كان يبلغ تعدادهم حينذاك فى ١٩٥٦ نحو الستين مليونا والهندوس نحو ثلثمائة مليون . ولكن الأعداد زادت الآن حتى وصل المسلمون نحو المائة مليون مسلم من السنة والشيعة معا .

والهند دولة علمانية ، لا تتدخل فى الأديان ولا تنفق على نشاطها ، بل تركت كل طائفة تعمل لدينها فى الاطار العام ، وتنفق على ماتريده من نشاط وتعلم .. ولذلك يتولى المسلمون على نفقتهم كل مايتعلق بأمور دينهم ، من مساجد وجمعيات وتعليم دينى وأوقاف ، وعقود زواج الخ ..

ومنذ وضع الانجليز ايديهم على الهند وضموها لمستعمرات التاج ، وحكموها حكما مباشرا كانوا يضطهدون المسلمين ، ويعملون على القضاء على نشاطهم الدينى ، وعلى اغلاق مدارسهم الدينية التى تعلم "الجهاد" وتبثه فى نفوس المسلمين . والجهاد كان هو "بعبع" الانجليز الرهيب ، فكانوا يتابعون كل مدرسة دينية يدرس فيها "كتاب الجهاد" فى الفقه ، ويقبضون على العالم الذى يدرسه ، كما انتزعوا الأوقاف التى كانت محبوسة على هذه المدارس والمساجد من أيام الحكم الاسلامى ، حتى تعجز عن الاستمرار فى اداء رسالتها .

لكن المسلمين اندفعوا بإخلاصهم لدينهم وخوفهم عليه ، وبعامل رد الفعل اندفعوا وبحماس وتحد للحفاظ على هذه المدارس الدينية وعلى المساجد .

بالمساهمة فى قيامها ، ولو بحفنة قمح ، وربطة حطب ، كما اندفعوا للحفاظ على شعائر دينهم ، بل ومقاطعة الانجليز فى تعليمهم ومدارسهم ، وفى ملابسهم وشكلها .. فكان العلماء يعلمون المسلمين كراهة تقليد الانجليز فى لبس البدلة والبرنيطة ، والحذاء بالرباط ، ولبس القميص بالياقة ، بل والحلاقة على النسق الانجليزى .. محاربة منهم لموجة التقليد للانجليز واتباعهم فى تقاليدهم .. خوفاً من هذه الموجة الغربية على دينهم ، وفى ظل الجهود الذاتية للمسلمين تجاه دينهم ، وجدنا المساجد يعنى بها وترمم وتفرش ويوفر لها حتى الماء الساخن فى برد الشتاء . ويحرصون على أن يصلوا فيها الاوقات .. ويوفروا لها الإمام والخادم كارهين للصلاة فى البيوت .

كما وجدنا المدارس الدينية التى تعنى بدارسة الدين واللغة العربية تكثر وتنتشر ، وتنمو وتكبر وتتسع بالجهود الذاتية للمسلمين ، وتبرعهم بما يستطيعون . بل ورأينا جامعات اسلامية مدنية يقيمها المسلمون بجهودهم الذاتية مثل "جامعة عليكر" عندما انشئت فى اواخر القرن التاسع عشر وظلت إسلامية الطابع والانفاق حتى ضمتها حكومة الهند أخيرا بعد استقلالها ومنذ سنوات ..

وكذلك .. "الجامعة الملية الاسلامية" فى العاصمة دلهى ، حيث أقامها المسلمون بجهودهم سنة ١٩٢٠ تحت رعاية شيخ الهند "مولانا محمود الحسن فى ذلك الوقت ، وظلت كذلك حتى ضمت للجامعات الحكومية أخيرا ..

وفى الهند تعتنى المدارس الدينية ويعنى الأهالى بحفظ القرآن الكريم وتجويده حتى للسيدات وبدافع الرغبة والطاعة ، بل والتشرف بحفظ القرآن ، وحمل لقب "قارىء" أو "قارئة" وهو لقب يفضل على لقب العالم هناك ، حتى إن "مدير جامعة دار العلوم ديوبند" مولانا محمد طيب عليه رحمة الله كان يقال عنه مولانا قارىء محمد طيب إشارة إلى أنه حافظ للقرآن الكريم وبعض الأثرياء يحرصون على استقدام قارئة أو قارىء لتحفيظ بناته فى بيوتهم .أما شهر رمضان فهم يستعدون لاستقباله قبله بشهرين أو أكثر ، لا من حيث الطعام أو الياميش أو الكنافة أو القطايف ، كما نعمل هنا ، بل يستعدون للعبادة فى هذا الشهر ، وتجهيز المساجد وتنظيفها وطلائها ، ثم يعملون على إعداد الإمام الذى يصلى بهم الاوقات والتراويح .. بحيث يكون متفقها حافظا للقرآن الكريم كله لأنه سيصلى به كله صلاة التراويح بحيث يختم القرآن كله فى ٢٦ أو ٢٧ ليلة . ويجهزون وراءه فى الصف حافظا آخر يمكن أن "يفتح عليه" أى يرده إذا غلط ، ويذكره إذا نسى ، وإذا لم يوجد فى البلد استقدموه من أى بلدة أخرى .. وكل ليلة يقرءون فى التراويح جزءا وبعض جزء ، بحيث يتمون قراءة القرآن كله قبل انتهاء الشهر بنحو

ثلاث ليال ، ويقيمون حفلة الختام ويحضر الاطفال إلى المساجد والذين لم يشتركوا فى الصلاة ، ليأكلوا الحلوى ، ويكون مهرجانا وفرحة ، إيذانا بأنهم ختموا القرآن ..

ثم فى الليالى الباقية يحرص الكثيرون على أن يختموا فيها القرآن مرة ثانية .. فلا ينتهى رمضان حتى يكون المصلون قد ختموا القرآن مرتين بتوفيق من الله ..

وهذه عادة وتقليد عام عند المسلمين فى الهند .. كما شاهدت ، وكما عرفت من زملائى وتلامذتى هناك ..

أما من حيث المأكولات والمشروبات هناك فى رمضان ، فلا تتميز بشىء صارخ كما هنا ، فإن رمضان يقبل دون أية عناية بمظاهر الأكل والشرب فيه ، هو كبقية الشهور ، وربما أحضروا التمر الجاف ليفطروا عليه عملا بالسنة .

وفى العيد : لم أجدهم يعتنون بعمل الكحك ومايتبعه ، بل يقضونه كعادة أيامهم فى الطعام ، وربما زادوا عليه ، حلوى يقدمونها من اللبن الحليب به جوز الهند المقطع قطعا صغيرة ، وشعرية رفيعة جدا يسمونها "سفيا" ويتناولها الانسان بالملاعق . لأن العادة الغالبة عندهم تناول الطعام باليد دون ملاعق أو شوك ، حتى الهندوس كما رأيتهم فى بيوتهم ، وفى مطاعم المحطات ..

وفى الهند حلوى خاصة يصنعونها محليا فى كل مدينة وقرية يوميا . وتباع فى الأسواق ويقدمها صاحب البيت لضيوفه فى أى وقت ، وهى حلوى لذيذة تدخل الزبدة أو مايشبهها مما يسمى عندهم « ماوه » فى صنعها .. وأهم مايعملونه يوم العيد ، هو العناية بلبس الملابس الزاهية الجديدة كمظهر لهم أمام غيرهم ثم التجمع لصلاة العيد خارج القرية ، فى مكان متسع للصلاة ، ولمن حضر من الاولاد والزوجات للصلاة ، أو للفرحة بالاحتفال ..

ويتأخر وقت صلاة العيد لنحو الساعة التاسعة فى القرى والمدن غالبا حتى يحضر المسلمون من البلاد الواقعة حولها ، ويكون التجمع الكبير ، والمظهر الضخم الذى يظهر كثرة المسلمين وإقبالهم على العبادة ، ويكون من هذا فرصة عظيمة للقاء بعضهم بعضا ، وتجديد الصلات بينهم .. ويحسون فى هذا التجمع معنى العيد ..

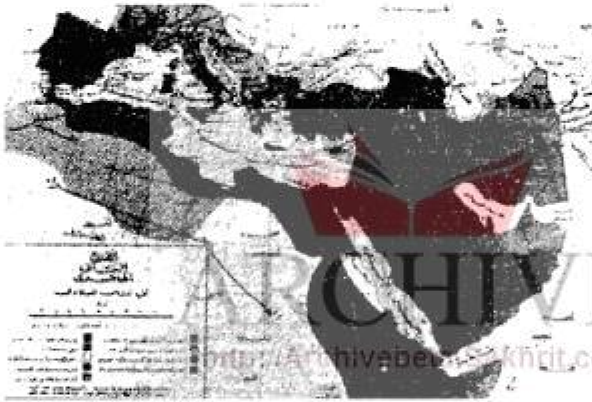
والمسلمون فى الهند وإن كانوا نحو مائة مليون مسلم إلا انهم وسط نحو ستمائة مليون هندوسى ، وهم موزعون على جسم الهند الكبير فى بعض القرى قد يكونون أكثرية وقد يتعادلان وهذا قليل ، لكنهم بعد ذلك أقلية وسط موجة هندوسية ، وهم يعيشون فى شبه توتر دائم للحفاظ على دينهم ، ويتعرضون أحيانا للإيذاء من الكثرة ، لكنهم يظلون أوفياء لدينهم ولحياتهم ولذلك قلت عنهم: إنهم يعيشون فى رباط دائم ، يشاركون فى الحياة بكل مايستطيعون ، ويبتعدون عن كل تحرش ، لكن هناك أحزابا متعصبة ضد المسلمين تعصبا ممقوتا تشحن نفوس أتباعها بالكراهة للمسلمين والعسف بهم .. وزعماء المسلمين هناك يقومون بواجبهم نحو دينهم ونحو إخوانهم ، وأعرف منهم الكثيرين ، منهم من لقى ربه ، ومنهم من ينتظر ويؤدى دوره فى خدمة الاسلام والمسلمين وسط ظروف صعبة ، ولذلك فهم فى حاجة باستمرار ان نشعرهم بأننا واقفون معهم ومقدرون لمواقفهم ، وليسعد النطق إن لم يسعد الحال ..



العالم الاسلامى بين القرن الأول الهجرى والقرن ١٤ الهجـــرى

شهد القرن الأول الهجرى ازدهارا للإسلام فى ربوع العالم واستمر المد الإسلامى قويا عبر القرون المتتالية.

وطوال تعاقب القرون تضاعفت أعداد المسلمين، إلا أن المشكلات قد بدأت تصيبهم بالوهن. وتفت فى عضدهم، والدليل على ذلك عدم قدرتهم على القيام بعمل موحد ضد إسرائيل. والحفاظ على المقدسات الإسلامية فى القدس، ووقف نزيف الدم الاسلامى بين الجارتين المسلمتين العراق وإيران






سيمون دى بوفوار

● « الشيخوخة محاكاة هازئة للحياة » .

سيمون دى بوفوار

● « من يذهب الى الاراضى المقدسة ، انسانا مستقيما يرجع منها نهابا مجرما !؟ »

اميل حبيبى الكاتب الفلسطينى

● « كارثة مفاعل تشير نوبيل ليست فرصة لتتحول المأساة الانسانية الى لعبة كرة قدم سياسية » .

سير جيفرى هاو
وزير خارجية بريطانيا


ادوار هيث

● « اكره التابينات احتراما الموتى ، وحبا للاحياء » .

يالمز جونى
المخرج التركى

● « القذافى ليس الا لاعبا ثانويا لن يحل قتله مشكلة الارهاب بل سيصبح شهيدا يرتكب باسمه مزيدا من العنف ، فى الكفاح من اجل التحرير » .

باتريك سيل
الصحفى البريطانى


احمد بهاء الدين

● « ان ما يجب عمله الان هو التوجه الى قلب مشكلة الشرق الاوسط والمتمثله فى مستقبل الفلسطينيين فتجاهل هذه الحقيقة هو الذى يؤدى الى المزيد من التوتر فى المنطقة » .

ادوارد هيث
رئيس الوزراء البريطانى السابق

● « ان ما نطالب به ان نصبح مثل الكونجرس الامريكى ، الذى لا يستطيع الرئيس شن حرب دون الحصول على موافقته » .

تونى بن
وزير سابق ونائب فى البرلمان

● « اجتماع قمة طوكيو لم يكن مؤتمرا عاديا للرؤساء ولكنه كان اعلانا عن ميلاد حكومة عالمية جديدة تدبر شئون الكون » .

احمد بهاء الدين

التفرج على

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

الاستعمار التكنولوجي

هنيئا لنا معشر العرب !!

طردنا جنود الاحتلال من ارضنا ، وخلصنا ايدينا من قيود التبعية السياسية ، وقلنا للاستعمار ، احمل عصاك وارحل ! فحمل عصاه ورحل ثم راينا طوقا خفيفا ظريفا ، يبسم لنا بثناياه اللؤلؤية ، ويغمز بعيونه الفيروزية ، فجرينا اليه ، وساومنا عليه ، والبائع يغلى فى الثمن ، ويعلى فى البضاعة ، وبعد التى واللتيا ، لبسناه وكاننا نتقلد الثريا . وما هى الا ساعة زمان ، حتى تبين لنا ان القلادة الثمينة ، ان هى الا افعى لعينة !

هذه هى قصتنا مع التكنولوجيا ، ومع ان بعضنا يعربها فيقول « التقنية » ، فانها هى نفسها تابى ان تتعرب .

اخشى ما اخشاه ايها القارىء ان تتهمنى بالجمود او المبالغة ، وهما تهمتان ابرا الى الله منهما ، فلم اكن يوما من الايام راضيا عن العهد الحميدى فى اليمن السعيد ، ولا انا اليوم اكن اعجابا خاصا بالبائد انور خوجة . ليس من مصلحتنا ولا هو فى مقدورنا ان نغلق ابوابنا فى وجه الحضارة الحديثة ، فالحضارة الحديثة مثل الجن ، تستطيع أن تدخل من الطاقة او من تحت عقب الباب او تنفذ من الحيطان ، من الذى

يعجبه ان يمشي الناس كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، حفاة على الارض اللاهبة او الصخور المسننة ، لا لانهم يستمتعون بمباشرة الطبيعة البكر، بل لانهم لا يعرفون الاحذية او لعلهم لم يسمعوا بها ! من الذي يعجبه ان يقف العبيد خلف السلطان بالساعات ، يحركون اذرعهم صعودا وهبوطا لتحرك مسطحات كبيرة من الخيش المندى بالماء ، فتخفف وطأة الحر على الجسد السلطاني ، ويرى ان هـذا الاسلوب اكثر كفاءة او اكثر انسانية من مروحة كهربائية او جهاز تكييف ؟. ان الحيوان نفسه يبحث عما يريحه ، فكيف بالانسان ؟

ولكنني لا ابالغ حين اسمي فتنتنا بالتكنولوجيا الحديثة تبعية واستعمارا « تبعية من جهتنا واستعمارا من جهتهم» لطالما سالتك ايها القارىء : مالنا نشكو الفقر والسيارات الخصوصية مرصوصة امام بيوتنا ، والتليفزيون الملون لا يكاد يخلو منه بيت في مدينة او قرية وسالتك كيف يمكننا ان ننظر في عيون اطفالنا ونحن نعلم ان الواحد منهم لم يعد يولد صفحة نقية ، بل صفحة بالكومبيوتر عليها حساب مدين ببضع مئات من الدولارات ، اصطنعها نحن بحماقتنا وسوء تدبيرنا ، وسالتك وسالتك ، عساك ترفض اسلوب الحياة الذي فرضه الغرب علينا بالاغراء والخداع ، ليتحكم في رقابنا ورقاب ابنائنا من بعدنا ، فكنت تتهمني بالجهل والتخلف .

فقد اراد الله ان ينصفني منك « عزيزي القارىء » حين وقع في يدي كتاب لا يمكنك ان تنسب احدى هاتين الصفحتين الى كاتبه او ناشره ، فوجدته يصرح بما كنت ادور حوله ، واتلطف لانبهك اليه ، فاقتبست منه عنوان هذا المقال !

الكتاب من منشورات هيئة الامم المتحدة « اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا» وعنوانه « نقل التكنولوجيا والتغير في العالم العربي » .

وقد ظهر سنة ١٩٧٨ حاملا الابحاث والمناقشات التي جرت حول هذا الموضوع في ندوة عقدت في بيروت بين ٩ و ١٤ من اكتوبر سنة ١٩٧٧ . يعنيني من هـذه الابحاث بحث واحد اعده جهاز رسمي من اجهزة الامم المتحدة وهو سكرتارية « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية» الذي يعرف في معجم الامم المتحدة باسم « الانكتاد » . ومعذرة ان ضاق صدرك بهذه العناوين والاسماء والرموز فهكذا يعمل جهاز الامم المتحدة ، اما نتائج عمله فاطنان من الورق المطبوع الذي يحمل قرارات وتوصيات من نوع القرارات والتوصيات الصادرة عن مجلس الامن والجمعية العمومية في شان المشكلة الفلسطينية . وياليت عقولنا تصدق ان هؤلاء الرجال المنعمين الذين يقبضون اعلى الرواتب في العالم النامي والمتقدم ويتنقلون بين عواصم الدنيا بدون تاشيرات دخول هم حقا مثاليون اطهار كما تدل هذه التوصيات والقرارات . ولاشك ان هناك استثناءات مهمة مثل الورقة التي نحن بصددها ، ولكني لا اعجل بعرضها عليك حتى اتفكه ببعض ماورد في ورقة اخرى من اوراق الندوة اعدها موظف من موظفي الامم المتحدة كذلك ، وعنوانها : « العلم والتكنولوجيا في نظام الامم المتحدة » . فقد اورد فيها مقتطفات من وثائق الامم المتحدة حول هذا الموضوع وفي مقدمتها هذا القرار الذي اتخذته الجمعية العامة بشان خطة التنمية لعقد السبعينيات ، ونصه :

« تقوم البلدان المتقدمة والنامية والمنظمات الدولية المختصة بوضع وتنفيذ برنامج لتشجيع نقل التكنولوجيا الى البلدان النامية ، ويشمل ذلك ، بين ما يشمله ، مراجعة الاتفاقيات الدولية بشان براءات الاختراع ، وتحديد وتذليل

الصعوبات التي تعوق نقل التكنولوجيا الى البلدان النامية ، وتسهيل الحصول على التكنولوجيا المسجلة وغير المسجلة للبلدان النامية بشروط عادلة ومعقولة، وتيسير استخدام التكنولوجيا المنقولة بصورة تساعد هذه البلدان على تحقيق اهدافها التجارية والتنموية ، وتطوير التكنولوجيا الملائمة للبيئة الانتاجية فى البلدان النامية ، واتخاذ الخطوات التى تساعد على تطوير تكنولوجيامحلية » »

يتامل المرء هذه السطور ويسأل نفسه أهذا الذى اقرؤه قرار او توصية لجمعية من سياسيين ودبلوماسيين محنكين أم فقرة من محاكاة عصرية سمجة للمدينة الفاضلة التى حلم بها الفلاسفة الاقدمون الادهى ان اجهزة الامم المتحدة حين تحاول النزول بهذه الاحلام الى ارض الواقع تزداد تخبطا فى عالم الاحلام . فالعقبات الواقعية ، كما تقول الورقة ، منها ما يرجع الى البلدان النامية ومنها ما يرجع الى البلدان المتقدمة ، وتبالغ الورقة فى تعداد القسم الاول : معوقات تاريخية واقتصادية واجتماعية تضعف قدرة البلدان النامية على التحديث ، ولكنها تضطر الى الاعتراف بعامل واحد واساسى يتحكم فى انتقال التكنولوجيا من البلدان المتقدمة الى البلدان النامية ، وهو ان المؤسسات الخاصة التى تمتلك التكنولوجيا فى البلدان المتقدمة « تميل الى طلب اثمان عالية نسبيا لبيع المعلومات التكنولوجية » ، «انظر الى هذه العبارة المهذبة » ولذلك فان لجنة « الانكتاد » الخاصة بنقل التكنولوجيا قامت بصياغة المبادىء الاتية لتراعى على مستوى الدولة .

«١» العمل على تقوية الطاقة التكنولوجية للبلدان النامية ؟

«ب» ـ اقرار ميثاق شرف بشأن نقل التكنولوجيا ؟

«جـ» ـ مراعاة الجوانب الاقتصادية والتجارية والتنموية لنظام براءات الاختراع الدولية .

وكان احد المناقشين صريحا كل الصراحة حين تساءل : « اى معلومات يمكن ان تقدمها الامم المتحدة للمراكز الاقليمية لنقل التكنولوجيا « صاحب التعليق، مدير لمركز اقليمى مقره باريس » والحال ان الملاك الاساسيين للتكنولوجيا هم شركات وحكومات ؟ ماهى الخطوات التى تقترحها الامم المتحدة لاغراء ملاك التكنولوجيا هؤلاء حتى يمكنوا غيرهم من الحصول عليها ؟ ان طلاب التكنولوجيا موجودون ، ولكن المراكز الاقليمية يصعب عليها جدا أن تجد ملاك التكنولوجيا ومنتجيها . »

ولم يستطع كاتب الورقة ولا غيره ان يقدم جوابا عن هذا السؤال الحاسم ، ولكن ورقة سكرتارية « الانكتاد » التى اشرت اليها فى صدر هذا المقال ، تقدم شيئا من التوضيح لخلفية السؤال .

القسم الاكبر من هذه الورقة ـ وهو الاهم فى نظرى ـ يصف الظواهر المرضية المصاحبة لنقل التكنولوجيا فى العالم العربى ، فهو يقرر فى الفقرة الاولى منه «ان التحليلين النظرى والتطبيقى لعملية نقل التكنولوجيا يظهران ان الصور المستعملة فى نقل التكنولوجيا المملوكة والشائعة، وكذلك الشروط والظروف التى يخضع لها هذا النقل ، كان لها اثار خطيرة فى اضعاف اقتصاديات البلدان النامية ، وبالتحديد فى حالة التبعية التكنولوجية التى تعانيها فى الوقت الحاضر . »

ويورد البحث بعض الإشارات الدالة على حالة التبعية التكنولوجية ومنها ان نسبة الاعتمادات المخصصة للبحث والتنمية فى العالم العربى الى مجمل الدخل القومى لا تتجاوز ربع نسبتها فى البلدان الصناعية ، وان نسبة عدد العلميين والمهندسين المشتغلين حاليا

بالبحث والتنمية الى مجموع السكان لا يتجاوز واحدا من كل عشرة الاف ، بينما يبلغ العشرة في تلك البلدان ، وان نسبة السلع الراسمالية المستوردة الى مجموع راس المال الثابت يبلغ ٤٣ ٪ ، مع انه يتراوح في البلدان النامية نفسها بين ٨٪ و ٢٥٪ . هذه المؤشرات الاحصائية التي تعطينا صورة شاملة بطبيعة التبعية التكنولوجية » ، ومداها يجب الا تنسبنا هكذا يقول الكاتب — ابعادا اخرى لهذه التبعية ، يذكر منها : التبعية لنماذج الاستهلاك الاجنبية ، والبضائع ذات الماركات الاجنبية .

وتحرص الورقة على التمييز بين نقل التكنولوجيا والتبعية التكنولوجية فنقل التكنولوجيا له مزايا كثيرة بدون شك ، ولكن « الصور والشروط » التي يجرى بها نقل التكنولوجيا في العالم العربي هي التي تكون ما تسميه الورقة «التبعية التكنولوجية » ، بما يصاحبها من اضرار شديد بالاقتصاد الوطني ، وتاخذ الورقة في تعداد بعض جوانب هذا الضرر ، مؤيدة بالبيانات والارقام ، وعلى راسها التكاليف العالية في النقد الاجنبي ، التي تؤثر تاثيرا مباشرا على ميزان المدفوعات .. ويلاحظ ان البحث لا يدخل تحت هذا البند اثمان السلع الراسمالية او الالات ذاتها ، فهذه لا تشكل ضررا وان كانت تعد علامة مهمة على التبعية التكنولوجية. انما المقصود بهذه التكاليف منحصر في حقوق الامتياز ومصاريف الادارة التي تدفع للشركات الاجنبية . وبناء على حساب دقيق يقدر البحث هذه التكاليف في السنة المالية ١٩٧٣ — ١٩٧٤ بمبلغ ٥٧٣ مليون دولار على الاقل ، ينتظر ان تزيد حتى تبلغ في اوائل الثمانينيات مابين ٣٫٥ و ٤ بلايين دولار ، ويستدرك على ذلك بمايلي نصه ؟

« ان التكاليف المباشرة لا تشكل الا قسما صغيرا من اجمالي التكاليف . فقد اثبت عدد من الابحاث الميدانية ان موردي التكنولوجيا — وخصوصا حين تكون مرتبطة باستثمار اجنبي مباشر كما هو الشان في صناعة النفط — يفضلون ان يتسلموا ارباحهم طبقا للاسعار التحويلية ، هذا الى جانب طائفة كبيرة اخرى من الحيل الخفية او غير المباشرة ، حتى يقللوا نسبة الضرائب المستحقة عليهم ، ولهذه الاسباب نتوقع ان تكون تكاليف التكنولوجيا اضخم بكثير مما يبدو على السطح . »

على ان الامر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان تكاليف التكنولوجيا تتضاعف بالتكاليف الضمنية التي تحتوى عليها العقود المبرمة بين المورد والمستورد فهذه العقود الشاملة تحتوى عادة على بنود مقيدة لحرية المستورد في الحصول على مواد التشغيل قطع الغيار او السلع الوسيطة ، وبذلك يضطر الى شرائها بالاسعار العالية التي يحددها مورد التكنولوجيا ، كما تحتوى على بنود اخرى تقيد حريتهم في تسويق السلعة المنتجة بقصرها على اسواق معينة .

هذا الضرر الاقتصادي الحقى فلايكون الدح في نظرنا نحن ابناء الشعوب المستعمرة تكنولوجيا من ضرر اخر مادي ومعنوي في الوقت نفسه ، وهو فقدان مستورد التكنولوجيا لحريته في اتخاذ القرار « وورقة البحث لا ترى الا القرار الاقتصادي ، ولكننا نستطيع بسهولة ان نلاحظ تاثير الوضع الاقتصادي الناشيء عن التبعية التكنولوجية في حريتنا السياسية ايضا — تلك الحرية التي جاهدنا طويلا قبل ان نحصل عليها . »

اوضح مايكون ذلك في الشركات متعددة الجنسيات التي تنشيء فروعا لها في بلادنا فجميع القرارات المهمة المتعلقة بالتوظيف والادارة والاجور والاسعار والارباح تتخذ في المقر الرئيسي . وقد عمدت كثير من الحكومات العربية وحكومات العالم الثالث بوجه عام الى تشجيع الاستثمار المشترك ليكون للقرار الوطني دور اكبر في توجيه النشاط الاقتصادي ، كما عمدت الى تاميم

الأشغال

قطاعات كاملة رئيسية كانت تنتمي اصلا الى احتكارات عالمية كبرى ، ولكن الدراسات العملية ، التى اعتمدت عليها ورقة البحث ، اظهرت ان الشروط التى تم بها هذا التغيير ابقت سلطة القرار في يد المورد الاجنبي للتكنولوجيا ويورد البحث امثلة صارخة من العالم العربي ، ولكننا نفضل ان نترك هذه الامثلة لخبرة القارىء الخاصة ، ونكتفي بما اورده نقلا من دراسة خاصة بالمشروعات المشتركة في الهند « وهي تعد من البلدان التي حققت بعض النجاح في التحرر من التبعية التكنولوجية » ..

تقول هذه الدراسة : « ان النتيجة العامة التي تظهر من التحليل .. هي ان الشركات الاجنبية استطاعت ان تميع الملكية المشتركة بحيث لم تتأثر السيطرة الاجنبية في كل حالة تأثرا يذكر . »

واذا كنا قد بدأنا ندرك ــ ولو متأخرين ــ ان الاستقلال السياسي لا يكفي للحفاظ على حرية الوطن ، بل انه يمكن ان يتحول الى مظهر كاذب ان لم يدعمه استقلال اقتصادي حقيقي ، فلعلنا لم ننتبه بعد الى ضرورة البحث العلمي الجاد لازدهار الاقتصاد الوطني . والمقصود بالبحث العلمي هنا ذلك المرتبط بالتنمية . وتوضح الورقة ان التبعية التكنولوجية، التي كان تخلف البحث العلمي التكنولوجي احد اسبابها ــ تعمل على زيادة هذا التخلف ، فكأننا ندخل في حلقة مفرغة مؤداها المزيد من التخلف . وهي تعمل على زيادته من طريقين :

أولهما ان البنية الاقتصادية التي نجحت في الهيمنة عليها تجعل قيام الشركات والمؤسسات الوطنية بالابحاث العلمية التكنولوجية اما جهدا غير مطلوب واما محاكاة ضعيفة لما تقوم به مؤسسات البلد المورد للتكنولوجيا ، وربما اخذ هذا الاتجاه شكلا « قانونيا » ، فقد وجدت أمثلة عدة لعقود تكنولوجية تمنع او تقيد النشاط البحثي للشركات الوطنية المتعاقدة ، ولا سيما ابحاث « تطبيق التكنولوجيا » التي تمس الحاجة اليها.

والطريق الثاني هو وقف نمو الخبرة الوطنية « بالتعلم من خلال العمل » ، اذ تصر الشركات الاجنبية « مصوردة التكنولوجيا » على استخدام شركات هندسية ومنفذة اجنبية في المراحل المختلفة للمشروع . وسرعان ما تحذو الشركات الوطنية نفسها حذو الشركات الاجنبية ، فتستخدم المهندسين الاجانب والمقاولين الاجانب ، وتصبح الخبرة الاجنبية والتكنولوجيا الاجنبية والماركة الاجنبية هي صاحبة السيادة في جميع الاحوال!.

والاقتراح الذي يشير اليه البحث ، لتلافي هذه المضار او تخفيفها : هو انشاء مركز اقليمي لنقل التكنولوجيا ، يضم مختلف الاقطار العربية ، بهدف تنسيق سياساتها التكنولوجية ، وتشجيع الابحاث العلمية التنموية المشتركة ، وتحسين الشروط التي يجري العمل بها حاليا في نقل التكنولوجيا .

ولكن البحث يعترف بان مثل هذا المركز الاقليمي لن يحقق الغرض منه اذا لم تقم بجانبه مراكز بحثية تكنولوجية في كل قطر عربي . واذا تذكرنا الملاحظة التي ابداها مدير المركز الاقليمي الفرنسي على الورقة السابقة وصلنا الى نتيجة واحدة : وهي ان مسئولية التقدم التكنولوجي ، والتقدم الاقتصادي، ليست مسئولية منظمة دولية ولا عربية، بل هي ــ في الوقت الحاضر على الاقل مسئولية وطنية خالصة .

لغويات

● تقول النساء أحيانا عند كلامهن عن الزواج : « هـذا عريس لقطة » وتعبيرهن هذا صحيح ، لكن كلمة « عريس » صحتها « عروس » للمرأة والرجل ، وتقول العامة عن الشيء الغالى الثمن حين يباع بثمن بخس انه « لقطة » .. ينطقونها بضم اللام وتسكين القاف وفتح الطاء ، وهى كلمة صحيحة بشرط فتح القاف لا تسكينها ، ولكن الضرورة قد تبيح طريقة نطق العامة لهذا اللفظ ..

● تسمع بعض المتحدثين والخطباء فى الاذاعة والمحافل يقولون : « كـان ثمة هناك كذا وكذا وكيت وكيت » .. وهو تعبير خطأ ، لان « ثمـة » معنـاها « هناك » .. و « هناك » معناها « ثمة » .. فلا يصح المجيء باللفظين مترادفين على هذه الصورة ، ويتعين الاكتفاء بأحدهما ، ومن عجب أن هذا الخطأ الفاحش يقع فيه « بعض اللغويين » حتى اننا سمعنا رئيس المجمع اللغوى يتحدث مرة فى الاذاعة فيقول : « ثمة هناك » .. فاذهلنا ذلك ، ثم قلنا : لعله كان سـهوا منه ؟..

● ومن الاخطاء قول بعضهم : « كلما فعلنا كذا .. كلما حدث كذا » .. وهذا خطأ شائع جدا فى الصحف والاذاعات وغيرها .. والصواب حذف « كلما » الثانية ، فالتكرار هنا من كلام العجم لا العرب ..

● لاحظت أن بعض المتأدبين يضع كلمة « سؤالات » وكلمة « جوابات » بين قوسين لظنه أنها من الكلام غير الفصيح .. وهذا الظن فى غير موضعه لانهمـا كلمتان فصيحتان .. ومثلهما فى الفصاحة كلمة « عنوانات » جمع « عنوان » .. و « علالى » وهى الامكنة العـالية ..

● ينطق الفصحاء كلمة « ترجمان » بفتح التاء وضم الجيم ، وينطقهـا العامة بضم هذين الحرفين .. وكلا النطقين صحيح فصيح .

صلاح جاهين

مُغَنّى سنوات الزهْو والانتصار

بقلم : فاروق عبد القادر

من المؤكد عندى أن رحيل صلاح جاهين قد مس نبضا حيا فى قلب كل مصرى ..

ومن المؤكد عندى أن رحيله ليس حدثا عابرا لفنان عاش وكتب ورسم وصنع افلاما .. ثم مات .

ومن المؤكد عندى أن غياب صلاح جاهين انما هو غياب مرحلة كاملة : حين كان القلب الاخضر ، والامال ممتدة الى افق فسيح ، لا حد لانفساحه ، حين كان القائد على راس شعبه . يمتشق سيفه ويخوض المعارك ، ويعود مكلل الهام بالانتصار . حين خرجت جماهير المصريين تتصدى للعدوان وتهزج : « ح نحارب ـ والله زمان يا سلاحى .. » ، حين كانت سواعد المصريين والسوفييت ـ جنبا لجنب وكتفا لكتف ـ تقيم السد العالى وترفع قواعده ، حين بدت الاشتراكية حلما دنا تحقيقه ، حين رفرفت راية الوحدة للمرة الاولى فى تاريخ العرب الحديث : « عرب الشمال والجنوب اتجمعم فى حى ـ دقة قلوبهم غنا ـ ونظرة عيونهم ضى .. » .

ومن المؤكد عندى ـ اخيرا ـ انه مهما تعددت وجوه صلاح جاهين وتنوع علماؤه ، يبقى وجهه الحقيقى ـ هو الممثل ، المؤدى ، دائم الولع بالاقنعة ولعب الادوار ـ والذى حفظ له مكانه فى قلب تاريخ مصر الحديث ، انه كان ـ دون سواه واكثر من سواه ـ مغنى سنوات الصعود والزهو والانتصار .

من هنا ، من حقيقة أن صلاح رمز وشارة لمرحلة بكاملها ، تفاوتت المواقف بعد رحيله ، وانصرفت عنه لتلك المرحلة ! ثمة من يصفى حساباته القديمة معها ، وثمة من يسقط عليه اخطاءها ، وثمة من يرثى نفسه حين يرثيه ، وما أسرع ما لبست كلمات الباطل أثواب الحق !

من هنا ايضا ، يبقى الاقتراب الوحيد ، المتاح والمجدى ، هو ما عبر عنه صلاح فى بكائيته الجميلة لاستاذه بيرم : « بيرم .. فتحت ديوانه .. رد عليا .. » .

وها نحن نفتح ديوان صلاح جاهين .. خير ما تبقى منه لنا :

● ازدهار فنون الشعب ●

ولم يكن ازدهار « شعر العامية المصرية » ـ كما اسماه صلاح جاهين ـ



صلاح جاهين .. رمز وشارة لمرحلة بكاملها

غير احدى ثمار تلك المرحلة ذاتها ، وتزامن صدور مجموعته الاولى « كلمة سلام » ١٩٥٥ ، مع موجة جديدة صاعدة فى القصة والرواية والنقد والمسرح وشعر العربية والغناء ، الى جانب لون من الاهتمام - الرسمى وغير الرسمى - بفنون الشعب وآدابه ، كان الرائد الكبير بيرم التونسى (١٨٩٣ - ١٩٦١) لا يزال يواصل عطاءه ، لكن معظم اهتمامه كان موجها للاغنية الفردية ، ومعظم ما تبقى منه كان وراءه : لقد راد الطريق ، طريق الخروج « بالزجل » من دائرة « الاخوانيات » و « الحلمنتيشيات » ، التى ظل زمنا طويلا يتخبط فيها من سخف لسخف ، ونسمع نبض المصرى الصغير ، وعبر - بلغته - عن همومه ، والتفت الى

صلاح جاهين

مظاهر الجمال فى الطبيعة المصرية وتغنى بها ، وارتفع — فى بعض أعماله — الى آفاق أكثر انسانية وشمولا . كل هذا قدمه فى عامية عذبة ورائقة ، تنجو من الابتذال ، وتتخللها مفردات عربية صحيحة ، طاعت لموهبة بيرم ، فلم تعد نابية فى السياق ٠

وفى « كلمة سلام » تلك الهواجس التى شغلت هذا الجيل المتفتح مع بداية الخمسينيات (صلاح من مواليد ١٩٣٠) : فثمة قصيدة عن شابلن ، وأخرى عن روزنبرج ، وأكثر من قصيدة عن الذل الذى يلقاه العامل فى قبضة رأس المال ، الذى لم يكن مصريا ، وعن بؤس الفلاحين وشظف حياتهم . كان صلاح عالى النبرة خشن الصوت لكنه دل على موقف فكرى صحيح ، وانتماء صاف للانسان والارض ، كما دل على حس ومعرفة بالعامية المصرية، وحسن افادة من تراثها ٠ وكان وجهه المتفائل أنصع الوجوه : « واحنا ماشيين فى القاهرة — بنت مالت ناحيتى وادتنى وردة — وردة حمرا — قمت م القهوة سعيد — وباقول : ٠٠ — بكره أجمل م النهارده » ٠

كان القصد واضحا ، والسعى اليه مباشرا ، والطريق قد عرفنا أوله، وآخره ، مشمس يلوح من بعيد والشاعر لا يستطيع أن يصرف وجهه عنه ، ليغنى للحب والطبيعة : « ملزوم احس بألم وانزف قصايد نار ٠٠ » ٠

●

ومهما كان الضوء الذى يبدو فيه ، الان ، ما حدث فى ١٩٥٦ ، الا أن الذى لا شك فيه أن تلك الايام من شتاء ٥٦ ستظل بين أيام النضال البطولى لجماهير المصريين ٠ وفى فرحة النصر تقدم صلاح يغنى « موال عشان القنال ، ١٩٥٦ » : أغنية حب طويلة لمصر ، يربط فيها الماضى بالحاضر ٠٠ عذاب الجدود فى حفر القناة بالقتال لاستردادها ٠ والمعركة الاجتماعية بالوطنية ، فالتصميم على بناء السد العالى هو الذى ادى لمحاولة الغزو ، ومصر لم تكن وحدها ، فمعركتها جزء من ، متلاحم مع ، معارك العرب وشعوب العالم الثالث، والشعوب المحبة للسلام ٠ وفى هذا الموال الذى تتخلله أغانى الاطفال والاناشيد والاهازيج وأغنيات العمل ، ويقوم فى معظمه على الحوار وتعدد الاصوات ، وضحت طاقة صلاح الشعرية الدافقة ، وطاعت له الاشكال المختلفة التى عرفتها الاغنية والموال٠

●

مجموعتاه التاليتان « عن القمر والطين ، ١٩٦١ » و « قصاقيص ورق ١٩٦٦ » — وأرجىء الحديث عن « الرباعيات ، ١٩٦٣ » — ترسمان لنا ملامح وجوه متعددة للشاعر ، لكن أوضحها وجهه المهموم بمتابعة قضايا الواقع المصرى المتفجر بامكانات الانتصار والتقدم ، فغنى الشاعر لحادثتين جسدتا عنده هذه الامكانات أكثر من سواهما . تصدى المصريين لعدوان ١٩٥٦ ، وما تلا ذلك من انفتاح على المعسكر الذى تقدم يبنى مع الشعب المصرى السد العالى ، رمز تحديه وصموده للتحدى ٠ ان عددا كبيرا من قصائد المجموعتين عن هذين الحدثين ، وقد أصبح معظمها أغنيات تغنى، ولعلها لاتثير عند سامعيها،

مسوى الشجن والاسى لتكشف وجه الواقع القبيح ، وتبدد سراب العمر الجميل - أعنى أغنيات مثل : « والله زمان يا سلاحى ، ح نحارب ، احنا الشعب ، الجنة هى بلادنا ، الله معك، ثوار ، بالاحضان ، على راس بستان الاشتراكية ، ما أحلاك يا مصرى وانت ع الدفة .. » ، وقصائد مثل : « أحكم يا شعب ، وقال يا بلد ، كلام فى السياسة ، قطار الجنود ، ناامنا الحلوة ، رسالة الى جندى ، اغنية الى أسوان ... الخ » .

لقد شهد صلاح واقعا قديما يتقوض ، ومن أحشائه يتخلق واقع جديد ، فالقى بشعره الى جانب هذا الجديد ، وبقى وفيا لالتزامه القديم فى الواقع المتغير ، ودفعه صعود عبد الناصر ، الثابت والدائم آنذاك ، الى التغنى بالشعب والبطل ، والى اليقين بأن الايام القادمة لاشك ستحمل لنا الرخاء والعدل (لم أعرف شاعرا مثله ترددت فى شعره كلمة « بكره » بهذه الوفرة وبهذا اليقين ! ، ورأى فى ارتفاع السد وهدير المكن ودخان المصانع ارهاصات بتحقيق الحلم فغنى طويلا لاسوان « أم السد » ، التى يلقى برأسه على صدرها فتنزاح عنه الهموم والاحزان .

لكن هذا النضال المصرى لا يمكن أن ينعزل عن سياقه ، وراحت أغنيات الشاعر تحضن النضال العربى : فى الجزائر والعراق وفلسطين واليمن والسودان ، وغنى عددا من أجمل أغنياته للوحدة : ها هو الحلم قد تحقق ، وها هو عبد الناصر يخاطب العالم من شرفة « قصر الضيافة » وها هو الشاعر تستولى عليه النشوة : « الوحدة راية ونجمتينها صبايا - علشان عيونهم ياما راحوا ضحايا - شجعان زمان فرسان حروب الوحدة - من دمهم نبتت وصبحت راية - وكم شهيد وسط الميدان وجريح - هتف وقال بكل عربى فصيح : مجد العرب فى الوحدة » ..

وهو يتابع النضال البطولى للثورة الجزائرية ، وحين يتحقق انتصارها يغنى لها الشاعر الجذل : « يا جزائر اللهب .. اطرحى ورد ابيض - خلى الجبال تلبس عروسة وتنهض - أمر البلاد لابن البلاد اتفوض - ياكبريائى وفرحتى وعيونى - جاكى السلام - عز ومقام - كان شعبك عمره يوم ما اتألم - ما احلا الغنا بعد الرصاص ما اتكلم .. » .


قضى اجمل سنوات عمره
يبدع ، رغم معاناته

صلاح جاهين

ومن الانصاف للشاعر هنا القول بأنه لم يكن غافلا عن دبيب العفن وراء الواجهة البراقة ، وأن الخطى قد تثاقلت عن تحقيق الاحلام ، وأن ما يتوق الشعب للخلاص منه لا يزال يزهق أنفاسه : « اسفخص على لون الاصفرار - والفقر والخوف والمرض - ما شفته الا ومس فار - وحلمت بيه زال وانقرض - كابس علينا الشيء ده ليه - هو انجليز ·· ولا تتر ؟! ·· - دوكهم خطر قمنا عليه - رياح ماخلنلوش اثر ·· » · لقد أخلف القمر موعده ، وران على العالم كله ليل ثقيل أسود ، تسلل الى نفس الشاعر فملأها بالحزن والضياع ، وتلفت فلم يجد حوله سوى أناس مقهورين يتسللون ليحتموا بجدران البيوت ، ورفع عينيه الى السماء ، فلم يجد سوى المحاق ، فسقطت عيناه الى الارض : « الارض برضه محاق - قهاوى سوده من الهباب والهذر - والراديوهات تنعب نعيب الجنون - يا ليله من غير قمر - يا كحل من غير عيون » ·

ترى ·· هل أحس المغنى أنه خان وجهه القديم ؟ هل صمت عن أشياء أرقاها وبدا له أن يقولها ، ثم آثر الصمت ، فهو يلعنه ؟ : « ملعون فى كل كتاب يا داء السكوت - ملعون فى كل كتاب يا داء الخرس - الصمت قضبان ملسوجين عنكبوت - بتشندلوا الخياله فيه بالقرس ·· » ، ترى ·· هل أحس بأنه نأى عن الانتماء لساكنى الصفيح ، فهو يرجوهم الصفح ، ويعد بالعودة اليهم : « يا قلبى يا مليان - قول للى فى البيت الصفيح افرحوا - صاحبكم الغايب رجع صحصحوا - صاحبكم اتلطم كتير - اصفحوا »··

ان القراءة الصحيحة لقصيدته المثقلة « غنوة برمهات » تومىء للاجابة : حين كان صلاح يزداد تألقا وصعودا ، كان أعز رفاقه ، فى الفن والحياة ، بين ساكنى الصفيح فى المعتقلات والمنافى ، واليهم يتوجه صلاح بالخطاب : « يا ساكنين الصفيح - استبشروا وافرحوا - أنا مانيش المسيح - علشان اقول لكم غلبكم - لكنى باحلف بكم - ماحلف لكم ·· وباقول ·· - الدنيا كدب فى كدب ، وانتوا بصحيح » ·

ولئن كانت « غنوة برمهات » تومىء للاجابة ، فان اصابة الشاعر بداء السكوت بعد ١٩٦٧ تشير اليها بالصح بيان ! لكن وجوها أخرى لصلاح جاهين تطالعنا فى هاتين المجموعتين : ثمة وجهة اللاعب اللاهى العابث المرح ، القاهرى ابن البلد ، صاحب الفكاهة العذبة والنكتة الرائقة ، يتمنى أن تكون كلماته « قصاقيص ورق » من كل لون ، وأن يوهب القدرة على الطيران ، فيناثر أوراقه الملونة فوق رءوس البشر ، فيسرون ويبتهجون ، ويصبح العالم كله مثل حفل عيد الميلاد · فى قصائد مثل « أغنية هزار ، الهة ، عيون البقر ، وكيل ، يا وحوى ، سكس أبيل ، فى الحب ··· الخ » يعابث الفتى اللاهى المرح الناس والشعراء ، ويروح يسخر منهم وبهم ومعهم ، يسخر دون أن يؤلم او يدمى ، عارفا بقوانين النكتة وصياغتها ، مثل الحاوى الماهر ، يخفى آخر الاوراق وراء ظهره ، لا يبديها الا حين يضمن أنها

ستحقق الاثر المطلوب ، وهو تفجير الفكاهة فى كل ما سبق .

وثمة وجه اخر : الشاعر المرهف رقيق الحس يتسمع دبيب خفقة الحب الاولى تتسلل الى قلب الفتى والفتاة .. فيتعاطف مع المحبين الصغار لكنه يشفق عليهم ، لانه يعرف ان حبهم سيصطدم بالف عقبة وعقبة ، ولانه يعرف ان الحب عطاء ، ومسئولية ومبادرة ، والاهم انه يعرف انه لا تتفتح عاطفة صحيحة فى مجتمع معتل (قصائد مثل : ولد وبنت . آغنية البنت ام ضفيرة ، عصفورة ، اغنية من الشباك ، البنت والولد » .

وثمة وجه ثالث او رابع : الوجه الحزين (ولعل هذا ما يتضح اكثر فى « الرباعيات ») . ووجه المتهم الذى يقف أمام قضاته ، يلقى مرافعته ، ثم يتوجه فى نهايتها نحوهم بالسؤال : « سيادى القاضى ـ سيادى الحدادى اللى حايمه على رمتى ـ ح اقول كلمتى .. لكنى قبل ما انطق واقول كلمة ـ قولوا لى انتم : ايه تهمتى ؟ » .

ولا ينسى الشاعر أصدقاءه ، فيترجه بقصيدة لعبد الوهاب البياتى ، حين كان مبعداً عن بلاده ، هائمـا بين المطارات والموانى وغرف الفنادق والمقاهى ، من منفى الى منفى يسير ، يحمل فى قلبه عيون حبيبته ووجوه اطفاله والاسئلة ـ الهموم التى تصحبه فى حله وترحاله ، ويقدم صلاح كلمات من القلب للاصدقاء الراحلين : ناظم حكمت ويوسف حلمى وفاخر فاخر ، وتبقى أجمل بكائياته واحفلها بالعذوبة الدامعة بكائيته لبيرم ، التى يلغيه فيها الفادة واضحة من البكائيات الشعبية و « التعديد » ، ويسرى فيها قبس من بيرم نفسه : « جايه عروس الشعر م البفالة ـ بملاية لف وكف متحنى ـ شافت صوان وحبال وناس شفالة ـ وانا بابكى جنب الباب ومستنى ـ والشمس تقطر حزن ع المسبحية » .

● أصغر النماذج ●

عن عمد أبقيت الاشارة للرباعيات ، فهى عندى أصفى النماذج التى قدمها صلاح جاهين تعبيراً عن فكره وفنه معا :

أكثر من مائة رباعية (مائة واحدى عشرة) تمثل كل منها بلورة صغيرة مضيئة ، وتتسلك معا لتنظم عقـدا فريد الحبات كريم الجوهر ، بحيث انك ان فرغت من الطواف بهذا العالم ..



صلاح جاهين فى مكتبته يختار كتابا

صلاح جاهين

متعدد الالوان والدرجات مثل قوس قزح ، طالعك وجه صلاح جاهين ذاته ، ووقعت معه فى نفس حيرته : بين الكفر والايمان ، بين التشاؤم والتفاؤل ، بين الحنب على الانسان والضيق بالانسان ، بين السخرية من المصير والخوف من المصير ، بين الانغماس فى الحس والتسامى بالروح · أنت فى قلب بهو من المرايا المسحورة ، اينما تلفت فثم وجهك ، لكنك لا تراه أبدا هو هو مرتين متتاليتين !

لكن حزنا رقيقا شفافا يسدل أستاره على عالم الرباعيات كله ، ليس حزنا لان شيئا قد مس الشاعر فى أمنه أو رزقه ، لكنه حزن المتأمل فى المصير ، المتأسى عليه ، الواقع فى براثن الفناء والقدر ، لا يستطيع منها فكاكا ، فمهما تظاهر صلاح بالمرح فى رباعياته ستطل وجوه الخوف والملل وشلل الارادة والعجز عن التحكم فى المصير · فى واحدة من أجمل الرباعيات ــ على الاطلاق ــ يفصح الشاعر عن خوفه : « سهير ليالى ، وياما لفيت وطفت ــ وفى ليلة راجع فى الضلام قمت شفت ــ الخوفكأنه كلب سد الطريق ــ وكنت عاوز اقتله ·· بس خفت ــ عجبى ! » انه يعترف بخوفه ، لكنه خوف مركب ، خوف من الخوف ذاته ، الذى قد يتادى الى التشبث الجبان بالحياة · وهو ليس خوفا ميتافيزيقيا غامضا وغير مبرر ، ففى رباعية أخرى يحدد الشاعر مخاوفه : « لو كان فيه سلام فى الارض ، وطمان وأمن ــ لو كان مفيش ولا فقر ولا خوف ولا جبن ــ لو يملك الانسان مصير كل شىء ــ انا كنت أجيب للدنيــا مية الف ابن ــ عجبى ! » انه الخوف والفقر والجبن ــ وهى شرور انسانية فى عالم الواقع ــ يضاف اليها عجز الانسان الضعيف عن التحكم فى مصيره ومقاومة الفناء · وهذا كله يجعل الشاعر مرتجفا فى قلب الوحدة ، لا يخفف عنه أنه ليس ، وحده ، الحزين فطالما نظر فى عيون الناس : « أعرف عيون هى الجمال والحسن ــ وأعرف عيون تاخد القلوب بالحضن ــ وعيون مخيفة وقاسية وعيون كتير ــ وباحس فيهم كلهم بالحزن ــ عجبى ! »

مرة أخرى ·· انه حزن لا يتعلق بهموم الحياة المعيشة قدر ما يتعلق بمكانة الانسان فى هذا العالم : « أيا انسان ·· أيا انسان ·· ما أجهلك ــ ما أتفهك فى الكون وما أضالك ــ شمس وقمر وسدوم وملايين نجوم ــ وفاكرها يا مهموم مخلوقة لك ــ عجبى ! » ، على أننى أبادر الى القول بأن هذا لا يعنى أن الشاعر مستسلم لليأس أو داعية اليه ، فرغم كل الشرور ، الدنيوية والكونية ، تبقى هنالك أشياء تقاوم الفناء ، وتشبث بالحياة الجميلة ، الجميلة رغم كل شىء · هذه حكمة صلاح جاهين مقطرة : « دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت ــ وجعل شعاع الشمس خيط من عنكبوت ــ وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا ــ لكن حاجات اكتر بترفض تموت ــ عجبى ! » ·

ولا أجد فى الحديث عن «الرباعيات» ــ أرقى وأنقى ابداع لصلاح جاهين ــ

الفضل من رأى قديم للاستاذ يحيى حقى ، فى دراسته الرائعة لى : «هذه الرباعيات هى صلاح جاهين، وصلاح جاهين هو هذه الرباعيات ، لذلك لم يجد غضاضة فى أن يتخذ من نفسه مرجعا لكل رموزه ، فقد وصف نفسه بأنه قرين مهرج السيرك ، لا تدرى هل هو يضحك أم يبكى ، هل هو مطمئن أم خائف ، هل هو مستسلم للحياة أم رافض لها ... قد لا تعرف كيف تجيب على هذه الاسئلة ، ولكنك ستعرف ولاريب شيئا واحدا لا يمكن لك انكاره هو انك لقيت عنده السعادة التى كنت تتمناها ولا تجدها : أن تقابل فنانا أصيلا ، لاحد لانسانيته ورقته وصدق نظرته وعمقها ، وهو وحده الذى يجود عليك بفيض الكريم» .. (عطر الاحباب ، ١٩٧١ ، ص٥٢)٠

● يونيو ٦٧ والاحزان ●

ومن المؤكد أن مغنى الانتصار لم يجد ما يقوله حين جاء الانكسار ، وبقدر ما حلقت الاحلام كانت قساوة الارتطام ، وبعد ٦٧ طوى الشاعر أحزانه ولملم جراحه ، وانصرف الى ألوان أخرى من الاعمال ، ينفس فيها عن طاقته الابداعية الهائلة ، ويخاتلها ويراوغها ، أعمال تعد باسم لامع ووجود مؤثر ومال وفير - وقد رأينا وعرفنا أنه لم يكن بحاجة للمزيد من هذا كله ، أو أنها لم تكن مطلبة بالذات - وكانت أية صدفة أنه لم يستطع أن يكون صادقا وقد دار الزمان دورة معاكسة ، وهو لم يكد يتجاوز الاربعين ! ٠

أما أن احتبست الدموع فى المآقى فلتنهمر فى قصائد قليلة ، لم يكن يسمعها غير خاصة الاصدقاء ٠

جمع صلاح بعض هذه القصائد فى « أنغام سبتمبرية ، ١٩٨٤ » ٠ لماذا سبتمبر ؟ .. يجيب صلاح : « ربما لان عواطفى تعودت أن تجيش فى سبتمبر من كل عام ، منذ أن كان الفيضان يأتى فى هذا الشهر محملا بعطر كان يملؤنى بنشوة عجيبة، ورغبة خفية فى الارتواء والاحتواء أو ربما لان عبد الناصر مات كمدا فى سبتمبر ؟..» واضح أن هذا التساؤل الاخير الذى يقدمه على استحياء هو الجواب ٠ فعبد الناصر : الامل والحلم ، البطل والقائد ، الصديق والانسان ، موجود فى كل السطور أو وراءها ، بل ان أهم ما فى هذه المجموعة ، أعنى قصيدته الطويلة « على اسم مصر - وحضرت شاهد » ، والتى حاول فيها صياغة مشاهد من التاريخ المصرى ، انما تنتهى اليه ، ليقف الشريط فى وضع ثابت : ظهر قميص العرق متشمر الاكمام .. أنا شفته عقلى برق وبدا لصاحبه يميل / نقشت له فى قلبى أحلى وأروع التماثيل / بدراعى والمطرقة ، وايدى الازميل / على اسم مصر .. » .

بلغنا نهاية الرحلة ، لنقرأ معا الكلمات الاخيرة فى الصفحات الاخيرة من الديوان :

أدى اللى كان ، وادى القدر والمصير
نودع الماضى ، وحلمه الكبير
نودع الافراح ..
نودع الاشباح
راح اللى راح .. ماعدش فاضل كتير ٠

وهكذا : ذات مساء ، ودع صلاح جاهين كل شىء ، وادار وجهه للجدار .. ومات ٠

كيف استدرج الفرنسيّون سعيد باشا إلى حرب المكسيك ؟

بقلم : مصطفى نبيل

هذه صفحات مطوية من التاريخ ...

عندما شاركت « أورطة » مصرية ـ سودانية فى حرب المكسيك عام ١٨٦٣ م ، والتى جرت وقائعها بعيدا وراء المحيطات والقارات ، بين الجمهوريين ودعاة الامبراطورية فى المكسيك ، وهى حرب لا ناقة لمصر فيها ولا جمل ، قامت خدمة للمصالح الاستعمارية لفرنسا وبريطانيا واسبانيا .

ومايثير الدهشة أن هذه الحرب لم تحتل فى كتب التاريخ سوى صفحات معدودة ، رغم ماتحمله من عبر ودروس ، ورغم أن هذه « التجريدة » أمضت فى حربها أربع سنوات وسبعة عشر يوما .

● قرر هذه الحملة الوالى محمد سعيد باشا ، واستمرت إلى عهد سلفه الخديو إسماعيل ، والتى تقررت مجاملة لنابليون الثالث امبراطور فرنسا ، والبعض يؤكد أنها استمرت بسبب العلاقات الخاصة جدا بين الامبراطورة أوجينى والخديو اسماعيل !

ويحتل سعيد مكانا خاصا بين أسرة محمد على ، ففى فترة حكمه برزت فكرة المواطنة وحقوقها المتساوية ، وهو أول من جعل اللغة العربية بدلا من التركية لغة المعاملات .

وأول من جند المصريين تجنيدا اجباريا لمدة عام ، ولم يستثن أبناء العمد

والمشايخ بعد أن كان التجنيد يقتصر على ابناء الفقراء ، وفى هذه الفترة دخل عرابى إلى الجيش ، وهو القائل : « نظرت فى أحوال الشعب المصرى وتاريخه ، فوجدته مظلوما مستعبدا لغيره ، توالت عليه الدول الظالمة ، الهكسوس والآشوريون والفرس واليونان والرومان قبل الإسلام .... وكثيرا ما أغارت فرنسا على مصر حتى احتلتها فى أوائل هذا القرن فى زمن بونابرت ، وبما أنى أعتبر نفسي مصريا فوجب على أن أربى هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى عن الأجانب ....

ويقول فى رسالة بعث بها من الخارج ... « لاأريد اقامة زينة واحتفالات لدى عودتى ، ولا أرغب فى ان يتكلف الأهالى مصاريف للتزلف ، ويجب على كل ديوان او مصلحة أن يبقى مواظبا على اعماله واشغاله .... » .

وكان هو أيضا الذى أعطى صديقه ديلسبس امتياز حفر قناة السويس ، وكان آخر عمل غير عادى ختم به حياته هو استجابته لنداء نابليون الثالث فى الاشتراك فى حرب المكسيك !

● البحث عن شركاء ●

ولنتابع الحملة المصرية إلى المكسيك من بدايتها ، ونتبين السياق الدولى الذى وقعت فيه ...

كانت الحملة تستهدف مواجهة الثورة الوطنية التى اشتعلت هناك ، وظروف المكسيك فى هذه الفترة التاريخية قريبة الشبه بما كانت تشهده مصر ، وهى موطن اقدم الحضارات الهندية وأرقاها وكانت تشهد حركة اصلاح ديمقراطى ، كان أحد ثمارها دستور ١٨٥٧ م ، وقامت حركة مضادة استعانت بفرنسا ، وفرضت الأسر الحاكمة فى كل من فرنسا والنمسا أحد افراد أسرة الهابسبورج الامبراطور ماكسيميليان حاكما على المكسيك ، وتذرعت هذه الدولة ـ كمبرر لهذه الحرب ـ باساءة حكومة المكسيك معاملة رعايا

سعيد باشا



فرنسا وانجلترا وأسبانيا ، وعدم تسديد ماعليها من ديون ! .

أما الدافع الحقيقى لها ، فهو الرغبة فى اقامة حكومة موالية لهذه الدول ، تحقق التوازن فى القارة الأمريكية مع الولايات المتحدة القوة الديمقراطية الجديدة البازغة . ولكن مالبثت كل من بريطانيا واسبانيا أن سحبت قواتهما بعد أربعة شهور من القتال ، وتركت فرنسا متورطة وحدها فى القتال ، فأخذت تبحث لها عن شركاء ، وخاصة أن المناخ القارى للمكسيك ومناطقها الجبلية كانت تستعصى على الفرنسيين ، فتقدم نابليون الثالث يطلب إلى « صديقه » سعيد إرسال قوات مصرية للقتال فى جبال المكسيك ووهادها ...

كان الهدف إذن ، القتال ضد ثورة تهدف الى التحرر ومساندة دولة استعمارية أى الوقوف مع الأعداء ـ فرنسا ـ ضد الاصدقاء ، ثورة المكسيك ، ورغبة شعبها فى التحرر !

وانتهت الثورة المكسيكية بالانتصار وتولى زعيمها الوطنى جواريز رئاسة أول جمهورية وقتل الامبراطور ماكسيميليان التى أرادت فرنسا أن تفرضه على شعبها !

وقد نشر الأمير عمر طوسون فى بداية الثلاثينيات كتابا روى قصة هذه الحملة منذ مغادرتها الاسكندرية وحتى عودتها يوم ٨ يناير ١٨٦٧ ، وقد بدأت وعدد جنودها ٤٥٢ وعادت بعد ان فقدت ١٤٠ جنديا .

غادرت « التجريدة » ميناء الاسكندرية على متن الباخرة الفرنسية « لاسين » ، فى طريقها إلى ميناء طولون الفرنسى ، وهناك شاهد الجنود القادمون من النجوع والكفور لأول مرة مدينة أوربية ، يتحدث أهلها لغة أخرى ، ونساؤها جميلات سافرات ، وقبل ادراك ماحولهم ينتزعون من هذا العالم الغريب ، وينضمون إلى بقية القوات القادمة من عدد من المستعمرات الفرنسية ، ويستقلون سفينة أخرى فى طريقها إلى ساحة المعركة فى المكسيك ، التى وصلوها يوم ٢٣ فبراير وبعد أن فقدت الأورطة سبعة من جنودها فى رحلة الآلام ! .

الامبراطورة أوجيني



وعندما وصلت الجيوش الفرنسية التى تضم الأورطة المصرية ، إلى مكسيكو العاصمة المكسيكية ، أقيمت احتفالات كبيرة ، وتم استعراض الأورطة المصرية السودانية فى أكبر ميادين العاصمة ، ومنح كل جندى ٦٥ سنتيما يوميا علاوة على راتبهم الذى يتقاضونه من الحكومة المصرية .

● القائد = ٥ آلاف فرنك ! ●

وواجهت الحملة منذ مراحلها الأولى مشكلة التواصل مع بقية الجنود وتمكنوا من حلها عن طريق الجنود الجزائريين الذين قاموا بالترجمة ، وأخذت التقارير التى ترد إلى القاهرة تصف العديد من المصاعب التى مرت بها هذه الحملة ، وهى تقاتل حربا ليست حربها فى بلاد بعيدة ، وتفصلهم عن أوطانهم المحيطات ، وكان سوء المناخ أهم أعداء الحملة بما يسببه من أمراض ، وفقدت الأورطة قائدها جبرالله محمد بعد فترة قصيرة ، عندما أصيب بالحمى الصفراء ، وخلفه محمد الماس ، وترك ٥ آلاف و٦١٧ فرنكا أرسلتها السلطات الفرنسية إلى أسرته فى القاهرة ، مع خمسة آلاف فرنك أخرى منحة من السلطات الفرنسية .

وجاء فى أحد هذه التقارير : « تميزت هذه الوحدة بالشجاعة والبراعة فى الرماية وقوة التحمل ، لذلك أوكل لهذه الوحدة دعم المواقع المتقدمة ، وتولى أصعب المهام ، وهى صد الغارات التى تشن على قوافل المئونة والذخيرة » ...

والمدهش حقا ماسجلته هذه الحملة من أعمال باسلة فى المعارك التى خاضتها ، رغم افتقارها للمعنى والهدف ، ومن أوراق هذه الحملة ماكتبه القائد الفرنسى لمنطقة فيراكروز حول الموقعة التى نشبت فى ٢ أكتوبر عام ١٨٦٣ . قال : « أبلت الحملة بلاء حسنا ، ولم يبالوا بقوة النيران التى أطلقت عليهم ، وردوا المهاجمين الذين يفوقونهم عددا بنسبة تسعة إلى واحد ! »

وذكر كتاب « مصر فى عهد اسماعيل » الذى كتبه كل من أميديه ساكريه ولوى أوترين قصة هذه المعركة ، يقول الكتاب : « غادر أحد القطارات محطة فيراكروز تحت حراسة جنود الأورطة المصرية

أربعة من ضباط الأورطة المصرية بالمكسيك من بينهم القائمقام صالح حجازى



السودانية . وعند نقطة على الطريق بين الجبال في ممر لايتجاوز عرضه أربعة امتار . وعند منحنى وعر . نصب كمين للقطار بعد أن انتزعت قضبانه . وبدا الثوار يطلقون النار من كل جانب ، وما كان يشغل جنود الحملة فى هذا الوقت الدقيق سوى رد المهاجمين . وعندما خرج القائد الفرنسى « ليجين » وهبط من القطار تبعوه ، وقذف بجنوده إلى المرتفعات تحت نيران المهاجمين ، واصيب القائد الفرنسى ومرافقه بلال بطلقات قاتلة . فتقدم بخيت بدروم وآتون سودان وحملا ليجين وبلال حماد ، وتسلم الملازم شرر القيادة ، وأعاد تنظيم قواته لتواجه كل الاحتمالات ، ونجح فى صد المهاجمين وابعادهم عن القطار المزدحم بالنساء الهلعات والكهول العاجزين ، واستمر القتال حتي وصل الدعم ، ولاشك ان صد الهجوم يعود الى ثباتهم وشدة مقاومتهم لما يزيد على ثلاثمائة مهاجم ... .

● ماذا بعد شجاعة الرجـــــــال .. ؟ ●

وتشمل اوراق الحملة رسالة كتبها القائد العام للقوات الفرنسية لنظارة الجهادية فى القاهرة يقول فيها : « ان الأورطة قاتلت بشجاعة نادرة ، فلم أشاهد قتالا نشب فى هدوء وحماس كما شاهدتهم ، فكانت أعينهم وحدها هى التى تتكلم ، وكانت جراتهم تذهل الجميع ... » وتضمنت سجلات قصر عابدين رسالة كتبها الخديو اسماعيل إلى قائد الحملة يعبر فيها عن تقديره ... « وردت على مسامعنا ماقمتم به من ثبات واقدام فى الحرب ، وما أبديتموه من شجاعة ومهارة ، ما أوجب الالتفات اليكم من الدولة الفرنسية ، وارتحنا غاية الارتياح لما ظهر منكم فحافظتم على الشرف الذى حصلتم عليه من الحكومة المصرية ..... وأقصى أمالنا إنقيادكم للأوامر التى تصدر من الجنرال الفرنسى وحصول سرورنا يكون بحصول سرور الجنرال ، وسرور الدولة الفرنسية منكم ومن افعالكم .... » ! ! !

وتمضى الأيام وتكمل الحملة سنتها الرابعة ، ويقترب رجالها من أهالي المكسيك ، ولايفوتهم التشابه بين بلادهم وبين البلاد التى وصلوا إليها ، ويتعلم بعض أفراد الحملة اللغة الأسبانية السائدة ، ويتعاطفون مع أمال الشعب المكسيكى ، ويتعلم الأهالى صناعة الخبز المصرى الذى حرص رجال الحملة على صنعه ، والذى يذكرهم بما تركوه خلفهم فى أرض الوطن ، ومع بداية عام ١٨٦٧ يتقرر جلاء القوات الفرنسية ، ويبدأ انسحاب الأورطة يوم ١٣ يناير تاركة خلفها ذكريات مرة مع الذين سقطوا بعيدا ، وتعبر بهم الباخرة المحيط وتصل إلى ميناء سانديز الفرنسى ، ويتوجهون إلى باريس ، ويستقبل جنود وادى النيل الامبراطور نابليون الثالث فى حديقة قصره فى حضور ناظر الجهادية شاهين باشا ، الذى شاهد الامبراطور يثنى على رجال الحملة ، كما شاهد قائد الحملة البكباشى الماس يرد على الامبراطور



اسماعيل باشا



الامبراطور ماكسيميليان



نابليون الثالث

معبرا عن تقديره . ثم وزع على افراد الحملة المكافات والأوسمة ...

واخيرا يصل الرجال إلى الاسكندرية فى اواخر شهر مايو . ويستقبلهم الخديو اسماعيل فى فناء قصر راس التين . وبذلك يسدل الستار عن فصل فى تاريخ العلاقات المصرية الفرنسية . أو بالاحرى فصل فى علاقات العرب بالغرب . ولم يكن الفصل الأخير ...

أما مغزى الحكاية كلها . فيظهر فى أنه بالرغم مما قام به سعيد من الاستعانة بفرنسا من أجل دعم استقلال مصر تجاه الدولة العثمانية . ورغم ما استهدفه خلفه اسماعيل من خلق توازن بين كل من فرنسا وانجلترا لدعم استقلال مصر . فلم يسفر كل ذلك سوى عن نتائج عكسية ! .

ولم تجد المشاركة فى حرب المكسيك شيئا . ولم يفد انتشار الخبراء الفرنسيين فى الادارة المصرية . بل ولا حتى حصول فرنسا على امتياز قناة السويس . بل وحتى ما أعلنه وسعى إليه الخديو اسماعيل من أن تكون مصر قطعة من اوربا .

ومضت المخططات الاستعمارية فى طريقها . واشتركت فرنسا فى صندوق الدين . وكانت انشط الدول المطالبة بتخلى الخديو اسماعيل عن عرش مصر .

وتظهر المأساة التاريخية فى أجلى صورها . عند المقابلة بين دوافع حرب المكسيك ودوافع الاطاحة باسماعيل . عندما استخدمت ضد اسماعيل ذات الذرائع التى حاربت بسببها الأورطة المصرية السودانية فى المكسيك . بل استخدمت الحجج نفسها التى تذرع بها البريطانيون عند احتلالهم مصر عام ١٨٨٢ . وهى اساءة معاملة الرعايا الأجانب وضمان تسديد الديون ....

ويمضى التاريخ يستصرخ من يأخذ عبرة ....

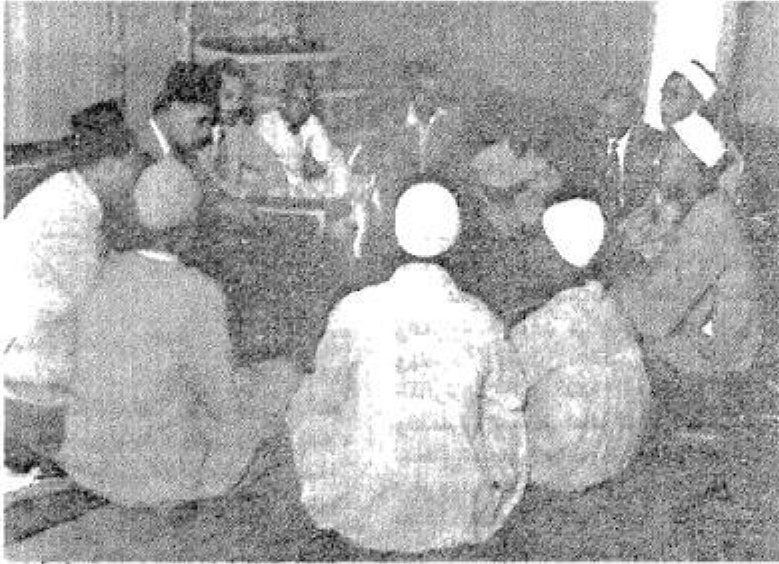
مصريون في بلاد العرب

عبد الوهاب عزام

سفير العروبة الجوال..

بقلم: د. محمد رجب البيومي

●● حين طلبت مني مجلة الهلال أن أكتب عن دور المغفور له الأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام في يقظة الأمة العربية حين جاب ربوعها المترامية حاملا رسالة الأخوة العريقة، والوئام الجامع، رأيت أن مقالا واحداً مهما امتدّت صفحاتُه لايفي بجهد هذا العربي الناهض وأن عناء الكاتب في محاولة الإيجاز حين تهجم عليه المعاني الحافلة يشبه عناء الكاتب حين يُجْبَر على الحديث في موضوع لايعلم عنه شيئا. فالحيرة هي الحيرة وان اختلفت أسبابها، وماذا تقول في إنسان كانت نهضة العروبة والاسلام هي شغله الشاغل محاضراً في كليته، ومتحدثا مع رفقته، ومؤلفا في كتابه، وشاعرا في ديوانه، لأن عزاما كان ذا رسالة إصلاحية تملأ عليه حياته، فهو لا يتجاوزها إلى غيرها من فنون يسهل الحديث عنها، لدى من يكتب في كلّ موضوع وإن تناقض مع نفسه حين يكتب مرة عن ذوى المثل الرفيعة، وأخرى عن ذوى النزوات الهابطة، إن أصحاب الرسالات العالية من حملة الأقلام قليلون، ولئن ذكرنا في طليعتهم محمد فريد وجدي وأمين الرافعي وشكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعي فإننا نذكر معهم عبدالوهاب عزام، حين اتجه متجههم في الدعوة إلى الإصلاح والحرية والاستقلال، وحين بذل نشاطه الفكري باحثا موجها، وشبابه الفني راحلاً متنقلا، وله عن كل بلد حديث، وفي كل قطر صدى رنان ●●



الدكتور عبد الوهاب عزام يلقى درسا دينيا لتلاميذه من المصلين فى مسجده بحلوان

كنت أصلى الجمعة كثيرا فى مسجده بحلوان ، وكنت أستمع إليه خطيباً على المنبر ، ومتحدثا فى الحلقة العامة ، فلا أشعر أن خطيبا يتكلم ، بل أرى حمية تتدفق ، ودما يلتهب وشعوراً يجيش ، وألمس غيرة على الإسلام والعروبة تأخذ بجميع أقطاره ، وترسم على وجهه حزنا صامتا نعرف دواعيه فيما نشهد من واقعنا المعاصر ، فإذا أشرقت البسمة السريعة فى ثغره فكما يلمع برق خاطف فى غيم متكاثف ! هذا عند الاستنهاض الحافز ، أما حين يُسمر مع صفوة عارفيه فما أرق وما أندى .

يقول الدكتور طه حسين فى حفلة تأبينه بمجمع اللغة العربية عنه « كان إلى هذا كله صاحب نزعة عربية حرة ، سمحة مع ذلك لا تعصب فيها ولا إلحاح ، كان مؤمناً بأن وطنه هو أرض العرب كلهم ، لم يكن يؤمن انه مصرى فحسب ، وإنما كان فى كل البلاد العربية مواطن ، كان يرى نفسه مواطنا عربيا ينزل فى قومه حيث حل من هذه البلاد ، ثم اقتضت به الأسباب فسافر إلى الهند وباكستان ، وألم بإيران وزار تركيا ، وتظهر فيه نزعة أخرى فهو مسلم مخلص فى إسلامه ، سمح مع ذلك فيه ، وهو مؤمن بأن كل دار إسلام وطن له ، كما كانت الحال فى العصور الإسلامية الأولى ، وكذلك كان عبدالوهاب مسافراً قبل أن تشغله ظروف السياسة ، فكان كثير الأسفار إلى البلاد العربية وإلى إيران وتركيا »

وتفصيل حديث الدكتور طه حسين مما يطول . فحسبى أن أشير .

● من أقوال عزام ●

من حظ المكتبة العربية أن حظيت بمجلدين نفيسين ، دون فيهما عبدالوهاب عزام رحلاته المتعددة إلى البلاد العربية ، والإسلامية ، فكانت جولاته مصدر نفع كبير للقارىء الأديب ، لأن الرحالة الهادف لم يخط كتابيه دون مقصد أصيل يتوخاه ، إذ أراد أن يربط قلوب قرائه بأهداف عزيزة ، حين يلمون بأنباء إخوانهم في ربوعهم النازحة ، وحين يعرفون ماتتضمنه هذه الربوع من مشاهد ، وما يملأ مجتمعاتها من شواغل ، وما يهجس في صدور ابنائها من أحاسيس ، وإذا كانت جل رحلاته في بلاد الإسلام ، فلأن كتب الرحلات الأوربية والأمريكية قد ملأت الأيدى وشغلت القراء ، ومن حقهم أن يعرفوا الجار اللصيق والأخ القريب ، كما يعرفون ذوى الشهرة من أصحاب السيطرة السياسية في عالم اليوم ، لاسيما وعزام يعرف حقيقة الشعور المصرى ويعبر عنه أصدق تعبير في قوله :

"يذهب المصرى إلى أحد الأقطار العربية ، فكأنما برح قطعة في مصر إلى أخرى ، يرى وجوهاً يعرفها ولا تنكره ، ويسمع من أحاديث الماضي والحاضر مايسمعه في بلاده ، ويحدث عن الهموم والمطامح التي تنطوى عليها نفسه ، ويخفق بها قلبه ، حيثما توجه وجد اهلا بأهل وإخواناً بإخوان ، وابصر من ذكر التاريخ ومشاهد الحاضر ، وخطط المستقبل ، ما يوحى إليه أنه في وطنه وبين قومه ، وأنه لايذهب إلى هذه البلاد إلا ليرى بعينه ما حدثه به التاريخ وأحكمته في نفسه النشأة والتعليم .

ذهبت مرات الى فلسطين والشام والعراق ، فكان يخيل إلى أينما سرت ، أنى لا أخطو إلا على صفحات من التاريخ المجيد ، ولا أرفع بصرى إلا على عنوان من عناوينه في صورة مسجد ، أو قبة وضعت على عظيم من أسلافنا ، أبطال الإسلام والعربية ، وطوفت في العراق مدنه وقراه وحضره وباديته فكانت بغداد عندى القاهرة بل أجل ذكرا . وكانت الكوفة والبصرة والموصل أعظم أثراً في نفسى من طنطا والمنصورة وأسيوط ، وكانت مضارب شمَّر وبنى تميم أذهب بى في التاريخ من مضارب القبائل المصرية ، أما دمشق الجميلة الجليلة فما دخلتها إلا ازدحمت علىَّ أحداث التاريخ ، ودفعتنى مواكبه فسارعت إلى المسجد الأموى أنشد أول شوقى .

الدكتور عبد الوهاب عزام



هذا الأديم كتاب لاكفاء له
رث الصحائف باقٍ منه عنوان

ولست بدعا فى هذا فما أحسب مصريا ذهب الى هذه البلاد إلا شعر بما أشعر به .

بهذه الروح الصافية كتب عزام رحلاته فكانت صدى لمشاعره القوية وترجمة لإحساس إنسانى نبيل وليس من موضوعنا ان نتحدث عن تركيا وإيران والهند والباكستان ، فقد يأتى وقت قريب يتيح لى أن أجول فى هذا النطاق ، أنما أقصر حديثى على شذور مما هتف به عزام فى رحلاته الى السعودية ودمشق وبغداد ، لنرى كيف كان هذا الرحالة سفيرا أدبيا قبل أن يكون سفيرا سياسيا ببعض البلاد .

في ربوع السعودية

عاش عبدالوهاب عزام طيلة حياته مرفرفا فى أجواء الحجاز ، تصور روحه على البعد مشارق النور فى مكة ومعامع الجهاد فى المدينة ، ومسرى الروح الأمين بين حراء وقباء ، وقد ألهمته هذه الربوع أرق ماتلهم الأماكن الحبيبة من بيان حيٍّ متوثب ، وقد قدّر عليه ان يسلم روحه بالرياض إذ كان يعمل مديراً لأول جامعة هناك ، فمكث عامين يشرف على الدراسة بعد أن وضع الخطة ، وأحضر الأساتذة ، وطبق المنهج ، ورأى بعينه بشائر الأمل تنمو زاهرة ، يوحى يومها الحالم بغدها الناضر ، ومن قبل كان السفير السياسى لمصر في جدة ، فكان بدعاً بين السفراء إذ كانت دار السفارة مراح أولى الفكر من رجال الأدب والعلم والدين ، من مواطنى الحجاز الذين عرفوا الكاتب البحّاثة ، وتتلمذوا على مؤلفاته ، وفهموا عشقه الصوفى لبلادهم قبل أن يروه ، فهرعوا إليه ليكونوا عونه على ارتياد مواطن العزة فى الجزيرة ، فأحسنوا صحبته إلى بدر وحمراء وثور والطائف وعكاظ ، وشفوا



غلته إذ أشبعوا نهمه العلمي في التحقيق الميداني الكاشف !! لقد اقترح الدكتور عزام وهو عميد كلية الآداب بمصر على جامعتها المصرية أن تبعث الى الجزيرة العربية بعثا فيه من المؤرخين والأدباء والجغرافيين والمهندسين من يضعون مصوّرات للجزيرة العربية يبيِّنون المواضع التي ذكرت في التاريخ الاسلامي منذ إشراقه . كما يحققون الوقائع التاريخية . ومنازل القبائل القديمة ، ذكر ذلك الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب في كلمته التأبينية عن استاذه بالمجمع ثم عقب قائلاً :

"ولم يكد الأستاذ يعمل سفيرا لبلاده بالجزيرة العربية حتى قام بنفسه بما كان يوصي به غيره . ولم يحل بينه وبين هذا الواجب تقدم السن وضعف البدن . وكما ارتحل الأستاذ إلى أنحاء الجزيرة فكذلك فعل وهو بالهند وباكستان وإيران إذ كانت الأمة الاسلامية بعربها وعجمها أهم ما يفكر فيه الأستاذ ، وغاية ما يرمي إليه في رسالته "

ومن آثاره العلمية في هذا المجال كتاباه "مهد العرب" "وموقع عكاظ" والجهد في الكتاب الأخير أوضح من أن يدل عليه ، فكما وقف الدكتور محمد حسين هيكل باحثاً عن مكان عكاظ ، ومسجلاً خواطره ونتائج رحلته العملية في كتابه الخالد (في منزل الوحي) فكذلك وقف الدكتور عزام مع نفر من حوارييه يتأمل الجرعاء الممتدة ، ويقيس الأبعاد والأطوال ليتحدد موضع هذا الأثر التاريخي الفذ ، وإذا كان أعلام المؤرخين من أمثال الهمداني والبكري والأزرقي واليعقوبي وابن هشام وابن حبيب والادريسي وياقوت قد اختلفت أقوالهم في التحديد الدقيق لعكاظ فأي جهد بذله الرحالة الباحث للاهتداء لهذا المكان ، وقد تبعه من ناقشه دون أن يصل الأمر الى حسم صريح ، فالنقول كثيرة ، والآراء متشاجرة ، وقصارى الباحث أن يرجح دون يقين .

وقبل السفارة وإدارة الجامعة قام عزام بحج البيت اكثر من مرة ، وسجل في رحلاته خواطره الدافقة منذ فارق مصر في رحلات الإيمان حتى رجع إليها ، فهو في الرحلة الأولى يوازن بين الحج في العهود القديمة حيث السفر الممتد والرحلة الشاقة عن طريق البر وبين الراحة النسبية والوقت القصير عن طريق البحر . ويتحدث بإعجاب عن الأمن الآمن في الطريق إذ يرتحل الناس مطمئنين على حاجاتهم ، ومن سقطت منه حقيبة وجدها تسبقه لدى الشرطة إذا كتب عليها اسمه ، أو رجع إلى مكانها ليجدها دون أن تمتد إليها يد .

وقد اقترح عدة إصلاحات بسهما في وضع أيسر لتسهّل الرحلة على الناس ، كإنشاء المكتبات والمستشفيات ، وضم أماكن قريبة إلى الحرمين المكي والمدني وتظليل الشوارع بالشجر ليحمي المارة من الحر والعمل على صيانة ماء زمزم من التلوث ، وتمهيد الطريق إلى عرفات ومنى ، وإيجاد المساجد المهيأة بالمرافق لديهما ، وكأن السماء كانت تصغي لمقترحه إذ تحقق ما أراد اليوم على نحو بهيج .

أما خواطره المؤمنة في هذه الرحاب الرضية ، فقد كانت أقرب إلى الشعر حين يصف العيون المتطلعة الى المسجد الحرام ، والزفرات المترددة في شوق ، والألسنة الهاتفة بالذكر ، والقارىء الصادح بالقرآن ، والمؤذن المغرد بقول الله أكبر والملبّي الهاتف لبيك اللهم لبيك .

يقول عزام كم قلب محزون حمل إلى هذا الجناب شكواه ، وفؤاد معذب بث في هذه الساحة نجواه ، وكم آثم حط في هذا الفناء الأوزار ، ليمسحها بالتوبة والاستغفار ، وكم



احمد حسن الزيات



الشاعر : معروف الرصافى

نفس مظلومة ترفع ظلامتها ، وأخرى ظالمة تعترف بجنايتها ، أن الدعوات تهفو إلى الكعبة مع النسيم ، أترى سوداوات القلوب اجتمعت ، فكانت هذا البناء ، أم أناسيّ العيون تراكمت فكانت هذه البنية السوداء .

إقرأ مثل ذلك فيما كتبه عزام عن عرفات ومنى ، واقرأ أرق ما أوحى به الإيمان الخالص فيما كتبه عن الروضة الشريفة بالمدينة المنورة مثوى رسول الله ! فتلك صحف مزدهرة لا ينقطع لها عبير .

● دمشق وما يليها ●

رحل عزام إلى سوريا أكثر من مرة ، رحل إليها فى بعثة الجامعة المصرية مع فريق من أساتذتها الكبار ، ورحل إليها عند الاحتفال بالذكرى الألفية لأبى الطيب المتنبى ، حيث ألقى بحثا علميا عن الشاعر الكبير ، ثم رحل مرة ثالثة إلى سوريا عند الاحتفال بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى وقد سجل انطباعاته عن هذه الرحلات فوصف ما شاهده من البلاد والحدائق والأنهار ، وتحدث عمن قابله من أعلام الأدب والسياسة ومن هرعوا لاستقباله من الأساتذة والطلاب ، والكاتب المحدود إذا وصف بلدة رآها فى رحلة أولى فإنه يكرر نفسه لا محالة إذا تعرض لوصفها من بعد ، أما عزام فكاتب فسيح الأفق ، جياش الخاطر ، بعيد النظر تلهمه أحاسيسه من المعانى كل طريف نادر ، فأنت تتابع ماكتب عن الرحلات الثلاث فى شوق لايعرف السأم ، بل أقول إن القارىء الدارس يعلم سلفا ما يتعرض له الكاتب من أحداث التاريخ فيما يزور من الأماكن ، فيرى الحدث القديم لجدة تناوله وحسن عرضه كأنه طريف جديد ! ولعل الكاتب أراد أن يروح عن قارئه حين تحدث عن دمشق شاعرا مرة وناثرا مرة أخرى فهو فى مجال الشعر يهتف بقوله :

أحببت دمشق رميم الشعر فى خلدى
لاغرو أن تبعث الأشعار أشعار
كلا فؤادى وطرفى فوق بهجتها
بين الحضيض وبين السفح طيار
تندى القلوب وتجوى من نضارتها
ورب أخضر منه تقدح النارُ
واها لقلبى إن يبد الجمال له
سطراً تبدت من الآلام أسفار

وتابع الشاعر شوقياً فى معانيه ، فتحدث

عن المسجد المعمور وصوت مؤذنه ، وعن أمية وقرطبة ، وعن الغوطة الخضراء ودمّر ، ولن أظلمه شيئا حين أقول إنه احتذاه في بعض سبحاته ، وانفرد عنه في بعض آخر .

وفي مجال النثر يخاطب صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات قائلا : لعلك رأيت دمشق فأنك مرآها ، ولعلك أشرفت من قاسيون على البلد الجميل تحيط به الحدائق الشجراء ، متصلة بين المزة والغوطة فسرحت الطرف والقلب في مرأى جميل ، ومنظر بهيج ، ولا ريب رأيت بردى يتبطن الوادي ، ويقتسم الجبل ، ويتسرب في شرايين المدينة ، فيسري في دورها ومساجدها ، وحماماتها وشوارعها ، ولحسبك ياأخي مررت بمعاهدها فأحسست وقدة بين الضلوع أو طرحت كما يقول البحتري ثقلا من الدموع "(١)

ويمضي الكاتب في وصف رائع هو شعر منثور ، وكذلك فعل في وصف ربوة دمشق في حديثه عن الرحلة التالية في ذكرى أبي العلاء ، وكان صادقا حين قال إن الجلوس في منازه الجمال لايقدر بالساعات والدقائق ، فالفكر سابح هائم ، لايدري الانسان أفارغ هو أم مشغول حتى يدعوه صاحبه للرحيل فيقوم وملء عينه التلفت ، وملء صدره الحنين .

وفي تسلسل مطرد أخذ يصف احتفال الذكرى ، ومتجه الطريق من دمشق إلى المعرة ، متحدثاً عن بصمات التاريخ في ديار الشام ومارا بالغوطة فجرستا فتدمر ويبرود وحمص وحماة ، وفي حماة أقيمت لوفد أبي العلاء حفلة تكريم خطب فيها الدكتور عزام شاكرا ، حتى انتهى الى المعرة فأفاض في حديثها محييا أبا العلاء ومستشهدا بشعره ونثره ، وهكذا اجتمع المحفوظ والملحوظ معا فيما كتب عزام ! وهو في كليهما مدقق بصير ، وكان بين المجتمعين نفر من ذوي المكانة منهم طه حسين وأحمد أمين والمازني والمغربي والنشاشيبي ، تعرف ذلك من رحلة عزام ، واذكر أن المازني رحمه الله قد كتب في جريدة البلاغ مقالات متتابعة عن هذه الرحلة ، تصور اتجاهه الخاص في سرد الأحداث كما تلتقطها عين الأديب المقتدر ، والفرق بين ماكتب المازني وما كتب عزام أن الأول ينقل عن خواطره فحسب ، اما الثاني فيرجع إلى القديم ليصل الطريف بالتليد .

● في آفاق العراق ●

لبغداد في نفس كل مثقف عربي منزلة عالية ، فلا تكاد تمر بخاطر ما حتى تشرق معاني الحضارة المزدهرة ، والارتقاء الفكري ، والنهضة الأدبية في عهود المنصور والرشيد والمأمون ، وإن أطياف الجاحظ وأبي تمام والبحتري وأبي حنيفة والكندي وسيبويه لتتخايل واضحة زاهية أمام العيون فإذا رحل إليها أديب كبير وعالم ضليع ، وعربي حر أصيل مثل عبدالوهاب عزام فإن أشواقه إلى منزل الثقافة الأولى ، وعصر العربية المؤتلق لتسبقه رفافة فوق مياه دجلة وفي سماء الفرات ، وقد رحل إليها عزام عدة رحلات ، رحل إليها في طريق الفردوس عند الاحتفال بعيده مع العبادي ، ورحل إليها أستاذاً للأدب العربي بدار المعلمين العالية ، ورحل إليها مشاركاً في حفلة تأبينية كبرى لراحل عظيم ، وقد تحدث عنها شاعرا وناثرا كما تحدث عن دمشق ، فيقول متعجبا "لله بغداد ما يستقر بها لكر زائرها حتى يحلق في أرجاء العصور وثنايا التاريخ أمداً بعيداً ، فما يفتأ البصر يترامى بين الرصافية والكرخ يبتغي أن يقع

---

(١) إشارة إلى قول البحتري

وقفة بالعقيق اطرح ثقلا | من دموعي ووقفة بالعقيق

على موكب من مواكب الخلفاء ، أو مجلس من مجالس العلماء ، أو حفل للأدباء والشعراء ، ففي كل نظرة ذكرى خليفة ، وفي كل فكرة حديث فيلسوف ، ثم يقع الفكر وقوع الطائر بعد التدويم فسيتريح من بغداد الحاضرة إلى أمة أخذت للمجد أهبتها ، وأعدت للعظائم عدتها ، وعرفت بين الأمم غايتها فسارت في مواكب من الهمة تحدوها عزة عربية ، وأنفة إسلامية ، ذلكم تاريخ يتدفق من قمم المجد الشاهقة إلى المستقبل ، ومن ذا يصد السيل إذا هدر ، بل من يسلسل البحر بأمواجه ، ويرد الحر الأبى عن منهاجه ثم يهتف بالشعر الراجز مخاطبا بغداد :

دار السلام لأعداك المجد
وارفة ظلاله تمتد !
ولا حدا نجمك إلا السعد
موصولة الآجال بالآجال
لابسة مجدد القرون .

وفي أثناء قيامه بالتدريس في دار المعلمين العالية كان موضع الاحتفاء من أعيان العراق إذ غمرته صداقات رضا الشبيبي وطه الراوي وفاضل الجمالي ومعروف الرصافي وغيرهم من نجوم الفكر بسعادة هانئة نضّرت آفاقه وأمتعت أمانيه ، وقد أقيمت له حفلات التكريم في نادي القلم ونادي المثنى بن حارثة ، فكانت هذه الحفلات تعبيراً حياً عن مواقف الحب بين مصر والعراق ، وحين شيعت جنازة الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي اختير الدكتور عزام ليسمع المشيعين كلمة مصر فوق ضريحه ساعة الدفن ، فارتجل كلمة حارة موجزة ختمها بقوله : ستتلقى مصر والبلاد العربية نعي الزهاوي كما تلقى العراق نعي شوقي ! فتتجاوب بلاد العرب بالرثاء وتتبادل العزاء ! ثم تلاه الرصافي فأنشد أبياتا مرتجلة بداها بقوله :

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى
مثل ميت ، وصرت بالموت حيا !

كما أصدر في بغداد كتابه الرائع (ذكرى أبى الطيب) وأخال أنه ألقاه دروسا على طلابه بدار المعلمين كما ألقى الدكتور زكي مبارك من بعد كتابه (عبقرية الشريف الرضى) في دار المعلمين نفسها ، وقد اعتز عزام بتأليف كتابه ببغداد وسجل ذلك في خاتمة البحث ، ليعلن أنه ثمرة من دوحة العراق .

وإذا كان الأمد قد اتسع لدى عزام كي يزور مدن العراق فإنه صار موضع الترحيب في كل بلد نزله ، إذ أقيمت له الحفلات التكريمية . واستمع الحاضرون إلى أفكاره الداعية للوحدة ، وطارح أصفياءه أفاويق الشعر بادئا ومعقبا ، كما سجل انطباعاته عن الناصرية والموصل والصالحية والبصرة والكوفة وخانقين في فصول سائرة ، وقد يمر بقرية صغيرة "كالزبير" على مقربة من البصرة فيقف أمامها وقفة المؤرخ العالم فيذكر أنها بلد الزبير بن العوام ، وبها قبور عتبة بن غزوان ، والحسن البصري ومحمد بن سيرين ، ويفيض في أنباء تاريخية يوحي بها المكان ، وتجد الصدى الجوّاب في نفس الرحالة العالم . اذكر أن بعض من تحدثوا عن رحلات عزام أخذوا عليه بعض الإسهاب في الأحداث التاريخية السالفة كما فعل في حديثه عن البصرة مثلا ، إذ يرى هؤلاء أن الرحالة وصاف لا مؤرخ ! وقد فات هؤلاء أن عزاما ليس رحالة فحسب ، ولكنه كاتب ذو رسالة ، ومن رسالته أن يبعث التاريخ الماضي حيا في النفوس ليعلم الأحفاد مآثر الأجداد فيحاولوا اللحاق بهم إذ يستعيدون عصر العزة المسيطر ، وعهد القوة الحاسم ، ومن كانت هذه غايته فتاريخ العروبة مدده الحافل ، ومرجه الخصيب .

هذا بعض ما يقال عن سفارة عزام في دنيا العروبة ، وكم من أساتذة كبار رحلوا إلى الأقطار الشقيقة كما رحل عزام ، ولكنهم لم يتركوا من الصدى المؤثر ماترك هذا الغيور الصادق ، ولن نغبن نفرا قليلا ممن انتحوا منحاه إخلاصا وتأثيرا ونفاذا ، ولكنهم رذاذ يتقاطر تجاه غيث دفوق لم يؤت أكله المستطاب ●

الدروز

عرب موحّدون أم عجم ملحدون؟

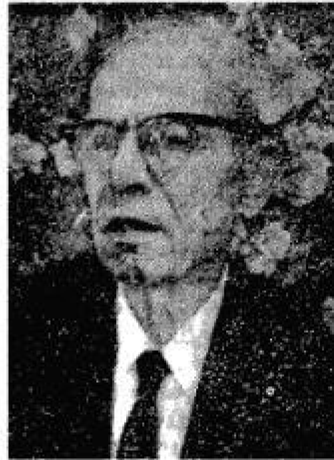
بقلم : د. محمود إسماعيل

●● كما يفصح العنوان : تحاول هذه الدراسة فك لغزين يتعلقان بالاصول الاثنية والعقيدية لطائفة الدروز فللقدائي خلاف وجدل شديدان حول اصل الدروز وانتمائهم السلالي ،كما اثير ولا يزال لغط ولجاج حول العقيدة الدرزية. واختلطت الاشكاليتان معا بما اضفى سحبا من الغموض واللبس لا ترجع اسبابها لعوامل معرفية فحة وحسب ، بقدر ماترد هذه العوامل لمعطيات « جغرا تاريخية » بالاضافة لاخرى « اجتماعية ـ سياسية » ..

ولا سبيل لحسم علمي موضوعي الا بالتجرد عن الهوى وتناول الموضوع تناولا تاريخيا محايدا .. ●●

وبخصوص الاشكالية الاولى تضطرب الروايات حول الاصل الاثني للدروز.. فمنها ما يردهم الى سلالة « الارابي » وهي سلالة اسيوية عرفت بطابعها الفوضوي ، اذ دأبت على اثارة الشغب والسلب ابان الوجود السلوقي ببلاد الشام وذلك عقب تقسيم الامبراطورية المقدونية على خلفاء الاسكندر بعد وفاته .

وثمة رواية اخرى تذهب الى كون الدروز ينتمون الى اخلاط لاتينية شتى يرجع تاريخ تواجدها بالشام على اثر انتهاء الوجة الصليبية .. فالدروز من ثم يمثلون بقايا الصليبيين الذين نجحوا في الهرب من مذبحة عكا ـ آخر المعاقل الصليبية بعد تحريرها سنة ١٢٩١ م على يد المماليك من آل قلاوون . وقد دعم هذه الرواية بعض شيوخ الدروز انفسهم



فيليب حتي

ابان القرن السابع عشر حين ذهبوا باصلهم الى جود فرى دى بويون .

والرواية الاولى تثير من الاعتراض اكثر مما تقدم من براهين . وحسبنا تدليلا على خطئها أنها لا تقدم تفسيرا لتواجد هذه السلالة فى عصور ما قبل الاسكندر . وبالمثل تدحض الرواية الثانية التى ترجع بهذا التواجد الى عصر متأخر جدا عما تقدره وتثبته الوقائع التاريخية .

ولقد حاول المؤرخ الشامى المتأمرك الاستاذ فيليب حتى تقديم حل لهذه الاشكالية ، نعتقد فى صوابه . فبعد درس متأن للموضوع انتهى الى مقولة الاصل العربى للقوم الذين عرفوا بعد باسم الدروز . ولا غرو ، فقد ردهم الى قبيلة « تنوخ » العربية (١) . وانطلاقا من حيث انتهى ، نضيف أن هذه القبيلة تنتمى الى عرب الجنوب ، لكنها لاسباب ما – ربما نتيجة انهيار سد مأرب وماترتب عليه من موجة هجرة الكثير من عرب الجنوب الى الشمال – لفظت مواطنها الاولى واناخت باطراف الحيرة . حيث اعتنقت النصرانية بعد تحالفها مع قوم من النصارى عرفوا باسم « العباد » لتدخل فى خدمة الامبراطورية الكسروية الفارسية التى استعانت بالعرب التنوخيين لتأسيس « امارة حاجزة » هى امارة المناذرة . ولقد نيطت هذه الامارة « الثغرية » بمهمتين أساسيتين ، الاولى حراسة حدود الامبراطورية الفارسية من اغارات القبائل العربية البدوية . والثانية ، مناصرة الفرس فى صراعهم التقليدى ضد البيزنطيين وحلفائهم من الغساسنة .

الفتح الاسلامى والدروز

لكن السؤال يفرض نفسه ، كيف انتقل هؤلاء العرب التنوخيين من الحيرة الى بلاد الشام ؟ تأتى الاجابة من رصد وتتبع أطوار هذا الصراع . اذ نعلم ان المناذرة تمكنوا فى عهد ملكهم « المنذر الثالث » من اجتياح اعالى الشام ووصلوا حتى انطاكية . ثم تفجر صراع بين المناذرة والفرس أسفر عن استعانة الاخيرين بقبيلة طىء العربية لتحل محل المناذرة التنوخيين فى الحيرة . وفى ذات الوقت حدث تقارب بين المناذرة والغساسنة اسفر عن مصاهرة دعمت اواصر الود بين الطرفين . وقد ساعد على ذلك وحدة القوميتين العربيتين النصرانيتين فى مواجهة «مجوس» الفرس. ولا غرو ، فلقد هاجر التنوخيون من الحيرة واستقروا فى جبل لبنان وحول دمشق وجبل حوران كما ذهب كارادیفو (٢) . وقد استمر هؤلاء بمواطنهم الجديدة حتى الفتح العربى الاسلامى ، فاعتنقوا الاسلام ضمن من اعتنقه من أهل الشام .

وموضوع اعتناق الدروز للاسلام يصل بنا الى الاشكالية الثانية ، وهى هل الدروز مسلمون حقا أم انهم هراطقة متزندقون ؟

يؤكد كارادیفو (٣) ان الدروز لم يسلموا اسلاما صحيحا قط . ويضيف انهم لا يتمسكون بعقيدتهم الا قليلا ، « فهم مسلمون بين المسلمين ونصارى بين النصارى » . اكثر من ذلك وصمهم بالاباحية ، وبعبادة العجل رمز الشيطان.

مبدأ التقية

ونحن نرى خلاف ذلك ، فهم مسلمون

الدروز

عرب موحدون ام عجم ملحدون؟

شيعة اسماعيلية . وفي هذا الاطار يمكن الرد على مقولات كاراديفو المتحاملة . وهذا التحامل استمرار لتحامل تاريخي متواتر توارثه الرواة خاصة من السنة ضد الشيعة عموما والاسماعيلية على وجه الخصوص . فمقولة كونهم مسلمين بين المسلمين ونصارى بين النصارى تفهم في اطار مبدأ « التقية » الذي اخذت به جل فرق الشيعة وهو يعني انه يجوز للمرء ان يظهر خلاف ما يبطن تحاشيا لاخطار جسام وامام خصوم متربصين ذوي بأس شديد . واتهامهم بعبادة العجل لا يزيد على اظهارهم العجل في احتفالاتهم باعتباره لعنة لانه يرمز — في نظرهم — الى الشيطان . أما تهمة « الاباحية » فهي قاسم مشترك بين كافة الفرق التي انطوت آراؤها على مضامين اجتماعية كالقرامطة على سبيل المثال .

ان عقائد الدروز يجب أن توضع في اطار عقائد المذهب الاسماعيلي خاصة وقد تأثر اكثر من غيره بمعطيات فكرية فلسفية غنوصية لاتنبو به — مع ذلك — عن جادة الاسلام . يضاف الى ذلك المعطيات الجغرا — تاريخية باعتبار الدروز أقلية تقطن مناطق جبلية تعرضت كثيرا لاخطار الدول الاسلامية السنية كالسلاجقة فضلا عن الصليبيين ابان وجودهم بالشام .

ان وقائع التاريخ تثبت ان مؤسس مذهب الدروز هو محمد بن اسماعيل البخاري الدرزي . ويخيل الى ان صفة الدروز أطلقت عليهم نسبة اليه . لقد كان من دعاة الفاطميين . وهو تركي من آسيا الوسطى (٤) تأثر بعقائد الحلول والتناسخ التي سادت الغنوصية الفارسية الشرقية . وكان ضمن عدد من الدعاة قيل انهم كانوا من وراء ادعاء الحاكم بأمر الله الالوهية .

ولقد فند الكثيرون من الدارسين هذه الدعوى واعتبروا الحاكم « خليفة مفترى عليه » . كما اعتبروا أن دعوته يمكن تبريرها في ضوء المذهب الاسماعيلي بعامة ، الذي تأثر بآراء الافلاطونية المحدثة في الحلول والتجسد . فالقول بحلول روح الله « العقل الكلي » في الانبياء والرسل حتى محمد (ص) ثم في علي بن أبي طالب وآل بيته من بعده امر متواتر في فكر الشيعة قصد به تبجيل الائمة ، وفكرة التبجيل في حد ذاتها موجودة — بدرجة أقل — عند السنة خاصة تقديرهم لكبار الصحابة كأبي بكر وعمر . كما أخذ بها الصوفية الذين يرون في « أقطابهم » مفاتيح الكون ، كما أن مقولة « المهدوية » قاسم مشترك عند كافة الفرق الاسلامية . حتى السنة قالوا بوجود امام على رأس كل قرن يجدد للناس أمور دينهم ودنياهم . فالمهدي في نظر الشيعة ليس نبيا بعد محمد بقدر ما هو « دون السلطة التعليمية الهادية » (٥) .. **وما جرى من اتهام الشيعة الاسماعيلية خصوصا والحاكم بأمر الله بشكل اخص بادعاء الالوهية او حتى النبوة امر رفضه الخلفاء الفاطميون انفسهم .** واذا كانت بعض التجاوزات قد وقعت فلم يجر ذلك الا على يد بعض الدعاة من قبيلة بث الدعوة بين جهال العوام . فالمسألة اذن سياسية اكثر منها عقيدية . واذا كان الخليفة الحاكم — الذي نعترف باصابته بلوثة عقلية — قد وافق على ذلك فقد سارع بالتراجع (٦) .

يعنينا من هذا العرض أن الداعية الدرزي هرب الى الشام بعد ان قال بحلول روح الله وتجسدها في الحاكم بأمر الله . واذ فشلت دعوته في مصر — نظرا لرسوخ المذهب السني بين سكانها — فانها نجحت بين الكثيرين في مناطق الشام الجبلية . لذلك لم تكن العقيدة الدرزية هرطقة أو اباحية أو الحادا بقدر ماكانت نحلة اسماعيلية تنطوي على شيء من الغلو « وان هذه النحلة لم تخرج عن المذهب الاسماعيلي في جوهره » (٧) أما عن

تفسير نجاح الدعوة بين الدروز فيرجع فيما نرى الى عدة اعتبارات :

اولها : استعدادهم لتقبل الاراء الغنوصية الفارسية باعتبارهم عاشوا قبل الاسلام ردحا من الزمن فى امارة الحيرة التابعة للاكاسرة .

ثانيها : توافق هذا الاستعداد مع تأثيرات الافلاطونية المحدثة التى شاعت فى بلاد الشام التى نزحوا اليها واستقروا بها منذ خروجهم على السيادة الكسروية الفارسية .

ثالثها : حصارهم فى اقاليم جبلية وعرة وسط اعداء سياسيين ومذهبيين كالسلاجقة والصليبيين .

فى مثل هذه الظروف تتطرف العقائد والمذاهب وتتأثر احيانا بالكثير من الموروثات العقيدية القديمة . ولعل ظهور العجل فى احتفالاتهم كان من معطيات هذه العقائد التراثية ..

لعل هذه الظروف أيضا كانت من وراء تبلور النزعة العشائرية الطائفية بحيث نرى أن الدروز الى اليوم يعتبرون عقائدهم حكرا عليهم ويرفضون أن يكون مذهبهم تبشيريا ..

● أركان بديلة ! ●

كانت هذه الظروف أيضا من أسباب تضخم النزعة القتالية لدى الدروز فقد عرفوا بالبأس والشجاعة من أجل الحرية والاستقلال .

لقد أخطأ كاراديفو حين ذهب الى أن الدروز استعاضوا عن اركان الاسلام الخمسة بسبعة أركان بديلة .. وحين نسبر غور هذه الاركان نتحقق من تبلور معايير خلقية وقيم انسانية عامة لا تخرج فى جوهرها عن الاسلام . مثال ذلك : « حب الحق وتكفل العارفين بالسهر على سلامة الغير والابتعاد عن الشيطان والتبرؤ من العقائد السابقة والاعتراف بمبدأ اتحاد اللاهوت بالناسوت ، والرضى عن أفعال الرب والخضوع التام لارادته التى تجلت فى الائمة » .

ولقد انعكست هذه التعاليم على صورة المجتمع الدرزى الذى يقسم الى طائفتين : الاولى « طائفة الروحانيين » وتنقسم الى « رؤساء » و « عقلاء » ويناط الرؤساء بمعرفة أسرار المذهب والعقلاء بمهمة تثقيف الاتباع .

أما الطائفة الثانية فتعرف باسم « الجثمانيين » وتنقسم الى « أمراء » و « عامة » . ويختص الامراء بأمور الحرب والسياسة . أما العوام فقد لا يعرفون عن أصول المذهب الا اسمه . ويلاحظ أن هذه التقسيمات والتنظيمات هى تنظيمات اسماعيلية الاصل وان جرى تحوير بعضها وفقا لتطور الواقع الاجتماعى التاريخى .

لقد تطور هذا الواقع بتطور العصور دون أن يفقد الدروز طابعهم العام . وحسبنا انهم حافظوا على وجودهم وسط ظروف طاحنة استهدفت طمس هويتهم فى العصور الايوبية والمملوكية والعثمانية وبرز دورهم فى التاريخ الحديث بتأسيس الاسرتين « المعنية » و « الشهابية » . واليهما يرجع الفضل فى سبق لبنان الى الاخذ بالحضارة الغربية حتى قبل مصر وسائر دول العالم العربى . كما ناضلوا ابان مرحلة الاحتلال الفرنسى المتعصب لطائفة المارونية حتى تحقق الاستقلال . وفى اطار لبنان الحديث والمعاصر برز — ولا يزال — دور الدروز من أجل تحقيق وحدة لبنان وافشال المخططات الرامية الى تجزئته طائفيا . كما يتجلى هذا الدور فى تبنيهم للافكار الاشتراكية التقدمية على صعيد العمل السياسى العربى . ان هذا الدور المشرف للدروز يفهم فى اطار كونهم عربا ومسلمين « لا » اعاجم متهرطقين .

---

(١) انظر :

(٢) راجع : دائرة المعارف الاسلامية : مادة « الدروز » ص ٢١٤ .

(٣) نفسه ص ٢١٧ .

(٤) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ١٩٨١ ص ٦٢١ .

(٥) جولدتسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٢٢٤ .

(٦) حسن ابراهيم : المرجع السابق ص ٢٥٢ .

(٧) نفسه : ص ٣٦٠ .

أسرة المويلحى وأثرها فى الأدب العربى الحديث

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجى

مؤلف هذا الكتاب هو المستشرق اليوغسلافى د. يوسف راميتش ، الاستاذ بكلية الدراسات الاسلامية بسرايفو بيوغسلافيا، وهوشخصية علمية متميزة ، واهتمامه بالادب العربى الحديث واضح وكبير ، وهو يحدثنا فى مقدمة كتابه عن اسرة المويلحى واثرها البارز فى النهضة الادبية الحديثة ، وعن اهمال الدارسين للاعلام الكبيرة الذين نشئوا من هذه الاسرة ولتراثهم ، وان هذا الاهمال كان هو الحافز له على كتابة هذه الدراسة وابراز دور هذه الاسرة فى تاريخ مصر الادبى الحديث .

وقد قدم هذه الدراسة الاستاذ الدكتور سيد حنفى حسنين الذى لفت نظره ان يجد عالما من يوغسلافيا يدرس لثقافة أسرة من اصل حجازى ، وهى أسرة المويلحيين التى استقرت فى القاهرة ، واصبحت اصلا من اصول الثقافة المصرية منذ القرن التاسع عشر الميلادى ، وأدى رجالاتها دورهم فى الحياة السياسية والادبية فى مصر تأدية تركت اثرها فى تاريخ الثقافة المصرية الحديثة .

والمؤلف الدكتور راميتش يجعل كتابه سبعة أبواب :

فالباب الاول دراسة العصر الحديث فى مصر الذى عاش فيه المويلحيون : من الجانب السياسى، والاجتماعى، والفكرى، والادبى .

والباب الثانى : دراسة لاسرة المويلحى من حيث نشأتها وتاريخها ، وللمويلحى الكبير « ابراهيم المويلحى » وحياته وأدبه، وللمويلحى الصغير « محمد المويلحى » وحياته وثقافاته ، وللمويلحى الاوسط « عبد السلام المويلحى » وكفاحه الوطنى والادبى .

والباب الثالث : دراسة لدور هذه الاسرة فى الحركات الوطنية والادبية فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ومن اجل ذلك يحدثنا المؤلف عن الو



ابراهيم المويلحي



محمد المويلحي

الاسرة في الحياة النيابية في مصر ، ودورها في الثورة العرابية ، ومواقفها في حركة احياء التراث العربي .

والباب الرابع : دراسة لآثار المويلحيين في الادب العربي الحديث ، والمؤلف لذلك يحدثنا عن آثار المويلحي الكبير الادبية ومترجماته من اللغات الاجنبية ، وعن آثار المويلحي الصغير اللغوية والتاريخية والسياسية ، والادبية ، وعن آثار المويلحي الاوسط في الحياة الثقافية والنيابية .

وفي الباب الخامس : يحدثنا المؤلف عن آثار المويلحيين في الصحافة العربية ، وعن دورهم البارز في الجانب الصحفي ، وموقف ابراهيم المويلحي من حركة المجتمع المصري الحديث ، وموقف محمد المويلحي من الامتيازات الاجنبية ، وغير ذلك .

وفي الباب السادس : يحدثنا المؤلف عن آثار المويلحيين في ادب المقالة والرسالة .

وفي الباب السابع : حديث عن مدرسة المقامات في الادب الحديث ودور المويلحيين في دعم هذا الجنس الادبي واثرائه ، ومن حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي واثره الادبي بالتفصيل .

وابراهيم المويلحي عصامي بنشأته الادبية والعلمية ، وكانت له مشاركة في الشعر ، وان كان نثره الادبي الرفيع هو الجانب الاكبر من ادبه ، وجريدته الاسبوعية « مصباح الشرق » كانت ضوءا ساطعا في آثار الادب العربي الحديث ، وكانت كما يقول البشري : انضر مدرسة لطلاب الادب الرفيع « المختار ٢٢٤/١ » وقد توفي ابراهيم في ٢٩ من يناير عام ١٩٠٦ .

وعبد السلام المويلحي طارت شهرته في الحياة الوطنية والسياسية ، ورأس زعامة المعارضة عام ١٨٧٩ في مجلس شورى النواب ، وقد اشارت اليه جريدة التيمس الانجليزية في عددها الصادر في ١٦ ابريل عام ١٨٧٩ وقارنته بميرابو فرنسا ، وكانت مواقفه الوطنية ذات صدى عميق في حياة مصر السياسية آنذاك ، وقد عاش ثلاثا وستين سنة « ١٨٤٧ — ١٩١٠ م » .

واما محمد المويلحي صاحب كتاب « حديث عيسى بن هشام » فله دوره البارز في الحياة الادبية والفكرية في

المويلحي

مصر ، وتوفى فى آخر فبراير عام ١٩٣٠ .

يؤرخ المؤلف لهؤلاء الاعلام وفكرهم السياسى والادبى تاريخا واسعا ، ويستعرض مواقف رائعة من تاريخ مصر الحديث ، كموقف عرابى امام الخديو توفيق فى مظاهرة الجيش المصرى فى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ فى ميدان عابدين ، وهذا الحوار الذى جرى بين عرابى وتوفيق صورة من مفاخر مصر الوطنية آنذاك ..

توفيق لعرابى : ما هى أسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟.

عرابى : جئنا لنعرض عليك طلبات الجيش والامة ، وكلها طلبات عادلة .

توفيق : وما هى هذه الطلبات ؟.

عرابى : هى اسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نواب ، وابلاغ الجيش العدد المعين فى الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها .

توفيق : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وانا ورثت ملك هذه البلاد من آبائى واجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا .

عرابى : لقد خلقنا الله أحرارا ، وانا لن نستعبد بعد اليوم .

وفى حياتنا الصحفية يتحدث عن دور ابراهيم المويلحى البارز فى هذا الجانب ، اذ كان ركنا كبيرا من أركان الحركة الصحفية فى مصر فى عصره ، فقد أصدر العديد من الصحف اليومية والاسبوعية ، ومنها نزهة الافكار ، ومصباح الشرق .

وقد صدر العدد الاول من نزهة الافكار فى يوم الخميس ١٤ من جمادى الاولى عام ١٢٨٧ هـ - ١٢ من أغسطس عام ١٨٧٠ ، وصدر العدد الاول من «مصباح الشرق» فى الرابع عشر من ابريل عام ١٨٩٨ م .

وكان ابراهيم المويلحى من تلامذة جمال الدين الافغانى واشترك معه فى تحرير « العروة الوثقى » ، وكان من أصدقاء الامام محمد عبده والشيخ رشيد رضا ، وقد توفى فى ٢٩ يناير عام ١٩٠٦ .

نائب جرىء

وعبد السلام المويلحى انتخب نائبا عن القاهرة عام ١٨٧٦ فى مجلس شورى النواب المصرى ، حيث صار من ابرز الاعضاء فيه ، وفى عهد الاحتلال انتخب كذلك نائبا عن القاهرة فى مجلس شورى القوانين ، الا أنه رفض العضوية هذه المرة وقال : انى ارى أولى أن أصدر جريدة ، يمكننى ان اخدم بها بلدى أكثر من عضويتى فى مجلس اختصاصاته مبتورة وقانونه يحرم اعادة الرأى فى موضوع يعرض ، فى حين اذا أصدرت جريدة فان أى موضوع يعرض ، لى أن أكتب فيه مرة ، وثانية ، وثالثة ، وأنبه فى النفاذ ، فالجريدة أفضل من المجلس بقيوده .

ومن مواقف عبد السلام المويلحى ماقام به يوم أن ذهب رياض باشا الى مجلس شورى النواب المصرى فى ٢٧ مارس عام ١٨٧٩ ليعلن انتهاء الدورة ، فانبرى له نائبان جريئان هما : عبدالسلام المويلحى ، ومحسن راضى ، وقال له عبد السلام : ان الاعضاء لم يعملوا شيئا حتى الان ، وان مهمة الاشراف على أعمال الوزارة لا تزال امامهم ، وان ذلك يدعوهم الى البقاء ، ورد عليه رياض باشا بقوله : مستحيل ، مستحيل ينفض المجلس ؟. ماذا تقول ؟. كيف يكون فض المجلس مستحيلا بعد امر خديوينا المعظم ؟ .. هل حضرتك فاهم جيدا قيمة مسئولية ماتقول الان ؟.

ورد عليه عبد السلام المويلحى : نعم انا فاهم ، وفاهم جيدا معنى ما قلته ، ومقدار مسئولية ما أقول تماما ، وأخذ رياض باشا يقول : هل حضرتك تتكلم عن

نفسك فقط ! وهل اخوانك يوافقونك على هذا الكلام ! ما اظن ان حضراتهم يوافقونك على ذلك مطلقا ، وردد النواب : نحن موافقون على ما قاله عبد السلام المويلحي بك : وثار رياض باشا : اذن انتم جميعا عصاة، فانبرى له عبدالسلام يقول: حلمك يا باشا لا تغضب سريعا ، والآن الحمد لله قد ظهر لك موافقة اخوانى لاقوالى ، وهم يعرفون مقدار المسئولية ويقدرونها حق قدرها ، ومن الغريب ان تحمل لنا امرا عاليا اليوم ، يقضى بفض المجلس ، وهذا الامر العالى مبنى على غلطة جوهرية فاضحة ، لانها مغالطة مزرية من الحكومة لمجلس نواب امتها ، وهى كيف جاز للحكومة أن تبنى الامر العالى بفض المجلس على أن مدة انعقاده ، وهى ثلاث سنوات قد انتهت ، مع ان الحكومة تعلم والنواب يعلمون انه لم يمض على المجلس سوى سنة وثلاثة اشهر ، ورد رياض باشا : يعنى حضراتكم تقلدون نواب فرنسا الذين ثاروا على حكومتهم ، فرد عليه النواب ردا شديدا وقاطعه عبد السلام المويلحي قائلا : اسمعت ياباشا ! ارايت عاقبة تسرع حضرتك فى الكلام ! وعدم ضبطك لعواطفك ! المسألة مسألة نواب لهم عقول تفهم جيدا رغائب الامة التى انابتهم عنا ، واعلم يا باشا ان اهل وطنك ليسوا باقل شعورا بما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات من الامم الاخرى ، التى هى فى الواقع اقل منا كثيرا فى المكانة المالية والعمرانية ثم ثق ان كنت تعتقد ان مصر لم تتمخض ولم تلد سوى عطوفتك من عهد رمسيس الى الآن ، فانك غلطان جدا ، والف غلطان يا باشا ، تقول عن نواب بلادك يا باشا انهم ناس جهلاء وهمج ، ولا تزن قولك قبل صدوره منك ولا تتألم فى نجواك من صدوره عنك ، ثم تكرره تقريبا امامنا اليوم !

وقال حسنى عبدالرازق : ان ماقاله عبد السلام بك المويلحي هو اعراب عن افكارنا ومطابق مطابقة تامة لآرائنا ، ولا يشذ عنه اى فرد منا ، وكلنا متحملون مسئولية هذه الاقوال مهما عظمت ، أليس كذلك يا اخوانى ؟ واجاب الاعضاء : نعم .. نعم .. نوافق على جميع ما قيل من اخواننا النواب فى هذه الجلسة .

وانسحب رياض باشا من المجلس ، وهو يقول : أنتم عصاة ، انتم ثوار . ووجه عبد السلام المويلحي حينئذ الكلام الى سكرتير عام المجلس : لا تحذف حرفا واحدا مما قيل فى كتابة المحضر ، لتعلم الامة والناس جميعا من هم الهمج : النظار أم النواب ؟ وطلب عبد السلام المويلحي : استمرار الجلسة ، فوافق المجلس بالاجماع .

تلك صفحات مما سجله المستشرق اليوغسلافى من جانب من تاريخ مصر فى عهد الاحتلال ، وعن كفاح نواب الشعب ضد سياسة الوزراء الذين تحركهم أيدى الاحتلال .

• أعظم الجرائد الاسبوعية •

وفى حديث المستشرق اليوغسلافى عن « مصباح الشرق » يقول : انها كانت فى نظر كثير من الادباء والباحثين من اعظم الجرائد الاسبوعية فى مصر ، وكانت معرضا لادب كبار الادباء ومدرسة لمريدى الادب ، ومجالا لقرائح السياسيين المعدودين فى الفصحاء ، وكانت تصدر يوم الخميس من كل اسبوع ، وكانت كما يقول العقاد فى كتابه « رجال عرفتهم » لسانا للحركة الادبية .

ويقص علينا المستشرق اليوغوسلافى قصة ظهور كتاب «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحي بك وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة بالتفصيل .

وقد تضمن الكتاب الكثير من المواقف الوطنية والنقدية والأدبية ، وتحدث عن العديد من تيارات الأدب ومذاهبه فى العصر الحديث.. مما يجعل للكتاب اهمية كبيرة ، هذا الكتاب القيم الذى صدر عن دار المعارف فى القاهرة فى اكثر من اربعمائة وخمسين صفحة .

منسأة سليمان

شعر : أحمد فضل شبلول

لى وطن فى حجم القلق العربى
وفى لون الزيتون ،
وفى طعم فلسطين
لى وطن يبدأ من بدر ،
ويمر على الخندق ،
تتوسطه حطين .
فى أسفله تتنهد سبأ ،
فى أعلاه يطير الهدهد ،
يفجأ بوابات البستان
يدخل بين الأغصان
ويسرى فى السيقان
يجاوز حد الجذر
يختصر الصحراء أمام العينين الواسعتين
يعود ، ويصرخ فى منسأة سليمان
ـ لا تتهاوى .
ـ لا تتهاوى .
ـ ـ الجن يروح ، يجىء ولا يدرى
ـ لا تتهاوى .



بلقيس تساءلت الان عن الحكم
لم تعرف ان الحكم يساوى الدم
لى وطن فى حجم الهم
الدم ينفجر ـ مع الأمعاء ـ من الفم
والشجر جريح
يساقط من اول صرخة ريح
كنت اناجي الاوطان ،
اعنفها فى الاحلام
واجاوز حد التسبيح
منساة سيمان
قدت من شمس فلسطين
ها انذا ...
ادفع تلك الديدان
عن منساة سليمان
لكن بلقيس .
لايعنيها ..
الا ..
الحكم .

الحفار

وإمكانيات روائيّة جديدة



مع الحفار انت فى رحلة مع المجهول ، بكل ما تثيره فيك مشاهد الرحلة من مزيج الخوف والرهبة والمخاطرة ، فانت تصحب مغامرا بحجم خطة المتهورة اسرائيل للتنقيب عن البترول فى خليج السويس بهدف اذلال مصر فى أعين العالم ، فتنطلق من القاهرة الى البحيرات التى تفصل بين كندا والولايات الامريكية ، أو تدور فى حلبة رقص فى فندق قريب من شلالات نياجرا ، او تجد نفسك فى مبنى جريدة فى امستردام ، او فى مطعم سمك فى لشبونة ، او على جزيرة من جزر البرتغال ، او على ظهر سفينة شحن فى عرض البحر ، أو فى غرفة فى فندق غريب وقد عبثت بحاجاتك الشخصية يد غريبة فى غيابك ، او فى احد موانىء غرب افريقيا او فى قلب غاباتها واحراشها ، وهناك حيثما كنت معرضا لتقلبات الامواج والموانىء فى انتظار ان يظهر الحفار . الرحلة تطرح بكل ما فيها وهنا تفتح لخيالك آفاقا ، وللذكائك آفاقا ، ولمشاعرك الوطنية أفقا بعيد أفق ، وأنت تدور وسط ذلك الصراع الطاحن بين رجال المخابرات المصرية ورجال الموساد ، تتحرك بدفع العقلية المصرية واصرارها على التفوق وتدمير الحفار .

وهى رحلة تجسرى فى مناخ حرب الاستنزاف ، وسط انباء عن نسف الضفادع البشرية المصرية لسفينتين حربيتين فى ميناء ايلات ، ومعركة شدوان المجيدة ، والاشتباكات ودوى المدافع عبر القنال ، ودوريات العبور التى كانت تقض مضاجع الاسرائيليين »

بقلم : د. أمين العيوطى

●● بعد أن قدم صالح مرسى مجموعته القصصية الصعود الى الهاوية عن التجسس فى عام ١٩٧٦ ، وبعد أن قدمت له الشاشة الصغيرة ذلك المسلسل المتميز دموع فى عيون وقحة عن عميل مصرى مزدوج فى عام ١٩٨٢ ، يعود الينا اليوم فى روايته الجديدة الحفار بعنوان فرعى « قصة أعنف صراع بين المخابرات المصرية والاسرائيلية » لا ليضيف الى أعماله السابقة رصيدا جديدا فى هذا المجال فحسب ، بل ليفتح للرواية العربية آفاقا جديدة لم يسبق ارتيادها من قبل ، وليثبه الاذهان الى امكانيات الفن الروائى فى اقتحام مناطق أخرى من التجارب الانسانية العريضة لم تزل بكرا حتى الآن ●●

صالح مرسى



كما تجرى وسط تحركات واجتماعات سياسية وتصريحات تهدف الى زعزعة النفوس وادخال اليأس الى القلوب ، ووسط حركة محمومة من جانب مصر لتؤكد صلابتها واصرارها .

وانت وسط هذا الصراع تعاشر ثمة جيش صغير من الرجال والنساء والشباب والفتيات من جميع الاعمار ، ومن جنسيات شتى لا يعرف احدهم الاخر ، يتحركون حركة سريعة ونشطة وشديدة الدقة والخطر !! ، بل رجال ونساء تتبدل اعمارهم واشكالهم من آن لاخر ، كل خطوة عندهم لها حساب ، وكل فكرة لها الف وجه واحتمال ، وكل ثانية الف قيمة فى صراعهم الدائم مع الزمن وهم يلاحقون عبر موانىء العالم حفارا



أحاطت اسرائيل تحركاته بسياج من السرية والمناورة عليهم ان ينفذوا منه في جو من السرية والكتمان والمعلومات والحسابات والخطر والحركة المحسوبة ، ليصلوا الى الحفار ويدمروه دون أن يتركوا وراءهم اثرا واحدا يدل عليهم ، خاصة وان العملية دقيقة يحيط بها الكثير من الحرج السياسي مع كثير من الدول المتورطة فيها مما يكسبها مزيدا من الاهمية والتوتر الذى يصاحبها .

تشابك الاحداث

وقد تلتقى هذه الرواية مع الرواية البوليسية في اعتمادها على اثارة التشويق والتوتر لدى القارىء ، وهو التشويق الذى يعتمد اساسا على استفزاز فضول القارىء الذى يلذ له ان يتابع تعاقب احداث الحكاية وفصولها ، كما تلتقى معها في اعتمادها على تشابك الاحداث وتشعبها واحتمالاتها بالقدر الذى يكفى لاستفزاز ذكاء القارىء الذى يلذ له أن يستقرىء الاحداث وسط جو الغموض واللبس الذى يشيع في جنبات هذا العالم المحفوف بالمخاطر في الرواية ، وهو الجو الذى يتطلب اثارته من الكاتب تلك الخبرة التى يصفها - هو نفسه - رجال المخابرات بأنها « خبرة طويلة مع الغموض » هذه المتعة العقلية توفرها لنا الطريقة التى يعمل بها عقل ظاهر رسمى ، مثلا ، وهو يقوم بتحليل الرسالة التى ترد اليه بالشفرة والمعلومات التى تتضمنها عن رحيل الحفار عن دكار والرجال قاب قوسين أو أدنى من تدميره ، ويدرس احتمالات الموانىء الاخرى التى سيلجأ اليها الحفار ، وانسب الموانىء لضربه ، ويضع الخطة التى تفرض على الاسرائيليين أن يلجئوا بالحفار الى ذلك الميناء بالذات الذى وقع عليه اختيار ظاهر رسمى لتدميره .

غير أن الرواية تتميز مع ذلك على الرواية البوليسية بأنها تخاطب اساسا الحس الوطنى المصرى العميق ، لا لأنها تتناول الحرب بين الذكاء المصرى والاسرائيلى فحسب ، بل لانها تتناول قضية تتعلق بعزة مصر وكبريائها ، خاصة وأن احداثها تجرى في وقت كان كبرياء كل مصرى فيه جريحا . وهى لهذا تدخل في نطاق ذلك النوع من الادب الذى يخاطب معنويات الناس ليرفعها ويدعمها ويؤكد فيها الشعور بالاعتزاز بالانتماء لهذا الوطن العريق ، أو كما تقول الرواية على لسان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في تصويرها لموقف بينه وبين امين هويدى مدير المخابرات المصرية آنذاك :

ساد الصمت بين الرجلين لثوان ، وعاد عبد الناصر الى الحديث وقد برقت عيناه ، قال : ان العالم كله لابد ان يعرف أننا رغم الهزيمة نرفض الاذلال : « مش الاسرائيليين بس يا امين ، العالم كله لازم يعرف كده . وده مهم قوى بالنسبة لنا في المرحلة دى » .

اثارة وتشويق

وعنصر الاثارة والتشويق تكفله في هذه الرواية السرية المشحونة بالتوتر ، والتحرك المحوط بالغموض والكتمان . فنحن منذ البداية نتحرك في شوارع خالية يخيم عليها السكون والظلام الذى يجثم كالشبح في صمت وسط الظلام الكثيف ، ونجوس وسط السكون حيث الرجال يتحركون في صمت لا تتردد فيه الا الاصوات الصادرة من أجهزة اللاسلكى

وصفيرها المتقطع ، قبل أن يملك علينا انتباهنا رسالة ترد بالشفرة تثير احساسنا بأهميتها وتشيع جوا من التوتر يتناغم مع جو التوتر العام ويعشش بداخله . بل لعل الحركة فى الرواية أيضا تكتسب معنى آخر وبعدا آخر من هذه البداية من جوف الظلام الذى يغلف الشارع والمبنى . فلعلنا نستطيع أن نقول أن حركة الاحداث كلها تبدأ من الظلام الى النور .

فى بحثنا مع الرجال عن الحفار ، حجمه ، شكله ، قوة احتماله ، مواصفاته ، عدد رجاله ، مكانه ، بحث يبدأ من الظلام قبل أن ترد أول رسالة بالشفرة تحمل معها أول خيط نور يكشف لنا أمر الحفار الذى لا يلبث أن يختفى فى متاهة المحيط الواسع . « فها هى الايام تمضى ولا خبر عن الحفار ، ولا شىء سوى ظلام يكتنفه ظلام ... »

منذ هذه اللحظة تبدأ الحركة سريعة محمومة . فالاثارة لا تكمن فى المناخ فقط ، لكنها تكمن أيضا فى سرعة الايقاع اللاهث ، والتنقلات السريعة من مجموعة بحث الى مجموعة بحث أخرى ، وتلاحق الاحداث ، ومحاولة كسب الوقت واستباق الزمن . فنحن « فى سباق مع الزمن » حتى ندرك الحفار قبل أن يدخل البحر الاحمر لنضربه فى عرض المحيط بأقصى كفاءة ممكنة ، وبأقصى سرعة ممكنة ، تجنبا لفتح معارك جانبية مع الدول المتورطة فى العملية .

ويعمق لحظات الاثارة ذلك التوتر الذى تعيشه مع الرجال ، مثلما يحدث مع نديم هاشم ، الضابط المكلف بتدمير الحفار ، فى مطار أورلى وهو يحمل معه كل معدات الضفادع البشرية التى ستقوم بأداء المهمة ، وسط ظروف التفتيش الصارم المفروض على كل عربى . فالرواية تعمق اللحظة فى اثارة تجعل القارىء مشدودا فى مقعده ، وتشيع التفاصيل على مهل . « امتدت يد الضابط على كتاب راح يتصفحه ويفحصه ، ألقى به ، ثم أمسك بكتاب آخر وثالث ، ورابع » .. ونحن نعلم أن معدات الضفادع ترقد تحت هذه الكتب !

ويلعب عنصر المفاجأة دوره فى الوصول بالاثارة التى يعيشها القارىء الى منتهاها حين يظهر الحفار فجأة فى ميناء ، ليغادر فجأة الى ميناء آخر مجهول ليمضى فيه حين يظهر مرة ثانية فترة مجهولة لا ندرى ان كانت كافية لوصول الرجال ، ليغادر مرة أخرى والرجال على أهبة الاستعداد لتنفيذ مهمتهم . ويدعم عنصر المفاجأة فى مثل هذه اللحظة ، أو فى غيرها على امتداد الرواية كلها ، عنصر الخطر الذى يعيشه الرجال .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى كل عناصر الاثارة التى تحفل بها الرواية عنصرا هاما ، هو عنصر نشر اية رواية بشكل عام ، ورواية من هذا النوع بشكل خاص ، على شكل مسلسل . مثل هذا الاسلوب فى النشر يتطلب من الكاتب حذقا بالغا بحيث يبقى القارىء مشدودا الى متابعة حلقات الرواية حلقة بعد حلقة . وفى هذه الرواية يتحقق هذا من خلال سرعة الانتقال من مشهد الى آخر داخل الفصل الواحد بعد أن يكون الكاتب قد شد اهتمامنا الى ما يجرى فى مكان ما قبل ان ينتزعنا من قلب هذا المشهد الى آخر .



ولعل هذا العنصر الاخير هو الذى يحدد الشكل الفنى لرواية الحفار . فأول ما يلفت النظر هو أن الرواية تأخذ شكل المشاهد السينمائية القصيرة المتلاحقة ، بحيث يبدو الشكل الروائى أقرب الى سيناريو أحد الافلام . والحقيقة أن صفة السيناريو لا تنطبق فقط على الطريقة التى كتبت بها الرواية من مشاهد قصيرة لا تكاد تجتذب القارىء حتى يحدث « اختفاء » سريع لهما لتحل محلها مشاهد قصيرة أخرى ، بل أن صفة السيناريو تنطبق عليها من حيث أن الخطط المختلفة التى يضعها رجال المخابرات فى محاولتهم الا يفلت منهم الحفار تحت أية ظروف هى فى حد ذاتها سيناريوهات . هناك سيناريو خاص بفرناندو بالديرا فى جزر الازورس ، وسيناريو آخر خاص بلونا بايرن فى ساحل العاج ، وسيناريو ثالث يقوم بوضعه نديم هاشم فى اختيار الضفادع البشرية ووضع خطط تهريب الملابس وتعديل الخطط ، تبعا لتطور الاحداث .

كل هذا بالطبع فى اطار السيناريو الاساسى الخاص بالحفار . بل ان طاهر رسمى نفسه ، العقل المدبر وراء العملية ، يقرر بهذا الاسلوب حين تراءت فكرة استغلال الفنانة دلال شوقى وارسال بعثة سينمائية لتصوير فيلم تجرى أحداثه فى احراش نيجيريا . « منذ اللحظة الاولى أيقن طاهر أن الامر يحتاج الى خطة خيالية ، خطة تصلح لاحد الافلام السينمائية ، ولا تصلح للتنفيذ على الطبيعة » ..

فى مثل هذه الرواية لا تكون الشخصيات مهمة فى حد ذاتها . فلعلنا لا نرى منها الا ملمحا او بعض ملمح . بل لعلها لا تكتسب خصائصها الا من خلال ارتباطها بالهدف الذى تسعى لتحقيقه . فاذا كان عزت بلال هو « كومبيوتر » المجموعة فما ذلك الا لانه مخزن المعلومات التى يزود بها المجموعة ، واذا كان طاهر رسمى يتمتع بشمولية الرؤية والذكاء البارع فما ذلك الا لانها امكانات يضعها فى خدمة العملية ، واذا كان نديم هاشم يتسم بالجراة وعشق الخطر فما ذلك الا لفناء ذاته فى المهمة التى يضطلع بها ، بل لعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن العلاقات الانسانية ليست مهمة فى حد ذاتها . فلا العلاقة العاطفية بين دلال شوقى وممدوح صبرى ، ولا العلاقة المادية بين مراد وفرناندو بالديرا ، ولا العلاقة الجنسية بين زكريا ولونا بايرن ، ولا حتى العلاقة المبدئية بين لبز ونورمان والقضية العربية مهمة فى حد ذاتها . العلاقة الاساسية التى تحرك الحدث هى علاقة العمل ، علاقة جمع المعلومات والتخطيط والتنفيذ . فالشخصيات فى حد ذاتها لا أهمية لها ، بل أن بعضها يلبث ان يختفى ، مثل موريس ، ما أن تؤدى دورها المنوط بها فى اطار العملية الكلية . ولهذا فهى شخصيات لا تتطور . الحدث فقط هو الذى يتطور ، والشخصيات مجرد تروس فى عجلة عملية واحدة .

ولعل هذا الاهتمام بالحدث على وجه التحديد قد ترك بعض الآثار السلبية على ثنيات العمل ، وخاصة فى بدايته . فمع وجود هذا الحشد الهائل من الشخصيات ومحاولة الكاتب تتبع الخيوط المتشعبة التى ينسج منها الحدث ، كان دخول

الشخصيات يأتى فى بعض الاحيان فجائيا يحير القارىء قبل أن يستطيع أن يربط بينها وبين خط الاحداث الرئيسى ، مثل دخول لونا بايرن فى استردام بهولندا فجأة دون مقدمات ، أو دخول ابراهيم سيد فرج الله الى صالة المطار فى طريقه الى داكار وعمر السيد فى طريقه الى غانا واحمد زين العابدين فى طريقه الى مقديشيو دون أن ندرى عنهم شيئا . ونستطيع أن نضيف الى هذا دخول شخصيات جديدة الى مسرح الاحداث فى اوقات متاخرة .

كذلك كان غياب عنصر رجال المخابرات الاسرائيلية عن حيز الاحداث فى النصف الاول كله من الرواية ، وفى اغلب النصف الثانى ، قد اضعف من **التوتر الدرامى** فى الرواية ، واظهر تحرك الجانب المصرى كما لو كان تحركا احادى الجانب فبدا «صراع العقول» هزيلا الى حد بعيد . وحتى حين يظهر ايزاك ديستان وباربرا هوفمان على مسرح الاحداث فاننا نراهما على البعد ، أو نسمع عنهما بشكل سردى لا من خلال تصوير درامى مؤثر ، أو من خلال الخطة والخطة المضادة الا فى أضيق الحدود وفى حالة واحدة قرب النهاية .

فقد نسمع عن استئجار الاسرائيليين للقاطرة آلبى فى انتويرب لسحب الحفار من أبيدجان ، واطلاقهم لشائعة ان لريا عربيا قد استأجره بهدف التمويه . المعلومة تنقل الينا ولا تبرز دراميا وهو ما كان من شأنه ان يضاعف من جرعة التوتر ومن جرعة الاعتزاز بالعقلية المصرية المناورة فى آن واحد . ونحن نسمع عن الخطر الذى يطارد ليز ونورمان ولا نراه الا فى حادث اختطافهما فعليا .

وعلى الرغم من أن طاهر رسمى ليس ممن يميلون الى الاستهانة بذكاء عدوه ، الا أن غياب النزال الحقيقى بين العقلين والذكاءين يميل الى تسطيح ذكاء العدو ويضعف من تأثير الذكاء المصرى . ولناخذ مثلا على ذلك ردود فعل الجانب الاسرائيلى فى ميناء داكار حين يرحل الحفار فجأة ، فلا نرى من جانبهم الا الشكوك والعصبية والتصرفات التى تبدو محسوبة على اساس حدس لا على اساس معلومات، عن هذا الموقف تقول الرواية:

ان الاسئلة تفرض نفسها فرضا علينا ونحن نقلب فى الاوراق والاقوال والاحداث معا .. نقارن بين ما اتيح لنا من معلومات وما لم يتح ، ثم نستنتج فى محاولة للاقتراب من الحقيقة بقدر مانستطيع من جهد .. »

ولكن هذا ما كان على صالح مرسى بصفته قصاصا أن يفعله بالضبط ، لا أن يجعل المعلومات تحسرنه ، ولكن ان « يخلق » مالم يتح له من معلومات ، مثلما كان يفعل بالضبط فى **دموع فى عيون وقحة** ، أو مثلما يحدث هنا فى حالة الالتحام الوحيد الحى بين العقلين الذى يحدث حيث يحاول الجانب الاسرائيلى ايهام المصريين بان الحفار سيدخل ميناء أبيدجان فى حين يخططون هم لدخوله ميناء هاركورت فى لاجوس ، والاسلوب الذى يتبعه طاهر رسمى باستغلاله خاتم البعثة السينمائية لابعاد الاسرائيليين عن دخول بورت هاركورت والالتجاء الى أبيدجان حيث كل الظروف موالية للجانب المصرى حتى يضرب ضربته .

ومع كل هذا يبقى **الحفار** عملا روائيا مثيرا متميزا ، يفتح الطريق أمام الرواية العربية لارتياد مناطق جديدة بما يتمشى مع امكانات الشكل الروائى وامكانات اثرائه بحيث يستوعب آفاقا جديدة فى انتظار من يرتادها .

الانتظار

بقلم : سعاد شلش

كانت تجول بعينيها كمن يبحث عن شيء .. تغض طرفها وترفعه عشرات المرات .. حتى فى جلستها كانت متململة .. لا تستقر على مقعدها ، تصلح من شأن ثوبها . شعرها .. تمشى براحتها على وجنتيها ... القلق مرض العصر .. أصبحت تستسلم قيادها لتلك المقولة كى تبرر نظرات الموجودين وحين تنبهت انها فى حفل .. خشيت فقط مراقبة شقيقتها لها التى كانت تروح وتجيء فى سعادة تستقبل مدعويها تقدمهم لبعضهم البعض بطريقة ارستقراطية .. هذه عقيلة الدكتور .. وتلك حرم رجل الاعمال .. وحينما كان يصيبها الدور .. كانت تردد فى خفوت :

– شقيقتى « ريهام » .

وتفتح أعماق ريهام ويتضاعف داخلها الاحساس بالقلق الذى اصبح يلد له مراافقتها .. ولازمها الاسى لاول مرة فى حياتها .. لا لوم ازاء اختها .. أيستطيع المرء الفرار من حقيقته ! الانسان يولد وهو متشح بقدره . وقدرها انها فشلت فى زواجها . شقيقتها دبلوماسية كبيرة . كان بامكانها أن تقول لهم « السيدة ريهام » وتجنبت ذلك منعا .. للتساؤلات .. كل واحدة فى الحفل تأتى وهى متابطة ذراع زوجها .. داهمتها رغبة فى الفرار من هذا المكان . وجودها مثل عدمه .. عضت على نواجدها .. كانت تتمنى ان تموت ولا احد يردد أمامها فى همس بأنها « مطلقة » فى تقديرها أن الجمال والثقافة والجاه الفاظ بلا معنى تجاه الوفاق بين زوجين . لم تتزوج عن حب .. قربها برودة مفاجئة . هو الذى تركها تجنبت أن تشرح لاقاربها وأصدقائها عن سبب الانفصال .. كل الذى قالته أن الارتباط نصيب . حظوظ .. تغرق نفسها فى عملها ولا تملك مقدرة على النسيان .. فى يوم زفافها ظلت حتى الصباح بثياب العرس . وتسربت الايام دون جدوى وكانت علامات الاسى على وجه زوجها . كان يصنع لها الكثير من المشروبات الساخنة حتى تألفت .. وفى ليلة قراره بالانفصال هاج وماج وفى غمرة ثورته ارتطم « بالبراد » الصغيرة فى حجرة النوم ولعن التكنولوجيا والتطور ووظيفة المرأة .. تنهدت فى عذاب .. الخجل منعها من الذهاب الى طبيب . أصبح يشكل فى اعماقها خوفا أبديا . ونمت الرهبة بمرور السنين حتى

خالتها وحشا مفترسا . فبانت لا تفكر في الارتباط مرة أخرى . أختهـا تسعى لاقناعها . جاءت اليها بالكثيرين لكنهـا رفضت حتى مشاهدتهم .

لمحت « ريهام » واحدة تحملق فيها .. ابتسمت لها ونهضت .. لتجلس بجوارها .. حادثتها .

ــ تعملين ؟

وأومأت بالايجاب .. وسـألتها بدورها .

ــ وحضرتك ؟

ــ طبيبة علم نفس .

ارتجفت أوصالها .. هذه النوعية من الاطبـاء تعتبرها مثـل المحققين وهي ليست مذنبة .. نهضت متعللة بمساعدة شقيقتها . قبلت الصغير المحتفى به .. وحثت الخطو الى حجرة النوم .. القت بجسدها على الفراش .. عاودتها البرودة .. أخذت ترتعد ، تلاحقت انفاسها . أرادت أن تبـكى .. أم تفلح . جذبت الغطاء عليها .. مثلت أمامها الطبيبة .. عنفت نفسـها . لماذا نهضت !! تلك فرصتها . ربما يكون لديها البرء . برء !! من ماذا ؟؟ لا تشكو مرضا .. قدرها فقط هو الذي حرمها من حنان الام مبكرا .. رحلت أمها وهي تضعها . وتقبلت ..



بصدر رحب وجود البديلة ، تزوج ابوها قبل مرور عام على رفيقته الاولى . لم يؤخر عنها شيئا هي واختها .. هكذا يردد دائما .. لكنها حين تكور نهداها بكت طويلا امام صورة امها وهي تبثها ما يعتلج بداخلها .. وصرخت لحظتها واحتبس صوتها .. وذهبوا بها الى طبيب لبشرهم بانها مشرفة على سن البلوغ . وترعرعت وهي تنصت باهتمام الى رفيقاتها في الدراسة وهن يهمسن لها بغبطة ووجوههن مشربة باللون الارجواني من تلك القطرات القانية التي تسيل مثل « الدبس » من حبات الرمان الناضجة في حدائقهن وتمتلىء بالاسى وتصمت ، لحديقتها تخالف .. حدائق صويحباتها .. وعكفت على التفوق في دراستها وبذكاء كانت دائما تغير دفة حديث الصديقات الى ما تريد تسوله هي . وابتعدت تماما وهي بالجامعة عن الجنس الاخر ، وكانت كلما اثنى على جمالها صديق .. تجفل في لين وترفق وتركض الى بيتها لتصارع نوبة شجن يصيب جسدها بصقيع مميت . جاءت اختها تبحث عنها .. تمتمت وهي تخفي رعشتها .

– دعيني قليلا .. اشعر بدوار .

دفعت شقيقتها عنها الغطاء ورددت بتعجب .

– الجميع في انتظارك . نريد أن نطفىء الشموع .

لا عذر لديها . نهضت وهي تضم ساعديها على صدرها . ما زالت البرودة تدغدغ بدنها واطرافها . انضمت الى الموجودين جاملت شقيقتها ورددت معهم اغنية عيد الميلاد . فرغوا وقبل أن تترك المكان . وجدت اختها تقدم اليها احد المدعوين .

– الدكتور عادل .

اختلجت يدها وهي تصافحه بحياء . حملق فيها الرجل وهتف وهما يجلسان .

– متوعكة ؟

يتضاعف خجلها . اضاف الطبيب وهو يكاد يلتهمها بعينيه .

– مم تشكين ؟

لا شيء يؤلمها على الاطلاق . ماذا تقول له : ترفض الالك .. همست .

– مجرد ارهاق .

عاد الطبيب يطوف بعينيه على وجهها المتناسق السمات . حدثه عنها صديقه زوج شقيقتها . استراح صدره وهو يحمد الله لعثوره على رفيقة بعد انتظاره الطويل . قال برود :

– برودة يدك تنفي ذلك .

انضمت اليهما اختها وهي فرحة .. الحفل وحده كان حليف هذه الشقيقة . تزوجت دون أن تكمل دراستها من رجل اعمال ثري . واصبحت الان سيدة مجتمع . لا تملك من الجمال قلامة ظفر . لبقة وتجيد التحدث . قالت وهي تعالج من انساب الموسيقى الهادئة .

– لنرقص جميعا .

رقصت « ريهام » بصحبة الطبيب . احست بالالفة تجاهه وبدفء طفيف يتسرب اليها . وانفض الحفل وكانت ريهام في قمة غبطتها وهي تومىء بالموافقة على دعوته لها .. بتناول الشاى معه في الغد . وحينما سألته عن تخصصه في مهنته . علمت انه طبيب في علم النفس . وفي ميعادهما . لم تذهب اليه ، وتركته يغوص وحده في دوامة الانتظار ...



ابتسامات

« شكل مختلف »

● فسخت احدى نجمات هوليود الناشئات خطبتها من احد الاثرياء وقالت تشرح السبب لصديقتها : لقد رأيته فى ثياب الاستحمام ، فبدا شكله مختلفا تماما بدون حافظة نقوده !

● ذهب الرجل الى عيادة الطبيب البيطرى مع كلب الأسرة ليعالجه ، وعندما عاد الى البيت قال لزوجته : لابد أنه كان مرتاحا تماما فقد ظل ينبح طوال الطريق وكأنه يريد أن يقول لى شيئا ، وردت عليه زوجته : تماما لقد كان يحاول أن يقول لك أنك احضرت معك كلبا أخر !

● ان مايزيد على عشرين مليون امرأة فى العالم ، يرفعن اصواتهن ويقلن : لن نسمح للرجل بأن يملى علينا ما يشاء ، ثم يصبحن كاتبات اختزال !

« عناوين »

● عندما فر نابليون من جزيرة البا عام ١٨١٥ ، نشرت احدى الصحف الباريسية انباء فراره فى مقالات كتبتها على عدة أيام وصدرتها بالعناوين الآتية بترتيب الصدور :

« فرار الوحش الكورسيكى »
« وصول السفاح الاكبر الى خليج جوان »
« المغتصب يدخل مدينة جرينوبل »
« بونابرت يقترب من مدينة ليون »
« نابليون يشق طريقه الى فونتانبلو »
« صاحب الجلالة الامبراطور يصل غدا الى باريس المخلصة »!!

« فاتورة الفندق »

● ذهل نزيل الفندق عندما قدموا له فاتورة الفندق الذى نزل به ، فقد كان مبلغا لم يتوقعه ، وبعد أن سدد ماطلب منه سأله مدير الفندق عما اذا كان عنده اقتراح للفندق . قال النزيل : نعم انكم تضعون فى الغرف لافتة كتب عليها : " هل نسيت شيئا " وانا اقترح أن تكتبوا عوضا عنها " هل بقى معك شيء ".



قنديليات

بقلم : يحيى حقي

أن تكون .. أو لا تكون

ونحن نردد الحديث عن الفساد والطهارة · يسرح ذهني فاقول ان من الخلائق ما يقبل التدريج كالكريم يبدأ بقرش تدفعه لشحاذ وربما نلتخلص من الحاحه ، وينتهي في القمة بان ينطبق عليك البيت المشهور ·

لو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

وكذلك البخل يقتصد في ميزانية اللهو والتمتع اولا ويحيى عيشة المنسك ، ثم تنتهي الى الاقتصاد في مطالب الحياة الاساسية من ماكل وملبس ومسكن ويعيش عيشة الكلاب

ولكني الحظ بابتسام ان البخيل اذا ارتقى الذروة اصبح موضع تندر ويتخاطفه السمار لمازحته ، ورحم الله الجاحظ في كتابه الشهير البخلاء، وشبيه به من بلغ القمة أيضا في سماجة الدم فانه يعد حينئذ عند الناس من الظرفاء ·

وهناك خلائق لا تقبل التدرج فاما ان تكون كاملة أو لا تكون او اصابها اقل خدش انهدمت مرة واحدة كالعفة، رحم الله يوسف وهبى حينما قال « شرف البنت مثل عود الكبريت » ، وكذلك طهارة الذمة اقل غبار يلحقها يلوث به وجهها ، ولا يسلم المتمسك بها من اتهامه بالحنبلية كما يقول عامة أهل مصر !

اسمح لى ان اقدم لك مثلين من هذه الحنبلية استقيتهما من صحيفة التايمز، الانجليزية ايام كنت اقرأ القضايا الجنائية المعروضة على المحاكم الانجليزية ، ومن دخل مدرسة الحقوق مثلي لايسلو الابحاث القانونية مهما طال به العمر ·

● المثل الاول ●

جرت عادة بعض الشركات المساهمة اذا حققت فى سنة من السنوات ربحا كبيرا غير منتظر ان تحجز منه قدرا تودعه فى حساب سرى غير معلن لتجعله ذخيرة لها فى سنوات العسر ،

وتوزع الباقي على المساهمين فيفرحون به ، وفي مرة اعلنت احدى الشركات انها تعرض اسهما جديدة لها على افراد الشعب لشرائها وارفقت هذا الطلب بنشر ميزانية السنة السابقة التى تدل على انها حققت ربحا كبيرا معا يدل على ان الشركة فى احسن حال ، وان المستقبل يبتسم لها ، فاقبل الناس على شراء هذه الاسهم الجديدة ، ثم تبين بعد ذلك ان الشركة لم تحقق ارباح السنة السابقة الا لانها استخرجت من الحساب السرى المودع لديها رصيده واضافته الى الارباح المعلنة دون أن تذكر ذلك فى بيانها المعلن . فاقيمت دعوة ضد مدير هذه الشركة يطلب ادانته لانه غش الجمهور وخدعه وكان الواجب ان ينص على حقيقة الارباح التى حققتها الشركة فعلا . وقد تولى الدفاع عن المدير اشهر محام فى ذلك الوقت ، وهو اللورد « سايمون » الذى كان حقانيا للهند ، ووزيرا للحكومة ، وقال للمحكمة : اننا لم نكذب لان المبلغ الذى اضفناه سرا على ارباح الشركة هو ايضا من ربحها ، لاغرضا من احد ولا تدليسا على احد ، ولكن المحكمة حكمت على المدير بالحبس لانه خدع وغش الجمهور .

● المثل الثانى ●

هيئة الاذاعة البريطانية دخلت فى مفاوضات مع شركة امريكية وانتدبت أحد موظفيها لمباشرة هذه المفاوضات وصياغة العقد الذى ستسفر عنه وقالت له هذه هى مطالبنا وحددتها فاذا اتيت بها فنحن عنك راضون وشاكرون ، ولكن لنا احلاما واطماعا لو استطعت تحقيقها ايضا يا فتى لكنت بطلا من الابطال ، وسافر الرجل وعاد وقد حقق جميع المطالب المعقولة والطموحة معا ولكن الهيئة البريطانية رفتته فورا لانه قد بلغ الى علمها ان المندوب قد عمد بعد انتهاء المفاوضات وتوقيع العقد الى الهمس فى اذن الجانب الامريكى قائلا : قد شهدتم مقدرتى على العمل وأحب أن اخبركم بينى وبينكم اننى أريد أن اتحول الى العمل معكم هنا فى امريكا . هذا كل ما قاله ، يريد ان يتصيد منصبا له هناك ، فقد رأت الهيئة البريطانية انه كان يضمر من سابق طلب رشوة ولو انه اجلها الى ان انتهت المفاوضات

وشبيه بهذا قضية حدثت وقائعها فى مصر أخيرا فى وزارة الصناعة .

ويجب ان يستقر بين أعرافنا انه كلما علا المنصب ، وزادت المسئولية سقطت كل شبهة فى وصف الطهارة بانها من قبيل الحنبلية فالطهارة فى مثل هذه المناصب أما ان تكون او لا تكون ، ولا وسط .

وأحلم احيانا باننى لو طلب الى ان اضع دستور مصر لجعلته من مادتين فقط ..

المادة الاولى .. السمكة تفسد من رأسها .

المادة الثانية .. لا ينشر هذا الدستور فى الجريدة الرسمية لانه مثل شعبى معروف فى مصر منذ القديم ، وتردده جميع الالسن ..



قصة الرقص الإفرنجي في مصر

بقلم : محمد سيد كيلاني

● شاهد المصريون الرقص الافرنجي أول مرة حين جاء الفرنسيون لاحتلال مصر . فلم يكن يدور بخلد أحد منهم أن رجلا كبيرا مثل كليبر او مينو او غيرهما من الضباط العظام يمكن أن يشارك الشبان والنساء في حلقات الرقص ، ولكن هذا ماحدث بالفعل في احتفالات عيد الجمهورية لقد أضاءوا حي الأزبكية بكثير من المصابيح وأقاموا أقواس النصر . ثم شرعوا يرقصون ويغنون ، لافرق بين النساء والرجال ، وكان الشاب اذا أعجبته فتاة أمسكها من يدها وأخذ يراقصها فتضع رأسها على صدره أو على كتفه . إنه منظر غريب جدا بالنسبة إلى الشعب المصري .

وقد اختفى هذا النوع من الرقص مع رحيل الفرنسيين . فلما تولى الخديو إسماعيل كان أول حاكم مسلم يدخل هذه البدعة ويجتهد في نشرها بين المسلمين وكان يقيم هذه الحفلات الراقصة في قصر الجزيرة ، ويدعو إليها عددا كبيرا من أعيان المصريين والأجانب . وفي حفل بتاريخ (١٦ ـ ١ ـ ١٨٧٢) بلغ عدد الحاضرين خمسة آلاف مدعو وكانت الأنوار تنعكس على صدور الفرنجيات ونحورهن العارية ، بينما الشيوخ من علماء وأعيان وموظفين يلبسون قفازات بيضاء ويلتحفون بوقارهم (الأيوبي ١ ـ ٤٢٧)

على أن أعظم حفل راقص أقامه إسماعيل هو ذلك الذي أقيم بمناسبة فتح قناة السويس للملاحة والذي حضره عدد من الملوك والأمراء ورؤساء الدول ، وفي مقدمتهم امبراطورة فرنسا يوجيني .



الخديوى اسماعيل



الخديـوى توفيـق

وبمجرد أن صدحت الموسيقى بأنغامها الشجية بدأ الرقص ونشط الملوك والرؤساء فى إظهار براعتهم . وشارك إسماعيل الراقصين والراقصات ووقف الخدم والعمال ورجال الحاشية يشاهدون سيدهم وهو يراقص هذه وتلك ، وتفوح من فيه رائحة الخمر .

وكان الأمير عبد القادر الجزائرى قد حضر الحفل بدعوة من الحكومة الفرنسية التى أرسلت إليه سفينة حربية أقلته من بيروت إلى بورسعيد ، ولكنه لم يشترك فى الرقص فبقى متفرجا فقط ببرنسه الأبيض وسط ازدحام تلك الرءوس المتوجة بتيجان الملك ، إلا انه أستوقف الانظار بشكله الجميل وقوامه المعتدل ووجهه المكسو مهابة وجلالا (الأيوبى ١ ـ ٤٣٧) .

قال ابراهيم صنوع «والذى حمل الخديو على نشر الفواحش واستحلال المحارم إنما هو ماجبل عليه من حب الفسوق والفجور ، وانتهاك محارم الله تعالى ، ولهذا أنشأ فى مصر جملة تياترات وملاعب باسم التمدن والحرية ، والحال أن الذى حمله على أنشائها فسقه وفجوره لاغير ، فجعلها كالاشراك لصيد النساء ، وجعل المرتبات الوافرة فيها للنساء ، لأنهن المقصودات بالذات وإنه قد تعجبه إحداهن فيصرف عليها الوفا من الجنيهات حتى يصل إليها برضاها ، ولهذا صارت النساء الفواجر تتوارد عليه من جميع الأقطار حتى إن امرأة جميلة افرنجية لما سمعت بصيته حضرت إلى مصر وتعرضت له فى التياترو حتى رآها فأعجب بجمالها وطلبها لزيارته فامتنعت ولم يزل يطلبها وهي تمتنع إلى أن اوصل



قصة الرقص الافرنجي في مصر

الفئة إلى عشرة آلاف جنيه . فحينئذ رضيت منه ، بل كثير من النساء المخدرات يصيرهن في هذه الملاعب ويفتنهن بالمال . ومن كانت منهن عفيفة صاحبة عرض يتحيل عليها بإحدى قواداته حتى تجلبها إليه فيجبرها على الفاحشة ويقضي وطره منها رغما عن أنفها (ابراهيم عبده : الصحفى الثائر) .

فى الوقت الذى كان ينفق فيه إسماعيل عشرات الألوف على هذه الحفلات وعلى ملذاته وشهواته . فى هذا الوقت بالذات هلك أكثر من عشرة آلاف مصرى جوعا فى مديريات جرجا وقنا وإسنا . واستمر الفناء يحمل عمله فى الأطفال والشيوخ حتى خلت قرى كثيرة من سكانها .

وبرحيل إسماعيل توقفت هذه الحفلات طوال عصر توفيق فلما تولى عباس الثانى كانت هذه الحفلات تعقد فى قصر عابدين ، جاء فى صحيفة المقطم (١٣ - ٢ - ١٨٩٦) مانصه «كانت الليلة البارحة واسطة عقد تلك الليالى فغص شارع عابدين بمركبات كبار المدعوين ، وأم السراى زهاء ألف وثمانمائة من عيون أعيان هذا القطر ونزلائه والسياح الوافدين إليه . وكانت السراى سماء أشرقت فيها شموس الكهربائية ونجومها فصيرت ليلها نهارا ، وجنة غناء تهادت أنجمها ورياحينها أنوارا وازهارا . ونادى أنس وطرب . والأمير المعظم يطوف بين هاتيك الجموع يصافح جلتهم ويخاطب عقائلهم زهو بحلة المشيرية وعلى صدره نيشان الامتياز ونيشان خاندان آل عثمان .

وقد برع أحمد شوقى فى وصف هذه الليالى الراقصة شعرا ونثرا ، ومايحدث فيها من عناق وتقبيل . ومايراق فيها من الخمر ومايقدم من الطعام . انظر إليه وهو يقول فى وصف إحدى تلك الليالى "ما بابل فى موكبها وعند أكبر مأدبها ولا الإيوان وكسرى قائم يولم فى النيروز الولائم ، ولا الحمراء إذ الأيام أيامها ، والدهر غلامها ، وإذ يموج بها العرب بين الوقار والطرب ، ولا الخورنق والسدير فى يوم مهرجان كبير ، ولا الليالى الرشيديات على دجلة والفرات بأحسن تصويرا فى خيال الشاعر ولا ألطف حضورا فى خاطر الناثر من قصر عابدين ليلة هذا البالو المانوس»

ثم قال « .. فلما كانت الساعة العاشرة من الليل أقبل المدعوون مواكب تترى آتية من كل مكان . وقد أخذت السيدات للبالو زينته ولبسن له أفخر الثياب والجواهر كأنهن نيرات على الأرض زواهر . هنالك وقفنا وما فى فتنة النظر شك لمن حضر ، ولا منها حذر يمر بنا اللؤلؤ المنثور من تلك الحاكيات الحور ، تراهن أمثال النيرات ، منتظمات فى العين منتثرات ، قريبات للنواظر بعيدات ، تأخذهن العيون مقبلات ويأخذن القلوب مقبلات مدبرات»

«وهناك صدحت الموسيقى بتحية صاحب الدعوة الأكرم ، ثم ألقت الاتها بالنغم فى هذا المزدحم فاذا هو على قدم ، أخذت اليد باليد ، ودار الساعد بالساعد والتقت الساق بالساق وانبرى الراقصون والراقصات ، واندفع الواثبون والواثبات متجمعين آونة ، متفرقين آونة ، متهادنين

تارة ، متواثبين تارة ، وأنا يذهبون ذات اليمين وذات الشمال . وأنا نراهم كالعقد المفصل بين كل لؤلؤتين من ربات الحجال خرزة من الرجال ، فكنت ترى القامات عند اهتزاز بأنها كأنها الفات فى عين لاقرار لانسانها ، قال احمد شوقى فى قصيدة تحت عنوان

«البالو الخديوى»

فالقدود بان ربى
بيد انها تثب
يلعب العناق بها
وهو مشفق حدب
الرءوس مائلة
فى الصدور تحتجب
والنهود هامدة
والخدود تلتهب
والخصور واهية
بالبنان تنجذب

سالت الأكف بها
فهى أغصن نهب

فكان المدعوون بعد ذلك بين نعيمين فى جنتين : إحداهما رقت فيها معانى الأدب والطرب ، والأخرى راق بها مجانى الذوق والحب . وبين هذا وذاك تعطفات ولى النعم حتى كاد الليل يتولى وأذن الفجر ان يقبل .

ليلة علت وغلت
ليل فجرها كذب
يكفل الخديو لنا
أن تعيدها الحقب

(اللواء فى ٢٧ ـ ١ ـ ١٩٠٢)
و (المؤيد فى ٣٠ ـ ١ ـ ١٨٩٧)

وكانت بعض المجلات تنتهز هذه الفرصة فتحمل على الخديو حملات عنيفة وتصفه بأنه يضرب مثلا سيئا للشبان قالت مجلة العجائب (١٢ ـ ٢ ـ ١٩٠٢)


عبد القادر الجزائرى


احمد شوقى



قصة الرقص الإفرنجي في مصر

«أتدرى أيها المصرى وأيها المسلم ماذا يجرى فى هذه الليلة ؟ يجرى فيها مايحمر منه وجه الاسلام خجلا ، ويصفر من منظره وجه الدين وجلا . يجرى فيها مانلوم عليه الشبان ونشكو منه فى كل زمان ومكان . يجرى الرقص على أنواعه والسكر على أشكاله».

«بأى دين يدين الخديويون ؟ بدين الاسلام ؟ وهل هذا الدين يبيح مخاصرة الغيد ومنادمة الحسان ؟ وهل هذا الدين يبيح الخمر التى تمد على مائدة المدعوين ؟ وهل هذا الدين يبيح هذه النفقات الباهظة التى تنفق على هذه الليلة ؟ ماذا نقول للشبان وماذا نعيد للفتيان ؟ وأمير البلاد وسيد الحكومة يقيم فى سراى الامارة الرقص ويمد الشراب .

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا
فلا تلم الفتيان يوما على الرقص

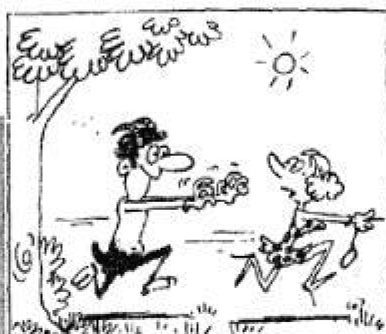
وعرضت مجلة الصاعقة لليلة راقصة فى شتاء ١٩٠٤ فقالت تحت عنوان «ليلة فى قصر نائب الخليفة (٢٢ ـ ١ ـ ١٩٠٤) «لوقام محمد من القبر وحوله شهداء بدر ، وشاهد ماحدث البارحة من القصف فى القصر ، ورأى شوقى ، وهو يصف الليلة بأنها حسنة الدهر ، وليلة القدر ، وسمع الناس يتحدثون بثنائه ويعجبون بغريب إطرائه ، وابصر تلك الدائرة ، وقد اختلط فيها الرجال بالنساء وهم من تأثير الصهباء يثبون فى الهواء وقد جذبت الأيدى الخصور إلى الصدور ، ومالت على الأكتاد ـ (جمع كتد) وهو ملتقى الرقبة بالكتف ـ الأعناق ، والتفت الساق بالساق ، وتكسرت الجفون وذبلت العيون . وقد أظهرن ما أخفينه طول الدهر من الصدر إلى النحر ليظهرن بهذا التبرج بمظهر الجمال فى أعين الرجال . ورأى جماعة وقد انتحوا ناحية بملابسهم المقصبة وعمائمهم المذهبة وهم يمدحون واحدة لفرط جمالها ، ويذمون أخرى لشدة قبحها ويقولون : أنأخذ بقول الله «قل للمؤمنين» الآية .. ونترك قول العرب : اليوم خمر وغدا أمر ؟ لا ، والله لاكان هذا ـ لورأى كل هذا رسول الله لحول وجهه عنهم ، ولحلف بالله الايشفع لأحدهم ، ولعاد إلى قبره مهرولا وهو يقرأ قول الله تعالى ـ «فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» .

الخديوى عباس



كاريكاتير











راسبوتين
بين الرومانسيّة والتاريخ

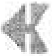


● إن قصة راسبوتين هى فى حقيقتها قصة المناخ السائد ، الذى يحتفى بالخرافة ويفزع من الحقيقة ، فهو رمز رجل الدين الذى يسلك طريق الدجل ، والذى يعيش مغامراته بين الدهاء والخداع ، بين المجون والعربدة ، مدعيا اتصاله بالقوى السماوية ●

بقلم : د . فوزى عطيه محمد

أصبح راسبوتين شخصية محورية فى العديد من الكتب والروايات والقصص بجانب مايربو على العشرين فيلما سينمائيا وتليفزيونيا غير ان الشكل الرومانسى طغى فى تصوير شخصية راسبوتين فى الكثير مما كتب او انتج عنه .. فتراه رجلا جلفا فارع الطول ، قوى البنيان ، مصفف اللحية الطويلة أو اشعثها ، رجلا يعيش سلسلة من المغامرات .. المثيرة هى خليط من الدهاء والخداع .. المجون والعربدة ، المعجزات الدينية والدنيوية ، فهو على اتصال بالقوى السماوية ، يتحدث باسمها على الأرض ، ويستخدمها فى شفاء الناس جسدا وروحا ، وغير الكثير من الأساطير الهلامية التى احاطت بشخصية راسبوتين الذى لعب دورا هاما ومؤثرا لا فى حياة آخر القياصرة الروس فحسب ، بل فى تاريخ روسيا فترة ما بين الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ .

الواقع هناك تربة خصبة لتشابك الخيوط الرومانسية بالوقائع التاريخية فى حياة هذا الرجل الذى كان « قيصرا لروسيا فى الظل » فقد ولد جريجورى يفيمفتش راسبوتين عام ١٨٧٢ بقرية باكر وفسكيا بالقرب من مدينة تيومن بسيبريا ـ على بعد الاف الكيلومترات من قلب البلاد ، دون موهبة ادبية او فنية او علمية .. عرف راسبوتين فى شبابه بعدم طهارة الثوب .. وذات ليلة ضبط متلبسا بسرقة جواد احد ابناء قريته ، فأوسعوه ضربا حتى فقد الوعى . غادر بعدها موطنه ليجوب البلاد ، طوافا ، بين الأديرة والكنائس ليصبح من النساك الطوافين ـ وهى فئة كانت تقطع البلاد طولا وعرضا مشيا على الأقدام .



راسبوتين
بين الرومانسية والتاريخ

ترتدي لباس الدروشة - وتعيش على ما يقدمه لها الأهالي والأديرة والكنائس . وكان من الممكن ان يبقى راسبوتين في دائرة النساك الطوافين - هؤلاء لولا الظروف التي مهدت له الطريق ليخرج الى دائرة الأضواء الباهرة في قصور الأسرة الحاكمة وصالونات كبار الطبقة الأرستقراطية في روسيا .. فقد ساقته قدماه بعد طول طواف إلى بتروجراد عاصمة الامبراطورية الروسية عام ١٩٠٢ ..

جاء يحمل توصية من اسقف ابرشية مدينة قازان يطلب فيها الى مدير اكاديمية اللاهوت رعاية الشيخ الطواف وتقديم معونة مالية له .. وفي اللحظة التي دخل فيها راسبوتين مكتب المدير ، بدأت عجلة الحظ في الارتفاع به الى اعلى ، اذ كان في المكتب عدد من اصدقاء المدير من ذوي النفوذ منهم الألمانيان شفاينباخ ونيجاردت والأب فيوفان القس المقرب من الاسرة الحاكمة .. ولقد لعب هؤلاء الثلاثة الدور الأكبر في صعود راسبوتين الى القمة ..

رعاية الأسرة الحاكمة

بادىء ذي بدء وجد الثلاثة بنظرة فاحصة في الشيخ الطواف شيئا ما غير عادي : نظرته ، طريقة حديثه ، حركات يديه ، ويبدو ان إعجاب الأب فيوفان براسبوتين بلغ حدا كبيرا لدرجة انه اخذ يصطحبه معه في تردده على بيوت وصالونات بطانة القصر الى ان وصل به الى بيت البرنس نيقلاي نيقلايفتش عم القيصر نيقلاي الثاني والقائد الأعلى للجيش الروسي ، وزار الطواف الشيخ للبرنسيسة - وكانت صديقة ووصيفة للامبراطورة الكسندرا فيودرفنا قرينة القيصر - فاسرعت بتقديم الفلاح الورع الى سموها . وكان لحديثه مع صاحبة الجلالة وقع السحر ، ومن ثم دعته الى القصر الامبراطوري .. حيث دخله اول مرة عام ١٩٠٧ .. والتقى بالقيصر نيقلاي الثاني . ومن بعدها شملته الأسرة الحاكمة برعايتها وتقديرها ليصبح رجلها الأول .

ما من شك في ان وصول فلاح من الأجلاف مرتديا مسوح الدروشة الى القصر ليكون جليس الامبراطور والامبراطورة ، وشخصية واسعة النفوذ .. يعمل الجميع حسابها ، يغازله رجال البلاط لكسب رضاه ومودته - امر به الكثير من العناصر التي تثير الخيال الرومانسي . لقد كان راسبوتين ظاهرة فريدة في تاريخ روسيا . إذ ان مجالسة القياصرة لأهل الثقة تقليد امتد مئات السنين .. غير ان أهل الثقة كانوا عادة من بين الارستقراط ورجال البلاط ، ولكن راسبوتين كسر هذا العرف سواء من حيث المنشأ او من حيث ما حققه من سلطان في الدوائر الحاكمة .. وهناك عوامل يسرت للراهب القادم من سيبريا الوصول الى هذه المكانة ، منها ما هو متعلق بشخصية راسبوتين ذاتها ، ومنها ماهو مرتبط بعقلية افراد الاسرة الحاكمة ، ومنها ما هو انعكاس للوضع العام في البلاد .

دهاء مميز

كان جريجوري راسبوتين ذا نظرة ثاقبة ودهاء مميز وخبرة تعامل مع الناس من مختلف الفئات والطبقات ، وهي خبرة اكتسبها من خلال تجواله بين الاديرة والكنائس في بقاع روسيا الرحبة .. ولقد افاده تجواله هذا في معرفة الكثير من النصوص المقدسة ، وقصص القديسين ، هذا بجانب تشربه بروح الأداء للصلوات

بصوت جهورى ، والهمهمة بنصوص مبهمة عويصة الفهم مع تقطيع الجمل ، والاندماج فى الأداء الى حد الهوس .. ولقد كانت هذه الموهبة هى السلاح الذى استغله راسبوتين فى التاثير فى عقول وافئدة المستمعين له من افراد الأسرة الحاكمة اثناء المسامرة حول مائدة الشاى فى القصر الإمبراطورى .. فقد كان يقص لهم لساعات طوال اسرار العلاقة بينه وبين السماء ، واتصاله - كرجل ربانى - بالقوى الخفية ، وسعيه الى تطهير البشر من الآثام ، كل هذا من خلال حديث جهورى الصوت ، هامس الترانيم السريعة اللفظ ، وصلوات مفرطة فى الحماس ، ولقد ساقه دهاؤه الى حقيقة هامة استغلها خير استغلال كى يبقى شخصية متميزة وسط هذه الطبقة المتحضرة على أسس الثقافة الأوربية .. فقد كان يعلم انه لن يستطيع ان يصبح رجلا من رجال الصالونات ، ولذا فان التناقض الفاضح بينه وبين المحيطين به يمكن ان يكون ورقة رابحة فى صالحه .. فابقى على شكله غير المهندم كالفلاحين الروس الاجلاف .. واعمل الفظاظة فى تعامله وسلوكياته .. حيث كان يتعمد التمخط بصوت عال فى المجتمع ، والبصق فى وجود الآخرين ، والتلمظ اثناء تناول « الطعام » ، الأمر الذى أضفى على شخصيته فى القصر مذاقا خاصا بين علية القوم .

● ظاهرة راسبوتين ●

ومن ناحية اخرى كانت عقلية افراد الاسرة القيصرية على استعداد لقبول ظاهرة راسبوتين .. فقد كان الايمان بالرقى والسحر والتنجيم مسيطرا على فكر اسرة القيصر ، وكان القصر مليئا بالتمائم على اختلاف انواعها واشكالها ما بين خشبية وصلصالية ونحاسية ، هذا بجانب الأحجبة والتعاويذ المدونة بها آيات الكتاب المقدس ، ولم يكن من باب الغرابة ان يسبق راسبوتين رجلا فرنسيا عرف بقوة سحره ، حيث اسكنه القيصر الغرفة المجاورة لمخدعه كى يعمل وسائله الروحانية لينجب القيصر وريثا ذكرا للعرش بعد ثلاث بنات ! ولم يكن عجيبا كذلك أن يهدى الساحر الفرنسى الإمبراطورة الكسندرا فيودرفنا ايقونة ذات اجراس صغيرة تدق وحدها منذرة إياها بالخطر !

لقد فطن جريجورى راسبوتين إلى خبايا نفوس المتعاملين معه ، واستغل السمات المرضية النفسية لهم ، فاعمل بينهم الهذيان المغلق الفهم والمستعصى على الترجمة إلى لغة البشر ، والصيحات المهموسة لطرد العفاريت والشرور عن القيصر واهل بيته . فقد الهمته بصيرته الى أن الكلمات والعبارات - المبهمة ، تعد اكثر قدسية بقدر عدم إدراك السمع والعقل لها - ولذا كان يوغل فى الغموض ، فيزداد حديثه وزنا وموهبته قيمة .. ولقد ازداد راسبوتين ثقلا ومكانة فى القصر بعد ان تمكن من « شفاء » وريث العرش الكسى .. فقد كان الكسى يعانى من مرض سيولة الدم ، وكان الموت يتهدده لو اصيب بخدش ما يعقبه نزيف شديد ، وما من شك ان الأسحار والتعاويذ لاسبيل لها فى شفاء هذا المرض الا ان راسبوتين دخل على القيصر والقيصرة بخدع والاعيب اقنعهما بها انه وحده القادر على معالجة ابنهما الوحيد .. والواقع أن الكسى كان يتعرض لنوبات من الهستيريا والفزع ، فكان راسبوتين ياتى إليه فى المساء والغرفة شبه مظلمة ، ويجلس على طرف سريره ويرسل عينيه على الصبى بما يشبه التنويم المغنطيسى ويمسح على راسه ويحكى له الحكايات بصوت رتيب ، فيبعث الهدوء فى نفسه

راسبوتين
بين الرومانسية والتاريخ

حتى يستغرق في النوم . ولقد تعود الصبي على هذا واطمأنت نفسه الي راسبوتين والذي اصبح ظهورد امام الصبي كفيلا بإخماد نوبات الصبي . الامر الذي يعد في نظر الوالدين والآخرين معجزة من السماء .

ولقد تمكن راسبوتين من التغلغل الى الحياة الخاصة للأسرة الحاكمة في روسيا ، وبات رجلا مقدسا في عيني الامبراطورة الكسندرا فيودرفنا زوجة القيصر ، ترى الربانية في تصرفاته وكلماته . ولذا كان التشكيك او التشكك فيما يقول وما يأتي من فعل يعد إثما .. ومن هذا المنطلق كانت الأمبراطورة تنصح في رسائلها زوجها بتنفيذ توصيات وطلبات راسبوتين ، ذلك لأن « الرب ارسله لنا . وما علينا الا ان نبدى اهتماما بكلماته التى لا تقال عبثا ، وتوحي للقيصر ان يفكر في الرجل القديس كلما واجه موقفا صعبا . بل ويطلب إليه أن يسعى لدى الرب ليلهمه الطريق السليم ، لأن عدم لرغباته يعني سوء العاقبة للأسرة الحاكمة والبلاد نظرا لربانيته وروحانيته ..

والواقع ان ربانية وروحانية راسبوتين وتدخله في شئون الدولة كلها ظواهر لم تكن وليدة « قوى سماوية » بل كانت عناصر مخطط صاغته « قوى خفية » افسحت الطريق للناسك الطواف ليحقق ما وصل إليه ..

كانت روسيا تعيش احداث الحرب العالمية الاولى وقد مزقتها الاضطرابات والأزمات الاقتصادية والهزائم العسكرية المتتالية .. ولم يكن القيصر نيقلاى الثاني ذا شخصية قوية تسمح له باتخاذ قرارات حاسمة في إدارة شئون الدولة .. وكان الفكر السياسي وقتذاك ينحصر في اتجاهين رئيسيين اتجاه ينادى بمواصلة الحرب ضد المانيا وتعزيز التعاون مع انجلترا وفرنسا .. وكان يتزعم هذا الاتجاه البرنس نيقلاى نيقلايفتش عم القيصر والقائد الأعلى للجيوش الروسية .. اما الاتجاه الثاني فقد كان يرى ضرورة عقد صلح مع المانيا لشروطها لتجنيب البلاد ويلات الهزيمة . وكان وراء هذا الاتجاه القيصرة الكسندرا فيودرفنا الى جانب الألمانيين شفاينباخ ونيجاردت ، واللذين يرجع إليهما الفضل في اكتشاف « مواهب » الشيخ الطواف حين كانا في زيارة لمدير اكاديمية اللاهوت أثناء مقدم راسبوتين إليه .

والجدير بالاهتمام ان الامبراطورية الكسندرا فيودرفنا المانية الأصل .. فهي ابنة امير مقاطعة هن . وتزوجت من القيصر نيقلاى الثاني واصبحت امبراطورة للبلاد عام ١٩٨٤ .

● ذكاء خارق ●

ويبدو ان دهاء راسبوتين وفطنته مكناه من تقدير الموقف تقديرا صحيحا ، ووجد ان الحفاظ على مكانته وسلطانه يكمن في الدعوة إلى الصلح مع المانيا وعقد تحالف مقدس معها ، ويدلى الرجل - الذى لم يكن يعرف الطريق للاطلاع على الكتب ، ولا يعرف الكثير من اسماء الدول الاخرى عدا روسيا - بتصريحات للصحافة يؤكد فيها ان التحالف مع المانيا افضل من اندلاع الثورة في روسيا . والمانيا دولة قوية بدرجة يصعب معها المخاطرة بمحاربتها ، هذا بجانب الفضل الذى قدمته المانيا لروسيا . فالالمان بمثابة "الماكينة" اما الروس فبمثابة "الروح" فياحبذا لو اتحدا لأن

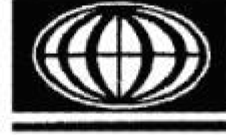
الوقوف في وجه "الماكينة" الالمانية يغني الغناء لروسيا . ولم يقتصر الامر عند راسبوتين على هذه التوجهات السياسية . بل زاد من نشاطه "الروحاني" لتصحيح الاوضاع في البلاد بالقضاء على الجبهة المعارضة للصلح مع المانيا .. فقد اوصى راسبوتين ـ وايدته بالطبع الامبراطورة ـ باقصاء البرنس نيقلاى نيقلايفتش من منصب القائد الاعلى للجيوش الروسية ، وتم ذلك ، وتولى القيصر القيادة عام ١٩١٥... وبذا يكون راسبوتين قد " تغدى " بالرجل قبل ان "يتعشى" هو به .. فقد كان البرنس يطالب القيصر دوما بإبعاد هذا "الرجل الصعلوك" عن القصر ، ولكن دون جدوى . وبذلك لم يتمكن البرنس من تحقيق امله بشنق راسبوتين على اول شجرة تصادفه حال اقترابه من مبنى القيادة العامة بحجة إحكام حالة الطوارىء كما كان يقول للمقربين منه من ضباط القيادة .

لم يكن البرنس نيقلاى نيقلايفتش هو الوحيد الذى كان يسعى الى وضع حد لملحمة راسبوتين الا ان الفشل كان نصيب المحاولات في هذا الاتجاه لمساندة القصر له . بل والادهى انه ازداد نفوذا لدى الاسرة الحاكمة ، ونقلا في تصريف امور الدولة بحيث لم يعد قرار يتخذ فيها الا بموافقة او توصية منه ، ولقد تدخل راسبوتين في الفترة مابين ١٩٠٩ و ١٩١٦ في تعيين وتبديل مايقارب العشرين وزيرا بجانب ثلاثة رؤساء للوزارة ، وكان المعيار الوحيد لتدخلات راسبوتين هذه ـ سواء على مستوى الوزراء او كبار موظفي الدولة ـ هو مدى ولاء الشخصية له ومقدار الطاعة لمتطلباته ، وكانت شقة راسبوتين في بتروجراد بمثابة غرفة عمليات يتردد عليها خليط من كبار رجال الدولة وجنرالات وضباط الجيش من مختلف الرتب .. والكل يشارك في الهرج والمرج حتى وقت متاخر من الليل ويسعى لكسب رضاء راسبوتين .. ومن خلال احاديث الموائد وصيحات السكارى من رجال ونساء المجتمع وبين ترانيم الغناء الدينى والحان اغنيات الغجر .. ووقع اقدام راقصي الرقصات الشعبية الروسية . يخرج راسبوتين رغم وجوده في حالة سكر دائم . بتوصيات وتوجيهات يبعثها الى الامبراطورة ، فترسلها بدورها الى الامبراطور في مقر قيادته .. ومما يذكر ان الإمبراطورة ارسلت لزوجها خلال عام ونصف فقط نحو ١٥٠ توصية ومطلبا لراسبوتين .. وكلها واجبة التنفيذ ، لانها نابعة من الروح السماوية المتجسدة في راسبوتين .

واذا كان هناك بعض من الملامح الرومانسية في حياة جريجورى راسبوتين فقد شاءت الاقدار ان تحمل نهايته قدرا منها .. ففى ليلة ٢٨ ديسمبر عام ١٩١٦ .. دعاه البرنس فيلكس يوسوبف الى بيته ، واعد له وليمة من الجاتوه والخمر ودس فيهما السم . وتناول راسبوتين ست قطع من الجاتوه وكاسين مترعتين من الخمر ، ولكنه لم يتاثر ، فاطلق فيلكس رصاصتين عليه ، فسقط على الارض وحمل زملاء البرنس جثته والقوا بها في فجوة من مياه نهر مائيا نيفا ببتروجراد المتجمدة ، ورغم ذلك كان لايزال على قيد الحياة حتى غرق .. واذا كان راسبوتين قد استغل فكرة ان موته يعنى هلاك الاسرة الحاكمة ، فان الصدفة جعلت نهاية النظام القيصرى في فبراير عام ١٩١٧ .. ولكن لملابسات تاريخية وموضوعية بعيدة كل البعد عن تنبؤات الناسك الطواف .

وهكذا انتهت ملحمة راسبوتين الداهية ، الذى كان يجهر دوما بنظرية مفادها ان العبد كي يستحق التوبة لابد له من ارتكاب الاثم .. وهي نظرية لاتمت لدين بصلة ، ولكنه افاد منها في مسيرة حياته حتى اصبح عبرة لمن يعتبر .

العالم في سطور



القاهرة - باريس - بيروت

العودة الى مدينة مجنونة

لاشك ان اندريه شديد تعيش في هذه الايام الخصب واسعد فترات عمـرها فهذه الكاتبة التى اعتبرتها بعض الاوساط الادبية نصف موهوبة في زمن العمالقة قد استطاعت بكثرة انتاجها وتنوعه ان تعوض من موهبتها بشكل ملحوظ . ففى القاهرة انتهى يوسف شاهين من اخـراج روايتها « اليوم السادس » وهى العمل الوحيد الذى ترجم لها الى اللغـة العربية .

وفى نفس الفترة التى انشغل فيهـا شاهين بتجسيد حكاية العجوز التى تهرب بابنها من وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ . قدمت الكاتبة روايتها الاخيرة « المنزل بلاجذور » . التى اكدت - كما تقول مجلة نوفيل اوبسرفاتور - ان موهبتها قد نضجت من عمل لاخر .. ففى هذه الرواية تتحدث



اندريه شديد

من ارض ثملة بجمالها . مزقتها القنابل خائفة من الاغتصاب ويتسم البشر الذين يقيمون عليها بالجنون .. انها لبنان .

تدور الرواية ايضا من خلال منظـور امراة عجوز تعود الى لبنان اثناء فتـرة اجازة كما تقابل ابنتها القادمة لزيارة خاطفة من الولايات المتحدة .. ومن خلال حدث عابر تشاهدان فيه امرأتين تتبادلان القبلات في الطريق تتغير مفاهيم كثيرة عند الام وابنتها . فهذه القبلة رمز للسـلام الضائع في بلد يحمل الاخرون اسلحة في الشوارع لسفك دماء الاخرين . وهـذه الدماء التى دفعت بالام وابنتهـا الى مغادرة لبنان .. لكن لابد من العـودة اليها .. ولو في زيارة خاطفة ..

مدريد

وشهد شاهد من اهلها

« فضل عرب اسبانيا على ثقافة الغرب » عنوان كتاب جديد نشرته دار سـندباد من وضع الباحث الاسبانى خوان فرنيه احد الكتاب البارزين في دراسـة تاريخ العرب في العصر العباسى وخاصة في علوم الطب . ويتناول الكتاب تاريخ اسبانيا تحت الحكم الاسلامى من القرن الثـامن وحتى القرن الخامس عشر .

يرى الكاتب ان جغرافية العالم العربى في العصور الوسطى قد ساعدت على ان يضع العرب ايديهم على مناطق عديدة من العالم مرورا بصقلية وانتهـاء باسبانيا ويقول ان العرب قد قاموا بتعـديل نظم الرى في اسبانيا وادخلوا صـناعة الورق والسكر وزرعوا القطن ونباتات اخرى



عديدة . كما ان العرب قد قاموا بنقل الفلسفة اليونانية الى الغرب من خلال ترجمة اشهر الكتب فى هذه الفلسفة كما قاموا بوضع ٤٠٠ الف مجلد فى مختلف المعارف مثل الطب والرياضة والفيزياء فضلا عن الفلسفة .

ويرى خوان فرنيه ان هذه الانشطة قد ساعدت على تعجيل ظهور عصر النهضة فى اوروبا . وان محاكم التفتيش التى جاءت بعد رحيل العرب قد سعت الى طمس كل معالم ثقافة العرب فى اسبانيا لتقليل اهمية العرب فى صناعة تاريخ الغرب

يقول النقاد ان اهمية هذا الكاتب قد جاءت فى وقت ينتشر فيه الاسلام فى الغرب بصورة رفعت من حرارة خصومة الذين حاولوا التقليل من اهمية دور العرب فى اسبانيا بصفة خاصة .

صقلية

● ست شخصيات تبحث عن .. بيرانديللو

تستعد ايطاليا باكملها - وخاصة اهالى صقلية - للاحتفال برجل احبوه كثيرا يدعى لويجى بيرانديللو والاحتفالات التى ستقام تجىء فى فترة تشهد محاكمة رؤوس عصابات المافيا التى صدرتها صقلية الى شتى انحاء العالم .. وكان هذه الاحتفالات تؤكد ان الجزيرة الصغيرة قد انجبت عباقرة فى الادب مثلما انجبت عباقرة الجريمة والشر ..

لويجى بيرانديللو الذى مات منذ خمسين عاما هو رجل المسرح الاول فى القرن العشرين ، بدأت علاقته بالادب فى سن متاخرة واستطاع ان ينجز فى ربع قرن تقريبا مايزيد عن الاربعين مسرحية فضلا عن روايات عديدة من اهمها « المرحوم ماتيا باسكال »

وجدت أعمال بيراندللو المسرحية صدى واسعا فى عالمنا العربى حين ترجمت فى الستينات واثار الكاتب دهشة العالم وهو يقدم مسرحيات على غرار .. ست شخصيات تبحث عن مؤلف و « حسب تقديرك » و « طاقيه المجنون » التى تعرض الان على خشبات المسارح فى العديد من دول اوروبا فى الشهر الماضى ..

من المعروف ان مسرحيات بيرانديللو قد ولدت من جنون مطبق عاشه مع زوجته المريضة داخل احزان سوداء وثلاج مينوس منه بعد أن رحل عن صقلية الى العاصمة روما . ورغم كل هذه المعاناة التى كان يعيشها على المستوى الشخصى . الا ان الكاتب لم يتوقف يوما عن الابداع .

قامت بعض شركات السينما الايطالية - احتفالا بهذه المناسبة . باعادة انتاج روايته المشهورة « المرحوم ماتيا باسكال » كما اهدى الاخوان تافيانى فيلمهما الاخير « تشويش » الى اسم برانديللو باهداء كتبه الكاتب الصقلى المعروف ليوناردو فضلا عن دراسات لم يسبق نشرها عن الكاتب .

بيرانديللو





العالم في سطور

جنيف

فراعنة على الطريقة الامريكية



ابرز ما عرضه التلفاز السويسرى خلال الشهر الماضى هو الفيلم التليفزيونى «عبد وفرعون» من اخراج باتريك موتيمه وبطولة كريستوف راتندرا ولوك لافانديه

يروى الفيلم حكاية وفاء بين فرعون وشاب من أبناء الشعب في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، قام الشاب يوما بانقاذ مليكه من موت محقق ، فلم ينس فرعون ذلك الصنيع فسعى الى ان يهب العرش له يوما .. حيث قدمه لاحد الحكماء كى يعلمه الحكمة . ثم ادخله مدرسة الفرسان ليتدرب على فنون الحرب .. وقدم له ابنته كى تصبح عروسا قبل ان يتنازل له عن مقعد السلطة .

جاءت اهمية هذا الفيلم فى ان كاتبه هو جيرار براش اشهر كتاب السيناريو فى السينما الفرنسية والذى كتب اكثر افلام رومان بولانسكى ومن الملاحظ ان براش قد صنع فيلما من طراز افلام الغرب الامريكى مرتديا زيا فرعونيا .. ولذا فانه لم يأت بجديد سواء فيما يتعلق بهذه الحقبة من التاريخ .. او بفنية كتابات براش .

لكن وسط افلام من طراز « قوة دلتا الضاربة » لمنام جولان الذى يعرض فى دور السينما ويسىء الى الكفاح العربى فان الصورة الطيبة التى ظهر بها تاريخ مصر قد اثلجت صدور المشاهدين العرب فى تلك السهرة .

وارســو

اديب فى دائرة النسيان

لا لم تنجح طريقة اكاديمية ستوكهولم فى نفض غبار النسيان عن الادباء الذين منحتهم جائزتها فى مجال الادب خلال الاعوام الاخيرة . فمن الواضح انها قد منحت هذه الجائزة الى ادباء اقل شهرة ايمانا بان شهرة الكاتب فى حد ذاتها جائزة ولذا من الواجب ان تمنح لادباء اقل اهمية مثلما حدث مع كلود سيمون وياروسلاف سيفيرت وبشنت اليخاندره

نسوق هذا الكلام بمناسبة صدور ثلاثة كتب تتعلق بالشاعر البولندى تشيزلو ميلوش الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٨٠ . لقد صدر له اخيرا كتاب بالغ الضخامة تحت عنوان « تاريخ الادب البولندى » وآخر هو « مشاهدات من قلب مدينة سان فرانسيسكو » .

كما صدر كتاب « ميلوش من منظور ميلوش للكاتبة الصحفية ايفاشارنيكا



شيزلو
ميلوش

ليس ميلوش اقل شهرة فى عالمنا العربى فقط . بل فى الغرب أيضا . ونحن لا نناقش هنا اهمية الكاتب لكن نؤكد ان لشهرته علاقة بدرجة الافتراضية .. لاننا لم نقرأ قصيدة واحدة مترجمة للكاتب الى اللغة العربية رغم غزارة انتاج الشـاعر الذى يقترب الان من السبعين . فقـد كتب الدراسة والقصيدة والرواية بلغات عديدة منها البولندية والانجليزية والفرنسية . ويعمل حاليا مدرسا للادب البولندى بجامعة كاليفورنيا . ورغم انه قد نفى نفسـه اختياريا خارج بلاده منذ خمسة وثلاثين عاما الا انه كرس كل جهده ليقدم نماذج من الادب البولندى الحديث الى العالم لقام بتحليله وتاصيله وتفسيره فى كتابه الذى اكد النقاد انه اهم ما صدر عن هذا الادب على الاطلاق .

باريس

امراة من جنس .. ابو الهول

هل يمكن ان تتردد فى الاوساط الادبية والمصحات النفسية فى السنوات القادمة ما يمكن تسميته بعقدة « ابى الهول » على غرار عقدتى اوديب واليكترا .. ؟ اثير هذا التساؤل مع الرواية الاولى التى نشرتها الكاتبة آن جارنيا ـ ٢٢ عاما ـ تحت عنوان « ابو الهول » . وتتلخص هـذه العقدة فى ظهور جنس مختلف عن كل من المراة والرجل جنس يمزج بين الرجل والمراة معا مثلما مزج ابو الهول بين رأس امراة وجسد اسد فالراوية هنا تدرس علم اللاهوت فى النهار وتعمل فى احد البيوت السرية ليلا امراة تائهة بين تعاليم الدين وابخرة علب الليل .. تقابل امراة مجهولة الاسم . قادمة من الولايات المتحدة كى تعمل راقصة « الخلع بالقطعة » . ذات جسد أسود . ورأس حليق أشبه بالممثلة جريس جونز .

تقوم بين الامرأتين عاطفة مخنوقة يحدها الموت والغيرة وغريزة الامتلاك والندم . لا يعرف احدهما من هو الرجل ومن هى السيدة . فهما نموذج لعقدة ابى الهول . التى تود الكاتبة ان توصلها ، واذا نظرت الى صورة الكاتبة ـ المنشورة ـ سوف تصيبك الحيرة . هل هى امراة ام رجل . وتتساءل هل هناك علاقة بين ابى الهول الرابض الى جوار الاهرامات او ذلك الذى قلبه اوديب بلغزه السرمدى . وبين ما تحدثت عنه الكاتبة من ان هناك مرضا جـديدا يسود العصر يدعى « السادية ـ الماسوشية »

ان جارنيا





العالم في سطور

روما

اعتاب الغضب تجتاح اوروبا

العنب المر او اعتاب الغضب اسم رواية شهيرة للكاتب امريكي جون شتاينبك .. ولكن فضيحة خمور « مغشوشة .. ادت الى مصرع بعض الافراد فى ايطاليا دعت الصحفيين الى اطلاق نفس الاسم على هذه الفضيحة .. والسبب هو ان ايطاليا هى الدولة الثانية التى اصبحت صناعة النبيذ بها مهددة بكارثة بعد النمسا التى ظهرت فيها فضيحة مماثلة الصيف الماضى .

فبعد اسبوع واحد من تداول هذه الخمور لقى عشرون شخصا مصرعهم اثر تناول تلك الانواع الرخيصة من الخمور التى يتم خلطها بكحول الميثيل ، وقد تم اسعاف مائة كانوا قد تناولوا هذه الانواع وبدأت تظهر عليهم اعراض التسمم

وقد اثار ذلك نوبة من الذعر الشديد لدى محبى ومدمنى الخمور فى اوروبا . واعقب ذلك حظر فورى فرضته بلدان كثيرة على استيراد النبيذ الايطالى .. مثل الدانمرك والمانيا الغربية وبلجيكا . اما سويسرا وفرنسا فقد اوقفا تداول ملايين الجالونات التى كانت قد دخلت الى حدودهم بالفعل . اما الولايات المتحدة فاضافت الى الاجراءات السابقة تحذيرا الى مواطنيها بعدم شراء اية مشروبات لا تخضع لاختبارات صلاحية مسبقة .

وقد تكون تلك الاجراءات الصارمة هى السبب فى عدم ورود اية تقارير تفيد عن حالات تسمم من الخمور خارج ايطاليا

ويرى المراقبون ان هذا الحادث سيؤثر على صناعة الخمور فى اوروبا بأسرها .. فالخوف عادة يدفع بالمواطنين الى تجنب شراء اية خمور من فرنسا .. خوفا من ان تكون رواية الخمور المغشوشة قد هربت اليها عبر الحدود المشتركة بينهما وبين ايطاليا . وهكذا يتخوف صانعو النبيذ فى فرنسا من ان يتحول المستهلك الامريكى والياباني الى كاليفورنيا .. طلبا لخمور اكثر ضمانا .. من تلك التى يجرى تداولها فى اوروبا .. ومما يؤكد صحة هذه المخاوف ان نفس الشىء كان قد حدث عقب ماساة الخمور المغشوشة فى النمسا فى الصيف الماضى .

موسكو

فودكا جديدة فى زجاجات قديمة

يتزعم هذه الايام ميخائيل جورباتشوف الزعيم السوفييتى حملة واسعة النطاق ضد المشروبات الروحية فى الاتحاد السوفييتى .. لانها تؤثر على الانتاج .. وعلى ميزانية الدولة التى تنفق مبالغ كبيرة لانتاجها ..

وفى اثناء هذه الحملة نشرت الصحف السوفييتية خبرا عن عامل يدعى كامالبف يعيش بالقرب من مدينة لينينجراد ويقوم بتعبئة زجاجات الفودكا الفارغة .. بعصائر اخرى ويبيعها على انها فودكا اصلية .. والطريف انه عند محاكمته .. ادعى انه كان يحاول القيام بواجبه الـوطنى

مشاركا فى الحملة التى يقودها جوربا تشوف ودافع من نفسه بقوله : « انني اطالب ان تاخذوا فى الاعتبار انني بتخفيف الفودكا وخلطها بمشروبات اخرى غير روحية قمت بدورى فى الحملة القومية ضد الخمور » ولكن يبدو ان المحكمة لم تقتنع بدفاعه واصدرت عليه حكما بالسجن ثمان سنوات ! .

نيويورك



الامريكيون كسبوا معركة التقدم وخسروا الحرب ضد الامية !!

اكدت دراسة امريكية ان من بين كل ثمانية افراد هناك شخص واحد على الاقل لا يجيد القراءة .. مما حدا باحد الرسميين الامريكيين وهو روبرت بارنز ان يقول « اننا نجحنا فى خلق جيل جديد .. من الاميين » .

قال هذه العبارة بعد اطلاعه على نتائج دراسة احصائية عن نسبة الاميين قام بها مكتب الاحصاء على عينة قوامها ٣٫٤٠٠ امريكى تخطوا جميعا سن العشرين

واوضحت الدراسة ان ١٠٪ اخرين رفضوا اجراء الاختبار ، لانهم لايفضلون الكشف عن اميتهم . ومن هذه النتائج تبين ان فى امريكا مابين ١٧ مليونا الى ٢١ مليون بالغ لايستطيع القراءة . واكدت الدراسة ان اغلبية الاميين تحت سن الخمسين .

ويضيف بارنز الى ان الدراسة اشارت فقط الى عدم القدرة على القراءة نهائيا دون محاولة لرصد اعداد البالغين المتعلمين الذين لا يجيدون القراءة بشكل يمكن معه اعتبارهم مواطنين ناجحين فيما بعد

ويؤكد بارنز انه لو اجريت دراسة اخرى مماثلة على تلك الشريحة فسيصاب القائمون على التعليم فى الولايات المتحدة بخيبة امل اكبر من تلك التى شعروا بها وهم يقرءون نتائج الدراسة الاولى ، ويقترح بارنز تنفيذ هذا الاختبار .. لقياس ما اسماه « بالامية الوظيفية » .

واشار الى دراسة سابقة نشرتها جامعة تكساس عام ١٩٧٥ اسفرت عن ان هناك واحد من كل خمسة امريكيين لا يستطيع القراءة بشكل يكفل له القيام بابسط اموره اليومية .. فمن بين ١٥٫٠٠٠ خضعوا للاختبار تبين أن ٢٠٪ منهم لا يستطيعون كتابة شيك دون اخطاء جوهرية مما يدفع البنك الى عدم الاذن بصرفه ، و ٢٥٪ لا يستطيعون كتابة العنوان على الظرف بطريقة تضمن وصوله بريديا .

ويعلق احد الخبراء الامريكيين على ذلك بقوله :

« انه لايوجد تهديد اكبر من ذلك يواجه الولايات المتحدة الامريكية » ..



يقدمها :
يوسف القعيد

• ندوات •

ثورة يوليو بين قضايا الحاضر وتحديات المستقبل ..

●● « نحن لم نأت هنا لكي نحرق البخور لثورة يوليو ولكن لكي نمارس نوعا من النقد الذاتي » كان هذا ماقاله محمد فائق مدير دار المستقبل العربي في افتتاح ندوة ثورة ٢٣ يوليو : قضايا الحاضر وتحديات المستقبل . والتي عقدت أخيرا في القاهرة على مدى اربعة أيام نوقش فيها ١٣ بحثا . وحضرها ٨٦ مفكرا وسياسيا من ١٣ دولة عربية .

وهي المرة الاولى . منذ ستة عشر عاما التي تقام فيها مثل هذه الندوة المهمة . والتي تأخرت اقامتها طويلا

قدم أبحاث هذه الندوة . مفكرون وكتاب عرب . ورجال عملوا مع عبد الناصر . ومفكرون وكتاب مصريون . وعلى الرغم من الرغبة التي كانت لدى الجميع في الحديث عن قضايا الحاضر وتحديات المستقبل كهدف أساسي للندوة . الا ان زخم الماضي فرض نفسه على الندوة ، ويبدو أنه لامفر من النظر الى الماضي على شكل مراجعة . قبل التطلع الى الحاضر والتعامل مع تحديات المستقبل .

أبحاث الندوة كانت كثيرة ولكن أهمها : بحث عصمت سيف الدولة عن ديمقراطية يوليو . وبحث جميل مطر عن موقف ثورة يوليو من الصراع العربي الاسرائيلي . وكذلك بحث ثروت عكاشة عن المسألة الثقافية وثورة يوليو .

الجلسة الاخيرة كانت مفتوحة وقد تحدث فيها محمد حسنين هيكل واحمد بهاء الدين عن ثورة يوليو .

والمناقشات المفتوحة كانت في بعض الاحيان في نفس أهمية الاوراق المقدمة .

من المتوقع ان يصدر كل ما قيل في الندوة في كتاب يصدر عن دار المستقبل العربي .

ي . ق

الجلسة الاخيرة للندوة ويرى بين الحاضرين احمد بهاء الدين / محمد حسنين هيكل . عادل حسين



المؤتمر الثاني للمعماريين المصريين



الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثاني للمعماريين المصريين

اقيم المؤتمر الثاني للمعماريين المصريين وحضره عدد كبير من المهندسين المعماريين وهم ممثلو وابناء مهنة العمارة في مصر .

اجتمعوا لبحث ، وحل مشاكل العمارة ، والظروف والاسباب التي ادت الى ضمور وانحسار دورالمعماري المصري .

واستكمال عمل مظلة واقية لهذا التخصص الهندسي الذي يتسم بالخلق الفني وانجاز وجهالحضارة بواسطة اتحاد المعماريين المصريين .

ذلك ان دور المعماري المصري من الادوار القديمة قدم التاريخ ، وهو الاثر الباقي على مر العصور ، منذ عهد الفراعنة الى يومنا هذا . نجد بصمة الحضارة على وجه مصر من اقصاها الى اقصاها ، هذه البصمة التي تلاشت منذ اوائل هـذا القرن .

فقد اصبح وجه مصر المعماري مشوها ، وبلا شخصية مميزة وهذا ما يبحثه التجمع المعماري ، بجانب مشاكل المعماريين المهنية .

والمؤتمر الثاني للمعماريين المصريين يعد حلقة اتصال متممة ظهر نتاجها في لجان العمل المنبثقة عن المؤتمر الاول للمعماريينالمصريين والذي عقد سنة ١٩٨٥ ، وقد يدل على امتداد عام كامل من الفكر الخلاق والعمل البناء ، ما يجعلنا نتطلع الى آفاق جديدة تبشربصحوة معمارية كبرى .

● وهذا ما اشارت اليه الكلمة الافتتاحية التي القاها محافظ القاهرة يوسف أبو طالب ، وقد أشاد فيها بدور المعماري المصري الخلاق . وأكد على اهمية الدراسة الشاملة للمهندس المعماري . فهو جزء من البيئة التي يعيش فيها ، وفرد من هذا المجتمع ، وعليه دراسة العلوم المختلفة من اجتماع واقتصاد وسياسة ، حتى يتسنى له القيام بدوره الخلاق على اسس تتفق وتراعي ظروف البيئة.فالبيوت المشيدة الجديدة في الريف تختلف عنها في الحضر او في المجتمع الصحراوي . ان لكل فئة لهـا متطلباتها الخاصة والمستقلة عن الاخرى . وهذا يحتاج الى دراسات شاملة من قبل المعماري الذي يخلق الفن في خدمة المجتمع . ويرتقي بالذوق العام حتى نتنفسه هشا ، الهواء ، وضرورة ضم اتحاد المعماريين تحت مظلة مستقلة ، حتى يقام عمل خلاق على اساس علمي .

ولكن قبل تحليلنا المتفائل في آفاق مستقبل مشرق للعمارة والمعماريين ، نلقي نظرة موضوعية على واقع المعماري الحالي والتي القاها المهندس الاستشاري حسن [illegible] توفيق .. عضو [illegible]





للمماريين فى كندا ، وما قيل .

● « انه قد أصبح من الواضح فى السنوات الاخيرة انحسار دور المعمارى المصرى فى خدمة المجتمع ، وخفوت صوته ، واختفاء بصماته أو تشوهها على الوجه الحضارى للبلاد ، وأصبح العمل المعمارى الجاد قليلا ، والتميز فيه اجتهادا فرديا بحتا ، قد ينجح فيه بعض المعماريين ويفشل غالبيتهم ، ونتج عن هذا التخلف المهنى تدهور فى أداء المعمارى ، واستتبع هذا بالضرورة ، تغيرا فى نظرة المجتمع الى أسس تقييم العمل المعمارى ، حتى تم اصدار تشريعات من الدولة تصنف العمل المعمارى الخلاق كما وكيفا ، كتوريد أصناف خاضعة للائحة المناقصات والممارسات الحكومية ، مما خلق جوا من المرارة والاحباط بين المعماريين ، وما استتبع ذلك من مضاربات فى الاتعاب ، وانحدار الكثيرين الى تقديم خدمات فجة أو مبتورة لتتناسب مع ضآلة الاتعاب .. كل ذلك .. بدلا من اذكاء روح التنافس فى الابداع والخلق للوصول الى الكمال .

● المهندس على نصار طالب الحكومة لتحقيق التوازن المطلوب بين العاصمة ، والمدن والقرى الصغيرة ، وعدم التكتل والهجرة الدائمة اليها ، طالب بأن يقتصر الدعم على المجتمعات الجديدة .. والقرى ، حتى يحد هذا من الهجرة الى المدينة .
ثم أشار أيضا الى تكلفة البناء فى القاهرة .. وهى تزيد على مثيلتها فى نيويورك بنسبة ١٦٠٪ !

● المهندس صلاح حجاب . أثار عدة مشاكل من ضمنها تواطؤ الحكومة مع بعض شركات البناء ، حتى يصل تكلفة ونش متعطل لمدة سنتين ٢٥٠ ألف جنيه فى مشروع تكلفته الفعلية ½ مليون جنيه !

● الدكتور عبد الحليم الرمال أثار موضوع المكاتب الاستشارية الاجنبية والتى يتقاضى خبراؤها أجورهم بالدولار وهى تصل للآلاف وهذا تتكبده الحكومة المصرية لماذا؟ . وأين المكاتب الاستشارية المصرية .

● استقل منبر هذا المؤتمر ستة وعشرون متحدثا ، منهم من تحدث عن تقنين ميثاق شرف المهنة ، والممارسة والمستندات القانونية ، ونظام الانتخاب – حتى يصبح اتحاد المعماريين مثلا مشرفا – ومنهم من ألقى من الاحاديث العامة والاقتراحات ، أما الجزء الثالث من الاحاديث فقد كان مخصصا للباحثين ، لتقديم وعرض أبحاثهم العلمية .

نجوى صالح

مسرح

●● كان الاحتفال باليوبيل الذهبى للمسرح القومى المصرى فرصة كبيرة للقاء العديد من المسرحيين العرب .. وكان لقاؤهم لثلاث ليال يناقشون معا « قضايا مسارحهم القومية فى الوطن العربى » .. كان هناك أكثر من قضية طرحت فى دائرة المناقشة وان كان الحديث قد تركز بصفة أساسية فى قضايا أزمة الممثل واشكالية العلاقة بين المسرح والدولة وأزمة الانغلاق والعزلة وحماية الابداع المسرحى وعن الحوارات التى تمت داخل قاعات المسرح القومى عن قضايا المسارح القومية فى الوطن العربى يمكن تحديدها فى السطور التالية :

● ان أزمة فنانى المسرح هى أزمة كل المبدعين وهى نابعة من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى لحقت بالمجتمع العربى .. وأننا نعيش الآن داخل مجتمعنا العربى معركة سياسية دائرة حول الشكل الديمقراطى

الأمثل لتعايش الحاكم والمحكوم وبالتالي فالمسرح والثقافة عموما يعيشان جانبا جوهريا من جوانب هذه المعركة ويصبح التساؤل .. لماذا تعزل المسرح عن هذه الحركة السياسية الدائرة ؟ .. وهو اساسا ابن للديمقراطية ووجد ليقضي على الديكتاتورية .

● أن المعادلة الصعبة في العلاقة بين المسرح والدولة أو المؤسسة هي كيف يتأتي ان تكون هناك مؤسسة من أجل تحقيق الضمانات والاحترام المهني للمشتغلين في المسرح ويتحقق في نفس الوقت الانطلاقة في التعبير .. وهل يحتاج المسرح ان مؤسسة رسمية تحميه — وان وجدت كما هو واقعا الان — فعلى الفنان ان يستغل مؤسسة الدولة لصالحه .. فالعلاقة بين المسرح والمؤسسة هي علاقة جدلية أكثر منها تناقضية وعلى الفنان أن يستغل ذلك لصالحه .. وأن السبيل الى اعادة التوازن أن يشارك المسرحيين مع رجال الدولة في تنظيم مؤسساتهم واشراكهم في الارباح والخسائر والتنظيم والادارة .

● أن انجاز أي حركة مسرحية لا يمكن أن يتم بدون الممثل الجيد .. فهو العنصر الجوهري في العرض المسرحي وبدونه لا يتم العرض رغم توافر باقي العناصر .. ولكن هذا العنصر « الممثل » أصبح الان محاصرا بامكانيات واغراءات مختلفة في نفس الوقت الذي يعيش فيه أزمات ومشاكل مجتمعه .. والواقع حاليا أن المسرح فقد جسده « الممثل » وفقد استقلاليته وأصبح يعطي جسده الى مؤسسات أخرى كالسينما والتليفزيون والفيديو .

● والمؤسف أن أهل المسرح في الوطن العربي خانوه قبل أن يخونه الغرباء وتخلوا عنه أستسلاما للاغراءات المالية والاعلامية .. واستقطب الممثل وأصبح نشاطه في نطاق دول البترول واليونان .. وان



ما يحدث لا يعني الا أن الممثل قد فقد انتماءه لمسرحه والفنان العظيم لا يكون عظيما الا بانتمائه لعمله .

● أن حل أزمة الممثل يبدأ من تحديده في الوظيفة وأن تدار المسارح من قبل ادارتها ويكون لها استقلالها المالي والاداري .. ولابد من حزوان أدى الى الغاء المؤسسات وتجميد الوضع على ما هو عليه والبدء في حركة تعتمد على الممثل العادي وان تكون هناك عروض حقيقية في طول البلاد وعرضها .

● أنه لابد من توفير الحماية للمبدع ومن سيطرة مديري المسارح وسطوة رجال الرقابة حتى يسهل للمبدع أن يوصل كلمته للناس .. وأنه أيضا يمكن عمل جائزة لافضل عرض مسرحي مما يتيح الفرصة للمنافسة الابداعية بعيدا عن الاعمال الرخيصة التجارية التي مصدرها — ان لم يكن أغلبه — المسرح التجاري وهو الاولى بالحماية لانه بما يقدمه يساهم في افساد الذوق العام .

● أيضا دعوة لكل المسرحيين لتكوين اتحاد عام للمسرحيين العرب يرعاهم ويبحث مشاكلهم ويتصدى لقضاياهم ويحميهم من انظمتهم الداخلية .

● شارك في احتفالات اليوبيل الذهبي للمسرح القومي ومناقشة قضايا المسارح القومية في الوطن العربي .. من فلسطين « جواد الاسدي » ومن لبنان « يزول شاوول ونضال الاشقر » ومن المغرب « عبد الحق الدروالى » ومن الاردن « حاتم السيد » ومن تونس « عز الدين المدني » ومن السودان « خالد مبارك » وأدار الندوات الدكتور فوزي فهمي نائب رئيس أكاديمية الفنون وشارك من مصر العديد من المخرجين والكتاب والممثلين والمهتمين بالحركة المسرحية في مصر .

بدوي شاهين





مكتبة الهلال

● رواية ●

الابلة ج ١
تاليف : فيدور دستويفسكى
ترجمة : الدكتور سامي الدروبي
الناشر : دار التقدم ـ موسكو ١٩٨٦
عدد الصفحات : ٩٤٧ صفحة
الثمن ١.٢١ روبل

ها هو الروائي الروسي العظيم فيدور دستويفسكى يطل علينا من جديد . ولكن من نافذة موسكو هذه المرة . ومن المؤكد ان رائعتــه « الابله » نشرت وترجمت أكثر من مرة من قبل . وهذه الطبعة الصادرة من موسكو سبق أن صدرت من قبل ـ في القاهرة ـ لنفس المترجم . ولكنها وبصدورها من موسكو تعني ان السوفييت ـ مثقفين ومسئولين ـ قد أعادوا النظر في هذا العمــلاق الذي لن يتكرر مرة أخرى . خاصة في ارتباطه بالنفس البشرية . منذ سبعة أشهر قالت الباحثــة السوفييتية :

ـ سنرد الاعتبار لدستويفسكي وتلك هي مقدمات الاعتبار له . وان كانت الابله ليست أول رواياته والنسخة الصادرة من موسكو لاتقول انها جزء من أعماله الكاملة. لمع هذا فهناك النية لاصدار كافة أعمال



هذا الكاتب من موسكو بكافة لغات العالم . وهذا يحدث لاول مرة منذ ثورة أكتوبر الاشتراكية

ترجمة الدروبى واجهها عنــد الصدور من موسكو الدكتور ابوبكر يوسف . وهو مصري أصلا .

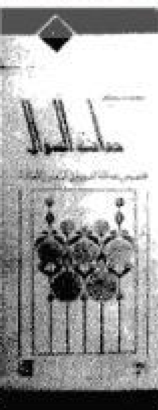
ومن المتوقع ان تصدر رواية الابله في جزءين .

● نقد ●

حداثة السؤال
تاليف : محمد بنيس
الناشر : دار اكتوبر ـ بيروت
عدد الصفحات : ٢٥٤
الثمن : ٣٢ ليرة

●● صاحب هذا الكتاب محمد بنيس شاعر وناقد وشــخصية أدبية فاعلة ومؤثرة في الواقــع الثقافي المغربي والعربي معا .. وكتابه الجــديد . يؤلف بين نصوصه وفصوله السؤال الملح عن الحداثة ليس في الادب وحده ولكن في الواقع العربي الراهن كله . بعد ان أصبح السؤال والحــداثة معا . يقفان على الباب العربي باكبر قدر من الالحــاح الرهيب وغير العادي .

في الكتاب موضوعات كثيرة : في الحداثة الشعرية العربية . منشأ الحداثة : غزو لبنان وما بعده مع الثقافة الفلسطينية . واتحاد كتاب المغرب . والكتاب مكتوب بتلك اللغة الطازجة والحاضرة والعفــوية والبكر ، وهي لا تجده سوى عند كتاب المغرب العربي فقط ..



قصص

طعم القرنفل ..
تأليف : جار النبي الحلو
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ..
عدد الصفحات : ١١١ صفحة
الثمن : ٥٠ قرشا



هذه المجموعة القصصية هي العمل الثالث للقاص المتميز جار النبي الحلو . وهي المسسق السابع والعشرون في سلسلة مختارات فصول . الابنة البكر لمجلة فصول . والتي يشرف عليها سامي خشبة .

أصدر جار النبي الحلو من قبل « هذا يوم طيب للحياة » في طبعة فقيرة على حسابه الخاص . ثم أصدر : القبيح والوردة .

وقصص جار النبي الحلو ـ الذي يعيش حتى الآن في مدينة المحلة الكبرى من محافظة الغربية ـ تتسلل الى من يقرؤها على مهل . عبر مسارات غير تقليدية . حسب مسامات الجلد ومنابت الشعر . وهو مبدع يعرف طريقه جيدا . بعيدا عن غايات المدعين ومعاركهم الوهمية اليومية التي أصبحت تأكل كل ماضي حياتهم حتى الابداع نفسه .



مذكرات

السجن ..
دمعتان ووردة ..
تأليف : فريدة النقاش
الناشر : دار المستقبل العربي
عدد الصفحات : ٣٥٥ صفحة
الثمن : ٦٥٠ قرشا

أصدرت فريدة النقاش من قبل : كتابها المتفرد : « السجن الوطن » وكان عبارة عن مذكراتها الشخصية ورؤيتها في تجربة السجن المؤلمة . وعندما لقد أعيد طبعه . ثم جلست لكي تكتب الجزء الثاني من التجربة . وأصدرت الجزءين معا . في هذا المجلد الضخم .

والسجن مثل الحروب تماما . تجربة من الصعب أن يكتب عنها الا من عاشها وعاشرها . ووقف وجها لوجه أمامها وفي مواجهتها .. وهذا ما فعلته نوال السعداوي في كتابها : « سجن النساء » وما فعلته وما فعلته فريدة النقاش في هذا الكتاب الذي يعد الاول في سلسلة كتاباتها حيث تخرج من أرضية الكتابة النقدية الى نوع جديد من الكتابة الابداعية التي ربما قادتها الى الكتابة الروائية .. من يدري

شعر



في الساعة الخامسة والعشرين
تأليف : ايجور ايساييف
ترجمة : عبد الرحيم أبو ذكرى
مراجعة : ايجور يرماكوف
الناشر : كتاب لوتس . اتحاد كتاب آسيا وافريقيا كوشي ..
الثمن : جنيه واحد ..

●● ايجور ايساييف أهم شعراء السوفييت الآن . وهذا الكتاب هو الاول في سلسلة تصدرها مجلة لوتس التي يتولى رئاسة تحريرها الآن : زياد عبد الفتاح .

أما القصيدة التي يحمل الديوان عنوانها عنوانا له : فهي تتحدث عن الساعة التي ستأتي بعد الساعة الأخيرة في تاريخ البشرية وهي عبارة عن رحلة مجهولة . يقوم بها شهيد من شهداء الحرب الى أمريكا . حيث يقابل ريجان ويتحدث معه عن أهوال الحروب . وقد سألت نفسي : لماذا لم يذهب الى جورباتشوف أيضا ؟ أم أن ذلك هو الممكن الوحيد بالنسبة لشاعر سوفييتي .



يقول الشاعر :
انى سيموت جميع الناس
فلسان النار
يلتف على كل الدنيا
ليموت الكون .

دين

دور العمائم في تاريخ
مصر الحديث
المؤلف : فتحى رضوان
الناشر : دار الزهراء للاعلام العربي . كتاب الزهراء
عدد الصفحات : ١٤٢ صفحة
الثمن : ٢٥٠ قرشا ..

لفتحى رضوان اهتمامات مثيرة وجميلة معا . وهذا الكتاب الطريف والفريد واحد من هذه الاهتمامات

والكتاب يتحدث عن : السيد عمر مكرم والشيخ رفاعة الطهطاوى. وعمامة الشيخ محمد عبده . وعلى يوسف : عمامة عظيمة على رأس فلاح . والشيخ عبدالعزيز جاويش ومصطفى لطفى المنفلوطى : الرجل والظاهرة .

وكل هؤلاء عاشوا وعملوا فى المائة سنة الاخيرة المجيدة من عصر مصر، والكتاب يحاول ان يبرهن ان الاستنارة كانت دائما اسلامية وان حامل مشاعل الحضارة والمدنية المؤثرين فى صياغة العقل الجماعى لمصرنا المحروسة كانوا دائما من الدائرة الاسلامية .

ومن الامور الجيدة ان فتحى رضوان ليس من أصحاب العمائم .



سيرة ذاتية

الولد الشقى
فى المنفى
المؤلف : محمود السعدنى
الناشر : دار الهلال
عدد الصفحات :
الثمن :

هذا هو الجزء الرابع من السيرة الذاتية التى كتبها محمود السعدنى. كان الجزآن الاول والثانى :بعنوان مذكرات الولد الشقى . وكان الجزء الثالث : الولد الشقى فى السجن. ولكن بعد السجن جاء المنفى فكان لابد من جزء رابع .

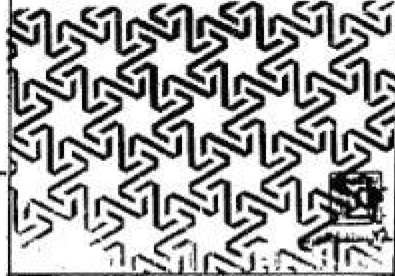
ومحمود السعدنى من اكثر كتاب العربية قدرة على الحكى . كما انه قادر على استخلاص الدمعة من الضحكة والابتسامة . وهو يكتب بسلالة نادرة . ولغة جميلة . ويوظف العامية مع الفصحى بصورة فريدة . وان قرأت الصفحة الاولى من أى عمل للسعدنى لا يمكنك القيام قبل قراءة آخر الصفحات فهو يأخذك اخذا الى عوالم رحيبة فيها من الضوء . ومن الحرارة ومن الحركة الشىء الكثير .

كانت تجربة المنفى فى السبعينات من هذا القرن من التجارب الانسانية التى تعرض لها عدد كبير من المثقفين المصريين .. وقليل منهم من جلس لكى يكتب مذكراته فى المنفى .

محمود السعدنى كان شجاعا مرتين .. المرة الاولى لانه جلس لكى يكتب والمرة الثانية وهذا هو الاهم: انه كان صادقا فى كل حرف كتبه ولم يخش ولم يخف ولم يبال

خسارة ضخمة الا يتفرغ هذا الرجل للكتابة الروائية والقصصية ففى أعماقه قاص وروائي وحكاء من الدرجة الاولى .





عرض وتقديم : د. صلاح قنصوه

البحث عن حل لأزمة الوجود العربي

هذا الكتاب الذي نقدمه اليك بالغ الاهمية ، لأنه يبحث عن اجابة سؤال هام : ماهو الحل لازمة الامة العربية على الصعيدين السياسي والاجتماعي !..

هناك الحل الاسلامي .. والحل الاشتراكي بانواعه، والحل الراسمالي بما يتضمنه فالى اين تتجه الامة العربية واين طريق خروجها من مأزقها ؟

ان مؤلف الكتاب يعرض جميع وجهات النظر ،فجاء الكتاب عرضا شاملا ونقدا عميقا مبتكرا ، لاتثقله الافكار الجاهزة في ادبيات المذاهب التي تتصارع في عالمنا ..

انه ينقد اليسار واليمين برغبة صادقة في الوصول الى الحقيقة .

الدكتور سمير امين مفكر مصري يساري احتل موقعه بين المفكرين العالميين عن جدارة واستحقاق عبر محاولات مضنية بحثا عن المنهج الملائم ، واجتهادات نظرية استغرقت ثلاثين عاما منذ عام ١٩٥٤ وحتى كتابه الاخير « أزمة المجتمع العربي » .

كتاب الشهر

وربما كان هذا الكتاب هو البيان الذى يوجز اقتراحاته عن الطرح السليم للمشكلات ، كما يقدم حلوله وبرامجه لمواجهة تلك المشكلات .

وتأتى اهمية الكتاب من صدوره فى وقت يعانى فيه مجتمعنا العربى من احباط مشروعاته الوطنية ، كما يتراشق فيه المثقفون بالشعارات الحادة النبرة ، بدءا من اعلان الثورة ، وانتهاء بالعودة الى السلف الصالح .

ورغم تعدد الممارسات ، والوقائع ، والشعارات فى الساحة مما يجعلها مراوغة بين يدى الباحث حيث تفلت من اسار التحليل والتفسير ، فان المؤلف يقبض عليها من خلال تصور بسيط يفسر بمقتضاه تفاصيل الواقع ، ثم يعود من خلال هذا التصور الكاشف الى تسليط الضوء على سائر جوانب الساحة ، فينتشر مكانيا الى كل انحاء العالم غربا وشرقا ، ويخترق الزمان الى عصور الاسلام الاولى .

والتصور الكاشف البسيط هو الخناق اليسار فى المجتمع العربى الراهن . وسرعان مايرده هذا التصور الى ربط ازمة اليسار العربى بأزمة المجتمع العربى بوجه عام ، ثم ربط أزمة المجتمع العربى بأزمة مجتمعات العالم الثالث ، وهى أزمة تنتمى بدورها الى نظام عالمى يتحكم اتجاه تطوره فى مصير شعوبنا ، ولهذا يبدأ الكتاب بالدائرة الاوسع ، وهى النظام العالمى . فمن خلالها يمكن تصور الخريطة الجديدة لطرح المشكلات بخطوطها الخاصة للطول والعرض ، وهى نظريته الجديدة عن « المركز والاطراف » ، ففى ضوئها يمكن تحديد المسار ، ومن قبله الهدف الذى ينبغى ان يمضى فيه هذا المسار .

وتتجلى أهمية هذه الخريطة التى تحدد معالم السياق العالمى فى اعادتها توجيه مراكز الاهتمام والتساؤل ، بمقتضى ترتيبها الجديد لاولويات المشكلات الملحة ، وبدائل حلها .

● النمو اللامتكافىء بين المركز والاطراف ●

تعتمد الخريطه الارشادية لدى المؤلف على تأويل مجدد للماركسية من ثنايا تطوير خاص للمادية التاريخية . فهو يرفض كلا الخيارين اللذين تذهب اليهما الماركسية الكلاسيكية فى تفسير تطور المجتمعات الشرقية قبل مقدم المرحلة الرأسمالية .

فهو يرفض وصف المجتمع العربى بالسمة « الاقطاعية » التى لا تلتفت الى خصوصيات هذه السمة المزعومة ، التى جاءت انعكاسا لقبول نظرية المراحل الخمس للتاريخ وهى الشيوعية البدائية، العبودية ، الاقطاعية ، الرأسمالية ، الاشتراكية . فهى نظرية تنكر خصوصيات مختلف التطورات التاريخية ، وتجعل من التسلسل الاوربى نموذجا شاملا ووحيدا.

كما يرفض البديل الاخر المتمثل فى نظرية « نمط الانتاج الاسيوى » التى تجمد المجتمعات الشرقية فى ذلك النمط الراكد .

ويقترح المؤلف بديلا اخر هو نظرية « النمو اللامتكافىء » التى تعترف باختلاف تسلسل انماط الانتاج من اقليم حضارى الى اخر وبالتالى بخصوصيات مختلف انماط الانتاج التى تتابعت على مختلف الشعوب التى يجملها فى مجموعات ثلاث هى : الجماعية ، والخراجية ، والرأسمالية . وتتضمن هذه النظرية :

أولا : ان النمط العام للمجتمعات الطبقية الذى يسبق الراسمالية ويتخذ أشكالا وصيغا متعددة هو نمط الانتاج الخراجى ، ويعد الاقطاع الاوربى احد أشكاله ، كما أن الشكل المصرى احد تنوعاته الذى يتميز بخصوصياته عن الشكل الاقطاعى وتنبع تلك الخصوصية من الطابع المكتمل للنمط الخراجى الذى يعبر عن نفسه فى جميع المجالات : مجال القاعدة ، اى وجود طبقة حاكمة خراجية تركز الفائض من خلال الدولة ، وليس كما فى الاقطاع الاوربى الذى يتشتت فيه الفائض الاقطاعى لضعف دولته .

وفى مجال البنـــــاء الفوقى ، اى الايديولوجيا ، التى نجدها قوية موحدة وبالتالى ذات صبغة كلية شاملة فى النظام الخراجى ، ومن ثم ، فان العلاقة الجدلية بين القاعدة والايديولوجية تؤدى الى تجمد وافتقاد للمرونة ، التى من شأنها ان تعاون على تجاوز النظام . وهذا الشكل الشرقى المكتمل يطابق المستوى الاعلى لنمو قوى الانتاج اذا ماقورن بالشكل الاقطاعى الاوربى ، ويطلق المؤلف على الشـكل المكتمل لنمط الانتاج تسمية « المركز » بينما يطلق على الاشكال غير المكتملة تسمية « الاطراف » .

ومن هنا ، تؤدى نظرية نمط الانتاج الخراجى ، كشكل عام ، واشـــكاله الخاصة المركزية ، اى المكتملة ، والطرفية غير المكتملة ، الى نظرية النمو غـــير المتكافىء فى نشأة الراسمالية . فالشـكل الاوربى ، اى الاقطاعى ، وهو الاقل نموا والاشد تأخرا بسبب تكوينه انطلاقا من المجتمعات البربرية التى اجتـــاحت الامبراطورية الرومانية ، كان اكثر مرونة وقدرة على الانتقال الى الراســـمالية ، فهنالك نجد التضاد بين انصهار الدولة والدين فى دار الاسلام ، والطابع الشمولى لايديولوجيا الاسلام وتقدم الدولة مـــن جهة ، وبين الطابع الجنينى للدولة فى الغرب ، واحلال الكنيـسة محل هـــذه الدولة جزئيا فقط ، مما ادى الى التقدم المستقل للدولة ازاء الكنيـسة ، والتفتت فى القاعدة ، اى تفتت الفائض الاقطاعى ، كما نجد فى القمة ، ان البناء الفوقى ، تفتت الايديولوجية المؤلفة من اجـــزاء متراصة غير منصهرة فى وحدة متكاملة . من الجهة الاخرى . فظهور الراسمالية الباكرة فى اوربا ، وكذلك فى اليابان ، لا يفسر بتقدم هذه المجتمعات من حيث القوى المنتجة ، بل يفسر بطابع تشكيلاتها الاجتماعية الاكثر مرونة مما هى عليه فى المجتمعات الاسيوية والافريقية .

غير ان السبق الاوربى لنشأة الراسمالية قد ادى الى تشويه الانتقال اليهـــا فى المناطق الاخرى من العالم ، حيث اصبحت اوربا هى « المركز » . فلم يتطور العالم على نحو متجانس . فرغم ان بورجوازية الاطراف قد تسعى لان تكون طبقة وطنية حاكمة ، فانها تجد نفسها مجبرة على الخضوع لشروط السيطرة الاستعمارية.

ولم يتخذ هذا الاستغلال طريق احلال علاقات انتاج راسمالية محـل العلاقات القديمة ، أى انشاء مشروعات راسمالية تستغل الايدى العاملة المأجورة التى يملكها راس مال الاحتكارات الاجنبية ، بل اخذ طريقا اخر ، هو حفظ العلاقات القديمة مع اخضاعها لمطالب سياســة راس المال من طريق ادماجها فى نظام التقسيم الدولى للعمل غير المتكافىء . وتكيفت هذه الاشكال مع نوع التحالف الطبقى بين راس مال الاحتكارات المسيطرة العالمية والطبقـات الحاكمة المحلية . فتكونت ، على سبيل المثال ، ملكيات زراعية كبيرة تنتج المواد الخام للسوق العالمية .

● النظام العالمى الراسمالى وقطيعة الاســـتعمار ●

وترتب على هذا التقسيم العالمى بين المركز والاطراف ان هذا التحويل لفائض القيمة قد قلص الاستغلال الراســـمالى المباشر داخل مجتمعات المركز المتقدمة ، بينما تضاعف الاستغلال الراســـمالى المباشر وغير المباشر ، اى الاستغلال الذى يقوم على الابقاء على علاقات انتاج قديمة وادماجها فى النظام الراسمالى العالمى ، للعمال والفلاحين فى المجتمعات التابعة فى الاطراف . ولم تعد الطبقة العاملة فى بلدان المركز المتقدمة تتحدى النظـــام الراسمالى من اجل الغائه وتحويله الى نظام اشتراكى ، بل قبلت وضعها قانعة بزيادات مستمرة لاجورها موازية للزيادة المستمرة فى الدخل القومى ، الناتجة من استغلال بلدان الاطراف المتخلفة . ويرد ذلك الى ان نمط الانتاج الراســـمالى يفترض نوعا من التوازن فى توزيع الدخل بين اجر العمل وربح رأس المال لان اجر العمل هو المصدر الاساسى الاقتصادى فى الانتاج ، على حين ان ربح رأس المال هو مصدر تمويل الاستثمارات التى تـسمح بزيادة الانتاج من فترة الى اخرى. ثم

ضرورة موضوعية لزيادة فى الاجور تساير زيادة الإنتاج .

أما فى بلدان الاطراف التابعة ، فعدم زيادة أجر العامل ودخل الفلاح ، أى عدم توسع السوق الداخلية للاستهلاك الجماهيرى ، يشوه شكل التنمية ، لان التنمية تجد سوقها اولا : فى تصدير ماتطلبه منها البلدان المتقدمة ، أى تلك السلع التى تساعد على تعجيل التراكم لديها ، وثانيا : فى توسيع سوق الاستهلاك للاقلية المنتفعة من هذه التنمية المشوهة والمحدودة .

وبعبارة اخرى ، فان التنمية غير المتكافئة تتكشف فى اختلاف النموذج الخاص بالمراكز عن نموذج الاطراف . فالتنمية فى النموذج الاول هى نمو قطاع الانتاج بهدف الاستهلاك ، وقطاع انتاج وسائل الانتاج المتفق مع زيادة الاجور الحقيقية الموازية لزيادة انتاجية العمل . فالتراكم هنا « مرتكز حول ذاته » .

أما التنمية فى الاطراف التابعة فانتاجها للتصدير ، كما أنه موجه للاستهلاك الترف ، وهنا مناط التشويه فى التنمية التى يكون نموذج التراكم فيها « موجها من الخارج » .

وهذا « القدر » العالمى المحتوم يطلق عليه د. سمير أمين : « القطيعة الاستعمارية » التى هى نقطة تحول ميزان القوى بين بورجوازيات المراكز التامة التكوين ، والبورجوازيات الحديثة النشأة ، فبعد أن كان من الممكن قبل الاستعمار أن تظهر مراكز جديدة ، أصبح ذلك امرا مستحيلا .

● فك الارتباط ●

غير أن الحل الوحيد فى نظر المؤلف للافلات من هذا القدر الصارم هو « فك الارتباط » ، الذى يعنى لديه استراتيجية شعبية قائمة على تلبية حاجات الجماهير من العمال والفلاحين ، وتشترط نظاما اخر لقياس مدى مساهمة مختلف المنتجين فى خلق الثروة الوطنية . اى انه يعتمد على قانون قيمة وطنية وشعبية ينعكس فيه التحالف الطبقى الشعبى الحاكم .

ويتولد امكان « فك الارتباط » من المقولة النظرية للمؤلف وهى التنبؤ بأن التطور المتوقع الى نمط الانتاج الاشتراكى لاينبثق من مراكز نمط الانتاج الراسمالى بل من أطراف ذلك النمط ، وشأنه فى ذلك هو شأن انبثاق الراسمالية عن أطراف نمط الانتاج « الخراجى » .

ولقد بدأت الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى فعلا ، غير أنه انحرف عن هذا الطريق فى عقد الثلاثينيات حينما تم تحطيم التحالف بين العمال والفلاحين نتيجة اسلوب انشاء المزارع التعاونية ومزارع الدولة من أجل الاسراع بالتصنيع على حساب استغلال الفلاحين ، ذلك التصنيع الذى قام على نمط التصنيع الغربى ، ولكن فى اطار الملكية العامة التى ادت الى قيام دولة استبدادية تملك وسائل الانتاج ، ومن ثم تتفاقم ازمة الديمقراطية .

وكذلك الصين الماوية ، فقد تفادت تحطيم التحالف الشعبى ولم ترتكب أخطاء الاتحاد السوفيتى فى سياسة التصنيع وانشاء الجمعيات التعاونية . الا انها لم تنجح فى اقامة دولة اشتراكية ديموقراطية لتمسكها بتأويل الاشكالية الديموقراطية ، والعلاقة بين الدولة والشعب والحزب القيادى تأويلا موروثا من « اللينينية » .

أما النموذج الناصرى ، فهو يقترب أيضا من استراتيجية محمد على . فقد هدفت اقامة التعاونيات الريفية بعد الاصلاح الزراعى الى ما هدف اليه محمد على فى عصره . وهو امتصاص الفائض الزراعى من أجل التعجيل بالتصنيع . وبينما كان محمد على متوجسا من البورجوازية المحلية ، كان عبد الناصر فاقدا للثقة فى الجماهير الشعبية ، فاعتمد على التكنوقراطية والبيروقراطية .

فالمشروعان متماثلان فى انهما هدفا الى

تحديث الدولة والاقتصاد على أساس علاقات الانتاج السائدة ، اى دون ادخال ثورى لعلاقات انتاج جديدة . لقد حاول محمد على اقامة اقتصاد عصرى مع الحفاظ على علاقات نمط الانتاج الخراجى . فلم يعتمد على البورجوازية لاقامة علاقات انتاج رأسمالية صحيحة . كما حاول عبد الناصر تحديث الدولة والاقتصاد مع الابقاء على علاقات انتاج النمط الرأسمالى دون الاعتماد على الجماهير الشعبية من أجل اقامة علاقات انتاج اشتراكية سليمة . لقد اولى كل منهما ثقته المطلقة فى التكنولوجيا دون ادراك انها تفقد فاعليتها ان لم تقم على علاقات الانتاج الملائمة لها . فهناك كانت بورجوازية دون بورجوازيين ، وهنا كانت اشتراكية دون اشتراكيين .

وللمؤلف اسهام خاص فى قضية الصراع الطبقى ، فهو يرفض التأويل الماركسى المبسط والتقليدى الذى يرى أن التضاد بين اليمين واليسار فى الثورتين البورجوازية والاشتراكية انما هو صراع بين طبقتين . ولكنه يرى انه صراع بين ثلاثة أطراف .

ففى عهد ظهور الرأسمالية ، كان الصراع يشمل الكتلة الريعية الاقطاعية من جهة ، والكتلة البورجوازية الصاعدة من جهة ثانية ، والكتلة الشعبية المكونة وقتئذ من فقراء الفلاحين وفقراء المدن من صغار الاجراء من جهة ثالثة ، ولم يكن شكل الانتقال الى الرأسمالية ثوريا الا حينما اضطرت الكتلة البورجوازية ، الى التحالف مع الكتلة الشعبية .

اما فى اطار المعركة فى سبيل الاشتراكية فثمة كتل ثلاث ، الرجعية الحاكمة المعتمدة على رأس المال المهيمن ، وكتلة القوى الاجتماعية والايديولوجية والسياسية التى تبلورت فيما بعد فى شكل صفوة حاكمة ، وكتلة الطبقة الجماهيرية من العمال وفقراء الفلاحين .

وتنشأ ازمة اليسار فى رأى المؤلف من هذه الاوضاع . وهى أزمة لاتخص فقط المجتمعات الاشتراكية الراهنة ، بل انها أزمة عالمية النطاق ، اذ انها أزمة « الانتقال الى الاشتراكية » ، وهى مسألة مطروحة على نطاق عالمى وهى تخص أطراف النظام الرأسمالى ، اى العالم الثالث ، وبالتالى لهى أزمة اليسار العربى . غير أن هذه الازمة تتعلق أيضا بمراكز النظام الرأسمالى المتقدمة رغم أن تناقضاتها اقل حدة ، فاليسار هناك قد تنازل عن الاهداف الاجتماعية الراديكالية وذلك مجرد انعكاس لعالمية الصراع الطبقى الحقيقى الذى لم يعد مجرد حاصل جمع الصراعات على المستوى القطرى . ولم يعد الصراع بين البورجوازيات والطبقات العاملة الغربية ، بل صار بين البورجوازيات العالمية فى المراكز من جهة ، وبين الجماهير المستغلة فى العالم بأسره وهى التى تضم اساسا جماهير الأطراف .

ويترتب على هذا الطابع المعقد والعالمى للوضع الطبقى ازمة مزدوجة : ازمة اليسار فى الاطراف المتردد بين وهم الاكتفاء بالتحرر الوطنى ، والميل الى اهداف اجتماعية اكثر راديكالية .

وازمة اليسار فى الغرب المتردد بين قبول النظام الرأسمالى ، والميل الى تجاوزه . كما يضاف الى ذلك ان ازمة اليسار على المستوى العالمى قد نتجت أيضا عن الحدود التاريخية للثورات الاشتراكية ، حيث ساد « منطق الدولة » فى الاتحاد السوفييتى ، واخذت الصين فى التسويات مع الواقع الدولى واقتربت كثيرا من الولايات المتحدة ، ويتفاوت النموذجان من حيث الاتفاق على الانحياز الى صف « الطبقة الجديدة » ضد المصالح الشعبية . فالطبقة الجديدة من حيث التكوين تبرر فرض دكتاتوريتها على الجماهير باسم « التراكم الاشتراكى البدائى » أى نمو قوى الانتاج ، وباسم « الكفاءة او الفاعلية الاقتصادية » .

ولعل مرجع هذا الغموض او الالتباس فى فهم مايحدث هنا أو هناك هو العجز عن ادراك أن الصراع الطبقى ثلاثى الاطراف وليس تناقضا بين ضدين فحسب .

ويبادر المؤلف الى نفض يديه من الامل فى اليسار الغربى لان التمييز بين اليمين واليسار قد فقد مغزاه التاريخى



بتخلى الطبقة العاملة فى المراكز من هدفها الاصلى .

ويتطلب المخرج اليسارى من الازمة اليوم اعادة توزيع الدخل لا فى صالح تلك الطبقات العاملة ، بل فى صالح الجماهير الشعبية فى اطرافه . ولن يتم ذلك الا من طريق قوة اجتماعية مشروطة بنجاح حركات تحررية فى أطراف النظام .

● ازمة اليسار العربى والصحوة الاسلامية ●

فاذا كان ماسبق منصبا الى الاقتصاد ، فلابد من الانتقال الى ميدان السياسة ، وهنا يثور السؤال : ماهى التغيرات السياسية التى تدور حول فشل اليسار ؟ ان معظم اليسار لم يتوقع استحالة الاهداف التى طرحتها الناصرية خلال الستينيات وتحول التجربة تدريجيا الى مجرد ذيل للحركة البورجوازية للتحرير . فجاءت هزيمة ١٩٦٧ فجأة ثم انقلبت الاوضاع بعد ١٩٧٣ كأنها صدفة لا تفسير لها الا بتدخل عناصر خارجية ودوافع مزاجية لصاحب القرار . واوضح دليل على قصور الماركسية العربية وعجزها عن ادراك طبيعة الصراعات الداخلية وارتباطها بالصراعات العالمية هو الراى السائد الذى يرى ان البديل فى مصر بعد يوليو ١٩٥٢ اما اتباع نظام الحكم والتذيل خلفه ، واما تجاهل مقتضيات التحرر الوطنى .

بينما كان على اليسار ان يدرك ان البورجوازية ، مهما تكن امانيها ، فهى طبقة عاجزة عن انجاز مهام التحرير الوطنى . فالفترة بين ٥٢ ، ١٩٦٧ لم تكن مرحلة تحقيق التنمية على نحو مستقل ، ولكنها محاولة كتب عليها الاخفاق ليس من جراء مصادفة وعدوان خارجى ، بل نتيجة نواقصها الذاتية . وكان العدوان مجرد « اشهار افلاس » .

وما حدث بعد ١٩٧٣ لم يكن امرا غير متوقع ، بل كان ناتجا محتوما لما تراكمت فى احشاء النظام نفسه من قوى اجتماعية وانتقل مركز الثقل فى البورجوازية العربية من فئتها المصرية المهددة من الجماهير الى فئتها البترولية الخليجية ، وفرضت الحماية الاستعمارية على المنطقة بأسرها بتآزر اداة المال البترولية واليد العسكرية للتوسعية الاسرائيلية معا . وتبع ذلك تشجيع التنازل عن الوطنية العربية لحساب انتعاش الانتماء الدينى ، وهو مايمكن ان يسلم بسهولة ويسر الى تكريس الانفتاح وتصفية القوى الاشتراكية والشعور الجماهيرى بالحاجة الى تحقيق الوحدة العربية .

ففى ظل الاخفاق فى ادراك هذه الأبعاد الاساسية لدى اليسار العربى ، والممارسات المشوهة للنظم الراديكالية ، والاجهاض العسكرى والعدوانى من الغرب واسرائيل ، كان لابد ان ترتفع اصوات مايسمى بالصحوة الاسلامية واعلان العودة الى السلف .

ويرى المؤلف ان هذه الحركة ليست اجابة عن المشكلات الملحة الراهنة بقدر ما هى هروب من الاجابة ، وهى هروب الى الامام كما يقول . وحديثها عن الخصوصية الاسلامية انما هو انكار لكل حقائق التاريخ الاوربى ، وعزوف عن فهم التاريخ العربى الاسلامى نفسه الذى تحول عندها الى مجرد انحراف عن المبادىء لا تجهد نفسها فى تفسيره بقدر ما تقتنع بالاعتراف به فحسب .

فلا يهم السلفى ان يعرف لماذا اصبحت الامور على هذا النحو ، بل مايهمه هو معرفة ما اذا كانت مطابقة للمبادىء . وهو بذلك يتجاهل الاسئلة التى يطرحها المؤرخون ، ولا يسمح لنفسه بالخروج من دائرة البداهة فى حديثه المكرور عن المبادىء وهو التمرين الذى يفضله السلفى دون ان يضيف شيئا لكشف منطق هذه المبادىء التى تسمح بطبيعتها بمرونة هائلة تتيح لكل القوى المختلفة ان تنضوى تحت رايتها .

الا ان عنصرا يكاد يكون مشتركا بينها جميعا هو « الـرفض » الناشىء عن التعريف السلبى لوقائع التاريخ الذى يجعلها جميعا شيئا غريبا ونتاجا غير اسلامى وكفى .

ومن ثم فان السلفيين يرفضون طرح الاسئله ، او وضع المشكلات فى اطارها الاقتصادى او السياسى او الاجتماعى ، بل يطرحونها فى اطار اللاهوت .

والاختيار الوحيد هو بين مجتمع اسلامى ، ومجتمع غير اسلامى ، وبالتالى يستبدلون بالمواطن العربى ، الفرد او الرعية الخاضعة للملة .

وهى فى نهاية الامر اشهار بالعجز امام تحديات العصر ، لان التمسك بفهم جامد للدين ليس بديلا عن الاستسلام فى عالم الواقع ازاء الاعداء الحقيقيين . ولن يفرخ هذا الاتجاه الا موجات من التعصب المظلم وخاصة تجاه الاقليات . ولقد اثبتت حوادث لبنان ، والحرب بين ايران الخمينى والعراق انها السبيل المؤكد الى مزيد من الطائفية والتجزئة التى يستهدفها الاستعمار ومعه اسرائيل .

الخروج من الازمة

ولكن ماهو الطريق الى الحل والخروج من المأزق ؟

يقدم المؤلف مخرجا يسميه برنامج الاصلاح الديموقراطى للمجتمع العربى ، يكون بديلا عن الحديث المجرد حول « التراث والتجديد » ، ويقوم على مواجهة مشكلات المجتمع العربى مواجهة مباشرة ، ومحاولة لتحديد برنامج الاصلاحات والتغيرات اللازمة من اجل التقدم لاعادة بنائه وفقا لمطالب عصرنا .

ويضع المؤلف سبعة بنود يعدها اجابة من السؤال : ماهى الديموقراطية التى نحن فى حاجة اليها فى المرحلة الراهنة ؟.

● احترام المصالح الاجتماعية المختلفة لمجموع الفئات المشتركة فى البناء الاجتماعى الوطنى .

● ربط مشكلة الديموقراطية بالمشكلة القومية باسترجاع الشرف القومى وتأمين الامل وحرية اختيار المستقبل للشعب العربى .

● ربط الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاجتماعية بضمان قدر من المساواة والتضامن الاجتماعى وذلك تمهيدا للسيطرة الكاملة للشعب العامل على وسائل الانتاج والغاء نظام الطبقات .

● استكمال المجتمع العصرى من خلال اعلان مبادىء فصل الدولة من الدين . فالعلمانية هى الوسيلة الوحيدة لحفظ المبادىء الدينية من التزوير الناجم عن تدخل المصالح الاقتصادية الطبقية والحكم السياسى .

● الاخذ بمبادىء الديموقراطية السياسية الكاملة أي الاعتراف دون تحفظ بحقوق حرية التنظيم السياسى « الاحزاب » والتنظيم الاجتماعى « النقابات .. » وحرية الصحافة والنشر .

● ينبغى ان تكون السلطة السياسية نتيجة اختيار حر للجماهير فى ممارسات سياسية صحيحة تحول دون التشبث بالحزب الواحد واشباهه .

اعادة النظر فى نظم الحياة الاجتماعية وخاصة نظام الاسرة والعلاقات بين الجنسين ، وكذلك مراجعة مضمون التعليم والثقافة والاعلام بما يتفق مع تطوير المجتمع وازدهار روح المبادرة على جميع المستويات .

ومهما يكن من امر هذه البنود ، فهى دعوة من الافلات من « الانحطاط » الذى يعنى لديه العجز من التكيف مع الاوضاع الجديدة على المستويين العالمى والمحلى . ويرفض أن يكون المخرج مؤديا الى نوع اخر من « الجمود » الذى يعنى الانغلاق فى اطار الايديولوجية ، أو يكون الايمان الثورى مرادفا لحجب الاعتراف عن « الشرعية السائدة » وبالتالى الدعوة الى العنف . فشكل النضال ، كما يقول ، مسلحا كان أم سياسيا ، فى اطار الشرعية او خارجها ، انما يتوقف على الظروف العينية الملموسة . فهذه المشكلة تنتمى الى اشكالية التكتيك فى الممارسة ، وليس الى جوهر الطابع الطبقى للحركات الاجتماعية .

شخصية العدد

معمر القذافي

يضيع أهدافاً استراتيجيّة لأخطاء تكتيكيّة!

فيليب جلاب

العقيد معمر القذافي مثل غالبية الزعماء العرب وزعماء العالم الثالث الذين يتولون السلطة بالثورة او الانقلاب دون الديموقراطية بمعناها المعروف في « الترف » ليس من السهل توفره واعداد حكام المستقبل من خلاله ، فان كل هؤلاء الحكام يتعلمون ادارة شئون البلاد والعباد واصول الحكم من خلال الحكم نفسه .

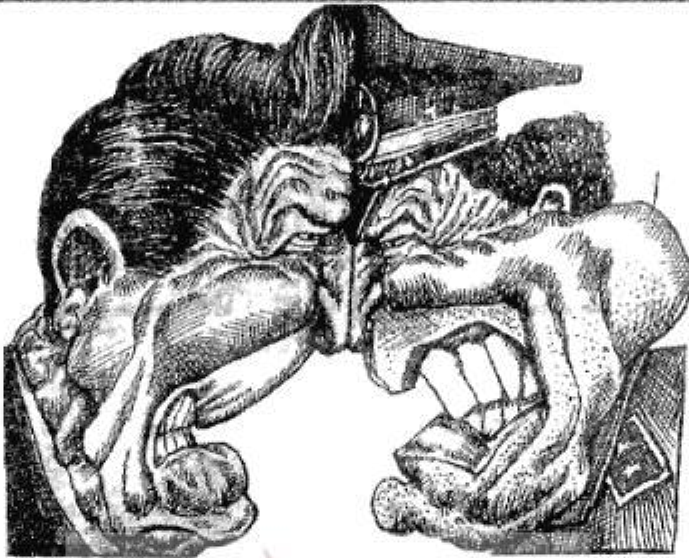
وليس في هذا عيب الا انه اصبح كالقدر الذى لافكاك منه . وليس هنا العيب أن يتعلم الحكام من خلال الحكم . والعيب هو أن لا يتعلموا !

ومع توفر حسن النية والحماسة القومية والتطلع الى استغلال هذه الاية وحرية ارادتها تختلف درجة التعلم من حاكم الى اخر وفقا للظروف وطبيعة البلدان والمزاج النفسي للحكام .

ومن البداية حتى النهاية علينا أن نقرر أن « اخطاء » معمر القذافي لا يمكن ان تمس « بجرائم » الذين يتصيدون تصفيته في الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل . ونوضح ما يقال عن « تورط » القذافي في عمليات « ارهابية » ضد الامريكيين والاسرائيليين فهي نقطة في بحر من الدماء الذى اغرق فيه الامريكيون والاسرائيليون شعوبنا تعذيبا وقهرا وعدوانا واضلالا .

خطأ القذافي اذن هو محاولته احيانا تقليد اساتذة فن الارهاب في العالم على نطاق ضيق وبأساليب بدائية لا تأخذ بأحدث ماوصل اليه علم الاجرام الامريكي والاسرائيلي الرسميين !

وخطؤه الاخطر في نطاق أمته العربية هو رؤية لونين فقط هما الابيض والاسود



من بين عشرات الالوان والظلال . وكل من ليس معه وباسلوبه فهو خارج عن الصف « متخندق » مع العدو !

والاخذ بالابيض او الاسود فقط يدفع القذافى ذا المزاج النفسى الحاد الى الانتقال احيانا من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ومن اقصى الشرق الى اقصى الغرب او العكس .

وفى امة مرت بأهوال تاريخية وتمزقت « شذر مذر » كما يقال لابد فى كثير من المواقف ان يجد معمر القذافى نفسه وحيدا حتى بالنسبة للذين يؤمنون بنفس الاهداف والشعارات ويتطلعون الى مواجهة تاريخية حاسمة مع العدو .

وفى ظروف وتوازنات عالمية غاية فى التعقيد يصبح الهدف « الاستراتيجى » النبيل بدون « تكتيك » ملائم مدعاة الى السقوط فى فخ الاعداء او استعداء الاصدقاء والحلفاء ودفعهم الى الجانب الاخر فى اغلب الاحيان ، حتى لو كان ذلك بمحبتهم !

ولذلك يتكاثر الاعداء ضد معمر القذافى ليس بوصفه « ارهابيا » كما يدعون لكن لانه صوت صارخ فى « برية العرب » يصيب استراتيجيا فى الاغلب ويضيع كل ما يصيبه يوما بيوم !

وفى هذا الخصوص ينال القذافى من نفسه اكثر مما ينال منه اعداؤه واعداؤنا ولمن يريد التحقق من هذه المعادلة السهلة عليه ان يرجع الى التاريخ المعاصر ابتداء من الحرب العراقية الايرانية وانتهاء بالعدوان وما بعد العدوان على خليج سرت التابع للجماهيرية العربية الاشتراكية « العظمى » !

الطوق والإسورة بين الفيلم والأسطورة

بقلم : مصطفى درويش

لو وضعت "الطوق والاسورة" فى كفة الميزان ، ووضع فى كفته الاخرى أغلب ماكتب من أدب القصة عندنا عقب زلزال الخامس من يونية "حزيران" لرجحت فى ظنى كفة قصة يحيى الطاهر عبدالله .
ومن هنا صعوبة التحول بها الى لغة السينما شأنها فى ذلك شأن اية رائعة من روائع الأدب العالمى .

وعلى كل ، وقبل الكلام عن الفيلم ، وكيف اقدم "خيرى بشارة" على إخراجه عن سيناريو استوحاه بالاشتراك مع الدكتور يحيى عزمى عن "الطوق والأسورة" ، أرى من اللازم الوقوف قليلا أولا : عند صاحب القصة ، وثانيا : عند الإبداع فيها .

● الكابوس الأسود ●

مرّ يحيى الطاهر عبدالله بهذا العالم مرورا سريعا ، فلم يعش فيه إلا ثلاثة واربعين عاما انفق جزءا غير قليل منها فى الطفولة والصبا متأثرا بما حوله فى قرية الكرنك . مركز الأقصر حيث ينام الرجل الصعيدى وبندقيته وزوجته واولاده والجمل والبقرة والكلب والحمار فى حجرة واحدة .

وحيث تسلك الذئاب والثعالب تلك الدروب الضيقة على المارة . وحيث يتعذر على الغريب أن يميز الآدمى من الوحش والناس والاشياء .

● ايام فى المدينة ●

وبعد الحصول على دبلوم الزراعة المتوسطة ، أنفق بعض هذا الأمد فى مدينة قنا حيث التقى بالشاعرين عبدالرحمن الابنودى وأمل دنقل ، وحيث كان محاصرا بالسكون والظلمة والتعب .



شيريهان ، فهيمة ، قبل الزواج من الحداد فى « الطوق والاسورة » .

وحيث أحس بأن روحه منهكة ، وأنه فعلا مضطهد ومقهور ، وأنه حقيقة يتعذب .

فلما رحل (١٩٦٤) بجسم نحيل وعينين براقتين وكلام مهتاج من الصعيد الى القاهرة كى يظفر بشىء من الحياة الفنية المستقلة ، لم يلتمس عملا آخر غير كتابة القصة القصيرة يكسب منها القوت .

ورفض النصيحة "خصوصا من الجيل السابق ، لأنه مؤمن بأنه يفتح صفحة جديدة بريئة من الرتابة والصنعة وشكوك التقليد والاقتباس من بعيد لبعيد" .

● الجثـــة ●

ثم لا يكاد الربع الرابع من القرن العشرين يتقدم قليلا حتى يكون قد حقق لنفسه فرحه الخاص بما كتب ، فالكتابة بالنسبة له "متعة كما هو الاكل" ، وحتى يكون بعين مملوءة بالدمع والدم على موعد مع ملاك الموت فى سكة القاهرة ـ الواحات سنة ١٩٨١ (٩ ابريل)

وهاهو ـ بعد ان تمكن الموت من الريح وفرغت الحدوتة ـ يعود طائرا ـ وهو الذى لم يدخل الطائرة سوى نعشه ـ الى مسقط رأسه الكرنك حيث رأت عيناه المضيئتان النور لأول مرة ، وحيث دفن مع الشمس وكفّن بالضباب .

وهاهو محلقا يسمع لآخر مرة صوت "الابنودى" فى ختام عدّودة يناجيه "..ى

الطوق والإسورة

مش نهايتك . يايحيى .. يمكن تكون دى البداية"

● شمـــوس ●

أظهر مايمتاز به قصص يحيى الطاهر من الخصائص انه يصور الموت والقلق من مكر الدنيا الذى يوشك أن يبلغ اليأس .. وأين ..؟ فى قرية هى الكرنك فى الاقصر اى "طيبة القديمة" ، وعنها قال يحيى فى حديث صحفى لعله الأول والأخير "ارى أن ماوقع علي الوطن وقع عليها .. وهى قرية منسية منفية ، كما أنا منفى ومنسى .. كما انها ايضا قرية فى مواجهة عالم عصرى .. إذن عندما ابتعد عن قريتى أسعى إليها فى المدينة ، وابحث عن أهلى واقربائى وناسى الذين يعيشون معى .

وانا لا أحيا إلا فى عالمها السفلى .. فحين التقى بهم نلتقى "كصعايدة" وكأبناء "كرنك" ، ونحيا معا المنفى المصرى وفجيعتنا العربية وبعدنا عن العصر كشخوص مغتربة .

واحداث "الطوق والاسورة" ـ التى هى واحدة من نفائس عقد يحيى ـ انما تدور وجودا وعدما فى قريته هذه ، لا تخرج منها أبدا .

● عطـر الحبيـب ●

فحتى "مصطفى" البطل الغالى الغائب عن جحيم الكرنك بعيدا فى السودان ومن بعده فلسطين فالقنال ، والذى لا نراه طوال الأيام التى طويت من أعمار افراد أسرته الصغيرة ، وذلك لأنه لا يعود إلى القرية إلا قريبا من النهاية ، يعود أميا كما كان ، وفوق هذا مهزوما مهانا ، حتى هذا البطل الغائب الغالى نحس به وكأنه حاضر فى القرية ، فهو فى عقل الأب "بخيت البشارى" الذى صار بعد العمر الذى مرّ كالقفة .

وهو فى قلب الأم "حزينة" الملهوفة التى تخطف رسائله من السودان أرض السحر والاحجبة والمهدى المنتظر ، ومن فلسطين الشام جنة الله فى الأرض تسلل إليها اليهودى كاره العربى ، تخطفها لتشمّها وتقبلها ثم تدسها فى الصدر الحنون .



يحيى الطاهر عبد الله

وهو فى حواس الأخت "فهيمة" التى تحبه ، تتذكر وجهه . الرجل يطفر بالدم الاحمر الدافىء ، والعروق فى رقبته تنفر وتكاد تنفجر .

● ولادة أسطـــورة ●

وهنا وقفة أخرى لابدّ منها ، ذلك أن "الطوق والأسورة" بما انطوت عليه من كشف مافى نفس صاحبها الفنية ، ومن فضح مافى الحياة التى تكرّ حوله فى الكرنك من فقر وضحل وبشاعة وغثيان لم تخرج الى الناس كاملة غير مفتوحة كما هى الآن .. بل خرجت مبتورة فى شكل قصتين قصيرتين من مجموعة الدف والصنـــدوق (١٩٧٤) تحت اسمى "الشهر السادس من العالم الثالث" و "الموت فى ثلاث لوحات" .

وهـاتان القصتـــان تشغلان تسع صفحات إلا قليلا ، فى حين ان "الطوق والاسورة" تزيد صفحاتها على ذلك بكثير حتى تبلغ سبعة اضعاف هذا الرقم او يزيد .

ويبدو من الاطلاع عليهما أن "يحيى" قد باشر تأليفهما ، وليس فى رأسه غير فكرة واحدة وهى أن يصور كيف رحل انسان بعيدا مع رجال التراحيل ، وكيف أثرت غربته هذه على اسرته حتى انتهت بأفرادها جميعا الى موت اكيد .

وبغتة ـ أجل بغتة ـ فتق له ان يعود إلى حكاية الغائب والموت ، وأغراه بالغ الإغراء أن يتخذ من مصطفى ومأساته ترجمانا لافكاره ، فيصور ماكان من شأنه مع أبيه وأمه وأخته خلال أعوام من العناء المتصل والشتاء المقيم صرفوها فى الكرنك ، والمسافات تباعد بينهم والزمان يعاديهم .

فكان أن اقبل على كتابه "الطوق والاسورة" (١٩٧٥) ، وقد امتلأ خياله صورا لأهل بيت مصطفى فى غربته . وبسحر ساحر تهيأ له القالب الذى يريده والشخصيات التى كان يفتش عنها .

فكان أن تخلّقت شخصيات بنت الأخت "نبوية" ـ فى الفيلم اسموها "فرحانة" لا أعرف لماذا ؟ ـ وابن الشيخ الفاضل والحداد العاجز وشقيقته الحدادة الماكرة وابنها السعدى العاشق ومحمد الشرقاوى الصحفى .

● لعنـة الطاحونـــة ●

ولكن لم يكن بينها صاحب الطاحونة "منصور الصادق" (أحمد بدير) تلك الشخصية التى تلعب دورا محوريا فى الفيلم . فمن اين جاء ؟

لصاحب "الطوق والاسورة" قصة قصيرة اسمها "طاحونة الشيخ موسى" نشرت ضمن مجموعة "ثلاث شجيرات كبيرة تثمر برتقالا" (١٩٧٠) ،

وبطلها بنصف عين فقط ، عثر على ماكينة طحين نصف عمر .

وبعدها جاءته المتاعب تباعا بسبب كلام فارغ عن أطفال لابدّ وأن يرمى بهم داخل الماكينة حتى تدور .. كلام يتردد صداه رجفة بقلوب آباء يعبدون الابناء ، وأمهات يفضلن تعب المشوار وشتاء العمر ولا المصيبة فى الولد .

وحول هذه المتاعب تدور القصة التى تنتهى بانتصار صاحب الطاحونة بفضل بركات الشيخ موسى .

ولعل هذا الانتصار فى المواجهة بين معتقد اهل القرية فى ان الماكينة لا يمكن



الطوق والإسورة

ان تدور دون التضحية بطفل ومعتقدهم الثابت فى بركة الشيخ .. لعله هو الذى حدا بالأديب الراحل الى استبعاد الطاحونة وحكايتها تماما من حلقة الطوق والاسورة الجهنمية التى تحيط بشخصيات القصة ، وهم مسلوبو القدرة على مواجهتها حتى ينتهى بهم الأمر الى موت سخيف حقير او حياة مرّة بائسة .

وقد لا اكون بعيدا عن الصواب إذا ماقلت ان حشر هذه الحكاية فى سياق السيناريو سار بالفيلم القهقرى ، ورجع به الى وراء .. كيف ؟

لأنه كان على حساب الروح التى يشعّها "الطوق والاسورة" ، ولأنه أدى إلى بعض الغموض والاضطراب فى السرد بحيث كثيرا ما اختلطت الامور .

ومهما يكن من شيء فقيما عدا هذه الهفوة التى كادت تكون قاتلة ، فالفيلم كان فى معالجته لأحداث درّة يحيى الطاهر امينا الى حدّ كبير .

فهو يبدأ كما القصة بالأب "عزت العلايلى" كالققة تحملها زوجته "حزينة" "فردوس عبدالحميد" وابنته "فهيمة" (شيريهان) من الشمس الى الظلّ ومن الظل الى الشمس .

وينتهى كما القصة بالابن "عزت العلايلى" ـ يقوم بدوره علاوة على الاب لا اعرف لماذا ؟ ـ ساقطا من عداد الرجال ، شاحرا كالذبيحة .

وفيما بين البداية والنهاية يحدثنا الفيلم كما القصة عن الاب كيف تخلص من الاوجاع والعمر المكروه بالذهاب الى الله الرحيم .

ويحدثنا عن ابنته فهيمة ، وقد عقد قرانها على الحداد الهامد " احمد عبدالعزيز " الذى يوسعها ضربا لأنه لا يستطيع ان يفلح ارضا ، ومن ثم ينفلت فى بكاء مرّ .

وحين تعلم "حزينة" بحال ابنتها هذه تذهب بها الى المعبد القديم المشيّد من الحجر الكبير حيث ينشرخ اناء ، وتنمو خرافة الاسطورة فى رحم "فهيمة" ، فيطلقها الحداد ، وتنجب طفلة "فرحانة" ثم لا تلبث ان تصاب بحمى يتعذب لها الجسد ولا يستريح إلا بالموت .

● الخيوط تتشابك ●

وكذلك يحدثنا عن فرحانة "شيريهان مرة أخرى" ! يتيمة من الام والاب الذى مات محترقا بفعلته مع زوجته الجديدة بنت الصياد .

إنها صبية فقيرة لا تكاد تميز الاشياء .. تعيش حياة ضيقة ضئيلة .. تسعى مع جدتها على رزقها فى بيت الشيخ الفاضل حيث حدث الذى لا يقدر على منعه أحد حين يختلى ولد ببنت مولعة به .

فلقد انشرخ الإناء مرة اخرى ، ولكن عن غير طريق الاسطورة .

وطبعا نقلت "حزينة" الخبر المفجع



عزت العلايلي . فى دور الاب والابن

لابنها "مصطفى" الذى أشبع بطن "فرحانة" بما يحمل من حرام رفسا بقدميه ، وتركها كوم لحم مهشم العظام حتى انتهى من حفر حفرة أنزلها فيها ، وأهال التراب على جسمها حتى العنق ، ثم تركها على هذه الحال حتى تموت ، وحتى تبوح بمن فعل .

ويعلم بالخبر العاشق "سعدى" ابن الحدادة .

وفى مشاهد ـ ماأظن أن لها مثيلا فى الجمال المقترن بالقسوة طوال تاريخ السينما فى الوطن العربى ـ يحرر السعدى "فرحانة" من اسر الارض يحملها كما المحبين الى الطاحونة لا ليمتطى الفرس وينطلق بها فى دنيا الله كما كان يحلم ، وانما ليحصد بالمنجل العنق الشامخ .

كل ذلك يحكيه الفيلم بلغة سينمائية راقية بفضل مخرجه "خيرى بشارة" ، وبفضل كاميرا المصور الموهوب "طارق التلمسانى" .

ولولا هفوة الطاحونة وماصاحبها من ظلال لبدت حسنات "الطوق والاسورة" ساطعة وهّاجة .

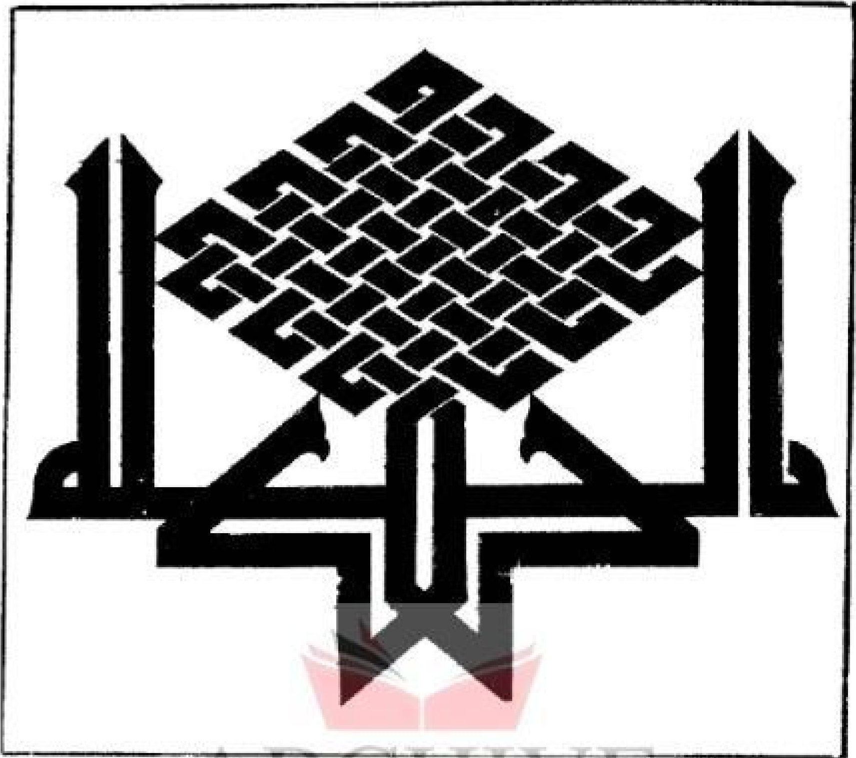
اللغة العربية
بين الصّوت المنطوق.. والفعل الجمالى

بقلم : أحمد فـؤاد سـليم

● مدخل إلى "اللغة" :

لعل اللغة هى بحق الوسيط الأول للحضارة الإنسانية . فإنه بدون اللغة يصعب علينا "فعل" الاتصال مع الآخرين ، ومع العالم . كما وأنه بدون اللغة ، يصعب علينا جمع الذاكرة ، وتكوين الخبرة الإنسانية . وبالتالي بث المخيلة الإبتكارية .

وحينما نتحدث عن اللغة ، لانقصد إليها على اعتبار انها منطق لأنماط المعانى المتواترة بين مجموعة الألفاظ كما يقول برتراند رسل . ولا باعتبار أن « اللغة » معنى كما يقول فتجنشتين (١٨٨٩ - ١٩٥١) ، ولا باعتبارها صوتا لسانيا يرتبط ببنية اللغة كما يعبر عنها عالم اللغويات فرديناند دى سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣) ، ولا باعتبارها منظومة « صناعية » تتمثل فى لغة العلم كما يزعم هيجل . ولاحتى باعتبارها بنية متواطئة مع المعنى فى صميم اللفظ المباشر ، وإنما نحن نقصد اليها - بالاضافة الى كل ماسبق - على اعتبار أن اللغة هى بنية « إنسانية » يلزم أن نتصل بها اتصال الفاهم لمكنونات معنى اللفظ المكتوب . فان « اللغة الانسانية » زاخرة بنقيض « الدالة » الكلامية وان الغموض والخلط المفترض فى هذه الحالة ماهو الا جانب ضرورى من بين المكونات البنياوية لأية لغة





لفظ الجلالة . تشكيل مضفر . جواش ذهبي

ومادام الامر كذلك ، فإن الصوت هو عنصر أساسي في محمول المعنى ، وبان الكتابة هي مجموعة علامات ، ورموز للمنطوق والمسموع ، وبان « طريقة » الكتابة من شأنها ان تبث إشارات نوعية للمعنى ، مثلما يكون من شأنها أن تطلق العنان للصوت المنطوق ، ومقاميته ، فنجعله قصيرا أو طويلا ، وذلك بقدر ماتكون عليه المسافة المادية والزمانية بين بعض حروفها ، فنجعله كذلك ضاما او فضفاضا ، قاطعا أو إنسيابيا ، متقطعا أو موصولا ، هامساً أو زاعقاً ، مكتوما او مزمجراً ، سريعا وشديد السرعة او بطيئا متناهيا في البطء ، متداخلا او مستقيما .. بل وحتى هزلياً ومأساويا إذا كان لذلك من سبيل .

وحين نسوق هذه الخصائص الحية لانقصد الى نوع الخبرة الانسانية ذات الطبيعة الايمائية أو التمثيلية التي يكون على نسقها مستوى الناطق حين يتوسل

اللغة العربية

• بالصوت • للتعبير عن ذاته • ـ وإنما نحن نقصد إلى تلك الاشارات الصوتية المقامية التى قد تمليها أنواع كتابية بعينها على من ينطقها .

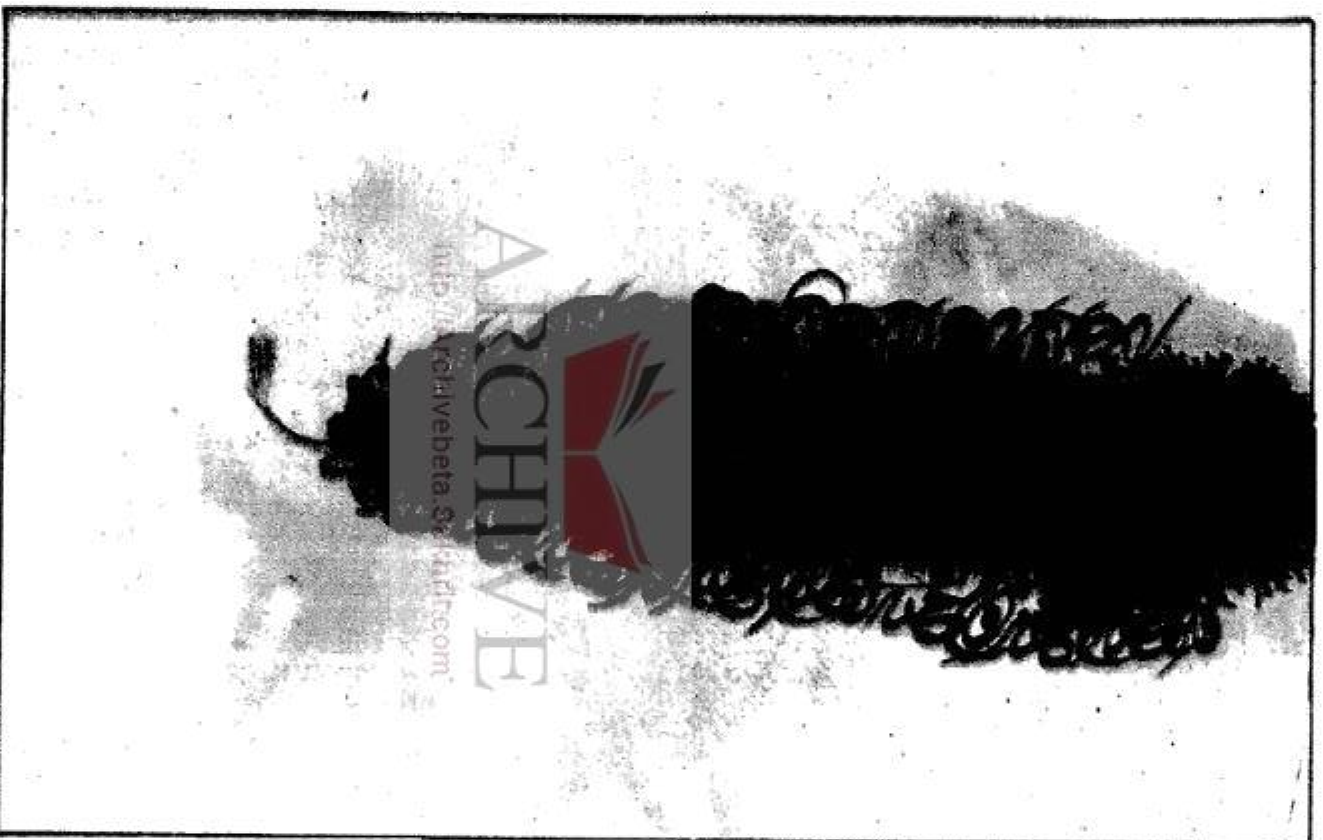
واللغة العربية المكتوبة . فضلاً عن أنها لغة ذات نسيج "بنيلوى" غارق فى القدم ، نجد أن أصولها التصويرية قد اكسبتها نطاقاً غنياً بالخصائص الجمالية البصرية ، والصوتية ، فى مقابل اللغات اللاتينية التى انحدرت فى أغلب الظن من أصول إيمائية للإشارات الإنسانية .

وليس غريباً أن يغفل جانب من علماء المستشرقين فى اللغويات . والفلاسفة الغربيون تلك الدلالات الخاصية للغة الكتابة العربية ، ولطرائقها . ونحن حين نلتمس العذر لبعضهم ، فإنما ذلك يعود إلى حجم تفهمنا لنوع القصور ـ غير المتعمد غالبا ـ الناجم عن عجز فى القدرة على اختراق عالم هو فى الواقع شديد الخصوصية لطبيعة التكوين العربى ، كما أنه لصيق إلى أبعد مدى بالبنية التراثية بجملتها . ذلك أن اللغة العربية ليست فقط لغة منطق ، أو علم ، أو معنى ، أو اتصال ، ـ بقدر ماهى حياة كاملة . وهى حياة كاملة لأنها ليست ترتيباً منتظما فى الذاكرة نأخذ منها حين يعوزنا الأخذ ، بل إنها عنصر شبيه إلى أن يكون عضوياً ومستساغاً فى صميم تكوين الشخص العربى . فليس غريبا أن نعثر على عرائسها القوية ليس فقط فى نطاق التكوين العنصرى لأصحابها ، وإنما أيضا نعثر عليها متشبثة فى مذاهبهم ، وسلوكهم ، وأزيائهم ، وتقاليدهم ، وعقيدتهم ، ونظام مدنهم ، وفنونهم ، وعمائرهم ، بل وصفاتهم اللصيقة بهم ، اينما حلوا حلت معهم .

• نظرة على الأصول البعيدة •

على أنه من الواضح أن هناك كثيرين ممن يخلطون خلطاً جزافياً بين الخط العربى ككتابات قدسية ، وبين منابعه . كما أن هناك من يخلطون بين اللسان الاسلامى اللغة القرآنية ، وبين مصدر اللسان العربى . ذلك أنهم حين يأخذون الأول بأسباب الثانى أو العكس ، فإنهم يقعون فى خطأ يتعين رده وتصويبه . بل إن اكثر مايذهبون إليه فى مجال مايطيقون هو اعتبارهم لعربية الزمن الجاهلى فى غضون ما لا يزيد على قرنين قبل الإسلام . مع أن علماء اللغات وفلاسفتهم قد اجتمعوا على دحض ذلك الخطأ بصورة غير قابلة للجدل . إلا أن ذلك الخطأ لايزال شائعاً بين العوام ، بل وبين أولئك الذين حازوا على قسط من التعليم المتميز .

ويقول الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق فى كتابه القيم تحت عنوان "الفنون الزخرفية الاسلامية" "ط ١٩٧٤ ص ١٧٢" مايلى : (اشتق الخط العربى من الخط النبطى الذى اشتق بدوره من الخط الأرامى . والأنباط هم قبائل عربية كانوا فى أول أمرهم يعيشون عيشة التنقل فى البقعة الممتدة بين شبه جزيرة سيناء وفلسطين) ، ثم يضيف الدكتور مرزوق (وتعلّم الانباط فيما تعلموا الخط الأرامى وكتبوا به لغتهم العربية) ، ثم يضيف



اية قرانية .. محاولة تحديث من الفنان

اللغة العربية

(ثم اتسعت الهوة بين هذا الخط الارامى الاصلى حتى أصبح له طابع خاص عرف من أجله بالخط النبطى ثم تطور هذا الخط النبطى حتى فقد صورته الأولى وأصبحت له صورة جديدة يمكن أن نعتبرها أول صورة للخط العربى) ـ. ثم يقرر عالم اللغويات أ . ولفنسون فى كتابه "تاريخ اللغات" ص ١٦٨ قوله (إن من مميزات اللغة العربية انها تشتمل على عناصر قديمة جداً من اللغات السامية الأصيلة . وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة فى مهد اللغات السامية أو فى ناحية قريبة منها ، أو أن العناصر التى نزحت إلى البلاد العربية كانت من اقدم الأمم ..) ، ثم يذكر أمين مدنى فى كتابه "التاريخ العربى وبدايته" ط ١٩٨١ ص ١٤٩ (إن اللغة العربية هى أصل للغة البابلية . وفى اللغة العربية كثير من الكلمات التى مازالت حية منذ آلاف السنين مثل اليم ، أرخ ، أم ، أخ ، امه ..) .

● الفنان مصطفى عبدالرحيم وفن الخط العربى ●

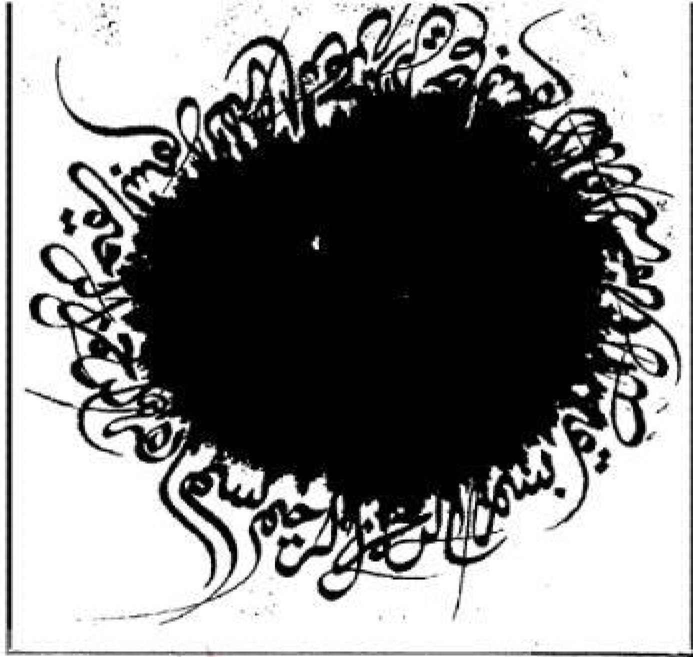
لقد هدفنا فى العجالة السابقة الى ان نلقى بصيصاً من الضوء على الطبيعة البنياوية الثرية لعالم اللغة العربية المكتوبة ، وبخاصة فن الكتابة الوصفية للمعتقد الإسلامى . وأن نلمس ـ ولو بأضيق سبيل ـ تلك الخصائص اللغوية اللصيقة بتكوين الشخصية العربية عن طريق لغته ، بل وعن طريق الصفات الوراثية الاشتقاقية للفعل الجمالى المتمثل فى عمارة الكلمة العربية المكتوبة . ثم مايشير إليه ذلك من التدليل على مقامية الصوت المنطوق .

ولقد دفعنى إلى ذلك مجموعة الرسوم القيمة التى اتيح لى أن اشاهدها فى مرسم الفنان مصطفى عبدالرحيم مدرس الفن بكلية الفنون التطبيقية .

فلقد اطلعت على مايقرب من ثلاثة آلاف رسم فى مجال لفظ "الجلالة" ، و"البسملة" ـ محورة ، ومدورة ، ومقطعة ، ومصنفة ، ومذهبة ، ومصحفة ، ومورقة ـ وكذلك متوافقة ، ومتبادلة ، ومضفرة متضادة ، ومعاكسة ومشطرة على نحو لم يسبق له مثيل .

قدم مصطفى عبدالرحيم ابتكارا صرفا للخواص التركيبية للغة الكتابة





البسملة .. محاولة تحديث من الفنان مصطفى عبدالرحيم

العربية ، ليس باعتبارها لغة اتصال في الأساس ، وإنما باعتبارها مكنونا جمالياً صافياً له علاقة صميمة بالصوت كعامل مقامي مسموع . ويؤكد ذلك الدلالات القوية التي تمتاز بها الكتابات الشكلية العربية على ماعداها من اللغات . فإن المد الحركي والتطويل البالغ لحرف الالف في كلمة "سبحان" على سبيل المثال ،، لا يلغ قراءتها . ولكنه يضيف إليها ترجمة وصفية لحركة قائلها ولمقامية الصوت المنطوق بها ... فكلما طال الالف طال مدى الصوت ، فإذا انتهى الالف ـ مثلاً ـ نهاية تدريجية حتى يصير مدبباً فإن الصوت ينتهي بالطبقة المقامية الحادة . وفضلاً على ذلك فإننا نرى عمارة الكلمة ذاتها وقد أصبحت على هذه الدرجة العالية من القابلية المنوطة بالفعل الجمالي . ونستطيع الآن ان ندرك ـ قياسا على اجتهادنا في الرأى ـ الكيفية الصوتية لعملية تقصير السين والباء والحاء حتى تتداخل مع حركة مد الالف الطويلة فيكون تلوين الصوت على نسق الشكل من الناحية الايقاعية . كما أننا نستطيع الآن ان نتصور كيفية النطق "بالنون" التي يمكن وضعها ـ جمالياً ـ إلى جدار نهاية الألف ، أو فوقه مباشرة ، أو تحته مباشرة ، أو قريبة او بعيدة عنه على خط أفقي متساو . أو تكون متسعة ولينة في نسق شكلها كالإناء ، أو كالاسطوانة ، او كالعمارة الحادة الأطراف .

ومع أن مصطفى عبدالرحيم قد استخدم كلمات ذات حس قدسي ، إلا ان ذلك الدور القدسي لم يكن ـ فيما نرى ـ غير ركيزة لبث عالم من الفن الخطي الرفيع يستحق من أجله الاشادة والتشجيع ●

سبع نصائح في فن الحكم والإدارة

بقلم: حافظ أمين

١ ـ حدد هدف منشآتك، واجعله هدف كل العاملين معك

لا شيء يساهم فى النهوض بالمنشاة قدر انتماء العاملين لهـا ، ولا شيء يخلق الانتماء قدر وضوح الاهداف وايمان الناس بها .

لهذا يجب ان تبدأ دائما بتحديد هدف منشآتك بصدق واخلاص ، وان تتاكد دائما من وضوحه للعاملين معك ، حتى يجدوا سعادتهم فى السعى الحثيث نحو الاقتراب منه .

واجعل أهداف منشآتك مرتبطة بالاهداف الوطنية والانسانية ، بحيث تزدهر المنشاة بازدهار البلاد ، وبحيث يزدهر العاملون فيها بازدهارهـا واحذر كل الحذر من تضارب الاهداف وتنافرها ، فلا شيء يفسد المنشاة ويفسدك فى النهاية قدر سياسة (فرق تسد) .

ولا تقصر أهدافك على الربح السريع والامور المادية ، فالاهداف الانسانية لا تقل عنها فى الاهمية .

واعلم ان المديرين فى المنشآت والمؤسسات ، هم حلقة الاتصال بين الحكام والمحكومين ، ولكي تكون أهداف الحاكم مفهومة للناس ، ولكى تكون أهداف الناس وامالهم معروفة للحاكم ، لابد أن يتصف المدير بالشجاعة وعمق الثقافة .

٢ ـ عليك ان تنسى تخصصك ومهاراتك الصغيرة :

لابد انك قد بدأت حياتك العملية ماهرا فى تخصص معين : لعلك كنت ماهرا فى الضبط والربط ، عندما بدأت حياتك العملية ضابطا . أو ماهرا فى التصميم والحساب ، اذا كنت قد بدأت مهندسا ... وهكذا .

تذكر انك أصبحت الان مديرا ، وانك كبرت على كل هذا ، وان تدخلك فى دقائق الضبط او الهندسة أو غيرها يفسد المنشاة كلها .

٣ ـ اياك ان تنفرد بالسلطة :

ابعد عنك المنافقين والمتملقين ، الذين لا يتحدثون الا فيما تحب أنت سماعه ، والذين يخفون عنك حقائق الامور ، واياك ان تبعد الاقوياء وتشل حركتهم لمجرد انهم يصدقونك القول والنصيحة ، فينتهى بك الامر الى ان تنفرد بالسلطة ، والى خلو المنشاة من الكفاءات المخلصة ، ولا يبقى الا صغار النفوس الذين يهربون من حولك عند الشدة .

ولعل هتلر وأمثاله خير دليل على ان الدكتاتورية تحمل فى داخلها بذور الدمار ، أو على الاقل ، لا تحمل فى

داخلها بذور الاستمرار .

وتذكر دائما قول ابن المقفع :

« أعدل عن مشاورة من قصد موافقتك متابعة لهواك ..

أو من تعمد مخالفتك انحرافا عنك وعول على من توخى الحق لك او عليك »

اهتم بالابداع كما تهتم بالروتين :

واعلم انه بالنظام والروتين تضمن اتمام العمل بدقة وسرعة عاليتين ، وبالابداع والمبادأة تضمن جودة التغيير ، وحسن التصرف اذا دعت الحاجة الى الاستثناء والتطوير .

وهناك من العاملين معك من لا يطيقون الخروج عن الروتين ، فانتفع بهم فى حفظ النظام من التلاعب والتسيب .

واعرف كيف تخلق المناخ الذى يتعاون فيه الفريقان

اياك ان تكتفى بالعلم والحكمة دون الحزم والقوة :

العلم والحكمة لا نهاية لهما ، واذ انتظرت ـ لكى تبدأ اعمالك واصدار قراراتك ـ الى ان تستكمل عندك من العلم والحكمة ، فستنتظر الى مالانهاية وسيكون مصيرك ومصير منشاتك هو نفس مصير هاملت ومملكته ، فى مسرحية شكسبير الشهيرة .

واعلم ان الحزم هو العمود الفقرى لفن الادارة ، لان الحزم هو خلاصة الشجاعة والذكاء ، والثقة فى النفس والقدرة على التنبؤ ، وكلها صفات لازمة للمدير الناجح .

تذكر دائما ان السلطة تكون على قدر المسئولية :

ان اعطاء الفرد سلطة بدون مسئولية ، ينتهى دائما بالكوارث ، كما رأينا فى المسرحية الشهيرة لشكسبير « الملك لير » ، عندما أراد الملك ان يحتفظ بسلطاته ، مع توزيع مسئولياته على بناته ، فانتهى الامر بأن حصل صاحب المسئولية على السلطة بالقوة ، بالاضافة الى ما حدث من مصائب معروفة .

أما تحميل الفرد المسئولية دون سلطة فهذا ايضا من اهم أسباب التسيب والسخط والاحباط .

اياك والجمود :

فى عصر التغيرات السريعة والعنيفة يعتبر الجمود أسوأ صفات المدير ، فالمنشاة العصرية لا يمكن ان تعيش طويلا بمدير متخلف ، و (التخلف و (الجمود) كلمتان تكادان تكونان مترادفتين .

يحكى ان احد المديرين اليابانيين ذهب الى احد حكماء مذهب « الزن » ، ليسأله عن تعاليم (الزن) فى ادارة الاعمال ، فقال له الحكيم : « اجلس اولا حتى نشرب الشاى معا ، حسب أصول الضيافة الزنيوية » . فلما احضر الحكيم الكوب والابريق ، اخذ يصب الشاى حتى امتلأ الكوب ، ولكن الحكيم لم يتوقف عن الصب فصاح المدير :

« احترس .. الشاى يسيل خارج الكوب » .

رد الحكيم : « هكذا سيسيل كلامى ، مادمت قد حضرت الى ورأسك ملآن » .

وكان استاذ الهندسة والجبر فى مدرستنا الثانوية يقول لنا :

« اذا امضى احدكم وقتا طويلا فى حل مسالة هندسية ولم يصل الى نتيجة ، فليترك كل ما رسمه وكتبه وفكر فيه جانبا .. وليبدأ من جديد ، فكثيرا ما يكون ما بداخل العقل ، عائقا عن اكتساب الفكر السليم » نعم ان من الصعب على المدير أن يتخلص من قيم ترسخت فى ذهنه منذ الصغر ومن الصعب عليه أن يترك مهارات اكتسبها خلال عشرات السنين ...

الشيخ آق شمس الدين

مكتشف الميكروب قبل باستير بأربعمائة عام

بقلم: د. محمد حرب

●● الشيخ آق شمس الدين هو علم من أعلام الحضارة الإسلامية العثمانية وهو عالم الدراسات الإسلامية وعالم الطب والصيدلة ، والذى لم يدخل اسمه تاريخ العلوم إلا مؤخرا بعد الاعتراف بفضله الذى طمس طوال سنوات عديدة .

اسمه محمد شمس الدين ابن حمزة وهو معلم مربي السلطان الفاتح وكان السلطان مراد الثاني قد طلب من الشيخ حاجي بايرام ولي أن يوصيه بمرب ومؤدب لابنه الصغير محمد ، الذى عرف في التاريخ بعد ذلك باسم محمد الفاتح ، فأوصى الحاجي بايرام بأن يكون آق شمس الدين ذلك المربي وقد كان ●●

يتصل نسب الشيخ آق شمس الدين بالخليفة الاول ابى بكر الصديق ، ولد بدمشق عام ٧٩٢ هـ « ١٣٨٩ م» حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره ، ودرس في اماسيا ثم في حلب ثم في انقره ، وكان مريدا للشيخ حاجى بايرام ولى وكان هذا بدوره أستاذا السلطان العثماني مراد الثاني .

اشترك المربى آق شمس الدين في التخطيط لدراسة الامير محمد (الفاتح) وتحصيله في مجال العلوم الاساسية في ذلك الزمان وهي القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه واللغات الاسلامية « العربية والفارسية

العثمانيون يدخلون القسطنطينية . الشيخ محمد اق يقف على يمين جواد محمد الفاتح



الشيخ آق شمس الدين

والتركية » وفي مجال العلوم العمليـة من الرياضيات والفلك والتاريخ والحرب.

وعندما أوكل السلطان مراد الثـاني ادارة امارة مغنسيا الى ابنه الاميرالصغير محمد ليتدرب في سن مبكرة على أصول الحكم ، ارسله الى هناك تحت اشراف مجموعة من العلماء على رأسهم الشـيخ آق شمس الدين .

وقد اثرت مجموعة العلماء هذه ، على اتجاهات الامير محمد ثقافيا وعسكريا، واصبح محمد هذا أكثر الامراء العثمانيين سعة أفق وادراكا وعبقرية . وكـان الشيخ آق شمس الدين يبث في الاميـر الصغير بانه المقصود بالحديث النبوي : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الاميـر اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » .

وعندما اصبح الامير محمد سلطانا على الدولة العثمانية ، وكان صغير السن شابا ، وجهه شـيخه تورا الى التحرك بجيوشه لتحقيق الحديث النبوي .. لحاصر العثمانيون القسطنطينية .. برا وبحرا ، ومما يدل على ضخامة عملية الحصار أن اشترك فيها ٢٠٠،٠٠٠ جندي على ٤٠٠ سفينة خفيفة من البحـرية العثمانية ، امـا القـوات البرية فيهـا لكانت ٨٠،٠٠٠ جندي وعدد المـدافع ٢٠٠ مدفع ، ودارت الحرب عنيفة قوية مدة أربعة وخمسين يوما .

في لحظة ارهاق انتابت الجنـود العثمانيين ، اكتشف الشيخ آق شمس الدين وكان مصاحبا للسلطان في الحرب، قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الانصاري خارج أسوار المدينة المحاصرة ، فأحدث بهذا النصابة استعاد بها العثمـانيون حيويتهم .

استطاعت أربع سفن ارسلها البـابا لتوصـل الامدادات الى المحاصرين في القسطنطينية والاشتراك في الدفـاع عن المدينة ، ان تخترق الحصـار العثماني وادخل من الخليج فابتهج البيزنطيـون وارتفعت روحهم المعنوية . يقول لشمسا امير حسين النبي في رسالته « مناقب آق شمس الدين »

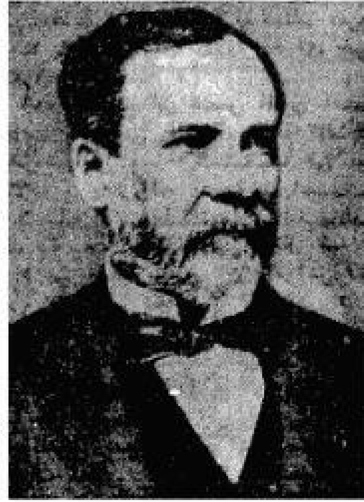
اجتمـع العلماء والامراء العثمانيون وقابلوا السلطان (محمد الفاتح) وقالوا له : « انك دفعت بهذا القدر الكبـير من العساكر الى هذا الحصار » جريا وراء كلام احد المشايخ ، يقصـدون آق شمس الدين ـ فهلكت الجنـود ، وفسد الكثير من العتاد ، ثم زاد الامـر على هذا بأن جاء عون من بلاد الافرنج للكافرين داخل القلعة . ولم يعد هنـاك أمل في هذا الفتح » .

أمام هذا الموقف العصيب ارسـل السلطان محمد وزيره ولي الدين احمد باشا الى الشيخ آق شمس الدين في خيمته ليسأله الحل فأجاب الشيخ « لابد أن يمن الله بالفتح » .

خطاب الشيخ للجنود بالثبات

لكن السلطان الشاب لم يقتنع بهذا الجواب العام فأرسل وزيره مرة أخرى ليطلب الى الشيخ توضيحا عن الفتـح فكتب هذا رسالة لتلميذه السـلطان يقول فيها : « هو المعز الناصر .. ان حادث اهل تلك السفن قد احـدث في القلوب التكسر والملامة .. وأحدث في الكفار الفرح والشماتة . ان القضـية الثابتة هي : (العبد يدبر والله يقدر والحكم لله .. لقد تلونا القرآن الكريم وما هي الا سنة من النوم بعده الا وقد حدثت الطاف الله تعالى ، وظهرت من البشارات ما لم يحدث مثلها من قبل)»

احدث هذا الخطاب الموجة اساسـا الجيش ، الراحة والطمأنينة في نفوس



لويس باستور توصل بعد اربعمائة عام من محمد اق شمس الدين ان الامراض تنتقل عن طريق الميكروبات

الامراء والجنود . وعلى الفور قرر مجلس الحرب العثمانى فى ٢٦/٢٧ مايو ١٤٥٣ استمرار الحرب وفتح القسطنطينية .

ثم توجه السلطان (محمد الفاتح) الى خيمة شيخه فقبل يده وقال له :

ــ علمنى يا سيدى دعاء أدعو به الله ليوفقنى .

فعلمه الشيخ دعاء ، وخرج السلطان من خيمة شيخه ليأمر بالهجوم العام .

الشيخ الواثق من نصر الله

ود السلطان ان يكون شيخه بجانبه اثناء الهجوم ، فارسل اليه يستدعيه لكن الشيخ آق شمس الدين كان قد طلب الا يدخل احد عليه الخيمة وبالتالى منع حراس الخيمة رسول السلطان من مقابلة الشيخ ، فغضب السلطان وذهب بنفسه الى خيمة الشيخ ليستدعيه فمنع الحراس السلطان من دخول الخيمة بناء على أمر الشيخ ، فأخذ الفاتح خنجره وشق جدار الخيمة فى جانب من جوانبها ونظر الى الداخل فاذا بشيخه ساجدا فى سجدة طويلة وعمامته متدحرجة من على رأسه وشعر رأسه الابيض يتدلى على الارض ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور . ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجدته ودموعه تنزل متلاحقة من مآقيه فقد كان يناجى ربه قاضي الحاجات .

عاد السلطان مطمئنا بعد ذلك الى مقر قيادته ونظر الى الاسوار المحاصرة فاذا بالجنود العثمانيين وقد احدثوا ثغرات بالسور تدفق منها الجنود الى القسطنطينية .

وبهذا التدفق بدأ العصر الحديث ، واصبح قائد الجيش يلقب بمحمد الفاتح اى أصبح الامير الذى بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية « استانبول » .

وبينما تتدفق جيوش العثمانيين الى المدينة بقوة وحماس ، تقدم الشيخ آق شمس الدين الى السلطان الفاتح ليذكره بشريعة الاسلام فى الحرب وبحقوق الامم المفتوحة بلادها .

وعندما أمر محمد الفاتح باقامة الصلاة فى ايا صوفيا اعطى للشيخ آق شمس الدين حق القاء اول خطبة فيها . وبعد صلاة اول جمعة فى ايا صوفيا بعد الفتح « وكان الفتح يوم ثلاثاء » قام العثمانيون بعرض عسكرى ثم بدأت عملية توزيع الغنائم فقام الشيخ آق شمس الدين خطيبا ليشير الى الجنود بضرورة تعمير المدينة بعد الحرب وحماية ما بها من مؤسسات .

الشيخ يخشى على السلطان من الغرور

بلغ الشيخ آق شمس الدين مكانة كبيرة فى نفس تلميذه السلطان ابى الفتح محمد الثانى . وقال السلطان لمن حوله بعد الفتح : « انكم ترونني فرحا . فرحى ليس فقط لفتح هذه القلعة ، ان فرحى يتمثل فى وجود شيخ عزيز

الشيخ آق شمس الدين

الجانب » فى عهدى ، هومؤدبى الشيخ آق شمس الدين » .

وعبر محمد الفاتح عن تهيبه لشيخه هذا فى حديث ادلى به السلطان لوزيره محمود باشا ، قال السلطان الفاتح : ان احترامى للشيخ آق شمس الدين احترام غير اختيارى . اننى اشعروانا بجانبه بالانفعال والرهبة » .

وعندما دخل السلطان الفاتح ـ بعد الاستئذان ـ على شيخه آق شمس الدين، عقب الفتح المبين اى فتح القسطنطينية كما ورد اصطلاحها فى المراجع التركية، لم يقم الشيخ تحية للسلطان ، ظل مضطجعا . ولما انتهت المقابلة واستأذن السلطان فى الانصراف وسمح له الشيخ به ، لم يقم الشيخ من اضطجاعه . وقد تأثر السلطان بذلك الموقف كثيرا ، وسأل ابن ولى الدين فى سبب عدم اهتمام الشيخ به وعدم قيامه له ، فقال هذا للسلطان : « يا مولاى السلطان : ان الشيخ مرب، وقد خشى عليكم من الغرور بسبب هذا الفتح الكبير ؟ » .

آق شمس الدين : عالم النبات والطب والصيدلة

كان الشيخ آق شمس الدين عالما مشهورا فى عصره ، ليس فى الدراسات الدينية فقط ، بل له بحوث فى النباتات ومدى مناسبتها للامراض فى العلاج .. وبلغت شهرته فى ذلك ان سرى بين العثمانيين قولة مشهورة هى : « ان النبات ليحدث آق شمس الدين عن علاجه للمرض » .

وكان الشيخ آق شمس الدين يعنى بالامراض البدنية قدر عنايته بالامراض « الروحية » او ما نطلق عليه اليوم ، اسم الامراض النفسية . وكما كان الشيخ ملجا لاصحاب الامراض البدنية المستعصية فى عهده ، فقد كان معروفا ايضا بلقب « طبيب الارواح » اى طبيب الامراض النفسية .

اهتم الشيخ آق شمس الدين اهتماما خاصا بالامراض المعدية ، فقدكانت هذه الامراض فى عصره تتسبب فى موت الالاف . وقد الف نتيجة لدراساته وملاحظاته فى هذا المضمار كتابا باللغة التركية بعنوان مادة الحياة قال فيه :

« من الخطأ تصور أن الامراض تظهر على الاشخاص تلقائيا ، فالامراض تنتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى هذه العدوى صغيرة ودقيقة الى درجة عدم رؤيتها بالعين المجردة . لكن هذا يحدث بواسطة بذور حية » .

وبذلك وضع الشيخ آق شمس الدين تعريف الميكروب فى القرن الخامس عشر الميلادى وهو اول من فعل ذلك ، ولم يكن الميكروسكوب قد ظهر بعد .. وبعد اربعة قرون من ظهور الشيخ آق شمس الدين جاء الكيميائى والبيولوجى الفرنسى لويس باستير ليقوم بابحاثه وليصل الى نفس النتيجة ، وظل تاريخ العلم الى عهد قريب ـ يذكر اكتشاف الميكروب بلويس باستير ولم يكن يذكر مكتشفه الاول الشيخ آق شمس الدين .

اهتم آق شمس الدين ايضا بالسرطان وكتب عنه .

وفى الطب الف آق شمس الدين كتابين هما : « مادة الحياة » و « كتاب الطب » وهما فى اللغة التركية . كما ان له باللغة العربية سبعة كتب فى الدراسات الاسلامية ، هى : حل المشكلات ـ الرسالة النورية ـ مقامات الاولياء ـ رسالة فى ذكر الله ـ تلخيص المتائن ـ دفع المتائن ـ رسالة فى شرح حاجى بايرام ولى .

عاد الشيخ آق شمس الدين الى بلدته كونيوك بعد ان احس بالحاجة الى ذلك ، رغم اصرار السلطان على بقائه بعد موت شيخه حاجى بايرام ولى ، عاد ليتولى مشيخة الطريقة اللامتية وهى فرع من فروع البكتاشية . ومات الشيخ آق شمس الدين عام ١٤٥٩ م.

قد أكمل الله ذيالك "الهلال" لنا .. فلا رأى الدهر نقصا بعد إكمال

شوقي

الشرطة عند العرب

لم يأل العرب جهدا فى الحفاظ على الامن ، وراحة الاهل من خطر الشطار والزعار والعيارين ، فانشئوا جهاز العسس او الشرطة ، وقد تغير لقب المسئول من الامن العام من عصر الى عصر ، ومن مصر الى مصر ، وكان واجب الشرطى فى البداية مقصورا على الحراسة وحفظ النظام دون التجسس ، ولكن الامر تغير بعد ذلك فظهرت الجاسوسية . اما حالة الامن فى الدولة العربية الاسلامية فكانت مرهونة بقوة الدولة وحزم الحاكم .

وموضوع الشرطة او الامن من الموضوعات الهامة التى عرض لها كتابنا القدامى من امثال المسعودى فى « مروج الذهب .. » وابن الاثير فى « الكامل » وابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة » وغيرهم .

وفى هذا المقال الذى نشرته « الهلال » فى ديسمبر ١٩١٦ وكتبه عبد الفتاح عبادة نقف على شيء من تاريخ هذا الجهاز وتطوره . وقد ساهم كاتب المقال بعدد وفير من الدراسات التاريخية والادبية فى مجلة الهلال نذكر منها « السفارة فى الاسلام » و « آثار حضارة بغداد » و « الرشيد وشارلمان »

الهلال

أسس العرب المصالح والنظامات لادارة الاعمال المدنية ولاسيما ماكان خاصا منها بالمحافظة على الاموال والامن العام وهو نظام الشرطة عندهم . وكانوا يسمون البوليس بالشرطة والعسس والولاية وغيرها من الاسماء التي كانت تختلف باختلاف البلاد والازمنة .

وأول من قام بالطواف ليلا للمحافظة على الامن وتتبع أهل الريب عبد الله بن مسعود فهو أول من عس بالليل في الاسلام ، فقد أمره أبوبكر الصديق بعسس المدينة والطواف حولها ، ويظهر من الرواية الاتية ان نظام هذه الوظيفة كان كنظام البوليس أو الخفر وليس كالبوليس السرى او التجسس فقد روى أبوداود : « اتى عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس ولكن أن يظهر لنا شيء نأخذ به » .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يتولى في خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم ، وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف .

وبعد وفاة الخليفة علي بن أبي طالب أي في أوائل الدولة الاموية حينما استأثر معاوية بالملك وانفرد به استحدثت وظيفة « صاحب الشرطة » وهو المكلف بالمحافظة على راحة أهل المدن والسهر على الامن العام ، وكان نصير « والد موسى بن نصير » هو صاحب الشرطة في عهد معاوية ، ففي هذا العهد ظهرت لاول مرة هذه الوظيفة التي سمى صاحبها فيما بعد بالوالي . وكلمة شرطة معناها الحامية التي تطوف حول المدينة ليلا وهذا هو ماتدل عليه كلمة « عسس » التي لقبها صاحبها أيضا « بصاحب العسس » وقد نظرا الخليفة عمر واهتم بها . وزياد بن ابيه هو أول من اتخذ العسس وحيرة بين يديه بالاسلحة والحراب فمشت بين يديه حامية المدن بالاعمدة وغيرها ، وهو أول من أخذ على أهل السوق أجرا من جهة العسس .

وكان من اداب الشرطة في أيامه الا يتكلموا او يرفعوا أصواتهم اذا ساروا بين يديه .

وقد توسعوا في وظيفة الشرطة فاضيف اليها تنفيذ أحكام القضاة أو فرض العقوبات الزاجرة واقامة التأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ، فكانت الشرطة خاضعة للقضاء تساعد القاضي في اثبات الذنب على مرتكبه وتساعد الحكومة على تنفيذ الاحكام ويتولى صاحبها ايضا اقامة الحدود على الزنا وشرب المسكر وكثيرا من الامور الشرعية التى يحلون مقام القاضى عنها .

الشرطة في الدولتين العباسية والفاطمية

ثم صار النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولتين : العباسية ببغداد والفاطمية بمصر راجعا الى صاحب الشرطة وافردوها من نظر القاضى . قال ابن خلدون : وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها أولا « أى كوظيفة النيابة الان » ثم الحدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض من الجرائم لا نظر للشرع الا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك . فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضى يسمى « صاحب الشرطة » وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق وأفردوها من نظر القاضى . وقد نزعوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم ولم تكن الشرطة عامة التنفيذ في طبقات الناس وانما كان

حكمهم على الدعاة من العامة وأهل الريب والضرب على أيدى الرعاع والفجرة .

● الشرطة فى دولة السلاطين بمصر ●

كانت الشرطة فى دولة السلاطين المماليك فى مصر يتولاها رجالاتهم من المماليك والترك او أعقاب أهل الدولة « الايوبية » قبلهم من الكرد ، يتخيرونهم لها كما قال ابن خلدون بالنظر لما يظهر منهم من الصلابة والمضاء فى الاحكام والحزم فى الامور لقطع مواد الفساد وحسم أبواب الدعارة ، وتخريب مواطن الفسوق ، وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة فى المدينة .

وقد وصف كاتريمير المستشرق الفرنسى عن كتاب مسالك الابصار دائرة اختصاص الولاة فى مصر على عهد هذه الدولة فقال : كانت العادة تقضى بان ولاة كل مدينة امسى أصحاب الشرطة فيها يتلقفون يوميا من افواه الموظفين الذين كلفوهم حراسة المدينة والسهر على مراقبة انحائها جميع الحوادث التى حدثت فيودعونها فى مذكرات خاصة يدونونها فيها باسهاب وتفصيل ثم يرفعونها الى السلطان .

وقد روى المؤرخون ان أول من أنشأ فى مصر وظيفة « متولى القاهرة » الذى كان يسمى بصاحب الشرطة هو الخليفة عثمان بن عفان . وكثيرا ما كانوا فى عهد الدولة الاموية يولون قضاء مصر وصاحب شرطتها لشخص واحد فكانوا يعتبرون الشرطة من توابع القضاء لان المراد بها تنفيذ أحكام القضاة . الا أنهم فى العصور التالية وعلى الاخص فى أيام استقلال مصر على عهد الفاطميين والايوبيين والسلاطين المماليك ازدادت أهمية الشرطة ففصلوها عن القضاء وصاروا يلقبونها حتى فى المراسيم السلطانية التى تسلم لصاحبها بلقب « الولاية » وبمصر تحت أمرة متولى القاهرة ولاية مصر وشرطة السطائط » وشرطة الضواحى فكان مكلفا تنفيذ عقوبات المجرمين وتفتيش السجون فتح أبواب المدينة وغلقها ، والطواف بنفسه فى الاماكن التى يظن أنها تحتوى على الثروة أو متاع نفيس . فكان لا يمكنه المبيت خارج المدينة الا بتصريح كتابى خشية أن يحدث أثناء غيابه سرقة او حريق مكان او التباس فى أمر مسجون . وكان متولى القاهرة حتى عصر الملك المؤيد يضرب الطبل على بابه « طبلخانة » ويمتلك الاقطاعات الا أنه بعد ذلك ألغيت امتيازاته هذه .

وكما كان والى « متولى » القاهرة يخضع للسلطان رأسا كان الوالى فى كل أقليم « مديرية » يخضع «للكاشف» وقد استبدل اسم الوالى فى عهد الدولة التركية بمصر باسم « النائب » .

● الشرطة والطواف بالليل ●

على أن العرب لما تقدموا فى الحضارة والمدنية وبلغوا شأوا بعيدا فى الادارة فصلوا الطواف بالليل عن الشرطة وجعلوه عملا مستقلا بذاته وخطة قائمة بنفسها فى نظمها وعمالها غير خطة الشرطة وسرى ذلك فى المشرق والمغرب والاندلس فكانت الشرطة كالبوليس فى عهدنا هذا والطواف بالليل كالخفر الا ان الانفصال كان بين الادارتين أكثر مما هو الان .

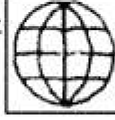
● العرب والشرطة فى أوربا ●

وقد نشر العرب نظام شرطتهم فى كل الممالك التى افتتحوها فأدخلوه فى صقلية فضلا عن الاندلس وغيرها من .ه

وقد أخذه الافرنج عنهم كما لاحظ ذلك المسيو ميشيل أمارى فقد احتفظوا به فى صقلية حتى فى عهد الحكم المسيحى أعنى بعد خروجها من أيدى العرب . ومما يدل على ذلك أننا نرى فى قوانين دولة الاراغونيين فى صقلية أن البوليس كان يسمى عندهم حتى القرن الرابع عشر للميلاد XURTA أى الشرطة .

عبد الفتاح عباده

العالم.. غداً



تمثال لتوت عنخ آمون

منذ زيارته الى مصر من عدة سنوات يتساءل الجراح الامريكى باتريك بارى رئيس جمعية المصريات فى ميامى ما اذا كان يمكن اعادة تكوين راس الملك توت عنخ آمون كى يكشف عن الاسباب الطبية التى ادت الى وفاته فى التاسعة عشرة من عمره . وقد اسند هذه المهمة الى الخبيرة بيتى بات جاتليف حيث وضع مساعدوها باستخدام اشعة اكس ومقاييس جمجمة توت عنخ آمون التى سجلت عند اكتشاف مقبرته فى اوائل العشرينيات ، وبمساعدة الكومبيوتر برنامج العمل المستخدم فى بناء نموذج مجسم للجمجمة . وقد كشف تمثال توت عنخ امون الذى صنعته الخبيرة الامريكية عن وجه قوى ووسيم له ملامح القوقازية مختلطة ببعض الملامح الزنجية ولكن عينيه اقل اتساعا من تلك المرسومة على القناع الذهبى وكذلك انفه مستقيمة . الا ان التمثال لم يكشف عن اى معلومات طبية ، وسوف تجرى نفس التجربة مع رمسيس الثانى والبقايا التى يعتقد انها لاخناتون .



حفظ الفاكهة بالتنويم التكنولوجى

كانت المشكلة الاساسية دائما فى شحن الفاكهة انها سريعة التلف . وقد اجريت عدة تجارب على تغطية الفواكه بالشمع ، واسفرت عن تلف ٤٠٪ من الشحنات ، الآن تجرى التجارب على نوع جديد من المعالجة يتكون من تنويم الفاكهة والنتائج حتى الآن تبدو مشجعة .

ورغم ان فكرة تنويم او تخدير الفاكهة تبدو غريبة ولكنها اخر ما توصل اليه علم البيوتكنولوجى فعن طريق المعالجة البيوتكنولوجية امكن لشركة بريطانية ان تحتفظ بالفواكه طازجة لفترات طويلة اثناء الشحن . ويعتمد الاسلوب الجديد على استخدام محاليل مائية وبولثين وشموع طبيعية وصناعية لوقف عملية نضج الفواكه التى تتمثل طبيعيا باختزال الاوكسجين الموجود فى الهواء والذى يحول محلول السكر والنشا المركبة الى محاليل بسيطة واحماض وثانى اوكسيد الكربون .

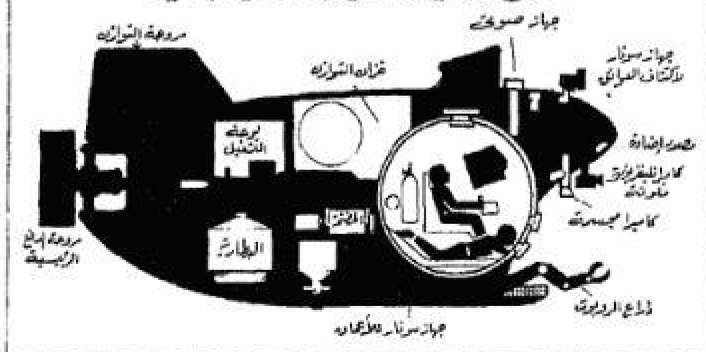
والفرق بين اسلوب حفظ الفاكهة بالشمع والاسلوب الجديد هو ان الفاكهة المغطاة بالشمع تختنق رويدا ورويدا وتموت . اما الاسلوب المركب فانه بمثابة ادخال الفاكهة فى حالة بيات شتوى حتى ازالة هذه المحاليل المركبة عنها . وميزة هذه المركبات انها تتحكم فى تبادل الغازات بحيث تسمح بالحد الادنى لدخول بعض الاوكسجين والحد الاقصى اللازم لخروج ثانى اوكسيد الكربون .

والميزة الاخرى لهذا الاسلوب هى انه

يسمح بتصدير الفواكه فى درجات حرارة عادية وليس تحت التبريد . وتقول الشركة المبتكرة لهذا الاسلوب انه يطيل عمر الكروم ٣٠ يوما ، والاعشاب سبعة ايام . ويتم حفظ الفاكهة باذابة مسحوق فى الماء ثم غوز الفاكهة تحت سطح الماء لعدة ثوان . ولا يتكلف هذا الاسلوب أكثر من نصف سنت امريكى لكل كيلوجرام من الفاكهة . والمواد المستخدمة فى الحفظ كلها طبيعية وتوافق القوانين الاوروبية والامريكية واليابانية .

ثورة يابانية فى اكتشاف اعماق المحيطات

مازالت الحياة فى اعماق البحار والمحيطات عالما غامضا ساحرا لم يكتشفه العلم بعد . فرغم التقدم التكنولوجى فى مجال صناعة الغواصات فان العلماء يوجهون اهتمامهم اساسا لاستخدامها فى الاغراض العسكرية . وحتى اليوم مازالت الغواصات تستخدم سلكا سميكا يرتبط بالسفينة الاساسية التى تزودها بالطاقة وتوجهها وعن طريقه يمكن ارسال صور تليفزيونية سريعة ومعلومات كثيرة عن اعماق المحيط الى السفينة الام ، ولكن لوجود هذه الاسلاك عدة عيوب من بينها انها قد تتشابك فى الاعشاب البحرية او قد تتلاعب بها تيارات الهواء والماء الشديدة ، فتنحرف عن هدفها لذلك يخطط العلماء فى هيئة تنمية ابحاث المحيطات باليابان لانتاج اول غواصة ماهولة تعمل ذاتيا بدون اية اسلاك تربطها بالسفينة الاساسية والتى ترشدها عن طريق اجهزة الكمبيوتر او الاشارات الصوتية . وتتميز هذه الغواصة ايضا بانها تستطيع الوصول لابعد الاعماق فى المحيطات ولمسافة قد تزيد على ٢١ الف قدم بل ويمكنها ان تغوص تحت الثلوج ايضا . يتوقع ان ينتهى العمل فى انشاء الغواصة خلال عام ١٩٨٩ وتتكلف ٧١ مليون دولار ، وسوف تقوم هذه الغواصة بجمع المعلومات واكتشاف المعادن الثمينة ، وتحدد مناطق وقوع الزلازل فى المحيط الهادى . صممت هذه الغواصة بيضاوية الشكل . يجلس طاقمها داخل كابينة من خليط التيتانيوم تستطيع تحمل الضغوط الشديدة تحت سطح البحر ، والتى قد تصل الى حوالى ٤ اطنان لكل بوصة مربعة تعمل الغواصة اليابانية الجديدة عن طريق موتور كهربائى يدار بالبطارية وتستطيع ان تجوب المنطقة المحددة لها بحرية تامة لمدة تسع ساعات متواصلة ، ويوجد فى مقدمة الغواصة كاميرا تليفزيونية واخرى مجسمة تتوليان جمع المعلومات والصور عن منطقة البحث ، بل ويمكنها ايضا جمع عينات عن الاعماق عن طريق ذراع روبو مثبتة فى القاع .



نموذج توضيحى للغواصة اليابانية



رصاص الالومنيوم اشد فتكا

تمكن احد المبتكرين فى مجال الاسلحة من تطوير نوع من الرصاص المصنوع من الالومنيـوم له قدرة على الاختراق تفوق الرصاص التقليدى بمقدار عشرة اضعاف ويستمد هذا الرصاص قوته الهائلة من خفة وزنه فعندما تصطدم الرصاصة بالجسم فى سرعة عالية تقل سرعتها فجاة اى انها توجه طاقتها الحركية كلها الى الهـدف فتسبب اصابة شديدة . اما الرصـاصة العادية فهى تنطلق بسرعة ضعيفة وتكتسب قوة دفع فتندفع الى داخل الجسم . وتتميز هذه الرصاصة القاتلة ان تكلفتها مشابهة للرصاص التقليدى كما انها تشـبه فى الشكل والحجم الرصاص العادى ، بحيث يمكن استخدامها من خلال نفس نوعية المسدسات بدون اجراء اى تعديلات ويتوقع ان تستغل فى اغراض محددة مثل ، التعامل مع المختطفين او محتجزى الرهائن لقدرتها الفائقة والسريعة على اعاقة حركتهم .

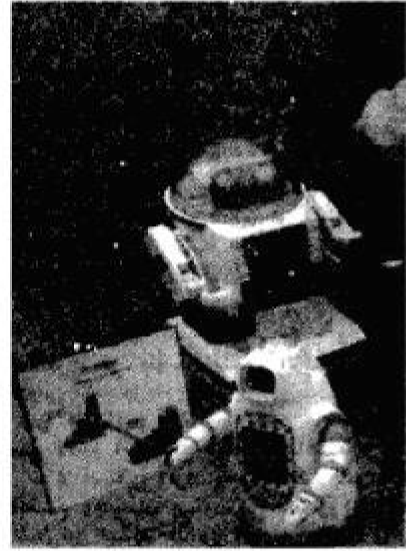
تنـــاول الزبادى من فول الصـويا

بعد ان امكن تصنيع اللحوم من فول الصويا ، بدا العلماء يجرون تجارب جديدة لانتاج مواد غذائية اخرى من هـذا الفول المتعدد الفوائد وقد توصـل احدهم اخيرا وهو كيميائى سويسرى لامكان صـناعة الزبادى من فول الصويا عن طريق تخمير اللبن المستخرج منه ، وان كان من المفضل ان يضاف اليه قليل من السكر او الفواكه لتكسب نكهة طيبة ، ويتميز هذا الزبادى بقيمته الغذائية العالية رغم قلة السعرات الحرارية به ، وقد بدأت سويسرا فى انتاج هذا الزبادى المصنع من فول الصويا وطرحه باسواقها ويتوقع ان يزيد من مشكلة فائض الالبان التى تعانى منها دول اوربا الغربية

ثورة فى عالم الاتصالات

سوف يشهد عالم الاتصالات ثورة هائلة اذ تخطط المؤسسات الخاصة بوســائل الاتصالات لاستخدام الالياف البصرية فى ارسال المزيد من المعلومات وبسرعة اكبر من تلك الناتجة عن اسـتخدام الكابلات التقليدية . ويمكن لكابل الالياف البصرية نقل المعلومات عبر المسافات البعيدة وهى تبلغ ضعف المعلومات التى تنقل عبر الكـابلات العادية نحو مائة مرة ، اذ يمكن للكابلات الالكترونية نقل نحو ١٠٠ ميجابيت من المعلومات فى ثانية واحدة أى مايعادل نحو ١٥٠٠ مكالمة تليفونية فى حين ان خطوط الالياف البصرية يمكنها نقل نحو ١٥ مليون مكالمة فى الثانية .





الانسان الآلى متحدث لبق

انتجت الولايات المتحدة الامريكية احدث جيل للانســـان الال ـ الروبوت ـ يتميز بانخفاض سعره نسبيا . وهو مصنوع من البلاستيك وله ذراعان وعينان وفم ويمكنه التحرك بسهولة والسير فى اى اتجاه . ويستطيع الســــباحة وتحريك الذراعين وتشغيل شرائط الكاسيت والاشتراك فى العاب الفيديو . الى جانب تعليم الانسان كيفية برمجة الكومبيوتر . وبصــفة عامة فالجيل الجديد للانسان الالى متحدث لبق وموهوب وله القدرة على القيام بكل الاعمال المنزلية فيما عدا غسيل الملابس .

المذنبات تحمـــل الاوبئة الى الارض

كان السائد بين العلماء حتى وقت قريب أن المذنب هالى ـ مثله مثل غيره من المذنبات ـ يتكون من كتل جليدية تنطوى على كثير من الغبار المعدنى وبعض الصخور .. وهذا ماجعلهم يتوقعون ان تكون الصــور التى ترسلها المعامل الفضائية للمذنب هالى براقة ومضيئة . ولكن الصـــور التى ارسلها معمل الفضـــاء الاوربى « جيوتو » لنواة المذنب كانت شديدة السواد ، على غير ماتوقع العلماء ، الامر الذى انطوى على مفاجأة مثيرة اعادت الى الاذهان الاســاطير التى ربطت يوما بين المذنب وحدوث الكوارث والاوبئة .

ذلك أن المادة التى تشكل ٩٠٪ من نواة المذنب عبارة عن جزيئات عضوية يرى البعض انها تشـــبه جزيئات البروتين فى المادة الحية ، الامر الذى فتح الباب من جديد امام افتراض الفلـكى فريد هويل حول وجود بكتريا وفيروسات فى اجســام المذنبات ، ذلك الافتراض الذى اكده ، فيما بعد ، علماء آخرون عن طريق دراسة الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من المذنبات فى اعماق الكون .

والمثير ان المعلومات الجـديدة تعارض أعتقادا ساد فى الماضى حول عجز البكتريا عن العيش فى الفضاء لمدد طويلة تمكنها من الانتقال عبر مسافات شــاسعة . وذلك لوجود الاشعة فوق البنفسجية والفراغ الخالى من الغازات ، ودرجات الحرارة المنخفضـــة جدا . وبذلك تؤيد ـ المعلومات الجديدة ـ وجهات النظر التى ترى أن البـــكتريا قادرة على الحياة باعداد كافية ، اذا تهيأت لها حماية ما ، قد تتمثل فى غلاف المذنب او الجو الذى يحيط بنواته ..

لكن الاكثر اثارة ان فريق فريد هويل قام اخيرا ، مع عالم متخصص فى بحوث الاوبئة ، بدراسة حوادث انتشار العدوى بالفيروسات « كالاصابة بالانفلونزا مثلا » ووصلوا الى قناعة مؤداها ان انتشـــار المرض من منطقة الى اخرى يجرى بسرعة لايفسرها نمط انتقال العدوى من فرد الى آخر ، الامر الذى قادهم الى التأكيد على ان الفيروسات تحط على الارض من الفضاء ، وان ذلك يتكرر عند تقاطع مدار الارض حول الشمس مع مدارات المذنبات فى الفضاء الكونى ..

وبالرغم من ان ذلك يعيد الى الاذهان المعتقدات القديمة التى ربطت بين ظهور المذنبات وحدوث الكوارث والاوبئة لمن



الجديد بالذكر ان قطاعا كبيرا من العلماء مازال يسخر من الاراء السابقة ، ولا يرى فى الجزيئات التى ظهرت من خلال صور المعمل « جيوتو » ماهو اكثر من مركبات عضوية بسيطة « كالقار مثلا » لا علاقة لها ، من قريب او من بعيد ، بالفيروسات او بغيرها من الاجسام الحية .

البطل ابن امه

فى التاسع من نوفمبر ١٩٨٥ توج جارى كاسباروف بطلا للعالم فى الشطرنج . ولم يكن عمره يتجاوز الثانية والعشرين . ترى ماذا يقول اصغر من فاز بهذه البطولة حين يتكلم ؟ لنقرأ معا هذه المقتطفات - التى لاتخلو من مفاجآت - من حديث ادلى به البطل اخيرا ..

● متى بدأت تلعب الشطرنج ، ومن دربك على ذلك ؟

- بدأت العب الشطرنج وانا فى السادسة من العمر . وامى هى التى عرفتنى على مواقع القطع المختلفة فوق الرقعة ، بينما علمنى ابى كيف تتحرك كل قطعة . اما اذا تكلمنا عن الممارسة الجدية للشطرنج فقد كان مدربى بطل العالم السابق ميخاليل بوتفنيك ، الذى كنت تلميذا بالمراسلة فى مدرسته ، منذ ان كان عمرى ١٢ سنة .

● من يشرف على تدريبك حاليا ؟

- مجموعة من الحاصلين على لقب استاذ واستاذ كبير فى الشطرنج .

● ماهى اهتماماتك الاخرى « ليس الشطرنج » ؟

- اميل الى العلوم الانسانية ، وقريبا ساتخرج فى معهد اللغات الاجنبية حيث ادرس الانجليزية والالمانية .

● ما رأيكم اذن فيما يشيع عن ضرورة تمتع لاعب الشطرنج بعقلية رياضية ؟

- لا استطيع اقرار وجهة النظر هذه .. بالطبع يجب ان يكون فى مقدور لاعب الشطرنج تحديد بدائل الوضع القائم على الرقعة امامه بدقة ، ناهيك عن تحديد الافاق الممكنة وحساب الامكانات . لكن هناك جانبا ابداعيا اخر يجب ان يتوفر فى لاعب الشطرنج يصنعه الحدس والخيال والقدرة على الرؤية بشكل اعمق مما تسمح به الحسابات الرياضية .

● كيف تنظر الى مايدعونه من تأثير بعض طرق التنويم المغناطيسى والباراسيكولوجى على نتائج بطولة العالم للشطرنج ؟

- ما استطيع تأكيده اننى لم اشعر قط انه يمكن قطع حبل افكارى بتدخل من الخارج . انا على قناعة بان الفوز يكون دائما من نصيب اللاعب الافضل .

● ماذا تفضل ان تمارس بهدف الراحة والاسترخاء .. الرياضة ام الموسيقى او القراءة ؟

الثلاثة معا ان امكن .

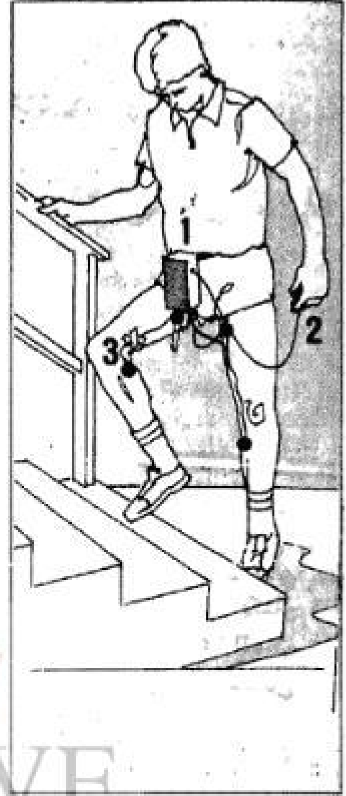
● هل لى من سؤال شخصى اذا سمحت .. اتوقع ان يقدم ملك الشطرنج ملكته او نصفه الاخر لنا قريبا ؟

- لا اعتقد ذلك . ان اختيار الحركة الصحيحة فى هذا الصدد ليس اسهل من الحصول على بطولة العالم ..



جهاز إنذار لحماية الأطفال من الغرق

تمثل حمامات السباحة خطرا شديدا على الأطفال الصغار الذين قد يسقطون فيها بدون سابق انذار ، مما يعرض بعضهم لحوادث الغرق التى تودى بحياتهم ، لذلك ابتكرت إحدى الشركات جهاز إنذار ينبه الوالدين فى حالة تعرض ابنهما للسقوط فى الماء بدون انتباههما . الجهاز مكون من قطعتين ، تثبت الاولى على جوانب حمام السباحة فوق مستوى الماء وترسل إشارات استقبال ، والثانية تثبت حول جسم الطفل فإذا تصادف وسقط فى المياه بدون سابق إنذار يطلق الجهاز صوتا عاليا ينبه الوالدين للخطر الذى يتعرض له طفلهما .





جهاز جديد لمرضى الشلل النصفى

توصل العلماء الامريكيون إلى تصميم جهاز يمكن حمله يستمد طاقته من البطارية ويعمل على إثارة إحساس المصابين بشلل النصف السفلى . يتم تركيب الجهاز على الحزام حيث يرسل ومضات كهربية إلى الأقطاب المصنوعة من حديد غير قابل للصدا ، ويتم زرعها فى مناطق الساق والفخذ والأرداف . وباستخدام جهاز التحويل يرسل المريض التعليمات لجهاز إثارة الاحساس بالحركة التى يرغب القيام بها ويقوم الجهاز بدوره بإرسال إشارات كهربية للعضلات المتحكمة فى الحركة .

الدكتور محمود محفوظ
كنت أكبر مدخن .. ولكنى أقلعت عنه

حديث أجراه : موريس عزيز

ليس منا من لايصادفهم ، أو يعرفهم . الرجل البسيط الذي يرتدى ثيابا بالية وعلى ملامحه سمات الفقر ، ومع ذلك تراه متلهفا على اشعال سيجارته ، الزوجان السعيدان اللذان لايحلو لهما الاستمتاع بالطبيعة الجميلة الا مع أنفاس السجائر .. الكبار والصغار الطالب وهو يستذكر دروسه وقبل الامتحان ، العالم المفكر، الاديب، الفنان، الطبيب، المهندس ، الصحفى ، رجل الاعمال .. الكل يعتقد انه لايبدع الا اذا أشعل السيجارة .

بعض الناس يستطيعون أن يعيشوا فترة طويلة بلا طعام ، ولكنهم لا يستغنون عن سيجارة.

ولكن لم يعد هناك اى شك فى أن التدخين ضار بالصحة ، والخلاف بين بعض الاطباء هو فى درجة هذه الخطورة ، البعض يقول ان درجة هذه الخطورة تتوقف على عدد السجائر التى يدخنها الشخص وكيفية اخراج الدخان من فمه أو من صدره ، منهم من يقول ان اشعال سيجارة واحدة قد يؤدى الى أن يصل الانسان الى مايقرب من ستين سيجارة وربما اكثر وهنا هو الخطر ..

وعن التدخين واضراره ومتاعبه وكيفية الاقلاع عنه . كان هذا الحوار مع الاستاذ الدكتور محمود محفوظ ، وزير الصحة السابق ، ورئيس مركز علاج الاورام بالاشعاع والطب النووى. كلية طب جامعة القاهرة .



د . محمود محفوظ

● **السيجارة تحتوي على نيكوتين وقطران ، وكلاهما ضار بالصحة ، وكل علبة سجائر مكتوب عليها تحذير «التدخين ضار بالصحة» ، ورغم تحذيرات الاطباء ، وخاصة لمرضى القلب ، لماذا يلجأ الناس الى التدخين ؟**

— الناس تعرف ان السيجارة بما تحتويه من سموم تسبب أمراضا كثيرة ، لا حصر لها ، ورغم ذلك تقبل عليها بشراهة . ان مصدر التدخين أساسا هو حالة القلق التي قد تصيب الانسان احيانا ، مثل تأدية الامتحان ، او الاقدام على أمر خطير ، أو انتظار التعيين في احدى الوظائف الخ .. كل هذا يدعو الانسان الى التدخين ، حيث يعتقد بعض الناس أن تدخين سيجارة يحد من قلقه. الديانات السماوية الثلاث ، كانت تحد من القلق بالايمان ، ولكن الان يوجد ضعف بالايمان ، وبالتالي حدث ازدياد في القلق ، واصبحنا غير قادرين على استخدام الدين ، استخدمنا كل شيء يمكن أن يهبط هذا القلق ، استخدمنا التدخين ، واستخدمنا المخدرات ، ثم المسكرات ، كل هذه الانواع أساسها حالة القلق التي تعترى الانسان لتجعله يبحث عن اى شيء يقلل به هذا القلق .

أذكرك بالمنظر المشهور ، الرجل الذي تضع زوجته مولودا ، يقف أمام غرفة الولادة ؛ أو في المنزل . يشعل سيجارة يتبعها بأخرى ثم ثالثة ورابعة .. الخ ، ويشد الانفاس بشراهة لانظير لها ، كأن السيجارة هي التي تجعل السيدة تضع مولودها بأقصى سرعة . ففي هذه الحالة لا تحل السيجارة المشكلة بل انها تظهر حالة القلق الذي يعترى الانسان في مثل هذه اللحظة « لحظة الولادة » .

والتدخين أصبح عادة والعادة سيطرت عليه ، والتعود يتطلب مزيدا ، فالاثر الطبي للسيجارة الاولى كان حركة انتعاش ، وراءها حركة الانتعاش هذه حركة هبوط ، والانسان بعد السيجارة الاولى وذهابه الى « دورة المياه » يشعر بأنه محتاج الى سيجارة اخرى معتقدا بأن السيجارة الثانية تعطيه الانتعاش مثل الاولى ، ولكن السيجارة الثانية تسبب هبوطا ، وأكثر المدخنين يشربون القهوة ، وتستمر هذه العملية حتى اخر اليوم حيث يكون المدخن قد دخن أكثر من ستين سيجارة وعشرة « فناجين » قهوة على الاقل ، وجسم الانسان لايمكن ان يتحمل هذا العبء . سواء كان النيكوتين او القطران فكلاهما سام ، ولكن الانسان كان يمكنه أن يتخلص منهما ، ويمكنه ان يعيش في اطمئنان ، في الماضي كان الانسان يعيش في السموم الصادرة عن البراكين والأبخرة . والجسم يمكن ان يتخلص من كل هذا الضرر ، لكن الذي يدخن سيجارتين أو ثلاث في اليوم ثم يستمر الى أن يصل الى ستين سيجارة فيما بعد ، فلا يوجد شيء يوقف الضرر الناتج عن هذه الكمية ، ولكن قوة الارادة ومنع التدخين يمكن أن يوقفا الكثير .

والتدخين ضرره شأن ضرر الادخنة الصادرة من السيارات ، وعربات الديزل والصناعة .

تأثير سيىء

● **هل يؤدى التدخين الى التعجيل بالوفاة ؟**

— نعم .. ان الاعمار بيد الله ، ولكن

التدخين قد يؤدى الى الوفاة المبكرة ؛ وايضا اذا اخذنا هذا من الناحية الاحصائية نجد ان بعض المدخنين يصلون الى سن المائة وهنا اقول كيف وصل هذا المدخن الى سن المائة ؟.

لقد ذكرنا ان التدخين يقصر عمر الانسان ، وهذا كلام صحيح فكم فى المليون يعيش حتى يصل الى سن المائة ؟ المعروف الان ان متوسط عمر الانسان مابين ستين وسبعين سنة ؛ ولذلك فان أي انسان يدخن وهو صغير السن لايمكن أن يصل الى سن الستين.

ان القطران والنيكوتين لهما تأثير كبير جدا على صحة الانسان . فالقطران يحمل مواد سمية تسبب حدوث سرطان تحت الجلد والامعاء ، ولكن الانسان عنده القدرة على ان يتخلص من كل هذا مادام فى الحدود المعقولة ولكن اذا زادت على الحد ؛ يكون هنا الخطر ، فيحدث السرطان من أول الانف حتى المعدة والرئتين ، ولكن هل خطورة السرطان مثل خطورة النيكوتين على الاوعية الدموية ، الخاصة بالقلب والرئتين والكلى ؟! ..

... اقول لا .. اكثر المسائل خطورة على صحة الانسان من ناحية الجهاز الدموى النيكوتين والقطران معا ، وبالتالى فان خطر النيكوتين والقطران على صحة الانسان يكون أشد وأكثر .

ان الدخان الصادر من اشعال السيجارة يسبب احتقان العين ، اما بالنسبة للمخ فكما ذكرت فان السيجارة الاولى تسبب انتعاشا ينتهى بهبوط وهذا الهبوط سببه عادة التدخين ، والصداع ايضا سببه التدخين ، ولكن هناك صداعا سببه الم بالاسنان أو أن النظارة غير سليمة ، ولكن هناك الصداع الوظيفى ويكون سببه الحالة النفسية بسبب اتساع او انقباض شرايين المخ ، فاذا حدث الصداع والانسان حزين مثلا فيبدو للانسان أن تدخين سيجارة سيزيل هذا الصداع ولكن يحدث العكس فان التدخين يزيد الصداع .

● ما اثر التدخين على القلب والرئتين ؟.

ـ النيكوتين هو العامل الاول فى كل متاعب القلب وما نسمع عنه من الذبحة الصدرية وتصلب الشرايين وانسداد فى الاطراف ، والقطران والنيكوتين يسببان تليف الرئتين ، وهذا التليف فى حد ذاته يؤثر على الدورة الدموية .

● هل يتاثر غير المدخن بما يشتمه من رائحة السجائر ، وما اثر ذلك عليه ؟

ـ نعم : فان الانسان غير المدخن والذى يعيش مع الانسان المدخن يأخذ ٦٠٪ من نسبة الدخان الصادر ، حيث ان المدخن يأخذ اقل بكثير من المستنشق وبالتالى يحدث المدخن تدخينا سلبيا لكل من يجلس بجواره .

وبالرغم من كل التحذيرات الطبية يحاول البعض التدخين ، فمثلا الاولاد عندما يشاهدون الكبار يدخنون . تظهر الصورة عنده مرتسمة فى العقل الباطن ، وانها علامة من علامات النمو والذكورة . وبالتالى يهيىء نفسه لعملية التدخين . جزء كبير من القيم والعادات التى تحدث فى المجتمع ، تابع أساسا من الاسرة ، البيت هو المسئول الاول من كل مايحدث ،

● هل التدخين يؤثر على القدرة الجنسية عند الرجل والمرأة فى عملية الانجاب ؟

ـ عندما يكثر الانسان من التدخين فان ذلك يؤثر على القدرة الجنسية ، فضلا من ان الوظائف الحساسة عند الرجل والمرأة يتأثران . كما ان القلق يضعف القدرة الجنسية ، والخصوبة شيء والقدرة الجنسية شيء اخر ، فالقدرة الجنسية او عدمها اكثرها ناحية عصبية وتأثير التدخين على الرجل والمرأة سببه الحالة العصبية عند الطرفين ، وقد اثبتت الاحصائيات أن السيدات الحوامل اللواتى يدخن نسبة حدوث السقط بينهن كبيرة ، ونسبة التشوهات الخلقية فى أولادهن أكثر من السيدات غير المدخنات .

● ما مسئولية وزارة الصحة واجهزة الاعلام والصحافة فى نشر الوعى الصحى للمدخنين ؟

— لقد ثبت من تقرير منظمة الصحة العالمية والذى شاركت فى اعداده — ليس لانى من كبار المتخصصين فى هذا المجال ولكن بسبب كونى من كبار المدخنين — وكان من توصياته الاساسية . أن يمتنع الاطباء من التدخين ، فالطبيب الذى يدخن ، مثل القسيس أو الشيخ الذى يقول للناس الخمر حرام وهو مستمر وفى هذا الصدد أقول ان فاقد الشيء لايعطيه ، ولابد للمهتمين بالطب أن يكونوا القدوة . والاطباء المدخنون عمرهم اقل عشر سنوات من الاطباء غير المدخنين فمنهم من هو مريض بالقلب او الرئتين وتصلب الشرايين والكلى الخ ..

ووزارة الصحة أكثر الوزارات حرصا على نشر الوعى باضرار التدخين، أصدرت قرارا بعدم التدخين داخل المستشفيات وداخل العيادات .. وفى بريطانيا قلت نسبة التدخين الى ٤٠٪ ، وعندنا قلت النسبة الى حد ما . ومطلوب منع التدخين بتاتا فى السينما والمسرح والمواصلات العامة وبعض المكاتب الحكومية وغير الحكومية ، وللاسف تجد لافتات كتب عليها ممنوع التدخين والناس يدخنون ، ونجد اعلانات السجائر اقل بكثير مما كانت عليه ، لقد منع مثلا الاعلان عنها بالتليفزيون ، ونحن الآن فى سبيل القضاء على اعلانات السجائر نهائيا . وان كانت مصدرا أساسيا من الناحية المادية لبعض أجهزة الاعلام .

لابد لاجهزة الاعلام والصحافة أن يكون لها دور اساسى فى نشر الوعى الصحى مع اظهار مضار التدخين . بالندوات فى التليفزيون ونشر المقالات والاحاديث فى الصحف والمجلات لايجاد وعى يقضى على ظاهرة التدخين .

لقد كنت أكبر مدخن من سيجار الى بايب الى سيجارة ، كانت مشكلتى التدخين بشكل حاد ومستمر ، وعرفت أن السيجارة ليست هى الحل الامثل . ولكن الذى يحل المشكلة هو مواجهتها بالتحليل العلمى ، الامر الثانى : احتساء القهوة بشكل مستمر مع التدخين . وكلاهما يسير فى خط متواز مع الآخر ، واخيرا وجدت قدرتى على حل المشكلة تقل ، وهنا كان عدد السجائر وفناجين القهوة يتزايد ، لانهما تحدث عملية تهبيط للقدرة الذهنية هنا قلت فى نفسى : حينما تصوم ثلبث ١٧ ساعة ممتنعين تماما عن الطعام والشراب والتدخين . وعلى الفور ألقيت بعيدا عنى كل شيء يذكرنى بالسيجارة .

عادات مكتسبة

● هل هناك ماكولات معينة يحتاج الانسان بعدها الى التدخين ؟

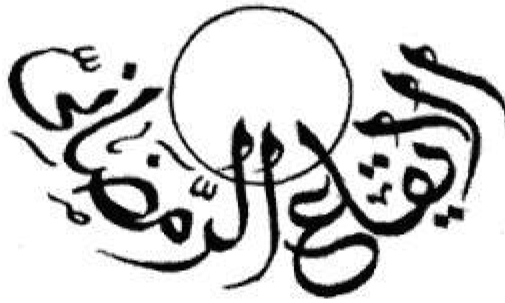
— بعض الناس تعتبر السيجارة الاولى وقت الصباح تحدث عملية تنشيط للامعاء ، وازالة الغشاوة التى تحدث بعد النوم ، أقول ان الانسان لو شرب قدرا بسيطا من الماء البارد أو كوبا من عصير البرتقال المثلج ، أو ملعقة من عسل النحل ، أو عسل النحل المركز فان ذلك عندما يدخل المعدة يعمل لها عملية تنشيط ولنعلم أن الايام الاربعة الاولى من منع التدخين هى الايام الحرجة ، بمعنى أن الانسان عندما يعرف انه مكث بدون تدخين هذه المدة فان بامكانه مواصلة الامتناع عن التدخين .

● البعض يمتنع عن التدخين لسنوات طويلة ثم يعود الى التدخين ، لماذا ؟

— هذا الانسان نسى الحديث عنها ، والواجب على كل من يمتنع عن التدخين أن يتحدث دائما عن امتناعه بالاقلاع عن التدخين وقدرته على ذلك امام الاخرين .

● هناك خبر نشر باحدى المجلات المصرية ، يؤكد بانه جاء فى تقرير لطبيب بريطانى ان التدخين يحمى من الاصابة بسرطان الرحم للسيدات اللائى تخطين سن الياس ، فما رايك فى هذا الخبر ؟

— تعليقى أن هذا التقرير دراسة احصالية على بعض أنواع الهرمونات ، ومثل هذه الحقيقة يعوزها الكثير من الاحتياط العلمى ، لان هذا اذا ثبت على الحيوان يقابله اسقاط ثبت على الانسان، واما كيف يسقط هذا على الانسان ، فانه يحضر بعض السيدات المدخنات فى سن الياس وغير المدخنات فى سن الياس، ولنحصر نسبة حدوث السرطان فى كل من الطرفين ، وستجدون نسبة حدوث السرطان أقل ثم يقولون ان كان هذا الفرق له قيمة أم لا !.



وإيقاع الحياة

بقلم: محمد فتحي

● للعيش المنظم ، أى الالتزام ببرنامج يومى منتظم للنوم والطعام والعمل ، أهمية بالغة بالنسبة للانسان . فقد ثبت أن جسمه نسيج أو أوركسترا من إيقاعات حيوية كثيرة ، يقودها مايسترو - يرتبط بدورة الليل والنهار - يجب احترامه حتى لايتحول عزف الأوركسترا إلى نشاز .

وشهر رمضان المبارك يضيف الى الكتاب الموقوت على المتعبد المؤمن - الصلاة - عبادة موقوتة أخرى هى الصوم ، وكل من العبادتين مرتبط أوثق الارتباط بالزمن والايقاع وجسم الانسان ...

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التى تعبث بليل الانسان ونهاره وإيقاعية حياته عامة ، بالاضافة الى حاجة الانسان الملحة إلى مثل هذا الايقاع ، فهل يمكن ، ونحن نودع الايقاع الرمضانى المميز ، أن نجعله مقدمة لنظام معيشة إيقاعية ، تدعونا إليه كل شواهد العقل والدين ●

فى عام ١٧٢٩ أبلغ عالم الفلك دى ميران أكاديمية العلوم الفرنسية باكتشاف مؤداه أن أوراق النباتات ، التى تتفتح مع شروق الشمس وتنطوى مع غروبها ، تقوم - احتكاما إلى التجارب التى أجراها - بالشىء نفسه ، إذا عزلت وأحيطت بالظلام !

والمؤكد أن احدا من الأكاديميين الذين عرفوا باكتشاف " دى ميران " لم يدرك وقتها المغزى البعيد لهذا الاكتشاف ، كما

حدث مع دى ميران نفسه . الذى اخطأ الاستنتاج فقرر أن اكتشافه يعنى ان النبات يدرك واقع شروق الشمس ، دون استرشاد بضوء أو خلافه . والصحيح أن ساعة حيوية خاصة ، فى جسم كل كائن حى ، تعمل على ضبط وظائفه فى دقة باهرة ، بصرف النظر عن واقع أو إشارات الصباح والمساء حوله .

وقد احتاجت البشرية الى مايزيد على مائتى عام بعد اكتشاف دى ميران حتى تدرك قيمة هذا الاكتشاف بالنسبة ليقظة الانسان ونومه ، وصحته ومرضه ، وراحته وعمله ، بل ولقيمة هذا العمل على وجه العموم .

● الإنسان بين الايقاعات الحيويـة والاجتماعيـة ●

لقد عاش الانسان ٣٠ الف جيل ـ على الأقل ـ ليله ليل ونهاره نهار ، دون ان تؤرقه مشكلة الخلط بينهما . وحتى حين اضطرت ظروف الانسان إلى استبدال ليله بنهاره او العكس بالعكس . كما حدث بالنسبة للاوربيين الاوائل على الأرض الامريكية ، فإن امكانات الشراع وسيقان الدواب ، جعلت انقطاع الانسان يتم بالتدريج وعلى مهل ، وبما يسمح للجسم بأن يحشد إمكاناته لهذا الظرف الجديد حتى يتأقلم عليه ..

وبعد هذه الرحلة التاريخية المديدة مع انتظام الليل والنهار عرف الانسان الاضاءة الصناعية ، وبدأ يحول ليله ، او بعض ليله ، إلى نهار . وفى طفرة مذهلة على مدى حياة جيل أو جيلين عرف السفر بسرعة تفوق سرعة الصوت ، وبالتالى الانتقال خلال ساعات الى مناطق ليلها هو بعينه النهار الذى كان يكد فيه ، ونهارها هو الليل الذى تعود أن ينامه . بل وصل الأمر بهذه الطفرة الى خروج الانسان من نطاق جاذبية الأرض ، ليعيش على مدار حولها ، مواجها شروق وغروب الشمس ١٦ مرة كل ٢٤ ساعة .

ورويدا اكتشف الانسان ماعرف باعراض " دوار النفاثات " من إحساس متزايد بالصداع الى خلل فى عمل الأمعاء والعين ، ومن إحساس بالجوع الى فقدان الشهية فى نفس الوقت ، وذلك فضلا عن شكاوى المضيفات الجويات ، التى تراوحت بين الأرق والأوهام وبين عدم انتظام دورة التبويض الشهرية .

وبالطبع لم يكن ذلك كله يجرى بعيدا عن رصد الدارسين والعلماء ، الذين اتخذ كل فريق منهم وجهة مختلفة فى دراسته .. هذا يدرس تأثيرات الظروف الطبيعية على الوظائف الحيوية ، وذاك يدرس تأثيرات الظروف الاجتماعية ... غير أن الكائن الحى ، والانسان بصفة خاصة حظى بالنصيب الأوفر من الابحاث ..

جعل العلماء نصف مجموعة من الفئران تعيش نفس الظروف ـ الزمانية ـ لعمل الطيارين على الخطوط التى تعبر المحيط الى امريكا .. وكانت النتيجة أن تقلص عمر هذا النصف بنسبة ٦ ٪ مقارنة بعمر فئران النصف الأخر ..

نقل العلماء نحلا من باريس إلى نيويورك وكانت المفاجأة أن ظل النحل



يمارس أنشطته الحيوية هناك وفق التوقيت الباريسي .

غير العلماء مواعيد يقظة ونوم القرود . ورغم زيادة ساعات النوم كانت تغضب وتمرض وتصاب بالسكتة القلبية .

تجارب كثيرة أجريت على الحشرات والحيوانات تبعتها دراسات على أناس عاشوا متطوعين فى كهوف وفى قمرات معزولة ، بعيدا تماما عن أية علامات تدلهم على سير الزمن الطبيعي حولهم . ورغم حرية التصرف التي تركت لهم ظلوا ينظمون أنشطتهم - بدون ساعات - مع دورة الليل والنهار .

ومع مراقبة ظروف نومهم ويقظتهم ، وقياس درجات الحرارة وتحليل الدم والبول واللعاب ، وتسجيل ذبذبات المخ ، وقياس سرعة الاستجابة ، والقدرة على التركيز الذهنى ، بل والمحيط الميكروبى الناتج عن أنشطة جسم الانسان ، ومع دراسة تطور ذلك كله على مدار اليوم والأسبوع والشهر توصل العلماء إلى أن الوظائف الحيوية للانسان ليست بعيدة عن الناموس العام الذى يحكم ظواهر عالمنا ، ويجعل كلا منها تتكرر بعد آماد زمنية متساوية ، على نمط دوران الليل والنهار ، ودوران الفصول والسنين و ..

وكشف العلماء فى جسم الانسان عن آلاف مؤلفة من إيقاعات الأعضاء والأنسجة بل والخلايا ، يتراوح ترددها بين واحد على ألف من الثانية (تتكرر ألف مرة في الثانية الواحدة) وبين ١١ سنة (تتكرر مرة كل ١١ سنة) ..

● الايقاع المايسترو ●

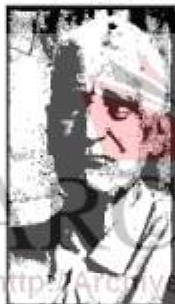
ولأن الجسم وحدة متكاملة كان لابد أن تعمل هذه الايقاعات المثيرة المتنوعة فى توافق ولم يطل البحث كثيرا عن ضابط الايقاع العجيب ، الذى يحكم هذا التوافق ، إذ سرعان ماكتشف أنه إيقاع شبه يومى سمته الأولى هى الاتفاق مع زمن دوران الأرض حول محورها ، وبالتالى مع دورة الليل والنهار ، واليقظة والنوم . ولايضاح طبيعة هذا المايسترو يكفى معرفة أن إيقاع عمل القلب يتراوح بين ٧٠ دقة فى الدقيقة خلال بعض أوقات النهار ، و ٤٥ دقة فى الدقيقة خلال بعض أوقات الليل ، ذلك رغم تعودنا الاشارة الى هذا الايقاع بشكل عام على أنه ٦٠ دقة فى الدقيقة ونفس الشيء بالنسبة للايقاع العام للتنفس (١٦ دورة فى الدقيقة) فهو يتراوح بين ١٨ دورة نهاراً و ١٢ دورة ليلاً .. أى أن كل عضو وكل نسيج يخضع إلى جوار إيقاعه الخاص للايقاع شبه اليومى .

هذا وقد أمكن تحديد مايربو على ٥٠ عملية فسيولوجية تجرى فى جسم الانسان وفق ذبذبات متكررة ، فى دورات يومية ، على غرار النبض والتنفس . ويمكن تشبيه دور المايسترو بدور الأمين على مخزن موارد الجسم المحدودة ، الذى يقوم بتوزيعها على نحو يضمن

توافقها ، ويضمن تجنيب الجسم حدوث اختناقات فى الموارد .

وهكذا فإن تغيير موعد النوم واليقظة مثلا ، نتيجة لفارق التوقيت او خلافه ، يفرض على آلاف الدورات الخاصة . بمختلف الوظائف ـ معاودة ضبط خطوها وضبط العلاقات بينها من جديد ، الأمر الذى لابد وان ينعكس على نظام العمل والطعام والعلاج ، وعمل ناتج اى منها . وللمرء أن يتصور الفوضى التى يفرضها المرء على هذه الانشطة جميعا إذا تكرر هذا التغيير بصورة مستمرة .

ولم يكن اكتشاف علاقة أوركسترا إيقاعات الجسم الحيوية بدورة الليل والنهار اكتشافا غريبا ، فالانسان لايعيش وحده فى الكون . ولابد لايقعات أجزائه المختلفة من علاقة متبادلة . وهكذا عملت إيقاعات الانسان الحيوية دوما فى علاقة بايقاعات الطبيعة لكن المدنية جاءت لتضيف مجموعة أخرى من الإيقاعات الاجتماعية التى تتناقض مع هذه الإيقاعات الطبيعية ، وتحول انشطة النهار الى ليل ، فمن عمل ليلى الى حفلات ساهرة حول موائد شهية ، وإلى سفر عبر المناطق الزمنية و .. وكل ذلك يعاكس نشاط المايسترو ويثير الفوضى بين إيقاعات أوركستراه . فإن كانت توجيهاته تقضى بأن تفرز المعدة أنزيماتها وعصاراتها لآخر مرة فى الثانية فانها تفاجأ بالطعام بعد منتصف الليل . دون أدنى استعداد ، وان كانت أوامر المايسترو تقضى بأن تبدأ بعض اجهزة الجسم خفض نشاطها ، اعتبارا من الثامنة فإن هذه الأجهزة تفاجأ بتصاعد الأحمال اعتبارا من العاشرة ، والنتيجة الحتمية هى الخلل الوظيفى فى أداء هذه الأجهزة مما يؤدى إلى مانسميه بأمراض


عباس العقاد


نجيب محفوظ

● نجيب محفوظ يترك القلم إذا جاء موعد النوم .

● لماذا يصاب الطيارون المتجهون من الشرق الى الغرب بالأمراض .. ؟!



العصر من القرحة الى الارق والاجهاد والتوتر والاكتئاب ...

وبالفعل اكتشف العلماء أن سبب ارتفاع نسبة الطيارين المصابين بقرحة فى المعدة، بين العاملين على خط «باريس - نيويورك» يرجع الى عدم توافق طورى إفراز عصارات المعدة وعصارات الكبد، فى المقام الأول لعدم انتظام مواعيد تناول الطعام.

وإذا كنا قد ركزنا على نتائج الخلل فى مواعيد تناول الطعام فذلك لأنه المثال الأكثر ارتباطا بواحدة من الحكم الكثيرة الكامنة وراء الصيام. غير أن الخلل فى الايقاعات الحيوية يمتد بتأثيره السيىء الى مختلف أنشطة الانسان، ومن هنا ضرورة احترام الانسان لهذه الإيقاعات، لما ينطوى عليه ذلك من أهمية بالغة بالنسبة له سواء أكان طالبا يسهر أيام الامتحان على غير عادة، دون أن يدرك مدى ضرر ذلك حتى على تحصيله، أم ربة بيت لاتدرك سر الشحان العصبى الذى يسود بيتها دون أسباب مفهومة.

● حضور ذهنى وعمر طويل ●

ويروق لى دوما، لايضاح هذه الأهمية بصورة مجسمة، أن أستعين بعلاقة كاتبنا الكبير نجيب محفوظ بالساعة. فمن المشهور أن جيرانه يستطيعون ضبط ساعاتهم على مواعيد أنشطته المختلفة فى الصباح على موعد خروجه من البيت وفى المساء على اللحظة التىّ يضاء فيها النور بحجرة مكتبه، ثم على اللحظة التى يُطْفَأ فيها النور لانتهائه من الكتابة ومايروى عن نجيب محفوظ فى هذا الصدد من أنه لايكتب المجرور إذا حلت اللحظة التى حددها لانتهاء الكتابة وقد انتهى السياق الى حرف جر ليس إلا رمزا لما يلتزم به كاتبنا من دقة بالغة، فى تنظيم كافة أنشطة حياته.

وقد سألت نجيب محفوظ مرة عن الفائدة التى يُجنيها من هذه العلاقة المرهقة بالساعة فكان جوابه: " إن هذه العلاقة، بالرغم من كونها مدعاة للعناء والألم قد افادتنى كثيرا، لأنها مكنتنى من ممارسة نشاطى الأدبى بانتظام، على الرغم من أعباء الوظيفة ". وإذا ادركت أن الوظيفة فى ظروفنا الاجتماعية كانت ضرورة بالنسبة لنجيب محفوظ، اتضح أننا مدينون لهذا الالتزام بالأديب نجيب محفوظ. وربما مكن الفارق الأساسى بين نجيب محفوظ وبين المواهب الكثيرة التى تلمع وتضىء، لكنها سرعان ماتحترق كالشهاب، فى هذا الانضباط المرهق.

وأنا أختار نجيب محفوظ عن عمد لما قد يبدو من جفوة بين العيش المنظم وبين النشاط الفنى، لما ارتبط به فى أذهان العامة من متطلبات كالجرى وراء شيطان الالهام والبوهيمية ... ونجيب محفوظ ليس غريبا فى هذا الباب فمثله فى ذلك كمثل

توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود والعقاد ..

ومن الجدير بالذكر أن كل من ذكرناهم - رحم الله العقاد وأطال فى عمر الباقين - من المعمرين الذين يتمتعون بيقظة عقلية يحسدون عليها . هذا كما أن الدراسات العلمية التى اهتمت بظروف حياة المعمرين عامة كشفت أن أياً منهم لم يتعرض لمحنة فارق التوقيت ، والسفر المتكرر بين المناطق الزمنية المختلفة .

وإن كنا قد آثرنا أن نتخذ الصحة ، ومايصاحبها من إنتاج مميز وفير ، محورا ندير الحديث حوله فيجب الا يفوتنا أن القاع المقابل لقمة الصحة هو ما اصطلح على تسميته بأمراض العصر . ومن المسلم به فى الأوساط العلمية حاليا أن الخلل فى توافق الإيقاعات الحيوية يعنى المرض ، وأن بلوغ الخلل مدى يقضى على الانتظام تماما ، يعنى فناء الكائن الحى ..

● لماذا هذه الأيام بالذات ●

ومن المفيد الا نتخطى هنا نقطة هامة لابأس من إثارتها عبر تساؤل قد يراود القارىء : كيف نختار فى دعوتنا إلى التزام إيقاع منظم دقيق للعيش ، شهر رمضان بالذات وله إيقاع لابد وأن يخالف إيقاع العيش الاعتيارى ؟

ولابأس هنا من كلمات كتبها العقاد يشرح بها سر شبابه فى الشيخوخة : « ولا أرانى صنعت معجزة أن احتفظت بهذا القسط من الشباب ، لأنه حظ يصيبه من يشاء ، وأخال طريقتى فى إصابته من أيسر الطرق للجميع ، فلى وقت للعمل ، ولى وقت للرياضة ، ولى مواعيد للطعام وللنوم لاتختل فى يوم .. ولى يوم فى كل اسبوع اكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف وفض رسائل البريد » ..

واذا اضفنا إلى الشق الأخير من فقرة العقاد ما اعتاده نجيب محفوظ من ترك القاهرة ، ونظام عيشه فيها ، إلى نظام صيفي مخالف تماما ، لاتضح لنا أحد النواميس التى ترتبط بالعيش الايقاعى فلا شك أن ماستهدفه العقاد أو مايستهدفه نجيب محفوظ من التغيير هو الاقبال مجددا على النظام الاعتيادى بشغف اكبر ..

إن تغيير الايقاع امر مطلوب لتجديد الاحساس به ، ولكن شريطة أن يكون التغيير إيقاعيا هو الآخر . ومن هنا اختيار توقيت هذه الدعوة للقارىء ، بعد التنويعة الرمضانية المتميزة بالذات .

ولعله واضح أن حديثنا لم يتناول سوى مظهر واحد من مظاهر الصيام هو إيقاعيته ، وارتباط الصوم بإيقاع القمر (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) وإيقاع الشمس (إفطار المغرب وسحور ماقبل الفجر) أمر لايحتاج فى جلائه الى مزيد . وإن كان من كلمة تضاف فلتكن ماكشفت عنه دراسات الايقاعات الحيوية من انهما - إيقاع الشمس وإيقاع القمر - اكثر إيقاعات كوننا تاثيرا على الكائنات الحية ...

بقلم محمد السيد عبد

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد



هناك صنف من المؤرخين يوصف دائما بانه ((رسمى)) ويقصد بهذه الصفة ان هؤلاء المؤرخين يعبرون فى تاريخهم عن وجهة النظر الرسمية ، اى وجهة نظر السلاطين الذين يؤرخون لهم ، ومن ابرز الامثلة على هذا الصنف من المؤرخين البدر العينى صاحب كتاب السيف المهند الذى تتناوله

والبدر العينى هو : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد ، ولد بعينتاب بين حلب وانطاكية فى السابع عشر من رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة للهجرة . وسافر فى طلب العلم الى عده بلاد ، ثم استقر به المقام فى مصر ، واشتغل فيها بالتدريس ، وتولى أمور الحسبة ، كما عين ناظرا للاحباس « الاوقاف » وناظرا للخاص « أى الاملاك السلطانية » .

وقد تعرض البدر لغضب المماليك غير مرة اذ عزله الامير جركس الخليلى من وظيفته وأمر بنفيه ذات مرة لولا تدخل شيخ الاسلام البلقينى ، وكذلك عزل من وظيفته فى بداية عهد السلطان المؤيد ، ومن هنا فقد قرر ألا يعرض نفسه للغضب السلطانى ، فراح يؤلف لكل من يلى السلطنة كتابا ، فكتب عن الملك المؤيد هذا الكتاب ، ثم كتب « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » عن السلطان الظاهر ططر الذى جاء بعد المؤيد ، ثم كتب « عقد الجمان » وترجم فيه للأشرف برسباى الذى تلا ططر ، وهكذا ظل مرضيا عنه حتى أدركته الوفاة وقد تجاوز التسعين .

هذه نظرة سريعة على مؤرخنا ، فماذا عن سلطاننا المؤيد الذى يدور حوله هذا الكتاب ؟. لنتعرف عليه سريعا ، لكن ليس من خلال البدر العينى الذى تتسم كتاباته بالاستطراد ، بل من خلال ما كتبه عنه المؤرخ العظيم المقريزى .. يقول المقريزى :

« سرق من بلاده وهو صغير ، فصار الى تاجر يقال له محمود شاه اليزدى ، اشتراه بثلاثة آلاف درهم فضة ، وقدم به الى القاهرة .. فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ، وعمره قريب من اثنتى عشرة سنة ، فأخذه السلطان الملك الظاهر بعد موت محمود هذا من تركته ، ودفع الى ورثته ثلاثة آلاف درهم ، ورقاه فى خدمته فعرف بشيخ المحمودى ، ثم انعم عليه بامرة عشرة ، ثم بامرة طبلخاناه ، وجعله رأس نوبة . ثم صار من جملة امراء الالوف . وولى نيابة طرابلس ، ثم نيابة الشام . وحاربه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق الى ان انهزم « اى السلطان » وقتل .. وقدم بعد قتله الى الديار المصرية من دمشق بالخليفة المستعين بالله ، وفوض الخليفة اليه جميع الامور ، ولقبه نظام الدولة ، فتصرف فى الولايات والعزل والاخذ والعطاء وغير ذلك ، بحيث لم يكن للخليفة معه أمر ولا نهى .. الى أن كان يوم الاثنين مستهل شعبان هذا ، واجتمع قضاة القضاة الاربعة ، وجميع الامراء وكافة ارباب الدولة .. قام فتح الدين فتح الله كاتب السر على قدميه وقال لمن حضر ان الاحوال ضائعة ، ولم يعهد أهل نواحى مصر عندهم اسم الخليفة ولا تستقيم الامور الا بأن يقوم سلطان على العادة . ودعاهم الى الامير شيخ ، فقال الامير شيخ : هذا امر لا يتم الا برضا أهل الحل والعقد ، فقال من حضر من الامراء بلسان واحد : نحن راضون بالامير الكبير . فمد قاضى القضاة شيخ الاسلام جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى يده وبايعه ، فلم يختلف عليه أحد » .

● السلطان ونسبه ●

فلده عجالة عن مؤرخنا وسلطاننا ، ننتقل بعدها الى استعراض الكتاب ..

يبدأ البدر العينى كتابه بباب عن اصل السلطان المؤيد وجنسه ، ولابد لنا أن ندهش من هذا العنوان ، لمعرفتنا ان السلطان تركى جركسى مثل كل الاتراك الجراكسة الذين كانوا فى مصر حينئذ ، وانه لا يعرف له نسب لانه سرق صبيا من آخر الدنيا ، الا أن مؤرخنا الذى عقد العزم على تعظيم السلطان لم يهتم بهذا ، وبدأ كتابه بباب « وليس فصلا »

من اصل السلطان وجنسه ، فماذا كتب فيه

راح اولا يرصد تاريخ البشرية من عهد آدم الى ان وصل الى ترك بن يافث‌راس سلالة الاتراك ، ثم تتبع بعد هذا قبائل الترك حتى وصل الى الفرع المسمى بالجراكسة ، ثم تتبع الجراكسة حتى وصل الى بطن من بطونها يسمى كرموك، ثم تتبع ملوك كرموك حتى وصل الى رجل يسمى اينال . ثم قال :

«ومولانا السلطان المؤيد ثبت الله قواعد دولته من ذرية اينال المذكور ، وهو اصل شريف كبير فيما بينهم، مشهور بالشجاعة والشهامة والمروءة والكرم والسطوة ، وابوه أيضا كان كبيرا كاسلافه حاكما على طائفته » .

هذه هي السطور التى جاد الله بها على مؤلفنا من اصل السلطان ونسبه لأبيه الذى لم يذكر لنا اسمه خلال باب كامل . اما عن ام السلطان التى لم يذكر اسمها أيضا ، فقد خصها هى الاخرى بخمسة اسطر ، قال فيها :

« اما ام مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله ، فقيل انها من الترك ، ولكن لما اجتمعت به يوم الاثنين العاشر من ربيع الاخر سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ، لأجل قراءة تاريخه وسيرته ، وسألته عن أمه فقال : انها من الجركس ، فاثبت ذلك مثلما سمعت والله سبحانه اعلم » .

● التسمية بالهام من الله ●

وبعد البحث فى الاصل والجنس يخصص مؤلفنا بابا آخر للبحث فى اسم السلطان وما يدل عليه ، ويقوم الباب كله على نظرية غريبة تقول :

« ان وضع الاسماء لا يكون الا بالهام من الله تعالى ، فلو لم يكن ما تضمنه الاسم من المعانى او بعضه موجودا فى مسماه لما وقع عليه بالالهام الربانى » .

ويبذل العينى جهده فى التدليل على النظرية من خلال اسماء الانبياء :

« سمي آدم عليه السلام بهذا الاسم لكونه خلق من اديم الارض وهو وجهها، وسمي شيث عليه السلام بهذا الاسم لان معناه عطية وهبة بالسريانية ، وسمي به لانه هبة من الله لادم عليه السلام عوضا عن هابيل ، وسمي نوح عليه السلام بهذا الاسم لكثرة نوحه من خوف الله تعالى ، وسمي ابراهيم عليه السلام بهذا الاسم لان معناه أب رحيم فى السريانية .. » .

وهكذا يمضى فى البرهنة على نظريته التى يكذبها الواقع بقوة ، لاننا قد نجد فتاة قبيحة يسميها أهلها جميلة أو رجلا كاذبا واسمه صادق .. ولاننا نعلم أن اسماء الرسل التى ذكرها مؤرخنا لا يمكن ان تكون قاعدة للقياس ، خاصة وان بعضها مرتبط بمناسبات ومواقف محددة اكتسب اسمه من خلالها وليس كل البشر كذلك .

وينتهى مؤرخنا من مسيرة الربط بين أسماء الانبياء وصفاتهم الى قوله :

« وكذلك اسم مولانا السلطان — خلد الله ملكه — يدل على أن ذاته معظم موقر مشرف ، فالشين تدل على شرفه ، والياء تدل على يمنه ويسر امره ، والخاء تدل على خيره فى افعاله واقواله » .

ولا شك ان هذه نتيجة مفتعلة لا تقوم على اساس ، لان الشين كما توجد فى اسم السلطان « شيخ » توجد فى «شيطان» والياء أيضا توجد فى الفاظ ذات معنى مخالف كقولنا « يابس » والخاء توجد فى الفاظ منكرة ، الا أن البدر العينى — كعادته — لا يهتم بكل هذا ، بل يمضى فى تفاهته فيذكر مميزات سلطانه «شيخ» الاخرى ، وهى كالتالى :

— ان القيمة العددية لحرف الخاء « آخر حروف شيخ » تسعة ، وبالتالى فهو آخر السلاطين الترك على ما رمز به بعض اصحاب الرموز ، فيكون به صلاح

الدنيا ، ويختل بعده نظام العالم .

وقد كفانا محقق الكتاب الاستاذ محمد فهيم شلتوت مؤونة الرد على هذا الزعم ، اذ قال فى هامش الصفحة :

« ولم يصدق ذلك فقد وصل عدد سلاطين الاتراك فى مصر الى نيف وأربعين ، وكان ترتيب المؤيد بينهم الثامن والعشرين » .

– « ان من جملة أسرار حروف اسم السلطان انها مشتملة على الحروف النارية وهى الشين ، والهوائية وهى الياء ، والترابية وهى الخاء ، وقد علم فى أسرار الحروف انها نارية وهوائية ، وترابية ومائية » وبالتالى « فالشين تدل على أن من عاداه أو عصى عليه او خرج من طاعته ، او اضمر له سوءا ، أو نوى له مكرا وخديعة فانه يحترق بناره ، ويتلاشى أمره ، ويتفرق شمله ، ويندرس حاله ، ولا يبقى له ولا لحاشيته أثر ولا خبر ، كالنار اذا وقعت فى أرض تأكل مافيها كله » .

انظر الى كل هذه المعانى التى اضفاها المؤرخ « المنافق » على حرف الشين .. سبحان الله !! على أية حال لنر ايضا ماذا كتب عن حرفى الياء والخاء ، يقول :

« والياء تدل على أن من نصح له واخلص فى طاعته ظاهرا أو باطنا تنصب عليه نفحات نسيمه الوسيم وتهب عليه نسمات بره وخيره العظيم ، كالهواء فانه حياة كل ذى روح وبقاء كل حيوان ، والخاء تدل على عمارته بلاد رعيته ، ويدل على ذلك عدله ، وذلك لان التراب تخرج منه أرزاق جميع العباد والحيوانات ، ويستتر به من كان من الاموات » .

– ان حساب حروف اسم السلطان وتطبيقه على حركات النجوم يفيد أن السلطان يولد له كذا طفل ، ويوصف بصفات كذا ، ويصيب اعداءه منه كذا ، ويتولى يوم الاربعاء الثانى عشر .

هكذا يصل مؤرخنا الى حد مخالفة الدين من أجل سلطانه ، ناسيا الاية الكريمة : « فلا يظهر على غيبه أحد » .

– ان من خواص اسم « شيخ » انه ليس فيه حرف من الحروف التى ينغلق بها الفم ، وفى هذا اشارة الى أن صاحبه دائما فى الفتوح والبركات .

– أن حروف الشين والياء والخاء موجودة فى أسماء الانبياء كـ : شعيب ، أشعيا ، يونس ، يحيى ، وغيرها . وقد ورد فى الاسرائيليات ان من كان فى اسمه حرف من حروف اسماء الانبياء دخل الجنة .

● أن اسم شيخ لم يسم به احد من سلاطين الترك وغيرهم فى دولة الاسلام .. ومعنى هذا أن السلطان هو شيخ السلاطين الذين تولوا الديار المصرية ، والدليل على ذلك « انه تولى السلطنة بيسر وسهولة من غير سل سيف وسفك دم بخلاف غيره من السلاطين الترك » فهل بعد كل هذا الكلام مجال للاختراع والتلفيق والنفاق !.

● اختراع الدلالات ●

ويخصص العينى بابا آخر للبحث فى « كنية السلطان « أبو النصر » وما تدل عليه ومن تكنى بها من الملوك » ويقوم هذا الباب – مثل الباب السابق – على نظرية تقول : « ان وضع الكنى الهام من الله تعالى .. يظهر سرها فى صاحبها » ويدلل على ذلك بدليلين ، الاول : ان الظاهر بيبرس لما تكنى بأبى الفتح حصلت فى أيامه فتوح كثيرة . والثانى : ان الظاهر برقوق لما تكنى بأبى سعيد لم يزل سعيدا فى حياته الى ان مات .

ويرتب على هذين الدليلين أن « كنية مولانا السلطان المؤيد تدل على أنه منصور فى كل حركاته ، وكل أموره ، وان النصر لا يفارقه لانه صار أبا له ، فصار النصر

كالابن ، والابن جزء من الاب ، فكذلك النصر جزء لمولانا المؤيد » .

وواضح أن اختراع الدلالات فيما سبق لا يستند الى الواقع، الا ان هذه هى طريقة مؤرخنا ، وامعانا منه فى اختراع الدلالات يتتبع كلمة النصر فى القرآن ومشتقاتها ليثبت شرف الكنية ، ويتتبع الكنية فى الخلفاء والوزراء والفقهاء والفلاسفة والشعراء ليؤكد ان كل من تكنى بابى النصر كان عظيما ، وكان الكنية كافية لحل مشاكل صاحبها وجعل شخصيته فى اعلى مكان .

● مواصلة الطريق ●

واصرارا على النفاق يعقد مؤرخنا بابا خاصا للبحث فى لقب السلطان ، ولان لقب «المؤيد» لايحتاج الى باب كامل يبحث فيه من دلالته ، فان مؤرخنا تخلصا من الحرج راح يبحث فى الالقاب منذ بدء الاسلام حتى العصر المملوكى ، ثم تحدث بعد ذلك عن لقب السلطان المؤيد فى اقل من ثلاثة اسطر ، قال فيها :

« المؤيد أيده الله بملائكته الكرام ، ولقبه احسن الالقاب ، وكنيته احسن الكنى ، وبهما خاطب الله نبيه الكريم حيث يقول فى كتابه الكريم « هو الذى أيدك بنصره » . » .

ولو دققنا فى هذه السطور الماضية لما وجدنا فيها تحليلا عميقا ولا نظرة فلسفية ، ولا استنتاجا لشىء يذكر ، فقط يصدمنا نفاق المؤرخ الرسمى فى كل حرف منها .

وعلى الطريقة العينية يقوم مؤرخنا بحصر المواضع التى ورد فيها لفظ «أيد» ومشتقاته فى القرآن ، ويتلوها بذكر من لقب بالمؤيد حتى يأتى الى السلطان المؤيد شيخ فيقول :

« ولم يذكر لقب من القاب السلاطين مثلما ذكر هذا اللقب ، ففيه اشارة عظيمة لمولانا السلطان المؤيد خلد الله ملكه ، حيث خصه الله بهذا اللقب الشريف » .

ويبدو أن العينى شعر بانه لم يوف السلطان حقه من الانشاء فى هذا الباب، فاضاف تذييلا قصيرا من لقب «السلطان» وكان المؤيد وحده هو الذى حمل لقب « سلطان » .

● نظرية التاسع والتسعة ●

ومن اغرب النظريات التى يطرحها مؤلفنا نظرية تقول ان التسعة الاوائل فى كل شىء هى أعظم الاشياء وان آخر التسعة اعظمها ، وبالتالى فأعظم سلاطين الجركس هو المؤيد ان ترتيبه بينهم هو التاسع . وهذه نظرية لا اساس لها ؛ فالواثق مثلا وهو تاسع خلفاء بنى العباس لا يرقى أبدا للمأمون ، او لبناة الدولة العباسية ، او لهارون الرشيد الذى صاغ الناس الاساطير حوله فى الف ليلة ، لكنها رغبة مؤلفنا فى تعظيم سلطانه فماذا تفعل !.

● عشرة اسباب ●

ويقف البدر عند الاسباب التى يستحق المؤيد السلطنة لاجلها ، ويجملها فى عشرة: السن ، الشجاعة ، الفروسية ، حسن الصورة والبسطة فى الجسم ، المعرفة بأحوال الرعية ، المعرفة بأمور الشرع ، الرغبة فى نشر العدل والعفو والصفح، الفضل والكرم والاحسان الى اهل العلم والفقراء ، قربه من الناس وتواضعه ، واخيرا عدم من يدانيه او يقاربه فى عصره فى مثل صفاته .

والحقيقة ان هذه الصفات بعضها تافه مثل حسن الصورة وكأننا فى مسابقة للجمال ، او البسطة فى الجسم وكأن قصار القامة لا يستحقون ان يحكموا الدول ، وكذلك صفة السن ينطبق عليها نفس قاعدة التفاهة لان التاريخ يشهد أن حكاما وقادة حققوا اعظم الانتصارات وهم



على مشارف العشرين أو بعد أن تجاوزوها بقليل ، أما الشجاعة والفروسية فهي صفات متداخلة ذكرها صاحبنا تفصيلا لاكمال العدد عشرة لا غير ، وأما بقية الصفات فمعظمها كاذب مثل الكرم الذي ينكره المقريزي ويقول « كان بخيلا » ومثل العفو والصفح والعدل اذ المعروف أن هذا السلطان قتل ابنه بالسم دون ذنب لانه خاف على نفسه من انتصارات ابنه العسكرية التي كان يحققها بأمره ولصالحه .. وهكذا نرى كيف يتهاوى تاريخ العيني أمام أي فحص موضوعي .

● وبالنجم هم يؤمنون ●

لم يكتف العيني بكل ما اخترعه من دلالات للاسم والكنية واللقب والترتيب بين الحكام لاعلاء شأن سلطانه بل اضاف بابا في حساب النجوم لبيان دلالات التاريخ الذي تولى فيه المؤيد الحكم ، والحقيقة انه يصعب تلخيص هذا الباب لاعتماده على الجداول الفلكية والمصطلحات الخاصة ، الا أن المهم هنا هو بيان مدى اصرار العيني على تعظيم الحاكم مهما كانت الوسائل .

● آخر الاشياء هو التاريخ ●

بعد أن صب مؤرخنا في البحث عن دلالات الالفاظ والتواريخ وأوشك الكتاب على الانتهاء تذكر انه لابد ان يكتب تاريخ مولاه كسلطان لمصر ، فعقد بابا أخيرا لهذا الغرض ، وحتى لا يقع في أي مزالق مع السلطان فقد حدد لنفسه هدفا واضحا هو ان يذكر الانعامات التي أنعم بها على رجال حاشيته ، وعقابه لمن خرجوا عن طاعته . ويبدو انه ضاق بكتابة التاريخ حتى بمفهوم الانعام والعقاب فتوقف عندما شاء له مزاجه ان يتوقف ولم يتتبع الاحداث الى نهاية عصر المؤيد . فالى أي مدى انتهك هذا الرجل حرمة التاريخ .؟!

تبقى أخيرا كلمة مهمة عن تحقيق الكتاب وتيسيره للقارىء .. لقد قام الاستاذ محمد فهيم شلتوت بجهد طيب في تحقيق الكتاب ، وباكمال النقص فيه ، والتعريف بالاعلام ، والاماكن ، والوظائف ، والمعارك وقدم لكل هذا فهارس وافية ، كما قدم للكتاب بمقدمة جيدة عن المؤلف والكتاب ، لكني — رغم هذا — كنت ارجو منه مضاهاة ما جاء بهذا الكتاب بما جاء في الكتب الاخرى التي تحدثت عن نفس السلطان ، وكذا مضاهاة ما جاء بهذا الكتاب بما جاء في كتاب المؤلف عن الظاهر ططر ، وتقديم رأي نقدي فيما يورده صاحب الكتاب من نظريات غريبة ، حتى تتم الفائدة ..

دراسة الهلال

إسرائيل .. والكنيسة الأمريكية

بقلم : عبد الحميد الكاتب

عندما نتحدث عن النفوذ اليهودى فى امريكا نركز الحديث على نفوذهم فى الكونجرس ، او تاثيرهم فى الانتخابات ، او تسلطهم على الصحافة واجهزة الاعلام وقد نتحدث عن نفوذهم فى دوائر التجارة وعلى الاخص تجارة المال فى المصارف وسوق الاوراق المالية .. ثم نغفل او نجهل ان النفوذ اليهودى قد تشعب وتغلغل فى الكيان الامريكى بوجه عام ، وامتد الى نواح ودوائر يفترض انها ابعد ما تكون عن التاثر بهذا النفوذ ، وان فيها مناعة تحصنها وتحميها من تاثير اليهود ..

واعنى بهذا دوائر الامريكية سواء كانت بروتستانية او كاثوليكية ..

تسرب او تسلل النفوذ اليهودى الى الكنائس الامريكية منذ البداية .. ثم تغلغل فى مجالسها ومؤسساتها وتدخل فى مصالحها المادية .. وشيئا فشيئا سيطرت الافكار والدعايات اليهودية على عقول المترددين على الكنائس وهم - قطعا - الاغلبية الساحقة من الرجال والنساء من الشعب الامريكى

ولم يكن هذا الامر يعنينا نحن العرب فى قليل او كثير ، فلا المسلمون منا يعنيهم أن يسيطر اليهود على عقول الامريكيين المسيحيين ، ولا المسيحيون منا يهمهم الامر لان اغلبيتهم من الارثوذكس وليسوا من البروتستانت او الكاثوليك ..

ولكن الامر اختلف عندما بدأت الحركة الصهيونية تعمل لتنفيذ مشروعها الخطير .. مشروع انشاء دولة يهودية فى قلب البلاد العربية .. معتمدة - اولا وقبل كل شيء - على النفوذ اليهودى المتشعب المتغلغل فى امريكا لقد جعلت الحركة الصهيونية من الكنيسة الامريكية سندا وعونا لها فى الوصول الى اهدافها ، بل اتخذت منها ومن نفوذها الكبير على الشعب الامريكى اداة فعالة فى تنفيذ المشروع الصهيونى وفى اقامة الدولة اليهودية

فى قلب العالم العربى ، والاسلامى

وليس هذا مجرد كلام او أوهام .. بل سوف أستشهد بوقائع محددة وبمصادر أمريكية مسيحية تبين لنا حقائق عن التغلغل اليهودى فى أوساط الكنائس الامريكية ومجالسها ومؤسساتها ، حتى صارت هذه الكنائس قوة مؤثرة فى توجيه الشعب الامريكى الى تأييد الحركة الصهيونية . وقوة ضاغطة وفعالة على الكونجرس الامريكى وعلى الادارة الامريكية لتأييد اسرائيل وامدادها بكل وسائل العون والتدعيم .

● قرار تقسيم فلسطين ●

كان أول ما اثار انتباهى الى دور الكنيسة الامريكية فى تأييد اسرائيل هو ماشهدته بنفسى فى عملية قبول اسرائيل عضوا فى الامم المتحدة فى سنة ١٩٤٩

فى ذلك الوقت كان التفكير السياسى .. وكان المنطق القانونى ، يقولان بأن الاغلبية الكبيرة من الدول الاعضاء فى الامم المتحدة لا يمكن أن توافق على قبول انضمام اسرائيل اليها الا اذا قامت بتنفيذ قرار تقسيم فلسطين تنفيذا كاملا بما فيه جعل المنطقة التى تقوم فيها مدينة القدس منطقة دولية .

ان القرار المعروف باسم قرار فلسطين ، والذى أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ قد قسم أرض فلسطين الى ثلاثة أجزاء : جزء مساحته ٥٦ فى المائة من أرض فلسطين تقوم فيه ما سماه القرار .. « الدولة اليهودية » .. وجزء مساحته ٤٣ فى المائة تقوم فيه « دولة عربية » .. وجزء ثالث مساحته واحد فى المائة وهو المنطقة التى تقوم فيها مدينة القدس ، هذه لا تدخل فى الدولة اليهودية ، ولا فى الدولة العربية ، وانما تكون منطقة دولية



ايدت الكنيسة الامريكية قيام دولة اسرائيل فور إعلان التقسيم

ولها نظام خاص بها .

وأرفق بقرار التقسيم هذا خرائط مفصلة تبين خطوط التقسيم الى الاجزاء الثلاثة ، كما نص القرار على الاجراءات السلمية التى يتم بها تنفيذ القرار فى الموعد المحدد وهو اليوم الذى حددته بريطانيا لانهاء انتدابها على فلسطين ، أى يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ولكن « الوكالة اليهودية » .. وهى نواة حكومة اسرائيل ـ سارعت بقوات « الهاجناه » ـ وهى نواة الجيش الاسرائيلى ـ فاستولت على الاجزاء المخصصة لها بمقتضى قرار التقسيم .

كما استولت أيضا على مناطق أخرى خصصها القرار لاقامة الدولة العربية .. وبهذا كانت الارض التى استولى عليها اليهود ، وقبل أن يأتى اليوم المحدد لتنفيذ القرار بالوسائل السلمية .. تبلغ ٧٧ فى المائة من مساحة أرض فلسطين .

كان هذا خرقا واهدارا لقرار التقسيم الذى اصدرته الامم المتحدة والذى يعده انصار اسرائيل والموالون لها اساس « الشرعية الدولية » لقيام دولة اسرائيل .. وكذلك اهدر اليهود جزءا اصيلا وهاما جدا من قرار الامم المتحدة حين زحفت قواتها فاستولت على النصف الغربى من مدينة القدس، بينما صار القسم الشرقى من المدينة جزءا من « الضفة الغربية » التى ضمت الى مملكة الاردن

وهكذا انتهكت اسرائيل قرار التقسيم بل أهدرته اهدارا .. ورغم هذا فقد ظل العالم يقول .. بل ان العرب انفسهم أخذوا وظلوا يقولون : ان اليهود قبلوا قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، اما العرب فهم الذين رفضوه !.. والواقع والتاريخ يقولان ان العرب رفضوا قرار التقسيم بالسنتهم ، لانها السنة طويلة تهدر بالالفاظ الطنانة والعبارات الجوفاء ، اما اليهود فهم الذين رفضوا قرار التقسيم ، بل انتهكوه ومزقوه بأيديهم وباسلحتهم ، وبالقتال تشنه القوات الهاجناه على مدن وقرى مجردة من السلاح وبالارهاب الذى بلغ حد المذابح التى اقترفتها عصابات مثل عصابة شتيرن يقودها مناحم بيجن !

● القدس دولية ●

كان استيلاء اليهود على مناطق لم يخصصها لهم قرار التقسيم أمرا يعنى الدول العربية أو « بعضا » منها .

أما اغفال اسرائيل تنفيذ ما نص عليه القرار من جعل منطقة القدس منطقة دولية ، فام يهم عديدا من الدول .. وبالذات الدول الكاثوليكية وعددها فى ذلك الوقت يقرب من نصف الدول الاعضاء فى الامم المتحدة .. فهناك عشرون دولة تماما من دول أمريكا اللاتينية ، وكلها دول كاثوليكية ، وهناك عدة دول أوروبية يدين أغلب أهلها بالديانة الكاثوليكية .. وهذه وتلك تؤلف نصف الدول الاعضاء التى كان عددها حينذاك احدى وخمسين دولة .

فاذا أضفت الى هذه الدول الكاثوليكية دولا عربية كانت أعضاء فى الامم المتحدة فى ذلك التاريخ ، وكذلك أربع أو خمس دول اسلامية.. فلا يمكن أن تحصل اسرائيل على موافقة ثلثى الدول الاعضاء ، فضلا على شرط موافقة الدول الخمس الكبرى .. أو عدم اعتراض احداها .

فأما موافقة الدول الخمس الكبرى فهى مضمونة .. فالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى كانتا تتسابقان فى تأييد قرار تقسيم فلسطين وانشاء الدولة اليهودية .. وكانتا تتسابقان فى الاعتراف بالدولة اليهودية حين قامت واتخذت لنفسها ، قبل قيامها ببضع ساعات ، اسم «اسرائيل» .. فاعترفت بها واشنطون « اعترافا واقعيا » بعد قيامها بعشر دقائق تماما .. « اعترف بها الاتحاد السوفييتى بعد بضعة أيام « اعترافا

قانونيا » .. والاعتراف القانونى اقوى من الوجهة الدولية من الاعتراف الواقعى ، ولهذا لا يخطىء من يقول ان الاتحاد السوفييتى سبق الولايات المتحدة فى الاعتراف باسرائيل .

اما الصين الموجودة فى الامم المتحدة فى ذلك الوقت فهى جزيرة تايوان ، وهى لا تزيد على مستعمرة امريكية تأتمر بأمر واشنطون .. واما فرنسا فهى حينذاك احدى الدول الاوربية المنهوكة الفقيرة التىتستجدى المعونة من مشروع مارشال ومن أيدى الامريكان ، فهى لا تخرج عن طاعتهم .. واما بريطانيا ، فهى وان كانت تدرك أن عملية انشاء اسرائيل هى جزء من مخطط واسع النطاق لاخراج بريطانيا من الشرق الاوسط أو تقليص نفوذها فيه ، وتدرك أيضا أن تدعيم اسرائيل وتقويتها هو جزء من عملية بسط النفوذ الامريكى فى المنطقة واتخاذ اسرائيل ركيزة للسيطرة الامريكية فيما حولها ، الا أنها مثل فرنسا ، صارت منهوكة القوىومحتاجة الى المعونة الامريكية ، فهى لن تعترض على دخول اسرائيل فى الامم المتحدة ، واقصى ما يصل اليه موقفها هو أن « تمتنع » عن تأييد القرار .. وهذا الامتناع لا يحول دون صدور القرار .

لا مشكلة اذن فيما يتعلق بالدول الخمس الكبرى صاحبة المقاعد الدائمة فى مجلس الامن .. ولكن المشكلة التى تواجه اسرائيل وانصارها هى الحصول على اصوات ثلثى اعضاء الامم المتحدة ، بينما الكثيرون منهم ـ وخاصة من دول أمريكا اللاتينية ومن بعض دول أوربا ـ يعلقون موافقتهم على شرط أن تقوم اسرائيل بتنفيذ ما قررته الامم المتحدة من جعل منطقة القدس منطقة دولية ، يديرها جهاز دولى ، وتكون مفتوحة للحجيج وللزائرين من بلادهم وبلاد العالم كلها .

اذكر أننى حضرت فى ذلك الوقت أوائل أبريل سنة ١٩٤٩ ـ اجتماعا فى نيويورك يرأسه وزير خارجية مصر احمد خشبة باشا رحمه الله ، والتف حوله لفيف من القانونيين والدبلوماسيين الكبار .. وكان تقديرهم جميعا أن اسرائيل لن تستطيع الحصول على الاصوات اللازمة لقبولها عضوا فى الامم المتحدة .. وكانت اقوالهم وحججهم واضحة ومقنعة ، وكانوا يكررونها ويؤكدونها .. وكان أحد الحاضرين المرحوم الدكتور محمود فوزى ممثل مصر فى الامم المتحدة ، وكانت هذه هى أول مرة أرى فيها هذا الرجل الذى ارتبطت به رباط العمل والتعلم والمودة والصداقة بعد هذا ثلاثين سنة أو أكثر ، وأدهشنى أنه لم يشترك فى هذه المناقشة بكلمة واحدة ، وانما اكتفى بأن يقول فى نهاية الاجتماع وهو يهز رأسه : ربنا يسمع منكم !

وبعد ثلاثة او اربعة اسابيع من ذلك الاجتماع خرجت علينا صحف نيويورك معلنة فى صدر صفحاتها الاولى ان الفاتيكان ابدى موافقته على دخول اسرائيل الى الامم المتحدة !.. وان الفاتيكان مقتنع بان اسرائيل ستكون وفية بوعدها وتعهدها بان تكون القدس مدينة مصونة ، ومفتوحة لاصحاب الديانات الثلاث .. وان الفاتيكان قد اشار أيضا على الدول اللاتينية والدول الكاثوليكية بان تصوت بالموافقة على طلب اسرائيل ان تكون عضوا فى الامم المتحدة .

وكنت فى تلك الايام لا أعود الى الفندق الذى انزل فيه الا بعد أن تخرج الطبعة الاولى من صحف نيويورك فى المساء .. فأحمل صحيفة نيويورك

تايمز وصحيفة هيرالد تربيون ، وأعكف على قراءتهما وتلخيص ما يهمنا من أخبار .. ثم اذهب فى الصباح الباكر لاقرأ لوزير الخارجية ، الذى كان لا يعرف الانجليزية ولكنه يتقن الفرنسية ، لاقدم له خلاصة ما نشرته الصحف من أخبار وتعليقات .. وكنت اذهب فى الصباح الباكر ، وقد أنتظر فى الغرفة المجاورة حتى ينتهى من تلاوة القرآن الكريم بعد أداء فريضة الصبح .

وعلى عادته سألنى : ما وراءك يا عصام !

قلت : يا معالى الوزير .. أخبار هذا اليوم غير سارة .. تقول الصحف ان الفاتيكان ، موافقة على دخول اسرائيل الى الامم المتحدة .. وانه اشار على الدول الكاثوليكية بأن توافق على طلب اسرائيل .

وخرجت من فم الرجل الطيب كلمات غاضبة ساخطة لاعنة ..

ثم قال : هذا ما ذكره لى فوزى « بك » منذ اليوم الاول .. قال لى أن يهود أمريكا يضغطون ضغطا شديدا على كاثوليك امريكا .. وان كاردينال الكاثوليك هو الان الوسيط بين اسرائيل والفاتيكان .. وعند اليهود وسائل عديدة للاقناع او للاغراء او للتهديد .

أما أنا فقد سرح ذهنى قليلا وتذكرت كلمة محمود فوزى فى تعليقه على مناقشات « القانونيين الكبار » .. ربنا يسمع منكم !.. فالمسألة ، فيما يعرف هو ، لم تعد مسألة قانونية تعالج بالنصوص او بالمنطق ، بل هى مشكلة سياسية لا تحل الا بمعجزة !.

وسمعت وزير الخارجية يتمتم ويسترجع لنفسه حديث محمود فوزى الذى قال له منذ اليوم الاول : فى مرحلة تقسيم فلسطين ركز اليهود جهدهم وضغطهم على الرئيس الامريكى هارى ترومان ، ونجحوا .. وفى مرحلة طلب اسرائيل دخول الامم المتحدة ، فانهم يركزون جهدهم وضغطهم على الفاتيكان ليرضى بما فعلوه فى القدس !

وكانت الصحيفتان الامريكيتان الكبيرتان تحفلان بأخبار وروايات عما حدث طوال الاسابيع الماضية .. فقرأنا عن رجل لم يسمع العرب باسمه من قبل .. انه الكاردينال سبلمان ، رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا . الذى يقيم فى قصر فى قلب مدينة نيويورك الشبيه بقصور أوربا القديمة ، وأمام قصره تقوم كنيسة سان باتريك احدى الكنائس الفخمة فى العالم .. ورأينا فى تلك الصحف صورة هذا الكاردينال فى لقاء مع موسى شيرتوك أول وزير خارجية لاسرائيل .. وقرأنا أخبارا عن سفر سبلمان الى روما ولقاءاته مع البابا والمسئولين فى الفاتيكان .. وقرأنا تصريحات يدلى بها الكاردينال بعد عودته من رحلته ناجحا مظفرا ، ويقول : ان تدويل القدس لم يعد ممكنا لان جيش الاردن استولى على نصف المدينة وضمها الى مملكته ، ولهذا أخذت اسرائيل المناطق الباقية من المدينة وضمتها اليها .. وهذا الكاردينال ، مقتنع بأن اسرائيل من جانبها ستحافظ على ما فى منطقتها من كنائس وآثار مسيحية ، وانها ستتحمل مسئوليتها كاملة فى أن تكون القدس مدينة آمنة ، ومفتوحة الابواب للمسيحيين يحجون اليها ويزورونها فى يسر وأمان .

ثم بشير الكاردينال سيلمان ـ أو هكذا تنسب اليه الصحف الامريكية ـ الى أن الفاتيكان أبلغ الدول الكاثوليكية اقتناعه وقبوله بهذا التعهد الاسرائيلي .. وأنه أشار على هـــذه الدول بأن توافق على انضمام اسرائيل الى الامم المتحدة .

وانعقدت الجمعية العـــامة للامم المتحـــدة يوم ١١ مـــايو ١٩٤٩ ، وأصدرت قرارها بانضمام اسرائيل الى الامم المتحدة .. وكانت الموافقـــة بأغلبيـــة كبيـــرة ، ضمت الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحـاد السوفييتي ، وضمت دول أوروبا الشرقية والغربية ، وضمت دول أمريكا اللاتينية فيما عدا واحدة .. وطبعا كانت هناك ضغوط واغراءات أخرى على عديد من الدول ورؤسائها ووزرائها ، ولـــكن ليس هذا مجال الحديث عنهـــا .. وصوتت ضد القرار الدول العربية الســت ، وأربع دول اســـلامية .. وامتنعت بريطانيا عن التصويت مثلما امتنعت من قبل عن تأييد قرار تقسيم فلسطين .. ويومها قذف المتظاهرون في نيويورك ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا بالبيض والطماطم .

وصارت اسرائيل عضـــوا في الامم المتحدة ، وكانت العضو رقم ٥٢ .. وكان « الفضل » في هـــــذا عائدا الى الفاتيكان !..

● شعارات انتخابية ●

ومرت بعد هذا سنوات طوال أقمتها في امريكا ، ومرت معها « مسلسلات » الانتخابات الرئاسية كل اربع سنوات، وانتخابات الكونجرس كل ســـنتين وسمعنا كثيرا من المرشـــحين يرددون نغمة « دينية » مؤيدة لاسرائيل .. ثم اخذت هذه النغمة تتصاعد شيئا فشيئا حتى بلغت الـــذروة حين ضـــم جيمي كارتر لانتخابات الرئاسة في ســـنة



١٩٧٦ . عندما دخل كارتر ميدان التسابق فى الانتخابات الامريكية منذ عشر سنوات ، كان لابد ان يتطلع مثلما يتطلع منافسوه الى اليهود فى امريكا والى نفوذهم الطاغى على وسائل الاعلام والدعاية ، وفى الدوائر المؤثرة فى الانتخابات من نقابات واتحادات وجمعيات وجماعات ..

تطلع كارتر الى اليهود فى امريكا وخاطبهم باسلوب يتفق مع ما اتصف به واشتهر من تمسك بعقيدته الدينية .. فراح يقول مرارا وتكرارا انه يؤيد اسرائيل لان هذا تمليه عليه عقيدته المسيحية . فهو يؤمن بان قيام اسرائيل الحديثة كان تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس من عودة اسرائيل القديمة .. فايمانه بالكتاب المقدس يحتم عليه ان ينظر الى اسرائيل نظرة دينية توجب عليه ان يؤيد اسرائيل او يتعهد بامدادها بكل اسباب الحماية والقوة .

واذكر ان هذا الذى كان يقوله كارتر قد اثار كثيرا من الاستياء والاستنكار من الدوائر العربية بما فيها الصحف المصرية ، فكانت تقول ان هذا الرجل الساعى الى رئاسة امريكا يريد ان ينقل مشكلة الشرق الاوسط من نطاق السياسة الى نطاق الدين .. وهى نقلة خطيرة جدا .. لان السياسة تتغير بتغير الظروف والاوضاع ، فاذا كان التاييد الامريكى لاسرائيل راجعا الى تقديرات سياسية ترى ان اسرائيل هى القوة التى تستطيع ان تعتمد عليها امريكا فى تحقيق مصالحها فى هذه المنطقة فى الوقت الحاضر ، فان هذه السياسة قد تتغير اذا ثبت خطأ هذه التقديرات فى يوم من ايام المستقبل القريب او البعيد .. اما اذا قام التاييد الامريكى لاسرائيل على اساس دينى ، فكيف ومتى يمكن ان تغير امريكا موقفها اذا انبعث من عقيدة دينية ملأت عقول الناس وتسربت الى قلوبهم ومشاعرهم ؟

ولكن الواقع ان ما كان يقوله كارتر فى الدعاية الانتخابية هو نفس مايسمعه الامريكى العادى المتدين عندما يذهب هو وزوجته واولاده الى الكنيسة يوم الاحد .. وخاصة اذا كانت كنيسة بروتستانتية وهو المذهب الدينى الغالب فى امريكا ذلك ان الحركة الصهيونية استطاعت أن تنفذ بدعايتها وتضليلها الى الكنيسة الانجيلية الامريكية حتى صار من الاحاديث المالوفة فيها ان

غسيل الارجل يوم الجمعة الحزين



قيام اسرائيل كان تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس ، وان تأييد اسرائيل واجب دينى على المسيحى المتدين !

ولا اريد أن القى هذا الكلام على عواهنه .. بل لابد ان استشهد بمصادر مسيحية بروتستانتية امريكية تاييدا لما اقول ..

واحدث ما كتب فى هذا الموضوع ما كتبه النائب الامريكى المسيحى بول فندلى فى كتاب اتخذ له عنوانا له مغزاه .. فعنوان هذا الكتاب الحديث هو : « من يجرؤ على الكلام ؟ .. اى من يجرؤ فى امريكا ان يتكلم وان يكتب عن موضوع تغلغل النفوذ اليهودى فى كثير من نواحى الحياة الامريكية بما فيها تغلغل الدعاوى الصهيونية الى الكنيسة الانجيلية .. وقد افرد النائب الامريكى فصلا فى كتابه بعنوان «الكنيسة والدولة» جاء فيه بعدة حقائق ووقائع عن تغلغل الدعاية الصهيونية الى الكنيسة الانجيلية فى امريكا .. نذكر هنا بعضا منها .

يردد كثير من رجال الكنيسة فى مواعظهم وأحاديثهم المعنى التالى ان اسباب البركة فى امريكا عبر السنين الطويلة هى انهم اكرموا اليهود الذين لجئوا الى هذه البلاد فرارا من الاضطهاد .. وقد بورك لسكان امريكا منذ ذلك الوقت لانهم ايدوا اسرائيل واعترفوا بحق اليهود فى الارض التى ولدت فيها دولتهم من جديد .. وسوف تشملهم البركة دائما مؤيدين ماداموا لاسرائيل ومدافعين عنها .

يعد اسقف تكساس ، اى كبير القسس البروتستانت فى كبرى الولايات الامريكية برنامجا تليفزيونيا خاصا باسرائيل عنوانه : اسرائيل مفتاح البقاء لامريكا .. وتتسابق محطات التليفزيون الاخرى على اعادة اذاعة البرنامج الذى يذاع الان فى خمس وعشرين ولايه ، وبتت اذاعته اكثر من مائتى محطة تليفزيون .

يقول الاسقف فى احدى هذه الاذاعات اذا تخلت اسرائيل عن الضفة الغربية ضاعت امريكا نفسها ! .. كيف ما هى العدلة بين الضفة الغربية لنهر الاردن وبين بقاء امريكا وازدهارها ؟ .. نعم ، ان هذا الاسقف وجد صلة وثيقة جدا . لانه اذا ضاعت الضفة الغربية انهارت اسرائيل .. واذا انهارت اسرائيل انهارت امريكا طبعا .. هكذا بكل بساطة !

وفى برنامج تليفزيونى اخر يقول اسقف تكساس : ان امريكا هى المسئولية عن مشاكل اسرائيل الاقتصادية لانها هى التى شجعت وعملت على انسحاب اسرائيل من سيناء ، وعلى فقدان بترولها ، مما اثر تأثيرا خطيرا على اقتصاديات اسرائيل فيجب على امريكا ان تعوض اسرائيل عن هذه الخسارة الاقتصادية الفادحة

وكان من اغرب ما قرأته فى كتاب النائب الامريكى بول فندلى ان الطائفة الانجيلية فى امريكا امتد نشاطها الى جنوب لبنان ! .. فأنشأت هناك محطة اذاعة سمتها اذاعة « صوت الامل » . وان هذه الاذاعة الانجيلية الامريكية تقوم باذاعة البلاغات العسكرية التى كان يصدرها سعد حداد !

وكانت هذه الاذاعة تصف سعد حداد بانه زعيم روحى ، وانه مسيحى متدين .. وكانت هذه الاوصاف تسبق وتلحق بلاغاته العسكرية التى يعلن فيها قيام قواته بقصف صيدا او محاولاته لغزو صور وقتل من قتلت من الاطفال والنساء والشيوخ !

ويقول الذين اقاموا هذه الاذاعة فى جنوب لبنان : انها محاولة لحمل كلمة الله الى منطقة لم تعرف كلمة الله منذ قرون !

يكفى هذا لنتبين الى أى مدى بلغت الدعاية والدعاوى الصهيونية حتى

نفذت الى عقول المشرفين على الكنائس الانجيلية فى امريكا .. وان كان بعض المشرفين على هذه الكنائس يضجون من هذا النفوذ والتغلغل اليهودى فى صميم شئونهم الدينية ، حتى ان احد اعضاء مجلس الكنائس اسر الى النائب الامريكى قائلا : ان اطول سجل للنفوذ اليهودى فى امريكا هو سجل نفوذهم فى « مجلس الكنائس » .. بل انه يفوق سجل النفوذ اليهودى فى الكونجرس الأمريكى .

واخيرا ينبغى ان نتساءل : هل هذه الكنائس الامريكية مفتوحة لليهود وحدهم ؟ هل لا يستطيع العرب ان يدخلوا اليها ويتحدثوا الى رجالها عن عدالة قضيتهم مثلما فعل اليهود بقضيتهم ؟

اعتقد انه كان فى وسع العرب ان يفعلوا مثلما فعل اليهود . وان ينفذوا الى الكنيسة الامريكية ولو من باب ضيق كثيرا من الأبواب الفسيحة التى تفتح امام اليهود .. بل كان فى وسع العرب ان يفعلوا اكثر مما فعل اليهود، ذلك ان من بين « العرب الامريكيين مسيحيين كثيرين جدا .. مسيحيين من سورية ولبنان وفلسطين ومصر .. وكثير منهم على اعلى درجة من الثقافة، ومن القدرة على الاقناع بالكتابة والخطابة والحوار .. هذا بالاضافة الى ما ينبغى توافره اولا وهو الايمان بعدالة القضية العربية وكان فى وسع هؤلاء ان يكونوا بأقلامهم وبالسنتهم وبشخصياتهم رسلا للقضية العربية فى الاوساط الدينية المسيحية فى امريكا

ولكن العرب لم يفعلوا شيئا من هذا القبيل..بل انى أعرف ان الدوائر العربية فى نيويورك كانت تتلقى دعوات من بعض الكنائس المسيحية ليتحدثوا فيها عن القضية الفلسطينية ، فكانوا يعتذرون عن عدم تلبية الدعوة..ويفضلون ان يلقوا خطبهم فى الامم المتحدة ..اما اليهود فيخطبون فى الامم المتحدة ،وفى الكنائس ، وفى كل مكان .. حتى ملئوا رءوس الناس بدعواهم ، فلم يبق فيها مكان لاية دعوة اخرى .. وحتى صارت الكنيسة فى امريكا مصدر تأييد كبير للحركة الصهيونية ولاسرائيل حتى ان احد زعماء الصهيونية كتب يقول : « كانت الصهيونية المسودة فى الكنيسة الامريكية قبل ان تصبح حركة سياسية يهودية .

مقالات فى كلمات

● سئل الفيلسوف برتراند راسل إذا كان مستعدا للموت فى سبيل ما يعتقد ، فأجاب : كلا بالطبع إذ بعد هذا كله ربما كنت على خطأ .

● قال احد الاعراب يوما لاولاده : والله لقد احسنت إليكم قبل أن تولدوا وصغارا وكبارا قالوا : إننا عرفنا انك احسنت إلينا صغارا وكبارا فكيف أحسنت لنا قبل أن نولد ؟ قال : تخيرت لكم من الأمهات من لاتعيرون بها

● قرارات مجمعيــة ● ●●●

● جاءنا من مجمع اللغة العربية مايلى :
أصدر المجمع فى دورته الثانية والخمسين فى مارس ١٩٨٦ القرارات والتوصيات الآتية :

(١) يؤكد المؤتمر توصياته السابقة التى تنص على ضرورة العناية باللغة العربية فى مراحل التعليم ، ولاسيما مرحلتى التعليم الجامعى والعالى .

(٢) يوصى المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم قدر من القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتفسيرا فى مراحل التعليم الأساسى .

(٣) يوصى المؤتمر بأن يلتزم المدرسون فى مرحلة التعليم الأساسى باللغة الفصحى فى مختلف المواد حتى يتعود عليها الناشئة مع العناية بعرض مختارات منتقاة من التراث العربى شعرا ونثرا ودراستها ، حتى يتمثل الناشئة الصياغة العربية السليمة .

(٤) يوصى المؤتمر بنشر ماوضعه المجمع من مصطلحات فى مجال الحاسبات الالكترونية بهدف توحيدها على امتداد الوطن العربى .

(٥) يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى ، ويوصى بتكوين هيئة قومية تتولى إنشاء مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية باستخدام الآلات الحاسبة .

(٦) يوصى المؤتمر بأن تكون اللغة العربية السليمة لغة المسرح وبخاصة فى مسارح الدولة .

(٧) يدعو المؤتمر القادة والمسئولين فى الوطن العربى إلى أن يحرصوا على أن تكون خطبهم الرسمية وكلماتهم الى الجماهير بلغة عربية واضحة .

●●● ● المناقشة حول العقاد ●

● الهلال : ننشر فيما يلى تعليقات الأدباء والقراء حول المسائل التى أثارها الكاتب الأديب محمد سيد كيلانى عن العقاد وإسلامياته وآرائه ، ونختمها برأى للأستاذ كيلانى ..

● تلاميذ العقاد الصامتون ● ●●●●●●●●

● عالج الاستاذ "محمد سيد كيلانى" موضوع "العقاد بين الكفر والايمان" بأسلوب علمى قائم على الأدب مع المتأدبين ، والتأدب مع الأدباء واستخلص رأيا يتوافق مع ماقدم من دلائل ثابتة لكن بعض انصار "العقاد" هاجموا الكاتب وتهجموا على حرمة الكلمة بما ينافى احترام الرأى والإذعان للحق وعذرهم أن العاطفة تغلب العقل !! .

ولاأدرى لماذا يسكت تلاميذ "العقاد" ولايدلون بشهاداتهم لوجه التاريخ حتى لايتخذ الرجل ذريعة للفصل بين العقيدة والفكر !!

لقد قالوا : إنه لم يُقم الصلاة بل كان ناديه دائما ساعة آذان الجمعة !!

وزعموا أن الرجل لم يصم شهر رمضان قط ... ولعلك سائلى : فلماذا كتب العبقريات والإسلاميات ؟

أجيبك ... لقد قدم "وليم موتير وبارل شمتز وتوماس آرنولد" وغيرهم افكارا لاتخرج الا من مسلم فهل قال أحد إنهم من المسلمين ؟ !

وهل يجوز لنا أن نُدخل مايكل هارت الاسلام ونصفه بالتقوى لأنه امتدح النبى وأثنى عليه فى كتابه "الخالدون مائة ..." ؟ !

إن "العقاد" اديب افضى الى ربه ، ولايملك احد التشكيك فى إسلامه بيد أن واجب الادباء الكشف عن منهاج حياته وفاء لحق الاقتداء واستيفاء لمعالم القدوة !!

وياأيها الذين غرتهم المؤلفات ، هلا قرأتم ماجرى بينه وبين الرافعى من جراء "إعجاز القرآن" اتركوا هواكم وحكّموا عقولكم وانتصفوا لانفسكم حتى تعود الأمور إلى نصابها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عبد الجواد الخضرى
مشرف صحافة مدرسية
بشربين

●●●●● ● رفقاً ياكيلانى بالعقاد ! .. ●

● لقد بحثت ياأستاذ كيلانى فى ماضى العقاد وكشفت عن جوهره وسبرت غورة وفسرت تصرفاته وكأنك جزء من ذاته ، بل كأنك ضميره الذى يعلم ما يظهر لأنه يعلم مايبطن !!

واتهمته بالكفر وبانعدام الشاعرية وبالفقر والاملاق فى الأمور المادية والعاطفية وفوق هذا وذاك فهو أبو النرجسية !!



ورغم اعتراض القراء تواصل رحلتك وحملتك بحماس شديد يحركه شيء دفين لا ندريه .

★ ها أنت فى عدد أبريل تزعم أن العقاد كان له رأى فى مسألة الغاء التصريح بالبغاء ولأن سواك متهم بالغباء فقد فهمت من المقال ما لم نفهمه فيالسر العبقرية !!

ورغم ان هذا الأمر قد أثير فى بداية هذا القرن الا أنك لم توضح الظروف التى كان فيها هذا الحدث ولكننا فى حدود مانشرت نقول :

أولا : إن العقاد فى جميع الأحوال لايعقل أن يكون من أنصار البغاء .. والدليل على ذلك قوله كما تذكر (فالمسألة إذن أعظم خطرا من أن يبت فيها بكلمة عاجلة)

ثانيا : ان المقال المحتج به مقال سياسى ، كتب فى ظروف معينة وللرد على أبى العيون وكما يقول أهل النظر (لكل مقام = مقال) . والعقاد عندما كتب هذا المقال لم يكن يعارض الفكرة وانما يعارض أبا العيون فهو يقول له (أهى غيرة دينية لها مواسم ومواعيد ؟) وثمة فارق كبير بين معارضة شخص ومعارضة موضوع يقول به ..... فما رأيك يا استاذ سيد ؟ !!!

ثالثا : قول العقاد (هى حركة اقل مايقال عنها أنها فى غير أوانها ..) قول سديد إذا مانظرنا الى الخلفية الفكرية التى فى ذهن العقاد ومنهجه فى تناول الأمور . إذن فنظرة العقاد كانت ثاقبة ينظر الى ماهو أبعد من الغاء التصريح بالبغاء .. فهى نظرة الفيلسوف الذى ينظر الى الكل .

★ ويستمر سيل الاتهامات .. فالعقاد عزب وبرو العزوبة .. ويحاول عم سيد ربط هذا بقوله (ولم نر للعقاد شعرا فى الغزل ينبىء عن عاطفة حب وأعجاب بالجمال) ..

وهنا يكاد القارىء يشد شعر رأسه هل كان العقاد جمادا ؟؟

★ ويستمر قائلا : (وحينما انضم الى حزب السعديين رضى لنفسه أن يكون عضوا فى مجلس النواب عن طريق انتخابات مزورة ولم يجد الكاتب الاسلامى وازعا من الدين) !

ونسأل : ياعم سيد ..

أى انتخابات فى الفترة المذكورة خلت من تزوير ؟ !

وكلمة فى أذنك بعد إذنك ياعم سيد .. من خلال هجومك على العقاد استشف صديق لى انك لم تقرأ العقاد جيدا .. وتصدر بعد نظرة عاجلة حكما سريعا بدون البحث فى البواعث والأسباب !

★ ورغم ذلك نحاول قراءة ماكتبت فى ذات العدد تحت عنوان (حمارة منيتى ومعارك صحفية) ..

فماذا فى هذا المقال ؟!

واذا كان موضوع الهجوم على العقاد هو من قبيل (الفرقعة) فى المقالات .. والعناوين المثيرة فإن مجلتنا الغراء الهلال أكبر من هذا الأسلوب .. فلها قراؤها ... ويمنعها عمرها الطويل وشبابها المتجدد من اتباع هذا النمط فى التفكير ..

★ وثمة سؤال ياعم سيد :

لقد مات العقاد .. فأين الآخرون ؟ وكم من العمالقة أنجبت مصر بعد جيل العقاد وطه حسين وأمثالهما من الرواد ؟ !

ولسنا نقدس الماضى بما فيه بل نطالب بنظرة موضوعية .. .. والعقل يا .. هوه !!

رمضان الهجرسى

● السَّكَنُ ●

اشكو حَنينِىَ لِمَنْ — وقد جَفانى الزَّمَنْ
إليكَ يامَــاجِدى — أم لـلأسـى والشَّجَنْ
قلبى تَصَابَى إلـى — لِقَيَاكِ والعقلُ حَنْ
والرُّوحُ تحيا مع الــ — مـاضِى لِتَذْكارِ مَنْ
هلاّ منحْتَ الذى — ذاب اشتياقاً .. سَكَنْ ؟

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ المراغة / سوهاج

● بين العقاد وشوقى ●

● فى سنة ١٩٢٧ اتفق ادباء العرب على اقامة حفل لتكريم أحمد شوقى ومبايعته أميرا للشعراء . وكان هذا موضع فخر لمصر والمصريين ، ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى عباس محمود العقاد وليته سكت بل راح يحرر المقالات

الطويلة ويصف مصر بأنها بلد عقيم لم تنجب شاعرا واحدا ، لا في عهد قدماء المصريين ، ولا في العصر الاسلامى انظر اليه حين يقول :

« فلم أعثر على شاعر واحد انبتته مصر كى يذكر بين أعاظم الشعراء وتسمع له رسالة من رسالات الحياة ، فكل شعرائها عرب أو مقلدون للعرب . وكل هؤلاء وهؤلاء عالة على الأدب ونفاية ضئيلة أولى بها النبذ والاهمال »

« ورجعت الى مصر القديمة لأعرف جوابها على هذا السؤال ، فاذا آلاف السنين مضت لم تنجب شاعرا واحدا عظيما ، ولم تخلف لنا أثرا في الشعر كتلك الآثار التى رويناها عن امم العهد القديم وقلبت كلام بنتاعور شاعر مصر القديمة فلم أجد فيه شعرا ولاشبيها بشعر ، وكل مايقوله شبيه بتدوين المحاضر الرسمية التى ينقصها التفصيل والتحقيق »

فما رأى القراء فيما وصم به العقاد الشعب المصرى ؟ وهل كان يجوز له أن يواجه ادباء العرب بهذا المقال ؟ الا يعنى هذا المقال أن المحتفلين بأحمد شوقى والمبايعين له بامارة الشعر جهلة بحقيقة الشعر والشعراء ؟ .

لم يلتفت أحد لكلام العقاد ، ولا اقام له وزنا ، بل عرفوا أنه كلام حقود ، فمضت الأمور هادئة . ففى السادس من شهر مايو ١٩٢٧ جاء في البلاغ الأسبوعى مانصه «اقيمت بالقاهرة في الأسبوع الماضى حفلات شائقة لتكريم صاحب السعادة أحمد شوقى بك ، وقد حضرها وفود كثيرة من أنحاء البلاد العربية ، قدمت للاشتراك في تكريمه باسم ادباء بلادها . وكانت حفلة الافتتاح يوم الجمعة (٢٩ ـ ٤ ـ ١٩٢٧) بدار الأوبرا الملكية برياسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا وبحضور مندوب عن جلالة الملك والأمراء والوزراء والنواب والشيوخ واهل الفضل والأدب ، ولكن دولة الرئيس لم تمكنه صحته من ترأس الحفلة فاناب عنه معالى محمد فتح الله بركات باشا وتليت رسالة من دولته يعتذر فيها »

كاد العقاد ينفجر غيظا ويموت كمدا ولاسيما حين سمع حافظ ابراهيم يتقدم بين يدى أحمد شوقى وينشد قصيدته ويقول :

أميـر القـوافـى قـد أتيـت مبـايـعـا
وهـذى وفـود الشـرق قـد بـايـعـت مـعـى

كان العقاد يدعوا الى التجديد في الشعر ، وكان التجديد في رأيه ترك شعر المناسبات ولكنه لم يزد على ذلك فيما نظم قائلا :

بنـى مصـر صـونـوا لـهـا حقـهـا
كبـار النفـوس كبـار الشيـم
لكـم مصـر حيـث يقـر الثـرى
وحيـث يـرف عليـهـا الـعلـم

وحيث جرى النيل من أرضها
وحيث نما شعبها وازدحم
فلا تتركوا ذرة من ثرى
لباغ ولاقطرة من خضم
وهذى الكنانة من رامها
بسوء وهى ظهره وانقصم

فإذا نظرنا فى هذه الأبيات رأينا ان العقاد لجأ الى اسلوب الخطاب المباشر ، وهو اسلوب لايترك أثرا فى النفس ، وقوله (كبار الشيم) لايضيف جديدا إلى معنى البيت فهو مجلوب للقافية ولتكملة الكلام لأنه لافرق بين كبار النفوس وكبار الشيم . وقوله (وازدحم) أيضا لاتضيف جديدا الى المعنى بعد (قوله إنما شعبها)

اما قوله (وهذى الكنانة) الى آخر البيت فهو من كلام الفقهاء ، وإلا فلماذا خصت مصر دون اقطار العالم بأن من رامها بسوء وهي ظهره وانقصم ؟ هل لدى العقاد دليل واحد على صحة مايقول والأبيات كلها تافهة المعانى وخالية من العاطفة ، وأين هذا من قول أحمد شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

فهذا البيت يمكن ان يجرى على كل لسان فى كل زمان ومكان ولو ترجم الى أية لغة اجنبية لما فقد روعة معناه .

وطريقة العقاد فى النقد تدل على التحامل مثال ذلك قوله ناقدا لقصيدة أحمد شوقى فى رثاء بطرس باشا غالى : (ليت شعرى ماذا كان يعنى شوقى بك بقوله على قبر بطرس باشا :

القوم حولك يابن غالى خشع
يقضون حقا واجبا وذماما
يتسابقون الى ثراك كأنه
ناديك فى عهد الحياة زحاما
يبكون موئلهم وكهف رجائهم
والأريحى المفضل المقداما

أكان يريد ان يقول ان زائرى قبر الرجل وفيهم ساداته الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء وفيهم نائب مولاه الأمير ووكلاء الدول وأكابر السراة والوجهاء أكان يريد ان يقول ان هؤلاء كلهم ممن كانوا يجدون من نادى ابن غالى موئلا وكهف رجاء يستعطون من أريحية ساكنه الجواد ، ويستدرون من أفضاله ؟ أم أراد ان يقول كما قال الناس فى هذا المعنى فأخطأ التقليد ؟ أم لعله كان لايريد

أن يقول شيئا ؟ أم تراه يحسب أنهم ملكوا عليه حتى دموع عينيه وأنه نائحة المعية اعد ليرثى كل من يموت من خدامها بلا مقابل ؟ »

لقد تحامل العقاد على أحمد شوقى ولم يعترف له بفضل على الاطلاق ولايخفى أن شوقى أراد بقوله «القوم» الطائفة القبطية لأنه كان بارا بها شديد العطف على فقرائها وبذلك ينهار نقد العقاد من أوله الى آخره لقد ظل احمد شوقى جبلا شامخا لايدانيه أحد ولم يؤثر فى عظمته نقد العقاد

محمد سيد كيلانى

● الدخول إلى مصر ●



علنى ادخل مصراً بين أوراق مجله
ها أنا أنزف شعراً بقوافيه اهلّه
أيها الطائر دوماً فى فضاءٍ لن تملّه
لأراك الله يوماً لوعة القيد المذلّة
ولتعش حراً كريماً لاسوى الله يؤلّه
ولترَ الله رحيماً مالنا غير التعلّة
أيها النيلُ سلمتَ كم رويناك بقبلَه
قد ظمئنا .. هل ظمئت أنا شاعرك المولّه
يابلادى .. يابلادى قُبلاتى بالتجلّة

الدكتور احمد عامر

● رثاء شوقى للشيخ عبده ●

● فى عدد أبريل ١٩٨٦ تحت عنوان : « حمارة منيتى ومعارك صحفية » بقلم الأستاذ محمد سيد كيلانى ، وردت العبارة التالية باخر صفحة ٥٧ : « استمر عباس فى حقده على الشيخ محمد عبده . ولما توفى الشيخ لم يجرؤ احمد شوقى على رثائه فى حين أنه رثى من هم اقل منه شانا وادنى مقاما » وبرجوعى إلى الجزء الثالث من الشوقيات ، الخاص بالمراثى وجدت أن شوقى رثى الشيخ محمد عبده بأبيات مطلعها :

مفسّر اى الله بالأمس بيننا
قم اليوم فسّر للورى آية الموت

والمرجع : الشوقيات ، الجزء الثالث ، طبعة دار الكتب ١٩٤٦ .
لذا لزم التنويه تصحيحا لهذه المعلومات التى أوردها الأستاذ كاتب المقال مع تقديرى له .

محمد محمد القاضى سرس الليان

● ابراهيم خليل ابراهيم يوسف ـ شبرا الخيمة :

ـ لاينقص شعركم الا اعتدال الأوزان واستقامتها ، فأنت تقول :

هـــا حياتى إثر أعينكم
مزيــــج من وهم وظنون
ففى نفســـى تشتعل نار
كأنها الجمـر فى الأتون

فهذه الشطرات الاربع تشمل وزنين صحيحين ولكنهما مختلفان فى التفعيلة أو البحر ، وذلك فى الشطرتين الأولى والأخيرة .. أما الثانية والثالثة فخارجتان عن الوزن .. وقصيدتك التى عنوانها « ياقلبى » أيضا تحتاج الى مراجعة الوزن .

● شحاتة فرهود :

ـ قصيدتاك الزجليتان اللتان سجلتهما فى الشهر العقارى ، وصلتا الينا بسلام ونشكرك عليهما ، ونعتذر إليك ، لأننا ننشر باللغة الفصيحة فقط .. حاول نشر أزجالك فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية .

● عبد الرحمن محمد عبد المولى ـ الاسكندرية :

ـ حاول أن يكون شعرك فى معنى يهم قراء الشعر جميعا ، لامجرد رسالة الى صديق لك بالاسم ، فهذا الشعر الذى يسمى شعر الاخوانيات ، قلما يهتم به القارىء .

● أبو الهيثم المجدلى ـ غزة :

ـ شعركم الحلمنتيشى لايصلح للنشر عندنا ، ولم يكن حسين شفيق المصرى ينشر شعره الحلمنتيشى فى الهلال ، بل كان ينشره فى الصحف الفكاهية التى كانت تصدر قديما عن دار الهلال .

● عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :

ـ تحدثت فى رسالتك عن العقاد والموسيقى بكلام منقول من مقالة سبق للهلال نشرها منذ عامين تقريبا ، فلماذا لم تشيروا الى المصدر الذى أخذتم عنه الكلام بنصه ؟!

● كمال محمد نصر الدين نادى ـ بنى خالد ـ مغاغة :

ـ انت مازلت صغيرا فى الدراسة الثانوية وفى السابعة عشرة من عمرك فلا تتعجل نشر أشعارك ، وحاول قبل النشر أن تتقن قواعد اللغة والأوزان وتقرأ كثيرا فى الشعر الجيد والأدب .

● عبد الرحمن عبد المحسن البسطة ـ المنصورة :

ـ أنت فى الأوزان موفق كثيرا ، ولكنك فى اللغة والنحو تحتاج إلى جهد كبير لتسد الثغرة فيهما .. فاعرف لغتك معرفة جيدة قبل كل شىء ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣.٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	ايسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

الهلال

يوليو
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشاً

● ثورة يوليو.. ومائة عام من الجهاد

● الزار.. وهل يعالج الأمراض؟




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من روائع الفن الإسلامي

● لوحة على نسيج من القماش ، تقدم نغما من الالوان والأشكال . تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، وموجودة بمتحف اوبرشت فى هولندا ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ اول يوليو سنة ١٩٨٦ ـ ٢٥ شوال سنة ١٤٠٦

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتير التحرير الفنى
عيسى دياب

في هذا العدد



قصة الزار .. كيف بدأ ؟
وهل يعالج الأمراض ص ٥٦
بريشة الفنان : حلمى التونى

● فكر وثقافة ●

● شعر وقصة ●

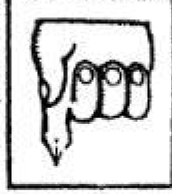
● شخصية العدد ●

● دراسة العدد ●

● رسائل من الخارج ●

● خارج القاهرة ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

هل هي نهاية الشعر العربي؟

الشعر هو أكثر ما يحمله إلينا البريد من رسائل اصدقائنا القراء ، وأكثر هذا الشعر من اللون التفعيلي ، واقله من الموزون المقفى ، ولانتحدث هنا عن طبقة هذا الشعر او مستواه الفني ، ونقتصر على الحديث عن شيء واحد فيه هو الأوزان ..

فإن عددا غير قليل ممن ينظمون الشعر التفعيلي لايعرفون مايلزمهم معرفته من الأوزان ، ولهذا يكتبون نثرا ويتصورون انه شعر تفعيلي صحيح التوزين ، خال تماما من التكسير ..

كذلك ناظمو الشعر المتكامل البحور ، فإن عددا منهم يخطئون في الأوزان ، وبعضهم يخلط أعاريض البحور بعضها ببعض ، وقد لاتكون الأعاريض عندهم الا سطورا متساوية ' ..

فالتفعيليون والعموديون الشبان معا ، لايعرفون الآن الشيء الجوهري اللازم للشعر العربي ، وهو الوزن ، وهذا مصداق لما توقعه النقاد منذ اكثر من ثلاثين سنة عندما نجحت الدعوة الى تحطيم أوزان الشعر العربي تحت دعاوى عريضة أثبت الزمان بطلانها ، فسار يومئذ وراء هذه الدعوة شعراء شبان كانوا في

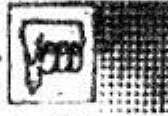
الأصل شعراء عموديين لهم شعر متكامل الأوزان سبق ان نظموه قبل انضمامهم الى دعوة تحطيم الأوزان ونظم الشعر التفعيلى .. ولهذا استطاعوا أن ينظموا شعرا تفعيليا صحيح الوزن ، لأنهم كانوا يعرفون أصول الأوزان وهى البحور الستة عشر المعروفة منذ أيام الخليل بن أحمد ..

وهؤلاء الشعراء إنما عرفوا الأوزان باطلاعهم على الشعر العربى قديمه وحديثه ، ودراستهم له ، ونسجهم منواله فى بداية نشاتهم الشعرية كما جرت عادة جميع الشعراء ، فقام نظمهم على أسس من التراث الشعرى العربى الذى لايتاتى لمن يجهله ان يكتب شعرا جديدا ، تفعيليا أو موزونا مقفى ! ..

والآن .. بعد اكثر من ثلاثين سنة على ظهور الشعر التفعيلى الجديد فى مصر ، لم يعد الشعراء التفعيليون الأوائل شبانا ، بل اشتعلت رءوسهم شيبا ، وتضاءلت قدرتهم على التاثير فى الشعر ، وبعضهم توفاه الله الى رحمته ، وخلف من بعد هؤلاء خلفا ضاعوا الشعر التفعيلى الموزون ، لانهم قطعوا صلتهم بشعر التراث حتى ما كان منه معاصرا كشعر شوقى ومطران وعلى محمود طه وامثالهم .. واقتفوا بتقليد الشعر التفعيلى كما نظمه رواده الأوائل قبل ثلاثة عقود .. أى انهم دخلوا الى الشعر من باب التفعيلة ، دون المرور ببحور الشعر ، مع ان التفعيلة هى مجرد "مازورة" واحدة من لحن كامل ، ولاتتم معرفتهم بهذا اللحن إلا بفهمه واستيعابه كله ، واما اللحن الكامل فى الشعر العربى هو البيت ، أو البحر ذو التفعيلات .. وهذا مالايعرفه الجيل الجديد من شعراء التفعيلة ولايحاولون معرفته ..

والشاب الصغير الذى تدعوه موهبته الى نظم الشعر وهو لايعرف البحور ، يضل الطريق الى التفعيلة ، لأنها غير قائمة بذاتها ولاسبيل الى النظم بها إلا بعد معرفة صحيحة تامة لموقعها فى بحرها ، وتوزينها وموسيقاها فى هذا الموقع ..

فإذا نظم أحدهم فى بحر المتقارب - مثلا - لم يستطع انتزاع تفعيلة منه إلا اذا عرف وضعها بين تفعيلات



مصراعيه .. وقديماً نظم الشاعر العالم صفى الدين الحلى أوزان الشعر العربى ، فقال عن بحر المتقارب :

عن المتقارب قال الخليل

فعولنُ .. فعولنُ .. فعولنُ .. فعول

وقد يجهل الشاعر الشاب فى أيامنا هذه مصراعى البيت معا ، فلا يعرف "فعولن .. فعولن" .. فى المصراع الثانى ، ولا المقدمة الظريفة لصفى الدين الحلى فى المصراع الأول ، ويستمر مع ذلك فى نظم الشعر !

كذلك بحر الرجز الذى أطبق على النظم به فى أيامنا هذه معظم شعراء التفعيلة ، فإن من يجهل هذا البحر كله ، لايستطيع أن يجتزىء منه تفعيله ينظم بها شعره ، فمعرفة التفعيلة فرع من معرفة البحر الذى هو الأصل ، ولاقيام للفرع مع سقوط الأصل ..

المؤسف فى كل هذا أن شعراء التفعيلة الشبان الآن باتوا يجهلون الأوزان التفعيلية التى كان يعرفها اسلافهم فى الخمسينيات والستينيات ، فهؤلاء "الأسلاف" كانوا على علم بالبحور ـ كما تقدم قولنا بذلك ـ أما الاخلاف فمقطوعو الصلة بالشعر العربى .. يبدءون حياتهم فى الشعر بتقليد التفعيليين الأوائل ، مع أن هؤلاء الأسلاف الفضلاء إنما بدءوا شعرهم بتقليد شعر التراث القديم والمعاصر ، فعرفوا البحور ، ومن ثم عرفوا التفعيلة ، فى حين جهلها الشبان الجدد ـ أو غالبيتهم ـ جهلا مطبقا لأنهم بدءوا بتقليد الشعر التفعيلى ، فقفزوا فى الفراغ ، ولم يقم تقليدهم على اساس حقيقى ، وانهارت فوق رءوسهم ورءوسنا عمائرهم التفعيلية ، لأن تفعيلاتها غير سليمة ، كأنها عمارات الاسكان الشعبى وغير الشعبى فى هذه الأيام ..

وكلامنا عن شعراء التفعيلة يجرنا الى الكلام عن شعراء الأوزان والقوافى ، ففى أيامنا هذه يقل جدا عدد هؤلاء الشعراء

الذين يلتزمون قافية ووزنا .. والمجيدون منهم يعدون على أصابع اليد ، ومايصل الينا من رسائل الشعراء الجدد الملتزمين بالاوزان المتكاملة . يدل على أن معرفة اكثرهم بالأوزان مهتزة ضعيفة ، كأنما أصابتهم العدوى من زملائهم التفعيليين .

ومعنى ذلك أن الشعر العربى قد وقع بين نارين من الجهل بالأوزان : نار التفعيليين ، ونار العموديين .. فقد استوى الماء والخشبة - كما قال - وصار العموديون والتفعيليون الشبان سواء فى تحطيم الأوزان أو إلغائها تماما .

والشعر - كما يقول العربى من قديم - هو قلب اللغة العربية ، فإذا مات الشعر كان ايذانا بموت هذه اللغة العظيمة !..

وكيف تبقى الامة العربية اذا ماتت لغتها القومية ؟!

لقد خدمت اللغة العربية مجتمعات مختلفة متعاقبة فى اقطار شاسعة تمتد من الأندلس الى الهند . فهل أن لهذه اللغة الشريفة ان تنسحب من الحياة ؟! ..

قديما قال ابن خلدون إن أول ما يسقط عند سقوط العمران هو فن الغناء ..

فماذا يقال الآن ، وقد سقط فن الغناء . وسقط فن الشعر العربى ، وصارت اللغة العربية غريبة حتى عند بعض المتخصصين فيها ؟! ..

والعجيب أن الغناء العربى والشعر العربى ، يسقطان واحدا اثر الآخر ، فى عهد صعود القومية العربية !!

ولكن هل نفيق من سكرتنا لكى نرى أن صعود القومية العربية هو الآن قضية معروضة على التاريخ الحديث ، وقد بات مشكوكا فى مصيرها ؟!

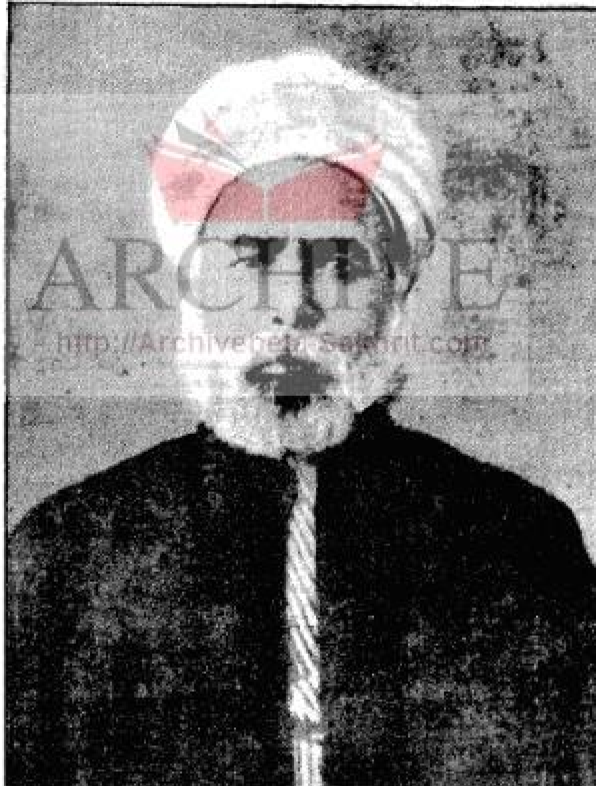
إذا نظرنا إلى أمورنا هذه المتشابكة نظرة غير خيالية ، فسنرى ان "فعولن مفاعيلن" وبقية التفعيلات ، هى الاشارات الصارخة الدالة على سوء الحال والمآل !

المحرر

● التيارات الفكرية في مصر في القرن العشرين ●

حركة التجديد الإسلامي

بقلم: حسين أحمد أمين



الشيخ محمد عبده

فتح العرب مصر عام ٦٤١ م فانفصمت بفتحهم عرى صلاتها بالامبراطورية البيزنطية . واضحت جزءا من دار الاسلام غير ان تحول المصريين الى مسلمين يتكلمون العربية كان من البطء بحيث نجد الرحالة الجغرافي المقدسي البشاري يتحدث عنهم بعد أكثر من ثلاثة قرون باعتبار ان غالبيتهم من القبط . أما انتشار اللغة العربية بينهم فكان على نطاق أوسع نسبيا من انتشار الاسلام ، إذ كان الالمام بها شرطا للالتحاق بوظائف الدواوين منذ عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان . وبوسعنا ان نعزو بطء انتشار الاسلام إلى ان مصر لم تكن كالشام والعراق مقرا للخلافة . وإنما كان يحكمها ولاة من قبل الخلفاء ، وكان هؤلاء الولاة أحرص على استمالة القبط وضمان ولائهم منهم على نشر الدين .



واهمّ من ذلك انه منذ عام ٨٦٨ م ، حين استقل الوالي التركي أحمد بن طولون بمصر عن الخلافة العباسية ، تتابعت فيها سلسلة من حكام الأسر المستقلة عن سائر العالم الاسلامي (الطولونية فالاخشيدية فالفاطمية) ، كما احتفظ الأيوبيون والمماليك باستقلالهم مع اعترافهم بالهيمنة الاسمية للخليفة العباسي . وقد كان استقلال هؤلاء الولاة يحتّم عليهم الحرص على رضا الرعية وتجنّب الاصطدام بعقيدتهم ، لاعتمادهم على أفرادها اعتمادا كليا في تزويد خزانة الدولة بالمال ، وجيشها بالرجال . ولذا شهدت مصر في عهد هذه الأسر مالم يشهده أي قطر إسلامي آخر من كثرة تولّي النصارى واليهود فيها ارفع المناصب الحكومية . كما أدى هذا الوضع إلى عزلة المصريين نسبيا عن مختلف التيارات الدينية والتطورات السياسية التي شهدها سائر العالم الاسلامي ، خاصة حين بات المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة خلال حكم الفاطميين ، وهو الحكم الذي دام قرابة قرنين ، وجلب للدولة عداوة ضارية من جيرانها .

فلا غرو إذن ان تصبح لثقافة مصر ، حتى بعد أن أضحى المسلمون غالبية سكانها ، ذاتية خاصة بها ، مميزة لها ، وأن يجري تطورها على نسق لاتشترك معها فيه دولة إسلامية أخرى ، وأن يسير تاريخها على نمط يختلف اختلافا بيّنا عن نمط تاريخ العراق مثلا أو تاريخ المغرب .



حركة التجديد الاسلامي

وقد زاد من انفراد مصر بذاتيتها انها لم تتلق ماتلقتّه الاقطار الأخرى من ضربات قاصمة ، كالتي حلّت بالمغرب على أيدى القبائل البدوية ، وبأسبانيا على أيدى المسيحيين ، وبالعراق والشام على أيدى المغول .

● ارتباط بالدولة الإسلامية ●

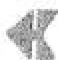
غير أنه لامفر من الاقرار بأن الحكم العثمانى لمصر قد أضعف الى حدّ ما من هذه الذاتية ، وزاد من ارتباط مصر بالدولة الاسلامية وبمصيرها والتقلبات الطارئة عليها . لكن هذا لايعنى نمو الطابع الدينى الاسلامى لها . فقد بقيت العامة على نحو وصف ابن خلدون لها : " المصريون يتصرّفون وكانما قد فرغوا من يوم الحساب !" . وقد انتشرت بين جموعها صنوف الانحلال الخلقى والدعارة والاستخفاف بتعاليم الاسلام ، فى حين أبدت العامة همة عظيمة تفوق همة اي شعب مسلم آخر من أجل إعادة تفسير المظاهر الوثنية لدياناتها القديمة ، من فرعونية وقبطيه ، تفسيرا إسلاميا ، وهى المظاهر التى أرادت الابقاء عليها والاحتفاظ بها . وإذ ظل المشايخ والفقهاء يكفّرون اختراع الطباعة طوال الحكم العثمانى لمصر باعتباره بدعة ، فقد ظل النّهل من التراث الفكرى الاسلامى مقصورا على فئة محدودة للغاية من بين أبناء المجتمع الأمى .

وعلى ذلك يمكن القول بأن المعالم المميزة مصر العثمانية كانت كالتالى : نموّ الاحساس بالارتباط بدولة إسلامية كبرى ، مع ضعف مقابل فى الاحساس بالمصرية ، وخلو الأذهان من اية فكرة تتعلق بقومية أو هوية عربية ، وإلمام جد ضعيف بالتراث الفكرى الاسلامى ، وجهل مطبق بأحوال الفرنجة ، مع وجود أقلية من الاقباط فى عزلة سياسية (شبه تامة عن مجريات الأمور ، وعزلة اجتماعية عن الغالبية من المصريين المسلمين) .

● القرن التاسع عشر هــوة فـي التعليـم ●

مع الحملة الفرنسيه فحكم محمد على دخل الحياة المصرية عنصر جديد هو التغريب ، تبعه صراع بين النظم الوافدة والمستحدثه وبين التقاليد الراسخة ، لا بين تلك النظم وبين العقيدة الدينية .

وقد زاد من حدّة المشكلة تبنّى محمد على لنظامين متباينين للتعليم : نظام تقليدى قديم ترك على حاله دون إصلاح ، يبدأ بالكُتاب فى القرية وينتهى بالأزهر فى القاهرة ، ونظام جديد له مدارسه التى تؤهل متخرجيها لتولى المناصب المرموقة فى الدولة ، والتى انشئت ووضعت منـاهجها على غـرار معاهـد العلم الأوروبية ، فكانت لا تولى الدين وعلومه العنايه الواجبة . وهنا بدأت تظهر فى مصر تلك الهوّة الهائلة بين التعليم الدينى والتعليم المدنى ، وذلك الاختلاف الواضح بين المشايخ وسواد الناس . (سواء فى الزىّ أو نمط المعيشة أو العادات الاجتماعية أو أوجه التسليه أو حتى لغه الحديث) . وبدأت المدارس الجديدة تُخرج جيلا بعد جيل ممن قد فرّغوا تفريغا من كل مايصلهم بمـاضيهم ودينهم وتقاليدهم ، وقد فقدوا كل اهتمام حقيقى



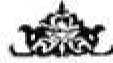
عميق بالدين . فإن اقبلوا عليه كان إقبالهم راجعا في المقام الأول إما إلى أسباب شخصية . او إلى بيئة يغلب التدين عليها . لا إلى طبيعة تعليمهم . وزاد الطين بلّة ذلك الضعف المتفاقم فى لغتهم العربية التى ضعف اهتمام المدارس بها . فانقطعت الصلة ـ او كادت ـ بينهم وبين تراثهم الفكرى .

وبإقبال الخديو اسماعيل على اقتباس مظاهر المدنية الأوربية . ثم الاحتلال البريطاني لمصر . وازدياد الاحتكاك بالأوربيين فى قارتهم ذاتها . عرف المصريون ضروبا جديدة من التوتر . واضطربت النفوس وتحيّرت . وظهرت فى البناء الاجتماعي القديم شقوق سرعان ماانبرى المفكرون يُسدون النصائح المتباينة بصددها . فمنهم من رأى الاطاحة بالبناء القديم بأسره والشروع فى إقامة اخر مكانه . ومنهم من اسا بالاستعانة باحجار جديدة لسدّ الشقوق فى الجدران القديمة . ومنهم من تساءل عن إمكان إقامة البناء الجديد على الأساس القديم . غير انهم جميعا كانوا مع اختلاف وجهات نظرهم . متفقين على حقائق ثلاث : أن الأوضاع فى مصر قد تدهورت . وأن كيانها بأسره فى خطر . وأنه قد بات من المحتم الاسراع بإيجاد حل

● فجر العلمانية ●

فأما تلك الثلة من متخرجي المدارس الجديدة . فقد رات الحل فى المزيد من التغريب واقتباس النظم الاوربية . وقد رحب القبط ترحيبا عظيما بهذا الاتجاه . وببزوغ فجر علمانية رأوا فيها بصيصا من الامل فى تحسن اوضاعهم . وبظهور بوادر " مصرية " كانت ضعيفة فى البداية ثم أخذ عودها يشتدّ نتيجة نزوع محمد علي الى الانفصال عن الدولة العثمانية . ووهن الصلة بين مصر والآستانة حتى فى عهد خلفائه . وقد كان الشيخ رفاعه الطهطاوى حامل لواء هذا الاتجاه . وهو اتجاه تغريبى ومصرى وطنى فى آن واحد . فمن بين مااقتبسه الطهطاوى من الافكار الاوربية . فكرة الوطنية الاقليمية المباينة فى طبيعتها لمبدأ الولاء لأمة إسلامية أكثر شمولا . وكان الشقّ الثانى من دعوته هو بيان عدم تناقض روح الشريعة الاسلامية مع القوانين العلمانية الأوربية . والقول بأن كل ماهو تقدميّ مفيد من الانظمة الأوربية سنجد له صدى وجذورا فى الديانة الاسلامية لو أننا دققنا النظر . وامعناً فى البحث . وبالتالي فإنه لاينبغى ان تكون هذه الديانة عائقا عند البعض يحول دون تبنى هذه الأنظمة .

وسواء كان بوسع الطهطاوى أم لم يكن بوسعه التنبؤ بالآثار البعيدة لشقى رسالته . فقد أدى تبني أرائه فيما بعد على نطاق واسع الى مزيج من الحيرة والاضطراب والتناقض . فقد يكون حب الوطن من الايمان . غير أنه لابد معه من مساواة بين ابنائه مع اختلاف عقائدهم الدينية . ولابد من اشتراكهم جميعا فى الدفاع عنه . وبالتالى لامفر من ان



حركة التجديد الاسلامي

تستبدل بفكرة الجهاد فى سبيل نصرة الاسلام ، (وغالبا ماسيكون الجهاد ضد محتلين من النصارى الأوروبيين) ، فكرة الجهاد دفاعا عن الوطن ، وطن المسلمين والنصارى معا ، وكان لابد إزاء هذا من شيوع النظرة العلمانية التى تفصل بين الدين والدولة .

وقد عرقل من انتشار هذه المفاهيم الجديدة بعض الوقت تفاقم نفوذ الدول الأوربية فى مصر ، ثم احتلال البريطانيين لها ، فقد ظهرت مقاومة لهما استخدمت الدين سلاحا ، مقاومة باركتها وشجعتها حكومة الأستانة العاجزة عن الحيلولة دون تحقيق الدول الأوربية لمآربها . وكانت وسيلة هذه المقاومة تأكيد الطابع الاسلامى للدولة العثمانية ثم دعوة السلطان العثمانى الى تنصيب نفسه خليفة للمسلمين كافة سواء كانوا من رعاياه أو من رعايا الدول الاستعمارية ، وقد لقيت هذه الدعوة إلى الجامعة الاسلامية تأييد جيل أو جيلين من المسلمين فى مصر . اما الأقباط الذين كان التأثير الثقافى الأوربى فيهم أقوى من تأثيره في المسلمين ، فقد تفاوت ردّ الفعل لديهم تجاه هذه التيار مابين الخشية والنفور وعدم الاكتراث . ذلك أن استعانة سلطات الاحتلال البريطانى بهم فى الوظائف العامة على نطاق أوسع من ذى قبل ، وضغط هذه السلطات من أجل تحقيق المساواة بينهم وبين المسلمين ، اديًا إلى ان اصبح تعاطف الغالبية من القبط مع أوربا المسيحية ، اشد من تعاطفها مع الشرق المسلم .

تبنّى جمال الدين الافغاني وعدد من تلاميذه فى مصر فكرة الجامعة الإسلامية . وبتأثير من افكار الأفغاني تردد الشيخ محمد عبده فى قبول الشق الأول من دعوة الطهطاوى الخاص بالوطنية المصرية إذ ارتاه سينتقص حتما من الولاء الدينى للأمة الاسلامية . اما الشق الثانى من الدعوة فقد اصبح محمد عبده ابرز الدعاة له دون منازع . فعن التساؤل عما إذا كان من شان الأخذ باساليب الحضارة الاوربية ضياع الهوية والتقاليد والعقيدة الدينية ، اجاب فى ثقة بالنفى ، وبانه ليس ثمة تناقض بين الاسلام الحق وبين الكثير من مظاهر تلك الحضارة ، وانه لابد من اجل تقدمّ الامة من التوفيق بين هذا الدين الذى يمثّل السبيل الأمثل فى الحياة ، وبين اساليب الغرب التى لايثبت تعارضها مع احكام الاسلام .

وإلى جانب تيار التغريب ، وحركة الجامعة الاسلامية ، والدعوة الى الوطنية المصرية ، ظهر فى أواخر القرن التاسع عشر تيار رابع ، بدأت الدعوة اليه واهنة مترددة بعض الوقت ، ثم نمت وغلظ عودها فى القرن التالى . فقد لاحظ رعايا الدولة العثمانية ، خاصة من المسيحيين العرب الكارهين لها والرازحين تحت نير حكومتها ، أن البلغار واليونانيين والصرب والارمن قد شرعوا ، من اجل نيل



استقلالهم عن الدولة ، فى تأكيد أهمية العنصر العرقى . وسرعان ما طلع بين ظهرانى العرب من الدعاة من انبرى هو الآخر للتركيز على أهمية العرق واللغة والقومية العربية ، ويلمح الى ضرورة فصم عُرى رابطة مع الترك العثمانيين مجحفة بالعرب وحقوقهم ، وتمثل عائقا دون تطورهم ونهضتهم . وإذ كان الكثيرون من المثقفين المسيحيين فى الشام من معتنقى هذه الفكرة ، قد فضّلوا الهجرة الى مصر التى وفّرت لهم سلطات الاحتلال البريطانى فيها قدرا أكبر من الحرية والحقوق ، فقد نجحوا فى بذر بذور هذا التيار الرابع فى مصر ، وإن كان نموه وإثماره قد تأخرا أمدا طويلا تسببيا ويكفينا هنا أن نذكر أنه مما ساعد على بزوغ هذا التيار ، ما أسفر عنه تأسيس محمد على للمطبعة الأميرية فى بولاق من التوسع فى طباعة ونشر كتب التراث العربى ، وامتداد قاعدة المطلعين عليه من بين المتعلمين الذين كان من الصعب عليهم فى الماضى اقتناء المخطوطات أو نسخها ثم نمضى الآن فنتتبع نموّ هذه الاتجاهات فى القرن العشرين .

القرن العشرون
أولا : المصلحون الإسلاميـــــون من دعاة التوفيق

لا مفر من الاقرار ، قبل التوغل فى دراسة الصراع الأيديولوجى فى مصر بين أنصار هذه التيارات الفكرية ، بأن ظروف المجتمع وتطوره ، واتجاهات الجماهير العريضة بمصالحها ومطامحها ، أعمق أثرا فى توجيه المجتمع من آراء الكُتاب والمفكرين الذين كثيرا ما تكون نظرياتهم تعبيرًا ودفاعا عن تبنى سواد الناس لحلول ليس بوسع أحد أن يحول دونها . ولا شك فى أن تفضيل المؤرخين وعلماء الاجتماع للاعتماد على كتابات المفكرين ، دون توجهات الجماهير ، فى تعرضهم ودراستهم للتيارات السائدة فى مجتمع معين ، ومبالغتهم فى تقدير أهمية تأثير تلك الكتابات ، هما من قبيل الاستسهال لاغير ، حيث أن الأمر لا يتطلب أكثر من دراسة نصوص ، ومع ذلك ، فإن هذه الحقيقة لاتنفى قيمة أو تأثير التعبير والصياغة فى شد أزر الاتجاهات وتشجيع أصحابها على التمسك بها ، بإيجادها سندا لها من المنطق والعقلانية والمبررات .

لقد أدى ما لمسه المصريون على إثر اتصالهم بالمدنية الغربية ، (عن طريق الاستعمارين الفرنسى فالبريطانى لبلادهم ، ورحلات مثقفيها الى أوربا للدراسة وغير الدراسة) ، من تفوق الغربيين فى مضمارى السلاح والحضارة الى تطرق الشك الى نفوس البعض وزعزعة علاقة الكثيرين بما توارثوه من تقاليد وأنماط عيش ، وشعور بالحاجة الملحة الى التقريب والملاءمة بين هذه التقاليد وبين الأحوال الجديدة التى وجدوا أنفسهم فى ظلها على نحو شبه مفاجىء . وقد كان من المؤسف أن تجىء

حركة التجديد الاسلامي

جهود المفكرين الاسلاميين المجددين الساعية الى التوفيق بين عقيدتهم وبين مطالب الحضارة الغربية . فى الوقت الذى تضاءلت فيه ثقتهم بأنفسهم . وغلب على نظرتهم الى الأوربين احترام ورهبة مبالغ فيهما لذا لم يكن غريبا أن يتسم تفكيرهم بنزعة عقلانية هى نزعة أوربية محضة ، وأن يتبنوا قيما كلها او جُلها من قيم الغربيين المستعمرين . بل إنه حتى فى تصديهم للدفاع عن الاسلام ضد دعوة المبشرين وحملات المستشرقين الطاغين فيه ، تركز الدفاع على محاولة إزالة شبهة منافاة تعاليمه لمقتضيات الحضارة والتطور ، وإثبات مرونة الأحكام الاسلامية وسهولة مسايرتها لحاجات البشر المتغيرة باختلاف الزمان والمكان . وقد اكتشف هؤلاء شبها قويا بين الاسلام " الحق " وقيم السلف الصالح ، وبين القيم الغربية الحديثة فالاسلام يخاطب العقل ، بدليل أنه لم تكن لنبيه معجزة غير القرآن . وقد أبطل عمر قطع يد السارق عام الرمادة والقراءة المتعمقة للقرآن تهدينا الى أنه فى حقيقة الأمر غير مرحب بتعدد الزوجات . وقد أوصى الاسلام بالمساواة بين الجنسين ، وحررّ المرأة ، وبعث الميل الى العلم ، وجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، فأذاب الفوارق بين الفقراء والأغنياء ، ودعا الى العناية بالصحة وأساليب العمران . ولايقف بين المسلمين وبين النهضة غير حوائل زائفة فى امكانهم إزالتها بإصلاح نظام التعليم ، وتطهير الاسلام مما علق به من شوائب عبر القرون ، وإعادة صياغة العقيدة الدينية على ضوء الفكر الحديث . والعناية بدراسة العلوم الحديثة وتاريخ أوربا للتوصل الى معرفة سر تقدمها .

● أخذ مايناسب الاسلام ●

فعماد دعوة الشيخ محمد عبده وتلاميذه إذن هو أن يأخذ المسلمون من المدنية الغربية ما يناسب ، ومن الاسلام مايناسب .. فعقدة العقد فى موقف المسلمين اليوم هى التوفيق بين الاثنين غير أن المسلمين لحسن الحظ ليسوا مخيّرين بين التمسك بدينهم وبين الاستفادة من الحضارة الغربية كما يدّعى البعض . فمدنية الغرب غير مؤسسة على دين ، وإنما على العلم والتجربة والاختبار . وهى بالاضافة الى هذا محدودة بحدود المادة فليس هناك مايمنع من أخذ المدنية الغربية المادية بعد صبغها صبغة روحانية إسلامية ، والحق أن الاثنين ليسا متخاصمين بطبيعتهما ، وإنما هما متخاصمان من سوء فهم أبناء الحضارتين ، وبالامكان توثيق العلاقة الودية بينهما ، واستعانة كل منهما بما عند الآخر من مزايا . فخير للعالم الاسلامى اليوم أن يأخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربها فى الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم ، من غير قيد ولا شرط ، ثم يحتفظ بعد ذلك بروحانيته التى يلون بها هذا العلم .




جمال الدين الافغاني

فتجعله موجها لخير الانسانية لا لغلوّ في كسب مال ، ولا لافراط في نعيم ، ولا للقوة والغلبة ، ولكن للخير العام ، وإنما بزت اوربا الشرق المسلم في مضمار الحضارة ، لا لأنها مسيحية ، وإنما لعنايتها بتطوير العلوم وإهمال المسلمين لها . فلو ان الشرق استوعب علوم الغرب واستخدمها في استغلال ثرواته فلن يكون من الصعب عليه اللحاق باوربا . وليس في الاقبال على التعلم من الغرب من بأس ولا هو مدعاة للخجل ، فإنما كان الفضل في نهضة العلوم في اوربا راجعا الى استفادتها من النقل عن المسلمين الذين عنوا بالحفاظ على تراث الاغريق وتطويره وتنميته . وقد حث الاسلام نفسه على طلب العلم ولو في الصين ، ولا شيء يمنع المسلمين من ذلك الا تمسكهم بتقاليد موروثة بالية ، وتقديسهم للعادات المألوفة ودينهم براء من هذه العادات والتقاليد

التي يسهل التضحية بها في سبيل حاجات المدنية ومقتضيات العمران .

تلك هي خلاصة دعوة المصلحين الاسلاميين من دعاة التوفيق ، قد عبّروا بها عن الاتجاهات القائمة بالفعل لدى طبقة المتعلمين المتزايد عددهم من سكان المدن ، وهم الاكثر احتكاكا بمظاهر المدنية الغربية التي اقبلت السلطات على التوسع في الاقتباس منها . وبقدر ما ابهجت هذه الدعوة المطربشين المتفرنجين من المسلمين ، ابهجت المستعمرين البريطانيين إذ رأوها في مجملها دعوة مُقنّعة الي التغريب ، والى فتح الباب على مصراعيه أمام الاقتباس من مدنية الغرب دون حرج ، وسرهم بالأخص أن يحمل لواءها عدد من رجال الدين البارزين الموقرين من أمثال الشيخ محمد عبده الذي كان لورد كرومر يكن له الاحترام الشديد ويعلق عليه الآمال . وإنه لمن الشائق حقا أن تقرأ في العدد الاول من مجلة " العروة الوثقى " تحديدا لأهداف المجلة ، ومن بينها ...

٣ ـ الدعوة الى التمسك بمبادىء السلف المماثلة في واقع الحال لمبادىء الدول الأجنبية القوية المتقدمة !

● التعاليم الحقة للاسلام ●

فهنا إذن إحساس بتفوق الغرب ، وإدراك لضرورة الدفاع واعتراف بصحة الاسس التي تقوم عليها حضارة الدول الاوربية تضمنته الاشارة الى الشبه بينها وبين مبادىء الاسلام ، وهو اكثر صنوف الاطراء والمديح إخلاصا وقد شكا

حركة التجسيم الإسلامي

المبشرون المسيحيون من ان هؤلاء المصلحين الاسلاميين إنما يتبنون الافكار والقيم المسيحية ويسعون الى تشييد صرح إسلام جديد " مسيحي " ! غير أن الواقع انهم لم يتبنوا القيم المسيحية، وانما نسبوا الى الاسلام القيم الليبرالية الانسانية البورجوازية التى عمّت اوربا خلال القرن التاسع عشر، وهى قيم غير مشتقة عن المسيحية. والحقيقة التى يصعب المراء فيها ان الكثيرين اليوم ممن يظنهم الناس، أو يظنون انفسهم، من المواصلين لرسالة الشيخ محمد عبده، لايعرفون غير القليل عن الاسلام الذى يدعون الدفاع عنه وتجديد الفكر فيه، وإنما هم يدافعون عن تصوراتهم الليبرالية التى يعتقدون بإخلاص وبغير إخلاص انها التعاليم الحقة للاسلام. وقد اقبلوا على تفسير الخوارق فى القرآن الكريم تفسيرا علميا، او وصف الآيات المتضمنة لها بانها رمزية. اما فيما يتعلق بالرسول (ص)، فبعد ان كان الناس والعلماء يقبلون الصورة التى قدمتها له كتب الأقدمين، أقدم هؤلاء على إعادة رسم الصورة بما يتفق فى رايهم مع قيم القرن العشرين، وباتوا ينتقون من آلاف القصص عنه ما يناسبهم ويثبت دعواهم، واصفين غيرها بانها من الاسرائيليات او الروايات الضعيفة. وكأنما بات هذا شرطا لاستمرار تعلقهم بدينهم ونبيهم بعد تاثرهم بقيم الفرنجة.

وقد تأثر المحافظون انفسهم بهذا الاتجاه الذى كان الشيخ محمد عبده - فى زعمنا - مسئولا عنه، فتلامذته هم الذين أدخلوا الرؤية الرومانسية للتاريخ الاسلامى، وأهملوا كافة المعايير الموضوعية للبحث التاريخى العلمى. وغضوا من قيمة الصدق والاخلاص فى عرض أحداث الماضى، وفضّلوا الانتقاء والاختيار بطريقة تحكمية ذاتية لاتعكس غير المزاج الشخصى لصاحبها واهوائه وأرائه، فهدموا بفعلهم هذا من البناء التاريخى للاسلام. وهم دائما يستشهدون بآيات قرآنية واحاديث نبوية من اجل تعزيز حجتهم. غير انه من حقنا أن نسألهم: هل هذه الآية وهذا الحديث هما كل ماورد فى القرآن والسنة بصدد الموضوع الذى تتحدثون فيه ؟. هل تعنى الآية والحديث حقا ماتعنون، ام انكم تفرضون على ما اخترتموه تأويلات ومعانى لم يقصدها النص ؟ وفى اعتقادنا أن فتح الباب لهذا السبيل يؤدى الى ان يصبح أى شيء قابلا لأن يفسر على اى وجه. نعم من حق كل انسان وهو فى سبيل تكوينه لعقيدته الدينية أن يختار هذا المبدأ وأن يترك ذاك. بيد انه عند الحديث فى التاريخ الاسلامى او فى القرآن والسيرة النبوية، لايمكن أن يكون الانتقاء التحكمى إلا من قبيل عدم النضج والافتقار الى الامانة. وقد كان هذا هو بالضبط الخطأ الاكبر الذى ارتكبه المصلحون الاسلاميون التوفيقيون فى حق الثقافة الاسلامية.

ومع ذلك، ورغم ان هؤلاء فى واقع



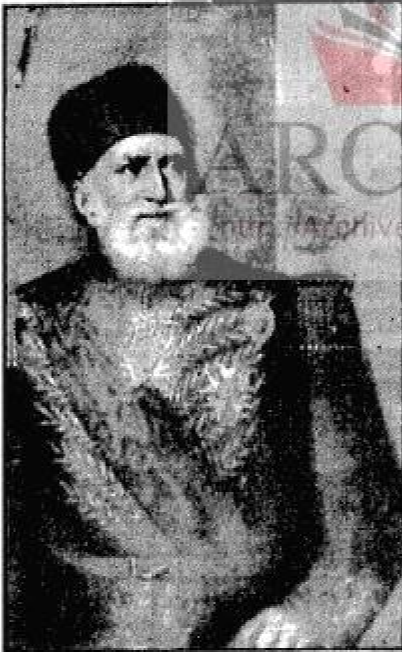
الأمر كانوا شديدي الشبه بدعاة التغريب ، اذ لم يطعنوا في قيم الغرب وإنما انتحلوها للاسلام ، فلم يقدموا بفعلهم هذا بديلا حقيقيا لأمتهم فقد كان لهم من الافضال على مصر وعلى الاسلام ما قد تتضاءل بجانبها افضال غيرهم

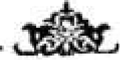
● الانبهار بالحضارة الغربية ●

فمن ناحية ، كان لهم فضل حماية المتعلمين والمثقفين من تيار علمانية ملحدة ومن الشك في قدرة الاسلام على مسايرة احتياجات التطور والنهضة ، وهو شك اثاره عند البعض ضعف الثقة بالنفس ، والانبهار بالحضارة الغربية ، وكان يمكن ـ لولا جهود هؤلاء التوفيقيين ـ ان يعصف بالعقيدة الدينية عصفا فقد سهّل المصلحون على هؤلاء تبنى مظاهر تلك الحضارة دون قلق ، والاحتفاظ في نفس الوقت بجوهر عقيدتهم دون ريبة ، شريطة تطهير تلك العقيدة مما تراكم عليها عبر العصور ، وشريطة فتح باب الاجتهاد للوصول الى صياغات جديدة لها . فهم إذن المسئولون عن ظاهرة جد مألوفة في مجتمعنا ، وهي ظاهرة المتفرنجين الذين لايزالون يأخذون إسلامهم على محمل الجد . وقد كان من المصلحة حقا ان ينهض بمهمة الدفاع عن العلوم الحديثة عالم دين رفيع المنزلة ، لاعلماني معاد للمشايخ . وبذا بات بوسع الشباب الاقبال على دراسة تلك العلوم دون ان يتهموا بالزندقة ، وان يبنوا بذلك جسرا يربط بين الثقافتين القديمة والجديدة ، ويطلقوا من عقالها قوى مصر الخلاقة وطاقاتها ويفتحوا الباب على مصراعيه امام ادب تقدمي ملتزم بالاطار الاسلامي .

ومن ناحية أخرى ، كان لهؤلاء المصلحين الإسلاميين فضل تأسيس دعوتهم الى فتح باب الاجتهاد على مبدأ جوهري ، هو ضرورة التصدي للمشكلات الحيوية الحقيقية للمجتمع الاسلامي المعاصر (وجلها ناجم عن زيادة الصلات مع الغرب) مثل إدخال الأساليب الديمقراطية في نظم الحكم ، وتحرير المرأة ، وإصلاح التعليم ، والاهتمام

محمد علي باشا





حركة التجديد الإسلامي

بتطوير العلوم والاستفادة منها، والتصدى لمشكلات الفقر والجهل والمرض، والدعوة الى العدالة فى توزيع الثروة، والى المعاداة، وربطوا بين كل هذه المظاهر للاصلاح السياسى والاجتماعى وبين القرآن والسنة، بحيث سهل عليهم بعد ذلك أن يقنعوا الناس بان التخلف والصبر على المظالم وتجاهل الاصلاح مما ينافى الاسلام.

وقد أثارت هذه الدعوة ثائرة المحافظين من السياسيين وعلماء الدين. فنظام الحكم النيابى وإرساء دعائم الديمقراطية يهددان سلطان الحاكم. وإصلاح نظم التعليم يعلمٌ من نفوذ العلماء التقليديين المهيمنين على تلك النظم وتحرير المرأة والفتوى بأن الفوائد المصرفية ليست من الربا المنهى عنه فى القرآن. مفاهيم مأخوذة عن الغرب، وهى بالتالى غير إسلامية. غير انه كان من السهل الرد على هذه التهمة الأخيرة بأن المسلمين الأوائل إبان ازدهار حضارتهم كانوا ينهلون نهلا من منابع الحضارات والثقافات والأفكار غير الاسلامية، دون تحرج أو تحفظ او حيرة او قلق. فقد كانت الثقة بالنفس تعمر صدور هؤلاء وهم الفاتحون السادة. أما وقد وقع المسلمون فى براثن استعمار الفرنجة وباتوا يعانون من الهيمنة الاقتصادية والسياسية للغرب على اقطارهم، فقد فقدوا هذه الثقة. وصاروا يرون فى كل اقتباس من نظم الفرنجة مكيدة للاسلام وفخا، واقتباسا معاديا للدين. والواقع أنه لولا هذا الخلل النفسى، وهذا الارتياب المرضى، وفقدان الثقة، لكان للاسلام المعاصر ـ فى زعمنا ـ شأن آخر ■

فى العدد القادم
التيار الاسلامى الجديد

كلمات عاشت

من أقوال عبدالله النديم :

■ اصبحت بين الغرباء كالاجير والخادم المستعبد ما رأيت فى مصر تحليف فذاك للمسيو. ومانظرت من جفا لك. وماسمعت من رفعة وإنعام فهو للسنيور وقد صار الإسكافى عندنا مهندسا، والمزين طبيبا وخادم الخيل رئيسا. وذليل بلاده وطريدها عزيزا ومحبوبا، واهلى يجاهدون فى خدمتى فتدركهم جهالة امرائى بالهزيمة. وارضى ملكا لاوضاع لايملكون القوت فى بلادهم. وارادتى اجنبية محضه فى يد من لايعرف لغتى. ولاينظر إلى الا بعين الهوان

عبدالله النديم على لسان مصر خلال الثورة العرابية



عبد الناصر وأمريكا...

بقلم: عبد الرحمن شاكر

في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠ ، كان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون ، يعتلي ظهر إحدى بوارج الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط ، وأطلقت السفن مدافعها تحية له ، فأخذته النشوة وصاح : أطلقوا مدفعية الأسطول السادس ليسمعها جمال عبد الناصر ، ويعلم أنني أحكم أقوى دولة في العالم ، وذلك قبل أن يترك مجبرا حكم هذه الدولة ، بسبب فضيحة كانت أكثر دويا من مدافع أسطوله .

أما عبد الناصر ، فكان قد مات لتوه في ذلك اليوم ، ولم يعد يسمع ...

فيم كان كل هذا الحقد والمرارة ، من جانب رئيس "أقوى دولة في العالم" ، إزاء رئيس دولة صغيرة ، كانت لاتزال تلعق جراحها من آثار هزيمتها في حرب لم يكد يمضي عليها أكثر من ثلاث سنوات ، بفضل تواطؤ تلك الدولة الكبرى مع ربيبتها الصهيونية في المنطقة ، وكان رئيسها عبد الناصر يحتضر بالفعل من جراء تلك الهزيمة ، ومن المجهود غير العادي الذي كان يبذله لاعادة بناء قواتها المسلحة التي تم تدميرها ، والنضال بكل وسيلة من أجل استرداد أرضها المحتلة ، وزهقت روحه بالفعل ، وهو يحاول لم شعث الامة العربية الممزقة ، التي زادها تمزيقا الصراع المسلح الذي نشب بين الحكومة الأردنية ورجال المقاومة الفلسطينية في عمان .



ربما كان هذا الموقف الأخير بالذات هو مصدر ذلك الحقد ، أن مصر قد دعت جميع العرب ، بمن فى ذلك المتقاتلون منهم : إن تكن مصر صغيرة بحجمها أو قوتها ، فقد كانت كبيرة بالتفاف هؤلاء حولها ، ومكانتها بينهم ، وبحكم هذا الواقع ، أو الموقع كانت ترفض بعد استقلالها الذى انتزعته بشق الأنفس أن تكون تبعا لأحد ، هى أو بقية شقيقاتها العربيات ، والإفريقيات بل فى سائر العالم الثالث الذى لم تكد دولة تتحرر من ربقة الاستعمار الذى جثم طويلا على صدورها .

كان عبد الناصر رمزا لحركة التحرر التى سادت هذا العالم فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، حتى فى ظل هزيمته ، أعدم شاه إيران خمسة آلاف من ضباطه بدعوى أنهم ناصريون ، وكان "الناصريون" من ضباط جيوش أمريكا اللاتينية ، يدبرون الثورات ضد سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وشركاتها الاستغلالية ، التى تقيم الحكومات وتقعدها فى تلك البلدان .

● صدام أيام النحاس ●

ولكن القصة لم تكن قصة جمال عبد الناصر وحده ، ولكنها قصة مصر بأسرها فى عهده ، ومن قبله ومن بعده ، وإن كان هو أكثر فصولها "درامية" على حد تعبير رجال المسرح .

ونترك الحديث للسيد محمود رياض ، وزير الخارجية الأسبق ، وآخر أمين مصرى لجامعة الدول العربية ، يقول فى مذكراته :

مع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت القضية الأولى التى تشغل العالم العربى هى قضية التحرر من الاستعمار والنفوذ الأجنبى ، وبناء القاعدة الاقتصادية الصلبة التى يستطيع أن يقوم عليها الاستقلال الوطنى الحقيقى .

ولذلك فإن الصدام الأول مع الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن مع جمال عبد الناصر الذى كان يمثل ثورة لدعم الاستقلال الوطنى وتثبيت أركانه

وإنما جاء هذا الصدام عام ١٩٥١ مع حكومة وطنية يتزعمها مصطفى النحاس ، فقد تقدمت حكومة الولايات المتحدة بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا وتركيا بمشروع إلى الحكومة المصرية فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١ لاشراك مصر فى نظام للدفاع المشترك فى منطقة الشرق الأوسط يكون مكملا للأهداف الغربية الأخرى ويعتمد على أن تقدم مصر لهذا التحالف القواعد العسكرية البريطانية القائمة على ضفتى القناة .

وقد بادرت حكومة النحاس وفى أقل من ثمانية وأربعين ساعة برفض هذا المشروع برغم تمركز القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس آنذاك . وكان الدافع الوطنى للرفض هو أن مصر التى تسعى بكل ما لديها من عزم وتصميم لانهاء الاحتلال البريطانى لايمكن أن تستبدل بهذا الاحتلال احتلالا آخر يجىء تحت ستار الدفاع عن المنطقة .

وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومعها


ريتشارد نيكسون


مصطفى النحاس

● التزام عبد الناصر بموقف النحاس أغضب الأمريكان!

وجوه جديدة ورؤية جديدة . وعرض جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٣ على جمال عبد الناصر المشروع القديم ثانية بدخول مصر فى تحالف عسكرى غربى للمنطقة ورفضه جمال عبد الناصر ولنفس الأسباب .

غير أن دالاس فيما التزم به من سياسة حافة الحرب ، ومن ليس معنا فهو علينا ، لم يستطع أن يستوعب هذا الرفض المصرى الذى ظل عاملا قويا فى توتر العلاقات المصرية الامريكية .

وعلى ذكر تركيا ، الدولة "الاسلامية" التى شاركت كلا من الدول الثلاث الغربية فى مشروعها ، كنت أود لو أورد السيد محمود رياض موقفا مرتبطا بذلك ، يذكر لحكومة النحاس الوطنية : أنها رفضت أيضا الاشتراك فى الحرب الكورية التى شنتها الولايات المتحدة الأمريكية تحت علم الأمم المتحدة ولايزال جيلنا يذكر بكل الرثاء والسخرية مصير الفيلق التركى الذى شارك فى تلك الحرب ، وتركته قوات الحليف الأكبر : أمريكا يباد عن أخره فى أحد القطارات وانسحبت !

● حُسن النية ! ●

كان عبد الناصر حسن النية إزاء الولايات المتحدة الأمريكية فى بداية ثورته ، يقول محمود رياض :



عبد الناصر وأمريكا

كانت هناك أسباب للتوتر بين العالم العربى وبين الدول الغربية الكبرى من مطلع القرن التاسع عشر ، بسبب أطماع هذه الدول واحتلالها لأكثر البلاد العربية وقد ظلت الولايات المتحدة فى نهاية الحرب العالمية الثانية بمنأى عن هذا الصراع مستغرقة فى بناء مجتمعها وفى تطوير هويتها الوطنية وتدعيم وحدتها والسيطرة على أراضيها المترامية الأطراف الحافلة بأسباب الثروة والنماء . وبالتالى فلم يكن لها مطمع عسكرى أو اقتصادى ذو بال فى المنطقة العربية ، مما استتبع أن العرب ظلوا ردحا طويلا من الزمن يتطلعون إلى الولايات المتحدة باعتبارها قوة دولية غير استعمارية لعلها تعينهم فى نضالهم الدامى للتحرر من نير الإحتلال الأوربى وخاصة بعد أن أعلن الرئيس الأمريكى ويلسون ، أثر الحرب العالمية الأولى ، مبادئه القائمة على حق تقرير المصير ثم يضيف :

ومن ثم فقد كان جمال عبد الناصر فى السنين الأولى بعد ثورة ١٩٥٢ أكثر ميلا للتعاون مع الولايات المتحدة منه للتعاون مع الاتحاد السوفييتى ، فقد قامت الولايات المتحدة من جانبها بقبول الثورة والاعتراف بها ، وعاونت فى تحقيق الاتفاق مع بريطانيا بجلاء قواتها عن قناة السويس عام ١٩٥٤ .

ولعل جيلنا يذكر أيضا أن جمال عبد الناصر فى بداية الثورة كان يحب أن يشبه نفسه بجورج . واشنطون قائد حرب الاستقلال الأمريكية عن الأمبراطورية البريطانية .

ولكن ... يقول رياض : على أنه إثر الحرب العالمية الثانية شرعت الولايات المتحدة فى اتباع سياسة فى الشرق الأوسط يسيطر عليها عاملان كان لهما أكبر الأثر فيما نشأ ثم تفاقم من توتر فى العلاقات العربية الأمريكية .

كان أولهما قيام إسرائيل فى المنطقة ، والدور الذى مارسته الولايات المتحدة فى تأييدها ودعمها بأسباب القوة والمنعة على حساب الشعب الفلسطينى .

وكان ثانيهما المحاولات التى بذلتها الدبلوماسية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتطويق الاتحاد السوفييتى بشبكة متماسكة من القواعد العسكرية فسعت لاقامة احلاف وقواعد غربية فى منطقة الشرق الأوسط لما لها من أهمية جغرافية واستراتيجية . وما تملكه من مصادر واسعة للبترول الذى كان استمرار تدفقه الضمان الأول للنمو المضطرد للنظام الصناعى الغربى .

● فى البدء .. كان السلاح ! ●

بعد جلاء الجيوش البريطانية عن مصر عام ١٩٥٤ ، بمعاونة الحكومة الأمريكية وبعد رفض عبد الناصر لاتفاقية الدفاع المشترك كان من رأى عبد الناصر على حد مايقول وزير خارجيته : إعطاء مشاريع التنمية الأولوية فى الاتفاق ، كما كان مقتنعا بأن إتفاقية الهدنة تحول دون قيام نزاع مسلح "بين مصر وإسرائيل"



استهدف العدوان فى عام ١٩٥٦ بورسعيد .. وكان هذا الدمار



وقد استمر عبدالناصر على موقفه هذا إلى أن قامت اسرائيل بهجوم على قطاع غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، مما أدى إلى مقتل ثمانية وثلاثين من العسكريين المصريين وكان ذلك الهجوم نقطة تحول فى المنطقة ، فقرر عبدالناصر ضرورة الاسراع بتقوية الجيش بعد أن تبين له بوضوح أن بن جوريون (رئيس الوزراء الاسرائيلى فى ذلك الحين) لايرغب فى السلام لأنه يعوق خططه التوسعية .

وذكر لى الرئيس عبدالناصر بعد هذه الغارة أن خطة التنمية وبناء المستشفيات والمدارس يجب الا تؤخر بناء جيش قوى لحماية أمن مصر ... ثم يقول :

وكان الرئيس عبدالناصر قد طلب إلى الولايات المتحدة اكثر من مرة بيع أسلحة لمصر إلا أن دالاس رفض تزويد مصر بالاسلحة التى تطلبها لاسباب عديدة من بينها معارضة بريطانيا فى ذلك الوقت ، ورغبة دالاس فى احتواء مصر ضمن منطقة النفوذ الغربى .

ولذلك لم يكن امام عبدالناصر سوى اللجوء للكتلة الشرقية للحصول على السلاح ، وقد فاتح شواين لاى فى رغبته فى الحصول على السلاح اثناء اجتماعه به فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ والذى سارع بابلاغ موسكو ، فتمت أول صفقة سلاح فى الشرق الأوسط مع الكتلة الشرقية عن طريق تشيكوسلوفاكيا .

وعندما أعلن الرئيس عبدالناصر عن الصفقة شعر دالاس بأنها لطمة موجهة



له فقد كان يعتبر منطقة الشرق الأوسط منطقة نفوذ للدول الغربية وكان اتمام هذه الصفقة مع إصرار عبدالناصر على سياسة عدم الانحياز هى بداية فقدان الغرب لنفوذه فى منطقة ذات أهمية استراتيجية كبرى . بعد ذلك يضيف محمود رياض :

كان دالاس يفكر فى الطريقة التى يعاقب بها جمال عبدالناصر لشرائه أسلحة سوفييتية ولتبنيه لسياسة عدم الانحياز ، فأعلن فى ١٨ يوليو ١٩٥٦ عن سحب الولايات المتحدة عرضها بالمساهمة فى تمويل السد العالى وتبعتها انجلترا ثم البنك الدولى .

وجاء رد الرئيس عبدالناصر سريعا فأعلن فى خطاب له بالاسكندرية فى ٢٦ يوليو تأميم قناة السويس حتى يمكن تمويل السد العالى من موارد القناة .

ثم جاء العدوان الثلاثى المشهور على مصر عام ١٩٥٦ ، الذى اشتركت فيه كل من انجلترا وفرنسا واسرائيل ، إلا أن الدول المعتدية - كما يقول محمود رياض - لم تدخل فى حساباتها التدخل الأمريكى ضد العدوان ففوجئت بالموقف الحاسم لايزنهاور واصراره على إنسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد كما أرغم القوات الاسرائيلية على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة .

وكان لدور أيزنهاور صدى كبير فى مصر ورفع شأن الولايات المتحدة فى المنطقة باعتبارها دولة عظمى تتصدى للعدوان وحماية الدول الصغيرة .

ولكن . هل يدوم "المعروف الأمريكى " ؟! نترك الكلام لرياض :

وكانت أمام ايزنهاور فرصة كبيرة بعد انتهاء العدوان لتحقيق السلام الدائم فى المنطقة ولم يكن ذلك يتطلب منه الجهد الضخم الذى بذله فى الضغط على بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

إلا أن الادارة الأمريكية أهدرت أكبر فرصة لتحقيق السلام منذ بداية النزاع الاسرائيلى العربى عندما توقفت عند حد انهاء العدوان الثلاثى .

وفى جو من التعاطف الشديد فى مصر نحو الولايات المتحدة ، فوجئت مصر بتجميد الولايات المتحدة للأرصدة المصرية فى البنوك الأمريكية وكانت مصر فى حاجة شديدة إلى شراء مواد غذائية وأدوية ، فاضطرت إلى الاتجاه إلى الاتحاد السوفييتى طالبة معونته ، فسارع بارسال ماتحتاج إليه مصر من أدوية ومواد غذائية .

وكانت المفاجأة الأمريكية الجديدة - كما يقول كاتب المذكرات : عندما أعلن ايزنهاور فى يناير ١٩٥٧ ، عن سياسته فى الشرق الأوسط فجاءت خالية تماما من أى اقتراح لمعالجة الخطر الحقيقى وهو النزاع العربى الأسرائيلى واقترح توقيع اتفاقات مع دول المنطقة لمواجهة العدوان المسلح من جانب أى دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية (؟!!)

وكان طرح مبدأ أيزنهاور على دول الشرق الأوسط يشكل مأساة فى عجز واشنطن عن ادراك التطور الذى حدث فى المنطقة برفض شعوبها الأحلاف



محمود رياض

العسكرية والقواعد الأجنبية . وانتهى مبدأ أيزنهاور إلى فشل ذريع بعد أن رفضته مصر وسوريا .

● عملية الكتوية الكبرى ●

على أن ذروة المأساة ، التي ترتبت على تمسك عبدالناصر بسياسة سلفه المباشر في الوطنية المصرية مصطفى النحاس ـ رغم كل مايفرق بين الرجلين ـ في عدم استبداله بالسيطرة البريطانية سيطرة أمريكية ، كانت عشية حرب ١٩٦٧ ، والدور الأمريكي فيها .

استمر عبدالناصر في خطته الجديدة لبناء جيش قوى معتمدا على واردات السلاح السوفييتية ، وفي عام ١٩٦٥ لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتسليح اسرائيل بشكل مباشر ، بل كانت هذه الأخيرة تحصل على سلاحها من دول غربية أخرى في مقدمتها فرنسا . وفي عام ١٩٦٥ حصلت اسرائيل على صفقة سلاح كبرى من ألمانيا الغربية بناء على تعليمات من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعدها ارسل الرئيس الأمريكي ليندون جونسون رسالة إلى عبدالناصر يخطره فيها ـ كما يروى محمود رياض ـ بأن الولايات المتحدة قد قررت بيع صواريخ الهوك لاسرائيل لمواجهة قاذفات القنابل الروسية الصنع التي توجد لدى مصر .

ومن جانب آخر قرر جونسون قطع المعونة الاقتصادية عن مصر عام ١٩٦٥ ولم تكن تتجاوز مائة مليون دولار تستخدم في إمداد مصر بالقمح بشروط ميسرة في السداد . وكان دافعه في ذلك الاجراء المتعسف موقف عبدالناصر المعارض لبعض سياسات الولايات المتحدة سواء في الشرق الأوسط أو الكونغو أو فيتنام !

وقد خرج جمال عبدالناصر ليلقى خطابا جماهيريا في بورسعيد في ٢٣ ديسمبر يعلن فيه موقفه من قطع المعونة الأمريكية عن مصر بعبارته المشهورة : فليشرب الأمريكان من البحر ، وإذا لم يكفهم البحر الأبيض فلديهم البحر الأحمر .

وبدأ استخدام السلاح الأمريكي في أيدي الاسرائيليين ضد الدول العربية :

● في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٦ قامت اسرائيل باستخدام قواتها الجوية والبرية في الهجوم على قرية السموع الأردنية وهي قرية صغيرة تضم أربعة آلاف نسمة معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين وأنزلت بها خسائر جسيمة في الأرواح من سكان القرية .

وأعلنت اسرائيل ـ كما يروى رياض ـ



انها تقوم بهذه الغارة الانتقامية على الأردن ردا على أعمال فلسطينية بدأت من سوريا .

● فى ٧ أبريل تحولت اسرائيل الى الجهة السورية فهاجمت الحدود السورية واستخدمت فى هجومها سلاح الطيران وأسفرت المعارك الجوية عن سقوط ست طائرات ميج سورية .

وواصلت اسرائيل تهديداتها لسوريا . ففى ١٢ مايو (١٩٦٧) أعلن اسحاق رابين رئيس أركان حرب القوات الاسرائيلية اننا سوف نشن هجوما خاطفا على سوريا ، وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ثم نعود !!

ثم توالت التقارير عن الحشود العسكرية الاسرائيلية على الحدود السورية وكانت موسكو هى أحد مصادر تلك التقارير حين أبلغ السوفييت وفدا برلمانيا مصريا برئاسة أنور السادات كان فى زيارة للاتحاد السوفييتى بوجود هذه الحشود .

● فى ١٦ مايو طلب عبدالحكيم عامر سحب قوات الطوارىء الدولية من قطاع غزة وشرم الشيخ .

ولما كان هدف عبدالناصر من الأزمة هو امتصاص التهديد الاسرائيلى ضد سوريا فإنه قرر أن يعلن اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية وكان ذلك فى ٢٣ مايو .

ذلك مايذكره محمود رياض قبل أن يبدأ فى تفصيل عملية التمويه الكبرى التى قامت بها الادارة الأمريكية فى عهد جونسون لتمكين اسرائيل من إنزال ضربتها القاضية بالجيوش العربية يقول :

فى ذات اليوم (٢٣ مايو) حضر لمقابلتى ريتشارد نوتى سفير الولايات المتحدة بالقاهرة والذى لم يكن قد قدم بعد أوراق اعتماده إلى الرئيس جمال عبدالناصر .

وفى تلك المقابلة كان نوتى يحمل معه رسالة من الرئيس الأمريكى ليندون جونسون موجهة إلى الرئيس جمال عبدالناصر ومعها مذكرة تفصيلية :

ولقد جاء فى الرسالة التى وقعها جونسون تأكيده على حسن نواياه نحو مصر وتفيد أن لديه اتجاهات غير ودية نحوها . ثم أشاد جونسون بجهود عبدالناصر فى مجال التنمية الاقتصادية وبعدها تحدث عن أهمية تجنب القتال ، مشيرا الى أن المنازعات يجب ألا تحل بالاجتياح غير المشروع بالقوات المسلحة ومقترحا أن يقوم نائبه ، هيوبرت همفرى ، بزيارة لمنطقة الشرق الأوسط .

تشكك عبدالناصر فى جدية هذه الرسالة ، على عكس محمود رياض الذى صدقها قبل ان تثبت له الأيام انها كانت اكبر عملية خداع يقوم بها رئيس أمريكى على الاطلاق لصالح بلد ، وضد بلد اخر !!

● وفى ٢٤ مايو جاء يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة الى القاهرة يحمل فى حقيبته مشروعا لتهدئة الأزمة ، يطلب فيه إلى اسرائيل الا ترسل سفنا عبر خليج العقبة والا تحمل السفن الاخرى

إليها مواد استراتيجية ، مقابل تعهد مصر ، بعدم تفتيش السفن وعدم مهاجمة اسرائيل ، ووافق عبدالناصر على ذلك .

ثم تبين بعد ذلك ـ كما يروى رياض ـ أن جونسون وكبار مستشاريه قد اجتمعوا مع وزير الخارجية الاسرائيلي أبا ايبان في السادس والعشرين من مايو وبعد الاجتماع قال جونسون لمساعديه : إن اسرائيل سوف تضربهم أى تضرب المصريين !!

● وقام عبدالناصر بالرد على جونسون فى ٢ يونيو برسالة مطولة كرر فيها موقفنا كما نراه بالنسبة لموضوع شرم الشيخ مشيرا إلى أن اسرائيل ترفض العمل باتفاقات الهدنة مؤكدا من جديد أن مصر لن تكون هى البادئة بالعدوان .

ولقد أضاف عبدالناصر بأنه يرحب بزيارة هيوبرت همفرى نائب الرئيس الأمريكى إلى القاهرة ، بل إنه فى سبيل زيادة تأكيد حسن نية مصر ، فإن عبالناصر قال إنه من جانبه على استعداد لإرسال زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية فى الحال إلى واشنطن .

وافق الجانب الأمريكى على زيارة محيى الدين لواشنطن واتفق على أن يكون موعدها هو ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ذات اليوم الذى بدأ فيه العدوان الاسرائيلى ، رغم جميع تأكيدات عبدالناصر بأن مصر لن تكون هى البادئة بالهجوم .

وبذلك تمكنت اسرائيل من تحطيم سلاح الطيران المصرى وهو رابض على الأرض وما كان لها أن تنجح فى ذلك لولا التمويه الأمريكى المتسربل برداء دولة كبرى عليها مسئوليات خاصة فى حفظ السلام ..

انتصرت اسرائيل ، واحتلت أراضى ثلاث دول عربية ، وابتلعت كل فلسطين ، ولم ينس حكام الولايات المتحدة حقدهم على عبدالناصر حتى يوم موته .. وارجع الى أول المقال !

● حسن الاختيار ●

يحكى أن امرأة اتهم زوجها ، وابنها ، وشقيقها .. فى مؤامرة لاغتيال حياة المستنصر بالله .. فألقى القبض على الثلاثة ... وحكم بإعدامهم ...

ولما علمت المرأة بذلك .. ذهبت فوقفت على باب المستنصر بالله .. حتى إذا رأته قادما .. ألقت بنفسها عند قدميه .. وهى تبكى بكاء مرا .. وتتوسل إليه أن يعفو عنهم .. أو أن يأمر بقتلها معهم .. إذ لا أرب لها فى الحياة بعدهم ..

فرق لها قلب المستنصر .. وأطرق قليلا يفكر .. ثم رفع رأسه إليها وقال : قد قبلت شفاعتك أيتها الابنة فى واحد منهم .. وتركت لك الخيار فيه ...

وقعت المرأة فى حيرة ولكنها قالت بعد أن فكرت قليلا : الزوج موجود ... والابن مولود ... أما الأخ فمفقود ، لايعود .. أختار الأخ ..

فأعجب المستنصر بحسن اختيارها .. ثم قال : اذهبى يابنية فقد وهبتك حياتهم جميعا ...



ثورة يوليو ومائة عام فى الجهاد

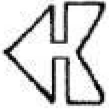
بقلم : مصطفى نبيل

●● خلال هذا الشهر تأتى الذكرى الرابعة والثلاثين لثورة يوليو ١٩٥٢ .

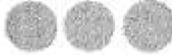
ويمر مائة عام وبضع سنين على اشتعال الثورة العرابية ١٨٧٩ ـ ١٨٨٢ وهى فرصة لاستحضار بعض صور ومشاهد التاريخ ، وتأمل تاريخ مصر الحديث ، الذى تجمعه وحدة من نوع خاص تمتد منذ قيام الثورة العرابية ، أى منذ سبعينيات القرن الماضى ، وحتى اليوم ، وتسجل الثورة العرابية بداية تحرك جموع الشعب العريضة من أجل الوطن وقضاياه ، إيذانا ببداية عصر الثورة الوطنية الديمقراطية ضد الاستبداد وضد الاستعمار وضد الاستغلال ، وبعد أن ولى زمن كان يؤرخ فيه للحكام وحدهم .

وشهدت مصر خلال هذه المرحلة سلسلة متماسكة من الحلقات سعى خلالها المصريون لتأكيد ذاتهم . وإعادة بناء حياتهم واقتصادهم ، فى ارتباط وثيق بين الأهداف الوطنية والمطالب الديمقراطية ..

وكانت إيذانا لسعى مصر الحديثة الى التقدم والعدالة ، وأخذت تبحث لنفسها عن مكان فوق خريطة العالم ، وإذا كانت عاشت النجاح وعانت الاخفاق إلا أن حركتها كانت دائما متجددة ..



وعاشت مصر ثلاث ثورات بارزة ، الثورة العرابية ١٨٨١ . والثورة الوطنية ١٩١٩ ، وثورة ٢٣ يوليو ، وإذا استعرنا نظرية النتائج نجد ان الحركة الوطنية تقمصت عرابى وعادت لتتقمص سعد زغلول ، ثم تظهر مرة أخرى فى جمال عبد الناصر ●●





احمد عرابى



سعد زغلول



جمال عبدالناصر



ونلحظ وحدة الهدف فى الحلقات الثلاث ، وأوجه الشبه بين الثورات الثلاث ، عندما زالت الفجوة بين القيادة والشعب ، ولا يمكن إنكار أن القادة الثلاثة عرابي وسعد وعبد الناصر ، كانوا زعماء اثيرين عند الشعب وموضع ثقته وتأييده ، وأن كلا منهم ، حقق الكثير من أهداف الشعب وأحلامه ، وأصبح علامة بارزة فى تاريخه ، وقدم كل منهم منهاجا للعمل نابعا من ظروفه ، ووضع حلولاً لما تواجهه الحركة الوطنية من تحديات ، ولمس كل منهم روح الشعب ، فألهمه وقاد خطاه ، وقدم له الشعب أنبل ما عنده .

ولست فى هذا الحديث مؤرخاً ، وانما اكتفى برصد بعض الظواهر ، عسى أن تقودنا الى الامساك بخيط يقودنا الى المستقبل ، ونستخلص العبرة من تجاربنا الغنية بالدروس ، وأن نضيف الى مخزون الخبرات التاريخية عبرة الانجاز وعظة التعثر ، فى نظرة مبرأة من الخصومة وبعيدة عن التأييد والتهليل ، ونمسك بحركة التاريخ وسياقها ، علنا نكشف سر الحملات التى تشبه السياط التى شنت على الدوام لتشويه تاريخنا الوطنى .

● دموع عرابي ! ●

واكثر ما صدمني من مشاهد التاريخ ، ذلك المشهد الذى يجلس فيه أحمد عرابي بقامته الطويلة ولحيته البيضاء ، بعد أن قضى فى منفاه ١٩ عاماً ، يحادث بعض معارفه فى أحد مقاهى سيدنا الحسين ، ويتعرف عليه أحد المارة ، فيقترب منه ويبصق على وجهه باعتباره خائنا للوطن وسببا فى دخول قوات الاحتلال البريطانى ، ويعتصر الألم الرجل ، وتنهمر دموعه مبللة لحيته البيضاء المهيبة ..

إلى هذا الحد نجحت الحملة التى شنت على الزعيم الوطنى ، الذى قاد أول ثورات الشرق ، والذى قام برحلة جهاد شاقة لتحرير البلاد وإصلاح العباد وواجه بشجاعة طغيان الخديو وتسلط القناصل الأوربيين ، ووقفت مصر بأكملها تسانده ، الجنود والأعيان والعلماء والفلاحون ، يوم وقف فى ساحة قصر عابدين ، يقول للخديو بصوته الجهورى « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » وحمل شعار « مصر للمصريين » ونادى بالشورى والدستور الذى يحدد مسئولية الحكومة امام مجلس

تشريعي لأول مرة ، وجاهد من اجل هذه المبادىء في وقت لم تتحقق فيه في بعض الدول الأوربية ..

وكان تعبيرا مبكرا عن جهاد شعب صمم على أن يملك إرادته فى مواجهة « مكائد الأوربيين » عندما حاولت الدول الأوربية ، بواسطة ديونها إحكام السيطرة على البلاد .

وعندما هزمت الثورة بقوة السلاح البريطانى ، وخيانة الخديو توفيق ، وفى مرحلة المد الأستعمارى الذى بلغ ذروته فى القرن التاسع عشر ، أصبحت معركة الاحتلال والخديو القضاء على أفكار الثورة ومازرعته من قيم ، وأكملت المناورة السياسية ، والكلمة المزيفة ما بدأه السلاح .

وكانت الخطوة الأولى ، محاولة التشكيك فى الثورة ومبادئها ، بالقول أن عرابى عاص لا يمثل سوى نفسه ، رغم أن عبد الله النديم كان قد أشار على عرابى أن يحصل من الأمة على توكيل موقع من الأهالى للمطالبة بحقوقها والتحدث باسمها ، وهى ذات الخطوة التى لجأ اليها سعد زغلول والوفد فيما بعد ..

وجاءت الفرصة خلال المحاكمات لكى يسعى الخديو والاحتلال لتجريد الثورة من كل قيمة ومعنى ، حتى يتعلم الآخرون فضيلة الخنوع ، بعد ان عاشوا مع عرابى فضيلة الثورة ، ولكى يتحول حلم الثورة إلى كابوس ، ويتحول البطل الى خائن. ليصبح الخائن بطلا .. !

وكان على القائد الثائر ان يدفع ثمنا غاليا ، لتحديه الغرب وكشف مخططاته ، وتجنيد الشعب فى مواجهته ، وطالب بقاعدة حرمان الغرب من أمواله فى مصر إذا حاول عرقلة الحركة الوطنية أو تآمر عليها .. وكان لابد أن يدفع ثمن قوله .. « أن الأوربيين يهددون بالعدوان علينا ، دعهم يحاولون ، فعند إطلاق رصاصتهم الأولى سوف يفقدون الثمانين مليونا التى تشكل الدين العام ، والعشرين مليونا التى اقترضها الفلاحون من أصحاب البنوك .. » وتتوالى الأحداث وتأتى ثورة يوليو وتنتهج ذات القاعدة عند العدوان الثلاثى على مصر ..

وسجل كتب التاريخ تلك الحملة الشرسة التى شنت على أول ثورة يقوم بها المصريون .. فى العصر الحديث ، ولكن سرعان ما يظهر جيل جديد يتصدى لهذه الحملة ، ويكتب محمد الخفيف كتابه « عرابى المفترى عليه » ، يرفض فيه هذه الحملة التى تستهدف تشويه التاريخ الوطنى .







لقطة نادرة تجمع بين قطبي الوفد سعد والنحاس

يقول : « لا يذكر في مجلس اسم عرابى إلا وسرت فى الوجوه كآبة ، وتسابقت الالسن الى الهزء به ، وتعديد مساوئه ، ولم تتجمع على الزعماء المظالم كما تجمعت على عرابى فى حياته وبعد موته ، وجردت ثورته من أهدافها ومعانيها ..

وتجاهلت الحملة دوافعها الحقيقية ، وتحولت إلى انها سبب فى دخول الاحتلال ، وانها لم تكن سوى حركة عسكرية بدوافع شخصية ، وجردت حتى من صفتها الوطنية ، ووصف عرابى بالجهل وعدم الدراية السياسية ..

ويتنكر للثورة العرابية بعض المشتركين فيها ، مثل الشيخ محمد عبده ، الذى أعلن تحفظه على الثورة بحجة أن الشعب لم يكن مستعدا بعد « للحكم الذاتى » ! ، وأنه من الخطأ استخدام الثورة العسكرية للمطالبة بالحكم الذاتي حتى لو كان الشعب مستعدا له ..

وكان هذا التنكر هو الشرط المطلوب لاستمراره فى الحياة العامة .. !

ويسجل عبد الله النديم تلك الظواهر التى أعقبت الهزيمة بقوله : « أرى الذين طاروا خلفنا بأجنحة الأغراض الذاتية ، وملئوا البلاد مدحاً وثناء عادوا لمكاتبة الجرائد بالذم والأهاجى شأن عبدة الأوهام ، وحكاة صدى المنادى من غير فهم معناه » ، ويرسل لعرابى من مخبئه قائلا : « لا تثق بصاحب أو صديق ، فإن الناس تغيرت احوالهم ، وأصبح يذمكم من كان يمدحكم .. » !



عرابى فى ميدان عابدين يتحدى السلطان من اجل حقوق الوطن

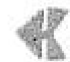
وخلال غياب عرابى وصحبه فى المنفى أخذ الاحتلال يمد جذوره ، وماتت روح المقاومة ، وشاع الانحلال ، وعندما عاد من المنفى لم يجد أحداً يذكره إلا بالسوء ، واستقبله شوقى بقصيدته :

صغار فى الذهاب وفى الإياب
أهذا كل شانك ياعرابى

ومكن العمر للقائد أن يرد على بعض هذه الحملات فكتب فى مذكراته .. « إن رجوعنا إلى وطننا العزيز لم يرق فى نظر خصومنا الجهلاء ظناً منهم أننا بعنا الوطن للانجليز على إتفاق بيننا وبينهم ، فأوعزوا الى بعض الجرائد المأجورة ، بالتنديد بنا ، والخروج علينا ، فوجهت الينا سهام جهلها وضعفها » ..

وقبل أن يموت القائد بأسابيع قليلة قال لأحد الصحفيين .. «سوف يأتى جيل بعدنا ، وسوف يفهمنى ، وسوف يحقق ما أردت وعجزت عن تحقيقه » وصدقت نبوءته ..

فرغم هزيمة الثورة وتصفية الجيش والغاء دستور العرابيين . وتشتيت الثوار ومحاكمتهم ونفيهم أو حبسهم ، استمرت الجذوة . فالأرض التى أخرجتهم ، مازالت قادرة على إنبات مثلهم ، وهدف مصر للمصريين الذى ارتفع فى مواجهة الترك والشركس والديلم .



جدير بأن يرتفع فى وجه المحتلين الانجليز ، ورفض السخرة التى فرضها الخديو لابد أن ترفض أيضا فى عهد الاحتلال .



وبقيت الجمرات تحت الرماد ، حتى قام زعيم فلاح خرج من صفوف الشعب ، وعاش شبابه فى صفوف الثورة العرابية ، وكان أحد المتحلقين حول السيد جمال الدين الأفغانى فى مقهى متاتيا ، واتهم بعد فشل الثورة بتشكيل جمعية الانتقام السرية التى هدفها اغتيال الشهود والجواسيس الذين خانوا الثورة ..

وقدر لسعد زغلول أن يشعل الثورة من جديد ..

وقامت الثورة الجديدة لتحقيق ذات الأهداف التى أعلنها عرابى ، ثورة من أجل الاستقلال والدستور ، ولم يخطىء البريطانيون إدراك التشابه بين حركة سعد زغلول وحركة عرابى ، وكتب اللورد اللنبى فى ٨ ابريل ١٩٢١ .. « إننى أعتقد أن زغلول فى حالة ، لا يستبعد عليه أن يهم بضربة مثل ضربة عرابى باشا .. » ..

وادرك نبى الوطنية كما كان معاصروه يسمونه ، أن الوطنية الحقة هى الحركة لصالح الشعب فى إطار الامكانات المتاحة ، وسعى إلى إشعال الجذوة من جديد ، ونفى ـ وهو كهل فوق الستين ـ من جانب السلطات البريطانية ثلاث مرات ، الى مالطة ثم الى سيشل ثم جبل طارق .

وتصدى سعد لأقوى دول الأرض ، تصدى للأمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ، والتى تسيطر على نحو ربع الكرة الأرضية ، وتسعى الى تحقيق السلام البريطانى فى العالم كله !

ورغم دوره البارز ، وبعد أن لمس روح الجماهير وتطلعاتهم ، لم يسلم من الاتهامات ، التى تحسب عليه مناوراته مع الاحتلال ، وتقسو عليه وتتهمه بالانتهازية تارة ، وبالتطرف فى الوطنية تارة أخرى ..

ولعل ما نقل من حوار بالغ الدلالة ما يكشف طبيعة الحملة التى شنت على سعد ، جرى الحوار فى باريس بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ، ونقله محمد كامل سليم .

يقول فهمى لسعد : هل أسقطت من حسابك ، الأمور الاربعة التالية :

- قوة بريطانيا بعد انتصارها فى الحرب العالمية الأولى .
- ضعف مصر وسيطرة بريطانيا عليها .
- عدم وجود مؤيد لقضية مصر وعزلتها .

ـ مشروع ملنر المعروض ، يمكن أن ينقذ مصر ويمنحها القدرة على إستئناف الجهاد .

ويجيب سعد : كيف تتصور أني أسقطت ذلك من حسابي ، وانت ومن معك الذين أسقطتم من حسابكم وتفكيركم ، أن في أعناقكم أمانة ، هي السعي والجهاد للحصول على الاستقلال التام ، وهو عمل واقعي ، يرى الممكن فيسعى اليه ، والصعب فينصرف عنه ، لا يفهم المثل العليا ، ولا يعرف التضحية كيف تكون .. »

وهذا الحوار لا يختلف كثيرا عن الحوار الذى دار بين عبود باشا وجمال عبد الناصر واستخدم عبود ذات الحجج التي استخدمها فهمي ، وهي قوة الانجليز وضعف مصر ، ولم يختلف رد عبد الناصر عن رد سعد زغلول .

● الصفوة والعامة ●

وبعد عودة الوفد من التفاوض في لندن ، وقفت غالبية الهيئة العليا للوفد تحاسبه باسم الأغلبية ، بعد ظهور تيارين في صفوف الوفد ، الصفوة بواقعيتها واستعجالها للنتائج ، واصرار الجماهير التي أشعلت الثورة على تحقيق الاستقلال ، وانحاز سعد واتخذ قراراً بطرد غالبية الهيئة الوفدية ، وشكلت المجموعة التي خرجت حزب الاحرار الدستوريين .

وإذا كان الحزب الوطنى أيام الثورة العرابية قد أخذ بفكرة التنظيم العلنى والسرى في العمل ، فقد إلتقط منه سعد زغلول هذه الفكرة ، كما التقط منه من قبل فكرة جمع التوقيعات والحصول على توكيل الأمة ، وكلف عبد الرحمن فهمى بالاشراف على بناء تنظيم لكي ينظم حركة الجماهير .

وعاد هذا التنظيم السرى إلى الظهور في حركة الضباط الاحرار ، وبعث من جديد خطة العرابيين في الاعتماد على الجيش كأداة للثورة الوطنية ..

ويمضى سعد في جهاده منحازا الى صفوف الجماهير ومعبرا عنهم ، ويأتى الهجوم على سعد من قوى متعددة ، وإذا كان طبيعيا أن تشن عليه سلطات الاحتلال هجومها ، فيذكر المارشال ويقل « إن موقف سعد كان متشددا غير قابل للمصالحه ، وان سعد مضلل يستطيع تهييج الجماهير ، ولكن تعوزه الحكمة والشجاعة للسيطرة عليها ، وأنه ضيق الأفق وشكاك ، وليست لديه موهبة الأخذ والعطاء ، ولا موهبة التفاوض » !



وجاء معظم الهجوم على سعد بعد فشل المفاوضات وتصريح ٢٢ فبراير وعقب مقتل السردار ، واصرار سعد على التمسك بأهداف الثورة كاملة ، وينفصل عنه أولئك الذين يتصورون الجهاد نزهة قصيرة ..

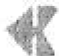
ويتركز الهجوم ، على أن سعد استسلم للغوغاء ، وأنه متسلط ، ويتهمه محمد حسين هيكل فى مذكراته السياسية .. « كان ميالا بطبعه لفرض رأيه على غيره والزامه به » ويقول .. « رأى المكانة التى وصل إليها بفضل مجهود الوفد المشترك . اصبح لا يقيم لرأى غير رأيه وزناً ، ولا يحسب لأحد غيره حسابا . واعتزم العودة إلى مصر ليكون هو كل شيء فى البلاد .. »
ويلاحظ أنه نفس الاتهام الذي وجه من قبل الى عرابي ومن بعد الى عبد الناصر .

ويروى هيكل نقلا عن محمود عزمى أنه اقترح على عدلى تكليف سعد بتأليف الوزارة ، ويرد عدلى بأن قبوله لهذا الاقتراح معناه ترك حكم البلاد فى أيدى الغوغاء.

ويذكر حمد الباسل فى مذكراته عندما كان ضمن الوفد فى باريس .. : « أن الأعيان من أعضاء الوفد يقولون أن سعد فى بداية الثورة يريد إعلان الجمهورية ، ويعتقدون أنه بذلك سيخرب البلاد ، ولم يكن سعد فى بداية الثورة من أنصار الجمهورية ، ولكن بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها ، ويرى أعيان الوفد أن هذا الاتجاه جنونى ، سيؤدى إلى إنفضاض الأعيان عن الثورة ، وإلى قيام البلشفية .. »

وتقول عفاف لطفى السيد التى تنتمى إلى المدرسة الليبرالية وحكم الصفوة : .. « لقد صار يعتبر نفسه خلاصة تجسيد مصر ، ويعتبر أن واجب الأعضاء الاخرين هو اتباعه ، وتحول من خادم للبريطانيين ليصبح رمزا لمطامح المستقبل .. » وتقول .. « اكتشف فيه زملاؤه أنه مثل فرانكشتين ، خلقوه ولم يعودوا قادرين على ايقافه عند حده .. » ، « وساعد مرضه وشيخوخته على تقوية إستعداداته وجعله ملولاً لا يقبل المعارضة والمجادلة » .. « وكان فلاحاً بأعمق احاسيسه ، يتصرف بمفرده ويرتاب فى الآخرين ويتشكك فى مواقعهم » « كان وحشا سياسيا لو استدعى الأمر لحارب مستخدماً أدنى الوسائل ، وإذا واتته فرصة قلما يؤنبه ضميره عن طعن شركائه فى ظهورهم .. » ! .

وتظهر دهشتها البالغة من المكانة التى إحتلها سعد . « رغم انه لم يكن أدهى رجل سياسى فى مصر ، فكان ذلك وقفا على اسماعيل صدقى ، ولم يكن أعمق مفكر ، إذ كان ذلك الدور هو دور أحمد لطفى السيد ، ولم يكن اكثر الساسة نشاطا ، إذ كانت هذه صفة مصطفى النحاس .. وبالرغم من ان سلوك سعد معيب بدرجة لا يمكن تصديقها » !



جمال عبدالناصر بين جماهير الشعب التى احبته والتفت حوله



فهل كان الهجوم على سعد لأنه وهو الباشا يؤمن بالشعب ويستلهم خطواته من الجماهير ، ويقول سعد وهو يصف ثورة ١٩١٩ .. « إن اهم نتائجها كان تمصير الاقتصاد ، وسفور المرأة واشتراكها فى الحركة الوطنية ، وزوال طبقة الباشوات ، واختفاء العناصر التركية من السياسات المصرية .. » .

ويشبه هنا أحد خطب عبد الناصر بعد ذلك ببضعة وثلاثين عاما ..

وعندما تحدث سعد إلى عمال السكك الحديدية فى ٥ يوليو ١٩٢٤ ، قال : « لو كانت الحركة مقصورة على ما يسمونه بالطبقة العالية لما قامت لها قائمة ، وما يسميه حسادنا طبقة « الرعاع » ، فإنى أفتخر بأنى من الرعاع مثلكم ، فالرعاع هى الطبقة الأكثر عدداً فى الأمة ، وليس لها صالح خاص ، ومبدؤها ثابت على الدوام وهو الاستقلال التام ، أما الرجل صاحب الأموال ، وذلك الذى يحتل المنصب العالى ، إذا قال يحيا الوطن ، إنما يقول تحيا وظيفتى ، أو مصلحتى .. »

وتذكر عفاف لطفى السيد أن سعد زغلول قد وضع مشروعا لتحديد الملكية الزراعية بحد اقصى ٥٠ فدانا للفرد ، وتعثرت فكرته فى مواجهة المعارضة فى صفوف الوفد ، ولم يظهر المشروع الى حيز الوجود إلا سنة ١٩٥٢ ..

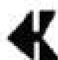
ولم يكن غريبا ، وهو الذى انحاز إلى الشعب وآمن بالجمهورية ، وبالاصلاح الزراعى ، أن تشن الصفوة الارستقراطية هجوما عليه ، إلى الحد الذى دفع صدقى الى القول .. « إنه لو وقع الناخب تحت تأثير شخصية طاغية مثل سعد زغلول ، فباطل تصويته لأنه لا يصلح للاختيار الحر » .

إن ثورة ١٩١٩ حدث ضخم فى تاريخنا الحديث ، بل الحدث الفعال فى بناء مصر الحديثة ، والحياة السياسية المصرية فى القرن العشرين ، وبعثت الحياة فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفنية..

وإذا كان الوفد ورفاق سعد قد تمسكوا بالقيم التى نادى بها سعد ، ولم يتنكروا لنضاله ، ما كانت هناك حاجة لقيام جيل جديد

يحمل الراية ، وهو جيل ثورة ٢٣ يوليو ..
وهو الجيل الذى حمل اللواء فى ظروف بالغة الصعوبة ..

● يوليو والمستقبل ●

وتمضى الأيام ..
وتقوم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتحقق حلم سعد فى الاستقلال الوطنى ، والذى كانت من أجله ثورة ١٩١٩ .
وتستجيب الثورة بصدق لكل التحديات ، التنمية فى الداخل ومقاومة الهيمنة من الخارج ، وتنتهج عدم الانحياز سياسة لها ، وتدرك الارتباط العضوى بين الأمن المصرى والأمن العربى ، وتقوم بتحولات هيكلية فى بنية الاقتصاد المصرى من أجل الأغلبية المحرومة ، التى تاقت الى العدالة ، وتتبنى التخطيط والتنمية ، بعد أن وعت الدروس .
وكأى ثورة لم تولد كاملة النضج ، وإنما أنضجتها تجربتها ، وهى كأى عمل إجتماعى لا يمكن أن تكون مبرأة من الخطأ ، ولكن تدلنا الشواهد التى استحضرناها ، على ما تعرضت له رموز الوطنية من هموم ، وأعطت الحملة الشرسة لنفسها الحق ، فى محاكمة النوايا عندما لم تسعفها الأعمال بالحيثيات اللازمة ، عندما كان مطلوبا التبرؤ من سياسات قائمة ، وخدمة سياسات تعكس موازين دولية جديدة ، ورغم خطورة هذه الحملة على الأجيال الجديدة التى تضعها بين شقى الرحى ، ماض أسود ومستقبل غامض ، رغم ما تحمله الحركة الوطنية من قدرة على الالهام ..
وقامت يوليو بدورها فى ظروف معقدة ، ظروف احتلال استعمارى وتحولات كبرى فى النظام الدولى ، وشقت طريقها فى هذه الظروف لبناء دولة مستقلة قوية ، واستردت حدود ومناعة الأمن القومى فى المنطقة ومع اشتباكها فى معارك شرسة مع الاستعمار القديم ، بينما كان الاستعمار الجديد يأخذ شكلا جديداً ويستعد للحلول محل الاستعمار القديم ، وتم جلاء القوات العسكرية الأجنبية عن معظم الدول العربية ..

وإذا كانت الحركة الوطنية قد تناسخت فى صور عدة ، فمكائد الغرب أيضا تجسدت فى أشكال متنوعة ، ومع المعارك



الطاحنة التى فرضت على الثورة ، جاءت معركة ١٩٦٧ ، لتمثل وقفة باعتبارها المعركة التى ألحقت بمصر خسائر فادحة ، وتم إستغلال نتائجها لتعميق الشعور بالهزء ، وعندما سكتت المدافع ، بدأت المناورات السياسية بهدف أن تصبح مصر بلداً بلا قضية وليس لها دور . بعد أن كادت تنجح فى ضرب الهيمنة الغربية ..

وقاومت الثورة الهزيمة وفرض الهيمنة وأعادت بناء القوات المسلحة ودخلت معركة استنزاف قوات الاحتلال . وقامت معركة ١٩٧٣ وانتصرت خلالها أسلحة وقوات الثورة ..
وباقى القصة معروف ..

وما نحاول الوصول إليه ، أنه إذا كانت ثورة يوليو لم تكتمل ، فهذا هو التحدى الذى نواجهه ، فيقع عبء استكمالها على الأجيال الجديدة ، ولا يمكن أن تستكمل ، إلا إذا اقترن استكمالها بالاعتراف بأسباب القصور ونقاط الضعف ، والتى أكدتها تجربتها ، أنه بدون حرية وحقوق الانسان لا يمكن أن يتصل ويتواصل الطريق ، وعلى الجيل الحالى مواجهة المشاكل القديمة والجديدة معاً ، واستنباط الحلول الجسورة .

وإذا كان عرابى قد واجه غدر الخديو ومكائد الأوربيين ، وإذا كان سعد قد واجه الملك وقوات الاحتلال ، فقد حقق عبد الناصر الاستقلال وأدرك ما يحاك لوطنه من مخططات ، وبقى على الحركة الوطنية أن تكمل الطريق ، وإذا كانت ثورة يوليو قد عانت من قصورها الداخلى الناتج عن غياب الديمقراطية ، فعلى الجيل الحالى أن يدفع بالدماء فى شرايين الديمقراطية ويدعم بناء المؤسسات الشعبية ..
وأن نستخلص العبر من حلقات الحركة الوطنية ، ونتمسك بأهدافها ، ولا نفقد « البوصلة » التى تتحدد بمستقبل الوطن ومصالحه وأمنه ، ون يشعل الجيل الجديد طرائق الحل ووسائل التقدم ..

أقوال معاصرة


كورت فالدهايم

● " قرروا الحيلولة دون وصولى إلى مقعد رئاسة جمهورية النمسا . بعد ان وضعت مقعداً لياسر عرفات فى الامم المتحدة " .
كورت فالدهايم

● " لن اهرب من تاريخى " فالدهايم

● " اسرائيل تريد تصفية حساباتها مع فالدهايم هذا الرجل العقلانى جدا "
كرايسكى رئيس النمسا السابق


كرايسكى

● " الموت شيء لا وجود له . الذى له وجود هو الخوف من الموت "
المخرج أندريه تاكوفسكى

● " العالم يتغير . وكل شيء يمكن ان يتغير معه "
سيمونيان مدير فريق كرة القدم السوفييتى

● " اسرائيل ليست اهلا للثقة . بعد ان وجدنا فى فراشها رجلين وليس رجلا واحدا "
لوس انجلوس تايمز
بعد اكتشاف بيع اسرار امريكية لايران .

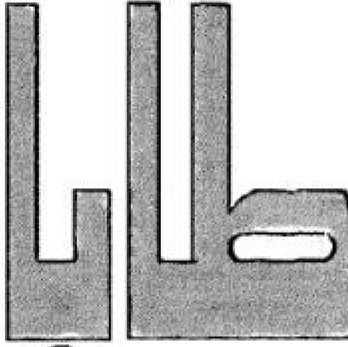

حافظ الأسد

● " ساكون وراء الحلف المتين بين سوريا والعراق وايران .. !!"
الرئيس السورى
حافظ الأسد

● " شرف البلهاء لايهمنا "
جان رينوار
المخرج الفرنسى

● " كنت لاجئا سياسيا فى مصر . وطالب نظام نميرى بالقبض على وتسليمى . ورفضت مصر ذلك . !!
الشريف زين العابدين الهندى
نائب رئيس وزراء السودان ووزير الخارجية





بين التاريخ والسياسة

بقلم : فتحى رضوان

●● للتاريخ منطق ، وللجغرافيا منطق . فالتاريخ لايهمه من البلدان ، ماكان ذائع الصيت ، ولا واسع المساحة ، ولا المتمتع بالثراء ، في حين ان الجغرافيا لاتطيل الحديث ، والوصف ، والبيان ، إلا عن المحيطات المترامية الآفاق ، والجبال التى تمتد فى الطبيعة طولا وعرضا وإرتفاعا ، والانهار التى تقطع مابين المنبع والمصب اميالا والتى تقع على شواطئها المدن الآهلة بالسكان والمتخمة بالثروات ، والمائجة بحركة أهلها فى مجالات التجارة والحرب والعلم . ●●

أما التاريخ ، فكثيرا مايقف أمام قرى صغيرة ، وربما نقط فى صحراء مجدبة ، أو فى مناطق تملؤها المستنقعات ، ولا يألفها البشر ، ولاتصلح لازدهار حضارة ، ولا لانتشار ثقافة . خذ مثلا موقع (بدر) التى أصبح اسمها يتصدر أسماء المدن والعواصم والحواضر فى التاريخ الاسلامى ، و (اترلو) التى أصبحت بعد هزيمة نابليون فيها معلما من معالم التاريخ الحديث ، أو (فالمى) الموقع الذى هزمت فيه جيوش الثورة الفرنسية جيوش الملكية الأوربية التى أحدقت بفرنسا الثورة


كرومر

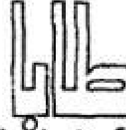

هرتزل

لتقضى عليها ، وتقتلعها من جذورها .

وقد زالت بدر من الخريطة بعد ان انتهت المعركة بين الشرك والإسلام ، وتاهت واترلو ، بعد أن افل نجم نابليون ، وذهب به خصومه إلى منفاه فى جزيرة سنت هيلانه ، واغفل مصور الخرائط ، (فالمى) بعد أن انطوت صحائف الثورة الفرنسية ، الجغرافيا تعلم جبال الالب والهمالايا ، والمحيطات ، الهادى والأطلسى ومدن القاهرة وباريس ودلهى . أما التاريخ فشديد الحب والايثار ، للمواقع المتواضعة ، التى حرمت من الشهرة ، وذيوع الاسم ، حتى احتفلت بها الأيام ، واقبل عليها ذوو السلطان ، وقد عرف التاريخ توت عنخ آمون ، حتى كسف بريق شهرته اسماء كبار الفراعين . وهو بين رجال السلطة لا هو قائد جيش فاتح ، ولا هو مؤسس دولة عظيم ، ولاصاحب مذهب فى سياسة الحكم ، وإدارة الامم .

● احتفال التاريخ ●

وطابا التى نتحدث عنها اليوم ، هى من هذه الاسماء التى احتفل بها التاريخ مرتين ، وتردد اسمها فى البرديات ، وتقارير الساسة ، واقترنت بأزمات كادت تقترن بالحروب الكبيرة . وعندما برز اسم (طابا) فى سنة ١٩٠٦ على الصعيد الدولى ، لم تكن سوى قمة جبل الثلج الطافى على سطح محيط السياسة العالمية . فالقمة الصغيرة فى الجبل الضخم الغارق بجسمه فى مياه المحيط المتلاطمة والكثيفة ، لاتشى بالوجود الهائل للجبل ، فيحسب الناس أن القمة البارزة هى كل شىء . وكان الجبل الذى تمثله (طابا) سنة ١٩٠٦ مكونا من



بين التاريخ والسياسة

مجموعة من الأحداث البالغة القوة فقد كانت طابا نذيرا بالحرب العالمية التى قامت فعلا بعد ثماني سنوات من أزمة طابا فقد اندلعت نيرانها سنة ١٩١٤، وكانت (طابا) مقدمة النزاع على منطقة سيناء كلها، وكانت بريطانيا طامعة فى أن تضع يدها على هذه المنطقة الحيوية والحساسة وأن تحرم منها تركيا لعلمها بأن هناك احتمالا عند نشوب الحرب الدولية بين بريطانيا وفرنسا فى جانب، أن تنحاز تركيا أو الدولة العثمانية إلى الجانب الآخر الذى سيضم المانيا والنمسا، وربما ايطاليا.

وكان جبل الثلج يتكون ايضا من بدايات الحركة الصهيونية التى كانت تحضر للوثوب على فلسطين والتهامها.

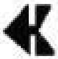
فكانت طابا هى التحضير الصهيونى للاستيلاء على سيناء كخطوة أولى نحو القفز على فلسطين كلها، وكانت نذر الأطماع الصهيونى الأولى. فى سنة ١٨١٠ أى قبل نهاية القرن التاسع بعقد واحد، فقد وفد إلى مصر، يهودى اسمه بول فريدمان الذى اتصل بمندوب بريطانيا فى مصر، والذى كان لقبه «قنصل بريطانيا العام» والذى أصبح فيما بعد» «ايفلن بارنج» الذى حمل لقب لورد بعد ذلك بات يعرف باللورد كرومر، مهندس السياسة البريطانية الأكبر فى منطقة الشرق العربى، وملك وادى النيل غير المتوج، اتصل بول فريد مان بدار القنصل البريطانى فى ذلك العام المبكر، الذى سبق الحرب العالمية بنحو ربع قرن وانهى إلى هذه الدار الاستعمارية انه وجماعة من بنى ملته ينوى الهجرة إلى سواحل خليج العقبة، غير بعيد من موقع (طابا) وفى سنة ١٨٩١، أى بعد الابلاغ بعام فقط عاد فريدمان إلى القاهرة ومعه عشرون من اليهود الذين ينتمون إلى منطقة شرق أوربا ووسطها، ونزلوا فعلا على ساحل خليج العقبة، ونما إلى صحف القاهرة، نبأ هذه البداية المبكرة للاستيطان الصهيونى، فشنت حملة على هذا التسلل، وطلبت إلى الحكومة ان تتخذ إجراء لمنع استقرار هؤلاء الوافدين فى هذه المنطقة الحاسمة، ولكن شاء القدر أن يجلو هؤلاء المتسللون إذ أن علاقتهم بالعرب فى تلك المنطقة ساءت لسوء مسلكهم، فجمعوا متاعهم واجلوا المنطقة التى تمنوا أن يقيموا فيها. وكان الخليفة العثمانى وهو السلطان عبدالحميد، شديد الحساسية لكل محاولات الصهيونية التى بذلت مساعى شديدة لمقابلته، ومحاولة اقناعه بالسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين، وقد ابى السلطان ان يقابل هرتزل نبى الصهيونية وأعوانه، وفزع لوصول فريدمان إلى موقع على خليج العقبة، فلما بلغ أن فريدمان ترك الموقع، اطمأن ولكنه قرر أن يسحب سيناء من تحت السلطة البريطانية التى كانت قد احتلت مصر منذ سنة ١٨٨٢. ولذلك فقد انتهز فرصة وفاة الخديو توفيق

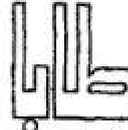
فى ٨ من يناير سنة ١٨٩٢ ، وأعد فرمان تولية خليفته محمد توفيق ، وهو ابنه الخديو عباس حلمى الثانى فى ١٧ من يناير سنة ١٨٩٢ ، على وجه يخرج من سيادة الخديوية المصرية ثلاثة مواقع كانت لمصر شرق خليج العقبة وهى حيفا ، والمويلح ، والعقبة ، ولم يكتف بذلك بل أخرج من سيادة خديو مصر وهو الجزء الأكبر من شبه جزيرة سيناء ولم يكن فى مقدور الخديو الجديد أن يتولى حكم مصر إلا بتلاوة فرمان السلطان العثمانى ، وكان السيد ايفلنج بارنج قنصل بريطانيا العام ، قد أدرك نوايا السلطان من هذا التعديل . الذى ادخله على فرمان تولية الخديو عباس ، فلم يأذن - وهو صاحب السلطة الفعلية فى مصر - بتلاوة الفرمان ، وأتصل بحكومته فى لندن لتمارس ضغطا على حكومة استانبول بدعوى أن الفرمان الجديد يتعارض مع معاهدة لندن التى أبرمت بين مصر فى عهد محمد على ، وبين الدول الكبرى فى تلك الأيام ، وهى بريطانيا والنمسا وبروسيا والروسيا . والواقع أن الذى أخاف قنصل بريطانيا من التعديل المشار إليه أن تركيا ازداد قربها من قناة السويس وهو أمر يزعج خاطر بريطانيا وحلفائها إذا قامت الحرب بين بريطانيا وتركيا ، ومن هنا نشبت أزمة طابا .

لأن طابا هى عنوان الأزمة ، للملابسات التى اتصلت بها من ناحية ولموقعها من ناحية أخرى ، اذ ان طابا كانت على مقربة من آبار تقع عند رأس خليج العقبة ، وهى آبار يحرسها نحو ٢٠ جنديا تركيا ، ومن موقع نقب العقبة وهو يتحكم فى الطرق المؤدية إلى داخل سيناء من الساحل . وأخيرا تقع فى نفس المكان (طابا) التى هى ملتقى الطرق الذاهبة إلى قلب سيناء وغزة ولذلك فقد كان يعهد بحراستها إلى فصيلة تركية تتكون من ١٢٠٠ تركى . ولهذا فقد صدرت أوامر السلطة البريطانية المتسترة بالحكم المصرى فى الظاهر ، باحتلال هذه المواقع كلها .

ولم تكن تركيا اقل تنبها لما تنويه بريطانيا ، ولذلك فقد بدات أزمة طابا فى تلك السنة .

تأزمت الأمور بين الدولتين بريطانيا ، وتركيا التى ودت أن تحسن وضعها فى منطقة سيناء كلها ، واستأسدت بريطانيا ، لتبقى هذه المنطقة ذاتها تحت سلطانها بدعوى انها تدافع عن حقوق مصر ، معتمدة على امرين اولهما ضعف تركيا عسكريا فى تلك الحقبة ، وتأييد اكثر أوربا لبريطانيا ، لميول تركيا السياسية آنذاك نحو المانيا ، وأخيرا استنادا إلى معاهدة سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١ التى فرضت على محمد على ، ولذلك لم تتردد بريطانيا عن أن تكشر انيابها ، فارسلت فى التو بارجة اسمها ديانا لتجوب مياه خليج العقبة ، وحاولت مصر أن تتصدى للقوة التركية ، وكانت مصر قد ارسلت فصيلة من خمسين جنديا بقيادة سعد بك رفعت ، فتصدت لها القوات التركية بقيادة رشدى باشا ولم تقو الفصيلة المصرية للصمود امام الاتراك ، فلجأت إلى موقع حصين هو جزيرة





فرعون التى لم يستطع الاتراك ان يجلوا المصريين عنها .

كان ممكنا ان تؤدى هذه المجابهة إلى حرب بين بريطانيا وتركيا ، وكان ممكنا لذلك ان يؤدى التصادم على ارض سيناء وبسبب طابا إلى التعجيل بالحرب العالمية لتقع قبل موعدها بثمانية اعوام إلا أن الفريقين ، الأتراك والبريطانيين آثروا السلامة ، وندب كل منهم لجنة لتخطيط الحدود بين مصر وحدود فلسطين التى كانت آنذاك جزءا من الامبراطورية العثمانية .

ولكن الانجليز ادركوا أن تحفز تركيا للتصادم مع بريطانيا فى حادثة طابا كان مجرد إمتحان للقوة البريطانية وقد كتب كرومر هذا المعنى فى مذكرة طويلة أرسلها لوزير خارجية بريطانيا فى ٢٩ مايو سنة ١٩٠٦ إذ قال ان هدف الحكومة التركية هو إمتحان قوة مركز البريطانيين فى مصر والتعرف على مدى استمرار معونة الدول الأخرى لها فى هذا الشأن - كما كتبت جريدة الكان الفرنسية فى نفس المعنى مقالا فى ٢٩ من ابريل قالت فيه « ان المقصد السرى للسياسة التركية هى ان تفتح ضد انجلترا كل المسالة المصرية (١) » .

وقد تم الاتفاق بين الفريقين التركى والبريطانى على اختيار لجنتين تمثل كل لجنة فريقا من الفريقين المتخاصمين ، وإن كانت تركيا رافضة فكرة وضع حدود بين مصر وفلسطين ، رفضا حازما لاعتقاد الخليفة التركى بأن مصر وفلسطين ولايتان من الولايات التركية فلا يجوز أن تقوم بينهما حدود ، وكان الحزب الوطنى برياسة مصطفى كامل ، شديد الكراهية لكل ماياتى من طريق الاستعمار البريطانى ، ولذلك أيد الموقف التركى تاييدا شديدا ، تاثر به الراى العام المصرى ، إلى حد أخاف السلطات البريطانية من احتمال قيام ثورة فى مصر ، ولكن الضغوط البريطانية على حكومة استانبول التى أيدها المعسكر الاستعمارى الأوربى كله ، وضعف الحكومة التركية أنذاك أدى إلى قبول الاقتراح البريطانى ، وتشكلت لجنتان مصرية وتركية وضعت علامات الحدود وعددها ٩١ ، واستقرت طابا فى الحدود المصرية وانقطع كل نزاع حولها . حتى سنة ١٩٨٤

(١) الدكتور يونان لبيب رزق - الأصول التاريخية لمسالة طابا ص ٢٥

الحمقى والأذكياء
بين كساد العقل وسوء الأدب

بقلم : حلمى هلال

قال ابن الجوزى فى كتابه « اخبار الحمقى والمغفلين » انه شرع فى جمع اخبارهم لثلاثة اسباب : الاول ، لان العاقل اذا سمع سيرتهم ادرك النعمة التى هو فيها ، والثانى لان ذكر افعال المغفلين يدفع الناصح ، النبيه الى اتقاء اسباب البلاهة والغفلة ، اما الثالث فلان ذكرهم يوجب الضحك والهزل اللازمين للترويح عن الفكر والقلب .

• الطير بالطير يصاد ، والحاوى لاينجو من الحيات ، وخذ اللص قبل أن يأخذك !

• الحمقى : عقلاء المجانين !!

• هجران الأحمق ، غنيمة ، والسكوت عن الأحمق جوابه ، ومعاتبة الأحمق ، نفخ فى تليسة !!

وسمى « النيسابورى » كتابه عن الحمقى « عقلاء المجانين » ، وقال فى تقديم الكتاب انه قرأ فى صباه قصصا عن الحمقى والمغفلين ، كتبها الجاحظ وابن أبى الدنيا ، واحمد بن لقمان ، وابن سهل البغدادى فاستفاد من هذه القصص كثيرا ، وأدرك ان النـــاس ذوو اوصاف متباينه ، تقترن قوتهـــم بالضعف وقدرتهم بالعجــــز ، وانه يوافق « وهب بن منبـــه » حين قال : خلق الناس جميعــــا : حمقى ! ولولا حماقتهم ، ماالذت لهم الدنيا ، ولا هنأ لهم فيها العيش !

ويقول الابشيهى فى كتابه«المستطرف فى كل فن مستظرف » ان الشاهد«من خصائص الاجسام لا المعانى ،والعقل معنى وليس جسما ، لذا فانه لايرى ولا يمسك وانما يستدل عليـــه ، وان من ظواهر العقل المحيــرة انه يزيد وينقص ، ويذهب ثم يعود ، وان هناك اربعة اشياء تحتاج الى اربعة اشياء: الرياسه الى العقل ، والسياسة الى الرأى ، والادب الى العلم ، والعقل الى التجربة . والصراع بين الحمقى والاذكياء ـ صراع طويل ، اتســـم احيانا بالشراسه والعنف واحيــــانا بالطرافه والمداهنه وتمشية الاحـــوال، لكنه لم يهدأ لحظة واحدة ، ولم تخمد ناره منذ عهد بعيد ، ومادام هنــــاك حمقى واذكياء ، فعلى الناس العاديين الذين لا ينتمون للحمقى ، ولاهـــم فى عداد الاذكياء أن يحكموا بين الفريقين، واضعين فى الحساب ، ان التمييز بين الحمق والذكاوه لم يعد سهلا كمـــــا كان فى التاريخ القديم ، ولا واضــــحا بالقدر الذى يسمح بالتصنيف والفصل فزمان كان الامر ميســـورا ومكشوفا الاذكياء يستأثرون بالسلطة والمـــال والحمقى يقاومون الفقر والازدراء !

● الحمق غريزة ●

الرأى الراجـــــح فى كل الكتب القديمة : ان الحمق غـــريزه ! وانه كساد فى العقل والقلب والرأى ، وان الاحمق لا يمكن ان يشـــاور ولايلتفت اليه فى امر من الامور ، وان الحمق داء ، دواؤه الموت ، فلا تنفع معــــــه الحيلة ، ولا المداواة ، ولا الصبر :

لكل داء دواء يســـــتطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

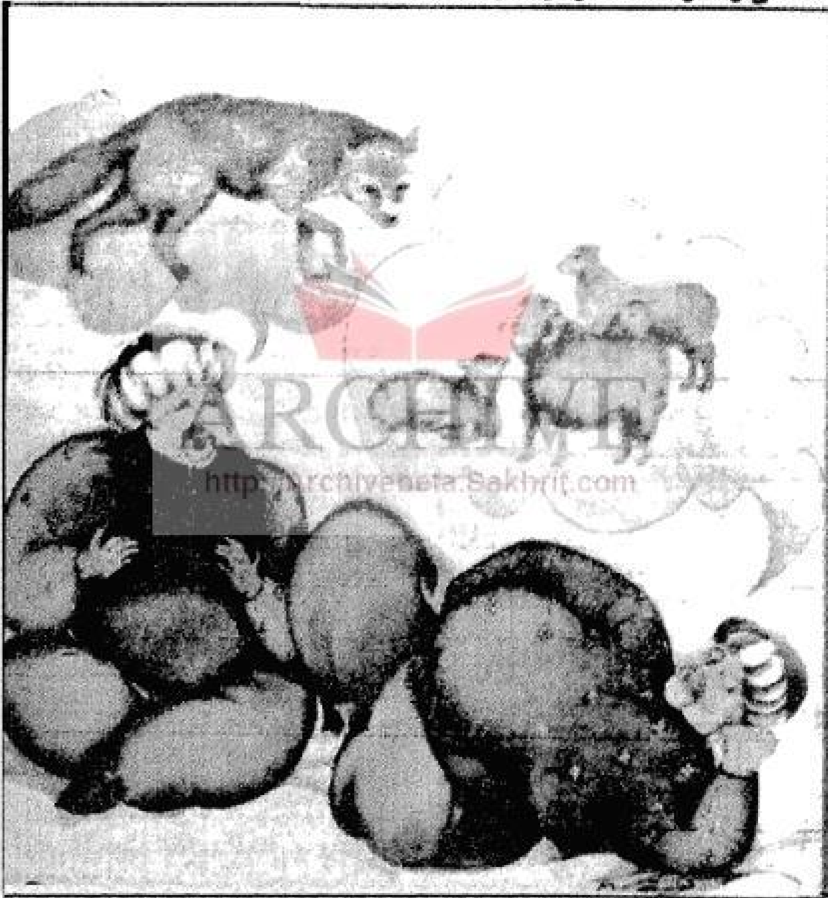
ويســــتدل على صفة الاحمق ـ فى رأى ابن الجـــــوزى ـ من ناحيتين ، احداهما من حيث « الصورة »والاخرى من حيث « الخصال والافعال » ، فمن حيــــث الصـــــــورة : اذا كانت رأس الانسان صغيرة جدا ، دل ذلك على « رداءة فى هيئــــة الدماغ » واذا كان الوجه على هيئة نصــــف الدائرة ، شديد الفلاطة ، والبـــــلادة ، والعين صفراء ، مرتعدة ، مختلسة ، فصاحب هذا الوجه احمق ومكار ، ومن كانت انفه طويلة جدا ، وعريضه ، فهـــو احمق وجاهل ، ولكن ميزة هذا النوع من الحمقى : عمره ، فهو طويل العمر جدا ، وفى كل الاحوال فان كــــلام الاحمق، الذى دليل على حماقته،وتفاهته اما من حيث « الخصال والافعال » ،

ويحكى « النيسابورى »على معرض كلامه عن : « صفة الحمــــاقة » ، ان احمقين ، كانا يسيران فى الطـــريق ـ كعادة الحمقى ـ بلا هدف .. فقـــال احدهما للآخر : تعــــال يا أخى نتمنى على الله ، فان الحديث يقطع الطريق فقال الاخـــــر اتمنى ان يرزقنى الله عددا مهولا من الاغنام ، اكثـــر من اغنام الخليفة ، فرد الثـــــانى : وانا اتمنى لو يرزقنى الله قطيعـــــــا من الذئاب ، مساويا لعدد اغنامك بالضبط.

فاختلفا عليها ، فاختلفا .. !! ثم ان الاحمقين تشاجرا ، وشتم كل منهما الآخر ، ثم قررا ان يحتكما الى اول من يمر عليهما من الرجال ، فاذا برجل يأتي من بعيد ، تبدو عليه امارات الحكمة والذكاء ، يجر حمارا عليه خرجان ، كبيران ، ممتلآن ، فحكى له الاحمقان بصراحة ، ما وقع بينهما .

فاستمع الرجل اليهما دون ان ينطق بحرف واحد . ثم اتجه قبالة ناحية الحمار ، فانزل الخرجين وحملهما ، فتحهما دون ان ينطق بحرف واحد ، ثم سكب الخرجين واحدا بعد الآخر ، على الرمل قائلا : يسيل دمي مثل هذا العسل .. ان لم تكونا احمقين مطلقين ؟؟

الحمقى والاذكياء . كلاهما يتخيل .. إما الخير .. او الشر !!



رسم : فوزية رشد

وقد قال البعض ان هذا الرجل هو « ابا الغصن » الشهير بجحا ، ولكن « ابن الجوزى » ينكر هذا ، ويقول ان بعض أعداء أبى الغصن اعتادوا ان يلفقوا له هذه الحكايات لينالوا منه فهو وان ادعى الحماقة الا انه لم يكن كذلك .

ويواصل « النيسابورى » بحثه عن الصفات الجامعة المانعة لشخصية الاحمق ، فيضيف الى كل ما سبق ان الاحمق يسب ، ويرمى ، ويخرق الثوب ويخالف عادات الناس ، وانه يمكن اعتبار الحمق – عموما – ضربا من الجنون ، وذلك لان الاحمق لا يختلف كثيرا عن المعتوه او الاخرق ، لكنه ايضا – اى الحمق – صنوف ومذاهب وانواع .

● حمق يضرب به المثل ●

بعد أن أصبح واضحا ، من هو الاحمق ، فان الامر لا يقف كما يقول ابن الجوزى – عند هذا الحد ، صحيح ان الحمقى يشتركون جميعا فى خصال وافعال عمومية، الا ان الحمق انواع واجناس لدرجة ان بعضها قد ذاع صيته ، حتى اصبح يضرب به المثل عند الناس كالمائق ، او الرقيع المرقعان وهو الاحمق الذى يتمزق عليه عقله ورأيه والخبلان الهوبس او الهلباجة وهو الاحمق الكثير الاكل والكلام ، واللكع وهو الاحمق اللئيم والاخرق وهو الذى يخرق الاشياء ويوقعها ، ولا يحسن مسكها ، والذهول الجهبس وهو الاحمق الذى لاخير فيه ، وغالبها ما يتخبط فى كمه و « الهجاجة » الخرف وهو الاحمق الكثير الخطأ ، ومنها ايضا الهائم والمدله والابله والمستهتر والاهوج ، اما « الهبنقع » فكفاك الله شر الهبنقع ، فهو – كما يقول النيسابورى – اخطر انواع الحمقى ، لانه غلاظ ، سيء الادب جدا ، مثله كمثل المائح الذى فى أسفل البئر ، او مثل الغائط يدعى الحماقة لينال ، او البلاهة كى ينجو من مصيبة او كارثة، وهو عموما مشاغب وتيه جاه ونذالة، وقد اشتهر من فصيلة الهبنقع ، « مزهر الحمار » ، و « ابن الاقرع » و « ابن الجصاص » و « بهلول » ، .

● « ابن الاقرع » والدفاع عن الحمقى ●

ورد ذكره على لسان الابشيهى، فى كتاب «المستطرف فى كل فن مستظرف»: انه « ابن الاقرع » ، الذى كان طبقا لتصنيفات الحمقى من النوع « الهبنقع » وكان سياحا فى البلاد لهجا بالقول والكلام الغريب ، جريئا ، لايعرف له مأوى ولا مكان ، وفضلا عن كل صفات الحمق التى انفرد بها « ابن الاقرع » فقد كان له داء شنيع ، كان لا يستطيع ان يحبس الريح الخارجة منه، ولكن يبدو انه كان معذورا ، فى ذلك حتى انه كان مسموحا له ان يخرج الريح، بحرية ، فى حضور الامراء والوزراء والكبار ، وقد قام « ابن الاقرع » بالدفاع عن الحمقى ، فى مواجهة الاذكياء ، وصعد احيانا بالخلاف بينهما الى مناطق خطره ، فقال ابتداء انه لا يوافق على تعريف الاذكياء ، للحمق والحماقة ، ولا على الاسباب المؤدية اليهما ، وذلك لان الحماقة ، لا ترجع الى كساد فى العقل ، وانها يستحيل ان تكون غريزة ، لان هناك فرقا بين الحمق والجنون وان الحمق فى الاصل مشتق من « حمقت السوق»، اى كسدت وانتفرت ، فكل ما فى الامر ان ضيق ذات اليد والجيب ، يورث

سوء الادب ، والابتعاد عن العلم كلية، والعجب المستمر ، والقلق ، والخفة ، وطبعاً النميمة ، وكثرة الكلام ، وهو لا يوجب الاحترام ، بالمرة :

حياك من لم تكن ترجو تحيته
لولا الدراهم ما حياك انسان

ولكن من عيوب « ابن الاقرع » ، فضلا عن ذاتيته الشديدة ، انه يقطع سياق الكلام العاقل ، فجأة يصيح بكلام غريب ، فقد كان يسير - مرة - فى الطريق ، فرأى زحاما ، وسمع ضجة شديدة ، فلما سئل عن ذلك قيل له : انه السلطان ، يقطع يد احد اللصوص ، فقال ابن الاقرع : الطير بالطير ، يصاد ، والحاجة تفتح ابواب الحيلة ، والحاوى لا ينجو من الحيات، وخذ اللص ، باللص ، فهل ان يأخذه .. !!

● الاذكياء ، وفتح باب المراقمة ●

قال الاذكياء : عيب أن يجامل الانسان - هكذا بفقره ، لان ذلك مهين جدا ، بل هو من صفات الحمق الاكيدة ، فلقمان « الحكيم » قال لابنه : يا بنى اكلت الحنظل ، وذقت الصبر ، فلم ار شيئا امر من الفقر فان افتقرت ، فلا تخبر الناس حتى لا ينتقصوك ، ثم الا ترى الى البدوى فى بيت من خيش ، كلبه ينام معه ، لباسه شملة من وبر ، دواؤه بعر الابل ، طيبه القطران ، حلى زوجته الودع ، صيده اليربوع وهو قانع بذلك ، بل مفتخر به !! » .

أعاد الاذكياء النظر فى مقولتهم الاساسية التى تقول بان السكوت عن الاحمق : جوابه خصوصا عندما تزايد الناس الذين يرفضون كلام الحمقى ، ويتحيزون الى صفهم ، فرأى الاذكياء انه من الضرورى ان يفسحوا صدورهم قليلا ، وان يستعينو، بالادباء والشعراء والكتاب لانهم - كما قالوا - أمراء الكلام ، يتصرفون فيه كيف شاءوا ، وجائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم ، من اطلاق المعانى وتقييدها ، وتسهيل الالفاظ وتعقيدها ، فقالوا : ان العقل - اى عقل - يحتاج الى الادب كما يحتاج البدن الى الطعام . حكى عن السهمى انه كان طويلا عريضا كالجدار ، غنيا لا يحصى له مال ، يخبط الجبل فيبعثر كيانه ، او يشخط فى الفيل فيقس عليه « على الفيل » وذات يوم ركب « السهمى » حماره ذاهبا فى مشوار الى الطائف ، فأوقعه الحمار فى حقل من الشوك ، فدخلت شوكة صغيرة لا ترى فى باطن قدمه ، فماذا حدث وقف السهمى دقيقة ، ثم عميت عيناه، ثم خر من طوله ومات !! .

عندما سمع « ابن الاقرع » هذه الحكاية ، قال : ولو ! لان الشهر الذى ليس لك فيه رزق لا تعد ايامه ثم صاح :

وانى لاستحيى من الله ان ارى
اجرجر حبلى ليس فيه بعير
وان اسأل المرء الدنىء بعيره
واجمال ربى فى البلاد كثير !

● الربح فى القلص ●

قال وهب بن منبه : عليكم ان تغفلوا كلية معيار الغنى والفقر ، فى القطع بصفة الحمق اذ كم من « كثيف مبيض رجله مفشش » ، لان الاحمق فى الحقيقة هو من ركن الى الدنيا وعمل لها ووافق هواه دائما ، ثم حكى قائلا : والله انى صحبت الفقراء فاسترحت ! فقد كنت أحزن عندما ارى ثيابا احسن من ثيابى ، ودابة احسن من دابتى ، وبيتا اجمل من بيتى ! .

ثم قال ان العاقل المختلف بصفات عن الاحمق ، الجاهل هو من ينظر فى القانين الاداب وقراءة الكتب

والآثار ورواية الأخبار والأشعار . وأن يحسن في السؤال . ويتثبت في المقال . وأن سأل عما يعلمه أجاب . أن ثمرة الأدب الجميلة هي اللسان، البصير بالذكر الأديب أن ينطق حين يعلم . وأن يتحفظ من الشطط والغلط وأنه ليس من شيء أسر وأحسن إلى صاحب العقل . ولا أجمل موقعا في القلب من مصاحبة العقلاء ومجالسة الأدباء . وأنه لا ينكر ذلك إلا الأحمق الجاهل .

وقال لقمان أن الله خالف بين طبائع الناس كي يوفق بينهم . فالاختلاف سبب للائتلاف . ولكن

ى من هو الأحمق بين هؤلاء الثلاثة ؟؟



المرء ان أجبر على الكلام فلا شيء يرغمه على الصمت . وان الحرص على الاستماع اليد واسم من الحرص على الكلام . فعلى المرء الا يتناظر فيما لا يفهم لانه اذا كان الكلام جميلا فان السكوت جليلا !

من النوع « الهلباجه » كان بهلول ، وهو الاحمق الكثير الاكل والكلام قال ان الكلام السابق . كلا فصيح جدا لكن هناك فرقا بين الفصاحة والبلاغة . لان الفصاحة تكون في الالفاظ . والبلاغة في المعاني وان خلوص الكلام من الدامغة والالف والتعقيد والدلورة بلاغة . وحيث ان الامر كذلك فكلام الاذكياء كالريح في النفس . لا يدخل ولا يخرج . وان العاقل القانع مثله مثل الباحث الجائع . ولو كان ذالب يعطى متعيش به لما ظفرت من الدنيا بمطيه واذا كان اللسان ثمرة القلب الجميلة فكيف يسكت حين يتبقى له ان يقول .

ثم اخذت الكآبة « بهلولا » . واقتحم يوما مجلس الخليفة المنصور وكان في حشد من رجاله ، فبادره بهلول قائلا : هاه .. ازيك . وازى عيالك . وخرافك فصرخ المنصور : اخرجوه الاحمق ابن الحمقاء . وقد حكى الجوزي انه قابل بهلولا يوما ، وكان جالسا في الشمس . يتفلى وكانت مزخرفته مكشوفة . فقال له « الجوزي » : استرها استرها انا الجول . فنظر اليه بهلول قائلا : اما انك مثلها .. يعني !!

● في التحذير من صحبة الحمقى ●

زاد نشاط الحمقى ، وصارت بعض اقوالهم حكما وامثالا . الا ان الصراع بينهم وبين الاذكياء لم يسفر عن شيء له قيمة . فقد ترك الفريقان للناس

المذنبين مهمة الحكم بينهما . الذين فشلوا بدورهم ان يلعبوا دور الحكم فلعبوه في مهارة والظهر محسوب يتغير من زمن لزمن ومن موقف لاخر . حتى اخذت صفة الحماقة مفهوما شديد العمومية والاتساع . فاعتبر المراهق والعجوز المتصابي والسكران شعبة من شعب الحماقة . واتخذ البعض من الحماقة سترا للتهرب او الافلات من المسئولية او تجنب المحاسبة والعقاب . حتى جاء صبي صغير قدر له ان يرد للحماقة اعتبارها وان يحتل التاريخ من اوسع الابواب ليجلس جنبا الى جنب مع الملوك والامراء والكبار .. فقد حكى « النيسابوري » انه كان الرجل من الاغنياء . غلام صغير يخدمه . وكان الغلام احمق كسولا . كثير الكلام . فارسله الرجل يوما ليشتري له عنبا وتينا من السوق . فتأخر الغلام جدا . ثم عاد ولم يحضر الا العنب فقط . فضربه الرجل وقال له : اذا ارسلتك مرة ثانية لتشتري شيئا . فأتي كالريح . واذا طلبت منك شيئا واحدا فأتي بشيئين ! ثم بعد ايام . مرض الرجل فارسل الغلام ليأتي له بالطبيب فغاب الغلام طويلا ثم عاد ومعه رجلان !! فسأله سيده : من هذا الرجل الثاني ؟ فرد الغلام لقد قلت لي من قبل ان اقضي الحاجة حاجتين ، وان اذهب واعود كالريح . وهذا هو الطبيب يا سيدي فان شفاك كان بها . وان لم ينفع فهذا الرجل . حانوتي ليغسلك ويحفر لك قبرا ! .

يقول النيسابوري ان هذا الغلام هو جحا ! وان الاراء فيه قد تباينت واختلفت فلا تستطيع ان تجزم ان كان ذكيا او احمق . وان كان في غالب احواله متعاملا عن وعي وادراك .

قصة الزار

كيف بدأ ؟ وهل يعالج الأمراض ؟

بقلم : د. سيد عويس

كنت صبيا في العاشرة من عمري وربما قبل ذلك ، اى في المرحلة التي كان يقول اولاد الحارة ، التي كنت قد ولدت في احد منازلها وفي اوقات الفراغ العب وارتع بين جنباتها ، كما كانت تقول بنات هذه الحارة ، الشعار القائل « الصبيان مع الصبيان والبنات مع البنات » . كنت اقوله مع صبيان الحارة وكانت تقوله بنات الحارة ايضا . وكانت عبارة هذا الشعار تخرج من افواهنا وكانها « مطلع اغنية » !

كنا نقضي اوقات اللعب في الحارة ، الصبيان نحن الصبيان ، في لعب « البلى » او في لعب « السيجة » او في لعب « الكرة الشراب » . وكنا نغني الاغاني الشائعة في ذلك الحين احيانا . وانا لا اذكر هذه الاغاني وقت كتابة هذه السطور . ولعل اذكر بعض مقاماتها :

« يا نواعم يا تفاح حاجة حلوة كويسة »

و « تعالى يا ياشاطر نروح القناطر »

و « مالك كده سخسختي .. يوه

جتتي مش خالصه النبي يا اختي

ياست زهرة ما تزعليش

جوزك سبع الرجال وغيره ماليش

ياست الكل يازي الفل ! » .

اما البنات ، اقصد بنات الحارة ، فقد كن في معظم الاحيان يغنين وتدق احداهن « الطبلة » . وكنا نراهن من بعيد وهن يرقصن . واذا ما كانت في الحارة « حفلة زار » في احد المنازل او في منزل من المنازل التي في حارة مجاورة ، كنا نراهن يترنحن ويرقصن على دقات الدفوف التي توجد عادة في حفلات الزار وتصل الى آذاننا جميعا .

كنت في ذلك الحين لا اعرف عن حفلات الزار الا ما ذكرت من قبل . ثم فجأة واجهت احدى هذه الحفلات وجها لوجه عندما علمت بان احدى خالاتي المتزوجات والتي كانت تعيش مع زوجها وشقيقتيه الست حنيفة والست سكينة ، وكانوا يعيشون جميعا في منزل يصفه الناس من حوله انه « بيت المماليك » . كانت هذه الخالة مريضة ، كما قيل لها ، وكانت شقيقتا زوجها الستين ولم يتزوجا على الرغم من انهما تجاوزتا السن التي تعودت الانسات في ذلك الحين الزواج فيها . اى انهما كانتا من العانسات على الرغم مما

* * * * * * * * * *

كانتا عليه من ثراء يتمثل فيما كانتا تتحليان به من اساور وحوالة وعقود فقد كانت الواحدة تلبس اكثر من عقد ذهبية ، كما تتمثل فى المنزل الذى كانتا تعيشان تحت سقفه ، المنزل ذا الحديقة الغناء والتى كانت ترتع فيها فى خيلاء الطواويس ذوات الالوان الزاهية المتنوعة . التى الاذكر كل هذه الاشياء كانتى اراها بالامس لانها فى ضوء ظروف حياتى فى ذلك الحين كانت تبهرنى وتخلب لبى .

● خرافات . ورقص هستيرى ●

وكان من الامور العادية ان تذهب امى الى حفلة الزار هذه ولكن ابى ابى عليها ذلك ورفض ذهابها رفضا لا رجعة فيه . لقد كان يرى ان حفلات الزار ان هى الا خرافات لا يذهب اليها شخص عاقل . واذا كان ابى رفض ذهاب امى فانه سمح لى بالذهاب الى حفلة الزار التى تقيمها اسرة زوج خالى كبديل لامى التى يجب ان تكون فى راى ابى شخصا عاقلا واذا شخص غير عاقل اى غير مدرك . ولعل هذا الراى ، راى ابى ، لم يكن صحيحا . فالصغار الا يرون ما حولهم ومن حولهم يتاثرون ويؤثرون ، وماهى ذلك من شك .

وذهبت الى حفلة الزار وشاهدت لاول مرة فى حياتى طقوسها واستمعت للضرب الدفوف والاناشيد التى تنشد ورايت النساء وبعضهن من قريباتى يرقصن رقصات هستيرية وهن لابسات ملابس غير الملابس العاديه ، بعضها شفاف يظهر من ابدانهن مالا يجب ، فى ضوء القيم الدينية ان يظهر . ورايت واحده منهن تلبس « الطربوش الاحمر » وتحاول ان تبدو وكانها رجل . ورايت الواحدة منهن ترقص ثم ترقص ثم تسقط على الارض « منشنجة » ! وكانت انواع الاكل من كل نوع ممتدة لمن يحتاج اليها ، وكان من نصيبى ان امتلات جيوبى بالبندق واللوز وعين الجمل وبعض الحلوى . واذكر اننى اكلت لاول مرة اكلة لذيذة جدا قيل لى عنها انها « ام على » . وقد وزع على الحاضرين رجالا كانوا او نساء مشروب قيل عنه انه « بوظة » . واننى لاذكر ان نفسى عافت شرب هذا المشروب بعد ان ذقت طعمه . وكانت علب السجاير منثورة فى كل مكان لمن يحب ان يدخن . وكان بعض النساء اللاتى يرقصن يدخن . ورايت واحدة منهن تطلب ممن حولها ان يضربنها وكانها تؤدى دور المقهورة . وكنت اعلم فى ضوء خبراتى المحدودة ان النساء المضروبات فى ضوء ظروفهن الثقافية الاجتماعية والاقتصادية يعاملهن الرجال معاملة السادة للعبيد !

وفى خارج القاعة التى اقيمت فيها حفلة الزار ، كان الاطفال الذكور منهم والاناث يرقصون كذلك رقصات هستيرية وكانهم كانوا يقلدون ما يفعله الكبار . وقلت لسيدة كبيرة السن من قريباتى مشيرا الى صبية ، الست دى عليها عفريت » فقالت السيدة :

« نبى الله يا اسيادى . ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم »

واننى الآ اذكر كل ما ذكرت اود ان اقول للقارىء الكريم ان هذه الاشياء كانت تحدث منذ اكثر من ستين عاما . عند الاقارب وعند الغرباء على السواء . والاحظ ان تكاليف حفلة الزار فى ضوء ما يقدم فيها تكاليف كما بدت لى وانا صغير باهظة . وكنت اسمع ان فلانة قد طلبت الى زوجها اقامة حفلة زار لكى ينفق ما معه من نقود



ويساعدين حتى لا يتزوج من غيرها • اى انه ما دامت لديه النقود فان احتمـــال ان يتزوج من غيرها كان كبيرا •

● مفهوم الكودية ! ●

واستمرت حفلات الزار فى الحى الذى كنت اعيش فيه ، وبمـــرور الوقت خفت دقات « دفها » ، وتوهمت أنها قد انقرضت وذهبت الى غير رجعـــة • ولكننى فوجئت وكنت اعمل فى احدى المؤســـسات التى تربى الاطفال الذكور ، او كما يسمون حتى الآن « بالاحداث الجانحين » ، او تحـــاول اعادة تربيتهم ـ فوجئت بأن ام احد هؤلاء الاحداث قد تزوجت من رجل « عليه اسياد » اى انه مريض الى الدرجة التى لابد له من ان يرقص رقصات هستيرية فى حفلة الزار وكانت المفاجأة اكبر عندما ابلغنى الحدث ان هذا الزوج يقيم فى منزله حفـــلات زار اسبوعية بمساعدة زوجته أى امه • وكان منزل هذه الاسرة يقع فى حى «باب البحر» بالقرب من باب الحديد بالقاهرة • وذهبت فى اليوم المحدد لارى بعينى راسى مايحدث ورايت العجب العجاب • رايت الرجـــال والنساء يرقصـــون على دقات الدفـــوف • وكانت ام الحـــدث اقرب من ان تكـــون « كودية » ، والقصد بهذا اللقب « شيخة

رقصة الزار ، يسبقها إطلاق البخور والنقر على الدفوف فى جو صاخب !



قصة الزار

الزار » اى السيدة التى تقود الاناشيد المصاحبة لكل « دقة » ، وهى التى تبدا الحفل والتى تنهيه . وعلمت بانه كلما كثر عدد الحاضرين زادت النقود التى تدخل فى جيبها او فى جيب زوجها . وحجة كل منهما ان الحفل يحتاج الى أشياء كالبخور مثلا كما يحتاج الى « صيانة » الدفوف فضلا عن الجهود الانسانية التى تبذلها الشيخة والذين يعملون معها من الاعوان سواء كانوا من الرجال او من النساء !

والملاحظ انى سمعت لقب « الكودية » هذا من قبل ولكنى لم افقه له معنى ، سمعته وكنت صغير السن . ولاحظت انه لقب يبث فى نفوس الناس وبخاصة من كان عليهن « اسياد » الرهبة والاحترام . فانا منذ ولادتى كان يطلق البخور عادة من حولى ، وكانت من تفعل ذلك « كودية » وهى سيدة سودانية . كانت تاتى الى منزل الاسرة وكنت اذهب الى بيتها حيث رائحة البخور لا تنقطع . وعندما حضرت حفلة الزار التى اقيمت لخالتى سمعت اشياء كثيرة عما حدث ولم اره . سمعت عن الفراخ والديوك وعن الملابس التى يجب ان تلبسها خالتى وشقيقتا زوجها والتى رايت بعضها . وهى كما قيل لى بعد ذلك ملابس « الاسياد » . وكانت الاناشيد تنشد ولم يعلق فى ذاكرتى فى ذلك الحين شىء منها . ولكنى عندما زرت ام الحدث ، فانتى حرصت على تلقينى بعض هذه الاناشيد ، وكان منها كما اذكر الان :

« فاتحة الكتاب والصلاة عليه ، صلو عليه

النبى العربى ، صلوا عليه ..

ماما الهدى ، آه يا ماما ، بدر التمام

يا احمد ، نصبوا الكراسى لماما ،

بدر السماح

لماما ، بدر الهدى ياماما ، صاحب

العوايد ماما ،

صاحب الدبايح ماما ، نصبوا الميدان

ياماما ،

آه يا زهر الورد ياماما .. الخ » .

و « سلام على ام غلام ، يا مرحبة يا ام

غلام ،

سلام على ام غلام ، يا مرحبة بام غلام

ردوا السلام على ام غلام ، يابنت

ماما يا ام غلام ، يا ام الغلام والعفو

منك ، يا يا ام الغلام بينى برهانك ،

يا ام

الغلام واشفى عيانك ، يا ام الغلام

والطبل طبلك ، يا ام الغلام والليلة

ليلتك » .

حدث ذلك فى النصف الاول من عقد الاربعينيات ، ومرت الايام تجرى الى غير مستقر لها ، وجندت لاعمل فى ميدان البحث العلمى الاجتماعى فى عام ١٩٥٦ وبعد فترة قصيرة سرت بين الاعضاء الجدد الذين كانوا يعملون معى فى هذا الميدان انهم يرغبون فى مشاهدة حفلة زار . كان معظم هؤلاء ينتشوا فى ضواحى مدينة القاهرة ، كانوا يعيشون فى منازل تقع فى « جاردن ستى » او فى « الزمالك » او فى « مصر الجديدة » وهى الاحياء الراقية فى ذلك العهد . وذهبنا لنرى هذه الحفلة فى حى الطيبى بالسيدة زينب . ولم اكن اشاهد ماكان يجرى فى الحفلة ولكن كان همى ان ارى ما ارتسم على وجوه « الذوات » وكثر القيل والقال وتجاسروا فلم يكتفوا بالحديث عن انطباعاتهم بل تحدثوا عن ارائهم كذلك وكان معظم هذه الاراء اذ كنت اسمعها وكانها تاتى من عل . لقد كان الهدف من زيارة الحفلة ومشاهدة ما فيها ومن فيها ان ينزل هؤلاء الزميلات والزملاء من عرش الاوهام التى كانوا يتربعون عليه الى الواقع الحى الذى يعيش فيه بعض اعضاء مجتمعنا . ولكننى اعتقد فى ضوء خبراتى مع هؤلاء ان هذا الهدف لم يتحقق !

الاضرحة .. مناطق نفوذ

وفى اوائل عقد الستينيات ، وبالتحديد فى عام ١٩٦٣ ، كنت اهتم بموضوع

« الصدقات والنذور » • وكان هذا الموضوع موضوعا لدراسة اشرفت عليها وقامت باجرائها الزميلة فريدة احمد لتقدمها تكملة لدراساتها التى القيت فى المحاضرات لنيل درجة البكالوريوس فى الخدمة الاجتماعية • وللمرة الاولى عرفت موضوعيا تقسيم بعض اعضاء مجتمعنا لبعض اضرحة اولياء الله الى مناطق نفوذ لكل منطقة بعض الاختصاصات • وتتصل هذه الاختصاصات بنواحي الحياة المختلفة • وكانت اوسع هذه الاختصاصات انتشارا الناحية الطبية التى تتفرع منها عدة فروع .. منها :

ـ ان نجد المرأة المصابة بالعقم مثلا تتردد على ضريح « الشيخ المغاورى » تتمرغ على الارض حول الضريح لتشفى من عقمها ، وتعتبر هذه العملية خدمة مباشرة يؤجر عليها الشيخ الذى يعمل بضريح الولى والذى يقوم فى نفس الوقت بتحديد مآثر هذا الولى فى شفاء العقم وانجاب الذرية الصالحة • ولا يسمح لاية امرأة بالحصول على هذه الخدمة ما لم تدفع الشيخ المذكور « ما فيه القسمة » ، وبعد ذلك تنذر نذرا توفيه اذا ما تم الحمل !

وان نجد « الشيخ ابو السعود » له « عيادة » مفتوحة كل يوم ثلاثاء • وهى عبارة عن عدة فرق للزار تحتكر مكانا حول الضريح باسم علاج النساء اللاتى عليهن « عفاريت » او « اسياد » • وما على المرأة التى ترغب فى العلاج الا ان تدفع « ما فيه القسمة » لشيخة الزار (الكودية) بشرط الا يقل مافيه القسمة هذا عن مبلغ معين ! وتقوم هذه الشيخة بتبخير المرأة (المريضة) استعدادا للترنح فى « الدقة » التى يفضلها « العفريت » الذى عليها ، والذى سبب لها المرض بطريقة او باخرى ، والذى سيشفيها من مرضها حين تترنح فى دقته المفضلة •

وقد لاحظت الزميلة الباحثة ان الدقة فى الزار عبارة عن نغمات موسيقية تشترك فيها الالات الوترية والات النفخ والايقاع والصاجات ، وان كل دقة لها لحن مميز ، وهى عادة نغمات موسيقية عنيفة ذات ايقاع راقص اقرب ما تكون الى موسيقى « الجاز »

والاحظ ان النغمات تختلف حسب جنسيات الاسياد فهذه يرضاها سوداني والاخريات يرضاها مغربى او مصرى او جركسى .. وهكذا •

ولا تنسى المرأة ان تسدد نذرا لابى السعود توفيه فى حالة شفائها من المرض ! وقد ذكرت الزميلة الباحثة اضرحة اولياء اخرين ذوى اختصاصات اخرى ، ومن هؤلاء الاولياء « الشيخ الشعرانى » وتخصصه علاج الامراض النفسية والعصبية وضيق النفس والاعصاب ! و « الشيخ ريحان » الذى يختص بالاطفال الذين اتكفوا فى عتبة فى وقت الصلاة فاذاهم العفاريت الذين يسكنون الارض! و « الشيخ يحيى » الذى تتضمن منطقة اختصاصه الخلافات والمشاكل الزواجية • فهو يعالج حالات الهجر او تزوج الزوج من اخرى .. الخ •

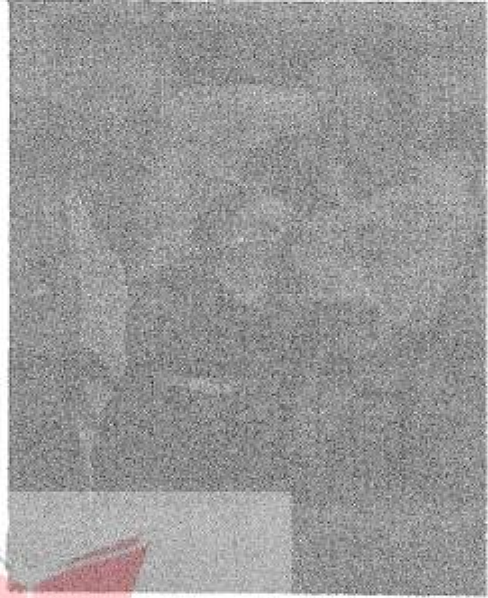
والاحظ انني فى ضوء تلك الدراسة الاجتماعية فى حى الخليفة كنت اسمع عن « الشيخ ابو السعود » ولكنى فى ضوء الحقائق التى اوردتها الزميلة الباحثة كنت القاها لاول مرة بالتفصيل •

• الزار فى الاماكن السياحية! •

ومرت الستينيات وبدات السبعينيات ولم اسمع دقات طبول الزار فى احياء القاهرة • ولكنى فوجئت للمرة الثانية او ربما للمرة الثالثة بوجودها فى منطقة الاهرامات بالجيزة فى مكان قريب من هذه المنطقة يسميه المواطنون « سيدى حمد » ، وعلمت ان هذا الولى يلقب « بالسمان » وتنسب اليه نزلة السمان وهو حى معروف حيث يسكن فيه المرشدون السياحيون فى الاغلب الاعم ، فضلا عن اصحاب الجمال او الخيل او الحمير او العربات التى يعشق ركوبها باجر الوافدون الى منطقة الاهرامات من المواطنين او من الاجانب على السواء •

وقد تعودت على أن أذهب الى منطقة الاهرامات كل يوم جمعة فى فصل الربيع • وفى يوم من أيام الجمع التى تصادف وجودى فى المنطقة وجدت « طابورا » من النساء ومعهن اطفالهن يسرن جماعات فى

قصة الزار



يتمايلون على دق الطبول فى واحدة من حفلات الزار

وعندما سألت من هن هؤلاء النساء ولماذا كن يمشين معا وما هو المكان المقصود ؟ قيل لى انهن ذاهبات الى « سيدى حمد » حيث تعقد فيه حفلات الزار ، اسبوعيا فى يوم جمعة .

ودفعنى حب الاستطلاع وذهبت الى المكان حيث تعقد فيه حفلات الزار ، وكنت وحدى وسمعت دقات الدفوف وموسيقى الالات الوترية والات النفخ والايقاع والصاجات من بعيد .

ورايت من بعيد النساء يرقصن على دقات الدفوف كما رايت الرجال يفعلون نفس الفعل . ووجدت من خارج المبنى الذى يوجد فيه ضريح الولى « سيدى حمد السمان » ، والذى تقام فيه حفلات الزار ، مقاهى على شاكلة « الغرز » يجلس على الارض حولها عدد من الرجال الذين كانوا يشربون الشاى او يدخنون « الجوزة » . كما وجدت منضدة مرصوصا عليها ادوات من لعب الاطفال « طراطير » مصنوعة من الورق وكلها للبيع لمن يشترى لطفله او لطفلته ! .

ومر عقد من الزمان وهاأنذا اجد نفسى فى نفس المكان لكى اعرف اكثر وصحبتنى سيدة فى هذه المرة لتجلس بين النساء اللاتى يحطن بضريح سيدى احمد السمان طلبا لرضاه وداعيات لشفاء مرضاهن من النساء والرجال والشباب . وفى هذه المرة لم اسمع سوى صوت الدفوف والاناشيد التى تنشد ، واختفت موسيقى الالات الوترية والات النفخ والايقاع والصاجات . وكانت لدى الشجاعة لاجلس بين الرجال ، وشاهدت « الكودية » الصد شيخ الزار يحادث احد الراقصين بعد الانتهاء من الدقة . وكان مضمون حديثه غير واضح لى . ولكنه كان وكانه يتحدث الى « انثى » وسمعته يخاطبها راجيا مرة ومرغبا اخرى ومهددا ثالثة . وكان رد الشاب على بعض احاديث هذا الشيخ ان يومئ براسه موافقا لم اسمع صوتا يخرج من فيه ، لا صوت ذكر ولا صوت انثى . وجذب شيخ الزار بتؤده يده التى كان قد وضعها فى يد المريض وكانه يعاهده او كانه يعاهد مخلوقا لا اراه ، ثم قام مبتسما . وقال ان كانوا معه ، يوم الخميس لازم يحضر المولد » وهو يقصد مولد « الشيخ حمد السمان » ثم اعلن هذا الموعد بصوت مرتفع قائلا : يوم الخميس المولد والحاضر يعلم الغائب كلكم لازم تحضروا » .

ووجدت السيدة التى كانت تصحبنى قد علا وجهها الدهشة لان مكان الزار الذى تقام فيه حفلاته مبنى من المبانى الفرعونية التى تقع بجوار هرم « خفرع » وهذه المبانى هى فى حقيقة الامر اثار تشرف عليها الدولة . ووجدت بعض النساء الحاضرات يعرفون السيدة التى كانت تصاحبنى على الدخول فى احدى الغرف المبنية بالصخور . وكان الضوء فيها ضئيلا ومن ثم لاحظت انها لم تر شيئا فى اول الامر . ويبدو انها كانت لاتزال متاثرة . من الضوء الذى كان يملا الطريق الذى

يؤدى الى ضريح « سيدى حمد » ، فقد كان ضوءا ساطعا • ولاحظت مس دقةالزار ورات الشاب المريض وهو يترنح ويتحرك حركات هستيرية وابدت وكانها تريد ان تجلس ولكن ما لبث بعض الحاضرات ان قدنها نحو « طرقة » مظلمة وضيقة فيها اناس من الجنسين ، ويبدو وكانهم يحاولون ان يجدوا طريقاسم الى ضريح « سيدى حمد السمان » فى الداخل وكان الظلام دامسا فقد ذكرت لى انها لم تر شيئا • ولكنها احست بان « ارضية » المكان كانت غير ممهدة • وسارت فى صحبة جمع من النساء والرجال مسافة طويلة يبلغ طولها نحو عشرة امتار ، كما ذكرت لى • ثم وجدت نفسها امام « منحدر » شبه عمودى وفضلت ان تعود حيث أكون فى الحجرة التى تقام فيها دقة الزار • ولكنها اضطرت الى النزول بعد ان حمل « جسمها » بعض الحاضرين • وفجاة وجدت نفسها امام الضريح الذى كان فى حجرة تغمرها انوار الشموع • وذكرت لى بعد ذلك انها تبادلت مع من حولها الدعوات الطيبات فضلا عن اضطرارها الى تقديم الشكر لهم تعبيرا عن امتنانها باتاحة الفرصة للحصول على بركة « الشيخ حمد السمان » • وعادت مثلما ذهبت حيث كنت انصت للكودية وهو يتحدث مع الشاب المريض ممسكا بيده وكانه يعاقبه او كانه يعاهد مخلوقا لا اراه •

الزار .. لماذا ؟

وكنت فى خلال عام ١٩٧٠ قد قرات مقالا عن ظاهرة الزار فى احدى المجلات الاسبوعية • وتضمن هذا المقال آراء متباينة منها من يعدها خرافة من الخرافات التى تجب ابادتها • فهى لم تكن ، ولا تزال ، مصرية الاصل ، اى انها وافدة من خارج مصر من الحبشة والسودان • وان من المعلوم ان علماء الحملة الفرنسية الذين صحبوا نابليون وكتبوا كتابهم المعروف « وصف مصر » قد ذكروا كل شىء ولم يذكروا عن حفلات الزار شيئا ، وفعل نفس ما فعل هؤلاء العلماء المستشرق المعروف « ادوارد وليم لين » • لقد ذكر كما ذكر السابقون الكثير عن « الذكر » ولكن لم يذكر ، كما لم يذكر السابقون ، شيئا عن حفلات الزار • ولعل كتابه الذى نشر فى عام ١٨٣٥ وسماه « المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم » يكون شاهدا على ما اقول • وفى ضوء حقائق التاريخ نجد ان « ادوارد وليم لين » قد زار مصر ثلاث مرات • وكانت الزيارة الاولى فى خلال الفترة من عام ١٨٢٥ حتى عام ١٨٢٨ • اما الزيارة الثانية فقد كانت فى خلال الفترة من عام ١٨٣٣ حتى عام ١٨٣٥ • وكانت فترة الزيارة الثالثة فى خلال عام ١٨٤٢ حتى عام ١٨٤٤ • اى ان الزيارات الثلاث كلها حدثت فى خلال حكم « محمد على » (١٨٠٥ – ١٨٤٩) • فهل المقولة الخاصة بوفود حفلات الزار من خارج مصر مقولة صحيحة ؟ والقصد من خارج مصر اى من الحبشة والسودان وذلك بعد ان فتح محمد على السودان فى عام ١٨٢٠ وجلب العديد من ابنائه وبناته ليكونوا عبيدا يعملون فى بيوتات المصريين « الذوات » وبعد ان عزز جيشه من ابنائه الذكور ليكونوا جنودا يحارب بهم من اجل اطماعه التوسعية ، والاسئلة التى تطرح نفسها على الدارس هى : هل خفيت اقامة حفلات الزار عن « لين » فلم يسجلها فى كتابه الذى اليه ؟ او انه اعتبرها رقصات شعبية مثلها مثل الذكر الذى كتب عنه والفاض ؟ او انها كانت ولا تزال تحاول ان تجد مكانها او مكانتها فى محيط العناصر الثقافية للمجتمع المصرى فى ذلك الحين ومهما يكن من الامر فان حفلات الزار كما نراها فى الوقت الحاضر قد قبلها المصريون واصبحت جزءا من تراثهم الثقافى الاجتماعى • والسؤال الذى تجب الاجابة عنه هو لماذا قبل المجتمع المصرى حفلات الزار وفيها من الاساطير ومن الطقوس ما فيها ؟

وساحاول الاجابة عن هذا السؤال ، وارجو من القارىء ان يتسامح معى اذا

قصة الزار

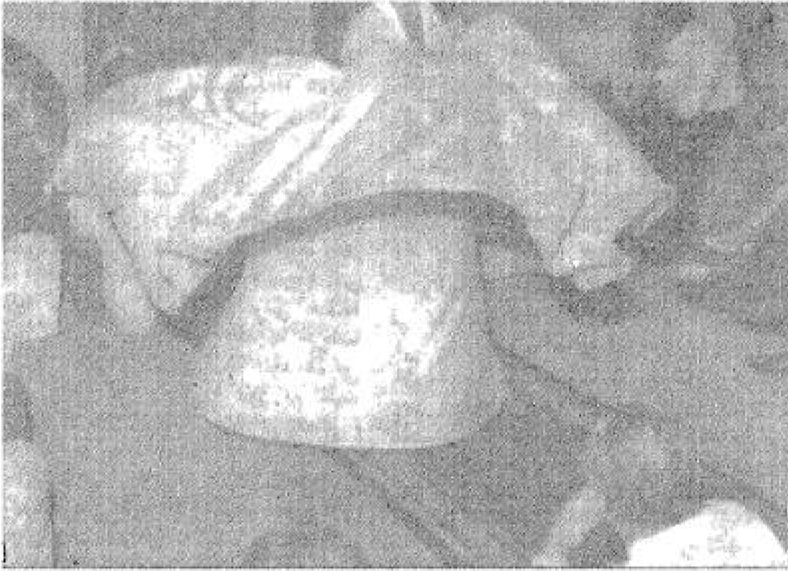
كنت سارجىء هذه الاجابة حتى نتأكد معا اذا كانت حفلات الزار هى مجرد خرافة او ان لها وظائف ثقافية اجتماعية وطبية نفسية ، اذ نجـد فى التراث العلمى ان علماء الانثروبولوجيا والنفس الاجتماعى والطب النفسى لهم آراء فى هذا الموضوع • فنجد ان البعض من هؤلاء يقول ان حفلات الزار تتيح للمرأة المصرية الشعور بالاهمية ، اذ تعالج « مركب الالم » الذى عادة ما يتسلط عليها • ويؤكد ذلك ان اعضاء العائلة التى تنتمى اليها المرأة التى تكون عليها « أسياد » وتحتاج من اجل ذلك الى اقامة حفلة زار ، يهتمون جميعهم بالامر • ونراهم يسهمون بطريقة او باخرى فى اعداد هذه الحفلة • ومن ثم نراها اى هذه المرأة ترضى نفسيا عن هذا الاهتمام الجارف • وتكون نتيجة ذلك اعادة التوازن النفسى اليها • وفضلا عن ذلك فاننا نلاحظ أن ظروف الحياة وخاصة فى محيط النساء المصريات ظروف كلها قلق مرضى وتوترات ، ولعل الجهد العضلى المبذول فى رقصات الزار والاناشيد التى تنشد فى حفلاته ودق الدفوف وغيرها ان تساعد على التنفيس عن هذه التوترات وتزيلها • والملاحظ كما يقول هذا البعض ان معظم المريضات من النساء بمرض « الهستيريا » قد يتوهمن وجود بعض الامراض لعوامل نفسية وعصبية ، فاذا آمن بان عوامل وجودها ما عليهم من « اسياد » وان اقامة حفلات الزار هى لارضاء هؤلاء « الاسياد » فاننا نتوقع فى معظم الحالات الشفاء•

ويرى بعض الاطباء النفسيين ان حفلات الزار لا تختلف كثيرا عن الاسلوب الذى يستعمله بعض مستشفيات الامراض العصبية • ويقصد بهذا الأسلوب مايعرف تحت اسم « السيكودراما » • ومع التسليم بان اقامة حفلات الزار كما نعرفها ان هى الا خرافة فان هذا البعض يتهم الاطباء النفسيين بعجزهم عن شفاء مرضاهم ، ومن ثم فانهم يتركون الاطباء ويذهبون الى « الكودياك » ! اى ان هؤلاء المرضى هم مجرد ضحايا المجتمع الذى يضم بين اعضائه هؤلاء الاطباء العاجزين !

ومن الصدف التى كلفت بها فى طريقى الحياة ، اننى وجدت نفسى مع تسعة اخرين نتعاطى الدراسات العليا فى جامعة بوسطن فى خلال العام الدراسى ١٩٥٤/١٩٥٥ ، وكنا جميعا من الدكتور ، ندرس « مادة العلاج الجماعى » فى « مستشفى بوسطن السيكوباثى » • اى فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى لمجتمع الولايات المتحدة الامريكية اقصد مجتمع ولاية « ماساتشوستس » • وقد مارست مشاهدة أسلوب « السيكودراما » كما كان يمارس فى هذه المستشفى ، بل كان من حظى ان كان لى دور فى احدى الحفلات التى استعمل فيها هذا الاسلوب • اختارنى احد المرضى لامثل دور الاب (كنت فى الثانية والاربعين من عمرى فى ذلك الحين) • ولكنى فى ضوء تجاربى السابقة لم اجد اسلوب السيكودراما مماثلا لحفلة من حفلات الزار فلم يكن هناك احد يطلق البخور او يدق الدفوف مثلا • ولكنها كانت تجربة اضيفت الى غيرها •

اليأس من الاطباء

والملاحظ ان الذين يذهبون الى حفلات الزار لا يكونون بالضرورة مرضى بامراض عقلية او عصبية او يعانون من التوترات او القلق ولكننا نجد النساء منهم يذهبن الى هذه الحفلات او تقام لهن هذه الحفلات للشفاء من العقم او من الاجهاض المتكرر او من امراض المعدة او من امراض النزيف • ومهما يكن من الامر فانه سواء كانت الامراض عقلية او نفسية او مجرد طبية فان الثقة التى تحظى بها « الكودية » من عملائها وعميلاتها ثقة لا حد لها • وذلك لان هؤلاء واولئك قد جربوا فى حدود



"كودية الزار" يأتي بحركات سريعة تضفي على المكان جوا من الخرافات !

لثقافتهم ومستواهم القليل الاطباء فلم يجدوا علاجا فاختاروا « الكودية » دليلا ومرشدا وارجو ان يتفضل القارىء بملاحظة قول « عملائها وعميلاتها » ولم اقل كل الرجال او كل النساء ، فالمعروف الآن ان المستشفيات تستقبل من اعضاء الشعب المصري المعاصر الكثير صباح مساء • ولعل اليأس من التردد على اطباء هذه المستشفيات دون نتيجة ترضي بعض اعضاء المجتمع ان يدفعهم الى خلع الثقة على « الكوديات » والدليل على هذه النتيجة تناقص عدد حفلات الزار عما كان عليه من قبل • ولعل بقاء هذه الحفلات الى يلفت النظر الى السؤال الذي ارجأت الاجابة عنه الا وهو :

« لماذا قبل المجتمع المصري حفلات الزار وفيها من الاساطير ومن الطقوس مافيها ؟»

فالمعروف ان مفهوم الزار ليس مفهوما عربيا او حتى مفهوما مصريا قديما او قبطيا ان هذا المفهوم هو احد الفاظ اللغة « الامهرية الحبشية » • والمعلوم ان هذه اللغة تنتمي الى اللغات السامية ونحن نجد في ضوء حقائق التاريخ المصري القديم ان التوسع الفرعوني وصل الى بلاد النوبة في خلال القرن الخامس عشر وقبله حتى عام ١٥٠٠ ق٠م ، وان الحملات التجارية التي ارسلتها الملكة « حتشبسوت » (١٤٨٦ - ١٤٦٨ ق٠م) بطريق البحر الى بلاد « بونت » (ارض البخور) التي كانت تقع الى جنوب مصر • والتي كانت تشمل كلا من بلاد الصومال ، وبلاد العربية السعيدة (اليمن) • والمعلوم ان التجارة اذا تنقل البضائع جيئة وذهابا فهي تنقل بعض العناصر الثقافية المادية منها وغير المادية • وفضلا عن ذلك فاننا نجد في ضوء حقائق التاريخ ان اسم « شبكا » ذلك الفرعون الاثيوبي الذي حكم مصر في خلال القرن الثامن قبل الميلاد ، منقوش على حجر ضمن نقوش اخرى كما ذكر « جيمس هنري برستد » في كتابه « فجر الضمير » حيث تتضمن فقرات النقوش : ان جلالته (يعني الفرعون شبكا) نقل هذه الكتابات من جديد في بيت والده « بتاح » جنوبي جداره ، وقد وجدها جلالته بمثابة عمل خلفه الاجداد قد أكله الدود حتى أصبح لا يمكن قراءته من البداية للنهاية ، ولذا قام جلالته بكتابته من جديد حتى

قصة الزار

اصبح اكثر جمالا مما كان عليه من قبل» اى ان الملك الذى كان يحكم مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد كان اثيوبيا • وقد اهتم هذا الملك بالمحافظة على الكتابة القديمة التى خلفها « الاجداد » • وكان حرص هــذا الملك الاثيوبى على الكتابة القديمة حرصـا شديدا ، فقد نسخت النسخة الجديدة على الحجر لتبقى على الدوام • ومن ثم بقيت حتى يومنا هذا اقدم مسرحية فى العالم ، كما بقى او بحث فلسفى وصل الينا من العالم القديم ، ويوجد هــذا الحجر فى الوقت الراهن قابعا فى المتحف البريطانى وتعرف هذه المسرحية « بالمسرحية المنفية » (نسبة الى مدينة منف) •

ويؤكد الاســتاذ « ارمان » عالم الاثار المصرية القــديمه ان المدون على الحجــر المذكور هو مسرحية قديمة • ويرى «زيته» عالم الاثار المصريةالقديمة انه منالضرورى « ان نفهم ان احد رجالالدين المشهودين او كاهنا مرتلا كان يلقى جزءا كبيرا من الرواية التمثيلية فى شكل خطبة مطولة يظهر الالهةالمقصودون خلال القائها عند قص حادثة فى الاسطورة ليلقون اقــوالهم فى شكل محاورة ، وذلك هو السبب الذى من اجله نجد المحــاورات التى كان يقــوم بالقائها الالهة المختلفون الذين ساهموا فى التمثيل منتشرة بين أجزاء المسرحية ،بشكل جعل امثال هذه المحاورات ايضا تمثيلية فى شكلها » •

واذا كانت « منف راما » أو « المسرحية المنفية » اقدم مسرحية فى العالم ، فانهـا وغيرها مما عرف فيما بعد كما يقول الاستاذ الدكتور « عباس المحسن الخشــاب » فى كتابه المعروف « التياترو القديم » ـــ تمثل الادب المسرحى الدينى فى مصر الفرعونية الذى كان له مجال عرض حركى دينى يقوم به كما تعرف من النقوش والنصوص رجال الدين ومن فى حكمهم من العابدين دون مناظر ولا نظارة او مشاهدين يتــابعون الأحداث المسرحية والصراع من اجل الخير او من اجل هــدف سياسى يرمز اليه بالصراع بين الالهة ، للقيام المسرح فى طوره البدائى الدينى ! واذا كانت الطقــوس لا تتطلب بطبيعتها الا وجود القائمين بها او المشتركين فيها فان الدكتور الخشاب يرى انه لا داعى لوجود اماكن للمشاهدين وان اعترف بانه ابتدا من الامبراطورية الثانية فى طيبة « ٢١٦٠ ـــ ١٧١٠ ق٠م » ، ظهرت فى ابنية المعابد اماكن الشاهدين » عبارة عن مكعبات من الطوب على حوائطهـا الريز ومن دصيلها يمكن الدخول اليها بطرقات متحــدرة •• وقد ظهرت هــذه الاماكن فى « الكرنك » ثم « مدينة هابو » و « ميـدا مود » ثم انتشر استعمالها فى داخل الاماكن المقدسة

القدماء •• والتعاويذ

والملاحظ اننا اذا حللنا الاغانى والاناشيد التى تنشد فى حفلات الزار نجدها تتضمن اسم الله ، واسماء بعض الانبياء ، واسماء بعض القديسين والاولياء،وحتى اسماءبعض الخدم وزوجاتهم • وتتضمن عبارات اغانى حفلات الزار والاناشيد التى تنشــد فيها اســماء العديد من الجن والعفــاريت « الاسياد » • ولعل هذه الاسماء الاخيرة ان تكون بيت القصــيد ! والمعروف ان المصريين القدماء قد خلقوا «كشكولا »من الجن والعفاريت • ويؤكد ذلك ما نجده فى « كتاب الموتى » (الاسرة الخامسة : ٢٥٠٠ ـــ ٢٣٥٠ ق٠م) الذى يكشف لنا اكثر من اى مصدر قبله فى تاريخ مصر عن صيغة المحاكمة الخلقية فى عالم الآخرة وكيفيتها ولوعى المصريين الحقيقــة فى تصــوير المسئولية الخلقية • ونجد فى هذا الكتاب فضلا عن ذلك انه يشتمل طائفة من الرقى والتعاويذ السحرية التى كان يعتقد فيها القوم القدرة على جلب ما يرضى الميت من الحاجات المادية والجثمانية فى عالم الآخرة! ونجد تصوير المحاكمة (التى تظهر فيهـا

الموازين) ان تكون الموازين في يد الاله الجنازى القديم «انوبيس» الممثل برأس ابن آوى ، ويقف خلفه «تحوت» كاتب الالهة ليشرف على الميزان وفي يده القلم والقرطاس حتى يسجل النتيجة . وخلف «تحوت» يقف حيوان بشع الرؤية يسمى «الملتهمة» ، له رأس التمساح وصدر الاسد ومؤخرة فرس البحر ، ويكون متحفزا لالتهام الروح اذا وجدت ظالمة .

ولعل القارئ الكريم لايجد غضاضة في تقريري هنا ان الفيلسوف الاغريقي «افلاطون» (٤٢٨ - ٣٤٨ ق٠م) قد افاد من كتاب الموتى في صياغة كتابه المشهور باسم «جمهورية افلاطون» .

ويقول «سلامة موسى» في كتابه «مصر اصل الحضارة» ان المردة والعفاريت والتنانين ان هي الا صور مشوهة من الارباب والربات المصرية . فالربة «هاتور» بقرنيها توضح العفاريت التي لم تكن تخلو من القرون ، ولاحظ ان رأس الصقر قد انحدر من الرب «حورس» الى العفاريت ايضا . والثعبان الذي تطورت اليه هاتور في مصر قد أصبح شيئا ينتله «القديس جورج» «القديس مارجرجس» كما يرى على الجنيه الانجليزي المصنوع من الذهب . ولعل الصراع بين هذا القديس والتنين ان يكون الطبعة الحديثة للصراع بين «حورس» وعمه «سيت» . وقد اشتهرت «ايزيس» بلقب «الداهية في اعمال السحر» نظرا لالتجائها الى اعمال السحر للعثور على جثة زوجها وشقيقها اوزوريس، واعادة الحياة اليها ! .

وفي ضوء ما سبق ارجو ان يوافقني القارئ الكريم على ان ماكان يحدث في معابد مصر القديمة من «محاورات والاناشيد تنشد ورقصات ، فضلا عن وجود مناخ ثقافي اجتماعي يتيح الفرصة لوجود مخلوقات لها اثرها في سلوك اعضاء المجتمع وان كانت لا ترى الا في خيالهم - قد يحق لي - رؤية اوجه التشابه بين ماكان يحدث في الماضي وما يحدث في حفلات الزار . والمعروف ، كما سبق أن اوضحت ان أول حضارة وجدت في تاريخ الانسانية كانت الحضارة المصرية القديمة . وان سلطان هذه الحضارة امتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . وان ماورد من الحبشة او السودان او الصومال عن طريق التجارة او عن طريق الاحتلال من طقوس حفلات الزار لم يكن مستغربا ولعل تقبل اعضاء المجتمع المصري ، وبخاصة النساء في ضوء الرواسب الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، كان متوقعا . ولعل ما ورد فعلا قد تطور وربما تغير في ضوء الظروف المشار اليها ، وهذا غير مستبعد . فمصر قد اوحت «للامام الشافعي» ٧٦٧ - ٨١٩ ان يكتب مؤلفه القيم «الام» ، ومصر قد اضطرت «ابن خلدون» ١٣٣٢ - ١٤٠٦ الى تدوين مقدمته المشهورة .

وبقيت كلمة أخيرة عن موضوع تقلص ظاهرة احتفالات الزار وبخاصة في المناطق الحضرية . وانني ارى ، ولعل القارئ الكريم يرى مثل ما ارى ، ان ظروف الحياة من عام ١٨٢٠ حتى وقتنا هذا ١٩٨٦ قد تغيرت تغيرا جذريا . فالمرأة المصرية العاملة «ربة القهر» في خلال هذه الفترة قد تعلمت وقد خرجت الى العمل ومن ثم تحررت اقتصاديا ، فضلا عن انتشار المستشفيات والمستوصفات وارتفاع مستوى العلاج الطبي والطب النفسي . والتاريخ المصري يشهد بان المصريين يعطون ويأخذون يعطون الوانا من الثقافات ويأخذون الوانا من الثقافات . وما يأخذونه يكون بالضرورة نافعا ومفيدا ومقبولا عندهم . ولعل مثال احتلال الفاطميين ٩٦٩ - ١١٧١ يكون دليلا على ذلك . لقد حاول هؤلاء المحتلون ان يستبدلوا بالمذهب السني الذي كان يعتنقه المصريون المسلمون المذهب الشيعي وصبر المصريون على مضض ، ولعلهم كانوا يؤدون دور المتفرج . وما ان انقشع احتلال الفاطميين رجع المصريون المسلمون الى مذهبهم السني على الرغم من مرور هذه السنين الطوال واستمروا قانعين به حتى يومنا هذا ! .

المتفرغ على

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

الدّيك المغترب

● فجر هذا اليوم، سمعت ديكا يصيح.

قديما قيل ان البلاغة الايجاز. ولا يزال هذا القول صحيحا بالرغم من اطنان الورق المطبوع، ومئات ساعات الارسال. فالمحك الحقيقي لمهارة المحرر الصحفي ليس المقالة، ولا العمود، ولا الخبر، بل « المانشيت ». ومع أني عازم على أن أكتب لك مقالة طويلة الى حد ما، فقد أعجبتني هذه الجملة الموجزة: « فجر هذا اليوم سمعت ديكا يصيح .. وشعرت أنها شفت نفسي من جهات كثيرة، وان كانت الدلالة على هذه الجهات تتطلب الخروج من الايجاز الى شيء من الاطناب » ●

ولا اظن ان القدماء مع غرامهم بالايجاز كان يمكن ان يقبلوا مني هذه الجملة فضلا عن ان يصفوها بالبلاغة واغلب الظن انهم كانوا سيصنفونها في ادنى درجات الافادة: فمن الذي يجهل ان للديك صياحا وان هذا الصياح يكون في أول الليل ووسطه وآخره؟ ولقد كانوا اذا ارادوا المبالغة في غرابة الامر قالوا: « هذه والله بيضة الديك ». فلو انني قلت: « فجر هذا اليوم، باض عندنا ديك » لكانت مسألة أخرى. واذا وصفني القدماء والمعاصرون بالكذب بدلا من البلاغة فقد اطمع في بعض الرضا من الصحفي الكبير الذي كان يعلم صبيانه: « ان كلبا عض انسانا -

ليس هذا خبرا ، ان انسانا عض كلبا، هذا هو الخبر »

ولكننا يا صديقي ابناء هـــذا العصر ، ولم تعد بيضة الديك ـ اذا هو فكر في ان يبيض ـ امرا مستغربا لاننا من كثرة ما رأينا ونــرى من الغرائب اصبحت عقولنا مهياة لتقبل ما هو اغرب من بيضة الديك • وجوهر القضية ان الديك نفسه خرج من افــق حياتنا ، فنحن لم نعد نراه ، واكثرنا لا يعرفون شكله الا من الصــور ، ولا يسمعون صياحه الا في برنــامج الف ليلة وليلة • وبناء على ذلك يستوى عندنا ان يبيض او لايبيض ،فقداصبح فكرة مجردة،كلمة في المعجم•والافكار المجردة ـ كما هو معروف ـ قــابلة لكل انواع المسخ والابتذال ، امــا المعجم فمن الذى ينظر اليه ؟ ولكننا ـ ولهذا السبب نفسه ـ ندهش جدا اذا جاء احدنا وزعم انه سمع باذنيـــه ديكا يصيح عند الفجر •

(تنبيه) : ما ذكرته عن صــياح الديك في حلقات الف ليلة وليلة يشير الى البرنامج الاذاعي الذى كان يأتى مسلسلا طوال شــهر رمضان ، وكان الناس يحرصون على سماعه حرصا شديدا • وذلك قبل ان يأتي التليفزيون فيقلب الاوضــاع • امــا الف ليلة التليفزيونى فيسأل عنه مشـــاهدو الفوازير •

● من يسمع ●

(صلة الكلام) هناك اسباب اخرى للدهشة تضاف الى السبب ســالف الذكر • لنفرض ان ديكا وجد في مكان ما من القاهرة في فجر يوم ما ، فمن يصيح ومن يسمع ؟ ذلك ان العــارفين باحوال الديوك يقولون انها تضـــبط نفسها بظواهر ضوئية ســـماوية معينة لتصيح مرة في اول الليل ومرة في وسطه ومرة في آخره • فهـــل يمكن ـ وديك القاهرة محبوس ومقيد ـ أن يحس بشيء من هذه الظـــواهر ؟ ويقولون أيضا ان صياح الـــديك مرتبط بحالته النفســـية فاذا كان منتعشا راضيا عن نفسه مقبــلا على الحياة واظب على الصــياح في اوقاته المحددة ، بصوت منغم شجى رنان ، وكانه يودع النهار المدبر أو ينــاغى الليل الساهى او يستقبل الفجــر الطالع ولاسيما اذا جاوبته الديـــكة المجاورة فارتفعت اصــــواتها في بوليفونية بديعة • وهل يوجـــد ذلك في القاهرة ؟

واذا وجد الديك حقا ، وصــــاح الديك فعلا ، فاين الاذن التى تسمــع صياحه ؟ الاذن التى لم تعد تميــز الاصوات خلال الضجة المتصــــلة بالنهار والليل ؟ أم الاذن التى اصمت أو تصامت حتى لا تســـمع نداء او استغاثة او كلمة حب ؟ فالذى يزعـــم انه سمع ديكا يصيح عند الفجر لابــد ان يكون واحدا من ثلاثة : اما رجــل يعمد الى الكذب ليلفت الانتظار اليـــه مهما كانت الوسيلة ، واما رجــــلا موسوسا يرى اشياء ويسمع أصواتا لا وجود لها في الواقع ، واما رجــل غير سليم النية ، يقول شيئا وهو يعنى اشياء اخرى ، ولا يبعد أن يكون من مروجى الشـــــائعات ، أو مطلقى الشعارات ، •

وانا استعيذ بالله من غضـــبك يا قارئى العزيز ، واتوســـل اليك الا تلحقنى بفئة من هذه الفئات • وابرأ من الايجاز ومن البلاغة كلها ان كانت هذه نتيجتها ، واعترف بانه من الجائز جدا ان اكون قد اخطيت في تلك الساعة

الندية ، فطار خيالي الى ذكرى حلوة من ذكريات الصبا والشباب ، والانسان لا يلام على الحنين ، ولا يحاسب على الاحلام .

ففي ذلك العهد كان عندنا ديك احمر . واذا وصفته بهذه الصفة فانا لا اعني حمرة ساذجة بل مجموعة من الالوان المتناغمة التي تسيطر عليها الحمرة . وكان يلذ لي أن اراقبه وهو يعلو سور بيتنا القديم ، ويسير متمهلا مختالا بينما الدجاجات المسكينات اسفل منه تلتهم الحب في شراهة لتحوله في بطونها الى بيض .

نموذج كامل للمجتمع الاقطاعي ، او للدولة الشرقية كما يصورها هيجل فرد واحد يتمتع بالسيطرة الكاملةعلى جميع الرعايا ، ويتمثل فيه وحده جمال الحرية . وكمال النموذج يتمثل في اختلاف الجنس ايضا ، فالطبقة العاملة كلها من الاناث ، والقائد يسيطر عليها بقوة فحولته .

(حكاية :) اعرف صاحب عمل ، له اربع زوجات ، كلهن يعملن في المحل في انسجام تام ، اما هو فلا يظهر الا نادرا ، ويقال انه صاحب مزاج .

والطبيعة هي مدرسة الانسان الكبرى . يغوص كالاسماك . ويطير كالطيور . يقيم مجتمع الدجاج ومجتمع النمل ومجتمع القردة . وقد اختار في هذا العصر مجتمع الغابة، يموج بالنزعات المتعارضة والطبائع المتناقضة .

وكانت للديك وجماعته منزلة مهمة في اقتصاديات البيت الريفي ، وكثير من بيوت المدينة ايضا . لم نكن نقف صفوفا امام الجمعيات لنحصل على كرتونة بيض ، بل كنا نفتح باب عشة الدجاج وندس ايدينا فنخرج احيانا عشر بيضات واحيانا اقل او اكثر . كنا نأكل بقدر ما نحتاج وما يتبقى يكون عملة مضمونة القيمة لدى البقال .

وكانت الاجيال تتعاقب في مملكة الدجاج فيخصص بعضها للأكل وبعضها للبيض وكان الصراع على السلطة يدمي رءوس الديوك الناشئة ولا يحل الا بالتصفية الجسدية حيث يستبقي الاقوى والانشط والاقدر على أن يملأ عين دجاجاته ، ويكون عادة هو الاجمل ايضا . ولم تكن هذه الفئة من سكان البيت تحتاج الى نفقات كثيرة . كانت تعطي بسخاء وبدون مقابل تقريبا . عندما تكون الفراخ صغيرة تحتاج الى قدر من النخالة يبس بالماء ، وعندما تكبر تستهلك مقدارا من الذرة ، ولكن غذاءها الاساسي كان من فضلات طعام اهل البيت من الخبز وغيره . لذا لم تكن « الزبالة » تمثل مشكلة للبيت ولا للمجلس البلدي . فحتى ما لا يصلح لغذاء الدجاج والدواجن الاخرى كان يستخدم وقودا . ورماد الفرن كان يستخدم لجلاء الصحون والملاعق واحيانا لشفاء الجروح !

يصعب ان اتذكر ان شيئا ما كان يرمى . حتى الهلاهيل كنا ندفع بها الى نساج يعمل على نول يدوي فيسوي منها أبسطة . كان هذا النظام الاقتصادي المتخلف يعمل بكفاءة تامة، لان التخلف كان في ادوات الانتاج لا في البشر الذين يستعملونها . ثم تكن هناك فجوة بين وسائل الانتاج واساليبه من ناحية وبين الكفاءة الفردية والتنظيم الاجتماعي من ناحية اخرى وهذه الاطراف الثلاثة

هي دعائم الاداء الاقتصادى السليم • لذلك كانت مصر في تلك الايام ـ على فقرها وجهلها ومرضها ـ اجمل واتظف مما هى الان ، وكان لها طابعهـا وشخصيتها ، وكان اهلها اخف دما ، واحسن اخلاقا ، واسعد حالا !

سيقال : هذا ثمن التغيير • ثمن الثلاجة ، والبوتاجاز والتليفزيون الملون والفيديو ولا ادرى ماذا ايضا! ثمن ركوب الطائرة بدلا من الباخرة والقطار والحافلة • وليته كان كذلك ! ليت ما دفعناه من سعادتنا واخلاقنا وفي بثمن هذه الاشياء ، ولم نصبح امة تعيش تحت قهر الديون !

(استطراد :) سمعت ان عـدد اجهزة الفيديو فى مصر يقدر في الوقت الحاضر بمليوني جهاز • احسب ثمن هذه الاجهزة واضف اليهـا اثمان الاشرطة ومحلات بيعها. وتاجيرها ثم تعال معى نضرب رءوسنا في الحائط، لاننا لم نسمع ان صوتا واحدا ولو من الاصوات « المتطرفة» داخـل مجلس الشعب او خارج مجلس الشعب اقترح مصادرة هذه الاجهزة جميعها وبيعها مع متعلقاتها في مزاد علنى عـالمي ، ولو كاعلان عن عزمنا الاكيـد على التخلص من تفاهات الحضارة الغربية

(صلة ما سبق :) الحقيقة المروعة التى ان الاوان لكي نواجهها بحسـم وشجاعة هي اننا فقدنا ما فقدناه دون ان نحصل فى مقابله على شيء يستحق الذكر :ان التغيرات المادية التي تحيط بنا لم تجعل حياتنا اسهل او اسعد لانها لم تمس الا الجوانب السـطحية في حياتنا • قارن رواج الفيديو واشرطته بكساد الكتاب • قارن توافـر امكنة اللهو بازمة المساكن • قارن اعداد المتخرجين الهائلة بنقص العمـالة المدربة • قارن ، ثم حدثني بعد ذلك عن التغيير !

نعم انه تغيير ولكن الى الاسوا !

فليس التقدم ان تركب طائرة ، بل ان تصنع الطائرة التي تركبها ، فان لم تستطع صنع طائرة فاى مركبة كانت! وعندما تستطيع بمجهودك ان تحسـن مركبك• وملبسك ومأكلك فهذا هو التقدم! وليس التقدم ان تركب سيارة فارهـة وتتجول بها بين الخـرائب ، او ان تبني قصرا او قصورا وعلى مقربة منك اكواخ الفقراء ، فلن تنظر الاكـواخ حتى تنظر اليها بانسانية ولكنهـا ستقذفك باوبئتها وجرائمها ! •

هذا هو المعنى البسيط للوطنيـة ولكن هذا المعنى بهـت او غمض حين اختفى الاجنبي الدخيل من البلاد ، ولم يعد يجيئنا الا زائرا او « صديقا » او « شريكا » • لم يعد للوطنيـة معنى بدون اقتصاد وطني• ومستعمر الامس « شريك » اليوم ، لم يرحـل عن بلادنا الا بعد ان حولنا جميعا ، كبـارا وصغارا ، الى اجراء في منظمـاته الاقتصادية •

الوطنية اليوم هى اولا وقبـل كل شيء : اقتصاد وطنى • والاقتصـاد الوطني يعني تكنولوجيا وطنيـة • ولا باس علينا ان بدانا من اول السـلم ، فلن نغزو اسواق العالم قريبـا ولن نسافر الى الكواكب قريبا • حسـبنا الان أن نزرع ما ناكله ، ونصـنـع ما نستهلكه !

لقد تحدث الماركسيون عن اغتراب العامل امام الالة التي لا يملكها •نحن مصيبتنا اعظم ، فنحن مغتـربون في عالم لا نملكه ، ولم نشارك في صنعه، ومالم نبين عالمنا الذى نملكه وننتمي اليه ، فسنظل مغتربين كهـذا الديك الذى سمعت صياحه ، او خيل الى انى سمعته ، فجر هذا اليوم •

قضية للمناقشة

ملاحظات منهجية في مسألة تقويم الامبراطورية العثمانية

بقلم : د. محمد نور فرحات

● الحديث عن الدولة العلية العثمانية هو نموذج للاحاديث التى تحيط بها توهجات العاصفة والانفعال فتكدر صفاء العقل وتعوق صدق اليقين . ومرد ذلك في ظني الى اسباب متعددة ومتباينة المشارب . منها ما يرتبط بالمشاعر الوطنية حيث ارتبط النضال الوطنى ضد الاحتلال الاوروبى للعالم العربى فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بعواطف الشوق واللوذ بالكيان السياسى السابق على هذا الاحتلال وهوالكيان العثمانى . واغلبها يرتبط بالمشاعر الدينية الاسلامية التى يرى اصحابها أن سبب نكباتنا التى تحيط بنااليوم ومرجع الكوارث التى تدور فى فلكها هما خروجنا عن احكام الشريعة الاسلامية ، ولما كانت الشريعة الاسلامية قد ظلت مطبقة « كما يرى اصحاب هذا القول عن غير دليل » طوال فترة حكم العثمانيين لبلادنا ، اذن فالبكاء على دولة العثمانيين واجب دينى تماما كواجب الشيعة فى النواح وشق الصدور فى كربلاء ●



السلطان محمد الفاتح



محمد على

وعلى اي حال ، لكلا الزعمين في رأيي دليل على آفة عقلية عربية استطيع ان اسميها بندولية العقل العربي . ومفاد هذه الافة ان عقلنا العربي العام في بحثه عن طريق المستقبل دائما ما يحصر نفسه متأرجحا في البحث عن خيارين بديلين لا ثالث لهما ، خيار الماضي بنواقصه ، وخيار الحاضر بكوارثه ، دون أن نعي ماوعته الشعوب التي سلكت طريقهـا مستقيما الى النهضة والتقدم ، وهو ان المستقبل ماهو الا نتاج تركيبي من الماضي والحاضر على السواء تصوغه ارادتنا المدركة أوجه القصوروالايجابيات لترسم طريق المستقبل المنشود .

● مسلسل الاخطاء ●

وعلى اى حال ، فمادمنا ننحاز الى ذلك التيار العقلاني الذى ينحي جانبا اعتبارات المشاعر والعواطف عند تقييمه للماضي او رؤيته المستقبل ، فلابد عند حديثنا عن الدولة العثمانية أن ننبه القارىء الى حقيقتين جوهريتين يؤدي تجاهلها الى الوقوع في مسلسل من الاخطاء :

أولهما : أن الدولة العثمانية قد شغلت فترة ممتدة من التاريخ الانساني منذ القرن الرابع عشر وحتى القرن العشرين وهي فترة طرا فيها على هذه الدولة ماطرا دائما على الامبراطوريات الكبرى من عوامل الصعود والنهضة وعوامل القوة والفتوة وعوامل الضعف والتدهور انتهاء الى مصير الموت والفناء ، وانطلاقا من هذا نضع أيدينا على أحد الاخطاء البالغة الاهمية التى يقع فيها عن عمد أو غير عمد المتحمسون الناعبون للدفاع عن الدولة العثمانية أو الهجوم عليها ، فهؤلاء وأولئك يستقطعون من التاريخ

الممتد للدولة العثمانية شريحة زمنية يقومون بانتقائها انتقاء بما يخدم غرضهم المسبق ويجعلون منها محور بحثهم يستقون منها اسلحة دفاعهم او هجومهم على السواء .

ثانيهما : ان الحكم على الحضارة الانسانية هو في قدر كبير منه حكم قيمي ذاتي ، يقوم فيه الباحث والدارس بقياس منجزات هذه الحضارة على مايعتنقه هو من قيم ومعايير ايجابية فان وافقتها انتهى الى الاشادة بها والحكم عليها بالايجاب وان خالفتها انتهى الى ادانتها والحكم عليها بالسلب . فالذى يمجد القوة والجبروت لابد وان يبدى اعجابه بالنازية وبغزوات التتار والمغول، والذى يمجد العدل والرحمة لابد وان يمجد حضارة دولة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ، والذى يتعبد في محراب العلم والتقدم ، لابد وان يسبح بحمد الحضارة الغربية في القرن العشرين وهلم جرا .

على ان هذه الصفة القيمية في تقويم الحضارات تحمل في ثناياها مغبة وقوع الباحث في العديد من الاخطاء ، ابرزها خطأ الخلط بين الجانب الداخلى والجانب الخارجي للحضارة ، والحكم على حضارة تاريخية بمعايير معاصرة .

فالحضارة الانسانية شأنها شأن اى ظاهرة اجتماعية لها جانبان : جانب داخلي لايدركه الا من يتعايش معها بتفاصيلها الاجتماعية وسياقاتها الثقافية سواء أكانت هذه المعايشة بمعاصرتها او كانت بدراستها وبحثها بعمق من الداخل، وجانب خارجي يلحظه المشاهد من الخارج والدارس من بعد والمتأمل في مجال والمكتفى بما تردده هذه الحضارة عن نفسها للحكم عليها ،

ومن قبيل ذلك الاكتفاء بماكان يزعمه العثمانيون عن انفسهم من انهم حماة حمى الاسلام الذائدون عن حياضه والمحافظون على نسكه وشعائره وانهم استمرار شرعي لدولة الخلافة . لقد ردد العثمانيون هذا الزعم . واحاطوه بمجموعة من الحجج والاسانيد التى ترتد جميعها الى ما اسميناه بالجانب الشكلى او الظاهرى للحضارة . وساندهم في ذلك الباحثون المتحمسون عن بصر وبصيرة للاسلام والمدافعون عن غير بصر وبصيرة عن الدولة العثمانية . فهؤلاء واولئك يقولون لنا ، ان الخليفة المتوكل آخر الخلفاء العباسيين الذى كان موجودا في مصر عند حضور سليم الاول « ١٥١٧ » قد رحل الى عاصمة الدولة وسلم راية الخلافة للسلطان العثمانى . وهذا قول مردود جملة وتفصيلا اذ لايعلم احد مصير الخليفة المتوكل بعد اجتياح العثمانيين للشرق والارجح انه قتل على يد العثمانيين دون ان يعنى بتسليم مفاتيح الخلافة او يعنى العثمانيون بتسلمها منه . بل ان الثابت تاريخيا ان العثمانيين لم يستعيروا لفظ الخلافة للدلالة على الدولة ، او الخليفة للاشارة الى رئيسها الا في مراحل متأخرة جدا وعلى وجه التحديد في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر . وفي هذا يقرر الدكتور عبد الكريم رافق « .. اما لقب الخليفة فلم يتخذه السلاطين العثمانيون الا في وقت متأخر من القرن التاسع عشر . ولا صحة لما يذكر احيانا من ان الخليفة العباسي .. قد تخلى عن لقبه للسلطان العثمانى ، وان هذا اللقب قد استخدم بصورة رسمية فيما بعد » واول ما يذكر هذا اللقب في وثيقة رسمية في معاهدة كجك قاينارجه مع روسيا عام ١٧٧٤ بهدف اظهار نفوذ السلطان العثماني على كافة المسلمين خارج حدود

شوكته . وربما قصد من ذلك أيضاً التعويض عن النفوذ السياسي والعسكري الذي فقدته الدولة العثمانية آنذاك . واستخدم السلطان العثماني لقب الخليفة بصورة رسمية في دستور ١٨٧٦ واستمر يستخدمه بعد ذلك » « عبد الكريم رافق » بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني » دمشق ١٩٦٨ » ص ٦٠ »

اذن فالحقيقة التاريخية تؤكد ان مايسمى بالطابع الاسلامي للدولة العثمانية باعتبارها استمرارا لدولة الخلافة هو مظهر خارجي عارض طرا عليها منذ اواخر القرن التاسع عشر لاسباب تاريخية .

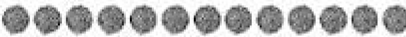
● التزام تطبيق الشريعة ●

ومن صور التمسك بالمظهر دون التوغل في الجوهر والمخبر للحكم القيمي على الدولة العثمانية ، مايردده البعض بأن هذه الدولة قد التزمت منذ نشأتها بتطبيق الشريعة الاسلامية ، ومن هنا فطابعها الاسلامي طابع أصيل فيها حتى ولو لم يتوشح العثمانيون بأوشحة الخلافة . والواقعة التاريخية الثابتة التي لايجادل فيها احد ان العثمانيين ينحدرون بأصلهم من قبائل تركية كانت تعيش في مناطق الاستبس بآسيا الوسطى وهاجرت الى آسيا الصغرى من القرن الثالث عشر الميلادي .. وانهم لم يتحولوا من الوثنية الى الاسلام الا بعد وفاة قائدهم الاول ارطغرل وتولي خليفته عثمان الاول الحكم عام ١٢٩٩ م . وأقرب الروايات الى الصحة حول الظروف التي احاطت بدخول العثمانيين الاسلام هي تلك التي يرددها أبو العلا ماردين من أن الاسلام وتطبيق الشريعة كان الزاما فرضه حاكم السلاجقة علاء الدين على عثمان الاول نظير موافقة الاول على الاعتراف بالدولة العثمانية الجديدة التي اقتطع اقليمها على سبيل الهدية . اذ ارسل الملك السلجوقي علاء الدين الى عثمان الاول خطابا ضمنه شرط اعلان الاسلام وتطبيق الشريعة . فأجابه عثمان الاول قائلا : « وقد تلونا امركم الهمايوني والقاطع في حضرة الرعية المطيعة ، فأجابوا جميعا بالسمع والطاعة والتسليم » « أبو العلا ماردين »

تطور التشريع في ظل الدولة العثمانية القانون في الشرق الاوسط ، لندن ١٩٦٥ ، ص ٧٧ »

ولا يغني في القول بتأكيد الطابع الديني للدولة العثمانية مايردده البعض من انها دافعت عن الاسلام بمنع البرتغاليين من اجتياح الشرق العربي ، فهذا وان كان قولا حقا الا انه لايكفي لاسباغ الصفة الاسلامية المطلقة على الدولة العثمانية . فقبل جيوش العثمانيين قامت جيوش الدولة المملوكية بأكثر الادوار خطورة وأهمية لوقف زحف الجيوش الصليبية الى المشرق العربي، ومع ذلك لم تحظ الدولة المملوكية بشرف التقدير لدفاعها عن الاسلام مثلما حظت الدولة العثمانية ، ثم ان الفتوحات العثمانية كانت موجهة في الشرق نحو تقويض دعائم دول اسلامية ، وربما كانت اكثر خسيرة على الاسلام وذودا عن حياضه من الدولة العثمانية ذاتها ، وهما الدولة الصفوية في جانب والدولة المملوكية في جانب اخر . كما ان الطابع الاسلامي المزعوم للدولة العثمانية لم يمنع هذه الدولة من الارتكان الى الدول الاوروبية المسيحية لاجبار جيوش محمد علي على التوقف والانحسار وحمله على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠

اذن لم تكن المبالغة في اضفاء الطبيعة الاسلامية على الدولة العثمانية الا نتاجا لشطحات عاطفية لمفكري الشرق عندما تعرضت حضارة الشرق المسلم منذ اواخر القرن التاسع عشر لهجمات وغارات حضارة الغرب المسيحي . اذ بدلا من التسلح باسلحة التقدم والحضارة اكتفى الكسل العقلي الشرقي بتطبيق مبدأ « وداوها بالتي هي الداء » وفضل الاحتماء بجدران الماضي المنهارة على التسلح باسلحة الحاضر لمواجهة تحدياته .



وعلى أى حال ، فاذا تجاوزنا عن المظهر الاسلامي المزعوم الذى حاول البعض اسباغه على الدولة العثمانية لمقاومة تأثيرات حضارة الغرب ، فلا غنى لنا ان اردنا الحكم المنصف على مدى اسلامية الحضارة العثمانية من الفحص المتأني الدقيق لانماط السلوك الفعلى لهذه الدولة وفقا للمعايير والمبادىء الاسلامية الحقيقية لنرى مدى مطابقة هذا السلوك لهذه المعايير والمبادىء او مخالفته لها ، وبهذا نكون قد تجاوزنا عن المظهر الخارجي للحضارة الى تفحص جوهرها الداخلي .

وتنبئنا الوثائق وكتابات المؤرخين بالعديد من الحقائق التى تجعلنا نقرر حق ابتعاد ممارسات الدولة العثمانية عن تعاليم الاسلام الحنيف ولانقول مخالفة هذه الممارسات لمبادىء حقوق الانسان لان هذا القول الاخير يتضمن الحكم على ثقافة الماضي بمعايير الحاضر .

وواقع الحال أنه لا مفر من التسليم بأن عنصرين ثقافيين تحكما فى صياغة ممارسات الدولة العثمانية : عنصر الثقافة السلجوقية التى صاغت كثيرا من ممارساتها الداخلية وعنصر الثقافة الاسلامية الذى اكسب هذه الدولة شكلها الخارجي .

والى هذا العنصر الاول : عنصر الثقافة السلجوقية يمكن رد كثير من الممارسات التى تعتبر شكلا ومضمونا بعيدة عن الاسلام مبادئه وتعاليمه ، ومثلت من الناحية العملية قيدا على تطبيق هذه المبادىء والتعاليم .

فالى هذا العنصر يمكن رد الطابع الاستبدادى الاوتوقراطي للدولة العثمانية . فقد كانت المؤسسة الاسلامية برئاسة شيخ الاسلام العثماني تابعة تبعية مباشرة للسلطان العثماني وكبار موظفيه . الامر الذى ادى الى أن ذخر التاريخ العثماني بالامثلة تلو الامثلة على الفتاوى الصادرة من شيوخ الاسلام العثمانيين التى تجيز وتضفي الشرعية على تصرفات حكامهم رغم خروجها الصارخ على مبادىء الشريعة الغراء . من ذلك اجازتهم للقانون الذى أصدره محمد الفاتح « ١٤٥١ ــ ١٤٨١ » المسمى بقانون قتل الامراء . اذ اعطى هذا القانون للسلطان الجديد الذى يتولى العرش حق قتل اخوته تجنبا لمؤامرات الصراع على العرش» ونص هذا القانون على مايلى : « على اى واحد من اولادى تؤول اليه السلطة ان يقتل اخوته لهذا يناسب نظام العالم . وان معظم العلماء يسمحون بذلك « عبد العزيز الشناوى الدولة العثمانية دولة مفترى عليها . القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٤٩ » . وكثيرا ماكان شيوخ الاسلام العثمانيون أدوات طيعة فى يد الجماعات السياسية المتصارعة التى تسعى للوصول الى الحكم وكان يترتب على صدور مثل هذه الفتاوى عزل السلطان بل وقتله أحيانا . من ذلك الفتوى بعزل السلطان سليم الثالث « ١٧٨٩ ــ ١٨٠٧ » لاخذه بالاساليب الغربية فى الجيش .

وقد تعدت فتاوى شيوخ الاسلام حدود الصراعات السياسية الى مسائل المعاملات وعلاقات القانون الخاص . وتوجد تحت ايدى الباحثين مجموعة الفتاوى التى تغطى الفترة من ١٢٩٩م حتى ١٩٢٤م واهم هذه المجموعات قاطبة مجموعة فتاوى على أفندى ومجموعة الفتاوى الفؤادية ومجموعة بهجة الفتاوى . وتتعرض هذه المجموعات ضمن ماتتعرض لمشكلة الفوائد الربوية وقد انتهت بعد مرحلة من التطور الى الاعتراف بمشروعية هذه الفوائد « راجع : نشأت كاجتاى « مفهوم الربا الفائدة والبنوك فى الامبراطورية العثمانية » دراسات اسلامية ١٩٧٠، ص ٥٣ ــ ٦٧ ــ باللغة الانجليزية » .

ولم يقتصر خروج الممارسة العثمانية على قواعد الشريعة فى نظام الافتاء فقط ، بل تعدى ذلك الى مخالفة التشريعات الجنائية

الاسلامية . من ذلك ماتنص عليه المادة ٨٩ من القانون الجنائي العثماني من أنه « اذا اعترف المتهم بأمل التعذيب ، ووجدت أيضا دلائل تشير الى جرمه ، يكون اعترافه صحيحا ويوقع عليه العقاب وفقا لجرمه » وماتنص عليه المادتان ٧٦ ، ٧٧ من المسئولية الجماعية لاقرباء الجاني وجيرانه عما يرتكبه من جرم « راجع نص القانون ، منشور في كتابنا . التاريخ الاجتماعي للقانون في مصر الحديثة ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١١٩ ، مترجم عن هيد ، دراسات في القانون الجنائي العثماني القديم ، لندن ١٩٧٣ » .

الحكم على النتائج

وخلاصـــة القول ، أن ترديد مقولة أن العثمانيين أقاموا دولة اسلامية دافعوا بها عن حمى الاسلام وطبقوا مبادئه وتعاليمه هو قول يردد مايدعيه العثمانيون عن أنفسهم ، وسرعان ما ينهار امام تفحص المحتــوى الداخلي للممارسات العثمانية .

وعلى أي حال فأعتقد أن مايهمنا نحن في تقويم الدولة العثمانية هو الحكم على النتائج التي أسفر عنها الغزو العثماني لمصر . وهي نتائج يجمع كافة مؤرخي هذه المرحلة بدءا من ابن اياس « بدائع الزهور » واحمــد شلبي بن عبد الغني « أوضح الاشارات » حتى الجبرتي « عجائب الآثار » على أنها كانت وبالا على مصر واهلها فلم يكن هدفهم من فتح مصر والشرق العربي عموما الا جمع المال لتزويد ارسالية السلطان منه » وقد أسفرت سياستهم في حكم مصر عن تركها نهبا لصراعات البيوت المملوكية التي اتت على الاخضر واليابس بها . ومارسوا ضد الرعية كل صور أعمال الظلم والقهــر والجور والعسف . حتى أن شعب مصر خلال الحكم العثماني قد أخذ في الانقراض . اذ بينما كان يبلغ تعداده عند بداية الحـكم العثماني نحو اربعة ملايين نسمة ، اتى محمد علي الى الحكم وتعداد ســكان مصر مليونا نسمة . فهل يجدي لاعادة تجميل وجه الامبراطورية العثمانية التمسك بمزاعم دفاع هذه الامبراطورية عن الاسلام ؟

● كلمات عاشت ●

● ان كل امتياز أو تفرقة هو مساس بمبدأ المساواة ، وكل قاعدة تعسفية هي مساس بالحرية ، كما أن كل عمل من أعمال الأثرة هو مساس بمبدأ الاخاء . (مازيني) .

● قال جان جاك روسو : « خذ من قلوبنا حب الجمال ، تأخذ منها جمال الحياة » .

● تعبت في معاملة الناس ، حتى أصبحت لا أحفل بخيرهم ـ وهم أخيار .. ولا أعبأ بشرهم ـ وهم أشرار . (عباس العقاد) .

● احنوا رءوسكم أمام ولدي .. وانظروا إلي : انني أحمل العالم كله بين يدي ! (ماري فوندان) .

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم العلم وعلمه » .

● لاتجعلوا شرفكم من حيث أتيتم ، بل اجعلوه إلى حيث تذهبون ! (د . أحمد أمين)

المنفلوطى

بين طه حسين والمازنى

بقلم: د. محمد رجب البيومى

ازدهرت مؤلفات الكاتب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى فى الجيل الماضى ازدهارا رائعا حيث ارضت حاجات القراء فاكبوا عليها تذوقا وتنهلا ، وراوا عواطفهم الصادقة فيما ترقرقه فى معينها من بيان حى، ترن موسيقاه فى النفوس رنين الاوتار المفردة ، وتميل معانيه بالارواح ميلا مؤثرا يهبها ارق المشاعر ،ويرتفع بها الى افق ساحر الطلعة متعدد الالوان .

وقد حفلت الكتب المدرسية اذ ذاك بنصوص مختارة من أدب الكاتب كانت محوى الطلاب فحفت على السنتهم ، ورسمت امامهم نمطا من التعبير يستشرفون اليه مشوقين ، وكثيرا ما اكبوا على استظهار هذه النصوص مؤثرين اياها على مايقدم اليهم من نماذج البلغاء فى القديم والحديث لان روحها الشفافة قد خلصت الى أعمق الاعماق فى نفوسهم،

واذا سالت عن انحدار الاسلوب فى بعض ما نطالع من آثار الكتاب فى هذه الايام فلان كثيرا لم ينشأ بين رياض المنفلوطى ليقرأ « مجدولين » و « الشاعر » و« فى سبيل التاج » و «الفضيلة».. كما قراها السالفون من قبل ، لقد كانت هذه الروايات الرائعة فردوسا للناشئين ولا يطالعهم بابهج ثمار الادب من عاطفة حية وتصوير اخاذ ، وتعبير صاف مسترسل


د. طه حسين


المنفلوطي


المازني

ولا يعنينا أن تكون هذه القصص صورة دقيقة من اصلها الاوروبي، فسواء أضاف الكاتب ما رآه مناسبا أم وقف عندما قال صاحب القصة ، فان المنفلوطي لم يتبوأ مقعده الادبي مترجما ، ولكنه برق نعمة البيان فعبر عن ذات نفسه في كتاب النظرات بأجزائه الثلاثة ، واجرى براعة فيما نقل اليه من صحف الغرب ليقدم آثارا انسانية ملكت نفوس القراء وتعددت طبعاتها حتى بلغت الاربعين ، وجذبت ابناء العربية في كل مكان ينطق اهلوه بلغة القرآن ، وقد خسرنا كثيرا حين حرمنا الناشئين من أدب المنفلوطي، وتركناهم الى قصص بعضها مرتفع ، واكثرها منخفض . وفي هذا الاكثر ما يتصل بالبيان بسبب ، ولفظة البيان هذه بغيضة لديهم لدى اناس لا يرتقون الى التعبير الادبي الصحيح فيما يؤلفون من قصص ، وقد احسوا بعجزهم النازل عن مستوى ادباء الجيل الماضي، وبدلا من ان يعملوا على الارتقاء بأسلوبهم أخذوا يسخرون من فخامة البيان الحي ويعدونه صنعة ذهنية ، وموصلا غير جيد ، وقد انتشرت مؤلفاتهم الركيكة بين الناشئين من قبل فانخفضت بمستواهم العام ، فاذا سمعت متكلما كبيرا يتلجلج او قرأت مقالا مفككا لمسئول يبدي وجهة نظره ، فاعلم ان هذا الطراز لم يجد من وجهه في مدرسته الى الادب الصحيح فاصبح عاجز العبارة، مضطرب الفكرة . واصر على وصفه باضطراب الفكرة لان البيان المؤثر صورة بارزة لفكر قوي متماسك ، فهو اناء نظيف لماء نقي شفاف !

نمط البيان النثري

كان اكثر المقالات الصحفية في اوائل هذا القرن يعالج مسائل السياسة والاجتماع معالجة من يهتم بالمعاني

المنفلوطي

بين طه حسين والمازني

المسرودة مبدياوجهة نظره في حديث يجمع الحقائق ، ولا يعنيه أن ترتفع بالتعبير، ولكن جريدة المؤيد ظهرت لنجاة بنمط من البيان النثرى له تأثير الشعر في استمالة النفوس لما يخاطب به العواطف الانسانية من الهامات تجد صداها المتغلغل في أعماق النفس ، واذا كانت المعاني على هذا البيان ولا تتغلغل دقة واستقصاء ، فان قراء الامس لا يهشون لمثل هذا التغلغل ولا يصبرون عليه انما يبهج نفوسهم أن يلمسوا أحاسيسهم المكظومة مفردة على يراع كاتب مبين ، ولعل الاستاذ أحمد حسن الزيات أجاد وصف الواقع الادبي حين صور تأثير المنفلوطي الكبير في قرائه ، وهو يعد خليفته في مضماه البياني ، ومكمل رسالته الفنية متأثرا لا محالة باتجاهه ، وان ظهرت بعض الفوارق الادبية بين قلم وقلم ، لعل الاستاذ الزيات أجاد وصف الواقع الادبي حين قال :

واشرق أسلوب المنفلوطي على وجه المؤيد اشراق البشاشة ، وسطع في اندية الادب سطوع العبير ، ورن في أسماع الادباء رنين النغم ، فرأى القراء الادباء في هذا الفن الجديد ، ما لم يروا في فقرات الجاحظ ، وسجعات البديع ، وما لا يرونه في غثاثة الصحافة ، وركاكة الترجمة ، فاقبلوا عليه اقبال الهيم على المورد العذب.

وكان هذا النفر الايفاع من المتأدبين يجلسون في أصائل أيامهم الغريرة أمام الرواق العباسي يتقارضون الاشعار ويلهون بالغفال الناس ، ويترقبون المؤيد ، ليقرءوا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع ، وطه (يريد طه حسين) مرهف اذنيه ، ومحمود (يريد محمود الزناتي) مسبل عينيه ، وفلان (يريد نفسه) مأخوذ بروعة الاسلوب فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعلقون أسبابهم بهذا المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة الادب البكر ، وجمله الامام المفتي تلميذه المختار » .

واذا كان مؤرخو الادب المعاصر قد تحدثوا عن ريادة المنفلوطي بما يحدد مكانته الادبية ، وتأثيره في استقلال البيان المعاصر ، وخلوصه من وضر الصنعة ، وغثاء الركاكة ، فان فريقا من ناقدي العصر قد أبدوا رأيهم في أسلوب المنفلوطي متأثرين بتوجهات خاصة ، منها المعتدل ومنها المتحامل المشتط ، وفي ايضاح بعض هذه الوجهات ما يعين على تمحيص الرأى ، وجلاء الصواب .

● طه حسين والنقد ●

نشأ الدكتور طه حسين ثائرا متحفزا ، لا يرى من وجه الحياة غير صفحة النقد ، ولا يرتاح لغير الصراع المحتدم مادام يترك خلفه الشهرة والضجيج ، وقد ذكر الاستاذ الزيات من قبل كما ذكر عن نفسه أنه كان يطرب لادب المنفلوطي ويقبل على نثره خماس وسداس وسباع ، ولكنه نجاة يهاجمه في ضراوة تصل الى درجة السباب دون أن يقدم من الحيثيات مايدل على أن الناقد يهتدى بمقياس حيادى منصف جمله ، ينتقل من ناحية التقريظ الى وجه التجريح ، ومن الانصاف للدكتور أن نذكر انه لام نفسه أعنف اللوم على موقفه هذا ، ووصفه بالسخف وما هو أكثر من السخف، ولن نكون ملكيين أكثر من الملك حتى نتعاطف معه في موقف لا يجد التسامح من نفسه ، وانما وجد منه شجاعة قوية ، دفعته الى أن يقول في الجزء الثالث من الايام :

« وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله يقع نصيب غير قليل، من نقل هذه الفصول السمجة الطوال التي كتبها الفتى لشغل بها الادباء والمثقفين حينا ، ثم لم ينقطع استخذاؤه لها ، وضيقه بها ، وخجله منها كلما ذكرت له ، وكان موضوعها نقد نظرات المنفلوطي رحمه الله، وكان عنوانها « نظرات في النظرات » » .

وما أسرع ما انزلق الفتى من هذا النقد السخيف الى طول اللسان وشيء من الشتم لم تكن بينه وبين النقد صلة ، ولم ينس الفتى مقالا دفعه ذات مساء الى الشيخ عبد العزيز جاويش فلم يكد يقرأ اوله حتى طرب له، وابى الا ان يقرأه بصوته العذب، على من يحضر مجلسه ذاك ، وابتهج حين سمع الثناء واحس الاعجاب ، ثم لم يذكر بعد ذلك أول المقال حتى ظاما من رأيه ومن نفسه ، وسأل الله أن يتيح له التكفير من ذنبه ذاك العظيم وكان بعض تبعة هذا السخف يقع على الشيخ عبد العزيز جاويش » ١٠ هـ .

وأنا لا أدري كيف يتباهى الدكتور في ما قبل هذه السطور من الفصول السابقة بكتاب الايام باستقلاله الفكرى ، ولشوزه كل النشوز على أساتذته الازهريين ، ومجابهته اياهم في تطاول ، ثم يحاول أن يطمس هذا الاستقلال حين يجعل نفسه تابعا للشيخ عبد العزيز ، وحين يحاول أن يلقى بعض التبعة عليه ، أين هذا الطموح الشامخ المترفع من التبعية، ولم لم يشذ عنها — لو كانت — كما شذ على غيره فيما حكاه ! لقد هاجم طه المنفلوطي بعد عودته من فرنسا ، وبعد استقلاله كل الاستقلال من أثر الشيخ عبد العزيز ، هاجمه ظالما غير منصف ، وأعلن أنه لا يحبه ، فهل استغفر الله من ذلك أيضا ؟ وهل بحث عن جاويش لأن يلقى عليه تبعة ما كان !! لقد اعترف طه بتأثير جاويش وتوجيهه الادبي والعلمي لتفكيره، ولكنه لم يشيعه بكلمة رثاء ، ولم يكتب عشر معشار ما كتبه عن احمد لطفي السيد ، لان أستاذ الجيل كان صاحب منزلتين سياسية وجامعية فيجب أن يذكر له مكانه ، أما عبد العزيز فقد ودع الحياة غريبا عنها بعد أن ذاق آلام الجوع والتشرد والمرض في ألمانيا مجاهدا في سبيل وطنه ، ورجع ليعيش متواريا في عمل أصغر من مواهبه فلماذا لم يحتفل به التلميذ الطموح كما حفل بلطفي السيد !!

لقد ذكر طه فيما ذكره من نقدات « النظرات » أن المنفلوطي أبعد الناس عن الحقيقة وأحبهم لاصطناع الخيال ، وهذا خطأ لان المنفلوطي كغيره من أساطين البيان يتخذ الخيال مرآة لتصوير الحقيقة ، فوظيفته قوية في ايضاح ما يريد من المعاني ، حين يظهرها ساطعة واضحة ذات نفاذ في النفوس .

كما ذكر أن المنفلوطي مولع بالسرقة ، وهو ما عجز عن اثباته ، اذ لا يكفى في تحقيقها أن يكون اسم النظرات قد ذكره الرافعي من قبل ، اذ كان على الناقد أن يعمد الى فصل من فصول النظرات ، فيذكر معانيه المسروقة ، وأفكاره المغتصبة ليكون المنفلوطي سارقا بالدليل المفحم ، والبرهان الملجم ، أما أن تقول انه سارق وكفى ، فهو اتهام باطل لا يقف على قدم ، بل يتداعى كالهباء .

ثم اخذ عليه انه ذو معان تتكرر وتترددا وهو مأخذ غير دقيق ، لان المنفلوطي كاتب اجتماعي يعالج امراض العصر ، وقد يضطر الى تكرار علة يجد اصولها تمتد الى علل مماثلة فيكرر بعض ماقال ، ليصل الحاضر بالماضي ، وسبيل الداعية ان يلح على استئصال الداء وتشخيص الدواء ، فاذا تركنا الفصول الاجتماعية الى غيرها من فصول النظرات فلا نجد أثرا لتكرار في المعاني اما اذا اراد طه حسين ان يشير الى حرص المنفلوطي على استعمال بعض الالفاظ التي تكاد تكون خاصة به ، فهذا شأن الكاتبين جميعا ، والدكتور طه نفسه ذو الفاظ تتكرر ، واساليب تلتصق به وتعد لازمة من لوازمه ، ولم ير في ذلك ما يوجه اليه على سبيل المؤاخذة ، فلم يؤاخذ الكاتب الكبير على طبيعة ادبية تلزم أكثر الكاتبين ، وتلوح لدى الناقد نفسه في اسطع مرآة .

والعجيب أن المنفلوطي قد ساق عن الكاتب الكبير احمد المويلحي ثناء مستطابا، وقال انه تلقى من اخيه المويلحي كتابا اشار الى مضمونه ، فيدرى القارىء ما موضع النقد لدى طه فيما قال صاحب النظرات ، انه يقول : جعلت الرجل أخاك،

المنفلوطي

بين طه حسين والمازني

وما علمته من الرياء بحيث يدعوك أخاه الكريم ، ولم يرك الا مرات ثلاثا ، ولم يرجع طه الى محفوظة من كتاب الله ليعرف ان المؤمنين أخوة ، بل لو رجع الى ذاكرته الواعية لاسعفته بقول أبي تمام في صديقه علي بن الجهم :

او لم يكن نسب يؤلف بيننا
أدب الغذاء مقام الوالد !

واذا استكثر طه على المويلحي أن يكون أخا للمنفلوطي زعيم البيان في عصره ، فانه بلا شك سيستكثر على المويلحي أن يكون أخا له هو أيضا ؟ وما أظنه يطيق صبرا على ذلك في تعاليه !

دعا المنفلوطي الى أصلاح اللغة ، ورأى من حق الكاتب أن يمدها بتوسعة وافية من طريق الاشتقاق والتعريب ، وتلك بدهية لا تقبل الجدل ، ولكن طه يلج في العناد حين يذكر أن اللغة ليست في حاجة الى ما يريد صاحب النظرات ، فهي لم تضق من حاجات العرب ، وانما يجهل المنفلوطي قادمي !

هذا نمط من نقد طه ، وأكبر هادم له هو طه نفسه حين اعترف بسخفه وسماجته، وحاول أن يلقي تبعته على رجل مظلوم ، مع أنه رئيس تحرير يفسح جريدته للمؤيد والمعارض معا ! ولو كتب طه في موضوع آخر لرحب به عبد العزيز ، وكثيرا ما فعل ، وقد شجعه على نشر فصول حيوية اخرى يفتخر بها طه ، أفيعود فضلها الى جاويش !!

ثم هاجم الدكتور طه المنفلوطي مرة أخرى بعد عودته من أوربا ، وقد صار استاذا بالجامعة ، هاجمه حين أصدر رواية الشاعر ، فصادفت ارتياح الكتاب ، وكتب الدكتور منصور فهمي كلمة منصفة في تقديرها ، فذكر أن الكاتب الكبير قد أدى صورة حية بلسان عربي مبين نقلها عن البلاغة الفرنسية الفائقة ، ولكن منطق الدكتور منصور فهمي لم يعجب صاحبه فاندفع طه حسين يعلن أن له رأيا في المنفلوطي قديما لا يتحول عنه ، وأن ما قام به من تحويل التمثيل الى قصص لا يرضاه غير من لا يقدرون الفن قدره ، ولم يسكت الدكتور منصور فهمي فكتب يقول انه يرى من الخير أن تكون عندنا في اللغة العربية فكرة صغيرة من أدب جديد ، فذلك أفضل من أن يهمل هذا الادب ، ولو لم يكن ذلك ، لما نقل الفرنجة كتاب الله ، ولما قرأنا بالعربية شعر هوميروس ، كما ان الدافع لنتقل من لغة الى لغة قد يكون في اجمال الموضوع وليس في تفصيله ، وقد يكون في المعاني وليس في ثوبها التعبيري، وتلك وجهة نظر قابلها الدكتور طه بهجوم عاصف حين قال للدكتور منصور فهمي : أعيذك الا تكون مقالاتك مشجعة للمفسدين على افسادهم ، وللادعياء في الادب على أن يسرفوا في ادعائهم ، وأن أحسن أثر للفلسفة انما هو تقدير الاشياء وإقرار الامور في نصابها .

وذلك شطط قابله الدكتور منصور فهمي بقوله : انك مهما تشددت في النقد فلا تجد مايبرر ذكر المنفلوطي مع الادعياء، وانى مهما تساهلت في الفن فلا أستكثر وصف الكاتب الاديب حين أذكر المنفلوطي ، وانك تقول أن قراءة الموضوع أسهل على الناس في تركيبه القصصي منه في تركيبه التمثيلي فهلا ترى أن المنفلوطي وقد حافظ على الاصل أدى خدمة للجمهور اذ سهل عليهم قراءة هذا الموضوع الجميل ، أم ترى أن يسهل الادب والفن والعلم على العامة انما ليس له في ساحة غفرانك نصيب ، فاذا كنت ترى بدعة تحويل الرواية الى قصة فتلك بدعة صالحة لايستهجنها الذوق السليم ، ويستحق المبتدع عليها كل حمد وثناء واذا كان أسلوب المحاورة والتمثيل ، يتمشى مع بهاء اليونانية والفرنسية فان العربية يتمشى مع روائع أسلوب القصص ، ولم يكن المنفلوطي ليمسخ الفن او يشوهه كما تقول بل حرص عليه حين حوله الى فن عربي صميم !

هذا ملخص ضئيل يشير الى أهم مادار بين الدكتورين الكبيرين ، ولجد طه غير منصف

حين عد المنفلوطى من الادعياء ! واذا كان يرى فى عمله تشويها ، فلماذا اباح لنفسه أن ينقل التمثيليات الفرنسية الطويلة ملخصة مبتورة فى كتابيه « صوت باريس » « لحظات » ولو فعلها سواه لقال ان الفن الروائى عمل متكامل يشوه بالتلخيص ، وليس الكتاب ملهية توجز وتختصر ، لان جمال الفن فى طريقة التناول ، وتسلسل العرض ، وهذا مايشوه العمل الادبى ويمسخه ! لقد جاوز طه صنيع المنفلوطى حين لخص المسرحيات الفنية فى صفحات مبتورة ، وراى فى ذلك نفعا للقارىء العربى ، على حين وجد المسخ والتشويه لدى المنفلوطى ، حين اخرج صفحة رائعة من صحف البيان متشبعا بما قرأ من حوار تمثيل صار على يده تحفة ادبية ذات نفاذ وتأثير .

● المازنى ثائرا ●

كان المازنى فى شبابه غيره فى كهولته، فهو فى شبابه ثائر مخاصم صوال ، يستلك الحسام الجارح ، ويجوف الحصاة حتى ليحسبها الناظر جبلا وهى حصاة ! ولهذا خاصم حافظ ابراهيم وعبد الرحمن شكرى، ومصطفى لطفى المنفلوطى فى ضراوة لاتعرف الهوادة ، ثم هدات ريحه فمال الى المهادنة، وصار حربا على أدبه هو ، يضائل من أثره وهو كبير ، ويستقل فنه وهو كثير ! وقد لحظ المازنى هذا التحول فبدأ قصة « ابراهيم الثانى » بتحوله ، تحت عنوان ايضاح :

ابراهيم الثانى ، هو ابراهيم الكاتب، أو كانه على أصح القولين ، ثم تغير جدا ، بحيث لو أمكن أن يلتقى الابراهيمان لاحتاجا الى من يقوم بينهما بواجب التعريف، ثم ذكر من شعره قوله :

الى اراني قد حلت واتسخت
مع الصبا سورة من السور
وصرت غيرى فليس يعرفنى
- اذا رآنى - صباى ذو الغرر
ولو بسنا لى ليت انكره
كانى لم اكنه فى عمرى

مات الفتى المازنى لم الى من مازن غيره على الاثر

وفى عهد (ابراهيم الكاتب) سطر ابراهيم عبد القادر المازنى نقده العنيف للمنفلوطى بالجزء الثانى من (الديوان) فبداه بكلمة تحت عنوان (أدب الضعف) يعلن فيها أن الادعياء فى الادب كثيرون ، وهم يستولون على القراء لجهلهم وقصور مداركهم ، وهو بهذا يمهد لما تلاه من هجوم على صاحب النظرات ، وقد تحدث المنفلوطى عن نفسه بما يشبه ترجمة موجزة لفترة من حياته ، ذكر بها نسبه المنتمى للحسين ، وهو امر حقيقى يكشف عن معان خاصة دفعت صاحبها الى سلوك خاص ، ولكن الناقد يصيح به ، ما للقراء واجدادك الذين لم تزدنا بهم علما فيشفع لك ما أفنت فى سماجة ما كتبت ، لقد قرأنا لجيته شاعر الالمان الضخم كتابا فى تاريخ حياته ولم يذكر فيه اسم أبيه ، وجال الناقد فى تكرار هذا المعنى ، ولعله فى دور الكهولة لو ألم بما كتب لراجع نفسه، اذ أن حديث الكاتب عن أجداده يلقى الضوء على اتجاهه ، وقد تحدث المازنى عن بشار بن برد فى كتابه ، فوقف متنقدا أمام أصله الاعجمى ، واستدل به على منازع صبيت كثيرا من مواقفه الادبية ، بل ان المازنى تحدث عن والده الذى رحل وهو صغير ، وعن والدته التى نهضت بتربيته حديثا تكرر كثيرا كثيرا ، واستطابة القراء غير لائمين ، فكيف اباح لنفسه ما انكر على سواه ؟

وجاء الباب التالى ليصف أدب المنفلوطى بالنعومة والانوثة ، والقول بان أدب المنفلوطى ذو انوثة خطل يجانب الصواب ، ولم يستطع الناقد أن يقدم برهانا قويا يسنده منحاه ، وقد استشهد عليه بقول المنفلوطى :

« الاشقياء فى الدنيا كثير ، وليس فى استطاعة بائس مثلى أن يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم فلا أقل من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات علهم يجدون فى بكائى عليهم تعزية وسلوى » .

فيالله ! أين الانوثة فى هذا التعبير ، وكيف قال المازنى ان هذه المعانى تمتثل

المنفلوطي

بين طه حسين والمازني

الرجولة ! ان الاجدر بوصف هذا المنحى أن تقول انه ادب الرحمة ، والرحمة قوة لا ضعف فالرحيم كما يقول العقاد رجل فسيح النفس ، يتسع مداه لتحمل الأسى، أما الباطن الناقم فضعيف مهما تجبر لانه لم يجد من نفسه قوة تردعه عن الانتقام ! واذا كان المنفلوطي متشائما جعل الحياة سوداء فى عيون الناس كما ذهب الناقد الى ذلك مؤاخذا ، فليس المنفلوطي وحده فى هذا المضمار ، فابو العلاء المعرى راس المتشائمين فى الادب العربي ، ولم يكن تشاؤمه مدعاة انحدار لادبه فى راى المازنى ، بل كان موضوعا للتحليلين النفسى والاجتماعى ! وكان فى طوق المازنى أن يكشف عن مصدر هذا التشاؤم لدى المنفلوطي ، وهو يعرف آنه يتحدث عن مواجع وطن محتل يرهقه الفقر والجهل والمرض فوق بلاء الاستعمار ، والسائل من لون الاناء .

ثم انتقل الى قصة (اليتيم) فى كتاب العبرات، ليجعلها انموذجا لادب المنفلوطي، وقد تسنم مكانته الادبية باعتباره كاتب مقال ، لا منشىء قصة ، فاختيار قصة من قصصه للحكم على أدبه بعامة تعمد مقصود لتوهينه ، ونظر قاصر ، وأرجع ما انتقصه المازنى فى هذه الاقصوصة هو روح المأساة التى اكتنفت بطل القصة فقد صار المنفلوطي بكاء ندابة لانه صور هول مصابه! واستطردالمازنى يقول ان « جيته» الالمانى ألف قصته الحزينة (آلام فرتر) ثم مات وهو لا يندم على شيء كما ندم على وضع هذه الرواية ، ولا يخجل من شيء خجلة لذيوعها حتى تمنى لو استطاع أن يجمع نسخها ويلقى بها فى النار !

وفى هذا الكلام مغالطة صارخة لا ادرى كيف استساغها ناقد حاذق كالمازنى ، ان جيته العظيم لم يخجل من (آلام فرتر) لانها صورت مأساة حزينة ، وفجرت بالدموع ، وصعقت بالآهات ! انه خجل من الرواية لانه تحدث عن وقائع عاطفية تسيء الى حبيبته (شارلوت) أمام الناس بعامة ، وامام زوجها (البرت) بخاصة ، وقد انتقص الزوج لالشيء سوى آنه غريمه ، لهاج عليه النقد لانه تحدث عن اسرة سعيدة بما يبذر روح الشقاق فى حياتها ، وكانت (شارلوت) اول من ثار على هذا الذى صورها امام الناس باسمها وصفها بما يزعزع وفاءها الخالص ! وقد أدرك الشاعر العاشق مهواة ما انحدر اليه ، وراى من صرخات المفكرين ما ازعجهدوءه، فود ان تمحى القصة من الوجود باعتبارها مصدر نقد صارخ لسلوكه النفسى ، وحين مضى جيل (جيته) أخذت القصة مكانتها الممتازة بين عيون الادب الغربى ، فليس استشهاد المازنى بهما فى موضعه ! واذا جاز له أن ينكر الآم فرتر المأسوية فلينكر الكثرة الكاثرة من قصص الانسانية فى القديم والحديث ، وليضف اليها قصة (اليتيم) فى العبرات .

وقد كان المازنى غير جاد حين تحدث عن أسلوب المنفلوطي فى هذه القصة ، فذكر أن الكاتب مولع بالمفعول المطلق ، وسجل له سبعة وعشرون نصا تحمل هذا المفعول، وهو اتجاه غريب لو سلكه كل ناقد لوجدنا من يقول ان العقاد قد كتب فى مقاله ثلاثين نصا تحمل (الحال) وأن المازنى قد كتب فى مقاله خمسين نصا تحمل (الفاعل) ولا يفوت المازنى أن للمفعول المطلق أثره فى توضيح المعانى ، والا ما وجد ، واذا أكثر منه المنفلوطي فقد جاء به فى موضعه ، وكتاب الله ابلغ كتاب فى العربية ، وهو ملء بالمفعول المطلق عند التأكيد والتثبيت ، واللجاجة فى هذا المنحى مدعاة هزل لا جد .

قلت ان المازنى قد كتب نقده للمنفلوطي فى مرحلة (ابراهيم الكاتب) ويقينى الجازم أن (ابراهيم الثانى) يقف من سلفه موقف المعارض المؤاخذ لهذا الاتجاه الذاتى فى الهجوم والتجريح ، وليس المنفلوطي بمنأى عن النقد ، فله مؤاخذاته الواضحة ، ولكن النقد شيء ، والتجريح شيء سواه وقد تعمده المازنى وطه حسين حا لحاجة فى نفس يعقوب .



قنديليات

بقلم: يحيى حقي

بين المثالية والنفعية

لان الجامعة المصرية لم تكن قد انشئت بعد ، فقد تلقيت العلوم القانونية من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٢٣ فى مدرسة الحقوق . وقد درست بها نماذج عديدة من العلوم القانونية :

● القانون المدنى المختلط - مع غيره من القوانين المختلطة - وهى القوانين التى كانت تطبقها - فى مصر - المحاكم المختلطة والتى انشئت بموجب الامر العالى الصادر عام ١٨٧٦ م

وقد وضع هذه القوانين محام فرنسى اقتبسها من القوانين الفرنسية بعد ان اختصرها وادخل عليها تعديلات استوحاها من الشريعة والعرف المصرى..

● القانون المدنى الاهلى . وقد صدر ضمن المجموعة المدنية الاهلية بلائحة اولى عام ١٨٨١ ثم اعيد اصدارها معدلة سنة ١٨٨٣ . وهذه المجموعة - فى الحقيقة - منقولة عن القوانين المختلطة مع التعديلات التى اقتضتها ظروف البلاد .

● ولان القانونين - المختلط والاهلى - يستمدان اغلب احكامهما من قانون نابليون فقد درسناه ايضا ، وبالمرة ، درسنا القانون الرومانى لان قانون نابليون يستمد منه بعض احكامه

● بعد انشاء المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ، فان المنازعات المدنية والتجارية والجنائية اصبحت - فى الاصل - من اختصاص القضاء المستحدث

● بقيت مسائل الاحوال الشخصية تختص بالاصل فيها المحاكم الشرعية والملية ، مالم يكن المدعى او المدعى عليه اجنبيا من الاجانب المتمتعة دولهم بالامتيازات الاجنبية ، لذلك ، درسنا باب المعاملات فى الشريعة الاسلامية من ابواب الوقف والميراث والوصية ، وكانت مراجعنا هى كتب الفقه التى تزخر باراء اصحاب المذاهب الاربعة وتابعيهم ، الا انها - على خلاف القوانين المختلطة والاهلية - ليست مصاغة فى مواد مسلسلة ومبوبة .

● هذه المعلومات كلها ، صبت فى رءوسنا ، الا ان استاذا واحدا لم يقل لنا ، تبينوا الفرق بين الفكر الغربى والفكر الاسلامى .

كان يا ما كان

قصر الغرنقش
وأحوال البلاد منذ قرن من الزمان

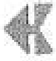
بقلم : محمد سيد كيلاني



الخديوى عباس

السلطان عبد الحميد

الخرنفش كلمة محرفة عن الكلمة التركية « خرشنف » بمعنى القمامة . وهذا الحى كان يعرف فى عصر الدولة الفاطمية بحارة زويلة . وكلمة « حارة » تقابل كلمة « حى » . وزويلة قبيلة بربرية وردت من شمال افريقيا مع المعز لدين الله الفاطمي وسكنت هذا الحى الذى عرف باسمها . فلما زالت الدولة الفاطمية رحلت قبيلة زويلة ، ولم يشا أحد أن يسكن فى تلك الجهة فاهمل أمرها وأصبحت خرابا تلقى فيها القمامة ، وقد تراكم بعضها فوق بعض . وفى عصر الدولة المملوكية سكن الأقباط هذا الحى بعد أن أزالوا منه النفايات وبنوا مساكن فى أزقة ملتوية ، لايستطيع الغريب أن يهتدى فيها إلى سبيله ، ووضعوا عليه حراسا من أبناء الطائفة . وشيدوا كنيسة تحت سطح الأرض مازالت باقية إلى اليوم .



ومن عظماء القبط الذين سكنوا هذا الحى أولاد العسال ، وقد شغل بعضهم مناصب كبيرة فى الحكومة . ولما كان عصر محمد على فتح هذا الحى لمن شاء أن يسكنه بغض النظر عن دينه . فشيد عباس الأول قصرا ضخما وسكنه قبل أن يتولى عرش مصر . وكان لشيخ السادة البكرية عدة قصور فى حى الأزبكية ، استولى عليها الخديو اسماعيل وهدمها وشيد فوق بعضها دار الأوبرا والميادين والشوارع المحيطة بها . ومنح شيخ السادة البكرية قصر الخرنفش كجزء من التعويضات عن قصوره التى هدمت .

● تاج الشرف للبكرى ●

وبعد ظهر يوم الخميس ٢٨ يناير ١٨٩٢ استقبل الخديو عباس فى قصر عابدين السيد محمد توفيق البكرى فى جماعة من كبار العلماء يتقدمهم شيخ الأزهر ، وقد رحب به وأجلسه على يمينه ، وجلس العلماء على يساره . وعلى أثر الانتهاء من شرب القهوة نهض الخديو وألبس البكرى تاج الشرف الذى يلبس فى مثل ذلك اليوم ، وهو عمامة من الأطلس بين الخضرة والصفرة فى اللون ، محشوة بأنفس الديباج ، وكان فى حجم العمامة العادية مرتين . وألبسه الخلعة السنية وهى من درجة التشريفة الكبرى . ثم خرج البكرى وركب جوادا كريما على سرج أخضر تخفق عليه رايات أرباب الأشاير الذين تجمعوا فى ميدان عابدين ، ووقفوا فى انتظاره وركب كبار العلماء وانطلقوا وراءه . وقد اتجه هذا الموكب الحافل من ميدان عابدين إلى باب الخلق

فشارع تحت الربع فالغورية فالنحاسين إلى قصر الخرنفش . وهناك استقبل جموع المهنئين وفى مقدمتهم مصطفى باشا فهمى رئيس النظار ، والنظار ووكلائهم ، وكبار الأعيان . ولما انتظم عقدهم نهض بعض الشعراء وانشدوا قصائد تفيض بالحب للبيت البكرى .

وفى شهر مايو من هذا العام عين محمد البكرى عضوا دائما فى مجلس شورى القوانين ، وسافر إلى أوربا فى أواخر العام المذكور ، وقابل بعض مشاهير رجال السياسة والأدب فى فرنسا وانجلترا كما قابل وزير خارجية انجلترا لورد سالسبورى وتحدث معه فى موضوع الجلاء عن مصر ، ثم توجه إلى الأستانة فدعاه السلطان عبدالحميد لمقابلته مرارا ، وأنعم عليه بنيشان رفيع .

قال البكرى مجملا رأيه فى السياسة المصرية : « **واما الأمة فقد نشأت فى هذه الديار ، وإذا هى ترسف فى اغلالها ، فاقدة لاستقلالها ، فرأيت ان اول ماينذب على المرء أن يسعى فيه هو إرجاع استقلالها الادارى ثم استقلالها السياسى . فرفعت صوتى بطلب الأول . وكنت أول مصرى أنادى به فى زمن الاحتلال ، ثم لم افتا اعمل لهذا الغرض بما يؤدى إليه ويبعث الهمم للحصول عليه** » .

وبذلك يكون محمد توفيق البكرى هو أول من فجر الحركة الوطنية ، وأشعل نيران العداوة ضد الاحتلال . وكان مصطفى كامل فى هذا الوقت طالبا بمدرسة الحقوق الخديوية ، يحاول نظم الشعر وله أبيات قليلة فى مدح الخديو عباس ، نذكر منها :

أنت المليك الذى هام الجلال به
وصير القطر فى أمن من الغمم
أنت المليك الذى مصر به افتخرت
على الممالك من عرب ومن عجم

● كراهية الانجليز ●

كان عباس مبغضا للانجليز ، ناقما على نظارة مصطفى فهمى باشا مسايرتها لسلطات الاحتلال واستسلامها المطلق للمحتلين . وحدث أن مرض رئيس النظار مرضا اضطره إلى ملازمة الفراش مدة طويلة ، وكان هو نفسه ناظرا للداخلية فانتهز ستل باشا المفتش العام للضبط والربط هذه الفرصة وطلب من المديرين والمحافظين أن تكون مكاتباتهم إليه رأسا بدلا من ناظر الداخلية . وهذا يعنى سلب اختصاصات الناظر المذكور . وقد لبث أحمد شكرى باشا (وهو والد إسماعيل صدقى باشا) وكيل الداخلية عدة أيام دون أن يؤدى أى عمل أو تعرض عليه أوراق ، ولم يدر لذلك سببا ، لأنه لم يعلم بما فعله هذا الموظف الانجليزى ، وبلغ عباس نبأ هذا الموضوع وما فيه من خطورة ، فدعا أحمد شكرى باشا وكلمه فيما فعله ستل ، فأكد أنه لم يعلم به فوبخه الخديو توبيخا عنيفا وطلب منه أن يصدر أمره فورا بإلغاء تعليمات ستل إلى المديرين والمحافظين ، وقامت الصحف الوطنية تشدد النكير على ستل . وقد أدرك كرومر مافى عمل هذا الموظف الانجليزى من الخطأ ، فوافق على طلب الخديو .

وفى يوم ١٦ يناير ١٨٩٣ أرسل عباس

إلى مصطفى فهمى يطلب منه أن يستقيل ، فأبى أن يفعل ذلك قبل أن يستشير لورد كرومر ، فاغتاظ الخديو ، ودون اكتراث برضى كرومر ، أو عدم رضاه أصدر أمرا بإقالة النظارة ، وعين نظارة جديدة برئاسة حسين فخرى باشا الذى كان وزيرا للحقانية فى النظارة السابقة .

وكان من الطبيعى أن يعارض كرومر فى هذا التعيين ، وقد أيدته حكومة لندن . قال فى برقية له إلى لورد سالسبورى وزير خارجية انجلترا فى ذلك الوقت .

« إن الحالة بأكملها ـ ليس فقط فيما يتعلق بالموظفين البريطانيين ، بل بمركز الحكومة البريطانية ـ تتغير إذا سمح للخديو أن يفعل مثل مافعل فى هذه المسألة ، وتكون النتيجة وقوع ارتباك كثير ، أن وقوع نزاع شديد مع الخديو ـ كما قدرت منذ برهة طويلة ـ أمر لابد منه ولا أرى من الصواب تأخيره . وانى ارى وجوب انتهاز هذه الفرصة لوضع حد لهذه الأمور . وان لدى أسبابا وجيهة للاعتقاد بأن الخديو قد اتخذ هذا المسلك لاعتقاده خطأ ان حكومة جلالة الملكة الحالية ـ يعنى حكومة الأحرار ـ لاتعضدنى تماما كما كانت تفعل الحكومة السابقة ـ حكومة المحافظين » .

« وانا ارى ان لافائدة من اقتصار فخامتكم على نصحه ، بل اقترح ان ترسلوا إلى برقية استطيع أن اريها لسموه ، تذكرون فيها بكل جلاء أن حكومة جلالة الملكة تنتظر أن يؤخذ رأيها فى المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار . وانكم تعتقدون أن التغيير فى الوقت الحاضر لايستحسن ولا موجب له ، وان حكومة جلالة الملكة لاتستطيع أن تقره فى عزمه على تعيين فخرى باشا . كذلك يجب اعطائى السلطة بأن اتخذ الوسائل اللازمة التى أرى وجوب اتخاذها لمنع هذا التغيير » .

« أن الخديو يرغب كذلك ان يعين ناظرين للحقانية والمالية غير الناظرين الحاليين ، وانا لا أعارض فى ذلك . وانى أرغب ان أبين لحكومة جلالة الملكة بكل جلاء أهمية نتائج المسألة الحالية ، فانهم لو سمحوا للخديو بأن يفوز فى هذه الحادثة ، فلا يبقى باستطاعتى ان أستمر فى الخطة التى سرت عليها منذ عشر سنوات حتى الآن . ويرجح كذلك فى تلك الحالة أن المسألة المصرية تتخذ شكلا لايرضينا يأتى قبل أوانه . أما إذا أعطينا الخديو درسا هذه المرة فيرجح عدم وقوع مشاكل أخرى فى المستقبل »[٥] .

ولم ينشر المرسوم الخديوى بتشكيل النظارة ، غير أن النظار توجهوا إلى مكاتبهم وزاولوا أعمالهم فأصدر كرومر امره إلى الموظفين الانجليز بتجاهل النظار الجدد ، فاستاء الخديو لذلك .

وفى يوم ١٦ يناير ١٨٩٣ اجتمعت الوزارة البريطانية ، وبعد المناقشة فى هذا الموضوع أرسلت إلى كرومر البرقية الآتية :

« إن حكومة جلالة الملكة تنتظر ان يؤخذ رأيها فى المسائل الخطيرة مثل مسألة تغيير النظار . وفى الوقت الحاضر لايظهر أن هناك ضرورة للتغيير ، لذلك فانا لا نستطيع ان نوافق على تعيين فخرى باشا » .

وانتهى الموضوع بأن اتفق الخديو وكرومر على تعيين رياض باشا رئيسا للنظارة الجديدة . وقد أصر كرومر على أن يقدم له الخديو بلاغا رسميا يتعهد فيه بالسير بموجب نصيحة الحكومة البريطانية . قال كرومر « على الخديو ان يقدم لى بلاغا رسميا على شروط أمليتها انا بنفسى ، فإن عليه ان يقول : انه يرغب رغبة شديدة أن يوجه عنايته لايجاد أصدق العلاقات الودية مع انجلترا ، وأنه يسير بكل رضاء بموجب نصيحة حكومة جلالة الملكة فى كل المسائل الهامة فى المستقبل » .

● العداء للمستعمر ●

وقد طلب كرومر زيادة الحامية البريطانية فى مصر ليوقع اليأس فى قلوب المصريين المطالبين بالجلاء وليخمد نيران الحركة الوطنية ، فأبرق إلى وزير خارجية لندن يقول : « انى وإن كنت لا أجد وجها لعدم الرضا والشكوى من لهجة الخديو وتصرفه ، إلا انى فى الوقت نفسه أنظر بقلق إلى الحالة المحلية . فقد أصبح رياض باشا ـ على مافهمت فى المدة الأخيرة ـ متدينا كل التدين ، ولذلك فهو يميل إلى اتباع روح التعصب والعداء نحو الأوربيين . ولما كان الخديو فى الماضى يشعر بنفور شديد من رياض باشا ، فقد تستميله اليه الآن مظاهره الاستبدادية ويتحد الاثنان للعمل ضد انجلترا ، وفى هذه الحالة تحدث المشاكل » .

« وقد زار الخديو أمس جمهور من الوطنيين ، ومع أن هذه المظاهرة كانت على نوع ما مدبرة ، ومع أن الخديو لم يكتسب بالفعل خطوة حقيقية فى أعين الجمهور ، غير أنه لايحتاج إلى كثير ليصبح الناس وهم ينظرون إليه نظرهم إلى المصرى الممتلىء غيرة ووطنية وعداء للاجانب وقد اتخذت الصحافة التى تعبر عن الشعور الاسلامى الشديد لهجة شديدة مؤذية » .

« ومن رأى الجنرال ووكر ، ورأيى أن الحامية البريطانية ضعيفة جدا ، وأود كثيرا أن أعلن حالا أنه قد تقرر زيادتها . ولا أعتقد أن حكومة جلالة الملكة تستطيع أن تقول أو تفعل شيئا يؤثر ما يؤثره اتباع هذا الاقتراح الذى أوصى بكل شدة بالموافقة عليه . وانى أرغب أن أعلن هذا الأمر قبل أن يجد الخديو أو رياض باشا فرصة كافية للاقدام على ارتكاب عمل آخر من أعمال الطيش والحماقة » .

وقد أعلنت الحكومة البريطانية رسميا أنها وافقت على زيادة جيش الاحتلال فى مصر بناء على ان الحوادث الأخيرة تهدد الأمن العام . وجاء فى خطاب العرش الذى ألقته الملكة فكتوريا يوم افتتاح البرلمان ماياتى : « وقد تقرر ـ نظرا للحوادث الأخيرة التى حدثت فى مصر ان يزاد جيش الاحتلال فيها . وقد صرح سمو الخديو المعظم بأقوال أرضت الحكومة الانجليزية فقال انه يقصد من الآن فصاعدا اتباع العادة المقررة ـ وهى استشارة الحكومة الانجليزية فى المسائل السياسية ، والجرى على اتفاق ووداد مع الحكومة المذكورة » .

كسب الخديو عباس بإقالة نظارة مصطفى فهمى باشا إعجاب المصريين وتقديرهم فلهجت الألسن بمدحه ، وذهبت الوفود إلى قصر عابدين معربة عن تأييدها للخديو في موقفه . قالت المؤيد : « .. وفي خلال ذلك وقد قاضى مصر والسيد البكرى وتشرفا بمقابلة سمو الخديو ، كما ذهب رجال الأزهر وعلى رأسهم شيخهم وقابلوا عباس ، وخطب شيخ الأزهر قائلا : « ان علماء الأزهر يرون في جنابكم العالى الحاكم الأكبر للبلاد وسيدها السياسى والدينى ، لأنه نائب الخليفة الأعظم ، فهم بذلك يرون الاخلاص والطاعة المطلقة من أقدس فروض الرعية لمقامه السامى كما أمر الله سبحانه وتعالى . وختم كلامه بالابتهال إلى الله أن يؤيد الخديو بنصر من عنده » .

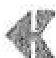
لبث عباس في قصر عابدين من الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية بعد الظهر قابل خلال تلك المدة جميع أعيان البلاد ووجهائها ورجال الأزهر ورجال القضاء الوطنى وأعضاء مجلس شورى القوانين وطلبة المدارس الثانوية والعالية ، وجاءته برقيات تأييد من سائر أنحاء القطر .

وحينما ذهب لأداء فريضة الجمعة (١٨٩٣/١/٢١) بمسجد الامام الحسين - رضى الله عنه - اسرعت الجماهير إلى الوقوف في طريق موكبه وتزاحم الناس للصلاة في المسجد حتى لم يبق موضع لقدم وارتفع ضجيجهم ودعاؤهم للخديو في داخل المسجد . قالت المؤيد : « ولم يحصل مثل ذلك قط في مساجد مصر ، بل ولا في مساجد جميع الأمم الاسلامية قاطبة » إلا من الخطيب اثناء خطبة الجمعة دعاء للخليفة أمير المؤمنين » .

وبعد الصلاة وزيارة الضريح سار ركب الخديو ، والناس يجرون وراء عربته


الشيخ على يوسف


مصطفى لطفى المنفلوطى



عربته ويحيطون بها ، وأصواتهم تشق أجواء الفضاء هتافا للخديو . وقد حاولت الجموع مرارا أن تفك الخيل من العربة ليسيروا بها إعلانا عن تفانيهم في محبته ولكنه لم يسمح لهم بذلك » .

ذهل الانجليز لهذه المشاعر الوطنية الرائعة التى لم يسبق لها مثيل .

● رجل ذو نفوذ ●

وكانت دار البكرى بالخرنفش كعبة لكبراء المصريين والأجانب ، فيها يجتمعون ويتحدثون في مختلف الشئون وفي مقدمتها الشئون السياسية التى شغلت الأذهان في ذلك الوقت . وممن قصدوا دار البكرى في تلك الأيام مراسل صحيفة « نيويورك هيرالد » الأمريكية ، وقد أجرى مع السيد البكرى حديثا قدم له بقوله :

« قصدت في هذا اليوم زيارة السيد البكرى ، وهو رجل ذو نفوذ عظيم وثروة طائلة . ويعتبر كرئيس للجيل الناشىء المشهور للوطنية وعنوانه سياسته « مصر المصريين » وهى السياسة العامة في مصر والتي يترنم بنشيدها حزب الأحرار في انجلترا ، كما كان يترنم بها قبل ذلك عرابى وأنصاره .

ووصفه مراسل صحيفة التيمس بأنه « أحد كبار الأئمة الثلاثة أو الأربعة الذين لهم نفوذ عظيم عند المسلمين في مصر . وبما أنه من أصحاب الأفكار العالية ومشهور بالاعتدال والسداد في الرأى فرأيت أن أتشرف بمقابلته لأسمع من آرائه » .

● صداقة قوية ●

كان محمد توفيق البكرى زميلا لعباس حلمى في المدرسة العلية . وشاءت الصدف أن يتولى نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية في نفس الشهر الذى تولى فيه عباس عرش مصر . وكان بينهما تقارب في السن ، ومودة أكيدة وصداقة متينة وحب متبادل .

وحينما بدأ الخديو يناوىء الانجليز وجد في البكرى خير معين . فأوعز اليه بالسفر إلى لندن ومقابلة وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت لورد سالسبورى والتحدث معه بشأن مصر ، كما أشار بأن تسند إليه رئاسة لجنة الميزانية في مجلس الشورى .

ولما رحل البكرى إلى الأستانة سنة ١٨٩٢ إتصل بأبى الهدى الصيادى ونشأت بينهما صداقة قوية استمرت مدة طويلة . وكان أبو الهدى يتقرب إلى السلطان بكثرة مايرفع إليه من التقارير المملوءة بالدس والوشاية والوقيعة . وقد جاء في أحد هذه التقارير اتهام لعباس بأنه يسعى إلى انتزاع الخلافة من آل عثمان ليستأثر بها لنفسه فنشأ جفاء شديد بين السلطان عبدالحميد وعباس . واعتقد الخديو أن البكرى لعب دورا هاما في هذا الموضوع ، فهو صديق حميم لأبى الهدى ، وكان في استطاعته أن يقنعه بالعدول عن هذا المسلك . فما دام لم يفعل ذلك ، ومادام محتفظا بصداقته لأبى الهدى عدو الخديو ، فلابد أن تكون له يد

فى تلك الوشايات . هذا مع ان البكرى كان قد ذكر فى حديثه مع مراسل صحيفة نيويورك هيرالد بالقاهرة والمنشور فى المؤيد بتاريخ (١٨٩٣/٤/١١) مانصه : « **اما فيما يختص بالاوهام الشائعة عن انشاء مملكة عربية فالذى أعلمه من ذلك أن الانجليز قد افتكروا فى هذا الأمر من قبل . وانصار هذا الرأى ميالون لجعل مكة المكرمة عاصمة لهذه المملكة لكونها قبلة المسلمين عامة إلا ان هذه الافكار لم تسبق إلى اخلاد المصريين ولا يهتمون ان يخطروها على البال . وليست بشئ من اميالنا على كل حال** » .

وشاية ضد البكرى

اشتد حقد عباس على أبى الهدى الصيادى فسعى إلى الايقاع بينه وبين البكرى . وكان أبو الهدى يعمل على نشر نفوذه الأدبى فى جميع أنحاء العالم العربى ومن بينها مصر . فأرسل فى سنة ١٨٩٥ رجلا اسمه محمد كمال الدين للقيام بهذه المهمة . وقد أصدر هذا صحيفة اسمها « القاهرة الحرة » كان ينفق عليها أبو الهدى ، واستأجر بعض الصحف الصغيرة . وكل هذا لنشر الدعوة لشيخه ومحاربة العثمانيين الأحرار الهاربين من وجه السلطان . وكان محمد كمال الدين قد استصدر تصريحا من البكرى بانشاء طريقة صوفية سماها الطريقة الخرامية . وشرع يعقد الاجتماعات ويقيم الحضرات وحفلات الأذكار . فكتبت صحيفة المؤيد فى (١٨٩٦/١/١٢) مقالا تحت عنوان « رسل أبى الهدى فى مصر » اشتمل على طعن شديد فى الشيخ أبى الهدى ومحاولة الوقيعة بينه وبين البكرى ، ومحاولة إثارة مخاوف السلطان من هذا الرجل الشرير .

وقد لعب صاحب المؤيد الشيخ على يوسف دورا هاما فى إثارة الفتنة بين هذه الأطراف ولكن الهدف الذى من أجله كتب هذا المقال لم يتحقق ، بل ان العلاقة بين السلطان وأبى الهدى قد زادت قوة ، وكذلك بين هذا الأخير وبين البكرى . والدليل على ذلك ان البكرى مدح السلطان عبدالحميد عقب انتصار الدولة على اليونان وكان ارسالها على يد سماحة السيد ابى الهدى افندى ، فورد كتاب من سماحة الوسيط الى سماحة صاحب القصيدة ، يبشره فيه بنوال قصيدته حظ نهاية القبول والانعطاف بالامتنان .. وأن الحضرة الشاهانية ـ حفظها الله ـ أمرت أن توضع القصيدة فى المكتبة الملوكانية المخصوصة . وهو التفات يهنأ عليه سماحة السيد البكرى »

وفى شهر نوفمبر ١٨٩٧ خيّل الى عباس أن الفرصة حانت للانتقام من خصمه . فقد ظهرت فى هذا الشهر نشرات مطبوعة تتضمن قصيدة فى هجاء الخديو تحت عنوان « الصاعقة » مطلعها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد
وعود ولكن لا أقول حميد

وكان عباس قد زار بعض بلاد الوجه البحرى وقوبل مقابلة شعبية رائعة . فلما ظهرت هذه القصيدة بادر ناظر الداخلية الى ابلاغ النيابة العمومية لتتولى التحقيق . وقال الخديو للنظار : « إن كانت المحاكمة ستقف عند من طبعت باسمه مع

علم الناس اجمعين بانه ممن لايقولون شعرا ، ولايملكون قوت يومهم فلا لزوم لذلك ، وأما إذا كانت المحاكمة ستكشف الحقيقة المجهولة ويعاقب منشىء القصيدة وكان من له اشتراك فى ظهورها ، فلا بأس من الاستمرار فى طريق التحقيق » .

فأجاب النظار : « نحن نعد أفندينا بأن التحقيق يجرى بتمام الاستقلال فلا تؤثر عليه سلطة أخرى . وأما العقوبة بعد ذلك فهى من شأن القضاء وحده ، وهو يحكم بنص القانون لا محالة » .

ومن هنا نعلم ان الخديو أراد أن يتدخل فى التحقيق ويزج بالبكرى فى هذه القضية .

● قصيدة هجاء ●

استدعت النيابة مصطفى لطفى المنفلوطى وسألته فاعترف بأنه هو الذى نظم القصيدة ، ولكن المحقق ضغط عليه فاضطر الى القول بأن البكرى لما قرأ القصيدتين اللتين نظمهما المنفلوطى فى ذم الاحتلال وذم صحيفة المقطم بامضاء « عدو الاحتلال » أرسل إليه أحمد فؤاد صاحب مجلة « الصاعقة » يستدعيه إليه . وطلب منه أن ينظم قصيدة فى هجاء عباس وقدم له صدر مطلعها وهو : قدوم ... ثم كلفه بأن ينظم القصيدة على هذا النسق ، وهذه القافية ، ووعده بجائزة قدرها عشرة جنيهات له ولأحمد فؤاد . ثم نقدهما أربعة جنيهات فاقتسماها . ولما فرغ من نظم القصيدة عرضها على البكرى فاستحسنها وزاد عليها بيتين هما :

عباس ترجو أن تكون خليفة
كما ود آباء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا
نكون ببطن الأرض حين تسود

ثم ذهب هو وأحمد فؤاد وطبعا القصيدة فى مطبعة الخيامى .

وقد استدعت النيابة أحمد فؤاد وسألته عن القصيدة وكان قد ادعى انه هو ناظمها . فأخبره المحقق بما اعترف به المنفلوطى عن البكرى . فنظر أحمد فؤاد إلى المنفلوطى شزرا وقال له : « تبا لك من خائن مارق » . فألحت عليه النيابة حتى اعترف تحت التهديد ، وذكر ان البكرى هو الذى أغراه وقال كما قال المنفلوطى : فأمرت النيابة بحبسهما احتياطيا .

وقد أراد المنفلوطى أن يثبت ماقاله عن البكرى فأبرز مسودة القصيدة التى نظمها هذا الأخير مهنئا فيها السلطان عبدالحميد بانتصاره على اليونان سنة ١٨٩٧ ، مدعيا أن ذلك يؤكد وجود العلاقة بينهما .

وقد اهتم الناس بأمر قصيدة الهجاء ، واشتغل النساخ بكتابتها وبيعها . ثم دعى البكرى إلى النيابة وسئل عن حقيقة ماجاء فى أقوال المنفلوطى وأحمد فؤاد ، فأجاب إن هذا هزؤ وسخرية بالناس ودسيسة لفقت علىّ تلفيقا سخيفا . أما أنا فلا أعرف المتهمين ، ولا رأيتهما قط ، ولا بينى وبينهما أدنى علاقة . فجىء بالمنفلوطى من السجن مقيدا بالأغلال فى مواجهة البكرى فأقر بأنه لم ير هذا الأخير قط ، ثم جىء بأحمد فؤاد فقال انه رآه منذ خمسة أشهر ، ولم يره بعد تلك المرة إلا حينما كلفه بنظم القصيدة .


مصطفى كامل


احمد عرابى


اللورد كرومر

فقال البكرى : إنه لا يتصور مجنون فضلا عن عاقل أن صعلوكا مثل هذا يعترف أنه لم يرنى إلا مرة واحدة ، وصفته أنه يملأ الجرائد كل يوم بقوله إن الباشا فلانا أعطانى كذا لأشتم فلانا ، والآخر أغرانى بكذا لأطعن على فلان ونحو ذلك ثم أكلفه عملا رسميا هو الجناية الكبرى على أمير البلاد ليعمله تحت اسمه وأشارك فيه رجلا آخر يعترف أنه لم يرنى ولم أره قط ، وصفته أنه عدو الاحتلال . وهذا الخطر وهذا الاقدام على ذلك الأمر الفظيع هو لمجرد نظم قصيدة مع أن نظم الشعر أسهل شيء عليّ . وعندى من الأصدقاء الأخصاء أكثر من عشرين يقولونه . وما المعنى من نظمى شطرا أو بيتين من قصيدة ، ثم استعين بأجنبى لا أعرفه ولايعرفنى على اتمامها ، فهذا كلام لايتصور فى اليقظة بل فى المنام .

ثم تبين كذب أحمد فؤاد فى تحديده لليوم الذى قابل فيه البكرى إذ كان هذا الأخير قد أدب فى ذلك اليوم مأدبة لجماعة من أصدقائه فى منزله بالعباسية ، ولم يكن موجودا بالخرنفش . ولكن اتضح من سير التحقيق أن النيابة تريد أن تزج البكرى بين المتهمين فى هذه القضية ، فأرغم النائب العمومى حمد الله بك أمين على تقديم استقالته ، وعين بدلا منه المستر كوربت نظرا لمعرفته باللغة العربية . وعلى اثر ما حدث للنائب العمومى ظهرت نشرات مكتوبة بخط اليد جاء فيها :

ياأهل مصر تيقظوا من نومكم
وتفكروا ياقوم فى نوم العزيز
وابكوا على مصر السعيدة واندبوا
فوزيركم قد باعها للانجليز

وعليها توقيع « جمعية انقاذ الوطن » وكانت ملصقة على الأبواب والجدران فى الشوارع والأزقة والحارات .

ووجدت نشرات أخرى مكتوبة بخط اليد أيضا ومما جاء فيها : يا أهل مصر ، أين

النخوة العربية ؟ أين الجمعية الوطنية ؟ إلى متى أنتم سكارى وقد أصبحتم حيارى ؟ أفيقوا من النوم أيها القوم. وتلقى النظار تهديدهم بالقتل إن لم يخرجوا الانجليز من مصر خلال أربعة أشهر. وهذا نص ماجاء فيها « أيها النظار الفجار، والرؤساء الأشرار، طالما ارتكبتم المظالم، ودرستم المعالم وخربتم البلاد وأفسدتم العباد، وهدمتم المجد حيث لا أب لكم فيه ولا جد، وقد تحدد لكم أربعة من الشهور تجمع، إما أن تعملوا على اجلاء الانجليز من البلاد، وإما إجلاء أرواحكم من الأجساد ».

وأخذت صحيفة المؤيد تبكي وتنوح على استقلال القضاء الذى اعتدى عليه الانجليز، وتطعن على البكرى طعنا قبيحا. وتناولت موضوع القضية بعض الصحف الأجنبية المعادية للانجليز وكانت المؤيد تنقل مقالات هذه الصحف وتنشرها. مثال ذلك مانقلته عن صحيفة الكوريه د يجيبت الألمانية وهو: « ... ذلك أن رجلا خائنا لوطنه ولأميره ـ كما يوجد فى كل البلاد، وصديقا للانجليز ـ أوعز لأحد السوقة مقابل بعض دراهم أن ينشر باسمه قصيدة ملأها بالمطاعن الساقطة ضد سمو الأمير عقب سياحة سموه الأخيرة التى قوبل فيها من أهالى الوجه البحرى أجمل وأجل استقبال ... وقد أراد محب الانجليز الذى نشير اليه ان يبرهن لمحتلى بلاده على إخلاصه لهم فكتب هذه القصيدة مع رجل سافل مثله ».

وقد رأت النيابة ان التهمة غير متحققة بالنسبة للبكرى فلم تقدمه للمحاكمة.

وقد نظرت هذه القضية أمام محكمة السيدة زينب الجزئية فى (١٨٩٧/١٢/٤) ورفض المحامون الدفاع عن المتهمين مجاملة للخديو واكراما لخاطره. ولما سئل المنفلوطى أمام المحكمة قال: ان القصيدة خالية من العيب، وانه مأجور على نظمها، فكما برأت المحكمة الخيامى لأنه استؤجر على طبعها، يجب ان تبرئه لانه استؤجر على نظمها، ولو لم ينظمها هو لنظمها سواه وأنه شديد التعلق بالحضرة الخديوية ومخلص فى ولائه، والدليل على ذلك أنه نظم قصيدة يمدحها بها فى يوم عيد مولدها قبل رجوعها إلى العاصمة بقليل. وأنه لولا حسن آدابه لأذاع السر الخفى الذى أوجب نظم القصيدة وطبعها.

لم تأخذ المحكمة بدفاع المنفلوطى فحكمت عليه بالحبس لمدة سنة وغرامة قدرها مائة وخمسون جنيها وعلى أحمد فؤاد بالحبس سنة كذلك وغرامة ثلاثة آلاف قرش، وحين عرضت القضية أمام محكمة الاستئناف خفضت مدة السجن لكل منهما إلى ستة أشهر.

وقد جاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٨٩٧ مانصه:

« توالى على منصب النائب العمومى محاميان وطنيان فى الأربع سنوات الماضية، ولكن مجرى الأعمال فيه لم يسر نظارة الحقانية، فان النيابة العمومية التى تنوب عن الحكومة فى البلاد لم تكن ادارتها كما يجب، بل كان يرد على الحكومة من حين إلى آخر تقارير لاترضى

عن سير الأعمال فى النيابة . وحدثت فى الشتاء الماضى حادثة اكتفى فى وصفى لها بأنها قاضية بوجوب ادخال التغيير حرصا على المصلحة العامة ، فعين المستر كوربت نائبا عموميا نظرا الى خبرته فى القضاء وحسن معرفته للعربية . ان ماجرى يدل على ان تقليد المصريين لهذا المنصب جاء قبل أوانه » ! ! !

وكان المنفلوطى مقيما ببلده بعد أن امضى عقوبة الحبس ، فلما اطلع على ماجاء بصحيفة المقطم من تقرير كرومر ، كتب الى الصحيفة المذكورة رسالة نصها :

« اطلعت بعدد أمس فى تقرير جناب اللورد كرومر المنشور بالمقطم على نبذة تتعلق بالنائب العمومى السابق وعدم صلاحيته لتولى هذا المنصب ، وحيث إنى أخبر الناس بحقيقة تلك القضية التى أحدثت ذلك التغيير فأقول :

« إن حمد الله بك النائب العمومى ومحمد بك صالح وكيل النيابة كانا فى اعتقادى أعلم الناس ببراءة السيد البكرى من تهمة اشتراكه بقصيدة الهجو ، كما أنهما ظهرا أحرص الناس على الصاقها به بأية واسطة كانت طلبا لمرضاة من لايرضيه الا مس شرف السيد المشار اليه . والله اعلم كيف امكنهما حملنا على وضع امضاءاتنا على تلك التلفيقة ، الأمر الذى يعار على الأمة المصرية وجوده فى قضاتها .

وانى افتخر ان قضيتنا هذه كانت السبب فى كشف حقيقة عظيمة ربما كانت تبقى مجهولة مدة طويلة فينشا عنها من الخلل ما لا يعلمه الا الله . واتوسل الى البارى - سبحانه وتعالى - ان يتولى الأمور من يصلح لها ، وتنقشع عن جو مصر بقية تلك السحابة المظلمة فتنجلى عن شمس العدالة يشرق ضياؤها ويسطع بهاؤها .

منفلوط فى ١ يونيو سنة ١٨٩٨

امضاء : مصطفى لطفى

● منطق ... ●

● ادعى أعرابى النبوة ، وزعم ان معجزته أن يضع حصاة فى الماء لتذوب ، فأمر الوالى باحضاره ، وطلب منه أن يصنع أمامه تلك المعجزة ، فأخرج الرجل حصاة كانت معه ، وألقاها فى إناء به ماء ، فذابت فيه . ولكن الوالى لم يقتنع بذلك ، وقال له : نعطيك حصاة من عندنا . فرفض الاعرابى ذلك قائلا :

- لستم أعظم من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى . وقد علمتم ان فرعون لم يقل لموسى حين ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى : لانرضى بعصاك وانما نعطيك عصا من عندنا ! ! .

• قصة •

انتظار

بقلم : جمال الغيطانى
ريشة : حلمى التونى

.. توقفت مرات خمس ، سلم مرهق ، كأنه لن يؤدى الى طابق تال ، مع أن العيادة تقع فى الطابق الأول ، المبنى قديم ، لم أتقن استخدام العصا بعد ، أدفع بها الى الوراء بينما ساقى الى الأمام ، أو أثبتها فى الوقت الذى أخطو فيه ، داخل ساق يتمدد لهب مُحمى ..

اللافتة سوداء قديمة ..

حروف عتيقة ، متآكلة اسم الطبيب فقط ، ما من تخصص مكتوب ، أو درجات علمية ، أكدوا لى فى المؤسسة أن اسمه معروف ، والبعض يصفه بأنه الطبيب الأول فى مصر ، المتخصص فى علاج الأوعية الدموية ، تنشر الصحف أخبار سفره لحضور مؤتمرات علمية ، وملخصات الابحاث التى توصل اليها ، قيل لى أن بعضا من اثرياء العرب يرسلون طائراتهم الخاصة اليه ، يقلع فى الصباح ، يوقع الكشف ، يرجع فى نفس اليوم ، أمره مفروغ منه ..

إنى قلق ، إذ وصلت متأخرا عن الموعد المحدد بخمس دقائق ، حذرنى الممرض من التأخير ، وأكد لى أن العجز سيلغى إذا لم أصل قبل الميعاد المحدد ، أعددت مايجب قوله ، سكنى النائى ، إزدحام المرور والمى الذى يبطىء حركتى ، عندما ولجت المدخل فوجئت بالممرض يقف ، كأنه كان يصغى إلى صوت خطواتى . إنه يدس يديه فى جيبى سترته ، يتطلع إلى الفراغ ، يتجاوز بعينيه ، ملتح ، عريض الفك والوجنتين ، يغطى رأسه بطاقية من القطن الأبيض .. يقول ، « فعلا ، إنت تأخرت ، لكنك محظوظ .. الدكتور لم يصل بعد .. »

ارتياح وقلق ، خشيت الغاء الكشف ، أما قلقى فلرؤيتى المنتظرين ، مامن مقعد شاغر ، بعد أن دون اسمى ، لاحظت أن رقمى الثالث والعشرون ، يعنى .. لو وصل الآن ، لو أن متوسط ما سيقضيه مع كل مريض عشر دقائق ، سألتقى به بعد مائتين وثلاثين دقيقة . أربع ساعات ! أخشى ألا أتحمل وجع ساقى التى ستبقى مدلاة فترة طويلة . من الأفضل مدها الى أعلى ، هكذا نصحنى طبيب المؤسسة

انتظار

انى أعمل بها ، لكن أنى لى بمقعدين ؟ ، زحفى البطىء وألمى البادى لم يلفت أنظار أحد ، الكل مرضى ، لكن يبدو أانهم اجتازوا المراحل الأولى . هل كان ضروريا ان أكون راقدا الأن ؟ هل اخطأت اذ جئت بمفردى ؟، عبرت الصالة الى الغرفة الجانبية ، تطل على الطريق ، مروق العربات ، نداءات بعض الباعة أو المارة ، أريكة قدرت انها تتسع لأربعة ، عليها ثلاثة ، اتجهت دابا بعصاى ، تطلع احدهم . افسح لى . بقى الأخران جامدين .. "شكرا" ، اسندت ظهرى الى ماتيسر لى من المقعد العتيق ، منخفس الحشايا ، "آه" وخزنى ألم حاد ، عندما عبر اعتدلت ، اواجه امرأة تعصب رأسها . بمنديل ابيض ، فستانها اصفر منقوش بدوائر خضراء ، رجل يرتدى جلبابا بنيا ، متورم القدمين ، حجمها كئيب ، خارج عن المألوف ، ربط اليهما عداسا مسطحا ، على الجدار الأيمن علق اطار مذهب بالى ، اضيق عينى ، قصيدة اهداها الىّ الطبيب العبقرى محمود امين ناظر جراج الشمال شكرا وامتنانا بعد نجاح العملية الجراحية ، المرأة مستمرة فى التطلع الىّ .. هل تحاول التثبت من ملامحى ؟ أم ترثى لتعبى الواضح ؟ نظرات الأخرين تحدق بى ، انا القادم الجديد ، الحدث الطارىء بالنسبة اليهم ، شاب نحيل جدا ، يمدد ساقه متخذا وضعا يماثل وضعى ، لكنه لا يقبض عصا ، امرأة قصيرة ، بدينة ، حضورها امومى ، اصابعها متشابكة ، انها فى المقعد الأقرب الىّ ، تذكرت أمى !

رجل ذو سمات جادة ، يمسك مظروفا أصفر تطل منه أوراق بيضاء ، يحملق فى السقف . فوقه لوحة تتوسطها آية قرآنية كتبت بحروف مذهبة فى لوحة مجاورة على أرضية سوداء . الجدران مرتفعة ، الطلاء حال لونه لقدمه ، فى الركن القصى عنكبوت ضخم اسود نسيج بيته لما تراكم عليه من غبار ودخان ، تتطلع المرأة البدينة عبر الباب ، انها قريبة يمكنها رؤية الداخل والخارج ، اتساءل :

● هل جاء الدكتور ؟

● لا ..

تختلج الأوردة اختلاجات متوالية ، كأن ثقل ساقى يتزايد .

● من عادته التأخر ؟

تقول المرأة مرتدية الثوب الأصفر :

● يجىء عادة مابين السابعة والثامنة ..

يقول شاب قصير ، أصلع تماما ..

● السابعة ؟ لا يمكن أن يدخل العيادة قبل صلاة العشاء. ..

تتطلع الىّ ذات الثوب الاصفر ، تقول ..

● فى الأسبوع الماضى ، فى مثل هذا اليوم ، وصل السابعة الا ربعا ..

يلوح متورم القدمين بيده ..

● لا مواعيد ثابتة له ..

الاختلاجات تصبح وخزا ، الم غريب ، كريه ، غير مسبوق ، واشد الآلام ماكان مجهولا ، غريبا ، لم نعرفه . لو خبرناه ، لعرفنا مداه ، هذا لم أعانيه من قبل ،

يتحدث متورم القدمين ، لا يوجه حديثه الى أحد ..

● ربما يجيء فى الثامنة ، أو التاسعة ، فى الأسبوع الماضى ، يوم الأربعاء ، جاء بعد منتصف الليل ، كان المرضى قد بدأوا فى الانصراف ، قابلهم على السلم ، عادوا وكشف عليهم ..

اقول :

● اذا كان يجيء متأخرا ، فلابد أنه ينصرف متأخرا ..

تنظر الىّ المرأة البدينة ، تبدو مشفقة ، كأنها تتساءل عما أعانى منه ، عما اقاسيه ، تقول :

● لا .. انه لا يطيل الكشف ، لا يحب الكلام الكثير

لا يسأل عن الاسم ، أو الاصل ، أو الفصل ،

لا يثرثر كالآخرين ..

تبدو سخرية على ملامح الرجل متورم القدمين ، يستمر محدثا ، محملقا الى السقف ..

● حديث .. أى حديث ؟ انه لا يتبادل كلمتين حتى مع المريض ، احيانا لا يسأل عن المرض . ينظر الى الداخل عليه فى لمح البصر يعرف سر الوجع ..

المرأة البدينة ترفع كفيها ..

● الله يعمر بيته ، الله يخليه . والله أعرف كثيرين اعاد اليهم قيمة الكشف بعد أن عرف صعوبة أحوالهم .. فجاة ، اشعر بمن ينظر الىّ ، التفت الى الصالة ، انه الممرض ، يقف قرب الباب ، يداه وراء ظهره ، يتطلع الىّ ، احيد ببصرى ، ويجتاز المدخل ، على مهل يتجه الى النافذة ، انه اطول قليلا مما رأيت عند وصولى ، عنقه غليظة ، اثق ان الطاقية تخفى صلعا مكتملا ، استدار ناحيتى ، يتطلع الى الوجوه التى صمتت ملامحها ، هل يبحث عن شيء ما ؟ هل يتفرس ، هل يستوثق أمرا . يخرج متمهلا ، يدركنى قلق خفى ، ذو الشعر الأبيض يعود الى تقليب الجريدة ، عليه سمات ترفع وانفة ، لم ينظر الى أى من الذين تحدثوا ، بين لحظة وأخرى يعدل وضع المظروف الأصفر ، ساقى الآن اثقل ، صوت خطى سريعة فى الصالة ، هكذا يدخل الاطباء اى حجرات الكشف غير ملتفتين الى المرضى ، فى أعقابهم يسرع الممرضون ، يعدون القهوة قبل بدء الكشف . اتساءل ..

● جاء ؟

تهز المرأة راسها نفيا ، لم أدر كم مضى من الوقت قبل ان اتساءل ..

● بعد وصوله ، هل يستدعى المرضى مباشرة ؟

تومىء ، لا تنطق ، انها متقدمة فى العمر ، تبدو مهمومة ، لا أظن أن أحد الجالسين سيخطر له اننى التمس سبلا للحديث اليها ، ألمى بادي ، يدركه الناظر الىّ ، اشير بيدى اليسرى غير الممسكة بالعصا الى الحجرة المغلقة .

● هل يكشف على المرضى هنا ؟

لم يجبنى أحد ، بعد لحظات قالت المرأة البدينة ، اومية الحضور ..

● منذ عشر سنوات كان مكتبه امام هذا

انتظار

الباب مباشرة ، لكنه ازال الجدار الفاصل بين الحجرتين ، وسع حجرة الكشف .. وسع الله عليه دنيا وآخرة ..

اتساءل

● الا يتصل تليفونيا عندما يتأخر ؟

يلتفت الىّ الاشيب ، المترفع ، لأول مرة يرفع عينيه عن سطور الصحيفة .

● يتصل ؟ من هو الذى يتصل ؟

يبدأ حديثه متمهلا ، يتجه الىّ مباشرة كأنه ينوى وضع حد لتساؤلاتى ..

● انت فى عيادة طبيب لا مثيل له فى مصر ، عالمى ، والهيئات العلمية تسعى اليه .. هل تعرف ذلك ؟

أنفى علمى بهز رأسى .

● الاسبوع الماضى ارسلت الجمعية الطبية فى ميلانو تستشيره فى حالة مستعصية ، الم تقرأ هذا فى الصحف ؟

كدت أهم مجيبا بالنفى ، لكنه واصل ..

● طبيب مثله يعتذر .. لمن ؟

الشاب مرتدى القميص الابيض

● انه يتأخر لانشغاله فى عمليات دقيقة ، يجرى العمليات فى عدة مستشفيات ، ربما يرى حالة عاجلة ، ربما ينقذ مريض الآن يشرف على الموت .. ونضيق نحن أو نتململ لأنه تأخر ساعة أو اكثر ؟

لم يفتنى غمزه لى . التفت ، الممرض يقف عاقدا يديه اما صدره ، منفرج الساقين قليلا . ارى علامة السجود تتوسط جبهته ، كيف لم الحظها الا الآن ؟ مع انه يقف فى ضوء أقل خفوتا ، الرجل الاشيب يواصل حديثه ، كأنه لم يصغ الى احد ، الاحظ اتجاه نظراته الى الممرض ..

● أمير عربى .. لا داعى لذكر اسمه ، اعتاد ان يرسل اليه طائرته الخاصة ، مرة دعاه لقضاء عدة ايام فى قصره ، انا أعرف قصر الأمير .. جنة الله فى أرضه ، لكنه اعتذر بلطف قال ان مرضاه فى انتظاره ..

المرأة البدينة مرتدية السواد ..

● الله يعمر بيته ..

اسمع خطوات ، انها بطيئة ، مرضى جدد ؟ ربما ، باب يفتح ثم يغلق ، تتطلع الى ذات الفستان الاصفر . يكمن فى ملامحها جمال عتيق صاف ، هفا علىّ نسيم عشق قديم هون من قيظى المحدق ، ادرك الى أى حد يمضى العمر مسرعا ..

● جاء ؟

تهز رأسها نفيا ، الرجل الأشيب يمسك المظروف الأصفر ، يعلو صوته ، ينظر باتجاه الباب ، هل يحرص على اسماع الممرض ؟

● من يعرف انه صائم منذ تسعة شهور ؟ يفطر يوميا بعد الغروب ، واحيانا فى غرف العمليات ، يكتفى بكوب ماء ، ثم يتناول افطاره بعد العملية ..

المرأة البدينة

● يقولون انه لا يدخل غرفة العمليات الا اذا صلى ركعتين يتصاعد انفعال الاشيب ، يلوح بالمظروف الأصفر ..

● لماذا يصوم منذ تسعة شهور ؟ بالضبط منذ موسم الحج الماضى ؟ ، انا اقول لكم .. سيادته اعتاد الحج كل سنة ، وهو

الآن ـ بالمناسبة ـ يستعد للسفر ، انه يحج على نفقته ، واثناء الحج يقيم عادة بجوار الحرم المكى ، يكشف على الفقراء مجانا .. اى والله مجانا !

امرأة ضامرة ، قصيرة ، تجلس قرب النافذة ، تعدل وضع طرحتها ، تتنهد امن الم كامن أم إعجابا بما تسمع ؟

● فى العام الماضى اصطحب معه ولديه وامرأته للحج ، حدث أن تاه ولداه فى الزحام عند قضاء الليل فى منى ، احدهما صغير لم يبلغ العاشرة ..

برغم ألمى المتعاظم ، أتساءل ..

● اذن .. هو ليس كبيرا فى السن ؟

لا ينظر الشاب الىّ عندما بدا فى صوته تهكم خفى ، كأنه يردد أمرا معلوما ..

● عمره اربعه واربعين ..

اقول :

● ياه .. انه صغير ، وهذه الشهرة كلها .. يرد رجل عجوز لم الحظ وجوده الا الآن ..

● عبقرى !

المرأة البدينة ..

● لا يرد فقير ابدا ..

يواصل اشيب الشعر ، كأن احدا لم يتحدث ..

● لم يجزع ولم ينهار ، أمر زوجته بالكف عن البكاء ، وقبل ذهابه الى البوليس ، لاحظوا انه لم يلجأ الى معارفه .

وهم على اعلى مستوى ، قبل ذهابه نذر على نفسه ، لو انه عثر على ولديه سيصوم









عاما كاملا ، بعد ساعات ، مجرد ساعات ، عثر عليهما .. واين ؟ اين تظنون ؟

يجيب اكثر من صوت

● اين ؟

يثقل الالم ساقى ، كان جوالا من الرمل الساخن شد اليها ، لا أقدر على الجلوس ، اقوم على مهل . منحنيا متكئا على عصاى ، ازحف باتجاه الباب ، دوار وخفق قلب ، وسوء حظ ، واسى على ما حل بى ، بمجرد اجتيازى الباب ، بدون أن يتقدم احد لمساعدتى ، افاجا بالممرض يقف امامى انه ضخم ، ممتلىء صحة رغم تقدمه فى العمر ..

● الى اين ؟

● هل سيتأخر ؟

● قطعا سيجيىء

● ارجوك ، لا اقدر على القعاد ..

يقول بصوت غاضب ، ارجعنى

● ارد الكشف ؟ سبعة عشر عاما انقضت على هنا ، لم يطلب احد ماتطلبه .. أغالب ألمى حتى احاوره

● الم تحدد لى موعدا فى الخامسة ..

● يبدو ن الأمور لا تعجبك ..

يتسع جوال الرمل الساخن المشدود الى ساقى ..

● انا مريض ، لا اقدر على القعاد وعندى ...

نصدم وجهى قوة هائلة ، افقد الرؤية لثوان . اعود الى الغرفة منبطحا على ظهرى ، بينما يقف الممرض منفرج الساقين ، ضاما قبضته ، متأهبا للكمى مرة أخرى .. »

لغويات

● تنشر الصحف في الاونة الراهنة اخبارا كثيرة عن جرائم « الرشوة » .. وتحرص الاذاعة على كسر الراء في كلمة «الرشوة» .. مع ان فتحها ايضا صحيح وكذلك ضمها .. ويبدو ان مجال الرشوة واسع في اللغة كسعته في شئون الاخذ والعطاء الآن ، لاحقاق الباطل وابطال الحق ! ..

● سمعت احدهم يقول : « .. اعطاهم حفنة من المال » .. ينطق « حفنة » بضم الحاء .. والصواب فتحها ، لان الحفنة ـ بضم الحاء ـ هي الحفرة التي يحفرها السيل او المطر في الارض ، أما حفنة اليد او اليدين فانها بفتح الحاء ، وهي ما يملأ اليد او اليدين من دقيق او حنطة او ارز او نقود او غيرها ..

● يقول المطرب محمد عبد الوهاب في احدى اغانيه : «الدنيا حليت في عيني » ويقول ذلك غيره ايضا من المطربين والمطربات في اغانيهم .. وكان بعض معلمينا قديما يضربون على كلامنا بالحبر الاحمر اذا كتبنا : « حليت الدنيا .. او « يحلى هذا المنظر في عيوننا » .. ويقولون لنا الصواب : « حلت الدنيا » بفتح الحاء واللام .. و « يحلو المنظر » .. ولكن ما كنا نكتبه لم يكن خطأ .. يقول اهل اللغة : « حلى الشيء بقلبي وعيني .. يحلى » .. كما يقولون : « حلا .. يحلو » .. كلاهما صحيح .. وقول العامة : « حلاوة المولد» قول صحيح ولا عبرة باصرار بعض المتأدبين على قولهم : « حلوى المولد » .. ونقيض الحلاوة .. المرارة ، ونقيض الحلوى .. المرى .. بضم الميم وفتح الراء وتشديدها .. وليست « المرة » كما يقول بعضهم بتاء « مربوطة » في آخرها ..

● نبهنا القراء الذين يكتبون الينا الا يكتبوا كلمة « الراسل » .. لانها كلمة غير صحيحة اذا اريد بها « المرسل » الذي يرسل الينا رسالته ، ولكن بعض الخطابات مازالت تصل الينا وفيها : «الراسل فلان » .. وانما « الراسل » هو الكتف او عرق في الكتف .. و « الراسلان » هما الكتفان ، او عرقان في الكتفين ، فنرجو ممن لايزال يكتب كلمة « الراسل » ان يستبدل بها كلمة « المرسل » .. وشكرا له ..

● يكثر في هذه الايام قولهم . « فلان يبذل جهدا كبيرا » .. بفتح الجيم في « جهد » .. وانما « الجهد » بالفتح هو « التعب » .. وينبغي ان يقال : « يبذل جهدا » بضم الجيم .. اي يعمل ما في وسعه من العمل ، ولا داعي لاهدار الفرق الدقيق بين الضم والفتح في هذه الكلمة ، وان كان الفرق بينهما قريبة من قريب ، والناس احرار فيما يختارون من الكلام ..





بقلم : عبد المنعم الجداوى

*** الجريمة فى ادب ((ديروط الشريف)) الشهير بمحمد مستجاب الفائز جائزة الدولة .. جريمة تحمل طابعه .. طابع البيئة التى ما زال يعيش فيها .. ويحملها بين جوانحه . خائفا مضطربا .. مفزعا من القاهرة . ومرعوبا من ان يقول الحقيقة ، ويعلن عن المجرم الحقيقى ... فتقتله رصاصة ضريرة . منطلقة من يد مجهولة ، ورغم انه يعرف الفاعل . فانه يوشك ان يكون الشاهد الوحيد . الذى عاين بكل جوارحه ، وليس بعينيه فقط .. عاش المجرم وهو يرتكب كل جرائمه المادية ، من قتل وخطف ، وهتك عرض ، وسرقة مواشى مع استعمال السلاح ، وجرائمه المعنوية الاخرى. التى يخرس فيها السنة قرية باكملها .. فيحول جيلا باكمله الى بكم. يتعاملون بالاشارة ، وبعدان كانت القرية تتاجر فى المحاصيل التى تنتجها الارض .. اصبحت تتاجر فى بيع اعراض بناتها ، وضاعت حبالهم الصوتية ، ولم تعد لهم لغة ، وسقطت الاسماء ، وفقدوا كل ما ينادى عليه او ينادى به !!!

■ مستجاب متهم بالتستر على المجرمين ومشاركتهم جرمهم !

■ لا يكشف عن الفاعل ... وكأنه يخاف أن يتعقبه !!



فبين ان مستجاب الفنان صاحب المجموعة القصصية (ديروط الشريف)، ومجموعات اخرى ، والرواية القصيرة الطويلة (التاريخ السرى لامين عبد الحافظ) وهى التى حصل بها على جائزة الدولة .. هذا العملاق مازلت اراه رغم ملابسه الحضارية . بقميص الفلاح ، وسرواله الكبير والمنديل المحلاوى . يشد رأسه والقلم فى يده لا يزيد على فاس خشبية السلاح .. تحرث الارض فى قوة ، وتخلع قلبها ، وتقلبها رأسا على عقب ..!

وهو يغدو ، ويروح فى القاهرة حاملا بلده (ديروط الشريف) على كاهله . بكل بيوتها التى من الطين ، واكواخها التى من الصفيح ، والبوص، وسواقيها الخربة ، ونخيلها الذى لم يعد يثمر من اعوام ، وخراباتها التى يلعب فيها الاطفال ، ويأوى اليها بعض الاشقياء .. يفترسون فيها نسوة من الغجر .. ثم يزعمون للناس ان العفاريت تسكنها ليلا . حتى يأمنوا المفاجأة ، وعذاب (مستجاب) انه يسير بحمله فى ازقى شوارع «القاهرة» .. فهو يسكن الهرم ، ويمضى سحابة يومه فى حى المهندسين بالجيزة ، ويهرب من حديقة الحيوان بالجيزة .. ليجلس على مقهى (ريش) فى قلب شارع طلعت حرب ، وعلى المنضدة امامه كل اشخاص قصصه من اشقياء الصعيد ، وصعاليكه .!

وهو فى كل هذا خائف يترقب .. على يقين من ان المجرم الذى لوح نحوه او اشار اليه بعبارة او جملة . سوف يطارده ليأخذ منه بثاره . فيختفى خلف مكتبه . كانه يختفى فى حقل من حقول القطن ..!

ففى قصة « امرأة » فى مجموعته (ديروط الشريف) يقول (تماما كما ان فى كل قرية مبيض نحاس وناظر

الجريمة وأدب محمد مستجاب

مدرسة ، وشيخ خفراء ، وعمدة . ولصا ، ومطبل زار ، وتاجر شيح ، واماما ، وقسيسا ، وسمسار بهائم ، ومأذونا ، وغازية وبيتا مشبوها ، ومجبر كسور ، ونجار سواقى ودابة ، وسقاء ، وحلاقا .. فأيضا لكل قرية قاتل مأجور . يهتم بها ، وتهتم به) .

وهو يسوق هذه النبذة فى قلب القصة القصيرة « امرأة » بعد أن يروى كيف كانوا حول بقرة عمه التى تجهض ، وتشعب الحديث بين الرجل الذى يعمل قابلة للبقر والجاموس .. وهو معلم « بفتح اللام » من معالم القرية ، وانتهى الى انه يقسم بالايمان المغلظة .. ان القرية لم يعد بها رجال .. وحينما يسألونه لماذا ؟. يقول لان السيدة « ن » التى تمشى تهز القلوب بجمالها ، وتستفز بقايات الرجولة القابعة فى أجساد الرجال والشيوخ ، ولا تتورع عن اقامة علاقة مع أكثر من رجل فى وقت واحد ، وتستقبل فى بيتها الاغنياء ، والكسارية .. وتلك الناس الذين ماتوا بسببها أو غرقوا أو احترقوا أو طاردتهم رصاصة كانت تحمل على غلافها اسم من اقتحمت جسده .. هكذا يقولون . !

ولا يفصح « مستجاب » عما وراء ذلك .. لكنه يلمح فقط ، ويكشف عن رغبات الرجال فى نيل تلك المرأة ، وحقد النساء عليها . لانها تخطف منهم رجالهن .. وينتهى الحديث بأن يصرخ الاعور ، وهو أحد رجال القرية انه على استعداد لان يدفع خمسة جنيهات لمن يخلص القرية من شرورها ، ويتحمس مولد البقر ، ويعلن تنازله عن ثمانية جنيهات ، ويتململ ثالث أعضاء جسده يكشف عنها ثوبه المهلهل .. انه يتبرع بجنيهين ، وترتفع حرارة الجلسة حول البقرة التى تتعثر فى الولادة ، وتعلن زوجة العم صاحبة البيت والبقرة ، انها تنذر نصف ما تملك من ارانب ، وتطبخ ملوخية تقدمها لكل القرية يوم أن تتخلص القرية ويتعهد مولد البقر بأنه سوف يكون همزة الوصل بينهم ، وبين القاتل بالاجر رجل القرية الهمام السيد « م » . وهكذا ، فى بساطة شديدة ، وبلاتوتر أو اضطراب تم الاتفاق الجنائى على قتل السيدة (ن) ، وجمعت النقود . وذهب القاتل المأجور مزهوا .. تنظر اليه عيون القرية فى اكبار .. !

● جريمة لم تتم ●

ثم يضع « مستجاب » النهاية كاتبا فى العصر ذلك الوقت الذى لا تميل فيه الى قتل احد ، وشمس آخر النهار صفراء واجمة باردة وأشعتها تمسح كابة أعالى البيوت . انشق أفق القرية وانفتحت عيونها انزعاجا فاصطك خيالها بمخلفات الخرائب . شق الكون صراخ رهيب ، وانفرجت نافذة . رواق السيدة «ن» فى عنف ، وانقذف منها القاتل المأجور . ساحبا خلفه الصرخة الطويلة الممطوطة ..) .

وتجمع الناس حول الجثة المكومة . تلفظ آخر انفاسها . لكن واحدا منا لم يستطع ان يرفع بصره الى نافذة السيدة « ن » وكانت تقف على السطح صامدة شامخة ، وعارية تماما ، وكانت تنظر الينا مبتسمة فى احتقار) !

انتهت جريمة محاولة قتل السيدة « ن » والشروع فيها نهاية غريبة . قتل

القاتل ، وبقيت المتفق على قتلها .. عاشت ـ المرأة العار ـ التي فشلت القرية في الخلاص منها .. ولم تذبح زوجة العم الارانب .. وظلت القرية بلا رجال . كما قال مولد البقر ...!!

ويتركنا « مستجـــاب » حيارى . لا يجيب على اسئلتنا .. من هــذه المرأة سيئة السمعة ؟ هل قتلت وحدها، القاتل بالاجـــر ام لهـــا شركاء مــن عشاقها ..؟ وكيف تظل تبتسم وترمى الناس بالاحتقار حتى بعد ثبوت جريمة القتل عليها ، وقد تحولت من امــرأة سيئة السمعة الى قاتلة .. ؟ .. يلوذ « مستجاب » بالصمت الذى يفجر فينا الغيظ !.. هل هى الحقيقة التى ظهرت عارية آخر الامر ..؟ ولم يستطع أحد النظر اليها ..؟ أم الرمز الى كل شىء نظيف ..؟ يذكـر الناس بحقارتهم ، وخياناتهم ، وجبنهم فيودون التخلص منه . ؟ ويتآمرون عليه . لكنه يقهرهم وينتصرعليهم .. لقد صاغ «مستجاب» الجريمة بالشكل الذى يفهمه وحده مع أهل قريته ..!!

● حافة النهار ... والليل ●

هذه القصة الحادية عشرة فى هذه المجموعة ، ويضعها «مستجاب» بنفس براعته وقدرته على وصف القشعريرة فى ساعة الغـروب .. طرفا مكان ، وزمان يجول فيهما يرسم صورة دقيقة للقرية . كأنه رسام ينقل بانـــوراما للقرية ، والرجال الذين يسعون لصلاة المغرب ، والنسوة حول « الكوانين »، والمواشى العائدة من الحقول ، والحاج الذى يداعب طفله وهو أمامه عـــلى ظهر الحمار . لا ندرى اذا كان ولـــده أم حفيده . ويضحك الطفل ، ويدلله الحاج ، وفجأة (قالت عمتى نفيسة اللهم اجعله خيرا ، واضطرب الشيخ حسنى ، وارتبك وهو يقرأ الفاتحة . فدهش المصلون ، ونبح كلب،وذعرت الارانب فى جحورها ، وخبطت عمتى نفيسة على صدرها وقالت .. هــذا العيار قاتل ، وبعدها بثوان اندلع صراخ القرية ملتاع .. الحاج وطفله ضربا بالرصاص) .

مات الحاج ، ومات الطفل .. مات الماضى ، والحـــاضر ، والمستقبل .. امتدت يد المجرم الذى هو دائما مجهول عند « مستجاب » .. تقضى على روحين بريئتين .. ورغم بشاعة الجريمـــة . فهى لا تصدم عواطف القارىء الصدمة المطلوبة ، ولا تثير حنقه ، ليصوب كل قدرته الوجدانية ، والعقلية نحـو المجرم ، وجـــريمته ، وجـــذوره ، وبواعثه ، ونوازعه . ليصـــل الى حلول تحصن الجنس البشرى ضـــد هذا الوباء ، وهذا هو أدنى ما يطلب من كاتب قصة واصف الجريمـــة فى ادبه ..! فهى ليست مادة ابهار أو امتاع فحسب . يستولى بهـــا على القارىء .. كلا بل هى عنصر فعـــال اذا ما أحسن توظيفها لتطهير الانسان من نزعات همجية ، وتنقية ميـوله العدوانية من مفجراتها . كما فعـــل الكتاب الاوائـــل ، وعـــلى رأسهم « ديستوفسكى » .. والذين مضـــوا على نهجه من الشرق والغرب من كتاب الأدب ..

● جريمة عارية ●

ان الجريمة فى قرية « مستجاب » ليست فى حاجة الى مؤرخ ، بقـــدر ما هى فى حاجة الى من يعـريها ، ويكشف المجرم ذاته ، ويضـــعه امام نفسه ، وحقده ، وخسته ، ورغبتـــه العارمة فى الانتقام . التى تسيطر عليه فى غفلة من عقله . فتدفعه الى عمل يندم عليه بقية عمره . اذا لـم يدفعه ثمنا لها ...!

الجريمة
في أدب محمد مستجاب

ان الحقد ، والقهر ، والقلق عناصر تعتقل فى توهجها آدمية صاحبها ، وتطلق فى غفلة من حراس العقل حيوانيته الى آخر مداها ، فيقدم على محو أخيه الانسان ، وازالته . ولو أنه تمهل لحظة وفكر ما قتل ، ومن هنا تجيء الحسرات المرة ، وآلام الندم التى كثيرا ما تدفع بالقاتل الى الانتحار ..!

ان الاديب « مستجاب » يمهد للجريمة فى قصصه ، ويرتب لها ، ويتربص فى اصرار مسبق .. ثم يسكب النتيجة ، ويعلنها . دون ان يقول من الفاعل ، ولا لماذا وقعت ..؟ ولا يحدثنا أبدا عن البواعث التى جعلت القاتل قاتلا ، والقتيل قتيلا . يعطينا النتيجة فقط . كاننا نعيش فى قريته .. قتل الحاج وطفله .. مات حسين الجمل .. ضربوه بالبلط .. ذبحوا ولد الحناوى . اغرقوا بنت عبدالبارى الحلاق .. خنقوا الغازية .. حرقوا زوجة صانع الاقفاص .. لماذا ؟

لا جوانب .. من الفاعل .. ؟ لا يعرف .. وكأنه الفلاح العنيد الذى يعرف كل شيء — لكنه لا يجيب امام المحقق . الا بانه لا يعرف .. يخاف اذا قال الحقيقة أن ينتقم منه المجرم أو أتباعه ، ويخشى أن يعترف بانه شهد وقوع الجريمة .. فيتهمه المحقق بالاشتراك فى الجريمة .. ! فيستميت فى الصمت ، ويظل فى المركز عدة أيام .. ثم يفرج عنه ويخرج بطلا فى نظر نفسه . فهو لم يزج بنفسه فى المتاعب فهو ليس ندا للفاعل — والحكومة لا تحمى فى الغالب من يقول الحقيقة من الضعفاء .. !!

« مستجاب » يكتب بنفسية هذا الفلاح .. والكتابة شجاعة « قلمية » على الاقل .

واذكر الكاتب هنا بمثل صعيدى من قريته يقول

(اذا كنت خوافا فلا تقل ، واذا قلت فلا تخف) .. !

● القربان .. العدوان على الذات ●

« والقربان » هو عنوان أطول قصص المجموعة وهى بكل طلاسمها ، ورموزها ، ومعمياتها ، وجنونها تحدد بوضوح مهمة (مستجاب) فى أدب الفترة التى عشناها ، ونعيشها ، وتبرز لنا وسيلته فى توظيف الجريمة فى ادبه . فهو يجيء بجريمة فى حجم القرية كلها .. جريمة رهيبة .. لكنها ليست جديدة .. انها قديمة قدم البشر .. انها اشر من القتل ، وأفسق من الزنا .. انها جريمة سلب الناس وجودهم .. العدوان على ذواتهم — انتزاع أصواتهم ، وتعطيل ألسنتهم ، وتحويلهم جميعا الى بكم . لا وسيلة للتفاهم بينهم سوى الاشارات .. قرية يجتاحها هذا الوباء ، ومع ذلك فان « مستجاب » على طريقته ، لا يريد ان يقول من الفاعل ، ولا من هذا المجرم الذى اخذ الكلام على ألسنة القوم ! .

يقول فى القصة .

يقول فى القصة : (كان أحد رجال قريتى جالسا على رأس حلقة يردد مواويل الصبر الشهيرة . حينما

ثقل لسانه ، وتلجلج فارتبك الرجل ، وفزع . لم يخرس تماما . لكنه فقد سيولة الكلام ، تهتكت كلماته في قاع الحلق ، ثم خرجت مطحونة ، ومجروحة لا ترابط في حروفها ..

ولم يتوقف الامر عند مجرد رجل واحد . فقد تاجر حميسر النطق وخرست امرأة فيشرق البلد ، وانشرخ لسان صائغ . حتى خطيب المسجد والشجاع ، والجبان ، والطيب والسيء . كل الناس . خرست قرية . انشل لسانها . ذابت خراشيفه فشل في وضع أى حرف من الحروف المعظيمة التى تكون الكلام . خرست . وأصاب الذعر جسدها ، والدوار رأسها ، وانفتحت عيونها رعبا . وأصابها الداء . فظلت تجرى يمينا ويسارا ، وتلج بيوت القديسين والمشايخ ، وانصار الله) . هذه الجريمة العريقة في الاجرام سواء كانت على المستوى المعنوى الذى اظنه كان يرمى اليه .. او المستوى المادى الذى صدره فى خراب القرية وبوار تجارتها . لان اهلها فقدوا النطق .. جريمة بهذا الحجم يتركها « مستجاب » بلا فاعل ، ويهرب الى التاريخ ، والى اللامعقول ، ويتحدث عن أوراق البردى ، وعن افراد وعن عفاريت .. وجريمة بهذا الحجم المخيف .. وتشغل هذا الحجم من الصفحات ، وضحاياها قرية كاملة بكل أهلها .. يصر « مستجاب » على الا يشير الى الفاعل ، ويتستر عليه الى حد نشعر معه انه ليس بريئا من الاشتراك فى الجريمة .. لكنه يجرى مع الذين يجرون ، ويصيح كرامى .. وهو مجهل الجريمة بين يديه .

ان المخزن عند « مستجاب » انه يمهد للجريمة تمهيدا رائعا . ثم يصف حالة وقوعها وصفا عبقريا مثيرا .. ثم يتغافل عن الفاعل تماما . كأنه من اقاربه من الدرجة الاولى . واذا غفرنا له تغافله عن الفاعل فى الجرائم التى تتم ضد الافراد فكيف نتركه يفلت من الجريمة التى هى ضد قرية باكملها لابد من حجز « مستجاب » على ذمة القضية ، حتىيقول من هو او هم افراد العصابة الاثمة التى استطاعت ان تقطع السنة قرية بيكملها !! .

ويفتتح « مستجاب » المجموعة بقصة عنوانها هولاكو ، وبين المدعو هولاكو ومستجاب عناصر مشتركة .. كلاهما يمضى كوابور الزلط . يدك ويمحو لمجرد المحو . ويزيل لمجرد الازالة .. يطمس معالم القديم، ولكن لا يجيء بجديد والنتيجة .. الضلال ، والتيه فى صحراء بلا معالم والضرب بلا هدى .. هنا وهناك . !

وكأنه بوضعها على ناصية المجموعة .. حدد هويته ، وعلاقته بالجريمة الناقصة .. التى يرتكب معها جريمة التستر على المجرم . مع مع علمه المسبق بعقوبتها أو عدم علمه فالقانون لا يعفى الكتاب . حتى لو دافعوا عن انفسهم بانهم . من كتاب القصص ، وليسوا من رجال البحث الجنائى !..

ومع كل هذا وقبله ، وبعده . فانه تبقى « لمستجاب » ريادة قصه بيئة الصعيد ..بذكاء يحسد عليه ، وصدق لا يبارى فيه ، وخوف نسأل الله ان يتخلص منه !!..

أولى خطوات النجاح معرفة أصول تربية الأبناء..

بقلم: د. عادل صادق

فى حياتنا امثلة شعبية واغـان واقوال نطلقها ببساطة امام اطفالنا دون وعي ودون ان ندرك ان لها اخطر الاثر على مفاهيم اطفالنـا واسلوب تفكيرهم وبالتالي حالتهم النفسية وسلوكهم ..



ذلك لاننا لا ندرك ان الطفـل يلتقط كل شيء ويسجله .. أى ينطبع داخـل ذاكرته • كلماتنا .. حـــركاتنا .. سلوكنا .. كل شيء يسجل فى ذاكرة الطفل .. وهذه هى الطريقة التىيتعلم بها الطفل في مراحل عمره الاولى .. بهذه الطريقة يتعلم الطفـل اللغة .. يتعلم اللهجة .. يتعلم حركات الوجه والجسم .. يتعلم السلوك فى المواقف المختلفة .. يتعلم طريقـــة التفكيـــر وطريقة الانفعال ..

ولهذا فان تربية الطفـــل مسئولية خطيرة ، مسئولية تقع على عاتق الاب والام ثم الاقاربفى البداية..ومعروف الان فى مدارس عـلم النفس المختلفـة أن السنوات الخمس الاولى فى حياة الطفل تشكل بطريقة قاطعة اشـــياء كثيرة فى شخصيته وتفكيره وسلوكه واسلوبه فى الحياة .. اذا ادركنـــا ذلك عن علم نستطيع الان ان نسترجع مواقف كثيرة .. واقوالا كثيـرة .. وافعالا كثيرة نقولها ونأتى بها امـام الطفل .. وسوف نكتشف ان لها اكبر الضرر ..

• حنان واهمال •

نأخذ مثلا احتفال السبوع حين يأتى طفل جديد .. الحنان والاهتمـــــام والتركيز الزائد على الطفل الجـديد والاهمال الي حد الانكار التام لبقيـة

الاطفال .. اننا بذلك نزرع بداية مشاعر الغيره ثم مشاعر الكراهية تجاه القادم الجديد من قبل اشقائه ثم تعالوا نتذكر عبارة خطيرة نقولها للطفل الجديد على مسمع من بقية الاطفال .. عبارة ساذجة لا معنى ولا اصل لها ولكننا نرددها وهى « اسمع كلام امك ولا تسمع كلام ابوك» .. حاولت ان اجد معنى لهذه العبارة .. حاولت ان افهم هدفا لها ..حاولت ان استرجع اصلها ومصدرها .. وفشلت فى كل ذلك .

نقولها بصوت مرتفع وجماعى وفرح وتأكيد نقولها بلا وعى .. واسمحوا لى ان اقول ان هناك سذاجه كبيرة الى حد « العبط » حين نردد هذه العبارة .. ولا يوجد ادنى شك فى انها تلصق بذهن الطفل ..

انها دعوة صريحة للطفل الذى يسمعها الى ان يعصى اوامر والده .. وبالطبع هو من يستطيع ذلك لانه سيلقى العقاب من والده اذا هو عصى امره .. وبذلك يقع الطفل فى حيره وفى تناقض شديدين « هناك دعوة جماعية الى ان يعصى اوامر والده .. ثم فى نفس الوقت هناك من يقول له ان عليه ان ينفذ اوامر والده وان يطيعه .. وهذا معناه ان الطفل يتلقى اشارتين متناقضتين فى وقت واحد .. وذلك يضعه فى حيرة وبلبله ..

والى هنا يهمنى ان اذكر احدى النظريات لمرض الفصام«الشيزوفرينيا» صاحب هذه النظرية عالم امريكى يسمى « باتسون » يقول فيها « ان سبب مرض الفصام والذى يتميز باضطراب التفكير واضطراب الوجدان واضطراب الارادة هو البلبلة الفكرية والحيرة والتناقض الذى نضع الطفل فيه .. ان نعطيه اشارتين متناقضتين فى وقت واحد .. ان يعطى له ابوه امرا وتعطى له امه امرا عكس هذا الامر .. ان نمتدح له قيمة معينة ثم نناقض هذا فى نفس الوقت .. ان نقول له كلاما ونسلك عكسه .. هذه هى بداية زرع بذور مرض الفصام فى عقل ونفس الطفل

ويهمنى ان اذكر فى هذا المجال ان كثيرا من الامراض النفسية والعقلية التى يعانى منها الطفل يكون سببها سلوك الوالدين : سلوكهما مع بعضهما البعض وسلوك كل واحد منهما تجاه الطفل وسلوكهما معا تجاه الطفل ثم تجاه بقية اشقائه وشقيقاته ..

احيانا تكون هناك عداوة خفية وعدم حب بين الزوجين .. واحيانا تكون هناك خلافات حادة بينهما .. ينفس كل منهما عنها فى اسلوب معاملته للطفل ويكون ذلك عن طريق اعطاء الطفل اشارات ومفاهيم مناقضة للطرف الاخر اى بسذاجه ينتقم كل طرف من الاخر عن طريق الطفل البائس .. نفعل ذلك عن عمد واحيانا دون عمد عن طريق الاقوال السخيفة التى ذكرت احدها ..

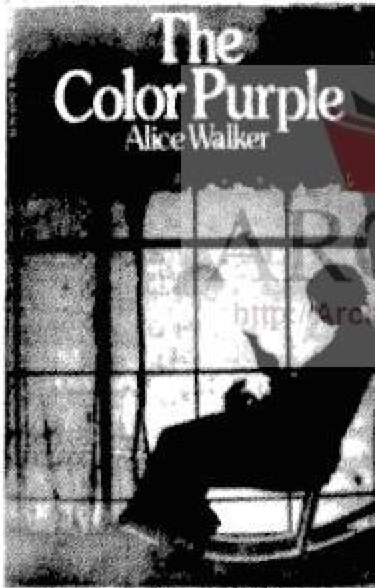
والطفل لكى ينمو نموا نفسيا سليما يجب ان نعامله باسلوب واحد ان يكون هناك اتفاق وانسجام كاملين بين الوالدين فى اسلوب المعاملة وفى كل كلمة تقال له .. اذا قال احد الوالدين كلمة او رايا فمن واجب الاخر ان يدعمها لا ان يعطى عكسها ..

الزنوج لونهم قرمزي

عرض لرواية : (اللون القرمزي)

تأليف : أليس ولكر

عرض : محمد المنسي قنديل



تقول كلمات أغنية شعبية زنجية :

وعدتني سيدتي
أن أصبح حرة بعد موتها
ولكنها عاشت طويلا حتى أصيبت بالصلع
ولم يظهر مايوحي أنها ستموت .

هذه هي تجربة العبودية في أمريكا وهذه الأغنية واحدة من مئات الأغاني التي انتشرت في مزارع الجنوب الأمريكي، حيث كان العمل أقرب الى السخرة ، والحلم هو الطريق المؤدي للجنون ، أنها « أغنيات الأسى » كما كان يطلق عليها .. ورغم هذا الأسى فهي مليئة بسخرية الرفض والتمرد .. فالعبيد قد تحرروا ولكن الامة السوداء لم تقم .. ويبدو أنها لن تقوم أبدا .. كل ما فعله زنوج أفريقيا الذين وفدوا الى أمريكا أنهم أقاموا مجتمعا موازيا .. يحكمه نوع قاس من الاحباط المستمر .. أماكن ضيقة في أحياء فقيرة تختلط فيها شعارات الثورة

الانحراف نحو الحرية ويقود حلم الخلاص الدائم الى إدمان المخدرات والغيبوبة .. هذه مأساة الزنجي فى امريكا كما تراها اليس ولكر .. انهم يعيشون فى مجتمع مواز .. مازالت تسود فيه أخلاق العبودية الى حد كبير .. هناك قدر ما من المشاع الجنسي .. والتحلل الذي فرضته ظروف القهر الطويلة .. والذي يضاعف من حدة المأساة ان الزنجي غريب .. غريب فى امريكا من اجل لون بشرته الداكنة وأخلاقه المختلفة وغريب ايضا فى أفريقيا من اجل بشرته الفاتحة و « ظروف حياته .. فالزنجي فى امريكا له اللون القرمزى .. وفى أفريقيا فانه اسود لدرجة تقترب من الزرقة .. من اجل هذا اطلقت على روايتها اسم اللون القرمزى .

صدرت رواية « اللون القرمزى » للمرة الأولى عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٥ كانت قد اعيد طبعها نحو اثنتى عشرة مرة وظلت الأولى فى قائمة أحسن المبيعات حتى فازت مؤلفتها بجائزة بوليتزر وهى جائزة امريكية مهمة ثم جائزة الكتاب الأمريكي للرواية .. بعد ذلك تحولت إلى فيلم سينمائى هذا العام قام باخراجه المخرج المعروف سبلبيرج مخرج « الفك المفترس » و « اى .. تى » وقد استقبل النقاد هذه الرواية بحفاوة بالغة ووجدوا فيها امتدادا لادب فولكنر عن الجنوب الأمريكي من منظور مختلف .. ووليم فولكنر رغم ثرائه الفكرى كان أبيض ولا يمكن أن ينسى الزنوج ذلك فقد قال مرة فى احد احاديثه الصحفية « إننى لا اتمنى أن اكون أسود حتى لدقيقة واحدة » .. ولكن اليس ولكر تعيش مأساة لونها الاسود فى ولايات الجنوب حتى النخاع وفى القسم الأعظم من الرواية لا تجد من تخاطبه إلا الله .. ثم تفطن أخيرا الى ان هذا الآله يمكن أن يكون أبيض اللون وبذلك فهى كمن يخاطب عمدة المدينة الابيض اللون .. هل يمكن أن يتفهم مشاكلها .. ؟ ..

من التوسل الى التمرد

ولكن .. كيف تطور الادب الزنجي عبر صفوف سنوات العبودية والحلم والثورة ؟ ..

هبط أول زنجى الى مستعمرة « جيمس تاون » حملته « سفينة أنجليزية الى الشاطىء .. كانت السفينة قد غنمت شحنة من العبيد بعد معركة قصيرة مع سفينة أسبانية .. وعرض قائد السفينة الانجليزى على سكان المستعمرة أن يستبدل شحنته الآدمية فى مقابل بعض الأطعمة والمؤن وتمت الصفقة ونزل الى الشاطىء أول فوج من العبيد الى العالم الحر .

اكتشف الامريكيون سحر السواعد السوداء .. واكتشف سكان الجنوب ايضا .. كيف يمكن أن يتلاءم هذا الزنجى الوافد مع صعوبة الطقس ومشقة العمل .. وتحولت هذه المقايضة البسيطة الى تجارة ضخمة .. إستعبد ابناء القارة وأختطفوا وسخروا فى كل انواع الأعمال الشاقة .. ومن خلال هذه المعاناة بدا حلم الحرية فى البزوغ ..

لقد كونوا أقلية غريبة فى المجتمع الامريكى .. اقلية دفعت الثمن فادحا ولكنها مازالت تعيش على الهامش .. أختلطت فى داخلهم قيم المجتمع الأمريكى بالموروث القبلى البدائى بقشرة

الزنوج لونهم قرمزى

المسيحية .. وتكونت شخصية الزنجى من هذه المصادر جميعا ..

وعندما بدأ الزنوج يعبرون عن انفسهم فى أدب مكتوب كان ادبا خانعا ممالئا للسادة البيض .. وادباء أمثال « جوبيتر هامون » والشاعرة « فيليس ويتلى » ، وهما نماذج للزنجى المتعلم كما يراه الرجل الأبيض .. مؤدب .. يستحق الهبات التى تمنح له ، لا يخطو ابعد من الطوق الملتف على قدميه .. ولكن الكتابات الزنجية لم تبق خانعة طويلا ، لقد دخلت فى تاريخ الأدب الزنجى ما يعرف بمدرسة هارلم .. تلك المدرسة التى دعت الى التفاخر بالذاتية الزنجية لا الخجل منها .. وبدأت تمد جذور أحلامها الى افريقيا البعيدة .. وتحولت هذه القارة الى فردوس أرض بعيد المنال .. يقول الشاعر كاونتى توليه :

افريقيا بالنسبة لى
شمس نحاس وبحر قرمزى
رجال أشد كالبرونز .. ذوو سواد ملكى
نساء انجبننى
حينما غنت الطيور فى جنة عدن

وسوف يظل هذا الحلم الأفريقى قائما ، انه البديل للحلم الأمريكى ، لن يخفت هذا الحلم من أول الشعراء الزنجيين الرومانسيين حتى أولئك الذين تحملوا مخاطرة العودة وأقاموا دولة مشوهة فى أفريقيا .. ثم الكس هيلى رحل يبحث عن جذور الى مؤلفة « اللون القرمزى » اليس ولكر ..

لقد اختلفت النبرة .. فبعد أن كان هامون يكتب « الحرية شىء عظيم .. وتستأهل أن نبحث عنها بشرف وأن نقنع سادتنا ـ عن طريق سلوكنا الطيب ـ ليمنحونا اياها .. » ، بعد هذه الكلمات المؤدبة المتوسلة . تعالت نبرات الاحتجاج .. « لماذا صرت عبدا ، أصار بعض الناس عبيدا وبعضهم سادة ؟ هل مر زمن لم يكن الحال فيه كذلك ؟ .. ثم تحول الأحتجاج الى نوع من الثورة والتمرد .. لن يتمكن من ذبح الرجل الأبيض خلا أولئك الذين يعرفونه أكثر من غيرهم ، أولئك هم عبيده السابقون . »

● عالم من الزنوج ●

والآن ماذا عن اللون القرمزى ؟ ..

تهدى اليس ولكر كتابها الى الروح التى لولاها ما استطاعت أن تكتب هذا الكتاب .. أى روح .. روح الأسلاف .. روح الغابات المفقودة فى عالم الأسفلت .. لا تفسر ولكنها تمضى بنا مباشرة الى الرسالة الأولى التى تكتبها بطلة الرواية سيليا .. والرواية كلها عبارة عن رسائل موجهة .. معظمها موجه الى الله ... ثم موجهة الى الأخت .. ثم الى النجوم والأفلاك وكل مظاهر الكون .. إحياء لتقليد قديم كان يسود روايات القرن التاسع عشر .. وهى تحيى هذا الأسلوب دون أى طنطنة أسلوبية ولكن بلهجة بسيطة مباشرة مليئة بالعامية وابتسار الكلمات وكتابتها حسب النُطق لا حسب الكتابة ، وهى مهمة تجعلها عسيرة القراءة الى حد ما ولكنها تمنحها تدفقا وصدقا غريبين ، ولعل هذا هو ما جعل النقاد يجدون تشابها مع رواية فولكنر « الصخب والعنف » التى تروى فصولها الأولى على



، سيليا وجدت هويتها كامرأة .. لقطة من فيلم ماخوذ عن الرواية

لسان شخصية معتوهة او شبه بلهاء .. اليس ولكر أيضا تضع القسم الأكبر من روايتها على لسان شخصية من هذا القبيل .. بنفس لغتها تقريبا ..

« عزيزى الرب .. أنا فى الرابعة عشرة من عمرى .. كنت دائما فتاة جيدة .. ولعلك تعطيني إشارة تفسر لي ماذا حدث لي .. بعد هذه البداية البسيطة .. تحكى لنا ـ او تحكى لعزيزها الرب ـ قصتها المرعبة مع أبيها .. تحكى بنفس هذه الكلمات البسيطة .. فبينما ترقد أمها نصف ميتة يقوم الأب بالاعتداء عليها .. وعلى مدى فترات طويلة حتى أنها تنجب منه طفلين يكون مصيرهما الاختفاء الغامض » سألتنى أمى من يكون هذا الرجل . لم اكن اعرف رجالا أخرين .. ولا ماذا اقول ، لقد بدات أحس بالأذى .. وبدأت معدتى فى التحرك . ثم جاء هذا الطفل من داخل رحمى .. ومرضت أمى اكثر واكثر واخيرا سألتني .. أين هو .. ؟ قلت لها .. الرب أخذه .. متى .. بينما أنا نائمة ، قتله فى الغابة البعيدة » .. هكذا تبدأ مأساة سيليا التى تعيش الواقع بنصف وعى .. وتقوم على خدمة الآخرين بتفان غريب .. وتعانى من برودة قاتلة تجاه الرجال بعد صدمتها الأولى وهى فى الرابعة عشرة من عمرها « كنت أتمنى أن يجد امرأة ليتزوجها . لقد رأيته ينظر الى أختى الصغيرة .. وكانت منزعجة . ولكنى قلت لها سوف أعتنى بك .. وليساعدنا الله .. »

وهى تتزوج بنفس الطريقة الغريبة أيضا .. فقد تزوج أبوها من فتاة صغيرة وأصبح همه الأساسى أن يزيح سيليا من المنزل ويبحث لها عن أى زوج .. ويأتى هذا فى صورة جارهم الارمل الذى يملك حفنة من الأولاد يريد لهم خادمة فى صورة زوجة .. و يأتى الى الأب ساعيا من

الزوج لونهم قرمزى

أجل الزواج من الأخت الأصغر والاجمل والأذكى .. ولكن الأب يعترض .. فهذا الأرمل مشهور عنه أنه تسبب فى قتل زوجته .. وأنه له علاقة بمغنية زنجية اسمها (شوجر افرى) فهو لا يستحق الزواج إلامن سبليا نصف المعتوهة التى يمكنها أن تتحمل كل هذه الفضائح .. يقول له الأب .. « إنها قبيحة ولكن يمكنها أن تكون زوجة طيبة .. ولكى أكون عادلا معك يجب أن تراقبها جيدا والا سوف تتلف أى شىء تمتلكه .. إن ميزتها الوحيدة أنها تقوم بإداء الأعمال مثل الرجال .. وكن حذرا .. إنها دائما تقول الاكاذيب .. »

ويتم زواجها من هذا الأرمل الذى لا يحمل إسما طوال الرواية .. وهى لا تطيقه فى فراشها لا تطيق أى رجل .. ولكنها تتحمله خاضعة مثلما تتحمل مشاق الطبخ والغسل والكنس ، إن ردود أفعالها غريبة لا تخضع للمنطق العادى فهى ترى فى أوراق زوجها صورة للمغنية (شوجر) التى يرتبط بها .. وبدلا من أن تحس بالغيرة منها ، تقع فى غرامها وتتمنى أن تراها .

● علاقات خشنة ●

وفى ذات يوم تهبط الى المدينة .. وبينما تجلس فى انتظار زوجها .. « شاهدت ابنتى إننى اعرف أنها هى كانت تشبهنى انا وأبى تمام الشبه . اكثر شبها بنا من انفسنا ، كانت تحملها سيدة ومر بالعربة فتحدثت الى السيدة وتحدثت هى إلى بكلمات لطيفة ، ورفعت أبنتى راسها تحدثت لى . كانت خائفة من شىء ما .. وكانت تملك نفس العينين التى املكهما اعتقد أنها تخصنى .. يقول لى قلبى إنها تخصنى ولكنى لا أعرف أنها تخصنى . لو أنها تخصنى فسوف يكون إسمها أوليفيا .. لقد سميتها بهذا الاسم عندما ولدت وكان عمرها شهرين عندما أخذت منى .. » الأن هى فى السادسة من عمرها .. هبطت من العربة وسرت خلف أوليفيا . وأمها الجديدة للمحل .. رأيتها وهى تمرر يدها على البضائع كمن لا تهتم بأى شىء ، أمها كانت تشترى ثيابا وقالت لها لا تلمس شيئا .. قلت لها .. أنها رقيقة جدا .. وعاونت أمها فى قياس الثوب .. ويحدث التعارف بين المرأتين .

من هذه المقابلة تأخذ الرواية إتجاها أخر .. فالمؤلفة تملك الشجاعة على ادخال الشخصيات وربما التحامها فى نسيج العمل الفنى .. فالأخت الصغرى تاتى للاقامة معها هروبا من ابيها وزوجته ولكنها تجد مطاردة من نوع أخر .. من الزوج .. وعندما تصده أكثر من مرة يطلب إلى سبليا أن تدع أختها ترحل بعيدا .. لأنه ليس هناك مأوى لها فهى تعطيها اسم القس وزوجته التى قابلتهما فى المدينة وترحل نانى بعيدا وتظل سبليا فى مستنقع شقائها ..

ثم جاءت شوجرى افرى للمدينة .. مغنية زنجية رائعة كملكة واشبه ما تكون بكليوباترا كما تراها سبليا .. أنها عشيقة زوجها القديمة .. وهو واحد من عشاقها العديدين ويقال أنه قتل زوجته بسببها .. لقد أرتدى الزوج اجمل ثيابه ثم ذهب .. ولم تعد تراه بقية الأسبوع .. وترحل شوجر وتشعر أنها كانت تتمنى أن تراها ربما أكثر من زوجها ..



امراة من الجيل الجديد
فى رواية اللون قرمزى

بمرور الايام يكبر اكبر اولاد الزوج .. هاربو .. يتزوج فتاة صلبة المراس هى صوفيا .. جاء هاربو بالفتاة لكى يراها اباه .. رأيتهما قادمان فى أول الطريق . يسيران كل واحد يده فى يد الاخر كأنهما ذاهبان للحرب . كانت تسبقه قليلا ، أحضرت مقعدين . جلست وأخذ تروح لنفسها بيدها .. قالت حر . ولم يعلق مستر (ـ) الزوج بشيء .. نظر إليها فقط من أعلى الى أسفل .. كانت حاملا فى حوالى الشهر السابع أو الثامن . كان هاربو أسود وهى لامعة وأكثر ضخامة .. قالت : كيف حالك يامستر (ـ) لم يجب على السؤال . نظر اليها وهو يقول .. يبدو أنك أوقعت نفسك فى المتاعب .. قالت كلا .. أنا كبيرة بما يكفى .. قال من هو الأب ؟ .. نظرت اليه بدهشة وهى تقول « هاربو » قال .. كيف يمكنه أن يعرف ذلك ؟ قالت .. أنه يعرف » .. قال .. السيدات الصغيرات لسن جيدات هذه الأيام ، إنهن يفتحن سيقانهن أمام توام وديك وهارى .. » نظر هاربو الى أبيه كما لو لم يره هكذا من قبل .. قال مستر (ـ) : لا تظن أننى سأدع ولدى الصغير يتزوجك لمجرد أنك تركت أسرتك .. وفتاة مثلك يمكن أن تدعى أى شيء .. أحمر وجهها بشدة وارتعشت أذنها ونظرت الى هاربو الصامت وضحكت فى صوت أجش وهى تقول .. لماذا احتاج للزواج من هاربو أنه مازال يعيش معك .. ما هو الطعام أو الملابس التى يمكن أن يقدمها لى .. وانصرفت .. ولكنها تزوجت هاربو رغم ذلك ، وصوفيا فتاة صلبة بعكس سيليا .. أنها تعرف ماذا تريد ولا تريد لاحد أن يفرض سيطرته عليها .. وحين يحاول هاربو أن يضربها كما يضرب أبوه سيليا تقوم بتهشيم وجهه .. ولكنها صلبة فقد كان طبيعيا أن تصطدم بعالم البيض .. عندما تطلب إليها زوجة العمدة أن تعمل خادمة عندها ترفض .. ويضربها العمدة فترد الضربة ويقودها الى السجن وتمر بها فترة عصبية قبل أن تخضع قليلا وتخرج من السجن لتعمل خادمة ولكن قوة شخصيتها لا تفارقها حتى أبنة العمدة عندما تكبر تتحول لتصبح أشبه بالخادمة عندها ..

● التعبير عن النفس بالجنس ●

وقبل أن نمضى فى أحداث الرواية لابد أن نلقى نظرة على كيفية تناول الجنس .. إن الرواية مليئة بالعلاقات الجنسية رغم أنه لا توجد فيها أى مواقف أو الفاظ خارجة .. ان الجنس هنا يفتقد الخصوصية الى حد كبير .. إنه مشاع .. الرجال والنساء يتشاركون فى هذه المتعة الجسدية كما يتشاركون فى تناول الطعام والشراب .. الحدود بين أسرة النوم وقاعات الطعام ليست واضحة أنهم يملكون حس المشاع .. ذكريات ايام العبودية القديمة .. بدون أى نوع من التمايز أن شوجر جراى تعود الى البيت وتحتل فراش ◀

الزنوج لونهم قرمزى

الزوج بدون أى مشاكل .. وعندما تمرض تقوم الزوجه بمراعاتها وتمريضها .. وعندما تذهب صوفيا الى السجن تأتى أخرى لتحتل مكانها فى الفراش . ويمكن أن تنشأ علاقة أخرى بين سبليا وشوجر جراى ومن خلال هذه العلاقة الغريبة تكتشف شخصيتها وتثور على الوضع المهين الذى تعانى منه .. إن المواصفات الأخلاقية هنا ليست أخلاق البيض .. والمحرمات هنا ليست المحرمات المسيحية التقليدية . إنهم يعيشون فى قيعان المدن ولكنهم يملكون فى أعماقهم برية الغابات ، كانت شوجر تنام مع زوجى فى الليل .. ليس كل ليلة ولكن معظم الليالى .

هذه الطريقة المباشرة فى القص هى ما تبعد التصوير عن الاثارة الحسية .. إنها تذكرنا بمشاهد غريبة فى روايات اميل زولا حيث تتاح الفرصة للرغبات المكبوتة ان تنمو وأن تعبر عن نفسها بحرية وفقا لأفراز الهرمونات ونبضات الأعصاب واستيقاظ الرغبات . وهذا التداخل بين مختلف الشخصيات هو نتيجة العيش المتلاصق والصراع على الفتات . إنهم يكونون "جيتو" اسود داخل أى مدينة كبيرة ، يعيشون على هامشها كأنهم فى غابات من الصفيح . النساء يجدن أنفسهن فى الشارع منذ سن مبكرة .. والرجال يكدحون بلا أى طموح ، أكثر من متعة عابرة .. ومن خلال هذا الجو القاتم تصور لنا أحداث الرواية كيف يمكن أن تعطى سبليا بلا حدود ويتحول الجانب الحيوانى الأبلة فى داخلها الى الشىء الصادق الوحيد الملىء بالانسانية ..

● افريقيا الحلم ●

افريقيا موجودة أيضا فى الرواية . ولابد أن توجد .. فى أى شعر اسود .. أو قصه .. أو حتى دعابة .. يجب أن توجد أفريقيا .. والرواية تفعل ذلك ببراعة من خلال الرسائل التى ترسلها الأخت الصغرى نانى الى سبليا .. لقد غادرت نانى اختها .. وتعرفت على القس وزوجته وسافرت معهما فى مهمة تبشيرية الى قلب أفريقيا .. آخر حيل الاستعمار المعاصر .. لقد أصبح الرجل التبشيرى الأبيض الذى كان فى مقدمة الغزو الاستعمارى للقارة مفضوحا .. والبحث الآن عن القس الأسود الذى يخاطب بنى جلدته بلغة مختلفة ..

من أجمل الأشياء التى نتوقف فى منروفيا وأن القى أول نظرة على افريقيا . الافريقيون هم أشد الناس سوادا ، الذين رأيتهم فى حياتى ياسبليا . أنهم سود مثل هؤلاء الذين نتحدث عنهم فى الحكايات ونقول .. هذا هو الرجل الأشد سوادا من السود .. إنه الأسود الأزرق .. وهم يلمعون . ولكن تخيلى ياعزيزتى سبليا مدينة مليئة بهؤلاء الناس السود الزرق اللامعين الذين يرتدون أروابا فضفاضة .. كأننى أرى السواد للمرة الأولى فى حياتى .. طوال . أعناقهم رفيعة . ظهورهم مستقيمة . ثم هناك سحر كامن فى كل هذه الأشياء .. فلأن السواد سواد حقيقى فإن عيونهم تتألق كأنها أخذت ضوءها من أشعة الفجر . " ..

هذه هى اللمحة الأولى من أفريقيا فى عين الأفريقى العائد .. المواجهة بين الجلد ذى اللون القرمزى .. والجلد المائل للزرقة . الأولى نظرة متعالية .. ثم هادئة متأملة .. ثم عاشقة فى النهاية لأن حنين الجذور لايقاوم .. والمهمة الاستعمارية تتحول على أيدى المبشرين السود الى مهمة إنسانية فلا أحد يملك القدرة على خداع ذويه .

إن الاستغلال الغربى يظل يلاحقهم حتى فى هذه القرية النائية وسط الغابات ، لقد وصلت البعثة وأقامت كنيسة ومدرسة وبدأت تمارس مهمتها ولكن ادوات الحضارة التى كانت تحاول أن تستغل مصادر الطبيعة لم تترك لهم الفرصة .. "عزيزتى سبليا .. فى البداية كانت هناك أصوات خافتة قادمة من ناحية الغابة . همهمات خافته . ثم أصبحت الضجة أكثر ارتفاعا ثم شاهدنا بعض الأدخنة تبدأ فى التصاعد .. ثم أصبحنا نسمع الضجة كل يوم ونشم رائحة الأدخنة الغريبة . واليوم دخل أحد الصبية مسرعا الى الفصل وهو يصرخ .. الطريق يقترب .. الطريق يقترب .. لقد كان يصطاد مع أبيه فى الغابة ورأى ذلك . فى كل يوم يتجمع أهل القرية ويجلسون على حافة القريـة ويتأملون تعبير الطريق وهم يأملون أن يوصلهم هذا الطريق بالعالم البعيد .." ..

ولكن الطريق الذى صنعه تجار المطاط ، مر فى منتصف القرية بالضبط .. محاها من الوجود .. وأمر سكانها بالرحيل بعيدا .. حطم الكنيسة والمدرسة والأكواخ وحقول الذرة "لقد كان هذا أمرا مؤلما ياسبليا ، أحس الناس أنهم قد غرر بهم . وقد وقفوا بلا أى مساعدة . لم يكونوا يعرفون كيف يقاتلون ولم يفكروا فى ذلك حقا منذ ايام الحروب القبلية القديمة .. الآن تحطمت بيوتهم ودمرت محاصيلهم ولم ينحرف معبدو الطريق بوصة واحدة عن الخط الذى رسم لهم .. وهكذا دمرت الاكواخ والكنيسة والمدرسة ومن حسن الحظ أننا انقذنا حاجاتنا الاساسية .. لقد أصبحت القرية كلها بأراضيها تخص شركة المطاط فى انجلترا وعلى طول الساحل رأينا المئات والمئات من القرويين ، وهم يطهرون اشجار الغابات ويزرعون بدلا منها اشجار المطاط .. أشجار الماهوجنى القديمة .. أشجار لصمغ .. الفواكه .. أشجار الغابة كلها قد دمرت وأصبحت الأرض مستوية وعارية كراحة اليد ...

والرحلة الأفريقية الخائبة هنا أشبه بالرحلة الامريكية التى قامت بها الأخت سبليا كى تؤكد شخصيتها ، رحلة فى أحراش الاحياء الخلفية للمدن الكبرى .. والمؤلفة بذلك تخلق نوعا من التوازى الذى لايتم بصورة ميكانيكية ولكن فيها الكثير من إثراء المعنى .. والرواية فى مجملها تعتبر مثل حلم .. حلم يخرج من ركام بؤس الحياة اليومية .. حلم الأمة السوداء التى تحدث عنها مالكولم اتس .. إنها ترى من خلال كل احداث الرواية ان الاختلاط بين الاجناس لن ينجح فى أمريكا .. فالزنجى يتحرك وفق قوى خاصة . حياته وأماله وطموحاته تختلف عن حياة وامال وطموحات البيض .. فالمشاعر تختلف وبالتالى فالأفكار تختلف ايضا العرق هو نوع من الاحساس .. والثقافة تغذى هذا الاحساس بالعزلة والتفرد . السود جنس وثقافة وأمة .. وواجب الفنان الأسود ان يهيىء أهله لمثل هذا .



العالم في سطور

● واشنطن ●

● كاتب .. بعيد عن الشبهات ●

يحظى جون ارفنج ـ ٤٢ عاما بشعبية كبيرة في الولايات المتحدة • فهو يمثل الصورة العائلية التي يتطلع اليها كل امريكي • يعيش حياة اجتماعية مستقرة تتناقل اخبارها وسائل الاعلام بصفة دائمة ولذا فان القارىء الامريكي يشعر بصدق الكاتب في رواياته التي حظيت بنجاحات كبيرة مثل « فندق نيوهامبشير » و« العالم في عيون جراب » وهي رواية ذاتية حول طفولة ارفنج نفسه •

صدر للكاتب في الشهر الماضي رواية جديدة ضخمة الحجم كبقية اعماله تحت عنوان « الخير من الله • والشر من الشيطان » • وكما هو واضح من اسم الرواية فنحن امام حكاية عائلية من خلال هوميرويلز اليتيم الذي تربى في الملاجىء هناك في هذا المكان المغلق • حيث الطبيب العجوز المحاط بالحسان من الممرضات وهو الجراح البارع في اعمال الولادة ـ الخير ـ الا انه بارع ايضا في عمليات الاجهاض ـ الشر ـ • ويتولى هذا الطبيب رعاية هومير وتربيته • لكن الصغير يمثل نموذجا معاصرا من قوم صوير ، فهو يهرب عندما يبلغ سن الصبا باحثا عن اسرة اخرى تتولى رعايته • ولكن ابدا • فهومير احد اللقطاء الكثيرين في الولايات المتحدة ولذا فهو يميل الى ممارسة الاشياء من منظور غير مالوف ..

ترشح بعض الاوساط الادبية هذه الرواية وكاتبها للدخول في دائرة ترشيحات جوائز نوبل في الاعوام القادمة وعلى كل فهو أحد الكتاب الاقل شبهة في الولايات المتحدة فهو لا يتستر خلف السياسة او العنصرية • وبعيد عن التجمعات التي اشتركت في ادخال الادب الامريكي الى دوائر الشبهات ..

جون ارفنج



● باريس ●

● كباريه .. على طريقة بداية ونهاية ●

مثلما تحولت رواية « بداية ونهاية » ـ وهي ايضا فيلم شهير ـ لنجيب محفوظ الى مسرحية عرضت على المسرح العائم • فان العاصمة الفرنسية قد شهدت خلال نفس الفترة تجربة مماثلة مع رواية « كباريه » التي نشرت لاول مرة عام ١٩٦٦ للكاتب كريستوف ايشروود • وقد اعد هذه الرواية للمسرح لاول مرة الكاتب الانجليزي المعروف

هارولد بنتر . ثم اخرجها بوب موس فى فيلم شهير قامت ببطولته ليزا مينيللى وحصل على مجموعة من جوائز الاوسكار عام ١٩٧٣ .

الا ان الاختلاف بين التجربتين المصرية والفرنسية يتمثل فى ان المخرج جيروم سافارى قد أخرج المسرحية فى اطار كوميديا موسيقية . وهى نفس التجـربة التى شاهدناها أيضا فى السينما . سبق لجيروم ان اخرج مجموعة من المسرحيات الكلاسيكية من ابرزها « البرجوازي النبيل » لموليير و « سيرانودى برجراك » لروستان و « ابنة الخباز » لبانيول .

وتدور المسرحيـة ـ والرواية ـ فى الثلاثينيات من عصر النازية من خلال ممثلة مشغوفة بالموسيقى ترتبط بكاتب امريكى وتدور أحداث المسرحية بين الولايات المتحدة والمانيا . ولابد لكل من أخرج هذه الرواية سواء فى السينما أو المسرح ان يستفيد من موقف النازيين من اليهود . والتاكيد منجديد على تعذيب اليهود على أيدى النازية .. لذا فانه ليس من الغريب ان اكثر طاقم العاملين فى هذه المسرحية من اليهود



● طهران ●

● البيات الشتوى فى طهران ●



البيات الشتوى :

عنوان الرواية التى صدرت ترجمتها الفرنسية هذا الاسبوع للكاتبة الايرانية جولى تراجى التى تعيش فى اوروبا منذ عدة سنوات . وقد استفادت الكاتبة من المهجر الذى تعيش فيه معبرة عن فكرة أن الحياة ليست سوى مغامرة من الوهم او من الام الجسد .

تبدأ الرواية بعبارة غريبة : « تمطر السماء فوق طهران » فى قلب الليل . وفى غرفة تتحرك فيها الفئران دون ضابط يضبطها . يحاول رجل عجوز الافلات من البرد القارس . ومع ذلك فان الابتسامة لاتكاد تفارق شفتيه » .

يعيش هذا الرجل بلا حب أو أمل . انه رجل وحيد . مات اصدقاؤه واقرباؤه منذ أمد طويل . وبينما تغزو الظلمـة الغرفة يغرق العجوز فى ذكرياته البعيدة .

ففى هذه الذكريات هناك احمدى الذى انكسرت ساقاه . و « عزيزى » الذى لايقابله سوى فى حفلات اعياد ميلاد



العالم في سطور

الاصدقاء ، وهو يعكف على التهام الحلويات وكعك الميلاد . ويختفي كي يعاود الظهور في عيد ميلاد آخر كأنما الاجزاء من الكعكات تمثل اعمارا مقتطعة ذاهبة بلا عودة كما أن هناك شيرين خانوم القزم الذي عاش طيلة حياته أسيرا لاوامر زوجته فلم يخرج يوما عن طاعتها ..

الان . هاهو العجوز قابع في غرفته المثلجة . خائف من اقتراب النهاية . لقد اصبح جافا كالهشيم . وسط ليالي برد الشتاء القارس . كأنه أحد الحيوانات او الحشرات الصغيرة التي تدخل في شرنقة أبدية من أجل موسم الشتاء ..

● بيونس ايرس ●

● الكآبة .. تهدم الابداع ●

رغم ان الكاتب الارجنتيني الراحل خوليو كورتزار



خوليو كورتزار قد عاش منفيا بعيدا عن وطنه اكثر من ثلاثين عاما . فانه لم يكتب ابدا بلغة غير لغة بلاده .. وكورتزار هو أحد الذين استفادوا من ظاهرة المنفى الثقافي فكرس قلمه للدفاع عن قضية الحرية وخاصة ضد الديكتاتورية في امريكا اللاتينية ..

اثير هذا الموضوع من جديد مع صدور طبعة منقحة من كتابيه : « ساعات بلا أهمية» و « حديث مع عمر برجو » الكتاب الاول عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة . اما الثاني فهو حديث طويل أجراه قبل وفاته مع أحد اصدقائه المقربين حول سيرته الذاتية . « سكان امريكا اللاتينية يخافون دائما من حكايات السيرة الذاتية»

عاش كورتزار حياة طويلة امتدت بين عامي ١٩١٤ و ١٩٨٤ ، درس خلالها الادب الفرنسي . وكتب الشعر والرواية والدراسة السياسية ، نشر ديوانه الاول « الملوك » عام ١٩٤٩ . وتفاه بيرون من الارجنتين عام ١٩٥١ . عمل مترجما لفترة وكتب روايتي « الرابحين » و « النيران تحترق » .. فضلا عن العديد من الدراسات السياسية . وحصل على جائزة مهرجان كيس السينمائي في عام ١٩٧٦ عن روايته « مضورون ومشاهير » ..

امتلأ جزء كبير من كتابة بالحديث عن الاديب في المنفى : « كنت احاول ان اناضل ضد النسيان .. وقد احتفظت بذاكرتي حية وبكامل قوتها . وتنبهت الى انني يجب الا انساب في جو الكآبة . لانها يمكن ان تهدم كل امكانية الابداع والمنفى دائما له ابعاد ايجابية . يمكن ان تقول أن المنفى ليس مزلما ولكنه دافع للابداع . فهو يدفعنا أكثر للكتابة لان المنفى – على الاقل بالنسبة لي اذا لم تختره . فاننا نفضل أن نصبح ادباء اقل جودة في بلادنا من أن نكون اكثر جودة في المنفى ..

● بروكسل ●

● لم تكن حروبا دينية .. ●



صلاح الدين الايوبى

ستظل الحروب الصليبية على الشرق منهلا لا ينضب للأدباء والباحثين فى شتى انحاء البسيطة نظرا لما تضمنته من حكايات عديدة بعضها اكثر غرابة من الخيال .

وقد اختار الباحث اندريه ميجيل ان يقدم كتابه الاخير حول احدى الشخصيات التاريخية المغمورة تحت عنوان « اسامة . أمير سورى فى مواجهة الصليبيين » . وهذا الامير الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى قد اشترك فى الحرب المقدسة ضد الصليبيين عام ١١٨٥ . اى وهو فى الاربعين من عمره .

ولد اسامة - حسبما يقول الكاتب - على شاطىء البحر قبل أول حملة صليبية وقد عاش ردحا طويلا من الزمن قبل أن تسيطر القوات الصليبية على مدينة القدس ثم اشترك مع قوات الناصر صلاح الدين الايوبى التى حررت المدينة من أيدى الغزاة .. ويرى المؤلف ان اسامة يمثل المسلم المصرى . المرن . فهو رجل لا يكره أعداءه لكنه يحاربهم حتى يخلص ارضه منهم . وهو مفكر يتسم بالكبرياء والتسامح والحس المرهف . الغريب أن ميجيل قد اكد فى كتابه ان هذه الحروب لم تكن دينية . بل هى حالة حرب من حالات عديدة حدثت بين الشرق والغرب . قد وقف المسيحيون الشرقيون والارمن واليهود والقوميات الاخرى الى جوار صلاح الدين واسامة فى الحرب المقدسة .

كما اكد الكاتب ان هذه الحرب قد اثبتت عرق الرابطة التى ربطت بين المصريين والسوريين . وكانت قاعدة لما سمى فيما بعد بالجغرافيا السياسية للشرق الاوسط .

● الأرجنتين ●

● كاتب كبير .. تقتله فضيحة صغيرة ●

فى النصف الثانى من شهر يونيو رحل الكاتب الارجنتينى الكبير خورجه لويس بورخيس عن عمر يناهز السابعة والثمانين وقد اكتسب الكاتب اهمية من موسوعته فى علوم الفلك والميتافيزيقا والرياضيات واللغويات الغربية والشرقية وخاصة اللغة العربية . ودراسة الاديان السماوية وغير السماوية .. فضلا عن مجموعة الروايات والقصائد التى نشرها ومن اشهرها كتابه من « أرض العرب » من مكتبة بابل ..

وقد حصل بورخيس على جوائز أدبية عديدة من أشهرها جائزة سرفانتس، أشهر جائزة تمنح للأدب المكتوب باللغة الاسبانية .. الا انه لم يحصل على جائزة نوبل فى الادب رغم انه رشح لها عديد من المرات بسبب اشاعة لحقت به منذ سنوات وهى انه نسب احدى الروايات التى كتبتها سكرتيرته الى نفسه .

يقول بورخيس فى احد احاديثه الصحفية العديدة « لقد أعطيت حياة كاملة للأدب . فاعطاء الادب المجد كله . وتلك الحقيقة وحدها أهم كثيرا من أدبى . فعندما يتحول الى مبدأ وعقيدة يصبح الراهب اليه والناسك فى محرابه انسانا نموذجيا وكاتبا مثاليا » .

بقلم : محمود قاسم

رسالة جنيف

مدن المتناقضات قلوبها فى جيوبها ..!

فى غرفة صغيرة بمدينة لا يكف المطر عن الهطول بها وتحددها الجبال ذوات القمم الثلجية وحول مائدة صغيرة يلتقى يوميا قرابة خمسة عشر شخصا لساعات طويلة • هم مجموعة من الشباب العرب القادمين من شتى انحاء الوطن العربى • يتوسطهم رجل يراجع معهم بعض النصوص وقد بدا كل منهم يحفر داخل رأسه لاختيار المعانى الدقيقة المناسبة لترجمة النص من اللغة العربية الى الفرنسية والانجليزية وبالعكس •

لابد أن تشعر وانت ترقب هؤلاء الاشخاص انك امام خلاصة العقل العربى وامام صورة خاصة من الكفاح بحثا عن الافضل • فالى هذا جاء على الزواوى — تونس — على نفقته الخاصة .. يسهر طيلة الليل يعمل فى أحد المطاعم القريبة كى يمكنه توفير قوت صباحه ومصاريف دراسة الترجمة الفورية • اما هدى المريسى — سعودية — فتعلن غضبها على الامريكيين الذين دكوا طرابلس بقنابلهم القاتلة بينما « يرطن » وليد — سورى — بلغات عديدة معبرا عن سخطه الشديد .. ثم تستأنف منيرة كلبوسى — تونس — ترجمة النص فيقاطعها الاستاذ محمود على مراد ليعلن أن منيرة رمز للشباب العربى فهى تتقن الفرنسية والانجليزية والروسية وتجيد الترجمة من كل هذه اللغات الى اللغة العربية •

فى هذه الغرفة الصغيرة يتحد العرب • ويتحابون • بعيدا عن السياسة وسط جدران الغربة • يتحدثون فى اشياء عديدة ويستكملون دروس الترجمة الفورية • بعد انتهاء الدرس يخرجون معا لتناول الغذاء فى السوبر ماركت القريب من مدرسة الترجمة الفورية بميدان أوجستين يعودون مرة اخرى لمتابعة

الدرس أو للجلوس طـــويلا فى المكتبة ·
جاء هؤلاء الشباب من بلادهم سعيا وراء مغامرة الدراسة · وواجهوا متاعب جمة من أجل الالتحاق بالدراسة فى مدرسة تشترط على تلاميذها اجتيـاز امتحانات صعبة فى الترجمـة من الفرنسية الى الانجليـزية والعربية · ثم عليهم مواصلة الدراسة فى ظـروف قاسـية لاربع سنوات قبل ان يحصلوا على شهادة تؤهلهم للعمـــل فى احدى المنظمات الدولية ·
لابد أن تكون الثمرة ناضجة طازجة مادام الذى يتـــولى رعايتها رجال من طراز محمود على مراد ·· ومحمود بازوزو ونزيه الحكيم ·· وكل منهـم تجاوز الستين من العمـــر واعطى المفكر العربى الكثير يستعد محمود على مراد لنشر كتابه عن « برنارد شــــو والاسلام » الذى نشرت منـه الهلال فصولا ·· فضلا عن كتاب حول « السيرة النبوية » ··· يعمل رئيسا القسم العـــربى منذ سنوات · ترجم العـديد من اعمال برناردشو وروايـــــة « السيمفونية الرعوية » لاندريه جيد ·· يردد مبتهلا : « كـــم أتمنى أن يعطينى الله عمــراً لانتهى من كتبى حول الاسلام » · رجل متواضع يعمل فى صـمت نموذج لمفكر عربى فى الغـربة التى لا يشعر بها احد ·
نزيه الحكيم المفكر الســورى المعروف الذى عمل بالصحافة المصرية ردحا من الزمن اختار الاقامة فى جنيف · ويسـتعد الآن للعودة الى بلاده بعد ان وصل الى سن المعاش · محمود بازوزو امام الجامع الاكبـر بجنيف ·
نماذج عربية مشـــرقة فى جنيف · جمعتها الغربة والحب

نماذج مشرقة من الوطن العربي .. جاءت للدراسة .. بعيدا عن السياسه .





رسالة جنيف

والطموحات في مدينة تتسم ببرود غريب خاصة في عواطف سكانها . مدينة لا تعرف الرحمة . قلبها في جيبها . تتحدث واجهات المحلات فيها بأرقام تتحدى المشترين مدينة تملؤها المتناقضات لكن اهم ما فيها هو السلعة الثقافية .

● فنون العالم في دار فولتير ●

مدينة البنوك والصناعات الدقيقة تبدو كحسناء رقيقة خالية من الروح لا تلبث ان تبدو لك بلا هوية . خاصة فيما يتعلق بالثقافة . فدور السينما المتناثرة في المدينة لا تعرض سوى الافلام المستوردة من الدول المحيطة بها فضلا عن الافلام الامريكية الكثيرة . والمسرحيات التى تملأ افيشاتها الشوارع قادمة من باريس . اما المكتبات التى تزحم كل الشوارع فهى مليئة بكتب مطبوعة في دور النشر الفرنسية . حتى متحف فولتير الذى يضم تراث المفكر الكبير والذى يتبعه ايضا مركز الثقافة الفرنسية فهو قائم اساسا على بث ثقافات الشعوب الاخرى .

اكتشفت مركز فولتير في اليوم السابق لرحيلي - مكتئبا - عن المدينة . برنامج ضخم يوزع على باب السينما التى لا يتوقف عرض الافلام بها من الثانية ظهرا وحتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى ستة افلام تتغير يوميا . تمثل شتى الاتجاهات الطليعية في فن السينما العالمية . قادمة من شتى الانحاء شريطة ان تتسم هذه الافلام بجودة فنية ورقي . ففى يوم واحد يمكنك رؤية افلام مثل « غابة الزمرد» لجون بورمان و « بواب الليل» من اخراج ليليان كافانى و « البحث عن الرجل المناسب» لريتشارد بركس . و « مفستو » للمجرى ستيفان زابو. و « قصة بيبرا » للايطالى ماركو فيريرى . وهيما تسورى للياباني يانا جيماشي فضلا عن مطبوعة صغيرة تتناول ابرز الكتابات النقدية حول الافلام المعروضة .

● الرقص .. ظاهرة اجتماعية ●

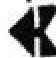
جاء موريس بيجار الى جنيف مع جالوتا ليعرضا مجموعة من اشهر استعراضاته الراقصة وتجيء اهمية بيجار في أنه اكبر مخرجى الاستعراضات في العالم . وهو ابن الفيلسوف جاسون بيجار وقد اشهر اسلامه منذ عدة سنوات . يرى أن الموسيقى هى الفن الذى يروى ضروريات الحياة بصورة باللغة البساطة ودون عون من الكلمات . كما يرى ان الرقص ظاهرة فريدة اقرتها الاديان . كما أنها ظاهرة اجتماعية . فقد مارسه الانسان على مدى التاريخ وهو يقوم بالطقوس الدينية . لذا فان الفن هو خلود الروح هو الصعود فوق شهوات



كلهم داخل المكتبة لاكثر من ثمان ساعات يوميا

الجسد · ويرى ان الفنون كلها تجيء في الاهمية بعد فن الرقص اذا اصبح هو الفن الاول في القرن العشرين · لدرجة انه ظهر موسيقيون كبار قاموا بالاعداد الموسيقى الخاص للرقصات مثل سترافينسكي كما اشترك فنانون كبار مثل بيكاسو وبراك وميرو في اقامة ديكورات هذه الاستعراضات

وجالوتا هو احدث راقص صمم له بيجار رقصاته كي يتفوق على الروسى نورييف وقد استطاع بالفعل ان يحول جسده الى اثير يتحرك فوق المسرح فتحس كان طيفا ينتقل فوق الخشبة تتناثر خطوطه دون ان يمكنك تحديدها بسهولة فيجذبك من فوق المقعد الذى تجلس عليه لتطير معه محلقا في فضاء اثيرى بعيد عن ارض الواقع لكن مهما طال طيرانك فلابد ان ينتهى العرض وتخرج الى الشارع حاملا مظلتك الصغيرة كي تحميك من جليد



الربيع · حتما ستنسى تلك الانتقادات الاثيرية التى احدثها فيك جالوتا ·

● تشويه صورة العرب ●

جاء مناحم جولان الى جنيف قبل ان يطير الى مهرجان كان السينمائي · فجاة وبدون سابق انذار غيرت دار سينما « كلاسيك » برنامجها المالوف واعلنت حالة الطوارىء لعرض فيلم « قوة الدلتا » ·· جولان الصهيونى الذى اهتم منذ فيلمه الاول « طوفيا وبناته السبع » عرض في مهرجان كان ١٩٦٨ ـ بتشويه صورة العرب وتمجيد صورة الصهاينة يقدم فيلمه الجديد مستفيدا من الحملة العالمية على خطف الطائرات والتى اصطلحت الصحافة العربية على تسميتها بالارهاب لتشويه صورة المناضل العربي من خلال شخصين عبد الاله ومصطفى اللذين ينتميان الى الشيعة اللبنانية حين قاما باختطاف طائرة



امريكية • ويقدم فى المقابل رجلين امريكيين هما الكولونيل الكسندر – لى‌مارفن – والماجور سكوت – شوك نوريس – اللذين يخططا لتخليص الطائرة من خاطفيها • ما يثيرك هنا هو تلك الصورة البشعة التى يقدمها جولان عن العرب • فالعربى هو ذلك الشخص الطويل اللحية الذى يجيد استخدام لسلاح لارهاب أناس آمنين واثارة الذعر فى قلوبهم ، بلا سبب وهو انسان لا يعرف الرحمة بلا قلب • أما الامريكى فهو انسان لطيف ينشد العدالة لذا من حقه الشرعى ان يحمل المسدس ويشهره على غرار رامبو ولا يسأله احد عن السبب •

وقد أعلن جولان انه متوج على امبراطورية السينما لسنوات طويلة قادمة •• وحتى كتابة هذه السطور فالعرب متفرجون •• بعد أن كانوا – حتى – عن الاستهجان والاستنكار •

● أنا •• ولورانس اوليفييه ●

فى فيلم « الحكم » الذى اخرجه بيتر جلنفيل عام ١٩٦٢ ابرأت المحاكم ساحة المدرس – لورانس اوليفييه – من تهمة الصقتها به احدى تلميذاته ورغم حكم البراءة الذى اصدرته المحكمة فان الاتهام ظل قائما فى عيون والسنة الناس من حوله • فاصابته كآبة كادت تنهى عليه • اصابنى مثل هذا الاحساس وانا اتطلع الى عيون البعض بعد عودتى من جنيف حاملا فوق كاهلى قسوة تجربة شخص ساذج سرقوا منه « تحويشة » العمر فى ترام المدينة اشبه بفلاح ينزل المدينة لاول مرة • معطيا دلالة غريبة فى مدينة تملؤها المتناقضات جنيف المدينة المغلفة بالسلوفان •• التى ترمز الى قمة التطور الحضارى • من المكتبات التى تضم تراث العالم القديم والحديث • وتلك السوق العتيقة التى تقع خلف سور الجامعة وتعرض المواد الثقافية بارخص الاسعار • الى النافورة التى تدفع مياهها لارتفاع يكاد يطول قمم الجبال • البيوت الخضراء الصغيرة المتناثرة فوق الجبال ••والعشاق المتلاصقى الاجساد والايدى • عيون الاجانب البصاصة الى جوار عيون لا تتطلع سوى الى نفسها فى مدينة كهذه يسعد شاب صغير يرتدى نظارة سميكة ومعطفا ذا كمين متسخين يلوح بهما قريبا من انفك ودون ان تدرى يسحب كيس نقودك ثم ينزل دون ان يكون لك حول ولا قوة • اذا كانت يد اللص قد سرقت مرة واحدة• فان السنة وعيون الاخرين المليئة بالثرثرة لابد ان تعيد لك صورة المدرس فى نهاية فيلم « الحكم » •• لجلنفيل ••



رسالة المغرب

بقلم : سمير غريب

القصّاص المغربي محمد شكري : لسان الشطار ، وعدو الرقابة العربية !

نحن فى مصر لانعرف الكثير ولا القليل عن الادب المغربى المعاصر . ورغم أن مشكلة الاتصال الثقافى هذه بين شرق العرب وغربهم قد نوقشت فى أكثر من مكان ، الا اننا لم نشهد حتى الان ، اية محاولة جادة لحل هذه المشكلة لا من جانب الشرقيين ولا من جانب الغربيين !

وليس مفاجئا إن نقول ان الادب المغربى المعاصر يشهد حركة نشطة تعمل على أكثر من جبهة ، وفى نفس الوقت : تأكيد هوية مغربية للابداع ، والخلاص من بقايا آثار الاستعمار الثقافى الفرنسى ، بالتخلص من لغته فى الابداع والكتابة . التعبير عن . والدخول فى ، صراع الحياة المغربية بوجوهها المختلفة السياسية والاجتماعية .

وفى الادب المغربى المعاصر ظاهرة مشهورة اسمها « محمد شكرى » مثيرة للجدل . من علامات هذه الظاهرة : مصادرة كتبه فور نشرها من اجهزة الرقابة المغربية بسبب اتهامها بـ « الاباحية » . أنه الاديب العربى الوحيد الذى صدرت له كتب مترجمة الى لغات اجنبية قبل صدورها بالعربية فى بلده . كما ان كتبه من اكثر الكتب العربية التى ترجمت الى لغات اجنبية . فلماذا ؟ ومن هو ؟ وماذا يكتب ؟

محمد شكرى ليس شابا كما قد يظن البعض ، لقد ولد عام ١٩٣٥ فى قبيلة بنى شيكر ، ومع ذلك لم أعطه متسنما قابلته لاول مرة فى مدينةالاصيلة المغربية أكثر من أربعين عاما .

فى عام ١٩٤٢ حدث جفاف شديد فى شمال المغرب أو مايسمى بمنطقة « الريف » ، فهاجرت أسرة محمد شكرى من قريته « بنى شيكر » الى

مدينة طنجة ضمن من هاجروا هربا من الجفاف . كان الشمال المغربي ايضا واقعا تحت الاحتلال الاسباني، فقبض على والد محمد بعد قليل من هجرتهم الى طنجة بتهمة الهرب ايضا من صفوف الجيش الاسباني .

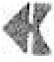
هنا بدأ تشرد محمد شكري وصعلكته فعمل ماسحا للاحذية، بائعا للصحف والخضروات ، عاملا في المقاهي والمطاعم نشالا في عصابة للسرقة مقلدا لاغاني عبد الوهاب .. اي انه جرب كل هذه الاعمال التي يصفها البعض بـ «المنحطة» والتي تشكل منجما اساسيا لكثير من الادباء في ابداعاتهم عندما يراقبونها ويحللونها ويعيدون صياغتها فنيا . فما بالك بمن عاشها بالفعل ، وسيصبح بفضلها فيما بعد اديبا ؟!

عندما دخل محمد شكري عامه التاسع عشر لم يكن قد تعلم القراءة والكتابة، فلم يكن لديه وقت يضيعه لكن جولاته الحياتية تلك عرفته في كثير من الاحيان الى تسميهم عندنا « الاندية » . فسمع منهم لغة عجيبة ، وافكارا غريبة ، وصادق بعضهم ، فقرر في ذلك العمر ان يتعلم ذهب الى مدينة « العرائش » ليدخل مدرسة لاول مرة في حياته ، ثم واصل دراسته في مدرسة المعلمين بمدينة « تطوان » التي تخرج فيها عام ١٩٦٠ .

هكذا دخل محمد شكري بنفسه الى « الجحيم » . انه الآن متعلما ومعلما بلا عمل . يطلق حياته الاولى تماما لانه لايستطيع ان يتخلص منها . تتفاعل كل شيء داخله . « جهله » ، علمه ، قراءاته التي ادمنها تعويضا لايام « اللاقراءة » ، حساسيته المرهفة ، تفكيره الذي لايتوقف ، علاقاته بـ « العالم



محمد شكري المغربي



السفلي » ، وبعالم المثقفين ، لم يعد فاعلا في شيء : لا في عالمه الاول ، ولا في عالم المثقفين الهامشيين اصلا ... فانهارت اعصابه ، ودخل المستشفى لاربعة اشهر عام ١٩٦٤ . عالجوه بالعقاقير حتى خرج منها . لكن اضطرابه لم يتوقف بعدما تحاول علاج نفسه بالكتابة ، ومازال ..

بعد محاولات قليلة ، ارسل الى مجلة « الآداب » البيروتية اقصوصة بعنوان « العنف على الشاطىء » ، وفوجىء بنشرها عام ١٩٦٦ . واخذ في كتابة القصة القصيرة بين الحين والحين ، فهو رغم كل ذلك ، أو بسببه ، مقل في كتابته ، لم ينشر الى الآن سوى ٢٦ قصة قصيرة في مجموعتين . « مجنون الورد » ، « الخيمة » . صدرت الاولى في طبعتها الاولى عام ١٩٧٨ عن دار الآداب اللبنانية ، ثم اعاد طباعتها

رسالة المغرب

فى العام الماضى على نفقته ، واصدر على نفقته ايضا المجموعة القصصية « الخيمة » فى فبراير ١٩٨٥ ، ولم تدم فى السوق أكثر من ٢٥ يوما حتى صودرت . لكن هذه الايام كانت كافية لبيع ٤٥٠٠ نسخة منها ، وقد تعود قراء محمد شكرى شراء كتبه فور صدورها وقبل مصادرتها .

وبعد « الخيمة » كتب بعض القصص لكنه يعتبرها اقل قيمة ادبية من القصص التى كتبها فيما بين عامى ١٩٦٦ ، ١٩٧٣ .

قد نظن أن « مجنون الورد » هو اول كتاب منشور لمحمد شكرى . لكن الحقيقة هى أنه كتب خلال بعض العامين « مجده الاول » كما يقول ، والسبب الاول فى شهرته وهى سيرته الذاتية التى اطلق عليها « الخبز الحافى » . انها اول كتاب منشور له . نشر عام ١٩٧٣ بالانجليزية وقبل ١٠ سنوات كاملة من نشرها بالعربية فى الدار البيضاء ومصادرتها ايضا بقى الخبز الحافى فى ادراج المؤلف حتى عام ١٩٨٠ ثم ترجم الى الفرنسية ، وتوالت ترجماته قبل صدوره بالعربية وبعدها ترجم الى تسع لغات اخرها اللغتين الايسلندية واليوغسلافية .. وهو يعتبر الترجمة الفرنسية من أرقى الترجمات لان الذى قام بها هو الطاهر بن جلون ، وهو ليس مترجما متخصصا ولكنه كاتب مبدع تعامل مع الترجمة بالطريقة الابداعية . ساعده ايضا أن اسرته تقيم فى مدينة طنجه التى تدور فيها معظم أحداث السيرة .

فلماذا هذا الاهتمام الشديد بترجمة « الخبز الحافى » ؟ بحثت عن الاجابة لدى محمد شكرى نفسه :

« اولا معظم ماترجم من الادب العربى الى لغات اجنبية قام به مستشرقون ، اهتموا اساسا بكتب التراث . وهم مستشرقون تقليديون لم يبدأ الاهتمام بترجمة عمل من ادبنا الحديث الا مع السبعينيات بالطبع نعرف ان « أيام » طه حسين ترجمت الى الفرنسية وقدمها العربية جيد منذ نحو ٣٠ سنة . لكن الشكل الذى كتبت به انا سيرتى الذاتية اكثر جرأة وباسلوب عار . « الايام » سيرة ذاتية مكتوبة باسلوب تقليدى وبها كثير من التحفظ . السير الذاتية المنشورة بالعربية قليلة جدا يصل عددها الى عدد اصابع اليد . مثل سير احمد امين وطه حسين وعبدالمجيد بن جلون المغربى . وشذرات كتبها عبد القادر المازنى . سيرتى الذاتية تدخل فى اطار السير الذاتية الشطارية ، من الشطار . وهذا النوع من الادب الشطارى كان موجودا ومعروفا فى الادب العربى القديم . اقتبس الاسبانيون من هذا الادب الشطارى وكتبوا بعض الاعمال ابتداء من القرن الخامس عشر . هناك « اللاثاريو » وكاتبها مجهول ، « كنيدو » كتب سيرة غلام متشرد يتبع متسولا .

« عندما كتبت سيرتى الذاتية لم اكن متأثرا بهذا النوع من الادب لاننى لم اقرأ لا الادب الشطارى عند العرب ، ولا الادب الشطارى عند الاسبان الا اخيرا . وحتى السير الذاتية التى كتبها احمد امين وطه حسين لم استطع ان اتم قراءتها ، لان هذا النوع من الادب لايلائم مزاجى وحياتى التى اعيشها .

« السيرة الذاتية التى كتبتهـا



فيها كثير من الجرأة وكترصد طفولة مغربية مهشمة . واذا كانت هناك طفولة محظوظة فقد كانت غريبة علينا لانها لاطفال برجوازيين . اما المغاربة بصفة عامة فنشأوا في عهد الاستعمار طفولة فيها نوع من البؤس والقلق مع تفاوت بطبيعة الحال . طفولتي نموذج للطفولة المغربية المسحوقة التى لا طبقة لها . لا أقول انها كانت تنتمى الى الطبقة الكادحة لانها كانت اقل من الكادحة . كانت مسحوقة . لم تكن لها اية كرامة . رفعت في كتابي أيضا دعوى على القرية المغربية التقليدية . دعوى ضد أبي . وضد كل الاباء الذين يشبهونه . كان أبي قاسيا جدا . ورث كل الرواسب العفنة في المجتمع المغربي » ..

الكل ذلك ترجم الكتاب الى كل هذه اللغات الغربية ؟

« انهم لم يتعودوا قراءة هذا النوع من الكتابات الجريئة ربما ترجم اليهم من ادبنا . لا اقول انني الوحيد الذي كتب بهذه الجرأة . كسيرة ذاتية ربما هي الوحيدة . انهم يتساءلون عن العرب انهم متخلفون . فكيف استطاع عربي ان يدوس كل هذه المقدسات ؟ سبب اخر : ان أسلوب الكتاب بسيط وواقعي . ولا شك أن هناك في العالم الاوربي وأمريكا اللاتينية مجتمعات تعيش نفس المشاكل . وطفولة تعيش نفس البؤس . الخبز الحافي وثيقة اجتماعية بطريقة روائية » .

ليس « الخبز الحافي » فقط الكتاب الذي ترجم ونشر بالانجليزية أولا . فقد صدرت منذ نحو ١٢ عاما ترجمة انجليزية لمذكرات محمد شكرى مع الكاتب الامريكى «تنسى وليامز» وايضا مذكراته مع الكاتب الفرنسى « جون جينيه » الذى توفى فى ابريل الماضى عن ٧٦ عاما

.. ربما ترجمت هذه المذكرات بما فيها من جرأة وبساطة العبير الخاص ، بالاضافة الى اهتمام الغرب بهاتين الشهيرين .. ولا شك ان علاقة مثيرة تلك التى يمكن ان تنشأ بين كاتبين غربيين من أمثال جينيه ووليامز وكاتب مغربى مثل محمد شكرى .

مع جينيه بالذات هناك اكثر من عامل يجمعه بمحمد شكرى تجرب جينيه ابن غير شرعي لذا تركته امه منبوذا عانيا من الصلاحيات . وقد حمل اسم أمه لانه لا يعرف اسم ابيه .. عاش جينيه أيضا حياة « الشطار » والمتشردين فترة طويلة قبل أن يعرف طريقه الى الشعر ، ومن ثم المسرح . قضى فترات طويلة من حياته فى اصلاحيات الاحداث والسجون متهما بالسرقة . وتنقل صعلوكا فى مدن وموانى اوربا . بل ان أول أعماله الادبية كتبه فى السجن وتدور مسرحيات جينية كذلك حول عالم المضطهدين مثل « الخادمات » فى مسرحيته التى تحمل نفس الاسم ، والساقطات — فى مسرحيته « الشرفة » ، و « الزنوج » فى مسرحيته التى تحمل نفس الاسم .. وهكذا .. واعتقد أن محمد شكرى تأثر بجون جينية ، وربما كان ذلك سببا واضحا لاختيار شكرى لاسم « مجنون الورد » ، بطلقه على مجموعته القصصية ، للجون جينية رواية نشرها عام ١٩٤٦ بعنوان « معجزة الوردة » .

محمد شكرى لا يدعى أية قالة



لا في أحاديثه ، ولا في الدردشات التي تجرى معه . يكتب الادب وفي نفس الوقت يعتبر نفسه « ضد الادب » وهو مصطلح استخدمته اتجاهات ادبية قبلاء مثل السريالية . لكنه يعني انه يكتب نوعا من الادب الخارج عن التقاليد الادبية الموجودة في العالم العربي وحتى في المغرب . يسمي الاشياء بأسمائها الصريحة . . لا يخشى المحرمات . ويتعمد الكتابة بهذا الاسلوب . من اجل التحريض ، وربما من اجل الفوضى . يرتبط هذا بالطبع بنوع الحياة التي عاشها . فهو لا يستطيع مثلا ان يكتب رواية عن البرجوازية في المغرب ، كما انه لا يستطيع كتابة عمل روائي عن الطبقة العاملة بنفس الشكل والصدق . بل ان القصص التي كتبها تدور كلها في المدن التي عاش فيها : طنجة ، وتطوان .

يقول الدكتور محمد برادة الاديب والناقد المغربي : «الخيوط التي ينسج منها شكري قصصه لتنتهي الى رسم « جغرافية سرية » للمدينة ولتحت ارضها . تبدأ تناسلها جميعها من مناخ الهامشيين او من عالم الاطفال . يبدأ الحكي بتلقائية توهمنا انه يحكي عن واقعة من « الوقائع المختلقة » ، شاهدها في الطريق او قرأها في الصحيفة وأعاد صياغتها . لكن هذا التوهم سرعان ما يبدده سطوع كلمات مفاجئة وعبارات مكثفة محملة بالايحاءات والدلالات ، تنقلنا الى عالم قصصي تؤطره وتوحده تلك الخيوط المتناثرة في مختلف القصص . قوام هذا العالم عند شكري ، والهامشيون او الليليون .. هم من يضرب بهم المثل في الشذوذ والرذيلة . ولا يمكن لمجتمع ان يتصور نفسه بلونهم .. في قصة « بشير حيا وميتا » يجسد شكري هذه العلاقة الغريبة بين العاديين العقلاء ، والشواذ المجانين بشير الاحمق يقلق الآخرين لكنه يسليهم يتحلقون حوله وهو ممدد في الشارع متمنين موته . وعندما يستيقظ من غيبوبته يصابون بخيبة أمل»

التلقائية نفسها التي يحكي بها تلازمه وهو يسمي الاشياء المكونة للاهتمامات اليومية عند اشخاص هامشيين . ويكون الجنس في طليعة تلك الاهتمامات .. ان الثنائية الفاصلة بين الاشياء تنعدم في سلوكياتهم . . والجسد كلي ، به يواجهون العالم ومنه يستوحون ردود الفعل . والشهوة تختلط بما هو انساني وحيواني ، بالوجود والعدم .. ولعل قصة «الخيمة» هي اجمل نموذج تتحقق فيه فكرة شكري عن الجنس . حين يغدو فرحة وعيدا ووليمة وارتماء في احضان البحر ، وملامسة جسدية لعناصر الطبيعة .. غير ان كثيرا من قصص شكري تنقل الينا الصورة البائسة للجنس عندما يكون جسدا يباع أو كتلا لحمية تلهث وراء لذة دفعتها العقد ، وغيبها الارهاق .

تخلص محمد شكري من الجملة العربية الطويلة ، والمطاطة والاسهاب في استعمال ادوات العطف . انه يكتب معظم الاحيان بأسلوب تلغرافي . الفعل قد يشكل بالنسبة له جملة ، لذلك تطغى



جان جينيه .. سمات وخصائص مشتركة

في كتاباته المصادر ، وانفصال المضارعة . يقول الدكتور محمد برادة : « الا ان هذه البنية اللغوية العامة يتخللها تكسير مباغت من خلال جمل طويلة متماسكة مختلفة من جمل الوصف والسرد . هذا « التكسير » ينقلنا من الاشياء الى امتداداتها في نفس الكاتب، ثم يعود النص الى مستواه الاول قبل أن ينكسر مرة اخرى .. في قصة «شهريار وشهرزاده تسود الجمل القصيرة مثل « سقط الكأس من يدها على الطاولة » ويأتي الوصف في رتابة مقصودة ، وفجأة تطل جملة طويلة تكسر هذه الرتابة وترسم بعدا جديدا للاشياء « لو أن هذا الاحساس كان نحو الاشياء وحدها لظللت أحدق فيها حتى أجن او يكف احساسي هذا الغريب عني».

ومن ثم فالقرابة التي نستشعرها بين التقنية القصصية عند شكرى وبين طرائق الرواية الجديدة لا تلبث ان تتلاشى ، لأن واقعية شكرى لا تقوم على تغييب ذاته من اللوحة . على العكس ، يظل صوته حاضرا همسا وجهرا من خلال تلك الجمل المتلاحقة الصادرة عن غور عميق ..

ومع ذلك فان محمد شكرى لا يخفي تأثره بالادب الغربي لانه قرأ فيه بأكثر مما قرأ في الادب العربي وفي الادب الغربي طبيعيا تقنيات جديدة وجرأة . وسيرته الذاتية نفسها « الخبز الحافي » قريبة من « اعترافات » جان جاك روسو وقد قرأ محمد شكرى أهم السير الذاتية التي جاءت بعدها مثل مذكرات سيمون دى بوفوار ، و « رحلة نحو البداية » لكولن ولسون . و « كلمات » جان بول سارتر ، وغيرها . وقد استمد من التقنيات الغربية بأكثر مما استمد من التقنيات العربية . وهو يرى في كل ذلك أمرا صحيا « لو لم يستفد طه حسين من الادب الفرنسي لما اتى نتيجة في كتابه في الشعر الجاهلي» وايضا توفيق الحكيم لو لم يدرس المسرح الغربي والمسرح الاغريقي لما كتب مسرحه بهذا الشكل المتطور في الاسلوب العربي .. هناك ايضا شعراء اجانب كان لهم تأثيرهم على الشعر العربي . لكن التأثر لا يعني المسخ أو التقليد . بعد كل هذا .. هل يمكن ان تتاح للقراء في مصر — وربما المشرق العربي باستثناء لبنان — قراءة كتب محمد شكرى التي صدرت بالعربية ، وروايته الاخيرة التي ربما صدرت بالفعل ونحن لا نعرف « السوق الداخلية » او « طنجيس » وهو الاسم القديم لمدينة طنجة !؟ هل يمكن ان نقرؤه حتى يتيقن قراء هذا المقال — على الاقل — من صحة ماورد فيه ! ! !

قصائد في وقتها..

شعر : محمد السنباطي

ـ ١ ـ

اسمع صوت بكاء الارض
واسمع صوت مكابرة الجند
واسمع صوت التاريخ الزاحف كالمشلول النصفي
ينبض عرق في كفي
يسأل : اين زناد يضغط
أطـرد خـوفي
والراية لا تسقط
ياضعفي المستاء
ضاع شبابي في حرب الطاغوت
ووضعت بقايا شغفي في التابوت
وحملت الاعبـاء
من المهد الى .. (...)
لم ابلغ املا .. !

ـ ٢ ـ

يا ابت افعل ما تؤمر
مـــرني
ليس لمثلى الا الاصغاء
يا وطني الاكبر
انت احب الاسماء
وامثـــل
دور الراعي
تنضج أوجاعي
دور السيف
حـزني يتجـدد
دور الشرير
دور الشيخ المتصابي
افقد أعصابي ، وأبلل
خدي بدموعي
ابحث عن نفسي
واعود بجوعي

المعرض العام والبحيرة الراكدة!

بقلم : عز الدين نجيب

انتهى المعرض العام السادس عشر فى صمت ، كما بدأ واستمر شهرا فى صمت ، دون ان تواكبه حملة اعلامية او نقدية ، باستثناء ندوة يتيمة فى مقر المعرض وبعض التعليقات الصحفية .

لوحة من اعمال الفنانة زينب عبد العزيز



المعرض العام

والبحيرة الراكدة!

وقد استوقفتنى ، من بينها ، الكلمة التى نشرها الزميل الفنان احمد فؤاد سليم فى عدد مايو من مجلة الهلال يصل فيها الى ان هذا المعرض يكتظ بالكم وبالاعمال التى سبق عرضها وحدد الاعمال الجديدة فيه باثنى عشر عملا .. « وهى دلالة على ان المعرض لم يعد قادرا – على حد قوله – على ان يمثل مصداقية يعتد بها بين الفنانين .. » وبذلك يعود المعرض الى نفس الحال التى كان عليها قبل عام ١٩٨١ والذى سبق الكاتب ان اطلق تحذيره منه فى مقال له بالهلال سنة ١٩٧١ .. « من محاولات بث واقع عقيم لحركة الفن المصرى يكون فيه النشاط من السطح الظاهر هو المعيار » .. وسبب هذه الحال يرجع فى رأيه الى النكوص عن فكرة المسابقة فى المعرض العام ، وهى التجربة التى جربت فى الفترة بين ١٩٨١ – ١٩٨٣ وشهد المعرض خلالها ازهى عصوره .. « غير ان الطبول الزاعقة – هكذا يقول الكاتب – نجحت فى ان توقف المد الصحيح ، فان الذين كانوا قد اعتادوا على تساوى الرءوس ببعضها وجدوا انفسهم امام سباق هم غير قادرين عليه ، فاجتمع الزامرون ببعضهم وعلا الضجيج ، واستنهضوا سلطات المسئولين ممن لا يعرفون من تاريخ حركة الفن المصرى ما يعينهم على اتخاذ موقع صحيح بين المختلفين .. »

والزميل الفنان احمد سليم قد اعتاد هذه النظرة الفوقية تجاه زملائه، باحكامه القاطعة وتنبؤاته التحذيرية، واحتقاره لمخالفيه فى الرأى ، الى حد إعتبارهم « طبالين وزمارين » ، ويرفضه المشاركة فى ندوات الرأى حول المعرض العام الذى يتعى مصيره اليوم ، وكان آخرها اثناء اقامة المعرض ، حتى انه يسمى احدى هذه الندوات التى اتخذت خلالها توصية بالغاء المسابقة من المعرض العام – :(اجتماع الزامرين ببعضهم)، فى الوقت الذى كان هذا الاجتماع يضم اكثر من ستين فنانا تشكيليا وناقدا من مختلف الاتجاهات والاجيال والمستويات الابداعية فى الحركة الفنية ، وقد طرح موضوع المسابقة فى تلك الندوة للنقاش الموضوعى ، ثم اخذ الرأى حول الغائها بالتصويت الديمقراطى ، وتحولت التوصية الى قرار من لجنة الفنون التشكيلية تلبية لرأى الفنانين ، وليس .. « بتدخل من سلطات المسئولين الذين لا يعرفون ... الخ » !

وبنفس النظرة الفوقية يذكر ان عدد الاعمال الجديدة بالمعرض لم تزد على اثنتى عشرة قطعة فنية من بين ما يقرب من ٧٠٠ عمل فنى ، دون ان يذكر لنا هذه الاعمال الاثنى عشر ، وهو حكم لا يجد سندا يؤيده ، بل انه يتناقض حتى مع ما ذكره الكاتب فى فقرة اخرى من المقال ، من ان الاعمال التى سبق عرضها تمثل ٩٥٪ من الاعمال المعروضة : (بما يعنى ان عددها يمكن ان يصل الى ٣٥ عملا) .. والطريف انه ذكر اسماء بعض الفنانين الذين قدموا اعمالا قديمة ،

وقد لاحظت ان بعضهم لم يشترك اصلا في هذا المعرض .. مثل الفنان عدلى رزق الله !

على اية حال فهذا شانه .. لكن ما يهمنا هو قضية المعرض العام ووضعه الراهن .. واذا كنت اتفق معه حول جموده وخلوه من الرؤى الجديدة ، فاننا نختلف كلية حول الاسباب وكيفية العلاج ، فان اسباب جمود المعرض العام في رايى تعود الى واقع الحركة الفنية نفسها،وما المعرض العام الا تعبيرا عنها ، ذلك ان معروضاته هى نتاج خبرة الفنانين انفسهم على مدار السنوات الماضية :

فالجمود ، والتقلب في قوالب نمطية ، امر لصيق بالحركة الفنية منذ عقدين من الزمان تقريبا ، وهو يرجع من ناحية الى الركود العام في الحركة الثقافية والاجتماعية،ومن ناحية اخرى الى عزلة الفنانين - اعنى اغلبهم - عن قضايا الفكر والاجتهاد النظرى والموقف الاجتماعي ، وانغلاقهم - بدلا من ذلك - في قضايا الاساليب والصياغة التكنيكية ، واعتبار الاسلوب وحده هو بطاقة الشخصية للفنان ويرجع اخيرا الى لهاث الكثيرين منهم وراء تسويق اعمالهم ، مما يغذى حرصهم على تجميد اساليبهم التى اشتهروا بها لدى زبائنهم . وبهذا انحصرت رسالة الفنان العظيمة في ادنى حدودها ، وانحصر بالتالى التواجد الاجتماعي للفنان ، وضاقت قاعدته الجماهيرية الى درجة العزلة المريرة ، الامر الذى ادى بالفنانين ان يخاطبوا بعضهم البعض ، وادى الى ركود بحيرتهم حتى اسنت مياهها .. والمدهش انهم لا يدركون ان هذه العزلة هى في حد ذاتها مأساة !

فاذا كان الامر كذلك ، فماذا تجدى اية مسابقة في تحريك هذا الركود ؟*

ان جدواها لن تزيد على عملية تنفس صناعي محدود الاثر ، سرعان ما يعود الجسم بعدها الى همود ، وهذا ما حدث بالفعل اثناء وجود المسابقة وبعده ، وهو ما شهد به ايضا مقال الكاتب .. ولنسال في « اى اتجاه » كان ذلك النشاط المحدود خلال فترة المسابقة ؟ .. لقد كان نشاطا شكليا بحتا ، هدفه الابهار البصرى للفوز بالجائزة ، اكثر من ملامسة الرؤى الفكرية والجوهر الانسانى ، فلما انتهى المنشط المادى توقف حتى الاجتهاد الجماعي ، وعاد الجسم الى همود وعلله المزمنة ، وفى احسن الاحوال : عكف الجادون على « تجويد الصنعة » دون الانتقال خطوة كبيرة الى الامام .

ولن اتحدث هنا عن كيفية تشكيل اللجان التى كانت تمنح الجوائز وتقتنى باعلى الاسعار ، وعن انحيازها لاتجاه دون آخر ، وعن الآثار الدامية في نفوس كثير من الفنانين المبدعين والمبدعين (بكل مقاييس الابداع وليس مقاييس السوق التى يشير اليها الكاتب) ، وجعل نفوسا اخرى تختصر الطريق بالسير في الاتجاهات السائدة املا في الفوز بشىء ما في ذلك السباق اللاهث .

وعلى ذلك : فان علاج المعرض العام - في رايى - يبدأ من علاج الحركة الفنية ، بل يبدأ من الفنان نفسه ،عندما يؤمن برسالة ويفكر ويموقف ، عندما يشعر بالانتماء والمسئولية تجاه مجتمعه ، عندما يعذبه احساسه بالعزلة عن الناس ، دون ان يلقى بالذنب عليهم وحدهم .. واخيرا : عندما يمتلىء بالانفة والكبرياء تجاه اجهزة المنح والمنع ، وليس تجاه شعبه المحروم الذى يفتقد الطريق اليه!

ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة؟

بقلم : مصطفى درويش

ميلاد الملك إخناتون .. لقطة من الفيلم الذي يعده شادي عبد السلام



● كان اول فيلم عربى يبدا وينتهى بكلمات ماخوذة من تراث قدماء المصريين .. كتاب الموتى " الفا سنة قبل الميلاد " يبدا بصور فرعونية يصاحبها صوت يقرا تلك الكلمات يامن تمضي ستعود .. يامن تنام سوف تنهض يامن تموت سوف تبعث . فالمحبة لك .

وينتهي - بعد اختفاء الفلك بمن عليه من فراعين - بتلك الكلمات

إنهض فلن تفنى .. لقد نوديت باسمك . لقد بعثت. ●

نفرتيتى كما تخيلها شادى عبد السلام





ليلة حساب السنين جريمة أم وليمة؟

وكان أول فيلم ناطق بلغة الآباء يعرض لحاضر مصر متصلا بماضيها على مدى آلاف السنين .

يعتز بميراث الأسلاف منذ اول يوم شهدت فيه الأرض مصريا

يعبر بصدق عن أزمة وعينا بما اقيم من ركائز الحضارة الانسانية ودعائمها فى ازمنة الفراعين .

● قدر الأفلام الناجحة ●

وكان اول فيلم مصرى الجنسية ، عربى الهوية ، يتوج بجائزة عالمية " جورج سادول " (١٩٧٠) ، يعرض فى دار باريس بولمان - بلندن (١٩٧٢) ، يعتبر احد أحسن عشرة افلام عرضت فى انجلترا خلال سنة ١٩٧٢ ، يختار فيلم الافتتاح لدار جان كوكتو بقصر مهرجان كان (١٩٧٤) ، يفتتح به نادى سينما طوكيو ، يطبع السيناريو الخاص به باللغة اليابانية ، تكتب عنه دراسة باللغة الفرنسية فى مجموعة " دوسيه السينما " يوضع ضمن أحسن الفى وواحد فيلم اختارها قاموس لاروس للسينما (١٩٨٦) من بين جميع الافلام التى اخرجت للناس منذ اكتشاف الاطياف (١٨٩٥)

كان " ليلة حساب السنين " لصاحبه " شادى عبد السلام " والذى اشتهر تحت اسم " المومياء " كل هذا .. واكثر لانه الفيلم الذى رد اعتبار سينما الوطن العربى ، بان اثار اهتمام نقاد الغرب بها ، دافعا بهم الى السعى نحو اكتشاف مجاهلها .

● يوم مولد ●

ولعل خير وصف لموقف النقد الغربى من ذلك وبخاصة السينما المصرية قبل المومياء ، هو ماجرى به قلم " ديليز باول " الناقدة الانجليزية المخضرمة فى العدد الاسبوعى لمجلة " الساندای تايمز " اثر مشاهدتها لفيلم " شادى " ، وقبل ان يهدأ انفعالها به .

" منذ زمن بعيد ، واثناء مشاركتى فى مهرجان كورك اسأت الى سمعتى ، عندما قهقهت ضاحكة فى تعال على فيلم مصرى ارادوا به أن يكون جادا

ولم يعدنى إلى الصواب الا تذكرة من جالس الى جوارى صدمه سوء سلوكى ، بأن مخرج الفيلم معنا فى قاعة العرض .

وعلى كل فقد كنت أظن أنه ليس ثمة مايدعو الى الاهتمام بما تعرضه الشاشة المصرية

غير انني اكتشفت ان لزاما على ان اهتم .. واهتم . وعقب هذه الكلمات الطلقات التى استهلت بها الناقدة مقالتها عن " المومياء " عرضت له باعتباره الفيلم الذى غير من نظرتها الى السينما المصرية ، وجعلها تهتم وتهتم !!

● سكرة فصحوة ●

وتأكيدا لهذا الطابع المتميز الذى انفرد به المومياء حتى اصبح أشهر فيلم عربى ، وواحدا من نفائس السينما العالمية ، استهل الناقد الفرنسى " كلود ميشيل كلونى " دراسة له مدارها فيلم " شادى " بالكلمات الاتية " طابعه

الغريب ، بل واسلوبه يجعلان تصنيفه امرا محالا ،

واستطرد قائلا : الذى لايرقى إليه الشك أن هذا العمل يتميّز بقدرة على الابهار ، وذلك بفضل أسلوبه البليغ ، وجماله الشكلى ، وقبس النور الذى بعثه " شادى " من ظلمة الليل البهيم كيما نرى فى ضيائه مصر الخالدة .. مصر التى تحلم وتتحرك

والى حدّ بعيد كان من الممكن اعتبار المومياء فيلما غير مصرى لولا أن مصر تقيم فى ثناياه بماضيها ، بديكورها ، بواقعها ، بتمزقاتها

تعبر داخله عن تفرّدها

" وشادى " يسافر بنا فى فيلمه الى ماض مرتد الاف السنين " العصر الفرعونى " ، .. يوجّه بصرنا الى تلك الهوة السحيقة بين مصر المدينة وبين مصر القرية ، ينتقل بنا عبر زمن يبدو ساكنا لايتحرك .. زمن يجرفنا بشاعريته ، يسحرنا ليشهدنا على قطيعة مفاجئة ، على مولد عصر جديد كل الجدة ، هذا العصر الذى يرغبه " وانيس " ، يسعى اليه مدفوعا بالبصيرة

والمومياء قصيدة ذلك الصراع ، وليس صدفة ان الفيلم ينتهى بصور للنيل يطل عليه الفجر .

● أشعة فى غمام ●

ثم تطرق الناقد الفرنسى الى اخراج " المومياء " فقال عنه انه مختلف عن اسلوب الاخراج السائد فى السينما الغربية حيث تختلط الواقعية بالاستعراضات الغنائية والترفيهية . هذا وبفضل توازن محسوب بين الشعر وبين عالم الموضوعات المطروحة ارتقى " شادى " بفيلمه ــ بعد ان صفّاه من كل شائبة الى مستوى قريب من العبادة .

ان المومياء بجمال تشكيله ، وعطر شعره ، فيلم له مقام خاص سواء فى السينما العربية او بين المدارس الغربية

انه يعبّر دون ريب عن بعض جوانب الروح المصرية ودخائلها باسلوب يتّسم بالابتكار الاخّاذ

● الكهوف المظلمة ●

ورغم كل هذا المديح والاطراء ، ظل " المومياء " ـ بعد عرض يتيم له فى نادى سينما القاهرة ، ليلة السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩٦٩ ـ ظل حبيس توابيت العلب فى مؤسسة السينما ، مكتوبا عليه : الا يعرض داخل مصر زهاء خمسة اعوام

ولعل خير بيان لمحنة " شادى " اولا مع فيلمه الاول " المومياء " وثانيا مع مشروع فيلمه " اخناتون " هو ما كتبه الناقد الانجليزى " نيجل اندروز " فى عدد الربيع ١٩٧٢ من مجلة السينما الفصلية " سايت آند ساوند " (صورة وصوت) فعنده " **انه ليس ثمة ما يستطيع ان يجسّد اوهام النجاح فى مجال السينما خيرا من حالة شادى هذا المخرج الذى حيّته الاقلام رات فيه املا للسينما المصرية .**

ورغم ذلك فلا يزال مشتبكا فى معركة طويلة مريرة من أجل الحصول على دعم لمشروع فيلمه الجديد " اخناتون " ثم تطرّق الناقد الى ماضى صاحب المومياء ، فقال انه نجح فى تمويل فيلمه الاول بفضل



ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة؟

حماس " روبرتو روسيلليني " ورعايته له . ذلك أنه ما أن قرأ المخرج الايطالي مشروع السيناريو الذى كتبه شادى لفيلمه " ليلة حساب السنين (المومياء) . الا وكان قد بادر بالتصديق على طلبه فتح اعتماد حكومي ابتغاء إخراجه .

ومع ذلك ، ورغم كل النجاحات التى أحرزها فى العديد من المهرجانات الدولية . لم يحصل الفيلم على حق العرض فى مصر إلا منذ وقت قريب جدا

● ثمن الخوف ●

وأغلب الظن أن سبب ذلك انما يرجع الى أن أولى الأمر فى حقل السينما . يسيطر عليهم الخوف من تشجيع صانع فيلم يبدو أن اهتمامه منصب على ماضى مصر ، دون حاضرها . ولاتحمل مشاريعه بصمة النجاح التجارى الاكيد

ومهما يكن من الأمر ، فإنه لمما يحزن أن يهمل شأن أخناتون . فلا يكتب لمشروعه أن يرى النور . لاسيما إذا وضع فى الاعتبار أن صاحبه قد أعدّ الفيلم ما استطاع ، فكتب السيناريو ، وهيأ الديكور ، واختار الممثلين للأدوار .

صورة متخيلة لاخناتون الذى يحاول المخرج أن يجعله يرى النور


نادية لطفى فى فيلم المومياء


شادى عبد السلام

لم يبق سوى أن ينتظر موافقة هيئة السينما على تمويل ميزانيته التى تقدر بمبلغ لايزيد على مائة ألف جنيه

وقصة الفيلم تدور أحداثها فى عهد إخناتون الذى كان أول فرعون يؤمن بالتوحيد ، فيثور على ما كان يعتبر من السنّة فى أيامه ، ويبتدع دينا جديدا قوامه عبادة الشمس ، وعادة يوصف اخناتون بانه أول فرد فى التاريخ

● عصيـــان ●

ولا عجب فى هذا ، فهو الملك الذى تمرّد على الاهتمامات القديمة لدين لم يكن له من شاغل سوى الموت ، وما بعد الحياة ، وتحوّل عنه إلى الايمان باله واحد ، خيِّر ، وهاب للحياة .. الشمس .

والفيلم يعرض للصراع بين اخناتون ، وهو يزداد عزلة بهرطقته ، وبين قوى السنة الباغية متمثلة فى الكهان ورجال الجيش ، تنتظر فى صبر نهاية فرعون ابتغاء اعادة الاستقرار الدينى والسياسى الى البلاد بالارتداد الى عبادة آمون .

وامكانات القصة الدرامية والمقابلات والدلالات العصرية الكامنة فيها لاتحتاج الى مزيد من بيان

ومما يدعو الى الاسف ان تترك هيئة السينما المصرية شادى منتظرا المن فى برد العراء ، وذلك رغم انه الوحيد بين صانعى الافلام فى مصر الحاصل على تقدير عالمى ، فضلا عن ان الايام قد اثبتت انه على مستوى عال من الاحساس الفنى ، وصاحب قدرة فائقة على الابداع من خلال التحكم فى الصور المتحركة

● العجب العجاب ●

وللحق ، فانه لمن سخرية الاقدار ان تكون صناعة السينما فى مصر ـ هذا البلد العريق صاحب الرصيد الحضارى الذى

ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة ؟

يعتبر من أغنى ارصدة العالم - دوما فاشلة فى السحب من هذا الرصيد

ومضى الناقد قائلا يحكى انه لما سمع العالم الانجليزى " سيريل الدود " المتخصص فى دراسة الحضارة المصرية القديمة بمشروع إخناتون صاح متعجبا " فيلم عن مصر القديمة لمخرج مصرى .. يا للغرابة " !!

ولسوء الحظ كانت دهشة العالم الانجليزى فى محلها ، فأحد من المحيط إلى الخليج لم يهتم او يهتز لما كتب عن مشروع اخناتون .

ولم يسهم احد بكثير أو قليل فى مجالات إحياء المشروع والتحول به من حلم الى فيلم .

ودارت عجلة الزمان مع شادى ، واذا اخناتون - بعد سبع عشرة سنة من اخراج فيلمه الاول " المومياء " لايزال فى علم الغيب .. لايزال قضية بلا حلّ

● لمــاذا .. ؟ ●

والآن يحق لنا ، بل يجق علينا ، ان نتساءل لماذا بعد كل هذه السنين التى صرفت فى البحث التاريخى والاركيولوجى .. فى صنع المجوهرات . الصولجانات ، الملابس ، الأثاث ، عربات الحرب والمراكب الملكية .

فى إعادة بناء المعابد التى لم يعد لها وجود والمقابر التى اغتصبت منذ أمد بعيد

لماذا بعد كل هذا الذى بذل من اجل بعث اخناتون الفرعون المنتمى الى الاسرة الثانية عشرة ، والذى خرج على دين الآباء والأجداد ليقيم عبادة جديدة جوهرها تقديس قرص الشمس

لماذا بعد كل هذا الوجد والتفانى والمعاناة ، لم يستطع صاحب " المومياء " ان يتغلب على قوى الظلام ويخرج باخناتون الى النور ؟

● بصيص من نور ●

بادىء ذى بدء قد يعين على الوصول الى اجابة عن كل هذه الاسئلة ، ذكر ما جرى لصاحب هذه السطور مع المومياء ومبدعها وقت أن كان رقيبا (١٩٦٧)

فى يوم مشحون بالعمل - ودون موعد - جاء الى مكتبى بالرقابة فنان خمرى اللون ، ممشوق القوام ، يتأبط سيناريو .. رجانى فى استحياء شديد أن أقرأه .

فلما أغرانى حب الاستطلاع على تصفحه ، وانتهيت من قراءته : دهشت من سمو موضوعه ، وشموخ بنائه الدرامى . وهو امر لم اعهده من قبل فى اى عمل سينمائى محلّى مرّ وانا رقيب

● تصفيــات ●

والغريب أنه فور انبهارى به ، تحدث الى هاتفيا رئيس مجلس إدارة شركة الانتاج السينمائى الذى كان يمقت الفن السابع مقتا شديدا ، طلب الى عدم الترخيص بعمل فيلم من سيناريو " شادى " انقاذا لمؤسسة السينما من

كارثة إنتاج فيلم غير جماهيرى ليس من ورائه سوى الخسارة ووجع القلب .

ترددت محرجا ، ثم رددت قائلا ان السيناريو لا ينطوى على موانع رقابية تحول دون الترخيص به واذا به يفجؤنى مصححا

لا .. انه فيلم ضد البلد .. عن امجاد الفراعنة .. معاد للقومية العربية !!

ومما قد يعين كذلك فى عملية البحث عن اجابة ، الغوص فى اعماق " المومياء " هذا الفيلم الفريد .

الاكيد اننا لو اوغلنا فيه سعيا الى المحور الذى يتحرك عليه من بدايته الى نهايته لوجدنا فى اعماقه قوى متعددة تتصارع .

● بين عالمين ●

وقد يساعد على فهم هذه القوى ان احداث الفيلم تبدأ قبيل الاحتلال البريطانى لمصر بأشهر معدودة

فاذا ما انتقلنا بها الى عرضه اليتيم فى السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩٦٩ - اى قبل وفاة جمال عبد الناصر بتسعة شهور الا قليلا - لاتضح لنا ان الفيلم انما كان يتنبأ بقرب انتهاء الحقبة الناصرية ، وبداية هجمة أحفاد بلفور والاتباع الدائرين فى فلك وعده المشئوم .

ومن العلامات الدالة على ذلك أولا وجود الخبراء الاجانب كماسبيرو الذى يبدأ به الفيلم ، وغلبة افكارهم غير الانسانية التى تجعل الاولوية للآثار كمقتنيات للمتاحف بالتضحية بالفلاحين ومصيرهم ، ثانيا طبقة أفندية القاهرة (الفئة المتحضرة المتفرنجة) - علماء التنقيب والتجار والشرطة - تعيش فى فلك الاوربيين متعاونة معهم ضد الشعب الذى تستمد منه الحياة ، ثالثا الأهالى يمارسون حياتهم اليومية مسلمين حنفاء متمسكين بالتقاليد ، ومع ذلك فمعيشتهم قوامها السرقة والاهدار للتراث رابعا " ونيس بطل الفيلم يعى الفرق بين الخطا والصواب ولكنه فى حيرة من امره ، كيف يختار .. أيختار ان يعيش ابنا بارا للقبيلة حافظا سرها ، وخارجا على القانون ؟ ألا يكشف السرّ لسلطات القاهرة الكريهة ؟

وهكذا .. وهكذا .. نجد انفسنا امام فيلم ملىء بالرموز والدلالات .. بالاسئلة التى يطرحها حول مشاكل مصر المعاصرة .. حول ماضيها الفرعونى والهوّة السحيقة بينه وبين ثقافتها الاسلامية المفرغة من مضمونها .. حول اطلالها على الغرب وهويتها العربيةّ ومعاناة التوفيق والاختيار .

● البعث ●

وطبعا فيلم يمثل هذا المستوى الرفيع من الوعى وطرح الأفكار لا يمكن أن يتكرر فى السبعينيات .

إنه جريمة لابد ألا تحدث مرة ثانية ، ولابد الا تتاح لمرتكبيها فرصة إخراج فيلم آخر لاسيما اذا كان مداره سيرة اخناتون ، اى الاستمرار فى هرطقة المومياء

وبعد فاذا كان فيلم شادى فى نظر المرتجفين المرتعدة فرائصهم امام المعرفة جريمة

فانه فى نظر الواقفين فى كبرياء امام علامات التاريخ ابتغاء فك رموزها قراءتها ، تمثلها وليمة لا مثلها ، ولا قبلها وبعدها وليمة ، بها نعرف تنهض لانفنى . نبعث احياء

فى لقاء مع صاحب آخر صحيفة إقليمية فى مصر

هموم الناس قضيتى الأولى

تحقيق : عبده جبير

من الذى يرسم لنا ادوارنا فى الحياة ، هل هى الصدفة ام القصد ، الرغبة ام الموهبة ؟ وما الذى يدفع بشاب يافع فى السابعة عشرة من عمره ، يعيش فى مدينة صغيرة منزوية الى ان يضع على كاهله مهمة من مهام العمل العام ، دون ان يفكر لحظة فى الخروج من هذه المدينة الصغيرة ، الى العاصمة ، كما يفعل الطامعين الى الوصول لموقع النجومية ؟ .

● هذه الاسئلة وغيرها لابد أن تخطر ببالك وانت تلتقى لاول مرة بهذا الشيخ الجليل الذى خطه الشيب ، ولا يزال يجلس خلف مكتبه العتيق ، تحيط به عشرات الملفات ، وبروفات صفحات جريدته التى كرس لها حياته ، على الرغم من انها لم تعطه سوى الاحساس الجميل البسيط بانه قام بدوره الايجابى فى هذه الحياة كاملا . يقول زكريا الحزاوى :

« لو سألتنى هل انا نادم على شىء ، لقلت : ابدا . لو قلت لى هل اذا عدت الان شابا من جديد فساختار نفس الحياة ، لقلت : « نعم » .

تحس طوال الوقت بانه سعيد ، هذه السعادة الخفية الهادئة التى يعيشها اولئك الذين قضوا حياتهم من



جمال عبد الناصر اثناء زيارته لمقر جريدة اخبار دمياط



صاحب الجريدة يتابع العمل بنفسه داخل المطبعة



أجل الآخرين ، لم ينتفعوا من مشاكل الناس ، بل ساعدوا على حلها ، لم يهتم بمشاكله الشخصية بقدر ما اهتم بحق كاد يضيع ، أو ظلم ساعد على رفعه عن كاهل مظلوم .

ــ « انها رغبة خفيــــة تلك التى تلبستنى وأنا صغير لان أكون مراسلا صحفيا ، هكذا ، فقد كنت أتطلع ــ لا أعرف لم ــ للمراسل باعتبــــاره من طينة أخرى ، شخصا ذا حيثية يذهب اليه الناس سائلين قضاء حوائجهم ، وبدأت بارسال مقالة الى الاهرام فنشرت ، فعززنى ذلك ، لدى الكل ، فبدأت أنشر فى صباح الخير ، وآخـر ساعة ، والمصباح ، والبـــلاغ ، ودار الهلال ، التى كنت مندوبها الوحيد ، بعد ذلك ، حتى أنشأت الجريدة » .

● صفحة من التاريخ ●

وهذه « الجريدة » هى حياته كلها ، « أخبار دميــــاط » التى لم تكن أول صحيفة فى هذه المدينة ، ويحــكى زكريا المزاوى ، صــفحة من تاريخ الصحافة الاقليمية التى لم يكترث بها أحد من قبل :

ــ « عام ١٩٣٦ أنشأ المرحوم « محمد عطية الحـــريرى » جريدة تحــت اسم « دمياط » ، وكان يرأس تحريرها شاعر دمياط المرحــوم « على عـلى العزبى » والد الاستاذ رجاء العزبى الذى كان يرأس تحرير مجلة الاذاعة ، وكان الحريرى يعمل بالتجارة ، وبعد موت على العزبى اتفق معى أن أرأس تحريرها ، وأعطانى نصف امتيازها ، لكى أقبل أغراءه ، وظللت بها حتى ١٩٤٩ عندما فكرت فى اصدار صحيفة خاصة ، وكانت أخبار اليوم قد صدرت وراجت نتيجة للحكايات التى كـانت تنشرها عن الملك وأفاعيله ، فشغلت بهذا النجاح ، وعزمت على أن أسميها ، « أخبار دمياط » ، وبالفعل ، ذهبـت الى صديقى « اميــل زيــدان » فى دار الهلال وطلبت مساعدته للحصول على ترخيص ، فأتصل بالمرحوم حسين سرى باشا ، وزير الداخلية (ورئيس الوزراء) ووافق حسين سرى ، وفى اليوم التالى صدرت الصــحف وفيها خبر منحى الترخيص .

لم يكن للصحيفة السابقة « دمياط » مطابع ، بل كانت تحرر هنا وتطبــع فى المنصورة ، لكننى اشتريت مطبعة مستعملة من جريدة المقطم ، كما أن جورجى زيدان أهدانى واحدة ، وهذه احتفظ بها ، لانها أثر تاريخى مهم فهى أول مطبعة طبعت عليها الهلال

● قواعد العمل ●

●● هذا هو الشكل ، لكن مــاذا! عن المضمون ، هل خطر ببال « المراسل » الصحفى ، مثلا ، أن يضع لصحيفته ، قواعد ، أو لنقل سياسة ما ؟

ــ « نعم ، أول قاعدة ألمت عليها الجريدة هى الا أوزعها مجانا قط ، لا أعطيها مجانا لاى شخص أو جهة ، لماذا ؟ . لان من يدفع ثمن الصحيفة يتعامل معها بشكل أكثر احتراما ، يقــدرها ويقرؤها ، من الجــلدة للجـلدة !

●● آه . القاعدة الثانية : (وأعتقد انها قاعدة خاصة بالصحف الاقليمية ، اكتسبتها من خبرتى) هى الا أوزعها مع باعة الصـــحف ، بل بناء عـلى اشتراكات مسبقة ، واترك عددا فى المقر لمن يريد أن يبتاعها . لـــماذا ؟ لاننى اكتشـــفت أن أهالى دميـــاط

يستعيرون المصحف من الباعة ويقرءونها ثم يعيدونها في حالة سيئة».

● تبنى المشكلات الحيوية ●

●● وماذا عن المبادىء التي تبنتها الصحيفة ، هل كانت - قبل الثورة - تابعة لحزب ما ؟ هل انحازت لاتجاه دون الآخر ، أو لكاتب دون الآخر ، وما هو موقفها من المواهب الجديدة؟.

- يجيب « الحزاوى » :

« أول المبادىء هو تبنى القضايا الخاصة ، بالمدينة ، كان هناك - مثلا - مصنع للنسيج في دمياط نقل الى حلوان ، فظلت تطالب بعودته ولم تكف عن هذه المطالبة حتى عاد في عام (١٩٦١) ، ثم كان مطلب ميناء دمياط الذى تحقق أخيرا . هكذا ترى أن المبدأ هنا مترجم في أشياء محددة لخدمة المدينة ، وبالنسبة لمسألة الحزبية ، فأنا لم انتم لأى حزب من الاحزاب ، ورأيى أن الصحفى يجب الا ينتمى لأى حزب ، لان ذلك يجعل الصحيفة معلقة بوجود الحزب، وها هى «أخبار دمياط» استمرت وانتهت الاحزاب ، وانتهت حكومات . ومن مبادىء أخبار دمياط أيضا أنها لاتنشر المديح ، أو الهجاء وكانت تحرم على نفسها دائما قبل الثورة وبعدها ذكر الالقاب ، وأنا مدين بهذا المبدأ لتوجيه صديقى وزميلى الشاعر طاهر أبوفاشا، أما بالنسبة لتبنى المواهب، فكل الكتاب والشعراء والفنانين الدمياطيين بدءوا خطواتهم الاولى في «أخبار دمياط» ، ولا أنكر العدد الان ، لكن يمكننى ان اقول ان «أخبار دمياط» تشرفت باقلام كثيرة ، منها سليم حسن وعبدالرحمن الرافعى ، ومحمد زكى على ، وصبرى أبو علم ، وأحمد الالفى عطية ، وسعد السعين عبد الرازق ، وعبد الوهاب شباته ، ويسرى الصوان ، وعبده حسن الزيات ، ومحمد حسن الزيات الذى يكتب فيها حتى الان كلما سنحت له الفرصة ، علاوة على صديق الطفولة طاهر أبو فاشا الذى يكتب افتتاحية الجريدة منذ انشائها وحتى الان » .

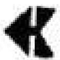
● دائما في الميدان ●

منذ انشائها وحتى الان لا تزال «أخبار دمياط» ، تجمع ، حروفها باليد وتطبع بنظام التيبو ، ويتعاون في تحريرها عدد من الكتاب الدائمين من أبناء المدينة ، كما تقوم بتغطية أخبارية شاملة للاحداث المحلية الثقافية والسياسية والاجتماعية ، ونتيجة للدور الذى يقوم به صاحبها كمرجع لاصحاب المشاكل يساعدهم على حلها فان مقر الجريدة لا يكف عن استقبال أصحاب المطالب الذين يحملون لها الاخبار ويجعلونها دائما في الميدان ، كما ان ارتباطها بالناس يمتد خارج الحدود.

يقول زكريا الحزاوى :

« تتميز مدينة دمياط بهجرة عدد كبير من أهلها الى بلاد الدنيا ، وكثير منهم يعمل في البلاد العربية ، كما ان عددا كبيرا منهم يعيش مهاجرا في أمريكا وأوربا وحتى استراليا لذلك فاننا نهتم بأخبار هؤلاء المهاجرين، كما اننى لا ارفض اشتراكا لدمياطى مهاجر ، وتجد اغلب اشتراكاتى في بلدان كثيرة في العالم ، كما اننى جعلت من مصيف رأس البر محورا لربط المصطافين بالجريدة ، الامر الذى يجعلها مرجعا مهما لكل من تربطه صلة أو لديه رغبة في معرفة أحوال رأس البر » .

صدر اول عدد من اخبار دمياط في ١٧ اكتوبر عام ١٩٤٩ ، وطبع منه ، ولفترة طويلة مضت (٨٠) ثمانون نسخة ، تزايدت مع مرور الزمن لتصل الى عدة آلاف ، ما هو الرقم الذى



وصلت اليه ، وما هو عدد المشتركين، يرفض الحزاوى الكلام فى هذه النقطة ويقول انه سر الصحيفة .

●● وكان لابـد من الكلام عـن الرقابة ، المشكلة التى كانت دائمـا ترتبط بالصحافة .

ـ يقول الحزاوى :

ـ لم تتعرض « اخبار دمياط » لاى مشكلات حقيقية مع الرقابة الا فى فترة خاضت فيها معركة اثر مطالبتها بقطعة أرض ملحقة بمنزل البلدية الذى يسكنه المحافظ كى تبنى فيه مساكن للعمال ، فعادانى المحـافظ فى ذلك الوقت ـ فى الستينيات ـ وسلط على الرقيب الذى تشدد فى منع كثير من المقالات ، لكننى اخذت كل ما شطبه وذهبت الى « موفق الحموى » الرقيب العام ، الذى أجازها جميعا .

●● هل تتلقى الصحيفة عـونا من أحد ، وهــل تلقى « الحزاوى » تقديرا من الجهات المسئولة ، حتى ولو كرائد من رواد الصحافة المصرية :

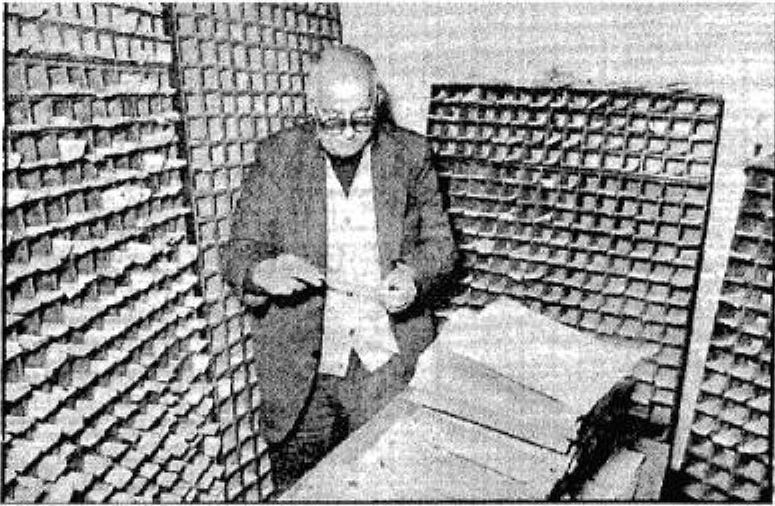
ـ يقول الحزاوى : اعتمدت دائمـا على نفسى وعلى أهل بلدى ، لم أتـلق معونة من أحد ولم اقبل اى رشاوى كما اننى بطبعى لا أحب النياشين او اكاليل الغار . اعتمادى قائم عـلى ما تحصله الصـحيفة من مشتركيها ومن المعلنين من أهل البلد ، وعـلى العمـل القنير والصمود فى وجـه المتاعب ، وحب الناس لى هو النيشان الاكبر الذى اعتز به .

● الخطأ القاتل ●

وفى النهاية يحكى الحزاوى حكايات تكاد لا تنتهى ، حكايات عن المهنة ، وعن الناس ، وعن « المقالب » التى

مع الأستاذ طاهر ابو فاشا الذى عمل فى جريدة اخبار دمياط منذ صدورها حتى الآن





داخل حجرة الاشتراكات .. التأكد من إرسال الأعداد الى المشتركين

لا أعطى جريدتى مجاناً قط ..

ولم أنتظر أكاليل الغار من أحد ..

صادفته ودفع ثمنها ، ويقول الحزاوى :

« كان عبد الناصر سيلتقى بالرئيس السودانى فكتبت عنوان الجريدة « المانشيت » لقاء الانتقام ، ولم انتظر صدور العدد لامر شغلنى ، فاذا بالمطبعجى يخطئه ويجعلها : « لقاء الانتقام » وقامت الدنيا وكان على ان ادفع الثمن والم المطبوع ، واصبر العدد بعد التصحيح ، لذلك فاننى اجد نفسى مرتبطا بالجريدة من الصباح الى المساء لا اغادرها تقريبا .

ومن الحكايات التى لا انساها حكاية الدمياطى الذى يعمل فى الجزائر مدرسا ويكتب من هناك رسائل كنا ننشرها ونرسل له العدد الخاص به كمشترك ، فاذا بالسلطات الجزائرية تستدعيه فى الهزيع الاخير من الليل، وتقول بانهم حجزوا الجريدة القادمة اليه من مصر ، فيصاب بالهلع، لكنهم يقولون له اننا نريد منك أن تصدر لنا جريدة على نسقها وهذا هو سبب استدعائك ، فيعتذر الرجل موضحا انه ليس لديه خبرة فى انشاء الصحف وكل ما يقوم به هو الكتابة لها .

هكذا يقول الحزاوى ان الجزائر كانت تتمنى ان يكون لها جريدة على غرار « اخبار دمياط » ، وكان لابد لنا من الوصول الى النهاية . لكن المؤسف فى الامر ان «اخبار دمياط» ستتوقف يوم يتوقف قلب زكريا الحزاوى الكبير عن النبض لان « امتياز » الصحيفة مرتبط بوجود صاحبها ، لذا فاننا نرفع ايدينا الى السماء بأن يمد الله فى عمره حتى تستمر « اخبار دمياط » اخر صحيفة اقليمية فى أرض المحروسة مصر



مسرح

المهرجان الحادى عشر للمسرح الجامعى

وسط تفاقم مشكلات المسرح المصرى ، جاءت مسابقة المسرح الجامعى هذا العام ، والتى ينظمها المجلس الأعلى للشباب والرياضة لكى تدفع بعض الحركة للأوصال التى أصابها الشلل ، ولكن سرعان ماخبت الأنوار وعم الصمت ، إلا أن الليالى معدودة والعرض – حتى لو كان متميزا – لا يتم إلا مرة واحدة !

ولكن نتيجة المسابقة هذا العام حملت العديد من المفاجآت وكانت كالتالى :

– الفائز الأول عرض « مشعلو الحرائق » لجامعة القاهرة .. أخرجه أحمد مختار

– الفائز الثانى عرض «يا طالع الشجرة» لجامعة طنطا ، أخرجه محمد المصرى

– الفائز الثالث عرض «المهرج» لجامعة المنصورة ، أخرجه أحمد عبد الجليل

– الفائز الرابع عرض «شمشون ودليلة» لجامعة حلوان ، أخرجه هشام جمعة

– الفائز الخامس عرض « العادلون » لجامعة عين شمس ، أخرجه ياسر علام

والمفاجأة فى هذه العروض أنها جميعا شبابية لمخرجين جدد رغم أن التنافس كان بينهم وبين مجموعة من المخرجين المحترفين الذين يمارسون الإخراج منذ سنوات طويلة.

وأهم الظواهر التى لاحظتها فى مسابقة هذا العام اعتذار بعض الجامعات عن الاشتراك لأسباب مجهولة – جامعة طنطا – وأخرى معلومة – معظم جامعات الصعيد – بسبب الجماعات الدينية المتشددة التى ترى أن المسرح رجس من عمل الشيطان !

تزامن إقامة العروض التى تبدأ تصفياتها مع الاستعداد لامتحانات نهاية العام مما يؤثر بشكل كبير على العروض ، بل على ممارسة النشاط ذاته .

وقد سألنا الناقد حسن عطية والمخرج الشريف خاطر عضوى لجنة التحكيم العليا من أهم ملامح مهرجان هذا العام ، فاتفق الاثنان على أن الميزة الأولى » هى طرح الرؤى التقدمية والوطنية بشكل واضح وإن جاء ذلك فى بعض الأحيان على حساب النواحى الفنية والجمالية ، ولكن العروض الناجحة والتى وصلت إلى المستويات الأولى ، هى عروض لشباب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، يتعامل مع المسرح كرسالة وكقضية وكقيمة فنية ، ويضيف حسن عطية : إنه فى غيبة العروض المسرحية الجادة والمتميزة فى مسرح الدولة والمسرح التجارى والتى تلحق الأعمال بالتراث الفكرى فإن عروض الجامعة هذا العام تميزت بثراء داخلى كامن خلف بساطة اللغة المستخدمة «فقر»

الامكانيات مما يؤكد على ان المسرح الجامعي بقدرته على الخلق والابتكار والتصدي لقضايا الوطن ، هو البديل المطروح حاليا لهذا التردي في مؤسسة المسرح والتخلخل الحادث في مسرح الثقافة الجماهيرية وانهياره في القطاع الخاص ، كما يثبت ان الرؤى المطروحة حاليا في بعض مؤسساتنا مثل المجالس القومية المتخصصة التي ترى ضرورة تقليص نشاط المسرح الجامعي ، هي رؤى فاسدة بالضرورة ، وان المسرح الجامعي ليس مجرد نشاط ترفيهي يبعد الطالب عن مواده التلقينية وانما هو نشاط تعبيري أصيل يتعلم فيه الشباب القدرة على التصدي لقضايا المجتمع والفهم الصحيح والتحاور والاحترام المتبادل للرأى الاخر ، ولكن الشريف خاطر يرى ان الظواهر التي تحدث حاليا فردية ، وان المسرح الجامعي لن يستطيع ان يحقق الغرض المأمول منه الا اذا هيىء له المناخ الذي يوفر الظروف الصحية السليمة لاثبات وجوده واستمراريته ، وبينما يعترف الشريف خاطر باستفادته من مخرجي العرضين الفائزين بدرع الجامعات « احمد مختار ، محمد المصري » فانه يتفق مع حسن عطية على ان كلا منهما استطاع ان يقدم رؤية تفسيرية جمالية للعمل المسرحي ، فضلا عن قدرة كل منهما على صياغة فنية تشكيلية بارعة ، يلعب فيها الطالب دورا مذكرا ومجسدا لتلك الافكار التي يؤديها بكيانه كله وليس فقط بالصوت الزاعق كغالبية عروض المسرح الجامعي في السنوات الاخيرة ، وأن العرضين قد حققا طفرة متقدمة في المسرح الجامعي حيث أكدا أن الفن المسرحي هو قيمة جمالية وفكرية





معا وذلك بابسط الحلول والامكانيات المادية مما يتطلب ضرورة أن يتبنى المجلس الاعلى للشباب والرياضة هذه العروض ويقدمها في جامعات مصر بالكامل ويمكن استضافتها بالثقافة الجماهيرية ، لضرورة التعرف على تلك التجارب التميز في المسرح والتي تعد رافدا اساسيا لحركة المسرح المصري ، وتكشف عن مواهب الدهشة تؤكد على ان الواقع المتردي ليس بالضرورة غير منجب للمواهب ، وانما الحوار والجدل مع هذا الواقع قد خلق اجيالا متعاقبة تملك امكانية ان تتحمل مسئولية النهضة المسرحية المرجوة ..

فهل يرد هذا على الذين يطالبون بتقليص دور المسرح الجامعي ، وهو شئنا ام ابينا مؤثر هام في السلوك والثقافة بمشاكلنا الواسعة توازي الجانب العلمي والمعرفي المنتظر من قبل الجامعة .

محمد الشربيني

عبد المحسن صالح .. وداعا .

في صمت رحل من عالمنا . بلا سابق انذار ، توقف قلب رجل كان يملأ احاديثه بهجة وسطوره علما ، صاحب قلم من قلة من الكتاب الذين وضعوا على كاهلهم مسئولية نشر الوعي العلمي في اوساط القراء على نطاق واسع ، من اجل محاربة السلوكيات المتخلفة التي نمارسها لاننا لم نتلق بالقدر الكافي ما يفيدنا من العلم ، او لاننا تلقيناه في قاعات الدرس كمعلومات جامدة .. لكننا في حياتنا نأتي ممارسات قائمة على أسس غير علمية بالمرة .

كان عبد المحسن صالح واحدا من هؤلاء الكتاب الذين شهدت ساحة الصحافة المصرية والعربية جهودهم ، نذكر منهم اسماعيل مظهر واحمد زكي وعبد الحليم منتصر وغيرهم .

رحل الرجل في هدوء كانما ارادت خلاياه أن تتوقف دون ان تسبب ازعاجا لمن حولها ، رحل بايمانه القائم على العقل والمنطق ، فهو يرى في ابسط الظواهر الطبيعية تجليا لقدرة الخالق عز وجل . انه يقول : « ارى الله في الخلية - اراه في نظامه العظيم داخل الجسد الانسان ، كل خلية في القلب بها خمسة الاف محطة ، تحصل على السكر لتحرقه فتنطلق منه الطاقة التي يحيا بها الانسان ليحرق السكر ثانية .. وهكذا » .



ولد عبد المحسن صالح في قرية « طما البيشة » التابعة لمركز ببا « بني سويف » في الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٢٨ . ودرس بمدارس بني سويف قبل ان يلتحق بكلية علوم القاهرة التي تخرج منها عام ١٩٥٠ وعمل بها حتى حصل على الدكتوراه وآثر ان يعمل بمدينة الاسكندرية .

بدأ عبد المحسن صالح نشر مقالاته العلمية بمجلة الهلال عام ١٩٥٧ ، ومنها انطلق للكتابة

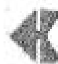
فى العديد من المجلات والصحف العربية الاخرى .

قدم للمكتبة العلمية ثمانية وعشرين بحثاً متخصصاً ، فضلا من كتبه العديدة ومن اهمها : « زوجات مفترسات » ، « الانسان والنسبية والكون » ، « لماذا نموت ؟ » ، « مسكن عالم الذكور» وغيرها .

كان عبد المحسن صالح يرى فى العلم مجالات دائمة للبحث والابتكار ، وحتى ابسط القضايا قابلة لنظريات جديدة وافكار جديدة ، وقد تناول فى كتاباته قضية الحياة والموت من منطلق علمى ، فها هو يقول : لان جسم الانسان يشتمل على اعقد وأحكم نظام فان هذا النظام لو اختل بصورة ما ، فلابد انه يبدأ فى التقوض ثم الانهيار فالموت ، ويعود الى طبيعته الاولى كمادة خام .. تدخل فى كائنات اخرى بعد الموت .

ويقول : « ان الانسان الميت قد اختفى من امام اعين احبائه ومعارفه ، ولكنه اختفاء ظاهرى فقط فما زالت المادة موجودة برمتها على هذا الكوكب ، ولابد أن يعاود بناؤها من جديد ، تماما كاحجار البيت المهدوم ، يعاد بناؤها من جديد فى بيوت اخرى .. انا الآن عجينة عضوية وغير عضوية تدور فى هذا الكوكب ، مرة فى صورة متحللة ميتة، ومرة اخرى تتشكل على هيئة حية ، لا فرق فى هذا بين عجينة الازهر والقرد والكلب والثعبان .

واذا كان عبد المحسن صالح قد اختفى من عالم احبائه فان ما تركه لنا من تراث يجب أن نضعه فى دائرة الاهتمام ، وحتى نكون اوفياء لجهده الكبير علينا ان نجمع هذا التراث المتناثر لنضمه الى مكتبتنا العربية .



● اكثر الكتب توزيعا ●

فى اكثر بلدان العالم يمكن ببساطة اللجوء الى جهة ما اتحاد الناشرين أو اتحاد الكتاب ، او المكتبة القومية للحصول على بيانات واضحة عن ارقام توزيع الكتب ، اما فى مصر ، فان مسألة الحصول على بيانات موضوعية عن توزيع الكتب ، تكاد تكون مستحيلة ، وهنا لا نجد امامنا سوى الناشرين انفسهم الذين اعتاد كثير منهم اخفاء مثل هذه البيانات لاسباب عديدة ومع ذلك فقد تعاون معنا ناشرون من القطاع الخاص امدونا ببيانات فورية عن الكتب الرائجة لديهم . اما دور النشر العامة فقد احتاج الامر الى جهد كبير لاقناع المسئولين عن التوزيع فيها باهمية الموضوع ولكننا لم نحصل على بيانات فورية آملين ان يفى هؤلاء بوعودهم بتوفير هذه البيانات فى الشهور القادمة .

وهنا حصيلة جولة على بعض دور النشر آملين ان تشمل جولتنا الشهرية دور نشر اخرى فى كل عدد :

● دار الشروق اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات فى ظلال القرآن ، مقومات التصور الاسلامى لسيد قطب العلمانية ونهضتنا الحديثة ، لمحمد عمارة فى رعاية السلطة فى العالم العربى لاحمد بهاء الدين الاقباط فى السياسة المصرية لمصطفى الفقى .

● فى مجال الادب ـ تفاحة ادم ، ومذكرات زوج لاحمد بهجت ، وعذراء الغروب لمجيد طوبيا .

● دار المستقبل العربى ، اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات ـ استراتيجية المصالحة (الجزء الثانى من مذكرات الفريق محمد فوزى) ،وعليكم السلام لمحمود عوض .

فى مجال الادب ـ أهمية أن نتثقف يا ناس ، وفقر الفكر وفكر الفقر ليوسف ادريس ، مذكراتى فى سجن النساء لنوال السعداوى،الزينى بركات لجمال الغيطانى .

● مكتبة مدبولى ـ اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات ، دراسات فى ازمة



مصر الاقتصادية للدكتور رمزى زكى ، ومحاكمة فؤاد سراج الدين لصلاح عيسى .

وفى مجال الادب ـ الاعمال الكاملة لامل دنقل ، وآه ياليل يا قمر وياسين وبهية لنجيب سرور .

● المركز العربى للبحث والنشر ـ اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات الاستقلال الوطنى لمجموعة مؤلفين وتجربة مصر الليبرالية لعفاف لطفى السيد .

وفى مجال الادب ـ عوليس لجيمس جويس ترجمة طه محمود طه ، ولعبة الزمن لنعمان عاشور .

● دار الفن العربى (مصر) متخصصة فى كتب الاطفال اكثر الكتب توزيعا ، عصافير على اغصان القلب ، مجموعة اشعار فلسطينية اختارتها وكتبت مقدمتها صفاء زيتونى . وحكايات شعبية من مصر . اعدها وحررها عبد الفتاح الجمل . وفى مجال البوستر الف باثية فلسطين لمحيى الدين اللباد ، وبوستر الحصان لايهاب شاكر ، والنخلة لحجازى .

● مكتبة الهلال ●

الكتاب : انا وثوار يوليو
المؤلف : حلمى سلام
الناشر : دار ثابت القاهرة
٢٠٧ ص.ق متوسط ٢ ج

يستعرض الاستاذ حلمى سلام فى كتابه الجديد علاقته الخاصة ببعض رجالات ثورة يوليو ، منذ تعرف على اولهم « معروف الحضرى » اثناء حرب ١٩٤٨ ، وكان حلمى سلام صحفيا بدار الهلال تلقى معلومات من أول دفعة من جرحى حرب فلسطين كانت ستصل الى مستشفى الحلمية العسكرى فذهب مع مصور الهلال والتقط لهم أول صور نشرت لهم فى صحافة العالم العربى ، واجرى حوارا صحفيا مع معروف الحضرى الذى شاءت الاقدار ان تكون علاقته به هى بداية معرفة الكاتب بثورة ٢٣ يوليو وحتى لم تزل ، بعد ، جنينا فى باطن الغيب .

لقد دأب معروف الحضرى بعد ذلك على كتابة رسالة اسبوعية لحلمى سلام تحمل اخبار اولئك الذين قادوا فيما بعد ثورة ٢٣ يوليو .. « ولعل اول صورة نشرت فى العالم كله لجمال عبد الناصر ، هى تلك التى التقطها معروف الحضرى اثناء حصار الفالوجا وبعث بها الى - يقول الكاتب - لنشرها فى مجلة المصور مع بقية اخبار الفالوجا التى كان الشعب فى مصر يترقبها باللهفة كلها وبالقلق كله » .

وعلى الرغم من ان الاستاذ حلمى سلام يصف كتابه بانه شريط ذكريات يكشف من أسرار كثيرة، ويلقى الضوء على امور كثيرة مما كان يدور فى دهاليز ثورة يوليو ، الا أن هذه الاسرار لم تتعد فى الواقع شهادة الكاتب عن بعض الاحداث التاريخيـة التى يرواها بعض رجالات يوليو ، او مؤرخوهم بصور مختلفة، واحيانا متناقضة، لقد روى السادات فى مذكراته مثلا أنه كان المتهم رقم واحد فى قضية امين عثمان ، فى الوقت الذى يؤكد حلمى سلام حتى انه كان المتهم رقم ٧ ، كما ان السادات روى قصة عمله بدار الهلال لفترة بثلاث طرق مختلفة فى الوقت الذى يؤكد حلمى سلام أنه كان صاحب الفضل فى دخول السادات لدار الهلال ، بل هو الذى كان وراء نشر مذكرات السادات عن الشهور الثلاثين التى قضاها بين جدران السجن ، فى الوقت الذى تجاهل السادات حلمى سلام من الحكاية .

لكن الم يغفل سلام نفسه بعض الحقائق ، وماذا عن دوره فى استبعاد طه حسين وعدد من الع الكتاب من دار التحرير اثناء توليه لرئاسة تحرير الجمهورية؟!.

على أى حال انها رواية واحدة من روايات عديدة لبعض أحداث ثورة ٢٣ يوليو ، أو بالاحرى سير بعض رجالاتها ، فقد اختص المؤلف محمد نجيب وعبد الناصر والسادات وصلاح - لم وعبد اللطيف البغدادى ومعروف



الحضرى بفصول الكتاب ، ومر على بقية رجالات الثورة من خلال هذا التخصيص الذى قد يكون عنصر الاثارة هو دافعه ، وان كان عنوان الكتاب يوحى لاول وهلة انه سيحكى علاقته برجالات الثورة فردا فردا .

ويبقى ملحوظة اساسية من منهج الكاتب الذى سار فى طريق شاع فى اغلب الكتابات التى تناولت هذا الموضوع الحساس : هذا المنهج يقول ان روايتى هى الرواية الوحيدة الصحيحة ، بدلا من ان يقول هذه شهادتى ، أو وجهة نظرى ، وهنا وجه الخطر الذى يقابل المؤرخ المحايد ، ووجه الخطورة الذى يدفع بالاجيال الجديدة من المصريين لان يفقدوا الثقة فيما يقدم لهم باعتباره تاريخا .

تراثنا .. كيف تعرفه ؟
المؤلف : حسين مروة
الناشر : مؤسسة الدراسات .
بيروت ٢٤ ص ، ٨,٥٠ ج . م

هو مجموعة من الدراسات التى كتبها مؤلف السفر الشهير « النزعات المادية فى الاسلام » الذى أثار منذ صدوره فى نهاية السبعينات مناقشات كثيرة ، وخلق تيارا من الدراسات التراثية، أصبح من الاهمية بمكان بحيث يمكن القول انه الاعمق فى مجرى دراسات التراث العربية المعاصرة.



اما كتابه هذا الجديد فهو يبحث عن معرفة لتراثنا الفكرى، وهى المعرفة التى تجيئنا من « الكيفية » الواقعية التاريخية التى تكونت عناصر التراث فى بيئتها الاجتماعية وفقا لفعل القوانين التى تنظم حركة صيرورتها الاجتماعية بعملية ليست خارج التاريخ ، بل هى جوهر حركة التاريخ .

الكتاب : كاس العالم بين يديك
المؤلف : ممدوح الشافعى
الناشر : كتاب اليوم ، ٢٠٦ ص ٧٥ق م .



اغلب الكتب التى تتناول موضوع « الرياضة » باللغة العربية هى كتب يمكن الاستغناء عنها ، بحيث يمكن القول ان المكتبة العربية خالية من هذه الكتب التى تعتبر الرياضة احد النشاطات الانسانية الراقية والتى تهم كل الناس ، وليس فقط مجرد المشجعين او الممارسين ، هذا طبعا باستثناءات نادرة .

ويأتى هذا الكتاب من هذه الاستثناءات ، فهو جهد مشكور لمؤلفه الذى لم يترك بابا للحصول على المعلومات عن كاس العالم الا وطرقه على الرغم مما تكلفه من جهد ومال .

● إشارات ثقافية ●

● عودة المسرح الغنائي ●

كثير من نقاد الاغنية العربية يقولون انها الان في أزمة، وبعضهم يرى خروجها من هذه الازمة في احياء المسرح الغنائي الذي كان مزدهرا ولفترات طويلة في بداية القرن ، ثم في الخمسينات والستينات .

وما يجري حاليا بمعهد الموسيقى العربية بأكاديمية الفنون يصب في هذا الاتجاه ، لعل النقاد ، يجدون كلمة بديلة من كلمة « ازمة » ليستعملوها في نقدهم.

فقد قام معهد الموسيقى العربية بقبول اعضاء جدد من طلبته للانضمام لفرقة المسرح الغنائي التي اعلن عن تكوينها ، بعد نجاح طلبة وطالبات المعهد اثناء احتفالات اليوبيل الفضي للاكاديمية بتقديم فقرات من المسرح الغنائي اثارت الاعجاب .

وراء هذه الفرقة الجديدة تقف عميدة المعهد الدكتورة ايناس فتح الله ، التي تعمل على احياء التراث الغنائي المسرحي بعد أن لقدنا بهذه المبادرة التي سوف تعتمد على عناصر المعهد بقيادة اوركسترالية لعطية شرارة .

وهذه هي الفرقة الثالثة التي تتبع معهد الموسيقى بعد فرقة أم كلثوم وفرقة الانشاد الديني.

مخطوطة عن نجيب محفوظ

بين أوراقه العديدة التي تركها عثرت السيدة ساشا نجيب سرور زوجة الكاتب والشاعر الراحل نجيب سرور على عدة مقالات ، بعضها منشور واغلبها لم ير النور تشكل دراسة نقدية طويلة من كاتبنا الكبير نجيب محفوظ لم تطبع بعد في كتاب .

بعض هذه المقالات موجود بين اوراق نجيب سرور بالقاهرة ، والاخرى لا تزال موجودة بين مخطوطاته التي تركها في الاتحاد السوفييتي منذ كان يدرس المسرح هناك في الستينات ، وخروج هذه المخطوطات يقتضي بعض الاجراءات التي نرجو أن تتم قريبا حتى يرى الكتاب طريقه للنشر .

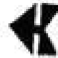
واخرى عن صلاح جاهين

ودون اي توقع لوفاته كان الشاعر الشاب محمد سيف المقيم حاليا في باريس قد انتهى من دراسة نقدية عن شاعرنا الكبير الراحل صلاح جاهين تتضمن اعترافا بقدرته الإبداعية الكبيرة، بل وتكريما له كعميد لشعراء العامية المصرية .

المخطوطة هي الآن بين يدي احدى دور النشر المصرية لتصدر قريبا في كتاب سيكون اول كتاب كامل عن شاعرنا الراحل .

اعادة تراث المسرح القومي

حاليا يعمل المخرج سمير العصفوري على اعادة اخراج مسرحية نعمان عاشور الشهيرة « عيلة الدوغري » التي اخرجها في الستينات عبد الرحيم الزرقاني وذلك ضمن برنامج الريبرتوار الذي يعهد به المسرح القومي تقديم مختارات من تراثه الناجح ، وكان المسرح القومي قد بدأ منذ اول ايام عيد الفطر المبارك عرض مسرحية سعد الدين وهبة « السبنسة» التي اعاد اخراجها عبد الغفار عودة . واخرجها في الستينات سعد اردش ، ضمن نفس برنامج الريبرتوار .



العرض الجديد لمسرحية نعمان عاشور سيحمل عنوان « عيلة الدوغري جدا » بعد تغيير بعض معالمها لتتناسب مع التغيرات الجديدة في المجتمع .

وستكون جاهزة للعرض على خشبة المسرح القومي في منتصف اغسطس القادم .

مقامات التونسي ورباعيات جاهين

ضمن التوجه الذي اطل علينا بشكل بارز منذ قدم المسرح المتجول عرض «الحمل الفلسطيني» لفؤاد حداد » وتلته محاولات اخرى قدمت خلالها عدة فرق اعمالا شعرية لفؤاد حداد على خشبات المسرح ، يقوم الآن بهاء جاهين بالاشتراك مع المخرج عصام السيد باعداد امسية شعرية من رباعيات جاهين الشهيرة لتقدم بعد اعدادها مسرحيا .

في نفس السياق يقوم المخرج سمير العصفوري بتقديم مختارات من مقامات بيرم التونسي في عرض مسرحي يحمل عنوان « العرض الترب » ستقدم على خشبة مسرح الطليعة .



كتاب جديد

المسيحية والاسلام على أرض مصر
تأليف : د . وليم سليمان قلادة

يأتي هذا الكتاب متابعة جديدة للانجاز الذي تحقق على ارض مصر وصار نموذجا تقليديا لوحدة مكونات الجماعة الوطنية في مسيرتها عبر التاريخ . ويقدم نواحي من الحياة المشتركة على ارض مصر منذ اول لقاء بين الدينين فيها _ لقاء عمرو بن العاص والبابا القبطي بنيامين ، البطريرك الثامن والثلاثين . ويسجل مواقف الجماعة الوطنية بجميع مكوناتها في مواجهة التحديات ولبناء الحياة في هذه البلاد الطيبة ... ويبين كيف فرض المصريون ارادتهم على الواقع العائد في مسيرة موحدة ، لاستخلاص حكم بلادهم لانفسهم معا .

وتأتي اهمية هذا المؤلف من انه لا يقدم الدينين من خلال النصوص وحسب ، ولكنه يتابع هذه النصوص وهي تختلط بالواقع المعيش _ اي من خلال التطبيق في التاريخ . او كما جاء في تعليق على دراسة اخرى للكاتب نفسه ، انها محاولة للغوص فيما وراء الايديولوجيا لتقديم بحث ميداني تاريخي ، موضوعه في الكتاب الذي نعرض له هو مسألة ممارسة حقوق الإنسان التي تقررها له العقيدة الدينية .

ولعل خير مايعبر عن هذا المنهج اللوحة التي اختارها الكاتب لغلاف كتابه _ فهي مقبض مسرجة من القرن الثاني عشر معروض في متحف سيناء . القاهرة الدولي : صليب يحيط به هلال .

واهمية هذه القطعة الأثرية تتمثل في ان الصانع المصرى ابدعها ابان الحروب الصليبية .. وتزداد اهميتها من ان الوجدان بعث الشكل نفسه تلقائيا فى لحظة انتفاء الشورى فى الايام المجيدة من عام ١٩١٩ ، حين رفع المصريون هذا الشعار واطلقوا عليه - كما يقول الكاتب - اسم « علم الثورة » - « العلم الجديد » .

والكتاب فى سبعة فصول تتصدرها مقدمة وتتبعها خاتمة . يورد فى المقدمة « قواعد الحوار » كما حددها الكاتب فى مؤلف سابق له* وفى مقدمتها ان يفهم كل طرف فى الحوار ، الطرف الاخر كما يريد هذا ان يكون مفهوما - لا من خلال فكرة منفصلة عن هذا الاخر غريبة عنه او مفروضة عليه . وتكمل هذه القاعدة ، اخرى مضمونها ان سند هذا المطلب ان تكون المواقف العلمية لكل طرف متفقة مع ما يقول - وان تكون مقبولة ومقدرة من الطرفين معا .

وفى الفصل الاول يورد لقاء المسيحية والاسلام على ارض مصر لاول مرة كما رواه المؤرخان عبدالرحمن بن عبد الحكم وساويرس بن المقفع مؤرخ البطاركة . ليوضح ان هذا اللقاء لم يكن صحيحا ، ولم يكن اساسه اعتناق احد الطرفين لعقيدة الاخر . بل كان اللقاء مبنيا على احترام كل طرف لعقيدة الاخر - وتعايش العقيدتين معا .



ويتابع المؤلف مضمون كل من هاتين العقيدتين بشان الانسان . ونقطة الانطلاق هنا هى أن الفهم الصحيح لاى ديانة لابد أن يكون من داخلها وبمنطقها . ويقدم فى الفصل الثانى المفهوم المسيحى للطبيعة والانسان - الذى جاء فى المسيحية على صورة الله . ويورد هنا نصوصا هامة من الكتاب المقدس واقوال آباء الكنيسة .

ويوضح كيف وضعت هذه النصوص فى التطبيق اولا بواسطة المسيحيين الاوائل عموما وعلى الخصوص فى مصر من خلال تاريخ الكنيسة القبطية . ويبين كيف انه وان كانت المسيحية لم تات بنظام قانونى وضعى فليس معنى هذا انها تدير ظهرها للمجتمع والقانون . ويعرض نماذج محددة لتاثير المسيحية الواقعى فى النظام الاجتماعى والقانونى : فى نظام الرق ، والرضائية والعدالة فى العقود . وفى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية

وخصص المؤلف الفصل الثالث للانسان فى الاسلام . ليقرر ان هذا الدين يسمو الانسان الى مستوى رفيع اذ يجعله فى طبيعته على «صورة الرحمن » وفى نشاطه « خليفة الله على الارض » وحامل امانته .

ويورد الكاتب هنا مبادئ رائعة تضمن للانسان كرامته لذاته - لا لاعتقاده - فالايمان

---

*« الحوار بين الاديان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ .



التي تمجد الانسان تتحدث عنه كتكوين بشري وقبل يصبح مسلما او نصرانيا او يهوديا او بوذيا وقبل ان قبل ان يصبح ابيض او اسود أو اصفر .

وعلى هذا الاساس تكون مفاتيح العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين واولهما ان لا اكراه في الدين والثاني الا تعتدوا فان الله لا يحب المعتدين. وهكذا تكون حقوق الانسان في الإسلام ضرورات، لا مجرد حقوق . وهي جزء من الدين عليها يتوقف الايمان والتدين والدين .

ويورد الكاتب في نهاية هذا الفصل وثيقتين جاءتا في صدر الاسلام وفي بداية المسيحية - الاولى هي « الصحيفة » دستور المدينة المورة ، والثانية نص مسيحي من القرن الثاني الميلادي . وتقرر الوثيقتان مبدأ الحياة المشتركة بين الاديان في المجتمع وتعاونها ووحدتها في مواجهة التحديات الخارجية والداخلية .

وفي الفصل الرابع يقدم المؤلف التراث المشترك الذي يجعل مصر - ارضا ونهرا وشعبا ، في بؤرة التقدير العميق والاعزاز والحب - في المسيحية والاسلام . انها نصوص رائعة تمثل شروحا وحواشي للشعار الذي اعتنقه المصريون جميعا :

حب الوطن من الايمان .

ولقد حدث في الواقع انه لاسباب موضوعية تاريخية حجب الحديث عن « الخليفة - الحاكم » متابعة اثار المبدأ الاساسي الذي يقرر كرامة « خليفة الله » - الانسان المحكوم ، وحقوقه .

ولهذا يتابع المؤلف في الفصلين التاليين تحرك « خليفة الله » على ارض مصر لممارسة حقوقه ، منذ بداية القرن التاسع عشر . وهو تحرك يبرز الكاتب خصيصته الاساسية وهي انه حركة تقوم بها جميع مكونات الجماعة مترابطة موحدة . ويقدم في هذا الصدد اهم القرارات السياسية المصرية في القرن التاسع عشر : حين بلغ التدخل الاجنبي ذروته أيام اسماعيل عام ١٨٧٩ . فالتأمت « الجمعية الوطنية » التي ضمت صفوة البلاد وعلى رأسهم شيخ الاسلام وبطريرك الاقباط وتعهد ممثلو الجماعة بسداد ديون مصر على شرط ان يستبعد من الوزارة اى وزير اجنبي وعلى ان يتخلى الخديو عن الحكم المطلق والوزارة مسئولة امام برلمان قراراته ملزمة . ويوضح كيف ان هذا الموقف من جانب « خليفة الله » ، جاء متحديا « الخليفة الحاكم » السلطان العثماني الذي سرعان ماتواطأ مع الدول الاوربية واصدر قرارا بعزل اسماعيل .

وبعد ثلاث سنوات تتكرر المواجهة مرة اخرى حين وقفت « الجمعية العمومية » ممثلة ايضا لجميع مكونات الجماعة المصرية وراء عرابي في مواجهة

الخليفة الحاكم وممثلة فى مصر الخديو توفيق . اذ اصدرت الجمعية قرارا بعزل الخديو فى حين اعلن الخليفة الحاكم عصيان عرابى .

وفى هذا كله يقدم المؤلف التعبير النظرى عن حقوق « خليفة الله » من خلال متابعة اهم ممثل الفكر المصرى وقتئذ وعلى الخصوص مؤلفات رفاعة الطهطاوى . وبعباراته نفسها .

ويتابع الكاتب تحرك المحكومين ازاء الاحتلال البريطانى فى الفصل السادس ، الذى خصصه لانتصار مصر عام ١٩١٩ . ليقدم صفحات رائعة من الاخوة، والنخوة الوطنية. صارت نموذجا تقليديا مثاليا لوحدة مكونات الجماعة . وحين صدر الدستور المصرى عام ١٩٢٣ سجل «الاجماع» بالمعنى الفقهى للكلمة ، الذى اعلنته الامة منذ بداية وعيها بحقوق « الانسان خليفة الله » وتحركها لاختراق حاجز السلطة . واثقة فى نفسها متفائلة فى مستقبلها . تساند فى الانتخابات الحزب الذى يقوم على اساس هذه المبادىء . وبهذا يمارس المصريون فى مساواة تامة ومشاركة حقيقية حكم بلادهم .

ويستكمل الشعب مشروعه الحضارى مرحلة بعد اخرى : التوجه العربى ، والقضية الاجتماعية .

ويأتى الفصل السابع ذروة وتتويجا لهذا التحرك من جانب « خليفة الله » . انه تحرك يختمه الشعب بدمه . فيقدم الالّا صفحات رائعة من وحدة الدم الذى بذله المصريون جميعا — الاقباط والمسلمون ، لاستخلاص استقلال بلادهم منذ ايام عرابى وحتى عصر العبور ١٩٧٣ . ليعبر عن ذلك كله الجندى المجهول الاسم ، والهرم الشامخ الذى يحيط به والذى سجل عليه الفنان المصرى اسماء جميع مكونات الجماعة ، متجاورة مترابطة الاقليمية : الطهطاوى والمنوفى والفيومى .. والدينية : محمد وعلى وعثمان وجرجس وبسطوروس وميخائيل .

وهكذا تكتمل الرحلة التى بدأت مع لقاء عمرو وبنيامين . سار فيها المصريون معا كتفا الى كتف بجماعة موحدة .. فى اعماقهم يقين انهم « خليفة الله » يواجهون العدوان الاجنبى والتسلط الداخلى . كى يستخلصوا معا الاستقلال الوطنى ، والنظام الدستورى ، والعدل الاجتماعى ، والتوجه العربى .. لينجزوا العبور العظيم الى مستقبل جديد. ومازال الطريق ممتدا كى يستكمل الانسان — صورة الرحمن وخليفة الله وحامل امانته ، يستكمل كرامته وحقوقه — ليس نظريا وحسب ، ولكن على ارض الواقع .

ويختم الكاتب مؤلفه بهذه العبارات :

« هكذا تسلمنا مصر

« وعلينا ان نسلمها الى الاجيال التالية — موحدة ، عزيزة ، مرفوعة العلم ، تعبيرا عن الانسان المحفوظ الكرامة ، كامل الحقوق » .

● بكرى عمر ●



عبد الرحمن سوار الذهب نباهى به الأمم !

فيليب جلاب

عبد الرحمن سوار الذهب ليس شخصية هذا العدد من « الهلال » ، لكنه يمكن ان يكون شخصية كل الاعداد وكل ما يصدر من صحف ومجلات فى عالمنا الثالث !

واذا كان الذين اخترعوا لنا « دواء » الانقلابات العسكرية فى الغرب هم اول الذين يعيروننا باننا نتعاطاه قبل الأكل وبعده وندمنه كالمخدرات فاننا نستطيع ان نباهى الغرب وكل الامم بضابط واحد مثل الفريق عبد الرحمن سوار الذهب !

والعادة فى هذا العالم الثالث الذى حير كل « العوالم » هى ان الضابط الذى يضع قدميه على سلم السلطة لا ينزل ابدا او يتنازل ، الا لاسباب الهية او بفعل ضابط آخر . بل حتى غالبية المدنيين الذين يتولون السلطة ولا يعرفون الفرق بين مدفع الميدان ومدفع الافطار يسارعون بارتداء بدلة « المارشالية » ويمنحون انفسم شهادات من كليات « اركان الحرب » .

لذلك كان الفريق عبد الرحمن سوار الذهب مثالا فذا وخارجا عن المألوف . فالسلطة - ايا كانت



الاسباب ـ في يده مع بقية زملائه الضباط • والظروف في السودان الشقيق بفضل حماقة وفساد ضابط سابق هو جعفر نميري ـ نموذجية للانقلابيين والمغامرين • لكن سوار الذهب لم يكتف بالالتزام الدقيق بموعد تسليم السلطة لممثلي الشعب السوداني وعودة الجيش الى مهمته العظمى والوحيدة في الدفاع عن امن وحدود الوطن •• بل خرج بشكل لم يسبق له مثيل عن « التقاليد العريقة » لهؤلاء العسكريين الذين يومرون جيوشهم ويتفرغون للحكم ، واجرى انتخابات نزيهة لا تعرف مثلها شعوب كثيرة في اكثر من مائة دولة !

هل وراء ذلك شخصية وقيم واخلاق عبد الرحمن سوار الذهب ؟ هل وراء ذلك قوة شعب السودان بجميع فئاته واتجاهاته ؟ هل الاثنين معا ؟

أيا كانت الاسباب وهي كل ذلك في الغالب ، فان فضل سوار الذهب لايمكن انكاره • وهو وسام على صدر العسكريين الذين يعرفون ان شرف ونبل الجندية هو ذلك الحد الفاصل بين دهاليز والاعيب السياسة والحكم ، وبين الدفاع عن شرف الوطن وحدوده

حلم مصر النووى
على ضوء
هوس تشرنوبل

بقلم : محمد فتحى



على الرغم من ان هدفنا هنا ليس تقديم تقويم لما وقع فى تشرنوبل ، أو حتى تقديم تقويم مجرد لمدى امان او رخص استخدام المحطات النووية فى توليد الطاقة الكهربائية فان المحور الاساسى لهذا المقال : حلم مصر النووى ، لابد ان يجر الدارس الى التعرض للمسالتين السابقتين ·

وبعيدا عن الجدل البيزنطى حول الحدود الفاصلة بين الحادثوالكارثة لاجدال فى ان واقعة تشرنوبل كانت كارثة ضخمة لا يمكن التهوين من شانها وينبغى الاستفادة من دروسها·

لكن لاجدال ــ ايضا ــ فى ان ما اذاعته « جهات مطلعة » فى الايام

● وقعت الواقعة فى تشرنوبل . وبين عشية وضحاها كان ارهاب الطاقة النووية قد أصاب الدانى والقاصى ، ولم يعد يمر يوم دون انباء عن تسرب اشعاعى من محطة نووية فى الولايات المتحدة او حريق فى محطة نووية بريطانية ، او حادث «تدليس نووى» فى المانيا الغربية ، او واقعه اهمال غشيم وتعامل بيروقراطى مع جهاز يعمل بالكوبالت المشع فى جامعه القاهره ..

وكان طبيعيا مع ذلك كله ان تثور التساؤلات - من جديد - حول جدوى ومخاطر اقامة محطات كهرباء نووية «كهرنووية» فى مصر . وهكذا عاد الجدل حول مشاكل الامان ، ومخاطر الاشعاع ، والتكاليف والجدوى الاقتصادية ، والنفايات النووية ، والتأثير على البيئة ، و ...

ورغم كل ما حدث ، ورغم الجدل الدائر تبقى القضية الاساسيه ، فيما يخصنا : «نعيش العصر او لا نعيشه ؟»

الاولى ، عن الالاف الذين لاقوا حتفهم فى موقع الحادث لحظة وقوعه ، وعن السحابة التى تمطر الموت على البلدان المجاورة ، بالاضافة الى تأكيدات «الجهات العلمية الموثوق بها» بان احدا لن يستطيع الاقتراب من المنطقة التى تقع فيها المحطة قبل سنوات .. لا جدال فى ان ذلك كله وما هو من قبيله كان ، فى افضل الاحوال ، مجرد شائعات روجتها بعض الاجهزة الاعلامية لـ «شىء فى نفس يعقوب» . ذلك ان عدد من لقوا ويلاقون مصرعهم - بات معروفا ويقدر بالاحاد والعشرات وليس بالالاف و .. كما ان اقصى ما اصاب مواطننا فى البلاد التى حامت السحابة فى سمائها اشعاع لا يتجاوز قدره ما يتعرض له عند اجراء اشعة اكس على الصدر ، او ضعف هذا القدر فى اسوأ الحالات .. هذا كما ان السوفييت يعدون لتشغيل وحدتين من الوحدات الاربع لمحطة تشرنوبل نفسها .

حلم مصر النووى على ضوء هوس تشرنوبل

ولاجدال ثالثا فى ان نتائج حادث تشرنوبل لن تكون شرا • وليس آخر فوائدها ذلك الاجماع الذى نشهده اليوم حول ضرورة دور متعاظم للنظامات الدولية المعنية ، وربما لمنظمات دولية جديدة ، فى العمل على تبادل المعلومات والخبرات ومواجهة المشاكل الفنية ، وتقوية امان المحطات النووية ، والخطو باستخدامات الطاقة النووية عامة — الى الامام •• ذلك ناهيك عن الضغوط المتزايدة لتكثيف البحث فى مجالات واعدة ، بهدف استخدام انواع اخرى من الطاقة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الهيدروجين •

هذا باختصار ما ينبغى تأكيده بصدد حادث تشرنوبل ، ويبقى بعد ذلك الحديث المجرد عن استخدام الطاقة النووية فى توليد الكهرباء •

لقد صارت الكهرباء المولدة بهذه الطريقة تشكل نسبة متزايدة ولايستهان بها — والاهم انها فى تصاعد مستمر — فى موازنة انتاج الكهرباء : فى فرنسا (٦٥٪) وبلجيكا (٦٠٪) واليابان (٢٦٪) والولايات المتحدة (١٦٪) والاتحاد السوفييتى وكندا وبلدان اوربا الغربية والشرقية جميعا ••

هذا كما ان عددا من الدول لم يعد يكتفى باستخدام الطاقة النووية فى توليد الكهرباء ، ذلك لان الحاجة اليها لا تشكل سوى ٢٠٪ من مجمل موازنة احتياجات الطاقة ، بينما يشكل الوقود المستخدم فى وسائل المواصلات نحو ٢٠٪ ، كما تشكل احتياجات العمليات التكنولوجية من الوقود مباشرة (مثل افران التعدين والصناعات الكيماوية نحو ٣٠٪ وتبلغ الاحتياجات المرتبطة بالتدفئة فى المناطق الباردة ٣٠٪ •

● انقلاب فى استراتيجية الطاقة ●

لقد وجدت هذه الدول انها حتى اذا حولت كل محطات توليد الكهرباء الى العمل بالطاقة النووية فانها ستظل محصورة فى اطار ٢٠٪ من احتياجات الطاقة ، وهو مالا يتناسب مع ماتنطوى عليه الطاقة النووية من امكانات ، وبالذات مع الرغبة فى توفير النفط للاستخدامات الاخرى والاجدى ، التى تراوح بين انتاج البتروكيماويات ، وبين صنع البروتينات • ومن هنا شرعت بعض الدول فى استخدام الطاقة النووية فى التدفئة ، ومن الجدير بالذكر هنا ان المحطات التى تبنى لهذا الغرض تبنى مباشرة وسط المناطق السكنية • هذا كما انخرط علماء اليابان والمانيا الغربية والولايات المتحدة فى الاعداد لاستخدام الطاقة النووية فى العمليات الصناعية مباشرة ، غير هيابين للصعوبات الجمة التى تحيط بالامر • وذلك بالاضافة الى الجد فى تحويل السكك الحديدية الى العمل بالكهرباء ، وتحويل عمليات الشحن ، كلما امكن ذلك ، الى هذه السكك ، ناهيك عن جهود حثيثة وان كانت متابرة ، فى مجال تسيير المواصلات بالهيدروجين ، الذى يتعذر الحصول عليه ، بصورة اقتصادية دون استعانة بالطاقة النووية ••

هكذا تعد البلدان المتقدمة لانقلاب في استراتيجية الطاقة ، يعتمد أساسا على المصادر النووية . بالذات واحتياطيات الخامات النووية كفيلة بسد حاجة هذا الانقلاب . لانها لا تحد عمليا (بعكس احتياطيات الوقود العضوى) مع عمل اجيال جديدة من الفاعلات التى تنتج الى جوار الطاقة، وقودا نوويا اثمن من الذى تستخدمه، ولان اليورانيوم موجود حتى فى مياه البحر ، وهناك طرق فى طور الاختبار لاستخراجه منها ..

واهتمام الدول على اختلاف توجهاتها ودرجات تقدمها بالطاقة النووية ليس صرعة او نزوة ، وانما هو اتجاه قائم على اسباب موضوعية اهمها ان الكهرباء المولده من المحطات الكهرنووية مثلا هى ارخص انواع الكهرباء ، كما ان هذه المحطات انظف ما هو معروف من محطات الطاقة فهى مصممة - بعيدا عن الكوارث - بحيث لا يتجاوز التأثير من الاشعاع الناتج عنها سنويا ، تأثير الاشعاع الذى يتلقاه من يشاهد التليفزيون الملون لمدة نصف ساعة يوميا . كما انها - المحطات الكهرنووية - اقل المحطات اضرارا بالبيئة اذ ان استخدام المحطات التقليدية فى توليد كميات الكهرباء النووية التى يولدها العالم اليوم يسفر عن عوادم من غاز ثانى اكسيد الكربون تفوق فى كثير من البلدان قدرة البيئة على تحويله (من خلال عملية التمثيل الضوئى فى أوراق النبات) الى اكسيجين ..

وقد يلوح للبعض أن الصورة التى نعرضها هنا هى صورة « ما قبل تشرنوبل ، لكن الواقع أن احدا لم يعلن عن تخليه عن برامجه النووية » بعد تشرنوبل » ، بل انحصر الامر فى تعداد الضليات التكنولوجيا النووية المعتمدة هنا أو هناك ، بالنسبة لتكنولوجيا تشرنوبل ..

● الاوهام والحقائق ●

وان كان هناك ما ينبغى الاشارة اليه بعد هذا المدخل الطويل والضرورى لموضوع حلم مصر النووى فهو التأكيد على أن فاعلية المجتمعات البشرية تظل مرهونه ، فى نهاية الامر ، بقدرتها على التفرقة بين الاوهام والحقائق وكسر الحواجز النفسية ، مهما تعاظمت ، سعيا وراء الانطلاق ولعل التجربة اليابانية هى الامثل فى هذا الصدد ، ذلك علاوة على دلالتها البليغة ، فقد وصلت نسبة الكهرباء التى تنتجها المحطات الكهرنووية الى ٢٦٪ من مجمل انتاج الكهرباء اليابانى. ويعمل اليابانيون فى جد على زيادة انتاجهم من المحطات الكهرونووية الى اربعة اضعاف مع عام ٢٠٠٠ ، وذلك ناهيك عن محاولاتهم الجادة للاستفادة من هذه الطاقة فى مجالات اخرى كما اسلفنا . وليس من حق احد ان يزايد على اليابانيين بصدد مدى ادراكهم لمخاطر الطاقة النووية ، والمامهم بثارها .

هذا كما قدم السوفييت تأكيدا اضافيا ، فى هذا الصدد ، بإعلانهم « بعد تشرنوبل » انه لا يمكن تصور الحضارة البشرية ، فى مرحلة تطورها الراهنة دون امكانات الطاقة النووية ، وانهم ماضون قدما بصدد خططهم الخاصة باقامة المحطات النووية الجديدة ، ناهيك عن تشغيل المحطات القديمة ، بل واعدادهم للبدء فى

حلم مصر النووى
على ضوء
هوس تشرنوبل

تشغيل وحدتين من وحدات محطة تشرنوبل نفسها ..

واكاد اسمع من يدعون الى التريث والتمعن فى اسماء الدول التى نذكرها، والتسليم بالبون الشاسع الذى يفصل بيننا وبينها ، و ..

ولن استخدم فى الرد على هؤلاء نفس منطقهم ذاكرا اسماء بلدان تستخدم هذه المحطات مثل الهند وباكستان وكوريا الجنوبية وتايوان واسرائيل.. ذلك ان من يردد هذه المقارنات او يكرس النقاش حول العوامل الاقتصادية او الفنية وحدها لايدرك الابعاد الحقيقية للقضية المطروحة .

ولاجدال فى ضرورة فهم العوامل الفنية والاقتصادية البحتة ، وضرورة الاستعداد لها . لكن من الضرورى ان نفهم وجود اعتبارات اخرى تفرض نفسها ، بصدد مثل هذه المحطات ، قد تكون حافزا ودافعا على الجد فى المواجهة العلمية فيما يخص العوامل الفنية والاقتصادية فصاحب التفكير الاستراتيجى يعرف مالا يجعله يتردد لحظة امام الخيار النووى ، ذلك ان المشكلة الحقيقية لنا ليست فى امتلاك الطاقة النووية ، وانما فى عدم امتلاكها . واسرائيل مثلا لها برنامجها النووى ، والمعلن منه لايستهان به ، ومن فضل القول التنويه بأن ما خفى كان أعظم . ويجدر هنا الاشارة الى ان اسرائيل ترفض حتى تاريخه التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، ولا تقبل اى تفتيش دولى على منشآتها النووية

وقد يبدو غريبا بالنسبة للكثيرين ان يعرفوا ان حلم مصر النووى ليس وليد الامس القريب ، او السنوات القليلة الفائتة ، او مجرد ما يلوح فى الافق من عجز مواردنا عن سد احتياجاتنا من الطاقة ، دون اللجوء الى المحطات الكهرونووية واكتفى بان اذكر بصدد هذا الحلم انه قد تخرج معى (فى كلية الهندسة جامعة الاسكندرية)قبل عشرين عاما مهندسون درسوا فى قسم الهندسة النووية . وهذا القسم يعمل حتى يومنا هذا . ولا اعتقد ان التخطيط له كان يضع بين اهدافه تخريج كوادر علمية للعمل فى المشاريع النووية للبدان الاجنبية او الاستعانة بخبرات متخرجيه فى معالجة مشاكل الصرف الصحى حلا نوويا . أو ان القسم كله كان هدرا مخططا للطاقة التعليمية فى مصر .

● نضع أيدينا على قلوبنا ! ●

واكاد اسمع من يقول : نعم حلم قديم ، ولكن ها هنا فى صعوبة الانضباط (وحكاية جهاز الكوبالت فى جامعة القاهرة مازالت حية فى الذاكرة) عامل اخر من العوامل التى تجعلنا نضع ايدينا على قلوبنا ، خوفا من هذا التكنولوجيا التى تتطلب انضباطا صارما .. وللاسف فان هؤلاء ينظرون الى مجتمعنا نظرة استاتيكية : واحنا كده وخلاص » ، والى ناسنا وكان

قدرا قد حكم عليهم بالتخلف. والواجب ان نعي ان هذه الاستاتيكية وشبه الثبات مجرد وهم فمن لا يتقدم يتأخر بالتأكيد . والانضباط صار قضية حيوية تخص كل جوانب الحياة.. لم يعد بالنسبة لنا ترفا يمكن ان نتمسك به هنا ونستغنى عنه هناك . وانه بدون انضباط سيكون علينا ان نضع ايدينا على قلوبنا لالف اعتبار ، غير هذه المحطات ..

وجدير بالذكر ان النهج الذى ندعو اليه ليس بجديد ، فذريعة من نوع عدم الانضباط لايمكن ان يعتد بها بصدد تكنولوجيات التسليح وماشابه مثلا ، فما لنا ومال النفاثات التى تطير اسرع من الصوت ومالنا ومال الصواريخ.. ان الضرورة الاستراتيجية تفرض العمل على خلق اساليب التعامل مع هذه التقنيات بصورة منضبطة .

نعم على عكس ما يراه البعض من ان المخاطر التى كشف عنها حادث تشرنوبل مدعاة لابتعاد مصر عن هذا المجال الخطر ، فان الدرس الواجب ان نتعلمه هو النقيض تماما .

ان عدم وجود هذه الادوات الخطرة فى اراضينا لا يعفينا من مضارها فهى منتشرة او فى سبيلها الى الانتشار حولنا . كما انها يمكن ان تحط علينا من الفضاء (بعض الاقمار الصناعية يعمل بالطاقة النووية وقد سبق ان سقط بعضها على اليابسة بالفعل ان الابتعاد لا يعفى من العواقب والتعامل المسئول مع هذه التكنولوجيات الخطرة بكل دقائقها خبرة لابد لنا من تحصيلها ..

هذا ويفرض الوعي بابعاد هذه الخطوة درجة كبيرة من التعرف على على التكنولوجيا الحديثة للمحطات النووية ، واختيار الانسب من التصميمات ، وان يكون دخولنا تدريجيا دون وثبات او اقتحام ،كما يبين ضرورة توقيع كل دول المنطقة على الاتفاقات الدولية المعنية ، وان تخضع المنشآت النووية فيها للرقابة والتفتيش . كما انه لابد من وجود تخطيط لمواجهة الطوارىء ، التى يمكن ان تحدث فى بيتنا ، او تأتينا على متن الريح من عند الجيران ..

ان نقع وحدنا ضحايا لارهاب تشرنوبل ونتركه يصيبنا بعاهة مستديمة تشلنا (بينما يسعى العالم حولنا الى الاستفادة استفادة دينامية واعية من دروسه) ، مسالة تتصل بوصيفنا من الطموح والجسارة والقدرة على التماسك والحركة التى تساعدنا على العيش فى هذا العصر .. وبدون المبادرة باستخدام هذا الرصيد لن تكون جديرين بالعصر ، وسيكون علينا ان نقبع فى سراديب مظلمة ،حقيقة (بلا كهرباء) ومجازا ننظر مايفعله « الفاعلون » بنا .

« ان السؤال الصحيح فى هذا الصدد ليس : « نبنى او لانبنى محطات نووية ؟ » بل : كيف نلحق بقطار الطاقة النووية على نحو اسرع واكثر امانا؟» « نعيش العصر او لا نعيشه ؟ » ، تكون او لا تكون ؟ ».

العالم غدا

سماعة جديدة

العلم الحديث يتوصل كل يوم الى اكتشاف جديد واحدث ماتوصل اليه نوع جديد من السماعات صممها احد اطباء الانف والاذن والحنجرة فى استراليا وهى مكونة من ثلاثة عناصر اساسية : نسيج مزروع من ٢٢ قطبا كهربيا وجهاز لالتقاط الاصوات وجهاز للتشخيص والبرمجة .

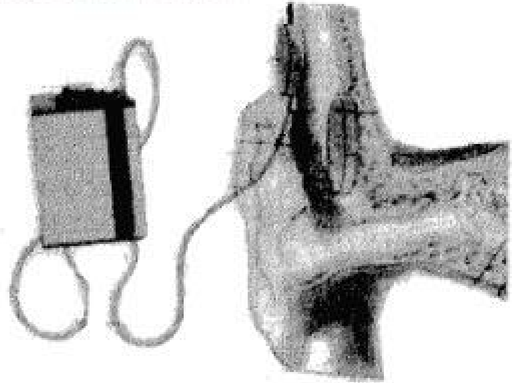
وتتصل الانسجه المزروعة بقوقعة الاذن الداخلية . وتقوم الاف الخلايا الشعرية على طول القوقعة بتحويل الاصوات الى اشارات كهربية تنتقل الى الالياف عند قاعدتها ثم تقوم الالياف بنقل الذبذبات الى العقل وهى التى ندركها كصوت .

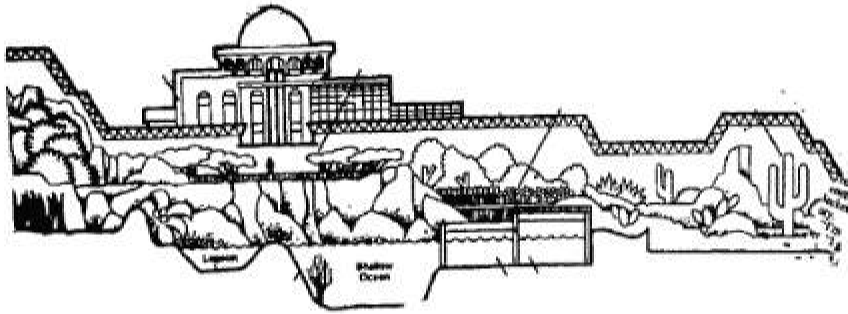
والجزء المزروع متعددالاقطاب الكهربية هو تعويض عن الخلايا الشعرية والجهاز المركزى هو أكثر الاجهزة المزروعة عند قوقعة الاذن تعقيدا وتزرع أقطابه — ٢٢ قطبا — داخل القوقعة لاثارة الاعصاب .

وتستجيب الخلايا داخل القوقعة للذبذبات الصوت على طول المنحنى مع مراعاة أن تكون الخلايا ذات الذبذبات المنخفضة عند قمة القوقعة والخلايا ذات الذبذبات المرتفعة عند القاع وتتركز معظم الاقطاب الكهربية على طول القوقعة وتعمل كل منها عند درجة ذبذبة مختلفة وتصدر اصواتا يمكن فهمها وعند اجراء الجراحة يقوم الجراح بشق المنطقة خلف الاذن وترفع فروة الراس ثم تثقب الجمجمة وبعد ذلك تدخل الاقطاب الكهربية الصغيرة الى داخل القوقعة .. ويتصل بها قرص الكترونى قطره ٤ر١ بوصة ويطلق عليه اسم جهاز قياس درجة الاستجابة يقوم باستقبال الذبذبات من جهاز التقاط الاصوات وتحويلها الى ذبذبات ثم يرسلها للاذن ويشتمل جهاز التقاط الاصوات على ميكروفون واسلاك تنتقل خلالها الاصوات كما أن به ذاكرة مبرمجة يمكن محوها ويمكن وضع هذا الجهاز على الحزام او فى الجيب .

المستعمرات .. على الطريقة الفضائية

فى صحراء اريزونا الامريكية وعلى مساحة قدرها ٢٫٢٥ فدان يقام اول مشروع من نوعه فى العالم لاختبارامكان اقامة الانسان فى مستعمرات الفضاء .. يتكلف المشروع حوالى ٣٠ مليون دولار ويتوقع ان ينتهى البناء فى عام ١٩٨٩ .. يتكون البناء من نظام معقد يتضمن محيطات صناعية مصغرة وغابات استوائية

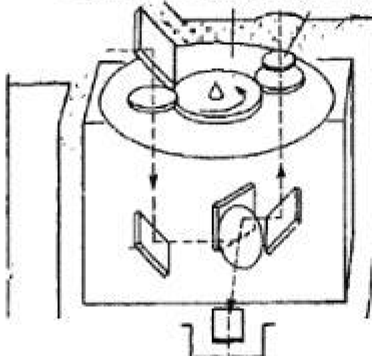


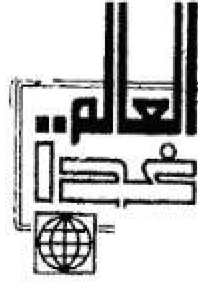


وصحارى واسعة ومستنقعات ويوجد كل ذلك داخل قوقعة من الصلب والزجاج مكتفية ذاتيا بكل شيء حتى الهواء بعد الانتهاء من البناء واجراء كافة التجارب سيقطن بداخله ثمانية متطوعين لمدة عامين متواصلين يبتعدون خلالها عن كل شيء عدا ضوء الشمس .. ويسعى العلماء لتحويل هذه القوقعة الى مستعمرة ذات اكتفاء ذاتي فسيعاد استغلال ثاني اكسيد الكربون الذى يستخرجه الانسان لتتنفس النبات كما سيستفاد من الاكسجين الذى يستخرجه النبات لتنفس الانسان كما ستستغل فضلات الانسان كأسمدة للمحاصيلات الزراعية وغذاء للبكتريا والطحالب ونباتات الماء التى ستتحول بدورها الى طعام للاسماك . ما زالت هناك تحديات كثيرة تواجه العلماء لتنفيذ هذا المشروع واهمها كيفية الحفاظ على التوازن بين كل دورات الحياه لمنع وقوع كارثة طبيعية واذا ماتم بالفعل التغلب على هذه التحديات فان المشروع الامريكى سيعد ثورة فى مجال الاستيطان بمستعمرات الفضاء .

● اول ميكروسكوب ملون فى العالم ●

تمكنت مجموعة من العلماء فى تشيكوسلوفاكيا من ادخال تطورات مهمة على جهاز الميكروسكوب الضوئى بحيث أصبح ممكنا مشاهدة الخلية المراد فحصها مجسمة . وقد اعتبر العلماء الغربيون هذا الميكروسكوب الجديد من احد الانجازات البارزة لهذا القرن .. ويتميز هذا الميكروسكوب باعطاء صورة فائقة الوضوح كما انه يعد اول ميكروسكوب فى العالم يعطى صورة ملونة بدون الحاجة لاضافة اى اصباغ للشرائح الفحص .. اثار الجهاز دهشة علماء الغرب لبساطته فهو يستخدم اشعة الليزر او ايا من العمليات الاليكترونية الدقيقة وهو فى نفس الوقت معتدل نسبيا فى سعره بدأ العمل على تطوير هذا الجهاز منذ ٣٠ عاما فى محاولات بذلها العلماء لايجاد وسيلة تمكنهم من فحص انسجة المخ الحية باستخدام الميكروسكوب الضوئى بدون حدوث خلل فى الصورة ويعمل الجهاز بفضل تسليط الضوء على المنطقة المعينة المراد فحصها فقط وانعكاسه على العدسة .. وبسبب قدرة الجهاز على تسجيل التغييرات الدقيقة فى الاجهزة الحيوية يتوقع ان يستخدم لدراسة وظائف الاعضاء وخاصة العضلات وتسوس الاسنان كما سيستخدم فى فحص الاثار وخاصة المومياوات





• عصر كومبيوتر التليفون •



بعد عام ١٩٨٦ هو عصر لكومبيوتر التليفون . ومجرد الجمع بين التليفون والكومبيوتر ليس جديدا في حد ذاته ؛ فيمكن ارسال معلومات الكومبيوتر عن طريق خطوط التليفون ، ولكن الجديد هو ما انتجته احدى الشركات البريطانية وهو جهاز يتضمن شاشة ووحدة تحكم وتتكون وحدة التحكم من جهاز تليفون مركب يجمع بين اداتي الارسال والاستقبال ومفاتيح تشغيل وذاكرة لتخزين المعلومات بالاضافة الى امكان برمجة الجهاز الجديد للرد على التليفون من خلال استخدام بعض الكلمات من ١٥٢ كلمة هي حصيلته كما يمكنه تمييز الاصوات وبالتالي يرد على المتحدث بالاجابة المناسبة . وقد صمم تليفون الكومبيوتر خصيصا للاشخاص الذين ينتقلون بصورة متكررة بين عدد من الاعمال التي تحتاج الى التنوع في استخدام الجهاز في الاعمال الخاصة بالكومبيوتر والتليفون ويمكن باستخدام مفتاح واحد فقط التحول من قراءة شاشة الكومبيوتر الى ادارة رقم تليفوني .

• جيل جديد من شرائط التسجيل •

انتجت اليابان جيلا جديدا من شرائط التسجيل الرقمية . هذه الشرائط لاتناظر الاسطوانات الرقمية في الصوت النقي فقط ولكنها تتميز بأنها تتيح الفرصة للتسجيل عليها . كما أن دقتها في استقبال الاصوات المرسلة اليها ونقلها اعلى من الاسطوانات الرقمية وتعادل نحو ضعف قدرة شرائط التسجيل نفسها .

• تحويل زجاجات البلاستيك الفارغة الى اثاث •

بدأت بريطانيا في استغلال الزجاجات البلاستيكية الفارغة التي تتوفر لديها بكميات ضخمة في انتاج صناعات جديدة فقد افتتح مصنع جديد يقوم بتحويل البلاستيك الى مادة سائلة واعادة تصنيعها الى احذية ومعدات للسيارات وبعض قطع الاثاث ايضا . ويعد هذا المصنع هو الاول من نوعه في العالم الذي يعيد تشكيل البلاستيك بسعر اقتصادي ويحافظ على نفس درجة النقاء التي يتمتع بها البلاستيك الاصلي وكانت بريطانيا قد استهلكت منذ نهاية السبعينيات نحو ٢٠ الف طن بما يعادل ٢٠٠ مليون زجاجة من البلاستيك وبسبب ضخامة المفقود قررت استغلال البلاستيك لما يتميز به من قوة وخفة وزن بالمقارنة للمفقود من الزجاج

ابتسامات

● طاعة ●

● قال رجل لزوجته : ان الشريعة تقضى عليك بالطاعة العمياء لارادتي .. فاذا أمرتك مثلا ان ترمى بنفسك فى النيل .. وجب عليك ان تلقى بنفسك فيه بلا تردد .. فلما سمعت الزوجة كلامه تحركت للخروج من البيت ..

فسألها زوجها : الى اين تذهبين الآن ؟

فأجابته على الفور : لأتعلم السباحة قبل صدور أمرك الجائر !

● اراد جحا أن يتزوج ، فبنى دارا تتسع له ولاهله وطلب إلى النجار ان يجعل خشب السقوف على ارض الحجرات ، ويجعل خشب الارض على السقوف ، فراجعه النجار دهشا ولم يفهم ما يعنيه . فقال له جحا :

- اما علمت ياهذا ان المرأة اذا دخلت مكانا جعلت عاليه سافله ؟ اقلب هذا المكان الآن يعتدل بعد الزواج !!

● مصائب قوم ●

● فى معركة "لوتزن" اطاحت شظية قنبلة بساق الجنرال الفرنسى "لاتور - موبور" فنقل فورا الى عربة الاسعاف واجريت له عملية بتر الساق المصابة . وقد شهد العملية الجراحية هذه الجندى الذى يقوم على خدمة الجنرال منذ زمن بعيد . فراح يبكى ويشهق من جراء منظر البطل الذى اصبح بساق واحدة ، وقد كان يحبه ويحترمه ويجله .

ولكن الجنرال الذى عرف برباطة الجأش وروح النكتة ، التفت الى خادمه قائلا :

- هدىء روعك . وتذكر انه لم يبق امامك الآن ان تنظف وتلمع إلا فردة حذاء واحدة !!

● قال احد الكتاب : عندما كنت شابا قررت الاَّ اتزوج إلا من المرأة المثالية وقد وجدتها بعد اعوام ، ولكنها كانت تبحث هى الاخرى عن : رجل مثالى !!

دراسة الهلال

هموم الأقليات المسلمة

بقلم: د. سعيد إسماعيل على

اذا كان المسلمون يشـــكلون الجمهرة الكبرى من سكان مناطق عدة من العالم ، مثل المنطقـــة العربية ، وعدد اخر من البلدان الاسيوية والافريقية ، فان بلادا اخرى كثيرة يشكل المسلمون فيها اقلية تتراوح بين عدد قليـل من عشرات الالوف وبين عدد يصـل الى عشرات الملايين ، ومعظـــم هؤلاء وهؤلاء فى اوربا وامـريكا ، وايضا بعض دول اسيا وافريقيا.

ويستخدم مصطلحا الدول الاسلامية والدول ذات الاقليـات المسلمة فى المجالات السـياسية وفى مجال خدمة الاسلام والدعوة اليه ، وتوجد عـــدة مقاييس لتحديد ما يطلـق عليـه اقليـة اسلامية فى دولة من الدول . ومن اقرب المقاييس الى الدقة ، المقياس العددى .

لكننا لانستطيع أن نزعم أن هذا مقياس مطلق ، فهناك استثناءات لايمكن غض النظر عنها فدولة مثل اوغندا واخرى مثل الجابون معتبران من الدول الاسلامية وهما عضوان فى منظمة المؤتمر الاسلامى مع أن النسبة العددية للمسلمين فيهما تبلغ ٥٠ بالمائة من عدد السكان ، ويبلغ عدد المسلمين فى جمهورية اليوبيا أكثر من خمسين بالمائة ، كما أن المسلمين فى دولة مثل « البانيا » فى أوربا يشـكلون اغلبية كبرى ، ولكن كلتيهما ليســتا دولتين اسلاميتين .

كذلك فاننا قد نجد بعض المعايير قابلة لمناقشة مثل رئاسة الدولة وتشـكيل لنظام الحاكم والنص فى الدستور على مايفيد ان الدولة ليس لها دين معـين « علمانية » ، كما توجد عقبات عمليـة فى تحديد الدول الاسلامية من دول الاقليات المسلمة تتمثل فى انعدام الاحصاليات التى يمكن الاعتماد عليها وفى تعدد العقـــائد غير السماوية وفى صعوبة تحديد عقيدة أو دين لجانب كبير من السكان ، ونجد امثال هذه الصعوبات فى قارة افريقيا أو غيرها ، ويكفى ان نذكر أن عدد المسلمين فى جمهورية الهند يبلغ اكثر من خمسين بالمائة . « الدكتور جمـال الـدين محمود ، ص ٢ » *

● صور احصائية لواقع بعض مجتمعات الاقلية المسلمة ●

١ - حسب احصائيات عام ١٩٨٠ ، يعيش فى المانيا نحو مليون ونصـف

المليون مسلم ، أي ٢,٤ بالمائة من المجموع الكلى للسكان ، أى ان الاسلام يشكل الديانة الثالثة الكبرى فى المانيا بعد الروم الكاثوليك والبروتستانت . ومن ضمن مسلمى المانيا يشكل الاتراك ١,٢ مليون نسمة حسب الاحصاد التالي « الدكتور رجا حسين ابو السمن ، ص ٥ » :

توزيع المسلمين حسب جنسياتهم او اقطارهم فى المانيا الاتحادية

الجنسية او الاصل	العدد	ملاحظات
الاتراك	١٢٠٠٠٠٠	هذا الرقم لايشمل الهجرة غير الشرعية
اليوجسلاف	١٢٠٠٠٠	
العرب	٦٠٠٠٠	
افريقيا والشرق الاقصى	٣٠٠٠٠	
ايران	٢٠٠٠٠	
الاقطار الشيوعية	٦٨٠٠٠	
ألمان	١٢٠٠	تستثنى الزوجات الالمانيات
المجموع الكلى	١٥٠٠٠٠٠	اللواتى تزوجن بمسلمين .

٢ ــ ويقدر عدد المسلمين فى اسيا بأكثر من ٧٥٢ مليون نسمة ، منهم ٤٧٠ مليونا يعيشون فى الاقطار الاسلامية اى بنسبة ٦٣ بالمائة تقريبا من اجمالى عدد المسلمين فى اسيا ، بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون فى اقطار غير اسلامية بأكثر من ٢٨٢ مليونا اى بنسبة ٣٧ بالمائة من مجموع مسلمى اسيا . وتقدر اعداد المسلمين فى اهم اقطار اسيا غير الاسلامية على النحو التالى « الدكتور محمد محمود محمدين ، ص ٧ » :

الدولة	عدد المسلمين « بالمليون »	نسبتهم المئوية الى مجموع السكان
الهند	١٠٠	١٥ بالمائة
الصين الشعبية	٩٥	١٠ بالمائة
الاتحاد السوفييتي	٦٩	٢٥ بالمائة
سرى لانكا	١,٢	٨ بالمائة
تايلاند	٦,١	١٢ بالمائة
بورما	٢,٧	٧ بالمائة
الفلبين	٥,٧	١٦ بالمائة
دول آسيوية اخرى	٢,٤	ــ

* الاحالة الواردة بين قوسين تشير الى البحث الذى قدم للمؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الاسلامي الذى عقد بمدينة الرياض فى الفترة من ٢٣ ــ ٢٨ يناير ١٩٨٦ ، وقد اشترك الكاتب فى هذا المؤتمر ببحث بعنوان : « دور المؤسسات التعليمية فى رفع المستوى الثقافى للاقلية المسلمة » .

٣ ـ امابالنسبةلافريقيا، فتقدر اعداد الاقليات المسلمة بها بـ ٢٤ر٢٨٩ر٦٠ مليون موزعة على ٢١ دولة أو وحـــدة سياسية ، يمكن بيانها كما يلي « ادارة التوعية الاسلامية بوزارة الحج والاوقاف السعودية ، ص ١٦ ـ ١٨ » :

الدولة	عدد المسلمين بها	نسبتهم المئوية الى جملة السكان
زامبيا	١٢٠ر٠٠٠	٤ر٢ بالمائة
انجولا	٩٠٠ر٠٠٠	١٥ بالمائة
ناميبيا	٢ر٤٠٠	٤ر٠ بالمائة
ليسوتو	٥٠ر٠٠٠	٥ بالمائة
اتحاد جنوب افريقيا	٤٠٠ر٠٠٠	٢ر٠ بالمائة
سوازيلاند	٢٥ر٠٠٠	٥ بالمائة
بتشوانا	٢٠ر٠٠٠	٥ بالمائة
جزر سيشل	٥٠٠	١ بالمائة
جزر ديونيوه	٨٠٠ر٠٠٠	٢٠ بالمائة
كابيتدا	٥ر٢٥٠	٢ بالمائة
ليبريا	١ر٠٨٦ر٠٠٠	٣٠ بالمائة
غانا	٢ر٨٠٨ر٠٠٠	٢٠ بالمائة
غينيا الاستوائية	١٠٥ر٠٠٠	٣٥ بالمائة
كينيا	٢ر٨٥٠ر٠٠٠	٣٥ بالمائة
موزنبيق	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٢٥ بالمائة
الكونغو	٦٠ر٠٠٠	
مالاجاس	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٢٥ بالمائة
زيمبابوى « روديسيا »	٢٠ر٠٠٠	
مالاوى	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٣٥ بالمائة
اوغندا	٤ر٤٠٠ر٠٠٠	
بورندى	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥ بالمائة
زائير	٢ر٤٠٠ر٠٠٠	١٠ بالمائة
راوندا	٢٤٠ر٠٠٠	٦ بالمائة
الفئياتمتناثرة بغرب افريقيا	١ر١٨٨ر٨١٠	

٤ — وتعيش فى شمال شرقى اليونان فى منطقة تسمى تراقيا الغربية منذ أكثر من نصف قرن « منذ ١٤ مايو عام ١٩٢٠ على التحديد » أقلية اسلامية تعدادها أكثر من مائة ألف نسمة ، بمقتضى معاهدة لوزان التى ابرمت عام ١٩٢٣ ، مقابل الاقلية اليونانية المسيحية فى مدينة استانبول بتركيا . « حسن محمد باسمان ، ص ١ » .

مشكلات .. وهموم

يواجه المسلمون الذين يعيشون فى دول غير اسلامية مشاكل عديدة ، وبطبيعة الحال ، فاننا نقصد المشاكل التى تتعلق بحياتهم باعتبارهم مسلمين وسط مجتمع غير اسلامى ، وهذا المجتمع تختلف عقيدته الاساسية عن الاسلام ، وقد يكون هذا الخلاف بذاته سببا حتميا فى التضييق على الاقلية المسلمة التى تعيش فيه كما فى بعض الدول الماركسية حيث تعتبر الدعوة ضد الاديان رسمية والتعليم اللادينى عاما ومقررا ، ويكون الاحتفاظ بالاسلام كعقيدة دينية مصدر عنت اجتماعى ورسمى مما يدفع بالكثيرين الى مسايرة اتجاه الدولة ولو بطريقة شكلية.

ونظرا لتفرق الاقليات المسلمة بين العديد من الدول المتباينة المستوى ، المختلفة الاتجاه ، كان من الطبيعى ان تتباين مشكلاتهم وهمومهم ، ويمكن الاشارة الى نماذج وأمثلة من هذه المشكلات والهموم فيما يلى :

— فهنالك فى منطقة الجنوب الغربى من اليوبيا الحالية ، يقطن شعب «الاورومو» هذا الشعب المجهول الذى لايكاد العالم يعرف عنه شيئا علما بانه يكون مجموعة من اكبر المجموعات البشرية على نطاق اليوبيا اذ يقدر عدده مابين ١٥ — ٢٢ مليونا من السكان . ولم تكن مناطق الاورومو ضمن اليوبيا حتى بدايات القرن التاسع عشر حيث كانت لها ممالك مستقلة « اسلامية » ، ثم بدأت توسعات الاحباش فى مناطق الاورومو بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الذى مهد لتجزئة افريقيا وتقسيمها الى مناطق نفوذ اوربية وباركت القوى الاوربية المتصارعة دعم استيلاء اثيوبيا كقوة مسيحية افريقية على مناطق الاورومو وبقية الممالك الاسلامية حتى حدود الصومال الحالى .

وحتى نقف على مقدار معاناة سكان هذه المنطقة ، أجرى الباحث « حسن مكى محمد أحمد بالمركز الافريقى بالخرطوم » دراسة ميدانية على العديد من المهاجرين منهم الى السودان فرارا من صور الاضطهاد المتعددة التى لاقوها ، لقد اجمع جميع المستجوبين بانهم نزحوا بسبب الاضطهاد ولعل بعضهم قرنوا الاضطهاد بالتجنيد الاجبارى لان ذلك يقود الى الانخراط فى الجيش الشعبى الذى يقوم بمهام حفظ الامن وسط المكان ومحاربة حركات القوميات ، كما ربط بعضهم الاضطهاد بظروف الحروب التى تخلق حالة من الخوف ولا تسمح بالاستقرار وأشار بعضهم الى منعهم من مواصلة التعليم واغلاق خلاوى تعليم القرآن . وأشار اثنان الى انهما هربا بسبب اجبارهما على العمل فى المزارع الجماعية ونتيجة لمنع الارث الزكاة ، وان آخرين فرا ليتمكنا من اداء فريضة الحج ولم يسجل اى منهما انه هرب بسبب عوامل غير سياسية او نزح نزوحا عاديا بسبب الجفاف او بحثا عن عمل او غيره « صفحات متفرقة من البحث » .

— ولعل اخطر المشكلات التربوية التى تواجه الاقليات المسلمة ، هى أن المسلم لا يعيش مجتمعا اسلاميا ، نقول هذا من منطلق ان المجتمع هو الوسيط المربى الاساسى ، اذ مهما تعددت وسائط التربية واجهزتها ومؤسساتها فسوف يظل المجتمع هو « الرحم » الذى تنبت فيه شخصية المواطن ان خيرا فخير وان شرا فشر ، ومن هنا فان وجود المسلم جزء من اقلية وسط كثرة من غير المسلمين ، يجعله يضع ابناءه فى « رحم » مختلف تماما يغذيه اناء الليل واطراف النهار بالمثل والقيم والطموحات غير الاسلامية « سعيد اسماعيل على ، ص ٨ » .

ان شأنا مثل هذا له خطره المزدوج ،

فهو اولا يعيق مائد يتم من تربية اسلامية لابناء المسلمين سواء من طريق الاسرة او من طريق مؤسسات أخرى ، ذلك أن فعل التربية لايؤتى ثمره كاملا اذا كان هناك مايفعل فعلا معاكسا . وهو من ناحية ثانية يوقع الابنـــاء فى صراع حاد بين « تربية » يطمح اليها ويسعى نحـوها يتطلبها دينه ، وبين « واقع » اجتماعى يسير به فى اتجاه آخر ، وهو ان أخلص تماما لتربيته الاسلامية خاف أن يبدو فى الوسط الاكبر غريبا مغتربا ، وهو أن تجاهل هذه التربية والنفس فى الوسط الاكبر بما فيه ، عاش تحت سـيـاط ضمير يلهب فكره ووجـدانه بضربات مؤلمة لانه قد تنكب طريق الاسلام .

ــ ويبدو لنا من استعراض واقع اللغة العربية فى منطقة مثل جنوب افريقيا ومناطق أخرى ، ولقائمة المنظمـات الاسلامية والهيئات الاكاديمية التى تتولى نشرها ، انها بدات تكتسب موقع قدم فى ساحة الواقع اللغوى المتشابك ، ولكن هذا التطور تقف فى سبيله عدة تحديات يمكن اختصـارها فى الملاحظات الآتية : « عمر الصديق عبد الله ، ص ١٩ » .

* افتقار بعض شرائح المجتمع المسلم الى الدافعية التى تجعلهم يقبلون على تعلم اللغة العربية .

* ندرة المعلمين المدربين على استخدام الطرائق الحديثة فى تعليم اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية .

* ندرة المعاهد المتخصصة التى تخرج ذلك النوع من المعلمين .

* الحواجز العقلية والسيكلوجيـة التى تمخضت من المقولة الجائرة عـن صعوبة اللغة العربية .

* الافتقار الى الكتب التعليميـة المناسبة لمن يرغب فى تعلم اللغة العربية بوصفها لغة اتصال .

* معاناة معلمى اللغة العربية من تردى أحوالهم المادية لان عملهم لا يدر عليهم الكثير ولا يتيح لهم التسـهيلات التى يوفرها العمل فى القطاعين العام والخاص .

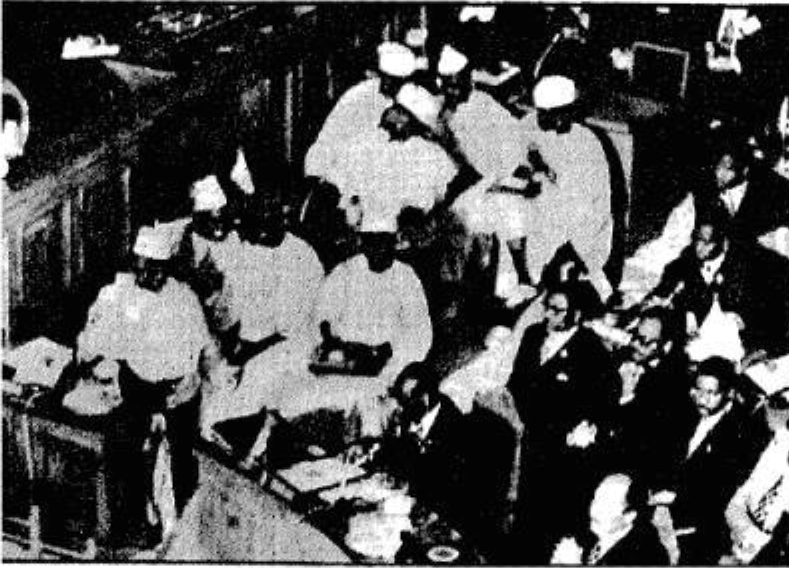
* الموقف السلبى لكثير من العلماء حول نشر اللغة العربية .

● صور القمع والتهجير ●

ــ واذا كان مسلمو الفلبين قد تخلصوا من الشكل المباشر للاستعمار الاوربى خاصة والغربى عامة ، الا ان هـذا الاستعمار لايزال يمارس صـورا وأساليب أخرى تستهدف التهجير والقمع والعنف والتنصير لقد قامت حكومة الفلبين فى عهد ماركوس بانشاء مستوطنات مسيحية وسـط المناطق الاسلامية دفع اليهـا قسرا تلك العناصر المعارضة له ليضرب عصـفورين بحجر واحد كما يقال ، وعمدت الحكومة الى احتكار ثروات المناطق الاسلاميـة واهمال أصحابها ، وبطبيعة الحال ، لم يرض المسلمون بهذه الاجراءات ، وطالبوا الحكومة بوقفها ، فكان الرد استخدام العنف والارهاب لفرض المخططات بالقوة. زد على هذا أن العناصر الاخرى من غير المسلمين انشئوا منظمة ارهابية مدعمة بالسلاح والمال والخبرات تتلقى دعمـا من اسرائيل ، تقوم بملاحقة المسلمين وقتلهم واحـراق بيوتهم ومزارعهـم ومساجدهم ومدارسهم . « الطـاهر المعمورى ، ص ١٠ »

ــ كانت الاقلية المسـلمة فى اليونان تتمتع بمقتضى معاهدة لوزان والدسـتور اليونانى بكافة الحقوق التى يتمتع بهـا المواطنون اليونانيون من المسـيحيين ، وكان المسلمون يتمتعون بكامل حقوقهم من البيع والشراء وفتح المدارس والمحلات التجارية وانشاء المساجد والمبانى السكنية وغيرها من الحقوق ، لكن الامر قد تغير بدءا من عام ١٩٦٥ ، حيث بدات الاقلية المسلمة تواجه عددا من المشكلات مثـل « حسن محمد بالسامان ، ص ١٦ » :

* عدم السماح للمسلمين بالبيع او الشراء فى العقارات .



المسلمون يجتمعون فى مناسبات عديدة ، لبحث مشكلات الأقليات المسلمة .

* عدم السماح بانشاء مبان سكنية جديدة أو ترميم القديم منها الا فى حالات استثنائية وبصعوبات بالغة .

* حرمان المسلمين من انشاء مساجد أو مدارس جديدة أو ترميم القديم منها ، وفى حالة طلب الاهالى اجراء اصلاحات أو ترميمات بالمسجد على حسابهم الخاص فان طلبهم هذا يحال الى الاسقفية فى اليونان ويوجد طلبات مضى عليها أكثر من خمس سنوات ولم تأت الموافقة من الاسقفية بعد .

* مشكلة نزع ملكية كثير من اراضى المسلمين بأغراض مختلفة .

* تتدخل الحكومة فى تعيين المدرسين فى المدارس التى يقيمها الاهالى المسلمون ، وتعين مدرسين من قبلها دون النظر الى الكفاءة ، مع أن معاهدة لوزان تنص على أن للاقلية المسلمة فى اليونان حق فتح المدارس وتعيين المدرسين . ويوجد حاليا فى منطقة « اكسانتى » مدرستان ابتدائيتان مقفلتان بسبب خلاف حاد بين الحكومة والمسلمين ، فالحكومة تصر على تعيين مدرس معين ولا تسمح بغيره ، ولكن القرويين المسلمين ثبت لديهم عدم كفا ذلك المدرس وادت هذه المشكلة ا اقفال المدرسة .. الخ

ـ ومن الحقائق المسلم بها الالمان لاينظرون الى الاتراك « المسلمين بنفس الاحترام الذى ينظرون به الى غير من الجنسيات ، بل على العكس من ذلك فهم يحتقرونهم أحيانا بالرغم من الاعمـ الشاقة التى لايقبل الالمان أنفســ القيام بها .

ومن الشائع جدا أن يرفض الالما تأجير بيته لو مسكنه التركى بحجة ! لا يحافظ على نظافة البيت ولا يرا القوانين والانظمة فى السكن ، واذا ماوا الالمانى على تأجير بيته لتركى فغالبا ما تكون الاجرة مرتفعة وخصوصا اذا كانت عائلة ستقيم معه . هذا ولقد نشأت نتيجة للظروف السابقة بعض الاحياء الفق والخاصة بالاتراك فى المدن الكبرى والصغ حيث يسكنون مساكن قديمة أو بالية

وقد عزا بعض المؤرخين المدارة الفا للمسلمين فى مختلف انحاء أوربا ، بسقوط القسطنطينية بأيدى الاتراك

١٤٥٣ واحتلال أثينا بعد ذلك فاقترنت صورة المسلم بصورة التركى الذى يعتبرونه غازيا وسفاكا للدماء . « رجا حسين أبو السمن ، ص ٦ » .

وقد اعتبر كتاب مارتن لوثر « الحرب مع الاتراك » نموذجا واضحا للكثير من المؤلفات المعادية للاتراك حيث يزعم مؤلفه ان القرآن يحض على العنف ، ونعت مؤلفه الاتراك بالقتلة المتعصبين ، وروج بعض معاصريه دعاية تقول ان الاتراك أناس تجسد فيهم الشيطان يعتدون على النساء المسيحيات ويخربون كل مايجدونه فى طريقهم .

واذا اردنا أن نبحث أن الاسباب التى ادت الى تردى احوال الاقليات المسلمة فى المناطق الافريقية على سبيل المثال ، بل وبلاد الأغلبية المسلمة كذلك ، فسوف نجد فى مقدمتها الاستعمار الغربى بطبيعة الحال حيث استطاع السيطرة التامة على ثروات هذه البلاد ومواردها واستنزاف كل ما يستطيعه منها وتقويض كل مافيها من المؤسسات ، كل ذلك ليعينه على تحقيق مآربه واغراضه ومن ثم ترك البلاد عند رحيله منها بلا رءوس اموال وبلا كوادر بشرية لتسيير العمل الوطنى ، ومازالت سيطرة هذه الدول على الاقتصاد الافريقى والثروات الافريقية قائمة حتى الآن ولكن بدرجات متفاوته .

ومن الامور المسلم بها أن الاستعمار لم يمنح الاستقلال الدول التى كان يستعمرها ، الا ليعود اليها مرة أخرى فى صور شتى .

والحق الذى يجب أن يقال بعد هذه اللمحات السريعة عن واقع بعض الاقليات المسلمة احصائيا وكيفيا ، أن لهذه الجماعات علينا حقا ذا ثلاث شعب : حق الاخوة ، وحق التساند ، وحق التداعى . هم اخوة لنا مهما نأت بهم الديار « انما المؤمنون اخوة » الحجرات ١٠ ، و « المسلم أخو المسلم » متفق عليه ، وهم من البنيان الاسلامى العام للأمة المسلمة الذى يشد بعضه بعضا « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه ، وهم من الجسد المؤمن الذى اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه .

لذا فهم يمثلون الاخ البعيد القريب ، والسند القليل الكثير ، والعضو الغائب الحاضر ، هو فى الهامش هناك ، ولكنه بالقلب موصول ، مهما بعدت بيننا الشقة « د. سيد احمد عثمان ، ص ٣ »

ان السمة الغالبة على الاقليات المسلمة انها تعانى من التخلف الاقتصادى وضيق فرص العمالة للجنسين فضلا عن مشكلات الفقر والجهل والمرض وتدنى الخدمات بينما بلادهم غنية بثرواتها الطبيعية ومواردها . وليس هناك من مخرج الا بالعمل على ازالة هذا التخلف من واقع المسلمين وباحداث تنمية اقتصادية بالمبادرات الذاتية للمسلمين وتجميع رءوس اموالهم القليلة لاحداث هذه التنمية .

ان تجميع راس المال المسلم فى شكل شركات محدودة او بنوك محلية او مصانع او مزارع ودفعها للاهتمام بالنشاط التجارى والاستثمارى ضرورى ولابد منه ، فهو فضلا عما يحدثه من تغيير مادى ، يحمى المال المسلم من ان تستفيد به الشركات الاجنبية ، كما أنه يعطيهم الشعور بالوحدة والكسب والتضامن لتقوية رابطتهم الدينية والاجتماعية وأن يوفروا للشباب فرصا للعمل والاقتناء وحماية الجماعة من اخطار الاستغلال الربوى والسوق السوداء وان يتم تداول المال فى مصالح المسلمين وتحقيق أهدافهم « الهادى بخارى على ، بمنظمة الدعوة الاسلامية بالسودان ، ص ٩ » .

ونظرا لما تشكله اللغة العربية من اهمية

في ربط الاقليات المسلمة بالثقافة الام ، تركزت جهود كثيرة في بلدان عديدة على تعليمهم هذه الاداة الثقافية الخطيرة ، ففي الهند على سبيل المثال ، نجد انه بجانب المدارس الاسلامية الاهلية ، يوجد بها عدد كبير من الكليات والجامعات الاسلامية التي تعنى بتدريس اللغة العربية وآدابها بدافع ادبي وثقافي ، ومن هنا يركزون على دراسة النثر والشعر والنقد والتاريخ الادبي وقواعد اللغة ، ولا يتوجهون الى دراسة المواد الدينية مثل طلاب المدارس الاسلامية . وهذه الجامعات تنظم دراسات مسائية للغة العربية ايضا ، ويلتحق بها في الاغلب الطلاب الذين يريدون تعلم اللغة العربية بدافع اقتصادي او ثقافي فقط ، فهم يحتاجون الى هذه اللغة اثناء وجودهم في البلاد العربية للتجارة او الخدمة . « د. مقتدى حسن محمد ياسين بالجامعة السلفية بالهند ، ص ٨ » .

وفي اليابان استطاعت جامعة الامام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية ان تنشىء بها عام ١٩٨٢ « المعهد العربي الاسلامي » وذلك بهدف التعريف بالاسلام ومساندة الراغبين في الاطلاع من اليابانيين على الثقافة الاسلامية ، وكذلك نشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها ، وبذل الرعاية للمسلمين من اهل اليابان وتلبية الحاجات الدينية والثقافية لهم وللمسلمين المقيمين هناك ، وايضا متابعة كل مايكتب عن الاسلام وما يصدر من دراسات اسلامية في اليابان والقيام بترجمة الصالح منها الى اللغة العربية والقيام بترجمة الدراسات الاسلامية المفيدة الى اللغة اليابانية .

واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية قد اصبحت تضم عددا كبيرا من المسلمين الان ، فقد ادى هذا الى تكاثر المنظمات والجمعيات والهيئات العاملة في حقل خدمة المسلمين بها مستفيدة في ذلك من هذا المناخ الليبرالي السائد مما يتيح لهم حرية النشاط والحركة ربما بدرجة قد تفوق ماهو موجود في بعض بلاد الاغلبية الاسلامية مع الاسف الشديد .

اما اكثر الجمعيات الاسلامية نشاطا في مجال التربية الاسلامية ، ومجال الدعوة الى دين الله في امريكا ، فهي «اتحاد الطلبة المسلمين في امريكا وكندا» وقد تم تأسيس هذا الاتحاد في مطلع سنة ١٩٦٣ على يد خمسة وعشرين طالبا مسلما ينتمون الى خمس عشرة جامعة امريكية ، وكان ذلك في جامعة «الينوي» في مدينة « اربانا » ، وكان الهدف من تأسيس الاتحاد توحيد الطلبة المسلمين الموجودين في امريكا الذين تزايدت اعدادهم بشكل ملحوظ في السنوات الاخيرة « د. كمال كامل عبد الحميد ، ص ٢٣ » .

واذا كان المجتمع – أي مجتمع – يسعى عادة الى ايجاد التجانس والوحدة الفكرية والثقافية بين ابنائه ، فان الاقلية المسلمة تصبح معرضة لخطر الذوبان في المجتمع الكبير مما يحتم ضرورة السعي الحثيث الى الحيلولة دون هذا الخطر ، ويكون ذلك بانتهاج كافة السبل الممكنة واستنفار كافة النظم والمؤسسات للمشاركة في تحقيق هذا الهدف .

ولا تقتصر المسالة على الحيلولة بين الاقلية المسلمة وبين الذوبان في المجتمع الكبير غير المسلم وانما تتعداها الى ضرورة التنمية الذاتية للمسلمين والتطوير الدائم لاحوالهم الثقافية والاجتماعية . بل اننا لنزيد على ذلك ضرورة السعي لتوسيع الرقعة الاسلامية وكسب المزيد من الانصار بجلب من يمكن جذبه الى الانضواء تحت المظلة الاسلامية والدعوة اليهم بالتي هي احسن ، وتقديم النماذج العلمية التي تؤكد للآخرين بطريق عملي ان المنهج الاسلامي كفيل بان يبوىء صاحبه مكانة عالية في الحياة الدنيا وايضا في الحياة الاخرة .

ولاشك ان مثل هذه المهمة لها جوانبها المتعددة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا مما يحتم تضافر قوى كل المؤسسات القائمة واستحداث ما نحن بحاجة اليه للقيام بهذه المهام الرئيسية .



● عسل وطحينة

● قرأت مقال الكاتب سيد الكيلانى فى عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة الهلال الغراء وعنوانه « عسل وطحينة » .. وهو يتسم كسائر مقالات الأستاذ الكيلانى بما يأتى :

اولا : معلومات تُساق وكأنها تطبيق لمقولة تداعى المعانى .

ثانيا : لايبدو أن هناك هدفا ينشده الكاتب من وراء مقاله .

ثالثا : اختيار عناوين مثيرة قد لا تعبر عن المضمون بل قد تكون بعيدة عنه .

رابعا : يبدو ان الكاتب يريد الكتابة لذاتها ! المهم انه يكتب .

خامسا : يندر ان تلمح للكاتب بصمات تستطيع من خلالها الحكم على شخصه .

وخلاصة القول فى مقالاته انها ليست مقالات بل معلومات تساق بآلية قانون تداعى المعانى ! ولنتناول بعض فقرات المقال لعلنا نستطيع الوصول الى جوهر العسل أو الطحينة على الأقل لكن يبدو أن عملنا هذا سيواجه بعوائق أو بلزوجة العسل وقد تخفف من هذه اللزوجة الطحينة !!

يقول الاستاذ سيد (وهذه صورة هدنة بين السلطان بيبرس وبين الاخوة الاسبتار ..) (والبلاد المذكورة فى هذه المعاهدة هى المقاطعات التى تحت يد الصليبيين ..) وقال ابن جبير عن صور ..) (وكان بعض المسلمين قد ألموا باللغة اللاتينية كما ..) (وكان المسلمون يشاركون الصليبيين حفلات الزواج) (وكان من المسلمين من يتحيز للافرنج لما عندهم من نساء جميلات ..) (وكان ابن القيسرانى الشاعر يذهب الى كنائس الافرنج ويتغزل فى النساء ويتمنى أن لو كان صليبيا او صورة مرجرجس ..)

.. ثم ماذا يأعم سيد ؟!

(.. وبعد انقضاء مدة الهدنة ترك الصليبيون الشرق وانقطعت الصلة بينهم وبين الشرقيين ماعدا ..) (ووجدوا من سلاطين المماليك خير مشجع . وكان بعض الرحالة الاوربيين يزور مصر والشام ويدون مشاهداته . ومن أشهر هؤلاء فولنى الفرنسى وله كتاب ضخم عن رحلته وفجأة انتهى مقالى وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح والى لقاء آخر) !!

هذا هو المقال .. فأين عناصره ؟ وأين شكله ؟ وأين جوهره ؟! لابد ان الأستاذ سيد الذى وهب عبقريته فى نقد العقاد او نقضه كما صورت له المعيته قد اكتشف عناصر وشكلا وجوهراً جديداً للمقال فى العربية ..!

ومن السهل ان يجد الأستاذ سيد رداً على كلماتى هذه وهو ان اغمض عينى أثناء قراءة مقاله .. مثلا !! أو اعتبر أن الصفحتين او الثلاث المخصصة لمقالة غير موجودة .. مثلا !! ولكن كيف يكون هذا ونحن نسلم بأن كل كلام لابد ان له قيمة

حتى ولو كان عسلا وطحينة .. فى ظل المجاعات ونقص الموارد ولكن إن كان هذا القول يصدق على المواد الغذائية فهل هناك نقص فى المقالات وهل هناك انقراض فى الأدباء والشعراء والكتاب ؟ لانظن ذلك ومع ذلك فلعل هؤلاء الأدباء لايعرفون كيف يكتبون مثل مقالة "عسل وطحينة" !!

رمضان الهجرسى المحامى

● لماذا أتيت ؟! ●

لماذا اتيت وفى كل مرة
اتيت لحب .. أتيت لكره
ازاوج دمع الضنى والأغانى
أضل طريقى .. أعيد السؤالا ؟
..فؤادا شجيا وعقلا محالا
واكشف فى كل خلق جمالا

عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج

● أخطاء الدكتورة آمال السبكى ●

● أول مايلفت النظر فى كتاب "سعد زغلول والكفاح السرى" للدكتورة آمال السبكى كثرة الأخطاء النحوية مثال ذلك قولها فى المقدمة "أرى مواقف الوطنيون" وفى صفحة ٨ "اثرت أن افرد فصلان منفصلان" وفى ص ٢٠ "إحلال بريطانيون" ص ١١ رد الفعل الشعبى والحكومى "لكلا الدولتين" وقولها فى نفس الصفحة "فكانوا متفقون".

ويطول بنا المقام لو حاولنا أحصاء هذه الأخطاء التى يعرفها طلاب المرحلة الاعدادية فكيف باستاذ جامعى يتصدى للتدريس فى إحدى الكليات ؟!

والكتاب يحمل خطأ تاريخيا فاحشا ، إذ لاعلاقة لسعد زغلول بالكفاح السرى لا من قريب ولا من بعيد . فقد بدأت كتابها بالكفاح السرى منذ ١٨٨٢ ، ولا علاقة لسعد زغلول بهذه المرحلة ثم بمحاولة بعض الشبان اغتيال السلطان حسين كامل ، وهؤلاء الشبان كانوا ينتمون الى الحزب الوطنى وكذلك اغتيال بطرس غالى بيد ابراهيم الوردانى .

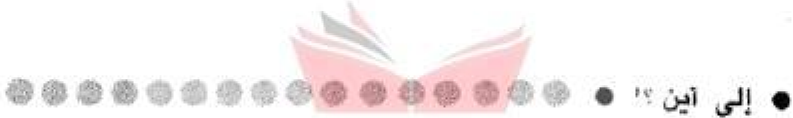
ثم ذكرت محاولة شاب من الحزب الوطنى لسعد زغلول وجعلت هذا من علاقات سعد زغلول بالكفاح السرى ، وهذا أمر عجيب . وأوردت قصة اغتيال السردار مع أن سعد زغلول استنكر بشدة هذا الحادث ثم انها اعتمدت على مذكرات عبد الرحمن فهمى وهذه مشكوك فى معظم ماورد فيها ، وفضلا عن ذلك فإن من ارتكبوا هذا الحادث كانوا من شباب الحزب الوطنى ولم تكن لشفيق منصور اية علاقة بسعد زغلول .

وفى الكتاب اخطاء املائية كثيرة مثال ذلك ما جاء فى ص ٤٢ «محزوفا منه النصوص» والصواب محذوفا «بالذال» وفى ص ١٤١ «مستغرق فى ثباته» والصواب سباته «بالسين» ، ص ١٥٢ "مزيلا" والصواب "مذيلا" بالذال وغير هذا كثير .

ومن الأخطاء التاريخية ماجاء فى ص ٥٠ «محمد فخرى باشا وزير مصر المفوض فى باريس» والصواب محمود فخرى ص ٧٦ «راغب حسن يعمل بورشة التليفزيونات» ولم يكن التليفزيون قد اخترع فى ذلك الوقت .

إنه لعيب كبير أن تصدر هذه الأخطاء من استاذة جامعية فى كتاب تقرره على الطلبة لتمتحنهم بعد ذلك فى اغلاطه التاريخية والنحوية والاملائية !

محمد سيد كيلانى



● إلى أين ؟!



شىء ما
يدفعنى نحوك ..
تتلاطم امواجك ..
تبكى .. تضحك
اخلع عنى ثوب الصمت
انزل اصعد ذاك الموج
اسبح .. الهو
اغدُ .. اطْفُ فى نهر الخلد
إيزيس بلا صوت
تحمل احزان الخلق
تبحث عن اشلائى
تطوى قنوات الخيبة
اه ..
«مواجك تعصف بى
فى ذاك الكون الضائع



همسك مازال يناجيني
اهرامك مازالت تحكي
عن فجر زاه لاينضب
فلتهدأ روحا .. لاتحزن
فالشمس قريبا قد تسطع

أشرف محمد ابو العز
المعصرة ـ المنشية الجديدة

● حوار مع الأصدقاء ●

● احمد قاسم أحمد ـ قنا :

ـ قصيدتكم في الشكوى من حرارة الجو صيفا في محافظة قنا او في مدينة قنا ، تذكرنا بقصيدة حفني ناصف ـ رحمه الله ـ التي قالها عن حرارة جو «قنا» منذ اكثر من سبعين عاما ، وتذكرنا ايضا بهجاء الشاعر عبد الحليم المصري لقنا عندما «نفي» إليها في أوائل القرن العشرين .. ولكن اعتبار قنا مجرد «منفى» للموظفين لتعذيبهم بحرارتها ، قد صار تفكيرا عفاه الزمان .. والناس الآن يكتوون بحرارة الجو في بلاد الخليج طلبا للرزق وان قنا لتعتبر مصيفا طيبا بالنسبة لبلاد الخليج والجزيرة العربية ؟ .. نعتذر من عدم نشر قصيدتكم التي تعبر عن افكار قديمة جدا ، فإن كثيرا من مواطنينا يقضون الصيف في قنا واسوان

● رفعت محمد بروبي ـ سوهاج :

ـ قصائدكم الثلاث التي تلقيناها تدل على انكم تتقدمون في الأوزان ، ولكن مازال امامكم شوط آخر في الأوزان والمعاني

● مروان عبدالله أحمد ظاهر ـ جنين ـ فلسطين :

ـ لاندري عن أي موضوعات تتحدث .. ونحن نعرف ـ كما تقول ـ المعاناة التي يقاسيها الشعب الفلسطيني في فلسطين ، ونرجو أن يرفع الله عنكم غمة الاحتلال الصهيوني قريبا ..

خاتم جوعيه ـ قرية المغار ـ طبرية

ـ شعركم ينقصه الوزن في بعض أبياته ، وإن كان أكثره موزونا .. ومن حسن حظك أنك مازلت تعرف اللغة العربية برغم وقوع طبرية في قبضة الصهيونية منذ عشرات السنين ، وهي المدينة التي وقعت بالقرب منها معركة حطين الخالدة في عهد صلاح الدين الأيوبي ! .. وعن بحيرتها كتب المتنبي ابياتا خالدة ..

● وليم اسكندر يونان ـ ناظر إعدادي ببني سويف :

ـ قرأنا الأقوال المأثورة التي أرسلتموها ، وهي حسنة مفيدة سواء كنتم أنتم مؤلفيها او مقتبسيها .

● فريد عاصم البرقوقي - الاسكندرية :

- لعلكم تستمتعون الآن بالجو الصيفى الجميل على شاطىء الاسكندرية بعيدا عن القصص القصيرة جدا التى ننصحكم بالا تشغلوا قلمكم بها .. وتمنياتنا لكم بالصحة الدائمة ..

● محمود حسن حسين - جرمي - الأردن :

- نرجو الا نكون قد أخطانا فى كتابة اسمكم فهكذا قرأناه فى رسالتكم كما يبدو لنا ، أما تعليقكم على مانشره الهلال من أن الآنسة مى كانت أول خطيبة فى العالم العربى الحديث وقولكم إن الاسلام أول من وضع أسس الخطابة ، فلم نفهم ماتقصدون من ورائه ، فما شأن الآنسة مى بتاريخ الخطابة عند العرب أو المسلمين ؟!

● الأمير كمال فرج :

- لانعرف عنوانكم .. أما قصيدتكم فهى صحيحة الأوزان إلا فى بيتين ، وفيها أيضا أغلاط لغوية قليلة .

● عبدالله السمطى - آداب عين شمس :

- قرأنا قولك ضمن أبياتك :

مشرد يا أنا بين المدى أبدا
كلى مصائب لا أحصى لها عددا
لاسطر ينشر لى بين الجرائد او
حرف وحيد يزيل الجرح والكمدا

وهانحن أولاء ننشر لك أكثر من حرف واحد ، بل سطرين لاسطرا واحدا .. ولم ننشر بقية أبياتك لان بعضها يحتاج إلى مراجعة فى النحو وبعضها الآخر يحتاج إلى وقفة فى اللغة .. مثل قولكم :

ذنبى باننى لم أسرق معانى قد
ماتت وصار لها فى الامس ملتحدا

فلماذا نصبت كلمة « ملتحد » ؟ ! .. كأنك تراها خبر « صار » وليست كذلك .. وما أكثر التعقيد فى قولكم :

ذنبى بأنى لم اذبح مشاعر قلبى ..
فوق أرض الريا ، فالأرض لن تلدا

فالبيت « موصول » المصراعين ، وكلمة « الريا » يقف القارىء حائرا أمامها حتى يتوصل إلى أنك تعنى « الرياء » .. ثم يحيره قولك بعد ذلك « فالأرض لن تلدا » .. فما صلة هذا الكلام بعضه ببعضه الآخر ؟

حاول أن تكون متفائلا ، وأن تؤثر السهولة في صياغة شعرك على الصعوبة .. واكتب إلينا ..

● محمد ابوظاهر

ـ ينبغى أن تتعلم التوقيع على ماتكتبه بخط ظاهر مقروء أما هذا النبش الذى وضعته تحت قصيدتك فعيب ينبغى ألا تكرره .. اما قصيدتك التى يبدو أنك تعارض فيها أبا القاسم الشابى فى بعض معانيه وأساليبه ، وتقول فيها :

زهرة أنت كما ربيع .. كالحب .. كالحياة السعيدة

منغمة أنت بالورود . وبأناشيد الحياة الجميلة

فينقصها الوزن الصحيح واللغة السليمة فى أكثر ابياتها بل فى جميع أبياتها أو سطورها .. فلا تتعجل النشر ..

● **عبدالجواد محمد الخضرى ـ مشرف صحافة مدرسية :**

ـ تقول إنك لم تنظم الشعر مطلقا ثم ترسل إلينا بقصيدة من الشعر .. لابأس . فقد ينطق المرء بالشعر بغتة وهو لايدرى ولايملك أمر نفسه .. أما القصيدة فهى نثر خالص لا أثر فيه للوزن ، فكيف ننشرها ونسميها شعرا ؟ ! .

● **جمال خطاب :**

ـ لاندرى عنوانك .. أما قصيدتك التى عنوانها « فى غسق الليل » .. فينقصها الوزن فى جميع سطورها أو أبياتها .. فضلا عن الأخطاء النحوية واللغوية ..

● **أبو عبدالعزيز :**

ـ ماهو إسمك وعنوانك ؟ .. شعركم ينقصه الوزن تماما .. وأغلاطه اللغوية والنحوية غير قليلة ..

● **عبده محمد سلطان ـ جيزة :**

ـ قصيدتك عن قريتك صحيحة الأوزان ، ماعدا شطرين خالفت فيهما العروض ، وفيها بعض الهنات اللغوية .. أكتب إلينا ...

● **مصطفى أبو كحيلة ـ كفر الزيات :**

ـ الأوزان الصحيحة ليست كافية لإجازة نشر القصيدة ، فلابد من أن يكون فى الشعر رائحة الشعر ، ولو من بعيد ..

● **السادة : سعد الجزايرى .. ابراهيم خليل ابراهيم يوسف .. م . ع .. اشرف محمد .. نجيب سيد فهمى .. وحيد الدين على :**

ـ الكلام عن الأوزان زاد على حده ، ولايوجد شعر عربى بلا وزن صحيح تفعيلى او عمودى ، ولابد من صحة النحو والصرف أيضا ، وذلك اضعف مايسمى به الشعر شعرا فى هذا الزمن الأعجمى الذى صار فيه وزن الشعر العربى معضلة ! ...

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الاردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق . سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

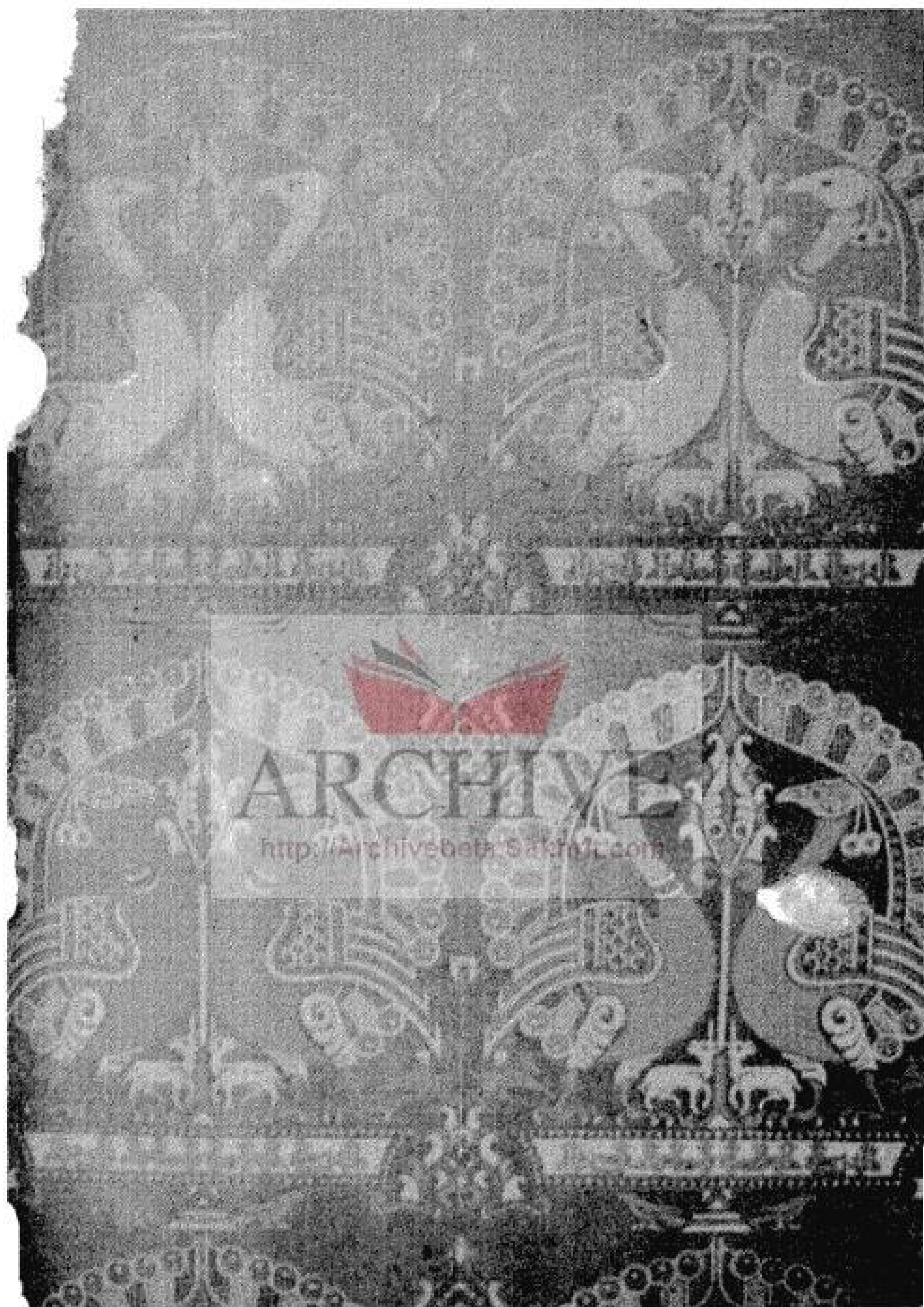
الهلال

أغسطس
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشا

- يوليو في فكرنا السياسي
- رجال في حياة مارلين مونرو





من روائع الفن الإسلامي

الفن هو الحضارة ، يدل على مستوى رقي الانسان ، إنه لغة تعبيرية مرتبطة بوجدان الأمة ودالة على خصائصها التاريخية ...

وهذه لوحة على أحد المنسوجات الحريرية ، ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، استخدمت اللون والحرف والطير ، محفوظة فى متحف تولوز بفرنسا .

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

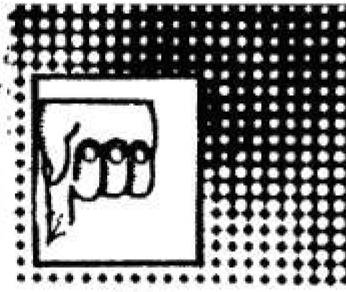
مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - أول أغسطس سنة ١٩٨٦ م - ٢٦ ذو القعدة - سنة ١٤٠٦ هـ



٥ يونيو فى فكرنا السياسى للدكتور فؤاد زكريا ص ٢٠

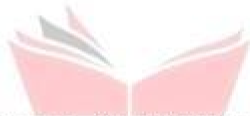
فى هذا العدد

● فكر وثقافة ●



عزيزي القارئ

قانون جديد لمجلس الثقافة



اعلنت وزارة الثقافة جوائزها التقديرية .. او جوائز الدولة التقديرية . وزفتها الى الناس كما اعتدنا ان نشهد زفافها الميمون كل عام محفوفا بالطبل والزمر والاناشيد والادعاءات العريضة .

وكما قلنا من قبل في هذا المكان كان نصيب الاسد لهيئات التدريس . وللاسماء المشهورة في المجتمع . اما المبدعون الحقيقيون في الادب والفن والعلوم الانسانية . فكان نصيبهم رمزيا ذرا للرماد في العيون . وكادت الجوائز لاتتعدى اسما او اسمين من هؤلاء النوابغ الكرام

وحسبك ان تطالع اسماء الاساتذة الفائزين في هذا العام لترى ان هذا العام لايختلف في شيء قليل ولاكثير عن العام المنصرم ففي العام الماضي نودى نجوم المجتمع باسمائهم ذات الرنين . فاقبلوا زرافات ووحدانا يتسلمون جوائز جاءتهم من حيث لايحتسبون .. وفي عامنا الراهن نودى امثالهم فاقبلوا ايضا على نفس الطريق الممهد المفروش بالورد والريحان . فتسلم كل منهم جائزته بيمينه . واما الادباء والشعراء واهل الفن والفكر فقد اوتى كل منهم كتابه بشماله . جزاء وفاقا على قلة بصرهم بمسالك النجاح في المجتمع . ودهاليز الجوائز في المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون ! ..

بعض الذين نالوا جوائز الادب لم يكن لهم نشاط في العام الماضي الا في مجال المصارف المالية والمشروعات الاقتصادية للبحث عن الذهب في اعماق افريقية . وبعضهم كانت وسيلته الى الجائزة علاقاته الحميمة في لجان المجلس الاعلى مانح الجوائز .. وبعضهم .. وبعضهم واذكر ماشئت من اسباب للجائزة . الا سبب الاستحقاق فانه اخر الاسباب . وفي غيره من الاسباب الباطنة والظاهرة فصل الخطاب .

إن المجلس الاعلى بصورته الراهنة وقانونه الذى ابلاه الزمان . لم يعد الجهة الصالحة أو الأمينة في هذا المجال الحساس . مجال الجوائز التقديرية وغيرها وقد دب الفساد اليه في هذه الاونة كما دب الى شئون كثيرة صار فيها الحق غريبا . وتصدر الباطل يعطي ويمنع ويصول ويجول

وقد صدق الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة وابدى شجاعة لم يبدها وزير ثقافة من قبله حين طالب في بعض احاديثه الصحفية بتعديل قانون المجلس الاعلى . وإعادة تكوينه من جديد على اسس سليمة بعد ان نخر السوس في اسسه التي تقادم عليها الزمان ..

اليس معيبا جدا ان تكتظ لجان المجلس بناس دخلوها عن طريق الوساطة والمحسوبية والعلاقات الشخصية . حتى ان لجنة كلجنة الشعر قد امتلات بمن لاشأن لهم بالشعر الا شأن الادعياء .. وكذلك لجنة النثر ولجنة الموسيقى وبقية اللجان التى لااول لها ولا اخر . وان كان في كل لجنة بطبيعة الحال عدد الاصلاء .

ان الروائح التى تفوح كل عام من جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ومن اعمال كثيرة تصدر عن المجلس الاعلى توجب سرعة النظر في اعادة تكوين هذا المجلس المهترىء بقانون جديد . على اسس جديدة تنفي عنه الخبائث ماظهر منها ومابطن ..

ومن العبث مناقشة جوائز الدولة التقديرية بينما هى نتاج هذا الوضع الفاسد برمته .. ولن ينظر الناس بجدية الى هذه الجوائز الا يوم تصدر عن جهة ذات هيبة ادبية وسمعة عالية ..

والى ان يتم هذا الاصلاح المنشود سيظل التعليق على جوائز الدولة كل عام صيحة في واد . ومحاولة لاقامة حائط ليس له اساس .

ومعذرة الى كل من اوتي جائزته بيمينه والعقبى ان شاء الله لكل من فاتته الجائزة . اذا ماصلحت الاحوال . واستقامت امور الرجال "

« المحرر »

المتفــــزعــــلى

الأشــــواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

صـــناعـــة الــكـتـــاب

هذا المعلم المتواضع الطيب، ماله افنى عليه الدهر، فانزوى خلف الجدران.

هذا السفير الذى كان يحمل اسم مصر الى كل بلد عــــربى، فيكسب لها احتراما ومحبـــــة، ما له اخلى مكانه لشريط الفيديو الهابط، الذى لا يستهوى سوى ضعاف العقول.

أليس من الغريب اننــــا فى الوقت الذى نعلن فيه حاجتنـــا الماسة الى فكر خلاق يضيء لنـــا طـــــريقنا المظلم، والى عــــلم صحيح يمكننا من السيطرة على واقعنا البائس، والى فن اصيل يرد انفاس الحياة الى شخصيتنا المضمحلة، نترك الكتاب ــ وهو الوسيلة الوحيدة، نعم الوحيدة، لتحقيق ذلك كلــه ــ يختفى من حياتنا ببطء ولكن بثبات؟

من المؤلم حقا ان يضطر المرء الى الدفاع من الكتاب كأداة ثقافة، من المؤلم ومن العبث أيضا. فلنطو همومنا فى قلوبنا ولنصمت كما صمت جحا حين قام خطيبا، فالذين يعرفون قيمة الكتاب لا يحتاجون الى كلامنا، والذين لا يعرفون قيمـــة الكتاب لن يفهموا ما نقول:

ولكن تعالوا نتحدث عن «صنـــاعة» الكتاب.

فالكتاب صناعة ككل صناعة. صناعة يشتغل بها عدد من الناس، بين انتـــاج



وتسويق ، تفتح بيوتاً ، وتجلب للبلاد مقداراً من العملة الصعبة ، ولذلك لمن حقها أن تلقى من عناية المؤسسات والافراد ما تلقاه غيرها من الصناعات .

ومادمنا قد اخترنا أن نتحدث عن الكتاب من هذه الناحية ، فلنتناسى مؤقتاً مضمون الكتاب ولننظر اليه الآن من وجهة نظر منتجه « الناشر » ومستهلكه والقارىء ، ومن الواضح انه بدون علاقة نشيطة ومتطورة بين هذين الطرفين فلا يمكن ان يقوم الكتاب بوظيفته الخاصة باعتباره وسيلة للمعرفة أو وسيلة للتسلية .

والكتاب المصرى يمر بمحنة منذ بضع سنوات ، ودلائل ذلك كثيرة : دور النشر تقلص نشاطها جداً ، عدد النسخ التي تطبع من اى مخطوطة فى اى فن لم تتعد نقطة معينة ، لم يتأثر بالزيادة الهائلة فى عدد الخريجين، الذين يتوقع ان يكونوا سوق الكتاب الرئيسية . منافذ بيع الكتاب متوقفة ايضاً ، بل لعلها آخذة فى التناقص وربما كانت الصعوبات التي تكتنف صناعة النشر فى الوقت الحاضر غير مقصورة على الكتاب المصرى ، ولكنه، بالتأكيد ، يمر بأزمة غير عادية، وعلينا ان نبحث فى الاسباب ونفكر فى طرق العلاج.

● دور الدولة الابوية ●

وعندما استعمل ضمير الجمع فى مثل هذه الحالة ، فانا اعنى سلطة الحكومة أنا لا اتكلم الآن ـ مثلا عن سياسة للنشر يقترح ان تقوم الدولة برسمها وتنفيذها . اريد ان ينقلب الوضع الجامد الذى انتهينا اليه ، حيث أصبح التفكير فى كل مشكلة من مشاكل حياتنا يأخذ طابع مطالبة الدولة باتخاذ اجراء ما . وهو مرض غريب ومستفحل دخل الى جسم الوطن تحت اسم « الاشتراكية » البراق ، وهو أجدر بأن يسمى « الدولة الابوية » حيث تمارس الدولة دور الاب التقليدى فى الاسرة ، بيده مقاليد كل شيء ، هو الذى يعطى ويمنع تبعاً لحالة من الرضى او الغضب، لا يستشير ولا يشار عليه ، ليس لاحد ان يشكو اليه ولا ـ من باب أولى ـ ان تشكو منه ، وعندما بدأ الاستبداد الابوى يرخى قبضته شيئاً ما ـ نتيجة لضخامة الاعباء بدون شك ـ ظل مفهوم الدولة الابوية ثابتاً فى فكر الافراد

وسلوكهم ، فلا ترى كاتبا يكتب عن مشكلة ما الا وهو يطالب الدولة بالحل، وانا اومن بأن القوة جميعا للشعب ، وان الدولة لا تكون قوية الا حين تعبر عن موقف شعبي قوي . واذا كانت اوضاعنا الحالية لا تنحصر في « موقف » واحد ، يمكن ان تظهر فيه قوة الشعب وقوة الحكومة كما حدث بصورة استثنائية في اكتوبر ٧٣ ، فان معالجة المشكلات الثقافية يجب ان تبدأ بتفكير شعبي وتنظيم شعبي ، ويجب ان تقوم التنظيمات الشعبية ـ خاصة او تعاونية او ما فشت باله بل كله او بمعظمه ، ولا تطلب معونة الدولة من طريق التشريع والضبط والربط ، الا لازالة بعض العقبات التي يمكن ان تكون ناشئة عن تصرفات سابقة للدولة ، لم يعد لها ما يبررها .

● معركة ضرورية ●

من هذا المنطلق أريد ان نفكر في مشكلات الكتاب ، ومن هذا المنطلق ايضا لا يصيبني الجزع عندما اقرأ لاحد المسئولين الامين دفاعا عن « الفيديو » يقول فيه ان هذا الجهاز افضل من الكتاب لانه يخدم المعرفة والثقافة والفن بغير حاجة الى قراءة وكتابة . فالكتاب يجب أن يخوض معركة ضد الفيديو ، ولكنه يجب ان يخوضها على مستوى شعبي ، واذا لم يكن للمشتغلين بصناعة الكتاب بد من مخاطبة الحكومة ، فيجب ان يخاطبوها كجماعة ضغط تلتقي مصلحتها الخاصة مع المصلحة العامة في الحد من انتشار هذا الافيون الجديد ومساعدة الكتاب على اداء مهمته .

ان انتشار الامية ، وضغط وسائل الاتصال الحديثة على الكتاب ، يحتمان على اتحاد الناشرين ان يلح في مطالبة الدولة بالعدل في المعاملة بين الكتاب وهذه الوسائل الاخرى . ووجود قطاع عام وقطاع خاص في صناعة الكتاب يحتم على اتحاد الناشرين ان يطالب الدولة بالعدل في المعاملة بين القطاع العام والقطاع الخاص . ليس من العدل مثلا ان يعان التليفزيون ـ رغم ايراده الهائل من الاعلانات ـ بعشرين مليونا من الجنيهات ولا يعان الكتاب بعشر هذا المبلغ . وليس من العدل ان تتمتع هيئة الكتاب باعانة من الدولة لنشر الكتب مع ان منشوراتها لا تتميز بشيء عما تخرجه دور النشر الخاصة .. ان اختصار ساعات الارسال التليفزيوني، في اتجاه نحو الاقل والاجود، وافراد قسم النشر من هيئة الكتاب بوضع خاص شبيه بوضع شركات القطاع العام ، يمكن ان يوفرا المبالغ الكافية للتوسع في انشاء المكتبات العامة وتزويد مكتبات المدارس بالكتب الجيدة ، وهما مهمتان من مهام الدولة الاساسية في هذا المجال، تعودان بالفائدة على جميع دور النشر الجادة بلا استثناء .

والغاء الضريبة الجمركية على ورق الكتب بالذات ـ كما يطالب اتحاد الناشرين ـ يحرم الدولة من مورد صغير ولكنه قد يفتح لصناعة الكتاب موردا اكبر يئول جزء كبير منه في النهاية الى الدولة فقد اصبح من الاقوال الشائعة بين الناشرين اليوم أن تكاليف طبع الكتاب العربي في قبرص مثلا ارخص منها في مصر .. وهذه مصيبة كبيرة .

وسمعت من احد الناشرين انهم كانوا يطالبون بتقديم عشر نسخ من كل كتاب جديد الى دار الكتب « وهو عدد مبالغ فيه » . ثم فرضت عليهم هذه الفريضة

نفسها من قبل جهات اخرى ، فتضاعف عدد النسخ المجانية التى يلتزمون بتقديمها الى الدولة .

وبعد هذا كله لقد كثرت الشكوى من اجراءات تصدير الكتاب ، ولا ادرى ان كانت قد خففت الان ، ولكنى مازلت اذكر ان رئيس هيئة نشر حكومية مهمة قدم الى القضاء مرة لانه لم يستطع الوفاء بالشروط المالية غير المعقولة التى فرضتها بعض القوانين .

«بين قوسين : عندما سمع احد المحررين فى صحيفة يومية قومية كبرى بهذا الخبر سارع بنشره فى الصفحة الاولى ، تشفيا من مدير النشر المذكور ، لانه لم يستجب لاحدى رغبات المحرر الخاصة . »



هذه وامثالها معوقات لصناعة الكتاب يجب ان تبحث بين اتحاد الناشرين وبين الحكومة . ولكن صناعة الكتاب لن تنتعش بمجرد ازالتها . ان صناعة الكتاب ، فى العالم كله ، لا تقف جامدة امام التطورات السريعة فى وسائل الاتصال .. انها ايضا تبتكر وتجدد فى اخراج الكتاب وتسويقه . ووسائل الطباعة الحديثة تمكنها من الوفاء بالاحتياجات المختلفة لسوق الكتاب : من الكتاب الشديد التخصص الذى تطبع منه خمسمائة نسخة الى الكتاب الشعبى الذى تطبع منه مئات الالوف من النسخ ، والمشكلات التى تواجه صناعة الكتاب فى الوقت الحاضر منها ما يعم العالم كله ومنها ما يخص البلاد « النامية » يعنى «المتخلفة» مثل بلادنا . فلابد للناشر المصرى من ان يكون مطلعا على تطورات صناعة النشر فى العالم ولابد له فى الوقت نفسه من ان يبتكر ويجدد .

واذكر بهذه المناسبة انى قضيت عامين فى البرازيل « ١٩٦٣ - ١٩٦٤ » فوجدت هذه البلاد تتمتع بحركة نشر قوية ، مع ان نسبة الامية فيها فى ذلك الوقت - كما اذكر - كانت تتجاوز الخمسين فى المائة ومع ان الكتاب البرازيلى لا تكاد توجد له سوق خارجية ، اذ ان لغة البرازيل هى البرتغالية ، بخلاف اقطار امريكا اللاتينية الاخرى التى تتكلم جميعها الاسبانية .. وكان من وسائل التسويق التى يتبعها الناشرون انهم يقيمون - بالاتفاق مع السلطات المحلية طبعا - سوقا للكتاب تعقد بصورة دورية فى حى من احياء المدينة واتكلم عن مدينة ريو دى جانيرو العاصمة التى اقمت فيها ، ولكننى اعلم ان هذا النظام لم يكن مقصورا عليها وحدها

بجد كل ساكن من سكان المدينة ، فى كل شهر تقريبا ، كريبا من باب داره ، معرضا للكتــاب يدوم عدة أيام . ولم يكن حى من احياء المدينة يخلو من مساحة او حديقة عامة يقام فيها المعرض ، ولا اذكر انى رايت معرضا من هذه المعارض غير حافل بالرواد .

والنجاح الذى يلقاه معرض القاهرة الدولى للكتاب دليل على أن هذه الفكرة صالحة للتطبيق هنا . ولن تعوزنا الاماكن رغم زحام المدن المصرية وسوء تخطيطها

على ان هذه الابتكارات الجزئية انما تأتى بعد ان نصحح مفهومنا لطبيعة الكتاب ووظيفته .

فالكتاب يختلف عن غيره من وسائل الاتصال بصفتين اساسيتين : انه فردى، وانه باق .

ويترتب على هاتين الصفتين ، من ناحية الوظيفة ، انه الوعاء الانسب للادب الرفيع ، والفكر العميق والمعرفة العلمية ، والموضوعات المتخصصة ، وفى هذه النواحى كلها يتغلب الكتاب على سائر وسائل الاتصال ، مهما بدا بعضها سهلا ومغريا .

● خطيئة كبرى ●

وخطيئتنا الكبرى نحو الكتاب ــ وهى خطيئة تورطت فيها مصر او بعدنا معظم الشقيقات العربيات بدرجات متفاوتة ــ هى اننا خلطنا بين الكتاب ووسائل الاعلام الاخرى ، بدأ ذلك عندما كــلفت فى مصر اجهزة للنشر حكومية او شبه حكومية ، رسمت صورة للكتاب المصرى غير الصورة التى كان يعرفها الناس . كان الشعار المعلن « كتاب كل ست ساعات » . وكانت المادة غالبا مادة دعائية فجة ، كما كان الاخراج رديئا وخاليا من الذوق . ولم يكن احد يهتم بمعرفة ان كانت هذه الكتب تقرأ او لاتقرأ ، وكأنما كان غرضها الوحيد ان تسد الطريق على « الكتاب » الحقيقى

حاول المثقفون فى مصر ، كما حاولوا فى كل بلد عربى ، ان يصلحوا الامر بخلق تيار من الثقافة الجادة ، التى تعتمد على الكتاب اساسا ، وسط هذا الخضم من التفاهة ــ ونحن لا نغمط هذا التيار قدره .. ولكننا نلاحظ ــ ولعلنا لا نتجنى ــ انه كان اضعف من ان يؤثر فى الاتجاه العام . لقد تحددت « صناعة الكتاب » بظروف معينة هوت بها الى الحضيض ، واخلت معها هذه الجهود القليلة المخلصة .

ولم يعد الامر مقصورا على دور النشر الحكومية . فالناشرون المستقلون نسوا ايضا انهم ناشروا كتب وحاولوا أن يصبحوا اعلاميين . وساعدتهم على ذلك التقلبات العنيفة المتلاحقة التى يمر بها العالم العربى . فأرى بعضهم من الكتب الاعلامية ، ولكنهم اصبحوا اليوم مهددين بالافلاس بعد أن تعب الناس من متابعة السيناريو السخيف المكرر للاحداث العامة . ومشكلة الكتاب المصرى الان ــ فى تقديرى ــ هى انه فقد سوقه الحقيقية ولم يستطع ــ ولن يستطيع ان يكسب سوقا اخرى .

ان صناعة الكتاب فى مصر يجب ان تبحث من الجذور للوصول الى تصورات صحيحة عن مشكلاتها وامكانياتها . وبعد ذلك فالمجال واسع للتجديد والابتكار . ولن يصح أبدا قول بعض المتشائمين أن صناعة الكتاب صناعة بلا مستقبل .


بورقيبة

● « إن محمد مزالى إبنى وخليفتى وعضدى الأول »

الحبيب بورقيبه

● « يا أيها الصحفيون .. ارحمونا يرحمكم الله »

الكاتب الصحفى انيس منصور

● « الأمريكيون سواء فى الشمال أو الجنوب ، هم بالفعل أوربيون فى المنفى ..»

جورج لويس بورخيس
الاديب الارجنتينى


ضياء الحق

● لا احد يحتكر الحقيقة ..

جيدو كريشنا مورتى الفيلسوف الهندى

● « لن اضيع وقتى فى الاجتماع بالسير جيوفرى هاو »

الاسقف الاسود ديزموند توتو ـ جنوب افريقيا


احمد بهاء الدين

● « استعيد الماضى ، لا لكى افتح جراحا ، بل لكى لا تذهب التجربة هباء ولا تعود الذاكرة عذراء »

اميل حبيبى ـ الاديب الفلسطينى

● « لا أخشى الانسة بينازير بوتو »

الجنرال ضياء الحق
رئيس جمهورية باكستان

● « لا أومن بالجرى ، أنه يطيل حياتك ، بمثل الزمن الذى تضعيه فى الجرى ..»

المخرج الامريكى
مارشال بريكمان

● « لو توقف العالم عند الضحايا الأوائل للتقدم ، لما كان هناك اليوم سيارات وسفن وطائرات ..»

احمد بهاء الدين

بقلم: عبد الرحمن شاكر

مطاردة الفلسطينيين في ربوع الشام.. وإسرائيل تستعد لتجنيدهم!



كان الوضع الطبيعي للفلسطينيين الذين ابعدوا من ديارهم بعد استيلاء الصهاينة عليها ، ان يكونوا طلائع لحركة تحرير منظمة في سائر بلاد الشام التي لجاوا او الجئوا اليها ـ وهي الاردن وسوريا ولبنان ، وكل هذه مضافا اليها فلسطين ، هي تقاسيم ادارية لمنطقة الشام ، كان معمولا بها ، او ببعضها في ظل الدولة العثمانية ، ثم حولها الاستعمار البريطاني والفرنسي في بداية القرن الحالي الى «حدود» لدول تحت الانتداب، ثم اصبحت الان «مستقلة» ، من اجل اقطاع الصهيونية ارض فلسطين تمهيدا لسيطرتها على سائر منطقة الشام كلها على الاقل ، ومن يراجع الوثائق القديمة للحركة الصهيونية يطالعه كثيرا اسم سوريا ، باعتبارها الهدف المباشر للوطن الصهيوني، حيث كانت هي الاسم الاكثر تداولا في الاشارة الى منطقة الشام في مجملها .



مطاردة الفلسطينيين

والآن ماذا يدور على الاجزاء التى لا تزال عربية من منطقة الشام ، ولم يمتد اليها الحكم الصهيونى المباشر كما هو حادث بالنسبة لفلسطين كلها ، مضافا اليها على نحو شبه مباشر جنوب لبنان ؟

فى لبنان ، وفى بيروت العربية الاسلامية بالذات ، دارت حرب شنيعة شنتها قوات أمل الشيعية ضد المخيمات الفلسطينية فى صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة ، واستمرت تلك المعارك التى تستهدف تصفية الوجود الفلسطينى فى تلك المناطق اكثر من شهر ونصف ، وفى ظل مأزق عنيف وجد فيه الفلسطينيون انفسهم فى بيروت ، هم والحكومة « الشرعية » القائمة فيه برئاسة أمين الجميل ، التى خشيت وتخشى من تعاظم قوة ميليشيا أمل الشيعية على نحو يهدد سلطتها الصورية ، ترددت الانباء عن قيام اتفاق ما بين تلك « الحكومة » اللبنانية ، والقيادة « الشرعية » لمنظمة التحرير الفلسطينية ، يتيح عودة بعض المقاتلين الفلسطينيين ، الذين اجبروا على الخروج من بيروت بعد الاجتياح الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ ، الى بيروت مرة اخرى ، ليدافعوا من وجهة نظرهم عن اخوانهم فى المخيمات ، وليحفظوا - من وجهة نظر الحكومة اللبنانية - التوازن مع امل الشيعية ، وسائر الميليشيات ، وقيل ان أمين الجميل قدم الفا او الوفا من جوازات السفر اللبنانية الى منظمة التحرير لهذا الغرض ، فى مقابل عدة ملايين من الدولارات قدرتها بعض المصادر بأنها سبعمائة مليون (!) ، لاعادة بعض التوازن أيضا . للاقتصاد اللبنانى المنهار ، بما فى ذلك تدهور سعر الليرة اللبنانية الى حد كبير ، وذلك بسبب المعارك المتوالية ما بين الميليشيات المتصارعة وآخرها وأبرزها حرب أمل ضد المخيمات .

● محاولة لاحباط الاتفاق ●

فاذا ما تذكرنا ان أمين الجميل ، هو ممثل حزب الكتائب فى السلطة اللبنانية ، وان ذلك الحزب أيام شقيقه الراحل بشير الجميل الذى كان رئيسا قبله ، كان هو الحليف الاول لاسرائيل فى اجتياحها لبنان ، الذى ترتب عليه اخراج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ووقوع مذابح صابرا وشاتيلا الاولى ، لو تأملنا ذلك لعلمنا الى اى حد يقوم المأزق الجديد الذى يجد الفلسطينيون انفسهم فيه ، الى وضع أيديهم فى ايدى أعدائهم بالامس طلبا للنجدة لذويهم المهددين بالابادة فى بيروت !

وبعد الوصول الى قرار بوقف اطلاق النار ، زحفت القوات السورية لتتخذ مواقع لها فى بيروت الغربية ، من غير طلب من الحكومة اللبنانية وعلى غير ارادتها . وتتوجس القيادة الشرعية لمنظمة التحرير الفلسطينية خيفة من هذا التحرك السورى الجديد ، وفى ذهنها بالطبع مطاردة عرفات وانصاره فى طرابلس على ايدى





امين الجميل   شيمون بيريز

المنشقين الفلسطينيين التابعين للقيادة السورية ، وتتوقع القيادة الفلسطينية أن يكون الهدف من هذا التحرك احباط اتفاقها الاخير مع الحكومة اللبنانية ، واكثر من ذلك تتوجس أن تشترك قوات سورية تحت اسماء مختلفة ، مع امل الشيعية ، فى استئناف مجزرة المخيمات ، واكثر من ذلك محاولة القضاء على الوجود الفلسطيني فى صيدا فى جنوب لبنان ، بحيث لا يبقى لهم وجود بالمرة فى لبنان ، وأن ذلك سوف يتم بعلم اسرائيل ورضاها ، ومما يحقق أغراضها باتخاذه ذريعة لوضع ايديها بالكلية على الجنوب اللبنانى .

الى من يلجأ الفلسطينيون هذه المرة لو صحت توقعاتهم ؟! اذا نظرنا الى الاردن الذى كان هو الملجأ الاكبر للفلسطينيين بعد النكبة ، لوجدنا أن اخر قرار للحكومة الاردنية حتى كتابة هذه السطور كان اغلاق ٢٥ مكتبا لمنظمة فتح ، كبرى المنظمات الفلسطينية ، وذلك بسبب « أقدامها » على أنتقاد السياسة الاردنية ازاء القضية الفلسطينية ، بما فى ذلك احداثها انشقاقا لصالحها بدورها — على الطريقة السورية — فى تلك المنظمة ، بقيادة من يدعى « أبوالزعيم »

ترقب اسرائيل كل ذلك فى جزل ، وتربص ، وتتحرك ايضا على طريقتها ، فماذا تفعل ؟

● ما وراء المسرحية ●

أبرز ما دار فى الاسابيع الاخيرة داخل اسرائيل فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية هو المسرحية التي جرى ويجرى اخراجها بدقة شديدة حول مصرع شابين فلسطينيين فى غزة على ايدى رجال الامن الاسرائيليين ، وذلك بعد استسلامهما ، على اثر عملية فدائية قاما بها هناك واستهدفت احدى سيارات الاتوبيس .

لقد جرى اتفاق بين رئيس الدولة الاسرائيلية ، ورئيس جهاز الامن بها المدعو شالوم ، على اعفاء هذا الاخير من الملاحقة القانونية بإعتباره هو الذى اصدر الامر بقتل هذين الشابين فى مقابل ان يقدم استقالته ! وذلك بالطبع هو اقصى عقاب يمكن ان تنزله « العدالة » الاسرائيلية ، ازاء جريمة « بسيطة » ، من هذا النوع : قتل شابين عربيين فى وضع استسلام !

ولكن هذه الفعلة يجرى استثمارها سياسيا على اوسع نطاق ، بادعاء ان الضمير الاسرائيلى لا يقبل السكوت على هذا العمل ، ويطالب بمحاسبة المسؤولين عنه سياسيا ، وفى مقدمهم من كان رئيسا للوزراء ايام وقعت هذه

◀

مطاردة الفلسطينيين

الحالية ، وهو اسحق شامير رئيس كتلة ليكود ·

بالطبع لا يبالي حزب العمل الاسرائيلي بزعامة بيريز أن يكسب نقطة من هذا النوع ضد شامير ويحرمه من تولي رئاسة الوزارة حينما يأتي عليه الدور طبقا لما اتفق عليه حينما شكلت الحكومة الائتلافية من العمل وتكتل ليكود ، بل هو يحرص على كسب تلك النقطة ، حتى ولو انتهى الامر الى اجراء انتخابات جديدة يتوقع حزب العمل ان يفوز فيها باغلبية تكفيه للانفراد بالحكم ·

ويترقب ايضا في جزل سقوط شامير عنصر اخر داخل حزبه يدعى ليفي ، ويتعجل اليوم الذي يخلف فيه شامير في قيادة الليكود ، ولكن تلك كلها مكاسب سياسية محدودة ، اذا ما قورنت بالمكسب الاكبر ، الذي يترقبه الكيان الصهيوني في مجمله من استثماره السياسي لتلك القضية ، واظهارها دليلا على صراحة العدل الاسرائيلي ازاء ما يحدث للفلسطينيين ·· حتى ولو كان شامير هو الضحية !

المكسب الكبير الذي تحلم به الصهيونية بعد ان تنجح في اثبات نزاهة سلطتها ازاء الفلسطينيين ، ما تضمنته التقارير الصحفية » التي ذكرت ابان تلك الضجة حول مصرع الشابين المذكورين ، ان بعض الدوائر السياسية في اسرائيل ، تفكر في استصدار تشريع من الكنيست يقضي باجبار الفلسطينيين ، الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية على اداء الخدمة العسكرية ، أسوة بمواطنيهم من الفلسطينيين الدروز ، الذين قبل زعماؤهم واضطرت بقيتهم الى الانخراط في الجيش الاسرائيلي من قديم ·

ذلك فيما يبدو لي هو الهدف الرئيسي من وراء اخراج تلك المسرحية الصاخبة حول مصرع الشابين الفلسطينيين واظهار الحرص على محاسبة المسئولين عنها حسابا عسيرا ، ينتهي – كما هي العادة – بمجرد الاستقالة من أحد المناصب وتولي سواه !

الهدف أن يقال للفلسطينيين ، لقد رأيتم مقدار العدالة الاسرائيلية ، فلماذا تعزلون انفسكم عنها بعدم الاعتراف باسرائيل دولة لكم تدينون لها بالولاء الكامل بما في ذلك خدمتها عسكريا ؟!

وبالطبع ، لو صدر مثل هذا التشريع ، الذي يعرف الكيان الصهيوني كيف يمهد له ، ويختار التوقيت المناسب لصدوره ، فالى اين يذهب الفلسطينيون لو رفضوا تطبيقه ؟

● محاولة للسيطرة ●

ان ما يدور على سائر ربوع الشام من مطاردة لهم ، سوف يقفل الابواب في وجوههم ليلجأوا اليهما

كما لجأ سابقوهم ، وعندها لن يكون امام كثير منهم سوى التسليم ، بأن يصبحوا جنوداً في جيش اسرائيل !

هل يدرك الذين يطاردون الفسطينيين حاليا في سائر ربوع الشام ما ينتظر تلك المنطقة ، وسائر المشرق العربي لو وصلت الامور الى هذا الحد ؟

لن تتوقف الصهيونية لو نجحت في ذلك عند حد !

سوف يكون هدفها الاول هو السيطرة على منطقة الشام كلها بفضل من انضم الى قواتها من رعاياها « الفلسطينيين المخلصين » !!

ثم بعد ذلك تنتقل الى فرض سيطرتها « الامبراطورية » على سائر المشرق العربي ، بما في ذلك الارض المقدسة في الحجاز ، التي تدعى أن اجزاء منها — بما في ذلك المدينة المنورة — هي جزء من ارض اسرائيل التاريخية !

ولن يكون شأن الفلسطينيين لو جندوا في جيش اسرائيل — مختلفا عن جيوش الامبراطوريتين السابقتين البريطانية والفرنسية ، حيث كان يتم تجنيد قوات من الهند لاحتلال مصر ، او الجزائر لاحتلال الهند الصينية ، وهلم جرا .

معروف ان جزاء من يخالف الامر العسكري في الجيوش في حالة حرب هو الاعدام ، لذلك فالمقاتل او الجندي لا ارادة له فيمن يقاتل ، هناك القيادة تأمره ينفذ .. او يموت !

● حقوق الانسان اليهودي

وعلى كل فالكيان الصهيوني وحلفاؤه في الخارج لا يقصرون في اجتلاب مزيد من يهود الخزر ليزيدوا من قوة الجيش الاسرائيلي ، ويضاعفوا من عدد المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية ، حتى يصلوا الى الدرجة التي يقسون فيها على فرض التجنيد على « الاقلية » العربية في اسرائيل .

وللصهيونية في اجتلاب مواطنيها من هناك أساليب لا تنتهي ، ويستغلون كل شيء وكل حادثة !

واقعة المفاعل النووي السوفيتي في تشيرنوبل ، أستغلها الصهاينة على الفور ، وارسلوا مبعوثهم اليهودي الروسي الاصل الامريكي حاليا ، المليارديرارمان هامر الى الاتحاد السوفيتي ، حيث التقى بالمسئولين هناك ، وعرض عليهم جميع المساعدات واصطحب معه فريقا من الاطباء الممتازين للتقليل من اثار الكارثة ، ولم ينس بالطبع ، في جو التعاطف مع ضحاياها ، تذكير المسئولين هناك بضرورة مراعاة حقوق « الانسان » اليهودي في الهجرة الى اسرائيل !

والرئيس الفرنسي ميتران خرج من مباحثاته في موسكو ، يتباهى بأنه قد ناقش هناك قضية حقوق الانسان ، التي تعني دائما ذات « الحق اليهودي » !

اما الولايات المتحدة الامريكية فقد طالبت في مباحثاتها مع السوفييت حول قضية الشرق الاوسط ان يستأنف الاتحاد السوفيتي علاقاته مع اسرائيل ، اذا اراد ان يكون له دور في حل القضية .

اما نحن العرب اصحاب القضية فلا نفعل شيئا .. الا قتل انفسنا .. بأيدينا ، وينتظرنا في ذلك المزيد ، الرهيب ..

ولله الامر من قبل ومن بعد !

٥ يونيو
فى فكرنا السياسى

بقلم : د. فؤاد زكريا

قد يرى البعض أن اللحظة الحاضرة ليست أنسب اللحظات للحديث عن ٥ يونيو ولكن كاتبا معروفا رأى أن يرد على من أسماهم « ندابات ٥ يونيو » (الأستاذ محمد عودة فى جريدة الأهالى عدد ١٨ يونيو ١٩٨٦) ، وخاض فى رده هذا معركة صريحة ضد أولئك الذين يشنون كل عام هجمات عنيفة على العهد الناصرى فى ذكرى هزيمة ١٩٦٧ ، ففتح بذلك بابا واسعا لمناقشة هذا الموضوع الهام .

واذا كان كاتب ذلك المقال قد استخدم رمز « الندابات » ليصف به من يرددون أحزان ٥ يونيو فى كل عام ، فإن الطرف الآخر ، الذى يمثل وجهة النظر المضادة ، كثيرا ما يستخدم ، فى وصف اولئك الذين يقللون من شأن ماحدث فى ١٩٦٧ ، رمز « الراقصات » ويعنى به ذلك المنظر المشهور الذى تناقلته وكالات الأنباء العالمية ، والذى وقف فيه بعض نواب المجلس الموجود فى ذلك الحين يرقصون فرحا وابتهاجا ، فى يوم ١٠ يونيو ، عندما قرر الرئيس عبد الناصر العدول عن تنحيه .

وهكذا فإن الجيل الجديد ، الذى لم تشهد غالبيته أيام حرب يونيو أو لم تكن مكتملة الوعى خلالها ، يجد نفسه حائرا بين « الندابات » و« الراقصات » ، ويبحث عن الحقيقة فلا يجد إلا طرفا يقول له أن كل ماحدث قبل ٥ يونيو وأثناءها كان سوادا فى سواد ، وطرفا آخر يؤكد له أن الصفحة كانت ناصعة البياض ، وأن خروج الشعب فى ٩ ، ١٠ يونيو ، لاستبقاء الرئيس عبد الناصر بعد الهزيمة مباشرة ، كان على حد تعبير الكاتب نفسه فى مقاله الأخير « أحد مشاهد التاريخ الكبرى فى كل العصور » .. ومهما استبد القلق والاضطراب بهذا الجيل الذى نتحمل جميعا مسئوليته ، والذى يتآمر الجميع على عقله ، فلن يجد من يقدم اليه إجابة شافية عن السؤال الملح .

أيهما أصدق ، الندابات أم الراقصات ؟

إننى انفر ، بطبيعتى من الحلول الوسطى ، ومن المحاولات التوفيقية التى ترضى كل طرف فى جانب وتغضبه فى جانب آخر ، وأكره اية محاولة لتحقيق اللقاء بين الندابات والراقصات ، وذلك على الأقل لأن هذا اللقاء مستحيل عمليا : فالندابات يمارسن نشاطهن فى المآتم ، والراقصات فى الأفراح والليالى الملاح ، ومن ثم فلن نجد أرضا

مشتركة يلتقى فيها الجانبان . ومن هنا فإن الموقف الذى سأتخذه فى هذه الدراسة هو أن كلا الطرفين يرتكب اخطاء كبرى ، وأن الحقيقة تكمن فى اتخاذ موقف مغاير لهما معا .

ولكى يقتنع القارىء بأننى لا أكتب مقالا ساخرا ، وإنما اتحدث عن أمور جدية إلى اقصى حد عندما اقول إنه لاتوجد ارض مشتركة يمكن أن تتلاقى فيها ندابات المأتم وراقصات الأفراح ، دعونا نتأمل ما كتبه الأستاذ عودة ردا على « ندابات ٥ يونيو » لقد تحدث عن كل شيء إلا عن أحداث ٥ يونيو نفسها . ففى مقال طويل ، إستعرض الانجازات الضخمة لثورة ٢٣ يوليو ، ولعبد الناصر شخصيا ، قبل ١٩٦٧ ، وانتهى إلى ان خط سير الأحداث كان يحتم أن تقوم امريكا ، عن طريق مخلب القط الذى كانت قد قررت استخدامه فى ذلك الحين ، أعنى إسرائيل ، بضربة قاصمة تجهض بها التجربة المصرية التى كانت تهدد مصالح امريكية حيوية ، فى الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية . ثم تحدث عما وقع بعد الهزيمة : عن رد الفعل الشعبى ورفض الاستسلام وإعادة بناء الجيش ولكنه لم يكتب سطرا واحدا عما حدث فى ٥ يونيو نفسها ، وقفز قفزة كاملة على عملية الحرب وسير المعارك وحجم الهزيمة وسرعة وقوعها وتصرفات المسئولين اثناءها ... الخ . على أن هذه الأمور الأخيرة هى بالضبط ماتتحدث عنه « ندابات ٥ يونيو » ألسنا إذن على حق حين نقول إن أصحاب مهنة الندب فى المأتم ، ومحترفى الرقص فى الأفراح ، يستحيل أن يلتقوا على أرض واحدة ؟

• نموذج للأزمة الفكرية •

إننى لا أعقد هذه المقارنة لكى أوازن بين مواقف الطرفين ، بل لكى اتخذ من حوارهما نموذجا للأزمة الفكرية التى أصبحت تعانيها مناقشاتنا السياسية والثقافية فى السنوات الاخيرة فها هو ذا موضوع عظيم الأهمية فى حياتنا المعاصرة ، موضوع كان ولايزال وسيظل له تأثير هائل على حياة ومستقبل كل واحد من أبناء مصر والعالم العربى بأسره ، وأعنى به نقطة التحول الكبرى التى حدثت فى تاريخنا المعاصر نتيجة لحرب يونيو ١٩٦٧ . ومن واجب كل مثقف وكل مفكر نزيه أن يقول كلمة الحق ، أو أن يقدم على الأمل اجتهادا امينا ، لكى يساعد الأجيال الحاضرة على الاقتراب من الحقيقة أولا ، وعلى أن تتعلم الدروس وتأخذ العبرة ثانيا . ولكننا نجد الفريقين المتحاورين حول هذا الموضوع يصرخان كل فى واديه الخاص ، ويتصور أنه يرد بذلك على الآخر ويحاوره . أحدهما يبكى على الانهيار الشامل الذى تجلى بصورة صادقة فى ايام الحرب والذى أدى الى افدح هزيمة فى تاريخ العرب الحديث ، والثانى يتغنى بالانجازات التى تحققت قبل الحرب وبعدها ، ويقفز بخفة فوق كل ماحدث فى تلك الأيام السوداء ، ثم يسمون هذا مناقشة أو حوارا !

وإنى لا تصور بخيالى شابا فى الخامسة والعشرين ، كان وقت الهزيمة فى السادسة من عمره ، ويتطلع اليوم إلى معرفة الحقيقة عن هذا اليوم الذى لايسمع

عنه إلا كلاما غامضا وذكريات مختلطة ، فيتلهف شوقا الى ما يكتبه أصحاب الأسماء اللامعة ممن عاصروا الأحداث مباشرة ولكنه لايجد إلا من يحدثونه عن المقدمات والنتائج ، دون ان يقولوا شيئا عن الحدث نفسه ، او من يتكلمون بالتفصيل عن الحدث ذاته ، دون أن يذكروا شيئا عن المقدمات والنتائج ، ثم يكتشف (وهذا هو الأدهى والأمر . وهو الكارثة العقلية بحق) أن كلا من الطرفين يتصور انه يناقش الآخر ويرد عليه . فكيف يستطيع مثل هذا الشاب ، الذى يمثل جيلا بأكمله ، ان يكون لنفسه فكرة معقولة عن هذه الفترة الحاسمة من تاريخ بلاده ؟

وهل سيهتدى إلى طريقه بين اولئك الذين لايقدمون اليه سوى انصاف الحقائق ، مؤكدين انها « حقائق » فقط وناسين انها ايضا « انصاف » ، وان من اسهل واخطر الطرق لتزييف العقول وتخريبها ان يقول المرء جزءا من الحقيقة ويحجب عمدا جزءها الآخر ؟

● نقص خطير ! ●

إن الكثير من أحداث ٥ يونيو سيظل لوقت طويل ، كما يعترف الجميع ، أسرار خفية وليس فى استطاعة كاتب هذه السطور أن يتقمص شخصية المؤرخ الذى يضيف جديدا أو يجلو غامضا . ولكن ماتود أن نقوم به ، وما نعتقد أنه مفيد غاية الفائدة ، هو أن نناقش « النظريات » المختلفة فى تفسير ٥ يونيو ، دون أية محاولة للخوض فى التفاصيل التاريخية والعسكرية التى تحتاج على أية حال ، الى فرق بحث كاملة . وإذا كان تقاعس الثقافة المصرية عن تحليل هذه الفترة الحاسمة تحليلا مفصلا ، يمثل جانبا خطيرا من جوانب النقص فى حياتنا الفكرية ، فلا بد أن ندرك أن هناك الف عقبة وعقبة مازالت تحول دون إنجاز هذه المهمة الشاقة ، وأن معظم هذه العقبات مفروضة فرضا على المثقفين .

ويمكن القول إنه قد ظهرت ، فى حياتنا الفكرية المعاصرة ، نظريتان رئيسيتان فى فهم أحداث ٥ يونيو :

النظرية الأولى ، وهى التى يقول بها الناصريون المتشددون ، هى نظرية المؤامرة الدولية أعنى تفسير حرب ١٩٦٧ عن طريق البعد الخارجى وحده ، بحيث ينظر الى هذه

الحرب فى ضوء المواقف التآمرية التى اتخذتها الامبريالية العالمية تجاه نظام عبد الناصر ، وتعد الهزيمة ذاتها مظهرا من مظاهر المد الامبريالى الذى بدأ منذ اواسط الستينات ، وأحرز انتصارات هامة فى السبعينات ، وانتقل الى مرحلة الهجوم المباشر فى الثمانينات ، فاستطاع خلال هذه المراحل أن يجهض معظم تجارب الحياد الايجابى ومحاولات السير فى طريق الاشتراكية والتنمية المستقلة ، وهى المحاولات التى أزدهرت فى العالم الثالث خلال العقد الممتد من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ .

أما النظرية الثانية فترتكز على التركيب الداخلى للنظام . فهى تفسر الهزيمة بأنها ناتجة عن عوامل تنتمى الى صميم بنية النظام ذاته ، أفضت الى توجهات خاطئة تعد هى وحدها المسئولة عن الكارثة وهذه النظرية تتفرع الى فرعين تبعا لنوع العوامل الداخلية التى يركز عليها أصحابها :

ا ـ فهناك من يعللون الهزيمة بالتوجه الاشتراكى للنظام ، وماترتب عليه من تحالف مع السوفييت ، الذين هم فى نظر أصحاب هذه النظرية حلفاء لايمكن الاعتماد عليهم ، لايقدمون إلا سندا أضعف بكثير مما تقدمه أمريكا لاسرائيل وهذا هو التفسير الذى يأخذ به عدد كبير من انصار الاقتصاد الحر ، والذى يتبناه الآن ، بصورة اشد عنفا وضراوة ، حزب الوفد الجديد .

ب ـ وهناك من يفسرونها بالتوجه العلمانى للنظام وما ترتب عليه من تعذيب وتشريد لاعضاء الجماعات الاسلامية وابتعاد عن نهج الشريعة الالهية . وفى ضوء هذا التفسير تصبح هزيمة ١٩٦٧ انتقاما إلهيا من الظلم الذى لحق بعدد هائل من أنصار الحركة الاسلامية ، فضلا عن أنها ـ فى نظرهم هى النتيجة الطبيعية لنظام يخضع فى قراراته وتشريعاته لما يمليه العقل البشرى القاصر ، ويطرح جانبا شرائع الحكمة الربانية الخالدة .

ومن السهل أن يدرك المرء وجود تداخل لايستهان به بين فرعى النظرية الثانية .

فأصحاب الاتجاهات الاسلامية ، الذين يقولون أن سبب الهزيمة هو علمانية النظام ، يشيرون فى الوقت ذاته الى أن طريق الاشتراكية هو طريق الالحاد ، ويهاجمون التحالف مع السوفييت باعتباره مظهرا من مظاهر الابتعاد عن الشرع الالهى ، ومن ثم فهو سبب رئيسى للنقمة التى حلت علينا وبالمثل فإن انصار الاقتصاد الحر ، الذين يرون أن الاتجاه الداخلى والخارجى نحو « اليسار » هو الذى جلب علينا كل المصائب ، يغازلون الاتجاه الاسلامى ويتبنون كثيرا من قضاياه ، ويتخذ منها « غطاء أيديولوجيا » يضمنون به حشد أكبر عدد ممكن من الأنصار فى صفوفهم ذلك لأن دفاعهم المباشر عن الاقتصاد الحر قد لايقنع العامل أو الموظف المطحون ولايساعد على اجتذابه الى صفوفهم ، على حين أن مزج هذا الدفاع بالهجوم على « الكفر والالحاد » يتيح لهم أن يضمنوا لأتجاههم الاقتصادى والسياسى تأييد أعداد هائلة ممن لامصلحة لهم أصلا فى هذا الاتجاه .

وأوضح مظهر لهذا الأسلوب فى العمل السياسى مسلك حزب الوفد الجديد ،وجريدته بوجه خاص

● تفسير للهزيمة ●

هناك إذن نظريتان أساسيتان فى تفسير هزيمة يونيو ، ولو كانت كل من هاتين النظريتين مجرد تعبير عن اتجاه فى فهم أحداث تلك الفترة ، لما كان للنقاش حولها إلا قيمة تاريخية أكاديمية ، ولكان أصلح منبر لهذا النقاش هو الندوات أو المؤتمرات أو المطبوعات الثقافية المتخصصة . غير أن من وراء كل نظرية منهما أسلوبا كاملا فى العمل السياسى ونظرة شاملة الى المستقبل مستمدة من تفسيرها الخاص للحدث الماضى . وهذه المسألة الأخيرة هى التى تجعل هزيمة ٥ يونيو موضوعا لاهتمام دائم لاينبغى أن يثار فى أيام معينة من كل عام فحسب ، أو أن يقتصر البحث فيه على المتخصصين فى علوم السياسة أو التاريخ .

والرأى الذى أود الدفاع عنه هو أن كلتا النظريتين على خطأ ، وأن هذا الخطأ ليس فكريا أو نظريا فحسب ، بل إنه يرجع فى المحل الأول إلى تأثير العوامل الذاتية فى العقول ، والخلط بين المصالح والفكر الموضوعى ، فأصحاب النظرية الأولى ، أعنى نظرية المؤامرة الخارجية ، يهتمون فى واقع الأمر بتبرير ارتباطاتهم القديمة بالعهد الناصرى ، خلال فترة الهزيمة ، اكثر مما يحرصون على الحقيقة الموضوعية ، وهم حين يسكتون سكوتا تاما على العوامل التى تنتمى الى بنية النظام نفسه ، والتى أدت الى الهزيمة وأكسبتها حجمها الضخم ، يضيعون على الأجيال الجديدة فرصة استخلاص درس عظيم الأهمية ، وأعنى به كشف أخطاء الممارسة السياسية التى يؤدى ارتكابها الى اوخم العواقب على الشعوب فى حاضرها ومستقبلها ، وأصحاب النظرية الثانية ، التى تفسر الهزيمة بتوجه النظام نحو اليسار أو نحو العلمانية ، لايؤكدون هذه العوامل لأنها تمثل حقيقة تاريخية ، بقدر ما يؤكدونها رغبة منهم فى تحويل مسار التاريخ المصرى الى الاتجاه الذى يخدم مصالحهم ، وأعنى به رأسمالية المشروع الحر فى جانب ، والدعوة الى الحكم الدينى فى الجانب الآخر .

وهكذا فإن هناك حاجة حقيقية الى مناقشة مفصلة لأخطاء هاتين النظريتين

وعرض معالم نظرية ثالثة ، لاتقدم تفسيرا أوضح لهزيمة يونيو فحسب ، بل تسهم ـ وهذا هو الأهم ـ في إنارة طريق الحاضر وتوضيح اتجاه الخلاص في المستقبل .

● نظرية المؤامرة الخارجية ●

هناك مجموعة كاملة من الكتابات يعلل بها ناصريون متشددون هزيمة يونيو بعوامل خارجية خالصة ، تدور كلها حول مؤامرات دبرتها القوى الامبريالية ، وبخاصة أمريكا ، بالتعاون مع إسرائيل لضرب التجربة الناصرية التي هددت مصالح الطرفين معا باتباعها سياسة خارجية قائمة على الحياد الايجابي ومناصرة حركات التحرر الوطني ، وخاصة في العالم العربي ، وسيرها في طريق للتنمية المستقلة يمكن أن يصبح نموذجا خطيرا لدول العالم الثالث .

هذا التفسير يخدم وجهة نظر أصحابه في ناحيتين أساسيتين :

الأولى : هي أن الهزيمة تصبح في هذه الحالة نتيجة لمؤامرة دولية شاركت فيها القوة الكبرى في عالمنا المعاصر ، وهي امريكا مستخدمة إمكاناتها الجبارة لدعم رأس جسرها في المنطقة ، وهو إسرائيل . ومعنى ذلك أن عوامل تخرج عن سيطرة النظام في مصر هي التي سببت الكارثة ، وأن هزيمة هذا النظام كانت جزءا من تلك الهجمة الشاملة التي استطاعت بها قوى امبريالية عاتية أن تسجل انتصارات ضد انظمة عديدة كانت تناوئها في مختلف قارات العالم الثالث .

أما الناحية الثانية التي يخدم فيها هذا التفسير أصحابه ، فهي أن هزيمة النظام تغدو ، في هذه الحالة ، ناتجة عن فضائله ، لا عن مساوئه . فوطنية النظام واستقلاليته ومناوأته لقوى الاستقلال والسيطرة في العالم ، هي التي جعلت هذه القوى تقرر التآمر عليه . ولما كانت هذه القوى العالمية أشد جبروتا من أن تقف في وجهها دولة محدودة الامكانات والموارد من دول العالم الثالث ، فإن النتيجة تصبح محسومة ، والهزيمة مؤكدة . وهكذا تتحول الهزيمة بفضل هذا التفسير ، من شيء مشين الى شيء مشرف ، وتنقلب الكارثة من عار الى فخار .

إنه إذن تفسير ذكي ، يعفي النظام الحاكم عندئذ من مسئولية الضربة القاصمة التي لحقت بمصر والوطن العربي كله في يونيو ١٩٦٧ ، ويريح ضمائر المرتبطين به ، ويخلص الجميع من الحرج امام حساب التاريخ : فماذا كان في إمكاننا أن نفعل ، إذا كانت قوى الشر العاتية قد تآمرت علينا ؟ لقد هوجمنا وانهزمنا لأننا كنا نبني ، ونقاوم ، ونناضل ، ولوكنا من الخاملين أو المستسلمين لما هاجمنا أحد !

لنقل مرة أخرى إنه تفسير ذكي ، وأذكى مافيه يعتمد على حقائق واقعة ! فمناوأة الامبريالية للحركات الوطنية ، في الستينات وغيرها ، حقيقة لاشك فيها ومن المؤكد انها تفضل ان ترى في كثير من بلاد العالم الثالث انظمة متحالفة معها ، أو مستسلمة لها ، بدلا من الأنظمة التي تتصدى لمخططاتها وترفض

احلامها ، بل وتنجح احيانا فى كسر هذه الأحلاف . وهكذا فإن نظرية المؤامرة الخارجية لاترتكز على فراغ ، ولا تختلق تفسيرها من أوهام ، ومع ذلك فهى نظرية باطلة من أساسها ، لأنها تستخدم مجموعة من الحقائق التاريخية استخداما ملتويا ، وتستخلص منها نتائج لا تلتزم عنها على الاطلاق ، لانها ـ قبل هذا وذاك ـ تفسير جزئى ، يبرز بصورة مبالغ فيها جانبا واحدا من الظاهرة لكى يتمكن ، عن عمد من إخفاء جانبها الآخر .

إن نظرية التآمر الخارجي ترتكب في نظرى خطأين أساسيين : أولهما أن التآمر الخارجي لايؤدى بالضرورة الى هزيمة الدول التى يمارس عليها ، وثانيهما انها تتجاهل العوامل الداخلية الكامنة في بنية النظام ، والتى كان لها الدور الأكبر فى حدوث الهزيمة ، وفى الحجم الذى اتخذته . فلنتأمل كلا من هذين الخطأين على حدة .

أن يستطيع المرء أن يسلم بكل كلمة يقولها انصار نظرية التآمر الخارجي عن وطنية النظام واستقلاليته ومؤازرته لحركات التحرر الوطنى ومناوأته للأحلاف العسكرية وسعيه الى تحقيق تنمية مستقلة . ويستطيع المرء ايضا أن يسلم بأن هذه السمات جميعا كانت مصدر قلق بالغ للقوى الامبريالية ، ومن ثم فقد تآمرت هذه القوى من اجل إزاحة مثل هذا النظام المشاغب . يستطيع المرء أن يسلم بكل هذه المقدمات ، دون أن يسلم على الاطلاق بالنتيجة التى يستخلصها منها أصحاب هذه النظرية ، وهى أن الهزيمة كانت محتومة !

● الامبريالية والتآمر ●

ذلك لأن القوى الامبريالية لاتكف في أية لحظة عن التآمر على أى نظام يناوؤها وهى توجه ضرباتها الى الجميع ، ولكنها تنجح مع البعض ، ولاتنجح مع البعض الآخر . وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد مثلين مشهورين : أولهما فيتنام . فالامبريالية العالمية ، ممثلة أولا فى فرنسا ، ومن بعدها فى أمريكا ، تآمرت على هذا البلد الصغير ، الفقير ، ولم تترك له فرصة للتنفس طوال مدة تربو على ربع قرن . ولم يكن تآمرها عليه بتسليط دولة صغيرة مجاورة عليه ، بل إن فرنسا بكل قوتها ثم أمريكا بكل إمكاناتها وجبروتها العسكرى والتكنولوجي قد تدخلتا ، واحدة بعد الأخرى ، بصورة مباشرة ، وبقوات عسكرية هائلة ، ضد هذا البلد البسيط ، المسالم ، ولكنه لم ينهزم ، وانما كانت النتيجة معروفة ، وكان التآمر الخارجي هو الذى تلقى ، مرتين متواليتين ، هزائم مدوية .

والمثل الثانى هو نيكاراجوا . فها هو ذا بلد آخر صغير ، محدود الموارد ، كان حتى عهد قريب واحدة من " جمهوريات الموز " فى امريكا الوسطى ، يقف حتى الآن ، وبعد سنوات من ثورته على طاغية من ابشع طغاة التاريخ ، صامداً فى وجه الجار الشمالى الجبار ، الذى لم يتوقف لحظة واحدة عن التآمر عليه ، وتسليح اعدائه وتدريبهم ورصد الميزانيات الضخمة لهم ، وتأليب الدول المجاورة عليه ، بل ونشر كتيبات سرية عن افضل طرق تخريب المرافق وقتل الخصوم ، يتداولها ويعمل بها الجنود المرتزقة وانصار النظام السابق ومع ذلك فان نيكاراجوا لاتزال تقف على اقدامها ، ولازالت تبنى نفسها فى الداخل وسط أصعب الظروف ، ولازالت الحركة الساندينية ، التى وصفت زورا بأنها شيوعية ، مع انها فى الواقع جبهة عريضة من فصائل وطنية متباينة ، لازالت تقف شامخة فى موقعها الذائى من الساحة الجنوبية للجار الشمالى الجبار .

ان التآمر الخارجى ليس ظاهرة جديدة ، ولامؤقتة ، وانما هو جزء من حقائق العصر الذى نعيش فيه . ولدى كل دولة عظمى اجهزة جبارة وميزانيات ضخمة ، لا هدف لها إلا ان تبحث بلا انقطاع عن ثغرة بين الانظمة المناوئة لها كيما تنفذ منها ، غير أن هذه القوى تجد أمامها ، فى حالات معينة ، جدارا صلبا تعجز عن اختراقه ، وتجد فى حالات أخرى حاجزا ورقيا هشا يقع بمجرد أن يدفعه الاصبع . وهكذا فان تآمر القوى الامبريالية ، وان كان حقيقة لا ننكرها ، لايكفى على الاطلاق لتفسير الانهيار السريع والشامل الذى حدث فى ٥ يونيو ، ولابد من البحث عن تفسير آخر .

٢ ـ وهذا يقودنا الى الكلام عن الخطأ الثانى الذى تقع فيه نظرية المؤامرة الخارجية . ذلك لأن مناقشة الخطأ السابق قد أدت بنا إلى القول بأن الأبنية الهشة هى وحدها التى تنهار بسرعة امام مؤامرات القوى الامبريالية الكبرى . ومعنى ذلك أن التفسير الخارجى لابد أن يكمله تفسير آخر داخلى يتعلق بتركيب النظام وعلاقات القوى فى داخله وأسلوب تعامله مع القاعدة الشعبية ، ومن المؤسف أن هذا عامل لايقترب منه اصحاب هذه النظرية ، بل إن نظريتهم لم تظهر أصلا إلا لكى تعفيهم من الاجابة عن السؤال الحاسم : هل كانت المؤامرة الخارجية كافية لاحداث هزيمة بهذا الحجم ، وبهذه السرعة ؟ الم يكن بنيان النظام نفسه هو المسئول الأكبر عن هذه الهزيمة .

الواقع أن هزيمة ١٩٦٧ لها طابع فريد ، لم نحاول أن نقترب منه بعقولنا ، واكتفينا بإصدار أحكام عاطفية ـ ساخطة أو متعاطفة ـ عليها ، وظل تفكيرنا يرفض التعمق فيها مثلما ترفض ذاكرة الانسان استعادة حادث مفجع . فقد كانت الحرب متوقعة وكنا نحن الذين بدأنا سلسلة الاحداث المباشرة التى ادت اليها ، وعلى راسها إغلاق المضايق ثم إحلال القوات المصرية ، بأعداد كبيرة ، محل قوات الأمم المتحدة فى سيناء . ولوكانت المؤامرة الخارجية هى التفسير الوحيد الكافي للحرب ، فكيف سمحنا لأنفسنا بأن نقدم لتلك المؤامرة الحجة والزريعة والمبرر الذى تستطيع به أن تحكم قبضتها على اعناقنا ويبدو سلوكها أمام العالم كما لو كان دفاعا مشروعا عن النفس ضد إجراءات تهدد بخنق

نظرية المؤامرة
في فكرنا السياسي

« امة صغيرة تريد ان تعيش مع جيرانها في سلام » ؟!! أو بعبارة أخرى كيف سمحنا لانفسنا بأن نكون جزءا اساسيا من آليات المؤامرة وأداة رئيسية من أدوات تنفيذها ؟

● توقع الهجوم ●

ولم يقتصر الأمر على قيامنا بدور اساسي في سلسلة الأحداث التي مهدت للحرب ، بل إن الحرب نفسها ربما كانت من أكثر حروب التاريخ خلوا من عنصر المفاجأة : فقبلها بأيام معدودات شكلت إسرائيل وزارة حرب ، وأعلنت التعبئة العامة التي لايتحملها الاقتصاد الاسرائيلي إلا وقتا محدودا ، وتصرفت إسرائيل في كل شيء وكأنها تصرخ في آذاننا . استعدوا فسوف نهاجمكم بعد قليل ! وكانت القيادة المصرية نفسها تتوقع يوم الهجوم (وهو توقع لم يكن يحتاج الى قدر كبير من الذكاء) ، بحيث أن الوصف الاعلامي اللاحق لهجوم يونيو بأنه « عدوان غادر » كان أبعد الأوصاف عن الحقيقة ، وذلك إذا فهمنا كلمة « الغدر » بمعناها الصحيح ، أي بمعنى مجيء الشر بصورة مباغتة ممن لا نتوقع منه شرا .

ومع ذلك فإن المسار الفعلي لأحداث الدقائق الأولى للحرب قد بدا كما لو كان الهجوم الذي وقع علينا أكبر مفاجأة في التاريخ لأقل الجيوش تأهبا واستعدادا ! وهنا تتهافت نظرية المؤامرة الخارجية تهافتا تاما ، ويتعين تعليل ماحدث في ضوء البنيان الداخلي ، وطريقة توزيع القوى في النظام ذاته ، وحتى لو ثبت أن المؤامرة الداخلية قد استخدمت بعض عناصر النظام لتنفيذ مخططها (وهو أمر لا يمكن استبعاده ، وإن لم يتكشف بالدليل القاطع أمام الرأي العام حتى اليوم) ، فإن هذا لاينفي أن تركيب النظام هو الذي سمح بوجود هذه العناصر وصعودها في هرم المسئولية حتى اقتربت من القمة أشد الاقتراب .

ونستطيع أن نتبين نموذجا لهذا الاختلال إذا اختبرنا العذر الأكبر الذي يلجأ اليه كثير من معتنقي هذه النظرية للرد علي تلك الاعتراضات الخطيرة التي تشير الى التخبط في سلوك القيادات العسكرية منذ اللحظة الأولى للقتال ، والأهمال الجسيم الذي كشفت عنه ضربة الطيران التي حسمت الحرب بعد نصف ساعة من قيامها ، وتضارب أوامر الصمود والانسحاب بعد ساعات قلائل من بدء المعركة ، والخسائر الفادحة غير المبررة ، حتى بمقاييس الهزائم العسكرية ، في البشر والمعدات ، وانشغال القيادات بخلافاتها الشخصية في أحرج لحظات القتال . فالرد الذي تواجه به هذه الاعتراضات عادة هو أن القوات المسلحة كانت في ذلك الحين مركزا كبيرا من مراكز القوى ، وكانت تسيطر عليها قيادة تنافس القيادة السياسية ولاتخضع لها ، وتختار أعوانها من قادة الأسلحة والوحدات الرئيسية

على أساس الولاء الشخصي لا على أساس الكفاءة او المعرفة .

هذا العذر ، الذى يبدو فى ظاهره مقنعا ، لايحل أى إشكال فهو يرتكز على حقيقة مؤسفة ، هى أنه قد وقع منذ اللحظة الاولى اختيار لأسلوب معين فى الحكم ، هو اسلوب التوازن بين القوى ، المادية ، بحيث كانت القيادة السياسية مضطرة الى ان تهادن أو تتغاضى عن تصرفات من يملك فى يده أوراقا تمثل ضغطا ماديا لا يمكن مقاومته . والأمر الذى يغيب عن بال أصحاب هذه التعليلات هو أن مثل هذا الاختيار ليس قدرا محتوما ، بل كان من الممكن منذ اللحظة الأولى ان يقع الاختيار على اسلوب مختلف يرتكز على اسس اكثر ديمقراطية وأكثر تحضراً من توازن القوى المادية السافرة فمنذ البداية كان الاختيار مطروحا بين مجتمع مدنى يرتكز على الديمقراطية العاقلة ، ومجتمع يستند الى التوازن بين عناصر القوة المادية ومنذ اللحظة التى وقع فيها الأختيار على البديل الثانى كان لنا أن نتوقع كل الكوارث الناتجة عن الأخذ بهذا المبدأ الخطير : لكل بحسب مايملك من عناصر القوة "

وإذن فوجود قيادة عاصية على رأس الجيش ، أحاطت نفسها بعناصر تفتقر الى العلم والكفاءة ، وربما الحس الوطنى ، وعجز القيادة السياسية عن السيطرة على اولئك الذين يملكون فى ايديهم عنصرا هائلا من عناصر القوة ـ كل ذلك ليس عذرا على الاطلاق بل هو فى الواقع نتيجة ضرورية لاختيار أساس مسبق لأسلوب فى الحكم كان لابد ان يفضى الى كل هذه النتائج المؤسفة وينبغى بالتالى أن يحاسب عليه اصحابه .

وهكذا فان مشكلة غياب المشاركة الشعبية تعود لتؤكد نفسها بوصفها السبب الحقيقى للهزيمة ، وللحجم الهائل الذى اتخذته وتلك مشكلة سالت فيها أنهار من المداد ، ولا مجال هنا لمزيد من الحديث عنها ولكننى اود أن ابدى حول هذا الموضوع وجهة نظر ربما كانت تضيف بعدا جديدا الى كل ماقيل فى هذه المسألة .

إن الكثيرين ، حتى من الناصريين المتحمسين أنفسهم يعترفون بأن الحكم الفردى وانعدام المشاركة الشعبية كان من أهم أسباب نكسة يونيو . ولكن الطريقة التى تطرح بها هذه المسألة ، فى جميع الكتابات التى دارت حول هذا الموضوع هى أننا ينبغى أن نضع ايجابيات العهد الناصرى وسلبياته على كفتى ميزان ، وعندئذ سترجح كفة الايجابيات بصورة واضحة لأن كفة السلبيات لا تتضمن سوى الحكم الفردى ، وغياب المشاركة الشعبية وهكذا تعد المشاركة الشعبية تبعا لهذه النظرة الشائعة واحدا من عناصر المقارنة بين الانجازات والعيوب .

ولكن الرأى الذى اود أن أؤكده بصورة قاطعة هو ان هذه المشاركة ليست على الاطلاق عنصرا واحدا من عناصر المقارنة بين الايجابيات والسلبيات . واتباع أسلوب الحكم الفردى المطلق معناه أن الوعاء الذى تصب فيه هذه الانجازات مثقوب . فليس المشاركة الشعبية ، بمعنى الارتكاز على الارادة الحرة للجماهير والاعتراف بحق مختلف الاتجاهات فى التعبير عن نفسها وممارسة نشاطها ليست هذه مجرد سلبية توضع فى مقابل الحكم الوطنى والتنمية المستقلة والصمود أمام الاستعمار ، وانما هى عنصر سالب يهدد جميع العناصر الايجابية الأخرى بالخطر ويجعلها كلها معرضة للانهيار عند اول هزة .. وهذا ما أثبته بالفعل مسار المعركة فى ١٩٦٧ ، وما ظهر بالدليل القاطع بعد

أن اختفى الزعيم الذى كان يمسك فى يديه بجميع الخيوط .

وهكذا فان الجديد الذى اود أن اضيفه الى مناقشة موضوع المشاركة الشعبية هو أن الحاكم المطلق لايرتكب ، باسلوبه هذا فى الحكم ، مجرد خطأ سلبى يمكن تعويضه وموازنته بإنجازاته الايجابية ، بل إن اتباعه لهذا الاسلوب يهدد جميع هذه الانجازات بالانهيار ، مادامت تصب ، كما قلنا ، فى وعاء مثقوب .

هذا فى تقديرى هو أهم أسباب الهزيمة ، وهو سبب يتجاوز بمراحل ، كما هو اضح ، كل مايقال عن تآمر الامبريالية العالمية على الخط الوطنى الذى سلكه الرئيس عبدالناصر ، وإن لم يكن ينفى أن هذا التآمر قد حدث بالفعل .

● اشتراكية النظام سبب الهزيمة ●

هذه هى الدعوى التى تتردد على السنة قوى سياسية هامة كانت مكبوتة طوال الستينات ، وأخذت أصواتها تسمع فى السبعينات ، وبلغت هذه الأصوات اقصى ارتفاعها فى الثمانينات . والممثل الاكبر لهذه القوى هو حزب الوفد الجديد ، الذى اختفى فيه صراع الوفد القديم بين اتجاهات يمينية وأخرى « طليعية » وحسم هذا الصراع نهائيا لصالح اليمينى . ومع ذلك فأن لهذه القوى ممثلين فى الأحزاب الأخرى ، وخارج نطاق الأحزاب . وتؤكد هذه الدعوى أن الاتجاه الاشتراكى الذى سار فيه النظام المصرى منذ أوائل الستينات هو السبب الأكبر فى هزيمة ١٩٦٧ .

واغلب الظن أن أصحاب هذا الرأى لايتقدمون به لكى يعللوا اسباب الهزيمة بقدر مايحرصون على التعبير ، من خلاله ، عن كراهيتهم لكل ما له صلة بالاشتراكية . فليست المسألة هنا تعليلا علميا أو شبه علمى ، وإنما هى اختيار مقصود يراد تبريره وتدعيمه وتجميله عن طريق الربط بين الاختيار المضاد له وبين كارثة لها أسوأ الوقع فى نفوس الناس جميعا .

ولو تساءل المرء : ما العلاقة بين اختيار الطريق الاشتراكى وبين الهزيمة العسكرية ، لما استطاع ان يجد اجابة معقولة . فكثير من الدول التى اختارت طريقا اشتراكيا قد أحرزت انتصارات عسكرية مدوية ، ويكفى أن نشير مرة اخرى إلى فيتنام ، وإلى الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ، وإلى كوبا ونيكاراجوا وزيمبابوى وأنجولا وموزمبيق ، إلى آخر القائمة الطويلة .

إن كاتب هذه السطور يؤمن – وهذا رأى شخصى قد لايوافق عليه الكثيرون – بأنه إذا كانت هناك مشكلة فى اشتراكية ماقبل ١٩٦٧ ، فهى أنها لم تكن جادة بما فيه الكفاية ، أو مكتملة بما فيها الكفاية ، ولايسمح المقام هنا بتقديم الأدلة والشواهد التى تدعم هذا الرأى ، لسبب بسيط هو أن التوسع فى هذه المسألة يعنى الخروج عن الموضوع الأصلى الذى نحن بصدده . ولكنى على أية حال أعتقد أننى قدمت ، فى كتابات اخرى ،

مايكفى لايضاح وجهة نظرى الخاصة ، التى لا الزم أحدا بقبولها ، وهى أن مصر ليست لبنان ولا سويسرا ولا الولايات المتحدة ، وأن ما يصلح لهذه البلاد الأخيرة لايصلح لبلد كان يعيش منذ ألوف السنين على رقعة الأرض الزراعية ذات الملايين الخمسة أو الستة من الأفدنة ، وتعدى الآن النقطة الحرجة فى عدد السكان الذين مازالوا يعيشون على نفس الموارد ، ولايحل مشاكله الا تنظيم وتخطيط دقيق ، بل صارم ، لكل ذرة من موارده .

وإذا كانت الاشتراكية تعنى ، فى نظر المعترضين عليها ، تكوين القطاع العام فى المحل الأول ، فان هذا القطاع العام هو الذى أتاح لمصر أن تقف على اقدامها فى السنوات الحرجة التى اعقبت الهزيمة ، وعلى الرغم من كل العيوب التى شابت تكوينه ، وعلى الرغم من أن نسبة كبيرة ممن اختيروا للأشراف عليه لم يكونوا ممن يؤمنون بالتجربة أصلا ، بل كان بعضهم يعمل على تخريبها ، على الرغم من ذلك فإن الخلط بين عيوب التطبيق وبين مبدأ القطاع العام ذاته هو ، فى رأيى ، أكبر المغالطات المخجلة التى يرتكبها انصار الاقتصاد القائم على المشروع الخاص منذ أوائل السبعينات حتى يومنا هذا .

ولكن لكى لاتبعد بنا المناقشة عن موضوعنا الأصلى ، دعونا نتساءل مرة أخرى :

هل هناك أى ارتباط ضرورى ، يقتنع به العقل ، بين اختيار الاشتراكية وتكوين القطاع العام ، وبين هزيمة ١٩٦٧ ؟ إن القائلين بهذا الارتباط يؤكدون فى أغلب الأحيان ، أن الاتجاه الأشتراكى ترتب عليه تقارب وثيق مع الاتحاد السوفيتى ، على المستوى الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، وأن هذا التقارب هو فى الواقع علة الهزيمة . وهكذا تنتهى حجتهم الى التعبير عن موقف معاد لأى تقارب مع المعسكر الأشتراكى ، ومؤيد للاندماج الوثيق مع المعسكر الغربى .

● السوفييت والهزيمة ●

وحين يعود المرء الى التساؤل ـ املا فى الحصول على أجابة دقيقة ـ عن السبب الذى جعل التقارب مع السوفييت مؤديا الى الهزيمة لايجد إلا اجابات غامضة ، يستحيل أن تصمد للنقد والتحليل ، ينحصر معظمها ، فى القول أن السوفييت حلفاء لايمكن الاعتماد عليهم ، والسبب الأول فى ذلك هو أن سلاحهم متخلف تكنولوجيا عن الأسلحة الغربية ـ وهى حجة يرد عليها بأن سلاحهم هذا هو الذى استخدم فى العبور الرائع فى حرب اكتوبر ، اما فى حرب ١٩٦٧ فلم تتح الفرصة لاستخدام أى سلاح ، سوفيتى أو غيره ، لأن معظم الأسلحة تركت فى ساحة المعركة دون استخدام . والسبب الثانى الذى يساق لتأكيد عدم إمكان الاعتماد على السوفيت ، هو أنهم خذلونا فى تلك الحرب ، وتركونا تعانى مرارة الهزيمة دون أن يفعلوا شيئا . وهنا يجرى أصحاب هذا الرأى مقارنة بين السوفييت والامريكان : فأمريكا تساعد إسرائيل مساعدة أضخم بكثير ، ولو تعرضت حليفتها للهزيمة لتدخلت قواتها مباشرة من أجل تغيير مجرى المعركة ، اما

السوفيت فيكتفون في مثل هذه المواقف بالتأييد السياسي والدعم المعنوي الذي لايفيد في ساحة القتال .

هذا السبب الأخير يستحق وقفة خاصة ، لانه يعبر عن رأي واسع الانتشار ، لم يقتصر تأثيره على طريقة تفكير الناس ، بل إنه تجسد في مواقف عملية ملموسة وكلنا نعلم مظاهرات ساخطة قد توجهت صوب السفارات السوفيتية في عدة بلاد عربية ، في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، وبعد المرحلة الأخيرة من حرب ١٩٧٣ ، تتهم السوفيت بأنهم خذلوا العرب ، هذا فضلا عن كتابات صحفية لاحصر لها دأبت منذ ذلك الحين على أن تنسب هزيمة العرب الى خذلان السوفيت لهم . وهذا بدوره في رأيي خطأ مخجل وقع فيه العقل العربي ، أما عن سوء فهم أو تأثرا بالتضليل الاعلامي المخطط . وأسوأ ما في هذا الخطأ أنه يحط من قدر الأمة العربية كلها ، إذ يفترض أن من واجب شعب آخر أن يحارب لها معركتها ، ويهاجم هذا الشعب إذا تركها تسوي امورها بنفسها . وحقيقة الأمر أن هزيمة يونيو كانت هزيمتنا نحن وانتصار العبور في اكتوبر كان انتصارنا نحن ، والمعركة في كلتا الحالتين كانت ، اولا وأخيرا ، معركتنا نحن وليس من الانصاف لتاريخنا ، ولا من قبيل الاحترام لأنفسنا ، أن نبحث عن كبش فداء ننسب اليه أخطاءنا وتقصيرنا .

وأخيرا ، فان المقارنة بين ارتباط العرب بالسوفيت وارتباط اسرائيل بأمريكا ، حتى في أواخر الستينات ، هي مقارنة باطلة في أساسها فليس ثمة شبه ، من قريب او بعيد ، بين تلك الروابط المؤقتة التي جمعت بين السوفيت وبلاد عربية معينة ، في مرحلة معينة ، والتي يمكن فكها والتخلص منها في لحظة واحدة ، كما فعلت مصر عند اخراج الخبراء السوفيت عام ١٩٧٢ ، وبين التحالف الاستراتيجي العضوي البعيد المدى بين المصالح الأمريكية والمصالح الاسرائيلية . من أجل هذا ، لا من أجل أية فضيلة خاصة في هذه الدولة الكبرى أو أي عيب خاص في تلك ، كان في استطاعة إسرائيل أن تعتمد على أمريكا الى غير حد ولم يكن في استطاعتنا نحن ، خلال فترة تقاربنا مع السوفيت ، أن نعتمد عليهم بأي قدر مماثل .

● « علمانية » النظام سبب الهزيمة ●

والفرع الآخر للنظرية التي تفسر هزيمة ١٩٦٧ بعوامل تنتمي الى بنية النظام الذي كان قائما في ذلك الحين ، هو الذي يصف ذلك النظام بأنه « علماني » مستخدما هذه الكلمة بالمعنى الباطل الذي يشيع استخدامها به لدى معظم أصحاب الاتجاهات الاسلامية في هذه الأيام ، أي بمعنى « خارج عن الدين » أو على الأقل « تبتعد عن

طريق الدين » وليس هذا مجال النقاش فى معنى « العلمانية » ، الذى يشتد الجدل حوله فى أيامنا هذه ولكن يكفى أن أشير الى أننا لو فكرنا بعمق فى الخلاف بين العلمانيين وخصومهم ، لتوصلنا آخر الأمر الى أن هذا الخلاف ينحصر فى الاختيار بين البديلين الآتيين :

هل الدين هو المحور الرئيسي لوجود الانسان ، والمتحكم فى كل نشاط يمارسه فى اى ميدان من ميادين حياته ، أم انه أحد المحاور الهامة فى هذه الحياة الى جانب محاور اخرى لها الحق فى أن تسير فى طريقها المستقل وتعالج بأساليب مستمدة أساسا من تجارب البشر وخبراتهم ؟ مغنى عن البيان ان العلمانية تمثل البديل الاخير ، وأن هذا البديل ليس على الأطلاق كفرا ولا زندقة ولاخروجا متعمدا عن الدين .

وعلى أية حال فان كل ما يهمنا الآن من هذا الموضوع المعقد هو أن بعض أصحاب الاتجاهات الاسلامية قد ألقوا بمسئولية الهزيمة على « علمانية » النظام مفهومة بمعنى بعيد كل البعد عن الدقة ، وأكدوا أن مثل هذه الهزيمة ماكان من الممكن أن تصيبنا لو كان النظام الذى حدثت فى ظله أقوى تمسكا بآداب الدين .

هذا الرأى فى تعليل الهزيمة يبدو لنا متهافتا الى حد لايدعونا الى التوقف عنده طويلا ، وحسبنا أن نشير الى انه مرتكز على افتراضين لايقوم عليهما اى دليل :

أ ـ الافتراض الأول هو ان النظام الذى كان يحكم مصر فى عام ١٩٦٧ كان بعيدا عن الدين ، وهو افتراض واضح البطلان ، يرتكز على الاعتقاد بأن إتاحة بعض الفرص لليسار ، وتقوية الروابط مع السوفيت ، والدخول فى معارك سياسية مع الاخوان المسلمين ، معناه أن النظام قد ابتعد نهائيا عن حظيرة الدين . وحقيقة الأمر أن الفترة الناصرية قد شهدت انتشارا كبيرا للمطبوعات الدينية ، وتوسعا كبيرا فى ساعات إرسال البرامج الدينية ، وزيادة فى ساعات تدريس الدين بالمدارس ، فضلا عن تعميمه على المدارس الأجنبية . وليس فى وسع أحد أن يأتى بمثل واحد لدعوة صريحة الى " اللادينية " فى ذلك العهد ، مقارنة بما كانت تنشره الكتب والصحف المصرية علنا خلال الثلث الأول من القرن العشرين .

وهكذا ، فلا وجود بعض اليساريين فى مراكز إعلامية وثقافية هامة (لفترة قصيرة قبل حرب يونيو) ، ولاتوثيق الروابط مع السوفيت ، ولاخوض معارك ذات طابع سياسى بحت مع الاخوان المسلمين ، لا هذا ولا ذاك كان له ادنى تأثير فى إضعاف التوجه العام للدولة نحو الاسلام خلال تلك الفترة . وكل مافى الأمر أن دخول النظام فى معركة ضد بعض الدول البترولية الكبرى ، وخاصة على الساحة اليمنية ، قد أغلق الطريق أمام انتشار ذلك النوع الخاص من الاسلام ، الذى ترعاه وتعمل على ترويجه تلك الدول حماية لصالحها ـ أعنى إسلام اللحية والحجاب الكثيف والجلباب القصير والاهتمام المريض بالجنس والتخويف من الثعابين التى تنهش العاصيين فى القبور ، ذلك الاسلام الشعائرى الشكلى الذى لايقترب من أية مشكلة حقيقية من مشاكل المجتمع ، والذى اطلق عليه كاتب هذه السطور فى موضع آخر اسم « البترو ـ إسلام » ، والذى اصبحت الأبواب مفتوحة أمامه على مصراعيها بعد فترة المد البترولى فى السبعينات .

ب ـ اما الافتراض الثاني الذي يرتكز عليه هذا الرأي في تعليل الهزيمة ، فهو صيغة خاصة لما يمكن أن نطلق عليه اسم « لاهوت النصر والهزيمة » ، تسلم مقدما بأن النصر في المعارك الحربية يتوقف على درجة تمسك الجيش المحارب بدينه ، وبالاسلام على وجه التحديد .. هذه الصيغة لاتصمد لحظة واحدة أمام الاختبار العقلي : فاذا كان المسلمون قد احرزوا ، في صدر الاسلام ، انتصارات رائعة على اعظم قوى العالم القديم . فانهم قد انهزموا ايضا في حالات أخرى ، حتى في غزوات الرسول ولايمكن القول بأي قدر من الصدق ان نتائج المعارك الحديثة تتقرر حسب عوامل دينية ، ويكفي في هذا الصدد أن نشير الى معارك الاسرائيليين مع العرب ، وحرب الهند مع باكستان المسلمة ، الخ ...

واذا كان منطق الجماعات الدينية يبدو صاعدا في هذه الأيام ، واذا كان من بين الأفكار التي تلقن للآلاف من الأتباع الذين يصوتون لصالح مرشحي هذه الجماعات في الانتخابات المهنية والطلابية والنقابية ، اننا هزمنا عام ١٩٦٧ لأننا ابتعدنا عن طريق الدين ، فان من حق هؤلاء الاتباع ، بل من واجبهم ، أن يسألوا مرشديهم وموجهيهم : هل لديكم نظرية خاصة في التاريخ ، تثبت أن الانتصار والهزيمة في الحروب كانا دائما يتوقفان على الاقتراب من الدين أو الابتعاد عنه ؟ هل درستم حروب البشرية كلها ، وتبين لكم أن القانون الذي يحكمها جميعا هو ان المتدين يكسب الحرب ، وغير المتدين يخسرها ؟ أن مثل هذا الاستقراء الشامل للتاريخ البشري هو وحده الذي يبيح للجماعات الدينية أن تفسر هزيمة يونيو على أساس ابتعادنا المزعوم ، في ذلك الحين ، عن طريق الاسلام .

فليشمر اذن علماء هذه الجماعات ومؤرخوها عن ساعد الجد ، لكي يثبتوا لنا نظريتهم ، وانا لمنتظرون !

● اثر التآمر الخارجي ●

من خلال المناقشة النقدية للنظريتين في تفسير هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، اتضح لنا ان تفسير هذه الهزيمة على أساس عامل التآمر الخارجي وحده غير كاف ، فضلا عن أنه يتجاهل عوامل أخرى قد تكون أقوى اثرا في احداث الهزيمة من اية مؤامرة خارجية . كما اتضح لنا ان أولئك الذين يلتمسون للهزيمة عوامل داخلية ، تنتمي الى بنية النظام نفسه ، كاتجاه النظام الى الاشتراكية او الى العلمانية ، يرتكبون اخطاء فادحة . والأهم من ذلك أن كلاً من هاتين النظريتين ليست نقيضا للأخرى ، بل تقف على أرض مختلفة عن أرضها .

والرأي الذي اعتقد انه اقرب الى التعبير عن الأسباب الحقيقية للهزيمة ، هو أن التآمر الخارجي كان موجودا ، ولكنه لم ينجح في تنفيذ مخططه نجاحا يفوق توقعات

أصحابه أنفسهم إلا لأن الجبهة الداخلية كانت من الضعف والتفكك بحيث استطاع التآمر الخارجى أن ينفذ اليها ويخترقها بأقل جهد ممكن . أما عوامل الضعف والتفكك هذه فتدور كلها حول عيوب الحكم الفردى المطلق وانعدام المشاركة الشعبية الحقيقية ، ومايترتب على ذلك من استخفاف بالقانون وخلط بين المصالح الشخصية والمصلحة العامة والارتكاز على عناصر القوة المادية المباشرة فى عملية الحكم ، وفى تحقيق التوازن بين قوى المجتمع . هذه العيوب ، كما قلنا من قبل ، ليست مجرد سلبيات توضع فى كفة الميزان مقابل الايجابيات التى تحققت بالفعل ، كالاتجاه الى تأكيد الاستقلال الوطنى وتأييد حركات التحرر ومحاولة ايجاد نموذج مستقل للتنمية الاقتصادية وإنما هى سلبيات من طبيعتها ان تبطل تأثير أية ايجابيات تصادفها فى طريقها . فنحن لانقول عن صاحب الجسم القوى الذى تصيبه آفة كالسرطان إنهْ سليم البنية مفتول العضلات ، وكل مايعيبه هو أنه مصاب بالسرطان ، وانما نقول عنه إنه أصيب بداء لابد أن يقضى ، عاجلا أو آجلا على كل مظاهر الصحة والفتوة فيه .

ان الحديث عن هزيمة ٥ يونيو لاينبغى أن يكون تصفية للحسابات ، كما يفعل أصحاب كل من النظريتين السابقتين إزاء الآخرين ، ولاينبغى أن يكون اجترارا للماضى . بأحزابه ومآسيه ، بل ان من واجب كل حريص على وطنه أن يتذكر تلك الهزيمة كيما يدرك النتائج المأساوية التى يؤدى اليها الحكم الفردى ، مهما كان نجاحه فى غير ذلك من الميادين . وكلما أمعن المرء التفكير فيما حدث ، لا لمصر وحدها ، بل للعرب جميعا ، خلال ستة أيام حالكة الظلام ازداد إصرارا على الكفاح من أجل مزيد من المشاركة الشعبية الحقيقية فى صنع القرار وتنفيذه والرقابة عليه .

ذلك لأننا ، برغم كل مايقوله هواة التبرير ، مازلنا نعيش فى ظلال ٥ يونيو ، وسنظل نعيش فيها طويلا . وكل من يدعى أن هزيمة يونيو قد انتهت آثارها الى غير رجعة يسىء الى أمته أبلغ إساءة ، ويضللها أشد التضليل . وحسب المرء أن يقارن بين أهداف المواجهة العربية لاسرائيل حتى ٤ يونيو ١٩٦٧ ، وأهداف هذه المواجهة منذ خطبة التنحى التى طرح فيها لأول مرة شعار « إزالة آثار العدوان" حتى يومنا هذا - حسب المرء أن يجرى هذه المقارنة ليدرك أن طموحات العرب ، بعد يونيو ، ظلت تنكمش وتنكمش ، حتى أصبح شغلهم الشاغل اليوم هو مجرد البقاء .

وهكذا فان آثار التهاون المعيب الذى حدث فى يونيو ستظل تعيش معنا حتى وقت غير قصير من القرن الحادى والعشرين ، وهذه حقيقة ينبغى ان نعترف بها ونواجهها بشجاعة ، بدلا من ان نمرّ على هذا الحادث سراعا وكأنه " نكسة " عابرة سرعان مابرانا منها . وليس هناك من سبيل لمواجهة هذه الحقيقة الأليمة ، والتغلب على آثارها ، خير من الاصرار على أن يكون الشعب هو الحاكم الحقيقى ، والكفاح من أجل هذا الهدف بلا هوادة . أما الاستخفاف بما حدث فى يونيو والزعم باننا لم نهزم إلا لاننا فضلاء تآمر علينا الأشرار ، أو لاننا سلكنا طريق الاشتراكية أو العلمانية الكافرة ، فما هو الا تضليل يحجب عنا الدروس والعبر الحاسمة التى ينبغى على امتنا أن تستخلصها كلما أمعنت الفكر فيما حدث لنا فى يونيو ١٩٦٧ .



قنديليات

بقلم: يحيى حقي

اللمسة الأخيرة

كشفت اشعة اكس عندما سلطت على بعض اعمال نفر من ائمة التصوير في الماضي ، ان اللوحة لم تأخذ شكلها الذي ثبتت عليه الا بعد تعديلات عديدة متتالية ـ طبقة فوق طبقة ـ بالحذف او بالاضافة او تبديل المكان او العدول عن لون الى لون ، رغم ان المصور كان قد أعد اللوحة في اغلب الاحتمال تخطيطا كروكيا اطمأن اليه. هذه التعديلات ظلت سرا محجوبا ، لا شيء يحمل الناظر اليها على الظن بوجودها ، ولكنها اصبحت الآن مرئية اتاحت لنا ان ننفذ الى دخيلة المصور وهو يعمل ونتتبع تردد خطواته على الطريق وهو يتحسس هدفه ، اصبحت شاهدة على مراحل نمو اللوحة الى ان بلغت استقرارها • وعلى هذه اللحظة التي يضع فيها المصور اخر لمسة من فرشاته ويقول ليس هناك مزيد ..

لحظة درامية ولا ريب ، لان المصور تتجاذبه عندها قوى متعارضة ـ المهد واللحد ـ الطاقة والطموح ـ الاقتناع بنوال المتاح ودوام الشوق الى المحال الواقع والحلم .. هل يمضي في التنقيح طلبا للكمال المطلق ام يقف عند الكمال النسبي لكي لا يكون في اخر لمسة من فرشاته هدم للتوازن الذي بلغته اللوحة بدلا من تقريبها خطوة اخرى للكمال المنشود • وبرهان أمانة هؤلاء الاعلام هو انهم عرفوا كيف ، ومتى يعقدون الصلح الامثل بين هذه القوى المتعارضة وان يمضوا بالتارجح الى ثبات ، ليس اختيارهم بين المطلق والنسبي بل الحصول على الافضل من المتاح .. اختيار البعد بفتح الباب الذي ليس بعده بعد • يتمثل هذا الصلح في اخر لمسة من فرشاتهم لعلها لا تزيد عن اضافة هي لطيف من لون في آخر شعرة في ذيل سحابه ، ان هذا الصلح هو سر خلو لوحاتهم وجذبها للناس انها لا تعرض عليهم منظرا فحسب بل تخلط شعورهم بهذه

اللحظة الدرامية . وان لم تحـــرك اللوحة بفضل هذه اللحظة التى تبعثها ولا ريب تنهيدة اشواق المشـــاهدين للجمال فى كماله المطلق فهى اذن قد اخفقت فى رسالتها ، ولم تصل الى الهدف الذى كان ينشـــده الفنـــان من تلك اللحظة .. !

هـــذا الصراع يعرفه كل فنـــان لا المصور وحده لانهم جميعا ابناء ام واحدة وان اختلفت الملامح ووسائل التعبير .. ففى الموسيقى مثلا لدينا لحسن الحظ نوتات مختلفة عن بيتهوفن تشهد بذهو الحاله .. مسودات كثيرة لا يعيب اللحن فيها عندنا نقص ولكنها مشطوبه بقلم غاضـــب حتى كاد ان يمزق الورق .. واللحن يتملص بمشقة من يد بخـــيلة . قاسـية كانه « خلع الضرس » ، فاذا تم اخضاعه وكان هو هو السلم والسماحة والشفاء انه الهدية والمنحة لا الضريبة ..

وفى فن القول لدينا لحسن الحظ ايضا بروفات المطبعة لبعض اعمـــال بلزاك « ثلاث او اربع بروفات متلاحقة يدخـــل بلزاك فى البروفـــة الاولى اضـــافات كثيرة قد يزيد من حجم الصـــفحة انه يشطب ايضا سطورا عديدة ويضـــع كلمة بدل كلمة وفى البروفة التالية قد يشطب ما سبق ان اضافه ويعيد ما شطبه يرجع للكلمة التى اعجبته لاول وهلة ثم غضب عليها وهكذا ..

وقد اتيح لى اخيرا ان اقف على مثل يكاد يكون مرئيا رؤية العين لهذا الصراع بين الكـــاتب والكلمات عند صديق عزيز لى .. هذا الكاتب طلب الكمال واخذ الامور كل الامور ماخـذ الجد ، انه لا يرضى لنفسه الا ان يضع الكلمة الحق فى مكانها الحق فهو يجرى وراء الكلمات جرى الصـــائد وراء فريســـته لا يكتفى ان يستحضر ذهنه القـــدر المتداول من اللغة بل لابد ان ينثر بين يديه رصيده القديم . ولا يكف عن مراجعة التراث ليسترشد بالمعاجم ليعرف الفروق الدقيقة .

ويقرا النحو ليكون تصحيحه للكلام عن وعى وفهـــم فمن يدرى ؟ اليس هناك كلمة اخرى احق واصدق من هذه الكلمة فى التعـــبير عن المعنى الذى اقصده بكل اطـــرافه واطيافه انه قد يمضى الساعات الطوال فى البحث عن كلمة فاذا وجد بغيته كتبها ، وقد تكون هذه الكلمة مهجـــورة ، ولكنها ذات طاقات كامنة ، ولها الحق فى الحياة لتعطى المعنى رونقا جديدا .

خشيت على صـــديقى ان يقع فى اخطار تتهدد كل من له طابعه ، خطر ان يعلى قدر الكلمة المفردة على قدر مكانها فى العبارة ، وللعبارة مكانتها ايضا فى العمل ، فليس المطلوب هـــو الكلمات مستقلة بل ترابطها وتجانسها وقدرتها على تبادل الايحاءات .. كما خفت عليه خطر من يعلق بعمله اثر الجهد المبذول .. وان يرهق القارىء كما ارهق هو اعصابه .

ولكنه يقول لى جـــزاء الام فرحها حين تحتضـــن وليدها الخـــارج من صميم احشـــائها الناطق بصدق عن ملامحها لا يهمها بعد ذلك ان كانت ولادته سهلة ام عسرة .. !

أمثولة الشاعر والمدينة الخرساء

حكاية شعرية

محمد ابراهيم أبو سنة

فى ماء الفجر الرقراق
اجرى الشاعر سفن اغانيه
حاملة عطر الحرية
فردوس الحب . ربيع الأشياء
أحزان الناس البسطاء
كلمات مسنونة
تتحدى الظلم
وسيوفا تقطع عنق الطغيان



-٢-

ذات صباح
ألقت كل السفن مراسيها
فى قلب مدينة
يحكمها طاغية بأميرين
«الجوع وحد السيف»
يضع وراء القضبان
كل الألسنة الناطقة بحب النور
عشر سنين ومدينته لاتنطق
تتشقق أجساد العشاق
حتى يطفح منها الدم
كان الطاغية يقول :
«خلق الفمُ ليأكل أو يتثاءب
لايتغنى لايتكلم»

ومدينته صامتة تتألم
حتى صارت كالقبر المظلم
لاصوت سوى الأنات اذا جن الليل
كان الطاغية بلا قلب يحكم
باسم الصمت

— ٣ —

ذات ربيع
والشاعر يفرغ ما حملت سفنه
نهضت أسراب أغان
تتراقص
عبر دروب خالية
من أصوات البشر المألوفة
وتنهدت امرأة تكتم أفراح الحب بجنبيها
وتغالب اشواق الجسد المغلول
«صلى رجل لله»



أمثولة الشاعر والمدينة الخرساء

وتفتح زهر كان على الغدران يموت
جاء فتىً يعلن عن تحطيم قيود الإذعان
سرب الفتيات تمايل
بين النشوة والاشفاق
فى الطرقان الناس يغنون
«عفوا فرح الكلمات»
رقصت أشجار اورق فيها الأمل الأخضر
وامتلا الافق الممتلىء نجوماً
بترانيم عذبة

- ٤ -

جن جنون الطاغية الاسود
أمر الحراس بإغلاق الابواب
ومصادرة الألسن
ومحاكمة الشاعر



- ٥ -

وقف الشاعر فى محكمة الظلم يقول
إنى جئت لكى اتحدث
باسم الشمس الطالعة تنير الكون
تدفىء هذى الارض
تنضج كل الأثمار
إنى أتحدث باسم القمر
و يلون ازهار البريه
انى اتجدث باسم حنان الام الريان
يضىء عروق الاشجار
باسم العدل المفقود
وروح الإنسان
باسم الأطفال ...
... وباسم عصافير الوديان

إنى جئت رسولا للفرح الأزلى
كى انقش فى هذى الدنيا
صفحات جمال وحنان
قال الطاغية صبئت
جئت لتشعل مصباحا للقلب
ونورا للعقل
وتفك عقالا للفتنة
وبهذا تخلعنى عن ملكى
ياسجان
خذ هذا الشاعر غيّبه بجوف السجن
واقطع منه لسانه
صادر كل اغانيه
وليحكم باسمى منذ الآن السيف
وليشمل كل مدينتى الصمت
من يخرج عن صمتى فله الموت



دخل الشاعر سجنه
نقش على كل الجدران
وثائق قلبه..
«واغانيه»
وتحولت الجدران الصخرية
أنهارا يجرى فيها ماء الحكمة
تتراقص فيها اشجار
النور المتدفق
ويحلق فيها الطير النشوان
صار السجن المغلق
كونا وفضاء مطلق

اما الطاغية الأحمق
فلقد عجزت كل جيوشه
عن قتل اغانى الشاعر

أمثولة الشاعر والمدينة الخرساء

ثارت فى الليل مدينته
وهى تعلق فوق نوافذها
قمرا من كلمات
عنقودا من نور الحرية
خرج فتىً من بين صفوف الناس
واستولى فى وضح الصبح
على عرش السلطان

وتحررت الألسن
خرجت تجرى فى الطرقات
كل خيول الأمل
.. تسابق شمس الغدْ
خرج الاطفالْ
لعناق الشاعر



القى الثوار الفرسان
بالطاغية وراء القضبان
نظر الطاغية القضبان
يتحسس موضع جسده
قرا على الجدران
كل اغانى الشاعر
وتوهج فى صدره
ندم مغلول
قام وفقأ العينين
وتداعى كى يسقط
تحت الكلمات الماثلة على الحائط
ـ «لايمكن قتل الكلمة
لايمكن قهر النور بأعماق الانسان
الانسان الانسان
كون من اشواقٍ واغانٍ

لغويات

● « السفط » هو الوعاء الذى تسميه العامة « السبت » .. بفتح الباء ، أى السلة التي توضع فيها الاشياء .. ولفظ « السفط » بفتح وتشديد السين وفتح الفاء ، كلمة عربية استعملها الاتراك فحرفوها الى « السبت » وينطقون الباء كالفاء الافرنجية الثقيلة .. وقد أخذ عامة المصريين من افواه الاتراك كلمة « السبت » واستعملوها بدلا من السفط » ..

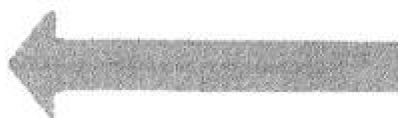
● تقول ام كلثوم فى اغنية « رق الحبيب » من كلام احمد رامي:
« وشفت بكرة والوقت بدرى » .. وكلمة « شفت » معناها « رايت » او « لمحت » وهى صحيحة .. وكاملة « بكرة » صحيحة في موضعها هذا وان كانت البكرة معناها الوقت المبكر من الصباح ..

● يحرص بعض مؤلفى القصص على ان يقولوا فى وصف الجائع الذى يأكل بنهم ، انه « يزدرد اللقم » .. ولا يستعملون كلمة « يزرد » لظنهم انها غير فصيحة لكثرة استعمال العامة لها .. ولكن « يزرد » فصيحة مثل « يزدرد » فيا مؤلفى القصص استعملوا ما شئتم منهما .

● يكتب بعضهم عنوان كتاب « الفاشوش فى حكم قراقوش » بدون الف فى كلمة الفاشوش ، فيجعلونها « الفشوش » ، بمعنى الرجل الكثير الفخر والادعاء بغير حق ، ولكن كلمة « الفاشوش » هو هى المطلوبة فى العنوان وهى المقصودة ، لان « الفاشوش » هو الرجل ذو الرأى الضعيف ، وكذلك كان قراقوش فيما يرويه مؤلف الكتاب من نوادر حمقه وضعف رأيه .. وان كان قراقوش الحقيقى لم يكن كذلك ..

● قرأت لبعضهم يصف مجنونا البسوه ملابس مستشفى الامراض العقلية : « واجتمع المرضون الاشداء حوله فالبسوه قميص الاكتاف » .. وليس للاكتاف قميص وانما هو قميص « الكتاف » كما تنطقه العامة بالضبط .. يقال : كتف المرضون المجنون كتافا ، اى اوثقوه بالكتاف .

● يخطيء بعض المعاصرين فى استعمال حرف الاستفهام : « هل » فيقولون مثلا : « هل فلان جاء من السفر ؟ » .. والصواب : « هل جاء فلان ؟ » .. لان « هل » لاتدخل على اسم بعده فعل .. ويكثر بعض السوريين واللبنانيين من قولهم : « هل ان فلانا يصنع كذا وكذا » وهو تعبير غير صحيح .. ولا يقال : « هل تذهب الان ؟ » .. لان دخول « هل » على الفعل المضارع يخصصه بالاستقبال لا بالحاضر .. الخ . ، فكن على بينة من حرف « هل » عند استعماله ..



التيارات الفكرية فى مصر فى القرن العشرين ٢

التيار الاسلامى الجديد

بقلم : حسين أحمد أمين

من الطبيعي ، ومن المشروع ، يقبل اهل كل عصر ، وسكان كل مصر ، على قراءة كتابهم المقدس وغيره من الكتب الاساسية فى عقيدتهم على ضـوء احتياجات زمنهم ومشكلات اقليمهم ، حتى مع توهمهم أن دراستهم لها موضوعية مجردة .. فالوهابيون فى شبه الجزيرة العربية ، وقادة الحركات المشابهة فى افريقيا السوداء ، وان خالت انها تستهدف العودة الى اسلام السلف الصالح ، انما اعطوا الاولوية لعقيدة التوحيد فى الاسلام بسبب ما وجدوه قد شاع فى عصرهم وفى بلادهم من خرافات وممارسات تحجب مبدأ التوحيد كتقديس الاولياء ، وزيارة القبور والاضرحة ، الى آخره . ـ كذلك ركزت الحركة السنوسية اهتمامها على التنظيم الاجتماعي للامة الاسلامية بسبب افتقار المجتمع البدوى فى شمال افريقيا الى حكومة مركزية قوية . ولهذا كان اوضح مظاهر القصور فى تلك الحركات اغفال العديد من المشكلات الحيوية الاخرى فى المجتمع الاسلامي ، كالاستغلال الاقتصادى ، وضياع العدالة الاجتماعية ، وفساد نظم التعليم وكأن الاسلام لا شأن له بهذه المشكلات .

★ ★

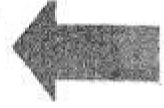
جمال الدين الافغانى

الامام حسن البنا

الشيخ محمود شلتوت

سيد قطب

ولم تعرف مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، وحتى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، حركات شبيهة بالوهابية والسنوسية . وحين ظهرت فيها ، مع الافغانى ومحمد عبده ، حركات اصلاحية ، كان ظهورها مرتبطا أساسا بمواجهة المسلمين لمشكلة رئيسية ، هى كيفية نهوض المسلمين من كبوتهم ، وعلاج مظاهر ضعفهم وتفككهم ، وتنظيم أنفسهم من أجل مقاومة الاستعمار الاوروبى والهيمنة الحضارية الغربية . ولا شك فى ان هؤلاء المصلحين ، حين ألتقوا لاول مرة لمشكلات اجتماعية وسياسية وحضارية بالغة الحيوية والخطورة ، تأثروا تأثراً عميقا بالمفاهيم الغربية لهذه المشكلات ، وبصياغات الغرب لحلولها . غير أنه لا شك أيضا فى أن هؤلاء المصلحين ، حتى مع متاخرة



البعض لفكرهم ، انما كانوا يتصرفون كمفكرين أفراد ، لايجمعهم تنظيم ، ولا هم عنوا بوضع مخطط عملي للعمل الجماهيري من اجل تحقيق الاهداف .

وهذا هو بالضبط مالاقته التيارات الاسلامية بعدهم ، ابتداء من الشيخ حسن البنا وجماعة الاخوان المسلمين ، وحتى جماعتي التكفير والهجرة والجهاد وغيرهما . فبازدياد تفاقم مشكلات مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ونمو الاحساس بهذه المشكلات ، ظهرت على مسرح الاحداث حركات سياسية اجتماعية ، ذات سمت ديني ، لاتستهدف الاصلاح في اطار النظم القائمة ، وانما قلب هذه النظم حتى تتولى بنفسها مهمة التغيير ، بدعوى أن هذه النظم الفاسدة « غير اسلامية » ، لا يمكن ان ينتظر منها جهداً حقيقيا من اجل تطبيق الشريعة ، ولا تعلقا مخلصا باهداب الاسلام . والتاريخ الاسلامي حافل بالامثلة لازمنة كان الاتجاه الى العنف فيها هو السبيل الوحيد المتاح امام الناس كي يطيحوا بشرور ومظالم متراكمة ، ويفسحوا مجالا لبداية جديدة .

وقد اخذت هذه الجماعات عن المصلحين من اتباع الافغاني ومحمد عبده فكرة شمول الاسلام لكافة مظاهر حياة الفرد والمجتمع . غير انهم ذهبوا الى أبعد مما ذهب اليه الاولون في القدرة على التصدي لكل تفاصيل هذه المظاهر ، دون حاجة الى الاقتباس من حضارات وانظمة أجنبية . ولا شك في أن النفور الواضح لدى هذه الجماعات من كل ما هو أجنبي واتهامهم المصلحين الاوائل بمشايعة الغرب نبعا من تفاقم التأثيرات الغربية ، وعزمتها المتزايدة للتقاليد المحلية ، واتساع نطاق الاهداف والمخططات الاجنبية حيال المنطقة ، وازدياد وضوحها في أعين أهلها ، بدرجة تفوق بكثير ما كان عليه الحال وقت محمد عبده واشياعه .

رؤية قاصرة

ومع ذلك ، فالمؤكد رغم كل الحرارة والايمان الصادق اللذين يتمتع بهما معظم أفراد التيارات الاسلامية الجديدة ، ان المستوى الثقافي والكفاءة الذهنية لدى الافراد والقادة على السواء ، وباستثناء قلة قليلة كالشيخ حسن البنا وسيد قطب ، هما أقل بكثير منهما لدى المصلحين الاسلاميين ابان العقود الاولى من القرن العشرين . فالرؤية لديهم قاصرة ، والاهداف غير واضحة ، والمنهاجية فاسدة ، وفكرتهم عن اجماع السلف الصالح مشوشة ، والمامهم بالتاريخ واه معيب . والاخطر من هذا كله أنهم رغم اصرارهم على شمولية الاسلام وتفرده ، وتميز كل نظمه ومفاهيمه عن كل النظم والمفاهيم الغربية لم يفلحوا الا في ابراز حفنة من النقاط والقضايا ، ركزوا عليها ، والحفوا في تكرارها دون أن يتجاوزوها الى غيرها الا في النادر . وأعني بهذه النقاط : موضوع الربا وفائدة البنوك ، وسفور المرأة وتحديد النسل ، وكراهة العلمانية والعقلانية ، والنفور من استخدام سبل البحث العلمي والمنهج التاريخي في مجال الاسلاميات . . وهم في ربطهم هذه الاتجاهات بالغرب ونزعة التغريب ، يتفقون اتفاقا اساسيا مع وجهة نظر المحافظين الذين يشاركونهم أيضا في عدائهم للمصلحين التوفيقيين .

ثم عيب خطير اخر يتمثل في مفهوم افراد هذه الجماعات عن المعرفة . فهي عند المجتمعات المتسمة بالحيوية والتحضر تعني استخدام المعروف في اماطة اللثام عن المجهول . اما عند هؤلاء فهي لاتعني اكثر من تجميع المعلومات . والمعلومات



الشيخ محمد عبده

فى رأيهم ليست بالمتطورة ، النسبية ، القابلة للاتساع ، وانما هى ثابتة خالدة وقد نجم من هذا المفهوم ثلاث عواقب.

الاولى : ان المعرفة عندهم لم تعد عنصرا ديناميكيا فى الفكر ، بل كتلة جامدة ، مما أسهم فى قهر كل نشاط فكرى حر بدعوى مخالفته لاحكام السلف

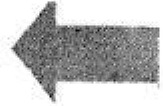
والثانية : ان اعتبار المعرفة دائرة مغلقة ثابتة يجعل من المحال اطراح شىء من المعارف المقبولة متى ثبت خطؤها او عدم مسايرتها لاحوال العصر ، ويجعل من الصعب تقبل المعارف الجديدة ما لم تجد لها سندا فى فكر الاقدمين .

والثالثة : أن صار سبيل اكتساب المعرفة هو تجميعها من كتب الاسلاف ، او الكتب الحديثة القائمة على كتب الاسلاف ، لا التحليل والاستنباط والتجربة والفكر الحر . وكلها عواقب خلقت عند غير المسلمين اقتناعا بانه لا يمكن أن يكون للاسلام مستقبل ما دام عاجزا عن مسايرة التطور على ضوء الجديد من الافكار والنظريات العلمية .

لقد كان رجال الدين فى الغرب المسيحى هم الذين اخذوا على عاتقهم مهمة تطوير العقيدة واعادة تكييف أحكامها على ضوء المعارف التاريخية والافكار الفلسفية الشائعة . أما فى مصر فيكاد يكون محمد عبده ومصطفى المراغى ومحمود شلتوت الوحيدين من بين رجال الدين الذين نهضوا ، أو حاولوا النهوض ، بهذه المهمة ، فى حين ظلت غالبية المشايخ ترفض فى عناد كل تجديد وتوفيق بين العقيدة وبين الفلسفة والعلوم ، باعتبارهما من الاهواء ومن الحبائل التى تنصبها الشيطان للتغرير بالغافلين . ورغم ايمان هؤلاء بفكرة تطور الاديان ذاتها بحيث جاء كل دين ارقى درجة من سابقه ، لقد أصروا على أن هذا التطور قد توقف نهائيا منذ القرن السابع الميلادى .

• تفسير عصرى •

وقد أصاب الافغانى ومحمد عبده واتباعهما فى بيانهم لضرورة اعادة تفسير الاسلام تفسيرا يوائم احتياجات العصر الحديث والمجتمع المتغير غير أن موقفهم الدفاعى والاعتذارى تجاه الحضارة الغربية حال دون تقديمهم لمثل هذا التفسير الشمولى ، ومال بهم الى الاقتصار فى فكرهم على التصدى لقضية هنا وقضية هناك من القضايا التى تشغل الاذهان فى الغرب ، مثل الديمقراطية ووضع المرأة ، وذلك من قبيل الرغبة فى الرد على خصوم الاسلام فى الغرب ، أو الاخذ بمشورة الاصدقاء الناصحين فى الغرب أيضا . ولقد كان انصار التيارات الاسلامية الجديدة على حق فى انتقاداتهم للموقف «التغريبى» لدى هؤلاء المصلحين التوفيقيين ، لما ينطوى عليه بالضرورة من احساس بالنقص دفعهم الى محاولة التبرير . غير أن انصار هذه التيارات ، باندفاعهم فى الاتجاه المضاد ، وقعوا فى خطأ مماثل . اذ بينما ركز الاولون على نفى ان تكون فائدة البنوك من الربا المحرم ، ونفى ان يكون الاسلام قد انتقص من حقوق المرأة ، وحد من دورها الاجتماعى ، والاصرار على أن الشورى الاسلامية هى بعينها ديموقراطية الغرب السياسية ، وعلى اهتمام الاسلام بالدعوة الى تنمية العلوم وتحصيلها ، أو بعبارة أخرى : بينما ركز الاولون على بيان



اتفاق الاسلام مع ... ـت الايجابية للحضارة الغربية ، اتجهت الجماعات الاسلامية الجديدة الى انتقاء قضايا محدودة للغاية لاثبات تميز الاسلام واختلافه من المفاهيم والقيم الغربية ، كضرورة عودة النساء الى الحجاب ، وضرورة تأسيس بنوك اسلامية لا فائدة فيها . وضرورة اقامة الحدود الشرعية كقطع يد السارق وجلد الزانى وشارب الخمر . اما فيما عدا هذا من مسائل اقتصادية واجتماعية وسياسية بالغة الحيوية والاهمية ، فلا يكاد يكون ثمة علاج أو برامج أو فكر . وهو ما يقودنا الى نتيجة هامة : هى أن فكر الجماعات الاسلامية الجديدة ليس أقل انشغالا بالغرب من فكر المصلحين التوفيقيين . ولكن الافغانى ومحمد عبده وتلامذتهما انشغلا به على نحو ايجابى ، فى حين انشغلت به الجماعات الجديدة على نحو سلبى . وشبح الغرب عند هؤلاء وأولئك هو الشبح الجاثم الرابض ، مغر ومنفر معا ، يدعو الى الاعجاب ويستثير الكراهية فى آن واحد .

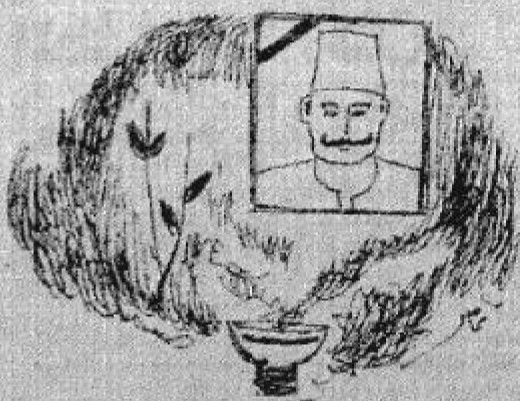
قلة قليلة نحسب من المفكرين الاسلاميين المحدثين رات الحل الامثل فى الاقدام على دراسة موضوعية عادلة للافكار والنظم الغربية ، من أجل تحديد طبيعة الاستجابة الصحية الواجب على المسلمين أن يتبنوها ازاء الضغوط الغربية المختلفة على مجتمعهم . فان كان فى الحضارة الغربية من العناصر ما هو فاسد مفسد ، فالكثير من الافكار والنظريات التى ورثناها عن أسلافنا المسلمين فاسد مفسد هو أيضا . وما لم نتصد بالدراسة لتراثنا وتقاليدنا هى الاخرى بنفس الموضوعية والهدوء والمعايير العلمية والحرص على تجنب الاراء التحكمية ، فما من أمل يبقى فى قدرتنا على مواجهة التحديات المعاصرة . كما أنه ما لم نول اهتماما بما يمكن للدين أن يحققه لخير الانسان الاجتماعى والاقتصادى ، مماثلا لاهتمامنا بما يمكن للانسان أن يفعله من أجل تمجيد الخالق فما من أمل يبقى فى قدرة الاسلام على حل المشكلات .

غير أنه حتى هذه القلة القليلة المتعقلة نراها اليوم فى انحسار ، فتفاقم مشكلات المجتمع المصرى ، وتعاظم خطر الفرنجة ومكائدهم فى المنطقة ، يميل بالبعض ، كالترابيين الجدد ، الى هجر الاعتدال وفقد الثقة بجدواه ، والتعاطف مع التطرف باعتباره السبيل العملى الاوحد الى مواجهة الاخطار الحقيقية التى تهدد بابتلاع هويتنا ، واستفظاع بهاظة الثمن الاجتماعى والنفسى الذى لا مفر من دفعه ان نحن أردنا اللحاق بركب الغرب فى مضمار التقدم . أضف الى ذلك أن انتشار تأثير الجماعات الاسلامية المتطرفة فى صفوف الجماهير العريضة ، وازدياد فرص استيلائها على الحكم ، على نحو ما حدث فى ايران ، خلال سنوات ثلاث دفعا بعض الانتهازيين من المفكرين الى التضحية باستقلاله ، والتعبير عن تعاطفه واتفاقه فى الرأى مع فكر تلك الجماعات من أجل ضمان الرضا والشعبية ، أو الاستفادة المالية من حكومات دول عربية غنية تنفق بسخاء على وسائل نشر ذلك الفكر . هذا الى أن ميل السلفيين الى الدخول فى تنظيمات تجمع شتاتهم وتنسق خطاهم ، وميل المجددين المستنيرين ، شأن المصلحين التوفيقيين قبلهم ، الى العمل فرادى ، لا يصبرون على تنظيم ، ويعزز من دواعى الفرقة بينهم ما فى طباعهم من تحاسد وتدافع على الشهرة والمجد ، يزيد من فرص نيل الاولين دون الاخرين لاغراضهم ، وبلوغ أهدافهم .

المقال القادم
التيار القومى العربى

أشياء عادية

شعر
محمود
عبد الحفيظ



.. وذات غفلة بين الخريف والشتاء .. مات
كنملة تموت في الطريق
لا ضجة .. ولا انبهار
ولا .. غريبة .. تعيي الجدار
وكل ما تبقى بعده ..

وسادة .. وأرملة
وصورة على الجدار

وقيل كان طيبا متسامحا
وقيل كان صالحا .. ما فاته صبح ولا عشاء
لكنه فقير ..
والزمان قد ..
وحين مات شيعوه
وزيح فوق التراب
وكل واحد مضى إلى سبيله يمصمص الشفاه
ويستعيد لحظة الوفاه
يضيف شيئا لم يكن .. أو يختصر
وبعد عام ..
وكان كل من في البيت ، قابضا ، على وفاته .. وينتظر
غير الطلاء
وغافلت إطار صورة الجدار صورة لـ .. عمهم
وفوق ركبتيه ..

أخوهم .. لأمهم

المطلوب الآن لجوائز الدولة إنقاذ ما يُمكن إنقاذه

بقلم : يوسف القعيد

ماجدوى هذا الذى تقوم به ؟ !

هل هناك أى أمل ، حتى لو كان هذا الامل مثل سحب الصيف الكاذبة ، لكى تكتب كل سنة فى مثل هذه الايام ، عن هذا الهم ، الذى فوق القلب ، والذى نمنحه اسم : جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية فى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

فتصبح الكتابة عملية تجديد سنوية للاحزان . وعملية تقليب للمواجع ، وشكل من اشكال الزار الشعبى فى التعامل مع جرح سنوى يزداد عدد ديدانه سنة بعد اخرى .

أبدا هذا العام بحسابات الربح والخسارة ، على طريقة زماننا التجارى والمالى . فى هذا العام كسبت جوائز الدولة . ولكن بعد المكسب تأتى الخسارات وما اكثرها ..

● الربح

ومكسب جوائز الدولة اسمه : جمال حمدان . فقد كسبته الجوائز قبل ان يكسبها هو ، وشرفت به الجائزة قبل أن يشرف هو بها . وكان حصول جمال حمدان على جائزة الدولة التقديرية مطلبا عاما لكافة المثقفين . ليس فى مصر وحدها ، ولا فى وطنه العربى الكبير ولا عالمنا الاسلامى . ولكن فى أرجاء المعمورة كلها . فكل من لديه القدرة على معانقة الحرف المكتوب فى أيامنا يدرك حقيقة ما قدمه جمال حمدان فى اعماله القيمة، التى تعد « شخصية مصر » اهمها وأشهرها . وان كان لديه نتاج آخر كله مهم جدا . وبعضه لا يقل فى الاهمية من شخصية مصر .

وجمال حمدان . فى قمة، عطائه الفكرى هذه الايام . وهو يستعد لاصدار موسوعة ملحمية أخرى جديدة تماما . عن جغرافية الاسلام . ويقول ان هذه الموسوعة من احلام صباه الاول . ومن المؤكد أن هذه الملحمة ستكون من اعماله الفريدة التى تقف بجوار « شخصية مصر » .

لكن موقف جمال حمدان من الجائزة يبدو تماما مثل موقف « جورج برناردشو » من الجوائز . عندما قال :

– لقد جاءت ألى الجائزة كطوق النجاة ولكن بعد أن نجوت فعلا .

فالجائزة وصلت الى جمال حمدان ،

الدكتور جمال حمدان



المطلوب الآن لجوائز الدولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه

فى الوقت الذى لم يعد فيه فى حاجة اليها . ووصلت اليه بعد وصولها الى طابور اطول من طوابير الجمعيات فى مصر . وبعد ان وقف فى هذا الطابور كل من هب وكل من دب .

يبقى هذا العام جمال حمدان فى جانب المكسب . ولكن ماذا عن الجانب الاخر ؟!

وقبل الوصول الى هذا الجانب الاخر ، اقول ان «الهلال» ، كان المطبوعة العربية الوحيدة ، التى جعلت من صفحاتها طوال الاعوام الثلاثة الماضية سكنا دائما لجمال حمدان . فقد نشرت معه المقابلة الوحيدة . التى اجريت معه فى الصحافة المصرية والعربية فى السنوات الماضية . وقدمته كاحد الاعلام المعاصرين . فى دراسة بديعة ونفاذة وعملاقة كتبها : محمود امين العالم . ولكاتب هذه السطور اكثر من مرة ومن محاولة فى الكتابة عن جمال حمدان . سواء فى الهلال . أو فى غيرها . والهلال كانت المجلة التى رشحت جمال حمدان اكثر من مرة للجائزة التى حصل عليها مؤخرا .

● الخسارة

سأتحدث عن جوائز الدولة التقديرية اولا . ثم التشجيعية بعد ذلك . ومشكلة الجوائز بشكل عام . فى مصر ان كثيرين من الذين لا يستحقونها يحصلون عليها ، وأن كثيرين – أيضا – من الذين يستحقونها عن جدارة . لا يحصلون عليها . ولو حتى بعد الوفاة . وعند السؤال عن السبب فى هذه الظواهر الغريبة – والسؤال حق مشروع – وعند محاولة الاجابة عن السؤال . لابد الآن من اعادة النظر فى الموضوع كله . من الالف الى الياء .. من قانون الجوائز الى الاشخاص الذين يشرفون على منحها . الى اللجان . الى نظام الترشيح والتصويت .

مشكلة جوائز هذا العام ، أن اكثر من نصفها قد تم حجبه ، وفى بعض الافرع تم حجبها بالكامل . فما هى الحكاية بالضبط ؟! .

اولا : حجب الجائزة التقديرية يتم بسبب بسيط هو عدم حصول المرشح لها على ثلثى اصوات اعضاء المجلس الحاضرين الاجتماع .

ثانيا : ان تركيبة المجلس الراهن . لا تمثل نمو الثقافة والابداع . فاكثر من نصف الاعضاء هم اعضاء فى المجلس بحكم وظائفهم فى وزارة الثقافة . وفى اجهزة الدولة الاخرى . ومعظم هؤلاء اقرب الى الصورة المحافظة البعيدة عن روح التجديد . فضلا عن انهم غير مطلعين بصورة دقيقة على النتاج الادبى والفنى والفكرى اولا باول . وبعضهم ليست له علاقة بالامر من قريب او بعيد .

والنتيجة هذا الذى نراه كل سنة ، من حال الجوائز . وهو الذى يصل الى مشارف اللامعقول فى بعض الاحيان ..

لقد تم حجب كل جوائز الفنون هذا العام . مع أنه كان مرشحا لها ثمانية هم : الحسين فوزى محمد ، الدكتور ثروت عكاشة ، حمدى غيث ، الدكتور صلاح الدين عبد الكريم حسن ، محمد حامد عويس ، الدكتور محمد مصطفى ، المهندس مصطفى شاكر ، المهندس مصطفى شوقى .

وسأكون ذاتيا فى الحديث عن ثلاثة من المرشحين : ثروت عكاشة ، محمد مصطفى ، حمدى غيث . وعلى الرغم من علمى أن ثروت عكاشة . كان قد تقدم الى المجلس الاعلى للثقافة عندما علم بخبر ترشيحه للجائزة بطلب سحب هذا الترشيح ، الا انه من العار علينا وعلى جيلنا عندما يقال فى يوم من الايام ان هؤلاء الثلاثة لم يحصلوا على جائزة الدولة . لان أيا منهم لم يحصل على عشرين صوتا من أصل ثلاثين صوتا . هى اصوات الحاضرين فى جلسة المجلس الاخيرة . ولا أعتقد انني قد أضيف أى جديد عن الحديث عن ثروت عكاشة ودوره سواء كوزير لثقافة عبد الناصر او كمؤلف


محمود البدوى


سعد الدين وهبه


ثروت عكاشة

ومترجم وباحث . ولن أضيف عن الحديث عن الدكتور محمد مصطفى الذى استخرج لنا ابن اياس من العدم وقدمه لنا بصورة فريدة . علاوة على دوره فى المتحف الاسلامى ونفس الشىء مع حمدى غيث .

ولكن يبدو أن مشكلة الثلاثة ـ عكاشة ومصطفى وغيث ـ هى عدم معرفة . لعبة العلاقات والتوازنات والتربيط قبل الجلسة والاتصال بكل من له صوت . ثم ما ذنب الدكتور محمد مصطفى ، ان معظم اعضاء المجلس لم يسمع بابن اياس ولا كتابه الفريد . وان معظمهم لم يذهب الى متحف الفن الاسلامى .

ان الوضع يخترق المأساة . وصولا الى الملهاة المفجعة ، والدمعة هنا تمتزج بالضحكة التى هى اكثر مرارة من الدمعة ذاتها .

● الآداب

المرشحون فى الاداب كانوا سبعة هم : سعد الدين وهبة ، الدكتور عبد المنعم النمر ، الدكتور عز الدين اسماعيل ، الدكتور محمد زغلول سلام . اسم المرحوم : محمد عبد الغنى حسن ، اسم المرحوم محمود البدوى، الدكتور يوسف عز الدين عيسى .

ومن المعروف ان اللذين حصلا على الجائزة هما : الدكتور عبد المنعم النمر والدكتور عز الدين اسماعيل . وانا اعرف ان الدكتور النمر وزير أوقاف سابق . ورجل دين على عينى وعلى رأسى وباحث متفقه فى امور الدين . ولكن الذى اعرفه ايضا . وبقدر كامل من اليقين المطلق ان الدكتور النمر لم يكتب حرفا واحدا فى الادب لا ابداعا ولا نقدا . وعلى الرغم من متابعتى الدءوب لكل ما ينشر فى الادب الى ان سألت العديد من الاصدقاء والكتاب . فلم اعثر على شخص قرأ حرفا واحدا فى الابداع أو النقد الادبى للدكتور النمر .

انا اعرف أن الخطأ ليس خطاه . والمسألة لابد وأن تعود الى الجهة التى رشحته ، وهى مجلس مجمع البحوث الاسلامية . فان كان من حق هذا المجلس ان يرشحه . فلابد وأن يتم هذا الترشيح فى موضعه الطبيعى ومكانه الحقيقى . والغريب انه توجد فى هذه الجوائز جائزة للعلوم الاجتماعية . كان يمكن ترشيح الدكتور النمر لها .

أيضا فالادب بالنسبة لى ابداع اولا . وابداع ثانيا . وابداع ثالثا وأخيرا ، وجائزة الادب لابد وأن تعطى لمبدع !.

المطلوب الآن لجوائز الدولة
إنقاذ ما يمكن إنقاذه

هل سمعنا ان جائزة نوبل للاداب حصل عليها غير مبدع ؟! وغيرها ، هل منحت جائزة بوليتزر الامريكية لغير مبدع ؟. هل منحت جائزة جونكور الفرنسية لغير مبدع ؟. اسمها جائزة الاداب والادب خلق، والادب ابداع . وكل ما يأتي بعد هذا هو نوع من الثقافة العامة. والادب الابداعي شيء والثقافة العامة شيء آخر.

هذه المرة من الصعب ان يلوم الانسان المجلس الاعلى ولا اعضاءه . ولكن اللوم موجه بالدرجة الاولى الى المبدعين من اعضاء المجلس ، الذين لم يحضروا الجلسة . أليس غريبا الا يحضر اجتماع المجلس هذا العام : توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ ، عبدالرحمن الشرقاوي، احسان عبد القدوس ، يحيى حقي !! خمسة أصوات لها أهميتها وتأثيرها غير العادي ، ضاعت لمجرد رغبة هؤلاء المبدعين الكبار عن الحضور .

اكتب هذه الكلمات مقاوما رغبة نادرة في البكاء ، بعد أن جفت دموع العين. لان محمود البدوي الرجل الذي قتلناه حيا . وها نحن نقتله مرة اخرى بعد القتل الاول . وبعد الموت الاول . لم يحصل على الجائزة بعد رحيله عن عالمنا. وحزين ايضا وبنفس القدر لان سعد الدين وهبه لم يحصل على الجائزة . ويبدو ان جريمة هذا الكاتب المسرحي الموهوب والجيد . ان عطاءه الاساسي تم في ظل مصر الناصرية وليس في اى زمان آخر .

● العلوم الاجتماعية

فاز بها اسم المرحوم حسن الباقوري، وجمال حمدان . وابو الوفا التفتازاني، وجمال حمدان لم ترشحه للجائزة جامعة القاهرة . التي تخرج منها ، وعمل بها . وأوفدته — في زمن الملك فاروق الاول ملك مصر والسودان — الى انجلترا في بعثة علمية . جرى هذا في الاربعينات . ومع هذا فان نفس الجامعة قد فتشت على جمال حمدان بعد ان اصبح اسمها : جامعة القاهرة ، وفي الثمانينات بان ترشحه للجائزة . وقامت بهذا الدور جامعة المنيا في صعيد مصر .

في العلوم الاجتماعية ، حزنت لان بعض المرشحين لها . لم يحصلوا على الجائزة فهم الدكتور اسماعيل صبري عبد الله. والدكتور سيد عويس والدكتور علي عبد الواحد وافي . والدكتور ابراهيم نصحي والدكتور مصطفى زيوار . وكل منهم قمة من القمم في تخصصه. اعطى وكتب وقدم لمصر من العرق الشريف ما يستحق من اجله ما هو اكثر من الجائزة .

● الجوائز التشجيعية

ان كان عدم الحصول على الاصوات اللازمة هو مشكلة المشاكل في الجائزة التقديرية فان كلمة : الانتاج المقدم لا يرقى الى مستوى الجائزة . هي السيف المسلط على الجائزة التشجيعية. وان كانت التقديرية تعتمد على تقارير ترشيح من جهات ترشح الكاتب . فان الامر من التشجيعية يختلف كثيرا . فتقارير اللجان سرية لا تعلن . ولا يعرف منها سوى الجملة الاخيرة . ان العمل يصلح للجائزة . او انه لا يرقى الى مستواها . وكل الامور التي تجرى في الظلام غير محببة . ويمكن ان يتم تحت جنح هذا الظلام . اكثر الامور قسوة في عالمنا . ولذلك فالفوضى التي تحدث في الجائزة التشجيعية اكثر الف مرة من التقديرية .

ومما يزيد في الالم والمرارة ان قانون الجائزة التشجيعية يتطلب تقدم الشخص بطلب مكتوب على عرضحال دمغة . ومعه خمس نسخ من العمل الذي يتقدم به. في حين ان الحال في الجائزة التقديرية ، ان هناك جهة ما ترشح الكاتب من اجل الحصول على الجائزة . ايضا فان من يمنح التقديرية هو المجلس نفسه . ولكن من يمنح التشجيعية هي لجان المجلس . **وان كان في تشكيل المجلس عيوب فان**

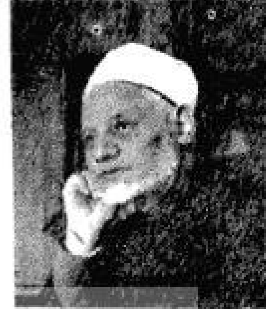
توفيق الحكيم



اللجان هى العيوب نفسها، ويكفى القول ان المجلس واللجان قد شكلوا فى زمن اختلال ثقافى ضخم . وكلمة نعم أهم من الهم الثقافى . ورجال السلطة قبل رجال القلم ويكفى أن نعرف أن لجنة القصة لا يوجد من أعضائها : جمال الغيطانى أو صنع الله ابراهيم وهما الآن الواجهة الحقيقية للقصة المصرية فى مصر أو الوطن العربى أو العالم كله .

والعجب له حكايات فى هذه الجوائز وقد تصيب الانسان الدهشة فى جوائز القصة القصيرة . مثلا ، من أن ثلاثة من المتقدمين لها لم يحصلوا عليها . وهم: محمد المخزنجى عن مجموعته القصصية الآتى . ورجاء طاهر . عن مجموعته القصصية : بالامس حلمت بك . وعبد الوهاب الاسوانى ، مملكة المطارحات العائلية ، وقد سمعت أن اللجنة رأت أن مجموعتى : محمد المخزنجى ورجاء طاهر صغيرتا الحجم . ولذلك لم تنظر فى أمر منحهما الجائزة . وهذا الكلام - ان كان صحيحا - يبدو أقرب الى المأساة .

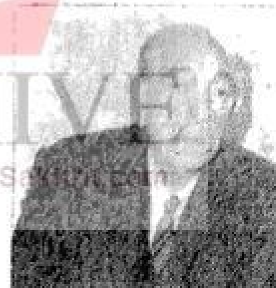
د . عبد المنعم النمر



الغريب فى موضوع حجب الجوائز التشجيعية انهناك نصا واضحا وصريحا يقول أن من حق اللجنة فى حالةعدم رقى الانتاج المقدم الى مستوى الجائزة ان ترشح اللجنة عملا لم يتقدم به صاحبه من الاعمال الاربعة المنشورة .

والغريب والعجيب معا هو انه لم تجر أى محاولة من قبل . لأى لجنة لاستخدام هذا الحق المعطل . والذى سيظل معطلا لسنوات طوال قادمة .

د . سيد عويس



يبدو ان اللجان تمارس العمل والدور فى حدود الممكن والحد الادنى . ولا تحاول ان تتعب نفسها ولا ان تعمل . ويبدو أيضا ان لعبة الضغط . والمناورات .. والاتصالات هى التى تحسم الامر كله . أما الموهبة فلا . أما العرق والجهد فلا . انه الزمن الذى سيقال عنه : ان قيراط بخت فيه أفضل ألف مرة من فدان شطارة ..

حمدى غيث



قضية للمناقشة

الدولة العثمانية والصراع المعاصر

بقلم: أحمد عباس صالح

تقفز «الدولة العثمانية» من التاريخ الى دائرة الاهتمام المعاصر بقوة، فهى من وجهة نظر التيار الدينى الامبراطورية الاسلامية المقدسة التى تآمر عليها العالم الخارجى (دار الحرب) واسقطها ثم وزع الولايات الاسلامية اسلابا.

وهى من وجهة نظر الوطنيين احد المصادر الاساسية لتكوين الهوية الثقافية والدرع الثقافى الذى يواجه به «الغزو الثقافى».

وفى وقت من الاوقات كانت فكرة القومية متداخلة فى فكرة الجامعة الاسلامية او هى جزء منها .. وكانت هى رمز الشرق الذى يواجه الغرب.

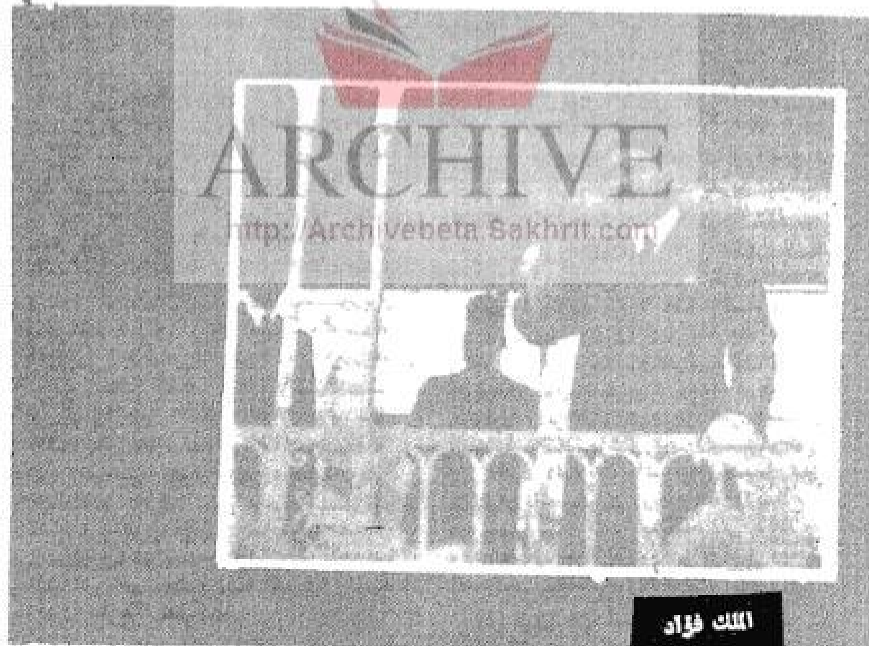
وكانت الدولة العثمانيـــة ، دولة « الخلافة » التى تجمـع الدول ذات الثقافة المشتركة فى مواجهة العـالم الغربى الذى ظل يدق أبواب الشرق الاسلامى منذ حروب الاندلس والمعارك الصليبية ومحاكم التفتيش حتى سقوط الخلافة فى سنة ١٩٢٤ .

ومن جانب آخر كانت الدولة العثمانية هى آخر القوى الاسلامية العظمى التى انفرط بعدها عقد الاسلام وتمـــزق دويلات ، وخضع لســــلطان « دار الحرب » .

وفى الأدب العربى الحديث ميراث من الشعر والنثر يثير الحزن والشجن لمن يقراه اليوم ابان ذلك الســـقوط الهائل الذى كان يتوقعه الجميع .

كان الاتراك يتوقعونه ، والبعـــض منهم كان يريده ، وكان العرب يريدونه وشاركوا فى تقويض الامبراطوريه مـــع احلافهم من الانجليز ، وكان هنـــاك من يامل فى الاصلاح بحيث تقف الدولة على قدميها وتبدأ عهدا جديدا .

وفى هذه الحركة التاريخيـة المدوية ظهرت غالبية الافكار الحديثة بكل نقائضها وظهر الفكر الذى يدعو الى الجامعـــة الاسلاميه محاولا ان يبث الروح فى الجسد الواهن المتداعى . وظهر الذين نفضوا ايديهم بغير أسف من الماضى الحزين كله ، وتوجهوا الى مصادر القوة الحديثة ، والى الديمقراطيه ، والى العلم الحديث ، والتخلص من جميع الاوهام القديمة .



الملك فؤاد

قضية للمناقشة

وظهر من حاول أن يجمع بين التراث والعصر الحديث .

كل هذا كان محوره الدولة العثمانية، وكله خرج من تفاعل الاحداث فى مركز الدولة وفى اطرافها .

وعند السقوط كان المعاصرون من أبناء الامبراطورية « الخلافة » مشغولين بقضايا اخرى ، كانت الطبقة الوسطى المصرية التى تشكل القوة الرئيسية فى مجتمعها مشغولة بجنى ثمار ثورة ١٩١٩ ، كانت تركز كل قواها من اجل الظفر بحقها فى المشاركة فى الحكم ، كانت تناضل ضد الأنجليز من ناحية ، وضد الاستبداد الملكى من ناحية اخرى ، وكانت معركة الدستور فى أحد جوانبها معركة ضد التراث العثمانى ، وضد افكار الخليفة عبد الحميد الذى خلعه الاتراك من قبل لرفضه الدستور ، كانت الخلافة تمثل عقبة فكرية امام الطبقة الجديدة التى كانت تنشد الحرية وتنشد الدستور وتنشد الاستقلال . وكان السوريون والعراقيون وجزء كبير من ابناء الجزيرة العربية يتفقون مع الشريف حسين لعقد اتفاقات مع الانجليز ليتخلصوا من الحكم التركى ومن كل الافكار التى عاش بها فى المنطقة . ولذلك كان الكواكبى الجارح فى هجومه على الاستبداد التركى تعبيرا عن الموقف العام فى الشرق العربى اما محمد عبده فقد خرجت من صلبه كل الافكار الجديدة التى عبر عن جانب منها تلميذه سعد زغلول بطريقة عملية .

وفى مصر اتجه اغلب الكتاب الى مؤازرة الطبقة الجديدة وفى هذا المناخ ظهرت كتابات لطفى السيد وهيكل والعقاد وطه حسين ، وكان توفيق الحكيم من اخطر الذين عبروا عن رفضهم للخلافة والتراث القديم جميعا فى مسرحية «اهل الكهف» وكانت هذه المسرحية هى وكتاب « فى الشعر الجاهلى » « والاسلام واصول الحكم » تعبيرا عن الموقف العام لاكثر الطبقات الاجتماعية تأثيرا فى المجتمع المصرى وهى الطبقة الوسطى .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من المعارك العنيفة التى كانت تخوضها الافكار العربية ، فان انهاء الخلافة اخترق صخب المعارك ووصل الى كل الاسماع والقى بظله المحزن على الجميع .

تهمة اسقاط الخلافة

ان احدا لم يهب دفاعا عن الخلافة لا من الداخل ولا من الخارج والذين اعلنوا انهاءها هم الاتراك انفسهم ، ولذلك لم يكن هناك ملكيون اكثر من الملك على أن مصطفى كمال اتاتورك اصبح منذ هذا اليوم سيء السمعة فى العالم الاسلامى ، او على الاصح لدى هؤلاء الذين كانوا يعلقون الامال على استمرار الخلافة ، ولكنهم — فى الحق — كانوا قلة قليلة فى العالم العربى بصفة خاصة .

ويبدو من الصعب الان اتهام « الغرب المسيحى » باسقاط الخلافة او انهائها ، فلقد بدأ هذا السقوط من الداخل بفعل القوى المعارضة الداخلية ، وكان حزب الاتحاد والترقى أول من عزل الخليفة عبد الحميد ، وهو آخر الوحيد من سلاطين الاتراك الذى ركز على فكرة الخلافة لانقاذ عرشه من السقوط ، كما كانت الولايات العربية جميعا تموج بالغليان الدستورى وبدعوات الاصلاح ، اما مصر فقد كانت سبقت الى ذلك منذ وقت طويل جدا بالثورة العرابية وباعلان الدستور وبانشاء الجمعية التشريعية .

لكن ترى هل استطاع الغرب حقا ان يضلل الاتحاد والترقى فى تركيا ! ومالعبة

الصهيونية التي دبرت كل شيء، ومأساة المأساة الاتراك المسلمين من أصل يهودي والذين انهوا الخلافة وعلى رأسهم أتاتورك نفسه .

واذا كان هذا وذاك يحتمل شيئا من الجدل فان حركة العرابيين في مصر كانت تنتهي — حسب منطقها — الى الاستقلال والى حكم جمهوري ، ومن الصعب ان تكون الثورة العرابية من تدبير الحركة الماسونية او بتأثير من التآمر الانجليزي!

ونفس الشيء يقال عن التحرك العربي ضد الخلافة حيث قامت الجيوش العربية بقيادة الشريف حسين بقتال الاتراك .

وكم بذل محمد فريد من جهد لتحريض الاتراك على حرب الانجليز في مصر ، ولكن كم كانت دهشته حين وجد أن بعض الذين تصدوا للفيلق التركي كانوا من الجيش المصري .

كان محمد فريد يظن انه بمجرد ظهور الجيش التركي فان المظاهرات ستملأ الشوارع ، والجيش المصري سوف يعانق جيش التحرير التركي ، وسوف ينهار الانجليز امام هذا اللقاء الحار .

الحق أن معارك السويس كانت باردة، وعلى عكس توقعات محمد فريد لم يحدث شيء على الاطلاق .

ومحمد فريد نفسه كان قد نفض يده من الاتراك وقد أدرك في وقت متأخر أنهم لا يريدون استقلالا لمصر بل احتلالا ، وبدأت تنتابه المخاوف حتى ظن انهم سوف يغتالونه وسرعان ما فر هاربا من تركيا ذاهبا الى أوربا محاولا ان يجد نوعا من التفاهم مع الالمان ..

غالبية القوى اذن أصدرت حكمها على الخلافة وكان تقييمها لها بالسلب ، وكان من المستحيل الا تسقط بعد أن تخلى الجميع عنها .

واللافت للنظر انه بعد اعلان انهاء الخلافة سنة ١٩٢٤ وربما قبل ذلك ايضا كان هناك تفكير جاد لنقل الخلافة الى مصر وقد حاول ذلك الملك فؤاد بكل قوته وآزره في ذلك الازهر بما له من هيبة في العالم الاسلامي ، كما حاول الشريف حسين باصرار ، وكانت الدلائل تشير الى أن الانجليز في المحاولتين لم يكونوا من الرافضين لان عيونهم كانت على الهند وكانوا يريدون تهدئة العالم الاسلامي ، وكان الملك فؤاد والشريف حسين كلاهما ، من أصدقاء او أحلاف الانجليز .

ولعل هذا يوجهنا الى اعادة النظر في موضوع الخلافة من أساسه :

ان محاولة الملك فؤاد فشلت ، ومحاولة الشريف حسين فشلت ، كما استبعدت أفكار أخرى عرضت في ذلك الحين ، وخفتت الدعوة الى انشاء الخلافة وضاع صداها بأسرع مما يتوقع انصارها واعداؤها على السواء .

وقد نجد تفسيرا لذلك في الهجوم الضاري الذي تولاه مثقفو الطبقة الوسطى المصرية على الخلافة ، وعلى الفكر التقليدي الذي تمثله الدولة العثمانية ، ومازال حتى اليوم لكتابات هؤلاء الكتاب صخبها واثرها في الفكر العربي .

على أن هذا أيضا لا يفسر هذا السقوط السريع فلقد تصدى كتاب آخرون يؤمنون بان الحياة بلا خلافة تعتبر خروجا على الدين ، وقد وصل أحيانا الى حد الاتهام بالكفر ، ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا ايقاف التداعي ، ولا أن ينشئوا تيارا جديدا للفكر القديم .

والواقع ان سقوط الخلافة لم تكن نتيجة لسقوط الدولة العثمانية أو هزيمتها . فحينما أعلن اتاتورك انهاء الخلافة كانت تركيا دولة مستقلة ، وكان اتاتورك نفسه يقود دعوة للقومية الطورانية

ومن المؤكد أن تصفية الدولة العثمانية شيء كانت تريده الدول الكبرى ، وكانت بالطبع تشجع عليه ، ولكن هذا كله لم يكن ليستطيع انهاء الخلافة لو كان حقا أصحابها يريدونها . ذلك أن تصفية الامبراطورية العثمانية تمت في اطار

قضية للمناقشة

تاريخي خاص ولم يكن لاى قوة مهما تكن تستطيع مقاومة قوانين هذا الاطار .

كان القرن التاسع عشر يمضي آخر بقايا نظام الاقطاع القديم ، وكانت الدعوات القوميه تنطلق في كل مناطق الامبراطوريات القديمة ، وما كان منها مجمعا صار يتفتت ، وما كان منها مفتتا راح يتجمع ولكن على اسس جديدة ، الأسس القومية .

● فكرة الاستقلال بمصر ●

وفي اطار حملة فكرية قوية كانت الامارات الالمانية تتساقط وكانت فكرة الدولة الالمانية القومية الموحدة تنشأ ، وكان الامر كذلك في ايطاليا ، وحدث نفس الشيء في الاجزاء الاوروبية التي كانت داخلة في اطار الامبراطورية العثمانية ، وكان محمد على نفسه قد بدأ يدرك ان عليه الاستقلال بمصر وان يبحث في مسالة الشخصية القومية ، وكان محمد على وابنه ابراهيم يعرفان ان رابطة الجامعة الاسلامية تتفكك ، كما ان رابطة الجامعة المسيحية تفتت وما زالت تتفتت في أوروبا ولعلهما لذلك بدآ يهتمان بالفكرة العربية ، ولذلك فالزعم بأن ابراهيم كان يتطلع الى وحدة عربية ليس بعيدا عن الواقع ، فلقد كان محمد على يتحرك في الزمن الذى برزت فيه الفكرة القومية في العالم كله ، وفي داخل الامبراطورية العثمانية نفسها .

وسريعا ظهرت ونضجت فكرة الوطن ، وراح الناس يبحثون عن عناصر ارتباط اقوى من الرابطة الدينية كالجنس واللغة والتاريخ المشترك والارض ، وكان هذا في الواقع نوعا من تعرف المجتمعات البشرية على نفسها واكتشاف شخصيتها المتفردة وثقافتها الاكثر خصوصية بعيدا عن الرابطة الدينية وحدها .

ومن المؤكد ان العرب كانوا يريدون التعرف على انفسهم كثقافة خاصة تختلف عن ثقافة البوسنة او الهرسك الاسلامية داخل الدولة العثمانية ، وكذلك الامر بالنسبة للثقافة التركية ذاتها او الثقافة اليونانية او المجرية او السلافية .

حقا ان هذا الشعور قد ذكاه حيوية ومصالح البورجوازية الاوربية . والبورجوازية العربية ، ذلك أن الانفصال من الجامعة الاسلامية الى الجامعة القومية كان يعنى في نفس الوقت امتلاك هذه البورجوازيات لاقاليمها وتفردها بادارتها، وكان يعنى ايضا الهوية الخاصة المتميزة .

ويبدو أن تاريخ الانسانية يمضى ويتحقق في انساق متشابهة ومتطابقة في الحركات الاكثر اتساعا . فقد قامت الامبراطوريات القديمة على مبدأ القوة والتميز العرقي دون حاجة الى مبرر آخر ، ثم عجز هذا الادعاء عن ان يصمد امام الثورات والتمرد وخاصة الثورات التى تجمعها عقيدة قوية ، فتلونت المصالح بالعقائد الدينية والتأمت روابطها على أساسها ، وحينما اختلفت المصالح بنشوء البورجوازيات وبالميل الى الانفراد بالموقع اكتشفت الخصائص المتميزة لكل شعب على حدة . وهى مراحل لم ينج منها اى مجتمع ولم تنج منها اى امبراطورية .

اما الامبراطوريات الحديثة فلم تتحدث عن اية رابطة ، ولم تزعم انها نظام خالد وثابت كالبابوية والخلافة الاسلامية، وان زعمت انها جاءت لتعمير المناطق التى ينقصها التعمير والعلم والتكنولوجيا الحديثة !

ولقد قبل العالم المسيحى الاوربى الفكرة القومية واستسلم لها . ولكنه قبلها بعد قتال دام وبعد معارك فكرية عنيفة ، وكان لسقوط الرابطة الدينية مراثيها واحزانها ايضا .



محمد فريد

وعلى الرغم من كل هذا فان احدا لا يستطيع الزعم بان اختفاء الرابطة الدينية في الغرب ، يعني اختفاء الدين نفسه ، فما زالت المؤسسات الدينية تؤدي دورها ، وما زالت انماط السلوك والعادات تحكمها العقيدة الدينية .

وهو نفس الشيء بالنسبة للرابطة او الجامعة الاسلامية .

● تقييم له ظروفه

واذا كان انهاء الخلافة الاسلامية قد حدث بسبب التطور الطبيعي لنظم التجمع البشري وتطور قيام الدول ، فان نشوء الدولة العثمانية وتقييمه له ظروفه الاخرى . فالقول بأن الاتراك قد برزوا في العالم الاسلامي باعتبارهم اقوى الاعراق واصلبها للدفاع عن الاسلام امام العدوان الصليبي امر يحتاج في الواقع الى مناقشة .

فالمتتبع لنشوء الدولة العثمانية سوف يلاحظ انهم نشأوا وتطوروا دون أن يلتفتوا الى انهم جنود الاسلام الذين جاءوا لانقاذه . كانوا اقواما او جماعات هاربة من الضغط المغولي وفقا لظروف واحداث كثيرة في آسيا بدأوا يتجهون الى آسيا الصغرى ، ثم راحوا ينظمون معيشتهم ويوجهون اوزانهم بالحرب والفتوحات وكثيرا ما كانوا يفطنون الى انهم مسلمون فيبررون الفتح بالدين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا هذا التبرير سهلا دائما لانهم دخلوا معارك طاحنة ضد دول اسلامية اخرى ، كما تحالفوا مع دول مسيحية ، وقد هبوا لانقاذ الخليج العربي من الفتح البرتغالي الاسباني المسيحي ، وانقاذ المواقع المقدسة في الجزيرة العربية من هذا العدوان المسيحي الا أنهم قضوا على الحكم المملوكي المسلم في سوريا ومصر وقتلوا الكثير من المسلمين السنة ، كما قتلوا من المسلمين الشيعة كل من وقف ضدهم أو حاول أن يعطل توسعهم .

من الصعب أن نوافق الاشخاص المتحمسين الذين يعتقدون أن الجندي التركي كان يقاتل من اجل الاسلام وانه كان يشبه المقاتلين الاوائل الذين حاربوا تحت راية الرسول عليه السلام ، كان هؤلاء مقاتلين حقا من اجل الدين ، ولكن الامر يختلف تماما بعد ذلك .

ومرة اخرى فان ما حدث داخل العالم الاسلامي من حروب طاحنة ، حدث ايضا داخل العالم المسيحي وتحت عناوين دينية مثل الشيعة والسنة في العالم الاسلامي ، ولعل ما حدث في العالم المسيحي كان اكثر عنفا ، واذا كان السلاطين العثمانيون قد قتلوا أشقاءهم وابناءهم في تنافسهم على الحكم ، فان الغرب المسيحي قد فعل هذا ايضا . ويبدو ان الحكام لا يهتمون كثيرا بالنوازع الدينية التي تجيش بها افئدة الشعوب أو الاتقياء من قادتهم ، فلقد رأينا الكاثوليكيين البيزنطيين يتحالفون مع الاتراك المسلمين ضد الكنيسة البابوية الرومانية ، كما رأينا أن كبار القادة والحكام في الدولة العثمانية يختارون من ابناء المسيحيين الاوربيين ما بين سن الثانية عشرة والعشرين ويخضعون بعد ذلك لتربية قوية وتدريبات عنيفة .

ان الحكام لم يقيموا وزنا حقيقيا للمشاعر الدينية الجياشة ، ولم يعرفوا التعصب الديني ، كان تعصبهم الحقيقي

قضية للمناقشة

للدولة وللمغانم وللسيادة ، وحين يستثيرون هذه العواطف أحيانا فلأغراض سياسية في الدرجة الاولى .

● من المسئول عن التدهور

يبقى سؤال حائر ، هل الاتراك العثمانيون مسئولون عن تدهور العالم الاسلامي المعاصر ؟ هل هم مسئولون عن تدهور العالم العربي بصفة خاصة ؟

الواقع ان الاتراك ظهروا كقادة أو اباطرة للعالم الاسلامي في الفترة التي كانت النهضة الاوربية تأخذ مداها ، كان العالم المسيحي يدك المؤسسة الدينية بالانشقاقات المذهبية ، مرة ، وبالحرية الفكرية مرة أخرى ، بالفن والشعر والفلسفة ، وكانت حركات التنوير تمضي قدما ، وفي الوقت الذي حرقت فيه جان دارك الفرنسية لانها زعمت انها تسمع اصواتا الهية تأمرها بتحرير فرنسا ، كانت المؤسسة الدينية ، في الدولة العثمانية لم تزل فتية ومسموعة الكلمة ولم تفقد مبرر وجودها بعد ، كانت بالكاد تطمح في مزاولة نشاطها وتربية ابنائها .

اما جان دارك فقد جاءت — بهذا الادعاء — لتلغي دور الكنيسة باعتبارها الصلة الوحيدة بين الله والانسان . كانت تزعم بأنها تتصل بشكل مباشر بالسماء وهو أمر أدركت الكنيسة خطورته ولهذا بادرت بحرقها .

وفي الوقت الذي وطأت فيه اقدام العثمانيين الاتراك الاراضي العربية ، كانت الصلة المباشرة بين العرب والعالم الخارجي قد انقطعت ، كان رأس الرجاء الصالح قد اكتشف ، وكانت التجارة العالمية تضعف وتضمحل في مصر والشام ، وكانت الثروة تتضاءل والانتعاش الاقتصادي يتلاشى . وكانت اوربا المسيحية قد بدأت معركتها مع الدولة الدينية التي كانت تعاليمها تقف حجرة عثرة امام التوسع الاقتصادي لمصالح الطبقات الناشئة في اوربا .

والواقع أن المعركة التي نشأت بين ما سمي بعد ذلك بالعلمانية والدولة الدينية لايختلف عن نفس المعركة التي نشبت بين العلمانيين الاتراك ودولتهم الدينية ، ذلك ان المؤسسة الدينية في الدولة العثمانية كانت مسئولة تماما عن التعليم وعن التشريع والتقاضي وهو نفس الشيء الذي كان معمولا به في أوربا حتى في قرون سابقة على نشوء الدولة العثمانية ، وليس صحيحا أن الكنيسة الاوربية كانت تتولى الشئون التنفيذية الى جانب التشريع والتقاضي والتعليم .

كل مافي الامر أن الاصطدام بين الدولة الدينية والدولة الزمنية جاء متأخرا في دولة الخلافة العثمانية ثلاثة قرون على الاقل .

كانت أوربا قد خرجت من الشكل القديم للعصور الوسطى ، بينما كنا نحن نعيد ترتيب انفسنا ولكن على نفس الاسس القديمة ، وهو الامر الذي لم نخرج منه الا متأخرا ، لنجد أن العالم قد تغير وأن النظم الاقتصادية الجديدة وأساليب الانتاج الحديثة قد سبقتنا وقد حاصرتنا ، وقد صارت بحكم مصالحها عقبة اضافية في سبيل تقدمنا .

ان الدولة العثمانية نشأت ونمت وفق ظروف معينة ولو كانت تستطيع ان تكون افضل مما كانت لفعلت ، ولو كنا نحن — كولايات للمركز الامبراطوري — افضل مما كنا لربما كنا استطعنا ان نتجاوز هذه الثغرة ، وأن نقفز الفاصل الزمني الذي يفصلنا عنهم .

كانت الدولة العثمانية تجسيدا لقوى الشرق في وقتها وحتى اضمحلالها ثم فنائها لا اكثر ولا اقل .

ابتسامات

انا مثلك

● دخل العالم الذرى « فون براون » احد المطاعم بنيويورك لتناول غذائه ، فبحث عن نظارتيه ليقرأ قائمة الطعام ويختار مايناسبه ، ولكنه لم يجد النظارتين فحار في امره لانه لم يكن يستطيع القراءة بدونهما ، واخيرا وجد الحل ، فنادى الخادم وقال له : اقرأ لى الوان الطعام من فضلك .

فرد الخادم : المعذرة ياسيدى ، فانا أمى مثلك !

لا تترك الفرصة

● كان الطبيب صديقا للعائلة ويتردد الى الدار كلما وجد هناك حاجة ، وفى يوم كان صاحب الدار غائبا خارج المدينة فأرسل الطبيب له هذه البرقية :

ـ يؤسفنى ان اخبرك عن وفاة حماتك ، هل ترغب فى دفن الجثة ام إحراقها ام تحنيطها ؟

وفى اليوم التالى إستلم الجواب التالى : الثلاثة .. لاتترك الفرصة تفوت !

أيهما أفضل

● يقول المحامى الكبير « رينيه فلوريو » لا تحسبوا ان موكلينا يقدرون دائما خدماتنا منذ قالت لى احدى موكلاتى بالامس .

ـ آه ياأستاذ .. لاتحدثنى عن المحامين وكتاب العدل .. فأن متاعبى فى قضية تركة زوجى لأثقل من ان تحتمل ، حتى اننى لأتساءل احيانا ما اذا لم يكن من الافضل لى لو انه بقى على قيد الحياة !

● ذهبت سيدة الى طبيب الامراض النسائية ، فدخلت على الطبيب بينما بقى زوجها ينتظر خارج غرفة الكشف فقالت السيدة للطبيب .. دكتور .. ارجوك ان تدعو الممرضة لتكون معنا فى الغرفة .

ـ لماذا .. هل تخجلين ان تبقى وحدك فى الغرفة مع الطبيب !

فقالت الزوجة : لا .. ولكنى اخاف ان تبقى الممرضة وحدها مع زوجى !



لست أنوى أن أحدثك عن مسرحيتي التي تحمل نفس العنوان ، والتى مثلها المسرح القومى منذ سنوات ، وإنما ساحدثك عن أحد كبار مفكرى الهند ، الذى توفى منذ أيام ، فى سان فرانسسكو ، بالولايات المتحدة عن عمر جاوز التسعين عاما ، ذلك هو (جيدوكرشنا مورتى) .

واستاذنك فى أن أبدأ بموضوع مسرحيتى ، فإن الذى الهمنى بفكرتها واقعة جرت فى الهند مع شخصية حقيقية ، وسياسية ومعروفة ، هى (جواهر لال نهرو) زعيم الهند ، ورئيس وزرائها ، وخليفة زعيمها المهاتما غاندى ، الذى كان بدوره إنسانا حقيقيا لاخيالا ولا اسطورة ، كان قد ولد فى اخريات القرن التاسع عشر ، وحقيقة اسمه ، موهانداس كرشاندى غاندى .

وخلاصة الواقعة التى دارت حولها مسرحية (إله رغم انفه) أن بين المؤمنين بالهندوكية وربما كلهم يؤمنون بان الإله كرشنا يحل كل بضعة أعوام فى جسم واحد من عظماء الناس ، وان أخر من حل فى جسده كان (جواهر لال نهرو) ولذلك فقد أقاموا معبدا ملأوه بتماثيل (نهرو) وراحوا يتعبدون له ، ولما كان (نهرو) أقرب إلى العلمانية منه إلى التدين فقد بادر بإرسال إشارة إلى مدير الأمن فى المنطقة التى اقيم فيها المعبد الذى وضعوا فيه تمثاله بوصفه النسخة الحديثة للإله كرشنا ، ليحطم التماثيل ويقفل المعبد ويطرد الرهبان المتعبدين له .

وقد استغللت هذه الواقعة ، واضفت إليها مشاهد ذهب فيها نهرو بنفسه إلى المعبد وانتهز فرصة حلول الليل واختبأ بين تماثيله وراح يحطمها بنفسه ، فاستيقظ على صوت سقوط التماثيل الرهبان ورئيسهم وطاردوا الدخيل الذى اقتحم عليهم المعبد ، وفوجئوا بان هذا الدخيل هو الإله نفسه اى نهرو ، الذى تجسد فيه الإله كرشنا ، ودار بين

الفريقين : الرهبان من جهة ، ونهرو من جهة أخرى حوار هو جوهر هذه المسرحية .

فالرهبان حينما رأوا انقسام أمام الإلههم (نهرو) وحاروا كيف يتصرفون. فنهرو الإلههم الذى يجب أن يحترموه ، ويحترموا أوامره وتوجيهاته ، وقد أمرهم بأن يغادروا المعبد ، ويحطموا التماثيل ، ويكفوا عن هذه العبادة . وإذا هم أطاعوه ، فإنهم سيخرجون على مقتضى إيمانهم . وإذا هم خالفوه فقد عصوا الإله ، فوجد رئيسهم أن خير حل للخروج من المازق هو أن يتوجهوا بأسئلتهم إلى نهرو لماذا يرفض أن يكون النسخة الأخيرة من كرشنا ، فدار بينهم حوار بين فكرة الدين ، وفكرة المادية التى يؤمن بها نهرو ويبشر قومنا بالسياسة والعمل السياسى والحرية السياسية والانتخابات الحرة . وهم يؤمنون بالإله الملهم ، والعقيدة المقدسة . التى تقود خطوات الناس إلى الرحمة والمحبة المتبادلة والتسامح والرفق وطلب الهداية من الإله الذى يشمل جميع عباده بعطفه ورعايته وإرشاده . هذه المسرحية التى تخيلت وقائعها تكاد تكون صورة طبق الأصل من حياة الرائد الروحى ، الهندى الكبير ، (جيدوكرشنا مورتى) الذى توفى فى كاليفورنيا منذ فترة وجيزة .



جواهر لال نهرو



راجيف غاندى

● رائد روحى ●

ولد (جيدوكرشنا مورتى) فى إحدى قرى جنوب الهند سنة ١٨٩٥ ، وكان ابنا لموظف هندى صغير فى إحدى الشركات البريطانية ، وكان لرب هذه الأسرة التى تضم مع جيدو تسعة أبناء ، وقد تقاعد

إله رغم أنفه

هذا الموظف عن عمله بالشركة ، وانضم الى جمعية روحية غربية كانت واحدة من جمعيات (الثيوصوفية) التى بدأت تنتشر فى أوربا وامريكا ، وغايتها الترقية الروحية لاتباعها بالقراءة والتأمل والإيمان بالجانب الروحى للإنسان . وقد وقع نظر أحد زعماء هذه الطائفة ، على (جيدوكرشنا مورتى) يتوسم فيه أن يكون رائدا روحيا لهذه الطائفة ، يتمتع بطاقة روحية عظيمة ، وقدرة على القيادة والتأثير الروحى على التلاميذ والمريدين ، بل اعتبره المسيح الجديد الذى تنتظره الانسانية لينقذها من الويلات والمتاعب التى تصادف الانسانية وتلاقيها . وقد صرفت على هذه النبوءة السيدة انى بترايث رئيسة جمعية الثيوصوفية فى بريطانيا ، وقررت ان تعد (جيدوكرشنا مورتى) لهذه الرسالة العظيمة ، فارسلته إلى لندن سنة ١٩١٢ ، ليتلقى من العلم أرقاه وليتوفر على إعداده وتهيئته أساتذة كبار متخصصون فى كل فرع ودرب ، ليخرجوا من هذا الشاب الهندى معلما روحيا لا لاتباع الجمعية التى اختارته بل للانسانية كافة ، وتلقى جيدو العلم الذى اختير له .

وتولته طائفة الأساتذة التى قامت على تنشئته ، وخرج من هذه المرحلة الفريدة من التثقيف والتدريب والاعداد شابا ، ولم يقف الاعداد والتدريب ، عند الثقافة العقلية ، والدراسة العلمية والاحاطة بعلم النفس والتاريخ ، واللغات ، بل اختصها مدربوه بالجانب البدنى منه ، فاصبح سباحا ممتازا ، وراكب دراجات بخارية متفوقا ، ولاعب تنس وجولف نادرا ، وعاد إلى الهند ، وعرش الريادة او قل عرش الالوهية ينتظره فهل يملؤه . هذا المسيح المنتظر ، وتدخل فى دعوته او دينه الجديد الآلاف ، وتاخذ الدنيا ثوبا جديدا ، تطرح بعده جميع ما لبسته من اردية ، وتلج الانسانية عالما جديدا ، يختلف عن العالم الذى تعيش فيه الملىء بالصراع والأطماع والمخاوف والاوهام غير الحقيقية التى تدفع بالملايين للبحث عن السعادة فيما يشقى ، وعن الحقيقة فيما يعتل وعن القوة فيما يضعف يتهيأ أتباع المسيح الجديد ، لاستقبال مسيحهم ، وعاملوه كإله ، وظنوا انه سيعاملهم هم ، شيئا فشيئا كما يعامل الإله اتباعه ولكن جيدوكرشنا مورتى ، كان رجلا صادقا ، قبل ان يمر فى جميع مراحل التهيئة ـ التى ادخلوها فيه ، وان يتلقى العلم الذى وضعوه له ، والرياضيات التى ارادوا ان يكملوه بها ، فأصبح الانسان المثالى فى نظرهم عقليا وجسديا ، ولكن الحقيقة التى إنتهى إليها ، غير الحقيقة التى رشحوها له ، وانتقوه من اجلها ، فبدلا من ان يكون الإله المطاع المعبود آثر ان يكون الانسان البسيط الذى يسعى طوال حياته ليزداد تواضعا ، وشعورا بالعجز ، وبالحاجة إلى التأمل والتبصر والإدراك ـ ورأى الطريق المؤدى إلى الحقيقة ليس طويلا فحسب ، بل راه بغير نهاية ، ورأى ان الاقتناع بلا

نهاية . وان كل خطوة يخطوها تؤدى إلى عشرات بعدها بل مئات بل الاف هو فى واقع الامر . جوهر رسالة الانسان المؤمن بالحقيقة والذى يجرى وراءها ، ولم يفت مسلك (جيدو كرشنا مورتى) فى عزم اتباعه ومريديه وفى مقدمتهم انى بترايث (زعمية) (الثيوصوفية) ، ولم تكن انى بترايث مجرد سيدة مثقفة ، وصاحبة مكانة ادبية ، أو مدرة خطابية ، بل كانت فى واقع الامر شخصية روحية فذة ، لو اعلنت أنها مرسلة من عند الله ، وانها صوته ، أو أنها المبشرة لديانة جديدة لآمن بها أتباعه الذين يعدون بالملايين وهم منتشرون فى أوربا وجميع القارات الأخرى ، فالذين سمعوها تخطب ، رأوا كيف كان الألوف يستمعون إليها ، فى صمت عميق واندماج معها فيما تدعو إليه ، حتى يذهلوا عن أنفسهم .

وقد صحبت انى بترايث جيدو كرشنا مورتى إلى رحلات واسعة النطاق فى الهند وفى أوربا وفى استراليا وفى كل اجتماع يحضره (جيدو كرشنا مورتى) يتقاطر الالاف ويتجهون إلى المنصة بعيون شاخصة وشفاههم مطبقة حتى إذا أخذ مكانه ، شملهم سكون عميق ، ناطق بالتقديس والإيمان ، لقوة هذا القادم إليهم ، تحوطه هالات من الإيمان به والتصديق برسالته ، وقد تولى (جيدو) رئاسة مؤتمر الثيوصوفيين العالمى سنة ١٩٢٤ ، لمؤسسة نجمة الشرق التى أسستها انى بترايث لتضم اتباع جيدو كرشنا ، وفى هذا المؤتمر اعلنت أنى بترايث إن القادم قد اتى .. اى ان المسيح المنتظر قد حضر .

● صراع شريف ●

وقد مر جيدو كرشنا بعد هذا التأليه فى أعظم واقدس صراع شريف مر به صاحب فكرة صادق ومخلص للانسانية كلها ـ انه يرى الألوف تسجد له ، وتحفظ كلماته التى ينطق بها ، ولو خلت من المعنى ، وهؤلاء جميعا قوم مخلصون وصادقون ، وينتظرون الخلاص على يديه والنجاة بما يضربه من مثل ، بما يسلكه من طريق وماينصح به من إيمان فماذا يفعل ، هل يفجع هؤلاء الطيبين البسطاء باعلان الحقيقة ، هل يقول لهم انهم يتبعون رجلا مثلهم وانه ليس لديه مايقدمه لهم ، إلا اعلانه الصريح الصادق بأنه باحث عن الحقيقة مثلهم ، لايمتاز عنهم إلا بالثقة التى يضعونها فى شخصه ، وعقله وتجربته ، ولكنهم أسرفوا فى هذه الثقة وبالغوا فيها ورفعوه فوق قدره .

وقد كان يزيد من حزن جيدو انه يعلم أن الجماعات المنافسة للثيوصوفية ، تتهمه بانه دجال ، وهو يحس بأن هؤلاء معذورون لأنهم لايعرفون مايدور بداخله .

ولايعرفون أن ماينسب اليه من معجزات ، وخوارق ، لا يد له فيها ، وانه يود ان يضع لها حدا ، ولكن جهوده تذهب سدى . ان محنة جيدو ، تتناقض مع اكثر المحن التى يمر بها الدعاة الآخرون ، فأكثر الدعاة لايجدون عند الناس التصديق والثقة وهو يحاول بكل قدراته وطاقاته ان يؤكدها ، لخدمة الفكرة التى يؤمن بها ويدعو اليها فلا أمل فى عمل يتم ، ولا فى تغيير يتحقق إلا بإيمان

إليه رغم أنفه

الاتباع وتزايد عددهم وتعمق إيمانهم . ولكن الإيمان الذى يجده عند اتباعه ليس هو الإيمان الذى يؤمن به فى قرارة نفسه . فالإيمان بالانسان غير الايمان برجل ات من السماء ، طاقاته غير بشرية ، وقدراته لانظير لها ولاسابقة . وهذا الصراع جدير بان يدرس وتكتب له الكتب والمجلدات ويعلق عليه الفلاسفة والمفكرون ويستلهمه الشعراء والقصاصون .

وقد وقعت اكبر تجربة روحية فى القرن العشرين حينما اعلن جيدو انه ليس مسيحيا ، وانه لايريد حواريين ولا اتباعا ولا تلاميذ فوقفت انى بترايث تعلن انها تؤمن به ، على الرغم من كلماته .

والمثير هو تصريحه وحله لمنظمة نجمة الشرق ، وان دعوته لكل انسان بان يبحث عن الحقيقة بنفسه فى طريق المسيح الجديد ، الذى يدعو فيه الناس الا يصيبهم الكسل الروحى ، فيحسبون ان الحقيقة ستأتيهم وهم مسترخون على الارائك ، وكان التضييق الروحى على جيدو بالتصديق انه مسيحيا سبيلا الى مزيد من نضجه وإدراكه الروحى ومعرفته لنفس الانسان فعلا ثورة عند أهل الفكر ، حتى قال راجيف غاندى زعيم الهند ، عند وفاة جيدو إن الدنيا بعده اسوا مما كانت .

ولكن هذا الصراع القاسى المؤلم ، الذى كابده جيدو كرشنا مورتى لم يمض بلا فائدة .

فقد التفت كثير من المفكرين الى اسلوبه ، ولمعت فى سماء الفكر الانسانى بوارق من **فلسفته الصادقة** ، وإيمانه العميق ، **واحتل المكانة التى خلق لها** بالفعل ، مكانة **المؤمن الصادق** الباحث عن الحقيقة ، **والذى يعرف انه** إنسان بسيط ، **ولذلك فانه انسان** عظيم .

من التراث القديم

كيف تختار زوجتك ؟

سئل أحد الفلاسفة كيف تختار زوجتك ؟ فقال : « اريدها ليست بالجميلة فيطمع فيها غيرى ، ولا بالقبيحة فتشمئز منها نفسى ، ولا بالطويلة فارفع إليها هامتى ، ولا بالقصيرة فاطأطىء لها رأسى ، ولا بالسمينة فتسد علىّ منافذ النسيم ، ولا بالهزيلة فأحسبها خيالى ، ولا بالبيضاء فتكون كالشمع ، ولا بالسوداء فتكون كالشبح ، ولا بالجاهلة فلا تفهمنى ، ولا بالفيلسوفة فتناقشنى الحساب ، ولا بالغنية فتقول : « مالى ودخلى » ، ولا بالفقيرة فيشقى من بعدها ولدى » .

○ قصة قصيرة ○

زينب

بقلم : سليمان فياض

لم تكن حولنا في العمارة، ولا في العمارات المحيطة بها ، شقة واحدة ، ليس فيها خادمة . وربما كان بها خادمتان احداهما كبيرة ، والاخرى صغيرة تحت التمرين ، حتى اذا تزوجت الكبرى يوما ، حلت الصغرى ، وتكون قد شبت ، محلها .

كان ذلك أمرا مألوفا ، وكان مألوفا أيضا ، ومعتادا ، وبصورة يومية، أن يدق جرس الباب ، أو يطرق ، ونجد خادمة لدى سابع جار ، بسابع دور تطلب ليمونة ، أو بصلة، او ابرة ، او ملعقة بن ، لسيدتها ، وربما لأن الخادمة مرهقة ، أو تكاسلت عن الذهاب للشراء ، وربما لأن سيدتها تفضل ، من باب التوفير سلف ابرة عن شرائها .

ومع أننا نعيش في بيت صغير ، أنا ، والزوجة، وولد ، وبنت ، واعتدنا الحياة بلا خادم (الخادمة) ، ومع أن زوجتي سيدة بيت بمعرفة [illegible] الكامل ، لقد دارت لزوجتي أن يريها عن الاخرى [illegible] تحت [illegible] ومن بين [illegible] لسال . ومع انها سابقة [illegible] وراحتها ، لقد تزوجت بقرارها، وصار لزاما على أن أبحث لها عن خادمة . ووطنت الأمر على نفسي بأنني سأستريح من شراء مطالب البيت اليومية والاسبوعية ، وبأنها ، زوجتي ، ستجد من تتأمر عليه طول النهار ، ليكنس ويمسح ، وينظف ، ويلمع الخشب، ويحاسب حساب [illegible] من السوق ، ويحمل وراءها

السلة لتشتري هي كبيدة معزولة ، وتبعث به الى جارة تستلف منها شيئا لم تريده مثلما تسلف هي، لا لسلف دين ، ورد الدين واجب .

ومر شهر ، وشهران ، [illegible] ، لزوجتي ، [illegible] من الوصول الى خادمة ، فقارت ، فقررت [illegible] أن نحاول [illegible] أقدر على مثل هذه الامور مني ، وانما افضل القيام بدور الخادمة في السوق ، على ان اتفق رأسي بأمرها ، وصمتت زوجتي غاضبة .

وبالفعل ، ظهرت زوجتي بخادمة ، لا أعرف كيف ، ولا من جاء بها اليها من الجيران ، أو البوابين في عمارتنا ، أو في العمارات المحيطة ، حدث ذات نهار

من عملى ، لوجدت خادمة فى بيتنا . حين رأيتها ، تجاهلتها عن عمد ، فقد أشفقت على نفسى ، وعلى الخادمة من غيرة الزوجة . اذا - وقعت على الخادمة عينى . وقالت لى زوجتى بعض عبارات ، لم أنتبه لها ، أو ربما تظاهرت بعدم الانتباه ، وعلى اى حال ، فانا لا اذكر الآن ما قالته لى عنها .

على الغداء ، جلسنا مثل أولاد الأصول من أصحاب البوتيك ، الى المائدة ، وراحت الخادمة وجاءت ، تحمل أطباقا ، وترفع أطباقا ، والارغفة وظلت واقفة الى جانبى ، سألتها عن إسمها ، وأين كانت تعمل من قبل ، فعرفت منها ان اسمها زينب ، وانها كانت تعمل حاملة « مونة » وتصعد « السقالة » ، بالعمارات التى تبنى بمدينة الزقازيق ، وكانت تقرن كل اجابة بكلمة « سيدى » فى حوارها موجهة الخطاب الى . وربما كان الحديث والالفة ، وجو الطعام ، وصمت الزوجة ، وانشغالها بالاكل ، هو الذى جعلنى

أضع عينى فى وجه زينب ، فى نظرة عابرة ، وشاملة . بدت زينب ربانة الشباب ، كبطة ، سمراء ، فارعة العين ، تتراقص فى وجهها إبتسامة لا مبالية ، لا استكانة فيها ، مثل هذه الاستكانة المعتادة فى وجوه الشغالات . كانت بارزة الجبهة قليلا ، وفى جبينها اثر جرح ، كأنه ضربة سكين . وانقبض قلبى .

لقطت زوجتى نظرتى العابرة ، فقالت لزينب .

- اذهبى الى المطبخ .

وذهبت زينب ، واحسبها كانت تتثنى فى مشيتها ، فقد جاوزت فيما اعتقد الثامنة عشرة من عمرها .

حين تمددنا على السرير لقيلولة العصر ، وتدردت زوجتى باب الغرفة على غير عادتها من قبل ، قالت لى زوجتى متسائلة :

- ما رأيك فيها ؟

- قلت باختصار :

- تبدو لى بريئة ، وربما بستر .

قالت زوجتى انه لا دخل لى بها ، فهى التى جاءت بها ، وقالت عنها انها خام ، لا خبرة لها بخدمة البيوت ، ولكنها ستعلمها كل شىء . ولزمت الصمت تحسبا من قول اى تعليق .

وبدأت زوجتى مع الأيام والاسابيع ، تشكو من زينب ، وأنا اتصور انه لا توجد سيدة لا تشكو من خادمتها ، ولا خادمة لا تشكو من سيدتها ، تشكو من أن زينب بطيئة الفهم ، أو تدعى بطء الفهم ، وتشكو من انها توسخ اكثر مما تنظف ، وتغالط فى حساب المشتريات من السوق ، وانها وجدتها تخبىء اوراقا نقدية صغيرة ، فى خرق صغيرة ، وتشكو من انها تخرج وتلعب ، وتعاكس طوب الأرض : بائع الخضار ، والمكوجى والبقال ، وانها تناحرها وتكايدها . واكدت لى زوجتى أنها ستربيها ، وتعلمها الأدب ، ولم اقل لها شيئا . استمعت ، ولزمت الصمت ، حتى لا تسىء فهم اى قول اقوله ، ان دافعت عن زينب ، وطلبت منها الصبر عليها ، لانها طفلة ومسكينة ، وان اخطأت الامر جدا ، وطلبت منها طردها ، والخلاص منها .

واعتدت أن أرى زينب وهى تمسح البلاط ، وتكشف عن عمد ، عن أجزاء من جسدها ، وهى تقف وهى تنحنى ، وهى تروح وتجىء .

ـ وتجاهلت ذلك ، وتجاهلت الحديث عنه لزوجتى ، فانا أعلم كم هى النفس البشرية غلابة وتهارة ، سواء أكانت هذه النفس نفسى أم نفس زينب أم نفس زوجتى .

وعدت الى البيت يوما ، فرأيت زينب واقفة أمام تسريحة سيدتها ، لتتزين وتتعطر مثلها ، وحين رأتنى ، فى المرآة ، التفتت الى ، وقالت بعفوية وطفولة بالغة .

ـ بذمتك ياسيدى . لو تزينت ، ولبست ، الا أكون مثل اى سيدة أخرى !

ـ كدت أن أضحك ، لكنى نهرتها ، وقلت لها

ـ أزيلى هذا الهباب من وجهك . لو رأتك سيدتك ستذبحك !

فمصمصت زينب شفتيها وكأنها تقول فى سرها : هباب !

لماذا تقسمه هى ! وراحت تمسح ما تزينت به ، وسارعت تغسل وجهها بالصابون .



زينب

ولم ارو ما حدث لزوجتى خشية ان تظن بزينب الظنون ، وتطردها فى ثورة غضب ، لجرأتها على ما يخصها ، وتطلعها الى مقامها . وتظل ذكرى ما قلته كامنة فى نفس زوجتى ، تثير شكوكها ، ومن يدرى قد تدعى على زينب ما لم يكن . وقلت لنفسى :

الصمت رأس الحكمة.

وبدأت زوجتى تلاحظ تناقص اشياء من البيت الشاى والسكر ، والبن ، وراحت زوجتى تراقب دخولها وخروجها عبثا ، حتى جاءت من تخبر زوجتى بانها رأت زينب تبيع شيئا ، لبعض الفقراء ، فى البيوت الشعبية بالحارات القريبة ، التى تحيط بها العمارات الشاهقة، تجميلا للمدينة واخفاء لها من العيون .

وشددت زوجتى الرقابة على زينب، وباتت مراقبتها نهاراً وليلاشغلها الشاغل، ومع ذلك ، نجحت زينب فى تسريب حقيبة جلدية لى من البيت ، وبيع صف من المجلات للروبابيكيا .

ولم تمتنع زوجتى عن ضرب زينب ، حتى اقرت ووعدت الا تفعل ذلك مرة أخرى . ولم تطردها زوجتى،وظلت محتفظة بها ، لا ترفع عنها رقابتها .

واعتادت زينب مع الوقت الرغى مع خادمات العمارة والعمارات المقابلة، والحديث الى السيدات الجارات فى كل العمارات، حتى كسرت يوما خزان مياه الحمام ، ووقفت فوقه ترغى كعادتها ، مع خادمات الجيران ، بصوت زاعق، عبر نافذة تطل على المنور ولكثرة حركتها انكسر الخزان ، وعادت زوجتى، وفاجأتها ، تنزل من فوقه، وعندئذ إتخذت زوجتى قرار طرد زينب، وانتظرت عودتى .

أعطيت زينب ما توفر لها لدى من اجور شهور، واجرة العودة الى الزقازيق ، واكدت لى انها تعرف الطريق الى محطة السكة الحديد بميدان رمسيس، وفتشت زوجتى ثيابها ، ولفة تحملها .

وعندئذ سألت زينب عن سر هذا الجرح فى جبينها. فقالت لى ببساطة وهى تضحك ، كان امرخروجها من بيتى لا يعنيها للحظة.

— ضربة سكين . ضربنى بها واحد من «النواعلية» فى مبانى الزقازيق ، واضافت :

— يوه . ياما شفت ياسيدى .

وقالت زوجتى وهى تنهرها :

— اذهبى، انت ستحكى لنا تاريخ حياتك .

— وخرجت زينب قائلة :

— اشوفك بخير ياسيدى

كان اليوم « يوم جمعة. رأيت زينب مرة أخرى بعد شهرين ، كانت تحمل سلة ، وتسير وراء سيدة جديدة تسكن عمارة قريبة على الكورنيش . واذ حاذيتها ، فوجئت بصوتها يقول :

— ازيك ياسيدى .

مرفتها عندئذ . قلت لها همسا ، وسيدتها تسير أمامنا ؟

ـ لم تسافرى .

فأشارت الى سيدتها الجديدة فى صمت ، واسرعت مبتعدا . وتذكرت انها قد رتبت جيدا ليوم خروجها من بيتى ، مع سيدات الحى ، وانها قد غادرت الزقازيق، ولن تغادر القاهرة عائدة الى اهلها قط . فالخدمة فى البيوت على هوانها ارحم من العمل الشاق . فى حمل المونة ، وصعود السقالات وضربة سكين ، لم اعرف منها سببا لها ـ وحين اخبرت زوجى بانى رايت زينب لدى سيدة ، فى عمارة على الكورنيش ، لم ترد على أن قالت :

ـ فى داهية . لا دخل لنا بها .

واكدت انها لن تدخل يوما بيتها خادمة »

ونسيت أمر زينب ، ولم أرها نحوا من عامين الى ان كنت واقفا ذات يوم امام عمارات ضخمة مليئة بشقق التمليك بالسباح ، اتسير الى تاكسى . وفوجئت بسيارة مرسيدس ، فاخرة تقف بجانبى ، وبابها يفتح ، وبصوت يقول لى :

ـ تفضل ياسيدى .. اوصلك .

كانت العربة سوداء ، لمعتها بحشرات الاوقف ، فانزعجت للحظـة ،

وانحنيت انظر الى صاحبة الصوت . كانت امامى سيدة فاخرة الملبس ، والماكياج . تكرر قولها :

ـ تفضل ياسـيدى اوصلك . الا تعرفنى ؟

وضحكت [illegible] الجرح بانوار الماكياج فى الحب ، قلت :

ـ [illegible] زينب ؟

فقالت ضاحكة :

ـ نعم ياسيدى . اركب اوصلك . لا تخف .

قلت لها :

ـ تعلمت السواقة ؟ متى ؟

فقالت :

ـ سيارتى . [illegible] ؟!

ومدت لى يدها برخصة القيادة ، كان بها اسمها .. وكانت مهنتها ، سيدة اعمال !

وجاءنى صوتها تقـول يزهو من [illegible] ما يملك :

ـ اركب حتى لا ادفع مخالفة .

اعتذرت لها ، وربمـا اكون فى ذهولى تذكرتها، فاغلقت الباب وهى تضحك وقالت :

ـ انت حر

وداست على البنزين ، وذهبت بسيارتها ، وحين عدت الى البيت ، [illegible] ما حدث، وما رأيت من عجب لزوجى ، وضربت كفا على كف ، وقلت :

ـ فى عامين . تصورى.

فقالت لى زوجتى :

ـ دعك بتحريفه وتأليفه. انت دائما تحلم ، وترى مالم يحدث »

التمست لها . وما زلت التمس ، لكن زوجتى؟! ابدا لا تصدق .

أسرار من حياة شاعرة

بقلم : كمال النجمى

فى سلسلة « كتاب الهلال » صدر كتاب « صفحات من حياتى » للشاعرة المصرية المشهورة السيدة جليلة رضا.

عرفت الشاعرة منذ اثنين وثلاثين عاما ، او أكثر قليلا ، عندما أخذت تتردد على مجلة « العالم العربى » بعد انتقال رئاسة تحريرها من الاديب الشاعر الاستاذ سيد قطب الذى صار داعية دينيا بعد ذلك ، الى الصحفى المعروف، الاستاذ اسعد حسنى ..

ولما عرفنى بها اسعد حسنى قال مداعبا اياها : انها شاعرة « ناشئة » سارت خطواتها الاولى فى الشعر على يد صديقنا الدكتور ابراهيم ناجى رحمه الله .

وكان ناجى يتحدث عنها حين كان يعمل معنا سنتى ١٩٥٢ و١٩٥٣ فى صحيفة « الجمهور المصرى » بعد عزله من وظيفة بوزارة الاوقاف فى حركة التطهير الكبرى ، التى أجريت فى المناصب الحكومية حينذاك . وكانت « التهمة » التى عزل بسببها هى « قلة الانتاج » ! .. وكان ناجى يسخر من « قلة الانتاج » هذه ويقول : « انا طبيب ، فكيف ازيد من انتاجى؟.. هل أنتج المرضى أو ازيد المصابين فى الحوادث !؟ » ..

وقد مات ناجى فى مارس سنة ١٩٥٣ من فرط تأثره باخراجه من عمله الحكومى ، وحزنت عليه جليلة رضا ، ووجدت نفسها فجاة بلا أستاذ يأخذ



بيدها فى بحور الشعر العاصفة ! ..

كانت جليلة رضا حين رأيتها سنة ١٩٥٤ قليلة الكلام ، تضع على وجهها قناع اكتئاب فتبدو أكبر من سنها برغم جمالها الشركسى الواضح الخالى من كل تجميل .. واذا تحدثت كان نصف كلامها عن ابنها الذى أصيب بمرض عقلى وأفسد عليها حياتها وهى مطلقة وحيدة فى الدنيا ..

وكان من عملى الذى أقوم به مجانا فى « العالم العربى » نظرا للصداقة الحميمة بينى وبين رئيس تحريرها ، أن أنظر فيما يرد اليها من القصائد قبل ارسالها الى المطبعة ، فكنت أجد فى شعر جليلة رضا موهبة شعرية ينقصها سعة العلم باللغة ، ويعيبها أحيانا خلل فى بعض الأوزان ..

كانت « ناشئة » فى الشعر على حد تعبير أسعد حسنى - رحمه الله - مع أنها كانت قد جاوزت الثلاثين بسنوات ..

ثم أغلقت أيام « العالم العربى » وانقطعت قراءتى لشعر جليلة رضا ، الا من قصائد كنت التقى بها فى هذه المجلة أو تلك من حين الى حين ، فيدهشنى أنه ينضج بسرعة وأن الشاعرة « الناشئة » قد اشتد عودها ونبغت فى الشعر كالنابغة الذبيانى فى سن الأربعين أو بعدها بقليل ، حتى صارت من أبلغ الشاعرات العربيات المعاصرات بيانا ، وأصحهن أوزانا ، وأصبحت أحسن الشاعرات المصريات بلا جدال ..

● رحلتها مع الابداع ●

وكتاب جليلة رضا الجديد دليل آخر على نضجها الشعرى والنثرى والفكرى ، وانما فيه سطور ، بل صفحات تعد من الشعر المنثور الفائق ، ومن البيان البليغ الذى لا يتفق الا لفحول الكاتبين ..

وهذا أيضا يتفق لها فى الشعر ، فان فى شعرها قصائد نادرة المبنى والمعنى ، عميقة الشعور ، بديعة التصوير ، تستحق بها هذه المنزلة التى بلغتها بين شاعرات عصرها .

ويمكن القول بأن الشعر المصرى النسائى المعاصر الذى كانت بدايته عائشة التيمورية ، قد بلغ غايته عند جليلة رضا .. ◀

أسرار من حياة شاعرة

ولعلها احست انها بلغت غايتها فى الشعر ، وانها توجت نفسها بعد هذا العمر الطويل فى الشعر ، فجلست على كرسى الاعتراف ، تحكي شذرات من قصة حياتها ، اسوة بمن سبقنها الى ذلك من شاعرات الغرب واديباته وفناناته .. وما اكثرهن ..

ان جليلة رضا توحى الى قارىء كتابها بلهجتها الناعمة أنها تعترف له بكل شىء ، مع انها لا تخفى عنه انه لا يمكن الاعتراف بكل شىء ..

والحقيقة أن حياة جليلة رضا أغنى وأعمق مما روته فى كتابها ، ولو روت كل شىء ، او شيئا من كل شىء ، لكان كتابها هذا أحد الكتب العالمية فى باب الاعترافات ..

ولكنها على كل حال امرأة « شرقية » بالمعنى الذى يعنيه الافرنج من كلمة « شرقية » حين يتحدثون عن المرأة المصرية والعربية بوجه عام ..

● قصص حب مشتعلة ●

بدأت القلاقل فى دخيلة نفسها حين الحقها أهلها بمدرسة داخلية للراهبات ، فهذا جو غير طبيعى لتنشئة فتاة مسلمة ، زادها انفلاتا فى مشاعرها العميقة برغم احتفاظها بكل مظاهر السلوك الاجتماعى السوى ، الذى يبلغ حد الوقار !

وراء هذا الوقار قصة حبها الاولى الصبيانية ، والقصص التالية ، حتى اذا دخلت مضمار الشعر ، صارت موردا عذبا كثير الزحام ، فى ذلك المجتمع الذى كان قبل ثلاثين عاما يبهره أن يرى المرأة فى الندوة



د . ابراهيم ناجى

الشعرية وبخاصة اذا كانت فى جمال هذه الشاعرة وخبرتها بمشاعر الرجل والنساء ودماثة معاملتها للقريب والغريب ..

وكنت ارى اسعد حسنى مشغولا بمحاولة ترويج جليلة رضا ، فقال لى يوما : ما رأيك فى صديقنا الشاعر فايد العمروسى زوجا لجليلة ؟! ..

كان فايد العمروسى قد اكمل بعثته فى باريس وعاد الى القاهرة فى وظيفة كبيرة بوزارة المعارف ، وكان شاعرا حسن الشعر ، درعميا قديما ، ساخطا على ايامه فى باريس لاسباب نضرب عنها صفحا .. فلما رأى جليلة رضا اعجبته وتكلم عنها مع أسعد حسنى ، وخيل الينا انه سيتزوجها من فوره ، ولكنه - فيما يبدو - لم يتم مشروع زواجه هذا ولعل جليلة رضا لم تشر اليه فى كتابها لانها تراه حدثا عابرا فى حياتها ..

وقد اشارت الى الشاعر « م . ف . وهو صديقنا الشاعر محمد الفيتورى ، الذى كان حريقا مشتعلا فى الحب ، وكان له فى جليلة اشعار من نار ، وقصص اكثرها من نسج خياله ، اذ كان شابا صغيرا مشبوب الخيال فى تلك الايام .. وقد رأيت بعينى ومعى



عبد الله شمس الدين

اسعد حسني معارك الكر والفر ، والشد والجذب ، في محاولاته الزواج من جليلة ، ولكن كل شيء بينهما انتهى الى لا شيء ، وكان هذا اللا شيء بقية من رماد حب عنيف تحول الى حقد اشد عنفا ! ..

أما الشاعر الديني عبد الله شمس الدين - مؤلف نشيد الله أكبر - الذي تشير اليه في كتابها بحرف « ع » .. فكان من الجلى في أمره أن حبه لها وزواجه منها الى انتهاء عاجل .. وقد كان ..

وقد أظهرت جليلة رضا مع زوجها الاخير الصحفي محمد السوادي - رحمه الله - فضيلتها « الشرقية » في الحفاظ على الزوج والبيت ، تلبية لداعي المروءة والوفاء ، بالرغم من زوال الاسباب التي قام عليها هذا الزواج ، فلبثت ترعاه حتى وافاه الاجل المحتوم .. يرحمه الله ! ..

لقد عاشت جليلة رضا حياة صعبة كان من الممكن ان تقضي على احاسيسها الشاعرة ، أو تمنعها على الاقل من الاستمرار في قول الشعر ، ولكنها خرجت من مأساة ابنها الذي مات اخيرا ومن مآسي أزواجها الثلاثة الذين رضيت ان تذكرهم في كتابها ، وقد ماتوا واحدا بعد الاخر .. خرجت من هذه المآسي كلها ، ومعها عشرات من المآسي الاخرى ، وهي محتفظة برغبتها الحارة في الالتصاق بالشعر وعدم مفارقته لانها وجدت فيه معنى حياتها ، ولا حياة لها الا تحت جناحه ..

وقد اخفت في كتابها اسماء الرجال الذين التقت بهم في حياتها بعد طلاقها الاول ، ما عدا ابراهيم ناجي استاذها في الشعر الذي استظلت به وابتردت من حرارة الخطوب ..

وسمحنا لانفسنا هنا ان نذكر بعضهم بالاسم ، لان من حق تاريخ الشاعرة أن يعرفهم قراؤها ، وحسبها ما كتمت من الاسماء الاخرى ..

ولن تكون اعترافاتها هذه اعترافات بمعنى الكلمة اذا قورنت باعترافات اترابها الاوربيات والامريكيات ، اذا كانت « الحروف » هي كل حصيلتها من اسماء الرجال .. ولاشك انها قرأت في الفرنسية وغيرها الاعترافات التي لا تحصى للاديبات الغربيات اللاتي لم يتركن شاردة ولا واردة ..

واعترافات جليلة رضا ، تتستر وراء الحياء والخفر ، برغم ما تتصوره من انها قد هتكت كل الاستار ، ولكنها في الوقت نفسه - تعد أول « اعترافات » من نوعها تتقدم بها امرأة « شرقية » .. ولن تجد في العالم العربي كله امرأة تجرؤ على مجاراة جليلة رضا في هذا المضمار ، بالرغم من جرأة الكثيرات على الادلاء بدلوهن في « الادب المكشوف » .. ولكنهن هنا يتحدثن بضمير الغائب ، وهن يقصدن انفسهن ، اما جليلة رضا فتحدثت بضمير المتكلم او المتكلمة ، وهي تقصد نفسها ، وان كانت قد اسدلت سترا على ما كشفته ، من اسرار هذه النفس الشاعرة العميقة الشعور ؟

رحمة الله عليها

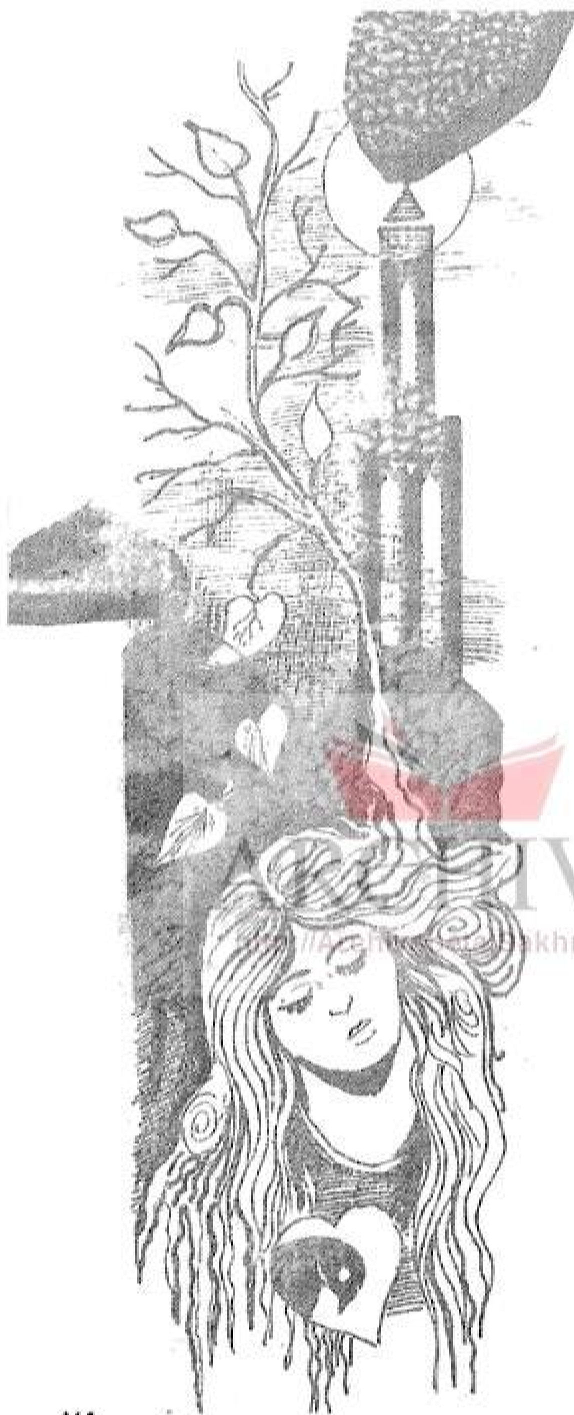
شعر : أوسكار وايلد • ترجمة : محمود محمد شاكر

نشرت مجلة المقتطف ، في عددها الصادر في ديسمبر عام ١٩٣٤ ، هذه القصيدة التى كتبها الاديب البريطانى المشهور اوسكار وايلد في رثاء محبوبته ، والتى تولى ترجمتها ، الاديب « الشاب » في ذلك الحين ، وعضو مجمع الخالدين حاليا ، الاستاذ محمود محمد شاكر ، وقدمت لها بالمقدمة التالية :

عنى محمود محمد شاكر بنقل هذه القصيدة نقلا حرفيا ، وتوخى علاوة على ذلك ان يكون في الترجمة العربية شيء من الايقاع الموسيقى المعهود في الشعر المرسل باللغات الاجنبية .

ونضيف الى ما قالته المقتطف ، ان هذا الايقاع يشبه ايضا ، مانجده حاليا في الشعر الحر .. فهل كان الاستاذ شاكر بهذه القصيدة المترجمة ، واحدا من رواد هذا الشعر ، دون ان يدرى هو او النقاد ؟

نترك الاجابة على ذلك لهؤلاء .. بعد ان يقرأوا القصيدة ..



خفف الخطو
انها قريب
تحت الغريب « ١ »
واخفض الصوتا
انها تكاد
تسمع النبتا
وهو ينمو
وفرعها الجثل
يلمع كالتبر
خبا به الصدا
تلك التى كانت
غريرة طفلة
قد ضمها التراب
زنبقة كانت
بيضاء كالغريب
ما علمت يوما
بأنها انثى
فشب عودها
فى رقة ولين
هذا هو التابوت
والحجر الصلد
يقسو على الصدر
دعنى انا وحدى
اعزى القلبا
فانها ترتاح
صه صه صه
لن تسمع الغناء
ولاحنين الناى
كل منى حياتى
مدفونة هنا
سنوا عليها الترب

١ ـ الغريب هو الثلج

رجال

فى حياة

مارلين مونرو

حسين قدرى


فرانك سيناترا







● هل قامت بين النجمة السينمائية والرئيس كينيدى أية علاقة من أى نوع ؟


آرثر ميلر

٨٠

كانت اشهر امرأة فى العالم كنموذج للمرأة الساحرة الفاتنة رائعة الجمال ومعبودة جماهير السينما فى كل مكان فى العالم..

كانت حياتها أسطورة ، وجاء موتها - منذ نحو ربع قرن - فصلا مثيرا من فصول هذه الاسطورة.. كل يوم يزداد غموضا على مر الايام والسنين..

وكثيرون يعتقدون ان ((مارلين مونرو)) قد اختفت من الدنيا فى توقيت مناسب تماما ، فتركت صورتها فى اذهان وقلوب معجبيها ومحبيها على الشكل الجميل الباهر الذى كانته فى آخر ايامها .. فلو كانت قد عاشت حتى الآن لكانت فى - يونيو ١٩٦٨ قد اكملت ستين عاما من عمرها . . وتحولت الى عجوز فقدت كل اسلحة فتنتها واغرائها . ولم يكن ذلك ليسعد ((مارلين مونرو)) ولا معجبيها ايضا .

لقطة تجمع بين مارلين مونرو ولاعب البيسبول الشهير ديماجيو الذى تزوجها فى يناير ١٩٥٤ وكان زواجا فاشلا



جون كيندى

رجال في حياة مارلين مونرو

خلال حياتها القصيرة – ٣٨ عاما وأقل من شهرين – تزوجت «مارلين مونرو» ثلاث مرات معلنة ومرة واحدة غير معلنة ، أو – لتكون أكثر دقة – غير مؤكدة .. لان الذى يزعم أنه كان الزوج رقم ٢ فى سلسله أزواجها لم يعلن ذلك خلال حياتها ولم يذكره الا بعد موتها ، وبعد موت كل الاطراف التى من الممكن ان تؤكد حدوث هذا الزواج .. ومع ذلك فقد كان هو بالذات أكثر الجميع جهدا فى محاولة البحث والتنقيب وراء أسباب موت « مارلين مونرو » .. ولا زال حتى الان يحاول ان يثبت أن « مارلين » لم تنتحر وانما ماتت مقتولة !.

● عامل ، ومطرب ، ورئيس دولة !! ●

اثنان من أزواج « مارلين مونرو » : بطل لعبة الـ (بيسبول) الشهير ، والكاتب المرحى الأشهر ، كل منهما عمره الان ٧٠ سنة .. كان كل منهما أكبر من « مارلين مونرو » بعشر سنوات حين تزوجها .. والآخران رجل البوليس السابق ، الذى يعتقد أنه قد انقذها من التشرد والضياع ، والمؤلف والمنتج السينمائى الذى لم يستطع ان ينساها حتى الان ، كلاهما بلغ سن التقاعد منذ سنوات قليلة .. يعنى كان كل منهما قريبا من سن « مارلين مونرو » حين تزوجها .

اثنان من أشهر عشاقها مات كل منهما قتيلا برصاصات اغتياله لأسباب سياسية ، ولو كانا قد عاشا لكان أكبرهما فى الثامنة والستين الان ، ولكان الاصغر فى الحادية والستين .. وعاشق آخر لا زال حتى الان ، وهو فى سن السبعين ، من أشهر مطربى العالم !.

رجال « مارلين مونرو » تراوحوا بين عامل بسيط فى مصنع الى نجم سينمائى ، ومن مطرب الى كاتب شهير ، ومن سائق الى رئيس دولة .. كانوا جميعا موضع حسد ملايين الرجال الذين انبهروا بـ « مارلين » فى الخمسينات ، وفجعوا بموتها فى الستينات ، ولم يعرفوا أبدا أن المرأة التى كانت أكثر نساء العالم اثارة ، وأكثر نساء العالم رصيدا من المعجبين ، لم تدق السعادة بابها فى يوم من الايام حتى وهى فى قمة شهرتها ومجدها .. عاشت طفولة شقية وأيام صبا تعسة ، ولم توفق فى حياتها العاطفية ولا مرة واحدة !.

● أم مجنونة ، وأم بالايجار ●

كانت « مارلين » فى صباها قليلة الحجم رشيقة للغاية جميلة الجسد بشكل مثير ولافت ، ذات شعر بنى اللون .. ذات ماض اليم حزين .. عاشت فى احدى ضواحى مدينة لوس انجلوس فى رعاية أسرة عهد اليها بتبنى «مارلين» .

وموضوع (التبنى) هذا يحتاج الى شرح سريع .. فنظام التبنى فى أوروبا وامريكا – وكان فى مصر أيضا فى وقت من الاوقات – ينقسم الى نوعين .. النوع الاول هم الاطفال اللقطاء مجهولو الابوين وليس لهم أسرة أو أهل معروفون على الاطلاق .. وهؤلاء يوضعون فى الملاجىء حتى يرسل الله اليهم أسرا تتبناهم تبنيا كاملا ، فيعيشون مع هذه الاسرة بقية عمرهم ، وهى التى تتولى الانفاق عليهم وعلى تنشئتهم وتعليمهم انفاقا كاملا .

النوع الثانى : أطفال معروفو الاهل يعنى ليسوا لقطاء ، لكن أبواهم لظروف ما ، قد تكون صحية وقد تكون ظروف الفقر الشديد وقد تكون الاثنين معا ، تجعلهم غير قادرين على رعاية أطفالهم بالشكل المفروض .. ومن هنا فاما أن يعهدوا هم بأطفالهم الى الدولة ، أو أن تأخذهم الدولة من الابوين بحكم القضاء ، لكى تعهد بهم الى أسرة ما أخرى تتولى رعايتهم .. والدولة هنا تدفع أجرا للأسرة التى يعهد اليها بالطفل ، ،

مقابل رعايتـــه وتنشئته وأكله وشربه ولبسه طبعا .

من هذا النوع الاخير كانت « مارلين مونرو » .. فهى لم تعرف لها ابا منذ مولدها ، واصيبت أمها بالجنون فى وقت من الاوقات واودعت مستشفى للأمراض العقلية ، فتنقلت الطفلة « مارلين » بين أكثر من أسرة من تلك الاسر التى تتقاضى من الحكومة أجرا فى مقابل ايواء الطفلة ، حتى استقر بها المقام فى النهاية مع اسرة تعيش فى ضاحية من ضواحى مدينـــة لوس انجلوس ، حيث بدأت حيـــاة « مارلين » تتخذ مسارا مختلفا وهى فى رعاية هذه الاسرة .

● ابن الجيران ! ●

كانت « مارلين » فى الخامسة عشرة من عمرها عام ١٩٤١ حين التقت بابن الجيران « جيمى دوجيرتى » الذى كان يكبرها باربع سنوات وكان عاملا صغيرا فى مصنع للطائرات .. وتزوجا بعد ذلك بعام واحد حين بلغت « مارلين » السن القانونية التى يسمح فيها القانون الامريكى بزواج البنات .

« دوجيرتى » عمره الان ٦٤ سنة ، جد لاربعة احفاد ، يعيش فى مدينـــة صغيرة فى مقاطعة (نيو انجلند) ، وزوج سعيد مع زوجته الثالثة ، التى هى بعكس زوجته الثانية ، لا يضايقها ان تتحدث عن زوجته الاولى الشهيرة « مارلين مونرو » .. وان كان « دوجيرتى » نفسه

● أين اختفت مذكرات "مارلين مونرو" التى كانت تدون فيها يوميات علاقاتها العاطفية ؟

يكره الاسئلة والخطابات التى لا زال حتى الان يتلقاها من كل أنحاء العـــالم ، والشهرة التى تحيط به فى كل مكان يذهب اليه فى امريكا ، وتشير اليـــه باعتبار انه احد ازواج « مارلين مونرو » !.

ادلى « جيمى دوجيرتى » بحـــديث لمراسل مجلة (تى فى تايمز) الانجليزية فى هوليوود ، الذى التقى به وهو يحتفل بعيد زواجه الرابع عشر من زوجتـــه الثالثة ومعهما عدد من اصدقاء الاسرة .. لكنه اصر طول الوقت على أن يتحدث عن زوجته الاولى باسمها الاصلى « نورما جين مورتنسون » وليس باسم « مارلين مونرو » .. فهى لم تصبح « مارلين مونرو » وتتخذ هذا الاسم الا بعد أن انفصلا بالطلاق ، لذا فهو لم يناديها ابدا بالاسم الذى اشتهرت به بعد ذلك طول عمرها .. يقول « دوجيرتى » :

— مارلين مونرو هذه شىء آخر تماما .. لقد تزوجتها وهى نورماجين ، وطلقتها وهى نورماجين ..

● امنية لم تتحقق ابدا ! ●

« دوجيرتى » يعتقد ان « نورما جين » قد تعذبت كثيرا فى حياتها ، بل وربما كان عذابها الاكبر بعد ان اصبحت « مارلين مونرو » .. وقد سالت امها بالتبنى ام « دوجيرتى » حين تقدم للزواج من « نورما جين » ، ان كان « دوجيرتى » يريد ان يتزوج « نورما جين » فقط لكى ينقذها من مصير العودة إلى الملجا !!

يستطرد « دوجيرتى » قائلا :

— ظللنا انا و « نورما جين » نخرج معا لفترة ، ثم طلبت الزواج منها .. وكنت اضع فى اعتبارى أننى ســوف أطالب للخدمة العسكرية عاجلا ، فلقـد كانت الحرب العظمى الثانية مستعرة فى ذلك الوقت ، لتكون « نورما جين » على الاقل قد وجدت مكانا تعيش فيه .

كان كل منا يحب الاخر كثيرا ، وكانت هى تتمنى ان تنجب طفلا ، لكننى كنت اضع فى اعتبارى ايضا احتمال ان القى مصرعى فى الحرب ، مما يجعل « نورما جين » اما لطفل ينشا يتيما ولا زوج

الى جانبها .. لذا فقد طلبت منها أن تنتظر حتى أعود من الحرب سالما فننجب الطفل الذى نتمناه .. لكن امنيتها هذه لم تتحقق ابدا .

ويضيف « دوجيرلى » :

ـ لقد كانت « نورما جين » عذراء حين تزوجنا ، على الرغم من أنها هى شخصيا كانت تعتقد انها قد اغتصبت حين كانت تعيش مع أسرة اخرى كانت تتبناها قبل ذلك !! كانت بالفعل قد عاشت حياة تعيسة جدا فى طفولتها وصباها قبل أن نلتقى .. وكانت أمها ولا زالت نزيلة مستشفى للامراض العقلية حين تزوجنا .. لكن جنونها كان جنونا هادئا ، لذا فقد طلبنا من ادارة المستشفى ان تسمح لها بالخروج لفترة قصيرة لتحضر فيها زواج ابنتها « نورما » ، فوضعتها ادارة المستشفى فى الاوتوبيس واتصلت بنا تليفونيا لتبلغنا بموعد وصولها .. وذهبت أنا و « نورما جين » لكى ننتظرها على محطة الاوتوبيس فى صاحبتنا .. وحين رأيتها فزعت ، وعرفت كيف سيكون شكل « نورما جين » حين تصبح فى مثل سن امها !! كانت امها شاردة الذهن تماما .. لم تكن اما طبيعية على الاطلاق ..

وكانت « نورما جين » قد ذكرت لى أن اباها كان مخرجا سينمائيا ، على الرغم من انها لم تحمل اسمه أبدا .. وكان اسم « مورتنسون » الذى تحمله كلقب بديلا عن اسم ابيها ، وهو اسم الرجل الذى كانت أمها تعيش معه حين ولدت « نورما » .. وفيما بعد تسمت « نورما جين » باسم « بيكر » الذى تزوجته امها فيما بعد .. لكنها كانت متأكدة من ان ذلك المخرج السينمائى هو والدها الحقيقى .. وكانت تعسة جدا لانها حين استجمعت شجاعتها يوما ما واتصلت به تليفونيا ، رد عليها بخشونة وغلظة وانكر أبوته لها .. وحين عدت الى البيت يومها وجدتها منهارة تماما ، فاحتضنتها وظللت اهدئها وأسرى عنها واهون عليها الامر حتى هدأت وعادت الى طبيعتها .

وضعت عينيها على هوليـــوود !

« جيمى دوجيرلى » اول ازواج « مارلين مونرو » يستطرد وهو يحكى حكايته معها :

ـ كانت « نورما جين » تعانى من ثلاث مشاكل : كانت امينة ومخلصة ، كانت تثق فى الناس الى حد كبير وتصدق كل ما يقال لها ، كانت شديدة الحساسية ويسهل التأثير عليها جدا من الاخرين .. حتى انني بعد طلاقنا باعوام طويلة وكنت اتابع اخبارها فى الصحف والمجلات ، فكرت يوما فى أن ارفع سماعة التليفون واتصل بها لاقول لها : « هاللو نورما جين ، هل استطيع ان أساعدك بشكل ما !! » .. لكن زوجتى الثانية التى لم تكن تطيق سيرتها ولا تطيق ان تشاهد افلامها ولا ان ترى صورها المنشورة فى المجلات ، وكانت تثار من مجرد ذكر اسمها امامها حتى من ناس لا يعرفون ان « مارلين مونرو » كانت زوجتى قبلها فى يوم من الايام ، لم تكن زوجتى الثانية لتسمح لى بذلك .. وكان على أن احرص على السلام فى بيتى .. رغم اننى كنت على ثقة من ان « نورما جين » كانت سترحب بى ، او بأى شخص قوى مخلص وأمين الى جوارها .. واعتقد انها كانت طول عمرها تبحث عن شخص تستطيع ان تثق فيه وتعتمد عليه دون ان يفكر فيها كمجرد جسد جميل مثير .

ويقول « دوجيرلى » انه صدم حين فوجىء بزوجته الصغيرة « نورما جين » تطالبه يوما ما بالطلاق .

ـ لقد التقط لها احد المصورين



مارلين مونرو

مجموعة صور حين كانت تعمل فى مصنع الطائرات الذى كنت أعمل به أنا قبل ذهابى للحرب ، لتوالت عليها العروض لكى تعمل موديلا للمصورين ، لكنها كانت قد وضعت عينيها على هوليوود .

وكانت آخر مرة التقينا فيها فى مكتب مسجل العقود لكى نوقع أوراق الطلاق .. وقالت لى يومها انها قد اتخذت لنفسها اسما فنيا هو «مارلين مونرو» .. وكانت هذه هى أول مرة أسمع فيها هذا الاسم .

ولم أتصل بها بعد ذلك الا مرة واحدة بعد نحو سنتين من طلاقنا ، لأننى كنت أيام زواجنا قد أهديتها سيارة وان كانت رخصة السيارة قد ظلت باسمى ، فارتكبت بها « نورما جين » عشرات من مخالفات المرور .. وحين وصلتنى قسيمة المخالفات بمبلغ كبير لم أكن استطيع أن أدفعه فى ذلك الوقت من مرتبى المحدود كرجل بوليس فاتصلت بها لذلك الغرض .

مرة أخرى وحيدة رأيت فيها «نورما جين» بعد أن أصبحت « مارلين مونرو» حين كنت مع كثيرين من رجال البوليس مكلفين بحفظ النظام خارج (المسرح الصينى) فى لوس انجلوس يوم افتتاح فيلمها « غابة من الأسفلت » عام ١٩٥٠ .. وشهدت «مارلين» من بعد وهى خارجة من المسرح محاطة بالآلاف من الجماهير ، لكنها طبعا لم تلاحظنى فى وسط ذلك الحشد الهائل من الناس الذين يحيطون بها اليوم .

مجرد ذكرى حزينة !

« دوجيرتى » يعتقد أن موت « مارلين مونرو » لم يكن مدبرا ولم يكن حتى انتحارا ، ولم يكن الا حادثا عارضا :

— فقد كان أحد زملائى فى ذلك الوقت من بين رجال البوليس الذين هرعوا الى بيتها بمجرد أن عرفوا بخبر موتها ، وكان يعلم أن « مارلين مونرو » كانت زوجتى ، لذا فقد اتصل بى تليفونيا من بيتها فى الرابعة صباحا ليبلغنى بالنبأ ، فالتفت الى زوجتى الثانية الى جوارى فى الفراش وقلت لها : « صلى من أجل نورما جين ، فقد ماتت » !! ..

ولم اندهش حين عرفت أنها كانت قد اعتادت أن تتناول الأقراص المنومة والمهدئة وغيرها ، لكنها قطعا لم تكن تقصد الانتحار .. لقد كانت دائما تقول لى ونحن زوجين : «اذا تركتنى يوما ما فسوف ألقى بنفسى من فوق كوبرى سانت مونيكا » ، لكن ذلك كان مجرد تهديد ، وكان كل ما تريده هو مزيد من العطف والحنان . وكانت تلك هى مشكلتها الحقيقية ، فانها أبدا لم تحصل على العطف والحنان الذى أرادته ..

ويقول « جيمى دوجيرتى » على أن الناس لا يزالون كلما رأوه يتكلمون معه عن «مارلين مونرو» ، وأن ذلك لا يسعده وأن بناته أيضا لا يرحبن بالكلام عن زوجة أبيهم الأولى :

— انه جانب من حياتى ، لكنه قد مضى وانتهى ، حتى أننى لا أشعر بشىء على الاطلاق حين يعرض التليفزيون فيلما من أفلامها .. وحين تخطر « نورما

رجال في حياة مارلين مونرو

جين » على بالى فاننى اتذكر فيها كذكرى حزينة مرت بحياتى !.

الى الابد .. ناقص ٣ سنوات !!

وبعد طلاق « مارلين مونرو » من زوجها الاول « جيمى دوجيرتى » ارتبطت بعلاقات عاطفية متعددة مع مشاهير هوليوود فى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات .. حتى التقت بلاعب ال (بيسبول) الشهير « جو ديماجيو » وتزوجا فى يناير عام ١٩٥٤ .. لكنه كان زواجا محكوما عليه بالفشل من البداية ، ولم يستمر الا تسعة شهور فقط انفصلا بعدها.. فقد كان «ديماجيو» شديد الغيرة ، محبا للامتلاك ، شديد الترتيب والنظام ، مبالغا فى العناية بأناقته ومظهره الى درجة المرض .. وكان اهم شىء فى حياته هو دولاب ملابسه المنظم جدا وادوات زينته المرتبة جدا ، فى حين ان « مارلين مونرو » كانت فوضوية بطبيعتها وغير منظمة على الاطلاق ولم تكن تهتم كثيرا بمثل هذه الامور .. وكنت تستطيع ان تعرف فى اى غرفة من غرف البيت هى اذا تتبعت ملابسها المبعثرة على الارض فى كل مكان !!

كان جزءا من اسطورة « مارلين مونرو» ان « ديماجيو » ظل على حبه لها الى آخر يوم فى حياتها بعد ثمانى سنوات من طلاقهما ، وظل على حبه لها حتى بعد موتها .. وكان الى جوارها حين انهار زواجها من ثالث ازواجها الكاتب المسرحى «آرثر ميللر» ، وكان «ديماجيو» هو الذى نظم جنازة « مارلين مونرو » ، وظل لمدة عشرين سنة بعد ذلك يرسل الزهور لتوضع على قبرها كل اسبوع..

لكنه بعد ان اصبح فى السبعين من عمره الان بدا يتحرر من الماضى ، او لعله قد بدا - بحكم السن - ينساه .. فمنذ ٣ سنوات توقف عن ارسال الزهور الى قبر « مارلين مونرو » كل اسبوع !.

زواج كأنه لم يكن !!

لكن بمجرد ان عرف بذلك الكاتب والمنتج السينمائى « روبرت سلاتزر » ، اتصل تليفونيا بنفس محل الزهور الذى كان « ديماجيو » يرسل منه الزهور كل اسبوع الى قبر « مارلين مونرو » ، لكى يكلفه بأن يستمر فى ارسال ٣ زهرات كل اسبوع الى قبر « مارلين » !.

« روبرت سلاتزر » نفسه يعتبر اضافة جديدة الى اسطورة « مارلين مونرو » فهو يدعى انه و « مارلين » قد تزوجا فى مدينة (تيوانا) على حدود المكسيك عام ١٩٥٢ .. وان كانت « مارلين » قد ندمت على ذلك الزواج بعد حدوثه مباشرة - على حد كلام « سلاتزر » نفسه - حتى ان رجل هوليوود القوى المنتج «داريل زانوك» ، قد اجبر « مارلين » و «سلاتزر» على العودة الى مدينة (تيوانا) مرة اخرى ليرشيا (او ليرشوا) المحامى الذى عقد زواجهما لكى يلغى وثيقة زواجهما ويشطبه تماما من دفاتره كأنه لم يكن !.

« سلاتزر » الف كتابا بعنوان (حياة مارلين مونرو وموتها الغامض) ، ادعى فيه ان الرئيس الامريكى « جون كيندى» قد تآمر على اخفاء معالم التحقيق فى وفاة « مارلين مونرو » فى ٥ اغسطس عام ١٩٦٢ .. قبل عام واحد من مصرع « جون كيندى » نفسه !!.

« سلاتزر » مقتنع تماما بأن « مارلين مونرو » ارتبطت بعلاقات عاطفية مع كل من الاخوين « كيندى » : الرئيس « جون » ، وشقيقه النائب العام « روبرت » او « بوبى » ، وان «مارلين مونرو » قد لقيت مصرعها - ولم تنتحر - حين بدأت اخبار علاقتها بالاخوين « كيندى » تتسرب الى الصحافة الامريكية .. وقد امضى « سلاتزر » عشرين عاما

الامريكي الرائع قد تزوج الجسد الامريكي الرائع » !!

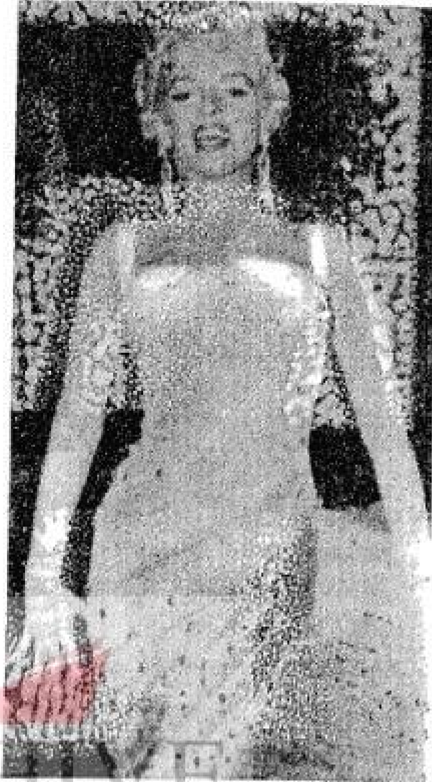
واذا كان زواج « مارلين مونرو » من « جو ديماجيو » كان مثيرا للدهشة ، لقد كان زواجها من « آرثر ميللر » بعيدا عن اي تصور .. فقد كانت « مارلين » عاطفيا اقرب الى طفلة منها الى امراة ناضجة .. وقد ظنت انها بزواجها من « آرثر ميللر » سوف تكتسب بعض ثقافته وبعض فكره ، وظنت انه قد فهم مفاتيح شخصيتها .. لكن ظنها قد خاب ، لقد كان « ميللر » اكبر منها بعشر سنوات ولم يستطع ان يصبر على شطحاتها وتقلبات مزاجها وعدم استقرارها ..وكانت القشة التي قصمت ظهرالبعير فيزواجهما هي العلاقة العاطفية الصارخة، التي لم تحاول « مارلين » ان تخفيها ، مع الممثل الفرنسي « ايف مونتان»خلال تصوير فيلم « دعنانحب » عام ١٩٥٩ .. فكانت النتيجة انفصال « مارلين » و « آرثر ميللر » ..

● اين اختفت المذكرات !! ●

وسارع زوجها الثاني « جو ديماجيو » ليكون الى جانبها بعد طلاقها من « آرثر ميللر » ، وكذلك فعل «فرانك سيناترا» .. وسرعان ما سرت الاشاعات بان « سيناترا » كان هو الذي قام بتعريف « مارلين مونرو » بالاخوين « كيندي » ومهد لهما الطريق عندها !

ويزعم « سلاتزر » ان « مارلين » كانت تدونمذكرات يومية عن علاقاتها العاطفية .. وقد اختفت هذه المذكرات تماما ولم يعثر لها على اثر ابدا !! ويقول ان « روبرت كيندي » كان في بيت «مارلين مونرو » ليلة وفاتها !! ..

والحقيقة ان لا احد سوف يعرف بالضبط كيف ولماذا ماتت «مارلين مونرو» في تلك الليلة .. والرجال الذين كانوا يحيطون بها في حياتها سيظلون فقط يخمنون .. وكذلك سوف يفعل ملايين المعجبين الذين لم ترهم « مارلين مونرو» ابدا في حياتها .!



يبحث وينقب في تقارير البوليس التي اعقبت الوفاة مباشرة ، ويقول انه قد وضع يده على كثير من اوجه النقصالتي شابت هذه التقارير .. وقد استعان « سلاتزر » في تحرياته هذه بالعديد من المخبرين الخصوصيين .

● زواج العقل والجسد ●

في عام ١٩٥٦ تزوجت « مارلين مونرو» من « آرثر ميللر » ..وقد علقتالصحف والمجلات الامريكية وقتها بان : (العقل

حسن البنا يهاجم طه حسين والعقاد!

بقلم د. سعيد اسماعيل على

كان عام ١٩٢٥ حقا هو عام الزلازل الفكرية التى اصابت الحركة الفكرية فى مصر باضطراب عنيف ، ففى هذا العام اصدر الشيخ على عبد الرازق كتيبه المعروف ب (الاسلام واصول الحكم) الذى لم يتعد حجمه حجم محاضرة طويلة واحدة على وجه التقريب ، ولم يكن الانفجار الذى احدثه راجعا الى محتواه فقط ، فكم من افكار لاتقل عن افكاره ، خطورة ، اذيعت ونشرت ومع ذلك لم تحدث مثل هذا الانفجار ، وانما الظروف التى احاطت به هى التى (صنعت) و (نفخت) فى (الشرارة) التى اطلقها ، ذلك ان مؤلف هذا الكتاب ، كان ابن الرجل الذى عرض عليه الانجليز عرش مصر بعد وفاة السلطان حسين كامل ، فرفضه ، وقبله الملك فؤاد. كذلك كان المسلمون ما زالوا يعيشون فى ذهول احدثه الغاء الخلافة مما اسال لعاب بعض الملوك والامراء وفى مقدمتهم الملك فؤاد كى يتطلع الى ان تعود الخلافة على يديه .

وشهد عام ١٩٢٦ ظهور كتاب طه حسين «فى الشعر الجاهلى» الذى احدث دويا مروعا ادى الى تكاثر أصابع الاتهام لطه حسين فى علمه وفى دينه . ولسنا فى معرض معاودة الحديث عن المعارك التى احدثها ، فقد فاضت بها انهر الكتب والابحاث والدراسات ، ولكننا نعرض هنا لموقف هام لا من هذا الكتاب وحده ، وانما من « شخصية » المؤلف فى مجملها بسبب هذا الكتاب ، والجديد هنا هو شخصية المهاجم الناقد ، فهو « حسن البنا » مؤسس جماعة الاخوان المسلمين



الشيخ حسن البنا

الذي لم يقف في هجومه على طه حسين وحده ، وانما تناول بالنقد والهجوم ايضا عباس محمود العقاد لانه وقف بجانب طه حسين انطلاقا من مبدأ حرية الفكر بغض النظر عن محتوى الكتاب .

وقد اورد حسن البنا هجومه هذا في مقال نشرته مجلة « الفتح » التي كان يصدرها الداعية الاسلامي المعروف « محب الدين الخطيب » ، وذلك في العدد ٢٠٢ الصادر في ٨ المحرم عام ١٣٤٩ هـ ٥ يونية ١٩٣٠ » .

● البنا ينتقد تأخير اعدام كتاب « في الشعر الجاهلي » ●

فبعد مرور شهور قليلة على بداية عام ١٩٣٠ اثار النائب « عبد العزيز الصوفاني » في مجلس النواب مناقشة حول موضوع طه حسين اشترك فيها كثير من النواب ، وقد تناولت أمرين هامين : اولهما الابطاء في اعدام كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وثانيهما وجوب اخراج المؤلف من الجامعة وابعاده من التدريس » ولهذا ينتهز حسن البنا هذه الفرصة ليتقدم من خلال مقاله بعدد من الملاحظات الى هؤلاء النواب الثائرين على طه حسين لا لانتقاد ثورتهم وانما من اجل المزيد من الثورة عليه ، وسعيا نحو محاصرة فكره .

والملاحظ ان حسن البنا لا يسوق ما يقول من اراء على أنها تمثل وجهة نظرة هو ، وانما يقولها باعتبارها تعبيرا عن « شعور كل مسلم وعاطفة كل مؤمن وواجب كل مصري غيور على الدين والخلق » وبمنطق العلم ومنهجه نجد ان شيخنا قد تجاوز حدود ما له من صلاحيات ، فللمرء ان يعبر عما يراه من رأي مستندا الى الحجة والبرهان والدليل المنطقي ، لكن ما لايقع في هذا النطاق ان يؤكد انه انما يعبر عن رأي « كل الناس » .

كذلك مما نلاحظه على ما ساقه الشيخ البنا من اراء ، انها اتجهت بصفة اساسية الى « شخص » طه حسين في جوانبه المتعددة موجها اليه سهام النقد الذي يصل الى درجة التجريح ، لكنه لم يناقش الكتاب الذي هو موضع الهجوم الاصلي الا بعبارات عامة .. وربما يكون الشيخ في ذلك عازفا عن ترديد ما سبق ان قيل في نقد الكتاب مما لانستطيع ان نقطع به .

ان البنا يعتمد في كلماته على قرار النيابة العمومية المصرح بان هذا الكتاب « خطأ محض في مادته وفي اسلوبه في معانيه وفي مؤلفه . واذا كان الامر كذلك « فهل يسوغ لنا بعد كل هذا ان نتاخر في انفاذ حكم الاعدام على هذا الكتاب » وهنا لا يرى البنا مسوغا للنقاش والحوار حول الكتاب انكارا ومنهجا بحجة ان ذلك انما هو من مصلحة العلم وحركة الفكر والثقافة التي تزدهر بالمزيد من المناقشة والحوار ، وفي عبارات حادة وتعميمات كاسحة واتهامات ساخنة يتساءل البنا : « فهل سمع احد أن من مصلحة العلم ان يكون الجهل مصدرا من مصادرة ومادة من مواد ينبع منها ويؤخذ عنها ، وان يعتذر اخر

◀

حسن البنا يهاجم طه حسين والعقاد!

بحرية الفكر ، ولم يقل احد ان معنى حرية الفكر ابطال الحق واحقاق الباطل وخرق النواميس وانتهاك حرمات الشرائع والقوانين والاساءة الى اربعمائة مليون من المسلمين كما فعل صاحب هذا الكتاب

● ضرورة استمرار النقاش

والحق اننا نختلف مع طه حسين في بعض ما ورد في كتابه هذا خاصا بالتشكيك في اخبار القرآن عن ابراهيم واسماعيل لكننا نختلف ايضا مع البنا في استنكاره ان يستمر الحوار والنقاش حول افكار الكتاب ، كما نختلف مع منطق المصادرة فضلا عن « الاعدام » .. اننا نذكر هنا بدعاوى الكفرة والملحدين والمشركين وكيف كان القرآن الكريم يعرضها تفصيلا ويناقشها ، فما بال حسن البنا يقف هذا الموقف من اصحاب الفكر المخالف ويطالب بايقاف النقاش حوله ومصادرته ؟ هل يبرر هذا بصدور قرار من النيابة بذلك ؟ ربما ! ، لكن الذى نراه — ولا نزعم أنه هو الصواب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — ان التعقيب والنقاش في الاحكام الجنائية والمدنية قد يكون مكروها ، لكن القضايا الفكرية تختلف عن ذلك ، ولا يجب ان يتوقف النقاش فيها مادام يكشف عن حجج جديدة ويشير الى زوايا لم تر من قبل .

والبنا لا يكتفى بطلب اعدام كتاب « في الشعر الجاهلى » ، وانما بان يمتد قرار المصادرة الى الطبعة الاخرى المعدلة من الكتاب والتى ظهرت بعنوان « في الادب الجاهلى » لانه ، كما يؤكد البنا « لا يخالف سابقه الا بالتسمية » .. ووزارة المعارف اذا استجابت الى نداء البنا « تكون بذلك قد احترمت قرار



عباس محمود العقاد

المجلس واعتبرت قول لجان انتدبتها من خيرة رجالها فحكمت على الكتاب بما يستحق واحسنت الى العلم وانقذت طلبته من مهاوى الحيرة والضلال » .

● اقصاء طه حسين عن التدريس ●

ولنا ان نتساءل بعد ذلك لماذا كان حسن البنا حريصا كذلك على الدعوة الى اقصاء طه حسين عن التدريس والجامعة ؟

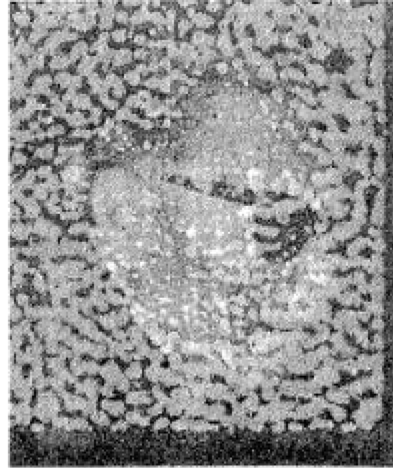
انه يستند في ذلك الى ان المدرس ينظر اليه من جهات ثلاث :

— من مواهبه الخاصة في المادة التى يقدمها لتلاميذه

— ومن طريقته في التفكير

— وما يبثه في نفوس طلبته من اخلاقه وطباعه .

ثم يبدأ بعد ذلك في تطبيق هذا العيار على طه حسين مؤكدا انه «متهم في ذلك جميعا » فطه حسين — فيما يقول البنا — « لا يحسن الشعر وان حاول ذلك ، فأتى بالغث المتكلف الذى يمجه الطبع ويستثقله السمع ويستشهد



طه حسين

البنا على حكمه هذا بلامية طه حسين التي يقول فيها :

مالى وما للبدر اطلب وده .
بل ما لافلاك السماء ومالى
لا در در المال لو لم يدخر
لبناء مكرمة وحسن نعال
لادر در المال لو لم يدخر
الا للذات الطوق والخلخال
لادر در المال لو لم يدخر
الا لنيل مراتب الاجلال

الى اخر ما قال من هذا النظم « المهلهل النسيج المتنافر اللفظ الفشيل الغاية » .ولا نستطيع ان نزعم لانفسنا علما او خبرة بنقد الشعر حتى نحكم لاى الطرفين ، وانما يقف جهدنا هنا عند حد « النقل» الى القراء.

كذلك يؤكد البنا ان طه حسين « لا يجيد اسلوب الكتابة اذا حكمته الى الذوق العربى والبلاغة العربية وقسته بما وضعه الائمة من اوزان البيان ومقاييسه » ، اما في غير ذلك من حشو القول والاتساع فيه واطالته بالتشدق والتفيهق « فالرجل في ذلك لايشق له غبار » !!

ومن صور نقد البنا لطه حسين طعنة فى أهليته وقدرته على النقد الادبى ، وهو الامر الذى يثير الدهشة حقا، فمهما اختلف انسان مع طه حسين، الا ان هناك ما يشبه الاجماع على ان الرجل علامة كبرى فى تاريخ النقد ، لا يقلل منها ماشاب بعض نقده من غلو اعترف به بالنسبة الى بعض الادباء فالمطاحنات الحزبية والمعارك السياسية ، والمنافسة الصحفية ، كل ذلك وغيره كان له دوره فى بعض هذا الغلو ، يقول البنا : « وما هو بالناقد الذى يحسن النقد الصحيح فى الشعر والنثر، وان احسن التهجين والتجريح والزراية على غيره من الادباء والكتاب »ويسوق شيخنا مثالا ،يؤيد به وجهة نظره باحد ابيات شوقى فى ميميته التى يقرظ بها ترجمة احمد لطفى السيد لكتاب ارسطو «الاخلاق» :

يا لقلى السن هو الصدى
من ذلك الصوت الرخيم

فهنا يقول البنا ان طه حسين يفهم من هذا ان الشاعر يقول ان ارسطو كان ذا صوت رخيم ، وانه لا هو ولا شوقى سمع هذا الصوت ، ويعلق البنا بسان ناكدا لا يدرك ما هذه الاستعارة البليغة من علوية وجمال وتناسب » « لحرى به ان يدع النقد لاهله وان يعلم ان دعواه فيه كدعوى ال حرب فى زياد » . وانه ليحدونا الامل حقا ان يقوم احد الباحثين بالتحقيق فى هذا الموضوع ■

لم يطعن حسن البنا فى « علم » طه حسين بتاريخ العرب ، يسوق هذا الاتهام الخطير دون ادلة وبغير حجة الا ان طه حسين « لم يتلقه عن استاذ ، ولم يلم به فى مدرسة وانما علم من ذلك ما ويلتقط بذهن من يطالع كتب الادب لا ليدرسها ولكن ليراها » ■

ذلك من ناحية مواهب استاذ الجامعة فى الادب العربى وتاريخه ، واما من ناحية ◀

حسن البنا يهاجم طه حسين والعقاد!

ما يقدمه لتلاميذه من المادة ، لقد كانت باكورة ذلك كتاب « فى الشعر الجاهلى » وقد حكم عليه عقلاء الامة وادباؤها بالخطأ والضلالة وكشف المحققون من الادباء النطاء من مخازيه ومعايبه فيه يبرأ منها العلم ، وايد ذلك حكم القضاء » .

وعندما ينتقل البنا الى طريقة طه حسين فى التفكير وما يبثه فى نفوس طلبته من ضلاله واخلاقه ، نجده يقول « فما علم الناس من ذلك الا الشك والحيرة والانسلاخ من العقيدة والدين وتسمية ذلك منهجا علميا » .

وينتهى من هذا كله ليتساءل : « فاى شىء بعد ذلك يسوغ بقاء امثال هذا المدرس فى منصب كبير كمنصبه الحالى » ؟

● لوم العقاد ●

ومن المعروف ان العقاد قد وقف بجانب طه حسين فى هذه المعركة الطاحنة ، ويستغرب البنا ان يصف العقاد طه بانه « نابغة الدهر ونادرة العصر ، وانه لا يمكن لاحد ان يسد فراغه او يملا مكانه او يدرس الادب كما يدرسه ، وانه قرا كتابه فلم يجد فيه ما يمس الدين والاخلاق » ان هذا الوصف يستثير حسن البنا فينحى باللائمة على العقاد الذى يبدو من حديثه انه يكن له تقديرا واعجابا .»

انه يخاطب العقاد مستصرخا اياه بان يتراجع من هذا الذى يقول لانه يتضمن اتهاما خطيرا الى رجال وزارة المعارف الذين تخصصوا بدراسة هذه المادة « وفيهم اساتذة الدكتور طه واولياء نعمته » ، ويطعن العقاد ايضا بقوله هذا « فى تصور البنا » فى تقارير تلك اللجان التى انتدبتها الوزارة لفحص الكتاب فحكمت عليه « بالخطأ والتجهيل واظهرت معايبه فى عشرات المواضع » ، كذلك حذر البنا العقاد من ان قوله السابق يعنى ايضا حكما على الامة « بالجدب الادبى » حيث قال ان طه هو الوحيد الذى يستطيع ان يدرس الادب » .

وعلى الرغم من تقدير البنا للعقاد ، الا انه لم يسلم من بعض العذل حين قال للعقاد ان حكمه السالف على رجال الادب فى مصر من نوع حكمه السابق على شوقى وحافظ ابراهيم « وهما مفخرة ادب العرب » ، اذ من المعروف ان العقاد قد حمل حملة شعواء على شعر الرجلين . ثم يختم عبارته بان يطلب من العقاد « فاستغفر الله والامة ورجال الادب عن دفاعك عن هذا الدكتور (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما » .

وينكر البنا على العقاد ان يحكم بان كتاب « فى الشعر الجاهلى » ليس به ما يمس الدين والاخلاق ، وحجته فى ذلك ان العقاد ليس من « اهل الدين المتخصصين » ، فاذا كان هؤلاء قد اقروا بغير ما قال العقاد فايهما نتبع ؟ الاجابة عند البنا « اليس من الانصاف والواجب عليك وعلينا ان نتبع هؤلاء فى شىء هم اخبر الناس به » . ويسوق البنا المثال الخاص بقصة ابراهيم واسماعيل وتكذيب طه حسين للقرآن والتوراة والانجيل فى روايتهم لها ، او على اقل تقدير ، فان رواية هذه الكتب المقدسة لها لا ينهض دليلا كافيا على صحة حدوثها . كذلك يضرب البنا المثل بما ذكره من انكار طه حسين لصريح الاحاديث الصحيحة « وتعطيل احكامها والخلط فى الاغراض والانساب والنتائج والاسباب » .

ولم يكتف البنا بذلك لاقناع العقاد بخطأ دفاعه عن طه حسين ، اذ يعود الى محاضر جلسات مجلس النواب السابقة لينقل عنها بعض صور النقد ، فمن ذلك ما جاء فى جلسة ١٩٢٨/٩/١٣ على لسان الاستاذ عبد الخالق عطية فى هذا الشأن فكانت شهادته على الكتاب « انه ذلك الذى تضمن طعنا قريبا على الوصوية الكريمة العيسوية الرحيمة وعلى الاسلام دين الدولة المصرية بنص الدستور » . وكانت شهادته على المؤلف « ان تصرفه كان مخالفا للذوق اذ لم يكن من المفهوم ولا من حسن الذوق ان يقوم هذا الشخص فيبصق فى وجه الحكومة التى يتقاضى مرتبه من اموالها بالطعن على دين رعيتها من اقلية واكثرية ، وان على الذين يريدون حرق بخور الالحاد ، ان يحرقوه فى قلوبهم اما ان يطلقوه فى اجواء دور العلم ومنابر الجامعة ، فهذا مالا يمكن ان يفهم بحال من الاحوال » .

كذلك ينقل البنا جزءا من نص كلمة للشيخ القاياتى ، جاء فيها : « لقد جاء فى هذا الكتاب تكذيب صريح للقرآن ، ونسبة جريئة للنبى عليه الصلاة والسلام بانه متحايل ، وتكذيب صريح على التاريخ لا يجوز ابدا ان يهمل ، ولا ان نترك صاحبه دون تدقيق معه فى البحث ويكون حسابنا معه عسيرا . ان الدولة اعلنت فى دستورها انها دولة اسلامية ، وان دولة اسلامية لا تحافظ على دينها من ان يمس ولا على كرامتها ان تجرح ، لهى دولة أعوذ بالله ان تكون مصر من أمثالها » .

وينتهى البنا فى مقاله هذا ، بالاضافة الى دعوة العقاد بان يتخلى عن الدفاع عن طه حسين ، الى توجيه الدعوة ملحا الى اطراف القضية من النواب ووزير المعارف استنادا الى ان الكتاب « مبتذل مستهتر ، والمؤلف متهم فى عقيدته ومبادئه ، والادباء غيره كثير » ومن ثم فلا مناص من ان « تعدموا الكتاب » ويطالبهم كذلك « واتهموا المؤلف عن بث تعصبه على الاسلام فى ابنائنا .. وايدوا الحق واريحوا الطلبة والامة من هذا العبء الثقيل » ..

وهكذا تمر الاعوام والسنون « والحديث عن هذا الكتاب لا ينقطع ، وتلك ميزة الاعمال الفكرية العملاقة مهما اختلفنا مع بعض ما جاء فيها ■

● « ان نصيحة الرجل المستقيم احب عند الله من قربان الرجل الظالم
نصيحة فرعون الى ابنه فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد

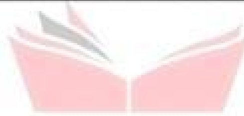
● « الرجل الفاضل هو الذى يتخذ العدالة نبراسا له » .
من اقوال بتاح حتب ق ٢٧ ق . م

● ان العدالة خالدة ، تهبط مع من يقيمها الى القبر ، ولكن عدالته لاتمحى ابدا .
من اقوال الفلاح الفصيح ق ٢٢ ق م

● « يا امون انت الينبوع الذى يروى الظمآ فى الصحراء ، وهو ينبوع موصد لمن يتكلم ، ومفتوح لمن يتدرع بالصمت ، وحينما ياتى الصامت ، يجد الينبوع »
حكيم مصرى ١٠٠٠ ق . م

اليقظة الإسلامية لماذا؟

بقلم: د. محمد عمارة



قديما كان المؤرخون يتحدثون ، فى تعجب ، عن عمر الغزوة الصليبية (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) الذى امتد نحو قرنين من الزمان .. واليوم من حقنا أن نقول ، إن عمر الغزوة الاستعمارية الحديثة - التى بدأت بحملة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) على مصر (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) - يقترب الآن من هذا الزمن المديد ؟!

وإذا كانت الغزوة الأولى قد قادتها الكنيسة الكاثوليكية ، وأعطتها "البابوية" "شكلا" دينيا حاولت به ستر أغراض النهب والقهر والإبادة والاستغلال .. فإن الغزوة الحديثة - التى نواجه اليوم أشكالها وتحدياتها الجديدة - وإن قادتها حكومات الغرب العلمانية ، إلا أنها لم تبرأ من الروح الصليبية ، وخاصة عندما يكون تعاملها مع الاسلام والمسلمين ؟!..

بل إن إمعان النظر فى مقارنة الأخطار التى حملتها هذه الغزوات إلى وطن العروبة ودنيا الشرق وعالم الإسلام، يلفت الانتباه إلى تفوق هذه الغزوة الحديثة على سابقتها الصليبية بكثير .. فلقد كان الصليبيون فرسان إقطاع برابرة، قذفت بهم إلى بلادنا اوطان تعيش عصورها الجاهلة . المظلمة ، فلم يحملوا معهم ما يغرى بتقليدهم ، حتى وإن أحرزوا بميدان القتال بعض الانتصارات ، وأقاموا فى قلب وطننا العديد من الممالك والامارات .. لقد كانوا ـ كما وصفهم السياسي والفارس والمؤرخ . الذى عاصرهم : أسامة بن منقذ [٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ ـ ١١٨٨ م] ـ كانوا «بهائم» ليس لهم من «الفضائل» إلا «فضيلة القتال» ؟! ... ولذلك ، فإن بلادنا لم تعرف خلال عمر تلك الغزوة . الصليبية ولا فى أعقابها مايسمى ب «الغزو الفكرى» و«الهيمنة الحضارية» و«مخاطر التغريب» .. كانوا مجرد فرسان إقطاع ، احترفوا الإبادة لإقامة كيانات استيطانية تدر لهم "لبن الشرق وعسله" تحت ستار "الصليب" .. ولقد استنفر خطرهم هذا روح القوة العسكرية فى الأمة ، فأسلمت الزمام لدول العسكر : الزنكية (٥٢١ ـ ٦٤٨هـ ـ١١٢٧ ـ ١٢٥٠ م) والايوبية (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ ـ ١١٧١ ـ ١٢٥٠ م) والمملوكية (٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ ـ ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م) حتى إذا ماتمكن السلطان الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ ـ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م) من إزالة اخر حصونهم فى عكا (٦٩٠ هـ ـ ١٢٩١ م) زالت ، يومئذ ، جميع الآثار التى ارتبطت بليل غزوهم الطويل .. لقد كان "حديدهم" : عسكرا وفرسانا ، ففلّه ذات "الحديد" : العسكر والفرسان .. ولم تشهد الساحة معارك للفكر تطلبتها أحداث ذلك الصراع !..

أما مع الغزوة الاستعمارية الحديثة ، فلقد اختلف الحال ـ فى هذا الأمر ـ كل الاختلاف ..

● فموجات هذه الغزوة قد قذفت بها أوربا الناهضة المتحضرة . ومن هنا كانت الجيوش الغازية مسلحة "بفكر" الثورة الصناعية مع ثمرات "قوتها" ، ومزدانة بثمرات الإنجازات التى أحدثتها الحضارة الأوروبية المزدهرة فى ميادين الفكر والعلوم والفنون والآداب .. فكان لها بريق وإغراء لدى الأمم التى هزمت ، يتعدى حدود الانتصار فى ميادين القتال !..

● ولقد فاجأت هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة بلادنا قبل أن تعالج ، ذاتيا ، أسباب تخلفها وجمودها وتراجعها الحضارى فى ظل تسلط المماليك وسلطان العثمانيين .. فصادفت التأثيرات الغربية : فراغا فى "الفكر الحي" ، كما صادفت فراغا فى "القوة المقاتلة" .. ففكرية العصر المملوكى العثمانى الطويل كانت قد غلبت عليها الشعوذة والخرافة والاغراق فى "الشكل" الذى أهمل الجوهر وقتل المضمون ، وكادت الصلة أن تنقطع بين هذه الفكرية وبين إبداع عصر النهضة والازدهار لحضارتنا العربية الاسلامية .. ناهيك عن إغلاق باب الاجتهاد ، الذى حرم الأمة من إبداع الجديد ، فافتقدت "إبداع السلف" و "إبداع الخلف" كليهما ، وانكفأت على ركام من الركاكة والحكاكات اللفظية ..

الأمر الذي أتاح للغزوة الاستعمارية الحديثة فرصة ذهبية على الجبهة الفكرية، ماثلت ما أتاحه لها جمود الفرسان المماليك عند فنون القتال وأدواته التي عفا عليها الزمان.

● تغريب العقل العربي ●

● ولقد وعت هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة دروس الصراع الذي دار بين أسلافنا وأسلافها في الحقبة الصليبية. وأيقنت أن الاحتلال العسكرى لابد، يوما، وأن يستنفر قوة الأمة فتجليه. وأن النهب الاقتصادي لابد، يوما، وأن يستفز المصالح فتتحرر منه.. وأن القوة المادية لا تضمن التبعية الدائمة.. فسعت بالغزو الفكرى، وبتغريب العقل العربي والمسلم إلى تحويل هذه الأمة ووطنها كي تصبح "هامشا حضاريا" للغرب. وذلك حتى تكون تبعيتنا "للمركز الغربي" موقفا نسعى نحن إليه. ونبذل في سبيله المال والجهد. فنريح الغرب من الجهد والنفقات. وتتأبد تبعيتنا له في السياسة والأمن والاقتصاد!!..

ولذلك.. وبسبب من هذا الطابع الحضارى لصراع أمتنا مع هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة اتسعت وتعددت ميادين المواجهة عن مثيلاتها إبان حقبة الغزوة الصليبية.. وإذا كان القانون الذى حكم صراع أمتنا مع أعدائها التاريخيين ومع التحديات التى فرضها عليها هؤلاء الأعداء قد علمنا أنها أمام المخاطر والتحديات تكتشف عن جوهر معدنها الأصيل والصلب. وتعود إلى ذاتيتها فتعتمد عليها. وتبحث عن أمضى ما في ترسانة أسلحتها فتتسلح بها. وتمد البصر والبصيرة إلى أسرار تفوق الخصم فتجاهد لامتلاكها. ثم تنهض لمواجهة المخاطر والتحديات بجماع خير التالد والطريف وأحسن ما في الموروث والوافد.. إذا كان هذا هو القانون الذى حكم الصراعات التاريخية لأمتنا. فلقد عمل عمله في هذه المواجهة المتميزة مع "قوة" الحضارة الغربية، ومع "فكرية" هذه القوة الغازية منذ مطلع عصر الاستعمار الغربي الحديث..

لقد تعلمت هذه الأمة عبر تاريخها مع التحديات التى فرضها عليها أعداؤها التاريخيون أن الإسلام - عقيدة وحضارة - هو ذاتيتها المتميزة. وهويتها الخاصة. وحصنها الذى تتحصن به أمام المخاطر العظمى. وتنطلق منه وبه لمواجهة التحديات.

وأمام جديد هذه الغزوة الأوربية الحديثة. المتمثل في مخاطر التغريب وسحق الهوية الحضارية ومسخ التميز القومى.. كان لابد من سلاح جديد. وبالأحرى ميدان جديد تقوم فيه مواجهة لم تقم بيننا وبين الغرب إبان الحروب الصليبية.. لقد كانت "وا إسلاماه". في تلك الحقبة الغابرة صيحة فارس في ميدان القتال بين الجيوش.. لكن.. أما وميادين الصراع في هذه الحقبة الحاضرة قد شملت الفكر مع الحرب. واحتاجت القلم مع السيف. فلقد تعددت الميادين لصيحة "وا إسلاماه".. ووجدت الأمة أن انتصارها





نابليون بونابرت

على هذه الموجة الاستعمارية الجديدة يتطلب اليقظة والبعث والاحياء والنهضة لا في العسكرية وحدها ـ كما صنع الزنكيون والايوبيون والمماليك في مواجهة الصليبيين ـ وإنما ، أيضا ، في صياغة "البديل الحضاري" ، الذي يضمن للامة ـ مع الخروج من الانحطاط المملوكي العثماني ـ الحفاظ على الذاتية الحضارية والقومية في مواجهة المسخ والنسخ الذي تمارسه الحضارة الغربية المتعالية تجاه ماعداها من الحضارات .. ولهذا السبب . قبل غيره من الأسباب ، اتخذت مواجهة امتنا لهذه الغزوة الاستعمارية الحديثة صورة اليقظة والصحوة الاسلامية . التي تجاهد لبلورة المشروع الحضاري المتميز ، باعتباره طوق النجاة للامة من مخاطر التحديات التي فرضها عليها الغزاة المحدثون ..

ذلك هو المنطلق الحقيقي . والفاعل الأول . والسبب الجوهري للصحوة الاسلامية . التي تتوالى موجاتها ، وتتعدد قياداتها ، وتتمايز اطروحاتها ، وتضطرب ساحتها بالجماعات والفصائل والتيارات منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة وحتى هذا التاريخ !..

● فصائل الصحوة الاسلامية ●

وإذا كانت تيارات وجماعات وفصائل هذه الصحوة الإسلامية قد اجتمعت ـ مخالفة في ذلك من "تغرّب" من "نُخب" هذه الامة وقياداتها ـ.. اجتمعت على

١ ـ رفض الهيمنة الحضارية الغربية ، والاستنكاف عن الذوبان في فكرية الغرب ..

ب ـ التحصن بالذاتية الموروثة كسبيل عاصم من مخاطر التغريب ..

فان هذه الفصائل قد تمايزت في الموقف من "الوافد الغربي" ، وايضا من "الموروث" ..

● فمن المؤسسات التقليدية العتيقة والعريقة من رفض "كل الغرب" ، دون تمييز بين ماهو مناقض من فكريته لثوابتنا الحضارية المكونة لهويتنا المتميزة ، وبين إبداع الغرب في ميادين ومعارف وعلوم من الممكن ان تمثل بالنسبة لنهضتنا المأمولة عوامل قوة لا غنى عنها في مواجهتنا معه .. كما وقفت في وعيها بالموروث عند عصر الركاكة والجمود والانحطاط .. فكان لها شرف الرفض للتبعية والاستعصاء على الذوبان ، دون

أن تمتلك صلاحيات بلورة البديل القادر على ملء الفراغ ومنافسة التغريب، فأتاحت، بهذا العجز والقصور، لفكر الحضارة الغربية أن يكسب المواقع في صفوف "النخبة". فتبلور "تيار التغريب" !..

● ومن فصائل هذه الصحوة من وقفت به رؤاه عند العوامل المحلية والاقليمية التى أفرزته - كالدعوة الوهابية، مثلا -.. فكانت "مؤذنا" باليقظة ظل صوته غريبا عن أسماع الذين تجاوزوا طور البداوة التى نشأ فى محيطها إمام الوهابية محمد ابن عبدالوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ - ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م) ؟!..

● ومن فصائل هذه الصحوة - كتيار "الجامعة الإسلامية" - الذى تبلور من حول جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٥ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م) - من جسد مشروعه للنهضة أكثر الأطروحات نضجا وأجدرها بالوفاء بما على هذه الصحوة من مهام.. فلقد انطلق - فى ولائه للموروث - من المنابع الجوهرية والنقية، ومن ابداع عصر الازدهار لحضارتنا العربية الاسلامية، متخذا الموقف النقدى من فكرية عصر التراجع والجمود، ومن المؤسسات التقليدية التى وقفت عندها.. أما فى الموقف من ابداع الحضارة الغربية فلقد ميز هذا التيار بين عوامل القوة التى لا غنى لنهضتنا الاسلامية عن استلهامها وتمثلها، وبين الثوابت المادية التى مثلت وتمثل هوية الحضارة الغربية، وهى التى تهدد تميزنا الحضارى وهويتنا القومية بالمسخ والنسخ والتشويه.. ثم أجتهد هذا التيار فقطع شوطا على درب التصور للمشروع الحضارى العربى الاسلامى البديل.

● ومن فصائل هذه الصحوة من فرضت عليه اهتماماته باستقطاب "العامة والجماهير" مع "الصفوة والنخبة" إلى "البديل الاسلامى".. فرض عليه هذا التوجه أن يجمع فى تصوراته بين مايلائم تصور "العامة" الفكرى وبين مايناسب "الصفوة"، فلم يبلغ مبلغ تيار "الجامعة الاسلامية" فى الاستنارة والعقلانية والاجتهاد، وذلك دون أن يقف عند مستوى الوهابية فى هذه الميادين.. لكن انعطافه نحو "العامة والجماهير"، والذى كان ضرورة لمواجهة التغريب الذى عمت بلواه بعد سقوط "الخلافة - الرمز" عقب الحرب العالمية الأولى، وهيمنة الاستعمار على كل الوطن العربى وعالم الاسلام.. كان هذا الانعطاف نحو "الجماهير" السبيل لبروز قسمة "الاسلام السياسى"، والتركيز على شمولية الاسلام "للدولة" و"الدين".. وكانت "جماعة الاخوان المسلمين" بقيادة مرشدها الامام الشهيد حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ - ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) و"الجماعة الاسلامية" بقيادة أميرها المرحوم أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) أبرز جماعات هذا التيار.

★ ★ ★

على أن التمايز بين الواقع المصرى والعربى الذى ظهرت فيه وانتشرت "جماعة الاخوان المسلمين" وبين الواقع الهندى الذى تبلورت فيه "الجماعة الاسلامية" قد جعل من دعوة الشيخ البنا

وجماعته حركة لصيقة بالواقع ، تسعى لتطويره وأسلمته من داخله ، وهى لصيقة بفئاته وتياراته ، فلم تبدأ انقلابية على هذا الواقع ، مستعلية على تياراته الأخرى كما كان شأن دعوة الأستاذ المودودى وجماعته .. فلما حدث وتوارت قيادة الشيخ البنا ، العاملة فى إطار الشرعية القانونية ، وسيطرت على أغلب البلاد العربية نظم ثورية وانقلابية ذات طابع شمولى ، وعقلية عسكرية فى الأساس ، وأثمر الصراع بين هذه النظم وبين "جماعة الإخوان" دخول الحركة الإسلامية السياسية فى محنة من السجن والتعذيب بلغت حد المأساة اللا إنسانية ، انفتح الباب على مصراعيه ، فى طول البلاد الإسلامية وعرضها ، لمشروع المودودى ـ وليس لمشروع البنا ـ فى البعث الإسلامى .. فلقد غاب إطار "الشرعية القانونية" ، الذى جعل البنا يعمل كجزء من نسيج المجتمع لصيق بفئاته وتياراته الفكرية والسياسية ، وعلت أصوات "الشباب" بالحديث ـ بعد المحنة ـ عن الثمرات السلبية لنمط العمل من خلال "الشرعية القانونية" ، وشهدت ساحة العمل الاسلامى انعطافة شبابية عارمة نحو تصور المودودى لسبيل البعث الإسلامى وأدواته .. وغدا أمير "الجماعات الإسلامية" الباكستانية ـ بعد استشهاد الإمام البنا ـ الملهم الأول لفصائل الشباب الإسلامى على امتداد عالم الإسلام .. وزاد من جاذبية هذا الطريق "الاسلامى ـ الانقلابى" تصاعد مخاطر التغريب ، والغزو "الصليبى ـ الصهيونى" ، الذى زادت هيمنته بعد انحسار المشروع القومى الناصرى بهزيمة سنة ١٩٦٧ م ، وانحسار الهالة عن الحركات "الثورية ـ الماركسية" ، ببروز الاتحاد السوفييتى : "دولة عظمى ، لا "ثورة" ، وانكشاف حقيقة هذه الحركات كرافد تغريبى ، مثلها كمثل الرافد الليبرالى ـ مع اختلاف الموقف الاجتماعى ـ فكلاهما رافض للتمايز الحضارى ولخصوصية الهوية ، وكلاهما ساع إلى التبشير بنوع من التبعية للنموذج الغربى الذى يحتذيه ؟!..

لقد انفرد الاسلام السياسى بساحة "الاستقلال الحضارى" ، فاجتذبت ساحته جماهير الشباب .. وأدى ضمور العقلانية والاجتهاد بالحركة الام للإسلاميين فى الوطن العربى ـ حركة الإخوان المسلمين ـ وكذلك الضغط المستفز لزحف التغريبى .. والكبت الذى مارسته النظم المحلية مع الحركة الإسلامية .. أدت هذه العوامل ـ وغيرها ـ إلى تميز هذا الفصيل من فصائل الصحوة الاسلامية بـ "الحماس الطاهر" و "العمل المتفانى" الذى لا يرشده "اجتهاد عقلانى ـ مستنير" على مستواه .. فغدا هذا القطاع من قطاعات المد الاسلامى كمن يمشى إلى غايته على ساق واحدة ، هى ساق "العمل" ، دون ساق "الاجتهاد" .. وغدت مهمة ترشيد هذا المد الاسلامى من الضرورة كما لو كانت طوق نجاته من الإحباط الذى يتمناه له أعداؤه الكثيرون ؟!..

قد أكمل الله ذيالك "الهلال" لنا .. فلا رأى الدهر نقصاً بعد إكمال

شوقي

التمثيل العربي

بقلم: خليل مطران

ساهم خليل مطران بقدر كبير في الحركة التمثيلية والمسرحية في مصر ابان نهضتها ، والتاريخ الفني يروى لنا ان الشيخ سلامة حجازى كان يغنى لمطران بعض شعره مثل قصيدة « لعب الطفلان حتى تعبا .. » وتنسب له ادوار أخرى تغنى بها كبار مطربى عصره من امثال محمد عثمان . وهذا شيء من مشاركته في المسرح الغنائي .

وفي ذلك الطور المبكر من القرن العشرين كتب مطران مسرحية من فصل واحد بعنوان « العلاج بالشنق » نشرها في مجلته « المجلة المصرية » استوحى موضوعها من عدة سطور نشرتها مجلة فرنسية .

ولما عاد جورج ابيض أو الممثل الاول من باريس ترجم له مطران رائعة شكسبير « عطيل » فلما نجحت على المسرح تشجع مطران وترجم « ماكبث » و « هاملت » و « تاجر البندقية » وجميعها من اعمال شكسبير الخالدة .

وانتقل مطران من ترجمة روائع المسرح الشكسبيري الانجليزى الى بدائع المسرح الفرنسي الكلاسيكي فترجم «سنا» و « السيد » من كورني ثم تحول الى الرومانسية فترجم « هرناني » من فكتور هوجو ، والى جانب ذلك كان ينشر في « المجلة المصرية » تلخيصا لبعض الروايات التمثيلية العالمية مثل رواية « مثل الاوراق » لمؤلفها الايطالي جياكوزا .

وقبل أن نعرض مقال مطران ننبه الى نقطتين : الاولى أن مصر عرفت التمثيل في الازبكية قبل الفترة التي يحدثنا عنها مطران والثانية : ان يوسف خياط هو اول لبناني يمثل على مسارح مصر وليس سليم النقاش كما يقول مطران وغيره من أمثال جرجي زيدان .

الهلال

ليس للتمثيل عهد قديم في مصر على ما أعلم ، وانما كان بدء التنبه للتمثيل في أيام المغفور له الخديو اسماعيل ، ولما لم يكن للمسرح ولا للقصة المسرحية وجود آنئذ ، انصرفت مساعدة الحكومة الى التمثيل الاجنبي ، فبنى مسرح «الكوميدي» بالازبكية واحتفل بافتتاحه في ٤ يناير سنة ١٨٦٨ ثم بنيت دار الاوبرا سنة ١٨٦٩ وكان داعي انشائها الاحتفال بافتتاح قناة السويس حتى لقد تم بناؤها في خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ الف جنيه ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر ١٨٦٩ أوبرا « ديجو ليتو » .

ثم عهد الخديو اسماعيل الى الموسيقار

الايطالى « فردى » فى تلحين أول اوبرا مصرية ، لتمثل بدار الاوبرا ، فوضع له العلامة ماريت باشا قصة « عايدة » ليصور الحانها ومثلت بالقاهرة لاول مرة فى ٢٤ من ديسمبر ١٨٧١ فنالت نجاحا عظيما .

وظلت دار الاوبرا تابعة لوزارة الاشغال الى ان الحقت بوزارة المعارف بمرسوم مؤرخ فى ٤ من ابريل سنة ١٩٢٩ لتوالت عنايتها عاما بعدعام بتنظيم مواسمها وجلب كبريات الفرق التمثيلية من أوربا على مختلف انواعها .

وأول من خطر له ادخال هذا الفن فى لغة الناطقين بالضاد هو المرحوم مارون النقاش ، لسبعين سنة مضت اذ جمع فرقة من الشبان الذين استصلحهم له فى بيروت وترجم بعضا من روايات موليير ترجمة جاءت أشبه بالتاليف لحسن تصرف الرجل فيها ومراعاته للذوق العربى ، ولم تقدم تلك الفرقة هذا القطر ، ولكن شدة الاشتراك المتصل بين الشام ومصر ، ولا سيما منذ ابتداء هذا العصر ، لا تدع فرجة للفصل بينهما فى تاريخ الادبيات والمعنويات ، ففرقة مارون النقاش لبثت حيث نشأت الى ان انحلت ، ولكن رواياتها : « البخيل » و « الحسود » و « أبو الحسن المغفل » جابت التخوم الى وادى النيل .

واعقب مارون قريبه له هو سليم النقاش ، وسليم هذا أول من انشأ فرقة للتمثيل فى مصر ، باتفاق بينه وبين الحكومة اوجبت على نفسها بمقتضاه امداده بالمال والترخيص له باستخدام الاوبرا زمنا معلوما لتمثيل رواياتها ، وأشهر تلك الروايات « المظلوم » و « المقامر » و « عايدة » و « أندروماك » . ولكن هذه الفرقة انحلت بعد حين .

وفى أثناء تلك المدة كان ابو خليل القبانى قد اخذ يجمع فرقة بدمشق الشام ، وطفق يوحي بفطرته يخلق للعربية نوعا جديدا للتمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وغناء يعرف عند الافرنج « بالاوبريت » وابدع ضربا حديثا يسميه الغربيون « باليه » واسمه عندنا رقص السماع ، فصادف النجاح الذى كان به خليقا عند السواد الاعظم ، وقد حمل أبو خليل بعد قليل فرقته الى مصر ، ومصر يومئذ كعبة القصاد من فاقدى حرية القول والكتابة فى بلادهم ، فشرع يعرض مالديه .

وفى تلك الايام عينها كان اسكندر فرح - وفى فرقته المرحوم الشيخ سلامة حجازى - يبلى البلاء الحسن ليجلب الجمهور ، ويستعد للنوع الذى آثره مايسربه بعض أقطاب الادب آنئذ فى مصر . بعد ذلك تلاشت فرقة أبو خليل القبانى ، ثم انفصل الشيخ سلامة حجازى عن اسكندر فرح وأسس فرقته التى لقيت نجاحا كبيرا يرجع الفضل فيه لهمة الشيخ ولباقه وسخائه .

فى هذه الفرقة تخرج غير واحد من مهرة الممثلين ، وقبل الحادث الاليم الذى افضى الى انحلالها انفصل عنها الاستاذ عبدالله عكاشة وألف فرقته ، وفى نفس الوقت أيضا ألفت فرقة الاستاذ جورج أبيض مستقلا للمرة الثانية ، ثم فرقة عبد الرحمن رشدى على اثر انفصاله من فرقة أبيض ، ثم فرقة ترقية التمثيل العربى أسسها الزعيم الاقتصادى محمد طلعت حرب ، وتولى ادارة العمل فيها عبدالله عكاشة واخواه ، ثم الفت فرقتا يوسف وهبى ، والسيدة فاطمة رشدى ، وازدهرتا ازدهارا كبيرا ، غير انه - وبالاسف - لم يطل أمده ، ثم الفت فرقة السيدة فكتوريا موسى ، ففرقة اتحاد الممثلين بامداد من وزارة المعارف ولم تطل مدتها .

وكل من هذه الفرق اتت بحركة جديدة للمسرح العربى ، وعرضت للجمهور من القصص المعربة والمؤلفة التى شجعت كاتبيها واستكثرت عددهم ، ما زاد الجمهور اقبالا على التمثيل .

عن الهلال ١٩٤٢



بمضى على ميلاد الشاعر الألمانى « جوته » ۲۳۷ عاما وتنشر الهلال هذه الدراسة احتفالا بذكرى ميلاده

العاشق المتقلب وكيف بادل شارلوت الحب من طرف واحد ؟

بقلم : د . محمد رجب البيومى

عاش الشاعر الالمانى الكبير « جوته » حار العاطفة، جياش القلب ، قد امتد به العمر الى ما بعد الثمانين ، وهو يتنقل من هوى الى هوى دون أن تهدأ لواعجه الساخنة، ولئن استشعر قلق الحب والم المهجور فى بعض فترات حياته ، فان هـذا الشعور الممض المبرح قد الهمه ابدع روائعه الادبية فلولا ما



تدفق في وجدانه من أحاسيس الصبابة ، ما ترك هذه الآثار العاطفية التي جاوزت وطنه الى شتى ربوع العالم ، فترجمت الى اللغات المختلفة شرقا وغربا ، ولو لم يتسمع الشاعر الكبير الى نبضات قلبه في أحلك ليالي الالم ما استطاع ان يخلد ذكره هذا الخلود وأن تظل روائعه مهوى الافئدة الجريحة في كل زمان ومكان ! أجل لولا ماتدفق في وجدان هذا العاشق الكبير من أحاسيس الصبابة ، لكانت آثاره العلمية وحدها ذات ذيوع محدود في زمن محدود ولتوارت بالحجاب حين يكتسحها مايعقبها من فتوح تجعل السابق ذكرى عابرة تسنح قليلا كبرق سريع في غيم متكاثف .

ولكن الشاعر العاشق قد وجد في شرايين دمائه وهجا حارا ، أقلق نومه ، وشرد أمنه ، فأخذ ينفس من لواعجه بما ترك من لوائد وجدانية في عالمي القصة والشعر ، وقد سعد قراء العربية بكثير من روائعه العاطفية حيث نقلها الى لغة الضاد ، طائفة من كبار الادباء ، وكان هذا من حظ القراء ؛ لان القصة الممتازة تحتاج الى مترجم ممتاز يحلق في أوج جوته ، ويعيش في أفقه العالي ، دون أن تخذله قوته فيهوى الى مستوى يفقد معه روح الفنان وايمانه ، وقوة دفقه ، وسطوة ايحائه ، كما نرى في بعض الترجمات التي أساءت الى الاصل فاظهرته منضائلا يتوارى في أحقر الاسمال .

عاشق متقلب

على أن أعجب ما في حياة جوته الوجدانية أنه لم يصبر على طعام واحد ، بل كان دائم التنقل من مائدة الى مائدة ! وأكثر هؤلاء المتنقلين لا يحملون من جذوات الصبابة مايرقد الشجى بين الضلوع فلا يصدرون في نتاجهم الأدبي من صدق مؤثر ، ولكن جوته كان من القلة التي صدقت واخلصت في كل طريق عبرته ؛ اذ كان الحب يغزوه في وقت ما ، ليتجه اليه بكليته ، اذ يملأ شغاف قلبه ، ويسرى تياره الدافق بين دمه ولحمه ، فيصبح قلقا مضطربا كطير وقع في قفص لا يتسنى له أن يتفلت من حديده ، وهو مابين الاغلال يرسل أغاريده الحادة نابضة متوهجة ، فاذا فتح القفص بعد أمد طال أو قصر ، وانطلق الطائر لفضائه الفسيح فان أغاريده السابقة قد وجدت مكانها المطمئن في القلوب ، وأن سائقها ليلمس فيها من وهج الاخلاص مايجسليه الى معاودتها في اكبار وولوع ، وهكذا كان الحب المتعدد فيضانا يكتسح روح الشاعر في مواسم متتالية ، لم ينقطع عنه في أمد دون أمد بل صحبه حتى بلغ به فترة الشيخوخة ! والناس يعجبون



لعاشق شيخ يناوء ، كما عجبوا لعاشق متعدد الطموح متنقل الهوى ، حتى اذا قرءوا جدوله الشبوبة حمدوا الله ان وجدوا لفرسهم اللاهثة فى تلاليف مايقرءون ويسمعون ، ورجعوا الى العاشق الكبير بالثناء والتقدير .

ففى السادسة عشرة من سنه ، دخل الغلام اليافع جامعة « ليبسك » ليدرس الحقوق ، ولم يستطع ان يفرغ لدراسته الجادة حيث شغل بهوى فتاة اسماها فى شعره « آنيت » كانت ابنة لصاحب حانة يعتادها ، وقد شغفته ولوعــا فكتب ليها أولى نبضات فؤاده ، وظل يلاحقها حتى استجابت الى ندائه ، ثم طاف به طائف الملال فتركها ، ورأى من لوم أصدقائه ما أحرج موقفه فاضطر الى الدفاع عن نفسه ، فألف قصة تحت عنوان « مزاح المحبين » ولم تصادف اعجاب من حوله . لان المؤلف نظر الى عواطفه المتقلبة ، دون أن يقدر شعور بمن لهج بها وجعل يطاردها حتى وقعت فى الشرك ، ثم أعلن الجفاء دون اسباب وكذلك كان شأنه فى جامعة « استراسبورج » حيث اهتدى الى شابة فاتنة كانت ابنة لقس من رجال الدين ، تدعى « فريدريكا بريون » فكلف بها كلفــا شديدا ، ونظم فى حبها قصائد جديدة انتقلت به من دور الطفولة الفتية الى دور اليفاعة الناهضة ، ونقاد الادب الالمانى يعدونها نمطا طريفا من الابداع الشعرى ، وقد استجابت الفتاة الى عواطفه حين لست تولهه الضارع ، وماكاد عام يمر ، حتى عزف عنها ، واتجه الى التأليف الروائى فأصدر « جوتس فون » التى جذبت الانظار الى الفتى الناهض وجعلت حديثه يتردد بين الشباب .

أما الحب اللاهب ذو الدوى الرنان حقا ، فهو ماوقع له بعد أن ترك الجامعة ، وتهيأ لمزاولة المحاماة فى « فتزلار » اذ أحب « شارلوت بوف » بطلة قصته الرائعة « آلام فرتر » وهى قصة ترجمها الاديب البليغ الاستاذ أحمد حسن الزيات الى العربية ، وطبعت ثلاثين مرة ، ورحب بها الناقدون فى مصر ، فقال الدكتور طه حسين عنها « ماكان لهذا الشعب ـ شعب مصر ـ أن يجهل كتابا كآلام فرتر عرفه الناس جميعا فى اوربا فأحبوه وكلفوا به ، حتى انك لا ترى فتى أو فتاة فى السادسة عشرة من العمر الا قرأه وقرأه ، وحاول أن يفهم معانيه ، ويتأسى بما فيه ، وخيل اليه أن هذا الكتاب لا يصف ماجال فى نفس خاصة من فكر ، وماملكها من هوى ، وما أثر فيها من عاطفة ، انما هو يصف الحياة النفسية لكل شباب وشابة على اختلاف الازمنة والامكنة ، وعلى تباين الاحوال والظروف » .

وما قاله الدكتور طه حسين قاله نقدة الآداب العالمية اذ انتشرت آلام فرتر بين الخاصة والعامة ، وذكر الناقد الانجليزى « ادوارد شانكس » ان الرواية استحدثت مدرسة جذبت مناهجها اتباعا لا حصر لهم بل ان آلاف الشباب فى أوربا كانوا فى وقت ما يجهدون أن يرتدوا من الثياب مثل ماكان يرتدي فرتر ، وأن نابليون قرأها سبع مرات ، واستصحبها طوال أيام اقامته فى مصر ، ثم دعا الشاعر الى لقائه فيما بعد ، فحدثه عنها طويلا ، وموجز القصة يدل على تعرف جوته بحبيبته « شارلوت بون » فى فتزلار ، حيث اختلط بأسرتها ، وبادلها الهوى عن صدق ، ولكنه ارتطم بخطيبها ألبرت ، اذ وقف عقبة دون اقترانهما ، وكان ألبرت سمحا فلم



يعشق بصديق جبينه ، وحاول أن يكون أخا مخلصا له ، وهو وضع ليس من الطبيعي أن يستمر ، وكان لابد ان يختم باختيار أحد المتنافسين ، وقد آثرت شارلوت خطيبها ، وأدرك الشاعر حرج موقعه فانسحب على أشد حالات الكمد ، ليكتب قصة غرامه مسجلا وقائعها المشتركة من صدق واندفاع ولكنه جعل الخاتمة مهولة مزعجة حيث دفع بفرتر الى الانتحار !

طارت القصة في كل مكان حتى أحرجت شارلوت نفسها ، اذ ذكر من مواقفها الدفينة ماجعلها موضع النقد في مجتمعها ، وجائز أن يكون جوته قد كتب ماتوهمه صادقا دون أن يكذب ، لأن الهوى قد غطى على بصره فألهمه مالم يكن ، الا لو كانت تتجه نحوه أكثر من سواه لآثرته في النهاية ، كما كان جوته مشتطا بحق تماما على « ألبرت » فلنسأل عنه دون مواربة ، ما ننقل بعضه من ترجمة الزيات .

« ان جسمي لتتمشاه الرعدة اذا ما أدار ألبير — البرت — ذراعه حول قدها الرشيق ، وان كلمة لتتردد على شفتي ، فهل ينبغي ان أقولها ، انها لو كانت معي لكانت أسعد نفسا ، وأرغد عيشا منها معه ، ليس ألبير بالرجل الذي يقضي حاجة هذه النفس ، ويحقق مراد هذا القلب ، لقد تعوزه الحساسية ان قلبه لا يخفق مع قلبينا ، اذا ماقرأنا فصلا من كتاب ممتع ، تجد قلبي وقلب شرلوت يتقابلان ويمتزجان ، وقلبه مما نحن فيه بمعزل ، ولطالما دار الحديث بيننا عن الشأن ، فنذكر مالمحس له من عاطفة ، ولنشرح مانرى في عمله من رأي ، فنتفق أنا وشرلوت الا ألبير فيقف منا على النقيض ، لا جدال في انه يحبها من صميم فؤاده ، وهل جزاء هذا الحب الا السعادة ! »

ولا أدري لماذا لم يغير جوته أسمي صاحبيه ، لينأى بعض الشيء عن ؤاخذة لاذعة ، يخيل الى انه أراد بهذه القصة أن تكون رسالة خاصة يضعها في يد شرلوت ، لتفصح لها من وجدانه العميق ، فتدرك مايلتطم بداخله من موج ! صراحة دون مواربة ! وقد أخطأ فيما أراد ، لأن ذلك كان ممكنا يتيسر أيضا ، لو طرح الأسماء ، اذ أن صاحبته ستفهم كل الفهم مايعنيه : لم يفسح لهما مجال العذر كي تقول أنها غير المقصودة بكل ماقال ، وانما جمع الشاعر شتى تجاربه ليصبها في اناء واحد ! لقد سد جوته باب العذر للتويل بصاعقة من مجتمع « فتزلار » وكانت شرلوت أول من جابهته بالانكار ! وحق لها .

● عود على بدء ●

تطلع جوته الى الجديد أيضا وهو دائم التطلع اليه لا يكاد يغمض عينيه ، لقد انتقل الى فيمار ، وتعرف بأكبر رأس بها وهو الدوق كارل أوجست ، وهو ذو موهبة أدبية ، ووالدته أيضا من نوابغ الأدب لعهدها ، وكان في هذه البيئة المتفقة ما يرتفع بعواطف الشاعر الى نمط أعلى في أفق الصبابة ، ولكنه انجذب الى زوجة ضابط من ضباط القصر ، وقد أنجبت سبعة أولاد ، ولم تلهها الأسرة الكبيرة من الهيام بالأدب والشعر ، وكان ذلك مدخل جوته الى عقلها وحده ، لأنها أوصدت قلبها دونه فالتهب متأججا ، وأخذ يراسلها مستعطفا . وكاتي بها — وقد قرأت الأم فرتر وما سبقها من مذكراته العاطفية أدركت تقلبه ، وانتقاله من صبوة الى صبوة وهي بعد تكبره سنا وتجربة لما زاده اعراضها غير الحنين والتلهف ، وهي الوحيدة التي ظل يراسلها بعد رحيله التي عشرة عاما ! وكان صدودها الحاسم دافعه السريع الى التقاط من تقع على الطريق ،



اذ اتصل بفتاة تدعى كريستين فولبيوس، وتمنعت عليه حتى احرجته ، فاضطر الى الزواج منها ، على رغم اعتراض عارفيه ، اذ قارنوا بينها وبين من كتب فيهم جوته روائعه فلم يجدوا وجها واحدا من وجوه الشبه ! اذ كيف يخسر اللائق الفنان الوان الترف العاطفى لدى غانيات مثقفات موهوبات ! لم ينتهى به المطاف الى زوجة امية جاهلة لتكون أم ولده، ولعل الشاعر قد تعب من صدماته القاسية ، وعز عليه أن تتوالى الصدمات فآثر الراحة الى حين ، واقول الى حين لانه سيرتطم فى خاتمة حياته بحب كبير يتوجه الى ملاذه فى شيخوخته بعد أن فقد أسلحته الماضية كما سنشير اليه عن قريب .

ان خيال جوته الجنح كان الدافع الاول لتقلبه العاطفى ، لانه كان يرى حواء بوهمه قبل أن يلحظها بعينيه ، كان يسبح فى اجواز هذا الوهم ليتصور فاتنته حورية اسطورية ، فاذا وصفها فانما يصف ما قام بذهنه من تصور ملائكى لا حقيقة لوجوده ! وحين يتم اللقاء وتتكرر مواقفه ، وتتعدد مناسباته تظهر حواء على حقيقتها مجردة من كل خيال ، فيدب السأم الى نفسه ، ويجد من العوامل ما يبعث على الخلاف فالهجران! وكان جوته قد عبر عن هذه الخيبة القاسية تعبيرا رمزيا حين قال :

« لدى حلولى هذا المكان كنت كلما اجلت النظر فى هذا الوادى الجميل من اعلى الربوة اشعر ان نفسى نزاعة الى كل جهة من جهاته ، ارى الغابة الصغيرة فاشتهى ان اتفيأ ظلها الوارف، والمح قمة الجبل البعيد فاتمنى علوتها وابصر الهضاب المتسلسلة الوديان المنعزلة فاود لو اصل فى شعابها ، واجول فى رباها فاذا ما ذهبت اليها طائرا عدت ادراجى غير واجد ما كنت ارجوه وآمله وهكذا امر الغد ، ظلام متكاثف منتشر امام النفس ، يخوض فى احشائه القلب ، ويضل فيه ضلال البصر فى النظر البعيد ، يدبنا الشوق الى الانتقال اليه لنحظى بالشعور الفرد والسرور المحض ، والعيش الرفيع ، فنركب الى الوصول اليه كل صعب وذلول .. حتى اذا تمثل الغد ، وتحقق المرجو، والقرب البعيد ، وجدنا كل شئ على حاله الاولى ، حياة سيئة ، ومعيشة ضنك ، ومستراد حرج ، ورأينا انفسنا الصادية تحن حنينا الى الشراب البارد العذب الذى فاتها ، لم يعاودها الامل فتامل » .

تأمل هذه الصورة واجعل حواء مشبها والطبيعة مشبها به ، تدرك ما يعنى الكاتب اللهيف .

([illegible])

عاد جوته الى مسقط رأسه وقد جاوز الخامسة والستين من عمره ، وتطلع الى مرابع طفولته ومسارح صباه تطلعا يمت به رقدة من الحنين ، وتأكد انه سيقع فى حب جديد سيكلفه كثيرا اذ فقد اسلحته الساحرة التى كان يتمتع بها فى شبابه ، فكيف يخوض المعركة اعزل فى هذا الزمن المثبط لوقع الشاعر انه سيقع فى الحب لا محالة لانه يعرف أن حصون قلبه واهية تسلم ابوابها لاول طارق ، بل انه يعتقد ابتعاده من

الحب موتا حقيقيا لنفسه ! ليه يحيا ، ومن هوائه يتنفس ، وبنوره تهتدى عيناه !

وقد وضع يده على رأسه متحسرا لما يكلله من الشيب الابيض ، ثم نظر الى الانق ، فرأى خيوطا .. بيضاء تشق طريقها بين الغيوم ، وتؤلف بينها نطاقا ابيض كأنه وشاح على خصر حسناء ! فتفاءل بينه وبين نفسه . وقال مبتسما لقد حسن منظر اللون الابيض فى عينى ، فقد يحسن شيبى فى عين حسناء ، ومالبث أن نزل ضيفا على كبير من رجال المال يدعى«لون فيلمر » وكانت له زوجة شابة تتذوق الفن وتعشق الموسيقى وتجيد الشعر ، وقد سمعت بالشاعر وقرات روائعه قبل ان تراه ، وامتدت فرص اللقاء تكلف بها جوته كعهده ، ورأته بطلا من ابطال الادب العالمى نجاذبته ، وقد احست بلهيبه دون أن ينطق ، فابتدات بمكاشفته ، وبعثت له ببعض الرسائل، ولاتسل عن فرحة الشيخ الكبير وقد سقطت فى كفه انضج فاكهة من اجمل دوحة ، ولكن تجارب الايام قد علمته الا يصرح بما فى مكنونه كما فعل فى رواية فرتر حيث اسخط شرلوت ! فآثر ان يكتفى دونان يسفر عن خفاياه«الدلينة كأسه البعيد ! ولو استطاع السكوت لفعل ، ولكن عواطفه الجائشة تتطلب المفيض ، وكان لايزال يؤلف ما عرف فى مؤلفاته باسم « الديوان الشرقى » فكتب مقطوعات رائعة تحت عنوان « زليخا وحاتم » ولكنه استحيا أن يجعل نفسه نظير يوسف الشاب الجميل وهو شيخ « واهن يكذب واقعه مايريد» فاختار حاتما ، واوقع نقاده فى حيرة من اختياره فما كان حاتم بالصب العاشق ، ولكنه جواد ضرب به المثل ، اترى جوته كد تشبه بحاتم فى كرمه اذ بذل قلبه سخيا دون جزاء ! هذا ما يقوله بعض الكاتبين ، ولا اراه يطمئن فى وضعه الصحيح ! وننقل شيئا مما ترجمه الاستاذ عبد الرحمن صدقى عن كتاب « زليخا وحاتم » حيث قال جوته

حاتم : يا للغدائر الخلابة التى تيمتنى ، لقد اوقعتنى شباكك فى اسر هذه الطلعة الاصيلة الجلواء ، وليس عندى اينها الافاعى السود العجيبة ما يضارعك ، ليس الا قلبى وهو كعهده يتملا ويتفتح كالزهرة اليانعة ، انه تحت البلج الاشهب ، والدجن المخيم، بركان مسجور يجيش بحبك ، لقد علت وجهى منك حمرة ، كما اصطبغت من الفجر مرائى الجبال الوعرة ، وانس حاتم فى نفسه مرة اخرى نفحة الربيع ووقدة الصيف

زليخا : والله لا ارضى لك التلف ، فان الحب يذكى الحب ويؤكده ، فابق بصبابتك زينة لصباى وما اشدنى زهوا بمحبتك كلما سمعت اطراء الناس لعبقريتك ، فانما الحب والحياة وعبقرية الذهن حياة الحياة .. »

شد ما تباعد جوته عن اسمه ، كان فى الآم فرتر يقرن شبابه وجماله وتضرته بشباب شرلوت وجمالها حتى ليغدوان متماثلين ، وهو الآن يعانى البرحاء تحت الثلج الاشهب ، والدجن المخيم ، ثم يعلل نفسه بعبقرية الذهن لانها حياة الحياة ! وعبقرية الذهن لا تفيد شيئا مع الخطو المرتعش، والانحناء الواهن ، والنظر الكليل .. اليس كذلك ؟

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهم

بقلم : محمد سيد كيلانى



فى اكتوبر سنة ١٨٩٥ وصل الى المنصورة رجل قادم من البصرة واستقر بها ، فسمع بعض الناس ينادى احمد البدوى وغيره من الاولياء طالبا منه العون على قضاء الحاجات فنهاهم عن ذلك قائلا : لا تطلبوا من الاولياء ماليس فى قدرتهم

فنقل خبره الى رجل من المسترزقين بجدران القبور ، المحشورين فى زمرة العلماء ، فأخذ يشنع على البصرى ، وذكر انه من الوهابيين ، ثم اتصل برجال الحكومة وابلغهم ان هذا البصرى زنديق ، فصدر الامر بنفيه فورا . ولم يقف عند هذا ، بل كتب عريضة ووقعها من بعض الناس ، وضمنها طعنا فى الشيخ محمد راضى مفتى الدقهلية (وكان لكل مديرية مفت خاص بها ، فبادرت نظارة الحقانية الى فصله من وظيفته حسما للفتنة ومنعا للقيل والقال . وكان ذلك فى عهد وزارة نوبار باشا .

اجتمع علماء الازهر وعلى رأسهم الامام محمد عبده ، ورفعوا ملتمسا الى الحكومة ذكروا فيه ان الشيخ محمد راضى رجل كامل العقل ، عالم بالاحكام الشرعية والعقائد الاسلامية، حسن السير وطلبوا اعادته الى وظيفته ، فلم يستجب لهم احد .

كان هذا الحادث دافعا للشيخ محمد عبده الى مهاجمة زيارة الاضرحة وتقديم النذور والتوسل

بأصحابها ، فوقف له المتصوفة بالمرصاد يردون عليه بمقالات فى اثبات الكرامات للاولياء فى الحياة وبعد الممات . كما كان دافعا لحافظ ابراهيم الى نظم قصيدته التى يقول فيها ..

احياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبالف الف ترزق الاموات
من لى بحظ النائمين بحفرة
تجرى على احجارها الصلوات
ويقال هذا الباب باب المصطفى
ووسيلة تقضى بها الحاجات

ولم تفلح جهود محمد عبده ولاجهود غيره فى صرف الناس عن معتقداتهم فى الاضرحة واصحابها بدليل المبالغ الطائلة التى توجد كل عام فى صناديق النذور ، والاقبال الشديد على شراء الكتب التى تتحدث عن كرامات الاولياء والخوارق التى جرت على ايديهم .

ولم ينفرد بذلك المسلمون ، بل ان للمسيحيين قديسين يقيمون لهم الموالد ، ويقدمون لهم النذور ، وكذلك الحال مع اليهود فلهم ولى اسمه ابو حصيرة يقيمون له مولدا ويلتفون حول ضريحه يصلون وينحرون الذبائح وفى اوربا لهم قديسون كذلك مثل سنت تريزا ..

كثرت الاضرحة فى مصر منذ العصر المملوكي وزادت زيادة هائلة فى العصر العثمانى نتيجة لانتشار التصوف . وكانت ساحات الموالد مجمعا للشعراء والادباء يفدون اليها من كل صوب وينشدون قصائدهم فى مدح صاحب المولد والاستغاثة به والتوسل الى الله به ويمكننا ان نقول ان الشعراء جميعا قد اشتركوا فى المعانى والاراء والافكار . فهم يذكرون ما يعانون من الضيق ومن نكد الدهر وقلة النصير وانعدام المعين ويلتمسون من صاحب الضريح ان يأخذ بيدهم ويشملهم بعطفه وبره . وتمتاز قصائد التوسل بصدق العاطفة وتدفق المشاعر وتوفر الاحساس وهذه هى عناصر الاجادة فى الشعر ،فسلامة الاراء او فسادها لا يقدم ولا يؤخر وانما العامل الاول والاخير هو الاحساس الذى يعبر عنه هذا الشعر والعواطف التى يترجم لها .

وكانت ساحات الموالد تجمع الفساق وارباب الخلاعة والمجون . ولم ينهض احد من شيوخ الازهر لمحاربة هذا الفساد . بل كانوا يحضرون الموالد .

وقد ذكر الجبرتى عن جامع البكرى الموجود بشارع الرويعى ان صاحب هذا الضريح كان رجلا من البله ينسب الى الطريقة البكرية وليس من عائلة البكرى المعروفة . كان يسير فى الاسواق مكشوف الراس والساقين، غائبا .. وكان له اخ فقير لا يكاد يجد قوت يومه . فلما رأى ميل الناس الى اخيه واعتقادهم فيه حجزه فى منزله ومنعه من الخروج والبسه

احياؤنا لا يرزقون بدرهم



ثيابا ، واشاع انه اصبح قطبا يطلع على الغيب ويخبر بمـــا فى اللوح المحفوظ ويبرىء المرضى ويفرج الكروب فاقبل الناس عليه متبركين حاملين له الهدايا والنذور ، وخصوصا نساء الامراء والكبراء • فجمع اخوه ثروة طائلة فى مدة وجيزة ، وبذلك تخلص من الفقر الذى عاش فيه طوال حياته ولما مات على البكرى دفنه اخـــوه حيث يوجد ضريحه الآن• وكان يحضر المقرئين والمنشدين والمداحين ورجال الطرق الصوفية فيقيمون عند الضريح الحضرات وينشدون الشعر فى مـــدح القطب على البكـــرى ويرقصـــون ويصرخون ويمرغون وجوههم على شباكه ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويمسحون به وجوههم• ؛

وفى العصر الحاضر الذى ارتقت فيه العقول وانتشرت الثقافة تطالعنا الصحف من حين الى حين بأخبـــار الدجالين الذين يدعون القـــدرة على شفاء الامراض وقضاء الحاجات وحل المشكلات • فيقصد اليهم نفـــر من المثقفين نساء ورجالا ، فيجمعون من وراء ذلك اموالا طائلة ومازال الناس يتهافتون على حضور الموالد وتقـــديم النذور يستوى فى ذلك المتعلمـــون والجهلة • قال الحسن البدرى وهو من شعراء العصر العثمانى •

ليتنا لم نعش الى ان رأينـــا
كل ذى جنة من الناس قطبـــا
وان مـــات جعـــلوه مزارا
وله يهرعون عجمـــا وعربا
بعضـــهم قبل الضريح • بعض
عتب البـــاب قبلوه وتربا
هكذا يفعل المشركون مع اصـ
ـنامهـــم يبتغون بذلك قربا
كل ذا من عمى البصيرة والويـ
ـل لشخص اعمى له الله قلبـــا



العالم في سطور

موسكو

الاتحاد السوفييتى يقوم بتكريم أحد أدبائه الكبار .

قد يبدو الخبر عاديا . فعلى كل دولة ان تكرم عظماءها .. لكن الجديد فى الخبر أن الاديب هو الراحل بوريس باسترناك الذى أجبرته بلاده أن يرفض جائزة نوبل عام ١٩٥٨ التى منحت له عن رواية « دكتور زيناجو » لانها تنتقد الثورة البلشفية .

الجديد فى الخبر أيضا أن الاتحاد السوفييتى بدأ ينظر الى الادباء والفنانين المنشقين نظرة مغايرة .. ويرى الزعيم جورباتشوف أن على الفنان أن يعبر عن الحقيقة فيما يكتب . اى ان عليه أن ينتقد كما يشاء طالما أن انتقاداته قائمة على بساط أخضر من الواقع الذى يعيشه الانسان السوفييتى .

الكرة الان فى الملعب السوفييتى .. فمن قبل كان الغرب يهلل لهؤلاء المنتقدين للسياسات السوفييتية والذين اصطلح على تسميتهم بالمنشقين واحتضنهم وصنع من أنصاف الموهوبين منهم عمالقة . وردد تصريحاتهم التى تنتقد أوضاع البلاد كأنها نواميس سماوية .. فمن المعروف أن باسترناك شاعر جيد أكثر منه روائى متوسط القيمة .. ومع ذلك فقد فاز بجائزة نوبل عن رواية أقل أهمية قياسا الى الانتاج الادبى الروسى الحديث .. ولم يفز عن أشعاره .

بالطبع لن يعود الكتاب المنشقون مثل زينفيف وسولجنتين الى بلادهم .. على الاقل الان .. ولكن السؤال المطروح . هل يمكن أن تفقد أعمالهم الاقل انتقادا للاتحاد السوفييتى مذاقها الساخر فى الغرب ..

هذا هو سؤال المستقبل !.



نيويورك

احدث هذا الكاتب انقلابا خطيرا فى حياة أبناء النصف الثانى من القرن العشرين بروايه بسيطة ضعيفة المستوى الفنى ..

اريك سيجال . صاحب قصة

العالم في سطور

حب .. التى بيع منها فى الولايات المتحدة وحدها عشرون مليون نسخة . لم ينشر سوى اربع روايات لم ينل اى منهـا شهرة روايته الاولى . ترى هل نجحت هذه الرواية بالمصادفة ككتاب وفيلم ؟ . ام انها جاءت فى وقت غرق فيه العالم فى توتر احتاج فيه ان يغرق فى « قصة حب » ربطت بين جينفر واوليفر وانتهت بوفاة الزوجة بين ذراعى زوجها .

هذه التجربة لم تشهد نفس النجاح مع الجزء الثانى من الرواية « قصـة اوليفر » . ولم تنجح روايته الثالثة « رجل وامرأة وطفل » ١٩٨١ . فى الشهر الماضى عاد سيجال برواية جديدة لا يخرج فيها من الاطار العام الذى حدده لنفسه منذ ستة عشر عاما ـ تحت عنـوان « الفصل » . استخدم المؤلف ـ المدرس بالجامعة ـ من سنوات دراسته فى جامعة هارفارد كى يحكى تجربته الشخصية مع ذكريات الدراسة . يتكلم عن خمسة من ابناء جيله . احدهم مهاجر من المجر يدرس الادارة السياسية . والثانى لاعب تنس . والثالث ـ سباح ـ ابن صاحب مطعم يونانى يطمح فى ان يصبح مدرسا بالجامعة .. اما الرابع فموسيقار يتمنى أن يغدو موسيقارا مشهورا . أما الخامس فهو بلا طموح بالمرة . لقد جمعهم الفصل « ٥٨ » قبل ان تجمعهم الحرب الكورية .. فلا يعود منهم الا واحد فقط .

استقى الكاتب أحداث روايته اثناء احتفال اقامته الجامعة للخريجين . فتذكر زملاءه الذين ذهبوا الى الحرب فلم يعودوا .. ولم تحقق بلادهم امجادا فوق اشلاء جثثهم .. تطور جديد شهده ادب سيجال بعيدا عن قصص الحب وينتظر الحكم الصحيح عليه .



اريك سيجال

● باريس

الدكتورة مكارم .. دى مدسيس



كاترين دى مدسيس

هتف الدكتور حسن لزوجته الدكتورة مكارم ـ فى مسلسل « أزواج لكن غرباء »

الذى عرضه التليفزيون فى رمضـــان الماضى : « انت كاترين دى مدسيس » تساءلت الزوجه اكثر من مــرة فى استغراب . من هى كاترين دى ..

صدر فى الشهر الماضى كتاب جـديد فى فرنسا ـ فى أكثر من ٨٠٠ صـفحة ـ تاليف جان اوريوجول حول تلك المرأة الحديدية التى حيرت المؤرخين والهبت خيال الرسامين والأدباء . فقد حكمت المرأة فرنسا بيد من حديد كزوجة للملك هنرى الثانى . عاشت فى الفتـرة بين ١٥١٩ و ١٥٨٩ . حاولت استرضـــاء البروتستنت . ولكنها انضمت فيمـا بعد الى الكاثوليك وبلغت قمة شراستها حين دبرت مذبحة بارثولوميو عام ١٥٧٢ التى راح ضحيتها أكثر من خمسة آلاف شخص . وجعلت من زوجها صـــورة باهتة لرجل يجلس على اكبر عرش فى العالم فى تلك الحقبة .

من اشهر الكتب التى صدرت عن دى مدسيس رواية تحمل اسـمها للكـاتب الانجليزى رفائيل ساباتينى ترجمت الى اللغه العربيه أكثر من مرة فى روايات الجيب والروايات العالمية .



ادب الرحلات .. على طريقـة الشباك

تصور البعض ان التلفاز يمكن ان يؤثر على ادب الرحلات بصفة خاصة.. لكن هذا الادب لا يزال يتصدر المبيعات. ويتواجد بنفس القدر .. لانه يحمل رؤية الكاتب عند زيارته لبلاد العالم .

ومن الصعب حصر عدد الكتب الذى



صدر اخيرا فى ادب الرحلات .. لقـد راح ادباؤه يجوبون ذات اليمين وذات اليسار فى شتى أنحاء العالم يتحـدثون عن انطباعاتهم حول المدن والقرى والبشر.. من أهم هذه الكتب « الشرق الانس.. حيالى فى آسيا » للصحفى روبرت جوليان الذى عاش فى شنغهاى ابان سـنوات الحرب العالمية الثانيه . كما عاصر ثورة ماوتسى تونغ . ولذلك جاء كتابه رؤية سياحية تاريخية لاحـداث شهدتهـا دول شرق آسيا لسنوات عـديدة . ويعترف الكاتب انه قد يندفع يوما ليكره هؤلاء القوم الذين عاش بينهم لم لا يلبث ان يكتشف ان الاسلوب الذى تلقى به هذه الكراهية كان خاطئا . فلا تلبث مشاعره أن تتغير تماما كى يفهم الامــور على حقيقتها .

اما فيليب ليبو فقد رحل ايضـــا الى الشرق من خلال « الرحيل الشاعرى » .. ولكن الرحلة تختلف . لقد قـام الكاتب بجمع وقراءة كتب الرحلات الى الشرق ليقدم انطباعاته الخاصة، ويقول الكاتب انه قد آثر القيام بهذه الرحـلة المتخيلة لان ايقاع الحياة كان أكثر بساطة .

عصر الفضائح الأدبية



خورخه لويس بورخيس

بقلم : محمود قاسم

في رواية « البيت الحي » للروائي الفرنسي المعاصر هنري تروايا جاءت امرأة برواية كتبها زوجها الى أحد أصدقائه المقربين وطلبت منه أن ينشر هذه الرواية باسمه فكانت سببا لنجاحه على المستوى الاوربي ، وعندما أراد هذا الصديق أن يكتب رواية جديدة جاءت فاشلة خالية من حس الابداع ، وكانت سببا في أزمة نفسية طاحنة ، أصابت الصديق وزوجة الكاتب الراحل بمقتل لا مفر منه

وفي « أقصوصة بعنوان » رسالة خاصة جدا الى رئيس التحرير .. للكاتب الايطالي دينو بوتزاتي كتب روائي كبير رسالة طويلة الى رئيس التحرير يفصح فيها ان مؤلف كل هذه الروايات المنشورة باسمه ليس الا شخص مغمور أراد أن يستفيد من الاسم الصحفي للكاتب وان يظل هو في غمرة النسيان مقابل منحه نسبة كبيرة من ـخا ا بعد النشر .

في عام ١٩٨٢ نشر الشاب دانيلوفيتش كتابا تحت عنوان « من هو اميل اجار ؟ » كشف فيه عن فضيحة أدبية هزت فرنسا في ذلك الحين ، فاميل اجار الذى نشر ثلاث روايات منها « الحياة أمامه » حصلت على جائزة جونكور عام ١٩٧٥ ـ ليس سوى الكاتب المعروف رومان جارى الذى فاز بنفس الجائزة عن رواية أخرى عام ١٩٥٦ وعندما أراد الحصول مرة أخرى على الجائزة أوهم ناشره أن لديه نصا أرسل له من امريكا اللاتينية لكاتب جديد يدعى اميل اجار « انظر الهلال يولية ١٩٨٢ ».

وفي عام ١٩٨٤ دخلت فتاة صغيرة مع مخطوط روايتها الى احد دور النشر الانجليزية فما كان من الناشر سوى أن رفض هذا العمل : نسـاذج لكاتبة لاتزال تحبو .. وفي الاسبوع التالي تنفجر الفضيحة .. فمؤلفة هذه الرواية هي الكاتبة المعروفة دوريس ليسنج التى كشفت أن لجان

القراءة قد فقدت القدرة على التــذوق او التمييز ..

اما اكاديمية ستوكهولم التي تمنح جائزة نوبل في الادب سنويا فانها قد استبعدت خلال الاعوام الاخيرة اسم الشاعر والروائي البــاحث خورخه لويس بورخيس من ترشيحاتها لان فضيحة أدبية التصــقت بمصادر بعض كتبه ..

لقد قيل أن بورخيس قد نسب الى نفسه تاليف احــدى الروايات التي كتبتهــا سكرتيرته التي تقرأ له اعماله منذ ان اصبح ضريرا عام ١٩٥٥ وحتى وفاته في منتصف شهر يوليه الماضي ..

وقد نشرت مجلة الاكسبريس الفرنسية في عددها الصادر في ١٢ اغسطس ١٩٨١ ان السبب الحقيقي لعدم منح جائزة نوبل لبورخيس يرجع الى سبب اكثر جسامة وهو ان الكاتب الارجنتيني قد نسب الى نفســه تاليف خمسة كتب اشترك في كتابتها معه الاديب بيوى كاساراس ،منها رواية بوليسية منشورة تحت عنوان «ست مشاكل للدون ايزيدور بارودى » ..

● الشك والاديب ●

ونسبت الاكسبريس مصادر معلوماتهــا الى مجلة قانونية تصدر في الارجنتين تحت عنوان « كابيلدو » قائلة ان رجل الابداع لم يكن مبدعا بالمرة .. وقد تكون هذه الجملة قاسية على كاتب مبدع مختوع مثل بورخيس ملب الاشعار صادق الحس ،ولكن طالما ان هنا شبهة فضيحة الصقت بالكاتب ولم يدافع عنها بل أنه اكدها اكثر من مرة .. فاصبح مشكوكا في كل سطر يكتبه . والغريب ان المجلة تقول ان بورخيس لم ينف عنه التهمة ، بل تحدث عنها دون أى حياء بل وان الكثير من حكــاياته واشعاره ومقالاته قد كتبها كل من ادولفو بيوى كاسارس ، ومانويل موخيكا لاينث وليبولدو مارشال . وبذلك فان بورخيس لم يكن سوى منتحل من الدرجة الثــانية يبحث مثل كل المتورطين في هذه الفضائح الادبية عن الشهرة والمجد الادبي والوقوف أمام عدسات الكاميرات والتلفاز .. بل قيل ان بورخيس هو أكثر ادباء عصره شغفا بعقد المقابلات الادبية وغير الادبية مع رجال الصحافة والاعلام .. حاول فيها فرقعة البالونات واحداث فضائح او اثارة جدل حول شخصية مثلما فعل منذ عدة سنوات حين اعلن ان « البابا ليس سوى موظف لايستحق كل هذه الحفاوة » .

اذا كانت مجلة كابيلدو قد عزت ســلوك بورخيس الى ثلاثة أسباب منها أســباب تتعلق بسياسة بلاده . فان هذه الاسباب قد لاتهم القارىء العربي كثيرا .. لكن المثير للنقاش ان ادب الكاتب نفســـه وتصريحاته قد امتلات بالتنــاقض والتخبط .. فرغم ان الكــاتب قد كتب كثيرا عن الحضارة العربية والاندلسيات بصفة خاصة الا انه يرى العالم مصــبوغا شاء ام أبى بالدماء اليهودية .. « وأنا احد الادباء الذين ولدوا في المنفى ،هناك الاردماء هندية في دمى لست فخورا كثيرا بهــا . ونقطة دماء برتغالية . ومن بعيد دماء فرنسية ثم بقعة دم يهودية مثل كل العــالم » ـ « لوموند ٢٨ يناير ١٩٨٣ »

● مغازلة اليهود ●

قد يكــون هذا منظــور الكاتب وله الحرية ان يرحده ويؤمن به . لكن الطريف ان مثل هذه التصريحات لم تصــدر عن الكاتب سوى في السنوات العشر الاخيرة لقد اراد الكاتب مغازلة الاصــــوات اليهودية المشرفة على منح جائزة نوبل . ورغم ان اسمه كان دائمــا على قمة الترشيحات الا ان هذه الاصوات لاتريد مهما كان الثمن ـ منح جائزتهــا للكاتب أبجهر بكل شيء متناقض وكان يمكن ان يقلب الدنيا راسا على عقب فوق رأس اكاديمية ستوكهولم بفضائحه الادبية .

والآن .. ماذا يمكن ان يحدث لمثل هذه الاعمال التي اثيرت حولها الاقاويل . اذا

عصر الفضائح الأدبية



رومان جاري

نظرنا الى الطبعات الجديدة من كتب أميل اجار الاسم المزعوم لرومان جاري ، فان هذه الروايات تحمل اسم آجار ـ جاري معا . اما دوريس ليسنج فقد نشرت كتابها الاخير باسمها .. ولكن لايمكن ان نتصور أن يختفى اسم كاتب كبير مثل بورخيس من فوق الكتب العديدة التي حملت اسمه وان تنسب الى كتاب آخرين أقل شهرة .. فاذا كانت هذه الابداعات والكتابات قد منحت بورخيس اسما كبيرا .. فانه بدوره قد منح اسماء هذه الكتب شرفا وشهرة .. وسوف تتلاشى الفضيحة مع مرور الزمن .. ويبقى اسم بورخيس .. وتتحلى الصور القادمة بظواهر مماثلة .. وتختلط الحوابل بالنوابل ..

فقد نشرت وسائل الاعلام أن بورخيس قد كتب اقصوصته الاولى « النهر المحتوم » وهو فى السادسة من العمر . وانه ترجم روايات لاوسكار وايلد ودیکنز وهو فى التاسعة من العمر . وانه قرأ الف ليلة وستيفنسون ودانتي وسرفانتس وهو فى الحادية عشرة .. اى اننا امام عبقرية فذة ولدت ناضجة . نوبة الحس والذاكرة .. وان ديوانه الاول الذى نشر عام ۱۹۲۳ تحت عنوان « حمية بوينس ايرس » قد ولد من جبل الاولمب أربابا للشعر .. وان هذه العبقرية قد ظهرت مع كتبه الاخرى مثل « دفترسان مارتن » ١٩٢٤ ، « القمر فى المواجهه » ١٩٢٥ . و « الف » ١٩٤٩ . و « ذهب النمور » ۱۹۷۲ ثم « كتاب الرمال » ١٩٧٥ ..

قد لايهم القارىء العادى لهذه الاداب أن تنسب هذه الاعمال لبورخيس اكثر من ان يجد فيها المتعة .. لكن الباحثين يترصدون مثل هذه الاداب ويقومون بتحليل روح النص واسلوب بورخيس وكلماته فى كل سطر جديد . ويمكنهم اكتشاف صاحب النص الحقيقى .. لكن نصوص هؤلاء الباحثين جافة لاتهم القارىء العادى كثيرا .. فيبقى أدب بورخيس يتحدث عن المدن الفاضلة . والخلاص . والمثالية . والامل فى الغد « لااكتب من أجل اختيار صغير شغفت منه . وليس من اجل بشر مجهولين لا أومن بالتجريدية . ولا بالديماجوجية أكتب لنفسى ولاصدقائى كى اطيل الوقت الذى اعيشه » .

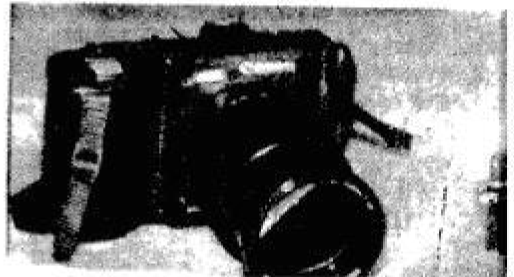
واذا كان الباحثون قد أعلنوا مرارا ان كل النصوص المنسوبة الى وليام شكسبير لم تكن فقط من تاليف هذا الممثل المسرحى المغمور وانما من وضع كاتب اخر عبقرى قد يكون كريستوفر مارلو الا ان هذه النصوص لا تزال تحمل اسم شكسبير حتى لو اصبح مجرد رمز فوق كتب ومسرحيات يكسب كل منها الاهمية للاخر ..

مهما كانت رائحة الفضائح فى الادب فانها متبخرة حتى يبقى منها طيف بسيط .. لكن الرابح الاكبر هو ذلك الذى صنعت حوله الفضيحة .. فالفضيحة شهرة من الدرجة الاولى .. اما صناع الفضائح او مكتشفوها فان النسيان سرعان مايطويهم مع الزمن .. حتى وان كانوا صادقين ..

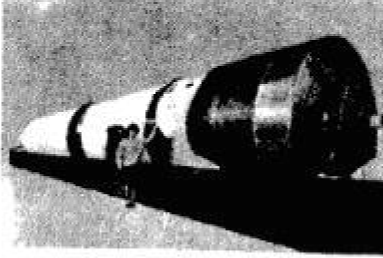
العالم.. غدا

● الكاميرا الحديثه بدون فيلم ●

اخيرا تحول الخيال الى حقيقة واقعة واصبح فى الامكان التصوير بكاميرا اليكترونية بدون فيلم خلال العام القادم، وللكاميرا الجديدة نفس الشكل الخارجى للكاميرات التقليدية ولكنها تختلف تماما من الداخل . وتتركز الصور على شريحة شبه موصلة دقيقة الحجم وهى تنقسم الى ٢٨٠ ألف من عناصر الصورة الدقيقة والتى يقوم كل منها بتحويل الضوء الذى يتلقاه الى ومضات كهربائية . تسجل هذه الاشارات الكهربائية مغناطيسيا على اسطوانة قطرها بوصتان مربعتان وهى التى تحل محل الفيلم . وبمجرد التقاط صور الكاميرا البالغ عددها ٥٠ صورة يمكن عرضها على شاشة التليفزيون واجهزة الفيديو أو طبعها وتحويلها على خطوط التليفون الى مكاتب الاخبار .



● موتور جديد يعمل بالصوت ●



الان يمكن الاستغناء عن الموتورات التقليدية التى تعمل بالطاقة الكهربائية المغناطيسية - الكهرومغناطيسية - فقد انتجت احدى الشركات اليابانية الكبرى محركا يعمل بالصوت . ويعمل الموتور الجديد عندما تنتج محولات الطاقة الكهربية صوتا عالى الذبذبات يؤدى الى دوران شرائح الموتور . ويستخدم موتور الصوت فى تشغيل عدسات الزووم فى كاميرا الفيديو والروبوت الصناعى والمكونات الاوتوماتيكية .

● عصر السرعة .. فى طباعة اللوحات ●

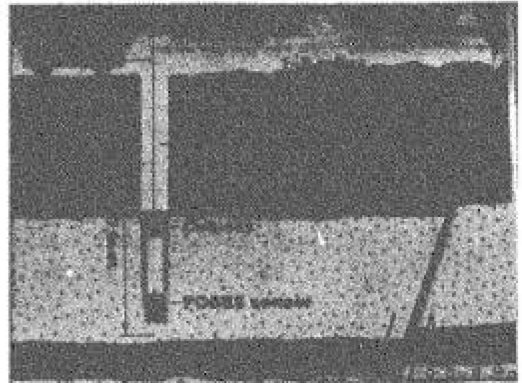
تعتبر اليابان واحدة من اكبر دول العالم فى مجال التطور التكنولوجى فبعد ان انتجت اضخم شاشة تليفزيونية فى العالم توصل علماؤها الى ابتكار اضخم جهاز طباعة. يزن الجهاز حوالى ١٤ طنا ويعمل عن طريق الكمبيوتر ويمكنه طباعة الصور باستخدام اربعة الوان . وباستخدام الجهاز تم تكبير لوحة اعلانات مقاس ٥ر٦٥ قدم × ٢٣ قدم فى حوالى ١١ ساعة فقط وبالمقارنة فان هذه اللوحة تستغرق اسبوعين لرسمها .

العالم غدا

● جهاز جديد للتنبؤ بالزلزال ●

اتجه العلماء الامريكيون الى استخدام اسلوب جديد للتنبؤ بحدوث الزلازل ولاول مرة تستخدم الالياف البصرية فى هذا الغرض ، فقد انتج العلماء جهازا جديدا غاية فى الدقة والحساسية لقياس اى حركة دقيقة وغير عادية تحدث فى القشرة الارضية . ويمكن للجهاز تسجيل اهتزاز يقدر بنحو عشرة على بليون من المليمتر . ويتم تركيب الجهاز على مسافة تصل من ٢٠٠ الى ٣٠٠ قدم تحت الارض . ويلف على الجهاز من الخارج طبقة من الالياف البصرية واخرى من الداخل تعمل كمؤشر للجهاز وتنفذ من خلالهما اشعة الليزر . وعندما يغير ضغط الارض من طول الطبقة الخارجية من الالياف البصرية يظهر اختلاف طول الموجات فى الطبقتين الخارجية والداخلية حجم الضغوط فوق سطح الارض .

ويمكن استخدام الجهاز الجديد فى الكشف عن البترول واثبات حدوث الانفجارات النووية تحت سطح الارض .



● سبراى لعلاج نزلات البرد ●

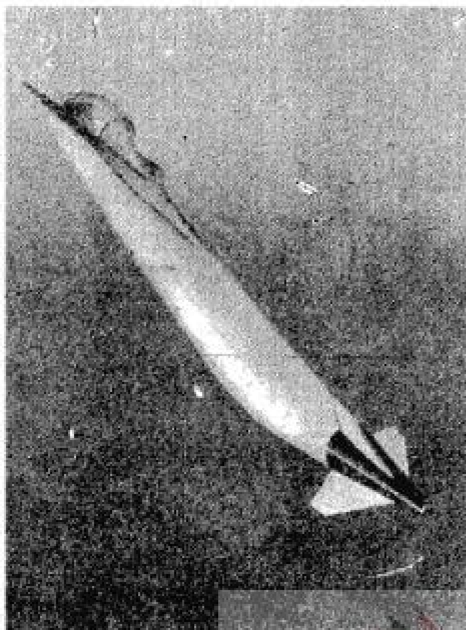
تمكنت مجموعة من الاطباء البريطانيين من التوصل لدواء على شكل سبراى للانف يقضى على نزلات البرد الشديدة فى زمن قياسى . ويعمل هذا الاسبراى على تغيير كيمياء الخلايا المخاطية ، مما يجعل هذه الخلايا تقاوم الاصابة، وبعد التجارب التى اجراها الاطباء اثبت الاسبراى ان نسبة نجاحه تصل الى حوالى ٧٨ ٪ ، وهو ذو فاعلية فى علاج نزلات البرد التى تصيب الانسان فى بداية الشتاء .

● هل يلقى العرب زيوتهم النباتية فى البحر ●

مع تفاقم مشكلة الغذاء فى مصر لابد ان تخرج الدراسات الجامعية من الادراج كى توضع محل التنفيذ والتطبيق .

احدث هذه الدراسات التى تخرج من الادراج تناقش اقتصاديات المحاصيل الزيتية فى جمهورية مصر العربية . مع تحديد كافة المتغيرات المحيطة باستخدام المواد المستخدمة فى انتاج هذه المحاصيل. وامكانية النهوض بانتاجها. اعد الدراسة الباحث الدكتور احمد ابو الروس .

وتشير الدراسة الى مؤشرات حساسة مثل ان محصول القطن يتناقص سنويا بما يقدر بنحو ٣٧ الف فدان بسبب ارتفاع تكاليف الانتاج والتسويق وانخفاض صافى العائد . وينطبق مثل هذا الامر على فول الصويا والكتان . لقد تبين من تقدير دالة تكاليف انتاج فول الصويا ان عملية انتاجه بمصر لا زالت تتم فى مرحلة الانتاج غير الاقتصادى ، حيث لم تصل انتاجية الفدان الى حجمها الامثل . وينطبق هذا ايضا على العديد من محاصيل الزيوت النباتية .



وقد اوضحت الدراسة ان اهم العوامل المؤثرة على استهلاك الزيوت النباتية بالجمهورية تنقسم الى مجموعتين : الاولى وتشمل على دراسة عاملى الدخل والاسعار ، اما الثانية فقد تضمنت اثر كل من السكان وحجم الاسرة ومهنة رب الاسرة على استهلاك هذه السلعة .

وقد اشارت الدراسة ان الزيوت المستخلصة لا تستطيع الوفاء باكثر من ٣٣ - ٣٩٪ من احتياجات الاستهلاك الادمى من هذه السلعة حتى عام ١٩٩٠ . ومن ثم فان امر الوفاء بهذه الاحتياجات المتزايدة من هذه السلعة سوف يلقى العبء الاكبر على مخططى السياسة الزراعية والغذائية بصفة خاصة .

وقد اوصت الدراسة بالتوسع فى زراعة المحاصيل الزيتية واعادة النظر فى اسعار الخدمات الراسمالية ودعمها ماديا، وتقليل التكاليف الانتاجية للمحاصيل الزيتية . وزيادة مساحة محصول القطن او المحافظة على المساحة الحالية، والعمل على رفع الجدارة الانتاجية للمحاصيل الزيتية . وترشيد استخدام البذور الزيتية .

قذائف الغد الطائرة

شهد عالم الطيران فى القرن العشرين تطورا لم تعرفه بقية اختراعات هذا العصر حتى الان . ومع ذلك فان ما كتبه الروائى الانجليزى هـ . ج . ويلز فى روايته « اول انسان فوق القمر » لم يتحقق حتى الان .. حين تصور انه يمكن الوصول الى القمر من خلال قذيفة صاروخية تقل بعض الرواد عن طريق مادة اسماها « الكافوريه » .

سينام ويلز مرتاح البال فى مقبرته مع بداية التسعينات، حيث سيفتتح الرئيس الامريكى القادم فى عام ١٩٩٣ اول قاعدة جوية عسكرية تطلق طائراتها بنظام القذيفة الموجهة . حيث ستعمل هذه الطائرات باسلوب قوة الطرد المركزى بالغة الهدف الذى تضربه ثم يتم التحكم فيها فى رحلة العودة .

ويؤكد العلماء ان هذه الطائرة سوف تعمل فيما بعد فى الطيران المدنى مع اوائل القرن الحادى والعشرين .. وانها يمكن ان تقلل المسافات الزمنية بين اقطاب الارض فتجعل عالمنا قرية صغيرة يمكن الانتقال فى ارجائه اسرع من الانتقال داخل احدى القرى الصغيرة فى بلادنا مثلا .. وقد أعلن احد الخبراء الذين يعملون الان فى اللمسات الاخيرة لتصميمها « بات من المستحيل القول بأن هناك مستحيلا » ..

سموم في صيدلية منزلك

بقلم : د. مصطفى الديوانى

ريشة : عادل ثابت

ايها النوم ! انت اعذب الاحلام واشهاها ! وبعد كد النهار اقصى الامنيات واحلاها ! ما حاول فنان الابداع والخلود الا تخيلك جمالا مغريا ، على اريكة وثيرة من الدمقس مستلقيا ، انت بلسم الالام ومخزن الامال . سيان عندك المدقع وذو الجاه والمال . قد تسخو على من نبذته حياة النهار وتقبض يدك عمن ملئت خزائنه بالذهب والدينار . وانت ايها الليل ما اقسى سكوتك واشد حلكتك . فيك يحلو استرخاء النوم وتلذ غفلته . ولكن ما افظعك ياليل اذا تخللتك الالام فتقطع علينا جميل الاحلام ، وتحول اعصابنا المشدودة الى حطام ثم لا تلبث ان تنقطع وهى ترسل اقسى الانغام . وانت ايتها الحمى لقد سرت منذ القدم فى موكب الزمان . وكم من يد رقيقة وضعت بسببك على جبين محموم فى عطف وحنان . من اجلك اهتزت مشاعر وهلعت نفوس ، وهتفت قلوب من اعماقها : متى ينتهى الكابوس .

هذه العوامل الثلاثة : جدل النوم ولذته ، وقسوة الالم وشدته وعذاب الحموم في ازمته ، تدفع الفريسة المسكينة الى ركوب الاخطار فى سبيل التخلص من الالام وتضطرها الى اللجوء الى بعض السموم المحبوبة فى صيدلية المنزل ، وهى تبدو للعين غير المجربة كباقة فريدة من الزهر بين افرادها الفل والياسمين ، فى حين ترى فيها العين الناقدة الخطر الدفين . ويعز على ان استعرض اسماء معظمها عزيزة ، لها علينا افضال كثيرة ، ولكن كل ما ارمى اليه من عرضها هو مجرد لفت النظر الى عدم الافراط دون تبصر أو روية فى تعاطيها ، والا ننشىء بيننا وبينها صداقات كبيرة فليس اعصب بالود من ملازمة مستمرة تكشف الغطاء عما خفى وبطن .

كلمة تحذير

فاذا استعرضنا الادوية الشائعة واحدا بعد الاخر بدانا باكثرها شيوعا وهى مهبطات الحرارة العادية التى لا تكد تخلو منها صيدلية اى منزل واعنى بهذه الشرذمة مركبات الاسبرين والفيناستين والبراميدون ، وجدنا انفسنا مضطرين الى ارسال



سموم في صيدلية منزلك

كلمة تحذير لابد منها في سبيل السلامة العامة . فالاسبرين مثلا - وهو اللعبة المفضلة في صيدلية المنزل - قد يسبب آلاما معدية يصحبها عسر هضمي وقد يؤدي تعاطيه الى حدوث هرش جلدي شديد وارتكاريا مستعصية، وورم في الوجه والعينين ونزيف من الانف والفم واذا اعطى بكميات كبيرة قد يسبب تهيجا عصبيا وهذيانا وفي بعض الاحيان يفقد الشخص وعيه ويمضي في غيبوبة قد لا يفيق منها ابدا ، وهذا يفسر نجاح بعض حالات الانتحار بتعاطي كميات من الاسبرين ومن سبيل وضع الحق في نصابه يجب ان نذكر انه ليس للاسبرين اى تأثير سيىء على القلب كما تروى الشائعات .

اما فصيلة البيراميدون فاننا نجد اسم احد اعضائها ضمن معظم المركبات المسكنة للالام وهي في متناول الجميع يشترونها من الصيدلي المتخصص ومن البدال الذي يبيعها بجانب طوابع البريد وعلبة السجاير ولابد من ارسال كلمة تحذير شديدة خالصة بصدد البيراميدون . فاذا رأيت اسمه مدرجا في تركيب دواء ما فخذ حذرك منه فقد يكون السم في البلسم الشافي - لان لهذا الصديق اللدود قدرة خاصة في بعض الاشخاص لا كلهم لحسن الحظ - على النزول بكرات الدم البيضاء الى الحضيض فتهوى من مستواها العالي البالغ عشرة الاف في المليمتر المكعب الى الف او اقل . فتقل مقاومة المريض للجراثيم ويصاب بالتهابات شديدة بالفم والزور وينتابه هبوط شديد قد يؤدي الى اوخم العواقب . وتحدث هذه الاعراض - لحسن الحظ في الناس الذين في اجسامهم حساسية خاصة لهذا الدواء ويمكننا ان نجنبهم شره بتحليل دم كل مريض يتعاطاه بصفة دائمة من ان لآخر، ووقف تعاطيه في الحال اذا وجدنا ان عدد الكرات البيض اخذ في الهبوط . ويدخل البيراميدون في تركيب كثير من الادوية المسكنة الشائعة مثل الفرامون والسيبالجين والالونال وهي اسماء غالية عزيزة لا اقصد الحط من قدرها ولكني اردت التحذير من الافراط في استعمالها دون تبصر او تعقل .

● استعمال خطر ●

ننتقل بعد هذا الى عالم المنومات اى الادوية التي تجلب النوم الهنيء عندما يضرب شيطان الارق على الاوتار المشدودة . ومن اوسعها انتشارا املاح البروموره او (البروميد) كما يصمم غير الاطباء على نطقها في رطانة طريفه . وهي اذا اعطيت كمنوم يصحو الشخص من نومه خاملا كسلانا على غير ما تعهده فيه بعد الاستيقاظ من نوم طويل . واذا اعطى البروموره مددا طويلة فان تراكمه بالجسم يسبب اعراضا خاصة من اهمها بلادة التفكير وضعف الذاكرة وظهور طفح جلدي يأخذ هيئة فقاعات او بثور . وفي الحالات الشديدة قد لا يقوى المريض على السير بثبات ، ويتهته ويتلعثم اذا حاول التعبير عن افكاره ..

وقد شاع في السنوات الاخيرة استعمال مستحضرات الفينوباربيتال كمنوم ومن اسمائه المعروف بها (اللومينال) حتى ليقال ان معامل الولايات المتحدة وحدها تخرج منه ما زنته مائة طن سنويا يستهلك منها

داخل أمريكا نفسها ثمانون طناً ، وأصبح الناس يستعملونه في بساطة كأنه أقراص الحلوى ، وأدى سوء استعمالها الى ظهور أعراض تسمم شديدة تصحبها غيبوبة قد لا يفيق منها المريض نتيجة شلل مركز التنفس المخي . فاذا قرأت اسم الفينوباربتال ضمن تركيب دواء منوم أو مسكن فاستعمله بحذر وقاوم هذا الدواء السحري الذي يغرينا صغر حجمه على التهامه دون جرعة ماء .

ولم نسمع عن دواء توثقت الصداقة بينه وبين المريض مثل السلفناميد ومشتقاته وأعتقد أنه يندر أن تخلو منه صيدلية منزل . الم تسمع عن السلفانا والسيبازول والسلفانيازين والداجنان والسلفاجوانيل وغيرها من الاسماء الحبيبة التي طالما سمعنا سيداتنا وانساتنا ينطقن اسماءها برطانة افرنجية جذابة ، ويتسابقن الى اقتنائها وكأنها مستحدثات الزي والعطور . حقيقة ان هذا القرص العجيب قد ادى للانسانية خدمات جلى تسجل بماء الذهب ولكنه له من الاخر الاعيبه ومضايقاته واخطاره . واذا اعطى دون احتراس او حيطة رسب في مجارى البول وسد منافسها فتقل كمية البول أو تنعدم تماما ، ويتسمم الجسم نتيجة احتباس البول وقد يستعصى علاجه على الطب والطبيب - ومن مضاعفاته ايضا حدوث نوع من فقر الدم الحاد تهوى بسببه كرات الدم الحمراء الى مستوى مخيف وقد يموت المريض اذا لم تسعفه بعملية نقل الدم ، وهي عملية باهظة التكاليف ولا تخلو من خطورة .

هذه كلمة تحذير من بعض الاصدقاء الخطرين الذين لا تكاد تخلو منهم صيدلية اى منزل ، وقد بينت لكم ان الخداع من طبعهم والغدر من طبيعتهم فاحذروهم .

ان الالم رغم شدة وطأته على الجسم والنفس ، يجب اعتباره من الحواس الضرورية كالسمع والنظر ويدلى الحواس الخمس ، اذ ان له مزايا وقائية جمة . فلولاه لتركنا الجمرة المحترقة تنال من اجسامنا ما شاءت ، ولما ابتعدنا عن مواطن الاذى والخطر حيثما كانت ، ولما فطنا الى موضع الخلل من الالة البشرية التي تعمل دون انقطاع اعواما ، فتسير في نعومة حينا او يختل ميزانها اياما . والالم هو سبيلنا الوحيد لنعرف موضع الداء ، فنكافحه بما يناسبه من دواء . فهو نقمة ونعمة ، وخنجر مغمود ودرع واقية . وسبحان الذي يعطي ويأخذ ، ويذل ويرحم وهو على كل شيء قدير .

كم سمعنا عن قلب يتلظى او كبد تحترق ، فظننا ان اعضاءنا الداخلية كالقلب والكبد والرئة والكليتين والمعدة والامعاء حساسة مرهفة يؤلمها الوخز الرقيق الدقيق ، ولكن الواقع انها لا تحس ولا تشعر بالالم ، فانك اذا فتحت بطن حيوان ما ، ثم عبثت باحشائه تضغط عليها حينا وتقطعها بحد السلاح او تحرقها بالنار حينا اخر لما وجف او صرخ متألما . وفي الحالات الجراحية التي تجرى تحت تأثير البنج الموضعي يلاحظ الجراح ومن حوله انه متى تعرضت الاحشاء امكن العبث بها او الضغط عليها والمريض لا يكاد يشعر بما يجرى فيه . وقصة السير وليم هارفي أسطورة لا تخلو من طرافة ، وهي ان الابن الاكبر للورد مونتجومري ولد وفيه تشوه خلقي جعل قلبه باديا للعين الا من الجلد الرقيق حتى امكن لمسه بالاصبع حملوه الى الملك شارل ليشاهد تلك الحالة الشاذة ، وامكنه

سموم
في صيدلية منزلك

أن يتأكد بنفسه أن القلب لا يشعر اذا امسكناه أو ضغطناه بأصابعنا ولقد اوحت كل هذه الظواهر الى العلامة هنرى هيد بفكرة الالم الانعكاسى . أى أن أعصاب الحساسية لكل عضو داخلى تنتهى فى مكان معين من النخاع الشوكى تتقبل فيه مع أعصاب الحساسية لجزء معين من الجلد . فاذا تألم القلب مثلا انعكس المه الى الكتف اليسرى أو الذراع الايسر ، وينعكس الم حويصلة المرارة الى الكتف اليمنى أو الظهر أو منطقة المعدة . والرئة مثلا لا تحس بالالم ، ولكن متى امتد الالتهاب الى غشائها شعر المريض بالم حاد قد ينعكس الى البطن فيظن الطبيب ان موطن الداء فى المرارة أو المصران الاعور . وبالعكس من هذا ، اذا امتد التهاب الكبد أو المرارة الى الحجاب الحاجز سبب اعراضا تشبه الالتهاب الرئوى . ولعل جالينوس كان اول من وصف هذه الظاهرة فى عام ١٦٠ قبل الميلاد ـ فقد فصل فى مذكراته عنها وبلغ من دقة الوصف أن قال :

« اذا امتد مرض الكبد الى الحجاب الحاجز نتج عن هذا سرعة فى التنفس والم موضعي وسعال شديد لا يصحبه بصاق » ..

● مكان الالم ●

ولابد أن يمر الشعور بالالم بمراحل عديدة قبل ان يترجم على وجهه الصحيح فمحطة الاستقبال الاولى كانت على سطح الجسم أو داخله ترسل اشارتها الى النخاع الشوكى ومنه الى مكان فى قاع المخ يدعى المهاد ومهمته التفريق بين درجات الحرارة والالم بشكل تقريبى .

ومن هنا تستمر الاشارة فى طريقها الى المحطة الرئيسية العليا فى سطح المخ ، فتتحلل تحليلا فنيا دقيقا ، ويشعر بمكان الالم وطبيعته ودرجته من الشدة ، فيثير فى الانسان الجزع والقلق والضيق وغير ذلك من مظاهر الالم التى يعهدها كل من اكتوى بناره .

من هذا تدرك أن شعور الالم يجب أن يمر فى المراحل الاتية : محطة أرسال سطحية أو داخلية ، ومنها يسرى فى الاعصاب والنخاع الشوكى حتى يصل الى مركز الرئاسة وهو المخ حيث تتسلمه محطتان احداهما اضافية غير دقيقة ، والاخرى الرئيسية وهى بمثابة الاخت الكبرى المكتملة النضج التى تدرك ما خفى من الامور . فاذا تحدثنا عن دواء مسكن أو منوم أو مخدر قصدنا بهذا عنصرا كيميائيا ينزل على احدى هذه المحطات او كلها فيشل من حيويتها بشكل مؤقت ويريح الجسم من عناء الالم أو الارق المذل المرهق ويسلمه الى سلطان النوم الهنىء ، وبالها من نعمة كبرى .

● مفعول المخدر الى أين ؟ ●

أنت تسمع مثلا عن استعمال لبخة بذر الكتان او الانتفلوجستين او قربة الماء الساخن لتخفيف الالام السطحية الموضعية . فهل خطر لك أن تسأل عن سر مفعولها فى سبيل تخفيف الامك ؟ ولابد انك فى يوم ما لجأت الى احد ادوية الروماتيزم تدلك بها كتفك او ذراعك أو ظهرك او ساقك فلا تلبث ان تشعر بدفء موضعى عجيب يصحبه ذوبان الشعور بالالم . المضنى . لماذا نلجأ الى هذه الطرق البدائية فى سبيل الخلاص من قيود الالام

والاوجاع ؟ ألم اقل لك منذ سطور قلائل ان الشعور بالالم يبدأ في محطة الارسال سطحية كانت او داخلية ومنها يسرى في اعصاب هي بمثابة الاسلاك الكهربائية ، ليصل بواسطتها الى المركز الرئيسي ، الذى يفسر الالم على حقيقته • فاذا انت حاولت انشاء محطة اخرى في منطقة مجاورة بحيث تغطى وامواجها على رسالة المحطة الاصلية اى موضع الالم ، امكن ان ترغمها على الانزواء والاختفاء ولو مؤقتا ، فينسى المخ الالم الاصلى ويتفرغ للمداعب الجديد يحاول تفسير كنهه ومدى اغراضه من تدخل غير متوقع في ظرف دقيق كهذا • وقد تطول فترة المداعبة أو تقصر حسب قوة المحطة الاضافية ودرجة انتشار امواجها في الافق الضيق •

على نفس هذه المحطة الخارجية يسرى مفعول بعض المخدرات الموضعية كالكوكايين مثلا • فانت اذا حقنت هذه المادة تحت الجلد في اى موضع من سطح الجسم ، أمكنك أن تعمل فيه بالسلاح والمبضع دون أن يشعر المريض بأى غضاضة أو نفور • واذا حقنتها تحت ضرس امكنك خلعه على حين يراقبك المريض في بساطة وسكون ، وما هذا الا نتيجة لشلل مؤقت في محطة الاستقبال ، فيجرى كل شيء في غفلة من مركز القيادة العليا الذى يعتمد في تصريف اموره على حارس يود لو كان امينا ، ولكن من طبيعته أن تلهيه عن مهمته الاصلية المداعبات والمشاغلات ولايفيق من غفلته الا بعد فوات الاوان •

بقيت لدينا المحطتان الرئيسيتان ، واحداهما كما اسلفنا تقع عند قاع المخ والثانية عند سطحه • أما الاولى فان تأثيرها بأدوية خاصة يؤدى الى زوال الالم دون أن يغيب الشخص عن صوابه أو يفقد توازنه ، كما هي الحال عند تعاطى الاسبرين والبيرامدون والفيناستين والفينوباربيتال (اللومينال) • ومعظم المستحضرات المسكنة المنتشرة في السوق الطبى تجمع بين اللومينال واحد الافراد المجموعة سالفة الذكر • أما المنومات التى تشل من حركة المركز الاعلى فمن اهمها المورفين ، واملاح البرومور والكلورال والبارالدهيد ، ليصحب زوال الالم استرسال في نوم عميق ينسى خلاله المريض المه ولو الى حين •

ومهما قيل عن اخطار المنومات والمسكنات فانه لابد ان يأتى اليوم الذى يحتاج احدنا الى واحد منهما ليقاوم ارقا مستعصيا سببته احداث العالم الصاخب ، او ليريح نفسه من الم ممض هو من الاحداث اليومية العادية في حياة الالة البشرية •

واذا كان لابد من الشر فلنتحايل عليه لننتقص منه الذى ينفع ، ونتجنب في الوقت نفسه ويلاته ومضايقاته • فيجب أن يكون الدواء المنوم رفيقا بالمعدة ولا يهيج غشاءها المخاطى وان يكون سهل الامتصاص من الامعاء سريع الافراز في البول حتى لايتراكم في الجسم بعد أن يؤدى مهمته ، ولانه وجد بالتجربة أن هذا التراكم يؤدى الى نوع من التسمم المزمن ، من اهم أعراضه التبلد الذهنى والخمود الجسمى فيصحو الشخص من النوم خاملا كسولا لا يأبه على عمل اليوم بالنشاط المعهود بعد أن نام ملء جفونه ساعات طوالا • كما يجب أن نتجنب الادوية التى تؤثر في القلب والدورة الدموية أو التى تؤدى الى عادة الادمان كالمورفين مثلا •

اذا استعرضنا الادوية الشائعة واحدا بعد الاخر وبدأنا بأكثرها شيوعا

سموم
في صيدلية منزلك

وهي مهبطات الحرارة العادية التي لا تكاد تخلو منها صيدلية أو منزل ، واعني بهذه الشرذمة مركبات الاسبرين والفيناستين والبيراميدون وجدنا نحن الاطباء انفسنا مضطرين الى ارسال كلمة تحذير لابد منها في سبيل السلامة العامة فمما لاشك فيه ان لهذه المركبات فوائد عظيمة في علاج الصداع وآلام المفاصل وروماتيزم العضلات وألم الاسنان فهي بجانب مفعولها كمهبط للحرارة نتيجة تأثيرها في مركز الحرارة المخي تؤثر في الوقت نفسه في مركز الالم المجاور لامخيه الحراري اى ان بركتها تحل على الدائرة ومن فيها • ولكن حتى هذه المجموعة البريئة في ظاهرها لا تخلو من اشواك قد تحز ، او قد تنال من الجسم مقتلا •• فالاسبرين مثلا ـ وهو اللعبة المفضلة في صيدلية المنزل ـ وقد يسبب الاما معدية يصحبها عسر هضمي ، وقد يؤدي تعاطيه الى حدوث طفح جلدي ومرض فسيمين وتورم في الوجه والعينين ونزف من الانف والفم •

فاذا تركنا فصيلة الاسبرين وطرقنا باب اسرة البيراميدون لنكشف فيها من محاسن ومساوىء لرأينا عجبا ، فاننا نجد اسم احد اعضائها ضمن معظم المركبات المسكنة التي في متناول الجميع يشترونها من الصيدلي المتخصص ومن البدال الذي يبيعها بجانب طابع البريد وعلبة السجاير •

● انذار ودي ●

وعندما اسرد لك فيما يلي قائمة اسماء الادوية التي تحوي مادة البيراميدون بين عناصرها ، لا اقصد مطلقا الحط من قدرها فمعظمها اسماء عزيزة كم خففت من الام واوجاع وادت للانسانية خدمات جلي تسجل بماء الذهب • ولكن كل ما اريده انذارا وديا من صديق يود لو كان نافعا وامينا ، لولا حساسية خاصة في البعض منا تجعل من الدواء داء ، ومن النعيم بلاء •

نوع الدواء	مقدار الجرعة الواحدة	التركيب الكيميائي
الفيرامون	قرص الى قرصين	بيراميدون ، فينوباريتال
سيبالجين	قرص الى قرصين	بيراميدون ، فينوباريتال
اللوميناال	قرص الى قرصين	بيراميدون ، فينوباريتال
جاردان	قرص الى اربعة	بيراميدون ، نوفالجين
نوفالجين	قرص الى قرصين	لا تحويان مادة البيراميدون ولكن فيهما مادة الفيناستين وهي أسلم نوعا ولو أن لها أيضا متاعبها ومضايقاتها •
فيجانين	قرص الى قرصين	

فكل ما ارمي اليه من عرض هذه الاسماء الغالية على كل نفس هو مجرد لفت النظر الى عدم الافراط دون تبصر او روية في تعاطيها ، والا تنشأ بيننا وبينها صداقات كبيرة ، فليس اعصف بالود من ملازمة مستمرة تكشف

الغطاء عما خفي وبطن •

انتقل من ذلك الى املاح البروموروهى من اوسع المسكنات انتشارا تستعمل بصفة خاصة فى علاج الارق والتهيج العصبى والصرع • وتتميز أملاح البرومور بطول مدة مفعولها ، لان افرازها من الكليتين بطيء فتبقى فى الجسم مدة اطول • ولهذا كانت فائدتها فى علاج الصرع كبيرة لان بقاءها بالجسم مدة طويلة يضمن السيطرة على الاعصاب المتوتره حتى يحين موعد الجرعة التالية • ولعل فائدة البرومور كعلاج للصرع الـمع صفحة فى تاريخه الطبى • فهو غير كافء كمنوم ، ولا يزيل الالم فى الحالات الحادة • واذا أعطى بمقادير صغيرة ، خمدت حدة الذهن والتيقظ والتنبيه التى يمتاز بها الشخص العادى • فيبدو خاملا خامدا ، لايقوى على التركيز والتفكير • واذا اعطى بمقادير كافية لجلب النوم فان المريض يصحو منه كسولا على غير ما تعهده فيه بعد الاستيقاظ من نوم طويل •

واذا اعطى البرومور مبدأ طويلا فان تراكمه بالجسم يسبب اعراضا خاصة

وللفينوباربيتال مستحضرات عدة ، وتتوقف كفايتها وسلامة مفعولها على قدرة الجسم على تحطيمها والتخلص منها ، فلا يبقى منها فى الجسم بعد مضى ٢٤ ساعة من تناولها سوى القليل ، ولا يؤدى تكرار استعمالها اياما متوالية التى تراكمها بجسمه الامر الذى يؤدى عادة الى اعراض تسمم مزمن • فالفينوباربيتون مثلا لا يطرد من الجسم بسهولة ، بينما النمبيوتال والاميتال ، وهما من مشتقات بالباربيتال ايضا ، اسلم عاقبة لانهما يحطمان ويفرزان من الجسم بسهولة • وكلما كان الافراز بطيئا شعر الانسان بخمول جسمى وذهنى فى اليوم الذى يعقب تناول المنوم •

وعلى العموم يحسن عدم الالتجاء الى تعاطيها من ان لاخر عندما تكون الحاجة ملحة • وعلينا دائما ان نقاوم هذا القرص السحرى العجيب الذى يغرينا صغر حجمه على التهامه حتى دون جرعة ماء •

وهناك دواءان منومان شائعان منذ زمن طويل وهما البارالدهيد والكلورال ، وهما يمتازان بسرعة مفعولهما وسرعة طردهما من الجسم حتى ليصبحوا الشخص فى اليوم التالى من نومه منتعشا هادئا وكأنه نام نوما طبيعيا •

أما المورفين فيجب استعماله كمنوم فى حالات الارق المزمن ، فقد يولد فى الشخص عادة مزمنة متى وقع فى مخالبها فقل عليه السلام • ولكننا نلجأ اليه كمسكن من الدرجة الاولى فى الازمات القلبية والكلوية والكبدية وفى الامراض المزمنة الميئوس منها لكى يقضى المريض ايامه الاخيرة على أهنأ حال •

وقد غزت الاسواق اخيرا مايسمونها حبوب السعادة مثل الميلتاون والبيرترانكيل والفاليوم وهى التى تصالحك مع الدنيا اذا ما انتابتك ضائقة نفسية واضطراب عصبى فيتبلج وقد بدا كل ما فى الحياة مشرقا سعيدا •

هذه قصة تلك الباقة الفريدة التى قد ترى العين غير المجربة بين افرادها الفل والياسمين ، على حين ترى فيها العين النافذة الخطر الدفين • فاحذروا لين ملمسها ، لان الخداع من طبعها والغدر من طبيعتها •

شخصية العدد

عرفات

هل هو الممثل الشرعي والوحيد "للاجئين"؟

بقلم : فيليب جلاب

مشكلة ياسر عرفات الأساسية هي أنه الرئيس المنتخب لمنظمة التحرير الفلسطينية ومشكلته الأخرى هي أن هذه المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، كما تقول بذلك وثيقة رسمية وقعت عليها واعترفت بها كل الدول العربية .

ولهذين السببين ومايترتب عليهما من نتائج ، من الصعب على المنظمة وعلى ياسر عرفات أن يجدا ترحيباً لدى نظم عربية كثيرة !

ومن هنا « تجاهد » النظم وه تجتهد « لكي يكون لكل منها زعيمها الفلسطيني « المختار » ومنظمتها الفلسطينية الشرعية والوحيدة !

وليس هذا تقييما أو تقويماً لزعامة ياسر عرفات أو منظمة التحرير .. ولكن الذين يدهشهم أن يتجول عرفات كثيراً هذه الأيام في شرق وغرب افريقيا السوداء لايتساءلون .. « والى أين يذهب ومن الذى يحمى ظهره ؟! »

فالعرب الذين يتهمون عرفات « بالتفريط » لايتفقون مع العرب الذين يتهمون عرفات « بالتشدد » الا حول نقطة واحدة وهي ضرب عرفات والمنظمة .



أما الافريقيون الذين لايعرفون لحسن الحظ الآن الفرق بين سياسة " الظاهر " وسياسة " الباطن " فمازالوا يؤيدون فكرة ياسر عرفات « واحد » ومنظمة تحرير شرعية « واحدة ».

لكن أغرب مانشهده الآن من بعض العرب « المعتدلين » هو الحملة التي تتهم عرفات « بالتشدد » لأنه لايريد الاعتراف بالقرار رقم ٢٤٢ الذى يلخص مشكلة الفلسطينيين فى قضية لاجئين يمكن تعويضهم وتوطينهم فى أى مكان الا فى وطنهم !

إذن فياسر عرفات هو زعيم منظمة التحرير الفلسطينية التى هى الممثل الشرعى والوحيد « للاجئين الفلسطينيين » ؟!

وحتى فى هذه الحدود لايحترم بعض العرب « حقوق اللاجىء » حتى لو حصل على جواز سفر الدولة المضيفة ، ولذلك فلاعاصم له من الاسرائيليين الذين يطلبون رأسه ورأس المنظمة ومن العرب الذين يطلبون قراره وقرار المنظمة سوى الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة والذين يظاهرونه بحق خارج هذه الأرض .

وإلى أن تتعدل كفة الميزان ، فلا بأس أن يتجه جنوباً حيث أرض الله واسعة :

القرية
موال الهزيمة

بقلم : عز الدين نجيب

ما عادت القرية المصرية عالما للبراءة والبكارة ، ولا فردوسا من جمال الطبيعة ، ولم يعد الفلاح او الفلاحة تجسيدا لنقاء الفطرة ، او رمزا للعطاء السخي والاستمساك بالارض والتراث .. ذلك ان الكهرباء والتليفزيون والانفتاح الاعلاني قد نقلت الى القرية قيم المدينة غير الفاضلة ، وتكفلت هجرة الفلاح الى دول النفط بالقضاء على اعز قيمة لديه ، وهي التمسك بالارض والانتاج .. وهكذا استشرت منازل الاسمنت الشائهة في الارض الخصيبة والتهمتها كالوباء ، وصار اهلها ياكلون غذاء ياتي من وراء البحار ، وتوارت قيم الجماعية وثقافة القرية المحملة برحيق الاصالة عبر آلاف السنين ، توارت خلف ثقافة المدينة الغازية ، المسممة بقيم المال ، حتى تحقق المثل الشائع : معك قرش . . . تساوي قرشا .

ماذا بقي للفنان اذن ليصوره في القرية بعد كل هذا ، خاصة اذا كنا نعرف أن عناصره الاولى في التشكيل هي الطبيعة والانسان ؟ ..

وربما كان ادراك الفنانين المصريين لهذا التحول — مضافا الى استجابتهم المبكرة للثقافة الغربية الوافدة، وتقليدا تجاهاتها الفنية في أعمالهم — ربما كان هذا وذاك ، وراء انصرافهم ، منذ عقدين من الزمان تقريبا ، عن التعبير عن القرية وعالمها وانسانها ، وان بقي هناك من الفنانين من يحفل بالقرية ، فهي لديه اما قرية مخترعة من وحي خيـاله ، تتسربل بالاسطورة ، وتسبح في حلم لازوردي ، مجردة من الزمان



الصورة العليا : أم الشحات تطهو طعام لبنائها من اعمال الفنان بدوى سعفان
والسفلى : عازف الأرغول مقاس ٨١ × ٧٠ سم

القرية

موال البراءة

والمكان ، ولا بأس أن نرى النسوة يرقصن في ساحتها عرايا تحت ضوء القمر الأزرق، أو يرتدين أزياء رومانية هفهافة .. وأما قرية سياحية تتجمل بالمساحيق الثقيلة ، قد يناسبها أن تستخدم كديكور لفيلم سينمائي للدعاية ، أو كاعلان عن تنظيم الاسرة !

وربما حرصت على ابراز الوجه المعتم من الصورة ، كي يبدو وجهها الآخر الذى سوف أقدمه الى القراء ، مشرقا أكثر .. هذا الوجه الآخر هو رسام نذر حياته وفنه للتعبير عن « القرية التى كانت » .. اسمه بدوى سعفان .. عمره خمسون عاما .. يعيش فى قرية بالدقهلية تدعى « ستبخت » .. تخرج فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة – قسم التصوير – عام ١٩٥٩ .. وهو بالطبع اسم مجهول لعامة القراء ، بل حتى لاغلب المشتغلين بالحركة الفنية ، التى انعزل عنها عزلة تامة على مدى ربع قرن ، وان كان خليقا بأن يحتل مكانه فى صفوفها الاول .

اقول ان فنه تعبير عن القرية التى كانت اذ أنه كما لو كان قد أسدل ستارا بينه وبين مظاهر القرية الحالية التى لايزال يعيش بها ، وراح يستحضر – فى حنين – ذكريات الطفل الذى كان يلعب فى شوارع القرية بالجلباب المخطط والقبقاب ، ويستدعى شخصياتها الطيبة وبيوتها الساذجة ، وحتى ملابسها وأطعمتها البسيطة .. وهو فى كل ذلك لا يسجلها كعمل انثربولوجى ، ولا حتى كرؤية جمالية يعيد من خلالها ترتيب العناصر فى نسق فنى خاص .. انه ببساطة يعيشها من جديد ، متفاعلا ومتحاورا معها ، مثلما كان « فان جوخ » يعايش القرية الهولندية ويمتزج بزرعها وبيوتها ، ويذوب فى توهج قمحها، ويصبح نجمة من نجمات ليلها ، وشجرة سرو حلزونية تشق سماءها .

ان سعفان لا يصور القرية الا بالقدر الذى يصور نفسه من خلالها ، ان احساسه الفطرى البرىء موجود فى كل لمسة فرشاة وكل جسم لرجل أو طفل ، وكل جدار أو سقف بدائى من جذوع الشجر .. حتى على « الطبلية » المترعة بارغفة الخبز وعيدان الفجل « وفحل البصل » وقطع الجبن والابريق الفخار ، كل ذلك أمام خلفية من ملابس العمل فى الحقل .. تمتلىء احساسا بوجوده الانسانى « انظر لوحة : وجبة ريفية » .

ربما تسرع المشاهد المتعجل فحكم بأن أعماله من نوع أغنية « ما احلاها عيشة الفلاح » ، الا أن المتأمل لمعالجاته التشكيلية سوف يخرج بنتيجة اخرى ، وهى انها صورت بروح الطفل ومن خلال عينه السارحة فى الماضى ، وقد يذكرنا بالفنان الروسى الاصل مارك شاجال ، الذى هاجر الى فرنسا منذ شبابه، وظل الى اخر حياته يرسم ذكرياته وأحلامه فى قريته الروسية ، برؤية الطفل الساذجة ..

لكن بما أن بدوى سعفان طفل عجوز من ريف مصر، فهو يخجل من تصوير أحلامه ونزوات طفولته البريئة « أو غير البريئة » .. ان القيم الموروثة التى تفرض الجدية والوقار على الرجولة ، وتكرس مفهوم العيب على كل ماهو خارج عن المألوف .. تتدخل هنا وتمنع انطلاق الطفل بحرية ، لكنها لحسن الحظ قد عجزت عن السيطرة تماما على الرؤية التشكيلية للمدركات البصرية التى يستدعيها خيال الطفل سعفان ، حيث نشعر ازاءها بالصدق النابع من فطرية الاداء وبساطته ، بما يجعلنا نكتشف فجأة كم هى جميلة مفردات الحياة اليومية البسيطة ، اذا أعادت اكتشافها وصياغتها يد فنان ... ان روعة الفن الحقيقية لا تأتى من ابتكارنا لموضوعات جديدة أو من طرح أفكار غير عادية ، فكل الموضوعات والافكار قد استهلكت عبر آلاف السنين على أيدى الفنانين والمفكرين والكتاب ، لكن روعة الفن تأتى من انبهارنا بزاوية النظر الجديدة ، التى يعيد الفنان بها اكتشاف ماسبق لنا معرفته ، فتصبح الاشياء

المألوفة والعادية مدهشة وغير عادية ..

ان لوحة « بلدتي سنبخت » مثلا لبدوي سعفان لا تستمد سحرها من أكواخ الطين المتراصة وفوقها أكوام القش . وانما تستمده من طريقة تصنيف هذه الاكواخ على مستويين ، يجعلانها تبدو وكأنها تطير في الهواء .. وتستمده من خشونة الملمس وضراوة لمسات الفرشاة المثقلة بعجائن الالوان . وتستمده من الضوء الخفي الذي ينبع من مكان ما بداخلها وتستمده أخيرا من صمتها الغامض وخلوها التام من البشر ، وان كنا نشعر باختلاج الحياة خلف كواها ونوافذها المعتمة .

ان بدوي سعفان لم يعش غير تجربة حب واحدة طوال حياته ، وهي حبه لقريته « سنبخت » ، والغريب ان عشقه لها لم تطفيء أجيجه حتى اليوم تقلبات الزمن وشبح السنين ، مما اضطره الى مغادرتها الى ليبيا لمدة اربع سنوات سعيا للخلاص من شظف العيش، كمدرس للرسم بالتربية والتعليم .

دعونا نرجع بالذاكرة ثلاثين عاما الى الوراء ، حين كان بدوي طالبا بكلية الفنون الجميلة .. لنرى كيف كان أساتذته من الفنانين أمثال حسين بيكار وعبد العزيز درويش وعز الدين حمودة وعبد الهادي الجزار ، يتعاملون معه كفنان وليس كطالب عادي .. كان في أعماله شيء مختلف عن الاداء الاكاديمي الذي تتطلبه الدراسة من الطالب ، حتى لقد تمنى له الاستاذ بيكار أن يتفرغ للفن بعد تخرجه ، وقارنه الاستاذ الراحل درويش بمحمود سعيد وناجي ، بالرغم من انه لم يكن قد سمع حتى باسميهما في ذلك الوقت .. ومع ذلك لم يعين معيدا بالكلية بعد تخرجه ، لان مواصفات المعيد « والاستاذ فيما بعد » تتطلب مهارته الاكاديمية وليس تفرده الابداعي .

● بداية جادة ●

أذكر حين ابتدأ العام الدراسي بالكلية عام ١٩٥٨ ــ وكنت طالبا بالسنة الثانية بقسم التصوير ــ أن رأيت في أول يوم من الدراسة مجموعة كبيرة من اللوحات الزيتية معروضة على جدار الطرقة التي أمام القسم والطلاب يتجمعون حولها مبهورين ــ كانت اعمالا مستوحاة جميعا من القرية ، معالجة بحس بدائي أو فطري، كما كنا نسميها ، وضمنتها اعمال للاستاذ عبد الهادي الجزار ، الذي كان أسلوبه قريبا منها آنذاك ، وأنه عرضها كدرس عملي لنا .. فاذا بها لبدوي سعفان ، الذي كان في السنة النهائية ، وقد عكف على رسمها بقريته خلال الاجازة الصيفية ، وجاء أحد الاساتذة ليكشف لنا ــ بمنتهى الاحترام ــ مواطن الجمال فيها .. وأعتقد أن لوحتيه « وجبة ريفية » و « قريتي سنبخت » كانتا من بين تلك المجموعة وقد عرضتا في ايطاليا في ذلك العام ضمن اعمال للفنانين المصريين .

وتخرج سعفان في الكلية عام ١٩٥٦، بعد أن حصل مشروعه عن القرية على تقدير امتياز ، والتحق بمرسم الاقصر كمنحة دراسية داخلية للمتفوقين ، وأمضى به عامين ، لكن كل أمله كان ان يعين موظفا في الحكومة مدفوعا بمقولة القرية التي تقول « ان فاتك الميري اتمرغ في ترابه!» .. وكان الحصول على وظيفة في الحكومة في ذلك الوقت أمرا بعيد المنال بالنسبة لخريج الجامعة ، قبل ظهور مشروع القوى العاملة . واستبد القلق بالفنان الناشيء وهو في رحاب أجداده الفراعنة حيث يمضي أيامه مترقبا اي فرصة تلوح له للعمل على الاقل حتى يحفظ ماء وجهه أمام والده الفلاح ، الذي كان معترضا منذ البداية على التحاقه بالكلية لانها بلا مستقبل ، وكان قبل ذلك قد ألحقه بكلية الحقوق كي يتخرج محاميا ، لولا ان قادته الصدفة البحتة يوما الى كلية الفنون .

● حظ عاثر ●

وحدث أن أقامت الكلية معرضا لانتاج أعضاء مرسم الاقصر في دمشق وحلب عام ١٩٦٠ ابان الوحدة بين مصر وسوريا ، وسافر سعفان مع الفنانين الشبان ، حيث قوبلوا بالاعجاب والحب من الشعب السوري الشقيق .. وعندما عاد كانت تنتظره مفاجأتان : الاولى سعيدة ، وهي صدور قرار بتعيينه بوزارة الثقافة ، والثانية مأساوية وهي ضياع الوظيفة ، لانقضاء خمسة عشر يوما على قرار التعيين دون ان يتقدم لتسلم العمل ، خلال فترة سفره الى سوريا

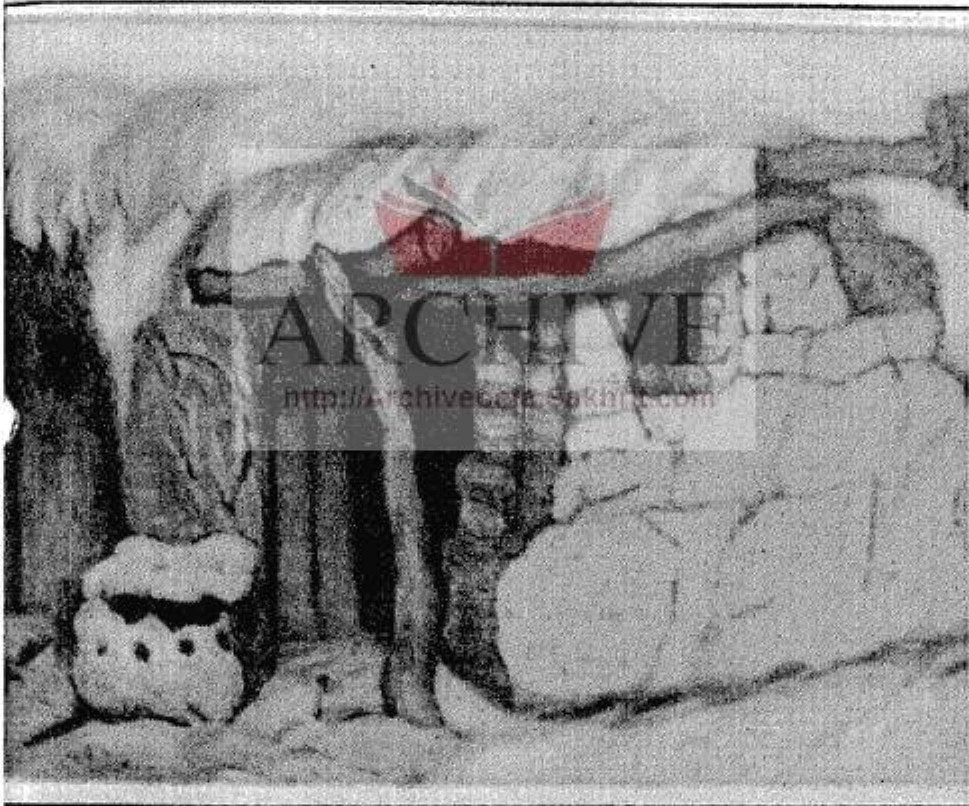
القرية

مـــوال الـبـــراءة

مما يحرمه الحق – حسب اللوائح – في التعيين ، وعين من يليه في الترتيب بدلا منه ! ..

وإذا كان الجمود الاكاديمي قد حرمه من التعيين بالكلية ومن الحياة في قلب الحركة الفنية ، فان المصـــادفة العبثية والجمود البيروقراطي مما قد تدخلا لتغيير مجرى حياته كلها ، وأفقداه ، بذلك موهبة بادرة ما يقرب من ربع قرن ، أنه منذ ذلك التاريخ لم يجد سمعان امامه فرصة للعمل الا مدرسا للرسم فى أرياف الدقهلية حيث حطم روحه التخلف واحتقار شان الفنان .. فنحن – قاطني ريف العالم ، او ما يسمونه بالعالم الثالث – لانعترف بالفنان الا اذا كان في قلب العواصم ، وياحبذا لو كان استاذا اكاديميا للفن .. أما الفنان – مهما كانت عبقريته – فمصيره الموت كمدا او صمدا لو عاش بعيدا عن القاهرة، خاصة اذا كان حظه أن يعيش في قرية لم تدخلها الكهرباء ولم تربطها بالعالم الخارجي طرق معبدة .. واكبر

عشة مثيرة نفذت في عام ١٩٨١ مقاس ٦٨ × ٤٨ سم



شاهد على ذلك هو الفنان رمسيس يونان الذى عمل مدرسا للرسم بمحافظات الغربية وبورسعيد والشرقية .. بعد تخرجه فى الثلاثينات ، ولم ينقذه من الموت كفنان **الا استقالته من عمله والعيش بالقاهرة – ولو عيشة الصعاليك – ليؤسس بعد ذلك جماعة الفن والحرية ، التى اصبحت نقطة تحول هائلة فى تاريخ حركتنا الفنية .**

عاش سمعان محاصرا بالعزلة القهرية عن اضواء الفن بالقاهرة ، ومحاصرا ثانية بالازمة المادية الطاحنة التى لاتتيح له حتى الحصول على الخامات للرسم ، واستبد به اليأس من جدوى الفن ، حتى انه وزع جميع لوحاته على اقاربه ، الذين لم يعرفوا قيمتها ، فأهملوها حتى أوشكت على البلى

ولم ينقذه من الاكتئاب النفسى والجنون الا فطرته الطفلية المتفائلة ، والا صبر الفلاح المصرى الذى يختزله فى وجدانه الجمعى منذ آلاف السنين . وكان مؤمنا بان يوما سيأتى يعاود فيه مسيرته كفنان . لكنه وضع نصب عينيه فى البداية هدفا أساسيا هو تغيير واقعه المادى .

وابتسم له الحظ أخيرا عام ١٩٧١ باعادته للعمل مدرسا فى ليبيا ، حيث قضى بها أربع سنوات ، حقق خلالها توازنه المادى، وكون أسرة جديدة وبنى منزلا ومرسما ، وزال شعوره بالحرمان ، حتى أصبح اى شىء يريده فى متناول يده .. وكانت ◀

• بلدتى سنبخت • من الأعمال التى يعتز بها الفنان



القرية موال البراءة

سعادته .. لا تقدر حين عاد عام ١٩٧٥ الى ارض الوطن واستانف نشاطه الفنى فى قريته

● ثمن الاغتراب ●

الا انه كان قد خسر الكثير كفنان ، خلال رحلة الخلاص من شظف العيش كان الطفل فى داخله قد شاخ ، وكان الفن قد تلون عنده بمفهوم التزويق الدعائى الذى مارسه فى ليبيا ، وكان قد اصبح لكل شىء ثمنه ، وقد كان الثمن فى الغربة مدرارا ، كما اصبحت تراوده احلام الرسم حسب المدارس الغربية الحديثة التى لاتتناسب معه ، فراح يرسم لوحات يعتقد انها « مودرن » وهى اقرب الى مشية الغراب ولان الشفافية فى اعماله كانت قد انطمست ، فقد خسر ايضا ـ مع الطفل ـ الناقد الاول لنفسه : اعنى القدرة على التمييز بين الفن واللافن ، واستمر يرسم اعمالا عن القرية ، مليئة بالكذب الجميل او التسطيح الزخرفى .

الى ان زاره فى مرسمه بقريته يوما فنانان من اصدقائه فى المنصورة هما المثال يوسف عبد الله ، والمصور سامى عيد ، وافزعهما ما آل اليه حاله مع الفن ، فانهالا عليه نقدا وتانيبا ، من منطلق الحب له واستنفرا بداخله الفنان القديم الصادق ، والحا عليه كى يجمع لوحات مرحلته الاولى التى وزعها على اقاربه ، وان يرسمها كى يستعيد من خلالها ثقته بنفسه ، لانها كفيلة بان تضع قدميه على طريقه الصحيح .

كان ذلك هو يوم الصحوة الكبرى عند سعفان .. الذى بكل لوحاته الجديدة الى اقاربه ليفرحوا بها ، واسترد منهم كنزه القديم ، وعكف على الرسم من جديد . وقد استيقظ الطفل مهللا فى صدره ، واستعاد لحن الموال المفعم بالصدق والبراءة ومعه اخذت تتداعى ذكريات الكتاب ، والمدرسة الالزامية البائسة .. ودكان البقال .. ودوار عمه العمدة ، وعلبة السجائر الفارغة المرسوم عليها الغزالة والفارس فوق الحصان .. « وبدوى » الطفل يربض قريبا من اقدام عمه ليلتقطها من الارض كى يخلو بها فى حجرته السرية ويتاملها فى انبهار ممنيا نفسه برسم صور على منوالها ، ثم يضمها فى دولاب اشيائه الصغيرة « كالعروسة » التى تجمع فى شتها الاشياء اللامعة .

هكذا عاد الى مرسمه ولوحاته ، كما كان يعود طفلا الى دولاب اشيائه يستوحى منها عالما خاصا عبر خياله الصغير .

تدفق الضوء فى لوحاته الجديدة بعد جفاف السنين ، واختزلت التفاصيل ، وصارت الاشكال اكثر شفافية وان كانت لاتزال محتفظة بعجائنها اللونية وملمسها الخشن . صار اللون ايضا اكثر نقاء وصراحة ، وتخلصت اللوحات تماما من حس البؤس المخيم على الواقع ، لتحل محله غنائية طروب اقرب الى ايقاع الموال الاخضر ، وقد كثرت عنده لوحات العمل فى الحقل ، او فى الصيد ، او فى المنزل ان الالفة الشديدة التى يحسها المشاهد فى اعماله ، واقترابه الحميم من طابع البيئة الريفية ، تقترن بغرابة تدعو الى الدهشة ويصعب تحديد مصدرها .. وبالرغم من تشابهه كثيرا مع بعض فنانينا الرواد ، مع التسليم باختلاف الرؤى الفنية والاسلوبية وتباين المستوى بينه وبينهم ، مثل راغب عياد ويوسف كامل ومحمود سعيد ومحمد ناجى وعبد الهادى الجزار « من الجيل التالى لهم » بالرغم من ذلك التشابه فى مجال تعاملهم مع البيئة الريفية او الشعبية ، فان ثمة اختلافا كبيرا بينه وبينهم ، فهم جميعا ـ باستثناء الجزار ـ قد دلفوا الى ذلك العالم الشعبى من باب الاكاديمية والمدارس الاوربية ، اما هو فقد دلف الى عالم القرية من باب المعايشة الذاتية والانتماء الفطرى

● قاموس تشكيلى ●

وان كنا قد نجد لديه تشابها آخر هنا او هناك مع الانطباعيين ، خاصة فى لمسات اللون القزحية المشمسة ، والحفاوة بعنصر الضوء فى الطبيعة وتحليله ، او تشابها

ثالثا مع الوحشيين ـ أمثال فان جوخ وجوجان وماتيس ـ في ضراوة الوانهم وضخامة عناصرهم وتحديد الخطوط الخارجية بغلظة او انفعالية .. أو تشابها وايماء التنقيطيين مثل « سورا » في وضع نقط لونية متجاورة ومتناقضة تكون في النهاية مساحة لونية تستعصي على التحديد .. أن جاز لنا أن نعقد هذه المقارنات وأن نلاحظ هذا التشابه أحيانا ، فالواقع أن نسيجه التصويري الشديد الكثافة ، وايقاعه الخطي واللوني ، وتوازن الكتل والمساحات وعلاقات التكوين ، كلها تخضع لقاموس لغوي تشكيلي خاص به وحده : لا يفرض مفرداته من الخارج على لوحاته بقدر ما تتدفق هذه اللغة منسابة من داخله على سجيتها .

ولعله يذكرنا ـ على نحو ما ـ بالمصور الفطري الفرنسي هنري روسو ، من زاوية بنائه التشكيلي المرسل ، ورؤيته للعالم رؤية الطفل بعد ان تجاوز الاربعين . وقد اعاد برؤاه البكر الاحترام الى الفن الفطري وأعطاه حق التواجد في المتاحف ، جنبا الى جنب مع الاساتذة الدارسين ، وقد كان يمكن لنا أن نكسب من سعفان موهبة أكثر حضورا في حياتنا الفنية ، لو ملك الخيال والقدرة على الحلم الذي كان يتمتع به « روسو » .. أو لو نفذ الى مخزون العقل الباطن في طفولته كما فعل الجزار ، او لو استخرج البعد الميتافيزيقي في ثقافة القرية ، أو لو انه تجرأ على كشف العالم الخفي من حياتها ، من سحر وشعوذة وحواديت وغرائز مكبوتة .

لوحة للفنان تبرز تأثره بالعادات الغذائية في الريف

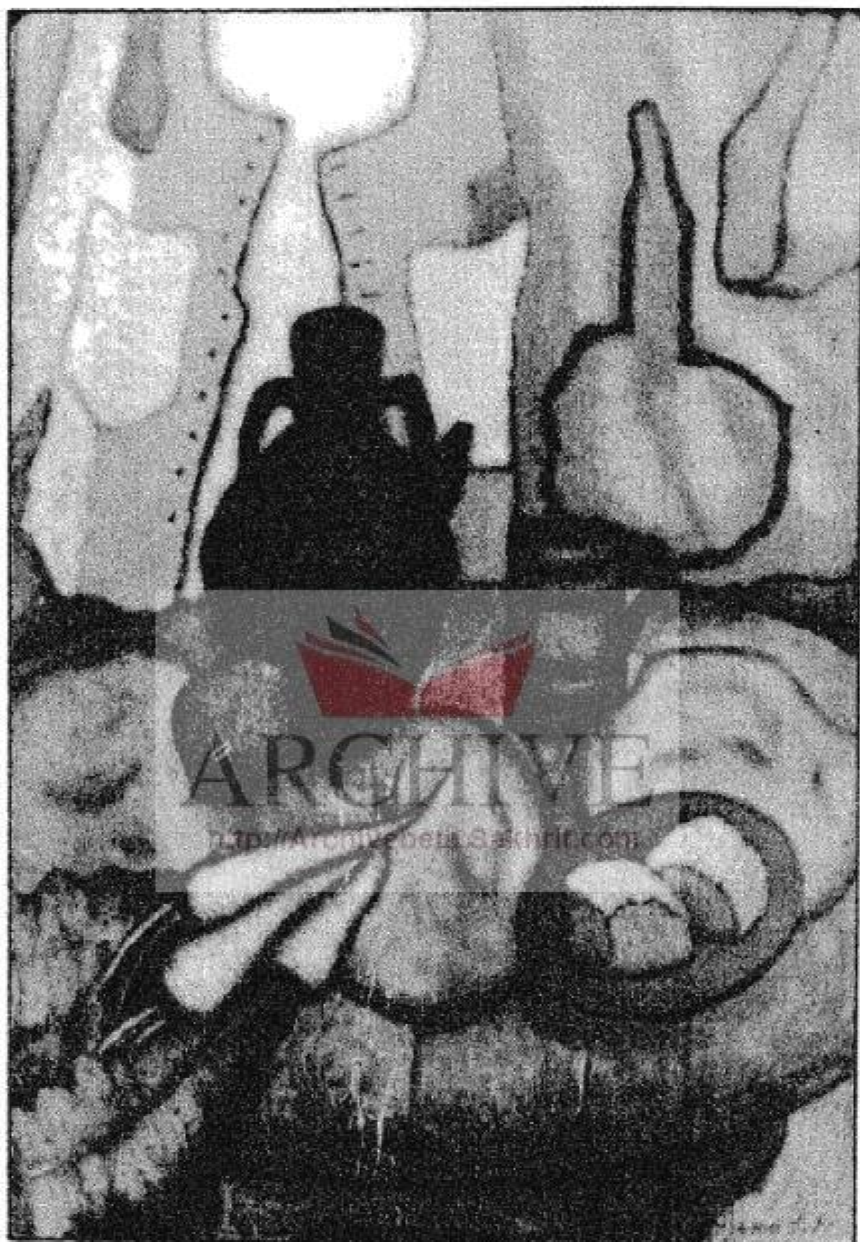


لكنني أظن أن موهبته لم يظهر منها بعد غير المستوى السطحي لها في أول طبقات القشرة الارضية ، بالرغم من سنواته الخمسين ، وأن كل ماينقص هذه الموهبة هو حفارة قوية تنغرس في عمقها لتستخرج مخزونها الابداعي ، ليس فقط المخزون البصري بل الاسطوري والسيكولوجي والاجتماعي .. واحسب أن اعتراف الحركة الفنية به كفنان ـ وهو أمر لم يتحقق بعد الا بتغيير ـ سوف يكون الطرقة الاولى لتفجير موهبته .. وما أعظم الاثر الذي تركته في نفسه جائزة الليبية صغيرة منحتها له « سيادة المحافظ » ! .. وما أروع السعادة الطفولية التي حركتها في وجدانه مقابلة اذاعية مع احدى المذيعات حتى انه لايمل ذكر هاتين الواقعتين بفخر ، كذلك كتب نبذة عن تاريخ حياته والجازاته الهامة !!

فمن يدق الحفارة في بئر سعفان ؟ !

« حياة الزبال » نفذت في عام ١٩٨٢ مقاس ١٠٦ × ٥٨ سم
وعلى الصفحة المقابلة لوحة بعنوان « وجبة ريفية »





حوار مع شادى عبد السلام وصلاح مرعى

"جماليات السينما": الغائب الحاضر فى الفيلم المصرى

حوار : عصام على

« جماليات السينما » ، هذا العنصر الغائب - الحاضر فى السينما المصرية ، لم يهتم به احد كموضوع رئيسى من مواضيع الدراسة ، ورغم البداية المبكرة للسينما المصرية «(١٩٢٧)» ، ورغم تزايد الانتاج عدديا ، يوما عن الآخر الا انها لا تزال - الا فى حالات نادرة - سينما «الحدوتة» التى غابت عنها جماليات الفن

ويكاد «الديكور» يشكل اهم عناصر الجماليات ، هنا ، وربما لاول مرة فى الصحافة العربية، نستعرض جوانب هذا الموضوع، مع الفنان « شادى عبد السلام» صاحب التحفة الفنية «المومياء» ورفيق عمله الفنان «صلاح مرعى» الذى اقام مؤخرا حارة كاملة فى استديو الاهرام لفيلم المخرج « على بدرخان» الجديد «الجوع» تمثل تحديا جماليا فى تاريخ السينما المصرية . فيما يلى نص الحوار :

● فى البداية نحب ان نعرف تصوركما عن عمل مهندس الديكور فى الفيلم السينمائى ، هل هو مقصور على بناء ديكور يتم التصوير فيه ، ام ينسحب دوره الى العناصر الجمالية الاخرى للكادر السينمائى ، كالاكسسوار والملابس مثلا ؟

- شادى : بالنسبة لواقع السينما المصرية يتلخص عمل مهندس الديكور فى بنائه ، ثم ياتى منسق المناظر بالاكسسوار ليفرشه ، وهذا فى الغالب تاجر تحت تصرفه مخزن موبيليا يفرشها فى كل فيلم ، وهذه الموبيليا ،



شادى عبد السلام



صلاح مرعى

فى معظم الاحيان ، غير متجانسة مع الديكور ، ثم يأتى الممثلون بملابسهم حسب امكانياتهم المادية النجوم يأتون بملابس « غالية » الثمن والبسطاء الحال يأتون بملابس بسيطة ، وقد يتنافى هذا مع الموضوع احيانا . هذا هو الوضع القائم فى مصر،الملابس متنافرة ، الاكسسوارات متنافرة ، الديكور نفسه متنافر . وهذا ينعكس بالطبع على قيمة الفيلم ومستواه الجمالى .

● نمطية التفكير ●

ـ صلاح : ما قاله الاستاذ شادى هو الواقع ، وقد أدى هذا الى «نمطية» ثابتة فى السينما المصرية . بمعنى ان شخصية الفلاحة مثلا اتخذت شكلا معينا حتى أصبحت ـ بالنسبة لجميع العاملين فى السينما ـ ولممثلاتنا بالذات ، نوعا من « الفلكور » مجرد زى ، شكل خارجى مجرد ، جلابية معينة ومنديل « بأويه » له ربطة معينة خلقته الممثلة ولا علاقة له بالفلاحة . وهكذا بنت البلد : ترتدى جلابية مخططة بدون «وسط» اشبه بالجلابية الرجالى ، وشخصية الصعيدى أيضا : نمط معين فى « لغة العامة » .. شال على الكتف .. الخ ، هذه انواع من الانماط موجودة وجاهزة فى المخازن ، وكان لابد ان ينعكس هذا على الاداء ، اذ تطلب هذا بدوره سياقا من الانماط لاداء هذه الشخصيات ، بالنسبة للديكور والاكسسوار نفس الحكاية ، بيت فقير تجد به اشياء معينة هى موجودة فى كل الافلام ، لانها خرجت من نفس المخزن ..

● وكيف ولماذا وصل الامر الى هذا الوضع ، وما هو المفروض ؟

شادى : المسألة نابعة من الاشكال الاساسى، افتقاد الرؤية الفنيةالمسيطرة على الفيلم كله ، ان يكون مهندس الديكور مسيطرا على الاكسسوار والمفروض ان يكون «المدير الفنى» مسئولا عن كل ما هو فى « الكادر » ، من ملابس واكسسوار وديكور .. ينسق بينها ، واعود مرة اخرى لارجع المسألة الى ثقافة المخرج، فهو الذى

جماليات السينما :

يختار مهندس الديكور ، وهو صاحب وجهة النظر التي يريد ترضيتها فنيا ، فاذا كان ذا ثقافة عالية ، فانه سيختار فنانين وفنيين جيدين ، واذا كانت ثقافته ضحلة ، فانه سينظر للمسالة من الناحية التجارية البحته ، ويختار ارخص العناصر ، ولابد ان « يبسط » هذا المنتج ، لان معنى هذا توفير في النفقات ، التي قد تصرف في أمور تافهة نتيجة لعدم السيطرة ، والجهل ، وقد وصل الامر الى حد انه في كثير من الافلام لايوجد مهندس ديكور اصلا ، ولدينا — للاسف — مخرجون يتعمدون صناعة افلامهم بهذه الطريقة لانها تجاريا اكثر ربحا .

● هبوط مستوى الثقافة

● ومعهد السينما ، اليس هو المسئول الاول عن صياغة ثقافة المخرج ؟

— صلاح : من الذى قال ان معهد السينما يمكن ان يكون كافيا ، او انه يعلم تعليما كاملا ، هل تكفى ساعة واحدة في الاسبوع مخصصة للتذوق الموسيقى للمعرفة المنظمة عن الموسيقى وتاريخها واتجاهاتها ومدارسها واعلامها ، ثم ان طالب المعهد ياتى اصلا بثقافة موسيقية معدومة من المدرسة ، ولو كان قد تلقى دراسة موسيقية طوال مراحل التعليم الاولى لامكن لهذه الساعة ان تكون مفيدة بعد ذلك ، فالمفروض ان يكون دور المعهد ملخصا في عملية تنظيم الافكار وبلورتها ، اذن لابد ان يكون الطالب حاصلا .. دراسة كحد ادنى في الثقافة العامة التى من المفروض ان يتلقاها قبل التخصص ، فلن يكون التعليم في المعهد كاف لان التعليم عموما ضعيف وقاصر ، وهذه مشكلة لن يحلها المعهد ، بل هى مسالة مناخ عام ، مشكلة سياسة الثقافة والتعليم في البلد .

شادى : اضيف ايضا الى هذه النقطة موضوع اجهزة الاعلام ، فالاتجاه الغالب على التليفزيون اتجاه ترفيهى ، والمستوى الثقافى للبرامج التليفزيونية فى الغالب هابط للغاية ، فاذا كانت ثقافة التلميذ الموسيقية ضعيفة ، فكيف يمكن ان يؤسس ، فالطالب المتقدم لمعهد السينما ضعيف ثقافيا ، والحل يبدأ من هنا ، من عملية بناء ثقافى جديد ونلاحظ هنا أن طالب قسم الديكور هو اكثر

شادى عبد السلام : السبب الرئيسى فى هذا الانحدار الجمالى هو : غيبة المخرج صاحب الرؤية المتكاملة والثقافة العريضة

الحارة المصرية ، بكل ماتزخر به من جماليات ، من ابرزها بعض المبانى القديمة التى تزدان بعمارة الفن الاسلامى



"جماليات السينما"

طلاب معهد السينما تحصيلا لانه مضطر للممارسة ، أي • للرسم من السنة الاولى لدراسته بالمعهد ، كما انه مضطر لزيارة مناطق كثيرة •• فلو كان دارسا « التصوير » عارفا برمبيرانت وفان جوخ وامنحتب ••الخ، واذا أضفنا توفر الموهبة فان النتيجة لابد ان تكون عظيمة ، لكن الواقع غير ذلك

● وهذا يعنى – بالطبع – ان المتلقى العادى مصيبته اكبر ؟

شادى : المتلقى المصرى علاقته بالفن التشكيلى تكاد تكون معدومة ، لاننا قد انفتحنا على أوربا تشكيليا منذ فترة قريبة ، لقد ظلت الفنون محرمة فى مصر فترة طويلة ، فترة انقطاع عن المرحلة الفرعونية القديمة ، كانت الفنون محرمة ما عدا العمارة وزخرفتها ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه أوربا تتمتع بفنانين عظام ، اول « مثال » حديث لدينا هو مختار ، وكانت أوربا قد مرت بمرحلة النحت الكبيرة ، لقد انقطعنا عن حضارتنا الفرعونية بما فيها من تصوير ونحت ، وعندما عدنا بدأت مرحلة « نقل » الفنون الاوربية وما ترتب عليها من مشاكل ، وقد ادى هذا الى نوع من العزلة بين الفنان وبين الناس •

● حارة الجوع ●

● ننتقل الى الناحية التطبيقية من الموضوع ، نريد ان نعرف رأى شادى عبد السلام فى حارة فيلم الجوع ؟

شادى : أعتقد أنها حدث فنى نادر التكرار ، باختصار هى فى تقديرى أحلى حارة فى تاريخ السينما المصرية غاية فى الاتقان من ناحيتى التصميم والتنفيذ ، مستوى عال جدا ، لقد توفرت العناصر المهمة للموضوع • مخرج يفهم قيمة العمل ، له رؤية ثقافية للعناصر المختلفة لعملية صناعة الفيلم ، وفنان تشكيلى من نفس المستوى ومنتج شجاع •

● الفنان صلاح مرعى – علاوة على تصميمك لهذا الصرح الفنى ، كنت مسئولا عن الملابس واشرفت على مكياج فيلم الجوع الذى نحن بصدده هل تعتقد انك كمدير فنى قد قمت بدورك المفترض ؟

صلاح : يمكن القول بأن الادارة الفنية كانت موجودة ، لكنها كانت فى تقديرى ناقصة لقد أشرفت على مكياج الابطال ، ولم اتمكن من ذلك بالنسبة للكومبارس ، والمفترض أن يتحقق ذلك ، لكن هذا كان سيكلف أربع ساعات اضافية ، فلم نستطع السيطرة الكاملة على المكياج ماديا لان الفيلم من ناحية التكلفة وضخامة الانتاج حالة شاذة فى السينما المصرية يمكن القول اننا نجحنا فى تحقيق نتائج – اجماليا – جيدة ، فقد سيطرنا تماما على الديكور ، وحققنا نسبة

● صلاح مرعى : الديكور ليس عاملا زائدا بل هو جزء رئيسى من لغة السينما يكتمل بها المعنى



« اسكتش » كادر من فيلم المومياء

٩٠٪ من السيطرة بالنسبة للملابس ، وبالنسبة للاكسسوار لم نحقق سوى ٦٠٪ ، وقد تحقق ما هو أهم من كل ذلك فى تقديرى وهو أن الحوار بين المخرج ومدير التصوير والمدير الفنى الذى هو أنا كان قائما منذ مرحلة الاعداد الاولية ، منذ مرحلة التصميم، لقد تناقشنا فى كل شىء ، فى كيفية ادارة الديكورات المفتوحة (بلا سقف) والاستفادة من ضوء الشمس ، وتمت المناقشة بالتطبيق على الرسوم ، اخترنا معا حتى – نوع القماش الذى لجأنا الى تغطية الاسقف به حتى يتلاءم مع حساسية الفيلم ·

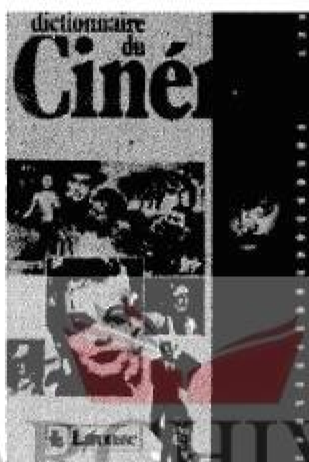
لقد بدأنا المناقشة قبل التصوير بخمسة اشهر استغرقناها فيها الدراسة والبحث واللقاء المستمر ، لقد اعددنا الملابس واجزاء من الديكور فى الورش قبل بداية التنفيذ ، وكانت لدينا فرصة للتعديل والاستقرار والسيطرة على ما نريد لقد كان الحوار مستمرا حتى اصبحت لدينا صورة واضحة للفيلم ، واعتقد أن هذا هو أهم مايمكن الرجوع اليه ، أهم تجربة مررنا بها جميعا كفريق عمل متكامل عرف قيمة الحوار والمشاركة ·· انها تجربة نادرة بالنسبة للسينما المصرية ·

وهذا يؤثر بالتأكيد على الجو العام ·· ؟

صلاح : الجو العام من الناحية التشكيلية يتكون من خلال التصوير والديكور ، تريد مكانا مخيفا أو مفرحا يمكنك أن تعمله بالتصوير والديكور ، بالاضافة الى ايقاع الفيلم – فهو عامل فى الجو العام وهو من عمل المخرج ·

السينما العربية في أعين فرنسية

بقلم: مصطفى درويش



السينما العربية فيما يؤلف من موسوعات وقواميس خاصة بالافلام داخل الولايات المتحدة، يكاد الا يكون لها وجود.
ولعل خير مثل على ذلك موسوعة الفيلم العالمية لصاحبها "افراهيم كاتز" (١٩٨٠)

فهذه الموسوعة تسع كل شيء في الفن السابع او من المفروض ان تكون كذلك، ومع هذا فإذا ما رجعنا إليها بحثا عن السينما العربية تحت عبارة "الفيلم العربي" (ص ٤٠)، لكان رجوعنا عبثا لاننا سنجد صاحب الموسوعة، وقد أكتفى بكتابة كلمتين فقط لاغير تحتها "انظر مصر"، فاذا ما قلبنا صفحات الموسوعة سعيا نحو مصر، لما وجدنا لها من نصيب في السينما سوى عمود واحد لا اكثر ولا اقل في الموسوعة الضخمة التي يبلغ عدد الأعمدة فيها ٢٥٣٢ عمودا، ولاكتشفنا أن الوطن العربي بجميع اقطاره الاخرى ليس له اى نصيب

فى هذا العمود اليتيم .

وظاهرة الإنكار او الاهمال هذه لشان السينما العربية ، نرى انعكاساتها فيما كان يكتب عن السينما العالمية داخل فرنسا .

● الحب الناقص ●

فمثلا كتاب "احب السينما" وهو اسم لقاموس صغير مصور من مجلدين الفه الناقد الفرنسى "فرانك جوتران" عن الفن السابع بغرض تعريف القارىء العادى المولع بهذا الفن بما تيسّر من اسراره .

ومن يقرأ "أحب السينما" لا يسعه إلا أن يعترف بما انفق صاحبه من جهد صادق ، خصب .

وهو فى المجلد الثانى يتحدث إلينا عن القيادات الكبرى المتلاطمة فى محيط فن السينما ، وعن تطور هذا الفن فى كل بلد منذ أن قدّر للأطياف أن تولد قريبا من نهاية القرن الماضى إلى يوم ان اكمل مؤلفه قريبا من النهاية عام ١٩٦١ .

ولست أتعرض فى هذا المقام لما كتبه عن تاثير السينما ، وعن تطورها وتياراتها منذ فجر تاريخها حتى عام خروج مؤلفه الى الناس .

وإنما اكتفى بالتعرض لما كتبه عن السينما فى الوطن العربى وليس فى ذلك اية مشقة ، لاننا فور الانتهاء من قراءة الصفحات الثلاثين التى خصصّها صاحب "أحب السينما" للفن السابع فى الاتحاد السوفييتى ، نفاجأ به ، وقد أفرد صفحة واحدة للسينما فى كل بلاد الشرق الاوسط .

● صفحة بيضاء ●

ويا ليته ملأها بما عنده من أخبار عنها ، وبما يراه من تحليل لها . فلو كان قد فعل هذا لهان الأمر .

ولكنه لم يفعل ، وتركها صفحة بيضاء ناصعة الا من كلمات قليلة طبعت فى الجانب الأيسر منها لا تتجاوز فى العدد ثمان وخمسين كلمة ، لعله من المستحسن ان نترجمها لقلّتها ، ولانها رغم ذلك تلقى بعضا من الضوء على جوانب غامضة من فهم نقاد فرنسا وقتذاك للسينما العربية وتقويمهم لها .

يقول صاحب "احب السينما" فى كلماته "جميع البلاد العربية عندها قدر ضئيل من إنتاج محلى لا يعرض منه شيء خارج حدود اى منها ، والغالب الاعم من الافلام المتكلمة باللغة العربية من صنع مصر التى يبلغ انتاجها السنوى ستين فيلما فى المتوسط .. وهى افلام ذات مستوى فنى هابط يجنح الى التحسن ، وافضل المخرجين المصريين حاليا صلاح ابو سيف ويوسف شاهين"

وهذه الكلمات تدلّ من ناحية على فهم لا بأس به من صاحبها بحال السينما العربية ، وتدلّ من ناحية اخرى على انه ولئن كان قد احاط ببعض جوانبها الا انه لم يحط بها علما ، فالسينما العربية وبخاصة تيارها المصرى صاحب الالف فيلم حينذاك ، كانت تستحق ، ولا شك ، عددا من الكلمات ازيد مما خصص فى الصفحة التى تركت فى غالبها بيضاء لا شيء فيها .

● الاحباط .. لماذا ؟ ●

وقد ظلت السينما العربية بعد هذه الكلمات القليلة كمًا مهملا لا يثير الاهتمام عند احد من نقاد فرنسا باستثناء "جورج

السينما العربية في أعين فرنسية

سادول" الذى هيأت له الظروف ان يزور مصر حيث قابل نفرا من صانعى الافلام وشاهد شيئا مما قدموه الى الفن السابع .

وبعد ذلك كتب مقالا في مجلة "سينما ٦٥" حاول فيه ان يردّ الى السينما المصرية بعض الاعتبار ، واشرف - بتكليف من هيئة اليونيسكو - على تجميع مقالات وابحاث ومعلومات عن السينما من الخليج الثائر الى المحيط الهادر ضمّنها كتابا اسمته الهيئة "السينما فى البلاد العربية" .

ويبدو ان جورج سادول (١٩٠٤/١٩٦٧) - وكان اكثر النقاد الفرنسيين تشجيعا لسينما العالم الثالث او النامى واوسعهم علما بمشكلاتها - قد فجع فى معظم ماقدّم اليه من مقالات وابحاث مصرية كتبها اصحابها بحكم المناصب المرموقة التى كانوا يشغلونها فيما اصطلح على تسميته بمؤسسة او هيئة السينما لا اعرف ايهما كان عليه المستقر فى تلك الايام . فكر ان ينكمش بمقدمته للكتاب المذكور الى اثنى عشر سطرا لا تزيد ، والا يضمنها رايه فيما هو مكتوب مكتفيا بالتعبير عن "امله فى ان تكون مجموعة المقالات منطلقا إلى تكوين فكرة صادقة عن مشاكل السينما فى العالم العربي كما اوضحها ممثلو بلاده المختلفة اثناء الاجتماعات التي نظمتها او شجعتها هيئة اليونسكو"

وكان آخر ماظهر فى فرنسا عن السينما العربية قبل زلزال الخامس من يونية (حزيران) عرضا قصيرا لها من ثمانية وستين سطرا فى المجلد الثانى من قاموس السينما والتليفزيون لصاحبيه "موريس بسى" و "جان لوى شاردان" (١٩٦٦) - وهو عرض مختصر مقتصر على السينما المصرية يقف فجأة فى ذكر افلامها عند "بين ايديك" (١٩٦٠) و"صلاح الدين وكلاهما ليوسف شاهين

• الخطايا •

وقريبا من نهاية عام الزلزال (١٩٦٧) ظهرت "موسوعة السينما" لصاحبها "روجيه بوسينيه" الذى سلك فى عرضه للسينما العربية مسلكا اقرب الى الامانة العلمية ، فكان ان خصص اسطرا للسينما فى كل قطر عربى له نصيب من انتاج الافلام ، كما افرد لصناعة الاطياف على ارض مصر اربع صفحات تناول فيها تاريخها يوم ان ظهرت الصور متحركة لاول مرة فى قهوة "زاناني" بالإسكندرية ، فقسمه الى خمس فترات اولاها فترة السينما الصامتة تليها فترة السينما المتكلمة لتجىء فترة الحرب ومابعدها الى ان تقوم ثورة الثالث والعشرين من يولية ١٩٥٢ ، فتبدأ منها الفترة الخامسة والاخيرة التى تمتد حتى ايامنا هذه .

وفى راى صاحب الموسوعة أن تطورا فنيا ما قد لحق السينما العربية على ارض مصر ابان فترة الحرب العالمية الثانية ، وان هذا التطور نلمسه اكثر مانلمس فى التمثيل والاخراج ، وفيما احرزه الصوت والصورة من تقدم كبير لتلك الفترة ، وفيما انتهت اليه الموضوعات الدرامية من تقدم ملموس ، بحيث أصبح بينها وبين موضوعات فترة ما قبل الحرب بون شاسع .


كمال الشيخ


صلاح ابو سيف


يوسف شاهين

وعنده أن سينما "فترة الحرب" بدأت مصطبغة بصبغة واقعية قوية آية ذلك فيلم "العزيمة" لصاحبه كمال سليم ، والذى يعتبر بحق فتحا لمدرسة الواقعية ، تلك المدرسة التى بلغت غايتها على ايدى "صلاح ابو سيف" و "هنرى بركات" و"توفيق صالح" و "كمال الشيخ" و"يوسف شاهين" .

على انه من الخطأ البين ان نعتقد انه كان لها تأثير غالب على مسار التيار المصرى فى السينما العربية .. بل على العكس كان تأثيرها محدودا جدا .

فما أحرزته من تقدم داخل هذا التيار فى العهد البائد او فى العهد التالى للثورة كان ضئيلا ، لا سيما اذا ماقيس الى كم الافلام المنتج منذ خروج اول فيلم عربى "البحر بيضحك ليه" الى الجمهور فى مصر قريبا من نهاية الحرب العالمية الاولى .

● الرقابة القاتلة ●

ويرجع "بوسينيه" هذه الظاهرة الى أسباب ثلاثة :

أولها : متطلبات السوق داخل مصر والاسواق العربية الاخرى حيث الجمهور المتلقى محدود الثقافة ، وهو امر يدفع بالسينمائى عند المفاضلة بين الافلام الواقعية وبين افلام التسلية العابرة الموشحة بالاغانى والرقصات الشرقية ، الى ان يختار افلام النوع الاخير إيثارا للسلامة .

ثانيها : المناخ الرقابى القاسى ، وهو مناخ غير صالح لازدهار سينما قومية تتصدى للمشاكل الحقيقية ، ومن هنا جنوح السينمائيين الى عدم الاقتراب من تلك المشاكل الا فى كثير من التحفظ والاحتراس ، ومن ثم هذا البعد الفلكى بين فقر موضوعات السينما وبين ثراء الواقع الذى يمكن ان تستوحى منه الافلام .

وثالثها : افتقار السوق المتكلم باللسان العربى الى وسائل التمويل اللازمة لانتاج سينمائى متان لا يتعجل عملية الابداع توفيرا للمال ، وذلك لانه يعمل حسابا للكيف الفنى باعتبار خير وابقى .

● الفجر الجديد ●

وعلى كل فبعد موسوعة "بوسينيه"

السينما العربية في أعين فرنسية

ازداد الاهتمام بالسينما العربية فى فرنسا .

ومصدر هذا الاهتمام ظهور سينما تتفجر اصالة وحيوية ، بعض افلامها آت من مغرب الوطن العربي وبخاصة الجزائر ، عقب انتزاعها الاستقلال من براثن الاستعمار الفرنسي ، والبعض الاخرات من مشرقه لاسيما الجزء منه المطل على البحر المتوسط .

ولوق هذا اكتشاف "ليلة حساب السنين" (المومياء) لصاحبها "شادى عبدالسلام" (١٩٦٩) الذى وصفه الناقد الفرنسي "جي حينيبيل" "بساتيا جيت راى المصرى" ـ نسبة الى المخرج الهندي الشهير ـ وقال عنه انه يفضل غيره من مخرجي مصر لانه عاد الى التراث الوطني فتمثله وزاوج بينه وبين متطلبات التقدم .

وقد كان لنجاح سينما الجزائر فى الحصول للسينما العربية على جائزة مهرجان فينيسيا الكبرى (الاسد الذهبي) التي توج بها فيلم "معركة الجزائر" (١٩٦٦) . وفى الفوز بالجائزة الكبرى لمهرجان كان (السعفة الذهبية) التى توج بها فيلم "سنوات الجمر" لصاحبه "الاخضر حامينا" (١٩٧٥)

فضلا عن تغلب مخرجين ثلاثة من مصر ولبنان وفلسطين (توفيق صالح وبرهان علوية وميشال خليفة) على صعاب تجسيد الصراع العربي ـ الصهيوني ، وما تفرع عنه من محنة للشعب العربى فى فلسطين وخارجها ، تجسيده بكل ابعاده السياسية والانسانية فى عالم الاطياف ، وظهور ثمار هذا الانتصار فى افلام ثلاث تعد من روائع الفن السابع "المخدوعون" و "كفر قاسم" وصور من مذكرات خصبة"

كان لكل ذلك تاثيره على النقد الجاد فى فرنسا ومن هنا طبع "قاموس السينمات العربية الجديدة" الذى استعرض فيه صاحبه الناقد "كلود ميشيل كلوني" تاريخ السينما فى الوطن العربي ، وبين مقدار ماكان بين السينمائيين العرب وجمهورهم من الصلات والاشتراك فى احتمال التبعات او عدم احتمالها على اختلاف الازمنة وتباين الظروف والامكنة .

وكذلك طبع قاموس السينما للاروس (١٩٨٦) الذى يقع فى ٨٨٨ صفحة من القطع الكبير اريد بها ان تروع بدقة البحث وحسن الاستقصاء .

ومما لوحظ على القاموس الاخير ان اللجنة الثلاثية التى اشرفت على تحريره ، كان من بين اعضائها "كلود ميشيل كلوني"

وان كل ماورد فيه خاصا بالسينما على امتداد الوطن العربي ممهور بالحروف الاولى من اسم الناقد المذكور .

ولو امعنا النظر فيما هو مكتوب عن السينما العربية فى قاموس لاروس هذا لوجدناه مأخوذا جملة وتفصيلا من قاموس "كلوني" الذى اراد ان يكون موضوعيا كما يقال ، فبرأ نفسه من الذاتية التى تجعل للعواطف والاهواء والميول اثرا اى اثر فيما يختار من وقائع السينما العربية ، وفيما يستخلص لها من احكام نقدية .

فهل تحقق له ماأراد ؟



توفيق صالح



فطين عبد الوهاب

بادىء ذى بدء يلاحظ اولا : ان المعلومات بالنسبة للسينما فى معظم المشرق العربى ومصر قد توقفت فى القاموس عند عام ١٩٨٢ ، وان الوحيد الذى انفرد بالاستثناء من هذا التعتيم هو "يوسف شاهين" .

ثانيا : ان الجيل الجديد من صانعى الاطياف فى مصر ومشرقها العربى ، فيما عدا "محمد ملص" صاحب اعلام المدينة" (١٩٨٤) لم يأت لهم ذكر لا من قريب ولا من بعيد ، فلا كلمة عن "خيرى بشارة" وفيلمه "العوامة ٧٠" او عن "محمد خان" وفيلمه "الحريف" أو عن "رأفت الميهى" وفيلميه "عيون لا تنام" و"الافوكاتو" .

ثالثا : ان ثمة تعثرا فى تفصيلات غير دقيقة كأن يقال فى النبذة المكتوبة عن "امينة رزق" ان "العار" الذى مثلت فيه دور الام ، فيلم من اخراج "نور الشريف" (ص ٥٥٤) ، وهو قول لا يستقيم مع الحقيقة ، ذلك انه من المعروف ان "نور" برىء من "العار" بحكم ان اخراجه كان من نصيب "على عبدالخالق" اما "نور" فقد اقتصر نصيبه على التمثيل مع حسين فهمى ومحمود عبدالعزيز ، ولا شىء سوى التمثيل .

● صحوة صغرى ●

ومهما يكن من امر هذه المثالب والهفوات فالشىء المحقق ان قاموس لاروس اكثر انصافا للسينما العربية من موسوعة "افراهيم كاتز" ، الامريكية .

ولا غرابة فى هذا فثمة تقويم لخمسة واربعين فنانا سينمائيا عربيا (بينهم كوكب الشرق ام كلثوم) من مصر وتونس والجزائر ولبنان والعراق والكويت ، وهو تقويم فى معظمه سليم .

وثمة بيان لتاريخ السينما ومسارها صعودا وهبوطا فى معظم اقطار الوطن العربى ، وهو بيان يساعد القارىء على اكتشاف ما ليس به علم من حقائقها .

وختاما فانه لما يثلج صدر القارىء العربى لهذا القاموس الفريد المفيد ، انه ما ان يتصفحه الا وتواجهه نبذتان عن المخرجين "فطين عبدالوهاب" و"شادى عبدالسلام" (ص ١) ، الاولى منهما ترد الاعتبار لمخرج الكوميديا الاول فى الوطن العربى ، اما الثانية فتقول فى وصف "ليلة حساب السنين" مليائتى "جماله الهادىء ، ورؤيته لمصر ، كلاهما يثير الدهشة" ، والاكيد ان هذا وصف يملا النفس ثقة واعجابا .

● رسالة لندن ●

خواطر مغترب :

دعوة ... لمواجهة اليأس

بقلم : محمود أحمد

في الغربة ، تكون العين دائما على مصر ، والقلب معها ، والافكار لا تدور الا حول أهلها وناسها ، وعندما يكون المصرى مغتربا ، فانه يظل يبحث عن المصرى ، يعرفه من بين الآلاف ويميزه ويهش له ويكاد يحتضنه ، من غير سابق معرفة ، ولأن هذا هو "جوهر" حال المصرى في الغربة ، فانه يظل يقارن بين الظواهر والانماط والتصرفات والمواقف ، وبين ماهو قائم في مصر ، مهما كانت المقارنة قاسية . وايا كان مقدار الحب الذى يكنه للوطن ـ بل والغيرة في أحيان كثيرة ـ فانه لا يملك الا أن يتأمل ماوصل اليه الحال في مصر ، فيأخذه العجب !

وهو ، بالفعل ، عجيب هذا الحال الذى وصلنا اليه . ولقد يسميه البعض بهذه التسمية أو تلك ، بدءا من العجز وانتهاء باللامبالاة ومرورا بتسميات أخرى كثيرة ، أو ربما يرجعه الى الهزيمة أو النكسة . وقد يرجح البعض الآخر اسبابا تتعلق بالتدهور الاخلاقى او القيم الفاسدة التى رافقت "الانفتاح" . بل وقد تتردد الأسباب السياسية الحاضرة صعودا حتى الوصول الى "غياب المشروع الوطنى" وعدم وضوح الرؤية فيما يتعلق بالمستقبل ، العام والخاص على السواء !

قد تكون الأسباب الصحيحة والحقيقية هى هذه أو تلك ، ولكنها تبقى كلها مدعاة للعجب : وتظل في كل التقديرات غير مبررة .. على الأقل اذا نظرنا اليها على ضوء هذا الشلل أو الجمود ـ حتى لا نقول البلادة ـ الذى أصبح يخيم على المجتمع كله . فأىّ تقاعس هذا الذى أصبح يميزنا اليوم ، نحن المصريين ، ويظل يمسك بخناق هذا المجتمع الذى ظل عبر القرون محتفظا بنبضه وحيويته ، حتى يحول بيننا وبين التقدم بجسارة لتغيير الواقع واللحاق بالعصر ؟ وهل كانت النكسة أو

الهزيمة ، التى يحلو لنا أحيانا أن نعلق عليها كل تقاعس وقعود عن التصدى ، اشد وقعا مما اصاب اليابان - مثلا - او المانيا بشطريها ، أو حتى كوريا الجنوبية والشمالية معا ؟

إن الفترة الزمنية ، التى مرت منذ نكسة ١٩٦٧ ، تكاد تكتمل عشرين سنة . وهذه فترة كافية لأى مجتمع حى لكى يلملم اوجاعه ويستوعب تجربته ، ثم يستجمع قواه وينطلق فى الاتجاه الصحيح . ولقد نذهب الى أبعد من ذلك ، فنقول اننا كنا بخير ، بشكل أو بآخر ، الى مابعد خوض حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، هذه التى تمنى احد شعرائنا - احمد عبد المعطى حجازى - أن تدخل حممها الملتهبة فى لحمنا الحى ".. كى نتحضر" !

ليس ابتعادا وتهربا ، او ابراء لذمة احد .. ان نتوجه الى المجتمع والناس والافراد - ابناء مصر - فنحملهم القدر الاكبر من المسئولية فى الوصول الى هذا الواقع الممض الذي نعانى منه اليوم . فأى "ادارة" وايا كانت سياستها او فلسفتها او توجهها ، لا يمكنها وحدها ان تحمل عبء شعب كبير العدد ، ما يفتأ انتاجه يتناقص واستهلاكه يتضخم ، واجيال - رغم أن الشباب فيهم يمثل الاكثرية - تستمرىء القعود والكسل ، ثم تهدر كل الطاقة فى الاتجاه الخاطىء : إما باجهاد النفس على طريق السمسرة والمضاربات ركضا وراء أوهام الثراء السريع ، واما بحثا عن تحقيق الذات فى غير تبصّر للاسف - على مساحة واسعة تبدأ من الضياع تقليدا لظواهر تنبت فى مجتمعات غريبة ، ولا تنتهى عند حدود التعصب الدينى او الفكرى !

لقد كتب زميلنا "فهمى هويدى" مؤخرا ، وهو يتعرض لموضوع طاقات الشباب المهدورة ، فاعطى مثلا بأحد السدود بناه - بأكمله - شباب بلد من البلدان . وهناك امثلة أخرى كثيرة ، ولكننا نختار واحدا منها لما له من دلالة ، وهو ذلك العمل الذى يقوم به الشباب الانجليزى ، عاما بعد عام ومنذ قرن مضى الحفاظ على ثروات بلاده الطبيعية وتراثها . وكان هذا العمل قد بدأ متواضعا للغاية ، وبجهود أفراد معدودين اجتمعوا ذات يوم فى أواخر القرن الماضى بمكتبة واحد منهم وتحدثوا عن الآثار "المدمرة" الناجمة عن الثورة الصناعية - فى الجانب السلبى منها - وكيف ان انشاء المزيد من المصانع كل يوم يهدد بالهدم أعرق المبانى والقصور ، ويهدد بالابادة مساحات واسعة من أراضى الريف الانجليزى الجميل ، بدعوى شق المزيد من الطرق واقامة الأحياء السكنية . ومرت الأعوام ، واذا بهذا العمل ينتهى الآن الى نتيجة جبارة : فالهيئة المتواضعة التى عرفت منذ مولدها باسم National Trust أصبحت اليوم ثالث اكبر مالك للأراضى فى بريطانيا بعد التاج والكنيسة ، وهى تمتلك الآن ٢١ قلعة و١٥٧ منزلا تاريخيا وعددا هائلا من القنوات المائية والكبارى وأفران الجير والمراكب واليخوت والممرات الطبيعية والقرى والمزارع والغابات ، وحتى المواقع الاثرية بما فى ذلك بعض الآثار الرومانية التى ترجع الى عصر ماقبل الميلاد !

لقد أصبحت هذه الجمعية ، التى تقوم

بمعظم الجهود فيها جماعات من المتطوعين وخاصة الشباب ، هي "الحاضن" أو "الوصي" على تراث انجلترا التاريخي والثقافي والطبيعي ويتطلب العمل لصيانة هذه الثروة القومية الضخمة ، جهدا متصلا يبدأ بالادارة ولا ينتهي بالعمليات الفنية كترميم التحف واللوحات والمباني . وعلى الرغم من أن الجهاز "الثابت" لادارة هذه الممتلكات الواسعة يضم ١٢٠٠ من الموظفين الدائمين ، الا أن القسم الأكبر والأهم من العمل يقوم به متطوعون من مختلف الأعمار والتخصصات ، ومن الشباب الذى يتطوع لهذا الغرض خلال العطلات الصيفية على وجه خاص ، ومعظم هؤلاء يلتحقون كأعضاء بهذه الهيئة أو الجمعية التي تضم الآن مليونا و ١٣٢ ألف عضو لم ينتظر أى منهم احدا يحدد له دوره .. لا الدولة ، ولا الحكومة ولا اية جهة أخرى . بل ان كلا منهم يتقدم ، ويكفى ان يقول : انني استطيع ان اقوم بكذا ، ولمدة قدرها كذا ، حتى يبدأ العمل على الفور !

وهذا ، كما أشرنا ، مجرد مثال واحد من بلد واحد ، وانما اتاحت ظروف العمل والاحتكاك التعرف اليه عن قرب . ولاشك أن هناك نماذج كثيرة أخرى ، فى هذه الدنيا الواسعة ، يتولى فيها الناس ـ أفراد وجماعات ـ مسئوليات قومية بهذا الحجم أو اقل او اكثر ، ويقبلون عليه بكل الحماس والاحساس الوطنى الذى يوجه الى هدفه تماما . ولعل لنا أن نذكر ان غالبية هذه النماذج توجد فى بلاد تعيش ظروفا طبيعية أو حتى "حالة ازدهار" كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا . فما بالك ببلد كمصر ، يحتاج من ابنائه الى كل نبضة دم وكل قطرة عرق !

إننا نسمع كثيرا هذه الايام ، دعوات الى اليأس . ولكن علينا ان نتنبه ، وننبه ، الى أن هذه الدعوات لن تؤدى الا الى مزيد من الانحدار والتدهور . ونحن لا نصادر حق أحد فى الممارسة السياسية والانتقاد ، مهما كان المدى الذى يذهب اليه فى الاضطجاع بكل ثقله على "الديمقراطية" ولكننا ، فقط نقول إن أولى الخطوات نحو ديمقراطية حقيقية يجب أن تستند الى الادراك الواعي لمسئولية المشاركة التى يمكن أن تكون اضافة حقيقية الى بناء المجتمع وصنع المستقبل اننا نرى انفسنا نتخلف كل يوم ، ومع ذلك فالكل سادر فيما يشغله ، وتمر بنا الأيام أو هى تنزلق من بين أصابعنا ويمضى العمر دون أن يتنبه جيل بأكمله الى "جريمة" التقصير التى يمارسها فى حق الوطن . وقد لا يصح وصف ، هنا ، كما يصح وصف "الجريمة" ، رغم انه قد يبدو للبعض مغاليا أو شديد الوقع .

هل هذه لا تعدو ان تكون افكارا مجردة ؟ ربما ، ولكننا لم ندّع ان هذا "برنامج" بديل لأى شيء قائم وانما هي دعوة للنهوض ، او صرخة هالعة تحاول لفت الأنظار . هي دعوة للحياة ، فى مواجهة الجمود والبلادة واللامبالاة .. ودعوات اليأس .

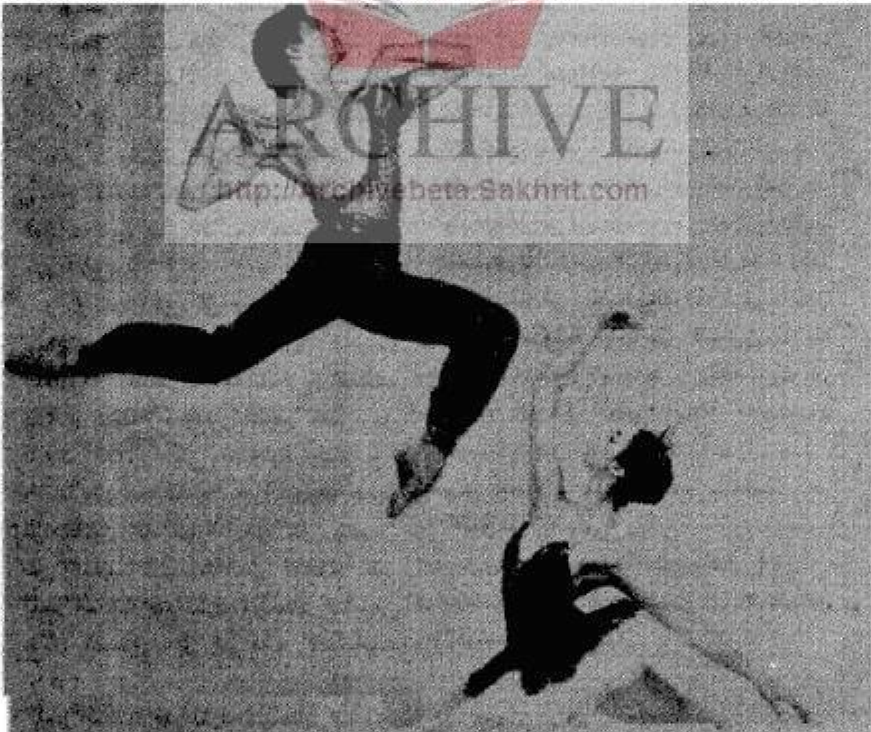
موسم ثقافي صيفي .. في بريطانيا

ترتفع درجة الحرارة بصورة نادرة الى ٢٧ درجة مئوية ، في منتصف يونيو ، وتستقبل بريطانيا موسم صيف جديد هذا العام . يخرج الناس يوم الأحد الى الشوارع والحدائق ، الكثيرة والمنتشرة في كل مكان ، متلهفين الى الشمس تواقين للطقس الدافيء . تخف الملابس ، وتقل وتقصر ، ويضرب الاطفال الهواء بسيقانهم الوردية وهم نائمون في عرباتهم مستمتعين .

ويرتفع عدد الذين يقصدون المنتجعات الصيفية ، سواء في اجازات سنوية طويلة .. او حتى في عطلات نهاية الأسبوع .

صور كثيرة تجعل هذا الموسم يبدو مختلفا : فأهل السياسة مشغولون بأحداث جنوب أفريقيا التى واجهت رئيسة الوزراء العنيدة مارجريت تاتشر بسببها ضغطا

فرقة البولشوي .. تقدم فنا يحبه الانجليز ويقبلون على مشاهدته بجنون



موسم ثقافي صيفي

شديدا لكي تتراجع عن اصرارها على عدم فرض عقوبات اقتصادية على جنوب افريقيا . واهل السياحة مشغولون بايجاد وسائل لتعويض الخسائر الناجمة عن إحجام السياح الامريكيين عن المجيء الى اوربا خوفا - كما قيل - من قنابل الارهاب وسحابة "شيرنوبل" النووية . بينما وسائل الاعلام تجد نفسها ، منذ بداية موسم الصيف ، مشغولة بهذا وذاك ، ومنشغلة ايضا ، وربما بصورة اكبر ، بالتنافس على تغطية مباريات كأس العالم لكرة القدم فى المكسيك (والتى شاركت فيها ثلاث فرق بريطانية) ومتابعة عدد من القضايا الاجتماعية المعقدة ، والتى ليس اقلها مكافحة انتشار المخدرات والجدل القائم حول ما اذا كان يسمح للاطباء بصرف حبوب منع الحمل للفتيات دون سن الرابعة عشرة .. دون علم الأبوين !

ومع ذلك : فإن كل هذه الاهتمامات لا تطغى - لحسن الحظ - على زحم الموسم الثقافى الصيفى فالمسارح تستعد ببرامج جديدة ، ودور النشر تعلن عن أحدث الكتب التى انتجتها المطابع ، والمعارض تبدأ فتح ابوابها لتوليفة بديعة من الفنون التشكيلية ، فى حين تعرض دور السينما مجموعة من الافلام التى تأخر انتاجها فلم تدرك موسمها الطبيعى خلال الشتاء . بل إن هذه الاهتمامات الكبرى لم تمنع البريطانيين ان يتابعوا حتى الطرائف التى تأتى بها الانباء ، وان يضحكوا من اعتزام اهل مدينة "نابولى" الايطالية - المحصورة بين الجبل والبحر - حل مشكلة المقابر ببناء مقبرة ترتفع عشرة طوابق فى الهواء !!

● "البولشوى" ..
لأول مرة منذ ١٢ سنة ●

حظى مجيء فرقة "البولشوى" السوفييتية ذات الشهرة العالمية ، الى لندن باهتمام كبير فى الأوساط البريطانية عموما والأوساط الثقافية على وجه اخص . فهذه هى المرة الأولى ، التى تستقبل فيها العاصمة البريطانية تلك الفرقة الراقصة ذائعة الصيت ، منذ ١٢ عاما . وقد ظل الاهتمام بمجيء "البولشوى" الى لندن يتصاعد ، منذ الاعلان عن ذلك الحدث ، وتدافع محبو فن الباليه الى حجز أماكنهم - بصعوبة - حتى لا تفوتهم الفرصة . فمن يدرى ، متى تعود الفرقة ، فى المرة القادمة ، وبعد كم من السنين . وقد انعكس هذا الاهتمام ، وتجسد ، فى صدور الملحق الملون لمجلة "الصنداى تايمز" - قبل شهر من الموعد المحدد - وهو يحمل على غلافه راقصا من "البولشوى" فى وضع طائر ، وصورا أخرى فى قسم بأكمله داخل المجلة ، بعدسة اللورد سنودن المصور الفوتوغرافى الشهير !

على أن وصول الفرقة العالمية قد سبقته ، ورافقته ، تحذيرات من الخبراء من انه ليس من الضروري أن يتوقع الجمهور البريطاني عروضا خارقة للعادة . وتحدث هؤلاء الخبراء عن مرات عدة ـ منذ العرض الأول الذي قدمته "البولشوي" في "الكوفنت جاردن" بلندن عام ١٩٥٦ ـ أصابت استعراضات الباليه فيها الجمهور البريطاني بنوع من "خيبة الأمل" ورغم هذه التحذيرات ، فان الاقبال على الحجز ، وبالتالي اظهار التشوق لمشاهدة العرض ، بقي متصاعدا من جانب الجمهور الذي لم ينس ابداع "جالينا أولانوفا" في دور "جولييت" عام ٥٦ .

هذه المرة ، كمرات أخرى سابقة ، تأتي "البولشوي" تحت ادارة الرجل نفسه الذي يقود الفرقة منذ نحو عشرين سنة "يوري جريجوروفيتش" اما الراقصة الأولى ، والتي يطلقون عليها وصف "الملكة التي لا تنازع" ، فهي "ناتاليا بسمرتنوفا" زوجة "جريجوروفيتش" . ويقول خبراء الباليه في العاصمة البريطانية ، إن عروض "بولشوي" عام ١٩٨٦ انما هي تجسيد لصوت سيدها ومديرها جريجوروفيتش الذي يؤمن الى أقصى حد بالرقص الكلاسيكي وقدرته على التعبير عن روح المجتمع وثقافته وفنونه . ولكن الخبراء يؤكدون ، من ناحية أخرى ، انه ليس غريبا أن تكون الفرقة معبرة الى هذا الحد عن آراء مديرها ، ويشيرون الى أن هذا هو بالضبط حال "باليه نيويورك" تحت قيادة "جورج بالانشاين" ، وهو كذلك ماينطبق على فرقة "باليه بروكسل" التي يديرها "موريس بيجار" .

اما العروض ، التي أعلن مسبقا أن باليه "البولشوي" سيقدمها على مسرح الكوفنت جاردن ، فتتقدمها ثلاثة ، هي : "رايموندا" ، و"ايفان الرهيب" ، و"العصر الذهبي" ، وهي مسرحيات باليه كلاسيكية قديمة ، وبعضها مثل "العصر الذهبي" سوفييتي قح ، ولكنها تتميز جميعها بانها تقدم هذه المرة برؤية جديدة لـ "جريجوروفيتش" الذي يضفي عليها الكثير من روحه وفكره وفهمه الخاص لدور الفن ومكانة الباليه ، كرقص تعبيري راق ، من الفن عموما .

● "عين الفنان" ●

تحت هذا العنوان "الموحي" ، شهدت العاصمة البريطانية سلسلة من المعارض المتتالية التي اقيمت في صالة المعرض الوطني The National Gollery ، واعتبرت من اهم ملامح الموسم الثقافي الصيفي هذا العام . واذا كان طبيعيا أن تستقبل هذه السلسلة من المعارض بالترحاب ، من جانب محبي الفن التشكيلي عموما ، الا أن الأمر لم يخل أيضا من الانتقادات التي أثارها اساسا الاتجاه في اختيار اللوحات المعروضة . وقد كان معظم هذه الانتقادات من نصيب الرجل الذي أشرف على كل صغيرة وكبيرة في تنظيم المعارض ، وهو "باتريك كولفيلد" الذي وجد نفسه يواجه اتهامات بأنه خرج من هذه العملية وهو "موجل

اليدين" . أما السبب فهو عدم التوفيق فى اختيار المعروضات التى ضمت "كل شىء" - وبشكل بدا عشوائيا - من فنون الرسم والتصوير .

بل انه حتى عندما وجد كولدفيلد من يثنى على ادارته لعملية العرض وتتابع العروض واحدا فى اثر الاخر فان ذلك لم يحجب انتقادات أخرى وجهت الى التركيز على "المعروضات التى تقتصر على الحلقة الضيقة الداخلية من الفن الانجليزى البحت" وطالبت هذه الأصوات بأن تخرج صالة المعرض الوطنى من هذا الاطار ، وتنطلق بحيث تقدم معروضات أخرى اكثر "ادهاشا" .. وانتقاءات اكثر تنوعا .

● الجواسيس الأرستقراطيون ●

هذا كتاب جديد يثير قضية لافتة للانتباه حقا ، وهى : ما الذى يدفع شخصا أرستقراطيا من الطبقة العليا ، الى الانغماس والتورط فى أعمال جاسوسية ؟ والكتاب الذى يحمل عنوان "الاحمر والأزرق" - وهما لونا العلم البريطانى - يركز الضوء بشكل أساسى على دور الجامعات أيضا ، فى تيسير اتاحة المعلومات التى يسعى وراءها الجواسيس ، متخذا من جامعة "كمبردج" مثلا لذلك . ويعود أحد فصول الكتاب الى تقصى ماكان البحث الجامعى يتيحه فى سنوات الثلاثينات من معلومات ، وهو مايمهد بعد ذلك لمعالجة كيف تنتقل الجامعة ، من خلال البحوث التى تجرى فيها ، من الاهتمام بالفيزياء الحديثة وتطورها فى العالم ، الى الغوص فى أمور سرية تتعلق بالأمن الوطنى وهو مايجرى منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية .

ولا يخفى مؤلف الكتاب دهشته ازاء اقدام أشخاص ارستقراطيين ممن يحملون القابا نبيلة ، على التجسس لحساب أجانب . ويتساءل المؤلف اندرو سنكلير عما اذا لم يكن من الغريب حقا أن يكون أحد هؤلاء الجواسيس الارستقراطيين "شيوعيا" ! ولكنه يقر بأن القضية اكثر تعقيدا مما تبدو للوهلة الاولى ، ويعترف صراحة بأن الأمر يتطلب مزيدا من الدراسة والتحليل .

صلاة اعرابية

حكى الأصمعي قال : « خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبنى سعد ، فإذا باعرابية نائمة ، فانبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا ، فتوجهت الى القبلة قاعدة ، ولم تمس الماء ، فكبرت ثم قالت : « اللهم اعذر وأنا عجلى ، وصليت وأنا كسلى ، فاغفر لى عدد الثرى » . قال : فعجبنا وقلنا : « ماتجوز لك الصلاة ، وما هذه بقراءة .. » قالت : « والله ان هذه لصلاتى منذ اربعين سنة » .


كتاب الهلال
يقدم :
فى بلاد السندباد
بقلم : فاروق خورشيد
(عدد خاص)
يصدر
٥ أغسطس
١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم
الأمير والحسناء
بقلم : كلود انيه
ترجمة : محمود حسنى عبد الله
تصدر فى
١٥ أغسطس ١٩٨٦



رأى/في الثقافة

● حول مسألة التصنيف السياسي للأديب ●

ليست القضية في تصورنا هي قضية "التصنيف السياسي" للكتاب والمبدعين كما يقول البعض هذه الأيام . فمن المفترض بل والبدهي ، أن يكون لكل كاتب ومبدع جاد رؤياه الخاصة للعالم المحيط به : للعالم الذي يعيشه .

نقول رؤياه لأن هذه "الرؤيا" تتضمن التصورات الخاصة بالفن الذي يمارسه المبدع ، بما يعنيه ذلك من قضايا "نوعية" شاملة لأفكاره عن اللغة ، مثلا ، هل هي جامدة أم متحركة ، قابلة للتطور أم ثابتة عند الماضي ، عن الشكل وعلاقته مع المضمون ، الإيقاع وعلاقته بالبناء ، وبما يريد المبدع أن يوصله للمتلقي .. إلى آخره .

كما تتضمن ـ هذه الرؤيا ـ موقفه كمواطن فاعل من قضايا مجتمعه الذي يعيشه ، وزاوية تحيزه بالنسبة للقضايا العامة ، وهذا لا يعني بالضرورة أن نطالب الكاتب بانتماء حزبي معين ، وفي كل الأوقات والظروف .. لأن الواقع الآن مثلا يقول أن القيادات السياسية القائمة للأسف من أغلب الاتجاهات مصابة بحالة "شيزوفرينيا" حادة بالنسبة لمسائل الفن والأدب ، فأردأ الأنواع الأدبية والفنية المباشرة القول هي التي تجد القبول من هؤلاء ، لأن نظرتهم للمبدع هي نظرة الوصاية ، باعتبار الفن والأدب ـ من وجهة نظرهم ـ نوعا من الدعاية المباشرة لبرامجهم التي قد تكون ، أحيانا ، نبيلة الأهداف .

● أين القضية إذن ؟ ●

القضية في تقديرنا تتعلق بالنقد والنقاد ، كما تتعلق بالرجال الموضوعين على قمة الحركة الثقافية ، المؤثرين في مجريات الأمور الثقافية العامة .

فلو آمن هؤلاء وأولئك بالمبدأ الأول الضروري لمصداقية كل "حكم" وكل مسئول : الإيمان بحرية المبدع ، كمواطن ، في أن يعتنق مايشاء من عقائد ، في ظل دستور يحمي الجميع ، وحق المبدع في التعبير عن رأيه بكل حرية ، مادامت آثار الجدية والعمق وصدق الموهبة بادية على إنتاجه .

في هذه الحالة يصبح التقييم النقدي منصبا على "الإبداع" ، على الانتاج نفسه ومدى جديته ، بعيدا عن المبدع كمواطن له الحق في إتخاذ الموقف الذي يراه ، في ظل الدستور الذي ارتضيناه كعقد إجتماعي نستظل جميعا بظله .

عندئذ يصبح المبدع والفنان في مأمن من بطش أي عنصر قيادي ضيق الأفق ، ويصبح الفنان مطمئنا إلى أن الناقد الحكم محكوم هو نفسه بإطار حضاري يدفعه بدوره للتعبير عن رأيه بحرية ، ويصبح الجو الثقافي العام صحيا ودافعا للإبداع والخلق ، بدلا من أن يكون خانقا يحس الجميع خلاله بالاختناق وبعدم جدوى العمل .

لماذا إذن تثار مسألة "التصنيف

السياسي" بهذا المعنى الضيق الأفق هذه الأيام ؟

هناك داء عضال يصيب الكثير من كتابنا هو داء "الانتهازية" الذى أصبح بالنسبة للبعض أشبه "بالحصباء" ، مرض دوري يصيب الناس جميعا ، إلا من ارتقت به موهبته ، وعمق إستيعابه للقضايا الأساسية إلى مرتبة الكاتب الحقيقي المهموم بما هو اهم من اللمعة الزائفة ، هؤلاء ، وعند بداياتهم ، وفي ظل جو كانت اليسارية صفة تدفع للصدارة ، كانوا يساريين ، وفي جو نمت فيه حساسية مرضية ضد هذه الصفة ، يصرخون : التصنيف السياسي خطأ !

عبده جبير

تليفزيون

● الحب وأشياء أخرى وقضية دراما التليفزيون ●

ينظر كثير من الناس لما يقدمه التليفزيون بخفة وقلة اكتراث انطلاقاً من فكرة رسخت ، مؤداها أن التليفزيون قد سطح كل شيء ، ومن ثم فما يقدمه ينطبق عليه هذا القول ، ولكن ، إذا كانت هذه المقولة تجوز على غير المتخصص فهي لا يصح أن تجوز على الناقد المدقق المتابع لحركة الفن والثقافة بشكل عام ، خاصة ناقد الدراما ، وليس هذا دفاعاً عن التليفزيون ولكن إحقاقاً لحقه في تقييم سليم يتوخى الانصاف ، فإذا كانت السينما المصرية تنتج سنوياً من ٤٠ ـ ٦٠ فيلماً يحار النقاد في اختيار خمسة منها تنطبق عليها شروط الجودة الفنية والفكرية ، وفي المسرح أيضا يصبح المقياس اكثر صعوبة ، فإن التليفزيون ، قياساً ، على هذا يقف نداً للسينما والمسرح في مجال الدراما بالتحديد ، إن لم يكن اكثر اهمية بسبب نفاذه إلى اكبر القطاعات جماهيرية . وبسبب طول القالب الذي يقدم الدراما من خلاله اى مسلسل ، والذي يضيف للمبدع سواء كان مؤلفاً أو مخرجاً أو مؤدياً ، همو ماً اضافية طويلة المدى بطول وقت العمل . من هذا كله تأتى قيمة بعض أعمال التليفزيون التي قدمها أخيرا ، والتى تنطبق عليها الشروط التى تجعلها تثبت للمقارنة مع أعمال السينما والمسرح . وآخر هذه الاعمال هو مسلسل (الحب وأشياء أخرى) للكاتب اسامة انور عكاشة والمخرجة انعام محمد علي ، والذى عرض في رمضان في ١٨ حلقة على شاشة القناة الاولى . واثار ردود افعال واسعة لاتعد في ذاتها مقياساً على قيمته أو جودته ، ولكنها من ناحية أخرى مقياس على اهتمام جماهيري واسع استطاع المسلسل ان يحرزه وسط عوامل جذب أخرى خارقة للمشاهد فيما قدمه التليفزيون في رمضان من كم كبير من برامج المنوعات والمسابقات والدراما الدينية والاجتماعية وبرامج النجوم . فما الذى طرحه المسلسل وجعله جديرا بهذا الاهتمام ؟

● هل اصبح الحب صالحاً الآن ●

لقد طرح المسلسل اولا فكرة الحب . وهل أصبح الحب بمقاييسه العامة المتعارف عليها في مجتمعنا صالحاً لوقتنا الحالي ! ان الكاتب في هذا العمل والأعمال الأخرى السابقة له مثل (ابوالعلا البشرى) و (قال البحر) و (أبواب المدينة) لا يضع أبطاله في الفراغ وإنما في إطار اجتماعي محدد ومحكم وله سماته ، وفي هذا الاطار الاجتماعي . الذى نعيشه اليوم عام ١٩٨٦ ، يقابل بطله (سامح) الموسيقي الموهوب وخريج الكونسرفتوار المتفوق وابن الحى الشعبي درب سعادة ، يقابل (هند) الطبيبة حديثة التخرج ، والتي يشارك والدها الطبيب الكبير الثرى زميلا له في انشاء مستشفى استثماري ، يتقابل الاثنان في لحظة خارج الواقع وداخله في أن واحد بسبب حبهما



للموسيقى ورغبتهما فى أن يعلمها - باعتباره مدرسا أيضا - ماحرمت من تنميته بسبب اصرار والدها على أن تصبح طبيبة . وقد كان من الممكن لقصة الحب هذه أن تتخذ مسارا آخر فى زمن آخر ، لكن العنصر التراجيدى فيها كان هذا الزمن الذى اصبح فيه المجتمع منقسماً على نفسه ، فناس الزمالك غير مواطنى درب سعادة أو درب الفقير ، وسلوك الاول غير سلوك الآخرين ، وكذلك القيم والعادات ، إنه مجتمع طبقى بمعنى الكلمة أو بلدان يعيشان فى بلد واحد ينمو أحدهما وينكمش الأخر ، ومن هنا فإن نقطة اللقاء فى المسلسل بين سامح وهند هى نفسها نقطة الفراق أو بدايته من خلال الحدث والزمن أى الحب الذى اتضح انه أصبح مستحيلا فى هذا الوقت . وفى اللحظة التى يعتقد فيها الاثنان انهما تغلبا على كل الصعاب وأهمها رفض الطبيب الكبير وزوجته وشريكه لهذا الزوج (غير المتكافىء) ، تتحول لحظة الانتصار إلى هزيمة تزداد وضوحاً مع سلسلة من المواقف الاخرى التى لم يكن لأحدهما يد فيها وإنما كانا نتاجاً لها ، فإذا كان الفارق المادى لا يعبر دائما فى هذا الزمن عن المستوى الاجتماعى فى وجود طبقات امتلكت المال بغير مقومات أخرى فإن "سامح" و"هند" يواجهان طبقة تتمتع بمكانة اجتماعية عليا وتفوق مهنى عالجته بأسلوب مادى فتميزت اكثر ، من هنا أصبح "المدرس" ابخس من "الطبيبة" بشكل مجرد ، واكثر بخساً من خلال الطبقة . وبشكل ناعم تقودنا الدراما إلى الشقاق بينهما حينما يبدأ أحدهما فى الاستخفاف بأفكار الاخر وهو ما فعلته "هند" عندما تراجعت عن عدم استعمال سيارتها الخاصة بعد الزواج والكفاح من الصفر كما اتفقا . والتراجع جاء بسبب ضغط الواقع ، واقع المواصلات والحياة الشاقة فى حى فقير ، إن الاحداث تتوالى ومعها تتراجع قيم الكفاح المشترك والتوحد والبناء فى حياة الاثنين لتحل محلها مقولة أن المال ييسر الحياة مادام موجودا لدى أحد الاطراف ، وفى الوقت الذى يتزايد فيه ثقل الوجود المادى لهند التى يهديها والدها عيادته الكبرى فى وسط البلد بجانب مستشفاه فإن الندية بين الاثنين تتراجع أو تنتهى فى نفس الوقت ويدفع الاحساس بالعجز "سامح" إلى الاحساس بالنقص ثم التردى فى أفعال لا تليق ، كالعمل وإهدار كرامته الفنية وراء الراقصات فى الكباريهات ، ثم يدخل مدفوعاً بنفس الاحاسيس المركبة فى سلسلة من السلوكيات الهابطة تجاه زوجته ويتحول طرفا الحب الجميل الى مخلوقين مثخنين بالجراح ، وفاقدين للثقة ، ليصبح السؤال اقوى واشد فى النهاية : هل اصبح للحب مستقبل فى زمن سيادة المادية والتمايز الطبقى المتزايد ؟ بل هل أصبح لهذا المجتمع مستقبل وسط هذا التناقض المروع بين قوى تزدهر وتنتعش وقوى تذبل وتموت ؟ إن المسلسل ينجح ايضا فى طرح قضيته بشكل اكبر فهى تتجاوز قصة سامح وهند إلى كل القوى التى ينتمى لها كل منهما ، وهل أصبح ممكناً أن نتعايش معا فى نفس المكان والزمان ؟ وهل - الممكن أن يعيش مجتمع يضم نخبة المهن العليا المرتبطة باستثمارات واسعة لبيع خبرتها وعلمها بعيدا عن مفهوم الخدمة مع آخرين أصحاب مهن انقرضت تعلموها بالسليقة والذكاء الفطرى مثل الاسطى (فرج) الترزى الذى وصل إلى نقطة الصفر بلا مال ولا مستقبل بعد أن هجره الزبائن بسبب عجزهم عن دفع أجرته ! إن المسلسل فى دائرة طرحه يشير إلى هذه

المفارقة فى مجتمع واحد بين مهن ومهن اخرى ، فبقدر مايعكس نموذج الأسطى فرج تلقائية الحياة وبساطتها واصالتها بقدر مايعكس وصول هذا كله إلى طريق مسدود بفعل الأزمة الاقتصادية وقصور القوانين والنظم عن التعامل مع متغيرات العصر وتحديث المجتمع وهى ازمة العدالة التى تكفل للإنسان انسانيته مجردة عن انتمائه الطبقى ..

وإذا كان لقوة الفكر وجاذبية العرض الدرامى قوتهما فى (الحب واشياء اخرى) فإن لها بعض نقاط الضعف بالطبع ، واهمها عدم تمايز الحوار بما يتناسب مع بعض الشخصيات مهما أوتوا من البصيرة مثل شخصية (فرج) الترزى التى جسدها فى اداء مبدع الفنان صلاح قابيل ، أيضا المبالغة فى احساس "سامح" بالعجز والنقص مع المبالغة ايضا فى تقدير موهبته ونبوغه من جانب اساتذته ..

وإذا كانت المخرجة انعام محمد على قد اثارت الاعجاب بحساسيتها الفنية المدهشة وإبرازها لكل المعانى التى طرحها العمل ، وسيطرتها التامة على اداء بطليها (اثار الحكيم) و (ممدوح عبدالعليم) ثم ابرازها لقدرات ممثلين مخضرمين مثل (صلاح قابيل) و (رشوان توفيق) و (مديحة حمدى) بالاضافة لتقديمها الجيد لمصطفى فهمى ونبيل الحلفاوى إلا أن هذا ليس غريبا على مخرجة كبيرة شقت طريقها بأقصى حد من الالتزام الفكرى والفنى معا وعلى مدى سنوات طويلة لتقف فى الدائرة التى تضم أهم المبدعين فى الفن التليفزيونى العربى .

• مسـرح • ماجده موريس

"السبنسة" فى المسرح القومى بعد ربع قرن !

ضمن خطة إعادة تقديم المسرحيات (الريبتوار) اعاد المسرح القومى عرض مسرحية "السبنسة" التى كتبها سعدالدين وهبه واخرجها سعد أردش عام ١٩٦٢ ، وبالرغم من ان المسرحية تكشف اوجه الفساد الذى عم أجهزة الدولة قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، إبان الحكم الملكى والاحتلال الانجليزى ، الا ان مخرجها عبدالغفار عودة حاول إضفاء طابع العصرية على الأحداث بعد أن حذف بعض العبارات واضاف اخرى تلائم ماحدث من متغيرات ، كما يقول فى برنامج عرض المسرحية ، الذى حدد فيه وظيفته كفنان بأن يراقب ويرصد حال المجتمع ، بعد أن حول قطعة الحديد فى "السبنسة ٦٢" الى قنبلة ضد رجال القمع والقهر المختفين وراء نياشينهم ونجومهم وبزاتهم العسكرية فى "السبنسة ٨٦" ، الا أن المقدمة التى انبنت عليها المسرحية ظلت أسيرة الزمن الذى صاغ المؤلف إبداعه خلاله ، فتصبح المحصلة فى النهاية غير متسقة دراميا ، إذ يتقوض البناء فوق شخصياته المترددة بين حالات وعلاقات تداخل الزمن القديم والآنى ..

وإذا كان المخرج يرى أن مايحدث الآن فى الواقع هو نفسه الذى أرهص بضرورة التغيير قبل ثورة الضباط الاحرار ، فإن الخلط هنا هو الذى يفسد هذا التقارب ..

تدور المسرحية فى قرية نائية تسمى (الكوم الاخضر) كناية عن أرض الكنانة ، يجد واحد من عساكرها (الشاويش صابر) احدى القنابل ، فيبلغ رئيسه (الصول درويش) رؤساءه فى المديرية ، وعلى الفور تنقلب القرية ، إذ يحضر المأمور وقواته التى يستضيفها العمدة مرغما ومعه وكيل النيابة لكى يحققا فى وجود القنبلة التى ابطل مفعولها أحد خبراء المفرقعات ، وادعى انها شديدة الانفجار ، وهى لا تخرج عن كونها قطعة من الحديد وضعها صابر بعد أن سرقت القنبلة الحقيقية ، وتبدأ التحقيقات ومعها يبدأ كشف المؤلف وتعريته لواقع القرية ـ أو الوطن ـ وعلاقات رجال السلطة والاقطاع بأبنائها والقيم المتردية التى تحكم العلاقات بينهم إلى



اخر هذه المظاهر ، وعندما تصل المسرحية الى ذروتها ، بعد ان لفق وكيل النيابة التهمة لأحد العمال واحد المشايخ وأحد الفلاحين ، يثور صابر ويعترف بالحقيقة محذرا من القنبلة الحقيقية التي سرقت ، وبالطبع لايأبه رؤساؤه بما يقول ويتهموه بالجنون ويقوده رجالهم الى مستشفى المجانين فى نفس القطار الذى يحمل المتهمين الى السجن فى عربة الدرجة الثالثة (السبنسة) ويركب المامور ورجاله فى الدرجة الأولى (البريمو) بينما يركب السلبيون والانتهازيون وهؤلاء السائرون خلف كل سلطة فى الدرجة الثانية !

وسعد وهبه بهذه النهاية التي يحذر فيها صابر من القنابل الحقيقية التي على وشك الانفجار ، كان يواكب احداثا حقيقية ، ويرصد انفجارا لقنبلة واقعية ، دفعت - كما تنبأ صابر - بركاب السبنسة الى الدرجات الأولى ، أو ممثلي الطبقات الشعبية الى الحكم بعد نجاح ثورة يوليو ..

وقد جانب المخرج التوفيق فى صياغة التيمة القديمة بشخصياتها النمطية ورموزها المستهلكة - الآن - وعلاقاتها المحدودة ، بعد التغييرات التي حدثت ، خاصة فى الريف المصرى ، بعد التقدم العلمي وانتشار أجهزة الاعلام والتعليم ، هذا بالاضافة إلى ضيق الهوة الحضارية بين القرية والمدينة ، فلم يفده كثيرا ان تتغير بعض أسماء الشخصيات - مثل المأمور الذى انقلب الى مدير الأمن - أو صياغة بعض العبارات وتحميلها على لسان الشخصيات ، إذ كانت خارجة عن القالب القديم ، ومسخ بعض الرموز ، مثل المثقف الازهرى الذى ظهر على المسرح فى صورة لا تتفق مع دوره المؤثر بحكم طبيعة القرية ..

وقد كان يمكن تلافى ذلك كله ، مادمنا فى اطار اعادة المسرحيات القديمة ، وذلك بأن نقدمها كما عرضت من قبل بنفس اخراجها وطاقمها الفنى من الأحياء ، وهو المعمول به فى كل مسارح العالم ، وليس بأن نعيد انتاجها كأنها من الاعمال الجديدة ، ونختلق رؤية معاصرة ، وننفق من أجلها ميزانية كاملة بما لا يتناسب ابدا مع أسلوب الريبيتوار المتعارف عليه ، وحتى لا يجوز التعريف يعرض من التراث المسرحى على امكانية تقديم مسرحيات حديثة . وهو مايدفعنا الآن بأن نطالب ادارة المسرح القومي بإعادة النظر فى خطتها التي بدات بعد تجديده بعروض متهافتة لا تليق بمكانة المسرح العتيق ودوره المؤثر فى المنطقة العربية ، حيث هو بؤرة محركة ودعامة أساسية فى حركة المسرح العربى بعروضه الخابية تنطفىء انوار المسارح على امتداد الوطن ، وبمسرحياته المختارة دون تحيز او غرض او شبهة مصلحة ، تندفع الدماء ساخنة الى شرايين المسرح المصرى لكى يفوق من سباته الطويل .

محمد الشربينى

● مهرجان ●

المهرجان الأدبى الثانى بالمحلة الكبرى

• المحلة الكبرى ، هذه المدينة الصناعية العريقة لم تكف ابدا عن عطاء الوطن الكبير بالمواهب الخلاقة ، من عباس أحمد الى جابر عصفور الى جار النبى الحلو الى نصر أبوزيد الى سعيد الكفراوى ومحمد المنسى قنديل

ومحمد صالح ومحمد فريد ابوسعدة وفاروق خلف الشاعر والمسئول عن النشاط الثقافى بمديرية الشباب .. هذا الرجل الذى تحتاجه كل مدينة اقليمية بنشاطه وقدرته الدائمة على العطاء واحتضان المواهب . وهو الذى كان وراء المهرجان الأدبى الأول وهذا المهرجان الثانى الذى كرس ندوته للاحتفاء بمجموعة قصصية لواحد من أبناء المحلة هو صالح الصياد الذى كان قد كتب فى فترة الازدهار الثقافى فى الستينات ثم توقف عندما اصبحت الثقافة هى آخر مايهتم به الناس فى الفترة السابقة . ثم عاد مرة أخرى مع عودة النشاط لمدينته فدبت الروح فى المواهب المحيطة به ليجتمع جيل جديد ، محمود حنفى كساب .. وسعد الدين حسن ، ومحمد العزولى ، وأحمد عزت سليم وانشأوا مجلة الرافعى ، ثم مطبوعات الرافعى ، ثم صالون الرافعى وليقيموا الندوات ويصدروا الكتب ، وكل عام بدأوا تتويج نشاطهم بمهرجان ادبى يدعون له النقاد والكتاب فى خارج المحلة .

هذه الندوة حضرها وتحدث فيها الدكتور محمود الحسينى والدكتور يسرى العزب والدكتور مدحت الجيار ، ثم محمود كساب واحتفوا بموهبة الكاتب وقدرته الابداعية وان تعددت تحفظاتهم لكنهم جميعا ابدوا اهتماما فائقا بها .

عقب الندوة قدمت فرقة الموسيقى والكورال التابعة لمركز الشباب فقرات متنوعة من الأغانى ليبرز طفل لم يتجاوز التاسعة ويغنى لسيد درويش كأنه سيد درويش فى طفولته ، قدرة غريبة على مواجهة الجمهور ، وقدرة فائقة على الاداء ، وامكانيات صوتية بارزة تجعلنا نقول ان محمد موافى الصغير سيكون له مستقبل باهر على الطريق . لكن اى طريق ؟ نرجو أن تتجه به الاقدار نحو الغناء الجاد بعيدا عن سوق الكاسيت بفجاجته التى تأكل الأخضر واليابس من المواهب .

• كونسير •

شعر صلاح عبد الصبور وموسيقى جمال عبدالرحيم

حتى المثقفون انقطعوا عن عادة الذهاب الى حفلات الموسيقى الكلاسيك ، اغلب الوجوه التى تراها فى هذه الحفلات من الأجانب ، أو تلحظ مجموعة من المدعوين الذين ذهبوا لتلبية الدعوة دون ان يكونوا ـ حقيقة ـ مهتمين بالعرض .

لكننا تلحظ ـ هذه الليلة فى السابع والعشرين من يونيو الماضى ـ جمهورا كبيرا من المثقفين المصريين حضر الى مسرح الجمهورية ونرى الدكتور احمد هيكل فى مقدمة الحاضرين . فالليلة عرض متنوع من نوع خاص تقدمه أوركسترا القاهرة السيمفونى وكورال أوبرا القاهرة بقيادة بارعة وحساسة ليوسف السيسى . وقد احتوى البرنامج على موسيقى للتشيكى بيدريش سميتانا حملت عنوان . نهر المولداو ، ونقرا للناقد الموسيقى احمد المصرى ، كتب سميتانا ستة قصائد سيمفونية بعنوان عام هو « بلادى » عبر خلالها عن بعض مظاهر الحياة القومية فى وطنه فصوّر الجبل والقلعة والنهر وعبر عن الاسطورة الشعبية التشيكية أحسن تعبير ، .. ثم كانت الفقرة الثانية للروسى الكسندر جلازونوف ، كونشرتو رقم ٢ من مقام لاصغير ونقرأ للناقد ، يتكون هذا الكونشرتو كالعادة من ثلاث حركات ولكنها تسمع منفصلة . ولقد تحرر جلازونوف من معظم قيود الصياغة الموسيقية الكلاسيكية ، واهتم بالكتابة الأوركسترالية واستغلال امكانيات الآلات الموسيقية لأقصى حد . لذلك فإن الاجزاء الفردية لآلة الفيولينة المفردة تتميز



بالصعوبة المطلقة وتتطلب قدرات متميزة فى الأداء .

ثم قدمت بسمة عبد الرحيم بأدائها المتميز « سوليست » فيولينة ولقيت ترحيبا شديدا من المستمعين .

ثم كانت الفقرة الأساسية لهذه الليلة ، غنائية للباريتون والكورال والأوركسترا من شعر صلاح عبدالصبور وموسيقى جمال عبد الرحيم وأداء فردى لرضا الوكيل ، وقدم درب الكورال ، الدوماتياتو وبقيادة يوسف السيسى ، القصيدة المختارة لصلاح عبدالصبور حملت عنوان "الصحوة" وهى التى مطلعها :

اواحدتى قبلما نلتقى
بذاك المساء السعيد البعيد
بلوت الحياة وأرزاءها
عرضت صليل القيود الحديد

وتقرأ للدكتورة سمحة الخولى :

الموسيقى فى هذه القصيدة ليست بحاجة الى شرح طويل ، فألحانها ونسيجها المتعدد الأصوات تعكس العالم الواسع لأجواء وانفعالات التجربة الشعرية ، اما الموازين والإيقاعات المركبة فيها فهى ضرورة موسيقية فرضها إيقاع الشعر الحر ، فضلا عن انها من العناصر الشرقية التى تميز اسلوب جمال عبدالرحيم .

والموسيقى هنا تتبع الجو العام فتنقسم إلى قسمين كبيرين لكل منهما جوه النفسى ، فالقسم الأول تشيع فيه روح التأمل والأسى ، تتخلله ومضات عاطفية حانية ، وتبلغ الموسيقى فى نهايته قاع الظلام والحزن عندما تعبر عن فاجعة الموت . أما القسم الثانى فيبدأ من هذا الظلام الحالك ويتجه تدريجيا نحو النور والتفاؤل فى تيار متصاعد من القوة والايمان بالحياة ، إلى أن تبلغ الموسيقى فى الختام قمة الانتصار والفرح ..

هذه إحدى التجارب الجريئة لعمل موسيقى قائمة على أسس المقامات الغربية للشعر العربى ، محاولة أن تثير كثيرا من التساؤلات لكنها تستحق التشجيع .

هامبورج

● التاريخ والادب فى مؤتمر نادى القلم ●

فى الفترة من الثانى والعشرين وحتى السابع والعشرين من يونيو الماضى انعقد المؤتمر التاسع والأربعون لنادى القلم العالمى فى مدينة هامبورج الالمانية وحضره ثمانون كاتبا من بلدان العالم المختلفة . وعلى الرغم من أن الدعوة قد وجهت الى العديد من الكتاب العرب ، إلا انه لم يحضر منهم سوى « مصطفى خالد المبارك » من السودان . و « ادوار الخراط » من مصر .

والمعروف أن نادى القلم هو مؤسسة دولية مستقلة ، انشىء عام ١٩٢١ ، ومقره الرئيسى فى لندن . وله افرع فى جميع انحاء العالم يلتقى اعضاؤه حول مبادىء عامة ليساندوا بعضهم البعض ، ويقيموا حوارا حول المسائل الادبية ، كما انه يقوم بالدفاع عن اعضائه الذين يتعرضون لمشاكل الاعتقال او النفى بسبب آرائهم .

اما فرع « نادى القلم » فى مصر الذى يرأسه الأستاذ توفيق الحكيم رسميا ، وسكرتيره العام مرسى سعد الدين فإنه ومنذ سنوات لايقوم باى نشاط بل يكاد يكون مجرد عنوان وهمى . (٣٤ شارع

بهجت على) سكن الموسيقار بليغ حمدى (!!) ، مع انه من الممكن ان يكون نافذة حية لأدبائنا يطلون من خلالها على العالم .

وجوه كثيرة يعرفها القارىء العربى كانت ضمن الحضور جونتر جراس الألمانى ، والبرتو موافيا الايطالى ، وعثمان سمبلين السنغالى . وسوزان سونتاج الأمريكية .

فى بداية اليوم الاول للمؤتمر عقدت ندوة عامة تحدث فيها جريجر دلن رئيس الفرع الألمانى ، ثم عمدة هامبورج ، ثم فرانسيس كنج الرئيس الدولى ثم تحدث رئيس جمهورية المانيا بعد هؤلاء !!

ثم كانت الفقرة الثانية ، حفل موسيقى اقيم لصالح الكتاب المسجونين من اعضاء النادى .

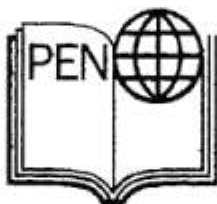
كان الموضوع العام الذى القيت فيه كلمات الكتاب فى اليوم التالى هو ، التاريخ المعاصر وانعكاسه على الأدب المعاصر ، وقد اتجهت معظم الدراسات والآراء ـ كما يقول إدوار الخراط ـ اتجاهين .

الأول هو تعريف المشاركين بالتطور الذى حدث للحركات الأدبية وملامحها وتاريخها فى البلدان المختلفة .

الثانى محاولات تنظير لعلاقة التاريخ بالأدب ، وجهة نظر كل كاتب وتأملاته الشخصية فى هذه العلاقة .

وقد لوحظ أن الكتاب الفرنسيين جنحوا الى نوع من الشاعرية التى ترى ان التاريخ إنما هو التاريخ النفسى الباطنى ، او التاريخ الداخلى للكاتب .

وقد ذهب البعض الأخر الى تاكيد ما يمكن تسميته بـ ، تاريخية التاريخ ، وعلاقة الكاتب الشخصية بالاحداث التاريخية وانعكاسها على الادب كما فعل جونتر جراس على سبيل المثال وقدمت الأمريكية ، سوزان سونتاج ، دراسة ادبية صادقة عن تقسيم الأدب إلى اتجاهين





ادوار الخـراط

رئيسين ، إتجاه واقعى بشكل عام ولا واقعى بشكل عام ، ورات ان التاريخ لاينعكس فقط فى النوعين ، بل ان الاعمال ، الجيدة ، من الاتجاهين ، تتجاوز اللحظة الراهنة لتستشرف المستقبل .

ويقول الخراط بان اهم ماحدث بالمؤتمر هى تلك اللقاءات التى رتبها الألمان لثمانين كاتبا قرءوا اعمالهم فى ثمانين مدرسة ثانوية وتجمعوا فى هامبورج والمدن المحيطة بها وكان الكتاب يقرءون اعمالهم بلغاتهم المختلفة ليقوم آخرون بترجمتها ثم يعقب ذلك مناقشة انقلاب للكتاب .

وقرا الخراط قصته امام السور فى مدرسة ، هامبورج ، الثانوية ، على بعد



٤٠ كيلو مترا من « هامبورج » وترجمها « كيرش الألماني ».
والدعوة الآن قائمة الى احياء نادي القلم المصري حتى يقوم بدوره كاملا في التواصل مع الثقافات الأخرى .

● إشارات ثقافية ●

● الباليه والتليفزيون وهيئـــة الآثـــــار !! ●

باليه « إيزيس » الذي اخرجه وصمم رقصاته « عبد المنعم كامل » ووضع موسيقاه جمال عبد الرحيم . في تجربة مصرية شائقة تستحق المشاهدة ، لم يعرض على الجمهور سوى ثلاث ليال بالقاهرة كان سكانها مشغولين عنه بأحداث كروية ساخنة وعرض في رحاب معبد الكرنك عشر ليال لقيت ترحيبا شديدا من السائحين الاجانب . هذا الباليه التجربة المصـرية الخالصة ، اعلن التليفزيون الشهر الماضي عن عرضه في إحدى سهراته فانتظره المشاهدون الذين سمعوا عنه ولم يروه ، أذا بالبـرنامـج (تقديم زينب الحكيم) عبارة عن لقاء مطول مع الدكتور احمد قدري مدير هيئة الآثار تخللته بضع لقطات متناثرة من الباليه .. والنتيجة : صدمة المشاهدين الذين كانوا ينتظرون رؤية الباليه نفسه . وكان على التليفزيون (توخيا للامانة) ان يعلن عن حقيقة البرنامج ، وانه لقاء مع احمد قدري ، يتخلله لقطات من باليه إيزيس .. الخ . وفي هذه الحالة سيجد البرنامج الذي قدم رئيس هيئة الآثار خلاله مشروعاته الطموحة مشاهدين خالصين للاستماع إليه ، وهو لديه الكثير مما نريد ان نسمعه ، لا ان يضطر المشاهد الذي اعد نفسه لرؤية الباليه للجلوس في حالة ضيق وتبرم من الدكتور قدري ومن البرنامج ومقدمته المذيعة النشطة ، ليقوم في النهاية في حالة إحباط تزيد من إحباطاته الأخرى . ولا نستطيع ان نقول سوى : رفقا ببرامجكم ، وبالفنانين الذين قدموا هذا الجهد دون مقابل يذكر فقد كانوا اشد إحباطا من الجميع تلك الليلة .

● مكتبة الهلال ●

الكتاب : هي اغنية .. هي اغنية ..
شعر : محمود درويش
الناشر : دار الكلمة ، القاهـرة
١١٦ ص - ٤٠٠ ق م

في اول ديوان له في مصـر ، يتبدى الشاعـر الفلسطيني محمود درويش في حالة جديدة ، يتلقفها جمهوره العربي في مصر بالفرحة ، حالة من الوجد الحزين تطالعك في أولى قصائد الديوان :
سنخرج
قلنا : سنخرج .

قلنا لكم : سوف نخرج منا قليلا سنخرج منا . إلى هامش ابيض نتامل معنى الدخول ومعنى الخروج

وكان . الخارج . نفسه هو الذى يعاقب . هو الذى يمتلك الفعل . لا إستجابة للقهر . ولكن توخيا للحظة تجلى فيها ملوك الطوائف وهم يشتبكون مع كل شيء بالحديد .

خروج هو من زنقة العناصر المتنافرة . هو وداع يوم القرنفل وداعا لمن سوف ياتون من وقتنا صامتين . ومن دمنا واقفين . لندخل .

ونرى شاعرنا فى « نزل على البحر » بعد الخروج . فى زيارة قصيرة . يتحدث حديثا من الماضى المهشم . يتساءل عما تبقى من رياض الروح . عما تبقى من جهات الأرض . ومن صخرة يقدم فوقها قربان الرحمة . ويخط بريشته التى تقطر الما .

للبحر مهنته القديمة :
مدٌ وجزر
للنساء وظيفة اولى هى الاغراء .
للشعراء ان يتساقطوا غما
وللشهداء ان يتفجروا حلما
وللحكماء ان يستدرجوا شعبا إلى الوهم السعيد .

وهو حتى اثناء عزفه المنفرد . يرى موقعه من البحر وقد تجلى الابيض كالابد . ليقترب البعيد إلى خط اليد . باحثا عن الايقاع وقد انقطع الصوت عن تاريخ الاغنية . وهو لايكف عن تفتيش نفسه . إذ يفتش عن البلد ليصوغ روحه من الحطام ليرى خطاه مدى متداخل .

وبنقلة شعرية بارزة يخط يراعه . اربعة عناوين



شخصية . متر مربع فى السجن . ومقعد فى قطار . وحجرة العنبة الفلتة . وغرفة فى فندق . هنا نجد محمود درويش وقد يلجا إلى القص . عبر اربع قصائد مدورة . ربما تكون هى الابرز فى الديوان . هنا يقول :

تدور بى الريح حين تضيق بى الأرض . لابد لى ان اطير وان الجم الريح . لكننى ادمى .. شعرت بمليون ناى يمزق صدرى . تصببت ثلجا وشاهدت قبرى على راحتى .

وهنا نلمس اسلوب المتصوفة . النفرى خصوصا . وقد استعمله الشاعر بخصوصية وبطريقة متميزة .

« تدور بى الريح حيث تضيق بى الأرض . لابد لى ان اطير وان الجم الريح . لكننى ادمى .. شعرت بمليون ناى يمزق صدرى . تصببت ثلجا وشاهدت قبرى على راحتى . تبعثرت فوق السرير . تقيات . غبت عن الوعى . مت وصحت قبيل الوفاة القصيرة :

إنى احبك . هل ادخل الموت من قدميك ؟ » .

ثم يمضى الشاعر معبرا عن سوء حظه فى العشق . يمر على ساحل الحب . ملقيا السلام سريعا . ويكتب فوق الظل جناح الحلم رسائل ترتد اليه . كما الغيم فى خاتم الشجر . كما الظل فوق الحجر ويسحب نفسه من جسد لم يره . حاملا قلبه قميصا على كتفه .

إنها فرحة حقيقية باول ديوان لمحمود درويش فى مصر . فرحة تملا الافق العربى بالشوق للقاء الاحبة . وفى إنتظار ان يضع نقادنا ايديهم على الحقيقة ليتناولوه بالدراسة هذه المرة كشاعر متفرد بقدرة على التطور الدائم .



الكتاب : مذكرات محمود رياض الجزء الثانى
الناشر : دار المستقبل العربى
٣٣٦ ص ، ٨ ج م

بعد ان صدر كتاب محمود رياض ، البحث عن الاسلام والصراع فى الشرق الأوسط الذى يشكل الجزء الاول من مذكراته ، بدا انه لم يتناول سوى احداث عدوان ١٩٦٧ وبعض جوانب القضية الفلسطينية ، وكان واضحا أن بجعبته الكثير لكى يتقدم به كشهادة لأحد المشاركين فى الاحداث العامه منذ علم ١٩٤٨ .. عندما توجه إلى فلسطين ، وشاهد القوات الاسرائيلية وهى تغتصب الأراضى العربية ، وتطارد الفلسطينيين وتشردهم من ديارهم

يقول رياض : ومنذ ذلك الوقت وعبر المواقع المختلفة التى شغلتها ، عايشت كافة التطورات التى شهدتها الساحة العربية عبر عقود ثلاثة كاملة ، وتفاصيل المحاولات العربية الدءوب لتحقيق الامن العربى .

لقد عشت بداية التهديد الاسرائيلي لأمن الأمة العربية ، وتصاعد هذا التهديد ليبلغ ذروته في عام ١٩٦٧ .

وعشت تفاصيل معركة الاستقلال العربية وتابعت تفاصيل المخططات الاستعمارية الرامية الى



ابقاء العالم العربى فى ظل السيطرة الغربية .

وعندما بدات فى تسجيل احداث هذه السنوات الطويلة ، كان يلح على بإستمرار السؤال الذى يشغلنا جميعا ، كيف وصلنا الى ما نحن فيه ، وهل من سبيل لتجاوزه ؟

يقول محمود رياض فى أجابته عن هذا السؤال .

« لقد افزعتني حقيقة مؤلمة اننا فى العالم العربى ، ونحن فى منتصف الثمانينات مازلنا نعيش ذات الحالة التى كنا نعيشها منذ الاربعينات ، مازالت مشاكلنا الكبرى هى ذاتها المشاكل التى كنا نبحث لها عن حلول فى ذلك الوقت ، وبعد كل هذه السنوات من محاولات تحقيق الأمن العربى ،

مازال امننا العربى مهددا اكثر من ذى قبل ، ومازلنا عاجزين عن حمايته فالخطر الاسرائيلي على الامن العربى تفاقم اكثر من ذى قبل وبنشوب الحرب العراقية الايرانية اضيف تهديد جديد لامننا العربى يهدد الحدود الشرقية للأمة العربية .

وفى مواجهة هذه الأخطار التى تهدد الامن العربى نرى الوضع العربى متدهورا كما لم يحدث من قبل ، ونرى الدولة العربية عاجزة عن تحقيق الحد الادنى من الاتفاق لحماية الامن العربى .

هذه إذن شهادة لواحد من المسئولين الكبار طول السنوات التى امتدت منذ عام ١٩٤٨ وحتى بداية الثمانينات شهادة لاتخلو من وجهة نظره وتقييمه لأسباب فشل محاولات تحقيق الامن العربى .

الكتاب : كنت نائبا لرئيس المخابرات
الناشر : كتاب الحرية
تأليف عبد الفتاح أبو الفضل
٣٣٠ ص ، ٢٢٥ ق م

هذا الكتاب هو مذكرات المؤلف التي عني بها محاولة تسليط الأضواء على جميع مراحل حياته منذ كان صبيا بالمرحلة الأبتدائية وحتى وجد نفسه يقوم بدور في التحضير للثورة ، وقد شارك الكفاح مع جيله من طلبة المرحلة الثانوية معبرا عما خالجه وخالج زملاءه أثناء الدراسة بالكلية الحربية والأحداث السياسية في هامش هذه المراحل عبر أحداث الحرب العالمية الثانية ، وتأثيرها على مقدرات مصر ، وقد كان إذ ذاك ضابطا في الجيش المصري ، كما تعرض إلى سيطرة الانجليز على هذا الجيش ، وسجل معركة فلسطين وملابساتها من وجهة نظره كمقاتل في الجبهة خاض المعارك على أرض فلسطين ، ومدى تجاوب شباب المقاتلين مع نداء الوطن والعروبة ، وماصاحب ذلك من فساد القادة السياسيين وعجز القادة العسكريين مما عجل بالتحضير للثورة .

يقول المؤلف : رويت أيضا في هذه المذكرات عن التنظيمات الوطنية بالجيش بعد حملة فلسطين وما كنا نتداوله في إجتماعاتها عن أحوال البلاد وسجلت ايضا احداث ثورة ٢٣ يوليو ، وقيامي بالخدمة في المخابرات ، والدور الذي قمت به مع الضباط الوطنيين



في هذا الجهاز من أعمال أدت إلى النهوض به ليصبح واحدا من أكفأ الأجهزة في العصر الحديث رغم بعض المآخذ التي لايخلو منها أي جهاز مخابرات في العالم.

بعد ذلك سجل أحداث العدوان الثلاثي والكفاح الشعبي المسلح في مواجهته ، ومشاركته في هذا الكفاح ، وأخيرا سجل معالم السلبيات في أجهزة الدولة والتي كانت كما يرى ـ السبب الرئيسي في هزيمة معركة ٦٧ ، ودور المقاومة الشعبية في بورسعيد الذي ساهم في قيادتها ودوره كعضو في الاتحاد الأشتراكي العربي كجهاز سياسي في فترة من ادق فترات التطور السياسي والاجتماعي في مصر .

الكتاب : مثقفون وعسكر
تأليف : صلاح عيسى
الناشر : مكتبة مدبولي
٧٥٦ ص ، ١٢ ج م

يضم هذا الكتاب مجموعة مختلفة من المقالات كتبت في مناسبات متعددة ليعبر بها كاتبها أحيانا عن آرائه في بعض القضايا العامة وأحيانا أخرى يقدم شهادته كواحد من ابناء جيل الستينات عاش « تجربة عريضة ومريرة تستحق أن تروى ، وينبغي ـ كما يقول ـ الا يمضي العمر ، دون أن نترك من حصادها المر ، لمن يأتي بعدها » .

هذه إذن مجموعة من المقالات المختلفة تراه في إحداها يرثي فقيد القصة العربية يحيى الطاهر عبد الله ، وفي أخرى يستعرض الدور الذي لعبته مجلة « المختار » في أصدارها الثاني حيث يرى أنها جاءت ليتقدم في كل سطر لغم ولكي تلف كل قنبلة بكفاءة .. المهم أن يظل العرب وظهورهم الى الحائط الامريكي .

ثم نقرأ عن الثورة بين المسير والمصير ، والمنظور السياسي والديمقراطي لمسألة الوحدة الوطنية ، وطلقات لاتطيش على جبهة الفكر وغيرها من المقالات ، بالاضافة الى ثلاثة حوارات أجراها المؤلف مع محمد حسنين هيكل .

كتاب الشهر

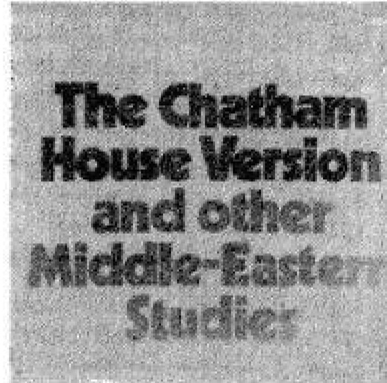
ماذا يمكن أن يحدث إذا فشل الحكم الوطنى فى البلاد العربية ؟

عرض وتعليق
د. وليم سليمان قلاده



يضم هذا الكتاب اثنتى عشرة دراسة تتعلق جميعا بالتاريخ الحديث والمعاصر فى منطقة الشرق العربى . ويمكن تقسيمها الى مجموعتين - الاولى تتعلق بتاريخ الحياة السياسية فى مصر : « سعد زغلول والبريطانيون » « نشأة الدستور المصرى عام ١٩٢٣ » ، « مصر والخلافة من ١٩١٥ - ١٩٥٢ »

والمجموعة الثانية تضم دراسات تشمل المنطقة العربية فى مجموعها وتتعرض على وجه الخصوص لحركة الوحدة العربية : « الشرق الاوسط والقوى الدولية » ، « القاهرة والخرطوم والمسألة العربية ١٩١٥ - ١٩١٨ » ، « سقوط دمشق فى اول اكتوبر ١٩١٨ » ، « السير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين » ، « العروبة والسياسة البريطانية » ، « مملكة العراق - دراسة للاحداث الماضية » ، « الاقليات » ، « الدين والسياسة » .



والدراسة الاخيرة تقدم رأى الاستاذ فى الاتجاه الذى يتخذه المعهد الملكي للشئون الخارجية ويعبر عنه فى الدراسات التى يصدرها من مقره فى « تشاتام هاوس » • ومن هنا الاسم الذى اختاره المؤلف لكتابه •

فماذا يريد استاذ السياسة أن يقول ؟

ينظر هذا الدارس الى منطقة الشرق الاوسط نظرة مبالغة فى التشاؤم ـ فمن الصفحة الاولى فى كتابه نقرأ :

« منذ القرن التاسع عشر ، حين اندفلت الاصلاحات المزعومة الى الامبراطورية العثمانية ـ كان ثمة وزراء ودبلوماسيون غربيون ينظرون الى سياسة الشرق الاوسط بأمل فى تحسن اموره • ولكن خلال المائة سنة الاخيرة لم تشهد المنطقة استقرارا •• وانن فلعله من الاحكم أن نفترض ان الخلل فى الشرق الحديث ليس امرا عارضا • وان عدم استقراره السياسى هو بالاحرى نتيجة ازمة اجتماعية وثقافية عميقة ، لم تقدر مشروعات المصلحين أو حسن نية المتعاطفين ان تعدل فيها او تلطف حدتها » •

هذه هى نظرة هذا الكاتب الى المنطقة • وهو يبدى اسفه لان « الفرض الرصين » الذى يعتبر ان الخلل فى المنطقة « مزمن » ـ لم يعتنقه الا عدد قليل ، سواء فى بريطانيا او فى امريكا •

وان اشد ما يثير هذا الكاتب هو مايراه منتشرا بين المثقفين ورجال السياسة الانجليز من شعور بالاثم بسبب مسلك الغرب نحو العرب بعد الحرب العالمية الاولى • ولديه ، انه ليس صحيحا القول بان الامبريالية والصهيونية هما اساس عدم الاستقرار فى المنطقة • ذلك انه يرى أن عدم الاستقرار فى الشرق عميق ومزمن ـ ولن يشفى هذا المرض اختفاء اسرائيل أو ما يسمى بالامبريالية ، التى يصف معاداتها بأنها تضاعف سوء الفهم ،

وتشجع على تبنى الاوهام لصالح المهيجين ومن يستخدمونهم ـ بحيث يكون الخاسر فى النهاية هو الراغب فى السلام والتحضر ٠

● نقد الانجليز ●

اذن ـ فما هى نصيحة استاذ السياسة لمعالجة هذا المرض المزمن ؟

يخصص ايلى خدورى دراسة طويلة عن « سعد زغلول والبريطانيون »يتتبع فيها مسار الاحداث فى مصر من عام ١٩١٨ حتى ١٩٢٤ ، وذلك من خلال برقيات الموظفين البريطانيين فى مصر٠ وفيهـا يوجه النقد العنيف لاولئك السياسيين الانجليز الذين اقتنعوا بان ثمة حركة ثورية فى مصر ، ونصحوا باتخاذ مواقف متعاطفة معها وتعديل نظام الحماية لصالح مؤسسات مصرية يحكمها دستور ونظام برلمانى ٠ وقد حسب بعض هؤلاء السياسيين انهم ـ بذلك ، يحافظون على المصالح البريطانية ٠ وتصرف البعض الاخر منهم وفقا لعقائد ليبرالية كان يعتنقها فماذا كانت النتيجة ؟

« لقد استطاع اللنبى (عام ١٩٢٢) ان ينتزع تصريح فبراير المشهور من حكومة فى لندن كانت تعارض اصداره بشدة ٠ وبهذا بدأت التصفية الطويلة والاليمة والمهينة لمركز بريطانيا فى مصر والتى انتهت باحداث نوفمبر ١٩٥٦ غير المتوقعة »

هذا عن المصالح البريطانية ٠

اما الليبرالية فلم تستفد شيئاً من هذه التصفية ، فثمة حقيقة بسيطة وواضحة : ان هذه المناطق التى يقال انها تعانى اليوم من الامبريالية لم تعرف طوال الجزء الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبى ٠ وانه حتى مجىء القوى الغربية لم تكن تعرف من انواع الحكومات سوى الحكم المتغطرس الجشع الاستبدادى غير المسئول وبذلك تحققت نبوءة كرومر من انه تحت شعار المؤسسات الحرة ستظهر اسوأ شرور الحكم الشخصى ٠

ويقرر المؤلف ان انصار الليبرالية فى الغرب الذين كانوا يدعون الى ادخال الاصطلاحات فى الشرق هم انفسهم الذين كان من رأيهم أن الطريق الوحيد لتطبيق هذه الاصلاحات هو الحكم الاوربى المباشر ٠ ولدى المؤلف ان التحول عن الرأى الذى يدعو الى ادخال اصلاحات تشرف على تطبيقها اوربا الى الرأى الذى يدعو الى اقامة حكم ذاتى وطنى ـ هذا التحول يمثل فى نظر الاستاذ لحظة هامة وذات مغزى فى انحطاط المذهب الليبرالى ٠

● تنازل ورضوخ ●

وفى رأى استاذ السياسة ان الردع العنيف كان هو الاجراء الذى يجب أن تتخذه السلطات البريطانية دون ابطاء او تردد ويصف خدورى الاقتراح الذى بعثت به دار المعتمد البريطانى بالقاهرة الى وزارة الخارجية البريطانية بالسماح لوفد مصرى بالسفر الى اوربا بانه « تنازل ورضوخ للشعور المحلى » ويؤكد المؤلف هذا الرأى مرة بعد اخرى :

لقد كان الاجراء الواجب اتخاذه منذ البداية هو القمع العاجل ، كان يتعين اتباع ذلك بواسطة ونجت اثناء مقابلته للزعماء المصريين ٠ بل يرى

المؤلف انه ما كان ينبغى ان يجرى فى هذه المقابلة سوى المسخرية بالزائرين! ولهذا كان يتعين تغيير ونجت · وقد كان · وحل اللنبى محله ، وكان المنتظر ان يكون اكثر حزما كى يعيد الكرامة البريطانية باجراءات قوية ، فهو رجل قوى قادر على هزيمة الوطنيين وقد ارسل الى مصر بسبب مهابته العسكرية ولكنه يخيب ظنون المؤلف ! فقد تصرف اللنبى على اساس ان المبادىء الوطنية والرغبة فى الاستقلال قد ضربت عميقا فى جميع الطبقات ومن هنا ضرورة ان تبدى بريطانيا مزيدا من التعاطف مع الامانى الوطنية ·


اللورد اللنبى

وتزداد دهشة الاستاذ لموقف اللنبى فحين وصل هذا الى مصر كانت اشد الاضطرابات قد انتهت وقضى تماما على التهديد الموجه للقبضة البريطانية فى مصر · وبدأ الوطنيون ييأسون من من النجاح · واعتبر الجميع ان وصول اللنبى يعنى المقدمة لضم البلاد الى المستعمرات الوطنية ، وهو دليل على ان معاملة المهيجين ستكون بحزم خاصة بعد انذار القائد العسكرى باتخاذ اجراءات قمع تؤدى الى آلام رهيبة تعانى منها البلاد · وان على الجميع نسيان سعد زغلول تماما ··· ولدى المؤلف ان الافراج عن سعد زغلول فى هذه الظروف والتوقعات يعتبر امرا غير متوقع ·

ويبدو أن اللنبى حسب انه بذلك كان يقرن العنف باللين : ولكنه اثبت انه كان على خطأ ـ فقد فسر المصريون عمل اللنبى بانه تنازل من جانب السلطة من قبل · وازدادت ضراوة الاحداث ، وحسب المصريون انهم يستطيعون دائما تكرار اساليبهم للحصول على مزيد من المكاسب · ولهذا اخطأ اللنبى فى حساباته · وتراجع المعتدلون عن التعاون مع سلطات الحماية طالما انها قد كشفت عن عمقها (!)

ولم يكن حظ ملنر بأسعد من اللنبى ويواصل خدورى نقده العنيف ◄



سعد زغلول

للساسة الذين كانوا يرون تخفيف القبضة البريطانية • فآراؤهم - لديه - ذات طابع خيالي وهمي• وهي نتيجة انهيار عصبي وضعف ارادة الحكم بعد اهوال الحرب العالمية الاولى • فقد كانوا انهزاميين في المسالة المصرية •

هكذا يقدم المؤلف تصوره للحركة الوطنية المصرية • وواضح انها تسائل الاستعمار في صورته النقية الاولى : الحكم المباشر بواسطة السلطات الاجنبية مع استخدام اساليب القهر الصريحة •

قيام المجتمع التعددي

ويتابع المؤلف اراءه على مستوى المنطقة العربية :

فهو يقدم دراسة عن « الاقليات » في ظل الامبراطورية العثمانية وفي اعقاب انحلالها •

ويتكلم في دراسة اخرى عن « الدين والسياسة » يعرض فيها لموقف المسيحيين اثناء النضال القومي العربي

ويخصص دراسة عن « السير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين » يعرض فيها لانجازات المعتمد البريطاني اولا في فلسطين بعد الانتداب •

والمحور الرئيس لهذه الدراسات هو من ناحية - امكانية قيام المجتمع التعددي في المنطقة ، والشرط الاساسي اللازم لتحقق هذه الامكانية• ومن ناحية اخرى مفهوم القومية وهل هي لعنة ام بركة •

نعن التعددية - يقول ان الدولة العثمانية كانت تضم العديد من الجماعات المتنوعة • وكي يبرز فشل التجربة يقدم ما حدث للارمن في تركيا ولليهود والاشوريين في العراق • فالارمن اخمد السلطان عبد الحميد انتفاضاتهم بوحشية بالغة • والاشوريون تركتهم بريطانيا لحكام العراق الجدد بعد استقلاله • اما يهود العراق فانهم تعرضوا للاضطهاد ثم المذابح ، ولم ينقذهم سوى مجيء بعثه صهيونية من فلسطين تغريهم وتجبرهم كي يهاجروا •

فماذا عن الحل القومي ؟

في راي خدوري - ان « اللعنة الحقيقية » التي وفدت من الغرب الى الشرق لم تكن الامبريالية ، ذلك ان ثمة حقيقة بسيطة وواضحة ، وهي ان المناطق التي يقال اليوم انها تعاني من الامبريالية لم تعرف طوال الجزء الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبي

المستبد · فليس من هذه الناحية يكون من وجهة نظر المؤلف نقد الوجـــود الغربى فى اسيا وافريقيا ففى رأيه ان اللعنة الحقيقية التى أتى بها الغـــرب الى الشــــرق دون قصـــد ·· منه هي الفكرة القومية · انها المرض، الوباء الذى انتشر من غرب أوربا مارا بالبلقان والامبراطورية العثمانيـــة والهند والشرق الاقصى وافريقيا · ومن هنا ينذر الاستاذ المفكرين والساســـة الغربيين الذين يحاولون ان يبنـوا فى الشرق اوطانا يمكن فيها أن يتعـايش المسلمون والمسيحيون واليهود ·

وفى هذا المجال يعرض لاشـــتراك المسيحيين فى الحركة الفلسطينية · ففى بداية دراســـته عن « الدين والسياسة » يقول « ان احد المعـالم المعروفة جيدا فى السياسة الفلسطينية اثناء الانتداب هى ان المســـيحيين واغلبيتهم ارثوذكس برزوا متضامنين مع المسلمين فى الكفاح ضد الصهيونية لقد اكدوا ان المسلمين والمســـيحيين كانوا جزءا من الامة العربية وان هذه الحقيقة جعلت تضامنهم طبيعيا وحتميا ولم تنحرف الطائفــة المسيحية الارثوذكسية قط عن الالتزام بمبـادىء القومية العربية والنضـــال القومى · وفى حين واصل البريطانيون تقسيم فلسطين على النحو العثمانى التاليدى طبقا للعقيدة الدينية ــ كان المراقبون يندهشون للتضامن بين المســـلمين والمسيحيين ، الذين تجاوزوا التمييز القديم بين الفريقين ·· وفى اطـــار القومية العربية التحم الجميع ، وجدوا منها انتماء يتجاوز التبعية الطائفيـة الدينية » خاصة وانه ــ من وجهـــة نظر المؤلف ــ كان هؤلاء المســـيحيون يرفضون اليهودية وبالتالى فانهـم فى رأيه كانوا معـــادين للســـامية وللصهيونية ·

لماذا كانت نتيجة هذه التجـــربة القومية ؟

يرى المؤلف أن الطابع الاســـلامى غلب على القومية العـــربية · وترتب على ذلك فى نظـــــره ــ ان احس المسيحيون بالغربة ، وانفصل المفكرون منهم عن طوائفهم · ويتشفى أســـتاذ السياسة فى هؤلاء المســـيحيين لان حماسهم للتهيلم يجدهم كثيرا وانتهى الامر الى كارثة مع تقســـيم فلسطين ونزوح الفلسطينيين ومن بينهـم نسبة كبيرة من المسيحيين الى خارجها ·وفى خبث ردىء ينهى المؤلف دراســـته ــ قائلا « قد يقال انهــم لو ظلوا بعيدين عن الصراع العربى الصهيونى ، وعن القادة المسلمين غير الاكفــاء ــ فان الكارثة ما كانت تحيق بهم على النحو الذى حدث ··· »

··· كان من بقى داخـــل اسرائيل من العرب ــ مسلمين ومســـيحيين ــ نجوا من الكارثة ··· (!)

والنتيجة ؟

يعود الكاتب الى الموقف الذى اتخذه من النضال الوطنى المصرى ، فيقــول دون تحفظ ان هناك طريقا وحيـــدا لاجراء تعايش مستقر بين هذه الجماعات فى الدول الوليدة ــ هو ان يدير الغرب بنفسه هذه الدول ، ويتخذ الاجراءات المناسبة التى يقوم بتنفيذها مباشــرة لضمان الاستقرار فى المنطقة · فيكون ثمة حكم غربى مباشر ·

ولكن المؤلف يورد استثناء وحيـــدا لفشل الحل القومى فى المنطقة ، يقدمه فى دراسته عن « الســـير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين » هنا لانجد المؤلف يتمسك بموقفه بشـــأن الفكرة

القومية - اللعنة الوافدة من الغرب الى الشرق الاوسط : بل انه يعرض الانجازات التى - فى الفاظ حققتها « القومية اليهودية » من خلال الصهيونية ، يعرض ذلك بارتياح تام، راضيا تماما عن الشعور الاوربى بالذنب نحو اليهود • على عكس موقفه الذى اشرنا اليه فى شأن المعرب

ويخصص المؤلف الدراسة الاخيرة فى كتابه لمواجهة ما يراه خطأ فى الفكر السياسى البريطانى الذى تتضمنه الدراسات التى ينشرها « المعهد الملكى للشئون الخارجية » فى « تشاتام هاوس » •

نظرة قاصرة

ويركز خدورى هجومه على هذه المدرسة فى شخص مدير دراسات المعهد لمدة ثلاثين عاما - ارنولد توينبى - فيقول انه فى كتابات هذا المؤرخ نقرأ الاعتراف الانجليزى بالاثم والندم على المظالم التى ارتكبتها الامبراطورية • وتأتى المناسبة المثلى لاعلان هذا الشعور بالاثم عند الكلام على العلاقات البريطانية العربية •كما ان لدى توينبى تسليما بأن هناك رغبة فى الوحدة السياسية بين بلاد المنطقة العربية وان التقسيم الواقع فيها هو من صنع البريطانيين والفرنسيين •

ولدى خدورى ان هذا كله يمثل نظرة سياسية قاصرة • ويواصل عرض افكاره هذه فى دراستين عن العلاقات البريطانية مع حركة الوحدة العربية الاولى تغطى السنوات من ١٩١٥ - ١٩١٨ والثانية تشمل الفترة بعد الحرب العالمية الاولى وحتى سقوط الاسرة الهاشمية فى العراق عام ١٩٥٨ •

ان المحور الاساسى لتفكير استاذ السياسة (!) هو ضرورة الحكم الغربى المباشر لبلاد المنطقة ، والا الخراب والاستبداد • والسند الرئيسى لرأيه - حاليا - هو فشل دول المنطقة ، بعد خروج الاستعمار ، فى تحقيق أهداف الحركة الوطنية والقومية •

وبهذا الفشل تعود المنطقة الى نقطة البداية - ويبدأ البحث من جديد عن كيفية الاصلاح •

والاجابة لديه بسيطة واضحة : عودة الاشراف الغربى المباشر •

واذن ففشل الحكم الوطنى أمر مطلوب • وبذل الجهود الظاهرة والخفية لتحقيق هذا الفشل يكون أحد مهام القوى صاحبة المصلحة •

أما الاشراف المباشر على تنفيذ السياسات التى تعقب هذا الفشل ، بحيث يعود الوجود الاجنبى الى المنطقة كما كان الحال قبل بدء الحكم يمكن تحقيقها واقعيا وقانونيا ، بعديد من الاساليب السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والدولية - المباشرة •

فقد تراكمت لدى القوى صاحبة المصلحة خبرات فعالة ومتنوعة فى هذا المجال منذ بدء عصر الاستقلال وحتى الان •

والنتيجة الختامية لهذا كله بالنسبة للشعوب هى - أن الفشل ستكون خسائره مضاعفة ، ليس وحسب فقدان المكاسب المرجوة واهدار تضحيات شعوب المنطقة اثناء كفاحها من اجل الاستقلال ، ولكن - الى ذلك عودة الهيمنة الاجنبية بكل ما يترتب على ذلك من اثار •

اما الكلمة الفاصلة فهى للشعوب المنطقة ونظم الحكم فيها •

• الفرق والنحل •

العلويون النصيرية والحقيقة الغائبة

بقلم : د. محمود اسماعيل

"العلويون" أو "النصيرية" ، ماهي حقيقة موقفهم من الاسلام ، وما الذى دفعهم للتقوقع والعزلة .. ، وكيف التبس تاريخهم ، نتيجة اغراض استعمارية اشاعت عنهم الاقاويل ؟ وماهي حقيقة وضعهم التاريخي كجماعة من جماعات الاسلام ؟ وماهو واجبنا تجاه مايراد لنا من تكريس الطائفية المذهبية في وطننا العربي ؟

هذه القضايا يعالجها الدكتور محمود اسماعيل للوصول الى حقيقتها الغائبة .

تعيش جماعات "العلويين" أو "النصيرية" ـ كما يحلو للبعض تسميتهم ـ فى وسط سورية عموما وبجبال العلويين بوجه خاص فضلا عن بقاع مبعثرة تمتد الى حدود قيليقية التركية .

وكما هو الحال بالنسبة للدروز ، اثير ولايزال جدل شديد حول أصول هذه الجماعات ـ التى اعتبرها البعض شعبا بل أمة ـ حول معتقداتها الدينية التى اعتبرها البعض "نحلة" متهرطقة وثنية ، والبعض الاخر "ملة" قائمة بذاتها تستمد قوامها من معتقدات مسيحية ممتزجة بأصول فينيقية ولاهوتيات يهودية أسطورية .

ويرجع هذا اللبس والخلط - فيما أرى - الى معطيات تاريخية امتزجت خلالها عبر قرون طويلة عناصر مختلفة واثنيات شتى ، عربية وفارسية وتركية وكردية .. الخ .. لكن هذا الامتزاج في حد ذاته لاينهض كدليل على ان العلويين شعب او أمة !! فظاهرة "التعريب" - اى امتزاج دماء العرب بدماء شعوب البلاد المفتوحة - ظاهرة شهدها التاريخ الاسلامى العام ، وتعد فى كل الاحوال ظاهرة ايجابية اتت اكلها فيما عرف بالحضارة الاسلامية .

أما اللبس والابهام الذى غلف عقيدة العلويين ؛ فمرده - حسب اعتقادى - الى عوامل سياسية تمتد جذورها فى قاع التاريخ الوسيط لتزهر وتثمر خلال التاريخ الحديث . وتستهدف ، هـذه العوامل ، اثـارة "الطائـفية" و "العشائرية" لفصم الوحدة الحضارية للعالم العربى الاسلامى .

وليس جزافا أن يستثمر الاستشراق الفرنسى مقولات اهل السنة الأوائل المعادية لأهل الفرق - وخاصة الشيعة - فضلا عن كتابات بعض المنشقين عن "العلويين" لخدمة اغراض استعمارية في المحل الأول . ناهيك عما ادت اليه الفرقة السياسية فى العالم العربى المعاصر من استخدام "الايديولوجية" كسلاح "معرفى" يوظفه "الفرقاء" فى المؤامرات والمناورات السياسية .

واحسب أن هذا السلاح ازداد فعالية وتأثيرا فى السنوات الأخيرة فى محاولة لكبح جماح حركات التقدم العربية ومحاصرة ظاهرة "الاسلام الثورى" أو الـ Neo — Lslamism الاسلام الجديد حسب اصطلاح الأوساط الامبريالية الغربية .

● فكر بلا سياسة وطابع عشائرى ●

واحسب ايضا أن تلك القوى المثبطة قد استغلت "العداء التاريخى" بين السنة والشيعة ، وما انطوى عليه تاريخ التشيع من خلط وغموض لتأكيد مقولاتها "المعرفية المسيسة" .

ومن اسف انها تجد اصداء عميقة فى أوساط عريضة من المؤرخين العرب المبهورين بالاستشراق أو المبهورين بالنزعات السلفية سواء بسواء .

إن الخلاف حول تاريخ وعقائد العلويين النصيرية يكشف عن تلك الحقيقة بجلاء . يساعد على ذلك أن هذه الفرقة التى اتخذت من جبال العلويين . أو جبل النصيرية - "دار هجرة" لم تقم بدور بارز على مسرح التاريخ الاسلامى



ابراهيم باشا

● هل هم هراطقة أم فرقة شيعية مسلمة .؟

● هل هم شعب واحد أم خليط من الشعوب ..؟

الوسيط كما كان الحال بالنسبة لفرق الشيعة الاخرى مثل الزيدية والاسماعيلية . ناهيك عن معطيات المكان من ناحية الجغرافيا السياسية التى قررت وحسمت هذا الدور المتضائل للنصيرية تاريخيا . فمقر الاقامة فى جبال مرتفعة فى منطقة "رعوية" شهدت صراعات طويلة بين كافة القوى الكبرى على مر التاريخ ، سواء اكانت اسلامية سنية وشيعة ، ام كانت نصرانية بيزنطية وصليبية واستعمارية فرنسية حديثا . وخلال معارك تلك الحروب وصراع القوى ابتلى العلويون النصيرية بمزيد من المحن والاحن التى تركت بصماتها على فكرهم السياسى العازف عن السياسة - كما سنبين بعد قليل - او نمط حياتهم الذى اكتسى طابعا عشائريا .

● علويون ام نصيرية ! ●

وليس أدل على صدق ما نذهب اليه ان الخلاف المعرفي حول مجرد التسمية "علويون أم نصيرية" يعكس اشكالية معرفة الحقيقة حول مذهبهم واعتقاداتهم . لدينا فى هذا الصدد اتجاهان :

الاول : يؤكد التسمية "بالنصيرية" تأسيسا على نسبة هذه الجماعات الى شخص يقال له محمد بن نصير كان داعية للامام الحادى عشر من الشيعة (الاثنى عشرية) وهو الحسن العسكرى[1] وأن تسميتهم بالعلويين ، إنما هى تسمية حديثة ارتبطت بالاحتلال الفرنسى لسورية . ويستهدف هذا الاتجاه الحيلولة بين هذه الجماعات وبين انتماءاتها المذهبية للشيعة كما

ستوضح فى حينه . هذا فضلا عن "دافع العداوة المذهبية ذريعة لاضطهادهم والفتك بهم دون رحمة او هوادة" كما ذكر كاتب علوى معاصر[٢] .

اما الاتجاه الثانى فيعول على اطلاق اسم "العلويين" استنادا الى انهم كانوا على المذهب الشيعي الاثنى عشرى منذ وقت مبكر ، وان التسمية

الاولى حدثت فيما بعد على اثر اعتصامهم بالمرتفعات السورية تحت وطأة الاضطهاد الذى حل بالعلويين على يد بنى امية خاصة أن معظم هؤلاء الهاربين كانوا من "الأنصار" الذين انحازوا الى علي بن ابى طالب عقب بيعة الرسول (ص) له بالخلافة عند "غدير الخم"[٣] . ويؤخذ على هذا المنطق تجنيه على الواقع التاريخي من ناحيتين .

الأولى : إنه من الخطأ الحديث عن علويين اثنى عشرية في المرتفعات السورية فى وقت لم يكن فيه المذهب الاثنى عشرى قد ظهر بعد .

والثانية : محاولة المؤرخين العلويين المعاصرين دفع حقيقة الداعية محمد بن نصير باعتباره وهما تاريخيا وأن الانتماء الى المذهب العلوى قديم قدم علي بن ابي طالب منذ عهد النبى (ص) الذى تشيع له أنئذ الكثيرون من كبار الصحابة كأبى ذر الغفارى[٤] . هذا فضلا عن حرص هؤلاء المؤرخين على تأكيد الأصول العربية لجماعتهم متناسين ان مذاهب الشيعة جميعا لاتقيم وزنا للانتماء الاثنى وحسبنا ان جل اتباعهم كانوا من الموالى وتدليلا على خطئهم نذكر ان منهم من ذهب الى ان الكثيرين من هؤلاء "الانصار" كانوا من البرامكة الذين نزحوا الى جبال سورية هم واشياعهم على اثر نكبتهم على يد الرشيد[٥] .

صواب التسمية

ومهما يكن من أمر فالصواب ـ فيما نرى ـ أن نجمع بين التسميتين فى تسمية واحدة ، فنقول : "العلويون النصيرية" وحجتنا فى ذلك وجود مذاهب اخرى علوية لها اشياعها فى كافة أرجاء العالم الاسلامى قبل وبعد ظهور المذهب الاثنى عشرى الذى تنتمى هذه الجماعات اليه . هذه واحدة ، والاخرى ان هذه الجماعات جمعت بين التشيع الاثنى عشرى والتصوف :



السلطان سليم الثالث

● كيف تسربت أقوال المستشرقين إلى مؤرخين عرب ..؟

فشكلت بذلك فرقة علوية اثنى عشرية جديدة تميزها عن الاثنى عشرية الامامية .

● حقيقة العقيدة النصيرية ●

وهذا يقودنا الى الاشكالية الكبرى : وهى حقيقة عقيدة العلويين النصيرية . وفى هذا الصدد لا عبرة البتة لما ذهب اليه فيليب حتى[٦] من انهم كانوا وثنيين تحولوا فجأة الى المذهب الاسماعيلى . ومناط الخطأ فى هذا القول أن الوثنية كانت قد انقرضت تماما من بلاد الشام على اثر الفتوحات الاسلامية كما وأنه خلط - وغيره - بين الفرق العلوية فى الشام واعتبرها نتاجا للمذهب الاسماعيلى . ولامجال كذلك لتصديق الرواية القائلة بأن "النصيرية" نحلة من نحل المسيحية ، تأسيسا على ان الكثير من اسماء النصيريين مسيحية اصلا : مثل متى ويوحنا وهيلانة . فمن خطأ الرأى التعويل على الدلالات اللغوية فى حسم قضايا هامة ومعقدة تتعلق بالملل والنحل وبالمثل يمكن دحض الزعم ذاته انطلاقا من احتفال النصيرية ببعض أعياد النصارى كأعياد الميلاد والفصح والقيامة : كما ذهب جولد تسيهر[٧]. فالمسلمون فى صدر الاسلام كانوا يحتفلون حتى ببعض اعياد المجوس كالنيروز والمهرجان ، والمسلمون المعاصرون يشاركون النصارى فى الكثير من أعيادهم ومواسمهم الدينية . بل يشاركون حتى اليهود فى

بعض الاعياد والموالد المتعلقة ببعض الشخصيات التى كانت يهودية ثم اسلمت مثل عبدالله بن سلام .

● تضارب اراء الدارسين ●.

إن القول بنصرانية النصيرية مبعثه خطا وقع فيه المحدثون الذين وقفوا على كتابات نصيرى ارتد عن الاسلام واعتنق المسيحية منبريا فى التحامل المقذع على مذهبهم الدينى

ولعل جولد تسيهر نفسه[٨] لم يتورع عن الاعتراف بأن النصيرية "موحدون" وانهم "المترجمون الحقيقيون للفكر الشيعي القويم" . وما نراه ان التاثير النصرانى فى النصيرية لم يتعد بعض الطقوس الى جوهر العقيدة . تلك الطقوس الاحتفالية ذات الطابع المتقارب بين الكثير من الديانات والعقائد .

وثمة ادعاءات اخرى ترى فى النصيرية ضربا من الهرطقة والالحاد . وأن ذلك ناتج عن تاثيرات فارسية قديمة مثل الحلول والتناسخ . وفى هذا الصدد ذكر احد الدارسين[٩] أن هذه المؤثرات انتقلت عن طريق محمد بن نصير الفارسى الذى ادعى الربوبية بعد ان جحد امامة الحسن العسكرى واباح المحارم ؛ حتى أن الحسن العسكري اصدر براءات من ابن نصير واتباعه [١٠] . وهو ما أورد فيليب [١١] حتى - مخففا - حين زعم ان النصيرية "يساومون حول نبوة محمد وقداسة الرب" وفى ذات الاتجاه مضى جولد تسيهر[١٢] حين قال بأنهم "حافظوا على الوثنية فى اطار اسلامى شكلانى ... وأن عقيدتهم مزيج غريب من الوثنية والغنوصية وهى نزعة فلسفية نشأت بتأثير الديانات اليهودية والبوذية والمجوسية والصينية والاسلام" ولعل هذا التضارب في أقوال هؤلاء الدارسين يفند منطقيا سفه اخطائهم ودعاويهم ، خاصة اذا ما علمنا ان كتابات حتي وجولد تسيهر على وجه الخصوص لاتخلو من روح متعصبة . وأن صاحب كتاب "تاريخ الشيعة" سنى تصدى بالحق أو بالباطل للتحامل على الشيعة .

وما نراه - لو فرضنا حسن النوايا عند هؤلاء - أنهم جاوزوا الصواب فى فهم منزلة الائمة العلويين عند شيعتهم . فخلطوا بين تبجيلهم لعلى وخلفه وبين الاراء "العرفانية" والافلاطونية المحدثة المتاثرة بنظرية الفيض

الارسطية . ولامجال للخوض فى ذلك ؛ والأولى ان نوضح مكانة علي بن ابى طالب وآل البيت عموما عند المسلمين بعامة والشيعة على وجه الخصوص . تلك المكانة التى وصلت الى حد الغلو ـ احيانا ـ كنتيجة منطقية للمصير التراجيدى الذى آل اليه علي وأهله عبر عصور التاريخ الاسْلامي . هذا فضلا عن اختصاص الشيعة تحت تأثير حملة العلم من ائمتهم على الآراء الحكيمية والفلسفية والعلوم الطبيعية اكثر من غيرهم من الفرق الاسلامية الاخرى . لذلك حظي شخص علي والائمة العلويون من بعده بمكانة جلي في نظر الشيعة واحيطوا بهالة من الاجلال والتقديس كالاعتقاد فى عصمتهم .

ولا يعد ذلك ـ فيما أرى ـ على الأقل فيما يتعلق بالشيعة الامامية الاثنى ـ عشرية ضربا من الغلو يصل الى حد القول بنبوتهم ناهيك عن ربوبيتهم . فالقول بالعصمة يستمد سنده من القرآن الكريم قال تعالى : « ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » والشيعة يميزون بين النبوة والامامة فالنبوة انقطعت بعد محمد (ص) . أما الائمة المعصومون المطهرون فى نظر الشيعة فهم "مصدر الارادة الالهية بدون وحي ولا واسطة"[١٣] مصداقا للآية الكريمة « وكل شيء أحصيناه فى امام مبين» ولم لا ؟ والمسلمون عموما يصلون على آل محمد فى صلواتهم الخمس ويحظى على بن ابى طالب وآل بيته بمكانة خاصة حتى عند اهل السنة انفسهم .

قصدنا من هذا الاستطراد نفي المزاعم التي تصور النصيرية كعقيدة خارجة عن الاسلام . ومانراه أنهم مسلمون شيعة امامية اثنى عشرية وليسوا اسماعيلية كما اعتقد البعض خطأ او عمدا . والقرائن على ذلك وفيرة . نسوق منها اعتراف خصومهم بأن محمد بن نصير النميرى الذى نسبت الفرقة النصيرية اليه كان من اتباع الامام الاثنى عشرى الحسن العسكرى ، وهو مايقره مؤرخو الفرقة انفسهم [١٥] كما ان تاريخ النصيرية عموما يتسق وطابع الاعتدال الذى يميز الاثنى عشرية . فالثابت عزوفهم عن السياسة لأسباب مذهبية فحواها أن الامام المهدى الثانى عشر قد غاب ولا سبيل لدعوة سياسية الا بظهوره . لذلك انصرف ائمتهم الأول الى الزهد والعلم وعزفوا عن اتباع أسلوب الثورات ضد العباسيين كما فعل الزيدية ، كما لم يشاركوا الاسماعيلية سياسة الدعوة السرية المنظمة لاقامة دولة علوية[١٦] يشهد بذلك مارواه الشهرستانى ـ وهو سنى معاد للشيعة ـ عن جعفر الصادق الذى ينتسب اليه الامامية الاثنى عشرية قال : « .. فهو ذو علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا ... وكان يفيض على الموالين له بأسرار العلوم .... دخل العراق وأقام بها مدة ماتعرض للامامة

قط ولا نازع احدا في الخلافة ، ومنذ عام ٣٠٠ هـ تقريبا والشيعة الامامية يحاولون عقد مصالحات مع الفرق الأخرى . وفى هذا الصدد تاثر التشيع بالتصوف وتضافرا معا علي شجب العصبية الاثنية والسخائم الطائفية[١٧]

فترات الإستقلال

لذلك لا غرابة في أن يتاثر المذهب الاثنى عشري خصوصا بالتصوف الى حد الامتزاج عند بعض الفرق الاثنى عشرية ومنها النصيرية التى امتزجت بالطريقة الجنبلانية فى الشام وعول اتباعها على الدعوة ، للتقارب بين جميع الطوائف .. بل وحتى المسيحيين واليهود ،[١٨]

على أن غياب ، المشروع السياسي ، عند العلويين النصيرية افضى الى تأصيل العشائرية بينهم[١٩] . وقد ساعد على ذلك ماحل بالعلويين عموما من محن على يد العباسيين والسلاجقة أدت الى تقوقعهم فى جبل النصيرة طلبا للأمان . ولم يتنفسوا الصعداء الا في ظل الامارة الحمدانية في حلب التى كان امراؤها شيعة اثنى عشرية لذلك لم يتقاعس العلويون النصيرية عن مناصرتهم ضد البيزنطيين .

اضطهاد الصليبيين والعثمانيين

ولم يسلم العلويون النصيرية كذلك من اخطار الصليبيين فقد بطشوا بهم وزاد الطين بلة تعرضهم لضربات الأكراد والاسماعيلية ومع ذلك لم يتقاعسوا عن مناجزة الصليبيين حتى دحرهم صلاح الدين . وبقيام دولة المماليك تحالف العلويون النصيرية مع سلاطينهم لمواجهة المغول وأخطار الصليبيين فى جزيرتى قبرص ورودس . وقد كافأهم السلطان برسباى على ذلك بأن منحهم فى جبلهم استقلالا ذاتيا . لكنهم لم ينعموا بالاستقلال طويلا ، فقد دهمهم الخطر العثماني بعد قضائه على الدولة الصفوية العلوية فى فارس والعراق . وأمعن السلطان سليم فى رؤسائهم قتلا وفي بلادهم نهبا وسلبا ، وحاول فل شوكتهم بان اقطع بلادهم لبني جلدته من الأتراك . ولم تنجل المحنة طوال العصر العثمانى إلا بعد استقلال محمد على بمصر وتوجيه حملة بقيادة ابنه ابراهيم الى الشام وآسيا الصغرى جند ابراهيم العلويين النصيرية الى جانب الدروز فى جيشه ضد العثمانيين . لكنهم تلقوا الجزاء

رادعا بعد انسحاب محمد على من الشام . ومع ذلك ظلوا مصدر قلاقل للإدارة العثمانية التي عولت على اتباع أسلوب الملاينة درءا لخطرهم فمنحهم مدحت باشا استقلالا إداريا بجبلهم على غرار مافعله مع الدروز[٢] . وفي ذات الوقت دأب الأتراك على إثارة الشحناء والبغضاء بين السنة والشيعة وناصروا السنة ضد العلويين النصيرية فنهبوا ممتلكاتهم وتحكموا في مقدرات بلادهم إداريا واقتصاديا . وظل الحال على هذا المنوال حتى قيام الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء ، وتوزيع ممتلكات ، الرجل المريض ، بين المنتصرين . كانت بلاد سورية ولبنان من نصيب الفرنسيين . واندلعت الثورات التحررية التي اسهم فيها العلويون النصيريون بدور بارز . لكن ثوراتهم قمعت بالشدة فعمل الفرنسيون فيهم قتلا وتشريدا وجردوا فلولهم من حمل السلاح . وادى ذلك إلى تدهورهم وتمزقهم شيعا وطوائف وعشائر .. وبعد الاستقلال اسهم العلويون النصيرية في بناء سورية المعاصرة بالنصيب الأكبر .

الهوامش :

(١) انظر . Doussaud : Les Nasairides . p . p 50;51
Hitti : History of the Arabs . p . 448
(٢) راجع : محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين . ص ١١ .
(٣) نفسه ص ١٤٩ .
(٤) نفسه ص ١٣٧ .
(٥) نفسه ص ٢٢٣ .
(٦) History of the Arabs . p . 448
(٧) انظر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٤٨ .
(٨) نفسه ٢٤٩ .
(٩) محمد حسين الزين : الشيعة في التاريخ ص ٢١٩ .
(١٠) نفسه ص ٢٢٦ .
(١١) Op . cit . p . 249
(١٢) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٤٨ .
(١٣) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين . ص ٢٣٦ .
(١٤) محمد حسين الزين : المرجع السابق ص ٢١٩ .
(١٥) راجع : محمد غالب الطويل : المرجع السابق ص ٢٣٤ .
(١٦) راجع : محمود اسماعيل : سوسيولوجيا الفكر الاسلامي ج ١ ص ١٣٥ .
(١٧) عن مزيد من التفصيلات راجع : محمد كامل الشيبي : التشيع والنزعات الصوفية .
(١٨) محمد غالب الطويل : المرجع السابق ص ٢٦١ .
(١٩) نفسه ص ٤١٦ ومابعدها .
(٢٠) نفسه ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧ .

أنت.. و الهلال

• شوقى لا يحتاج رثاء العقاد •

● رثى العقاد السلطان حسين كامل ، ومحمد محمود باشا ، والدكتور محمد حسين هيكل باشا وغيرهم ولم تطب نفسه المدينة بالحقد والحسد أن ينظم قصيدة رثاء فى أحمد شوقى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس فى جميع أنحاء الوطن العربى • فهل لدى العقاديين سبب وجيه لهذا الموقف الشائن ؟

من الممكن أن يستغنى الانسان عن كتب العقاد لوجود ما يغنى عنها بل ما يفوقها دقة بحث وتمحيص • أما شعره فيغلب عليه الغباء •• وحينئذ لا يبقى منه شىء يستحق من أجله أن يقام له تمثال ؟

أما أمير الشعراء فقد حفر اسمه فى التاريخ رغم أنف العقاد المغرور الذى جاهر بقوله : « ان شوقى بناه عباس ـ يعنى الخديو ـ وسيهدمه عباس ـ يعنى نفسه » فهل استطاع العقاد أن يهدم أمير الشعراء ؟ لقد عجز عن ذلك ، وباء بخزى عظيم !••

محمد سيد كيلانى ـ القاهرة

• بين شوقى والعقاد •

● فى عجالة سريعة تعرض لم طرحه الاستاذ محمد سيد كيلانى فى عدد يونيو الماضى من « الهلال » عن العقاد وشوقى •• ان المعركة بين العقاد وشوقى ترجع الى سنة ١٩٢١ عندما أصدر العقاد مع زميله المازنى كتاب « الديوان » فى النقد عارضا لرؤيته كما ينبغى أن يكون عليه الشعر العربى تعبيرا عن الحس والضمير ، وتأكيدا لشخصية الشاعر وطابعه الخاص والمتميز •

وفى ذكرى مرور ٢٥ عاما على وفاة شوقى كتب العقاد عن شوقى فى الهلال (عدد أكتوبر ١٩٥٧) أنصف فيه شوقى وقرر انه لم يكن من المقلدين الذين يلتزمون حدود المحاكاة الشكلية ولا يزيدون ، بل كان مقلدا مبتكرا ومبتكرا مقلدا فلا يقتفى آثار الاقدمين ولا هو ينفرد بملامحه الشخصية فى التعبير عن نفسه أو التعبير عن سواه ، ولكنه كان فى التقليد أماما يسبق كثيرا من المبتكرين فى ميدانه وهو ميدان الصناعة المتجددة على نهج السلف القديم •

وفى المهرجان الذى أقامه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب فى ذكرى شوقى (سنة ١٩٥٨) قال العقاد عن شوقى انه كان علما للمدرسة التى انتقلت بالشعر من دور الجمود والمحاكاة والآلية الى دور

التصرف والابتكار فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التى تفرقت فى عصره ، وإشاد العقاد بشعر شوقى التاريخى ، وهذه النقطة بالذات لا يمكن أن يغفل عنها الاستاذ محمد سيد كيلانى وهو يكتب عن معركة العقاد وشوقى الا اذا كان مغرضا ، وما كتب الا بقصد النيل من العقاد وشاعريته • وفضلا عن ذلك ، فلا أفهم كيف تسنى للاستاذ كيلانى أن ينسب للعقاد وصفه لمصر بأنها بلد عقيم لم تنجب شاعرا واحدا ، وقد صدر للعقاد كتابه عن شعراء مصر فى سنة ١٩٣٧ ، وعلى فرض صحة ما نسبه للعقاد فكان الاجدر به أن يشير الى المرجع الذى نقل عنه هذا النص المنسوب الى العقاد •

وبعد فان للكلمة فى عالم الادب قدسيتها وشرفها ولا ينبغى للكلمة ان تسف أو تبتذل ومن هنا فانى أربأ بالاستاذ محمد سيد كيلانى عن ان ينزل الى مستوى لا يليق برسالة القلم •

عمرو عبد المنعم حمودة
رئيس قرية بمحافظة الغربية

● ما رأى الكيلانى ؟

● الاستاذ محمد سيد كيلانى مستمر فى فتح النار على أديب العربية الكبير المرحوم عباس محمود العقاد •• وهو يستخدم فى النقد لغة حادة جدا تشبه اللغة التى استخدمها الاديب الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله فى كتاب « على السفود » الذى خصصه لنقد شعر العقاد •• ولكن الفرق بين الرافعى وكيلانى أن الرافعى كان عالما بالادب واللغة ونقد الشعر ، أما الكيلانى فينم كلامه عن قلة معرفته بنقد الشعر •• فهل يستطيع أن يقدم نموذجا لنقده ، فيأخذ مثلا قصيدة للعقاد كقصيدة « الشيطان » وينقدها نقدا فنيا ويبين ما يأخذه على العقاد بدون استعمال ألفاظ غير مهذبة ؟! •• كذلك •• هل يستطيع نقد قصيدة « الموسيقى » التى انفرد بها العقاد فى الشعر العربى كله ، فليس لأى شاعر عربى قصيدة كاملة فى وصف الموسيقى وهذا ما شهد به النقاد جميعا ، فما رأى الكيلانى المتحامل على العقاد ؟! ••

شهاب عبد الواحد الواسطى
أسيوط ـ الحمراء

● قولوا •• لكيلانى ●

● قولوا لكيلانى يسكت ويريح نفسه من نقد العقاد فهو ينطح صخرة ليوهنها ، ولكنه يوهى قرنيه اللذين ينطح بهما الصخرة !

فريد زين الدين ـ شبرا الخيمة

● رد من الكيلانى ●

● الى الاستاذ رمضان الهجرسى ...
لم أجد فيما نشرته لك الهلال ما يستحق الرد ، ذلك لانك لم تفهم مضمون مقال « عسل وطحينة » ويبدو انك تركت باب القانون ففكرت فى اقتحام باب الادب لعل وعسى . ولكنى اقول لك انك بهذا التفكير ستضيع القانون والادب ... وقديما قال الشاعر الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـــا   واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

محمد سيد كيلانى

● نظرة ●

نظـــرة حـــائرة :

أدير العقل عنها فقيد القرار
كيف يمضى وما بعد السما ... تبتغى المخاطرة ؟
بعد ما خانها أمنها المستعار !!!

نظـــرة عامرة :

أسكر الحب نعمائه وانثنى ... فاحتوى ملكنا
اقبل العقل من خوفه نادما
بعد سفك السما والدمـــار
واليد القادرة ... تقبل الاعتذار !!!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغه ـ سوهاج

● رسالة من فلسطين ●

● انا اديب فلسطينى ولدت عام ١٩٦٧ فى قرية حزما ، وهـــذه القرية تقع شمال مدينة القدس ـ تبعد عن مدينة القدس حوالى ســبعة كيلو من الامتار .. وهذه القرية كانت تشتهر فى السابق بزراعة القمح والشعير اما اليوم فهى ارض بعضها خال من الزراعة والبعض الاخر قد

صادره الاحتلال الاسرائيلى ·· أما أهل هـــذه القرية ·· فقد تركوا الزراعة وذهبوا للعمل فى الاماكن اليهودية ·· وقد أقيم جنوب هـذه القرية مستوطنة اسرائيلية اسمها [بسجات زئيف) والسبب فى وجود هذه المستوطنة هو بيع بعض الاراضى لليهود ـ وأنا أنقل اليكم لمحة عن هذه القرية الفلسطينية ·

محمد ابو عبد العزيز ـ اشوع ـ فلسطين

● **تعليق : هـــذا هو خطابكم ، فاين هى اللمحه التى تقول فى رسالتك انك تنقلها الينا عن قريتك الفلسطينية ؟! انها غير موجـــودة مع خطابك ، فهل صادرها الرقيب الصهيونى ؟!**

● **لقاء** ●

وكنت حين أشترى جريدة الصباح
أطير نحو موضع التقائنا القديم
لعلنى القـــاك يا حبيبتى
هنـــاك ······
لنستعيد بعض ذكرياتنا العطرة
ونسكب الضياء من قلوبنا بنظرة
يحوطها الخجل ··
وحينما أصل ···
أراك يا حبيبتى قد ضقت بالمكان ·· وضقت بالزمان
ولم أعد حبيبتى رجاءك الوحيد

محمد ابراهيم المجرسى

● الاقتباس عن الهلال ●

● رسالتى هذه عتاب وهذا من العشم فقى البـــاب العزيز : « انت والهلال » وتحت عنوان « حوار مع الاصدقاء » كتب : « تحدثت فى رسالتك عن العقاد الموسيقى بكلام منقول من مقاله سبق الهـــلال نشرها منذ عامين تقريبا فلماذا لم تشيروا الى المصدر الذى اخذتم عنه الكلام بنصه ؟!

هل لى ان اقول رأيى ـ وهل يخفى القمر ، ثم انا لم اتعمد مطلقا عدم ذكر المصدر ، فمن يقرأ الكلام سيتذكر فى الحال انه كتب فى مجلتنا

المحبوبة « الهلال » والعارف لا يعرف ، اتمنى نشر رسالتى هذه ، ليس استنادا الى حرية الرأى بل استنادا الى الحب الكبيـــر الذى يربطنى بالهلال ·الغراء ، الجامعة الشامخة ·

عاصم فريد البرقوقى
٣٧ شارع خليل مطران ـ جليم ـ الاسكندرية

● كلام عن مى ●

● هل يفسد العقل انوثة مى زيادة ؟ هذا ما كتبته الاديبه نوال السعداوى التى تحدثت عن مى زيادة ووصفتها بانها امرأة ذات احساس وجمال وكانت تقول ان جمال مى مع احساسها كان غريبا ·· والذكاء أيضا فكيف يكون غريبا يا نوال السعداوى ··

ان مى زيادة ولدت فى فلسطين وتربت فى لبنان ثم الى مصر فكانت ذكية وجميلة ليس لانها أديبة بل لانها انسانة من دم ولحم تأكل وتشرب وتعاشر الناس وكانت سوف تتزوج لولا بعض الظروف ·

فاطمة الخورى ـ نابلس ـ فلسطين

● حوار مع الاصدقاء ●

● صلاح والى ـ مصر العربيـــة :

ـــ لا يكفى أن يكون عنوانك « مصر العربية » ·· أما قصيدتك التى عنوانها « تجــاوز » فانك تقول فيها :

كنت أبحث عن لحظة من أمان
كان يركب سيارته الجديدة
يتوقف ·····
يلقى بداخلها بالجريدة
حين سقطت عيناه فى عمق « عيناى »
ادار الى الجهة الاخرى وجهـــه
وانطلق ···

وهذا « شعر » غير موزون ، وقولك « عيناى » فى السطر الخامس خطأ نحوى شديد الوضوح ·· أما اذا كنت قد كتبت هذا الكلام بوصفه شعرا منثورا ، أى لا يتقيد بالوزن ، فلا بأس ·· غير انك بعد هذا النثر تجىء فى كلامك ببعض الاسطر الموزونة ، كقولك :

عشر سنين
على تختة الدرس عشر سنين
نخط عليها الحروف ·· القلوب الرهيفة
ونقتسم الحب والصفحات
ثم تولك :
امشى أبحث عن انسان
الارض الواسعة الضيقة على المفرد
تبتلع الانســـان ··
لا أحد سواك
انقسم الان شخوصا وتماور

● احمد البشير سعد ـ اسيوط :

تقول فى قصيدتك :
هزيمتى جـــرح نازف
يتحدى العقــاقير
ويأبى أن يندمل
هزيمة الاحساس بخيبتى ····
نرجو أن تبرأ من هذا الاحساس الثقيل ، اما شعرك فينقصه الوزن

● عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ وسيم ـ الجيزة :

ـ قصيدتك التى عنوانها « حبيبتى » ·· التى مطلعها :
جئت حبى كى أراه
عله أيضــا يرانى
توجـــد بها بعض الاوزان المكسورة ، وبعض الاغلاط النحــوية والكلام فى جملته غير فصيح ، وبعضه غير مفهوم . كقولك :
أن تلقى للمشانين
اسمع الهاجس هجانى
فهذا طلسم يحتاج الى من يحله ، فضلا عن خطأ النحـــو فى هذا الطلسم !!!··

● الى السادة : مصطفى فهمى بنجع حمـــــادى ·· محمـــد عبد الستار محمد بالفيوم ·· ابراهيم خليل ابراهيم يوسف ·· شبرا الخيمة :
ـ قصائدكم تحتاج الى مراجعة الوزن ، ومعذرة من هذه الاشارة المبتســــرة· !

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .



اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			

الهلال

سبتمبر
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشا

تحولات سيد قطب









على الرصيف
وتلويث رموز الماضي



من روائع الفن الإسلامي

● قطعة من النسيج المنقوش من أواسط آسيا ، من القرن الرابع عشر الميلادى .. وقد برع سكان أواسط آسيا فى نقش السجاد بأشكال وابعاد شرقية تمثل فيها الفن الاسلامى ●

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - اول سبتمبر سنة ١٩٨٦ م - ٢٧ ذو الحجة - سنة ١٤٠٦ هـ

في
هذا
العدد



يوسف ادريس في
حديث للهلال ص ١٠٤

فكر وثقافة



●● ٥ يونيو

● تحقيقات الهلال ●

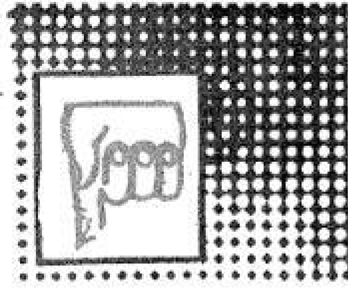
● شعر وقصة ●

● فن تشكيلى ●

● دراسة العدد ●

● شخصية العدد ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

الهلال في عامه الرابع والتسعين

تدخل مجلة الهلال بهذا العدد السنة الرابعة والتسعين من عمرها الطويل فى مجال الصحافة الثقافية والأدبية المصرية والعربية ، لم تنقطع قط عن أداء هذا الواجب الكبير ، ولم تطرأ عليها خلال هذا الأمد بادرة إعياء أو ملل من طول الطريق ومشقته وكثرة مايعتوره من العوائق والمثبطات .. ولهذا احتجبت المجلات الأدبية والثقافية المصرية والعربية التى صدرت خلال المائة سنة الماضية ، ولم يبق صامداً إلا مجلة الهلال .. وليس بينها الآن وبين عيدها المئوى إلا ستة أعوام ، تمضى كلمحة بارق ، فتكون الهلال أول مجلة مصرية أو عربية تبلغ هذا المدى الشاسع فى مغالبة السنين ، مؤدية رسالتها المتجددة الأهداف ، على أحسن وجه ممكن .

وقد أثبت احتجاب المجلات الثقافية والأدبية أن لكل مرحلة زمنية لسان حال من هذه المجلات ، فلا تستطيع بعد انقضاء مرحلتها التاريخية أن تواصل الصدور ، لأن الزمن يكون قد تخطاها بتجديداته العملية والفكرية ، وتغييراته فى المجتمع والتوجهات الإنسانية التى لاتنقطع عن التجدد والتغير ..

فمجلة « روضة المدارس » ـ مثلا ـ التى نشرت ثمرات قرائح الشعراء والأدباء فى حركة الإحياء منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لم يكن ممكنا

أن تتخطى مرحلتها التاريخية ولاحتى بمرسوم من سمو الخديو ـ أو الأمير ـ حاكم مصر حينذاك .. وكذلك المجلات الأخرى التى جاءت بعدها .. فالمقتطف ـ وهو شيخ المجلات العربية ـ أضطر إلى الاحتجاب بعد أن رمى بآخر سهم فى آخر معركة خاضها مؤديا رسالته أكرم أداء ! ..

ومجلة « الرسالة » وهى سجل الأدب ولسان العرب فى عصرها ، لم تعش إلا عشرين عاما بين الثلاثينيات والخمسينيات .. وهى على جلالة قدرها لم يسمح لها التطور العاصف بأن تعيش بعد مرحلتها ، وفشلت كل المحاولات التى بذلها الحالمون أو المتفائلون لاعادتها إلى الحياة فى ثوب قشيب !

وهاتان المجلتان ـ المقتطف والرسالة ـ هما المثلان البارزان لعشرات من المجلات الأخرى لايتسع المجال لذكرها ، وقد ذكرناها من قبل غير مرة فى مناسبات مختلفة ..

ولكن الهلال استطاع أن يبقى لأنه عبر عن كل مرحلة تاريخية بلسانها ، وكان جديدا فى كل مرحلة جديدة فلم تسبقه ولم يتخلف عنها ، بل تواكبا فى انسجام تام .. ولم يحتفظ الهلال طوال أربعة وتسعين عاما إلا باسمه على رأس غلافه ، وبمبدئه الثابت ، وهو خدمة الثقافة العربية المتجددة .. وكل شىء غير هذين كان قابلا فى كل حين للتغير طبقا للمتغيرات فى حياة القارىء العربى ، والانسان العربى بوجه عام ..

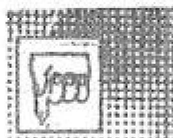
وقد أكسبه ذلك تمسك القارىء به من جيل إلى جيل ، فعاش الهلال فى كنف القارىء طوال تسعة عقود من الزمان واحتجبت مجلات ثقافية وأدبية كثيرة ، برغم حصولها على الرعاية الرسمية .. وبقى الهلال وحده من بين جميع المجلات القديمة والجديدة ، وسوف يبقى إن شاء الله وأسباب بقائه أمانة تنتقل من يد إلى يد منذ أنشأه وتولاه صاحبه العالم الأديب الصحفى جورجى زيدان .

وقد أكتمل الهلال فلم ير منذ اكتماله نقصا فى قدرته على البقاء والنماء ومواجهة تحديات جميع المراحل ، فصح فيه قول شوقى أمير الشعراء :

قد أكمل الله ذياك الهلال لنا

فلا رأى الدهر نقصا بعد إكمال

وكنا نرجو أن تجد الثقافة العربية والأدب العربى منارات جديدة فى بعض البلاد العربية التى نهضت فى عصر البترول ، وكتبنا فى هذا المكان



عزيزى القارئ

من الهلال نقول أن الثقافة العربية قد صار لها مراكز اشعاع متعددة فى العواصم العربية الجديدة ، بعد أن كان لها مركز واحد فى القاهرة العريقة .

ذلك أن الحقبة البترولية قد دفعت الدول البترولية إلى الاستعانة بأدباء مصر وخبرائها الصحفيين لينشئوا لها المجلات الأدبية والثقافية ويحرروها .. وكان هذا حادثا سعيدا للثقافة العربية ، وتطورا عظيم الفائدة للأدب والأدباء فى كل البلاد العربية ..

ولكن العصر البترولى كان منذ بدايته يشير بأصابعه الخمس إلى نهايته .. وكانت مؤسساته الصحفية تبدو قائمة على الرمال برغم ضخامتها وثرائها ودعايتها ، ولهذا أصابتها الضربة الأولى عندما اهتزت مداخيل الدول البترولية التى كانت تبتغى من إصدار هذه المجلات أن تستكمل مظاهر الأبهة والحضارة وتستجمع شارات الدول المتقدمة فى القرن العشرين .

المتقدمة فى القرن العشرين .

وقد ساءنا كثيرا ماتواتر من أنباء عن احتجاب هذه المجلات ، أو قرب احتجابها وليس هذا بالعجب العجاب على كل حال ، لأن أول شىء يتخلص منه أصحاب سفينة البترول الغارقة ، هو هذا العبء الثقيل من الأدب والثقافة المتمثل فى المجلات الأدبية والثقافية .

إن الدخان الكثيف الذى أطلقه عصر البترول « العربى » فى عيون الناس خمسة وعشرين عاما ، قد جعلهم يتوهمون أن فى الإمكان إقامة صروح للثقافة والأدب فوق تلك الرمال وتحت تلك العباءات .. ولكن تقلبات الأيام سرعان ماصدمت الناس بالحقيقة المحزنة ، فإذا بالأدب والثقافة أول ضحايا انخفاض أسعار البترول ، فكيف لو نفذ البترول وجفت آخر قطرة فى آباره ؟

إننا نحتفل بالعام الجديد من أعوام الهلال ، ونحن مثقلون بالأسف لاحتجاب المجلات الأدبية الخليجية ، أو وشك احتجابها .

والعبرة التى تتجلى لكل ذى عينين تقول : لايصح إلا الصحيح ولايبقى إلا الأصح ..

وذلك شعار الهلال منذ أول يوم فى حياته ! « المحرر »

بمناسبة مرور ٩٤ عاما على صدور الهلال اقدم مجلة عربية في الوطن العربي ـ ينشر هذا المقال لمؤسس الهلال . وقد ارخ فيه للصحافة العربية . وهي اول محاولة في هذا المجال نبهت الاذهان الى اهمية التاريخ للصحافة

جرجي زيدان
مؤرخ الصحافة العربية

كانت الصحافة العربية ـ الوليدة ـ فى القرن التاسع عشر آخذة فى النمو المطرد كما وكيفا ، وساعد على ذلك تقدم الطباعة وسهولة اصدار الصحف ، وتزايد ما تخرجه المدارس من المتعلمين ، وخفض اجور البريد على المطبوعات ، وتنوع الاحداث السياسية فى تلك الحقبة ـ سواء فى مصر أو فى الدولة العلية ـ مما كان يستميل المثقفين وغير المثقفين الى ملاحقة الاخبار ، ومراقبة الاحوال

بقلم : أحمد حسين الطماوي



جرجي زيدان

جرجي زيدان
مؤرخ الصحافة العربية

وكانت الجرائد والمجلات تصدر ثم تحتجب تماما ، أو تعود للظهور مرة أخرى ، وليس هناك رصد دقيق لما صدر أو اختفى من تلك الدوريات التى تعتبر مادة حية لتاريخ الامة ، تسجل أحداثها المختلفة يوما بيوم أو شهرا بشهر . فكان لابد لهـا من شخص يؤرخ لها ، يبحث ماضيها ، ويتابع ما يستجد فيها ، ويقف على ميولها ، ويترجم لاصحابها .

وقد من الله على الصحافة العربية بمن يؤرخ لها ، ويتنازع على الاولوية فى هذا المضمار اثنان هما هنرى غليارد وجرجي زيدان على نحو ما ذهب فيليب طرازى واذا لم يكن هناك من يسبق أحدهما فانى ارجح جرجي زيدان رغم سبق غليارد فى هذا المجال . وبيان ذلك ان طرازى يرى ان غليارد (ترجمان القنصلية الفرنسية فى القاهرة) هو أول من أرخ للصحافة العربية عندما وضع تقريرا عام ١٨٨٤ باللغة الفرنسية يتضمن تاريخ الصحافة العربية التى كانت تنشر فى مصر - فى ذلك الوقت - مع ترجمة لاصحابها وميولهم السياسية وتوجد نسخة من هذا التقرير فى وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس واخرى فى الوكالة الفرنسية فى القاهرة .

والذى يبدو لنا من حديث طرازى ان غليارد لم يكتب تقريره بهدف التاريخ العلمى للصحافة العربية أو المصرية ، وانما ما كتبه هو تقرير سياسى كلف به على نحو ما يفعل القناصل من كتابة التقارير السرية بغية الافادة منها عند اتخاذ القرارات السياسية تجاه تلك الدول . ولو كان هذا الترجمان كتب بغرض التاريخ للصحافة العربية لنشر بحثه فى جريدة عربية او اجنبية . ولكن الحاصل ان مصير هذا التقرير فى خزائن وزارة الخارجية الفرنسية أى فى المكان الذى يخدم الغرض من كتابته . وتدوين التقرير باللغة الفرنسية يظهر الغرض السياسى منه ، والا فلماذا لم يسجله باللغة العربية - وهو قادر على الكتابة بها - واذاعته على أهلها - فهم احوج من غيرهم اليه . ومن ثم فالقول بأن غليارد اول من ارخ للصحافة العربية فيه تزيد .

ثم قال طرازى « أما اول الذين كتبوا بعده اخبار الصحافة من الناطقين بالضاد كان جرجي زيدان » . واذا صدقت مقولة طرازى هذه فان جرجي زيدان هو المؤرخ الاول للصحافة العربية حتى مع وجود غليارد الفرنسى .

كانت المقالة الاولى فى باب مقالات الهلال عن « الجرائد العربية فى العالم » تحدث فيها جرجي زيدان عن اثر الجرائد فى التمدن الحديث ، وراح يذكر اقدم الصحف العربية فكانت «الوقائع» وفاته ذكر مطبعات الصحافة فى زمن الحملة الفرنسية ، ثم اخذ فى سرد اسماء هذه الدوريات حتى وصل بهـا الى ما يزيد على مائة واربعين صحيفة ومجلة ، وفى عدد

اكتوبر ١٨٩٢(الهلال) اضاف اليها ثماني صحف ، وقسمها الى جرائد صدرت في القاهرة والاسكندرية وسوريا والاستانة ، وجرائد صدرت في اماكن اخرى ، او جرائد مازالت تصدر (حتى ظهور الهلال) ثم بين نوعها من حيث هي رسمية او علمية او ادبية او سياسية او دينية او هزلية الى اخره، والمآخذ كثيرة على ما صنعه زيدان ، فانه لم يعرفنا باصحاب هذه الصحف، ولا بظروف نشاتها وهذا ما تلافاه او تلافى بعضه في الجزء الرابع من كتابه « تاريخ اداب اللغة العربية » هذا فضلا عن ان ما ذكره من اعداد هذه الصحف لم يكن صحيحا فقد فاته ذكر جرائد ومجلات اخرى كثيرة نذكر منها «الجريدة العسكرية المصرية» (١٨٦٥) والبسفور لبول جيرو ١٨٧٨ ونزهة الافكار وضياء الخافقين والخلافة وهي من صحف ابراهيم المويلحي وجميعها صدر قبل ظهور الهلال .

ومهما يكن من امر فان ذكر جرجي زيدان لذلك الرقم في اول محاولة للتاريخ للصحافة العربية يعد عملا جليلا ، فلم يكن هناك ثبت باسماء الصحف وازمنة وامكنة صدورها حتى يرجع اليه ويفيد منه ، ولكنه نبه الاذهان الى اهمية التاريخ للصحافة ، وكانه اضاف علما جديدا لعلوم يجب ان تنصرف اليه جهود الدارسين .

وقد انصرفت فعلا اذهان الباحثين والصحافيين الى هذا المجال ، فرأينا عددا من الكتاب يؤرخون للصحافة العربية نذكر منهم محمد كامل بحيري في جريدته « طرابلس » (١٨٩٣) ونجيب غرغور في مجلة « العصر الجديد » (١٨٩٥) وابراهيم المويلحي في مصباح الشرق (١٩٠١) وغيرهم .

ولم يقف زيدان عند مقاله الاول في هلال السنة الاولى بل اخذ يتابع الصحافة العربية في كل مكان يكتب النبذ عنها ، ويقدم الاحصاءات لها ، ففي عدد اول مايو ١٨٩٤ (هلال) نجد قائمة تضم ثلاثا وثلاثين مجلة وجريدة صدرت عام ٩٢ ـ ١٨٩٣ وفي عدد ١٥ اكتوبر ١٨٩٦ يذكر اثنين وعشرين دورية ، وفي عدد ١٥ مايو ١٩٠١ حاول احصاء الجرائد والمجلات العربية الحية من كل نوع في سائر انحاء العالم ووصل بها الى ١١٧ يصدر اكثر من نصفها في مصر والباقي يصدر في بلاد الشام وسائر الممالك العثمانية واوربا وامريكا الشمالية والجنوبية . ولاحظ زيدان ان مجلات مصر اكثر من جرائدها بنحو النصف « ويدلك ذلك على ميل المصريين الى العلم والادب اكثر منهم الى السياسة والتجارة » اما في امريكا فان قراء المجلات والجرائد العربية اكثر ميلا الى التجارة والسياسة منهم الى العلم والادب . وفي عدد ١٥ اكتوبر ١٩٠٢ وعدد اول يناير ١٩٠٤ يقدم بحثين على هيئة جداول تصاحبها تعليقات مفيدة يبين ان عدد الصحف التي انشئت منذ اول عهد الصحافة وحتى نهاية ١٩٠٣ على اختلاف مواضيعها نحو اربعمائة صحيفة ، وفي عدد مايو ١٩٠٩ قدم احصائية نقلها عن تقرير مصلحة البريد سنة ١٩٠٨ بين فيها ان مجموع الجرائد والمجلات التي تصدر في مصر ١٢٨ منها ٥٥ افرنجية ؛ وقد لفت نظري وجود هذا العدد الكبير من الصحف والمجلات الافرنجية في مصر فهذا يدل اما على كثرة

جرجي زيدان
مؤرخ الصحافة العربية

الاجانب أو على شدة ميلهم الى الاطلاع او الى الاثنين معا ٠

ومع أن جرجي زيدان كان يتحرى الدقه فيما يكتب الا ان الاعداد التي ذكرها لم تكن تطابق الحقيقة ، ومعلوماته التي جاءت عن الصحف المبكرة لم تكن جميعها صائبة ٠

وقد بين شكيب ارسلان أن صحيفة « مرآة الاحوال » التي اصدرها رزق الله حسون هي أسبق من « الجوائب » في الاستانة ، وأن « حديقة الاخبار » التي انشأها خليل الخوري ١٨٥٧ أسبق من « الجنان » في سوريا ٠ وتاريخ الصحافة العربي الحديث يؤكد لنا صحةمعارف ارسلان٠

● السوريون لم يؤسسوا الصحافة في مصر ●

وقد عرض زيدان للكتب التي تناولت الصحافة العربية عن بعيد او قريب ، فتحدث عن كتاب « فكاهة الرائد في نوادر الجرائد » لنقولاسابا وكتاب « مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر رجال مصر » لالياس زاخورة ، و « تاريخ الصحافة العربية » لطرازي وكتاب « الصحافة العربية في مصر » لهرتمن ـ استاذ اللغة العربية في مدرسة برلين ، وقد ابرز زيدان جملة من اقوال هذا المستشرق ورد على ما اخطأ فيه ، وعلى سبيل المثال ذهب هرتمن الى ان السوريين هم الذين وضعوا اساس الصحافة في مصر ورفعوا شانها ، ولكن جرجي زيدان يصحح هذه المقولة ويرى « ان السوريين كانوا عونا كبيرا لاخوانهم المصريين في ترقية شئون الصحافة وغيرها من المطبوعات العربية ولكنهم والحق اولى ان يقال لم يكونوا مؤسسيها ولاهم انشاوا اول صحيفة عربية بمصر لان مصر سبقت سوريا بالصحافة كما سبقتها في اكثر عوامل النهضة العلمية الاخيرة » (الهلال اول نوفمبر ١٨٩٩) ٠

● زيدان يدعو الى تقييد حرية الصحافة ●

ولجرجي زيدان اراء في الصحافة المصرية تستنكر بعضها ، وعلى سبيل المثال نشر مقالا في هلال ١٥ يونية ١٩٠٠ عن « حرية المطبوعات » تحدث فيه بحرقة ومرارة على حرية الطباعة في مصر بعد الاحتلال ، واشار الى قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٨١ والذي قيد الطباعة والصحافة فيمصر عندما لاحت في الافق نذر الثورة العرابية ، ويعلق زيدان على هذا القانون بقوله : « على ان ذلك القانون جاء متاخرا بعد ان نبت غرس الحرية في بلاد لم تتهيأ له » وما كان لرجل غريب على مصر ان تصدر عنه هذه المقولة ، فاولى به ان يترك المصريين يتصرفون في بلادهم كيف شاءوا ٠فهم ادرى بأحوال مليكهم، ونزعاته وتمكينه للاجانب في مقدراتهم ٠ ثم قال ما معناه ان الانجليز اطلقوا سراح المطبوعات فصارت الصحافة « مباحة لكل كاتب » و « واصبحت فوضى لا قانون يقيدها ولا رادع يردع كتابها» ثم يقول : « ان الحرية تعطى لكل جماعة بما يناسب احوالهم فاذا كنتم تسمون فوضى المطبوعات اليوم حرية فقد حببتم الينا الاستعباد ورغبتمونا

والنصيحة ، وانما تتعلم وتتحنك من الاحداث والتجارب •

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التى يتهم فيها الصحافة المصرية بالفوضى واثارة القلاقل ففي مقال له (هلال اول سبتمبر ١٨٩٥) ضمنه حملة ضارية على ارباب الصحف ، احتدت فيها عباراته على غير عادته ،واستنكر من بعض الصحف التعريض بشخصية الملك في ثنايا انتقادها لعمال الحكومة وانتقد الصحف التي جاهرت باهانة بعض الامم الاخرى ، ويرى ان قوانين الشرع والعرف « لا تبيح الطعن في امة برمتها » ، وحمل على الجرائد التى طعنت فى اشخاص تسميهم باسمائهم وتكيل لهم الشتائم ، حتى تتطرق الى انتقاد ما يأكلون او يلبسون او يطبخون » ويتساءل اى علاقة بين ذلك والمصلحة العامة التى انشئت الصحف لاجلها ، ورأى أن الحوار واجب ولكن مع مراعاة « المجاملة والتأدب وكرم الاخلاق » ولا يستطيع قارىء هذا الكلام ان يعيب جرجى زيدان ، فيجب مراعاة الاداب الاجتماعية ، اما فى انتقاده للصحف التى تحرض بالامم الاخرى — دون ان يذكر هذه الامم — قلنا معه وقفة ان هذه الامم على الارجح هي انجلترا وفرنسا وروسيا التى تحتل جزءا كبيرا من العالم الاسلامى يضاف اليها اليونان التى كانت فى حرب مع الدولة العثمانية ، وهذه الدول باستثناء اليونان ليس هناك ما يرغمها على البقاء وسماع ماتكرهه، ومن ناحية اخرى اذا قال الصحفيون ان الانجليز كذا وكذا ، فانهم لا يعنون كل انجليزى فى مشارق الارض ومغاربها ، ولكنهم يعنون جيش الاحتلال ، ان « زيدان » وهو يكتب


شكيب ارسلان

فى المراقبة الشديدة لانها تصون اعراض الناس وتحفظ كرامة المذاهب»

والكلمات الاخيرة من حديث زيدان تكشف لنا علة غضبه ، فقد حدث في تلك الايام ما يشبه الفتنة الطائفية واحتدم النقاش بين النصارى والمسلمين وللحقيقة نسجل ان « زيدان » لم يناصر فريقا ضد فريق ولكنه ادان الطعن فى الاديان ورأى ان الجدل فى هذا الموضوع لن يزيد المرء الا تمسكا بدينه • وكنا نرى ان يقتصر كلام زيدان فى هذه الفتنة على ادانتها، ومحاولة تهدئة الموقف ، لا ان يستحث السلطات الحاكمة على تقييد حرية الصحافة ، وسلب الامة ارادتها ، وفرض وصى وقيم عليها لانها لم تتهيأ للحرية • ان كلام زيدان سقطة منه ما كان له ان ينزلق فيها ، لان حرية الفكر على حد قول امين الريحانى (هلال ١٥ — ٩ — ١٩٠٠) فى الرد على زيدان : « نعمة يجب منحها لكل امة مهما كانت درجة تمدنها » وتضيف الى كلام الريحانى ان الشعوب لا تجدى معها الوصاية

جرجي زيدان
مؤرخ الصحافة العربية

هذا الانتقاد لم يأخذ فى اعتباره المشاعر الوطنية المتأججة ، فالانجليز لا يحتلون بلاده ، ومن ثم فهو يريد الاعتدال فى القول ، والانضباط فى التصرف ، ولم يلتفت زيدان الى الصحف التى كانت تكيل المديح للانجليز ، وتعاند الشعور الوطنى مثل المقطم والوطن . ولم يراع لا الشعور الدينى عند المسلمين وهم يرون الروسيا فى حالة حرب مع الدولة العلية ، ويتسامعون بالمساعدات الاوربية لليونان فى حربها مع دولة الخلافة الاسلامية ، لذلك فان الموضوعية ، او الاعتدال ، او ضبط المشاعر التى يتحدث عنها لا تحظى بالمحمدة فى مثل تلك الظروف .

• قضية التلغرافات •

وفى مواقف اخرى كان جرجي زيدان يتحدى الشعور الوطنى ، وقد تهدى ذلك فى قضية التلغرافات التى شغلت الرأى العام المصرى فترة من الوقت ، فقد وصفها بأنها « قضية لا اهمية لها » (الهلال ١ ـ ١٢ ـ ١٨٩٦) وموجز هذه القضية ان سلطات الاحتلال فرضت حظرا على نشر انباء حملة السودان عن « المؤيد » فعرف الشيخ على يوسف كيف يصل الى انباء الحملة عن طريق توفيق كيرلس موظف التلغراف حيث سلمه برقية جاءت من السردار الى نظارة الحربية تتعلق بانباء الحملة لنشرها فى المؤيد ، وقد اقامت الحكومة دعوى على مستخدم التلغراف وصاحب المؤيد ، وشغل المصريون بهذه المحاكمة، وكانوا يلتفون بالآلاف أمام المحكمة ، وعندما حكم ببراءة الشيخ على يوسف حمله الوطنيون على اكتافهم . ووصف زيدان لهذا الحادث بانه عديم الاهمية هو من باب الاستخفاف بمشاعر الامة . لان المؤيد كانت تمثل الاتجاه الوطنى، وتحدت الانجليز الذين منعوا الانباء عنها ، وانتصار على يوسف هو انتصار للوطنية المصرية .

• رياض باشا وكرومر والصحافة المصرية •

وقد امتدح جرجي زيدان رياض باشا لتشجيعه الصحافة العربية ، وتحدث كثيرا عن قانون ١٨٨١ الذى قيد حرية المطبوعات واهمله الانجليز لاطلاق سراح الصحافة المصرية فصدرت الصحف بلا استئذان ، واثنى على كرومر فى مقال نشرته الهلال عدد اول اكتوبر ١٩٠٧ قال فيه « اما فى مصر فقد نالت الصحافة تلك الحرية بارادة شخص اللورد كرومر فهى حرة عرفا لا قانونا » وفى اول اكتوبر ١٩٠٤ اوردت الهلال نقلا عن « المقطم »تقرير لكرومر عن الصحافة المصرية ، حيث اورد (أى كرومر) بانه رفض كل قيد على الصحافة فى مصر ، وبين ان حرية الجرائد لم تؤخر الاصلاح فى البلاد ، واعرب عن انفته مما كتبته الصحف .. الى اخره . ولا اظن أن ما قاله زيدان صحيح كله ، فرياض باشا شجع بعض المجلات مثل المقتطف

ولكن عطلت فى عهد وزارته « مصر الفتاة » التى كان يصدرها الوطنيون المصريون ، وتوقفت جريدتا «مصر» و « التجارة » لاديب اسحق ، وقد اطلق اديب اسحق فيما بعد على رياض باشا اسم « رياضستون » على وزن « جلاد ستون » السياسى الانجليزى الاستعمارى المتبد ورفض اعادة صدور صحيفة « السفير » لحسن الشمس وكان من العرابيين وغير ذلك. فاين تشجيعه للصحافة المصرية ، وقانون ١٨٨١ لم يهمل تماما كما قال زيدان وكرومر ففى الوقت المناسب كانت تطبق بنوده ، وقد تعطلت صحف كثيرة استنادا الى مواده مثل «الزمان» و « البرهان » و « الفلاح » وغيرها ·· وعلى اثر دخول الانجليز مصر اغلقت الصحف الوطنية مثل «الطائف» و « المفيد » و « السفير » و «النجاح» وغيرها بل ان الانجليز ساعدوا على انشاء الصحف التى تروج لهم وتدافع عن مصلحتهم مثل « الجريدة المصرية» و « المقطم » و «النيل» وغيرها (انظر كتاب الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى للدكتور سامى عزيز) ومهما يكن من امر فان الصحافة المصرية قد ازدهرت فى عهد الاحتلال لان كرومر اباح حرية الصحافة للاجانب ، فاتاحها للمصريين من هذا المدخل باعترافه ·

● هوية الصحف المصرية ●

من الغريب المريب ان عددا كبيرا من الصحف المصرية لم تكن مصرية لا فى الوسيلة ولا فى الغاية · وقد كشف زيدان هوية الصحف المصرية فى مقال بعنوان « كتاب الجرائد والمجلات » فى هلال ١٥ اكتوبر ١٨٩٧ بين فيه ان الصحف الانجليزية تنحاز الى احزاب سياسية وطنية مثل حزب الاحرار والمحافظين ·، اما فى مصر فانها تنحاز الى الدول الاجنبية « والسبب فى ذلك اختصاص هذا القطر دون سواه بتضارب النفوذ الاجنبى فيه وخصوصا بعد الاحتلال ، وراح يقسم الصحف الى انتماءاتها الحزبية على هذا النحو ١ ـ الحزب الوطنى المصرى ٢ ـ الحزب العثمانى ٣ ـ حزب الاحتلال ٤ ـ الحزب الفرنسى وكانت الجرائد تمتدح الحزب الذى تدين له بالولاء ، وتصوب سياسته ، وتعمل جاهدة على اقناع الناس ان سياسة هذا الحزب انفع لصلحة البلاد من غيرها · ويرد زيدان هذا الى سببين : اما لان الكسب المادى للصحيفة لا يغطى نفقاتها ، واما لان اصحاب هذه الصحف يعتقدون فعلا فى صحة ما يقولون عن سياسة هذه الدول التى ينتمون اليها ·

وينتقد جرجى زيدان الجرائد المصرية التى تسير فى الاتجاهات الاجنبية ، فيرى ان عذر الصحافيين بان العائد من الصحف لا يكفى النفقات لا يبرر خداع قرائها ، فالقراء الذين يدفعون المال اعتقادا منهم ان الجريدة التى يواظبون على مطالعتها « اقامت نفسها متكلمة عنهم تدافع عن حقوقهم وتبين مطالبهم واحتياجاتهم لدى ولاة الامر ·· فلا يعذرونها بانتماءاتها الى احزاب مصلحتها تخالف مصلحتهم » وهو انتقاد فى الصميم يرتقى فيه زيدان الى مصاف الوطنيين · اذ انه يرى ان الصحيفة المصرية يجب ان تخدم مصر اولا وثانيا واخيرا ، اما الصحف التى تدافع عن مطالح الدول الاخرى فهى صحف خائنة خادعة ·

جرجي زيدان
مؤرخ الصحافة العربية

واذا كان زيدان لم يذكر اسماء هذه الصحف في مقاله المشار اليه ، فانه عاد في مقال نشره في هلال مايو ١٩١٠ يفصل المسألة بوضوح ، وامتد حديثه حتى شمل الصحافة الوطنية في مصر عباس الثاني فابرز دور الحركة الوطنية ضد الاحتلال وصحافتها وافاض في الثناء على مصطفى كامل « محيي الشعور الوطني في مصر » واعتبر صدور اللواء « خطوة كبيرة في تاريخ الصحافة العربية بمصر بل هو نهضة جديدة فيها » .

وحديث جرجي زيدان هذا دقيق وصحيح ومريح للشعور الوطني وللمؤرخ للصحافة . اذ انه لم يحد عن الحق ، وعين هوية كل صحيفة بما لا يدع مجالا للبس أو ابهام .

وقد كانت الهلال في عهد زيدان سجلا ضخما حوى من اخبار الصحف العربية في الشرق والغرب مالا نجد كثيرا منه في غيرها ، فقد كان الرجل يكتب نبذا قصيرة عن الدوريات المختلفة ، وقد راجعنا عددا كبيرا من اسماء تلك الصحف والمجلات على فهرس الدوريات العربية التي تقتنيها دار الكتب المصرية الذي صنفه محمود اسماعيل عبد الله فلم نعثر لها على اثر ، ومن هذا : « الصياد » جريدة اسبوعية اخبارية صدرت في مصر لصاحبها سيد أحمد مصطفى . « المودة » مجلة نسائية لسليم خليل فرج ، « المنتزة » ادبية هزلية صدرت في مصر لصاحبها السيد على الحريري وتطبع على مناديل يمكن غسلها واستعمالها ، « لسان الامم » مجلة علمية ادبية ، بالعربية والانجليزية صدرت بمصر لمحررها حسين عاروض « النور » مجلة ادبية اخبارية صدرت في الاسكندرية لمنشئها داود مجاعص . « الحجاز » جريدة دينية ادبية صدرت بمصر لصاحبها ابي بكر الداغستاني . « النفير » يومية سياسية في الاسكندرية مديرها ابراهيم زكا . « الاسماء » مجلة علمية تاريخية جغرافية في بيان اسماء الكتب والمؤلفين صدرت في مصر لصاحبها عارف بغدادي . « البرنسيس » مجلة شهرية تبحث في شئون المرأة لمنشئتها فطنت هانم . « العصر الجديد » مجلة علمية ادبية فكاهية لصاحبها محمود صادق سيف . ونستطيع على هذا النحو ان نذكر عشرات الجرائد والمجلات التي لم يضمها سجل دار الكتب المصرية . واننا نهيب بالمشرفين على الدار ان يراجعوا النبذ التي كتبت عن الدوريات الادبية في الصحف والمجلات للوقوف على الدوريات غير الموجودة بالدار والاعلان عنها لاقتنائها نظير مكافأة مجزية لمن تكون في حوزته تلك الصحف أو بعضها .

وقد ترجم زيدان في « الهلال » « تاريخ اداب اللغة العربية ح ٤ » و « تراجم مشاهير الشرق » . ومازالت كتابات جرجي زيدان عن الصحافة واعلامها مصدرا يرجع اليه الباحثون .

واننا لو رحنا نحصي حسنات جرجي زيدان ، ومآثره على الصحافة العربية لامتد بنا الحديث ، وشغلنا صفحات اخرى دون ان نوفيه حقه ، فلقد كان الرجل نفسه فصلا كبيرا باقيا في تاريخ الصحافة العربية .

أقوال معاصرة


جورباتشوف

● « ابهاؤنا .. نحن فى حاجة لرايكم .. »
جورباتشوف

● « مازال الأدب العربى مشدودا بأيد ميتة الى عصور انحطاطه »
محمد شكرى ـ الاديب المغربى

● « جهل الأمريكيين بالاتحاد السوفييتى يمثل خطرا كبيرا .. »
افريل هاريمان ـ السفير الامريكى السابق

● « علينا أن نكون متواضعين »
ناكاسونى رئيس وزراء اليابان


جورج بوش

● « حل مشكلة الشرق الأوسط خلال القرن القادم .. » !
جيراسيموف ـ المتحدث باسم الخارجية السوفيتية

● «حل مشكلة الشرق الاوسط خلال الحقبة القادمة»!
جورج بوش

● « حل مشكلة الشرق الاوسط فى متناول اليد »
الملك الحسن الثانى

● « شخص ركل جثة ميتة ومضى .. هذا هو كل ما حدث فى منتجع ايفران »
الاويزرفر


الملك الحسن الثانى

● « الكتابة وسيلة خرافية من اجل احتواء الرعب .. »
بول بادلز ـ الأديب الامريكى

● « دائما لا نفهم الأشياء الاساسية ، لذلك نتوقف عند التفاصيل »
الياس خورى ـ اديب لبنان

● « استمتع بشيخوختى »
مولوتوف فى السابعة والتسعين من عمره

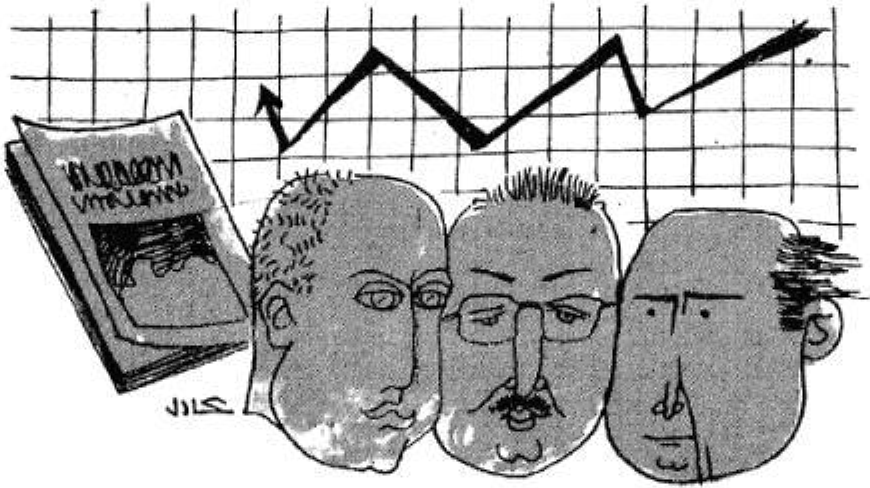
بقلم: د. شكري محمد عياد

اللامعقول في الاقتصاد

ماالذي يغريني بالكتابة في الاقتصاد ؟

إليكم بيانا دقيقا بمعلوماتي عن هذا العلم الجليل :

كان لي أخ كبير درس القانون . وكان من بين الكتب التي استغنى عنها وألقاها في سحّارة الكتب الكبيرة في بيتنا القديم بالبلد كتاب فرنسي كبير عنوانه « الاقتصاد السياسي » ، واسم مؤلفه شارل جيد . وعندما بدأت افك الخط بالفرنسية بذلت محاولات متكررة لقراءة هذا الكتاب . ومازلت - بفضل هذه المحاولات - اتذكر حجم الكتاب وحالة غلافه ونوع ورقه وشكل بُنطه ، كما اتذكر عنوانه واسم مؤلفه ، ولكنني لااتذكر شيئا وراء ذلك . ولااعرف مصير هذه النسخة الآن ، ولا قيمة الكتاب نفسه في تاريخ علم الاقتصاد ، ولكنه يذكرني بجو القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، جو الشعر الرومنسي والرواية الواقعية والمركبات التي تجرها الخيول .



كانت البداية الثانية فى أواسط الأربعينيات ، كأى ماركسى مخلص فى ذلك العهد درست متن « العمل المأجور ، ره الثمن والربح والقيمة » حتى كدت أحفظهما عن ظهر قلب ، وقرأت بجانبهما كتابا عنوانه « الاقتصاد السياسى » لمؤلف روسى اسمه ليونتيف ، ثم اتفق أن وقع فى يدى كتاب صغير لمؤلف امريكى لاأذكر اسمه الآن ، ولكننى أذكر عنوان الكتاب الذى لفت نظرى بشدة ، وهو « الاقتصاد السياسي في درس واحد » . وكأى ماركسى مارق قرأته فى جلسة واحدة أيضا . وقد كونت من هذين الطرفين المتناقضين فكرتى المتواضعة عن الاقتصاد الموجه والاقتصاد المفتوح ، ولم أضف إليها بعد ذلك سوى قراءات سريعة فى دوائر المعارف أو بعض الدوريات .

وما قيمة هذه القراءات أو تلك الفكرة بعد أن تغير النظام النقدى ، محليا وعالميا ، عدة مرات ، ووجدت مؤسسات مثل البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، والمنظمة الدولية للتعرفة والتجارة ، وأصبح من علماء الاقتصاد - وعندنا منهم عدد لابأس به - من يتخصصون فى أشياء مثل الاقتصاد الرياضى والاقتصاد المالى والتنمية وما أدراك ماالتنمية ؟

لاعذر لى إلا أن الناس جميعا أصبحوا يتكلمون فى الاقتصاد . وأصبح ناس لايعرف شىء عن خلفياتهم الثقافية أو العملية يعطون أنفسهم لقب دكتور ويؤسسون شركات لاستثمار الأموال وينشرون إعلانات تملأ صفحة كاملة فى الجرائد اليومية . وأصبح لكل صحيفة

مهمة أو غير مهمة محرر اقتصادى او اكثر . لم يقرأ فى الاقتصاد إلا مايكتبه زملاؤه (هذه هى القاعدة العامة : فمعظم الشعراء اليوم لايقرءون إلا ما ينشره زملاؤهم فى الصحف ، وبعض أرباب الفنون الأخرى لايعملون حتى هذا) واحيانا يطرح سؤالا على عدد من اساتذة الاقتصاد وينسب إليهم أجوبة غير مفهومة ، وأحيانا يكتب تعليقا من عندياته على أخطر مسائل الاقتصاد .

● اختلال خطير ●

الحكاية إذن هاصت ، ومهما بلغ احترام المرء لنفسه فلابد أن يهيص مع الهائصين . وهذا يذكرنى بكلمة لديهامل : عندما يكون الجسم سليما يقوم كل جهاز من أجهزته بوظيفته الخاصة . فالمعدة تهضم والقلب يضخ الدم والرئتان تنقيانه الخ . اما إذا حاولت المعدة أن تقوم بعمل القلب أو الرئتان أن تقوما بعمل البنكرياس فلابد أن ثمة اختلالا خطيرا قد وقع . وبما أن الخلل الاقتصادى عندنا أصبح شيئا معروفا ومعلنا فقد أصبح الجميع اقتصاديين .

ولكن كيف يمكن الخروج من هذا المأزق ؟ لم أجد الجواب عند ديهامل . انما وجدته فى أدبنا الشعبى ، وأرجوكم الا تضحكوا .

فالحكايات الشعبية تخبرنا انه عندما تتأزم الأمور . وتصل الاحوال العامة إلى عقدة العقد المعقدة تعقيدا ، ويحار نطس الوزراء فى حل اى مشكلة من المشاكل المتراكمة ، يأتى الحل البسيط المدهش على يد .. حشاش .

وأنا لست من زبائن هذا الصنف . واعتقد انى لست بحاجة إليه لأنى اقوم تلقائيا بأعجب الشطحات دون أن اتكلف قرشا ولانصف قرش . والحل الذى اقترحه لايمكن أن يخطر ببال اى اقتصادى يحترم نفسه ذلك انه حل لامعقول ، اى مناقض تماما لكل مبادىء الاقتصاد ، ولكنه يرجع إلى مبدأ قديم من مبادىء الطب ، لايزال له بعض الانصار حتى يومنا هذا ، وهو المبدأ الذى عبر عنه شاعرنا شوقى بقوله :

● ومن السموم الناقعات (اقراها بالقاف من فضلك) دواء ، أو بلغة الطب انك يمكنك أن تعالج المرض بإعطاء عقار يحدث اعراضا شبيهة بأعراض المرض نفسه .

اما كيف يمكننى أن اقترح حلا طبيا (بفرض كونه صحيحاً) لمشكلة اقتصادية ، فسؤال ليس من العدل أن يوجه إلىّ ، إذ لايمكن أن تكونَ هناك شطحة لو أن الحل كان اقتصاديا . ومع ذلك فمن الممكن الدفاع عن هذا الموقف بطريقة علمية . إذ إنه من المعروف تاريخيا وواقعيا أن كثيرا من العلوم تقيم

دعائمها أو تحل بعض مشكلاتها اعتمادا على نماذج مستعارة من علوم اخرى

● مشكلات اللامعقول ●

بناء على هذا المبدأ الاقتصادى اقول إن حل مشكلاتنا الاقتصادية يجب أن يكون حلا لامعقولا لأن مشكلاتنا الاقتصادية نفسها اصبحت من النوع اللامعقول . وكثيراً ما استوقفتنى هذه الظاهرة فى حياتنا اليومية فانا اشعر بالدهشة كلما رايت عددا من السيارات الخاصة واقفا بين الأزقة أو حتى بين المقابر ولم استطع قط أن أفهم لماذا يجب أن نهتم بالميكنة الزراعية إذا كانت النتيجة هى ان الفلاح سيحتاج إلى مكنات اخرى كالتليفزيون والفيديو لتساعده على قضاء أوقات فراغه . ولا لماذا يلزم أن يقضى شاب أربع سنوات من عمره فى دراسة القوانين او المحاسبات ليعمل سائق تاكسى بعد تخرجه . وأن يتم آخر دراسة فى معهد صناعى أو كلية زراعية ليعمل مضيفا على طائرة أو موظفا فى شركة سياحة .

هذه امثلة لأشخاص أعرفهم . ولاشك أن عندك الكثير منها . وليس اقل منها عجبا ان ياتى كهربائى ليركب مفتاحا أو سباك ليصلح « حنفية » ويخرج بعد دقائق وقد لطش ثلاثة جنيهات أو خمسة . ولا ان يقول لك ابنك الطبيب : الميكانيكى الذى يأخذ منى عشرين جنيها فى إصلاح فرامل السيارة مثلا يجيئنى هو نفسه فى المستشفى فاجرى له عملية جراحية بالمجان

ليست هذه الامثلة نوعا واحدا . ولكن كل الانواع التى يمكنك ان تصنفها وتعددها تشترك فى أنها مخالفة لكل القواعد التى يقبلها العقل . وإذا أردت أن تلقى على محاضرة فى قيمة العمل اليدوى فدعنى اقص عليك اولا حكاية مدير عام محترم (ولعلها غير جديدة عليك فقد قراتها فى صحيفة يومية) اقتنع مثلك ومثلى ايضا بقيمة العمل اليدوى فقرر أن يشتغل بتلزيق القيشانى (فى غير وقت العمل الرسمى طبعا) ولكن قوبل بمقاطعة منكرة وحرب شعواء من « اهل الكار » الذين حاربوه فى رزقه الجديد . ارجوك ياصديقى ان تسقط من دماغك كل الحلول المعقولة . ارجوك ايضا . إن كنت اقتصاديا . ان تنسى كل ماتعلمته . أو أن .. تعمل بعكسه . فحتى معلوماتى الاقتصادية الهزيلة تفزع وتخرج من ثيابها أمام هذه الوقائع المذهلة . الم يحدثنا الشيخ ماركس عن ريكاردو عن آدم سمث ان ثمن السلعة او الخدمة يمثل وقت العمل الذى أنفق فيها ؟ فهل الزمن الذى يلزم لاعداد طبيب او مدير أو وزير أقل من الزمن الذى يلزم لاعداد سمكرى أو سباك ؟

مامدى مسئولية الدولة عن هذا الخلل ؟ إن اقل الناس إنصافا لايستطيع أن يحمل جهاز الدولة (الحالى) هذه المسئولية . لقد بدا الخلل حين سادت تركيبة اقتصادية اجتماعية معينة سميتها الاقتصاد

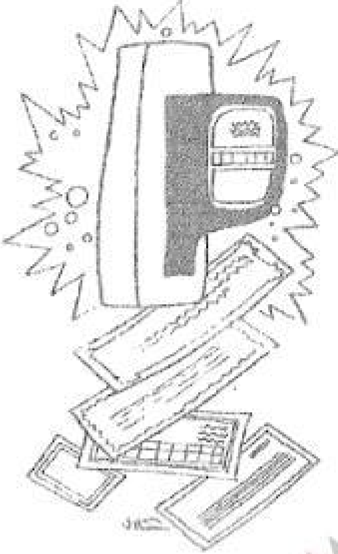
الجحوى ، وخلاصته ان تتسامح الدولة مع الشعب ، ويتسامح الشعب مع الدولة ، فى نهب الثروة القومية . والنتيجة الطبيعية لهذا التسامح هى أن تتسع قاعدة الفساد بحيث يتعذر اقتلاعه .

وليس من المستغرب إذن - وكل ماحولنا غرائب - أن تفقد الحكومة السيطرة ، فتضطر هى نفسها إلى السير فى ذيل الاقتصاد اللامعقول . وقد كثرت الانتقادات التى وجهت إلى الحكومة بمناسبة الاجراءات الاقتصادية الأخيرة التى أريد بها تعويض العجز المفاجىء فى الموارد . أما الانطباع الذى بقى لدى العبد الفقير حين اطلع على هذه القرارات ثم لمس آثارها فهو أنها حاولت الجمع بين المعقول الذى يقبله أساتذة الاقتصاد واللامعقول الذى تمليه حالة المجتمع . ومعنى ذلك أنها جرت الى الوضع اللامعقول ، اى أنها أصيبت بالمرض العام ، دون أن تتبنى موقفا واضحا وصريحا فى معالجة اللامعقول بلا معقول مثله .

ولكى أوضح هذه الفكرة أشير إلى واقعتين اتفقتا لى ، بمحض الصدفة ، فى يومين متواليين :

فى اليوم الأول قمت بسداد أجرة الشقة التى اسكنها ، وفى الوقت نفسه جاءتنى فاتورة الكهرباء .

الشقة مكونة من خمس غرف وصالة



فسيحة ، وشرفة حولناها إلى غرفة ، وملحق بها جراج . أما الأجرة فتزيد قليلا على العشرين جنيها ، لم أحاول أن أحفظ قيمة الزيادة ، مع أنى ادفعها كل شهر منذ سنين كثيرة ، لهوان الاجرة كلها بالقياس إلى مطالب الحياة الأخرى .

وأما فاتورة الكهرباء فكانت بالضبط ستة وعشرين جنيها وثمانين قرشا . وقبل سنة تقريبا كنا ندفع اثنى عشر جنيها أو قريبا من ذلك . إذن فقد سايرت الدولة نظام الاقتصاد اللامعقول فرفعت ثمن الكهرباء بمقدار مائة فى المائة أو اكثر ، بينما تعاملت وتصامت عن حقوق أصحاب البيوت ، فأصبح ايجار الشقة بكل مافيها أقل من ثمن الكهرباء !

فى اليوم الثانى حضرت مزادا على شاليهات (غرفة وصالة أو غرفتان وصالة) فى إحدى القرى السياحية الجديدة راودنى أمل فى أن امتلك احد هذه الشاليهات ، وفكرت وقدرت ، بناء على قواعد الاقتصاد ، فخمنت أن ثمن الشاليه الكبير سيكون حوالى عشرين ألفا .

بعد قليل قررت أن أكون متفرجا فحسب . فقد سمعت أرقاما عجيبة تتطاير ببساطة من أفواه الناس . كان المكان شديد الزحام . لم تكف الكراسى التى وضعوها فبقى الكثيرون واقفين . وكانت هناك وجوه معروفة . يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، ووجوه أخرى غير معروفة ، ولكن كل الدلائل تدل على أنها أكثر رغدا .

اما الشىء الذى لم يكن يتصور فهو أن يبلغ ثمن الشاليه ثلاثة وخمسين ألفا ، تبلغ نحوا من خمسة وستين عندما تضاف إليها الضرائب والدلالة .

أعجبتنى هذه « الحركة » من شركة قطاع عام . فالحكومة غالبا لاتحسن استغلال الظروف . وعندما قارنت ماحدث فى ذلك اليوم بما حدث فى اليوم السابق قلت : حلال على الحكومة ! فهى فى هذه المرة لم تظلم أحدا ، هذا هو الحل اللامعقول لوضع لامعقول . لماذا لاتبيع الدولة ماء البحر ورمل الصحراء مضافا إليهما لمسة جمال وبعض أبهة واسم رنان مع أمتار قليلة من البناء مقابل أضعاف ثمنها الذى نحسبه نحن الأغبياء بطريقة ماركس ريكاردو آدم سمث ؟ أليس امتصاص أموال الطبقة الجديدة بهذه الطريقة أولى من تركها لتجار المخدرات وأصحاب الصالات ومروجى أفلام الفيديو الفاضحة ؟ وماذا يضيرنا ـ نحن الكادحين ـ من ذلك إذا كان لدينا مسكن يؤوينا طول العام ؟ لاأحسب أن أشد الاشتراكيين دجماطيقية يمكن أن يطالب بالمساواة فى فرص التصييف ، ولو كنا جادين حقا فى تطبيق الاشتراكية ، أو حتى أى قدر من العدالة الاجتماعية ، لعرفنا أنه لايمكن أن يتم بدون شروط ، ولايمكن أن يتم بمجرد الكلام ، وأن لدينا ـ حكومة وشعبا ـ من المشكلات ، التى نجم بعضها عن ممارسة سيئة ومفهوم خاطىء للاشتراكية ، مايجعل الحديث عن الاشتراكية فى الوقت الحاضر ترفا نظريا لاأكثر ولاأقل !

وشتان بين حلول لامعقولة لموقف لامعقول ، وبين مماحكات « نظرية » بعيدة عن الواقع ، بقدر تمسكها بالشعارات ، كالتى تدور فى هذه الأيام حول التعليم والدعم .

إن الموقف الصعب الذى صرنا إليه يتطلب نشاطا كبيرا ، مبتكرا ، غير تقليدى ، من جانب الشعب والحكومة كليهما ، دون أن يعتمد أحدهما على الآخر بالضرورة . وربما كان الحل اللامعقول هو أفضل الحلول .

فلتزرع الحكومة شواطئنا قرى سياحية للطبقة الجديدة . فهذه ـ فى النهاية ـ ثروة قومية ضخمة وليست ثروة لأصحابها فقط . ولنبحث ، ولنبحث معها ، نحن الحشاشين بلا حشيش ، عن تدابير لامعقولة أخرى يمكن أن تعيد شيئا من العقل إلى اقتصادنا المجنون .



بقلم: د. شريف حتاتة

اثناء الحديث مع الاخرين كثيرا ما نقول : « جاءتنى الفكرة فجاة » .. او « سقطت على هذه الفكرة من السماء » .. او « لا اعرف من اين جاءنى هذا الخاطر » .. وهذه الجمل المختلفة تعبر فى الواقع عن شىء واحد ، عن ظاهرة الافكار ، او الخواطر التى تصعد من منطقة اللاوعى الى الوعى ، وكانها تخترق الفاصل بينهما فجاة لتظهر الى النور ..

كان « فرويد » اول العلماء النفسيين الذى كشف عما يسمى بالعقل الباطن او اللاوعى .. وقد قدم بذلك مساهمة مهمة للغاية فى فهم مكونات النفس الانسانية ، ودوافعها والحالات المختلفة التى تطرا عليها .. ومع ذلك فان الحديث عن وجود اللاوعى امر يفتقد الى الدقة. فهو ليس الا اصطلاحا يقصد به وجود امكانيات للفكر ، وللفعل وللوعى فى نفس الانسان لم تستخدم او تستغل بعد .. انها امكانيات واعية ، ولكنها كامنة فى الاعماق ، او فى حالة بيات شتوى تنتظر الشرارة او الدفء الذى يطلقها .. تنتظر الحدث او الاحتياج ، او عملية التنقيب الداخل التى تقوم بها لاستكشاف واستخدام الافكار ، والتصورات المدفونة فى النفس انها طاقات ، وقدرات ، وخبرات مختزنة تنتظر الاشارة المناسبة لكى تظهر على السطح ، فيصبح الانسان واعيا بوجودها .. وهذه الطاقات والامكانيات الخفية التى لم تنتبه اليها هى احد المنابع

النهائية والاساسية لما يمكن أن نسميه بالابداع الحر.. وكأن في أعماق النفس كنزا ثمينا من آلاف الاشياء اختزنت فيه .. ثروة من المواد الخام ، تنتظر عملية الكشف والاستخراج من باطن العقل ..

البطل في رواية "كريمة"

هذا هو ما أخذت أتبينه منذ ان شرعت في كتابة روايتي الاولى « العين ذات الجفن المعدني » سنة ١٩٦٨ . وبالتدريج تطورت خبرتي في التعامل مع الطبقات «اللاواعية» للعقل .. ففي هذه الرواية الاولى مثلا ظللت أبحث عن الخط الاساسي الذي يمكن ان يحكم سياقها عدة شهور الى أن اهتديت اليه وهو تجربة القهر النفسي ، والانساني الذي يتعرض له السجين .. ومحاولة الاحاطة الانفصالية به ، وبالوسائل والاساليب التي يلجأ اليها للتغلب على هذا القهر .. ثم الدخول في أعماق عملية المقاومة بما يعترضها من حالات القوة والضعف .. فلما امسكت بطرف هذا الخيط .. (كرت معي البكرة) . وظللت اكتب كل ليلة دون انقطاع لمدة سنتين وكأني أنهل من (عين) في أغوار النفس لم أكن واعيا بوجودها من قبل ، ولا مدركا لما تحتوي عليه من امكانيات

ولكن من بين مختلف التجارب التي خضتها مع رواياتي تظل التجربة التي خضتها مع اللاوعي اثناء كتابة رواية «كريمة» ماثلة امامي بشكل خاص ، ربما لارتباطها بكثير من الاشياء الحميمة في النفس .. او لان عقلي نجح في تسجيلها مرحلة بعد مرحلة .. وكأنه يستعد لاستخدامها فيما بعد ..

وتتميز رواية (كريمة) بأنها تتعرض لعديد من القضايا التي تشغل بال العاملين في حقل السياسة من مفكري اليسار .. وأنها تتضمن ، ضمن بين ما تضمنته نقدا لبعض المظاهر الفكرية والسلوكية في حياة ونضال تيار اليسار الاشتراكي الذي انتمى اليه .. مظاهر مثل تفشي ما يمكن ان اسميه المنهج (النفعي) او « البراجماتي» في المواقف الشخصية والسياسات العامة للذين يتصدرون العمل في مختلف ميادين النشاط .. والجنوح الى الاهتمام بالاعتبارات التكتيكية دون ربطها بالاهداف أو المبادىء الاساسية ، بل وفي كثير من الاحيان على حسابها.. ذلك الجنوح الذي لا يستقيم مع المميزات البديهية التي ينبغي أن تشكل العامود الفقري لليسار الاشتراكي بوصفه تيارا يسعى الى بناء مجتمع تنقضي فيه كل صور الاستغلال ، والقهر ، والتفرقة .. كما تتضمن نقدا لمظاهر سلبية اخرى في النشاط السياسي لهذا التيار ومنها الافتقاد الى الصراحة الواجبة في مواجهة الاخطاء خصوصا اذا كانت صادرة من المستويات العليا المسئولة ، وتغليب العلاقات الشخصية على حساب العلاقات الجماعية السليمة .

ويدور صراع في الرواية بين البطل ، وهو شاعر يدعى «حمدان» وبين الجماعة التي


سيجموند فرويد

البداية وتجربة في الوعي الباطني

يعيش مع افرادها داخل معتقل في قلب الصحراء .. وفي هذا الصراع ينضم اليه شاب ، وامرأة اسمها (كريمة) هي ابنة قائد المعتقل الذي اقامته السلطات على مقربة من طريق الاربعين المتجه جنوبا الى السودان على بعد قليل من الواحات البحرية (الفرافرا ، وباريس) ..

وخلال الفترة السابقة على كتابة هذه الرواية كنت نشعر بالغضب والاستياء من تلك الظاهر السلبية نتيجة مشاركتي في بعض الانشطة السياسية التي جعلتني المسها من قرب .. وعندما شرعت في كتابتها وجدتني أختار شخصية الشاعر ليكون بطلها دون أن أعي الأسباب هذا الاختيار بالتحديد .. فالشاعر شخص ذو تركيبة نفسية خاصة .. الشعور عنده قوي ، وعميق .. الحب ، والكراهية ، والغضب ، والانتماء مسائل تلعب دورا مميزا في حياته .. انه يميل الى التطرف والى الاطلاق في احكامه ، ولا يقبل بالحلول الوسط ، أو المساومات ■

وهكذا صورته في الفصل الاول تعرضت لطفولته ، وشبابه ، ثم للحادثة التي قبض عليه ، ونفيه في الصحراء بسبب الاشعار التي كان يلقيها في « الشوارع ، والجوامع ، والميادين » وتعرضت للعوامل التي دخلت في تكوينه منذ سنه المبكرة ، وعلاقته بأبيه ، وتحمله مسئولية أسرة بعد وفاة الرجل الذي ورث منه الكبرياء والصلابة ، وحب النغم الجميل والشاعرية في لغة القرآن ■

في هذه المرحلة المبكرة من الرواية أخذت تتجسد المعالم الاساسية لهذه الشخصية دون أن أدرك الدوافع التي جعلتني اختارها بالذات ، فلم يكن لها مثيل ، أو حتى شبه في اى رواية من رواياتي السابقة .. وجدتها تكاد ترسم نفسها بنفسها ، وكأنها تعد للقيام بالدور الذي يستجيب للاحاسيس التي سيطرت علي وخلقت عندي حالة نفسية تتسم بقدر كبير من السخط ، والغضب على الظاهر السلبية التي لعبت ، ولا زالت تلعب دورها في عرقلة تقدم ، ونجاح التيار الاشتراكي ..

كنت أعاني شعورا من الاحباط في المجالين الشخصي ، والعام إزاء نواحي القصور في نشاطنا ، وكأننا مصابون بمرض عضال استعصى على العلاج .. فتولد من كل ذلك تلك الشخصية الرومانسية للشاعر التي تتجسد فيها مميزات نحن في حاجة اليها للخروج من الردة التي وقعت فيها البلاد ، ولتخطي الازمة التي تعاني منها قوى التقدم والاشتراكية منذ سنوات ■

انها شخصية رومانسية ولدت كاستجابة لكل شيء غالب في الحياة .. فيها ذلك الميل الغريزي الى المطلق الذي هو سمة من سمات الفن .. فالفن يرسم الاشياء بألوان قوية لا تساوم .. الفن نور كشاف .. قوة فاقدة للعيوب والادران التي نعاني منها في كل المجالات بما فيها التيار الاشتراكي لانه احدى الادوات الاساسية في تغيير المجتمع ، وتطويره .. قوة طليعية لها دور بارز في تحقيق التقدم .. والفن مارد متمرد في اعماق الانسان ضد الزيف ، والفشل ، واللامبالاة ، والطغيان .. ثائر يريد ان يبدل كل الاشياء ..

وهكذا أخذ يتصور في أعماقي ذلك البطل الذي احتاج اليه لاعادة ترتيب الحياة .. للتيقن من وجود قوى قادرة على ازاحة المثبطات .. أعطاء نموذج اريد أن أومن بوجوده حتى وان تنل

في يوم ما أومأت .. فالنموذج كالعدوى تتولد عنه عشرات من النماذج ** كالفن والخلق .. يولد قوى جديدة قادرة على الابداع .. هكذا صنعت الرجل الذى سيحقق ما اصبو اليه انا ، واتصوره واتطلع اليه بكل كيانى .. والذى سيقتل مع (كريمة) فى نهاية المطاف بمدفع رشاش يصوب اليهما وهما يهربان فى الصحراء من طائرة هليكوبتر استقلها ابو «كريمة» قائد المعتقل .. عقل جبار وقلب بلا مشاعر .. اداة من الادوات ** المستخدمة للقهر والسحق كالقضبان ، والقيود ، والدبابات المجنزرة ..

البطل .. وقود المأساة

صنعت البطل ** وفى النهاية قتلته كان يمكن ان ابقيه على قيد الحياة .. ولكن فى الزمان الذى نعيشه الان الابطال لا يبقون على قيد الحياة .. انهم يقتلون دائما بشكل او اخر .. لانهم نماذج تسرى كالعدوى وتتكرر .. لانهم خطيرون على ملوك المال .. والاستعمار على الظالمين فى كل مكان .. والبطل فى عصرنا هذا دائما ما يكون وقود المأساة . لذلك ينبغى له ان يحترق .. انه انسان يحلم بالغد .. وكثيرا ما يعجز عن تحقيق الاحلام .. ولكنه اذا مات يظل حيا فى الخيال .. عن طريق الذكرى .. او فى كتب التاريخ او فى رواية تستمد صورها من واقع الحياة .. انه يظل مصدرا للحب ، وللحماس ..

ومنذ هذه المرحلة المبكرة من الرواية لان «حمدان» كان رجلا ، وشاعرا ثائرا قادته خطواته الى المعتقل .. وحتى اللحظة التى هبط فيها من السيارة (الجيب) على ارض المعسكر المحاط بالاسلاك الشائكة ، بعد رحلة طويلة فى الصحراء لم اكن اعى الموضوع الاساسى للرواية ، ولا حتى مغزى الاحداث التى سار معها قلمى حتى الان .. كنت مدفوعا باحساس وبالتجارب المختزنة فى الاعماق .. تلك التجارب التى عشتها مرات ، ومرات حتى اصبحت قادرا على ان احياها من جديد بأدق التفاصيل .. لم اكن قد امسكت بخيوط القصة التى اكتبها ولم اكن قادرا على رؤية الطريق الذى يمتد امامى ** رغم احساسى بالرضى عما كتبته ، وكانه تفجر بتدفق دافق ، وتلقائية لاعلاقة لها بى سوى انى الوعاء الذى تفجرت فيه .. قلمى عبارة عن اداة مطيعة تجرى فوق الورق مدفوعة بتيار يأتى من اللاوعى ، من شحنة لا اعرف كنهها ، ولا الى اين ستقودنى .. ولكن بعد ان وصل (حمدان) الى المعتقل بدات اشعر بالقلق .. لماذا ادخلته فى المعتقل ؟ هل كان لا بد من ذلك ؟ هل ستفرض على تجربتى الطويلة فى السجن تكرار ما كتبته من قبل فى (العين ذات الجفن المعدنى) ولو حتى بصورة اخرى ، او من زوايا جديدة ؟

مرحلة القلق والصراع

قلت لنفسى : «لم لا ؟» .انه موضوع خصب أستطيع ان اكتبه عن معرفة ، لقد شكل جزءا اساسيا من تجربتى فى الحياة ، وتغلغلت الى كل ما فيه من اطوار ، وابعاد ، واعماق .. ولكن لم اكن راضيا عن هذا الكلام . ثمة صراع كان يدور بين عقلى الواعى ، وبين اشياء مدفونة فى الاعماق .. وعندما اعود الى تلك الليالى التى قضيتها سيرا على الاقدام حول شاطىء النيل فى الجيزة . احيا من جديد ذلك التناقض والقلق العميق الذى ظل يطاردنى طوال الساعات وكأننى انسان ممزق .. كائن منقسم على نفسه .. عقله الواعى يريد ان يسير فى اتجاه .. وعقله الباطن يقول له لا .. انك تهرب من شىء ما .. وكان ذلك الاحساس الباطنى هو مصدر القلق ، والمعاناة اللذين استوليا على تماما ..

وفجاة اخذت شخصيات اخرى تفرض نفسها على .. «كريمة» حبيبة الشاعر

الابداع وتجربة فى الوعى الباطنى

الاولى.. ثم «كريمة» حبيبته الثانية ، ابنة قائد المعتقل ..وقائد المعتقل نفسه ورجل السياسة (بيومى حسنين) . وكانتى احد الممثلين للدور الذى سيلعبونه على مسرح الرواية .. وفى هذا الصدد اذكر انه عندما انتهت وتقدمت بها الى احدى دور النشر كتب المستشار الذى انيط له بقراءتها تقريرا سلبيا اوصى فيه بعدم نشرها .. ومن بين ما قاله ان (هذه الطريقة فى الكتابة « يقصد وصف الشخصيات ، وماضيها قبل ادخالها فى صلب الاحداث المرتبطة بالرواية) اصبحت قديمة ، وعفى عليها الزمن .. (تساءلت آنذاك) وما زلت اتساءل .. هل توجد طريقة فى الكتابة الروائية عفى عليها الزمن ؟ .. ام ان الاشكال الفنية الروائية يمكن ان تتكرر، ولكن على مستوى اعلى يحددها العصر، والواقع الثقافى ، ومضمون القصة ؟.. أليس المهم فى كل ذلك هو مضمون الرواية ومدى النجاح فى صياغتها صياغة فنية مؤثرة .. ؟ ادركت انه ما زالت تسيطر الميول المدرسية عند عديد من النقاد وتدفعهم الى التمسك بالقوالب والتصنيفات الجامدة كمعيار للحكم على فنية الاعمال الروائية .

المهم انى وجدت نفسى بعد ذلك منهمكا فى رسم هذه الشخصيات الجديدة بطريقة تقترب من السرد التقريرى (وربما ؟) هذا السرد من الاشياء الاخرى التى طبق عليها السيد المستشار مقاييسه الجامدة منذ زمن بعيد) ..ثم اوصلتهما جميعا الى ارض المعتقل الذى اصبح بذلك ، ودون وعى مسبق منى ، معدا ليكون المسرح الذى ستدور فوقه الاحداث

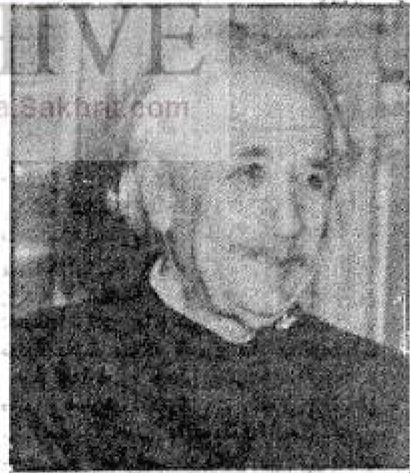
طوال هذه المرحلة الثانية ظل التفاعل قائما بين العقل الواعى والباطن كما هو الحال دائما فى كل عمل ابداعى .. ولكن كان يغلب عليه طابع التناقض ، والاضطراب ، والقلق الدائم .. كنت اعانى من احساس عميق بوجود تناقض ما ، لا استطيع ان احدده ولكنه قائم فى الاعماق ..

مرت عدة اسابيع ، وفى احدى ليالى شهر اغسطس كنت مستغرقا فى النوم بعد ان هدا ضجيج الشارع الذى اسكن فيه .. فتحت عينى فجاة واخذت احملق فى الظلام .. ذهنى يقظ تماما كانى نمت نوما طويلا ، ومريحا .. من اسفل العمارة تاتينى اصوات السيارات القليلة وشيئا آخر كالتنفس العميق للنائمين فى المدينة .. احسست انى احلق فى الصمت الذى يسبق الفجر دلفت الى الصالة .. اضات المصباح، وجلست على احد المقاعد ثم مددت ساقى فوق (الكليم) .. جاءتنى صورة للمعتقل الذى كنت افكر فيه طوال الاسابيع المنصرمة .. من حوله تلتف الاسلاك الشائكة تحول دون خروجنا من المساحة الضيقة التى نتحرك فيها .. ترمز الى الاحباط الذى اعانيه .. الى الحواجز التى تسد الرؤية ، وتمنعنا من الانطلاق نحو الافاق البعيدة .. وظلت هذه الفكرة تنمو ، متخطية الحاجز الذى يفصل بين التفكير الواعى والاحاسيس .. الى ان اصبحت كالضوء الباهر يضوىء حتى الاركان الدفينة .

ادركت فى تلك اللحظة انى اهتديت اخيرا الى مفتاح اللغز الذى ظل يحيرنى ... انى وصلت الى لب الموضوع الذى اريد ان اتناوله فى رواية كريمة . . تملكتنى راحة عميقة ، وكان الاتجاه

الاصيلة في نفسي وجدت طريقها .. أو ان ذاتي الحقيقية هي التي انتصرت على المنطق المدروس ، والحجج التي الجأ اليها لتفادي الحقيقة .. كان هذا هو جوهر الصراع الذي دار طوال الفترة السابقة بين احساس الباطني الغامض ، وبين العقل الواعي بحساباته ..

فأنا انسان جئت الى الادب بعد سنين طويلة من النضال السياسي .. أنا مؤمن بالعمل الجماعي ، بضرورة وجود حزب اشتراكي طليعي .. عقلي الواعي الذي صقلته التجارب والاحداث التي شهدتها منذ عهد فاروق والاستعمار الانجليزي ، والعمل المتواصل في اطار حزب سياسي له جذور قديمة .. عقلي الواعي هذا يقول لي إنه لا يجوز ان أتناول بالنقد العلني امام قراء رواية كريمة تلك الظاهـــر السلبية التي أعيشها في التيار السياسي الذي أنتمي اليه .. فالرجعية وابواقها لا يكفون ليل نهار من التقطيع في اللحم الحي للقوى التقدمية والاشتراكية أينما


اينشتين

وجدت .. وهي لا تترك فرصة للنيل منها دون أن تستغلهـــا الى أقصى حد ممكن بوســــــائل كثيرا ما تخلو من الخلق والمبادىء .. مـــــستفيدة في ذلك من امكانياتها الهائلة .. من مساندة الدوائر الاستعمارية العالمية . والصهيونية ، والمال ، والاجهـــزة القمعية ، ووسائل الاعلام العصرية .. بينما تيار الاشتراكية في البلاد ما زال يحـــاول الخروج من الحصار المفروض حوله .. فكيف يرتفع صوت علني ناقد من بين صفوفه ؟ ..

كانت كل هذه الاعتبارات كالغطاء الذي يضغط علي ، ويمنع الشيء الصاعد من التعبير عن نفسه .. ومع ذلك انتصرت الاحاسيس المدفونة في أعماق العقـــل الباطني .. انتصرت التجربة الطـــويلة المختزنة التي كانت تنتظر فرصتها للخروج الى المساحات المفتوحة .

ترى ما الذي حدث بالضبط في تلك اللحظات الحاسمة ؟

ان الرؤية الجديدة للمستقبل ، لا كشيء فرضته السلطات فقط وانمـــــا كرمز للحصار المفروض من التيار الاشتراكي نفسه حول ما يمكن ان أسميه «بقدرات الخيال الفكري» وآفاقه .. هذه الرؤية اخترقت الفـــــاصل بين باطن المخ ، « والادراك الواعي العلوي » ضد مقاومة عنيدة مصدرها الحجج العقلانية المنطقية التي كنت مؤمنا بها لحظـــة أن جلست لـــكتابة الرواية .. فدار الصراع بين « الوعي الباطني » ، و « الوعي العلوي » قبـــل أن تصعد التجربة الاصيلة التي تبحث عن منفذ لها الى المستويات الواعية للمخ ..

التناقض بين الوعي واللاوعي

ان عملية الاختراق من « اللاوعي » الى الوعي ليست مجرد انبثاق أو نمو لفكرة كامنة في الاعماق .. وهي ليست مجرد اتساع في نطاق الوعي .. انها معـــركة تدور بين ما يفكر فيه المبدع بمنطقه ، وعقله الواعي وبين رؤية تصارع لكي تولد

الابداع وتجربة فى الوعى الباطنى

.. وعندما رسمت المعالم الاساسية للشاعر « بطل رواية كريمة » كان « حمدان » هذا تجسيدا لرؤية تجاهد لكى تبحث الى الحياة والنور .. كان يمثل ذلك الجزء الباطنى المدفون فى اعماقى الذى يريد ان يخرج الى الوجود .. كان عليه أن يطلق الجدل الدائر بين الفنان والمنظر السياسى .. وحتى تكتمل الرؤية ، وتخرج بكل كيانها النابض الى النور ، أصبح من الحتم أن تتميز شخصية « حمدان » والطريق الذى اختاره بالدفاع عن الحق أينما وجد .. أن يكشف الزيف ، وضيق الافق فى كل مكان .. حتى عند أقرب الناس اليه .. فالصدق عند الفنان لا يمكن أن توضع له حدود .. أن تطبق معاييره عندما تتعلق المسألة بالاخرين .. أو بهيئات ومؤسسات لسنا مسئولين عنها ، أو عن تسيير أمورها .. ثم يتوقف عن تطبيقها أو يتركها تتجمد او تموت ، عندما يتناول التيار الفكرى او النضالى الذى كرس له عمره ..

ان كل عملية ابداع او خلق هى فى الوقت نفسه عملية تدمير لاشياء اخرى .. وفى التجربة التى هى موضوعنا كنت احطم فى داخلى تلك التحفظات القديمة والراسخة الى حد كبير ، والتى تقول انه ليس من حقى عندما اكتب رواية ان انقد ذلك التيار الذى انتمى اليه علانية امام جمهور القراء .. كنت احطم اشياء وافكارا راسخة فى ذهنى منذ ان دخلت سلوك الحركة الاشتراكية فى سنة ١٩٤٦ .. وكان هذا الصراع بين الاحساس الجديد الذى تولد فى اعماقى وبين الافكار المسيطرة على عقلى الواعى حتى ذلك الحين مصدر القلق الذى انتابنى طوال الاسابيع التى تبلورت اثناءها فكرة الرواية

ولحظة ان اكتملت الفكرة فى ذهنى زحف على احساس بالانسجام بين العقل، والشعور .. بين الجسم والروح ..وكاننى اصبحت انسانا متكاملا بعد ان كنت مجزءا ، مثخنا بالجروح .. واختلط الرضى بالنشوة ، كأنى طائر أحلق فوق المروج الجميلة

بدت كل الاشياء من حولى ، شديدة الشفافية والوضوح .. كأننى اكتسبت قدرات خارقة على رؤية الجمال ، والنفاذ الى اسراره .. وتحولت الالوان الباهتة فى شوارع المدينة فى احجارها ، وأسفلتها ، وكباريها العلوية ترتفع كالضلوع العارية لقفص كبير الى الوان نابضة قوية .. اختفى قبح الحوارى الضيقة ، بمياهها الآسنة ، وبيوتها القديمة .. أصبحت احيا لحظات من الكثافة الشعورية .. لم تكن للحالة التى استولت على أدنى علاقة بالشعور الذى ينتاب الانسان اثناء الحلم .. على العكس . . كانت قدرتى على الادراك الحسى بالاشياء ، والظاهر مضاعفة ..

ثمة ظاهرة اخرى لاحظتها عندما اتضحت الرؤية امامى ، وتحدد الصراع الاساسى الذى ستدور حوله الرواية ، هى ان اتضاح هذه الرؤية لم يكن وليد الصدفة .. ولم يأتنى بلا جهد ، أو ممارسة ارادية من جانبى .. بل كان جزءا من عملية متكاملة ، جزءا من جهد متصل، وتمسك ارادى بالوصول الى الهدف .. عملية بحث مستمرة ، وتفكير ، وتخيل، مرهقة للغاية .. وهذا يعنى ان الرؤية ، بمعنى صعود الفكرة من العقل الباطن الى الوعى لا تأتى بالصدفة من خارج المبدع .. انها ليست ذلك الوحى الذى

ما زال يتحدث عنه بعض الفنانين المؤمنين بكهنوت الفن ، وبالخرافة ... ان الرؤية تتولد من مناطق اللاوعى فى ارتباط وثيق بالموضوع الذى يبذل فيه الفنان جهدا متصلا ، وبالمحاولات المستمرة للوصول الى حل مناسب للمعضلة او المشكلة التى تشغله .. اى بمعنى آخر هى نتاج التزام ، واستغراق ، وعمل شاق ..

واخيرا فمن الملاحظ ان عملية الرؤية هذه عادة ما تحدث فى فترة ينتقل فيها الفنان من العمل الشاق الى حالة يعد فيها نفسه للراحة والاسترخاء الكامل .. تختار لنفسها تلك المرحلة الانتقالية التى تقع ما بين الجهد والاسترخاء .. تنبثق من الاعماق فى لحظة ليست بلحظة عمل مركزة ، ولا بلحظة راحة تامة .. وكان التركيز المستمر ، المكثف ، على المشكلة التى يفكر فيها ، والمحاولات التى لاتنقطع للوصول الى حل مناسب لها تساعده على الاقتراب من هذا الحل ، على اكتشاف الثغرة التى يمكن النفاذ منها ، او الفكرة الوليدة التى تصارع حتى تخرج من الاعماق الباطنة الى النور .. ولكنها تخرج خلال مسالك أخرى غير تلك التى كان يتوقعها .. وكان التركيز على جانب معين يؤدى الى نوع من الشد او التوتر الذى يغلق منافذه ويسدها ..

لذلك فان هذا الانبثاق للفكرة المحورية فى العمل الابداعى كثيرا ما يتعثر اذا ظل الكاتب منكبا على عمله ، مستغرقا فى الجهد ، عازفا عن الترويح عن نفسه واعطائها فرصة للراحة .. فهو عندئذ يكون فى الغالب مشغولا بفكرة غير تلك التى تحاول أن تخرج من تلقاء نفسها من الظلمات الى النور .. يسد عليها الطريق بالتركيز على الفكرة الراجية عليه ■ ■

.. فلابد من ازالة التوتر الذى يغلق منافذ المخ ، والذى يحول دون أن يصبح واعيا بطبقات المعرفة الاخرى المدفونة فى الاعماق ، او دون ان تصعد الى مستوى الوعى .. ومن هنا تلك الظاهرة المعروفة .. والتى تنبهت لها بوضوح .. ظاهرة تولد الفكرة المحورية « نتيجة تتابع فترات الراحة والجهد » ..

لقد تساءل « اينشتين » العالم الرياضى المشهور ومكتشف نظرية « النسبية » لماذا تأتيه احسن الافكار فى الصباح وهو يقوم بحلاقة ذقنه أمام المرآة فأجاب احد أصدقائه من الاطباء..

« لانك فى تلك اللحظة ترخى حبال التحكم ، والقيود المفروضة على المخ » ..

العقل المبدع فى حاجة الى السرحان .. الى التخيل .. الى ترك زورقه على الامواج الحالمة تقوده الى شاطىء المجهول. واثناء فترات الاسترخاء هذه تصعد الافكار من باطن المخ الواحدة تلو الاخرى كالفقاقيع الملونة .. ليتأملها العقل الواعى ، ويقلبها ، ويخضعها للتجربة السريعة .. ثم يطردها عندما تعجز فى حل العقدة .. ولكن فجأة من بين عشرات الافكار تتولد فكرة معينة ، او خاطر ، أو صورة .. شىء فى الادراك الحسى يقول :

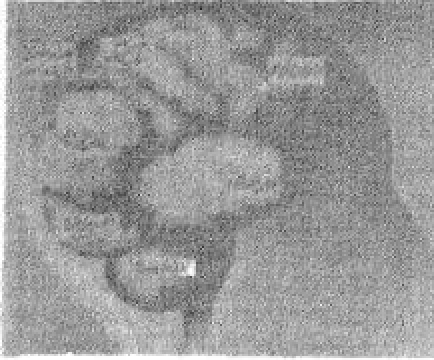
« حقا انها رائعة » .. ولا يعرف المبدع لماذا يأتيه هذا الاحساس بالنسبة الى هذه الفكرة او الصورة بالذات .. ولكن السبب يتضح بالتدريج .. انها تتسلل الى نسيج العمل لتستقيم كل الاشياء . ويكتشف انها تحقق الوظيفة التى افتقدها فى كل الافكار التى خرجت قبلها من مختلف طبقات المخ .

منذ اللحظة التى اتضح فيها محور الصراع فى رواية « كريمة » وتخلصت من كل تردد فى كشف ما اراه الحقيقة تفتحت فى أعماقى اشياء كثيرة ..انهارت سدود فى خضم التجربة الجديدة .. تجربة الكشف من اعماق فى الاخرين ، وفى نفسى كنت اخفيها .. فالمبدع ينبغى أن يتعلم كيف ينصت الى صوت الاشياء التى تضطرم فى اغواره البعيدة .

القدرة على الإبداع

[illegible] الابتكار وسيلة فكلما [illegible] على عنوان بحثي [illegible] الأفكار الى [illegible] على الابتكار الفردي أفضل من الابتكار الجماعي ؟ وهل يمكن أن يكون الابتكار هو نتيجة [illegible] تعليمية ؟

إعداد : إيمان عبدالله



هذه المجموعة من التساؤلات يجيب عليها هذا الموضوع الذي نشرته احدى المجلات العلمية من بحث وتجربة طبقت منذ سنوات قليلة في الولايات المتحدة . ففي مركز القيادة الابتكارية بمدينة جرينزبورو بولاية نورث كارولينا عقدت حلقة دراسية على مدى خمسة ايام تناولت اهتمام الانسان بتنمية الانتاج في العصر الحالي ثم ركزت على امكان الابتكار في مجال الانتاج . ويعد مركز القيادة الابتكارية احد ست مدارس على الاقل داخل الولايات المتحدة تهتم بتعليم رجال الاعمال كيفية الابتكار اى كيفية ابداع افكار جديدة ثم الاستفادة منها وتنفيذها كلما امكن ذلك . فاعتمادا على مجموعة من الابحاث الحديثة يؤمن العديد من علماء السلوك بان القدرة النادرة على الابتكار امر يمكن تعلمه ، اى ان القدرة الابداعية عند الافراد شيء مكتسب وليس وليد الفطرة . في هذا الصدد يقول العالم النفسي « هاورد جاردنر » : « لكي تصبح مبتكرا يجب أن تكون لديك الرغبة في ركوب الصعاب ، وفي العمل بمفردك حتى تكون متميزا لا مسايرا للركب . ان تفردك وقدرتك على أن تكون نموذجا فذا امر اساسي وضروري » ان القول الشائع بان الابتكار ينتج عن الجانب الايمن من المخ لا اساس له من الصحة بل انه مجرد سوء تفسير للبحث الذي قام به العالم « روجر سبيري » الحائز على جائزة نوبل والذي اشار الى أن الجانب الايسر للمخ هو الاكثر فاعلية عند الحديث أو الكتابة او حل المسائل باسلوب منطقي بينما تتلخص اهمية الجانب الايمن في معرفة الوجوه وتحديد الاماكن . وتؤكد العالمة « جيري ليفي » التي أجرت سلسلة من الابحاث عن اختصاصات جانبي المخ على عدم وجود اى دليل مادي يشير الى ان الابتكار ينشأ من منطقة معينة في المخ فالابتكار كما تراه هو نتيجة لكم غير عادي من اتصالات المخ المتشابكة والمعقدة وهو وسيلة يمكن تنميتها عند الاطفال منذ الصغر عن طريق القراءة على سبيل المثال ، وترى العالمة « جيري ليفي » ان الجانب الايمن من المخ مسئول عن ترجمة الاحرف المسموعة الى صور مرئية ، ثم يقوم الجانب الايسر بادراك المعنى مما يدل على أن الخبرة ايضا وليست الجينات فقط قادرة على ايجاد اتصالات المخ المعقدة . ورغم ضرورة تمتع الفرد بمعدلات ذكاء طبيعية او فوق العادة لتحقيق الابتكار فان العبقرية او الذكاء الخارق لا يفيدان في هذه الحالة . ان تعلم كيفية الابتكار يتطلب منا تحويل ادراكنا للابتكار من انه هبة العبقرية الى انه نتاج طبيعي للعملية التعليمية .

أسس الابتكار

ان افضل ماتقوم به من اسس الابتكار ، هو تجربة عملية الابتكار وبحقق البعض

القدرة على الإبداع

وذلك عن طريق أمثلة بسيطة مثل اتاحة الفرص للمشتركين لاطلاق الطائرات الورقية في الفضاء وتأملها او صنع نماذج نحتية من الخردة وان كانت هناك ندوات اكثر تعقيدا تتيح فرصا مشابهة لبيئات رجال الاعمال تتضمن برامج كمبيوتر وتدريبات لحل المسائل المعقدة .. الخ . التي تنفق ملايين الدولارات سنويا في مجال التنمية والبحث ولن تتردد في تحمل التكلفة لثقتها بان الافكار التي ستطرح ، ستكون بالفعل افكارا مبتكرة ستدر عليها ارباحا طائلة .

والآن نستعرض نموذجا لاحد التجارب التي اجريت في مركز القيادة الابتكارية الذي يدرب رجال الاعمال على الابتكار . في داخل ثلاث حجرات صغيرة متجاورة تجلس ثلاث مجموعات خماسية العدد كل مجموعة حول مائدة صغيرة . طريقة جلوسهم تبدو غريبة لا توحي بانها تجربة لابتكار افكار جديدة . ووضعت على كل مائدة مجموعة من أقلام الرصاص والاوراق وقدمت لكل مجموعة مشكلة مختلفة وطلب من افرادها ابتكار اكبر عدد ممكن من الحلول الجديدة . وكانت المشكلة التي طرحت على احدى المجموعات هي كيفية امكان استغلال اللباد المتخلف من صناعة كرات التنس على افضل وجه ممكن ؟

وتجدر الاشارة الى ان الهدف الرئيسي من هذا التدريب هو توضيح الفرق بين الافكار التي يبتكرها الافراد وتلك التي تتوصل اليها المجموعة .

في البداية ظل افراد المجموعة يعملون كل بمفرده لمدة ١٥ دقيقة ويدونون اكبر عدد ممكن من الافكار وهذه المرحلة تعرف باسم مرحلة تدوين افكار الذهن . وفي اثناء الخمس عشرة دقيقة التالية عرض كل منهم الافكار التي دونها وتناقشوا فيها جميعا .

اختلاف في الرأي

مازال علماء النفس الذين يدرسون قدرة الفرد على الابتكار يختلفون في رأيهم عما اذا كانت افضل الافكار الجديدة والمبتكرة تصدر من الافراد أم من الجماعات بعض منهم يؤيد اتجاه الافراد بينما يرى الاخرون أن الجماعة تقدم افكارا افضل اعتمادا على ان الافراد كمجموعة يمتلكون مزيدا من المعلومات وأن مناقشات الجماعة قد تؤدي الى التقدم واتخاذ القرارات ومن ثم التوصل للتفكير الخلاق . وبتطبيق وجهتي النظر على التجربة السابقة نجد أن الاقتراحات التي نتجت عن تدوين افكار الذهن شملت امكان الاستفادة من اللباد المتخلف في صناعات حشو الاثاث أو ألعاب الاطفال او استخدامه كطبقة مغلفة لصناديق الميداليات او الهدايا التذكارية وبالمقارنة فان الافكار التي نتجت عن مرحلة التنشيط الذهني الجماعي كانت مبتكرة مثل استخدام اللباد كوسيلة لتنقية الاصوات في الصندوق الاجوف لبعض الالات الموسيقية او استخدامه لصنع الفتيل او مواد امتصاص بقع الزيت . ويقول إحد علماء النفس الذين اشرفوا على التجربة السابقة في المحاضرة التي تلت التدريب ، ان الاساليب المبتكرة التي نستخدمها ، تؤثر على نوعية الحلول التي نحصل عليها فقد أوضحت الابحاث أن مرحلة تدوين افكار الذهن تصلح لتقديم الحلول القصيرة الاجل التي يمكن تنفيذها خلال عام ، لانها تشتمل على أفكار تقليدية ، بينما تنتج عند مرحلة التنشيط الذهني الجماعي افكار مبتكرة يمكن تطبيقها خلال ثلاث سنوات .

ومن خلال الابحاث توصل العلماء لاسلوب ثالث من اساليب الابتكار يتمثل في جمع افراد المجموعة معا ، وعرض صور مختلفة عليهم بشرط ان تثير ردود فعل انفعالية مثل صورة للارض التي غطتها الاقمار الصناعية ، وقد ظهر أن هذه الصور ستجعل الافراد يدركون المشكلة التي

يتناولونها بأسلوب مختلف مما يساعدهم على ابتكار الحلول الخلاقة ويصلح هذا الاسلوب للتخطيط الطويل المدى .

وهناك تجربة اخرى أجريت فى مركز القيادة الابتكارية حيث جلس المشتركون جميعا حول مائدة على شكل حرف « V » فى حجرة كبيرة كان يتدلى من سقفها شريطان . طلب المدرب من افراد المجموعة ايجاد وسيلة لالتقاء طرفى الشريطين ، وسرعان ما ادرك الافراد أن النهايتين بعيدتان عن بعضهما ، بحيث يصعب ربطهما معا ، واقترح شخص ربط ثقل بطرف الشريطين لاطالتهما وحاول اخر ربط حزامه فى أحد الشريطين واقترح ثالث التقريب من موقع الشريطين من الاساس . يقول المشرف على التجربة ان اسلوب تحديد المشكلة يؤثر كثيرا على اسلوب الحل ، فبعض الافراد يحددون المشكلة ويسعون لاضافة نوع من التعديل عليها ، اى انهم مسلمون بوجود حدود معينة ، ففى المثال السابق يقترح البعض اطالة طول الشريطين بأسلوب ما حتى يسهل التقاؤهما ، اما الاشخاص المبتكرون فيفكرون جيدا فى المشكلة ويقترحون التقريب بين الشريطين . ان المبتكرين ليست لديهم قدرة ابداعية أكثر من المعدلين ولكن أسلوبهم مختلف .

ويرى المشرف انه من الافضل عند تكوين فريق ابتكارى ، أن يشمل المعدلين والمبدعين معا ، لانهم سيوضحون المشكلة ويعيدون تحديدها بأساليب مختلفة ومن خلال هذا التنوع ، تبرز الرغبة فى البحث عن حل للمشكلة ، والتوصل الى الحلول غير المألوفة التى تشغل الافكار البراقة . وعندما طبق هذا الاسلوب تمكن مجموعة من الباحثين فى احدى المؤسسات من الخروج على المألوف وتطوير نوع جديد من آلات تصوير الورق الملون .

ويقول رئيس الابحاث فى هذه المؤسسة ان قسم التصوير بدأ على هيئة مجموعة صغيرة تشكلت لابتكار مصدر الضوء داخل ورق التصوير نفسه ، ثم استأجرت المجموعة مركز القيادة الابتكارية لعقد سلسلة من الندوات ، ونتيجة للتدريب المتواصل تمكن الفريق من ابتكار وتطوير عملية التصوير .

ومن المؤكد ان حاسة الابتكار لا تنشأ من فراغ ، فشخصية الفرد وحساسيته يؤثران كثيرا على قدراته ، وهذا ما ادركه مجموعة من مهندسي الكمبيوتر فى احدى الشركات ، حيث استعانوا بمجموعة من الشباب حديثى التخرج ولديهم حافز قوى للعمل والابتكار واشركوهم فى مشروع لتطوير جهاز كمبيوتر والذى أشار اليه «تراسى كيدار» فى كتابه الذى حصل عنه على جائزة « نوبل » وكان يحمل اسم « روح الالة الجديدة » لقد قبل الشباب الحصول على اجر ضئيل والعمل طوال أيام الاسبوع وبالفعل نجحت الفكرة والمشروع معا .

ان على المديرين فى أى مجال للعمل تبنى وتشجيع الرغبات الداخلية من أجل ايجاد روح الابتكار بين العاملين .

ففى بحث اجرى على مجموعة من العاملين اشارت النتائج الى ان العوائق التى يواجهونها تتمثل فى القيود التى تفرض عليهم لتحديد نوعية العمل الذى يقومون به وكيفية ادائهم له ، وهم يرون أن اعطاءهم الحرية واتاحة الفرص أمامهم لمناقشة وتطوير افكارهم سيكون له تأثير مذهل ، لقد قامت احدى المؤسسات الامريكية منذ سبع سنوات بالخطوة الاولى لانشاء أول مكتب للافكار البراقة يعرض فيه العاملون مقترحاتهم من المنتجات او الابتكارات الجديدة . وتتلقى هذه المؤسسة مئات من الافكار سنويا ، ماكان يمكن ان تتوصل اليها بدون استخدام هذا الاسلوب ، ويتم تنفيذ مابين ٣ الى ٤٪ من هذه الافكار وهى نسبة عالية بالطبع .

ان هذه التجربة الامريكية الفريدة تقبل التطبيق فى كل مكان وزمان فالعقل البشرى لن يتوقف عن الابتكار ، ولكن اتاحة الفرص للمبتكرين ينقل الابتكار من حيز النظرية الى مجال التطبيق العملى ونأمل ان يأتى اليوم الذى نتمكن فيه من انشاء المدارس لتعليم الصغار فن الابتكار منذ الطفولة .



لغويات

● ظل العقاد الى اخر حياته يستعمل فى كتابته كلمة"لاجرم" بفتح الجيم والراء ورايت بعض الادباء الشبان يسخر من هذه الكلمة "الرجعية" ولا يوجد الآن من يستعملها . حتى الذين يعرفونها لا يستعملونها حتى لا يسخر منهم الادباء الشبان الذين لا يكاد الواحد منهم يقيم لسانه .. ويقال "لا جرم" بالتشكيل الذى ذكرناه ، اى لا محالة ولابد ، او بمعنى القسم على الشىء ورحم الله العقاد !

● والجرم ـ بكسر الجيم وتسكين الراء ـ هو احد الأجرام الفلكية فى السماء ، وقد سمعت بعض الادباء فى الاذاعة او التليفزيون يسميه "الجرم" بضم الجيم ، اى "الجريمة" .. والفرق بينهما هائل . ولكن بعض الادباء لا يعلمون !.

● والجارم ، هو المجرم ، وهو ايضا الذى يكتسب شيئا ، او يتم شيئا ، او يجنى التمر من النخل . وكان الشاعر المرحوم على الجارم ، ينفى عن نفسه معنى المجرم الذى يحمله اسمه ، ويقول : اللغة واسعة ، وانا اضع نفسى منها حيث احب .

● فى السينما يسمون الفنان الذى يدير العمل الفنى كله "المخرج" وقد حاول بعضهم ان يجد لفظا آخر ترجمة للكلمة الافرنجية ، فلم يستطيعوا .. والحقيقة ان كلمة "المخرج" هى الكلمة المناسبة ، فان الذى يخرج العمل هو الذى يجعله ضروبا والوانا . وهذا هو عمل المخرج فى السينما والمسرح والتليفزيون .

● ومن الاخطاء الشائعة قولهم : فلان تخرج من كلية كذا .. لأن معنى "تخرج" تعلم وتدرب .. وفلان هذا تعلم وتدرب فى الكلية ، لا من الكلية ، وقد تخرج على أيدى المدرسين فى الكلية او المعهد ، فهو متخرج وخريج .. والصواب ان يقال : فلان تخرج فى معهد كذا او مدرسة كذا الخ ..

● تكثر هذه الايام كلمة "الخيار" فيقال "الخيار الأردنى" والخيار الفلسطينى الخ .. ويختلط الأمر على بعض الناس بين الخيار وهو النبات المعروف الذى يأكلونه ، والخيار الذى هو اصطلاح سياسى ، ولهذا يفرقون بينهما بكسر الخاء فى الخيار المأكول ، وفتحها فى الخيار السياسى ، وهذا خطأ فإن الخاء فيهما معاً مكسورة ، ولا فرق فى نطق الكلمة بين الخيار السياسى والخيار المعروض عند بائع الخضروات



٥ يونيو

أثار مقال الدكتور فؤاد زكريا حول « ٥ يونيو فى فكرنا السياسى » ردود فعل واسعة ٠٠ مما يؤكد أن مناقشة دروس الهزيمة وأسبابها مازال أمراً حيويا ٠٠ فمن الحقائق المؤلمة أننا لم نتعلم كما ينبغى مما جرى عام ١٩٤٨ ، ولم نتوقف طـــويلا أمام ما وقع عام ١٩٥٦ ، واكتفينا بما حققناه من نصر سياسى فى حرب السويس ، وأرضانا ان اسرائيل لم تشترك فى هذه الحرب الا بعد حصولها على وثيقة تضمن أشتراك القوات البريطانية والفرنسية معها ، وعلى تعهد بأن يحمى ســلاح الجو الفرنسى والبريطانى أجواء اسرائيل ! ٠٠

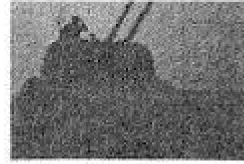
فاذا كانت هزيمة اسبرطة هى التى أدت الى تحقيق نصرها على أثينا ، واذا كانت هزيمة القوات البريطانية فى دنكرك هى التى حفزتها على انتزاع النصر فى الحرب العالمية الثانية ، ولعبت ذات الدور هزيمة القوات الأمريكية فى بيرل هاربر والهجوم الصاعق الذى شنه الالمان على الاتحاد السوفييتى ، فقد حدثت مصر أبعاد ما جرى فى ٥ يونيو وكانت حرب اكتوبر التى أخذت مساراً مختلفـــاً عن حرب ١٩٦٧ ، وجاءت النتيجة مختلفة ٠٠

وبقيت القضية حية ساخنة وجاءت تعليقات كبار الكتاب تعكس مواقف فكرية متباينة ، وتنشر الهلال هذه التعليقات كجزء من الحوار الذى ننشده فى قضايانا القومية الكبرى ٠

وما نحرص على تسجيله هنا ٠٠

أن معركة يونيو ١٩٦٧ لم تكن معركة نظـام حكم بذاته ، وانما كانت معركة من أجل الوطن ومستقبله ، وفى حيـــاة الافراد والامم كثيرا ما تقع أحداث جسام ، تتحدد نتائجها بطريقة مواجهتها ، وهل تقعد الافراد والمجتمعات ، وتصـــيبهم بالجزع وتفقدهم التوازن ، أم يأخذون منها الدروس والعبر ، التى تساهم فى اكمال الطريق ٠٠

ومما لا شك فيه أن مسئولية ما وقع فى ٥ يونيو يقع على الجميع ٠٠ وعلى الجميع أيضا مسئولية استخلاص دروسها وعدم تكرارها ٠٠

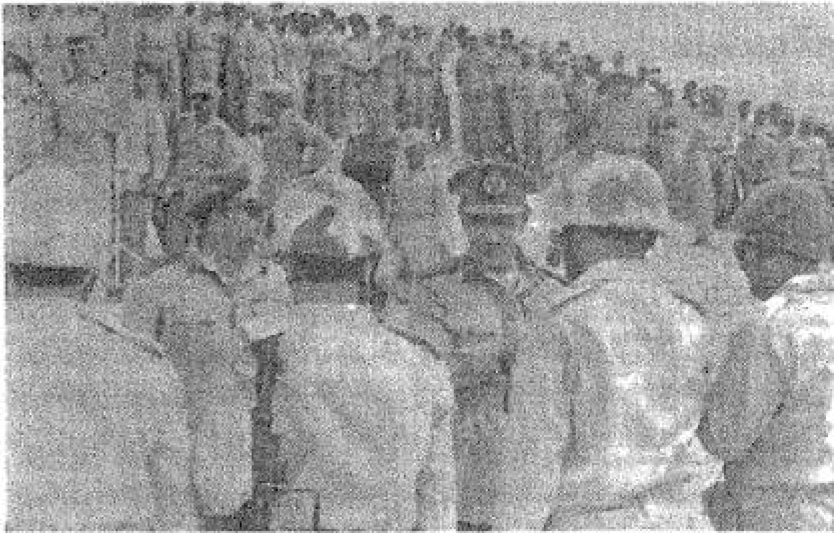


٥ يونيو

هزيمة ٥ يونيو وملحقاتها

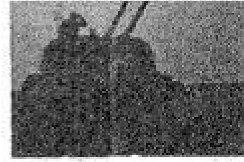
بقلم : فتحي رضوان

لقد سررت ايما سرور بالرد او التعليق على مقال الاستاذ الفاضل الدكتور فؤاد زكريا حول التفاسير المختلفة لهزيمة ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ . ذلك لانى لبثت احقابا استمع الكلام حول هذه الهزيمة . وكان لكل كلام اسلوب ومنهج وكان لكل كلام غايته وهدفه . وكان لكل كلام حافز ودافع . والحق اننى اول الأمر ساءنى هذا الكم الهائل من التعليق والتفسير . على واقعة - فى رأيى - واضحة الحدود بينة المعالم - وان جاءت ثمرة اكوام من الاحداث القريبة غاية القرب . والبعيدة اقصى البعد . فقد بدا ان هذا الفيض المتدفق من الكلام حول هزيمة ٥ من يونيو . ليست الغاية منه الرغبة فى تقصى الحقائق المتصلة بهذا الحدث الضخم . والغوص الى أعماق عناصره . والتوق الى كشف كل اسراره . بفرط من الحب لمصر . ولشدة الألم للهزيمة . وانما الباعث الحقيقى لكل ماقيل وكتب . هو يجاوز الهزيمة واسبابها ونتائجها الى شىء آخر يقض مضجع أكثر المشاركين فيما يبدو انه بحث ودراسة . وتعليق وتفسير . تلك هى ثورة سنة ١٩٥٢ . فهى عند الكثيرين غول كاسر . ذو انياب واظلاف . وانه التهم الكثير مما كانوا يعتزون به . ويحرصون عليه . وانه سياكل اشياء اخرى عزيزة وغالية . مالم يحيطوا به . ويضيقوا عليه . ويتهمونه بكل المقالب . وينسبون اليه كل المصائب .



فالاحزاب القديمة التى كانت تنظر الى المستقبل القريب نظرة الطمأنينة والتفاؤل . على اختلاف اسمائها ، هى فى الواقع بالنسبة لثورة ٢٣ يوليو حزب واحد ، وهى كذلك بالنسبة للاحتلال البريطانى ، وهى نفس الشىء لتاريخ مصر السياسى وإن كان بعضها قد استأثر بأغلبية انتخابية ضخمة ، وان كانت الاحزاب الاخرى قد اطمأنت الى قلتها ورحبت بها ، لانها كانت توفر لها من المزايا والمنافع ، والسلطة والنفوذ ، مثلما وفرت الأغلبية لحزب الأغلبية ، وربما اكثر مما وفرت لهذا الحزب . فالاغلبية فى بلاد الأحزاب والانتخابات السليمة ، توفر لحزب الأغلبية مدة فى الحكم أطول ، وقدرة على التغيير أعظم ، وتأثيرا على الافكار والميول اكبر ، فى حين أن أحزاب الاقلية فى مصر ، تعمر فى الحكم مدة أطول من حزب الأغلبية وهى أثيرة عند أصحاب السلطة الحقيقية فى البلاد ونعنى الانجليز والملك اكثر من حزب الاكثرية ، وفى نهاية الأمر مامن حدث اكبر يقع فى البلاد الا وتدعى أحزاب الاقلية لتساهم فى معالجة هذا الحدث وابداء الراى فيه ، على قدم المساواة مع ممثلى حزب الكثرة ، ففى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ مثلا دعى زعماء الاقلية مع زعيم الاغلبية ، وكان لهم صوت مسموع ورأى معلن مثل ماكان لزعيم حزب الكثرة هذه . كذلك دعى زعماء احزاب الاقلية ليساهموا فى تشكيل لجنة المفاوضات حتى ممثل حزب الاتحاد الذى كان قد انقضى على انفضاض اعضائه وغلق داره وجريدته وفشله المستمر فى أن يكون له نائب واحد ، حتى ليذكرنا اليوم حزب الأمة فى القاهرة بحزب الاتحاد الذى وسد التراب عقب ولادته بقليل .

ولذلك فثورة سنة ١٩٥٢ كريهة جدا الى قلوب زعماء الاحزاب التى سدت ثورة ٢٣ يوليو ابواب رزقها ، كما سدت طريق حياتها ، فلم يعد لها وجود ، ولا أمل فى المستقبل حتى بعد أن أجهضت هذه



٥ يونيو

الثورة على يد انور السادات . وقد جرى على نهج الكراهية ابناء زعماء هذه الثورة وأحفادهم وأصهارهم وتابعوهم من خدم وحشم وكتاب وموظفين فى الحكومة والشركات فقد كانوا يكسبون الكثير من اتصالهم بتلك الأحزاب سواء كانت فى الحكم أو كانت خارجه . اذ احترم اتباع تلك الاحزاب جميعا معاهدة غير مكتوبة ولا موثقة موادها لتخدم بعضها بعضا عند اتباع الاحزاب ، ونحن فى الحكم او انتم فيه فتلك الأيام يداولها الله بين الناس . فان وصلتمونا ونحن خارج الحكم ، وصلناكم ونحن فيه . وقد قال الناس جميعا أمين . وهناك مجموعة أخرى من خصوم الثورة الأوفياء . وهى تضم كل من أصابه ضر سواء بأخذ أرضه الزراعية . أو بوضعه تحت الحراسة . أو بإيداعه فى معتقل ، أو فى تقديمه لمحاكمة ، أو بحصول شىء من هذا ، لأحد ابنائه أو زواج بناته ، أو عائلة كان يكسب منها . وبعض الناس كان يتصور أنه يتمتع بسلطة أو مال أو جاه ، وضيعته الثورة فراح يشكو ادعاءً للوجاهة المستجلبة ، حتى صدق نفسه ، فأصبح خصماً لدوداً للثورة وأعرف رجلاً فقيراً لم تأخذ منه الثورة ولا سهما من قيراط من فدان كان دائم الشكوى من الاصلاح الزراعى الذى أضر بالبلاد . والذى لم يقرره ضباط الثورة لاصلاح ولا لحب الفقراء وانما خلقا لفرصة للسلب والنهب ، وقد سلبوا بالفعل ونهبوا حتى كانوا يتقيئون الفلوس تقيؤا هكذا كانوا يقولون .

أما الطبقة المتوسطة من الاطباء والمحامين والمحاسبين والمدرسين والصحفيين ، فقد كرهوا الثورة لعلل كثيرة بعضهم رأى ان الثورة قد فتحت الابواب لامثالهم فجعلت بعضهم وزراء وأخرين سفراء وفريقاً ثالثا من رؤساء مجالس الادارات وفريقاً رابعاً كانوا ضباطا فاصبحوا أصحاب سلطة ونفوذ لمجرد كونهم ضباطا سابقين .

وبقى هؤلاء المدنيون فى اماكنهم أو تحسنت أحوالهم قليلا ، ولكن ليس بالقدر الذى يعتقدون أنهم يستحقون مع انهم اذكى وأقدر وأعلم ممن سطع نجمهم وعلا صيتهم وربما يكون غضبهم قد اثير لبعض أمور ، رأوا أن الثورة أخطأت فيها ، فأصبح لديهم مايقولونه حبا فى المصلحة العامة ، حرصا على خير البلاد . والواقع أن كراهيتهم للثورة سبقت كشف هذه الاخطاء .

وهناك فريق أخير يكاد يكون من المرضى فهو محافظ لغير مصلحة شخصية هو محافظ بالمولد والطبيعة . فهو حزين لأن الملك فاروق عزل ، حزين لأن باشوات زمان كانوا مخلوقين وزراء وكانت ملابسهم وربطات أعناقهم تؤكد أن الوزارة رسمت لهم ، فى حين أن هلافيت هذه الأيام الذين يصلون الى الوزارة والسفارة ، تنقصهم الوجاهة . ويعيبهم قلة الوزن ، وصغر الكرش وضمور الوجوه او امتلاؤها ولكن بغير المقاييس التى ترضى عنها هذه الجماعات التى تحب كل

قديم وهم لايتذكرون علم مصر الاخضر حتى يبكوا ولم يروا صورة فريق ذى شوارب مثل عثمان باشا المهدى حتى ينتخبوا هؤلاء لم يكفوا عن التحدث عن الثورة الا باعتبارها لعب عيال وان (عبد الناصر وزملاءه) لا فى العير ولا فى النفير ولكن الخطأ خطأ فاروق لأنه بعد أن عرف الضباط الاحرار وكان يعرفهم جيدا ـ لم يشنقهم فى ميدان العتبة الخضراء ويريح البلاد مما فعلوا ومما سيفعلون والعياذ بالله العظيم .

هؤلاء جميعا سرتهم ـ فى الواقع ـ هزيمة ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ وان كانوا قد اهتبلوها اى انتهزوها ، ليلطموا الخدود ، ويشقوا الجيوب لانها فرصة لا يضيعها عاقل ، ليؤكد بطريقة علمية ، ان هزيمة مصر فى ذلك اليوم امر راجع لأشياء خطيرة ورهيبة يجب ان تضع اليد عليها ، حتى لا تتكرر الهزيمة من جهة ، ولكيلا يقوم نظام شبيه بالنظام الذى قاد مصر والعرب الى هذه الهزيمة المنكرة ، ولكيلا تقوم ثورة مشابهة لهذه الثورة التعسة التى الحقت بنا هذا العار الذى سيبقى عالقا بشرفنا حتى يوم القيامة .

وكل هذه الردود ، هى ردود فعل انسانية ، ليس فيها شىء غريب ، فهزيمة ٥ من يونيو لم تكن هزيمة عادية من أى جانب . فهى من ناحية الحجم والضخامة ، كانت هزيمة منكرة بالمعنى الحرفى لهذا اللفظ فقد تمت فى وقت قصير عالمياً ، فالتاريخ الحديث والقديم لم يشهد حرباً جارفة وصاعقة وخاطفة كهذه الهزيمة ، وان كانت الهزائم الفرنسية امام الجيش الالمانى الهتلرى ، كانت بهذا المقدار من الفداحة وربما اكثر لو أدخلنا فى حسابنا ماضى الجيش الفرنسى القريب فى الانتصارات وحسن استعداده وتمتعه بالقواد العظام الذين ابلوا بلاء حسنا فى مواقع ذات صيت بعيد واثر عظيم .

وقد كانت ايضا هزيمة بالغة الفداحة لانها جاءت حلقة فى سلسلة من الاحداث شاركت فيها مصر الثورة ومصر الدولة ، حتى اصبح كل مايصدر فى مصر خطير . وقد كانت الحركة العربية نحو الوحدة قد تقدمت تقدما عظيما على اثر تاميم قناة السويس . ثم حرب السويس التى شاركت فيها بريطانيا العظمى ثم فرنسا . واخيرا اسرائيل . والتى كانت الحرب الدولية الاولى التى حسمت نتائجها الامم المتحدة لأول مرة . وقد جاء فى اعقاب هذه الحرب التى انتهت تماما فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ اى بعد جلاء جميع الدول المشاركة فى الحرب عن الارض التى احتلت . وسقوط الحكم الهاشمى فى العراق . وقد كان لهذا السقوط دوى هائل لما للعراق من أهمية عسكرية وسياسية لقربها الشديد من حدود الاتحاد السوفيتى ولايران ولتركيا ولسوريا ، وكل هذه الاقاليم حساسة الى اقصى حدود الحساسية عربيا ودوليا ، وكانت مصر كبيرة جداً فى خيال الكثيرين بعد انتصاراتها فى الفترة منذ هزيمة بريطانيا وفرنسا واسرائيل وانسحابهم من الأرض المصرية التى احتلت . وبقاء قناة السويس فى يد مصر ، بعد محاولة اكبر دولتين اوروبيتين سحب القناة من أيدينا . حتى الذين يسلحون مصر والذين لا يسلحونها كانوا يتصورون ان مصر اذا حاربت حتى ولو كتبت عليها الهزيمة آخر الأمر ، فستحارب جيداً وستصيب الاعداء اصابات قاتلة وستثبت فى مواقعها ، وستحسن استعمال الاسلحة التى حصلت عليها ، وسيبدو أن جيشها اكتسب مرانا



٥ يونيو

بفضل التدريب الطويل الشاق والمعونة السوفييتية التى منحت مصر خير مالديها من سلاح وتدريب . ولذلك كانت الهزيمة مفاجأة كبيرة للجميع .

ولو نوقشت الهزيمة فى حدودها الحقيقية السياسية والعسكرية ، لما كان هناك شىء يدعو الى الشكوى . فهى هزيمة ولم يكن فى مقدور احد ان ينكر كونها كذلك ، وقد تضاءلت عقب حدوثها الى الحدود الدنيا اذ لم يترتب عليها شىء مما كان يمكن أن يبنى عليها فالنظام التى تمت الهزيمة فى عهده ، لم يسقط ، ولم يشرع أحد فى الانقضاض عليه ، والنظام الذى كان يحكم فى مصر لم يغير شيئا لا فى اسلوب ولا فى منهج ولا فى الخصائص الكبرى التى عرف بها . وهو أمر غريب جداً فى حياة الأمم . ففى أكثر الاحوال ، إن لم يكن فيها جميعا ان النظام القائم المهزوم خصوصا اذا كان تقصيره فى الحرب كبيرا ، لابد أن يسقط .

● اسباب الهزيمة ●

ولست أعتبر ماقاله المتدينون من أن هزيمة سنة ٦٧ ، كانت بسبب ضعف عقيدتنا فى الدين ، وبعدنا عن طريق الله ، بالشىء الغريب ولا هو بالقول المغرق فى الخطأ . ذلك لأن المتدين . اذا كان صادقا فهو يؤمن بطبيعة الحال أن ضعف الايمان بالله يؤدى الى بوار الأمم . وخسرانها لأنهم يؤمنون بأن الله قال إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . وهم غير مخطئين لأن عقيدة المحاربين هى رأس مالهم الروحى ، أيا ماكانت هذه العقيدة ، فان الاعتقاد فى مبدأ ما ، حينما يكون هذا الاعتقاد خاليا من المصلحة الشخصية ولم يكن مجرد تظاهر يمنح المعتقدين قوة تعينهم على تحمل متاعب الحرب ، وتثبت أمام شدائد القتال وتحميهم من السقوط فى وهدة اليأس ، حينما تنزل بهم المصاعب ، او تحل الهزائم فليس الايمان بنصر الله ، مجرد كلام غيبى ، بل هو حقيقة علمية ، اكدتها جميع الحروب فكلما كان المقاتل مؤمنا بالهدف الذى يقاتل فى سبيله ، كلما كان نصيبه من النصر اكبر وثباته عند الشدة أوضح اعتقادا .

أما القول بأن هزيمتنا سنة ٦٧ مردها الى الاشتراكية ، فهو فى الواقع الصيغة الثانية للتعبير عن الاعتقاد بأننا هزمنا لأننا تركنا الاعتقاد فى الله ، بإعتبار أن الاشتراكية هى قرب من الالحاد ، والبعد عن الله ، عند الكثيرين الذين لا يعرفون شيئا واضحا عن المذاهب الحديثة سواء كانت من مذاهب اليمين الفاشية والنازية والبراجماتية والوجودية أو كانت من مذاهب اليسار كالاشتراكية والشيوعية والوجودية اليسارية ، والواقع أن القول بأننا هزمنا لأننا اخترنا طريق الاشتراكية هو غير مستقيم ، بل لأن ايماننا بالاشتراكية لم يكن كاملا ، والايمان الذى تحتاج اليه الامم فى نضالها من اجل مستقبل أفضل ، واسلوب حكيم أصلح ومنهج حياة اقوم ، لابد أن يكون ايمانا عميقا عامرا يستأثر بكل خلجة من خلجات النفس ، وبكل نبضة من نبضات القلب .

ويكون هذا الايمان عقيدة الأغنياء والفقراء ومتوسطى الحال ، وعقيدة الجهلاء والمتعلمين كل فئة او طائفة او جماعة بأسلوبها لكنهم جميعا يتساوون فى التسليم بصحة المذهب ، وبانه وسيلة العلاج ، ودواء الادواء ، وسبيل الاصلاح

اما اذا كان قد شاب ايماننا شك فنحن خاسرون ، الا أن يكون ايماننا بالقتال . قام على عقيدة وطنية ، وضعت جانبا جميع المذاهب والعقائد واعتقدت أن الوطن فى خطر ، وأن واجب كل مواطن الدفاع عن هذا الوطن ، والاستشهاد فى سبيله وبذل الغالى والرخيص من اجله ، فهذه عقيدة مؤثرة ، تنطوى على حافز قوى ، لو أحسن القادة اثارته أولا ، ثم الانتفاع به ثانيا .

فنحن لسنا عجباً بين الامم ، حينما يعتقد فريق منا بأن الاشتراكية هى التى هزمتنا ، فقد قيل شبيه بهذا الكلام فى كل دول اوربا المتمدينة والسائرة على طريق العلم وحقائق الوجود الثابتة ، فحينما كانت النازية والفاشية واشباهها سائدين فى العالم ، يستميلون الكثير من الناس ومن الاحزاب ومن القادة ، كان الكفر بالديمقراطية هو شعار تلك الايام فلما قامت الحرب ، وتهاوت دول الغرب ، فى ايام معدودة امام جحافل النازية واشتد قتالها الساحق الذى كان يحصد الشعوب والجيوش فى ساعات لا ايام كان الكثيرون يعتبرون هذا دليلا على فشل الديمقراطية فى جانب ، والشيوعى فى جانب آخر . ولما جاءت الولايات المتحدة لنجدة أوربا فى وجه النازية الالمانية وحدها ، وأجلت جيوش اوربا وأمريكا مجتمعة ، يوم النزول على شاطىء نورماندى فى أقصى غرب اوربا ، كان ذلك تأكيدا لفشل الديمقراطية ، وخوائها الروحى ، وفساد الأسس التى قامت عليها . فلما رجحت كفة الديمقراطيات فى السنتين ٤٤ و١٩٤٥ ، عاد الايمان بالديمقراطية ونسخت مذاهب النازية والفاشية أى مذاهب الشمولية .

● التآمر الخارجى ●

اما رد الهزيمة الى التآمر الخارجي على مصر ، فليس الا الحقيقة التي لا يجوز الخلاف حولها مع تغيير بسيط في الصياغة . فالهجوم الخارجي على مصر متمثلا في اسرائيل المؤيدة بالولايات المتحدة ، هو السبب المباشر للهزيمة بلا شبهة ولا شك بدون حاجة الى اضافة لفظى التآمر الخارجي فالتآمر يوحي بان هناك عملاً كان يدبر له في الخفاء ، وانه استمر يعمل داخل صفوفنا ، وفي صفوف قواتنا المسلحة فى حين أن الهجوم على مصر بوصفها قائدة للشعوب العربية ، وداعية الى الوحدة العربية ، كان حقيقة واقعة ومعلنة ، فالقتال بين مصر ودول الشعوب الغربية لم ينقطع منذ بداية القرون الثلاثة الأخيرة ، قبيل الغزو الاوربى للجزائر سنة ١٧٣٠ ثم سائر الشعوب العربية فى الفترة التالية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . والغرب منذ بداية القرن الحادى عشر ، التى اندلعت فى مفتتحه (اى مفتتح هذا القرن) ، قلبه يتلهب بطمع مشتعل فى أن يضع يده على الشرق العربي الذى يضم مصر وسوريا وفلسطين والذى يتوسط العالم العربى الممتد من الخليج الى المحيط ، والذى يضم من الثروات المادية المكشوفة والمخبوءة ، ومن الذخائر الروحية دينية



٥ يونيو

وادبية وفلسفية مالا نهاية له ، ولا مثيل له فى اية بقعة اخرى من الأرض الى جانب الموقع الفريد الذى يمسك بيديه أطراف الشرق واطراف الغرب ، ويترامى اثره عند ملايين من البشر متنوعى الأجناس والالوان واللغات . فاذا اصررنا على استعمال عبارة (المؤامرة الخارجية) فلابد أن نعرف أن هذه المؤامرة ترجع الى قرون ، وقد أخذت صوراً واشكالا متباينة ، واستغلت فرصاً بعضها من صنع المتآمرين أنفسهم ، وبعضها من صنع أهل المنطقة عن تعمد أو عن غباء ، وسوء تقدير أو كسل طرأت عليهم بحكم توالى السنين والقرون والحروب والمناوشات ، من هؤلاء الأعداء الذين يطير النوم من عيونهم ، حينما يتصورون أن المنطقة العربية قادرة على أن تجتمع وينسق عمل أهليها ، وتتوق الى استعادة المجد ، وبعث الماضى ، حقاً وصدقاً ، فان الغرب يعلم ان هذه المنطقة هى منطقة سيادة وزعامة وقوة وسلطة ، ومن ثم فان بث الوهن فى قاطنى أراضيها وبمسخ عقولهم ، وفصل صلاتهم بثقافاتهم واصول حضارتهم ، هو شغل زعماء الغرب .

وقد مرت على مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، حلقات من هذه المؤامرة كانت الحلقة الأولى مناصرة نظام محمد على ثم القضاء عليه ، وفرض معاهدة سنة ١٨٤٠ على مصر وعزل الخديو اسماعيل فى يوليو ١٨٧٩ ، ثم هزيمة عرابى سنة ١٨٨٢ ، ثم محاولة غزو مصر واعادة الاحتلال البريطانى بعد فترة قصيرة من الجلاء الناقص فى يونيو ١٩٥٦ فأمريكا ، كانت قد عقدت العزم ـ بعد ان افلتت مصر من الهزيمة الكاملة بعد تاميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، على ان نظام عبد الناصر وقف تماماً فى وجه مايوحى به هذا النظام بخيره وشره وقوته وضعفه من طموح ضخم للعرب ، وتمرد عظيم ضد الغرب واطماعه الاستعمارية والحجة موجودة . والوسيلة موجودة ايضا ، وكلا الحجة والذريعة يتجسدان فى اسرائيل ، ولذلك كان من الطبيعى ـ مهما فعل نظام عبد الناصر ـ أن تحدث الغزوة أو الهجمة على مصر فى ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأن تكون نهايتها هزيمة مصر العسكرية واكتساح منطقة سيناء واحتلالها . فالحقد الذى تضمره الدوائر الاستعمارية وتعلنه ، والفرق الهائل بين قوة مصر العسكرية والاقتصادية وبين القوة الاستعمارية المتمثلة لا فى الولايات المتحدة وحدها بل فى اوربا كلها والمسيحية الاستعمارية التى تريد أن تطوق الاسلام لا لحساب مبادىء السيد المسيح ، ولا ايمانا بها ، بل لحساب المصالح التجارية والأهداف السياسة .

ولا ينقص من هذه الحقيقة أن فيتنام صمدت أمام امريكا مع أنها دولة فقيرة وأقل شأنا من مصر من كل جانب ، ذلك لان طبيعة الأرض فى فيتنام وهى أرض مستنقعات وأحراش وغابات ومناطق شبه جدبة غير أرض مصر المنبسطة الخالية من الجبال والتلال والهضاب . وشدة

تقشف الشعب الفيتنامى بتأثير العقيدة الدينية ، وظروف الحياة الخالية من اسباب الترف والميل الى الراحة ، والعجز عن مواصلة الحرمان . هذا كله مضاف الى الظروف المتغيرة فى كل حرب وصراع بين دول بعينها ففرنسا النابليونية التى اكتسحت النمسا وبروسيا وروسيا ، هى فرنسا التى هزمت على يد بسمارك فى حرب السبعين أى فى سنة ١٨٧٠ والتى هزمت مرة أخرى فى سنة ١٩١٤ أمام جيوش غليوم الثانى وغلبت ثالثا أمام جحافل هتلر .

● سبب الهزيمة الحقيقى ●

ولكن لاشك فى أن نتائج الحرب - اى حرب - يمكن أن تتغير بفضل قدرة كل من الطرفين على المناورة ، والاستعانة بالحلفاء ، وتغيير السياسة المتبعة دوليا او داخليا فمحمد على ومن قبله على بك الكبير استطاعا أن ينشئا مصر العظمى ، وأن يمتد سلطانهما على الشام واليمن وأوربا فى مرحلة ، ثم هزما فى مرحلة تالية ، والقيادة هى القيادة والاقليم هو الاقليم وأنا أعتقد أن نتائج حرب سنة ١٩٦٧ كان يمكن أن تتغير او تخف وطأتها على الاقل لو اتبعت مصر سياسة أخرى مع الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية ، ولكن فى جميع الأحوال كانت اطماع الغرب فى انزال الهزيمة بمصر ، وبنظام عبد الناصر قراراً نهائياً عند الولايات المتحدة واسرائيل ، والهزيمة - على قوتها - ليست كل شيء فيها - بمعنى أن اسباب الهزيمة يمكن ان تكون أوجع من وقوع الهزيمة . وهنا نعنى بأسباب الهزيمة مايترتب عنه لاحداث الهزيمة بهذا النطاق وبذلك العمق . والواقع انه لم يعد هناك شخص يريد أن يخفف منها ، أو يدعى اسباب واقعية او غيبية عن الاسباب الحقيقية . وقد قيل كل شيء تقريباً ، ومن صاحب اختصاص لا ينافس ولا يبارى ذلك هو الفريق اول محمد فوزى فى كتبه حرب الثلاث سنوات ، فقد رسم صورة مبكية ومضحكة ، لهذه الهزيمة والغريب فى الأمر ان الذى رسم هذه الصورة القاتمة المخزية ، هو القائد العام للجيش الذى يلحق به اولا وقبل أى انسان آخر كل حرف كتب فى هذا الكتاب .

ولاشك أن أثر هذا الذى كتب وذكر ، يخف كثيراً بعد حرب سنة ١٩٧٣ فقد عوض الجيش المصرى والشعب المصرى والقيادة السياسية كل مالحق بنا ويشرفنا ويقدرنا كأمة مقاتلة ، فى حرب ٦٧ ، وانتصار سنة ٧٣ وإن ضاعت قيمة هذا النصر الباهر والضخم بالتواطؤ السياسى الصريح ولكن هذا التواطؤ الذى حال بيننا وبين الوصول الى الممرات والمضايق ، والوقوف قبلها والسكوت على الثغرة ثم ماتم بعد ذلك من فض الاشتباك الأول ، ثم التجهيز لرحلة القدس .

إن العظة التى يجب أن نستخرجها من الهزيمة ، يتحمل النظام وزرها ، ولكنها ليست من صنعه وحده ، فهى تراث أجيال متعاقبة .

إن الذى ألحق بنا الهزيمة المنكرة ، هو عجز (ادارى) توارثناه ، وهو يزداد تأصلاً بعد كل بضعة سنوات ، وأكاد اقول كل بضعة ساعات ، فنحن لا نعرف كيف ننظم احتفالا أو مهرجانا ، ويبدأ هذا العجز بأول خطوة ادارية نقوم بها . وهى



٥ يونيو

تحرير بطاقات الدعوة وتحديد الموعد وتوزيع البطاقات على المدعوين . الخطأ فى كتابة صيغة الدعوة على الآلة الكاتبة . فأى بضعة سطور تكتب على هذه الآلة ، تمتلىء بالاخطاء . وفى آخر مؤتمر حضرته منذ اسابيع ، لم أجد مكانى فى القاعة .

واذا كان موشى دايان حينما قال انه على المصريين أولا أن ينظموا صعودهم الى السيارة العامة ونزولهم منها قبل أن يفكروا فى انزال الهزيمة باسرائيل ، فان هذه الكلمة القصيرة تعنى فى الواقع كل مانريد أن نقوله عن العجز الادارى الذى قامت الدلائل منذ الفراعنة على نقيضه فى قرون عقب قرون كان تحديد التفاصيل والجزئيات ، وضمها بعضها الى بعض فى خطة . والصبر على التدريب وموالاته ، واجراء التجارب الجدية الظهرية ، والتمسك بما رسم من خطط ، وما صدر من أوامر ، كما لا يجوز أن تتغير الخطة الا بناء على ضرورة حقيقية تقتضيها ، ولا يعدل عن امر الا اذا حل محل امر آخر اكثر صلاحية .

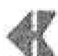
هذه هى التربية الوطنية فى الميادين المدنية والمجالات العسكرية على السواء . وهى التى تنقصنا على السواء والى الآن ، بلا اى شعور فى المدرسة أو البيت أو النقابة أو الحزب ، لضرورة هذه التربية والمبادرة بها ، ووضعها فى رأس الأولويات ، والتشبث بها لسنوات عديدة حتى تصبح طبعا وخلقا ودينا ، قد كنت اكرر أن حديثى رسول الله الذى يقول أولهما : اذا قلت لجارك أنصت والامام يخطب ، فقد لغوت ولا أجر لك والذى يقول الثانى : ان الله لا يحب أن ينظر الى الصف الأعوج هما خلاصة لحضارة وجوهر الثقافة وأساس التمدين والتنظيم والحرب والسلام .

فمجرد النطق بلفظ فى وقت يراد فيه الانصات الكامل ، هو ترويض وضبط للنفس ، وتعليم لآداب الحرب والسلام . وفى قاعات الموسيقى السيمفونية ، يمتنع على النظارة أن يسعلوا ، مجرد سعال . وهم لذلك يحسنون تحمل آلام وويلات الحرب .

وكون الله لا يحب النظر الى صف أعوج كلام خطير جدا فالله العظيم الذى خلق الكون بل الاكوان قد لا نتصور انه يشغل بالصف الأعوج ولكن الصف الأعوج ، بلاء نعانى منه فى الطريق ، وفى السفر ، وفى المتجر وفى كل خطوة ، ويصبح آفة تلاحقنا فى كل موقع حتى تهزم كهزيمة ٥ من يونيو ، فيكون محلا للسخرية فى العالم كله .

صحيح أن ثورة ٢٣ يوليو ربما لم تفطن لهذا التوجيه ، فورثت مصر لا تطيق النظام ولا تسير عليه ، ولكنه ليس خطاها وحدها فانه خطأ خلفته سنوات الانحلال والتفكك والتردى - والدليل على ذلك أن هزيمة ١٩٦٧ لم تسقط عبد الناصر عن مكانه العالى ، ولم تزحزح ثورة ٢٣ يوليو لا فى العالم ولا فى الوطن العربى .





٥ يونيو

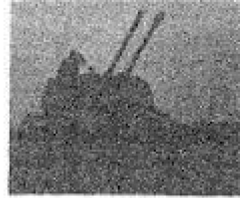
العوامل الذاتية والموضوعية في تفسير الحدث

بقلم : محمد سيد أحمد

كان الدكتور فؤاد زكريا على حق تماما وهو يؤكد ضرورة ان نولى « حدث ٥ يونيو ١٩٦٧ » ما يستحق من اهتمام وان يكون لفكرنا السياسي شجاعة التصدى للكارثة التى وقعت فى ذلك اليوم لتشريح الحدث ، ودراسته دراسة متعمقة متمثلة بتجرد وموضوعية .

ذلك أنه « حدث » ، كما أكد الدكتور فؤاد زكريا ، سوف تعيش آثاره معنا طويلا ، ولن نتخطى هذه الآثار لو اكتفينا فقط بتجاهله ، أو تناوله فقط على نحو قد يكون له مبررات سياسية لدى هذا الفريق أو ذاك ، ولكن لا يمت الى التجرد العلمى والموضوعية فى شىء . والواقع أن « ازدواجية » المواقف بشأن « الحدث » دون أن يكون هناك حسم ، أى أن يكون هناك من جانب من يتعرض لحقائق عهد عبد الناصر ويتحدث عن كل شىء فيه الا عن أحداث ٥ يونيو ذاتها ، ومن جانب آخر من لا يتحدث الا عن كارثة ٥ يونيو ، وكأنها وحدها عنوان العهد الناصرى كله .. فان هذه « الازدواجية » هى فى حد ذاتها دليل على أن هذه الدراسة المتعمقة المتمعنة المتسمة بالتجرد والموضوعية ، لم يقدم عليها أحد بعد ، وهى مهمة وارد انجازها بالحاح ، كحلقة أساسية فى أى مشروع مصرى ، أو حتى عربى ، لمواجهة محنتنا الراهنة والعمل من أجل تجاوزها .

وقد عبر د. فؤاد زكريا عن هذه « الازدواجية » فى المواقف ، بنظريتين



٥ يونيو

في تفسير احداث ٥ يونيو تناولهما باسهاب وعمق ، لنظرية « المؤامرة الدولية » ، التي ترجع الهزيمة الى عوامل خارجية ، وبوصفها ـ بالذات ـ « مظهرا من مظاهر المد الامبريالي الذي بدأ منذ أواسط الستينات ، واحرز انتصارات هامه في السبعينات ، وانتقل الى مرحلة الهجوم المباشر في الثمانينات ، فاستطاع خلال هذه المراحل ان يجهض معظم تجارب الحياد ومحاولات السير في طريق الاشتراكية والتنميه المستقلة ، وهي المحاولات التي ازدهرت في العالم الثالث خلال العقد الممتد من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ » ، وهي النظرية التي يقول بها « الناصريون المتشددون » ، تقابلها نظرية خصوم عبد الناصر والتي ترجع الهزيمة الى « التركيب الداخلي للنظام » ، وانقسم هؤلاء الى فريقين ، فريق يعلل الهزيمة « بالتوجه الاشتراكي للنظام » ، يمثله بالذات حزب الوفد الجديد ، وفريق يعللها بالتوجه العلماني للنظام » ، ويتشكل هذا الفريق الثاني من الجماعات الاسلامية اساسا التي رأت في الهزيمة « انتقاما الهيا من الظلم الذي لحق بعدد هائل من انصار الحركة الاسلامية ، فضلا عن انها في نظرهم هي النتيجة الطبيعية لنظام يخضع في قراراته وتشريعاته لما يمليه العقل البشري القاصر ، ويطرح جانبا شرائع الحكمة الربانية الخالدة ..

وخلص د. فؤاد زكريا الى ان « كلتا النظريتين على خطأ ، وان هذا الخطأ ليس فكريا او نظريا فحسب ، بل انه يرجع في المحل الاول الى تأثير العوامل الذاتية في العقول ، والخلط بين المصالح والفكر الموضوعي » .

ولا شك في ان جدلية العلاقة بين ما هو « ذاتي » وما هو « موضوعي » في تحليل « حدث » معين ، قضية بالغة الاهمية من زاوية المنهج .. ودراسة د. فؤاد زكريا محاولة لتخطي التفسيرات « الذاتية » الى تفسير « موضوعي » لاحداث ٥ يونيو من خلال « نظرية ثالثة » مستنبطة من المناقشة المفصلة لاخطاء النظريتين السالفتي الذكر ، نظرية ثالثة « لاتقدم تفسيرا اوضح لهزيمة يونيو فحسب ، بل تسهم ـ وهذا هو الاهم على حد قوله ـ في انارة طريق الحاضر وتوضيح الاتجاه الخلاص في المستقبل » .

غير ان الدراسة مع ما تقدمه من حجج قوية في تفنيد النظريتين ، وفي كشف « ذاتيتهما » ولو من باب انهما « احاديتا الجانب » ، بمعنى انهما صحيحتان جزئيا فقط . ولا تتناولان الحقيقة الا من زاوية محددة فقط ، وهي الزاوية التي تخدم الاهداف « الذاتيه » لاطراف « ذات مصلحة » في طرحهما ، فانها في النهاية دراسة لا تقدم جديدا متميزا يرتقي الى مستوى « النظرية الثالثة » ، ولا تعدو

أن تكون عملية تركيبية لما وصفه الدكتور فؤاد نفسه بعناصر صحيحة في النظريتين ، باعتبارهما لا تتعارضان بل فقط لا تلتقيان .. ذلك مع تكملتهما « بوجهة نظر » يصفها د. فؤاد بأنها « قد تضيف بعدا جديدا الى ما قيل » ، وهي أنه « لا يمكن وضع ايجابيات وسلبيات العهد الناصري على كفتي ميزان ، وترجيح كفة الايجابيات لأن كفة السلبيات لا تتضمن سوى الحكم الفردى » ، من منطلق « أن الحاكم المطلق لا يرتكب ، بأسلوبه في الحكم، مجرد خطأ سلبي يمكن تعويضه وموازنته بانجازاته الايجابية ، بل ان اتباعه لهذا الأسلوب يهدد جميع هذه الانجازات بالانهيار » .

● ضعف وتفكك ●

ولذلك كان « الرأى » الذى يعتقد د. فؤاد « انه اقرب الى التعبير عن الأسباب الحقيقية للهزيمة » — اى في النهاية « نظريته الثالثة » — هو « أن التآمر الخارجي كان موجودا ، ولكنه لم ينجح في تنفيذ مخططه نجاحا يفوق توقعات اصحابه انفسهم الا لأن الجبهة الداخلية كانت من الضعف والتفكك بحيث استطاع التآمر الخارجي أن ينفذ اليها ويخترقها بأقل جهد ممكن . اما عوامل الضعف والتفكك هذه ، فتدور حول عيوب الحكم الفردي المطلق وانعدام المشاركة الشعبية الحقيقية » .. ويتعين هنا طرح سؤال له اهمية خاصة من زاوية النهج : هل يجوز القول بأن العملية التركيبية التي شدت النظريتين معا قد اسقطت عنهما صفة « الذاتية » ، واكسبتهما صفة « الموضوعية » ؟ هل حولتهما من « نظريتي احاديتي الجانب » الى نظريتين تناولتا « كل الجوانب » . وعكستا الوضع الداخلى والخارجي معا في نظرة جامعة مانعة ، شاملة .

اشك كثيرا ولو من باب أن العملية التركيبية التي اقدم عليها د. فؤاد زكريا ليست هي بالضرورة العملية التركيبية الوحيدة الممكنة . ثم ان هذه العملية التركيبية أغفلت بالذات البعد الزماني ، واعتمدت على نظريتي لأحداث ٥ يونيو ، نظرة أنصار ونظرة خصوم التجربة الناصرية ، والحجج التي مارس بها الفريقان صراعا محتدما فيما بينهما في المرحلة التي أعقبت رحيل عبد الناصر مباشرة ، دون ما تأثير لما كان لابد أن يسفر عنه تقييم التجربة داخل اطار تنوع أوسع من التجارب ، تقييم أصبح الآن — من الوجهة الذاتية — ممكنا لأن الفرصة أصبحت متاحة لاجراء مقارنات داخل اطار زمني أطول ووعاء مكاني أوسع . وبهذا المعنى ، لا يكون الانتقال بتعميق الدراسة من « الذاتية » الى « الموضوعية » ، بل الى « ذاتية » أرقى ، أكثر « موضوعية » و « ذاتية » منطبعة بالطابع العلمي والأكاديمي ، أكثر تجردا وأقل خضوعا لاعتبارات الصراع السياسي .

● رأسمالية معاصرة ●

وربما كان من المفيد لنا في هذا الصدد أن نتذكر ما أورده لنين في كتابه الشهير « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » . ان الكثير منا وحتى الذين ينتسبون بفكرهم بيننا الى الماركسية والى اللينينية قد نسوا درسا أساسيا تضمنه هذا الكتاب وهو أن الامبريالية هى « أعلى » مراحل



٥ يونيو

الراسمالية ، اي انه لاتوجد للراسمالية مرحلة « بعد » الامبرياليه ، اي ان زوال الامبريالية لابد ان يصاحبه زوال الراسمالية ، وانه لا يتصور في عالمنا المعاصر راسمالية دون امبريالية .

هذا هو ما قاله لينين عام ١٩١٦ ، ولكننا اصبحنا نتصور في اعقاب الحرب العالمية الثانيه ان حركة التحرر الوطني التي حققت « الاستقلال » و « السيادة الوطنية » لقطاعات واسعة من العالم خضعت في السابق للسيطرة الامبريالية ، انما حققت للمجتمع الدولي المعاصر راسمالية بدون امبريالية !

اصبحنا نتصور ان زوال الامبريالية في صورتها التقليدية ، في صورة الاحتلال العسكري المباشر ، وفي صورة حرمان اغلب شعوب العالم من « حقها » في تقرير المصير ، ومن دولتها « المستقلة » ، انما يعني زوال الامبريالية كلية بينما تحتفظ الراسمالية العالمية بقدرة هائلة على التجدد والانتشار والابتكار والهيمنة .

لقد هونا — في تقديراتنا « الذاتية » — من الصعاب « الموضوعية » التي اعترضت عملية التحرر من السيطرة الامبريالية ، ولم ندرك بقدر كاف قوة الروابط التي استمرت تربطنا بالامبريالية ، حتى بعد تحقيق « الاستقلال » . انها روابط اتخذت اشكالا عديدة،وليس الشكل الاقتصادي او السياسي فقط ، وكان شانها في احوال كثيرة تجريد « الاستقلال » من اي محتوى حقيقي .

اننا باختصار اظهرنا قصور في تعريف « الاستقلال » وتحديد شروطه . كان وعينا « الذاتي » ، بابعاد وحدود الاستقلال قاصرا . ربما كان لنا في هذا كل العذر . فان ما انجز على الصعيد الوطني والقومي من بعض التجارب ، كالتجربة الناصرية على سبيل المثال ، كان هائلا .. لم يكن متصورا — قبلها — ان يصل التصدي للامبريالية — وتحديه — الى حد تاميم شركة بحجم واهمية شركة قناة السويس ، وان تفشل عملية العدوان الثلاثي ، كمحاولة من قبل الامبريالية العالمية لتاديب عبد الناصر ، وتنبيهه الى « الحدود » المرخص له التحرك داخلها ! ولم نكن وحدنا المعنين في التفاؤل حول الامكانيات « الموضوعية » ، التي اصبحت متاحة في ظل « الاستقلال » . اذ كان ذلك ايضا حكم المنظرين السوفييت ، ومفكرين عديدين ينتسبون الى الفكر الاشتراكي .. لقد ساد وقتذاك وقبل هزيمة ١٩٦٧ الاعتقاد بان الدول الحديثة الاستقلال كفيلة في احوال محددة بان تجد لنفسها طريقا « غير راسمالي » الى الاشتراكية ، حتى لو كانت قيادتها من طبقات اجتماعيه غير بروليتارية .

هذا التفاؤل الذي افرزه المناخ « الثوري » السائد وقتذاك حجب ما

كان للامبريالية من عناصر قوة عاليا ، ومعششة داخل المجتمعات الحديثة الاستقلال ذاتها ، للضغط علىتجاربها الثورية ، وافساد مفعولهـا · ولذلك كانت هناك وجاهة فى قول د· فـؤاد زكريا « انه اذا كانت هناك مشكلة فى اشتراكية ما قبل ١٩٦٧ ، فهى انهـا لم تكن جادة بما فيه الكفـاية ، او مكتملـــــه بما فيه الكفاية ، وليس العكس ·

● قصور فى المعلومات ●

والواقع ان نظرية « المؤامرة » هى تعبير عن قصور لا فى الوعي فحسب، بل ايضا فى المعلومات التى ينبنى عليها هذا الوعى · فان القول بوجود « مؤامرة » هو تسليم من قبل صاحب هذا القول بجهله بآليات معينة اوجدت واقعا أصـابه بضـرر وافلت من سيطرته · ان القول بوجود « مؤامرة » يحمل ضمنا التسليم بان « النظريات الذاتية » قاصرة فى تفسير « الواقع الموضوعى » وبحاجة الى تصحيح ·

لم يكن هناك فهم كاف للآليـات التى حققت للامبرياليه العالمية القدرة على الاحتفاظ بتأثيرها على المجتمعات الحديثة الاستقلال ، حتى فى الحالات التى اتسمت فيها السـلطة بطابع ثورى · لم يكن هناك ادراك ـ وربمـا ايضـا خبـرة كافية ـ بقوة روابط الرأسماليه العالمية بالرأسمالية المحلية، مما يحمله تثوير الجماهير من خطـر مشـترك لها ـ ولذلك كان ابعـاد الجماهير عن المشـاركه فى صنع القـرار ، عمليه تلبى مصـالح الرأسماليه ، حتى من اكثر قـادة التحرر ثورية · وبهذا المعنى ، كان من ابرز العوامل التى مهدت لاحداث يوليو ٦٧ ظهور « طبقة جـديدة » من البيروقراطيين المعششين فى اجـهـزة الدولة الحساسة ، ذوى التطلعـات الرأسماليه · كان عدم التصدى لهؤلاء ـ بمبـاشرة ادق كانت التنـازلات للرأسمالية ، لا الانجازات فى طـريق الاشتراكية ، هى التي عرضت سلطة


جمال عبدالناصر


انور السادات





٥ يونيو

يوليو لخطر بروز ثغرات داخلها افسحت المجال لانهيار التجربة برمتها والحديث اليوم عن « علمانية » تجربة عبد الناصر ، فضلا عن «اشتراكيتها» كمصدر للهزيمة ، انما هو تماد فى ارجاعها الى أسباب لا تقبل التحليل « العلمى » ، الى اسباب « غيبيه » كما أوضح د. فؤاد زكريا ، ذلك ان مفهوم « العلمانية » فى نظر الذين يرجعون هزيمه يوليو الى توجه نظام عبد الناصر نحوها . انما يقصدون بها « العقلانيه » واعمال العقل والعلم سبيلا لتفسير الظواهر .

● قاسم مشترك ●

وهكذا يتضح ان النظريات المختلفة التى أوردها د. فؤاد زكريا لتفسير هزيمة ٥ يونيو ، نظرية « المؤامرة الخارجيه » التى دافع عنها انصار التجربة الناصرية ، والنظريات التى تبناها خصوم التجربة وارجعوا الهزيمة بمقتضاها الى عيوب التوجه الداخلى للنظام ، سواء كان هذا التوجه « اشتراكيا » او « علمانيا » ، ليست بالنظريات التى تتسم فقط «بالتعارض» او « بعدم الالتقاء » ، بل لها ايضا قاسم مشترك ، ذلك اذا حللناها بعيدا عن استخدامها اسلحة فى الصراع السياسى بين انصار وخصوم عبد الناصر .. قاسمها المشترك هو انها جميعا تنبثق من وعى قاصر ـ وقت التجربة وحتى الان ـ بأبعاد وحدود النضال من أجل « الاستقلال » ، ومدى ارتباط هذا النضال بحقائق عصرنا « الموضوعية » ، وعلى راسها قدرة المجتمعات المتخلفة على انتزاع استقلالها من دول متقدمه ، وقدرة هذه المجتمعات على الفكاك من الرأسمالية ، وانتهاج طريق الاشتراكية سبيلا الى اكساب الاستقلال معنى ومحتوى ، ثم ـ ربما ايضا ـ ماذا ينبغى أن تعنى الاشتراكيه .

هل من الممكن ـ مثلا ـ الاستغناء عن الرأسمالية فى مجتمعات متخلفة يتعذر على الدولة فيها تولى كل أوجه النشاط الاقتصادى ؟ .. واذا سلمنا بالحاجة الى قدر من الرأسمالية ، فهل من الممكن أن نتوقع منها - النهوض بوظيفة « اقتصادية » مع حرمانها مما تطمع اليه من « حقوق » سياسية ؟. وهل من الممكن تأكيد « الاستقلال » فى عالم تزداد فيه صور « الاعتماد المتبادل » بين المجتمعات ، واتسامها فى الوقت ذاته بالنمو غير المتكافىء ، وبزيادة الهوة عمقا بين المجتمعات المتقدمة والمتخلفة واتسام ظاهرة « الاعتماد المتبادل » ـ نتيجة لذلك ـ بصفة « تبعية » الاطراف المتخلفة حيال الاطراف المتقدمة ؟.

اشكاليات تواجه عالمنا المعاصر وتنتظر اجابات شافية . واذا تحدثنا عن الحاجة الى دراسة متمعنة متعمقة لحدث ٥ يونيو ، فليس هذا فقط للقضاء على مخلفات حدث يمت الى ماضينا ، بل ايضا وقبل ذلك ليكون اسهاما فى ايجاد سبل مواجهة هذه الاشكاليات التى تتعلق بصميم حاضرنا ومستقبلنا .





٥ يونيو

فؤاد زكريا وندابات ٥ يونيو

بقلم : محمد عـــوده

تعجبني محاولات السيد الدكتور في ان يضع نفسه دائما فوق الجميع وان ينصبها رأس الحكمة . وابا روحيا للحقيقة .. ولكن الدكتور لم يكن قط بهذه البراعة .

فقد كان احد شيوخ الندابين واقطابهم وكانت مندبته في كل عام تبدأ الموسم وتعطى الضوء الاخضر لكل المنشدين وقد جدد في فن الندب وكاد يضيفه الى افرع الفلسفة . وقد ظل لعدة سنوات رئيسا لتحرير مجلة ايديولوجية ناصرية . كانت تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام في مصر وفي كنف راعي الفكر وحامي الفن زميله د . عبد القادر حاتم .

وكم اتمنى لو يملك الدكتور حقيقة شجاعة الاسود والتي يتباهى بها الآن . وينشر دراساته وافتتاحياته ونظرياته التي زين بها مجلة « الفكر المعاصر » في ذلك الحين



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ



٥ يونيو

واقترح لو سمح لى الدكتور عنوانا باسم رقص الفلسفة أو فلسفة الرقص ..

● لا صراحة الحكيم ولاتهديدات محفوظ ●

ولم يكن من بين هذه الأبحاث أو الدراسات بحثا صافيا وافيا كالذى قدمه الدكتور الآن عن أسباب الهزيمة فى ١٩٦٧ ، ولم يكن ذلك أمرا ممنوعا أو محرما ، وبينما كان الدكتور مستغرقا فى ذلك الحين فى ابداع نظريات وفلسفيات حول مواضيع أخرى دارت هنا معارك حامية على صفحات الجرائد المصرية حول أسباب الهزيمة ودوافعها .. ولم يقل أحد قط من الناصريين ان الاسباب كانت خارجية فقط ، وان العوامل الداخلية . بريئة او بعيدة عن اسبابها .

والواقع ان الدكتور حالة يحار الانسان فى تفسيرها ، وقد حاولت عبثا أن اجد سببا لهذا الحقد العارم على ثورة يوليو وعبد الناصر والذى يستولى على عقل الدكتور وقلبه ولاتبرد له حدة ابدا وربما بما لايليق بوقار فيلسوف العصر أو موضوعية مفكر ينصب نفسه ، المفكر الأوحد .

ولم يملك الدكتور صراحة توفيق الحكيم مثلا .ليقول أنه فقد الوعى واستعاده أو تهويمات نجيب محفوظ ليقول انه كان يعيش بنفس مزدوجة ، ولم يقدم لنا أى تفسير فلسفى لسبب هذا التحول من نقيض الى نقيض .. وقد بدأ الدكتور حملته على الثورة بطريقة غير مباشرة إذ صب الهجوم الصاعق على الشيوعيين المصريين لانهم ايدوا او تحالفوا مع النظام الفاشيستى والطاغية المستبد الذى كان يحكم مصر ولم يتحرج من انه كان فى نفس الوقت رئيسا لتحرير مجلة تعبىء العقل والفكر المصرى للايمان بالنظام .

وسافر الدكتور الى خارج البلاد ليروج بضاعته هناك في سوق اكثر ربحا واوسع مجالا ، وليرسل تعاليمه وتفاسيره من هناك لكى يبصر المصريين بما حدث لهم ولم يترك مناسبة أو أحيانا بغير مناسبة إلا واخرج من جعبته كل مقولات الفلسفة القديمة والحديثة ليثبت فساد النظام وسقوطه ، وانه كان طاهر الذيل من كل ذنوبه ..

● الناصريون اكثر النقاد ! ●

اما فيما يتعلق بـ ٥ يونيو وبمقالتى فيبدو ان الدكتور لم يقرأ لى سواها ، ولم يكن ممكنا ان اورد كل شىء حول ٥ يونيو .. ولكننى استطيع ان أبعث للدكتور ببعض ماكتبته وكتبه زملاء أصدقاء لى فى تلك الايام ، وسيجد أن الناصريين والتقدميين المصريين عامة لم يقولوا أبدا أن المؤامرات الدولية مسئولة وحدها .

وقد كان الناصريون هم اكثر الناس نقدا لما حدث فى ٥ يونية وقد قامت حملة نقد شاملة من عبد الناصر حتى اصغر عضو فى الاتحاد الاشتراكى الذى لايعترف به السيد الدكتور وتمت مواجهات حادة وعنيفة فى داخله ، وكتبت تقارير ومذكرات ودارت حوارات لاتزال مفتوحة وان لم يطلع الدكتور عليها ربما كان غائبا فى ذلك الحين فى بلد اكثر رغدا .

● البرجوازية والبيروقراطية العسكرية ●

وكان الناصريون هم أول من قال إن من أهم

سباب الهزيمة السماح لبرجوازية بروقراطية عسكرية ان تستولى على قيادة قوات المسلحة وان تحاول ان تجعل من نسها فئة حاكمة ومالكة بل وقد اتهمت هذه لفئة ليس فقط بالاهمال أو الاستغلال . ولكن لتواطؤ أيضا مع العدو واتهمهم الناصريون أنهم وقفوا عقبة امام تطور التنظيم الشعبى لمام منظمة الشباب وانهم عرقلوا تطبيق لتجربة الاشتراكية .

وقد اعلن عبد الناصر ذلك علنا فى بعض نطبه واعلن أن ازاحة هؤلاء الضباط محاكمتهم علنا وصدور الاحكام القاسية هى ممارسة للنقد الذاتى من الثورة ثم الفت لجنة عسكرية برياسة المرحوم الفريق حمد عبد المنعم رياض وأظن السيد الدكتور عرف بعض فضائله وأصدرت تقريرا شاملا عد من أهم الوثائق العسكرية والسياسية حول لنكسة واسبابها ثم الأسس التى ينبغى أن قوم عليها بناء الجيش مرة أخرى وكان من هم هذه العناصر أولا تثقيف الجيش تسييسه وهى العملية التى وقف ضدها ضراوة اقطاب البرجوازية العسكرية .. وقد كون الجيش المثقف الجديد من خريجى لجامعات وادخل لأول مرة نظام الضباط لسياسيين لاستكمال التكوين السياسى مقاتل المصرى عامة وكان ذلك من اهم قضايا التى اثيرت داخل الاتحاد شتراكى .



الفريق عبدالمنعم رياض



الفريق محمد فوزى

● لم تكن هزيمة بل نكسة ●

وقد كان أخر ماصدر كتاب الفريق محمد زى والذى كان جديرا بالسيد الدكتور أن راهما قبل ان يكتب

وأظن ان الهزيمة فى أى من التعريفات عسكرية هى القضاء على ارادة القتال وهى حق القدرة على استئناف المعركة بحيث ضطر الجيش والدولة المقاتلة للاستسلام هذا ليس تعسفا ان نقول أن ٥ يونيو لم تكن هزيمة ولكن كانت نكسة لان إرادة القتال لم تسقط ولم تنهار .. بل على العكس اجتازت أشد اختبار لها وخرجت اكثر قوة وقد ينكر السيد الدكتور مغزى معركة راس العش بعد ثلاثة اسابيع من النكسة أو ايلات بعد بضعة اشهر .. ولكن العسكريين والسياسيين على اختلاف جنسياتهم يضعونهم فى مكانة



٥ يونيو

استراتيجية عالية وقد تلتهما بعد ذلك حرب الاستنزاف التى قال عنها جنرال اسرائيلى هو الجنرال « بليد » كانت أول حرب نهزم فيها .. وقالت جولدا مائير لقد بدأنا فى التآكل فى حرب الاستنزاف

● لامنهج ولارؤية ●

والواقع ان السيد الدكتور لايملك نهجا او رؤية فى تفسير التاريخ وأحداثه وقد وضع لمدة طويلة مسوحا ماركسية وتصورنا انه يفسر التاريخ والاحداث بهذا المنهج وهناك كتابات ماركسية مصرية وعالمية تفسر الهزيمة ، ولكن ليس بهذا المنهج المتخبط . وبالمناسبة فقد حدث خلال الحرب العالمية الثانية ان ارسل تشرشل الى ستالين يخبره بأن المانيا النازية سوف تهاجم الاتحاد السوفييتى فى يونيو ١٩٤١ وأرسل الملحق العسكرى السوفييتى فى برلين رسالة تؤكد ان الخطة العسكرية لغزو الاتحاد السوفييتى " بربروسا " على وشك التنفيذ وأن الهجوم محتم .. ويتلقى رسالة من المخابرات الامريكية بنفس المعنى ولكن لم يمنع ذلك من الا يكترث ستالين وات يقع الهجوم الخاطف الذى أدى إلى الوصول إلى مشارف موسكو

وأظن أن هناك امثلة كثيرة للكوارث وا[...] عبد الناصر كان اكثر دقه وحرصا وقد جمع كل ضباطه والقادة السياسيين واخبرهم بموعد الهجوم بالضبط وطلب الى كل منهم ان يستم[...] وهو لا يحدث الا نادرا فى تاريخ الحروب وكان تنفيذ ذلك الأمر كفيل برد النكسة لان تعليمات الطيران الاسرائيلى كانت بالعود[ة] فورا ، اذا حصلت له مقاومة أرضية او جوية .

ولو قرأ الدكتور محاكمات قادة الطيران المصرى بعناية لأدرك ان السبب لم يكن بنا[ء] النظام او ديمقراطيته او عدمها ..

● قرار تاريخي ●

« ان الديموقراطية هى سلطة الشعب . وقد كانت الجماهير التى خرجت يومى ٩ ١٠ يونيو ١٩٦٧ هى اعمق تعبير عن سلط[ة] الشعب وعن قراره التاريخى وإنه بع[دم] سقوط السلطة العسكرية .. فان السلط[ة] الشعبية تستطيع ان تحمى الثورة ولم تك[ن] الجماهير فرقة رقص بل كانت تعبيرا ع[ن] اصالة الثورة وعمق جذورها ولو كانت بنا[ء] الثورة هشة حقيقة لما خرج مواطن واح[د] وهو لايعرف ماينتظره من مجهول ولو[لا] صلابة الوعى الجماهيرى والشعبى لما [كان] ذلك الطوفان والذى قال بذلك ليس عض[وا] فى الاتحاد الاشتراكى ولكنه واحد من اعظ[م] معلقى العصر وعلمائه السياسيين وه[و] « إيزاك ديوتشر » البريطانى .

وفى الختام نود ان نقول للسيد الدكت[ور] ان افضل مايقدمه للشباب الجديد الذ[ى] يقلق من أجله أن يتقى الله ويرفع يده ع[ن] ثورة يوليو .. غفر الله له ولنا ...

ابتسامات ....

"شكــــر"

● قال مدير الشركة للموظف . اجل انا اعرف انك لا تستطيع ان تتزوج بالمرتب الذى اعطيه لك ، ولكنك سوف تشكرنى على ذلك يوما ما ..

"سراج جديـد"

● فقد رجل زوجته المحبوبة فنقش على قبرها هذه الكلمات "لقد انطفأ سراج حياتى" وبعد بضعة اعوام تزوج الرجل مرة اخرى فسأل احد اصدقائه
- أليس من الاوفق ان امحو هذه العبارة عن قبر زوجتى الاولى
وكان صديقه رجلا لبقا فأجاب كلا حسبك ان تضيف هذه العبارة : "ولكنى اضأت سراجا جديداً"

"اخـــــلاص"

● اراد احدهم بيع كلبه فسأله المشترى : هل هو مخلص ؟
فأجابه مخلص جداً . لقد بعته ١٠ مرات من قبل وهو يعود الىّ ثانية !

● عثرت الزوجة على دفتر حسابات قديم كان زوجها يسجل فيه مصاريفه ووجدت فى السنة التى تزوجها فيها بندا تحت عنوان «مصاريف لن تتكرر» عبارة شهر عسل واحد !!

● كان العجوزان يجلسان فى احد اندية لندن فلاحظ احدهما ان الآخر يضحك تارة ويهز رأسه تارة اخرى فقال له : هل لى ان اسألك عما يضحكك ..
فأجاب الآخر : اننى اسرد لنفسى بعض النكات المضحكة ..
ولماذا تهز رأسك ..
- اهز رأسى عندما اجد اننى سبق ان سمعتها !!

● كانت النجمة الفاتنة تتأهب للقاء منتج معروف فقالت لها صديقتها .
- كونى على حذار .. فهذا المنتج سيء السمعة .. واذا اختلى بك فى مكتبة فقد لا يتورع عن تمزيق ثوبك
فقالت النجمة . اشكرك على هذا التحذير .. ومادام الامر كذلك فمن الافضل ان ارتدى ثوبا قديما !!

● ان مايزيد عن عشرين مليون امرأة فى العالم يرفعن اصواتهن ويقلن : لن نسمح للرجل بأن يملى علينا مايشاء ، ثم يصبحن كاتبات اختزال !!

شهـــر العســـل

● ينتهى شهر العسل عندما يتحدث الزوج هاتفيا ليقول انه سيتأخر عن العشاء ، وتكون زوجته قد كتبت له رسالة ، بان العشاء .. فى الثلاجة !!



سيّد قطب بين النقد الأدبى وجاهلية القرن العشرين!

بقلم : سليمان فياض

بين كتاب مجلة « الرسالة » للزيات ، شدني اليه الناقد الكبير « سيد قطب » . جذبني اليه قلمه المرهف السيال ، ولغته الشفيفة ، الموحية بما وراء من معان وظلال ، وكانها غلالات رقيقة نسجتها انغام . بدت لى مقالاته على صفحات « الرسالة » اية من ايات النثر الفنى في اروع واوضح ذراه . كان « العقاد » صاحب اسلوب عصرى يستمد منطقه وتقاسيمه من اسلوب « ابن المقفع » وكان طه حسين صاحب اسلوب عصرى اخر ، يستمد ترسله من اسلوب « ابى عثمان الجاحظ » وكان كلاهما يتربع على عرش عصرى من عروش فصحى اللغة . وكانت ساحة النثر فى ادب المقال تبدو وكان ليس فيها من مزيد فطه حسين نسيج فريد فيه ، وكذلك كان المازنى والعقاد ، والرافعى .

وبدا الامر وكأن ليس بوسع أحد سواهم ان يقدم أسلوبا عصريا جديدا فى ادب « المقال » . وجاء « سيد قطب » ليقدم أسلوبا آخر ، جديدا يجمع فى إهاب كلماته وتراكيبه ، بين قدرة طه حسين على التنغيم والايقاع ، وقدرة العقاد على المنطقة وحسن التقسيم فى جمله الطوال والقصار ، بين قدرة طه حسين على توليد ابنية مهملة من الالفاظ ، وقدرة العقاد على توليد الافكار والمعاني والاحتمالات والترجيحات ، بل ويضيف إلى قدرات العملاقين هذه السيولة الدفاقة ، واللاذعة السخرية للمازنى ، دون أن يقع فى شراك الكلمات والتراكيب



قطب



حسن الهضيبي



العامية ، ويضيف هذه التسجيعات للرافعي ، دون تكلف فيها او إغراق وإسراف . وغمرني يقيني بان الاسلوب هو الكاتب ، ان الكاتب هو اسلوب ، انتقاء للالفاظ الدالة ، والموحية ، واختيارا للجمل الطوال أو القصار ، فى جوّ يصنع إطار الموضوع ، ويقدم له صوره وإيقاعه ورؤاه



● نسخ بالكربون ●

كان اول ما قرات لسيد قطب فى سن الصبا ، ونحن ندرج مع اللغة والادب ، مقالا على صفحات « الرسالة » ، يحمل عنوان « نسخ بالكربون » . كان المقال عن سيدة الغناء ام كلثوم ، وعن الموسيقار محمد عبد الوهاب ، وكيف ان ام كلثوم خامة صوتية ، كونية ، مدهشة ، لم تجد بعد الملحن الذى يحررها من طابع التطريب فى الافراح ، والليالى الملاح ، ومجالس السمر ، وكيف أن من يحاولون تقليد ام كلثوم نسخ بالكربون ، لاترقى إلى اصالة الأصل وبهائه ونصوعه ، إلى أخر ما ورد بالمقال . وشد انتباهى إلى سيد قطب فى مقاله ذاك ، روح دفاق فى قلب الكاتب ، يجعله يغمس قلمه فى قلبه ، وضميره ، ومشاعره ، وعقل فطن يوجه اليد التى تكتب ، معلنا تمرده على كل محظور لايقبله المنطق ، ولاتباركه التجربة وقلت لنفسى : هذا كاتب له قضية ، بل قضايا فى الحياة ، والمجتمع ، والناس ، صوت من أصوات التقدم الكونية بين البشر ، ويقف طليعة فى مجال النثر الفنى ، لهذا الجيل التالى لجيل الرواد من أصحاب القضايا الاجتماعية ، والثقافية ، والاساليب الادبية .

● كاتب جرىء ●

وجاءت مقالاته التالية ، رسائل الى صديقه الكاتب « عباس خضر » من امريكا وكان قد

ذهب فى رحلة إليها ، وتكشفت لى من هذه المقالات الرسائل ، قضيته الكبرى فى ذلك الحين ، قضية العروبة والأصالة ، بل قضية حضارة الشرق بأسره التى أثمرت قيما إنسانية وأديانا وضعية وسماوية ، فى مواجهة حضارة الغرب ، التى تفككت فيها الأسر ، وشحب الشعور بما هو تواصل إنسانى فى العلاقات ، وفيما بعد ، حين اتسعت دائرة قراءاتى ، أدركت أنه كان كاتبا لايتحيز ولايتردد فى مواجهة صدمة الحضارة الغربية ، أدرك بسرعة وبحسم مالها من فضل ، وما بها من قصور ، وادرك بفطنة ويقين مانملكه من تراث رفيع من القيم الانسانية ، وما نفتقد من تنظيم للعمل ، واخذ بوسائل التطور العصرية لم يقع فى فخاخ الصراع الحائر فى النفس ، الذى دفع فيه أديب طه حسين « وايامه » ولا « عصفور » الحكيم ، ولا « أسماعيل » يحيى حقى . أستوعب دروس الصدمة بسرعة ووضوح ، مثلما فعل من قبله رفاعة الطهطاوى والشدياق ، فى مواجهة صدمة الحضارة تفتت قلبى معه ، وهو يصف مشهد رجل عصر عنقه فى أمريكا المصعد الكهربائى ، فتدلى لسانه ، والناس من حوله لايرتجفون للمشهد ، وإنما يضحكون له ، ويقلدون تدلى اللسان من الفم المفتوح فى العنق المعصور ، وشعرت ، بموت الانسانية هناك ، وامتلات بالدهشة وهو يقول ساخرا لإحداهن ، هناك ، على المائدة ، ان الناس فى بلادنا يأكلون البطيخ وعليه الفلفل والشطة ، فتسارع بسكب الفلفل والشطة على البطيخ ، وتاكله ، وتتلذذ ، وتصيح اوه . كم هو لذيذ . وأحسب أن هذه المقالات وسواها ، ممانشرته له الرسالة فى سنوات الاربعينيات لم تجمع بعد فى كتاب ، مثلما لم يجمع مانشره على صفحات الرسالة من أشعار فى ديوان . انتقى هو ، منها مقالاته النقدية ونشرها فى كتابه « كتب وشخصيات » وليت احد الناشرين يجمع بقية مقالاته وينشرها فى أكثر من كتاب ، فهى حلقة مفقودة من تحولات الكاتب « سيد قطب » ، وتشهد على مرحلة ثقافية واجتماعية من مراحل الثقافة والحياة الاجتماعية فى مصر العربية ، وكذلك كتاباته فى صحيفة « مصر الفتاة » وفى مجلة « الكشكول » .

● النقد التكاملى ●

إذا كنت طالبا بمدينة المنصورة ، رحت أبحث فى المكتبة العامة بالمدينة ، وأجمع من مكتبات السوق كتب سيد قطب التى أحببتها ، كانت كلها كتبا نقدية مباشرة ، او ترتبط بالنقد بسبب من أسباب بلاغة التعبير ، وفصاحة الأسلوب ، وحسن الأداء ، وإستقامة المعالجة . كان بينها كتابان « التصوير الفنى فى القرآن » ، « ومشاهد القيامة فى القرآن » وكلاهما درس من دروس بلاغة التعبير فى القرآن إذ تتموج مع تموج الموضوعات والسياقات .

وكان بينها كتاب نقدي بحث ، توقف عنده طويلا . وكان الكتاب عن « النقد التكاملي » يطول الحديث لو اقدمنا عليه الآن عن موضوعات أبوابه وفصوله وعن منهجه ورؤيته نحاه ووجدتني اربط بينه وبين كتاب آخر ، في مجال آخر ، قرأته ليوسف مراد ، ذلك هو اب « علم النفس التكاملي » كانت ثمة مدارس في علم النفس ، وكانت ثمة مدارس في النقد لادبي ، وكان لكل منهما مناهجه . ودهشت لمحاولة « سيد » الجسور في خلق منهج أدبي حد ، من مناهج الدراسات النقدية ، وتجمع بينها في إهاب ، مثل دهشتي من محاولة يوسف اد الجسور في صهر مناهج المدارس النفسية في منهج واحد . وبدا لي الأمر وكأن روح صر تتحرك في النفس العربية ، والعقل العربي ، وتوجههما نحو هذا الصهر للمتفرقات في ارس العصر في بوتقة واحدة ، فالموضوع واحد ، وسبل النظر اليه تتعدد .

وكان النفس العربية ، والعقل العربي ، يميلان أبدا الى هذا النهج الحضاري منذ ميلاد حضارة العربية الاسلامية في العصر العباسي ، فهو النهج نفسه الذي سار عليه إخوان صفا ، فلاسفة المسلمين وعلماؤهم ، منذ القرن الثاني للهجرة الثامن من الميلاد ، ولقد ر على هذا النهج يسيرون في دأب مقدور حتى في عصور الانحطاط السياسية الى بدايات قرن الميلادي التاسع عشر .

وكان بينها كتاب « كتب وشخصيات » وكنت قد قرأت قبل وقت قريب رواية « خان خليلي » لنجيب محفوظ ، واكتشفت كاتبا واقعيا ، يقف على قدم المساواة في المحاولة مع زاك ، وديكنز ، وزولا ، ووجدت في هذا الكتاب دراسة نقدية لهذه الرواية ، ودراسة أخرى ن رواية « مليم الأكبر » لعادل كامل ، الذي عرفت فيما بعد أنه رائد الواقعية الحقيقي في صر ، والأستاذ الأول لنجيب محفوظ على تقاربهما في سنوات العمر ، مثلما عرفت فيما بعد ، سيد قطب كان هو أول ناقد يقدم هذين الكاتبين للناس ، في وقت كان النقاد فيه لايكترثون بير نقد الشعر ونقد أدب التراث ولايحفلون في قليل أو كثير ، بنقد المسرح والقصة ، إلا في در الاحيان . ولم يدر بخاطري لحظة أن كاتبي سيد قطب ، سوف يتوقف ذات يوم عن عطائه نقدي ، ومساهمته في الحياة الأدبية ، وسوف يخسره المبدعون للأدب في شكليه الجديدين اصة : المسرح ، والقص ، إلى درجة أنه كتب سطورا قليلة ، وجهها للشاعرة نازك الملائكة تذر فيها عن المشاركة بمقال نقدي في مجلة الآداب البيروتية ، لأنه وجه اهتمامه وعمره ضية أخرى أكبر وأجل هي الدعوة الى مجتمع الاسلام .

● الخراف الضالة ●

دهشت ذات يوم حين رأيت لسيد قطب ، كتابا يحمل عنوان « العدالة الاجتماعية في الاسلام » . قلت لنفسي « من النقد يتحول الكاتب سيد قطب الى الكتابات الاسلامية مثلما حول من قبله طه حسين في : « على هامش السيرة » و « الشيخان » و « الوعد الحق » و فجر الاسلام » و « مرآة الاسلام » ، ومثلما تحول من قبله العقاد في « العبقريات » وسواها ن كتبه الاسلامية قرأت كتاب سيد عن « العدالة الاجتماعية » في الاسلام . أعجبني نهجه يه ومنطقه ، وحيثياته من نصوص القرآن والحديث وواقع التاريخ لكنني ظللت اسائل نفسي



بحيرة . لم كان هذا التحول فجأة ؟ هل كان كتاباه « التصوير الفني » و « مشاهد القيامة » وهما من النقد البلاغي الحديث ، إرهاصا بسيره في طريق الدراسات الاسلامية ؟ هل يئس الكاتب من دور فعالية الكلمة المبدعة والناقدة في تغيير المجتمع ، وشعر بخلو الساحة العربية من فلسفة عصرية تفجر وتحدو إمكانيات المجتمع العربي وناسه ، فطرق بكتابه هذا الدرب ، ليقدم بالاسلام نهجا وفلسفة لوطن وعصر ؟ أم أن « سيد » يجري عليه مايجري على غيره من الكتاب العرب من تحولات ، في زمن عز فيه ، تحت سماء الشرق ، العثور على فلسفة ، ونظام يحقق التوازن العصرى ، لناس هذه البلاد ؟ أم أن الخراف الضالة لاتلبث أن تعود الى حظائرها بعد طول اغتراب ؟ ولم أجد جوابا لسؤالي الا بعد لقائي بضع مرات لسيد قطب ، في داره الفسيحة ، بضاحية حلوان وكانت الثورة قد بسطت على أرض مصر ، واخذت تناوىء الأحزاب ، وكنت قد كتبت مقالا بمجلة الرسالة بعثت به بالبريد من المنصورة . ونشرته الرسالة في باب عرض الكتب وكان المقال عن كتابه الاسلامي التالي « السلام العالمي والاسلام » وكان سيد قطب قد أخذ يكتب تفسيرا للقران ، تحت عنوان « في ظلال القرآن » وينحو في تفسيره نحوا نفسيا ، وبلاغيا ، يفسر فيه القرآن بالقران وبالحديث الصحيح ، وبمناسبة النزول للآيات ، في لغة شاعرية نثرية عزيزة المنال ، وقدر له أن ينجز بقية أجزاء هذا التفسير وهو في قلب السجن ، قبل شنقه بحبل مجدول .

● اللقاء الأول ●

في اليوم الأول بالقاهرة ومن فندق شعبي بشارع « كلوت بك » بحثت في دليل التليفون عن رقم تليفون كاتبي الأثير ، وجاء في صوته ، فأخبرته باسمي ، وبرغبتي في زيارته ، فوصف لي العنوان الى بيته في حلوان ، وأرشدني اليه بدقة وكأنه حريص على اللقاء .

وجدته جالسا في حديقة بيته ، تحت شجرة عتيقة تتدلى منها بين الأغصان مصابيح الكهرباء . أخذني خادم اليه كان يلبس جلبابا أبيض . كان أسمر اللون بيضاوي الوجه يحمل عينين واسعتين ، غافيتين أبدا ، وبدا لي وهو ينهض مصافحا نحيل القوام . وكان يجلس معه الشاعر « محمود أبو الوفا » . وشمرت إذ جلست معه (وعينا أبي الوفا ترقبني) بغربته وغربتي شكرني على مقالي عن كتابه ، وشردت عيناه ، ينصت الى السكون وزقزقة ما خافتة لطيور بين الأغصان في أشجار الحديقة ، سألني من أين أنا ، وشردت عيناه ، وران الصمت . سألني فيم قدومي الى القاهرة ، وشردت عيناه ، وران الصمت . شعر أبو الوفا بحرجي ، فأخذ يحدثني ، وسيد قطب يسمع وكأنه لايسمع ، وتذكرت ماكتب يوما طه حسين عن الحكيم إذ قال عنه : هو « غائب حاضر » و « حاضر غائب » . ترددت ، ثم سألته عن رأيه في هذه الثورة ، ابتسم وقال لي :

هنا ، تحت هذه الشجرة ، كان الضباط الاحرار يعقدون بعض اجتماعاتهم معي ، في فترة التمهيد للثورة .

كانت الحديقة واسعة ، يحيط سورها بها ، وبهذا البيت الريفى المطلى الجدران ، المنزوى فى جانب يسير منها وكانت عيناه قد عادتا للشرود ، وكأنه لاوقت فى الزمن ، ولاحساب لمرور اللحظات . وكأن الزمن هو ذلك الزمن الذى فى داخله وحده ، ورانى أجوس بعينى فى الحديقة ، فقال لى ضاحكا

ـ لست غنيا كان معى ألفا جنيه ، وهذا البيت كان لماذون حلوان مساحة نصف فدان ، اشتريته منه بكل ماكان معى ، وفى حديقته أقضى ليلى ، ومكتبى بجانب هذه النافذة هناك . الخضرة تساعد الكاتب ، ألست معى ؟

وشردت عيناه ، كأنما أرهقته الكلمات ، أو كأنه اعتاد أن يكتبها ، حتى نسى النطق بها ، ونهض عائدا الى البيت ، حتى ظننت أننى لم اعد مرغوبا فى بقائى ، فهممت بالانصراف ، فضحك ، أبو الوفا وقال .

ـ أنتظر ، سيعود . الوقت ، فى الليل ، هنا ، بلا حساب .

وعاد سيد قطب ، يحمل مظروفا ، اخرج منه صورا ، وأخذ يريها لى واحدة واحدة ، وكان هو فى كل صورة ، وتحت هذه الشجرة . وكانت كلها صورا ليلية أخذت فى ضوء الفلاش . وفى كل صورة كان هؤلاء الضباط الأحرار ، وهو بينهم ابدا واسطة العقد . واذ رددت اليه اخر صورة ، قلت

ـ لاأرى بينهم محمد نجيب .

فابتسم ، وقال :

ـ هذا جاءوا به واجهة للثورة . الرتبة العسكرية لها حساب .

وأرانى الصورة التى رددتها مرة أخرى ، وأشار الى جمال عبد الناصر . وقال

ـ هذا هو قائد الثورة الحقيقى . يتوارى الأن ، وراء نجيب ، وغدا سيكون له شأن آخر .

وأعاد الصورة الى المظروف ووضعه على أريكة خضراء مثل أرائك الحدائق العامة ، قلت :

ـ أراض أنت عن هذه الثورة ؟ !

قال سيد قطب :

ـ لا أجد فى تطور أمورها مايريح . فهؤلاء الأمريكان يحاولون احتواءها بدلا من الانجليز اتفهم ماأعنيه ؟

هززت رأسى ، وأطرقت . وسمعت صوته يقول .

ـ هل تحسّ كشاب أنهم سيفلتون من الاحتواء .

ولم أجد على لسانى ماأجيب به . قلت بتردد :

ـ هل تحولت عن النقد ؟

دهش . وقال :

ـ من قال ذلك ؟

ثم ابتسم وقال .



ـ الكاتب حين تكون له قضية ، يكتب في النقد ، وفي غير النقد . وغايته أن يبعث العافية في أوصال الناس . الكاتب ليس ناقدا فحسب .

وطالت الجلسة ، وطال الصمت ، وفرغت أقداح الشاي للمرة الثانية ، وانصرفت مودعا ، عائد الى محطة المترو ، عبر شوارع لايقطع سكونها ، سوى نباح الكلاب . في ليلة مظلمة ، شاحبة الأنوار ، مغبرة المصابيح .

● الأطياف الأربعة ●

أمام بائع صحف ، على رصيف ، بوسط القاهرة ، رأيت كتابا لحمل عنوان . « الأطياف الأربعة » ، ودهشت إذ وجدت عليه اسم سيد قطب ، وأسماء ثلاثة قدرت من اللقب أنهم إخوته

اشتريت الكتاب ، وجلست على أول مقهى مع الضحى ، كان الكتاب لونا من المذكرات وسيرة الحياة في مجتمع متخلف ، في قرية نائية من قرى مصر . قدم لي الكتاب حياة الطفولة والصبا لسيد وإخوته ، في عالم القرية ، مثلما فعل طه حسين في الجزء الأول من أيامه . وبدت لي سيرة الأخوة الأربعة ، الصبية ، أكثر صدقا ، وبساطة ، وواقعية من أيام طه حسين ، ومن عالم معذبيه وعجبت لأن الأسلوب واللغة ، هما أسلوب سيد ولغته . فهل صب قلمه ماكتبه الأخوة في نسق واحد ، أم أنه هو الذي فكر وكتب مافكر فيه ؟ وهل تراه ، وحياته مشتركة مع حياة إخوته ، كان يترجم لفترة من العمر ، لنفسه ولأخوة يحبهم ، في أن واحد ، وهو لهم بمثابة الأب والأم والأخ الأكبر معا ؟ .. فيما بعد لم أعرف من بين الاخوة الأربعة ، كاتبا ، عدا سيد ، سوى أخيه : محمد قطب ، وكان في كتاباته ، بعد أن تحول سيد تحوله الأخير ، مثل الصدى للصوت ، والشارح للمتن ، والحاشية للشرح ، والهامش للنص ، والذيل للفصل . كان يردد أفكار أخيه وربما تكون الفكرة فقرة ، مجرد فقرة في كتاب ، فتصبح تحت يده كتابا ، لأخ ذاب في أخيه ، وقارىء الشهر في مثله الأعلى . ومن المدهش والعجيب أنه كان يحتذيه في أسلوبه وألفاظه ، وإيقاع جمله ، حتى في هذه الحروف الممدودة في الكلمات الأخيرة من الجمل ، أو الفقرات ، قبل الحرف الأخير .

وأحزنني أن أعلم ، من أحاديث الأدباء في مقاهي الأدب ، أن سيد قطب ، يعيش برئة واحدة ، بها يمدّ جسده بالهواء وأنه ربما بسبب هذه الرئة الوحيدة ، يلزم بيته ، ويحيا من قلمه ، ويغادر وظيفته باللجنة الثقافية بوزارة التربية والتعليم ، ويترك الأدب الى الكتابات الاسلامية . ودور الناقد ، لدور الداعية ، وأنه يوشك على الولوج في عالم التصوف . واستبعدت بيني وبين نفسي ، أن يتصوف سيد فمن يحمل مثل روحه حتى في بدن نحيل ، ومن يصبح القلم في يده الصغير مثل سوط في يد عملاق ، لايلج ابدا طريقا إلا

من الباب الضيق ، ومثله لايهرب من مشاق الدنيا ، وابوابها الضيقة ، الى عالم التصوف ، وابوابه الوسيعة ، كفضاء الدنيا .

● اللقاء الأخير ●

نشر في صحيفة أن سيد قطب ، يلازم فراشه لمرضه بوعكة ـ صحية قد ألمت به . ومع اننى منذ أن سار سيد فى طريق غير الذى اخطه لنفسى ، وفى درب غير الذى كنا ، نحن الادباء ، نسير فيه فقد قررت الذهاب لزيارته ، فأنا أدين له لم ازل فى روحى بالكثير .
كان امر ، الاخوان المسلمين ، قد آل الى المرشد العام الجديد ، حسن الهضيبى ، وكان " سيد قطب " قد صار ، بعد ضرب الثورة للاحزاب بالأخوان ، اشهر والمع كاتب في صحيفة الاخوان الجديدة ، الدعوة ، صار كاتبا ثوريا على النهج الاسلامى ، تحت راية " الاخوان المسلمين " ، ولم يُخف تشكوكه عن قلمه ، ولا عن الناس ، وهى شكوك ظهر فيما بعد انه كان مخطئا فيها جميعا كان يهاجم هذه الاتصالات بين الثورة وبين الأمريكان ، ويوشك ان يدعو الناس إلى الانتفاضة ضد ضباطها الاحرار ، مثلما كان يدعو الفدائيين قبل الثورة ، للاستدارة الى ضرب الجهات التي تعوقهم عن العمل الفدائى ضد الانجليز فى داخل مصر ، مهذه الجهات هى ـ آنذاك ، في رأيه ـ العدو الرئيسى ، والانجليز ، سيأتى دورهم بعد ذلك حين تتوحد الصفوف ، وتتطهر أرض الوطن ، ومثلما كان يفعل فى صحيفة ، مصر الفتاة ، تحت عنوان ، وراء الرغيف ، ومثلما كان يفعل في مجلة ، الكشكول ، محرضا فى الاثنين الناس على المطالبة بالعدالة ، لينال الفقراء والمستضعفون حظهم من الدنيا ، ويكون لانسانيتهم حق الأخذ والعطاء .

كان راقدا على سريره ، لاهث الانفاس ، يعانى من برد شديد ، مدًلى يده الصغيرة مصافحا ، وهو ينهض بنصف قومة ، وجلست بجانبه على مقعد وقلت له ضاحكا :
ـ ظننت أن مرضك مرض سياسي .

فقال لى
ـ إن شئت الحق الاثنان معا
تذكرت يوما سمعت فيه عن محاضرة فى قاعة ، على مبارك ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، فذهبت لأسمعه يتحدث خطيبا لأول مرة ورأيت ذلك النحيل البدن ، الشارد العينين ، الذى يؤثر القول بالقلم ، عن القلم باللسان ، خطيبا مفوها ، وداعية إسلاميا حاضر الذهن ، بالآيات ، والأحاديث ، ووقائع التاريخ ، يحدث الحاضرين فى القاعة عن طريق الايمان ، وعن عدم فصل الاسلام بين الدين والدنيا ، والمادة والروح ، والمسجد والدولة ، مثلما تفعل حضارات الغرب والشرق ، ويروى من سيرة حياته (سمعت ذلك بأذنى) أنه ظل ملحدا أحد عشر عاما ، حتى اخذ يكتب كتابه ، العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، فاذا به يعثر على الطريق الى الله ، ويخرج من حيرة الالحاد الى طمأنينة الايمان ، وتسوقه الخطبة الى مهاجمة



الجامعة ، فى قلب الجامعة ، ويصف أساتذتها بقوله . « جهل يحمل الدكتوراه » . عند تلك القولة « الهفوة » شعرت أنه قد صار بينى وبينه بون شاسع .

جاءت شقيقته الصغرى بالشاى ، وضعته بيننا ، وقلت لسيد

ـ مارأيك فى الاشتراكية ؟

فقال لى

ـ لا هدف لها سوى العدالة . والاسلام عندى اشتراكى النزعة .

قلت له :

ـ وددت لو أعرف منك . لم انضممت الى الاخوان ، وصرت لهم خطيبا ، وداعية ؟

فقال لى :

ـ فى الناس وحوش . ولا يوقف وحشيتهم بالوجدان ، سوى الدين ، ولايجرىء الضعفاء عليهم سوى الدين .

فهمت فى تلك اللحظة نزعة المصلح الاجتماعى المثالى عند سيد قطب ، وسر اختياره لهذا الطريق . رويت له كيف أننى كنت عضوا مغمورا بالاخوان قبل سنين وكيف بكيت يوم مات مرشدهم حسن البنا ، وكيف تركت الاخوان ، حين جلست على رصيف محطة للسكة الحديد ، اقرأ فى كتاب « علم النفس التكاملى » ليوسف مراد فى ظل شجرة رطيب فى عز الظهيرة ، وجاء قائد من قادة الاخوان ، وجذب الكتاب من يدى ، وإذ قرأ عنوانه ، طوّح به ، وودت يده بصفعة على خدى وأذنى ، وقال لى :

ـ أتقرأ هذه الكتب ، وتترك كتاب الله ؟

ابتسم سيد بحنو ، وقال :

ـ ولذلك تركت الاخوان ؟

قلت :

ـ أجل . هذا التطرف ، والكراهية لعلوم الدنيا ، لاأطيقها من أحد

فقال لى :

ـ انهم شباب ينقصهم الكثير من المعرفة بأمور الدين ، وروح الدين ، وغاية الدين .

ولم يفلح يومها سيد فى اعادتى الى « الحظيرة » ولم أتوقع منه هو ، أن يكون فى يوم ما ، داعية لهذا التطرف العنيف ، فى كتابه الرهيب : « معالم على الطريق » ، وكأنه كان يشعر أنه سيودع الدنيا ، شهيدا ، بعد حين ، ويستعجل الشهادة

كثيرا ماكان يخالجنى الشك فى صلته بالعقاد . فأسلوب سيد فيه لمسات الاحتذاء للعقاد ، روى لى سيد ذكرى مريرة ، بدا لى وهو يرويها كأنها لم تعد تحزنه ، أو تعنيه فى شىء قال لى وهو يبتسم :

ـ كنت له تلميذا محباً ، وكنت أقدم له كتبى ، فيثنى على ، ويقربنى منه ، حتى طلبت منه ذات يوم أن يكتب مقدمة لكتاب لىّ ، يقدمنى به للناس . فأبى ذلك على نفسه وعلىّ . وشعرت بالغيظ . حين آثر أن يقدم لكتاب « بروتوكلات حكماء صهيون » لخليفة التونسى . ولايقدم

لكتابي . فجفوته وجفاني . وهجرت مجلسه .

سالت سيد قطب

ـ اى كتاب كان ؟

فقال لى

ـ ليس ذلك مهما الآن .

واثر سيد الصمت فى هذا الموضوع ، ولم الح عليه . لكنني فكرت انه ولابد كان واحدا من كتابين « التصوير الفنى » . او « مشاهد القيامة » ، وهما موضوعان يجدر ان يكتب فيهما العقاد . أيكون السبب هو غيرة الاستاذ من تلميذه الموهوب ؟ ام يكون سبب الرفض والجفوة ، حدة القلم ، وتمرد الروح ، فى كتابات سيد قطب ؟

● علم الاعلام ●

شقت صفوف الاخوان بعد ضرب الاحزاب . والغاء الدستور ، وحل البرلمان ، باثارة اتجاهين ، داخل صفوف الاخوان ، احدهما ضد الآخر ، اتجاه الدعاة من خريجى الأزهر ، واتجاه الدعاة من خريجي الجامعات الحديثة ، وكان سيد قطب علم الاعلام فى هذا الاتجاه الأخير .

وصدر كتاب « معالم على الطريق » لسيد قطب ، وقد حلت جماعة الأخوان ، وجرت المحاولة لاغتيال عبد الناصر ، حقيقة كانت هذه المحاولة او تمثيلا ، والقت الثورة القبض على مفكرى جماعة الاخوان . وفى طليعتهم سيد قطب ، وعبد القادر عودة

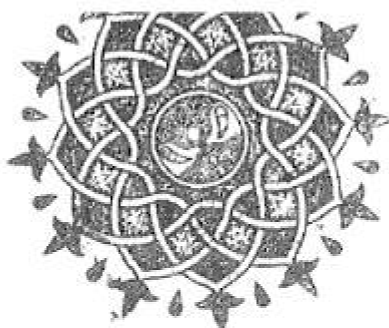
مازلت اذكر يوما ، جلست فيه مع الناس ، ونحن ننصت الى محاكمة الثورة (فى محكمة الشعب) لقيادات الاخوان . وإذ جاء الدور على سيد قطب ، فوجئت به ، عبر الأثير يتكلم ، هو النحيل البدن ، ذو الرئة الواحدة ، بقوة ، لاحساب معها لخوف من ضرب أو تعذيب ، قبل المحاكمة ، او بعد المحاكمة ، يتحدث بصفاء مدهش ، الى قاضيه ، وقد كان واحدا من صفوة من الثوار يجتمعون عنده فى بيته ، فى الليالى الحارة ، والليالى الباردة ، يتحاورون ، فى أمور التمهيد للثورة ، والاعداد لها ، ولقد اراني سيد يوم زرته اول مرة ، صورة لهما كان يجلسان معا ، ويأكلان معا القاضى والمتهم وحدث دون ان يدور لهما بخاطره ، ان احدهما سيكون ضحية بكلمة ينطق به صاحبه

ومازلت اذكر يوم قابلت شقيقه ، محمد ، وكنت قد أصدرت أول مجموعة قصصية لى ، واهديتها لسيد فى سجنه ، فاخذها إليه ، فاخذها منه سيد . وقد اعاد الى سيد قطب الغلاف الداخلى الذى خططت بيدى الاهداء اليه ، وحمل محمد الورقة الى ، قائلا لى .

ـ سيد يقول لك : إنه لاينبغى ان ينالك اذى بسببى . فمزق هذه الورقة بيدك انت

أشفق سيد ان يمزق هو الورقة بيده ولا اعلم . فاقع ذات لحظة اسير الهواجس والمخاوف والظنون ، واظل اترقب . وقد كان ذلك يمكن أن يحدث لى ، إثر إعلان الحكم عليه بالموت شنقا .

فى العدد القادم : سيد قطب وثلاث رسائل لم تنشر
بقلم الدكتور : الطاهر احمد مكى



من أمراض الصحوة الإسلامية المعاصرة

بقلم : د . محمد عمارة

● إن الحديث عن أمراض الصحوة الاسلامية نغمة سائدة وعالية في صفوف خصوم هذه الصحوة ، يسفهون به قدرها ، ويهونون به من شأنها ، وينفرون الناس منها بهذا الحديث . لكن الغيورين على هذه الصحوة ، المناضلين في سبيلها - بالفكر - أو بالعمل - أو بهما معا - يخوضون بشجاعة المناضلين ميدان النظر في هذه الأمراض ، تطويقا لآثارها ، وبحثا عن سبل البرء من أدوائها ، وذلك حتى تبلغ هذه الصحوة بالأمة الهدف الذي قامت من أجله : الاحياء الحضاري والبعث القومي وتجديد واقع المسلمين بالاسلام الحضاري المتجدد أبدا ..

ونحن إذا تخيرنا مثالا من الأبحاث التي عرضت ، من منطلق إسلامي ، لأمراض الصحوة الاسلامية ، فسنجد الغيورين على هذه الصحوة يذكرون من هذه الأمراض :



ابو الاعلى المودودي



التفرق والتشرذم . الذى يبدد الطاقات . بل ويجعل باس الاسلاميين عنهم شديدا ..

والتطرف والغلو : ليس فى النسك والعبادات . وإنما فى سرعة إصدار الأحكام ، واختيار الحاد والعنيف منها ، والميل إلى التعميم فى هذه الاحكام - من مثل « الجاهلية » و« التكفير » - حتى على فصائل اخرى منطلقها الاسلام !

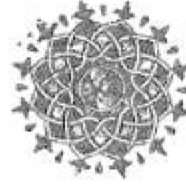
الغرور : بالقوة الذاتية ، مهما ضعفت ، وبالحصيلة الفكرية مهما هزلت .. **والاستعلاء** على الآخرين ..

الانغلاق على الذات : اجتماعيا وانسانيا وفكريا ، بإهمال العلاقات بالتيارات الفكرية والحركية الاخرى ، واسقاط الفكر غير الاسلامى من الحسبان ، محليا كان أو عالميا ، بل ورفض الفكر الاسلامى الذى لم ينتجه او يجزه اعلام « الجماعة » وأمراؤها ! ..

السطحية : فى تصور الحلول للمشكلات المعقدة التى تواجه الامة وتعترض سبيل العمل الاسلامى ..

الارتجال : النابع من النظرة وحيدة الجانب ، لغيبة التصورات المختلفة والبدائل المتعددة التى تطرحها التيارات الأخرى للمشكلات .

تقديس التراث : بعدم التمييز بين « الدين المقدس » و« الوحى » و« الوضع الألهى » وبين الابداع والاجتهاد الاسلامى المحكوم بقدرات المجتهدين ومواقفهم الفكرية وزمانهم والمكان الذى عاشوا فيه وملابسات الواقع الذى اجتهدوا له .



ويدخل في ذلك . التعبد بنصوص ليست وحيا .. بل وبتفسيرات لنصوص الوحي . بل والتعبد بأحداث التاريخ الاسلامي المبكر .. وتجريد النصوص من ملابساتها . التي هي « مذكرات تفسيرها » .. وكذلك اجتزاء بعض النصوص . وعزلها عن سياقها ، وغيبة « القراءة المتكاملة والمقارنة للنصوص .

تلك بعض من « الامراض » الملحوظة في بعض الفصائل الشبابية الاسلامية وهنا يتساءل الكثيرون عن « المنبع الفكري » لهذه الامراض .

إن بعضنا من خصوم الاستاذ «ابو الاعلى المودودي» يحملونه تبعة جميع هذه الأمراض .. فهو مبتدع نظرية « الحاكمية » واول من حكم **على المجتمعات الاسلامية** باللا إسلامية ، فقال « بالجاهلية الجديدة » و« **بالتكفير** » **وتلك المقولات** المودودية هي **القاسم المشترك بين فصائل** الغلو **في حركة الصحوة الاسلامية** .. وكتاباته هي **المصادر الاكثر شيوعا** وتاثيرا لدى **الفصائل التي تنتشر فيها** هذه « الامراض » .. هكذا يقول خصوم الرجل . **إسلاميون وغير اسلاميين** ..

أما أنصاره فإنهم يبرئونه من جميع ذلك ، ويدعو بعضهم إلى التمييز بين فكره ـ الذي ينفون عنه أي خطأ ـ وبين صورة هذا الفكر كما تجلت عند الشهيد سيد قطب [١٣٢٤ ـ ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م] .. فهم ينحون باللائمة على سيد قطب ، الذي جرد مقولات المودودي من ملابساتها الهندية الخاصة . ووظفها في المناخ العربي الاسلامي المغاير .. بل وتصاعد ببعض هذه المقولات غلوا وتطرفا .. فلقد رفض « القومية » بعامة ، على حين كان رفض المودودي « للقومية السياسية » التي اسس عليها « حزب المؤتمر الهندي » دعوته لوحدة الهند ... ولم يرفض « القومية الحضارية » ، بل ودعا إلى مستقبل للهند مؤسس على تمايز قومياتها الحضارية .. ومثل ذلك الموقف من مقولة « التكفير » فعلى حين وقف المودودي بحكم « التكفير » عند الدولة ـ وكانت « استعمارية ـ هندوكية » ـ وعند حدود المجتمع ـ وكانت اغلبيته غير مسلمة والسيادة فيه للقيم غير الإسلامية ـ وجدنا سيد قطب يحكم بالكفر على الامة ، باستثناء التنظيم الذي اتخذ كتابه [معالم في الطريق] دليلا ومنهاجا[١] .

ورغم وجاهة هذا الدفاع عن فكر الأستاذ المودودى ، وصدق مقولة تصاعد سيد قطب ـ فى اتجاه المزيد من الغلو ـ بما قاله ابوالاعلى فى « التكفير » .. إلا اننا نود أن نلفت الانتباه إلى عدد من الحقائق الهامة .. والتى تزداد أهميتها عندما يكون مكانها هو الحديث عن « امراض » الصحوة الاسلامية »

واولى هذه الحقائق : ان الكثيرين من قراء المودودى ومريديه ـ ومنهم سيد قطب ـ قد عزلوا نصوصه عن ملابساتها ، فنظروا إليها كدين ، او على الاقل « نظريات إسلامية » عامة ، ولم ينظروا إليها « كفكر سياسى » إسلامى صيغ لملابسات متميزة وخاصة .. وساعدهم على ذلك ان الرجل لم يقدم مقولاته باعتبارها « الرؤية الإسلامية لمناضل مسلم فى بيئة محددة ، وإنما قدما باعتبارها « الإسلام » ؟ ! .. ثم إن هؤلاء القراء والمريدين لم يلحظوا ان الرجل قد غير اراءه فى الموضوع الواحد عندما تبدلت الظروف والملابسات ..

وثانية هذه الحقائق : ان صياغات الأستاذ المودودى لكثير من مقولاته قد ساعدت على كثير من اللبس والغموض والابهام ، الذى حال دون فهم حقيقة مراميه من وراء هذه المقولات .. فحينا تكون الصياغات موهمة بغير مايعنيه ، وذلك بالتركيز على جانب من الفكرة ، وإهمال الضوابط وعدم الاشارة الى الجوانب الاخرى . ويشيع ذلك كثيرا فيما كتبه عن « الحاكمية » و« التكفير » ـ وهما من اخطر المقولات التى اشاعت وتشيع الغلو فى صفوف كثير من الشباب الاسلاميين ..

والحقيقة الثالثة : ان كثيرين من تلامذة الاستاذ المودودى واتباعه لم ينتبهوا إلى ان الرجل كان « مفكرا ـ مناضلا ـ إثاريا ـ يكتب « للجماهير » ، ومن ثم فلقد استخدم « التحريض العاطفى » مع « الفكر النظرى المنضبط » ، ولجأ إلى « العبارات المجازية » مع « المصطلحات العلمية » وشاع جميع ذلك واختلط فى سياق صياغاته لنظريات سياسية إسلامية هي اشد ماتكون حاجة الى الصياغة الدقيقة المنضبطة ، لتعلقها بالإسلام من ناحية ، ولما يترتب عليها من الحكم على عقائد الناس من ناحية اخرى ..

والحقيقة الرابعة : والتى هى بمثابة الثمرة لما تقدم فى هذا الموضوع ـ أن اتباع المودودى ومريديه لم يدركوا استحالة فهم المرامي الحقيقية للرجل من وراء المقولات النظرية التى ابدعها،دون القراءة «الشاملة ـ المقارنة» لكل اثاره الفكرية ، او اغلبها على الاقل ... فبهذا النهج فى دراسة فكر المودودى يتم ضبط المصطلح ... واستكمال عناصر كل مقولة نظرية ... وإدراك علاقة كل فكرة نظرية بالواقع الذى اثمرها ... وتتبع اثر تطور الواقع وتغيره على تطور المقولة وتغيرها ... فهذه الدراسة



بهذا النهج ، هى وحدها الكفيلة بإدراك المرامي الحقيقية للرجل ، ومن ثم إنصافه وإعطائه حقه لدى انصاره وخصومه على السواء ...



● اختلاف المفهوم الايديولوجى

ونحن لاندعى اننا أول من تنبه إلي هذه الحقائق بصدد دراسة فكر الأستاذ المودودى ..

● فاحد قادة « الجماعة الإسلامية » التى اسسها المودودى ـ يشير إلى تغير واختلاف « المفهوم الأيديولوجى ـ فى باكستان ، ذات الاغلبية المسلمة ، عنه فى الهند ، ذات الاغلبية غير المسلمة ، واثر ذلك على تغير « الحقائق الموضوعية ، التى تكون مفهوم عملية الحركة الإسلامية .. »[3] ...

ومع ذلك ، فإن فصائل كثيرة فى محيط الصحوة الإسلامية مازالت تتعبد بالصياغات الفكرية التى صاغها المودودى لواقع الهند مابين سنة ١٩٣٧ و سنة ١٩٤١م .. الهند المستعمرة الانجليزية ، ذات الاغلبية الهندوكية ؟! ..

● واثناء محنة « جماعة الاخوان المسلمين » الاولى .. وعندما ظهرت فى صفوف بعض شباب الجماعة ـ بالسجن ـ مقولة المودودى عن « التكفير » ... تنبه الكثيرون ونبهوا الى خصوصية هذا الفكر السياسي .. وكتب احدهم فقال : « فى سنة ١٩٤٩م ارسلت من زنزانتى رقم ٢٢ بسجن مصر ، خطابا إلى حلب ، طالبا من مكتبة الشباب المسلم مجموعة كاملة من رسائل «ابوالأعلى المودودى» ، لاقدم من خلالها دراسة عن فكر المودودى ، **لاوقف عبث بعض الطلبة حينذاك** . ووصلتنى ١٣ رسالة منها . **وقد علمنا وتعلمنا ان لكل ارض مناخها ومناهجها و اساليبها . والاسلام واحد من لدن عليم خبير** ! ... »[4] ومع ذلك ، فإن البعض يابى إلا التعميم ؟! ..

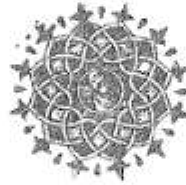
● وفصيل من فصائل الحركة الاسلامية يناقش الذين انطلقوا من صياغات المودودى إلى تكفير المسلمين ، لافتا نظرهم إلى بعض الحقائق التى اشرنا إليها . فيقول هذا الفصيل فى التقديم لاحدى طبعات رسالة الاستاذ المودودى [الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية] ... « وثمة ملاحظة على اسلوب الرسالة فهى فى الأصل خطبة ، **والأستاذ المودودى زعيم شعبى وخطيب مفوه** . بالاضافة الى انه

يبتغى اقتلاع مفاهيم خاطئة وانتزاع قيم هابطة . وإحلال بدائل إسلامية . وهي عملية شديدة المشقة . كما انه يستثير عزائم الجماهير ويستنهض هممهم ويستجيش مشاعرهم .. وضرورى لهذه الاسباب . ان يستخدم الاسلوب الخطابى الحماسى الذى من طبيعته المبالغة فى التحذير من التقصير فى الواجبات والترهيب من الوقوع في شعب الكفر . والشدة في إصدار الاحكام العامة ولقد ذهب بعض الناس . استنادا لمثل هذا الأسلوب . واعتمادا على واقع مفروض على المسلمين قهرا . ذهبوا الى الحكم بكفر سائر المسلمين الا من ثبت لديهم إيمانه . او ذهبوا على الاقل الى التشكيك في إيمانهم . وفاتهم ان الأستاذ المودودى . الذى يستدلون باقواله . قد استدرك على نفسه . وذكر بصريح اللفظ والعبارة انه لايقصد هذا المقصد الذى يرمون إليه . فها هو يقول في هذا الكتاب ـ [الأسس الاخلاقية للحركة الاسلامية] ـ مانصه : « غير ان الذى لاريب فيه ان تكفير رجل من رجال الاسلام بحكم الشرع والقانون واخراجه من حظيرة الأمة المسلمة لايتعلق بهذا المقام . فإن الحاجة فيه الى الحيطة والتانى شديدة جدا .. »[*] .

ومع ذلك . فإن كثيرين يغضون الطرف عن مثل هذه الاشارات : ..

● بل ان الذين ينظرون بفقه وتامل في كتابات الأستاذ المودودى يرون ان الرجل قد نبه على السبيل الآمن لادراك المرامي من وراء الصياغات . باستخدام « النظرة المقارنة » بين مختلف الصياغات . التى تعرض ـ فى تفاوت وتمايز للقضية الواحدة ـ نبه على ذلك فى نص شديد الأهمية . وهو يتحدث عن منهجه المفضل فى فهم القرآن والسنة ... فالقرآن . عنده مهمته الحقيقية هى أن يعرض الاسس الفكرية والخلقية للنظام الاسلامى بوضوح . ثم يثبتها تثبيتا قويا بكلا الطريقتين : التدليل العقلى . والتحريض العاطفي[6] .. » ... ولذلك . فإننا . إذا اردنا الاستنتاج الصحيح . سواء من اية من آيات القرآن او حديث من احاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم . يلزمنا أن نجيل فيهما نظرة شاملة تحيط بكل جوانبهما . واما اذا تناولنا اية واحدة او حديثا واحدا . بغض النظر عن سائر الأجزاء المتعلقة به المذكورة في الآيات والاحاديث الاخرى . وحسبناها تستقل بما تحويه فلا شيء ينقذنا من الارتطام فى الخطا والوقوع فريسة الفهم السيء .. » .

وبعد ان حدد المودودى هذا المنهج « المتكامل ـ المقارن » فى قراءة النصوص قراءة « تنقذنا من الارتطام في الخطا والوقوع فريسة الفهم السيء » ضرب لنا مثلا . فقال : « واورد لك مثالا على ماقلت : إن القرآن يركز مرة . على تاكيد الايمان بالله فقط . كما جاء فى آية : [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم بها توعدون][7]



ثانيا يقصر التاكيد على ضرورة الايمان بالآخرة فقط ، كما جاء فى اية [قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله][8] .

ثالثا : يذكر اليوم الآخر مع الايمان بالله ، كما ترى فى اية [من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم][9] **رابعا** : امر الايمان بالرسل مقرونا بالايمان بالله ، وذلك فى اية : [فآمنوا بالله ورسله ..] .[10] **وخامسا** : يلقن الايمان برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بجانب الايمان بالله بصفة خاصة ، كما فى آية [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه][11] **وسادسا** : ينصب على الحاجة الاكيدة الى الايمان بالآخرة والكتب الالهية فقط ، كما فى اية . [ياايها الذين امنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل][12] . **وسابعا** . يقرر إنكار الانسان للانبياء والملائكة كفرا وفسقا . وهذا فى آية [من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين][13] . **وثامنا** . بين للايمان خمس شعب بصورة متماسكة ، وهى : الايمان بالله ، والايمان بالرسل والايمان بالكتب والايمان بالملائكة ، والايمان باليوم الآخر ، وخذلك مثالا اية [ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين][14] . ولكن من **الحقيقة ان هذه الآيات كلها لاتعارض بعضها بعضا . بل تتضمن كل اية منها جزءا او شعبة من الاجزاء او الشعب المتعددة للايمان . حيث ان بعض الآيات شملت كل اجزائه وشعبه . بينما لم تؤكد الآيات الاخرى الا جزءا او جزئين من الايمان . اخذة بمبدا التركيز على الجزء الذى يلائم المناسبة . ويلبى الضرورة المرحلية . ويحقق المقتضى الناشىء ..**[15]

إن هذا المنهج .. الشمولى ـ المقارن .. الذى حدده المودودى لفقه مرامى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . هو فى نظرنا . من ادق المناهج فى الدراسة الواعية والعلمية لآثار اى مفكر من المفكرين .. فالنظرة الشاملة لجميع ماكتب حول كل قضية من القضايا . وترتيب هذه الكتابات تاريخيا ، ورؤيتها فى ضوء الواقع الذى افرزها ، والجمهور الذى توجهت اليه .. الخ .. الخ .. هى اكثر السبل امنا فى فقه المرامى الحقيقية لهذا المفكر من وراء ماصاغ من نظريات ومقولات .. اما الاجتزاء ـ وهو الداء الذى اصاب جمهورا كبيرا من مريدى الأستاذ المودودى ـ فإنه قائد لامحالة ـ كما قد حدث . للاسف الشديد ـ الى ماقد سماه الرجل بحق : « الارتطام فى الخطا والوقوع فريسة الفهم السىء » ؟! ..

لكل هذا الذى أسلفنا كانت الحاجة شديدة وماسة وملحة الى دراسة . متكاملة - مقارنة - نقدية ، تحدد - في دقة - المرامي الحقيقية للأستاذ المودودي من وراء مقولاته ، التى احدثت ولازالت تحدث الكثير من الجدل واللغط فى صفوف جماهير واسعة من تيارات الصحوة الاسلامية المعاصرة وجماعاتها . فتنصف الرجل من خصومه وانصاره على السواء . وتجعل من ثمرات ابداع هذا « المفكر - المناضل » الكبير رصيدا يثري الفكر السياسي الاسلامي المعاصر ، وينير دروب السالكين طريق أسلمة الواقع الاسلامي ، بدلا من ان تشيع الضباب فى سماء هذا الطريق ... وتنشر في صفوف بعض الاسلاميين الكثير من « الأمراض » ؟! ..

---

(١) انظر بحث الاستاذ محي الدين عطية بعنوان [امراض الصحوة الاسلامية - محاولة للتشخيص والعلاج].
مجلة [المسلم المعاصر] ص ٩ - ٢١ عدد ٤٢ السنة ١١ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ إبريل سنة ١٩٨٥م . - والبحث - قبل نشره - مقدم إلى الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامي . بالجزائر ١٠ - ١٦ يوليو سنة ١٩٨٤م .

(٢) انظر كتابنا [الصحوة الاسلامية والتحدى الحضارى] فصل « الجماعة الاسلامية » ص ٨٥ - ١٤٢ وفصل « تيار الرفض الكامل للواقع » ص ١٤٣ - ١٧٢ . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م .

(٣) د . خورشيد احمد [نموذج المودودي للبحث الاسلامي] بحث منشور فى مجلة [المسلم المعاصر] العدد ٣١ رمضان سنة ١٤٠٢هـ ص ٨ ، ٩
(٤) انظر كلمة سعد سيد احمد ، على غلاف كتاب [ابو الأعلى المودودى . فكره ودعوته] للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم طبعة دار الانصار . القاهرة سنة ١٩٧٩م .

(٥) مقدمة كتبتها « لجنة الاعلام والنشر بالاتحاد العام لطلاب مصر » - وهي من فصائل الجماعات الاسلامية - بمصر - لطبعة القاهرة لكتاب [الأسس الاخلاقية للحركة الاسلامية] سنة ١٩٧٧م . ص ١٠ ، ١١ .
(٦) المودودى [المبادىء الأساسية لفهم القرآن] ص ٦٢ تعريب خليل احمد الحامدي . طبعة الكويت سنة ١٩٧١م .
(٧) فصلت : ٣٠ .

(٨) الأنعام : ٣١ . (٩) البقرة . ٦٢ . (١٠) آل عمران : ١٧٩ . (١١) النور . ٦٢ . (١٢) النساء : ١٣٦ . (١٣) البقرة : ٩٨ . (١٤) البقرة : ١٧٧ . (١٥) المودودى [مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة] ص ٣٩ ، ٤٠ طبعة الكويت سنة ١٩٧٧م .

التيارات الفكرية فى مصر
فى القرن العشرين (٣)

التيار القومي العربي

بقلم : حسين أحمد أمين

● تعنى القومية العربية تلك الحركة التى نشأت بين ظهرانى عرب اقطار الدولة العثمانية ،ودعت فى بدايتها – بمباركة الحلفاء الاوروبيين وتشجيعهم ، بل وربما بوحى منهم – الى الاستقلال عن تركيا حليفة الالمان فى الحرب العالمية الاولى ، ثم تطورت بعد تحقيقها لهذا الهدف ، وبعد وقوع عدد من الاقطار العربية فى براثن الاحتلالين البريطانى والفرنسى الى الدعوة الى قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية بين هذه الاقطار ، يتفاوت بتفاوت افكار الدعاة . وقد ذهب هؤلاء الى ان ثمة امة عربية واحدة ، قد انقسمت بسبب ظروف خارجة عن ارادتها الى دول مستقلة ، وان الواجب العمل على اعادة توحيدها فى كيان سياسى عضوى واحد ذى سيادة بالنظر الى مايجمع بينها من عناصر هى الدين (الاسلام) واللغة (العربية) والثقافة « الاسلامية »،والارض المفتدة ، والتاريخ المشترك ، ثم المصلحة الاقتصادية التى ستعود على الجميع من جراء الوحدة

ولا شك فى أن ظهور المشكلة الفلسطينية وقيام دولة اسرائيل ، اضافا الى الدعوة حافزا جديدا يتمثل فى وحدة الهدف ، والاحساس المشترك بالخطر .

● الانتماء العربى ●

وكان أول من لهج بفكرة القومية العربية عبد الرحمن الكواكبى الحلبى المولد ، « ١٨٤٩ – ١٩٠٢ » ، حين كرر فى كتابه « أم القرى » بالحرف الواحد ماسبق لويلفرد بلنت البريطانى أن عبر عنه من آراء فى كتابه « مستقبل الاسلام » عام ١٨٨٢ . ثم حدث أن تبنى السيد رشيد رضا (وهو الذى اتهمه محمد فريد فى مذكراته بأنه عميل للبريطانيين) هذه الدعوة فى مجلته « المنار » . وكانت دعوة الرجلين ، المستقاة من افكار بلنت ، والتى عنيت بايضاح المركز الخاص الذى يتمتع

به العرب في اطار الاسلام ، أول نقلة حاسمة من فكرة الجامعة الاسلامية التي حمل الافغاني لواءها ، الى فكرة القومية العربية . وقد جاء هذا التحول لدى معتنقي الفكرة من الانتماء الاسلامي الى الانتماء العربي نتيجة لعدة عوامل ، منها : الضعف المطرد الذي طرأ على العقيدة الدينية لدى الكثيرين من العلمانيين وممن تبنوا نمط المعيشة الغربي ، والوهن المتزايد في الصلات بين أطراف العالم الاسلامي نتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية في دوله ، والرغبة في ضمان مساهمة الاقليات غير المسلمة في هذه الحركة ، وتجنب وقوفها بمنأى عنها أو مقاومتها . كل هذا بالرغم من أن فكرة القومية العربية نابعة في المقام الاول من مفهوم مثالي لماض حضاري ديني .

وقد كان السياسيون والصحافيون والكتاب في العراق وسوريا ولبنان (أي مجموعة أقطار الهلال الخصيب التي حررها البريطانيون والفرنسيون من حكم الاتراك خلال الحرب العالمية الاولى ثم أخضعوها بعد ذلك لاحتلالهم) . أول من حمل لواء فكرة القومية على نحو جاد ، بادئين بصياغة الاسس النظرية والفلسفية والتاريخية لها .. غير أن الدعوة ظلت قاصرة أو تكاد على العراق وسوريا ولبنان ، وظلت مصر خارج نطاقها ، لا تأبه كثيرا بهما ، حتى احتضنها جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٥٥ ، فتحولت الفكرة عند المصريين من مجرد مفهوم وديع متواضع لا يكاد يتعدى كتابات عدد محدود من المفكرين ، ومآدب القصر الملكي لزعماء العرب ، الى حملة منظمة واسعة النطاق ، تحاول غرس مفهوم القومية والانتماء العربيين في أذهان أفراد الشعب ، وذلك عن طريق وسائل الاعلام القوية ، والمناهج الدراسية في المدارس والجامعات ، وكتابات المفكرين والصحافيين المتصاعين للنظام أو المخلصين في عقيدتهم وخطب الزعماء والقادة ، ودعايات الاتحاد الاشتراكي وشعاراته ولافتاته .

ولم يكن في تبني الفكرة في حقيقة الامر تنازل كبير من جانب مصر عن هويتها المتفردة . لقد كان ثمة دائما احساس بانه متى ما تطلعت مصر الى خارج حدودها ، فانما تفعل ذلك لكي تلعب دورا قياديا في المنطقة . أضف الى ذلك أن المسلمين المصريين أكثر تفهما ووعيا للتاريخ الاسلامي وشخصياته منهم للتاريخ المصري



عبدالرحمن الكواكبي



رشيد رضا

القديم وفراعنته ، هذا الى تجاوب حقيقى مع الثورات العربية ضد الاستعمار (كالثورة السورية مثلا) واحساس بمصالح ومشكلات يشترك فيها العرب معهم ، وما يربط بينهم وبين سائر العرب من ثقافة واحدة ، واساليب عيش متقاربة .

● ضرب فكرة القومية العربية ●

وقد بدا فى وقت من الاوقات ، خاصة مع قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ التى ضمت مصر وسوريا ، وكان فكرة القومية العربية بمفهومها المعادى للغرب ، قد بدأت تدخل حيز التطبيق وتحرز قسطا ملموسا من النجاح . فكان انحسر الغرب عن مساعده لضربها بالتحالف مع الانظمة المسماة بالرجعية فى المنطقة ، وكان انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١ ، وكانت حرب يوليو عام ١٩٦٧ التى قضت نهائيا من انتصار عبد الناصر وأذهبت ريحه ، وشككت العرب فى انفسهم وقدراتهم ، وشككت شعب مصر فى جدوى النظام الاشتراكى وجدوى الحماس لنفسه فى الشئون العربية الداخلية ، خاصة وقد اعتبر تدخل عبد الناصر فى اليمن أحد اسباب الهزيمة فى المضروب على يد الد اعداء القومية العربية ، وهى اسرائيل .

● شكل جديد للتضامن ●

فشل عبد الناصر اذن فى توحيد الامة العربية عن طريق الدعاية او الثورة او استخدام القوة ، كما فشل حزب البعث فى تحقيق الوحدة أو الاشتراكية فى قلاعه الاصلية ، وهى سوريا والعراق والاردن . وقد انتهى الحال بعبد الناصر فى السنوات الثلاث الاخيرة من حكمه ، وبعد ان خالته الامة العربية صلاح الدين الجديد ، الى الاعتماد الكامل تقريبا على الاتحاد السوفييتى من أجل انقاذه من ورطتيه العسكرية والاقتصادية .

غير أن اختفاءه من مسرح الاحداث العربى عام ١٩٧٠ ، والظروف التى ادت الى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ضد اسرائيل ، وهى التى أسفرت عن قدر من النصر رد الى العرب ثقتهم المفقودة بأنفسهم ، وتعاظم نفوذ عدد من دول النفط العربية الثرية وتأثيرها فى الاقتصاد العالمى وفى اتجاهات الدول الغربية حتى ازاء اسرائيل . كل هذا ادى الى اعطاء دفعة مستجدة للقومية العربية ، ولكن مع اضفاء طابع جديد عليها . فقد تبددت الان الاوهام الرومانسية التى كانت لصيقة بأفكار حزب البعث ، كما تبخرت النزعات والمطامح البروسية للزعامة المصرية ، ودخل مفهوم القومية العربية فى صورته الجديدة شكل من التضامن قائم على اساس من المصلحة المشتركة ، وادراك الخطر الاقتصادى والسياسى والحضارى الذى يمثله الغرب ، ووعى بامكان اقامة تكتل اقتصادى اقليمى عربى ينافس الدول الغربية الصناعية . وقد كانت هذه هى الصورة الجديدة التى بدت عليها القومية العربية عقب حرب ١٩٧٣ . وحيث أن اغنى الدول العربية المحتضنة لهذا الشكل الجديد هى من الناحيتين السياسية والاجتماعية اكثر دول المنطقة محافظة وتمسكا بالتقاليد الاسلامية فان الاشتراكية لم تعد الطابع البارز للقومية العربية ، وانما اصبح طابعها الغالب ربط العروبة بالاسلام ربطا دعامته المال والثراء ، وهو ثراء يستخدم فى المقام الاول فى الصراع ضد اسرائيل والامبريالية ، ومن اجل اعادة الحقوق المشروعة للفلسطينيين .

ولم يكن ثمة مفر ازاء هذا البعث الجديد للقومية العربية عقب حرب ١٩٧٣ ، وازاء

صورتها التي بدت أكثر واقعية واقرب احتمالا لتحقيق اهدافها ، من ان يحاول الغرب تسديد ضربات اخرى اليها ، والعمل جاهدا على بث بذور الشقاق والفرقة في الصفوف . وكما انه في عام ١٩٦٧ قد اختار مصر هدفا رئيسيا لضرب تقدمها (عن طريق ، الحاق الهزيمة الساحقة بجيشها) فقد اختارها الآن لتحقيق اغراضه ، ولكن على نحو مخالف ، وبناء على الاعتبارات التالية :

● أن فكرة القومية العربية والوحدة لم تظهر فيها على نحو جاد الا متأخرة عن بزوغها في الدول العربية الاخرى .

● أن هذه الفكرة لم تتغلغل في نفوس المصريين تغلغلا كافيا ، ولم تتعد بأي حال من الاحوال رءوس القلة من اصحاب الاقلام المتأثرين بالافكار الغربية (لا الاسلامية) من سكان المدن ، ولم تنفذ على الاطلاق الى الاغلبية الساحقة من سكانها من الفلاحين ثم من العمال الذين لم يشعروا في أى وقت من الاوقات بالحاجة اليها .

● ان التجربة الفاشلة للوحدة مع سوريا قد شككت المصريين في جدوى الوحدة وامكان تحققها عملا .

● ميل عدد كبير من المصريين الى الاحساس بانتماء لهم غير عربي ، وهو احساس يغذيه فيهم قدم ماضيهم وامجاد اجدادهم من الفراعنة .

● ضعف حصيلة المصريين بوجه عام من التراث العربي والاسلامي بالمقارنة بغيرهم في سوريا أو العراق مثلا .

● تزايد مشاعر الاستياء من العرب لدى المصريين ، وهي الناجمة عن :

أ ـ مذلة يستشعرها العاملون من المصريين في البلاد العربية ، وجلهم من طلاب الرزق الذين اضطرتهم الضائقة الاقتصادية في بلدهم الى التكسب بالعمل في الدول العربية الغنية ، وما استتبع ذلك من احساس باستعلاء حقيقي أو وهمي من جانب مستخدميهم تجاههم بعد احقاب طويلة كان حال المصريين خلالها على عكس ذلك تماما .

ب ـ النفور من مسلك بعض الاغنياء من الوافدين الى مصر من العرب ، وهو مسلك ينطوي على احساس بالقدرة على الاقدام على اى شيء وشراء اى شيء بفضل اموالهم .

جـ ـ اعتقاد الكثيرين من المصريين بأن ما لحق بلدهم من ضائقة اقتصادية انما تمخض اساسا عن خوضها حروبا باهظة التكلفة لم يسهم فيها غيرها من الدول العربية اسهاما كافيا .

د ـ احساسهم بضعف المساعدة المالية العربية لمصر رغم التضحيات التي تقدمها في سبيل قضية عربية تهم الجميع ، (وهو احساس غذته فيهم الصحافة المصرية ووسائل الاعلام الاخرى في عهد أنور السادات) .

هـ ـ ثم فوق كل شيء ، ذلك التدهور الرهيب الذي طرأ على الاحوال الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية في مصر ، مما ضخم في نفوس أبنائها الرغبة في انهاء الصراع وسلسلة الحروب مع اسرائيل ، وهو صراع صور لهم على انه السبب الرئيسي في هذا التدهور .

وكان ان انصرفت جهود الغرب الى محاولة تحقيق صلح بين مصر واسرائيل ، ساعيا في الوقت ذاته الى بذر بذور الشقاق في جبهات متعددة داخل العالم العربي ، ومعتمدا في سعيه هذا على مابين قادة العرب من تنافس على الزعامة ، وعلى ركاكة قرائح غالبيتهم ، وغلبة الاثرة عليهم . ثم كان أن تحقق هذا الهدف وبادرت الدول العربية بقطع علاقاتها مع مصر ، مما دفعها الى عزلة لا تزال قائمة الى اليوم عن سائر العرب ، ودفع السادات وصحافته وكتاب نظامه الى التأكيد على « مصرية » مصر .

في العدد القادم
العلمانية والنزعة المصرية

الإعجاز البلاغي في القرآن

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

الاعجاز البلاغى دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، تاليف الدكتور محمـــــــد محمـــــــد ابو موسى رئيس قسم البلاغة والنقـــــد بجامعة الازهر وقد صدر عن مكتبة وهبة فى نحـــو اربعمائة صفحة

وهو دراسة عميقـــة جادة لقضــــــايا اعجاز القرآن الكريم ، قبل الامام عبد القاهر الجـــرجانى (٤١٠ – ٤٧١ هـ) ، عند أئمة علماء البلاغة والاعجاز القرآنى، من امثال الخطابى والرومانى والباقلانى ، وقد وقفت حقا امام هـــــذه الدراسة المتميزة معجبا كل الاعجاب ، لدقة الفهم ، وروعة التحليل ، وصواب الاستنتاج ، وصـــــحة الاستنباط .

● ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه ان « هذه الدراسة تحاول أن تتفهم كلام القدماء فى هذا الباب ، وليس لها غاية أكثر من الاجتهاد فى ذلك ، وذلك لانها ترى فى كلام القدماء فى هذا الباب ، وفى غيره ، ودائع من حقائق المعرفة لم تستخرج بعد ، فضلا عن ان نكون قد انتفعنا بها فى حياتنا العقلية انتفاعا مثمرا على الوجه المرضى .

ويؤكد الدكتور المؤلف فى المقدمة انه يلح فى هذه الدراسة وفى غيرها على ضرورة اثبات حقائق المعرفة من كلام القدماء لامور منها أولا وقبل كل شىء فى اعتقادنا أن تراث الامم هو ذات الامم حتى كأنها هو ، وكأنه هى .

ويذكر ان حصيلة هذه الدراسة هى قراءة ثلاثة كتب نقط للخطابى والرمانى والباقلانى ، وانها انتظمت فى مدخل وثمانية فصول :

فالمدخل يعالج موضوع العربية ودلالة الاعجاز .

والفصل الاول يتناول اعجاز القرآن عند الامام الخطابى (٣١٩ - ٣٨٨ هـ) .

ويتناول الفصل الثانى قضية الاعجاز عند الرمانى (٢٧٦ - ٣٨٤ هـ) .

والفصل الثالث قراءة فى مقدمة كتاب الباقلانى عن اعجاز القرآن .

والرابع حول اعجاز القرآن عند الباقلانى (٣٣٠ - ٤٠٣ هـ) .

والخامس والسادس والسابع حول الباقلانى ونقد الشعر .

والفصل الثامن عن قضية الصرفة التى نادى بها النظام شيخ المعتزلة (١٦٠ - ٢٢١ هـ) .

وهذا الكتاب يمثل لنا فكرا عميقا قويا واثقا على أسرار العربية ومختلف قضايا البلاغة والاعجاز ، ويمثل لنا شخصية عالم متضلع فى فهم التراث وتعمقه والافادة منه ، لان هذا التراث هو روح الامة ، وجوهر شخصيتها ، ودعامةصبغتها الاسلامية

● الجهل بالتراث ●

وليس هناك اليوم صلة بين التراث وبين القضايا التى يرددها تلامذة الغرب والمستشرقون من أنصاف المتعلمين الذين يدعون تصدر موكب العلم والنقد والبلاغة عندنا ، وهم أجهل الناس بتراث أمتهم ، وأبعد الناس عن فهم هذا التراث ، وأقرب التلامذة صلة بالغرب ، ومحاولة لتقليده ، وامعانا فى الاعتراف بأستاذيته لهم .

وقد ورث الامام الخطابى عن علماء البلاغة والاعجاز قبله نظريتين ، احداهما تقول ان الاعجاز كان بالصرفة ، وهى التى كان يرددها النظام المعتزلى ، والاخرى تقول ان الاعجاز بالنظم ، وهى التى كان ينادى بها ابو عثمان الجاحظ (١٦٠ - ٢٥٥ هـ) ، وعاصره مذهب ثالث يقول ان سبب الاعجاز القرآنى هو ما اشتمل عليه من الاخبار بالغيب ، وهذا المذهب قريب عند الخطابى ويعني بقربه اما قرب زمنه منه ، واما وضوحه وعدم حاجته الى التعمق ، لقربه من فهم الجماهير من العلماء .

الاعجاز البلاغي في القرآن

ويقول الخطابى : وزعم آخرون أن اعجازه هو من جهة البلاغة ، وهو رأى الاكثرين من علماء النظم .. وفى كيفيتها يعرض لهم الاشكال ويصعب منه الانفصال .. قالوا : انه لا يمكننا تصويره ، ولا تحديده وانما يعرفه العالمون به عند سماعه ، ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده .

ويدعو الخطابى الى البحث عن أسرار هذه البلاغة التى تختص بالقرآن الكريم .. ويحاول دراسة ظاهرة البلاغة القرآنية ، أو معجزة الاعجاز فى القرآن الكريم دراسة عالم متمكن ، وأستاذ متعمق ، على هدى من ملكته القادرة فى البلاغة والنقد وشتى علوم العربية .. ويفيض المؤلف الدكتور أبو موسى فى عرض آراء الخطابى وتحليلها الناضج عالم ثبت ذى قدم صدق فى فهم العربية وأسرارها ، وفى الوقوف على حصيلة آراء العلماء فى بلاغتها وأسلوبها .

وينتقل المؤلف الى الرمانى وكتابه « النكت فى اعجاز القرآن » والرمانى يذكر أن القرآن معجز من سبع جهات: ترك المعارضة ـ التحدى للطاقة ـ الصرفة ـ البلاغة ـ الاخبار الصادقة عن الامور المستقبلة ـ نقض العادة ـ قياسه بكل معجزة .

والبلاغة عند الرمانى ثلاث طبقات

١ ـ طبقة عليا ، وهى طبقة بلاغة القرآن .

٢ ـ وطبقة دنيا ، وهى أوفى منزلة فى كلام الناس .

٣ ـ وطبقة بينهما ، وفيها تتفاوت منازل الشعراء والبلغاء .

وأبواب البلاغة عند الرمانى كثيرة ، منها الايجاز ، ومنها التشبيه ، ومنها الاستعارة ، والفواصل ، والتجانس ، والتلاؤم ... الخ .

أما الباقلانى فيأخذ نحو ثلثى الكتاب ، ويمضى المؤلف فى دراسة آرائه فى الاعجاز ، التى دونها الامام الباقلانى فى كتاب « اعجاز القرآن »، بجد واهتمام ومثابرة وتعمق فى الفهم والاستنباط .

مقدمة اعجاز القرآن للباقلانى تستثير المؤلف ، فيمضى معها دارسا ومعلقا فى فصل كامل ، هو الفصل الثالث من الكتاب « الاعجاز البلاغى » ، مشيرا الى محاولات المستغربين عنا فرض آراء الغرب بدعوى التجديد ، ويؤكد أن قضية الاعجاز عند الامام الباقلانى هى من علم الشعر والادب والتعرف على طرائق الكلام ، وكيفية تقلبه فى وجوه الفصاحة والبلاغة ، وقد عالجها الباقلانى فى هذه الحدود ، ولم يداخلها من علم الكلام واصول الدين، الا ما لا يمس جوهرها ، فظلت أدبية خالصة ، وقد دخل بها أدق المسالك فى هذا الباب ، وطرق بها أغمض جهاته .

وتدور دراسة الباقلانى فى اعجاز القرآن على محورين أساسيين :

الاول : تحديد العناصر البلاغية الخاصة بالقرآن الكريم ·

والثاني : امعان النظر في الايات القرآنية ، ومدارستها كلمة كلمة ، وجملة جملة ، وفقرة فقرة ، وسورة سورة ·

ووقف الباقلاني من البديع موقفا خاصا ، يرفض أن يكون الاعجاز وقفا عليه ، ويرضى أن يكون وجها من وجوه الاعجاز ، وسببا من اسبابه الكثيرة ، والبلاغة هي سر معجزة الاعجاز في رأيه ، والبلاغة عنده عشرة أقسام كالتشبيه والاستعارة والتجنيس والتطابق وغيرها ، ويدرس الباقلاني نظم القرآن دراسة عالم حجة فيما يذهب اليه ·

● معجزة القرآن ●

ويعرض المؤلف للباقلاني ونقد الشعر في الفصل الخامس من كتابه « الاعجاز البلاغي » ، ويخص دراسة رأى الباقلاني في معلقة امرىء القيس « قفانبك » بالفصل السادس ، ودراسة قصيدة البحترى « أهلا بذلكم الخيال المقبل » بالفصل السابع ، والحديث عن مذهب الصرفة بالفصل الثامن والاخير ،ومذهب الصرفة هو مذهب النظام الذى كان يردده ويذهب اليه ، وكانت حصيلة ما قيل في الاعجاز في عصر النظام والجاحظ هي النظم الذى نادى به الجاحظ ، والصرفة التي نادى بها النظام مع ذهابه الى مشاركة الاخبار بالغيب للصرفة في قضية الاعجاز ، والصرفة تعني صرف الله عز وجل للعرب عن الاتيان بمثل هذا القرآن ، وهي تعني كما فهم الرماني صرف الهمم عن المعارضة ، او تعني على التحقيق عدم اعطاء الله عز وجل لهم القدرة والاسباب التي تعينهم على محاولة الاتيان بمثل القرآن الكريم ان كان في مقدورهم ذلك ، وقد عرض الامام عبد القاهر الجرجاني في كتابه « دلائل الاعجاز » لموضوع الصرفة عرضا موجزا ، وافرد له فصلا في رسالته « الرسالة الشافية » ، والقول بالصرفة رأى ضعيف عند الامام عبد القاهر ، بل عند غيره من علماء قضايا الاعجاز والبلاغة ·

وبعد فماذا أقول عن هذا الكتاب القيم النفيس الذى هو ثمرة جهود العلماء في القرن الرابع الهجرى قبل الامام عبد القاهر في فهم قضية الاعجاز القرآني من شتى وجوهها ·

ان المؤلف في كتبه : التصوير البياني ·· وخصائص التراكيب ، ودلالات التركيب ، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى ، ومن أسرار التعبير القرآني ·· يثرى البلاغة العربية حقا بدراسات قيمة ترفع من شأن البحث البلاغي ، ودراسات الظاهرة القرآنية ظاهرة باعجاز القرآن الكريم ·

ونحن لا نملك الا أن ندعو المؤلف الى المثابرة على بذل امثال هذه الجهود المضنية من أجل التراث ، وبلاغة القرآن الكريم ، وفهم قضية البلاغة العربية في أدق حقائقها ·

وتحية للكتاب وللمؤلف ، ودعاء له بالتوفيق !



قنديليات

بقلم: يحيى حقي

البلاغة الشعبيّة

ما اعجب واظرف حيلة العامة فى التعبير ، عن غريزة بغير وعى وبلا تعمد ، انها تضع فى يدنا احيانا كثيرة مفتاح السر ، هذه امراة بلدية تريد ان تقول لاخرى كلاما صريحا فتتقدم له او تعقب عليه قائلة ... كده من غير تشبيه ولا تمثيل .

قد يظن لاول وهلة ان هذه العبارة منتزعة أو موروثة بحتمية وجدانية من ابحاث علماء الكلام فى حرصهم الشديد على قول الحق بلا تزيد ، بلا مداراة بلا تورية ، بلا تلقيح حسب قاموسها ، واضحا وضوح الشمس، انها تريد تجريد المعنى من كل اضافة ولو خدمته ليبرز كالجوهر الكريم قادرا على ان يكفى نفسه بنفسه بلا خدش يحتاج الى ستر او وهن يتطلب العلاج من طرق الاستعانة بالتشبيه والتمثيل أن كان اضافة مهما كانت جميلة ستكون بمثابة الضباب او العكارة للجوهر الكريم .

وقول هذه المرأة البلدية يدل ــ وهذا هو مفتاح السر ــ على أن المعانى تبلغ تمام كمالها وبريقها عند تمام تجردها من التشبيه والتمثيل ..

وهذه هى قمة البلاغة عند منتهى ما يقدر العقل على تصور هذا التجريد لها قمة هيهات بلوغها ، واذا امكن قمة الصقيع وخلخلة الهواء انبهار الانفاس وتقطعها ، فما اظن ان كاتبا واحدا قد نجا من استخدام التشبيه والتمثيل ، ولكن دور هذا الباب من علم البيان قد تضاءل كثيرا حين مال الكتاب الى التقصد والجد والبساطة ، والاسلوب التحدثى

– كما عند همنجواى مثلا – كأنهم يقولون للقارىء قول المرأة البلدية – كده من غير تشبيه ولا تمثيل .

أما عندنا فنحن ورثة هيام من الاجداد بالتشبيه قد بلغ حد الهوس ، فقصائد كثيرة من الجاهلية وصدر الاسلام كل بيت فيها بلا استثناء – يبدأ بكلمة واحدة ليعقبها فورا حرف الكاف او – كأنما – تجر وراءها المشبه به فرد كلمة فرد أو ملء بقية البيت ولو كان من عشر حجرات أى من عشر تفصيلات .. انظر بعض قصائد ذى الرمه .. ولم كان ذلك ؟ الشاعر البدوى العائش فى الخلاء من طبعه أن يرقب الطبيعة من حوله بعين الصقر ، والشعر هو أيضا فى التصوير عنده ، ثم انه فى مرحلة الفرز والترتيب ، فالتشبيه هو – بالبيت – الالوان هى وسيلته فى أن يثبت على اللوحة فتخلد فى الذهن حركة عابرة لفتة جيدة ، بريق عين ، لحظة الحذر ، التحفز والانقضاض .. الخ .. الخ

ولا وسيلة للتسجيل فى الذهن الا باحداث أكثر مما يمكن من الروابط فيستجلب الحاضر منها الغائب ، ومرحلة الفرز والترتيب هى مرحلة ضم الاشباه المشتته بعضها الى بعض من أجل الوصول الى الوحدة ، الى الكليات ، الى القانون ، كيس ضخم يضم مايحتاج اليه القلب او ما يدور فى الذهن من مدركات المنطق أو العاطفة .

تشبيهات هذه المرحلة جميلة بل آية فى الروعة لانها تنطق بلذة القدرة على الانتباه والكشف ، وابراز الروابط والقدرة على تثبيتها فى الذهن ، انها تنطق جميعا برهافة الحس وصفاء الذهن والروح .

ثم جاء عصر هام بالزخرف والاباطيل والثرثرة والميوعة نعبث بالتشبيه عبثا شديدا .

وقد انتبه نقاد العرب لحسن الحظ لهذا العبث فقال ابن الاثير فى المثل السائر : عن التشبيه : انه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل البلاغة .

هل تذكر قول المرأة البلدية . ؟

وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة ، أما صورة واما معنى يعز صوابه وتعثر الاجابة فيه ، وقلما أكثر منه أحد الا عثر . كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق وابن وكيع . من أدباء مصر لا جرم أنهما آتيا بالغث البارد .

ولم يطلب منا أساتذة اللغة فى المدارس أن نتوقى هذا الغث البارد ، بل صبوا فى آذاننا كثيرا منه ، ولاننا – على الاقل – ورثة ابن وكيع ان لم نكن ورثة ابن المعتز ايضا فقد كنا نترنح من فرط الطرب ، نهتز كأننا فى حلقة ذكر .. يا سلام . يا سلام ، لم تبهر ، ولكن باحترام فائق أمام أبى العلاء بكل ما تحمله له قلوبنا من اكبار وولاء اذا ما أنشد المعلم علينا بيته الشهير :

ليلتى هذه عروس من الزنج
عليها قلائد من جمان

واذا علمنا أن الثريا فى السماء ترتج ارتجاج عين الاحول حزبنا كفا بكف وقلنا والله هذا هو منتهى البلاغة مع اننا لم نر الثريا بعيوننا قط .؟

الإسماعيلية

بين الافتراءات الوهميّة والحقائق التاريخيّة

بقلم: د. محمود اسماعيل

لم تتعرض فرقة من فرق الشيعة لمثل ما تعرض له الإسماعيلية قديما وحديثا من افتراءات وتحامل مقذع، برغم ما اتسم به نشاطهم على مسرح التاريخ الاسلامي من فاعلية سياسية وبراعة دعائية واستنارة فكرية .ناهيك عن تبنيهم قضية العدل الاجتماعي وتطبيقه عمليا فيما اسسوا من دول، فضلا عن دفاعهم عن حدود «دار الاسلام» ضد الأخطار الخارجية بما أجل من سقوطها وأكد استمرارية حضارتها .

● رغم ذلك ، توالت الاتهامات والافتراءات فى محاولة للتشكيك فى انساب ائمتهم والنيل من دعوتهم ووصم عقائدهم بالكفر والمروق وانتحال الهرطقات الشرقية والغربية واتهامهم بالعمالة للصليبيين ووسم نظمهم الاجتماعية بالتهتك والاباحية .

ودراستنا هذه لا تستهدف رصدا كاملا لتلك الافتراءات فى محاولة لدحضها واثبات خطئها ، بقدر ما تحاول الكشف عن خيوط تلك « المؤامرة المعرفية » المختبئة فى لبوس الدين من اجل اهداف سياسية قحة تعبر عن مواقف « سوسيو - اقتصادية » ، لقوى وطبقات وتيارات يمور بها العالم الاسلامى خلال صيرورته التاريخية . ان الاسباب والدوافع التى اسهمت فى تنحية على بن ابى طالب عن حقه فى الامامة لاتزال قائمة الى اليوم تحاصر « شيعته » بالسيف والقلم . انها بشهادة جولدتسيهر (١) تكمن فى « تضارب المصالح السياسية التى تتخذ من المصالح الدينية مظهرا لها » . انها تضرب فى بنية المجتمعات الاسلامية عبر عصور تطورها « اللامتكافىء » لتظهر بين الحين والاخر فى هذا المجتمع او ذاك نغمة نشازا فى كتابات منظرى الاستبداد بغية اثارة الحقد والكراهية لآل على منذ عصور الشهرستانى والبغدادى وابن حزم ليتلقفها اللاحقون يروجون لها حتى الان ، بوعى او بدونه !!

لم يكن جزافا أن يصبح تاريخ الشيعة منذ التحكيم واغتيال على مرورا بايام كربلاء وفخ سلسلة من الاستشهاد والاضطهاد . لم يقض آل البيت سنى عمرهم - فيما غلب - الا فى السجون أو السراديب والدهاليز .. الم يؤلف الاصبهانى كتابا ضخما عن « مقاتل الطالبيين » ؟!! لم يكن ثم من سبيل الا العمل السياسي السرى المنظم اتقاء لبطش الخصوم .

تفرد الشيعة الاسماعيلية بالاقتدار والحنكة فى هذا السبيل ونجحوا فى تاسيس دول بعضها ذى طابع « امبراطورى » اوشك أن يقضى على الخلافة العباسية السنية الخاضعة لنير العسكر التركى . والآخر ذى طابع ديمقراطى « اشتراكى » ان صح التعبير .. وفى الحالين معا فرقت « التجربتان » فى بحر النظم « العسكرية الاقطاعية » المتشحة - كذبا - بعباءة السنة .

بديهى والامر كذلك ، أن تنبش اقلام كتاب السنة لحوم خصومهم الالداء . وبديهى ايضا أن يتصدى كتاب الاسماعيلية لدفع التهم والاباطيل .. لكن معظم هذه الكتابات اصبح « فى ذمة التاريخ » . والقليل الذى بقى لم يكشف عنه النقاب الا مؤخرا ، وقبل كشفه كانت المعلومات المتعلقة بالاسماعيلية من نسج الخصوم أو من « الخرافات الشعبية » التراجيدية التى يتعزى بها عوام الشيعة الاسماعيلية
لقد بذل يوليوس فلهوزن جهدا محمودا فى تعرية روايات الخصوم . وها نحن

(١) انظر : العقيدة والشريعة فى الاسلام . ص ١٨٨ .

استنادا الى ما كشف أخيرا من مخطوطات الاسماعيلية فى الهند نحاول كشف خيوط « المؤامرة » .

وأول ما نؤكده أن الخلاف بين السنة والشيعة ـ عموما ـ فيما يتعلق بالعقائد ـ باستثناء قضية الامامة التى نصر على أنها قضية سياسية ـ خلاف غير ذى موضوع . لقد سبقنا الاستاذ ماكدونالد (٢) الى تقرير أن الخلاف ـ الذى أضرم التاريخ الاسلامى نارا ـ خلاف شكلى فى « أبواب العبادات والمعاملات قلما تمس المسائل الجوهرية » . وأردف جولدتسيهر (٣) « انه لا يزيد عما هو قائم بين المذاهب الفقهية السنية الاربعه » . وأن « فقه الشيعة عموما اقرب ما يكون الى فقه الشافعى » .

وبخصوص الفرية المتواترة عن أن الاسماعيليه يقدسون أئمتهم الى حد جعلهم فى منزلة أعلى من منزلة النبى ، وأنهم يؤولون القرآن تأويلا باطنيا ولا يعترفون بالسنة النبوية فهى اتهامات لا محل لتصديقها . ويؤيد ذلك أورد ابن حيون (٤) المغربى نصوصا هامة نقلها عن المعز لدين الله الفاطمى بما يغنينا عن الخوض فى هذا اللجاج . فالتفسير بالسنة سمة مشتركة بين كافة المسلمين ، وتأويل الائمة للقرآن الكريم يتسق مع كونهم ـ بشهادة الدارسين الثقاة ـ مستودع العلم الذى توارثوه عن على بن أبى طالب الذى تعلمه بدوره عن الرسول (ص) . والامام الغزالى نفسه يقرر وجود مستويات لتفسير القرآن تختلف باختلاف الدرجات مابين العالم والعامى . والاجتهاد فى التفسير أمر يدركه أهل العلم باختلاف المعارف وتطورها عبر العصور .

ان أحدا لا ينكر أن الاسماعيلية ـ بوجه خاص ـ كانوا أكثر الفرق الاسلامية طلبا للعلم وتعليما له . ولقد فادوا فى هذا الصدد من ميراث المعرفة الانسانية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . كان « بيت الحكمه » فى القاهرة وريثا « لمكتبه الاسكندرية » ، وكان « اخوان الصفا » برسائلهم التى بلغت ما يزيد على خمسين مصنفا أشبه ما يكون بكتاب « الانسيكلوبيديا » الذين اضطلعوا بمهمة التنوير التى شجعت على نجاح الثورة الفرنسية . لقد جمعوا بين شتى صنوف المعارف النقلية والعقلية الاسلامية وغير الاسلامية وقدموا بناء فلسفيا متكاملا لا يعيبه التأثر بالافلاطونية المحدثة . الم يتأثر بها معظم فلاسفة الاسلام ؟ ناهيك عن المتصوفه ؟

الم يكن الامام الاسماعيلى معلما يلقن دعاته أصول العلم فى « مدارس الدعوة » ليقوموا بتبسيطها للاتباع والانصار ؟ حسبنا ان الاسماعيلية عرفوا لذلك باسم التعليمية . ان القول بدعوة المذهب الاسماعيلى الى الاباحية خطأ ومردود من الناحية المنطقية ذلك انه « يصبو الى التجرد من الحجب

---

(٢) تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الاسلام . ص ٢٩٩ .

(٣) العقيدة والشريعة فى الاسلام . ص ٢٢٤ .

(٤) انظر : المجالس والمسايرات جـ ١ ورقة ٣٥٨ ـ مخطوط .

الجثمانية لكي يرتقي بالانسان في مدارج الروحانية الى الموطن السماوي» ان الشريعة عندهم ـ كما يرى جولدتسيهر (٥) ـ تستهدف تحقيق الخير الروحي » « لذلك اخطأ من قال بأنهم يتحللون من النواميس الخلقية ويبيحون كل محظور » (٦)

● التشكيك في نسب الأئمة ●

لقد بلغ الافتراء بمؤرخي السنة الى التشكيك في نسب الائمه الفاطميين الاسماعيليين • ونكتفي هنا بقول ابن خلدون (٧) : « ... ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثيرون من المؤرخين من نفيهم العبيديين عن اهل البيت والطعن في نسبهم الى اسماعيل ابن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على احاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات ... » •

لقد قصد مؤرخو البلاط النيل من الدولة الفاطمية التي قامت وتوسعت على انقاض الخلافة العباسية المهترئة استنادا على اوهام لا اساس لها من الصحة • حتى ان مؤرخا مثل MAMOUR(٨) وضع مؤلفا كبيرا لتفنيد هذه الاوهام •

● تطور الحركة الاسماعيلية ●

وهذا يقودنا الى ان نعرض في ايجاز لتطور الاسماعيلية السياسي عبر التاريخ أو بمعنى اخر تعقب تطور الحركة الاسماعيلية من الدعوة الى الثورة الى الدولة •

تنتسب الاسماعيليه الى الامام السابع اسماعيل بن جعفر الصادق • ومن ثم عرفوا « بالسبعيه » تمييزا لهم عن الامامية الاثنى عشرية • وقد عولت الحركة منذ الامام محمد من اسماعيل الى الاستتار وشكلت تنظيما سريا غاية في الدقة والبراعة • اذ عول الائمة المستترون الى بث الدعاة في العالم الاسلامي يدعون للمهدى المنتظر الذى « يملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا » • ولا حاجة بنا للحديث عن هذا التنظيم الدعائي السرى المحكم اذ عرضنا لجهازه ورتب رجاله ومقالات الدعوة ومراحلها في دراسات سابقه (٩) • ونكتفي بالاشارة الى أنه افاد من نظام الدعوة العباسية ـ العلوية ـ فضلا عن المعارف الجديدة والتجربة السياسية للحركة الاسماعيلية نفسها • كما افاد من المعطيات لسوسيو ـ سياسية للعالم الاسلامي الذى اخذ يتحول الى الاقطاعية العسكرية في مشرقه ومغربه كنتيجة لسيطرة قوى أجنبية على مناطق وموارد وطرق التجارة الدولية

(٥) المرجع السابق ص ٢٤١ •
(٦) نفسه ص ٢٤٢ •
(٧) المقدمة ص ١٢١ •
(٨) راجع : Polemics on The Origen of the Fatimi Caliphs
(٩) راجع : للمؤلف الحركات السرية في الاسلام ص ٩٦ وما بعدها
حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٢٦ وما بعدها •

برا وبحرا (١٠)

واستطاع الدعاة تجنيد القوى والطبقات الكادحة التي اضيرت من جراء تسلط الإقطاع العسكري ٠ وتمكن احد الدعاة ـ وهو ابو عبد الله الشيعي ـ من استنفار هذه القوى في بلاد المغرب ويتحول بالدعوة من طور الاستتار الى مرحلة الثورة ٠٠ وقد نجحت الثورة الاجتماعية الاسماعيلية في القضاء على الاغالبة في افريقيا واعلان امامة عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧ هـ ٠ واستنادا الى مقدرات المغرب الاقتصادية والبشرية تمكن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي من فتح مصر والانتقال اليها ٠ ولم يجد صعوبة في ضم الشام واليمن الى دولته بفضل جهود الدعاة الذين ألبوا الجماهير ضد العباسيين ٠ وفي ذات الوقت تمكن حمدان بن الاشعث من تكوين دولة في جنوبي العراق والبحرين هي دولة القرامطة ٠ بل نجح أحد الدعاة في الدعوة باسم الخليفة الفاطمي على منابر بغداد ، كما كسبت الدعوة اعوانا مخلصين في فارس والهند والتركستان ٠ ولولا ضراوة النظام العسكري السلجوقي الذي سلب الخلافة العباسية صلاحياتها واقام امبراطورية شرقية لصفا الجو للاسماعيلية في سائر ربوع العالم الاسلامي ٠ ان تفاقم خطر الاقطاعية العسكرية شرقا على يد السلاجقة وغربا على يد المرابطين فت في قوة الحركة الاسماعيلية (١١) ، فقد سقطت دولة القرامطة كما حل الايوبيون السنة محل الفاطميين ٠

وبرغم سطوة الاقطاعية العسكرية ، فقد فشلت في مواجهة اخطار الصليبيين في الشام ومصر والاندلس ٠ وقدر للقوى الاسماعيلية المتشرذمة ان تلعب دورا فعالا سواء في مواجهة تسلط النظام العسكري السلجوقي وكذا في مواجهة الصليبيين في الشام بفضل نشاط الباطنية النزارية ، وفي الاندلس بفضل الموحدين الذين كانوا على صلة وطيدة فكريا وسياسيا بالاسماعيلية في الشام (١٢) ٠

وحسبنا تدليلا على افضال الاسماعيلية على العالم الاسلامي سياسيا ان نشير الى دور الفاطميين في ردع الخطر البيزنطي والحيلولة بين الصليبيين

---

(١٠) عن مزيد من المعلومات راجع للمؤلف : سوسيولوجيا الفكر الاسلامي جـ ٢ ص ١٠ وما بعدها ٠

(١١) عن الطابع العسكري لامبراطوريتي السلاجقة والمرابطين راجع للمؤلف : مقالات في الفكر والتاريخ ص ٦٦ وما بعدها ٠

(١٢) كشفت رسالة دكتوراه نوقشت اخيرا باشراف المؤلف عن الصلات بين الموحدين والاسماعيلية في الشرق ٠

راجع : د٠ عصمت دندش : الاندلس في عصر الطوائف الثاني ـ مخطوطة ٠

وبين الاستيلاء على مصر (١٣) • ولا حاجة بنا لاثبات مدى الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية فى ظل الفاطميين والقرامطة ، وحسبنا التنويه بدورهما فى احكام السيطرة الاسلامية على التجارة الدولية وما ترتب على ذلك من رخاء عم العالم الاسلامى بأسره (١٤) • أما عن الاثار الثقافية والعمرانية ، فحدث ولا حرج (١٥) •

● تطرف وغلو ●

غير أن سقوط القرامطة والفاطميين أفضى الى تشرذم الحركة الاسماعيلية وميل بعض فرقها الى التطرف والغلو• ينسحب ذلك على فرقة الدروز – التى عرضنا لها فى دراسة سابقة – كذا فرقة « الحروفية » التى أسسها فضل الله الاسترابادى والتى مالت الى الاسراف فى التاويل الباطنى لدلالات حروف سور القرآن الكريم مستخدمة اياها فى السحر والشعوذة • ومن الانصاف أن نذكر أن ظاهرة التدهور الفكرى كانت تضم العالم الاسلامى بأسره منذ منتصف القرن الخامس الهجرى ، اذ شاعت الطرقية والشعوذة والخرافة على انقاض التيار الفكرى الليبرالى الذى اصلته الدعوة الاسماعيلية •

ان حلول اليقينية والعينة وانتصار النقل على العقل نتيجة طبيعية مواكبة لسيطرة الاقطاع العسكرى منذ عصر السلاجقة ومن بعدهم الايوبيين والمماليك والعثمانيين ، وهم عناصر بدوية غير عربية ، تركية وكردية وغيرها بررت لنظمها الاقطاعية العسكرية باحياء مذهب أهل السنة الذى بلوره الاشعرى وطعمه الغزالى بالتصوف •

● محاربة الاقطاع ●

وسط هذه الظروف تطرفت بعض الفرق الاسماعيلية كجماعة النزارية التى نشأت فى فارس بفضل جهود الحسن الصباح • لقد ركزت هذه الفرقة على العمل العسكرى الفدائى ضد القوى الاقطاعية والصليبية معا وتمكن رجالها من اغتيال الكثيرين من الخلفاء العباسيين وزعماء السلاجقة وقادة الصليبيين • ومع ذلك أثيرت افتراءات وهمية لدمغ هذه الحركة التى أطلق على أتباعها اسم « الحشيشية » ، من جانب خصومها السنة • لعل من هذه الافتراءات المغرضة ، الزعم بتعاطيهم « الحشيش » لتخدير الاتباع والانصار ، كذا الزعم بادعاء الحسن الصباح الالوهية وتعويله على خلق « جنة وجحيم » فى قلعة « الموت » • وقد فند بعض الدارسين هذه المزاعم وغيرها • يقول

---

(١٣) عن مزيد من المعلومات راجع : للمؤلف : سوسيولوجيا ج ٢ ص ٣٢٠ ، ٣٢١ •

(١٤) نفسه ص ١٦٧ وما بعدها•

(١٥) راجع : حسن ابراهيم : المرجع السابق ص ٤٢١ – ٥٢٠ •

الدكتور حسن ابراهيم (١٦) ان جماعة النــزارية عرفوا « بالتقشف والزرع والمحافظة على الشريعة .. وأن الحسن الصباح قتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمــر » . ويرى « بارتولد » أن النزارية كانت « حركه اجتماعية طبع نشاطها بالصراع الطبقى من أجل عدم اخراج الضرائب المحصلة بين سكان كل الاقليم لتحسين أحوالهم المحلية » . وفى ذات المعنى ذكر الاستاذ حـافظ حمدى « ... هناك أمر لا يمكن اغفاله عند التعرض لاسباب انتشار الدعوة الاسماعيلية فى المشرق ، وهو سوء الاحوال الاجتماعية فى ذلك الحين . فضلا عن التباين الواضح فى توزيع الثروة بين مختلف الطبقات » (١٧) .

لم يختلف دافع النزارية الاسماعيلية عن دوافع الفاطميين عموما والقرامطة بوجه خاص . اذ أقام الأخيرون تجربة « رائدة فى الاشتراكية » سبق اثبات اقرارها فى دراسة ســابقة (١٨) . ونكتفى بالاشارة الى اعتمـاد بعض الدارسين الثقات صدق ما ذهبنــا اليــه . ويقول الاستاذ عبـد العزيز الدورى (١٩) : « عبرت الحـركة القرمطية فى مضمونها العـام عن ظاهرة اتفاق المصلحة بين الفئــات الصغيرة ضد الاغنياء والاشراف بغض النظــر عن أصولهم تحت الحــاح التطورات الاقتصادية والاجتماعية » .

« ... لقد ألغوا الاقطاع والفوارق وقدموا السلف للفلاحين ، وقـدموا المساعدات المالية للعمال ، وسيطروا على التجارة الخارجية وصاروا على الاكتفاء الذاتى وعززوا ذلك بضــرب عملة من الرصاص ليمنعوا انتقال الثروة الى الخارج » .

ان الطابع الاجتماعى الــذى عبرت عنه الحركة الاسماعيلية عموما كان من وراء محــاولة تشويهها فكريا وسياسيا وعقيديا . وقد ظلت الحركة حتى بعد تشرذمها وتطرف بعض فرقها محافظة على هذا الطابع الى اليوم . ولذلك لا محل لتصديق الافتراءات التى يتوهمها الكتاب المحدثون عن جماعات الاسماعيلية فى الهند وشرق افريقيـا وايران وباكستان وافغانستان والشيعة التى يتزعمها « اغاخان » والتى تتسم بتبنى روح العصر والدعوة للاصلاح الاجتماعى والعمرانى بعد أن عجزت عن العمل السياسى (٢٠) .

---

(١٦) المرجع السابق ص ٣٦٨ .
(١٧) راجع للمؤلف : الباطنية ، ذروة العمل الفدائى . مجـلة روز اليوسف عدد ٢٣١٧ نوفمبر ١٩٧٢ .
(١٨) عن مزيد من التفصيلات راجع للمؤلف : الحركات السرية فى الاسلام ص ٨٢ وما بعدها .
(١٩) مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى . ص ٤٧ .
(٢٠) جولدتسيهر ص ٢٤٥ .

● العدد القادم ــ الزيدية والمعتزلة ــ حقائق جديدة

قد أكمل الله ذياك « الهلال » لنا
فلا رأى الدهر نقصا بعد إكمال
شوقي

الرجل والمرأة
أيهما أوفر نصيبا في توطيد الحضارة

●● الاستاذ على ادهم ـ صاحب هذا المقال ـ أحد كبار الكتاب الذين دعموا الموقف الثقافى العربى مطالع القرن العشرين . وهو من جيل الأدباء البارزين أمثال العقاد واحمد أمين وميخائيل نعيمة وطه حسين والزيات وغيرهم من اعلام جيلهم ، وربما يكون اقل منهم شهرة ، ومرد ذلك إلى طبيعته الهادئة حيث كان يعمل فى صمت ولا يدخل فى عراك صاخب ، او جدل عارم من أجل ذيوع الصيت ولايزاحم فى دروب الحياة بغية مال أو منصب . هذا فضلا عن ابتعاده عن تيارات السياسة المتضاربة .

وللاستاذ على ادهم عشرات الكتب ومئات المقالات قد غلبت عليه كتابة التراجم حيث سطر سيرا طويلة وقصيرة عن الابطال فى الشرق والغرب من امثال عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر والمعتمد بن عباد ومتزينى ونابليون وغيرهم وغيرهم .

وعدا ذلك له كتابات فى المجتمع والحياة وفلسفة التاريخ ، وفلسفة الجمال والنقد الادبى . ومن أعماله الأخرى ماقدمه للمكتبة العربية من ترجمات عن اللغة الانجليزية ، فضلا عن توليه رئاسة تحرير مجلة الكتاب العربى فى الستينيات والاسراف على سلسلة « اعلام العرب » .

وقد ظل يوافى المطبعة العربية والمجلات الأدبية ـ ومن بينها

الهلال ـ بنفثات قلمه . وثمرات قريحته الى ان وافته المنية في يناير ١٩٨١

وفي هذا المقال يوازن بين الرجل والمرأة من حيث قدرة كل منهما على الابتكار ويتساءل عن ايهما اوفر نصيبا واعظم بلاء في توطيد الحضارة وانماء الثروة فماذا قال في مجلة الهلال عدد (٣٠٢) في يناير عام ١٩٣٨ ●●

الهلال

من الحركات الاجتماعية التى نشطت فى اعقاب الحرب الكبرى (الاولى) وقوى امرها . الحركة النسائية وقد خطت المرأة خطوات حثيثة مفاجئة حتى اصبحت المكانة الجديدة التى شغلتها فى طليعة المسائل التى يعنى بها المفكرون . وتختلف عليها الآراء . لما لها من كبير شأن وبعيد تأثير لامن ناحية المرأة فحسب وانما من ناحية الرجل ومستقبل المجتمع ومصير الحضارة . وقد استردت المرأة كثيرا من حقوقها المسلوبة وحريتها المغتصبة . وفتحت لها مختلف ميادين النشاط الانسانى الاقتصادية والثقافية والسياسية . وكانت من قبل تكاد تكون موصدة في وجهها . ولقد حفلت صفحات التاريخ بسير نساء ممتازات في السياسة والادب من ملكة تدمر إلى الملكة الياصابات ومن اسبازيا وسافو الى مدام دى ستايل وجورج ساند

ولم يشتد ساعد الحركة (النسائية) ويزخر تيارها الا بعد استعمال البخار وتكاثر المصانع

ولكن برغم الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي فازت بها المرأة فإن قبولها فى المجتمع باعتبارها مساوية للرجل لايزال موضوعا للبحث فهل المرأة مساوية للرجل من الوجهة النفسية والوجهة الفكرية ؟ واذا كان هناك فرق بينهما فهل من الفروق القائمة على التفوق من احد الجوانب والنقص من جانب اخر .

لبحث هذه المشكلة فى العصر الراهن طريقتان طريقة الركون الى التجارب والاختبارات النفسية والاعتماد على مقاييس الذكاء وطريقة مشاهدة مايؤديه كل من المرأة والرجل فى الحياة واصطناع التجرد والنزاهة لاستخلاص مقدرة كل منهما واستعداده . والطريقة الاولى رائجة في هذه الايام وهى طريقة علم النفس التجريبى . ولكن النتائج التى انتهى اليها العلم فى هذا الصدد لاتشفى النفس ولاتنقع الغلة . فقد كان معروفا من قبل ظهور هذه الطريقة العلمية ان المرأة معادلة للرجل في الاحساس بالالم والحرارة والبرودة وقد ايد علم النفس التجريبى هذا وجعله وراء متناول الشك

فى تاريخ الحضارة عصران العصر القديم البدائى الذى تغيب اصوله بمدافنته فى ظلام ماقبل التاريخ . والعصر الحديث ومعالمه واضحة وضوحا نسبيا . ففى العصر القديم لم يكن للمرأة حظ فى الزعامة السياسية والاجتماعية .

ولم يكن لها نصيب مذكور في الحفلات الدينية ولافى توزيع الثروة فليس من المنتظر إذن ان تبرز لها مواهب خالقة مبدعة فى هذا المجال او ان تدانى الرجل فيما احرزه فيه من تفوق وانتصار .. ولكن فى الفن والصناعة ظهر لها اثر ملموس وتفوق ملحوظ . وواضح ان سجل المراة فى حالة الانسان الفطرية حافل بجلائل الأعمال ويكاد يكون معادلا لسجل الرجل . ولكن علينا ان نلاحظ هنا ان طابع القبيلة في امثال تلك المجتمعات يتغلب على الميزة الشخصية سواء من ناحية الرجل او من ناحية المراة . فوثبات الخيال والقدرة على التجديد والرغبة في الأختراع مرهقة مكبوحة في تلك المجتمعات بسبب رسوخ العادات وصلابة التقاليد ، فإذا ما انتقلنا الى العصور الحديثة استبان لنا عجز المراة وقصورها في الشئون الاجتماعية والسياسية والدينية بحيث لايمكن الاعتراف لها بمشاركة ماثورة فيها ، كذلك في فن البناء والعمارة ليس لها فضل يذكر ، ولكن مواهب المراة تجلت فى نواح اخرى مثل الفلسفة والرياضيات والعلوم والنحت والتصوير والادب والموسيقى والدراما .

وفى الفلسفة والرياضيات لم تسم المراة الى المرتبة الاولى . كذلك في العلوم لم تبلغ امراة الدرجة العليا وإن كانت لبعضهن آثار جديرة بالاعجاب والتقدير . اما فى النحت والتصوير فقد نبغت نساء كثيرات ولكن لم تصل أحداهن الى مرتبة امثال رودن او بيكاسو او رينوار . ولعل حظهن فى الادب والشعر اوفى واجزل ، وفى الموسيقى نجح النساء في الاداء حيث يكفى القليل من الابتكار . اما فى التاليف فانهن فشلن فشلا ذريعا .

ولننظر الآن الى الميادين التى خلفت المراة فيها اثارا تذكر لنرى تفاوت تلك الآثار ومقدار تفوق المراة فيها . وهنا يلاحظ ان المراة اقل إجادة للموسيقى واكثر نبوغا فى الادب واعظم تفوقا في الغناء والتمثيل . ويمكننا ان نستخلص من ذلك ان المراة يكثر نبوغها وتفوقها كلما كان المجال اقرب الى التعيين والتخصيص ، وادنى الى العنصر الآلي الصناعي والعامل الانساني . فالابتكار في الموسيقى اكثر حاجة الى المقدرة على التجريد فى الفنون التصويرية والادب . ولذا قل نبوغ المراة فى الموسيقى وهى تحسن فيها الأداء بعض الاحسان ولكنها لاتجيد التاليف . وهى لاتحسن التاليف المسرحي لما يستلزمه من قدرة على التجريد . ولكنها تجيد التمثيل على المسرح إجادة فائقة . وواضح من ذلك ان قدرة المراة وكفايتها تتجلى فى عالم التعيين اكثر منها في عالم التجريد وفي منطقة العمليات اكثر منها فى منطقة المثاليات وفى النواحى الانسانية المحضة اكثر منها فى النواحي الكونية الخالصة .

ومن التسرع إصدار الاحكام على الحركة النسائية وتطلع المراة الى التحرر الكامل والمساواة التامة . وهى الآن تبذل جهدها فى الملاءمة بين نفسها وبين الحقوق التى اكتسبتها . وارجح ان مصلحة المراة ان تعرف فى هذا المقام انها لم تخلق منافسة للرجل وان عليهما ان ينهضا بواجبين يكمل كل منهما الآخر فإن ذلك خير للمراة وللرجل وأجدى على الانسانية والحضارة

علي أدهم



مسرحية: ع الرصيف وتلويث تراثنا الوطنى

بقلم: فاروق عبد القادر

منذ سنوات لم تشهد الحياة المسرحية فى مصر مثل هذا القدر من الاهتمام والجدل حول عمل من الاعمال. وإذا كان المالوف فيما مضى ان يدور الجدل حول اعمال المسرح الجاد او مسرح الدولة او ما شئت من هذه المسميات فانه يدور - هذه المرة - حول عمل من اعمال المسرح التجارى او المسرح الخاص (وليس لهذا من سابقة تستحق الذكر إلا حين عرضت المسرحية سيئة السمعة. يحيا الوفد. فى ١٩٧٥). والعمل هو. ع الرصيف. من (تاليف) نهاد جاد، واضع الكلمة بين قوسين لاسباب ستتضح فيما يلى - واخراج جلال الشرقاوى واداء سهير البابلى وحسن عابدين واخرين.

والحقيقة ان جلال الشرقاوى ليس مخرج العمل فقط. لكنه صانعه وصاحبه بالمعنى الحرفى للكلمات. فهو المنتج والمخرج وصاحب المسرح والفرقة ومديرهما المتفرغ، وهو يستثمر فيه كل اسلحته (كتب محرر المسرح فى صحيفة. الوفد. - والذى اشاد

بالعمل دون حياء او تحفظ - إن جلال « دفع من أمواله الخاصة في هذه المسرحية مايعادل ميزانية هيئة المسرح الرسمية » ! ١٠/٧/٨٦ .
ومن ثم وجب ان يكون هو البداية :

● تحقيق الرواج اولا ●

وجلال الشرقاوى (١٩٣٤) حالة نموذجية - بالمعنى الذي يقصده الاطباء - لهذا الجيل من المسرحيين : بعد أن تخرج في الجامعة (كلية العلوم) ومعهد المسرح ، سافر للدراسة في موسكو ، لكنه تحول الى باريس مع طلاب البعثات الذين حولوا لمعاهد الغرب في أعقاب صدام عبدالناصر مع السوفييت نهاية الخمسينيات ، وفي « الاديك » درس تاريخ السينما مع جورج سادول ، وقدم رسالة منشورة بعنوان « في تاريخ السينما العربية » (١٩٧٠) تضم قائمة بالافلام المصرية - فالرسالة مقصورة عليها برغم عنوانها العام - منذ نشاتها حتى ١٩٦١ ، وهي قائمة بتشكك كثيرين من السينمائيين في دقة ماجرته من لومات وحين رجع في ٦٢ بدا العمل بالسينما ، لكنه سرعان ماتحول الى المسرح ، حتى ارتبط به اسمه ، مخرجا وممثلا ومديرا ومدرسا للاخراج في معهد المسرح ثم عميدا له ، ومنذ ترك العمادة تفرغ لادارة فرقته ومشروعاته الخاصة .

وقد تميز جلال دائما بقدرته الفائقة على تشمم اتجاه الموجة القادمة والتهيؤ للقائها ، واثناء عمله بمسرح الدولة أخرج أعمالا لرشاد رشدي ولطفي الخولي وميخائيل رومان وعلي سالم وسواهم ، وربما رايت أن هذه الاسماء ذاتها لاتكاد تجمع على فكر بعينه ، وقد تتنافر رؤاها ولاتنسجم ، لكن « جلال » لم يكن يبالي ، هو يبحث في كل عمله يخرجه عما يثير ويجتذب الجمهور ، وهو احد اهم المسئولين عن تلك الشعارات التى ارتبطت بالمسرح الكوميدي - الأب الشرعي لهذا المسرح التجاري - ومسرح الحكيم ، من نوع « ثلاث ساعات من الضحك المتواصل » و« النجاح منقطع النظير » ، لا ولاء عنده لشيء سوى « الاقبال الجماهيري » وتحقيق اكبر درجة من الاثارة حول اسمه وعمله (في السنة الأولى لاشتغاله بالاخراج المسرحي قدم عملين أحدهما من تاليف لطفي الخولي والثاني من تاليف انيس منصور !) وحين وضح أن خط الثقافة الجادة اخذ في الانكسار بعد ٦٧ لم يفقد جلال اتجاهه ابدا ، فكان من اوائل المبادرين لدعم المسرح التجاري ووضع حرفته في خدمته (قد نذكر هنا انه اخرج لهذا المسرح درته اللامعة « مدرسة المشاغبين » في ٧٠ ، وفي ٧٣ كان يعرض له عملان يشغلان معظم ساحة هذا المسرح « قصة الحي الغربي » و« هاللو دوللي » ، وبلغ به الأمر حد الجمع بين عمادة « المعهد العالي للفنون المسرحية » وادارة فرقة خاصة ، في ذات الوقت ، ودون ادنى إحساس بالتناقض !
من شريك في فرقة صغيرة (عمر الخيام) الى مالك ومدير لفرقة قوية خاصة ، يقود جلال الشرقاوى دفة لون خاص من المسرح التجاري ، يتمثل ذكاؤه - أكثر مايتمثل - في تغليف الابتذال واحكام تقديمه ، في مجاراة الذوق العام وتاطير نجومه ، في معرفة جمهور مسرحه حق المعرفة . أعراب النفط والعاملين في ديارهم والمتعلقين بحبال الانفتاح والصاعدين في المجتمع الجديد ، وهو - من

ثم ـ يتبنى قيم هذا الجمهور ، ويعبر عن اماله وتطلعاته ، ويدعم عاداته السقيمة في الذوق والمتعة ، ويسرى عنه ، ويجعل على المسرح نماذجه الأنثوية المفضلة ، ويكف عنه اذى التفكير والطموح لواقع افضل . واى واقع عندهم افضل مما هم فيه ؟ ثم يحيط هذا كله بحرفة ، الاطار المسرحي ، ممثلة في الالوان الحارة والموسيقى الصاخبة والتلاعب بالديكور والستائر ، وتقديم اكبر قدر من الأجساد العارية ، راقصة أو غير راقصة ، في استعراضات لها داع او دون داع !

في عبارة واحدة جلال الشرقاوى ـ في المسرح ـ هو مكافىء نجوم الانفتاح في الاقتصاد والمجتمع . وفي خدمتهم . وولاؤه الوحيد هو ذات ولائهم الحصول على مزيد من الثروة . وتحقيق مزيد من الرواج . و .. شباك التذاكر لايخطىء ابدا .

هذا هو . فما وجه الاهتمام ، اذن ، **والجدل** ؟

• • •

السيدة نهاد جاد كاتبة صحفية ، تعمل مديرة لتحرير مجلة « صباح الخير » : ونص العمل منشور مع مسرحية اخرى قصيرة سبق ان قدمتها السيدة نعيمة وصفي على مسرح الطليعة في ٨١/٨٢ (والكاتبة تهدى عمليها لزوجها سمير سرحان الذى علمها كيف تحب المسرح » وقد كتب مقدمة لهما د. عبد العزيز حمودة الذى لم تفته الاشادة بهذا العرض ايضا ـ الجمهورية ١٩٨٦/٨/٩) والنص المنشور قصير لاتبلغ صفحاته الخمسين من القطع الصغيرة وهو مشهد واحدة لايستغرق تقديمه على المسرح اكثر من الساعة صفية مدرسة مصرية اقنعها زوجها ليلة زفافهما بالسفر للعمل في الكويت . حيث قضت عشر سنوات متصلة لم تات فيها للقاهرة مرة واحدة كي توفر المال الضرورى لشراء تلك « الاشياء » التي رجعت تحملها ، فوجدت زوجها قد طلقها وتزوج باخرى بعد ان استولى على بيتها ومالها فلم تجد لها مكانا الا على محطة اتوبيس .. وهو عنوان للمسرحية ـ حيث تلتقى بنموذج ثان هو القاضي كمال عبد الحق .. كان قاضيا وتحرض لاحدى قضايا فساد السلطة ـ توحى بانها سلطة للمخابرات العسكرية او اجهزة المشير عامر قبل ٦٧ ـ فيتعرض للتعذيب والفصل من عمله ، لكنه يعود اليه حتى يخرج للمعاش ويتنازل عن شقته لابنته وزوجها ومن ثم لايجد مكانا سوى نفس الرصيف ليجلس ويكتب مذكراته ويتذكران فجاة انه كانت لهما حكاية حب قديمة في ٥٦ ويحاولان استعادتها . ولكن عبد الصبور ـ الزوج المستغل ـ يجهض حلم صفية وطفلها المنتظر معا .

تلك مسرحية نهاد جاد يلفت النظر في نصها نوع من التلسين ذى الطابع السياسى الذى افتقده حتى الاملال والاضجار في مسرح السبعينيات وافلام السينما المصرية ـ يتمثل في سطور متباعده يقول كمال عن احداث ٥٦ جمال عبدالناصر هو احنا . واحنا هو . البلد كانت ليل طويل وجالها الحلم زى الشهاب مايلمع وسط الظلام الفارس الاسمر الطويل خارج من تراب مصر . بيحلم بمصر جديدة نضيفة شريفة قوية اشتراكية زينا ويقول عن موت عبدالناصر ـ وفي الخلفية اغنية جنازته . ومات الحلم في لحظة خطفها الزمن من عمر نضال شعب بحاله . ركن دماغه ومات زى أسد مثخن بالجراح وجروحه بتنزف دم

ويتمثل كذلك في نموذج الانتهازي الذي ينضم لاحزاب السلطة من الاتحاد القومي الى الاشتراكي لتحقيق مصالحه .

● اثارة ذات طابع سياسي ●

ويلفت النظر في النص كذلك هذا التخبط في رسم الشخصيتين الرئيستين وعدم اتساق ملامحهما وان حاول الدكتور عبد العزيز حمودة - عميد كلية الآداب كما يثبت صفته بنفسه .. نسبة هذا التخبط الى تكنيك اكثر ملاءمة وهو التعبيرية التي تمكنها من الحركة بحرية واضحة والانتقال من الحاضر الى الماضي والعكس دون التمسك بحرفية الواقع وقيوده (...) لكن اهم ما حققه هذا الشكل للمؤلفة في الواقع هو قدرتها على إعطاء صفية أبعاداً أكبر من الأبعاد الضيقة للشخصية المحددة ، فالمشكلة - كما قلنا منذ البداية ليست مشكلة صفية بل مشكلة جيل بأسره ، أم تراها مشكلة مصر كلها في فترة معينة ؟ نعم .. مصر ، هكذا كتب الأستاذ الذي يجلس على مقعد منصور فهمي وطه حسين ومن اليهما !

لكن تلك المسرحية القصيرة - الفقيرة - لايمكن أن تقنع جلال الشرقاوي بأن يضع عليها اسمه وينفق ماله ، لهذا اعتمد عليها ، وصاغ - مع المؤلفة أو بدونها ، فالامر لايعنيه ولايعنينا - عرضا مسرحيا أبرز مافيه هو الاثارة ذات الطابع السياسي ، ولجلال الشرقاوي في هذه الاثارة تاريخ متصل :

● في ٦٨ خاض جلال ورشاد رشدي معركة حول مسرحية « بلدي يابلدي » وقد ثارت المعركة حين رفضت السيدة محسنة توفيق - وقتذاك - ان تلعب الدور الاول فيها ووضعت المسرحية موضع الاتهام فكريا وسياسيا وانتهت المعركة بعرض المسرحية وقد لعبت الدور الاول السيدة سهير البابلي ذاتها (ألست ترى البدايات تؤدي احيانا للنهايات ؟) وفي المسرحية كشف رشاد رشدي - اكثر واكثر - عن وجهه الحقيقي الذي يحتقر جماهير الناس في سعيها اليومي ، ولايراها سوى غوغاء تنشط لاشباع الفم والفرج ، شعب جاهل متواكل ، ينصرف عن المصلح والداعية والثائر ، ولايجتمع إلا حول الحاوي والراقصة ، والشخصيات التي يفترض أنها « ثورية » متعالية على الشعب ، ومعزولة بعيدا عنه ، مهزومة منذ البداية ، وهزيمتها من داخلها لا من خارجها ، ودعوى السيد البدوي مغرقة في المثالية والغموض ، وانعزاله عن الناس هو هزيمته وفشله .

ولم يقف جلال الشرقاوي عند هذا كله ، وماكان له أن يقف ، يكفيه أن اقام على المسرح « مولدا » حقيقيا صاخبا ، يزدحم بالذاكرين والمنشدين والراقصات ، والابطال يغنون مواويل الالتياع الجنسي المحرق ، والسيد البدوي في عزلته يداعبه طيف العاهرة الجميلة المشتهاة : فاطمة بنت بري !

● وفي ٧٠/٧١ وصل جلال الشرقاوي - ومعه علي سالم - لصياغة توليفة من العناصر حققت الاثارة وجذبت الاهتمام والجمهور لعمليهما المتتاليين : « انت اللي قتلت الوحش » و « عفاريت مصر الجديدة » واهم هذه العناصر - في التحليل الاخير - البحث عن قضية ساخنة (هزيمة ٦٧ في الاولى وحوادث الاعتقالات والتعذيب في الثانية التي عرضت بعد مايو ٧١) ، ثم تمييعها وخلط أوراقها ، بكل الوسائل المتاحة : الرقص الشرقي والتلميحات الجنسية والنقدات الجزئية لمظاهر الحياة اليومية ، والاحالة لاحداث معروفة ، وشيء من الميلودراما .

واطلاق عدد من الكلمات الكبيرة مثل البالونات الملونة ، توحى بأنها تأخذ موقفا من الواقع ، وتناقش أخطر قضاياه . هذه الكلمات بالذات ترضى قطاعا بعينه من الجمهور فلا يزال المسرح مسرح الدولة ، ولازال الجمهور لم يفسد تماما بعد !

ما أود أن أؤكده حول هذين العملين انهما كانا امنين وفي خدمة النظام القائم : فى العمل الاول كانت تلقى بين يدى أوديب مقاليد الامر من جديد ، وأهل طيبة متهمون بالعجز ، حتى حين خرج اليهم أوديب ينهى اليهم ماكان يمكن أن يدهشهم ، وهو أنه لم يقتل الوحش القديم . ضاع صوته وسط ضجيج غنائهم له ، والفساد ـ كل الفساد ـ مصدره تلك الحاشية ، التى يتخلص منها أوديب بسهولة ، أما العمل الثانى فيكفيه أنه جسّد على المسرح ماردده أجهزة السادات عما أسمته « مراكز القوى » اضافة لدفاعه البليغ عن جهاز الشرطة ودوره فى حماية الناس وتحقيق امنها !

هل يبدو نابيا فى هذا السياق أن اخرج جلال .. بين هذين العملين عملا فى رثاء عبدالناصر ، يربط بين موته وموت النبى (حجة الوداع) ؟

● وفى ٧٣ كانت العلاقات بين مصر وليبيا طيبة ، وثمة اتفاقية للوحدة ، بادر جلال الشرقاوى فأخرج مسرحية عن ثائر ليبى اسمه « غوما » بعنوان « الزعيم » من تاليف مصطفى محمود (وهى ليست أول مسرحية يخرجها له جلال) ، قدمته لنا ـ فى ثرثرات المؤلف المألوفة ـ خليطا مضطربا من الثائر والمصلح والانتهازى والدرويش والمتفلسف ، يتخبط بين هذا كله ، فيسلم اسلحته لاعدائه ، ويمكنهم من نفسه ورجاله وثورته جميعا .

لكن الهدف كان واضحا . مجرد اعداد مسرحية للتصدير الى الغرب ، هكذا استعان المخرج بمطرب يؤدى اغنيات باللهجة الليبية ، وراقصة ترقص على الطريقة الليبية كذلك ، أى بثيابها الكاملة !

● وفى ٧٦ كان السادات فى أوج حكمه وكان الشرقاوى فى أوج تعاونه مع رشاد رشدى . جلال عميدا لمعهد المسرح ، ورشدى مديرا لاكاديمية الفنون ، كوّن الاثنان فرقة خاصة ، قدمت « شهرزاد » التى كتبها مدير أكاديمية الفنون على نحو ركيك ومضطرب كى يقول شيئا واحدا : إن مصر (شهرزاد) كانت أسيرة بين يدى الطاغية شهريار (عبدالناصر) حتى جاء حبيبها الشاطر حسن (السادات) فحررها من اسره !

وفى العام التالى قدما « عيون بهية » أيضا كى يقولا ان مصر هى بهية وأن الامير الأسمر (السادات) هو عيناها !

● إثارة سياسية ●

بهذا التاريخ المتصل من استخدام المادة ذات الطابع السياسى فى العمل المسرحى ، تناول جلال الشرقاوى نص نهاد جاد ، فحذف القليل وأضاف الكثير ، وكان اهم ماحذفه تلك السطور القليلة التى فاتت عليك عن عبدالناصر ، وأضاف أحداثا وشخصيات ، وجعل فى بؤرة عرضه المسرحى توابل الاثارة السياسية ، ومافعله جلال هنا يمكن وصفه بكلمة واحدة : إنه « تعهير » التاريخ المصرى القريب ، برجاله ورموزه وأحداثه : من عبدالناصر إلى السادات ، ومن ٥٦ إلى ٧٢ : عندما يتعرض المستشار للتعذيب يرتفع صوت عبدالناصر : « إن هذا الجيل جاء على موعد مع القدر .. » وحين يتفق اللصان يرددان كلمات أغنية عبدالحليم حافظ احلف بسماها وبترابها .. وعندما تلفق للمستشار قضية

مخدرات يرتفع صوت السادات متحدثا عن سيادة القانون ، واغنية عبدالحليم عن الثورة تاريخها وانجازاتها هى اطار خلفى لكل احداث المهانة التى يتعرض لها البطلان .

هذا من ناحية - من ناحية ثانية ثمة افاضة البطلة فى وصف جفاف حياتها فى الكويت ، ومصاعبها مع رجال الجمارك وسائقى التاكسى ، الذين تضطر للتلويح لهم بالدشداشة والعقال ومحاولتها الحديث باللهجة الكويتية ، وارتفاع صوت اغنية سعودية ذاعقة ، واخيرا تلك الشخصية الباهتة للمراة التى تزوجت ثريا عربيا فلقيت الاذلال فى بلاده ، وعادت لتبرىء ساحة البطلة المظلومة .

ومن ناحية ثالثة ، هناك النماذج التى اثبتت نجاحها من قبل : الخادمة اللعوب زبونة الشقق المفروشة التى تقبض أجرها بالعملات الصعبة ، ثم تعطيها لبلية ، الفقير الفهلوى الصاعد بسرعة كى يصبح - كما يصفه المستشار العارف بالقانون - « شهبندر التجار وفارس هذا الزمان .. » اضف لهذا كله امراة بيضاء بضة تقدم رقصتين كاملتين .

اقول ان هذا التمهير كله مطلوب لجمهور هذا المسرح ، مطلوب لأعراب النفط الذين يشكلون أغلبية الجمهور القادر على استهلاك هذا اللون من البغاء المسرحى ، مايقدم منه على الخشبة ، ومايتم فى الكواليس (التقاط الصور مع النجوم بأثمان فاحشة يتقاسمها هؤلاء مع صاحب المسرح) أو فى البوفيه (فباب المسرح يغلق تماما فى الاستراحة الوحيدة ، حتى لايأتى احد من الخارج بطعام او شراب) ولست اشك لحظة فى أن أولئك الأعراب سيسعدون حتى يجدون « فنانين » مصريين ، يتوجهون نحو تاريخهم ورموزهم ، يلوثون كل شيء بهذه الغلظة والفظاظة ، ثم يتوجهون نحوهم ونحو بلادهم بالمداعبة والحديث والاشارة ، ويحيلون الى احداث معروفة لهم : مع موظفى الجمارك وسائقى السيارات وخادمات الشقق المفروشة .

اما القطاع الباقى من الجمهور ، اعنى المتعلقين بحبال الانفتاح فقد رفع عنهم كل الوزر ، إذا لم يكونوا قد انضموا الى الاتحاد القومى ثم الاشتراكى (يقف الشرقاوى طبعا عند حزب مصر ، فهو لايجرؤ على التقدم خطوة بعد ذلك ، واذا لم يكونوا من أصحاب البوتيكات ، ولم يرغموا زوجاتهم على البقاء فى الكويت عشر سنوات متتالية ، واذا لم يسعوا للزواج من بنت « تاجر الخيش » هؤلاء هم المستغلون الفاسدون المفسدون المجرمون المتواطئون ..

اما الذين يخلقون الشروط الموضوعية التى تفرز كل هؤلاء وتجعل بين ايديهم القوة والسيادة ، فلا كلمة واحدة عنهم ، لأن هذا يكشف جوهر التواطؤ بين المسرح - البغى والزبون !

وكلا القطاعين من الجمهور سعيد بأداء هؤلاء « المشخصاتية » ، وعلى راسهم سهير البابلى وحسن عابدين : اعرف وجها قديما للسيدة سهير ، عرفته فى اعمال كثيرة (لعل آخرها كان « ليلى والمجنون » فى ٧١) احببت هذا الوجه واحبه الكثيرون ، اما وجه نجمة « ريا وسكينة » فقد بدا امكانية مهدرة ، ولازمات مفتعلة ، وجه النجمة المصبوغ والمصنوع . وجه سهير البابلى « ع الرصيف » وجه المهرجة التى تؤدى « نمرا » مضحكة ، فى عصبية وافتعال .

اما السيد حسن عابدين فلعل ابلغ رد على مونولوجه الأخير - وهو من اكثر المونولوجات التى سمعتها على المسرح غلظة وافتعالا وركاكة ، والذى يطالب فى نهايته بمحاكمة الذين سرقوا مصر - هو ماقاله متفرج بتلقائية من الصفوف الأخيرة حين أجابه صائحا « أنت دريت ياعبس » ؟!

قصائد عربية

شعر : محمد العائش القوتي
تونس

(١)



أحيانا أركب أحزاني
وأرى وجه العالم ..
منفى تتشكل داخله
قسمات الجرح العارم ..
وأرى كل الأطفال .. يحاصرهم
ألم قادم ..
أحيانا أفتح نافذتي ..
فأرى الديكور
مواسم باهتة .. وبقايا
أندية .. ومعالم
وأرى وجه الأيام يسافر فى الليل القاتم ..

(٢)

أحيانا أصحو من وجعى ..
أتفرس فى كل دروب العمر ..
مسالك ضاربة فى الحزن ..
وكثبان مواجع ..
والشاعر يقرأ فاتحة للموت ..
يعاقر لوعته .. ويكرر دعوته الأولى :
من يرحل فى الكلمات
من يصبح للجسد المغلول هيولى



(٣)

احيانا أفتح اروقتي للشمس ..
يفاجئني الوطن المتوحش بالشجن
الشتوى ..
امد يدا ..
تنساب يد أخرى لتطوقه ..
يتسلل من بين يدى ..
وطن أخضر ..
يرحل في الأنواء ..

(٤)

أحيانا ..
أتمدد فوق شريط الظل ..
أطل من الشرفات ..
أراكم احبابى ..
وبأيديكم كفن أبيض ..
تهدونه للرجل الشاعر ..
ويفر الشاعر ..
يهرب .. يهرب يغرقه شجن كافر .
شجن من نوع آخر ..

يوسف ادريس

فى حديث للهلال

● جائزة نوبل لن تمنح لأى عربى

أجرت الحديث : هبة عادل عيد

●● منذ فترة والحديث عن جائزة "نوبل" ويوسف ادريس يتزايد ويثير العديد من علامات الاستفهام؟

هل رشح يوسف ادريس ام لا؟ ماهى حقيقة ما اثير حول وصول اسمه الى قائمة الكتاب الخمسة المرشحين للجائزة؟ هنا يدلى يوسف ادريس بمعلوماته عن هذا الموضوع. ربما لاول مرة بهذا الوضوح. ثم يتطرق كاتبنا الكبير لبعض القضايا الادبية والإجتماعية التى لابد من إثارتها فى حضوره وهذا هو نص الحديث ●●



توفيق الحكيم
و
نجيب محفوظ



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ

أجدر منى بالحصول على الجائزة

● **لنبدأ بجائزة نوبل .. اتصور ان هذا الموضوع يثار كل عام .. معروف انك رُشحت لها اكثر من مرة لتنالها .. فما الذى حدث ؟**

□ بداية .. اقول إن معلوماتى عن هذا الموضوع من الدرجة الثانية .. كنت قد قرأت مرة فى النيوزويك اننى رُشحت لعدة مرات من قبل .. ايضا اصدقاء لى من السويد قالوا لى اننى رُشحت للجائزة فى القائمة القصيرة التى تحتوى على خمسة كُتاب من كُتاب العالم وقيل لى اننى كدت افوز بها منذ عامين عندما نالها جولدنج الانجليزى . لأن التصويت كان لصالحى لكن سكرتير اللجنة خرق التقاليد واعلن فوز جولدنج قبل ان يجتمع المجلس . واحتج احد المسئولين الكبار فى اللجنة وكاد أن يعقد مؤتمرا صحفيا يقول فيه ان جولدنج لم يكن المرشح لها .. وفهمت اننى كنت ساحصل على الجائزة .. هذه هى كل معلوماتى ومن بين معلوماتى ايضاً ان سكرتارية لجنة الجائزة جاءت إلىّ .. واخذت كل مؤلفاتى والكتب التى كُتبت عنى واجرت معى لقاء مطولا . وترجموا لى مجموعة قصص من بينها (الحرام) .. حتى يصبح لدى الناس مادة تقرؤها وتحكم عليها .. هذا ماحدث .

● **وإذا عرضت عليك الجائزة هل ستقبلها ؟**

□ نعم ساقبلها وإن كنت ارى ان توفيق الحكيم ونجيب محفوظ احق منى بالجائزة . ولكن مسألة الترشيح او عدمه لا املكها كما انهم لايملكونها .. لذا فانها إذا عرضت علىّ ساقبلها . اما إذا وضعوا لها شروطا سياسية فسارفضها على الفور .. اما إذا لم يضعوا لها شروطا سياسية .. ولم يضايقهم اننى اكتب ما اشاء فى المكان الذى اشاء وبالصيغة التى اشاء .. ولم يضايقهم اننى ضد الاستعمار العالمى والصهيونية ، فلماذا ارفض ان يرضخوا هم لشروطى ؟! ..

لكننى لا اضع هذا الموضوع فى اعتبارى اطلاقا .. لاننى اعتقد أن احد الاخطاء الكبرى التى يقع فيها الكُتاب فى العالم الثالث ، إنهم يتصورون انهم مرشحون لجائزة نوبل فيبدءون فى تهدئة نبرتهم .. ويبدءون فى تقديم فروض الولاء والطاعة ، كما حدث من جابرييل جارسيا ماركيز مثلا عندما اعلن اشياء غريبة حتى



حديث يوسف إدريس

باخذ الجائزة .. وبدا يقوم ببعض المساومات نوعا ما .. وهو رجل من المفروض انه نشا فى احضان الدكتاتورية العسكرية الامريكية اللاتينية بتدعيم من امريكا .. والمفروض ان اروع كتاباته كتبها عن ذلك وفى اعتقادى ان الامريكيين يتدخلون الى حد كبير فى هذه الجائزة وفى غيرها فى اوربا .. ماعدا فرنسا .. والمشكلة تكمن فى اننا عرب .. وهذا ما ينساه الكثيرون فى العالم العربى .. وانا اعتقد ان هذه الجائزة لن تمنح لاى عربى سواء فى وقتنا الحاضر او فى المستقبل .. ولذلك فإننى لا اعلق اى اهتمام على هذه الترشيحات لاننى مؤمن انها لن تمنح لاى عربى ، فقط لانه عربى ..

وانا احذر الكتاب الا ينخدعوا بهذه الترشيحات فالذى يريد منحى جائزة فليمنحها لى .. دون ان يتصل بى قبلها ليقول إننى مرشح لها .. لان هذا معناه ، قدم فروض الولاء للترشيح .. والذى يعنيني هو الا يحدث نوع من الوهم لدى بعض الكتاب والشعراء المصريين والعرب انه المطلوب منهم هذا الخط السياسى او ذاك .. كما تورط بعض كتابنا وفعلوا لينالوا الجائزة ..

● ولدت لاغير العالم ●

● **يقول برخت فى إحدى مسرحياته .. "فلتغيروا دنيانا ، فهذا هو الأمر الملح" ..**

فى المقابل ماذا يريد ان يقول د . يوسف إدريس فى كتاباته ؟ ..

□ شعارى دائما .. (ولدت لاغير العالم) وبالطبع هذا غرور .. ولكن لولا تمسكى بهذا الغرور لما كتبت .. فلنعتبره غرورا او جنونا او تمردا .. فلو لم يضع الكاتب فى اعتباره ان يغير من مفاهيم ورؤى الناس فى عصره .. فلن يُكتب لكتاباته معنى او خلود او حتى قيمة انية .. لان الهدف من الكتابة هو الهدف من الفن بشكل عام .. وهو خلق انسان اسمى واحكم فاذا لم يكن هذا هدف الكاتب فلماذا يكتب إذن ؟؟ ..

وبرخت قال كلمة يحسن ان اذكرها فى هذا المجال فقد قال : « إن الكاتب الموهوب حقا هو ايضا الكاتب الذكي ، الذى يستطيع ان يتغلب على العراقيل التى تقف بينه وبين ان يؤدى واجبه » ..

● **ايضا فرانز كافكا قال .. الكتاب يجب ان يكون اشبه بالفاس التى تحطم المتجمد داخلنا ..**

□ هذا حقيقة .. ولذلك فقد اخترت القصة القصيرة عن إيمان بها .. فانا مؤمن بان القصة القصيرة اكثر فاعلية من الرواية .. فالرواية قد تغير فى المدى البعيد جدا .. اما القصة القصيرة والمسرحية فتغير على الفور .. ومن الممكن عندما نشاهد مسرحية ان نتغير فكريا لمجرد مشاهدتها .. إنها وسيلة فعالة للتغيير ، فضلا عن انه ليس من الممكن نسيان قصة قصيرة جيدة نقروها ، ولكن من الممكن ان ننسى رواية باكملها او موضوعها أو تفاصيلها ، ذلك لأن الرواية تورد الكثير من التفاصيل التى تمحو بعضها البعض فى حين ان القصة القصيرة .. تفصيلة واحدة من الحياة .. لكنها ذات اثر قوى ومدمر .. وعميق جدا .. لايمكن نسيانه .

● المقال .. لماذا ؟ ●

□ فى مقالاتى كتبت مثلا عن تجريف الأرض ، صحيح انه بعد خمس سنوات اوقفوا تجريف الارض .. ولكنى كشفت القضية ، ايضا

حاججت الشيخ الشعراوى فى اتهاماته للناس بالكفر .

لقد لجأت إلى المقال رغما عنى ، رأيته وسيلة للدفاع عن النفس ضد ظاهرة تكفير الناس مثلا واستعداء الغوغائية العامة عليهم وبالطبع هذه ظاهرة خطيرة جدا ، وكان لابد من الوقوف امامها . ايضا وجدت المقال وسيلة للاحتفاظ بالحد الادنى من المنطق والرؤيا الواضحة لمشاكلنا ضد الذين يريدون وضع غشاوات عليها ، وينسبوها إلى تفشى الفساد فى المجتمع - مثلا - اى فساد ؟! .. هل يوجد فساد اكثر من الفقر ؟! .. لقد وهبت نفسى لمحاربة الفقر والتخلف العقلى والثقافى .. ولذلك كتبت ، اهمية ان نتثقف يا ناس .. وامنت بوجوب خلق مجتمع مكتف ومثقف .. وقلت ان الثقافة لاتنفصل عن الإكتفاء المادى بل إنها اهم منه لسبب انه بالثقافة او بالتنوير يمكن ان ينتزع الانسان حقوقه المادية متسلحا بعقله الواعى . لكن إذا شبع فقط دون ان يكون لديه الوعى الكافى يمكن ان يضيع منه هذا الحق .. لانه لن يستطيع المحافظة عليه ..

● دور المثقف ●

● **هل يقتصر دور المثقف فى مجتمعاتنا على ان يعبر بصدق عن هموم الناس . بمعنى انه ليس من مهمته ان يضع حلولا لمشاكلنا ؟ .. لانه قد ظهرت بعض الآراء التى روجت لهذه المقولة ..**

□ دعينا نتوقف امام هذه المقولة .. إنه ليس من عمل الكاتب ان يقدم حلولا ، وفى رايى ان عمل الكاتب ان يقدم حلولا . لكن ليست حلولا يطرحها هو .. إنما على الاقل يصدر فى رؤياه عن رؤيا للحل ، لا ان يعقد المشكلة .. فلنفترض ان هناك شخصا فى مازق ما ويحتاج إلى المساعدة .. فهل يستعين باخر اعمى ليرشده إلى الطريق ؟ .. يجب ان يكون مبصرا .. ليس مهما مدى رؤيته ولكن المهم انها افضل من رؤية طالب المساعدة ..

والمصيبة ان كثيرا جدا من الكتابات - بالذات فى الشعر - تزيد الالم الما على الناس .. وتزيد البؤس بؤسا على الناس ، واليائس تزيده يأسا ، والمفروض فى الشعر ان يفتح املا .. ودور الفنان ان يكون هو السائد .. فإذا كان الشعور السائد مكتئبا ، فهو يمرح .. وإذا كان الشعور السائد مرحا فإنه يكتئب وإذا كان الشعور العام متفائلا جدا فهو يتشاءم . وإذا كان الشعور العام متشائما جدا فهو يتفاءل .. وذلك لان الفنان ليس المعادل الموضوعى للحياة .. إنما هو المعادل المعاكس لكى يوازنها . وهذا هو الفن .

● والبطل .. هو الحل ●

ويواصل الاديب يوسف إدريس حديثه قائلا . على سبيل المثال فانا ضد الاقلام السياسية التى نراها فى هذه الايام . إننا نفتقد البطل .. والاقلام والروايات التى نقرؤها فى الصحف والكتب والمجلات تنقد الواقع الحالى .. ولقد شبعنا من هذا النقد ونحن نريد بطلا ، فمن المفروض فى المرحلة الحالية ان يتجه الفن لا إلى فكرة البطولة الخرافية مثل "روبنسون كروزو" .. بل إلى البطل بمعنى الشخص القادر على قهر الشيء الصغير جدا الذى يقف امامه ، او حتى البطولة بمعنى المحافظة على الذات ، لا ان يظهر مدير عام يعمل طبالا ، او عازف كمان حتى يطعم اولاده .

هل هذا حل ؟؟ إن البطولة هى إصراره على العمل وحل المشكلة .. حتى ولو دخل فى صراع مفتوح مع المجتمع ، وهذه النوعية من النقد سواء كان نقدا سياسيا او إجتماعيا او اقتصاديا ، نوعية مضرة فى رايى ، لان الناس تعرف عن الاشياء وليست فى حاجة لان نكشفها لهم ، ولكنهم فى حاجة اساسية لان نبين لهم إلى اى مدى يمكنهم فعل شيء .. وهذا يفتح باب الامل فى الحل ، فالكارثة ليست اقتصادية او اجتماعية او تبعية للاستعمار او لامريكا ولكن الكارثة فى الناس



عندما يفقدون الثقة فى قدرتهم على عمل شىء مفيد ، أو حل مشكلاتهم ومهمة الكاتب ان يبين لهم إمكانية الحل ، اين الحل الجماعى للمشكلة ؟ .. إننى كفرد عندما انظر إلى مشكلة الغلاء فلن استطيع حلها .. لكن عندما انظر لحلها من خلال ترابط بينى وبين زملائى .. نقول رأياً .. ونتشاور .. ونفكر يمكننا فى هذه الحالة ان نقدم اقتراحا إلى الحكومة .

● جروح .. اسمها خيبة الامل ●

● فى رواية (العيب) عبارة تقول فيها : ".. مامر بنا قد اصبحنا جزءاً من تاريخه كما اصبح هو جزءاً منا ، نتوءاً هنا او اثرا لجرح هناك ، اثراً لايختلف عن بقية كياننا وجسدنا إلا فى اختلاف لونه وبروز سطحه والألم الذى يصدر عنه إذا نحن بوعى لمسناه " ..

أريد أن اعرف الجرح الذى إذا ما لمسه د . يوسف إدريس لايزال يؤلمه ..

□ قال إنها جروح .. وليست جرحاً واحداً .. جروح فى الطفولة وجروح فى الكبر .. وأهم هذه الجروح .. جروح غريبة جداً اسمها : خيبة الأمل فى كثير جداً من الأشياء التى كنت أؤمن بها .

الحرية ـ على سبيل المثال ـ كنت أؤمن بالحرية بطريقة مثالية ، كما يجب ان يؤمن الإنسان بالحرية .. ثم اكتشفت انه لاتوجد حرية فى العالم إطلاقاً ، تحت اى شعارات وتحت اى نوع من الحكومات ، لاتوجد حرية .. وإن الانسان اتعس كثيرا من تلك اللحظات التاريخية التى كان يعيش فيها بلا دولة ، وإن الدولة قامت لتنظيم حياة الناس وتعطيهم الحرية الاكثر والأعقل .. فخيبة أملى فى عالم يكاد يخلو من الحرية .. جرح كبير جداً !

مثلا هل يتقدم العالم ام يتأخر ؟ لقد عشت هذه الفترة عقب الحرب العالمية الثانية فى الخمسينات ، كان العالم افضل كثيراً من الآن ، وكانت هناك حرب واحدة هى العدوان على كوريا .. قامت به الولايات المتحدة .. كانت هناك حرب واحدة فقط ، وبقية العالم كان يعيش فى سلام وفى حالة نهضة شاملة ، أما اليوم فأعتقد أنه توجد ١٢ او ١٣ حربا قائمة الآن ، فى هذه اللحظة فى انحاء متفرقة من العالم ، وهى حرب تتدخل فيها القوى الكبرى ، ويتدخل فيها الخلاف الرهيب بين مصالح هذه الدول الكبرى والعالم الثالث ، ويتدخل فيها النظام الاستعمارى الغربى المحكم الذى يحاول تشديد قبضته على العالم .. ويتدخل فيها العصر الذرى الذى نعيش فيه !! .

أما عن المستوى المحلى هنا فى مصر ، فاستطيع القول بأن فترة الخمسينات والستينات شهدت هبّة مصرية عظيمة جداً فى كافة المجالات ، وكان يصحب هذه الهبّة نوع من الآمال الطموحة جداً .. هل تتصورين أننا كنا نفكر فى صنع حضارة نهديها للعالم ..

والى اوروبا بالذات .. كنا نريد ان نُخضّر اوروبا ..

فاين نحن الآن من هذا ؟ .. إخفاق الحلم المصرى فى النمو .. جرح كبير جداً .

ولعل بعض الناس يتساءلون : إن هذه مسائل عامة لاتجرح ، أن الانسان تجرحه امور شخصية .. أو مواقف ولكن مشكلتى فى اننى آخذ هذه الجروح العامة كجروح شخصية ، وهذا لانى اكتبها .. ولأننى يجب ان اشعر بها على هذا المستوى وإلا فلن استطيع كتابتها ..

● عودة للطفولة .. الجريحة ●

● **مازلت اريد التعرف على لمحة من الجروح الشخصية جداً .. والتى ساهمت فى تكوين د . يوسف إدريس ..**

□ عندما اتذكر طفل عمره ٨ سنوات .. إنتُزِعَ من عائلته ، وبعثوا به إلى جدته حتى يصبح قريباً من المدرسة الإبتدائية .. وكان عليه لكى يذهب إلى المدرسة أن يستيقظ فى الخامسة صباحاً فى الشتاء البارد جداً ويجهز نفسه للذهاب إلى المدرسة ، ولم تكن هناك أم شابة ترعاه .. ثم يمشى من الساعة السادسة إلى الثامنة ٤ كيلو مترات فى طريقه إلى المدرسة ، كان البرد يجعله ينكمش على نفسه ، واحيانا كان المطر وعادة كان يصل إلى المدرسة قبل أى تلميذ من المدينة خوفاً من التأخير ، وكان يصل فى حالة يُرثى لها .. حذاؤه عليه اكوام من الطين ، وملابسه مبللة ، ثم يجيء المدرس فى الطابور يفتش على الاحذية ، واذكر أنه كان مدرس اللغة الانجليزية وكان اسمه الأستاذ السباعى وكان انيقاً جداً ، كانت ملابسه انيقة وحذاؤه يلمع لمعاناً غريباً ، يجيء هذا الرجل الأنيق ويفتش علينا .. فيكون أسوا تلميذ فى هندامه .. أنا .. كل يوم واضرب فى الطابور لأن ملابسى متسخة ، وظللت ارجو والدى أن يعطينى أجرة القطار لكى اذهب وأرجع به .. ولكنه كان خائفاً .. ويتصور باستمرار أننى سأقع تحت عجلات القطار ـ واموت ـ حتى عندما كنت اسير على السكة الزراعية .. كان يطلب منى أن أسير فى الجهة البعيدة عن جسر القطار ، فهو يخاف إما أن أطلع أنا على الجسر أو يخاف أن ينزل بى القطار على السكة الزراعية .. فى هذه الطفولة كنت اشتهى تناول الطعمية ولا أستطيع ذلك .. لاننى كنت آخذ (تعريفة) فى اليوم .. مع اننى من مستوى اقتصادى مرتفع .. فوالدى كان مفتشاً زراعياً ، ولكن عندما ذهبت إلى جدتى كانت فقيرة جداً فهبط مستوى الاقتصادى والغريب فى ذلك اننى ادركت أن الذى ينشأ فقيراً لايشعر بالفقر إنما الذى يشعر بالفقر حقيقة هو الذى نشأ ورأى حياة أخرى غير حياة الفقر .. فيبدأ فى رؤية الفقر بعيون أخرى .

اتذكر طفلاً لا تسلية له إلا اللعب مع الأطفال .. وقت الغروب ، يلعب بعض الألعاب الساذجة مع أطفال الفلاحين الغلابة الذين كان لديهم مرح الأطفال وحب اللعب .. وغالباً ماكانت تضربه جدته أيضاً .. لأنه تأخر فى العودة إلى المنزل .

واتذكر طفلاً يذاكر على "لمبة جاز" .. وكرسى "عشرة" .. (مقعد توضع عليه الأوانى فى الدوار) .. ولمبة جاز نمرة خمسة .. ويمر قطار آخر الليل فى العاشرة مساء ويصفر صفيراً خافتاً



حديث يوسف إدريس

ويتثاءب الطفل ، وعليه ان يطفىء المصباح لأنه مرة نسى ان يطفئه فاخذ "علقة" وينام ، ليصحو تلقائيا فى الخامسة صباحاً ..

كيف كان يصحو هذا الطفل ؟ من كان يوقظه : اى رعب كان يركبه من فكرة ان يصحو متاخراً .. او يصل إلى المدرسة متاخرا ، أو تستيقظ جدته فتجده لم يذهب إلى المدرسة .. الله اعلم بكم هذا الرعب !!

عندما اقارن هذه الطفولة .. بطفولة ابنتى .. أو أولاد الناس الآخرين حتى أولاد الفلاحين ، اجدها كانت طفولة مريرة جدا ، ومليئة بالجروح .. ففى كل حركة من حركاتى كنت اجد جروحا .

فى الماضى لم يكن التعليم إلا لأولاد الناس الأغنياء وكان التعليم فى الابتدائى .. يضم أولاد الأعيان أو الخواجات .. وأكاد اكون افقر تلميذ فى المدرسة فى ذلك الوقت ليس لاننى فقير .. وهنا تكمن المشكلة بل لانى بعيد عن اهلى ـ فكم حلمت مثلا ـ أن اجلس مع إخوتى .. ونأكل من طعام قامت امى بطهوه ، لاننى كنت آكل مع هذه العائلة الزراعية الكبيرة الكادحة ، ثلاثون رجلا وإمراة أصغرهم يصل عمره ثلاثين عاما وكان عمرى ثمانى سنوات ، كنت الطفل الوحيد بينهم وكنت بالتالى اعامل معاملة الكبار ..

وكان الطعام شحيحا . واللحم نادرا وكانوا يذبحون فى المواسم فقط .. لكن الطعام كان له مذاقا مختلفا وأذكر انني عندما كنت أعود من المدرسة واجد امام البيت (ريشا) . فاشعر على الفور برائحة الدجاج .. وعندما كنت اكتشف رائحة الفراخ تنتابنى فرحة غامرة .

قطعا هذا النوع من الحياة غرس فىّ شيئين رئيسيين الأول . محاولة إحتمال الواقع بتجميله باللجوء إلى الخيال .. فكنت لا اشعر بالاربعة كيلو مترات التى اسيرها على قدمى إلى المدرسة لأنى كنت احلم احلام يقظة كثيرا . احلم مثلا اننى وجدت كنزا . واحلم باننى ذهبت إلى شجرة . ام الشعور .. (شجرة معروفة لدينا فى حواديت الاطفال) .. احلم .. واحلم .. واحلم .. إلى درجة ضخمت جدا من مركز الحلم فى عقلى . فاصبح بمقدورى تخيل اى شىء . ليس مجرد خيال وإنما كحقيقة وهذه الصفة عرفت بها فيما بعد ، أنها افادتنى كثيرا فى الكتابة .

أما الشيء الآخر الذى منحتنى اياه هذه الطفولة انها قوت عودى جداً ، فالطفل الذى يتجاوز هذه الطفولة المحرومة ، ولايموت ينشا قوياً جدا .. اقوى من الأطفال الذين نشأوا نشأة عادية ، فعندما أرى الأجيال الجديدة فى العائلة وقدرة احتمالها ، أرى أننى ـ وانا فى هذه السن ـ اكثر منها قدرة على الاحتمال .. حتى الاحتمال العضلى .. هذا ايضا نتيجة لهذه الطفولة المحرومة .

هناك شىء ثالث .. تعلمته من طفولتى .. هو انه لانهاية للأحلام .. فهناك بعض الناس بمجرد أن تحقق ذاتها ..

وحتى ذاتها المتواضعة جدا تكتفى بذلك .. الحلم بالنسبة لى ليس ان احقق ذاتى فقط .. ولكن ان اغير ذلك ، ان اضع مصر كلها على طريق جديد .. حتى لاينشأ اطفال بهذه الصورة .. طبعاً .. فى طريقه لتحقيق هذا الحلم .. حدثت خيبات الأمل التى حدثتك عنها .. لكن ليس معنى ذلك اننى فقدت الأمل ابدا ، ولا اعرف لماذا يراودنى إحساس قوى جدا بأن هذه كلها أمور عابرة .. وانها ليست علامات تأخر ولكنها علامات لتطور غريب يجرى داخل المجتمع ، لكننا لانعرف اتجاه هذا التطور .. ومادام تطوراً فهو إلى الأحسن حتى وان بدا إلى الأسوأ ..

● الشعبان المصرى والصينى ●

□ ويقول الدكتور يوسف إدريس مواصلا حديثه للهلال : وفى هذه النقطة اريد القول بأن الشعبين المصرى والصينى يكادان ان يكونا الشعبين الوحيدين فى العالم المستمرين إلى اليوم فى مسيرتهما منذ عصور ماقبل التاريخ اى منذ ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ عام .. وفى رأيى ان "مينا" لم يأت من فراغ .. فمن قبله كانت هناك حضارة مصرية .. هى التى وحدت كل قُطر على حده .. الشمال والجنوب .. لكن "مينا" فقط اقام الوحدة بينهما وهذا مافعلته اسكتلندا وانجلترا منذ ٥٠٠٠ عام .. لكننا قمنا بذلك قبلهم .. إذن حتى من قبل "مينا" .. كان لنا تاريخ .. فتكاد الحضارتان المصرية والصينية ان تكونا أهم حضارتين مستمرتين حتى اليوم .. هذه الحضارة داخل كل منا فلا تتصورى ان الحضارة الفرعونية لاتوجد فينا .. ايضا تأثير الإغريقية والرومانية والفارسية والعربية .. لم تذهب .. بل إنها دخلت أعماقنا ..

نحن شعب قادر على اجتياز كل المحن .. وهذا هو عنصر الاطمئنان عندى .. فانا مثلاً عندما ارى اصدقاءنا وزملاءنا قلقين جدا .. ومنزعجين من اى شىء يحدث .. وكأنهم يجلسون على سطح من صفيح ساخن ، اقول لهم إهدأوا .. فالقيامة لن تقوم ، ولن تذبحوا ، ولن تشنقوا ، ولن يحدث أى شىء لاننى أعتقد أننا سنجتاز هذه المرحلة وكل ما فى الامر أننا باستمرار نكون ضحية لحكامنا !

● انا كاتب .. لى رأى سياسى ●

● هل فى رأيك انه يجب على الكاتب ان يكون له راى سياسى ؟

□ رغماً عنه .. لابد ان يكون له راى سياسى .. حتى كمواطن عادى .. اليس الكاتب بشرا ؟ الا يقرا الصحف ويسمع الإذاعة ويرى نشرات الأخبار .. ويسافر ؟ يجب أن يكون له راى ..

● اى ان هناك استحالة فى ان يكون الكاتب محايداً ؟

□ من الممكن ان يكون له راى رجعى .. لكنى لا اعرف كاتباً اصيلاً .. رجعى فى رأيه .

● اعنى ان يكون بلا راى .. على الاطلاق .. محايدا .. بلا موقف .. بلاهوية ؟

□ كيف يمكن للكاتب ان يكون محايداً ، الحياة نفسها ليست محايدة .. فكيف يمكن للكاتب أن يكون محايداً حيال الأخطار ؟ كيف يمكن للكاتب ان يكون محايداً تجاه القنابل النووية وحرب النجوم ــ على سبيل المثال ــ كيف ،

الجريمة عند يوسف القعيد

مجرمون بلا عدد وجرائم تبحث عن مجرم

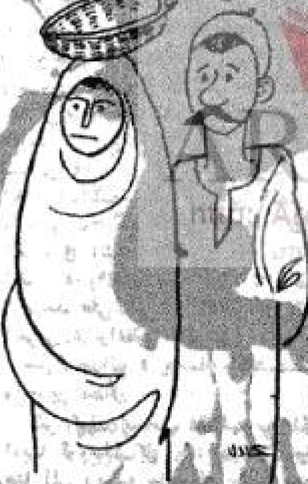
عرض وتحليل :
عبد المنعم الجداوى

● الجريمة فى أعمال الادباء الذين وفدوا من الاقاليم جريمة قديمة . فهم الريف ، وعرافته ، وقد افزعهم بلا شك أو هكذا اتخيل أن يسرح نجيب محفوظ بكل حجمه ولقله انه قاهرى لحماوعظما وانه لا يعرف عن القرى ما يكتبه ، فهبوا ، وهم يحملون هموم الريف ، واحزانه يفرضون على القراء نماذج القرية من العمدةالىشيخ البلد . الى حلاق الصحة الى العبيط الى الحكيم .. يكتبون فى عجلة واصرار قبل ان تنقرض القرية المصرية التى انشبت الحضارة اظافرها فيها ، وباتت مهددة بان تموت مصعوقة بالكهرباء . بعدان كانت مهددة بالموت مندخان « الكوانين » .. !



يوسف القعيد





● و « يوسف القعيد » أحد هؤلاء القراء ، فهو يكتب الجريمة الريفية على شكل (عرض حال) كأنه يرفعه الى من يهمه الأمر .. يحرص على أن يصف الجريمة ، ويشير الى المكان الذى ووريت فيه الجثة ، ويحدد الجانى ، ويقيم ضده الأدلة ، ويجيء بالشهود فيؤدون الشهادة بحماس اذا كان المتهم ضعيفا ، وينكرون ، ويستنكرون اذا كان الجانى من الأعيان ، دون ... « القعيد » ... أن يقوم بمهمة ... المهمة ، فهو يصرخ فى كل قصصه ورواياته مستعديا القانون على المجرمين بنفس الطريقة التى ينادى بها البائع فى أسواق القرية على بضاعته ، ومع أن البائع فى سوق القرية الأسبوعى لا أحد يشترى منه بضاعته المرزولة الباهتة الألوان ، الا فى القليل .. الا أن « يوسف القعيد » أكثر شطارة وبراعة .. لقد باع بضاعته لمصر وللخارج ، وصدر له الآن فى انجلترا رواية « الحرب فى بر مصر » أى أنه باع القرية المصرية للأجانب ... انما باعها من قبل لروسيا وأوكرانيا أو سوق يشترى الفلاح الروسى ...

الجريمة عند يوسف القعيد

القرية المصرية ، ويبقى أن يقراهـــا الفلاح المصرى نفســه ؛ بعد أن يرفــع الله عنه محنة الامية عمدا

الفقر العربى والافرنجى

والجريمة فى الرواية عنده توشك ان تكون كاملة الابعاد الاربعة .. المجنى عليه ، والجانى ، والآلة المستعملة فى الجريمة ، والشهود .. الا أنه لحاجة فى نفس « القعيد » ، لهدف استهدفه قبل كتابة الرواية ، جعـل الجريمـة رأس حربة مندفعةلنحوه — يترك الجانى يفلت من العقاب ، لان العدالة مفقودة فى مجتمع الريف.. السـابق ، واللاحق ، والمؤلف سلطان لا يحاسب على مايعتقد ، وما يراه ، طالما هى فى النهاية بتقييم الانسـان .. ولعل « صابرين » فى «عزبة المنيسى » ، و « مصرى »ابن الخفير الذى استشهد بدلا من ابن العمدة وآخرين هم الذين فجروا انتظـار القراء فى اللغات الاخرى فالفقر هو الفقر ، والظلم هو الظلم ، وحتى الآن لا يوجد على خريطة العالم اللفقـر العربى ، والفقر الافرنجى ، ولهـذا ترجموا جرائم « يوسف القعيـد » وآخرين ..

لكن كيف يتعامل الكاتب مع الجريمة أدبيا ؟ وهذا كل ما يعنينا ، ونسعى هنا الى رصده آنه يضيع زيده على جرائم ريفية الطعم ، والرائحـة مـن المستحيل ان يكون أبطالها من غير قرية « يوسف » أو القرى التى تجاورهـا

والحق انه شديد الاخلاص الى حــد التعصب لمسقط راسه فى البحـيرة ، ويتغنى بامجاد « الادهم » ، ويرغـم ابطاله على أن يتغنوا بمواويله..وكلما انسدت الطرق امام المظلوم صاح يرتل جزءا من موال« للادهم » كأنها التميمة التى سوف ترفع الظلم ..

الحرب فى بر مصر

وأتعرض هنا لروايته « الحرب فى بر مصر » ، وقد رسم كل اشخاصـها بعناية ، ووزعها على افواههم ببراعة، وجعل الجريمة . تستغرقها مـن أول سطر حتى آخر سطر — أهى جريمـة تزوير ، اذ اتفق عمدة القرية مع خفير يحال الى المعاش . أن يقدم ابنــه ليخدم فترة الجيش بدلا من ابنـــه ، وكلاهما ولد فى نفس التاريخ .. الآن الولد ابن الخفير . متقدم ، وناجح ، وابن العمدة طرد من المدارس ..ويقبل الخفير تحت ضغوط مادية ، وادبية ، ويقبل الابن ابن الخفير ، حتى يجـد والده قطعة أرض ، ويحصل عـلى مرتب شهرى ، وبعد أن كان الابخفيرا حكوميا حوله الى خفير خصوصى . دون تطلع المرتبة .. ابن الخفير أسمه « مصرى » اختاره « القعيد » مع

● "القعيـد" أهـان الجـريمـة باستعمال المواويـــل ..



ندرة الاسم لا سيما فى الريف • والذى يقوم بعملية التزوير من الالف الى الياء ، مجرم يضع الجريمة بنفس البساطة التى يتنفس بها ، وهو الآخر مدرس مفصول من التربية والتعليم بسبب التزوير ، وحينما يئس من العودة الى وظيفته .. احترف التزوير لحساب الآخرين .. تزوير البطاقات .. الشهادات .. الجوازات .. المستندات وهو لا يسمى هذا تزويرا ، وانما يسميه « تسهيل اجراءات » عقدتها الحكومة .. ويعيش فى خيال دائم .. يحلم بوزير التربية والتعليم وقد جاءه حتى البيت ، وتوسل اليه أن يعود الى عمله .. لكنه اشترط عليه أن يرقى الى درجة ناظر . أسوة بزملائه الذين لم يطردوا من الخدمة .. و « التعيد » يجعله يروى كيف زور الاوراق ، واستطاع ان يجعل « مصرى » يدخل الجيش باسم ابن العمدة ، ومعنى ذلك أن « مصرى » أصبح معروفا فى الوحدة التى يخدم فيها بابن العمدة!

ثم روى الخفير ، وقبله العمدة ، كيف اتفقا .. كلاهما روى الموضوع من وجهة نظره .. ثم يجيء الجندى صديق الجند المستشهد ليروى الجزء الخاص به قبل الاستشهاد .. ثم الضابط الذى سحب جثة الشهيد ، والذى اكتشف أن ابن العمدة حيا ، وأن الجثة لابن الخفير ، ورفض أن يسلمه الجثة ، ونجر الموقف ، وأبلغ النيابة .. ثم المحقق يروى النهاية ليقول كيف أنه فشل فى اقامة العدالة ، وكيف أن مسئولا كبيرا استدعاه ، وطلب منه أن يحفظ القضية ، وان يوصى بأن تكون المكافأة والمعاش من نصيب العمدة ، وان يصون كرامة الشهيد حتى لا يلطخ نصر ١٩٧٣ بالطين .. أول نصر للعرب على اسرائيل ، وتنتهى الرواية ..!

والجريمة فى الرواية شخصية ، وقد وضعها المؤلف ، لكى يقول أن الجانى ليس العمدة وحده ، وانما الجناة هم طبقة من الناس ، ملكوا كل شيء ، وتحكموا فى رقاب العباد ..

ويتركنا المؤلف كقراء ، ونحن فى قمة التوتر مع المحقق الذى لا يريد أن يكشف عن هذه الشخصية الكبيرة التى استدعته .. مع أن هذه الشخصية هى المجرم الحقيقى .. لكن المؤلف لا يحدده ، ولا حتى يشير اليه من طرف خفى .. مع انها لا يمكن أن تكون نكرة . فهى شخصية ذات سيادة حتى على القانون ذاته .. وكان يجب عليه كروائى .. أن يزيح عنه الستار ليمتص التوتر الذى أخذنا اليه .. ثم تركنا فريسة بلا مفترس .. فى ذات الوقت الذى جعل وجداننا يطلق سراح العمدة ، والمتعهد ، وكل الذين شاركوا فى قتل « مصرى » الذى لا نعرف له الا قاتلا واحدا .. هو المؤلف ..

فهو بذلك اسقط البعد الذى لا تتم الجريمة الا به .. تقوم بقيامه ، وتسقط

الجريمة

يوسف القعيد

بسقوطه ، وهو البعد الذى يتعلق بالقاتل ، واذا كان المؤلف اخفا فجأة كل الكشافات المسلطة على القضية ، وطوى أوراقها باشارة من الشخصية الغامضة .. فان ذلك أمر ، وهدم أركان الجريمة ، ولم يترك فى القارىء الاثر الذى كان يرمى اليه المؤلف، وهو اثارة سخطه على الجناة .. بل كان العكس ، اعتقد أن سخط القارىء اتجه الى التستر على هذه الشخصية الغامضة ، وعلى من ساعدها على هذا الغموض ..!

الوجه الثانى .. للاغتصاب ..!

والعمدة شكلا ، وعملا ، ومعنى فى رواية « الحرب فى بر مصر » هو الحاج « هبة الله المنيسى » فى رواية « اخبار عزبة المنيسى » ، و « الخفير » والد « صابرين » هو الخفير والد مصرى .. والقرية هى القرية .. حتى بيلسة العصارى ، وخرار الشاى والعسل ، لكن الجريمة هنا جريمة اغتصاب يرتكبها « صفوت المنيسى » ضد « صابرين » فى الوقت الذى كانت مخطوبة الى ابن عمه الخفير « ابو الليف المنيسى » ، والحقول هى الحقول ، والديوك الرومى التى يتحدث كثيرا عنها المؤلف — هى الديوك التى يأكلها « الحاج المنيسى » ، والعمدة ■

فى هذه الجريمة يقدم « المرتالى » شقيق « صابرين » على دس « التوكسافين » لها فى زجاجة زاعما انه الدواء الذى سوف يشفيها من الداء الذى تعانيه بعد الاجهاض . الذى دفع اتعابه للطبيب فى « الاسكندرية » « الحاج المنيسى الكبير » ، وبعد ان تلفظ انفاسها ، وتدفن فى مقابر القرية .. يتقدم « مخلص امين » ببلاغ الى المأمور ليقول أن « صابرين » ماتت مسمومة ، وان والدها الخفير، وشقيقها زناتى » هما الجانيان .. ويبدأ سلسلة من الاجراءات يغوص فيها الكاتب الى حد مرهق ..!

ويصل المأمور ، ووكيل النيابة ، والطبيب الشرعى ، ويمثل « عبد



● "الأدهم" كان فارسا .. أما "الزناتي" فكان مفترسا ..!

● "صابرين" تستر المؤلف على جريمة اغتصابها .. وقدم تبريرا لها ..!!

السجان » الظلم امام النيابة .. ثم يلحق به « الزناتي » ويودعان سجين المركز في « ايتاي البارود » نفس السجن الذي دخله « الادهم »، ويتمتم « الزناتي » بكلام « الادهم » قائلا : (ولما اتقتل مني يا حكومة عملت ايه ؟!) وكأنما الظلم المركب الذي وقع على « صابرين » والجريمة الاولى التي فقدت فيها حياتها، والاخرى التي فقدت فيها حياتها .. كل ذلك لا يكفي بث الاثر المنشود في نفس القارىء من المأساة، فيستعين بظلال « الادهم »، وأطيافه، وهو بذلك لا يهمه الجريمة كعنصر ادبي لعمل .. بقدر ما يهمه العمل الذي يقدمه، وليته اكتفى بذلك بل أصر على أن يجعل من « زناتي » بطلا مأساويا « كالادهم » . فخلط خلطا بالغا بين « الادهم »، و « الزناتي » الذي كان يمكن ان يكون (كالادهم) لو انه قتل « سلوت المنيسي » انتقاما للشرف أولا، واخته التي تماهت بعد الاغتصاب ثانيا، الا ان المؤلف ارتكب في نسج الجريمة خطأ لا يقل عن خطأ « سلوت المنيسي » .. فهو لم يصور الواقعة التي تستحق سخون التيه .. على انها جريمة اغتصاب .. بل اضاف الى الرواية رد فعل غريبة تجاه الذئب متكافئا مع الرغبة عند الجاني، والمجني عليها .. فقد ارجع الكاتب الانفجار عند « سلوت » الى فشله الدراسي المتكرر، وفشله الدراسي في « الاسكندرية »، وارجعه عند « صابرين » الى رغبتها في الافندي الناعم الذي يختلف كثيرا عن ابن عمه الذي اشبه « بعبيط القرية » .. وهي بهذا التبرير الذي لست أدري مبعثه عند المؤلف .. لا يهون من واقعة الاغتصاب فحسب التي هي بؤرة الرواية وانما يحول « الزناتي » من بطل مأساوي الى قاتل جبان .. فشل في ان يقتص من الجاني .. الا المرعوب الخائف .. فانتشى في نذالة يقتص من المجني عليه، وبأسلوب دس السم . أخس وسائل الانتقام، ومثل هذا القاتل الخسيس .. لا يجب أن يعجب « بالادهم » الذي كان يعلن خصومه .. ويتحداهم ان يردوا انتقامه أو يحولوا بينه، وبين حريتهم .. وهذا ما يجعل « الادهم » فارسا، و « الزناتي » مفترسا، والفرق كبير بين الاثنين ..

قصة قصيرة

بقلم : صبري موسى

الوولف

أخذ الكلب الكبير الوولف يهز ذيله ثم عاوده النباح دون أن يعني بنباحه أحد ..

كان ينبح في الأرض الرملية الخالية ، حيث لا انس ولا جان يمكنه التواجد في تلك الساعة المتأخرة من الصباح حين يشتد القيظ ...

ولعله كان مدركا طوال الوقت أنه ينبح في لا أحد، وانما يستمر في النباح ليزيل عن نفسه الشعور بالتوحد ... فقد كان الصيف في ذلك المكان موحشا فعلا ... كثبان من الرمال وراء كثبان .. وهناك على البعد البعيد يظهر السراب الذي يخيم في باطنه البحر ..

وقد توقف الوولف عن هز ذيله ثم انطلق يغرز قوائمه الاربع الرفيعة في الكثبان ويجتازها في حماس ، حتى وصل الى شاطيء البحر وهو يلهث ، ثم اندفع يخوض في الماء ..

لطمته الامواج البيضاء القادمة من قلب البحر ، وغمرته مياهها وغطته ، ولكنه كان يخلص رأسه المدببة ويرفع انفه الى السماء كأنه يلعب لعبة ..

كان الشاطيء في ذلك المكان خاليا تقريبا ، ليس ثمة الا قارب مهجور على الشط ، وحفنة من الصيادين مشغولون في صيد القواقع .. وقد أخذ الوولف يحوم حولهم محاذرا في البداية ، وهو يهز جسده لينفض عنه

الماء ، ثم بدأ يحوم مقتربا وهو يراقب طريقتهم في العمل .. وحين تدفقت على الشط حبات أم الخلول الرصاصية، دس الوولف انفه فيها ليتعرف عليها .. فأزاحه بعيدا بقدمه واحد من الصيادين فلوى الوولف وجهه المبب مزمجرا .. ثم ادار لهم مؤخرته وراح يسرح بعينيه لعميقتين في الشاطيء ...

في عمق البحر البعيد كان سطح الماء الاخضر يشرب من السماء زرقتها، فيبدو غامقا .. وكلما اقترب من الصحراء يصفر لونه ، ويعلو موجه فيرغي ويزبد .. حتى يصل رقراقا الى الشاطيء الرملى فيوشيه بدانتيلا من نديفه الابيض ....

ووقف الوولف يراقب التحام الماء بالرمل ويداعبه بالقدامه ،وكلما انزاح الرمل تحت الماء وانغرست قوائم الوولف فيه ، خلصها وهو متعب ، وقفز بعيدا عن الشاطيء ...

وقد جاءت كرة المطاط من الخلف وسقطت أمامه على الماء فاندفع ناحيتها وأخذ يتعرف عليها بفمه، ثم قضمها فانفلتت منه. فمضى يتابعها .. لكن



الرجل جاء وأخذ الكرة وضربها بمضربه للمرأة التى يلاعبها على البعد

كان الرجل يرتدى مايوها أحمر، وجسده مغطى بالشعر .. وعلى عينيه نظارة شمس سوداء كبيرة .. وكانت المرأة ترتدى شورتا من الكتان الابيض ... وبلوزة خضراء .

ولم تكن المرأة تجيد لعبة الراكت على الاطلاق لكنها كانت تحب ما تعطيه لها من الحرية لتحرك ساقيها فى وضح النهار فى ذلك الشاطيء شبه الخالى ، وفى تلك الايام من اخريات الصيف

ضربت الكرة بمضربها ضربة فانحرفت كالعادة وذهبت بعيدا ..

واستدار الرجل ذو النظارة والشعر الكثيف، ومشى جادا ناحية الكرة وعاد بها ، ثم ضربها اليها فاعادتها اليه منحرفة لعدل نظارته ومشى جادا الى الكرة وعاد بها .. وهكذا .. وهكذا ..

وظل الوولف يراقب



الوولف

[redacted]

قصة قصيرة

اللعبة غير المتكافئة ويتابع كرة المطاط وهي تروح وتجيء بين المضربين حتى انحرفت ، وانحدرت بين قوائمه ، فاخذ يناوشها بفمه .. ولكن ذلك الشاب الجاد ذا الشعر والنظارة .. صاح فيه غاضبا من بعيد ولوح له مهددا بمضربه وهو يقترب ، فابتعد الوولف عن الكرة ،لكنه اخذ يزمجر محنقا لمنعه من اللعب !

كان كل شيء على الشاطيء يبدو ضاحكا .. وقد مشى الوولف هنا وهناك ، فعثر على امرأة ترتدي بيكيني منقوشا بالزهور ، ممددة على الرمال وقد غطت وجهها فمضى يدور حولها يهز رأسه وذيله فرفعت المرأة الغطاء عن وجهها وابتسمت له مرحبة .. لكنه استدار مسرعا يراقب الكرة وهي تروح وتجيء بين الفتى والفتاة ..

وعندما انحرفت الكرة ناحيته ، عن له أن يلعب معهما ، فاخذ الكرة بين اسنانه وجرى بها ، ثم وقف بعيدا كأنه يدعوهما ان يأتي احدهما ويأخذها .. فاتجه الشاب ناحيته .. وحين اقترب حملها الوولف بين اسنانه وجرى بها مبتعدا عن الشاب كأنه يحاوره .. فضحكت الفتاة . واستبد الحماس بالشاب الجاد فمضى يطارد الوولف والوولف يراوغه ، فيبطيء حتى يلحق به الشاب ثم يقفز وينفلت منه .. فتضحك الفتاة بمرح ..

وسخن الدم في عروق الشاب المتحمس من الغضب فاحتد في المطاردة ..

وقد اعجبت الوولف تلك اللعبة ، واعجبت الفتاة ايضا ، لدرجة ان الكلب كان يمكنه الاختباء خلفها من الشاب الذى يجد في مطاردته .. !

وشاعت في الشاطيء روح المرح .. لكن الشاب الكثيف الشعر اندفع فجأة ثم صوب مضربه الى الكلب واطلقه بحركة مفاجئة فاصابه في احدى قوائمه

وقد عوى الوولف متألما فانطلقت الكرة المطاط من فمه .. فأخذها الشاب وعاد جادا الى الفتاة ليواصل اللعب وعلى وجهه ابتسامة النصر .. !

لكن الفتاة كانت ذاهلة والشاطيء ايضا كان ذاهلا ..

والوولف قبع على الرمال يتحسس قائمته المضروبة بفمه ويطلق انينا خافتا ..

وقالت الفتاة : ان الكلب يبكي ..

كانت تسيل من عيني الوولف دموع حقيقية

شعر الشاب الجاد بالخجل ففكر ان يعيد الكرة للكلب، لكنه ما كاد يقترب حتى نهض الوولف في خوف ، ثم تراجع مبتعدا عنهما تجاه الصحراء دون ان ينظر خلفه .. !؟

انفصال الكاتب المعاصر عن مجتمعه

بقلم : محمود قاسم

لا يمكن أن يدعى كاتب مثل فرانس كافكا او جورج سيمنون انه يكتب ليؤثر فى مجتمعه ويسعى به نحو يوتوبيا مليئة بالفضيلة مثلما كتب افلاطون وتوماس مور وه·ج · ويلز يوما لان كل منهما فشل فى ان يعالج قضية اجتماعية بالغة الخصوصية بالنسبة له .. فانهارت جدران بيته حين ماتت حفيدة احدهما بتأثير جرعات المخدرات الكثيرة التى كانت تتناولها .. وانتحرت ابنة الاخر بعد ان اصابتها كآبة شديدة .. خاصة ان كلتا الفتاتين فى مقتبل العمر · لهما علاقة قوية بالفن · جميلتان بدرجة جيد جدا ..

كافكا الذى تحدث كثيرا عن المثالية وكتب عن الامل والكفاح من اجل غد افضل وظهر على شاشة التلفاز الفرنسى يحدث الشباب عن كيفية مواجهة الغد فشل فى منع تسرب المخدرات الى صدر حفيدته كرستين · بل ان المأساة تشتد حين نعرف ان الكميات التى كانت تتناولها كبيرة .. رغم انها لم تكن تتعدى الثامنة عشرة من العمر حين ماتت فى يونيو الماضى ·

اما سيمنون فقد كتب فى « مذكرات خاصة » أنه كان يتوقع ان تنتحر ابنته مارى جو بنفس الطريقة لانه فشل - كما فشل الاطباء - عن ازاحة الاكتئاب عن صدر الطرية الرقيقة التى اطلقت رصاصة فى فمها عام ١٩٧٨ ·

لو ان أى من الكاتبين عاش حياته الادبية والاجتماعية باسلوب يبعث على الريب مثلما عاش رامبوودى ساد وفيرلين فيما قبل لكانت الدهشة اخف حدة · لكن الغريب ان كل منهما يحيا حياة معتدلة ويكتب ادبا شعبيا يوزع على اوسع نطاق خاصة سيمنون الذى يحظى باحترام جميع الاوساط الادبية والسينمائية وسبق ان رأس ادارة مهرجان كان عام ١٩٦٠ ..

انفصال الكاتب المتذمر

ينتظر القارىء الفرنسى مقال كافانا اسبوعيا المنشور فى صحيفة « شارلى ابدو » التى يتحدث فيها عن الحرية وذكريات الطفولة وآمال الغد · هذه الطفولة التى اخذت مساحة كبيرة من روايته « الشعثر » التى نشرها عام ١٩٧٨ · فالاب بناء لا يعرف القراءة او الكتابة يعود الى المنزل وقد اتسخت ملابسه ويداه · لكنه يبدو نظيف القلب دوما أنه رجل جذاب يميل الى ترديد الاغانى الفولكلورية التى يحبها البناءون · اما الام فهى امرأة متدينة · قوية الشخصية · تنحدر من اصل برجوازى لكنها تعشق « بؤساء » هوجو · ويقول كافانا فى روايته انه عاش طفولة عادية مثل الاخرين · وانه احس بلذة ممارسة الاشياء لاول مرة ·· مثل ركوب الدراجة · والذهاب الى المدرسة والصعود الى التل · واول نفث من سيجارة · وحول حلاوة التجربة الاولى تحدث كافانا بعذوبية وحنين الى سنواته الاولى وافرد صفحات كثيرة لاول رشفة من زجاجة خمر ·· لم تكن زجاجة خمر بل كان بها اثير وكانت الرشفة غريبة المذاق دفعته ان يلقى براسه الصغيرة اسفل الصنبور كى ينتبه الى نفسه التى كادت ان تغيب عنه ··

اما رواية « راسكوف » التى نشرها عام ١٩٨١ فيتحدث فيها عن مرحلة اخرى من حياته لقد تجاوز سنوات الطفولة وغدا شابا يافعا فى نفس السن التى الذى ماتت فيه حفيدته · حدث ذلك فى بداية الاربعينات · حينما دخل الجنود الالمان باريس · وقاموا بترحيل الشباب الى المانيا تحت ما يسمى بالخدمة الالزاميــة ·· ثم حين يتم ترحيله الى الجبهة الروسية لممارسة الخدمات الصغيرة ويجد نفسه مغرما بفتاته الروسية ماريا ذات القلب الكبير والشفاه الغليظة والتى كانت تضع زهرة زرقاء فوق شعرها · لقد امتدحبه لها باتساع السهول وكان نقيا كجليد الجبال الذى لا يذوب وحينما يعود الى بلاده بعد انتهاء الحرب يكتشف انه قد دفع الكثير فى هذه الحرب ولكن التجربة اصقلته وعليه ان يستفيد منها

وفى الجزء الثالث من ثلاثيته وتحت عنوان « غبى وشرير » عام ١٩٨٢ يتحدث كافانا عن عودته الى بلاده بعد الحرب ويبدو فخورا بان الحرب لم تغير معالمها ابدا · لذا فان رحلة التعمير كانت قصيرة ·· فى تلك السنوات تزوج كافانا ·· واصبحت له اسرة صغيرة مثل كل اسر الدنيا · يسودها الحب والمشكلات الصغيرة واكتشف فى نفسه كاتبا فاصدر صحيفة « ماراكيوى » المخصصة لحكايات ورسوم الاطفال عام ١٩٦٠ · ويقول الكاتب انه قد سعى لتاسيس هذه المجلة ارضاء لاسرته الصغيرة ·

وتنبع اهمية مثل هذا الحادث من ان كافانا شخصية اجتماعية مرموقة ·· مما جعل الصحافة تتناول ظاهرة تعاطى المخدرات وخاصة للشباب وبهت الحملة ساخنة لاسابيع قليلة ثم ما لبث البرود ان تخسر فيها فاختفت انتظارا لكارثة مماثلة ·· وتقول لوبوان فى العدد المشار اليه ان مائتى شخص يموتون سنويا من تناول المخدرات فى باريس · وان مائة الف فرنسى يتعاطون المخدرات بصفة منتظمة خمس مرات يوميا · اما الدراسة التى

نشرها المعهد القومي للبحوث ان ٢٤٫٦٪ من تلاميذ المدارس الباريسية جربوا المخدرات ولو لمرة واحدة ... وخاصة « الحشيش » .

نهاية متوقعة

قتلت المخدرات الفتاة كرستين .. وقبل موتها بثمان سنوات قتل الاكتئاب زميلتها مارى جو كلاهما نتاج لمجتمع انفصلت فيه اشياء عديدة عن بعضها . ولو رأيت صورة لمارى جو سيمنون لادركت مدى فداحة الحديث . فأى اكتئاب يصيب هذه الفتاة البالغة الحسن التى رزقها الله عدة مواهب . فهى موسيقية وشاعرة . مؤلفة اغانى وممثلة سينمائية .. اما ابوها فهو اشهر كتاب الرواية البوليسية فى اوروبا ، قدم قرابة ٤٥٠ رواية انتقل عدد كبير منها الى الشاشة . وابتدع شخصية المفتش ميجرية وقد عرف عنه غزارة الانتاج . فهو يكتب لاثنتى عشرة ساعة يوميا يمكنه خلالها ان يسطر ثمانين صفحة وقد توقف سيمنون عن الكتابة قبل وفاة ابنته بست سنوات الا ان موتها ايقظ فيه حمية لم يشهدها من قبل لحبس نفسه كالعادة فى غرفته لمدة عامين طلع بعدها على قرائه بكتابين بلغ عدد صفحاتهما الالفين واربعمائة تحدث فيهما عن « مذكرات خاصة » .. « ابنتى مارى جو » وجاءت سطور الكاتب حارة اشبه بدموع متراكمة انفجرت فجأة فسالت دماء بعصارة الذكريات فيضا من المشاعر التى لم يحبسها حابس او يوقفها قلم فسذجت الذكريات لا تنتهى .. واستطاع الكاتب ان يعيد ابنته الى الحياة بعد ان نساها الناس لان انتحارها لم يكن غريبا على مجتمع تطلع صفحة يوميا


كافانا

بعشرات الاخبار عن فتيات مثلهما يطلقن الرصاصات فى افواهن للتخلص من كآبة اصابتهن .

اجل . لقد ذهبت مارى جو الى مطعم قريب من منزلها وتناولت بعض الفطائر . ثم عرجت على محل اسلحة فاشترت مسدس ورصاصات ثم عادت الى شقتها واغلقت الباب واطلقت رصاصة على رأسها ، والغريب ان سيمنون يقول فى كتابه انه كان يتوقع هذه النهاية لابنته التى عجز الاطباء عن علاجها لدرجة ان طبيبها قد ردد عقب انتحارها « لقد وجدت الحل الوحيد الممكن النفاذ اليه .. وكأنها بذلك تمسك نفس المسدس الذى اشهره المفتش ميجرية يطارد به خصومه والمجرمين وتوجهه الى فمها .. واذا كان ميجريه قد استخدم سلاحه عند الضرورة فأى ضرورة تلك التى يراها الطبيب المعالج .. يقول سيمنون : « اغلب الناس الذين قرروا ان ينهوا انفسهم للموت من خلال اطلاق عيار نارى يطلقون الرصاصات فى الجو او فى حلوقهم . اما هذا الذى دار فى شقة ابنتى فلم يكن يحتاج لاكثر من رصاصة واحدة .



العالم في سطور

● تساعية الاسكندرية ●

خماسية آفينيون ٠ بعد رباعية الاسكندرية ٠

ثم يعلن لورانس داريل ـ ٨٣ عاما ـ اعتزاله عالم الرواية الى الابد لان الزمن لن يمهله أبدا كي يكتب رواية بمثل هذه الضخامة ٠٠ فبعد رباعية الاسكندرية التى جلبت للكاتب شهرة كبيرة ، ها هو يقدم رواية جديدة حصيلة ست سنوات من التفرغ في خمسة اجزاء تحت عنوان « خماسية آفينيون » ٠ وفيها حاول داريل الاستفادة من نجاح رباعيته لجعل اجزائها وعالمها اتصالا لما حدث في حي العطارين بالاسكندرية وتغيير الاسماء وتبقى الاسكندرية مكانا لبعض الاحداث بالاضافة الى بعض موانيء البحر المتوسط خاصة آفينيون ٠ اجزاء الخماسية هي : السيد ١٩٧٩ ، « ليفيا » ١٩٨٠ ، « كونستانس » ١٩٨٣ ، « سباستيان » ١٩٨٤ ، « لاكرو » ١٩٨٦ ٠ أي انها تحمل اسماء شخصيات مثل الرباعية ٠ وتدور من خلال رؤية كاتب بوالي وشاعر ، ولورد ، وأمير مصري ، وامرأة ، ومحلل نفسي ٠ يجتمعون في غرفة للحديث حول ذكريات الماضي وعن كنز مدفون في أحد المعابد المصرية ، وتختلط رؤى الحاضر بالماضي دون فاصل ٠ فقد تموت احدى الشخصيات في الجزء الثاني ثم تدب فيها الحياة في الجزء الرابع ٠ هناك نساء تبحث عن الخلاص في الصحراء المصرية ٠ وامرأة تسعى الى كاتب كي تغدو بطلة لرواياته ٠

يقول لورانس أنه في هذه الرواية كما في سابقتها ـ قد حاول ان يتنسم سحر الشرق وأن يقدم للغرب صورة مشرقة عن اديان الشرق خاصة الاسلام والبوذية ٠ لذا امتزجت أراؤه حول التصوف بآراء ابطاله الذين جلسوا يجترون الذكريات في جلسة أشبه بجلسات الصوفية ٠

الطريف ان بعض النقاد يرون ان هذه الخماسية ما هي الا تكملة للرباعية في زمن آخر وباشخاص مشابهة لكنها تدور في نفس الاماكن ٠ لذا اطلقوا اسم « تساعية » على الروايتين معا ٠

لورانس داريل





رامبو .. السوفييتي

موسكو

● رامبـو .. على الطريقـة الروسية ●

من المفروض أن تستفزك تلك الشخصيات البطولية الفائقة التي يؤديها الممثل سلفستر ستالوني مثل « روكي » الذي هزم بطل العالم الروسي في عقر داره وامام جماهيره وفي حضور جورباتشوف نفسه ، و « رامبو » الذي ارسله البنتاجون الى جنوب شرق آسيا لانقاذ رجال الامريكيين ولالحاق الهـزيمة بابناء العالم الثالث ومكاسبهم . بل وهزيمة الروس - باسلحة سوفييتية الصنع .

اول شخصية سينمائية ظهرت لتقف ضد « رامبو » هي المحارب الروسي « شاتوكين » في فيلم « ألق سلاحك » للمخرج ميخائيل توماالشفيلق . وهو يحمل نفس صفـات رامبو لكنه ليس متحـررا على الجيش الروسي . يسـتطيع أن يقهـر رجال المخابرات الامريكية مهما بلغت درجـة مكرهم . واذا واجه عساكر البنتاجون فانه يبيدهم بسلاحه الروسي وبيديه . لدرجـة أن مخرج هذا الفيلم يصرح : « نحن نريد وضع علامة خاصة حول حقيقة القـوات المسلحة السوفييتية التي عليها أن تحمل المسئولية الاخلاقية الى جانب البشرية .. ويقال انه بعد نجـاح الفيلم فان جزء» مكملا يتم تصويره الآن في ستـوديوهات موسكو ..

رامبو أمريكي .. شاتوكين سوفييتي . لعلهما يلتقيان يوما . ليس للتناطح فيما بينهما . ولكن لاعلان بنود وفاق يمكن من خلاله تقسيم منـاطق العالم فيما بينهما . وفي تلك الحالة فان على دول العالم الثالث صناعة بطلها السينمائي الخاص !

سيدني

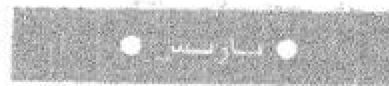
الكتاب على كاسيت

لو سرت في شوارع نيويورك ستجد الشباب يضعون في آذانهم سماعات ويحملون اجهزة تسجيل وسيخيل لك انهم يسمعون اغاني الروك . لا .. انهم يقرءون كتابا باذانهم .

هذه التجربة الجديدة من نوعها بدات الولايات المتحدة في تطبيقها وتتمثل في تسجيل الروايات والقصص والمسرحيات الادبية لكبار الكتاب على شرائط كاسيت ليستمتع بها محبي الادب . وصل عدد الكتب التي طبعت على شرائط كاسيت حتى الآن ١٢ الف كتاب في احجام مختلفة متنوعة بعض منها قد يستغرق الاستماع اليه اياماً طويلة .. فعلى سبيل المثال تم طبع رواية ديفيد كوب فيلد لديكنز على ٢٢ شريطا ، اما رواية "الحرب والسلام" فقد طبعت على ٥٠ شريطا . ورغم ان معظم التسجيلات شملت اعمالا ادبية الا ان بعضا منها شمل كتب تعليمية توجيهية مثل « بحثاً عن الكمال » وكذلك " ٢١ يوما للاقلاع عن التدخين " تم تسجيل الشرائط بمعـرفة مجمـوعة من كبـار الفنانين

المسرحيين وكذلك الكتاب والمؤلفين امثال " ان بيتى " و " جون ابدايك " من المتوقع ان تلقى الكتب المسموعة اقبالا كبيرا كما يقول صاحب الفكرة ومؤسس دار تسجيل الكتب وهو يامل ان تزيد نسبة المبيعات من ٥٠ ٪ الى ١٠٠ ٪ خلال خمس سنوات لان الفكرة لم تجد قبولا من البداية من الامريكيين واعتقد بعض منهم انها مخصصة للصم . يلقى مشروع الكتب المسموعة رواجا بين اصحاب الاعمار المتوسطة من الجنسين بالطبع مازال هناك من يعترضون على فكرة الكتب المسموعة لانهم يرون ان المتعة الحقيقية من الكتاب يجنيها الانسان من القراءة وليس الاستماع للكتاب مقروءا . الطريف ان صاحب دار التسجيل اراد اجتذاب القراء فقام بتسجيل بعض الروايات يصاحبها المؤثرات الصوتية ولكنها فكرة لم تلق اقبالا الان .

فى بعض مكتبات القاهرة يمكنك ان تجد بعض روايات ومسرحيات توفيق الحكيم ويوسف السباعى مسجلة على نفس الشرائط . لكن هذه الظاهرة لم تلفت المستمع - القارىء المصرى بعد ●



● رجل السويس .. فرنسى ●

فى الشهر القادم تحتفل الاوساط السياسية فى مصر وانجلترا وفرنسا بمرور ثلاثين عاما على العدوان الثلاثى على مصر .

وبهذه المناسبة فان التليفزيون الفرنسى يستعد لاعادة عرض مسلسل « رجل السويس » الذى تم انتاجه منذ عامين وتكلف ٢١ مليون فرنك فرنسى . وهو مسلسل من ست حلقات يروى قصة المهندس فرديناند ديلسبس الذى كان صاحب الفكرة الاول فى حفر قناتى بنما والسويس .

وصل ديلسبس الى القاهرة عام ١٨٣٢ ليشغل منصب نائب القنصل الفرنسى فى القاهرة . واستطاع أن يصادق أبرز رجال السياسة المصرية . واقنع سعيد باشا بجدوى فكرته لحفر قناة توصل بين البحر الاحمر والابيض .

أخذت القصة عن كتاب يروى تاريخ حياة ديلسبس تحت عنوان«رجل السويس تاليف المؤرخ بيير جاسبار - هوى . أما المسلسل فقد أخرجه السينمائى المعروف كريستيان جاك .

يروى المسلسل حكاية المهندس الفرنسى مع السويس ومصر فى اطار درامى وظهر ديلسبس متفوقا فى أشياء عديدة غير الهندسة . منها جاذبيته للنساء والحكام . وقد صور المسلسل فى مصر وتونس واسبانيا والبرتغال . وتم حفر قناة فى الصحراء جنوب تونس طولها اربعة كيلو مترات لتصوير مشاهد العمل على حفر القناة حيث أنه من المتعذر تصوير بداية الحفر فى القناة الحالية بعد تطويرها ..
لم تصور السينما العربية حفر القناة بمنظورها الخاص الا من خلال خلفية ثانوية مثلما حدث فى فيلم « شفيقة ومتولى » لعلى بدرخان .

رجل السويس



● ذهب مع الريح منذ خمسين عاما ●

يتم عادة الاحتفال بوفاة كاتب أوميلاده في ذكراه القريبة أو البعيدة . لكنها المرة الاولى التي يتم فيها الاحتفال بذكرى ميلاد رواية .

فعلا : فالامر يختلف مع « ذهب مع الريح » احدى أهم روايات العصر الذي قرأها - أو سمع عنها - أبناء القرن العشرين منذ عام ١٩٣٦ وحتى الان .. خمسون عاما . رواية فرضت عبقريتها رغم ان كاتبتها مرجريت ميتشيل قد حبستها في أدراجها أشهرا عديدة خوفا من نشرها . هذه الرواية التي تقع في أكثر من ألف صفحة .. بيع منها في أول يوم ٥٠ ألف نسخة . وبلغ عدد مبيعات الطبعة الاولى ١٫٩ مليون نسخة . ترجمت الى ثلاثين لغة . وفازت بجائزة بوليتزر الادبية .. ورصدت لها هوليود أرصدة بنوكها وشركاتها في فيلم حطم كل الخيالات والايرادات وحصل على ١٢ جائزة أوسكار عام ١٩٣٩ .

قد يكون من الغريب أن تصنع رواية واحدة مجدا لا لكاتبين تناولتا الحرب الاهلية الامريكية . الاولى هاريت بيشرستو في « كوخ العم توم » والثانية مرجريت ميتشيل . لكن لم يكن غريبا على مرجريت أن تهتم بهذه الحقبة الزمنية . فقد كان أبوها رئيسا لمؤسسة التاريخ باطلنطا . لذا التهمت سطور الكتب التاريخية وخاصة ما يتعلق منها بالحرب الاهلية .

كما ترجع أهمية الرواية الى الاتقان الفني في رسم العلاقات الاساسية التي ربطت سكاليت أو هارا بين الراحب اشلي ابن عمها الذي تزوج من امرأة أخرى . وبين ريت متكر في الحرب الذي خفق قلبه بعنف لسكاليت التي كم نادته باسم حبيبها . لكنها في النهاية تتعلم الخلاص بين يديه مؤمنة بالله والوطن والانسان ..



ذهب مع الريح

لم تقدم مرجريت ميتشيل « عاشت بين عام ١٩٠٠ - ١٩٤٩ » سوى هذه الرواية . ولم تطمح أن تقدم أعمالا أخرى . وربما خوفا من أنها لن تصنع عملا له نفس القيمة ، ولعل هذا درسا لكتاب عديدين سرعان ما دخلت رواياتهم الى دوائر الظل ..

ما أحوجنا أن نحتفل أيضا بتراثنا العربي في ذكرى ميلاده خاصة الابداع القديم أو الحديث .. وما أكثره ..

سعيد صالح وطريق "كعبلون"

بقلم : فيليب جلاب

مساء كل يوم منذ شهور طويلة يسترد سعيد صالح اعتباره واعتبار الفنانين المصريين بمسرحية تبدو لا تخضع بالضرورة للمقاييس المعروفة للمسرح ، لكنها احدى الوسائل المصرية « المبتكرة » للتعبير

وسعيد صالح ، مثل كثير من الفنانين الموهوبين ، خاض تجارب أليمة كانت اولها واهمها الصورة التى يحرص المنتجون التجار على وضعه فى اطارها .

ولم يكن اخر هذه التجارب السجن بتهمة الخروج عن النص !

ورغم ان أول الخارجين عن النص السياسى والاقتصادى والاجتماعى هم واضعو هذه النصوص . لكن القوانين لا تطبق عادة على من وضعها !

وقد اكتشف سعيد صالح نفسه أو ربما أعاد اكتشاف نفسه عندما قرر أنه لا وقت للهزل من أجل الهزل ، وأن الهزل الجاد او الجد الهازل هو سلاح الكوميديا الحقيقى من اجل هدف يغير الى

ظل الشـــعب المصرى ، لبسوا من الفلاسفة أوالمفكرين السياسيين .

ومع ذلك تظل كل حكمـة الفلاسفة والحكماء والمفكرين داخل علب محفوظة قبل أن تصل الى عقول وايدى هؤلاء الفنانين .

وقد لا يعرف كثيرون ان اقتراب سعيد صالح من الطريق الصحيح ، الـذى يقول أن لا رجعة فيه قـد كلفه ويكلفه الكثير . فهـو ينتج مسرحيته بنفسه . وعندما يحترق المسرح لا يتردد فى استئجار مسرح جديد ، مع ان الطريق الى الكسب والثراء معروف وفى الاتجاه المعاكس

لكنها حكمة الله وحكمـة الشـعب المصرى وهـى أن الفنان الحقيقى لايضيع ولابد أن يعرف طريقـه . وبداية الطريق فى مسرحية اسمها « كعبلون » .



الافضل بقدر ما يمتع ويبهج الذين يطمحون الى التغيير .

وسعيد صالح مثل عـادل أمام مثل عشرات من الفنانين الحقيقيين الذين تقاسـموا خلاصة حكمة وسخرية وخفة

حول معرض الفن الخليجي بالقاهرة

ينابيع الفن بدلاً من ينابيع النفط!

بقلم : عز الدين نجيب

ما زال الفن قادرا على تحقيق ما تعجز عنه السياسة : يذيب الحدود الجغرافية بين الدول ، ويحقق الوحدة والتلاقي بين الشعوب ، ويحاول الوصول الى هوية قومية ازاء هيمنة الثقافة الغربية ..

هذا ما اثبته لنا فنانو دول الخليج فى الشهر الماضى ، من خلال معرضهم التشكيلى الشامل بقاعة اخناتون ، فى اطار توجه جماعة ((اصدقاء الفن التشكيلى)) لفنانى دول الخليج الست ، لبناء الجسور بينهم وبين اشقائهم العرب فى الاقطار المختلفة .

بداية اسجل : ان هذه الكتيبة من الفنانين « حوالى عشرين فنانا » قد وضعت يدها على مفتاح حل قضية من اخطر قضايا الحركات الفنية فى بلدان العالم الثالث ، وهى عزلة الفن عن الجماهير وتقصير الاجهزة الرسمية فى القيام بدورها المفترض لانهاء هذه العزلة . ومفتاح الحل يتمثل فى مواجهة الفنان للقضية بروح الفريق ، وباسلوب الكتيبة الجوالة ، او اسلوب رواد الثقافة فى الصين ، حيث يحملون مسرحياتهم ولوحاتهم ويتجولون بها وسط القرى لينشروا الجمال والوعى ، وهو نفس ما يفعله الاطباء الريفيون هناك !! .. وهذا الحل يقتضى الاستقلال من جميع الاجهزة الرسمية والاطر الحكومية ، وانكار الذات الفردية لصالح شخصية الجماعة ... وهو ما حققته جماعة الاصدقاء بالفعل ، وصولا الى اختراق الحصار الاعلامى والجمود البيروقراطى والامية الثقافية والحواجز الطبقية ، التى تضع الفن فى اخر قائمة



لوحة للفنان السعودى عبد الرحمن السليمان : مزاوجة بين العناصر العربية والنزعة الشمولية العالمية

ضرورات الحياة للمواطن الفقير ، بينما تتيحه ميسوراً للثرى الذى قد لا يشعر أصلا باحتياجه لهذا الفن .

هى الآن مبادرة حرة نابعة من ذوات مجموعة فنانين أفراد ، يدفعون ثمنها من جيوبهم واستقرارهم ، يحفزهم شعور بالالتزام نحو قضية النهوض بفنهم والانتشار به ، ونحو الارتقاء بذوق شعوبهم ، ونحو توثيق الروابط بين الحركات الفنية فى الاقطار العربية واثارة الحوار والتفاعل فيما بينها ، وأخيرا نحو مناخ يسمح باستمرارية الابداع والبحث الجمالى المرتبط بقضايا الانسان العربى وتأكيد هويته الحضارية

● حركة ناشئة ●

وحركة الفن التشكيلى فى دول الخليج ـ بشكل عام ـ حركة ناشئة ، لا يتعدى عمرها عشرين عاما فى اى دولة ، وقد نشأت متأثرة بكل امراض الحركات الفنية فى مصر والوطن العربى ، من تأثر بالمناهج الاكاديمية والمدارس الغربية بحكم الدراسة فى الاكاديميات الاوروبية والامريكية

ينابيع الفن

او بحكم التبعية الثقافية او بكليهما معا » .. ومن ارتباط بالسلطة وبالطبقات الارستقراطية القادرة على الاقتناء والتشجيع ، ومن ثم بالعزلة عن الجماهير التي لا تستطيع استيعاب هذا الفن الارستقراطي الوافد ، بحكم ثقافتها التقليدية ، التي لم يسع الفنانون الى هضمها والانطلاق منها جماليا برؤية معاصرة وأصيلة ، وهي لاشك ثقافة تحتوى على موروث تشكيلي ثرى ، سواء في آثار الحضارات العربية القديمة بالمنطقة ، أو في التراث الشعبي المتمثل في العادات والتقاليد ومستلزمات الحياة اليومية ، التي يجد التشكيل الجماعي بها قيمة راقية ..

وربما أدركت طلائع فناني الخليج — مبكرا من حسن الحظ — خطورة المأزق الذى وقعت فيه الحركات الفنية العربية الاخرى بعزلتها عن الجماهير ، ولم تشأ أن تشرب الكأس المر حتى آخره ، فآثرت ان تخطو الخطوة الاولى لكسر هذه الحلقة الحديدية التي تعزلها عن شعوبها ، وهو الموقف الصحيح — الوحيد في الحقيقة — في مثل ظروف بلدان العالم الثالث ..

وجماعة أصدقاء الفن التشكيلي لم تكمل بعد عامها الأول ، ومع ذلك فهذا هو معرضها الثامن ، وهو في نفس الوقت معرضها الأول خارج منطقة الخليج — ولعل الأصدقاء فكروا في أن تكون البداية بالقاهرة ، باعتبارها « هوليوود » الفن في العالم العربي ومركز الثقل الثقافي به .. وهو حسن ظن نشكرهم عليه ، بالرغم مما تعانيه — كفنانين ومثقفين — من علل مزمنة في واقعنا الثقافي !

تكونت الجماعة بشكل تلقائي منذ .. ففي أكتوبر ١٩٨٥ كان الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان يقيم معرضا فرديا لأعماله في قطر ، وتصادف معه بعض أصدقائه الفنانين في بعض الاقطار العربية المجاورة بالخليج ، حضروا اليه في معرضه بالدوحة ، ووجد هؤلاء الفنانون الاصدقاء أنفسهم يحققون شكلا من اشكال الاتحاد العفوى بين عدة اقطار دون سابق تدبير ، في وقت أصبح فيه اتحاد الفنانين العرب جثة هامدة .. ولهذا طرحوا على أنفسهم هذا السؤال : لماذا لا تكون جماعة باسم أصدقاء الفن ؟.. وتحمسوا للفكرة ، على أن تقام معارضهم بالتوالي في دول الخليج أولا ، حيث يستضيف فنانو كل بلد أصدقاءهم من البلاد الاخرى ، ثم ينتقلون الى ضيافة فناني بلد مجاور وهكذا .. وبعد زمن يتجهون الى البلاد العربية خارج منطقة الخليج ، ثم الى العالم الخارجي ان امكن .. واشترطوا أن يسافر جميع الفنانين عند اقامة أى معرض مع أعمالهم الفنية ليترجموا برعايتها شخصيا ، وكذلك لما يحققه التواجد الانساني المباشر من توثيق الروابط واثراء الحوار .

وهكذا صاحب معرض أصدقاء الفن الى القاهرة ستة عشر فنانا من عشرين فنانا بالمعرض من بينهم ثلاث فنانات هن : بلقيس فخرو « من البحرين » وثريا البقصمي « من الكويت » ومنيرة موصلي « من السعودية » ، اما الفنانون فهم : عبد الرسول سلمان ، عيسى صقر ، عبد الجبار اليحيى ، فؤاد مغربل ، حسن الملا ، جاسم بوحمد ، محمد القهيري ، محمد على عبدالله ، محمد السليم ، سعد المسعرى ، نبيل نجدى ، فهد الربيق ، عبد اللطيف مفيز ، يوسف احمد وقد حقق وجودهم مع المعرض الغرض المطلوب تماما ، لقد استقبلهم جمهور

الفنانين المصريين بحرارة تفوق حرارة جو اغسطس ، وتحولت لقاءاتهم الى حلقات حوار متصلة ، واقامت لهم نقابة الفنانين التشكيليين حفل تعارف مع اخوانهم المصريين ، ونشات صداقات وارتباطات اخوية .. وعملية ايضا .

● التعبير عن البيئة ●

واذا انتقلنا الى المعرض ، نلاحظ عدة ظواهر عامة ساحاول ايجازها ..

● هناك سعي مشترك بين معظم العارضين الى التعبير عن طابع البيئة في اقطارهم العربية ، بدرجات متفاوتة واساليب متعددة .. تبدأ من التقاط ملامح المكان والبشر باسلوب واقعي ، مثل بلقيس فخرو ، ومحمد القهوى ، ومحمد عبدالله ، ومحمد آلملا ، او جاسم بوحمد . ولعر عبر مزج هذه الملامح بذاتية الفنان ورؤيته التعبيرية ، مثل فؤادمغربل اوريا النقمى ، عبد الجبار اليحيى ، نبيل نجدى ، عيسى صقر .. ويصل هذا السعي الى استخلاص الروح الكامنة في التراث العربى دون الوقوف عند مظاهره

تمثال « القبضة » للفنان الكويتي جاسم بوحمد ـ الرمز ذو المعاني المتعددة .





لوحة للفنان الكويتي عبد الرسول سلمان .. محاولة التشبث بالجذور العربية

مستفيداً من جماليات التراث الاسلامي او الفن الاوربي الحديث ، مثل عبد الرسول سلمان ، عبد الرحمن السليمان فهد الربيق ، يوسف احمد محمد السليم ، عبد اللطيف مفيز .

● هناك اهتمام لدى عدد من العارفين بالمضمون الفكري ، وبقضايا الانسان العربي ، وبالرؤى الخيالية والشعرية .. وفي ذلك ايضاً يتفاوت التعبير عن هذا الاهتمام .. بين المباشرة ، دون بحث كاف في الشكل الفني ، مثل عبدالجبار اليحيى ، وبين الامتزاج العضوي بين الشكل والمضمون ، الذي ينقل التأويل الى رؤى فكرية متعددة ، مستفيداً بشكل خاص من المدرسة السريالية ، مثل لوحات عبد الرسول سلمان ، التي تعكس احياناً خيالية ورمزية قد توحي بفكرة محورية مشتركة ، وهي الغزو الثقافي الغربي الذي يكتسح الانتماء العربي والتراث



التعبير عن البيئة المحلية بأسلوب الواقعية الجديدة للفنان جاسم بوحمد

الحضاري عندنا ، ويصل الى حد اقتلاع جذوره والاطاحة به في فراغ لانهائي .. وفي هذا السياق اشير أيضا الى بعض منحوتات عيسى صقر ، التي قد تعكس ازمة الحرية لدى الانسان العربي ، خاصة في منحوتته البارزة « الوجه ذو الاقفال » حيث نجده يغلق الفم والآذان والدماغ بالاقفال ، واشير كذلك الى تمثال جاسم بوحمد ، القبضة ، وهو يد بشرية ضخمة تقبض على عصا بما يسمح للمشاهد باختيار ما يناسبه من مضامين رمزية سواء كانت تعبيرا عن قوة القمع او عن قوة الارادة العربية .. واخيرا اشير الى لوحات الفنان السعودي فهد الربيق ، التي توحي - من خلال بنائها السريالي برؤى شعرية معينة ، استقاها من قصائد بعض الشعراء ، وفيها يمزج الحس الرومانسي العربي الذي يلعب الحصان فيه دورا رئيسيا ، بالحس السيكولوجي الملبد رئيسيا الكت

ينابيع الفن

النفس والصراع الانساني ».
هذه الاسماء بالطبع ليست على سبيل الحصر وانما هي مجرد امثلة سريعة

● نجد — لدى عدد أقل من الفنانين العارفين اهتماما بالاجابة على ذلك السؤال الحضاري : ما هو الشكل الجمالي العربي الذي نتحاور به مع الشكل الجمالي الاوروبي ؟. بعبارة اخرى : كيف نبدع افانيننا الجمالية التي تؤكد هويتنا الخاصة ، مستفيدين في نفس الوقت من التطور الابداعي للفن الاوروبي الحديث ؟ ..وقد تفاوتت الاجابة على هذا السؤال بين الاختيار السهل للانماط الاوروبية وبين الاختيار الصعب لاستلهام روح التراث واطلاقها بجرأة خلال شكل ديناميكي حديث . ولعل هذا ما حققه الفنان السعودي عبد الرحمن السليمان ، بمتتالياته الموسيقية العربية ، التي تقوم على نسق جمالي هندسي يعتمد على الوحدة الزخرفية المتواترة ، التي توحي بالتسبيح والتوحيد ، مستفيدا من التصوير العربي القديم ذي البعدين الاثنين ، ومن ازدحام المنظومة التراثية العربية بالعناصر الزخرفية وتواترها المنتظم في تداعيات لا نهائية ، لكنها عند عبد الرحمن لا تقع في اسر الزخرف التزييني الاجوف ، وانما تسعى لاطلاق الطاقة الروحية للانسان ، من خلال بناء اقرب الى التجريد الهندسي او التكعيبي .

● هذا البحث عن نسق جمالي مبتكر يتذبذب عند بعض الفنانين بين طرفي المعادلة الصعبة ، اعني التراث والحداثة انه لدى بعضهم يقع اسيرا للانماط التراثية او الوثيقات المحفوظة ، مثل حروف الكتابة العربية ، وهو لدى البعض الاخر يقع اسيرا للمعطيات الغربية المطروقة ، مثل التجريد التعبيري ، الذي يشف احيانا عن اطياف انسانية غامضة لا تقوى على الافصاح عن هوايتها ، من خلال نسيج تكنيكي متشنج ينقل عدوى التوتر العصبي الى المشاهد ، وان تسربل احيانا بسترة من حروف الكتابة العربية لكنها تظل عنصرا دخيلا على البناء الفني .. مثلما نجد في لوحات يوسف احمد

● التأثير والتأثر ●

وهو لدى بعض ثالث بحث تتجاور فيه الثقافتان العربية والاوروبية على سطح اللوحة دون امتزاج او هضم فالفنان فؤاد مغربل مثلا يقدم مشاهد واقعية من وحي الحياة الشعبية ، ثم يسدل فوقها ستارة من النسيج التكعيبي ذي المثلثات المتقاطعة والمتداخلة ، ورغم انه حاول أن يحلل من خلالها بعض خطوط التكوين او درجات اللون ، او ان يوجد ضوءا داخليا ينبع من داخل المنظر ، الا انها تظل عناصر منفصلة عن الستار التكعيبي الظاهري ، ليبدوا هذا الستار — من ثم — غير متلاحم عضويا مع المشهد الواقعي ، الذي ينظر اليه الفنان من زاوية نظر محددة ، ويؤكد من خلاله البعد الثالث ، وهو ما يختلف عن البناء التكعيبي ، الذي تتعدد فيه زوايا الرؤية ، ويقوم اساسا على بعدين اثنين ويتم فيه تحطيم النسب والعلاقات الطبيعية وتحليل الشكل الى سطوح هندسية .. ولقد كان بوسع الفنان مغربل ان يستغل هذه المثلثات المعفرة التي تكسو الشكل وتشبه الفسيفساء ، في اضفاء طابع عربي ، بشرط ان يكون هذا ، متطلبة البحث في بناء اللوحة ، وليس بعد اتمام المنظر الواقعي .

● ويقود هذا البحث الجمالي بعض فناني الخليج الى استخدام خامات غير تقليدية ، مثل أوراق البردي والخوص والخيش ، كما في اعمال منيرة موصلي .. التي تشعر في طياتها بشحنة عضوية



لوحة للفنان القطرى يوسف أحمد .. تأثيرات عربية مستفيدة من الأساليب الغربية الحديثة

متفجرة اقرب الى طاقة اللعب والمشاكسة عند الاطفال ، لكنها احيانا تعتقل هذه الطاقة بخطوط سوداء تحدد بهيئة أشكالها أو شرائطها الافقية ، واحيانا اخرى تسجن طاقتها فى شكل البرديات المتاكلة من أجل اضفاء عمق الزمن او التراث عليها ، وهو ما تلغيه شحنة الحياة الآلية المتفجرة فى اللوحات .

هذه الملاحظات ـ وغيرها ـ انعكاسات طبيعية لسيطرة التأثير الاوروبى الاكاديمى على أغلب الفنانين العرب فى بداية الحركات الفنية « بما فيهم حتى المصريين » ، وما تؤدى اليه هذه السيطرة من اختلاط الرؤى الابداعية لديهم ، بما يحول دون نموها فى الاتجاه الصحيح مؤكدة هويتها القومية .. لكن معرض فنانى الخليج يعد بشارة صادقة بالوصول الى حل لهذا التناقض ، لو استمروا على اخلاصهم وجدية بحثهم عن معطياتهم الحضارية الاصيلة ، وتعاملهم مع الثقافة الغربية تعامل الانداد وليس الاتباع .

لقد اثبتت لنا الكتيبة المناضلة من اصدقاء الفن فى الخليج العربى ، أن ثروة الخليج الحقيقية لم تعد هى النفط ـ الذى اخذت تجف ينابيعه ـ وانما اصبحت هى الانسان ..

الفن الشعبى فى قرية سياحية

تحقيق : نجوى صالح تصوير : محمود عارف

هانم .. تساهم بمهارة فائقة فى شغل الجلابية





● قرية صـــــغيرة في محافظة الجيزة ، ينزلق الفن الشـــــعبي من بين أصابع أهلها ، في شكل أشغال حـــرفية وبدوية رائعة .

القرية اسمها كرداسة واسمها يقتـــــرن بالفن الشعبي ويكاد يكون مرادفا له .. تقع على مقربة من الاهرام الثلاثة العظيمة ، وتطل على طـريق مصر ـ الاسكندرية الصحراوي .

الحصر .. صناعة تتم بنفس البدائية والتلقائية ، مـــع إنكمـاش فـــى الزخـارف التـى تميـزت بهـا



الفن الشعبى في قرية سياحية

زرتها اخيرا لارى كيف تطور الفن الشعبى فيها ، وتقدم الى الامام .. وكنت قد زرتها منذ اربعة عشر عاما .

ودعنى احدثك - عزيزى القارىء - باختصار ، كيف رايتها فى المرة الاولى

كانت كرداسة كما رايتها سنة ١٩٧٢ قرية هادئة .. تحف بها الحقول النضيرة التى تمتد على مرمى البصر .. المنازل فيها دور واحد ككل قرية فى مصر قبل عصر الانفتاح ، وكانت كرداسة تمتاز بالنظافة الشديدة التى لا تجد لها مثيلا حتى فى المدينة الكبيرة

ومازلت اذكر بيت الحاج احمد ، فى اخر الشارع الرئيسى للقرية ، وكان من اكبر بيوت القرية ، وكل افراده يمارسون الحرف اليدوية الفنية الجميلة النسيج .. اشغال الابرة .. الحصير .. المشغولات التجيد .. الكليم الخ .

واذكر ترحاب اصحاب هذا البيت بنا وطلبوا الينا ان ننقل الى قرائنا صورة كاملة لهذا الانتاج الفنى المتنوع البديع الذى لم يكن مقصورا على اهل هذا البيت ، بل كان موجودا فى كل بيوت كرداسة تقريبا .. لان اهلها فنانون بالفطرة ، وكانت الاشكال الهندسية والزخرفية التى تزين « الجلاليب » او الجلابيب ، هى اهم انتاج فنى لكرداسة ، وتشمل الملابس الشعبية فى الوجهين البحرى والقبلى والواحات .. وهم يجيدون الاشغال اليدوية ويضيفون اليها من تلقائية الفنان وحساسيته الخاصة وشاعريته التى تنسكب فى عمله الفنى بلا عوائق نفسية وبوضوح رائع فى اللون والشكل ..

ان هذا الانتاج الفنى خرج من البيت الاكثر غنى فى هذه القرية وهو ما يذكرنى بكتاب « الفن والمجتمع » لارنولد هاوزر » فهو يرى ان قدرا كبيرا من الاعمال الفنية والادبية التى توصف عادة بانها « شعبية » ، هى فى واقع الامر نتاج لمجتمع ارستقراطى بالمعنى الصحيح ، او لصنعة فنية متينة ومحكمة ، يتقنها فنانون محترفون ، لا اناس عاديون بمعناه .

هكذا كانت كرداسة حين رايناها فى المرة الاولى منذ اربعة عشر عاما .. فكيف صارت كرداسة بعد هذا العمر الطويل ، وكيف تطورت فنونها الشعبية وتقدمت ؟! ..

ذهبنا الى كرداسة ، رسامة ومصور صحفى وكاتبة هذه السطور .. وبمجرد ان تركنا طريق الهرم الى الطريق المؤدى الى القرية وهو طريق يمتد الى ثمانية كيلو مترات ، وجدنا ابنية على جانبى الطريق لا تعلم اذا كانت محلا او « بوتيك » او بيت متهدم اقتطعوا منه حجرة لعرض ملابس « كرداسة » وتحولت الحقول الخضراء الى ابنية قبيحة بالوانها المنفرة منها الفيلا الخاصة البعيدة عن الذوق السليم .

وتحولت الحقول التى بجانب هذه الفيلات الى خرائب فى انتظار البناء القبيح لقد قاموا بتبوير الارض الزراعية

الخصبة تمهيدا لبناء العمارات فوقها وربما الابراج وناطحات السحاب ! ..

ووصلنا الى الشارع الرئيسي في مدخل البلدة ، اصبح مكتظا بالمحال على الجانبين ، ومعظمها يعرض بضائع سياحية مثل التماثيل الفرعونية، ثم كم هائل من « الجلاليب » تتدلى من واجهات هذه المحال والغريب ان الثوب السائد هناك هو « جلابية » من التل الشفاف الاسود ومرصعة بمعدن مذهب على شكل ريالات رخيصة مثل « ثوب » الرقص الذى كانت ترتديه الراقصة « بديعة مصابنى » فى العشرينات والثلاثينات ! ..

ولعل سبب انتشار هذا الثوب هو وجودهم بجانب منطقة الملاهى الليلية فى الهرم !

● هبوط فى المستوى ●

بدأنا فى تقليب البضائع المختلفة ، لقد هبط المستوى الفنى الى درجة مذهلة .. اختفت تلك الدقة ، والرقة التى تميز العمل الفنى الشعبى فى هذه البلدة والشىء الوحيد الذى بقى هو المحافظة على اعتدال الاسعار الى حد ما ، ولكنها اسعار معتدلة لبضاعة رديئة ! .

واتجهنا الى الدار العتيقة دار الحاج احمد اصل انتشار الفن والثروة فى هذه البلدة .. دخلنا .. وقلنا اننا صحفيون .. لم يتحرك احد من اولاد الحاج احمد .. اين الترحاب واشاروا الى طفل صغير فى الثانية عشرة من عمره لاصطحابنا فى جولة فى الدار والقرية .. حتى نتعرف على الورش والفنانين الذين ينتجون هذا الفن ويملأون به دار الحاج احمد .. والكم الهائل من المحلات التى اشتهرت بها كرداسة .. وتوجهنا الى الحاج عبد السلام عبد الحميد الشهير بحاج سلومة .. رجل ممتلىء ضخم الجثة، يجلس على الارض وامامه طبلية يرسم عليها « الجلاليب » .. فهو متخصص فى الجلابية السياحية !

يرسمها رسمة زهرة اللوتس .. ورسمة جلابية سيوة ورسمة الاقصر.. وسألته : واين رسمة كرداسة قال : « لا يوجد رسمة مختصة بكرداسة فانا انقل هذه الرسوم من جلاليب مستجلبة من البلاد المختلفة واول من احضر جلابية ـ وكانت فتحة خير على كرداسة الحاج عبد الحميد عيسى. وقد احضرها من الاقصر برسمة زهرة اللوتس .. وانتشرت واشتهرت كرداسة بدقة اشغالها الفنية .

قلت « ولكننا لا نجد اى دقة .. فى جميع هذه الجلاليب التى رأيناها.. فقد اختلف الشغل اختلافا جذريا واصبح تجاريا ١٠٠٪ من حيث الصنعة واللون والشكل .

قال : « اننى ارسم فى اليوم خمس عشرة جلابية واكسب فى الجلابية ٢٥ قرشا تشتغلها البنت التى ارسلها اليها بالخيط بمبلغ ٥٠ قرشا واولئك الفتيات والسيدات اللاتى يتعاون معى هن سيدات بيوت وراءهن واجباتهن الزوجية ويشتغلن فى اوقات فراغهن فقط فهن لا يتوخين الدقة .. ويطلبن منى ان اخفف عليهم الرسم .. مع العلم اننى انا الذى اتكفل بها من القماش

الفن الشعبى في قرية سياحية

والخيط والرسم وتتكلف ٣٥٥ قرشا وابيعها بمبلغ ٣٨٠ قرشا ويبيعها التاجر للزبون بمبلغ خمسة جنيهات !!

والمهم ان يباع اكبر قدر ممكن باقل سعر هكذا يقول ، والوقت الذى استغرقه فى الجلابية ساعة واحدة .. واشتغل فى اليوم خمس عشرة ساعة بالطبع هذا على حساب الجودة .. والمحلات تطلب كثرة الانتاج حتى تبيع، ولكننى الاحظ ان حركة البيع قد هبطت فى جميع منتجات كرداسة .. يوجد كساد عام ، ولا اعلم السبب !!

وبالطبع يوجد عدة اسباب :



صانع الحصر ...
بريشة : تماضر تركى

- هبوط مستوى الصنعة .
- هبوط حركة السياحة .. واذا وجد السائح فهو لا يقبل على شراء صنعة هابطة ولو كانت رخيصة الثمن
- ثم هذا التوسع السرطانى فى فى عدد المحال .
- دخول الميكنة الى القرية ـ ثلاث ورش لصناعة الجلابية ـ وهى تناقض الفكرة الاساسية لكرداسة .. وهى الحرفية الفنية .

وهذا ينطبق على جميع الصناعات تاخذ مثلا صناعة النسيج ، مازالوا يصنعونها بالشكل البدائى ـ وهذا فيه عظيم .. مازالوا يستخدمون « السدرة » وهذه تستخدم من عصر قدماء المصريين مثل النورج والشادوف والساقية .

تنظم الخيوط على السدرة فى نظام محكم حتى يمكن وضعها على النول ويتوقف على الخيوط سمك القماش .

ويقول العامل عبد الرحمن عبد الحميد « وانه يقوم بتقليم الخيوط على السدرة حسب عدد الخيط الذى يتطلبه القماش يبدا من خمسين خيطا الى الف خيط او اكثر من الخيط الخام ويتطلب تقليم السدرة اربعا وعشرين ساعة .. ثم يقوم بعد تجميع الخيط ولفه بعملية الصباغة . ويضيف عبد الرحمن ان هذا العمل متوارث من الجدود .. انها عملية دقيقة ومنظمة .

● على حدود المدينة ●

ان بائع كرداسة بائع ماهر ذو كياسة وادب ولان هذه القرية تقع على حدود المدينة فان اهلها يتميزون باخلاق ابن القرية وشطارة ابن المدينة ، فهم « دبلوماسيون » بطبعهم ، التجارة دمهم ، يتطلعون الى اليوم الذى تصبح فيه هذه القرية « مدينة كرداسة » !!



التفصيل والرسم .. خطوتان أساسيتان لعمل الجلابية . يستغرق عمل الجلابية ساعتين

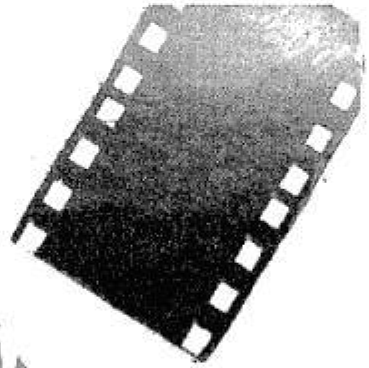


.. أى ان تصبح امتدادا سرطانيا لمدينة الجيزة !

واخذت هذه الاسئلة تدور بين ثلاثتنا فى طريق العودة لماذا لا تحاول الدولة ان تخلق من كرداسة بلدا سياحيا من الدرجة الاولى ؟ ان النواة موجودة ولكن المهم التوجيه للحفاظ على البقية الباقية من مواهبهم الفنية لماذا لا تقام فى كرداسة مدرسة تدرس بجانب المواد الدراسية العادية دراسة للحرف المختلفة الموجودة فى البيئة بالفعل لخلق مراسم من الفنانين والمحافظة على المستوى الفنى الذى كان .

ان كرداسة بلد غير مبتكر . فهم لم يبتكروا الفنون التى يبيعونها ولكنها بلد متذوق للفن ولها قدرة عالية وموهبة فى تقليد متقن .

واذا استمرت كرداسة فى «التطور» على النحو الذى شاهدناه ، فستضطر بعد زمن قصير الى البحث عن مورد آخر للرزق غير مورد الفن الشعبى السياحى ! ..



رائد الواقعيّة بين النهاية والبداية

بقلم : مصطفى درويش

شاء اصحاب قاموس لاروس « ١٩٨٦ » ان يكون نصيب السينما العربية من بين الالفى وواحد فيلم التى وقع عليها اختيار ثلاثة نقاد حكماء ، باعتبارها احسن ما أخرج لدنيا الناس على مدى تسعين عاما ـ هى عمر اطياف السينما ـ ان يكون هذا النصيب سبعة عشر فيلما فقط لاغير ، والا يكون لما جرى اخراجه على أرض مصر، من بين هذا العدد القليل المختار سوى عشرة افلام .. ثلاثة منها لرائد الواقعية فى الوطن العربى، وهى « بداية ونهاية » (١٩٦٠) و « القضية ٦٨ » و« السقامات» (١٩٧٧)

وهنا ، قد يكون من المناسب التوقف قليلا عند فيلم « القضية ٦٨ » وحده ، لا لانه يفضل الرائعتين « بداية ونهاية » ، و « السقا مات » فى شئ ، ولا لانه « اخطر » افلام الرائد كما وصفه الناقد « سعد الدين توفيق » فى كتابه « فنان الشعب .. صلاح أبو سيف »

وانما لسبب آخر متصل باخر افلام الرائد والمسمى « البداية » .

بادىء ذى بدء ثمة بحث فريد للاستاذ الامريكى « ريموند ويليم بيكر » (كلية ويليمز) تحت عنوان « مصر فى الاطياف ـ الافلام والنظام

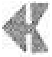
السياسى ، استهله صاحبه بالكلمات الآتى ذكرها :

« صلاح ابو سيف عميد مخرجى افلام مصر ، هكذا وصف ليلة افتتاح عرض فيلمه « القضية ٦٨ » .

كانت السينما محاصرة برجال الشرطة ليلة العرض الأول له .. كانت الشرطة السريه منتشرة بين صفوف المشاهدين ، وبعد انتهاء العرض حاولت جاهدة أن تضربنى .. أنا بشر .. كان كل يوم من أيام عرض الفيلم امتحانا قاسيا لى .. كان عندى الاحساس بأن اولادى هم الذين سيجرى تحميلهم عبء أفعالى » !!

● صمت البحر ●

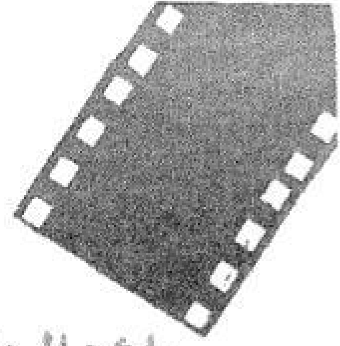
وفى تحليل رد الفعل هذا — وهو رد فعل لا مثيل له من قبل — يقول الاستاذ الامريكى قريبا من نهاية بحثه المنشور فى مجلة « اميريكان بهيفيرال ساينتيست (مجلد ١٧ رقم ٣ يناير — فبراير ١٩٧٤ » ان فيلم « القضية ٦٨ قد كشف عن عيوب الاتحاد الاشتراكى العربى ، عراه تماما عندما سلط



البداية .. بعد السقوط



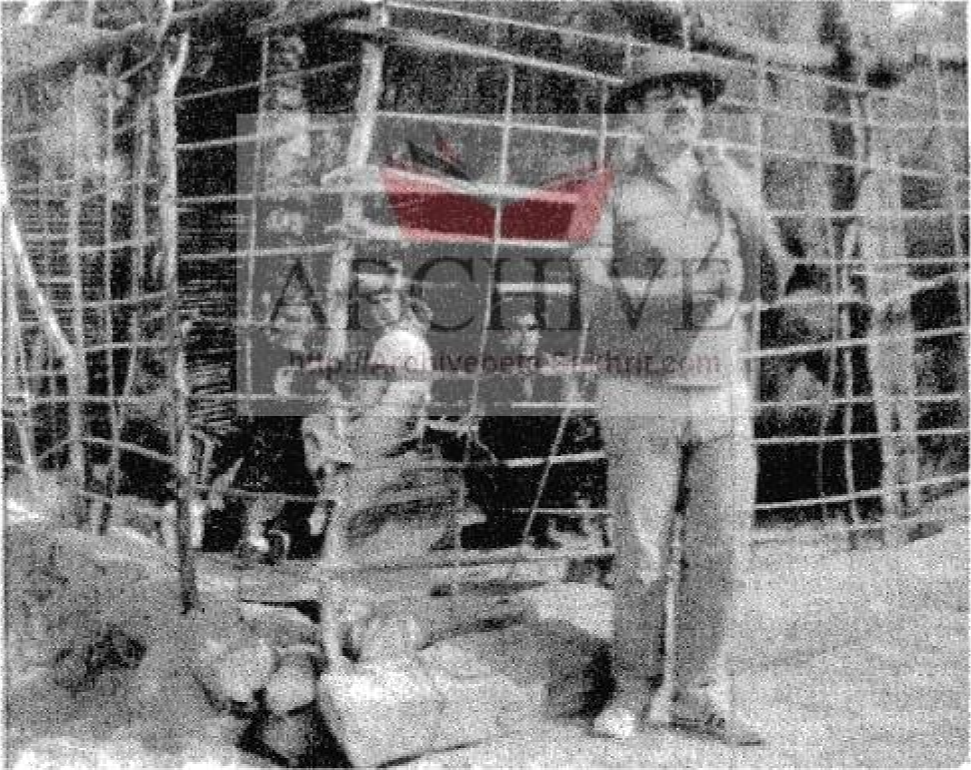
الاضواء على بنائه البيروقراطى ، اعتماده على الوسائل القانونية والادارية والتفضيل لها على الانشطة السياسية ، انفصاله عن الجماهير ، قيامه على طقوس وشكليات ليس لها من هدف سوى تضليل تلك الجماهير، وهنه الذى مبعثه انتهازية وفساد مبيت .



رائد الواقعية



وبدات اللعبة .. بدعابة عابرة



ومن ثم فليس غريبا أن يصبح العرض الاول للفيلم بالقاهرة حدثا سياسيا وفنيا ، وأن يكون رد فعل تلك الجماعات السياسيه محل الانتقاد فى الفيلم ، ردا مباشرا ، عدوانيا ، كاد ان ينحدر الى مستوى العنف الجسدى المكشوف .

● صرخات وهمسات ●

ومهما يكن من أمر هذا الكلام ، هل هو صحيح أم بعيد عن الصواب ، فالاكيد أن المخرجين الكبار يلدغون من جحر الابداع اكثر من مرة ، بل الف مرات .

والاكيد .. الاكيد ان صلاح ابو سيف لم يع درس الليله الاخيرة من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ .

فها هو ذا يعود بعد غياب عن ساحة الاخراج على ارض مصر دام تسعة اعوام أو يزيد بفيلم مغرق فى السياسة، يقطرها فى كل لقطة من لقطاته ، يقطرها من الفه الى يائه .

وها هو ذا من جديد يبدأ بالبداية فيلما يسخر فيه بالديكتاتورية دون ان يهاب .

وفى ظنى ان صلاح ابو سيف قد بلغ قمة نضجه السينمائى فى «البداية» حيث طرح التساؤلات بعد التساؤلات فى طبيعة السلطة والتسلط ، ثم قدم الاجابات التى تحمل معنى التحدى لحكم الفرد المطلق .

● البيان ●

وفى الحق ، فعين « ابو سيف » السينمائية لم تترك صغيرة او كبيرة فى النظام الاقتصادى والسياسى ، وفى طبائع الاستبداد المعاصر الا واحصتها فى شىء يشبه اسلوب الكاريكاتير المعتمد على المبالغات أو المفارقات أو على ما اسماه صاحب « البداية » ـ قبل ظهور عناوين فيلمه ـ بالتخاريف .

وقائع « البداية » تبدأ بحادث طائرة تسقط فى صحراء ، لا ماء فيها ولا شجر .

ويشاء كاتبا السيناريو « صلاح ابو سيف » و « لينين الرملى » ان تكتب النجاة لاثنى عشر شخصا يمثلون شرائح مختلفة من المجتمع بينهم رجل الاعمال والفنان والعامل والفلاح والعالمة والصحفية والراقصه وقائد الطائرة المتزن ومساعده المتردد ، والضيف المتشائم والمضيفة الودود ، وفوق ذلك طفل « وسام حمدى » يمثل امل المستقبل .

وهذه النماذج البشرية يحملها ابو سيف بمهارته المعهودة سلوكيات المجتمع وأوهامه ، يضع على اكتافها تناقضاته وأوزاره .

● صوت الموت ●

فـ « نبيه بيه » (جميل راتب) فى البداية نموذج لأصحاب الملايين الذين افرزهم الزمن الوغد ، فهو سريع البديهة ، حازم عازم على الثراء ، شديد المضاء .

انه الشخصية المحوريه التى يدور الفيلم من حولها وجودا وعدما ، يبدأ بها وينتهى .

فما أن تصل المجموعة الناجية الى واحة مهجورة ، تطوف نخيلها دانية ، حتى يقترح « نبيه بيه » على زملائه الناجين معه أن يلعبوا معه لعبة « ملك ولا كتابة » ابتغاء امتلاك الواحة ومن عليها .

وفى البدء يأخذ الجميع الامر بشىء من الدعابة .



رائد الواقعية

ولكن سرعان ما تنقلب الدعابة الى كابوس مروع ·

فاذا بالواحة ملك « نبيه بيه » الذى يفرض سلطانه على كل شيء فيها حتى الماء والهواء ·

ثم لا يلبث أن يتهيأ حاكما لدولة لهـــا علم وعملة من البلح ، واسـم مشتق من « نبيه بيه » بحيث أصبح يطلق عليها دولة « نبيهاليا » ·

وهو يبلغ كل ما يريد من أبهـة وفخــامة واستقلال بفضـل سياسة فرق تسد ·

طبائع الاستبداد

فقد خدع الفلاح « حمدى أحمد » بأن جعله يتنازل عن حقه فى المشـاركة مقابل دولارات معدودات ·

وجند العامل « صبرى عبد المنعم » ليكون بفتوته وضيق أفقه أداة ارهاب وبطش ·

واستعمال الصحفيه « شهيرة » ـ صفية العمــرى ـ لتكون وسيلته فى التضليل بفضل جرائد حائط تعلق على جذوع النخيل ·

وسخر العالمة فى الكيمياء العضوية الدكتورة سميحه « نجاة على » لتكون طوع أهدافه وغاياته ، مستغلا فى ذلك ســذاجتها وانهماكهـــا فى البحث والتنقيب ·

ولكن أمام جبروته واستبداده يقف صامدا الفنان عادل « أحمـــد زكى » وحبيبته المضيفة أمال « يسرا » التى تعلق قلبه بها تحت ظلال النخيل ·

وبعد أحداث طريفة لا أقصهـــا ، فذلك شيء يطول ، نراه وقــد ازداد انعزالا ، والكل من حوله مبغض له ، ساخط عليه يريد أن يصيبه بالمكروه ·

ولكنهم لا يبلغون مما يريدون شيئا، لانه دائم الاجهاض لمحاولات التخلص منه بفضـــل الارهاب والمحـــاكمات الصورية ، وفوق هذا بث روح مسخرة قوامها اللهو واللعب · والاستهتار بكل المقدسات ·

ولعــل مشهد العروض التليفزيونية بتفاصيله الكثيرة التى تموج بالحركة وتضج بالاصوات العالية فى تمجيــد ديكتـــاتور نبيهاليا ودغدغة حواسه المريضة ، لعـــل أجمل مشـــاهد « البداية » وأكثرها بلاغة وبيانا للدور الذى تلعبه أجهزة الاعلام فى الانساد العام ·

أمثولة ووصية

وفى الختام ، غنى عن القول ان الفيلم لا ينتهى بانتصـــار ديكتاتورية « نبيهاليا » ، وانما ينتهى باندحارها أمام الديمقراطية ·

وكان المخرج الرائد يريد أن يذكرنا فى « البداية » ـ هذا الفيلم الوصية ان المساواة والعدالة بين النـــاس ، حقيقة واقعة تريدها الجماعة كلها ، وان هذا لن يتحقق الا بالديمقراطية·

وعندى أنه قد صور من ذلك مـا أراد تصويره بفضل حوار ذكى شيق وديكور مبتكر « محمود محسن » ، فبلغ من هذا التصوير ما أحب ، وما نحب ·

بوصلة تعفى من الغرق فى طوفان المعلومات

بقلم: محمد فتحى

● صارت المعلومات ، مع ماوصل اليه الانسان من تقنيات ، طوفانا يتيح لمن يعى نواميسه، ويتمكن من ركوب أعاصيره ، ان يدخل مرحلة جديدة من مراحل التطور الحضارى .. ذلك بينما يهدد ـ الطوفان ـ بطى صفحة من يتوه بين امواجه ، وبجعله فى خبر كان .

ومن هنا ضرورة ان يمتلك الانسان « بوصلة » تستنقذه من التحول الى عود هش ، تتقاذفه امواج الطوفان . بوصلة تساعد الانسان على ركوب الاعاصير واستخدام طاقتها فى اعلاء درجة حريته ، وفى اختيار حاضره ومستقبله ، وامتلاك ناصيتهما ، على اساس من الفهم الاعمق المبنى على المعرفة ●

منذ اللحظة الاولى التى سكن فيها الانسان الارض ، وسط غيره من الكائنات بدات محاولته فى اختزان ما يحصله من خبرات ـ معلومات ـ خلال تعامله مع الطبيعة ، حتى يستفيد منها فى تجارب حياته التالية .

وقد ساهم انتشار الناس فى بطاح كوكبنا ، مع تباين طرق حياتهم وبالتالى خبراتهم ـ معلومات ـ ومع ما فطر عليه الانسان من حب للاستطلاع ، ومن جنوح الى المحاكاة .. ساهم ذلك كله فى نشأة الحاجة الى تبادل المعلومات .

وادى تطور الحياة ، وتزايد درجة تعقدها ، الى تحولات متتالية فى كيفية تحصيل المعلومات وتسجيلها ، كما غير من وسائل نقلها ، وكيفيات تخزينها واستدعائها وتناولها .

فبواسطة تبادل المعلومات وبث مـ

بوصلة

تعفي من الغرق في طوفان المعلومات

الاشارات والمقاطع الصوتية في مرحلة الى اللغة الانسانية في مرحلة اخرى ، ثم الى لغة الحاسبات الالكترونية في مرحلة ثالثة .

ووسائل حمل هذه الواسطة قفزت من سرعة سيقان الانسان « سنتيمترفي الثانية » ، الى سرعة الخيل والحمام الزاجل « متر في الثانية ».. ثم طفرت الى عشرات الآلاف من الكيلومترات في الثانية « سرعة الضوء » ، مع الكهرباء والتليفون واللاسلكي والحاسبات الالكترونية والاقمار الصناعية .

وبعد ان احتكر دماغ الانسان تخزين المعلومات وحفظها وتناولها ، فترةطويلة ظهرت وتطورت وسائل اخرى . لتخزين المعلومات ، من الرسم على الجدران ، الى الكتابة على الرق ، الى .. ومع الطباعة وظهور الكتاب حدثت ثورة هائلة زلزلت عالمي المعرفة والمعلومات . وتربع الكتاب دهرا ، على عرش تخزين المعلومات الى ان اطاحت به بلا رحمة ذاكرة الحاسب الالكتروني ، التي جعلت بالامكان تحويل مقتنيات اعظم المكتبات واضخمها الى معلومات مشفرة معلبة ، تشغل « في ذاكرة الحاسب » بضعة امتار مكعبة تقل كثيرا عن حجم الصالة التي تحوي فهارس المكتبة في الاساس !

وبعد بنوك المعلومات الكمبيوترية وقعت الواقعة ، اذ جاءت الاقمار الصناعية ، التي تتيح الاتصال اللحظي بين بنوك المعلومات هذه وبين اي تغطية من نقاط عالمنا !

وبعد أن كان الكبار يتوسون بها دون الى ما سبق ، تنقل المعارف بصورة منظمة وفق قواعد محددة ، في معاهد متخصصة هي المعاهد التعليمية على أيدي محترفين ..

بعد أن اكتمل هذا الاطار انفتح باب هائل لتحصيل المعرفة لايتطلب اكثر من ان يقتني الانسان شاشة صغيرة في بيته حتى يمتلك « بواسطتها مع خط الهاتف » كل مقتنيات المكتبات المعلبة ، العادية والصوتية . المرئية ، في كل انحاء العالم بما فيها من موسوعات وكتب ودوريات وافلام . تصبح كلها تحت امر الطالب في اي لحظة ، بمجرد ان يدق رقما كوديا ويضع كلمات على الالة الكاتبة المرفقة بالشاشة .»

● اخطر دورة شهدها الانسان ●

هكذا دار الزمن دورته ، ودارت معه مجلة الحياة» ، وتطورت سبل اكتساب وتخزين ونقل ومعالجة المعلومات ، ومع تطورها وقعت « الثورة » التي لا يمكن لاحد ادعاء انه يعيش العصر مالم يدركها ..

ولا بأس عند هذا الحد من بعض الامثلة التطبيقية ، التي نلمس من خلالها كيف يمكن لهذه « الثورة » أن تغير حياة الانسان . وليكن مدخلنا الى هذه الامثلة نسخة المجلة التي تقرأها الان وقد ادركتها تقنيات ثورة المعلومات ..

اننا سبق كل كاتب من كتاب المجلة مقاله في بيته ، على جهاز يشبه الالة الكاتبة ، يتصل بشاشة «تليفزيونية» تساعده على معالجتها كتب . وساعة يتوقف الكاتب ، راغبا في التأكد من معلومة ما، فلن يكون عليه الا ان يدق رقما على نفس الجهاز ، ليأتيه البند الذي يريد من الموسوعة العربية الكبرى ، او الموسوعة البريطانية الميسرة ، او .. بل ويستطيع ان يصل عبر الجهاز الى أي كتاب ، في مكتبات العالم الكبرى ليستشيره او الى اي مشهد من فيلم محدد ليدقق تقويمه ..

وبعد ان ينهي الكاتب مقاله لن يكون عليه الا ان يدق رقما كوديا آخر ليكون المقال ، في نفس اللحظة ، أمام رئيس التحرير ، سواء كان في مقر عمله ، او في منزله ، او في اي مكان آخر . وما ان تودع أسرة التحرير العدد الجديد من المجلة — بعد تولينه على شاشة

شبية ـ بنك المعلومات ـ المعنى ، حتى يكون في مقدور القارىء ان يدق رقما كوديا على جهاز من نفس النوع في بيته ، ليظهر امامه فهرس العدد ، ويدق رقما تاليا ليظهر الموضوع الذى يروقه .. هذا كما سيكون بمقدور القارىء ـ مثله مثل الكاتب ـ استشارة اى كتاب واى موسوعة واى فيلم يريد ، من اى مكتبة يريد في اللحظة التي يريد ..

ولا يقتصر تأثير ثورة المعلومات ـ كما قد يتبادر الى الذهن من المثال السابق على الشئون المعرفية والثقافية .. فالكمبيوتر القادر على اختزان ملايين الكتب قادر على اختزان ملايين الملفات والتصميمات والكتالوجات والوثائق الخاصة بفروع العمل المختلفة . وهكذا فان كل ما يحتاج اليه الانسان ليؤدى عمله سيكون رهن اشارته على شاشة شبيهة اينما تواجد الانسان . هذا كما سوف تمكنه الالة الكاتبة المعنية من ارسال تعليماته وتوجيهاته ، الى اى مكان ، دون ان يتجشم عناء الانتقال والمواصلات



بوصلة

تعصم من الغرق في طوفان المعلومات

وزحام الطريق . .

هذا كما أن الأمر لا يقتصر على الامكانيات التي تتاح لشخص او شخصك الكريم ، ولا على مجالات المعرفة والعمل فامكانيات هذه الثورة تبشر بآثار مذهلة على كافة انشطة الانسان .. ونخص بالذكر منها الانشطة التي تظفر بقدرات المجتمعات وادائها من التعليم ، الى البحث العلمي ، والى اتخاذ القرارات السليمة ..

فمع الوتائر السريعة لتكاثر المعرفة ، صار على المتخصص ان يواصل التعلم طوال حياته وامكانيات هذه الثورة تسهل على المتخصص ، كثيرا ، تحصيل كل ما يستحدث في تخصصه ، كما انها كفيلة باتاحة فرصة لاباري للبحث العلمي الخلاق الفعال ، اذ تتيح للباحث الا يكرر جهدا قام به غيره ، لكونه لم يعرف به ، وتتيح له أن ينطلق في بحثه من ... ارقى ما توصل اليه الآخرون ، اذ تضع يده على كل ما يمكن ان يخطر على البال من مراجع . ذلك بالاضافة الى انثورة المعلومات تفتح آفاقا جديدة امام عملية اتخاذ القرار ، لانها تحولها من فن قائم على الخبرة والحدس ، الى عملية شديدة التشابك . والترابط بين الجوانب المختلفة للقضايا المطروحة ، مما يكشف عن البدائل المختلفة ، ويسهل الاختيار بينها ، كما يتيح الفرصة لتحليلات ثالثة وتقديرات سليمة لصاحب القرار على مختلف المستويات ، وفي كل الاجهزة والمؤسسات ..

ولعله صار واضحا أن المشكلة مع التطورات التي طرأت على عالم المعلومات ، لم تعد نقص المعلومات او غيابها ، اذ ربما كان العكس هو الصحيح . فماذا يفعل الانسان بمقتنيات مكتبة الكونجرس « ١٠٠ مليون كتاب » ، ودار الكتب ، و ..

وهنا نكون قد وصلنا الى واحد من أهم ملامح عصر المعلومات ، ذلك ان الوتائر التي تتحرك بها هذه الثورة جعلتها اشبه بانفجار بركان يمكن ان يقف الانسان مبهورا أمامه ، دون أن يكون قادرا على الانتفاع به ، ناهيك من احتمال الضياع بين مخلفاته

ولا بأس من ان نلجأ ـ عملا بميكانيزم ثورة المعلومات ـ الى تجارب الآخرين تستقرئها هذه البوصلة . ولا بأس من أن نشرع البصر تجاه اليابان صاحبة التجربة الاكثر انجازا لهذا الصدد . ولا بأس من ان يكون دليلنا في هذه الرحلة عالم الاجتماع الامريكي عزرا فوجل ، الذي يرى انه اذا كان للدارس تفسير النجاح الياباني بعامل واحد فلابد ان يكون هذا العامل : « السعي الجماعي الموجه الى المعرفة »

بوصلة من اليابان

وجوهر قصة اليابان مع المعلومات بعيد تماما عما يشاع من النقل والسرقة الذكية .. الخ اذ انها عمل ، يستند الى استراتيجية متكاملة ، للاستفادة



الفعالة ، من الجهد الابداعي للانسان الياباني ، ولهذا كان لابد لها من مراحل متداخلة ، اولها تحصيل ما هو موجود من معارف . فمنذ حكم الامبراطور ميجي « المستنير » ، حول عام ١٨٦٨ ، رأى قادة اليابان القوميون ، تجنب امتهم التصدع ، تحت ضغط تيار المؤثرات الغربية بفتح الباب واسعا امام الاستفادة من دروس البيض ووسائلهم ، ومن طريق اقتناص اسلحتهم ذاتها .

واذا كان الثابت ان كمية المعارف والمعلومات ، التي سجلت باليابانية ، في العصر الحديث ، تزيد كثيرا . عما تم تسجيله بأى لغة اخرى ، فان معظم ما يندرج تحت هذا البند يحتوى اساسا على مناقشات تحليلية للمعلومات ، وعلى افكار تستوعب تلك المعلومات وتستند اليها . ووفق منطق العمل الابداعي ، التى لابد وان يعتمد على اخر المعارف ، شاعت في اليابان حركة ، واسعة النطاق ، تسعى الى تعويد كل مواطن على ان يبدى رأيه في المعلومات ، المتصلة بمجال تخصصه والى أن يضيف اليها بعد استيعابها .

واذا كانت اساليب جميع المعلومات وتحصيل المعارف ليست موضوعنا الآن ، فانه من الضرورى التأكيد على ان عملية اكتساب المعرفة في اليابان عملية شاملة ومستمرة تبدأ بالتعليم الالزامى ، في المدارس التى تشرف عليها الدولة ، وتجرى في تكافؤ تام للفرص ، يسقط الحواجز الاجتماعية ، ويتيح امكانية التقدم امام الجميع ، مما يؤدى الى الاستفادة من افضل العناصر البشرية دون تمييز .

ويستمر ذلك حتى المراحل الدراسية المتقدمة ، فالمعاهد العليا مفتوحة هي الاخرى دون حواجز اجتماعية .. لكنه لايقف ولا يتناقص عند نهاية سلم المؤسسات التعليمية ، فهناك اشكال للتعلم جعدما ترتبط ارتباطا وثيقا لجميع المعارف والخبرات بصورة جماعية . ثم توظيفها لخدمة الانتاج والعمل ، والتطور الشامل للمجتمع ..

وقد ساعد ذلك كله ، الى جوار تربية استعدادات الياباني على تقبل التغيير ، وتبنى نقاط قوة الاخرين ساعد على ان يمتص النسيج الاجتماعي الياباني عناصر جديدة دوما جعلت اليابانيين اقدر على التوازم مع العصر ، وعلى مسايرة ثقافته وعصبها وتمثلها ، في سلوك عملي تطبيقي ، يتكيف مع الواقع ويطوره باضافات ابداعية .

● بضاعتنا ردت الينا ●

مجمل القول ان المعلومات يجب ان تتحول الى واقع يومى معاش ، وتتجاوز مرحلة « اكسسوارات » الزينة ، ومواد التراشق الخطابي المفرغ من المعنى والقصد كما ان المعلومات لابد وان ترتبط ارتباطا جدليا بنوع من الوجود الذى يدفع الانسان للسعي الى عالمها ، والولع به ، لتكون النتيجة ازاء هذا الوجود وترقيته .

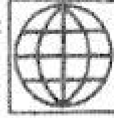
بقيت في النهاية اشارة الى ان هذا المنهج ، رغم تجشمنا عناء « الرحلة » الى اليابان هو نفس المنهج الذى يدعونا اليه تراثنا الروحى العظيم ، فها هو أبو عبد الرحمن السلمي يقول :

« حدثنا الذين يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل .. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » .

أى منهج عظيم تنطوى عليه هذه الكلمات على قلتها ؟ على هذا النحو العبقرى كان الربط بين التحصيل والعلم والعمل في ايام الاسلام الاولى . وبين هذا الربط وبين اطلبوا العلم ولو في الصين ، تمتد ساحة المنهج التى يقف وراء كل نهضة ، حتى اذا كانت تجرى وسط طوفان واعاصير عصر المعلومات

نعم المعلومات وحدها لاتكفى ، لان حجر الزاوية هو العمل بها ، وهو ان تتحول الى طاقة عظمى في التعلم والتثقيف وترقية الحس ، ورفع مستوى المشاركة في حياة المجتمع .

العالم غدا



العالم فى طريقه للاستغناء عن النقود

فى السنوات القادمه سيستغنى الفرنسيون عن استخدام العملات النقدية وسيستخدمون بدلا منها بطاقة الكترونية لدفع النقود بدءا من البضائع الاستهلاكية الى المكالمات التليفونية . ومع عام ١٩٨٨ سيصل عدد هذه البطاقات نحو ١٢ مليون بطاقه فى فرنسا وسيصدر نحو ٣ ملايين بطاقة منها مع نهاية العام القادم . وللبطاقة القدرة على تخزين معلومات فى شرائح الذاكرة يعادل حجمها ضعف قدرة البطاقات المغناطيسية العادية نحو مائة مرة

ومن جهة اخرى ستستخدم هذه البطاقات الالكترونية كبطاقة شخصية . اما فى الولايات المتحدة الامريكية فسيتم اختبار نحو ٥٠ الف بطاقة العام القادم . وكما هو الحال فى فرنسا ستستخدم هذه البطاقات فى تسجيل المعاملات التجاريه اساسا الى جانب استخدامها كبطاقة طبية يسجل عليها التاريخ الطبى للانسان . اما اليابان فقد اختبرت بالفعل نظام استخدام البطاقات الالكترونيه فى العمليات الشرائية . وستكون لهذه البطاقات القدرة على تخزين حساب العميل فى البنك ورقم جواز سفره ورخصة القيادة والتاريخ الطبى له .

استخدام الموجات الصوتية لحفظ الاطعمة

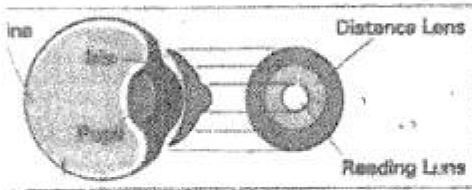
وسائل حفظ الاطعمه كثيرة ومتنوعة منها التجميد والتجفيف والتعليب وغيرها ولكن لون الطعام ومذاقه وقيمته الغذائيه غالبا ما يتأثر باستخدام هذه الوسائل . تقوم هذه الايام مجموعة من العلماء باجراء تغييرات جوهرية فى مجال حفظ الاطعمة تتمثل فى تعريض الاطعمة المراد حفظها للتيارين متلازمين من الهواء الساخن والموجات الصوتية





ويتجمع كل الضوء ليتخلل عدسة القراءة وعندما يحول الشخص نظره عن الكتاب ويحملق من خلال النافذة على سبيل المثال يتحول الضوء الى عدسة المسافات . ينصح الاطباء الاشخاص الذين سيستخدمون العدسات الثنائية البؤرة بارتداء نظارات الشمس فى الضوء الساطع لحماية العين .

المنخفضة التردد . وبالتالى تفقد جزيئات الطعام نسبة من المياه الموجودة بها بشكل أسرع من وسائل الحفظ التقليدية . وتتميز هذه العملية انها تحفظ للاطعمة مذاقها الطبيعي كما أن تكلفتها الاجمالية ارخص بكثير .
الجدير بالذكر ، أن العلماء تمكنوا من تطبيق تجربة استخدام الموجات الصوتية بنجاح على الاطعمة التى يصعب حفظها مثل البرتقال والطماطم



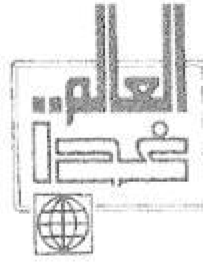
عدسة لاصقة ثنائية البؤرة متعددة الاغراض

ابتكر خبراء طب العيون نوعا جديدا من العدسات اللاصقة المتعددة التدرجات ، والذى يمكن ضعاف البصر من مشاهدة الاشياء البعيدة والقريبة على حد سواء . تتجاوب هذه العدسة الجديدة مع رد فعل العين للضوء ، وهى تتكون من بؤرة صغيرة للقراءة فى المنتصف تحوطها عدسات اخرى على شكل دوائر لتحديد ابعاد المسافات . فعندما ينوى الشخص الذى يرتدى العدسة استخدامها فى مجال القراءة تنكمش حدقة العين

قذائف موجهة من السماء للنبات

هذا الاختراع المصرى سيكون حديث العالم أجمع عندما يتم توسيع استخدامه ..

جاء الاختراع من شرق الدلتا .. من الشرقية .. حين تمكن الفلاح المصرى محمد الغريب من صنع أول مدفع من نوعه فى العالم يستخدم لرش الاسمدة والمبيدات الحشرية وذلك بأن تملأ خزينته بالمواد المراد استعمالها سواء كانت مبيدات سائلة أو أسمدة عضوية او كيماوية . ثم يتم اطلاقه على النباتات .
وقد ثبت نجاح هذا المدفع الأول من نوعه فى عمليات الزراعه والتسميد وهو يصنع محليا ولا تتجاوز تكاليف



صناعته خمسة وعشرين جنيها .

يمكن لهـذا المدفع ان يكون نواة لاختراع اكبر يمكن مقـاومة للول الجراد التي تهدد خضرة العالم وتكاد تلحق به مجاعة كبرى . وذلك بـدلا من استخدام طائرات الرش التي بدت عاجزة حتى الان عن مقـاومة هذه الفلول .

جبال الجليد تضيف نكهة جديدة للمرطبات الغازية

قرر احد رجال الاعمال البلجيكيين اسـتثمار امواله في مشروع غريب وجديد من نوعه فيخطط جيلبـرت كينث في استغلال جبال الجليد حـول جرينلاند وتقطيعها الى مكعبات ثلجية لاستخدامها في تبريد المرطبات الغازيه بعد أن اكتشف انها تعطى نكهة جديدة للمرطبات تختلف عن مكعبات الثلج العادية ، وقد قرر جيلبرت اختيـار الجبل الجليدى الذى يطلق عليه اسم جاكسون في شمال شرق جرينـلاند والذى يصل وزنه الى ١٤٠ الف طن ويرجع تاريخه الى اكثر من مائة الف عام . يتم استخراج الثلج من عمق ١٢٦٠ مترا في درجة حرارة تصل الى ٢٣ درجة مئوية تحت الصفر . وتتكون جبال الجليد من طبقات متعددة مـن الثلوج المضغوطة والتي تجمدت وهى تمتلىء من الداخل بملايين من الفقاقيع الهوائية الصغيرة حتى انها عنـدما تسقط في السائل تنفجر الى فتـات صغيرة لتعطى مزيدا من الانتعـاش لمحبى المرطبات الباردة .

محركات المستقبل بلا أصوات مزعجة

تمكن الباحثون في جامعة اسكس البريطـانيه من ابتكار جهاز صـغير يثبت بجوار المحركات ذات الاصـوات العالية ويصدر عنه ترددات مضادة لذبذبات المحرك تقضى على اصواتهـا المزعجة ، يصلح الجهـاز لجميـع الادوات والأجهزة التي تعمل عن طريق محرك سواء كانت سيارات او طائرات وكذلك ناقلات البترول العملاقة .. ويتكون الجهاز من عدة محولات للطاقة تقيس حجم موجات الذبذبات بالاضافة الى مجسات حساسه تثبت بجـوار عمود الكرنك لتعمل في التوقيت المناسب .. يمكن لهذا الجهاز أن يخفض قوة الذبذبات بمقدار ٤٠ ديسيبل .

والديسيل وحدة لقياس مقـدار التفـاوت بين طاقتين ، لتصبح قوة الذبذبات $\frac{١}{١٠٫٠٠٠}$ من الاصل . ومن المتوقع أن يتم استخدام الجهاز بشكل موسع في مجـال التطبيق العسكرى لضمان اكبر قدر من السريه .

الصيف أكثر سخونة في الاعوام القـادمة

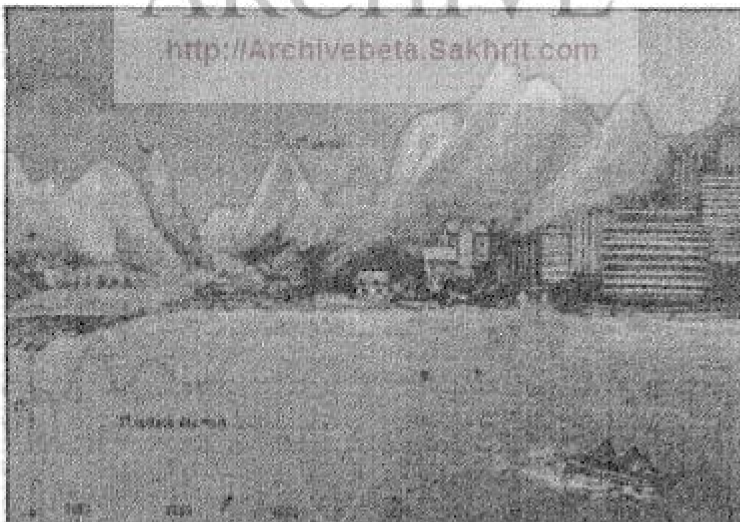
كان صيفا ساخنا بلا شك ذلك الذى شهدناه هذا العام . ارتفعت درجـة الحرارة تلهب الاجسـاد . وارتفعت

نسبة الرطوبة تخنق الانفاس .. لذا فان الدراسة التى نشرتها مجلة « العلم والحياة » .. الفرنسية فى عددها الاخير تؤكد بالارقام والرسوم البيانية ان الصيف سيزداد لهيبا مع السنوات القادمه ومع تطور التقنيات .

تقول الدراسة ان ارتفاع نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو يلعب دورا فى زيادة درجة الحرارة . وتؤكد ان النسبة ارتفعت فى الجو من ٢٨٠ جزيئا فى المليون الى ١٨٠٠ جزىء . وتقول ان الارض لم تعرف ذلك المستوى من ارتفاع هذه النسبة منذ ٢٤٠ مليون سنة .

كما تذكر المجله ان البحار اصبحت اكثر برودة فى عصرنا . فمن المعروف ان مياه البحر تخزن الطاقة الشمسية وتشعها ببطء فى الليل على المناطق المجاورة لها فتدفئها قياسا الى المدن البعيدة عن البحر والتى تكون شديدة البرودة فى الليل . وتعنى برودة البحار ان نسبة التدفئة ستكون اقل . اما ارتفاع مستوى مياه البحر فقد ارتفعت الى اعلى من ١٠٠ م فى عشرة الاف سنة . ومن المعروف انه عندما ينهار الجليد ويذوب فان البحر يرتفع اكثر . وقد انخفضت نسبة الجليد فى العالم التى تلعب دورا فى تحسين ظروف الجو بينما ارتفع مستوى البحر . اى ان الخطر اصبح مضاعفا . ولذا فان درجة حرارة الجو فى صيف مماثل كانت منخفضة بمقدار ١٥ درجة مئوية عن مثيلتها اليوم منذ ثمانيه عشر الف عام .

وتقول الدراسة ان معدل ارتفاع نسبة ثانى اكسيد الكربون فى القرن العشرين قد نتج من استخدام الانسان لاشياء عديدة تنتج كما هائلا من هذا الغاز سواء فى البحر او البر او الفضاء .. اى ان هناك اختلالا فى نظام الطبيعة الذى خلقه الله . كما لعب تقطيع الاشجار وزحف الصحراء على المدينة الخضراء دورا فى ارتفاع درجات حرارة الجو . والمتوقع ان ارتفاع نسبة درجة الحرارة فى السنوات القادمة .. مع انخفاض نسبة الرطوبة .



عسل النحل
في مصر الفرعونية

بقلم: د. سيد كريم

● المصريون اول شعب استانس النحل وتعامل معه . فقد عرف المصريون القدماء عسل النحل منذ عصور ماقبل التاريخ وقدس الفراعنة ملكة النحل فوصفوها فى برديات العقيدة بانها ملكة من ملائكة الجنة تحمل رسالة إلى اهل الارض مع هدية من خيراتها وهى رحيق زهورها . والعسل الذى وصفته متون العقيدة بانه يجرى على شكل نهر فى الجنة بجانب نهرى الخمر واللبن ●

وقد قدسوا ملكة النحل عندما اكتشفوا مابها من صفات تميزها عن بقية الكائنات والمخلوقات الارضية ... وصفوها بانها خالدة لاتموت . فهى وحدها التى تنجب جميع افراد مجتمعها المكون من مئات الحراس (الذكور) وعشرات الآلاف من مختلف فئات مجتمع الخلية سواء الشغالة او جامعات العسل او عمال الهندسة وبناء الخلايا ... تنجب الملكة كل يوم مئات من البيض لتعوض مايموت من افراد مجتمع الخلية . حيث يبلغ متوسط عمر النحلة اربعة اسابيع . بينما يصل عمر الملكة إلى سبع سنوات او اكثر ...

كما وصفوا حياة مجتمعها بانه يخضع لتشريعات سماوية تنظم دورة عملها . فلها طقوسها الدينية الخاصة . فذكروا ان طنينها الجماعى الذى يبدأ مع شروق الشمس . قبل خروجها لجمع العسل ويتوقف عند غروبها ما هو إلا ترانيم صلاتها وعبادتها للاله الخالق ولذا فكانوا يوجهون خلايا تربيتها بحيث تتجه فتحاتها من الشرق إلى الغرب . وكان النحل يهجر الخلايا اذا تغير وضعها ..

● النحلة المقدسة ●

كان ملوك وحكام ماقبل الاسرات بالوجه القبلى ينسبون انفسهم إلى النحلة تبركا بقدسيتها فاطلقوا على انفسهم القابا تقربهم من النحلة كلقب (بى تى) اى رجل النحلة او غيره من الالقاب كروح النحلة وقرين النحلة وحامى النحلة ... كما احتلت النحلة مكانا مرموقا فى متون العقيدة ونصوصها . كما وضعها بعضهم فى مصاف الآلهة والمعبودات .

كان الملك مينا موحد القطرين ومؤسس الأسرة الاولى اول من اتخذ من النحلة شعارا إشارة للملك . ورسمها فوق "خرطوشة" اسمه بعد ان اضاف إليها رمز الجنوب . واطلق عليها اسم (سوتن بات)

اى ملك الشمال والجنوب ... واتبع ملوك جميع الأسرات ذلك التقليد فوضعوا رسم النحلة فوق "خرطوشات" اسمائهم والقابهم الملكية حتى نهاية الأسرات الفرعونية .

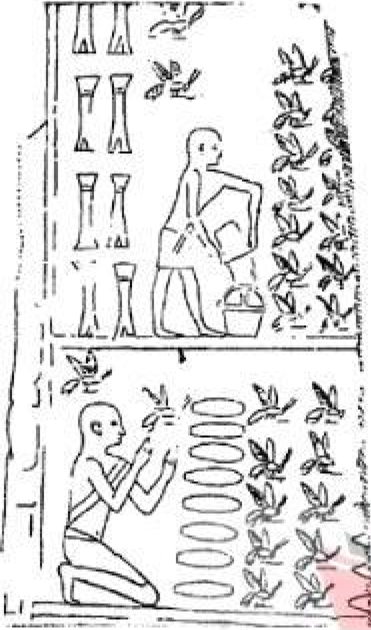
وحافظ الاسكندر الاكبر على ذلك التقليد فتوج "خرطوشة" اسمه بشعار النحلة . كما ظهر رسم النحلة فوق اسماء بعض اباطرة الرومان من بينهم يوليوس قيصر ومن بعده الامبراطور تيبريوس .

وقد ظهرت النحلة فى الدولة القديمة فى الأختام الرسمية للدولة التى استبدل بها فى الدولة الحديثة خاتم الصقر حورس او خاتم النسر الذى ظهر فى مصر الحديثة ـ وقد صنعت عدة انواع من خاتم النحلة لمختلف المناسبات او الاستعمالات . ومنها

واحتلت النحلة مكانا مرموقا فى متون العقيدة ووضعها البعض فى مصاف الآلهة



عسل النحل
في مصر الفرعونية

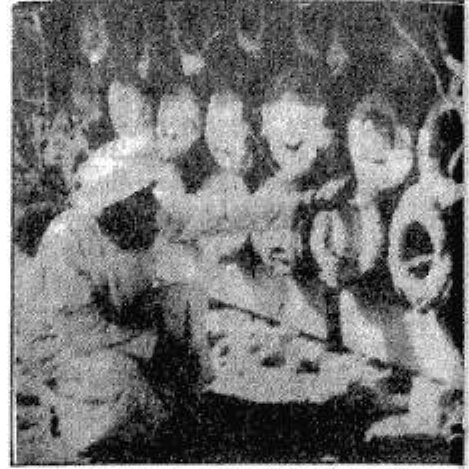


ما كان يحمل صورة نحلة واحدة او نحلتين بينهما علامة الحياة (عنخ) او اربع نحلات بينها صورة احد المعبودات التي توثق بها تشريعات العقيدة ، كما ظهرت النحلة في التمائم التي تبارك الإخصاب او التي تحمي المولود في بطن الأم ، او لحماية الرضيع من الامراض ، وظهرت النحلة وصورها في برديات السحر الأسود ، وكانت ترسم صورها في احجبة السحر مقطعة الأوصال او مفصولة الراس ليحل الشر على من تعمل لاجله .

وفي الدولة الحديثة استعملت صورة النحلة كرمز للشجاعة والبطولة التي تختم بها شهادات التقدير العسكرية والانتصارات الحربية ، ثم انتقلت لتستعمل في إشارات الرتب العسكرية ، حيث يزين صدر الجندي بنحلة او اكثر او قلادة من النحل يتوسطها الصقر حورس للقادة وكبار الضباط ، وهو التقليد الذي انتقل من مصر القديمة إلى العصر الحديث ، وما يطلق عليه اسم "الدبورة" والتاج في الرتب العسكرية .

واطلق المصري القديم على النخلة اسم "بي" وهو الاسم الذي انتقل من مصر إلى اللاتينية ومنها إلى مختلف اللغات الحية سواء الانجليزية BEE او الالمانية BIENE او الفرنسية ABEILLE واطلق المصري القديم على نفسه لقب "بي تي" اي صديق النحلة او رجل النحلة ، رمزا للسمو ، ولما كان المصري القديم اول من استأنس النحل فكان اول من بنى بيوت النحل التي تاوي خلاياه ، صنع اقدمها في الوجه القبلي والواحات من جذوع النخيل واشجار السنط بعد تجويفها ، مازالت تلك الطريقة متبعة إلى الآن في كثير من البلاد العربية والآسيوية والواحات ..

وكانت اقدم الخلايا او بيوت النحل التي صنعها في الدلتا وعلى شواطىء النيل من غاب النيل (البوص) ، التي كان يشكلها على شكل اسطوانات يتثبيته في بعضه البعض بواسطة خيوط زعف النخل وتطلى بطمى النيل على شكل مواسير تثبت فوق بعضها في صفوف متراصة ، اطلقوا عليها اسم مدينة النحل او مستعمرة إسكانه ، ومازالت تلك الطريقة مستعملة في بعض القرى في



العسل .. من قرابين للآلهة
.. إلى اطعمة للعباد

شمال الدلتا إلى اليوم .

● تزيين مقابر الدولة الحديثة ●

ومن اقدم مناظر تربية النحل في الخلايا الأسطوانية ماسجلته النقوش الموجودة في معبد الشمس للملك (نو اوسر رع) في "ابوصير" (الأسرة الخامسة ٢٤٠٠ ق . م) ويمثل النقش رجلا راكعا يحمل اناء يجمع فيه العسل من الخلايا الأسطوانية المتراصة فوق بعضها ويناولها لعامل أخر لتفريغها في وعاء كبير . يتلوها مختلف مراحل معالجته وفرزه حتي يصل إلى اخرها لتعبئتها فى الأواني الخاصة الكروية الشكل التي تغلق وتحزم وتختم بخاتم خاص لتحفظ في مخزن خاص .

وتوجد لوحة اخرى مماثلة ضمن اللوحات تزين ممرات هرم الملك اوناس بسقارة (٢٣٥٠ ق . م) .

وفي الدولة الحديثة ظهرت انواع اخرى من الخلايا صنعت على شكل انية مستطيلة من الفخار ترص فوق بعضها البعض على مسطبة كالمنضدة ، وكانت بعض الأوانى المختلفة الأشكال يطلي بعضها من الداخل بمختلف المواد العازلة . وقد وجدت فى بعض المقابر الملكية أنية للعسل للاستعمال اليومى صنعت من المرمر الشفاف او الديوريت والرخام .

وقد زين كثير من مقابر الدولة الحديثة بنقوش تمثل خلايا النحل ومراحل تربيته وجمع العسل ومختلف الأوعية والأنية المستعملة لحفظه والعناية به ، من بينها النقوش التى تزين مقبرة الوزير (رخمى رع) بمقابر طيبة (١٤٥٠ ق . م) وزير الملك تحتمس الثالث .

كما ظهرت نماذج اخرى فى نقوش مقابر العصر المتاخر من بين امثلتها النقوش التى تزين مقبرة (باباسا) في طيبة مدير اعمال الملك بسماتيك الثاني (الأسرة ٢٦ - ٦٦٠ ق . م) والتى ترص فيها اوعية الخلايا فى صفوف مواجهة بعضها للبعض على شكل طرقة مستطيلة او مستعمرة مقفلة .

لقد ظهر العسل وخلاياه ضمن القرابين المقدمة للآلهة سواء فى المعابد او التى تحفظ فى المقابر في العديد من مقابر الدولة الحديثة ويرمز لعسل النحل المقدس بالآنية المحورية الشكل المميزة ، ومن بين أمثلتها صورة لوحة القرابين بمقبرة (من نا) وزير الملك تحتمس الثالث وتمثله جالسا امام مائدة القرابين التي تحوى مختلف الأطعمة التي تعلوها أنيتان من اواني العسل .

عسل النحل
في مصر الفرعونية

وفي مقبرة (تي انرو) وزير الملك امنحتب الثاني يقدم احد الكهنة القرابين حاملا في يده اليمنى وعاء به اقراص من عسل الخلايا والنحل يطير فوقها . وعلى ذراعه قنينة من الغذاء الملكي . وفي يده اليسرى وعاء من العسل مغطى بزهور اللوتس التي تدل على نوعيته

● دور مهم لعسل النحل ●

لعب عسل النحل دورا مهما في مختلف نواحي حياة المجتمع المصري فتصدر مائدة الطعام كاول مادة سكرية عرفها الإنسان في تاريخ الحضارات ... صنعوا منه سكر الطعام بتجفيف العسل وطحنه ، فصنعوا منه مختلف انواع الحلوى المعروفة اليوم من مختلف انواع الفاكهة المجففة التي تعامل بالعسل ، وصنعوا مختلف انواع الفطائر خاصة فطائر الاعياد المحشوة بعسل النحل ، وهو كعك العيد بمختلف انواعه واشكاله وغيره من الحلوى التقليدية التي امتدت من مصر القديمة الى تقاليدنا المعاصرة ، كما احتل عسل النحل مكانة في صناعة مختلف انواع عصير الفاكهة والمشروبات وصناعة الخمور بعد اضافته إلى البيرة والنبيذ لسرعة تخميرها وحمايتها من الفساد .

وفي مجال الطب لعب عسل النحل دورا مهما في اعداد العقاقير لمختلف الامراض وتحوى برديات ايبرس وهيرست وكاهون وغيرها من موسوعاتهم الطبية المعروفة دور عسل النحل في شفاء كثير من الأمراض . وقد اطلق على عسل النحل في البرديات الطبية العديد من الاسماء من بينها دواء السماء ، وصديق المعدة ، وراحة الصدر . وحامي الجنين في بطن امه ... وترتبط جميعها بفوائده الطبية التي اكتشفوها .

فوصفوا عسل النحل بعد خلطه بخميرة البيرة وعجائنها لعلاج قرحة المعدة . كما اكتشفوا قدرته العجيبة على شفاء الجروح المتقيحة . كما وصفوه بعد اضافته إلى الحلبة ومسحوق حبوب الترمس لعلاج الكبد والقنوات الصفراوية . كما وصف لعلاج الأمراض الصدرية بعد إضافة عصير انواع معينة من الاعشاب . كذلك لعلاج الأمراض الروماتزمية مع تعريض المريض للدغ النحل نفسه . كما وصفوه لعلاج التوتر والأمراض العصبية . وقد عرفوا ابتداء من الدولة القديمة غذاء ملكة النحل او "الغذاء الملكي السماوي" وهو الاسم الذي اطلقوه عليه في احدى بردياتهم الطبية . وعرفوا طريقة استخلاصه وجمعه ، كما اكتشفوا احتواءه على بعض الهرمونات المنشطة للنمو بجانب اثره الفعال كمضاد حيوي . لذا فكان الكهنة يحتفظون بمزارع خاصة لتربيته في حدائق المعابد . كما عرف عن بعض الملوك في الدولتين الوسطى والحديثة اهتمامهم بتربية النحل في حدائق قصورهم والعناية بها .

● علاج بعسل النحل ●

ونظرا لاهتمام الفراعنة بالعسل في الطب فقد صنفوا العسل لتحديد استعمال انواعه في العلاج . فمن بين الاسماء والاصناف التي اطلقوها على العسل اسم (بي ستف) اى العسل الرائق او الشفاف و(بي دشرت) اى العسل القاتم . كما صنفوه بالنسبة لمذاقه وقيمته الغذائية ، ومن اشهر انواع العسل عسل الواحات ،

ومزارع النخيل ، وعسل مزارع الحبوب ، وعسل زهور اللوتس . ويعتبر من أرقى انواعها ، ثم العسل البرى الذى كانوا يجمعونه من مناطق المناجم فى سيناء والصحراء الشرقية .

ونظرا لاحتواء العسل البرى على انواع مختلفة من العناصر المعدنية فكانت له اهميته الخاصة فى علاج امراض العظام والنمو وتغذية الجنين ، وغيرها من الأمراض التى وصفوها بدقة فى بردياتهم الطبية .

● دواء السماء ●

ومن المعروف ان عسل النحل كان من العناصر الأساسية فى عملية التحنيط وهو ما يفسر ما ذكره المؤرخون عن وصية الاسكندر الاكبر التى طلب فيها أن يغطى جسمه ويحفظ داخل سائل العسل حتى ينقل إلى مقره الاخير الذى حدده فى معبد امون فى سيوه .

ونظرا لشهرة عسل النحل عند الفراعنة بانه "دواء السماء" - كما وصفوه - فقد كشف كثير من البرديات والوثائق التاريخية القديمة عن اهتمام البلاد الأجنبية بعسل النحل المصرى ، فقد وجد ضمن رسالة احد ملوك البلاد الآسيوية للملك امنحتب الثالث انه يطلب ان يرسل له كمية من الذهب وعسل النحل الملكى ، كما وجدت رسالة مماثلة ضمن رسائل العمارنة المشهورة التى كانت تصل لاخناتون من ملك متيانى ، وورد فى سفر الانبياء ان النبى يعقوب عليه السلام عندما عاد اولاده من مصر حملهم النبى يوسف قدرا من عسل النحل هدية لأبيه .

كما وصف سفر الخروج نصيحة سيدنا موسى إلى اليهود ان يحملوا معهم من الزاد مايمكنهم جمعه من القمح وعسل النحل ، وذكرت مصر فى انجيل بالأرض المزهرة بالحليب والعسل ، كما ورد فى انجيل لوقا أن السيد المسيح عندما ظهر بين اتباعه قبل صعوده طلب سمكا وعسلا واكلهما امامهم ليثبت لهم وجوده حيا ... وقد فسر ذلك المؤرخ كليمندس فى كتابه عن تاريخ مصر ان السمك والعسل اللذين يظهران معا على موائد القرابين فى كثير من لوحات القرابين الفرعونية كما هو واضح فى لوحة قرابين (من نا) قد ورد ذكره فى اكثر من بردية من برديات الطب لعلاج بعض الأمراض المستعصية وخاصة المرتبطة بالقلب الذى ينبض بالحياة ... كما رمزوا بالسمك والعسل إلى الوجود الإنسانى وهو ماقصده السيد المسيح فيما يروى انجيل لوقا . ولم يغفل القرآن الكريم مكانة عسل النحل فورد فى قوله تعالى "وفيه شفاء للناس" .





راى / فى الثقافة

ضرورة القراءة ضرورة الثقافة

قد لا يكون مهما فى بلدان العالم "المتقدم" أن تتدخل المؤسسات الرسمية التى يمولها دافع الضرائب فى مجال تشجيع الثقافة ونشرها، بنفس القدر من الأهمية التى يحتاج إليها الوضع فى بلدان "العالم الثالث".

لأنه من المفترض فى الناشر الغربى - مثلا - درجة من الوعى تمكنه، على الأقل أن يعرف ماذا يريد، والمستوى الثقافى على العموم مرتفع، بدءا من المدرسة والعادات التى يكتسبها الطفل من البيت عادات تدخل القراءة فى صلبها.

ومع ذلك فإن الدولة فى هذه البلدان المتقدمة تتدخل بقوة من أجل دعم الثقافة وتوفيرها للمواطن بكل الطرق الممكنة.

والمتأمل للوضع الذى يعانيه الشبان والشابات فى بلد كمصر الآن، خاصة فى الأقاليم، يجد هؤلاء وقد تربصت بهم عوامل الضياع من كل جانب، هنا تصبح مسئولية وزارة الثقافة مسئولية خاصة.

لأن الثقافة تصبح فى حالتنا ضرورة مباشرة من ضرورات التنمية. ضرورة من ضرورات تماسك الأمة عبر إنتشال طاقتها الشابة من طريق الفساد والإنحراف الشامل.

والآن، وعلى رأس وزارة الثقافة مثقف وأديب، تصبح المطالبة حقا مفهوما. فمسئولية الدكتور أحمد هيكل مزدوجة بحكم كونه رجلا من رجالات الثقافة قبل أن يكون وزيرا. لذلك نطالبه بأن يبحث مسألة دعم الكتاب ويعمل على تذليلها. نطالبه بأن يعمل على إحياء المكتبات العامة لتعود كما كانت فى الماضى، محجا للشبان والشابات، وتزويدها بالكتب الجديدة.

وفى هذا الإطار هناك طرق عديدة يمكن اللجوء إليها فى سبيل إحياء المكتبات القديمة التابعة لدار الكتب، وتلك التابعة لوزارة التربية وتلك التابعة للثقافة الجماهيرية، وأحد هذه الطرق أن تبدأ الوزارة حملة لجمع الكتب من دور النشر ومن كل متبرع لتوضع فى هذه المكتبات.

ولانعتقد أن أى ناشر سيبخل على وطنه بعدد من النسخ من أى كتاب

يطبعه مادام يتم هذا فى إطار حملة قومية هادفة، وشرط أن تذهب هذه الكتب بالفعل إلى المكتبات دون حواجز بيروقراطية.

والثقافة الجماهيرية ذاخرة بمثقفين شبان على درجة كبيرة من الوعى والإحساس بالمسئولية ولاعمل لهم: لتكن عملية إحياء المكتبات العامة مسئوليتهم بجمع الكتب وبالدعوة للقراءة، وبجمع التبرعات من اجل مكتبة فى كل حى، ومكتبة فى كل قرية.

عبده جبير

اثار

المسافر خانة: بيت الفنانين يتساقط

جزء كبير من المبنى الأثرى العريق الذى إتخذ الفنانون قاعاته منذ ١٨ عاما مراسم لهم بدأت الشروخ تدب فى أوصاله حتى أصبح مهدداً بالسقوط.

وحكاية المبنى بدأت بعملية إحياء تمت بالإتفاق بين إدارة الفنون الجميلة (وزارة الثقافة) وهيئة الآثار، حيث كان المسافر خانة، هذا الأثر الإسلامى الفريد فى تنوع زخارفه وتشكيلاته الفنية بيتا مهجوراً تعبث الحيوانات والكلاب الضالة والهاربون من العدالة فى أرجائه.

وتمت عملية الإحياء بتعاون الجهتين وسلمت قاعاته لعدد من الفنانين لتكون مراسم لهم.

عام ١٩٧٦ حدث تصدع فى البيت على هيئة شروخ طولية فقام مديره بإبلاغ هيئة الآثار التى طلبت بدورها إخلاء المبنى، وبالفعل، تم إخلاء الجزء المتصدع وباشرت الآثار عملية ترميمه طوال خمسة أعوام.

لكن - يقول زهران سلامة المدير الحالى للمسافر خانة. إن عملية الترميم هذه لم تكن جادة ولم يتم إعتماد ميزانية كافية لها. الأمر الذى دفعنى لكتابة العديد من المذكرات بعد أن لاحظت أن المرمم رجل حرفى بسيط، مجرد مقاول، وأن الترميم لم يتم بناء على الأصول العلمية المفروضة.

وفى ديسمبر ١٩٨٥ بدأت الشروخ القديمة تظهر مرة أخرى، فقام المدير بإبلاغ الجهات المسئولة وقامت هيئة الآثار بإرسال أحد بيوت الخبرة وتم عمل «مجسات» خارجية وداخلية للبيت، فتوقفت الشروخ مرة أخرى.

ومن يومها (ديسمبر ٨٥) وهيئة الآثار تطالب الفنانين بإخلاء المكان، ويقول الفنان سلامة أنه قد أخلى الجزء المتضرر، وأن الفنانين الباقين يتواجدون فى أجزاء بعيدة عنه وأنه إستعان برأى خبراء أكدوا له بأن إستعمال الفنانين ليس هو السبب فى الضرر الحاصل بل إكتشفوا أن البلدية غرست ماسورة مياه فى جانبه المتضرر، ومع تكرار إنفجار الماسورة تسربت المياه إلى أسفل المبنى من هذه الجهة.

والمشكلة الآن تتلخص فى إنقاذ هذا الأثر الفريد، وبيت الفنانين الذى



شهد إبداعات هامة طوال ثمانية عشر عاما في عمره بعد أن تم إنتزاعه من أنياب الحيوانات الضالة .
فهل سنتركه على أى حال ، وتحت أية حجة لينهار إنهيارا كاملا لايعود الندم بعده مجديا ؟! .

مسـرح

مهرجان المسرح المصرى
حلم تأخر عشرين عاما

فكرة إقامة مهرجان مسرحى فى مصر فكرة قديمة تعود إلى الناقد المسرحى الكبير الدكتور على الراعى عندما كان رئيساً لهيئة المسرح وكان يزمع إقامته فى يوليو ١٩٦٧ على مسرح "أبو الهول" ، وكانت الهزيمة وراء تلاشى الفكرة التى عاشت ضمن أحلام العاملين فى المسرح منذ هذا التاريخ وحتى الآن .
مؤخراً أعلن الأستاذ سعد الدين وهبه بصفته رئيساً لإتحاد النقابات الفنية عن إحياء الفكرة مجدداً .
والعاملون فى الحقل المسرحى ، كتابا ونقادا وفنانين ، والأمل يحدوهم بأن يتحقق مهرجانهم بالشكل الذى يليق بمكانة مصر ، وبمكانة المسرح المصرى يرجون أن يتم فى الموعد


سعد الدين وهبـــه

الذى حدده سعد الدين وهبه فى إعلانه (فبراير القادم) ، ولكن المهرجان المصرى سيكون الخامس بعد مهرجانات دمشق ، والأردن (جرش) وتونس ، وبغداد ، لذلك فإن المسئولية تقتضى دراسة هذه المهرجانات ، وحشد الإمكانات الكفيلة بأن يكون المهرجان المصرى إضافة وليس تكرارا ، مخططا وليس عشوائيا ، والدعوة إلى الاتقان هى المسألة الأولى التى يجب أن توضع موضع الاعتبار الأول ، والاهتمام بكل التفاصيل منذ الآن هو الهم الذى يجب أن يكون الشاغل الأكبر لأنه لن يكون مقبولاً أن يكون المهرجان المصرى أى مهرجان ! .

رسائل جامعية

صحافـة اليهـود الفرنسية فى مصر

هذا عنوان رسالة الدكتوراة التى تقدمت بها الباحثة سهام عبد الرازق عشرى إلى كلية الإعلام جامعة

القاهرة وأشرف عليها الدكتور خليل يوسف صابات وهو مشهود له بالعلم والخبرة فى مجال الصحافة . كما شاركه فى مناقشة الرسالة الدكتور مختار التهامى عميد كلية الإعلام والدكتور عبد العزيز نوار عميد كلية الآداب جامعة عين شمس .

ومن الواضح أن هذا الموضوع يثير عديداً من التساؤلات والاستفسارات التى يهتم بها كل باحث فى مجال الصحافة على وجه الخصوص ! هل كان لليهود صحافة فى مصر ؟ ومنذ متى ؟ وإلى متى ؟ وهل كانت واضحة الأهداف والمعالم ام كانت تستتر وراء منظمات أخرى ؟ وماهذه المنظمات ؟ وهل تورط فيها احد من كبار الشخصيات الوطنية .. إلى اخر هذه التساؤلات وما يتفرع عنها من قضايا ومايتصل بها من موضوعات أخرى .

ذلك ماحاولت الباحثة سهام عبد الرازق أن تجيب عليه من خلال رسالتها التى نحن بصددها . وهى محاولة جادة ومضنية فى نفس الوقت لأن الباحثة أضطرت إلى تعلم اللغة الفرنسية أولا حتى تستطيع أن تقرا وتحلل وتنقد وتقارن الموضوعات الصحفية الملتوية التى كتبت باللغة الفرنسية فى تلك الفترة وحتى تصل إلى هدف البحث وهو هل فعلاً قامت الصحافة اليهودية الناطقة بالفرنسية بالدعاية الصهيونية لإنشاء وطن قومى فى فلسطين لليهود ؟ وإلى أى مدى كانت هذه الدعاية تلقى استجابة بين الجاليات الأجنبية والطوائف اليهودية التى تتحدث الفرنسية .

والرسالة تحتوى على شقين : شق تاريخى يتضمن محاولة تتبع الصحف الناطقة بالفرنسية من سنة ١٨٩٧ حتى اعلان اسرائيل سنة ١٩٤٨ ورصد الظواهر والموضوعات والتطورات التى طرأت عليها فى تلك الفترة حتى تستخرج الباحثة أهداف هذه الصحف ومن هنا احتاجت الى المنهج التاريخى .

وشق إعلامى يقوم بالكشف عن أهداف تلك الصحف من خلال تحليل الموضوعات التى كتبت فيها ومعرفة محتواها والتعرف على اليهود فى مصر ونشاطهم الاقتصادى والاجتماعى وعلاقاتهم بالماسونية والقوى السياسية واتصالهم بالجماهير بوسائل متعددة منها الاتصال الشخصى والكتب والمجلات واستخدام كل الاساليب للترويج والدعاية الصهيونية واقناع اليهود فى مصر بالهجرة إلى فلسطين ولإقامة الدولة اليهودية ، كما استخدم اليهود اسلوب التأثير النفسى والإحساس بالقلق واستغلال الدين والتاريخ ، والتشكيك فى قدرة العرب واعلاء الكيان اليهودى والدعاية لهم .

كما ابرزت الباحثة فى رسالتها الاهمية التى علقت عليها الصحافة اليهودية لاختيار مصر دون الوطن العربى ، وذلك لأن مصر أولا كانت بها جالية يهودية كبيرة منها ماهو أجنبى وماهو عربى يتكلمون اللغة العربية وبإمكانهم مساعدة الحركة الصهيونية فى تنفيذ استراتيجيتها بوسائل الاقناع المختلفة وقدرتهم على فهم العقلية العربية اليهودية وبذلك يسهل اقناعهم للهجرة إلى فلسطين .

ثانيا وضع مصر السياسى والاستراتيجى وتأثيرها على كل اليهود الموجودين فى الدول العربية وقدرتها على كسب الرأى العام

وقدرتها على الاتصال بالمنظمات الصهيونية وقد كانت الصحافة هي افضل الوسائل للقيام بهذا الدور لما لها من قدرة على مخاطبة الجالية الفرنسية واليهود الناطقين بهذه اللغة وقد وصل عدد الصحف اليهودية فى هذه الفترة إلى ٣٤ صحيفة .

وقد أبدى الدكتور "نوار" ملاحظة عن المنهج التاريخى الذى لجأت إليه الباحثة وتساءل عن قصدها من ورائه فاوضحت بأنها قد إستخدمته لتتبع الصحف الصادرة فى فترة البحث ومن هذا التتبع إستطاعت رصد الظواهر والموضوعات والتطورات حتى وصلت إلى هدف البحث وهو ان هذه الصحف كانت فى خدمة الحركة الصهيونية .

كما أبدى الدكتور التهامى ملاحظة عن انه كان على الباحثة أن تهتم بالجانب الإعلامى اكثر من الجانب التاريخى ، وإنتقد عدم تعرضها للشخصيات الصحفية الهامة التى عملت فى الصحافة اليهودية فى مصر . وقال إنها كان من الواجب ان تكتب فصلا كاملا عن الموضوع . كما بين انها لم تهتم بمسالة الإخراج الفنى للصحافة فى هذه الفترة ، وقال إن هذا نقص فى الرسالة .

وفى نهاية المناقشة نالت الباحثة درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى .

قطب بسيونى

ذكـــرى

علي قنديل : إحتفاء ودعـوة لطبع أشعاره

فى مدينة كفر الشيخ وفى الرابع عشر من اغسطس إعتادت كوكبة من الشعراء والنقاد ولاحدى عشرة سنة مضت الإحتفال بذكرى الشاعـر الموهوب « على قنديل » الذى أودت بحياته عربة طائشة وهو الذى كان واعدا بعطاء متميز أثبت جدارته بل وتفرده بين نتاج الشعراء الجدد .

ولأن الشعراء يعانون أكثر من غيرهم من المبدعين ، إن يكن على مستوى النشر او على مستوى التناول النقدى فإن إحتفال هذا العام تميز بنغمة يسودها الأسى لوضع الشعر والشعراء الأمر الذى دفع الشاعر "محمد عفيفى مطر" للتعبير عن هذا الحال فى كلمته التى إفتتح بها مهرجان على قنديل ، وجعلها مناسبة للتأكيد على حماية الإبداع الحقيقى . فى مواجهة النشر الردىء .

محمد عفيفى مطر



وتجيء كلمة القاص والكاتب خيرى شلبى لتؤكد من ناحية أخرى على أن تجربة على قنديل وإن كانت قصيرة إلا أنها من وجهة نظرى قد أدت دورها ، وأكبر دليل على ذلك هو هذا التجمع الذى ضم أكثر من عشرين شاعرا وكاتبا ، ليصبح على قنديل مصدراً للتواصل فى حياته وبعد مماته ، وهذا فى حد ذاته قيمة لابد من أن نحافظ عليها .

وتحدث خيرى شلبى عن دور مجلة "سنابل" التى كانت تصدرها كفر الشيخ والتى كان على قنديل واحدا من ثمارها ، حيث إستطاعت تلك المجلة أن تلعب دوراً كبيراً فى تنمية مواهب عديدة تتواجد الآن بقوة فى الساحة الأدبية .

كثيرون هم الشعراء الذين تداولوا شعر على قنديل وألقوا الأشعار بالمناسبة ، أحمد الحوتى ، وأمجد ريان ، وسهير عوض ، وعزة موسى ، وأحمد سماحه ، وعلى عفيفى ، وغيرهم وقد قرأ حلمى سالم دراسة سيد حجاب عن الشاعر الراحل ، كما أختتم المهرجان بدعوة للإكتتاب من أجل نشر أشعاره التى لم تنشر وإعادة نشر ديوانه الذى نفد منذ سنوات .

من أجواء على قنديل نسوق ختام آخر قصائده عن « القاهرة » التى يقول فيها :

ساعة تدق
الوقت متأخر والسماء تترك الغرفة للأجنحة السوداء ينثرها طائر الرعب الأليف

....

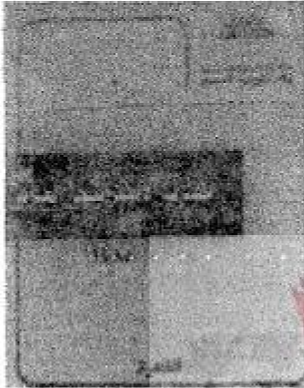
اه ، شريط القطارات/ يخرجون للشوارع نزفا/ من جرح أبله/ يسابقون الضوء الخائب

ويقدمون من سقطة إلى أخرى كالديدان المشرقة .

عبد الدايم الشاذلى
كفر الشيخ

استراتيجية

التقرير الاستراتيجي العربي حدث فكرى هام



يعد صدور « التقرير الإستراتيجى العربى الأول » حدثا فكريا هاما قامت به مجموعة من الباحثين الجادين من خبراء مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام بقيادة مديره المفكر المعروف السيد ياسين .

فهو أول تقرير إستراتيجي يصدر عن رؤية عربية للنظام الدولى والنظام الإقليمى العربى والمجتمع المصرى وهو بذلك يجمع بين دفتيه خلاصة خبرة باحثى مركز الدراسات الذى أنشيء عام ١٩٦٨ ، وتطور عبر الزمن ، حيث لم يعد ومنذ عام ١٩٧٢ يقتصر على دراسة الصهيونية



والمجتمع الإسرائيلي والمشكلة الفلسطينية والإستراتيجية بشكل متكامل .

وقد أنبنى التقرير على جانب نقدى تجاه النموذج الأساسى الغربى للدراسات الإستراتيجية الذى أصبح موضع شك وتساؤل من قبل الباحثين العرب وباحثى العالم الثالث ، وقام على أساس الطموح إلى "صياغة مفهوم جديد للإستراتيجية والدراسات الإستراتيجية ، ينهض على السمات المتميزة للمشكلات التى تجابهها دول العالم الثالث" التى يعد من أبرزها خاصية أن مصادر التهديد للأمن تأتى من مصادر مختلفة بعضها داخلى (وهى التى يضعها التقرير فى المقدمة) وبعضها خارجى ، ثم تبرز عوامل الإفتقار إلى التكامل القومى ، والإجماع القومى حول تعريف المصالح والأهداف وترتيب أولوياتها على المدى القصير والمدى الطويل .

هذا بالاضافة إلى ضعف معدلات المشاركة السياسية ، الذى هو - كما يقول التقرير - أصل المشكلة . فالإنقسامات الحادة بين الجماعات السياسية والترديد اللفظى للشعارات الأيديولوجية يؤدى إلى ظاهرة عدم الإستقرار السياسى الذى يستدعى فى كثير من الأحيان تدخل العسكريين مما من شأنه أن يعوق التنمية السياسية .

وبالإضافة أيضا إلى أن شرعية جهاز الدولة تصطدم بالأساليب المتخلفة عن نظام الدولة الحديث ، وقد أدى هذا إلى أن هذه الدول تكاد تكون معوقة بالنظر إلى قدراتها فى التعامل الفعال مع النظام الدولى .

بالإضافة إلى عاملين أساسيين يدوران حول مسألة الصراعات غير المحلولة ، وآثار الميراث الإستعمارى ومسائل الفقر وإنخفاض مستوى التنمية وندرة الموارد .

وقد تركز التقرير حول محاور ثلاثة ، إنطلاقا من محور ، النظام الدولى ، الإقليمى ، ثم ، النظام الإقليمى العربى ، ثم .إستطرد فى الأبعاد الخاصة بمصر ليخصص جزءا هاما من البحث .

إن هذا التقرير الهام يستحق أن يضعه الجميع فى الاعتبار كخطوة علمية رائدة فى سبيل صياغة نموذج جديد للتفكير الإستراتيجي يصلح لتناول مشكلاتنا الأساسية بأبعادها المرحلية والمستقبلية .

مجـلات

أوراق عربية

نشاط ملحوظ تقوم به عدة دور نشر مصرية خاصة فى مجال إصدار مجلات فكرية وثقافية متخصصة .

فبعد صدور "قضايا فكرية" و "الغد" و "فكر" أصدرت دار المستقبل العربى العدد الأول من "أوراق عربية" برئاسة تحرير محمود المراغى .



ويكتب الناشر محمد فائق إجابة عن السؤال : أوراق عربية لماذا ؟ قائلاً :

كان أمامنا ذلك الواقع المتردى على طول الساحة العربية ، وكانت أمامنا تلك الحيرة التى تنتاب المواطن العربى بحثاً عن إجابة السؤال الخالد . ماالعمل ؟ .

وكانت أمامنا خريطة الواقع المصرى . خمسون مليونا من البشر وبما يجعلهم اكبر كتلة سكانية فى الوطن العربى والشرق الأوسط ، وهى كتلة ينظر لها البعض من زاوية انها ثروة بشرية وفنية وعلمية ومهنية ضخمة ، وينظر لها البعض من زاوية ماترتبه من أعباء لأزمة توفير حياة كريمة يعيش فيها الإنسان ويتنفس .

وكانت الخريطتان معا .. تشيران إلى حقيقة تقول أننا نملك موارد ضخمة ، ومشاكل اضخم ، ومهمتنا إستخدام الموارد وإدارة المشاكل .

من هنا فإن أوراق عربية هى للحاضر والمستقبل والبحث عن طريق وهى تخاطب عموم المثقفين كما تخاطب متخذي القرار والباحثين عن معرفة أعمق ورأى اشمل .

يضم العدد نصوص المداخلات التى تقدم بها عدد كبير من الكتاب والمفكرين العرب فى ندوة (٢٣ يوليو) قضايا الحاضر وتحديات المستقبل ، التى اقامتها الدار نفسها .

ونقرأ لأحمد بهاء الدين الإستقلال والتبعية ، ومحمد حسنين هيكل "الناصريون" ومحمود المراغى "فى الأزمة المصرية" وأمين هويدى "الشرق الأوسط فى الثمانينيات" وسامى منصور "إنهيار القانون الدولى" ، وغيرهم كما يضم العدد وثيقة هامة تنشر لأول مرة عن "الثورة الإيرانية وعبد الناصر" .

اشارات ثقافية

بعد محمود درويش سميح القاسم وعبد الرحمن منيف فى طبعات مصرية



سميح القاسم

بعد ان أصدرت دار الكلمة للنشر (فرع القاهرة) مجموعة محمود درويش "هى اغنية هى اغنية" كأول



نشاط لها في مصر ، تصدر الدار المذكورة مجموعة شعرية أخرى للشاعر الفلسطيني البارز سميح القاسم أول مجموعة تصدر له ، أيضا في مصر .

المجموعة ستحمل عنوان "شخص غير مرغوب فيه" وستكون بين يدي القراء في نوفمبر القادم .

ويبدو أن عدداً كبيراً من الكتاب العرب المعروفين بدأوا يتوجهون بعد إنقطاع دام سنوات ، لنشر أعمالهم في مصر مجدداً .

فقد تم الإتفاق بين دار الهلال والكاتب السعودي الأصل "عبد الرحمن منيف" ، المقيم حاليا في باريس لإصدار طبعة جديدة من روايته "النهايات" ستصدر في روايات الهلال .

وهي أول عمل للكاتب المعروف يصدر له في مصر ، منذ أثار إهتمام قراء الرواية في نهاية الستينات بروايته "الأشجار وإغتيال مرزوق" .

كذلك بدأت الهيئة المصرية العامة للكتاب في تنفيذ مشروع نشر مشترك مع مؤسسة النشر الوطنية العراقية لتصدر طبعات للقارىء المصري لكتاب عراقيين وتصدر الدار العراقية لكتاب مصريين .

● مكتبة الهلال ●

الكتاب : ملف الكنيسة المصرية .
المؤلف : د . محمد مورو
الناشر : كتاب المختار
٢٤ ص . ٢٥ ق م



يستعرض المؤلف بكثير من الموضوعية ورحابة الصدر تاريخ "الكنيسة المصرية" ، ويرى أن خطها الرئيسي يتميز بأنها كنيسة عريقة ، أقدم من كل الكنائس الأوربية ، مستقلة في عقائدها ، تختلف إختلافاً كاملاً عن الكنيسة الأوربية .

وهي ذات تراث محدد في الإبتعاد برعاياها عن الصراع السياسي ، كما أنها عانت من الإضطهاد ومحاولات التذويب على يد الرومان والصليبيين والإستعمار ، وهو يرى أن ذلك الخط الهامشي الذي أراد الخروج عن الإجماع القبطي سرعان ماكان يذوب دوما في الجسد السليم

المعاقى . وتصبح المخاوف التى يبديها حول من أسماهم "الإنتلجنسيا القبطية" الجديدة مخاوف يمكن وضعها فى نفس هذا الإطار : إطار سلامة الجسد القبطى الكبير من داء الطائفية والنزعات الإنعزالية .

والرجاء أن تكون هذه الملاحظة ، مقصود بها التأكيد على التحالف الوطنى كما جاء على لسان المؤلف ، ويبقى أى خروج على ذلك من أى من الأطراف هو خروج على العقد الإجتماعى الذى إرتضاه أعضاء المجتمع المصرى عبر تاريخهم الطويل .

الكتاب : فى أصول السياسة المصرية
المؤلف : سعد زهران
الناشر : دار العربى
٢٥٦ ص . ٤٥٠ ق م

بعد عودته للعمل الفكرى يكتب سعد زهران وهو الذى عرف كواحد من رجال العمل السياسى منذ قيادته للإضراب الكبير للمعلمين عام ١٩٥١ الذى مهد لإنشاء نقابة المعلمين ، يستخلص فى كتابه هذا الذى وصفه بأنه "مقال تحليلى نقدى فى التاريخ السياسى" خبرة فكرية عميقة كانت ابنة للتعامل المحسوس مع الواقع من جهة ، وحصيلة للخبرة الثقافية عبر مراحل عمله فى





الحياة العامة ، الأمر الذى يجعل الأساس التاريخى لهذا الكتاب يقوم على عوامل موضوعية مستمدة من الاعماق الحضارية لمصر كبلد متميز عبر العصور ، مر تطور تاريخه السياسى بمراحل متداخلة ومعقدة يستحيل معها اللجوء إلى أى تحليلات نظرية قائمة على أسس أوربية لتكون أداة تحليل لوقائع التاريخ .

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من مشروع فكرى للمؤلف يؤمل أن يتبعه جزء عن الناصرية ثم عن عصر البترول .

الكتاب : احتضار قط عجوز
(مجموعة قصص)
المؤلف : محمد المنسى قنديل
الناشر : الهيئة المصرية العامة
سلسلة مختارات فصول
١٢٨ ص . ٥٠ ق م

على الرغم من أن محمد المنسى قنديل كاتب غزير الانتاج عرفه قراء القصة فى مصر والعالم العربى عبر عشرات القصص المتميزة إلا ان هذه أول مجموعة تنشر له فى كتاب .

تضم هذه المجموعة ثلاث قصص طويلة أحداها هى

عنوان الكتاب يتبعها قصتا "عصر الحديد والخردة" و"الفتاة ذات الوجه المبروح" .

تتميز المجموعة بتلك النكهة المميزة لعوالم الأشخاص الذين ساقتهم الأقدار للدخول في معركة مع أدغال المدينة المتوحشة ، بأسلوب بسيط جذاب يتميز به هذا الكاتب الذي يبدو أنه إستفاد كثيراً من تعامله مع التراث .



الكتاب : كيف يصنع القرار في الوطن العربي
المؤلف : د . ابراهيم سعد الدين
د . محمد السيد سليم
د . وليد خدوري
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الأمم المتحدة
٢٦٠ ص . ٦٠ ل.ل

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة "مكتبة المستقبلات العربية البديلة" التي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ، وقد ضم بين دفتيه خلاصة لأعمال ندوة صنع القرار في الوطن العربي التي أقيمت بالقاهرة يومي ٢٤ ، ٢٥ نوفمبر عام ١٩٨٤ ، وحضرها عديد من الباحثين والمفكرين وبعض صناع القرار أو الذين كانوا بالقرب من عملية صنعه إبان حدثين تاريخيين :

الأول قرار تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، والثاني قرارات حظر تصدير النفط العربي والحد من إنتاجه في أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد قام الدكتور إبراهيم سعد الدين بصياغة خلاصة الندوة التي إنبنت على ورقة نقاش قدمت للمناقشين ، وقام بإبراز أهم مادار فيها من مناقشات وإتجاهات مع الحرص على عدم إسناد قول لقائل أو إستبعاد أي رأي أو مداخلة ، ومع السعي لأن يعكس الملخص بقدر الإمكان الروح المفتوحة للنقاش والتجربة الغنية للمشاركين فيه .

أما الدراستان اللتان يضمهما هذا الكتاب فقام بأولاهما الدكتور محمد سليم عن قرار تأميم القناة والدكتور وليد خدوري عن قرار حظر البترول .

وكان المقصود بالندوة والدراستين والمناقشات التي دارت حولهما وحول ورقة النقاش هو محاولة استيضاح اسلوب صناعة القرار في الوطن العربي في ضوء الخبرة الغنية للمشاركين ، وأستخدمت الحالات موضع الدراسة كخلفية لإرشاد وتوجيه المناقشات .



ويأتي هذا العمل الجاد

فى إطار مشروع بحثى حول المستقبلات العربية البديلة يستهدف تحريك إهتمام الباحثين وصانعى القرارات فى الوطن العربى تجاه إيضاح أن المستقبل العربى ليس قدراً محتوماً يتوجب علينا التسليم به بل هو الحصيلة التراكمية لما يتتابع من الأحداث وعمليات التغيير النابعة من المجتمع أو الوافدة عليه ، وإبراز قدرة العرب على الإمساك بمستقبلهم فى أيديهم وبناء نموذجهم الحضارى والتنموى المستقل .

ويضم الكتاب أيضاً نص الفرمان الخاص بإمتياز إدارة مرفق المرور بقناة السويس وبتأسيس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وقانون تأميم القناة ، الأمر الذى يضفى بعداً وثائقياً متزايداً للكتاب .

الكتاب حجر دافىء

(رواية)

المؤلف . د . رضوى عاشور

الناشر : دار المستقبل العربى

٢١٨ ص . ٤ ج م

هذه الرواية أشبه بلوحة زيتية من تلك الرسوم الواقعية التى تهتم بكل التفاصيل والدندشات : اغصان الأشجار وأوراقها



وقد أوضحت خطوط الطبيعة عليها ملامح الوجه المتعب لأمرأة عجوز مرهقة ، أو مدرسة شابة تمشى فى الحقول ، أو أيدى وقبضات "الثائرين" ترتفع مضمومة ومع أفواههم المفتوحة تبدو بقع اللون وقد تناثرت على خلفية اللوحة رمزاً مباشراً للأمل .

لوحة واقعية طبيعية تهتم "بكرنشات" الملابس ، ثنايا الستائر ، وتلك التفاصيل الصغيرة التى يهتم بها الفنانون الطبيعيون .

ونقرأ : وجه أبيض مستدير وجسد ممتلىء وشعر



مصبوغ بالحناء وحاجبان رفيعان مقوسان كأنهما خطا بقلم ونظرة فاحصة فى العينين المكتحلتين ..

ونقرأ : ثم أتت "الستات" سنية التى تلبس الباروكة وتوصلها إلى منتصف جبهتها وعليه التى تلبسها وتترك شعرها مشعثاً بشكل لافت .. بعدها أتت الدكتورة .. ممتلئة الوجه والصدر والأرداف تماماً كالناظرة وشعرها مثلها أيضاً مصبوغ بالحناء ولها نفس العينين المكتحلتين والنظرة الفاحصة .

وتمشياً مع سياق هذه النظرة الواقعية ـ الطبيعية ، التى تتراوح بين التحيز لهذه المدرسة أحياناً وتلك المدرسة أحياناً أخرى تدور الرواية حول آمال وآلام أسرة متوسطة تكاد تكون نموذجاً مدرسياً لها : طرف منها يتمسك بالوضع القائم حاملاً كل معتقدات الطبقة الوسطى ، وطرف آخر ينحو نحو الخروج من الأزمة : بالعلم أو الإحتجاج الطلابى ، أو الخروج إلى الغرب ، بغية التحرر من القيود والآفاق المحدودة التى تميز رؤية هذه الشريحة .

ويبقى أن نذكر بأن ممارسة الكاتبة لشكل القصة القصيرة قد أثر فى أول عمل روائى لها ، الأمر الذى يعطى الإحساس بإقتراب هذا العمل من منهج الدوائر القصصية المتلاحقة

الرمز الشعرى وتجربة البحث عن الحقيقة عند زهير بن أبى سلمى:

نظرات فى قصيدة جاهلية

بقلم: د. السيد ابراهيم محمد

هذه جملة من الملاحظات حول قصيدة جاهلية معروفة لشاعر جاهلى معروف ، وهو الشاعر زهير بن أبى سلمى صاحب القصائد التى كانت تعرف بالحوليات . وقصيدته هى القصيدة الهمزية التى على بحر الوافر ، وأعنى بها القصيدة التى اولها : عفا من آل فاطمة الجواء .

وقد بدت لى هذه التأملات أثناء نظرى فى الشعر الذى قاله الشعراء فى حمار الوحش ، فراعتنى الأبيات التى قالها زهير فيه ، ثم استطردت منها الى سائر أبيات قصيدته ، فرأيت بينها اتصالا ، ووحدت المعانى ينعكس بعضها على بعض ، بحيث انك لاتكون قد تعرفت على طبيعة الفن وطبيعة العمل الشعرى إذا أنت تصورت أن كلام زهير عن الحمار الوحشى لاصلة له بما يتناوله فى القصيدة من قضايا كبحثه لقضية " الحق " الذى جعل له محكات ثلاثا ، أو أنه لاصلة له بتجربة الشاعر مع المحبوبة أو تجربته مع الخمر وغير ذلك .

وسوف يرى القارىء لونا من فهم الشعر العربى قد يظن به السوء إن هو لم يعاود النظر فيه مرة بعد مرة حتى يصير له به ألفة يعادل بها ماعنده من ألفة لألوان اعتادها من التفكير والنظر الى الشعر .



وينبغى ان ننتبه اولا إلى ان موضوع الحمار الوحشى يتناوله شعراء العربية على أنحاء شتى ، وليس الامر على الغفلة الظاهرة فى قراءة الشعر العربى القديم . ولزهير خمسة عشر بيتاً فى الحمار الوحشى يظهر عند قليل من النظر أنه انما يعنى فيها بفكرة محددة ، هى فكرة " الاباء " أو المنع او مايصور هذا المعنى مما تختار من الفاظ . فزهير يقول عن الحمار : " له من كل ملمعة إباء " وهو يتعقب هذه الفكرة من خلال تصوير العلاقة بين العير (= الحمار) والأتان (= أنثى الحمار) وهو محدود بفكرته وببحثه عن الصور الفنية الملائمة للتعبير عنها . وليست المسألة مفتوحة لكل مايقال عن الحمار الوحشى . وفى رأينا أن هذا هو المحك بين الشاعر الفحل وسواه من ناظمى الكلام . .

وسوف يبدو الكلام عن الحمار الوحشى ثرثرة خالية من المتعة العقلية والشعورية مالم نعاود النظر مرة بعد مرة وتجريب الأبيات فى كل مرة على مانصل إليه من أفكار عند تحليلها ومظاهرتها بعضها ببعض . ولابد من قراءة أبيات القصيدة بعضها فى ضوء بعض ، فإن ذلك يميط اللثام عن كثير من الأبيات التى يبدو أمرها ملغزا . خذ لذلك مثلا قول زهير :

فإنكـم وقومـاً اخفروكـم
كالديبـاج مـال بـه العبـاء

قال ابن قتيبة : " اخفروكم : جعلوكم خفراء . وكالديباج مال به العباء أى غلب عليه . ولم أرهم يثبتون البيت لزهير . وقد سألت عنه فلم أرد على هذا التفسير . ثم

يظل أمر البيت بعد ذلك - بل بسبب ذلك - محيرا .

ان زهيرا يستخدم قصة الحمار الوحشي في قصيدته ليخدم الفكرة التي يعالجها في القصيدة ، وهى فكرة " انكشاف الحقيقة " ان العلاقة بين الحقيقة وطالبها علاقة مثيرة قائمة على الانكشاف التدريجي القائم على الاجتهاد المستمر والنشاط الدائب الخلاق الذى يبذله الطالب ، فهى لاتكشف عن نفسها لمجرد طلبها ، ثم هى لاتكشف عن نفسها لكل طالب ، بل تظل العلاقة قائمة على التوتر والمراوغة . والنتيجة متوقفة أساسا على أهلية الطالب واستحقاقه . وأنا اقرأ التجربة الابراهيمية في إطار تجربة الحمار الوحشي عند زهير فتزداد كلتا التجربتين ثراءً وخصوبة وإشعاعا بالمعانى . والذى يسوغ لى ذلك أن زهيرا كان - على وجه اليقين - مشغولا بهذه التجربة ، فقد كان ذلك معروفا فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ولزهير خاصة . فنحن نعرف أن زهيرا كان على الملة الحنيفية ، ولابد أنه عرف شيئا كثيرا عن تجربة ابراهيم الخليل . إن هذه التجربة فى الاتجاه الى الحقيقة وطلبها وتلمسها فى مظانها لمما يحتاج اليه هنا فى فهم مايريد زهير ان يبثه فى قصيدته من خلال تجربة الحمار والأتان . والحمار الوحشي هنا طالب للحقيقة المراوغة " الملمعة " فالأتان الرافضة هى نفسها الحقيقة الممتنعة : " له من كل ملمعة إباء " .

وفى المعانى الأولى - التى هى مادة للنشاط الشعرى - الملمعة هى التى أشرق ضرعها للحمل . والأتان اذا وسقت - أى جمعت ماء الفحل فى رحمها - ارتجت ، أى أغلقت رحمها على الحمل فلا يستطيع الفحل أن يصل إليها . وهذا المعنى كثير فى الشعر ، ومنه قول الشماخ عن الحمار :

شج بالريق أن حرمت عليه

حصان الفرج واسقة الجنين

أى شجى الحمار بريقه لأنها صارت حراماً عليه بسبب حملها . والالماع فى الأصل صفة الضرع ، فإشراقه من امتلائه باللبن ، أى له من كل ملمعة الضرع اباء . ولكن يمكن ان يقال ان المعنى أنتقل فصارت الصفة للأتان ، وصار الالماع نوعا من الوعد بالثمرة المتحصلة من اتصال الطالب بها . ثم أنه يمكن أن يجر المعنى بعد ذلك الى الوعد أو التخييل للطالب بامكان الفوز أو الاتصال . وهذا جائز وله أمثلة كثيرة فى الاستخدامات اللغوية التى تنتقل فيها الدلالة من معنى الى معنى : فالالماع من الأتان وعد أو إيماض بالاتصال والماع الحقيقة إشارة الى انكشافها وإغراء للطالب بمواصلة السعى والطلب . ولكنه إذ يجد فى طلبها تجد هى كذلك فى الهروب :

فليس لحاقــه كلحاق إلف

ولا كنــجائهـا منــه نجــاء

اى لايباريه أحد فى الطلب ولايباريها شىء فى الهرب . ولكن هناك مايومىء إلى ان هذه المراوغة سوف تنتهى بفوزه لأنه مؤهل لذلك :

يفضلـه إذا اجتهـدت علـيه
تمـام السن منـه والذكـاء

وقد قيل فى تفسير الذكاء إنه السن ومنه قيل : جرى المذكيات غلاب . والمذكيات من الجياد : المسان اى التى بلغت تمام السن فهى اجدر بأن تفوز وكان ابو عمرو ـ وهو من كبار العلماء باللغة والشعر ـ يقول : ذكاء النفس فى هذا البيت أحب الىّ ، يذهب الى حدة نفسه وذكائه ـ كما يقول الشراح . وانا أميل إلى ماكان يميل اليه أبو عمرو ، فالصفتان ثابتتان له . أما عن تمام السن فقد جاء فى القرآن : ولما بلغ أشده واستوى اتيناه حكما وعلما ، فقرن الحكمة والعلم إلى النضج والاستواء . وقد ذكرت فى صدد كلام زهير كلاما لبعض الفلاسفة ، وأعنى به صاحب كتاب « هكذا تكلم زرادشت » وأظن الرجوع الى كلامه مفيدا فيما نحن بصدده ، فقد قرن النضوج الى تمام السن واستنكف أن يأتى النضوج قبل أوانه . ومن هذه الجهة كان المسيح ـ بزعمه ـ قد مات ولم يبلغ النضوج قال : « المسيح قد مات قبل اوانه ، ولو أنه بلغ العمر الذى بلغت ـ والكلام هنا على لسان زارا او زرادشت الذى انطقه المؤلف بكلامه ـ لكان جحد تعاليمه . وقد كان له مُن النبل مايكفيه لاقتحام العدول عنها ، ولكنه لم يبلغ النضوج ونحن وإن كنا لانوافقه فى كلامه عن المسيح ، فإنا لانستنكر كلامه عن تمام السن والنضوج ، فذلك شرط الحكمة على اى حال .

● دلالات مرادة ●

وفى مطاردة الحمار والأتان يرتفع ماتثيره بحوافرها من الأرض أثناء الجرى ، فتلقيه على وجه الحمار ، ولكن ذلك لايبلغ ـ فى قصيدة زهير ـ مبلغ الغطاء الذى يحجب الرؤية :

يخـر نبيثهـا عـن حاجبيه
فليس لوجهـه منـه غطـاء

وللكلمات هنا دلالات مرادة ، وليس الأمر ثرثرة تقال عن الحمار او تسجيلا لماتقع عليه عين الشاعر ـ كما يريدنا على ذلك أصحاب مذهب « الكسل العقلى » فى فهم الشعر . ولنفصل الأمر فى هذه المسالة حتى تكونَ أمام مثل لما نريد ان نبينه فى هذا الموضوع . لقد تحدث غير واحد من شعراء العربية عما يثيره جرى الحمار والأتان أو الأتن من تراب ، فجعله بعضهم كالملاءة التى يلتف فيها الحمار تارة ثم يلقيها الى صاحبته تارة أخرى : « يتعاوران من الغبار ملاءة » وجعله الأخطل قريبا من ذلك حين شبهه بهداب الملاء حيث قال عن الحمار :

يتبعه مثـل هـداب الملاء له
منهـا اعاصير مقطوع وموصـول

وجعله الشماخ كالسرادق فى قوله :

وهن يثرن بالمعزاء نقعا
تـرى منه لـهـن سرادقـات

وكالنار التى تشب فى قوله :

فولت وولى العير فيها كأنما
يلهب فـى آثارهـن ضريـم

وهذا كقول لبيد يصف الغبار المتصاعد منها :

... ...
كدخان مشعلة يشب ضرامها

وكقول بعض شعراء هذيل يصف الجرى نفسه ـ وقد تكرر هذا المعنى فى أشعارهم : « كوقع الحريق بيبس الأباء » (يعنى بالقصب اليابس) . ولو شاء زهير أن يجعل التراب كالملاء أو السرادق أو دخان النار المشعلة أو غير ذلك لفعل ، فهذه كلها صور من الممكن أن تكون مختزنة فى خياله . أما أن يقال إنه يصف فى القصيدة صورة بعينها رآها فى حياته ، ولأن التراب فى هذه المرة ناشىء عن حفر الأتان بحوافرها فلا يبلغ التراب فى ارتفاعه أن يكون كالسرادق أو الدخان لأن الأرض ليست بالسهولة المناسبة لذلك ، فهذه سذاجة بالغة وسوء فهم لطبيعة الفن . ولكن زهيرا لايستطيع أن يجعل التراب كالملاء إلا لو أراد أن يجعل طالب الحقيقة فى عماية تامة تلفه كالملاءة ، أو ما إلى ذلك من المعانى التى يمكن أن يمثلها الملاء . ولايستطيع أن يجعله سرادقا إلا لو التفت إلى معنى يشير اليه السرادق . ومثل ذلك يقال فى الباقى .

ولكن ما الذى يعنيه الملاء أو السرادق أو النار المشعلة أو الدخان .. هذه أسئلة ليست الاجابة عليها هينة ، ولايستطيع أحد الادعاء بمعرفة ذلك دون الاستعانة بجميع أبيات القصيدة التى يقع فيها ذلك والنظر فيها نظرا مستمرا ، فإن للتراب الذى تثيره الحمر فى جريها معنى عند لبيد غيره عند الشماخ وغيره عند غيرهما من الشعراء .

أو قد يقال ان الشعراء يكررون المعانى أو التشبيهات بهيآتها . وهذا أيضا من فساد النظرة السطحية الى الشعر ، إذ كيف يعمد الشاعر الى ان يقول ماقد قيل من قبل دون أن يكون له من وراء ذلك مقصد . إن عبقرية الشاعر قد تظهر من خلال فعله ذلك ، لا من خلال تركه . إنه يلجأ الى مادة قد تكون مطروحة من قبل او متداولة ، ولكنه يعيد تركيبها فى سياق جديد ومختلف ، لقد شاع القول بأن شعراء العرب يكررون انفسهم ويعيدون ماسبق ان قيل . وهذا الكلام انما نشأ من عدم الالتفات الى اسرار كل عمل شعرى ومحاولة فتح مغاليقه والولوج الى عالمه والاغترار بالتشابه الظاهر فى الألفاظ والمعانى . مثل ذلك بالمادة التى يحتاج اليها المهندس

فى بنائه . إن هذه المادة لاتدل على عبقرية المهندس إلا بعد أن توضع في شكل وقد يمكن ان يسوى هذا الشكل الذى يقال له طراز من المعمار ـ من اى مادة كالحجر او الخشب او غير ذلك ، وكلها لايلتفت اليها اذا وجه البحث الى عمل المهندس . والى طريقته فى البناء . وقد يصنع طرازان مختلفان من البناء من حجر واحد !

ولنعد الى كلام زهير مرة اخرى ، فقوله :

يخر نبيثها عن حاجبيه

فليس لوجهه منه غطاء

قصد فيه إلى مسألة سقوط التراب وانهزامه عن عينى الحمار : « يخر » . فلولا ان كان الحمار مؤهلا لهذه المواجهة ، ولولا ان كان طالب الحقيقة بحيث يؤهله استعداده لما هو بسبيله ، لجاز أن يلبسه ثوب تام من التية والعمى والضلال .

والنبيث : تراب الحفرة اى ماتحفره الاتان بأرجلها فتلقيه على وجه الحمار ، وهذا كله رغبة منها فى التعمية عليه وصده ، فان لم يقل الشاعر ذلك صراحة ، فقد قاله فى بيت آخر ـ فى الكلام عن البقر الوحشى :

يشمن بروقه ويرش أرى

الجنوب على حواجبها العماء

اى ينظرن الى البروق فيرش العماء ـ وهو السحاب الرقيق ـ المطر الذى تثيره ريح الجنوب على حواجبها .

● ضرورة القافية ●

ولا يذهبن بك الظن الى ان الشاعر ينتقل من موضوع الى موضوع لاصلة له به . فان تجربة البقر والبروق انما هى صورة اخرى من صور الطلب والضن بالمطلوب ، لأن البقر اذ يشيم البروق لايستجيب له الا العماء الذى يرش على حواجبه من عنده ، فكأن العماء يرش عليه من « العمى » ليحجبه عن الرؤية . ولنلخص الموقف بعبارة اخرى : هناك رغبة فى الرؤية وتطلع ، وهناك رغبة تعاند ذلك ... هناك مايريد ان يثنى هذه الرغبة فى الرؤية او الاجتلاء ويكفها ويمنعها . هناك رغبة فى رؤية البروق التى تظهر وتختفى وكأنها الأتان الملمعة ، وإلماعها كالماع البروق ، ثم هناك الاعماء ، هى تنظر وشىء مايريد ان يعميها عن النظر . هذا موقف ينبغى لك ان تطيل تأمله جدا .

واختيار كلمة « العماء » لمناسبة ، فان الكلمة مقصودة لذاتها ، لما فيها من الاشارة الى حجب الرؤية ، وليس الأمر على ماذهب اليه الأعلم الشنتمرى ، حيث قال : « ولم يقصد ! ! » إلى العماء لمعنى ، انما اراد السحاب ، فاضطرته القافية الى العماء » . اما نحن فنقول : انه اراد العماء لمعنى لا لضرورة ، وكلام الأعلم منقوض من اساسه ، فان « العماء » مقصود اليها قصدا ولايقوم سواها عنها ، بل هى اساسية فى بنية القصيدة . ويمكن ان تكون هى المفتاح الذى يتوصل به ناقد الأدب الى فك مغاليق العمل الأدبى والكشف عن خباياه ـ على نحو مابينا فى كتابنا

« الضرورة الشعرية » ، فان فكرة العمى وحجب الرؤية والكف والمنع ، وغير ذلك فكرة سائدة فى القصيدة كلها .

ثم ان الطالب يتقلب فى مظان الحقيقة وبعضها خادع يعود منه صفر اليدين ، كما قال الشاعر عن الحمار والأتان :

فأوردها حياض صنيبعات

فألفاهن ليس بهن ماء

وصنيبعات : أسم ارض . وهذه بعينها تجربة الخليل مع الشمس والقمر والكواكب : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لاأحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما أفل قال ياقوم إنى برىء مما تشركون » هذه هى حياض صنيبعات التى وردها الخليل من قبل « فالفاهن ليس بهن ماء » .

ومن الكلام الرائع الذى قاله زهير فى الحمار بيته :

كأن سحيله فى كل فجر

على أحساء يمؤود دعاء

ويمؤود : أسم أرض . والأحساء جمع حسي وهو موضع فيه ماء . وهذا ـ عندى ـ بيت يفيض بالمعانى والدعاء لون من نشدان الضالة وفيه أحزان مستورة · الحمار يمد عنقه بالصوت ، يدأب على ذلك ساعة الفجر من كل يوم (واكثر مايكون الحمار نهيقا فى تلك الساعة) كأنه فقد شيئا فهو يطلبه . ولسنا نميل الى كلام الشراح فى تفسير صوت الحمار بأنه كدعاء الرجل لصاحبه ، بل نرى ذلك كقول الشاعر الهذلى فى الحمار أيضا :

... ... كأنه

إذا أهتاج فى وجه من الصبح ناشـــد

والناشد الذى ينشد شيئا ضل له فهو يطلبه .

ثم تحدث الاستجابة الصادقة ، وينكشف السعى والدعاء عن الثمرة المرجوة حين يصل الحمار الى غدران الماء الصافية البكر التى لم يصل اليها أحد قبله :

يغرد بين خـــرم مفرطات .

صواف لم تكــدرها الدلاء

والخرم المفرطات هى الغدران المملوءة والدلاء : جمع دلو ، وهو مايستقى به الماء أما أن هذه الأماكن بكر فلقوله : لم تكدرها الدلاء ، فهذا الطالب إنما يقع على مالم يقع عليه أحد من قبل .

والشاعر يقول فى صفة الحمار : « عليه من عقيقته عفاء » والعفاء ماعليه من الوبر . وما يرادف العفاء فى قصيدة زهير خاصة أشياء كثيرة ونعنى بالمرادفة هنا

ان هناك تجارب مختلفة فى انحاء القصيدة تنكشف عند تحليل الشعر عن أمر واحد . وهذه هى حقيقة الفن . فمن ذلك : الغطاء والعماء والأباء ونفى العلم فى قوله وما ادرى . وربما يضاف إلى ذلك الأفراس « الملجمة » (لاحظ هذه الصفة جيدا) التى يصب على رءوسها الخمر ، وكأنها صورة أخرى للبقر التى يرش ماء المطر على حواجبها :

وافراس تجاوب ملجمات

تصب على جحافلها الطلاء

(تجاوب : تتجاوب بحذف احدى التائين ، كقوله تعالى : نارا تلظى أى تتلظى . والجحافل : جمع جحفلة وهي بمنزلة الشفة للانسان والطلاء : الخمر) .. ثم ماالديباج الذى مال به العباء فى قوله :

وانكم وقوما أخفروكم

لكالديباج مال به العباء

ومعروف ان الديباج الحرير ، والعباء كساء من الصوف يلبس فوق الثياب . فماذا يكون المعنى إذن ؟! المعنى أن الشيء الخسيس هو المانع الذى يحول دون ظهور الجوهر النفيس فالديباج يحجبه العباءة أى أن الحرير وهو الجوهر النفيس يحجبه الصوف . (ولاحظ أيضا أن نقض العهد ـ وهو تفسير قوله أخفروكم ـ إنما هو إخفاء)

هذه كلها صور مختلفة للحجاب الذى يحجب الحقيقة عن طالبها . وهنا مسألة لطيفة فقد جعل الشاعر هذا الحجاب أمرا ثابتا للحمار بحكم مولده . فالعقيقة وهى



شعر الولادة . إنما تؤدى هذا المعنى . ولست أفهم ذكر الحقيقة هنا إلا على هذا .

وقد حاولت أن أحدد مصدر فهمي للمسألة على هذا النحو ، فجاءت الى ذهنى فكرة أفلاطون التى قرأتها منذ وقت مبكر . وأنا أشير هنا الى أسطورة الكهف التى عمد بها الى تصوير مايشبه هذا المعنى . وقصة الكهف تصور مجاهدة الفيلسوف للوصول الى عالم الحقيقة ، ففيها نرى جماعة من البشر ولدوا فى كهف مظلم وأعناقهم مشدودة بالسلاسل والأغلال وكذلك أرجلهم وهم لايرون فى كهفهم هذا من حقائق العالم شيئا إلا ماينعكس على الحائط أمامهم من أشباح وصور لما يمر من خلفهم من كائنات لايرونها ولايعلمون عنها شيئا . إنهم مقيمون على الظن بأن الحقيقة هى مايرون ثم لاشىء وراء ذلك . ثم أنهم قد تفنى أعمارهم وهم على هذا الظن ، إلا أن يسعى بعضهم من أجل أن يخلص نفسه من الأغلال والقيود ، وذلك بالمجاهدة المتصلة ، وحينئذ يستطيع أن يدرك حقيقة الموقف . وعالم الحقيقة ـ وهو عالم المثل عند أفلاطون ـ لايصل إليه إلا طالب الحكمة أو الفيلسوف .

وأنا لا أقول بعالم المثل كما قال أفلاطون . ولا أذكر هذه القصة هنا لتصوير فكرته وإنما أردت أن أظهر القارىء على نظير آخر لزهير فى أن قرن الأغلال أو الحجب الى الميلاد . وقد يستنكر القارىء أن تكون لزهير معرفة بأفلاطون وإن كان كلا منا لايتضمن هذا المعنى ، فإن البحث فى قضية المعرفة أقدم من أفلاطون . والنبوات قديمة قدم الانسان نفسه . ولكنا مع ذلك لانستبعد أن يكون بين العالم القديم اتصال فى المعارف والثقافات نحن هنا لانثبت شيئا ولاننفيه ، فلسنا بصدد الكلام عن ذلك ، وانما كلامنا فى مسألة بعينها هى هذا الميلاد المقترن بالسلاسل والأغلال .

ثم يقول الشراح إن زهيرا إنما وصف الحمار بذلك لأنه حين بدا فى السمن انجرد من عقائه فتطاير عنه وبره . وانجراد الحمار من عقائه آية من آيات التحرر والانعتاق وهذا معنى لطيف يجعل حرص الشاعر على تصوير اجتهاد الحمار فى رعى مايجود به الربيع أمرا مفهوما . فهو قد تربع صارة ، أى أقام فى هذا المكان الذى يسمى صارة وقت الربيع يرعى الكلأ الى أن فنى مابه من الكلأ والماء ، فانتقل الى مكان آخر هو القنان والى كل مكان يدعوه إليه للكلأ الذى به وخلوه من الناس :

تربع صارة حتى اذا ما
فنى الدحلان عنه والاضاء
تربع بالقنان وكل فج
طباه الرعى منه والخلاء

وانجراد الحمار من عفائه لرعية الكلا وسمنه أمر معروف مشهور في الشعر العربي .

والى هذا المعنى يتجه زهير ـ عندى ـ في قوله :

فاض كانه رجل سليب

على علياء ليس له رداء

والرداء والعماء سبيلهما واحد ، أعنى من جهة فكرة الحجاب . وللاعلم قول فى الرداء يشبه قوله في العماء من حيث اضطرار القافية اليهما برعمه . ولكن طالب الحقيقة إذ يستلب عنه مايحجبه مما يشبه عرض الدنيا ، أو إذا جاز لنا التحدث بلغة أهل الحقيقة ، إذ يتجرد من عالم " الظاهر " الذى يتمثل فى الرداء إنما يكتسب صحوة تقرنه الى العلو (وذلك قوله : على علياء) ويبدو هذا الاستلاب نوعا من الاكتساب ، إذ يلوح كانه ولادة جديدة ، ويبدو الحمار كأنه خارج مما يشبه الأدران حيث يقول الشاعر :

كان بريقه برقان سحل

جلا عن متنه حرض وماء

والسحل : الثوب اليماني الأبيض .

والحرض : مادة تستخدم لتنظيف الثياب . يقول كأن بريق .

الحمار بريق ثوب أبيض مغسول .

واتصال الطالب ـ هنا ـ بالحقيقة أكسبه شيئا من خواصها ، كالبريق الذى ظهر من قبل فى البروق وفى إلماع الاتان . وقديما شبه الفلاسفه ذلك ـ أو ماهو قريب من ذلك ـ بالمغناطيس والحديد . فالحديد قد يكتسب خاصة المغناطيس فى الجذب إذا هو أدنى منه إدناء شديدا على نحو معروف . وكذلك يقال فى الحقيقة وطالبها .

فاذا انتقلنا من كلام زهير عن الحمار الوحشى الى كلامه عن صاحبته وجدنا كذلك فكرة المطالبة والاباء ولكنه ـ هنا ـ اباء صريح لاينصاع للمحاورة ، بل يجعل من المطالبة أمراً عقيماً ، على خلاف مارأينا فى تجربة الحمار الوحشى ، حيث تلمع المطالبة بالاستجابة (ولا يتوقف بك الذهن عند حقيقة أن الاتان لاتستجيب لمطالبة الحمار وهى حامل ، إذ للمعانى الشعرية حركة مستقلة) . هناك على أى حال صور ثلاث للمطالبة ، هذه أحداها ، أعنى مطالبة الشاعر المحبوبة ، وهى المطالبة التى لاتثمر شيئا . ولذلك قال إثر رحيلها :

... ...

على آثار من ذهب العفاء

يدعو عليها بالهلاك

وقد عن لى وأنا أقرأ البيت أن أقرأ : على آثار ما ذهب العفاء ، ثم وجدت ذلك ثابتا فى بعض النسخ ، فيكون فى البيت تعميم بعد تخصيص ، ويكون فى " ذهب " معنى الاستعصاء على المنال ، أى ماذهب ذهابا ليس معه عودة أو وصال . وهذا كما قلت الاباء الصريح الذى لاينفعل مع المحاورة ، كما قال :

لقد طالبتها ولكل شيء
إذا طالت لجاجته انتهاء

ومرة أخرى نقول ان المطالبة من الحقائق الأساسية في القصيدة . والمذموم هنا اللجاجة التى يناصبها الشاعر العداء ، وهى الاباء الذى ذهب به هو أيضا الى مواطن الشر فى موضع أخر من القصيدة حيث قال :

... ...
وشر مواطن الحسب الاباء

★★★

وفى قصيدة زهير تجربة ثالثة ليست هى المنع الصريح ولا هى الاباء الملمع بفوز ، وإنما هى " الوجدان " الصريح . وهذه هى تجربة الخمر التى يجد شاربها ما يشاء :

وقد اغدو على شرب كرام
نشاوى واجدين لما نشاء

وينبغي لك ان تتامل لفظ " واجدين " كثيرا ، فهو اهم لفظ في تجربة الخمر في قصيدة زهير . واهميته تاتي من خلال الأفكار السابقة عن المطالبة والاباء .

هذه التجارب الثلاثة اراد زهير أن يجعلها مقاطع " الحقيقة " **وان يناظر بها قوله :**

فان الحق مقطعه ثلاث
يمين او نفار او جلاء

فالجلاء أن يظهر الحق ظهورا ساطعا لايحتاج الى دليل . والنفار أن يتنافر الخصمان الى حكم بينهم ، فيلبس الحق لباس التردد بينهم وبين سواهم ، هنا مرة وهناك مرة الى أن يبرح الخفاء . أما اليمين فهو فى ظنى إلواء بالحق ، فإنك قد تحلف على الكذب ، فهم يحلفون على براءتهم ثم يلوون بالحق ويخفونه ويأبون الاستجابه الى " مايطالبون " به . وهذه هى المقاطع الظاهرة فى تخييره القوم بين ثلاثة أمور :

إما أن يقولوا نحن براء مما تنسبون الينا ـ وهم فى حقيقة الأمر ليسوا كذلك :

وإما ان يقول بنو مصاد
إليكم . إننا قـوم بـراء

وإما أن يظهروا إباء ، وهذا شر مواطن الحسب لأنه يستخرج الحق منهم بالطريقة المناسبة وهنا إشارة الى الحرب :

وإما أن يقولوا قد ابينا
وشر مواطن الحسب الاباء

او يقولوا قد وفينا وتلك عادتنا .

وإما ان يقولوا قد وفينا

بذمتنا وعادتنا الوفاء

وانت تستطيع ان تقرا بيتى زهير فى هجاء آل حصن فى ضوء تجربة البحث عن الحقيقة .

وما ادرى وسوف ـ إخــال ـ ادرى

اقــوم آل حصن ام نســاء

فإن كـــن النساء مخبــات

فحــق لكل محصنـــة هداء

لتتجلى لك المعانى على نحو مختلف ، فإن الاستفهام ها هنا ليس إلا استفهاما حقيقيا يعبر عن حيرة الشاعر حيرة مطلقة ، فإنه لايعرف علامة يحكم بها على هؤلاء الناس .

فهي حيرة طفولية كحيرة الفيلسوف ، فلو كانوا رجالا لفعلوا فعل الرجال ، ولكنهم ليسوا نساء ولو كانوا كذلك لوجب ان يزفوا كما تزف كل امراة . ولو قد فعل ذلك لتبين للشاعر الحقيقة ، وانجلت عنه العماية وهو قد علق ذلك على ماتاتى به الايام من افعالهم وحينئذ يعرف الاجابة . إن زهيرا لا يهجو بل يقول : إن هؤلاء القوم ليسوا نساء وآية ذلك ان النساء تزف الى ازواجهن . ولو قال زهير : فلو كن النساء مخبات . لحق .. الخ ، لاجرى الكلام على وجهه ، إلا ان الشعراء يتسعون فى وجوه التعبير لوجوه من الدلالات ولو كان هذا هجاء مقذعا ، ولجر إلى غير ماجر اليه من التصالح بين القوم ، فنحن نعرف انه لما بلغهم قول زهير بعثوا اليه بالابل وارسلوا اليه يخبرونه خبر صاحبه ويعتذرون اليه ولاموه على مافرط منه

وتلخيص القصة ـ كما جاء فى شرح القصيدة ـ ان رجلا من بنى عبد الله ابن غطفان وكانوا حلفاء لزهير بن ابى سلمى ، او كان هو حليفا لهم ـ نزل فى هؤلاء القوم الذين جاء ذكرهم فى قصيدة زهير فاكرموه واحسنوا جواره وواسوه ، وكان رجلا مولعا بالقمار فنهوه عن ذلك فابى إلا المقامرة . فقمر ـ أى خسر ـ مرة ، فردوا عليه ماله ، ثم قمر اخرى فردوا عليه ، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه ، فرحل من عندهم وشكا ماصنع به الى زهير ، وهناك رواية اخرى للقصة رواها الاعلم فى شرحه للقصيدة .

وفى نهاية كلامنا نقول إن الشعر إنما تثريه التحليلات المختلفة والرؤى الجديدة وقصيدة زهير مازالت تحتمل كثيرا من التحليلات التى تجعلها اكثر اشراقا واكثر نبضا بالمعانى ومن الممكن ان تقدم تحليلات اخرى لقصيدة زهير تدعم هذا التحليل ولكن من جهات اخرى .

وفى ظنى ان الثقافة الجاهلية مازالت ميدانا بكرا . ومن اجل ذلك كنا فى حاجة ملحة الى تلك الجهود التى تكشف النقاب عن طبيعة العمل الفنى فى شعر الشعراء ، فهذا هو المجال الذى يمكن اكتشف من خلاله عن طبيعة الثقافة الجاهلية

● أردت .. ولكن !! ●



وقلت اريد الحياة جديدة
حياة صحيحة ..
يغرد فيها ربيع الأغاني
وتثمر فى ضفتيها الأماني
ويضحك فى الشفتين المطر
فقالوا : تطلب اذن وانتظر !!
وقلت اريد السماء جميلة
سنين طويلة ..
فلا السحب تسكن احضانها
ولا الليل يقتل احلامها
ولا الناس تزرع فيها الخطر
فقالوا : تطلب اذن وانتظر !!
وقلت اريد انتصار الامان
بكل مكان ..
فلا القيد يخرس فينا الكلام
ولا السجن يجلد فينا السلام
فقالوا : أردت صعود القمر
تطلب .. تطلب اذن وانتظر

محمد اسماعيل مرسال
قويسنا



● النثر الفنى ●

ارسلت الى « الهلال » مقالة صدرتهـا بعبارة « من النثر الفنى » لكن محرر الباب الجليل فى زحمة الردود ، وضياع الحدود ظن ان مرسل الخاطرة من اولئك الناشئين الذين يريدون حب الظهور ولو بمواقع الخسوف !! بيد انى اردت بها كتبت النثر المحض الذى يعلو على شعر التفعيلة ويرقى الى الصنعة العربيـة ناهيك اعتراف سلفا بعدم قول الشعر !!

وبكل اسف سأترك الرد على ما يكتب ضدى فى شئونى الفكرية ما هو اجـل واول وعلى عهد ان ادافع عن نفسى وابرد موقفى لهؤلاء الذين افسدوا حياتنـا الثقافية بالاقطاع الفكرى والتسلط الوظيفى والانتماء المشبوه !! ولله در القائل :

قـوم نصـيحتهم غش وحبهم بغـض ونفعهم آن حرفوا ضرر
يميز البغض فى الالفاظ ان لفظـوا ويعرف الحقد فى الالحاظ . ان نظروا
ان يحـرق القـلب نفث من مقالهم فانمـا ذاك من نـار القـلب شرر

عبد الجواد محمد الخضرى ـ شربين

● تعليق ●

ـ اجتزانا من خطابك الغاضـب هذه السطور ، ولكنا لاندرى ماذا اغضبك .. فانت تسمى كلامك نثرا فنيا ، ونحن لم ننكر ذلك ، فكل كتـابة ادبية يمكن ان

تسمى كذلك ، غير اننا اعتذرنا من عدم اتساع المجال لهذا اللون فى هذه المجلة ، وهو عذر كنا نظن انكم تقبلونه .

● أنت ●

● الى الشاعر رضا ابراهيم عبد المعطى ــ ميت الحلوج ــ دكرنس :

ــ قصيدتكم التى عنوانها « أنت » التى تقول فى بدايتها : « أنت والنور الذى يزهو رويدا » .. لم نستطع قراءتها لغموض الخط ، نرجو ان تكتب إلينا بخط واضح او على الآلة الكاتبة ، وفى وجه واحد من الورقة ..

● النقد والهدم ●

● طالعت مجلتكم الغراء « الهلال » وعلى وجه الخصوص باب « أنت والهلال » ثم « حوار مع الاصدقاء » كى اعرف راى سيادتكم فى قصيدتى « تمزقنا » لوجدت الآتى : اولا الاسم مكتوب خطأ « مصطفى ابو كحيلة » والصح هو « مصطفى ابو كحله » .

ثانيا كان الرد «الاوزان الصحيحة ليست كافية لاجازة نشر القصيدة فلابد من ان يكون فى الشعر رائحة الشعر ولو من بعيد .. فاذا كان ما كتبته انا بعيدا عن الشعر كما تقولون لتحت أى لون من الوان الادب تضمونه الاوزان والحمد لله موجودة ــ الاخطاء النحوية واللغوية لا يوجد الموضوع موجود والهدف منه واضح ومحدد وفى نهاية القصيدة وضعت الحل والعلاج الامثل لحل المشكلات التى سردتها فى القصيدة ..

★ فبالله عليكم الم تقابلكم فى القصيدة ولو استعارة واحدة أن ما تكتبونه فى باب حوار مع الاصدقاء ليس من اجل النقد البناء ولكن الهدم من اجل الهدم .. اتقوا الله فيما تكتبون ولنا الله فيما تكتب .

مصطفى ابو كحلة
كفر الزيات

● تعليق :

ــ نعم يا عزيزى .. ان الشعر ليس مجرد اوزان صحيحة ولغة سليمة ، واذا كنت لا توافق على ذلك فهذا رايك لانتازعك فيه .. ونحن مع الادباء والشعراء فى هذا الباب نحاول البناء لا الهدم ، الا انبعض الفضلاء يرون انفسهم فوق الحوار وفوق النقد ، ومعذرة من الخطأ الذى وقع فى اسمك ، وها نحن اولاء نتشره على صحته .

انتدى الهلال

● تصويب ●

وقع خطأ مطبعي في قصيدة أوسكار وايلد ، التي ترجمتها قديما للمقتطف ، ونقلتها « الهلال » في عدد أغسطس الفائت ، حيث وردت كلمة « الغريب » في ثلاثة مواضع « طبعة » الهلال ، وصححتها في المواضع الثلاثة « الضريب » ، بالضاد ومعناها الثلج .

محمود محمد شاكر

● حرارة الصيف في قنا

● لم تنشروا قصيدتي التي تحدثت فيها عن حرارة الصيف في مدينة « قنا » على أساس ان أبياتي تحدثت عن قنا باعتبارها منفى للموظفين لتعذيبهم بحرارتها ، وهذا ما اعتبرتموه امرا عفاء الزمان ، وفكرة قديمة جدا .. وهذه الفكرة لم ترد بتاتا في النص كما اني لست موظفا منفيا الى قنا - كحفني ناصف - ولكني اشكو القيم في قنا مع اسرتي واقاربي منذ اجيال ، والامر لا يعدو ان يكون تعبيرا عن احساس بواقع .. ولو كنت معنا في قنا واكتويت بنار حرها لغيرت من رايك ولعذرتنا .. اما طلاب الرزق بالخليج فقد ذهبوا الى تلك البلاد طواعية ، ليطلبوا ثراء فكان عليهم أن يدفعوا الثمن المناسب .. واما نحن القنويين فضحايا سكنى اجدادنا لهذا البلد، وعلى هذا الاساس عاتبت جدى رحمه الله ! ..

ان الدعوة الى عدم القول في موضوعات قيل فيها من قبل ، هي في الحقيقة دعوة الى توقف الحياة الادبية ، فلكل تصور واحساس وتعبير ، والناس منذ القدم يشكون الزمن وجوره فهل يتوقف الاخرون عن الشكوى ؟!

وواضح انكم لن تنشروا هذا الرد - وهذا شان معظم المحررين - يحبون ان تكون كلمتهم هي الاخيرة . وغفر الله لكم حدة كلماتكم .

احمد قاسم احمد
مدير الثانوى بمديرية تعليم قنا

● تعليق :

- لم نستطع لضيق المقام نشر رسالتكم كلها ، ولكن هذه زبدتها واهم ما فيها .. ومن الواضح لنا انكم متمكنون في العربية علومها وآدابها ، واما قصيدتكم عن حرارة الصيف في مدينة قنا ، فكانت ملاحظتنا عنها انها تذكرنا بقصيدة حفني ناصف الظريفة التي يقول فيها غارقا في البديع الذي تعرفونه : « قالوا قنا حر قلت .. وهل يرد الحر قنا .. وليس في قصيدة حفني ناصف - في الحقيقة - هجاء لقنا ، بل مداعبة ، اما قصيدتكم ففيها تبرم واضح وسخط حقيقى ، وهذا ما ادهشنا من قنائي او « قنوى » مثلك . ورحم الله استاذنا الشيخ عبد الله حسين الذى كان آخر مدرس اللغة العربية المعممين ، وكان مدرسا لنا في السنة

الخامسة الثانوية بمدرسة قنا الاميرية ـ التي علمت أنهم اغتصبوا مبناها الرائع وحولوه الى كلية ـ فقد كان يصر على ان تقول : « عبد الرحيم القنـــوى » بدلا من القول الشائع « عبد الرحيم القنائي » ..

لقد عشت فى قنا خمس سنوات بين ١٩٣٧ و ١٩٤٢ طالبا بمدرستها فاشهد انها كانت ألطف المدن ، مع ان شهرتهـا كانت حينذاك انها مدينة « العقارب » .. واشهد ان جوها احسن الاجـواء شتاء وربيعا وخريفا ، أما فى الصيف فهـو الطف الاجواء ليلا .. وليست حرارة قنا أسوا من حرارة القاهرة التى قال فيهـا اديب كبير اظنه المرحوم محمد اسعاف النشاشيبي أديب فلسطين ـ رحمه الله :

ايها الســائلون عنا بمصر كيف نضحى بها وكيف نبيت
نحن في هذه المدينة نحيـا حين نمسي وفي النهـار نموت

وخلاصة القول ان التبرم بالجـو الحـار احساس طبيعى ، ولكن قنا مظلومة بالشهرة فيه كشهرة سيبيريا بالجو الشديد البرودة، غير ان سيبيريا تجد من اهلها من يملؤها عملا وتعميرا .. ولك يا عزيزى تحيـات قنائي او قنوى مثلك ! ..

● ملاحظات على الأشواك ●

● يقول د. شكرى محمد عياد فى مقالته القيمة : « الديك المترب » : « حسبنا الآن ان نزرع، ما نأكله ونصنع ماستهلكه! فنحن مكتربون فى عالم ، لا نملكه » ـ هل لى ان اقول ، رايى ـ لماذا هذه الاستكانة .. والضـعف ونحن الذين ، عبرنا المستحيل فى اكتوبر الخالد . فى الناحية الاقتصادية ، الســياحة فى مصر منجم ذهب ومع ذلك تكسب البلاد التى فى مرتبة اقل منا اضـعاف اضعاف ما تكسبه فلماذا ؟! لم مصر تعتبر جزيرة تحيط بهـا المياه من جميع النواحى فتحدها البحـر الابيض والاحمر والنيل العظيم وبحيرة ناصر .. وهنا يبرز ســؤال اين ثروتنا السمكية لتاخذ بيـدنا فى هذه الفترة .. لم فى يدنا الضعف ، والقوة فايهمـا نختار ؟! ـ وختاما ، فى بابنا العـــزيز : « انت .. والهلال » وتحت عنوان « حوار مع الاصـــدقاء » كتب : « .. بعيدا عن القصص القصيرة جدا التى تتمـــحكم بالا تشغلوا انفسكم ، بهـا .. » ـ ولكنى لن اياس لانى تعلمت الامـل من مجلتنـا المحبـوبة : « الهـلال » ، القراء ـ « عصفورة » ـ قصة قصيرة جدا :

* * *

دخلت حجرتى فوجدت ، عصفورة تتعارك مع صورتها فى المرآة .. لم لم تلبث ، ان يئست وخرجت من النافذة .. وتبعتها بنظرى وانا اضحك ، من صغر عقلها لم استغرب ورأيت صورتى فى المرآة فقلت لنفسى : الا يحدث احيانا ان يتصرف ، الانسان بعقل اصغر من عقل العصفورة ؟! ـ هل هناك تقدم ؟..

عاصم فريد البرقوقى
الاسكندرية

• حوار مع الأصدقاء •

● احمد محمود كرار ـ الموظف المؤقت بادارة المطابع :
ـ تقول في قصيدتك التي عنوانها « مصر أمي » :

في حبك انت يا مصر
فيافة كحب الرمال
وانت في حلق السماء
بدرا خلقت له الابصار

وهذا ياعزيزي نثر لا شعر ، لانه خال من الوزن ، فضلا عن الاغلاط النحوية التي تكثر في القصيدة ..

● عبد الله السعطي ـ اداب عين شمس:
ـ انتم وصلتم الى مرحلة اقامة الاوزان الصحيحة ، وبقيت امامكم مرحلة اجادة التعبير الشعري ، لان الشعر ليس مجرد أوزان صحيحة .

● شحاته فرحود :
ـ قصيدتاك الزجليتان لا تصلحان للنشر في الهلال ، لاننا ننشر الشعر العربي فقط حتى يفهمه كل من يعرف اللغة القومية ـ وهي اللغة الفصحى ـ في جميع الاقطار العربية .. حاول ان تنشر ازجالك في مجلة اسبوعية أو جريدة يومية ..

● محمد العالش التونسي ـ تونس:
ـ نشكركم على حسن ظنكم بالهلال ، ونحن نحاول بقدر الامكان استكتاب ادباء وشعراء من البلدان العربية الشقيقة .. وننشر لك آلت بالثلاث من وقت الى آخر .

● عبد الرحيم المانح :
ـ قصيدتك في هذه المرة اقل من مستوى قصائدك السابقة التي نشرناها .. خمطرة ! ..

● احمد صبري ـ مشتول القاضي ـ الزقازيق :
ـ قصيدتك « أيمان » .. تقول فيها:

جف النوم وانبع بي حلم
قد عاش يواسي اجفاني
القرب يزيد باشواقي
والبعد يزيد بأدمعاني
فحرق في هواه احيا اسقي
مر في كأس حاني ..

وهذا الكلام خليط من الاوزان الصحيحة، وغير الصحيحة ، والاغلاط النحوية وغيرها .. ولم نفهم معنى الشطرة الاولى من هذا الكلام ، وهي غير موزونة ..

● عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ أوسيم :
ـ قصيدتكم التي عنوانها « مصر القلب العروبة » صحيحة الاوزان ، ما عدا قولكم:

فيا أبناء قومي هذا صوتي
اذا دام الفراق مابقينا
جميع العرب ان يدنوا كجسم
ومصر القلب ان يحيا حيينا ..

فالشطران الاول والثانى مكسوران. وتستطيع ان تراجع تفعيلات بحر «الوافر» وتقطيعها ، وان كنت لا اومن بهذه الطريقة الحسابية واقول دائما : اذا لم تكن موسيقى الاوزان فى طبع الشاعر ، فلا فائدة فيه ولا فى شعره ..واماالشطران الثالث والرابع فيعيب الرابع الخطأ النحوى فى قولك : « ان يحيا » فالفعل المضارع هنا مجزوم ولا تبيح الضرورة عدم جزمه ..

● اشرف مناع ــ حقوق الزقازيق :

ــ قصيدتك تقول فيها :



دارت السنوات حول
ولاذ بالفجر السكون
نزف القلب دماء
وكثر دمع العيون
وكيف لا ؟ ..
وانت كالقيد لعمر
لعشق الهجر .. تكون
كالاعداء أصبحت جانى
كيفما لا يرحمون ! ..
لجئت « بجهلا » تودع
« تمزق » الحب بخلدى
تحطم قلبى الحنون
آه .. قل بربك من تكون

هذا يابنى خليط من الالفاظ المحشوة واللغوية ولا وزن فى الكلام الا فى شطرتين او ثلاث فى القصيدة التى لم نستطع نقلها كلها هنا .. ولا ندرى كيف تقول « بجهلا » فتجعل ما بعد حرف الجر منصوبا .. وكيف تكتب كلمة « تمزق » بالذال وهى بالزاى ؟! ..

يابنى .. تعلم اللغة والادب قبل ان تنتدب نفسك لقول الشعر ونشره فى الصحف .. هذا نداء اليك والى كل الشبان الذين يتصدون للشعر بغير سلاح ! ..

● سعيد بكر ــ الاسكندرية :

ــ قصيدتك « يا نهر » .. تنقصها الاوزان؛ ، وفيها الفاظ نحوية كقولك : « يانهر هال مالك قد اسن » .. والحقيقة ان القصيدة من اولها الى آخرها نثر لا اثر فيه لاى وزن ! ..

● فتحية سعيد على .. السيد ابراهيم عطية .. رمضان الهجرسى .. رجب عبد الشافى :

نعتذر اليكم من ضيق المجال عن نشر قصصكم ونشكركم ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .



اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنس
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			

الهلال

■ العبور.. حرب المفاجآت

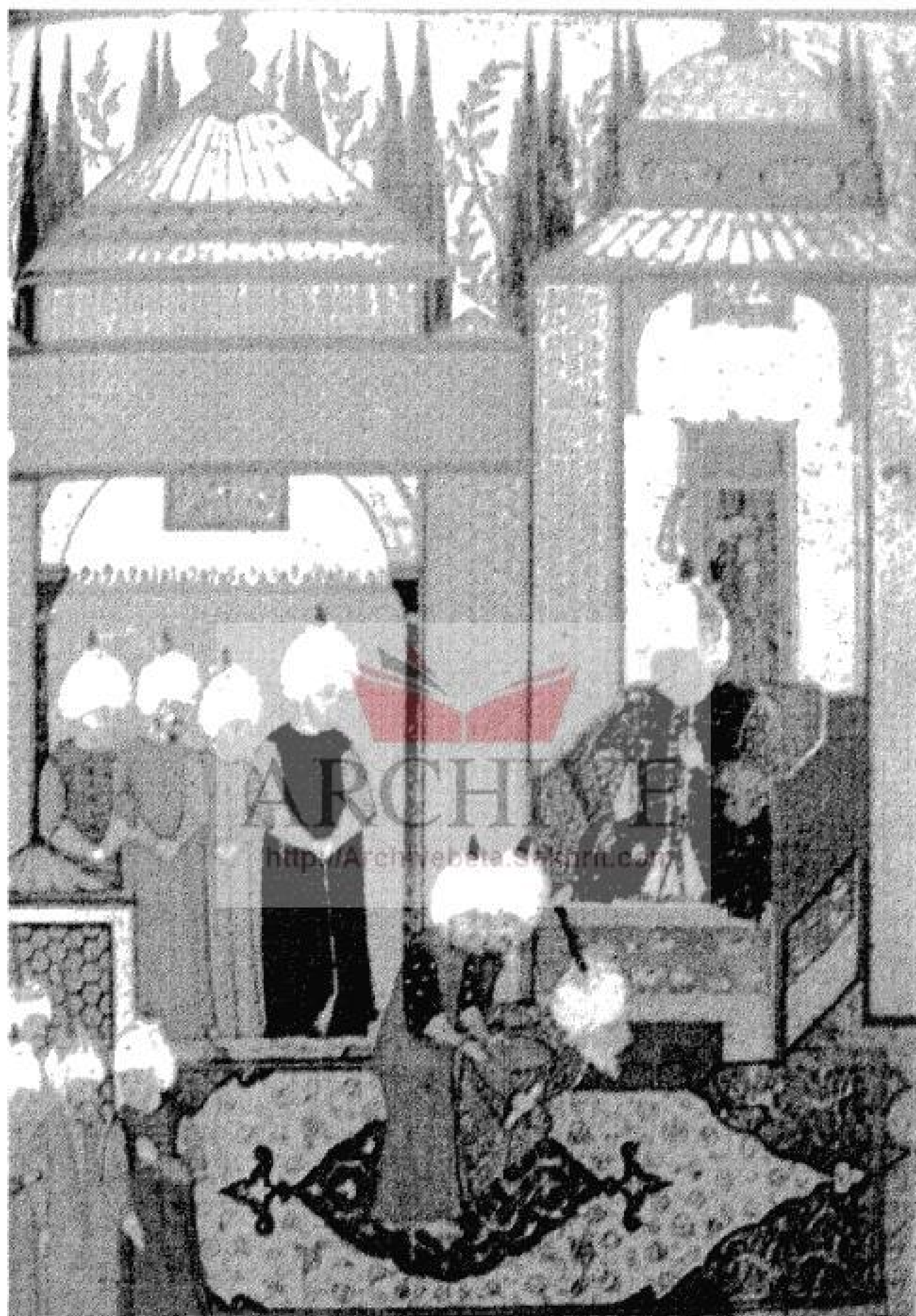
بقلم: المشير محمد الجمسى

■ المثقفون و السلطة

د. أحمد كمال أبو المجد

القهوة والمقهى فى الشرق





من روائع الفن الإسلامى

احدى اللوحات المحفوظة فى متحف قصر طوب كابى باسطنبول ، وتمثل السلطان سليم الثانى أثناء استقباله لاحد السفراء الاجانب قام برسم اللوحة احمد فردون باشا .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ، اول اكتوبر سنة ١٩٨٦ م ، ٢٧ محرم - سنة ١٤٠٧ هـ



الغـلاف : للفنان
حلمـى التـونـى

في هذا العدد

□ فكر وثقافة □

ص

● رسائل صحفية فنية ●

● قصة وشعر ●

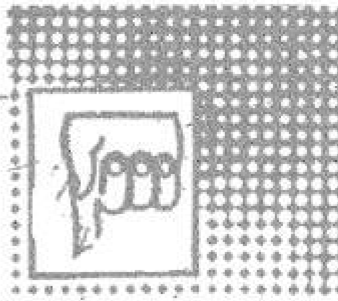
● علوم ●

● شخصية العدد ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

● القفز على الأشواك :



مسألة الجمارك.. ومسألة الأحبار



من الطبيعى أن تحاول الدولة منع السيل الجارف من الواردات السلعية الطفيلية التى تدخل بلادنا بتحويل عملة ، أو بدون تحويل عملة .. فإذا لم تستطع الدولة صد هذا السيل الجارف ، فلا أقل من أن تحاول كبح جماحه وحماية الاقتصاد القومى من أخطاره ، وبخاصة بعد أن صارت الأزمة الاقتصادية شبحا واضح الملامح فى عيون الجميع ..

لهذا لقيت القرارات الاقتصادية التى صدرت أخيرا ، تأييدا ظاهرا من الجماهير التى لا مصلحة لها فى اغراق البلاد بالبضائع الترفية التى لايخطر بعضها على بال أحد ، مثل لحم الطاووس ، والحساء المجمد ، وشحم الخنزير وأشياء أخرى عجيبة !

ولكن الذين طالعوا القرارات الاقتصادية أو سمعوا بها توقفوا عند بعض الأمور ، ومن أبرزها فى رأينا نحن المشتغلين بالصحافة منع استيراد الأحبار الطباعية أسوة بمنع استيراد الأحبار العادية التى تملأ منها خزانات أقلام الجيب !

إن القرار ينص على منع استيراد « حبر الكتابة ، وحبر الطباعة ، وأصناف الحبر الأخرى ، وحبر الرسم العادى ».

وذلك هو البند الثامن والخمسون من الفصل الثانى والثلاثين من القرارات الاقتصادية .. وهذا الفصل يشمل محضرات عطور ومياه مقطرة عطرية وأنواعا من الصابون ومحضرات تلميع ومعاجين للأثاث والأرضيات والمعادن ..

ويمكن أن يقال إن منع استيراد أحبار الأقلام العادية ، لن يحدث ضررا لأحد ممن يقرأون ويكتبون ، ومن المشتغلين بالأدب والصحافة ، ومن المدرسين والطلاب وسائر المواطنين ..

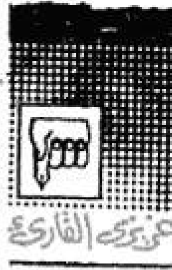
ولكن منع استيراد أحبار الطباعة يضرب صناعة الصحافة المصرية ضربة لا تطيقها ، ولا داعى لها ، لأن صناعة الأحبار الطباعية المصرية لم تستطع بعد أن تلبى احتياجات المطابع ، لا فى النوع ولا فى الكمية . وهذا ما لا ينكره حتى القائمون على صناعة هذه الأحبار .

وسينجم عن منع الأحبار الأجنبية الجيدة تدهور فى الطباعة المصرية كلها ، وبخاصة فى الصحافة ، وسيزداد عدد الكتب والمطبوعات التى تفضل مطابع قبرص - مثلا - على مطابع القاهرة .

إن الواقعية كانت تقتضى التريث فى منع هذه المادة الضرورية التى لايوجد عندنا مثيل لها .. والبديل الموجود لايصلح مع الأسف ، وسيزيده اشتداد الطلب عليه ، عدم صلاحية وعجزا عن تلبية احتياجات الطباعة المصرية .. وهذا بدوره سوف يزيد الطباعة المصرية تدهورا وتخلفا عن مثيلتها فى قبرص ودول الخليج الناشئة فى هذه الصناعة .. ولا نظن أن الذين وضعوا أحبار الطباعة فى قائمة الممنوعات كانوا يقصدون الوصول إلى هذه الأهداف الضارة بصناعة الطبع والنشر فى مصر .

ويكتمل « بند الأحبار » بالبند الذى يليه وهو بند المطبوعات المستوردة .. ولعله من أعجب البنود « الاقتصادية »

والمطبوعات المستوردة تشمل جميع الصحف وجميع الكتب وكل ما هو صادر عن مطبعة كبيرة أو صغيرة فى أى ركن من أركان العالم بأية لغة من اللغات !



وبند المطبوعات لايمنع استيرادها .. بل يكتفي بزيادة جماركها أضعافا .. بحيث يصبح ثمن المجلة مائة قرش بدلا من عشرين قرشا .. مثلا ..! ومعنى ذلك أن تخلو اكشاك الصحف عندنا من الصحف الأوروبية والأمريكية ، فضلا عن العربية .. وقد بدأ الناس يلاحظون انكماش مايعرضه باعة الصحف من مجلات مستوردة ، عربية وغير عربية .. وسوف يزداد المعروض من هذه الصحف انكماشا على مر الأيام ..

وقد نستطيع بطريقة من الطرق أن نفهم بند الأحبار . ولكننا لن نستطيع بأية طريقة أن نفهم هذا البند المتعلق بزيادة الجمارك على الصحف الأجنبية والعربية هذه الزيادة الهائلة التي تجعل وصولها الى القارىء المصرى مستحيلا او شبه مستحيل !

هل الصحف والمجلات بضاعة ترفيه كلحم الطاووس ، والعطور ، والمياه المقطرة ؟!

هل يمكن اغلاق بلد من البلاد على مطبوعاته الخاصة .. فلا يقرأ شيئا من مطبوعات البلاد المجاورة أو البلاد البعيدة ؟

وماهي الفائدة المادية التي ستدخل خزانة الدولة من وراء هذه الخطوة غير المفهومة ؟!

ستمتنع الصحف عن الورود الينا .. ولن يدخل خزانتنا قرش واحد من وراء البند العجيب الذى كان السبب في منعها !..

وماذا يحدث اذا عاملتنا الدول العربية والأجنبية بالمثل فمنعت مطبوعاتنا ، وفرضت عليها جمارك باهظة تعجزها عن دخول أى بلد عربي او أجنبي ؟!..

أنكون عندئذ قد استفدنا وملأنا خزائننا من بند المطبوعات السالف الذكر ، أم نكون قد فعلنا عكس ما أردنا أن نفعل ؟!..

ويتصل بهذا قرار عجيب ، هو منع الكتب المصرية من التصدير الى الخارج إلا بعد عرضها على لجنة تجيز تصديرها او تمنعه ! ما الحكمة هنا ؟!..

إن الكتب المصـرية تقرأ في مصـر ، ولا رقابة عليها ، فما الحكمة في منع قراءتها خارج مصـر ؟!.. هل نخاف على مشاعر القارىء العربي أو غير العربي من قراءة كتب قرأناها نحن ولم نخش منها شيئا على مشاعرنا أو على عقولنا ؟!

هذا قرار غير مفهوم ، ولاثمرة له إلا المزيد من الكساد للكتاب المصـرى بعد أن سمعنا مرارا وتكرارا من كافة المسئولين عن الكتاب أن جميع العوائق سوف يتم استبعادها عن طريق تصديره وتسويقه !..

إن النتيجة المؤكدة فى هذا هى أن تتلقف المطابع خارج مصـر ، جميع الكتب المصـرية ذات المستوى ، فتصورها وتطبعها وتوزعها لحسابها وتكسب من ورائها ماتشاء ، بينما يقبع مؤلفوها وطابعوهاوناشروها فى مصـر عاجزين عن اتخاذ أى اجراء يمنع تزويد كتبهم واستباحتها !..

أفهذا مانريد أن نبلغه من وراء لجنة تصدير الكتب الموقرة ؟!

إن صناعة الطباعة المصـرية بفروعها المتنوعة تمر بأزمة شديدة ، وكنا نأمل أن تأخذ القرارات الاقتصادية بين هذه الصناعة المكافحة التى تحمل اسم الوطن الى كل بلد عربى وغير عربى ، ولكن يبدو أن صناعة الاحبار أهم كثيرا من صناعة الطباعة والنشر نفسها .. وأن المطلوب هو ازدهار صناعة الاحبار ، وليس ازدهار صناعة الطبع والنشر !.. وليت صناعة الاحبار تستطيع أن تزدهر !..

أما مضاعفة الجمارك على المطبوعات العربية والأجنبية فهو أول قرار من نوعه صدر فى مصـر منذ عرفت أول مطبعة عربية فى عهد نابليون بونابرت ، أو عهد محمد على باشا على الاقل !.. وهو مخالف لكل معانى الانفتاح الثقافى والانفتاح الاقتصادى .

ولانريد أن نقول إن تصدير الكتب المصـرية من خلال « لجنة » هو ثالثة الأثافى ، فلسنا نحب استعمال التعبيرات القديمة ، ولكنا نريد أن نقول إنه لاتوجد كتب ذات مستوى رفيع يمكن أن تمنعها لجنة أو تسمح بها لجنة ! وستكون هذه اللجنة سببا فى ازدهار حركة الطبع والنشر فى بيروت وقبرص وسنغافورة !..

وبعـد ...

فنحن نأمل ونطلب اعادة النظر فى كل هذه الأمور التى تحار فيها الأنظار !! وحسبك منها مسألة جمارك المطبوعات ومسألة الأحبار !

« المحـرر »

المثقفون والسلطة

بقلم : د. أحمد كمال أبو المجد

فى منطق العقل وبداهة الأشياء . أن الناس يحتاجون الى « السلطان » كما يحتاجون الى « العلماء » .. وانهم يكونون اسعد ما يكونون . واوفر نصيبا من الخير والصلاح حين يلتقى فى حياتهم عزم السلطان وعدله بحكمة العلماء وعلمهم .

وفى تراثنا . ان اصحاب الحكم والسلطان مسئولـون امام اللـه عما استرعاهم من امر الناس .. وان العلماء - كذلك - مسئولون امامه عما حملهم من امانة البحث عن الحقيقة ونشرها بين الناس وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : ان الامام الذى على الناس راع ومسئول عن رعيته .. وفيها ايضا ان العلماء ورثة الأنبياء وان مدادهم يوزن يوم القيامة بدم الشهداء .

وفى تاريخ الانسان الثابت والموثق ان الصالحين من الحكام كانوا لا يبرمون امرا ولا ينقضوه الا اذا استرشدوا بعلم العلماء ورأى اهل الرأى وأصحاب التجربة .

● نور العلم ●

وفى الزمن القديم السحيق يحدثنا القرآن الكريم عن ثمرة التعاون بين اهل " العلم " وأصحاب « السلطان " حين يروى لنا قصة سليمان وملكة سبأ ..

فيقول : « قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى » .. ويروى لنا على الجانب الآخر من القصة ـ ان ملكة سبأ وقد كانت وقومها كما يقول القرآن « يسجدون للشمس من دون الله » كانت تحرص هى الأخرى على أن يكون قرارها مستنيرا بنور العلم ، مهتديا بنصيحة العلماء : " قالت يا أيها الملأ افتونى فى امرى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون " والملأ هم خاصة القوم واهل الراى والمكانة فيهم وفى تراثنا الاسلامى ـ بعد ذلك كله إشارات واضحة بالدعوة الصريحة وبالتقرير الذى يستفاد منه الرضا والاستحسان ـ الى ضرورة تعاون العلماء والحكام .. فأبوبكر رضى الله عنه كان إذا عرض له أمر جمع رءوس الناس وخيارهم قال " اشيروا علىّ ايها الناس " وعلى رضى الله عنه يفسر العزم فى قوله تعالى : وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله .. بأنه مشاورة اهل الراى ثم اتباعهم .

هذا كله لاخلاف حوله ولامماراة ـ من احد فيه ..

ولكن هل سار التاريخ على هذا النحو من التعاون الهادىء بين الطائفتين وهل اتسعت صدور الحكام لنصائح العلماء .. وهل تجاسر العلماء ـ دائما ـ على بذل النصيحة وقول الحق واعلانه بين يدى السلطان ؟؟

● صدام ومواجهة ●

تقول شهادة التاريخ فى ذلك إن السلطة كثيرا ماتكون مفسدة وإن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة ، وإن اكثر الناس ينسون الحكمة الخالدة عن السلطة وانها " لودامت لغيرك ماوصلت اليك " وان مقاعد الحكم تصور لكثير منهم ان لهم على الناس حق الطاعة المطلقة ، وأنهم ـ بما يحملون من مسئولية وما يبذلون من جهد ـ جديرون بان يسلم الناس لهم قيادهم بغير مناقشة فلا راى بعد رأيهم ، ولاقرار الا قرارهم ، ولا وجهة للجماعة الا الوجهة التى يختارونها هم ، ويستحسنونها لهم .. وهى حالة يكشف عنها ويصورها أدق تصوير قول القرآن الكريم على لسان فرعون ، " ما اريكم إلا ما أرى و ماأهديكم إلا سبيل الرشاد " .. فهذا الفرعون لا يتصور لقومه حقا فى ان يكون لهم راى غير رأيه .. وهو من جانبه لا يطلعهم الا على مايراه هو . مقررا فى ثقة عجيبة أنه بهذا يهديهم سبيل الرشاد .. ويتكرر هذا الموقف ـ على اختلاف المرحلة وتباعد الزمان ـ حين يقول حاكم ينتسب للاسلام ولرعيته : من قال لى اتق الله بعد مقامى هذا ضربت عنقه .. ويتراجع الى الوراء ـ مع حركة التاريخ قول الذى قال لعمر وهو أمير للمؤمنين ، " والله ياعمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بهذا » ، ويشير إلى سيفه .. وتتكرر فى تاريخ أمتنا كما تكررت فى تاريخ الامم والشعوب .. مواقف الصدام والمواجهة بين السلطان والعلماء .. فنقرأ عن محنة أبى حنيفة مع الخليفة وما تعرض له من الأذى حين رفض تولى القضاء .. ونقرأ عن محنة احمد بن حنبل مع الخليفة العباسى المأمون حين أعلن فى مسألة خلق القرآن " رأيا يخالف رأى

المثقفون والسلطة

السلطان " .. كما نقرأ عن محنة ابن تيمية حين قال في امور فقهية اجتهادية اقوالا لا يرضى عنها علماء السلطان .. حتى سجن ومات مسجونا في قلعة دمشق عام ٦٢٨ هـ .. ذلك ، واكثر منه بكثير وقع في أوروبا حين اصطدمت اراء العلماء مع مصالح الحكام ، ملوكا كانوا او اباطرة او بابوات .. فسجن من سجن وشرد من شرد ، واثر الصمت وكتمان الحقيقة من عجز عن المواجهة وتحمل تبعات الصدام .

وتعاقبت حلقات التاريخ .. ولم تعد القضايا الفقهية او الفلسفية محورا لصراع يذكر او ازمات حقيقية في علاقة المثقف بالسلطة كما نقول هذه الايام .. وانما صارت القضايا السياسية والاجتماعية هي محور المد والجزر في علاقة المثقفين بالسلطة ..

ومع الثورات السياسية والاجتماعية الحديثة ، وتطور وظائف الدولة الحديثة دخلت العلاقة بين المثقفين و « الحكام » مرحلة جديدة حددتها بشكل اساسي متغيرات اربعة :

● ترغيب وترهيب ●

١ ـ ان الحكم في اكثر دول العالم لم يعد حكما « فرديا » خالصا تستقر فيه سلطة الامر والبت بين يدى حاكم فرد يرضى عن المثقفين فيامنون ، ويسخط عليهم فيخافون .. وانما صار « الحكم » مؤسسة او مجموعة من المؤسسات ، تراجع معها الى حد كبير الدور الشخصي للحكام .

٢ ـ ان مهمة الدولة الحديثة قد تعقدت الى درجة لم تكن تخطر على بال الحكام الاوائل .. وصار الهم الحقيقى الذى يواجه الحكومات المختلفة هو البحث عن حلول عملية للمشاكل المعقدة التى تواجه المجتمعات .. وبذلك عظم الاحساس بالحاجة الى « ترشيد » قرارات اجهزة الحكم .. كما عظمت المسئولية الملقاة على عاتق العلماء والمثقفين في المعاونة على هذا الترشيد .

٣ ـ إن وسائل الترغيب والترهيب التى يلجا إليها الحكام لمواجهة المثقفين او احتوائهم او إبعادهم عن طريقهم قد تعددت واتسع نطاقها .. فلم يعد الأمر مقصورا ـ على تقريب هذا من بلاط الحاكم .. او إبعاد ذلك او حرمانه من العطاء .. وانما صارت " مؤسسات الدولة " واجهزتها وتنظيماتها السياسية بؤرة جذب وإغراء شديدين لكثير من المثقفين تستهويهم للاقتراب منها او الارتباط بها ، والافادة من جاهها ومالها في الارتفاع بالمستوى الاجتماعي للمثقف وتامين حياته الخاصة والأسرية .. وهذا منزلق شديد الخطورة .. لأن خطواته الأولى تصل بصاحبها إلى نهاية الطريق .. فاذا به يتخلى ـ شيئا فشيئا ـ عن امانة الجهر بالحق واعلان الراى .. ثم إذا به ـ شيئا

فشيئا ـ يرى الامور كلها بعين السلطة ويزنها بميزانها .. ويفقد بذلك دوره في التنبيه الى الراى الآخر ، والقيام بحق العلم الذى تعلمه والحكمة التى اوتيها .. وكلما انزلق فريق من المثقفين إلى أن يكونوا جزءا من حاشية السلطان . وابواقا من ابواقه ، كلما تعرض فريق آخر منهم لمزيد من الضغط والترهيب .. وصار من اليسير اتهامهم بانهم يسرفون فى النقد ويشتدون فى المعارضة .. وان ولاءهم للحكم القائم ولاء منقوص .. وربما حيل بينهم وبين المشاركة بالراى ، وممارسة الاجتهاد وبذل النصيحة فحرموا بذلك حقا طبيعيا لهم ، وحرمت الجماعة من رأيهم وخبرتهم وثمرات علمهم واستغنت عن ذلك كله بموافقة الموافقين ، وتاييد الممالئين ، ممن لايخلصون نصيحة ولا يجهرون براى .

● سلطة الفرد الواحد ●

ان الحقائق المقدمة تاخذ فى عالمنا العربى المعاصر صورة ازمة حقيقية تحتاج إلى مواجهة عاجلة .. وذلك لسببين رئيسين :

أولهما : ان نظم الحكم فى الكثرة الغالبة من الدول العربية لاتزال ـ فى جوهرها ـ نظما فردية رغم الواجهات الدستورية التى تنسبها الى الديمقراطية .. ومعنى هذا ـ من الناحية العملية ان سلطة البت والتقرير فى كبريات المسائل السياسية والاجتماعية تستقر بين يدى فرد واحد ، تحيط به ـ فى احسن الفروض ـ حاشية محدودة العدد من الاعوان والمستشارين .. وهذه الصيغة من شانها ان تجعل مصير الشعب كله معلقا بمدى الخطا والصواب فى القرارات الفردية التى تعالج بها الامور .. وفى ظل هذه الاوضاع كلها تشتد الحاجة الى اسهام المثقفين ومشاركتهم الحقيقية بالراى والاجتهاد والنصيحة .. وتشتد الحاجة تبعا لذلك الى خلق الظروف السياسية والاجتماعية التى تشجع المثقفين والعلماء على ممارسة هذا الدور .

ثانيهما : إن اسلوب اتخاذ القرار السياسى والاجتماعى ، بالاضافة الى فرديته لا يزال اسلوبا عشوائيا فى اغلب الاحيان ولايزال كثير من الحكام العرب غير مستوعبين تماما لطبيعة العصر ، ودقة المشاكل التى يتصدون لعلاجها .. ولا يزال بعضهم يتصور ان الفطنة الموروثة وسلامة النظر تكفيان لمواجهة اعقد المشاكل وتغنيان عن الدراسات المنهجية التى يقوم بها المتخصصون .. ولهذا قل ان تقوم الى جوارهم هيئات متخصصة للدراسة والبحث والمشورة مع ان هذه الهيئات والمراكز قد اصبحت جزءا اساسيا من جهاز « الفكر » الذى يرشد اكبر الحكومات واوفرها حظا من الكفاءات المتخصصة .

لقد كان لهاتين الظاهرتين آثار مؤسفة للغاية على مستوى كفاءة الحكم من ناحية وعلى موقف العلماء والمثقفين من « الحكم والسلطة » من ناحية أخرى :

المثقفون والسلطة

أ - فقد تراجعت كفاءة اكثر الحكومات العربية .. واعجزتها ضخامة المشاكل . وانتشر في كل مكان احساس بانها غير قادرة على الامساك بزمام الحوادث او ممارسة التخطيط الضروري لاخراج المجتمعات العربية من " عنق الزجاجة " الذى تمر به .. والوصول بها الى مرحلة الاقلاع الحضاري " التى بدت في وقت ما قريبة وعلى مرمى البصر ، ثم اذا بها تبتعد وتبتعد ، ولايكاد احد يراها او يتوقع حصولها فى الغد المنظور .. وتجاوز مظاهر هذا التراجع حدود الأوضاع الداخلية للمجتمعات العربية لتصل إلى قضايا واوضاع وثيقة الصلة باستقلال تلك الدول وسيادتها وسط اطماع دولية تحيط بها من كل جانب وتهدد امنها في صميمه ، وتوشك ان تردها إلى حالة من الهوان والتبعية والتخلف تتسع معها الفجوة بينها وبين العالم المتقدم .

● إحباط .. وتحذير ! ●

ب - ونتيجة لذلك كله تصاعد إحساس المثقفين بالأزمة واشتد شعورهم بالاحباط وساء ظنهم بالحكام .. وارتفعت اصوات بعضهم محذرة ومنذرة .. وداعية في حدة وشدة احيانا - الى ضرورة تغيير اسلوب الحكم وضرورة تخليه عن عشوائيته وبدائيته ووجوب استعانته باهل الخبرة والعلم ، القادرين وحدهم على ترشيد مسيرة العمل الوطني .. وانقاذها من عثرات قد تدفع بها الى كارثة يفوق حجمها كل تصورات العاجزين عن مد أبصارهم وراء الحدود الضيقة لاهتماماتهم المحلية الخالصة .

وقد كان الحكام جديرين بان يحسنوا استقبال هذا النقد وان يرحبوا به وان تتسع صدورهم لما قد يشوبه من حدة او مبالغة فى وصف النقائض والأفكار ولكن الاحساس بالأزمة ، والشعور بالضائقة جعل كثيرا من الحكام - ومن حولهم من بطانتهم يتصورون ان توجه النقد فى الساعات العصيبة مقامرة بالامن وتهديد للاستقرار ، ومدخل لاشاعة روح الياس والقنوط في وقت يحتاج معه الناس الى التفاؤل وبعث روح الامل ..

إن الطريق المسدود الذى وجد فيه المثقفون انفسهم قد دفع كثيرا منهم إلى صور من العزلة الحزينة .. ومن الاكتفاء بالشكوى والقناعة بترقب وقوع الكارثة .. وذلك - في ذاته - كارثة ، فالحكام يرفعون شعارات للتفاؤل ليس لها شاهد مقنع .. والمثقفون يرفعون شعارات التذكير بسوء الحال ويعلنون قرب وقوع الكارثة .

والجماهير التى هى اداة التغيير الحقيقي ، بالعمل والانتاج والابداع والارادة .. موزعة المشاعر ، تقتلها

الحيرة ، وتستغرقها الهموم ويزداد يأسها من الغد يوما بعد يوم .

والتراجع الشامل في مستوى الاداء العربي تتأكد مظاهره يوما بعد يوم ، ويتعامل معه الآخرون على انه حقيقة قائمة بينما اكثر نظم الحكم مشغولة بالتعتيم عليه ، والمكابرة في وجوده ، واصطناع تفاؤل كاذب قد يحول دون احساس الناس بحجم الأزمة في المدى القصير .. ولكنه يمهد الطريق لكوارث حقيقية في المدى البعيد ، الذي قد لا يكون في حقيقته بعيدا كما تتمنى اكثر النظم والحكومات .

فهل لهذا كله من مخرج ؟؟

إن احدا لا تبلغ به السذاجة او القدرة على خداع النفس ان يزعم ان المخرج يسير او قريب ..

ولكن له - فيما نرى - مداخل اساسية .. لابد من توفيرها بغير تراخ ولا ابطاء ..

● لاخطر منهم ! ●

● المدخل الأول :

المسارعة الى علاج ازمة الثقة والتصديق بين الحكام والمثقفين .

أ - بأن يدرك الحكام ان المثقفين في النهاية ليسوا خطرا على احد فهم اصحاب رأى وفكر ، اقصى ما يملكونه ان يعبروا عن هذا الفكر باقلامهم والسنتهم .. وحتى حين يجنح القلم أو يشتط اللسان .. فهو شطط المخلص الذي تقض مضجعه هواجس الاشفاق من غد مجهول محمل بالأخطار الكبار .

ب - وان يدركوا فوق ذلك ان استيعاب جماعات المثقفين داخل تيار العمل الوطني العام جزء اساسي من مسئوليتهم ! يقتضيهم ان يتوجهوا في صدق وامانة ومسئولية الى الاستفادة بعطاء العلماء والمثقفين .. بدلا من الحرص على اسكاتهم او احتوائهم او شراء موافقتهم المزيفة على ما تتخذه الحكومات من قرارات وما تتبناه من سياسات .

ج - وان يدركوا - في النهاية - ان بقاء المثقفين خارج دائرة اتخاذ القرار ورسم السياسة ! ينطوي عل خسارة فادحة .. ويترك ، السلطة ، مهما بلغ صلاحها ، تواجه الوانا من المشاكل والتحديات لا يصلح لمواجهتها اسلوب التجربة والخطأ والعمل العفوي الذي تتحكم فيه اختيارات ذاتية لحكام افراد .

● المدخل الثاني ●

ان يذكر المثقفون وهم المبصرون لحقيقة الواقع العربي ، والمدركون لحجم التحديات القائمة ، وفداحة الأخطار القادمة في خطى متسارعة .. ان دورهم في وقت الأزمة يقتضيهم ان يقدموا ماهو أكثر من النصيحة المجردة التي يلقيها صاحبها من برجه العاجي ثم يمضي وهو يقول الا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد .. إن البلاغ في هذه المرحلة يقتضي عملا دءوبا والحاحا على الاقتراب من مواضع صنع القرارات ، واستعلاء على كلمات

المثقفون والسلطة

التجريح واتهامات الجرى وراء المصالح الذاتية ..

ان المثقف الفرد لايمكن ان يصل صوته لحاكم .. او محكوم وفرض عين على المثقفين العرب فى هذه المرحلة ، ان تكون لهم لقاءات ومنتديات .. يشيع فى اجوائها الاحساس بالأزمة ، والشعور الغامر بالمسئولية ، والاستعداد للبذل .. والاصرار على كسر حاجز الثقة واختلاف منهج التفكير والعمل بينهم وبين كثير من الحكومات . وعليهم وهم يفعلون ذلك ، ان يصيخوا السمع جيدا الى همس الجماهير وشكاياتها . وهمومها .. حتى لا يكون جهدهم حرثا فى البحر ، ورجع صدى لأفكارهم هم .

وغنى عن الذكر ان ذلك كله يحتاج الى قدر ادنى من احترام حرية الرأى والتعبير عنه .. فليس كل صاحب فكر مجاهدا مقاتلا او صاحب عزم .. وليس كل مثقف ـ بالضرورة ـ سياسيا يحسن الكر والفر .

وجو الحرية وتامينها هو الضمان الكبير لانطلاق هذه الجهود الخيرة التى يتقارب بها الحكام والمثقفون .. ويلتقى فى ظلالها سيف الحكم وميزان العدل والحكمة

المدخل الثالث :

ان ينتبه المثقفون الى حقيقة بالغة الأهمية ، وهى ان علاقتهم بالسلطة تحددها ـ جزئيا على الاقل ـ علاقتهم بالجماهير .. فالمثقف المنعزل المتباعد عن الجماهير ، لاتقيم له السلطة وزنا ، ولاتحسب له حسابا ..

ولاتحرص على سماع ما يكتب او يقول .. اما حين يعبر المثقف وصاحب الرأى عن هموم حقيقية للناس ، وحين تحمل كلماته نبض اولئك الناس ، فان « السلطان » يتعامل معه على هذا الاساس ، ويحسن الاستماع له ، ويحرص على الحوار معه لأنه يجد فيه ـ عندئذ ـ قناة تواصل فعال مع الجماهير ، ولأنه يدرك ـ بعد ذلك ـ ان المساس به وبحريته يستثير الجماهير ويحرك غضبها ويفسد علاقتها به .. ولذلك يتردد طويلا قبل أن يقدم على هذا المساس ..

ان الثمرة العملية لادراك هذه الحقيقة تتمثل فى حرص المثقف على ان يظل عقليا ووجدانيا موصولا بالناس معبرا عن مطالبهم وتطلعاتهم ومدافعا عن مصالحهم وحقوقهم .. وبذلك يؤدى دوره الرائد فى المجتمع .. وهو دور تنوير الناس وتبصيرهم .. كما يفتح امامه بابا واسعا لترشيد قرارات السلطة ومواقفها وسياساتها ..

هذه ـ فيما أرى ـ بعض الخيوط الأولى لعلاج ازمة العلاقة بين المثقفين والسلطة .. بغيرها لن يتحقق شىء وبها يهون كل شىء .. وتلوح ـ ولو من بعيد ـ انوار فجر جديد .

أقوال معاصرة

● « مصالح شعبنا لا يخدمها أولئك الذين يقولون آمين كلما حلت واشنطن ».

فيلى برانت المستشار الاول لألمانيا الغربية سابقا

● « الديمقراطية تعنى المشاركة ، وعلى الشعب أن يشاركنى فى المسئولية » .

الان جارسيا رئيس جمهورية بيرو

● « ما اكثر الذين يملكون أذواقا جميلة ، اما انا فاملك احلاما » .

مصمم الازياء الامريكى رالف لورين

● « الفنان الذى يخاف الحياة لا أمل فيه »

السينمائى الامريكى « جون هوارد لوسون »

● « يجب الا يفوز المرء بالشهرة والثروة فى سن مبكرة » .

الاديب اليابانى يوكيو ميشيما

● الاختيار الذى يواجه العالم اليوم ليس بين الحرب والسلام ولكن بين الحياة والموت .

من بيان مؤتمر دول عدم الانحياز الاخير

● « اسرائيل هى صمام الامن الذى يتحكم فى المساعدات الامريكية للدول العربية » .

حمدى فؤاد بالاهرام

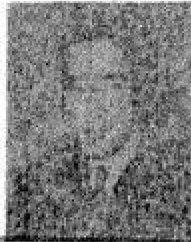
● « لا شىء دائم حتى على ضفاف النيل ، وتحت ظلال أبى الهول والاهرام » .

الكدى فاسيلييف ـ دكتوراه فى التاريخ

فيلى برانت



يوكيو ميشيما



الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

الاقتصاد.. من مقاعد المتفرجين

عذري حين اكتب في الاقتصاد انى اجلس في مقاعد المتفرجين . وكيف يمكن ، وانى يكون ، وهل يعقل او يجوز ، أن ياتى كاتب لا يعرف إلا شيئا من اللغة والادب ، ولايحمل درجة جامعية واحدة فى الاقتصاد ، ليحدثكم عن اقتصاد بلد يقل ترابه خمسين مليونا من النفوس ، وتبلغ ميزانيته كذا الف مليون من الجنيهات ، وديونه كذا ... من الدولارات ، واقداره ـ تعلمون ـ هي الآن في ايدي افذاذ من علماء هذا الاقتصاد ، لايبخلون علينا بالبيانات والاحصاءات ، التى تطمئن النفوس ، وتنسج خيوط الأمل ، وتمد حبال الصبر ؟

اللهم إنا نعلم قدر انفسنا ، وما منا إلا له مقام معلوم ، ومجلسنا فى لعبة الاقتصاد هو مقاعد المتفرجين . وقد قال طيب الذكر « شكسبير » إن الحياة مسرح (يعنى خشبة مسرح) ونحن عليه ممثلون ، ونسى أنه لا مسرح بدون متفرجين ، وأننا نحن المتفرجون ، ولكننا ـ كما ترى ـ منسيون حتى من شكسبير .

وقد زعموا أن المسرح الحديث أسقط الحائط الرابع ، ودخلت خشبة المسرح فى صالة المتفرجين ، وزحفت صالة المتفرجين إلى المسرح ، ولكن لا تظنوا أن المسرح لم يعد له ضابط ، وأن المسألة أصبحت سداح مداح ، فهذا أيضا تمثيل . وانكم لتعلمون ياسادة أنى وإياكم كالطرشان فى الـزفة ، أو



كالمشاهدين فى مسرح العبث ، نرى ولا نفهم ، ونسمع ولا نعى ، ونخرج بعد أن تطفأ أنوار المسرح ، لم نستفد إلا اليقين باننا حقا بلهاء .

● سلطة القرار لمن ؟! ●

تريدون بعض الأمثلة ؟ ... حسنا ... هذه « التسهيلات المصرفية » التى نراها ، بهذا اللفظ او قريب منه ، ضمن بنود الواردات فى الميزانية ... هل تعنى قروضا من المصارف الوطنية ، وهل تظهر فى ميزانيات هذه المصارف ؟ ... من منكم يعرف ؟

هذه الملايين المملينة ، بل البلايين المبلينة التى نرزح تحتها ... من الذى ربطنا بهذه الديون ، أعنى من الذى كان يملك سلطة القرار ، ومن الذى يملكه الآن ؟ إننا نرى ، من مقاعد المتفرجين ، ناسا جالسين على المسرح ، يوقعون اتفاقات ، أو يعقدون صفقات ، وزير كذا مع ممثل هيئة كذا ، أو رئيس هيئة كذا مع وكيل شركة كذا ، وكل اتفاق أو صفقة من هذا النوع يشتمل بالضرورة على تسهيلات والتزامات وائتمانات . فهل يملك اى وزير كذا أو رئيس كذا او مدير كذا أن يضيف إلى « مواردنا » من الديون بضعة ملايين من الدولارات ؟

● إيضاح على الهامش ●

معظم القراء ، فوق سن العشرين ، يتذكرون ان احد عباقرة المالية والاقتصاد ، الذين تولوا هذه الوزارة فى وقت من الأوقات ، وشبهه رئيس الدولة آنذاك بالخواجة فلان الذى بنى اقتصاد ألمانيا الغربية من الصفر ، هذا الاقتصادى النبيه بشرنا ذات يوم او ذات عام بان الميزانية قد حققت وفرا لأول مرة منذ اعوام ! وعندما ابى بعض الناس ان يصدقوا هذا النبأ السعيد ،

وراحوا يتقصون الأمور ، تبين أن الاقتصادى النبيه المذكور يتبع مدرسة فى الاقتصاد تعد السلفيات من الواردات .

● ويرجع مرجوعنا إلى المسرح والمتفرجين ●

فأنا يا سادتى أمتاز عن أكثركم بأنى أجلس فى الصف الأخير ، وأنتم تعرفون مزايا الصف الأخير . فالجالس فى هذا الصف يمكنه أن ينام بشرط الا يصدر أصواتا تزعج المتفرجين أو النائمين . أما جلوسى فى الصف الأخير فلأنى خرجت إلى « المعاش » منذ سنين ، ثم زدت فقطعت نفسى عن أسباب الاكتساب ، مكتفيا بصحبة الآداب . وهكذا يمكننى أن أتحدث عما جرى أو يجرى على مسرح الاقتصاد دون أن يتهمنى أحد بأننى أرنو إلى مكان على الخشبة (خشبة المسرح أعنى ، لا الخشبة الأخرى) ، أو حتى أطمع أن أتقدم صفا أو صفين فى مقاعد المتفرجين . ويحسن أن أعترف أيضا بأنى لم أعد أتحمس لما يجرى على خشبة المسرح ، ، ولا أميل بعواطفى نحو أحد من الممثلين . الاشتراكية ؟ أهلا وسهلا . الاقتصاد الحر ؟ ولم لا ؟ ولنفرض أننى اشتراكى صميم ، فهل أنا أحسن من لنين الذى كافح حتى فرض « النب » أو السياسية الاقتصادية الجديدة ، سنة ١٩٢١ ، ورعاها حتى مات ، موسعا مجالات العمل والاستثمار فى الصناعة والزراعة والتجارة للقطاع الخاص ، وأنوف رفاقه الشيوعيين فى الرغام ، لينعش الاقتصاد الروسى الذى خرج متهالكا من سنوات الحرب العالمية الأولى ثم الثورة وحروب التدخل ؟ أو لنفرض أنى أدين بالولاء للاقتصاد الحر ، فهل أنا أكثر حرية من روزفلت ، الذى فرض بعض القيود على رأس المال حتى يخرج بالولايات المتحدة الامريكية من أزمتها الاقتصادية الخانقة فى أوائل الثلاثينيات ؟ الذى أعلمه علم اليقين أننا بلد متخلف « ميم تاء خاء لام فاء » . وأن التخلف يعنى أشياء كثيرة : منها ما يتعلق بالبشر ، ومنها ما يتعلق بالثروة ، وأن علاج التخلف لا يكون إلا بشىء يتعلق بالبشر . والثروة معا ، واسمه التقشف . « تاء قاف شين فاء » . ولكن التقشف والتخلف كلمتان يمنع النطق بهما على مسرحنا الاقتصادى بمقتضى قانون الآداب .

● استطراد لا محل له ●

ذات ليلة كنت أشاهد مسرحية (حقيقية هذه المرة ، أعنى أنى كنت فى مسرح حقيقى ، لأن المسرحيات الحقيقية لا تمثل على خشبة المسرح) . وكان ابنى يجلس بجانبى ، وحدث - أقولها بصراحة - أنى نمت أثناء العرض ، فلما أضيئت أنوار الصالة عند انتهاء الفصل انتبهت فجأة ، وهززت ذراع ابنى بشدة ، وأمام دهشته

لهذه الحركة اضطررت أن أشرح له الموقف : لقد خيل إلى أن المسرح يحترق ، فلكزته لنسرع بالفرار .

ألم أقل لكم إنه استطراد لا محل له ؟ ولكن ادعوا الله معى ألا يحترق بنا المسرح .

● استطراد آخر يمكن أن يكون له محل ●

ربما كانت تربيتى اللغوية هى السبب فى أنى أحشر اللغة فى كل شىء حتى الاقتصاد فهناك نوع من الجبن اللغوى ، يقترن دائما بالجبن الفكرى ، وليس هذا ولا ذاك صالحا للأكل منه ، واجتماعهما يؤدى إلى اختفاء كلمتى التقشف والتخلف من قاموسنا المعاصر .

وقد كنت عالجت بعض هذه الأمراض اللغوية فى كتاب لى جعلت عنوانه « اللغة والحياة » ، وقدمته إلى « كتاب الهلال » منذ أكثر من عام . فأنا انتهز هذه الفرصة لأشكو إليكم رئيس التحرير .

● وما زلنا فى المسرح ... ●

ولا تصدقوا أننا نستطيع أن نغادره ، فنحن أصحاب مصلحة فيه ، وإن كنا لا ندرى بالضبط ماهى . حتى أنا الجالس فى الصف الأخير ، صف المعاشات ، لى مصلحة ، وإن حاولت أن أوهمكم غير ذلك

قال لى أحد دكاترة الاقتصاد ، والعهدة عليه ، وإن لم أكن فى حل من ذكر اسمه ، إن صندوق التأمينات ، الذى يفترض أنى أقبض معاشى من أرباحه ، هو مصدر مهم من مصادر الاقتراض الداخلى التى تقوم بها الدولة فى السر . ولكن الحكومة تحاسب الصندوق - أى تحاسب نفسها كوكيلة عنى - على نسبة ربح بخسة جدا - لا أدرى ذكر ٤ ٪ أو ٥ ٪ . فهى إذن تقاسمنى فى أرباح المبالغ المودعة باسمى ، وتمن علىّ كل عيد بمنحة صغيرة ، أو تزيدنى عشرة فى المائة حين ترتفع تكاليف المعيشة مائة فى المائة ، أى « جوعان يأكل من زادى ويطعمنى » . ولكننى والله ، أنا وكل أرباب المعاشات ومنهم الدكتور المذكور ، لا نحقد على الحكومة لهذا السبب أو لغيره ، بل نتمنى لو نستطيع أن نعطيها أكثر . إنما يؤلمنا ألا تثق بنا وهى منا .

● مشهد يستحق الاهتمام ●

مع أنى أصبحت كثير النوم فى هذا المسرح ، فقد انتبهت جدا حين عرض المشهد التالى :

صحفى : هل تتوقعون أن يتأثر وضع الجنيه المصرى بعد خفض سعر الفائدة على الدولار ؟

مصرفى كبير : بكل تأكيد سوف يتعزز وضع الجنيه المصرى . والملاحظه فعلا أن كثيرا من المدخرين بدءوا يحولون ودائعهم من الدولار إلى الجنيه .

[illegible]

الأشواك

الصحفى : ولاشك أن هذا سيؤدى إلى انتعاش الاقتصاد المصرى ؟

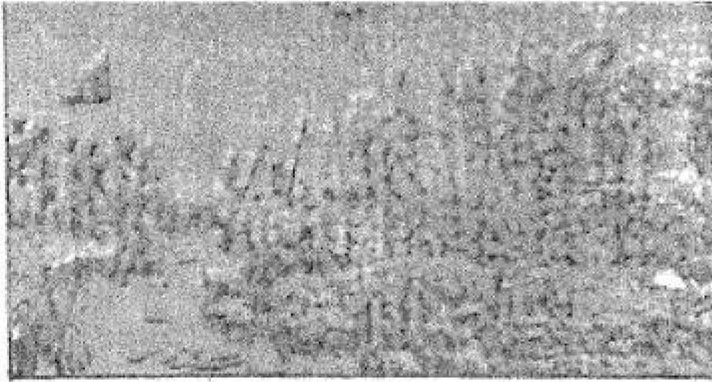
المصرفى الكبير : ليست المسألة بهذه السهولة . الودائع المجمدة فى البنوك لا تساعد على نشاط الاقتصاد ، وإن كانت تقلل من كمية العملة المتداولة فى السوق وبذلك يمكن أن تقلل آثار التضخم . النشاط الاقتصادى يتطلب تحويل المدخرات إلى رأس مال . ومعظم المدخرين ليست لديهم الشجاعة لهذا ، أو أن الظروف لا تساعدهم . فالذى يحول مدخراته إلى وديعة فى البنك يختار الطريق الأسلم فى نظره ، لأنه يقرأ ويسمع أن كثيرا من الشركات الجديدة تعانى مصاعب ، فالمسألة ترجع أولا إلى سوق المال .

قلت لنفسى حين سمعت هذا الحوار : تاهت المسألة إذن بين البنوك والبورصة وسوق المال وهيئة الاستثمار . لدينا اذن مدخرات ـ مدخرات مصرية ـ لا ندرى ماذا نصنع بها . لا الأفراد ولا البنوك . وكانت المسألة أسهل حين كانت معظم الودائع فى مصارفنا الوطنية والمشتركة بالدولار الأمريكى . كانت توضع فى صناديق وتشحن إلى أوربا وأمريكا لتغذى الاقتصاد الأوربى والأمريكى . هذا غير ودائعنا التى توجد أصلا هناك ، وهى بالتأكيد أضعاف ما يرحل من هنا .

فكرت ، وأنا فى مقعدى فى آخر الصالة : هل يمكن أن يبنى اقتصاد وطنى بهذه الصورة ؟ هل يمكن أن يبنى اقتصاد بغير جيش من المديرين الأكفاء المتحمسين وجيوش من العمال المهرة المخلصين ؟ والكفاءة و المهارة يمكن أن تكتسبا مع المثابرة والرغبة الصادقة فى التعلم ، ولكن الحماسة والاخلاص يجب أن يوجدا من الأصل . حقا إنهما يوجدان بوفرة فى أغانينا الوطنية ، ولكن متى يوجدان فى العمل ؟ لاشك أن هذا يحتاج إلى شجاعة أيضا ، إلى شجاعة الأفراد وشجاعة الملايين .

المشكلة الآن كما تبدو لى هى : هل يبنى الاقتصاد من أعلى أو من أسفل ؟ هل يبنى بالبورصة وسوق المال والمؤسسات العامة ، التى لابد أن تقع ، وهى طرية العود ، فى قبضة مؤسسات عالمية عملاقة ، أم يبنى بألوف المشروعات الصغيرة ، التى تشبع أولا سوقنا المحلية الجائعة ، ويتخرج فيها ألوف المديرين وملايين العمال المهرة ؟

ومن الذى يمكنه أن يصنع ذلك ؟
نحن الجالسين فى الصالة !



●● المشير محمد عبد الغنى الجمسي واحد من أبرز القادة الذين شاركوا فى الاعداد والتخطيط المحكم لحرب اكتوبر التى حققنا فيها الانتصار على اسرائيل .

ويسعد « الهلال » أن تكون اول مجلة عربية يكتب فيها المشير الجمسي عن ملحمة العبور وشجاعة الجندى المصرى ●●

مفاجآت العبور فى حرب أكتوبر المجيدة

بقلم : المشير / محمد عبد الغنى الجمسى

● كانت حرب أكتوبر على النقيض تماما لحرب يونيو ١٩٦٧ .. فنتيجة لما حدث فى حرب يونيو ، وهى الحرب التى انتصرت فيها اسرائيل على الدول العربية المحيطة بها ، لأخطاء ارتكبناها ، وليس لعمل غير عادى قامت به ، أصبحت اسرائيل فى الوضع السياسى ، والوضع العسكرى الاستراتيجي الاقوى ، خاصة بعد أن وصل الجيش الإسرائيلى إلى الضفة الشرقية لقناة السويس فى الجنوب وإلى نهر الأردن فى الشرق ، ومرتفعات الجولان فى الشمال .

ومن هنا تملكها الغرور ، واصبحت تنتظر مكالمة تليفونية للاستسلام .

مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

وحتى أوائل عام ١٩٧٣ ، كنا قد وصلنا إلى طريق مسدود لحل أزمة الصراع العربي الإسرائيلي بالوسائل السلمية ، وكان من المحتم أن تشن مصر وسوريا الحرب ضد إسرائيل لتحرير سيناء والجولان .

وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجهنا ، هي الحاجة إلى الأسلحة التي تمكننا من القيام بهجوم ضد القوات الإسرائيلية المتمركزة في سيناء ، خاصة وأن أمريكا قد ضمنت لإسرائيل التأييد السياسي ، والتفوق العسكري على الدول العربية المجاورة لها ، وزودتها بالأسلحة الحديثة والمتطورة بالكميات والأنواع والتوقيتات ، التي تضمن لها التفوق الدائم !

وكان الاتحاد السوفييتي يزودنا ـ في المقابل ـ بكميات وأنواع من الأسلحة في التوقيت الذي يناسبه كدولة كبرى لها سياستها ومصالحها في المنطقة ، وبما يضمن عدم الاخلال بتوازن القوى المعلنة رسميا بواسطة أمريكا ، تحت شعار توازن القوى في المنطقة .

ومما زاد الموقف تعقيداً أمام المقاتل المصري ، الذي كان يستعد لخوض حرب جديدة ، يرد فيها اعتباره ، بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، انه كان يتحتم عليه عبور قناة السويس للالتحام بالقوات الإسرائيلية ، خاصة وأن قناة السويس لها مواصفاتها الفنية الفريدة ، من حيث المد والجزر ، الذي يختلف من شمال القناة بين الإسماعيلية وبورسعيد ، عنه في الجنوب من الإسماعيلية إلى السويس ، فضلاً عن اختلاف سرعة التيار من شمال القناة إلى جنوبها ، وبالإضافة إلى السواتر الجانبية على حافتي القناة ، المصنوعة من الأسمنت المسلح .

لذا كانت عملية العبور من النواحي الفنية والهندسية في غاية الصعوبة ، من حيث عبور المقاتل ، واقتحامه لحصون العدو الإسرائيلي ، خاصة إذا عرفنا أن إسرائيل قد أقامت ساتراً ترابيا عاليا إرتفاعه يبدأ من ١٢ إلى ٢٠ مترا على الضفة الشرقية للقناة ، مما يمنع إستخدام المعديات وإقامة الكباري ، إلا بعد عمل فتحات في هذا الساتر

ولكي تزيد إسرائيل الأمر تعقيدا أمام قواتنا المسلحة ، فقد أقامت التحصينات على الضفة الشرقية للقناة ، والتي عرفت بإسم « خط بارليف » . زودتها بالأسلحة المتطورة التي تمكنها من تدمير القوارب التي تحمل قوات العبور المصرية إلى سيناء ، كما وضعت خزانات من النابالم والوقود على الضفة الشرقية للقناة ، تخرج منها مواسير إلى سطح القناة ، يتم إشعالها كهربائيا ، من داخل الخط الإسرائيلي ، لمنع أية محاولة للعبور من جانب قواتنا المسلحة .

● دور بارز للمقاتل المصري ●

وكان على المقاتل المصري عند عبوره لقناة السويس ، أن يواجه كتلة من نيران النابالم فوق مياه القناة ، ونيران المدافع التي تطلق عليه من المواقع الحصينة ، وهو في أضعف حالاته أثناء ركوب قوارب مصنوعة من الخشب والمطاط ، وكانت عليه أيضا عند وصوله إلى الضفة

الشرقية أن يتسلق الساتر الترابى ، ومعه أسلحته الشخصية التى يحملها فى مواجهة دبابات العدو الإسرائيلى ليهاجمها ، ويقتحم حصون خط بارليف بشجاعة نادرة ، ولينفذ مهاما غير تقليدية فى ثمان ساعات ، ليوقف أى هجوم مضاد من القوات المعادية بجسمه فقط ، حتى تنشأ المعديات والكبارى ، لتعبر عليها دباباتنا ومدفعيتنا وباقى الأسلحة .

وخلال سنوات ماقبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ عكفنا على تذليل كل المشكلات والعقبات التى واجهتنا ، لضمان نجاح العملية الهجومية . فقد قمنا بتعطيل وإبطال مفعول خزانات الوقود والنابالم الإسرائيلية ، وفوجىء العدو بعدم قدرته على إستخدامها عند نشوب الحرب ظهر ٦ اكتوبر ، ووقع المهندس الإسرائيلى المختص بتشغيلها وصيانتها أسيراً فى أيدينا فى أولى موجات الهجوم ، وتمكنت قواتنا من عمل فتحات فى الساتر الترابى خلال ساعات قلائل ، بواسطة مضخات مياه قوية التأثير ، وكانت كل فتحة تحتاج إلى إزالة ١٥٠٠ متر مربع من الرمال ، وجاءت فكرة إستخدام مضخات المياه ، من خبرة العمل فى السد العالى ، ولأول مرة تستخدم مثل هذه الوسيلة اثناء اقتحام مانع مائى فى الخطوط الأمامية ، وتحت نيران العدو .

وقد اقام المهندسون المصريون الكبارى فى الوقت المحدد لها ، برغم كل الظروف الصعبة ، وامكن إنشاء ثمانية كبارى فى وقت قياسى لايزيد على ثمانى ساعات ، وتحت نيران العدو ، وبدأت الدبابات المصرية تعبر إلى سيناء ، خلال ست ساعات ونصف فقط من بداية الحرب ، لتؤدى مهامها القتالية .

ومما يجدر ذكره أنه فى يوم ٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، أرادت مسز مائير رئيسة وزراء إسرائيل أن تطمئن أننا غير قادرين على اقتحام وعبور قناة السويس فأستدعت الجنرال اليعازار رئيس الأركان لتتأكد منه أن المصريين غير قادرين على عبورها ، وكان رد اليعازار عليها كما جاء فى مذكراته التى نشرها "من المعروف دولياً أن أصعب الموانع المائية فى التاريخ ، إثنان لاثالث لهما ، وهما قناة السويس وقناة بنما ، وذلك لطبيعة المياه والعمق والعرض ، وإذا أضفنا لذلك كله ، المواقع الحصينة فى خط بارليف ، ومواقع الإشعال البترولى ، ثم سمك الساتر الترابى ، فإن ذلك كله بدون أى تفكير كاف للدلالة على استحالة عبور المصريين لقناة السويس" .

ولو عدنا إلى الساعات الأولى قبيل بداية الحرب ، فنجد أن "ديان" قد وصل ومعه جموع القادة الإسرائيليين فى صباح ٦ اكتوبر ليطمئنوا على الموقف ، بعد أن أصبح الشك يراودهم أن هناك شيئاً مايحدث فى مصر وسوريا وشاهد "ديان" بنفسه بعض افراد قواتنا على الضفة الغربية للقناة يلهون ويمرحون ، فبعضهم يلعب الكرة ، والبعض الآخر يسبح فى مياه القناة ، ومعدات الشركات المدنية تعمل كالمعتاد .

وقد كانت خطة الخداع التى صممتها القوات المسلحة المصرية بالكفاءة والدقة ، التى جعلت إسرائيل تقتنع بأن القوات المصرية تقوم بعمل مناورة تدريبية كالمعتاد سنوياً ..

وكانت هذه المناورة هى ستار للحرب الفعلية .

مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

كانت قواتنا المسلحة على استعداد تام لاقتحام قناة السويس بالجيشين الثانى والثالث ، لتنفيذ مهامها القتالية ، وكانت القوات الجوية على أهبة الاستعداد للإقلاع لتنفيذ الضربة الجوية الأولى ، ضد أهداف العدو الرئيسية في سيناء وكانت مدمراتنا قد وصلت على الفور ، بعد زيارات ودية لميناثى الخرطوم وصنعاء إلى مضيق باب المندب ، وتمركزت فيه لقطع خطوط الإمدادات الإسرائيلية .

● ملحمة قتالية فريدة ●

وفى الساعة (١٤٠٥) الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الموافق ١٠ رمضان ، وهو يوافق فى إسرائيل يوم عيد كيبور ، حدث الإنفجار ، قامت القوات الجوية المصرية بأكثر من مائتى طائرة تهاجم بكل دقة ومهارة أهدافها فى سيناء ، وحوالى مائة طائرة سورية تهاجم أهدافها أيضاً فى الجولان ، كما فتح أكثر من ألفى مدفع نيرانها المركزة على حصون خط بارليف ، وماخلفه من مواقع تمركزت فيها قوات العدو الإسرائيلى .

كانت ملحمة قتالية رائعة تعزفها القوات المصرية والسورية طبقاً لتنسيق تام ، وخطة عسكرية محكمة ..

استمر قصف قواتنا لمدة ٥٣ دقيقة ، دكت فيها التحصينات الإسرائيلية المعادية ، وقامت القوات السورية بنفس الدور ، ضد أهداف العدو لمدة ستين دقيقة .

وبدأ عبور القوات المصرية فى موجات متتالية إلى سيناء الحبيبة ، وفى أولى الموجات نجح رجال المهندسين فى إقامة الفتحات فى الساتر الترابى ، واستمر القتال بضراوة على الضفة الشرقية للقناة ، واقيمت الكبارى فى زمن قياسى وعبرت دباباتنا ومدفعيتنا وبقية الأسلحة المعاونة ، وليصل عدد جنودنا إلى ٢٠ الف مقاتل عبروا إلى الضفة الشرقية خلال ثلاث ساعات ، كانوا يقاتلون بشراسة ضد تحصينات خط بارليف ودبابات العدو .

وبدأ السلاح الجوى الإسرائيلى ـ وهو القوة الضاربة الرئيسية لديهم ـ فى التدخل فى المعركة لمنع عبور قواتنا وتعطيل إنشاء الكبارى .

فتصدت لها قوات الدفاع الجوى ، واصبح مجموع ماسقط لهم من طائرات حتى الساعة العاشرة مساء ٢٥ طائرة ، وصدرت الأوامر الإسرائيلية لطائراتها ، بالابتعاد عن منطقة القناة بمسافة ١٠ ـ ١٥ كيلو متراً .

وعلى الفور ظهرت إحدى مفاجآت حرب أكتوبر .. الصواريخ المضادة للدبابات التى يحملها الأفراد ، لقتال الدبابات وتدميرها ، وحتى مساء يوم ٦ أكتوبر حسمت معركة العبور لصالح القوات المصرية ، ولو أنها كانت الخطوة الأولى على الطريق ، لكنها كانت بداية طيبة لافتتاحية الحرب .

ويهمنى أن أوضح أن خسائرنا فى الضربة الجوية الأولى كانت قليلة ، وتعد على أصابع اليد الواحدة ، ووصلت

خسائرنا فى الأفراد إلى أقل من ٢٠٠ مقاتل ، فى الوقت الذى كنا نقدر فيه خسائرنا بأكثر من ذلك بكثير ، فى الوقت الذى بلغت فيه خسائرهم فى الأفراد فى يوم واحد ، ماخسروه خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ، كما وصلت خسائرهم فى الدبابات فى يوم واحد أيضا مائة دبابة .

ويهمنى أن أذكر أيضا أن كثافة نيران مدفعيتنا كانت شديدة جدا ، بحيث سقط على العدو الإسرائيلى فى الدقيقة الأولى ١٠٥٠٠ دانة ، بمعدل نحو ١٧٥ دانة فى كل ثانية ، وبذلك استهلكت المدفعية نحو ٣٠٠ طن من الدانات فى التمهيد النيرانى لعبور قناة السويس ، والتى تم فيها اقتحام القناة تحت ستر هذه النيران الكثيفة .

● اروع الأمثلة ●

ولقد ضرب القادة القدوة والمثل لرجالهم ، فقد تقدموا جنودهم يقاتلون معهم فى الخطوط الأمامية ، ويستشهدون بينهم ، ويكفى أن نعلم أن الضباط قادة الفصائل والسرايا ، عبروا فى الدقائق الأولى مع موجات الاقتحام ، وعبر قادة الكتائب مع قواتهم خلال خمس عشرة دقيقة من بدء القتال ، وهكذا عبر قادة الفرق خلال ساعة ونصف ، لذلك كانت نسبة الخسائر فى الضباط والقادة عالية عن معدلها الطبيعى ، إلا أن الإصرار على تنفيذ المهام ، كان يتطلب منهم ذلك ..

وفى سبيل النصر وتحرير الارض ، هانت الأرواح .

● حرب المفاجآت ●

وهذه الحرب يمكن ان اسميها حرب المفاجآت ، فقد اشتملت على مفاجأة استراتيجية وتعبوية من جانبنا للعدو الإسرائيلى ، ومفاجآت تكتيكية باستخدام الصواريخ المضادة للدبابات بواسطة رجال المشاه لقتال الدبابات ، وهذا عمل غير تقليدى فى الحروب ، كما اشتملت على مفاجأة فنية ، وهى الطريقة التى اتبعناها لعمل الفتحات فى الساتر الترابى ، حيث تم إقامة عشرة كبارى عبر القناة فى ظروف فنية ومواصفات غير تقليدية خلال ثمانى ساعات .

دايان .. داخل حصون خط بارليف التى تحطمت



مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

كما اشتملت خطة المفاجأة لإسرائيل على نواح كثيرة اقنعتهم قبل نشوب الحرب اننا نتخذ الدفاع ضد نوايا هجومية منهم ، واننا نقوم بمناورة تدريبية كالمعتاد سنويا ، وليس هذا مجال لشرح هذه النواحي حالياً .

وعندما نشبت الحرب كانت مفاجأة للجميع في مصر والوطن العربي وإسرائيل ، بما في ذلك أمريكا التي اعترفت على لسان "كوانت" مساعد مستشار الأمن القومي الذي قال "لقد كان نشوب حرب اكتوبر مفاجئا لإسرائيل والدول العربية والعالم بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث لم تتوقع اغلب دول العالم نشوبها" .

وقد رفعت الأعلام المصرية على أرض سيناء الحبيبة بعد غياب حوالي ست سنوات ، وعلى أنقاض حصون العدو الإسرائيلي ، التي كانت رمزا لمناعة الجانب الإسرائيلي ، وإهانة للجانب المصري ..

وكما عبرت بعض الكتب الإسرائيلية : "لقد سقط الخط ، وبقي الرجل" .. أي سقط خط بارليف ، وبقي بارليف نفسه صاحب فكرة إقامة الخط .

وكانت حرب اكتوبر هي الرد الطبيعي لكرامة وشرف المقاتل المصري ، الذي اتقن فنون القتال ، واستعد استعدادا كاملاً ، وبذل الجهد والعرق لرد اعتباره ، ولم تكن هناك مشكلة على الاطلاق تواجه المقاتل المصري إلا وانتصر في حلها ، برغم صعوبة الموقف الذي وضعنا فيه ، وبذلك حققنا النصر العظيم .

● ونجح العبور ●

كان اليوم الأول من أيام الحرب (٦ اكتوبر) يوما صعبا قاسيا ، فالبلاغات لاتنقطع والانفعال شديد ، وفي نهاية اليوم الأول للقتال ، أصبح واضحاً لكل من القيادة المصرية والقيادة الإسرائيلية ان المعركة قد حسمت لصالح مصر فقد كانت البداية طيبة وناجحة .

فالقوات البرية تسيطر على حصون خط بارليف ، وتمنع الدبابات الإسرائيلية من الإقتراب من خط القناة .

والكباري والمعديات تعمل بكفاءة ، حيث تتدفق عليها الأسلحة الثقيلة والدبابات المصرية شرقاً .

وقوات الصاعقة تبث الذعر في عمق مواقع العدو الإسرائيلي في سيناء ، وعلى الشاطيء الشرقي لخليج السويس تدميراً وعرقلة لمنع وصول قوات العدو الإحتياطية للجبهة .

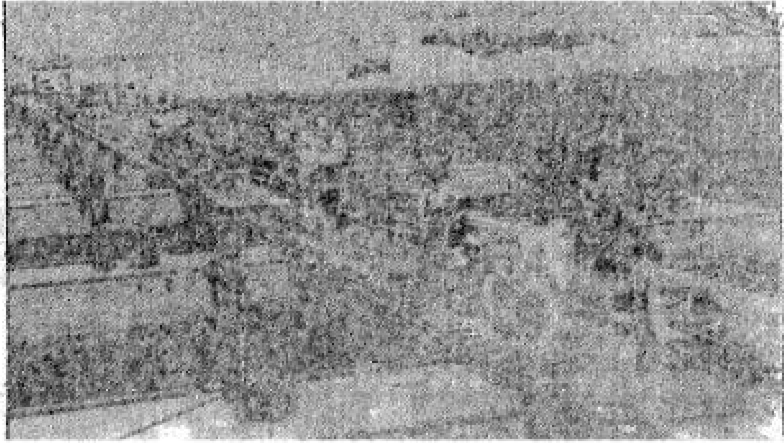
وقوات الدفاع الجوي تقف صلبة لحماية القوات والأهداف الحيوية بالدولة ، وأرغمت الطيران الإسرائيلي على عدم الاقتراب من القناة .

والقوات الجوية قامت بضربة جوية ناجحة ، وتتصدى بالقتال الجوي ضد السلاح الجوي الإسرائيلي .

وفي الطرف الجنوبي من البحر الأحمر ، تعمل البحرية المصرية في منطقة باب المندب للتعرض لخطوط الملاحة البحرية الإسرائيلية إلى إيلات .

ورفعت الأعلام المصرية على أرض سيناء .

وحتى صباح اليوم التالي (٧ اكتوبر



الكبارى .. انشئت خلال وقت قياسي لتعبر قواتنا لسيناء

كان الهجوم قد نجح مع الاقتحام المدبر لقناة السويس بواسطة خمس فرق مشاه امكنها إنشاء خمسة رءوس كبارى فى الخمس مناطق فى سيناء بعمق خمسة كيلو مترات ، فى خمس معارك هجومية ناجحة .

وكان واضحاً اننا نخوض حرباً تختلف عن الحروب السابقة بين العرب وإسرائيل .

فهى الحرب التى بدأناها بمبادأة منا بالتعاون مع سوريا وكانت المبادأة دائماً فى يد إسرائيل .

وهى الحرب التى بدأناها بالهجوم ، بعد ان كنا دائماً فى موقف الدفاع ، واصبح العدو فى موقف الدفاع لأول مرة ، بعد أن كان دائماً هو المهاجم .

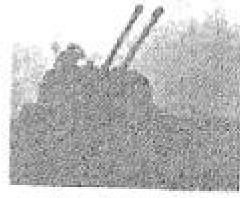
وهى الحرب التى حققنا فيها المفاجأة ، بعد أن كانت إسرائيل تفاجيء الدول العربية بعملياتها العسكرية .

وهى الحرب التى تخوضها دولتين عربيتين ـ مصر وسوريا ـ على جبهتين فى وقت واحد بتنسيق وتعاون بينهما ، بينما كانت إسرائيل تهاجم كل دولة عربية فى حده .

لقد قدر العدو قبل حرب أكتوبر انه يصعب علينا عبور القناة ، إن لم يكن مستبعداً ، وقد سأل "ديان" عن إحتمال قيام قواتنا المسلحة بعبور القناة ، وكان رده "إن المصريين يحتاجون إلى سلاح المهندسين الأمريكى والسوفييتى لتنفيذ العبور .

وفى أثناء الحرب ، وكلما مر الوقت وإزداد تدفق القوات المصرية شرقاً لتعميق مواقعها فى سيناء ، وإزدادت الخسائر الإسرائيلية ، صرخ "ديان" كما جاءت فى مذكرات اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى قائلاً : "لو لم اكن متأكداً انه لم يبق خبير سوفييتى واحد فى مصر لقلت إننا نحارب روسيا نفسها"

وحينما اشتد القتال بين المقاتل المصرى والمقاتل الإسرائيلى ، ظهرت القدرة القتالية للجندى المصرى ، الأمر الذى أثار الجنرال اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى وسجل فى مذكراته التى قال فيها "إن المصريين يفجرون انفسهم امام وفوق مدرعاتنا ، وكان ذلك يعنى قبل كل شيء أن تقديراتنا السابقة حول الجندى المصرى ، وقدرته القتالية ، والفرق النوعى الذى يفصل بينه وبين الجندى الإسرائيلى .. كانت خاطئة" .



حوار جديد حول ٥ يونيو

بقلم: د. فؤاد زكريا

●● كانت مبادرة ذكية من « الهلال » أن تعرض مقالى الذى ظهر فى عدد اغسطس ١٩٨٦ بعنوان « ٥ يونيو فى فكرنا السياسى » على ثلاثة من المفكرين المصريين ليبدوا رأيهم فيه، وان تنشر تعليقاتهم على هذا المقال فى العدد التالى مباشرة، ثم تطلب الىّ ان اقدم الى القراء ردود فعلى على هذه التعليقات. ذلك لأن هذه المتابعة، على مدى ثلاثة أعداد متوالية، تعكس اهتماما بالموضوع المطروح على بساط البحث، واقتناعا بأن فكرنا السياسى ينبغى عليه الا يتهرب من مناقشة ماحدث فى هذه اللحظة الفاصلة من تاريخ مصر والأمة العربية، مهما كانت أليمة وموجعة، لا بهدف تصفية حسابات قديمة أو كسب نقاط فى جدل سياسى معاصر، بل من أجل فهم أعمق للعوامل الحقيقية التى أدت إلى تراجع الأمة العربية كلها تراجعا شاملا عند نقطة التحول الحاسمة تلك. وهذا الفهم، فى رأيى، هو أقصى ما يتسنى للمثقفين المصريين القيام به فى مسألة كهذه، فمهمة المثقف هى التفكير والتحليل وايقاظ الوعى، وتبقى بعد ذلك المهمة السياسية فى استخلاص النتائج العملية التى تترتب على هذا الفهم الاعمق.

ولقد ادلى الأستاذ الكبير فتحى رضوان برأيه حول هذا الموضوع، وأضاف الى مقالى مجموعة من الاجتهادات فى تفسير أسباب الهزيمة. واعتقد أن أستاذنا الكبير يسعده أن نواصل مناقشة القضايا الهامة التى

طرحها ، وان كل كلمة تقال - بروح موضوعية - حول هذه القضية تسهم فى تعميق وعينا بجذور الهزيمة ، وفى الحيلولة دون تكرارها .

● استبعاد فكرة الشماتة ●

وفى اعتقادى أن من واجبنا ، حين نحلل أسباب الهزيمة ، أن نستبعد من اذهاننا تماما فكرة شماتة الأعداء - أعداء الثورة أو أعداء مصر - وسعادتهم بالانهيار الذى حدث فى يونيو ١٩٦٧ . فالسرور والشماتة لم يكن لهما مجال إلا بعد أن وقعت الهزيمة بالفعل . استاذنا الكبير قد وصف ما حدث فى يونيو بانه « من ناحية الحجم والضخامة ، كانت هزيمة منكرة بالمعنى الحرفى لهذا اللفظ » ، فإن واجبنا هو أن نحصر تفكيرنا فى العوامل التى أدت إلى هذه الهزيمة المنكرة ، لا فى الانفعالات التى ولدتها فى نفوس الأعداء أو الأصدقاء ، فالهزيمة تظل هزيمة ، سواء سعد بها بعض الناس أم لم يسعدوا .

ومن هنا فإنى سأناقش ثلاث قضايا هامة طرحها المناضل الكبير فى تعليقه وكلها تتعلق بجوانب أساسية فى المسألة المطروحة للبحث .

القضية الأولى : هى القول بأن الهزيمة « كانت مفاجأة للجميع » . هذه مقولة شائعة ، ولكنها تقبل فى رأيى قدرا كبيرا من النقاش . فالهزيمة كانت بالفعل مفاجأة لمن يأخذ الأمور بظواهرها ، ويتأثر بكل كلمة تنقلها اليه أجهزة الاعلام حول القوة الهائلة للجيش والتدريب الشاق للمقاتلين واليقظة التامة للمدافعين عن البر والبحر والسماء . ولكن كل من عرف شيئا عن تصرفات مسئولين كبار مثل شمس بدران أو على شفيق ، الخ ... كان يستطيع بسهولة أن يتنبأ بما سيحدث . ربما فاجأته سرعة الهزيمة أو فداحتها ، ولكن نتيجتها العامة لم تكن تخفى على عين من ينظر الى ماوراء السطح الظاهرى للدعاية الاعلامية .

والواقع أن مسار الأحداث كان يدل على أن عنصر المفاجأة لم يكن له دور لدى الطرفين . فالطرف الاسرائيلى كان قد رسم خطته على أساس معلومات معينة عن التسيب والتهاون فى الدفاع - وخاصة فى سلاح الطيران - وقد أثبت مجرى القتال أن هذه المعلومات كانت تفصيلية ودقيقة الى أبعد حد . ومن هنا فان هذا الطرف لم يهتز ولم يتراجع على الاطلاق من المحاولات التى بذلناها نحن لتخويفه ، كحشد القوات بسرعة فى سيناء بعد ١٥ مايو ، واتخاذ مظهر التشدد والقوة والباس فى المؤتمر الصحفى الشهير . بل إن العدو استغل محاولات التخويف هذه لصالحه ، واعتبرها جزءا لا يتجزأ من خطته فى دفع مصر الى حرب كان واثقا من نتيجتها مقدما ، فضلا عن انها مفيدة غاية الفائدة فى إقناع الرأى العام العالمى بانه لم يبدأ القتال إلا دفاعا عن النفس . أما الطرف المصرى فيبدو انه كان يغامر على أساس أن خطة التخويف ستنجح ، وأن العدو سيتراجع بغير قتال ، وعندما بدأت تظهر علامات تدل على أن العدو سيقاتل بالفعل ، كان الوقت متأخرا لاتخاذ ◀

حوار جديد

حول ٥ يونيو

التدابير الكفيلة بالتصدى له على مستوى معقول من الندية .

اما القضية الثانية التي اود ان اناقشها ، في تعليق الأستاذ الكبير فتحي رضوان ، فهي التي يعبر عنها بقوله : « وقد تضاءلت (يقصد الهزيمة) عقب حدوثها الى الحدود الدنيا ، إذ لم يترتب عليها شيء مما كان يمكن ان يبنى عليها . فالنظام الذى تمت الهزيمة في عهده لم يسقط ، ولم يشرع احد في الانقضاض عليه . والنظام الذى كان يحكم في مصر لم يغير شيئا لا في اسلوب ولا في منهج ولا في الخصائص الكبرى التي عرف بها » .

والحق ان هذه مقولة ترددت مرارا ، على ألسنة الرسميين من أعلى المستويات إلى أدناها ، وعلى ألسنة الاعلاميين الذين كانوا يساندون ويبررون سياسات الدولة الرسمية وأعني بها ان إسرائيل كانت تريد من الحرب إسقاط النظام المصرى القائم عندئذ ، أو إسقاط عبدالناصر على وجه التحديد . ونظرا الى ان هذا الهدف لم يتحقق ، فمعنى ذلك ان النصر الاسرائيلي لم يحقق اغراضه ، أو لم يحقق غرضه الرئيسي على الاقل .

● تخفيف وقع الكارثة ●

واعتقد أن هذا موقف فكرى ربما كانت له فائدته في الفترة التي اعقبت الهزيمة مباشرة ، لانه يساعد على رفع المعنويات وتخفيف وقع الكارثة العسكرية ، فضلا عن انه يعطى دعما وسندا للنظام الذى وقعت الهزيمة على يديه ، ويعفيه من قدر كبير من المساءلة ، ويجعل مجرد التفكير في تغييره ضربا من الخيانة ولكن هذا التفسير لا يصمد على الاطلاق امام التحليل العلمي الموضوعي الذى يستهدف كتابة التاريخ وفهم العناصر المتحكمة في مساره ، وخاصة إذا تم هذا التحليل بعد أن تغيرت الظروف ومضى زمن يكفي للابتعاد عن حرارة اللحظة وتوترات الحدث وحيرة العقول في اعقابه .

فالدول التي تخطط سياستها بعقلانية باردة وحسابات دقيقة ـ واعتقد أن إسرائيل كانت ولاتزال تفعل ذلك في تعاملها مع العرب ـ لا تستهدف بسياساتها وتحركاتها العسكرية أشخاصا ، أو حتى نظاما باكمله ، وإنما تستهدف في المحل الأول تغيير مجمل الأوضاع ـ عسكريا وسياسيا واقتصاديا ـ لصالحها ولا جدال في أن إسرائيل حققت هذا التغيير بصورة لم يكن يحلم بها اشد الناس فيها تفاؤلا ، حين استولت على أراض تعادل اربعة امثال مساحتها الاصلية ، وامّنت حدودها الجنوبية والشرقية والشمالية على حساب مصر والأردن وسوريا ، وأصابت استراتيجيات دول المواجهة واقتصادياتها في الصميم . والأهم من ذلك تلك النقلة النوعية الحاسمة في أهداف الصراع العربي ضد إسرائيل

قبل ٥ يونيو وبعدها : فقد هبطت تلك الأهداف هبوطا شديدا إلى مستوى السعي من اجل استرداد الأرض الجديدة التي احتلت في الحرب ، والقبول الضمني (كما يقضي القرار ٢٤٢) بحق إسرائيل في الوجود ، وكلها اهداف كانت - قبل ٥ يونيو - تعد خيانة كبرى للقضية . بل إن حرب ١٩٧٣ ذاتها ، بعد ان بدات بداية تبشر بكسر الإطار الذى فرضته الهزيمة ، قد انتهت نهاية تدخل - في تواضع شديد - ضمن هذا الإطار ، واصبح التركيز فيها ينصب على محاولة استرداد الأرض التي احتلت بعد ٥ يونيو ، اى انها تحولت إلى تابع يدور في فلك كوكب ثابت راسخ ، هو الوضع الجديد الذى خلقته حرب ١٩٦٧ .

ازاء مثل هذا المكسب الاستراتيجي الهائل ، والتغيير النوعي الحاسم الذى طرأ على القضية ، ومازال يصبغها بصبغته الخاصة حتى اليوم ، يكون من قبيل التبسيط الشديد ان نقول إن إسرائيل لم تحقق اهدافها بعد الحرب ، او لم تحقق منها إلا الحد الأدنى ، مادامت قد عجزت عن إسقاط النظام او القائد الذى يقف على رأسه . إن هذه ، في رايي ، مقولة استنفدت اغراضها بعد أن ساعدت على رفع المعنويات في الفترة العصيبة ، ولكن تكرارها اليوم ، ونحن نتامل الأحداث من منظور ابعد واهدا ، لايساعد الإنسان المصرى او العربي على فهم ماحدث ، بل ربما ادى الى تكثيف الضباب الذى غشى على ابصارنا ، وقتا طويلا ، بعد ١٩٦٧ .

إن التحركات الاستراتيجية الكبرى ، كحرب يونيو ، تستهدف سياسات واوضاعا شاملة ، لا اشخاصا . ومادامت هذه السياسات والاوضاع قد تحققت باحسن مما كان يخطط له اصحابها ، ففيم يهم الأشخاص إذن ؟ وعلى اية حال ، فإن القضاء على النظام ، وعلى شخص الحاكم الذى كان يناوىء إسرائيل ، قد تحقق بالفعل ، كنتيجة ثانوية ، مؤجلة قليلا ، للهزيمة . فكلنا نعلم ان ضربة يونيو كانت بداية النهاية في حياة عبدالناصر كإنسان ، وان نظامه ذاته قد طرا عليه تحول يكاد يصل إلى درجة "الانقلاب" بعد اشهر قليلة من وفاته .

● حقيقة اليمة ●

اما القضية الثالثة التى طرحها استاذنا فتحى رضوان ، فلن اتوقف عندها طويلا . فرايه في تعليل الهزيمة هو انها ناجمة عن "عجز إدارى متوارث" ، ينحصر في اننا لا نطيق النظام ولا نتقن العمل الذى نتصدى له ولا نصبر على التدريب الشاق ... الخ . وقد يكون هذا الراى معبرا ، بالفعل ، عن حقيقة اليمة ، ولكن يظل السؤال الحاسم هو : هل اتيحت لنا ، كشعب ، الفرصة في ان نسهم في شئون بلادنا إسهاما حقيقيا قبل حرب ١٩٦٧ واثناءها ؟ هل كان التسيب الفاضح الذى كشفت عنه تلك الحرب من صنع الشعب المصرى ككل ، وامتدادا



حوار جديد

حول ٥ يونيو

لتاريخ طويل من الافتقار إلى الجدية والتنظيم ، أم أن الذين صنعوه ينتمون إلى فئة محدودة لم تحاول أن تشرك الشعب معها فى تحمل أية مسئولية جادة ؟ هذه ، على أية حال ، مجموعة من القضايا التى أثارها التعليق الخصب لأستاذنا الجليل فتحى رضوان ، قد نتفق فى البعض منها وقد نختلف فى البعض الآخر ، ولكن يظل له علينا فضل الاجتهاد والتفكير الجاد فى هذا الموضوع الحيوى .

● النظرية الثالثة ●

كانت معالجة الأستاذ محمد سيد أحمد للموضوع جادة وخلاقة ، أضافت أبعادا خصبة الى المناقشة ، ولقد كانت مساحة الاتفاق بيننا فى الرأى واسعة ، وإن كان قد أشار الى جوانب أخرى لم يكن من الممكن لدراسة استطلاعية تريد ان تكشف الأبعاد العامة للموضوع ، كتلك التى قدمتها ، أن تغطيها .

ولعل قدرا كبيرا من التساؤلات النقدية التى وجهها يسهل الاجابة عنه لو أمكن الاتفاق حول المقصود « بالنظرية الثالثة » فى مقالى السابق فقد تصور الاستاذ محمد سيد أحمد اننى أخذت على عاتقى تقديم نظرية ثالثة ، بالمعنى المتكامل لهذه الكلمة ، بعد نقد نظريتى المؤامرة الخارجية والبناء الداخلى فى تفسير هزيمة ٥ يونيو ، ونظرا إلى انه لم يجد فيما كتبت عرضا يمكن أن يرقى الى مرتبة النظرية الثالثة فى تفسير هذه الهزيمة ، فقد أعرب عن شكه فى هذه المسالة ، وكان قطعا على حق فى ضوء المقدمات التى بدأ منها .

ولكن العبارة التى عرضت فيها هذه الفكرة كانت ـ بنصها ـ كما يلى : « وهكذا فان هناك حاجة حقيقية الى مناقشة مفصلة لأخطاء هاتين النظريتين وعرض معالم نظرية ثالثة » . ومعنى ذلك ان ما اخذت على عاتقى القيام به ، هو أن أناقش اخطاء النظريتين المطروحتين بالتفصيل ، وأعرض بإيجاز الخطوط العامة لنظرية ثالثة . وبالفعل كان هدفى الاساسى هو ان أقدم تحليلا نقديا للطريقة التى تفسر بها التيارات السياسية المختلفة هزيمة ٥ يونيو ، أما الجانب الايجابى ، أعنى تقديم نظرية جديدة بصورة متكاملة ، فيحتاج بطبيعة الحال الى جهد يفوق بكثير ما يسمح به مقال أو دراسة كهذه .

ولكن ، يظل السؤال الذى طرحه الأستاذ محمد سيد أحمد قائما ، وأعنى به : « هل يجوز القول بان العملية التركيبية التى ضمت النظريتين معا قد أسقطت عنهما صفة الذاتية واكسبتهما صفة الموضوعية ؟ هل حولتهما من نظريتين أحاديتى الجانب ، الى نظريتين تناولتا كل الجوانب وعالجتا الوضع الداخلى والخارجى

معا فى نظرة جامعة مانعة وشاملة ؟، وبطبيعة الحال فإن السؤال ، بهذه الصيغة ، لابد أن تكون الاجابة عنه بالنفى .

ولكن المسألة فى حقيقتها ليست على الاطلاق « عملية تركيبية ضمت النظريتين معا » ، أعنى أن الجهد الذى ينبغى أن يقوم به من يريد أن يقدم تفسيرا موضوعيا لهزيمة ٥ يونيو لا يصح أن يتخذ شكل الجمع بين نظرية المؤامرة الخارجية ونظرية البنية الداخلية للنظام ، أو الجمع بين جوانب من هذه وجوانب من تلك ، والاعتقاد بأن هذا الجمع أو التركيب يخلق نظرية جديدة تتجنب عيوب النظريتين معا .

وحقيقة الأمر ، فى رأيى ، هو أن الواقع الأصلى الذى حدثت الهزيمة فى ظله ، وبسببه ، كان هو ذاته واقعا مركبا تتشابك فيه العوامل الداخلية والخارجية وتتفاعل معا بطريقة جدلية ، هذا الواقع المركب هو الذى اختزله البعض ، لأسباب ذاتية هى الرغبة فى إعفاء النظام القائم عندئذ من مسئولية الهزيمة ، الى بعد واحد أو جانب واحد ، هو تآمر الامبريالية الأمريكية ، عن طريق مخلبها الاسرائيلى ، على التجربة المصرية التقدمية وهى لم تزل فى مهدها . وهذا الواقع هو نفسه الذى اختزله البعض الآخر ، لأسباب ذاتية أيضا هى تبرير السير فى طريق الانفتاح من جهة ، أو الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية من جهة أخرى (أو كليهما معا !) ، إلى بعد واحد ، هو انهيار البناء الداخلى ، مع تجاهل البعد الخارجى أو العالمى تجاهلا تاما ، وتشويه للبعد الداخلى ذاته .

وعلى ذلك فان الوضع الصحيح للمشكلة لا يتمثل فى وجود نظريتين تركز كل منهما على جانب واحد ، ومحاولة التركيب بينهما بصورة خارجية آلية سعيا وراء نظرية ثالثة . بل إن الوضع الأصلى الذى كان قائما ، عندما حلت الهزيمة ، هو الذى ينبغى أن يكون نقطة البدء الحقيقية فى أية معالجة سليمة للموضوع . وفى هذا الوضع كانت العوامل الداخلية والخارجية تتضافر معا لكى توصل الى نتيجة لا مفر منها ، هى الهزيمة ، أما الموقف الذى تعبر عنه كلتا النظريتين ، الخارجية والداخلية ، فهو موقف لاحق ، يعمل على اجتزاء هذا الواقع المركب وانتقاء عنصر واحد من عناصره . ولما كانت الأسباب التى تدعو كل فريق الى انتقاء هذا العنصر أو ذاك أسباب ذاتية ، ترتبط بالمصالح التى يمثلها كل فريق ، فإن عملية الاجتزاء والاختزال هذه تجعل النظرية ذاتية بالضرورة ، على حين أن الرجوع الى الواقع المركب ، فى تعقيده وتشابكه الأصلى ، يمثل موقفا موضوعيا بلا جدال .

● تداخل العوامل ●

وهكذا يبدو أن الاختلاف بينى وبين الأستاذ محمد سيد أحمد ، فى هذه



حوار جديد

حول ٥ يونيو

النقطة على وجه التحديد ، هو اختلاف فى الترتيب : لانه تصور ان النظريتين الجزئيتين هما الاصل واننى احاول التركيب بينهما لكى آتى بجديد ، على حين أن فكرتى تنحصر فى أن العوامل المؤدية الى الهزيمة كانت تشكل كلا معقدا تتشابك فيه عناصر داخلية وخارجية ، ولم تظهر النظريتـان الجزئيتان إلا فيما بعد ، كمحاولة لتشويه هذا الواقع الموضوعي او طمس بعض ابعاده لاغراض ذاتية .

اما هذا الواقع الموضوعي الجامع بين البعد الداخلي والبعد الخارجي فى مركب واحد ، فإن اهم سماته ، فى رأيى ، هو انعدام المشاركة الشعبية وانفراد الحاكم باتخاذ القرارات ثم قيام مجموعة كبيرة من الاجهزة والتنظيمات المدربة بتقديمها الى الشعب بعد ذلك على سبيل التفسير والتبرير . فى هذا الوضع تتداخل العوامل الداخلية والخارجية تداخلا عميقا ، إذ أن النتيجة الحتمية المترتبة على ذلك هى العجز عن الوقوف بصلابة فى وجه الامبريالية العالمية ، والعجز عن السير فى التجربة الاشتراكية بخطوات جادة اصيلة ، والعجز عن تعبئة القوى الشعبية (وليس الجيش المحترف فقط) من أجل معركة البناء فى الداخل والتصدى للعدو فى الخارج . وفى هذا يكمن الفارق الأهم بين تجربتنا وبين التجربة الفيتنامية ، وليس فى العوامل الجغرافية وتضاريس الأرض ، او فى زهد الشعب الفيتنامي وتقشفه ، كما جاء في تعليق استاذنا فتحي رضوان .

ولاشك ان هناك حاجة الى دراسات اكثر تفصيلا وتاصيلا ، لهذا الواقع الذى تفاعل فيه اسلوب الحكم الداخلي مع طريقة التصدى للاخطار الخارجية فى مركب واحد ، والذى تشابك فيه ، بطريقة جدلية ، الأسلوب الفردى فى اتخاذ القرار ، مع الافتقار الى الحسم فى مواجهة الامبريالية العالمية . واحسب ان التحليل الذى قدمه الأستاذ محمد سيد أحمد ، فى نهاية تعليقه ، هو إسهام مفيد فى هذا الميدان المعقد الذى يحتاج الى تضافر جهود الكثير من الباحثين والمفكرين الجادين .

● نزاع شخصي ! ●

واخيرا ، اصل الى تعليق الأستاذ محمد عودة ، الذى اصابنى بقدر كبير من خيبة الأمل ، لا لانه تضمن إساءات الى شخصي ، بل لأنه حول موضوعا على هذا القدر من الاهمية والخطورة الى نزاع شخصي لم يكن له ، منذ البدء ، اى داع . فحتى لو كنت شخصا يتسم بكل السيئات التى نسبها إلىّ الأستاذ عودة او باكثر منها ، فإن هذا لم يمنع من ان تظل الانتقادات التى قدمتها قائمة ، ولا يمكن ان يحول دون وجود جوانب النقص التى أشرت اليها موضوعيا ، بغض النظر عن شخصية من اشار اليها

وهكذا فلا مفر فى مسالة كهذه من معالجة القضية موضوعيا ، وطرح

الاشارة الى شخصية الكاتب وماضيه جانبا .

والحقيقة الموضوعية الوحيدة التي تضمنها رد الأستاذ عودة ، هي أن كثيرا من الناصريين قد نبهوا الى العيوب الداخلية فى النظام الناصرى . ولكننى اود ان اضيف إلى ذلك ايضا ان كثيرا من الناصريين يكتفون ، كلما وردت اشارة إلى حرب ١٩٦٧ ، بالحديث عن وقوع النظام فريسة لمؤامرة إمبريالية خارجية ، كما فعل الأستاذ عودة فى مقال « ندابات ٥ يونيو » ، وكما فعل عدد لا يستهان به من اقطاب الناصرية فى ندوة ٢٣ يوليو التى عقدت فى وقت اسبق من هذا العام . ولكى اميز بين هؤلاء واولئك ، استخدمت تعبير « الناصريين المتشددين » فى وصف اولئك الذين لا يرون فى ٥ يونيو إلا مؤامرة خارجية .

وعلى اية حال ، فلذا كان الأستاذ عودة يعتقد ان الناصريين قد انتقدوا العوامل الداخلية المنتمية الى بنية النظام ، بوصفها سببا اساسيا للهزيمة ، فقد كان من واجبه ، منطقيا ، ان يخفف من قبضته على « ندابات ٥ يونيو » ، لأن هؤلاء الأخيرين لم يفعلوا إلا ذلك ، واذا كان يستشهد بما كتبه الفريق محمد فوزى من نقد مرير لأوضاع الجيش قبل الحرب واثناءها - وهو نقد يمثل شهادة تاريخية عظيمة القيمة - فقد كان من واجبه أن يدرك أن الاستشهاد بهذه الكتابات ، التى وصفها أستاذنا فتحي رضوان بانها تقدم صورة « قاتمة ومخزية » ، لما كانت عليه الأوضاع عندئذ ، تؤدى إلى نتائج ليست فى صالحه على الاطلاق :

١ - إذ إن من حقنا ان نسأل : اى نظام هذا الذى سمح لبرجوازية وبيروقراطية عسكرية ، على حد تعبير الأستاذ عودة نفسه ، بان « تستولى على قيادة القوات المسلحة وتحاول ان تجعل من نفسها فئة حاكمة ومالكة ... وتتواطأ مع العدو ... وتقف عقبة امام تطور التنظيم الشعبى وقيام منظمة الشباب ... وتعرقل تطبيق التجربة الاشتراكية . » هذه الجرائم ، التى تشمل الفساد وخيانة الوطن والاستبداد والوقوف فى وجه المشروع المصرى القومى فى الستينات ، صدرت كلها - حسب كلام الأستاذ عودة نفسه - عن قيادة القوات المسلحة ، فكيف سمح النظام بذلك ؟ الرد الجاهز هو أن الجيش كان يمثل مركز قوة لا يمكن التغلب عليه . ومعنى ذلك أن التوازنات التى كان يقوم عليها النظام هى توازنات القوة ... وهنا بالضبط يكمن الضعف القاتل الذى نبهنا اليه : فلو كانت ديمقراطية ، ومشاركة شعبية حقيقية ، لما اضطر النظام الى ترك اهم مؤسسة فى الدولة تخضع لفئة باغية وخائنة .

٢ - وإذا كان الوضع فى قيادة القوات المسلحة عندئذ على هذا القدر من السوء ، فكيف جاز للنظام ان يعتمد على قيادات كهذه فى خوض معركة يتوقف عليها مصير الامة العربية كلها ، لا مصر وحدها ؟ إن كان النظام لا يدرى ، فتلك مصيبة ، وإن كان يدرى فالمصيبة أعظم !

٣ - ولنسأل انفسنا : لماذا لم تظهر هذه الانتقادات المخلصة ، للأوضاع ◀

حوار جديد

حول ٥ يونيو

السائدة في القوات المسلحة إلا بعد الهزيمة ؟ ألم يكن في وسعنا أن نتجنب الكارثة لو كان المناخ السائد في البلاد يسمح بالتنبيه الى هذه العيوب القاتلة ، كما يحدث بالفعل في أية دولة لديها حد أدنى من الديمقراطية ؟

٤ ـ وإذا كان الفريق فوزى ، بكل ما كان لديه من ثقل ونفوذ ، لم يتمكن من أن يدلى بشهادته الكاملة عن الأوضاع السائدة عندئذ إلا بعد سنوات طويلة من زوال هذه الأوضاع ، ألا يعطى ذلك عذرا للصف الطويل من الكتاب ، الذين أدرجنى الأستاذ عودة من بينهم بغير وجه حق ، والذين لم ينتقدوا التجربة الناصرية إلا بعد زوالها ، ومنهم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ إلخ ؟

تبقى ، في النهاية ، تلك الشتائم التى وجهها الأستاذ عودة إلى شخصى ، والتى يستحيل أن أرد بمثلها لعدة أسباب ، منها أننى لا أنتمى إلى المدرسة التى تخرج من المآزق الفكرية بتجريح الأشخاص ، ومنها أننى لا أحتاج إلى توجيه ألفاظ جارحة إلى الغير مادام في جعبتى عقل ومنطق أستخدمه في الرد .

● تصحيح ●

ولكن بعض الوقائع التى وردت في تعليق الأستاذ عودة تتعلق ، بمجلة الفكر المعاصر ، في الفترة التى كنت خلالها رئيسا لتحريرها ، ولما كانت تلك وقائع تنتمى إلى تاريخنا الثقافى في الستينات وأوائل السبعينات ، فلابد لى من أن أقول كلمتى فيها حتى أصحح معلومات الأستاذ عودة من جهة ، وأساعد شباب بلادنا على الوصول إلى الحقيقة في هذا الموضوع الهام من جهة أخرى .

فقد جاء في مقال الأستاذ عودة : « وقبل ذلك كان السيد الدكتور نجما مميزا من نجوم الرقص ، وقد ظل عدة سنوات رئيسا لتحرير مجلة ايديولوجية ناصرية ، كانت تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام في مصر وفي كنف راعى الفكر وحامى الفن زميله د . عبدالقادر حاتم » .

وقال في موضع آخر : « ولم يتحرج من أنه كان في نفس الوقت رئيسا لتحرير مجلة تعبىء العقل والفكر المصرى للايمان بالنظام » .

وأخشى أن يكون الكاتب قد ارتكب هنا سلسلة من الأخطاء : إذ أن مجلة الفكر المعاصر لم تصدر في كنف الدكتور عبدالقادر حاتم ، وإنما أغلقت على يد الدكتور عبدالقادر حاتم عندما كان وزيرا للثقافة في السنة الأولى من حكم الرئيس السادات . أما الوزير الذى اختارنى رئيسا لتحرير هذه المجلة فهو الدكتور ثروت عكاشة ، الذى كان ولايزال عاشقا أصيلا للثقافة الحقة . وقد اختارنى لرئاسة التحرير لأنه كان

يعتقد - صوابا أو خطأ - بأنني جدير بذلك ، لا لأنني كنت من الدعاة الناصريين .

وللتاريخ ، أود أن أشير إلى أن أول مقال كتبته في مجلة الفكر المعاصر بعد اختياري رئيسا للتحرير كان بعنوان : « نحو عالم يحكمه الفكر » ، وقد انتقدت فيه أنواع الحكم المختلفة التي جربتها الشعوب ، كحكم أصحاب الثروات المبني على القوة الاقتصادية وحكم الجيوش المبني على القوة العسكرية ، ودعوت إلى تجربة نوع جديد من الحكم يرتكز على قوة الفكر ... وكانت الرسالة التي أريد أن أنقلها واضحة ، وقد أدهشت الكثيرين ممن كانوا يتوقعون أن أقدم في أول عهدي مقالا يعبر عن الشكر ، لا عن النقد ، ولكني كنت أريد أن أقدم نفسي على ما أنا عليه ، فإما أن أقبل كما أنا أو يستعاض عني بغيري . وقد علمت فيما بعد أن الدكتور ثروت عكاشة ، الذي كان يكن للمثقفين المتعاونين معه في وزارته تقديرا بالغا ، كان يصد عني وعن غيري هجمات كثيرة من أجهزة الرقابة والأمن ، الخ .. دون أن يخبرنا بشيء ، حتى نمضي في طريقنا بهدوء . وكم أتمنى أن تسمع شهادة هذا الرجل الكبير حول هذا الموضوع .

ويواصل الأستاذ عودة كلامه قائلا : « وكم أتمنى لو يملك الدكتور حقيقة شجاعة الأسود التي يتباهى بها الآن ، وينشر دراساته وافتتاحياته ونظرياته التي زين بها مجلة « الفكر المعاصر» في ذلك الحين ، وأقترح لو سمح لي الدكتور عنوانا باسم رقص الفلسفة أو فلسفة الرقص » . وأخشى أن أخيب ظن الزميل الكريم حين أقول له إنني نشرت بالفعل معظم هذه الدراسات والافتتاحيات ، منذ أحد عشر عاما ، في كتاب اخترت له عنوانا لا صلة له - للأسف - بالرقص ، هو : « آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة » ، وأصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ .

وأمل أن يتفضل الأخ عودة بقراءة الكتاب ، أو بالعودة الى أعداد الفكر المعاصر » نفسها في الفترة التي كنت خلالها رئيسا لتحريرها ، لكي يتأكد بنفسه إن كانت تلك مجلة أيديولوجية جندت نفسها لخدمة النظام ، أم كانت مجلة علمية موضوعية تترفع على الكتابات الدعائية الرخيصة .

وبعد ، فإن الأستاذ عودة يدعوني ، في آخر تعليقي ، إلى أن أرفع يدي عن ثورة يوليو ، وأخشى أن أقول إن أحدا لايملك أن يطالب الناس ، في أي بلد يحترم نفسه ، ويسعى إلى معرفة تاريخه ، وتعلم الدروس من هزائمه ، بأن يرفعوا أيديهم عن خمسة وثلاثين عاما من تاريخهم . وإني لأؤكد للزميل الكريم أن دافعي الوحيد إلى الكتابة في موضوع ٥ يونيو ، ليس إلا الرغبة في فهم الماضي القريب من أجل استخلاص دروس نستعين بها في مواجهة المستقبل ، وليس على الاطلاق ثأرا شخصيا ، أو تصفية لحسابات خاصة ، أو دفاعا عن أية ارتباطات شخصية سابقة . فلا زال هناك - لحسن الحظ - من يستطيعون أن يحللوا وينتقدوا دون أن يكون للاعتبارات الذاتية الخاصة أي دور فيما يفعلون .

التيارات الفكرية فى مصر فى القرن العشرين (٤)

الاتجاه التغريبى العلمانى والنزعة المصرية

بقلم : حسين أحمد أمين

كانت الغاية الرئيسية للمدارس التى انشأها ولاة مصر فى القرن التاسع عشر على غرار النماذج الاوروبية ، وتحت اشراف الاوروبيين فى اكثر الاحيان ، هى تخريج الاطباء والمهندسين والموظفين والخبراء المهنيين من كل نوع ، وذلك من اجل النهوض بالمشروعات التى اختطها هؤلاء الولاة ، واذا ادرك هؤلاء الخريجون ان الالمام بالمعارف الاوروبية هو سبيل الترقى فى الوظائف العامة ، كان طبيعيا، ان يتطلعوا ، هم واعضاء البعثات المصرية فى اوروبا ، الى التزود منها ، ثم ان يشرعوا بعد ذلك فى المقارنة بين مختلف النظم الغربية التى قرأوا عنها او عاينوها وبين النظم السائدة فى بلادهم . وقد كان موقفهم من تلك النظم الغربية خلال القرن التاسع عشر يتسم بقدر كبير من الاتزان والوقار الخليقين بالاعجاب . وهما اتزان ووقار لانجد تفسيرا لهما غير ايمان لم يزعزعه شىء بتفوق العقيدة الاسلامية ، وبان الاوروبيين مهما بلغوا من تقدم مادى حضارى هم من اهل الضلالة .


احمد لطفي السيد


الخديو اسماعيل


د . طه حسين

ومع اشتراك المحافظين ودعاة الاغتراف من الحضارة الغربية في هذه الثقة في الاسلام ، فان هذا لم يحل دون انشطار الدوائر الفكرية في مصر الى شطرين متنافرين ، تفصل بينهما هوة سحيقة ، وينظر كل منهما الى الاخر نظرة الاستخفاف • فالجامدون انصار القديمكانوا بمنأى عن التطورات التي تهز الفكر المعاصر من جذوره ، لا يلقون القبول الا لدى فئة محدودة ممن يماثلونهم في الروح والنزعة • لذلك كانوا في واقع الحال انما يخوضون معركة خاسرة • اما دعاة التغريب فقد انساقوا في تيار الحركة الجديدة مجاوزين الحدود المعقولة • وهو مايعكس ميلا ملموسا الى المبالغة، وميل مفكريهم الى ان يخلقوا من النقطة الصغيرة الصحيحة التي بدأوا بها ، نظاما شاملا لكل ما في السماء والارض جميعا ! وهم حين حاولوا ان يجذوا صلتهم بالماضي كله عدا الدين ، فانما كانوا يقطعون جذورهم ذاتها ، بحيث تأثرت العقيدة الدينية هي الاخرى بهذا الجهد • وما كان ليرتجى من هؤلاء في تلك المرحلة الاولى ان يخرجوا بأي اثر فكري يتسم بالابتكار ، وهم الذين ظلوا يتخبطون في حيرة واضطراب نجما عن هذه الثورة المفاجئة ، وكان انتحالهم لافكار الغرب وقيمه أسرع من أن يسمح بتجاوز السطح الى ما هو أبعد من السطح •

● تعبيد الدرب ●

ومذ قال الخديو اسماعيل أن مصر أضحت قطعة من أوروبا ، نهضت نخبة من المفكرين بمهمة التعبير عن استقلال الفكر المصري عن التقاليد الآسيوية والافريقية • بدأوا بتمجيد مظاهر المدنية الغربية القائمة على العلم ، واثنوا على مصر اذ اثبتت استعدادها للاخذ بأساليب الارتقاء من دون جلبة ، وقبول الخير لا تسأل عن مصدره ، والدخول في طور النهضة التي دفعها الغربيون اليها • فاكثر

التيارات الفكرية فى مصر
فى القرن العشرين (٤)

ما فى مصر والبلاد العربية الاخرى من أمارات النهضة هو من حسنات الغرب عليها . عرفنا منه فكرة مساواة الناس عامة أمام القانون ، وحرية العمل وحرية الاعتقاد والفكر ، وحقوق الانسان والمعنى الحقيقى للاصلاح الاجتماعى والاقتصادى ، ومعنى الوطن والوطنية ، وفهمنا أن البقاء والتقدم منوطان بالتضامن والتكافل بين افراد الشعب ، وأنه بقدر حظنا من الماديات تكون صحة المعنويات . ومن الغرب اقتبسنا اختراع الطباعة ، وأصول الصحافة وتعلمنا السفر فى القطارات ثم الطائرات ، وكيفية مكافحة الاوبئة ومقاومة الامراض ، وبناء الجسور وتوليد الكهرباء، وتنظيم المدن ورصف الطرق ، وتوصيل المياه النقية فى الاتابيب ، وبناء الخزانات وادارة المصارف وانشاء الجمعيات الخيرية ، وتأسيس الاحزاب السياسية والشركات الصناعية ، ورعاية أصحاب العاهات وتحرير المرأة والرقيق . ونقلنا عنه المسرح فالسينما ، والراديو فالتليفزيون . بل ان للغرب علينا فضل اماطة اللثام عن تاريخ مصر القديمة ، وتعريفنا بأمجاد اجدادنا الفراعنة . وله الفضل فى نهوضنا باللغة العربية، وبعث اهتمامنا بأمهات كتب تراثنا الاسلامى . فالاوروبيون هم الذين انشأوا منذ القرن الرابع عشر مدارس فى قارتهم لتعليم اللغة العربية، وتهافتوا على اقتناء مؤلفات علماء المسلمين . فما اخترعت الطباعة حتى كانت المخطوطات العربية من اوائل ما طبع فى أوروبا من كتب ، فى حين أصر المشايخ فى دار الاسلام على تحريم الطباعة . وقد عنى الاوروبيون بتحقيق المؤلفات العربية النفيسة فى الطب والطبيعة والفلسفة تحقيقا علميا نقلنا اصوله عنهم . فبفضلهم عرفنا تراث اسلافنا وطرق احيائه ، وعرفنا مزاياه . ووسائل الاستفادة منه . وهم الذين دربونا على العناية بالآثار فى بلادنا ، ونبهونا الى أهميتها فبدأنا ندرسها . وبدراستنا لامهات الكتب فى تراثنا ارتقت لغتنا العربية ، ونمت ملكات مؤلفينا ، ولولا الغرب لما نبغ لدينا شعراء أو كتاب . واختصارا فانه ان كان الغربيون قد اخذوا عن العرب كل ما نفعهم يوم نهضتهم من ضروب المعارف البشرية ، فهم اليوم يعيدون الينا ، عن سماحة نفس ، شيئا مما تعلموه من اجدادنا ، بعد ان زاد بعلمهم وبارتقاء الزمن وتداول الايام فلا يشق ذلك علينا ، فهذه سنة المدنيات التى درجت عليها البشرية ، ولا غضاضة على المتأخر اذا اخذ عن المتقدم . ولا أمل لمصر او لغيرها من الدول المتخلفة فى اللحاق بركب المدنية الا بتبنى المزيد من حضارة الغرب . فان كان فى مدنيته مساوىء . فلكل مدنية مساوىء تنسج فى مطاوى الحسنات . وحيث أن المدنية وحدة لا تتجزأ ، من أخذ بخيرها لابد ان يستهدف لشرورها طوعا أو كرها ، فان امر الفصل فى الاخذ منها او

الازورار عنها يتوقف على نسبة حسناتها الى سيئاتها ٠

هذا الموقف لدى طائفة كبيرة من الكتاب تعبيرا أدبيا واعيا عن ظاهرة هامة متفشية بين الافراد العاديين من سكان المدن ، وبلورة لاتجاه متصاعد نحو تبنى أساليب العيش والسلوك والقيم الغربية ، ونظرة الى أبناء الحضارة الغربية على انهم من معدن نفيس ، وباعتبارهم السادة والمعلمين، واعتقادا بأن للقبعة فضلا على العمامة والطربوش لانها تغطي رأسا ممتازة أضحى لفظ « الخواجة » لدى الرجل العادي والمثقف على حد سواء مرادفا للجنس الاسمى ، وصارت محاكاته في كل شيء ، من تبنى قيمه الى تقليده في زيه ومسلكه العادي ، مقياسا للتقدم والرقي٠ وصحب ذلك بالضرورة موقف احتقار لكل ما هو « بلدى » ، وسخرية بالتقاليد ، واهمال للغة العربية ، وازدراء لتراث الاقدمين ، ووصف كتبهم بالكتب الصفراء ، ونسبة التخلف الراهن الى التعلق بهذا التراث وهذه التقاليد البالية ، وارتباط مصر بالشرق الهمجي ٠

والمصريون بالذات من اكثر الشعوب احساسا بنقائصهم ، ومرارة في الحديث عن بلدهم ، وميلا الى التجنى على انفسهم ، والى المقارنة بين أحوالهم المتعثرة وبين أحوال الغرب ٠ اذا اراد مثقفوها اثبات قضية عززوا حجتهم برأى مفكر اوروبي ٠ وما من فنان او كاتب تثبت لديهم كفاءته الا اذا كان « عالميا » ، أى معترفا به من الغرب ٠ وهم يهللون تهليل الاحمق ان قرأوا ثناء من كاتب أوروبي على الاسلام ونبيه ، ولا يحفزن ما هو أدعى الى الفخر من الاشارة الى تأثر دانتي في كوميديته الالهية برسالة الغفران، وينعتون المعرى بلوكريتيوس العرب ، وابن خلدون بمونتسكيو العرب ، والجاحظ بفولتير العرب ، وكأنما في هذه النعوت شهادة موثقة بفضلهم ٠

● وسائل النهضة ●

واذ رسخت في النفوس عقيدة ان التغرب العقلى هو التفوق بعينه ، حدثت نقله أخرى حين اتجه بعض المفكرين المصريين ، مثل طه حسين (الذى التقط فكرته من كتاب لجورج ديهاميل الفرنسى !) ، الى التشكيك في عروبة مصر وانتمائها الى الشرق ، ونفى أن يكون العقل المصرى شرقى التصور والادراك والفهم والحكم على الاشياء ، وتأكيد صلة مصر الوثيقة منذ فجر تاريخها بشعوب البحر الابيض المتوسط (بحر الروم) واوروبا ، لا بالعرب والاتارقة . والقول بأن الوحدة الدينية واللغوية لا تصلح أساسا للملك وقواما للدولة٠ وقد كانت مصر من أسبق أقطار الدول الاسلامية الى استرجاع شخصيتها القديمة التي لم تنسها في يوم من الايام والتاريخ يحدثنا بان رضاها عن السلطان العربي بعد الفتح لم يبرأ من السخط ، ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبانها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل أحمد بن طولون ، وفي ظل الدول المختلفة التي قامت بعده ٠ فالسياسة شيء والدين شيء آخر ٠ وانما يقوم نظام الحكم وتكوين الدول على المنافع العملية والمصالح الاقتصادية والحضارية قبل أن يقوما على أى شيء آخر ٠ وكما ان اوروبا لم تصبح شرقية بانتشار المسيحية

فيها ، فان مصر لم تصبح شرقية او غربية بانتشار الاسلام فيها • فالاسلام لم يغير العقل المصرى المتأثر اساسا بحضارة بحر الروم • ولا ينبغى ان يحسب المصرى ان بينه وبين الاوروبى فرقا عقليا او ضعيفا ، ولا ان يظن الشرق الذى ذكره كيبلنج فى قولته الشهيرة « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا » ، يصدق عليه او على وطنه ، ولا ان يحسب قوله الخديو اسماعيل التى جعل بها مصر جزءا من اوروبا فنا من فنون التمدح والمفاخرة ، وانما كانت مصر دائما جزءا من اوروبا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية •

« فان كان المصريون اجمعون يقرون بحاجتهم الى نهضة سياسية واقتصادية وثقافية ، فلابد من ان يقروا بحاجتهم الى وسائل هذه النهضة • ووسائل هذه النهضة هى ان نتعلم كما يتعلم الاوروبى ، ولنشعر كما يشعر الاوروبى ، ولنحكم كما يحكم الاوروبى ، ثم لنعمل كما يعمل الاوروبى ، ونصرف الحياة كما يصرفها • فهذه الوسائل هى التى مكنت للاوطان الاوروبية والامريكية من ان تكون حرة فى داخلها ، مستقلة فى خارجها ، كريمة فى نفوسها وفى نفوس الناس » •

كان صاحب هذه النزعة المصرية احمد لطفى السيد المدير السياسى لجريدة « الجريدة » التى تأسست عام ١٩٠٧ ، واصبحت لسان حال حزب الامة ، والتى ازرها المستعمرون البريطانيون سعيا منهم الى مقاومة تيار الجامعة الاسلامية ، والتمهيد لفصل مصر عن الدولة العثمانية •

ونسجل فى هذا المقام ملاحظة طريفة• فمع ظهور الاتجاهات المتباينة فى مصر فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، من وطنية واسلامية وعلمانية وعربية وتغريبية ، كان المفروض ان يتجه الافراد الذين يجمعهم فكر واحد ، الى تكوين حزب له برنامج صيغ على ضوء مبادئهم ، ثم يؤسس الحزب جريدة له تنشر هذه المبادىء ، ثم تجد الجريدة فى جهات عليا من يشاندها ويمولها • غير أن الوضع فى مصر اتخذ صورة معكوسة : فالغالب أن تكون ثمة جهة عليا (الخديو او الانجليز) ، حريصة على نشر فكر معين ، فتختار لذلك رجلا مناسبا (مصطفى كامل او لطفى السيد) ، فيؤسس هذا الرجل جريدة تحتضن هذا الفكر (« اللواء » او « الجريدة » ثم يتجمع حول الرجل والجريدة افراد لهم مبادىء او ميول مماثلة ، فيتكون الحزب منهم (الوطنى او الامة) !

وقد التف حول لطفى السيد وجريدته شباب جيل جديد نالوا من العلم الغربى حظا اوفى من حظ اسلافهم ، واستوعبوا قسطا كبيرا من روح الثقافة الغربية من خلال اتصالهم الطويل بها فى سنى الطلب ، خاصا فى فرنسا • ولم تكن امال هؤلاء مقتصرة على ان يروا بلادهم حرة من الناحية السياسية فحسب ، بل ان

تكون ايضا قادرة على ان تتبوأ مكانا لائقا بها في العالم المتحضر . وقد كانت غالبيتهم فى الوقت نفسه مسلمين ممن دفعتهم تعاليم الشيخ محمد عبده الى محاولة تكييف الاصول الاسلامية لتلائم المتطلبات الحديثة فى الحياة والفكر . ومع ادراكهم العميق للتناقض القائم فى مجتمعهم ، كانوا يؤمنون بأن ازالة هذا التناقض ممكنة وواجبة ، شريطة الا تتم هذه الازالة بالعودة الى القديم ، ولا بقطع كل صلة به ، وانما عن طريق التربية والتعليم والاصلاح المتدرج مهما بدا للبعض ابطأ مما ينبغى .

اسهام حضارى

وقد بدا من هؤلاء ميل ملموس الى الحديث عن مصر لا عن العالم العربى . فهم وان اقروا بان مصر جزء من ذلك العالم ، اكدوا ضرورة ان تسهم اسهامها الخاص فى الادب والفكر ، بل ورحب بعضهم بالتوسع فى استخدام العامية المصرية على حساب الفصحى فى المؤلفات الروائية والدرامية . واذ تميزت تلك الفترة بالذات ، فترة ظهور هؤلاء ، بكثرة الاكتشافات الاثرية الفرعونية ، وتدفق الكتابات عن تاريخ مصر القديم وامجاد الفراعنة ، فقد صادف ذلك هوى فى نفوس افراد هذه الطائفة ، ورد اليهم الحديث عن عظمة الاسلاف الثقة فى انفسهم . ذلك ان فى ربط الهوية بالماضى السحيق سبيلا الى الهرب من ذكريات ماض قريب لا تشير الى غير تبعية مصر للخلافة الاسلامية او السلطنة العثمانية . لذا انبرى هؤلاء يؤكدون ان لمصر ، منذ زمن الفراعنة ، عبقرية مميزة صبغت بسماتها كل مستورد حضارى . وبلغ الاعتزاز بمآثر مصر القديمة عند الدكتور محمد حسين هيكل بالذات حد الغيرة من مآثر العرب ، والتنكر الغريب للادب العربى القديم الذى اعترف بانه كف عن الاكتراث به منذ عام ١٩١٠ .

ثم مضى سلامه موسى الى ابعد من ذلك . فالادب العربى القديم عنده يفتقر الى المعرفة الصحيحة ، والى الاتصال بحقائق الحياة . وبعد ان كان فى البداية راضيا بأن يترك للتراث الاسلامى نصيبا ثانويا فى تكوين الثقافة المصرية الحديثة ، صار بعد ذلك يدعو الى قطع الصلة بالماضى على نحو بات ، والتركيز على تشرب الفكر الغربى . ومع ان الآراء التى انبرى سلامه موسى فى حرارة للدفاع عنها ، كنظرية التطور مثلا او العدالة الاجتماعية ، لا تتميز فى كثير او قليل عن الآراء الغالبة لدى مثقف اوروبى ، فقد اتهم فى مصر بالجرأة الزائدة ، وبانه يمثل الجناح المتطرف فى حركة المجددين المصريين ، لمجرد انه كان يتناول تناولا صريحا موضوعات لا يدنو المسلمون المجددون منها الا بشعور من الحذر والرهبة .

على اى حال ، فقد كان لهؤلاء التغريبيين العلمانيين فضل لا ينكر فى هدم جانب كبير من التأثير الضار للمحافظين الجامدين ، وفى تعويد الجيل الجديد على التفكير على خطوط وانماط جديدة لم تكن شائعة من قبل ، وفى ترويج مناقشة موضوعات حيوية كالمحافظة والاصلاح ، والدين والعلم ، والجمود والاجتهاد ، والاوتوقراطية والحكومة النيابية ، وموقف مصر من دول الفرنجة .

يكتب عن آرائه بصدد الدين ·

التيارات الفكرية في مصر في القرن العشرين (٤)

ولم يكن دعاة التغريب ليفرقون في الواقع بين دول الفرنجة حتى تبنى بعضهم مبادىء الماركسية · غير أن هؤلاء الاخرين ظلوا امدا طويلا عاجزين أو عازفين عن تقديم فكر جديد مستقل نابع عن الواقع المصرى · فهم رغم انشغالهم اساسا بقضية العدالة الاجتماعية في مصر وتصفية الاستعمار والقضاء على الاستغلال ، والربط بين الثورة الوطنية والتحول الاشتراكى ، ظلوا في فكرهم وتنظيمهم عالة على الاتحاد السوفييتي ، خاضعين خضوعا شبه مطلق لتفسيراته النظرية ، ومواقفه السياسية التكتيكية ، ان رأى في فكرة القومية العربية خطرا حاربوها ، وان دعا الى مصالحة عربية اسرائيلية دعوا اليها ، حتى اذا ما عاد يهاجم اسرائيل هاجموها · وكان هذا التذبذب والتناقض ، والخشية من الاجتهاد ، واهمال استلهام الواقع المحلى ، اسبابا رئيسية في ضعف اجتذاب فكرهم للجماهير العريضة ، حتى من العمال والفلاحين ، وذلك بالرغم من احجام غالبيتهم عن الدخول في معارك صريحة ضد التراث والدين ، مع ايمانهم القطعى بانهما لا يصلحان اساسا للتنظيم اجتماعى ، أو رابطة سياسية · والملاحظ بوجه عام انه رغم انتشار الالحاد بين كثرة من المثقفين المصريين ، فانه نادرا ما جرؤ كاتب من بينهم على التعبير فيما

● مستقبل الامة ●

ما من شك في أن مستقبل الامة يتوقف بصفة أساسية على قدرتها على التوصل الى مفهوم ايجابى يساعدها على مواجهة التوترات الناجمة عن تغييرات هائلة طرأت على المجتمع المصرى في القرنين الماضيين ، والتغلب على القوى المخربة التى تدفع المجتمع دفعا الى المزيد فالمزيد من التفكك والتحلل ·

كذلك فانه ما من شك عندى في أن كافة الحلول التى طرحت خلال المائة سنة الأخيرة ، والتي عرضنا لها في هذا البحث ، معيبة قاصرة !

● فالمحافظون الرافضون لكل تجديد ولكل مساس بالافكار والمعتقدات الموروثة ، قد فقدوا صلتهم بالعصر واحتياجاته ، ولم تعد حججهم بالقادرة على اقناع المثقفين ، وهى التى يصوغونها دوما في قوالب فكرية شكلية تستند استنادا كاملا الى اقوال السلف ، مما لا يمكن أن يتجاوب المحدثون معه · بل انهم حتى في اللغة التى يستخدمونها ، بل وفى طريقة نطقهم لها ، يوحون على الفور بخلو جعبتهم من رسالة لعصرنا الذى نعيش فيه · ففكرهم تستغرقه التكاليف الشرعية، وجهودهم تكاد تكون مقصورة على مراقبة نشاط المصلحين والمجددين ثم الوثوب عليهم والاخذ بخناقهم ، بحجة أنهم حماة الدين والاخلاق ، خاصة ان كان المجدد من علماء الدين مثلهم ، كالشيخ على عبد الرازق الذى دعا عام ١٩٢٥ لفصل الشئون المدنية عن التشريع الدينى ، والشيخ محمد

أبوزيد الذى نشر عام ١٩٣٠ تفسيرا للقرآن يفسر فيه الظواهر الخارقة تفسيرا طبيعيا حتى يشجع الجيل الجديد على العودة الى الاهتمام به وما من أحد فيهم حاول أن يوجه الاسلام فى قنوات خلاقه ، وانما قيدوه بنظرة رومانسية درامية لتاريخه ، أساسها أحكام مطلقة على شخصياته وأحداثه ، وانتقاء تحكمى للمادة ، واستبعاد لكل ما ينقض الصورة التى يفضلون أن تكون أحداث الماضى قد تمت عليها • وهم بهذا أغلقوا الباب فى وجه أهم عامل كان بوسعه أن يحفظ على الفكر الاسلامى مرونته ، الا وهو المنهج التاريخى العلمى ، والنظرة التاريخية الى الأمور • فبالرغم من ايمانهم بأن التاريخ هو مظهر الارادة الالهية فى المجتمع البشرى ، لم يكن فى وسعهم أبدا أن يفرقوا بين الحقائق والأوهام التى هى من صنع مخيلتهم ، ولا أن يدركوا أنه ما دامت الارادة الالهية قائمة فى التاريخ ، فان رفض استقصاء الحقائق التاريخية فى أمانة مطلقة ، والعبث بها من أجل ادخالها فى اطار محدد سلفا ، لا يعنيان غير عدم اكتراثهم بمعرفة كنه هذه الارادة • فان دفعوا بأن الاسلام كان دائما مع العلم والبحث العلمى ومواجهة الحقائق دون خوف ، أجبناهم بأن نعم فمن المسئول اذن غيركم مما يعانيه البحث التاريخى الموضوعى فى الاسلاميات اليوم من اختناق ؟

● وأما المصلحون الاسلاميون التوفيقيون ، فموقفهم فى جوهره مشابه لموقف دعاة التغريب العلمانيين، وبالتالى فانهم لم يطرحوا بديلا حقيقيا للقيم الغربية ، اذ انبروا لمؤازرتها ببيان شبهها بالاسلام • فان كان دعاة التغريب قد أعلنوا أن « القيم الغربية شبيهة بالقيم الاسلامية . فلنتبناها ! » وقد ظل هؤلاء دوما يلهثون فى عدوهم وراء التغريبيين كى يبرروا كل جديد ، ولكى يوجدوا الأسس الدينية لتبنى المفاهيم الغربية • فان كان العلمانيون قد نادوا بأن العلم والعقل هما مفتاحا التقدم والحضارة ، فقد تركوا للمصلحين الاسلاميين مهمة اثبات أن الاسلام يقر هذا الموقف•أو على حد تعبير الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر وأحد التلاميذ المخلصين للامام محمد عبده •

« لا يمكن أن يكون ثمة صراع بين الدين والحق والعلم والحق • فان نحن وثقنا بصحة نظرية علمية تبدو مناقضة لتعاليم الاسلام . فانما سبب ما يبدو لنا من تناقض هو اننا لم نفهم القرآن والحديث فهما سليما • والقاعدة المتفق عليها فى الاسلام هى انه كلما خالفت شواهد علمية نصا قرآنيا، فعلينا أن نعتبر النص رمزيا • هذا علاوة على أن القرآن هو بلسان عربى ، والعربية كما تعرفون شديدة المرونة » !

وقد اتسم معظم هؤلاء المصلحين الاسلاميين بالافتقار الى احترام الرجل العادى فى مجتمعهم ، والى الثقة فى قدراته واستعداده الروحى •

● وأما دعاة القومية العربية والوطنية المصرية ، فلم تكن ثمة صلة حقيقية بينهم وبين الجماهير •

والفكرتان ليستا عميقتى الجذور ، ان كان بامكانهما وأن توحدا الناس ضد الأجنبى حتى ينالوا استقلالهم ، أو يحققوا وحدة بينهم ، فانهما سرعان ما يذبلان بعد ذلك حين تفضح خيبة الامل خرافة الاكتفاء ، ويبرز استمرار الحرمان والظلم والتخبط بعد

نيل الاستقلال مسئوليتنا الكاملة عن هذه الشرور .

● وأما عن دعاة التغريب والعلمانية فانهم مع كل تحمسهم للديمقراطية والمساواة وغيرهما من المفاهيم الغربية ، لم يكن بوسعهم قط الادعاء بأنهم يعبرون عن ارادة الشعب ، وانما اصبح لسان حالهم عن انهم يسعون للصالح العام باعتبارهم الصفوة ، ولأنهم أدرى من الشعب باحتياجات الشعب ومصلحته ، وقد يقرون أحيانا بضرورة الهبوط الى مستواه . فهم صفوة حسنة النية ، غير انهم دائما صفوة ، مباينة للجماهير فى عقائدها وطريقة تفكيرها . صحيح أن المفهوم العلمانى والاتجاه الى محاكاة الغربيين كانا قد انتشر فى صفوف الجماهير من جراء التعليم المدنى ، ووسائل الاتصال والاعلام المتزايدة ، والتصنيع والحياة فى المدن ، وأنماط الاقتصاد وغيره ، وأن تأثير الفرنجة انما كان ضخما بقدر ما كان الفراغ فى الساحة المصرية ضخما . غير أن الثابت الواضح الآن أن الولاء الأول لدى الجانب الأعظم من الجماهير فى مصر هو للاسلام دون غيره ، وأن الفكر الاسلامى لا يزال له بعد أربعة عشر قرنا سلطانا عليها تصعب زعزعته . وقد تعاظم تأثير فكر الجماعات المتطرفة فى العامة نتيجة لتدهور مستوى التعليم بعد ثورة عام ١٩٥٢ . وبالتالى فقد ضعف تأثير دعاة التغريب فيها ، خاصة أن القليلين منهم فحسب هم الذين تأثر فكرهم بالاسلام ، لا يعرفون تعاطفا مع غيرهم من المسلمين الا أن كانوا عربا ، ولا يتحمسون لاقامة روابط اقوى مع المسلمين الا أن كانوا عرباء ، ولا يتحمسون لاقامة روابط اقوى مع المسلمين فى تركيا مثلا أو فى ايران أو باكستان .

وسيظل الحل دائما كامنا فى العقيدة الدينية . وهو حل لا يمكن تأجيل توفيره زمنا أطول دون حلول كارثة تتمثل فى اصابة مجتمعنا بالتحلل . غير انه لن يكون حلا حقيقيا الا بصياغة علمية تتفق مع العلم الحديث وما لم نعد تقييم المادة التاريخية بنفس الدرجة من الامانة التى ظلت قائمة لدى المسلمين حتى القرن الرابع الهجرى ، ثم هدمها بعض علماء الدين حتى لا يكون للتاريخ من غرض غير الدروس الأخلاقية والعبرة الدينية . فمثل هذه الامانة التاريخية هى وحدها القادرة على أن تعيد الى الاسلام مرونته المطلوبة لمواجهة مشاكل الوجود ، ومسايرة احتياجات العصر . أما التطلع الرومانسى الى الماضى من أجل أن نخفى عن أعيننا مسئوليات الحاضر وضرورة التأهل للمستقبل ، فلا يعنى غير تكييف هويتنا على ضوء ذكريات مزيفة ، ذكريات فى بطون كتب لا تقرؤها الغالبية ، وتقرؤها الاقلية ، اما للافتخار ، أو للاحتجاج بالطروحات قررتها تطلعاتها وكبرياؤها .

والحل على أية حال لن يتأتى الا بصراع . وما من أحد يتوقع للحق أن يثبت ذاته فى سهولة ويسر . كما انه من قبيل الغفلة والافراط فى التفاؤل أن نثق بأن النصر سيكون حتما حليفه .



قنديليات

بقلم: يحيى حقى

سهراية فى الفن

الخطوة الأولى للفن إليك ليست لتحريك الذهن بل لتحريك فيض من الشعور في اغلب الأمور غامض مبهم عائم غير مستقر .. عسير تعليله عسير تفسيره بل حتى الابانة عنه عسيره . هو قد يتعدد بتعدد الاشخاص الواقفين امام اللوحة ، ويختلف باختلاف ملابساتهم الزمانية والمكانية ، اى اختلاف لحظتهم التاريخية أو الحضارية ، والفن فى خطواته الاولى اليك يتجاوز هذه الملابسات الزمانية والمكانية ، ويعلو عليها ، وهى عوارض ليصل الى عنصر الانسان ، فيك ولايجد الفن امامه الا مجال الشعر لكى يبلغ غرضه الاول وهو ان يحدث تلاحم بينك وبينه .

فتنقذ مأساة شعور الانسان الدفينة بأن حياته عابرة تمر مر السحاب على سماء ثابتة ومع ثباتها تظل مجهولة الاسرار ، شعوره بأن التراكمات التى غلفت عنصره الفطرى اصبحت من ورائها فى وحدة وعزلة وآمنة فى الغفلة لا فى الانتباه ..

ان الفن اول شىء ينقصه هو ثيابك التى نسجتها ملابسات الزمان والمكان ، والفن يهب الراحة السمحة للقتيل الاول ، والقلق للمريض الثانى فالفن رحمة وعذاب ..

يحدث هذا لأن اللوحة فى خطواتها الاولى اليك ، توحى بأنها من صنع انسان يستمد مبدئيا من معين شعوره لا من معين فكره ، واستمداده من معين الشعور هو وسيلة للنفوذ الى عصر الانسان فى نفسه وفيك انت متحررا ما أمكن من ملابسات الزمان والمكان .

واقف هنا لأقول ان التصوير هو عالم الالوان ، فى الضوء قبل عالم مضامين او اشكال أو خطوط او نبض او تناسق الاجزاء ، اذا لم نركز اهتمامنا باللوحة على الالوان اولا فقد اهدرنا فن التصوير أو نسخناه ، بتنوع هذا اللون وثراؤه ، واتساع رقعة حركته بل قوامه المادى وصفة استخدامه بالفرشاة ، بالسكين ، باللمس أو بالتراكم طبقة ، فوق طبقة .. ان فن التصوير هو منفذنا ، ودليلنا الى عالم الالوان فى الطبقة ، وليس لكل الناس عين قادرة على الانتباه اولا الى اللون والاستجابة له .

ان الجمهور الحق لفن التصوير هو معن لهم مثل هذه العين ، اما الباقون فيخرجون من المعرض وكأنهم لم يروا مايريد لهم أن يروه .. حديثهم بعيد كل البعد عن الحقيقة ، اذا اقتصر عن المضمون والشكل والخط .... الخ .

ظاهرة الخلاف

حول الدولة العثمانية

بقلم : فتحى رضوان

غادر منذ أسابيع دنيانا العالم المؤرخ الاستاذ عبدالعزيز محمد الشناوى استاذ التاريخ ورئيس قسمه بالجامعة الازهرية ، واظنه توسد مثواه الأخير ، قرير العين كعالم فقد فرغ قبل أن تفرغ أيامه فى هذه الدار ، من وضع موسوعة كبيرة ضمنها تاريخا كاملا ، واسع النطاق ، متعدد المصادر ، للدولة العثمانية منذ نشأتها فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى حتى أخر أيامها فى القرن العشرين ، فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، التى انتهت فى الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادى عشر من العام الحادى عشر فى القرن العشرين .

المدرسة العثمانية فى القاهرة



وقد تألفت هذه الموسوعة من أربعة اجزاء تم طبع ونشر الثلاثة أجزاء الأولى ، التى بلغ عدد صفحات كل جزء منها نحو سبعمائة صفحة . وكان يخشى أن يغمض الموت عينه أو يسقط قلمه من بين يديه قبل أن يتم هذه الموسوعة العظيمة ويضعها بين يدى الشباب العربى يرى فيها جانبا كبيرا وعظيما من تاريخ أمته الوسيط والحديث ، وتقف بعضها على جهاد أجداده وأبناء عمومته فى ميادين السياسة والحرب ، والبناء والتأسيس والتعليم والتثقيف ، ونشر الفنون ، واتقان الصنائع من عمارة ونجارة ، وحدادة وصنع السلاح وصقله، وتربية الجياد ، وتدريبها ، وإقامة المعاهد والمساجد ، وبناء السبل والتكيات ، وإقامة الحصون والقلاع . ونحن جديرون ، ونحن نستمطر شآبيب الرحمة ، على جثمان هذا الاستاذ المجاهد ، الذى لقى وهو يضع موسوعته ، ويجمع لها المعلومات ، ويطالع من اجلها المراجع فى اللغات العربية والانجليزية ، والفرنسية : وكتب أخرى باللغات الالمانية والروسية ، ترجمت إلى الانجليزية والفرنسية ، نحن جديرون ونحن نودع هذا المعلم الجليل والباحث النبيل إلى العالم الآخر ، أن نشعر بالسعادة وطمأنينة النفس ، لأنه لم ينفض يده من دنيانا إلا بعد أن ادى الرسالة التى ناط به نفسه ، وأثقل كاهله ، وهى رسالة تجلية تاريخ أعظم الدول الاسلامية ، والشرقية خلال ست قرون متصلة . اتسعت خلالها أملاكها فى آسيا واوروبا وافريقية ، وأذعنت لسلطان جيوشها وأساطيلها الأمم والشعوب ، وقد عبر عن خوفه من أن يعاجله الأجل قبل إتمام تلك الرسالة

● تحية واجبة ●

فى مقدمة الجزء الأول قال مانصه رحمه الله رحمة واسعة . «من حقى أن أذكر أنى كتبت معظم فصول هذا الكتاب وأنا أجتاز ظروفا صحية بالغة الخطورة ، وكان قيامى بهذا العمل نوعا من المخاطرة بحياتى ، إذ كنت ممنوعا من بذل اى مجهود عقلى ، وكان مطلوبا منى أن أعيش حالة استرخاء ذهنى كامل ، وكان مما قض مضجعى أن يدركنى الموت قبل أن افرغ من وضع هذا الكتاب ، وشاء الله تعالى أن تسعنى رحمته فأعاننى على اختيار هذه الفترة الصحية العصيبة ، وعلى أن أمضى قدماً فى استكمال الكتاب ، ولهذا استغرق وضع الكتاب وطبعه سنين عددا .

وأرى أنى قد يكون من المستحسن ، تحية الأستاذ الجليل الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى ، واعلانا عن سر الامتنان لجهته فى وضع الموسوعة التى كان مكانها شاغرا فى المكتبة العربية حتى سنة ١٩٨٢ (تاريخ صدور الجزء الثالث) أن أعيد نقل ماجاء فى مقدمة كتابه العظيم بيانا لغايته من وضعه وتأليفه ، وفى الوقت نفسه جعل هذه السطور المنقولة عن المقدمة المشار اليها مدخلا للبحث الذى انا بسبيل تناوله فيماياتى قال :

« على مبلغ علمى لم تتعرض دولة فى العالم لمثل ماتعرضت له هذه الدولة

(الدولة العثمانية) من حملات عنيفة ضارية استهدفت التشهير بها ، والنيل منها ، وقامت بهذه الحملات المكثفة قوتان عالميتان عاتيتان ، هما الاستعمار الأوربى والصهيونية واتخذت هذه وتلك من المؤلفات التاريخية والبحوث والتصريحات الرسمية ومن مجموعات الوثائق التى نشرتها بعض الحكومات الأوربية مجالا رحبا لاذاعة ماراق لها أن تنشره عن الدولة تحاملا عليها . وقد رد بعض المؤرخين والباحثين العرب عن جهالة أو تجاهل أو حقد تلك الآراء الخاطئة والظالمة معا ، فى مؤلفاتهم واستقرت فى أذهان الأجيال المتعاقبة من رجال الفكر العربى الإسلامى صورة حالكة الظلام عن الدولة العثمانية ، واقترن ذكرها فى أفئدتهم بمظالم ومحن تكدست على رعاياها من استغلالهم بطريقة تعسفية وجزافية ومن مصادرة أموالهم وأراضيهم ومحاصيلهم وماشيتهم ، ومن تخلف ومن إجراء مذابح عامة ، ومن عزلة عن العالم فرضتها الدولة على ولاياتها العربية مما أدى إلى نشر الفقر والجهل والمرض . وغفل أولئك المتحاملون عن الخدمات التى أسدتها الدولة لولاياتها العربية بوجه خاص ، وهى خدمات يجب أن تذكر لها وتشكر عليها . وتناسوا أيضا أن الدولة العثمانية واجهت أخطارا دولية جسيمة كانت تهدد العالم العربى بأفدح الأخطار . وكان منها وصول البرتغاليين إلى البحار الشرقية ومحاولاتهم المكررة ، وصول البحر الأحمر من منفذه الجنوبى للاستيلاء على جدة والزحف منها على مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة ثم موالاة الزحف على المدينة المنورة لنبش قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان الغزو البرتغالى لشرق الجزيرة العربية هو أول غزو أوربى عسكرى صليبى فى التاريخ الحديث لأقاليم عربية .

وفى حياة الأمم تحدث ظواهر تكاد لاتعرف لها تفسيرا ، ولكن ماتكاد الأيام تمضى فى سبيلها ، حتى تبدو جذور هذه الظواهر ، ومن هذه الظواهر أن يصدر أول كتاب ضخم وشامل عن تاريخ الدولة العثمانية من أقدم عصورها إلى آخر مراحلها ، فى الوقت الذى ينشط فيه الكتاب على اختلاف نوازعهم إلى التحدث عن الدولة العثمانية فقد حدث أن نشر الهلال مقالا عن الدولة العثمانية ، ومدى ماتعرضت له من تجنى ثم نشر الهلال ثلاث مقالات فى ثلاثة أعداد من الهلال منها مقال للدكتور محمد انيس فى هلال مارس هذا العام (ص ٥٤) بعنوان الاتراك فى نهاية الدولة العثمانية ، كما نشر مقال للأستاذ الدكتور محمد نور فرحات فى هلال شهر يوليو . (ص ٧٢) بعنوان ملاحظات منهجية فى مسألة تقويم الامبراطورية العثمانية . ثم نشر الهلال فى عدد شهر اغسطس مقالا بعنوان الدولة العثمانية والصراع المعاصر (ص ٥٦) للأستاذ احمد عباس صالح وإذا تصفحت

الهلال منذ خمسة وعشرين سنة مضت ، كما تصفحت الدوريات المصرية من صحف ومجلات اسبوعية وشهرية فى تلك المدة ، لم يقع نظرك على هذا الحشد من المقالات فى هذا الموضوع ، أما الكتب فهى أقل من الكبريت الأحمر فى مجال الحديث عن الدولة العثمانية ، فما سر الاهتمام المفاجىء بهذه الدولة ؟! .. يسوق الدكتور محمد نور فرحات فى مقال الهلال (شهر يوليو) مانصه : «الحديث عن الدولة العثمانية هو نموذج للأحاديث التى تحيط بها توهجات العاطفة والانفعال فتكدر صفاء العقل ، وتحرق صدق اليقين . وقد رد ذلك إلى أسباب منها ما يرتبط بالمشاعر الوطنية ، حيث ارتبط النضال الوطنى ضد الاحتلال الأوربى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعواطف الشوق إلى الكيان السياسى السابق على هذا الاحتلال وهو الكيان العثمانى . وأغلبها يرتبط بالمشاعر الدينية الإسلامية التى يرى أصحابها أن سبب تلاتيبتها التى تحيط بنا اليوم ، خروجنا عن أحكام الشريعة الاسلامية التى ظلت الدولة العثمانية تطبقها قرونا .

● التطلع للأفضل ●

فالمصريون يتصلون بالدولة العثمانية ، ويطون من قدرها ومن أعمالها طوال حكمها لسببين عاطفيين : إما لتعلقهم بالكيان السياسى القائم قبل الاحتلال البريطانى لمصر ، وإما لأن فريقا آخر يرى أن الدولة العثمانية التى طبقت الشريعة الإسلامية طوال ستة قرون هى عمرها الطويل فى الحكم ، هى تجسيد يتطلع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية باعتبار أن هذا التطبيق هو السبيل الوحيد للخروج مما نعانى منه من مصائب وكوارث . فهل هذا التحليل صحيح . وهل الدولة العثمانية لاتستحق من المصريين والعرب الإجلال والتقدير ، إلا إذا كانوا من إحدى الطائفتين الأولى التى تؤمن بأن الدولة العثمانية هى رمز الاستقلال المصرى أو العربى ، السابق على الاحتلال ، أو الطائفة المؤمنة بأن تطبيق الشريعة هو السبيل للخروج من مصائبنا وكوارثنا .

الواقع أن هناك طائفة ثالثة تتوجس خيفة من كل مايقال أو يعمل ، ويظنون أنه يقرب من تطبيق الشريعة الاسلامية . والواقع أن الدولة العثمانية ، هى دولة ضخمة كأعظم ماتكون الدول الضخمة بصرف النظر عن علاقتها بالعرب ، أو بالمسلمين ، فقد بقيت فى الوجود ستة قرون ولم تنعم امبراطورية أخرى بهذا العمر الطويل فى القديم أو الحديث .

● نموذج يحتذي به ●

ولو سلمنا جدلا بأن الباعثين الوحيدين للارتباط بتركيا ، وللإعجاب بها وبتاريخها هما باعثان عاطفيان أولهما النظر إلى تركيا كتجسيد للاستقلال العربى او المصرى ، قبل الاحتلال البريطانى . أو النظر إلى

تركيا ، باعتبارها الدولة التى طبقت الشريعة الإسلامية ، حتى القرون الحديثة . فهى بذلك نموذج يتطلع إليه المشتاقون لهذا التطبيق والراغبون فى نظرة ملؤها الحب والاعزاز ، لو سلمنا جدلا بهذا فما العيب فى ذلك .

وبادىء ذى بدء ليس من حقنا ان نتصور أن الباعث العاطفى هو باعث يحسن أن يرفض ، فحب الرجل لأمة وهو حب باعثه عاطفى وحب الرجل لزوجه وهو حب باعثه عاطفى ، حب كذلك يجب التبرء منه ، وأخيرا حب الانسان لوطنه معادله هو حب عاطفى ، يجب ان نتخفف منه ، حتى تتم لناصفات وخصائص العقلانية ، وننجو من مهالك المشاعر المتاججة .

بل إن رجال التربية وعلم النفس يرون أن إثارة العواطف والنوازع النفسية نحو الفضائل الخلقية كالتضحية وإنكار الذات والهيام بالبطولة والابطال ، اسلوب للتربية محمود . فإذا كانت تركيا تجسيد لاستقلالنا القومي الضائع ، فما الغريب علينا أن نحب هذا الرمز ونتعلق به . مادام الباعث هو حب الاستقلال والتشبث به ، ولكن يبدو ان وراء هذا القول ان تركيا حرصت على تطبيق الشريعة ، وقد اصبح هناك وسواس يتملك فريقا منا ، يخاف من هذا التطبيق ، يحملهم على تصور ان كل كلام أو تصرف يبدو أن له صلة ولو من بعيد بهذا الشأن ، يخيف هذا الفريق وهو حال يحتاج إلى علاج وضبط نفسى . فمثلا المرحوم الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى الف كتابا من اربعة أجزاء تضم ٤ آلاف صفحة عن الدولة العثمانية ، ووصل إلى ماوصل إليه من المناصب العلمية والجامعية ، دون أن يقول حرفا واحدا فى تطبيق الشريعة الإسلامية لا معها ولاضدها بل إنه قال فى نهاية مقدمة الكتاب فى الجزء الأولى ، أنه كان قد كتب فصلا عن موقف الدولة العثمانية من أهل الذمة أى من الأقليات غير الإسلامية كالمسيحية واليهود ، ولكنه ارجاه ولم يضمنه كتابه ، الضخم مع أن الحديث عن هذا الجانب ، هو كلام فى صميم موضوع تطبيق الشريعة ، مما يدل على أن الاعجاب بالدولة العثمانية ليس وقفا على الذين يعجبون بها كدولة أسلامية ، بل يصح أن يعجب بها المصرى والعربى والأوربى أيا كان دينه ومذهبه لأنها لم تستطع أن تصل إلى ماوصلت إليه من سلطان وسؤدد ، إلا بما تصل به الدولة الكبرى من ذلك أى بالعلم والنظام وإقامة قواعد القانون ، وحماية رعاياها من كل دين وعقيدة . وإذا كانت قد تحللت وزالت فى العقد الثانى من القرن العشرين فذلك لأن قيام الدول وزوالها سنة الحياة ، وتطبيقا لقول الله «وتلك الأيام نداولها بين الناس» فليس الضعف الذى دب إلى تركيا ، بدعا فى التاريخ ولا أحد ينكر أن اوربا



السلطان عثمان الاول
مؤسس الدولة العثمانية



محمد على

كلها قد اجتمعت ضد تركيا التى كانت تحكم عدداً ضخما من الدول الأوربية فى شرق أوربا كالمجر ورومانيا ، واليونان وبلغاريا ، وكان عهد التحرر القومى ، قد بزغ نوره ، وكان يجب أن تزول الامبراطورية العثمانية لأن هذه الدول يجب أن تستقل وتنعم بالاستقلال ، وقد كتب فى صحف التاريخ أن الكثير من رعايا أمراء الاقطاع الأوربى كانوا يفرون إلى تركيا ، ويلتمسون الملجأ فى ظل الخليفة وهم يقرون أن الحكم العثمانى إن كان على غير دينهم أعدل من الحكام الاقطاعيين المستبدين والظالمين . ولاننسى أن دولة الخلافة الإسلامية استطاعت بعدد كبير من رعاياها المسيحيين تعيينهم وزراء ورؤساء مصالح ، وهؤلاء قد خدموها بإخلاص بقدر ماتعددت مواهبهم وإخلاصهم وتفانيهم فى خدمتها .

ولكن الحرص على التجنى على تركيا بلغ إلى حدّ إنكار انها طبقت الشريعة ، اعتمادا على قانون واحد فى ستة قرون وهو منهج فى التدليل والمحاجة لاأحسبه منصفا ولا عادلا .

وأخيرا لسنا من الذين يقولون أو يتصورون أن الذين حكموا تركيا خلال عمرها الطويل ، كانوا جميعا ، وفى كل المناسبات ملائكة متصوفين فقد كانوا بشرا يخطئون ويصيبون .

الثورة الروسية ومكانتها فى التاريخ

بقلم: عبد الرحمن شاكر

بالرغم من الأهوال التى صاحبت الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر، وبداية التاسع عشر، إلا أن العالم كله تقريبا يحتفل بذكرى ١٤ يوليو ١٧٨٩، يوم سقوط الباستيل باعتباره عيدا للحرية. أما الثورة الروسية فى أكتوبر ١٩١٧، فلا يزال الفكر الرسمى فى كثير من بلدان العالم، إن لم يكن معظمها، يتلقى ذكراها بالصمت والتجاهل، وينظر إليها كأنها رجس من عمل الشيطان!

ولكن دخول هذه الثورة عامها السبعين فى هذا الشهر، يوحى بأنها قد أصبحت جزءا راسخا من التاريخ، لا يفيد من يتجاهل أمرها شيئا، إلا أن يحكم على نفسه بالجهل والعماية وضيق الأفق.

وإذا أردنا أن نصل بالمقارنة مع الثورة الفرنسية إلى مداها، فمع التسليم ببشاعة بعض أحداثها، خصوصا فى عهد إرهاب روبسبيير، فإن العالم كله قد تأثر بمبادئها فى "الحرية والإخاء والمساواة"، بالرغم من هذا الارهاب، بل - على نحو ما - بفضل هذا الارهاب! فقطع رقبة الملك لويس السادس عشر وزوجته أنطوانيت، ومئات الأرستقراطيين وأتباعهم والمتعاونين معهم وبغض النظر عن بعض حالات الظلم هنا أو هناك قد ساعد على تقويض فكرة الأرستقراطية فى حد ذاتها، والحق الإلهى للملوك والأشراف فى أن يستعبدوا شعوبهم بغير حدود، فشرعت كثير من النظم الملكية إلى التحول سلميا فى أحيان كثيرة إلى نظم دستورية، الملك فيها يملك ولا يحكم والسيادة



ستالين

للقانون وحكم الاغلبية ، فلولا الثورة الفرنسية ومافعلته ، ماكان العالم ليشهد النظم الملكية المهذبة ، كالتى تقوم حاليا فى بريطانيا العظمى ، التى سبق لها إعدام شارل الأول ، وفى السويد وهولندا وغيرها .

كذلك الحال بالنسبة للثورة الروسية ، التى تجاوزت قطع رقبة الملوك والأرستقراطيين ، إلى مايمكن وصفه بأنه قطع رقبة الملكية الفردية لوسائل الانتاج . فهى بهذا قد وضعت حدا لطغيان تلك الملكية فى معظم أرجاء العالم ، وألقت الرعب فى قلوب من يملكون الأرض والمصانع ورءوس الأموال فى مختلف المجتمعات البشرية ، إنهم عرضة لأن يلاقوا المصير ذاته ، لو لم يبادروا إلى رعاية الحقوق الاقتصادية لشعوبهم ، وبالتحديد عمالهم وفلاحيهم . إن النظم الاصلاحية التى تسود حاليا بلاد الغرب الصناعية المتقدمة هى نتاج مباشر للثورة الروسية ورد فعل طبيعى لها ، حتى ولو لم يعترف القائمون عليها بذلك . فالنظريات الاقتصادية التى بشر بها جون مايناز دكينز وسواه فى الدول الرأسمالية المتقدمة ، عن ضرورة رفع أجور العمال لزيادة الطلب على المنتجات الصناعية ، إنما كان لتجنب أزمات الانتاج وبالتالى احتمال لجوء عمال تلك المجتمعات الى الثورة على غرار مافعل عمال روسيا . أضف إلى ذلك إعانات البطالة والتأمينات الاجتماعية والصحية .. الخ ، مما يجعل الغرب يتباهى حاليا بأن وضع الطبقات العاملة فيه قد يفوق مثيله أحيانا فى "وطن الاشتراكية" ويعنون به الاتحاد السوفييتى . ولكن هذا التفاوت مصدره إن وجد ، هو أن الاتحاد السوفييتى قد بدأ من اقتصاد متخلف جدا فى عهد القيصرية ، حتى وصل إلى مصاف الدولة الثانية فى العالم ، وأن اقتصاده كان ولايزال مثقلا خلال السبعين عاما الماضية بأعباء الحروب المتوالية ، بدءا من الحرب العالمية الأولى التى سبقت الثورة وكانت حالة الجنود فيها واحدا من أسبابها ، حيث كان فريق منهم يموت جوعا قبل أن يقتله الأعداء ، ثم حرب التدخل التى شنتها الدولة الرأسمالية للقضاء على الثورة وفشلت فى ذلك ، والحرب العالمية الثانية ، التى أعلن مفجرها أدولف هتلر ، أن هدفه الرئيسى فيها هو القضاء على الشيوعية ، وإذا كانت الأسلحة الأمريكية قد لعبت دورا فعالا فى دحر النازية والفاشية وإنقاذ العالم منها ، فقد لعبت الدماء الروسية التى أريقت فى تلك الحرب والدمار الشامل الذى أصاب الاقتصاد السوفييتى ابانها ، هو الثمن الأكبر الذى دفعه "وطن الاشتراكية" نيابة عن العالم كله فى دحر تلك القوى العدوانية . وبعد انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء ، أصبح سباق التسلح مابين المعسكرين يمثل عبئا جديدا رهيبا على الاقتصاد السوفييتى ، يمنع شعوبه من جنى كثير من ثمار الاشتراكية ، والتقدم العلمى والصناعى الذى تحقق فى ظلها .

● بين عالمين ●

وإذا كان تأثير الثورة الروسية ، على

الثورة الروسية ومكانتها فى التاريخ

المجتمعات الصناعية المتقدمة . او "العالم الاول" كما يحبون هناك ان يطلقوا عليه . هو التخويف من الثورة . بحيث اضطرت تلك المجتمعات إلى إدخال كثير من الاصلاحات الاجتماعية تجنبا لها . فإن تأثير تلك الثورة على المجتمعات "المتخلفة" اقتصاديا . التى يسودها الاقتصاد الزراعى وانتاج المواد الخام اساسا . او مايطلق عليه الآن العالم الثالث . كان مختلفا . كان الاغراء باتباع طريق الثورة الروسية او بعض هذا الطريق واردا من اجل تحقيق التقدم السريع فى تلك المجتمعات وخاصة فى المجال الصناعى . عن طريق التخطيط الشامل من ناحية . ومن ناحية اخرى عن طريق تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية يتيح لاغلبية المواطنين ان يكونوا هم السوق الرئيسية لاستهلاك منتجات الصناعة المستحدثة . حيث أن البناء الصناعى الجديد فى تلك المجتمعات يتم فى عالم اكملت فيه الراسمالية العالمية السيطرة على أسواقه . ومن الصعب منافستها فى الاسواق الخارجية . مالم يكن السوق المحلى هو مجال التعريف الرئيسى للمنتجات الصناعية . وفى ظل قدر او اخر من الحماية الجمركية او حتى حظر استيراد مايمكن انتاج بديله محليا .

وفى مقدمة الدول التى اتبعت طريق الثورة الروسية ذاته الصين . بحيث تعتبر ثورتها التى اتمت انتصارها فى نهاية الاربعينيات . مكملة للثورة الروسية . على نحو ماتعتبر الثورة الفرنسية مكملة للثورة الانجليزية . بالرغم مما وقع بينهما بعد ذلك من خلاف ليس هذا موضع تفصيله . وإلى حد ماينطبق هذا القول على دول أوربا الشرقية . وإن كان من المستحيل تصور تحولها الى الاشتراكية بتجاهل دور الجيش الأحمر فى تحريرها عن ربقة النازى . **على أن المساعدة السياسية والعسكرية من جانب السوفييت لم تكن بعيدة عن الثورة الصينية . ولا عن الثورات الوطنية عموما فى ارجاء العالم الثالث . بما فى ذلك ثورة ١٩٥٢ المصرية . فقد كان "التحالف مع الثورة الوطنية فى المستعمرات" جزءا من استراتيجية الثورة الروسية . لتقويض سيطرة الامبريالية على العالم .**

وبعد انتصار الثورة الصينية ولد فى العالم الثالث . الطريق "غير الراسمالى" الذى سارت فيه مستعمرات حديثة التحرر مثل الهند ومصر واندونيسيا . وهو طريق تم تصنيفه باعتبارها تطورا معتدلا نحو الاشتراكية . يأخذ ببعض طرائقها فى الملكية العامة لجزء رئيسى من وسائل الإنتاج وخاصة الصناعى . ولكنه يترك القطاع الخاص خطا موفورا من النشاط الاقتصادى وخاصة فى مجال الزراعة

وواضح أن هذا الطريق الثالث . كان دافعه مزيجا من إغراء الثورة الروسية . والخوف من تطور الأمور إلى حد يجعل الحل الروسى لا مفر منه . والبلدان التى سارت فى هذا الطريق هى التى أوجدت مايسمى بالعالم الثالث وحركة عدم الانحياز . وإن كان هذا الطريق قد تعرض لهجوم واسع النطاق من جانب الامبريالية العالمية من اجل تقويضه . فى ظل السيطرة الاقتصادية المتفوقة التى تمارسها الشركات متعددة الجنسية . والتى شكلت مايعرف باسم "ظاهرة الاستعمار الجديد" . الذى يقوم على أساس المبادلة غير المتكافئة مابين المواد الخام التى تنتجها البلدان النامية . والمنتجات الصناعية . التى ينتجها الغرب المتقدم . والتى خلقت مشكلة الديون الضخمة لبعض

البلدان النامية ، وجعلت من استقلالها السياسى الشكلى فى مهب الريح .

● آفاق المستقبل ●

لقد انطلقت الثورة الروسية من واقع متدهور فى ظل القيصرية اصطلح على شعوبها فى ظله الاستبداد الداخلى والقهر الوطنى والاستغلال الاقتصادى ، وكان سلاح الثورة هو أفكار فلاسفة الغرب الذين لم يقنعوا بمجرد الحرية السياسية التى ولدتها الثورة الفرنسية وانما انطلقوا يطاردون حلما تصبح فى ظله الجماعة الإنسانية اسرة واحدة يتمتع فيها جميع الأفراد بحقوق اقتصادية متساوية ، ويتعاونون من أجل الرفاهية المشتركة .

وإذا كانت الأوضاع الاقتصادية قد جعلت تحقيق مثل هذا الحلم عسيرا فى مختلف المجتمعات ، حتى اضطر المجتمع الروسى إلى خوض بحار من الدماء فى ظل ماعرف بالطغيان الستالينى للاقتراب منه ، فإن آفاق المستقبل الذى بداته الثورة الروسية تنطوى على كثير من الاحتمالات :

★ فى مقدمة هذه الآفاق الجديدة سقوط الطغيان الستالينى وادانته على يد خلفائه ، والتقدم تدريجيا على طريق الديمقراطية السياسية فى المجتمعات الاشتراكية ، بحيث تصبح الديمقراطية الاقتصادية مكملا وليس نقيضا لها . ولكن اكتمال هذا الهدف يحتاج إلى مزيد من الجهد لرفع مستوى الانتاج من ناحية ، والتربية السياسية للجماهير من ناحية أخرى ، بحيث لا يعود القهر الذى تمارسه "الدولة" ، بعنف أحيانا ، ضرورة لمجرد وفاء المواطن الاشتراكى بالتزاماته الانتاجية والاجتماعية .

إن الطبيعة الإنسانية فى التواكل والكسل فى حال الأمن الاقتصادى ، تتيح لدعاة الملكية الفردية رفع اصواتهم ، بأن حافز الربح الشخصى لا يمكن الاستغناء عنه لتحقيق التقدم الاقتصادى ، ويضربون المثل على ذلك بتخلف الزراعة الروسية ، وعدم وصول المنتجات الصناعية الاستهلاكية أساسا إلى مستوى مثيلها فى الغرب . بغض النظر عن كون العالم بأسره اليوم يدخل مرحلة الثورة التكنولوجية ، التى يتمتع الغرب بها ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية واليابان ، بالقدح المعلى فيها ، ومن شأن تلك الثورة أن تحدث تطورا فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، على مستوى البنية الداخلية للمجتمعات ، وفى العلاقات الدولية مابين مختلف المجتمعات والنظم ، ولا يمكن حصر مداه الآن . على أن آخر أخبار العلاقات الاقتصادية بين الكتلتين تفيد أن الاتحاد السوفييتى على وشك الدخول فى مشاريع اقتصادية مشتركة مع الغرب ، وذلك للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة المتقدمة فيه ، وبالطبع فإن الشركات المتعددة الجنسية التى تملك هذه التكنولوجيا ، لا تستطيع تجاهل سوق واسعة مثل السوق السوفييتية ودول الكوميكون والصين ، ويكفى أن واردات القمح السوفييتية من الولايات المتحدة هى وسيلة لحل مشكلة فائض انتاج القمح الأمريكى تغضب من اجلها حليفات أمريكا مثل كندا واستراليا التى كانت تمنى نفسها بالاستئثار بهذه السوق فى فترة المقاطعة التى ثبت لدى الساسة الأمريكان أنها اكثر الحاقا للضرر باقتصادهم منها بالاقتصاد السوفييتى .

إن مثل هذه الصور من التعاون الاقتصادى تفتح الآمال امام الشعوب فى أن يصبح ذلك هو الطابع الرئيسى للعلاقات بين المعسكرين بدلا من سباق التسلح ، الذى لا يلقى باعبائه على اقتصاد كلا المعسكرين فحسب ، والاشتراكى منهما فى المقام الأول ، بل هو يحرم البشرية باسرها من قدر كبير من طاقاتها الاقتصادية بصفة عامة ولا يستفيد منه فى واقع الأمر إلا قلة من منتجى السلاح ، أساسا من الاحتكارات الكبرى فى الغرب ، وهو المسئول عن سياسة

الثورة الروسية ومكانتها في التاريخ

الاستقطاب الاستراتيجي التي تتبعها الدولتان العظميان ، والسعي إلى الاستحواذ على أوسع نطاق من مناطق النفوذ ، وهو الذي يهدد سياسة عدم الانحياز التي تحرص عليها دول العالم الثالث بالتصفية ، ومحاولة جرها إلى نطاق التبعية من جديد ، لهذا المعسكر أو ذاك .

★ بيد أن دول العالم الثالث في مجموعها تشعر بأن الجماعة الانسانية ، وخاصة القوى الاشتراكية فيها ، مسئولة عن إيجاد مكان لها تحت شمس التقارب المحتمل بين المعسكرين ، خلاف تقسيمها إلى مناطق نفوذ تابعة لأي منهما . والحق التاريخي لبلدان العالم الثالث في التطلع إلى نظام اقتصادي جديد ، يرفع عنها أعباء الديون الباهظة المتزايدة باطراد ، لا يستمد فقط من حقيقة كونها قد تعرضت في الماضي لأضخم عملية نهب شهدها التاريخ من أجل بناء الامبراطوريات الصناعية الكبرى ، بل أيضا من رؤيتها المستقبلية لمصير الجنس الانساني في عمومه ، فالمتقدمون صناعيا واقتصاديا وتكنولوجيا لا يستطيعون أن يضعوا أيديهم في أيدي بعضهم البعض وينظروا باستخفاف إلى المشاكل التي لايزال العالم الثالث يعاني منها المزيد كل يوم سواء في ذلك تدهور الأوضاع الاقتصادية أو مايقع على مختلف الشعوب من قهر واضطهاد عنصري من نوع ماهو حادث في فلسطين أو جنوب إفريقيا . إن من شأن هذا الموضوع الداعي إلى اليأس أن يجعل من ابناء هذه الشعوب أو جزء منها ، أداة نقمة على الجنس الإنساني في عمومه . فما نسمع عنه كل يوم من حوادث الارهاب الدموية ، إنما هو وليد مباشر لأفكار حق الشعوب المغلوبة والمضطهدة في المساواة وتقرير المصير ، والمشاركة في حياة إنسانية على مستوى القهر ، وليس الحصول على تكنولوجيا الدمار المتوفرة ، والتي تتولى إنتاجها وبيعها ذات الاحتكارات الكبرى التي تحكم العالم بالأمر العسير ، مادام العالم في مجموعه لم يصل إلى درجة من العقلانية تتيح له التقدم إلى نظام سياسي واقتصادي جديد يكفل لمختلف شعوب الأرض حقها الطبيعي في حياة حرة كريمة

اذا كان الغرب قد أمكنه تحاشي أن يحيق به ماحاق بالإستقراطية والراسمالية الروسية ، عن طريق الاصلاح على مثل مبادىء كثيرة ، فإن نوعا من الكينزية الدولية ، قد أصبح مطلوبا الآن لتجنب تحول مجتمعات بأسرها إلى عدو لسائر الجماعة الانسانية وما أمكن لها تحقيقه من تقدم ، ليس على الأرض وحدها ، بل في الفضاء أيضا . لقد كان التنافس بين المعسكرين على غزو الفضاء هو أحد الآثار الهامة للثورة الروسية التي بدأت باطلاق أولى الأقمار الصناعية ، فاستحثت بذلك الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة إلى مجاراتها في هذا المجال ومحاولة التفوق عليها فيه ، وقد وصل المعسكران إلى طريق مسدود ، إما إلى التعاون ، أو الدمار المشترك من خلال حرب الكواكب التي يمهدون لها ، أو على الأقل ينهكون اقتصادهم من خلال تكاليفها الفلكية .

على أن هذا التعاون إن تحقق ، فلا يتصور له نجاح إن لم يضع مصير الجنس الانساني نصب عينيه ، ويساعد الجماعة البشرية على التقدم كاسرة واحدة .. وكان ذلك بعض أحلام الفلاسفة الذين ألهمت كتاباتهم الثورة الروسية !

تحقيق سريع جدًا

شعر : عزت الطيري



اى النساء تحبُ ؟
- مُنى ...
وأيِ البنات تود صداقة أرواحهنَّ ؟
- مُنى ...
وأيِ الفصول ؟
- مُنى ...
وأى المواسم ؟
- ....
وأيِ البلاد تود النزوح إليها ؟
- مُنى ...
وأى العواصم ؟
- ....
أنت أتعبتنا ..
إنت أتعبتنا ..
أُقفل المحضر الآن فى الساعة العاشرة ..
بغياب القتيلْ ...
وحضور مُنى ..



هذا الثائر المحافظ والعلماني الورع

بقلم: د. جلال أمين

من أكثر ما يلفت النظر في شخصية أحمد أمين وفي انتاجه الفكري، ذلك التركيب الفريد بين العاطفة الدينية البالغة القوة، والنزعة العقلانية البالغة الاستنارة ولا أظن أن أحدا من مفكري جيله قد اجتمعت لديه هاتان النزعتان بمثل هذا الانسجام والتوافق. إن من المستحيل على من يقرأ لأحمد أمين أن يشك لحظة في عمق ايمانه وصدق اسلامه، ولكن من المستحيل أيضا على من يقرأ له أن يشك في عقلانيته واستنارته

لقد أعدت قراءة كتاب "حياتي" (وهو سيرته الذاتية) من هذه الوجهة من النظر فاذا بي اكتشف من جديد الدليل بعد الدليل على هذا التوافق الرائع من عقلانية أحمد أمين وتدينه، وتحمست لأن اقدم لقاريء اليوم، الذي يشهد المعركة الحامية الدائرة بين مايسمون "بالعلمانيين" ومن يسمون "بالسلفيين"، هذا المثال الحي لرجل استطاع أن يتجاوز الموقفين تجاوزا



طبيعيا لايشوبه تكلف ، لايتنكر لدينه وتراثه ولكنه لايضيع اية فرصة تتاح له للاصلاح ، ولايجمح جماح العقل فى أى موضوع يعرض له مهما كانت خطورته وجرأته .

إن الشيق حقا فى موقف أحمد أمين ، الشخصى والفكرى ، هو أن الموقف الدينى عنده لايحل محل التفسير العقلى بل يكمله ، والعاطفة الدينية لاتضيق بالانتصارات المتتالية التى يحققها العقل ، كما أنها لاتحاول منافسة العقل فى ميدانه ، بل هى تتوج عمله وتعطيه معناه . العقل والدين يتعايشان عنده تعايشا سلميا رائعا ، وكأنهما يعكسان ذلك الامتزاج الغريب فى الطبيعة الانسانية بين المحدود واللامحدود ، بين المعرفة اليقينية والحدس ، بين الحب الغريزى للاستطلاع والاكتشاف وبين الحيرة أمام المجهول ، بين الشعور بالقوة المستمد من المعرفة والسيطرة على الطبيعة وبين الشعور بالعجز امام المجهول منها وامام الموت .

هكذا كان موقف أحمد أمين الصادق دائما مع نفسه ، المعتد برأيه دون غرور ، الشغوف بالاصلاح دون شطط ، المتفائل بالمستقبل دون غفلة عن حدود الطبيعة الانسانية وأوجه عجزها ، المفتون بحضارة الغرب دون انهيار نفسى امامها ، المؤمن بحتمية التطور دون تنكر للثابت من نوازع الانسان وحاجاته ، أو بكلمة موجزة : أحمد أمين الثائر المحافظ ، أو العلمانى الورع .

● قوة عاطفته الدينية ●

يصف أحمد أمين قوة عاطفته الدينية فى طفولته بقوله :

"كنت أقوم الليل وأتهجد ... وتنحدر الدموع من عينى أحيانا فى ابتهالاتى ... ومن شدة فكرى فى الله رأيته فى منامى مرة ، على شكل نور يغمر الغرفة ويخاطبنى قائلا : اطلب مالدلك به على قدرتى ، فطلبت أن يعمل من قطعة حديد سكينا ، ومن قطعة خشب شباكا ، ففعل ، فآمنت بقدرته ، وحكيت المنام لأهلى ففرحوا به فرحا عظيما وزادوا فى محبتى"

ثم فى شبابه :

"اذا كنت فى مقهى انتقلت من بين من أجالسهم الى أقرب مسجد ، فإن كنت فى حى أفرنجى بعيدا عن المساجد تلمست عمارة كبيرة فيها بواب نوبى أو سودانى وطلبت منه أن يحضر لى حصير صلاته لأصلى عليها بالقرب من الباب ، فاذا لم أجد استنظفت أى مكان مستتر وخلعت جبتى وفرشتها وصليت عليها ثم نفضتها ولبستها"

وهو أثناء دراسته بمدرسة القضاء الشرعى من اكثر طلبتها تدينا ، حتى ليسميه الطلبة « السنىُّ » بينما يسمون غيره « الفيلسوف » أو « الزنديق » وهو إذ يصيبه المرض فى عينه وهو فى الستين من عمره لايجد لنفسه عزاء الا فى



الايمان ، وإذ يكتب مقالا فى وصف نفسه بقوله انه « ان طاف طائف الالحاد بفكره لم تطاوعه طبيعته ، وان شك حينا عقله آمن دائما قلبه » .

● تضييق دائرة الصدفة ●

ولكن قوة إيمان أحمد أمين بالله لم تقف قط عقبة امام تفسيره الأشياء تفسيرا عقلانيا صرفا ، ولم تدفعه قط الى استبدال التفسير الديني بالتفسير العلمي . فهو لايتناول ظاهرة او فكرة قط كمسلمة او بدهية ، بل يحاول دائما فهمها بردها الى اسبابها الطبيعية او الاجتماعية . بل انه يحاول ذلك حتى فى تفسير شخصيته ودوافعه النفسية وتقلبات حياته التى قد يميل أكثر الناس عقلانية الى ردها يائسين الى محض الصدفة .

إن أول فقرة فى كتاب "حياتى" تفصح عن هذا الاتجاه العقلانى الصرف افصاحا تاما : « ما انا إلا نتيجة حتمية لكل مامرّ عليَّ وعلى آبائي من احداث ، فالمادة لاتنعدم وكذلك المعانى .. فكل مايلقاه الانسان من يوم ولادته ، بل من يوم ان كان علقة ، بل من يوم أن كان فى دم ابائه ، وكل مايلقاه فى حياته يستقر فى قرارة نفسه ويسكن فى أعماق حسه ... كل ذلك يتراكم ويتجمع ويختلط ويمتزج ويتفاعل ثم يكون هذا المزيج وهذا التفاعل أساسا لكل مايصدر عن الانسان من اعمال نبيلة وخسيسة ... ولو ورث أى انسان ماورثت ، وعاش فى بيئة كالتى عشت ، لكان إياى او مايقرب منى جدا » .

بل إنه ليحاول أن يفسر مايلاحظه فى نفسه من ميل دفين الى الحزن ، اذ يجد نفسه لايفرح كما يفرح الناس ولايبتهج بالحياة كما يبتهجون ، فيدور فى ذهنه احتمال أن يكون ذلك بسبب وفاة أخت له وهو حمل فى بطن امه ، فلعل السبب أنه « تغذى دما حزينا ورضع بعد ولادته لبنا حزينا واستقبل بعد ولادته استقبالا حزينا » . ومع ذلك فهو ليس واثقا تماما من هذا التفسير فيردف قائلا إن « علم ذلك عند الله والراسخين فى العلم » .

ويحاول أيضا تفسير قوة عاطفته الدينية وما استقر فى قلبه من ايمان عميق بالله « لاتزلزله الفلسفة ولاتشكك فيه مطالعاتى فى كتب الملحدين » فيردها الى ظروف نشأته وتربيته الأولى « فأنت اذا فتحت باب بيتنا شممت منه رائحة الدين ساطعة زكية » ، ولكنه لايطمئن الى هذا التفسير اطمئنانا كافيا فيقول :

« نعم انى لأعرف من نشأوا فى بيت كبيتى تغمره النزعة الدينية كالنزعة التى غمرت بيتى ، ومع هذا ثاروا على هذه النزعة فى مستقبل حياتهم وانقلبوا من النقيض الى النقيض ... فلماذا كان موقفهم غير موقفى ؟ ... هل كان ذلك لان الدين يتبع المزاج الى حد كبير ، أو لأن

شخصية ابى كانت قوية غرست فى عالم يستطع الزمان اقتلاعه ، أو أن عوامل البيئة زادت هذه النزعة الدينية نموا فلما جاءت العاصفة جاءت متأخرة ؟ لعله شىء من ذلك أو لعله كل ذلك أو لعله شىء غير ذلك » .

إن ارادة الله قائمة وحاكمه لتطور الأحداث ولكنها تتحكم فى تطورها من خلال قوانين الطبيعة والمجتمع :

« لقد عمل فى تكوينى الى حد كبير ماورثت عن آبائى ، والحياة الاقتصادية التى تسود بيتنا ، والدين الذى يسيطر علينا ، واللغة التى نتكلم بها ، وادبنا الشعبى الذى كان يروى لنا ... فانا لم اصنع نفسى ولكن صنعها الله عن طريق ما سنه من قوانين الوراثة والبيئة » .

● البركة تمنع العدوى ●

لم يكن هناك بد من أن تؤدى هذه اليقظة العقلية الباهرة بأحمد أمين الى أن يكون مصلحا بل وثائرا على كل مايرفضه العقل من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى عصره . إنه لايقبل اعتقادا شائعا لمجرد أنه شائع ولايرضى عن مسلك لمجرد أنه مسلك الجميع . لقد عاصر فى طفولته نظام "الميضأة" فى المساجد وهى حوض يملأ من الماء من حين لآخر من بئر بجانبه ، يتوضأ فيه المريض والصحيح ، والمتوضىء يغسل وجهه فى نفس الماء الذى غسل فيه من قبل قدميه ، فلما عرفت القاهرة انابيب



المياه والحنفيات لم تعد حاجة الى الميضأة ، ولكن يلاحظ احمد امين بأسف اصرار الناس على الميضأة وثورتهم على الشيخ محمد عبده لأنه أبطل الميضأة من الأزهر وأحل محلها الحنفيات ، ويعلق على ذلك بقوله « وهكذا يألف الناس القديم الضار ويكرهون الجديد النافع ويدخلون فى الدين ماليس من الدين » .

وهو يتعلم اول مايتعلم فى الكتّاب فتثور نفسه ثورة عارمة على طريقته فى التعليم التى تميت الروح وتفسد العقل والجسم معا : « إذا جاء وقت الغداء اخذ سيدنا من كل ولد قرشا أو نصف قرش أو مليما حسب مقدرته ، وبعث سيدنا العريف فاحضر له ماجورين أخضرين : فى احدهما فول نابت ومرقة وفى الآخر مخلل ومرقة ، والتف التلاميذ حولهما بعد أن احضروا خبزهم الذى جاءوا به من بيوتهم ، واخذت ايديهم تغوص باللقمة فى مرقة الفول احيانا وفى مرقة المخلل احيانا ، ولاباس أن يكون فى الأولاد مريض وصحيح ، وقذر ونظيف ، وملوث وغير ملوث ، فعلى الله الاتكال والبركة تمنع العدوى . واذا قرانا وجب أن نهتز ونصيح ، فمن لم يهتز او يصح لم يشعر إلا والعصا تنزل عليه فيصرخ ويصيح بالقراءة والبكاء معا ... فلا



تعجب بعد ذلك اذا وجدت أرواحا ميتة ونفوسا كسيرة » .

ثم يرسله ابوه الى الأزهر فتثور نفسه ايضا على طريقة التدريس فيه والامعان فى التعليق على العبارة الواضحة والافاضة بالحواشي فى تفاصيل لافائدة منها حتى يصبح الواضح مبهما والمفهوم غير مفهوم ، ويرى الطلبة يقومون بعد انتهاء الدرس الذي لم يفهم منه شيئا يحيطون بالشيخ يسلمون عليه ويقبلون يده فلا يسلم أحمد أمين ولايقبل . وينتقل الى دروس الشيخ محمد عبده فيفتن ببساطته وعقلانيته ويفهم منه ما لم يفهم من شيوخه الأزهريين ، ويعتنق رأيه فى وجوب إصلاح التعليم من أساسه .

● أسباب ضعف المسلمين ●

وهو فى شبابه يرفض تفسير أبيه للاحتلال الانجليزى فانه مجرد نتيجة لعصيان المصريين لله فى أوامره ونواهيه ، وان الله لهذا السبب سلط الانجليز على المصريين يسومونهم سوء العذاب فيسأل أباه « وهل هؤلاء الانجليز مطيعون لله حتى ينصرهم علينا ويمكّن لهم فى بلادنا ؟ » فيزجره أبوه ولايجيب ، وينصرف أحمد أمين إلى التفكير فى الأسباب الحقيقية التى مكنت الاستعمار من بلاد المسلمين ، فاذ يدعى لإلقاء محاضره فى مدرسة القضاء الشرعى وهو طالب بها ، فيختار موضوع « اسباب ضعف المسلمين » ويلخصه فى كتاب حياتى بقوله :

« بنيت محاضرتي على أن أسباب ضعفهم ترجع الى شيئين أساسيين : الأول فساد نظام الحكم فى البلاد الاسلامية وماجره ذلك من ظلم للرعية وعسف بحريتها ، واستغلال الحكام لمالها وتسخيرهم قواها لملاذهم الشخصية ، والثانى رجال الدين فقد شايعوا الحكومات الظالمة وأيدوها وتآمروا معها وبثوا فى نفوس الشعب الرضا بالقضاء والقدر والاعتماد على نعيم الآخرة اذ حرموا نعيم الدنيا ـ كل هذا أضعف المسلمين وأذلهم وأنهك قواهم ولا أمل فى صلاحهم الا بصلاح رجال الحكومة ورجال الدين » .

على أن « أسباب ضعف المسلمين » ليست مجرد محاضرة ألقاها أحمد أمين وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، بل هى شغله الشاغل طوال حياته فلعله لم يكتب شيئا أو اضطلع بعمل أو اشترك فى لجنة الا وهو يبحث فى « أسباب ضعف المسلمين » أو يساهم فى القضاء عليها .

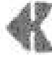
كانت أول وظيفة تقلدها بعد تخرجه من مدرسة القضاء الشرعى هى وظيفة قاض فى الواحات الداخلة (١٩١٣) فيقوم بتدوين مذكراته طوال الرحلة ويورد منها بعض المقتطفات فى كتاب حياتى ، فاذا

بالذى يستدعى انتباهه وهو فى القطار فى الطريق بين الواحات الخارجة والداخلة هذا المنظر :

« مررت على مركز لشركة انجليزية انشئت لتستغل أرض الواحات ، فرأيت انجليزيين يقفان فى الشمس يشرفان على العمال ، فقلت فى نفسى أتأتون من انجلترا الباردة الى الواحات المحرقة طمعا فى الكسب وأملا فى النجاح ، ويعيشون عيشة فرحة مستبشرة ، وتأتى أنت من بلدة فى مصر الى بلدة أخرى فى مصر ليس بينهما الا اقل من يوم ، ثم تحزن وتبكى ؟ فخجلت من نفسى وتبين لى سبب من اسباب نجاحهم وإخفاقنا . وغناهم وفقرنا » .

ويذهب لصلاة الجمعة فى الواحات الخارجة فيروعه أن موضوع الخطبة « الحث على الزهد والتحذير من السفر الى أوربا لقضاء الصيف » اذ يرى أن اهل الواحات « زهاد بطبعهم لايجدون مايأكلون الا بعد العناء ، وما سمعوا قط باسم أوربا الا من الخطيب ، وماحدثتهم أنفسهم حتى ولابالسفر الى الصعيد . ولكن لاعجب ، فالخطيب يحفظ خطبته من ديوان مطبوع من غير نظر الى مايلائم وما لايلائم » واذ يطلب منه أن يلقى درسا بعد انتهاء الصلاة يقرأ على المصلين درسا موضوعه « الحث على العمل » ، ولكنه يستدرك فيكتب فى مذكراته « واعتقادى أن لاقيمة لهذا الحديث وهذا الدرس فهم لايصلحون الا باصلاح بيئتهم » .

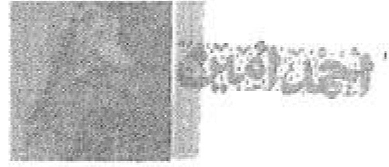
ويعود أحمد أمين من الواحات ليصبح مدرسا فى مدرسة القضاء الشرعى ، وكان قد علم نفسه الانجليزية ، فيقوم بتحضير دروسه فى علم الاخلاق من الكتب العربية والانجليزية معا ، ويقرأ فى نظرية النشوء والارتقاء لدارون ، وتطبيقاتها على الاخلاق فيشغف بها لبعض الوقت شغفا شديدا ويلقى عنها محاضرتين فى مدرسة القضاء فتحدث المحاضرتان دويا عظيما ، ويرسل شيخ الأزهر الى ناظر المدرسة (عاطف بركات) يسأله كيف أباح لمدرس فى المدرسة أن يلقى محاضرات فى مذهب الزنديق دارون ، فيهمل الناظر السؤال ولايرد عليه .



● السفور وتحرير المرأة ●

وهو فى نفس الوقت (١٧ ـ ١٩١٨) يقبل عرضا من جريدة "السفور" ، وهى جريدة اسبوعية كانت تدافع عن رأى قاسم أمين فى تحرير المرأة ، ليقوم هو وزملاء له بتحرير الجريدة والاشراف عليها ، فيكتب فيها مقالا كل أسبوع ويشترك معه فى ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق ، الذى أصبح شيخا للأزهر فيما بعد ، ومحمود تيمور وأحمد زكى وكامل سليم .

ثم تقوم ثورة ١٩١٩ ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره ، فيتصل بصديقه كامل سليم الذى كان حينئذ سكرتيرا لسعد زغلول ، فيعهد اليه بمهمة كتابة التقارير الى سعد زغلول فى باريس عن تطورات



الأحوال فى مصر ، ويتلقى منه الشفرة لتسليمها الى بعض أعضاء الوفد فى مصر ، إذ كان أحمد أمين مازال شيخا معمما يدرس في مدرسة القضاء فلا تحوم شبهة أن يكون هو الذى يتولى هذه المهمة ويشترك فى مظاهرات ١٩١٩ ، وخاصة تلك التى ترمى الى التقريب بين الاقباط والمسلمين : « فاركب عربة وانا بعمامتى اصطحب فيها قسيسا بملابسه الكهنوتية ونحمل علما فيه الصليب والهلال » .

● بيت الطاعة ●

ثم يحدث ، وهو مدرس بمدرسة القضاء الشرعى ، أن يحال ناظرها عاطف بركات الى المعاش لوقوفه مع سعد زغلول فيغضب أحمد أمين غضبا شديدا ويقاطع الناظر الجديد ، فيذهب الناظر الى رئيس الوزراء (عدلى يكن) ليطلب منه نقل أحمد أمين من المدرسة فيصدر أمره بنقله الى القضاء . واذ يتولى أحمد أمين القضاء الشرعى مرة اخرى تثور نفسه على مايجبره عليه القانون من الحكم بالطاعة على الزوجة ، فيقول :

« ظللت أحكم بالطاعة وانا لاأستسيغها ولاأتصورها ، كيف تؤخذ المرأة من بيتها بالبوليس وتوضع فى بيت زوجها بالبوليس كذلك ؟ وكيف تكون هذه حياة زوجية ؟ إنى أفهم قوة البوليس فى تنفيذ الأمور المادية كرد قطعة أرض الى صاحبها ووضع محكوم عليه فى السجن ... أما تنفيذ المعيشة الزوجية بالبوليس فلم أفهمه مطلقا الا اذا فهمت حبا بإكراه أو مودة بالسيف . ولهذا كنت أصدر هذه الاحكام بالتقاليد لا بالضمير ... وكنت اشعر شعور من يمضغ الحصى أو يتجرع الدواء المرّ » .

● الدين في القلب لا فى العقل ●

فى سنة ١٩٤٤ يدعى أحمد أمين ، وقد صار الآن استاذا للأدب العربى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) لالقاء محاضرة فى دمشق فى مهرجان أبى العلاء المعرى ، فيختار موضوع « سلطان العقل عند ابى العلاء » . وفى المحاضرة لاينتقد أحمد أمين عقلانية ابى العلاء الا عندما يقتحم موضوع العقيدة الدينية ، فيختم محاضرته بقوله « نقد (ابو العلاء) المجتمع فنجح ، ونقد الأخلاق فنجح ، ونقد الأخبار فنجح ، ونقد الدين فى صميمه فلم ينجح » ذلك أن الأمر عند أحمد أمين لايعدو أن :

« الدين فى القلب لا فى العقل ، واذا بحث الدين بالعقل المجرد لم يكن دينا ولافلسفة ، وإنما شىء تافه اسمه علم الكلام » ولكن الدين بدوره لايجب أن يقتحم دائرة العلم « فإذا اعترض رجال الدين على ذلك كانوا قد تجاوزوا حدودهم وتحدثوا فيما ليس من شأنهم » .

● سمعت الواعظ المشهور الشيخ الشعراوى يقول فى التليفزيون إن كلمة « ريح » لاتجىء فى القرآن الكريم إلاّ دالةً على الهلاك او الشر .. بعكس جمع هذه الكلمة « رياح » فإنه يجىء للخير .. فما رأى الشيخ فى الآية : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف » إلى آخر الآية الثانية والعشرين من سورة يونس ؟!..

فالريح فى هذه الآية تجىء طيبة ، ثم تجىء عاصفاً .. فهى ليست للشر فقط !..

● قرأت فى كلمة صحفية نقدا لمذيعة تليفزيونية أو اذاعية تنطق حرف « الطاء » كحرف « التاء » .. فتقلب كلمة « الأقطار » إلى « الأقتار » والناقد على حق من حيث يطلب عدم الخلط فى النطق بين الطاء والتاء كما تفعل بعض المذيعات الآن .. ولكن « الأقطار » و« الأقتار » هما لفظان صحيحان بمعنى واحد .. والأقتار جمع « قتر » بضم القاف وتسكين التاء ، كما أن الأقطار جمع قطر .. قال المتنبى فى مدحته لسيف الدولة التى أولها : « إذا كان مدح فالنسيب المقدم »

تساوتْ بـه الأَقْتَارُ حتى كأنه

يُجَمِّعُ أشتاتَ الجمال وينظمُ ..

والأقتار هنا هى الأقطار ، ولم يكن المتنبى يعجز عن وضع الطاء بدلا من التاء !

● قول العامة : « غُمِيَ على الرجل » بضم الغين وكسر الميم وفتح الياء ، قول فصيح مثل قول المتأدبين : أُغْمِيَ عليه !

● هناك فرق بين « غَرِقَ » و« أَغْرَقَ ».. تقول : « غرق الشىء فى الماء ».. ولا تقول : أغرق .. وتقول : « أَغْرَقَ الأديبُ فى التفكير أو فى الكلام ».. أى أكثر من التفكير أو الكلام .. وإذا قلت : « غرق فى التفكير » خرجت إلى معنى آخر ولون من المجاز ..

● نسمعهم أحيانا يهتفون : « حنكمل المشوار ».. يقصدون أنهم سيواصلون مسيرتهم الظافرة !.. والمشوار كلمة فرنسية معناها « المنديل ».. وفى العربية « المِشْوارُ » هو الآلة التى يُشارُ بها العسل ، أى يؤخذ من خلايا النحل .. والمشوار أيضا مكان للدواب .. ومن معانى المشوار « المنظر الجميل » ويقال للخيل ذات المنظر الحسن : « أخذت الخيل مشوارها ».. أى زينتها .. ومعذرة للهاتفين بتكملة المشوار ، فليس لمشوارهم مكان فى اللغة !.. والله أعلم !..

أوهام الحلقة المفقودة

وتزييف التاريخ الأدبي

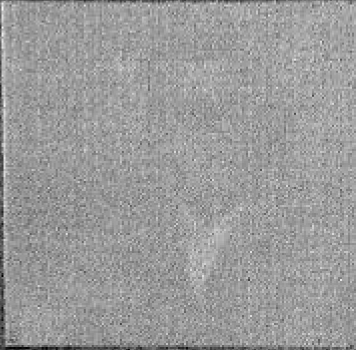
بقلم : سليمان فياض

عمل جدير بالتقدير ، ذلك الجهد الذى قام به ، وقدمه لمصر ، وللعالم «المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية» . فقد نشر هذا المركز ، وفى صمت تام ، دون ضجة إعلامية ، اربعة عشر مجلدا ، تحت عنوان «المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى : ١٩٥٢ - ١٩٨٠» .

وهذا المسح يشمل مجالات الانتاج والخدمات : السكان ، الاسرة ، التدرج الاجتماعى (الطبقى) . البناء السياسى البناء الاقتصادى . النقل والمواصلات . الاسكان . الخدمات الدينية . التعليم . الصحة . الأمن . العدالة . الإعلام . والفنون والآداب .

وقدم المركز فى المجلد الأول ملخصا بانوراميا مركزا ومكثفا لهذه الموضوعات الثلاثة عشر التى فصلتها توصيفيا المجلدات الأخرى ، وبمسح وصفى مزود بالأرقام ، وبالاحصائيات ، ومستوف لكافة النقاط فى توصيف واقع كل من هذه الموضوعات فى الواقع المصرى ، فى السنوات التسع والعشرين الأولى من عمر الثورة ، وفى العهدين الناصرى والساداتى . وقد جاء هذا المسح الوصفى الشامل لتطور المجتمع المصرى فى سنوات الثورة ، مرآة صادقة ، قدر المستطاع ، للواقع المصرى ولسياسات الثورة ، وإيجابيات هذه السياسات وسلبياتها فى هذين العهدين .


يوسف ادريس


نجيب محفوظ

نقطة الضعف الوحيدة فى هذا المسح الوصفى ، التى تصدم من يبتغى الواقع والحقيقة كانت فى هذا الجزء الأخير من المجلد الأول ، والمكرس لموضوعه المجلد الرابع عشر ، والخاص بالاعلام والفنون والآداب .

ومصدر الضعف فى تقارير هذا الموضوع يكمن فى قلة الأرقام ، وفى فقد المقارنة بينها إحصائيا ، وبالتالى فى فقد السمة الأولى للوصف فى المسح ، سمة صحة الرصد للواقع المصرى فى الفنون والآداب والاعلام . فوقعت تقارير هذا الموضوع ، بدرجة أو بأخرى ، فى إطلاق الاحكام العامة ، والآراء الشخصية ، حسب أهواء كاتبى هذه التقارير ، ومواقفهم الحياتية المختلفة فى مجالات الاعلام والفنون والآداب .

لقد كتبت هذه التقارير بتعجل ، ودون جمع وتصنيف للاحصائيات فى موضوعاتهم ، لكى يتاح كتابة التقارير بصورة تحقق الغاية من المسح ، غاية الرصد الوصفى لا اكثر ولا اقل ، ثم يترك التحليل والتقييم لمن يتجاوزون غاية المسح ، كل حسب موقفه ، ووجهة نظره ، ورؤيته لمسيرة الواقع المصرى الكائنة . ومسيرتها التى ينبغى أن تكون عليها فى مختلف الرؤى .

وكانت أمام كاتبى التقارير ، بشىء من الصبر فى جمع المعلومات ، الحصول على الأرقام الاحصائية ، التى تشكل فى مجموعها وجوه العطاء الثقافى وحصاده فى الفنون والآداب ، من منابعها المباشرة ، وغير المباشرة من الأجهزة المختصة ، ومن الوزارات المختلفة ، وخاصة وزارتى الاعلام والثقافة ، ومن التعبئة والاحصاء ، ومن هيئة الكتاب (قسم البطاقات) . ومن الفهارس

أوهام الحلقة المفقودة

البيليوجرافية ، ومن .. إلى آخره . حتى يتسق الجهد المبذول فى تقارير الاعلام والفنون والآداب وحتى يرقى إلى مستوى الجهد المبذول فى التقارير التى كتبها الباحثون الآخرون ، كل فى موضوعه ، فى الموضوعات الأخرى لهذا المسح الاجتماعى الشامل .

● قصور واضح ●

واضعف جانب في تقارير الباحثين في الاعلام والفنون والآداب ، كانت في هذا القسم الأخير ، الخاص بالآداب والترجمة ، والتي بدت لي وكأنها كتبت للصحافة الأدبية ، وليست لتكون تقريرا علميا ، وبالوسع رؤية هذا القصور بوضوح ، فى هذه التقارير المزاجية ، عن : القصة القصيرة ، والرواية ، والشعر ، والنقد والحركة الادبية . فهى تفتقر الى الاحصائيات الوافية ، وتفتقد بالتالى «منهج الوصف» ، ولذلك وقعت فى القصور والابتسار والمغالطات ، والآراء الشخصية .

ولنأخذ واحدا فقط من هذه التقارير ، كقضية ، بل كقضايا للمناقشة ، هذا التقرير الشخصى والانطباعى ، المبتسر ، الملىء بالمغالطات ، عن : الاقصوصة (والقصة القصيرة) والذى كتبه جارى وصديقى النقادة : الدكتور صبرى حافظ أحد أعضاء اللجنة الخاصة بالفنون والآداب ، والتى كان يراسها الفنان الراحل بدر الدين أبو غازى .

قسم كاتب هذا التقرير تقريره إلى رؤية لثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٠

ب ـ المرحلة الثانية من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٧٠

جـ ـ المرحلة الثالثة من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٨٠

وفى كل ماكتبه كاتب التقرير ، عن هذه المراحل ، لم نجد رقما واحدا يشير الى الانتاج القصصى القصير عامة فى هذه المرحلة ، وفى كل مرحلة على حدة ، ومانشر منها فى دوريات ، ومانشر منها فى مجموعات مجرد ارقام ـ او يشير إلى حصر احصائى لعدد القصاصين فى هذه المراحل الثلاث ، وكمّ ما انجزوه من قصّ ، تمهيداً لرصد التيارات والاتجاهات فى حصاد القصة القصيرة عبر تسع وعشرين سنة ، كرؤى فكرية اولا ، واتجاهات أدبية ثانيا .

كل ما وجدناه فى هذا التقرير عن القصة القصيرة فى مصر ، فى هذه الفترة ، والذى لم يزد عدد سطوره عن ثمانية وسبعين سطرا ، بها الف ومائة كلمة «ذهبية» هو ذكر اسماء عدد من كتاب القصة القصيرة فى مصر ، ممن خطرت اسماؤهم بذكراة الكاتب ، ساعة كتابة التقرير ، أو ممن سمح لنفسه أن يذكر اسماءهم «كرماً منه ومنة» ، والله عليم

بالسرائر والضمائر ، وسوى تقييمات الكاتب لهم ، وتصنيفه لحصادهم ، فى احكام عامة وبصورة انطباعية ، غير موضوعية ، ولا عادلة ، عن تيارات القص القصير فى مصر واتجاهاته ، وعن أجيال كتاب القصة القصيرة (؟!) ، وعن تتويجه لبعضهم ، وجعله البعض الآخر ذيولا واتباعا .

فكاتب التقرير يرى أن القصة القصيرة فى مصر قد « تبلورت - منذ الثلاثينات - (صحتها الثلاثينيات) فى ثلاثة اتجاهات : الاتجاه الواقعى الذى اسسته المدرسة الحديثة (يحيى حقى وزملاؤه) (من هم هؤلاء الزملاء ؟ واى اتجاه واقعى يقصده بين اتجاهات الواقعية ؟ وماذا يعنيه بالمدرسة الحديثة ؟ وهل كانت هناك فى القصة مدرسة قديمة) ، والاتجاه الرومانسى الهروبى » (اصطلاح عجيب يثير الدهشة والخوف من الاتهام بالخيانة ولم يذكر لنا الكاتب من هم ممثلوه) ، « ثم اتجاه خارج عنهما » (لعله أراد منهما) بجمع بين الواقعية والنزعات التجديدية (أى واقعية يعنيها ؟ وماذا يقصد بالنزعات التجديدية) ومثله : بشر فارس وعادل كامل (لم نعرف عن عادل كامل قط انه كاتب قصة قصيرة ، وقصته الوحيدة القصيرة الطويلة ، والمنشورة بمجلة المقتطف هى قصة : (ضباب ورماد) وفتحى غانم ويوسف الشارونى ويوسف إدريس . وهذا الاتجاه هو الذى برز فى الصدارة مع مجىء ثورة ١٩٥٢ ، فهذا الجيل احس نفسه مؤهلا للتعبير عن صوت مصر ادبيا . فإن هذا الجيل ومعه اسماء اخرى مثل مصطفى محمود (؟!) وصلاح حافظ ولطفى الخولى واحمد رشدى صالح ومحمد يسرى أحمد (هذا الأخير توقف عن كتابة القص كلية قبل قيام الثورة) ، حاول التعبير عن جماعات المقهورين من العمال والفلاحين وصغار الموظفين .

● امتياز خاص ●

ومن بين هؤلاء جميعا ، يتوقف كاتب التقرير عند يوسف إدريس ليمنحه امتيازا وشرفا خاصين ، بقوله « لقد كان عالم يوسف إدريس واسعا يشمل القرية والمدينة ، وكان كابوسا يحلم شىء اساسى هو التغيير ،

ثم ، صعد تيار اخر يمكن تسميته بالرومانسية الاشتراكية عند عبد الرحمن الشرقاوى ومحمد صدقى وزكريا الحجاوى (لا صلة لزكريا بهذا التيار ، ولقد توقف زكريا عن كتابة القصة القصيرة قبل الثورة) ومحمود السعدنى يفيض بروح التفاؤل وبالحل التالفى للصراع الطبقى (وهل كانوا ارهاصا ونواة وطنية لتحالف قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى ؟) وبجمال البطل الايجابى .. ومع هذا التيار ظهر تيار اخر امتدادا لرومانسية محمود كامل (لعله المقصود بأنه رائد الرومانسية الهروبية) ، مع مزج بعض العناصر الواقعية عند سعد مكاوى وصلاح ذهنى وعبد الرحمن فهمى ويوسف السباعى وامين يوسف غراب وإحسان عبد القدوس ومحمود تيمور وعبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جوده السحار (عجبى لدس النقادة لأسماء سعد مكاوى وصلاح ذهنى

أوهام الحلقة المفقودة

وعبد الرحمن فهمي في هذا التيار) .

وهذه التقسيمات لاتجاهات وتيارات خمسة ، سادت القصة القصيرة في رأى الكاتب - تثير عددا من الأمور :

فالاتجاه الرومانسي معروف فيه تياران : الرومانسية المتفائلة ، ولعلها هي التي يسميها الكاتب بالرومانسية الاشتراكية . والرومانسية المتشائمة ، ولعلها هي التي يسميها الكاتب بالرومانسية الهروبية . ولا نعرف قط أن الوصف بالهرب كان جزءا من أي اصطلاح أدبي إلى إن كان الكاتب يبتدع اصطلاحا ، وله الحق في ذلك ، إن كلف نفسه مشقة تعريفه ، أوجد له تعريفا .

والاتجاه الواقعي نعرف من تياراته واصطلاحاته : الواقعية الطبيعية ، والواقعية النقدية ، والواقعية الاشتراكية ، فأيها كان يعنيه الكاتب لهذا التقرير عندما تحدث عن « الاتجاه الواقعي الذي أسسته المدرسة الحديثة » ، وعندما ذكر الكاتب هذا الاتجاه الذي « يجمع بين الواقعية والنزعات التجديدية » .

وكاتب التقرير تجاوز في هذه الاتجاهات جميعا - في رأيه الشخصي عن المرحلة الأولى - اسم نجيب محفوظ ككاتب قصة قصيرة ، أكثر من ثلاثين قصة قصيرة منذ الثلاثينيات الى قيام الثورة ، ونشر بعضها في « همس الجنون » وبعضها الآخر لم يجمع من مجلة « الرواية » في كتاب ، وتجاوز أسم : المازني - رائد الواقعية الأول ، في اللغة على الأقل قبل يحيى حقي ويوسف إدريس - في مجموعته : « الطريق » وتجاوز اسم الحكيم في مجموعته : « أرنى الله » . واسم علم من أعلام القصة القصيرة في الاربعينيات هو : محمود البدوي ، صاحب « الدانوب الأزرق » والذي ترك بصماته على القصة القصيرة في مصر ، وعلى القصاصين من بعده ، ومن بينهم يوسف إدريس .. وغيرهم كثيرون ممن حفل « دليل القصة القصيرة في مصر » لسيد النساج بأسمائهم وبأسماء أعمالهم ، مانشر منها في مجموعات ، وماظل منها الى يومنا ، حلقة مفقودة ، حبيس الدوريات ، ولم يذكر كاتب التقرير اسم نجيب إلا عند تذكره له في تقريره عن المرحلة الثانية ، مرحلة الستينيات واكتفى عنه بالقول إنه « عاد إلى كتابة القصة القصيره بعد توقف » .

● تجاوزات واضحة ●

وكاتب التقرير سوى في العطاء القصصي كما وكيفا بين من ذكر أسماءهم كلا في اتجاهه وتياره ، بدون تفريق بين من استمر منهم في كتابة القصة القصيرة ومن توقف منهم عن الاسهام في نشر دوريات ، ومن ذكر منهم اسمه ، مثل : زكريا الحجاوي ، ويسرى أحمد ، ومن لم يذكر اسمه مثل : محمد عفيفي ، وأحمد عباس صالح ، وهم حقا قصاصو « الحلقة المفقودة » في تأريخ القصة المصرية القصيرة ، والتى يجهلها الكثيرون من النقاد ، لأن أحدهم لم يكن كاتب قصة

يوما يبحث ويتابع رفاقه على درب القصة ، ويمكن أن تضاف إليهم أسماء آخرين فى المراحل الثلاث ، ممن مارسوا كتابة القصة القصيرة ، ثم توقفوا عن الاستمرار فى كتابتها ، وكان لهم فيما كتبوه وجه من وجوه الامتياز القصصى .

محمود تيمور



محمد عبدالحليم عبدالله



وكاتب التقرير كان جديرا به ألا يضع كل كتاب القصة القصيرة ـ المتميزين منهم على الاقل فى سلة واحدة مع غيرهم ـ فلكل منهم مستواه الفنى الخاص ، ونهج وأسلوبه ، حتى وإن انتمى فكريا وفنيا إلى تيار بعينه ، واتجاه بذاته ، فلكل منهم عالمه الخاص ، ورؤيته للعالم ، وفنه المتميز الملامح والسمات .

● رأى شخصى ●

وبحسب أن كل هذه الاخطاء والمغالطات ، وقع فيها كاتب التقرير ، لانه خرج عن حدود الوصف ، إلى حدود الرأى الشخصى ، ولانه لم يجهد ليعرف ويجمع تاريخ القص القصير ، الخطوة الاولى لأى نقد يحاول التحليل والتقييم ، من تواريخ النشر ومن دليل النساج ، ولديه منه نسخة باليقين ، ولأنه ليست لديه معرفة واضحة بتيارات واتجاهات القص ، والفرق بينهما ، والتداخل بين بعضها البعض ، فى هذا الشكل الأدبى الفنى الوافد القصير العمر فى الآداب العربية ، حتى فى الأعمال القصصية لكتاب الحقبة الواحدة ، بل وفى أعمال الكاتب الواحد ، ولأنه وقع أسير تقييمات صباه كناقد غض العود ، على صفحات مجلة "المجلة" فى سنوات الستينيات ، ولم يسمح لنفسه بمراجعتها ، وإعادة النظر فيها ، لأنه وقع أسير دعوى الانتماء لجيل جديد من المبدعين والنقاد وفى سنوات الستينيات ، حريص على القول بأنهم جيل بلا أساتذة ، وحريص على إخلاء الساحة من سواهم من الكاتبين ، ممن سبقوهم فى تاريخ القص ، أو فى تاريخ الميلاد ، وهى

أوهام "الحلقة المفقودة"

آفة ابتليت بها مصر، منذ عصر الفراعين.

ويختم كاتب التقرير تقريره عن المرحلة الاولى من عمر القصة المصرية القصيرة العمر، والذى لاتتجاوز أسطره سبعة وعشرين سطرا "ذهبيا !!" فى اربعة كلمات، بحشده لأسماء اثنى عشر كاتبا للقصة القصيرة، ووضعهم جميعا فى سلة "يوسف إدريس" وقال عنهم: فى أواخر الخمسينات (صحتها الخمسينيات) حيث لم تكن تناقضات الواقع قد تبلورت بعد، ظهر جيل ضائع (!!) سار على درب يوسف إدريس (!!)، فسقط بين يوسف إدريس والجيل التالى (لم سار فقط على درب يوسف إدريس، ولم يسر أيضا، بعضهم على الأقل، على درب نجيب محفوظ، وعلى درب يحيى حقى ؟)، وقال عنهم: "فهذا جيل بلا قضية أو رؤية محددة المعالم" (مصادرة لا دليل عليها ولا برهان سوى مشيئته)، ثم لم يحرمهم من إنجاز ما، فقال: "ولكنه هذا الجيل الضائع أنجز ترسيخا لطرق الاقصوصة لدى القارىء المصرى (فضلا نقادتنا ونعمة)، كما رسخ طريقة الكتابة الادريسية الواقعية" مصادرة اخرى جار فيها ليس على حق هؤلاء الكتاب الاثنى عشر فحسب، وانما ايضا على تأثير نجيب محفوظ ويحيى حقى ومحمود البدوى).

أصحاب هذه الأسماء اذن قد خلقهم الله جميعا وليس أحدهم أو بعضهم، فيما يبدو ولترسيخ "طريقة الكتابة الادريسية الواقعية" فلم يحرمهم النقاد، تماما من انجاز ما، لترسيخ "طريق الاقصوصة لدى القارىء المصرى" وترسيخ "الطريقة الادريسية مثلما رسخ مريدو سيدى أحمد الرفاعى "الطريقة الرفاعية".

وأصحاب هذه الاسماء الذين "لم يمتلكوا دوافع مثل دوافع يوسف إدريس وحساسيته" والذين "ساروا على دربه" فكانوا جيلا ضائعا هم عند كاتب التقرير: "سليمان فياض وأبو المعاطى ابوالنجا وعبدالله الطوخى وفهمى حسين (توقف هذا عن كتابة اى قص تماما) وصبرى موسى، وفاروق منيب (يرحمه الله) ومحفوظ عبدالرحمن (لم ينشر سوى مجموعة قصصية واحدة فى الستينيات، ثم صار واحد من اهم كتاب المسرح العربى) وفاروق خورشيد وعبد الغفار مكاوى وبدر نشات (توقف عن كتابة القصة القصيرة) وياسين العيوطى ومحمد كامل محمد".

هؤلاء جميعا يرى النقادة انهم خرجوا من معطف "الطريقة الادريسية" وحدها وأى قارىء لأعمالهم مجتمعين، ومتفرقين، ليس بوسعه أن يرى أى ملمح إدريسى فلكل منهم ملامحه وطريقته حتى وإن اندرجوا جميعا بدرجة أو بأخرى فى تيار الواقعية، حتى وإن تأثروا جميعا بطريقة أو بأخرى بالرومانسية، أو بالواقعية الطبيعية أو النقدية، أو الاشتراكية، وبوسعى البرهان على ذلك فى قص يوسف أدريس نفسه.

وينسى كاتب التقرير ما كتبه عن هؤلاء الاثنى عشر كاتبا فى تقريره عن القصة القصيرة ، فيصف هذا الجيل ب : « عدم تميزه الواضح ، ونظرا لنشأته فى ظل ظروف غير مواتية (لم هم بالذات ، وقد نشأ الآخرون من بعدهم فى نفس الظروف ، وفى أسوأ منها ؟) لم يعرف ، ولم يشتهر جيدا (لم يتوقف النقادة ليسأل نفسه : كيف يعرف ، أو يشتهر جيدا من عدم تميزه الواضح) ولم يأخذ حظه من الدراسة والاهتمام ، وسمى جيل الحلقة المفقودة » ويضيف إليه أسما كان قد ادرجه فى تقريره عن القصة القصيرة) فى تيار الرومانسية الهروبية ، هو اسم « سعد مكاوى » دون أن يفطن لحظة إلى أنه قد تداخلت التصنيفات تحت يده للاسم الواحد .

ولا أعرف أحدا وصف هذا الجيل بالجيل الضائع مرة ، وبالحلقة المفقودة مرة سوى عند كاتب هذا التقرير فالآخرون من نقده الستينيات وصفوهم بأنهم جيل الوسط .

وأذكر أن كاتب هذا التقرير ، جىء به مرة فى ندوة تليفزيونية ، معى ومع أبى المعاطى أو النجا ، وكان يدير الندوة الكاتب الأديب « بدر الديب » فلم يخف النقادة رأيه العجيب فى أننى وأبى المعاطى وقعنا ، على جودة ما نكتبه فى ظل شجرة وارفة الظلال (هكذا قال) هى شجرة يوسف إدريس (ولله فى أمزجة نقادة شئون) ، وحاوره أبو المعاطى ، ليعرف براهين قوله ودعواه فتحير فى الكلام ، فلا دليل لديه ولابرهان سوى أنه يرى ذلك .

وفيم الفقد إذن وفيم الضياع ، إذا كان اكثر من ذكرهم لايزالون مستمرين فى الكتابة ، فى المجلات ، والدوريات ، ويصدرون بين عام وآخر مجاميع ، وروايات ، بعضها من أجمل وأجود ما نشر من مجاميع وروايات ، على مدى يزيد عن ثلاثين سنة .

وفيم الفقد إذن وفيم الضياع واتحدث هنا عن نفسى ، فهذا ما أملك البرهان القاطع عليه ، وقد كتب عن اكثر ما نشرته عشرات النقاد من المحيط الى الخليج ، وبين تعليقات ومقالات ، لو جمعتها ونشرتها فى كتاب ، لملأت مجلدين ، أى ضعف ما كتبته من صفحات ؟

وفيم الفقد إذن وفيم الضياع ، واكثر أسماء من ذكرهم منا ، لكل منهم خصائصه القصصية ، وامتيازه ومنحاه ؟

ويمضى كاتب التقرير ، فى مواصلة أرائه الشخصية عن المرحلتين : الثانية ، والثالثة من مراحل القصة القصيرة حسب تقسيمه - الثلاث ، فيضعف يوسف إدريس (قصاصه الاثير) بأنه تخثر فنيا واجتماعيا (هكذا : واجتماعيا) وتسطح حمله (لم أفهم معنى هاتين الكلمتين معا) ، ويصف الجيل الضائع بأنه :

« مضيع كشوفه الفنية والمضمونية » (لاحظوا معى : ما هو يعترف بأنه ثمة كشوف « فنية » و « مضمونية » ، ولم يتحدث قط عن هذه الكشوف - فى تقريره - لافنا ، ولا مضمونا ، بل انه قد أنكرها ضمنا من قبل ، حين قال : هذا « جيل ضائع سار على درب يوسف إدريس بدون دوافعه وحساسيته » ، وحين قال : « هذا جيل بلا قضية أو رؤيه محددة المعالم » .. وليرحم الله أدبنا من مصادرات قلم النقادة ، وتناقضاته .

أوهام الحلقة المفقودة

● تساؤلات محيرة ●

ويواصل كاتب التقرير تقريره ، فيطلق هذا التعميم على جيل الستينيات فيصفه بأنه « جيل الفنتازيا » في القصة القصيرة ، لأنه « حاول تحطيم الحواجز الفاصلة بين الواقعي والخيالي (كيف ؟ لم يقل لنا النقادة) . وتحولت الفنتازيا الى جواب حاسم لكثير من التساؤلات المحيرة » . (يا الطاف الله : ما الجواب الحاسم المقصود هنا ؟ وما هذه التساؤلات المحيرة ؟ » ومن أبناء هذا الجيل : بهاء طاهر ، عبدالحكيم قاسم ، وابراهيم أصلان ، ومحمد البساطي ويحيى الطاهر عبدالله ، وجمال الغيطاني ، واحمد هاشم الشريف وجميل عطية ابراهيم وضياء الشرقاوي ومجيد طوبيا وعزالدين نجيب ومحسن ابراهيم مبروك وغيرهم ، اثنا عشر اسما اخر في عقد كامل ، قولبهم النقادة في « الفنتازيا » بين كل منهم والآخر ، مابين السماء والأرض : رؤية وفنا ، ولغة . وقد نسي من بينهم اسم محمد روميش وإمامهم عند كاتب التقرير هو : محمد حافظ رجب ، فهو عنده « اكثر ابناء هذا الجيل تجددا » .

ويسوق كاتب التقرير أسماء أخرى من قصاصي المرحلة الثالثة وقد « سكتت » فيما يزعمه النقادة « الاصوات الباقية من جيل الستينيات » ويصفهم بأنهم « لم يستطيعوا أن يخلقوا تيارا قصصيا بسبب محدودية إمكانياتهم الفنية » وأصحاب هذه الاسماء هم « عبدالعال الحمامصي ، وزهير الشايب ، وصبرى العسكرى ، وفخرى فايد » . ثم يعود ليستثنى اسماء عدد من كتاب السبعينيات أستطاعوا أن يتبلوروا « استمرار لتيار الحساسية الجديدة ليست هناك من قبل اشارة في التقرير لتيار الحساسية الجديدة و تفسير لماهية هذا الاصطلاح ، ولا ذكر لأحد من سدنته مثل : محمد المنسى قنديل ، وسعيد الكفراوى ، وجار النبى الحلو ، وابراهيم عبدالمجيد ومحمد المخزنجى ، ومحمود الوردانى ، وعبده جبير ، ويوسف أبو رية ، ومحسن يونس ، ونسى اسم يوسف القعيد في تقريره عن المراحل الثلاث في القصة المصرية القصيرة ، ليعود ليذكره في تقريره عن الرواية ويصفه بأنه « التزم في البداية طرائق في معالجة الواقع متأثرا بالاساليب الغربية ، ثم عاد إلى لغة مباشرة اقرب الى لغة الصحافة (راجع رحلته من « الحداد الى » يحدث في مصر الآن » الخ ..

في كل ما كتبه كاتب التقرير ، عن المراحل الثلاث ، كان اسم يوسف إدريس هو محور الرحى في يد النقادة ، وكانت الموجات الجديدة من الاقصوصة تتركز دائما في كل مرحلة وتبدأ « بإدريس ، والخراط ، وبنجيب محفوظ » و « أيضا : بيوسف الشارونى » . وكان اسم ادوار الخراط (نشر مجموعته الأولى حيطان عالية : ١٩٥٨ خارج التيارات وربما خارج المراحل فقد رأى « أن الحل ليس في مواصلة الطريق ، وتغيير الادوات

والمضامين ولكن فى رفض كل المسارات القديمة ، والبحث عن طريق جديدة ، وعن رؤى طازجة بكر ، فادوار عند نقادتنا ، مثل الكواكب السيارة ، والكون كله فلكه وليس له جيل ينتمى اليه ، ولا مرحلة تشده ولا تيار يندرج فيه ، مثلما يدرج الآخرون .

وهنا ينتهى العرض المحنة وينتهى التعليق المحنة ، واسال نفسي واسالكم : هل المحنة فى هذا التقرير فى امانة ، ام فى عجلته ، ام فى مدى معرفته بتاريخ القصة والقصاصيين ، ام فى مدى معارفه النقدية ، ام فى قبول « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية » نشر هذا التقرير ، مع تقاريرها الاخرى التى تزيد عن المائة عدا ، وقد عرى من القاعدة فى « المسح الاجتماعى » قاعدة « الوصف » والوصف لاغير للواقع الممسوح .

وتبقى بعد ذلك قضية الاجيال بين الكتاب ، وقد سايرن القول بها فى هذا المقال ، لمناقشة كاتب التقرير ليس غير تبقى قضية مطروحة للمناقشة ويبدو لنا ان هؤلاء النقاد المحدثين ، لا يعرفون الحياد فى الرؤية ولا الجدية فى البحث ، ويفتقدون الموضوعية فى المنهج ، وفى طرائق البحث الاكاديمي ، قبل التمرد عليها ، او الخروج عنها ، جيل شللى ، منحاز ومجامل ، حين يؤرخ ، حين يكتب تقريرا او بحثا ، جيل شعاره : « كله عند العرب نقد » .

ولا باس عند هؤلاء النقاد ، دائما من القول « باوهام » الحلقة المفقودة » و « الجيل الضائع » و « الجيل الوسط » ، ولا من « تزييف التاريخ الادبى » . وكان تاريخ الادب لا يكتب باقلام المبدعين ، وإنما يكتبه النقاد كيفما يشاءون .

ولا باس عند هؤلاء النقاد من تقسيم الحياة الادبية الى اجيال ، كل جيل عمره عشر سنوات لاتزيد (من بعض الاستثنـاءات الضـروريـة للـزوم المهنة) . ولهم الحق ، مع هذا التسيب الفكرى ، فى ان يجعلوه كل اربع او خمس سنوات ، مثل اجيال الكومبيوتر ، التى راينا منها ، حتى الآن ، خمسة اجيال ، فى عشرين سنة لاتزيد .

ولاباس عند هؤلاء النقاد ، المحدثين ، ورافعى شعار التعدد ، من وضع غطاء راس هذا على راس ذاك ، ولامن العودة ، ومواصلة العـودة ، الى خلق « اصنام » من البشر ، فى الفنون والآداب ، فالعقلية الوثنية القديمة ، لاتزال تسعى فى عصرنا ، وتجد من يقبلون ان يكونوا « اصناما » ومن يقبلون ان يكونوا لها « كهنة » ، يخدعون الناس ، ليكونوا لها ، معهم ، من « العابدين » .

■ ■

عندما يجيء ... ستزدهر السنابل

بقلم : محمد محمود ريان
بريشة : عادل ثابت

في طرقات المدينة انتظروه .. وضعوا باقات الورد على منفذ الطريق المفتوح للافق .. خرجت النسوة والاطفال ورجل عجوز بعكازه المتآكل . ينظرون الى الافق بشغف شديد .. الطرقات التي انتظرت سنوات وعلى جانبيها جماهير الارض والفقراء تنتحب .. القلب لا ارادة له .

انتظروه كثيرا فحين كان بينهم علمهم الكثير من شئون الحياة

قال الطفل : يا امي اين العجوز الذي اعطاني كراسة وقلما وقطعة من الشيكولاتة

قالت : لا ادري .. لكنه سيأتي وما هو الا في غياب عجيب .

عندما كان يعلمهم ادرك ان جزءا من مهمته قد انفتحت ابوابه .. وايقن ان المهمة نفسها لن تأخذ باعا طويلا .

قالوا له : الا تنتظر حتى يدركنا الصباح ؟

قال : ومالي انتظر وانتم امامي وكل شيء على مايرام

« قال الصوت الذي لا تعلم مصدره » : والدنيا رغم انها واسعة يا عجوز الا انها مثل خرم ابرة

قال : هي حياتي وحياتكم .. الا تدرون ؟

عندما علمهم الحساب .. والفلك .. اندهشوا ... قال لهم كلاما منغما لانت له العقول نظروا اليه باعجاب شديد .. قال يا فتى أسمعني من علوم الطبيعة

قال الفتى : ما انا بعارف ؟

قال : أسمعني

قال له مرة اخرى : ما انا بعارف

قال : اذن انت من الخاسرين

غاب العجوز .. انتظروه وفي أيديهم ادواتهم وكتبهم واقلامهم . ولموع الاشتياق .. فقد طال الغياب طويلا .

حين هطلت الامطار .. كانوا ركعا سجدا يبتهلون للسماوات بحق المطر والاضواء والميلاد أن يهديه الطريق ويرجع اليهم .. الطفل المسكين جالس القرفصاء وفي عينيه دموع لم تر طريقها الى الارض .. لكنها مازالت على خديه تتحرك ببطء شديد .. اما الام فهي واجمة ساكنة تنظر الى طفلها والحشد الموجود على قارعة الطريق . الطريق المفتوح والذي تحدق فيه



لعيون كان مسار العجوز الدائم فحين
كان يذهب الى البحر يمشى على مهل
يردد مقاطع من الاناشيد الفلكية
بعض طقوس البلاد التى توارثها عن
جده العالم .. أخذ عنه الكثير من
علمه وأساليب المخاطبة والمحاورة
ولذلك فأنت حين تراه تشعر أنك امام
فيلسوف أو عاشق للحكمة .. قالوا
له فى بداية الامر :

ـ انت مشعوذ !

ـ بان القلق على وجهه وطفح الحزن
علامات غريبة .. قال : انا من نبع

الارض جئتكم للأمانة وعلينا ان نفتح
طلاسم الزمان

قالوا : اذن أنت من الساحرين

قال : ليس لى فى علم السحر ولكن
أؤمن بالعلم المبين .. وقد ورثته
عن جدى العالم الامين وها أنا امامكم
.. أود مساعدتكم لتبقوا من الفائزين
وعلمهم بداية بعض الصور
والحروف والقراءة .. عشقوه وكانوا
من الفرحين .

أما العجوز فقد بقى صورة جميلة
لا تفارق خيالهم .. ومالى أراكم

يافتية الامس واجمين هاتوا ما عندكم .. لنجلس سويا واجعلونا نستبشر خيرا فالدنيا ذاهبة والارض فى سبات عميق .. اذن من يحدثنى ؟ .. هل انت جدى العجوز ؟ .. لا .. ليس هذا صوته .. ظل الفتى حائرا متسرددا ، تلفحه رياح الاشتياق ويجذبه واقع الامر الذى يتواجد فيه .. العجوز الذى غاب ترك علاماته وروحه بين الامل والخلان ولذلك فالعجز يراهم ركعا سجدا حين تهطل الامطار فابواب السماء ربما تكون مفتوحة فيستجيب الرب للبشر ، الفتى الذى تفتح عقله وقلبه مشى الطريق ونقش باظافره كلمات متفرقة على جدار الطريق .. أما الجدار فقد كان قديما عليه كلمات كثيرة ونقوش ورسومات تنتهى عند اول البحر .. يا شجر الطريق لقد مر العجوز من هذا المكان يتكىء على عصاه وها انا اجىء اليك على اثره لم يسمع الا خرير الماء هادئا وصوت الدنيا من بعيد يدوى .. وطيور لا تستقر فى مكان .. جلس كعادته وظل يناجى البحر والسماء وهيئاه على الجدار والنقوش .

قال له العامة : هل استبحت من الزاهدين ؟

قال : انى ابحث عن جدى العجوز

قالوا : لقد بحثنا قبلك

بان الحزن عليه كثيرا .. قالوا ننتظرك فى الغد كى تعلمنا بقية الاشياء والعلوم .

قال الطفل لامه : يا أمى لم يعد العجوز من رحلته ؟

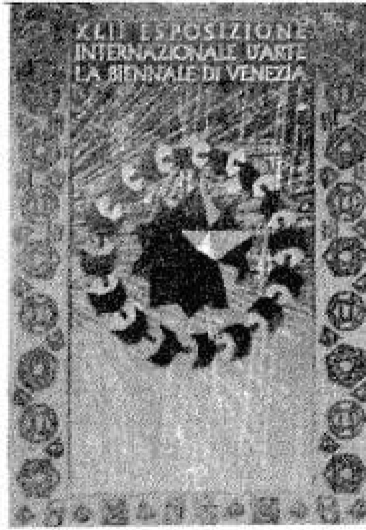
قالت الام وعلى وجهها قلق لا ادرى .. لا ادرى

أيقنوا أن للعجوز الهاما يفوقهم فيه .. وانه من النابهين الذين يرتقون الى مرتبة العلم والحكمة .. ورغم كبر سنه قد استطاع التأثير فى هذا الحشد .. لذلك فقد ظل الفتى واجما سارحا فى ملكوت جده العجوز ينصت باذان صدغية وقلب مفتوح وعقل مضىء .. يالك من جد ... انك قاموس .. هز الجد رأسه وقال :

انه نبع الحياة ومنه أخذ ما يملأ راسى

قال الصوت الخارجى : يا عجوز .. انت تنهل من الحياة بنهم ما فيها من علم واجتماع .. لكنك يا عجوز ... هجرت الطريق ولم تكمل لاهلك وخلانك ما اخذته من الحياة .

وعندما سكت الصوت .. كان الطريق خاليا الا من خطوات ثقيلة .. وعباءة رجل نهر الحياة وما فيها وعصا قديمة وسبحة بيضاء وشعر غزير .. هات ما عندك يا عجوز .. اسمعنى جيدا مازالت الخطوات بعيدة والطريق مفتوح .. اخبرنى بما تحمل فى راسك الواسع المدرك لحياتنا .. لا تنس ما تركته فينا ولم تستكمله حرام عليك يا عجوز حرام عليك يا عجوز .. قالوها بعد ان ثارت نفوسهم حبا لا حقدا .. لقد وعدتنا وعلمتنا وانقذتنا من ورطة الجهل والخراب .. انك يا عجوز رمز فى ضمائرنا وحياتنا _ قالوها وقد ابتعدت المسافة .. قربت .. تاهت الموازين .. انها مشكلة يا اقربائى تركها لنا وقد عشت فيها بين مؤيد ورافض نحاول تلمس اثاره ومنهجه .. لعل .. !



شعار وملصق المعرض العالمى للفنون رقم ٤٢ (بينالى فينسيا)

• رسالة فينسيا •

بينالى فينسيا يجدد شبابه فى سن التسعين

بقلم : صبحى الشاروني

المعرض العالمى للفنون « بينالى البندقية » او بينالى فينيسيا هو اشهر واعرق المعارض الدولية فى العالم .. فهو يقام مرة كل عامين منذ عام ١٨٩٥ . وقد احتفل فى دورته الحالية بمرور ٩٠ عاما على اقامته لاول مرة .

افتتح البينالى فى آخر يونيو الماضى واقتصر لمدة اسبوع على الصحفيين ورجال الاعلام والدعوات الموجهة للمشاركة فيه من الفنانين والممثلين الرسميين للدول المختلفة .. ثم فتح ابوابه للجمهور ليستمر حتى ٢٨ اكتوبر

• رسالة فينسيا •

طوال ايام الاسبوع بدون اجازات .

تشارك في العرض الحالي ٤١ دولة .. وهو البينالي رقم ٤٢ ، وليس رقم ٤٦ اذا كان انتظم طوال هذه السنوات، قد توقف أثناء الحرب العالمية الثانية وتغير موعده من السنوات الفردية الى الزوجية والغى عام ١٩٧٤ نتيجـة احتجاجات شباب الفنانين وحملتهم عليه ، ولهذا اصبح يضم قسما خاصا لشباب الفنانين الاقل من ٤٠ عاما تحت اسم « ابيرتو ٨٦ » .

كلمة بينالي تتكون من مقطعين bi-ennale .. المقطع الثاني يعني معروضا دوريا اما حرف B فهو الحرف الثاني في الابجدية اللاتينية ، وهذا للدلالة على انه يقام دوريا مرة كل عامين .

وقد ترجم اتحاد الفنانين التشكيليين العرب هذه الكلمة الى « معرض السنتين » ، واستخدم هذا التعبير لاول مرة عند اقامة معرض السنتين العربي الاول « في بغداد : مارس ١٩٧٤ ...

وهناك معارض تقام كل ثلاث سنوات وتسمى « ترينالي » وهو لفظ ايطالي ايضا ، ومثاله هو معرض « ترينالي نيودلهي » الذى يقام كل ثلاث سنوات بالهند .. وهناك معارض تقام كل أربع سنوات وتسمى « كوادرينالي » ..

المبنى الرئيسى لبينالي فينسيا واجنحة الدول مقامة على جزء من حدائق جزيرة « كاستيلو » ، احدى جزر مدينة فينسيا العائمة والمشهورة بطرقها المائيـة .. حيث تملك كل دولة مبنى خاصا او جناحا لعرض فنونهـا . ومساحة المعرض الحالي الكلية ٣٠ الف متر مربع ، وهناك اماكن أخرى في وسط مدينة فينسيا يمتد اليها نشاط البينالي مثل قاعات المعارض الاكاديمية والمركز الرياضي والجامعة .

ومصر هي الدولة العربية الوحيدة التي تمتلك جناحا خاصا في حدائق كاستيلو التي تضم اجنحة ٢٩ دولة بينما بقية الدول تستضيفها ايطاليا بقاعات العرض في الاكاديمية .

ادارة البينالي تغيرت عدة مرات منذ عام ١٩٧٢ ، ومنذ اربع سنوات تشرف على الاعداد للمعرض لجنة ذات فكر جديد يرأسها المهندس المعماري « باولو بورتجيزي » .. وقد وضعت خطة طويلة المدى تتحاشى اخطاء اللجان السابقة . وعلى سبيل المثال فالبينالي الآن له موضوع بعد ان انتهى عصر « الجائزة للتجديد والابتكار » ليحل مكانه عصر التنافس حول موضوع كبير بين فناني الدول المشتركة بينما تعمل لجنة الاعداد للبينالي لمدة عامين كاملين ووراءها جيش من النقاد والباحثين لاعداد معرض شامل حول الموضوع تجمع مادته من المتاحف والمجموعات الخاصة في ايطاليا وخارجها .

وتعتذر ادارة المعرض لانها لم تستطع ان تجمع كل انشطة البينالي في مكان واحد لان التوسع سيكون على حساب المساحات الخضراء في حديقة كاستيلو ، ولهذا تبنت بلدية فينسيا المركز الرياضي حيث يقام به معرض الشباب تحت اسم « ابيرتو ٨٦ » .

موضوع البينالي الماضي رقم ٤١ الذى اقيم عام ١٩٨٤ هو الفن التذكاري او المسرحي، واثر التراث في الحاضر « حضور الماضي » ، وقد خصص المبنى

الرئيسى للمعرض لتقديم صور شاملة للفن فى مدينة فيينا خلال العصور الوسطى ، وقد نجح هذا المعرض نجاحا واضحا تمثل فى عدد زواره الذى بلغ ٢٠٠ الف زائر دفعوا فى تذاكر الدخول ما يساوى نصف مليون جنيه استرلينى، وهذه الاحصائيات تمثل مؤشرا لارتفاع درجة اهتمام الجمهور بالفن التشكيلى

« اثراء الثقافة »

القضية الرئيسية فى البينالى الحالى (رقم ٤٢) هى قضية العلاقة بين الفن والعلم وقد التزمت به معظم الدول المشتركة عدا بضعة دول تلتزم بالموضوع ومن بينها مصر ٠

وتعلن ادارة البينالى ان ارتفاع عدد الدول المشتركة الى ٤١ دولة يسمح باثراء الثقافة بالروافد الثقافية المختلفة القادمة من مختلف انحاء العالم ٠

اما خطة السنوات الاربع التى وضعت عام ١٩٨٣ فقد اتخذت شعارا عاما لها هو « الثقافة فى ظل السلام»

وقد اعلن عن موضوع الفن والعلم عام ١٩٨٣ ليكون محورا للبينالى الحالى فهو معروف منذ ثلاث سنوات بالنسبة لجميع الفنانين والدول المشتركة فى المعرض لكن الفنانين المصريين لم يسمعوا به ٠ هذا الموضوع العام لم يمنع ادارة البينالى من تقديم انشطة اخرى تبرز صفات الحضارة الراهنة لان العنوان واسع ويسمح بالكثير من الاجتهادات ٠

وقد تضمن الاسبوع الاول قبل افتتاح المعرض للجمهور السامة للسينما والموسيقى والفيديو بالطبع لم تشارك فيها مصر ٠

فى المبنى الرئيسى للبينالى عرض شامل ، مع ابحاث ودراسات عن قضية الفن والعلم والعلاقة بينهما ، حيث يستطيع المشاهد تتبع هذه القضية فى سبعة اقسام تناقش الفضاء والابعاد التى يتصدى لتصويرها العمل الفنى ، واللون ، والتكنولوجيا وعلم الكمبيوتر ، والفن والبيولوجيا اى علم الحياة ، والفن والكيمياء، باضافة الى قاعة المدهشات او البدع فى الفن ثم العلم فى خدمة الفن ٠

« قبة جاليليوشينى »

يقدم البينالى مفاجأة لزواره فى هذه الدورة هى اكتشاف قبة «جاليليوشينى» وهى قبة القاعة التالية للمدخل فى المبنى الرئيسى للمعارض بحدائق البينالى ٠٠ كان قد رسمها الفنان جاليليو البينالى ١٩٠٩ باسلوب الرسم الحائطى « الفرسك » وبتكليف من قسم الفنون المرئية ، وطبقا للتصميمات التى وضعت عام ١٨٩٥ ٠ وقد تم الكشف عنها خلال شهر ابريل ومايو عام ١٩٨٦ ٠٠ لقد كانت الرسوم قد اختفت وتم تغطيتها عام ١٩٢٨ بسقف اضافى من الخشب والجبس ٠ ولحسن الحظ كان السقف الاضافى بعيدا عن رسوم القبة فلم يدمرها ٠ لقد تم حجب هذه الرسوم خلال

الفن والعلم و ٢٠٠ ألف زائر للمعرض

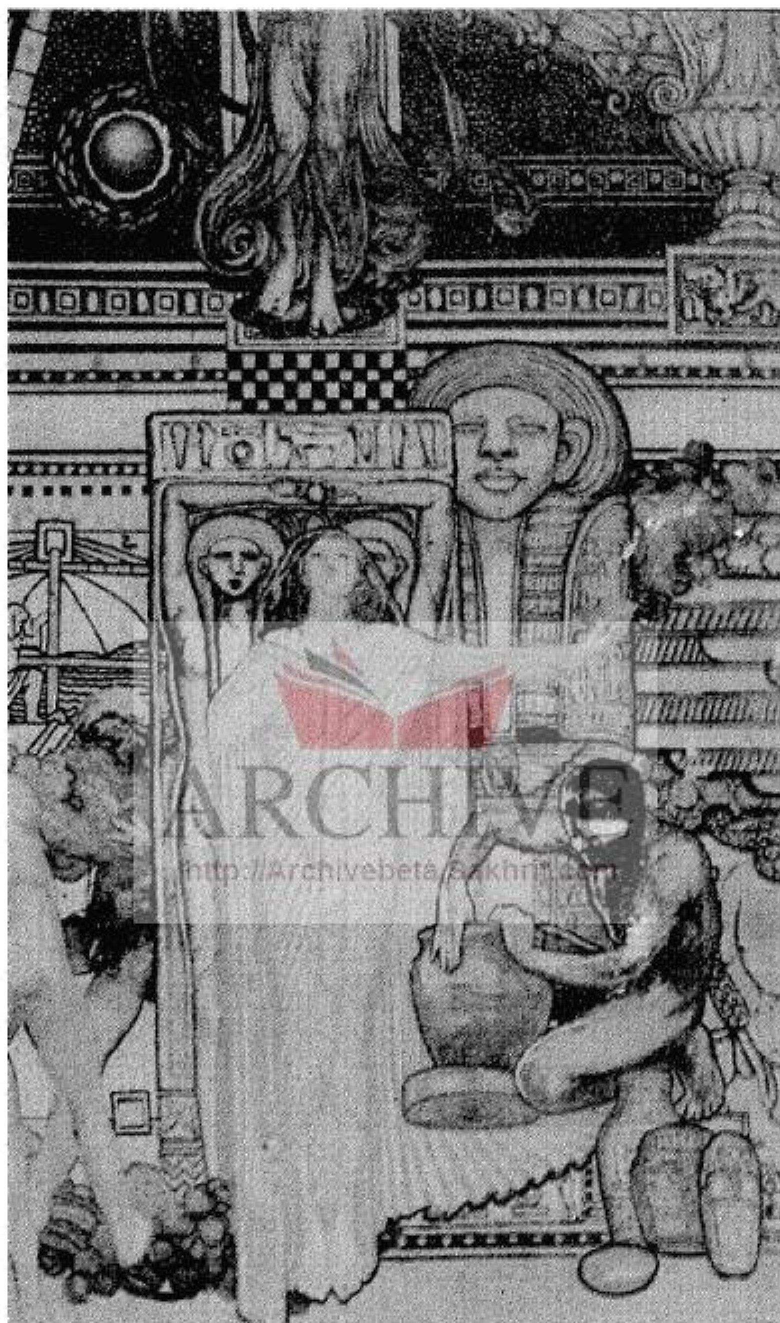
القسم المصرى يتجاهل موضوع المعرض

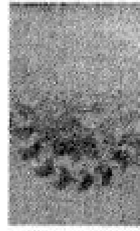
"بناء ثلاثي الأبعاد" اقامه في قاعة خاصة الفنان الفائز بجائزة نوبل "كارلوروبيا"



سنوات تسلط اتجاهات الاغـــراب وانتشار الاحتقار للاعمال التشخيصية .. لكن ادارة البينالى الحالية التى تستطيع أن تعطى لجميع الاتجـاهات ما تستحقه من تقدير أعادت هذه القبة الى النـــور وهى التى اهــــداها جاليليوشينى لمدينة فينيسيا فى مطلـع القرن الحالى .

الحضارة المصرية كما رسمها الفنان الايطالى . جاليليوشينى . عام ١٩٠٩ على قبة المبنى الرئيسى للبينالى





• رسالة فينسيا •

والقبة تتضمن ٨ لوحات تشغل كل واحدة مقطعا من المقاطع المعمارية للقبة وتعالج كل لوحة موضوعا من التاريخ الحضاري للانسانية هي العصر الذهبي البدائي ، الحضارة المصرية ، الحضارة اليونانية الحضارة الرومانية، العصور الوسطى والحضارة البيزنطية ، حكومات المدن والفن الانساني ، عصر النهضة، عصر الباروك ثم العصر الحديث ونلاحظ ان هذا التطور الحضاري من وجهة نظر ايطالية •

« الفضاء نحو البعد الثاني عشر »

نحن نعرف ان البعد الاول هو الطول والبعد الثاني هو العرض والبعد الثالث هو العمق ·· وعندما وضع « اينشتين » نظرية النسبية اعلن ان هناك بعدا رابعا هو الزمن باعتبار ان أي جسم له حجم لابد من تحديد الزمن الذي يوجد فيه لان الاجسام تتغير اشكالها من وقت لآخر ·· وقد فتحت ابحاث اينشتين الباب لاكتشاف ابعاد جديدة عندما اعلن ان الضوء الذي يسير في الخط المستقيم يغير اتجاهه في الفضاء عندما يقع تحت تأثير جاذبية او قوة طرد الاجرام السماوية الكبيرة وانه يسير في خطوط منحنية والتواء في الفضاء الخارجي ··ومع دراسة القوى الجاذبة والطاردة ،وقوة الطاقة الكهربائية والميكانيكية والحيوية فقد اكتشفت ابعادا أخرى حددتها الابحاث بسبعة ابعاد بعد البعد الرابع، كما اتجه خيال الفنانين الى افتراض وجود ذي بعد واحد فقط وهو الخط المستقيم ، ثم افتراض وجود بلا ابعاد ·· ثم اتسع خيال الفنانين بعد تحقيق رحلات الفضاء وما يتطلبه الاعداد لها من حساب مختلف الابعاد والسرعات وما يمكن ان تقابله سفن الفضاء من قوى او اجسام متحركة ··

لكن هناك مشاكل علمية في هذا الميدان تصدى الفن لايجاد حلول لها، واوضح مثال لذلك هو خريطة الكرة الارضية التي نرسمها على مساحة مسطحة ، وهناك عدة تجارب لتحقيق الصدق في مقياس الرسم عند رسم القطبين الشمالي والجنوبي على خريطة مسطحة··حتى انتهى الامر بالاصطلاح على « فرطحة » القطبين والاجزاء القريبة منهما وترك الامر للعين الانسانية لتصحيح هذا الوضع غير المطابق للنسب الحقيقية •

وعلى العموم يقدم البينالي عرضا لاحد اعمال الفنان السويسري « كارولوروبيا » الفائز بجائزة نوبل عن بحثه في تشكيل الاتجاهات والابعاد بالاضواء الملونة المتحركة في غرفة خاصة •

« الفن والكيمياء »

العلاقة بين الفن والكيمياء لا يمكن تغطية جميع جوانبها في مثل هذا المعرض فهي علاقة متشعبة ومعقدة تتصل احيانا بالفلسفة وموقفها من الكيمياء وتتصل احيانا اخرى بالدين ثم تتصل بالمعتقدات المتداولة حول مختلف العلاقات بما فيها العلاقة بين الرجل والمرأة عندما كانت المعتقدات الشائعة تفسرها بوجود مواد كيمائية متجاذبة واخرى متنافرة عند مختلف الاشخاص

تتحكم فى تحقيق التوافق والغرام او الكراهية والخصام .

والمعرض يبدأ بمجموعة من المخطوطات التى ترجع اقدمها الى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهو مكتوب فى مصر على ورق البردى ومحفوظ جزء منه فى « لايدن » والباقى فى « استوكهولم » ويتضمن وصفات كيميائية لتحضير الطلاءات الخاصة بالرسم .

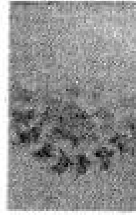
مثل هذه المخطوطات تغطى تطور الافكار المتعلقة بالكيمياء فى الغرب ، وكيف رسمها الفنانون ابتداء من الثقافة المصرية القديمة ومرورا بالثقافة اليونانية السكندرية ، ثم الكيمياء عند الرومان ، مع اثر المسيحية على هذا الفرع من خلال العصور الوسطى بجانب تأثير العرب خلال الفترة من القرن الثانى عشر وحتى الخامس عشر فى اسبانيا .. ثم يستعرض هذا القسم العلوم القديمة فى العصر البيزنطى عندما نقل البيزنطيون الى اوربا الكيمياء اليونانية السكندرية .

أما علم الكيمياء الحديث فقد بدأ فى القرن السادس عشر وثبتت اقدامه خلال القرنين التاليين .. هذا العلم لم ينعكس فقط فى كتب الكيمياء المصورة وانما كان له تأثيره الواضح فى تكنولوجيا الرسم مثل فن الجرافيك او « الاستنساخ » عن طريق حفر الرسم على رقائق المعدن باستخدام الاحماض ، او طبعه اعتمادا على ظاهرة التنافر بين الماء والزيت .. وما الى ذلك .

هذا الجزء من العرض يتيح خلال تتبعه فهما افضل واوسع لاعمال فنية تتصل بالكيمياء بعضها عملى تلقى وبعضها رمزى يعرفنا باتجاهات خيال الفنانين وتصورهم للكيميائيين فى شتى العصور .

يحكى هذا القسم من العرض قصة الانعاش أو « البدع » فى الفن من العصر الكلاسيكى وحتى العصر الحاضر . لقد كانت فكرة الانعاش والابهار والعمل على صدمة المتفرج واثارة دهشته هى ركيزة المذهب « السيريالى » .. لكن البدع والرغبة فى اقتناء الاشكال الغريبة هو موضوع قديم .. وهذا ما أوضحه قسم « خزانات » أو دواليب المدهشات فى البينالى ، فنحن نعجب باحدى التحف الصغيرة او التذكارية ونلتقط حجرا شكلته عوامل التعرية فنحمله الى منازلنا ، ولا نلبث ان تخصص خزانة زجاجية لهذه الطرائف حتى نستطيع الفرجة عليها نحن وضيوفنا ، وتكون فى نفس الوقت بعيدا عن متناول الاطفال . البعض يقتنى طائرا أو حيوانا محنطا ، مع اشكال صنعت من اصداف البحر أو الشعب المرجانية ثم اجزاء من هيكل عظمى لحيوان منقرض ، وتحفة اثرية أو قدر قديم .. ولقد خصص البينالى قاعة وضع فيها خزانات ودواليب بعضها يضم مقتنيات طبيب عاش فى القرن السابع عشر عندما كان الطب يختلط بالسحر ، وفى الحديقة التى تطل عليها هذه القاعة مجموعة من الاشكال المبهرة من بينها تمثال لرأس صبى تنبت من اعلاه نباتات الصبار ، وتستغرق احد جوانبه من السلك الشبك تنحدر عليه المياه من أعلى بينما ترتفع من اسفل هذا السلك السنة اللهب فيجتمع فى هذا العمل المدهش الماء والنار .

ويدخل فى هذا الباب اعمال « التجميع » او « الكولاج » واللصق واللصق ، التى انتجها « بيكاسو » و « جورج براك » فى المرحلة التكعيبية من فنهما فيما بين عامى ١٩١٢ ، ١٩١٤

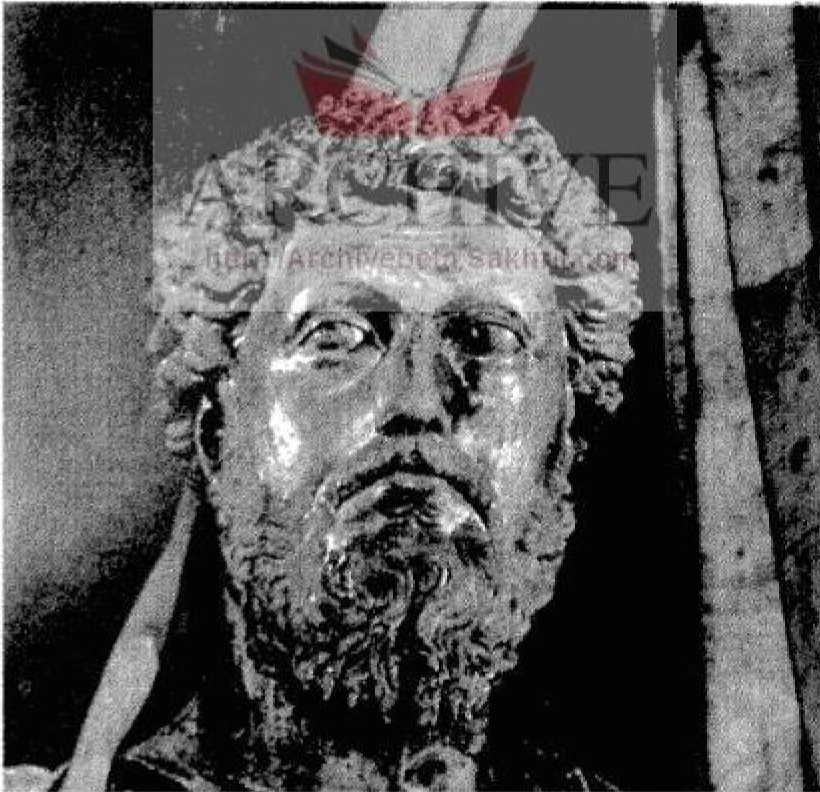


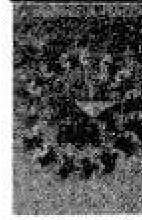
● رسالة فينيسيا ●

وهو الاتجاه الذى يتبعه عندنا الفنان الكبير منير كنعان .. ان فن المبدع يتضمن ايضا استخدام الخامات المختلفة والكراكيب ويصل الي الاضواء الملونة مع الموسيقى مع الخامات الشفافة الملونة ، في هذا الميدان تختلط الحدود بين الرسم والنحت ..

هذا القسم من البينالي اسند الى الناقد «جيورجيو شيلي» .. فقام في الحديقة امام المبنى الرئيسي قاعة خشبية لها نوافذ صغيرة جدا يفتح بعضها ويغلق من حين لآخر اوتوماتيكيا لجذب التفات الرواد .. وداخل القاعة عرض بالصوت والصورة لشرائح ملونة على اربع شاشات عبارة عن محاضرة مدعمة بالصور الميكروسكوبية والمعملية مع ما يشابهها ويماثلها من اعمال الفنانين ، وهو عرض شيق .. وقد تضمن العرض صورا تكاد تكون متطابقة لاعمال رسمها الفنان «بول كلي» عام ١٩٣٤ . الى جانب صور ميكروسكوبية لجناح

العلم في خدمة الفن: رأس تمثال اثرى اثناء تنظيفه وترميمه في احد معامل روسيا





فراشة ملونة تكاد تطابقها » ثم اشكال عظام حيوانات بحرية تشبه بوضوح تصميمات لاواني بعضها منفذ في البرونز وبعضها من الزجاج .. ثم صور لمجموعات من الشعب المرجانية والى جانبها رسوم الفنانين المشابهة لها .. فمثلا عرض الناقد صورا للمجالات الالكترونية وامامها رسوم « لجاكسون بولوك » الفنان الامريكي الذى ابتدع « الفن الحركى » العشوائى وهناك لوحة للفنان « فرانشيسكو مارتينى » تكاد تطابق صورة ميكروسكوبية لجدار لمعدة ويستمر العرض فى تقديم عناصر من رسوم الفنان التجريدى « فاسيلى كاندنسكى » لها مايشابهها فى الصور الميكروسكوبية لحيوان الاميبا الوحيد الخلية ..

« اليونان تحصد الجائزة »

قدمت احدى واربعين دولة اعمالها للتنافس حول موضوع الفن والعلم .. ومن الملاحظات اللافتة ان جميع الاعمال المقدمة لها اسماء ، بينما الشائع عندنا فى مصر ان الاعمال الفنية فى عصرنا الحاضر «بلا اسماء» فمعظم الفنانين المصريين يتصورون ان اطلاق اسماء على الاعمال الفنية هو من مظاهر التخلف التى عفى عليها الزمن ولاتتناسب مع العصر الحديث، لكننى تبينت ان جميع معروضات دول العالم لها اسماء، وعرفت ببساطة ان تسمية العمل الفنى له دلالات واضحة فى وجود هدف من اقامته فالتسمية تحدد هذا الهدف وعدم اطلاق اسم على العمل الفنى أول دلالاته ان هذا العمل بلا هدف ، لاشكلى ولا موضوعى وفوجئت ايضا بوجود اسماء على البيناليى (وعددهم تسعة) ومعظمهم عندما يعرضون فى مصر لا يضعون اعمال الفنانين المصريين المشاركين فى اسماء على اعمالهم .. وخرجت من ذلك ان فنانينا يتعمدون تدويخ المشاهد المصرى وكأنهم يدفعونه بعيدا عن مناقشة انتاجهم .

ولا يتسع المجال هنا لاستعراض ما قدمته جميع الدول لكننا سنكتفى باستعراض ثلاثة اقسام هى اليونان وفرنسا ومصر فالقسم اليونانى اعلنت لجنة التحكيم انها كانت تعتزم اعطاء الجائزة الكبرى للفنان المشارك فيه (اليونان مثلها فنان واحد) ، حتى شاهد المحكمون القسم الفرنسى الذى تفوق عليه بوضوح ففازت فرنسا بالجائزة الكبرى وجائزة افضل الاجنحة

يعرض فى الجناح اليونانى فنان واحد هو كوستاس تسوكليس الذى عرض ١٢ لوحة منهم ٦ لوحات لاشخاص واقفين مرسومين بالالوان الزيتية على مجسم ، ومساحة كل صورة ضعف الحجم الطبيعى تقريبا (٣٠٠ × ٢٢٠ سم) كل لوحة تصور شخصية حقيقية من مهن مختلفة : عـالمة نفس ، مهندس معمارى ، طبيب ، مغنى ، صاحب جالارى ، رجل اعمال .. هذه اللوحات الست غطت الجزء العلوى من جدران القاعة الدائرية المظلمة ، بينما الاضاءة تاتى من الوسط بواسطة ستة كشافات ضوئية كل منها مسلط على جزء من لوحة ، فيضىء هذا الجزء اضاءة قوية وبقية اللوحة خافتة الاضاءة .



• رسالة فينسيا •

الجناح له « قوميسير » اى المسئول الرسمى عن الجناح والتنسيق المعمارى للجناح قام به مهندس ، بينما تقديم الفنان واعماله فى الكتالوج كتبه ناقد متخصص يعمل مشرفا فنيا ، ونحن لا نعرفه فى مصر مثل هذه الوظيفة ·· لكن كلماته تدل على انه ناقد فنى متابع لاعمال الفنان متابعة دقيقة ·

يقول المشرف الفنى عن « تسوكليس » انه ولد فى اثينا عام ١٩٣٠ ولكنه عاش ٢٥ عاماً خارج اليونان ، فى روما وبرلين ونيويورك وباريس · وربما تكون هذه الظروف جعلته غير متعلق بالاساطير (والكلام هنا للمشرف الفنى) وانما يشكل عالمه من الواقع ليحقق اسطورة فنية جديدة فيها رقة وشاعرية من خياله ·

« القسم المصرى »

الفنان الفرنسى « دانيل بيبروف » الفائز بالجائزة الكبرى ولم يكن الفنان الفرنسى الوحيد فى البينالى ·· لكنه كان الفنان الوحيد فى الجناح الفرنسى (بقية الفنانين الفرنسيين وعددهم ثلاثة عرضوا اعمالهم فى مبنى الاكاديمية البعيدة عن حديقة كاستيلو حيث أجنحة الدول المختلفة) ·

لكن الجناح المصرى ضم اعمال تسعة فنانين هم : حامد ندا _ صبرى السيد _ صالح _ رضا _ مصطفى عبد المعطى _ احمد فؤاد سليم _ مريم عبد العليم _ حسن الاعسر _ فرغلى عبد الحفيظ ·

وهم لا ينتمون الى اتجاه فنى واحد ولا الى جيل واحد ، فليس هناك اى منطق واضح للاختيار أو منظور شامل يمكن تتبعه فى أعمالهم ·· والمشاهد الذى يصل الى الجناح المصرى بعد مشاهدة العرض الموسوعى لقضية الفن والعلم ، وبعد مشاهدة أجنحة الدول المختلفة ، لا يستطيع ان يخرج بأى فكرة محددة عن الفن المصرى برؤيته لهذا المعرض الجماعى ، الذى قد يكون مفيدا اذا قدم ضمن الاسابيع الاعلامية عن مصر الى جانب انشطة أخرى كالغناء والرقص الشعبى واعمال الاسر المنتجة ، فيقوم بدور اعلامى حول مختلف المستويات التكنيكية التى وصل اليها جانب من الفنانين المصريين ·· ولكن فى مثل هذا البينالى يكون هذا الحشد منفرا للمشاهد الاجنبى الذى لا تبقى فى مخيلته اى ذكريات عن الفن المصرى بعد خروجه من هذا المعرض الكبير ·· واعتقد ان الحكمة من تقديم فنان واحد فى اجنحة الدول العسكرى الراسخة فى ميدان الفنون الجميلة هى نتيجة دراسة متعمقة لطبيعة المشاهد لهذا المعرض ولطبيعة تشكيل لجان التحكيم وتوجهاتها ، وليست صدفة ان يضم الجناح الفرنسى الفائز بالجائزة الكبرى فنانا واحدا ونفس الامر فى الجناح اليونانى الذى استحق تقدير لجنة التحكيم ·

من جانب اخر جميع المعروضات المصرية لا علاقة لها بموضوع المعرض وهو « الفن والعلم » الوحيد الذى اطلق على لوحاته البحث التى شارك بها اسم « الفن والعلم » هو حامد ندا ولكنه رسم نفس عناصره التى اشتهر بها والتى تستلهم الحياة الشعبية المصرية ، وتذكرنا بالرسوم الصخرية فى منطقة « تاسيلى » فى قلب الصحراء

الافريقية الكبرى من عصور ما قبل التاريخ ، وهى لهذا تعتبر الاعمال ولنه رسم نفس عناصره التى اشتهر صدفة اون يضم الجناح الفرنسى الوحيدة فى جناحنا التى تنتمى الى موضوع المعرض بالاسم فقط .

بقية أعمال المصريين العارضين لا علاقة لها بالموضوع ولا اسما ولافعلا فهم يعرضون « ديالوج » ، « قصيد شرقى » ، « باب الكعبة » ، « مسرح الانسان » ... وامثال ذلك من موضوعات لا تعبر من قريب أو بعيد عن علاقة الفن بالعلم .

وقد نشر بالصحف المصرية تبريرا لذلك اننا نشارك فى المعرض العالمى من باب « التواجد » فقط ، وليست هناك اية نية لمحاولة التنافس على الجائزة .

ومن اللافت غياب دور النقد تماما عن الجناح المصرى بينما جميع الفنانين المشاركين فى البينالى من الدول الاخرى وكذلك معروضات الجناح الرئيسى حول الفن والعلم تعتمد اعتمادا رئيسيا على كلمات النقاد والباحثين التى تشرحها وتوضح جوانبها وتوسع امام المشاهدين فرص التعرف عليها .. اما جناحنا : فلاشىء عدا كلمة تقديم مختصرة من الفنان فاروق حسنى بالكتالوج الخاص بالجناح ، لا تجد اية كلمات تقديم أو نقد فى الكتالوج الشامل تعرف المشاهدين بالفنانين المشتركين فى المعرض واهدافهم التى يعملون على تحقيقها .

ولا يتسع المجال لاستعراض اعمال الفنانين التسعة المشتركين باسم مصر، فالحديث عنهم له مجالات أخرى غير هذا المعرض العالمى . وليس امامنا الا ابداء بعض الملاحظات على النواقص التى تقلل من ثقل جناحنا وتعصف حتى بالتواجد الذى اكتفى به منظمو المعرض هناك . فرغم التنسيق الجيد للجناح كمعرض جماعى يضم اتجاهات مختلفة ، ورغم جودة تنسيق وطباعة الكتالوج المصرى الا أن اعمال الفنان صالح رضا المعروضة فى فينيسيا ليست هى المنشور صورها فى الكتالوج المصرى ولا الكتالوج الشامل للبينالى ، الصور المنشورة لتماثيل من البرونز والاعمال المعروضة من الخشب ، وتختلف تماما فى فكرتها واسلوب تنفيذها عن الاعمال المنشور صورها .

الفنان حسن الاعسر نشرت صور لوحاته ولكن لم تنشر اى معلومات عن حياته وفنه ، ونشر اسمه فقط فى صفحة كاملة من الكتالوج ، بينما الفنان صبرى السيد لم تنشر اية صور لاعماله وبقيت الصفحة المخصصة للصورة بيضاء من غير سوء .

كل هذا يدل على فشل السياسة الحالية لمشاركتنا فى المعارض الدولية وهو فشل يرجع بالدرجة الاولى الى التجاهل مع الموقف العدائى الذى يتعمده الموظفون الرسميون فى وزارة الثقافة عندنا من نقاد الفن التشكيلى، والحرص على استبعادهم عن كل نشاط رسمى بما فى ذلك الاعمال التى تقع فى دائرة اختصاصهم مثل تقديم وتقييم المعارض العامة واختيار وتقديم من يمثل مصر فى المعارض الدولية .. ان غياب الرأى المتخصص والرؤية الشاملة التى يتميز بها الناقد الذى لا يمارس الانتاج الفنى الى جانب الكتابه . (فى تقديرى) هو مفتاح القضية .


COFFEE AND COFFEEHOUSES
The Origins of a Social Beverage in the Medieval Near East
RALPH S. HATTOX



القهوة والمقهى في الشرق

عرض وتقديم : مصطفى نبيل

« فنجان القهوة » الذي يقدم تعبيرا عن الود والكرم .. أصبح قصة طويلة شيقة ، تبدأ من القرن السادس عشر ، عندما عرف الشرق شراب القهوة لأول مرة ، وماأحدثه دخول تلك العادة الجديدة من آثار على نسيج الحياة الاجتماعية ، ثم ، كيف خرجت القهوة من القاهرة إلى كل انحاء العالم .. ؟ !

وكيف قام المقهى كمؤسسة اجتماعية عتيدة عكست العادات والتقاليد .. ؟ ولماذا جذب أنظار الرحالة الذين تناولوا الشرق ، وحرصوا على تقديم عالمه الرحيب بكل ملامحه الانسانية ..

هذا ماتقدمه أحدث دراسة أمريكية لمؤلفها رالف هاتوكس ، بعنوان « القهوة والمقهى في الشرق » ، ومن مطبوعات جامعة واشنطن .

والكتاب الذى نقدمه رواية تاريخية حضارية ، اعتمدت

على المخطوطات العربية وكتب الرحالة ، وهى مصادر تكاد لاتتوفر للباحث العربي ..
واهتمام الغرب بالشرق اهتمام قديم ، أحيانا بسبب جاذبية الشرق وولع بقيمه وعاداته ، وفي أغلب الأحيان للوصول إلى أحسن الوسائل للتعامل معه .

قفز إلى ذهنى بعد قراءة الكتاب .. تلك المقارنة التى ذكرها رفاعة رافع الطهطاوى ، فى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » بين مقاهى فرنسا ومقاهى مصر .

« القهاوى عندهم ليست مجتمعا للحرافيش ، بل هى مجتمع لأرباب الحشمة ... فلا يدخلها إلا اهل الثروة ، إما الفقراء فيدخلون قهاوى فقيرة او الخمارات او المحاشش ! »

وربما لم يكن يعلم أن المقهى قد انتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن مصر إلى الحجاز وتركيا ، ونقله الأرمن واليونانيون الى بقية الدول الأوربية ولكنه تدهور عندنا وتطور عندهم .. !

تبدأ القصة بمحاولة الاجابة على سؤال : متى وكيف ظهرت القهوة .. ؟ وإلى أى عمق تاريخى يمتد المقهى الشرقى .. ؟

وقد مضى وقت طويل قبل أن تستقر القهوة كشراب معترف به . فلم يقبلها المجتمع إلا بعد صراع حاد ، ونظر لها البعض باعتبارها تهديدا للقيم العامة ، وأدخل الصوفية شراب القهوة فى القرن الخامس عشر ، فهى ليست مسكرة أو مغيبة ، وتساعد على السهر وتمكن شاربها من استمرار الذكر وتلاوة الأوراد ..

ويورد هاتوكس ماذكره شهاب الدين ابن عبد الغفار وجاء فى كتاب « عمدة الصفوة فى حل القهوة » للفقيه اليمنى عبد القادر بن محمد الأنصارى الحنبلى فى القرن العاشر الهجرى .. أن الأخبار قد وردت علينا بمصر أوائل هذا القرن ، بأنه قد شاع فى اليمن شراب تقال له القهوة تستعمله شيوخ الصوفية للاستعانة به على السهر فى الأذكار والأوراد ، وكان ظهورها وانتشارها على يد الشيخ جمال الدين بن أبي عبد الله محمد بن سعيد الذبحانى وسبب اظهاره لها ، أنه كان قد عرض له أمر اقتضى الخروج من عدن إلى الحبشة ، فأقام بها مدة ، فوجد أهلها يستعملون شرابا اسمه القهوة ، وعندما احتساها اكتشف ماتحدثه من يقظة ونشاط ، وقال فخر الدين بن ابى يزيد المكى انه يقال أن اول من انشأها واشاعها بأرض اليمن الشيخ على بن عمر الشاذلى .. ولذا سميت القهوة فى بعض المناطق « الشاذلية » !

وإذا كان أحد أبناء اليمن هو أول من قدم القهوة ، إلا أنهم لايشربون القهوة ، وإنما يكتفون بغلى « قشر البن » .فذكر فخر الدين بن ابى يزيد المكى .. أن قشر البن انتقل إلى مكة فى القرن الخامس عشر ، ولكن القهوة عرفت وانتشرت بها بعد مايزيد على القرن ..

أما القهوة كما نعرفها الآن ، فقد نقل عن شهاب الدين بن عبد الغفار متى وكيف دخلت إلى القاهرة ، والذى يحددها بالسنوات العشرين الأولى من القرن العاشر الهجرى - الخامس عشر الميلادى ، فى عام ٩١٧ هـ - ١٥١١ م ، **حينما كانت تشرب فى رواق اليمن بالأزهر الشريف ، فى ليلتى الذكر - الاثنين والخميس - ويضعونها فى إناء كبير من الفخار الأحمر ، وتبدأ طقوسها عندما يتولى الشيخ تقديمها لاتباعه الأيمن فالأيمن .. »** .

● حانات بلا خمر ●

وانتقلت من الأزهر إلى بيوت المتصوفة ، ومن أوساط المتصوفة إلى غيرهم من الأهالى ، وبدأ بيعها فى محال محيطة بالجامع الأزهر ، وسرعان ماأدى انتشار هذه العادة الى اقامة المقاهى ، والتى كانت فى البداية حانات بلا خمر .. !

وبعد شيوعها فى القاهرة انتقلت إلى الأراضى الحجازية مع قوافل الحج ، وانتقلت مع التجار الى الشام ، ومن الشام انتقلت الى تركيا بواسطة اثنين من أبناء الشام هما حاكم وشمس ، اللذان حققا مكاسب طائلة من تجارة البن ، واقتحم المقهى الحياة الاجتماعية التركية ، وفى ظل الدولة العثمانية نقله الأرمن واليونانيون الى بقية الدول الأوربية ..

وتحفل المخطوطات العربية والتركية التى اعتمد عليها هاتوكس بجوانب الصراع الحاد بين القديم والجديد الذى قام على اشلائه المقهى .. فعندما يرتضى أو يقبل مجتمع ما عادة جديدة ، فإنما يتم ذلك بناء على القيم السائدة فى هذا المجتمع .

والمجتمع الطبيعى يختبره ويقيسه بمعاييره ثم يحدد موقفا منه .

وهذا ماحدث عند دخول القهوة إلى الشرق ..

اختلف العلماء حولها ، وكان معيارهم الحلال والحرام . وكان أول من نادى بإباحتها لأسباب دينية هم المتصوفة . وحرمها البعض الآخر لما تصوروه من اضرارها ، **واستندوا إلى انها تحاط عند شربها بطقوس كالتى تحاط بها الخمر** ، وقال **بعضهم ، إذا كان الخمر يقضى على شهية الأكل ، فالقهوة تقضى على الرغبة فى النوم ، كما ان القهوة احد أسماء الخمر كما جاء فى المحيط للفيروزبادى ..**

ويقدم الكاتب حجج **كلا الطرفين كنموذج للمعارك الضارية والقيم السائدة فى القرن السادس عشر ، وتدور هذه الحجج على فهم كل جانب لأحكام الشريعة الاسلامية ، وتركز الجدل حول ثلاث قضايا :**

● **ان القهوة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . (رغم ان البدعة المرفوضة تتعلق بالعبادات ، ولاتتناول المعاملات) .**

● **مايمكن ان يصيب المجتمع من**



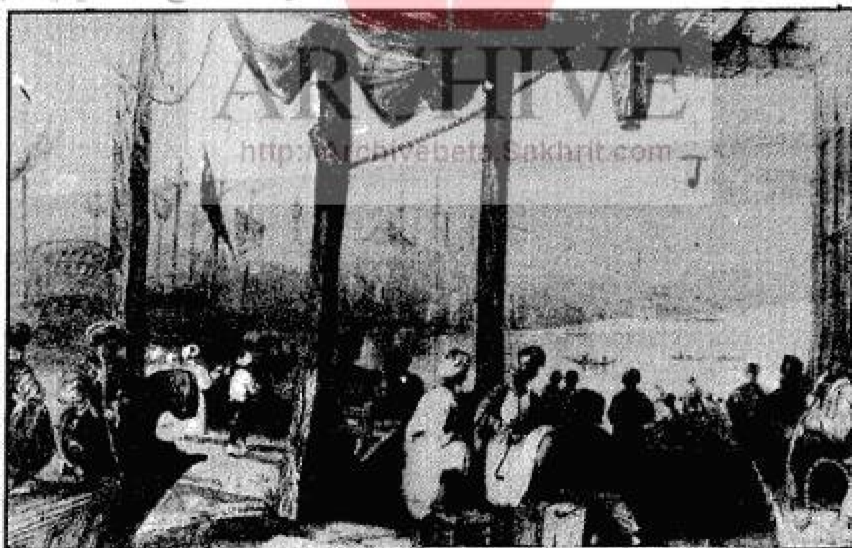
بائع القهوة المتجول في فلسطين



بائع القهوة القديمة بالعمامة

رسم لآنية القهوة القديمة مع الصينية

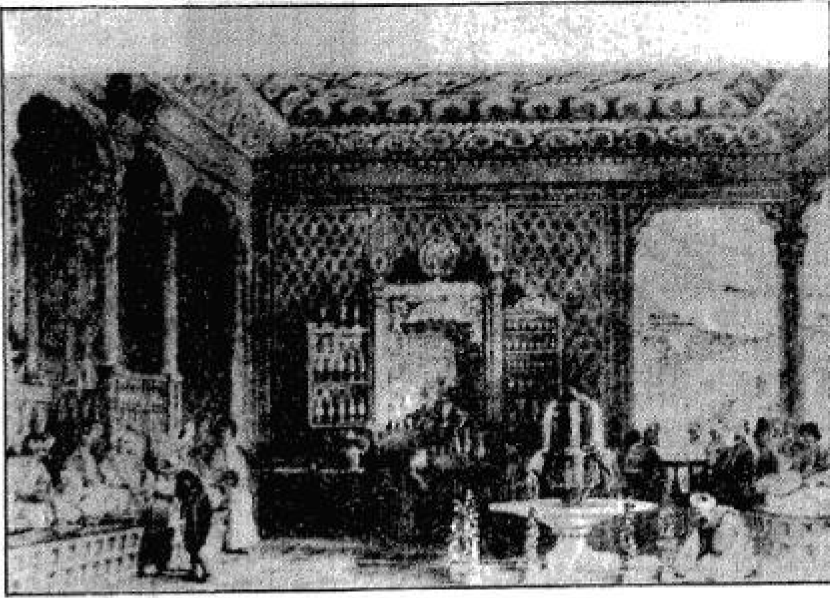
مقهى على البوسفور







مجلس الشعر



مقهى فاخر في بلاد الشام

اعداد القهوة في احد المقاهي الفاخرة في تركيا

مقهى مصري قديم





تهديد ، من التجمع داخل المقهى والذى يمكن أن يتحول الى نشاط سياسى يهدد الأوضاع القائمة .

● مايقع فى المقهى من آثام مثل لعب الميسر ، وتعاطى المخدرات وقذف المحصنات ، واضاعة الوقت فى لعب الشطرنج والقهوة ! ، وقيام مجتمع للرجال بعيدا عن الجامع ، وبعيدا عن الأسرة .

● وقوع الفتنة ●

ويستشهد الكتاب مرة أخرى بعمدة الصفوة فى حل القهوة .. حدث عليها الانكار بمكة الشريفة عام (٩١٧ هـ - ١٥١١م) فقام خير بك (العثمانى) بتشجيع من الشيخ شمس الدين الخطيب باصدار فتوى بابطالها ، وعندما وصلها القاضى محمد بن الوراق (٩٣٢ هـ ١٥٢٥ م) وسمع بالمنكرات التى ترتكب فى مقاهى المدينة ، أشار على السلطات باغلاق المقاهى ، ولكنه لم يقل ببطلان القهوة ذاتها ، ولما توفى ابن الوراق فى مكة رجع الحال لما كان عليه ..

اما ما جرى فى القاهرة ، فكما انتشرت القهوة من الأزهر ، جاء تحريمها من الأزهر ، حيث انقسم شيوخ الأزهر ، وشهدت شوارع القاهرة فتنة كبرى عندما اشتد الخلاف .

وافتى عام ٩٣٩ هـ الشيخ شهاب الدين السنباطى الشافعى بتحريمها ، وفى عام ٩٤٥ هـ فى إحدى ليالى شهر رمضان عندما يحلو السهر فى المقاهى قام صاحب العسس (الشرطة) . والقى القبض على كل من صادفهم من رواد المقاهى ، وجلد كلا منهم سبع عشرة جلدة ، وقضوا ليلتهم فى الحبس ثم افرج عنهم فى اليوم التالى ..

ولم يمض يومان .. وعادت المقاهى تستقبل روادها !

وأكد عام ٩٥٤ هـ الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطى ماسبق وذكره والده ، عندما سئل عن القهوة وما يرتكب فى المقهى من الآثام ، وأصدر فتوى جديدة بتحريمها ، وعندما لم يتخذ اى إجراء ضد المقاهى ، قام الأهالى بالهجوم على عدد منها وأخذوا يحطمون محتوياتها ويضربون روادها ، ووضعت المسالة من جديد بين ايدى قاض حنفى هو محيى الدين محمد بن الياس ، الذى تقصى الأمر ، بل وعقد مجلسا قدمت خلاله القهوة ، وعندما لم يجد لها اية آثار ضارة عقلية او جسمية افتى بإباحتها ، وأصبح لدى الأهالى حكمان متضاربان أحدهما شافعى يحرمها ، والآخر حنفى يبيحها .. !

ولايفوت الكاتب أن يلاحظ الاخفاق المتكرر فى منع القهوة وإغلاق المقاهى ، بعد أن رسخت عادة الجلوس على المقهى واحتساء القهوة مع الخلان والأصدقاء .

وفى أحد فصول الصراع ، عاد مرة أخرى خير بك عام ٩٥٠ هـ وأصدر مرسوما بمنع القهوة ، ورغم ذلك تعددت المقاهى وشربت القهوة بلا مبالاة فى تلك الفترة جهارا فى الأراضى الحجازية ..

وقد صدر كتاب « الرسالة فى أحكام القهوة » استعرض كاتبه المناقشات الفقهية والصحية ، والتى تقوم على أن الأصل هو الاباحة ، وأنه لاتحريم إلا بنص ، وأن هناك فارقا جوهريا بين ماهو ضار وما هو محرم ، ويمكن القول ان الضار مكروه !

وصاحبت المعركة الفكرية معركة أخرى علمية تدور حول أثر القهوة الطبى على من يتناولها ، وتكونت لجنة من المتخصصين ، وقدمت وصفا دقيقا لأثر القهوة على الجهاز العصبى لمن يتناولها . وأثرها على وظائف الجسم المختلفة ، وقد قارن هاتوكس هذا التقرير بآخر التقارير الطبية عن القهوة ، والذى صدر عن احد المراكز العلمية الامريكية ، وأدهشه قلة الفروق بين التقريرين ، اللذين يتفقان فى خطوطهما العريضة رغم صدور تقرير علماء المسلمين فى القرن السادس عشر ، وقبل التطور المذهل فى أدوات البحث والتحليل .

وقد أقرت هذه اللجنة شرب القهوة من الناحية الصحية ..

وتناولت المناقشات أيضا الجانب الاجتماعى للقهوة والمقهى ، فالمقهى يجمع صغار القوم وكبارهم والارزال الذين يروجون الاكاذيب ، ويغتابون الناس ، ويلعبون الشطرنج والطاولة . ووصل البعض إلى أن ارتياد المقاهى يخل بالمروءة ويسقط الشهادة .. !

وذكر مؤيدو القهوة بيان منافعها وذكروا أن شجرة البن فى الجنة غرسها سبعون الف وتسمى شجرة السلوان ، لأنها خرجت من آدم ليتسلى بها عما فاته من النعيم ، وذكروا أن مداومة اكل البن يقوى النظر والفهم ، ويدفع الجدرى والحصباء والسحر ، وفى أكل سبع حبات منه دعوة مستجابة ! !

● طقوس المقهى ●

واستقر المقهى ، واحتل مكانا بارزا فى الحياة الاجتماعية ، وأصبح يقوم فى أهم مكان فى المدينة الشرقية ، وجذب اهتمام أولئك الرحالة الذين تجولوا فى الشرق ، مدركين أهمية المقهى فى الحياة الاجتماعية العربية ، ولم يفوتهم طقوس اعداد القهوة ، وطقوس تقديمها ، فهى تقدم ساخنة وتعطى الحق لشاربها فى الجلوس والسمر ..

وتقوم المقاهى فى كل من سوريا والعراق وسط الحدائق تحيطها المناظر الخلابة ، ويصف جون توفنت Geon Thevenot المقهى الشامى فى كتابه رحلة الى الليڤانت بقوله « .. يقع المقهى فى أجمل البقاع ، ويتفنن صاحبه فى تأثيثه ، ويحيطه بالنافورات ، وكثيرا مايشرف على نهر بردى ، ويقوم تحت ظلال الأشجار الوارفة ، يستنشق روّاده أريج الأزهار والورود .. »

ويصف مقاهى بغداد الرحالة البرتغالى بدرو تكسييرا Pedro Teixeira فى مطلع القرن السابع عشر (١٥٧٥ - ١٦٤٠م) .. يطل المقهى البغدادى على نهر دجلة ، ويتكون من مبنى متعدد النوافذ والقاعات ، ويعد من أكثر الأماكن بهجة فى بغداد ، تمتد الأرائك خارج المقهى لمن يرغب فى مراقبة الطريق ، ومن يسعى للتمتع بدفء الشمس فى الأيام الباردة ، أو فى ليالى بغداد الحارة وخلال شهر رمضان .. »

كتاب الشهر

أما الرحالة البريطانى إدوارد لين Lane الذى وصف مقاهى القاهرة فى مطلع القرن التاسع عشر وقبل أن يلحقها التغيير .. يقول « المقهى هو المجتمع الأدبى للعامة وهى بصفة عامة حجرة صغيرة ذات واجهة خشبية .. يقوم على طول الواجهة ماعدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ، ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثا .. وجمهور المقاهى من الطبقات الدنيا والحرفيين وصغار التجار ... الذين يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ، ويحمل كل منهم شُبُكه الخاصة وتبغه ، ويقدم القهوجى القهوة بخمس فضة « للفنجان الواحد » .. »

● المقهى والمجتمع الشرقى

إذا كان من الممكن تبين معالم المجتمع ، من خلال المناقشات الحامية التى جرت بين المؤيدين للقهوة والمقهى والرافضين لهما ، فهى تكشف أيضا دور الفرد فى هذا المجتمع وفى العالم من حوله .

فالمقهى أساسا مؤسسة إسلامية ، تختلف كثيرا عن الحانة التى تقدم الخمر ، لذا سيطر العرب والمسلمون على تجارة البن ردحا طويلا من الزمن .

فما هى صورة المجتمع الشرقى من خلال المقهى .. ؟

ومن هم رواده .. ؟ ومتى ولماذا يترددون عليه .. !

وكيف يجذبهم صاحب المقهى .. ؟

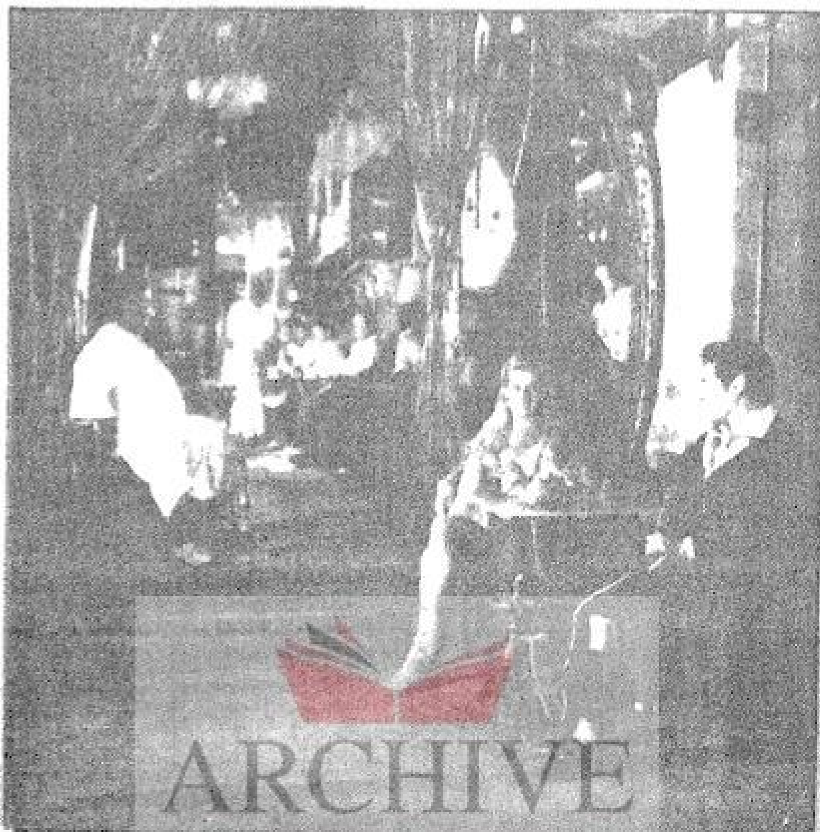
وما الذى قامت « مؤسسة » المقهى لتحل محله فى الحياة الاجتماعية .. ؟

أم أنها قامت لتشبع حاجات جديدة ظهرت فى المجتمع .. ؟

ولعل المؤسسة التى تأثرت أكثر من غيرها بظهور المقهى ، هى الحمامات العامة ، التى كانت تقدم لروادها فرصة للتواصل الاجتماعى ، يختلط روادها بأنواع مختلفة من البشر ، ولكن يبقى الفارق بين الحمام والمقهى ، فى أن المقهى يقدم لرواده أشكال التسلية المتعددة ، وهذا ينقضى بانتهاء الاستحمام ، فيمكن أن يتحول الجلوس على المقهى إلى عمل يومى .

وإذا كانت هناك ثمة ملامح مشتركة بين كل من المقهى والحمام والحانة ، إلا أنه يوجد أيضا بينهم فروق جوهرية ، أما المطاعم ، فقد كانت القيمة السائدة تقلل من احترام من يتردد عليها ، وكانت تقضى بضرورة أن يتناول الفرد طعامه فى منزله ومن إعداد أهل بيته ، (وهى قيمة مازالت سائدة فى بعض قرى الصعيد) ، فكان ظهور المقهى نقلة هامة فى العلاقات الاجتماعية ، بما قدمه من مكان مقبول لقضاء أوقات الفراغ ولقاء الأصدقاء ، وساعد رواده على السهر ، بعد أن كانت النشاطات الاجتماعية خارج البيت تنتهى بعد صلاة العشاء .

ويذكر ابراهيم باسيفى .. « أنه إذا كنت تنفق عددا من الدينارات من أجل دعوة بعض الاصدقاء إلى البيت ، فلا تنفق سوى بضعة دراهم حين تدعوهم إلى



مقهى الفيشاوى ايام العز اشهر مقاهى القاهرة

المقهى ، وهناك لن تكون محاطا بالحريم ، بل بمجتمع يقتصر على الرجال ! » .

● تبادل المعلومات ●

لم ترحب السلطات بتجمع الأهالى فى المقاهى ، لما يحتمل أن يقع من آثار اجتماعية مع تبادل الافكار والمعلومات وتأثير ذلك على مجموع القيم السائدة ، فى عصر لم تعرف فيه الصحف والاذاعة والتليفزيون ، ويظل قائما احتمال أن تبدأ التغييرات السياسية من رواد المقهى

وقد ذكر الرحالة التركى تايتز **Tietz** عن مقاهى القاهرة فى القرن السادس عشر ... « إذا تصورت المقهى كتجمع يضم الغوغاء والسوقة ، يصبح الأمر مخيفا حقا ، خاصة إذا علمت أن فى هذه

المقاهى يؤكل الأفيون ، وتزدحم المقاهى بالعديد من الجند الذين يسخر منهم روادها ! » ..

وكثيرا ماينتهى الحديث الى السياسات القائمة ، خاصة وقد بدأ أكثر من انقلاب سياسى من المقهى ، أو رسمت خطوطه داخله ، مما أدى مرة الى اغلاق جميع مقاهى اسطنبول أيام السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ م ـ ١٦٤٠ م) ، بعد ان أصبحت مكانا لتجمع الجنود المتمردين ورجال السياسة الساخطين ، وبقيت المقاهى مغلقة طوال الربع الأخير من القرن السادس عشر .

وكان محمد على باشا أذكى من تعامل مع عناصر المعارضة التى بدأت فى المقاهى ، عندما أدرك امكانية أن يتحول الحديث الذى يبدأ همسا إلى انفجار سياسى كبير ، فأطلق العسس والبصاصين على هذه التجمعات ، حتى يواجه تلك المعارضة قبل أن تتصاعد .

● رواد المقاهى ●

اما عن رواد المقاهى فتخبرنا المصادر المتاحة بمعلومات متناقضة فمثلا يذكر لين

مقهى مصرى قديم يجمع كافة الفئات والطبقات لزهرية والشعبية وحرفيين



ان الذين كانوا يترددون على مقاهي القاهرة في القرن التاسع عشر من سفلة القوم والغوغاء ، ويخبرنا الكستدر راسل أن الحرافيش والزعر هم المترددون على مقاهي حلب في القرن السابع عشر ..

ويصف خطيب صليبي المترددين على المقاهي بأنهم بعيدون عن التهذيب ، ولكنه يقول أن من بينهم الأمير والغفير والجميع يستمتعون بالطعن في الآخرين ، وفي نفس الوقت يذكر ديفور **Dufour**

« أن الفئات العليا من البكوات والنبلاء والضباط والقضاة يترددون على المقهى » ، ويتعجب ذيفونت **Thevenot** ، من عالمية المقهى التي تجمع بين كل أنواع البشر من غير تمييز ديني أو اجتماعي ، ولا يشعر أحد بالخجل أو الغربة عند ارتياده » .

وينتهي الكاتب الأمريكي إلى أنه ربما يكون سبب التناقض الذي يظهر في هذه المصادر يعود إلى اختلاف المراحل التاريخية الذي كتب فيه كل منهم شهادته ، فيقدم كل من لين وراسل المقهى في مرحلة زمنية متأخرة ، عندما ساءت ظروف الشرق ، وتردت الأحوال العامة ، وبرزت التناقضات الاجتماعية وقامت الحواجز بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، وربما اقلع في هذه الفترة كبار القوم عن ارتياده ، وربما أصبحت لهم مفاهيمهم الخاصة » .

● الفن في المقهى ●

وبظهور المقهى انتعش فن الكلام ، بالفرصة الذي قدمها اتاحت الفرصة للحديث الجاد أو حتى مجرد الثرثرة والسمر ، وهذا السمر لايليق في الجامع ، وفي المقهى إذا كان لديك ماتقوله ، فتعثر على من ينصت اليك ، ولن يوجد ذلك الحوذي في قصة تشيكوف ، الذي لم يجد سوى حصانه يشكو اليه أحزانه وهمومه ، ويمكن ان تتبين هموم الناس ومشاغلهم من الكلمات المتناثرة من افواه رواد المقاهي . واظهرت صاحب موهبة الحديث الحلو الطلي الذي يسعده اقتناص مستمعين جدد ! !

كما قدمت المقهى منبرا لأصحاب المواهب الأدبية ، وعرفت بعض المقاهي بالشعراء والأدباء المترددين عليها ، وقدمت صورا مبتكرة للتسلية ، مثل الراوي أو العازف الذي يتقاضى أجرته من الرواد ، وأدت الى انتعاش القصص الشعبية ، وسجل « إدوارد لين » و« كريستين نيبور » الوصف التفصيلي للفن الذي يقدم في مقاهي القاهرة ..

واكد الرحالة أن الموسيقى كانت تقدم في كل من مقاهي مصر والحجاز والشام والعراق ، وكان الغلمان الحسان يقدمون القهوة في المقهى البغدادي بملابس جميلة خاصة في القرن السابع عشر .

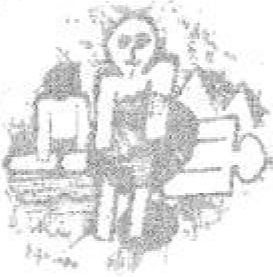
وها هو عالم المقاهي الرحيب يوشك على الاندثار ، أمام الحياة الحديثة ، وامام النوادي والمحال التي تقدم المشروبات ووجبات الطعام السريعة ..

فهل ستختفي المقاهي التاريخية التي شهدت العديد من الاحداث السياسية والفنية .

وهل آن الوقت لكي يقدم باحث عربي تاريخ المقاهي ، اى تاريخ الحياة الاجتماعية للشرق .

شعر

الناموس



شعر: يحيى الدين عطيه

ألا لَيْتَ شِعْرى هَلْ منَ الضِّيق مَخْرَجُ
وَهَلْ لِلْكُروب المُحْدقَاتِ مُفَرِّجُ

فَطَوْراً أرانا كالثكالى بِمَأْتَمٍ
وُقوفاً على الأطْلالِ نَبْكى وَنَنْشِجُ

وَطَوْراً نباهى العالَمينَ بِمَجْدِنا
وَنَنْشدوا بآثارِ الجُدودِ وَنَهْزِجُ

كَأنَّ اجْتِرارَ الأَمْسِ يَكْفى لِيَوْمِنا
غِذاءً، مِنَ المَغْسولِ وَالمُرِّ يُمْزَجُ

وَنَزْهو بِدينِ الله حَتّى كَأنَّنا
لِمِنْ عِشْقِهِ أرْواحُنا تَتَوَهَّجُ

وَلَكِنَّنا لَمْ نَشْتَمِلْ بِرِدائِهِ
قَديماً، وَلا مِنْ خَيْطِهِ اليَوْمَ نَنْسِجُ

وَأمّا الغَدُ المَظْلومُ، فَالأُفْقُ تائِهٌ
لِعَجْزٍ بِعَيْنَيْنا، أوِ الدَّرْبُ أعْوَجُ

لَعَمْرى لَئِنْ لَمْ يُدْرِكِ الأَمْرَ أهْلُهُ
شَبابٌ بِسَيْفِ العَصْرِ دَوْماً مُدَجَّجُ

وَشيبٌ بِمِحْرابِ الرَّسُولِ قُلوبُهُمْ
وَألْبابُهُمْ فى مَوْكِبِ العِلْمِ هَوْدَجُ

فَإنَّ الرَّحى لَنْ يُخْطِئَ الحَبَّ طَحْنُها
وَ لله ناموسٌ، مِنَ العَدْلِ، أبْلَجُ

قصة حب عظيم

معك..

تأليف : سوزان طه حسين • تقديم : د. توفيق حنا

●● بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاما على وفاة الدكتور طه حسين عميد الادب العربى ●●

فى الجزء الثالث من كتاب « الايام » يحدثنا طه حسين عن زوجه ورفيقة حياته سوزان . يقول : « .. وكان ذلك الشخص الحبيب اليه ، الكريم عليه ، هو الذى اخرجه من عزلته تلك المنكرة ، فالغى فى رفق وفى جهد متصل ايضا ، ما كان منصوبا بينه وبين الحياة والاحياء والاشياء من الحجب والاستار. كان يحدثه عن الناس ، فيلقى فى روعه انه يراهم وينفذ الى اعماقهم ، وكان يحدثه عن الطبيعة فيشعره بها شعور من يعرفها عن قرب ، كان يحدثه عن الشمس حين تملأ الارض نورا ، وعن الليل حين يملأ الارض ظلمة ، وعن مصابيح السماء حين ترسل سهامها المضيئة الى الارض وعن الجبال حين تتخذ من الجليد تيجانها الناصعة وعن الشجر حين ينشر من حوله الظل والروح والجمال ، وعن الانهار حين تجرى عنيفة ، والجداول حين تسعى رشيقة ، وعن غير ذلك من مظاهر الجمال والروعة ومن مظاهر القبح والبشاعة فيمن كان يحيط به من الناس ، وفيما كان يحيط به من الاشياء ، فكان يخيل اليه انه يكشف له عن حقائق كانت مستخفية عليه ، ولم تكن غريبة بالقياس اليه ، فكأنه قد عرفها من الزمان الاول البعيد ، ثم نسيها دهرا ، فهو يذكرها بعد ان طال « عهده بها » .

قصة حب عظيم

معك

وبعد عامين من رحيل طه حسين في ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣ .. وبالتحديد في ٩ يوليو ١٩٧٥ بدأت سوزان طه حسين كتابها واختارت له هذا العنوان الدال والعميق الدلالة : « معك » وكأنها تقيم من هذه الحروف الثلاثة هذا الحديث الشخصي .. وفي هذه الحروف يكمن هذا المعنى الرائع للوفاء .. هذا الوفاء .. الخلاق الذي يستحيل به الموت حياة ويصير فيه الغياب حضورا .. وجاء هذا الحديث الشخصي في شكل ادبي فريد تمتزج فيه الذكريات والاعترافات واليوميات والرحلات ، كما تنتشر فيه صور ومشاهد الطبيعة واصواتها ، كما تملؤه نغمات الموسيقى الكلاسيكية وبخاصة موسيقى العملاقين باخ وبيتهوفن .. كما تلونه الوان الغروب .. المليئة بالحزن والحنين والشجن ..

وهذا هو كتابها الاول ، كتبته بناء على رغبة بعض الاصدقاء .. كتبته باللغة الفرنسية .. وقام بدر الدين عرودكي بترجمة المخطوط ، وراجع الترجمة محمود امين العالم ، وصدر الكتاب عن دار المعارف عام ١٩٨٣ . ولا ادري هل نشر النص الفرنسي ام لا يزال مخطوطا .. وكم كنت اود ان اقرأ الاصل الفرنسي ، فالترجمة مهما بلغت من الدقة والامانة والجمال ، لن تتمكن من ان تحمل الينا روح النص وجوه الخاص ، او جرس الكلمات وموسيقى الحروف في لغة النص التي سجلت به ..

بدأت سوزان طه حسين كتابها « معك » وهي تعيش بكل قلبها وكيانها لحظات الفقد .. بكل ما فيها من عذاب ومن حنين ومن حنان ومن دموع ايضا وهكذا تبدت لنا الاحداث والاعترافات والذكريات عائمة .. وكأننا نشاهد حديقة جميلة باشجارها وازهارها عبر زجاج نافذة في يوم شتوي مطير ، وقطرات المطر تتساقط على هذا .. كأنها دموع .

● اعزاز ومودة ●

نلمس في هذا الكتاب حب سوزان للطبيعة وقدرتها على وصف مشاهدها واشجارها وازهارها واطيارها وصفا جميلا يكاد يصبح احيانا اقرب الى الشعر ، كما يتضح لنا حبها للموسيقى وعمق تذوقها لها .. وقدرتها على ان تسمع في هذه الموسيقى الكلاسيكية ترجمة لحياتها مع طه حسين .. تقول في احدى يومياتها : « كنت وحيدة في ذلك المساء الاخير ، ولكن لم اكن في « رامتان » بل في المعادي ، وكنت اصغي الى ريختر يعزف « الاباسيوناتا » كنت اعرف انني وحيدة في غرفة كانت تبدو لي غريبة ، ولكنني احسستك قريبا مني في هذا التدفق من الضربات العنيفة المنتزعة من رقة بذلك الموهبة، في هذه الصفحات كانت حياتنا تبدو لي وهي تجهد في التقدم بمشقة وشجاعة كانت ثمة ومضات ساطعة تضيء فجاة مناطق الظل . كنت شائعة خسالة . واستمرت هذه الحالة الغريبة حتى تمكن النوم مني » .. كم هو رائع وعميق هذا التصوير التشكيلي لموسيقى حياتها مع طه حسين .

وفي يومية اخرى تحدثنا سوزان عن رامتان : ..

« .. رامتان » .. حلم قديم لم نستطع تحقيقه الا في عام ١٩٥٦ عندما كان لطه حسين من العمر ستة وستون عاما . رامتان .. هذه الكلمة العربية



بدأت سوزان كتابها « معك » يوم

٩ يوليو ١٩٧٥ .. لماذا ؟ تقول في احدى يومياتها تحت هذا التاريخ

« اليوم التاسع من يوليو..أى بعد ثمانية وخمسين عاما على اليوم الذى وجدنا فيه حياتنا ، وبعد مضى ما قبل من العامين على رحيلك عنى ساحاول ان اتحدث عنك ، مادام قد طلب الى ذلك اولئك الذين يعرفون حياتك العامة، ويعرفون حياتك عالما وكاتبا اكثر مما اعرف عنها انا نفسى كتبوا وسيكتبون مؤلفات جميلة وعميقة عنك. اما انا فاننى اريد بكل بساطة ان اخلد للذكرى مستعيدة ذلك الحنان الهائل الذى لا يعوض » .

وكانت سوزان وهى تكتب « معك » بكل بساطة .. فى الثمانين من عمرها .. ويشعر القارىء ان القلب الذى املى كلمات « معك» قلب زوجة فى الثلاثين .. لا تزيد .

فى ٢٤ يونيو ١٩٧٥ كانت سوزان بمفردها - فى جاردونيه (ايطاليا) .. حيث اعتاد طه حسين قضاء الصيف، ارهقت الوحدة والذكرى قلب سوزان. كتبت تحت هذا التاريخ :

« لماذا لا تكلمنى يا حبيبى ؟

منذ صباح امس وانا اناديك بيأس لقد قمت ثانية ، عندما كنت قادمة من فيرونا ، بالسير على هذا الدرب من ديسنتزانو وسالو ، وان لم تكن نسير فيه ابدا خلال السنوات الاخيرة فقد اتينا اليه وسرنا فيه غالبا قبل ذلك .

امس مساء فكرت طويلا فى « جيد » وانا انظر الى البحيرة ليلا..البحيرة بحيرتك .. ما اكثر ما احببتها اوجع كل هذاالحزن وهذا الحنين الدامع تلمس قدرة سوزان على الدعابة والسخرية الهادئة الرقيقة . تقول فى احدى يومياتها :

« جاء توفيق الحكيم ليقضى معنا عدة ايام فى سالانش وليمارس على شاطىء البحيرة الصغيرة الصيد بالسنارةفلم يكن يصيد اية سمكة،وانما

تقول سوزان « هانذا من جديدعندما يعلق الشمس فى عروة سترته معلقات لقد اصطدت نفسى »

● ذكريات قديمة ●

ابنتى فى المعادى . اريد ان اكون شجاعة ، كما كنت فى ايطاليا ، ومانست التذكر ، مادمت أحاول التحدث عنك فسنبقى معا » وتقول ايضا « وقد اصبحت اليد التى كانت تليل طه فارغه ، وقد بات من المستحيل على ان استند على ذراعه ، وقد انهار

د . طه حسين وزوجته وابنائه فى لقطة نادرة



الصمت الحاسم ، احاول رغم كل شيء ان اتحدث » •

وتحدثنا سوزان عن رسائل طه حسين •• ولا ادرى لماذا لا تجمع رسائل الادباء والشعراء الراحلين وتصدر فى كتب كما يحدث فى كل اركان الدنيا •• انها من اهم الوثائق الادبية التى تلقى الضوء على اركان يغمرها الظل فى حياة صاحب الرسائل •• تقول سوزان « حملت الى منزل ابنتى فى المعادى رسائله التى اريد ان اقرأها بهدوء كلما استطعت الى ذلك سبيلا » •

ومع كل هموم طه حسين واحداث الحياة القاسية التى واجهته وبخاصة فى عام ١٩٣٦ (محنة « الشعر الجاهلى ») وفى عام ١٩٣٤ عندما عزل من الجامعة ايام اسماعيل صدقى اقول رغم كل هذا لم يفكر طه حسين لحظة واحدة فى الاغتراب والبعد عن الوطن •• وعندما نصحه صديقه المستشرق المعروف لوى ماسينيون صاحب الدراسات المتميزة عن الحلاج ان يهاجر الى امريكا •• او على الاقل يسافر اليها للعمل فى جامعاتها عند عزله من الجامعة عام ١٩٣٤ •• يقول طه حسين فى احدى يوميات « معك » .

انني استاذ معزول وعالم ممنوع من العمل ، ومن واجبى الا اشتغل فى السياسة ، انما اؤلف الكتب واسعى وراء الرزق • اما فى امريكا فاننى ساكون اجنبيا وسانظر الى حياة البلد دون ان اشارك فيها ، ولن يكون على ان اقوم فيها الا بواجب محدود وتعلق سوزان على موقف طه حسين قائلة « نعم » ايها الفاضل ، فانت لم تكتف ابدا « بواجب محدود » •

وفى احدى اليوميات تعود الى رامتان بعد رحلتها - وحيدة - فى ايطاليا •• تقول فى مايو ١٩٧٦ : رامتان •• هذه العودة •• انما هى عودة اليك ، فغيابك رهيب ، ولكن اريد ان اتألم من هذا الغياب هنا ، فى الوقت الذى اكون فيه فى مصر •• » ثم تقول مفتقدة حضور طه حسين « اقول •• اريد ان اعيد الحياة لرامتان ، انه وهم ، فقد كنت سبب جهودى ، ومن اجلك انما جعلت الشمس تدخل والورود تزدهر • كل خطوة •• كل باب مفتوح •• كل نظرة على قطعة اثاث تستدعى ماضيا لا اريد ان اصدق انه ماض : »

وتقول سوزان معبرة عن هذا الوفاء الخلاق الذى تعيشه وتمارسه : « اننا نبكى على الذكريات ، اذا لما كنا نستشعر حاجة عميقة لئلا يموت اولئك الذين احببناهم لاننا نبعثهم عبرها ثانية ، ولكى لا يتخلوا عنا فاننا نجعلهم يشاركوننا حياتنا المستمرة » •



تقول سوزان :

« ذراعى لن تمسك ذراعك ابدا • ويداى تبدوان لى بلا فائدة بشكل محزن ، فاغرق فى اليأس •

وفى احدى اليوميات تحدثنا سوزان عن موقف طه السياسى ومدى نفاذ بصيرته الى المستقبل •• تقول :

« فى نوفمبر ١٩٤٥ ، فى مجلة « ايماج دى موند » (صور العالم) قال طه حسين بشكل حزين « لقد انتهت الحرب بالقنبلة الذرية ، ولكنها تركت قنبلة زمنية هى فلسطين » ثم تتذكر سوزان ليلتها الاخيرة مع طه حسين •• فتكتب : « تابعنا فى

غرفة طه حفلاتنا الموسيقية وقراءاتنا حتى الليلة الاخيرة تقريبا ، تلك الليلة الفظيعة التى كانت تقطعها اصوات وكلمات واعترافات لم افهمها تماما حتى الان .

وفى احدى المرات التى كنت انام فيها قليلا على الرغم منى،حلمت بحلم لم افهمه على الفور ايضا فقد رأيت فيما يرى النائم ان خاتم زواجى قد تحطم بطريقة لا تفسر ، وانني اذ كنت انظر اليه حزينة لاحظت أنه كان ثمة داخل الدائرة المكسورة شيء من السواد ، كما لو كان غبار فحم » .

وفى كلمات « معك » الاخيرة .. تقول سوزان :

«هاانذا على نهاية طريق ،ذلك الطريق الطويل الذى اجتزناه معا وحدنا . وها نحن قد اجتزناه معا مرة اخرى، لكن الدرب لا يمتد اكثر من ذلك ،ولابد من الوقوف ، فهو درب لا يمكننا ان نجتازه ثانية ، لابد من وداعه ، وانى لاوجه له نظرة عرفان اخيرة .. حبيبى»

وفى نهاية الجزء الاول من كتاب الايام ، يحدث طه حسين ابنته ـ امينة ـ وكانت فى التاسعة من عمرها .. عن امها :

« .. فان سألتنى كيف انتهى الى حيث هو الان ، وكيف اصبح شكله مقبولا لا تقتحمه العين ولا تزدريه وكيف استطاع ان يهيء لك ولاخيك ما انتما فيه من حياة راضية ، وكيف استطاع ان يثير فى نفوس كثير من الناس ما يثير من حسد وحقد وضغينة ، وأن يثير فى نفوس ناس اخرين ما يثير من رضا عنه واكرام له وتشجيع .

ان سألت كيف انتقل من تلك الحال الى هذه الحال ، فلست استطيع ان اجيبك !

وانما هناك شخص آخر هو الذى يستطيع هذا الجواب .. فسليه ينبئك

اتعرفينه ؟ انظرى اليه !

هو هذا الملك القائم الذى يحنو على سريرك اذا امسيت لتستقبلى الليل فى هدوء ونوم لذيذ ، ويحنو على سريرك اذا اصبحت لتستقبلى النهار فى سرور وابتهاج .

الست مدينة لهذا الملك بما انت فيه من هدوء الليل وبهجة النهار ؟!

لقد حنا يا ابنتى هذا الملك على ابيك فبدله من البؤس نعيما ، ومن اليأس املا ، ومن الفقر غنى ، ومن الشقاء سعادة وصفوا .

ليس دين ابيك لهذا الملك باقل من دينك ، فلنتعاونا يا ابنتى على اداء هذا الدين ، وما انتما ببالغين من ذلك بعض ما تريدان » .

وفى احدى يوميات « معك » تسجل سوزان كلمات من خطاب تلقته من طه حسين « انى بحاجة للقول انى احبك، انى لاقولها لك مع ذلك ، وانه لعهد لك من جديد .. » ثم يقول « ولما كنا متحابين ، فاننا سوف نسير من جديد الرياء بهذا الحب ، نحو المستقبل الذى ربما سيشبه الماضى ، او لعله سيكون افضل منه ، او ربما سيكون اسوأ منه ، ولكن ماهمنا ؟ سوزان . لنتابع السير .. اعطنى يدك » .. ثم تقول سوزان معلقة على هذه الكلمات الاخيرة :

« اعطنى يدك ، لقد طلبها منى ايضا فى الليلة الاخيرة ، يدى ، ولكنى لم اذهب معه » .

فى ذكرى رحيله الثامنة

نجيب سرور بين الشعر والمسرح الشعرى

بقلم : حلمى سالم

ارتبط صعود نجيب سرور ، كشاعر وكمسرحى ، بصعود ثورة يوليو ١٩٥٢ والارتباط المقصود ، هنا ، ليس الارتباط الميكانيكى الصارم ، بين الاداب والمتغيرات الاجتماعية ، ولكنه ارتباط التفاعل والتجادل المتبادلين • فقد تبلور مع المد الوطنى الاجتماعى لثورة يوليو — وعبره — عدد من ألمع الكتاب والفنانين والشعراء ، فنبضت فى أشعارهم وفنونهم وادبهم الامال الوطنية والشعبية التى كانت الثورة تعد بها ، او تسعى لتحقيقها حسب ما ارتأته من طرائق ومناهج •

وعلى هذه الارض الواسعة من الحلم ، تجسدت قيم العدالة الاجتماعية والاشواق الثورية للتغيير والتقدم ، فى أعمال الكتاب والادباء ، الذى كان نجيب سرور واحدا بارزا فى طليعتهم فانتج ، فى هذا المناخ الحار ، أعماله الشعرية والمسرحية الملتزمة •

ولقد وجه معظم هذا الرعيل المتقدم جل اهتمامه وهمه صوب التعبير عن « المضمون الاجتماعى » للقضايا التى كانت تشغل انسان تلك الفترة الموارة ، فظهرت المؤلفات ذات الطابع « الرومانسى الثورى » عند عبدالرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور فى (الناس فى بلادى) وعبد الرحمن الخميسى وكمال عبد الحليم ونجيب سرور ، ووظفوا شعرهم وادبهم فى خدمة الهدف الاجتماعى المنشود ، دفاعا عن المكتسبات والخطوات السياسية للثورة ، او دفعا لهذه المكتسبات والخطوات الى مدى ابعد واعمق •

على ان الاحوال مالبثت ـ بعد بضعة سنوات ـ أن تقلبت بالشاعر والمسرحى ، سواء من الناحية السياسية او الناحية الفنية او الناحية الثقافية المؤسسية ـ او من الناحية النفسية الذاتية . فكان موته (فى خريف ١٩٧٨) نهاية مأساوية لشوط طويل من الحرب المتواصلة ونهاية حية لاسطورة حية من اساطير الفنانين الشهداء فى الحياة والشهداء فى الموت .

فما كان أعرض وأخصب وأقسى من الحياة التى عاشها هذا الفنان ـ الانسان .

رحلة طويلة جسدت عناقا حيا مع الفن ، وارتباطا ناصعا بين الكلمة والموقف . رحلة تأرجحت بين قمة الشهرة حين كان مرور الورقة الرابحة لاغلب مسارحنا القومية ابان عرض « ياسين وبهية » و « آه ياليل ياقمر » ، وبين التشرد فى الشوارع ضائعا ، ابان فترات الاضطهاد السياسى والضغط النفسى للقتل البطىء ، حينما تجلت النوازع البيروقراطية المطعمة باهواء الارهاب الفكرى والجسدى ، هذه النوازع التى التهبت بشاعرنا ضيقا مرات عدة على المستويات العقلية والنفسية ، وبين الانخلاع من أى دور والطرد من كل ممارسة صحية وسليمة ، اذ اقفلت المسارح ـ التى كان نجمها المفضل يوما ـ أبوابها فى وجه الفتى الملتزم ، فحرم من التمثيل او الاخراج ، وباعة فيهما طويل ، وحرم من عرض مسرحياته ـ وهو من أخصب الكتاب المسرحيين ـ وطرد من التدريس فى معهد الفنون المسرحية ـ وهو بيته الاول الحنون ـ ليجد نفسه فى نهاية المطاف وقد صار ظهره للحائط وصدره ازاء سيف القهر والاقصاء ، وحيدا الا من المرض ، فقيرا الا من حب الفقراء .

أخرج نجيب سرور أربعة دواوين شعرية ، هى : التراجيديا الانسانية ، بروتوكولات حكماء ريش ، لزوم ما يلزم ، رباعيات .

خرج « التراجيديا الانسانية » ـ وهو ديوانه الاول ـ ابان مناخ التحولات الاجتماعية والسياسية والوطنية التى شهدها المجتمع المصرى فى بداية الستينات . وهو المناخ الذى انعكس على الفن فى اعلاء « المضمون » الثورى على اى عنصر اخر من عناصر العمل الابداعى ، فجاء الشعر خطابيا زاعقا مباشرا ـ فى معظمه الغالب ـ يتغنى بالام الفقراء واحزان البسطاء فى رومانسية انسانية عامة .

تقول قصيدة « لهذى الجموع » :

القاتنى ..

فى احمرار الورود على وجنتيك



نجيب سرور



نجيب سرور

رايت الدماء
دماء المساكين فى قريتى
يعيشون كالدود فى مقبرة
هم الدود والميت ياقتنتى !
افاتنتى فى اختناق السواد على مقلتيك
رايت الشقاء
يلف باذرعه الهاصرة
جسوم الملايين من امتى !
افاتنتى فى انسياب الحياة على شفتيك
رايت الجفاف
رايت سراب الحياة الشحيح
تصوره لهالة الظامئين
وهذى النجوم عيون العبيد تطل علينا
وقد جحظت بالعذاب الملل
افاتنتى ورايت الجموع
تسير مصباحها المختنق
لتبحث عن لقمة ضائعة
ويأتى المساء
فتاوى الى جحرها جائعة
وفى كفها حسرة ضارعة
وتطوى على جوعها يأسها
كما تنطوى فى الثرى قوقعه
ويسدل ستر الظلام الكثيف
على مشهد من صراع الحياة
ليبدا فى الصبح فصل جديد
فتمضى الجموع بمصباحها
لتبحث عن لقمه ضائعه
فهل احب الكأس الحانية
وقد زرعوا ارضنا بالعذاب ؟
فتاتى .. ماغيرتنى السنون ولاغيرتك
احبك مازلت لكننى
وهبت النشيد لهذى الجموع

● ايقاع مميز ●

وتتضح فى القصيدة معظم ملامح الاداء « الرومانسى الثورى » ، فهناك اسقاط العام على الخاص بطريقة مباشرة اولية ، حيث يرى المحب (الملتزم) دماء مساكين قريته فى احمرار خدود محبوبته . وهناك التقرير المحدد والمحدد ، الوصفى الشرحى ، حيث يرى الشاعر الشقاء يلف باذرعه الهاصرة جسوم الملايين من امته ، وحيث الواقع الاجتماعى المعاش هو سوق كبير يباع بها عرق الكادحين « بسعر التراب » . وهناك اعراض المحب عن محبوبته ، ليس عن بغض وكراهية ، ولكن لانه نذر نفسه للكفاح ووهب نشيده للجموع .

على ان هذا النوع من الشعر ، على الرغم من رومانسيته المباشرة الثورية، وربما بسبب منها ، قد شكل ـ مع غيره مما شاع من شعر جماعى وجموعى (لا فردى ـ ذاتى) ـ ايقاعا جديدا فى ساحة القصيدة الشعرية العربية انذاك ، فى الخمسينات ، والنقلة لا ريب فى خطورتها : من النواح الفردى » الى الغناء الجماعى المرتبط بواقع الناس والطامح الى حياة افضل .

ولهذا ، فهو ـ فى التراجيديا الانسانية يقول :

قدر الانسان ان يفرح .. ان يصنع عرسه
قدر الانسان ان يخلق فوق الارض جنة
بل وان يخلق نفسه
قدر الانسان ان ارادة الانسان فى الارض قدر
ما السما .. ما قمة الاولمب .. ما الاقدار
ما كل اكاذيب العبيد ؟
نحن لا نصبح اربابا اذا متنا .. ولا نبقى بشر
نحن ارباب على الارض نريد
ثم ندرى ما نريد
ثم اصرار .. ونملى ما نريد

● مرارة ويأس ●

على ان هذه الروح المتوهجة بالامل والارادة ، اختلف عليها الدهر ، حتى

تبدل الحال ، وسرت فى الروح نغمة من حزن وأنين . فمنذ ديوان « بروتوكولات حكماء ريش » وحتى « الرباعيات » مرورا « بلزوم ما يلزم » ، سيصبح لابى العلاء المعرى سطوة كبيرة على روح وقلم شاعرنا الملتزم . ستجده دائم الاقتباس والتضمين من أبى العلاء ، وستجد روح أبى العلاء ترفرف على دواوينه بالحكمة المريرة والسخرية السوداء والتشاؤم الكونى .

فاذا كنا رأينا الشاعر فى « التراجيديا الانسانية » نابضا بالحرارة مفعما بالأمل ، فاننا نراه فى الدواوين التى تلته ، وخاصة « لزوم ما يلزم » وقد اكتنفته روح اليأس والمرارة . يقول :

قد آن يا كيخوت للقلب الجريح
ان يستريح
فاحفر هنا قبرا ونم
وانقش على الصخر الاصم :
يانابشا قبرى حنانك ، ها هنا قلب ينام
لا فرق من عام ينام والف عام
هذى العظام حصاد ايامى فرفقا بالعظام
انا لست احسب بين فرسان الزمان
ان عد فرسان الزمان
لكن قلبى كان دوما قلب فارس
كره المنافق والجبان
مقدار ما عشق الحقيقة

والملاحظ – فى لزوميات نجيب سرور غناها بالتضامين والاشارات الاسطورية والتاريخية والشعبية والدينية ، فى سياق هو اشبه بسيرة ذاتية لرحلة حياة الشاعر وخوضه فى العالم الدنيوى . فالشاعر يتنقل بين كيخوت وبهية واخطاب ، وبين دانتى وفرجيل وهاملت وديموقليس والمعرى وسيزيف والمسيح ، وغير ذلك من اساطير واديان وتاريخ مما وعت ذاكرة الشاعر الثقافية .

ولعل هذا الاكثار من الاشارات والاحالات الثقافية والتاريخية قد اثر – فى بعض الاحيان – على جسم العمل الشعرى ، وشتت تركيزه الفنى فى مسارات متشعبة متفرقة ، مما يقلل من قدرة القصيدة على أن تصبح مكثفة مشحونة .

على ان السمة الرومانسية كانت هى القاسم الاساسى ، بين مرحلة (التفاؤل) ومرحلة (اليأس) – ان صحت هذه التسميات السريعة اصلا .

ففى الحالتين نجد التقرير الذى يقترب – فى بعض الاحيان – من النثر المبذول ، من مثل :

لكن قلبى كان دوما قلب فارس
كره المنافق والجبان
مقدار ما عشق الحقيقة

وفى الحالتين ، هناك الانطلاق المبنى من الاعتقاد بان الشعر من الشعور هذا الاعتقاد الذى ترجمه سرور نفسه فى بيتين شعريين يقولان :

« الشعر مش شعر لو كان مقفى وفصيح
الشعر لو هز قلبك وقلبى شعر بصحيح »

وصحيح ان هذا المفهوم – المتضمن فى هذين البيتين – يقف فى مواجهة الافكار النقدية السلفية التى كانت ترى ماهية الشعر فى كونه « كلاما مقفى وفصيحا » ، الا انه – من جهة اخرى يربط ماهية الشعر بالوجدان فحسب وهذا الربط هو ربط رومانتى فى الاساس ، يرجع نجاح القصيدة الى تأثيرها النفسى على المتلقى او المستمع ، بصرف النظر عن احتيازها على مقومات العمل الفنى الناجح – من الناحية التشكيلية او خلوها من هذه المقومات .

ربما يرصد الناقد الدقيق – والحريص على المستوى الفنى والتقنى للشعر – عددا من المآخذ الفنية على عمل نجيب سرور الشعرى ، فى قصائده التى ضمتها دواوينه .

فقد يلحظ هذا الناقد ، مثلا ، هذا الصوت المباشر الذى لا يخلو من نبرة

نجيب سرور

عالية ، وما يتصل بهذه النبرة العالية من اهتمام بتقديم المضمون الاجتماعي والسياسي على حساب المستوى الفني

وقد يلحظ هذا الناقد ، مثلا افراطا في استخدام الالفاظ والجمل والتراكيب العامية » ، في سياق قد لا يكون دائما موفقا ، فتصبح هذه الالفاظ والجمل والتراكيب عاملا من عوامل اضعاف القصيدة لا من عوامل قوتها .

وقد يلحظ هذا الناقد ، مثلا ، إكثارا من التعبيرات والصياغات النثرية التي تقلل من فرص حضور الصورة الشعرية التخييلية في النص الشعري.

المحصلة ، ان عمل سرور الشعري، ربما يكون موضع ملاحظات عديدة . الا ان عمله المسرحي الشعري هو - في الحق - الانجاز الجوهري والاضافة الكبرى التي قدمها نجيب سرور لحياتنا الادبية والثقافية والفنية .

علامات فارقة

فيما يتصل بالجانب الخاص بالمسرح الشعري ، فان سرور كان - بحق - واحدا من اوائل الكتاب المصريين المحدثين الذين قدموا نموذجا ، اقرب الى النضج والعلو للمسرحية الشعرية ، متخطيا كثيرا من عيوب السرد والحوار «القصائدي» المطول ، التي حفلت بها المسرحيات الشعرية عند شوقي وعزيز اباظة وباكثير ومطران وغيرهم ، والمسرحيات الاولى لكل من عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوي

المسرحية الشعرية عند نجيب سرور مختلفة

انها ليست مسرحية « نثرية » مكتوبة بالشعر او بالوزن والموسيقى ويمكن - بالتالي - اعادتها الى ما كانت عليه من نثر - بتجريدها من وزنها وموسيقاها - بدون ان تنقص شيئا كبيرا أو جوهريا ، اذ ستظل هناك الحكاية - الرواية ، من الاصل

ان دخول الشعر على المسرحية ليس مجرد عملية خارجية يمكن الباسها في المسرحية ويمكن خلعها عنها ، وتبقى في الحالتين المسرحية مسرحية .

دخول الشعر على المسرحية هو عملية كيفية كاملة ، تتعدل وتتغير على ضوئها الكثير من المعطيات المسرحية الدراما ، الحدث ، الذروة .

هذا هو ما نجده في مسرحيات نجيب سرور الشعرية .

لمن الصعب عليك ان تعيد مسرحيته الشعرية الى روايتها الاصلية كحكاية يمكن ان تسردها ، بتسلسل الحكاية القصصي المعروف ، او على الاقل لا يمكنك ان تفعل ذلك بدون أن يفقد العمل كثيرا من اسباب وجوده الفني

كتب الدكتور محمد مندور عن « ياسين وبهية » يقول :

« وهكذا استطاع شبابنا ان يقدم بنجاح رائع قصيدة شعرية قصصية طويلة في صورة درامية جديدة ، لا اظن انها مسبوقة في بلادنا او غيرها من بلاد العالم » (روزاليوسف ١٩٦٤)

ان هذه الخاصية بعينها - التي رصدها الدكتور مندور - هي احدى العلامات الفارقة في مسرح نجيب سرور الشعري ، وهي تتلخص في ان الدراما في النص المسرحي الشعري ليست هي الدراما الروائية الحكائية المألوفة ، والتي اعتدناها في المسرح

المنثرى التقليدى بعامه •

الدراما ، هنا ، هى دراما شعرية اساسا، لا دراما وقائعية او حوادثية، وان لم تخل هذه الدراما الشعرية بالطبع – من الوقائع والحوادث وجسم الحياة الحية •

وهكذا كانت مسرحيات نجيب سرور كلها : ياسين وبهية ، آه ياليل ياقمر، قولوا لعين الشمس، منين اجيبناس، صورا من الدراما ذات الطابع الشعرى قبل الطابع الحكائى القصصى، فى اطار من استلهام الموروث الشعبى وقصص المأثور من حكايا الناس •

وفى هذا السياق ، بالمثل ، كانت مسرحية « آه ياليل ياقمر » التى كتب عنها جلال العشرى فى مقدمة طبعتها الاولى عام ٦٨ يقول :

« اذا كان مسرحنا المصرى المعاصر يمر بمرحلة هامة من مراحل تطوره الفنى ، هى المرحلة التى يؤرخ لها بالمسرح الشعرى فان مسرحية (آه ياليل ياقمر) هى البلورة الكاملة لهذا المسرح ، فبعد المسرح الشعرى التقليدى ، وبعد المسرح الشعرى الجديد يجيء المسرح الشعرى الشعبى عند الشاعر المصرى الاصيل ، نجيب سرور » •

● دراما متكاملة ●

والواقع ان المتامل لشعر سرور القصائدى ولمسرحه الشعرى ، سيجد مفارقة هامة كبيرة ، هى ان معظم ما يمكن ان يشوب شعره القصائدى من عيوب يتحول فى مسرحه الشعرى الى خصائص مميزة ومزايا ملحوظة •

ان اختلاف السياق الذى توجد فيه هذه العيوب، يجعل لها وظائف جديدة، ويجعلها تقوم بدورها فى اطار اشمل منها كجزئيات • هى فيه جزء من كل عريض •

ان المباشرة الزاعقة او النثرية، او التوسل الزائد بالعامية ، او اضطراب الصور وتارجحها وتشتتها وغيرها مما يمكن ان يكون عيوبا فى قصائده الشعرية ، تاخذ فى مسرحه الشعرى دورا فى دراما متكاملة ، فلا تصبح مفردة هى بذاتها ، بل تصبح خيطا من خيوط نسيج عريض •

وهى ، هنا ، تنجح فيما اخفقت فيه هناك •

والحق ، ان هذه المسالة تستحق درسا متانيا ومفصلا ، يميز بين وجود هذه العناصر فى الشعر القصائدى وبين وجودها فى المسرح الشعرى • وخصوصا ان هذه المفارقة لا تكمن فى نجيب سرور فحسب بل انها تتواجد عند شعراء مسرحيين اخرين ، لعل ابرزهم – مع نجيب سرور – الشاعر الفلسطينى الراحل معين بسيسو ، وغيرهما من شعراء المسرح البارزين••

كان رحيل نجيب سرور مناسبة اخرى جديدة ومجددة لكى نفهم ان الفنان الذى لا يرتبط بالقوى الصاعدة والناهضة فى امته ، ولا يرتبط بقضايا شعبه المصيرية وهمومه الحقيقية ،هو فنان يبقى فى ذاكرة وطنه الحية •

ولقد كان نجيب سرور واحدا من الذين وهبوا حياتهم وفنهم للدفاع عن قضايا شعوبهم واشراقها صوب مستقبل عادل ، ولسوف يعيش فى ضمير امته – لهذا – كواحد من ابر الابقاء •

كما كان رحيله مناسبة مجددة لكى نفهم ان الفنان الذى لا تتطابق كلمته مع موقفه،هو فنان منافق او مزيف او خائن لمعنى الابداع الحق • ولقد ضرب نجيب سرور مثالا ناصعا لعناق الكلمة والموقف ، ونموذجا للفنان الذى يحيا بالفن وبالفن يموت ، ليصير واحدا من عشاق الفن الحق المتفانين فيه ، والخالدين به •



سيد قطب

وثلاث رسائل لم تنشر من قبل

بقلم : الطاهر أحمد مكي

● كانا زميلي معهد ، ورفيقي درب ، جمعت بينهما قاعات الدرس في دار العلوم ، وتوثقت بينهما الصلة على درب الكفاح الطويل .

كلاهما كان قادما من الريف ، احدهما من المنوفية والثاني من الصعيد ، ومع اتفاقهما في الغايات الأخيرة ، تباينت وسائلهما بحكم الطبيعة ، والمزاج ، والنشأة ، والمناخ .

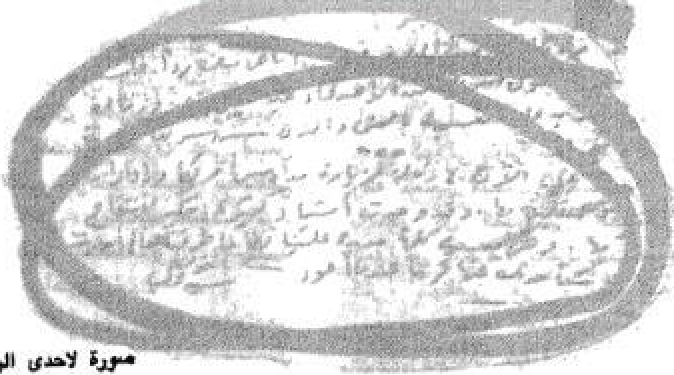


اما سيد قطب فلم يكن بعد الداعية الاسلامي الكبير، وإنما ذلك الأديب المتوهج، يقرض الشعر، ويؤلف في النقد، ويمضي مع حركات التجديد الوافدة من الغرب، في حذر تمليه طبيعة الدراسة، وتؤكده اخلاق القرية. وأما محمد جبر فاختار مجالا مختلفا، ان يشارك رفاقه في «جماعة دار العلوم» في الدفاع عن اللغة العربية من حيف المتغربين والمستعمرين، وعن مستقبل الخريجين من الهوان المقصود الذي كان يعد لهم وينتظرهم!

كانت جماعة دار العلوم، وتكونت عام ١٩٣٣ ـ نفس العام الذي تخرجا فيه ـ تضم خريجي دار العلوم على مستوى القطر المصري كله، ويمثلون كتلة متراصة، ذات تأثير بالغ في الحياة الثقافية والاجتماعية، ولعبت دورا بالغ الأهمية والأثر في الدفاع عن اللغة العربية متطورة، والاسلام مجددا، ولها صحيفة تصدر كل ثلاثة أشهر، وواصلت الصدور على امتداد أربعة عشر عاما كاملة لم تتوقف، ١٩٣٤ ـ ١٩٤٧، وقدمت خيرة شعراء تلك الفترة وباحثيها وقصاصيها على صفحاتها.

هذه الفترة من حياة سيد قطب، ١٩٢٥ ـ ١٩٣٩، يمكن أن نطلق عليها مرحلة الضياع، فقد كان هذا الشاب الذي سوف يدخره القدر ليلعب اعظم دور إسلامي، وليجيء في القمة مع كبار دعاة الاسلام ومفكريه في عصرنا الحديث، غارقا أيام الطلب، وبعد تخرجه في المذاهب والتيارات الثقافية الأوربية التي اخذت تتدفق على مصر مع الاحتلال والبعثات والترجمة، تقبل عليها صفوة المثقفين بحسن نية أحيانا، وفي غفلة أحيانا اخرى، ويُدفعون إليها دفعاً في احايين كثيرة.

كان الاقبال على هذه الافكار يبدأ إعجابا، ثم يتحول إلى ادمان مقدر،



صورة لاحدى الرسائل

وبعدها تبدو أوربا وكأنها الكعبة التي يجب أن يحج اليها المصريون ، ونبع التقدم الذى يجب أن ينهلوا منه ، وفى تلك الأيام كتب طه حسين «مستقبل الثقافة فى مصر» ورأى وطنه قطعة من حوض البحر الأبيض المتوسط ، عليه إذا اراد أن يتقدم أن ينهل من الثقافتين الاغريقية واللاتينية ، وأن يدير ظهره لما عداهما .

وكان العقاد فى آخر مراحل تمرده ، تجاوز الشك الذى تجلى فى قصيدته «الشيطان» ليتصل بالدراسات الاسلامية ، بعد أن تجاوز نجاح محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد» ما كان متوقعا ، وفتح امامه ابوابا كانت مغلقة ، وبداهة كان فهم العقاد للاسلام ، وحتى إيمانه ، عقاديا خالصا ـ أن صح التعبير ـ صنعه لنفسه وضمنه خلاصة فكره ، وجاءت كتاباته الاسلامية وليدة هذه الفلسفة الخاصة .

وفى الجبهة المقابلة كان الاسلاميون لايقلون تحمسا وليسوا اقل عنفا ، يفهمون الأدب من خلال التراث ، فى ضوء منجزات العصر ، لايهملون الحاضر ، ولكنهم يقيمونه على أسس من الماضى ، وعلى راسهم مصطفى صادق الرافعى ، ومحمود محمد شاكر ، وفيهم على الطنطاوى وسعيد العريان ، وآخرون .

كان الخلاف بين العقاد والرافعى قديما ، ويعود الى عام ١٩١٧ ويتصل بإعجاز القرآن الكريم ، ويقول سعيد العريان : «كان بدء هذه المعركة .. حديثا خاصا بين الرافعى والعقاد فى دار المقتطف حول حقيقة إعجاز القرآن ، وكتاب (الرافعى عن) إعجاز القرآن ، وكان للعقاد فيهما رأى غير رأى الرافعى ، فكانت غضبة الرافعى الأولى لكرامة القرآن ، والعقاد ينكر إعجازه ، والثانية لكتابه إعجاز القرآن والعقاد ينتقده .. فثمة سبب عام أنشأ هذه الخصومة هو إيمان الرافعى بإعجاز القرآن إيمانا لا يتناوله الشك ... والرافعى يقول فى كتابه «على السفود» «إنها غضبة لله والقرآن»

اتخذ سيد قطب جانب العقاد منذ البداية ، حتى أن الاستاذ محمود شاكر عاب عليه موقفه هذا ، ويرى «أن انتقاد سيد قطب لادب الرافعى معناه مجانبة للدين والتقوى والحياء» . ورد سيد قطب على ناقديه ، والمشككين فى صدق إيمانه بأن «الأدب والشعر كالفنون مترجمة عن النفس الانسانية وأحاسيسها وآمالها ، ولادخل للدين فيه .. لأننى أدرى من غيرى بحقيقة الدين»

● مكانة اللغة العربية ●

وخلال الحرب العالمية الثانية نشطت جماعة دار العلوم ، وتوجت إنجازاتها المهنية بقرار أصدرته حكومة الوفد ، وكان نجيب الهلالى يتولى فيها وزارة المعارف ، وطه حسين منصب المستشار ، يقضى باعتبار كل المدرسين العاملين فى المدارس الحرة ، بعقود شخصية وهم كثر ، موظفين فى وزارة المعارف ، ومعارين لهذه المدارس ، ويعاملون مرتبات وترقيات كبقية زملائهم . وكسرت

الطوق الذى اقامه الاستعمار البريطانى وذيوله حول مدرسى اللغة العربية فى مجال الترقيات ، فاصبحوا كبقية زملائهم .

وفى المجال القومى ردت الى اللغة العربية مكانتها فى المدرسة المصرية ، فزيدت ساعتها ، وبدأ تدريس التربية الدينية جديا ، وعملت على ترقية المادتين كتابا ومنهجا . وهى أشياء لم تتحقق بسهولة ، فبعض أعضاء الجماعة فصلوا ، وآخرون اعتقلوا ، أو شردوا فى نواح قصية ، ولكن روح النضال من أجل الاستقلال والعروبة والاسلام كانت فى أوجها .

ومن الواضح ان سيد قطب كان عضوا فى الجماعة ، ومشاركا فى كل نشاطها ، كاى درعمي عادى ، ولم يكن من النخبة القائدة ، إذ كان الادب والنقد يملآن عليه حياته ، ويشغلان جل وقته .

وبعد الحرب العالمية الثانية تفجر الموقف فى مصر ، وكان الجديد الذى تعهده من قبل واضحا يتمثل فى أمرين: أن التيارات الاجتماعية التى تكونت تحت الأرض خلال الحرب بدأت تظهر علانية ، وتعبر عن نفسها صراحة ، وبدأ عامة المثقفين المصريين يعرفون الادب الروسى على نحو واسع ، ويقرءون جوركى ، وبوشكين ، وتشيخوف ، فى اللغات الاوروبية الأخرى ، أو مترجما الى اللغة العربية فى بيروت غالبا ، ويومها لمع جامعى شاب ، وناقد ادبى مرموق ، عائد من بعثته فى فرنسا ، ويكتب فى لهجة لم تعرفها الحياة الادبية من قبل ، فهو يدعو الى ربط الأدب بالحياة ويتحدث عن رسالة الفن الاجتماعية ، وكان ذلك الشاب هو الدكتور محمد مندور ، فأثار العقاد ورفاقه ، وبدأت المعركة بين الفريقين ، قوية وعنيفة وصاخبة .

وكان الامر الثانى سياسيا بحتا ، إذ ألقت الولايات المتحدة الامريكية بثقلها كلها فى مصر ، ترقب الأمر بعناية ، وتعد نفسها لترث الاستعمار البريطانى (فى شكل جديد طبعا) ، وفى تخطيط علمى دقيق وفعال لم تعرفه المنطقة من قبل ، بدأت تهتم بالصحافة والمثقفين وكل العاملين فى أجهزة الاعلام ، بأسلوب خفى وغير مباشر ، وفى تلك الاعوام ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه بين السياسة والصحافة ، صدرت جريدة أخبار اليوم ، غير بعيد من التخطيط الأمريكى ، وعنها صدرت مجلة المختار الأمريكية فعلا .

وإذا بحثنا عن سيد قطب فى تلك المرحلة نجده استقل عن العقاد ، وأنشأ لنفسه مذهبا خاصا فى النقد ، وبدأ يتجه نحو الدراسات الاسلامية ذات الصبغة الأدبية ، فاصدر فى عام ١٩٤٥ كتابيه : « التصوير الفنى فى القرآن » ، و « مشاهد القيامة فى القرآن » وتقدم بالأمر خطوة ، فاصدر كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » عام ١٩٤٨ ، وأهداه إلى شباب الاخوان المسلمين دون أن يكون قد انضم إلى الجماعة بعد .

يمثل هذا الكتاب الأخير خطا فاصلا ، وذا أهمية قصوى ، فى تحديد المرحلة الجديدة لسيد قطب ، وجاء ردّ فعل للدراسات الاشتراكية والتقدمية التى بدأت تأخذ طريقها الى الفكر المصرى واضحة ومتميزة ، ومع أنه تناول القضية من منظور دينى ، فقد كان شيئا جديدا فى

هذا المجال ، وهو فى الكتاب أقرب إلى الاشتراكية منه إلى الراسمالية ، وكان ممكنا أن يتعمق تفكيره ويتطور فى هذا الطريق ، فهو طبقيا ينتمى الى « الناس الذين تحت » وكان عباس العقاد هو الذى حال بينه وبين أن يأخذ الاتجاه ، فقد كان سيد قطب معجبا به ، منذ أن التحق بندوته عام ١٩٢٧ ، ويحمل له إجلالا عميقا ، حتى بعد أن انفصل عنه فكريا .

لقى كتاب « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » إقبالا وترحيبا ، وكان من الكتب التى تركت تأثيرها واضحا فى فكر الضباط الأحرار ، ومن أوائل الكتب التى قرءوها قبل أن تقوم الثورة نفسها ، أو بالدقة عام ١٩٥١ ، فقد طلب منى الكتاب صديق له قريب ضابط فى الجيش ، ثم عاد ورجانى أن ادله اين يباع فهو بحاجة إلى اكثر من نسخة ، وكان هذا الضابط هو البكباشى ابراهيم عاطف ، الذى انتخبه الضباط سكرتيرا لناديهم ، مع محمد نجيب رئيسا ، إبان تحديهم للقصر الملكى .

● لماذا أمريكا ●

بعد قليل من صدور كتاب « العدالة الاجتماعية » سافر سيد قطب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص فى التربية وأصول المناهج ، وكانت سنه إذ ذاك ثنتين وأربعين عاما .

وأول ما يلفت النظر فى هذه البعثة انها جاءت فجأة وشخصية ، فلم يعلن عنها ليتقدم لها من يرى نفسه كفئا ، وأن المبتعث تجاوز السن التى تشترط إدارة البعثات توفرها بكثير ، وانه نقل عند تخصيصها له مراقبا مساعدا بمكتب الوزير .

من الذى أوحى بالبعثة ؟ وفكّر فيها ؟ ودفع سيد قطب إليها ؟ وماذا كانت الغاية الحقة من ورائها بعيدا عن الظاهر غير المقنع ؟ .

لم يقف احد عند هذه النقطة ، ولم يتناولها احد ممن عرضوا لحياة سيد قطب ، ولم يشر هو إليها فيما كتب وخط ، وفى عام ١٩٥٤ كنت طالبا فى شعبة التاريخ ، فى معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وكان المرحوم محمد شفيق غربال يدرس لنا التاريخ الحديث .

كان استاذا مهيبا وعالما جليلا ، خفيض الصوت ، واضح النبر ، مقنع الفكر ، يقول رايه دون خوف ، ويذكر الحقيقة بلا تردد ، وفى غير تحمس او تهجم على احد ، ولم يكن يقف عند التاريخ مادة مقررة جامدة ، وإنما كان يطوف بنا العالم العربى الحديث فى حاضره ، موضحا ومعللا ، وفيما عرضنا له يومها رايه فى سيد قطب .

كانت المناسبة جملة من المقالات كتبها سيد قطب فى مجلة « روز اليوسف » ، إذا لم تخنى الذاكرة ، حمل فيها على قادة وزارة المعارف ، وأنهم يدورون عميا فى فلك الغرب ، وأسرى فلسفة دنلوب ، وهو قس اسكتلندى ، جىء به زمنا مستشارا

لوزارة المعارف ، وكان استعماريا قحا ، ومتعصبا بغيضا ، فأفسدها طرقا ومناهج ، وأنهم زيفوا التاريخ مجاملة للعائلة المالكة ونفاقا ، وهى إشارة تنطلق الى شفيق غربال إذا جاءت مرسلة ، إذ كان أستاذ التاريخ الحديث ووكيلا لوزارة المعارف ، ولم يكن احد فى حاجة الى هذا الاستنتاج ، لأن سيد قطب سوف يذكره أيضا صراحة ، ويهاجمه مباشرة .

ولم يتردد شفيق غربال فى أن يجيب ، ولايزال صدى كلماته ترن فى أذنى كانما قيلت بالأمس ، قال : إن سيد قطب كفاءة عالية ، ويرجى منه خير كثير ، ولكنى آسف لأنه غير وفى ، وناكر للجميل ، فقد توسمت فيه أنا وإسماعيل القبانى المستشار الفنى للوزارة الخير والنفع فوفرنا له بعثة غير عادية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليتصل بالحضارة الغربية ، وتقع عينه على مافى العالم الجديد ، فيعمق فكره ، وتتسع نظرته ، فلم يكمل البعثة ، وهاهو الآن يشتمنا .

وما قاله شفيق غربال لاغبار عليه ولكن ، لماذا الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، وانجلترا أقرب لنا ، وأرخص تكلفة ، وكلاهما غربال والقبانى ـ درسا فيها ، والمعهود ، إن يميل المرء ، إن لم يتعصب الى البلد الذى درس فيه ؟

● إغراء للسفر ●

واضح أن ذهاب سيد قطب إلى الولايات المتحدة كان وليد تخطيط أمريكى خفى ، بعيد عن سيد قطب نفسه بداهة ، ولم يعرفه أكيدا ، فمن الغريب ، والعصبية المعهدية على أشدها فى تلك الأيام فى وزارة المعارف . ومن إسماعيل القبانى بالذات ، أن تخصص بعثة لموظف من دار العلوم ، وفى مثل هذه السن ، ولايرد عليه أن إسماعيل القبانى سجل تقديره لسيد قطب رسميا حين قدم هذا استقالته من عمله مراقبا مساعدا بالبحوث الفنية والمشروعات فى ١٨ اكتوبر ١٩٥٢ ، فقد


د . طه حسين


عباس محمود العقاد

حاول أن يثنيه عنها ، ويقول فى المذكرة التى تقدم بها الى مجلس الوزراء بعد ذلك بعام ، اى فى ١٩٥٢/١٢/٣٠ : **«ولما كنت بالرغم من هذا اعتقد أن به بعض النواحي الطيبة التى يمكن الاستفادة منها ، وان له من قوة تفكيره وكفايته ما يجعله قادرا على الانتاج فقد حاولت أن اثنيه عن عزمه ، وان اقنعه بالعودة الى عمله ، وكانت آخر محاولة لذلك فى الأسبوع الماضى ، ولكنه اصر على طلبه وكان طوال هذه المدة ممتنعا عن العمل»**

وطلب القبانى ، فى المذكرة نفسها ، أن يضاف إلى مدة خدمته عامان حتى تكمل المدة القانونية لمعاشه . وفى تلك الفترة كانت العلاقات قد تأزمت بين الحكومة والاخوان فقبلت الاستقالة من تاريخ تقديمها وهو ١٩٥٢/١٠/١٨ ، لا من تاريخ تقديم مذكرة الوزير ، ودون إضافة يوم واحد إلى مدة خدمته .

كان ذلك استطرادا لبيان راى إسماعيل القبانى فى سيد قطب ونعود الى بعثته فى أمريكا ، والدوافع وراءها ، وانها لم تكن خالصة لوجه العلم ، وفيما بعد سوف يعترف سيد قطب نفسه لرفيقه فى النضال سيد سالم ، حين التقيا فى السجن : «إنه وقع تحت إغراء هذه الاوساط (الامريكية) بكل الوسائل ، ولكنه لم يسقط فى شباك أى منها»

ولم يفصل القول فى وسائل الاغراء ، والوان الشباك ، وطبيعتها وماذا كانت تريد منه .

وصل سيد قطب الى الولايات المتحدة بعد شهور قليلة من مأساة فلسطين واستيلاء الصهيونية على الجانب الاكبر منها ، وخلال العامين اللذين قضاهما هناك تدفقت فى نهر السياسة المصرية أحداث كثيرة وخطيرة .

فى ١٩٤٨/١٢/٨ حل الحاكم العسكرى ورئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى جماعة الاخوان المسلمين ، وأغلق صحفهم ، واعتقل البارزين منهم ، وصادر أموال الجماعة وصفى شركاتها .

وفى ١٩٤٨/١٢/٢٨ أطلق شاب من الأخوان المسلمين النار على النقراشى باشا فى وزارة الداخلية فأرداه قتيلا .

وفى ١٩٤٩/٢/١٢ اغتالت الحكومة السعدية برئاسة إبراهيم عبد الهادى المرشد للاخوان حسن البنا فى شارع الملكة نازلى (رمسيس الآن) .

وبينما لم يثر اغتيال رئيس وزراء مصر أية أهمية فى الولايات المتحدة الامريكية ، قابلت الاوساط المهتمة بشئون الشرق الاوسط فيها اغتيال البنا بشىء من الغبطة والابتهاج مما جعل سيد قطب يدرك اهمية الدور الذى قام به البنا والاخوان المسلمون فى مواجهة الفكر الغربى ، ولعله فكر لحظتها أن ينضم إليهم حينما يعود .

كيف رأى سيد قطب الولايات المتحدة بعد أن وصل إليها ، وكيف كان يعيش ، لقد كتب خلال إقامته الى صديقه ، وزميل دراسته ، محمد جبر (رئيس جماعة دار العلوم الآن) عددا من الرسائل ضمنها رأيه واضحا فيما رأى ، وعثرنا من جملة

الرسائل على ثلاث نورد نصها كاملا فيما يلى :

ـ ١ ـ

اخى الأستاذ جبر

تحية وشوقا ومودة . وبعد ، فقد شغلتنى (دوشة) السفر عن إخبارك بموعده . ثم شغلنى إجهاد البحر واستقبال الحياة هنا عن الكتابة إليك أو إلى أحد حتى استجم بعض الشيء .

والآن كيف انت وكيف احوال الجماعة ؟ هل لك ان تكلف نفسك الاتصال بى دائما واطلاعى على شؤوننا التى تعلم أنها تهمنى حيث كنت ؟

ثم هل لك أن تكتب الى بعنوان الاستاذ الكبير سعد بك اللبان لأكتب اليه ، إذ اننى اجهل عنوانه .

ولست فى حاجة أن اذكر لك انك تستطيع تكليفى بأية مهمة هنا لك . كشراء أشياء أو السؤال عن اشياء أو مايعن لك ان تصنعه عن طريقى !

والآن هل تستطيع عند وصول هذا اليك أن تتصل بمحمد قطب فى دار الكتب تليفون ٨٤٠٧٤ لتسأله لم لايكتب إلى منذ ثلاثة أسابيع ، ولم يدعنى قلقا عليه وعلى من فى القاهرة معه ؟

١٩٤٨/١٢/١٩

سيد قطب

ـ ٢ ـ

اخى الاستاذ جبر

أبطأت فى الرد عليك . إنها زحمة العمل ، وسوء طريقة الدراسة . فليس أبعد عن الافادة من الجهد فى تعلم اللغة الانجليزية من الطريقة الامريكية ! ولكنك كمدرس تملك بجهدك الخاص أن تتلافى عيوب الطريقة . وقد انقلبت وظيفتى فى «المركز الدولى لتعليم اللغات» من مجرد طالب يتعلم اللغة الى مدرس يعلمهم كيف يدرسون اللغة ، ولقد افلحت طريقتى ونجحت شيئا ما فى تعديل طريقتهم فى كثير من الأحيان !

إن امريكا هى اكبر اكذوبة عرفها العالم !

نستطيع ان نفيد من امريكا فى البعثات العلمية البحتة : الميكانيكا والكهرباء ، والكيمياء ، والزراعة .. وما اليها . فاما حين نحاول ان نستفيد من امريكا فى الدراسات النظرية ومنها طرق التدريس فأحسب أننا نخطىء أشد الخطأ ، وننساق وراء الطريقة الامريكية فى الاعلان . ومع هذا فلا أحب أن أتعجل فقد تكون هناك أشياء لم أعلمها بعد . وأن كان المفروض أن طريقة هذا المركز الدولى هى انجح الطرق الامريكية !

لقد تقدمت فعلا فى اللغة الانجليزية تقدما ملحوظا . ولكن ذلك بجهدى الخاص ، وبتعديل الطريقة الأمريكية وتلقيحها . وأحسبنى لو كنت ابذل عشر هذا الجهد فى مصر لبلغت مابلغت إليه فعلا باستثناء المرانة على الحديث فهى هنا أحسن بطبيعة الحال .

أما أولئك الذين يتحدثون عن أمريكا كما يتحدثون عن الاعاجيب السبع (فهم) يحاولون أن يستمدوا لهم قيمة جديدة لانفسهم من وراء هذا التهويل !

أتعرف أولئك البحارة القدامى الذين كانوا يجوبون البحار ثم يتحدثون عن أهوال البحر وعن المردة والعمالقة

سيد قطب
وثلاث رسائل لم تنشر من قبل

والعجائب المثيرة .. إنهم كانوا يصنعون مايصنعه المتأمركون اليوم . ولا ادرى ماذا فى اوربا ولكن قياسا على ماكنا نسمعه عن أمريكا وعما رأيته فعلا استطيع ان آخذ صورة عن المبالغة والتهويل ...

تجد الاجابة على أسئلتك على جناحى هذا الخطاب

١٢/٢/ ١٩٤٩

سيد

١ ـ لا املك ان اكتب لك بالتفصيل عن الحياة الأمريكية فهذا يتطلب وقتا وجهدا لست أملكهما اليوم . وسيكون هذا موضوع كتيب فى سلسلة "اقرا" ولكن أحسبنى ألخصها لك حين أقول : إنها حياة عمادها اللذة والنجاح العملى . وأنه لاحساب فيها لأى خلق من الأخلاق التى تعتز بها الانسانية ، وأن كل القيم الخلقية هى موضع السخرية عند الأمريكان !

٢ ـ مستوى الحياة هنا مرتفع وغال . ولكنه ليس بالصورة المهولة التى يتحدثون بها فى مصر . فالطالب العادى يستطيع ان يعيش فى حدود ١٨٠ دولارا عيشة راضية ، أما أنا شخصيا فأضطر الى إنفاق مايقرب من ٢٥٠ ـ ٢٨٠ وذلك بسبب اضطرارى الى حياة مريحة كل الراحة والى قيمة غذائية مرتفعة كذلك . والى شىء من المظهر فى بعض الاوساط كرجل زائر لا طالب .

٣ ـ نفقات السفر الى هنا فى الدرجة الثانية حوالى ٩٠ ـ ٩٦ جنيها ، أما أنا فقد سافرت فى الدرجة الأولى حسب درجتى فى الكادر !

٤ ـ أحسبنى الآن فى مستوى السنة الثانية الثانوية ، أما فى الحديث فقد أكون فى مستوى "الثقافة" .

٥ ـ وجودى فى واشنطون بالذات سهّل لى كثيرا من الصعاب لأنى بجوار المكتب وكلهم أصدقائى .

اكتب الىّ بالتفصيل عن أحوالكم وأخباركم وموقفكم فى الوزارة فإنه يهمنا أن أكون على تمام الصلة بالاخر وبحركتهم أوّلا بأول مدة وجودى هنا ولايهمك أن تتأخر رسائلى فى بعض الأحيان .

سيد

٢٢/١/ ١٩٥٠

اخى الأستاذ جبر

مرة ثالثة اكتب اليك قبل أن أتلقى منك ردّا . فلست ممن ييئسون سريعا من الأصدقاء حين يقصرون . وزمالة عشرين عاما ليست بالشيء الذى يتسى سريعا !

لابد ان اشياء كثيرة عوقتك عن الكتابة إلىّ . لست أدرى أنا ماهى هذه الأشياء ، ولكن من حقى أن أعرفها .

وأحوال الجماعة ـ ودعك من أحوالك أنت الخاصة وحقى الشخصى فى الاتصال بها ـ كيف تسير . ثم هل لى أن أطمئن اليوم على صلاتك بالوزارة فى عهد الدكتور طه حسين ؟ أرجو أن تكون خيرا وأن يكون فيها جديد .

أنا أعرف أنك أنت لايهمك لشخصك

شيء ، ولكن للجماعة طرفا آخر ومصالح عامة .

ثم ماهى أحوال الجماعة اليوم . من هم أعضاء مجلس إدارتها ؟ كيف تسير الأمور داخلها وخارجها ... كل أولئك من حقى أن أعرف عنه شيئا .

★ ★ ★

أنا الآن فى رحلة لزيارة مدارس أمريكا وادارات التعليم بها . وقد وجدت اشياء كثيرة يمكن الانتفاع بها . وهى ليست كلها جديدة علينا ، فطالما طرقناها فى احاديثنا ، وسأحدثك عنها قريبا عندما أعود .

اخوك

سيد قطب

يلحظ القارىء لهذه الرسائل الثلاث :

١ ـ أن هناك رسائل أخرى توجه بها للأستاذ محمد جبر نفسه ضاعت ولم نعثر عليها ، وأنه كان يكتب لزملاء آخرين من بينهم سعد اللبان ، وكان رئيسا لجماعة دار العلوم ، وأصبح وزير المعارف فى وزارة على ماهر التى تألفت عقب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

ونعرف أنه كتب أكيدا رسالة لتوفيق الحكيم من كاليفورنيا يهاجم فيها الحضارة الأمريكية التى لاتأبه بالقيم الروحية ، وينتقد مسرحية "أوديب الملك" ، متمنيا لو عالج الموضوع بروح اسلامية لا اغريقية ، ويأمل منه أن يستقى موضوعاته مستقبلا من الاسلام الذى يتميز بفلسفة مستقلة خاصة عن الكون والحياة والانسان .

إن نشر مثل هذه الرسائل بالغ الأهمية فى القاء الضوء على تطور حياة سيد قطب الادبية والفكرية ، لان صاحبها كتبها وهو فى قمة الصدق مع نفسه ، ولايدور بخاطره انها ستنشر يوما .

٢ ـ أسلوب الرسائل عربى فصيح ، حريص على استخدام علامات الترقيم ، والفقرات ، فى موضعها ، وحتى الشدة لايهملها ، واللفظة العامية الوحيدة التى جاءت فى احدى الرسائل وضعها بين قوسين .

٣ ـ توجه الكاتب بالرسالة الأولى والثالثة الى "الاستاذ الكبير محمد بك جبر ، ناظر مدرسة راتب باشا الابتدائية ، لاظوغلى قرب المالية" ، اما الثانية فأرسلها اليه على نادى دار العلوم ـ ٧٧ ـ شارع الملكة نازلى"

٤ ـ فى الرسالتين الأولى والثانية لم يكن سيد قطب قد وعى تقاليد الرسائل الاوربية ، فهو يكتب كلمة مصر ـ القاهرة باللغة اللاتينية فى المكان المخصص لاسم المرسل وعنوانه ، ولكنه فى الثالثة انتبه الى هذا التقليد .

٥ ـ أشار فى رسالته الثانية الى أن فى نيته أن يؤلف كتيبا عن رحلته ينشر فى سلسلة "اقرا" التى تصدرها دار المعارف ، كما أشار فى كتابه "خصائص التصور الاسلامى ومقوماته" الى أنه الف كتابا عن "أمريكا التى رأيت" ويبدو أن المقالات التى نشرها فى مجلة الرسالة ، الاعداد ٩٥٧ و ٩٥٩ و ٩٦١ ، كانت صفحات مما انتوى ، اما الكتاب نفسه فلم ير النور كاملا لا فى "اقرا" ولابعيدا عنها ، لان الأحداث المتلاحقة شغلت صاحبه عن الكتاب وعن امريكا .

صورة الريفية المصرية فى السينما

ما ابعد الفرق بين المراة كما هى ء فى واقع الحياة ، وبين صورتها كما تعرضهاالسينما على الشاشة

فى الاصل هى مجاهدة فى كل ميدان امتـــدادا من البيت الى الغيط .

اما فى الصورة فدنياها ليست هى دنيا الناس من علم وعمل ، وفن وادب ، وفكر ورأى .. انها باختصار دنيا فارغة .

بقلم :

مصطفى درويش

فاتن حمامة فى فيلم الحرام



وهذا الانفصال بين الواقع والخيال نراه ظاهرا في السينما العربية منـذ ميلادها عـلى ارض القـاهرة في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٧ بفيلم « ليلى » انتاج وتمثيل الرائـدة « عزيزة أمير » ٠

فهي في الفيـلم قـروية او بدوية سـاذجة يراودها عن نفسها ثـرى « رؤوف بك » ، تعرض عنه لان قلبها يميل الى شاب شهم من قريتها «احمد» يعمل دليلا للسياح ٠

تمر بالقرية امرأة اجنبية متحـررة فتهيم بأحمد ، تغريه على الرحيل معها بعيدا الى البرازيل ٠

والان ليـلى مشردة مطرودة مـن القرية لانهـا حامل من احمد في الحرام ٠

في الطريق ينتشلها رؤوف بك، تذهب معه في عربته الفارهة الى قصره حيث تزف اليه في الحال ٠

هكذا كان التصوير للمرأة في مصر منذ كانت السينما ، وهو تصوير يكاد لا يختلف كثيرا فيما جاء بعد «ليلى» من ركام الافلام ٠

فالمرأة كما نراها في السينما عندنا عبارة عن كائن سـاذج ، أو ابله ، ضعيف ومعتدى عليه ، أشبه بالطفل الكبير ٠

والغـريب أن هـذه الظاهرة ظلت ـ والى زمن قريب ـ محاطة بهـالة من التمجيد والتعظيم ٠

حقا كانت هناك محاولات لفك هـذا الحصار عن طريق الدراسة الجـادة للظاهرة لمعرفة أسباب هذا التحقير ،

فردوس محمد في فيلم رد قلبي



صورة الريفية المصرية في السينما

وهذه الاحاطة له بالتمييز والتكبير

ولكن ما كان من الدراسات متعمقا فى البحث نافذا الى حقائق الظاهرة ـ وهو القليل ، القليل ـ لم يكن لـه تاثير فى الحد من بدعة التشـــويه بالمرأة .

● السقوط .. اولا !

ومن هذا القليل ثلاث دراسات ، أولاها للباحثة الاجتماعية الـدكتوره « منى الحـــديدى » تحت عنـــوان « صورة المرأة عبر السينما » .

وفيها خلصت ـ بعد حصر نشاط الشخصيات الرئيسية فى الافلام المنتجة خلال الستينات ـ الى أن ٤ر٥ ٪ فقط من هذه الافلام كان للفلاحة دور رئيسى فيهـا .

وأن المرأة الساقطة كان لهـا نفس النصـيب ، اى ان الفـلاحات اللاتى يمثلن ٦ر٦٢ من نساء مصر (احصاء سنة ١٩٦٠) لم يكتب لهن الظهور الا فى ٤ر٥ ٪ من افلام تلك الفترة ، شانهن فى ذلك شان الساقطات !

وليس من شك ان هذا النوع مـن المساواة بين الاغلبية الفالحة والاقلية الساقطة ، فيه الغناء كل الغناء عن اى تعليق او بيان .

أما الدراسة الثانية « صورة المرأة فى السينما المصرية» فللباحثة «صفية اسماعيل مجدى» بقسم علم النفس ـ جامعة القاهرة .

وهى قد تقدمت بها الى حلقة بحث عقدت بفضل المجلس الاعلى للثقـافة فى القاعة الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية تحت شعار « الانسان المصرى على الشاشة » .

وفيها توصلت الى أن ادوار المرأة فى السينما ، وبغض النظر عن الموقع الذى تشغله فى الحياة الاجتماعية انمـــا تنحصر اولا وقبل كل شيء فى اطـار علاقتها بالرجل .

فهى فى عدد لا حصر له من الافلام انثى ليس الا ، ينظر اليها باعتبـارها تابعة للرجل ، وليست مكمـــلة لـه ، باعتبارها كائنا يدور فى فلكه بغـرض الارضاء له بحكم أنه المولى والسـيد المطاع فى الحق والباطل .

فاذا ما انتقلنا الى الدراسة الثالثة « صورة الريفية فى السينما المصرية » للدكتورة « ماجدة واصف » لوجـدنا انفسنا امام رسالة تقدمت بها صاحبتها الى جامعة السوربون للحصول عـلى درجة الدكتوراه (فى يناير ١٩٨٣) .

● غريب .. لماذا ؟

ولاكتشفنا اثناء الرحلة الممتعة مع هذه الرسالة النفيسة ، ان السينما التى بدأت فى مصر ، بل قل فى الوطن العربى على يد امرأة « عزيزة أمير » بفضل « ليلى » ذلك الفيلم الذى يدور جزء كبير من احداثه فى الريف ـ هذه السينما قد أعرضت عن اتخاذ الريف اطارا لاحداث افلامها ، لا لشيء سوى ان الريف المصرى فقير بائس ، والمرأة الريفية لاتتوافر فيها بالتالى مواصفات « النجمة السينمائية » حسب مصـنع الاحلام فى هوليوود هذا المصـنع الصاخب الذى لا تزال له السيادة فى عالم الاطياف .

ولذا فان صاحبة الرسالة لم تعثر من بين الالفى فيلم او يزيد التى جرى انتاجها طوال ستين عاما من عمر السينما فى الوطن العربى ، الا على ثلاثين فيلما تدور احداثها فى الريف.

ومن ملاحظاتها ان ثلث هذه الافلام التى اسمتها بالافلام الريفية ، وذلك لانها تصور حياة أهل الريف ، وليس حياة الباشاوات والملاك الكبار ، قد تم انتاجها خلال الستينات ، اى خلال الفترة الناصرية ذات التوجهات الاشتراكية .

اما ما قبل هذه الفترة الاستثنائية وما بعدها فالريف فيها كان على حاله دوما مجرد خلفية رومانسية يلتقى الابطال من ملاك الارض الاثرياء فى اطارها حيث يتصارعون ، يتعذبون ، ويتعذب الجمهور مع الامهم المفتعلة عذابا شديدا .

ولا يغير من هذا التصور ذلك القدر الضئيل من التطور الذى مس هذا النوع من الافلام مسا خفيفا عقب انهيار النظام الملكى .

فالريف بموجب هذا التطور ، قد استحال فيها الى مكان تصفية للحسابات بين السادة القدامى « الاقطاعيين » والسادة الجدد « الضباط الاحرار » .

على وجه مؤداه المصالحة التى تنتهى بالضابط الشاب ذى الاصل الريفى المتواضع متزوجا من بنت الاكابر (رد قلبى .. لعز الدين ذو الفقار عن قصة للاديب الراحل يوسف السباعى) .

ومهما يكن من الامر ، فقد حصرت صاحبة الرسالة بحثها فى افلام الستينات وهى « الحرام » (١٩٦٢) ، « البوسطجى » (١٩٦٤) ، « جفت الامطار » ، (١٩٦٧) ، « الزوجة الثانية » (١٩٦٨) ، « شىء من الخوف » (١٩٦٨) « يوميات نائب فى الارياف » (١٩٦٨) ، « الارض » (١٩٦٩) ، « حكاية من بلدنا » (١٩٦٩) و « حادثة شرف » (١٩٦٩) .

واضافت اليها استثناء من عندها فيلما يرتد انتاجه الى الخمسينات قريبا من نهايتها « دعاء الكروان » (١٩٥٩) ، ملتمسة بهذه الحيلة المقبولة الوصول بالعدد الجارى عليه البحث الى عشرة افلام .

وعلاوة على هذا ، فقد راعت ـ وهى تختار تلك الافلام ، انها جميعا فيما عدا الفيلم العاشر المستثنى من انتاج القطاع العام ، هذا الى انها فى معظمها (سبعة افلام) تتناول بشكل مباشر قضايا تخص المرأة ، فضلا عن ان موضوعاتها تغطى فترات تاريخية مختلفة تمتد من الثلاثينات حتى نهاية الستينات ، وفوق هذا فاحداثها تدور فى مناطق جغرافية متنوعة على امتداد البلاد من اقاصى الصعيد جنوبا حتى اقاصى الدلتا شمالا .

● شهود ●

ومن منطلق ان الفيلم الروائى يعتبر وثيقة شاهدة على عصرها استنادا الى ما ذهب اليه « جارفى » فى كتابه القيم « نحو علم اجتماع خاص بالسينما » من انه « باستثناء الاعمال الميدانية المتعلقة بعلم وصف الانسان ، فهو لم يسمع ، فى مجال الغوص فى اعماق مجتمع ما وصولا الى ابعد غور فيه ابتغاء استكشافه ، عن عمل معادل فى القيمة لهذه الاعمال ، سوى مشاهدة الافلام المنتجة من أجل استهلاك السوق المحلى .

والمرء ليس فى وضع يؤهله للحكم على مدى اقترانها بالصدق .

غير ان الادعى للاطمئنان ، الانتباه

صورة الريفية المصرية في السينما

الى القول بانها تنتج لجماهير المتفرجين .. وبهم تشاهد . وهى باعتبارها كذلك تصلح نقطة بداية للبحث لها دلالتها الكبرى ، فضلا عن كونها مصدرا للمعلومات » .

من هذا المنطلق تعاملت صاحبة الرسالة مع افلامها العشرة .

وهى فى سبيل معرفة وضع المرأة الريفية ، كما كشفت عنه الافلام المختارة ، كان لابد لها بادىء ذى بدء ان تقوم بتحليل علاقة الريفية بكل من

أولا : النظام الاخلاقى السائد أى العرف .

ثانيا : النظام الاجتماعى المعمول به .

ثم تعرض لموقفها فى حالة عدم اذعانها لاى من هذين النظامين .

وفى رأى صاحبة الرسالة ان ثمة مجموعة من القيم الاخلاقية تعارف المجتمع على احترامها بحيث أصبحت راسخة فى الوجدان على مر الزمان .

وان المرأة تخضع منذ طفولتها لهذه القيم التى تلقنها اياها الام باعتبارها الحارسة والحامية للتقاليد، والحريصة الاولى على التصدى للخارجين عليها بالعقاب ، حتى ولو كانوا اقرب المقربين اليها .

وترتبط تلك القيم بمفهوم معين للشرف يدور وجودا وعدما حول قدسية جسد المرأة ، وضرورة الحفاظ عليه كاملا سليما لم يمسسه . بشر حتى يكتب له بفضل رباط الزوجية ان تفض عذريته بالحلال .

ومن هنا الاهمية البالغة للعذرية كما تصورها افلام « دعاء الكروان » ، « البوسطجى » و « حادثة شرف » .

فمفهوم الشرف فى الريف يرتبط بما يسمى العرض أو عذرية الفتاة قبل الزواج ، واخلاصها لشريك حياتها بعده .

فاذا ما فقدت البنت عذريتها لأى سبب كان استحالت الى امرأة بغير شرف وحل سفك دمها .

وقد تناولت الافلام الثلاثة هذه القضية بشكل مباشر .

● ضحية ومتهمة ●

و « الحرام » عند صاحبة الرسالة واحد من أهم الافلام الفاضحة لحال الريفية فى هذا المجال .

فبطلته « عزيزة » مسئولة عن كل ما يمس جسدها حتى فى حالة الاعتداء عليه بالاغتصاب ، مثلها فى ذلك مثل الخادمة الصغيرة « مريم » فى « البوسطجى » فكلاهما ضحية جريمة اغتصاب ، ومع ذلك فهما موصومتان، ملفوظتان من مجتمع القرية الى يوم الدين .

والموت فى كلتا الحالتين هو المخلص من العار الذى حاق بهما ، وبما قد يكون لهما من اهل .

والموت هنا ليس معنويا ، وانما جسديا فالاهل يتولون امر المرأة التى لوثها الاغتصاب بتصفية لا ترحم

تصل فى اغلب الاحوال الى حد الاجهاز عليها بالقتل ·
وثمرة الخطيئة فى حالة « عزيزة » هو ذلك المولود الذى يعثر عليه سكان القرية ميتا ، فيفجر العثور عليه الموقف ·

● الجذور ●

انه جسم الجريمة ، والتحقيق الذى يقود الى هذا المولود ، لا يبتغى معرفة ظروف الحادث والظروف المحيطة به ، بقدر ما يبتغى اثبات مسئولية «عزيزة» ومعاقبتها على فعلتها التى ترى من منظور اخلاق القرية فعلة مؤثمة تملأ الارض هولا ·

وانتماء « عزيزة » الى عالم «عمال التراحيل» ـ اولئك الريفيون الذين لا يملكون ارضا ، ويتنقلون بين القرى حسب المواسم الزراعية واحتياجات ملاك الارض الى قوة عملهم ـ هذا الانتماء يضاعف من شعور العداء لها بين سكان القرية ·

فهى غريبة تجرى وراء لقمة العيش ، مقتلعة من جذورها ، ومن لا جذور لها لا تملك ذات القيم السائدة فى القرية ·

ولا عجب اذن اذا استبان انها امرأة زانية وقاتلة للمولود المخنوق فى ان واحد ·

فمن كان على شاكلتها لا يرجى منه خير فسكان القرية يرون الشر كل الشر ، والنكر كل النكر فى كل ما يصدر عن امثالها من عمل ·

ويرون فى الحمى التى اصابتها وأودت بحياتها عقابا عادلا من السماء ، غسل به العار ·

وبعد ، فغنى عن البيان ان الرسالة اغنى من ان يكون محورها الشرف والعذرية والاغتصاب ·



سهير المرشدى فى فيلم البوسطجى

ثمة موضوعات اخرى فريدة ومفيدة ، بعضها يتناول علاقة الريفية بالنظام الاجتماعى من خلال مظاهر الزواج بوصفه تكريسا لهذا النظام ، والامومة بوصفها اداة استمرار العائلة والعقم والعزوبية بوصفهما خطرا على هذا الاستمرار والبعض الاخر يعرض لمظاهر المقاومة التى تمارسها الريفية فى مواجهة القمع والاضطهاد كالهروب الى الحلم والتسلح بالمعرفة او بالعمل او بالاثنين معا ·

وكم كنت أود ان اتوقف عارضا لكل واحد من هذه الموضوعات الشيقة ·

ولكنى اثرت الاكتفاء بالتوقف عند باب العذرية والشرف والاغتصاب ، وذلك لان صاحبة الرسالة قد استطاعت فيه بصدق لهجتها من جهة ، وببراعتها الفنية من جهة اخرى ان تملأ القلب روعا وجزعا ·

ولان التوقف عند هذا الباب قد يساعد فى رفق على تفهم الاسباب التى وراء ارتداد قطاعات كبيرة وسكان المدينة الى اخلاق القرية ·

أعلام الفكر المعاصر

برتراند راسل

شيخ الفلاسفة المعاصرين

بقلم : فؤاد كامل

● « برتراند رسل » هو شيخ الفلاسفة المعاصرين بلا منازع .. آتاه الله بسطة فى العمر والفكر ، اذ امتد عمره قرنا من الزمان لاينقص سوى عامين ، وانبسط فكره الخصب ليشمل مجالات شتى من المعرفة ، بل نستطيع ان نقول مطمئنين انه لم يترك ميدانا او مشكلة من مشكلات حياتنا المعاصرة الا وادلى فيها بدلو، او اسهم فيها بحل مبتكر او راى شائق . واهتماماته الرحبة تبدا بالرياضة وتمر بالمنطق والفلسفة ونتائج العلوم الفزيائية والفلكية وتنتهى بعلم النفس والاجتماع والتربية والسياسة . ●

ولد رسل عام ١٨٧٢ وتوفى عام ١٩٧٠ ، وهو ينحدر من أسرة أرستقراطية من ناحية أبيه وأمه على السواء · فأبوه هو « الفيكونت امبرلى » الذى كان الابن الاكبر للسياسى الشهير لورد « جون رسل »، وأمه ابنة « اللورد ستانلى » ، وكان أبوه فى عداد الفيلسوف الانجليزى الكبير « جون ستيوارت مل » ·

وقبل أن يبلغ الرابعة من عمره ، كان قد فقد أباه وأمه ، فكفلته جدته لامه « ليدى رسل » ، وكانت اسكتلندية

الاصل ، تعتنق المذهب الكنسى ، كما كانت ليبرالية فى معتقداتها السياسية والدينية، وغاية فى الصرامة فى كل ما يتعلق بالاخلاق ٠

وتلقى رسل فى طفولته وصباه تعليما خاصا كما تقضى بذلك تقاليد الطبقة الارستقراطية فى انجلترا ٠ وفى عام ١٨٩٠ تلقى منحة لدراسة الرياضيات فى كلية ترينيتى بجامعة كمبردج ٠ وظهر تفوقه فى هذا الميدان فكان السابع من طلاب الامتياز فى دفعته عام ١٨٩٣ ٠٠ ولكنه لم يلبث ان تحول عن الرياضيات الى الفلسفة، وحصل على مرتبة الشرف الاولى فى الجزء الثانى من العلوم الاخلاقية فى اجازة الترايبوس عام ١٨٩٤٠٠

ونشر بعد ذلك بعامين أول بحث له وكان « عن الديمقراطية الاجتماعية الالمانية » ٠ وانضم زميلا بكلية ترينيتى من عام ١٨٩٥ الى عام ١٩٠١ ، ومحاضرا فى الفلسفة من عام ١٩٠١ الى عام١٩١٦٠وقد ورث عن جده لورد جون رسل الذىرأس الوزارة الانجليزية ثلاث مرات ، والذى قدم أول لائحة لاصلاح البرلمان الانجليزى فى ١٨٣٢ ـ ورث عنه اهتمامه بالسياسة ، فتقدم فى عام ١٩٠٧ للانتخاب الفرعى فى ويمبلدون مرشحا عن الاتحاد القومى لجمعيات النساء المطالبة بحق الانتخاب ولكنه اخفق فى هذه المحاولة ٠ ولما نشبت الحرب العالمية الاولى جاهد للدعوة الى السلام ، ففصلته كلية



برتراند راسل

برتراند راسل

ترينيتى عام ١٩١٦ بعد محاكمة قضت عليه بالفصل والغرامة لانه أصدر كتيبا وصف فيه حالة معارض للحرب يقظ الضمير • وفى هذه الفترة كلها كان منشغلا بكتابه عن المنطق الرياضى وفى عام ١٩١٨ حوكم للمرة الثانية بتهمة التشهير بالحكومة البريطانية والجيش الامريكى ، فأرسل الى السجن لمدة ستة شهور ألف فيها كتابه : «مدخل الى الفلسفة الرياضية» وشرع فى تأليف كتابه : « تحليل العقل » •

وفى الاعوام التى أعقبت الحرب العالمية الاولى عمل استاذا زائرا بجامعة بكين من ١٩٢٠ الى ١٩٢١ ، وقام بزيارة لروسيا ، فانجابت عن عينيه الغشاوة بالنسبة لنتائج الثورة الروسية التى كان قد رضى عنها فى بادىء الامر ولكنه ظل على تأثره الشديد بحضارة الصين القديمة • وفى عام ١٩١٩ أعادته كلية ترينيتى الى وظيفته ، ولكنه قدم استقالته قبل أن يباشر عمله ورشحه حزب العمال البريطانى مرتين عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ عن دائرة شلسى، ولكنه باء بالفشل •

• نظريات فى التربية •

وفى عام ١٩٢٤ بدأت رحلاته الى الولايات المتحدة الامريكية حيث ألقى محاضرات فى جامعة هارفارد • وفى عام ١٩٢٧ أسس بالتعاون مع زوجته الثانية « دورا بلاك » التى أنجب منها طفلين – مدرسة تقدمية فى « بيكون هيل » بالقرب من «بيترسفيلد» موضع وضع نظرياته فى التربية موضع التنفيذ ، وتسببت آراؤه التربوية والاخلاقية فى فصله من عمله أستاذا لكرسى الفلسفة فى سيتى كولدج فى فى نيويورك • وكان قد حصل على مناصب الاستاذية فى جامعتى شيكاجو وكاليفورنيا ، ولكن حدث فى عام ١٩٤٠ – نتيجة للتعصب الدينى والاجتماعى – أن أعلنت كلية «نيويورك سيتى » أنه ليس جديرا بعمله فيها ، فعين محاضرا فى مؤسسة بارنز فى فيلادلفيا التى كان قد طرد منها عام ١٩٤٣ فى ظروف هيأت رفع أمره الى القضاء ، فقضى له بتعويض عن ذلك الطرد الجائر • وفى عام ١٩٤٤ عاد الى انجلترا ، وكان قد أعيد انتخابه زميلا فى كلية ترينيتى •

وظل فترة من الزمن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية محبذا لاستخدام القنبلة الذرية حتى تكون رادعا للاتحاد السوفيتى ، ولكنه أصبح فيما بعد فى طليعة الدعاة فى الحملة من أجل نزع السلاح النووى ، بل دخل السجن وهو فى التاسعة والثمانين من عمره، وقضى أسبوعا فى مستشفى السجن بتهمة العصيان المدنى تأييدا لحملة نزع السلاح النووى وكان ذلك فى عام ١٩٦١ •

وكان « رسل » يحمل لقب « ايرل » بعد وفاة أخيه الاكبر الذى كان يحمل هذا اللقب قبله فى ١٩٣١ ، وقد تزوج « رسل » أربع مرات ، وأنجب من زيجاته ثلاثة أبناء ، وعين عضوا شرفيا فى الاكاديمية البريطانية فى عام ١٩٤٩ ، ومنح فى هذا العام نفسه نوط الاستحقاق • وفاز بجائزة نوبل

فى الادب عام ١٩٥٢ عن كتابه : « الزواج والاخلاقيات » . وجاء فى تقرير لجنة الجائزة « .. انه قد استحق هذا الشرف تقديرا لانتاجه العظيم ذى الجوانب المتعددة، واعترافا بما قام به دائما من دفاع عن الانسانية وذود عن الحرية الفكرية » .

وفى أعوامه الاخيرة تزايد اهتمامه بالمسائل الاجتماعية والسياسية ، فاشترك مع الفيلسوف الفرنسى « جان ـ بول سارتر » فى محاكمة مجرمى الحرب فى الولايات المتحدة واعماله تزيد عن ستين كتابا .

• البحث عن المعرفة •

وقبل أن نخوض فى عرض فلسفة رسل يحسن بنا أن نبين الدوافع التى تحكمت فى حياته ، وكان لها اكبر الاثر فى صياغة شخصيته ، وقد كفانا هو نفسه مئونة البحث عن هذه الدوافع ، التى بينها اجلى بيان فى مستهل سيرته الذاتية ، اذ يقول :

« تحكمت فى حياتى انفعالات ثلاثة بسيطة بيد انها متناهية فى القوة : الحنين الى الحب ، والبحث عن المعرفة ، والاشفاق الشديد على الذين يقاسون ويتعذبون . ولقد تقاذفتنى هذه الانفعالات ، كالرياح العاتية فى طريق غير مستقيم فوق بحر عميق من العذاب يصل الى حافة اليأس ذاتها .

« تلمست الحب ، اولا ، لانه يجلب النشوة ، وهى نشوة بلغت من العمق حدا كان يمكن معه أن أضحى بما تبقى من الحياة من أجل بضع ساعات من هذه السعادة . ثم تلمسته ، ثانيا، لانه يخفف الوحدة ، هذه الوحدة الرهيبة التى يشرف فيها الوعى الراجف على حافة عالم يدلف الى هوة باردة سحيقة ، لا يسبر لها غور ، ولا حياة فيها . ثم تلمسته ، اخيرا ، فى الرؤية التى تتمثل للشعراء والقديسين حينما ينظرون بعين الخيال الى الفردوس ، وذلك عن طريق الحب الذى يربط بين قلبين ربطا كاملا ، فيستشعران تجاوب العشاق الالهيين . هذا هو ما سعيت اليه ، وبالرغم من انه قد يبدو افضل مما تمنحه حياة الانسان ، فقد كان ـ فى النهاية ـ هو ما وجدته .

وبنفس الدافع سعيت الى المعرفة . كنت ارغب فى فهم قلوب الناس ، ومعرفة السبب الذى يجعل النجوم تضىء . كما حاولت ان اتبين القوة التى قال بها فيثاغورس والتى بمقتضاها يسيطر بها العدد على فيض الكائنات وقد حققت شيئا من ذلك ، ولكنى لم أصل الى الكثير .

وقد ادى بى ذلك الحب وتلك المعرفة، بقدر ما توفر لى منهما ، الى التسامى الذى بلغ بى عنان السماء . ولكن عاطفة الاشفاق كانت تعيدنى ثانية الى الارض . ان صرخات الالم تتردد اصداؤها فى قلبى . ان وجود اطفال يتضورون جوعا وضحايا يتعذبون على أيدى الطغاة ، وشيوخ عاجزين قد أصبحوا عبئا ممقوتا على ابنائهم ـ ان وجود عالم من الوحدة والبؤس والالم لما يحيل الحياة الانسانية كما ينبغى ان تكون ـ الى سخرية للساخرين انني اتوق الى تخفيف وطأة الشر ، ولكنى لا أستطيع ، فاننى اعانى منه انا الاخر .

« تلك كانت حياتى . لقد وجدت فيها ما استحق أن اعيش من اجله ، ولو منحت الفرصة لاسعدنى أن اعيشها مرة اخرى » .

وقد نلتمس دافعا اخر فى حياة « رسل » لا يقل عن تلك الدوافع الثلاثة اساسية وجوهرية ـ وذلك فى مقال شائق اخر يضمه كتابه « العقل

برتراند راسل

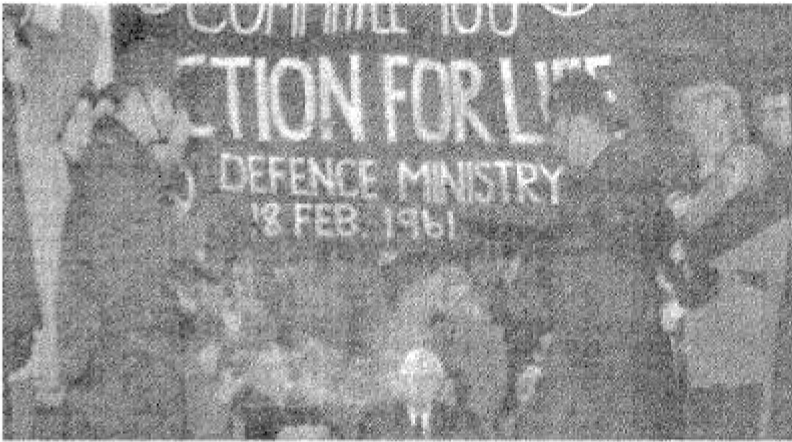
والمادة » جعل عنوانه : « لماذا تعلقت بالفلسفة ؟ » . يقول رسل انه الى جانب البواعث التقليدية التي هدته الى طريق الفلسفة ، كان منهما اثنان هما اللذان كان لهما اكبر الاثر عليه : احدهما وأولهما وابقاهما اثرا هو الرغبة فى ان يجد معرفة يمكن قبولها على انها يقينية ، واما الآخر فكان رغبته فى ان يجد شيئا يشبع نزعاته الدينية .

ومهما يكن من أمر ، فاننا نستطيع ان نقول ان فلسفة رسل مرت بثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الاولى هي تأثره بالنزعة المثالية كما ظهرت فى انجلترا فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد « ماكتجارت » واتباعه ، والمرحلة الثانية هي اهتمامه بالرياضيات وتحوله الى المنطق الرياضي بحثا عن اليقين ، وفى هذه المرحلة جاهد لاثبات أن الرياضة تقوم على المنطق وانها ليست سوى امتداد له — فلما بلغ هذا الهدف انتقل الى المرحلة الثالثة التي أراد فيها اختبار المشكلات الفلسفية الاساسية من خلال تطبيق مناهج المنطق الرياضي . وفي غضون هذه التجربة كان يؤمن بان هذا المنطق قادر على حل كثير من المشكلات التي حيرت الفلاسفة على مر الزمان .

بيد ان « رسل » لم يتجاهل اثناء اجتيازه لهذه المراحل الثلاث المشكلات الاجتماعية والسياسية التي يحفل بها عصرنا الراهن ، ولم يتوان عن المشاركة فى هذه المشكلات بالكتابة حينا وبالنضال العملي حينا آخر ، ولهذا نستطيع ان نقول أن هذا الجانب العملي التطبيقي من حياته لا يؤلف مرحلة قائمة بذاتها من نشاطه ، وانما هو يتخلل حياته كلها ، ويسرى فى مراحل تطوره جميعا .

وقبل أن نتعرض بالتفصيل لتطوره الفلسفي نود أن نعرض اولا لرؤيته العامة للفلسفة ولمنهجه فى التفلسف.. فنقول بداية ان « رسل » يعد من اكبر دعاة « الفلسفة العلمية » فى عصرنا الراهن ، كما انه سمى بحق — من حيث المنهج الذي اتبعه — « امام التحليل المنطقي » .

والفلسفة عند « رسل » تتجول فى منطقة حرة بين الدين والعلم ، فهي تشبه الدين فى كونها مؤلفة من تأملات فى موضوعات لم نبلغ فيها بعد علم اليقين ، ولكنها كذلك تشبه العلم فى انها تخاطب العقل البشري اكثر مما تستند الى الارغام سواء اكان صادرا عن قوة التقاليد أو صادرا عن قوة الوحي . ولهذا كانت الفلسفة عرضة لهجمات رجال الدين من ناحية ، ورجال العلم من ناحية أخرى . والفلسفة يمكن ان تسمى علما بالقدر الذي به تفترض العلوم مقدما ، ولا تقوم للفلسفة قائمة خارج العلوم وبمعزل عنها . وعلى الرغم من ادراك الفلسفة لخصائصها المستقلة المتميزة ، فانها لا تنفصل عن العلم . وكل من يشتغل بالفلسفة أو يتفلسف لابد له ان يكون على معرفة بالمنهج العلمي . واى فيلسوف لم يدرب على المنهج ويخفق فى متابعة الاطلاع العلمي باستمرار لابد ان يكون عمله ناقصا ، ولابد ان يتعثر وان يخلط



برتراندراسل اثناء اعتصامه سنة ١٩٦١

بين المعرفة الصحيحة النهائية وبين التخطيطات الغليظة غير النقدية • واذا لم تمتحن الفكرة امتحانا علميا دقيقا نزيها خاليا من الانفعال ، فانها سرعان ما تحترق فى نار الانفعالات والعواطف ، والفيلسوف يعلم تمام العلم انه بدون العلم فان مجهوداته تذهب سدى •

● علمية المنهج ●

بيد أن الفلسفة تفسد على نحوين : اذا انقطعت عن العلم ، واذا استغرقت نفسها فى العلم • وعلى الفلسفة أن تعرف حدودها ، وعلى العلم ايضا ان يعرف حدوده ، وتجاوز الحدود فى كلتا الحالتين غير مشروع على السواء •

وهكذا كان « رسل » ينظر الى الفلسفة بنظرة علمية المنهج • وكان يرى ان التحليلات المنطقية للعبارات العلمية ، بل للعبارات اللغوية بصفة عامة ، هى وحدها المجال المشروع للفلسفة والفيلسوف، واتخذ « رسل » المنطق الرياضى اداته فى هذا التحليل، فهو يتناول مشكلة جزئية واحدة لينتهى فى تحليلها الى نتيجة ايجابية ، يصح ان يأتى بعده سواه فيبنى عليها عمله ونتائجه وبهذا تصبح الفلسفة ـ كالعلم ـ صرحا يتعاون عليه السابق واللاحق فيزداد بناؤها طابقا فوق طابق ، ولا تعود ، كما كان حالها على مر القرون السالفة عملا فرديا •

ويتحدث « رسل » عن منهجه فيقول : « منهجى على الدوام هو ان أبدأ بشىء ما ، فيه غموض ولكنه باعث على الحيرة ، شىء يبدو قابلا للشك ، ولا أستطيع أن أعبر عنه على نحو محدد ، ومن هنا أمضى فى عملية شبيهة برؤية العين المجردة لشىء ما للوهلة الاولى ، ثم التعقيب على ذلك برؤية ذلك الشىء نفسه خلال المجهر ، فيبدو فيه عندئذ من تمايز الاجزاء ما لم يكن قد ظهر عند رؤيته بالعين المجردة اول الامر ، تماما كما يحدث حينما نستطيع رؤية الجراثيم فى ماء عكر خلال المجهر مما لا يمكن للعين المجردة ان تراه ، أن من الناس كثيرين ينددون بالتحليل ، لكننى أرى فى جلاء ـ كما هى الحال فى الماء العكر ـ ان التحليل يقدم لنا معرفة جديدة دون ان يمحو شيئا من معارفنا السابقة ... » •

العالم في سطور



يوركشاير :

● هنرى مور .. عبقرية الفراغ ●

توصل الفن الاشورى اكثر من غيره فى التعبير عن نقل حس الانسان من خلال النحت على الحجر اكثر من فنون اخرى عديدة .

يعتبر البعض ان هذه المقولة هى مفتاح الدخول الى النحات العالمى هنرى مور الذى توفى فى الشهر الماضى ـ احد زعماء الحركة السريالية العالمية .. مور هو احد اوراق شجرة وارفة الظلال تتساقط يوما وراء يوم لكنها ستظل ابدا مورقة .. ولد فى مدينة يوركشاير عام ١٨٩٨ فى اسرة فقيرة يعمل افرادها بالمناجم ومثلما هرب د . هـ لورانس الى الادب اتجه هنرى الى دراسة الفن التشكيلى حتى اثناء فترة تجنيده ابان سنوات الحرب العظمى .

كان جل اهتمامه ان يبعث الحياة فى قطع الاحجار الصماء .. وفى كتل الخشب الصلدة ..

سافر الى فرنسا وايطاليا لدراسة كافة المدارس الفنية القديمة والمعاصرة . وفى عام ١٩٣٨ قدم معرضه الاول ثم انضم الى السرياليين واصبح واحدا منهم يدافع عن مبادئهم وكان مميزا وسطهم خاصة ان قلة



هنرى مور

من السرياليين قد اتجهت الى النحت نال مور العديد من الجوائز الهامة منها الجائزة الدولية للنحت التى منحت فى بينالى فينسيا عام ١٩٥٣ ثم جائزة النحت التى منحها بينالى سامو باولو عام ١٩٥٥ .

وتتميز اعمال مور بالاهتمام بعنصر الفراغ اكثر من التكوين نفسه . لان الفراغ ـ حسب رأى الفنان ـ تكوين اكثر ابداعا من الجسد الصلب .. من اهم اعماله العذراء والمسيح .. (خشب) ، وثلاثة راقصين ، ، جلسة عائلية ، اما تمثاله الشهير «الهيكل النائم» فقد اهداه لمنظمة اليونسكو عام ١٩٥٨ وهو يرمز الى اصرار الانسان على النهوض مهما اشتدت الاسباب التى تدعو الى الركود ..

من ابرز سمات هنري مور انه كان يدقق ـ الى حد كبير ـ عند اختيار الحجر والنموذج عند النحت .

الرباط

● التأليف على كبر ..
ليس كالنقش على الحجر ●

هل يمكن ان تتصور ان شخصا عاديا يعيش بعيدا عن الادب سنوات طويلة ثم تنتابه - فجاة وبدون مقدمات - صرعة الابداع فيؤلف اولى رواياته وهو فى الثالثة والستين .

حدث هذا للكاتب المغربى اومون عمران المالح - ٦٨ عاما - الذى نشر خلال السنوات الخمس الأخيرة ثلاثيته الروائية التى كان آخرها رواية "الف عام ويوم" باللغة الفرنسية تتناول كلها احوال اليهود المغاربة وعلاقتهم بالآخرين من حولهم ..

فنسيم بطل الرواية الأخيرة هو اوليس العصر - كما يصوره الكاتب - انه أحد اليهود الذين آثروا البقاء فى المغرب وعدم الهجرة الى اسرائيل .. فاليهود المغاربة يعيشون فى وئام او كما يقول الكاتب ، لا يقوم هذا الكتاب على تعريف الشباب اليهود بما لا يعرفونه من تاريخ التوافق العنصرى فى المغرب . ولكنه يقوم على تعريف كل شباب المغرب" .

رحل نسيم - والكاتب - مثل الكثير من الشباب المغربى الى فرنسا بحثا عن فرص للعمل ولم ينقطع ابدا عن مدينته الأم انه اوليس دائم للتنقل بين الموانىء الصغيرة والجزر المترامية الاطراف لذا فإن الكاتب يقول فى نهاية روايته ، لم يكن نسيم تائها قط حسبما أعرف . ولم يكن تائها حيث توجد رمال المنفى ولكنه اهتم بسحابة تكشف عن نصاعة الاشياء تسير بخطى متساوية . وهى تغنى انشودة تعبر عن كل ذكريات الماضى ..

وعلى لسان بطله نسيم يقول الكاتب .
• آه من حرب لبنان ! من ايام يونيه . من ايام الصيف تحت شمس باريس الساخنة التى أصابتها الزرقة من جراء العنف الحار . ثم علينا ان نتساءل هل هناك جدوى من هذه الحرب ؟ •

تيرانا

● اسماعيل قدرى ..
قائدا للسلاح الميت ●

احتفلت البانيا فى الشهرين الماضيين بكاتبها المعروف اسماعيل قدرى بمناسبة بلوغه سن الخمسين .. انه احد الكتاب

مشهد من فيلم قائد السلاح الميت





العالم في سطور

الشموليين الاكثر قراءة خارج بلاده .. وهو الاسعد حظا في الفترة الاخيرة من كل ابناء جيله فمنذ ثلاثة اعوام انتجت له السينما الايطالية احدى اشهر رواياته . قائد السلاح الميت ، بطولة مارشيللو ماستروياني وميشيل بيكولي .

اسماعيل قدري شاعر روائي .. وناقد أدبي من أهم رواياته "طبلة الشتاء" ، "يوميات مدينة الحجر" "الشتاء الطويل" "سقوط الآلهة" "جسر الاقواس الثلاثة" كما اصدر مجموعة قصص هي "مدينة الجنوب" ثم "من جلب دورنتين" التي صدرت في يناير الماضي ..

• يقول قدري في الحديث الذي اجرته جريدة لوموند : « عرفت دائما ما كنت أصبو اليه ، ففي سن العاشرة قرات "ماكبث" واحببت حكايات الاشباح ، نشرت اعمالي في سن مبكرة فعندما بلغت السابعة عشرة كنت قد نشرت اول دواويني ، أنهيت دراستي في مدينتي جيروكسترا الاكثر شهرة من العاصمة تيرانا . ثم التحقت بالجامعة التي ارسلتني الى معهد أدب كجوركي في موسكو » .

ويقول : « كانت موسكو مدينة كبيرة . لم ار لضخامتها نظير . وسبحت في لغة قومها .. وفي الآداب المكتوبة بهذه اللغة »

وتنبع أهمية قدري عند القارىء الغربي في أنه شن هجوما ضاريا في رواياته ـ ضد النظم العسكرية الفاشية والدكتاتورية . ورغم ذلك فانه لم يقترب من نظام الزعيم الالباني انور خوجا بالمرة .. واذا سال عن وضعية الأديب في بلاده يرد بحذر :

« يجب ان تطور البانيا قوانينها وادارتها وسجونها ومحكمتها . وكل الأجهزة الادارية . وهذا ماحاولت ان أكشفه في كتابي الأخير » .

بكين :

● الثورة الثقافية بعد رحيل ماو ●

السؤال الذي تردد في التاسع من سبتمبر الماضي هو : هل تلك الاحتفالات لصالح الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونج .. أم ضده ؟

تضاربت الاقوال والاراء حول اهم شخصية حكمت الف مليون نسمة قرابة نصف قرن بمناسبة الاحتفال بعشر سنوات على رحيله .. ماوتسي تونج .. زعيم سياسي .. اكتسب اهميته من نظرياته السياسية والاقتصادية والثقافية التي سجلها في العديد من الكتب . فلم يعد مجرد زعيم بلا نظرية .. كان شاعرا وفنانا ، وصادق العديد من ادباء الصين والعالم مما اكسبه اهمية اكثر .. كتب عن هان سوين مجموعة من الكتب والروايات وعن المسيرة الطويلة التي قام بها مع زملائه عام ١٩٣٤ كتبت سيمون دي بوفوار كتابا ضخما بنفس العنوان حاولت فيه تحليل افكاره وتجربته الثورية .

ولد ماو عام ١٨٩٣ في اسرة قروية فقيرة درس في جامعة بكين حلم دوما بمجتمع يقوم على النظام الاشتراكي . كان اول

اعضاء الحزب الشيوعي الصيني الذي اقيم لاول مرة في شنغهاي عام ١٩٢١ . في أواخر العشرينات جهز الجيش الاحمر الذي جذب اليه ابناء الفلاحين وعرفت حركته بمسيرة الفلاحين في الحرب العالمية الثانية على التعاون مع الكومنتانج ولكنه استانف الحرب الأهلية بعد انتهاء القتال عام ١٩٤٦ ، اختير رئيسا لمجلس الحكومة المركزية لجمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ داخل اطار مايسمى بالثورة الثقافية ترك رئاسة الدولة عام ١٩٥٨ ليظل زعيما صينيا ابد الحياة .. من اهم كتبه "الممارسة" .

من جديد فان البعض يسعى الى تحطيم الهالة التى صنعها ماو لثورته ولنفسه وتنجح وسائل الاعلام الغربية في احداث هذا التحطيم يوما وراء آخر ويبقى ماو مجرد تمثال مغلف بورق "سلوفان" .

واشنطن

● واصابت الكاتب عقدة مكمورفي ●

حين يفشل اديب يتحول الى كاتب مقال ..

يمكن لهذه المقولة ان تثار .. ليس فقط بالنسبة لبعض أدبائنا الذين تحولوا عن الابداع الى كتابة المقال .. بل انه ينطبق تماما على كين كيزى .. الذى قيل عنه في عام ١٩٦٢ حين نشر روايته المشهورة "طار فوق عش الوقواق" ان هناك كتبا تجيء مبكرة عن زمانها في عالم لم ينضج بعد لاستقبالها ..

وبالفعل فقد كان على العالم أن ينتظر كيزى لمدة خمسة عشر عاما باكملها حتى



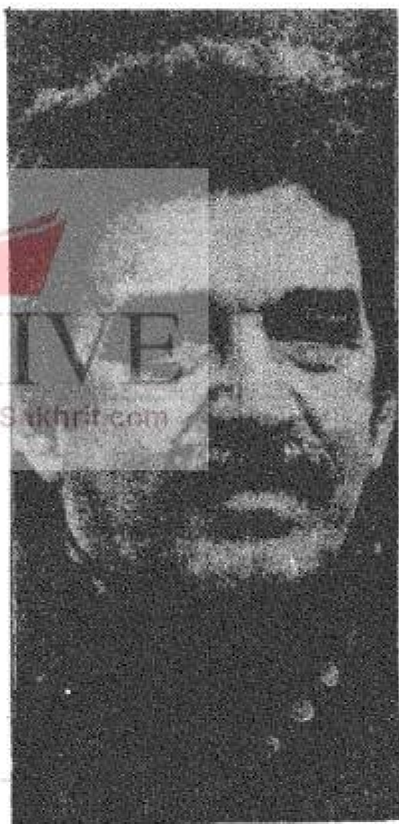
طار فوق عش الوقواق

يمكنه أن يفهم موقف مكمورفي بطل الرواية الذي دخل مستشفى المجانين وكان أكثر عقلا من الآخرين ..ولو أن المخرج السينمائي ميلوس فورمان لم ينتبه الى عبقرية هذه الرؤية لأمكن تأجيل الانتظار الى اجل مسمى .. فكيزي هو احد الادباء الأمريكيين الذين يعيشون في الظل .. فهو اقل انتاجا وشهرة .. من رواياته الأخرى "احيانا في امة عظيمة" عام ١٩٦٤ والتى أخرجها بول نيومان للسينما عام ١٩٧٢ ..

اين اختفى كين كيزى . هل لم يعد لديه الجديد ليقدمه لقارئه خاصة أن فترة توقفه عن الابداع قد طالت .. أحس الكاتب أن عليه أن يفعل شيئا مابعد أن ثقل ظل النسيان عليه ، فقام بجمع مجموعة من المقالات التى نشرها ـ فيما قبل ـ في مجلات عديدة في كتاب "صندوق الشيطان" تحدث فيه عن ذكرياته الخاصة ـ بادباء وفنانين مثل جاك كيرواك .. كما تحدث عن رحلاته الى مدن عديدة منها القاهرة وبكين .. لكن هل يكفى مثل هذا الكتاب ـ حتى وإن كان ضخم الحجم ـ أن يعيد الى الاذهان اسم كيزى .. ويغفر له انه أجدب تقريبا ولم يعد في مقدوره أن يقدم روايات من طراز "طار فوق عش الوقواق" .. ربما اصابته عقدة مكمورفي ..

ماركيز
يدافع عن العرب
المهاجر .. الفنان .. الديكتاتور

بقلم : محمود قاسم



ماركيز المهاجر ..

انهم قوم طيبون .. يعيشون فى سلام ويحترمهم ابناء القرية.

بهذه الجملة القصيرة عبر الاديب الكولومبى جابرييل جارثيا ماركيز عن شعوره النبيل تجاه الشخصية العربية فى رواية « احداث موت معلن عنه » التى يخرجها الان سينمائيا المخرج الايطالى فرانشيسكوروزى فى احد اصعب وامتع النصوص الادبية التى اخرجها على الاطلاق كما يقول .. هذه الشخصية التى اصبحت محور هذه الرواية وبالتالى الفيلم الذى سيكون حديث كل الاقلام مع العام القادم ..





بينوشيه .. ديكتاتور

واذا كان ماركيز قد كتب روايته منذ ست سنوات ، فان احدث اعماله « مغامرة فى شيلى » تتحدث ايضا عن العرب بنفس الصورة .. بل وبحب اكثر واحترام اعمق من خلال الفيلم السينمائى الذى قدمه ميجيل ليتين .. فسنتياجو نصار فى « احداث موت معلن عنه » هو احد العرب المهاجرين الى امريكا اللاتينية واقاموا فيها ثم اصبحوا من ابنائها وهو كما يصفه الكاتب « صاحب رموش عربية وشعر مجعد ورثه عن ابيه » اسرة عربية صغيرة عمادها الاب ابراهيم نصار الذى وصل الى كولومبيا « مع مجموعة من العرب بعد نهاية الحرب الاهليه » .وهذا النصار ـ كما جاء على لسان الخادمة ديفنا فلور ـ « رجل لن يولد مثله بعد الآن » . وقد بنى ابراهيم بيته الصغير المطل على البحيرة على الطراز العربى كى يسمع هدير امواج البحر ، وقد مات ابراهيم قبل ان يقتل ابنه سنتياجو فى الحادية والعشرين عاما بثلاث سنوات ، وحول حدث القتل المعلن عنه يصوغ الكاتب روايته عن احد اقرب اصدقائه الحبيبين اليه. انها اذن رواية لتكريم صديق مات غدرا . حين ادعت عروس القرية ليلة عرسها أن سنتياجو هو الذى فض بكارتها .. ودفع الشاب العربى ثمن هذه الكذبة الملفقة ، وراح ماركيز يفتش طوال ربع قرن عن ملابسات الجريمة وأسبابها وابعاد الصدق فيها .. لرجع الى دفاتر التحقيق لتأكيد براءة سنتياجو من التهمة التى الصقتها به العروس ثم سرد التفاصيل التى ارتبطت بجموعة القتل .. من خلال اقوال الشهود ومواقفهم حيث كانوا يعرفون أن الاخوين بيكارو سيقتلان سنتياجو ولم يسع أى منهم لاطلاق صيحة تحذير واحدة ..

سنتياجو نصار رمز الشخصية العربية عند ماركيز هو شاب ملىء بالحياة والحيوية والعطاء تحبه بنات القرية ويطلبن وده . كان يحتفظ بخفة روحه. وقد اشار الجميع انه كان يبدو اقل تكلفة حين كان يبدو فى غاية الاناقة .. هو « الابن الوحيد لثمرة زواج عرف لم يعرف لحظة سعادة واحدة . لكنه كان يبدو سعيدا مع ابيه حتى اخر لحظة فى حياته .. وقد تعلم من ابيه منذ ان

ماركيز
يدافع عن العرب

كان طفلا صغيرا .. القدرة على استخدام الالعاب النارية وحب الجياد . وشموخ الطيور التي تحلق في اعلى السماء . وتعلم منه ايضا قيمة الفنون الجميلة وضحكة كبار السن كانا يتحدثان اللغة العربية فيما بينهما . لكن هذا لا يحدث امام بلائين اليثيرو حتى لا تشعر انها منعزلة عنهما » .. وكما جاء في تقرير الطبيب الشرعي فان الاب اماادور قد قال « ان سنتياجو نصار كان يتمتع بذكاء حاد وعزيمة قوية ..

وتقول الرواية عن سنتياجو في مكان اخر من الرواية « كان اكثر سموا من ان يفكر في فتاة كهذه .. كان رجلا قوى الحس .. يسير وحده مثل ابيه ولا يعير بخيلائه مثل هؤلاء الفتيات العذارى ، ولم يحدث ان كانت بينه وبين فتاة علاقة تقليدية سوى علاقته بفلورا ميجيل خطيبته .

اما اخر رواية دفع بها ماركيز الى المطبعة تحت عنوان « مغامرة في شيلي » فهي عن شخصية حقيقية اخرى هي المخرج ميجيل ليتين . وهو صديق اخر لماركيز سبق له ان اخرج احدى قصصه القصيرة في فيلم يحمل عنوان « الارملة مونتيل » عام ١٩٧٩ . وميجيل لم يمت رغم انه تجاوز السن الذي قتل فيه سنتياجو نصار . لكنه فنان يعاني من المنفى حين تقلده نظام الجنرال بينوكيه بعد الانقلاب الدامي في شيلي عام ١٩٧٣ ومنذ ذلك الحين وهو يناضل ضده . ووجد ماركيز أن كتابة عن ليتين يجب أن يكون على نفس مستوى كتابه عن صديقه نصار .

وينتمي ميجيل ايضا الى الاسرات العربية المهاجرة الى امريكا اللاتينية . فابوه ارنستو هو احد اليونانيين ذوى الاصل التركي الذي وجد نفسه تقله سفينة لا يعرف اتجاهها وفوق ظهرها كانت تبحر اربعين فتاة فلسطينية في طريقهن الى امريكا اللاتينية . للحاق بازواجهن أن اسرهن فأحب احداهن وقرر الزواج بها . وكان ميجيل هو ثمرة هذا الزواج الذي ولد في باميلا في ١٩ اغسطس عام ١٩٤١ . وقد عرف ان ارنستو قد غير اسمه الى سليمان. وكان حريصا ان يتعلم اللغة العربية من زوجته لذا فان ميجيل قد تربى في جو يتكلم اللغتين العربية واليونانية معا . انه اقرب الى الجو الذي عاش فيه سنتياجو نصار.

وقد ظلت طفولة الفنان مصدرا خصبا دوما في كل اعماله .. ولاحظ النقاد مدى اهتمام ميجيل بعالم الطفولة في هذه الافلام دون استثناء .. هذا الطفل الابدي الذي يعيش في مزيج اجتماعي غير متواصل .. فاما عليه ان ينحرف او يغدو عبقريا.

اخرج ميجيل ستة افلام روائية في سبعة عشر عاما . نالت جميعها كما هائلا من الجوائز في كافة انحاء الاركان التي عرضت بها على المستوى الرسمي والشعبي . واغلب هذه الافلام تم اخراجها في المنفى هذا فيلمه الاخير حين تسلل - بطريقة غير قانونية - الى سنتياجو ليصوره بالكامل مثلما فعل زميله التركي يلماظ جوناي في اخر افلامه « الحواري » . وهما فيلمان ضد الديكتاتورية والحكم العسكري ومساوئه.

من أهم الافلام التي قدمها ميجيل : « ابن اوى في مدينة نولتيرو » ١٩٦٩ ، « السيد الرئيس » ١٩٧١ ، « ارض المعاد » ١٩٧٣ ، « رسائل من ماروسيا » ١٩٧٥ ، « استجماع الاساليب » ١٩٧٧ ،

« الارملة مونتديل » ١٩٧٨.. و «السينو وطائر الكوندور » .

يقول ميجيل في الحديث الذى اجرته معه مجلة اكران في نوفمبر ١٩٨٠ حول الاسباب التي دعته الى اخراج احدى قصص ماركيز : « كمؤلف في المنفى . حاولت ان اجد عالما اكثر رحابة من ذلك الذى بلغته انذاك . فعند هذا الحد كنت قد قرات واعدت قراءة كل الادبيات الكلاسيكية في امريكا اللاتينية ومحاولة اكثر للفهم انني اعيش او اعرف . ومن هنا رايت ضرورة نقل مثل هذه الاقصوصة الى السينما .. وهذا الفيلم - حسبما جاء على لسان مخرجه - يشير الى واقع نضالي ضد نظام قهرى عندما يكشف فساد السلطة والية الديكتاتورية السياسية في امريكا اللاتينية . « الفيلم عنصر سياسي مساعد وانا اشير فيه الى الشعر والامل لان نكون بشرا . فيلم شاعرى .. يتناول الظروف الانسانية والحياة وهكذا اصبح فيلما سياسيا ..

من المهم ان نشير ان ميجيل ليس فقط مخرجا صاحب موقف سياسي واجتماعي بل ان موهبته البالغة التوقد تساعده في ان يكسب لهذه القضايا شكلا فنيا رائعا ورقيقة نضالية . ففي فيلم «رسائل من ماروسيا » يسيطر تماما على حركته من مجاميع الاهالي في ايقاع متصاعد . وكان بركانا يثور ليغمر كل شىء . وقد استعان بابناء قرية صغيرة اجرى فيها التصوير كي يقوموا بدورهم الحقيقي. لان القرية قريتهم وليست خاصة بمجموعة من الكومبارس كان عليه ان يستعين بهم لو شاء صنع فيلم على الطراز الامريكي.

يؤمن ليتين بان السينما - شأن اغلب الفنون - جذور قوية في علاقته بالسياسة ومحاربة الديمقراطية . ففي شيلي تسعى السلطة الى اقتلاع جذور البشر . وعلى السينما ان تظل رسالة حب يمكن ان يسطرها - بين الحين والحين الاخر - الى بلاده . هذه البلاد التي عاد اليها متخفيا لاخراج فيلمه الأخير . وهي وهي نفس البلاد التي ذهب اليها ماركيز ليعد روايته من هذه المغامرة البالغة الجسارة .. وفي هذه الرواية التسجيلية يقول ان ميجيل قد تغير في اشياء كثيرة عدا لون عينيه الشرقيتين مثلما تحدث عن عيني سنتياجو نصار .. فعيون ميجيل تنظر الى الاشياء من خلال كاميرا بوجهة نظر مليئة بالصدق . تتطلع الى الاخاديد في وجوه الاخرين تتساءل كيف تحملت هذه الوجوه ديكتاتورية بينوشيه كيف رضخت او ثورت . مما زاد من كثافة تجاعيد ابناء المدينة..واكتست ابتسامات الصغار صفرة باهتة .. بل بدت بنايات المدينة المزدحمة خاوية من الحياة .. وامتلات المقابر بدماء جافة لاكثر من اربعين الف متمرد ضد نظام الديكتاتور . فغدا هؤلاء الناس اقل كلاما . وتحجرت عيونهم بتطلعها بعضها الى السماء . يخترق البنايات نحو الافق . وهذا حسب تعبير الفنان - هروب من الواقع الى طوبوية مزيفة .

يقول ميجيل في العدد رقم ١٥٩ من مجلة « جون سينما » التي صدرت في يونيه ١٩٨٤ « من حقي ان اعود الى شيلي . ولم اتخذ اية اجراءات تجاه العودة بصفة رسمية الى هناك فالعودة الان الى شيلي لن تسمح لي في الاشتراك باي مساهمات في الحياة الثقافية . لان شيلي التي نعرفها من خلال البطاقات السياحية لاتهمني .. ولكن ترابها . والعطور التي تنبعث من هذا الاديم الذى مات فوقه سليمان ليتين » .

وفي الوقت الذى نشر فيه هذا المقال كان ميجيل يتسلل خلسة الى بلاده بجواز سفر مزيف وهو يردد . ليس من حق احد ان يمنعني من العيش في بلدى باسمي الحقيقي وبوجهي الحقيقي .



مسلسل اكتشافات هوجوفو

● معلومات ودراسات أجراها الفرنسيون قبل عودتهم في ديسمبر القادم

بقلم : أحمد أبو كف





فجاة اصبح الهرم الاكبر حديث الناس ..
الصحافة العالمية ومندوبو الاذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء ، رابطوا عند صخور الهرم .. انتظارا لما ستسفر عنه اعمال البعثة الفرنسية ، التى جاءت اصلا لدراسة معمار هرم خوفو .. فتطورت الدراسات إلى محاولات لفك الكثير من الالغاز ، ولازاحة الستار عن مجموعة من الاسرار .



المهندسان الفرنسيان اللذان اكتشفا الفراغات والدهليز الجديد

والحكاية انه منذ ٣ سنوات ـ كما يروى د احمد قدرى رئيس هيئة الآثار ـ عرض عليه الفرنسيون دراسة معمار الهرم الاكبر من الداخل وترميم مايمكن ان يوجد به من شقوق . وقدموا مشروعا متكاملا لرئيس هيئة الآثار . واكدوا له ان المهندسين والجيولوجيين وغيرهم ممن سيعملون في الهرم ، عكفوا على دراسته لمدة ثلاث سنوات . قرءوا اغلب ماكتب عنه وهو كثير .. واهتموا اكثر ما أهتموا بتلك الدراسات والقياسات التى سجلها فى عام ١٨١١ الايطالى كافيجيليا . ثم في عام ١٨٣٧ قام اثنان هما فيز وبرنج بفحص شامل للهرم وكتبا عنه تقريرا بعد ان سجلا مقاييس صحيحة له تعتبر مرجعا هاما حتى الآن .

درس الفرنسيون ايضا ماكتبه فلندر بترى عام ١٨٨١ ، واهتموا بما سجله في كتابه ، بعنوان : « أهرامات ومعابد الجيزة » ، كذلك درسوا ماكتبه وسجله سليم حسن ، وبعثات كثيرة اهتمت بعضها بالقياسات واخرى بالتاريخ والآثار .

● غموض الهرم الأكبر ●

وقبل أن نتناول التجربة التى بداها الفرنسيون منذ ٢٨ اغسطس الماضي نقول : أن هرم خوفو هو احدى عجائب الدنيا السبع وبرغم جاذبية الهرم كاكبر مقبرة عالمية ، واهم معمار فى التاريخ فإن صاحبه خوفو لايعرف المؤرخون ولا الاثريون عنه إلا القليل . فهو ابن سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة الفرعونية ، ٢٦٨٠ ق . م . ، وامه هى الملكة حتب حرس التي كان دمها ملكيا واسبغت على سنفرو شرعية ولاية العرش بزواجه منها وقد عثرت بعثة متحف بوسطن على مخبأ اثاثها الجنائزى فى جبانة الجيزة عام ١٩٢٦ ويحتل هذا الأثاث الجنائزى حجرة كاملة بالمتحف المصرى .

ومن المؤكد ان خوفو قد تزوج كثيرات



مسلسل اكتشافات هرم خوفو

وانجب بناتا وبنين . وهو ليس اول بان للاهرامات فهرم ابيه سنفرو كان قبله ، ويكاد يكون نسخة غير مطورة من هرم خوفو . وقبلهما كانت هناك مشروعات اهرام كثيرة وقد عني خوفو باستغلال مناجم سيناء والنوبة ، والصحراء الشرقية واستخراج مافيها من ثروات معدنية . وكانت الناس تتبرك به ، وتعتقد ان مجرد نقش اسمه على تميمة يحملونها ، فإن الارواح الشريرة لن تصل اليهم . ولقد اكتشفت كثير من الجعارين المنقوش عليها اسم خوفو .

ولاشك كما يؤكد الكثيرون ان خوفو كان حاكما قديرا ونشيطا ازدهرت مصر في عهده ووصل الفن والعمارة الى أعلى درجاتهما . وكان ملكا مقدسا يعشقه شعبه برغم محاولات البعض تشويه سمعته . والقول بانه سخر الناس في بناء هرمه . والحقيقة انه كان اول من قضى على البطالة من الحكام في العالم .. فهو كان يتيح فرصا للعمل في وقت الفيضان في هرمه لمدة عشرين سنة . وكان وقت الفيضان بطالة اجبارية عند الفلاحين المصريين .

● دراسات مقارنة ●

ما الذى فعله الفرنسيون ؟!

الفرنسيون الذين عملوا في الهرم كثيرو العدد منهم المهندس المعماري ، والمهندس الانشائي ، ومنهم عالم الميكروبيولوجي ومنهم خبراء الأجهزة مثل الميكروجرافي والاندوسكوب واجهزة شفط الهواء وثقب الصخور ، ومنهم مؤرخ وعالم اثار . والاخيران انضما للبعثة الفرنسية في وقت لاحق .

منذ بداية العام وحين وافقت هيئة الاثار من خلال لجنتها الدائمة للاثار المصرية القديمة ، والتى تضم مجموعة من كبار اساتذة الاثار في الجامعات المصرية وخبراء الاثار والمرممين والمهندسين من هيئة الاثار . هذه اللجنة وافقت في البداية على ان يجري الفرنسيون قياسات وفحوص لقلب الهرم . شهدوا مناطق بها شروخ ، كما شهدوا مناطق جرداء . اجروا دراسة معمارية وقارنوا بينها وبين الدراسات المعمارية القديمة ، والدراسات التى اجريت داخل الأهرامات الاخرى ووجدوا في بعض المناطق طريقة بناء تخالف تلك الطريقة التى بنى بها الهرم كله .. وهى طريقة طوبتين ، ثم طوبة واحدة . وكان الفراعنة لديهم مقياس الذراع ويساوى ٥٥ سنتيمترا . فكانوا يضعون ، طوبة ، طولها ذراعان ، وبجانبها ، طوبة ، طولها ذراع واحد في بعض المناطق ، لكن داخل الهرم ، وفى مناطق معينة لم يكن المعمار بمثل هذه الطريقة التقليدية .

اجرى الفرنسيون القياسات ، بجهاز الفوتوجرامترى .. وهو ادق اجهزة القياسات ، وقارنوها بما لديهم من دراسات اتضح ان الفراغات للتخفيف هى عبارة عن غرف صغيرة او كبيرة ، استخدمها المصرى القديم لهدف خاص . ايضا قالوا إن اختلاف المعمار لابد ان يكون له سبب .

فحصوا الشكل الجمالوني لمنطقة قمة الهرم ، كما فحصوا مليسي بالعمارة

المنزلقة واجروا قياسات من مركز الهرم إلى المحاور، فوجدوا أن كل شيء يجرى بتنسيق تام، وأن التعامد يكاد يكون منطبقا على كل الزوايا .. وأن الفراغات لها منطق .

بعدها طلب الفرنسيون من هيئة الاثار، ان تسمح لهم بمزيد من القياسات والدراسات .. كما تسمح ببعض اجهزة الاشعة الترددية لمعرفة عما اذا كان قلب الهرم مصمتا أم به غرفا او فراغات وقالت الاشعة انه توجد فراغات لكن هذه الاشعة لم تقل كم عددها . إنما حددت مواقع بعضها ..

وهنا جاءت فكرة ثقب الهرم بعدة ثقوب وقد قال الفرنسيون بان تكون هذه الثقوب فى طريق الممر الصاعد إلى الغرفة المعروفة، باسم غرفة الملكة، وكان المؤرخون والمعماريون من قديم يقولون انها غرفة خوفو، لانهم وجدوا فيها تابوتا كبيرا من الجرانيت فقط، ولم يجدوا فيها شيئا غير ذلك .

قال الفرنسيون إن فتحة المامون او قل الثقب الكبير الذى وافق المامون العباسي على إحداثه بالهرم اعتقادا منه ان به كنوزا من الذهب .. هذا الثقب الكبير ليس هو مدخل الهرم الاصلى، وإنما المدخل فى منطقة اخرى فوقه إلى اليسار . بل قال الفرنسيون إن هذا المدخل الاصلى يؤدى إلى غرفة اخرى هى غرفة خوفو، والتى لم يكشف عنها .وهى - كما قالوا - انها فى نهاية دهليز جديد غير معروف يؤدى إلى هذه الغرفة الملكية التى لم يكشف عنها بعد .

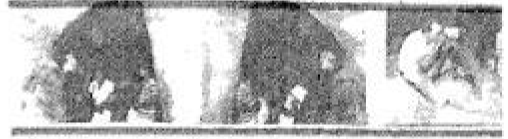
وقالوا ايضا إن نهاية الدهليز تاتى إلى قلب الهرم، وإلى المنطقة التى اجروا فيها قياسات ودراسات، وتختلف عمارتها عن باقى عمارة الهرم . بل إن نوعية الطوب فيها غير نوعية طوب بناء الهرم . فهذا الجزء وجد الفرنسيون ان الطوب فيه من محاجر طره . وقال المؤرخون والاثريون نتيجة لذلك إن هذه النوعية من الطوب مخصصة للمبانى الملكية كالدهاليز والغرف الملكية . وطوب طره يمكن تشكيله بسهولة، كما يمكن نقشه ايضا وتلوينه .

بعد قياسات .. للمرة العشرين ودراسات .. بدأ الثقب فى الجانب الأيمن فى نهاية الدهليز المؤدى لغرفة الملكة - تجاوزا - ثم حددوا اكثر فقالوا ليس على الجانب الايسر غرف او فراغات ثقبوا فى الجهة اليمنى ثلاثة ثقوب صغيرة فى منطقة طولها ٢٥٠ سم . كل ثقب يبعد عن الآخر مترا وربع المتر . وجدوا فى الثقب الأول، ان المثقاب يمر بحجارة سمكها ذراعين . ثم يمر بطبقة مونة عرضها ٢٥ سم، وبعد طبقة رمال عرضها ٢٥ سم . الثقب الثانى لم يسفر عن وجود مونة كالثقب الاول .

اما الثقب الثالث فاسفر عن صخر، ثم طبقة رمال كثيفة جدا لونها اصفر .. وتصل إلى حوالى ٢١٢ سم .. وتوقف الثقب عند هذا الحد، حتى لايغوص الفرنسيون فى مجرى الرمال .

الحقيقة ان البعثة الفرنسية - وحتى الاثريين المصريين - ذهلوا لوجود الرمال التى اتضح انها رمال ناعمة، وتختلف عن رمال هضبة الهرم . وهذا يعنى ان الرمال جلبت إلى الهرم من نقطة نائية لهدف ما .. ليس هو الهدف الذى قاله البعض بان قمة الهرم - ثلثه الاعلى تقريبا - مملوءة بالرمال فقط .

وقد ادخل الفرنسيون جهاز الاندوسكوب (وهو مثل المنظار الكهربائى) ليحاولوا اكتشاف طبقة الرمال ومحتواها . لكن المونيتور (أو شاشة المنظار) لم تدل على شيء .. هذا مع العلم ان كل ثقب من الثقوب الثلاثة كان بزاوية ميل تختلف عن الاخرى . فالاول بزاوية ميل ٤٠ درجة .



مسلسل اكتشافات هرم خوفو

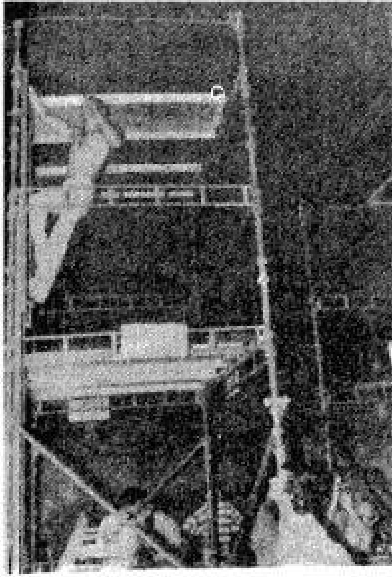
والثاني بزاوية ميل ٣٠ درجة ، والثالث بزاوية ميل ٣٥ درجة .

والواقع انه في فترة الـ١٥ يوما الأخيرة التي عملت فيها البعثة الفرنسية .. كانت الدراسات والقراءات وحتى الثقوب تنقل اداء البعثة الفرنسية من لغز إلى لغز .. ومن محاولة إلى محاولات اخرى وهكذا .

لكنهم قبل ان يتوقفوا عن العمل يوم ٨ سبتمبر الماضي لالتقاط الانفاس ، ولمزيد من الدراسات حاولوا وضع نقاط على الحروف سيجرى بحثها في فرنسا من خلال الاجهزة المتقدمة .

من هذه النقاط بالطبع ان الثقوب دلت على شيء هو ان الرمال والموتة .. اثبتا ان هناك فراغات كبيرة لم يتحدد عددها ، وان هناك سردابا اخر للهرم وقالوا ايضا ان احد الفراغات الاكيدة قد تكون غرفة خوفو بها مومياته وان الفراغات الاخرى احتمال انها تحوى اثاث الفرعون الجنائزى .

ايضا فإن مايهم الفرنسيين كذلك هو اخذ عينة من الهواء الغلاف الجوى القديم ، واثر البيئة القديمة في تلك الفراغات لمحاولة معرفة تكوينات البعثة القريبة على الانسان وعلى الآثار .. وكيف تطور الغلاف الجوى وإلى اى مدى زادت نسبة ثانى اكسيد الكربون في الجو .. ونسبة الجير في قيعان المحيطات .



السقالات داخل غرفة الدفن المعروفة باسم غرفة الملكة

المعروف ان الثقوب اذا ماجرى حسابها بالنسبة لحجم الهرم فهى كما يقول د . احمد قدرى رئيس هيئة الآثار ١ إلى ٩٠٠ مليون . اى انها لاتذكر وتدحض الرأى الذى يرى ان هذه الثقوب تضر بالهرم معماريا .

اخيرا ، فالفرنسيون ايضا حطموا نظرية الفراغات القديمة .. وقالوا انها ليست فراغات لتخفيف الاحمال .. واكدوا ان هذه الفراغات كانت لمنطق يعرفه قدماء المصريين ، ويجرى الكشف عنه من خلال الاجهزة والثقوب .

إن الفرنسيين .. عادوا إلى بلادهم ومعهم كم هائل من الدراسات والقياسات سيجرى تشريحها في معامل البحث . ليعودوا إلى مصر في ديسمبر القادم بطلبات محددة من هيئة الآثار ، وهى التى ستعرض على العلماء من خلال اللجنة الدائمة للآثار المصرية القديمة .


كتاب الهلال
يقدم:
محمد على الكبير
تأليف: شفيق غربال
يصدر
١٥ أكتوبر
١٩٨٦
روايات الهلال
الهاربون
تأليف: محمود دياب
تصدر في
١٥ أكتوبر ١٩٨٦



الغواص .. « روبوتا »

لاشك ان عمليات الغطس التى يقوم بها العلماء الى اعماق سحيقة من المحيطات والبحار تشكل خطورة على هؤلاء العلماء .. خاصة ان نسبة ٩٧٪ من هذه المحيطات لم تكتشف بعد ولم يطأها انسان .. مما يشير الى المشوار الطويل امام رجال العلم فى هذا المضمار .. وخاصة ان تدريب جيل من العلماء يمكنه الغوص يستغرق زمنا طويلا .. وتكاليف باهظة



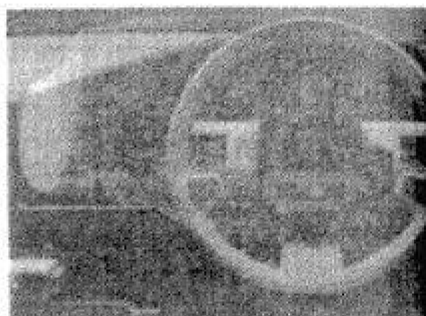
غواصو المستقبل سيكونون بالضرورة من الروبوت .. وقد بدأ هذا الروبوت فى ايجاد مكان له فى الغوص الى اعماق سحيقة لم يصل اليها البشر حتى الان .. فمن المعروف ان الجسد البشرى لا يمكنه الغوص عند اماكن محددة خشية ارتفاع الضغط المائى على جسده .. كما أن مساحة كبيرة من أعماق البحار قاحلة السواد او مليئة بالاسماك المتوحشة

كل هذه المخاطر يمكن للروبوت ان يتغلب عليها .. فهو يصور كل الاماكن التى يصل اليها كما انه يتحمل كل الضغوط المائية التى يمكن ان يتعرض لها .. وبالطبع لن يكون لجسمه الحديدى مستساغا بالمرة لاى أسماك متوحشة .

ذكرت مجلة « العلم والحياة » الفرنسية فى عددها قبل الاخير أن انتشار اجهزة الروبوت فى المستقبل يرتبط باسعار البترول بثبات وجوده فكلما ارتفعت الاسعار كلما زاد من تكلفة هذا الروبوت .. كما ان نفاد الاحتياطى العالمى سيحوله الى هيكل حديدى لا قيمة له .

رادار .. ضد حوادث السيارات

ظلت الفكرة تطارد جورج رشيد – وهو من اصل مصرى – الاستاذ بجامعة ميتشجان



في اختراع جهاز ينبه السائق للحوادث ويمكنه به أن يتلافى وقوع أى صدام مهما كانت الاسباب .. طاردت هذه الفكرة رشيد طوال ثلاثين عاما .. لكن من الصعب تطبيقها في الظروف المعاصرة له .. لكن اختراع الترانزستور مكن ابنه شارل رشيد من اختراع اول جهاز رادار ضد الحوادث

والجهاز عبارة عن وحدة استقبال في حجم الصندوق الصغير يمكن بهما استقبال اقتراب اى مواد معدنية ، ويعطى اشارات تحذير تتباين في درجاتها حسب الخطر القادم ، يمكن رؤيتها على شاشة أمام مقود السائق من خلال رسم بيانى يرتفع وينخفض تبعا للوضع الراهن .. مما يمكن السائق من ضغط الفرامل عند الوقت المناسب .. كما يمكن لنفس الشاشة المتصلة بالمقود أن تخفف من سرعة السيارة ذاتيا دون الرجوع للسائق في حالة انهماكه في الحديث مع احد مرافقيه بالسيارة ..

خطوة جديدة لتطور صناعات الصلب

عندما تزدهر احدى الصناعات ، فلابد أن تزدهر الابحاث المتعلقة بهذه الصناعة .. مثلما حدث أخيرا في صناعة الحديد والصلب بمصر بعد افتتاح مصنع الكس حيث يقوم بأحدث الابحاث المتعلقة بهذه الصناعة على « تحسين اداء طريقة .. الصهر باستخدام الخبث الصناعي الكهرب اعد البحث الدكتور يحيى شاش بهندسة القاهرة .

وتهدف هذه الطريقة الى تنقية المعدن من بعض العناصر التى تؤثر على خواصه الفيزيائية والميكانيكية بالاضافة الى خفض نسبة التأكسد لبعض مواد التسبائك فمن المعروف ان نتائج الدراسات والبحوث المماثلة اظهرت أن النسبة المفقودة من الطاقة الكهربائية المستخدمة لصهر المعدن تقدر بحوالى ٧٠٪ من الطاقة الكلية لكن الدراسة الحالية تسعى الى رفع الكفاءة الحرارية لعملية الصهر باضافة قطع صغيرة « رايش » من معدن القطب المستهلك اثناء عملية الصهر داخل القالب أو باضافة حبيبات من مواد تسابك بغرض التحكم في التركيب الكيمائى والصفات الميتالورجية للمنتج .

وقد اظهرت النتائج النظرية والعملية لهذه الدراسة زيادة كبيرة في معدل الانتاج بالاضافة الى التحكم في شكل بركة المعدن . وزيادة الكفاءة الحرارية لعملية الصهر . كما امكن الحصول على مضبوبات داخل تركيب كيميائى في خطوة واحدة اثناء تنقية المعدن بالخبث ..

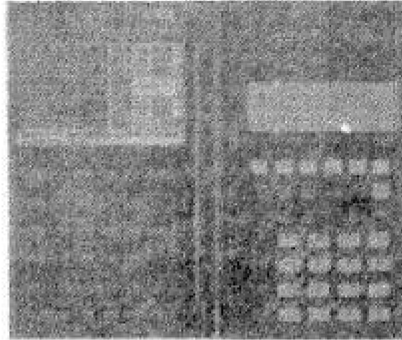
كما تنبع أهمية نتائج البحث في ترشيد استهلاك الكهرباء داخل الوحدة المنتجة وبالتالى تخفيض التكلفة الكلية للمنتج

مفكرة تليفونات المكفوفين

اصبح اليوم بامكان المكفوفين أن يحملوا مفكرة اليكترونية للجيب تعمل بطريقة برايل لتسهل عمل الطلاب والمحاسبين والصحفيين تتكون المفكرة من بطاقة مستطيلة يصل سمكها الى ربع بوصة







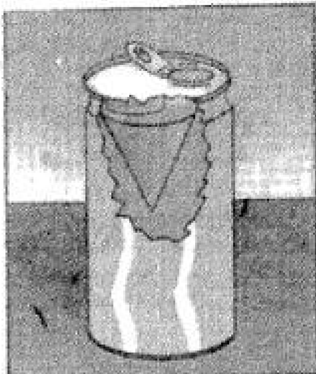
وتعمل بالبطارية تحمل البطاقة ستة أزرار اساسية توضح الاحرف الرئيسية للكتابة بطريقة برايل.تسع ملكرة برايل الخاصة بالكفوفين لكتابة ٢٠ كلمة ويمكنها ان تضم ارقام تليفونات ٨٠٠٠ شخص، يصل سعر المفكرة ٢٢٠ جنيها استرلينيا

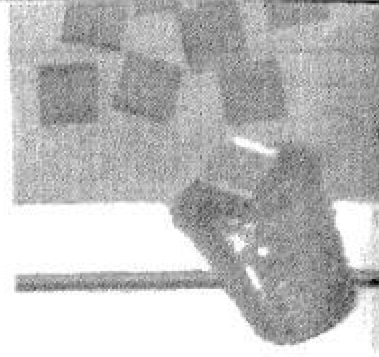
التليفون الجديد بدون ازعاج

يمكنك الان التخلص من المكالمات التليفونية غير المرغوبة دون التعرض لأى موقف محرج .. لقد انتجت احدى الشركات الكندية تليفونا جديدا باللمس يمكنه عرض رقم تليفون الطالب على شاشته المصنوعة من الكريستال السائل بمجرد ان يتم الاتصال وقبل رفع السماعة ، كما انه من خلال تخزين مائة من الاسماء وأرقام تليفوناتها فى ذاكرته يمكن ان تظهر معا على الشاشة دون الحاجة الى ادراك الاسم من خلال رقم التليفون . والاكثر من ذلك انه يمكنه تخزين ارقام التليفونات المتوقعة من غير المرغوب ، فيهم فى الكومبيوتر الذى يدركها ويرد بإشارة جرسية يسمعها الطالب فقط فيعتقد ان الشخص الذى يطلبه بالخارج . بالاضافة الى كل ذلك يمكن للتليفون الجديد مراقبة الخط المشغول والاتصال به بمجرد الانتهاء من المكالمة التى يجريها

علب مرطبات ذاتية التبريد

قريبا سيمكنك الاستغناء عن الثلاجة فى تبريد علب المشروبات مثل الصودا ، فقد توصل الباحثون الامريكيون الى انتاج علب ذاتية التبريد لهذه المشروبات وهو اكبر تقدم تكنولوجى فى صناعة العلب منذ عام ١٩٦٢ . وتحتوى العلبة الجديدة على كبسولة من ثانى اكسيد الكربون المضغوط ، تتصل بصمام بالمقبض الصغير المخصص لفتح العلبة . وعند جذب هذا المقبض يفتح صمام كبسولة ثانى اكسيد الكربون ويخرج الغاز الذى يتمدد وتنخفض درجة حرارته بشدة مما يؤدى الى انخفاض درجة حرارة الكبسولة الى ناقص ستين درجة فهرنهايت تتحول معه الكبسولة الى مكعب من الثلج . وفى ٩٠ ثانية تنخفض درجة حرارة محتويات العلبة الى نحو ٤٠ درجة فهرنهايت .





الكومبيوتر يخزن دائرة المعارف في ثانية

بنت احدى المؤسسات الامريكية كومبيوتر دقيق الحجم يمكنه تخزين دائرة المعارف المكونة من ٧٥ جزءا في ذاكرته في ثانية واحدة .. والكومبيوتر الجديد له ذاكرة قدرتها ٣٢ كيلوبايت ويمكنه ارسال اشارات كل ثلاثة على بليون من الثانية . وتنبع فكرة تشغيل الجهاز اساسا من الاطار المصنوع من مادة البوليسليكون الذي يحيط بمعدات الكومبيوتر .. فهو يساعد في عزل الاشارات الكهربائية ويمنعها من الانحراف عن اتجاهها . كما انه يسهل عملية تشغيل وايقاف الكومبيوتر ويمد واقيا لاجزائه الدقيقة .

هندسة وراثية جديدة في عالم الزراعة

منذ عشر سنوات تقريبا والعلماء يتنبأون بثورة تحدثها الهندسة الوراثية في مجال الزراعة . فتلقيح الجينات يمكن ان يساعد الباحثين على التوصل الى انواع جديدة من المحاصيل الهامة والاساسية مثل الذرة ذات القيمة الغذائية المرتفعة او القمح الذي يتحمل الفيضان أو الارز الذي يتمتع بالحصانة ضد الامراض وقد توصل العلماء في جامعة ستانفورد الامريكية الى اسلوب جديد لتغيير الصفات الوراثية عن طريق استخدام الكهرباء خلق فتحات دقيقة في غشاء النبات يدفع الباحثون من خلالها العناصر الوراثية الجيدة من اصناف اخرى الى النبات . ويتميز الاسلوب الجديد بأنه لا يسرع من انتاج الاصناف الجديدة من النباتات فقط ، ولكنه يساعد الباحثين على نقل الجينات بين الانواع المنفصلة ، ويأمل علماء الوراثة في تغيير بعض الصفات مثل مقاومة الحشائش من خلال التحكم في الجينات كما يأملون في التوصل الى انتاج محاصيل اساسية مقاومة للعديد من الامراض .

سيارة ١٩٩٠ من البلاستيك

تقوم اكبر شركات الكيماويات في الولايات المتحدة بتركيز اعمالها لانتاج اول سيارة في العالم من البلاستيك القوى المشابه للمعدن ، خصصت الشركة مليون دولار سنويا لهذا المشروع الذي سيحدث ثورة في مجال صناعة السيارات يتوقعون لخروج اول سيارة من هذا النوع الى السوق العالمية مع حلول عام ١٩٩٠ ويقول المسئول عن المشروع أن نجاحه سيعتمد على مدى تقبل اصحاب السيارات لفكرة استخدام السيارات مصنوعة من البلاستيك مع العلم أن البلاستيك سيخفض من قيمة السيارة عند انتاجها بشكل كبير



زينة الحياة الدنيا في أنابيب

والعلاج الفعال لحالات العقم عند الرجل والمرأة

بقلم : د. حسام عبدالله (لندن)



في العلم يبدأ كل شيء غريبا .. ثم يتحول الى أمر مألوف عندما نمارسه ويدخل بيوتنا .. وفي هذه البيوت كم يعاني ازواج وزوجات من عدم وجود طفل يملأ المنزل بهجة وحركة .. ويتحول الى سند عندما تحل سنوات الشيخوخة .. ولأن هذه المشكلة قد ارقت بيوتات عديدة . فإن العلم قد فتش في دهاليزه لمعالجة مشكلة العقم خاصة عند المرأة ، وكانت تجربة أطفال الأنابيب التي شهدت نجاحات مؤكدة في الغرب .. وانتقلت في الفترة الأخيرة الى الوطن العربي .. فاصبحنا نجد نساء عديدات اصاب الياس منهن مقتلا يذهبن إلى عيادات الاطباء .. وعما قريب يمتلىء البيت بصراخ الوليد القادم ..



العقم إذن هو السبب الأول فى عدم الانجاب عند المرأة .. ويجب ان نتحدث كيف يتم الاخصاب وأسباب العقم قبل الدخول فى التفصيلات المتعلقة بأطفال الانابيب . فمن المعروف أن الأنثى تنتج بويضة واحدة كل دورة شهرية . وتخرج هذه البويضة فى منتصف مدة الدورة تقريبا من أحد المبيضين الأيمن والأيسر ، وتلتقط هذه البويضة بواسطة قناة فالوب ، ثم تتحرك البويضة داخل هذه القناة فى اتجاه الرحم . فاذا ما حدث اتصال جنسى فى هذا الوقت فإن الحيوانات الذكرية تندفع فى المهبل وتتحرك منه إلى عنق الرحم ثم إلى قناة فالوب لتلتقى بالبويضة داخل قناة فالوب ويكون الاخصاب بحيوان منوى واحد من بين ملايين الحيوانات المنوية المنتجة من الذكر عن طريق اختراق جدار البويضة ، بعد ذلك يبدأ الجنين او " البويضة المخصبة " بالانقسام عدديا الى خليتين ثم اربعة ثم ثمانية .. الخ وفى نفس الوقت تستمر فى التحرك فى اتجاه الرحم ، وفى اليوم الرابع يصل هذا الجنين الى الرحم ليزرع فى الغشاء المبطن للرحم ويبدأ فى النمو حتى يكتمل خلال تسعة اشهر ..

● وللعقم أسباب عديدة ●

وعلى هذا الأساس وببساطة فان اى عائق يمنع هذه الدورة الطبيعية يؤدى الى العقم ، وهنا يجب ان اشير الى انه من الخطأ أن ننظر الى موضوع العقم على انه من الزوج او من الزوجة فإن هذه النظرة احادية الجانب ، ولكن يجب النظر اليه

زينة الحياة الدنيا في أنابيب

باعتباره حالة تشمل الزوج والزوجة باعتبارهما شريكين حتى فى العقم .

ويمكن ان نعدد حالات العقم ببساطة شديدة واختصار فى النقاط التالية :

اولا : ان تكون الزوجة غير قادرة على انتاج البويضات .. بمعنى وجود خلل شديد فى الدورة الشهرية او انعدامها وتسمى هذه الحالة بالامينوريا او تنتج المراة بويضات قليلة ومتباعدة المدة . والجدير بالذكر ان حدوث الدورة الشهرية ليس شرطا لحدوث التبويض . ويحدث ذلك بشكل طبيعى فى مرحلتين رئيسيتين من العمر . الاولى فى بداية نزول الطمث على الانثى حيث لا يوجد فى الاغلب تبويض منتظم فى اول سنتين . والحالة الثانية فى مرحلة ما يسمى بالشائع ما قبل سن اليأس " او " مرحلة عدم القدرة على الانجاب " حيث تحدث الدورة الشهرية ولا يحدث تبويض .

اما فيما عدا هاتين الحالتين فهى حالة مرضية تستدعى العلاج .

ثانيا : الا تلتقى البويضة بالحيوان المنوى ، ويحدث هذا نتيجة لعدة اسباب نوردها فى الآتى :

١ ـ ان يكون هناك انسداد فى قناتى فالوب بسبب حدوث التهابات شديدة فى هاتين القناتين او التصاقات بهما . وللاسف ولابد من ان نقول هذا ـ بسبب تدخلات بعض اطباء النساء والولادة بإجراء عمليات متعددة ليس لها داع تؤدى فى النهاية إلى انسداد هاتين القناتين ، ولابد من التركيز على هذه النقطة حيث ثبت ان حالات عديدة تم فحصها كان هناك امل فى الاخصاب وعن الطريق الطبيعى لولا هذه التدخلات غير الضرورية والتى قد تزيد من الاتصال .

٢ ـ الحيوانات المنوية للرجل وبويضة المراة : ينتج الرجل فى القذفة الواحدة ٥٠٠ مليون حيوان منوى فى حوالى من ٣ الى ٥ سم مكعب من السائل المنوى . والحد الأدنى أو العدد الطبيعى الذى يجب توافره فى السنتيمتر المكعب هو من ٢٠ الى ٤٠ مليون حيوان منوى ، ولابد ان يكون ٧٠ ٪ منها متحركا وبسرعة جيدة . وان يكون عدد الحيوانات المنوية المشوهة اقل من ٢٠ ٪ . فلو ان عدد الحيوانات المنوية اقل من هذه النسبة او ان قدرتها على الحركة وسرعتها غير كافية فان هذا يؤدى الى فقدان الكثير من القدرة على الاخصاب ، هذا بالاضافة الى العديد من العوامل التى تؤثر على الحيوان المنوى من اهمها :

ـ العدد الكبير الذى يموت فى المهبل فى بداية الرحلة .

ـ الرحلة الطويلة التى يقطعها حتى يصل الى البويضة .

ـ مقاومة الغشاء المخاطى الموجود عند عنق الرحم .

وفضلا عن ذلك فإن هناك بعض الحالات النادرة التى يفرز فيها الرجل اجساما فى سائله المنوى تقتل حيواناته المنوية ، كما انه فى بعض الاحيان الاخرى تكون الحيوانات المنوية للرجل سليمة وطبيعية ولكنها تقتل عند محاولتها اختراق عنق الرحم الذى يفرز اجساما مضادة لتلك الحيوانات . وهناك عدد آخر من الاسباب مثل مرض الاندو ميتروزنس EN-DONETRIOSINS وهو وجود اغشية شبيهة بالاغشية المبطنة للرحم خارج الرحم تؤدى الى العقم .

تمثل كل هذه الأسباب حوالى ٧٥ ٪ من اسباب العقم ، ويبقى بعد ذلك ٢٥ ٪ من هذه الاسباب تسمى حالات العقم غير المفسر .. ولا تعني كلمة " غير مفسر " انه لا سبب له ولكن لا نستطيع ان نؤكد اسبابه ، بعض الحالات يمكن تفسيرها بعد عمل ما يسمى بالتلقيح فى الزجاج I·V·F والباقى لا نستطيع تفسيره . ومن المهم جدا ان نركز على هذه النقطة لانها تسبب الاجهاد للمريض والطبيب معا . فيذهب المريض لعديد من الاطباء ويجرى العديد من الفحوصات ، وفى النهاية يقول ان الطبيب غير ماهر ولا يعرف شيئا ، اما بالنسبة للطبيب فانه يبقى عاجزا عن تقديم اى مساعدة لهذا المريض ، وينبغى ان تعرف هذه النوعية من المرضى انهم ليسوا حالة نادرة ولكنهم يمثلون ٢٥ ٪ من حالات العقم غير المفسر كما سلفنا .

● لاتراجع الطبيب قبل عامين ●

وعند الحديث عن نسبة نجاح الحمل الطبيعى فى الحالات الاعتيادية . فلو اخذنا مائة زوج وزوجة يتوفر فيهم كل عوامل القدرة على الانجاب وحدث بينهم اتصال جنسى فى توقيته الصحيح اى فى فترة منتصف الدورة الحيضية فإن من ٢٥ ـ ٣٠ ٪ منهن فقط سيحدث بينهن الحمل فى أول محاولة أى فى الدورة الشهرية الأولى ، ثم من ٢٥ ـ ٣٠ ٪ من السبعين الباقين سيحدث لهم حمل فى الشهر التالى وهكذا ، ودائما ننصح كقاعدة عامة أن الازواج يجب عليهم عدم مراجعة الطبيب فى موضوع عدم الانجاب قبل سنة أو سنتين من الزواج ، لأن هناك احتمالات عالية جدا لمجرد الصدفة بعدم حدوث حمل قبل هذه الفترة .

يتم فحص الزوجة للتاكد من حدوث التبويض ، وذلك بقياس درجة حرارتها يوميا عقب الاستيقاظ ، حيث أنه عند حدوث التبويض ترتفع درجة حرارة الانثى بمقدار نصف درجة مئوية ويطلب تسجيل ذلك لمدة شهر أو شهرين ، ويجب الاشارة الى أن ارتفاع درجة الحرارة درجة او انتظام الدورة ليس دليلا على أن التبويض صحيح ولكنه شاهد من الشواهد .

كما تستعمل الموجات الفوق صوتية للتاكد من حدوث التبويض . وعلى ضوء نتيجة هذه الفحوص تحدد خطة العلاج ، فإن لم يكن هناك تبويض تعطى السيدة بعض الأدوية التى تساعد على التبويض . ويجب ان نؤكد ان اى فحص لحالات العقم بدون منظار يعتبر فحصا ناقصا خاصة أن هناك الكثير من السيدات يرفضن عمله . كذلك هناك فحص للغشاء المبطن للرحم . وبعد التاكد من سلامة كل هذه الفحوصات ونتائجها الايجابية ، فانه يستعمل التلقيح من خارج الرحم . I·V·F .

● وانخفاض نسبة النجاح ●

تنمو البويضة ـ فى الحالات الطبيعية ـ فى المبيض وحولها كيس من الماء وينفجر هذا الكيس عادة فى منتصف مدة الدورة الشهرية ولذا كان الطبيب المعالج يقوم بسحب الماء الموجود داخل الكيس وبداخله البويضة فى وقت حرج للغاية . وهو قبل انفجار الكيس بحوالى ساعة أو ساعتين وتوضع البويضة بعد سحبها فى محضن خاص له درجة حرارة ورطوبة وغيرها من الظروف الملائمة لحياة البويضة ثم تأخذ الحيوانات المنوية للزوج وتعدها اعدادا خاصا وتضيفها الى البويضة للتاكد من حدوث الاخصاب من عدمه ، وعند التاكد من ذلك يحدث الانقسام الخلوى داخل

زينة الحياة الدنيا في أنابيب

البويضة . نعيد الجنين (البويضة المخصبة) الى الرحم من خلال المهبل وننتظر تدوم الدورة الشهرية فاذا لم تحدث تكون احتمالات الحمل عالية لأن كل ماقام به الطبيب تجاوز الانسداد فى قناة فالوب . وذلك مثل حالة الطفلة " لويز براون " أول طفل انابيب فى العالم .

وعند الحديث عن نسبة النجاح فانها منخفضة حيث لا تتعدى حتى الآن من ١٥ - ٢٠ ٪ فى كل محاولة . حيث انه فى بعض الاحيان يتم الاخصاب ولكن يفترض ان يكون نمو الجنين غير طبيعى . فالجسم يتخلص منه بشكل فورى وتلك احدى ايات الله سبحانه وتعالى .

ويعطى العلماء لانخفاض هذه النسبة عدة تفسيرات منها توقيت زرع الجنين لأن العلاقة بين مجىء الجنين (البويضة المخصبة) ودخوله الى الرحم يتم بشكل دقيق للغاية كتوقيت الساعة ، ولاننا فى كثير من الأوقات ليس لدينا تصور كامل عن افضل اللحظات لوضع الجنين ، وبالتالى فان هذا يؤدى الى عدم حدوث الحمل ، إضافة الى حدوث بعض التغييرات الهرمونية والتى تؤدى كذلك الى عدم حدوث الحمل ، وبالتأكيد هناك اسباب اخرى عديدة لا يتسع الحديث عنها الآن .

● تكلفة عالية ●

وكما قلنا فى بداية المقال . فان مرحلة التجريب فى اطفال الانابيب قد انتقلت الى الممارسة وعليه فقد بدأت اول وحدة لاطفال الانابيب فى الوطن العربى بجدة فى السعودية ثم فى مستشفى الملك فيصل بالرياض . وكذلك فى القاهرة . لكن المشكلة أن التكلفة المادية لهذه العملية مرتفعة فقد تصل الى اكثر من الفى جنيه استرلينى بالاضافة الى الاقامة بالمستشفى . لكن فتح هذه المراكز فى الدول العربية سيوفر الكثير من التكاليف المادية خاصة ان تكاليف العلاج لا تمثل اكثر من ربع المصاريف أو أقل . ولا تنسى انه فى بعض الأوقات لا تسمح حالة السيدة باخذ البويضة منها فى هذه الدورة ويطلب منها العودة بعد شهر مما يزيد من تكلفة العلاج للمسافرين الى اوربا .

ويبقى تساؤل هام حول اخلاقية التعامل فى مثل هذه الاعمال الحساسة ومدى ملاءمته لكل مجتمع وعرفه ودينه . وفيما هو مسموح به وماهو غير المسموح به . والخوض فى مثل هذه المسائل - حسب رأيى - له محاذيره الشديدة . فكل دور الطبيب هو التحايل على الشىء غير الطبيعى وهو عدم حدوث حمل ومحاولة تلافيه ، أى معالجة العقم ليحدث كما يحدث فى الطبيعة دون التدخل اطلاقا فى المسائل الوراثية أو بنوع الجنين .. وعليه فإنه لا حرج أن تتم عملية أطفال الانابيب بين الزوجة والزوج .. لان معالجة الأمر لا يعتبر تدخلا فى مشيئة الله سبحانه وتعالى . لا شفاء الا بيد الله سبحانه وتعالى . **والهدف أولا واخيرا هو إدخال السعادة على الأسر وتلافى كل الاثار الإجتماعية المترتبة على عدم الانجاب كزيادة المشاكل اليومية بين الزوجين وارتفاع نسبة الطلاق .. ولقد صدق الله عز وجل فى أيته الكريمة " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " ..**



● مهرجان ●

الدقهلية تحتفل بالفنان مختار

فكرة الاحتفاء بالادباء والفنانين الذين رحلوا عنا ، تستحق الاشادة ، خاصة وأن جيلنا الحالى لا يعرف عنهم إلا القليل.

ولقد كانت مبادرة محافظة الدقهلية فى إقامة مهرجان للفنان التشكيلى محمود مختار ، باعتباره من ابناء الاقليم ، وبعد مرور اكثر من خمسين عاما على وفاته ، لفتة كريمة ، خاصة إذا علمنا بأن مختار ، هو ذلك الفنان الموهوب فى عصره ، الذى تحمل العناء ، ولاقى الصعاب الكثيرة فى رحلته إلى فرنسا ، وبكل الاصرار ، لينهل من ينابيع الفن الأصيل ، وليعود إلى مصر عملاقا ، وليحقق ثورة فى الفن بازميله .

لقد أحيا مختار الفن الفرعونى بعد مرور قرابة عشرين قرنا ، فضلا عن مزج جماليات الفن الفرعونى بالجماليات الحديثة فى الفن الفرنسى ، وتوظيف ذلك اجتماعيا من خلال تماثيله « الفلاحة » ، « ونهضة مصر » وغيرها من أعماله .


شيخ الازهر ووزير التربية ومحافظ الدقهلية وانيس منصور يكرمون اوائل الدقهلية


الفنان الراحل محمود مختار



حقق مختار بعد عودته من فرنسا ، مالم يستطع أن يحققه الكثيرون ، ووقف فى وجه الطغيان السياسى فى ذلك الوقت ، ويشهد بذلك إصراره على إقامة تمثال « نهضة مصر » الذى دعى فيه إلى اكتتاب المصريين فى إقامته ، فى الوقت الذى رفض فيه أن يصنع تمثالا للملك فؤاد أو الخديو عباس أو محمد على .

إننا فى هذه العجالة لا نستطيع أن نوفى هذا الفنان العظيم حقه ، بل نطلب من جيلنا أن يقرأ سيرة حياته ، ليعرف كيف عانى من أجل تحقيق ذاته حتى وصل إلى القمة .

وإذا كانت الدقهلية ومحافظها النشط اللواء سعد الشربينى قد كرمت مختار فى حفل كبير ، كرمت فيه أيضا أبناءها من المتفوقين فذلك ليس جديدا عليها ، فقد احتفلت من قبل بذكرى رائد القصة الدكتور / محمد حسين هيكل ورائد العلم والهندسة الدكتور محمد عبده الشرباصى ، وهى سنة حميدة نرجو أن تستمر ، وتكون حافزا للابداع الفنى والفكرى لدى أبناء هذا الجيل .



محمد أنيس عاشق مصر .. وداعا

مات شيخ المؤرخين المصريين ، بعد عطاء لم يتوقف للحظة واحدة على مدى خمسة وثلاثين عاما ..

مات الدكتور محمد أنيس بأزمة قلبية وهو يعمل ، ويعطى من فكره لكل محبيه ، بلا توقف ، مهما اختلف الرأى ، وجنح الفكر ..

كان محمد أنيس ثائرا منذ صباه .. أحب ثورة يوليو واعتنق مبادئها ، وعشق جمال عبدالناصر ، برغم أنه كان يختلف فى الرأى مع سياسته ، وكان ينتقده علناً ،حتى فى محاضراته بالجامعة .

ومحمد أنيس باحث له باع طويل ، وتشهد بذلك مؤلفاته ، خاصة تلك التى قرأناها له بعد تولى مسئولية مركز الدراسات الاستراتيجية والتاريخية والاقتصادية بالأهرام ، ومن بين

تلك المؤلفات أسرار حريق القاهرة ، وحادث ٤ فبراير ، والقى فيهما الضوء على الصراع الذى كان دائرا بين القصر والوفد ، واكد على أن حادث ٤ فبراير لايمكن تفسيره ضد الوفد وزعيمه مصطفى النحاس ، بل يجب تفسيره على انه الاتجاه الديمقراطى المناوىء للفاشية ، وهو اتجاه الوفد بزعامة مصطفى النحاس .

وكان الدكتور محمد انيس من الذين نادوا بفتح الجامعة على مصراعيها ، وضد الذين يريدون إغلاقها فى وجه أبناء مصر ، بحجة أن إمكانياتها تعجز عن الاستيعاب .

لعب دورا بارزا إبان هزيمة ١٩٦٧ ، ولم يرض واقع الهزيمة ، إلى درجة جعلته ينضم إلى صفوف المقاومة ، وكان مؤمنا وقتها بأن الشعب يستطيع أن يحول الهزيمة الى نصر . وتألم كثيرا من الظروف والملابسات التى تسببت فى هزيمة يونيو ، خاصة وأنه شاهد بنفسه إلى أى حد كانت الاستهانة بأصول وقواعد الاستعداد ومواجهة الاعداء كان عربيا فى اهدافه واتجاهاته ، ولكنه كان يؤمن بأن مصر هى الثقل فى عالمها العربى ، وهى القلب من هذا الجسد الكبير ، وأنها بإمكانياتها الثقافية والفكرية ، وثقلها الحضارى قادرة على الريادة .

وأن اى إصلاح جذرى لابد أن ينبعث من مصر ، كما ان اى حركة ثورية فى العالم العربى ، لايمكن ان يكتب لها النجاح ، مالم تمر بمصر ، وأن مصر حتى فى أوقات الأزمات قادرة بأبنائها على تجاوز أزماتها ، وأخذ زمام المبادرة من اجل استعادة الشمل ، وأن علاقة مصر بأمتها دائمة ومتجددة .

ولم يكن محمد أنيس ـ رحمه الله ـ مجرد جزء من الذاكرة الحية لتاريخ مصر والعالم العربى ، بل كان عطاء على رأس مدرسة فى قراءة وتفسير تاريخ مجتمعاتنا الحديثة التي انحازت الى القوى الاجتماعية الساعية الى التقدم والتحرر الوطنى فتسلحت بالعلم منهجا والوطنية دينا ، والجدية والاخلاص خلقا كي يكتب رؤية الشعوب ، رؤية تسعى إلى تحرير وقائع حركة القوى الاجتماعية ونضالها ضد الاستعمار والاستغلال والاستبداد من منفى قهرى أراده لها مؤرخو الاستعمار وبلاط السلطان .

ورغم اهتمامه بتاريخ مصر المعاصر ، الا ان صلته بالتاريخ العثمانى لم تنقطع ، وكان ممن يرون فى الحكم العثمانى للبلاد العربية نوعا من الاستعمار المرفوض ، خلافا لعدد من المؤرخين الذين أعادوا أخيرا تقييم الحكم العثمانى باعتباره مرحلة كان من الضرورى أن تمر بها البلاد العربية ، لتتحد فى وجه الاطماع الأوروبية .





ولم يتبين د . محمد أنيس هذا الرأى طبقا للنظرة التقليدية التى تربط مابين الحكم العثمانى ، وبين الجنس التركى ، باعتباره جنسا غريبا سيطر على بلاد الشرق العربى وقهرها بقوة السلاح ، بل بنى حكمه من منظور اجتماعى يقوم على اساس أن العهد العثمانى يطابق العصر الاقطاعى

إن عطاءه لم يتوقف أبدا .. فى مصر ، وفى اليمن وفى الامارات العربية فهو ينشىء قسما للتاريخ فى جامعة ، ويسهم هناك فى إنشاء مجمع ثقافى او إصدار مجلة علمية ، أو يكتب عددا من الدراسات والمقالات . ينبه فيها الى ضرورة تجاوز الخلافات الإقليمية والوقوف فى وجه المستعمر او مقاومة المشروعات الاستعمارية ، لتفتيت وحدة العرب .. وخلال جولاته وابتعاده عن مصر فى الأونة الأخيرة ، كانت عينه على مصر ، وكل نبضة لمصر .. كتب فى « الهلال » وبدأ التواصل معه من جديد وكتب فى المصور حتى توقف النبض . نبض الحياة التى حولها الى عمل دائب ودائم . وهدأت نفس الرجل العظيم .. ليعود إلى الأرض الوطن الحبيب .. وليوارى جثمانه الطاهر فى أحب أرض إلى نفسه وإذا كانت الشعلة المضاءة قد خبت إلا ان فكر الرجل وأعماله التى تركها ، ستكون الرمز المضىء لقصة كفاح طويلة ، وشجاعة لايقدر عليها إلا الرجال من أمثاله

وبقى دور ينتظر تلاميذ ومحبى الدكتور محمد أنيس .. وهو مواصلة رحلة البحث التى بدأها ، لإعادة تاريخ مصر الحديث ، وإنشاء مركز لحفظ وثائقه .

عاطف مصطفى

● مؤتمر ●

التحديات التى تواجه المرأة العربية فى نهاية القرن العشرين القاهرة ١ - ٣ سبتمبر ١٩٨٦

تحب الدكتورة نوال السعداوى ان يكون إنتصارها مدويا فى اى من النشاطات التى تقوم بها . وقد حققت من قبل عبر كتاباتها عن قضية المراة العربية انتشارا واسعا جعلها تتبوا بين قطاعات عريضة من الفتيات العربيات موضع الداعية المؤثرة المقروءة كثيرا والنافذة الراى فى اوساطهن .

اما فى المجال الأدبى فقد إحتلت مرتبة ثانوية بالمقارنة بما حققته اعمالها من رد فعل نقدى فى مجال الدراسة الادبية . وإن حظيت هذه

الأعمال القصصية بقدر غير قليل من الدرس بإعتبارها وثائق إجتماعية تعكس مشكلات المرأة كما تراها محبة للأدب .

ولقد قاتلت نوال السعداوي بضراوة تثير الاعجاب من اجل إنتزاع حقها مع عديد من السيدات العاملات في حقل النضال النسائي لاقامة مؤسسة نسائية تدافع عن حقوق المرأة المهضومة فعلا وقولا في بلادنا ، بل اصبحت مهددة فيما إكتسبته من حقوق طوال تاريخ نضالها . تحت تاثير دعوات سلفية واضحة .

واخيرا إستطاعت مع عدد من القيادات النسائية تاسيس جمعية تضامن المرأة العربية . كمؤسسة مستقلة تعمل على مستوى البلدان العربية بالتعاون مع افراد احيانا . ومؤسسات مشابهة احيانا اخرى . وبقوة النفوذ الذى إكتسبته طوال تاريخها إستطاعت ان تتوج الاعتراف الذي اكتسبته مؤسستها من جهة دولية لها وزنها . فحصلت الجمعية على وضع إستشاري لدى المجلس الاقتصادى الاجتماعي بالأمم المتحدة .

وعلى الرغم من قصر فترة إنشاء الجمعية . ثلاث سنوات فقط . إستطاعت الجمعية . إنتزاع وجود محسوس لها . على الرغم من انها عملت خارج الاطر المنبثقة عن الجمعيات الرسمية القائمة . حزبية كانت او حكومية . وتوجت هذا التواجد بمؤتمر حاشد . لا يستطيع احد ان ينكر انه كان اشبه بالمفاجاة من ناحية عدد الحاضرات والحاضرين من بلدان عربية عديدة . بل ومن ممثلات لجماعات نسائية في بلدان اوربية مختلفة .

تخطيط جيد وابحاث جادة :

نقول كان المؤتمر اشبه بالمفاجاة ليس فقط للعدد الكبير الذى لبى دعوته من فعاليات نسائية مختلفة ، بل ولانه كان على درجة لم تكن متوقعة من جمعية وليدة ان تقوم به فى مجال التخطيط للدراسات والاوراق التى نوقشت بجدية بالغة فى لجانه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية . كما الجدية الفائقة التى بدت عليها جميع الحاضرات والحاضرين من ناحية وضوح الهدف بإعتبار ان قضية المرأة لم تطرح بمعزل عن قضايا المجتمع واعضائه جميعا وإن كانت خصوصيتها تقتضي نضالا نوعيا مشروعا .

المفاجاة الأخيرة :

وقد استطاع المؤتمر حتى المفاجاة الاخيرة . أن يستقطب حتى اللواتي جئن وفى جعبتهن اهدافا ترمي إلى تخريبه ، بإعتباره منبثقا عن جمعية مستقلة عن الأحزاب والاتحادات النسائية القائمة وهي المنافس الآخر على نفس الجبهة .

إن جميع المشاركات والمشاركين فى اعمال المؤتمر ظلوا طوال اليومين المخصصين للنقاش يتعالون على المشاكل الطارئة بمشاركة ايجابية . وبدا ان المؤتمر يكتسب اطرافا جددا كل جلسة عن الاخرى متى كانت المفاجاة الاخيرة





بتسرب الانباء . في الكواليس اولا ثم علنا عن مصادر التمويل . الامر الذى فجر الموقف ودفع عددا من المنظمات والاتحادات النسائية المشاركة للانسحاب . وبدت الفرقة وقد اطلت لتمزق المؤتمر وتبدد الجهود .

كانت المفاجأة ان مصادر التمويل جاءت من مؤسسة فورد فونديشن . ومؤسسات دولية اخرى إشتهرت بمعاداتها لحركات التحرر . حتى اضحت في موقف العداء من الهدف الاصلى الذى كان الجميع متحمسين للدعوة له والاستمرار في النضال من اجله .

وكان إعتراف إدارة المؤتمر بقبول هذا التحويل مفاجئا لان الجميع كان يعمل وهو تحت إحساس من الاستقلال الكامل . بل منطلقا اساسا من العداء لهذه الجهات ومن تمثلهم . وكان الماخذ - المدخل لادانة منظمي المؤتمر منصبا على نقطتين

اولاهما قبول هذا التمويل ومن هذه الجهات الاجنبية بالذات .

وثانيهما عدم الاعلان عن ذلك ، لا قبل المؤتمر . ولا اثناء إنعقاده . حتى ان الخبر عرف بالصدفة المحضة . وحينما طرح على هيئة تساؤل . لم تستطع الدكتورة نوال إنكاره . لانه قد إتضح ان ممثلين لهذه الهيئات الممولة كانوا متواجدين طوال الوقت . يسمعون ويسجلون ويتابعون كل صغيرة وكبيرة

وقد حاولت الدكتورة السعداوى تبرير هذا التصرف بانها قامت به على اسس شخصية من بعض العاملات في هذه المؤسسات ممز تربطها بهن صداقات شخصية . ولكن هذا لم يقنع العدد الأكبر من المحتجات على هذا التصرف . فاعلنت عدة منظمات وإتحادات إنسحابها من المؤتمر . بل إن عددا من عضوات الجمعية نفسها قررن الانسحاب منها .

وهكذا يمكن القول ان المؤتمر كان مفاجئا . في بدايته . كما كان مفاجئا بنهايته الماساوية . ومع ذلك فلم يمنع هذا قيادة الجمعية من إصدار مقررات المؤتمر وتوصياتها

هذا وقد قامت قيادة الجمعية بإجراء إنتخابات جديدة لمجلس الادارة وتم إختيار خمسة عشر عضوا لقيادة الجمعية في مرحلتها التالية . كما إتخذ قرار بإنشاء دار النشر التي ستعمل على نشر إبحاث المؤتمر بمنحة من إحدى المؤسسات الكندية !

المسرح الصوتى
سعدالله ونوس وعبدالمعطى حجازى في عرض تجريبي

خلال فترة لم تزد على شهرين إستطاع هناء عبدالفتاح ان يكون فرقة مسرحية شابة . بذر فيها من البداية بذرة الجدية . والايمان بالهدف الواضح الذى هو ان الفن قادر على صياغة الانسان صياغة جديدة تدفعه لامتلاك ابعاد متنوعة

ربما لم يكن يظن انه يمتلكها بل تتفجر داخله من خلال العمل والمران المستمر الدءوب ، والاصرار على التعلم .

من بين الطلاب والعمال وبعض الذين مارسوا العمل في المسرح ، بعضهم هواة ، وقلة من المحترفين

وخلال ايام معدودة ، ولكن بتدريب شاق كان يستغرق عشر ساعات في اليوم قامت فرقة منف المسرحية .

وفي قاعة مسرح الطفل الصغيرة ، وبإمكانيات زهيدة لم يزد مجموع ما تكلفته عن خمسمائة جنيه ، تقوم هذه الفرقة بتقديم عرض مسرحي جاد يضم عملين :

احدهما مسرحية الفيل يامك الزمان للكاتب العربي سعدالله ونوس ، والآخر اللوحة الدرامية « مذبحة القلعة » لشاعرنا الكبير احمد عبدالمعطي حجازي .

إن هذه الفرقة التي تسعى إلى ادباء تقاليد التجريب في فنون المسرح - كما يقول مديرها عبدالرحمن الشافعي - منهجها هو محاولة تقديم كل ماهو جديد واصيل في عالم التأليف والاخراج والديكور والأزياء والاطار الخارجي ، وفي التجارب المسرحية الموسيقية ، وقبل كل شيء في عالم التمثيل .

الممثل الشامل !

ويقول المخرج هناء عبدالفتاح عن العرض ، إنها تجربة تحاول تدريب مجموعة من الممثلين الشباب حيث يقومون بتادية عرض مسرحي في قاعتهم التي يتدربون فيها فالعرض المسرحي ماهو إلا تطبيق لهذه التدريبات الصوتية والبدنية والادائية ، وتحاول التجربة ، ان تقدم نفسها بابسط الوسائل معتمدة اعتمادا رئيسيا على الممثل بعد إعداده إعدادا خاصا متميزا يجعل منه ممثلا شاملا ، مستخدمين في ذلك مختلف الوسائل والمناهج التعليمية كمناهج ستانسلافسكي وجروتوفسكي وباربا وجان لوي بارو وغيرها من مدارس التمثيل الحديثة ، فضلا عن إستخدام الاساليب الصوتية والموسيقية التي تحتاجها الة نطق الممثل وحسه الفني ، عدا منهجنا الخاص الذي سيكون عونا لنا في إعداد ممثلنا ، ليتمكن من ممارسة اللعبة المسرحية بدرجة عالية من الكفاءة .

فالاضاءة والديكور والملابس والاكسسوار هنا هي عناصر مكملة للممثل وليست اساسية ، حتى الموسيقى يعاد إستكشافها من جديد ، فتوظف من اجل ان تصبح اداة من ادوات الممثل ، كما ان وجود المتفرج قريبا من الممثل يجعل هذا التقارب فاعلا بالنسبة لكليهما : فصدق اداء الممثل ضروري في تمكنه من اساليب تعبيره وهيمنته على متفرجه ، ولمشاركة المتفرج هنا دور اساسي ، هو ان يصبح متواجدا في قلب الأحداث متابعا وملاحظا بل وشريكا في اللعبة ، وبالمقابل فإن الممثل لا يسعى للبحث عن إيهام او زخرفة مسرحية ، بل عليه ان يوصل كلمة المشاركين في العرض المسرحي في إطار تدريباته .






احمد عبدالمعطي حجازى

مذبحة القلعة :

يقدم الجزء الأول من هذا العرض قصيدة مذبحة القلعة للشاعر احمد عبدالمعطي حجازى ، وهي إحدى قصائد ديوانه الأول مدينة بلا قلب وتحمل تاريخ ١٩٥٥ ، ويقول المخرج انه يؤكد بتقديمها على أن الشاعر فى هذه القصيدة انما يكتب دراما شعرية قصيرة بكل ما يحويه العمل المسرحي من اسس درامية ، وبهذا نحن نعيد اكتشاف الشاعر ككاتب للدراما الشعرية محاولين كسبه إلى ميدان المسرح الشعرى .

اما الجزء الثاني من العرض فيقدم المسرحية القصيرة الفيل يامك الزمان لسعدالله ونوس ، وهي واحدة من اهم مسرحياته القصيرة ، لأنها تقدم تساؤلات تشير إلي بعض قضايانا العربية المصيرية .

والرابط بين العرضين هو التعرض للتاريخ وإنعكاسه على الحاضر ، فالأولى - كما يقول المخرج - هى إستقطاب للحظة الحضارية بكل ما فيها من تناقضات لحظة مولدها بكل ماقيها من جديد ، والثانية هي محاولة للبحث عن البطل الجماعي المخلص ، فابطال العرض هنا هم مجموعة الفتيان والفتيات الذين يسعون لاثبات ان العمل المسرحي عمل جماعى خلاق وليس عملا فرديا .

يشارك فى التجربة الفنان الشاب النابغة إنتصار عبدالفتاح بمسرحه الصوتي والموسيقى الذى يقدم داخل نسيج العرض المسرحي .

يقول الفنان الشاب ان فكرته تنبع من إعتقاده بأن للانسان مستويين من الصوت ، صوت خفى هو صوته الخاص الذى يعيشه وحده اثناء صمته ، والصوت الذى يتعامل به فى ادائه الحياتي او الفني ، والمحاولة هنا هى كيف يظهر صوت الممثل الخفي ويتفاعل ويتصارع مع صوت ادائه ، حتى يستكشف مابداخله ويحس بصوته الخفى .

اما شاعرنا الكبير احمد عبدالمعطي حجازى فيصرح للهلال بانه سعيد بهذا العرض ، لأنه يدل - على الرغم من الامكانيات المتواضعة ، وان اغلب الممثلين ليسوا محترفين - على انه قد آن الأوان بعد فترة من هبوط العروض المسرحية المصرية لمثل هذا العرض النظيف الذى يدل على فهم عميق ومتابعة دقيقة للحركة

المسرحية .. وهو مفرح لانه يدلك بالفعل على وجود روح جديدة فى مصر ، نوع من طموح غير معلن لكنه ملموس : إنه لابد ان تعود مصر كطليعة للحركة المسرحية ، وانه قد أن الأوان للظواهر المريضة فى الحياة ان تنقشع لتحل محلها هذه الروح الجديدة

ويكفى شهادة على جدية هذا العرض ان المخرج الكبير يوسف شاهين وقف بعد مشاهدة العرض رافعا يديه حول راسه كمن يحس غليانا وقال : .. انا حاروح اشتغل .

وفى اليوم التالى ارسل زهورا مع بطاقة تحمل كلمات تعبر عن اعجابه !

● إشارات ثقافية ●

اخر روايات ماركيز تترجم للعربية

آخر رواية للكاتب الكولومبى الشهير جابرييل جارثيا ماركيز المعنونة « الحب فى أزمنة الكوليرا » ترجمت الى العربية وستصدر قريبا عن إحدى دور النشر اللبنانية .

سبق وترجم لماركيز للعربية اهم اعماله مائة عام من عزلة فى ترجمتين واحدة فى القاهرة واخرى فى بيروت . وخريف البطريرك وكتب آخرى . الغريب ان روايته الأخيرة تدور فى زمن الكوليرا فى كولومبيا كما يدور فيلم يوسف شاهين الأخر « اليوم السادس » فى زمن الكوليرا فى مصر .



مكتبة انهلال

الكتاب : مصر وعالم البحر المتوسط

تاليف : رؤوف عباس وأخرون

الناشر : دار الفكر للدراسات والنشر

٣٢٨ص ، قطع كبير

٥٠٠ ق م

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الدراسات الأكاديمية التى جاءت نتيجة لجهد كاتبيها من الأساتذة الجامعيين الذين اشتركوا بها فى سمنار التاريخ - كلية آداب القاهرة - بمناسبة العام الخامس لتاسيس السمنار .

يقول الدكتور رؤوف عباس مقرر السمنار ان التفكير فى إختيار هذا الموضوع جاء بقصد إتاحة الفرصة لدراسات اكاديمية دقيقة حول العلاقة بين مصر ودائرة واسعة من دوائر التاثير الحضارى شاركت مصر فى رسمها ، وتلاقت كثيرا من دائرة العالم العربى الذى تنتمى مصر إليه إنتماء لاشبهة فيه ، ولم يجىء هذا الاختيار ، كما قد يتبادر للذهن لأول وهلة ، من قبيل إحياء دعوة قديمة تنكر على مصر عروبتها وتدير ظهرها لحضارة عظيمة





لعبة مصر الدور الهام في صياغتها ، فمثل هذه الدعوة حكم التاريخ عليها بالبوار .

وقد جاءت بحوث الكتاب في قسمين ، الاول يضم الأبحاث المتصلة بمرحلة العصر القديم وحتى العصور الوسطى . والثاني خصص للبحوث التي تعالج اطرافا من مصر وعالم البحر المتوسط في العصر الحديث .

فكتب سيد أحمد الناصري عن « التأثير الرومانسي للحضارة المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط » . محمود السعدني عن العلاقات المصرية اليونانية القديمة ، ورأفت عبدالحميد عن الممتلكات المصرية في اسيا الصغرى وبحر إيجه في عصر البطالمة ، والدكتور رأفت عبدالحميد محمد عن مصر والعريش البيزنطي ، وعطية القوصي عن مصر الفاطمية وعالم حوض البحر المتوسط ، ومحمد بركات البيلي عن مدرسة مصر الدينية وصلتها بالأندلس ، وعبادة عبدالرحمن كحيلة عن مصر ومشروع عبدالرحمن الداخل في بعث الخلافة الأموية بالمشرق . وعبدالعزيز محمود عن الصراع بين القوى الأوربية المسيحية ودولة المماليك الجراكسة ، وسعيد عاشور عن مصر معبرا للثقافة الاسلامية في حوض المتوسط ، وحامد زيدان عن الاسكندرية منارة للعلم في البحر المتوسط . وصبحي لبيب عن الفندق كظاهرة سياسية إقتصادية ، قانونية . ومحمد أمين عن معاهدة تجارية بين مصر والبندقية .

والحقيقة أن خوف القارىء من مثل هذه الدراسات الأكاديمية سيتبدد بمجرد الانتهاء من هذا الكتاب ، إذ يبدو أن السادة الدارسين ، أو ربما المحرر ، بذلوا جهدا كبيرا في صياغة موضوعاتهم بشكل متقن وفيه الكثير من اللمسات الابداعية بعكس كثير من الدراسات الأكاديمية التي تتسم بالجفاف .

الكتاب : الحشاشون
تأليف : برنار لويس
ترجمة : محمد العزب موسى
الناشر : مكتبة مدبولي
٢٧٠ ص ، ث متوسط ، ٣٠٠ ق م

هذا كتاب عن واحدة من الفرق العديدة التي ظهرت بين ظهراني الاسماعيلية وواضعه هو المؤرخ والمستشرق الانجليزي الشهير البروفيسور برنار لويس الذي كتب عدة كتب عن « جذور الاسماعيلية » و « العرب في التاريخ » و « ظهور تركيا الحديثة » و « استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية » و « الشرق الأوسط والغرب » وكان قبل وفاته مؤخرا استاذا لتاريخ الشرق الأدنى والأوسط بجامعة لندن .

اما كتابه هذا فقد ظهر عام ١٩٦٧ في وقت إتجهت فيه انظار العالم بشدة للشرق الأوسط نتيجة لتفجر الصراع العربي الاسرائيلي ونشوء ما عرف بازمة الشرق الأوسط .

وفيه - يقول المترجم - يفتح برنار لويس صفحة هامة غامضة في تاريخ المنطقة ويجلوها جلاء بينا حتى ليخيل للقارىء كأن

الأحداث والشخصيات تقفز مجسمة من بين سطور الكتاب .

وقد تتبع المؤلف في كتابه تاريخ فرقة الحشاشين الاسماعيلية منذ بدايتها الأولى إلى نهايتها ، وهي فرقة لعبت دورا غريبا ليس بالقصير في تاريخ المنطقة ونسجت حولها الخرافات والأساطير وأعطت إسمها لفن القتل و « الاغتيال السياسي » . في اللغات الأوربية الحديثة .

ويستعرض في بحثه الشيق هذا تطور فرقة الحشاشين في التاريخ والاساطير ومعتقداتها ووسائلها في الانتقام من خصومها واهدافها الدينية والسياسية كما يبحث مغزاها في تاريخ الاسلام وتاريخ الحركات الثورية والارهابية .

الكتاب : الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر المسرحي .
تأليف : مصري حنورة
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٤٨ ص ، ق كبير ، ٣٠٠ ق م

بعد دراساته السابقة عن الرواية والشعر والمسرح يقدم لنا الدكتور حنورة ، وهو واحد من تلاميذ الدكتور مصطفى سويف رائد الدراسات النفسية في مجال الابداع الروائي هاهو يتقدم بدراسة جديدة تتخذ من المسرح الشعري موضوعا رئيسيا لها .





وهو يرى أن هذه الدراسة تضيف جديدا لدراسته السابقة عن القصيدة ، من زاوية أن إبداع القصيدة متعلق بإنتاج عمل قد يستغرق جلسة اوجلستين ، فضلا عن انه لا يتعامل مع العديد من العناصر كالشخصيات والحوار والحدث والمؤثرات المسرحية ..

ومن هنا فإن الشاعر حين يعمل في المسرحية فهو ، كما يقدر الكتاب انفسهم ، انما يعمل في عالم متشابك معقد يقتضي الاقتراب منه ببطء ومعايشة عناصره بعمق .

ينقسم الكتاب إلى قسمين : الأول يتضمن اربعة فصول ، فصل تمهيدي عن الابداع ، وفصل ثان عن الحوار المسرحي بإعتباره اداة الكاتب او وسيلته لعرض افكاره ، وفصل ثالث عن مشكلة الدراسة والمنهج ، ثم فصل رابع يبسط فيه النتائج التي توصل إليها .

إما القسم الثاني فيه لقاءات مثيرة مع الشعراء صلاح عبدالصبور وفتحي سعيد وفاروق جويدة وشوقي خميس واحمد سويلم ومحمد مهران السيد ومحمد إبراهيم ابوسنة .

بنازير بوتو .. ثأر الزعماء

بقلم : فيليب جلاب

يقول بعض انصار الجنرال ضياء الحق إن الآنسة بنازير بوتو يحركها شيء واحد ضد راس النظام في باكستان وهو الثار لأبيها الراحل ذو الفقار علي بوتو الذي قتله ضياء الحق بعد محاكمة هزلية وبحكم "قضائي" تم اعداده سلفا ونطق به "قاض" لوث سمعة القضاء في باكستان وفي اسيا كلها .

والثار لأب او اخ او زوج خاصة اذا كان في مستوى زعيم شعبي لامع مثل ذو الفقار علي بوتو من طبائع الأمور لكنه لا يصنع زعيما او زعيمة . فالثار لزعيم المعارضة الراحل اكينو في الفلبين لم يصنع وحده زعيمة من زوجته . والثار لشقيق لينين الذي قتله القيصر لم يصنع وحده من لينين زعيما .

وللزعامة بالنسبة لفتاة مثل بنازير بوتو وغيرها مقومات كثيرة لا تخطئها العين ولا تفوت كل من يتابع ملحمة الصراع الدامية بين الجنرال المدجج بالسلاح وقوات الأمن . وبين فتاة رقيقة في اجمل سنوات العمر تحمل ارقى الدرجات العلمية من جامعات بريطانية وأمريكية وتنتسب لاعرق الأسر ثروة ونفوذا في باكستان .



وفي مجتمع تعامل فيه المرأة بوصفها "عورة" . لا يمكن أن يحتشد مئات الالوف من الرجال والنساء في مواجهة القوة الغاشمة وراء فتاة لا تملك كل مقومات الزعامة الحقيقية .

وبينما يهرب رجال كثيرون من المواجهة بحجة احناء الراس حتى تمر العاصفة أو لأن "الحظ" وضعهم خارج البلاد قبل أو بعد الانقلاب العسكرى . تناضل الزعيمة "الصغيرة" لتعود من "المنفى" رغم الحياة الناعمة التي تتيسر لأمثالها في اوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

وتقود بنازير بوتو المظاهرات وتقتحم حواجز الأمن وتدخل السجن وتخرج منه دون أن تفقد اصرارها أو تنسى انها اصبحت رمزا لحركة استعادة الديمقراطية ووضع نهاية لحكم الجنرالات .

واستعادة الديمقراطية هو ثار ملايين الباكستانيين من أولئك الذين حكموا عليهم بالتخلف والاستبداد .

والثار لفرد مهما عظم شانه ربما ينجزه قاتل او ارهابي . لكن الثار لملايين الناس يقوده وينجزه الزعماء فقط !

• مصريون فى بلاد العرب •

على الجارم
سفير مصر فى محافل العروبة

بقلم : د . محمد رجب البيومى

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول أن الشعر العربى قد بلغ أوج ازدهاره فى النصف الأول من هذا القرن ثم أخذت شمسه تنحدر نحو المغيب ؟

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول إن الذين وصموا هذا الشعر ظلما بالخطابية والتقريرية قد عجزوا عن أن يأتوا بما يسدُّ الفراغ الموحش بعد حملتهم عليه ، فانصرف الجمهور عن الشعر والشعراء ، وأخذ الديوان الشعرى فى هذه الحقبة الحاضرة يتوارى فى المنحنيات والسراديب !

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول إن قصائد شوقى وحافظ ومطران ومحرم كانت تتصدر الصحف الأولى من الجرائد اليومية فتجذب الانظار أكثر مما تجذبها خطبة زعيم سياسى تنشر معها فى عدد واحد ! ويظل الجمهور مشغولا بما أبدع الشعر مابين نقد وتقريظ ، حتى تأتى قصائد جديدة لتلقى كل احتفاء !

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول ان زيارتى شوقى لبيروت ودمشق كانتا عيدين سعيدين فى ديار الشام ، فالحفلات تقام والندوات تعقد ، والتصفيق يدوى ، وكذلك كانت زيارة حافظ ، وسفارات على الجارم المتعددة فى ربوع الضاد ! فهل تغير الشعر وتغير الناس !؟

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول ان فريقا من نقاد اليوم خافوا على أنفسهم أن يتهموا بالقصور فاندفعوا إلى تأييد من يقول الشعر الآن ، فيأتى بالرموز المفتعلة ، والخيالات المغتصبة من فتات



الغرب ، والشذوذ المضطرب في نشاز التفعيلات ، ليصبحوا بعد هذا التأييد معاصرين مواكبين ، وشاركوا بما يصنعون في انصراف الجمهور عن كل قصيدة تقال وإذا احتفي فريق من هؤلاء بانفسهم ، فهو احتفال المسجونين في حجرة ضيقة يتحدثون لانفسهم دون ان ينتقل الصدى إلى سامع ذوّاق .

قد يقال إن القصة والمسرحية قد انتشرتا فأخذتا الانتباه ! ولكن انتشار هاتين ، لايمنع ان يزدهر الشعر كما كان ، ولكل كوكب افقه الفيّاح !

نترك هذه الخواطر لنتحدث عن سفارة الجارم في ربوع العربية ولنتفجّع على مجد ادبي قد ازدهر فينانا ثم عاجله الذبول !

احمد شوقي



علي الجارم



حافظ ابراهيم



تقدم على الجارم إلى الأمة العربية بعلمه قبل أن يتقدم بشعره ، فقد عرفته ربوع الضاد بمؤلفاته الرائعة ذات الأجزاء المتعددة في البلاغة والنحو ، لأن ماكتبه الجارم في هذين العلمين كان فتحا جديدا جعل الصعب سهلا ، والبعيد قريبا ، لذلك تعددت طبعات (النحو الواضح) حتى بلغت الخمسين ، وقررت أجزاؤه في مدارس الشام والعراق والأردن والسعودية حينا طويلا من الدهر ، وليت هذا الكتاب الرائع في منهجه العلمي وأسلوبه التربوي ظل مقررا للآن في مصر ، ولكن الذين خلفوا الجارم في التوجيه الفني ارادوا أن يؤلفوا كما الف ، فحجبوا شمسه ، ولم يسدّوا مسدّه ، وحين انتقل شوقي إلى دار الخلود تألق الجارم شاعرا ، كما تألق عالما ، فصار ممثل مصر في محافل العروبة ، والجارم قوى البيان ، مكتمل الأداة ، بارع الالقاء ! كان الجارم أحد الفرسان الصائلة في ميادين الفصاحة الباهرة ، حين كانت البلاغة مهوى النفوس ، وحين كان الجمهور ذواقا يلم بشذور من روائع الأدب في القديم والحديث ، فلما مثل مصر بشاعريته الحافزة ، وديباجته العربية الناصعة ، جذب الأسماع لما يقول ، لقد كان الحفل الجهير يضم أفذاذ الشعر من كل وطن عربي ، ولكل شاعر منزلته الرفيعة دون ريب ، ولكن الجارم يقف في الطليعة بين شعراء كبار فتكون قصيدته مجال التقدير والملاحظة ، ويعود إلى مصر وكأنه عاد من فتح حربي بعد أن سجل بطولة الانتصار ، وإذا كان المصريون قد تعودوا حينئذ سماع روائعه بالاذاعة المصرية إلقاء وترجيعا ، فإن بغداد وبيروت والخرطوم عرفت الجارم الشادى المغرد حين هتف في ربوعها كرة بعد كرة فأوقد جذوات الحماسة ، وأشعل حمية العروبة وأعاد مجد السابقين من فرسان البيان ! وكان صادقا حين افتخر بوحيه الشعرى فقال مخاطبا بلدته المصرية (رشيد) .

هذا وليدُكِ جاء يُنشدُ شعره
ما كلُّ ماتحوي الخيوطُ نِظامُ
اصغى له الوادي وغنَّتْ باسمه
بغداد ، واهتزت إليه الشام

والوادي يشملُ مصر والسودان ، وبغداد عاصمة العراق ، وبيروت إحدى حواضر الشام، وكان الشاعر مجلجلا بصوته في محافل هذه البلاد ، وإليك بعض ماكان في بغداد فحسب ، إذ لايفى مقال واحد بحديث لغير بغداد .

● الجارم في بغداد ●

للقصيدة العربية موسيقى أسرة تهز من يصغى اليها ويشعر بها كل سامع على قدر استعداده ، مهما كان غريبا عن تعمق المعاني ، واستشفاف الخواطر ، فإذا كان من ينشد القصيدة عالما بفن الالقاء ، وتجويد الكلام وكان ذا صوت لؤلؤى الايقاع فإنه يبلغ بتأثيره النفاذ مالا يُبعد وراءه من التأثير وكذلك كان الجارم ، وقد لقب (بالصناجة) لموهبته الالقائية ، فاذا جمع إلى هذا التغريد الساحر ، عذوبة البيان ووضوح الديباجة ، وملك التعبير عن الخواطر المكظومة ، والهواجس الدفينة حتى كأنه ينطق عن أغوار الناس في



موقفه الالقائى فإنه يهز الحفل هزا ، والذين ينكرون ارتياح السامعين لما يبهرهم من الشعر ، ويعدونه من قبيل الخطابيات ينكرون الشعر العربى منذ وجد إلى عصرنا هذا ، وعليهم أن يقطعوا الصلة بين الطريف والتليد حين يأتون بضباب حائر تبدده الريح .

لقد زار الجارم عاصمة الرشيد ثلاث مرات ، فكانت كل زيارة له موسما شعريا لاينقطع صداه عدة شهور ، زارها ممثلا للمجمع اللغوى فى المؤتمر الطبى ببغداد سنة ١٩٣٨ فانشد قصيدته الذائعة .

بغداد يابلد الرشيد
ومنارة المجد التليد

وفيها تحدث عن سجل المجد الخالد ، إذ كانت بغداد مضرب المثل الشرود ، وأنصع سطر للعروبة خط فى لوح الخلود ، ولاينبيك عن بغداد مثل الجارم حين أخذ يناديها متسائلا :

بغداد يادار النهى
والفن يا بيت القصيد
نبت القريض على ضفا
فك بين افنان الورود
سرق التدلل من (عنان)
والتفنن من (وحيد)
بغداد اين البحترى
واين اين ابن الوليد ؟
ومجالس الشعراء فى
بيت ابن يحيى والرشيد ؟
أين القيان الضاكا
يَمِسْن فى وشى البرود
الساهرات مع النجوم
الانفات من الهجود
يخطرن حتى تعجب الا
غصان من لين القدود
وإذا سفرن فاين ضو
ء الشمس من شفق الخدود
يعبثن بالأيام والأيا
م اعبث من وليد

خبا الجمال لهن كنزاً
بين سالفة وجيد

ويترك الشاعر مظاهر الترف والنعيم إلى مواقف القوة والسلطان فيتحدث عن الجيش الزاخر بالاساد ، والبهو الفسيح الحافل بوفود الدول . فالرسل تتلو الرسل من بيض صقالبة وسود ، والجو يسطع بالسيوف ، والارض تزخر بالجنود

حتى إذا رجعوا بدا
بجباههم اثر السجود

اما عواطف الشاعر الذاتية فهى عواطف كل عربى مثقف شاعر ، يقرا التاريخ ، ويجمح بالخيال الى أبعد مراميه ، فيجوز القرون النائيات ، ويفك أسرار العقود ، ويهتاجه الطيف البعيد فيصبو إلى ظل الجاه والعزة فى زمان المجد الغابر ، وينادى أمة اليوم أن تعيد مجد الأمس . فاليوم يوم السباق والعدو ، لا التقهقر والنكوص ، والمجد يدعو ذوية للصعود فلا نكول ، كل هذه المعانى وجدت متنفسها العاطر فى قول الجارم .

اما اثر القصيدة فى الحفل الحاشد بعلمائه وأدبائه ومفكريه ، فقد عبر عنه الدكتور زكى مبارك ، ولم يكن صديق الجارم إذ كانت بين الرجلين شوائب العمل المشترك ، ولكن المبارك خلص للحق حين قال فى كتابه (ليلى المريضة فى العراق) مخاطبا الجارم .

"أيها العُدوّ المحبوب ، تذكر أنك كنت حقا وصدقا شاعر مصر فى المؤتمر الطبى العربى وستمر أجيال وأجيال ولاينساك اهل العراق .

هل تعرف مصر أنك رفعت رأسها فى العراق ، وأنك كنت خليفة شوقى فى المعانى ، وخليفة حافظ فى الإلقاء ، إننى أطلب المستحيل حين أطلب من مصر إنصافك ، وهل انصفتنى مصر حتى تنصفك ؟

يرحمنى الله ويرحمك ، فعنده وحده جزاء المجاهدين !"

وكلام زكى مبارك اعتراف تقريرى تجرد من الوصف التصويرى ، ولكن الأستاذ عبد المنعم خلاف وكان احد شهود الحفل أجاد الوصف الدقيق الشامل حين قال نقلا عن مجلة الرسالة .

«ثم وقف الجارم يرسل قلبه فى صوته المعهود ، الذى يخيل إلى أنه كله أنة عميقة ، من فرط الشجو وإثارة النفس ، واستحضار المعانى الكامنة التى لا تظهر وتستعلن إلا إذا تلأ لَها ساحر رقية ، أو عزف لها عازف برنة ، أو شدا لها شاد ، او خيل لها مخيل بريشة .

وقف - الجارم يقلب وجهه فى السماء والأرض والجهات الاربع ، فى قلق وغيبوبة شاعر ، ويمسح على أبصار الجمع بحركاته ، ويرسل نشيده ، فيخيل إلى من سحره أن كلماته أجسام تسعى ، أو أمواج تطغى على قلوبنا فتملؤها بالذكرى الحادة ، ثم بالفخر النافخ ، ثم بالضحك المرسل ، ثم بالعزم الدافع ، ثم بالأمل القريب ، وكنت أرقب خلسة



وجهى طبيبين أوربيين أخذا مجلسهما بجانبى يستمعان فى غير فهم الى مايقال ، ويريان صداه ، صفق كف بكف ، وتلاقى هتاف بهتاف فأعرف مايقولان»

● زيارة تالية ●

اشتعلت الحرب بين قبائل شمر والعبيد فى بادية العراق ورأى شيخ العرب المصرى ، والمجاهد السياسى المعروف حمد الباسل باشا أن ينهض بالصلح بين القبيلتين العربيتين وبذل من الجهود المباركة ما كُلل بالنجاح فأحتفلت السفارة المصرية ببغداد بهذه المناسبة الرائعة ، وتصدر حمد الباسل مجلسه بين شيوخ القبيلتين وأعيان الدولة من الوزراء وذوى الشأن ، وكان الجارم حينئذ ببغداد ، ينوب عن وزارة المعارف فى حفلة تأبينية كبرى لراحل عظيم ، واتيح له أن يشهد مع حمد الباسل الجلسات الاخيرة للصلح ، حتى إذا اثمر المسعى ، وقامت السفارة المصرية بحفلتها المهنئة ، كان الجارم شاعر الحفل ، فدعا للسلام ، وطاف بذهنه زهير بن أبى سلمى حين هنأ العرب مباهيا بالصلح السعيد بين عبس وذبيان ، فأشاد به وتمنى أن يكون بين القوم ببغداد .

فليت زهيرا بيننا بعد ماخَبتْ
لظى الحرب وانجابت غيوم القساطل

على أن الجارم فى قصيدته كان موهوبا ملهما إذ أستهول أن يقتل الاخ أخاه ، وهو درعه الواقى فى النوائب وإذا مسه الخطب فداه ، دمه من دمه فياويل ما صنعت يده إذ همت لترميه ! ولعلنا فى مآسى العرب والمسلمين اليوم بلبنان وخيام الفلسطينيين وبالعراق وإيران نردد ما قال الجارم ، إذ صاح .

أخى انت درعى إن ألمت ملمة
وإن فدحتنى عابسات النوازل
أخى انت من نفسى ، دماؤك من دمى
«فإن كنت ماكولا فكن خير اكل»
ارمى أخى ياويل ماصنعت يدى
فياليتها كانت بغير انامل
إذا مسنى خطب فأول راكب
يخوض لى الجلى ، واسرع نازل
أكلت دما إن لم ازد عن حياضه
كريما ، وأدفع عنه كيد الغوائل
وأبسط كفى نحوه غير جافل
ويبسط نحوى كفه غير جافل

إذا البيد لم تنبت نباتا فحسبها
فقد انبتت فينا كريم الشمائل
السنا الكرام الغر من آل يعرب
لدى الرّدع او عند التفاف المحافل

وقد انتهى الحفل وخرج المجتمعون يرددون شعر الجارم ، حتى الأميين الذين لايقرءون ولايكتبون من شيوخ العرب فى شمر والعبيد طربوا للشعر ، وطلبوا عدة نسخ من القصيدة ليقرأها الأولاد فى المدارس وما كان لديهم من المدارس حينئذ إلا مدرستان ابتدائيتان تعلمان عددا محدودا من التلاميذ فى بيدائهم المترامية ، ولكن نفاذ الشعر وقوة تأثيره مما لايرد !

● فى تأبين الزهاوى ●

ذهب الجارم أول ماذهب الى بغداد مشتركا فى تأبين الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ، وللزهاوى منحى فى الشعر يخالف منحى الجارم ، كما أن تهجمه فى بعض شعره على الغيبيات مما يرفضه شاعر محافظ متشدد كالجارم ، وكأنى به وقد حار فيما يقول ، او فيما ينبغى أن يقول ، ليوفق بين اتجاهين يكادان يتعارضان ، لذلك كان الجارم ذكيا غاية الذكاء حين رثى الشاعر بالمعنى العام لكل سباح فى أجواز القريض لا بالمعنى الخاص الذى ينحصر فى شخصية الزهاوى فقد بدأ القصيدة بما يقرب من ثلاثين بيتا يتحدث فيها عن روض باسم غادره طائره فاقفر ، وارتمت مصوّحة أزهاره فذوى نبته بعد البشاشة وانقطعت ترانيمه المشجية فوق الأغصان وكانت .

إذا أرسلت ألحانها فى خميلة
تواثب زهر الروض واهتز عاطره
وإن هتفت بالدوح مال كأنما
يسايرها فى لحنها وتسايره
أولئك أوتار الإله وصنعه
إذا عزفت فليسكت العود واتره
ألمت بأسرار النفوس فترجمت
كما فسر الحلم المحجب عابره

هذا ماكانت ، أما بعد أن رحلت ، فقد مضى الغدير العذب ، وجف الروض المزهر ، وأصبح قابضا موحشا .



ثم انتقل الجارم الى الأوج الفسيح حين ترك الزهاوى الى العراق وماضيه الزاهر ، ولايبدع فى هذا المجال غير شاعر كالجارم ملىء الصدر بتاريخ العراق سياسة وحضارة وادبا وعلما وفنا وثقافة ، وإنه ليتحدث عن بعض ذلك فيقول .

سموت الى بغداد والشوق نحوها
يساورنى حينا وحينا أساوره
كلانا نأى عن اهله وعشيره
ليلقاه فيها اهله وعشائره
حبيب إلى نفسي العراق واهله
وسالفه الزاهي المجيد وحاضره
ديار بها الاسلام ارسل ضوءه
فسار مسير الشمس فى الافق سائره
ومدت بها الآداب ظلا على الورى
تساوت به آصاله وهواجره
إذا شئت مجد العرب فى عنفوانه
فهذى مغانيه ، وهذى منائره

وقد كرمت العراق شاعر مصر الكبير على الجارم فمنحته وسام الرافدين ، كما كرمه لبنان فمنحه وسام الأرز ، أما مصر فقد منحته وسام النيل ثم امدته الرتبة الثانية وذلك بعض مايستحق .

● ديوان الجارم ●

ظهر اخيرا ديوان على الجارم محتفلا بطبعه واخراجه فى أجمل مظهر ، وقد قام نجله الكريم بمجهود مشهود فى جمع ماتناثر ، وإذا شاء ان يتصل بى فأرسل له عدة ملاحظات نقدية على بعض الشروح المدونة للأبيات ، كما أرسل إليه قصيدة ممتازة نسى ان يلحقها بالديوان كانت مدحة صادقة لزعيم مصر الخالد مصطفى النحاس ومطلعها .

أبت أعلام مجدك أن تسامى
وعزت همة لك أن ترامى

لتكون إلى جوار أختها التى صدرت بالديوان ص ٥١٥ وهى من عيون الشعر العربى الأصيل .

أنت .. و الهلال

● ٥ يونية ●

● قرأت في عدد اغسطس من الهلال مقال الدكتور فؤاد زكريا « ٥ يونيو في فكرنا السياسي » وبعد مقدمته التي تناول فيها الذوايات والراقصات خلص بالتحليل الذي اورده على لسان الناصريين واليمينيين والاسلاميين ٠

وانني اتفق مع الدكتور فؤاد زكريا على ان اسباب الهزيمة ترجع الى عدم المشاركة الشعبية الكاملة في حكم الشعب نفسه بنفسه ٠٠

ولكن الدكتور خلط بين جماعات الاسلاميين وقدمهم كشريحة واحدة يرتكز رأيها في أسباب الهزيمة على الدين وان الدولة هزمت لانها سلكت مسلكا علمانيا يخالف الدين ٠

واذا كان المقصود بكلمة العلمانية مخالفة الدين فهذا قول مغلوط واذا كان « العلم » فنقول نعم ان العلم هو الرافد الوحيد الذي ينبع من معين هذا الدين الذي يروى الحياة بكل روافدها التي تنبع من تجارب البشر وتطلعاتهم ٠

ولا يستطيع احد ان يزعم ان الدين عدو للعلم ٠ بل ان العلم هو الرافد الذي لا ينضب مجراه (علم الانسان ما لم يعلم) ٠٠ وتحدى الدكتور زكريا أن يأتى هؤلاء الاسلاميون بما يثبت تاريخيا ان الدين كان سبب الهزيمة ٠٠ وقد جاءنا بأمثلة لحرب الهند وباكستان واسرائيل والعرب ، مع ان هذه الحروب لم تكن دينية في رأينا ٠٠ وجميع الحروب التي وقعت في التاريخ كانت ترتكز اساسا على الحرية او الدين وهما متحتان الهيتان ما لم تتوفر احداها في شعب فلن يكتب له النصر مهما بلغ من القوة ، والتاريخ القديم والحديث شاهد على ذلك ٠

ويتساءل الدكتور فؤاد زكريا : هل الدين هو المحور الرئيسي لوجود الانسان والمتحكم في كل نشاط يمارسه ، أم انه احد المحاور الهامة في هذه الحياة الى جانب محاور اخرى لها الحق في أن تسير في طريقها المستقل وتعالج بأساليب مستمدة أساسا من تجارب البشر وخبراتهم ؟

ويقول أن العلمانية تمثل البديل الاخير وأن هذا البديل ليس على الاطلاق كفرا ولا زندقة ولا خروجا متعمدا عن الدين ٠

انني أعجب كيف جعل الدكتور من تجارب الحياة ندا للدين ، كأنما

هذا الدين الذى أنزله الله لا تكمل به الحياة الا ومعه محاور أخرى تضاف اليه ..

من الذى خلق السموات والارض ؟ من الذى قدر أقواتها ؟

وهل للعقل أن يخرج على خالقه ويدعى ان تجاربه محاور تضاهى أمر الدين الذى أنزله الله ؟!!

ان الله أرسل الرسول (ص) بهذا الدين ليعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا ويرفع عن ابصارنا الغشاوة ، وعن عقولنا الضلالة فكيف يرى الدكتور أن دين الله أحد الروافد مع تجارب البشر ؟!!

ورغم ان كاتب مقال ٥ يونيو قال ان الدين ضرورى وخاصة الدين الاسلامى لانتصار الجيوش أنه عاد وطالب الاسلاميين بأن يقدموا دليلا على ان الهزيمة سببها البعد عن الدين .

وسأسوق تجربة بسيطة مع الاسرائيليين لقد حاربنا نحن المتطوعين من الاخوان المسلمين اسرائيل سنة ١٩٤٨ بالبنادق الايطالية والفرنسية ولم تكن معنا مدفعية ميدان ثقيلة ولم تكن جيوشا جرارة فأخذنا من اليهود ثلاثا وعشرين مصفحة ومدرعة ودبابتين « شيرمان » كانتا لدى اليهود من الحرب العالمية الثانية فى معركة العوجة العريش . وقمنا بتموين قوات الفالوجا المحاصرة بالمؤن والعتاد والذخيرة مما شهد به اللواء فؤاد صادق واللواء المواوى فى المحكمة ابان حكم الملك فاروق

ومن هنا أدرك الاسرائيليون انهم لا قبل لهم بهذا المد الجديد الذى يفوقهم عقيدة واستبسالا واستخفافا بالموت فعملوا على ان تكون معركتهم مع الجيوش وليس مع الفدائيين العقائديين .

وأذكر الدكتور بحرب الفدائيين فى لبنان ، فانهم حاربوا الاسرائيليين مدة أطول من أى مدة خاضتها الجيوش العربية مجتمعة ضد اسرائيل .

ان الحرية أساس الحياة والدين اساس اعظم للحياة ، وبدونهما لن تكون هناك حياة .

واذا أرادت الامة العربية ان تحيا فليس لها من سبيل الا الدين وليس لها من عدو الا اسرائيل وليس لها من معين الا اهلها ابناء الوطن الذين هم وحدهم يصنعون الحياة !

على نعمان

● العقاد والنقد ●

● كانت أكبر معارك العقاد النقدية ضد شوقى .

ومن وجهة نظرى كانت هذه المعركة لازمة فى وقتها مع حدتها وقسوة عبارة العقاد فيها ، لانها كانت تهدف الى التجديد والخروج بفن الشعر

عن الاطار المحدود المعروف

اكان يمكن ان يدور الشعر العربي في قوالبه الموروثه سواء صدق الشاعر مع نفسه فيما يقول ام كذب ؟

لقد كان لابد من ثورة نقدية ناجحة ، فجاء كتاب « الديوان في الادب والنقد » حيث وضع العقاد شوقيا امام اخطائه ، وانتقد طريقته في النظم .

ولا أظن ان ما اورده العقاد من مبادرات نقدية قد رد الى نحره ، وانما سار به الشعراء والنقاد . فقد تغيرت مقاييس النقد من وحدة البيت الى وحدة القصيدة ، ومن شعر المناسبات الى شعر النفس والطبيعة، ومن المراثي والتهاني الى استظهار دخائل الشعور والفؤاد ، ومن القصيدة الخطابية الرنانة الى القصيدة التي تناجي الوجدان ، وهذه آثار واضحة لما قاله الشعراء المجددون عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازني .

لم يتفرد العقاد في انتقاد شوقي على نحو ما يقال ، فما اكثر النقاد الذين تصدوا لشوقي وعرضوا باشعاره ، ونذكر من هؤلاء طه حسين ، والمازني ، ومصطفى صادق الرافعي ، وميخائيل نعيمة ، ومحمد مندور ، ومن قبلهم انتقده المويلحي وابراهيم اليازجي ، وحافظ ابراهيم وغيرهم ، وكل من ذكرناهم من أعلام الفكر واعيان الادب ، ولا يتسع المجال لاثبات ما اوردوه في نقده .

وفي محاولة استفزاز عواطف القراء ضد العقاد ، عاب ناقد قول العقاد : « فلم اعثر على شاعر واحد انبتته مصر كي يذكر بين اعاظم الشعراء وتسمع له رسالة من رسالات الحياة ، فكل شعرائها عرب او مقلدون للعرب » .

وعبارة العقاد – على ما فيها من حدة – سليمة صحيحة فكل شعراء مصر الاسلامية اما من أصل عربي أو مقلدون للعرب ، ومادام الشاعر المصري ينظم بالعربية ويستخدم أوزان الخليل فهو عربي او شبيه به في هذا المجال ، وهل يمكن ان يقال ان الفراعنة كانوا يشعرون بالعربية ؟ ومن هم شعراء مصر القديمة ؟ وما مكانتهم في عالم الفن الشعري ؟ واضح أن من ينتقد أقوال العقاد تلك لا يبتغى الا استدرار تعاطف القراء مع تهجمه على العقاد ..

احمد حسين الطماوى

● الى الكيلاني ●

● يبدو انك اقتنعت تماما بأنك وصى على الادب فامتدت مظلة وصايتك الى القانون لنسمعك قائلا : « انك بهذا التفكير ستضيع القانون والادب » .

ويبدو أن الامر خطير ولكن نقول : ياعم سيد استرح ونم فى العسل ولاتقلق على القانون والادب فلهما رجال ٠٠ وفرسان !!

ودعنا من هذا لانذكرك بأصل الموضوع وهو افترائك على العقاد فلماذا تجاهلت فى ردك ذكر العقاد وأمسكت بالعسل والطحينة ؟! ٠٠
وقد هجوتنى فى كلامك متمثلا قول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

فدعنى أنشد على مسامعك قول المتنبى :

واذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بانى كامل

رمضان الهجرسى

● الى روح الشاعر صلاح عبد الصبور ●



كانت تضمنا رهافة المساء
اصغيت لك
والصوت قادم من الفلك
والمر الحديث فى النخاع غابة العبق
وعبر شدقيك اطل الشعر بالاباء
يلبس ثوبا من الق
وعندما ارتديت دمعتين
من حزنك المضاء
وجدتنى اسبح فى مناسك الشفق
لا تقف الليلة ساكنا
انت هنا
انا هناك
فى واحة الشعر الطليق
الرجفة الهابطة الودود
عالقة فى ضوء مصباح وحيد
والزهرة الحزينة
جالسة خلف لظى لبلابة عطشى
عاتبة على صدى الموج البعيد



في رعشة اخيرة للفارس القديم
تدحرج الليل مجلجلا
يلملم البواكير جريحة الرداء
ينزع منها رغبة الضياء
تبكى الرياح في خواطرى
خواطرك
ويستقر الليل عقيما في الدماء
انت هنا
انا هناك
وبيننا قوافل الصخب
دامية مجلجة
والصمت راحل الى اللهب
والزاد في عصب الرياح
والنورس الطليق ينطوى بلا رؤى
يموت دونما نداء
صوت الكمان يرتدى الوشاح
ويختفى مؤرقا
انت هنا
انا هناك
والشعر في جداول المأساة
يدمى
ويدخل التابوت مطرقا
والطيف عاد للرحيل ظامئا ممزقا
يكتب حلم الشفق المهيب
والصلوات في الدجى تدفق شعرا محرقا

عبد الشافى داود

● تقع احيانا اغلاط مطبعية في بعض المقالات .. والاغلاط المطبعية هي البلاء الذى ابتليت به الصحافة العربية والمصرية بوجه خاص - ونحن نعترف بذلك - في هذا الزمن الاخير .

ومن ذلك خطأ وقع في كلمة « عزيزى القارىء » في العدد الماضى ، في قول المجلة : « فكيف لو نفد البترول » .. فقد ظهرت كلمة « نفد

وفوق الدال نقطة فصارت ذالا ، وهذا خطأ فاحش من أخطاء أيامنا هذه ، يريد الكاتب أن يقول « نفد » فيقول « نفذ » .. ونحن لم نخطيء بوضع النقطة على الدال ، بل أخطأ فى ذلك قسم التصحيح مع الأسف .. كذلك أخطأ هذا القسم فى حذف الألف الأولى من كلمة « خضراوات » فصارت « خضروات » مع أن الكلمة جاءت فى سياق « لغويات » التى شعارها تصحيح اللغة !.. وهناك أخطاء أخرى نرجو الإغضاء عنها ..

وقد « نفد » صبرنا « بالدال لا بالذال » من هذه الأخطاء ولكن لا فائدة !.. ونرجو ألا يقع خطأ أيضا فى هذا الاعتذار .

● الهلال ●

● نظرات فى شعر العقاد ●

● نظم العقاد قصيدة طويلة فى رثاء السلطان حسين كامل ، ولم يترك منقبة من المناقب إلا أسندها إلى السلطان مع أنه لم يكن يملك من الأمر شيئا ، بل كان الحكم كله فى يد سلطات الاحتلال . ولكى ندرك ما فى هذا الرثاء من كذب ونفاق يحسن بنا أن نقدم إلمامة موجزة عن الحالة الاقتصادية فى تلك الفترة المظلمة ، فترة الحماية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى ..

فما كانت الحرب تنشب حتى توقفت حركة الوارد والصادر ، فهبطت إيرادات الجمارك وظهر عجز خطير فى الميزانية ، فصدر قرار بفصل عدد كبير من الموظفين والعمال . كما توقفت حركة الشركات والبنوك ، فاضطرت إلى فصل موظفيها وعمالها . وتوقفت حركة البناء . وهكذا وجد آلاف الموظفين والعمال أنفسهم وقد فقدوا مورد رزقهم وأصبحوا هم وأولادهم عرضة للموت جوعا وهبطت أسعار القطن وعجز أصحاب الأراضى عن دفع الضرائب ، ولم ترحمهم الحكومة ، بل وقعت الحجز على مواشيهم وما فى منازلهم من أمتعة بسيطة . ووضع البنك العقارى يده على مساحات واسعة من الأرض الزراعية . ومع كل هذه المصائب والآلام والفواجع نرى العقاد يسخر شاعريته الضحلة فى التحدث عن الرخاء والرفاهية التى أوجدها السلطان . قال :

وادى الكنانة زال عنه همامه ... وخباسناه وتكست أعلامه
ومضى مضى الغابرين حسينه ... سبحان من يفنى الدهور دوامه

وقوله : سبحان من يفنى الدهور دوامه ، أشبه بكلام عامة الناس منه بكلام الشعراء .. وقال :

وأوى إلى أخرى المضاجع فى الثرى ... جسد تضمخ بالثناء رغامه
وهى المنيـة ليس يعصى حكمها ... من ليس تعصى فى الورى أحكامه

فهذا شعر خلو من العاطفة ومن الإحساس الذى بدونه لا يكون الشعر إلا مجرد لغو ويكون العقاد هنا كندابة المأتم لا أكثر ولا أقل . وقال :

مرت ثلاث سنيه وهي كانها — صبح غداة الامس حل ظلامه
مرت مخفقة الصروف سريعة — وكذا الرخاء سريعة ايامه

وعجيب ان يخالف العقاد ضميره ويجرؤ على الكذب بشكل يدل على استهانته بالرأى العام الذى كان يحقد على السلطان بدليل المؤامرات التى دبرت لاغتياله ، عجيب ان يقف العقاد موقف المتنكر لوطنه . الخارج على الامة .. وقال ايضا :

واقــام فى كنف الرفـاهة شعبها — وافــاق من غفلاتهم نوامــه

ان الذى دفع العقاد الى هذا النوع من الكذب والتملق والنفاق هو ابتهاجه بنفى احمد شوقى وكانت العلاقة سيئة جدا بين الامير حسين كامل وبين شوقى الذى هجا الامير هجاء مرا ، وعرض به تعريضا قبيحا فى قصيدته التى نظمها حين غادر كرومر مصر الى غير رجعة فقال :

فى ملعب للمضحكات مشيد — مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد الحسين عليه لعن اصوله — وتصدر الاعمى به تطفيلا
جهل اقل وحط من قدريهما — والمرء ان يجبن يعش مرذولا

وكان حسين كامل رئيسا لحفلة وداع اللورد كرومر عدو مصر والمصريين .. ومنها :

ومضى على السنن القويم رجاله — ونساؤه ورعاته وسوامه

وقوله « رعاته » لا تضيف جديدا الى المعنى بعد ذكر « رجاله » . اما كلمة « سوامه » فهى مجلوبة للقافية . والبيت كله تافه المعنى . وقد ختم القصيدة بمدح السلطان فؤاد .

فالعقاد مقلد ، لا مبتكر ولا مجدد ، والا فاين مظاهر التجديد فى هذه القصيدة ؟

واستخدم كلمات غريبة تدل على فساد ذوقه وجهله بطبيعة العصر الذى يعيش فيه مثل المشمخر ، تأطر ، سمادير ، مؤرب ، المتاشب وغيرها كثير .

ومن قوله الذى يدل على سوء تفكيره وعمى بصيرته ، واستهتاره بالقيم الدينية :

واحسب لو انا حللنا بجنة — خلودا لشاقتنا هناك جهنم

وهذا كلام لا يصدر من عاقل ، لان من يكرمه الله ويدخله جنة تجرى من تحتها الانهار ثم تشتهى نفسه ان ينتقل الى جهنم فلابد ان يكون معتوها . وله من قصيدة تحت عنوان « على النيل » :

وحدا الخرير بنا فكان حداؤه — نعم الغناء لنا عن المجداف

والخرير هو صوت انسياب الماء . ويقول العقاد ان هذا الصوت

اغناه عن استخدام المجداف وهذا كلام فارغ من المعنى · ومنها :

والبدر منفرد الجلالة سادر   متنقل كالناعس الطواف

فكيف يكون ناعسا اى نائما ويكون فى نفس الوقت طوافا وهى صيغة مبالغة ، اى كثير الطوف · ومنها :

فالذكر والنظر العيان كلاهما   حلم بها متلبسا به الافواف

والمعنى كله تافه يدل على ان العقاد لم يمتزج بالطبيعة ولم يتفاعل معها · ومنها :

لو كان يدفع بالتوقع حادث   لرايت فى تنبؤ العراف

اى انه كان يضرب المندل ويحرك الودع ويقرا الفنجان ويشوف ! ··

ومنها :

دهر قد انبسطت عليه ساعة   فاستأنفته احسن استئناف

واحسن استئناف لا يكون الا فى محكمة الاستئناف ثم فى النقض !·

ومع انه من اهالى اسوان فقد هجا بلدته قائلا :

فليس باسوان من طلعة   يسر برؤيتها الشاعر
وليس على افقها كوكب   يرامقه النظر الساهر
متى ايها النجم يوما اراك   وانت على غيرها دائر

فيا عقاديون الا تخجلون من الدفاع عن الباطل ؟؟

محمد سيد كيلانى

● حوار مع الاصدقاء ●

● **احمد نفادى ـ العباسية ـ القاهرة :**

ـ فى قصيدتك « لا تخجلى » التى مطلعها : يا فتاة الحسن لا تخجلى » ·· ابيات موزونة جيدة ، وابيات اخرى مهتزة الوزن ·· وشاعريتكم واضحة ، ولكن خلل الاوزان فى بعض ابياتكم يدعو للحيرة !

● **رفعت محمد بربرى ـ سوهاج :**

ـ وصلت الينا عدة قصائد منكم ، وهى طيبة ، ونراكم الآن احسن حالا فى الشعر مما كنتم منذ عامين ، فقد استقامت الاوزان لديكم مما يدفعنا الى تهنئتكم بحرارة ··

● **عزت الطائر ـ فرشوط :**

ـ قصيدة محمود عبد الحفيظ عبد العزيز التى ارسلها الينا وارسلها فى الوقت نفسه الى مجلة اخرى فنشرناها نحن وتلك المجلة ·· دليل جديد على تلهف الشبان على النشر لمجرد النشر !·· وانت ايضا ارسلت الينا نسخا من قصائد كنت قد ارسلتها من قبل الى مجلات خليجية

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .



اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			

نوفمبر ١٩٨٦ ، الثمن ٥٠ قرشا

الهلال

- مستقبل الثقافة بين: طه حسين وسيد قطب
- ظرفاء مصر

ذهب.. وقصة الحضارة





من روائع الفن الإسلامى

يقدم الفن الاسلامى فى تركيا سجلاً بالأحداث الهامة فى حياة الدولة العثمانية ، وهذه اللوحة تسجل إعدام من حاول إغتيال السلطان بايزيد الثانى ، خلال عبوره البوسفور .. وهذه اللوحة يحتفظ بها متحف طوب كابى فى اسطنبول .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ، أول نوفمبر سنة ١٩٨٦ م ، ٢٨ صفر ، سنة ١٤٠٧ هـ

في هذا العدد



البانكس قبائل
مابعد الهيبس
«رسالة لندن»
ص ١١١

● فكر وثقافة ●

● رسائل صحفية ●

● ● رسالة لندن !

● ● رسالة سويسرا

● شخصية العدد ●

● دراسة الهلال ●

● شعر وقصة ●

● الأبواب الثابتة ●

● القفز على الاشواك :

عزيزى القارئ

١٣ نوفمبر
عيد الجهاد الوطنى

هل لك - عزيزى القارىء - فى وقفة عند اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر ؟! ..

كان من عادة الصحف المصرية ان تحتفل بيوم ١٣ نوفمبر من كل عام . بوصفه عيدا للجهاد الوطنى فى طلب الحرية والاستقلال .. وكانت تخصه بصفحات طوال من الشعر والنثر لكبار الشعراء والكتاب ..

وقد عادت الصحف المصرية الى الاهتمام بهذا اليوم الذى لايمكن ان يسقط من تاريخ مصر ، والذى اطلق عليه الشعب المصرى « عيد الجهاد الوطنى » .. لأنه كان الخطوة الأولى الى ثورة ١٩١٩ الشعبية العظيمة التى ايقظت مصر وأخرجتها من كهفها ورقيمها اللذين الجاها إليهما عنف الاحتلال البريطانى وقبضته الحديدية من بداية الاحتلال سنة ١٨٨٢ الى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨

فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ انتهت الحرب العالمية الأولى التى انتصرت فيها بريطانيا ، وحلفاؤها على المانيا والدولة العثمانية .. وكانت مصر ايامئذ

تحت « الحماية العسكرية » التى فرضتها عليها بريطانيا طيلة سنوات الحرب .. ولما كانت مصر ـ رسميا او شكليا ـ من املاك الدولة العثمانية حينذاك ، فقد أجمع المصريون على ألا تضيع بلادهم فى التقسيم الذى أزمع المنتصرون إجراءه فيما بينهم لأملاك الدولة العثمانية المهزومة ، فيضم البريطانيون مصر الى املاكهم وتصبح فى مستوى مالطة وجبل طارق وجزر الفوكلاند وهنج كونج وامثالها ..

لهذا تألف بسرعة وفد من ثلاثة زعماء هم : سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمى بك وعلى شعراوى باشا .. والتقى هذا الوفد فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ـ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بيومين فقط ـ بالمعتمد البريطانى السير ريجنلد ونجت ممثل الحماية البريطانية فى القاهرة ..

وبدأ سعد زغلول باشا فقال للسير ونجت :

ـ ان الهدنة قد عقدت ، وللمصريين الحق فى القلق على مستقبلهم ! ..

رد ونجت بكبرياء :

ـ لاتتعجلوا .. ان المصريين لاينظرون الى العواقب ! ..

قال سعد متعجبا :

ـ هذه عبارة مبهمة .. لا افهم المراد بها ! ..

قال ونجت يوضح عبارته :

ـ أريد أن اقول إن المصريين ليس لهم « رأى عام » بعيد النظر ! ..

قال سعد فى لهجة احتجاج :

ـ لاأستطيع الموافقة على ذلك ، فإنى إن وافقت انكرت صفتى ، فأنا منتخب فى الجمعية التشريعية فى قسمين من اقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض إرادة « الرأى العام » مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابى ، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعراوى باشا وعبد العزيز بك فهمى ..

قال ونجت منددا بالمعارضة والمقاومة الوطنية قبل الحرب وخلالها ، داخل مصر وخارجها :

ـ إنه قبل الحرب حصل كثير من الحركات ، وكتابات محمد فريد وأمثاله فى الحزب الوطنى وكان ذلك بلا تعقل ولا روية ، فما هى أغراض المصريين ؟!

قال على شعراوى باشا :

ـ نريد ان نكون اصدقاء الانجليز ، صداقة الحر للحر ، لا العبد للحر ! ..

صاح ونجت فى لهجة بين الغضب والسخرية :

ـ إذن انتم تطلبون الاستقلال !

انبرى له سعد باشا :

ـ ونحن له أهل ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة ؟! ..

قال المعتمد البريطانى مستهزئا :

ـ ولكن الطفل اذا اعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم ! ..

فازداد عبد العزيز بك فهمى توترا ، وهو بطبعه كثير التوتر ، وقال مغتاظا محنقا :

ـ نحن نطالب بالاستقلال التام .. وقد ذكرتم الحزب الوطنى ، فأقول لجنابكم ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال ، وكل البلد كانت تطلب الاستقلال . ونحن فى طلب الاستقلال لسنا مبالغين ، فإن أمتنا أرقى من الصرب والجبل الأسود وغيرهما ممن نالوا الاستقلال ..

قال ونجت :

ـ ولكن نسبة الأمية فى مصر كبيرة ! ..

قال عبد العزيز فهمى :

ـ هذه النسبة مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فإن لمصر تاريخا قديما باهرا وسوابق فى الاستقلال التام ، وهى قائمة بذاتها ، وسكانها عنصر واحد ، ذو لغة واحدة ، وهم كثيرو العدد ، وبلادهم غنية .. وبالجملة فشروط الاستقلال متوافرة فى مصر ..

قال ونجت فى ازدراء :

ـ كانت مصر عبدا لتركيا .. افتكون أحط منزلة لو كانت عبدا لانجلترا ؟! ..

رد شعراوى باشا فى هدوء :

ـ لا تسرنى الحالتان ، لأن العبودية لا أرضاها !

واخيرا قال سعد زغلول باشا :

ـ نحن نعترف لانجلترا بالأعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر ، فنطلب باسم هذه المبادىء أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها ، صداقة الحر للحر ! ..

هذا الحوار السياسى غير المسبوق فى تاريخ مصر كله ، والذى يبدو لنا الآن لفرط دقته وبلاغته كأنه حوار فى إحدى مسرحيات شكسبير ، كان بداية نهوض الشعب المصرى للجهاد فى سبيل حريته واستقلاله ! ..

فلم يكد وفد الزعماء الثلاثة يبارح قصر الدوبارة - دار المعتمد البريطاني - حتى بدأت مؤامرات السياسة البريطانية لوأد الحركة الوطنية المصرية الناشئة ! .. ولكن الغليان الشعبي في مصر كلها سبق هذه المؤامرات ، فلم تمض اربعة اشهر على لقاء قصر الدوبارة ، حتى اندلعت ثورة مصر في ٨ مارس سنة ١٩١٩ تهتف فيها ملايين الحناجر بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ، ويسترخص المتظاهرون والثائرون دماءهم وأرواحهم ، وقد انبعثت في الامة كلها روحها القومية ووحدتها الوطنية .

ذلك هو باختصار تاريخ « عيد الجهاد الوطني » او يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، نرويه للاجيال الجديدة التي لاتعرفه ، وللاجيال القديمة التي كادت تنساه .. كان هذا اليوم أول طرقة عنيفة على باب المحتل البريطاني في طلب جلائه عن بلادنا جلاء ناجزا يترتب عليه الاستقلال التام ! ..

وقد أذهلت المفاجاة المارد البريطاني الثمل بالنصر في الحرب العالمية ، والمدجج بالسلاح ، والقابض على الكرة الأرضية من مشرقها الى مغربها ! ..

كانت ثورة ١٩١٩ وليدة ذلك اليوم ، يوم ١٣ نوفمبر الذي تحاورت فيه قمة الزعامة المصرية مع قمة رموز الاحتلال البريطاني ، فلما فشل الحوار ، انفجرت الثورة الشعبية ، فكانت من اعظم الثورات في تاريخ الامم الشرقية ضد الاستعمار الأوربي ، ووجدت في سعد زغلول باشا ومجموعة الباشوات والبكوات والأفندية وهم رجال وزعماء تلك المرحلة ، قادة من طراز رفيع ، اجتمعوا في الايام العصيبة الفاصلة على الهدف الواحد الكبير ، فاجتمعت عليه طبقات الامة ، من أفقر الفلاحين والعمال والطلبة والموظفين ، الى اغنى التجار والملاك العقاريين والباشوات والامراء ! ..

وكانت ذكرى ١٣ نوفمبر تجيء كل عام ، لتذكر المصريين جميعا بهذه المعاني ..

ونحن الآن نتذكر ١٣ نوفمبر وقد تبدلت الدنيا ، وكرت الايام الطوال ، واتسعت اهداف الشعب ، من الحصول على الاستقلال ، الى بناء المجتمع الحديث المتقدم العادل الذي نرجو ان نتمكن من بنائه وتطويره بلا انقطاع وسط عالم لايكف عن التقدم والتطور ونشدان العدالة ! ..

عزيزي القارىء ....

بهذا المعنى الجديد ، يبقى ١٣ نوفمبر رمزا متجددا لبداية الجهاد الوطني ، ولايتحول الى نصب تذكاري مطمور في زاوية منسية من زوايا التاريخ ! ..

المحرر

حينما تكره الشعوب ذاتها

بقلم : فتحي رضوان



ماذا يعني

ابن خلدون

بقوله



وماذا يعني

سعد زغلول

بقوله

هل العرب حقا متقاعسون ومقصرون .. وهل المصريون شعب متواكل يعتمد على الغير ، وخاصة بعد حصولهم على الاستقلال ؟

إن ابن خلدون يتهم العرب بذلك ، حيث يقبلون على السهل من الأمور ، ويهربون من الشاق والصعب ، وعلى نفس الوتيرة يشير سعد زغلول إلى تقاعس المصريين وتواكلهم بعد حصولهم على الاستقلال .

يتناول الكاتب الكبير فتحى رضوان هذه القضية الهامة بالمناقشة والتحليل .

- « العرب إذا تغلبوا على منطقة أسرع إليها الخراب » ؟

- « العرب يقبلون على السهل من الأمور ويهربون من الصعاب » ؟

- « إن مصر لا يمكن ان تعيش مستقلة ، فإن حصلت على استقلالها ، فإنها لن تلبث حتى تضيّعه » ؟

من مشكلات الأدب العربى ، ما كتبه الفقيه والمؤرخ واللغوى ورجل السياسة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المولود فى تونس سنة ٧٣٢ هجرية (١٣٣٢) ميلادية ، والمتوفى فى مصر والمدفون بها سنة ٨٠٨ من هجرة الرسول (١٤٠٦ م) .

وابن خلدون الذى يعد أكثر أهل الفكر ذيوعا من العرب مثله فى ذلك مثل المتنبى بين الشعراء ، هو عربى قح ، يتكلم العربية كأفصح كتابها ، وينطق بها كأبلغ المتكلمين بها ، وقد ترك فى مكتبتها كتبا لا يبلى لها ذكر ، ولا ينقطع لها أثر ، مادام فى الدنيا علماء يبحثون عن الحقائق ، ويذيعونها ، ومادام هناك طلاب معرفة ، يبحثون عن الكتاب الجيد ، والفكر المثير .

إلا أن هذا العالم المؤرخ الفقيه والامام ، ترك لقرائه من قومه ،



حينما تكره الشعوب ذاتها

ولآخرين في مختلف اللغات . مشكلة اختلفوا في تفسيرها اول الأمر ، ثم في ردها إلى أسباب تخيل كل منهم شيئا منها ، ونحن اليوم ندلي بدلونا في هذه المعضلة التي تستاهل الدراسة والتامل . وجملة الأمر أن مؤرخ العرب العظيم ، وواضع أسس علم الاجتماع كما يروى العلماء المستشرقون في العرب راى في كتابه الذائع الصيت والمعنون . « المصير وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ومقدمة هذا الكتاب البديع الرائع ، التي اخملت ذكر الكتاب ، وتفوقت عليه . فلم يعد احد يذكر الكتاب بقدر ذكره للمقدمة ، وقد أفرد صاحب المقدمة والكتاب في المقدمة عدة فصول لا توحي فقط بأن ابن خلدون هاجم العرب ، وانتقصهم ، وحط من مروءاتهم ، وانكر شمائلهم . وحسبك أن تعلم أن من بين هذه العناوين « العرب إذا تغلبوا على اوطان أسرع اليها الخراب » و« العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك . »

وقد حير الناس واذهلهم أن ابن خلدون العربي ، لغة ونشاة ، وتعليما والذي وصل بحذقه ، ومواهبه التي لا تنكر ، وعلمه الذي لا يحد ، الى أكبر مناصب السياسة والحكم التي تساوى الآن رئيس الديوان ، وكبير الأمناء ، والوزير ، ومستشار الأمير ، ورئيس كتابه ، ولم يبد عليه طوال اضطلاعه بهذه الوظائف المهمة ، وتلك المراكز العظيمة ، أنه ضيق بأهل البلد الذي يسعى الحكم فيه ، أو يدير دفة السياسة له .

● تحقير العرب ●

وقد اثار هذا الموضوع الدكتور مصطفى الشكعة عميد كليات الأداب في الدول العربية ، وصاحب المؤلفات الرضية الكثيرة ، التي تبلغ مبلغ الموسوعات احيانا في كتاب له حديث اسمه « الأسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته » والكتاب جدير بان يختص به ، اساتذة التاريخ والاجتماع في كلياتنا ، وصحفنا ومجلاتنا ، فضلا عن اساتذة الأدب ، فقد بسط حياة هذا العالم العظيم ، في عبارة يترقرق على سطح الفاظها معانيها ، فتكون سهلة التناول ، قريبة الأهداف ، وقد وقف وقفة غير قصيرة في الباب السابع من كتابه الذي عنونه (ابن خلدون والعرب) . فجدد الاهتمام بهذا الجانب من حياة هذا الانسان النابه والرائد .

وقد قال الدكتور مصطفى الشكعة اولا فيما قاله ابن خلدون في هذا الباب المحير والمربك ما ألخصه لك فيما يلي :

لقد ذهب الدارسون في قضية ابن خلدون والعرب مذهبين متباينين ، وشكلوا فريقين متناقضين ، فريقا يرى ابن خلدون يقصد العرب جملة ، وفريقا

يرى ابن خلدون يقصد الأعراب البدو دون غيرهم .

ويرى طه حسين أن ابن خلدون يقصد تحقير العرب وأن حافز ابن خلدون على ذلك الموقف من أهله العرب ما وصلوا اليه من ضعف وتدهور وتفسخ في العصر الذى عاش فيه ابن خلدون وربط بين حالهم آنذاك ورأى ابن خلدون فيهم ونقل عن طه حسين قوله في هذا الصدد . ليس غريبا ان يزدريهم ابن خلدون ولاسيما أنه عاش في ظل الأسرة البربرية المجاهرة بعدائها للعرب الذين خربوا إفريقية الشمالية في القرن الخامس وخلص الدكتور طه حسين ان حملة ابن خلدون الظالمة كانت موجهة ضد العرب .

ويشاطر هذا الرأى الاستاذ محمد عبدالله عنان الذى يعتبر مؤرخ المغرب في كتبه العظيمة والعديدة ، ويقول الدكتور عن الأستاذ عنان ورأيه بأنه يعتقد اعتقادا جازما بأن ابن خلدون يقصد إهانة العرب انفسهم ويعنى بذلك سكان الجزيرة العربية وليس الأعراب أو البدو ويبرر اعتقاده هذا بأن ابن خلدون وهو يشرح نظريته .. في ان العرب إذا تغلبوا على أوطان اسرع اليها الخراب ، يذكر ابن خلدون ان العرب حينما تغلبوا على العراق والشام تقوّض عمرانها كذلك خربت إفريقية لما جاء اليها بنو هلال وبنو سليم . ويرد عنان على هذا الاتهام الظالم بقوله : إن العرب هم الذين افتتحوا منافذ الأناضول وأرمينية وتوغلوا فيما وراء فارس وافتتحوا شمال افريقيا حتى المغرب الأقصى ثم اسبانيا وعبروا جبال البرينيس الى فرنسا ، وهذه كلها أقطار وعرة النيل من البساط التى يسهل غزوها ، وقد افتتحها العرب جميعا في اقل من قرن .

وكان ابن خلدون قد ذكر من بين مثالب العرب هو اقبالهم على السهل من الأمور وهربهم من الشاق والصعب منها .

ثم اورد الدكتور مصطفى الشكعة في القسم الذى يرى نقيض رأى طه وعنان والقائل بأن ابن خلدون لم يقصد العرب في حملتهم بل قصد الاعراب كلّ من الدكتور على عبدالواحد وافى ، والاستاذ ساطع الحصرى ومن المؤرخين الاجانب المؤيدين هذا الرأى الأخيرة البارون دوسلان الذى ترجم مقدمة ابن خلدون الى الفرنسية . أما الدكتور الشكعة نفسه فمع الرأى الذى يقول ان ابن خلدون لم يقصد سوى الأعراب والدليل عنده على ذلك ما قاله ابن خلدون في الباب المعنون « العرب لا يتغلبون إلا على البسائط » انهم بطبيعة التوحش الذى فيهم أهل انتهاب وعبث ، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ، ويفرون الى منتجعهم . ويرى الدكتور ان هذا الكلام لا يمكن أن ينطبق إلا على الاعراب لأن العرب قبل الاسلام وقبل قيام دوله الزاهرة ، وحضارتهم الباهرة في دمشق وبغداد والقاهرة مثل مكة والمدينة والطائف وصنعاء ومارب ، أى كانهم اهل حضر وليسوا أهل قفر . كما ان ابن خلدون حينما قال إن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب والسبب في ذلك أن العرب أمة توحش

حينما تكره الشعوب ذاتها

باستحكام عوايد التوحش فيهم فصار لهم خلقا وجبلة . وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة فيه . وهو كلام بدوره لا ينطبق إلا على الأعراب ، لا على العرب كل ذلك من شأن الأعراب ولاسيما ان هذه العبارة جاء فيها من الألفاظ الخيام والأوتاد والحجر والأثاث .

فما هي حقيقة الأمر في هذه المشكلة ؟

الرأى عندى أن ابن خلدون كان يعنى العرب ، العرب أصحاب الحضارة الرفيعة التى امتدت من المحيط الأطلسى حتى أقصى حدود المحيط الهادى حينما التقى بأرض آسيا عند الصين .. وهى حضارة صنعها العرب بطرق عديدة تدل على أن العرب أمة حضارة وعلم وبناء وعمران .

فقد استمدت أصولها الأولى من القرآن وأحكامه التى قالت فيما قالت : إن الانسانية امة واحدة ، يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ثم حينما اتسع مكان هذه الحضارة افسحت صدرها ، لكل صاحب موهبة أو قدرة أو طاقة أو تاريخ ، ليساهم فى بنائها ، فترجم لها المسيحيون واليهود ، واحتلوا مكانة رفيعة بين رجالات الدول الاسلامية ، واحتفى بهم زملاؤهم من العلماء المسلمين ، وناظروهم ، وحاجوهم ، وقرأوا لهم ، وترجموا عنهم ، وحسبك ان تذكر أن الذى ترجم الفلسفة اليونانية هم العرب ، وأن العرب أخذوا هذه الحضارة عن كتب العرب ، وان العرب اسموا أرسطو المعلم الأول واسموا فيلسوفهم (ابن رشد : المعلم الثانى ، وان نبيهم يقول : اطلبوا العلم ولو فى الصين ، والذى قال ، ساعة علم خير من عبادة سبعين سنة ، كما قال .

فهذه الحضارة العربية التى شادها العرب هى فى الواقع حضارة انسانية ، وكان عند ابن خلدون وقائع تدل على ان العرب أو الاعراب أو كليهما معا ميل الى التخريب والنهب والسلب فان تاريخ هذه الحضارة التى استمرت اكثر من عشرة قرون ، فيها من آلاف الدلائل والشواهد ، ولست استطيع ان اتصور ان مؤرخا عقليا كابن خلدون الذى تعمق التاريخ ووقف على فلسفته وجوهر حكمه أن يخلط بين العرب والاعراب ، وان تعوزه العبارة فيقول عن شيئين جد مختلفين ، ومعنيين جد متباينين لفظا واحدا وعبارة واحدة ، فالعرب والأعراب ، لا يخلط بينها إلا امى لا يقرا ولا يكتب ، وحينما يجلس عالم كابن خلدون ليؤلف كتابا فى مثل خطر كتابه وعمقه ودقته وكثرة ما فيه من الحقائق والأفكار والخواطر ، فيقع فى هذه الهفوة الكبيرة فيسب أهله وآباءه وأجداده ، ويرميهم بأقبح النعوت ، وينسب إليهم أشد المثالب ، فماذا إذن التعليل لهذه الظاهرة الغريبة تفسيرها أمر من عنصرين :

العنصر الأول اختلاط فكرتين ، أو

إجتماع شعورين عند العرب منذ ذالة دولة الاسلام الكبرى التى قامت فى المدينة فدمشق فبغداد فالقاهرة ثم فى مدن الأندلس وجنوب أوربا ، وصقلية ،

الشعور الأول : شعور الفخر والاعتزاز والمباهاة . والشعور الثانى شعور بالنقص . يبلغ بهم الى درجة المرارة .

أما العنصر الثانى فهو ثمرة الشعورين معا ، وهو رغبة مرضية تدفعهم الى النيل من أنفسهم ، والحط من أقدارهم ، والسخرية بماضيهم والاعجاب الذى لا حد له باوربا وأهل حضارتها ونظامها وفنها . والعربى ، وربما الشرقى كله ، بقدر ما يعجب بالحضارة الغربية ، ينسى مكاسبها وعيوبها وما يصاحبها من فساد وظلم وعدوان وفسق ودعارة بل قد يعجب بهذه كله ولا يراه عيبا ، ولسنا ننسى ما قاله الدكتور طه حسين فى كتابه :

« مستقبل الثقافة فى مصر » الذى قال فيه إن مستقبل النهوض ببلادنا هو الأخذ بالحضارة الأوربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، وقد سبقه الى هذا القول قاسم أمين بالنص .

نحن الآن نرفض أن نهزم ونرفض ان نتأخر ، ونرفض أن يحل بنا الفقر والضعف ، فنحاول أحيانا أن نصلح من أمرنا ، ونحن نتسلح بماضينا الفاخر والباهر ، وأحيانا أخرى نصاب باليأس ، ونعتقد أن ما نحاول هو عبث ، ومنذ أيام قال لى طبيب كبير (لا أمل لنا) وهو طبيب ناجح ماديا ومعنويا ، تعلم فى مصر ، وتعلم فى أوربا ولكن نوبات اليأس هى نوبات نفسية يصاب بها كل من يمر فى محنة .

ولقد ذكرت وأنا أكتب هذه السطور ، ما سجلة سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ والذى عرف بانه رمز المصرية لكونه (باشا) ابن فلاح بين باشوات ينحدر أكثرهم من أصول تركية وشركسية . فقد قال سعد فى مذكراته الخاصة ما يلى عن كل طوائف المصريين :

« قال عن الفلاحين » والمزارعون أبعد الناس عن الاشتغال بالسياسة ولا تثور لهم ثائرة الا اذا مست الجهة الضعيفة فيهم وهى الجهة الاقتصادية فهم منصرفون عن كل عمل عام إلا اذا وسوس لهم وسواس فى صدورهم بالدين وأحكامه . وذوو الوجاهة والنفوذ فهم يشتغلون بالأمور العامة بقدر ما يكسبون بسبب الأشتغال بها من السلطة والنفوذ من العامة فاذا آنسوا من الاشتغال ومباشرة ما يبتغون من سلطة وجاه انصرفوا عنها وتبرأوا منها . والموظفون لم يبحثوا عن الوظائف ولا الترقى فيها لكى يفيدوا الأمة بأعمالهم فيها ويستفيدوا هم منها ببسطة فى المال وفى الحياة ، بل لكى يستفيدوا الفوائد المادية فقط ، وهم الواحد منهم فى وظيفته بان يرضى ذمة رئيسه صاحب الكلمة النافذه ولو أغضب رئيسه لنقله من مكانه .

وقليل منهم من يعرض مصلحته الخاصة فى حق ينصره أو باطل يخذله ، وترى الواحد منهم وهو خال من الوظيفة يشخص العلة ويصف الدواء ، وينتقد على العاملين أعمالهم ، ويقبح كل عمل مخالف للعدل أو الذمة ، حتى يخيل لسامعه أنه إذا تولى الاحكام انصلحت الاحوال ، وصارت على أحسن نظام ، فإذا دخل

حينما تكره الشعوب ذاتها

فيها ، انعكست الآية ، وصار ذلك الحر في القول رقيقا في العمل ، وذلك المستقل في الفكر ، آلة صماء يحركها الرئيس كيف شاء وذلك الغيور على الحق في مقدمة العاملين على إخفائه ، يسير على هذا حتى إذا تغير رئيسه عليه ورأى المستقبل مظلما في عينيه عدل الى حالته الأولى وأخذ يسخط على الزمان والمكان وانتظم في سلك الأحرار .

وعن التجار قال سعد : والتجار لا يشتغلون بالأمور العمومية الا على مقدار ما تروج به بضاعتهم عند العامة لا يهمهم بعد ذلك شكل الحكومة ان كانت مقيدة أو مطلقة .

وقال عن العمال والصناع والفعلة لا يهتمون الا بأعمالهم وقبض أجورهم ولا يتحركون لعمل عام الا اذا حركته عوامل الدين ، أو رأوا في الثورة ما يسهل عليهم عمل السلب والنهب (مذكرات سعد زغلول كراسة ٩ ص ٤٠٠ ـ كما يراجع كتاب دور سعد زغلول في السياسة تأليف دكتور عبدالخالق لاشين) .

ثم يحمل سعد حكمه على الأمة كلها فيقول بالجملة فليس في جميع هذه الطبقات قوة الاعتماد على النفس التي هي منبع الحياة فيه ، ثم فهي دائما تسعى بالحاجة الى الغير للاستعانة به ولا تحس من نفسها القدرة على الوصول إلى الغاية معملها الذاتي ولأنها مكثت في الذل والاستعباد أجيالا عديدة فانها تبحث دائما عن سندها لدى الحاكم فاذا لم تجد منه ندا لها ضعفت ، وان وجدته تقوت وسلمت لهم الأيام .

فان قرأت هذا الكلام لوجدته كرجع الصدى من كلام ابن خلدون وحكمه على العرب ، فالمصريون والعرب ، كلاهما شيء ، لا يعتمد على نفسه ولا يهتم بالشئون العامة ، إلا إذا كانت مصلحة خاصة في هذا الاهتمام .

وقال سعد « إن مصر لا يمكن أن تعيش مستقلة ، فان حصلت على الاستقلال فإنها لن تلبث حتى تضيعه . »

ولا يمكن أن يكون هذا حكم سعد على أمته وشعبه الذى أيد ثورة سنة ١٩١٩ ، واضطلع بأعبائها واصطلى نارها ، انما هو حكم لحظة اكتئاب وضيق ، وعدم رضا عما يجرى ، والشعور بأن الطريق مسدود نحو الجهاد والمقاومة ، الخلاصة أن الأمم التي تمر بالمحن والمصاعب ، والشدائد والمصائب يحس مفكروها ودعاتها أحيانا باليأس يفجر نفوسهم ، والقنوط يسود حياتهم ، فاذا هم في لحظة أو وقت ، يحملون على أوطانهم ، ويلعنون أهليهم وذويهم ، وينسبون إليهم كل نقيص ويسندون اليهم كل رذيلة ولكنه قول الى حين

أقوال معاصرة


د. أسامة الباز

● "يرى الرئيس حسنى مبارك ، أنه لا يصح أن يصادر على حرية الجماهير فى أن تشكل وتصوغ العقيدة التى تحكمها"
" ولدى الرئيس مبارك ، إعتقاد راسخ بأن الاسلام قيمة فوق كل القيم ، ويجب أن توضع القيم الإسلامية فى الحسبان عند تحديد العلاقات فى هذه المنطقة ، وفى تشكيل رؤيتنا "

الدكتور أسامة الباز


كينوك

● "فليطمئن الذين صدموا لفشل قمة ريجان ـ جورباتشوف ، فحتى لو اتفقوا فسيكون الاتفاق مجرد محاولة لتهدئة التوتر بين الشرق والغرب !
ومازال الباب مفتوحاً لقمم مقبلة" .

مجلة التايم الأمريكية


محمود درويش

● "سأموت من أجل وطنى ، ولكنى لن أسمح أبداً أن يموت وطنى من أجلى" ..

كينوك
رئيس حزب العمال البريطانى

● "قد يكون المستقبل فى الهند معلقاً برصاصة !!"

الجارديان البريطانية

● "التطرف دفاعاً عن الحرية ليس خطيئة"

السناتور بارى جولدووتر
رئيس لجنة الدفاع

● "لا عمل لنا سوى تحويل الوجع إلى طاقة ، قد تصل وقد لا تصل إلى القادرين اليوم وغداً"

محمود درويش

الفـــزعـــى

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

السطح.. وما تحت السطح

لم اكن يوما من الأيام معروفا بالتفاؤل . ولكن يبدو ان تفاؤلى مصبوغ أبداً بلون من العناد . فانا لا اتفاءل الا عندما يكون التشاؤم هو القاعدة ، ولا اضحك الا وسط الكوارث والمحن . أخشى ان اكون ذلك الانسان - فى قصة لنجيب محفوظ - الذى انفلت عياره من الضحك حتى اضطر أن يذهب الى الطبيب ليجد علاجا لحالته ، ولكننى لا أشعر بالحاجة الى زيارة اى طبيب ، إما لأن الحالة تمكنت منى بحيث لا اشعر بالمرض ، وإما لأن "حالتى" لا غبار عليها فى الحقيقة ، ولا تدعو الى الانزعاج مطلقا واليكم الأسباب :

اصبحت المودة البشعة فى هذه الايام أن تلقى الواحد منا فتراه إما حائرا بائرا ، وإما ساخطا ناخطا (لا أدرى ما ناخطا) ، وكأنه لا يجد سبيلا للتدليل على قيمته الشخصية سوى اظهار الاشمئزاز من كل ما حوله . هذا هو المناخ النفسى فى بلادنا فى الوقت الحاضر . والصحافة اليومية على الخصوص ، والأسبوعية الى حد ما (الشهرية مثلنا لا) تنشر هذا المناخ وتؤكده بمختلف السبل ، وربما كان لها بعض العذر فى ذلك ، فهى تتابع الأحداث يوماً بيوم ، أو اسبوعاً بأسبوع ،

اي انها تنظر الى ما يطفو فوق السطح ، ولا يطفو الا القش ، والقاذورات ، وجثث الحيوانات الميتة . أما التيار العميق فلا أحد يراه أو يسمعه . واذا سألتني : واين هو ذلك التيار العميق ؟ أحلتك الى ماتعرف : أحلتك الى الثروة البترولية التى جعلت نسبة الدخل فى بعض الأقطار العربية أعلى نسبة في العالم ، وأحلتك الى الاعداد الهائلة من الخريجين العرب الذين يدخلون سوق العمل كل سنة ، والى النخبة من الخبراء والأساتذة العرب الذين اثبتوا وجودهم فى أعظم مراكز العلم والحضارة فى العالم .

الثروة والخبرة : اليس هذان هما العمودين اللذين ترتكز عليهما كل حضارة ؟ ولكن هناك رداً اعرفه جيدا : فستقول إن "الفاقد" من هذين كبير جدا ، بل هائل ومفزع : اموال العرب المخزونة فى بنوك العالم أضعاف أضعاف تلك المستثمرة فى بلاد العرب ، والنخبة التى هاجرت الى مراكز الحضارة فى الخارج حيث التقدم والعلم واحترام الانسان لا تعود أبداً الى الداخل . واذا كنت مصرياً فستقول أيضا إن نصيب مصر والمصريين من هذه الثروة ضئيل جداً ، ونصيبهم من نزيف العقول كبير جدا . وأنا معك فالأمور حقا نسبية . ولكن انظر الى العمارات الجديدة الشاهقة فى مدينة القاهرة وحدها . أنظر الى التقديرات المعتدلة لعدد أصحاب الملايين فى مصر انظر الى الأعداد الهائلة والمتزايدة من السيارات التى تزحم شوارع المدن ، وسوف تسلم بأن الأمور حقا نسبية ، وإن ما جرى حولنا - إن خيراً وإن شراً - قد عم علينا .

● لحظة من فضلك ●

نحن نتكلم الآن عن تجميع الثروة ولا نتكلم عن توزيع الثروة . وبناء على ذلك فالعمارات الشاهقة - وبعضها مقام من الألومنيوم والزجاج على احدث طراز ، مع التكييف المركزى وجميع لوازم الرفاهية - تدخل فى حسابنا ، ولكن المساكن التى تشتمل عليها المقابر لا تدخل فى الحساب . وهلم جرا

● ورجع الكلام الى التفاؤل والتشاؤم ●

يبقى أن نسبة الفاقد مرعبة فعلا (لا يحتاج الأمر الى احصاءات . معذرة ، يكفى أن تمسك ورقة وقلما وتحسب مثلا : عدد ساعات العمل المفقودة فى المواصلات او فى البحث عن اشياء تافهة . عدد ارغفة الخبز المرمية فى الزبالة . عدد أمتار المياه وكيلوات الكهرباء المفقودة بلا جدوى - يمكنك أن تقوم بهذا الاحصاء من واقع خبرتك الشخصية - ولامؤاخذة - فى بيت جنابك مثلا كما قمت بها فى بيت جنابى) . **والفاقد بسبب عدم الحرص يمكن حسابه بأبسط طرق الحساب ، ولكنه لا يعد شيئا بجانب الفاقد الذى سببه الحرص ، والذى لا يمكن حسابه الا بالتخمين** : الأرصدة الضخمة . الخاصة والعامة ، المجمدة في البنوك

الاجنبية (اصبح معروفا ان كثيرا من هذه الأموال يجمع من أصحابها السذج تحت اسم "المعاملات الاسلامية" وهو تصرف مهما يكن معيبا وغير اسلامي ، يفضل المضاربة بأموال هؤلاء المدخرين المساكين في أسواق البورصة العالمية) .

● تنبيه ●

نسبة الفاقد لا تدخل فيها الرشوة والاختلاس وخراب الذمة . فنحن الآن نتكلم عن الاقتصاد ولا نتكلم عن الاخلاق او القانون . عندما يستولى أحد الناس على مال عام أو خاص ويضمه الى ممتلكاته بطريقة غير شرعية ، فإن المال يظل موجودا ، ويمكن ـ نظريا على الأقل ـ أن يستخدم بطريقة أفضل لانتاج ثروات جديدة . ومعلوم أن أعظم الرأسماليات العالمية قامت أولا بطريق الاغتصاب . بريطانيا اغتصبت ثروات الهند . وأمريكا اغتصبت ثروات الهنود الحمر . وليس هذا دفاعا عن المختلسين والمرتشين وخربي الذمم ، ولكنه تمييز ضروري بين واقعتين احداهما اقتصادية والأخرى اخلاقية قانونية . والملاحظ على كل حال أن الثروات المغتصبة في بلادنا قلما تستغل بطريقة اقتصادية . فالغالب عليها اذا كانت صغيرة أن تذهب الى جيوب تجار المخدرات وسائر الموبقات ، أي أنه تدخل في اشنع ابواب الفقد الناشيء عن عدم الحرص : واذا كانت كبيرة أن تهرب الى الخارج مع سائر الأموال التي تنقل بسبب الحرص لتساعد في تدعيم اقتصاد أوربا وأمريكا . وهذا التصرف السيىء في الأموال المنهوبة هو الجريمة الحقيقية بالمقياس الاقتصادي .

● اذن فمن أين يأتي التفاؤل ؟

هكذا سمعتك تسأل فالذى قرأته يدعو الى أشد التشاؤم . ولكنني عنيد كما قلت لك . وأنا أيضا مغرم بقياس أشياء على أشياء . كم كان يبقى في أرض مصر من طمى النيل (عندما كان هناك طمى ؟) اسألوا الدكتور جمال حمدان ، أظنه ذكر ٢ ٪ أو نحو ذلك . ما عدد الحيوانات المنوية التي يفرزها الذكر عند التلاقح ، وهل يلزم اكثر من حيوان منوى واحد ليتم الاخصاب ؟ ستقول لى هذا قياس فاسد ، وأقول لك بل قياس صحيح ، لأن العلة واحدة في هذه الأمثلة الثلاثة : هناك فورة في العالم العربي كفورة الجنس أو فورة الفيضان . بعضهم يسميها فوضى ، وبعضهم يسميها ثورة ، فاختر الاسم الذي تفضله ، ولكن دعنا نتفق على المعنى المراد :

طاقة مادية وبشرية هائلة ، تندفع بلا ضابط هنا وهناك . هذا الوصف لا يمثل لنا تيارا عميقا يمضي على سننه ، ولكنه يمثل طفولة نهر كميات هائلة من المياه تندفع فوق سطح الأرض ، تقتنصها بعض السدود هنا ، تعترضها بعض الجنادل هناك ، كأنما يخطر لها خاطر بلا سبب فتغير مجراها ، وربما اكتسحت بعض الحقول أو خربت بعض البيوت .

من الواضح أننا ، مهما كنا متفائلين ،

لا يمكننا أن نرقد ونحلم باليوم الذى يكتمل فيه شباب النهر ، وتعمر ضفتاه بالحقول والمصانع ، لأن التشبيه هنا هو مجرد تشبيه ، واذا كانت هنالك حتمية جغرافية تجعل للنهر أدوار حياة ، فليست هناك حتمية اجتماعية تجعلنا نبصر بعد عمى ، ونهب بعد رقاد ، وننشط بعد خمول حتى الذين يؤمنون بالحتمية التاريخية يربطونها دائما بوعى الانسان ، وما لم نتدبر ما نصنعه بثرواتنا المادية والبشرية فسيكون سبيلها الضياع .

هذا التدبر هو عمل الباحثين والمفكرين .

● واين هؤلاء المساكين ●

إنهم أيضا مغمورون فى طفولة النهر ، محاطون بالفوضى فى كل مكان . تجدهم فى الجامعات والأكاديميات والمكتبات ، وفى مراكز البحوث فى مختلف الوزارات والمؤسسات ، وفى منظمات الجامعة العربية ، يعملون غالبا بتوجيه "القرار السياسى" والقرار السياسى فى أوطاننا العربية قلما يعنى شيئا سوى هيبة الحكم ، أو يستجيب لشىء سوى الحاح اللحظة . أما "التخطيط" فكلمة تقال بعفوية وبراءة ، يراد بها اقناع المتشككين ، واستكمال شكل الدولة العصرية ، وآخر ماسمعناه عن هذا التخطيط المحزن أن مؤتمر وزراء التخطيط والاقتصاد العرب شرع فى بحث امكانيات التنمية الاقتصادية فى العالم العربى حتى سنة ٢٠٠٠ . اسمعتم بأخطر من هذا البحث ؟ ولجأ المؤتمر الى مجموعة من الخبراء . فاعدت تقريراً مبنيا على ثلاثة احتمالات مرتبطة ، بسعر البترول ، أى أنها اتبعت ما يسمى فى مبادىء الاحصاء بالمنحنى الطبيعى ، حيث يوجد دائما متوسط وأعلى وأدنى . ولكن الوزراء الذين لا يريدون أن يزعجوا شعوبهم ، أو الذين يرون قلة المال من خوارم المروءة ، قرروا شطب الاحتمال الثالث كأنه غير موجود ، ومواجهة المستقبل حتى سنة ٢٠٠٠ إما بوجه مستبشر ضاحك ، وإما ـ وهذا أضعف الايمان ـ بوجه باسم مطمئن .

هذه هى "السياسة" كما يراها أكثر الساسة عندنا : أن تحافظ على هيبتك حتى تسلس الشعوب قيادها لك والمحافظة على الهيبة تستلزم أن تكون قادرا على النفع والضرر ، قادرا على البذل والحرمان . أما أن تكون سياسة مبنية على علم ، فهذا آخر ما يفكر فيه الساسة . والكلام على « ... حتى سنة ٢٠٠٠ » لا يعدو أن يكون لعبة مسلية يشارك فيها الشعب أحيانا .

قد تقول اننا فى مصر أسعد حالا على الأقل لا نفكر أن مستقبلنا كله مرهون بالبترول ولكن الهزة التى أصابت أسعار البترول أثرت فى اقتصادنا من طريق بترولنا وبترول جيراننا أيضا ، واذا كان اقتصادنا لا يشكو من قلة التنوع كجيراننا فإنه يشكو من الضعف الشديد . ولا ينقذه من هذا الضعف وزارة واحدة ولا وزارات متتابعة ، لا ينقذه الا بحث وفكر فى أسباب هذا الضعف ، ما ظهر منها وما بطن ، ما يبدو على السطح ، وما يكمن فى الأعماق .

واذا تركنا السطح الى الأعماق ، عرفنا أن المشكلة الاقتصادية فى مصر هى مشكلة انسانية أولا .

هناك أرقام معلنة تقول إن حجم الودائع

الفكر على

الأشواك

السائلة فى البنوك المصرية بالعملة الأجنبية يتجاوز عشرة آلاف مليون دولار (هذا غير الودائع فى الخارج) . ودين مصر الباهظ كان خطأ من أول الأمر ، لأنه أسلمنا الى عبودية جديدة يسمونها خدمة الدين ، ولكن أين هو من ثروة مصر الزراعية والصناعية ؟ انما المطلوب للسيطرة على الدين هو رفع الانتاج الكلى وهو ناتج عمل الانسان .

والانسان ليس كائنا اقتصاديا فقط ، ليس مجرد آلة ، فرفع انتاجيته يستلزم رفع انسانيته . والانسانية فكر وشعور كما هى مهارة وعمل وفى كل واحد من هذه الأربعة تحتاج الى خبرة ، **والخبرة** لدى الخبراء !

● لهذا يمكننا أن نتفاعل ●

فالخبراء من العرب ، ومن المصريين خاصة ، أصبحوا أكثر بكثير ، وأوفر تخصصا مما كانوا قبل ثلاثين سنة أو أربعين ، قبل أن تبدأ المرحلة الحاضرة من تاريخ العالم : مرحلة السباق التكنولوجى والكيانات السياسية والاقتصادية الكبيرة . والخبراء فى علوم الانسان بالذات ، وهى التى أعرفها أكثر من غيرها ، موجودون فى كل بلد عربى بأعداد تصلح لتكوين مجموعات عمل مهمة . وأهم من ذلك أن مثل هذه المجموعات بدأت تتكون فعلا . لم يعد العمل الفردى هو السبيل الوحيد لانجاز اى بحث أو أى مشروع حقا هناك محاولات عشوائية ، وهناك ضجيج كثير ، وهناك نشاط يبذل من أجل الظهور أو التسلق ، أو الكسب المادى . ولكن اى عمل يخلو من هذه ؟ هذه هى الشوائب التى لابد منها . هذا هو "الفاقد" فى العمل الفكرى . ولكن النواة المخصبة هناك .

بقى شىء واحد مهم لتصل هذه النواة المخصبة الى مكمن الحياة الجديدة : أن تلتحم بجسم الأمة ذاته . بعيدا عن لغة المجاز ، إن المفكرين والعلماء والتكنولوجيين اذا لم تصل أفكارهم وعلومهم ومبتكراتهم الى الجماهير العريضة فسوف تظل دائما عرضة لتقلبات القرار السياسى . والفكر والعلم والتكنولوجيا منه ما لا يحتاج الى أكثر من أن يتبناه الشعب ليصبح قوة فعالة فى التطور ، ومنه ما يحتاج الى أن يقتنع به الشعب ويطالب به ليصبح قوة مؤثرة فى سياسة الحكومات . وعندما نتكلم عن "الشعب" أو "الجماهير العريضة" فنحن نعنى الجماهير الواعية التى تعرف مصلحتها وتعمل لتحقيقها ، مهما يكن حظها من العلم و الثروة ولا نعنى الجماهير السريعة الانفعال الضعيفة الادراك التى يمكن أن تقع فريسة سهلة لأى مغامر .

إن عالمنا العربى ، والمصرى خاصة ، ملىء بالثروات الصغيرة والكبيرة التى لا يعرف أصحابها أين يوجهونها ، ملىء بالعقول والأيدى التى تتشوف الى لذة الانتاج والخلق . وأهم من ذلك أنه ملىء أيضا بالافكار التى نحتاج اليها لنصحح منهج حياتنا ثم لننطلق من بعد نحو تحسين اقتصادنا وترقية أحوالنا فى مدننا وقرانا . اننى أعرف عشرات من الدوريات الفكرية والعلمية والتكنولوجية التى تصدر

فى شتى أنحاء العالم العربى (وخارجه أيضا بالعربية !) حاملة بجانب الغثاء الكثير خلاصة أفكار قلة من المفكرين والعلماء والخبراء عما يمكن أن ينير حياتنا يتبغى البحث عن وسيلة لجعل هذه الثروة فى متناول كل من يتطلع اليها ويستطيع الانتفاع بها . لقد بدأ العالم العربى يبحث عن حلول لمشكلاته ، ابتداء من مشكلة وجوده نفسه الى مشكلات حياته اليومية . وعندما يسقط "الحائط الرابع" بين التقارير الرسمية وشبه الرسمية وبين القارىء الواعى ، وعندما يسقط الحائط الرابع بين الخبراء والمثقفين العاديين ، سنحصل على فكر أدق ، وعلم أدق ، وتكنولوجيا مناسبة لامكانياتنا . عندئذ سيكون النهر قد أدرك شبابه ، وسيمضى على سننه ، ولن يضيع الماء ، ولن تموت البذور !

واكاد اومن بان هذا كله سوف يحدث قريبا ، ولعله بدأ يحدث الآن .

ولهذا انا متفائل !

الهوى.. والمشيب!

شعر
سالم حقى

مصرّية العينين ! كيف هو الهوى ؟
كيف ابتدا يوماً وكيف هو استوى ؟!
قمحية الوجه الصبيح .. سخية الإغدا
ق كالنيل إذا يمشى .. روى !
لم يَنْو قلبى الحب .. حتى إذْ تلا
قينا .. تمنى لتوضا .. فتوى !
يممت شطرك طائعا وملبيا
والى ضفافك طائرى السارى أوى
قدُر علينا أن نحب ونكتوى
ماعاش قلب ما أحب وما اكتوى !!
عبسية[1] الشفتين ! من ذاق اللمى
هيهات إن كبح الجماح .. أو ارتوى !
لما تساقيت السلاف على ظما
أيقنت ضاع العمر قبلك وانطوى
فوددت أنوى فى رحابك عاكفاً
حتى المنون .. فإن قضى قلبى .. ثوى !!
قالوا : على شيب تدله فى الهوى !
أقسمت : ما ضل المشيب وماغوى
والعمر حتى الموت إن لم تقضه
عشقا وتشبيبا .. فلا كان الهوى !!

(١) الشفاه العبسية نسبة الى قبيلة عبس ـ أجمل شفاه العرب



د. فؤاد زكريا وهزيمة ٥ يونيو ■

دفاع نبيل عن قضية باطلة!

بقلم: د. جلال أمين

احترت حيرة عظيمة إذ قرأت المناقشة التى بدأها الدكتور فؤاد زكريا على صفحات الهلال عن هزيمة ١٩٦٧ في عدد أغسطس ٨٦، واشترك فيها الأساتذة فتحي رضوان ومحمد سيد أحمد ومحمد عودة فى عدد سبتمبر، ثم عاد إليها الدكتور زكريا فى عدد أكتوبر. فالدكتور فؤاد زكريا يكتب كعادته بمنطقه السلس، ومدفوعا كعادته أيضا بأنبل الدوافع، ولكنه ينتهي إلى نتيجة تكاد تكون هى النقيض التام لما ظللت اعتقده (ولا أزال) منذ وقوع كارثة ١٩٦٧ وحتى اليوم، وهو أن هذه الهزيمة فرضت علينا فرضا بتدخل قوى خارجية عاتية لم نكن نستطيع لها رداً ولأسباب تكاد تكون خارجة تماما عن سلطاننا. ولكن ها هو الدكتور زكريا يقول العكس بالضبط، وهو أننا، والنظام الناصرى بوجه خاص، نتحمل المسئولية الأولى عن الهزيمة، وأنه كان من الممكن تجنب وقوعها لولا نقائص هذا النظام ومثالبه، وعلى الأخص لولا ما اتسم به النظام الناصرى من حكم فردى وغياب المشاركة الشعبية الحقيقية. ثم جاءت التعليقات إما متفقة مع جوهر ما قاله الدكتور زكريا، أو منتقدة إياه دون أن تنجح فى رأيى، فى حسم القضية لصالح الرأى الآخر الذى أعتقد بصحته..

● ● ●



لا يمكن طرح الأمر برمته جانبا بالقول بأننا في الحقيقة متفقون ، رغم الاختلاف الظاهرى ، فالدكتور زكريا يعترف للعامل الخارجى بدور ما وأنا اعترف لنقائص النظام الناصرى بدور ما ، فما جدوى أن يقول أحدنا أن سبب الهزيمة ليس هو ضراوة الاعتداء بل ضعف المعتدى عليه ، وأن يقول آخر بعكس ذلك ، طالما أن من البدهى أن أية معركة تحسمها فى النهاية القوة النسبية لكلا الطرفين (بكل أبعادها العسكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية) ؟ ومن ثم يستوى القول بأن سبب الهزيمة هو قوة المعتدى أو ضعف المعتدى عليه ، وتصبح القضية غير ذات موضوع .. لا يمكن إنهاء النقاش على هذا النحو إذ أن الدكتور فؤاد زكريا يذهب بالطبع إلى أبعد من هذا ، إذ يرمى إلى بيان انه كان باستطاعة نظام عبد الناصر ، لو كان قد تجنب عددا من الأخطاء (وبالذات خطأ الحكم الفردى) أن يتجنب الهزيمة . وهذا هو بالضبط ما أختلف معه فيه اشد الاختلاف . نعم إنى أعتقد أن للنظام الناصرى أخطاء كبيرة ساهمت بلا شك في أن تكون هزيمة يونيو بهذه الفداحة وهذا الحجم وهذه السرعة ، ولكنى أعتقد ايضا أن من الخطأ تحميل هذه النقائص بأكثر مما تحتمل ، وأن من شبه المؤكد أن الهزيمة كانت واقعة حتى لو كان النظام الناصرى ، قد نجح فى إقامة حكم ديمقراطى حقيقى .

عاودت إذن قراءة مقالى د . زكريا بعناية ، فإذا بى اجد ان مابدا لى فى اول الأمر منطقا صارما لم يكن فى الحقيقة بهذه الصرامة ، وان الأدلة التاريخية التى يستعين بها لتأييد رأيه لا تحسم الأمر لصالحه ، وأن هناك من الأدلة التاريخية الأخرى ما يدحض رأيه ، وان ما لمقاليه من جاذبية تعود فى الواقع الى جاذبية موقفه الأخلاقى والسياسى وليس إلى أنه أصاب كبد الحقيقة .

● الاعتراف بالخطأ ●

ذلك أن هناك بلاشك جاذبية خاصة لكل رأى يحاول أن يتجنب إلقاء المسئولية على الغير ويتصدى للمشكلة قائلا بشجاعة .. دعونا نعترف بخطئنا ولا نفع يعود علينا من ترديد أن الاستعمار هو دائما المسئول .. هذه الجاذبية ترجع أولا الى ما توحى من شجاعة الاستعداد للاعتراف بالخطأ ، فالقاء المسئولية على الغير يبدو وكأنه اكثر الحلول كسلاً ، اساسه محاولة تبرئة النفس وتبرير القعود والانتظار حتى يغير الغير ما بنفسه ، بحجة أنه ما باليد حيلة ولا أمل فى الخروج من الورطة طالما ظلت القوى الخارجية متربصة بنا هذا التربص وقد يقول الدكتور زكريا فى نفسه (وأغلب الظن أنه يقول ذلك لنفسه بالفعل) : « إنه حتى لو كان الرأى الآخر صحيحا ، ذلك الذى يلقى بالمسئولية على القوى الخارجية ، فإنه من الأفضل أن

أؤكد على نقائص النظام الناصرى ، التى ما يزال الكثير منها قائما حتى اليوم ، حتى استثير همة الشباب للاصلاح . دعنى أؤكد على ما بيدنا تغييره ولا أضيع جهدى فى القاء اللوم على ظروف لا سلطان لى عليها » وفى مقال الدكتور زكريا ما يؤكد أن هذا الاعتبار حاضر فى ذهنه حضورا قويا ، إذ يقول فى ختام مقال أغسطس : « إن من واجب كل حريص على وطنه أن يتذكر الهزيمة كيما يدرك النتائج المأساوية التى يؤدى اليها الحكم الفردى مهما كان نجاحه فى غير ذلك من الميادين ، وكلما أمعن المرء فى التفكير فى الأمر .. ازداد إصراراً على الكفاح من أجل مزيد من المشاركة الشعبية الحقيقية فى صنع القرار وتنفيذه والرقابة عليه » .

الهدف إذن نبيل بلاشك ، ولكني لا أظن أن د . فؤاد زكريا يحب أن تناقش كتاباته على أساس أخلاقي أو سياسي ، بل الأرجح أنه يحب أن تناقش بمعيار الصواب والخطأ ، المنطقي أو التاريخي ، فهو يحاول أن يتناول الأمر وكأنه قضية منطقية وتاريخية بحتة ، وكأنه على استعداد لتجاهل أية اعتبارات عملية في سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وهو بالفعل ما يجب علينا أن نصنعه وهنا أعتقد أنه جانب الصواب بدرجة كبيرة ، فالهدف النبيل ، **تماما كالهدف الحقير ، يمكن أن يلوى عنق الحقيقة ، ويقدم تفسيرات خاطئة للتاريخ ، ويضحي بموضوعية النقاش ..**

يبدأ الدكتور فؤاد زكريا بالوقوع فى خطأ شائع ، وهو عرض الرأى الذى يريد انتقاده فى أسوأ أشكاله وأكثرها تهافتا حتى يتسنى له بذلك هدمه ، فهو إذ يريد أن ينتقد التأكيد على العامل الخارجى فى الهزيمة يدعوه أولا بنظرية « المؤامرة الدولية » ، مع أن من الممكن جدا أن يقبل المرء التأكيد على دور القوى الخارجية الحاسم دون أن يعتقد بالضرورة بوجود « مؤامرة » بكل ما تحمله الكلمة من معان ، كما أشار بحق الأستاذ فتحى رضوان .. ثم يذهب الدكتور زكريا فى تلخيصه لهذا الرأى الذى يريد انتقاده فإنه يذهب إلى « تفسير حرب ١٩٦٧ عن طريق البعد الخارجى وحده » (ص ٢٢) ، مع أن من الصعب أن نتصور طفلا صغيرا يمكن أن يذهب فى حماقته إلى هذا الحد ، فينفى عن نظام عبد الناصر أى شبهة للخطأ أو التقصير .

بناء على هذا أصبح من السهل على د . زكريا أن يوجه اتهاما قاسيا وظالما لكل من يحاول أن يحمّل العامل الخارجى المسئولية عن الهزيمة ، فينعتهم جميعا ، وقد وضعهم جميعا فى هذه السلة الواحدة البائسة ، فإنهم يتبنون هذا الرأى مدفوعين بمصلحة شخصية ، فيقول :

« أصحاب النظرية الأولى ، أعنى نظرية المؤامرة الخارجية ، يهتمون فى واقع الأمر



بتبرير ارتباطاتهم القديمة بالعهد الناصرى خلال فترة الهزيمة ، أكثر مما يحرصون على الحقيقة الموضوعية ، وهكذا لا يسمح د . زكريا لأحد أن يعتقد بأن العوامل الخارجية هي المسئول الأول عن الهزيمة دون أن يصمه بأن له مصلحة شخصية فى التغاضى عن نقائص عهد عبد الناصر ، وهو موقف لا يتجاهل فقط إمكانية الاعتقاد بأن العامل الخارجي هو العامل الحاسم دون السكوت عن أخطاء النظام الناصرى ، بل ويتجاهل أيضا أن كثيرين ممن يتخذون هذا الموقف سجنوا أو شردوا فى عهد عبد الناصر ولم يحققوا فى حياته نفعا شخصيا يذكر .

● تجربة فيتنام ●

يلجأ الدكتور زكريا بعد هذا الى الاستشهاد بالتاريخ ، ويقول أنه سيكتفى بمثلين : فيتنام ونيكاراجوا ، للتدليل على أن هناك من الدول ما تتعرض للأطماع والمؤامرات الامبريالية العالمية ومع ذلك نجح فى صدها ولم ينهزم أمامها .

على انى أزعم أن هذه الطريقة من طرق الاستدلال هى من أشد الطرق خطراً وأقلها يقينا ، ويكاد ويستحيل أن تحسم الأمر على أى نحو كان . إذ ما الذى يريد د . زكريا أن يستدل به من تجربة فيتنام ؟

هل يريد أن يقول : إنه لو كانت مصر قد اقتدت بفيتنام من حيث الاعتماد على المشاركة الشعبية الشاملة لكانت انتصرت على الولايات المتحدة واسرائيل ؟

كيف يمكن له أن يكون واثقا من ذلك ؟ إن هناك عشرات الفوارق الأخرى (الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والنفسية وتلك المتعلقة بمواقف الدول الكبرى الأخرى) بين تجربة فيتنام وتجربة مصر ، غير غياب أو تحقق المشاركة الشعبية ، التى يمكن أن يرد اليها الانتصار والهزيمة لقد أشار الاستاذ فتحى رضوان إلى اختلاف التضاريس وطبيعة الارض والى الاختلاف فى الميل إلى التقشف والقدرة على احتمال الحرمان ، ولكن الا يجوز أيضا أن يكون مجرد وجود الادارة الجاهزة (وهى اسرائيل) لتوجيه الضربة إلى مصر .. دون حاجة الى تدخل مباشر من الولايات المتحدة ، سببا كافيا لاختلاف نتيجة المعركة فى حالة مصرعنها فى حالة فيتنام ، بكل ما استتبعه التدخل الأمريكى المباشر من مقاومة عنيفة داخل المجتمع الأمريكى وانهيار الروح المعنوية للمقاتلين الأمريكيين فى فيتنام ، بصرف النظر عن مدى تحقق أو غياب الديمقراطية والمشاركة الشعبية .. ؟

● تجربة نيكاراجوا ●

أما مثال نيكارلجوا فقد كان د . زكريا أقل توفيقا فى لختياره . فالأمر هنا لا

يقتصر على الشك فى درجة التشابه بين تجربة مصر وتجربة نيكاراجوا فيما عدا تحقق أو غياب المشاركة الشعبية ، بل يثير أيضا التساؤل عما إذا كان يحق لنا أن نعتبر أن تجربة نيكاراجوا قد بلغت بالفعل نهايتها بحيث يمكن مقارنتها بتجربة مصر التى انتهت فى ١٩٦٧ . إن قول د . زكريا إن نيكاراجوا بلد صغير « يقف حتى الآن وبعد سنوات من ثورته صامداً فى وجه الجار الشمالى الجبار،.. » وقوله إن نيكاراجوا «لاتزال تقف على أقدامها ولاتزال تبنى نفسها فى الداخل وسط أصعب الظروف » كان من الممكن جدا أن يستخدم فى وصف مصر بعد اكثر من ١٤ سنة من قيام ثورة ١٩٥٢ أى بعد ضعف الفترة التى انقضت على ثورة نيكاراجوا ، بل وكان يستخدم بالفعل ، فيوصف نظام عبد الناصر بأنه صمد فى وجه العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ ، ومؤامرات الاستعمار ضده منذ ذلك الحين بما فى ذلك انفصال سوريا وحرب اليمن وقطع المعونات الغربية .. الخ فقد استمرت مصر هى الأخرى تبنى نفسها « وسط أصعب الظروف » حتى وقعت الواقعة فى ١٩٦٧ . فالعبرة إذن ليست هى بمدى قدرة دولة صغيرة على الصمود بضعة سنوات أمام قوة عظمى ، وإنما العبرة فيما نحن بصدده الآن هى بما إذا كان الذى أنقذ نيكاراجوا حتى الآن هو خلو نظامها من الاخطاء (وهو أمر مشكوك فيه على أى حال) أم مدى ضراوة العدوان الخارجى ، وملاءمة أو عدم ملاءمة الظروف الدولية بوجه عام ، وعلى الأخص موقف القوة العظمى الأخرى من العدوان الأمريكى .

● عندما تنتصر الديكتاتورية ●

ثم فلنفرض أننى جئت للدكتور فؤاد زكريا بأمثلة يزيد عددها على اثنين ، لبلاد كانت محكومة حكما بوليسيا وتخضع لأشد أساليب الحكم ديكتاتورية ، واستطاعت مع ذلك أن تنتصر انتصارا باهرا فى الحرب وتهزم أعداءها ، هل أكون بذلك قد دحضت حجته و « أثبت » أن المشاركة الشعبية ليست عاملا حاسما فى الانتصار والهزيمة ؟

ما رأى د . فؤاد زكريا مثلا فى انتصار الاتحاد السوفييتى على المانيا بقيادة ستالين فى ظل نظام من أقسى النظم بوليسية وديكتاتورية ؟ وما رأيه فى انتصار ألمانيا بنازيتها على فرنسا بديموقراطيتها والتى كانت هزيمتها تضاهى « فى حجمها وسرعتها » الهزيمة المصرية فى ١٩٦٧ ، مع أن الهجوم هنا كان أقل مباغتة وأكثر احتمالا من هجوم اسرائيل على مصر ؟ بل ما رأى .. د . زكريا فى انتصار الجيش المصرى فى ١٩٧٣ ؟ هل يستطيع حقا أن يرى فى هذا الانتصار نتيجة لتغير فى أسلوب الحكم فى مصر نحو مزيد من المشاركة الشعبية والتقليل من الحكم



الفردى ؟ أم أن الأمر يجب أن يفسر تفسيرات أخرى ؟

● عبد الناصر لم ينهزم وحده ●

ثم ألا يلفت نظر د . زكريا وجه الشبه الشديد بين تجربة الناصرية وتجربة محمد على فى القرن الماضى دون أن يكون لانتصارات محمد على العسكرية والاقتصادية علاقة بمدى تحقق المشاركة الشعبية فى عصره ولا انكساره راجعا إلى غياب هذه المشاركة ؟ وألا يلفت نظره أيضا أن انكسار الناصرية قد عاصره انكسار مماثل فى كثير من دول العالم الثالث ، التى تتفاوت ظروفها وأسلوب الحكم فيها تفاوتا عظيما وأجبرت جميعا على الخضوع لارادة الدول العظمى حينما أصبحت الظروف الدولية غير مواتية لاستقلالها وحيادها ؟ هل يريد أن يقدم نفس التفسير (غياب المشاركة الشعبية) لانكسار تجربة نيكروما فى غانا وسوكارنو فى أندونيسيا وبن بيللا فى الجزائر وجولار فى البرازيل بل واحتواء تجربة تيتو فى يوجوسلافيا ونهرو فى الهند ، فى فترة واحدة لاتزيد على الخمس سنوات ؟

● صياغات متعددة لنظرية واحدة ●

لم يكن من الممكن أن يغيب عن د . فؤاد زكريا قلة ما بيده من أدلة يمكن أن تحسم الأمر لصالحه ، وضعف دلالة الشواهد التاريخية التى تقدم بها .. فهو يتسلح أساسا ، كما قلت ، بقوة الاعتبار السياسى والأخلاقى المرتبط بموقفه وليس بصحة هذا الموقف وسلامته المنطقية لم يكن من الغريب إذن أن نلاحظ ما صادفه من صعوبة بالغة فى التعبير الدقيق عن رأيه دون أن يقع فى الخطأ ، فإذا بتعبيراته عن رأيه ووصفه للآراء الأخرى تتردد ترددا واضحا بين مستويات بالغة التفاوت فى القوة والضعف ..

فهو مرة يقول فى عبارة كاسحة « إن مشكلة غياب المشاركة الديمقراطية تعود لتؤكد نفسها بوصفها السبب الحقيقي للهزيمة » (ص ٢٩) ، وهى عبارة يكاد يفهم منها أن العامل الخارجي كان سببا زائفا أو موهوما .. وهو فى عبارة أخرى أقل قوة يقول إن غياب المشاركة الشعبية كان « أهم أسباب الهزيمة » (ص ٣٠) ، وهى عبارة يفهم منها أن العامل الخارجي لعب دوراً لا يمكن إنكاره وإن لم يكن أهم العوامل . ولكنه فى عبارة ثالثة يبين أنه ليس واثقا حتى من أن العامل الخارجى ليس أهم العوامل فيقول « إن تفسير هذه الهزيمة على أساس عامل التآمر الخارجي ..

يتجاهل عوامل أخرى قد تكون أقوى أثرا فى إحداث الهزيمة من أى عوامل أخرى (ص ٣٤) وإذا بالأمر إذن لا يتعدى أن يكون اعترافا بأهمية كل العوامل فى إحداث الهزيمة دون إمكانية الجزم بأيهما كان أهم من الآخر ..

بل إن من تعبيرات د . زكريا ما يوحى بأن الأمر يتعلق بحجم الهزيمة أكثر منه بوقوع الهزيمة نفسه ، فهو عندما يحاول التقليل من أهمية العامل الخارجى يحرص على أن يقرن الهزيمة بأوصافها ، فيقول مثلا « إن تآمر القوى الامبريالية وان كان حقيقة لا ننكرها ، لا يكفى على الاطلاق لتفسير الانهيار السريع والشامل الذى حدث فى ٥ يونيه (ص ٢٧) فلا ندرى بالضبط هل المقصود نفى المسئولية عن « الانهيار » أم عن « الانهيار السريع والشامل » .

كذلك يصف الدكتور زكريا نظرية المؤامرة الخارجية مرة بأنها « نظرية باطلة من أساسها » (ص ٢٦) ولكنه بعد ذلك بسطرين فقط يقول إنها :

« تفسير جزئى يبرز بصورة مبالغ فيها جانبا واحدا من الظاهرة » ، ثم يكتفى بعد ذلك بقليل بحكم أكثر تسامحا إذ يقول : «أن التفسير الخارجى لابد أن يكمله تفسير لخر داخلى » (ص ٢٧) وينتهى الأمر بأن نظرية المؤامرة الخارجية لا تقدم « التفسير الوحيد الكافى للحرب » وهو حكم إذا وضع بهذه الصيغة المتواضعة لا يمكن إلا أن يقبله أى شخص عاقل لأنه لا يكاد يتعدى البديهيات الواضحة بذاتها .

لاشك أننا نرحب أشد الترحيب بحماس الدكتور فؤاد زكريا لقضية المشاركة الشعبية ، ولكننا لا نستطيع أن نطاوعه وهو يحاول أن يرد الهزيمة والانتصار إلى غياب أو تحقق هذه المشاركة ، ولو على حساب إنكار حقيقة ناصعة وهى أن حجم الاعتداء الخارجى وقوة المعتدى وتصميمه على إجهاض التجربة الناصرية وغياب القوة الرادعة من جانب القوى الكبرى الأخرى ، وكلها عوامل كانت خارجة بالفعل عن سلطان الأرادة المصرية ، كانت هى العوامل الحاسمة فى تحديد النتيجة .

• تراث عبد الناصر •

بل إنى أجد نفسى ، مع كل تأييدى له فى التأكيد على ضرورة الديمقراطية والمشاركة الشعبية ، غير قادر على الاتفاق معه على أن غياب الديمقراطية هى بمثابة

الثقب فى الوعاء الذى تتسرب منه كل ايجابيات النظام ، بمعنى ان كل إيجابيات العهد الناصرى تبدو وكأن لا قيمة لها إذا تخلف شرط المشاركة الشعبية فى الحكم ، وأن غياب هذا الشرط هو ، عنصر سالب يهدد جميع العناصر الأيجابية الاخرى بالخطر ويجعلها كلها معرضة للانهيار عند أول هزة .. وهذا ما أثبته بالفعل مسار المعركة فى ١٩٦٧ ، وما ظهر بالدليل القاطع بعد أن اختفى الزعيم الذى كان يمسك فى يديه جميع الخيوط » (ص ٢٩ ـ ٣٠) .

لا أظن ذلك صحيحا بالمرة . فهل يستطيع د . فؤاد زكريا ، حقا ان ينكر ان كثيرا مما حدث من تقدم فى عهد عبد الناصر فى ميادين التصنيع والزراعة والتعليم وإعادة توزيع الدخل سوف يبقى على الزمن ايا كانت الآثار المترتبة على الهزيمة ؟

إن تجربة محمد على رغم بعد الزمن بها ، تؤيد ما اقول ، فمع كل ما احدثته ضربة الاستعمار من تخريب بالاقتصاد والجيش المصرى فى ١٨٤٠ ، ألا تزال مصر حتى الآن مدينة لمحمد على باصلاح نظام الرى ، وإرساله البعثات التعليمية الى اوربا ، وبتفتيح أفق العامل المصرى على الصناعة الحديثة والجندى المصرى على اساليب القتال العصرية ؟ وبالمثل هل يمكن ان نتصور أن مصر بعد نصف قرن أو قرن من الزمان لن تكون مدينة لعبد الناصر ببناء السد العالى ووصل الصناعة المصرية من جديد بالصناعة الحديثة وإطلاق شرائح واسعة من الطبقات المغبونة من عقالها ، والسماح لها بالتطلع الى مستقبل افضل كان يعتبر قبله من قبيل المستحيل ؟ كل هذا رغم انه خرج مهزوما فى حرب ١٩٦٧ ؟ بل الن يعتبر مجرد إقدامه على دخول معارك ضارية مع الاستعمار القديم والجديد ، رغم انهزامه فى النهاية ، جزءا ثمينا من خبرة الشعب المصرى وذاكرته ، وسوف يظل مع الزمن قادرا على استثارة حماس الأجيال القادمة من الشباب الذى سوف يجد دائما فى هذه الحقبة ، أيا كانت كآبة خاتمتها العسكرية ، تذكرة له بأن الشعب المصرى لم يلجأ دائما الى الاستكانة ، وكان يؤدى فى حقبة تاريخية معينة دورا رائدا لكل شعوب العالم الثالث ؟

هل يعتقد الدكتور فؤاد زكريا حقا ان كل هذه المكاسب قد قضى عليها تماما ان عبد الناصر كان يحكم حكما فرديا ؟ إذا كان يعتقد ذلك حقاً فاغلب الظن ان شغفه بالديمقراطية يكون قد طغى على ما عرف عنه من حب خالص للحقيقة .



قنديليات

بقلم: يحيى حقي

هذه الحضارة

حضارة الغرب الحديثة افضل ان اسميها حضارة الرجل الابيض لكى اتمكن من الامساك بتلابيبها حين تتشخص فى انسان نراه رأى العين، ونحكم عليه من افعاله..

ربما اتهمت بالعنصرية، ولكن أليست هى الحضارة التى صنفت البشر حسب الوانهم بين اسود واصفر، وسقطنا نحن من قعر القفة فاقترحنا على الرجل الأبيض ان يسمينا بالرجل الاسمر !

وهذه الحضارة تصيبنى وخاصة حين أزور بلادها بحيرة لها فى الروح ذبذبة وطنين كانى أهبط من صحو الى ضباب.. ولن اضرب فى متاهات التاريخ والفلسفة وعلم الاجناس، بل اكتفى بمثل واقعى صغير..

عرض علينا التليفزيون الفرنسى اثناء اقامتى الاخيرة فى فرنسا فيلما تسجيليا عن استعمار الرجل الابيض لقارة افريقيا. فكانى ارى وحشا إنقض على فريسة ضعيفة دعكها، فركها، فرتكها، ومزق أوصالها بانيابه ومخالبه.

استعبد أهلها جميعا، ونزح ثرواتها، ومن المؤسف والمؤلم انه ضحك على اتباع دين هو فى قمة من الحب والانسانية والتسامح. فكان

المستعمر الابيض وفى يده اليمنى بندقية وفى يده اليسرى كتاب مقدس ، لانه اراد ان يقضى اولا على جميع ديانات افريقيا لان الديانة هى اساس استقرار مجتمعاتها واستمرار تقاليدها . تحس ان الدافع لهذا الوحش ليس هو الجوع وحده ، بل وراء الجوع حقد وضغينة ، وحب للشر والأذى ، فكنت اقول فى سرى : هذه الحضارة ما الغنها ، الله يحرقها ، الله يجحمها ، ثم انتبه لنفسى فإذا بى اقول لها : أليست هى التى صنعت لك هذا الجهاز العجيب "التليفزيون" الذى جعلك تعاصر تاريخ هذا الاستعمار وانت مستريح فى بيتك بفيلم ملون بلغ فيه فن التصوير اعلى مستوى ، وبلغ فيه الاخراج والمونتاج والاضاءة الحد الاعلى ، لان الذين قاموا به جعلوا الاتقان شرطا لشرفهم بل ربما لحياتهم ، فاقول هذه الحضارة ما اعظمها ، بارك الله فيها .. ثم اعود فاقول : الا ترى هذه الحضارة لا تخجل من نشر غسيلها القذر امامك ، اذا سالتها عن السبب قالت : نحن نؤمن بالحقائق ، لسنا من اهل الانتخابات الـ ٩٩٪ او اذا سُئلنا من انتم لم نقل كان ابى فارس الفرسان ، ومع احترامنا للحقائق فإنها لا تستعبدنا لاننا نعلم ان حقائق كثيرة فى الماضى ثبت الان كذبها ، فالحقائق هى علامات طريقنا ولكنها لا تستعبدنا ويظل ذهننا مفتوحا متوثبا للكشف عن آخر وجه للحقيقة ، فاقول ما اعظم هذه الحضارة بارك الله فيها ..

الا ترى حيرتى ، وكيف انتهى الى وصف يليق بها . اقول : انها عقل بلا قلب أو مادة بلا روح كما تعودنا على اتهامها بهذه الصفات ، ثم انتبه واقول لنفسى : هل يمكن لحضارة ان تقوم وتستمر دون دعامة من قيم روحية ، والكنائس غاصة بالمبتهلين من قلوبهم ، ومن ينابيع التصوف التى نهلت منها ، وجدته فى بلاد الثلوج فى شمال السويد ، اليست هى التى امدتنا بهذه النشوة الروحية السامية لمختلف فنونها فى الموسيقى والتصوير والنحت .. الى اخره .. الى اخره .. ويبقى اخيرا امامى هذا السؤال الذى يلح علينا ، ماذا نفعل ازاء هذه الحضارة ، هل من المستطاع ان نفضل بين فضائلها فنقتبس ، وبين عيوبها فنتجنبها .. يبدو انه لا مفر من ان نرفضها بتة واحدة او نقبلها كلها بعبلها .

والذى يسبب لى هذه الحيرة هو حالة التخلف التى نعانى منه فلا نستطيع الا ان نمد لهذه الحضارة يداً سفلى كانها يد شحاذ ولكن حين نستثمر ثرواتنا الروحية والمادية ونرفعها الى مستوى لا اقول مماثل بل يقارب مستوى هذه الحضارة ، فاننا نستطيع اذن ان نملك حق الخيار فى معاملتها ..

فشل قمة ريجان - جورباتشوف

إعلان بداية انهيار النظام الدولى

بقلم: مصطفى الحسينى

●● كتب فشل "القمة التحضيرية" بين الرئيس الأمريكي رونالد ريجان والزعيم السوفييتي مخائيل جورباتشوف ، عنوانا بارزا فوق ظاهرة تتكون وتتبلور داخل النظام الدولي منذ فترة غير قصيرة .

الظاهرة الجديدة هي دبيب عوامل الضعف والتفكك في هذا النظام الدولي الذي تأسس عقب الحرب العالمية الثانية وقام على نتائجها . واتخذ من "منظمة الأمم المتحدة" إطارا له .

فقد انتهت هذه الحرب إلى عالم مغاير للعالم الذى كان قائما قبلها . فعالم ما قبل تلك الحرب كان يتوزع ما بين "الدول" و "الاراضى" التى وضعت تحت تسميات عديدة : المستعمرات ، الممتلكات فى ماوراء البحار ، ممتلكات التاج ، المحميات ، الأراضى الخاضعة للإنتداب ، الأراضى الخاضعة للوصاية ، والدول المنقوصة السيادة أما بعد تلك الحرب فقد امتلات الصورة بالمفارقات :

روسيا السوفييتية التى عاشت زمن مابين الحرب بثورتها البلشفية فى حدود الإمبراطورية القيصرية، وبقيت عضوا منبوذا فى نادى الدول ، خرجت من تلك الحرب عضوا كاملا فى هذا النادى ، حيث يجلس جوزيف ستالين فى يالطا وبوتسندام على قدم المساواة مع ونستون تشرشل وفرانكلين روزفلت ، ويشارك من موقع قوى فى إعادة رسم خريطة أوروبا ، وتتحرك حدود سيطرة موسكو إلى قلب أوروبا فتفرض تقسيم المانيا مرتين ، مرة بتوزيع قسم من اراضيها بينها وبين بولندا ، ومرة بشطر الدولة الالمانية الى قسمين لكل



ريجان



جورباتشوف

منها استقلاله و "سيادته" فتلقي ظلالا كثيفة من الشك حول فكرة الوحدة القومية الألمانية ، قبل أن تكتمل ثلاثة أرباع القرن على تجسدها .

ولا يجوز غض الانتباه هنا عن كون روسيا شاركت بهذا القدر وبهذه القوة فى هذين المحفلين المهمين ، بينما غابت عنها فرنسا ، إحدى الدولتين الكبريين في عالم ماقبل تلك الحرب .

ولقد وضح بعد ذلك ، أن يالطا وبوتسدام ، لم تكونا مجرد جلستى اقتسام الغنائم بين المنتصرين ، وانما كانتا عنوانا دائما لطبيعة علاقة المشاركة والصراع بين حلفاء الحرب الذين أصبحوا خصوما فى زمن السلم .

كما وضح بعد ذلك ، أن "زمن السلم" هذا كان فى الحقيقة زمن هدنة مسلحة دخلت عليها أطراف عديدة أخرى ، وأنه يقترب من أن يكون زمن حرب جديدة ، منتشرة ، محصورة فى بقع متفرقة على خريطة العالم ، لكنها غير منقطعة ، إذ لم يكد عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية يشهد يوما واحدا دون قتال .

وبريطانيا العظمى ، كانت المفارقة التى أصابتها ، تشبه مأسى الهزل أو مهازل الأسى ، فقد خاضت بريطانيا الحرب فى سنواتها الأولى بمفردها تقريبا ، بعد أن خرجت منها فرنسا مهزومة وهى بعد فى بدايتها ، بينما كانت روسيا تراقب الحرب وترصد المانيا التى تربطها اليها معاهدة عدم اعتداء ، وبينما كانت الولايات المتحدة تتردد بين تقاليد العزلة وبين الانغماس فى الحرب ، وفى هذا الانغماس بدوره كانت مترددة بين ما يعد به من جوائز وما ينذر به من أهوال . وفى الوقت ذاته كانت ترقب الحرب من منظور سياسة تقليدية استنتها لنفسها منذ أن أطلت على معترك الصراع الدولى (الذى كان أوروبيا فى الحقيقة) وهى السياسة التى كانت تقوم على الحيلولة دون أن تتوحد مقدرات أوروبا تحت سيطرة دولة واحدة . فكانت تخشى انتصار بريطانيا بقدر يقرب كثيرا من خشيتها انتصار المانيا .

● اقتسام الغنائم ●

خاضت بريطانيا تلك الحرب على هذا النحو كى تحافظ على مستعمراتها كحد أدنى ، طامعة فى أن ترث مستعمرات إيطاليا والمانيا ، كثمن معقول "للعرق والدم والدموع" التى تحدث عنها ونستون تشرشل .

وخرجت بريطانيا من الحرب منتصرة ، لتخسر بعد ذلك تلك المستعمرات التى خاضت

فشل قمة ريجان - جورباتشوف

الحرب كي تحافظ عليها وقد تضيف اليها .

اما فرنسا ، فقد كان حصادها من الحرب نوذجا لسخرية التاريخ . ففي تلك الحرب ، اثبتت فرنسا ـ مرة أخرى . انه منذ ان هزم نابليون بونابرت في "ووترلو" ، لم تعد فرنسا تملك من القوة العسكرية أو المجد العسكري الذي اسسه لويس الرابع عشر ، سوى الادعاء والغرور الفارغين ، فهي منذ "ووترلو" لم تكسب حربا ، بل ولا معركة . ورغم ذلك بقي بوسع شارل دي جول أن يقف في مواجهة العالم بانف اشم ، لا يثير لدى حليفه اللدود ونستون تشرشل سوى الاشفاق الساخر .

ومع ذلك ، فقد أعادت تسويات مابعد الحرب الى فرنسا مستعمراتها ، ربما لأنه تعذر على المنتصرين ـ روسيا وبريطانيا وأمريكا ـ الاتفاق على اقتسامها . وبذلك دخلت إلى سياق التاريخ ظاهرة بل ظواهر غير مسبوقة : المهزوم يعامل معاملة المنتصر ، الخاسر في الحرب يحتفظ بنصيبه من غنائمها ، اقرار الاستعمار باسم الحرية "فرنسا الحرة" . دولة مهزومة تملك المستعمرات . وربما أيضا ، وبعقد الضعف والهزيمة ، تعاملت فرنسا مع تلك المستعمرات بوحشية ، إلى أن هزمت مرات أخرى ، من الهند الصينية الى الجزائر .

وفى حصيلة تلك الحرب العالمية الثانية ، خرجت الولايات المتحدة الرابح الأول والرابح الأخير مع روسيا ، رغم أن الحرب لم تكد تقترب من اراضيها أو مياهها أو أجوائها فإذا كانت بريطانيا قد خاضت الحرب كما خاضتها روسيا بـ "العرق والدم والدموع" فقد خاضتها الولايات المتحدة بالقليل من هذه الاعراض بتضحية الانسان ومعاناته وبالكثير من الأموال . وفى نهاية الحرب حصلت على صك ارتهن لها ما تبقى من أوربا بما فيها الدولتين الكبريين ومستعمراتها التى كانت تحمل تسميات عديدة .

فى هذه الحصيلة للحرب العالمية الثانية انقسم المنتصرون فى الحرب ، وهم ـ نظريا على الأقل بسبب فرنسا ـ أربعة ، الى فريقين متساويين عددا : رابحين هما أمريكا وروسيا ، وخاسرين هما بريطانيا وفرنسا .

نظام جديد

وعلى هذه المعادلة قام النظام الدولي الجديد فى جوهره : الرابحان الكبيران ، اصبحا القطبين الكبيريين ، الدولتين الكبريين ، العملاقين الدوليين ، الجبارين الغدارين . أما الخاسران ، بريطانيا وفرنسا ، فقد التحقا بالنادى الداخلى لهذا النظام ، بحكم ماتبقى لهما من ثروة الماضى وبقايا النفوذ المترتب عليها ، كما التحقت به الصين ، بحكم حجمها الجغرافي والبشرى ، وبحكم موقعها . ولأن كلا من الرابحين الكبيرين كان يراهن على أن حصيلة ثورتها ستضمها فى صفه .

لذلك ، كان الثقل فى النظام الدولى الجديد الذى انتجته تلك الحرب ، ممثلا فى "منظمة الأمم المتحدة" هو مجلس الأمن الدولى ، الذى تمتعت فيه تلك الدول الخمس بحق الاعتراض على مايقره بالأغلبية ، وهو مايعرف باسم "الفيتو" .

وعلى نحو ما كان مجلس الأمن الدولى ، هو التقنين لما اتفق عليه روزفلت وستالين وتشرشل فى يالطاويو تسدام .

ولكى لا تصبح أيدى الأقوياء وأنصاف الأقوياء ظاهرة ، احيط مجلس الأمن الدولى بغلاف كثيف ، هو الجمعية العامة ، التى تضم "الدول المستقلة" جميعا ، "وعلى قدم

المساواة" . إنما بقيت قرارات نادى الاقلية في مجلس الأمة اكثر قوة وحجية من قرارات منتدى الأغلبية في الجمعية العامة .

لم يكد النظام الدولي الجديد المتمثل في الأمم المتحدة على قاعدة من "يالطا وبوتسدام يستقر ، حتى بدأت تدب فيه عوامل الخلل ، فقد كشفت الممارسات الدولية في ظله عن "اغلبية اوتوماتيكية" في الجمعية العامة للمنظمة الدولية ، لصالح الولايات المتحدة والدول الغربية ، وعن عزلة سوفيتية في مجلس الأمن عبرت عن نفسها بتواتر لجوء موسكو الى استخدام حق الاعتراض . الفيتو .

غير أن الخلل في هذه الحدود لم يكن باعثا على قلق من أرسوا هذا النظام الجديد ، لأنهم كانوا يدركون أنه مازال في طور التكوين ، فالنتائج الحقيقية للحرب العالمية الثانية لم تتبلور بعد . وقد بدأ تبلور هذه النتائج بداء من منتصف عقد الخمسينيات وفي عقد الستينيات في ما عرف باسم "صعود حركة التحرر الوطني" .

فقد كانت الجمعية العامة عند نشأة الأمم المتحدة تضم ٤٦ دولة تنقسم الى طبقات ثلاث ان جاز التعبير ، فهناك الدول الكبرى الخمس . تليها مجموعة الدول الاوروبية الاستعمارية الصغيرة من أمثال هولندا وبلجيكا والبرتغال ، تليها مجموعة الدول التي تتمتع باستقلال منقوص حققته عبر نضال مبتسر ضد الاستعمار على قاعدة استبقت الاسم الذى صكه لها الحبيب بورقيبة خذ وطالب ، وكانت بالتالى دولا مستقلة دائرة في فلك الغرب ، هي التي شكلت له "الاغلبية الأوتوماتكية" في الجمعية العامة .

ومع ظاهرة "صعود حركة التحرر الوطني" زحفت الى الأمم المتحدة موجات متتالية من الدول حديثة الاستقلال ، التي حققت استقلالها فيصلب النتائج الفعلية للحرب العالمية الثانية ، أى على انقاض الامبراطوريات القديمة على جانبي خندق تلك الحرب : من مشروع الامبراطورية الألمانية ، الى الامبراطورية الايطالية من ناحية ، ومن ناحية أخرى الامبراطوريتين الكبريين بريطانيا وفرنسا التين أدت اعباء الحرب الى افلاسهما ، وفرضت عليهما الديون وتكاليف اعادة البناء تبعية نسبية للولايات المتحدة ، دائنهما الاكبر ، وصاحبة الالة العسكرية التي قويت بتجربة الحرب التى انهكت ما عداها من آلات عسكرية .

كما أن هذه الدول حديثة الاستقلال ، حققت استقلالها ايضا عبر نضال لم يصبه الكثير من داء المساومة والابتسار ، فشارفت استقلالها بتراث من العداء للامبراطوريات الاستعمارية القديمة وبتوجس عدائي تجاه الولايات المتحدة ، راعية بقايا تلك الامبراطوريات وسندها ودرعها الأمني .

أدى دخول هذه الدول الجديدة الى النظام الدولي ، الى خلل آخر في هذا النظام يمكن تسميته "خللا باتجاه الاستواء" ، اذ تحولت وجهة الأغلبية في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تدريجيا نحو "أغلبية اوتوماتيكية" من نوع آخر تقف ضد الولايات المتحدة والغرب في غالب الأحيان ، وإلى جانب السوفيت في الكثير منها ، وامتد هذا التحول الى مجلس الأمن الدولي فانتقل تواتر اللجوء الى حق الاعتراض ـ الفيتو ـ على قراراته من السوفييت ، حتى كاد يصبح نمطا للسلوك الأمريكي .

● بداية الوفاق الدولي ●

وإذا كان من الممكن القول أن كلا الخللين ـ "الاغلبية الاوتوماتيكية" الموالية للغرب ، ثم "الأغلبية الاوتوماتيكية" المناوئة له ، كانا وجهى عملة النتائج الأولية ، ثم النتائج المستقرة للحرب العالمية الثانية ، فإن خللا ثالثا نما بعدهما بدأ يصيب صلب نظام "يالطا" و "بوتسدام" .

لقد أدى الخلل الأول ثم الخلل الثاني الى

فشل قمة ريجان - جورباتشوف

أن لكتشف من صاغوا النظام الدولي الجديد ، إن دوران اراداتهم على قاعدة من الصراع ، بدلا من الوفاق الذى كان اساس "يالطا" و "بوتسدام" يؤدى الى نحو ارادات أخرى خارج ارادتهما ، مما ادى الى تحركهما باتجاه استعادة ذلك الوفاق ، فعرف العالم الفترة التى عرفت باسم "الوفاق الدولي" ، وهى الفترة التى بدات تبلورها بازمة الصواريخ الكوبية فى ١٩٦٢ ، وسادت علاقات القوتين الكبريين - دون أن تخلو من المشاكل - حتى بداية اعادة البناء العسكرى الامريكي فى النصف الثانى من ولاية الرئيس الامريكى السابق جيمى كارتر فى عام ١٩٧٨ .

ولقد شهد عصر الانفراج الدولى ، تطبيقات عديدة لروح يالطاويوتسدام : تجميد المشكلة الكورية عند خط العرض ٣٨ ، تجميد المشكلة الألمانية والاقرار بانقسام المانيا ، احتواء نتائج الحرب العربية الاسرائيلية فى ١٩٦٧ فى نطاق قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، احتواء الحرب الهندية - الصينية ، والحرب الهندية الباكستانية ، الاتفاق على بقاء النظام الشيوعى فى كوبا مع الاتفاق على عزلته ، التدخل الأمريكى غير المباشر ، وباستهداف الهزيمة فى انغولا . وغير هذا من الأمثلة ، التى كان أبرزها إعلان هلسنكى حول الأمن والتعاون الأوربى فى ١٩٧٥ ، والذى قام على قاعدتين متقابلتين :

الأولى : أن يقبل الغرب ، بصيغة أدنى من الاعتراف القانونى ، ما استقر فى اوروبا من حدود جديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وابرزها خط أودر - نييس بين ألمانيا وبولندا ، وبأن لموسكو قولا مشروعا فى شئون أمن أوربا الوسطى والغربية .

والثانية : أن يقبل الشرق ، وبصيغة ادنى من الاعتراف القانونى ، بشرعية التسلل الايديولوجى والدعائى الغربى الى معسكره تحت عنوان "حقوق الانسان" .

وكان يمكن أن يكون اعلان هلسنكى قاعدة لاستقرار نظام يالطا وبوتسدام . غير أن تطورين بارزين اقنع كل منهما على حدة ، طرفا الوفاق بأنه لا يعمل لصالحهما .

كان التطور الأول هو الهزيمة الامريكية فى فيتنام ، الذى اقنع الولايات المتحدة ، بأن ما استخدمته من قوة عسكرية ، لم يحفز السوفييت لفرض إرادة الوفاق على الفيتناميين ، إما لأنهم غير قادرين على ذلك أو غير راغبين فيه ، وقد فضلت واشنطن التفسير الثانى .

أما التطور الثانى ، فهو أحداث بولندا ، التى اقنعت موسكو أن الولايات المتحدة تستخدم وفاق هلسنكى لمحاولة تقويض منظومتها ، واعادتها الى عزلة "الاشتراكية فى بلد واحد" .

وفى ما وراء رؤية كل من واشنطن وموسكو لهذين الحدثين ، كان عمقهما أن إرادات دولية أخرى ، على قدر من الاستقلال عن الارادتين الدوليتين الحاكمتين ، تتكون وتعبر عن نفسها .

مضت ظاهرة الارادات الدولية - الثانوية - غير ملحوظة أو غير معترف بها ، الى أن أعلن عنهما حدثان كبيران تربطهما صلة وثيقة ، هما الثورة الإيرانية والحرب العراقية - الايرانية التى أعقبتها وترتبت عليها .

فمنذ بداية "صعود حركة التحرر الوطنى" ، كان انحسار الاستعمار القديم يمضى في ما يشبه النمط المقرر : تنتصر "حركة التحرر الوطنى" فى بلد ما ، فيحصل على استقلاله ، تنتهج الدولة الجديدة سياسة تتراوح بين التوجس من للغرب أو مناوءته أو

العداء له ، لكي تحمي هذه السياسة فإنها تحتمي بدرجة أو بأخرى بالشرق بأشكال متعددة : موالاته سياسيا في المجال الدولي ، الاعتماد عليه في التسليح والتدريب ، اللجوء اليه للحصول على معونة اقتصادية تعينها على التنمية ، يتوازى مع هذا سياسة غربية تجاه ذلك البلد الحديث الاستقلال تتراوح مابين العداء ومايترتب عليه ويتخذه من وسائل الضغط حتى التآمر ، وما بين الاستدراج والتسلل كي يستعيد المصرف مافقده الجيش .

اما في حالة ايران ، فقد انكسر النمط ، فهذا بلد خرج من حلقة الغرب ولم يقترب من الشرق . ولا يبدو في افقه ايذان واضح بأيّ من معالم النمط المستقر .

امتدادا للظاهرة نفسها ، او عرض من اعراضها ، ما ميز الحرب العراقيـة ـ الايرانية ، فهي أول الحروب المحلية او الإقليمية أو الصغيرة التي تخرج عن ارادة "يالطاوبوتسدام" . سواء كان تعبير هذه الارادة عن نفسها صراعا أم وفاقا .

ولعل ما يوضح هذا مقارنتها بالحرب الهندية الباكستانية في ١٩٦٦ . فقد بدأت تعبيرا عن الصراع داخل ارادة "يالطا ـ بوتسدام" ، وانتهت تعبيرا عن الوفاق في هذه الارادة .



مايشهده عالم اليوم اذن بدءا من فيتنام الى بولندا ، صعودا الى الثورة الايرانية والحرب العراقية ـ الايرانية ، هو الكلمات الأولى في اعلان انهيار النظام الدولي الذي قام على علاقة الوفاق والصراع في يالطاوبوتسدام .

فالارادتان الدوليتان المهيمنتان ـ صراعا ووفاقا ـ تواجهان ضعف قبضتهما على ارادات الدول الأصغر .

وإن كانت هذه الكلمات الأولى لاتعبر بعد عن معالم نظام دولي جديد فضلا عن وجهته ، فإنها تساعدنا على فهم فشل قمتين بين مادرجنا على التسليم بانهما القوتان الدوليتان اللتان تتحكمان بمصائر العالم .

الفيلسوف الكامل !

ذكر المعلم الثاني الفارابي ، أن من يشرع في النظر الفلسفي "يجب أن يكون له بالفطرة إستعداد للعلوم النظرية ، وهي أن يكون جيد الفهم والتصور ، ثم أن يكون محباً بالطبع ، للصدق وأهله ، والعدل وأهله ، غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب ، تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدينار ، وأن يكون كبير النفس عما يشين عن الناس ، وأن يكون ورعاً سهل الأنقياد للخير والعدل ، عسر الإنقياد للشر والجور ، وأن يكون قوى العزيمة على الصواب .. وأن يكون صحيح الاعتقاد لأراء الله التي نشأ عليها ، متمسكا بالافعال الفاضلة ، غير مخل بكلها أو بمعظمها" ..

الثالث الأعظم على الطريق:

روسيا وأمريكا في بلاط الصين!

بقلم: عبد الرحمن شاكر

في مظاهرة دبلوماسية قل ان يكون لها مثيل الا في الافلام السينمائية ، تشهد احدى العواصم وجودا مكثفا لممثلين لكلا القوتين العظميين في العالم ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، في وقت واحد كل منهما تحاول ان « تبيع » لتلك العاصمة « صداقتها » على نحو او آخر .. حتى يكاد يبدو ان تلك العاصمة هي « الاعظم » حقا وصدقا ، والا لما تسابق الآخرون الى بلاطها على هذا النحو المكشوف كما كان الحال في الماضي المجيد لتلك الامة الضخمة ذات الحضارة العريقة ، التي لم تكن تسمح لاجنبي الحضور اليها الا على ظهر سفينة تابعة لها !

واضح أنني اتكلم عن الصين ، وعاصمتها بكين . اما المتسابقان الى بلاطها فاولهما هو « ايجور روجاتشيف » نائب وزير الخارجية السوفييتي ، الذي توجه للعاصمة الصينية على رأس وفد كبير لاجراء الجولة التاسعة من المباحثات من اجل ما وصف بأنه محاولة «تطبيع» العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والصين ، والثاني ، او المتسابق الآخر ، هو « كاسبر واينبرجر » وزير الدفاع الامريكي الذي هرع الى الصين ، بعد منافسه بيوم واحد لاجراء مباحثات فيها تستهدف تذليل الصعوبات التي تعترض تنمية التعاون العسكري بين الصين والولايات المتحدة الامريكية أ .

وتجرى هذه المسابقة بين الدولتين «العظميين» على كسب ود « الثالث الاعظم » قبل أيام من اللقاء بين زعيميهما ريجان وجورباتشوف على ارض جزيرة ايسلندا التي تقع على بعد جغرافي متوسط بين دولتيهما . وواضح انهما في لقائهما يحتاجان كثيرا الى معرفة رد فعل الصين ازاء جهود ممثليهما فيها ، حيث كل نجاح لايهما هناك يعد ورقة ناجحة في المساومة مع الطرف الآخر منهما .

وللحقيقة والتاريخ .. فالصين ليست اول دولة تحاول اللعب على التناقض والصراع ما بين القوتين العظميين او



زهاو زيانج رئيس الوزراء

العسكرين الدوليين فى التاريخ المعاصر ، بل لقد حاولت ذلك كثير من دول العالم الثالث بما فيها بعض بلادنا العربية على سبيل المثال ، وأفلح من تلك الدول من افلح ، وخاب منها من خاب..! ولكن الصين بضخامتها ـ ربع الجنس البشرى صينيون ـ ووحدتها ـ كانت مرشحة فى أوائل القرن العشرين للتقسيم ما بين الدول الاستعمارية الاوروبية ، وقدرتها الهائلة على التنظيم ، وصلابتها ، ونفسها الطويل ، واعتدادها الشديد بعراقة حضارتها والمرونة السياسية الهائلة فى التحول من النقيض الى النقيض ... كل ذلك قد جعلها الاقدر والاقوى على الاستفادة من تناقضات الاخرين .. دعنا من حكاية انهما « العظميان » بحكم ما لديهما من تفوق تكنولوجى مثلا ، أو أكداس من أسلحة الدمار ـ الصين صنعت قنبلتها النووية وانتهى الامر ، ليس من المستغرب أن تثبت أنها « الاعظم » حقا على المدى الطويل وتفرض فى النهاية على الاخرين التعامل معها بشروطها ، بما فى ذلك اعادة ترتيب الاوضاع العالمية بالاتفاق معها وطبقا لما يرضيها .. كل ذلك غير بعيد .

فى البداية كانت الجمهورية الصينية، التى ولدت عام ١٩١١ ، بعد القضاء على الحكم الامبراطورى لاسرة «المانشو» الصديق الاول وربما الوحيد ، للثورة الروسية عام ١٩١٧ . كان الزعيم الاول « للكومنتانج » ، الذى كان بمثابة الحزب الوطنى التقليدى فى الصين ، مثل حزب المؤتمر الهندى ، وحزب الوفد فى مصر ، هو نفسه رئيس الجمهورية الصينية الاول ايضا « صن يات صن » وكان يعتبر صداقة الاتحاد السوفييتى جزءا لا يتجزأ من مبادئه ، ولم يقصر السوفييت فى امداد الجمهورية الصينية بكل ما يستطيعون من مساعدات وخاصة من الناحية العسكرية فى وجه من كانوا يحاولون نقلها سواء من بقايا الامبراطورية او القوى الإستعمارية الطامعة فى السيطرة على الصين بل أن « شيان كاى شيك » ذاته الذى خلف صن يات صن فى رئاسة الصين وزعامة الكومنتانج تلقى تعليمه السياسى والعسكرى فى الاتحاد السوفيتى .. ولكن حينما بدأ الجناح اليسارى « للكومنتانج » فى بلورة ارائه وتنظيم صفوفه باعتباره الحزب الشيوعى الصينى ، أصبح هذا الاخير أقرب الى الاتحاد السوفييتى ، الذى اختصه بتأييده فى الثورة على الجناح اليمنى للكومنتانج بزعامة « كاى شيك » حتى لقد اصبحت المناطق الشمالية من الصين ، المجاورة للاتحاد السوفييتى والتى لجأ اليها هذا الحزب فيما يعرف باسم المسيرة الطويلة يطلق عليها اسم الصين السوفييتية ! وبعد دحر الغزو اليابانى وانتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، ساعد الاتحاد السوفييتى الحزب الشيوعى الصينى فى حربه الاهلية ضد شيان كاى شيك ، الذى بذل الامريكان كل ما فى وسعهم ـ دون جدوى لتأييده ، حتى انتهى الامر بانتصار الحزب الشيوعى فى عام ١٩٤٩ ، واتمام سيطرته على الصين كلها ، فيما عدا جزيرة فرموزا وتايوان ، التى لجأ اليها شيان كاى شيك واطلق عليها اسم الصين

روسيا وأمريكا
في بلاط الصين!

الوطنية وبقيت الولايات المتحدة الامريكية ردحا طويلا ، لا تعترف بدولة الصين الشعبية ، ولا تسمح لها باحتلال مركزها كعضو دائم في مجلس الامن ، وانما يجلس في مقعدها ممثل جزيرة فرموزا باعتباره ممثل الصين الوطنية !.

وبالرغم من ذلك أي من الانحياز الكامل من جانب السوفييت للشيوعيين الصينيين ، والامريكان لاعدائهم ، فقد كانت هناك بذور للشقاق ما بين الشيوعيين الصينيين والسوفييت من أيام ستالين وكان ستالين يرفض نظرية ماوتسي تونج زعيم الحزب الشيوعي الصيني التي عرفت باسم « الديمقراطية الجديدة » . والتي يذهب فيها الى ان القوة الرئيسية للثورة هي الفلاحون ، غالبية الشعب الصيني ، وليس الطبقة العاملة كما يريد ستالين ! وكان «ماو» يعتبر القيادة الشيوعية لتلك الثورة ممثلة للبروليتاريا العالمية ، وليس للطبقة العاملة الصينية الضعيفة العدد والتكوين ! وبالتالي كان يدعو الى تجنيد الاعضاء الجدد في الحزب الشيوعي من جمهور الشباب المتعلم وطلبة الجامعات وليس بالضرورة العمال! كان هذا الصراع ما بين القطبين الشيوعيين مكتوما ، وان كان الصينيون قد قالوا فيما بعد ان ستالين كان يصر على ان يتقاضى ثمن الاسلحة الروسية ذهبا صينيا ، وانهم فعلوا مثل ذلك مع ثوار اسبانيا في الحرب الاهلية التي انتهت بانتصار فرانكو قبل الحرب العالمية الثانية! كان الفريقان يحافظان على مظهر وحدة الطبقة العاملة العالمية حتى مات ستالين عام ١٩٥٣ .

ثم جاء خروشوف الذى خلف ستالين في سكرتارية الحزب الشيوعي السوفييتي .. فالقى بقنبلته المدوية عام ١٩٥٦ في



جورباتشوف

المؤتمر العشرين للحزب المذكور ، وهو التقرير السري الذى ادان فيه « عبادة الفرد » وكشف عن الكثير من الفظائع التي ارتكبها ستالين ليس بالمواطنين السوفييت فحسب ، بل بالشيوعيين منهم على وجه اخص ! واستاء الصينيون اشد الاستياء لسلك خروشوف ، وكان لسان حالهم يقول : لقد سكتنا نحن على كثير من اخطاء ستالين ازاءنا حرصا على الكرامة الشيوعية في مجموعها ، فكيف يجرؤ خليفته على قذف الامور على هذا النحو !! ان خروشوف انما يلعب بذلك على أيدى تيتو وامثاله المنحرفين المنشقين على الاصولية والشيوعية ! او المراجعين والمرتدين .

وبدات مسيرة الانشقاق الكبير ، مابين الحزبين الشيوعيين الكبيرين الصيني والسوفييتي ، والدولتين اللتين يحكمانهما : الصين والاتحاد السوفييتي وكان موضوع السلاح النووى واحدا من اهم عناصر هذا الشقاق ومظاهره ، حيث رفض خروشوف امداد الصين بالقنبلة الذرية او وسائل صنعها ، بدعوى انها يكفيها أن يكون تحت مظلة الحماية النووية السوفييتية ، والتزاما بمعاهدة



ماوتسي تونج

الحد من الاسلحة النووية ، وكان رد الصينيين عليه انه يمارس نوعا من غطرسة الامة الكبرى يتناقض مع مبادىء الدولية الشيوعية وانه يعطى للامبرياليين مهابة لا يستحقونها ، بينما هم مجرد نمر من ورق ! وبلغت تلك الغطرسة مداها حينما سحب خروشوف خمسة آلاف من الخبراء السوفييت كانوا يعملون فى المصانع الصينية الجديدة مما هدد معظمها بالتوقف ! وكان رد فعل الصينيين هو اتهام السوفييت ، او حكامهم بأنهم امبرياليون شأنهم شأن الامبريالية الرأسمالية ، الا انهم اشد خطرا فى تدليسهم سياستهم باسم الاشتراكية ! وراحوا يشهرون بالسوفييت ويناوئون سياستهم فى كل مكان ، فاذا تعاون السوفييت مع الهند مثلا مدوا ايديهم الى خصمها باكستان ، وهلم جرا

وكان من طبيعة الامور ان يتلقف الامريكان هذا الشقاق ما بين الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين ، ويحاولوا استغلاله بالتقارب مع الصين ، التى زارها الرئيس الامريكى الاسبق ريتشارد نيكسون ، ثم تلا ذلك الاعتراف بها واعطاءها مقعدها الشرعى فى مجلس الامن وان بقيت الحصانة الامريكية على تايوان حتى الان ، والتعامل معها فى مختلف المجالات وخاصة الاقتصادية ، مع تحفظ خاص فى الناحية العسكرية ! الا فى الاونة الاخيرة بعد ان بدات ملامح التقارب مع السوفييت تلوح من جديد !

● حرب الرفاق ام الوفاق ●

الا ان ذروة الصراع ما بين الصين والاتحاد السوفييتى او الحضيض الذى وتحدرنا اليه فى الواقع كانت فى السبعينات حينما وقع صدام على الحدود بينهما ، استخدم فيه السوفييت صواريخهم فى تدمير الدبابات الصينية ، وقد ظل امر هذه الوقعة المخزية مكتوما لا تذكره اى من الدولتين ! ثم تلا ذلك اجتياح الجيوش الفيتنامية ذات التسليح السوفييتى لدولة كمبوديا التى تساندها الصين وما تزال تحتلها حتى الان ، بل لم يتردد الفيتناميون فى محاولة اذلال الجيش الصينى ذاته بحكم ما لديهم من سلاح سوفييتى متطور فى صدام على الحدود بينهما كل ذلك تعتبره الصين مضافا اليه غزو السوفييت لافغانستان فى نهاية السبعينات جزءا من السياسة الامبريالية الاشتراكية التى يمارسها الاتحاد السوفييتى بقيادة الحزب الشيوعى المرتد عن مبادىء الدولية الاشتراكية ! وهى الصورة التى يحاول تغييرها حاليا الزعيم الجديد « الشاب » لهذا الحزب ميخائيل جورباتشوف ، الذى دعا فى المؤتمر الاخير للحزب البلشفى الى ضرورة تحسين العلاقات مع « الجارة الاشتراكية العظيمة » ــ وعلى حد تعبيره ــ جمهورية الصين الشعبية !

وتقوم مبادرة جورباتشوف لهذا الغرض والتى يحملها الى الصين نائب وزير خارجيته على اساس الانسحاب المتبادل للقوات الصينية والسوفييتية من الحدود بينهما ، وسحب جزء من القوات السوفييتية فى افغانستان ، ولكن الصينيين يطلبون ان تنسحب الفيتناميون من كمبوديا ، ويعتبر زعيمهم ولج شياو بنج تنفيذ ذلك شرطا للموافقة على لقاء جورباتشوف .

روسيا وأمريكا في بلاط الصين!

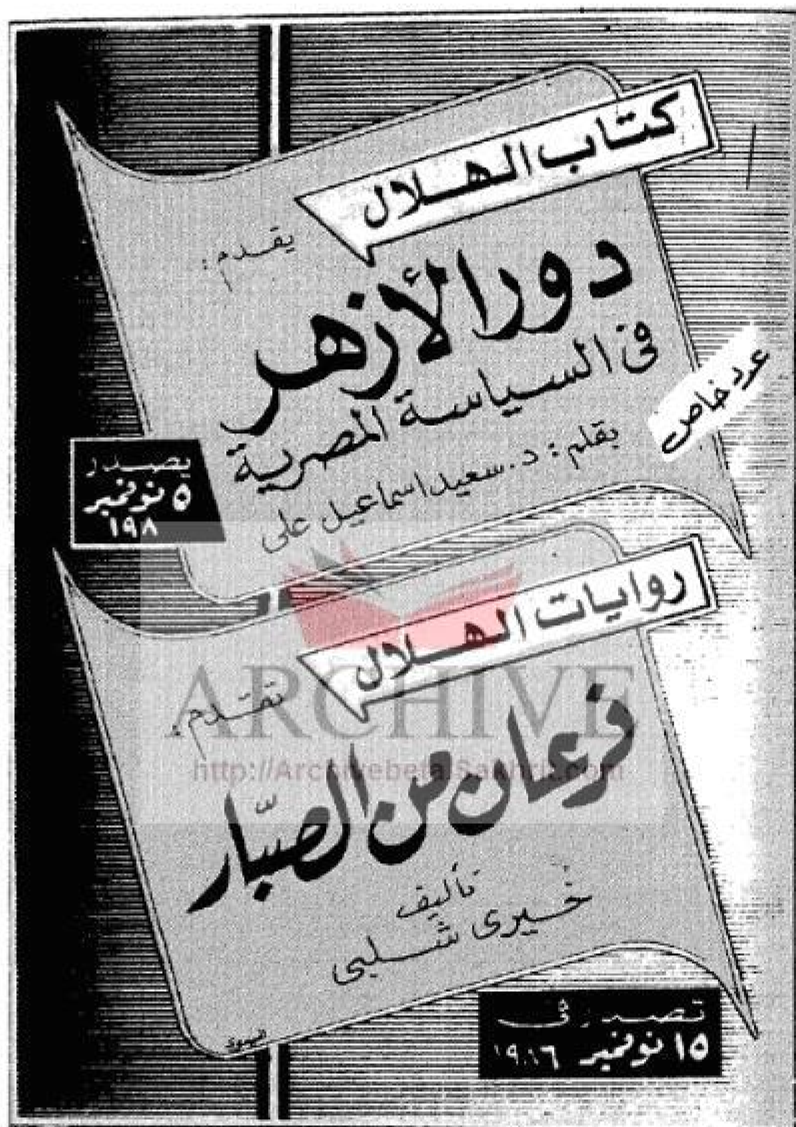
ان دواعي التقارب والوفاق ما بين الدولتين الاشتراكيتين كثيرة متعددة ، ليس اقلها انهاء « حرب الرفاق القذرة المستعرة في كمبوديا . ولكن من أهم عناصرها ، ان كلا من دنج سياوبنج زعيم الصين ، وجورباتشوف زعيم الاتحاد السوفيتي يسلمان بان الثورة التكنولوجية في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية واليابان ، قد وضعت الدول الاشتراكية بعامة موضع التخلف ازاء منجزات تلك الثورة والحاجة الى اكتسابها من طريق التعاون الاقتصادى مع الامبرياليين » ، وذلك وضع يملى عليهم أولا أن يستجمعوا طاقاتهم التكنولوجية المحدودة ويستخرجوا منها اقصى ما تطيق قبل محاولة اكتساب ما لدى الاخرين ومن أجل الاستفادة الحقيقية مما لديهم . وفي هذا الاطار تدخل زيارة « ياروزلسكى » زعيم الحزب الشيوعى البولندى للصين ، وبدء سياسة جديدة في التعاون الاقتصادى ما بين الاتحاد السوفيتي والصين كخطوة أولى في تحسين العلاقات او تطبيعها قبل حل المشاكل السياسية الشديدة التعقيد مما في ذلك «حرب الرفاق» في كمبوديا والاحتلال السوفيتي لافغانستان .

ويحاول الامريكان بطبيعة الحال تطم الطريق على هذا التقارب المحتمل بين الدولتين الشيوعيتين الكبريين ، من طريق ازالة الصعوبات التى تعترض التعاون العسكرى مع الصين كما قدمنا في أول المقال . وهذا العرض من جانبهم ينطوى على احتمال تعزيز قدرة الصين العسكرية على مواجهة السوفييت في موضوع الحدود بينهما من ناحية ، ومن ناحية أخرى امكانية تأديب الفيتناميين واجبارهم على الانسحاب من كمبوديا ان باطا السوفييت في حثهم على ذلك ! ولكن البوادر الاولى للصينيين تدل على انهم زاهدون في العرض الامريكى الذى جاء متأخرا ، فيما صرح به زعماؤهم من أن الصين تعمل حاليا على تخفيض الانفاق العسكرى ، وتوجيه المصانع الحربية لانتاج السلع المدنية من اجل تحقيق مزيد من الرفاهية الاقتصادية للشعب . وربما تكون هذه التصريحات نوعا من « الدش البارد » يلقونه في وجه وزير الدفاع الامريكى كجزء من فن المساومة لاجباره على تقديم مزيد من عروض التعاون العسكرى !

على أن الكرة الان هى في الملعب السوفيتى كما يقال . ان استجابتهم لمطالب الصين السياسية قد يمكنهم من احراز السبق على خصومهم الامريكان في البلاط الصينى ، بل قد يفتح الطريق أمام القطبين الشيوعيين الكبيرين للقاء المنشود . وفى هذا الصدد كانت هناك تصريحات اخرى من جانب بعض زعماء الحزب الشيوعى الصينى قالوا فيها انهم اذا كان يعملون على تطبيع العلاقات بين دولتهم والدولة السوفييتية فان ذلك لايعنى تطبيع العلاقات بين الحزب الشيوعى السوفييتى والحزب الصينى الهائل ! ومعروف أن كلا الحزبين هو بمثابة الجهاز العصبى في كلا الدولتين .

قد يكون هذا التصريح الاخير هو بدوره ضربا من فنون المساومة مثل ما ألقى في وجه واينبرجر وزير الدفاع الامريكى ، وقد يدل على مخزون الغضب الهائل في نفوس الشيوعيين الصينيين ازاء رفاقهم السوفييت ، وقد يشير هو وسابقه الى ان الصينيين يعتبرون أن مفاتيح اللعبة الدولية الكبرى قد أصبحت في ايديهم يصرفونها كما يشاءون !

على انه يبقى ان تقارب الصين والاتحاد السوفييتى ، قد يفتح الطريق لاعادة وحدة القوى الاشتراكية في العالم بأسره ، وهو شرط أساسى لكى تنجح في محاصرة « الامبريالية » واجبارها على توظيف ما تحت أيديها من قوى تكنولوجية جبارة في حل المشاكل الاقتصادية المعقدة للجنس الانسانى بدلا من التفنن في انتاج وسائل تدميره وابادته !


كتاب الهلال
يقدم:
دور الأزهر
فى السياسة المصرية
بقلم: د. سعيد اسماعيل على
عدد خاص
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨
روايات الهلال
تقدم:
فرعان من الصبّار
تأليف
خيرى شلبى
تصدر فى
١٥ نوفمبر ١٩٨٦

الزنوجة بين الأدب والسياسة

بقلم: محمد جلال عباس

الزنوجة حركة نبعت عن المواجهة التاريخية بين الشعوب الزنجية أو الشعوب السوداء من جهة والشعوب الأوربية الاستعمارية من جهة أخرى . ونتيجة لهذه المواجهة كانت هناك انعكاسات على مختلف فروع الأدب . كما كانت لها انعكاسات سياسية على العلاقات بين الشعوب الأفريقية مع بعضها وبينها وبين شعوب العالم الأخرى . ونظرا لأننا فى العالم العربى نشارك شعوب أفريقيا فى الأرض والجوار فإن موضوع الزنوجة يستحق منا نظرة استجلاء لنشأة الحركة ومفاهيم الزنوجة .

إستمرت العلاقات بين أفريقيا واوروبا خلال القرون الثلاثة الأولي للامبريالية فى صورة تبادلية مضمونها تطلعات الأفريقيين لحياة أفضل . وأطماع الاوربيين فى سيطرة سياسية واقتصادية وأجتماعية على مقدرات هذه القارة .

وكان للأوربيين أهداف متعددة أولها استغلال ثروات القارة من السلع الثمينة مثل العاج والذهب والجلود . وثانيها الحصول على القوى البشرية اللازمة لتعمير العالم الجديد . وثالثها بسط النفوذ والتوسع وتكوين المستعمرات . ورابعها نشر ثقافة الرجل الابيض وديانته فى محاولة لتاكيد دور الرجل الابيض فى نشر الحضارة او ما كان يسمى الرسالة الحضارية للرجل الأبيض .

انتهى الامر فى اواخر القرن التاسع عشر إلى تشكيل جديد لأوضاع الشعوب الافريقية يتمثل فى قارة خضعت للأستعمار . وامتداد لشعوب القارة فى وطن جديد لهذه الشعوب فى امريكا ممز كانوا عبيدا ثم حررتهم التشريعات واتخذ

الوضع من الناحية الثقافية صورة ماساوية بالنسبة للافريقيين فى القارة وفى خارجها فقد ادت الهزائم التى تعرضوا لها والقهر والاضطهاد الذى أنزل بهم سواء كمواطنين فى المستعمرات أو كعبيد فى مهجرهم إلى فقدان ثقتهم فى انفسهم وفى قيمهم وتقاليدهم . وأصبح الأفريقى ينظر إلى نفسه على أنه إنسان من الدرجة الثانية أو شبه انسان تصديقا لما أراده الرجل الأبيض .

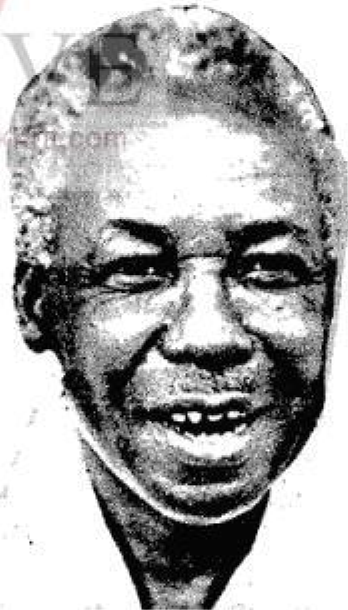
كان لهذا التوجه السلبى أثره الواضح على الكتاب الأفريقيين سواء فى داخل القارة أو فى مواطن الزنوج فى العالم الجديد ، فظهرت الكتابات التى تصور الزنجى بصورة باهتة مظلمة كانسان لا امل له فى الحياة مثل قصائد جوبيتر هامون المتوفى عام ١٨٠٠ والذى ملأ أشعاره باستعطاف الرجل الأبيض على الزنجى المقهور وبالمثل امتلأت كتابات الأفريقيين فى وطنهم خلال فترات الاستعمار الاولى بالنفاق : نفاق الرجل الأبيض كصاحب حضارة ، ونفاق الكنيسة ، ونفاق الادارة والاعلان عن الخضوع

● التوجهات الجديدة ●

بدات تلك التوجهات الجديدة فى بداية القرن العشرين مع انتشار التعليم فى اوساط الافريقيين وتكوين طبقة من صفوة المثقفين وانصاف المثقفين أرادوا اثبات ذاتهم الأفريقية فى مواجهة الأزدراء الذى يقابله بهم الاوروبيون وكان أهم ما شغل الكتاب الأفريقيين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو محاولة الرد على التهمة الشنعاء التى ألصقها الأوروبيون بالزنوج وهى انهم لم يضيفوا شيئا الى الحضارة العالمية وانهم لم يسهموا بشىء فى بناء الانسانية . والى جانب الرد على هذه التهمة قام السود بمحاولات للخروج من وضع التبعية والسلبية والاغتراب الذى فرضته عليهم قرون الامبريالية والرق والاستعمار .

سنجور رئيس السنغال





جوليوس نيريرى

وساعد على ذلك انتشار الفكر الانساني وتكوين قاعدة من المثقفين الافريقيين ثم تبع ذلك قيام الحرب العالمية الاولى ومشاركة الافريقيين فيها مشاركة فعالة أعادت اليهم بعض الثقة في انفسهم وفي دورهم العالمي ، واخذ الافريقيون الذين يعيشون في غربتهم بامريكا وجزر الهند الغربية يتجهون بعواطفهم وامالهم الى ارض افريقيا ، وطنهم الاصلي ، ودعا الزعيم الزنجي الأمريكي « ماركوس جارفي » الى فكرة العودة الى افريقيا وتوحيد الشعب الزنجي في حركة الجامعة الافريقية Pan-Africanism كما ظهر في اوساط المثقفين بالمستعمرات الافريقية دعوة تسمى « الأثيوبية » باعتبار ان أثيوبيا تمثل رمزا افريقيا للاستعمار لانها كانت الدولة الوحيدة التي لم تخضع للحكم الاستعماري .

ولقد عبر « جارفي » في كتابه الفلسفة والرأى الذي صدر في نيويورك عام ١٩٢٦ عن إسهام افريقية في الحضارة العالمية ، ومكانة شعوبها في تاريخ الانسانية بقوله : في الوقت الذي كان فيه سكان أوروبا يعيشون في مرحلة البدائية عراة متوحشين بلا عقيدة او فكر كانت افريقية ماهولة بأناس هذبتهم الحضارة وكانت لهم ثقافتهم وحضارتهم التي نشروها في انحاء العالم .

وجاءت نفس الفكرة على لسان الشاعر المارتينيكي كلود ماكاي في مقطوعة بعنوان « افريقيتي » يقول فيها مخاطبا أفريقيا:

ايقظتك الشمس من سباتك
غمرتك بالضياء
رضع العالم البانه من أثدائك
حينما كان العالم صغيرا في
رحم الظلام
كان ابناؤك يكدون
في بناء صروح احسن الاثار
ويأتي الناس اليك اليوم
وتمضي الايام والسنون
وابو الهول ذو الاعين الجاحظة
الساهرة
يرقب العالم المجنون

ومن الواضح في شعر كلود ماكاي وجود فكرة التفاخر بالحضارة المصرية القديمة التي سارت جنبا الى جنب مع فكرة التفاخر بالاثيوبية التي تبناها المسيحيون بالقاهرة في أول الامر ولقد بالغ « شيخ انتاديوب » الكاتب السنغالي في فكرة مصرية الحضارة الافريقية والتفاخر بالحضارة المصرية كحضارة منسوبة الى إفريقية في كتابه بعنوان « الشعوب الزنجية والحضارة » لدرجة انه اطلق فرضية بأن الحضارة المصرية إفريقية الاصل او بالتحديد زنجية الاصل اقامها شعب من السود ، وأتى بادلة كثيرة على هذه الفرضية .

● تشكيل حركة الزنوجة ●

لئن كانت الفترة السابقة للحرب العالمية الاولى هي فترة التمهيد الفكرى لدعوة الزنوجة فقد كانت الفترة الواقعة بين الحربين هي فترة التشكيل المبدئي للحركة فقد بدأت باكورتها في باريس حيث دعا أحد المحاربين السنغاليين القدامى ويدعى الامين سنجور الى تكوين لجنة للدفاع عن الجنس الزنجي ودعت هذه اللجنة الى عقد مؤتمر ضد الامبريالية والسيطرة الاستعمارية انعقد عام ١٩٢٩ وحضره

بعض الزعماء السياسيين من اسيا مثل « السيدة سيون بات سن » من فيتنام وجواهر لال نهرو من الهند ، ثم تكون في عام ١٩٣٤ اتحاد الطلبة السود في باريس وكان من طليعتهم أيمي سيزار من المارتينيك ، وليون داماس من مستعمرة جويانا الفرنسية ، وليوبولد سيدار سنجور من السنغال ، وغيرهم ، كما تكونت ايضا جمعيات للطلاب الناطقين بالانجليزية الذين يدرسون في لندن .

ولم تكن كلمة الزنوجة معرفة انذاك ولكن مفهومها ومضمونها المبدئي ظهر في أهداف تلك الجمعيات الطلابية التي تكونت بقصد اثبات هوية الأفريقيين في مواجهة الأجناس الأخرى وبخاصة الرجل الأبيض ، واتخذت دعوتهم شكل توعية بلون البشرة واعتراف بها دون خجل ونشر الاحساس بالوضع الانساني المتكامل للزنوج ليحل محل الشعور السائد بأنهم بشر من الدرجة الثانية أو أشباه للبشر ، وعبر ايمي سيزار عن تلك الظاهرة التاريخية التي تمثل تخلف الزنوج بقوله :

« مرحى لهؤلاء الذين لم يخترعوا شيئا ، مرحى لهم إذا لم يخترعوا البارود ، مرحى لهؤلاء الذين لم يرتادوا الأرض ولم يستعمروها ، مرحى لهؤلاء الذين لم يسخروا البخار والكهرباء ولم يستخدموهما » .

ووصف جان بول سارتر هذا القول بانه « دعوى التفاخر بعدم التقنية » واعتبره منطلقا واقعيا لشعب أو لشعوب تريد إثبات ذاتها وتحقيق وجودها الانساني يتضح ذلك في ان أيمي سيزار لم يقف عند هذا الحد من التعبير عن ادراك الزنوج لوضعهم الواقعي بل قارن بين الطبيعة المعنوية لكل من الرجل الأبيض والرجل الأسود بقوله « أن البيض غزاة وعلماء ولكنهم سذج فالرجل الأبيض يعرف كل شيء عن التكنولوجيا ، ولكن معرفته سطحية فهو لايدرك جوهر الاشياء وما بداخلها من حياة ، بعكس الزنجي الذي يدرك ويفهم من منطلق الوجدان » .

وبقيام الحرب العالمية الثانية ومشاركة الشعوب الافريقية فيها أيضا مشاركة فعالة وفي ظل الحركات السياسية التي دعت في أول الأمر الى الحكم الذاتي ثم إلى الاستقلال ، وفي ظل الأفكار الاشتراكية الجديدة التي انتشرت في العالم ، وبتأثير انتصارات فيتنام على الحكم الفرنسي وثورة مصر واستقلال غانا ودعوة عدم الانحياز تبلورت فكرة الزنوجة وتحولت إلى حركة أدبية ثقافية وايديولوجية اصبح لها مكانتها في الثقافة العالمية ، وقد اتجهت حركة الزنوجة إلى إكتمال تبلورها الفكري من خلال مؤتمرات الكتاب الافريقيين التي عقدت في باريس وروما وكمبالا ولندن وغيرها ، وانعكست ايضا في مؤتمرات الكتاب الافرواسيويين في القاهرة وطشقند وبغداد .

● تبلور مفهوم الزنوجة ●

ولقد كان أول تبلور لفكرة الزنوجة في تكوين جمعية الثقافة الافريقية وحركة الوجود الافريقي — PRESENCE AERICAINE في باريس وواضح من اسم الجمعية انها تهدف الى اثبات كيان الشعوب الأفريقية ووجودها كجزء من الحضارة العالمية ومن المعروف أن حركة الوجود الافريقي هذه تعتبر تطورا راديكاليا لحركات الطلاب ، كما أنها كانت الداعية إلى مؤتمرات الكتاب الناطقين بالفرنسية .

ولئن كانت مرحلة التوجه السلبي في الفكر الزنجي تمثل انعكاسا للقهر والهزيمة كما تمثل التوجهات الجديدة في الثلاثينيات والأربعينيات مرحلة التعبير عن الشعور بالأغتراب ومحاولة البحث عن الذات الشخصية . فإن فترة الخمسينيات

الزنوجة
بين الأدب والسياسة

والستينيات هى التى تمت فيها بلورة فكرة الزنوجة وايديولوجيتها .

ويمكن أن نعتبرها مرحلة الثورة الثقافية التى اجتاحت القارة وانتهت بتحقيق الاستقلال ودخول الدول والشعوب الى مرحلة جديدة من حياتها . ولقد اتخذت الزنوجة بذلك شكلا خاصا هو كما يقول سارتر في مقاله « أورفيوس الاسود » الذى قدم به أحد كتب « ليوبولد سنجور » هى كفاح لتحطيم سجن المنزل الذى وجد الافريقيون انفسهم بداخله فى محيط من عناصر ثقافة اجنبيـة فرضهـا عليهم الاوربيون رغم انها ثقافات لايمكن أن توفر للرجل الزنجي وسائل التعبير عن نفسه وعن اهتماماته ، وعن اماله .

وحيث أدرك الافريقيون المتكلمون بمختلف اللغات الأجنبية انهم جميعا فى مواجهة ثقافة مضادة لثقافتهم وانهم ايضا فى مواجهة القوى الاستعمارية المضادة لمصالحهم ، فإن الأمر قد اقتضى توجها إلى التضامن أو اتجاها للوحدة الأمر الذى رأى رجال السياسة من أمثال جوليوس نيريرى وكوامى نيكر وغيرهم أن تحقيقه يقتضى خلفيات ثقافية تؤكده . كما وجدوا أن الدعوة الى الاشتراكية والافريقية وسيلة لتحقيق هذا التضامن . لأن الاشتراكية كما يقول سنجور « عميقة الجذور فى ماضى القارة وموجودة حية فى مجتمعـاتها التقليدية . ولذا فلابد أن تكون دعوة الاشتراكية الجديدة فى افريقية مستمدة من التراث التقليدى الذى يعترف بوحدة المجتمع وبتقسيمه العضوى المترابط والمتمثل فى الأسرة الممتدة أو الكبيرة التى هى الخلية الأولى لهذا المجتمع الاشتراكى » .

وارتبط الكفاح من أجل الاستقلال والاشتراكية والوحدة بجهود الكتاب لتأكيد الشخصية الافريقية المتميزة عن شخصية اصحاب الحضارة الغربية . وقد عبر ليون داماس فى احدى قصائده عن هذا التميز بقوله :

الأبيض لن يكون زنجيا
لأن الجمال زنجى
والزنوجة حكمة
لأن الصمود زنجي
والزنوجة شجاعة
لأن الصبر زنجي
والزنجي قوى حديدى
لأن الرقة زنجية
والزنوجة سحر
لأن السرور زنجى
لأن السلام زنجى
لأن الحياة الحقة زنجية
فلن يكون الأبيض زنجيا

واقتضى الأمر لتأكيد الشخصية الافريقية الثقافية التقليدية للشعوب الافريقية . او بمعنى اخر العودة الى الماضى الذى كاد يندثر فى معرض الزحف الخامر لعناصر الثقافة الغربية وكان نبض الشعر الأفريقي معبرا عن هذه الدعوة .

وفى ذلك يقول ليوبولد سنجور ايضا « إذا أردنا تحرير انفسنا سياسيا فلابد لنا من التعبير عن زنوجتنا أو عن حقيقة قيمنا كشعب أو كشعوب بشرتها سوداء مختلفة بذلك عن الشعوب » ، وهو يقصد بذلك عنصر أحياء الشخصية الافريقية من خلال التقـاليد والثقـافة الأصليـة للشعوب الزنجية .

ويتفق الكتاب السياسيون مع ادباء الزنوجة في الاتجاه نحو الوحدة الافريقية فيقول جوليوس نيريري « تعتبر الوحدة اساسية من اجل السلامة والتكامل والتنمية الافريقية . ولابد ان تتخذ هذه الوحدة شكلا يؤمن هذه الاشياء ، وإلا كانت وحدة لامحل لها » .

ولئن كان جوليوس نيريري يتحدث عن الوحدة السياسية في هذا القول فإن هذه الوحدة السياسية لا تحقق إلا باكتشاف وحدة الثقافة ، وهو ما عبر عنه الكاتب المالجاشي جاك رابيما ننجارا في خطابه الذي القاه في مؤتمر الكتاب الافريقيين في روما عام ١٩٥٦ بقوله « أرى أن الهدف من تجمعنا في هذا المؤتمر هو أولا وقبل كل شيء أن نجمع ونختار المواد والمحاور التي يدور حولها الحوار بيننا بهدف معرفة انفسنا من خلال اختلافات اقطارنا وعاداتنا وعقلياتنا الأصلية والتوصل من ذلك الى الدفء الانساني الذي يوحد بيننا » .

وهكذا كانت الزنوجة انعكاسا نفسانيا للأحوال الاجتماعية والثقافية التي سادت عهد الاستعمار ، وادراكا لتلك الأحوال ، وتعبيرا عنها ، ثم بحثا دءوبا عن توجهات اصيلة وجديدة ، وتعود بالزنوج إلى رصيدهم الفكري وتتجه بهم نحو كشف الانتماء الى الوطن الافريقي بكل ما تحتويه من قيم وتقاليد ودفاع عنها ، وعمل على احيائها وتطورها من خلال التعمق في الأعمال الفنية والأدبية التي هي أصدق تعبير عن الذات من خلال الصورة والايقاع والرمزية والجمال .

● الارتباط بالوطن ●

يبقى امامنا في ختام الحديث عن الزنوجة وتطورها قضايا أولها : هل يتساوى عمق حركة الزنوجة في المناطق الناطقة بالفرنسية والمناطق الناطقة بالانجليزية ؟ ، وهل تتشابه دعوة الزنوجة في القارة معها في مهجر الزنوج بامريكا وجزر الهند الغربية ؟

الاجابة طبعا لا ، فإن ظروف الارتباط بالوطن الام افريقيا وبأرضها وبنائها التقليدي والعقائدي يختلف بالنسبة لمواطني القارة عنه بالنسبة للزنوج في مهاجرهم كما أن عمق الحركة بالنسبة للناطقين بالفرنسية يختلف عنه بالنسبة للناطقين بالانجليزية ، فان اختلاف سياسة الحكم الاستعماري قد أدى إلى شعور اعمق بالاغتراب لدى الناطقين بالفرنسية ، حيث كان الاستعمار الفرنسي يتبع نظام الحكم المباشر ، ويطبق سياسة الامتصاص او الهضم في الثقافة الفرنسية بينما كان في نظام الحكم المباشر الذي اتبعته بريطانيا في مستعمراتها عاملا مساعدا لاستمرار العمل بالنظم والتقاليد المحلية مما خفف من عمق الدعوة الى الزنوجة .

والسؤال او القضية الثانية ترتبط بمدى استمرارية حركة الزنوجة بعد تحقيق الاستقلال . هل ضعفت الحركة ؟ هل تغيرت اتجاهاتها ؟ لاشك أن الأمر قد اختلف فهي كحركة عنصرية مضادة لعنصرية البيض قد ضعفت حدتها نتيجة لاستعادة الافريقيين الثقة في انفسهم وتحقيق ذاتهم بالاستقلال السياسي ، كما أن اتجاهاتها قد بدأت تتغير نحو مزيد من محاولات الكشف عن الشخصية الافريقية في اصولها المتعددة المتمثلة في مصرية الحضارة الافريقية او افريقية الحضارة المصرية والكشف عن الصفحات المشرقة في تاريخ ما قبل الاستعمار وتأصيل حركات مقاومة الاستعمار والتركيز على التراث الفني والفولكلور الافريقي . والبحث عن فلسفة افريقية من خلال الاساطير وحكمة القدماء .

معارك ثقافية

سيد قطب يرد على كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

بقلم : د. سعيد إسماعيل على



سيد قطب تناول العمل بالتحليل والنقد



د. طه حسين .. أفكار ثقافية جديدة

كعادة طه حسين عندما يطرح افكارا جديدة ، تهتز الهيئاة الثقافية، فينبرى الكتاب والنقاد للتحليل والتعليق بين مهاجم شديد العنف عليه ، وبين مؤيد يشرح ويزيد على ما قال او كتب.

وفى عام ١٩٣٨ ، اصدر طه حسين كتابه الكبير « مستقبل الثقافة فى مصر » ، فجاء توقيته مناسبا حيث قد مر على مصر عامان اثنان على توقيع معاهدة ١٩٣٦ التى سميت معاهدة « الشرف والاستقلال » .

كان هو الكتاب الاول بعد الاستقلال الذى يرسم سياسة كاملة للثقافة النظرية ، ابتداء من التعليم الاولى ، الى نهاية التعليم الجامعى ، ملاحظا ما يجب ان يتوفر لخطوات التعليم المتوالية من التناسق والانسجام ، متمشيا فى مراحله كلها بروح واحدة وعقلية واحدة تصل الى غاية ، ولم يكن هذا بالعمل اليسير .

ولم يرسم هذا الكتاب الهام سياسة التعليم فحسب ، او سياسة الثقافة المدرسية فحسب ، ولكنه تجاوزها الى ما بعد مراحل التعليم كلها ، الى ثقافة المجتمع وعواملها : الى المسرح والسينما والاذاعة والصحافة ، وتجاوزها الى الادب والادباء والجو الادبى ، والى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمى والنشاط الفكرى والى كل ما يتصل بكلمة « ثقافة » باوسع معانيها ، وفى اوسع حدودها ، ملائما بين كل مرحلة وما قبلها والتى تليها مما جعل هذا المؤلف دستورا جامعا للثقافة فى مصر كما ارادها مؤلفه .

ولم يكن هذا الكتاب جديدا بموضوعه ومادته بقدر ما كان جديدا بشكله وتنسيقه ، فقد اعتاد الكتاب والباحثون أن يبحثوا فى كل مرحلة من مراحل التعليم على حدة ، وأن يفصلوا بين الحديث عن الثقافة فى المدرسة والثقافة فى المجتمع ، واعتادوا ان يبحثوا كل لون من ألوان الثقافة منفردا ، والا يرسموا وجهة محددة ، وغاية أساسية من هذه الثقافات جميعا ، واعتادوا كثيرا من الفوضى ، وكثيرا من التخبط وكثيرا من التعارض وكثيرا من التناقض بين غاياتنا القريبة من كل برنامج لانها غايات متنافرة لم تضمها غاية واحدة واضحة مرسومة للجيل كله ، ان لم تقل للاجيال كلها .

● استقلال الفكر ●

وقد حرص سيد قطب على ان يتناول هذا العمل الكبير بالتحليل والنقد ، وتم ذلك فى سلسلة من المقالات فى الدورية التى كانت كلية دار العلوم تصدرها باسم « صحيفة دار العلوم » . ويحرص سيد قطب منذ البداية ان ينبه قراءه الى انه آثر هذه المجلة لا لانها مجلة الطائفة التى ينتمى اليها ، او لانه متأثر فيما يبديه من آراء بآراء طائفة بعينها ، متجه الى عقليتها العامة ـ او ما يظن انه عقليتها العامة ـ حين هاجمها طه حسين فى هذا الكتاب :

لقد حرص سيد قطب على ان يؤكد « انى مستقل الفكر عن كل عقلية عامة او خاصة ، وانى لا اعيش ، ولا أستطيع ان اعيش فى جو الطوائف » ، ومن ثم فان



معارك ثقافية

مدار حكمه على الاشياء ، وما يمليه عليه مذهبه الخاص في الحياة ، هذا المذهب الذي عبر عنه اوضح تعبير فيما كتب من أصحاب من آرائه في الادب والنقد وابرزه ما نشر في مجلة « الرسالة » طوال سنة الصمود « بين القديم والحديث » ، وما نشر في عددين من صحيفة دار العلوم عن « الدلالة النفسية للالفاظ والاساليب العربية » . وأن كلا البحثين ، تظهر فيهما هذه العقلية المستقلة ، ويبدو هذا المذهب الخاص

ويبقى السؤال : ولماذا اختار سيد قطب « صحيفة دار العلوم » ؟ يجيب عن ذلك ، لانها مجلة اساتذة كانوا يشتغلون بالثقافة في المدارس ، خاصة .. فالكتب يهمهم اول مايهم احـــــــدا في مصر ، وبالاضافة الى ذلك فهي في رأى سيد قطب « صحيفة هادئة الطابع ، رزينة الاتجاه » وهي صفات لا يراها مع الاسف متوافرة في صحيفة او مجلة من الصحف والمجلات التي كانت قائمة !!

ويقرر سيد قطب ، ان كتاب طه حسين فيه ما يوافقه عليه أشد الموافقة ، وفيه ما خالفه فيه اشد المخالفة وكان فيه ايضا ما احتمل الاخذ والرد والزيادة والنقصان

● ثقافتنا أوربية خالصة ! ●

ومن العسير بطبيعة الحال ان نعرض لوجهة نظر سيد قطب في كل القضايا التي عرض لها طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » ، وسوف نكتفي هنا بالقضية الكبرى والاساسية التي اثارت عليه ثائرة الكثيرين ، الا وهي مناداته بان تكون ثقافتنا في المستقبل ثقافة اوربية خالصة ، وان يكون اتجاهنا في الحياة اتجاها اوربيا خالصا ، وان نتأثر باوربا كما تأثرتها اليابان في غير

تردد ولا تلكؤ » ، وبلا انتقاء او تمحيص او اختيار ، ويقرر طه حسين في نحو سبعين صفحة من كتابه هذه النظرية : ان مصر امة غربية وليست امة شرقية ، وأنها كانت غربية منذ عهد الفراعنة حتى وقته ، ولم تكن يوما شرقية ، ولم تطق ان تكون يوما ما شرقية .

وهو يعني بالغرب هنا اوربا ، ويعني بالشرق الهند والصين واليابان ، وهنا يمسك سيد قطب بالخيط ليلاحظ كل مهارة طه حسين في المناقشة وكيف يعرض المسألة عرضا يكاد « يجر » القارىء الى التسليم بالنتيجة التي يرجوها هو دون فرصة مايتركها للقارىء للتفكير الحروى

فهو قد قسم الدنيا قسمين اثنين لا ثالث لهما : قسم تمثله الصين واليابان وان شئت فضم اليهما الهند واندونيسيا ، وقسم تمثله فرنسا وانجلترا ، وان شئت فضم اليهما كل دول اوربا وامريكا ، فلابد للاجابة عن سؤال الدكتور في هذا الوضع ان تكون مصر امة غربية ، لانها — بلا تردد وبدون شك — افهم الانجليزي والفرنسي اكثر مما تفهم الصيني والياباني في هذا الزمان ، وهذا ما قصد اليه طه حسين من توجيه السؤال على هذا المنوال .

وهنا ينبه سيد قطب ان وجه المسألة لابد ان يتغير لو كان الشرق الذي يواجهنا به طه حسين غير الصين واليابان والهند واندونيسيا ، اي لو كان هناك قسم ثالث للدنيا يمثله الشرق المصري والغرب العربي وحصر بينهما حلقة اتصال .

ثم يزداد وجه المسألة قلقا لو كانت الدنيا اكثر اقساما حسب ثقافاتها المختلفة — وهو الواقع — فكانت اوربا وامريكا تنقسمان بحسب الثقافة الديمقراطية والثقافة الدكتاتورية — وبينهما خلاف اساسي لا شك فيه — وكان الشرق ينقسم بحسب اجناسه وهي كثيرة وحسب طبيعة بلاده وهي متغايرة ..

[redacted]

الى آخر الاقسام التي لابد ان يفطن اليها ويدقق في تحديدهما من يريد وضع مناهج الثقافة حسب العقليات .

وعلام يبني طه حسين نظريته في ان مصر امة غربية ؟ لقد اقامها على حقيقة تاريخية معروفة تؤكد اختلاط الثقافة المصرية بالثقافة اليونانية وتاثير كل منهما في الاخرى . ويشير طه حسين كذلك الى ان مصر لم تذعن لسلطان الفرس « الشرقي » الا كارهة ، وظلت تقاومه بالاستعانة بمتطوعين يونانيين واحيانا بالتحالف بين المدن اليونانية .

وهنا يقف سيد قطب ليبين الخطأ الذي وقع فيه طه حسين لجعله يقع في سلسلة من الاخطاء الاخرى والذي يقرأ وجهة نظر سيد قطب هذه يستطيع ان يلمس مدى ما قامت عليه من « حجية » بعيدة عن زخرف اللفظ والموسيقى البلاغية التي يحيط بها طه حسين كتابته لتتيح لها التسرب الى عقل القارىء على ما قد يكون بها من ثغرات .

فكما يقول قطب ـ وبحق ـ فان النزاع السياسي والوفاق السياسي لا يعنيان دائما نزاع العقليات ووفاقها ، لا في القديم ولا في الحديث ، وانه اذا صح ـ الى حد كبير ـ انه كان هناك اتصال بين العقلية المصرية والعقلية اليونانية ، وكان هناك افتراق بين العقلين المصري والفارسي . فليست الامثلة التي ذكرها هي التي تثبت هذا او ذاك .

ويلتقط قطب من وقائع واحداث العالم السياسية في اواخر الثلاثينات واول الاربعينات مايدلل به على صحة رأيه ، وخطأ راي طه حسين ، وهو اذ يسوق ذلك نجده ايضا عف القلم ، لا ينجرف الى مهاوي التكفير والاتهامات الجارحة الحادة التي تعود عليها كثيرون ممن نقدوا طه حسين ، فالرجل لا يتأخر عن المدح في بعض المواضع ، واذا صادف ما يخالف رأيه ، استعان بالحجة والدليل .

فلقد كانت اليابان والصين في حرب طاحنة ، وهما فريق واحد في رأي الدكتور ، وكانت ايطاليا تعادي فرنسا ، وهما امتان لاتينيتان ـ فوق انهما اوربيتان من فريق عقلي واحد في رأيه كذلك

ولا يكتفي قطب بهذا الدليل « المعاصر » ، بل يكذب بعض ما ادعاه طه مؤكدا ان المستعمرات اليونانية في مصر القديمة لم تكن مرضية من المصريين وانما كان يسمح بها بعض الفراعنة المكروهين من الشعب للجنود اليونانيين المرتزقة .. لتحميهم من غضب الشعب . وكان المصريون ينقمون على هؤلاء الفراعنة تقريبهم للاغريق ويأنفون من الاختلاط بالمرتزقة . ويصفونهم بأقبح الصفات .

لكن ما رأي المؤرخين فيما يقول به قطب ؟

بالرجوع الى الجزء الذي كتبه الدكتور / ابراهيم نصحي . في المجلد الثاني من « تاريخ الحضارة المصرية والعصر اليوناني والروماني ، والعصر الاسلامي » الذي اصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي نجده يقول في صفحة ٧٢ ما نصه : « ولا جدال في ان اولئك الاجانب اليونانيين » ، الذين وفدوا على مصر افواجا تلو افواج في خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، كانوا يكونون طبقة منفصلة من سكان البلاد ، تفصلهم فوارق شاسعة من اهليها ، فقد كان مركز هؤلاء الاجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي مختلفا عن مركز المصريين واكثر منه امتيازا . وحين كان الاغريق في القرن الثالث يؤلفون الطبقة العليا في البلاد ويقبضون على ارفع المناصب ، ويستمتعون بخيرات مصر ويعتبرون انفسهم اصل حضارة رفيعة دونها كافة الحضارات الاخرى ويعيشون في اوساط خاصة بهم ويحيون حياتهم التي اعتادوا ان يحيوها في بلادهم ، كان المصريون يؤلفون الطبقة السفلى ويشعرون انهم سلبوا خيرات بلادهم .

[redacted]



معارك ثقافية

واذا كان هـــذا هو راى المؤرخ فى الشطر الاول من حكم البطالمة ، فهـــل اختلف الامر فى الشطر الثانى بحيث تتحقق وجهة نظر طه حسين ؟

يقول مؤرخنا فى نفس الصفحة بنفس المصدر : « .. اذا كان الشطر الثانى من عهـــد البطالمة قد شهد تقـــاربا بين المصريين والاغريق ، فقد شهد ايضـــا ثورات المصريين القـومية على البطالمة والاغريق ، ولابد من ان تلك الثورات قد حدث من اثر ذلك التقارب » .

بل اننا نستطيع أن نقـول ان المسالة ليست « رايا » يختلف فيه ، وانما هى حقيقة تاريخية ينبغى الاذعان لها وعدم معاندتها من اجل اثبات راى .

ويؤكد قطب كذلك ان بعض الاغريق كانوا فى جيش فارس كما كانوا فى جيش مصر سواء بسـواء !؟ بل الاهم من ذلك انه لم يمهد لاحتلال مصر كما مهدت لها خيانة « فانيس اليونانى الذى أطلع ملك الفرس على بعض أسرار الهجوم وقدم الرشوة لعرب الصحراء ، وارشد الملك الى رفع بعض الحيوان الذى يقـــدسه المصريون على دروع الجنود .

وهـــكذا لا يرسل قطب القول على عواهنه ، وانما يستند فى نقــده على حقائق التاريخ ووثائقه حتى يأتى بالحجـة القوية والبرهان الساطع الذى يســـتند اليه فى رفضه . وهـذا الذى ذكره عن مساعدة احد اليونانيين للفرس فى غزوهم مصر ، وقد رجعنا فيه الى المجلد الثالث عشر من موسوعة « سليم حسن » المؤرخ الكبير ، المعروفة باسم « مصر القديمة » ، ص ٢ .

ومع كل هذا ، فان قطب يفترض ان المصريين اذا كانوا قد رضوا بمستعمرات يونانية فى مصر ، وثاروا على استعمار فارس ، فان هذا لا ينبغى ان يحسبنا ان القياس مع الفارق ـ كما يقولون ـ ، وان مصر قد تصبر على مستعمرات صغيرة لها فيها مصلحة سياسية وهى سيدة نفسها متبرعة بهذه المستعمرات ، ولكنها لا تصبر على استعمار كامل يفقدها سياستها العامة وسيادتها الكاملة ، وان هـــذا وذاك لا يدلان على توافق عقلى ولا اختلاف ، لانه يقع فى كلتا الحالتين على السواء . ان الحروب قديما وحديثا لا تثبت النزاع العقلى ولا تنفيه ، وان الثـــورات على المستعمرين لا ينظر فيها الا الى الحـــرية والسيادة قبل كل اتفاق عقلى او اختلاف والا ففيم كانت ثورة مصر على الحمـــلة الفرنسية ؟ وفيم كانت ثورتها على الاحتلال الانجليزى فى العصر الحديث ؟ أكانتا للاختلاف العقلى كما ثارت على فارس أم هى الحرية تحركها فى كل حين » ؟

● الدين واللغة ●

وقد اراد طه حسين أن يمضى بعد هذا فى تلك الوحدة العقلية بين مصر والامم



سيد قطب

[redacted]

الشرقية حتى تلك التى تتكلم اللغة العربية ، وتدين بالاسلام ، فلاكر إن الدين واللغة لا يخلقان وحدة ، وأن المسلمين منذ اقدم العصور الاسلامية فطنوا الى هذا بدليل ان الدولة الاموية فى الاندلس ، كانت تخاصم الدولة العباسية فى العراق

هنا يلفت قطب انظارنا الى ان الوحدة السياسية هى التى برهن عليها هذا المثال الذي ساقه طه حسين وبديهي ان الوحدة العقلية هى التى يعنيها كل من قطب وطه حسين ، وهى غير الوحدة السياسية بلا جدال ، والا فقد كانت الاندلس والعراق على ما بينهما من نفور ، تعيشان بعقلية واحدة او بعقليتين متقاربتين ، يظهر ذلك فى اتجاهها الادبي والعلمى ، بل يبدو فى ان ، أدب الاندلس تاثر بادب المشرق تاثرا ظاهرا ــ على الاقل فى بعض صوره ــ فلم ينتفع بالبيئة الجديدة الا انتفاعا محدودا ، فى الشكل اكثر منه فى الموضوع . ويؤمن قطب بان طه حسين من غير شك يعلم جيدا هذه الحقيقة الادبية التاريخية « ولكنه يعرق من هذه فى رشاقة وخفة الى نتيجة قاطعة هى : لا ان من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءا من الشرق واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين ... » .

ويتساءل قطب عمن هو يا ترى الذى اعتبر عقلية مصر كعقلية الهند والصين ؟ ذلك انه يعلم ان مخالفى طه حسين يرون لهذه العقلية المصرية خصائص تميزها عن العقلية الاوربية ، كما تميزها عن عقلية الشرق الاقصى سواء بسواء .

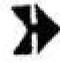
ونحن نتساءل مع سيد قطب : وفيم هذا العناء ؟ ومتى كان لاوربا عقل واحد ؟ وللشرق الاقصى أو الادنى عقل واحد كذلك ؟ ولم لانقول ان لكل أمة عقلا خاصا يتطلب ثقافة ، وان هذه العقول قد تتقارب وتتباعد ولكنها لا تتحد ابدا ، والا فما بال البرنامج الدراسى الانجليزى ــ فى ذلك الوقت ــ قد امتاز بالتخفيف والتربية الرياضية عن البرنامج الفرنسى ، وتوسط البرنامج الالمانى بينهما ؟ ــ وهذه اقل مظاهر الاختلاف ــ وما بال الادب الانجليزى غير الادب الفرنسى والامريكي مع ان هذا مكتوب باللغة الانجليزية ، وما بال الفن الروسى غير هؤلاء جميعا فى القديم والحديث ؟ بل ما بال ايطاليا والمانيا فى نفس الفترة تنحوان منحى الدكتاتورية فتتابعهما فيها اليابان فى اقصى الشرق) وتلتزم انجلترا وفرنسا الاوربيتان ايضا الديموقراطية على اختلاف المصالح فيها وتؤمن بها معهما امريكا ، وهى أقرب فى الواقع ــ وقتئذ ــ واحتكاك المصالح الى اليابان منهما ، والديمقراطية والديكتاتورية اتجاهان عقليان متقابلان ، ويكفى لتقابلهما ان « الدولة للفرد » فى الاول و « الفرد للدولة » فى الثانية ، وتبع هذا الوضع كل برامج التعليم وكل مناهج الثقافة وكل الشرائع والقوانين ؟

ويستشهد سيد قطب كذلك ببعض الامثلة من التاريخ القديم ، فالعقلية الرومانية قديما كانت تخالف العقلية اليونانية وهما متجاورتان ومن حوض



د. طه حسين

[redacted]



معارك ثقافية

البحر الابيض المتوسط الذى افترض طه حسين له عقلية متحدة • والاساطير اليونانية والاساطير المصرية لم يلتقيا الا فى مشابه قليلة ، وكانت القصة تنبت وتترعرع بل تزدهر فى بلاد الاغريق ثم لاتكون فى مصر القديمة الا اقصوصة ساذجة .. الى غير ذلك من الامثلة التى يحفل بها التاريخ الثقافى قديمه وحديثه، وكلها تنتهى الى : « ان التعميم فى النظم العقلية لا يؤدى الى نتائج مضبوطة ، يمكن ان تبنى عليها توجيهات حاسمة فى الثقافة العامة » .

وهناك ادلة وامثلة اخرى عرضها طه حسين كى يدلل بها على صحة ما يذهب اليه ، اذ يقول ان الاسلام لم يغير العقلية المصرية لانه اختلط بالفلسفة اليونانية ، فاصبح بهذا الاختلاط عنصرا موافقا للعناصر المكونة لهذه العقلية لا مضادا لها ، ولان الاسلام شأنه شأن المسيحية ، والمسيحية لم تغير العقلية الاوربية حينما عبرت اليها فما بال الاسلام يغاير المسيحية فى هذه الخلة ، مع ان القرآن جاء مصدقا للانجيل ؟ ويناقش سيد قطب هذين الدليلين :

فاما ان الفلسفة اليونانية امتدت الى الاسلام فهذا ما لاشك فيه ، ولكن قطب ينكر ان الاديان تطبع الشعوب بفلسفتها وقضاياها المنطقية ، مؤكدا ان الاثر الاول للاديان هو نظامها الروحى ، وهو تبشيرها وانذارها ، وهو الصورة الغامضة التى تطبع فى نفوس اتباعها ، ثم هو بعد هذا قوانينها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ان كان فيها « كما فى التوراة والقرآن » مثل هذه النظم .

وبطبيعة الحال فان طه حسين كما يتوقع قطب ، يمكن ان يقول ان شيئا من هذا كله فى الاسلام قد اتفق مع الفلسفة اليونانية لكن لا ينبغى ان ينسى ان الخاصة وحدهم تأثروا بهذه الفلسفة ، اما الشعب المصرى فقد اثر فيه الاسلام بخواصه تلك وطبعه بطابعها ، بل اثر فيه بروحه العربية الخالصة « والروح العربية من اقوى الارواح فى امم العالم » وهى عبارة طه حسين نفسه كما نقلها عنه سيد قطب فى احدى محاضرات العميد من محطة لندن الاذاعية • ولم تعد الفلسفة اليونانية مدينة الاسكندرية الا فى احيان قليلة وظلت « منف » محتفظة بفرعونيتها ، حتى جاء الرومان فكرهتهم واعرضت عنهم ما وسعها الاعراض ، ثم جاء الاسلام فاعتنقته راضية ، وتأثرت به مع سائر البلاد .

وانتقد سيد قطب ذلك القياس الذى ساقه طه حسين من انه ما دامت المسيحية لم تؤثر فى طبيعة العقل الاوربى ، فقد وجب ان يكون الاسلام كذلك ، ففى هذا القياس توسع فضفاض فى التفسير ، لماذا؟ يجيب قطب على ذلك بان الاديان قد تتفق فى ناحية او نواح ، ولكنها تختلف من حيث طبيعة عقليتها فى نواح ، وكل دارس للقرآن والانجيل يدرك هذا الفرق بل هذه الفروق ، يدركها فى طبيعة الاله كما يصورها القرآن وطبيعته كما يصورها الانجيل ، وفى العلاقة بين الاله والنبى وقومه فى الاول ، وبينه وبين النبى وقومه فى الثانى ، وهذه وتلك من أهم اسس الاديان .

وقد توسع قطب فى بيان الفروق هذه ، ويشرحها شرحا ينبأ بمقدار ثقافته الواسعة، ولكنى بفارق واحد اساسى يشير اليه بين الانجيل والقرآن ، بل بين الانجيل فى ناحية ، والتوراة والقرآن فى ناحية، فهذان يحويان بعد اللاهوت نظما وشرائع وحدودا دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، بينما الانجيل يكاد يخلو من هذا كله • فالمسيح عليه السلام انما جاء داعية للصفاء الروحى والرحمة واللين والتسامح والعفة والزهد ، ولكنه لم يظهر الا اشارات عارضة للنظم الاجتماعية او

[redacted]

الاقتصادية او السياسية ، بل كان يلم من تصرفاته وتصريحاته انه لا يستريح الى القيود والتقاليد من الكهان اللاويين والكتبة ، لانها اعمال ظاهرية ، وهو كان موكلا بالبواطن والارواح .

ومن هنا يستنتج سيدقطب ان المسيحية حينما امتدت الى أوربا وصلت اليها نظاما روحيا وارشادا خلقيا ، ولكنها لم تضع لها اسسا للتشريع والاقتصادوالسياسة كما وضع القران .. حينئذ بقى العقل الاوربى يسيطر على الحياة الدنيوية ويشرع لها ويتصرف فيها ، فلم يتغير منه شيء هام مع المسيحية .اما القرآن فقد وضع العقل المصرى والعقول التى خضعت له فى نطاق معين ، هو نطاق التشريع القرانى والنظام الدنيوى القرآنى ومن هنا كان لابد ان يؤثر فى هذا العقل مالا يؤثر الانجيل ، وان يبقى دائم الاثر حتى تتحلل منه الدولة بالتشريع الرومانى والقوانين الفرنسية منذ قرن وهو — مع هذا — لايزال شديد الاثر فى عقلية التشريع المصرى .

● التفسير المادى للتاريخ ●

ومن الطريف حقا اننا نقابل باستخدام سيد قطب للتفسير المادى للتاريخ لبيان الاختلاف الشديد بين العقلية المصرية والعقلية الاوربية على عكس ما ذهب طه حسين . صحيح انه ينفى بصراحة اتفاقه مع كارل ماركس فى نظرية التفسير الاقتصادى للتاريخ ، لكنى لا اغفل الاعتراف باثر السياسة والاقتصاد فى عقليات الامم ، فاذا اضفنا الى ذلك طبيعة بلادنا وطبيعة البلاد الاوربية . كان لابد من الاختلاف العقلى . وتطبيقا لذلك يذهب قطب الى ان الطبيعة فى اوربا قاسية شحيحة بالقياس الى الطبيعة المصرية الوديعة الكريمة ، فالطبيعة هناك تخزى أهلها وتنبههم فى كل لحظة الى العمل المتواصل ، وقسوتها وشحها يوحيان اليهم ان يدخروا من ايام الرخاء لايام الاعسار . وان يكونوا على اهبة فى كل وقت لمقاومة الطبيعةالطاغية ولايقتصر الادخار على الماديات ، فان توالى الاجيال فى هذه البيئة يمدها باعصاب يختزن فيها قدر من الطاقة الضرورية للتحمل والمقاومة ، وضبط النفس والوقوف للصدمة على تفاوت الاجناس والبيئات ، بينما الطبيعة الهينة اللينة فى مصر لاتدع المصرى يدخر من الطاقة شيئا لانه قادر على لقاء الطبيعة كل آن بقوته الحاضرة بلا تحفظ ولا ادخار، ومن هنا يسرف المصرى فى قوته وصحته وماله لأن الطبيعة لم تعوده ان يحتاج لادخار شيء من القوة او القوت: البرد محتمل ، والحر محتمل ، والنهر اليف وديع ، وفى لاهله فى كل عام ، والارض خصبة غنية الظاهر ، دافئة الباطن ، لا زلزلة ولا بركان ، ولا جدب ولا حرمان .

وفى هذا الجزء بالذات يستفيض سيد قطب ليقدم لنا دراسة ممتعة غنية النظرات فيما يمكن تسميته بدراسات « الشخصية القومية » . بيد اننا ونحن نقراها لابد ان نربطها دائما باطارها المرجعى من حيث الزمان أى فى اواخر الثلاثينيات ذلك ان التقدم العلمى والتكنولوجى الذى شهدته دول الغرب فى العقود القليلة الماضية ، لم يجعل للطبيعة سطوتها التى كانت عليها ، واصبح الانسان الغربى يعيش عالما « صناعيا » صنعه بعمله وتطبيقاته ، حقق فيه الكثير من مظاهر الترف والرفاهية مما جعله لا يكترث كثيرا بعوادى الطبيعة وتقلباتها . وحدث العكس فى مصر ، تآكلت الارض الزراعية ، وتراجعت المساحات الخضراء وادى طول نهب والقهر والاستغلال ، ان يفقد المصرى الكثير مما عرف به من الهدوء والوداعة لقد فقد الثقة فى غده من طول ما عانى من الكلب رسميا ، واصبح الجدب والحرمان من قسمات حياته ، جدب فى الثقافة التى يعيشها ، وحرمان من بعض المقومات الاساسية للحياة ، فى وقت اصبح يرى فيه اساليب اخرى هى التى تنجح مما لم تكن تعرفها قيمه واخلاقياته .

محمد أنيس
مؤرخاً ومناضلاً

بقلم : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

لفت الدكتور محمد انيس الأنظار منذ الخمسينات بسبب طرحه القضايا التاريخية والقومية على الرأى العام مما ادى إلى اخراج الدراسات التاريخية من حيز اهتمامات الخاصة والدارسين إلى حيز اهتمام المواطن العادى . وبذلك حول الدراسات التاريخية من مستواها الأكاديمي الصرف الى حيز الاهتمام الجماهيرى العام مما أدى الى التحام التاريخ بقضايا الساعة بصورة لم يسبق لها مثيل . ومما ساعد على ذلك ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد سايرت المد القومى العربى بوجه عام والمصرى بوجه خاص وقامت باعمال سجلت منعطفا جديدا فى التاريخ العربى والمصرى وهيأت الأذهان لطروحات جديدة ترتبط بالأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كان العرب يتطلعون الى تحقيقها . وكان انيس فى طليعة مؤرخى مصر الذين تجاوبوا مع التيارات الجديدة وفسروا التاريخ تفسيرا يتواءم مع المنطلقات القومية والاجتماعية التى تبناها عبدالناصر والتى آمنت بها قطاعات واسعة من الجماهير العربية بوجه عام والمصرية بوجه خاص . وظل أنيس حتى نهاية حياته متمسكا بقناعاته القومية والاجتماعية التى جعلته يخوض سلسلة من المعارك الفكرية كان لها صداها العميق فى حقل الدراسات التاريخية والقومية .

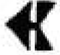
وإذا كان أنيس من المفكرين الذين انجبتهم الحركة القومية العربية والنضالات الجماهيرية من أجل العدل والحرية فمما لاشك فيه انه تأثر بتفسيرات المؤرخ المصرى الكبير محمد. شفيق غربال الذى كان بدوره متأثرا بنظريات استاذه البريطانى أرنولد توينبى المتعلقة بقيام الحضارات واضمحلالها ولو أن أنيس قد زاوج بين آراء توينبى وبين قناعاته الجماهيرية والاشتراكية وبذلك تجنب الانزلاق إلى مستوى أفكار توينبى وغربال الأرستقراطية والرجعية الى حد

ما . وهكذا لفت أنيس الانظار خلال الخمسينات بمقالاته التى كان ينشرها في جريدة « المساء » وحاول فيها أن يفسر تاريخ مصر تفسيرا يركز على نضالات الشعب المصرى فى سبيل الحرية والديمقراطية . وقد اهتم فى سياق هذه المقالات بوجه خاص بالمؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الجبرتى الذى كان فى نفس الوقت موضعا لاهتمام توينبى وغربال ، وسلط الاضواء على موضوعيته وشجاعته فى نقد محمد على مؤسس الأسرة العلوية ومصر الحديثة وصوره باعتباره ضحية لاستبداد الباشا الذى اتهمه انيس بالتحريض على قتل خليل الابن الوحيد للجبرتى الذى قيل انه فقد بصره لكثرة نحيبه علي وحيده وتوقف عن استكمال تاريخه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » هذا برغم ان بعض الدراسات الخاصة بالجبرتى تذهب الى انه لم يفقد بصره والي انه تابع كتابة تاريخه بعد مقتل ابنه الذى لايوجد دليل قاطع على ان محمد على قد حرض على قتله . وظل أنيس مولعا بالجبرتى فأفرد له مكانة خاصة فى سلسلة المحاضرات التى القاها بمعهد الدراسات العربية العالية عن المؤرخين المصريين فى العصر العثمانى ، وهى المحاضرات التى نشرت تحت عنوان « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » .

وقد التقيت بأنيس للمرة الأولى فى أوائل الستينات حين انتدبت للتدريس بقسم التاريخ بجامعة القاهرة فى الوقت الذى أقعد فيه المرض أستاذنا الدكتور محمد فؤاد شكرى . وسرعان ما توثقت علاقاتنا خاصة وأننا كنا متقاربين فى



محمد انيس



السن والتفكير والرؤيا الثقافية والوطنية وأننا كنا ننتمى الى جيل جديد من المفكرين الذين تجاوبوا مع التيارات المحلية والعالمية وكانت قضايا الساعة شغلهم الشاغل بحيث آثروا الخروج من البرج العاجى الذى انحبس فيه كثير من رجال الجيل السابق علينا من المؤرخين فوقعوا دراساتهم فى اطار الدراسات الأكاديمية . وهكذا كنا نتدارس القضايا العامة والتاريخية فى لقاءات مفتوحة خارج الجامعة مع نفر من الشباب والدارسين الذين قاربوا بيننا وبين ما كان يطرح فى الشارع والمنتديات الخاصة من اخبار وتعليقات تتعلق بالأوضاع العامة والقضايا العامة والتاريخية . وأهم ماتمخضت عنه هذه اللقاءات السعى الى التعرف على بعض الشخصيات التى

محمد أنيس

عاصرت الأحداث أو أسهمت في مجرياتها .. وهكذا تعرفنا على الأستاذ حسني الشنتناوي احد مناضلي ثورة ١٩١٩ الذي راح يروى لنا أطرافا من كفاحه وكفاح جيله ضد الاستعمار البريطاني . ويوجهنا الى من يحتمل أن تكون لديهم أوراق خاصة تتعلق بالحياة السياسية وبالنضال الوطني . وكانت النتيجة هي العثور على المراسلات السرية المتبادلة بين سعد زغلول ، خلال إقامته في باريس ، وبين عبد الرحمن فهمي زعيم المقاومة السرية ضد الانجليز في مصر ورئيس اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة . وطرح انيس على الرأى العام المصرى محتويات هذه المراسلات في مقالات نشرها في جريدة الأهرام ثم مالبث أن اخرجها في عام ١٩٦٣ في كتاب عنوانه « دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي » . وهذا الكتاب يحتوى على تعريف بعبد الرحمن فهمي (ص٧ - ص٥٧) كما يحتوى على كثير من التحقيقات والشروح التي ألقت كثيرا من الأضواء على تفاصيل الكفاح المصرى ضد الوجود البريطاني في مصر . وكان انيس قبل ذلك قد قام بتحقيق ونشر بعض المراسلات المتبادلة بين الزعيم المصرى مصطفى كامل وبين رفيق كفاحه عبد الرحيم أحمد تحت عنوان « صفحات مطوية عن كفاح الزعيم مصطفى كامل » ، وهى مراسلات ألقت

اضواء جديدة على كفاح هذا الزعيم المصرى في سبيل الحرية والاستقلال .

● مقالات رائدة ●

وفي عام ١٩٦٢ أثار نشر سلسلة من المقالات في جريدة "الأخبار" كانت مستقاة عن مذكرات الزعيم سعد زغلول ردود أفعال قوية مبعثها ناحيتان : (أ) ان مذكرات سعد ظلت بعيدة عن متناول الباحثين لأسباب تتعلق "بملكيتها" - وقد اطلع عليها الصحفي مصطفى أمين واستعان بها في كتابة مقالاته في جريدة "الأخبار" لكونه يمت بصلة القرابة لسعد زغلول . (ب) أن المقالات كانت أشبه ماتكون بالقصص أو المسلسلات السينمائية بحيث حجبت العمل الثورى الذي قام به آلاف المصريين . لهذا استشاط كثير من الوطنيين والمهتمين بتاريخ مصر غضبا ، وبادر أنيس الى الدعوة الى ضرورة أن تكون المذكرات الخاصة وغيرها من الوثائق في متناول الباحثين بدل كونها ملكية خاصة وكان من وراء صدور القرار الخاص بجعل مثل هذه الأوراق والوثائق ملكية للدولة التي عليها أن تسهل مهمة الاطلاع عليها . ولكي يعيد الى ثورة ١٩١٩ جلالها نشر أربع مقالات في جريدة الجمهورية حول الطبقات الاجتماعية في تاريخ هذه الثورة وهى مقالات رائدة في مجال تأصيل تاريخ مصر الاجتماعي الذي أهمله المؤرخون المصريون حتى ذلك الوقت الى حد كبير لحساب التاريخ السياسي . وقد أردفت مقالات انيس بمقالات اربع أخرى حول « أزمة القيادة في ثورة ١٩١٩ » ، وتلت ذلك مقالات أخرى في نفس الجريدة حول

ثورة ١٩١٩ وحول ضرورة خروج المذكرات الخاصة والوثائق الى حيز النور - فكانت حملة شدت الانتباه الى القضايا الوطنية والتاريخية واثارت وعيا قويا .

وقد أثارت الحملة التى استهلها انيس ما عرف باسم السعى الى اعادة كتابة التاريخ القومى على ضوء المادة الجديدة المستقاه من المذكرات والوثائق . وفى تلك الاثناء حصلت الجامعة الأمريكية فى القاهرة بوسيلة أو بأخرى على مذكرات الزعيم محمد فريد وعرضت على أنيس ان يتعاون معها فى سبيل الحصول على وثائق ومذكرات أخرى تنتقل الى جامعتى القاهرة وعين شمس . ورفض أنيس العرض رفضا باتا وشن حملة ناشد فيها الحكومة المصرية ان تبادر الى جمع مثل هذه الوثائق وغيرها وتمكين الباحثين من الاطلاع عليها وقد قمت معه بكتابة مذكرة بهذا الشأن الى وزير الثقافة فى ذلك الوقت - الدكتور ثروت عكاشة - الذى خصص لنا دقائق قليلة لمناقشة فحوى المذكرة متصورا اننا من طلاب المال فسألنا : « كم تريدان ؟ » ثم انهى المقابلة القصيرة هذه بقوله : ان تاريخ مصر الحديث يبدأ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - وكان مصر ليس لها تاريخ حديث سابق على ٢٣ يوليو ١٩٥٢ !

وحين نما الى انيس أن الموظفين المشرفين على الوثائق المصرية لم يكونوا يسهلون عمل الباحثين المصريين فى الوقت الذى كانوا فيه يقدمون شتى التسهيلات للكتاب الأجانب ومنهم المؤرخة الأمريكية هيلين رفلن بادر الى حث الحكومة المصرية من جديد على ضرورة اعادة تنظيم هذه الوثائق بعد ان امتدت اليها يد العبث . وكانت الحكومة المصرية قد افردت للكثير من هذه الوثائق وغيرها من الوثائق الاجنبية مبنى خاصا بقصر عابدين يطل على شارع حسن الأكبر .

وحين تولى صلاح سالم وزارة الثقافة والاعلام فى اعقاب ثورة ١٩٥٢ امر باخلاء المبنى من هذه الأوراق المرتبطة "بالعهد البائد" والقائها فى اى مكان آخر وتخصيص المبنى لاغراض أخرى - وظلت الوثائق منذ ذلك الوقت موضعا للاهمال الى ان انشئت دار الوثائق القومية بعد وقت ليس بالقصير . وجدير بالذكر ان مخلفات وأوراق العهد الملكى لها أهميتها بالنسبة الى تاريخ البلاد وليست خاصة بالنظام الملكى البائد - واذكر بهذا الصدد أن الزعيم السوفييتى فلاديمير لينين قد اصدر فى اعقاب ثورة اكتوبر حكما بالاعدام على كل من يعبث بالتراث القيصرى وان آثار العهود البائدة وأوراقها لاتزال موضعا للاهتمام فى بلدان عريقة مثل فرنسا وايطاليا وغيرها .

وحين علم أنيس فى عام ١٩٦٢ أن جامعة لندن قد دعت الى مؤتمر خاص بتاريخ مصر الحديث اعتبر هذه مؤامرة « امبريالية وصهيونية » ووجه اليها هجومه ونقده على صفحات جريدة "الجمهورية" مركزا على كون تاريخ مصر هو فى المحل الأول مسئولية ابنائها رغم أن مثل هذا المنطلق بعيد عن روح البحث العلمى وأقرب مايكون الى الشوفينية . حقيقة ان ابناء البلاد ادرى بشعابها الا ان ذلك لايحول دون اسهام الآخرين فى كتابته وبخاصة اذا ماتوفرت لهم ادوات البحث العلمى . وعلى اى حال فقد انعقد

محمد أنيس

مؤتمر جامعة لندن في عام ١٩٦٥ ، وحين تقرر اشتراكي فيه مع مؤرخين مصريين آخرين ابدى لى الاساتذة الانجليز استنكارهم لحملة انيس واكدوا أن المؤتمر ليس سوى احدى حلقات البحث التى تقررها الجامعة دوريا بصدد تاريخ احدى المناطق « Area Stadies » ولقد ثبت ان الابحاث التى قدمت للمؤتمر قد اضافت الكثير الى تاريخ مصر الحديث .

ومهما كان الامر فقد اثمرت الحملات التى تبناها انيس فى لفت انظار المسئولين المصريين الى اهمية الوثائق والمذكرات بالنسبة الى تاريخ البلاد بحيث تقرر انشاء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر الذى أشرف هو عليه فى البداية واشتركت معه فى العمل به بعض الوقت عقب انشائه . ورغم أن المركز بدأ بداية متواضعة فان الباحثين من خريجى اقسام التاريخ الذين عملوا به تحت اشراف انيس قد بذلوا جهدا طيبا فى محاولة رصد مظان الوثائق المصرية : فى دار القضاء العالى ورئاسة مجلس الوزراء والقصر الجمهورى ووزارة الداخلية وغير ذلك . وكانت بعض هذه الوثائق ركيزة لبعض دراسات هؤلاء الباحثين الذين مالبث بعضهم أن انضموا الى هيئات التدريس بالجامعات المصرية واسهمت دراساتهم فى إلقاء اضواء جديدة على تاريخ مصر الحديث . كما حصل المركز على بعض المذكرات الخاصة التى قام على نشرها ومنها مذكرات الزعيم محمد فريد ومذكرات عبد العزيز على ومحمد على علوبة وغير ذلك . كما أن انتعاش اهمية الدراسات التاريخية فى اعقاب تلك الحملات التى طرحت الموضوع على الرأى العام قد أدت الى خروج دراسات ومذكرات اخرى منها مذكرات الاستاذ محمود سليمان غنام احد اقطاب حزب الوفد القديم وكتاب « **الكفاح السرى ضد الانجليز** » الذى أصدره المناضل وسيم خالد قبيل وفاته .

وفى اعقاب صدور "ميثاق العمل الوطنى" فى عام ١٩٦٢ أشترك انيس فى تأسيس معهد الدراسات الاشتراكية الذى ألهمه ، بمحاولة رصد تاريخ مصر الاجتماعى على ضوء النظريات الاشتراكية . ولما كانت الدولة قد اخذت حينئذ بالتفسير الاشتراكى للتاريخ فقد تصدى انيس مع من تصدوا لتعميق الفكر الاشتراكى ، فاشترك فى حلقات الدراسة التى كانت تعقد فى مدينة السويس وأثار فى جريدة الجمهورية حملات عدة ترتبط بالقضايا القومية والاجتماعية . إلا ان كل هذا الزخم قد تزعزع فى اعقاب هزيمة ١٩٦٧ التى كان من اهدافها ضرب الحركة القومية العربية والقضاء على كل ما كان عبد الناصر يسعى الى تحقيقه وحينئذ دب اليأس فى قلوب الكثيرين مما مهد للكثير من التطورات المعاكسة على الساحتين المصرية والعربية - فخرج انيس من مصر للعمل بجامعة قسطنطينة ثم بجامعة بغداد فجامعة صنعاء . **على انه فى كل تلك الاثناء كان حساسا لكل مايحدث فى مصر وعلى استعداد لأن يعود الى الحياة العامة حين تلوح اى بارقة امل . وهكذا قطع اقامته فى بغداد**

حين تأسس حزب الوفد الجديد وعاد الى مصر لينخرط فى نشاط الحزب . ولو انه لم يلبث ان انسحب منه على اثر تحالف قياداته مع جماعة الاخوان المسلمين . وكان موقفه هذا منسجما مع تعاطفه مع حزب الوفد القديم باعتباره نصيرا للعلمانية والديمقراطية . وهو التعاطف الذى سبق أن اتضح لديه فى سلسلة المقالات التى نشرها فى جريدة "الأهرام" حول حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ وحول حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وكانت هذه المقالات هى الأساس الذى قامت عليه دراستاه حول هذين الموضوعين .

● جهد علمي بارز ●

ـ ففى كتاب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ على ضوء وثائق تنشر لاول مرة (بيروت ١٩٧٢) يتهم أنيس المخابرات الانجليزية بتدبير الحريق دون ان يتوفر له دليل مادى ، سوى مجموعة تقارير من مصلحة الرقابة المصرية كتبها الى محطة الاذاعة البريطانية مندوبها بمصر باتريك سميث . وهو يبنى اتهامه هذا على أساس أن السلطات البريطانية سعت الى اجهاض الكفاح الوطنى المصرى فى منطقة قناة السويس على اثر الغاء حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ وتجاوبها مع حركة الفدائيين المصريين . كما يستبعد (ص ٥٤) احتمال قيام حزب مصر الاشتراكي وزعيمه أحمد حسين وحدهما بتنفيذ الحريق ، ويتهم السراى بالتواطؤ وكذلك بعض عناصر جهاز البوليس المصرى وبالذات القلم السياسى

محمد انيس . كل شعلة من النشاط والعمل الدءوب



محمد أنيس

لايشك فى تبعيته للانجليز فى ذلك الوقت وعلى اى حال فحتى الآن لم يمط اللثام نهائيا عن دوافع الحريق والمحرضين عليه ، ان كان ثمة تحريض .

- اما كتاب ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى (بيروت ١٩٧٢) فاننا نلمس دفاعا عن حزب الوفد وتبريرا لقبول النحاس باشا الحكم على اثر حصار القصر الملكى المصرى بالدبابات البريطانية - ومن ذلك قوله (ص ٩٠) : "فعلى المدى البعيد فإن" بقاء المبادىء الدستورية التى وقف الوفد مدافعا عنها لايمكن أن يتحقق الا بهزيمة المحور . وعلى المدى القصير فإن امكانية عودة الوفد السريعة الى الحكم كانت عن طريق توسيع الهوة بين فكرة الحكومة الائتلافية وبين السلطات البريطانية ... وهذا هو المضمون الحقيقى لموقف الوفد ومسئوليته فى حادث ٤ فبراير وكذلك قوله (ص ٩٠) : « ان الاستعمار البريطانى حقيقة لاريب فيها . لكن الأمر على وجه التحديد فى ظروف الحرب العالمية الثانية ... خصوصا بعد دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ، كان بالنسبة للوفد المفاضلة بين أن يلقى بثقله فى تأييد قضية الحلفاء أو قضية المحور ... ولم يكن من الطبيعى أن يقف الوفد الذى خاض مع القصر المعارك منذ ١٩١٩ فى سبيل قضية الديمقراطية (كما يفهمها الوفد طبعا) ... أن يقف فى جانب المحور - وبالتالى فان ماحدث فى ٤ فبراير كان تعبيرا عن دخول الصراع بين الوفد والقصر فى اطار الصراع العالمى بين القوى الديمقراطية والقوى الفاشية » .

ولاأظن أن موقف الوفد يرقى الى مثل هذا المستوى الذى اشار اليه المؤلف . فعلى حين ان الدراسات الموثقة التى تناولت هذه الفترة ومنها « يوميات كيلرن » و « المانيا الهتلرية والعالم العربى » تبرز اتصالات الملك فاروق وبعض الساسة المصريين بدولتى المحور مما حتم على السلطات البريطانية ان تهدد الملك وترغمه على قبول تاليف النحاس باشا للوزارة . ولما كان النحاس مؤمنا بانه يمثل الاغلبية الجماهيرية فانه لم يتردد فى قبول الحكم ، وهوما حاولت دوائر القصر وجريدة "اخبار اليوم" ابرازه على انه قبول للحكم على أسنة الحراب البريطانية" ! ومهما كان الأمر فقد كان هذا القبول فى مثل هذه الظروف من الاسباب التى ادت الى زعزعة شعبية حزب الوفد والتمهيد لظهور قوى اخرى على ساحة السياسة المصرية ، وأيا كانت لبرالية الوفد وديمقراطيته فان ظروف الحرب قيد قيدت تحركاته وجعلته يرضخ لمطالب السلطات البريطانية التى قام الوفد الاصلى فى عام ١٩١٩ على اساس مكافحتها وتحقيق استقلال البلاد واما دراسات انيس التاريخية الأخرى فقد ارتبطت بتدريسه فى الجامعة ومنها « محاضرات فى تاريخ اوربا الحديث » و« التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث » بالاشتراك مع الدكتور السيد رجب حراز و« الدولة العثمانية والشرق العربى » : ١٥١٤ - ١٩١٤ الذى ظهرت

منه طبعتان آخرهما فى عام ١٩٨٤) والذى ضمنه بحذافيره ـ باستثناء الفصل الأخير ـ فى كتاب أصدره مع الدكتور حراز تحت عنوان « **الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر** » ولو انه لم يحدد فى الكتاب الأخير القسم الذى كتبه هو والقسم الذى كتبه زميله .

ويبدو أن كتاب « **الدولة العثمانية والشرق العربى** » قد بني على اساس محاضرات القيت على الطلبة وجرى طبعها دون مراجعة ومن ثم عدم التناسق بين محتوياته وكثرة تفاصيله فى مواضع عدة . ورغم ذلك فالكتاب مليء بالايحاءات واهمها الاهتمام بأوضاع العالم العربى الاجتماعية فى ظل الحكم العثمانى ، ولو انه يأخذ بالرأى القائل بمسئولية العثمانيين عن تخلف العرب وعزلهم عن انجازات النهضة الأوربية الحديثة . ورغم اتهام انيس للدولة العثمانية بعزل العالم العربى عن التيارات الأوربية الحديثة فانه يسجل انها حمته من الاستعمار الغربى . على انه ليس من السهل التحكم فى تاريخ الشرق العربى خلال اربعة قرون فى كتاب عام ، ولو ان هذا الكتاب لايزال يوفر مرجعا للطلبة text — book فى موضوع لم يلق اهتماما من المؤرخين العرب حتى وقت قريب . وقد اشرت على انيس مرارا عدة بان ينتهز فرصة اعادة طبع الكتاب لكى يجرى عليه التعديلات التى تتواءم مع سيل الابحاث والدراسات الخاصة بالعصر العثمانى التى ظهرت فى الآونة الأخيرة ـ ولكن يبدو ان مشاغله المتعددة لم تتح له فرصة لذلك .

اما كتاب « **التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث** » فهو من الكتب القليلة التى اهتمت بتاريخ مصر الاجتماعى وتناولت تطوره منذ العهد العثمانى حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ . ولما كان من المحاولات الأولى بهذا الصدد فان مؤلفيه لم يستطيعا تجنب كثير من التعميمات ، وان يكونا قد بذلا جهدا يشكر لهما فى هذا المضمار البكر . على انهما لم ينجحا كل النجاح فى المزاوجة بين المجالين الاجتماعى والسياسى فى تاريخ مصر الحديث ، ان انيس كان اميل الى التحليل والأخذ بالتفسير الاجتماعى للتاريخ ، فى حين ان حراز كان اميل الى رصد الاحداث التاريخية من حيث هى احداث لا اكثر ولا اقل . ولو كان انيس قد سطر هذا الكتاب وحده لربما امكنه ان يسجل فيه افكاره الخاصة التى عرضها فى مختلف المجالات شفاهة وكتابة . ويبدو ذلك واضحا فى الفصل الرابع الخاص بثورة ١٩١٩ الذى لاشك ان انيس قد انفرد بكتابته وعنوانه : **الانتماء المصرى الى الأمة العربية** ، تبدو بصمات انيس الذى كان شديد الايمان بانتماء مصر الى امتها العربية ، ومنددا بكل ما من شأنه ان يباعد بين مصر وبين اخوتها العربيات .

على ان استعراضنا لاهم مؤلفات انيس ونشاطاته لايجب ان يحجب تأثيره فى عدد كبير من الشباب الذين انجذبوا اليه واحبوه وتأثروا بافكاره والمعيته فى التفسير والتحليل خلال المناقشات التى كان يجريها ويتصدرها ولولا اتساع دائرة اهتماماته ومزاجيته وتقلبه لكان اكثر تأثيرا . ولو ان تراثه لايقدر بعدد مؤلفاته ، بل بالاثر الذى تركه لدى تلامذته ومحبيه .

قصة قصيرة

بقلم : محمد السيد سالم

صندوق الدنيا

ـ صحيح انه ليس ابنك ولكنه ابني ولايمكن لي ابدا ان اتخلى عنه نفض رماد سيجارته وصرخ .

ـ قلت لك اما انا واما هذا الطفل .

ـ بالله عليك اين القيه ؟

ـ هذا شيء لا يخص الا من خلقه ثم رماه على اكتاف غيره .

ـ لك حق فيما تقول . ولكن اين المفر ان كنت لا اعرف لابيه عنوانا ؟

ـ كلمة واحدة اقولها لك ، لا اريد هذا المخلوق في بيتي هل تسمعين ؟

تلقيا كلماته الصارخة واستدار يركض للخارج في عنف ، ازاح بخروجه ظلا قاتما اخفى توترا غامضا ترسب حول حدقتي صغيري الذي انكمش بجانب المقعد كقطة ترتعد بين خرائب تتصيدها الامطار والريح

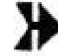
اقترب من (نادر والالم يعتصرني ، ومن عيني الباكيتين تتراقص السنة لهب يتصاعد من حرائق امسي في ضراوة وفي لحظة يفتح لي ذراعيه الصغيرتين في تردد مرتجف ، اركض الى صدره الصغير كمجنونة ، ولكن سرعان ما يسلخني القلق من عنف العناق ، ليعيدني الى نفسي المهتزة :

(.. اعرف يا نادر ما سوف يقولونه عني لو انني .. ولكن رغم كل شيء لابد لي ان اعيش لما تحمله ايام صقيع الطلاق الطويل يجعلني اتشبث بهذا الرجل حتى لو كان الثمن كما يريد قطعة حية من لحم نهدي



•• نادر بربك لا تنظر لى هكذا ، فأنت تعرف كم قاسينا فى سراديب الأيام الراحلة بين الطرقات الباردة وبيوت الاقارب المقفرة • حتى اتى هذا الرجل وانتزعنى من غابة النظرات المدببة، وأشباح الجوع المتحفزة ، ثم اذاب من جسدى الذى كاد يتخشب ثلجا تراكم حتى رأسى ••)

تمسكت بوعيى ، تشبثت به ، وأنا أغوص باعياء فى دوار أصفر ظل يحاصرنى فى دائرة الغثيان ، ولكننى القت وأنا أهز رأسى •• ولكن أين اللقى بنادر هذا الذى اتى من جدران بطنى • وعروق قلبى • أين ؟ أين التيه فى غابات الزحام اللاهث ، وطوابير كعوب الاحذية المسنونة ؟ وكيف لى أن اظل ابدى ذلك وهو



صندوق الدنيا

لازال يخطر لى ربيعه الخامس .. اندهش (نادر) وانا البسه الحلة الجديدة قبل ان يأتى . وحين انتهيت وقف مخرق الجبهة ، دافىء النظرات فى زهو طفولى :

- الى اين يا ماما ؟
- ساخذك الى ابيك
- من أبى ؟

هربت به الخطى فى الطرقات وانا اعض اصابعى واشهق ، والاسى يتكسر وحولى تتقيأ الارصفة زحاما محموما يلتف امام دكاكين العيش ومحال الاحذية .

نادر يتعلق باصابعى، يندفع باضطراب خلف خطواتى اللامرجحة ، لا فائدة من التردد . سوف اتركه فى ميدان السيدة زينب حيث يموج بقلوب الصالحين ومحاسيب أم هاشم . ولعله يجد من بينهم من يحنو على طفولته المنكسرة ، ونظراته الباكية .

لابد ان انتهى الليلة من مهمتى حتى أعود لاغسل وجهى واجهز طعام العشاء واعيد ترتيب الفراش المبعثر منذ الظهيرة .

امضى فى تخبط ، ونادر بين لحظة واخرى يرفع عينيه الواسعتين ليسالنى عن ابيه ، وانا فقط اجره نحو خطواتى المتوترة .

وصلت الميدان الكبير .. ودرت اتخبط بلا وعى تحت بيوت كثيرة .. وزحام هائج واعمدة كهرباء بلا اضواء .. وعويل سيارات عابرة تكنس الطرقات من ناس يهجمون من عتمة الازقة الى الميدان الصاخب ، وفجأة صرت اجرى حتى اصابنى اللهاث وتصبب العرق قطرات صغيرة لامعة على وجه (نادر) وفى لحظة احسست بالبيوت تختفى ثم تطل . واعمدة النور تدور فاغمضت عينى . وفى احدى المنحنيات صعوت على ضجيج اطفال يتكتلون ويلتصقون فى عيون (صندوق الدنيا) بينما وقف صاحب الصندوق ممسكا جرسه الزاعق وهو يتلوى فوق رءوسهم وهو يصرخ بالحكايات الغريبة والبطولات المجنونة ، لاحت فى عينى (نادر) الفسيحتين ظلال دهشة ورغبة وهو يرى ذلك الشىء المثير الذى لم يره قط ، ولكنه لم يكلمنى ، كانت ثمة خطوط رفيعة من هم غامض تلتف حول جبهته المبللة بقطرات العرق ، وارتباك يهز الدامه المتعبة .. اما انا فقد أحسست فجاة بوميض فرصة سانحة .

- خذ ذلك القرش يا نادر واذهب مع الاطفال لتشاهد صندوق الدنيا، لمعت عيناه امام بريق القرش ، ثم اختطفه ومضى يهرول دون وعى حتى كادت سيارة جانحة أن تسحقه ، اسرعت اليه وسط الطريق وقدانتابنى الفزع ، وبكل نعومى ضممته الى صدرى وكدت اعتصره ، وفى لحظة تراءى لى سواد الارض الاسفلتية ، وجهامة الوداع المؤلم ، وبرقت حولى اضواء السيارات المارقة فى بلاهة .

(.. لابد أن احيا رغم كل شىء يا نادر ، لم يبق فى عمرى يا

ولدى الا سنوات قليلة لاصل بعدها لايام مالحة بكماء حيث يأتي الخريف فتتجعد الجبهة ، ويتجلد الانف ، ويبيض الشعر، ويبهت لون العينين ..

بربك يا نادر اغفر لي تشبثي باليوم ، فلو لم افعل ذلك فلن يعـود ابدا ..) .

انزلته للارض وانا انظر اليه ، احدق في ملامحه الهانئة كنسائم الربيع .

ـ اذهب يا نادر .. وتفرج كما يحلو لك على صندوق الدنيا .

هزني الرعب وانا امد يدي الى ظهره لادفعه نحو الصندوق واتكفاء الاطفال ، ومضى (نادر) مندفعا ، وحين استقر بجسده الغض على المقعد الخشبي ، واتكفأ يرى ما في الصندوق ، غابت الدامى المرتعدة في حنايا الزحام اللاهث .

وبعد ايام جلس الزوج يقبله على مائدة الافطار حين لمح في جريدة الصباح صورة للنادر متقلصة الملامح وتحتها سطور تقول :

ـ .. عثر امس على هذا الطفل ضالا بميدان السيدة زينب وهو يرتدي حلة جديدة ساعدونا في البحث عن اهله ..

الطفل المذكور يقيم حاليا في حي قلعة الكبش لدى اسرة لها ٧ ابناء .

وفجاة انخطف صوته .. فاغمضت عيني ، والقيت راسي على ظهر المقعد ، وتنفست جهيما وانا احس بمطرقة ثقيلة تغرز مسمارا في صدري ، اراقب يده وهي تعود للطعام من جديد في شراهة ، مشى الامتعاض الى وجهي ، احسست بالغثيان وهو يهمس وبقايا الطعام المضروغ تتطاير من فمه :

من يدري ، لعلك تفعلين غدا لو انجبت منك طفلا ، ما فعلته بالامس مع نادر .

جمدت برهة وانا احملق في كلماته ، تشبثت بحافة المقعد ، فتاهت بعيني عن صحن اكمره لاغرز قطعة مسننة في جلد وجهه ، ليتدفق الدم قانيا ، ولكنني قمت على الفور ، واستثرت اركض نحو الخارج بقميص الحريري وانا احبس فمي بكفي واكاد اختنق .

وفي منتصف الميدان الصاخب ، وقفت باكية كطفل ضال . اسال الناس في حرارة عن الطريق الى (قلعة الكبش) .



موهبة جديدة من الإسكندرية

الأشرعة الرمادية..
وبدايات كاتب جاد

بقلم : د. سيد حامد النساج

● بعض الكتاب الشباب في مدينة الاسكندرية يرتاحون الى مقولة انهم أدباء غير « عاصميين » ، او انهم اقليميون ماداموا قد ابتعدوا عن العاصمة ـ القاهرة ، حيث الاضواء ، والنقد ، والاعلام ، والاعلان. وانطلاقا من هذه الرؤية راحوا يثرثرون ويلقون اللوم على نقاد العاصمة وكتابها واجهزة الاعلام فيها، ونسوا انهم يمثلون ثقلا فنيا وادبيا لو انهم توفروا على الابداع وحده ، ولو انهم خلقوا من بينهم النقاد الذين يتابعونهم ويفهمونهم ويوجهونهم . عندئذ سوف تتحول اليهم حركة النقد ووسائل الاعلام والشهرة التي يبتغون ●

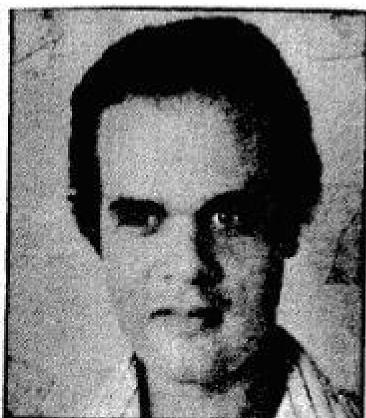
لكن هذا البعض يكتفي بالصراخ ، والتهديد ، واللوم، والعتاب ، فلا يعكف من اجل التجويد الفني والتطوير في ادواته ورؤيته وثقافته . وهؤلاء هم ناقصو الموهبة .

هناك مجموعة اخرى يكتفي اعضاؤها باستضافة احاد من صغار كتاب الصحف اليومية او الاسبوعية او من محرري الصفحات الادبية، لنشر الاخبار عنهم ، او لنشر صورهم ، وربما للتعريف السطحي السريع بكتاباتهم . ويقنعون من الادب بهذا الغنم البسيط، ويتصورون انهم ـ بذلك ـ اصبحوا ادباء لهم حقوق على الحياة الادبية والنقدية ، دون اداء واجب من واجباتها الاساسية الاولى ، وهي

الابداع الجاد المسئول الذى لا يخضع الا لقواعد الفن ·

وهناك من يلجأ الى الشهرة وذيوع الصيت ، عن طريق آخر ، بعيدا عن العاصمة ـ القاهرة ، بل وبعيدا عن الاسكندرية المدينة المصرية ، وبعيدا ايضا عن كل الدول العربية · بمعنى ان يتحدى الكاتب الشاب ـ ان كان حقا فى مستوى يجعله كاتبا ـ شعور قومه ووطنه ، ووحدة الفكر التى تجمع كتابه ، ووحدة المعاناة التى استشعرها ـ من قبل ـ عشرات من رواد الادب والفكر والفن والسياسة والاجتماع ، فان هذا أمر غير مقبول ـ وطنيا وقوميا ـ وغير مبرر ـ ادبيا وفنيا · وبخاصة انه لم يسبق ذلك موقف سياسى او عقدى معلن · انها فقط وسيلة رخيصة ومشبوهة بحثا عن شهرة ما·والمؤسف انها جاءت بنتيجة عكسية على غير ما كان الواحد منهم يتوقع · فما اكثر ما رفضت للاءات كتاب مصر فى الاقاليم هذه الوسيلة وذلك الطريق · غير ان المؤلم فى الامر كله انه صدر عن بعض كتاب الاسكندرية ·

وثمة فريق رابع من الكتاب الشباب ـ فى الاسكندرية ـ يأخذ الكتابة مأخذ الجد ، ويحرص على ان يجود فيما يكتب ، وعلى ان يكون له وجود ادبى ملحوظ ، فى الساحة الادبية والفنية ، بالوسيلة الوحيدة التى يتقنها ويجيدها ، وهى الكتابة الجيدة ، والاستمرار الواعى المسئول ، والاحساس الجاد بان تكون لكل كلمة قيمة ، ولكل عمل فنى دور ، ولكل كاتب موقف ·



رجب سعد السيد

وهذا الفريق ـ فى ظنى ـ لم يسع الى الشهرة بالطريقة التى ذكرناها ، ولم يذر فى الجو زوابع واعاصير ، ولم يطارد النقاد برسائله اللا مسئولة التى تتوسل اليهم كى يكتبوا عنه · ان كتاب هذا الفريق ـ وهم بالفعل كتاب واعدون ـ يعكفون على القراءة والاطلاع ، ويحتكون بواقعهم اليومى احتكاكا مباشرا ، ويتابعون حركة الادب والنقد على المستوى العربى والعالمى ، ويجتهدون فى ان يقدموا اعمالا ترضى ضمائرهم الادبية اولا وقبل كل شىء ·

ومن حسن الحظ ان الدعايات الصاخبة للفريق الاول ، والابتذال المصنوع للفريق الثانى ، والهروب المجنون للفريق الثالث ، لم تؤثر ـ مجتمعة ـ فى مسيرة هذا الفريق الذى يتزايد يوما بعد يوم ·

ومن بين كتاب هذا الفريق الادبى الشاب رجب سعد السيد «١٩٤٨/٥/٨» ·· وهذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها معقارىء القصةالقصيرة بالذات من خلال اول مجموعة قصصية له « الاشرعة الرمادية » التى صدرت



الأشرعة الرمادية..

من سلسلة «كتاب المواهب» ١٩٨٦ • وكان قد قدم وجهه العلمى للقارىء العربى حين نشر كتاب «الحرب ضد التلوث»، ثم كتاب «البحر.. اسرار وكنوز» مما يدل على انه ذو ثقافة علمية، لانه متخرج فى كلية العلوم ١٩٧٠، كما انه يعمل باحثا فى معهد علوم البحار والمصايد بالاسكندرية وهو ما يذكرنا بالدكتور حسين فوزى احد رواد القصة القصيرة فى مصر وواحد من اعلام المدرسة الحديثة، الذى اقتحم عالمها باسلحة وادوات وثقافة علمية، وبخبرة معمقة فى عالم البحار •

ولما كانت هذه المجموعة القصصية هى اول مجموعة ادبية يلتقى فيها مع القارىء، فانه ـ فيما يبدو ـ كان حريصا على ان تضم عددا كبيرا من القصص التى سبق له ان كتبها فى الفترة بين ١٩٧٠ ـ ١٩٨٤ • ومن ثم ضمت خمس عشرة قصة قصيرة • وكنت افضل لو انه اختار عددا محدودا من قصصه التى تمثل تيارا واحدا، ورؤية واحدة، بدلا من هذا العدد الذى اصبح مرهقا للقارىء والدارس معا • ان عملية الانتقاء والاختيار عملية ضرورية •

ومع ذلك فان قصص: اختطاف، فصل ايجابى، النزل، بلاغ عن مقتل البهجة، صورة من قريب لوجه حبيبتى، فانتازيا الفئران الجبلية، الفشل، تكفى للدلالة على ان هذه المجموعة تبشر بكاتب جاد، يعرف اصول الفن، ويعى ما الذى كتبه الرواد الذين سبقوه، وما الذى يكتبه ابناء جيله •

ومنذ البداية، فان عناوين قصصه تكشف عن معاناته فى تركيبها، وفى جعلها لافتة للنظر ومثيرة: «سياحة فى غابة الاشجار المتحجرة»، «الرياح تملأ الاشرعة الرمادية»، «العزف على الاوتار المرتخية»، «نقش على جدران كهف الخوف»، «بلاغ عن مقتل البهجة»، «صورة من قريب لوجه حبيبتى» • فكل عنوان يحمل فى طياته صورة، وحركة، وفعلا • والمسالة ليست وقفا على مجموعة من الصفات والنعوت، ولكنها دلالات موحية ركبت تركيبا فنيا، لتثير فى القارىء الرغبة فى معرفة ما وراء كل عنوان، ولتدفع الباحث الى جلاء العلاقات، وكشف سر عملية الاختيار والتوليف • بالاضافة الى العناوين الاخرى واضحة الدلالة على مضمون القصة، مثل: الفشل، عن ازالة السواتر، النزل، اختطاف •

بعدئذ يمكن أن نلاحظ أن الكاتب يستخدم ضمير المتكلم بشكل لافت، فى الاغلب الاعم من قصصه • فى محاولة منه لكى يدخلنا عالم الشخصية المحورية لديه • لكنه سرعان ماتخفت حدة المتكلم، لتتنوع الضمائر • وهى حين تتنوع تعطى للقصة نكهة خاصة، لانه يجعلها تتداخل فى توافق وانسجام •• فالقصص الاولى: «الفشل» و «سياحة فى غابة الاشجار المتحجرة» و «فانتازيا الفئران الجبلية» و «نقش

على جدران كهف الخوف، تقدم من وجهة نظر الراوى ـ البطل ، بينما نجد ان قصته « عن ازالة السواتر » تتعدد فيها الضمائر •

فالفقرة الاولى ص ٦١ تقدم بضمير المخاطب ، فى حين ان فى الفقرة الثانية يأتينا صوت الكاتب المحايد الموضوعى الذى يصور من الخارج ، اما الفقرة الثالثة فى نفس الصفحة ، فانها حديث نفس بضمير المتكلم ،ثم المخاطببضمير المخاطب،وبعدها يأتى التصوير من الخارج ص ٦٢ وهكذا • ولقد كان موفقا فى احداث هذا المزج بين الاصوات والضمائر ، ليعكس تلك التوافق بين المشاعر الذاتية الداخلية، والمشكلة الانسانية الخاصة، بالمشاعر الوطنية العامة ، وحالة الاستعداد للحرب •

ويمثل ما يوفق الكاتب فى انتقاء عناوين قصصه ، ويمثل ما انه يقترب من النجاح فى استخدام الضمائر، فانه يبدأ قصصه بداية جيدة،تحدد العلاقات وتجسد الجو العام ، وتوحى بالانطباع المقصود ، وتضع القارىء فى الموقف مباشرة : (الرأس الاصلع يواصل الراز الاحاجى ويبتى لى الفاهات • الشفتان تنفتحان وتنطبقان • هل يتحدث منخلف حاجز زجاجى؟ حريص تلك الشىء الابيض النظيف • عرف لنفسه تركيبا بللوريا تترقرق داخله ، يأكل ويشرب ويتنفس علم طبيعة الجوامد • رجعت الى داخلى • كنت قد خرجت فى محاولة للانطلاق • كانت اجنحة وحدتى ، لكنها لم تستطع ان تحط • لا ارجل لها • تحوم ـ كطائر خرافى ـ ليل نهار • مضى ما يقرب من نصف المحاضرة ولم تزل صفحتى الاولى غارقة فى بياضها• تبثه عيناى على بعض الحروف اللاتينية والخطوط البيضاء المرسومة على السبورة الخضراء • ثم مرقت المساحة فى يد عصبية دقيقة فازالت كل شىء » ص ٧

القصة بعنوان « الفشل » ، والبداية تكشف عن طبيعة هذا الفشل ، وعن العلاقة بين البطل والاستاذ المحاضر ، وموضوع المحاضرة ، والجو النفسى الذى يخضع له البطل ، وموقفه الكلى الذى يبدو من اختياره للكلمات والصفات التى يصف بها استاذه ، مما يفضى فى النهاية الى الفشل الحقيقى ، ليس على المستوى العلمى وحده ، ولكن كل المستويات • ومع ان الكاتب انتقل بشخصيته فى اكثر من جو نفسى ومادى ، فانها انتهت الى الفشل • وقد التقط الكاتب لحظة حاضرة فى حياة الشخصية ، بكل ما يعتمل فيها من صراع مع الخارج ومع الداخل ، ومع عناصر متنوعة تدخل جميعا فى الاطار المرسوم والمقنع • وهذا يقودنا الى الحديث عن سمات البطل فى قصص الكاتب التى تضمها هذه المجموعة ، وهى ملامح تكاد تتلمسها فى معظم القصص •

انه ـ اى البطل ـ شاب فى الثلاثين دائما • ادى الخدمة الوطنية فى الجيش ، او يؤديها بالفعل • اشترك فى حرب السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، او كان واحدا من الجنود الذين تأثروا بهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ • عاش الهزيمة وما بعد النصر • احساسه حاد بمشكلات الشباب فى مثل سنه • وطنى الى ابعد الحدود • مثقف ثقافة علمية ، تجاهلت كل ما درسناه من نظرية الاحتمالات » ص٢٤ ، « يأكل ويشرب ويتنفس علم طبيعة الجوامد • عرف لنفسه تركيبا بللوريا تترقرق داخله ،



الأشرعة الرمادية..

ص٧ . بطل قصة « صورة من قريب لوجه حبيبتي » باحث في معمل يتهيأ لإعداد رسائل علمية . وبطلا قصة « بلاغ عن مقتل البهجة » أستاذان في الجامعة . وهكذا .

لكنه في معظم الاحيان سلبي ، حزين ، متشائم ، ينتهي الى الفشل غالبا ، اللهم الا في قصتي : « فعل ايجابي » و « النزل » .

يقول الأخ الاصغر لأخيه الاكبر في قصة « العزف على الاوتار المرتخية »: (ان ابطال قصصك لم يكونوا سوى اولئك المهزومين) ص ١٠٦ ، ويقول : (انك بشكل او بآخر الحرب ان تلقي السيف جانبا وان تلجأ الى القلاع تلوذ بأسوارها المنيعة التي تحجب عنك ايضا ضوء الشمس والهواء الطلق . فضلت الدفاع من الثبات مع انك تعلم جيدا ان الهجوم خير وسيلة للدفاع) ص ١٠٥ ، (كان يمكنك ان تخرج من ايام القهر والجبن والمعاناة الطويلة . اقول كان يمكنك ان تخرج — بالمقارنة بما كنته قبل الحرب — اكثر قدرة على الاندفاع المؤثر) ص ١٠٤ .

● ايجابية البطل ●

واحيانا يكون البطل في عمق الفعل وفي قاع الواقع المادي الذي لا يرحم — صياحة في غابة الانفجار المحيرق

لكنه — مع ذلك — يعيش على ايجابية الآخرين . رغم ان كل شيء يحيط به لا يرحم ، بل انه يدفع الى ضرورة الحركة ، والفعل ، والتأثير ، حيث مشكلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وحيث الناس والعلاقات والقيم . وحيث الصخب والضجيج واللا حلم واللا عاطفة .

والغريب ان تكون « البطلة » — وهي ذات ملامح محددة — هي الايجابية ، وهي الواقعية ، وهي التي تفعل او تدفع الى الفعل . تقول له في « الرياح تملأ الاشرعة الرمادية »: (انت لا تساعدني فقط تهرب . كأني لست انا . كأنك لست انت) ص ٧١ ، و (كأنك فرخ مهزوم) ص ٧٤ . وفي صفحة ٨١ « اكتشف انه دائرة ناقصة » . انه يهرب هناك ، ويهرب هنا . وكل شيء مبرر بالنسبة له ، لكنه غير مقنع بالنسبة للآخرين : (اعرف ما اريد ان اقوله . اعرفه جيدا . ولكني لا اقول . فقط افكر في قدرتي على تنفيذ خطتي . لم اناقش هذا من قبل . وما هو كل شيء يتعرى : يدي ترتعش . قلبي يرتعش . ساقاي ترتجفان . لساني ملجوم . شفتاي تمارسان البلاهة الآلية . عيناي تائهتان في مخروطين ملاميين) ص ٩٣ .

وبطله قانع بالخوف حتى اصبح الخوف قيمة من القيم التي يتمسك بها . ففي قصة « صورة من قريب لوجه حبيبتي » . وهي قصة تبدأ بداية واقعية ، وتجسد الآثار السلبية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، مما يجعلها واحدة من القصص الواقعية الجيدة لولا نهايتها الخطابية المباشرة ، الا اننا نجد هذا الشعور بالخوف يصل الى درجة فلسفته والاقتناع به اقتناعا كاملا : (ان

الخوف ليس وصمة عار • بل انه احيانا يمثل قيمة حضارية عظيمة) ص ١١٧ ، (ان الخوف - الاسف - هو ما يمكنني فعله) ص ١١٨ ، (ليس وحده الخائف ، انا ايضا خائف) ص ٤٤ . والخوف متضافر مع السلبية الاصيلة يؤديان الى الاخفاق فى الوصول الى تحقيق اى هدف • بل ان الاهداف غائمة وغير مبلورة فى فكر الشخصية او فى احلامها • ومن ثم يصبح « الحزن » اساسيا فى تكوين الشخصية ، ويغدو الفشل شيئا طبيعيا عاديا • فى قصة « دعوة الى حفل رقص جماعي في ميدان الرمل » يقول البطل : (لم يكن الحزن غريبا على انه ترنيمة حياتى) ص ٨٥ • وفى قصة « فانتازيا الفئران الجبلية» نجد الاحساس بالاخفاق : (وفى منتصف الطريق يجيء الاخفاق) ص ٣٢ •

غير ان السلبية والخوف والاخفاق تذوب جميعها فى القصص التى يكون البطل فيها فى مواجهة قضية وطنية او قومية • عندئذ نجده اكثر ايجابية ورفضا وتمردا • والكاتب يفعل ذلك من خلال مواقف انسانية ، اجاد حبكها فنيا ، بلا خطابية أو زعيق او مباشرة •• مثال ذلك قصة (فعل ايجابى) • ولعل فى اختيار هذا العنوان بالذات دلالة على وعى الكاتب بان شخصياته لم تكن تقدم من قبل على « فعل ايجابى » •

شاب فى الثلاثين اعير للعمل فى بلد عربى شقيق ، بسبب عوامل كثيرة جدا ، تفرض عليه الاستسلام والخضوع لما يصدر اليه من اوامر • لكنه فى موقف ما يرفض الاهانة ، ويدخل فى معركة غير متكافئة مع الشرطة بلا سبب ودون مبرر ، فيكون الفعل الايجابى الوحيد الذى يقوم به وهو فى المستشفى، هو تقديم استقالته • دفاعا عن كرامة شخصية هى جزء من كرامة الوطن • ومن خلال بناء فنى جيد واستبطان للمشاعر الذاتية ، وتصوير جيد للخطة ، جاءت هذه القصة واحدة من القصص النادرة التى عالجت موضوع المصريين الذين يعملون فى بعض البلدان العربية الشقيقة •

وقصة (انزل) لا تقل من حيث المضمون والبناء الفنى عن تلك القصة• كما ان اختيار العنوان فعل امر «انزل» له ارتباط قوى بالمضمون ، ويوحى بالايجابية والقوة •

البطل شاب خرج من الجيش بعد حرب ١٩٧٣ • وكابد السنوات الطوال كى يحمل فى يده رخصة قيادة من الدرجة الاولى ، ليعمل عند اصحاب السيارات سائقا - وبعد كفاح اشترى سيارة بالتقسيط ، على ان يدفع كل شهر مائتى جنيه • بينما هو يعمل فى الصباح موظفا عاديا بسيطا • ولم يكن القسط الشهرى قد اكتمل بعد فى هذه الليلة ، التى حلمت بحلم استكمال رغم انهمار المطر الشديد وخلو الشوارع من الركاب • ويلتقى باحد الزبائن الذى يعرف الاسكندرية ، ويريد ان يحيى بعض الذكريات بالتجول فى احيائها وازقتها وشوارعها • ودار حوار فنى بين الراكب والسائق ، ادرك منه السائق المصرى ان الراكب من هذه النوعية التى تريد ان تعرف كل شيء ، وانه تخلف عن وفد سياحى وصل متاخرا الى الفندق ، فتركه واثر هو ان يتجول فى الاسكندرية ويتحدث مع واحد من اهلها ، وتبين السائق انه يعرف الانفوشى وراس التين والترياتو والازاريطة وكامب شيزار •



الأشرعة الرمادية..

وفي محاولة من السائق للتعرف على كنه هذا الراكب الذي اصبح عامل قلق بالنسبة له ، اعلن انه اسر في حرب ١٩٧٣ (كنت الفل الاخيرة في منطقة وسط القناة ، وكنت راجعا لاحمل لمحة جديدة فوجدت دباباتهم تحيط بي ، اسروني واحرقوا العربة) ص١٧٨ .. عندئذ فقط اخذ الراكب يتحدث عن السلام وكيف انه نعمة كبرى . فسأله السائق المصري عن سر معرفته المنطقة والبلدة كواحد من ابنائها ، اجابه الراكب : لكي لا تجهد نفسك انا اسرائيلي) ص ١٨١ ، ونتأمل هنا كيف ان الكاتب صور الموقف بعدئذ :

(في لحظة واحدة خاطفة استوعب الامر ، وتحركت الدماء ، وصرخت عجلات السيارة المتوقفة تنزلق على الاسفلت المبتل . دارت السيارة دورة . وكادت تصطدم - قبل ان تتوقف - بعمود انارة بعد ان صعدت مقدمتها الرصيف الوسط بطريق الكورنيش . كان الراكب يتساءل مذعورا ، وكان السائق يفتح الباب بجانبه ويسرع - في المطر - الى الباب الاخر ليفتحه صامتا مكفهر الملامح مشيرا للراكب انيخرج . ارتفع صوت الراكب مستنكرا ومحتجا .. ابتل شعر السائق ووجهه وملابسه بالامطار الغزيرة . كان يرتعش كمحموم وكانت عيناه تبرقان بحدة . امتدت يده وقبضت على كتف الراكب تشده ، وكان يأمره بصوت صارخ رافض : « انزل » ص ١٨٢ .

لقد ضحى السائق بحلم كان يتمنى لو انه تحقق . لقد كلفته الجولة كثيرا من الجهد والوقت والاجر الضائع الذي كان يتهيأ له كي يستكمل القسط الشهري . لكنه القى بكل ذلك عرض الحائط . واقدم على فعل ايجابي جريء يعبر عن موقف رافض بالوسيلة الوحيدة التي يملكها . ولاشك ان هذه واحدة من القصص الجريئة التي تجسد مشاعر اصحاب المصلحة الحقيقية من ابناء الشعب المصري ، في الامور السياسية ، والعلاقات الدولية ، والقضايا الوطنية . في القصة السابقة اختار عنوان « فعل ايجابي » لمن يتصورون انهم ينبغي ان يكونوا سلبيين تماما في الدول التي يعارون اليها بحثا عن عمل وعن مصدر رزق ، فتكون الاستقالة صرخة واحتجاجا ورفضا وفعلا ايجابيا .

وفي هذه القصة « انزل » رغم اني كنت في حاجة الى نقوده . ورغم اني كنت احلم بتلك اللحظة . ورغم انه تتحدث العربية بطلاقة . ورغم انه عشت في الاسكندرية عشرين عاما . ورغم انه تحب عبد الحليم حافظ ، وتتحدث عن العادات الشعبية الاصيلة في الاسكندرية . ورغم ان وجهه لا يحمل اية ملامح اوربية غربية ، رغم كل ذلك فاني امرك : انزل .

واذا كان موقف الكاتب هنا واضحا ، فانه في قصة «اختطاف» كان منبعثا من الموقف الدرامي المشحون بعوامل الصراع والتوتر ، لاعلان صرخة احتجاج فنية ضد تلك الجرائم الاخلاقية التي انتشرت

فى منتصف السبعينيات ، انعكاسا للقيم النهب والسلب والخطف والاقتناص التى سادت العلاقات الاقتصادية فى المجتمع المصرى .. افعل ما تشاء ، وما يحلو لك ، فى اية لحظة ، وفى اى مكان ، وبالوسيلة التى تروق لك .

مهندس شاب كان قائدا لاول فصيلة فتحت ثغرة فى بارليف ، فى لقاء مع خطيبته ، قبيل سفره الى الرياض ليعمل هناك . فى لحظة لقاء مفعم بالتوتر والقلق والعاطفة والحب ، مغلف بالصمت ، حافل بالمشاعر ، يختطف اربعة من الشباب اللاهى العابث خطيبته ، فيقاوم ، ليضربوه ضربا مبرحا ، حتى تنزف منه الدماء ، ثم يحملونه مع خطيبته فى سيارة فارهة الى مكان مجهول ، والمطر غزير والمكان موحش والصراع متواصل من الفتاة على مصيرها ومصير خطيبها . وفى اثناء انشغال الشبان بالفتى تهرب الفتاة مذعورة محمومة ، بينما يتعرف واحد من الشبان على شخصية خطيبها ، وقد فقد الوعى تماما ، بل انه فقد الحياة .

هذا هو الجزاء . وتلك كانت المكافأة .. وهذه هى الاثار الاخلاقية السلبية التى ترتبت على الانفتاح الاقتصادى الذى كان نتيجة للحرب . بل ان هذا الذى شارك فى الحرب ذاهب الى بعيد حيث الرزق والامن والثروة . واولئك الذين لم يشاركوا فى الحرب يغنمون ويفتنون وينتهكون الاعراض ويقتنصون الشباب .

والذى لاشك فيه ان الكاتب حبك قصته حبكا فنيا، جعلها حافلة بالحيوية والحركة والصراع ، كما لعب الحوار دوره الفنى المعبر . وقد وصل البناء الانطباع الذى اراد الكاتب توصيله ، من خلال تصوير لحظة الاختطاف ، والصراع غير المتكافىء بين الشاب وبين الاربعة الاخرين ، ومن خلال موقف خطيبته منه ، واكتشاف واحد واحد من الشباب ـ ممن كانوا معه فى الحرب ـ انه سوف يغادر البلاد التى دافع عنها واحبها فى الثامنة من صباح الغد .

وجدير بالذكر ان اثنين فقط من الكتاب الروائيين والقصصيين فى مصر ، هما اللذان استطاعا مواجهة هذه الظاهرة اللا اخلاقية ذات الابعاد الاقتصادية ، هما حسن محسب فى روايته (الاختطاف) ورجب سعد السيد فى هذه القصة القصيرة ! تلك القيم الهابطة هى التى تحول بين المرء وزوجه ، وبين الحبيب وحبيبته . هى التى تجعل العلاقة العاطفية مبتورة ومهددة باللاتواصل : (زوجتى التى لم اتزوجها بعد) ص ١١٥ ، (انا اعرف زوجتى من ثلاث عشرة سنة واننا نفقد الشباب يوما بعد يوم دون ان نضع من بذورنا طفلا نربيه كما حلمنا) ص ١١٨ . والكاتب الشاب يقول ذلك بفن دون ان تفقد قصته واحدا من اسسها البنائية ، وفى لغة دالة ، وحوار فنى جيد . كما هو بين فى قصة « بلاغ عن مقتل البهجة » وفى غيرها من القصص المحكمة البناء التى اشرنا اليها ، وهى فى مجموعها تدفعنا الى الاعتقاد بانه كاتب يملك الادوات التى تؤهله لان يجود ، ويطور فنه ، كى يحتل مكانة لائقة بين كتاب القصة القصيرة ، لو انه توفر على كتابتها وحدها دون غيرها .

موت فى الفجر

شعر : وولى سوينكا
الكاتب النيجيرى الفائز بجائزة نوبل سنة ١٩٨٦
ترجمة : محمد جلال عباس



ايها المسافر مع الفجر
قدمك فوق الارض تدب
تتمسح فى رطوبتها
والشروق يطفىء مصباحك
فانظر اشواك الادغال
واقداما تدوس دود الارض
وفئوسا تقطع وظلالا تمتد
لا موت لشفق ولا استسلام لحزن
فهذه بادرات متوردة رقيقة
تزحف فى مرح واعية الادراك
يحوطها وعاء يخفى الهموم
يزحف منقضا على زحام الجموع
يوقظ النيام فى الأسواق
ويسارع فى الدروب

وشتاء الموت يفاجىء
فى فجر فيه طبالا وحيدا



يدق دقات متصلة منسابه
يرش شنظايا من ريش ابيض
يؤكد الا جدوى للطقوس

تخطو القدم اليمنى للسرور
واليسرى تخطو نحو الموت
والأم اندفعت تبكى وليدها
تقول : الن تمشى ابدا ؟
فوق الارض الممهدة لك .

ايها المسافر ارحل مع الفجر
وعد فى ساعة مقدسة رائعة
وصياح الديك يبشر .. ينذر
من ذا يجرؤ ؟
السلاح فى يد ذلك الشبح
يتقدم نحوك رجل مجنح
صورة شبح آخر ياأخى
فى صمت يعانق خيالك المبدع
يكشر عن انياب
من ذلك الوجه المشوه
هل هو انا ؟

تجربة جديدة فى الشعر ●●●

قراءة فى ديوان "المتصوفون الشعراء"

بقلم: د. السيد ابراهيم محمد

مازال الشعراء فى مصر قادرين على اثبات قدرتهم على الاستمداد من ينابيع موهبتهم الذاتية الخالصة وتفجير طاقات جديدة فى مجال اللغة والشعر، ليس وراءها الا الهوس النبيل الذى يذهب بصاحبه الى آماد لا تنتهى من المغامرة فى آفاق الشعر.

ونحن نقدم للقراء تجربة جديدة فى الشعر تكشف فى جوهرها عن الموهبة الكامنة التى يتمتع بها ابناء العربية، لولا ان كل تجربة صادقة فى بلادنا تبدو كالوميض الذى فى الافق ثم يضيع، لان هذه البيئات التى نحيا فيها لم تعرف بعد كيف تحافظ على مكاسبها سواء فى مجال الفكر او الادب او السياسة او اى مجال.

فاين النهضة الفكرية التى شق طريقها فى بلادنا رجال ظهروا فى القرن الماضى ومطلع هذا القرن. واين ما كان تركه فى النفوس والضمائر رجال من امثال جمال الدين الافغانى ومحمود سامى البارودى ومحمد عبده ومحمد حسين هيكل وغيرهم كثيرون قامت جهودهم على العرق والتفانى واستخلاص ثمرات العقل الانسانى العربى الاوربى فى دأب واخلاص. اين جمال عبد الناصر فى العهد القريب - وهو الذى ملا الاسماع والابصار - ايا كان الرأى فيه. اين ذلك الجوهر الذى انطوى على الرغبة فى خلق شخصية مستقلة للبلاد - منذ سعد زغلول وقبل ذلك. اين تلك «اللحظة الموسوية» التى رأى جمال الدين الافغانى انها تمثلت فى مصر كرة اخرى - كما فى رسالته للاديب محمد المويلحى (اقرأها فى اول كتابه حديث عيسى بن هشام).

ترك ذلك كله نهبا للاهواء. ولا تزال تعاودنى هذه الكلمة المفزعة: ضيعه المصريون، وهى كلمة قالها الشافعى عن المفكر المصرى الفقيه الليث بن سعد


جمال الدين الافغاني


محمد عبده


سعد زغلول

الذى ضيع تلاميذه علمه • ولو كانوا اهلا له لكانوا قادرين على صونه واحتضانه كما يحتضن الطائر بيضه فيطيل المكوث عنده الى الزمن الذى يخرج فيه الى الوجود وكائنات جديدة تجدد فيه دورة الحياة • اكبر الظن اننا اشبهنا الطائر الاخر الذى يضرب به المثل فى الحماقة ، فيترك بيضه فى العراء نهبا لاعدائه ثم يحتضن بيض غيره !!

واخشى ان تكون كلمة الشافعى تعبيرا عن سلوك ثابت فينا • فمازلت ارى حالة اليأس والاحباط والعزوف التى تحاصر الصادقين من اهل الفكر منا ، فاجد لسان حال الواحد منهم ينطق بهذا البيت الذى قاله الغزالى او تمثل بـه :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى
وما اشبه الليلة بالبارحة !

● علاقة مقطوعة ●

ولكن لنترك هذا الحديث الذى يثير الاشجان ولندخل فى موضوعنا • من المسائل الواضحة التى تظهر على الساحة الادبية الآن خصوصا فى مجال الشعر ، أن العلاقة قد صارت مقطوعة بين القراء والنصوص الشعرية التى يقدمها ابناؤنا الشبان • ومرجع ذلك بصفة عامة الى غموض اللغة التى يكتب بها هؤلاء ، فلم تعد القصيدة توصل للقراء شيئا • ومعروف ان القصيدة الجيدة هى التى توصل للقراء كل بحسب عقله وثقافته • هذه حقيقة لا ينبغى ان يمارى فيها احد •

ولكن شعراء الغموض ـ وللغموض معان متعددة ـ يدافعون عن ذلك باتهام ذوق المتلقى او القارىء ، فهو تذوق بنى على ان الفن نشاط يؤدى مهمة تسرية الوقت وازجائه بطريقة لطيفة ، لا على انه جهد ابداعى متشعب يتطلب شيئا من الجهدكالفنى تلقيه ، وهم ينعون على النقاد الذين فيرون القصيدة غامضة ان لم تعطهم يتلقون الشعر على نحو تقليدى ، كل ما تعودوا على ان تعطية لهم القصائد اى كل ما ينتظرونه من افكار مستقرة فى قراراتهم وينتظرونها ثانية من العمل الفنى • وهذ: كلام الاستاذ

قراءة في ديوان "المتصوفون الشعراء"

حلمي سالم » في مقالة له جيدة عن شعر السبعينات في مصر : مجلة فكر عدد اغسطس ١٩٨٦) الذي عاد فقال عن شعراء السبعينات الذين يتسم شعرهم بالغموض : أن هؤلاء الشعراء ينطلقون من مبدأ أساسي هو ان الفن معرفة نوعية تختلف عن المعرفة الفكرية او الفلسفية او التاريخية ، وتأتي هذه النوعية التي تختص بها المعرفة التي يقدمهـــا الفن من كونه « يجســـد » هذه المعرفة بعناصر وأدوات محـــددة ذات طبيعة خاصة .

وهذا كلام جيد ، ولكنه لا يخرج الظاهرة التي نحن بصـــددها ، فهو ينطبق على الفن عمـوما .. اذ الفـن الصادق لابد أن ينبني على جهد ابداعي متشعب ، ولابد أن يقدم نوعا من المعرفة لا يتيسر الا على نحو غيـــر مباشر ، فالأدب الذي يعتمـــد على التقـــرير والمباشرة والخطابة لا يمكن أدبا .

كل ذلك صـــحيح اذا ، ولكنـــه لا يفسر لماذا يدير الأدباء الجدد ظهورهم لكل شيء . هـــذا موقف ربمـــا كانت تشرحه ظروف نفسية خاصة ، ولكنني أخشى أن يكون ذلك في النهاية اهدارا للموهبة من جهة وحيلولة بين الثقافة العربية العظيمة وافادتها من المواهب الشـــابة المتجددة القـــادرة على مد جسور الفكر العربي الى الاجيـــال الحديثة والحياة المعاصرة من جهـة أخرى . وحينئذ ستقاس عظمة الشاعر بمقـــدار قدرته على طمس الثقـــافة العربية ووضع العراقيل في طريقها .

انك لا تكاد تقرأ شاعرا قديما الا وتجده ـ اذا كان حظك من التأمل ومحصولك من التفكير الحديث وافرا ـ شاعرا مجددا ، على الرغم من ان الشاعر القديم يتناول المادة الشعرية نفســها التي تراها عند غيـــره من الشعراء . غير أن آفة الثقافة العربية أنه لم تظهر بعد الحركة النقدية التي تعيد فهم التراث العربي وقـــراءته . لأنه لم تظهر للآن العقول الجبارة التي يواكبها الضمير العلمي الصادق .

وهل نفهم التجديد على أنه ضربة لازب وخلق على غيـــر مثال كخلق السماوات والأرض ؟! هذا مخـــالف لطبائع الاشياء .

● تجربة فريدة ●

ثم ان الكشف عن الطرق العظيمة في الفكر والادب هو الذي يتطلب مواهب عالية واســـتعدادات عقلية خاصة . وليس العـــكس . وصـــاحب الموهبـة العظيمة هو الذي يشـــق طريقا يغري الآخـــرين بالسير فيه وتوطئته ومد جوانبه وارسام معالمه .

على انى لا أريد أن اصدر احكاما عامة . وفي نيتي أن اتابع هذه الاعمال الشعرية لاختبار موقعها من الثقـــافة الحقة . وها نحن بإزاء تجربة لهـــا معـــالمها ولها نصيبها من الثقـــافة والعـــمق يدور صاحبها حول اتجاه بعينه في التفكير الحديث ، هو الاتجاه « الترنسندنتالي » الذي يجعل «الاعلى» أو ما فوق الحس موضـوعه . ويدور شعره على الصراع بين قطبين : بين الأرضـــي او الترابي الفـــاني وبين الاعلى الخـــالد الباقي . وقد

سجل ذلك صراحة فى قوله :

بين ذاك السامق الاعلى وهذا الدرك المظلم يصاعد شعرى .. وكذلك قوله :

بين ذاك الهادىء الاعلى وهذا الشبق السافر تحتار الحماسات .. بين ذاك الغائب الأعلى وهذا الاسفل الهابط انى عالق بين ممات ونجاة مستحيلة.

(انظر ديوان «المتصوفون الشعراء» ص ١١ ، ١٤ على التوالى) .

ولما كان فعل « العلو » أو التسامى نحو ما يتجاوز هذا العالم المألوف يعتمد - كما يقول فلاسفة العلو - على المجازفة ، اذ يشعر الانسان - على حد تعبير بعضهم - بأن ما يمتلكه ينزلق منه ، أو يشعر بأنه يقتلع من العالم فلقد عبر الشاعر عن هذه الفكرة مصورا فعل المقاومة الذى يتمثل فى الخروج عن جاذبية الوجود الأرضى المتمثلة فى الغرائز والشهوات وايثار النفس البشرية للراحة والمألوف ، فقال : (ص ١٣) .

انتى جازفت فاصاعدت فى هذى الفراغات - المعانى خارجا عن قوة وحشية يتبعها ان اتسامى ، وهى تقعى فى قوانين الحضيض . (الاقعاء نوع من الجلوس كجلسة الكلب)

ولذلك يتجه بالخطاب الى الجماعة التى تعاصره برغبتها فى الحفاظ على مكاسبها المزعومة وعلى الأمن الزائف الذى تشعر به بعيدا عن المغامرة وارتياد الآفاق غير المألوفة :

ها انتم على الشاطىء تخشون المحيط .. اذا رحتم تلاشيتم خلال المدمات السود فى القصى المحيط .. سحقا لكم ان لم تموتوا فى المحيط . (ديوانه ص ٧) .

وكما يذهب فلاسفة العلو فى وصف هذه التجربة ، كذلك يذهب الشاعر . هم يقولون : كل ما يملكه الفكر بازاء العالى هو ان يصطحبه ، وانه لايستطيع ان يصل اليه الا من خلال حركة تؤدى به حقا الى نوع من الاحتكاك .. ولكن هذا الاحتكاك لا يكون الا شيئا خاطفا كالبرق الذى يلمع فى الأفق لحظة واحدة . ويقولون : ان الملموس يرد على الفور من يلمسه ويلقى به بعيدا عنه .. ذلك هو نص ما يقولون . أما الشاعر فيقول :

ان المرتبة الأعظم والمطلع الأعظم يلتقيان لثانية كشعاعين من النور - هنا نجد الشاعر يصدر عن الافكار نفسها التى يصدرون عنها .

ثم انظر الى قول الشاعر :

كيف الوصول اليك يا انت الذى . يا انت يا .. .. كيف الوصول ؟

على أى معنى نفهم سلوك الشاعر هنا وقد حذف صلة الموصول : يا انت الذى ، ثم هذه النقط الدالة على حذف المنادى اسمه أو صفته أو ما يتعلق به . لماذا يفعل الشاعر ذلك والى أى شىء يشير ؟ ان حذف صلة الموصول وحذف ما بعد « يا » التى للنداء شىء قصد اليه الشاعر قصدا ولذلك دلالة فى التجربة الصوفية التى يعبر عنها ، ذلك أنه يشير بوضوح الى محاولة الشاعر الوصول الى كنه هذا الذى يخاطبه والسعى الى وصفه وتسميته ، ثم النكوص عن ذلك لشعوره بأنه يعلو على كل تسمية . فكل ما يمكن تسميته والتعبير عنه هو شىء مستعين وذو شكل والعلو فوق كل ما يوجد معناه العلو فوق كل متعين وذى شكل ، يترتب على هذا أن ما أصل اليه من وراء هذا العلو لا يمكن أن يكون شيئا يقبل التسمية والتعبير » . (راجع فلسفة العلو ترجمة د . عبد الغفار مكاوى) .

وأحيانا يلجأ الشاعر الى تسميته باللفظ الصريح ، فيطابق بين « لفظ الجلالة » وبينه ، كما يفعل فلاسفة اللاهوت · يقول الشاعر : (ص ٢٧)

وأنا انساب شوقا حاصرتني
وسوسات التربة القاسية الملمس ،
والله استوى ياقوته في قلبي ·

ولعلك أيها القارىء تلحظ في قوله « انساب شوقا » فكرة الشوق أو الوجد ، وهي فكرة صوفية خالصة ، ويقابلها في الاصطلاح الاجنبي كلمة · وقد استخدم الشاعر كلمة « الوجد » صراحة في قوله :

آه والوجد رسول للنجم للنجم ·· ·· ·· الخ ·

ومن التعبيرات الجميلة التي صور بها الشاعر فكرته عن النفس البشرية واضطرابها بالغرائز والشهوات واحتياجها الى دليل يهديها قوله

هيا فلتأتوا بالقنديل الى أعماق البحر ، فان الحيوانات المرجانية راحت تتلوى في نشوات ماجنة حيرى ، والاصداف انتثرت في ترتيب فوضاوي كنجوم شتى · ستروعكم نار الرغبات بقاع البحر ، ولو اشعلتم قنديلا في النفس تبيتون سنينا من جدل أعمى ·

فالبحر هنا ليس الا صورة من النفس البشرية التي تموج بالرغبات التي تشبه الكائنات الاسطورية التي تتلوى في نشوة ماجنة ·

وفي قول الشاعر : حاصرتني وسوسات التربة ·· الخ ، يظهر قطبا الصراع ممثلين في قوله « التربة القاسية » اشارة الى الاصل المادي للانسان الذي يحاصره بالشهوات والغرائز ، وقوله « والله استوى ياقوتة في قلبي » اشارة الى الاصل الروحي كذلك ، وبينهما تقع تجربة الصراع في نفس الشاعر ·

والوسوسة من الالفاظ الاثيرة عنده ولها مرادف آخر في تجربته كالهمس والهسيس · ويقع الهمس على مشارف الهابط والصاعد معا ، على مشارف الاسفل والاعلى ـ الطيني والمتسامي ·

والشاعر يستخدم العتمات بمعنى الجانب المادي المظلم في الانسان ، في مقابل الاصل النوراني · وفي قوله :

قد تصاعدت اشق العتمة الغضبى فينشق عن الازرق أنغام وصمت ، ترتبط الصفة وهي قوله « الغضبى » بين الطين حيث يقول في « احشائه الغضبى » وبين العتمات حيث يقول : اشق العتمة الغضبى · وهنا تلتقي افكار الشاعر على تباين ما بين التعبيرين ، وتظل معالم تجربته الشعرية ، ماكثة في ذهنه ، وهذا من سمات القوة فيها · ولذلك نظائر أخرى في ديوانه ·

ومن باب العتمة كذلك الظلام والغيوم والسديم ·· الخ ، غير ان الشاعر كثيرا ما يستخرج النور من الظلمات والنيران من العتمات ، على حد قوله :

شعرت الله قنديلا تخفى في الغيوم

وقوله :

عتمات تخرج النيران منها ·

أما قوله :

قد تصاعدت اشق العتمة الغضبى فينشق عن الازرق انغام ، فان الازرق عنده والزرقة ، مثلها في ذلك مثل

النار والنجوم والمحيط والبحر أحيانا وكذلك الريح ، كلها رموز على «العلو» والاعلى . وجميع استخداماته للزرقة تدل على ذلك . ومن امثلتها قوله :

انني فى حضرة النور خلال الزرقة العلوية القصوى تشهيت اراها .ثم لم تابه وولت كالهباء .

وقوله : وانا حيث ازرقاق النار انهار فتنهارين .

اما استخداماته للفظ « النار » ففيها دلالة صارخة على هذا المعنى . والنار من الرموز الأثيرة عنده التى يكثر استعمالها . يقول :

يا بلاد البرق فى ارواحنا هيا فان الغاية القصوى لدينا النار ان نمسى نارا ، نحرق الاشياء شوقا ودخولا للوجود .

ويقول فى موضع آخر :

والام النار اشتاق اليها .

واشتياقه الى النار كاشتياق الفراشات اليها :

يطير فراش تجذبه قهقهة الصاعقة الى النار النار النار .

على انى المح فى كلام الشاعر ما يشبه ان يكون تأثرا بالفيلسوف الاغريقى القديم الذى كان يعد النار أصل الوجود ، حتى انه القى بنفسه فى فوهة بركان ظنا منه أنه مكون بذلك قد اتصل بهذا الاصل الخالد الباقى !

ميزة أساسية

ولننظر الان فى قيمة هذه التجربة التى يقدمها ديوان « المتصوفون الشعراء فى الزمن العصيب » . واذا كان الشاعر قد الح ان يكد ذهن قارئه قبل ان يتمكن من الدخول الى عالمه فان لذلك ميزة أساسية ومعنى لا ينبغى ان يغيب عنا ، وهو المعنى الذى نصه عليه الاستاذ حلمى سالم ونوافقه فى ذلك تمام الموافقة : ان طريق نقد الشعر لابد له ان يمر بالكد الدائم والتطلع المستمر الى الفهم وشحذ الذهن لاقتناص المعانى جهدا بجهد .. جهدا فى الفهم موازيا لجهد الشاعر فى صوغ الفكرة وبثها فى العبارة . ولا شك أن تجربة عادل عزت وضعت ناقد الشعر امام مهمة اساسية : ان يكون ذا المام واسع بمصادر الثقافة المختلفة ، حتى يكون له رصيد فى الفكر يعول عليه فى فهم التجربة التى يتصدى لها وادراك مراميها والا بقى الشعر امامه طلسمات واشباحا للفظية بغير دلالة . ولكن ماذا بعد ذلك ، ما الذى تقدمه هذه التجربة ؟ اين هى من الشعر ؟

وفى مضمار الاجابة على هذا السؤال ، هناك أمران لابد من الخوض فيهما . اولا : وهذا اهم ما يؤخذ على هذه التجربة ، انها جنحت الى التقريرية والمباشرة اكثر مما جنحت الى التعبير الشعرى المغلف بالغموض — اذا فهمنا الغموض فهما صحيحا .

وقد اتفقنا فى صدر هذا المقال على القول بان الشعر لون من الوان المعرفة كالمعرفة الفلسفية سواء بسواء، ولكنه لا يشبهها ، اذ ان طريق الشعر الى المعرفة مختلف عن طريق الفلسفة وسواها . وفيما يتعلق بتجربة العلو، هناك كلام للمفكر الالمانى شتروفه أود ان تلتفت اليه أذهان شعرائنا بقوة ففيه الدلالة على مرادنا . وهو وان كان فى سياق تجربة العلو الا انه يصدق على الشعر بعامة . يقول شتروفه : « كل كلام عن العلو او تفكير

قراءة في ديوان "المتصوفون الشعراء"

ليه سيظل بغير التجارب التي تمززه مجرد شطحات فكرية غير ملزمة . ولابد ان تكون لدينا القدرة على الحديث عن هذه التجربة الحية المباشرة حديثا طبيعيا حرا . وهو يلجأ في هذا المقام الى قطعة من كلام جيته الشاعر الالماني يقول فيها : « ان كل ما يعبر عنه الانسان تعبيرا طبيعيا حرا هو في حقيقته علاقة بالحياة » .

وقد لجأ الفيلسوف الالماني الى تحليل قصيدة للشاعر الامريكي والت وايتمان الذي يعد من جماعة «الترنسندنتاليين» في الادب الانجليزي الامريكي . وقد عده الفيلسوف مثالا طيبا على هذا الاسلوب الطبيعي الحر في التعبير عن تجربة العلو . وارجو أن يرجع شعراؤنا الى تحليل هذه القصيدة ففيه شرح لكل ما نود ان نقوله في هذا الصدد . ليس في القصيدة كلمة واحدة عن العلو ، بل هي تتحدث حديثا يمكن ان يستجيب له الخاص والعام وكل قارىء للشعر على اى مستوى من مستويات القراءة . ومن منا لا يتأثر ولا تتفعل نفسه لصورة أب يقف مع ابنته الصغيرة على شاطىء البحر يرقبان قدوم السحب السوداء وهي تزحف مهددة بابتلاع السماء وكل النجوم التي كانا يتطلعان اليهما ، وفيها المشترى والكواكب السبع الخالدة .. اما الفتاة الصغيرة فقد غلبها التأثر لانتصار السحب التي تشبه المقابر فراحت تبكي في صمت . واما الاب فقد أخذ يواسي طفلته بالامل في ظهور النجوم مرة أخرى ، لان السحب لا تبتلع النجوم الا في الظاهر . ثم ينهي كلامه بقوله :

شيء ما أخلد من النجوم نفسها .

شيء سيدوم أطول مما يدوم المشترى المتألق نفسه .

أطول من الشمس او اى تابع سيار .

او الاخوة المتألقات نجوم الثريا السبعة .

هنا يلقى قوله او تعليقه الاخير : شيء ما أخلد من النجوم نفسها ، على القصيدة كلها ظلا جديدا وتتحرك المعاني في اطار تجربة الفناء ، ويكتسب الحس المأساوي مكانا أصيلا في وجدان القارىء ، لان هذا الاحساس في حقيقة الامر هو ما تريد القصيدة أن تعزينا عنه . (راجع القصيدة وتحليلها في كتاب فلسفة العلو ص ١٨٨ وما بعدها ـ ترجمة د. عبد الغفار مكاوى) .

هذا هو الاسلوب الطبيعي الحر الذي يعبر عن علاقات بالحياة . ومن العجب أن شعرنا العربي القديم وبخاصة الشعر الجاهلي يعتمد على هذا الاسلوب ، بل يفوق كل شعر سواه في هذا الجانب . ومع ذلك فانه لم يلق في عصرنا من التقدير ما هو جدير به ، او ما هو قريب من ذلك ، واتهمه أدعياء النقد على انه يمثل الجانب الحسي الغليظ ـ هكذا ! وانه بزعمهم ليس شعرا عظيما ! وان الشاعر الجاهلي لم يرق الى المستوى الذي يصبح فيه قادرا على التجريد ! وخسئوا ، جوهر الشعر العظيم هو

هذا .. هو فى وقوعه على العلاقات الحسية المتشابكة .

الامر الثانى : يظل يحاصرنا هذا السؤال بازاء كل جهد ابداعى مبذول فى مجال الفكر والفن ، اين يصب هذا؟ اين هو من التراث العربى ، او اين هو من الشعر العربى ، وهل يمكن ان يكون الشاعر قد أجاب عن هذا السؤال حين قال فى ديوانه (ص ٢٢) .

فبدا كل تراث العرب فى قلبى صمغا ومديحا .. الخ .

لقد اثر الشاعر ان ييمم وجهه صوب التصوف المسيحى الغربى ، على الرغم من كونه مسلما عربيا . ولسنا نلتفت الى هذا . وانما نتساءل : اين التجارب الشعرية الواسعة فى التراث العربى ، أين هى من شعر هائل عزت؟

وفى الحق نحن نثير قضية واسعة بهذا السؤال ، فان هذه الاجيال التى نحن منها انما أبعدت عن الشعر العربى ابعادا . وحسبك ان يقال ان الشعر العربى الجاهلى مثلا ليس شعرا عظيما ، ويشبه أن يكون المرحلة البدائية الفجة للشعر العربى لاعتماده على الصور الحسية .

وقد تولى ذلك اجيال من النقاد احاطوا الشعر العربى بما يشبه أن يكون دعاية اعلامية كثيفة حجبت عن الانظار جماله ونفرت عنه وحسمت فى اعين الاجيال الحديثة الرأى فيه .

ومرجع الآفة فى ذلك الى فساد الذوق من جهة ، والى ان الانسان عادة يبيع ضميره وعقله ورأيه واستقلاله عن وعى أو عن غير وعى – والمصيبة هاهنا اعظم – الى ما يمده اولا بطعامه وخصوصا اذا كان الطعام الامراء ، ثم من بعد ذلك الى ما يحيطه بالابهة والمجد وان كان زائفا ، والى ما يشبع فيه الوانا من الاهواء والغرائز يحتقرها دائما ويزدريها اهل الرأى من الحكماء واصحاب الفكر الاصيل . ولا تصدق انه قامت فى بلادنا حركة نقدية نزيهة كالتى قامت فى بلاد الاوروبيين يدفعها الرغبة فى خلق شىء باق او ترك شىء اصيل .

ولو تركت الاجيال الحديثة وشأنها ، لربما وجدنا من يتجه الى تجارب الشعراء الاقدمين فيفجر من طاقاتها الكامنة ويمد الحياة الحديثة بما يربطها بحياة الاقدمين ، خصوصا اذا كان الاحتكام فى الادب الى سلامة الفطرة والذوق الصحيح .

وفى نهاية هذا المقال لا يسعنى الا ان اشيد بالجهد الذى بذله صاحب الديوان وبتمكنه من الاساليب العربية ومقدرته على التنويع فى الاوزان الموسيقية وسلامة لغته الا من هنات لا تنكر كتشديده الواو فى «أبو نواس» وجمعه سماء على سموات بحذف الالف (انظر ديوانه ص ١٨ ، ٧٢ على التوالى) . وفى ظنى ان هذه الموهبة لو كان تعهدها صاحبها بالدأب المستمر والنشاط الذهنى الفعال فى قراءة التراث الشعرى والفلسفى ، لكان لها اليوم شأن آخر . وهذا يضعه منذ اليوم امام واجباته ، حتى وأن ووجه بفظاعة الواقع الذى أصبحت طبيعته منافية لطبيعة الشعر . وأصبح الحياة فى مصر الان قد صيغ بحيث يعلو الطبع الحيوانى – او ما دون الحيوانى – وينحط الفكر ومن ورائه الفنون والآداب وما يتميز به الجوهر الانسانى .. وفى هذا باعث كاف وحافز للهمم الانسانية على ان تنهض برسالتها .


عبد العزيز البشرى
حافظ ابراهيم

ظرفاء مصر

بين الإبداع والنقد الاجتماعى

بقلم: محمد أمين العيسوى

●● كانت مصر ولم تزل منبعا للنكتة التى جرت على السنة الظرفاء مثلما يجرى ماء النيل خلال واديها الخصيب، فيفيض على جانبيه بالخير والبركة كذلك كانت النكتة فى مصر – ولم تزل – ثرية ذكية تروى البعيد والقريب .

واذا كان لنا ان نعقد صلة لا تنفصم بين النكتة كفن قولي وبين الكاريكاتير « الرسم الهزلي » فان الصور والرسومات التى عثرنا عليها بمقابر المصريين القدماء تؤيد القول بانهم كانوا يميلون للهزل بقدر ما كانوا يميلون للجد ومن الغريب ان هذه الصور لا تختلف كثيرا فى شكلها المضحك عن الرسوم الكاريكاتورية العصرية التى نراها منتشرة فى كثير من مجلاتنا وصحفنا خاصة الصورة التى وجدت باحدى مقابر طيبة وتمثل اسدا وحمارا يلعبان على القيثارة

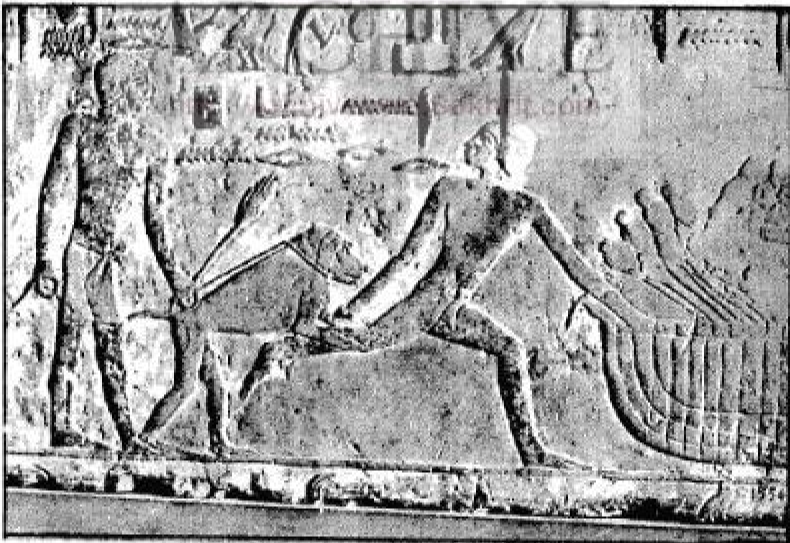
والنهر .

وتوجد مجموعة كبيرة من الصور الهزلية المشار اليها ، يظن انها من اعمال الاسرة ١٩ وفيها ترى بوضوح روح الرسام الساخرة المرحة وكان جل قصد المصريين من هذه الصور ، على ما نظن انتقاد الحكام ورجال الدين . ويؤيد هذه الدعوى ، الصورة الموجودة بمتحف « تورين » وهى تمثل أربعة حيوانات . حمار واسد وتمساح وقرد تضرب كلها على الات الطرب ، ووراءها حمار يرتدى ملابس فرعون الحربية وفى يده صولجان الملك

كما كانت للفكاهة فى مصر منذ عهد المماليك والاتراك تتم داسغة ورباع طويل .. ومنذ اكثر من مائة عام كانت تعقد فى قصور البكرى وال المويلحى ودار اسماعيل صبرى وفى المقاهى مثل مقهى « متاتيا » و « البورصة » و « الصين » و « باب الخلق » التى اشتهرت بمن كان يقصدها من شعراء وادباء وكتاب وصحفيين وسياسيين ، فكانت بمثابة حلقات للدرس والمعرفة ..

وربما كان للكبت فى عهد الاستعمار والاستبداد فضل كبير فى براعة المصريين فى اخراج النكتة واطلاقها ، وكان اصحاب النكتة فى مصر ينقسمون الى فريقين : فريق من المحترفين وهم محررو الصحف الفكاهية كالسيف والصامير والشباب ، وفريق من الهواة وهم الادباء والشعراء والوجهاء امثال عبد الله النديم وعبد العزيز البشرى وحافظ ابراهيم وحفنى ناصف وعثمان جلال ومحمد البابلى ، وكان احمد شوقى واسماعيل صبرى ينظمان فكاهاتهما شعرا ، وفى عصرنا الحالى ظهر العديد ممن ارتجلوا النكتة واختاروا الادب الساخر طريقا لهم

استخدم قدماء المصريين النكتة فى حياتهم ، وهو مايشبه الكاريكاتير المعاصر



ظرفاء مصر

منهم زكريا الحجاوي وعباس الاسواني وفكري اباظه ومحمد عفيفي وأحمد رجب وغيرهم ، ومن شعراء الفكاهة برز منهم بيرم التونسي وحسين شفيق المصري وسعيد عبده وحسين الطنطاوي وهؤلاء الشعراء تأثروا بمن سبقهم أمثال عبد الله النديم وامام العبد ويعقوب صنوع .

فعندما تألت السلطات في مصر في عهد الخديو اسماعيل يعقوب صنوع لجأ الى فرنسا واصدر مجلة « أبو نضارة » من باريس ، وعلى يد حسين شفيق المصري شاع الشعر الحلمنتيشي الذي كان من فرسانه عبد السلام شهاب وحسين الطنطاوي . ومن الصحف والمجلات التي ظهرت في مصر بعد صنوع والنديم وامام العبد مجلة « الكشكول » التي أصدرها سليمان فوزي ، و « خيال الظل » التي أصدرها أحمد حافظ عوض كما صدرت مجلات أخرى مثل السيف والمسامير والصاعقة وغيرها .. ومن أعلام الفكاهة في مصر من أجمعت الاقلام على ظرفهم وخفة ظلهم يأتي على رأسهم هؤلاء :

ذكاء القلب :

● عبد العزيز البشري .. اجتمعت لديه ميزة الفكاهة المكتوبة والمنطوقة أما النكتة المباشرة فقد تبرأ منهـا وقال عنها انها لا تدل على أعمال الفكر أو ذكاء القلب او عمق النظرة لكنها تعتمد على سرعة الخاطر

وللبشري أسلوب جمع بين لغة الجاحظ الذي تأثر به وبين البليغ من لغة أهل زمانه، أما فكاهاته المكتوبة فقد أوردها في كتبه «قطوف» و «المختار» وفي المرآة ، اما فكاهاته المنطوقة فلم يكن البشري يستقر بمكان بل كان سريع التنقل وقد قال عنه الدكتور طه حسين في مقدمة كتاب قطوف : كان أقل الناس حبا للاستقرار وميلا الى الامعان في طريق واحد فطر على حب التنقل المادي والمعنوي معا .. وقد أتاح له حب التنقل حسن الاستماع والاحاطة والتعليق على ما يرى ويسمع بما فطر عليه من روح مازحة ساخرة وذوق سليم قويم .. ، كان البشري يخص بار الانجلو بالتردد عليه وايثاره على غيره من المنتديات التي كان مرتادا بكل الاتجاهات الفكرية .

ومما يروى عن البشري أن أحد جيرانه قال له : ان المحروسات بناته الصغار يلبسن البرانيط في ذهابهن للمدرسة الفرنسية فقال له البشري : « أمال عايزهن البسهم عمم » ومما رواه البشري ان الدكتور محجوب ثابت قال يوما لحافظ ابراهيم : حلمت بالامس انى اركب ثورا قويا ويجرى ورائي نحو مائتي حمار فاذا بالثور يجمح بي ولكني استطعت ان أوقف ثورته وهنا صحوت من النوم فقال له حافظ : ان الثور في المنام يرمز الى القوة وقد رشحت نفسك في الانتخاب لمجلس النواب وانتصرت على حكم القوة بايقافك للثور فقال الدكتور محجوب ثابت : وما معنى المائتي حمار قال حافظ : « ماهم دول اللي انتخبوك يا دكتور » .

وروى البشري عن امام العبد قال: لما ضاقت به الاحوال يوما لجأ الى صديق يرجوه ان يقرضه عشرين قرشا الا ان

صديقه لم يجد معه الا عشرة قروش فاخذها امام وقال : « معلش يبقى لى عندك عشر قروش وانت لك عندى عشر قروش نبقى كده خالصين » .

ومن فكاهات البشرى انه خلع جبته ذات يوم وكان مدعوا على الغداء فذهب ليغسل يديه ولما عاد وجد رسما لحمار على الجبة فقال : من الذى جفف وجهه فى الجبة .

وذات مره كان يزور حديقة الحيوان مع حافظ ابراهيم وعند خروجهما قال له حافظ : حاسب احسن حد يحوشك على الباب فقال له البشرى : اما بالنسبة لك فلا خوف ولا حذر لأن منك فى الجنينة كتير وينالص واحد ! .

● حافظ ابراهيم والفكاهة ●

● حافظ ابراهيم .. عاش حياة بائسة شقية لقد احاطته الشدة منذ مولده وطوقه البؤس طفلا وصبيا ورجلا هرب من بيت خاله الذى نشأ فيه وترك له هذين البيتين :

ثقلت عليك مئونتى انى اراها واهية
فافرح فانى ذاهب متوجه فى داهية

وقال عندما لم يفتح امامه بباب واحد من أبواب الرزق .

سعيت أن كدت انتعل الدما
وعدت وما اعقبت الا التندما

ولما اشتدت عليه الايام وانطوى على الطوى فقال فى أسى : نحن نرضى بالقوت فى هذه الدنيا وان بات دون قوت النعام .. ومن العجيب أن قائل هذا الشعر الحزين هو نفسه زينة المجالس وبهجة المنتديات الذى يفيض على النفوس من انسه وادبه ورائق سحره هو شاعر النيل وبلبله الصداح الذى يرسل شعره جادا سخيا ثريا داعيا الى اقوم السبل ، ولا عجب فقد اسبغ الله على أهل الأدب والظرف باكثر من شخصية .. سأله أحد الوجهاء وهو فى لبنان : ما السر فى أن خليل مطران يحبه كل الناس قال حافظ : لانه كالمعصية ..

حدث مرة ان كان يصحب صديقا له يعمل بوزارة الاوقاف ثم أحيل الى التقاعد لضعف بصره وكان يحصل



رسم فرعونى
اسد يقود طيورا
الى اعشاشها

ظرفاء مصر

على معاش شهرى فصادفهما احد المتسولين وقال لصديقه : حاجة لله ربنا ينور لك عنيك ، فقال له حافظ : انت عايزهم يقطعوا عيشه .. واثناء فترة البؤس التى مر بها صادفه سائل فقال له : قرش صدقه يا بيه فقال له حافظ : عمرك أطول من عمرى .. ومما يروى عنه انه ذهب ذات يوم الى حديقة الحيوان مع خليل مطران وعند دخولهما قال للحارس وهو يشير الى مطران خاللى بالك أحسن وانا خارج بيـه تفتكرنى لطشت حاجة من الجنينة، وحـدث مرة أن سأله احـد المارة وهو فى طريقه الى دار الكتب عندما كان مديرا لها : « الشارع ده رايح فين فقال له حافظ : لا رايح ولا جاى طول عمره هنا ، قصد حافظ مرة الخديو عباس لامر هام وقبل انصرافه دعاه الخـديو ـ وكان شحيحا ـ لتنـاول الغداء فتقبل حافظ الدعوة لكنه وجد الطعـام فقيرا قليلا فسأله الخديو مبسوط يا حافظ ، فرد عليه : الحقيقة يا فندينا انا حاسس كانى باتغدى فى بيتنـا .

● حفنى ناصف .. لم يكن بحكم وظيفته فى القضاء يتردد على المقاهى والمنتديات رغم حبه لرتابيهـا وميل نفسـه الى مجاراتهم فيما يأخـذون فيه من التندر والمجون وحديث الشعر والادب ذات يوم كان يرأس جلسة فى احدى المحـاكم وبعد قليل من افتتاح الجلسة نام العضو اليمين فرآه حفنى ولم يتكلم ، وبعد قليل سـمع غطيطا عـاليا فالتفت الى العضو الشـمال فوجده مستغرقا فى النوم فوكزه حفنى فصحا العضو مذعورا فقال له حفنى : « اذا كان من حقك ان تنام فليس مـن حقك أن توقظ النائمين » ويروى عنه أنه مرض مرضا خطيرا فأمره الطبيب بالاقلاع عن اى عمل فكرى ولا سيما القراءة ولما عاد اليه بعد يومين رآه يقرأ فى كتـاب « روح الاجتماع » فغضب وقال له : ألم انهك عن القراءة فقال حفنى : لا تغضب فقد كنت اطالع فى الروح .. دعى حفنى مرة لزيارة حديقة أحد اصدقائه فاعطاه برتقالة وقال له : ده برتقال بدمه ولكن حفنى وجـدها برتقالة عادية ولا اثر لأى حمرة بها فقال لصـديقه : يظهر ان عندها انيميا حادة ..

● امام العبـد يمثل فى ظـرفه وسرعة خاطره ورقيق شعره شـعراء الدولة العباسية وكان اسمر سمارا داكنا سئل ذات يوم : لماذا لم تتزوج فأجاب .

انا ليل وكل حسناء شمس
فاجتماعى بها من المسـتحيل

سمع ذات يوم من بعض اصدقائه انهم يتاهبون للذهاب الى حفل زواج نجل الشاعر حفنى ناصف فطلب اليهم ان يصـحبوه معهم فقال له احدهم . انت ترانا نلبس الحلل السوداء فكيف تحضر معنا بحلتك العادية فقال لهم : اذا خلعت كل ملابسى لاصبحت فى الزى المطلوب .. ومما يروى عنه انه كان يكتب رسالة لاحد معارفه فسقطت نقطة حبر من القلم فقال له صديقه نشف عرقك .

● مقبرة ترد الروح ●

● محمد البابلى .. سليل عائلة عريقـة تملك المـال والجـاه كـان



مبذرا لا يبقى على مال لديه حتى انتهى به المطاف الى بيع ورهن معظم ما يملك وذات مساء كان يستمع الى صالح عبدالحى وهويغنى دور : « أهل السماح الملاح دول فين اراضيهم » فما كان من البابلى الا أن قال فى حسرة : فى البنك العقارى يا بو صالح . كان يسير فى جنازة فسأله احدهم : كم تكلفت هذه الخشبة العظيمة المغطاة بالحرير الفاخر فقال له البابلى : حاليه تلاتين جنيه .. كان والده قد أعد ضريحا ومدفنا واخذه ليشاهده ثم سأله عن رأيه فيه فقال : دى حاجة تـرد الروح .. وذات يوم كان فى زيارة أحد معارفه فوجده يزرع حوله نباتا شوكيا ولما سأله البابلى عن السبب فى ذلك قال : ده يمنع دخول الثعابين فقال له البابلى : ومفيش زرع يمنع دخول المخبرين .. وذات مساء كان فى بار اللواء برفقة بعض الاصدقاء فأخرج صديق علبة سجائره وراح يوزع منها على الحاضرين ونسى البابلى فتدارك الامر صديق آخر فأخرج علبة سجائره وقدم منها للبابلى فقال البابلى وهو يشير الى من اغفل تقديم سيجارة له : دخانك حامى انا عايز من البارد ده .

● حسين الترزى .. اسمه حسين فهمى اما صفة الترزى فقد لحقته على اثر مساهمته فى محل للتفصيل وكان وجهاء القوم وأبناؤه وشعراؤه يتشوقون الى مجالسه ويتحرون مكانه ليصحبهم فى سهراتهم وكانت مجالسه زاخرة بأرقى طبقات وصفوة أهل الادب .. عندما كان شريكا فى محل الترزى حضر اليه أحد الزبائن يسأل عن بذلته وكان معروفا عن هذا الزبون عدم اهتمامه بنظافة ملابسه فقال له حسين : « البدلة جاهزة بس لسه ماتركب لها البقع » . كان يركب الاتوبيس ذات يوم فأعطى المحصل ورقة من فئة الخمسة قروش فأعطاه الرجل التذكرة ومعها اربعة قروش فسأله حسين : هى التذكرة بكام فقال المحصل : بقرش صاغ فقال له حسين : دى رخيصة قوى هات كمان واحدة .. وذات مساء كان مع بعض اصدقائه فى احد المقاهى وكان صاحبها يضع فى الاشجار لمبات كهربائية وكانوا يجلسون تحت احدى هذه الاشجار فقال لهم حسين : « ياجماعة نقوم من هنا أحسن لمبة تكون استوت تقع علينا .. قابل مرة احد

ظرفاء مصر

أصدقائه وكان يسير برفقة شخص قصير نحيف فقال له صديقه : اقدم لك الاستاذ حسنين فقال له حسين حسنين اثنين ده حسن واحد كتير عليه .. وبعد أن تعرف على حسنين روى عنه أن الحانوتي دق باب منزلهم وقال لاهل البيت : مش سي حسنين خلاص - يقصد انه مات من ضعفه - فقالوا له : لسه شوية لورت بكرة فقال هاتوه بقى اهو كويس كده .. وذهب مرة لزيارة صديق له عرف عنه ادمانه شرب الخمر وكان يرسم صورة فسأله صديقه : « تعرف صورة مين دى فقال له حسين : الحقيقة مش عارف قال صديقه : دى صورتي انا قال حسين انت عايزني اعرفك ازاى من الصورة لا فى كاس ولا عينيك حمرا ولا بتطوح » .. ويروى يوما قال : كانت العمارة التى فيها منزلى يسكنها عفريت وبعد ان تقدم به العمر شاهدته ذات يوم جالسا على الارض وقد اسند ظهره للحائط وقال لى : والنبى يابنى خد بايدى عشان اخوفك .. ومن تعليقاته الظريفه : ان العادة جرت فى مصر على فرش الرمل فى ثلاث مناسبات عند ذهاب الملك لافتتاح البرلمان وعند ذهاب سفير لتقديم أوراق اعتماده وعند مرور وابور الزلط عند تبليط الشارع .. اعطاه صديق له دواء جديدا وأخبره انه ينبت الشعر فى الرأس الصلعاء وكان حسين ذا صلعة ناصعة فقال لصديقه : عندى منقة شعرها وقع ما نجرب فيها الاول ومن مفارقات المضحكة المبكية قوله : الناس جاكتاتها تتوب من الكوع أو الياقة وأنا لا يتوب مني الا كم الجاكتة من



قرد يعزف والرجل يرقص

كثرة ما كان الناس يأخذون بيـدي بعد ضعف بصري .

● احمد رامي .. شاعر الشباب وامام الغزليين والغنائيين وهو في خفة ظله نغمة تسعد النفوس .. شعره الفكاهي قليـل على عكس فكاهاته المنطوقة فقد كانت تحضره النكتة في اي مناسبة .. مما يروى عنه يوم كان يعمل في دار الكتب أن اختلف مـع شاب ضايقه بتصرف صدر منه فتدخل احد اصدقاء رامي وقال له : لاتغضب منه فهو شاب احمق ورامي فقـال له رامي : امي دي شويه عليه ده لازم ستي وكان يسكن بجواره احد المحبين للشعر وكان كلما قرأ له قصيدة من نظمه يقول له رامي . دي قصـيدة مكسورة يا استاذ فقال له : انت كل مرة تقوللي مكسورة فقال له رامي : انا ٧٠ وزن كده ان مكانش عاجبك روح اوزن برة . ويروى رامي هذه القصة : كنت في صدر الشـباب اغادر داري بعد الغروب واعود اليها قبل الشروق وكنت الاحظ كلما هممت بالانعطـاف من الحاره التي اسكن بها ان راسـا صغيرا يطل وهو يلتفت بغلالة بيضاء ناصعة من وراء المشربية وظننت انهـا تنتظرني لتراني ولم تـكن نفسي ولا التقاليد يسمحان لي حتى برفـع النظر الى ابعد مما يحميني من مزالق الطريق فقلت عنها :

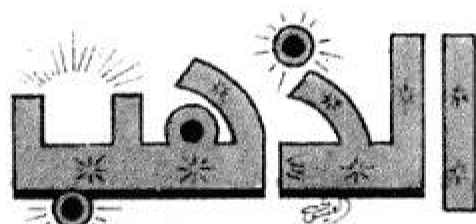
والتي لاصاحبـه حلي كالما
علي بظهـر الغيب منك رقيب

ورحت انظم فيها شعرا يحوي المعاني التي تثيرها مخيلة الفتى وذات يوم خرجت من داري قبـل الغروب واذا بعيني تقلت مني وترمق حبيبة خيالي لاكتشف انها قلة تلتف في شاش ابيض رقيق مبتل ليبترد الماء بالتحليلاء بوالقت من حلم جميل .. لقد كان المجتمـع الانفصـالي الذي عاش رامي جزءا كبيرا منه هو السبب في تعلقه هـو ومن عاصره من شعراء زمانه باي فتاة يجدون فيها سبيلا للغزل والرومانسية

وبعد فاذا كان كل فـن ينضـوي على اطـــار ومحتـــوى وعلى شـــكل ومضمـــون وعلى مظهر وجوهر يستوي في ذلك الشعر والتمثيل والرسـم والنحت الى غير ذلك فان الفكاهة هي الاخرى ينطبق عليها هذا الكلام لانها فن من فنـون القول الجميل فاللوحة اذا خلت مـن محتوى الجمال الفني الذي يبثه الرسام من ذات نفسه وروحه ومشاعره وينقله الى لوحته لينفذ به الى قلب واحساس ومشاعر المشـاهد فانه لن يبقى من اللوحة الا قطعـة من قماش ومزيج من الالوان، والتمثيل اذا خلا من مضمونه وعمقه من البناء والترجيه اصـبح شـيئا لا يـزيد عـلى مشـاهد تتوالى والافراد يذهبون ويجيئون على خشبة المسرح ويتحدثون حديثا اكثره ثرثرة لا تطرق الى السـمع ولا تنفـذ الى الحس والعقل والخاطر وقيل عن الشـعر :

والشاعر الفذ بين الناس رحمن
والشاعر الفذ بين الناس رحمن

فالشعر اذا خلا من هذه القدسية ومن معانيه السامية ومن مشـاعره النبيلة فانما هو تفاعيل وقوافي لاروح فيها ولا حس .. والفكاهة هي الاخرى تتضمن اطارا ومضمونا وفيها تمثيل واخراج وفيها تصور وخيـال وتقـد وترفيه فاذا خلت من المضمون والجوهر غدت شكلا لا روح فيه وعبثا لا طائل من ورائه .. ان الفكاهة بسموها تمسح كربة المكروب ولا تتـرك النفس حتى يعود اليهـا الامن والامـــان



الذهب وحضارة مصر الفرعونية

بقلم: د. سيد كريم

● وصف مؤرخو الحضارات حضارة مصر الفرعونية بانها حضارة الذهب ووصفها مؤرخو الاغريق القدماء . بارض ذهب الآلهة . وكتاب الرومان بانها ارض السحر والذهب كما وصفها الاسبويون والفينقيون بانها منجم الذهب الذى لاينضب ولايفنى .

ففي تاريخ البشرية وقبل ظهور الحضارات كان المصرى القديم اول من عرف الذهب فى عصور ما قبل التاريخ . وكان اول من توصل الى اكتشاف مناجمه . وعرف كيف يستخرجه من باطن الأرض وكيف يستخلصه ويتعامل معه ويصنعه . واكتشف المصرى خواصه وخصائصه الوحيدة فاستغلها فى مختلف العلوم والفنون . وصاغه ليعلم العالم صناعة الصاغ .

وكان المصرى القديم اول من صنع النقود من الذهب الذى لايبلى ولايفنى وقدمها للعالم ولازال العالم يعمل بنظامها الى اليوم وهو ماأطلق عليه غطاء الذهب الذى لم يجد له العالم بديلا الى اليوم كما كان اول من تعامل مع الذهب بالسباكة فحدد وزنه ونقاوته وابتكر نظام دمغه .

فقصة الذهب هي قصة الحضارة المصرية والتى ساهمت في تسجيل تاريخها الواقعي . وقد اطلق على كل عصر من عصور ازدهارها العصر الذهبي ـ وهو الاصطلاح الذى استعاره العالم على كل جانب من جوانب الازدهار فى الفنون والاداب والرياضة والموسيقى ومختلف نشاطات المجتمع .

● كان اكتشاف مناجم الذهب وتحديد مواقعه وطرق استخراجه وتصنيعه يخضع لتجارب ونظريات علمية متطورة يقوم بها العلماء والباحثون من رجال المعابد . ومازال معظمها من الاسرار التى اشتهر بها خبراء الكهنة فى مختلف علوم المعرفة المقدسة . التى ارتبط تفسيرها بكثير من اساطير السحر ورموزه السرية وطلاسمه الغامضة التى يحاول العلماء والخبراء فى كثير من المعاهد العلمية الحديثة تفسيرها من منطلق تعريف كلمة « سحر » عند الفراعنة على ضوء التكنولوجيا الحديثة على انها معادلات رياضية ونظريات علمية مؤكدة وقابلة للحل والتفسير والتصديق .



المعبود حور يحمل تاج الاله (تسى حور) رمز إقليم البحر الأحمر وقد اطلق اسمه على البحر الأحمر والصحراء الشرقية التى بدأت منها حضارة مصر .

● لقد اقتصر وجود الذهب فى ارض مصر على الصحراء الشرقية ، وتركزت مناجمه فى سلسلة الجبال المطلة على البحر الأحمر والتى تمتد الى بلاد النوبة التى اتخذت اسمها من اسم الذهب « نوبت » . وقد وصفت احدى برديات اساطير المقدسات السحرية سر وجود الذهب فى تلك المنطقة بقولها ـ « الذهب هبة الاله رع رب السماء ـ ويرمز اليه بقرص الشمس ـ « هبة الاله الى ابناء ارضه المقدسة » « جب بتاح » الذين امنوا بوحدانيته ـ تلك الهبة يمنحها عندما يشرق بنوره ويلقى باشعته الذهبية الى ارض الشروق التى تواجه اشراق نوره وتتقبل خيوط اشعته التى تتلقاها جبال البحر الأحمر وتحتضنها فى باطنها حيث تتجمد وتتحول الى ذهب تحتفظ به فى خزائن من البللور » .

لقد ثبت تفسير تلك البردية علميا بوجود مناجم الذهب جميعها فى الصحراء الشرقية من وادى النيل سواء فى مصر او فى بلاد النوبة . كما وجدت عروقه دائما بين طبقات حجر الكوارتز الشفاف الذى يوصف بالحجر البللورى

كما وصف الفراعنة الذهب فى متون سحر العقيدة بأنه من لحم جسد الاله الذى لايبلى ولايفنى ولاينطفىء نوره . وهى الخصائص القطية لعنصر الذهب الذى لايصدأ ولايتحلل ويحتفظ بلمعانه وبريقه الذى لايخبو لانه يتخذ لونه من النور فلا يدخل ضمن الوان الطيف المعروفة بل يتكون من اندماجها مجتمعة



لقد قدس المصريون القدماء الذهب واتخذوا منه رمزا للخلود فوصفوه فى متون العقيدة بانه يحمل صفات الكائنات السماوية التى تعبر عن الخلود . وصفوه بانه الكائن الوحيد على الارض بين الكائنات الحية والجامدة الذى لايخضع لسنة التحلل والفناء . لذا فلم تكن اهمية الذهب عند الفراعنة عند اكتشافه واكتشاف خصائصه التى تخفى اسرار الوجود ، من ناحية قيمته الاقتصادية بل من ناحية قدسيته السماوية التى ترمز وتعبر عن الخلود والايمان بالبعث . اقتصر استخدام الذهب فى صناعة تماثيل الاله فى مختلف صوره التى تصنع من الذهب الخالص - كما كسوا الرءوس الهرمية للمسلات بالواح من الذهب لتعكس نور الاله او اشعة الشمس طوال النهار على مختلف اسطحها المتجهة الى الجهات الاصلية الاربع كما نقل بلوتارخ عن احدى برديات ، اون ، القديمة ان كهنة معبد ، اون ، اكتشفوا معدنا من سبائك الذهب يطلق عليه اسم ، اوريلخوص ، له خاصية امتصاص اشعة الشمس بالنهار ثم اشعاعها فى الليل من غروب الشمس حتى شروقها لاتغمض عيون الاله عن مقدسات المعبد وارضه المقدسة

● الذهب المقدس ●

● وبينما كانت تماثيل الاله تصنع من الذهب الخالص رمز الخلود فقد اكتفى او سمح للملوك - انصاف الالهة . بصناعة اقنعة الموتى فقط من الذهب لتحفظ صورة الملك فى شبابه خالدا ابد الدهر كقناع توت عنخ أمون الذهبى وغيره من اقنعة المومياء الملكية .

وقد استعملت الواح الذهب ورقائقه فى كسوة التماثيل واقنعة التوابيت والموميات فى الدولة الحديثة لكبار الشخصيات وكهنة المعابد بعد ان كانت مقصورة على الملوك .

● وكان استعمال الذهب فى صناعة المصاغ يرتكز على خصائصه كمعدن مقدس يوظف الفن الجمالى فى خدمة العقيدة التى يعبر عنها فاذا بروائع قطع المصاغ الفرعونى العالمى يمثل كل منها لوحة فنية تعبر عن العقيدة فى اطار جمالى احتلت فيه التمائم محل الاحجار الكريمة او صنعت منها تبعا لالوانها التى تتفق مع الالوان المطلوبة لكل تميمة سواء تمائم الدعاء او الوقاية من اعمال السحر والعين الشريرة او الحسد والغدر والمرض او تمائم حفظ الصحة والقوة والشباب والجمال .

● خرج الذهب من اقتصار تداوله واستعماله على المعابد والملوك ومطالب العالم الآخر من قرابين ومقدسات جنائزية الى التداول العام والشعبى فى اواخر الدولة الحديثة وبداية العهد المتاخر ، وانتقل الى التداول الشعبى فى صناعة المصاغ ومختلف ادوات الزينة واعمال الاثاث والفنون الزخرفية . فقدرت له ولاول مرة قيمة رسمية للتعامل فتظهر لاول مرة فى تاريخ البشرية استعمال النقد فى التداول كوسيلة للتعامل صنعت مصر

اول قطع للنقد على شكل حلقات دمغت تبعا لأوزانها ودرجة نقاوتها .

وهكذا اصبح الذهب وسيلة لتداول النقود . انتقلت من مصر الى مختلف الحضارات المعاصرة . ولازالت الى يومنا هذا وسيلة تداول النقد العالمى .. وما اطلق عليه « غطاء الذهب » .

● المصريون يحددون المناجم ●

● لقد ترك المصريون القدماء بعض الخرائط الجيولوجية والجغرافية التى تحدد مواقع بعض المناجم وتخطيط مناطقها والتى وضح منها ومن دراسة المناطق المحيطة بها انهم كانوا يحددون موضع المناجم التى كانوا يكتشفونها واماكن وجود عروق الذهب وخاماته بدقة متناهية وانها لم تكن تخضع للبحث والتنقيب من مكان لآخر . ويروى احد علماء الاثار الالمان انهم كانوا يعتمدون على البندول والتأثيرات المغناطيسية والذبذبات التى يطلقها كل معدن لاكتشاف اماكن وجوده . كما هو الحال فى اكتشافهم لمواقع المياه الجوفية لحفر الآبار اللازمة لتزويد العمال ومستعمراتهم بالمياه والتى حددوا مواقعها فى خرائطهم . كانوا يقيمون فى كل منطقة من مناطق مناجم الذهب بجانب مستعمرة العمال ورجال البعثات خزانات لحفظ مياه الآبار ومخازن للتموين . وبنوا بالقرب من بعضها حصنا لحمايتها من المغيرين وحراسة الطرق المؤدية اليها . كما اقاموا بكل مستعمرة معبدا للمعبودة حتحور ، حامية المناجم والعمال وسيدة الذهب » وقد وجد على احجار احد المعابد النص التالى « الذهب معدن الاله المقدس ولحم جسده فمن يحاول العبث به او سرقته أو غشه تنزل عليه لعنة الآلهة » .

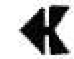
● وكانت مناجم البحر الأحمر وخاصة فى الدولة الحديثة تدل على قوة الملوك فكانت تنسب اليهم وتحمل اسماءهم ، كمناجم رمسيس الثانى وامنحتب الأول وسيتى الأول فوصفها بعضهم بأنها هبة الاله لابنه الملك حارس مقدساته . ومن أشهر مناجم الذهب التى زودت مصر الفرعونية بذهب حضارتها ابتداء من بدء عصر الأسرات والدولة القديمة حتى نهاية عصر البطالسة . كما يرجع بعضها الى عصر ماقبل الاسرات :

● **وادى الحمامات** : جزء من الدرب الذى يخترق الصحراء الشرقية ويمتد من شاطىء البحر الأحمر عند مدينة القصير الى شاطىء النيل عند مدينة ادفو . وترجع شهرته انه كان طريقا للتجارة منذ اقدم العصور ويصف علماء الانثروبولجيا ومؤرخو تاريخ الاجناس البشرية ذلك الدرب بأنه الطريق الذى سلكه المصريون الأول الذين اتوا من الشرق والجنوب عبر البحر الأحمر ووصلوا عن طريقه الى شواطىء النيل بالقرب من الأقصر .

وكان لهذا الطريق أهمية خاصة عند المصريين وكانوا يسمونه « طريق الالهة » لأنهم ذكروا ان اجدادهم اتوا الى وادى النيل فى هذا الطريق تتقدمهم آلهتهم الذين قادوهم الى نهر النيل نهر الحياة » . فبدات حضارتهم او حضارة مصر باكتشافهم مناجم الذهب والنحاس ومختلف المعادن والاحجار الكريمة عند قيامهم بحفر آبار المياه فى اراضى المناجم فساعدتهم تلك المعادن

الذهب

مصاغ الذهب
بين الفن والعقيدة



تمثال الإله ... ـور
من الذهب الخالص

على تطوير الزراعة وتصنيع الاتها ومعداتها عندما وصلوا الى شواطىء النيل واقاموا أول مجتمع زراعى متطور فى تاريخ البشرية .

● الأرض المقدسة ●

لذلك كان اقليم البحر الأحمر عندما وضع المصريون القدماء اول خريطة للتقسيم الادارى وتقسيم الدولة الى محافظات فى الدولة القديمة كانت محافظة البحر الأحمر اول محافظة فى التقسيم الاقليمى والادارى فى مصر واطلق عليها اسم « تسى حور » اى تاج الاله واتخذت المحافظة من صورته وهو يحمل التاج علما ورمزا لها . كما اطلق على البحر الأحمر اسم بحر حور وارض الاقليم اسم الارض المقدسة « جورجت » وهو الاسم الذى لازالت تحتفظ به عاصمة المحافظة التى يطلق عليها فى جميع اللغات الاجنبية HURGHADA والذى تحور الى اسم « الغردقة » .

وفى منطقة المناجم القديمة فى وسط طريق وادى الحمامات توجد مئات من النقوش على واجهات صخور المناجم منذ ايام الاسرة الخامسة حتى الأسرة الثلاثين . تركها اعضاء البعثات التى ذهبت للحصول على الاحجار اللازمة لتماثيل الملوك وتوابيتهم ومعابدهم وهى فى جملتها من المصادر الهامة فى التاريخ المصرى وامدت الخبراء بكثير من المعلومات . كما تركوا مجموعة من الخرائط الهندسية لبعض مناجم الذهب وتخطيط مواقعها ، من بينها خريطة مناجم الملك سيتى التى تبين تخطيط موقع المناجم ، والطرق المؤدية إليها ومساكن العمال والخبراء وآبار المياه ومخازن المئونة وقلاع الحراسة الخاصة بحماية المنجم والطرق المؤدية إليه والتى ينقل







الذهب خلالها الى الوادي وهى موضحة فى البردية المحفوظة بمتحف تورين ـ كما توجد خريطة اخرى لاحد مناجم رمسيس الثانى بالمتحف البريطانى .

وميناء القصير اقدم موانى بحر حور وجدت قبل فجر الحضارة نفسها . اطلق عليها من عصور ماقبل التاريخ اسم « تاعو » ميناء الالهة الذين وطأت اقدامهم خلالها ارض مصر ليسيروا بالمصريين الاول عبر طريق وادى الحمامات « طريق الالهة » ليصلوا بهم الى نهر الحياة فى وادى النيل ثم اطلق على الميناء اسم « اينوم » خلال العصور الفرعونية ثم تغير الى « فيلوتراس » فى عهد البطالسة وفى العصر الرومانى « لوبكوس ليمن » ثم اطلق عليه العرب اسم « عيذاب » وانتهى فى العصر الحديث الى اسم « القصير » .

٢ ـ وادى العلاقى : احد وديان الصحراء الشرقية فى جنوب مدينة الدكة وقد اشتهر منذ عصر الدولة الوسطى بمناجم الذهب التى تقع فيه واستغل المصريون القدماء مناجمه حتى نهاية الدولة الحديثة . واقام ملوك الدولة الوسطى حصنا عند « كوبان » لحراسة الطرق المؤدية إليه . كما قام رمسيس الثانى بحفر بئر فيه لتزويد بعثاته ومستعمرات عماله بالماء اللازم لها . ومن اشهر الملوك الذين سجلوا اسماءهم على مناجم ذهب وادى العلاقى كل من حتشبسوت وتحتمس الثالث وسيتى الأول ومرنبتاح كما اقام ارجامون معبدا للمعبودة حتحور حامية المناجم فى العهد البطلمى .

٣ ـ وادى الهودى : يقع بالصحراء الشرقية جنوب شرق أسوان وبه أثار عدة مناجم قديمة لاستخراج الذهب والنحاس . وترجع شهرته الى وجود محاجر الاماتيست « حشمت » الذى كان قدماء المصريين يفضلون استخدامه فى حليهم وفى صناعة التمائم . **وقد ترك ملوك الدولة الوسطى الكثير من النقوش الهامة والعديد من اللوحات التذكارية التى امدت المؤرخين بالكثير من المعلومات عن بعثات البحث عن الذهب وعلاقة الذهب بالتطور الاقتصادى والسياسى فى تاريخ الحضارة .**

● ارض الذهب ●

● وقد اشتهرت منطقة النوبة بالذات بمناجمها الغنية بالذهب ولما كان الذهب يسمى باللغة المصرية القديمة « نوبت » فقد اطلق نفس الاسم على بلاد النوبة « نوبت جت » اى ارض الذهب واشتهرت فى الدولة الوسطى باسم ارض الذهب والجنود . وقد سجلت اقدم مناجم الذهب بالنوبة اسماء كل من حونى وسنفرو من ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة ـ كذلك اسم « حوف حر » حاكم أسوان الذى قاد حملات بعثات الذهب فى الأسرة السادسة واتخذ المصريون القدماء من الالهة والمعبودات المعروفة حراسا على الذهب ومناجمه والعاملين على استخراجه . وكانوا يقيمون للمعبود الحارس محرابا أو معبدا صغيرا على ارض المنجم ويقيمون له التماثيل وصنعوا لكل من تلك المعبودات تمثالا من الذهب الخالص بالحجم الطبيعى

يحتفظ به في المعبد الخاص بالاله ونموذج مصغر يضعونه في محراب المنجم اثناء العمل .

ومن اقدم المعبودات التي اتخذوها حراسا على المناجم من قبل عصر الاسرات المعبود حورس الذي صور وهو يتوج رأسه بقرص الشمس « رع » واهب الذهب . الذي كلف المعبود حورس بحماية الصحراء الشرقية . وهو الذي ارشد المصريين الاول الى مواقع مناجم الذهب عندما سار بهم في طريق وادى الحمامات .

ثم اتخذ المصريون المعبودة حتحور « سيدة الذهب والفيروز » لحماية مناجم الذهب والعاملين بها ابتداء من أواخر الدولة القديمة وكانوا يقيمون لها التماثيل وكانوا يحتفظون بتمائمها « ليعودوا سالمين بالذهب الوفير » .

واتخذت مناجم النوبة المعبودة ايزيس لحمايتهم وحماية مناجمهم وصنعوا لها تمثالا من الذهب الخالص وتمائم الحفظ التي تمثلها وهي تجلس على عرش الذهب وهو على شكل كلمة « نوبت » أى الذهب والذى اتخذت منه النوبة اسمها .

وفى اواخر العصر العتيق صنع ملوك الاهرامات تمثالا من الذهب الخالص للاله بتاح (اله الخلق والتكوين) حامى مناجم الذهب ورجال البعثات . ويقال ان الملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة هو الذى اختار المعبود بتاح ليكون حاميا لمناجم الذهب التى اكتشفتها بعثاته فى ارض نوبت .

● براعة الصانع المصرى ●

● برع الفراعنة ابتداء من الدولة القديمة فى صناعة الذهب وفاق الصانع المصرى كل وصف بما أبدعت يده فى صناعة الذهب وصياغته . وقد خلف ضمن ماخلف مناظرشتى تصور أعمال صناعة الذهب بما يعطى من صوره للأدوات التى استخدمها .

● الذهب بين الخلود والفناء ●

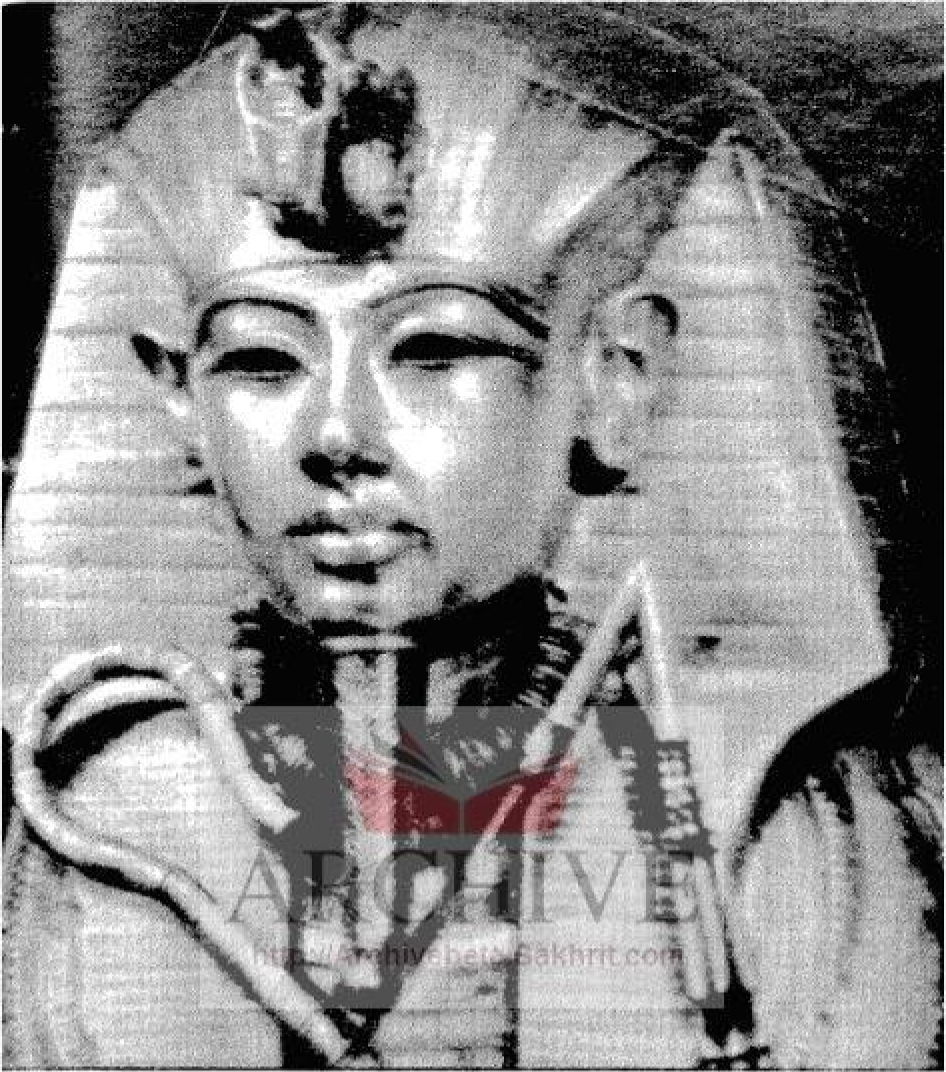
وصف احد حكماء الفراعنة الذهب بقوله « للذهب وجهان ، وجه الخير ووجه الشر ، فوجه الخير يعبر عن الخلود ووجه الشر ، يعبر عن الفناء » .

وجه الخير الذى تزدهر به الشعوب وتبلغ أوج حضارتها هو الوجه الذى بنت به مصر حضارتها الخالدة وبلغت به اوجها فيما اطلق عليه المؤرخون « العصور الذهبية » وهى العصور التى ارتبط فيها الذهب بالعقيدة وقدسوا التعامل به فى حياتهم .

ووجه الشر الذى يجذب الغزاة والطامعين من الخارج ويفسد قلوب الطامعين فيه من الداخل فيرتدون بحضارتها الى ماوصفه التاريخ بعصور الاضمحلال .

فبالذهب سادت حضارات .. وبالذهب بادت حضارات .

لقد ورد ذكر ذهب مصر فى كثير من الكتب السماوية ووثائق المؤرخين القدماء التى وصفت ارض مصر بانها « منجم الذهب » الذى كان يجذب على الدوام انظار الغزاة والمغيرين والمغامرين . فذهب قارون وكنوزه الذى ورد ذكره فى التوراة والقرآن والكتب السماوية ، وصفه احد المؤرخين بأن قارون كان يحتفظ به فى قصر اللابرانت السحرى الذى شيده الملك امنحتب الثالث بالقرب من الفيوم وبحيرة قارون التى سميت باسمه ـ وكان



القناع الذهبي لتوت عنخ امون

الذهب

القصر يحوى مئات الحجرات والقاعات والمخازن السرية ـ وقد تحول القصر خلال الدولة الحديثة الى خزائن لذهب الدولة في عهد رمسيس الثانى الذى عين قارون نائبا للملك واميناً على خزائن الدولة فاحتفظ بأحد أجنحة القصر السحرية لحفظ كنوزه وذهبه المشهور ـ بينما

يضيف المؤرخ ايرمان ان خزائن قارون الحقيقية لم تكن فى قصر اللابرانت بل فى المبنى الذى يطلق عليه حاليا اسم « قصر الصاغة » بالقرب من بحيرة قارون وهو عبارة عن معبد يقع شمال البحيرة بالقرب من ديميه وهو معبد حجرى قديم يتميز بفناء طويل يحوى سبع كوات كبيرة كالمخازن كانت فى الاصل مغلقة بابواب متينة لاتزال محاور اعقابها ظاهرة حتى الآن .

كما وصفت بعض الاساطير ان قارون كان يخفى خزائن الذهب وكنوزه تحت قاع البحيرة داخل سراديب سرية تصلها بقصر اللابرانت.

● اليهود يسرقون الذهب ●

وقد ورد ذكر ذهب قارون فى اساطير الاسرائيليات خاصة وان قصة ذهب قارون عاصرت تاريخ خروج اليهود من مصر . وهى قصة الذهب الذى هربه اليهود من مصر عندما دبروا مؤامرة سرقته من مخازن الدولة وخزائنها التى كانوا يقومون بحراستها وحوانيت الصاغة التى كانوا يقومون بادارتها وجمع مصاغ المصريات بحجة استعارته للتزين به فى عيد الفصح الذى هربوا خلاله من مصر ولما اكتشف فرعون أمرهم ، جمع جيوشه وطاردهم بعد أن كان قد صرح لهم بمغادرة البلاد والخروج مع موسى الى ارض الميعاد . وهو الذهب الذى صنعوا منه «عجلا ذهبا له خوار» لعبادته او عبادة الذهب بدلا من إله موسى ، فنزلت عليهم لعنة السماء وتشردوا اربعين عاما فى صحراء التيه . وتفسر سنوات التيه الاربعون بانها المدة

ايزيس سيدة نوبت حامية كنوز الذهب وحارسه مناجمه . تجلس على عرش الذهب



الذهب

التى قدرت لفناء جيل الذين كفروا بالاله بعبادة عجل الذهب ووصول جيل جديد الى ارض الميعاد يؤمن برسالة موسى ولم يشترك فى مؤامرة الكفر .

وتبرر تعاليم التوراه سرقة الذهب بقولهم «واذا انصرفتم فلا تنصرفوا وانتم فارغون بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها ذهبا وأمتعة لتجعلوها على بنيكم وبناتكم وتسلبون المصـريين» ويطلها سفر الخروج بقوله لقوم اسرائيل «كل شىء لا تملكه هو وديعة عند غيرك . وكل الناس لصوص لأن كل ما يملكه الناس يجب ان يكون ملكا لليهود» .

وقصة قمبيز بن كورش ملك الفرس الذى قام بغزو مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد . توضح أمنيته فى الاستيلاء على ذهب مصر الذى تحدثت عنه اساطير الفرس وملوكهم الذين كانوا يستوردون الذهب من مصر لتدعيم ملكهم وزخرفة قصورهم . فعندما دخل قمبيز مصر توجه بجيشه الى مدينة اون «هيليوبوليس» لاعتقاده بأن خزائن ذهب مصر يتحفظ بها كهنة المعبد فى خزائنهم السرية .. فما كان منه إلا أن هدم المعابد وحطم مسلات أون المشهورة ظنا منه انها شواهد تخفى تحتها مخازن الذهب . ثم اتجه قمبيز بجيوشه التى لاتقهر الى الصحراء الغربية عندما سمع من عرافيه بأن ذهب مصر محفوظ بخزائن معبد آمون الذى يحتفظ بتمثال زيوس آمون العملاق الذى صنع من الذهب الخالص والذى تحدث عنه مؤرخو الفرس والرومان . فكانت نهاية مطامعه بفناء جيشه الذى واجه غزو الرمال المتحركة وعواصفها التى دفنت جيشه واسراره فاختفى من الوجود وهو ما نسبه مؤرخو الفرعونيات الى «لعنة الفراعنة» .

● الطامعون فى الذهب ●

وتاتى غارات الليبيين على مصر فى عهد الملك مرنبتاح فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو فرعون موسى الذى طرد اليهود من مصر ثم اتجه الى الغرب لمحاربة الليبيين وقد اطلق عليهم اسم «جرذان الصحراء» لتسللهم عبر الصحراء ، وقيامهم بنهب ما تصل إليه ايديهم من خيرات البلاد وتهريب الذهب الى خارج الحدود وكانت معركة مرنبتاح المشهورة التى هزم فيها جيوشهم واسر ملكهم وزوجاته .

ويصف المؤرخ كليما ندوس كيف كبل مرنبتاح ملك الليبيين وزوجاته بسلاسل وقيود من الذهب واستعراضهم فى عيد النصر بمنف وهو مايفسر ماذكره احد مؤرخى الاغريق القدماء ان الفراعنة كانوا يقيدون عظماء اسراهم بسلاسل من الذهب الخالص الذى كانوا يطمعون فى الحصول عليه فى حملات غزوهم لأرض الذهب . وهناك كثير من البرديات التى تشير الى كميات ذهب مصر الذى كانت تصدره الى البلاد الاجنبية فى المعاملات التجارية سواء ماكان يصدر الى البلاد الاسيوية لاستيراد الاحجار الكريمة والخيول او الى فينقيا وشواطىء البحر الأبيض لاستيراد خشب الأرز اللازم لصناعة السفن واساطيلها الحربية او

صناعة الاثاث والتوابيت او ما كان يصدر عبر البحر الأحمر الى بلاد بونت لاستيراد العاج والحيوانات والاشجار الاستوائية والعطور والبخور بجانب ما كان يرسل كهدايا لملوك البلاد الآسيوية وبلاد الاغريق والرومان .

وقد وجد ضمن برديات العمارنة رسالة يطلب فيها أحد الملوك الاسيويين الذهب من فرعون مصر بقوله «لاتنسى ان ترسل لى كميات الذهب من ارض مصر المقدسة التى كان يرسلها والدك الفرعون العظيم امنحتب الثانى» ومن الرسائل الطريفة التى يحتفظ بها المتحف البريطانى رسالة من احد ملوك بابل يطلب فيها من فرعون العظيم ان يسلم الذهب الى اخيه الذى ارسله شخصيا لمقابلة فرعون ويسمح له بمراجعة الاختام التى تدل على انه من الذهب الملكى الخالص ليحمله اليه بمعرفته لأن الذهب الذى وصله فى الرسالة السابقة لم تكن اختامه سليمة ولاتتفق درجة نقاوته مع الاختام التى تحملها .

وقد عرف عن المصريين انهم قسموا الذهب الى درجات تبعا لمستوى نقاوته واستعمالاته فى التداول والتعدين وتحمل كل درجة خاتما رسميا تدمغ به السبائك كما هو الحال الآن .

● اغنى بلاد العالم ●

لما كان قدماء المصريين قد عرفوا من اقدم العصور بالعمل الجدى فى أمور المعادن واسرار التعدين ـ كما تخصصوا فى الكيمياء التجريبية التى نسبها مؤرخو الاغريق والرومان الى اعمال السحر . فقد شاعت الاقوال عن سر معرفتهم تحويل المعادن غير الثمينة الى الذهب وهو مايفسر وفرة وجود الذهب فى ارض الفراعنة الذى اصبحت مصر بفضله اغنى بلاد العالم القديم . وقد وصف احد الرحالة الاغريق أن كهنة الفراعنة يحولون تراب ارض مصر الى تبر باعمالهم السحرية .

فلما انتشرت الاشاعة فى روما امر الامبراطور « دقليان » فى القرن الثالث باحراق كل كتب السحر والكيمياء الموجودة بخزائن مقدسات المعابد ومكتبة الاسكندرية المشهورة حتى لاينشر المصريون سر صنع الذهب ظنا منه ان غزو الاسواق بالذهب المنتج بالسحر سيخلق المشاكل للرومان ويهدم إمبراطوريتهم الذهبية لما أصر على تسميتها ، ولكن محاولاته لم تكلل بالنجاح .

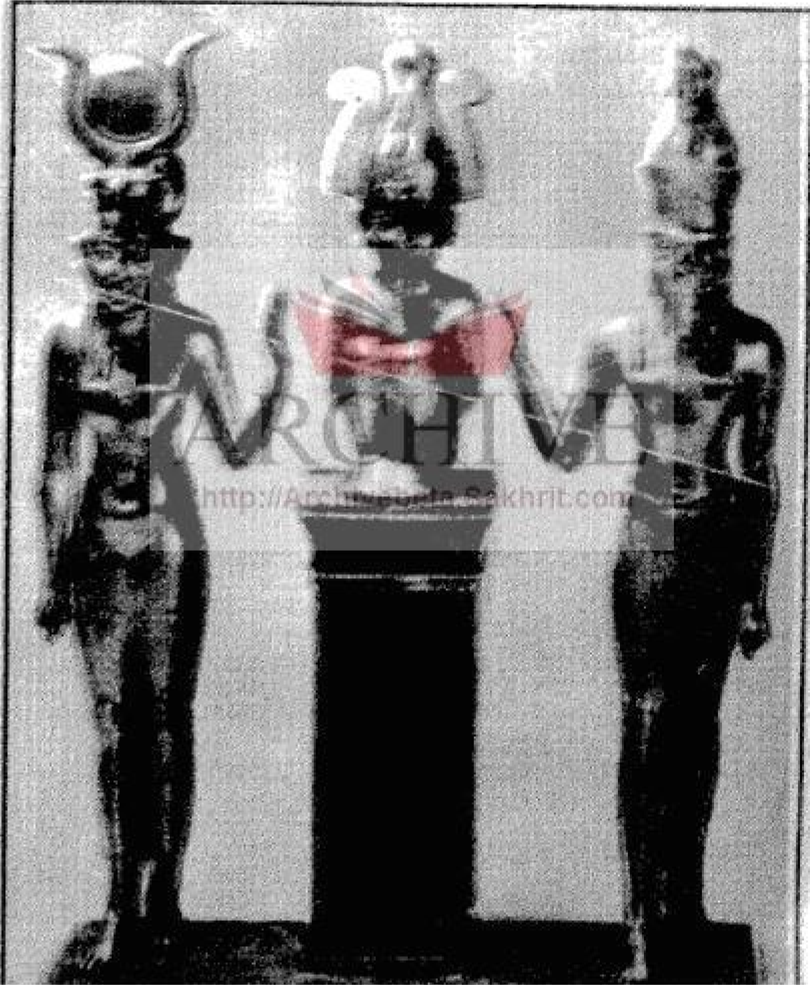
وعندما دمرت مكتبة الاسكندرية عام ٦٤٢ م بما كانت تحويه من نفائس الحكمة .. ارجع الفلاسفة الى هذا التدمير ضياع اسرار تحول المعادن الرخيصة الى الذهب .

ومنذ ذلك الوقت والكيميائيون فى عمل دءوب لاكتشاف «حجر الفلاسفة» وهو الاسم الذى اطلقوه على المادة التى ترجع إليها القدرة على التحويل المنشود والتى كان كهنة الفراعنة يحتفظون باسرارها .

ويقول المؤرخ بلوتارخ الرومانى أن كهنة الفراعنة الذين وصفهم بأنهم علماء المعرفة المقدسة والخبراء بأسرارها هم أنفسهم الذين أطلقوا تلك الإشاعة ليشغلوا بها العالم القديم عن اسرار معرفتهم فى اكتشاف مواقع مناجم الذهب

الذهب

وطرق استخراجه واستخلاصه ووسائل معاملته وتصنيعه .. ذلك المعدن المقدس الذى ساهم فى بناء حضارة مصر واصبح بفضله اغنى بلاد العالم القديم فاطلق المؤرخون القدماء على حضارة مصر اسم « حضارة الذهب » .



رسالة لندن يكتبها

يوسف القعيد

الخراب الجميل

البانكس:

قبائل ما بعد الهيبيز



عندما يتحول رأس الإنسان الى صحن من الألوان والزركشات . ماذا يجعل هذا الرأس من غير الزر

البانكس:

●● كنا فى حى البيكاديللى الشهير ..

مسارح ودور سينما وعالم من الفن ومن اهل الفن ، وعندما شاهدنا جماعة أو قبيلة من شباب البانكس ، يستمتعون بالفراغ اللذيذ والكسل الجميل. ذهب اليهم صديقى ورفيق رحلتى ودليلى فى لندن الواسعة الهادرة: حبيب طلعت .

قال لهم : اننى ارغب فى التقاط صورة معهم . تقدم منه شخص يبدو انه زعيمهم . واشار باصبع واحدة وقال :

ـ جنيه واحد .

استفهم منه حبيب ، الشباب الذى حمل الشرق كله بداخله وسافر لكى يقابل ذلك الغرب العجيب .

ترد عليه الشاب الغريب الملامح :

ـ جنيه واحد فقط .

ساله من جديد عن حكاية الجنيه .

فقال له الشاب ببساطة

ـ أجر الصورة .

ومجموعة الشباب الذين كانوا حوله استبشروا خيرا ، عند الحديث عن الجنيه ولكنهم غضبوا بصورة مفاجئة ، عندما شكرهم حبيب وانصرفنا معا .

ظلت أعينهم تطاردنا بنظرات نارية غاضبة حتى غبنا عن انظارهم فى حى البيكاديللى

كان الوقت هو لحظة الغروب، ولكنه ليس غروبنا نحن ، فهناك تهجم عليك الانوار ، خاصة فى هذا الحى . أضواء صاخبة زاعقة مثيرة للأعصاب مرتعشة وليست ثابتة . تصرخ فيك فى كل لحظة تمر .

● حديث باجر رمزى ●

وقبل ذلك حاول مجدى نصيف الصحفى المصرى الذى يحيا فى لندن بصورة مؤقتة من أجل العلاج ، والمحرر العلمى لمجلة « المصور » . حاول أن يجرى حوارا معهم . مع شباب « البانكس » فاشترطوا عليه أن يقدم لهم مشروبا، قبل أن يقولوا له كلمة واحدة . ومن جانبه قدم لهم المشروب، ومن جانبهم تحدثوا معه عن أنفسهم وعن حركتهم .

« والبانكس » كلمة جمع مفردها « بانك » وهى من كلمات اللغة الانجليزية التى تعنى شتيمة من الصعب اثباتها فى هذه الاوراق . ولذلك فهم لايطلقونها على أنفسهم ، والاخرون لا يجهرون بالكلمة فى وجوههم وان كانوا يعرفون بهذه الكلمة فى انجلترا الآن .

وملابسهم دائما سوداء ، وهى

ملابس قديمة ومستعملة « ومقطعة » من أكثر من مكان وفيها «رقع» كثيرة .

وعلاوة على اللون الاسود . هناك الوان أخرى مثيرة .

والبنات منهم لا يضعن رقعا فى اماكن الخرق ، بل يتركن اجسادهن تطل من امكنة الرقع. والملابس سوداء كأنها قطعة من الليل اللندنى ، تركها هنا ومضى والاجساد بيضاء ، مثل الثلج الابيض المندوف . ولذلك تبدو الفتاة كرنفالا غريبا من الالوان المتنافرة .

وشباب الباتكس يحلقون شعر الرأس بالموس ويتركون بعض الشعيرات فى تشكيلات شاذة وغريبة والبعض منهم يرسم مكان الشعر الحليق رسومات غريبة . والفتاة تلون حاجبيها ورموش عينيها بلون أحمر . ولكن الروج الذى تضعه على شفتيها لونه أسود وشعر الرأس لونه أحمر أو أخضر وهناك فتيات يطلقن على شعر الرأس الواحدة لونين : لونا اصفر والاخر اسود . واللونان يتداخلان بصورة غير عادية .. وفى آذان الشبان حلقان وأقراط والكل، فتيان وفتيات، يلصقون نجوما على وجوههم وصدورهم. لدرجة أنه من الصعب تمييز الفتى من الفتاة .

و«الباتكس» قبائل او جماعات جاءت فى زمن ما بعد الهيبز فى أوروبا. وان كانوا يختلفون عن الهيبز فى كل شىء تقريبا فالهيبز كانوا يرتدون الجينز . أما هؤلاء فملابسهم مستعملة وسوداء وقديمة و « مرقعة » . والهيبز كانت لهم فلسفة واضحة فى رفض المجتمع القائم ومحاولة هز كافة مسلماته الاساسية سواء فى مفهوم العائلة والمدرسة ومكان العمل وكذلك رفض مفهوم الدين السائد .

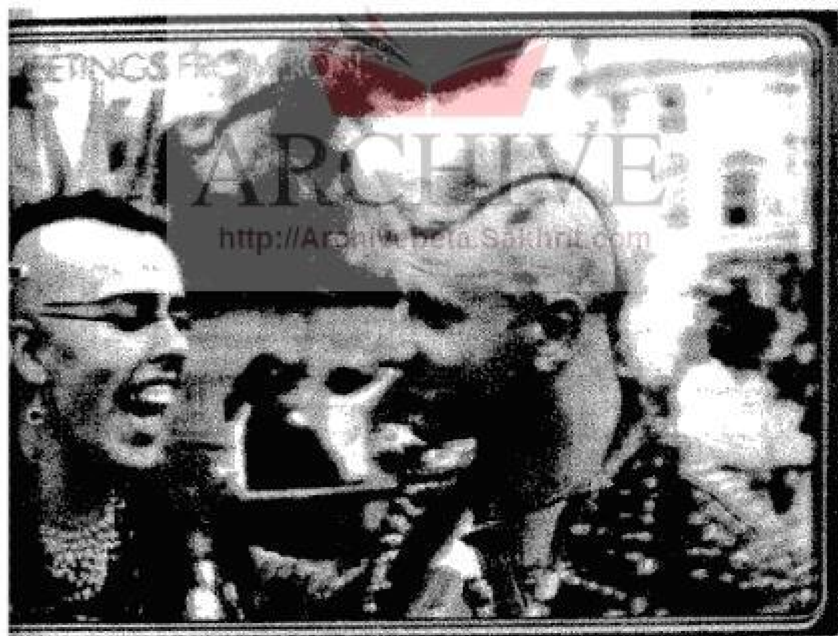
أما « الباتكس » فليست لديهم . أى فلسفة واضحة ، خاصة او ليسوا جزءا من فلسفة عامة . انهم جماعة تقدس البطالة وهم ليسوا من قوى اليسار او من قوى اليمين فى المجتمع البريطانى .

والثرثرة مع بعضهم هى الهواية والعمل والدور الاساسى لهم فى الحياة ، وهى ثرثرة لا تتناول أى موضوع محدد . وهم ضد جهاز الدولة القائمة . وضد مفهوم الاسرة دون أن يكون هناك أى بديل لذلك . ولهم الان فى انجلترا .. صحف ومطبوعات ومجلات وان كانت محدودة الانتشار .. وهم يستفيدون من أن الهيبز قد انقرضوا تماما . ولا يوجد منهن الان سوى البقايا فقط .

والمخدرات ليست هى السبب فى حالتهم هذه . فالمخدرات هى مشكلة كل شباب أوروبا الان .



الناك هو تعبير الفرد من البانكس ولانعرف في اي الامور نفكر هذه الراقصة بمفردها على الرغم من انها جزء من حركة جماعية



ماذا يجمع بينهما الآن اكثر من هذا الجو الغريب وموسيقى الالوان النحاسية

البانكس:

سواء من الباتكس أو من غيرهم . والكل يعيش فى مجموعات ومن المستحيل أن تشاهد فردا منهم بدون الاخرين . ويحتفلون بيومى السبت والاحد من كل أسبوع ومعظم اعمارهم من سن ١٦ الى سن ٣٠ سنة .

ومن الصعب معرفة عددهم الان . فالحركة فى فترتها الاولى وهم يتجمعون فى قلب مدينة لندن بصورة مكثفة وفى بعض المدن الاخرى الكبيرة .

والناس تنظر لهم بدهشة وهم يعيشون فى بيوت فقيرة يستولون عليها بالقوة . والفتى والفتاة ما ان يرتبط بقبائل الباتكس حتى ينفصل من اسرته . وقد يستمر فى العمل . ولكنه يفصل من العمل بعد قليل وهناك الان قضية مرفوعة فى القضاء من شاب مفصول من عمله بسبب التحاقه بقبائل الباتكس ولم يفصل فى القضية بعد . ومعظمهم من خريجى الجامعات .

● دستور خاص ●

وقبائل الباتكس ليست مركزة الان فى الانجليز فقط . بل وصلت الى القوميات الاربعة التى تشكل سكان الجزيرة البريطانية سواء من الايرلنديين أو الويلزيين أو ابناء اسكتلندا . وهم يعيشون بدون زواج ومن يتزوج ينفصل من القبيلة فورا .

والباتكس ليسوا فرعا من قبائل الغجر . فالغجر موجودون فى احزمة لبؤس التى تحيط بالمدن البريطانية ولهم نظام حياة كامل يحكمه دستور خاص غير مكتوب وقد تخلصوا من الخيام القديمة وهم يتحركون الان فى سيارات « كرافان » خاصة بهم .

الحكومة البريطانية لم تأخذ موقفا من الباتكس حتى الان والاحزاب السياسية لم تهاجمهم وان كانت فيما يبدو ليست مستعدة للدفاع عنهم . فى حالة حدوث ازمة ما .

والمسألة كلها مازالت مرتبطة بفكرة الحرية . حرية الفرد المطلقة حتى لو تناقضت هذه الحرية مع العرف العام . ومع ذوق المجموع . وقبائل الباتكس من جانبهم ليسوا اعضاء فى اى حزب سياسى .

صحيح ان هناك رغبة فى الدفاع عن حرية الفرد ولكن هناك شروطا تحكم ذلك . فلا يجب ان تؤذى حرية الفرد الاخرين . والا تتم على حساب حرية باقى المجتمع والا تخدش الديمقراطية . والذى يحدد كل هذا . ليس الملكة ولا رئيسة الوزراء . ولا الحكومة نفسها ولا الحزب الحاكم . . . ولكن المجتمع ككل . .

صورة أدبية

من الرواد

مفيد الشوباشى

بقلم: نعمان عاشور

تعرفت على استاذنا مفيد الشوباشي في لحظة من احرج لحظات حياتي فقد كنت متهما للمحاكمة عن فقرة في مقال كتبته في مجلة الفجر الجديد . . وكانت الفقرة متهافتة رأى فيها المحقق دعوة الى العنف والحض على كراهيـة الطبقات في فترة من اعسر فترات نضالنا السياسي.. وكان هذا الاتهام موضع تندر المثقفين ايامها نظرا لما فيه من عنف بالغ وتأويل للمعنى لا تحتمله الالفاظ ذاتها .. وظلت القضية معلقة لعدة سنوات حتى فصل فيها بالبراءة بعد اعوام طويلة ..

كان ذلك عام ١٩٤٧ .. وكان من اكثر المتهكمين على هذه التهلة العجيبة الصديق المرحوم مصطفى كمال صادق .. وصادق ان كنت أزوره ذات مساء فاذا بي اجده يدعوني الى العشاء في بيت خاله الاستاذ مفيد الشوباشي .. وكان البيت على بعد خطوات هكذا قابلت مفيد الشوباشي لاول مرة .. كنت أسمع عنه من ابن اخته ومن غيره من المثقفين على انه شاعر واديب اسكندراني

« من الاسكندرية » ولم اكن اعلم انه انتقل وجاء يعيش فى القاهرة بعد ان عين فى وظيفة مدير الادارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم « المعارف ايامذاك » .. وطبيعى ان ينصب حديثنا على العشاء ويدور حول هذه الحملة والاتهام الموجه الى بشأنها ، ولان مفيد الشوباشى فى الاصل محام فقد راح ينقب ويبحث ويراجع الوضع القانونى للاتهام .. واخذ الموضوع بجدية لم اكن اولها مؤكدا انه يعتبر من اهم مايجب الدفاع عنه لان السكوت على مثل هذا الاتهام معناه القضاء على حرية الفكر بالنسبة لجميع الكتاب .

وشيئا فشيئا اكتشفت انه ... الشوباشى اكثر من شاعر فهو اديب وباحث ودارس ومفكر واسع النظرة .. وهكذا بدأت خيوط الارتباط بيننا فكنا فى كل اسبوع نعقد ندوة منتظمة فى بيته كانت تضم العديد من أهله ومعارفه الى جانب أصدقائه من الشعراء والكتاب . وتوثقت العلاقة بيننا فاصبحت علاقة شبه عائلية ، فقد كانت صداقتى للمرحوم مصطفى سادق عميقة جمعت فيها بيننا اواصر الفكر مثل أواصر الود . وفى هذه الندوة العائلية الاسبوعية تعرفت على الاستاذ جميل الشوباشى شقيقه الاصغر وكان بدوره يميل الى الادب والاشتغال به . بل انه كان كثير السخرية منا جميعا ومن خيالاتنا الوهمية وكنت اوافقه على الكثير من سخرياته اللاذعة التى جمعت بيننا فى صداقة والفة متبادلة واحيانا ما كان يفاجئنا فى حضور هذه الامسيات العديد من اصهار عائلة الشوباشى الدكتور زهير جرانه المحامى الكبير والوزير فيما بعد والنائب الوفدى الشاعر المرحوم عبد الحميد السنوسى وغيرهما ، وهنا يرتد بنا مفيد الشوباشى بدلا من النقاش الفكرى ليأخذنا الى ما يؤلفه من قصائد الشعر الجديدة يقرؤها فى حماس مصرا على أن يأخذ رأينا فيها ثم تتابع الامسيات ..

● صديق لأبنائه ●

كان اهم ما يميز بيت الشوباشى وبالذات مفيد الشوباشى نفسه العلاقة المتحررة السمحة القائمة بينه وبين اولاده . فقد كان يعاملهم وكأنهم اصدقاؤه بل اكثر من ذلك وكأنهم انداد لهفى السن . ولهذا اتسمت تربيته لهم بما لايمكن ان يحظى به ابن

مفيد الشوباشى



صورة أدبية

من الرواد

من والده وهو أن يكون الوالد بالنسبة له صديقه الأكبر. ولذلك كان يشركهم وهم مازالوا صبية أو في المطالع الأولى من شبابهم.

كان يشركهم معه ومعنا في مثل هذه الجلسات الثقافية بنين وبنات ويسمح لهم بمعارضته بل انه كان يتحمل نقدهم لاشعاره التى يتلوها .. اذكر مرة أن نجله الصديق على الشوباشي — طرفه في بيت من قصيدة وقال انه يتمثل فيه بتقاليد بالية واحتدم الجدال .. ومفيد الشوباشي يضرب كفا على كف ضاحكا تحكمه الميزة الصادرة من أعماق قلبه دائما لان ابنه الذى « لم يطلع من البيضة » على حد تعبيره يتهمه بالجمود لانه استعمل صورة شاعرية مكررة في الشعر العربي القديم ولا تتفق مع فكره المصري .. وهنا حاول أن يقنع ابنه على تشبث الابن بموقفه في مواجهة والده .. وكأنه ليس والده وانما منافس يناجزه .. الا لولا الطاعة التى جبل عليها ولده وهى طاعة تأدب لا طاعة خوف لامسك مفيد الشوباشي بخناقه .. من بعدها بدأت تتكشف لعيني صورة مضيئة من هذا الرجل في سماحة وسعة صدره ورحابة افقه واحترامه لاولاده وعقولهم واحترام أولاده بل وجيلهم » ..

على أن هناك نوعا من التناجز كان ينشأ كثيرا بين مفيد وشقيقه جميل فقد كان الأخير دائم السخرية من كثرة تفاؤلنا ومن الاشعار الحماسية التى يطلقها علينا شقيقه في كل جلسة ولايسفر من شيء .. اذ كان يرى أننا وشقيقه مفيد جماعة من المثقفين الفارغين لا تصلح الا للمناقشات العقيمة .. تتحدث عن الاصلاح في اشعارنا ومقالاتنا التى لا تقرؤها الا لانفسنا بانفسنا .. ذات ليلة قرأ مفيد الشوباشي قصيدة من الشعر تحمل هذا المعنى .. فهو يلوم نفسه فيها لانه يتقاعس عن الكفاح وقد ختمها بشطرة أخيرة مرددا .. « انزلونى في الصباح انزلونى للكفاح » ..

وهنا علق جميل الشوباشي ساخرا .. « طب وما تنزل يا اخى .. حد حايشك » فانطلقت ضحكاتنا جميعا لهذا التعليق .. وقال مفيد بعد أن خفت حدة الضحك .. « انتوا مش مصدقين .. بكره تشوفوا » .. كان كل ما يعوقه حتى الآن انه مقيد بالوظيفة وفى نهاية هذا العام بالذات عام ١٩٤٨ على حد ما فى الذاكرة انطلق مفيد الشوباشي ليحقق رغبته الكامنة في أن ينزل الى معترك الحياة الأدبية . ويبدأ يهاجم كتاب الابراج العاجية وشعراء العزلة .. وفى هذه الفترة ازداد اهتمامه بدراسة الاقتصاد والسياسة فراح يقتنى الكتب ويقرأ كل ما تقع عليه يده من المذاهب الاشتراكية وبالذات في نظرتها الى الأدب والفن وفى مفاهيمها الفكرية المطلقة . وكانت حصيلة ذلك كتابه المعروف الذى اصدره فيما بعد « الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الى الواقعية » .

● ندوة عائلية ●

امتدت جلساتنا الاسبوعية



زكريا الحجاوى



ابراهيم ناجى

الساقية فى بيت الشوباشى اكثر من عامين كانت اشبه بندوة من تلك الندوات التى يتكاثر وجودها فى القاهرة فى تلك الايام . « طوال الاربعينيات » ولكنها كانت ندوة خاصة او على الاصح ندوة عائلية .. يحضرها الاصدقاء المقربون من مفيد واهله .. ذات ليلة اصطحبت اليها معى من ندوة « عبد الله » الشهيرة بالجيزة الصديق زكريا الحجاوى رحمه الله .. وكان ذلك بناء على طلب مفيد نفسه الا انه كان قد قرأ له بعض قصصه فى جريدة المصرى واعجبته . وسارع « ابو الزيكه » ليتقبل تهانى مفيد الشوباشى وراح يشكو لنا الصعوبات التى يلاقيها فى سبيل نشر قصصه . وكنا كلنا فى نفس الموقف .. نكتب كثيرا ولا نكاد ننشر شيئا مما نكتبه .. وفجأة قال زكريا فى شبه تنديد بشخصى .. « طب وانت بتشتكى ليه .. ما انت بتنشر كل أسبوع فى « الميزان » وكانت الميزان مجلة يصدرها النادى النوبى بعابدين وتصدر متقطعة ويحررها صديق نوبى وكان يستعين بى فى الكتابة فيها . واهتم مفيد الشوباشى بهذا الموضوع ولم تنته الليلة الا وقد اتفقنا على ان نحاول استئجار هذه المجلة من النادى النوبى لنصدرها بانتظام بمعرفتنا .. وفى اليوم التالى وكانت المجلة بالفعل على وشك الاغلاق قصدنا النادى النوبى وكان بيننا مفيد الشوباشى وعباس صالح والحجاوى وغيرهم وعرضنا على اعضاء النادى مشروعنا . نتعهد بدفع مبلغ شهرى للنادى ونستقل بتحرير المجلة واصدارها ويشرف عليها الاستاذ مفيد الذى كان شرطه الوحيد تغيير الاسم .. وفى اول الامر لم يقبل اعضاء النادى خوفا من أن ينتهى الوضع باستيلائنا على المجلة .. ولكننا ألححنا فى ضماناتهم .. سنبقى على اسم « الميزان » فوق غلاف المجلة بخط صغير ثم نرسم للمجلة غلافا جديدا باسم جديد

صورة أدبية

من الرواد

.. كان الاستاذ مفيد قد اختاره الفعل وهو « الاديب المصرى ».

● ولع بالادب ●

وهكذا صدر العدد الاول من « الاديب المصرى » بعد أسبوعين من الاتفاق وتحمل الشوباشى الجزء الاكبر من المصاريف وهو ايجار المجلة الشهرى وقدره عشرون جنيها تدفع لخزينة النادى النوبى . وثلاثون جنيها يدفعها لتكاليف العدد الاسبوعى .. اى نحو ١٤٠ جنيها فى الشهر .. مبلغ كبير بعملة تلك الايام ـ يعادل حاليا فى قيمته ما قد يزيد على ١٥٠٠ جنيه .. وكان مفيد رحمه الله شديد الحماس لهذا المشروع وعلى استعداد لتقديم اى تضحية فى سبيل تحقيقه .. ولهذا اخذ على عاتقه دفع هذا المبلغ بينما قسمت بقية التكاليف على اعضاء التحرير.. كل يساهم على قدر طاقته ولا اقل من ثلاثة جنيهات .. واتفقنا مع مطبعة مجاورة وكنا نظل ساهرين حتى الصباح نساعد فى جمع ومراجعة البروفات لتصدر المجلة فى موعدها .. وظلت المجلة تصدر قرابة عام تقريبا .. أحد عشر شهرا ..وننشر فيها مختلف الموضوعات أسبوعيا .. ما بين قصص قصيرة وقصائد شعر وبحوث ودراسات فكرية وفلسفية ومقالات فى النقد .. هذا عدا القصيدة الشعرية الساخرة التى كان يكتبها مفيد الشوباشى ـ مهاجما الادب الرسمى السائد داعيا الى ضرورة احلال ادب متحرر حديث محله .. ومن أجل ذلك هاجمها النقاد « المجلة الهوجاء »

وبعد ثلاثة او اربعة اعداد بدأت المجلة تاخذ مكانها كمجلة ثقافية واضحة الاتجاه وموحدة الفكر .. وكان الكل يسعى الى الكتابة فيها ..كافة الكتاب والنقاد والادباء المجدد بل والقدامى ايضا الاكثر منهم مصطفى السحرتى رحمه الله وعلى الراعى وعباس صالح والعديد من الزهور المتفتحة آنذاك .. لكننا فوجئنا فى الشهر التالى للصدور بزيادة التكاليف وانه لا يعقل أن يظل الحمل كله والقا على اكتاف مفيد الشوباشى .. وابتكرنا وسيلة .. كل من يكتب فى المجلة لابد وأن يدفع اشتراكا مقويا قدره خمسة جنيهات ثم اصدرنا دفاتر تبرعات كنا نحصلها من معارفنا ومنهم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى الذى دفع اشتراكا عشرة جنيهات وظل يدفع بانتظام خمسة جنيهات شهريا .. وكل ذلك لاننا نشرنا له اكثر من قصيدة وكان طبيعيا أن تقنع الاستاذ مفيد الشوباشى بالاكتفاء بدفع ايجار المجلة لا تكاليفها الاسبوعية ولكنه صمم على دفع خمسين جنيها وتعهد بسداد اى عجز مالى يواجهها ..

● مزار ثقافى ●

هكذا نزل مفيد الشوباشى الى ميدان الكفاح عملا بقصيدته .. وكان فرحا أيامها ممتزا بكل تضحية يقدمها وبكل جهد يبذله لدرجة انه اقسم ايامها وكان على

مشارف الستين أنه يشعر بانه عاد شابا في الثلاثين من عمره . ولا داعي الى القول باننا اضطررنا لاغلاق المجلة في نهاية الامر بسبب العجز من متابعة تغطية تكاليفها .. وعدنا الى الندوة المسائية في بيت الشوباشي من جديد .. وعاد هو للاهتمام بجمع قصائده في اكثر من ديوان شعر لم اصدر روايته «الخيط الابيض» ورواية اخرى شعرية عن«حرب البسوس» محللا مدلولها كحرب سياسية .. لم انساب كل منا في طريقه وان ظل بيت الشوباشي مزارا ثقافيا تتردد عليه جميعا من حين لاخر للقاء الاستاذ مفيد .

ولما قامت الثورة كان مفيد اكثر الناس حماسا رغم تحفظه الدائم بالنسبة لطابعها العسكري والحق انه كان صاحب متناقضات كثيرة .. فهو رجل عاطفي « يندلق بسرعة » كما كان يصفه الحجازي ولكنه كان شديد الذكاء .. صبور وحريص على عكس ما يبدو عليه من تلقائية واندفاع .. وكان صاحب عقلية متفتحة ولكنه احيانا ما يتشبث بمواقف جامدة تدعو الى الاستغراب .. وكان شديد الاعتداد بكرامته ويحمل في داخليته قوة معنوية ضخمة ركيزتها التفاؤل الدائم مهما صادف من عقبات .. ولعل هذه القوة وهذا التفاؤل الدائم الى جانب الصبر والمثابرة وصلابة العزم والحب الجارف للحياة والتمسك بها هي ما حفظ عليه كيانه وجعله يعيش شيخوخته التي امتدت قرابة ربع قرن وهو في شبه عزلة عن الناس بسبب المرض دون أن تتأثر معنوياته او يهتز تفاؤله .. ذلك انه كان شديد التعلق بالمستقبل .

أذكر انني لقيته من سنوات غير قليلة لنظر في وجهي مستغربا .. « انت عجزت كده ليه ؟! دا انت بقيت اكبر مني » وتركته وانا اهز رأسي معجبا به .. لقد كان مفيد الشوباشي يعيش شبابه في شيخوخته .

● الاعــرج و الاعــور ●

● كان تيمورلنك أعرج ، فلما انتصر في معركة "انسير" على سلطان الاتراك الأعور وأسره ، مثل بين يديه ، فلما شاهده استولت عليه نوبة ضحك شديدة ، فوبخه السلطان على استخفافه واهانته ، فأجابه تيمور : انني لا أهزأ بلقائك ، ولكنني لم أتمالك نفسي من الضحك ، عندما فكرت كيف يمسك زمام الممالك رجل أعرج مثلي ورجل أعور مثلك ؟!

وبألف ألف نرزق الأموات

بقلم : محمد سيد كيلاني

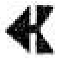
قال الغزالي في كتابه «الدرة الفاخرة» ما نصه اعتبروا بعيسى المسيح عليه السلام فقد قيل عنه انه كان لايملك الا ثوبا واحدا لبسه عشرين سنة . ولم يأخذ معه في كل سياحاته الا كوزا وسبحة ومشطا . وذات يوم رأى رجلا يشرب من نهر بحفنتيه فطرح الكوز . ثم رأى رجلا يمشط لحيته باصابعه فطرح المشط . وكان يقول دائما « حصاني قدماي وبيوتي مغائر الارض وطعامي خضرتها ، وشرابي من ماء انهارها ، ومقري بين بني آدم»

لقد جهل الغزالي او تجاهل ان الاسلام دين عمل وجهاد ، وانه يأمر بالاستحمام والاغتسال .. وهل من النظافة أن يرتدي الانسان ثوبا لمدة عشرين سنة دون أن يغسله ! ولو أن الناس اتبعوا ما ينادي به الغزالي كما صوره لاصبحت الارض خرابا ولهلك الحرث والنسل وانقرض الجنس البشري من الوجود

وقد تناول الصوفية شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فذكروا أنه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه ، ويربط حجرا على بطنه ليخفف عنه الام الجوع التي فرضها من تلقاء نفسه ، وأن جبال الذهب دعته ليأخذ منها ما يشاء فأبى كل الاباء . ومن المعروف أن هذه الصورة غير صحيحة . ولو صحت لكان الرسول مخالفا لامر ربه لانه عرض نفسه الى التهلكة ، والله ينهى عن ذلك .

ولقد كانت اراء الغزالي وبالا على المجتمعات الاسلامية ، لانه هون من شأن العقل وحط من قيمة التفكير جاهلا أو متجاهلا أن التفكير فريضة أسلامية وأن القرآن يدعو في آيات كثيرة الى اعمال العقل والنظر في الكون . وكان احمد البدوي في مصر يدعو الى التشبه بعيسى المسيح كما صوره الغزالي . قيل عنه





انه كان يلبس الملابس فلا يخلعها حتى تبلى ومن الطبيعي ان تمتلئ ملابسه بالقمل والبراغيث وتفوح منه الروائح الكريهة ، وهكذا يكون قد ابتعد احمد البدوي عن روح الاسلام ، وقد اخرجت الدعوة الى الزهد والاعراض عن الدنيا بالشعوب الاسلامية ضررا بليغا وانزلتها دار الذل والهوان ، وكتبتها لبلى الجوع والعدم والخوف ، ونشرت بين المسلمين داء الكسل

وبعد انتهاء الخلافة الفاطمية من مصر وزوال الخلافة العباسية من بغداد رأى ملوك الدولة الأيوبية ومن بعدهم الدولة المملوكية لأسباب سياسية أن يشجعوا التصوف بانشاء التكايا ورصد الأوقاف لها مما كثر دخول الناس في الطرق الصوفية . ورأينا نتيجة ظهور كبار المتصوفة أمثال أبي الحسن الشاذلي، المتوفى بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦ هـ وعبد الرحيم القناوي المتوفى بقنا سنة ٥٩٢ هـ ، وأحمد البدوي المتوفى بطنطا سنة ٦٧٥ هـ وابراهيم الدسوقي المتوفى بدسوق سنة ٦٧٦ وأبو الحجاج الاقصري المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ، وعبد الظاهر القوصي المتوفى سنة ٦٧٠هـ وابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢ وابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ×

● احتقار العقل ●

وهكذا اصبحت الشعوب الاسلامية لا تعرف سوى المسابح واللحى والرقص في حلقات الذكر .. وتقهقر دور المفكرين والفقهاء وأصبحت السيادة لرجال

وبألف ألف ترزق الأموات

المتصوف الذين تطرفوا في احتقار العقل وفضلوا عليه الجنون ، لأن الجنون في زعمهم يوصل الى معرفة الذات الالهية اكثر مما يوصل العقل . وقد افتخر ابن عربي في مقدمة كتابه « الفتوحات المكية » بأنه أصيب بالجنون وانه لما دخل مكة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام جالسا على عرش تحف به الملائكة . وتلقى الامر منه بأن يبحث في الاسرار الربانية . وكان الصوفية أو المجاذيب حينما يعقدون حلقات الذكر يدعون أنهم غابوا عن الوعي ، فيصرخون ويتجردون من ثيابهم ويهيمون على وجوههم وهم عراة . وكان الناس يحتملون سخافاتهم اعتقادا منهم أن هؤلاء العراة أصحاب كرامات لا يجوز أن ينتقدهم أحد أو يعترض عليهم فلا عليهم معترض .

لقد ولى عصر الظلام الذي كانت تجوز فيه مخاريق ابن الفارض وابن عربي وأمثالهما ولو فرض وبعث اليوم ابن الفارض ؟ هل يكون في مقدوره أن يتجرد من ثيابه ويخرج عاريا في الشارع ؟!

وقد لعب الغزالي وابن عربي دورا عظيما في نشر الهوس الديني الذي يتمثل في أدعية طويلة يرددها الانسان في شتى المناسبات حين يخرج من بيته وحين يقترب من المسجد ، وحين يدخل للصلاة وحين يغادر المسجد ، علاوة على الثواب العظيم الذي يلقاه من يصلي على النبي بعدد الحصى والرمال ، أو بعدد ذرات الماء والهواء والتراب ، أو بعدد انفاس ما خلق الله من البشر والحيوان والطيور من يوم بدء الدنيا الى يوم القيامة ، الى جانب وضع الفضائل لبعض الشهور ، وخاصة شهري رجب وشعبان . وهكذا لم يبق للمسلم وقت للتفكير في أمور معاشه ، لان وقته كله موزع بين الصلاة والصيام وذكر الله والصلاة على رسوله . ومن الهوس الديني قول الامام في الصلاة « الا إله الا الله اكبر » .

قال الحافظ الذهبي في كتابه « ميزان الاعتدال » ما نصه « عمر بن علي المعروف بابن الفارض ينعق بالاتحاد الصريح في شعره ، وهذه بلية عظيمة فتدبر ولا تستعجل ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثم الا زي الصوفية واشارات مجملة وتحت الزي فلسفة وأفاعي ، فقد نصحتك والله الموفق » .

والقول بالاتحاد يعني اتحاد اللاهوت بالناسوت . والحلول أي أن الله يحل في المخلوقات وكل هذا غريب عن الاسلام وهذا هو السر في اهتمام المستشرقين بدراسة تصوف ابن الفارض وابن عربي وغيرهما ممن ذهبوا مذهبهما .

● تغير صورة الصوفي ●

ولما احتل العثمانيون مصر رأوا ان يكسبوا الى جانبهم شيوخ السادة البكرية فمنحوا كبيرهم اقطاعا في ناحية الخانكة يستغله لحسابه مع اعفائه من الضرائب ، وجعلوه ناظرا على اوقاف الاضرحة والمساجد . فاستطاع محمد البكري الكبير المتوفى سنة ٩٩٢هـ ان يعيش — كما ذكر الشعراني — عيشة الملوك في مسكنه ومأكله وملبسه ومركبه وجواريه وعبيده » .

وكان الناس ينكرون عليه الجمع بين الغنى وحياة التصوف التي ألفوها من زمن بعيد والتي ظل يتابعها راسخا في الاذهان وهي حياة الزهد والتقشف والبعد عن زخارف الدنيا والعزلة ولبس المرقعات ، ولكن البكريين لم يروا تناقضا بين الغنى والتصوف واحتجوا بقوله تعالى — قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق — وبقوله صلى الله عليه وسلم « كل طيبا والبس طيبا واعمل صالحا » .

وهكذا تغيرت صورة الصوفي واصبح التهالك على حطام الدنيا وزخرفها هو

السمة الغالبة على رجال الطرق الصوفية الذين اتخذوا التصوف والدروشة وسيلة لكسب الحرام ، فكانوا ينتقلون من مدينة الى اخرى ومن قرية الى قرية يقيمون الحضرات ويعطون العهود والمواثيق فيضطر هؤلاء الى اقامة الولائم للمشايخ وتقديم الهدايا لهم من سمن وزبد وجبن وحبوب والماشية وفواكه ليجمع المشايخ مقادير كبيرة من هذه الاشياء ، وبذلك يعيشون عالة على المجتمع ويستحلون اموال الفلاح الفقير المسكين وقد عرض الشعراني لهؤلاء المحتالين في بعض كتبه

● طراز فريد ●

وفي العصر الحديث كان الشيخ عبد الرحيم مصطفى الدمرداش شيخ الطريقة الدمرداشية يمثل طرازا فريدا بين رجال الطرق الصوفية فقد سافر الى أوروبا مرارا . وساح في بلاد الشام وكان يجيد اللغة الانجليزية ، وكان شديد الايمان بالحضارة العربية ، ينزل في افخم الفنادق ويرفل في الترف والنعيم ، وله أصدقاء كثيرون من كبار الانجليز يتبادل معهم الرسائل من حين الى حين

ولد جده الاكبر محمد الدمرداش في توريز من بلاد العجم حوالي سنة ٨٥٨ هـ ولما بلغ السادسة عشرة من عمره اختطفه بعض تجار الرقيق وحملوه الى مصر وباعوه للسلطان قايتباي فضمه الى مماليكه . ودمرداش اسم معرب من الفارسية وأصله « دميرطاش » ومعناه الت جديد واليه تنسب جهة المحمدى بالعباسية

وقد قيل عن الشيخ عبد الرحيم « انه حاز من الوجاهة اسماها ، ومن المراتب اعلاها وارقاها ، فاختير عضوا في مجلس شورى القوانين ، ثم عضوا في الجمعية العمومية . وكان اول المطالبين باصلاح الاوقاف . وقد انعم عليه السلطان حسين كامل برتبة الميرميران الرفيعة الشان ولقب بصاحب الفضيلة والارشاد . وكان الشيخ عبد الرحيم من اكبر اغنياء مصر ، حاز الارض الواسعة في العباسية وبنى العمارات الشاهقة . وقد تبرع بمائة الف جنيه في وقت الازمة العالمية الطاحنة لعمل من اعمال البر . فبنى بهـا المستشفى الذى يحمل اسمه والذى دفن فيه .

وكان الشيخ عبد الرحيم يرى أن راحة المصريين في مصادقة الانجليز . وبعد هزيمة الجيش المصرى في وقعة التل الكبير ودخول الانجليز العاصمة أهدى الشيخ سيفا مرصعا بالجواهر واهداه الى الجنرال ولسلى قائد جيش الاحتلال . ولما نقل الجنرال مكسويل قائد جيش الاحتلال من مصر في مارس ١٩١٦ اقيمت له حفلة وداع خطب فيها الشيخ عبد الرحيم فقال : « ليس هذا الجمع الكبير المحتشد حولك في هذا المكان هو وحده المحتفل بك ، بل الامة المصرية كلها من بلاد خط الاستواء الى الاسكندرية ومن السلوم الى العريش وجميع من تظلهم سماء مصر يقدمون لك احتراماتهم ويودعونك من صميم افئدتهم ويبدون الاسف الشديد لفراقك ، ويطلبون من الله أن يجعل أيامك كلها سعيدة مقرونة بالنجاح والفلاح » .

توفي الشيخ عبد الرحيم في فبراير سنة ١٩٣٠ وكان في منتصف العقد التاسع من عمره . وقد رثاه الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني شيخ الطريقة التفتازانية فكان مما قاله « اقسم بالله ولدى شهود ان الدمرداش كان من الذين يقومون الثلث الاخير من الليل ويحيونه بورد السحر . والسم لقد كان محافظا على صلواته وللطريقة الدمرداشية اوقاف كان ريعها في الثلاثينات اربعة الاف جنيه .

●● اذا كان التصوف يهذب الاخلاق ويقوم السلوك ويدعو الى التحلي بالفضائل فأهلا به ومرحبا . اما اذا كان الغرض منه تزكية وترويج الاراء التى تتنافى مع الدين الاسلامى كآراء ابن الفارض وابن عربى فلا اهلا به ولا مرحبا . ان المجتمع الاسلامى يحتاج الى امثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبى عبيدة بن الجراح ، لا الى ابن الفارض وابن عربى وغيرهما من الضالين ..

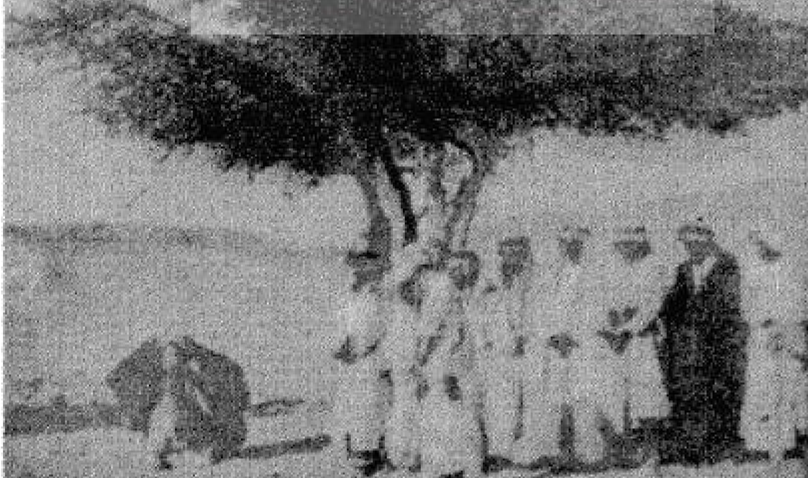
كتاب
الشهر

تاريخ العربية السعودية
تأليف : البرفيسور الكسي فاسيليف
الناشر : دار التقدم - موسكو

عرض وتحليل : جمال الغيطاني

تاريخ العربية السعودية





● .. يعتبر هذا الكتاب من أهم ما صدر عن المملكة العربية السعودية . ليس فى المكتبة الروسية فقط ، وإنما فى العالم ، خلال السنوات الأخيرة . المؤلف ، البروفيسور فاسيليف ، واحد من أكبر المستعربين الروس ، عمل فى جمع مادة الكتاب حوالى عشرين عاما ، قضى معظمها فى مصر واليمن وبعض بلدان الشرق الاوسط كمراسل لجريدة البرافدا ، وتأتي اهمية الكتاب من عوامل عديدة ، اهمها انه الكتاب الوحيد تقريبا الذى يتناول تاريخ السعودية منذ بدء الدعوة الوهابية ، وقيام الدولة السعودية الأولى ، وحتى نهاية السبعينيات ، وكذلك تحليل الوضع الاجتماعي فى شبه الجزيرة ، والاعتماد على مراجع غير مطروقة من قبل ، ولكي نتخيل حجم الجهد المبذول فى اعداد المؤلف ، فان المراجع تعدت الالفى مرجع ، وفى لغات مختلفة ●

فى الاتحاد السوفيتي بدأ الاهتمام بالسعودية ، وخلال السنوات الاخيرة ظهرت عشرات من الكتب والكراريس والمقالات ، ولكن لم يكن هناك مؤلف شامل يحيط بمجمل تاريخ الدولة السعودية الى ان جاء كتاب فاسيليف هذا .

● توازن القوى ●

ومنذ عهد الرسول ، وحتى ظهور الوهابية لم تشهد الجزيرة العربية السلطة الموحدة والاستقرار ، وطوال القرون ظلت مجزأة الى دويلات ، واحات صغيرة او اتحادات لتلك الدويلات ، وكان التشتت الاقتصادى للواحات والقبائل التى هى وحدات اقتصادية مستقلة . ومما اعاق التوحيد الفوارق القبلية والمحلية بين سكان الجزيرة ولهجاتهم وتنوع المذاهب الدينية ، وكان شيوخ القبائل مصلحة فى توسيع حدود سلطتهم ، وكان ذلك يتصادم مع مصالح جيرانهم . وفى اوائل القرن الثامن عشر كان الوضع يتميز بتوازن القوى بين الخصوم الرئيسيين . وفى العقد الثانى صار مؤسس الدولة السعودية سعود بن محمد بن مقرن اميرا لواحة الدرعية ، وهذا اول ظهور للعائلة ، ويعتبر بعض السعوديين انفسهم من قبيلة بنى حنيفة ، بينما يعود بعضهم الآخر بنسبهم الى عنزة اكبر قبيلة فى وسط وشمال الجزيرة ، لم يدم عهد سعود ، فقد توفى فى يونيو ١٧٢٥ ، قبل وفاته بحوالى ثلاثة وعشرين عاما كان قد ولد طفل قدر له ان يلعب دورا تاريخيا هاما فيما بعد ، اذ ولد عام ١٧٠٣ مؤسس التيار الديني والاجتماعي والسياسي المعروف بالوهابية ، وكان والده عبدالوهاب بن سليمان قاضيا شرعيا فى بلدة العيينة وكان هو المعلم الاول لابنه محمد الذى كشف عن مواهب كبيرة منذ طفولته حتى انه حفظ القرآن وهو فى العاشرة وحج فى الثانية عشرة من عمره .

كتاب الشهر

ويستعرض الكتاب ملامح الحياة الروحية في وسط الجزيرة ، ويلاحظ انتشار المذهب الحنبلي في واحات نجد ، ويقول ان وسط الجزيرة المعزول بحكم عدد من العوامل عن المناطق الاخرى الاكثر تطورا في الشرق الاوسط . لم يبتعد كثيرا عن مستوى النظام الاجتماعي الذي كان قد بلغه الحجاز في فجر الاسلام ، ولما كانت الحنبلية تعترف من حيث المبدأ بفجر الاسلام فقط . فقد كانت على العموم تستجيب لحاجات مجتمع وسط الجزيرة في القرن الثامن عشر ، وتشير كتابات الرحالة الاوروبيين (فولني - بور كهارديت - بلغريف) الى موقف البدو اللامبالي من الفرائض الاسلامية ، والى ضعف شعورهم الديني ، من هنا بدأ محمد بن عبدالوهاب يفكر في ضرورة العودة الى الاصول الأولى للاسلام ، وكانت اهم فكرة تدور في ذهنه التوحيد ، فلا يجوز اللجوء الا لوجه الله ، ولا يجوز طلب المعونة الا من عند الله ، وقد استمد الوهابيون تعاليمهم من الفقيه ابن تيمية وابن القيم ، لقد بعثت الوهابية في الاسلام النهج المتشدد الذي يرفض كل البدع . يقول الكتاب ان الوهابية لم تكن مجرد راية لحروب الغزو والفتح ، بل كانت تبريرا فكريا للاتجاهات التوحيدية في الجزيرة العربية ، وكانت تنطوي بالدرجة الاولى على افكار توحيد نجد ووجهائها في الصراع ضد خصومهم التقليديين اشراف الحجاز . لقد صارت الوهابية سلاحا فكريا لحركة التوحيد المركزية في شبه الجزيرة العربية ، وقد باركت نضال وجهاء نجد السياسي والعسكري من اجل السيطرة على الجزيرة ، وضد الحجازيين بالدرجة الاولى ، إلا ان المذهب الجديد وحده لا يكفي ، فلابد من قوة سياسية وعسكرية تؤيده وتعمل على نشرة . في عام ١٧٤٤ - ١٧٤٥ ، استقر محمد بن عبدالوهاب في الدرعية ، وكان له جماعة من الاتباع ، منهم اثنان من اخوان اميرها محمد بن سعود وكذلك زوجة الامير ، نزل عند احد تلاميذه وشرع فورا في الاتصال بالحاكم ، وساعد شقيقا الامير وزوجته على التقارب بينهما ، وكان محمد بن سعود الذي يعد خططا حربية طموحة مطلعا على مذهب الفقيه ولذا قدر للوهابية حق قدرها .

توافقت رغبة محمد بن عبد الوهاب الذي ينشد الدعم العسكري ، ورغبة الامير الطموح الذي ينشد الدعم الديني ، وهكذا بدأ التحالف التاريخي الذي مازال قائما حتى اليوم .

● شخصية بارزة ●

يعتبر الكتاب عام ١٧٤٥ ، بداية لقيام الدولة السعودية الاولى ، والتي استمرت حتى عام ١٨١١ ، وتم دحرها على يد ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا الكبير حاكم مصر . لقد بدأ التحالف الديني - السياسي يؤتي ثماره ، اذ تمكن حكام واحة الدرعية - آل سعود - من توحيد وسط الجزيرة بعد معارك عنيفة ، وأدى تعزز سلطة آل سعود الى اتمام خطوة هامة ١٧٨٨ ، اذ أمن الفقيه محمد بن عبدالوهاب لسعود حق ولي العرش بالوراثة ، واخذ على عاتقه مهمة جعل مدن ومناطق الدولة تقسم يمين الولاء ، واستمرت الفتوحات في الجزيرة العربية ، واثناء محاولات اخضاع

المنطقة الشرقية (الاحساء) لآل سعود ، عام ١٧٩٢ ، توفي مؤسس الحركة الوهابية ، ويقول المؤلف ، انه كان شخصية بارزة بالنسبة لعصره ، وقد غدا خمسة من ابنائه وكثير من احفاده فقهاء ، وصارت اسرته تسمى آل الشيخ ، وقد احتفظت بنفوذها ومكانتها في الدولة السعودية حتى اليوم ، ولكن أحدا من احفاد محمد بن عبدالوهاب لم يرتفع الى منزلة مؤسس المذهب ، وخلال فتوحات الدولة السعودية الأولى في الجزيرة العربية ، نلاحظ ان تقدمها كان يصطدم مع نفوذ الدولة العثمانية التى كانت تبسط حمايتها على الحجاز والعراق ، وقد حاول والى بغداد غزو الاحساء ، ووقف تقدم الوهابيين ، إلا أن حملاته العسكرية فشلت ، في المقابل قام امراء الدرعية بهجوم صاعق على مدينة كربلاء ، في ٢٠ إبريل ١٨٠٢ ، هجم فجاة ١٢ الف وهابي على كربلاء ، ودمروا ضريح الحسين ، واستولوا على غنائم هائلة ، ولعبت سيوفهم في رقاب سكان المدينة ، ضريح الامام نفسه وحولوه الى كومة من الانقاض ، وكان تدمير كربلاء افرح هزيمة لوالى بغداد العثمانى ، وتحد ايضا لهيبة الدولة العثمانية ، وبعد تدمير كربلاء اصبح الحجاز هو مسرح العمليات الجديدة للدولة السعودية الوهابية ، وفي اواخر مارس ١٨٠٣ توجه سعود مع قوات الوهابيين الرئيسية الى الحجاز ، وفي هذه الاثناء كان هناك حجاج مسلمون في مكة من مصر وشمال افريقيا ، إلا انهم رفضوا الاشتراك في القتال ضد الوهابيين ، وفي إبريل ١٨٠٣ دخل الوهابيون بانتظام الى مكة ، وبعد ان ادوا مراسم الحج راحوا يدمرون كل الأضرحة والمزارات التى انشئت تكريما لأبطال فجر الاسلام ، ومسحوا من وجه الارض كل المباني التى لا تناسب مذهبهم ، والزموا اهل مكة بأداء الصلاة بانتظام وبدون البسة حريرية ، كما الزموهم بعدم التدخين ، ولقد اثار احتلال مكة ذعرا وصدمة في الاستانة ، اذ اعتبر ذلك ضربة قاصمة ضد سمعة السلطان العثماني الذى عجز عن حماية الحرمين ، الا انه في عام ١٨٠٥ تم ضم الحجاز الى الدولة الجديدة ، وتوقف الحج من الدولة العثمانية ، اتسعت الغزوات السعودية ، حتى امتدت الى الشام نفسه ، وفي عام ١٨١٠ قام سعود مع بضعة آلاف من مقاتليه بغزو الشام ، ووصل تقريبا الى دمشق ، لقد بلغت الدولة السعودية ذروة قوتها في هذه السنة ، ويفرد فاسيليف فصلا خاصا يستعرض فيه البنية الداخلية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة الاولى ، ويبين العوامل التى ادت الى تحللها ، سواء كانت داخلية او خارجية ، حتى انحدرت تماما على ايدى القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا ، في ابريل ١٨١٨ .

ويتتبع المؤلف ظروف الجزيرة العربية تحت الوجود المصرى ، في ذلك الوقت ، كان الامير تركي - احد امراء السعوديين - قد تمكن من الهرب من عام ١٨٢٠ ، وظل مختفيا لعدة سنوات في المناطق الجنوبية ، ثم بدا تحركات عسكرية انتهت باحتلاله للرياض ، ويعتبر بعض المؤرخين بداية حكم تركي هو التاريخ الحقيقي لقيام الدولة السعودية الثانية .

لقد تمكنت الدولة السعودية الثانية من الانبعاث والنهوض بسبب توقف التدخل الخارجي في نجد ، وكانت مصلحة قسم كبير من وجهاء واعيان نجد وتجارها وصناعها وزراعها في التوحيد وتاييد الفقهاء الوهابيين وارتفاع منزلة آل سعود قد مكنت فيصل بن تركي آل سعود من بسط سيطرة الرياض على قسم كبير من اواسط الجزيرة ، وشرقيها ، إلا ان علائم الضعف والخور وعجز السلطة المركزية والنزعة الانفصالية لدى الاقطاعيين ونزوات القبائل



كتاب الشهر

البدوية كانت واضحة لدرجة كبيرة لا تجعل احدا من المعاصرين يتوقع لامارة الرياض عمرا مديدا . توفى فيصل فى عام ١٨٦٥ ، وسرعان ما بدات الخلافات داخل الاسرة ، وبدا التدخل الانجليزى ضد امارة الرياض . وادى ذلك الى سقوطها وزوال الدولة السعودية الثانية ، وحل محلها امارة شمر وبذلك بدا نفوذ اسرة ابن الرشيد فى التزايد . وبدا الصراع المرير بين آل سعود وآل الرشيد هذا الصراع الذى قدر له الاستمرار حتى ظهور شخصية شبه اسطورية على مسرح الاحداث ، شخصية عبدالعزيز مؤسس المملكة العربية السعودية القائمة الآن .

يقول المؤلف :

كانت بريطانيا اقوى دولة استعمارية فى العالم قد استولت على مصر ، وسعت لبسط نفوذها على الجزيرة العربية كلها . وكانت قد سيطرت على امارات الخليج العربى وسلطنة عمان . وفى اواخر القرن التاسع عشر بدات السياسة البريطانية الاستعمارية فى التغير ، فبعد ان كانت حريصة على وحدة الامبراطورية العثمانية بهدف استخدامها فى الصراع ضد روسيا ، انتقل مركز الثقل فى المصالح البريطانية الى مصر وبلاد الرافدين ، وبدا الحديث فى لندن عن اقتسام الجزيرة العربية ، فى هذا الوقت كان شيخ الكويت محمد الصباح يوفر الحمايه لعبدالرحمن بن فيصل آل سعود المطالب بعرش الرياض ، لقد استقرت اسرة آل سعود فى الكويت وغدت بالطبع مركز جذب لكل المتذمرين من حكم آل الرشيد فى الرياض ، فى هذه الظروف يظهر على مسرح الاحداث الامير عبدالعزيز .

● سيرة مؤسس السعودية ●

يقول فاسيليف :

« واقنع عبدالعزيز اباه بان يسمح له مرة اخرى ان يجرب حظه فى الرياض ، فتوجه فى حملة على راس اربعين محاربا فقط كما تفيد اغلبية المراجع ، وكان بينهم شقيقه محمد بن عبدالرحمن وابن عمه عبدالله بن جلوى ... »

لقد كانت بداية المملكة العربية السعودية الحالية على ايدى هؤلاء

الملك عبدالعزيز
مؤسس العربية السعودية



الاربعين ، استولى عبدالعزيز على الرياض ويقول فاسيليف :

« اثبتت جسارة عبدالعزيز فى الاستيلاء على الرياض انه يتحلى بخصال الشيخ والامير ، البسالة والمهارة فى القيادة والموفقية ، واثبتت الاحداث اللاحقة ان عبدالعزيز كان شخصية بارزة بدون ريب بمقاييس الجزيرة العربية ، فقد تمرس عبدالعزيز فى المنفى وتضلع فى اخلاق البدو وعاداتهم ونقاط ضعفهم وقوتهم ، وكان يجيد التحكم فيما عرفه عن البدو ، والى جانب ذلك كان يدرك بأن عليه ان يعتمد فى الاساس على سكان نجد الحضر ، لذلك أولاهم عناية دائمة ، وكان يدرك قوة الدين فاقام علاقات طيبة مع علمائه منذ البداية ... »

عديدة وطويلة تلك التفاصيل والحروب المتعلقة بمسيرة عبدالعزيز منذ استيلائه على الرياض فى ١٥ يناير ١٩٠٢ ، وحتى ١١ ديسمبر ١٩٢٥ ، عندما اتم غزو الحجاز ، واجتمع اشراف مكة وعلماؤها فى الكعبة وبايعوه عند باب الصفا ملكا للحجاز وسلطانا لنجد ، فى ١٦ فبراير ١٩٢٦ اعترف الاتحاد السوفيتي رسميا بحكومة الحجاز .

بعد تأسيس الدولة الجديدة ـ كما يقول المؤلف ـ واجهت عبدالعزيز ضرورة ادارة بلد بلغ من التطور شأنا يفوق بكثير شأن نجد ، بل وحتى الاحساء ، فقد تكون الجهاز الادارى فى الحجاز وفقا للمعايير العثمانية ، وكان ارقى الاجهزة فى الجزيرة ، وكان الملك عبدالعزيز يدرك اهمية التليفون والراديو ، واهمية السيارات ، غير أن البدو والعلماء السلفيين كانوا يعتبرون ذلك رجسا من عمل الشيطان

، ولكن المشكلة حلت بعد ان تليت آيات القرآن الكريم عبر الهاتف والمذياع ، كذلك اعتبروا السيارة بدعة ، وقد احرقت اول شاحنة ظهرت فى مدينة الحوطة ، وكاد سائقها ان يلقى نفس المصير ، الا ان احتياجات المجتمع العملية كانت اقوى ، يقول فاسيليف « لذا فان السيارة والراديو والتليفون اخذت تنتشر على نطاق متسع فى مملكة ابن سعود ، وبعد عقدين او ثلاثة بدأ علماء الدين انفسهم يمتطون الطائرات الا أن الحظر ظل مفروضا على الحاكى والسينما ، ورغم حظر استيراد هاتين الآلتين الا انهما انتشرتا فى البيوت ، فى الوقت الذى حاول فيه الملك عبدالعزيز ومجموعة من مستشاريه المتنورين تطوير الجهاز الادارى فى الحجاز ، كانت جماعة (الاخوان) المتشددة قد عقدوا العزم على تطهير الحجاز من البدع ، ازالوا المشاهد المقام فى مكة عند موضع ولادة النبى ، وهدموا منزلى خديجة وابى بكر ، وينقل المؤلف عن فيلبي البريطانى قوله « ان ذلك سيجعل الاجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الاماكن » ، وانطلق « الاخوان » يحطمون المرايا ويستخدمون اطر النوافذ والابواب كوقود للنيران ، يقول المؤلف : رغم ان هذا واحد من طباع الغزاة المعتادة ، الا انه كان تعبيرا عن حقد البدو الدفين على ترف المدن ، فى مطلع صيف عام ١٩٢٦ وصل الى مكة موكب المحمل المصرى يحمل كسوة الكعبة ، وتصحبه الموسيقى ، وعند اقترابه سمع « الاخوان » الموسيقى لأول مرة فى حياتهم ، فاعتبروا ذلك ضربا من الزندقة واستبد بهم الغضب ، فهبوا ليمنعوا تقدم الجمل الذى يحمل الكسوة ، وهنا امر ضابط مصرى باطلاق النيران فقتل ٢٥ شخصا ، وعلى الفور أرسل الملك عبدالعزيز ولده فيصل لتهدئة ثائرة

كتاب الشهر

• الاخوان • . وتلا ذلك قطع العلاقات مع مصر .

● بداية عصر جديد ●

ربيع عام ١٩٣٢ . اكتشف تويتشيل ترسبات نفطية واعدة في منطقة الظهران . وهكذا بدات تباشير عهد جديد سيحدث في مجتمعها تاثيرا هائلا . لكن القوى المحركة لهذه التحولات من خارج الجزيرة العربية . تمت الى اقتصاد القرن العشرين ، بدا استخراج النفط من الجبيل في سبتمبر ١٩٣٣ . وخلال الحرب العالمية الثانية تمسك الملك عبدالعزيز بحياد بلاده . وعند انتهاء الحرب كان من الواضح ان شركات البترول الامريكية قد وضعت يدها على اكبر حقول النفط في العالم . ومع بدء عصر النفط بدء عصر جديد . يقول المؤلف :

• بفضل الزيادة السريعة في استخراج النفط وتعديل اتفاقيات الامتياز . ازدادت عوائد السعودية . في السنوات الاولى التي اعقبت الحرب عشرات المرات . ورغم ذلك ظلت المملكة بمثابة ضيعة اقطاعية عائلية كبيرة . ويعتقد الحكام ان عوائدها يجب ان تنفق في المقام الاول على إحتياجات العائلة المالكة . بعد ان سافر اعضاء العائلة المالكة الى اوروبا وامريكا . تاقت انفسهم إلى الأبهة المعقولة وغير المعقولة . واقترن ذلك بالعجز التام عن التوفيق بين النفقات والمداخيل . والعزوف على حساب المال وهو امر تتميز به الارستقراطية والاقطاعية القبلية . علاوة على السخاء وهو خصلة بشرية إيجابية تحولت عندهم إلى نقيضها حينما صارت إسرافا لم يسبق له مثيل وفي بلد غالبيته سكان شبه جياع يرزحون في لجة الفقر والمرض . بدا تصاعد مجنون في الانفاق على البلاط والفخفخة . وتقاطر على الرياض شذاذ الآفاق . والساعون الى الثروات . وبدا استشراء الفساد . يقول المؤلف : • واصبح الوضع الشاذ وخطره على النظام جليا لعدد من افراد العائلة الحاكمة البعيدة النظر . لكن إجراءات الملك الرامية الى تحديث الدولة كانت ذات طابع شكلي بحت . توفي الملك عبدالعزيز . ويقول المؤلف عنه : كان عبدالعزيز في شبابه وكهولة إنسانا قويا شجاعا . رويت عنه الاساطير . ونقل الزركلي عن طبيب ابن سعود الخاص رشاد فرعون اسطورة تقول ان عبدالعزيز اصيب رشاد في احد المعارك بجرح في بطنه وقد عرض فرعون عليه ان يحقنه بالبنج فاخذ عبد العزيز المبضع وشق موضع الاصابة واخرج الرصاصتين . وامر بخياطة الجرح .

عندما توفي عبدالعزيز كان عدد ابنائه ـ كما يقول المؤرخ الزركلي ـ ٣٤ ولدا . وبلغ العدد الاجمالي لأبنائه واحفاده وحفيداته . عدا ابناء بناته ـ ١٦٠ .

تولى الحكم بعد وفاة الملك عبدالعزيز ابنه سعود المولود عام ١٩٠٢ . وكان هناك تنافس بينه وبين اخيه فيصل المولود عام ١٩٠٦ . كانت ام سعود من آل عريعر الاستقراطيين . اما ام فيصل فكانت من آل



رقصة العرضة يؤديها من اليمين الملوك خالد وفيصل وفهد بن عبدالعزيز والأمير عبدالله بن عبدالعزيـز

الأمير سعود بن عبدالعزيز فى صباه





الشيخ ، وكان لسعود أربعون ولدا ، اما فيصل فكان له ثمانية ابناء بعث خمسة منهم للدراسة فى الجامعات الامريكية ، وواحدا إلى اكسفورد وآخر الى كلية سانت هيرست .. فى السنوات التالية اصبح الصراع بينهما على السلطة من العوامل الرئيسية فى سير الاحداث ، حتى تفجرت علنا ، وعزل سعود ولجوئه الى مصر ، واعتلاء فيصل العرش ، وحتى وفاة سعود فى عام ١٩٦٨ .

● تاثيرات ثورة يوليو ●

يركز المؤلف على تطور الحركة العمالية فى المملكة السعودية ، ويقول انه فى اواخر الأربعينيات لاحت بوادر تشير الى بروز قوى اجتماعية جديدة على المسرح



السياسي ، وذلك من خلال العمال ، في عام ١٩٥٦ ، ادت الاحداث الثورية في مصر الى تعاظم المد المعادي للاستعمار في المشرق العربي ، واصبحت المنطقة الشرقية بؤرة للتحركات الجماهيرية ، وعندما وصل الملك سعود الى الظهران في ٩ يوليو ١٩٥٦ ، استقبلته مظاهرات شعبية معادية للاستعمار ، بعد يومين فقط ، اصدر الملك مرسوما يمنع كل الاضرابات والمظاهرات ، وقد جرت اضطرابات عمالية عام ١٩٥٦ ، ولكن هذه الاضطرابات لم تتكرر على نطاق واسع حتى السبعينيات .

ينتقل المؤلف الى استعراض الاوضاع الداخلية تحت حكم سعود الذي لم يك يتمتع بهيبة ابيه ، ويقول ان الرشوة استشرت في جهاز الحكم ، وانه خلال فترة ١٥ ـ ٢٠ سنة الاولى من عصر النفط ، ادت الزيادة الكبيرة في عائدات النخبة الحاكمة الى زيادة الطلب على العمال

ثم يركز المؤلف على السياسة الخارجية للمملكة ، وخاصة مع مصر التي تراوحت العلاقات بينها وبين المملكة من العلاقات الوثيقة الى البرود الكامل والقطيعة ، خاصة بعد إعلان قيام الوحدة بين مصر وسوريا واعتبار الملك سعود انها الخطر الرئيسي عليه مما دفعه الى التآمر على حياة عبدالناصر شخصيا ، وعندما كشف عبدالحميد السراج عن المؤامرة السعودية ارتفعت شعبية جمال عبدالناصر ، وادى اعلانها الى تأزم الوضع داخل السعودية نفسها .

يقول المؤلف : « جمع ولي العهد فيصل وهو سياسي محنك وذكي من حوله انصاره المستائين من تزايد نفوذ ابناء سعود في البلاط ، وداب على تكوين انطباع بان الملك غير مؤهل لمهمته ، وحاول فيصل الذي تربطه علاقات وثيقة وقديمة بالامريكان التظاهر بانه من انصار الاصلاحات والتقارب مع الرئيس عبدالناصر ، وبدا يعد خفية للانقلاب في القصر ، في ٢٤ مارس ١٩٥٨ قامت مجموعة من الامراء على رأسها فهد بن عبدالعزيز بتقديم إنذار الى الملك يطالب فيه بتسليم السلطة الى فيصل . كما طالب الامراء بحماية بيت المال من النهب وتنحية مستشاري الملك الضالعين في محاولة اغتيال عبدالناصر » .

اضطر سعود الى قبول الانذار ، الا ان سعود لم يلق سلاحه تماما ، غير ان الامر الحاسم في الصراع كان ظهور مجموعة من الامراء السعوديين الشبان المتأثرين بالافكار الناصرية والداعين الى الاصلاحات ، وكان ابرزهم الامير طلال بن عبدالعزيز والامير نواف ، والامير بدر ، وقد وعدهم الملك خفية بمؤازرتهم ، في يونيو ١٩٦٠ اقترح طلال إقامة نظام ملكي دستوري ، إلا أن فيصل رفض وأبعد طلال وجماعته ، وعندما عرض المشروع على الملك سعود رفضه ايضا ولكنه ابقى على صلاته بالجماعة ، استقال فيصل من رئاسة الوزراء ، واستعاد الملك سعود سلطاته . وظلت الانقسامات داخل الاسرة هي السمة الرئيسية طوال عام ١٩٦١ وتزايد نفوذ الامير طلال الا ان الاصلاحات التي حاول

القيام بها ووجهت بمقاومة كان يغذيها فيصل ، واضطر طلال الى الخروج من البلاد . وفى ١٥ اغسطس عقد مؤتمرا صحفيا فى بيروت ، انتقد فيه النظام السعودى ، وقال ان هدف مجموعته هو اقامة نظام ملكي دستوري ، وخشية من غضب الرياض ، حاولت الحكومة اللبنانية التخلص من الامراء المتمردين فغادروا بيروت الى القاهرة (عبدالمحسن وبدر وفواز وسعد بن فهد) .

فى ٢٨ سبتمبر انفصلت سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، واعترفت الحكومة السعودية فورا بالحكومة السورية ، واستمرت الحرب الاعلامية بين مصر والسعودية ، فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢ وقعت ثورة اليمن ، ودخلت المواجهة مع مصر مرحلة حادة ،خاصة بعد تدخل القوات المصرية فى اليمن ، فى ذلك الوقت كانت السلطة الفعلية بين فيصل واستمر الامر كذلك حتى عزل سعود فى يناير ١٩٦٥ ، وتولى الملك فيصل الحكم . لقد تصاعد الصراع بين النظام السعودى ، وبين الرئيس عبد الناصر ، الا ان وقوع هزيمة ١٩٦٧ ، كان إيذانا بتغيير امور عديدة فى الشرق الاوسط .

فى ٣١ اغسطس ١٩٦٧ ، وفى مؤتمر الخرطوم ، وقع الرئيس عبد الناصر ، والملك فيصل اتفاقية حول التسوية السلمية فى اليمن ، ونصت الاتفاقية على ان تسحب مصر كل قواتها من اليمن خلال ثلاثة شهور ، وتعهدت السعودية بوقف المساعدات للملكيين ، الا ان التدخل السعودى فى اليمن لم يتوقف من الناحية الفعلية ، ويقول المؤلف ان النفوذ السعودى ظل هو السائد فى اليمن الشمالى خلال السبعينيات .

يقول المؤلف انه برغم الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ ، الا ان عبد الناصر ظل هو الشخصية المحورية فى العالم العربى ، كما ان التناقضات بين القاهرة والرياض زادت مع تنامى قدرة مصر العسكرية .

ويتتبع المؤلف تطور العلاقات المتنامية بين فيصل والسادات ، ويفرد فصلا لدور السعودية داخل الاوبك ، وفصلا آخرا للاوضاع الداخلية فى السعودية خلال السبعينيات وحتى مطلع الثمانينيات ، ويركز على الظروف التى أحاطت بمقتل الملك فيصل ، على الظروف التى احاطت ايضا بحادث الحرم الشهير وما رافقه من اضطرابات فى المدينة المنورة ، وما جرى من اضطرابات اخرى فى المنطقة الشرقية ، ويفرد الفصل التاسع عشر لدراسة السياسة الخارجية للسعودية حتى اوائل الثمانينات والتى اصبح من طابعها الارتباط التام بالولايات المتحدة ، اما الفصل العشرين فيخصصه لدراسة البنية الاجتماعية للسعودية فى عصر النفط بعد ازدياد مداخيل النفط ، ووصول ارقامها الى حدود اسطورية ، إلا أن المؤلف لم يصل إلى السنوات الأخيرة لدراسة الانعكاسات المترتبة على انخفاض عوائد البترول على المجتمع السعودى والنظام السياسى فى السطور الاخيرة يقول الكس فاسيليف فى كتابه الذى استغرق سبعمائة صفحة .

« لقد اختل التوازن الاجتماعي القديم فى السعودية ، ولكن لم يقم توازن جديد رغم كل ما يبتدع من مرتكزات واجراءات جزئية ، وهذه حالة شحونة بانفجارات إجتماعية قد تتخذ اشكالا غير متوقعة على الاطلاق ، ونظرا لما للعربية السعودية من وزن فى عالم النفط والمال والاسلام ، فان الهزات والزلازل الاجتماعية فى هذا البلد ستكون لها عواقب دولية بعيدة المدى .

اليوم السادس

بين "شديد" و"شاهين"

بقلم: مصطفى درويش



اندريه شديد



يوسف شاهين

● الكوليرا ، ام حسن ، والحفيد الصغير حسن ، هذا هو الثالوث الذى تدور من حوله قصة « اليوم السادس » لصاحبتها الاديبة العربية المستغربة « اندريه شديد » .

اما ما عداه من احداث وشخصيات اخرى ، فلا تعدو ان تكون تنويعات وتفريعات على لحن « اليوم السادس » الاساسى .. البعث .

فالقصة من أول صفحة ، ولا حديث فيها الا عن الوباء الـذى نلقاه فى حوار يجرى بين « أم حسن » ، وهى جدة تقدمت بها السن ، وبين سائق العربة الكارو التى تحملهـا الى « بروات » قريتها الممتحنة بالكوليرا ، ذلك الوباء الذى اشتد فتكه وأصبح أمره شنيعاً .

وما أن تبـدأ السطور الاولى من الصـفحة الثانية (طبعة فلامريون ١٩٨٤) الا ويجىء ذكر الحفيـد الصغير بفضل الشوق والحنين .

فهذه هى المرة الاولى التى تتطـرق فيها « أم حسن » عن ابن ابنتهـا المتوفاة ، عن ابن روحها وما هى على العربة تتذكر كيف شرحت له قبيـل الرحيل لـماذا هى فى أشد الحـاجة لرؤية أهلها للاطمئنان عليهم .

لـماذا كان من اللازم عليها ـ منذ أمد بعيد ـ أن تسافر اليهم .

ولـماذا لم تستطع القيام بهـذا الواجب حتى الآن .

وتتذكر كيف خففت من وقع الفراق ومرارته على الحفيد بوعدها له أنها لن تغيب طويلا ، لن تمكث فى قريتهـا لاكثر من يوم واحد .

● كوليرا واشياء اخرى ●

وعلى كل فما أن ألقت نظرة طائرة على قريتها البائسة المعذبة بالوباء ، وتبين لها ما ألم بهـا وبأهلها من أهوال ، حتى برت بوعدها ، اسرعت بالعودة الى القاهرة حيث زوجهـا العليل وصغيرها الوحيد .

ثم لا تلبث أن تعلم من حولهـا المطوب ، فالصغير يصاب هو الآخر بالشر العام ، وهى لا تستسلم لليأس، تحاول أن تتجاوز محنتها بالتصدى للكوليرا انقاذا للصغير .

وهكـذا ، طوال جريان أحـداث القصة ، ونحن مشغولون بهذا الوباء ، وبهذه الجدة البائسة وبهذا الصـغير المصاب بالمرض الخطير .

والسؤال الآن ، هـل الكـوليرا ، الجـدة ، الحفيد ، محل تركيـز فى رؤية « يوسف شـاهين » السينمائية لليوم السادس ، بحيث تثير اهتمامنا بهذا الثالوث ، تجعلنـا مشغولين به وحده لا شريك له ، كما كنا فى القصة أم لا ؟

تبـدأ رؤية « شـاهين » لقصة « شـديد » أول ما تبدأ بوجه « أم حسن » (داليدا) فى لقطة مبـكرة سابقة على العناوين ، حينما نراهـا فى سيارة نقل عائدة من قريتها حيث لا شىء سوى الموت بالوباء يحصـد بغير حساب ما يشاء من الاقرباء .

وما تكاد تنتهى العنـاوين ، حتى يبين لنا أن مصر موبوءة بالكوليرا ، وأن هذا الوباء فيها ، كما الحديث عنه ، شائع مستفيض .

وما تكاد تنتهى المشـاهد الاولى حتى نكون قد تعرفنا على شخصيات ثلاث رئيسية « أم حسن » والحفيـد الصغير والمهرج والراقص والقرداتى المسـمى باوكازيون أو « أوكا » أو « عكا » (محسن محيى الدين) ومعه قردته « روز » ، التى هو له كفله ، ثم شخصيات أخـرى ثانوية صاحب سينما ركس الفلسـطيلى « رفعى » (يلعب الـدور يوسف شـاهين) ،

اليوم السادس

ومدرس المعهد ، بندرج أم حسن المريض بالشلل (حمدى أحمد) وصاحبة المقهى الشهوانية (صفاء يونس) وممثلة السينما الفاجرة ، صاحبة البنسيون (شويكار) .

ويلفت النظر فى الشخصيات انها - وباستثناء المدرس والزوج - مختلفة ، ليس لها وجود فى قصة شديد .

● الغناء تحت المطر ●

ثم ما يكاد ينتهى « القرداتى » من نمرته فى حوش تطل عليه شواهد القبور حيث رقص وغنى أمام حشد من الصغار والكبار « ماسمعتش يا غايب حدوتة حتتنا » ، حتى يتكشف لنا اننا بازاء عمل سينمائى جانح الى ان يكون فيلما غنائيا راقصا ، لاسيما ان صاحبه قد أهداه بداءة الى نجم الرقص الامريكى ابان الاربعينيات « جين كيللى » الذى « ملأ ايام شبابنا بهجة » .

وما نكاد نفيق من هذه المفاجأة المذهلة ، حتى يتضح لنا من سير الاحداث فى الربع الاول من الفيلم ، أن صاحبه قد انتقل بمحور القصة من العجوز « أم حسن » الى القرداتى الشاب .

فهو احيانا ينفرد فى الفيلم بمشاهد باكملها ، وفى حالة عدم انفراده بالمشهد ، ومشاركة « أم حسن » له فيه باستحياء شديد ، فهو لا يستطيع على ذلك صبرا .

وسرعان ما ينفرد بأغلب اللقطات ، كما فى المشهد الفريد الذى رقص فيه أمام « أم حسن » وغنى « نركب سفينة من ميناء الى ميناء ، تحت المطرة حركة خطرة » .

ظاهر اذا أن ثمة فروقا بين قصة شديد ، وبين رؤية « شاهين » لها فى فيلمه الروائى الاخير والتاسع والعشرين .. فما هى ؟

● هى وهو ●

« أم حسن » عند « شديد » ، كما الام الشجاعة فى مسرحية « برتولد برخت » ، امرأة لها هدف وحيد كرست له حياتها ، وهو فى « اليوم السادس » انقاذ الحفيد المريض ، بالابقاء عليه حيا الى هذا اليوم ، ذلك انها سمعت من الاستاذ معلم حفيدها قبل أن يحمل من المدرسة الى المنزل مصابا بالوباء ، أن من لا يموت به حتى اليوم السادس من ابتداء القىء ، تكتب له النجاة ، ويبعث حيا .

وهى « أم حسن » ، لا تحيد ، كما « انتيجون » و « ميديا » فى مسرحيتى « سوفوكليس » و « اوريبيديس » عن هدفها الأوحد .

انها تحيا من اجله ، تكرس كل وجودها سعيا الى تحقيقه .

ولو شاءت لها الاقدار ان تفشل فى مسعاها هذا ، لفقدت ارادة الحياة ، ولما بقيت على قيدها يوما واحدا .

● سر البسالة ●

ومصدر هذا الوجد الذى يملك على « أم حسن » كل شىء ، ويصرفها عن كل شىء آخر سوى انقاذ الصغير، مصدره كما الحال مع « انتيجون » و « ميديا » ، وغيرهما من النساء

الباسلات ، ارادة قوية صامدة لاتنحنى امام النكبات والملمات .

ومنبع هذه الارادة بالنسبة لام حسن بالذات ، انها لم تخلق للراحة طبعا ، لم تستمتع بهـا يوما ، فهى امرأة تعمل بساعديها ، بالتحديد غسالة ، نازحة الى المدينة البعينة ، فرارا من الريف الحزين ، وفقره القاتل ، تعى حالها ، وظروف البؤس التى تحيط بها ، مما يدفعها الى القول فى حوار مع النفس : « انا لم اخلق للراحة » اى لليوم السابع (ص ١٤٣ من نفس الطبعة) .

وبحكم حالهـا هذا ، فهى لا تيأس ابدا من انقاذ حفيدها ، وذلك رغم ان الموت يطلبه قليلا .. قليلا .

■ [illegible] ●

انه يقيم فى عقلها وقلبها ، توده خير ما فيها ، فهى الآن فى قلبه ، هى الآن تقـاسمه حياتهـا ، ولذلك لن يموت .

ومن هنا هروبها به من دارها ، فى محاولة منهـا لاخفـائه عن اعين البصاصين ، حمـاية له من الوباء وسوء المصير .

ومن هنا سيرتهـا الملحمية ، وهى تحمله على عربة تجرها فى الحوارى والشوارع ، وهى تحتضنه صـاعدة درجات ادوار ستة الى حجرة الغسيل فوق سطح احدى العمارات ، وهى فى ظلمة الليـل تستقل معـه عربة « حنطور » تذهب بهما الى الفلك حيث تخفيه بين البالات .

فاذا ما رحل الفلك بهما شمالا الى حيث بحار الدهشة والحـلم تعصم الصغير من الموت حتى اليوم السادس، الا ان الرياح بمـا لا تشتهى السفن ، انتــزع الموت الصغير انتزاعـا من الحياة قبل اليوم الموعود .

وبموته ماتت العجوز ، او هـكذا تصور القرداتى ، ولرؤتها بكى قلبه لاول مرة .

■ [illegible] ●

وهذا القرداتى « اوكا » له شخصية فى القصة على النقيض تمـاما من شخصية « ام حسن » .

محسن محيى الدين



داليدا غسالة وبنت بلد



اليوم السادس

فهو أسير اللذات ، يحب النرجيلة والشاى الاسود والنساء والمال حبا جما ، متقلب ، مسرف فى التقلب ، ينفق حياته ملتمسا لمنفعته الخاصة القريبة الحقيرة .

وليس أدل على شرهه الى المال ، أنه التمسه من غير وجهه الصحيح ، فهو يبلغ عن المصابين بالوباء ، ويتقاضى عن غدره هذا أجرا .

وهو يوفر مكانا ، لام حسن ، على ظهر الفلك مقابل وعد منها باعطائه نصف ما ادخرته من مال اكتسبته بالحلال .

وليس أدل على عدم ميل مبدعة القصة معه ، بل قل احتقارها لفلسفته وسلوكه فى الحياة ، انها لم تظهره على مسرح الاحداث الا مع ابتداء الجزء الثانى (ص ٧٥) ، وفى مناسبة كريهة ، استقل فيها ثقة المعجبين ببهلوانياته استغلالا منكرا .

فها هو ذا ساعة الغروب ، على سلم وزارة الصحة ، ممسكا بورقة جديدة ناعمة خضراء قيمتها عشرة جنيهات ، أعطيت له مقابل الكيد لاحد المبتلين بالوباء .

وها هو ذا يخاطب قردته مقتلها : « مانجة ابنتى .. فلتمها الكوليرا .. خسارة ان الوباء قارب على الانتهاء .. لو كنا عرفنا مبكرين ، لاصبحنا الان من أصحاب الملايين » (يلاحظ هنا أن القردة اسمها « مانجة » وليس « روز ») .

أما فى الفيلم « أم حسن » و « أوكا » القرداتى كلاهما له تقدير آخر .

هى امرأة محبطة ، مكبوتة ، تعيش مع زوج مشلول لا يستطيع أن يعول ، خانها من قبل بالزواج من امرأة ثانية وعندما تفقد أملها الاخير بموت الصغير قبل اليوم السادس تحاول الانتحار .

وهو قرداتى فلاتى ، ليس فى خصاله ما يغرى بالمكر والغدر ، ويدفع الى الخيانة والاثم ، والتورط فى أشياء كثيرة يأباها حسن الاداب .

* * *

وليس أدل على هذه الرؤية الجديدة له ، من مسلكه على ظهر الفلك قريبا من النهايات .

فهو الذى عقب اكتشافه الصغير ميتا ، ينكر الموت ، يتحداه ، يضع الجثة فى قفة يعلقها بحبل الصارى ، ثم يأخذ فى شد الحبل حتى ترتفع القفة فيرى الصغير البحر ويتحقق الحلم .

هذا المشهد السينمائى الجميل ، والذى فيه شىء غير قليل من شطحات الخيال المستحبة ، ما هو المقابل له عند « شديد » ؟

يكتشف القرداتى موت الصغير ، تطلب اليه « أم حسن » أن يتكلم ، يظل صامتا هامسا لنفسه « غلبانة مجنونة » (ص ١٨٢) .

فاذا ما قفز القرد « مانجة » من بين ذراعى « أم حسن » ، الى ذراعى « أوكا » ، انطلق الاثنان « القرد وصاحبه » فى صراخ وعويل ، من ذلك النوع الذى يصاحب عادة المجىء المفاجىء للموت ، والذى لا يرجى منه نفع .

داليدا مع سناء يونس في اليوم السادس



وفور سماع هذا الصراخ والعويل تسقط العجوز على الارض ، يذهب القرداتي اليها حيث ترقد ، يرفع رأسها ، يسندها اليه ، يتحسس وجهها المتجمد ، فيحس انها ماتت بموت الصغير ، بل يذهب الى ابعد من هذا لا يتمنى لها حياة (ص ١٨٣) .

● البعث

وهنا يتدخل « أبو نواس » (يوسف العاني في الفيلم) « ريس » المركب . انه هو ، وليس القرداتي الذي ينادي العجوز بأعلى صوته قائلا :

ـ « أم حسن .. انت محقة .. الطفل حي » .

ومع تكرار هذا النداء من « ابي نواس » ومن « دسوقي » التربي (محمد منير) المسك بالدقة ، ومع هذا الاصرار على أن الصغير حي يرى البصر ، يبدأ القرداتي في المشاركة ، فينادي هو الآخر العجوز هل تسمعينني يا ام حسن .. أزف اليك البشرى .. الطفل سيرى البحر» (ص ١٨٦ أو الصفحة الاخيرة) .

فترتسم ابتسامة على شفتي العجوز ، انها تسمع الاصوات ، ترى البحار وجنات تجرى من تحتها الانهار ويحملونها برفق لمن أن تقاوم ، فالطفل في كل مكان بالقرب منهما ، امامها ، موجود في صوت وفي قلب هؤلاء الرجال ، لم يمت ، بل لايستطيع أن يموت .

واذن ، فالبداءة لم تكن من القرداتي ، بل كان هو الاخير من بين رجال الفلك في المشاركة .

والآن الى من ننحاز ؟ الى رؤية « شديد » الادبية ام الى رؤية « شاهين » السينمائية ؟ هذا هو السؤال ، والاجابة عليه قد تبدو يسيرة ولكنها في حقيقة الامر جد عسيرة .



رأى فى الثقافة

● التمسك بالشكل ●

● فى واحدة من أهم المعارك النقابية التى شاركت فيها منذ وقت مضى قال أحد المخضرمين فى هذه المعارك : "علينا أن نتمسك بالشكل ، فبهذه الطريقة يمكننا أن نطبق "القانون" الذى هو الحكم بيننا جميعا . وكانت هناك لحظتان .

ـ لحظة تمسك فيها الطرف الذى كنت واحدا من ممثليه بهذه القاعدة ، وعند التصويت على نقطة أثارها الطرف الآخر ، وهى رفض أو قبول توكيلات الغائبين ، وكان هو قادرا على الاتصال بهم وإحضار التوكيلات منهم ، بدت الغلبة لطرفنا (الطالب للحق والعدل) وكانت هذه القاعدة البسيطة : التمسك بالشكل هى الإطار الذي حمى مبدأنا من محاولة الغلبة دون وجه حق .

ـ لحظة أخرى جاءت عندما قبل فريق من الطرف الذى كنت واحدا منهم التخلى عن هذه القاعدة المبدئية وقبل اقتسام المقاعد فحصلت الفرقة وتمت الهزيمة .

وفى حينها أثارتنى هذه "المقولة" فرحت أناقش النقابى المخضرم فى أصولها ، ثم إمتد بى البحث إلى كتابات تناولت الموضوع من أطرافه المختلفة ، فازداد يقينى بهذه القاعدة ، ووجدتنى أمد النظر والتفكير فيها أثناء عملى الابداعى والمشاكل النوعية التى يثيرها دوما .

وإذا جاز لنا أن نطبق هذه القاعدة على الأشكال الأدبية المختلفة فإننا نجد أنها ـ هذه القاعدة ـ تشكل الحد الفاصل بين الأنواع ، بين العمل المتقن والعمل الردىء ، بين الزائف والحقيقى ، المبدئى وغير المبدئى .

وفى ظل غيبة "القيمة" والتسيب السائد فى حياتنا الثقافية فإن طرح هذه

القاعدة للمناقشة ، خاصة أمام الأجيال الشابة من العاملين فى حقل الكتابة سيكون فى تقديرى مفيدا للغاية .

إننا نزعم أن الفروق لم تعد واضحة بين الأشكال الأدبية المختلفة ، الأمر الذى أصاب الحياة الثقافية والعاملين فيها بنوع من فقدان الدافع المبدئى والمهنى للإتقان . كخطوة أولى ضرورية لمواصلة العمل والإحساس بجدواه .

وهذا مايقف وراء ظاهرة انتشار الكاتب الجوال والصحفى "أبو شنطة" الذى لشدة ضياعه (وبعضهم لا يخلو من الموهبة) يقوم بعمل كل شيء ، وأى شيء ، وتطالع النتيجة فتجد خلطا غريبا بين الأشكال : تقرأ موضوعا بإعتباره حوارا مع أديب أو مفكر فتكتشف أن الضياع قد أوصله الى حد أنه لم يقرأ شيئا مما كتبه الأديب أو المفكر ، وإن كان قد قرأ فهى القراءة السطحية السريعة : لزوم الشغل ، "وكله عند العرب صابون" . تقرأ كلاما آخر بإعتباره عرضا لكتاب فتجده تلخيصا فجا للمقدمة وأحد الفصول مما يدخل فى باب الثرثرة .

لذا فإننا نقول أن تطبيق قاعدة التمسك بالشكل هنا ضرورى للغاية ، كمرحلة هامة من مراحل الوصول إلى إبداع أشكال جديدة مبدعة خاصة بصاحب المحاولة .

إن علىّ حينما أجرى مقابلة أدبية ان أتمسك بكل الضروريات اللازمة ، أن أقرأ ماكتب الأديب ، وان أحدد مواطن السؤال من هذه القراءة ، وسيكون مفيدا لو قرأت ماكتبه الآخرون عنه ، فلربما اكتشف الآخرون ماخفى علىّ .

وحينما أقوم بعمل عرض لكتاب فإن علىّ أن أتجنب المواقف الأخرى : مثلا موقف الباحث الأكاديمى الذى لا يهمه الكتاب الفرد ، بقدر مايهمه تأصيل الموضوع إستنادا إلى قاعدة موضوع البحث ، وإن علىّ أن أعرف أننى أتوجه إلى القارىء العادى الذى أقدم له معلومات ضرورية ، حول صاحب الكتاب ، وأعماله الأخرى ، حول أوجه الشبه بين هذا العمل ، وأعمال أخرى ، وحول ما إذا كان الكاتب قد تطور أو إنتكس ، تقدم أو تخلف .

انها دعوة لأن تتضح الفروق بين المقالة الأدبية وبين المقابلة ، بين الرواية وبين الريبورتاج الصحفى ، بين عرض الكتاب المقصود به القارىء العادى للصحف والمجلات وبين الدراسة الأكاديمية الموضوعية .. فبهذه الطريقة يمكن لنا جميعا أن نعرف مواطىء أقدامنا ، وأن نعمل ، وسوف يتضح لنا أن هذه "الزحمة" التى نحس بها ما هى إلا ابنة لهذا الخلط العجيب ، والتسيب الذى أصبح سمة غالبة .

إنها إذن ليست دعوة "شكلية" إنما هى دعوة مبدئية لملامسة جوهر وروح العمل الذى من أهم مقدماته أن أعرف : ماذا أفعل ، وكيف ، ولمن أتوجه .

عبده جبير





الرجل السمكة .. ومسلسلات الخيال الامريكية

□ بدأ التليفزيون في إعادة عرض الحلقات المتصلة المنفصلة . باسم (رجل من اطلانتيك) او الرجل السمكة .. وهو مسلسل ينتمي إلى نوعية الخيال العلمي التي برع فيها مطبخ التليفزيون الامريكي منذ زمن طويل وشاهدنا العديد منها على شاشة التليفزيون المصري مثل (رحلة الى اعماق البحار) (الغزاة) في الستينات ، ثم (رجل بستة ملايين دولار) و (مفقود في الفضاء) و (المرأة الخارقة) في السبعينات وفي الثمانينات جاءنا (جالاكتيكا) ، وهذا المسلسل بالاضافة إلى مسلسلين اخرين يعرضان في سهرة القناة الأولى ضمن برنامج (اخترنالك) مساء الاربعاء ، وعلى القناة الثانية في السابعة مساء ، بالتناوب ، وهما (العربة) ، (نايت ريدر) ، وفي هذه المسلسلات اتجاهان ، الاول ان يتمتع بطله او بطلته بقدرات خارقة والثاني ان تتمتع الالة بهذه القدرات التي تمكن صاحبها في النهاية من الفيلم ، بالتالي بأعمال خارقة .

والمسلسل الذى نراه الآن - بدأ عرضه ٣١ اغسطس الماضي - يسير في الاتجاه الاول ، فبطله يتمتع بقدرات خارقة في البحر ، وفي الارض ، واصل الفكرة بسيط جدا ، فنحن امام إنسان يتضح من متابعته انه نصف إنسان ونصف سمكة ، يتنفس على الأرض وفي الماء ، ويحتاج للاثنين معا فيتقلب بينهما وبنفس الدرجة فبعد عدة ساعات على الارض لابد له من الغوص في المياه والعكس . وتخبرنا الحكاية - او على الاصح نستنتجها من النسيج الدرامي - انه جاء من كوكب آخر ، وانقطع اتصاله به وانه ، مثل اقرانه في الكوكب البعيد ، يتمتع بقدرات خارقة في السمع وفي القوة البدنية له ملامح جسمية كأى إنسان ارضي باستثناء الغشية بين الاصابع تميزه عن بني البشر (وهنا بالطبع تجتمع عدة اشياء خيالية .. ربما يكون من المستحيل عمليا تحققها معا في شخص واحد .. لكن ما المانع مادام صناعها قادرين على اقناعنا بها في إطار نظرية الاحتمالات) . ولكن الواضح ، والذي لم يعد غريبا ، ان هذا الاتجاه في المسلسلات الامريكية اصبح له متخصصون على درجة عالية من الكفاءة من الناحية التقنية في فن الحيل السينمائية والتليفزيونية ، كذلك تلفت النظر في هذه الاعمال

خصوبة التأليف والتخصص العلمى القائم على نظرية الاحتمالات وهى مسالة .. يتداخل فيها الخيال والعلم معا ... وربما

الخرافة ايضا والمهم فيها هو تحويل المستحيل إلى ممكن الحدوث ومن ثم تحدث عملية الاقناع وبعدها تاتي الخطوة الثانية وهى عملية اقناعنا بالعناصر الاخرى المصاحبة للبطل الخارق (السمكة) وهى هنا سفينة الابحاث المتطورة التى تجوب البحار وتتبع مركز الابحاث العلمية للبحرية الامريكية . ترأسها عالمة فى ابحاث البحار . مسئولة عن السفينة ـ الغواصة . وتقوم فى الوقت نفسه بدور حلقة الوصل بين السفينة وبين هذا المخلوق (مارك) الذى تم ترويضه لخدمة الانسانية . والابحاث العلمية .

اما مشكلة الحلقات الثلاثة بعد الاقناع بالبطل وبما يحيطه فهى القصص التى يتم من خلالها استغلال الاثنين معا . فلابد من موضوع جذاب يتناسب وبيئة المسلسل وهى البحر وكعادة افكار ومفردات كتاب هذه النوعية من الاعمال التى تعتمد على ابطال خارقين لهم علم إنساني . فإن الافكار تحوم حول ظاهرة خطيرة يتخيلونها وهى محاولات قوى مختلفة لتدمير الولايات المتحدة .. أو السيطرة على الارض وتدمير البشرية ! فى الحالة الاولى غالبا ما يكون البطل (المقابل) عالم عبقرى متخصص لكنه باع نفسه لدولة معادية لامريكا .. أو انه يريد ، بدافع تحول عبقريته إلى جنون عظمه ، السيطرة على العالم وفرض سيادته عليه وعلى امريكا ايضا . اما محاولات تدمير البشرية فهى تاتي عادة من خلال مخلوقات او كائنات مجهولة . اتية من كواكب وعوالم مجهولة فى الفضاء الخارجي . وفى كل مرة . نحن امام ديكورات رائعة . شديدة الابهار . وصراع وقتال وقنابل واسلحة عجيبة يستخدمها الطرفان فى الفتك ببعضهما البعض . وعادة فإن هذا الرجل السمكة هو القوة الحقيقية التى تتصدى . وتنتزع الاعجاب . ولعله من اغرب حلقات هذا المسلسل حلقة ابطالها من الميكروبات التى جاءت مع قمر

صناعي امريكى عائد من الفضاء . ونزل فى البحر (وبالطبع هبط بجانب السفينة حتى يقوم الرجل السمكة بدوره) الغريب أن هذه الميكروبات تبدو (بعد الفحص العلمى) على درجة هائلة من العقل والتقدم . حتى كادت ان تفتك بالبشرية كلها لولا ان الله سلم ونجح (مارك) فى ان يصل الى اقناعها بالعدول عن ذلك . والاكتفاء باعادة اطلاقها إلى مواقعها التى جاءت منها فى الفضاء والذى اقتحمه القمر الصناعى عليها خطا .

بالطبع فإن مطبخ التليفزيون الامريكي لا يكتفى بهذه المسلسلات الموجهة للكبار نظريا وعمليا هى اشد جاذبية للصغار . وانما تمتد انجازاته إلى حلقات الكارتون المتخصصة لبرامج الاطفال والتى راى اطفالنا عددا كبيرا منها



ماجدة موريس



● مسرح ●

محاولات فى "لعبة السلطان"

● فى المسرح القومى بدأ مع مطلع الشهر الماضى عرض مسرحية "لعبة السلطان" التى كتبها د. فوزى فهمى واخرجها نبيل الالفى بعد غيبة خمسة عشر عاما عن المسرح، ويلعب بطولتها نور الشريف، عايده عبدالعزيز، عبدالرحمن ابوزهره، حمد وفيق، اشرف عبدالغفور، وفيها يناقش المؤلف قضية العدل والقوة او الحكمة والسيف، وذلك من خلال اطار تاريخى، اذ يعود ببطله صاحب صندوق الدنيا وزوجته والبلياتشو الذى يعمل معهما وينقلهم من زمان القاهرة القديمة الى عصر هارون الرشيد فى بغداد، فى محاولة لكسر المسافة النفسية والجمالية وتحقيق جوهر الظاهرة المسرحية، ويناقش المؤلف قضيته تلك ـ كما يقول [بتجاوز اضلاع مثلث العلاقة فى المعالجات الدرامية السابقة التى دارت حول الرشيد واخته العباسة ووزيره جعفر، بإدخال شخصية (الاخرس) رجل الاعتزال لكى يتحول (المثلث) مربعا يلهث فى دورانه. ولكى يشكل فى النهاية دائرة هى حلبة الصراع] وصمم الديكور والملابس صبرى عبدالعزيز ووضع الموسيقى جمال سلامه وصمم الرقصات عبدالمنعم كامل.. ومع بداية الشهر الحالى يعود الى خشبة المسرح القومى عرض (عجبى) الذى اعده واخرجه عصام السيد عن حياة الشاعر الراحل صلاح جاهين وهو العرض الذى اثار العديد من القضايا الفكرية والفنية حين عرض منذ شهرين بعد ان مزج بين مسيرة ثورة يوليو وحياة صلاح جاهين وافكاره ومعاركه الادبية والفنية ومواقفه السياسية، وقد لعب دوره الفنان الشاب مؤمن البربيسى. وقام بدور (درش) الشخصية الكاريكاتورية التى صاغها الراحل بريشته الفنان نبيل الحلفاوى ومعهما محسن حلمى وفاروق عيطه وامال الزهيرى وسامى مغاورى ومحمد على، وصمم الديكور اشرف نعيم ووضع الموسيقى منير الوسيمى وصمم الرقصات على الجندى مع اضافات متنوعة لشرائح سينمائية وتعليقات صوتية لخطب عبدالناصر وانور السادات واناشيد مختلفة باصوات عبدالحليم حافظ وماجده الرومى.

التهكم السلبى فى "العسل عسل.."

● يواصل مسرح الطليعة تقديم عرضه الناجح (العسل عسل والبصل بصل) الذى اعده واخرجه مدير المسرح سمير العصفورى عن مقامات ورباعيات بيرم التونسى فى محاولة لاستخلاص رؤية معاصرة عن واقع ماقبل ثورة يوليو ٥٢. وفى صورة تهكمية ساخرة وكاريكاتورية تخلط الماضى بهموم الحاضر ومشكلاته، ويعلو فيها الموقف النقدى غير المنحاز والنبرات المتناغمة فتهتز الرؤية وتتاك وسط اهازيج الغناء الشادى لسهير طه حسين وممدوح قاسم والحان على سعد المعبره والقوية والمنسجمة مع تنويعات شعبية متباينة. مع الاداء الهزلى لاحمد حلاوه ويوسف رجائى ورانيد فؤاد وشوشو سلامه وعبدالله الشرقاوى ومحمد الشرشيبى.



نبيل الالفى

ولكنه فى النهاية عرض من فنون الغناء والكوميديا المبهجة التى تختلط فيها الدموع بالضحكات فلا يبعد المتفرج عن مشاركتهم جميعا فى التهكم السلبى !

المصريون فى "كوكب الفيران"

● ويقدم المسرح الحديث بلكورة موسمه الشتوى هذه الايام فيعرض مسرحية (كوكب الفيران) التى كتبها محفوظ عبدالرحمن واخرجها د . محمد عبدالمعطى ويشارك فى تمثيلها نادية رشاد وشعبان حسين وعادل بدر الدين وفوزى امام وماهر لبيب . وكانت هذه المسرحية قد تاجلت موسمين كاملين بعد اسناد اخراجها تباعا لكل من محمد فاضل ، جلال الشرقاوى ، الراحل عبدالرحيم الزرقانى ، نبيل الالفى . والمسرحية تعالج قضية هامة وحيوية عن تغلغل العدو الخارجى فى جذور التربة المصرية ومحاولاته المستمرة فى تخريب الوجدان الشعبى والقومى ، ويتمثله المؤلف فى جرذان زاحفة الى وادى النيل تاكل الاخضر واليابس وتتكاثر وسط الاهمال والتسيب وتفشى السلبية . وتنذر المسرحية من الاخطار المترتبة من جراء كل ذلك ..

وبعد الانتهاء من عرض هذه المسرحية يبدأ العرض الجديد الذى كتبه محمد سلماوى تحت اسم (قاتل خارج السجن) ويخرجه سعد اردش .

● وفى المسرح المتجول يجرى العمل ، استعدادا لتقديم مسرحية (حلم يوسف) التى كتبها بهيج اسماعيل ويخرجها د . حسن عبدالحميد وتمثلها عزه بلبع مع خالد الذهبى واحمد فؤاد سليم ومخلص البحيرى .

● وعلى مسرح الجلاء يستعد على سالم والمخرج هانى مطاوع لتقديم مسرحية (خشب الورد) الذى يشترك فى تمثيلها محمود عبدالعزيز فى اول تجربة له على خشبة المسرح ومعه عبدالمنعم مدبولى والهام شاهين ووحيد سيف .

● وفى الثقافة الجماهيرية اصدر د . عبدالمعطى شعراوى رئيس الجهاز قرارا بإعادة تشكيل ادارة المسرح وذلك بتكليف الكاتب المسرحي يسرى الجندى برئاسة الادارة ومعه الكاتب ابو العلا السلامونى نائبا له وصبحي امين سكرتيرا والمخرج عباس احمد مسئولا عن المسرح فى محافظات الوجه البحرى وسيناء والقناة ، والمخرج سمير حسنى مسئولا عن المسرح فى محافظات الصعيد والكاتب امير سلامه عن لجنة النصوص . والشاعر سمير عبدالباقى عن قسم البحوث والتوثيق والمخرج رؤوف الاسيوطى عن الخطة والانتاج . والشاعر احمد الحوتى عن المتابعة . وقد تم دمج فرقتى السامر والنمونجية فى فرقة واحدة باسم الفرقة المركزية . وذلك ضمن اطار من النشاط المتنقل فى ربوع الجمهورية وفى وحدة متكاملة وبمفهوم جديد لمسرح الثقافة الجماهيرية .

محمد الشربينى



• مجلات •

كراسات شبرامنت

نوعية مختلفة من المجلات الثقافية بدأت تترى فى مصر ، هى أشبه بالرسائل الاخوانية من ناحية أهدافها وقصدها ، كما هى أشبه بمطبوعات الماستر التى أغرقت الساحة الثقافية فى مصر فى السبعينيات .

« كراسات شبرامنت » واحدة من هذه المجلات ، وهى تصدر باللغات الفرنسية والعربية وبعض موادها يترجم أيضا للايطالية . ولتسميتها قصة طريفة .

فقد إجتمع عدد من المثقفين المصريين المتكلمين بالفرنسية وعدد من الفرنسيين ممن يعملون فى مجال المصريات أو مجال الترجمة من العربية إلى الفرنسية وبالعكس تحدوهم الرغبة فى القيام بإصدار مطبوعة غير دورية لتعريف المتكلمين بالفرنسية بالأدب العربي والثقافة العربية ، وتعريف أبناء العرب بالثقافة الفرنسية . وكان إجتماعهم فى منزل سيدة منهم هى « جيلان ألوم » بمدينة شبرامنت حيث تعيش لأنها تعد رسالة دكتوراه بمنحة من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية . وتداول المجتمعون عدة أسماء للمطبوعة إلى أن اقترح أحدهم إطلاق إسم شبرامنت حيث يجتمعون عليها فحملت المطبوعة هذا الاسم .

صدر من هذه المجلة حتى الآن عددان ، ضم العدد الأول مجموعة من قصائد أمل دنقل ترجمت للفرنسية والعربية ، كما ضم هذا العدد ضمن مواده قصة المسلسل لسليمان فياض وترجمة جزء من فصل فى الجحيم لآرثر رامبو من ترجمة الراحل رمسيس يونان وكان النص الكامل لهذه القصيدة الرائعة قد صدر فى كتاب بالعربية منذ سنتين عن دار التنوير اللبنانية .

كما ضم العدد أيضا ترجمة قصيدة كفافى الشهيرة فى إنتظار البرابرة من ترجمة مجدى وهبة .

من أجواء القصيدة الأخيرة نقرأ :

ماذا ننتظر ونحن مجتمعون فى مجلس الشورى ؟

إن البربر قادمون اليوم .

ولماذا مات كل نشاط فى دار الشيوخ . وجلس الشيوخ وهم لا يعملون ؟

لأن البربر قادمون اليوم .

وماهى القوانين التى يريد الشيوخ أن يسنوها ؟

متى قدم البربر . سن الشيوخ القوانين .

ولماذا إستيقظ الامبراطور منذ الفجر ؟ ولماذا جلس أمام باب المدينة على عرشه الرسمي ، وفوق رأسه تاجه ؟ لأن البربر قادمون اليوم .

مكتبة الهلال

الكتاب : بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ - ١٩٤٩ دراسة وثائقية
تأليف : د . أحمد عبدالرحيم مصطفى
الناشر : دار الشروق ، ٢٠٤ ص ، ق كبير ٣٠٠ ق م .

يحدد مؤرخنا النابه الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى موقفه من البداية من المادة التى يتناولها بالدرس فيعرض من اجل ذلك لموقف العرب الذين حملوا السياسة البريطانية مسئولية التطورات التى ادت إلى ظهور الدولة اليهودية وهزيمتهم فى حرب ١٩٤٨ . ثم يعرض لموقف الصهاينة الذين إتهموا بريطانيا بالتنكر لوعودها والتحيز للعرب خدمة لأهدافهم النفطية والاستراتيجية ساعين إلى واد مشروع الدولة اليهودية .

ويستبعد مؤرخنا هذا وذاك متجردا من العواطف والنوازع والأحقاد التى تراكمت حول تفسير الاحداث ، ليقف موقف الدارس الموضوعى من السياسة البريطانية إزاء فلسطين فى الفترة موضوع البحث .

ولما كانت الحكومات العربية ،لم تقم حتى الآن بترتيب أوراقها الرسمية والسماح بالاطلاع عليها، فانه توفر على الوثائق البريطانية غير المنشورة بعد السماح للباحثين بذلك عقب إنتهاء فترة الحظر التقليدية ، ليجعل منها العمود الفقرى لهذا البحث .

ويقول : «ومن الطبيعى ان تصدم بعض الحقائق الواردة فى الكتاب بعض القراء العرب وبخاصة اولئك الذين يشككون عن جهل بطبيعة الوثائق ومن سطروها ، واحب ان انبه هؤلاء إلى أن الوثيقة الرسمية غير موجهة إلى أى قارىء ، بل إنها تكتب فى وقتها لتبادل الرأى والمعلومات بين مسئول وآخر حول قضية ما . ولاشك ان الاجهزة البريطانية فى المشرق العربى كان لها من الوسائل ماساعدها على الحصول على أدق المعلومات ..

وبهذا التجرد العلمى يدرس موضوعه الذى فصله فى عدة محاور أولها : توقف به عند «سياسة حكومة العمال» التى كانت فى الحكم اثناء هذه الفترة ، مبينا فشل السياسة البريطانية ، وعارضا لقرار إنهاء الانتداب . ثم محور «فلسطين فى إطار الدفاع المشترك» بعدها يعرض لموضوع «المشكلة فى المجالين العربى والدولى» وينهى صلب البحث بدراسة عن «بريطانيا وحرب فلسطين» .



اما ملاحق الكتاب فضمت عددا هاما من نصوص الوثائق وهنا تجدر الاشارة إلى ان بعض هذه الوثائق هى نفسها التى اعتمد عليها محمد حسنين هيكل فى دراسته الجارى نشرها عن حرب السويس ، وإن كان الدكتور أحمد مصطفى قد خصص موضوعه فى فلسطين . وسيكون من المفيد ان نتبين كيف تعامل الكاتبان مع هذه الوثائق كل من زاويته الخاصة .



الكتاب : سوسيولوچيا العلاقات الزراعية فى الشرق الأوسط - إستمرار الانتاج العائلى - نموذج مصر .
تأليف : كاثى وباندلى جلافانيس
ترجمة : سامى الرزاز
الناشر : دار البيادر - القاهرة ١٥٢ ص ، قطع متوسط ، ٣٥٠ ق م

على الرغم من أن المسألة الزراعية فى مصر قد حظيت بالعديد من الدراسات الجادة والمهمة ، وعلى رأسها دراسات لباحثين مصريين فى مقدمتهم ، فتحى عبد الفتاح ، عبد الباسط عبد المعطى ، عاصم الدسوقى ، على بركات ، إبراهيم عامر ، رؤوف عباس ، وغيرهم ، إلا أن هذه الدراسة تميزت بتخصيصها لجانب هام من هذه المسألة التى تشكل العملية الانتاجية الرئيسية فى المجتمع المصرى ، وهو جانب غلبة العائلة الفلاحية الصغيرة بإعتبارها الوحدة المحورية فى تنظيم العمل ، وما يواكبه من تولد للقيمة .



إن الهدف لهذا البحث الجاد يتمثل فى محاولة فهم الآليات والاستراتيجيات المحددة التى يستخدمها هذا الشكل اللارأسمالى من الانتاج لضمان إعادة إنتاجه فى إطار عملية تحول سلعى متزايدة فى مصر .

وتتألف الدراسة من قسمين : الأول يطرح عرضا نقديا للنموذج السائد فى الأدبيات التى تتناول المجتمع الريفى فى الشرق الأوسط ، ويعيد القسم الثانى تفسير المجتمع الريفى فى هذه المنطقة كوسيلة لطرح نموذج جديد ، أو تفسير جديد موسع للريف المصرى خاصة ، فى سياق النموذج القائم .

وتجدر الاشارة إلى أن المؤلفين يعملان فى جامعتى دوهام (بريطانيا) وبيرزيت بالضفة الغربية ، وقد أشرفا بنفسيهما على الترجمة العربية ، وزادا عليها ، ووضعا مقدمة خاصة لها ، وتميز الكتاب بكشاف مراجعه الموسع والذى يضم ٣٣٣ مرجعا عربيا وأجنبيا تدور حول المسألة الزراعية فى الشرق الأوسط

الكتاب : محمد التابعى
تأليف : صبرى أبو المجد
الناشر : دار التعاون ، ٥٧٦ ص قطع كبير ، ٦٠٠ ق م

هذا هو أول جزء من سلسلة أعلام الصحافة العربية التى تزمع دار التعاون إصدارها تباعا خصص لواحد من أعلام الصحافة المصرية هو الأستاذ محمد التابعى .

ومن الواضح أن الأستاذ صبرى أبو المجد قد بذل جهدا كبيرا فى قراءة ماخلفه محمد التابعى ، من قصاصات الصحف ، إلى رسائله الخاصة ، ورسائل

العديد من الشخصيات التى وجدتها السيدة هدى التابعى بين أوراقه ، هذا بالإضافة إلى مذكراته الشخصية ومؤلفاته العديدة وفى مقدمته التى جاءت أشبه بإستعراض ملخص لحياة وأعمال التابعى يصرح المؤلف بأنه لم يكن يعرف التابعى شخصيا ، وأنه قبل مهمة الكتابة عنه كجزء من واجبه تجاه صحفى لامع ورائد كبير وبصعوبة شديدة يكتب عن بواكير الصبى والشباب والكتابة لدى التابعى نقول بصعوبة لأن التابعى لم يترك معلومات عن طفولته إلا تلك التى حصلها المؤلف من إستمارات شهادات التعليم التى عثر عليها بين أوراقه ومقالات الأستاذ عباس خضر عن طفولة التابعى ، ثم يستعرض أول عمل له وهو ترجمة مذكرات اللورد سيسيل التى قصد بها التابعى فضح المستشار المالى للحكومة المصرية الذى سخر من المصريين وعاداتهم فى العمل والحياة .

ثم يأتى المؤلف إلى نشاط التابعى فى كتابة المتابعات المسرحية ويعده رائدا من روادها ، ثم يحكى قصة لقائه بالسيدة روزاليوسف ، وبداية كتاباته الصحفية ، وإنتقاله بالتالى من دولة المسرح إلى دولة السياسة ، والمشاكل التى تعرض لها نتيجة لكتاباته الجريئة الأمر الذى دفع به إلى قضاء أربعة أشهر كاملة فى السجن ، يستعرض معركة التابعى دفاعا عن الدستور ، وقصة أول مصادرة لروزاليوسف ، ثم إصدار التابعى لمجلة آخر ساعة التى كانت فتحا جديدا فى الصحافة المصرية ، ومشاركته فى إصدار جريدة المصرى .

ويقول صبرى أبو المجد فى نهاية الكتاب : على أننى وقد إتسع نطاق الكتاب .. أؤكد للقارىء أننى عازم على تقديم كتاب آخر عن التابعى فى آخر ساعة والمصرى ، وأوراق التابعى السياسية مع تحليل كامل شامل لشخصية التابعى الصحفى الفنان والإنسان وهو مايفتقده القارىء بالفعل فى هذا الجزء

الكتاب القدس فى العصر المملوكى
تأليف : د . على السيد على
الناشر : دار الفكر ، ٣٣٨ ص قطع كبير ، ٥٠٠ ق . م

بقدر ما كانت القدس رمزاً وستارا للعدوان فى كل من الحركة الصليبية والحركة الصهيونية بقدر ماكانت المدينة المقدسة مركزا للبناء ، وبؤرة حضارية وثقافية هامة فى الحضارة العربية الإسلامية .

وهذا الكتاب يحدثنا عن القدس راسما صورة متكاملة وحية عن المدينة المقدسة خلال مايزيد على قرنين ونصف من الزمان ، يقدم لنا صفحة من صفحات تاريخ مدينة بيت المقدس ، حافلة بالمعانى والدلالات الهامة ، فهو كتاب يكشف عن القدس «المدينة الحضارة» .. يكشف عن القدس العربية فى حياتها السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية ويرسم صورة حية لمدينة السلام فى حياتها اليومية على حقبة غنية بالحركة من تاريخها الطويل .

والكتاب فى أصله أطروحة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراة من قسم التاريخ بآداب الزقازيق .

شخصية العدد

برنارد كالب: الأمة فوق الحكومة

بقلم: فيليب جلاب

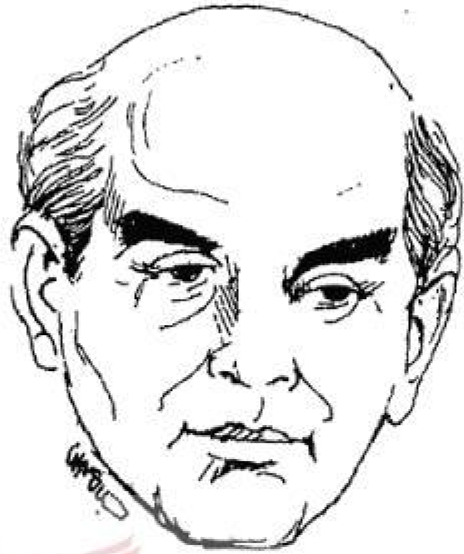
برناردكالب صحفى ومعلق امريكى بارز . وصل الى منصب رفيع يحلم به غالبية المعلقين الامريكيين وهو ان يتحدثوا باسم بلادهم سواء فى البيت الابيض او وزارة الخارجية .

لكن كالب رجل من اصحاب الضمائر اليقظة رغم انه ينتمى الى ادارة وسياسات لا تعرف بالضرورة شيئا عن الضمير ، فى خضم صراع الحياة والموت من اجل التفوق والسيادة على العالم.

ومع أن كالب ليس متيما بحب العرب ، والليبيين منهم خاصة، الا انه قدم استقالته من منصبه لان ضميره لم يعد يتحمل وسائل حكومته ورئيسه فى الحرب ضد ليبيا .

لكن استقالة كالب لم تكن حبا فى ليبيا بقدر ماهى حفاظا على مصداقية الولايات المتحدة الامريكية كما يحبها وفقا للصورة التى يحتذيها لها .

فقد اكتشف ((كالب)) انه كان ينفذ دون ان يدرى تفاصيل حملة كاذبة مضللة تؤدى الى استخدام الارهاب ضد ليبيا بحجة محاربة الارهاب الليبى . ورغم ان اعلان الاستقالة وتحديد اسبابها اغضب الرئيس ريجان الذى يؤيد مجمل سياساته ، ورغم أن الاستقالة اضعفت كل



حجج « بلاده » امام اصدقائها الاوربيين الذين تحاول تعبئتهم ضد « العدو الليبى » ، فضلا عن العدو السوفييتى ، الا أن برنارد كالب لا يعتقد ان الادارة الامريكية او الرئيس ريجان هو « البلاد » او « الوطن ».

فالوطن فى البداية والنهاية هو اكبر كثيرا من اى رئيس او امبراطور او حكومة او حزب. وهى الترجمة الامريكيـة لشعارنا : الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة !

وبهـذه الاستقالة التى اضـعف بها برنارد كالب حكومته ورئيسـه ، اعطى للولايات المتحدة الامريكية ، وللنظام الامريكى مصداقية وقوة لم يأت بمثلها الرئيس ريجان طوال فترتى حكمه

هل هى مناورة ؟ هل هـو تقسـيم للادوار بين الشرير والطيب ؟ هذا هـو التفسير التآمرى للتاريخ والمجتمـع والناس .

وايا كانت المآخذ على النظام الامريكى والسياسـات الامريكية فمن المستحيل ان يخلو النظـام من بعض ذوى الضمائر . وذوى الضمائر فى اطار مثل هذه النظم هم اذكى من يدافعون عنها بتمـردهم ورفضهم . وبدونهم يختـل توازنها وتترجح كفة سوءاتها وتذهب قبل اوانها .

وهذا ما يدركه ايضـا « عقلاء » الانظمة حتى لو كانوا من الاشرار !

رسالة سويسرا

بقلم : جميل عطية إبراهيم

● المؤتمر الرابع للفيديو تكست فى مدينة بازل يناقش

تطور أجهزة الفيديو تكست

وأثره على النظام العالمى الجديد للمعلومات

عقد فى منتصف شهر سبتمبر من هذا العام فى مدينة بازل السويسرية مؤتمر خاص لمناقشة الآثار المترتبة على تطوير اجهزة « الفيديو تكست » وما يسمى بثورة الاتصالات ، وقد استمر المؤتمر يوما واحدا وقد حضره ٧٠٠ من المتخصصين فى دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية على هيئة محاضرات عامة للمسئولين وللعلماء فى هذه الدول وكذلك على هيئة مجموعات بحث للقضايا المطروحة .

وفى هذا التقرير من مدينة بازل نتناول أهم القضايا التى تناولها المتخصصون حول الموضوع الذى ينظر اليه حاليا كأحد ركائز النظام العالمى الجديد الذى يحكم العلاقات بين الدول ونحن على مشارف نهاية القرن الحالى

شاع أخيرا مصطلح « ثورة الاتصالات » دون فهم واضح لهذه الثورة - خاصة فى الدول النامية وكذلك فى أوساط كثيرة فى الدول المتقدمة أيضا . وذلك لأن هذه الثورة لها أركان متعددة ، بعضها تقنى يتعلق بالوسائط والأجهزة وشبكات الاتصال وهذه جوانب فنية وتقنية معقدة ، وبعضها يتعلق بثورة المعلومات وتضاعف حجمها كل خمس سنوات تقريبا ، وللاستفادة من هذا الكم الهائل من المعلومات أصبح الفرد فى حيرة من أمره ، كما أنه بازدياد الفجوة بين الدول النامية والمتقدمة اتساعا ركنت مجموعة الدول النامية الى الكسل عن متابعة ما يدور حولها .

والمؤتمر الأخير الذى عقد فى مدينة بازل هو المؤتمر الرابع من نوعه الذى يخصص لدراسة جانب من جوانب ثورة الاتصالات وهو جانب الأجهزة - خاصة جهاز الفيديو تكست - فهذا المؤتمر لم يكن مخصصا لدراسة ثورة الاتصالات ولكنه قصر على مناقشة الآثار المترتبة على استخدام هذا الجهاز وأثر ذلك على ثورتى الاتصالات والمعلومات . ولهذا يحسن قبل مناقشة الآثار المترتبة على

ادخـــال هذا الجهاز ان نقدم فكـرة مبسطة عنه ·

اجهزة الفيديو تكست Videotext

جهاز « الفيديو تكست » هو جهاز صغير الحجم يشبه فى حجمه الآلة الكاتبة وملحق به شاشـة تليفزيونية وبداخله كمبيوتر صغير ، ويمكن نقله بسهولة، وله رقم مثل رقم التليفون ·· ويتصـل بشبكة الاتصـــالات مثل التليفـــون ، ولهذا ، فهذا الجهـاز الصغير الحجم له وظـائف متعـددة ونوجزها فيما يلى :

● يؤدى هذا الجهاز وظيفة الآلة الكاتبة المعروفة ، وله لوحة مفاتيح مرتبة وفقا لترتيب مفاتيح الآلة الكاتبة المعروفة وهى نمطية التـــرتيب فى اللغات المختلفة ، فترتيب الحروف فى الماركات المختلفة فى اللغة الواحدة متشابه ــ فمن يستخدم الآلة الكاتبة يمكنه استخدام كافة الماركات بسهولة ويسر ·· وتزيد على مفاتيح الحروف بعض الرموز والعلامات المستخدمة فى الحاسبات الآلية المعروفة بالاسم الشائع وهو اجهزة الكمبيوتر ·

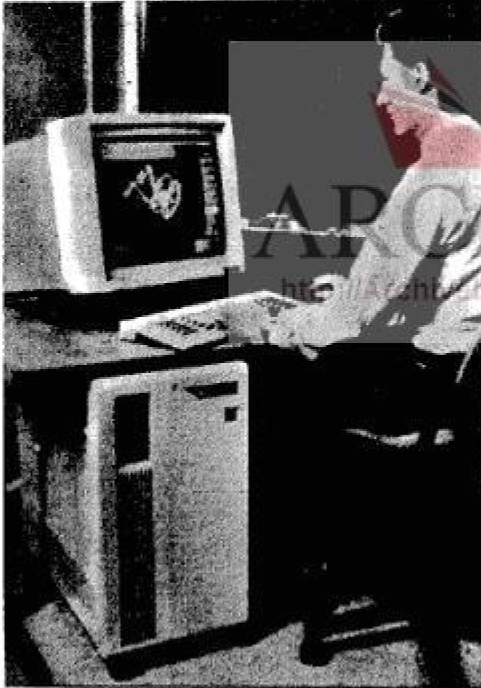
ومن هذه الناحية فهذا الجهاز يؤدى وظيفة الآلة الكاتبة ، ومستخدمه يكتب الرسالة التى يرغب فيها كما يستخدم الآلة الكاتبة ·

● يؤدى هـذا الجهاز وظيفـة التليفزيون ، فله شاشة تظهـر عليهـا الرسالة الاعلامية التى يكتبها مستخدم الجهاز ، كما انه يستقبل الرسـائل الاعلامية والمعلومات من الجهات الاخرى وتظهر على الشـاشة ، واذا اراد صاحب الجهاز الحصول عليها مكتوبة عليه ان يضـغط على بعض المفاتيح فتخرج من جهاز صـغير ملحق به مطبوعة وفقا لعدد النسخ المرغوبة ·

والوظيفة الهامة هنا لجهاز « الفيـديو تكست » انه وسيلة اتصال مثله مثل جهاز التليفزيون الـذى يســتقبل الاخبار من محطة الارسال المخصصـة له ·

● يؤدى هذا الجهاز أيضا وظيفة التليفـــون ، فالتليفون هذا الجهـــاز الصـــغير يجمع بين وظيفتين همـــا الارســـال والاســـتقبال ، فمستخدم التليفـون يوجه الرسـائل ويستقبل الاجابات عليها ، وكذلك جهاز « الفيديو تكست » يوجه الرسائل ويستقبلها على الشاشة التليفزيونية كما ذكرنا · فهو جهاز استقبال وارســال فى الوقت نفسه ، ومن هذه الناحية يفوق جهاز

تطور مستمر للفيديو تكست



رسالة سويسرا

الفيديو تكست جهازى الراديو والتليفزيون فكلاهما مستقبل فقط للرسالة الاعلامية ، وهذه ميزة خطيرة يتميز بها هذا الجهاز وتترتب عليها نتائج خطيرة جدا فى عالم الاتصالات.

● لهذا الجهاز الصغير « الفيديو تكست » امكانية الكمبيوتر او الحاسب الآلى وله ذاكرة يمكن تجميع المعلومات فيها ، ومن هذه الناحيةفهو يشبه الكمبيوتر الشخصى الذى شاع استخدامه فى البيوت والمكاتب .

وهذا شرح مبسط للغاية لوظائف هذا الجهاز التقنية او امكاناته العملية والتى اردنا ان نوجزها فى اربع وظائف مختلفة لتعطى للقارىء فكرة عن الجهاز واستخداماته ، ولا يغيب عن فطنة القارىء هنا ان قولنا ان جهاز التليفون هو جهاز استقبال وارسال لا يغنى عن دراسة الاثار التى ادخلها هذا الجهاز على حياتنا ، وكذلك بالنسبة الى جهاز الفيديو تكست ، فهو تقنية حديثة لها اثار خطيرة ، واذا كان فحص تطور هذا الجهاز وتطوره يدخل فى دائرة اهتمام رجال التكنولوجيا او المهندسين فان الاثار المترتبة على ادخال هذا الجهاز الى البيوت هى التى تهمنا بالبحث ، فهذا الجهاز الصغير يمثل ثورة فى عالم الاتصالات .

وهنا يجب الاشارة الى ان قطاع السياحة فى العالم كان اكثر القطاعات التى استخدمت هذه الاجهزة فى دوائر مقفلة صغيرة نسبيا منذ عدة سنوات لمعرفة حركة الحجز والالغاء التى تعتبر الممول الرئيسى لشركات الطيران والفنادق لكن هذه الاستخدمات كانت محدودة فى دوائر مغلقة كما قلنا .

ويحسن بنا بعد هذا الشرح لوظائف هذا الجهاز الصغير « الفيديوتكست » الانتقال الى المشاكل التى تصادف المسئولين فى الدول المتقدمة ومعرفة تصوراتهم حول هذا الموضوع كما عرضت فى مؤتمر بازل الاخير ، ولنستمع الى اقوال احد المسئولين الكبار فى مصلحة البريد والتليفون والتلغراف السويسرية وهى الدولة المضيفة لهذا المؤتمر .

اشار المسئول السويسرى الى مشكلتين اساسيتين تصادف مصلحة البريد والتليفون والتلغراف هما :

اولا : مشكلة ضخامة الاستثمارات المطلوبة لمد شبكات الاتصالات بالدول المجاورة لتعمل بكفاءة وبتكلفة معقولة ايضا ، ولان المعروض من الاجهزة والتقنيات يتطلب المفاضلة فهذه مسالة وقت بعد تدبير الاعتمادات اللازمة .

ثانيا : مشكلة التشريعات القانونية اللازمة لتقنين القواعد القانونية المطلوبة وقد اعلن المسئول السويسرى ان هذه مشكلة رئيسية وقد ترتب عليها تاجيل تنفيذ المشروع لبداية الربيع القادم ، فمصلحة البريد التليفون والتلغراف من مهماتها الرئيسية تامين نقل المعلومات وتوفير اقصى ضمانات الامن لها وفقا للقوانين المنظمة للعمل ، ولان المعلومات التى يمكن نقلها بهذه الاجهزة لها اهمية كبرى اقتصادية واجتماعية وسياسية فمن الواجب تحديد النقطة التى ينتهى

عندها دور الهيئة الحكومية ، وقد ثار خلاف حول سلطة الهيئة ومدى تدخلها فى عملية النقل للمعلومات ـ اى دور الحكومة ودور الافراد وحريتهم فى نقل المعلومات ـ وقد اعلن المسئول السويسرى ان هذه النقطة فى حاجة الى مزيد من البحث القانونى •

اما السيد هيربرت جراب من المانيا الاتحادية فقد قدم دراسة ممتعة للغاية عنوانها « وسيلة اتصالات من اجل المواطن الفرد ـ مجموعة خبرات من المانيا الاتحادية » وقد تناول فيها بعض النتائج المترتبة لصالح المواطن الفرد فى مواجهة سيطرة أجهزة الاعلام من صحافة وراديو وتليفزيون موضحا مزايا هذه التقنية الجديدة كوسيلة فى عالم الاتصالات •

اولا ـ تحرير الفرد من سيطرة الاجهزة الرسمية :

يقول السيد جراب ان جهاز « الفيديو تكست » يعتبر أكثر الوسائط المعروفة فى مجال الاعلام مثل الصحافة والراديو والتليفزيون قربا من يد المواطن الفرد لتلبية احتياجاته المباشرة ، فهو يمتلك هذا الجهاز فى بيته والذى يمثل نافذة له على مايجرى فى انحاء العالم من احداث دون تدخل أو رقابة او انتظار موعد نشرات الاخبار الخاضعة لاختيارات المسئولين سواء بالحذف أو التأجيل أو بترتيب الاولويات ، فهذا الجهاز « الفيديو تكست » قريب من الفرد ويلبى احتياجاته التى يتطلع لاشباعها والتى قد لا تهم الاخرين ، ويضيف السيد جراب هنا قائلا : لقد مل الفرد اقوال أولئك الذين يدعون انهم معلمو الامة ، والفرد يود تلبية احتياجاته بنفسه دون وصاية منهم •

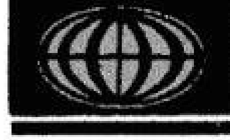
ثانيا ـ وسيلة مباشرة بين المستفيد ومقدم الخدمة :

يمثل هذا الجهاز « الفيديو تكست » وسيلة أو واسطة مباشرة بين المواطن الفرد وذلك الذى فى مقدوره تقديم خدمة له سواء كان فردا مثله أو مؤسسة •

ثالثا ـ ليس وسيلة انعزالية ولكنه وسيلة اجتماعية :

أشار السيد جراب لنقطة هامة ، وهى تتعلق بالحالة السيكولوجية للافراد نتيجة لانتشار أجهزة التليفزيون ، فقد ترتب على انتشار التليفزيون زيادة عزلة الفرد واتصامه بالسلبية نتيجة لاستقباله المستمر للمعلومات القادمة من منبع واحد لتصب فى رأسه ، فهو مستقبل دائم للمعلومات وليس له حق المناقشة أو السؤال أو الاختيار ، فكل شىء يصب فى رأسه ، اما جهاز الفيديو تكست فسوف يكسر هذه العزلة ويتيح له فرصة الاتصال بالاخرين ، ليغير موقعه من مستقبل فقط الى مشارك ايضا فهو يوجه الاسئلة ويتلقى الاجابات ويستفسر ويناقش ويوجه الاجابات ايضا للذين يسألونه عن موقفه المالى أو رأيه فى قضية ما •

هذه بعض الجوانب التى تتعلق بتطور هذه التقنية الجديدة « جهاز الفيديو تكست » ، والتى عقد من اجلها المؤتمر الاخير فى مدينة بازل ، اما اذا أردنا مناقشة ثورة المعلومات والاتصالات فيجب التصدى لعدة محاور اخرى تمثل اركان هذه الثورة مثل المعلومات وتضخمها وشبكات الاتصالات وتطورها ، فهذه الاجهزة « الفيديو تكست » تمثل عنصرا واحدا من هذه الثورة •



العالم في سطور



سوينكا

لاجوس

جائزة نوبل ١٩٨٦

لماذا ينظرون الينا دائما على أننا يجب ان نكون « غربيين » .

« لماذا ينظرون الينا دائما على أننا يجب ان نكون « غربيين » » .

تلك هي العبارة التي اطلقها الكاتب النيجيري وول سوينكا في احد احاديثه الصحفية ذات يوم ..

بنفس الدهشة تطلعت الانظار الى ستوكهولم ولاجوس عندما منحت جائزة نوبل في الادب لهذا العام للشاعر الروائي والكاتب المسرحي والمخرج وول سوينكا .. هتف البعض « افريقيا اخيرا » ، وهتف الاخر « وزنجي ! » ، المشكلة في هذا الامر اننا كي نعرف شيئا عن سوينكا رحنا نبحث عنه في الكتب المترجمة الى لغات اوروبا .. وبدت الصلات مقطوعة من أبن قارتنا الاكثر قربا لنا من اوروبا .. لماذا بدا انه بدلا من ان نلوم الغرب الذي ينتقي من ادبنا ما يتفق وافكاره .. ام نلقي هذا اللوم على انفسنا للصلات المقطوعة تماما بين ابناء العالم الثالث ..

فسوينكا غير معروف في عالمنا العربي بالدرجة التي تليق به . رغم محاولات عديدة لتقديم مسرحه في دوريات ومطبوعات عربية .. ورغم ان هذا الابداع اقرب الينا .. ترجمت له في الكويت مجموعة مسرحيات .. وقالت عنه دائرة معارف الدراما العالمية : انه اهم كاتب مسرحي في افريقيا ..

ولد سوينكا في مدينة رديكوت بجنوب نيجيريا عام ١٩٣٤ . تعلم في جامعة ابيبرجان . عمل بالاخراج الاذاعي قبل ان يتفرغ للمسرح . في عام ١٩٦٠ قدم مسرحيته الاولى « رقصة الغابات » المكتوبة خصيصا للاحتفال باستقلال نيجيريا وهي تتناول الى استقلال نيجيريا على ثلاثة اجيال من الافارقة . واكد ان لهؤلاء الافارقة جوانب قوتهم وجوانب ضعفهم . ويجب الا يتجاهلوا قوتهم . كما يجب الا ينسوا ضعفهم .

من مسرحياته الاخرى «سكان المستنقع» ، « العشيرة القوية » ، « الاسد والجوهرة » ، « الطريق » ، « مجانين واختصاصيون » ، « الموت وفارس الملك » .

في مسرحه يحاول سوينكا استخدام العديد من الطقوس الدينية ممزوجة باجواء الاساطير لمحاولة تفسير البعد الانساني . كما استفاد من الاقنعة الافريقية في العديد من المسرحيات التي كتبها واخرجها .

« اعتقد ان واجبي ككاتب مسرحي ان اقدم عملا مسرحيا مميزا • ولى فيه التزام واحد فقط هو التزامي تجاه الجمهور الا يتركوا المسرح لشعورهم بالملل • لست ملتزما ان اثير العقول• او اوجهها او اعلمها • وذلك عكس بريخت تماما • لان ما يعجبني في بريخت هو نوع مسرحه وحيويته » •

وعن حركة الادب في نيجيريا يقول الكاتب انه لا يوجد تيار او اتجاه نموذجي للكتابة • هناك مجموعة من الافراد • لكل منهم مفهومه الخاص ويعمل به وتفتقر نيجيريا الى النقد • ليس لدينا نقاد مجيدون • بينما نجد ان النقاد الاوربيين يقيمون مقاييس مختلفة عن الكتابة عندنا » •

هل ادب سوينكا اوربي •• ام افريقي مصبوغ باحمر الشفاه الاوربي مثل ادب سنجور • ام افريقي بالدرجة الاولى •• ذلك ما سوف تتناوله الهلال في دراسة قادمة •• ومهما كان شكل هذا الادب •• فاهلا بنوبل – الكثيرة الشبهات – في عالمنا الثالث •• بل وفي قارتنا السوداء •

● فرانكفورت ●

معارض الكتب •• هل هي مهرجان •• ام اسواق تجارية

انتهت في الاسبوع الثاني من اكتوبر المنصرم الدورة السابعة والثلاثين لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب • • • احد اكبر مهرجانات الكتاب في العالم كله .. حيث يشترك فيه اكثر من سبعة الاف ناشر . ونحن نؤكد انه مهرجان وليس سوقا لامبارة عالمية في الطباعة والتلوين والتغليف . ويعرض من كل كتابا نسخة واحدة بالطبع غير قابلة .. وذلك بعكس اسواق الكتب التي تعرض في بلادنا .

وهذا المهرجان مظاهرة ثقافية كبيرة .. يجتمع فيها اصحاب القلم ورجال الفكر من شتى انحاء العالم ، ويمنح جائزة ادبية سنوية لاحد الكتاب الهامين. مثلما حدث في العام الماضي عندما منح الجائزة للشاعر المكسيكي اوكتافيوباث. كما منحت هذه من قبل للكاتب البولندي شيزلوميلوش والروسي سولجنتسين. كما يتم في هذا المعرض الاتفاق على نشر ملايين الكتب الجديدة . وعلى ترجمة الاعمال العالمية . وعلى بيع حقوق طبع الكتب بين دور النشر وبعضها .

ومعرض فرانكفورت ليس مخصصا للثقافة الغربية وحدها . بل هو مفتوح لثقافات العالم اجمع . فهذا العام برز جناح الهند على العديد من الاجنحة .. وقد اشترك العديد من دور النشر المصرية في هذا المعرض .

تقول ماريا هولت احدى المهتمات بالنشر الخارجي في الولايات المتحدة : في العالم عدد كبير من اسواق الكتب ، لكن هذه السوق هي الوحيدة التي تجتذب الجميع على الاطلاق . هنا تولد الافكار الوجيهة ويلتقي كبار الوسطاء وهناك من يقول انك اذا لم تات الى هذا المكان فانت غائب عن عالم النشر » .





● باريس ●

أيام الآحاد .. على قمة المبيعات

كانت « الهلال » أول من يقدم باتريك موريانو الى القارىء العربي عام ١٩٨٠ .. هذا الشهر صعد موريانو كالعادة الى قمة المبيعات في فرنسا مع روايته الأخيرة « أيام الآحاد في أغسطس » .

تجيء أهمية هذا الخبر ان موريانو قد حظى بشهرة واسعة مع روايته « شارع الحوانيت المعتمة » - سترجمها روايات الهلال كاملة خلال أشهر - وفاز منها بجائزة جونكور .. وتصور البعض ان موريانو لن يقدم عملا جديدا أكثر أهمية من حوانيته المعتمة . خاصة ان روايته « شباب » المنشورة عام ١٩٨١ جاءت دون المستوى الذي يتمتع به الكاتب .. لكن « أيام الآحاد » تقفز الى أعلى سلم المبيعات .

في الرواية الجديدة يلجأ الكاتب كعادته الى اسلوب الفيلم البوليسي لا ليكشف عن غوامض الجرائم . ولكن عن مكنونات النفوس . فأبطاله دائما تائهون يبحثون عن هوية ضائعة وعليهم تصفح الوجوه كي يعثروا فيما بينها على ذكريات خفية تمدهم شيئا فشيئا الى شخصهم الطبيعي .. وكما تتكشف الأسرار الغامضة في الروايات البوليسية فان كل كوامن النفس تصعد على السطح في نهاية روايته .



باتريك موديانو

يقول موريانو عن أسلوبه في الكتابة: « عندما نكتب فاننا نضطر ان نقوم بدور المشاهد والمستمع .. ولا أقول التلصص .. ولكننا يمكن ان نلمس ما حولنا ونترقب . ونعيش في أجواء تنقل ارتباكات الآخرين الى اضطراباتنا فنصبح شخصيات أكثر تعقيدا .

آخر أخبار رواية موريانو انها دخلت في تصفية الجوائز الأدبية التي ستعلنها الأكاديميات الأدبية الفرنسية هذا الشهر « نوفمبر » وستفوز حتما بإحدى هذه الجوائز ليست منها جونكور . لأنه سبق للكاتب ان نال هذه الجائزة .

● لندن ●

هل يعيش جولدنج لحفلة أفوله

« وليام جولدنج » كاتب نادر . نادر لأنه يكتب قليلا . نادر لأنه بعيد عن

تيارات الادب الانجليزى المعاصر .. بهذه العبارة تحدث برنارجينيه فى جريدة لوموند فى ١٩ سبتمبر الماضى بمناسبة صدور الرواية الجديدة لجولدنج تحت عنوان « رجـــال من ورق » ويقول ان جولدنج سيظل شيئا غامضا غريبا .

اما بطل روايته الاخيرة ويلفريد باركلى فهو ايضا كاتب مشهور يعيش خريف حياته .. ولحظات أفوله .. يلتقى بطـــالب امريكى معجب باحدى رواياته . انه يحلم ان يكون « المثقف الادبى الاســتاذ».. وبينما يتكلم التلميذ مع باركلى عن الادب فان العجوز يجتر مجموعة من الذكريات العاطفية لزمن ولى .

وكمـــا يؤكـد برنارجينيه فان رواية جولدنج الاخيرة بمثابة نص وثائقى حول وضعية الادب المعاصر .. هنـاك اشياء يبتدعها الروائيون . فيسمون البشر . ويشيدون البناء ويصنعون من انفسهم محللين نفسيين . ويجعلون الاشياء امامهم اشبه بعرائس يحركونها كمـــا يشاءون .. فارضين انها تعج بالحياة .

وليام جولدنج



● بكين ●

آخر الاباطرة جنايني

سيكون « آخر الاباطرة » حديث كل الاوساط السينمائية فى عام ١٩٨٧ .. واذا كان العالم فى سطور قد صدق حين تنبأ فى اكتوبر الماضى ان فيـــلم تاريخ « الكومنتشيني » سيكون حــديث عامنا هذا فانه يؤكد ان فيلم برتولوتشى سيكون بلا منازع فيلم العام القادم ..

برتولوتشى صاحب « آخر تانجو فى باريس » ، و « القرن العشرين » ، و « القمـــر » اختار هـــذه المرة ان يرحل الى الصين لتقديم فيلمه الجديد من خلال اطار تاريخى فى عام ١٩٠٨ يتحدث فيه عن آخر اباطرة الصين « بووى » الذى تولى العرش وهو فى الثالثـــة من العمر . وبعد ثلاثة اعوام فقط من توليه السلطة اعلنت الجمهورية فى البلاد .

فبعد ان يتم طرد الامبراطور الصغير من القصر يرحل مع وصيه الاسكتلندى ـ بيتر اوتول ـ الى مدينة صـــغيرة تعيش على النظام الاوروبى . ومن خلال الامبراطور الذى ترك لعبة السياسة يتحدث الفيلم عن تاريخ الصين الحديث حتى عام ١٩٥٩ يصبح فيها الامبراطـــور «جنايني» فى احدى حدائق بكين. ثم يصيبه مرض السرطان ويموت عام ١٩٦٧ .

ويقول المخرج عن الاسباب التى دفعته لاخراج هذا الفيلم : هى التحـــولات التى لحقت بهذا الرجل عبر حياته . . لقد جلس على العرش عدة سنوات . عاش فى سجن ذهبى دون ان تكون لـه القدرة ان يمارس سلطاته حتى اذا قامت الثورة اجبرته ان يدفع اخطاء الماضى ثم وبعد تسع سنوات من الحبس يصبح «جنايني» فى حديقة بكين. انها المرة الاولى فى حياته التى يصبح فيها حرا . هناك مسخ شامل ففى الصين شـــعار الامبراطور هو الثمن . اما فى قصة بووى فهى حول ثمن اصبح انسانا .

الانحياز وجائزة نوبل للسلام

كراهية العرب

تحصل على جائزة عام ١٩٨٦

بقلم : محمود قاسم

اى سلام هذا الذى منح من اجله الكاتب الامريكى ايلى ويسل جائزة نوبل فى السلام ؟. اى سلام نادى به ويسل .. هل هو السلام الذى نادى به قبل مناحم بيجن ومنح نفس الجائزة منذ اعوام .. ام سلام آخر مصنوع على الطريقة اليهودية .

السلام يهودي .. والعلوم يهودية الجنسية بناءاً على ما اقرت به جائزة نوبل هذا العلم ؟ حين منحت جائزة الطب والعلوم لكل من ستانلى كوهين وريتا ليفى .. ثم تمنح جائزة السلام لويسل .. وثلاثتهم من اليهود .. وتجيء غرابة منح ويسل الجائزة فى انها انتزعت من الزعيم الافريقى مونديلا الذى يستحقها .. لكن لو استعرضنا ادب ويسل وافكاره وتصريحاته .. لرأينا انها ابعد ما تكون عن السلام .. تعبر عن شخص مليء بكراهية كل الاجناس بماقيهم العرب - عدا ابناء عشيرته .

وإذا كانت الحجة التى قيلت حول منح اديب جائزة السلام - وليست الادب - ان الكاتب وقف ضد الرئيس ريجان فى برنامجه "حرب الكواكب" .. فان عشرات من رجال السياسة والفكر قد وقفوا ضد هذا البرنامج .. ولو كانت قد منحت لجورباتشوف لانه وقف متشدداً ضدها ما اثارت مثل هذا الاستغراب بعد ان منحت لويسل ..

وقد زار ويسل - اوكاره العرب كما احب ان اسميه - مصر فى شهر فبراير عام ١٩٨١ وفد ادبى يهودى ضم كلا من ارثر ميللر ووليام ستايرون صاحب رواية "اختيار صوفى" . وقد طاف هذا الوفد جمهورية مصر العربية فوق يخت فاخر على ضفاف النيل لمدة اسبوعين .. دون ان ينتبه احد الى نوايا اعضائه .. وقد تفضلت صحافتنا

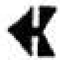


الوصية في شوارع تل أبيب

الأدبية ـ العلمية دائما ببواطن الامور ـ بتكريم ميللر وملأت صفحاتها بالحديث عن الزوج السابق لمارلين مونرو ولم تظهر صورة واحدة منشورة لأى من بقية اعضاء الوفد.

ويكفى ان نستعرض أسماء الروايات التى قدمها ويسل لنعرف اتجاهه قبل ان نلقى الضوء على بعضها .. من هذه الروايات : "شحاذ مدينة القدس" التى نالت فى فرنسا جائزة مدسيس عام ١٩٦٨ . وهى جائزة لاتمنح سوى للروايات التى تقدم ابداعات تجريبية جديدة اما اعماله الأخرى فمن اشهرها "وصية شاعر يهودى تم اغتياله" عام ١٩٨٠ . "ضد الكآبة" ١٩٨١ . "الابن الخامس" .. ١٩٨٣ . "علامات الخروج" .. ١٩٨٥ .

والغريب ان ويسل يهودى بولندى ـ مولود عام ١٩٢٩ ـ رحل من بولندا الى اوروبا الغربية ومنها الى الولايات المتحدة .. وهو بهذا يكون رابع اديب بولندى ـ امريكى (يهودى) يفوز بجائزة نوبل خلال عشر سنوات بعد صول بيللو ، اسحاق سنجر ، شيزلو ميلوش . وايلى ويسل .. وهو يكتب بالفرنسية والانجليزية على السواء .. عاش فى فرنسا سنوات طويلة قبل ان يرحل الى الولايات المتحدة فى اوائل السبعينيات ..



كراهية العرب



إيلي ويسل

فى روايته "شحاذ مدينة القدس" يتناول عدوان ١٩٦٧ على العرب .. ويجىء التناول مصبوغا بصهيونيته الشديدة التعصب . ويقول انه اراد - مثل الاف اليهود فى العالم - ان يقاوم ببعض مما لديه . "كان على ان اقول اى شىء . ذهبت الى القدس" . ويشبه ذهابه الى القدس كانه رحلة حج . ويصوغ روايته بشكل تجريبى بالغ التعقيد يصعب عرضه . فهو يمزج بين احداث الماضى والحاضر .. يعود الى عصر السيد المسيح ويقارن هذه الحقبة التاريخية بما دار فى الحرب العالمية الثانية .. ثم يجىء الى سنوات الستينات ليمجد الجنود الاسرائيليين على بطولاتهم (!!) ضد العرب فى حرب الايام الستة يدخل احد المعابد القديمة فى مدينة القدس . هناك الامير الاسرائيلى دان الذى اكتشف إحدى المدن المجهولة . انه احد الشحاذين الذين يقابلهم المرء كل ليلة منذ ان اندلعت الحرب . البعض منهم مجنون . والبعض اصابه داء ادمان الخمر . وحل العماء باخرين . هناك الراوية داقيد الذى عانى كثيرا فى معسكرات النازية .. ويقول انه اثناء ايام الحرب الستة . كان من السعادة ان يحصل المرء على ضريبة الموت ..

● وصية شاعر يهودى ●

اما روايته "وصية شاعر يهودى تم اغتياله - أو "الوصية" كما ترجمت فى الولايات المتحدة - فتروى قصة الشاعر الروسى بافيل كوسوفر الذى عانى الكثير من ديكتاتورية ستالين . ولد عام ١٩١٠ وتم اعدامه فى احد اقبية السجون بكر انسوجراد فى اوائل الخمسينيات .. لقد اكتشف ستالين ان هناك مؤامرة يديرها بعض الكتاب والفنانين والصحفيين ومن بينهم كوسوفر .. تم القبض عليه فى الثانى عشر من اغسطس عام ١٩٥٢ . وسقط تحت الارهاب الروسى الذى كان تعرض - حسبما يكتب رجل السلام ويسل - للناطقين باللغة اليديشية فى الاتحاد السوفيتى .. ويخصص الكاتب فصلا للحديث عن محاكمة كوسوفر بصورة اقرب الى الشهادة والوصية والاعترافات .

فى أمسية من شهر يونيه عام ١٩٧٢ . فى مطار اللد القريب من تل ابيب . حطت طائرة حاملة فلولا من المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفيتى . نزل من الطائرة رجل قادم من كرانسوجراد يدعى جريشون .. اوجر يشاكو سوفر . انه الابن الوحيد للشاعر .. وجريشا ابكم نتيجة



صول بيللو

للهلع الذي اصابه وهو يرى الجنود يقبضون على ابيه . يقول ويسل ان الصغير قد قرر أن يلزم الصمت إلى الأبد .

تقول مجلة لونوفيل اوبسرفاتور المعروفة بميولها الصهيونية في عددها الصادر في ١٤ أبريل ١٩٨٠ : "ان رواية ايلي ويسل اشبه بمياه عميقة . فكل كتاب جديد هو قطعة حجر في مدح البحر الداخلي . وكل كتاب جديد يترك دائرة اكثر اتساعا . تندفع ابعد من المعرفة التي يقدمها لنا ويسل حول مصير الانسان . وعن تاريخه المركب واحلامه ومعاناته .. وتقول ان ويسل هو ـ بلاشك ـ احد ست أو سبع من كبار ادباء القرن العشرين الذين على قيد الحياة الآن . ولكن "الوصية" هو بالتاكيد كتابه الاكثر نضجا واتساعا وتحديدا من خلال تعبيراته وقوة التحليل الاجتماعي . والشهادة التاريخية والسياسية .

وقد تم تصوير احداث هذه الرواية سينمائيا في احد الاحياء الشعبية بتل أبيب وغير المخرج فرانك كاسينتي الكثير من احداث الرواية كي تتناسب مع السينما .

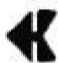
اما آخر رواياته التي صدرت له باللغة الفرنسية في سبتمبر ١٩٨٣ فهي تحت عنوان "الابن الخامس" . وفيها يتحدث من جديد عن معاناة اليهود . فهناك شاب يهودي يبحث عن امه وابيه اللذين اصابهما الجنون . وعن اخيه أريبل أحد ضحايا معسكرات التعذيب المعروفة تحت اسم "هولوكست" . وهذه الرواية اقرب الى السيرة الذاتية للكاتب . فهو ينتقل مع انسايا من بولندا . الى باريس ونيويورك . وبعض المدن الامريكية الاخرى مثل بوسطن التي يعمل درسا بجامعتها : "قال كافكا انه يشعر دائما انه سائح في اللغة الالمانية اما انا فعلى العكس . احس اولا انني مواطن فرنسي .

يقول انه في عام ١٩٤٥ او بعد انتهاء الحرب ـ وكان آنذاك في السادسة عشر من العمر ـ "كنا اربعمائة صبي هارب من البشنوالد . استقبلنا ضابط شرطة وسالنا "اين تودون الذهاب" . قلنا : ليس الى منزلنا . فلم يعد هناك أحد ..

ـ حسنا من يود أن يكون فرنسيا فليتقدم خطوة !

"كنت بالغ الخجل . لم اتحرك . فكتب في تقريري : رفض أن يكون مواطنا فرنسيا" . وهذه المقاطع منقولة بالطبع عن مصادر فرنسية .. وفيها بالطبع يحاول الكاتب ان يؤكد ان هجرته الى الولايات المتحدة لم تنسه فرنسيته .. فهو يكتب كتبه باللغة الفرنسية اولا ثم يترجمها بنفسه الى الانجليزية لينشرها في الولايات المتحدة .

ويؤكد الكاتب انه يكره كلمة "هولوكست" كراهية عمياء ، وان هذه الكلمة كافية لاحاث الرعب فيه اينما سمعها



كراهية العرب

"انا لا احتملها قط .. مثل المقارنة بيننا وبين الفلسطينين فى بيروت واليهود فى جيتووارسو .. هل يمكن ليهود وارسو ان يتركوا المدينة وهم يرفعون ايديهم باشارات النصر او حرف " V " الدال على النصر تحت حماية القوات الفرنسية - والايطالية والامريكية .. كما يقول فى جريدة لوموند ١٧ اكتوبر الماضى ان الصهيونية اتجاه مثل « العربية » و « الاسلامية ».

● نوبل .. و " الانحياز "

قد تبلغ حالة العصبية التى يصاب بها كاتب حدا لا نهاية له عندما يعرف ان ادباء مثل ويسل ينالون جائزة نوبل فى السلام .. فهل ناك تضارب بين ماقالته لو نوفيل اوبسرفاتور عن انه احد كبار ادباء العصر وبين جائزة " السلام " فهل منحه الجائزة هذا العام له مفس مقاييس منح ونستون تشرشل جائزة الادب عام ١٩٥٣ لان من حيثيات الجائزة الا تمنح لشخص مرتين .. مما يعنى أن ادبه ليس مميزا كما ادعت المجلة .. فمن نصدق .. نوبل .. ام اوبزفاتور .. على كل فقد سبق نصلا الجهتين ان هللت لادباء اقل اهمية واكثر تعصبا خلال العشر سنوات ، فليس سنجر وبيللووميلوش خير ادباء الولايات المتحدة المعاصرين .. مع العلم ان الولايات المتحدة بها عشرات الادباء الذين لم يمنحوا الجائزة .. ببساطة لأنهم ليسوا من اليهود ..!

وعند قراءة روايات هؤلاء الادباء سنجد ان كلا منهم غارق فى ذاتية متضخمة .. غير قادرة على التسامح .. تنظر الى القوميات الاخرى بعلياء وعجرفة .. فاذا كان كافكا سائح فى اللغة الالمانية ، فان سنجر لم يكتب حرفا باللغة اليديشية .. وقد مارس كل منهم بصورة او باخرى لعبة السياسة .. فقد كتب بيللو كاتبا عن رحلته الى القدس عام ١٩٧٦ .. نشره تحت عنوان " العودة من القدس " قال عنه فى جريدة لوموند - ١٧ يناير ١٩٨٢ - خطأ الاسرائيليين انهم يودون ان يعيشوا بمنطق القوة فى الشرق الاوسط .. ومن المستحيل ان توافق الدول العربية على هذا كما ان القانون الاسلامى قائم لكل الحكومات وتظل اسرائيل دولة مستقلة بفضل دولة واحدة هى الولايات المتحدة وقد دخلت اسرائيل الان فى مرحلة عليها ان تختار بين الموضوعية السياسية الغربية وبين امتلاك عناصر العمل على اسرائيل مواجهة كل الاطروحات العربية والاسرائيلية والاوروبية والامريكية .

نحو جائزة عربية

سينال العرب يستهجنون .. ويستهجنون جائزة نوبل .. وهناك حل فى منتهى البساطة وهو صناعة جائزة ادبية عربية "محلية" لها نفس الاهمية .. يتم الاحتفال بها سنويا على كافة المستويات .. وتمنح لكاتب عبى .. وتغطى اعلاميا بما يليق بمقامها .. وهذه الفكرة غير صعبة التحقيق .. فقد تنبهت ايها دول اوروبا وصنعت فرنسا "جونكور" وايطاليا " مونديللو" واسبانيا "سرفانتس" وكل هذه الجوائز تمنحها اكاديميات ادبية عريقة او حديثة .. إذن فعلى العرب صناعة أكاديميتهم اولا .. ثم على هذه الاكادمية ان تمنح جائزتها السنوية فى "الابداع" الادبى لمن يستحق .



الزنك .. وفيتامين (أ) .. والبلهارسيا

حذار من نقص الزنك وفيتامين أ
ذلك هو العنوان الرئيسى الذى توصل اليه الباحث المصرى محمد عبد العزيز بطب القاهرة فى بحثه عن تليف الكبد وعلاقة اصابة الانسان به بنقص عنصر الزنك وفيتامين أ فزيادة أو نقص كل منهما فى جسم الانسان تؤثر على حيوانات التجارب التى تصاب بالبلهارسيا وهى الفار الابيض والهامستر . حيث يصابان ببلهارسيا الكبد وتلفه .. ويحدث نفس الشىء فى الانسان .

لذا فان أهمية استخدام الزنك تجىء لمحاولة ايقاف تطور مرض البلهارسيا فى الكبد وهو المرض الأكثر انتشاراً فى الريف المصرى . ويتطلب أن يؤخذ فى الاعتبار حجم الجرعة وطريقة اعطائها نظراً للتأثير المضاد للزيادة فى هذا العنصر على خلايا الكبد .

اما فيتامين أ فيؤدى الى زيادة المناعة الخلوية ـ كما تقول الدراسة ـ وتعطيل وصول بويضات البلهارسيا الى الكبد وتقليل ترسيب بويضاتها . ولكن زيادته بدرجة كبيرة تؤثر على خلايا الكبد تأثيراً مماثلاً للالتهاب الكبدى الوبائى .

لمن الغلبة فى الفضاء ؟

رغم اللقاءات السياسية الحارة ـ الباردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة التى تمت فى الاسبوعين الماضيين فان العلماء يعملون ـ كل من جانبه ـ بحرارة ليتفوق احدهم على الاخر .. وقد أشار « دليل جين للملاحة الفضائية » الصادر فى يوليو الماضى ان الاتحاد السوفييتى تفوق على منافسه فى مجال الفضاء بمراحل عديدة . فقد امضى ملاحو الفضاء السوفييت فى الفضاء اكثر من أربعة الاف يوم مقابل ١٥٨٧ يوما للامريكيين وان محطة الفضاء السوفييتية « مير » قد تم تركيبها فى الفضاء . بينما ان مشروع المحطة الامريكية لن يتحقق الا فى العشر سنوات القادمة .

اما عن سباق التسلح الذى طرح على مائدة المفاوضات فان الغلبة أيضا للسوفييت . لان محطة الفضاء ستعاون السوفييت كثيرا فى السيطرة على الجو ، وفى التجسس من الفضاء وكشف اية محاولة أمريكية للهجوم بالصواريخ على الاتحاد السوفييتى .

ورد فى التقرير أيضا ان الولايات المتحدة تسبق منافستها فى تقنيات الاقمار الصناعية والاقمار الكونية . وصرح اركان حرب الطيران الامريكى ان الولايات المتحدة تسبق الاتحاد السوفييتى بعشرة أعوام فى استعمال الفضاء عسكريا وتتفوق عليه فى مجال الطيران الحربى . مثلما حدث حين ضربت واشنطن المدن الليبية فى ابريل الماضى . لان وسائل الدفاع السوفييتية وقفت عاجزة عن الهجوم الامريكى .





● القرن ٢١ .. يتحرك بالطاقة الشمسية ●

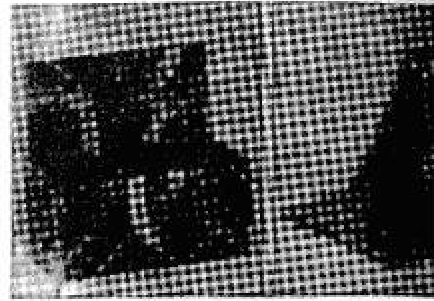
وسط اجتماع السياسيين في جنيف لبحث أسعار البترول • وبينما يجتمع الاقتصاديون في بلادهم لتدبير اعتمادات جديدة سواء لشراء البترول • أو لتعويض المبالغ التي ضاعت لتذبذب أسعار بترولهم



فان العلماء يسعون الى أن تكون الكلمة الاخيرة في أيديهم • فمع بداية فصل الشتاء ومواسم الامطار والصقيع • تطلع العلماء من جديد الى الشمس التي بدأت تختفي خلف السحب وتحدثوا عن امكانات استخدام أكثر اتساعا في الطاقة ليست التدفئة الذاتية فقط مثلما يحدث في السخان الشمسي • ولكن في أوجه كثيرة من الحياة العملية •

بدأت الفكرة بالتطلع الى حشرات الارض التي تستمد طاقتها من الشمس طيلة الصيف ثم تخزنها طيلة البيات الشتوى • ولم تكن المشكلة قائمة فقط على تخزين الطاقة الشمسية • بل في اعادة استخدامها بالطريقة ـ المثل ودون أن تفقد أجزاء كبيرة منها • وبدأت تظهر محاولات لصنع أقدار معينة من الطاقة • بمعنى اعداد أجهزة تخزن الطاقة لأزمنة قصيرة وأخرى لأزمنة أكثر طولا • وبدلا من الاسلوب التقليدي في تخزين المياه من مواسير أسفل الارض بعد تسخينها من الشمس • فانه تم البحث عن معادن خاصة تستطيع الاحتفاظ بهذه الطاقة بالقدر المطلوب وذلك من خلال الواح معدنية لكل منها قدرة خاصة على الاحتفاظ بسعرات معينة • وتركيب هذه الالواح في الاجهزة التي سوف تستخدم في مد الطاقة .. وقد عرضت في الفترة الاخيرة نماذج أثبتت نجاح هذه الخزانات الشمسية ليس فقط فوق أسطح المنازل • بل في المباني الضخمة والسيارات • بل أن الامريكي مكريماى قد عبر المانش بواسطة طائرة تعمل بالطاقة الشمسية في عام ١٩٨١ بواسطة ألواح تم تخزين الشمس فيها وعلت ـ كما في الصورة ـ سطح الطائرة

رغم المحاولات العديدة في هذا المضمار الا ان التكلفة أعلى بكثير من أسعار البترول المتذبذبة .. ولكنها محاولات علمية قد تنجح تطبيقاتها على المستوى الاقتصادى وقد تتعثر •



● متوازى مستطيلات روبيك : لغز جديد يغزو العالم ●

لا يزال العالم يتذكر روبيك الشهير ذلك المكعب اللغز الذى أثار اهتمام الشباب والكبار على السواء لمعرفة سحره واليوم يقدم ايرنوروبيك المهندس المجرى العبقرى ابتكاره الجديد ايمانا منه « بأن أهم شيء فى العالم هو اللعب » .

الاكتشاف الجديد سمى بـ « سحر روبيك » وهو عبارة عن شكل هندسى مجير يتكون من متوازى مستطيلات مصنوع من البلاستيك يضم ثمانية مربعات طول ضلع كل منها ٥ر٢ بوصة ، وعلى عكس المكعب الذى كان سر تصميمه الهندسى الفريد مختفيا فان المفتاح الاساسى لحل اللغز الجديد واضح وهو عبارة عن شبكة من الخيوط البلاستيكية . ويوجد على جوانب متوازى المستطيلات ثلاث حلقات متقاطعة لقوس قزح وحل اللغز يكمن فى تشابك هذه الحلقات . والسر الحقيقى لحل اللغز الجديد يتمثل فى المفصلات التى تربط المربعات بعضها ببعض فهى تختلف عن المفصلات التقليدية التى تدور حول محور واحد برغم ارتباط جميع المربعات بعضها ببعض الا أن كلا منها يمكن ان يتحرك فى جميع الاتجاهات . يقول ايرنو روبيك ان من يحاول حل اللغز سيواجه صعوبة تتمثل فى شدة تداخل الدوائر ومع ذلك فهو يتوقع ان يحقق لغزه الجديد نجاحا ساحقا يفوق المكعب الشهير .

● الجراد .. حير العلماء ●

ليس للجراد كبير ..

ذلك هو القول المطروح حاليا فى كل الاوساط العلمية فى العالم ازاء جحافل الجراد التى بدأت تغزو البقع الخضراء افريقيا وتزحف الآن الى اوروبا ومناطق كثيرة من العالم . فالجراد الذى يتحرك فى جيوش هجومية قوية يختلف من حيث القوة والصفات الجسمانية المقدرة والدفاعية عن الجراد المعروف الذى سبق ان أجدب غابات وبلاد .. فهو أشد وخزا .. واكثر شراهة وتتحرك فى مجموعات كبيرة يمكنها التصدى .

وتجيء مخاطر هذه الجحافل من قدرتها على الطيران على المستوى الراسى والافقى وفى جميع الاجواء المناخية . وكذلك من عدد البيض الذى تضعه الانثى (يتراوح من ٦ ـ ١٠ الاف بيضة فى المرة الواحدة) . كما انها سريعة التأقلم مع البيئة التى تعيش فيها . فهى يمكن أن تعيش فى الاجواء الباردة والدافئة على السواء .

من هنا تجيء أهمية مقاومة هذه الجحافل فلم تجد حتى الآن القنابل الكيماوية التى تطلقها الطائرات لان هذه الجحافل تتحرك فجأة الى أسراب مغيرة . لذا فان العلماء يفحصون معادلاتهم الكيماوية لانتاج مبيدات كيماوية تستطيع التصدى لهذا الغزو الجديد .



الكمبيوتر وثورة المعلومات

هل تقوم الجامعات بدورها في النهوض بنظم المعلومات ؟ !

بقلم : د . سامي فياض

اشفق على كل من يتولى مسئولية ما في عالمنا العربي ويتصور بصدق انه قادر على حل مشكلة ما في مجال التعليم او الصناعة تستفيد منه الاجيال المقبلة او كما كان العهد في فترات نادرة من تاريخنا الطويل .

وثورة المعلومات والمؤسسات في العالم العربي لا تخرج في حالتها كثيرا عن الحالة العامة في مجالي الصناعة والتعليم ، وكانظمة المعلومات والالات الحاسبة ونظرية الالعاب ، وكذلك العلوم المرتبطة بها هي جزء من العلوم الحديثة وفروعها الكثيرة كالفيزياء والكيمياء والبيولوجي والوراثة والعلوم التطبيقية . ولنا ان نتصور وضعها الراهن في حياة مجتمعنا والذي يفتقر الى الانسان الواعي المدرب . وللمؤسسة التي يمكن ان ينتج فيها ، والخطة والاهداف للمؤسسة والظروف السياسية او الاهداف الاستراتيجية التي تضمن استمرار المؤسسة في تنفيذ اهدافها

ان تلك الظروف المقيرة للغاية بالاضافة للاوضاع العالمية والتي تلعب عليها الدول المتخلفة والدول الفقيرة والدول النامية دورا هامشيا في تطوير البشرية في كافة المجالات ، لتضع امامنا مشكلة تنظيمية هائلة تتراوح بين مشكلتين اولهما بناء المجتمع ككل سياسيا واقتصاديا



اصبح الكمبيوتر عنصرا اساسيا في مراكز القيادة المختلفة

واجتماعيا ، والذي تتجادل في طرق بنائه المدارس المختلفة بدءا من التغييرات الجزرية وحتى الثورة الشاملة .

وثانيهما : تربية الانسان على اسس علمية نافعة لبناء المجتمع في مستقبله وحاضره في نفس الظروف المتغيرة التي نتحدث عنها .

● استخدام الحاسبات ونظم المعلومات ●

ويقتصر دور العالم العربي على استيراد الحاسبات ونظم المعلومات واستخدامها مثلها مثل العربة والطائرة وغيرهما ويتسم استخدام الحاسبات في المجالات المختلفة التي تستخدم فيها الحاسبات في الخارج ، كلما كان المجال متواجدا لدينا وتتغير درجة الاستفادة من الحاسبات من مجال لآخر فهي عالية نسبيا في مجالات الميكنة المالية والاحصائية والادارية - بالمعنى التقليدي وضعيفة في مجالات ميكنة الانتاج ومنعدمة تقريبا في مجال المعلومات والاتصالات .

ولقد حاولت الدول العربية بطرق متعددة محاولة اللحاق بركب التطور العالمي في مجال المعلومات وتتنوع مبادرتها من دولة لأخرى ، ومن مجال لآخر فقد بذلت دول مثل العراق ، مصر - المغرب - تونس - الجزائر كثيرا من الجهد لأكثر من عشر سنوات لانشاء شبكة معلومات خاصة بالدول العربية وتتصل بشبكات المعلومات في العالم (الغربي) وتحقق بعض الانجازات هنا وهناك ، ولكن لم توفق لتصبح جهازا فاعلا قابلا للتطور بل كانت « وصلات » لجلب المعلومات من الخارج

الكمبيوتر
وثورة المعلومات

واستخدامها داخليا مقصورا على مجالات الخدمات كالطيران والاذاعة والاتصالات التليفونية ..

وانحصار استخدامات الحواسب لمجالات الميكنة البسيطة وتصور استخدامها فى مجالات الانتاج والمعلومات يضيف اتساعا للهوة العلمية والصناعية بين دولنا والدول الصناعية ، ويحدد الدور الذى تلعبه فى التطور التكنولوجى ولا يضيق من تلك الهوة بعض الومضات التى تظهر من حين لآخر ، والتى تنحصر فى ثلاث نقاط أولها وجود كثرة من المتعلمين فى هذا الميدان فى مجالات التطبيقات المختلفة كالطب والهندسة ، وثانيها استيراد معدات حديثة تستخدم الحواسب مثل اجهزة التحكم فى قطاعات البترول والكهرباء .. وثالثها بعض المحاولات المحدودة لتطوير المعدات لتناسب اغراضا محددة تخص ظروفنا مثل تعريب الحاسبات . وتلك الومضات لا تؤثر فى استخدام اتساع الهوة العلمية والفنية بين الداخل والخارج . انها تحدث بمبادرات فردية متفرقة من حين لاخر ولا تنتمى لمؤسسة محددة او طبقا لخطة محددة تعمل على تراكم تلك الانجازات بشكل كمى وكيفى وهو ما يصلها بالتدريج .

ورغم الانتقادات التى تبرز من حين لآخر ضد الميكنة واستخدام الحاسبات على أساس رخص اليد العاملة العربية مقارنة بتكلفة استيراد الحواسب الا انها قضية ليس لها معنى حيث أصبحت الوسيلة الوحيدة لتشغيل الآلات والمنشآت ونظمها . مثلما حدث فى عالم الطيران اليوم ومثل التحكم فى محطات الكهرباء وتشغيل بعض النظم الحديثة ، بالاضافة الى أن تشغيل النظم بالحاسبات أعلى عدة مرات عن تشغيلها بدونها مما يصعب علينا مهمة التنافس مع المؤسسات العالمية بدون تطوير آليات عملنا بواسطة استخدام الحاسبات .

ولا يعنى ذلك الدعوة لتوسيع استخدام الحاسبات حاليا فى العالم العربى ـ ليس بسبب التكلفة ، ولكن لأن قضية استخدام الحاسبات كمعامل تشغيل ليست بذات أهمية حقيقية لمواكبة العصر ، وتطوير المجتمع او حل أى من القضايا الاساسية ، حيث تظل القضية الاساسية فى مجال الحاسبات والمعلومات هى قضية التعليم وقضية الصناعة، والتى اعتقد انهما القضيتان الجوهريتان الرئيسيتان فقط . فيهما نتحدث عنه ـ وعليه لا يجب مضيعة الوقت او الجهد او المال فى القضايا الفرعية مثل استخدام الحاسبات وكيفية التدريب عليها وكفاءة تشغيلها وصعوبة استيرادها والمشاكل المتعلقة بأنواعها ومثل تلك القضايا على مسئولية المؤسسات التى ترغب فى استخدام الحواسب لسبب او آخر وعليها دراسة مدى اهميتها وتحديد الوسائل لاستخدامها بعيدا عن اخضاع تلك القضايا الفرعية لاجهزة الدولة المركزية .

● الخبرة هى الاساس ●

على العكس تماما من قضايا تجارة الحاسبات واستيرادها والاعتماد على خبرات مورديها ووسطائها وضمان مستخدميها ، والتى تحدد بشكل أو آخر خطوة نمو النهضة العلمية

والتكنولوجية من الحاسبات ونظمها على العكس من هذا كله تقف قضايا التصنيع لتبرز خبرات صناعها وبالتالى معرفة أسرارها لتزيد من المعرفة عن هذا العالم الحديث والمشاركة فى بنائه .

وفى ظل الصناعة تكون الظروف مناسبة للتسلح بخبرة ، يمكن تراكمها كميا وكيفيا فى المجالات المختلفة بما أنها توسع أيضا من المدارك حتى فى استيراد أجهزة اخرى من الخارج - وفى هذا الوضع فقط يصبح توسيع استخدام الحاسبات له معنى كسياسة مركزية ترتبط بتطوير تلك الآلات وتطوير خبرات استخدامها .

وتختلف صناعة الحاسبات والمعلومات عن أى صناعة سابقة كصناعة الآلات الميكانيكية والكهربائية. فهى تتمتع بصفات خاصة فأولها أن فترة نمو الصناعة قصيرة (أقل من خمسين عاما) وثانيها أن معدلات تطورها كان هائلا من الناحيتين النظرية والعملية الى درجة أن ما سبق صناعة من الحاسبات وبرامجها من عشرين عاما يعد تاريخيا ليس له أى معنى لمعرفته،الا للتخصص فى فلسفة الحاسبات وتاريخ تطورها ، وثالثها أنها تعتمد على البرمجة وتطورها وهذه الاخيرة نقطة هامة لدولنا حيث أن صناعة البرمجة يمكن اداء معظمها فى معمل صغير ذى تكلفة زهيدة لو وجدت العقول المناسبة أى أنها تخضع للامكانيات والخبرات المتوارثة - الا بقدر ضئيل - وهى فى ذلك صناعة مثلها مثل الادب والسياسة والفلسفة لا تعتمد على الظروف المناسبة لخلق العبقرى ولكن بلا أدنى شك لا تعتمد على خبرات متراكمة عشرات السنين مثل تلك اللازمة لصناعة عربة مثلا .

أما عن صناعة المعدات الحاسبية نفسها (وليس برامجها) فهى من الصناعات الالكترونية القليلة فى العالم التى يمكن للدول النامية تطويرها فى الوقت الذى تظل فيه الصناعات الثقيلة مشكلة حتى فى بدئها .

وبالطبع ترتبط قضية التصنيع العملية باشياء اخرى مثل الموارد والسوق والخبرة ، ولكن كلا من هذه العمليات تعد أسهل فى تصنيع الحاسبات والالكترونيات عامة عن التصنيع الثقيل ، وهذا هو السبب فى دخول دول صغيرة - غير صناعية بالمرة - فى تصنيع الحاسبات الصغيرة وتسويقها ، نظرا لاعتماد الاخيرة على البشر اكثر من أى صناعة حديثة أخرى . - ودائما يوجد سوق يفى لتحقيق الفوائد من تلك الصناعة نظرا لقلة المستثمر الرأسمالى فيها ، وبالتالى تظل الخبرة هى العنصر الوحيد غير المتوفر فى عمليات صناعة الحاسبات ولكنها أيضا من الخبرات المتواجدة فى أماكن مختلفة من العالم نظرا لاتساع تلك الصناعة فى أطراف الارض من جانب ونظرا لامكان صقلها محليا فى فترة وجيزة لسببين أولهما حداثة هذه الصناعة بشكل عام ، وثانيهما أنها خبرة ذهنية لا تعتمد كثيرا على الممارسة من جد الى أب الى ابن . ولكنها تحتاج الى هذا الفرد من هنا أو هناك .

وتظل قضية التصنيع فى عالم الحاسبات مثل بقية الصناعات تحتاج أيضا للاتساع والتطوير والنمو الذى تعتمد عليه ظروف المجتمع ودرجة تطوره لمثل تلك الصناعة لتغذيتها والاستفادة منها .. وللاسف فان تلك العملية الصناعية تظل حلما بدون

الكمبيوتر
وثورة المعلومات

قاعدة علمية اكاديمية من الطراز الأول وهذا ما لا يحدث فى العالم العربى اليوم ، حيث توجد عدة امثلة عن صناعة الحاسبات والالكترونيات تتلاشى جميعا فى العجز عن النمو والتطوير بسبب عدم بناء قاعدة علمية وينطبق ذلك على الصناعة الاستهلاكية فى الالكترونيات ، أو بعض الصناعات الوليدة للحاسبات أو أجزائها فى القطاع العام أو الخاص أو صناعة البرامج ، والتى اتسمت نسبيا فى عالمنا العربى دون ان يكون لها أى دور عالمى ، رغم وجود بعض المنتجات الجيدة المتفرقة فى فترات زمنية مختلفة ولكنها صناعة تظهر وتموت سريعا .

● دور الجامعة

رغم اتساع قاعدة التعليم بما فيه التعليم الجامعى فى مصر الآن الظروف العامة اثرت سلبيا على أن تلعب الجامعة دورا رائدا فى البحث العلمى واقتصر دور الجامعة فى مجال الحاسبات والمعلومات على التعليم الاكاديمى خلال مرحلة التلمذة الجامعية ولم يمتد لتنشيط البحث وحل المشروعات وظلت الجهود التى تبذل للحصول على الشهادات العالية بمنأى عن ان تكون اتجاها عاما للمعرفة والبحث العلمى فى مصر واصبح حاملو الشهادات فى جزر معزولة يعملون على حل المشكلات الفردية فقط دون أن تتضافر جهودهم لتحقيق هدف عظيم .

ان الجامعة المصرية لم تلعب دورا رائدا فى المنطقة العربية فى حل القضايا المتعلقة بالحاسبات والمعلومات وظلت عمليا حبيسة المنافسة البسيطة مع شركات القطاع الخاص فى التدريب على البرمجة وتحليل النظم التجارية.

وعلى العكس من كل ما يجرى بشكل تلقائى ويستنفد الجهد ويشتته فلابد للجامعة من تحديد اهدافها والعمل على خلق علماء فى هذا المجال المحدد وأن تنظم الظروف الخاصة بها لتحقيق هذا الهدف والتركيز عليه .

وبالضرورة لابد من التعلم على يد أساتذة وعلماء ذوى خبرة فى الفروع المتخصصة المختلفة يمكن احضارهم من الخارج لفترات قصيرة ولمدة ثلاثة شهور مثلا وتتكرر زيارتهم من حين لآخر يتم خلالها تعريب البعض فى فروع المعرفة المتخصصة كأنظمة المعلومات وشبكاتها ونظرية الالعاب والحروب .. الخ ، ولابد من دعم النوابغ من الجامعيين فى حياتهم العملية لتنشيط عملية انتاجهم الذهنى بربط تطورهم بحل المشكلات الصناعية التى تستدعى مثل تلك العلوم على أن يقوموا بتعليم الطلاب خلال تنفيذ تلك المشروعات .

وتلك الوسائل ومثيلاتها ضرورة للتربية العلمية ، وخلق جو علمى عام على مستوى يتناسب مع العلوم التى نتحدث عنها ، ويحقق الاستفادة منها الى بناء المجتمع ويخرج الجامعة من دورها الحالى الهزيل التابع للسوق التجارية المحلية والمتخلف جدا أيضا ، عن السوق العالمية ، ناهيك عن دور البحث فى العالم .

وبالطبع ستقودنا المسائل الخاصة بالجامعة فى الظروف خارج الجامعة ودور الدولة واثر السياسة العامة بالدولة عليها ونود التركيز فى هذا

الميدان على النقاط الاساسيه الخاصة والمتسببة فى الاوضاع الراهنة بعيدا عن المشاكل العامة كنقص الموارد وعلى أى حال فان تلك المشاكل العامة تدعو الى التركيز اكثر واكثر على النقاط الاساسية الخاصة بحل المشاكل الاكثر اهمية ، أى خلق جيل متعلم واع يضم صفوة من العباقرة والعلماء والباحثين القادرين على المساهمة فى حل تلك المشاكل العامة فى المستقبل .

ومن هنا لابد أن تكون الاشكال التنظيمية او القوانين العامة المعمول بها منسجمة مع الأهداف المحددة للمؤسسات بالدولة ومنها مؤسسة الجامعة، ضمن عملية متكاملة ، والحواسب والمعلومات تخضع لتلك الاشكال التنظيمية ، فالجامعة عليها أن تركز على التعليم الاساسى والمتخصص وعمليات التصميم والتطوير والمساهمة فى حل مشكلات الصناعة ، والمؤسسات الحكومية والشركات الخاصة عليها أن تقوم بالتدريب واكتساب الخبرة العملية بدلا من الوضع الحالى للجامعات المصرية حيث تقوم بكل شىء الا خلق جيل من العلماء بدلا من الاعتماد على كفاءة الشركات الخاصة التجارية التى تعد مرجعا فى الحاسبات الى آخر تلك الابنية المقلوبة رأسا على عقب .

● اخطاء تعوق التطور ●

ورغم أن مصر تعتبر اكثر الدول العربية تطورا فى استخدام الحاسبات فان النظم والقوانين المعمول بها لا تناسب حتى درجة التطور البسيطة فى هذا الميدان بمصر، وتنحصر تلك القوانين فى السيطرة على اليات السوق فى الشراء والبيع والتدخل فى نوع الحاسبات المختارة خاصة للقطاع العام دون أن يكون هناك مركز ذو أهمية لعمليات البحث والتطوير والتعليم والتدريب واكتساب الخبرة ويرجع ذلك للاسباب التالية :

● انحصار دور المؤسسات التعليمية والجمعية ومعاهد البحث فى تسيير ما هو قائم دون أن يكون لها دور رسم سياسة أو وضع الخطة فى هذا الميدان وعلى الجهاز السياسى ان يعطى تلك السلطات للمؤسسات المتخصصة .

● ضيق الأفق وانحسار التفكير العلمى على المستوى العام وانحصاره فى قضايا فرعية مثل الحديث عن فائدة الحاسبات وهل لها ضرورة فى الاستخدام فى دولة فقيرة .. الخ دون أن تعطى المسئولية للجهات التعليمية والصناعية لتحدد ذلك مما يخلق ظروفا اقل للاستفادة والتطور من هذا العلم .

● عدم التصدى للقضايا الرئيسية الخاصة بهذا العلم ، وحل مشاكلها التربوية والتعليمية ، وخلق الظروف المناسبة لها ، فبناء الأطفال يحتاج الى منهج علمى لخلق العقلية المنطقية وتقويتها ضرورة فى سن الطفولة ، وتوجد علوم خاصة بذلك ، مثل الرياضيات الحديثة وعلم المنطق وبدون هذا الاساس يصعب التأهيل فيما بعد لاكتساب الخبرة المطلوبة .

● عدم التنسيق فى سياسة الدولة بين مصانعنا وجامعاتنا ودور البحث ولا يعنى ذلك ضرورة هذا التنسيق مركزيا بل قد يكون العكس هو الصحيح ، ولكن لابد من خلق الجو العام والظروف النفسية والشخصية المناسبة والثقة بالنفس .

دراسة
الهلال

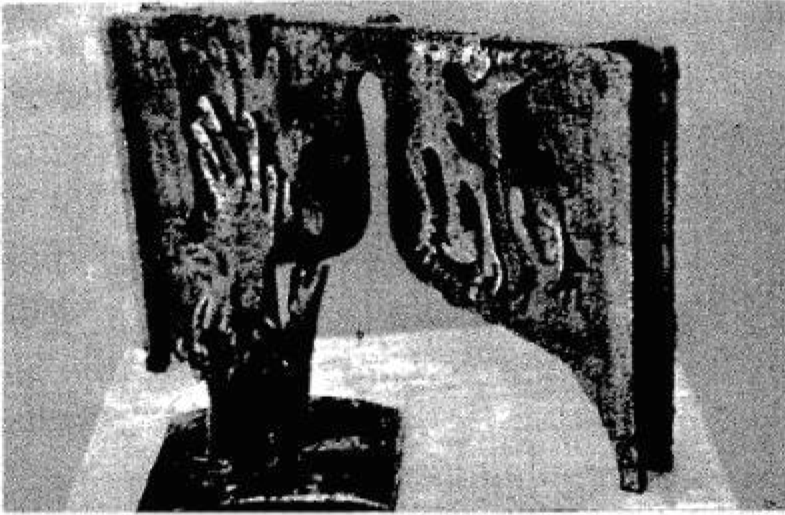
صالح رضا والحركة التشكيلية الحديثة

بقلم: أحمد فؤاد سليم

عندما نعرض لفنان مثل صالح رضا، فإننا برغم زوايا عديدة سوف نمر عليها في مجاله الفني، إلا اننا سوف نكون مدفوعين دفعا إلى التركيز على هذه الزاوية الصعبة التي تناولناها سالفا، ونعني بها ذلك الحائط القوي الذي استطاع صالح رضا أن يمتصه، وأن يعبر من خلاله، ثم يتجاوزه ومعه ذلك الرصيد من الذكريات العرقية والشعبية والحضرية، .. إلى واقع كائن، ثم إلى واقع مفترض، ثم إلى مستقبل محتمل.

وايا كان الأمر، فإن صالح رضا نحات مقتدر في الأساس. واقتداره يأتي من كونه قد نبذ الازاميل، والفرُات، ودواليب النحاتين - منذ نهاية الستينيات تقريبا - على اعتبار انها وسائط لحالة الابتكار تساعد اكثر ما تساعد على، تقليد، الصورة النحتية الجاهزة عند الفنان. فتلك الوسائط ليست إلا إحدى للوسائل التقليدية التي تعاون على تصعيد حالة، التمثيل، في عملية الابتكار. ولكنها لا تفجرها. وتقلد الصورة الجسمية الجاهزة. ولكنها لا تخلقها.

وإذا كانت تلك الوسائط نفسها، هي بذاتها العنصر الرمزي لمكونات العمل التحتي عند شوامخ النحاتين العظماء منذ القديم وحتى نهاية الربع الأخير من القرن العشرين. فإن الأمر الآن ليس كذلك - على



من احدث اعمال الفنان صالح رضا

الرغم من عنف الرأى المعاكس على طول الخط .. ذلك ان العمل الفنى عند صالح رضا هو « صورة عقلية » قبل أن يكون « صورة نحتية » . ومعنى ذلك ان العمل النحتى قد مضى عبر مجموعة من المكثفات الفكرية الخلاقة قبل أن يتحول إلى عمل له صفة النحت . والحال ، هو أن الكيان النحتى عند صالح رضا هو فى معظمه « صورة مسبوقة » ، وتلك هى الصفة « التصميمية » ذات النطاق العقلى عند رضا . وهى ميزته الخصوصية التى وضعته بطريقة شبه فجائية ، فى مقدمة النحاتين المصريين منذ أوائل الستينيات .

ثمة إذن ما يدعونا الى تجنب التركيز على ما انجزه صالح رضا فى الفترة التى تبدأ على وجه التقريب منذ عام ١٩٥٤ وحتى نهاية عام ١٩٥٨ - إلا على قدر ما يشير ذلك إلى بدايته المبكرة ، ثلاثة وعشرون عاماً من العمر .. فى مجال النحت بالطينة الفخارية ، وايضا على قدر ما يلقى ذلك من الضوء على طبيعة توجهاته ، وانتماءاته ، وربما انحيازاته الفنية بصورة ملائمة .

فقد قدم صالح رضا آنذاك أعماله التى ماتزال منحوتة فى الذاكرة حول الفقراء ، والجوعى ، والشحاذين ، والعمال ، والفلاحين ، والمظلومين ، والثوريين كذلك . كانت ثورة يوليو قد قلبت الأوضاع كلية ، ودفعت الجماهير إلى التعبير عن أمانيها الذاتية ، وأحلامها الضائعة .. . لم يكن هناك من سبيل للخلاص إلا « بالتغيير » ، وما كان يمكن أن يتم ذلك التغيير دون أن ينهض المطحونون للمطالبة بحقوقهم .. .. وكان طبيعيا حينذاك أن يقوم كتاب وفلاسفة ، وفنانون

صالح رضا

للتعبير عن الواقع ، وعن إمكانية الحلم .

وكان صالح رضا واحدا من أولئك الذين التحموا بالواقع في سبيل الثورة على فرضيات هذا الواقع ذاته .. وبرغم أن رضا كان قد تناول خامة الطين الفخارى عندما انجز هذه الاعمال ، إلا أن الصيغة التقنية والفكرية التى خرجت عليها كانت تجعلها أشد قربا إلى العمل النحتي من العمل الفخارى ، حين تخلت نهائيا عن الحالة التقليدية التى تربى عليها العمل الخزفي باعتباره ـ في ذلك الزمن ـ عملا استخداميا يوميا ، محدود الغرض .

انجز رضا مجسمات ذات صفات ادمية ، وعظام بشرية ، وايد ممتدة مبالغ في خشونتها ، وارجل قوية كبيرة الحجم ، ووجوه ضامرة ، واكتاف مستديرة بارزة الارادة ، واشخاص محتجين ومعتلي الصحة ، واجواف خاوية ، وعيون مفقوءة ، وحالات بشرية مهدرة ، .. وركز رضا على افتعال فراغات محاصرة داخل العمل حتى يضفي على الفكرة النحتية امكانية القراءة الفورية امام الرمز المباشر .

● صياغة الفراغات ●

كانت فراغات هنرى مور قد ألقت ظلالها الثقيلة على كثير من اعمال الفنانين المصريين آنئذ في النحت والتصوير على السواء . فلم تنج حتى اعمال تصويرية لرمسيس يونان وفؤاد كامل ـ في اواخر الاربعينيات والخمسينيات الاولى ـ من ذلك التسليط القوى للفراغات التى تخترق الأجسام باعتبارها نوعا مثيرا من الارتياد الكشفي . غير أنها عند النحاتين لم تكن مجرد « مثير » ، وإنما ـ كانت ايضا ـ نوعا من الحلول الجاهزة التى تشكل بديلا مستعارا من صميم منطق الآخرين لمقابلة التراكيب الجمالية التى تفرضها كثافة الكتلة في العمل النحتي . وكان السجيني سباقا إلى ذلك بصورة تكاد تكون علنية ومباشرة ، على نحو ، جعل من الصعب على المتأمل المعتاد أن يقتفي أثر التجربة الذاتية للفنان ، .. وربما ايضا كان من العسير ـ لهذا السبب ـ تتبع عملية النمو الداخلي للكيان الجسمي للعمل في بعض الحالات .

على أن صالح رضا ، برغم تسليمنا بفكرة التاثير هذه ، كان على خلاف ذلك .. إذ استطاع أن يعيد صياغة هذه الفراغات بحيث صارت فراغاته هو ذاته ، كما ان « المعطى » الوظيفي لوجودها في العمل النحتي كان يبدو عنصرا غير مختلق ، بل فرضته ضرورات الفكرة النحتية ككل .

فإن الرمز المباشر الذى تميز به رضا في ذلك الزمن كان يدعونا إلى أن نتفهم ـ دون أى حذق ـ تلك الحاجة التى دعت الفنان إلى تفريغ منطقة البطن واختراقها احيانا لترجمة الجوع ، أو الاحتجاج ، أو الصراخ ، أو الظما ، أو حتى الارادة . على حين اننا لا نجد انفسنا مدعويين بهذا القدر ، أو حتى باكثر من هذا القدر ، في اعمال الفنانين الآخرين النحتية ، تلك التى كانت « تتميز » بطرح الفكرة « المثالية » على طول الخط ، مع وضعيات قصوى من التعميم الجاهز مثل « الأمومة » ، أو

البطولة . او الراحة . او العائلة . او حتى النيل الوطنى ، وباستثناء نحاتين مثل هجرس وخليفة من هذا النطاق ايضا . . .. إذ كان الأول برغم تشابهه إلى حد ملحوظ مع رضا إلا انه كان يستند إلى ركيزة « ايديولوجية » ذات انتماء واضح . .. بينما كان كمال خليفة متفردا بخواص ذاتية واضحة فى تماثيله ، وإن كانت مرتكزة على قماشة من الشجن الوطنى ، وعلى مسحة ساخرة ، برغم قربها الشديد الى البناءات النحتية المرققة فى تماثيل ، كنيث ارميتاج .

كان صالح رضا إذن ثوريا على نحو عفوى .

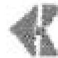
ولذلك فإنه كان من اليسير تلمس انحيازاته للمفاهيم التى طرحتها « الثورة » حينئذ . كان « ليبراليا » من نوع « موليير » .. حين كان يقض مضجعه الظلم السائد . ويؤرقه الإحساس بالآخرين . .. ولذا فإنه كان ينحو نحو إلهاب المشاعر بتماثيله المعبرة آنذاك . .. وبرغم أن والده كان قد اخذ يعده ليكون واحدا من مهرة شق الماس والالماظ ومختلف الأحجار الكريمة . .. إلا ان رضا كان قد اختار طريقا مختلفا حين استقر عزمه على النحت

صالح رضا .. والتحول

فى العام ١٩٥٨ بدات صورة المجتمع المصرى - برغم استمرار الغليان الحماسى العام - تتجاوز المرحلة الانقلابية للمفاهيم التى طرحتها الثورة . .. واخذت مختلف الشرائح الاجتماعية تمتص ردود الأفعال . وتتجه نحو مؤشرات متفاقمة - كيفية وكمية على السواء - لتغذية النمو الشعبى كانت العواطف العمومية قد تهيأت كى تفسح المجال امام التعبير المنظم للتوجهات السياسية . .. وبدات المقولات الشعبية المكبوتة منذ زمن بعيد تعبر عن كيانها البنيوى « الجوانى » على الساحة .

حينئذ نشات تلك الضرورات الملحة للبحث عن الهوية فى الاقتصاد . وفى الفن . وفى الثقافة . كانت معارك الفكر والتنظير . وانحياز الانتماءات . والولاءات كذلك . قد اخذت تنمو على صورة مرادة ، وعلى صورة غير مرادة . وكذلك على بنية منظمة . وبنية عفوية فى نفس الوقت . غير ان التيارات جميعا كانت ترى ان « التراث » هو قضية « لزومية » لصنع الفن . قضية احتياج ضارب الجذور فى اعماق الناس .

كان المعيار هذه المرة هو إثبات الوجود امام الذات . .. وليس مقاومة المحتل كما كان الحال فى السابق . وكان صالح رضا إذ ذاك قد انجز تمثال « عروس النيل » ، ورسم « عروسة المولد » . .. ولم تكن عروس النيل إلا وجها مصريا مشربا بزرقة سماوية تفاؤلية . وقد امتدت جدائل الشعر والضفائر على شكل اربعة اعمدة ترتكز عليها كتلة الوجه النيلى . وتباينت اعمدة جدائل الشعر هذه بفراغات خصوصية للغاية ذات مسحة تبادلية وقورة بحيث تبدو على هيئة قدسية تقربها إلى حد بعيد من « البيضاويات » الفراغية . الرأسية الطابع فى فتحات العمائر الاسلامية . وبينما كان التعبير كثيفا والألوان موجزة فى عروس النيل . كانت رسوم رضا تفصح عن جانب لا يستهان به من ارتباطه العميق بالالوان دون تحفظ تقريبا . فإن « عروسة المولد » التى رسمها فى نفس زمن عروس النيل . كانت محملة بمجموعة من الذكريات العميقة الجذور . والتى تم اختزانها على صورة اكيدة فى وجدانه منذ الطفولة . فقد



دراسة
الهلال

صالح رضا

رسم رضا فتاة جالسة على مقعد متوسط الوصف بين « كوشة العروسة » وبين « مصاطب » الحضريين في المدن ، .. وهي بذاتها تحتضن فوق الصدر والبطن عروسة المولد التي لا تخطئها العين حين نراها في الاحتفالات الدينية ذات الايقاع الطقسي في المولد النبوي . بينما تبدو الخلفية مزيجا متآلق الألوان من الصور المتواترة للفارس الشعبي ، وقباب الصوامع الاسلامية ، والمآذن ، ومقرنصات المساجد ، وقد نسقت في نظام استقرائي ملحمي الطابع من اعلى إلى اسفل بحيث تذكرنا « بالحواديت » الشفاهية في الساحات التي تعج بالموالد الشعبية .. .. فمن اين اتى صالح رضا بكل هذه الذكريات الدفينة للعذوبة الشعبية ؟! ومن اين اتى بكل هذا الشوق الحسي المجسد في عيون فتياته البلديات ؟! .. هل كان مدفوعا تحت تأثير تلك الديون المتراكمة للصور الشعبية في حي خان الخليلي الذي ولد فيه « .. أم انه كان احتياجا » استاتيكيا « لمنازلة الواقع الراهن آنذاك ؟! .. .. أكان ذلك كله عن عقيدة سياسية والتزام فني ، أم كان مجرد تحصيل وامتصاص عشوائي لسنين الدراسة الفنية ؟! .. ..

إن الصور القديمة إذن ظلت عالقة تحمل البرهان . وما كان لطفل آخر غير رضا أن يحتفظ بمثل هذه الصورة الطقسية لصناعه الكحل ما لم تكن هناك طبيعة نسقية للخامات التي سوف يقدر لها أن تحمل سمات العناصر الرئيسية لمثيرات الجمال والحس البلدي عند صالح رضا .

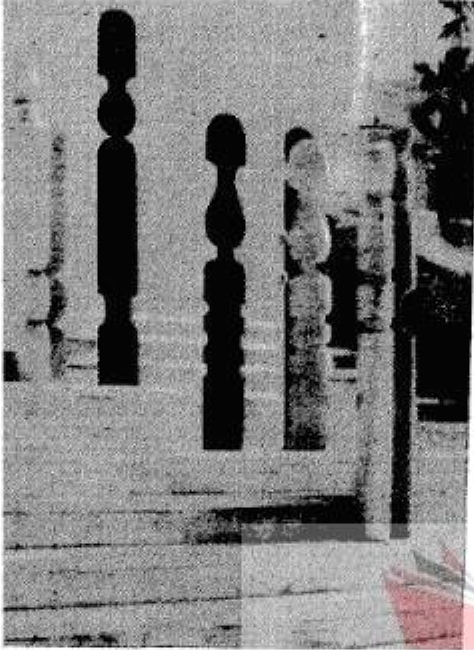
• شخصية حية •

كان سيد عبدالرسول قد رسم عروسة المولد منذ زمن ، وتبعه إذ ذاك آخرون كثيرون .. وكان حامد ندا ، والجزار قد استقرا على ذلك العالم العجيب من الاسطح المليئة بتراث ريفي وافر من السحر والغيبيات ، وكان احمد عبدالوهاب قد قدم منحوتاته ذات العرائس التابوتية تحت مظلة من العقيدة الالزامية بصيرورة القديم في النحت المصري .. وبرغم ذلك كله فقد ظل صالح رضا مختلفا ، فان عروسته سواء كانت نحتا أو تصويرا ، .. لم تكن تلك العروسة الجاهزة للهيئات الكمية المتواترة منذ الفاطميين ، ولا هي استقراء ناموسيا لجماليات التراث القديم ، بل كانت عروسه على نحو تم انتخابه من بين مجموعة مواريث متعاقبة في الزمن .. باستنباط بنائي وعقلي جعل منها عروسة على نحو مميز ، وبابا في نفس الوقت لكثيرين ممن أخذوا على عاتقهم فكرة التعبير عن الشخصية الشعبية كقضية منتهية من بين خيارات الابداع المطروحة .

فإن عروسة صالح رضا كانت شخصية « حية » ، وليست توليفة « تميمية » . فيداها متصلتان ببعضهما ، وقدماها كذلك ، .. وصدرها رضاعي ممتلىء ، أما جذعها الأسفل فهو ليس منتفخا بفعل الهواء والفراغ على ملابس محنطة مستديرة من « السكر والورق » . بل إن لها افخاذا تفصح عن العافية ، وأردافا تشكل ـ نوعا ما ـ

العواطف الحسية للجسد الأنثوى ووجها مستديرا له سمات الفلاحات حائز على تلك الشروط غير المحررة لجمال البنت البلدية - العيون الواسعة المكحلة ، والخدود الممتلئة ، وفم صغير ، وانف دقيق ، واذنان مختفيتان تقريبا وقد تحلت بزينات من الفيروز والاحجار الكريمة .. إن الصورة كلها حية ومجسمة منذ طفولتى .

.. ويسترسل صالح رضا قائلا « .. .. كانت امى تاخذنى إلى الحمام الهندى فى خان الخليلى . كنت بين الرابعة والخامسة حين كانت تحملنى معها ، فإن بقية الأخوة ، اشقاء وغير اشقاء كانوا يساعدون ابى فى قطع الأحجار الكريمة وصقلها . فإذا دخلت إلى ذلك الحمام المثير ، يلفح وجهك الحر الساخن ، واللحم الطرى ، والعرق الحلو ، وروائح اخرى لم اكن اعرفها .. بالاضافة إلى مجموعة من الاستدارات الجسدية . كنت أرى كل شىء . فلم يكن هناك من سبب للتحفظ على شىء قط . فقد كنت صغيرا . ولسبب ما كانت تلقفنى امى لزميلة لها فى نفس الحمام المزدحم ربما لكى تحرر كلتا يديها .. فاقع أحيانا على الصدر او البطن كانوا جميعا يتصرفون كما لو كانوا يتبعون اسرارا مكتوبة وطقوسا مسيطرة . وكن يتناوبن الراى والمشورة والنصيحة فى مواضع من اجسامهن ، ويتباهين بالأوصاف مهما كانت هذه الأوصاف « دفينة » ، ثم نخرج معا حيث تنتظرنا عربة « السوارس » الفاخرة ، تجرها اربعة جياد وهى مغلقة على من فيها . وتضع امى « الحرام » وغطاء « الراس والوجه حتى لا يرى احد غير عينيها . ونسمع صوت الشخاليل حول عربة السوارس ، فإن امى زوجة لتاجر معروف ومرموق فى حى خان



اتداخل الفن مع التطور المستمر للحياة

الخليلى .. والمظاهر الحلاقة جزء من الأبهة والمقام الرفيع .. فإذا عدنا إلى البيت كنت الحظ ذلك الاستدراج البشرى والتلطيف الغريب بين ابى وامى ، واحس حينئذ باننى طفل غير مرغوب فيه ..... »

● الرصيد المرئى والذاكرة ●

... كانت علاقة « الحجم » بالفراغ إذن هى نوع من الالهام الغريزى للثقافات التصويرية المكنونة فى عالم صالح رضا . اذ التجاويف ، والفراغات ، والاستدارات ، والتكوير ، والتحوير ، والارتفاعات المعاكسة للأسطح ، واختراقات الاحجام ..



صالح رضا

.. لم تكن إذن صياغات مرسلة من قبيل الصدفة ، فإن الرصيد المرئي في صميم الذاكرة الحية الحساسة قد تم تمريره عبر مكثفات الفنان الذاتية ، وخضعت فيما يبدو لنوع من التصنيف ، والتصحيح ، والتوليف والتأليف ، والاضافة والحذف والتوثيق .. بحيث خرجت على تلك السمات الشعبية الصافية . ولم يكن من المستساغ أنئذ أن تجيء تماثيله وأعماله التصويرية في رحلته هذه معبرة عن المشاكل الاجتماعية ، أو عن موقفه تجاه قضايا محلية راهنة كما كان الحال عليه في السابق .. وإنما هي كانت تلخص بإيجاز قاطع انحيازه للفكرة ، الشخصية المصرية ، بصورة مؤكدة . فإن الحالة التي كانت تترجم التحامه مع معطيات الثورة قد تغيرت ، واخذت تتجاوز الحقائق الكائنة إلى الحقائق المسكنة ، والواقع الراهن إلى الواقع المأمول ، أي أن ، الصورة الثورية ، ذات الطبيعة ، العفوية ، التي كانت تزاحم الطموح الجارف في مرحلته الفنية الأولى قد تغيرت ، وبتعبير أدق ، قد ، تحولت ، عند صالح رضا إلى ، صورة منظمة ، . إلى صورة ، عقلية ، . إلى صياغة متأنية لعملية الفرز والابداع ، أي إلى صورة ، جوابية ، الطابع .

لقد كانت التجربة عند صالح رضا تقوم على خلق مصالحة معتدلة ، ووسطية بين الكتلة ، والفراغ .. إذ كان الفراغ النحتي مفهوما حتى ذلك الحين بالمعايير الكلاسيكية المعتادة ، وبالتبريرات الجمالية المسندة ـ بصورة أو بأخرى ـ لمقولات عمومية بصدد فكرتي ، التوازن ، و ، الرسوخ ، .. أي أن الفراغ لا يكون فراغا نحتيا ما لم يكن جزءا من الكتلة . وذلك بدلا من أن يكون الفراغ على حقيقته المفترضة معادلا للكتلة بالمفهوم الأخلاقي للجمال ، وموازيا للحجم بمفهوم النحت . أي أن النحت في حقيقته هو نوع من اعادة صياغة الفراغ الكوني بإقحام الاحجام ، واحلال الكتل ، بحيث يصير الفضاء فراغا تنظيميا مرادا لمبدعه .

● صالح رضا . بين التجديد والعالمية ●

اشتغل صالح رضا بالنحت ، والخزف ، والحفر ، والتصوير الزيتي ، واستخدام مجموعة متنوعة من الخامات خلال رحلته الفنية ـ التي بدأت في منتصف الخمسينيات ـ من الطين الفخاري ، والنحت الخزفي ، والبرونز ، والنحاس ، والصلب ، والخشب ، والجبس ، .. ، .. وانجز مجموعات من الأواني الخزفية الراقية محدبة وكروية الشكل ، واسطوانية القامة ، واستخدامية الطابع .. ، .. ومارس رضا الحفر على الزنك والنحاس والجلد والحجر والخشب ، .. ، وفي التصوير استعمل رضا الزيوت والأصباغ والبلاستيكات وبويات الطباعة ، .. والقطع والقص واللصق على الابلاكاج والكتان والقماش المعد .

وفي النصف الثاني من الستينيات كان رضا قد احدث تفجيرا قويا في العمل النحتي على وجه خاص . كان قد تخلص

نهائيا من مثيرات الاستعراض الكمي للجماليات الشعبية ، ولنظام التوافيق الفراغية ... وصار الفضاء على قدر نسيجه الكوني هو الاشكالية التي تمثل تحديا حقيقيا للعملية النحتية ، كانت مثيرات الابداع عنده قد أصبحت علّة تبحث عن المعلول » .. وليست مجرد علة للجمال الوصفي تبحث عن معلولها في النحت . فهو لم يعد بحاجة إلى هذا الكيان من النسق الاستقرائي للتفاصيل العذبة لكي يضمنها في عمل نحتي يكون على شكل إمرأة ، او رجل ، أو مقعد ، أو حصان ـ فإن الشخصية المصرية ماهي إلا سلسلة من الذكريات الجمعية ، والتقاليد الحية المدفونة ، والسعرات الروحية المرسلة ، وملاحم الأجداد ، والتاريخ .

كان صالح رضا يتحسس هذه المعادلة الصعبة حقا بين التراث والتجديد . فإن « اللطم عند اذن الميت .. وصراخ المحزونين لفراق الأحباب » على سبيل المثال ، .. لا يمكن أن يكون سلوكا مسندا إلى مجرد صورة وصفية حية « للحدث » ، بقدر ماهو مسند إلى تلك الدوافع الدفينة التي فجرت ينابيع التعبير عن « العلة » .

تحاور الفن مـن سمات الفنان وهو ماتبعه صالح رضا طوال رحلة الفن



ثمة إذن ما جعل صالح رضا بمضي الزمن يحمل المثير والدافع من « داخله » هو نفسه ، وليس من « خارجه » كما كان الحال عليه في السابق . ولعل ذلك كان ـ أيضا ـ بسبب قدرته الطبعية على الامتصاص الغريزي للكيانات المحيطة به . .. أيا كانت هذه الكيانات قوى ضوئية ، أو درجات ظلية ، أو حجمية ، أو زمانية ، إذ يتم اختزانها لمسافة تسمح بتنقيتها وانتخاب قواها الذاتية كما لو كانت هي عملية « تمثيل » من الطبيعة للطبيعة .

أما السبب الثاني فهو لكونه فنانا « أدرى » الطابع ، ولهذا فهو لا يستطيع أن يظل متوائرا على طريقة نظامية . نمطية ـ مانارزمية ـ في العمل الفني . ذلك أن رضا من هذا النوع الذي يحمل علة الثورة على القديم بالقديم ، وكذلك علة الثورة على الأنساق الخارجية بالأنساق الداخلية ، .. .. اي برصيده المخزون عميقا منذ زمن . وأما السبب الثالث . فهو لأنه فنان « شكل » . أي أن الشكل عنده « مسبوق » بالمقابلة لمعناه فالمعنى عند صالح رضا يتداعى زمانيا لفترة بعد فترة أثناء عملية الممارسة

صالح رضا

النحتية حتى يكتمل الشكل على النسق المنشود .

ومن هنا فقد اكتسب رضا خاصية التجديد ، .. لأنه « حر » بالمفهوم الغريزى للحرية أمام العمل .. ولهذا السبب فقد قدم صالح رضا تماثيله الراسخة الرصينة وهى تحمل اسم « الجنين » دون أن يكون هناك جنين .. و« الزعيم » دون أن يكون هناك زعيم » .. و « الصلب » دون أن يكون هناك صليب .. و « الولادة » دون أن يكون هناك وليد . لقد اختفت الأشخاص ، والموائد ، والأحجبة ، والزخارف ، والفرسان ، والعرائس ، والعيون المكحلة ، .. وحلت مكانها معادلته الجديدة . هذه المعادلة التى تلخص « القديم » بعد التصفية ، والكشط ، والشطب ، والحذف ، والإضافة .

أى أنه ذلك التجديد الذى يرتكن مع حسابات الفنان الذاتية ، وخبراته البصرية ، وقوى نفاذه الفنى ، إلى حجة قوية ، منساقة إليه بالشغف والقناعة من خلال تلك العلل الدفينة التى تؤلف الشخصية المصرية فى ذاتها ، وليست هذه الشخصية فى بنائها الوصفى .

وهذا هو ما يفرق بين فنان مثل صالح رضا وبين السلفيين من الفنانين بدعوى الحفاظ على « التراث » ، .. وهو نفس ما يفرق بينه أيضا وبين أولئك الذين سقطوا فى إطار النموذج الجاهز للفكرة التبعية ، بدعوى العالمية ، وتنتفى صفة « العالمية » كجوهر ، إذا كان سندها هو مجرد الاعتماد على أجهزة إعلامية قوية ، فكذلك تكون معلبات السردين القادمة من اليابان وغيرها . ولكن العالمية هى ذلك الفن الذى يخلق « مشاركين » لإشكاليته المطروحة من مختلف شعوب الأرض حتى ولو لم يكن هذا الفن قادرا على أن يمارس هذه المهمة لأسباب قهرية لاتغيب عن البال .

** **

فى العام ١٩٦٨ قدم صالح رضا معرضه الهام فى فن « القطع والقص واللصق » - الكولاج - .. وكان عبارة عن مجموعة منتخبة ، مطبوعة جرافيكيا بنظام النسخة الواحدة « المونوتايب » ، قام بتقطيعها ، وقصها ، وتثبيتها على أسطح معدة بالألوان البلاستيكية ، .. وكانت جميعها على وجه التقريب تتألف من عدة شرائط وخطوط متجاورة ومتوازية ، ومنحنية الحواف ، بحيث تصنع عالما من الدوائر الكاملة أحيانا ، .. والدوائر المقتحمة ، أو المتقطعة ، أو المشقوقة ، أو المنقسمة ، أو المعاكسة ، أحيانا أخرى . كان التأليف رياضيا على نحو بليغ ، .. إذ كانت « الصنعة » التصميمية فيه هى محور العناصر ، والنسيج معا . جاءت هذه الأعمال وكأنها مقطوعة الصلة تماما بين الأفكار المتصلة لصالح رضا ، وبصماته المميزة .. ، غير أن أهميتها كانت تأتى من كونها تمثل إيقاعا عاليا للتمهيد لتوليفات محورية للغاية ، قادمة فى النحت .

وفى العام ١٩٦٩ أخذ رضا يفكر فى تلوين أسطح منحوتاته ، وخلال السبعينيات كان صالح رضا قد أنجز مجموعة رائعة ، وعالية الأداء من النحت الخشبى ، وقد بدت الطاقة التصميمية فيه وهى تعادل دور البطل الأصيل بحيث تجاوز

العمل ذلك الاصطلاح التقليدى للنحت الى « مفهوم النحت » .

فلم تكن هذه المنحوتات الخشبية فى حقيقتها إلا تجسيدا للمعطيات التى فجرها معرضه الهام فى القطع واللصق الذى أقامه عام ١٩٦٨، .. إذ كانت أعماله النحتية هذه فى معظمها عبارة عن مجموعة دوائر مجسمة مرتكزة على عنق خشبى يضيق وينتفخ، ثم يستقيم حتى يلتقى بالقاعدة، .. وكانت النسبة عنده من نوع ذلك الميزان « الذهبى » الذى يقيس الجسم بسبعة أمثال الرأس . فلو تأملنا الأمر قليلا .. كنا قادرين على لمس الخط الفاصل وكذلك الخط المتصل الدقيق بين عروسته التى انجزها فى عام ١٩٥٨ ومنحوتته الخشبية ـ أو عمله الخشبى ـ التى أنجزها اعتبارا من عام ١٩٧٠ .. بعد أن قام بتخليصها من السمات الوصفية للنمط المكرر ، والتباديل المعادة ، .. واستعادها الى جوهرها الكلى ، وحقيقتها الكامنة . ولو قمنا بتصغير العمل الى عدة أضعاف فإننا سوف نجد أمام عيوننا قطعة من ذلك النوع الذى يقوم بمهمة « التثبيت والوصل » فى مجموعة منجزة لعمل « أوابيسكى » النسق .

إن رضا يحلل الأصل ليصل الى الجزء، ويحلل الجزء ليصل الى العنصر ، ويحلل العنصر ليصل الى الوحدة » .. ثم يحلل الوحدة ليصل الى الحالة ، ثم يحيا فى الحالة ليصل الى الفكرة » .. وحينئذ يفجرها ذلك التفجير النحتى « المسبوق » الذى تميز به رضا منذ بدأ حياته الفنية .

ويجتاز صالح رضا زمنا تركيبيا . عقلى المنهج فى عملية الابداع .. ومع ذلك فإن مجسماته لايبدو عليها ذلك الاجهاد الذى نراه فى أعمال كثيرين ، ولا ذلك الظهور الاجوف على كبرياء ضائعة . ولذلك فإن منحوتاته تمتاز بالتلخيص ، والصرامة ، والحضور القوى ، ومسحة الروح فى ذلك الجمال القديم الشجى العواطف ، ولعل ذلك ظل سببا قويا لدوام أعماله زمنا يصعب محوه من الذاكرة ، .. وتبدو هذه الصفات على صورة أكيدة فى أعماله « البرونزية » الشديدة الحبكة واللمعان ، التى قدمها فى الثمانينيات الأولى ، وتظهر من جديد علامات شجنه القديم بقطع وشق الماس والألماظ فى حى خان الخليلى ولقد خرجت القواطع التى اقتحمت دوائره المجسمة رياضية الطابع ، ولكنها تبدو كما لو كان القطع قد جرى على حجر كريم . على أن صالح رضا عاد مرة أخرى ، وجعل من اعادة الوحدات صورة لتشديد زمن التركيز على الرمز الجوانى . فثمة ما دعاه الى فصل الوحدات عن بعضها فصلا مكانيا ، بحيث سمح ذلك للفراغ ، وبالتالى للفضاء ذاته ، أن يقوم بالاتصال غير مرئى ، وبالتالى بالاتصال زمانى النسق بين كل وحدة وأخرى فى العمل. لقد انقضى فعل ، الشكل ، على الصورة ، الأيقونية ، القديمة ، فإن البداية والنهاية فى الحجم لم يعد يعوزها ، عقدة ، محورية فى الوسط حتى تستبين وحدة العمل ، بل إن « الزمن » قد أخذ وضعا حلوليا فى العمل كبديل لهذه « العقدة » التى نتحدث عنها ، وذلك عن طريق ذلك التكرار المعاكس لفكرة النمط ـ فى تظلم فصل الوحدات عن بعضها البعض ، .. هكذا لم يعد الفعل عند صالح رضا عملا نحتيا بقدر ما هو حجم مجسم ، ولا عملا جميلا بقدر ما هو نظامى الطابع ، ولا عملا مكانيا بقدر ما هو زمانى المدركات والصفات ، .. والذكريات كذلك .

أنت .. و الهلال

● قصيدة مترجمة ●

● أشكر لكم الجهد الصادق الذى تبذلونه بمجلة « الهلال » .. كما أشكر لكم عنايتكم برسائل القراء ، وقد أثلج صدرى ردكم علىّ فى عدد سبتمبر عن القصة القصيرة التى ارسلتها لكم . وعرفت أنكم تهتمون بكل رسالة .

اقول أثلج صدرى ، لانه كان يحزننى أن أسمع ما يقال من أن هناك « شلل » ومنافع فى مجلاتنا الأدبية ..

« الهلال » بالذات رائدة المجلات الأدبية فى العالم العربى .. لكن ردكم اثلج صدرى وأزال همى لأننى تعمدت أن أرسل رسالتى بالبريد العادى حتى أرى ..

وفى رسالتى هذه أرسل لكم قصيدة للشاعر الانجليزى جون كيتس ترجمتها الى العربية من تصرف طفيف ولك أن تطمئن يا سيدى الى الترجمة ، فأنا أعمل مدرسا انجليزيا بالتعليم الثانوى .. وازعم أننى أعلم من الانجليزية الكثير ..

السيد ابراهيم عطية
الموانسة / كفر صقر / شرقية

● تعليق

ـ نحن نثق بك وبقدرتك على الترجمة ، ولكنا تعودنا أن تكون الترجمة مصحوبة بنص مكتوب للأصل .. ومع ذلك نرجو ان نجد متسعا لنشر قصيدة جون كيتس المترجمة الى النثر العربى ، فى احد الأعداد القادمة ..

● الشعر التفعيلي والعمودى ●

● أنا شاعر ناشىء ، أنظم الشعر التفعيلى والعمودى فى وقت واحد ، إرسل اليكم نماذج من اللونين أم من لون واحد ، وأى الوان الشعر تفضلونها .. التفعيلى ام العمودى ؟ !

حسنين ابو وصفى حامد
الاسكندرية

● تعليق ●

● نحن منبر لكل ألوان الشعر .. التفعيلي والعمودي معا ، ولا نفضل لونا على لون إلا بالجودة ، فهناك شعر تفعيلي جيد وشعر تفعيلي ردىء وهناك شعر عمودى جيد وشعر عمودى ردىء ، ونحن ننشر الجيد من اللونين .. ولكنا نلاحظ ان الشعراء الصغار السن يجهلون حتى أوزان التفعيلة بسبب افتقارهم الشديد إلى التزود بتراث الشعر الكلاسيكى العربى الحديث والقديم ، وهذا خطر على شعراء التفعلية أنفسهم ، لأن الجيل القادم منهم سيكون جاهلا تماما بالأوزان ، ويتعذر عليه عندئذ آن ينظم الشعر بالتفعيلة أو بغير التفعيلة ، ولا يبقى لديه إلا الشعر النثرى ، اى الخالى تماما من الوزن .. ومن واجبنا ان ننبه دائما الى هذا الخطر الذى سوف يحول أوزان الشعر العربى بعد جيل واحد الى الغاز مثل أوزان الغناء العربى القديم التى ذكرها الاصفهانى ، أو مثل اللغة الهيروغليفية ، وأن كانت الهيروغليفية قد وجدت من يفهمها منذ قام شامبليون بحل ألغازها .. ولا تصدق يا أبا وصفى ما ذكرتموه فى خطابكم من قول بعض المتسرعين أو زعمهم بأننا لا نقبل الشعر التفعيلي . فإن أكثر من نصف ما ننشره فى الهلال من الشعر هو من شعر التفعيلة ! ..



● صراع ●



(١)

تنازعنى هموم العيش احلامى
فياحلمى
تعالى نقتل الهما
ولا توجل
فليس لشاعر مثلى
سوى الأحلام كى يحيا

(٢)

تنازعنى هموم العيش احلامى
فاستبقى
سحابات المنى الشعرا
فتمطرنى
وتدفعنى إلى الأحلام ثانية
فاسترسل



تنازعنى هموم العيش احلامى (٢)
فياويلى
إذا جفت ينابيع المنى عندى
ستدهمنى
هموم العيش رافعة
لواء النصر والعزة

محمد ابراهيم المجريسى
ابو تيج

● قولوا للكيلانى ●

● إن مجال الأدب والنقد عظيم .. فلم لم تنتقد عبد الرحمن شكرى والمازنى .. بل اثرت العقاد دونهم جميعا .. وما لذلك من تفسير سوى الغيرة اللاذعة والخيبة الدامغة فى الوصول لما وصل اليه العقاد عملاق الأدب .. وما انزله الأدب من منزلة لولاها ما كان كيلانى ولا امثاله فإن اردت الشهرة فى نقد العقاد والطعن فيه .. فلا تطرق بابها بعصا الهدم والتدمير .. فانصحك الا تتشبث باضغاث احلامك ..

رجب عبد النظير عبد الشافى
سمهود - ابو شوشة - قنا

● كلمة هادئة إلى كيلانى ●

● هل تريد لنفسك شهرة :
وهل الشهرة تصنعها على حساب ظلم يقع على الآخرين ؟
ولماذا لم تظهر هذه الشجاعة الأدبية وكل هذه الانتقادات فى حياة العقاد ؟
سيادتك تعلم أن القضايا التى تثيرها اليوم ليست جديدة بل نوقشت من

قبل . وقتلت بحثا ، ولكن يبدو أن سيادتكم تحب العيش فى الماضى فكتاباتك ، وكتبك التى قرأتها لك معظمها يدور فى هذا الإطار ، دون إضافة أو نقد أو تحليل ، فجاءت كتبك تدوينا لتاريخ مثل « ترام القاهرة » أو تجميعا لمقالات الغير مثل « شارع قولة » .

وأنا اذا أردت أن أتناول كتبك وأسلوبك ، فانني سأتبع المنهج العلمي في التحليل ، وأبرهن بالشواهد والأدلة ، دون أن أدخل في قضايا جانبية أتناول فيها شخص المؤلف بالتجريح ، ودون أن أسخر من أسلوبه بطريقة فيها تحامل ، يظهر فيها العداء وعدم الموضوعية .

أردت من هذا أن أوجه هذا الرد اليك ، فأنت حي ترزق تستطيع أن تدافع عن وجهة نظرك .

وكفى حديثاً عن العقاد ، أو قل ما تريده عنه ، ولكن دون تجريح ..

د . محمد وجيه الصاوى
كلية التربية ـ جامعة الأزهر

● أشعارى فى الظلام ●

● أشكر لسيادتكم ردودكم الشافية على أشعارى ، وأرسل قطعتين من (بحر البسيط) ، فحصت فى الأولى نظرتى الى مجلتكم الغراء التى أعتبرها منارة تنير الطريق أمام أشعار الشباب من أمثالى ، فياحبذا لو نشرتم أفضل القطعتين

يالائمي لا تلم ما خطه قلمي .. فإنني مغرم بالشعر والحكم
ضللت دربى كشخص ضل وجهته .. والنفس تخشى من الأدلاج فى الظلم
فجئتكم أبتغى من نوركم قبسا .. ينير دربى ويهدى فى الدجى قدمى
فإن قضيتم لنفسى بعض حاجتها .. فإننى شاكر والشكر من شيمى
وإن قفلتم أمام الوجه بابكم .. فالحمد لله فى بخل وفى كرم .

عبده محمد سلطان
صقيل ـ أوسيم ـ جيزة

● تعليق :

ـ نشكركم على رقتكم .. وأما شعركم فيبشر بخير إن شاء الله .. وليس فى أبياتك

الخمسة هذه أى خطأ لغوى إلا قولكم فى البيت الخامس « قفلتم » أى « اقفلتم » بمعنى « أغلقتم » .. ولو جئتم بإحدى هاتين الكلمتين الصحيحتين لانكسر الوزن ، فكان من الممكن أن تقول « رددتم » لأن العرب تقول « رد الباب » أى اقفله أو أغلقه .. أما « قفل » ، الباب فغير صحيحة ، ومن هنا كان غير صحيح أيضا قولهم : « الباب مقفول » وصحتها « مقفل » .. وقفل معناها « عاد » و « القافلة » هى الجماعة العائدة من السفر ! .. وليس من المهم أن يذكر الشاعر حين يرسل الينا قصيدة ان يذكر لنا من اى بحر هى ، فالشعر الجيد يجىء من أى بحر ، والشاعر الحقيقى تنطبع موسيقى العروض فى وجدانه قبل ان يدرس حرفا واحدا من علم العروض ، ولم يوجد فى تاريخ العربية شاعر عظيم بدأ حياته الشعرية بدراسة العروض ، ولكن دراسة العروض الآن ـ من خلال نماذج الشعر الجيد ـ صارت واجبا بعد أن استعجم الشعراء وتكسرت أوزانهم وكثر صياح بعض الأغرار ، وبعض الذين يقولون ما لا يعلمون ..

● سيد قطب الأديب ●

● نشرت الهلال الغراء ، فى عدد سبتمبر ١٩٨٦ مقالا للاستاذ سليمان فياض تحت عنوان « سيد قطب بين النقد الادبى وجاهلية القرن العشرين » .. قال فيه أن سيد قطب بدأ حياته شاعرا وناقدا وانتهى مفسرا للقرآن الكريم وكاتبا عدة مؤلفات دينية بلغت ثمانية وعشرين كتابا ..

ونسى الكاتب ان للمرحوم سيد قطب كتابا مهما فى النقد الأدبى عنوانه « النقد الأدبى نشأته وتطوره » .. وفيه يقدم كيف بدأت مناهج النقد الأدبى عند العرب وتقييم الاجناس الأدبية من شعر وقصة قصيرة ورواية ومسرحية وقواعد النقد الأدبى ومناهج النقد وكيف أنه يؤمن بالمنهج الفنى لتحليل العمل الأدبى والمنهج المتكامل فى نظره من ثلاثة : المنهج التأثرى والمنهج التقريرى والمنهج الجمالى لأنه أقرب المناهج الى طبيعة العمل الأدبى .

وقدم أمثلة لكتب الدراسات فى النقد الادبى « مع ابى العلاء فى سجنه » للدكتور طه حسين وكتاب « ابن الرومى » للعقاد و« بشار بن برد » للمازنى و « رأى فى ابى

العلاء » للشيخ امين الخولى .. وللأستاذ سيد قطب كتاب اخر هو « مهمة الشاعر فى الحياة »

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم

● رسالة شاب غاضب ●

● قرأت فى الهلال سبتمبر ١٩٨٦ ردكم المهذب جدا علىّ وكان الرد فى سطرين .. فظننت خيراً . ولكن كان السطران أشبه بخنجرين يغوصان فى صدرى وكانت حروفها أشبه بالنار .. قلتم لى فى ردكم المهذب : « أنتم وصلتم الى مرحلة إقامة الأوزان الصحيحة ، وبقيت أمامكم مرحلة إجادة التعبير الشعرى ، لأن الشعر ليس مجرد أوزان صحيحة » .

فهل انا أرسلت لكم من قبل قصائداً مكسورة الوزن ؟!

لقد تجاوزت مرحلة تعليم الأوزان أما عن التعبير الشعورى فإن جميع قصائدى تعبير شعرى .. إننى اقرأ كل يوم لجميع الشعراء العرب فانا مهنتى الشعر ولست هاوياً ليقال لى هذا الكلام .. فمشكلة الشعر عندنا أن أغلب الذين يكتبونه أنهم هواة .. لا يهمهم سوى الوظيفة والمرتب ..

أستاذنا الكبير أعرف أن هذا الرد علىّ مجرد « سد خانه » .. أو مجرد أكلاشيه تردون به على الكثير من الأدباء الذين يراسلونكم ولكننى لن أحزن .. ولن امل .. فأبو تمام يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت .. أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت .. ما كان يعرف طيب عرف العود .

وبعد .. اتساءل أين ننشر إنتاجنا إذا كان مصيره هذا الرد المهذب .. هل ننشره على حبل الغسيل .. ؟

واخيرا أنا غاضب غضباً شديداً .. قد يصير جرحاً فى ذاكرتى . غاضب منك .. أيها الاستاذ الكبير المشرف على باب أنت والهلال .. غاضب إلى آخر مدى ، غاضب منك اشد الغضب .. فأكلى وشربى أصبح الأن غضبا فى غضب .. ولك الشكر على هذا الغضب .. المعبأ فى صدرى والمغلف فى لسانى .

عبد الله السمطى
آداب عين شمس

● تعليق

ـ فى البداية نعلق على لغة هذه الرسالة ..

فقولك : « أرسلت لكم قصائدا » .. خطأ .. والصواب « قصائد » بدون الف فى آخرها لأنها ممنوعة من الصرف .

وقد استشهدتم بشعر ابى تمام فجعلتم الكلمة الأولى من الشطر الثانى هى الكلمة الأخيرة فى الشطر الأول ، فقلتم :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

« اتاح لها لسان حسود »

وهذا خطأ فاحش ، وكان يجب أن تضع « طويت » فى أول الشطر الثانى ، مما جعلنى أشك فى انك قد بلغت مرحلة .. إقامة الأوزان الصحيحة ، وكنت من قبل أظن انك بلغتها .. ووضعك ضمة على كلمة « عرف » فى البيت الثانى خطأ والصواب فتح الفاء ، وهذه الكلمة معناها « الرائحة » اما « العرف » بضم العين فهوالجود والمعروف ..

وأخيرا ..

نرجو القراء أن يحكموا بانفسهم على طريقة هذا الشاب الشاعر فى مخاطبة الناس .. فكيف تصبح عصبيته وشدة غضبه وطريقته فى الكلام بعد عشرين عاما إذا استمر فى « تطوير » لغته « الشعرية » على هذا النحو ؟ ! ..

يابنى .. إذا كنت تريد ـ وانت فى العشرين من عمرك الآن ـ أن تنضج وانت فى الثلاثين اوالأربعين : فحاول أن تستفيد من النقد والنصح ، لا أن تثور عليه هذه الثورة التى نرجو أن تراجع نفسك فى بواعثها ، فنحن لم نقصد إلا ان نربت كتفا ، ونقول لك كلمة نصح وإرشاد ، رجاء تبصيرك ، لا إثارتك وإغضابك .. وسامحك الله ياصغيرى العزيز .. ! وليس فى صدرنا ذرة غضب منك ، بل يملؤنا الإشفاق عليك ! ..

● ويبقى الله ●

وبالقلب الذى يهوى .. غدا الانسان إنسانا
وينسى الناس أن الحب .. قنديل بدنيانا

وان العشق شوق .. أن يتم الخلق عرفانا
وقلبانا إذا التقيا .. تمام الخلق لقيانا
وسر الله نور الكون .. في القلبين مذ كانا
ويبقى الله .. أقرب من .. وريد في حشايانا
ويبقى الله .. يبقى الله .. .. يبقى الله رحمانا

د . أحمد عامر

● حوار مع الأصدقاء ●

● كمال محمد نصر الدين نادي - المنيا ::
- نشكركم على القصائد التي أرسلتموها إلينا ، ونعتذر إليكم بسبب ضيق المقام .. .

● م - محمد زهري - الظاهر - القاهرة :
- سنحاول تلبية رغبتك بنشر المزيد من الموضوعات عن الفن والفنانين اما المجلات والأعمال الفنية التي تسألون عنها فليست مع الأسف في متناول أيدينا الآن ..

● علي حوم - إذاعة شمال الصعيد بالمنيا :
- قصيدتكم التي عنوانها « الحاج » تدعو للتفاؤل. ونعتذر إليكم بسبب ضيق مجال النشر .

● رفعت محمد بروبي - سوهاج :
- قصائدكم التي أرسلتموها إلينا هذا الشهر ، تبشر بالخير ..

● عاصم فريد البرقوقي - شارع خليل مطران بالإسكندرية :
- نشكركم على تهنئتكم بالعيد الرابع والتسعين للهلال

● أحمد فؤاد - الاسكندرية :
- قصيدتكم التي عنوانها « حكايتي » قرأناها بصعوبة بسبب الخط ، وفيها بعض الأوزان التي تحتاج إلى مراجعة وبعض الهفوات النحوية واللغوية ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .



اسعار البيع للعدد العادى

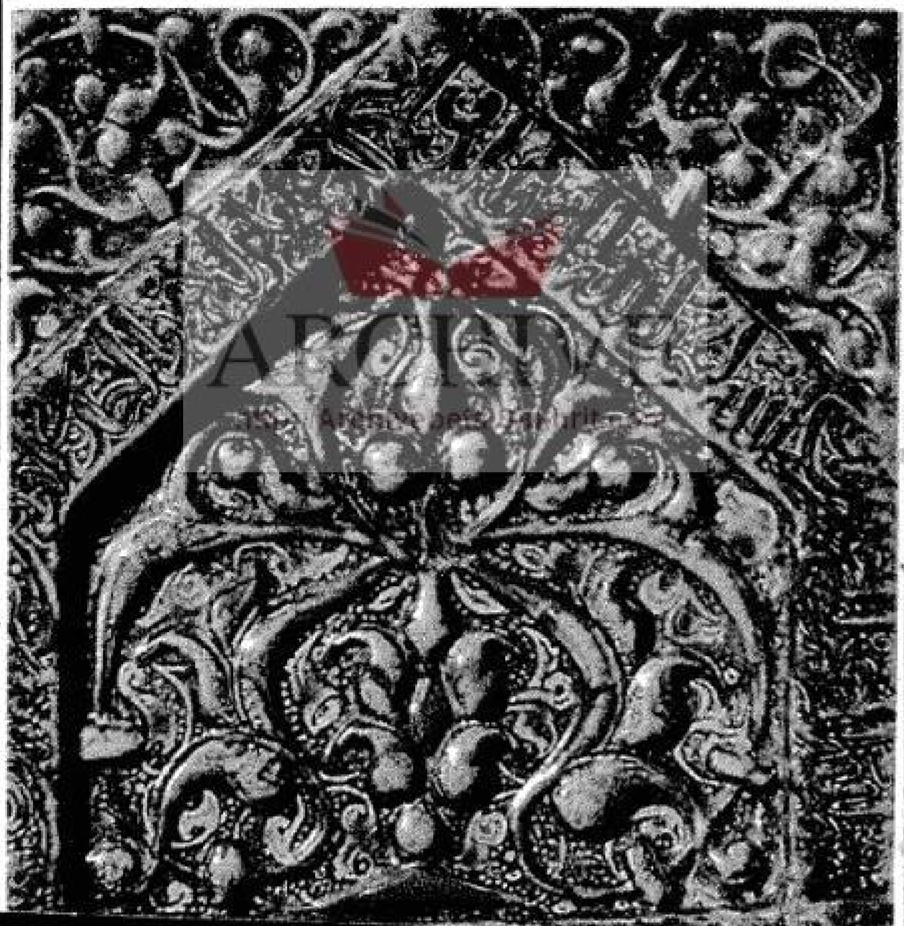
سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			

الهلال

ديسمبر ١٩٨٦ - الثمن ٥٠ قرشا

- الإرهاب وأثمان البشر
- التدخين وأمراض العصر

عالم الإسلام
ثأر الماضى وحدود الحاضر




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من روائع الفن الإسلامى

السلطان بايزيد الثانى ، يشاهد الاسد والنور اللذين قدمهما سلطان تونس ، يشاركه عدد من كبار رجال الدولة العثمانية .. وهى احدى لوحات متحف طوب كابى فى اسطنبول .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ اول ديسمبر سنة ١٩٨٦ م
٢٩ ربيع الأول سنة ١٤٠٧ هـ



رسالة مرسيه :
وندرس الأندلس بدلا عن
البكاء على الأطلال ص ٦٠

في هذا العدد

• فكر وثقافة •

ص

• حوار حول ٥ يونيو :

• كتاب الشهر

• وجهة نظر :

● عالم الإسلام : آثار الماضى وحدود الحاضر ●

● رسالة مرسيه :

● رسالة غرب افريقيا :

● دراسة الهلال ●

● قصة وشعر ●

● شخصية العدد ●

● الأبواب الثابتة ●

عزيزي القارئ

عالم الإسلام

آثار الماضى .. وحدود الحاضر

مواد هذا العدد من « الهلال » متنوعة كالعادة ، فلانخص بالذكر منها مادة دون مادة ، وانت وماتحب وتختار ..

ولكنا نتريث قليلا عند بعض المقالات التى يكمل بعضها بعضا ، وتتجه كلها إلى مصب واحد ، هو العالم الاسلامى ، فى أمسه ويومه وغده ..

إن الميراث التاريخى للمسلمين شرقا وغربا ، هو الميراث التاريخى للعرب ايضا ، فالعرب والمسلمون كانوا نسيج أمة واحدة حين بدأ الافرنج يشنون الغارة على العالم الاسلامى ، بادئين بالاندلس قبل تسعمائة سنة ..

وكان سقوط طليطلة - العاصمة الأولى للأندلس - فى أيدى الافرنج القشتاليين سنة ١٠٨٥ نذيرا بما أصاب العرب والمسلمين من نكبات طوال مئات السنين فى المغرب والمشرق ، فقد كانت طليطلة أول عاصمة عربية واسلامية تسقط فى أيدى خصوم العرب والمسلمين القدماء ، حتى سقطت غرناطة سنة ١٤٩٢ وتقدم سلطانها أبوعبد الله محمد - آخر سلالة بنى الأحمر - إلى الغزاة القشتاليين يسلمهم مفاتيحها ، وينحنى ملكهم « فرناندو » وملكتهم « إيزابيلا » ثم يعبر « العدوة » او

« الزقاق » المائى الضيق لاجئا إلى المغرب ، يبكى كالنساء على أرض لم يدافع عنها كالرجال ! ..

لم تكن غرناطة آخر عاصمة عربية أو إسلامية تستسلم للغزاة الأوربيين ، فقد استسلمت بعد ذلك جميع العواصم العربية والاسلامية بين المحيطين الأطلنطى والهادى خلال اربعمائة سنة تقريبا بما فيها « استامبول » عاصمة آخر خلافة اسلامية .. حتى « صارت القضية اندلسية » .. على حد التعبير المشهور فى كل بلد عربى وإسلامى ، أى قضية فناء وزوال من الوجود .. وإنها لأعجوبة تاريخية فذة ان تسقط جميع عواصمنا ، ثم تتحرر كلها ، إلا عواصم الأندلس بطبيعة الحال ! ..

لقد بكى العرب والمسلمون طويلا على الأرض الضائعة ، حتى صار البكاء على الأرض عادة اسلامية عربية مزمنة ، وبابا رنانا مؤثرا من ابواب الشعر العربى ، ولكنه ينم عن عجز ، كما ينم عن نفاق وخداع للنفس . ومازلنا نرى الباكين فى ايامنا الراهنة يذرفون الدمع على كل أرض لم نستطع الحفاظ عليها فى تقلبات القرون الوسطى ! .. واحرى بنا ان نلتفت الآن إلى الأرض السليبة التى مازال الأجنبى ينازعنا إياها ، وحسبك منها أرض فلسطين فى المشرق ، وسبته ومليلة فى المغرب .. فليس يصح فى الذهن والضمير ان نبكى على مافات ، وندع ما لم يفت بعد ، وهو تاريخنا الحى الذى ينزف دما حارا بين ايدينا ! ..

إن الفكر والعمل فى حاضر العالم الاسلامى وفى غده ، اجدر بهما ان يحتشدا للانبعاث الجديد المأمول الذى يواجه به العالمان العربى والاسلامى امواج التفوق الأوربى الأمريكى الكاسحة الزاحفة بلا هوادة إلى القرن الواحد والعشرين ومايتلوه من اماد السنين ! ..

ففى أى سبيل يمضى العرب والمسلمون لتحقيق اهدافهم الحيوية التى سيأكلهم المستعمرون والصهيونيون إذا فشلوا فى تحقيقها ؟! .. إن تحقيقها هو الجدار الوحيد الذى يسند المسلمون والعرب ظهرهم إليه فى مواجهة المستعمرين والصهيونيين ، ففى أى سبيل هم ماضون إلى تلك الأهداف ؟! ..

الجواب عن هذا السؤال الخطير مازال مجهولا أو مختلفا عليه فى عالم العروبة والاسلام .. ويبلغ الخلاف حد التضارب ، بل التطاحن ، بل التراشق بكلمات التخوين والتكفير الطائشة ! .. والدنيا من حولنا

عزيزي القارئ

تتفكه بامورنا ، وتبتسم ضاحكة من سذاجة اقوالنا واعمالنا !

وفي مصر نجد لزاما علينا تقليب وجوه الراى حول دورنا العربى ودورنا الاسلامي ، في الحاضر ، وإلى مائة سنة قادمة واكثر .. ولكن متى يتاح لآرائنا ان تنضج في هذا المضمار ، فنجاوز صوغ الكلام الى مباشرة التطبيق العملي ؟! .

الجواب هنا ايضا غير معلوم ، ومازال الاختلاف عليه شديد الاحتدام ! ..

إن مصر هي قلب العالم العربى الاسلامي ، ولو انك الممت بالمتحف الاسلامي فى القاهرة ، لرايت تاريخ مصر والحجاز تاريخا واحدا يتمثل فى الآثار التى هى مصرية وحجازية فى وقت واحد ، لأن الحجاز ، وهو مهد العروبة والاسلام ، اتصل ارضا وبحرا وسماء بمصر طوال التاريخ ، وكذلك عالم الاسلام وعالم العروبة اللذان يمتدان فى اسيا وافريقيا ، ويصنعان معا حضارة ذات اصل واحد ، لاتناقض بين عناصرها الجوهرية ، فالاخاء الاسلامى يجمع العربي وكل ذى قومية اخرى فى اى بلد اسلامى ، كما تجمع القومية العربية اهلها العرب فى جميع اقطارهم ..

إن الاسلام هو دين القوميات المتعددة المتاخية ، يستقل كل شعب فيها بثرواته ومرافقه واسباب حياته وعمرانه ، فالوطنية حق ، والقومية حق ، وهما لا تنافيان الأخوة الاسلامية ، بل تستمد هذه من هذه ، قوة تجابه بها الخصوم ! ..

ويستطيع العرب والمسلمون الآن ان يحملوا امانة ميراثهم المشترك عن الأجيال الماضية إلى الجيل الحاضر والأجيال القادمة ، إذا عرفوا حق انفسهم عليهم ، واستنبطوا القوة والتقدم من مائهم وهوائهم وترابهم ورمالهم ، واستغلوا الوقت فى العمل الصحيح للخروج من مازق حاضرهم الفاجع ، وبناء مستقبلهم الطيب ، بدلا من البكاء وعض الأنامل بالنواجذ ، اسفا على ما اضاعوه بتفريطهم وغفلتهم فى قديم الزمان ! .

المحرر

ثروة الأمم

بقلم : د . اسماعيل صبري عبد الله

●● تواضع الاقتصاديون منذ القرن الماضي على أن آدم سميث هو ابو علم الاقتصاد .. ويبدأ هذا العلم عندهم بنشر كتاب سميث الكبير " مبحث أسباب ثروة الأمم " في ١٧٧٦ اى قبل ٢١٠ أعوام .. وانفرد كارل ماركس في القرن التاسع عشر بعرض أعمال قيمة في الاقتصاد لمؤلفين عاشوا وكتبوا قبل سميث بكثير .. وبعد تجاهل طويل لامسوغ له اكتشف الاقتصاديون الأهمية العلمية لما نشره الانجليزى بيتي أو الفرنسى كانتيون .. وقد توسع شومبيتر في كتابه الجامع " تاريخ التحليل الاقتصادى " في تقديم السابقين لسميث .. ورغم كل ذلك ظل الذائع في هذا المقام ابوة سميث .. ولكن " الأبناء " لم يأخذوا عن الأب إلا جانبا واحدا من فكره لم يكن المقصد الأساسى من مؤلفه المذكور : جانب حرية التجارة والصناعة .



ادم سميث

● د. اسماعيل صبرى عبد الله

من ابرز المثقفين المصريين ووزير التخطيط الاسبق وحاليا رئيس منتدى العالم الثالث التابع للامم المتحدة ..

ثروة الأمم

وحقيقة الأمر هى أن قضية " ثروة الأمم " كانت موضع اهتمام متزايد منذ ظهور الدولة القومية الحديثة المستندة أساسا الى أسلوب الانتاج الرأسمالي على أطلال العلاقات الاقطاعية .. لقد كانت الرأسمالية الناشئة تضيق بما سمى " المدن الحرة " أى المتحررة من سلطة الاقطاعيين ، وتطمع فى توحيد أرض الدولة فى سوق واحدة يتحرك فيها العمل ورأس المال والسلع من مكان لآخر بلا قيود .. وظهر فى بعض الاقطار الأوروبية (بريطانيا ، فرنسا ، أسبانيا) تحالف بين " البورجوازية " ـ ومعناها الحر فى أعيان المدن ـ والملك ، عمل على تحويل سلطات الاقطاعيين الى امتيازات ومخصصات مالية فى اطار حكم ملكي مطلق .. وكان الناس فى البداية لايميزون كثيرا بين خزانة الدولة وأموال الملك الخاصة .. ومن ثم كان الطبيعي أن يظن الكتاب فى تلك المرحلة البدائية أن ثروة الأمة تقاس بمقدار ما فى خزائن الملك أساسا ـ والناس عامة ـ من ذهب وفضة .. ولكن سرعان ماتنبه بعض الكتاب لقصور مثل ذلك التفكير .. فكتب الفرنسي بودان ـ واضع اسم الاقتصاد السياسي ـ أن ماكان الناس يعانونه فى أواسط القرن السادس عشر من غلاء متزايد يرجع الى كثرة الذهب والفضة فى غربي أوربا على اثر نهب مناجم العالم الجديد .. وكان أخطر ما تضمنه كلام بودان أن الذهب والفضة يفقدان من قيمتها اذا تزايدت الكميات المتاحة منهما فى الأسواق .. وهكذا بعد أن كان المعدنان الثمينان المقياس الأخير للقيمة هبطت الى مستوى أى سلعة تتراجع قيمتها بزيادة المعروض منها .. ومن ثم تعين البحث عن سبب آخر لثروة الأمم .. وبدأ الطبيب الفرنسي كيناي وأصدقاؤه المسمون بأنصار حكم الطبيعة (أو الفيزوقراط) بالقول بأن ثروة الأمم تقاس بحجم ماتنتجه من سلع ورأوا أن الزراعة وحدها تنتج سلعا جديدة تماما .. وذهب كتاب آخرون ـ فى ضوء تقدم العلوم الطبيعية ـ الى أن " المادة لاتفنى ولاتستحدث " أى أن الانسان لايخلق شيئا من لاشىء .. ولكنه يحور ويشكل مايحيط به فى الطبيعة ليصبح صالحا لإرضاء حاجات ورغبات المجتمع .. وبالتالي كان الانتاج بالمعنى العلمي خلقا للقيمة وليس خلقا للسلعة .. وفى ضوء هذه النظرة توصل عدد منهم الى فكرة أن العمل

وحده عصب الانتاج .. فالمواد الأولية موجودة فى الطبيعة ، ومستلزمات الانتاج وكذلك الآلات انتاج لعمل سابق .

● أهمية العمل ●

وكان لآدم سميث فضل العرض الأكاديمى المتكامل لنظرية " قيمة العمل " وكيف أن قيمة أى سلعة هى فى التحليل قيمة العمل الذى هيأها لاستخدام المجتمع .. ولم يكن عرض سميث لتلك النظرة مرضيا تماما .. فتولاه من بعده ريكاردو بالتمحيص والتحديد .. واكتملت النظرية تماما على يد ماركس .. ولذلك فإن أهم ماجاء به سميث كان أمرا آخر يتمثل فى بداية الاهتمام بمفهوم " إنتاجية العمل " فقد شرح سميث أهمية التقسيم الفنى للعمل ـ ومن المعروف أن التقسيم الاجتماعى للعمل يعنى قيام فئة معينة بأعمال معينة .. وقد عرفته كل المجتمعات ، وربما كانت صورته الأولى تقسيم العمل بين الرجل والمرأة .. ويعنى التقسيم الفنى للعمل أداء بعض الأفراد لجزء محدد من عملية انتاجية معينة .. فالصانع الحرفى ـ كالنجار مثلا ـ يصنع سلعة كاملة ، ولتكن فى مثلنا هذا مكتبا والعرفاء والصبيان يعاونونه فى عمله متنقلين من أداة الى أخرى دون تخصص ، حيث يرمى كل منهم إلى أن يكون نجارا يعرف الصنعة كاملة فى يوم ما فى المستقبل .. أما انتاج نفس المكتب فى مصنع للأثاث فإنه يقوم على أساس عدد كبير من العمال يؤدى كل منهم عملية واحدة كالنشر بالمنشار او الدهان .. ثم فى مرحلة لاحقة يصل التقسيم الى وجود العامل الذى لايفعل شيئا إلا دق مسمار او مسمارين فى موضع محدد من قطعة خشب تمر أمامه وهو ثابت فى موقعه .. وقد ضرب سميث مثلا من مصنع للدبابيس وأثبت أن هذا التقسيم الفنى للعمل يزيد الانتاج دون زيادة فى عدد العمال .. ومن ثم نقول إنه أدرك ما نسميه منذ بضع عشرات من السنين " انتاجية العمل " أى قيمة مايفعله العامل منسوبة الى أجره .

● مهارة الإنسان ●

وفى عصرنا الحالى أصبح معدل الزيادة فى انتاجية العمل المقياس النهائى لثروة الأمم ، أى لقدرتها على الانتاج .. فعصب الانتاج هو العمل



البشرى الذى يحول الرمال الى زجاج وبلور .. ولكن معدل انتاج العامل منسوبا الى أجره يختلف اختلافا عظيما من قطر الى قطر ومن جهة الى أخرى ، بل ومن فرد لآخر .. وحين ترتفع انتاجية العمل يكون ذلك نتيجة لعدة تغيرات اجتماعية تؤثر فى قدرة العامل : مستوى التغذية ، الحالة الصحية ، الحالة التعليمية العامة ، حالة التأهيل التخصصى ، دوافع اتقان العمل من مادية ومعنوية ..كما أن الآلات المستحدثة لاتحل محل العامل كما يقال ، لأن كل آلة مهما تكن متقدمة وقادرة على اجراء عمليات ذهنية تظل جثة هامدة مالم يحركها الانسان بعلمه ومهارته الخلاقة .. وكفاءة أداء أكثر الحاسبات الآلية تقدما تتوقف على جودة مايقدم لها من بيانات أعدها بشر .. وانما حقيقة الأمر هى أن الآلة تزيد من إنتاجية العمل .. والحاسبات الاليكترونية والأقمار الصناعية ، والانسان الآلى ، أو الروبوت هى أحدث الحلقات فى



كارل ماركس

سلسلة بالغة الطول من الأدوات التى اخترعها انسان ليزيد من انتاجيته .

ونود أن نقف قليلا عند تعبير " معدل الزيادة فى انتاجية العمل " ذلك أن عدم زيادة انتاجية العمل هو الجمود والتخلف ، بل والتراجع في جوهرها .. ولايجوز وصف مجتمع بأنه يتقدم الا اذا توالت الزيادة فى انتاجية العمل فيه من سنة الى سنة .. ومن ثم يفترض فى أى تنمية حقيقية لأى مجتمع أن تأخذ انتاجية العمل فيه فى الارتفاع وتستمر على منوال الارتفاع المطرد .. وهذا مايعنى توافر الظروف الاجتماعية التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة ، كما يعنى المواءمة الكاملة بين التكنولوجيا وقدرات العاملين على استيعابها .. وعندئذ تصبح المقارنة بين اقتصاديات الأقطار المتقدمة منصبة على المعدل السنوى لزيادة انتاجية العمل .. **ومايقلق الخبراء الامريكيين حقا من اليابان ليس المنافسة فى مستوى سلع بعينها ، وانما حقيقة ان معدل زيادة انتاجية العمل اكبر فى اليابان منه فى الولايات المتحدة .**

ذلك هو المقياس الحقيقى للتقدم والازدهار .. **اما وفرة النقود فى جيوب الناس ، وزيادة السيولة لدى الجهاز المصرفى وكثرة الصفقات فانها تكون ظاهرة مرضية تهدد المجتمع كله بعدم الاستقرار وتصيب المستضعفين** من ابنائه باشق ظروف عيش .. فوفرة النقود التى لاتواكبها **زيادة مماثلة** لا فى الانتاج وحده ولكن فى انتاجية العمل تشكل حالة **التضخم** .. والتضخم مرض اذا ما انطلق من عقاله نما نموا مطردا وسريعا **كالسرطان** .. ومن طبيعة التضخم أنه يعيد توزيع الدخل القومى بين الطبقات **لصالح الاغنياء** وضد الفقراء .. فمن المعروف أن الارباح تتزايد مع ارتفاع **الأسعار** .. وغالبا مايكون معدل الزيادة فيها أعلى من معدل زيادة الأسعار .. **اما الأجور فهى** اصلا ثابتة ، ولاترتفع الا متأخرة عن ارتفاع الأسعار وبنسبة **اقل من معدل** زيادتها ، كما أن التضخم يخل بكل الحسابات الاقتصادية **ويتنافى جوهريا** مع التخطيط .. وكل ذلك صحيح فى قطر مثل السعودية تراكمت لديها الأموال نتيجة بيع اجزاء من رأسمالها العينى (البترول) .. فما أدراك بقطر مثل مصر توافرت فيه الأموال من قروض أجنبية يتعين سدادها ، ومن عمل ابنائه فى الخارج الذى لم يضف شيئا الى الانتاج المحلى ، **وليس ثابتا ان العاملين فى الخارج قد ارتفعت انتاجيتهم .. بل ان ثمة شواهد تدل على ان ارتفاع المرتب كثيرا مايدفع متخرجى الجامعات لقبول اعمال تهدر المهنة التى تعلموها لانها لاتحتاج إلى تاهيل عال .**

التمنز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

أثمان البشر

عندما تصل إليك هذه الكلمات ، صديقي القارىء ، تكون قضية الرهائن الأمريكان قد وصلت إلى نقطة غير النقطة التى أراها الآن .

ولكن الحقيقة الثابتة ، والتى لم ينفع فى إخفائها لا تصنع الغضب ، ولا التخويف من العواقب ، ولا إظهار الحنان على المختطفين وأسرهم ، هى أن الولايات المتحدة الأمريكية تساوم على حياة بضعة أمريكان ، بحياة بضعة آلاف من الايرانيين والعراقيين .

ومانقول ذلك لأننا نستهين بأرواح بضعة أفراد أمريكيين أو غير أمريكيين . فنحن نعتقد أن الروح سر إلهى ، ويستوى أن يكون هذا السر فى واحد أو كثير . ونحن نؤمن بأن من قتل نفساً واحدة فكأنما قتل الناس جميعا . ولكن حين يصل الأمر الى مقايضة سلامة أفراد ، قد لا تمس أرواحهم ولا أبدانهم بسوء على كل حال ، رغم التهديد والإنذار ، بأسلحة فتاكة يعلم المقايض أنها سوف تزهق آلاف الأرواح فى حرب باغية ، فلابد أن يكون وراء هذه الصفقة اعتقاد ضمنى بأن هناك أكثر من معيار واحد للسلوك ، وأن الإنسان الأمريكى لا يلزمه أن ينظر إلى العراقى أو الايرانى على أنهما أخوان فى الانسانية ، بل على أنهما عراقى أو ايرانى ، « لا أكثر » .

وليس هذا الموقف جديداً على كل حال .. فالدول الغربية ، وفى مقدمتها أمريكا ، تقاوم الارهاب بكل صرامة ، ولا تنحنى أبداً لمطالب



ريجان

الارهابيين ، بشرط أن تكون أرواح الضحايا أرواحا من الدرجة الثانية أو الثالثة . وقد ساومت الولايات المتحدة الأمريكية على إطلاق ركاب طائرة الخطوط الجوية العالمية التى اختطفت فى بيروت ، لأن معظم ركابها كانوا أمريكيين ، ولكنها حرّضت وصفقت حين قتل عشرات الركاب المصريين والسودانيين واليونانيين (ليسوا أوربيين تماما !) على متن الطائرة المصرية التى اختطفت من مطار أثينا ، فأرواح هؤلاء عملة سهلة ، رخيصة ، يمكن أن تدفع بسخاء فى مقابل إرهابيين أو ثلاثة من الجنس نفسه . أما إن كان المحتجزون عملة صعبة فإن هؤلاء الإرهابيين أنفسهم يؤخذون بالرفق واللين ، ويعاملون بالطرق الدبلوماسية ، وتتوسط لديهم الحكومات ، ورجال الدين ، والشيطان نفسه إن لزم الأمر لاطلاق سراح المحتجزين ، حتى يعودوا الى أسرهم وأحبابهم ، الذين أستبد بهم القلق والجزع .

● كيف حسبوها ؟ ●

هل حسبوا أثمان أرواحنا وأرواحهم بمتوسط دخل الفرد ؟ فهم يقولون ، « فلان يساوى مليوناً » ، إذا كان يملك مليون دولار . وهم تعودوا أن يحسبوا كل شيء بالأرقام ، فالأرقام هى لغة العلوم الطبيعية ، والعلوم الطبيعية تحاول أن تحتوى فى حضنها القاتل كل شيء حتى الكون والانسان . اذن فالروح ليست من أمر ربى ، الروح كلمة تنتمى الى حفريات الثقافة ، اخترعها أناس لم يفهموا ، ولم يحاولوا أن يفهموا كيف يعمل عقل الانسان ، وكيف يستجيب للمؤثرات الخارجية ، وهذه أمور استطاع العلم الحديث أن يفسرها ، ويقيسها ، بل ويتحكم فيها . والمبدأ الأول فى تفسير سلوك الانسان وقياسه والتحكم فيه هو المصلحة . فالحقيقة ـ تلك الحقيقة التى تفرق بين صغير وكبير ، وقليل وكثير ، وأسود وأبيض ـ هذه الحقيقة هى أيضا حفرية من حفريات الثقافة ، يجب شطبها من القاموس ، ومن تعذر عليه التخلص منها فعليه أن يهمل صيغة المفرد ويتحدث عنها فقط بصيغة الجمع ، فليست هناك حقيقة

واحدة وانما هناك حقائق كثيرة ، والحقائق جميعها نسبية ، ومادامت كذلك فيجب أن ترجع الى ضابط متغير . وماذا يكون هذا الضابط سوى المصلحة ؟ اذن فلتنزل الحقيقة عن عرشها ، ولتسلم أمرها الى سلطان المصلحة ، هذه المصلحة التى يمكن تفسيرها وقياسها والتحكم فيها .

لهذا نحار أحيانا ـ نحن الشرقيين ـ فى سلوك أهل الغرب ، كما يحارون فى فهم سلوكنا . فعندنا أن هناك حقائق لا تقبل التغيير ، ولا تحسب بالأرقام ، ولا تمكن المساومة فيها لأننا ـ واعين أو غير واعين ـ ننسبها الى حقيقة واحدة عليا لها هذه الصفات . وعندما نخطيء نحو هذه الحقيقة نشعر بالندم ، وربما كرهنا أنفسنا ، وربما دفعناها نحو المزيد من الخطأ ، لنشعر بمزيد من الانسحاق . وعندما تمتليء نفوسنا بهذه الحقيقة تصنع المعجزات . وعندهم أن الانسان يلبس لكل حالة لباسها : فتراهم فى أروقة الاجتماعات ، وحفلات الكوكتيل ، ناعمين مصقولين ، يمشون هونا ، ويتكلمون همساً ويفيضون عذوبة . وتراهم اذا تصادمت مصالحهم وحوشاً أو أشر من الوحوش ، يدب بعضهم الى بعض بالخديعة ، ويحيك المؤامرات ، ويسدد الطعنات فى الظلام . أما اذا أشعلوا نار الحرب فكل شيء عندهم مشروع اذا درأ الهزيمة أو حقق النصر ، وكل شيء ، عندهم مبرر فى حساب الأرباح والخسائر !

● تذكروا هيروشيما ! ●

ترومان حسبها أيضا حين محا هيروشيما ونجازاكى من على وجه الأرض وقتل الالوف من الأطفال والنساء والشيوخ وترك الوفا أخرى يفتك بأجسامهم المرض وينتظرون الموت المخلّص بعد سنين تقصر أو تطول . قال وقال المدافعون عن جريمته : انه أنقذ بقتل هذه الألوف مليوناً أو ملايين كان يمكن أن تزهق أرواحهم لو طال أمد الحرب !

عمل لا غبار عليه ـ بل عمل انسانى عظيم ! ـ إن قبلت هذه الحسبة .

فالمعيار الأخلاقى فى النهاية لا يخرج عن واحد من اثنين : إما معيار الحقيقة وإما معيار المصلحة .

والحقيقة لا تنفى المصلحة ، ولكن المصلحة قد تنفى الحقيقة . لهذا نفهم الغربيين خيراً مما يفهموننا ، ونتعلم منهم دون أن نتخلى عن حقيقتنا ، ولا يتعلمون منا الا اذا تخلوا عن حضارتهم وهربوا الى أحضان حضارتنا .

ربما بهرتنا أخلاقهم العملية : أمانتهم فى معاملاتهم ومحافظتهم على مواعيدهم مع سرعة الانجاز واتقان العمل . هذه أخلاق يسهل اكتسابها لانها لا تنافى الحقائق الانسانية التى نحرص عليها قبل كل شىء . بل انها يمكن أن ترسخ هذه الحقائق فى النفوس فلا تلعب بها الأهواء الوقتية . ولكن الأخلاق العملية بدون الحقائق الانسانية تترك الحياة خواء وإن جعلتها سهلة . والخواء السهل هو آفة الحضارة الغربية . وقد حاول بعض المفكرين الغربيين أن يعالجوه بإبقاء ركن صغير منعزل لأمور الروح ، وأخذ هذا الحل الساذج عنهم رجال من قومنا ندعوهم فلاسفة ومفكرين ، ولكنه حل لا يحل الا مشكلة هؤلاء الأفراد الذين يعانوا من انقسام الشخصية .

● الإرهابيون هم تلاميذ الغرب ! ●

نحن لا ندين الارهاب فقط لانه بشع وظالم ودنىء ، ولكننا ندينه ايضا لانه جزء من حضارة الغرب التى توشك ان تدمر العالم .

واحيانا أسائل نفسى : لماذا لم أسمع بدراسة علمية فى تاريخ الارهاب ، شىء يشبه ماصنعه فوكو فى أركيولوجية المعرفة حول تاريخ السجون أو تاريخ الجنون ؟ وأجيب نفسى بأن مثل هذه الدراسات ، مع الأسف الشديد ، لا تزال تأتينا من الغرب ، ويظهر أن موضوعاً كموضوع الارهاب لا يسهل على كاتب غربى ، مع كل الحريات التى يتمتع بها ، أن يعالجه بأمانة وموضوعية . والخطوط الرئيسية للموضوع ماثلة أمام كل باحث يريد أن يتصدى لهذه المهمة . فالارهاب ، كمؤسسة اجتماعية ، وتكتيك حزبى ، يتميز عن "قتل الغيلة" الذى عرف منذ أقدم العصور ووجد فى جميع المجتمعات الصغيرة والكبيرة ، الشرقية والغربية . وتسمية الأعمال الارهابية "اغتيالات" تسمية تنطوى على خلط كبير . فالاغتيال عمل فردى لا يلزم أن يكون وراءه تنظيم ما ، والارهاب منظمة اجتماعية تستخدم الاغتيال كوسيلة واحدة من بين وسائل كثيرة . ويستطيع المؤرخ أن يلاحظ تطور هذه المنظمة من "الاغتيال" البسيط ، وأظن أن ذلك حدث قبيل الحرب العالمية الأولى ، بين فريق من الثوريين الروس ، ففى كتابات لينين كلام مهم عنه (وقد عارضه بشدة) . وأقترح على هذا الباحث أن يدرس العلاقة بين الارهاب والتقدم التكنولوجى من ناحية ، والارهاب وأساليب السيطرة السياسية من ناحية أخرى .

أما وأنا بصدد تشخيص الارهاب فقط ، باعتباره سلوكا عدوانيا فإننى أراه يقوم على نفس المبدأ الأخلاقى الذى تقوم عليه الحضارة الغربية : مبدأ المصلحة . فكل شىء مشروع فى السلوك الارهابى اذا حقق النتيجة المبتغاة . وكل الفرق بين هذه المنظمة الصغيرة والمنظمة ـ الأم ـ الحضارة

الغربية ـ أن المصلحة فى الحالة الأولى هى مصلحة فئة صغيرة مظلومة أو مسحوقة .

ألا تعجبون معى لأن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تجرى اتصالات مع فئات ارهابية صغيرة فى لبنان ، بينما ترفض بعناد أن تجرى أية مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ولكن مهما يكن هذا الأمر غريبا فتفسيره واضح : أن حكومة الولايات المتحدة والارهابيين من كل جنس ولون يتكلمون لغة واحدة : لغة المصلحة ، لا شىء غير المصلحة ! ولا تعجبوا لهذا الاتفاق رغم التناقض الواضح بين الفريقين . فهو اتفاق فى اللغة فحسب ، اتفاق فى القانون الأخلاقى . والمصالح تتناقض وقد حارب الغرب نفسه قبل أن يحارب الإرهاب !

● وهؤلاء المعارضون ●

هؤلاء الذين عارضوا سياسة حكومة الولايات المتحدة ، داخل **الولايات المتحدة** نفسها : المشرعون ، والكتاب ، والناس العاديون الذين لم تنجح **عبارات** الحنان المصطنع على أسر المخطوفين فى تنويم ضمائرهم ... **هل تنبهت** "الحقيقة" الكامنة فى قلوبهم : الحقيقة التى لا تقبل الاعوجاج ، ولا **تجعل** الشر سبيلاً الى الخير ، ولا تفرق بين أثمان البشر ؟

دعونا لا نخدع انفسنا . معظمهم ـ أيضا ـ جادلوا باسم المصلحة **قالوا إن المساومة** مع الارهابيين تشجع على مزيد من الارهاب . ولعل هذا **صحيح** . ولكن الأصح منه هو أن بواعث الارهاب كامنة فى النظام العالمى نفسه ، ولذلك فسوف تظل مصاحبة لهذا النظام الى أن يتغير من أساسه . وصحيح أيضاً أن فرص "النجاح" سوف تظل قائمة بالنسبة للإرهابيين ، سواء تحققت عن طريق التفاوض أم بدونه .

وأهم من هذا وذاك أن البشر لا تتفق مصالحهم جميعا ابدا فلابد أن تتغلب مصلحة الأقوى . وحب الحرية والأنفة من الظلم طبيعة فى البشر جميعا ، فقيرهم وغنيهم ، أسودهم وأبيضهم ، فلن يقبل الضعيف المظلوم أن يعيش أبداً فى عبودية القوى الظالم . ولكن البشر الذين تفرّقهم المصالح ، يمكن أن ينقادوا جميعاً لصوت الحق .

فإن كان بين المعارضين فى أمريكا من سمع صوت الحق ـ ولن يعدم صوت الحق مجيباً فى أى زمان أو مكان ـ فهؤلاء هم اخواننا لا يفرق بيننا وبينهم لون أو جنس أو ملة ، بل نتلقاهم جميعا بالأحضان !

أقوال معاصرة

● « ان العلاقات بين ايران وأمريكا تحسنت بشكل واضح ، بعد تزويد ايران بأسلحة أمريكية » .

ماكفرلين

● « لا مصالحة بين ايران والولايات المتحدة فى ظل الظروف الحالية » .

الرئيس الايرانى على خامينى

● سنفرض عقوبات اقتصادية ضد سوريا لتورطها فى الارهاب !! »

ريجان

● « ريجان أقل الرؤساء الذين تعاملت معهم معرفة بشئون العالم » .

فيت اونيل رئيس سابق لمجلس النواب الامريكى

● « الانسان يستهلك وقتا طويلا حتى يصبح شابا » .

بيكاسو

● « أصوت دائما للمحافظين ، لانهم أحسن زبائن عندى ! » .

العاهرة البريطانية نورما ليفى

● القدرة على التعلم فى مرحلة متأخرة من العمر تعتمد على الاحتفاظ ببراءة الاطفال » .

الباحثة كاثى ماكوليف

● « الطبيعة البشرية لا تسمح لليل الاستبداد المظلم ان يستمر الى ما لا نهاية » .

شارگر گراد تامر

● « الامريكيون مثابرون على العمل لانهم يعتقدون خطأ انهم سيعيشون الى الابد ! » .

الممثل الاسترالى بول هوجان


على خامينى


ريجان


بيكاسو

● فى عـام حقـوق الإنسـان ●

حقـوق الإنسـان فى هذه الأيّام

بقلم : فتـحى رضـوان

لا اظن ان هنالك لفظين يذكران هذه الايام ، ويذكران منذ بضعة سنوات ، كما يذكر لفظا « حقوق الانسان » . وقد تردد هـذان اللفظان بصفة خاصة عندما تقرر انعقاد مؤتمر القمة فى ركيافيك عاصمة أيسلندا بين عاهلى العالم ، العملاقين : جورباتشـوف وريجان .

فقد اعلن الرئيس الامريكى ان من موضوعات القمة الاساسية هى حقوق الانسان ، ولا احد يستطيع ان يزعم ان هذه الحقوق التى ستشغل هذين الرئيسين اللذين لم يسبقهما حاكمان على مثالهما من سعة النفوذ ، والهيمنة على عالم فى مثل غنى العالم السوفيتى وحلفائه واتباعه والمؤمنين بمبادئه ، وعالم الغـرب الذى يشمل اغنى الدول واعلاها حقا فى التقدم العلمى والآلى ، فى كل من امريكا الشمالية ، واوربا .

ومع ذلك فهذان الزعيمان الغنيان ، بل المتخمـان بالثروة من مختلـف صـورها : ثروات مادية ، وثروات ادبيـة وثروات اكتشفت وثروات فى سبيلها الى الظهـور ، ثروات تقى الانسان وتسعده فى ايام السـلام ، وثروات تسلحه وتعده للحرب والقتال هذان الغنيان - على غير عادة الاغنياء مشغولا البال بحقوق الانسان . ريجان يتخذ من الحديث عنها ، والتنـديد بموقف السوفيت منها سبيلا للضغط على السوفيت ، والسـوفيت بدورها تتهم

امريكا بالعبث بحقوق الانسان ، وبالاتخاذ منها سبيلا لمواصلة الحرب الباردة ضد السوفييت ، في حين ان نظام السوفييت ، ومنهجه ، والمبادىء التي يروج لها هي السبيل الاقوم والمباشر الى احترام حقوق الانسان ، ورفع القسر والقهر عن البشر ٠

وبعبارة أخرى يقول السوفييت إن حقوق الانسان في أمريكا ، مجرد وسيلة لذر الرماد في العيون في حين أن الانسان يلقى في ظل النظام الراسمالي ، أو في ظل الراسمال الحر ، من الام الحرمان ، والضيق ، ما لا يعرفه الفرد في ظل النظام السوفييتي ، حيث يجد الجميع ، قوتا كافيا وتعليما لكل طالب علم ، وراحة نفس لكل مواطن يعيش على ارضه ٠

● فلسفة حقوق الانسان ●

والخلاصة ان حقوق الانسان ليست شيئا معنويا ، يتحدث عنه احد الفريقين ويزعم الطرف الثاني ان ما يقدمه للبشرية ، من حقوق ومزايا هو جوهر فلسفة حقوق الانسان في حين أن ما يقدمه النظام الغربي لا يعدو الاقولا ، ومع ذلك فالحديث عن هذه الحقوق ، يملأ الصحف والمجلات وتقام له الندوات وتصدر من أجله القرارات ، ويستمر صراع يشغل له اقوام في الغرب ينتمون للمؤسسات القوية والغنية ٠

فما الذي رفع مقام حقوق الانسان الى هذه الدرجة ؟ في حين ان السنوات التي تلت الثورة الفرنسية أول من تحدث بشكل جماعي وعنيد وصاروخ عن حقوق الانسان في العهد الحديث لم تشغل بهذه الحقوق بالقدر الذي نسمعه الآن ٠ فالآن توجد هيئات ضخمة ، تتبنى هذه الحقوق وتطارد الذين يعتدون عليها ، وتندد بهم ، وتستثير الناس ضدهم وتنشر صور الذين اعتدى على حقوقهم بزجهم في السجن ، بلا محاكمة ، ثم بتعذيبهم في تلك السجون ، وفي أماكن الاعتقال والحجز ، لم يسمع الناس من قبل عنها ، ولا عن خصائصها الحديثة من اتساع ضخم في مساحتها ، ووسائل لمنع الهروب منها ، مثل الاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ، والخنادق الملينة بالماء ، والحارس الساهر الحامل للاسلحة الخفيفة كالبنادق والمدافع الرشاشة الى جانب المسدسات ، مع وجود مصاطب للمدافع الثقيلة ، واجهزة للرادار وللاستشعار من بعد ،زيادة في الاحتياط ضد محاولات فرار المحتجزين فما الذي زاد من الحديث عن حقوق الانسان مع هذه الزيادة المفرطة في العدوان عليها بالكم والكيف ؟ أيكون شعور الانسان بالاثم لتورطه في الاعتداء على حقوق أخيه الانسان وربما زميله في الوطن الواحد اوالدين الواحد ، أو المذهب الواحد ليكفر عن

شعوره بفداحة الجرائم التى ارتكبها فى هذه الحقوق ، فيقوم بالفعال ، وينشىء منظمات ويصدر مطبوعات تفيض بالحماسة لهذه الحقوق المنتهكة ، وبالتنديد العنيف ، بالمعتدين عليهـا والمنتهكين لحرماتها ، أم ان هذا الانفعال الضخم بحقوق الانسان ، وبوجوب الدفاع عنها ، وبالتظاهر المستمر بالسعى لحمايتها هو رد الفعل الطبيعى لضخامة الهجوم على نفس الحقوق ، ودوسها بالأحذية والمدافع ورجمها بالصواريخ والقنابل التى لم يسمع عنها من قبل .

ولنبدأ القصة من أولها :

● الاسلام وحقوق الانسان ●

بدأت الدعوة لحقوق الانسان ببدء الدعوة الى الحقوق الانسانية ببدء عهد الديانات السماوية ، فالاديان السماوية وان لم تذكر هذا التعبير ، فانها وضعت أساس الاخاء الانسانى، وتحدثت عن الانسان بتحريم المساس به ، وباحترام جسمه ونفسه . ولكن لم تفرد بابا مستقلا فى أى كتاب مقدس عن هذه الحقوق ، ولم تورد نصوصا خاصة بفرض تقديسها ولعن من يمسها أو ينتهكها .

وبقى الحال على هذا الوضع ، حتى جاء الدين الاسلامى ، فاصبح له موقف خاص بحقوق الانسان جعله اكبر دعوة للمحافظة على حقوق الانسان ، وتقديسها ، وتحريم العدوان عليها أو المساس بها . وسنتناول هذا الموقف بشىء من التفصيل فيما بعد .

الا أن البداية النظرية الحديثة للدفاع عن حقوق الانسان ، كانت مبادىء ثورة سنة ١٧٨٩ فى باريس ، فقد أعلنت تلك الثورة الشعار الذى بقى الى اليوم مصدرا للوحى العالمى الى احترام حقوق الانسان ، والدفاع عنها ، وتبشير كل من يستبيح بها أن يعتدى عليها بأقسى العقوبات .

بدأت ثورة سنة ١٧٨٩ بالشعار المثلث الحرية والمساواة والاخاء ، وجعلت هذه الثورة الحرية والمساواة مترادفين ومع ذلك فقد لوحظ أن ثمة تناقضا بين الحرية والمساواة ، من حيث كونهما مبدأين عامين . فالحرية هى اطلاق ارادة ورغبات الانسان الفرد من كل قيد ، وفعل ما يخطر على باله ، أو الجهر بما يوحى اليه . ولا شك فى أن هذه الحرية تتضمن فى ذاتها مساسا بحرية الآخرين . بما يتعارض مع المساواة . والمساواة هى ان يكون حق كل فرد ، مماثلا لحق الافراد الآخرين فى القول والفعل . وهذا معناه استحالة المساواة ، وبالتالى استحالة الحرية فنحن لسنا متساويين فى القوة البدنية ، ولا فى الطاقات الذهنية ، فبعضنا أسرع من الآخرين فاذا سمح له ان يعدو بالقدر الذى يرضيه ، لم يلحق به أكثر الآخرين ،

وبذلك تتوقف المساواة ومعها الحرية ، فالاكثر سرعة يتصدرون صفوف المتسابقين ، وسيتركون وراءهم فى ذيل الموكب أناسا طاقتهم فى العدو محدودة ، فاذا قيدنا سرعة السريع بالحد الذى يطيقه البطىء أو الابطأ ، زلت الحرية ومعها المساواة كما قلنا .

ولذلك كان لابد من أن يصدر قانون منظم لحدود الحرية والمساواة، وعند البدء فى وضع القانون اسدلنا الستار على هذا الشعار بشقيه واستبدلنا به الحرية المنظمة قانونا ، والمساواة المقننة بالنظام .

الارهاب حقيقة واقعة

ولقد نشأ من الصراع بين تطرف واعتدال المؤمنين بهذا الشعار بمصراعيه ، نشأت دواع للعنف والارهاب ، فقوم أرادوا المثل الاعلى ولو نظريا ، وآخرون طلبوه فى حدود القيود البشرية ، فنبات النكسة ، واصبح الارهاب حقيقة واقعة ، فخصوم المثالية رأوا انهم لن يدافعوا عن مثلهم الاعلى ، وهى الحرية الممكنة والمساواة العملية ، لابد أن يلجئوا فيها الى السلاح ولجأ فى الوقت نفسه خصوم السلاح أيضا ففرات الانسانية فى بحور من الدم ، وساد الارهاب ، فتأجلت الحرية كما تأجلت المساواة ، وكان لابد من ان تقوم ثورات بعد ثورة سنة ١٧٨٩ ، وبعد يوم ١٤ يوليو من تلك السنة الذى فتح فيه الباستيل ، واطلق سراح المعتقلين ، وظن الثوار ، وهم يفعلون ذلك انه لن تقوم معتقلات بعد اليوم ، وأنه لن توجد صعوبة فى تحقيق الشعار كاملا مع خلوص النية ، والقضاء على دعاة الاعتدال .

وفى ظل هذا الفوران ، نشأت نظرية من باطن فكرة الحرية ، وان بدت لبعض الوقت انها اجهاض لسقف الحرية ، تلك فكرة الدولة ، فقد رؤى أن ما يطمح اليه الانسان ، بعد أن تقرر مبدأ الحرية ، هو عبث ضخم وتحقيقه فوق طاقة الانسان الفرد ، فلابد من انشاء كيان جديد يمتاز بقدرات لم يتمتع بها الانسان من قبل ذلك هو كيان الدولة ، الذى ابتكره الانسان ، ورأى أنه مخلوق خارق القوة ، وانه قادر على أن يحقق للافراد من ضروب السعادة والثروة والحماية داخل الوطن وبين الاوطان ، ما لا سبيل الى الظفر به بغير الدولة، ولما نشأت الدولة ، وراحت تنتفخ وتتوسع ، وتبنى وتشرع ظهر انها حققت للمواطنين داخلها وللناس على المستوى العالمى ، فرصا للتقدم العظيم ، ما لم يكن ممكنا توافره بغير هذا الكائن الجديد ، وقيل للناس لا تراعوا من هذا الكائن وكل ما تفعله الدولة ويبدو كأنه من تصرفاتها ورغباتها الخاصة بها ، هو فى واقع الامر ثمرة رغبة المواطنين وارادتهم ، فالفتوحات السياسية والعسكرية وانشاء المعاهد والجامعات وشق الطرق والميادين ورصد الملايين من الجنيهات للبحوث العلمية التى تعين على الوصول الى الكوكب والخوض فى اعماق المحيطات هى فى الواقع فتوحات لحساب الفرد الذى اصبح اكثر غنى ، واعظم نفوذ واعظم حظا من

لذلك وضع الفن والعلم . فالانسان الخاضع للدولة البروسية بقيادة بسمارك رأى نفسه أقوى المواطنين فى أوربا ، واكثرهم علما ، واقدرهم على تحقيق النصر فى الحرب ، بفضل الدولة البروسية الواسعة الحدود والكثيرة الجنود ، فازدادوا بها ايمانا وحولها التفافا . ولم تلبث هذه الدولة أن أصبحت خطرا على المواطنين فى الدول الاخرى ، فدخلوا فى تنافس لتكون بريطانيا أعظم من المانيا ولتكون فرنسا أقوى من الاثنين .

وقد حدث شىء مناقض لتضخم الدولة واتساع نفوذها وطاقاتها ، أن امبراطوريات العهد القديم توارت وانهارت تباعا : انهارت فى الحرب الاولى أضخم امبراطوريات عرفها التاريخ : الامبراطورية العثمانية التى حكمت لاكثر من نصف اوربا ، ومناطق شاسعة فى اسيا وشاطىء البحر الابيض الجنوبى ، وكل البحر الاحمر ، وزالت دولة النمسا والمجر أطول الامبراطوريات عمرا وامبراطورية روسيا القيصرية أو الصرابية التى وصلت من شرق أوربا الى اقصى شرق اسيا . كما زالت امبراطورية الامبراطور غليوم أقوى دول اوربا الوسطى وفى الحرب العالمية الثانية اختفت امبراطورية الانجلو سكسون وعاصمتها لندن ، والسلافية وعاصمتها باريس ، واليابان وعاصمتها طوكيو ـ فاصبح الفرد مسلحا بمبدأ الحرية والمساواة والاخاء ، الذى نجح فى اسقاط النظام القديم كله ، ونشأ على انقاضه نظام الفرد فى صورة أخرى الفرد الذى لا يحكم الشعب ، بل الفرد الذى يصوغ القرارات الكبرى عن طريق تصويت يتساوى فيه الفقراء بالاغنياء والمثقفين بالجهال ، والعاملين بالعاطلين . ولما أحس العمال فى ظل الدولة الضخمة ، ان هذه الدول لا تشركهم فى رأى ولا تسألهم عن شىء ، انقلبوا ضدها ، واصبحت للدولة الضخمة أما دولة شعوب ، وأما دولة عمال .

ونشأت فترة جديدة من التسابق على الظفر بتأييد العمال ، للتحدث باسمهم فعلا ، وعندما يكتشف العمال زيف هذا الادعاء ينقلبون خصوما للدولة ، فلا ترى سبيلا لوقفهم عند حد الا بالحديد والنار .

من هنا اصبح الحديث عن حقوق الانسان ، هو مزاج العصر ، فالانسان الان هو الملك غير المتوج لانه صاحب الصوت الذى يحكم الحكومات ، ويسقطها فاذا لم تظفر الحكومة بتأييد هذا الانسان ، فلابد من استعمالها لاقصى العنف ، مع ادعاء انها حكومة الشعب او حكومة العمال ، والارهاب مستمر ..

هذا هو سر التناقض فى كثرة الحديث عن الانسان وعن حقوقه ، وكثرة ما يصيب الانسان من الضرب والسحق والشنق ، والحرق ..

وهى مشكلة لا يمكن ان تستمر ، ولابد ان تنتهى قريبا الى الوضع الذى يتفق فعلا مع كرامة الانسان واحترامه .

والى حديث نتناول فيه النظرية الاسلامية فى حقوق الانسان .



هل تقر أمريكا بعيوب الرأسمالية وتعترف روسيا بمزاياها؟

بقلم: عبد الرحمن شاكر

خبران، أو تقريران، لا تكاد تكون هناك صلة بينهما، إلا فى الشكل، وهو صدور كل منهما عن أحد المعاهد العلمية فى الدولتين العظميين. ولكنهما يقفان ازاء بعضهما البعض كالمرايا المتقابلة، التى تنعكس فيها الصور الى ما لا نهاية، والانعكاس هنا يكشف عن كثير من الاحتمالات والتغيرات المنتظرة فى عالمنا المعاصر، ونظامه الدولى الذى تقف هاتان الدولتان الكبريان: روسيا وأمريكا على قمته.

الخبر الأول منهما، فى ٢٨ أكتوبر الماضى، طيرته وكالات الأنباء فى واشنطون، يتحدث عن دراسة جديدة أجراها معهد أمريكى لبحوث الأمن القومى، تكشف عن أن مليارات الدولارات التى تنفقها الحكومة الأمريكية على برنامج الرئيس ريجان للدفاع الاستراتيجى فى الفضاء المسمى بحرب الكواكب، تذهب لشركات لها صلات قوية بأعضاء فى الكونجرس الأمريكى من ذوى النفوذ الواسع!

وهم يعملون بصفة خاصة فى لجنتى

مجلس الشيوخ اللتين تقترعان على ميزانية ، البرنامج ، وهو ما وصفته الدراسة المذكورة بـأنه "محسـوبية سياسية" !

وتقول الدراسة أيضا انه نتيجة لهذا النفوذ ، فإن وزارة الدفاع الأمريكية المعروفة باسم "البنتاجون" ، تستطيع الحصول على مساندة الكونجرس للبرنامج رغم مايحيطه من شكوك فيما يختص بجدواه الاستراتيجية والفنية .

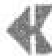
وطبقا لما أكدته الدراسة المذكورة ، فقد تلقت عشرون شركة كبرى متعاقدة على تنفيذ برنامج حرب الكواكب مبالغ تصل قيمتها الى خمسة مليارات وسبعمائة مليون ، وذلك منذ عام ١٩٨٣ ، وذلك يعادل ثلاثة ارباع ما انفق حتى الآن على هذا البرنامج . ومن العجيب أن تلك الشركات التى حصلت مؤخرا على أكبر عقود برنامج حرب الكواكب ، هى ذات الشركات التى حصلت من قبل على اكبر العقود أيضا لانتاج الأسلحة النووية ، التى يفترض أن حرب الكواكب سوف تفقدها قيمتها !

● الديمقراطية ورأس المال ●

اذا كان اعداد مثل هذه الدراسة من جانب معهد أمريكى للأمن القومى ، بما تحتويه من بيانات غاية فى الخطورة من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، وكذلك نشرها على أوسع نطاق عن طريق وكالات الأنباء ، يعتبر شهادة ايجابية للديمقراطية الأمريكية ، بما يتيح للمواطن الأمريكى وللرأى العام داخل البلاد وخارجها الاطلاع على مثل تلك المعلومات الهامة ، فـإن سطوة رأس المـال على تلك "الديمقراطية" ، أو بالتعبير الذى كان مستخدما عندنا فى أول سنوات الثورة عن "سيطرة رأس المال على الحكم" ، تبدو ظاهرة للعيان لا لبس فيها من واقع تلك المعلومات ، حيث تعمد الشركات الاحتكارية الكبرى التى تصنع السلاح المتطور ، بل المتطور جدا ، الى شراء ذمم أعضاء الكونجرس الأمريكى ولجانه التشريعية ، وربما لا يكون الشراء واقعا بعد وصولهم الى تلك المواقع فى تمثيل الشعب الأمريكى بطريقة ديمقراطية ، بل ربما يكون قد بدأ بالنسبة لمعظمهم .

فى عملية الترشيح ذاتها ، وأن ضمانة وصولهم الى مواقعهم التى تتيح لهم اتخاذ القرار فى أخطر القضايا القومية ، انما كانت تكمن فى كونهم عملاء لتلك الشركات الكبرى ، أعانتهم بأموالها على خوض الانتخابات التى تصل تكاليف الدعاية فيها أحيانا الى ارقام فلكية ، لا تستطيع الموارد الخاصة لأحد من المرشحين ، أو لمعظمهم على الأقل تحملها على نفقتهم الخاصة .

وتكشف تلك المعلومات أيضا ، من بين ماتكشفه عن أن رأس المال على هذا المستوى الاحتكارى لا ضمير له ولا خلق ، ولا مبدأ إلا النمو الذاتى عن طريق تضخم الأرباح ، بأى ثمن وبأية وسيلة ، ولو كانت تلك الوسيلة هى انتاج أكداس من أسلحة الدمار الشامل ، كالأسلحة النووية ، وبيعها بأضخم الأثمان الى "الدولة" التى تدفع ماتدفعه من حصيلة ماتجمعه من كل دافع



هل
تقر أمريكا بعيوب الرأسمالية وتعترف روسيا بمزاياها ؟

للضرائب في تلك الدولة الكبرى ، لشراء مواد لو استخدمت لكان فيها هلاك البشرية . وبعد أن استبان استحالة استخدامها لمقدار خطورتها ، اذا بتلك الدولة تجد ذاتها مطالبة بأن تشترى مواد جديدة ، هي عناصر حرب الكواكب ، ومهمتها أصطياد امثال تلك الأسلحة من الصواريخ النووية وهي في الفضاء وتدميرها بأشعة الليزر . والبائع في هذه المرة هو البائع الاول للصواريخ النووية ! ولا تتردد الشركات المنتجة لكلا النوعين من الاسلحة على ان تدفع عملاءها في كل مرة ، أو تدفع لهم ، داخل أجهزة الديمقراطية الأمريكية ، من أجل اقرار الميزانيات ، التي تكفل لتلك الشركات ماخططته لحيازته من ارباح ، بغض النظر عن مغبة ذلك على السلام العالمي ، او عدم امكانية استخدام ذلك السلاح ، أو حتى عدم فعاليته ، أو مايلقيه من أعباء على الاقتصاد القومي وينتقص من مستوى معيشة الشعب الأمريكي ورفاهيته .

ربما يكون فوز الديمقراطيين اخيرا في انتخابات التجديد النصفي لكل من مجلسي الكونجرس الأمريكي - ومعروف أن الحزب الديمقراطي يعارض برنامج ريجان لحرب الكواكب . نظرا لارتفاع اعبائها المالية - هو واحد من النتائج غير المتوقعة لنشر تقرير المعهد المذكور عن الأساليب الدنيئة التي لجأت وتلجأ اليها الشركات الموردة للبرنامج ، للوصول الى اغراضها !

● راسمالية غير ضارة ! ●

وفي مقابل هذه الصورة التي رسمها تقرير المعهد الامريكي عن تصرفات الرأسمالية الاحتكارية هناك ، وبعده بثلاثة ايام فقط ، كانت الأنباء الواردة من موسكو ، تفيد أن اقتصاديا سوفييتيا بارزا ، اسمه "ليونيد أبالكين" ، ويعمل مديرا لمعهد الاقتصاد التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية ، يدلي بتصريحات لمجلة اسمها "الحجة والحقيقة" ، يطالب فيها بادخال تعديلات جذرية على الاقتصاد السوفييتي ، بما في ذلك تحرير كثير من الأنشطة الاقتصادية من سيطرة الدولة ، وخاصة في مجال الزراعة والصناعات الاستهلاكية وتوزيعها ، على نحو ما فعل لينين عام ١٩٢١ في سياسته المعروفة باسم "السياسة الاقتصادية الجديدة" مما يعني السماح بنمو محدود لبعض قطاعات من الرأسمالية المحلية ، أو على حد تعبير "ونج شياوبنج" زعيم الصين الحديثة ، في وصفه لسياسته في "الانفتاح الاقتصادي" بأنه يعني تعاطي "جرعة غير ضارة" من الرأسمالية !

ويقول الاقتصادي السوفييتي المذكور ، « إن بعضنا كان يرى الداء ويفضل الصمت ، وبعضنا الآخر همس بصوته في اوساط المتخصصين ، ومن تحدثوا على الملأ لم يلفتوا النظر الى

التغيرات "الواجبة والضرورية" ولكن يبدو أن هذا الاقتصادى قد وجد الوقت ملائما ليعلن رايه بكل هذا الوضوح ، ذاهبا الى ان ذلك يحقق ما دعا اليه الزعيم السوفييتي الجديد جورباتشوف من السعى الحثيث لتجديد نشاط الاقتصاد السوفييتى وشبابه ، ومستظلا فى الوقت ذاته بما دعا اليه جورباتشوف من حرية النقد . مما يعنى شهادة مقابلة للتوجه المتصاعد نحو الديمقراطية فى الاتحاد السوفييتى .

فإذا ما اخذ الاتحاد السوفييتى بآراء الخبير الاقتصادى "أبالكين" ، على نحو ما تفعل الصين حاليا ، وعلى نحو ماهو حادث فى بعض بلدان أوربا الشرقية مثل بولندا والمجر ، وسمح للملكية الفردية بالتحرك فى المجالات التى تثبت أنها اكثر كفاءة فيها من القطاع العام ، فمعنى ذلك أن تحولا تاريخيا على وشك الحدوث فى مختلف المجتمعات الاشتراكية .

إن ما أوصى به لينين ، من استئصال شأفة الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، بعد انتهاء فترة "السياسة الاقتصادية الجديدة" ، لأنها على حد ما ذهب اليه تولد الرأسمالية ، إنما كان من موقع الخوف على الكيان الاشتراكى الوليد ، الوحيد فى عصره آنذاك ، والذى كانت تحاصره القوى الرأسمالية فى الخارج ، ومن شأن أية عناصر رأسمالية تنمو داخله أن تصبح ظهيرا للقوى الخارجية المعادية له . ولكن البناء الاشتراكى حاليا فى الاتحاد السوفييتى ، وسائر المجتمعات الاشتراكية قد صار أرسخ من أن تزعزعه مخاوف من النوع المذكور ، فلا معنى لأن يستمر فى حرمان اقتصاده من أية مساهمة ايجابية يمكن أن يقدمها السماح بعودة الملكية الفردية لبعض وسائل الانتاج داخله .

نعم ، إن الراسمالية لن تتغير طبيعتها ، ودافع الربح سوف يكون واحداً فى جميع الحالات ، ولكن هناك فرقا بين ان يعمل دافع الربح على انتاج المزيد من الحاصلات الزراعية ، ومن انتاج السلع الاستهلاكية ، ورفع مستواها وحسن توزيعها على نحو يلبى مطالب المستهلكين ويرضى اذواقهم .. وبين أن يعمل هذا الدافع على انتاج مزيد من أسلحة الدمار ، ثم لا يكون من شأنها غير القاء المزيد من الأعباء على الاقتصاد القومى لدولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى الاقتصاد العالمى برمته ، بحكم اضطراره الآخرين الى مجاراته وخاصة الاتحاد السوفييتى ، فضلا عن زيادة التوتر العالمى وتعريض السلام الدولى للخطر .

هل أصبحنا على ابواب عصر تقر فيه الولايات المتحدة الأمريكية ، بعيوب الراسمالية حينما تتضخم وتتفاقم وتصبح احتكارا هائلا ؟ وفى الوقت ذاته يعترف فيه الاتحاد السوفييتى ، وسائر المجتمعات الاشتراكية بأن الرأسمالية لديها قدرات قد لا تتوفر لسواها لتطوير وسائل الانتاج فى مراحلها الأولى ؟ من يدرى ؟ على ان نظرية كارل ماركس الأصلية ، قامت على هذا



هل تقر أمريكا بعيوب الرأسمالية وتعترف روسيا بمزاياها ؟

الاساس . وكان من رأيه أن تطبيق الاشتراكية لا يفلح أو يتحقق تاريخيا الا بعد أن تفرغ الرأسمالية من تطوير قوى الانتاج ، على نحو يجعل من تطبيق الاشتراكية تقدما حقيقيا . ومن هنا كان توقع ماركس ان الثورة الاشتراكية سوف تقوم أولا فى البلدان الصناعية المتطورة ، ولكن النمو الاميريالى لتلك البلدان وهو التطور الذى لم يشهده ماركس ـ قد حول التاريخ بعيدا عن هذا المسار ، وقامت الثورة الاشتراكية فى بلدان اقل تطورا من الناحية الصناعية والاقتصادية ، لأنها عجزت عن اللحاق بركب التطور الصناعى على أيدى راسماليتها المحلية ، وكان التخطيط الاشتراكى هو الطريق الوحيد المفتوح أمامها للتصنيع ، وهذا ماحدث فى معظم بلدان المعسكر الاشتراكى حاليا ، بدءا من الاتحاد السوفييتى ، وقد تلجأ هذه الدول الآن وقد لجأ بعضها بالفعل ، الى اعادة بعض الأساليب الرأسمالية واقتصاديات السوق ، من اجل تدارك مافاتها فى عملية بناء الاشتراكية ، التى تعنى اقتصاديا : قيام جهاز التخطيط الاشتراكى ، اى القطاع العام ، بالدور الأساسى الذى فشلت الرأسمالية المحلية فى القيام به فى ظل السيطرة العالمية للراسمالية الاحتكارية الامبريالية للبلدان الصناعية المتقدمة .

● الشركات متعددة الجنسية ●

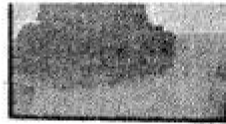
على أن الدول الاشتراكية لم تعد تعترف ، أو هى على وشك أن تعترف بحاجتها الى السماح بقدر من النمو للراسمالية المحلية من اجل تطوير بعض جوانب اقتصادها فحسب بل إن حاجتها الكبرى فى عصر الثورة التكنولوجية هو الى التعامل مع الشركات المتعددة الجنسية فى الغرب ، التى تملك أسباب التكنولوجيا المتطورة . وقد شرعت تلك الدول فى التعامل معها على نطاق واسع فى مجالات متعددة منها التعدين ، ومنها صناعة السيارات ، حيث انشأت شركة فيات خطين للانتاج فى كل من الاتحاد السوفييتى وبولندا ، وتعمل شركة فولكس فاجن على انشاء خط مماثل لانتاج سياراتها فى الصين . وفى أمثال تلك الحالات هناك مصلحة متبادلة بين الطرفين . فالبلدان الاشتراكية بقدر ماتحتاج الى ادخال تكنولوجيا تلك الشركات ، فإن هذه بدورها تحتاج الى السوق الواسعة للدول الاشتراكية من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن العمل الرخيص فى البلدان الاشتراكية ازاء مثيله فى بلدان الغرب الصناعية المتقدمة ، يتيح للشركات المتعددة الجنسية انتاج مصنوعاتها على نطاق واسع بتكلفة اقل ، وبيعها بأسعار أقدر على المنافسة فى السوق الدولية .

ومن شأن هذه الاشكال من التعاون

الاقتصادى مابين النظامين الرأسمالى والاشتراكى فى العالم ان يزيد فرص التقارب بينهما ويباعد شبح الصدام الرهيب الخطر على الحياة الانسانية برمتها ، ولكن التطور الجديد الذى نوهنا عنه فيما تقدم على كلا جانبى الانقسام العالمى ، قد يخلق فرصة أخرى لتضاؤل الانقسامات المذهبية : فاعتراف المجتمع الأمريكى بعيوب الرأسمالية التى بلغت الذروة فى تطورها ، مع اعتراف القوى الاشتراكية على الجانب الآخر بمزايا الرأسمالية فى تحقيق كثير من عناصر التقدم الصناعى والاقتصادى قد يعنى بداية تلاشى انقسام العالم على أساس مذهبى ، وهو ما يولد المبالغة والتطرف على كلا الجانبين ، ليحل محله التفهم من جانب الجميع للظروف التى ادت بكل مجتمع الى أن يتخذ فى تطوره مساراً مختلفا طبقا لظروفه الداخلية وأوضاعه الخاصة . وكل تقارب من هذا النوع من شأنه أن يباعد البرامج العسكرية الباهظة وأعباءها على الاقتصاد العالمى، ويتيح الفرصة لتوجه الجهود الاقتصادية والعلمية الى حل المشاكل التى تواجه الحضارة الانسانية فى مجموعها من نوع تلوث البيئة وآخرها ماتردد عن اختراق غلاف الأوزون فى القطب الجنوبى على نحو يهدد بانتشار أمراض مهلكة فى القارة الأمريكية بالذات .

تبقى مسألة نظرية قد تهم الاشتراكيين ، وهى أن لينين قد وصف الشركات المساهمة بأنها خطوة نحو الاشتراكية ، وذلك بحكم مساهمة عدد كبير من المواطنين فى ملكيتها ، بالرغم من سيطرة كبار الماليين عليها ، واستغلالهم مدخرات صغار المساهمين فى زيادة ثروتهم الخاصة . ولكن لينين لم يعش ليرى عصر الشركات متعددة الجنسية التى تتجاوز ملكية الأسهم فيها الأفراد داخل مجتمع معين ، بل يساهم فيها الكثير من سكان العالم وبالمناسبة فمن المعروف أن الحزب الشيوعى الايطالى مساهم كبير فى شركة فيات العالمية ! وهذه الشركات تعمل الآن فى المعسكر الاشتراكى . فهل ينتظر ان تسمح الدول الاشتراكية فى خطواتها الجديدة لتطوير اقتصادها بتداول اسهم تلك الشركات فيها ؟ على كل فقد ترددت انباء عن اعتزام الصين السماح باعادة فتح البورصة أو سوق الأوراق المالية فيها ، وربما كانت اسهم الشركات متعددة الجنسية هى من بين مايسمح بالتعامل فيه ممن يشاء من المدخرين الصينيين !

على أن "الحل الاشتراكى" لهذه المؤسسات الدولية الكبرى لا يبدو له شكل فى الأفق ، فإذا كان من الممكن تأميم الشركات المساهمة بحيث تؤول ملكيتها الى الدولة فى مجتمع معين ، فمن الذى يمكنه ان يؤمم شركة متعددة الجنسية ؟ لابد فى هذه الحالة من انتظار تطور العالم بحيث تصبح الأمم المتحدة حكومة عالمية لتتولى "تأميم" مثل هذه المؤسسات او تدويلها على الأصح .. وذلك كما هو واضح .. حلم أو وهم بعيد !



حوار حول ٥ يونيو

عن الهزيمة والقدر المحتوم

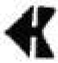
بقلم : د فؤاد زكريا

مرة اخرى ، لا املك الا ان اشيد بموقف مجلة « الهلال » فى اصرارها على مواصلة الحوار الذى اثاره مقالى الاول « ٥ يونيو فى فكرنا السياسى » . فعلى الرغم من حساسية الموضوع ، وعلى الرغم من تهرب اكبر الكتاب واشهر الاعلاميين من مواجهة لحظة الهزيمة واكتفائهم باستعادة لحظات النصر واغراق الجماهير المطحونة فى نشوة امجاد ماضية لن تعود ، فان « الهلال » تأبى الا ان تواجه الحقائق الاليمة مواجهة مباشرة ، وتواصل افراد صفحات طوال لهذا الموضوع الذى يتمنى الكثيرون او طويت صفحته الى الابد وانتزعت خلايا الذاكرة التى تختزنه من عقول الناس اجمعين !

والحق ان مقال الدكتور جلال امين « دفاع نبيل عن قضية باطلة » (نوفمبر ١٩٨٦) قد اضاف عنصرا جديدا الى هذا الموضوع الشائك المعقد ، وفتح الباب - برغم تحفظاتى الكثيرة عليه - لمناقشة خصبة حول قضية اعتقد انها جوهرية ، واعنى بها : هل كان من الممكن تجنب هزيمة ١٩٦٧ ، ام ان الهزيمة كانت محتومة ، مهما حدث فى جبهتنا الداخلية من تغيرات ؟

● انحياز مطلق ●

ولقد عبر الدكتور جلال عن وجهة نظره بوضوح فى اكثر من موضع ، فقال ان « الهزيمة فرضت علينا فرضا ، بقوى خارجية عاتية لم تكن

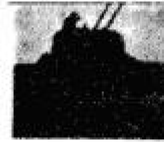


نستطيع لها ردا ، ولاسباب خارجة عن سلطاننا ؟! ثم زاد موقفه ايضاحا عندما اكد ان الحقيقة الناصعة هى « ان حجم الاعتداء الخارجى وقـوة المعتدى وتصميمه على اجهاض التجربة الناصرية وغياب القوة الرادعة من جانب القوى الكبرى الاخرى ، وكلها عوامل كانت خارجة بالفعل عن سلطان الارادة المصرية ، كانت هى العوامل الحاسمة فى تحـديد النتيجة » . والنتيجة الضرورية التى تترتب على هذا الرأى هى أنه « من شبه المؤكد ان الهزيمة كانت واقعة حتى لو كان النظام قد نجح فى اقامة حكم ديمقراطى حقيقى » .

وهكذا فان الدكتور جلال أمين ينحاز انحيازا مطلقا الى الرأى القائل ان العوامل الخارجية ، وعلى رأسها دور امريكا واسرائيل ، كانت هى العوامل الحاسمة فى الهزيمة ، او على الاقل كان تاثيرها اهم بكثير من أى اخطاء داخلية فى أسلوب الحكم . وهو فى ذلك ينضم بشكل حاسم الى تلك الفئة التى سبق ان اطلقت عليها اسم « الناصرية المتشددة » ، تمييزا لها عن ناصرية أخرى معتدلة تعترف بأن الاخطاء الداخلية كان لها دور حاسم فى الحاق الهزيمة بنا .

ولكن الجديد الذى اتى به الدكتور جلال هو رأيه القائل ان مجمـوعة العوامل الخارجية هذه قد جعلت الهزيمة امرا محتوما ، وان اى تغيير فى أسلوب الحكم الداخلى لم يكن من الممكن ان يغير من الامر شيئا . وعلى حين ان امثالى من الكتاب يقولون انه لو كان قد حدث اختـلاف جذرى فى الاسلوب الذى كانت تحكم به مصر لاختلفت نتيجة الدرب ، فان الدكتو جـلال يؤكد ، على عكس ذلك ، ان الهزيمة كانت واقعـة لا محالة ، بالديمقراطية او بدونها ، وسواء اكان الحكم مرتكزا عـلى مشاركة شعبية أم قائما على ارادة فرد واحد .

هكذا تنفتح امامنا ، بفضل الدكتور جلال أمين ، قضية جديدة تستحق التفكير العميق ، هذه القضية تنتمى الى ذلك الميدان الذى يمكن تسميته « بالتاريخ الافتراضى » ، أى انها تقول ان التاريخ لو كان قد تغير بصورة معينة ، لترتبت على هذا التغيير نتائج معينة . وهناك كتاب يرفضون السير فى هذا الطريق من حيث المبدأ ، لان التاريخ فى نظرهم يتناول ما حدث بالفعل ، ولا علاقة له بافتراضات تتخيل ما كان يمكن أن يحدث لو كان اتجاهه ، فى مرحلة من مراحله ، قد تغير بصورة معينة ، ولـكنى اعتقد ان هذا ميدان خصب للتفكير ، لان كل مرحلة من مراحل التـاريخ تقبل اكثر من مسار واحد ، وكثيرا ما يحـدث فى اللحظات الحاسمة اختيار لمسار خاطىء . واذا كنا نؤكد اهمية الوعى بأن البـديل الـذى اخترناه ، او الذى اختير لنا ، فى منعطف تاريخى حاسم ، لم يكن افضل البدائل الممكنة ، فليس معنى ذلك اننا نندب حظنا العاثر ونبكى عـلى اللبن المسكوب ،او اننا نقوم بمحاولة يائسة لتحويل مسار تاريخ اصبح امرا واقعا لا رجعة فيه ، وانما تستمد هذه المحاولة مشروعيتها من فائدتها القصوى فى تنبيهنا الى الاخطاء الحاسمة التى ارتكبت فى تاريخنـا



القريب ، وتسهم بذلك فى تكوين وعى يعمــــل على تجنب تكرارها فى المستقبل ·

ان الدكتور جلال امين يقدم ردا قاطعا عن السؤال الافتراضى : لو كانت هناك ديمقراطية فى مصر عندما قامت حرب ١٩٦٧ ، هل كـانت الهزيمة ستحدث ؟ وهذا الرد القاطع هو أن الهزيمة كانت ستحدث حتما بفعل عوامل خارجية اقوى منا ولا نملك حيالهـــا شيئا · والدليل « فى رايه) على ان وجود نظام ديمقراطى لم يكن ليغير من الامر شيئا ، هو ان هناك انظمة دكتاتورية استطاعت ان تنتصر فى حروبها ، كما فعل ستالين (فى النصف الثانى من الحرب العالمية الاخيرة) وكما فعل هتلر (فى نصفها الاول) · وربما قال البعض ، ردا على هذا الراى ، ان من الصعب وضع ستالين مع هتلر فى فئة واحدة · وقد يضيف هؤلاء حجة اخرى اهم ، هى ان ستالين لم ينتصر على نظام ديمقراطى ، وانما انتصر على دكتاتورية ابشع كثيرا من دكتاتوريته ، اما هتلر فقد هزم فى النهاية هزيمة لا نظير لها فى التـــاريخ ، حين اطبقت عليه الجيوش السوفييتية من الشرق وجيوش الحلفاء من الغرب « وفعصوه » ، بيدهما فلم ينقذه من هذه وتلك الا الانتحار · ولا شك ان هذه الردود الممكنة تضعف كثيرا من حجة الدكتور جلال امين · ولكن الاهم من ذلك هو اننى ، حين ربطت بين هزيمة ١٩٦٧ وانعدام المشاركة الشعبية ، لم اكن ادعى اننى اقدم نظرية شاملة فى تفسير التاريخ ، ولم اقل ان « كل » نظام دكتاتورى لابد ان يهزم فى اى حرب يخوضها ··· اذ يســـتحيل ان يقول بذلك شخص لديه ثقافة متوسطة ، يعلم ان الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصـر وهولاكو ونابليون ، كانوا جميعا من ابشع الحـكام الفــــرديين ، وفى الوقت ذاته من اعظم الفاتحين المنتصرين · فكل حالة فى التاريخ ينبغى ان تعالج وفقا لسماتها الفردية ، وما قلته عن ٥ يونيو هو رأى مواطن مصرى عاش هذه المرحلة بكل وعيه ، وفكر فيها كثيرا ، وانتهى تفكيـره الى أن اهم أسباب هزيمتنا ، فى هذه الحالة بالذات ، هو انعدام المشاركة الشعبية ، وقدم الى القراء اجتهادا بشأن هزيمة معينة حدثت فى بلده ، دون أن يجول بخاطره ان يعمم هذا الاجتهاد ويجعل منه نظرية شـاملة تفسر أسباب الهزيمة والانتصار فى الحروب ··

● سلطة القرار الفردى ●

ومن ناحية اخرى فان المشاركة الشعبية التى نقول انها لو كانت قائمة لاختلفت نتيجة الصراع العسكرى اختـــلافا اساسيا ، لا تعنى مجـــرد ديمقراطية شكلية ، ولا تعنى حالة مؤقتة نفترض وجودها خلال ايام حرب

١٩٦٧ وحدها ، وانما تعني اسلوبا كاملا في الحكم ، وطريقة مغـايرة في تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم ، كان لابد ان تنعكس على كافة اجهزة الدولة ، وضمنها الجيش ، وعلى طريقة اتخـاذ القـرار السياسي والاقتصادي والعسكري · هذه المشاركة الشعبية لو كانت قد تحققت منذ البـداية لكان الوضع في امور كثيرة قـد اختلف بطريقـة جذرية ٠٠ ولا أظن ان اى مفكر موضوعي يستطيع ان يستهين بالمتغيرات الهائلة التي كانت ستحدث في حياتنا ، على كافة الاصعدة ، لو لم تكن قـد خضعت طوال الفترة السابقة على ١٩٦٧ لسلطة القرار الفردي ـ مهما كـانت وطنية صاحب هذا القرار · ولا اظن ان مثل هذا المفكر الموضوعي يملك ، ازاء مثل هذه المتغيرات ، ان يهز كتفيه باستخفاف قائلا : حتى لو حـدث هذا كله فانا واثق من أن الهزيمة كانت ستقع حتما !

انني اعتقد ان تاريخ مصر ، خلال حكم جمـال عبد الناصر ، قـد ضاعت منه ثلاث فرص كبرى لتحقيق حـكم ديمقراطي في اطـار المتغيرات الجديدة التي ادخلتها ثورة ١٩٥٢ · الفرصة الاولى كانت في عام ١٩٥٤ ، خلال أزمة مارس المشهورة · فالوصف الشائع لهذه الازمة هو انها كانت صراعا بين فريق ينادي بالعودة الى أوضاع ما قبل ١٩٥٢ وتسـليم الثورة للاحزاب القديمة التي كانت قد وصلت الى طريق مسدود ، وكان نفسها الثوري قد انقطع ، ان جاز هذا التعبير ، وفريق اخر يدعو الى فكر جديد وحياة جديدة ، ويتسم بصلابة وحماسة ووطنية تتجاوز بكثير كل ما كان سائدا قبل ١٩٥٢ · ولكني اعتقد (وهذا اجتهادي الخـاص على اية حال) ان هذا التشخيص اكذوبة كبرى · فقد كان من المستحيل ، لو انتصر الفريق الاول ، ان تعود البلاد الى اوضاع ما قبـل ١٩٥٢ ، لسبب بسيط هو أن الاوضاع القديمة كانت ترتبط ارتباطا عضويا وجذريا بوجود الملك ووجود جيش يأتمر بامره · ومجرد اختفاء الملك وتغيير طبيعة الجيش وانحيازه الى صف الاماني الوطنية كان كفيلا بأن يصبغ الحياة الديمقراطية في مصر بصبغة مختلفة اختلافا بينا عما كانت عليه قبل ١٩٥٢ · فالقيود التي كانت تكبل حزب الاغلبية الشعبية ، وتجعـله يعمل حساب اقالة الملك له في كل تصرف من تصرفاته ، كانت ستختفي ، ومناورات احزاب الاقلية التي كانت تستند الى تأييد القصر ورجـال الديوان الملكي ومساندة قادة الجيش الموالين للملك كانت ستغدو مستحيلة· بل ان الاحزاب القديمة نفسها كانت ستجد نفسها مضطرة الى ان تدخل تغييرات جذرية على برامجها وأسلوب عملها وقياداتها ، حتى تستطيع مسايرة الاوضاع الجديدة · وأغلب الظن ان التفاعل والتطور في الحركة الشعبية كانا سيؤديان الى ظهور تكتلات سياسية من نوع جديد ، تكتسح العناصر الرجعية بسهولة بعد أن فقدت هـذه الاخيرة سندها الاكبر · والمهم في هذا كله ان الطريق كان سيفتح امام اوضاع جديدة ، تتخلق في اطار الوعي الشعبي الجديد ، وتتيح المجال لتجـارب خصبة تمارسها القوى الوطنية في اطار اكثر حرية من كل ما كانت تعرفه قبل الثورة · اما « الرواية الرسـمية » التي تقول ان الصراع كان يدور بين انصار



الاوضاع البائدة وانصار الثورة الوليدة ، اى بين شيخوخة الماضى وشباب المستقبل ، فهى فى رأيى رواية باطلة من أساسها ، تغفل تلك التطورات الضخمة التي حدثت ، والتي كانت تشكل اطارا جديدا كل الجدة لا يسمح باى تكرار للتجارب الماضية • ومن هنا فان الصراع الحقيقى كان فى اعتقادى صراعا بين القوى الديمقراطية التى تريد ان تستفيد من جو الثورة الجديد لكى تفتح الطريق لتفاعلات تسفر عن ظهور تيارات شعبية قادرة على تشكيل مستقبل ديمقراطى جديد ، وبين القوى التى لم تكن تتصور التغيير الا فى اطار الانضباط العسكرى وسلطة الرأى الواحد والقرار الواحد ، وترى ان التعبئة الشاملة للمجتمع فى اطار نظام لا يسمح باى نوع من التعددية ، هى الطريق المختصر والمضمون لتحقيق اهداف هذا المجتمع •

● مشاركة شعبية ●

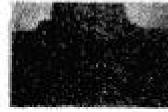
اما الفرصة الثانية التي ضاعت ، وكان يمكن ان يحدث فيها تحول نحو مشاركة شعبية حقيقية ، فقد سنحت بعد نهاية العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ • فقد اثبت الشعب المصرى فى هذه الحرب قدرة هائلة على الصمود ، وعلى التوحد مع الاهداف الوطنية لقيادته • وعلى عكس توقعات الاستعمار العالمى ، فان الشعب قد ازداد التفافا حول قيادته فى احرج اللحظات • ويمكن القول دون مبالغة ان التحول الحقيقى فى مسار حرب السويس قد تحقق على يد شعب بورسعيد ، مؤيدا بكل القوى الوطنية المصرية ، لان كل يوم ، بل كل ساعة من الصمود ، كانت تسمح للقوى الدولية بان تتفاعل وتحدث تأثيرها الذى كان بالفعل حاسما • ولو كانت بورسعيد قد استسلمت فى الايام الاولى للقتال ، كما اعلنت الاذاعة البريطانية كذبا ، لتحققت أهداف المؤامرة البريطانية الفرنسية الاسرائيلية ، ولما أتيحت الفرصة لانذار سوفييتى أو تحذير امريكى • وهكذا خرجنا من عدوان ١٩٥٦ بانتصار سياسى لا نظير له ، يرجع الفضل الاكبر فيه لذلك الصمود الشعبى الرائع فى وجه العدوان • وكان المتوقع ، بعد أن اثبت الشعب اصالته الى هذا الحد ، ان يعامل بعد الحرب بمزيد من الثقة ، وتتاح الفرصة لتحولات اساسية فى اسلوب الحكم تعطى السلطة لهذا الشعب الذى ساند الاماني الوطنية فى الوقت الذى كان فيه الجيش قد فقد كل فعاليته • ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وجاءت اول انتخابات بعد ١٩٥٦ لكى يتدخل فيها « الاتحاد القومى » بقوة ، ويحذف من القوائم اسماء ويساند أسماء اخرى ، وتعود أجهزة الادارة والامن الى التدخل السافر فى الانتخابات ، فتضيع بذلك فرصة ما كان ينبغي لها أن تضيع •



لقد طرح احد الحاضرين فى الحوار الذى دار حول حرب السويس فى نقابة الصحفيين (انظر « الاهالى » عدد ١/١٠/١٩٨٦) سؤالا ذكيا على الاستاذ محمد حسنين هيكل ، هو : لماذا لم يطبق عبد الناصر الديمقراطية بعد حرب ١٩٥٦ ؟ فجاءت الاجابة بعيدة كل البعد عن الاقناع ، اذ اشارت الى أن الديمقراطية الغربية (التى لم يكن صاحب السؤال يقصدها بالطبع) هى « نتاج لعملية توازن طبقى ··· وعندما لا يصبح هناك توازن اجتماعي تصبح المسألة غير منطقية » وهكذا عاد هيكل مرة أخرى ، وبعد مضى ثلاثين سنة على هذه الاحداث ، ليكرر الحجة القائلة ان الديمقراطية لم يكن من الممكن ان تطبق مادامت الشروط الاجتماعية والاقتصادية التى تفترضها لم تتحقق بعد · ولا تخرج هذه الاجابة ، فى رأيى ، عن نطاق مشكلة الدجاجة والبيضة : فاذا لم يكن من الممكن تحقيق الديمقراطية الا بعد الوصول الى توازن اجتماعى واقتصادى ، فلابد من أن نعترف فى الوقت ذاته بأن هذا التوازن الاجتماعى والاقتصادى لا يمكن ان يتحقق ، فى بلد يسوده التفاوت الطبقى الصارخ ، الا بالديمقراطية ··· وحقيقة الامر ، فى رأيى ، ان الديمقراطية « ممارسة » قبل كل شىء ، وهى تجربة يمكن ان تخطىء كثيرا ، ولكنها تصحح نفسها على الدوام · وفى اعتقادى ان وقف الديمقراطية بحجة عدم تحقق شروط معينة هو قتل لها ، وحكم على الشعب بالعجز والقصور · ذلك لاننى اؤمن أيمانا راسخا بأن الشعب ، حتى لو كان جائعا عاريا اميا ، يعرف كيف يختار ممثليه الذين يحققون له هذا التوازن الاجتماعى والاقتصادى المطلوب · وقد اثبت الشعب المصرى ذلك بوضوح فى المرات القليلة التى أتيحت له فيها فرصة الاختيار بقدر معقول من الحرية · كما اثبتته شعوب كثيرة غيرنا فى ظروف حالكة من عدم التوازن والتفاوت الاقتصادى والاجتماعى الشديد · ولا أظن انه كان مما يعيب الاستاذ هيكل ، او ينقص من قدر عبد الناصر ، ان يرد الاستاذ هيكل عن هذا السؤال بقوله : لقد كان هذا خطأ من عبد الناصر ، وشاركته انا فى تبرير هذا الخطأ · فتلك كانت فرصة لا ينبغى ان تضيع ، ولو كنا قد اغتنمناها لادى ذلك الى خوضنا للمعارك التالية ، فى سلسلة صراعاتنا مع اسرائيل ، فى ظروف مواتية الى حد بعيد ·

● تهدئة الجماهير ●

أما الفرصة الثالثة فجاءت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، التى كان ينبغى ان تؤدى الى مراجعة شاملة لجميع الاخطاء السابقة ، وعلى رأسها الانفراد فى اتخاذ القرار وتغليب السلطة العسكرية على المدنية ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث · وعندما صدر بيان ٣٠ مارس ـ الذى كان هو ذاته اقل بكثير مما كان مطلوبا فى تلك اللحظات الحرجة ـ تبين للجميع بعد وقت قصير انه لم يصدر لكى ينفذ ، وانما صدر لتهدئة الجماهير التى اعربت عن سخطها على الاوضاع المؤدية للهزيمة فى مظاهرات عارمة ، ولامتصاص غضب الشعب على الاهانة التى الحقتها به كارثة ١٩٦٧ ·



والان ، لنتأمل المسألة من وجهها الاخر ، ذلك الوجه الذى يؤكد ان الهزيمة كانت واقعة لا محالة ، مهما فعلنا ، والذى تمثله عبارة الدكتور جلال أمين : « ان حجم الاعتداء الخارجي وقوة المعتدى وتصميمه على اجهاض التجربة الناصرية وغياب القوة الرادعة من جانب القوى الكبرى الاخرى ، وكلها عوامل كانت خارجة بالفعل عن سلطان الارادة المصرية ، كانت هى العوامل الحاسمة فى تحديد النتيجة » . هذه العبارة ، فى رأيى ، ليست اقل من كارثة . فهى ببساطة تلغى ارادتنا وتعبر عن نظرة استسلامية الى قدرتنا على مواجهة الاعداء الخارجيين ، بحيث لو هؤلاء الاعداء اذا « صمموا » على اجهاض تجربتنا فلابد ان ننهزم . والسؤال الذى يطرح نفسه على الفور ، ردا على هذا الرأى الغريب ، هو : لماذا لا نصمم « نحن » على اجهاض هدف هؤلاء الاعداء ؟ هل كان الشعب المصرى ، بامكاناته الضخمة ازاء بلد صغير مثل اسرائيل ، عاجزا الى حد انه لابد ان ينهزم اذا صمم الاعداء على ذلك ، وهاجموه بقوة اعتداء كبيرة ؟

الحق اننى لا أملك الا أن اشعر بدهشة وأسف بالغين ، حين اجد مثقفا وطنيا لامعا كالدكتور جلال امين يتخذ مثل هذا الموقف « القدرى » ازاء قوة العدو ، ويراها « خارجة بالفعل عن سلطان الارادة المصرية » ، وكأنه مضطر - لكى يثبت صحة نظريته فى تعليل الهزيمة بالعوامل الخارجية - الى ان يحكم على بلده بالعجز والسلبية وقلة الحيلة ، ويؤكد اننا لابد ان ننهار اذا صمم عدونا على ذلك . وحتى لو افترضنا جدلا اننا كنا سننهزم حتما مهما ادخلنا من تغييرات على الجبهة الداخلية (وهو افتراض أرفضه بكل قوة ، لان من الجائز جدا ان ادخال بعض التغييرات الجذرية منذ البداية كان من الممكن ان يحول دون قيام المعركة اصلا ، أو يجعلها تتخذ اشكالا مختلفة كل الاختلاف) - حتى لو افترضنا ذلك ، فان هذه التغييرات كان من شأنها ان تؤدى الى هزيمة اخف وطأة واضيق نطاقا . وكما حدث فى السويس ، فان كل يوم زائد من الصمود كان من الممكن ان يحدث متغيرات كبيرة فى العالم ، ويقلل من فداحة النتائج النهائية ... اعنى ان الحرب كانت ستنتهى ، فى هذه الحالة ، الى هزيمة عادية ، لا الى انهيار فورى شامل !

فهل كانت العوامل الخارجية هى التى خلقت تلك البورجوازية العسكرية التى وصلت بعض تصرفاتها الى حد الخيانة ، على حد تعبير الاستاذ محمد عودة نفسه ؟ ألم يكن وجود مثل هذه القيادات - التى لم يكن العدو ، على ما أظن ، هو الذى أصدر قرار تعيينها فى ....بها - على رأس قواتنا المسلحة فى ذلك الحين ، عاملا كافيا

لتحقيق هزيمة كبرى ؟ فاذا اعترضت قائلا : ولكن هذا شيء لا علاقة له بالمشاركة الشعبية .. كان ردى هو انه وثيق الصلة بها ، لان هذه العناصر المتهاونة أو الخائنة ما كانت لتسيطر على اخطر مؤسسة فى الدولة لولا أن الحكم كان عندئذ مرتكزا على توازنات القوة المادية .

● خطأ منهجي ●

لقد وجه الدكتور جلال امين انتقادات كثيرة الى المنهج الذى اتبعته فى معالجة هذا الموضوع ، ولم يتنبه الى انه ارتكب منذ السطور الاولى فى مقاله اخطر خطأ منهجي يمكن أن يقع فيه الباحث ، وكان هو السبب الحقيقى لتلك النظرة الاستسلامية التى سيطرت على مقاله . لقد بدأ بحثه بفكرة مسبقة ، وراح بعد ذلك يحصر جهده فى محاولة اثباتها ، دون أن يعطى وجهات النظر الاخرى فرصتها الكاملة لكى تتفاعل فى ذهنه . ففى بداية كلامه وصف مقالى الاول بأنه « ينتهى الى نتيجة تكاد تكون هى النقيض التام لما ظللت اعتقده ، ولا ازال ، منذ وقوع كارثة ١٩٦٧ حتى اليوم ، وهو أن هذه الهزيمة فرضت علينا فرضا بتدخل قوى خارجية عاتية ، الخ ... » ثم انتقد التعليقات الثلاثة التى ظهرت على مقالى المذكور لانها « لم تنجح ، فى رأيى ، فى حسم القضية لصالح الرأى الاخر الذى أعتقد بصحته » .

وهكذا كان الدكتور جلال امين يقرأ مقالى ، وتعليقات الكتاب الثلاثة عليه ، لكى يجد فيها ما يؤيد الفكرة التى تكونت لديه من قبل ، ولم يكن يقرأ قراءة منفتحة ، أو يتيح للاراء التى يقرؤها فرصة التفاعل والتأثير فى ذهن متقبل للجديد ، وانما كان ما يريده منها هو أن « تحسم القضية لصالح الرأى الذى يؤمن بصحته » . واظن أن من يرتكب هذا الخطأ المنهجى الاساسى منذ اللحظة الاولى ، يخوض المناقشة من مدخل لا يبعث على الاطمئنان الى ما سيطرحه بعد ذلك من اراء .

وفى سبيل اثبات وجهة النظر المسبقة التى كان يؤمن بها ولايزال ، أجهد الدكتور جلال نفسه فى تصيد عبارات لا يوجد بينها أى تناقض ، وانما تعبر كلها عن اختلافات هامشية فى درجة تأكيد الفكرة الرئيسية التى طرحتها ، ويجمعها كلها هدف واحد هو تأكيد اهمية العوامل الداخلية فى ايقاعنا فى الهزيمة ، ورفض النظر الى العوامل الخارجية بمعزل عن تفكك الجبهة الداخلية الذى أتاح للعدوان الخارجي نجاحا يفوق كل ما كان أصحابه يتوقعون .

وفى سبيل البحث عما يدعم الفكرة التى تكونت لديه سلفا ، راح الدكتور جلال يبحث عن اعتراضات بلغ بعضها حدا من التكليف يدفع المرء الى التساؤل عما اذا كان هذا الكلام جادا أم هو ضرب من الدعابة الساخرة . مثال ذلك قوله ان عدم تدخل أمريكا مباشرة فى القتال ضد مصر ، واستخدامها اسرائيل اداة جاهزة ، جعل نتيجة المعركة تختلف فى حالتنا عما كانت عليه فى فيتنام ، لان « التدخل الامريكى استتبع مقاومة عنيفة داخل المجتمع الامريكى وانهيار الروح المعنوية للمقاتلين



الامريكيين فى فيتنام ، بصرف النظر عن مدى تحقق أو غياب الديمقراطية والمشاركة الشعبية » • وهكذا يريد الدكتور جلال أمين أن يقنعنا بأن من أسباب هزيمتنا الساحقة فى ١٩٦٧ عدم تدخل أمريكا فى الحرب تدخلا مباشرا ، بينما ادى هذا التدخل ، فى حالة فيتنام ، الى انتصار هذه الاخيرة ، لانه اثار حركة مقاومة ضد الحرب فى أمريكا ، وأدى الى انهيار معنويات الجيش الامريكى •• وبعبارة أبسط ، فان اسرائيل ـ تبعا لهذا المنطق ـ هزمتنا فى ساعات قلائل لان أمريكا لم ترسل معها جيوشها ، ولو كانت قد ارسلت جيوشها وطائراتها وأسطولها ضدنا ، بدلا من أن تستخدم دويلة صغيرة كاداة جاهزة لها ، لكان من الجائز ـ كما حدث فى فيتنام ـ أن ننتصر !

● آراء غريبة ●

هذا نموذج للاراء الغريبة التى لابد أن يصل اليها المرء حين يبدأ بحثه وليس فى ذهنه من هدف سوى تاكيد فكرة كان يؤمن بها من قبل• وفى سبيل دعم النظرية العزيزة التى تقول اننا لم تنهزم الا بسبب تدخل القوى الخارجية ضدنا ، وان أى تغيير فى جبهتنا الداخلية لم يكن من الممكن أن يغير من النتيجة المحتومة شيئا ، يحكم الدكتور جلال على ارادتنا بالعجز عن مواجهة العدو مادام ذلك العدو مصمما على هزيمتنا ، ويكرر اكثر من مرة انه لا سلطان لنا على القوى المعادية ، ولا قدرة لنا على مقاومتها •

وفى سبيل تاكيد فكرته الغالية يتجاهل الدكتور جلال أمين شهادات كبار العسكريين الناصريين عن التسيب والاهمال والتراخى الذى وصل الى حد الخيانة داخل الجيش ، ويتجاهل التاثير المدمر الذى الحقه بقواتنا المسلحة تحكم شخصيات على مستوى شمس بدران وعلى شفيق وسائر قادة الاسلحة الذين كانت كرة القدم تحتل من اهتمامهم اضعاف ما يحتله رفع مستوى قواتهم •

وفى سبيل تاكيد فكرته المفضلة ، يؤكد الدكتور جلال ان الانجازات الناصرية لا تزال تعيش بيننا ، وستظل كذلك لفترة طويلة ، قائلا : « كثير مما حدث من تقدم فى عهد عبد الناصر فى ميادين التصنيع ، والزراعة والتعليم واعادة توزيع الدخل سوف يبقى على مر الزمن أيا كانت الاثار المترتبة على الهزيمة » ••• هذا تاكيد لا أملك ردا عليه سوى أن أقول : انظر حولك ! وفى الوقت ذاته لا أملك الا أن أبدى تعجبى من طغيان النظرية على شهادة الواقع المباشر الملموس ، ودهشتى من انكار المرء لما يراه الجميع ويلمسونه ، منذ سنوات طوال ، من زوال اثار العهد الناصرى ، واحدا تلو الاخر ، طوال السبعينيات ، والشكوى التى

ترددت ، حتى لدى الدكتور جلال أمين نفسه فى كتابات اخرى ، من أخطار الانفتاح الاستهلاكى وتخريب القطاع العام وازدياد التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية لامريكا فى العقد التالي لوفاة عبد الناصر ... كل هذا يتم تجاهله لصالح النظرية الاثيرة التى تقول ان الحكم الفردى لم يكن له أدنى تأثير فى وقوع الهزيمة ، وأن انجازات هذا الحكم لم تكن مرتبطة بشخص معين ، ولن تزول باختفائه .

● شماعة للكوارث ●

وأخيرا ، فاني لا أملك الا التعجب من ذلك السعي الدائب الـذى نلمسه لدى فئـة كاملة من المثقفين ، لالتمـاس كل الاعـذار الممـكنة والمستحيلة من اجل القاء مسئولية هزيمة ألحقت أشد الضرر بأمانينـا الوطنية والقومية ، على عاتق قوى خارجية لم يكن للنظام القـائم عندئذ سلطان عليها . ولا أملك الا الشعور بالاسى حين اقارن بين هـذا الموقف الذى تتخذه مجموعة من المع مثقفينا ، وبين عمليـة المحاسبة الصارمة التى مارستها اسرائيل ضد جميع قياداتها العسكرية والسياسية بعد حرب ١٩٧٣ . لقد حاكم الاسرائيليون من تسببوا فى هزائمهم الاولى فى حرب اكتوبر (على الرغم من انهم سجـلوا تعادلا واضـحا فى نهايتها) ، واطلقوا على تصرفاتهم اسم « التقصير » . أما نحن فمازال فينا من يصر على أن يطلق على الهزيمة التى ارجعتنا مائة سنة الى الوراء اسم « النكسة » ، ومازال فينا من يبحث حتى اليوم عن « شماعة » يعلق عليها مسئولية الكوارث العسكرية والسياسية والاقتصادية التى اسفرت عنها تلك الحرب .

ولست ادرى : هل هذه الظاهرة جزء من ذلك المناخ العام الذى ينزع الى التسيب فى كل شيء ، ولا يكترث بمبدأ محاسبة المخطيء على قـدر حجم الخطأ الذى ارتكبه ، ذلك المناخ الذى تسوده مبادىء مسمومة من نوع « من لا يعمل لا يخطيء » ، ويندرج ضمن فئة الخطأ المباح والمستباح أبشع الوان الجرائم ؟ أم ان الظاهرة جزء من اعتقاد يسود فى العهود التى تفتقر الى الديمقراطية ، هو أن من حق الحاكم أن يرتكب افـدح الاخطاء ، ومن واجبنا أن نغفرها له وندافع عنه ، اذا كان قد حقق انجازات فى ميادين اخرى ؟

هذه عيوب فكرية كان لابد ان تختفي لو كانت الاجيال الحالية قـد نشأت فى ظل مشاركة شعبية حقيقية ، تحاسب المخطيء وترفض التماس الاعذار والتهرب من المسئوليات .. ولكن كل ما أود ان أقوله ، فى نهاية حديثى ، هو انه اذا كان العالم قد سخر منا عندما حلت بنـا تلك الهزيمة الماحقة فى سويعات معدودة ، فلابد انه يسخر من أضـعاف مضاعفة حين يجدنا ، حتى اليوم ، متهاونين فى حق انفسنا ، متهربين من مبدأ المحاسبة ، باحثين لأخطائنا الفادحة عن أسباب « لا سلطان لنا عليها » فلا نملك لكوارثنا الكبرى دفعا ، ولا نستطيع ـ مهمـا فعلنا ـ الا ان نقف امامها عاجزين ، وكأننا شخوص فى مأساة اغريقية يتلاعب بها القدر المحتوم .



الرواية البوليسية ومكانتها في الأدب العالمي

بقلم: د. الطاهر أحمد مكي

● **الرواية البوليسية احدث انواع الرواية ، وأكثرها رواجا، ولو ان حظها من العناية في الادب العربي ، ابداعا وتاريخا ونقدا وتأصيلا ، قليل أو معدوم .**

اكثرنا قرأها في شبابه ، واستحوذت على اهتمامه، وتلقى النصح من ابيه او استاذه ان يبتعد عنها ، وان يستعيض عنها بغيرها من الادب الجاد ، ومع ذلك فان قراءها لم يتوقفوا ، واقبالهم عليها لم ينحصر ، ولا تزال اليوم ، كما كانت بالامس، تصدر في طبعات عديدة ، وتقوم على نشرها دور متخصصة ، وتحرص المكتبات العالمية على الا يفوتها هذا الخير ، فلكل واحدة كتابها ، ومسلسلاتها ذات الطابع المميز ، ولا فرق بين عندنا هنا، وعندهم هناك ، الا انهم في الغرب يبدعونها ، ويدرسونها ، ويؤلفون فيها الكتب ، ونحن هنا نقرؤها مترجمة حسب التساهيل في ترجمات دقيقة ، وطبعات جيدة احيانا ، وكيفما اتفق الامر شكلا ومحتوى احيانا اخرى ●

ينسبون نشأتها الى الكاتب الامريكي ادجار آلان بو ، ١٨٠٩ ـ ١٨٤٩ ، ولو أنه كتبها قصة ، ثم جاءت الرواية فيما بعد ، ففي ابريل من عام ١٨٤١ م ، نشرت مجلة جراهام الامريكية قصة قصيرة تحت عنوان : « جريمة قتل في شارع مورج » ، ولم يكن جمهور القراء قد رأى شيئا مثلها من قبل ، رغم انه كان يقرأ قبلها قصص الجرائم خيالية او واقعية ، ولم يكن الموت العنيف لعالم يوسسا نأى وابرزه ، او الاحتجاج على قسوة الجريمة وبشاعتها ، هو السبب فيما نالته القصة من أصبة ، وانما ترجع هذه الى الطريقة الجديدة التي عالج بها بو موضوعه ، وبها اصبح المبتكر لهذا اللون من الادب ، ومعه ولدت القصة البوليسية .

فلقد سارت على خطاه ، والكثرة كلتهما الى عالم الرواية، وسادته عله ، وتوحت،



أجاثا كريستي



ادجار الان بو



جراهام جرين

وعرفت ألوانا عديدة ، وكتابا يتفاوتون شهرة ، ومن ثم يمكن القول بأن الرواية البوليسية ولدت في القرن التاسع عشر .

• بدايات في الصين •

لكن الباحث الهولندي فان جوليك أتى على هذه النظرية أرضا ، فقد اكتشف مخطوطة لصيني مجهول تعود الى القرن الثالث عشر ، بعنوان : « ثلاث جرائم حلها القاضي تي » ، وطبقا له فان هذا اللون من الرواية دخل الغرب في القرن الماضي ، الى جانب اشياء أخرى كثيرة من الصين ، مزيدا من التوابل الشرقية ، ولكنها في هذه المرة كانت ادبا .

وبعيدا عن النفي او الاثبات ، لانني لم ار المخطوطة ، الحظ من خلال قراءاتي في الادب العالمي لهذا النوع ، أن ثمة رابطة قوية بينه وبين الصين ، فقليلا ما تخلو رواية بوليسية في الغرب من عنصر صيني أو شرقي على الاقل ، رغم أنهم يجهلون تماما رواية القاضي تي . والحق أن هذه الرواية الصينية ليست الوحيدة التي وصلت اوربا ، وانما توجد روايات أخرى ، في الصين أيضا ، يتحدثون عنها ، وكلها مجهولة المؤلف .

لكن احدا لم يبحث عن اصول هذا النوع الضائعة في ضباب الزمن ، ولا يمكن الاطمئنان الى أنها تعود الى القرن الثالث عشر فحسب ، لاننا نجد لها ملامح عديدة في الآداب القديمة ، في خرافات ايسوب ، وحكايات العرب ، وكتابات هيرودوت ، وحتى في التوراة ، وأما ألف ليلة وليلة فثرية بهذا اللون من القصص والحيل ، وكلها جديرة بأن تنسب الى شرلوك هولمز المعاصر . وتحدثنا قصص ألف ليلة وليلة ، والنصوص الصينية عن وجود الشرطة في المدن الكبرى مثل بغداد ، والقاهرة ، وشنغهاي وبكين ، على حين أن الشرطة بمعناها الدقيق لم تعرف في باريس مثلا الا في القرن السابع عشر ، أو بالدقة في عام ١٦٦٧ عندما عينت الحكومة أول قائد لها .

على أن عددا من روايات القرن الثامن عشر الاوربية يمكن أن يقال عنها أيضا أنها تحمل بذور الرواية البوليسية ، مثل « أوليفر تويست » للكاتب الانجليزي شارل ديكنز ، « زاديج لفولتير » ، وحلاق اشبيليه لبومارشيه ، واذا قلنا ان الرواية البوليسية في جوهرها غموض يجد تفسيره ، جاز لنا أن نعتبر من كتابها حتى جوته وشيللر ، وذلك يحيلنا الى الحديث عن نوع قريب منها ، وهو رواية الرعب ، أو الرواية السوداء ، واسهم في خلقها بقوة الكاتب الانجليزي والبول ، حين نشر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر روايته « قلعة أوترانت » ، وفيها توجد الابواب المسحورة ، والممرات الخفية ، ومداخل اخرى ، واستغل الكتاب المحدثون تقنيته على أوسع نطاق ، وبعده أخذت طريقها الى الذيوع والانتشار ، وسار على خطاه آخرون ، وهي تبدأ بالخوف الخفي

الرواية البوليسية

وتنتهي بتفسيره ، وتلك هي التقنية التي تقوم عليها الرواية البوليسية ، وسوف تولد في اوروبا في القرن التاسع عشر .

● شهرة عريضة ●

نمت الرواية البوليسية بسرعة ، وبلغت شهرة مستفيضة ، وكونت واقعا ثقافيا ذا أهمية كبرى ، وغزت عقول الاطفال ، واستولت على مشاعرهم ، وهم أصلا لا يبحثون عن المتعة الفنية ، وارتبطت في أصلها بالمزاج الانجلو سكسوني ، وحققت اليوم بفضل رواية الجيب ، والسينما ، والتليفزيون ، نجاحا عالميا ، وهي تسمح بالتنوع في اشكالها ومحتواها ، وتجيء الرواية السوداء بخاصة مختلطة بالجنس والسادية .

تدعو الرواية البوليسية الى التفكير بقوة ، وتهدف الى حل مشكلة تكاد تكون لغزا ، وتخضع لوهم معترف به عالميا ، وهو ان المجرم الذي يتحدى المجتمع موجود بالضرورة ، وعن طريق الصدفة والفكاهة ، والاعجاب بذكائه ، تحاول ان تحطم هذا الوهم ، وان تثير عطفنا عليه .

وهذا النوع من الرواية ثقافي ايضا ، فهي تقص التاريخ نفسه الذي تحكيه رواية المغامرة ، وعلى النقيض منهما تمضي في طريقة الاكتشاف بمنهج عرضي ، وتبتدع باستمرار فوائد جديدة ، وتهدف قبل اي شيء الى ارضاء ذكاء القاريء ، وهكذا تزداد بعدا من الرواية لتزداد كل يوم قربا من الرياضيات ، وغايتها أن تبرهن لا أن توضح ، وأن تجعل من لعبة الذكاء أداة ثقافية ، تتمتع ببهجة تجريدية ، ولكنها أيضا رواية تتمتع بالسادية تمالي ، ولهذا تلجأ الى الرعب والقسوة والجنس .. وكل ذلك في خدمة واقع مقرر : أن القاريء لديه القدرة على تبين المخطيء ، وفي الوقت نفسه سوف يكون الحل النهائي مفاجئا ، ويهدف في الحق الى اكثر من أن تكتشف مخطئا ، وانما تهتم بان تخضع مالا يقبل التفسير للتفسير ، وان تصور المستحيل ممكنا ، والخوارق شيئا عاديا ، وهكذا تعرض للصراع الخالد بين عنصري الفوضى والنظام .

عوامل كثيرة ساعدت على نمو هذا النوع الروائي وانتشاره في القرن التاسع عشر ، فقد نظم نابليون الشرطة ، وانشأ وزارة خاصة بها ، وكانت في البدء تتكون من قطاع الطرق والمجرمين الذين انهوا عقوباتهم ، فأرادت الدولة أن تفيد من تجاربهم ، ومن ثم اصبحوا رجال أمن بعد أن كانوا خارجين عليه ، وظل الامر كذلك حتى عام ١٨٣٥ ، حيث حلت هذه الفرقة ، وتكونت شرطة جديدة ، لا تضم بين صفوفها مجرمين سابقين أو صالحين ، على أن يعمل رجال الفرقة المنحلة مرشدين ومخبرين سريين فحسب ، وكان لذلك صداه في كل أوروبا ، حتى أن روايات « ادجار الن بو » البوليسية تجري حوادثها في باريس ، ولو انها من صنع خياله ، وبطلها دوبين فرنسي ايضا .

كذلك اتسع الاهتمام بتاريخ قطاع الطرق ، واثمرت التطورات الاجتماعية جمهورا جديدا ، له ذوق جديد ، وتطلب انواعا أصيلة من الادب لم تكن معروفة ، وفضلا عن ذلك فان التصنيع غير طبيعة الحياة في المدن ، واحدثت السكك الحديدية انقلابا في وسائل الاتصال ، وقد نمو الصحافة ونشر الجرائم ، وتطور فن الطباعة ، وارتقاء صناعة الورق ، وانتشار التعليم العام ، ظهور الرواية البوليسية الحديثة وترويجها .

● دور أساسي للكاتب ●

تقوم القصة البوليسية الكلاسية على دعائم ثلاث يجب أن تتوفر فيها لكي تكفل لها النجاح هي : الجريمة ، والمخبر السري الخاص ، والطريقة التي يتبعها في كشف الجريمة . ومهمة الكاتب الفنية أن يدمج هذه العناصر بعضها في بعض ، بشكل متماسك ، داخل نطاق قواعد

الكتابة ، كى تنال ثقة القارىء وتحظى باهتمامه .

وضع ادجار آلان بو ، وبقية الكتاب الانجلو سكسون اللمسات الاخيرة فى تقنية رواية الجريمة ، وما لبث هذا النوع أن احتل مكانا عريضا فى الادب الانجليزى، فازداد كتابه عددا فى انجلترا ، واخذوا يقلون فى بقية اوربا تدريجا ، وفى الوقت نفسه كانت القصة البوليسية ، والرواية القصيرة ، تتراجع لتحل مكانها الرواية الكاملة ، واصبحت هذه مباراة بين المؤلف والقارىء ، وبلغت اوجها فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، وكان عصرها الذهبى بحق ، وتجاوز عدد ما يصدر من روايات بوليسية بقية الانواع الادبية الاخرى ، واحس كتابها بكرامتهم فنانين ومكانتهم مبدعين ، وانهم كأى روائى آخر ،وكانوا يرون أن الرواية البوليسية أصعب ابداعا من أية رواية أخرى ، وشهدت هذه الفترة عددا من كبارهم ، وترجمت رواياتهم الى العربية ، بل ان هذه الفترة نفسها كانت فى العالم العربى أزهى فترات الرواية البوليسية المترجمة .

وقبيل الحرب العالمية الثانية شهدت الاوساط الادبية الاوربية جدلا كبيرا حول اهمية هذا النوع ، ولكن كتابه ، ومن سايرهم من النقاد ، أثبتوا جدارتهم ، واقنعوا الناشر الفرنسى الشهير جاستون ان يصدر ابتداء من عام ١٩٣٦ سلسلة « الجمران الذهبى » ، ووقفها على الرواية البوليسية ، لتكون على قدم المساواة مع بقية الانواع الادبية الاخرى التى لها سلاسل مختصة بها .

وفى هذه الفترة عرفت الرواية البوليسية ما يمكن ان يسمى بالرواية المشكلة ، وسيطرت على الرواية البوليسية منذ الاربعينيات ، ومع آخرها بدا عليها الانهاك ، ولو انها لم تختف من المسرح نهائيا ، وبقى من يعجب بها ، ولذلك حاول كثيرون من المؤلفين ، شيوخا وشبابا ، أن ينفخوا فى النوع روحا جديدة ، وان يلبسوه أردية مبتكرة .

وفى عام ١٩٤٧ حصل هيلين أوستيس على جائزة ادجار آلان بو بروايته « الرجل الافقى » ، وفيها اضاف الى رواية المشكلة بعدا نفسيا ، وتجرى فى مدرسة داخلية للبنات ، ويومها شدت انتباه النقاد والقراء على السواء ، وفى فرنسا أعلنت تصدر تحت عنوان « خفايا باريس » ، وبلفت النظر فيها أن المخبرين السريين الكبار بدأوا يختفون .

ومهما يكن من شىء فلا يزال لرواية المشكلة أنصارها ، وانه لرائع احيانا أن يعود المرء ويقرأ من جديد رواية لشرلوك هولمز ، أو أرسين لوبين ، كما أنها فى الحق لم تجمد جماليا ، وانها كبقية الفكر الانسانى لا تزال تعانى من تطور مستمر ، وبدأت فعلا تتخلص من عناصرها القذرة ، لتختص بالغموض وحده . والخطر الوحيد الذى يتهددها ، وقد يدفع بها الى التوقف، ان القراء تعلموا كل الحيل التى تستخدمها .

• المخبر السرى .. بطلا! •

وفى الثلاثينيات من هذا القرن للتقى « بالسلسلة السوداء » ، نوع من الرواية البوليسية ، يقوم فيها المخبر السرى الكلاسى بدور البطل ، يعيش عاطلا بلا عمل ، ويتحرك فى مجالات الطبقة العليا من المجتمع ، ويتوجه الى جمهور غنى ، أو الى الطبقة الوسطى ، مثل شخوص الرواية المشكلة تماما ، وفيها ظهرت شخصية « سام سباده » ، رجل من الطبقة الوسطى ، يتأمل بعينى رجل الشارع العادى والواقعى كل شىء ، بما فى ذلك القضايا البوليسية ، وككل العالم يمارس مهنة مخبر سرى خاص ليكسب لقمة العيش ، ومعه سوف يتوجه الكاتب الى جمهور أكثر اتساعا .

كان نجاح هذا اللون من الرواية البوليسية مثار جدل شديد بين النقاد ، فيبرره بعضهم بأنها تحرر عالم الخيال مما وراء الشعور ، الى واقعيتها ، وانها تقدم للقارىء المشكلات المعاصرة ، على حين أن الاخرى تعتقله فى خيال اسطورى ينتزعه من نفسه ، وهناك من يراها ظاهرة غير صحية ، تناهض المجتمع ، والتعليل الذى اراه آنه مع النتاج الوفير يحدث لها ما يحدث لكل الانواع الادبية ، بأن توجه

الرواية البوليسية

روايات جيدة ، وأخرى رديئة ، وعمل بالقاعدة الاقتصادية حيث تزيد هذه الاخيرة تطرد الاولى من الواقع الادبي .

وسواء كانت رواية السلسلة السوداء جيدة أو رديئة فانها تفتح امام القارىء باب الهروب ، لا تقدم له مشكلات ، ولا تخطط لها ، ولا تتعبه ، وفيهما تمضي الاحداث بطريقة آلية ، وهي في الوقت نفسه مرآة جيدة تنعكس فيها صورة جانب من المجتمع ومن ثم فهي وثيقة صادقة ، وشاهد له قيمته . واذا أمكن القول انها تؤذي أعداء فاني أميل الى الاعتقاد انها تؤذي مؤلفها ، فهو أول من يعاني تأثيراتها ، ونعلم من الصحف أن رايموند هاملر الذي ابتكر المخبر السري فيليب مارلو حاول أن ينتحر قبل أن يموت بسنوات ، وعندما اختنق دخل مصحة نفسية .

ومهما تكن فضائل هذا اللون من الروايات البوليسية ، والتفسيرات الممكنة لسعة انتشاره في فترة معينة ، فمن الواضح انه بدا يفقد كثيرا من المساحة التي كان يتحرك عليها ، واتجهت مؤسسة جاليمار الفرنسية لهذا الموقف ، فبذلك تفسح المجال أمام روايات بوليسية ذات طابع مختلف، ومن الحق أيضا أن كثيرين من مؤلفي هذا اللون حاولوا أن يجددوا انفسهم .

بدراسة الانتاج الروائي البوليسي في الاعوام الاخيرة ، يدرك الناقد مدى عمق التطور الذي أصابه ، فمن الرواية السوداء الى رواية المغامرة ، فرواية الرعب ، فالسلسلة السوداء ، مرورا بالرواية المشكلة ، ورواية التجسس أخيرا ، وسنعرض لها ، في دراسة مستقلة لاهميتها ، وثمة محاولات تجديدية أخرى ، قام بها كتاب مختلفون ، والغريب ان كل هذه الالوان بقيت ، وتعايشت على اختلاف بينها في الشهرة والذيوع .

ولكن الظاهرة الاكثر وضوحا فيما أرى تتمثل فيما يمكن أن تدعوه اللامركزية . ذلك أن الرواية البوليسية كانت في البدء ، ولفترة طويلة ، اضافة خاصة لبعض الاداب ، وبخاصة الانجليزي ، على حين أن بقية الاداب الاخرى تعيش على ما تترجمه منه ، ولكن منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية بقليل برزت عدة مدارس روائية في هذا النوع ، وازدهرت الى حد كبير ، خارج نطاق المجموعة الانجلو سكسونية ، فاسهمت فيها ابداعا كل من فرنسا وبلجيكا، وتلتهما المانيا، والسويد، وتميزت في الدانمرك بان أحداثها كانت تدور حول التهريب في البلطيق وفي بحر الشمال ، وسارت ببطء شديد في كل من ايطاليا واسبانيا .

وهي تشق طريقها بسرعة في البلاد الاشتراكية ، ولم يعودوا يعتبرونها أدبا برجوازيا ، غير أنها عندهم تلتزم الواقعية الاشتراكية ، أو اذا استخدمنا تعبير الناقد الماركسي العظيم لوكاتش قلنا : الواقعية الناقدة .

وخلال الحرب العالمية الثانية ظهرت في الاتحاد السوفييتي روايات بوليسية ولكنها أقرب الى روايات التجسس ، وفيها يجلس في منصة المحكمة ضباط بطل المغامرات البادين ، وتدور حول تجنيد فرقة صغيرة من الجيش ، أخذت على عاتقها ان تفنى في سبيل تحقيق المهمة الوطنية التي كلفت بها ، والشيء نفسه يمكن أن يقال من بقية البلاد الاشتراكية .

تطور مستمر

أما العالم العربي فلم يعرف الرواية البوليسية ابداعا ، وان كان شأنه كبقية العالم ، أقبل عليها مترجمة بنهم ، وبخاصة بين الحربين العالميتين ، فكانت هناك « مسامرات الشعب » ، و « رواية الجيب » ، وهذه الاخيرة كانت تنشر أسبوعيا من روايتين الى ثلاثة ، جانب كبير منها مخصص للرواية البوليسية ، وذاعت بين القراء أسماء شرلوك هولمز ، وارسين لوبين ، وبيري ماسون ، والمفتش ميجريه،

وغيرهم ، وربما الوحيد الذي حاول أن يكتبها محمد حسن المحامي ، ولعل ذلك في أواخر العقد الخامس من هذا القرن ، فنشر رواية بوليسية مسلسلة ، غير مترجمة ، وربما كانت مصرية ، في جريدة الزمان ، ولكنه لم يواصل الرحلة ، ولم يتبعه أحد في هذا الطريق ، فيما أعلم .

بقي سؤال . هل الرواية البوليسية رواية حقا ؟ .

فلنتذكر أن جوهرها يقوم على اثارة الخوف من خلال أسلوب معين ، يكون تقنيتها ، غير أنها حين تستخدم الخوف فانما تكسوه نموذجا معينا ، بوسائل فنية وعلى هذا المزيج من التقنية والفن ، ينهض غموض الرواية البوليسية ورعبها ، والقيمة الادبية لأية رواية ، انما يحكم عليها في ضوء التزامها بالتقنية التي تحكم قالبها .

ومع ذلك فهناك من يرى أنها ليست من الادب في شيء . يقول جان كاسو في كتابه « بانوراما الفن التشكيل المعاصر » : الرواية البوليسية نوع محتقر ، وليس لها مكان في الادب ، وكل ميزتها أنها تقترب من السينما ، وتستخدم من الخيال ما هو فوقه ، ويسبقه ، ولا يدور بالخاطر .

غير أن الادب البوليسي ، بكل أنواعه واشكاله ، عاش رغم كل النبوءات التي تتحدث عن قرب نهايته وموته .

ومنذ أرشميدس حتى أرسين لوبين ، ومن ألف ليلة وليلة حتى شرلوك هولمز ، فان الرواية البوليسية تشغل حيزا عريضا في أكشاك بيع الصحف ، والمكتبات ، واذكر من أن تجمد عند أسلوب معين ، فهي لا تكف عن التطور ، وهذه علامة حياة ، وليس هناك ما يشير الى أنها سوف تتوقف .

ما الذي يسعدنا في الرواية البوليسية؟

هناك قاعدة تقرر : يجب الا تقرأ أي رواية بوليسية حتى النهاية . لان متعة القارىء الحقيقية تبدأ في اللحظة أن تتفتح له الحقيقة طريقا بين مئة منعطف ومصيدة ، وتنتهي تماما عندما تتكشف له في الصفحات الاخيرة ، وعلى النقيض مما يظن الكثيرون ، نحن لا نقرأ الرواية البوليسية لمعرفة الحقيقة ، وانما لكي نعيد لها ظهورنا ، خلال أطول زمن ممكن ، حبا في الخيال ، وما هو مدهش ، ولكي ننتشي لحظاتنا اليومية ، التي تنعكس خلالها على مهل ، وبطريقة افضل : انتظار الصباح ، زحام الشارع ، لقاء المقهى ، وغيرها .

فالرواية البوليسية مهما كانت طبيعتها ونوعها تفتح للقارىء طريقا للهروب من مشاغله التي يريد أن يتخلص منها ، وطريقة جديدة لقتل الوقت ، والبعد عن الحياة النشطة والمتعبة ، والانعزال تماما عن صخب الحياة ، فلا نفكر فيما هو أبعد من الصفحات التي بين أيدينا .

فالهروب والراحة من العوامل الهامة وراء نجاح الرواية البوليسية ، وخلال الحرب كانت توزع على الجنود المرضى ، ومن هم تحت العلاج ، أو في دور النقاهة ، ونمو الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر ، لان بعد المسافة بين السكن ومحل العمل ، ينمي القراءة ، وليس أسهل من قراءة رواية بوليسية .

الرواية البوليسية تجعل القلب يخفق وتأسر اهتمام القارىء تماما وهو في انتظار حل العقدة ، أو يتابع صراعا ملتحما بلا هدنة بين خصمين يستخدمان كل الاسلحة ، فهي تصف المخبر يلاحق القاتل في خبايا المدينة وأطرافها ، وأزقتها الضيقة ، أكثر شجاعة من عنترة ، وأشد دهاء من عمرو بن العاص ، وترسم بألوان خشنة لوحة كاملة عن المجتمع المعاصر ، وتفصيلات دقيقة عن الحرب التي لا تهدأ ، ولا تتوقف ، بين الجريمة والقانون .

والى جانب ذلك فان تنفيذ جريمة مريعة يتطلب أكثر من عنصرين، القاتل والضحية، من سكين ، أو مسدس ، وطريق مظلم ، أو بيت خال ، يتطلب تحديد هدف ، وموقف ، وضوء وظل ، وشعر وشعور وهي عناصر تبدو ضرورية كلها في عالمنا المعاصر ، للقيام بمهمة من هذا الطراز .

ان جوهر الرواية البوليسية يقوم على الارعاب ، وهذا الخوف الرفيع يحملنا من دنيانا المتواضعة الى عالم الشعر ، والخوف والشعر ينطويان على شيء أبعد مما في ظاهرهما ، كلاهما يقودنا الى عمق الكائن الانساني ، وينقلنا الى الجانب الاخر من المرآة ! .

بل الدرزية مستقلة

بقلم : د. عبدالهادي بن أوس القزويني

● مقدمة لابد منها :

حينما اوسعت "الهلال" صفحاتها للتعريف ببعض المذاهب الدينية فى بلادنا العربية . كان قصدها من ذلك هو مزيد من التعارف ما بين أبناء الطوائف المختلفة في بلادنا ، التي كانت مهبطا للوحي ورسالات السماء ، وكان من طبيعة الامور فيها أن تختلف التغيرات وتتعدد وجهات النظر ، وان تولد المذاهب وتتشعب فيها الطوائف من داخل كل ملة عرفتها المنطقة فى عصورها التاريخية .

ولم يكن قصد "الهلال" من نشر تلك المقالات والبحوث هو الدعاية لهذا المذهب او ذاك ، كما لم يكن من قصدها بالمقابل الزراية على أى منهما . ولكن من طبيعة الأمور أيضا أن عرض معتقدات مذهب معين ، قد يحمل

تحت عنوان : (الدروز عرب موحدون أم عجم ملحدون) ، نشرت الهلال ، فى عدد يونيو ١٩٨٦ ، بحثا بقلم الدكتور محمود إسماعيل ، حاول كاتبه تمحيص حقيقة الطائفة الدرزية من ناحيتي العقيدة والانتماء السلالي وإذ يشكر المرء للهلال وللكاتب الكريم ، فتح صفحة البحث حول هذه الطائفة الغامضة ، فانه ـ وبكل التقدير ـ لايسلم بكل ما أورده الدكتور اسماعيل فى مقاله المذكور .

نحن لاننكر عليه حقه فى الدفاع عن اية فئة ، انما يتحفظ الباحث المنصف ، على الخلط بين الموقف الايديولوجي المسبق ، الذى يفتش عن مسوغات يدعم بها موقفه هذا ، وبين البحث العلمي الذى ينطلق من منهج محايد رصين ، دون أن يضع نصب عينيه احكاما مستقرة فى ذهن الباحث من قبل .

هامش ● د . عبدالهادى القزوينى .. أستاذ بإحدى الجامعات السعودية

بصورة أو أخرى موقفا من تلك المعتقدات يوحى بالرضا أو الاستنكار، هو فى النهاية مجرد وجهة النظر الخاصة للكاتب الذى تولى مسئولية العرض، ويترتب على ذلك، كما سوف يلمح مطالع المقال المنشور فى هذا العدد للدكتور عبدالهادى بن أوس القزوينى، وقوع خلاف فى الرأى ووجهة النظر مابين مختلف الكتاب والباحثين.

ولا تقصد "الهلال" من نشر هذا الرد أو سواه، بل ولا ترضى لنفسها ولا لقارئها أن يكون العرض والرد عليه مدعاة لنكء جراح تاريخية أو إثارة لنعرة مذهبية أو طائفية، بل هى تنشر ما تنشره عملا بحرية الرأى أولا، وحرية البحث العلمى ثانيا، وتلتمس من كتابها الذين قد يختلفون على صفحاتها أن يكون شعارهم هو شعار السياسى الكبير الذى قال «لكى نتفق ومن قبل أن نتفق، ينبغى أن نعرف الحدود الفاصلة بيننا».

فما ترجوه "الهلال" فى النهاية من نشر هذه الموضوعات المحفوفة بالحساسية، هو أن تؤدى المعرفة إلى مزيد من التعارف، فالتقارب ما بين مختلف طوائف الأمة العربية، من واقع أن جميع الناطقين بالضاد هم جمهور قرائها مهما تنوعت معتقداتهم، وتباينت وجهات نظرهم، واقتناع "الهلال" بأن مستقبل هذه الأمة رهن بوحدتها وقدرتها على تحمل مئونة الحوار الحر، دون أن ينقص ذلك شيئا من شعورها بالوحدة وحاجتها إليها.

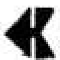
« الهلال »

إن الدكتور يعترض على المستشرق «كاراديفو» الذى قال: (إن الدروز مسلمون مع المسلمين، ومسيحيون مع المسيحيين) كما أعلن الكاتب عن اتهامه لكاراديفو بالتحامل على الدروز، الذين يصنفهم الدكتور اسماعيل فى فئة الشيعة الاسماعيلية. كما يدرج تحامل كاراديفو المزعوم ضمن ماأسماه تحامل أهل السنة ضد الشيعة عموما والاسماعيلية بصفة خاصة.

وهذا غاية فى العجب.. ذلك أن الاستشراق - بوجه عام - يتحامل على القرآن ويفترى على السنة، ويسعى الى اضفاء هالات المجد حول الاقليات والحركات الهدامة فى التاريخ الاسلامى.. اما أن يصبح كاراديفو من أهل السنة - باعتبار ما - فهذا مدهش حقا.

● بين الاعتدال والتطرف ●

وإذا كان أهل السنة متحاملين على



الدرزية

الشيعة ـ وهذا ليس دقيقا اذ ميز اهل السنة دائما بين فئات الشيعة المتفاوتة اعتدالا وتطرفا ـ ، أفلم يلمس مدى حقد معظم طوائف الشيعة على اهل السنة ؟ ..

ويواصل الدكتور دفاعه غير العلمي عن الدروز ، اذ يدخلهم في دائرة الاسلام ، برغم تأثرهم بالغنوصية واعتقادهم بالحلول والتجسد وبتناسخ الأرواح !! .. نحن اذن أمام ظاهرة توزيع مفاتيح الجنة مزاجيا ، مقابل ظاهرة التكفير الجزافي التي تفشت في عصرنا الراهن ..

فهل أدخال الناس في دائرة الاسلام واخراجهم منها ، يتم بحسب أهوائنا الشخصية ، ام ان هنالك موازين دينية تحكم هذه المواقف ؟ ..

فما قول الأستاذ محمود في أن الدروز يكفرون جميع الناس بمن فيهم المسلمون ؟ .. يقول بهاء الدين (أحد الحدود الخمسة التي يقدسها الدروز) في رسالة (السفر الى السادة) : ان النصارى والمسلمين واليهود والمجوس .. وكل من لم تسمهم باطلة دعاواهم مالم يؤمنوا بمولانا الحاكم !! .

أو لم يطلع على تصريحات حمزة بن علي (ويعده الدروز رسول الاله « اي الحاكم » اليهم) ؟ .. ففي رسالة التحذير والتنبيه يقول ـ بلا أدنى موارية « انا ناسخ الشرائع ومهلك اهل الشرك والبدائع ، انا مهدم القبلتين ومبيد الشريعتين ومدحض الشهادتين » ! ..

وفي كتاب « حقائق مايظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل » ـ أحد كتب الدروز الدينية ـ : « واما السروج بلا ذهب ولافضة فدليل على بطلان الشريعتين : الناطق والاساس » .. والناطق والأساس ـ لدى معظم النحل الباطنية ـ هما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والامام على بن ابي طالب « رضي الله عنه » .. وفي الكتاب نفسه ، نطالع ان التزام الشريعة الاسلامية بلاء لايتخلص من شره الا من اختصه المولى (الحاكم) برحمته ، ويستشهدون لهذا الزعم الباطل بقولهم : « كما قال الناطق (أي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) في القرآن : وان منكم الا واردها ، وهذا الجزء من الآية القرآنية يتحدث عن جهنم كما هو معلوم للجميع فالدروز يجعلون الشريعة الاسلامية نارا كما انهم يتهمون النبي ضمنيا بانه مؤلف القرآن ـ كبرت كلمة تخرج من افواههم ـ ..

فكيف يتأتى لرجل يعرف اصول البحث العلمي ان يلصق قوما تلك عقيدتهم باسم الاسلام ؟!

ولكي لايسارع الدكتور الى التشكيك بتلك الكتب ، نقدم له ما أورده مصطفى غالب (وهو اسماعيلي معاصر) في كتابه « الحركات الباطنية في الاسلام » نقلا عن الأخرم ـ أحد الدعاة الدروز البارزين ـ اذ يقول : « وان من عَبَدَ الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لاروح فيه » !! ..

بل ان لدينا ادلة افصح على حقيقة



العقيدة الدرزية ، منها الحوار الذى اجراه مع كمال جنبلاط الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه « إسلام بلا مذاهب » ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ .. قال الزعيم الدرزى الأصل ان الشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن ومن ستة عشر كتابا مخطوطة ، لايسمح لأحد بالاطلاع عليها . والدرزية ـ مازال الحديث لجنبلاط ـ تنهل تعاليمها ايضا من الفلسفة اليونانية (وخصوصا الافلاطونية القديمة) والمسيحية والبوذية والفرعونية القديمة والاسلام !! ..

فما رأى الكاتب الكريم في هذا الاعلان الذى لا لبس فيه ؟! ، وربما يحلو له التماس العذر لهم مادام انه يعدهم فى زمرة المسلمين ، برغم ايمانهم بالحلول والتجسد ..

واما العبادات الاسلامية فهى ساقطة عن الدروز ، يقول جنبلاط : ان شيوخ الطائفة كانوا يصلون فى المساجد ويصومون ويحجون البيت ولكن هذه الفرائض جميعا قد رفعت عنهم واستبدلت بها تكاليف اخرى !! ..

ان الدرزية ـ نعود لكلام جنبلاط ـ مرت بالاسلام كمرحلة ثم تجاوزته واصبحت ديانة مستقلة !! .

● كفر واضح ●

والدروز ايها الكاتب العزيز لايؤمنون باليوم الآخر فالارواح تظل فى تقمص مستمر فلا تموت وتبعث ولاتزيد ولاتنقص (هكذا يزعمون وكأنهم لم يسمعوا بالانفجار السكانى المعاصر) !! ..

نقول ذلك معتمدين على وثيقة لايرقى اليها الشك ، الا وهى شهادة الاستاذ عبدالله النجار فى كتابه « مذهب الدروز والتوحيد » ص٨١ .. فالكاتب درزى بارز حاول تجلية المذهب لقومه وللآخرين فدفع حياته ثمنا لذلك (قتله الدروز غدرا عام ١٩٧٨م) ..

وأما زعم الكاتب ان الجماعة لايؤلهون الحاكم بأمر الله الفاطمى ، فإننا نضعه أمام شهادة النجار فى كتابه سالف الذكر (ص ١٠٥ ، ١٠٦) الذى سرد عتاب بعض شيوخ الطائفة له ، لأنه ذكر ان ام الحاكم بأمر الله كانت صقلبية .. قال له معاتبه : ان الحاكم لاأم له ، لأنه « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » !!! ... فهل ثمة كفر أشد صراحة من هذا النص ايها الباحث الفاضل ؟! ..

فإذا قال قائل : ان شهادات النجار مجروحة بوصفه درزيا عاقا خرج على مبدأ سرية العقيدة الدرزية ، فإننا نقدم له الشواهد من الضفة النقيضة تماما .. وهى كتاب « أضواء على مسلك التوحيد ـ الدرزية ـ للدكتور سامى نسيب وكارم » وهو كتاب تم تاليفه بقرار من مشيخة عقل الدروز فى لبنان ، ردا على كتاب النجار .. وكتاب مكارم برغم انه ينضح بالتقية والمراوغة تند منه براهين عديدة .. فهو يقول : مولانا الحاكم ، وافلاطون عليه السلام (ص ٧٢ ، ٧٣) !! .

ونضيف ان مبتدأ التقويم الذى يستعمله الدروز حتى يومنا هذا ، هو سنة ٤٠٨ للهجرة ، وهى السنة التى جهر فيها حمزة بتأليه الحاكم بأمر الله . ولقد تعجل

الدرزية

الدكتور اسماعيل حينما جعل الدروز إحدى فئات الشيعة الاسماعيلية .. فها هو الزعيم الدرزى الراحل كمال جنبلاط (راجع كتاب الشكعة) يؤكد ان الفرق بين الدرزية والاسماعيلية شاسع كبير ..

كما ان الكرمانى (الداعية الاسماعيلى المعروف) الذى زار مصر سنة ٤٠٨هـ يتهم حركة تاليه الحاكم بالفساد وبالخروج على الدعوة الفاطمية (راجع : مصطفى غالب ص ٢٠٥) .

والاسماعيلية ـ كبقية فرق الشيعة ـ تقدس الامام عليا ، بينما الدرزية تكن للامام وذريته ازدراء شنيعا .. حتى ان حروف الكذب فى اعتقاد هذه الطائفة الضالة ستة وعشرون هى ابليس واولاده ورفاقه ، وهم محمد وعلى وأولاده ...

ولقد خلط الكاتب بين التقية والسرية كأصل من أصول الدين الدرزى .. فالتقية هى اظهار المرء خلاف مايبطن ، وهو مبدأ تؤمن به معظم فرق الشيعة ـ كما قال الدكتور فعلا ـ لكن الم يلاحظ الاختلاف فى التطبيق بين الشيعة والدروز .. فالشيعة يخفون احقادهم على السلطان السياسى الغشوم الذى يرونه قادرا على سحقهم اذا ما عزموا على التمرد ، فلم يؤثر عنهم انهم كانوا ـ فى لبنان بالذات ـ مسلمين مع المسلمين ونصارى مع النصارى .. هذا وينبغى لنا تذكير الدكتور محمود اسماعيل بالفرق الدقيق بين التقية وسرية الدين .. فالتقية هى اخفاء الاعتقاد حال الخوف والجهر به فى بقية الأحوال . اما الدورز فانهم يجمعون الى التقية سرية تعاليمهم الدينية على الدوام ، ليس عن الطوائف الأخرى فحسب ، بل حتى عن جهال الدروز انفسهم ، وهم الكثرة الكاثرة منهم .

ومرجع ذلك ليس التقية بل لأن معتقداتهم غير عقلانية وتزدرى كل من خالفها .. فها نحن فى عصر العلم والتقنية ، وكمال جنبلاط السياسى المثقف يزعم ان الدرزية قائمة منذ ٣٤٣ مليون سنة ، قبل أن تحل الأرواح فى الأجساد !! فانظروا كم خرافة تتراكم فى حوالى عشر كلمات ليس غير .. فما بالك بالتقمص وبأن عدد البشر لايـزيد ولاينقص ؟ ! ناهيك عن تأليه إنسان غير متزن مات مقتولاً !! .

ونقف مع الزميل العزيز عند توهمه بأن الدروز ـ كالشيعة ـ يؤمنون بالمهدى المنتظر ، فلنقرأ معاً قول حمزة فى الحاكم : «وهو العلى العظيم» أى العالى على كل من تقدم ذكره ومن تأخر ممن ينتظرهم الشيعة المشركون» .

ولقد كنت أمل الا يقع الدكتور فى أخطاء مكشوفة ، كما فى قوله إن اهل السنة يعتقدون بالمهدى حتى إنهم قالوا بمجىء امام على رأس كل قرية يجدد للناس أمر دينهم ودنياهم !!

● دعاية سياسية ●

ذلك أن أى طالب علم ، يدرك أن « المهدوية » شىء ، وتجديد أمور الدين

(ولست ادرى من اين جاء الدكتور بالدنيا هنا) شيء آخر .. فهذا الأخير ليس شخصا معروف الاسم والصفات ، بل أنه ليس شخصا واحدا (بل داعية مجدد مطلع كل قرن) ، بينما المهدى هو شخص بعينه (من آل البيت فى اعتقاد الشيعة) ويأتى قبيل قيام الساعة .. واما أن يقيس الدكتور تبجيل اهل السنة للنبى والصحابة على الاتحاد والحلول والتجسد فذلك مما يؤسف له .. ذلك ان اهل السنة لايؤمنون بعصمة الصحابى ، كما أنهم يؤمنون أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) بشر رسول !! حتى انه يحرم عليهم الغلو بشخص النبى ثم من قال للباحث الفاضل ان الشيعة ـ كل الشيعة ـ يعتقدون بتجسد الخالق ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ فى شخص الامام على او سواه ؟ إن الشيعة الاثنى عشرية والزيدية (وتشكلان الغالبية العظمى من تعداد الشيعة) لايؤمنون بهذه المزاعم الفاسدة ، بل انهم يكفرون معتنقيها .. ولو كان المجال متسعا لسردت له مئات الأدلة على هذا من كتب الشيعة بقسميها الكبيرين .

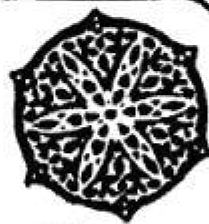
وما اضفاء الطابع التقدمى القومى على الدروز فى لبنان ، فهو ـ مع كل اعتبار لحسن النية ـ نوع من الدعاية السياسية الرخيصة التى ينقضها واقع يعرفه الجميع بحكم المعايشة ..

وقبل ان تفتد هذا القول الخطير نسأل الدكتور : هل جميع الدروز اعضاء فى الحزب المذكور ؟ .. وهل نسى الدكتور الفاضل ان الدروز هم الفئة الوحيدة من عرب الأرض المحتلة التى تتطوع فى جيش العدوان الصهيونى وتغزو معه أراضى الأمة العربية ؟

والدكتور الذى ينعم على الدروز بصفات التقوى والقومية وافساد المخططات الطائفية هل يتجاهل ان طلقة واحدة من بنادق الحزب التقدمى الاشتراكى لم تطلق على جيش الغزو الصهيونى عام ١٩٨٢ م ؟ أم ان الباحث الكريم لم تبلغه أنباء لقاءات وليد جنبلاط ـ زعيم الحزب المذكور ـ بشيمون بيريز وبغيره من قادة الكيان الصهيونى ؟ ..

مراجع للتوسع فى البحث

١ ـ بدوى ، عبد الرحمن : مذاهب الإسلاميين .
٢ ـ حسين ، محمد كامل : طائفة الإسماعيلية
٣ ـ حسين ، محمد كامل : طائفة الدروز
٤ ـ الخطيب ، محمد احمد : عقيدة الدروز ـ عرض ونقض
٥ ـ الشكعة ، مصطفى : إسلام بلا مذاهب .
٦ ـ عنان ، محمد عبدالله : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية .
٧ ـ غالب ، مصطفى : الحركات الباطنية فى الاسلام
٨ ـ مكارم ، سامى نسيب : اضواء على مسلك التوحيد «الدرزية» .
٩ ـ النجار ، عبدالله : مذهب الدروز والتوحيد .
●● بالاضافة الى كتب التاريخ العام مثل : صبح الأعشى للقلقشندى ، وكتب الملل والنحل ككتاب ابن حزم وكتاب الشهرستانى ..



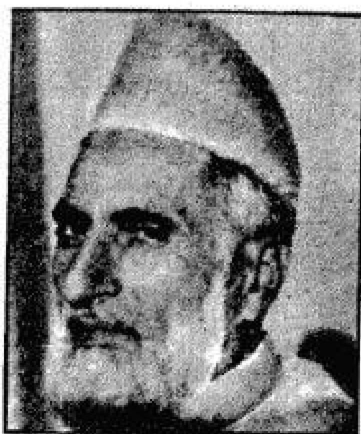
سبيل البعث الإسلامى الجديد

بقلم: د. محمد عمارة

فى صفوف "الاسلاميين" ـ اليوم ـ تياران رئيسيان ، بصدد السبيل إلى "البعث الإسلامى الجديد" :

● التيار الحضارى : الذى يرى فى البعث الاسلامى مشروعا حضاريا لإنهاض الأمة الاسلامية وإخراجها من "التخلف الموروث" ، ومن "الوافد التغريبى" على حد سواء .. وهذا التيار ـ الذى يضم المفكرين والمجددين والمجتهدين ، الأفراد منهم والذين تجمعهم اليوم عدة مؤسسات فكرية وعلمية واجتماعية واقتصادية ـ يبصر عظم مهمة "البعث الإسلامى الجديد" ، فتتوجه جهوده إلى إعداد الوسائل والسبل والأدوات .. إنه يجتهد لصياغة "البديل" ، بديل "التخلف الموروث ، و "الوافد التغريبى" الضار بتميز الأمة الحضارى .. وفى هذا الميدان تأتى الجهود المبذولة فى حقول أسلحة المعارف والعلوم ، والاجتهاد لمستحدثات العصر الذى نعيش فيه ، والنظر فى الحضارات الأخرى للتفاعل والاستفادة والاستلهام .. إنهم يصوغون للبعث الاسلامى مشروعه الحضارى البديل ..

● والتيار الانقلابى : هو ثانى التيارين الرئيسيين فى حركة اليقظة الاسلامية المعاصرة .. يتعجل امتلاك "السلطة والدولة" ، ويسعى إلى ذلك ـ وخاصة جماعاته الشبابية الجديدة ـ بالثورة والانقلاب على "كل الواقع المعاش".. فلديه من "الحماس والحركة والجهاد" أكثر مما لديه من "الفكر والاجتهاد" ؟!


ابو الأعلى المودودى

ولهذا التيار الانقلابى ، بفصائله المتعددة ، أنساب وصلات فكرية بالأستاذ "ابو الأعلى المودودى" [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] .. الأمر الذى يجعل دراسة "سبيل البعث الإسلامى" عند المودودى قضية من قضايا الحوار الفكرى مع "الاسلاميين - الثوريين - الانقلابيين" .. فماذا لدى العلامة المودودى فى هذا الموضوع ؟؟ ....

إن بعضا من دارسى المودودى يرون أن حديثه عن "الانقلاب الاسلامى" - وله كتاب عنوانه : [منهاج الانقلاب الإسلامى] - لايعنى أنه كان "ثوريا" ، بل ولا حتى "انقلابيا" "بالمعنى الشائع ، أى الهيمنة على السلطة والعمل بوسائلها .. فاستخدامه - فى رأيهم - لتعبير "الانقلاب" - لم يكن موفقا ، والأجدر بالتعبير عن وسيلته مصطلح "التحول" .. فتركيزه إنما كان على التعليم والدعوة .. [١] وليس على وسائل "الثورة" وأدوات "الانقلاب" ..

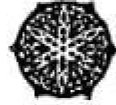
وبعض من رفاق المودودى ، الذين عملوا معه ، يذهبون نحو هذا المذهب ، ويرون أنه كان "يرفض مايسمى بالاساليب الثورية ، ويؤكد أنه من الممكن تحقيق البعث الإسلامى من خلال تكتيك آخر .. اكثر تعقلا واكثر ترويا ، تتم فيه دراسة النظام السائد بهدف استكشاف ماهو بغيض فيه ، ومن ثم فهو يستحق التغيير ، وما هو صحي ، ومن ثم فهو يستحق الحفاظ عليه ..[٢]

ورغم تقديرنا لوجهة النظر هذه ، فإننا نعتقد أن المهمة التى نهض لها الأستاذ المودودى ، ماكان يمكن لواع بخطرها وخطر أعدائها - ولقد كان الرجل واعيا بذلك كل الوعى - أن يظن أو يتوهم إمكان إنجازها بدون التغيير الجذرى والشامل ، أى الانقلاب العميق .. وذلك بصرف النظر عن التسميات .. انقلابا .. أو ثورة .. أو تغييرا جذريا وشاملا من الأعماق ! ..

ثم ، إننا نميل إلى التمييز ، فى مراحل دعوة الأستاذ المودودى ، بين المرحلة المبكرة - والتى نعتقد أنه كان فيها داعيا للثورة - وبين المرحلة المتأخرة ، بعد قيام باكستان ، وهى التى مال فيها إلى الطريق الإصلاحى ، سبيلا للتغيير الشامل والجذرى الذى لم يتخل عنه أبدا ..

● تغيير شامل ●

لقد كان الهدف واضحا ، لا مجال فيه لخلاف .. التغيير الجذرى والعميق والشامل .. ولم يتغير هذا الهدف طوال حياة المودودى النضالية .. كما كان مفهومه للانقلاب وللثورة متميزا عن مفهوم



الحركات الثورية الأخرى لهذه المصطلحات .. فهو يريده تغييرا جذريا عميقا وشاملا ، لكن في تدرج وأناة تتيح لبذور التجديد أن تنمو نموا طبيعيا فتؤتي انضج الثمار .. فعنده "أن كل انقلاب سياسي لاترسخ أصوله في العقلية الاجتماعية والأخلاق والتمدن ، يكون كالنقش على سطح الماء ، ولئن قدر لمثل هذا الانقلاب أن يتحقق ويتم بأسباب مؤقتة وقوة عارضة ، فلا يمكن أن يبقى الى بعيد ، بل يمحى عن قليل ويزول ، وإذا زال لم يخلف وراءه من أثر يذكر" ! (٣)

والإصلاحات الجزئية لن تقود إلى الهدف العظيم المنشود : تجديد الواقع الاسلامي بالاسلام .. ذلك "أن مشروعا من مشاريع الإصلاح الجزئي لايكاد يجدي شيئا في هذا الشأن . وقصارى ما يمكنكم بإنشاء المدارس الدينية وتلقين الناس الشهادتين والصلاة ووعظهم بالاقلاع عن الفسق والعصيان ومحاربة الفرق الضالة ، أن تحولوا بعض الحيلولة دون مصير الدين الى الهلاك ، وتمسكوا بعنانه حتى ينسأ في عمره قليلا ، وتحظى الحياة الدينية العامة بأنفس قليلة أخرى . ولكن كيف يرجى من مثل هذه التدابير ، أن تعلو كلمة الله وتذل بإزائها كلمات الجاهلية ؟ وذلك أن الأسباب والعلل التي مازالت الى اليوم تعمل على قهر كلمة الله واعلاء كلمات الجاهلية ، تبقى قائمة حية في هذه الحال ، وكذلك إذا أردتم أن يبقى النظام الحاضر قائما على أسسه وقواعده الحاضرة ، ثم تصلحون مفسدة من المفاسد الموجودة اليوم في أخلاقكم واجتماعكم أو عشرتكم أو إدارتكم أو سياستكم ، فإن ذلك لن يتحقق بحيلة من الحيل أبدا ، لأن كل شيء منها قد تولد من المفاسد الأساسية لنظام الحياة الحاضر ، ورضع بلبنها ، وتربى في أحضانها ، وكل مفسدة منها مستندة إلى مفاسد كثيرة أخرى . فلابد لإزالة فساد شامل للحياة كلها من برنامج جامع يقوم بعمل الإصلاح من الجذر الى الفروع بغاية من الاتزان والتناسب .."(٤)

وهذا الاصلاح الجذري والعميق والشامل ، ليس بالضرورة أن يكون "مسلحا .. وعنيفا" بل لقد مال المودودي الى الطريق "السلمي" لتحقيق هذا التغيير .. وضرب المثل بما أحدثه الاسلام الأول في المجتمع العربي من تغيير عميق ، بالأسلوب السلمي .. فعنده أن المؤرخين قد غابت عنهم حقيقة الطبيعة السلمية للانقلاب الاسلامي في عصر النبوة ، فظنوه ، بسبب الغزوات ، "قد حدث بالحروب والمعارك الدامية" .. لكن هذه الحروب التي لم تستمر إلا بضع سنين .. والمعارك التي لم يقتل فيها إلا ألف وبضع مائة رجل من كلا الجانبين ، ماكان باستطاعتها أن تحدث "هذا الانقلاب العظيم .. وإذا كان لك علم بتاريخ الثورات في العالم ، لما وسعك إلا الاعتراف بأن هذا الانقلاب ، الذي ما اريق فيه الدم إلا تحلة للقسم ! ، جدير بأن يسمى انقلابا سلميا !"(٥)

هذا عن أهداف الانقلاب الاسلامي .. وأسلوبه ..

اما قضية "الثورة" فى فكر المودودى ، المتعلق بأداة البعث الاسلامى ، فليست خاصة بعمق التغيير وشموله .. فموقفه من هذا الأمر لم يتغير ولم يطرأ عليه تبديل .. لكن الذى طرأ عليه التعديل هو إيمانه بالديمقراطية وأدواتها سبيلا لهذا الانقلاب ..

ففى المرحلة الأولى .. مرحلة المواجهة مع الانجليز والهنادكة .. وعندما كانت الأغلبية هندوكية ، لم يكن المودودى من أنصار الانتخابات ، سبيلا للتغيير ، لأن ثمرتها ، وهى سلطة الأغلبية ، كانت مرفوضة منه ، لأنها ذات "الحاكمية الجاهلية" .. فكانت نبرة الثورة ملحوظة فى أدبياته بذلك التاريخ .. فهو يدعو الى "خلق العقلية الثورية والفكر الثورى" ، وإن يكن بالتدريج ! .. ويقول : "إنه من الواجب مراعاة التدرج من أجل خلق العقلية الثورية والفكر الثورى . إن تقديم الغذاء الزائد عن الحد يحمل الضرر للناس ، كما أن إعطاء غذاء أقل من حاجته يحمل أيضا نتائج سيئة .. "(٦)

وفى تلك المرحلة لم يكن المودودى يخفى عدم جدوى "التدابير القانونية" فى الإصلاح .. إذ لابد من "الأسلوب الثورى" .. "إنه لا وسيلة أمامنا سوى اتباع الأسلوب الثورى ، وذلك نتيجة لما وصلت إليه الظروف .. ولا مجال الآن لنجاح التدابير القانونية .. فليس أمامنا الآن سوى التضحية بالروح والمال لتغيير مسار الاحداث ... ومادمنا لا يمكن أن نوضح بسلوكنا وعملنا أن المسلمين لديهم القوة والشجاعة لأن يموتوا من أجل حياتهم القومية ، فلن تتغير أية كلمة فى الدستور عن مكانها ، ولن تتراجع سيطرة الدولة القومية الجمهورية - [الديمقراطية ذات الأغلبية الهندوكية] - العلمانية علينا .. فلو اراد المسلمون الحياة ، فيجب أن يكونوا - وخاصة الشباب منهم - على استعداد لتقديم دمائهم الزكية رخيصة فى سبيل الحياة !"(٧)

وعندما عرض المودودى ، فى تلك الفترة لموقف الاسلام من "مشروعية الثورة" على اولى الأمر من الحكام الجائرين ، نهج "نهجا ثوريا" فى تفسيره للأحاديث النبوية التى رويت فى هذا الموضوع ..

ففى [صحيح مسلم] عن الرسول صلى الله عليه وسلم : "يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برىء ، ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع ؟!"

فقالوا - [أى الصحابة] - : "أفلا نقاتلهم؟!"

فقال صلى الله عليه وسلم : "لا ، ما صلّوا " !

وفى [صحيح مسلم] أيضا ، قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : "شرار ائمتكم : الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم" .. قلنا - [أى الصحابة] : يارسول الله ، أفلا ننابذهم عند ذلك ؟! " قال : "لا ، ما اقاموا الصلاة .. لا ، ما اقاموا الصلاة !!"

فلما عرض الأستاذ المودودى لتفسير هذين الحديثين الشريفين ، قال : ".. وقد يُظن من الحديث الأخير أو ماقبله أن ولى الأمر إذا أدى الصلاة فى حياته الفردية الخاصة فلا تجوز الثورة عليه لكن المراد بإقامة الصلاة ، فى الحقيقة ، هو إقامة

نظام الصلاة فى حياة المسلمين الجماعية ، فلا يكفى أولى الأمر أن يكونوا مصلين . وإنما يتحتم عليهم ، إلى جانب هذا ، أن ينظموا إقامة الصلاة ، ويجعلونها قاعدة فى نظام حكمهم ، لأنها الدليل على أن حكومتهم حكومة إسلامية ، وإلا فقد انحرفت عن قالب الحكومة الاسلامية وهذا ما يتضح من رواية أخرى تقول : إن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، قد عاهدنا ـ من جملة ما عاهدنا عليه ـ الا ننازع الأمر أهله "إلا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان (٨) .." (٩)

ثم .. هل يتصور لفكر مفكر كالمودودى ، حكم على المجتمعات الاسلامية بأنها قد ارتدت عن الاسلام الحقيقى ، وعادت ـ منذ قرون ـ إلى الجاهلية ، التى زادت طامتها بجاهلية الغرب الحديثة ... وهو يسعى لمجابهة الكفر والردة والجاهلية .. هل يتصور منه ـ فى مرحلة انعدام إيمانه بسبيل الديمقراطية وأدواتها ـ إلا ان يكون ثوريا ؟! .. وهل بالاستطاعة تخيل اعتقاد المودودى بإمكانية اقتلاع الجاهلية التى تعشش فى المجتمع منذ عهد عثمان بن عفان ، والتى زادتها جاهلية الغرب الحديثة دعما وخطرا .. إمكانية اقتلاعها "من خلال تكتيك غير ثورى" ؟! ..

صحيح أن المودودى قد تحدث فى كتابات كثيرة عن أن "التغيير ليس له من سبيل ، فى نظام ديمقراطى ، إلا الخوض فى معارك الانتخابات وذلك بأن نربى الرأى العام فى البلاد ونغير مقياس الناس فى انتخابهم لممثليهم ، ونصلح طرق الانتخاب ونطهرها من اللصوصية والغش والتزوير ، ثم نسلم مقاليد الحكم والسلطة الى رجال صالحين يحبون أن ينهضوا بنظام البلاد على أسس الإسلام الخالص .." (١٠) .

لكن هذه الكتابات هى فكر المودودى فى مرحلة مابعد قيام باكستان .. المرحلة التى استقلت فيها القومية الاسلامية ، ولم يعد المسلمون فيها أقلية تخشى السيطرة الساحقة للأغلبية الهندوكية .. أما فى المرحلة الأولى ، فلم يكن الانتخاب ولا السبيل الديمقراطى هما طريق المودودى للتغيير ، لأنه كان رافضا للديمقراطية ، بسبب من خطر تكريسها سيطرة الهندوك المهددة لقومية المسلمين بالتشوه والذبول والزوال .. فعندما لم تعد الديمقراطية خطرا على المقومات القومية للمسلمين نهج المودودى نهجا ديمقراطيا إلى التغيير .. أما فى المرحلة الأولى فلقد كان ثوريا !

ومن الكتابات التى تعكس النهج الاصلاحى ، الذى تحول إليه المودودى ، فى مرحلته الأخيرة ، وتصور هذا "المزاج غير الثورى" ، تلك الرسالة التى كتبها أثناء سجنه بالسجن المركزى الجديد بملتان ، إلى السيد تشود هرى غلام ـ [فى رجب سنة ١٣٦٩ هـ ـ ٦ أبريل سنة ١٩٥٠ م] ـ والتى يقول فيها :

"إن مزاج الاسلام يختلف عن أمزجة الحركات الثورية فى العصر الحاضر ... فالاسلام حين يصل الى مرحلة النجاح (اى الحكم) فإنه يتبع سياسة العفو بدلا

من الانتقام والعنف والشدة والقهر والغدر الذى تتبعها الحركات الثورية المعاصرة ... وسياسة الاسلام فى سبيل تغيير النظام الفاسد السابق ، وإحلال برنامج إصلاحى بدلا منه ، هى سياسة تتصف بالليونة والهدوء والتدرج وعدم العنف ، وإنقاذ الحياة الانسانية ، بقدر الامكان ، من التغييرات المفاجئة والطارئة ... لكن ، ليس معنى هذا الامتناع عن رفع المظالم الصريحة الثابتة التى تسود نظامنا الاقتصادى والاجتماعى .. "(١١)

لقد كان قيام الوطن المستقل لمسلمى الهند ـ باكستان ـ حدثا جللا فى حياة المودودى تخيل به أن "الحلم" قد أصبح "واقعا" ! .. فبدأ مرحلة الحنو على هذا "الحلم ـ الوليد" .. ولقد كان يسميها : "بيت الاسلام : " .. وكتب عنها يقول : "إننى لا أعتبر هذه البلاد بلادنا ، بل هى بيت الاسلام . لقد واتتنا الفرصة لأول مرة ، بعد قرون لنقيم دين الله فى صورته الحقيقية ، ونقدم للعالم أجمع المثال العملى لفلاح هذا الدين ونجاحه . إنها نعمة كبيرة أنعم الله بها علينا ، ويجب علينا أن نصونها ونحافظ عليها بشتى الطرق وبأى ثمن . إننى أتمنى أن يشعر كل باكستانى بعاطفة تجاه هذه النعمة ، وأن يقدرها حق قدرها ، وأن يحفظها فى قلبه وروحه ، وأن يشعر أنه لا توجد أية تضحية أعظم وأغلى من الحفاظ على هذه النعمة . "(١٢) .

هذا عن أداة البعث الاسلامى الجديد ، فى الدائرة الأولى ، المحلية والقومية : .... "تنظيم" مناضل ، ينهض بالتغيير الجذرى والشامل لواقع الأمة ، فيجدد حياتها بالإسلام ، ويقيم الدولة الاسلامية ، التى تجسد هذا البعث الاسلامى الجديد ....

لكن المهمة لا تنتهى عند هذه الحدود .. فالإسلام عند المودودى ـ فكرة انقلابية ومنهاج انقلابى ، لا للوطن فقط ، ولا للقومية وحدها ، ولا للأمة فحسب ... وإنما للعالم بأسره .. و "الجهاد الاسلامى" ـ "بالمفهوم المودودى الخاص" !؟ ـ هو الأداة التى تحمل "الحاكمية الإلهية" و "البعث الاسلامى" إلى كل أرض الله وسائر أرجاء الكوكب الذى يعيش عليه الانسان ! ..

الهامش

(١) [الدعوات الاسلامية المعاصرة] ص ١٦٠ .

(٢) د . خورشيد احمد [نموذج المودودى للبعث الاسلامى] دراسة بمجلة "المسلم المعاصر" ص ١٢ عدد ٣١ ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان سنة ١٤٠٢ هـ .

(٣) [موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه] ص ١١٥ .

(٤) [واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم] ص ١٧٦

(٥) [منهاج الانقلاب الاسلامى] ص ١٢٠ ، ١٢١

(٦) [الأمة الاسلامية وقضية القومية] ص ١٤ .

(٧) [المسلمون والصراع السياسى الراهن] ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٨) رواه البخارى ومسلم .

(٩) [الحكومة الاسلامية] ص ٧٥ ، ٧٦

(١٠) [واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم] ص ١٨٨ .

(١١) [أبو الأعلى المودودى .. فكره ودعوته] ص ١٩٥ ـ ١٩٧ .

(١٢) المرجع السابق . ص ١٤٩ ، ١٥٠

رسالة مرسيه
من
مصطفى نبيل



درس الأندلس
بدلاً من البكاء على الأطلال

تجذب اسبانيا السياح ، لكي يستمتعوا بمناظرها الطبيعية ، تشدهم اليها مصارعة الثيران ورقص الفلمنجو ولكن شدني إليها عبق الاندلس وريح الشرق ...

نطل على تاريخ العرب في الأندلس من « مرسية » .. مدينة الزهور كما أطلق عليها ابن الوليد الشقندى .. وهى مدينة مثل غيرها من مدن الأندلس ، ليست قرطبة ، جوهرة مدن الاسلام ، وليست غرناطة ، آخر ما سقط من مدن الاسلام ، ولكنها المدينة التى سكنها المصريون ، الذين ساهموا فى فتح الأندلس تحت قيادة طارق بن زياد ، وجاء اختيارها نتيجة التشابه بينها وبين مصر ، ونقل إلينا المقرى التلمسانى فى كتابه نفح الطيب .. « ومن كور الأندلس الشرقية تدمير ، وتسمى مصر أيضا ، لكثرة شبهها ، لأن لها أرضا يفيض عليها نهر فى وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها كنيل مصر ، وتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبة بعد تدمير تسمى مرسية .. »

واختارها المصريون من جديد عندما شب نزاع بين الفرق العربية ، وأرسل الخليفة الأموى من دمشق الأمير أبو الخطار حسام ، ووزع هذه الفرق على مدن متباعدة ، فذهب المصريون الى مرسية .

وكانت واحدة من مدينتين أستقر بهما المصريون فى الأندلس ، أما الثانية فهى مدينة باجه Beja فى الغرب والتى تقع حاليا جنوب البرتغال .

تصوير : فـاروق عبد الحميد



الرحاة تدور ، والأيام تتوالى وحان الوقت لبحث الحاضر ، والاهتمام بالمستقبل



ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يرحل بعض أبناء مرسية الى الاسكندرية ، عقب خروج العرب من الأندلس ، واليها ينتسب قطب اقطاب الاسكندرية سيدى أبوالعباس المرسى ، الذى قضى فيها طفولته ، والتى لجأ إليها عندما فقد والديه خلال رحلة الحج ، وعاش فى الاسكندرية .

● ريح الأندلس ●

وبلدة مرسية مدينة وادعة ، مثل غيرها من المدن الأوربية البعيدة عن صخب العاصمة ، لاترى من الوهلة الأولى سوى المسحة الأوربية ، ويغلب على طراز مبانيها عمارة حوض البحر الأبيض ، فهى لاتبعد عن ساحل البحر سوى بضعة كيلومترات . تزين ميادينها النافورات والتماثيل وشوارعها فسيحة ، تلمح النشاط والنظافة فى كل ماحولك ، ولاتستنشق عبير الأندلس ، إلا عندما تصل الى قلب المدينة وأسواقها القديمة ودروبها العتيقة . وتظن انك فى طنجة أو الدار البيضاء ، فهذا هو المكان الذى شهد الاتصال بين العرب وأوربا والذى تغلغل الاسلام فى بيئته العرقية والاجتماعية والثقافية وامتزجت فيه الدماء



اللاتينية والجرمانية مع الدماء العربية الافريقية ، وقامت علاقات مصاهرة بين الفاتحين وأهل البلاد ، وتقل لنا التاريخ ، انه منذ اللحظات الأولى بدأ الامتزاج ، فمثلا تزوج عبدالعزيز بن موسى بن نصير ارملة لزريق آخر ملوك القوط ، وهكذا فعل العديد من العرب في الأندلس .

وعندما تجلس في أحد المحال يدهشك ان ترى نقوشا من فن الاندلس مازالت قائمة ، وابرز معالمها الخط العربي الذي يكرر الحكمة الأزلية « لاغالب إلا الله » .

وأخذت أبحث عن الحمامات الشرقية التي سبق وسجلها الأستاذ الكبير عبدالله عنان ، بعد أن أنجز عملا شاقا لتحقيق كل وقائع دولة العرب في الأندلس ، ولم يترك قاعدة أو مدينة لم يزرها ، ويدرس آثارها الباقية ، ولكني لم أجد لهذه الحمامات اثرا . وعندما ناقشت هذا الأمر مع رئيس البلدية انطونيو بودالو ، قال .. لقد بدأنا الاهتمام بآثار الاندلس أخيرا ، بعد أن تداعى العديد منها ..

وقد اتخذت سلطات المدينة مجموعة من الاجراءات للحفاظ على ماتبقى مثل :

● حظر هدم البيوت الأثرية ، وإذا كانت هناك ضرورة لشق طريق ينحرف الطريق ويبقى المبنى الأثري .

● الحد من ارتفاع المباني الحديثة للحفاظ على الطابع الأندلسي التاريخي للمدينة .

● زيادة جهود البحث عن الآثار الأندلسية وترميمها ، وقد تم اخيرا اكتشاف بعض المقابر الاسلامية ، كما عثرنا على العديد من المنتجات الخزفية الاسلامية ، وأقمنا متحفا للخزف الأسلامي » .

● الفيل بين الغنم ●

نقترب في جولتنا من كاتدرائية مرسية ، التي تظهر للقادم الى المدينة بضخامتها « كالفيل الواقف بين قطيع من الغنم » ، كما وصفها احد الشعراء - وهي تقع في ميدان صغير على مقربة من النهر .

المكان من حول الكاتدرائية مزدحم فسكان مدينة مرسية يبلغ عددهم ٢٠٠ الف نسمة ، وتصل مساحتها الى ١١ الف و٢١٧ كيلومترا ، وجاء الى مرسية بعد خروج العرب ابناء الشمال الذين ملكوا الأرض ، مشكلين ارستقراطية زراعية ..

أقيمت هذه الكاتدرائية على عدة مراحل ، بدأت منذ أواخر القرن الرابع عشر ، وهي تنقسم الى قسمين بطرازين متباينين ، برج الكنيسة وفيه يختلط فن العمارة الأندلسي بالفن القوطي ، أما التوسعات التي أضيفت فيغلب عليها طابع عصر الاحياء الأوربي ، وحافظت الكاتدرائية على الكثير من النقوش والأقواس والزخارف العربية ، ومازالت ترى بعض ابوابها النحاسية الضخمة



والأعمال الخشبية التى تشى بطراز وذوق عربى رفيع .

ولايفوتك ان تلحظ التضارب فى المنظر أمامك ، وكأنك تنصت الى نغم شاذ وسط سمفونية رائعة .. فقد تحول الجامع الى كنيسة عام ١٢٦٦ م ، أى بعد ٢٣ عاما من هزيمة عرب مرسية ، ثم هدمت أجزاء منها وأعيد بناؤها ، واستمر البناء يتعرض للاضافة والهدم حتى القرن السادس عشر اما الواجهة التى يغلب عليها طراز عصر الاحياء فقد شيدت فى القرن الثامن عشر ..

وأمام الكاتدرائية تتوالى صور التاريخ ..

● اكمل طارق بن زياد وموسى بن نصير فتح شبه الجزيرة ، وقام عبدالعزيز ابن موسى باستكمال الفتح ، فتوجه الى جنوب شرق أسبانيا . وبدأ بمالقة ثم قصد غرناطة ، واتجه بعد ذلك الى مرسية التى كان يحكمها الحاكم القوطى الذى تطلق عليه المصادر العربية تدمير بن عبدوش .

● ويروى ستانلى لين بول قصة وصول العرب الى مرسية بقوله : « دافع أميرها عن المدينة فى شعابها ، ودمر جيشه تدميرا كاملا ، وفرّ مع خادمه الى مدينة اوريون ، وهناك فكر فى مواجهة المأزق عن طريق المكر والحيلة ، فجمع نساء مرسية وألبسهن ثياب الرجال ووضع الخوذ على رءوسهن ، وأمرهن ان يضعن شعورهن كاللحى ، وحمل راية الهدنة ، وأحسن القائد استقباله ، وقال .. قدمت لافاوض فى شروط تليق بعظيم تسامحك ، فعدنى ان يبقى ابناء المدينة احرارا ، اسلمها اليك ، فقبل القائد ، وعين الأمير حاكما فى مرسية ، التى اطلق عليها العرب هذا الاسم ، فالعفو عند المقدرة احد شعارات الفروسية العربية .

● وازدهرت احوالها مع ازدهار الأندلس وعانت ما عانته الأندلس من منازعات ايام ملوك الطوائف ، كما اصبحت امارة مستقلة يحكمها امير ، وحكمها الشاعر أبوبكر محمد بن عمار الذى كان اديبا مثقفا ، والذى لم يغفل رغم ولعه بالشعر والأدب عن تحصين المدينة بجيش قوامه خمسة آلاف فارس .

● المتحف المسكون ●

اتجهت من الكاتدرائية الى النهر ، بعض الأماكن التى امر بها متحف مسكون يعود للعصور الوسطى ، وتلحظ على الضفة الأخرى من النهر بعض المبانى القديمة ، مبانى حجرية ذات طابقين أو ثلاثة ، والى جانب الجسر الحديث قنطرة حجرية اخرى اندلسية الطراز ، تصل المدينة بضاحية سان بنيتو التى بها مسرح مصارعة الثيران ، الذى يقوم على الطراز الرومانى ، فهنا ترى مراحل التاريخ جنبا الى جنب ، المسارح الرومانية والمعمار القوطى وعمارة الأندلس وعصر الاحياء الأوربى ، كأنها الطبقات الجيولوجية التى تجسد مراحل التاريخ ..



دروس الأندلس

وعندما تتجه الى الشمال الشرقى . تجد اطلال حصن أندلسى قديم ، يطلق عليه حصن « مونتى اجورو » ويقع فوق ربوة عالية تشرف على الحقول ، وتدل اطلاله على انه كان يوما احد المراكز الدفاعية الامامية لمرسية .

فهل هو الحصن الذى شهد حصار الوزير الشاعر ابن عمار حينما هاجم مرسية فى عصر الطوائف عام ٨٧-١٠ م ـ ٤٧١ هـ حاكمها أبو عبدالرحمن بن طاهر وانتصر عليه ؟

أم لعله الحصن الذى بويع فيه بالامارة محمد بن يوسف بن هود ، وخرج اليه ابوالعباس بعساكر مرسية ، فهزمه ابن هود واعتقله ، ودخل مرسيه عام ١٢٢٨ م ، وهو يرفع راية سوداء عباسية ، ويعلن مسيرته لاسقاط حكم الموحدين ، وكانت هذه هى البداية ، واتسع نطاق حكمه وشمل اواسط الاندلس وغربها ، وكانت آخر محاولات توحيد سلمى للأندلس فى مواجهة الأعداء .

فبعد سقوط قرطبة هرع اليها ابن هود مع قواته لانقاذها ، ولكنه فشل ، فاذا كان قد نجح فى اسقاط حكم الموحدين فإنه عجز عن الحصول على ولاء ملوك الطوائف المختلفين ، وانتهى بـاغتيـالـه من أحدهم ! .

تشاهد من فوق التل حدائق البرتقال والليمون والزيتون الذى ادخله العرب ، وتقف اشجار النخيل شامخة بعد ان ادخلها العرب الى اوربا .

● الوجوه والكلمات ●

ومازالت اللغة الاسبانية تحمل بقايا الكلمات العربية ، فبلدة سيزارى التى زرتها هى القيسارة بالعربية ، والفندق الذى نزلنا فيه هو فندق الشورى ، ومن آثار اللغة العربية الف لام التعريف فى العديد من الكلمات ، وحتى عندما يقولون فى مصارعة الثيران الكلمة الشهيرة « أوه ـ ليه » أصلها لفظ الجلالة « الله » الذى يطلقونه استحسانا .

فاذا كانت اللغة الأسبانية اشتقت فى أصولها من اللهجات الأيبيرية واللاتينية ، فإنها اضطرت حتى القرن التاسع الميلادى ـ كما يقرر ليفى بروفنسال ـ الى ان تأخذ من اللغة العربية كل ماينقصها .

فمثلا تطلق كلمة الفارس Alfaraz العربية على الملازم ، ولايزال يطلق على مقدمة الجيش الطليعة Atalaya ، ويطلق على رئيس البلدية لفظ القاضى Alcaide ، ويطلق على الموظف المكلف بضبط المكاييل والموازين اسم المحتسب Almotacen ...

هذا علاوة على الأسماء العربية الأخرى المنتشرة ..

● دوران الرحى ●

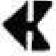
وتقودنى جولتى الى منطقة لانورا ، التى يقصدها السياح لمشاهدة إحدى

الطواحين الكبيرة التى تنقل المياه الى المستويات العليا ، والتى تكشف الآثار الباهرة لقنوات الرى التى مدها العرب ، والتى اصبحت احد معالم المدينة ، والطاحونة تشبه ساقية الفيوم ، وهى مثل الرحى التى يدفع الماء عجلتها الضخمة وهى تعمل اليوم لفرجة السياح لا للرى ..

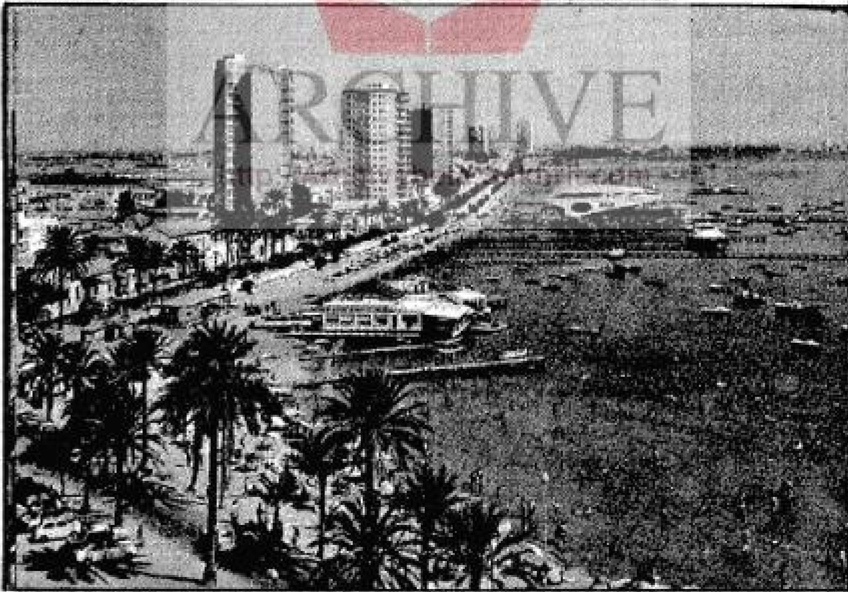
وامام دوران الرحى تتداعى صور سقوط الأندلس ..

لقد سقطت مرسية بين عامى ١٢٣٨م و ١٢٦٠م ، فبعد أن استولت مملكة أرجون على بلنسية ودخلها ملكها فى التاسع من اكتوبر عام ١٢٣٨م ، تم الاستيلاء خلال أعوام قليلة على سائر القواعد القريبة منها ، ولم يبق من قواعد شرق الأندلس سوى مرسية .

وبعد مقتل ابن هود الذى كان قد جعل من مرسية مقرا لإمارته ، بايع أهلها ولده أبابكر ، وسرعان ماثار عليه عدد كبير من



تقع مقاطعة مرسية على البحر ، اما مدينة مرسية ففى الداخل ، وهذه لقطة لإحدى مدنها الساحلية





علماء مرسية ، وادرك أهل مرسية ، أن سقوط كل قواعد الشرق وضعها أمام قدرها المحتوم ، واتجه بعض شيوخها الى ملك قشتالة يعرضون عليه الصلح ودفع الجزية ، وتسلمها الفونسو ولي عهد قشتالة صلحا يوم ٢ ابريل عام ١٢٤٣ م .

ولكن سرعان ما أعلن الأهالي خلع طاعة ملك قشتالة ، وينقل لنا ابن عذارى هذه الفترة بقوله .. « إن أهل شرق الأندلس كانوا قد صالحوا الروم بمال معلوم ، يدفعونه في كل عام ، وأعطى أهل مرسية قصبتهم للروم ، فلما ذاع فيهم ضرر الروم وأذاهم ، أخرجوهم بالقتال .. »

فعاد خايمي الأول ملك ارجون وضرب الحصار عليها ، وبذل كل جهد للتضييق على أهلها ، واستمر الحصار بضعة أشهر ، وبسقوطها في فبراير عام ١٢٦٦م سقطت آخر قواعد شرق الأندلس ، وانتهى حكم المسلمين لها ، وأصبح حكم العرب محصورا في غرناطة ، عندما استبد بالعرب شغف بالأنتحار ، فبدل أن يتجمعوا لصد الأعداء ، أخذوا يبددون قواهم في محاربة بعضهم بعضا .

● بين مشهدين ●

ويلخص تاريخ الأندلس مشهدان .. بينهما تاريخ حافل بالمجد والصراع ، والذي تسمع في كل صفحة من صفحاته قعقعة السيوف وصليل الرماح .. وترى فيه ازدهار أهم المنارات الثقافية في القرون الوسطى .

وبين المشهدين مساحة تاريخية تبلغ ٧٨٠ عاما ..

● المشهد الأول : طارق بن زياد يقود قواته القليلة العدد والعدة عام ٧١١م ـ ٩٢هـ ، قرب الصخرة التي حملت اسمه ، بعد أن عبر بحر الزقاق ـ مضيق جبل طارق فيما بعد ـ في مواجهة الجيش القوطي بقيادة لزريق ملك القوط ، والذي تزيد قواته ستة اضعاف على قوات طارق ..

يتحدث طارق في صوت هادىء .. « ايها الجند ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، وليس لكم سوى الجلد والصبر والقتال .. » .

وسارت قوات الاسلام حتى تخطت جبال البرانس .

● المشهد الثاني أبو عبدالله آخر ملوك الطوائف يوقع مع الملك فرديناندو والملكة إيزابيلا في ٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١م ـ ٨٩٧هـ ، إتفاقية تسليم غرناطة ، ويسلم مفاتيح المدينة ، ويغادر غرناطة يترك قصوره متوجها الى الجبال ، وفوق حد التلال ... « رأى المروج النضر أبراج قصر الحمراء ، ومنائرها وبساتين غرناطة ، فأجهش بالبكاء ، عندئذ قالت له أمه عائشة :

إبك مثل النساء ملكا مُضاعاً ..
لم تحافظ عليه مثل الرجال .



تنتشر النقوش الاندلسية فى مبانى أسبانيا الحديثة بعد
ان دخلت فى مكونات الحضارة الاسبانية المعاصرة .



درس الأندلس

وبين المشهدين ، عاشت الاندلس فى صراع مع شمال اسبانيا ، بعد ان اقتصر الفتح على ثلاثة أرباع شبه الجزيرة الايبيرية ، وأخذ الحكم العربى يتقلص حتى سقطت غرناطة ، وعاشت الأندلس مسرحا لحروب متصلة بين ملوك الطوائف ، تحالف خلالها البعض مع الأعداء لمواجهة المنافسين !.

● الشرق والغرب ●

وماذا بشأن السياق التاريخى الذى تمت فيه هزيمة الأندلس ..؟ لقد وقعت فى ذروة الصراع بين الشرق والغرب ، الذى امتد على جبهة عريضة هى امتداد عالم الاسلام ، وقد تساقطت مجموعة من القواعد فى أطراف العالم الاسلامى .

فبعد سقوط مرسية التى عشنا بين آثارها وقلبنا صفحات تاريخها ، اتجه الملك خايمى نحو الشرق منضما الى الحملات الصليبية عام ١٢٦٩م ، ووصلت قواته الى حيفا بفلسطين وانضمت إلى القوات الصليبية .

فبعد وصول الزحف الاسلامى أخر مداه خلال القرن الحادى عشر ، بدات الحملات الصليبية تتجه إلى الشرق . وتسهم فى حرب «الاسترداد» الأسبانية .

وعلى جبهة أخرى بدأت جورجيا توسعها على حساب الامارات الاسلامية والتى سيطرت على القوقاز من البحر الأسود حتى بحر قزوين ، واستعاد الصليبيون سردينيا وصقلية واستولت الجيوش الصليبية على أجزاء من سوريا وفلسطين .

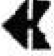
وجاء الرد من الدولة العثمانية التى اخذت تتوسع فى شرق أوربا ، وكان أول هجوم جدى على القسطنطينية عام ١٣٣٧م ، وكان التقدم العثمانى فى البلقان يدفع البابا إلى إطلاق النداءات وتعبئة العالم المسيحى ..

وخلال هذه المرحلة تحقق التوحد والمركزية بين الصليبيين ، أما عالم الاسلام فقد كان يعانى من التشرذم والفرقة . وبينما كانت الأندلس تتآكل ، كانت مصر تتصدى للخطر الصليبى ، ونجحت فى إفشال الحملات الصليبية فى الشرق .

وانتقلت خلال ـ هذا الصدام ـ أراض واسعة بسكانها من طرف الى طرف ، بكل ما تحمله من الام وتأثيرات ..

واستمرت ذات العوامل تدفع الدولة المسيحية لمواصلة الصراع ، وإن استبدل المخطط الواحد الهادف الى توسيع عالم أوربا المسيحى ، بمخططات سياسية تديرها كل دولة أوربية على حدة ..

وفى هذه الأثناء شهد الجانب العربى من حوض البحر الأبيض توازنا



مؤقتا بين الاسلام والمسيحية ، عاش خلاله المسلمون في وهم إمكان قيام تعايش سلمي ، ولكن سرعان ما تبدد الوهم وتجددت الروح الصليبية وغيرت التوازن .

وعاش خلال هذه الفترة المؤرخ الكبير ابن خلدون ، وخامره شعور جارف انه يعيش نهاية العالم ، فامامه دولة إسلامية تتصدع ، وزراعة تتقهقر، وتجارة تتوقف ، وحكام ينعزلون وينغلقون في إماراتهم ، وكان المسلمين يقدمون انفسهم للفاتحين ..

فاحتلت الجيوش الأيبيرية آخر مركز للقوة الاسلامية ، بدأت الضربات تتوالى ، ونقل البرتغاليون الحرب الى افريقيا ، وبعد احتلالهم مدينة سبتة على الساحل المغربي ، استولوا على طنجة والدار البيضاء ، واوقف إنتصار المغاربة في معركة القصر الكبير عام ١٥٧٨م الزحف البرتغالي الذي سعى الى الالتفاف حول عالم الاسلام .

كما تعقب الأسبان المسلمين واحتلوا بين عامي ١٤٩٧م و ١٥١٠م سلسلة من المدن الساحلية في شمال افريقيا امتدت من مليلية حتى طرابلس في الشرق ، وادى ظهور القوة البحرية العثمانية في البحر الأبيض ، إلى تخلى الأسبان عن اية محاولة لغزو افريقيا ، واحتفظوا ببضع نقاط على طول الساحل المغربي التي مازالت خاضعة للاحتلال الأسباني حتى اليوم

● البكاء على الأطلال ●

ونتساءل .. هل حان الوقت لتقوم مدرسة تاريخية عربية ، لا تسمح بتفسير التاريخ بمعايير احادية تعبر عن الحضارة الاوربية .. ؟

فمعظم الأدبيات والدراسات التي تتناول الأندلس ، يغلب عليها البكاء على الاطلال ، وتتضمن بعض هذه الكتابات بصورة غامضة احيانا وسافرة احيانا أخرى ، المطالبة بالعودة إلى الأندلس كاحدى صور الهروب الى الامام ، وتجنب المعالجة الجادة لما يواجه الفكر العربي من قضايا ، تستغرقهم احلام مجد غابر ، ويعيشون اسرى أهداف مستحيلة لعصر مضى ، وبدلا من الدفاع عن ما تبقى لهم ، ومواجهة ما يتهددهم من تحديات ، وبدلا من مواجهة الصليبية في ثوبها الجديد ، التي تنازع الشعب الفلسطيني حقه في وطنه ، وبدلا من تحرير الأراضي العربية على طول الساحل المغربي والتي تمتد من سبتة حتى جزر الزعفران التي تقع على نهر الملويه عند الحدود الجزائرية فإنهم يستكينون للأوهام . !

فقد حان الوقت للتخلي عن تلك الاحلام الغامضة التي سبق أن دفعت الدوتشي إلى نهايته عندما استولى على ليبيا على امل إحياء الامبراطورية الرومانية القديمة .



وعلى العقل العربى أن يستوعب عبرة الأندلس ، وكيف ازدهرت عندما تفاعلت مع من حولها ، وتآكلت بالعزلة ، مما يؤكد أن الفكر يزدهر بالحرية ، والعقل ينمو بالتفاعل الخلاق ، فقد ساهم فى حضارة الأندلس كل من العرب والبربر وسكان

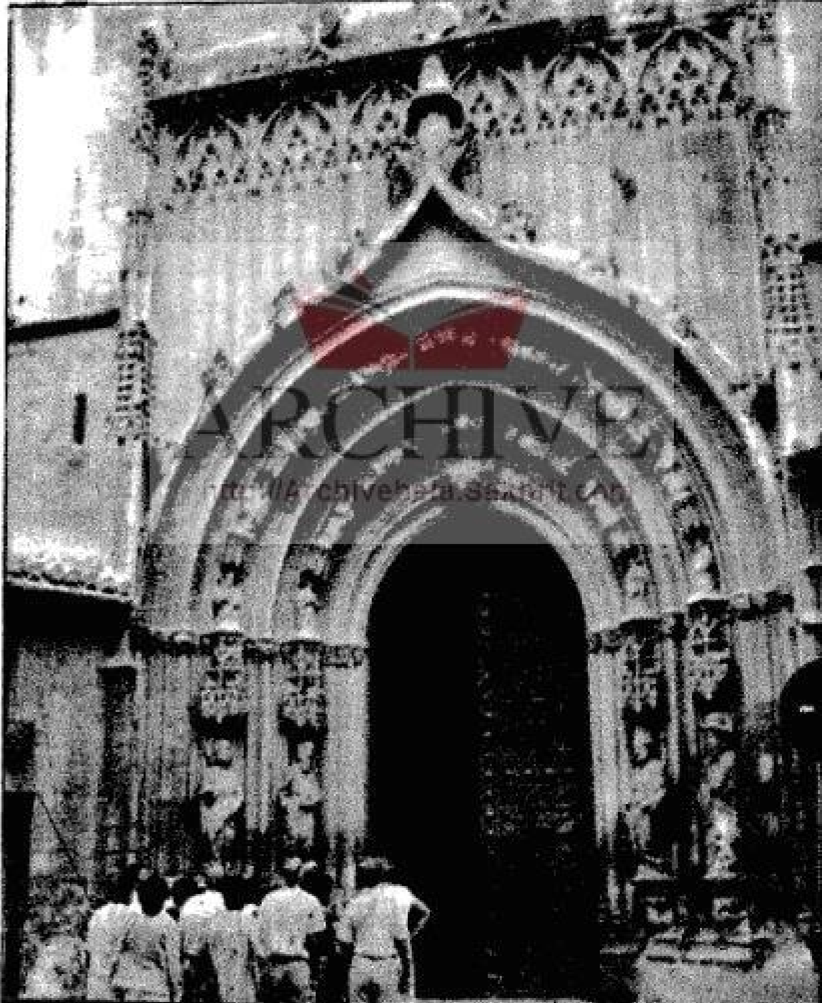
عثر علماء مرسية على مجموعة من الخزف الاسلامى . واقيم لها متحف خاص .

البلاد الأصليين ، وتكاد تكون الحضارة الوحيدة التى ساهم فيها أبناء آسيا وأفريقيا وأوربا ، والحضارة التى عاشت

فى ظلها كل الأديان ، فى صداقة وحسن معاملة ، لم تعرفها أوربا القرون الوسطى .

وانهارت دولة الأندلس كتحدى نتائج التشرذم والفرقة أمام ملوك الطوائف ، يوم نشب الصراع بين القومية والدين ، بين المسلمين الأسبان وغيرهم من المسلمين ، يوم كانت معاول التعصب والتزمت ـ قبل الأعداء تساهم فى انهيار هذه الدولة .

زوار أسبانيا أمام إحدى كنائس مرسية





العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز

كما تعبر عنها كنوز متحف الفن الإسلامي

بقلم : أحمد أبو كف

في ذكرى المولد النبوي الشريف ، عندما يذهب الكثير من المسلمين لأداء العمرة نقترب من العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز ، وهي علاقات مؤكدة ترويها كتب التاريخ ، كما يرويها امتزاج الدم بالحياة على الأرض المقدسة .

وإذا كانت العلاقة بين مصر والحجاز قديمة ، فالمؤكد أن المصريين هم الذين بدأوا بعبور البحر الأحمر ، الذى سموه « بحرحور » ، إلى الضفة الشرقية ، بحثا عن المراكز التجارية التى كانت محطات لمنتجات الشرق من البخور والعطور والعطارة ، وهى سلع دينية إن صح التعبير ، كانت المعابد الفرعونية فى حاجة إليها .

ومن المؤكد أن العلاقة كانت وطيدة قبل ظهور الإسلام ، ويدل على ذلك ماذكرته كتب التاريخ من أن نصرانيا مصريا ، نجارا ، اشترك فى بناء الكعبة ، بعد أن دمرها السيل ، وكانت الكعبة تتكون من أخشاب النخل وبعض المنسوجات . كما أن القباطى أو نسيج مصر ، استخدم فى بعض الفترات كسوة للكعبة .

أما فى العصر الإسلامى فلقد شملت وامتدت العلاقات المصرية والحجازية ، بل أن المنطقة دخلت فى فترات تحت الحكم المصرى .. وكان ولاة مصر وسلاطينها يحملون ألقاب حماة الديار المقدسة ، وكان الوالى أو السلطان يعتبرها من الفروض عليه أن يساهم فى توسعة وترميم المشاعر المقدسة . وكانت الكسوة ، تخرج من دار الكسوة كل عام فى احتفال مهيب على المحمل .. الذى كان ينتظره أهل المشاعر المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة من عام إلى عام .

وليست الكسوة وحسب هى التى تخرج من مصر إلى الحجاز ، فقد كانت مفاتيح الكعبة تصنع بعضها فى مصر .. كما كانت مصر ترسل « صرة » الحرمين ومواد التموين لفقراء الحرمين .. وتعتبر ذلك فرضا وزكاة ، لاتبتغى من ذلك سوى مرضاة الله .. ومازالت رموز هذا كله محفوظة فى متحف الفن الإسلامى .

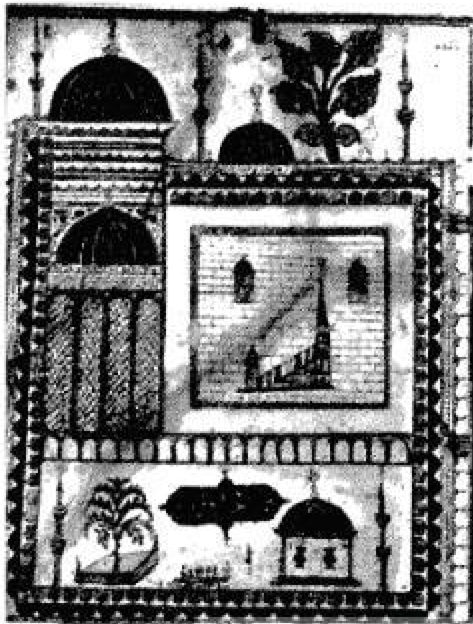
وإلى عدة سنوات فقط ، كانت الكسوة تذهب إلى الحجاز .. إلى ان رأت السعودية ان تقيم مصنعا سعوديا للكسوة فى منطقة ام الجور على مشارف مكة المكرمة ، واستوردت له عمالا من باكستان والهند وجنوب شرقى آسيا لعمل الكسوة .

ولاشك أن متحف الفن الإسلامى يموج بالكثير من الآثار الإسلامية التى تعبر عن تلك العلاقة الحميمة والوطيدة بين مصر والحجاز . فهناك العشرات من قطع الكسوة ، على مدى أعوام طويلة .. وهناك الشمعدان والرسوم التى تعبر عن الأماكن المقدسة . وهناك الكثير من الفنون الإسلامية ، التى تعبر عن عمق الروابط .

● اغنى متحف فى العالم ●

فى هذا المتحف .. القطع تتكلم ، تحكى حضارة الإسلام منذ أيامها الأولى .. حين كان الإسلام إسلاما ، وحين كانت الدنيا غير الدنيا . كما تقول السجلات وصل عدد القطع الآن إلى حوالى ٨٠ الف قطعة .. بينما كان فى سنوات المتحف الأولى حوالى سبعة آلاف قطعة .

المتحف الإسلامى هو أكمل وعاء يعبر عن الحياةاليومية للمسلمين ، حينما نزلت الرسالة على قلوب خضراء روتها



واحدة من القطع النادرة التى يضمها متحف الفن الاسلامى

بالعقيدة ، فأزهرت الصلاح والتقوى وأعلت صوت المسلمين فهزموا الامبراطوريات .

لكن هذه التحف .. إن لم يكن لها نفع الآن فهى تذكرنا بماض ، بحضارة سادت .. ولكن أهلها هدموها بأنفسهم ، حينما تخلوا عن دينهم ، وأغراهم بهرج الحياة الدنيا .

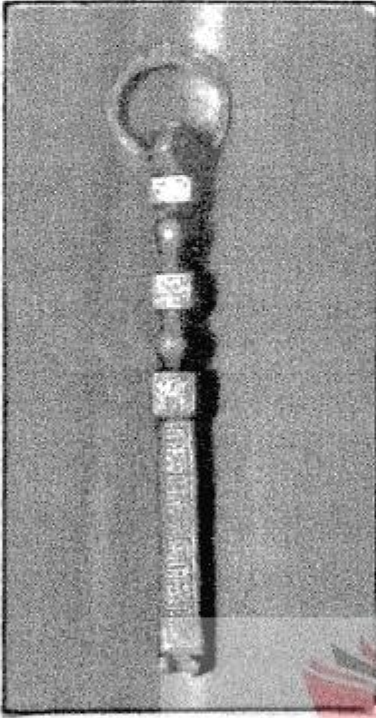
أغنى مجموعة تجدها فى هذا المتحف . بمعنى أن أغنى متحف فى العالم بقاعاته المتنوعة التى تمتلىء بالكنوز .. إنها ليست تحفا صماء .. هى تاريخ حى ينبض بالحياة والخلود .

وبداية التفكير فى اقامة المتحف الإسلامى ، كانت فى الستينيات من القرن الماضى .



العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز

كانت التحف الإسلامية منتشرة فى المساجد والبيوت القديمة ، وكانت مصر حينئذ على وشك حدث كبير هو افتتاح قناة السويس .. وكان الخديو اسماعيل يريد واجهة أوربية لمصر . فبإضافة الى قصر الجزيرة ، الذى أقيم على أنقاضه ، فندق ماريوت ، عبد الطريق من الفندق إلى أهرامات الجيزة ، وطوله حوالى ١٠ كيلومترات .. ثم رؤى أن تشاهد الامبراطورة أوجينى وضيوف من الملوك والأباطرة والقياصرة .. متحفا للفن الإسلامى وبالفعل أبدى الخديو موافقته . وبدأ جمع التحف منذ بداية الستينيات . من المساجد والبيوت والأسبلة بما فيها من نقوش وأبواب وشبابيك وشربات وقناديل . وأدوات معيشة منزلية .. لكن التحف لم يتم جمعها إلا بعد افتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ ولهذا صدر فرمان خديوى بعد ذلك عام ١٨٨٠ بإنشاء متحف لوضع التحف فيه تحت إشراف مهندس أجنبى اسمه « سالزمان » . ثم قام مهندس آخر اسمه فرانتز باشا بإعداد التحف وتنظيمها طبقا لتواريخها . ووضعها فى أحد أروقة جامع الحاكم بأمر الله الفاطمى . فى نهاية شارع المعز عند باب النصر .. وأطلق على الرواق ... دار الآثار العربية .. لكن بعد ... تشكلت لجنة باسم « لجنة حفظ الآثار العربية » ، صارت هى ... التحف . مخصصة ...



مفتاح نحاسى يضم كتابة قرآنية

فى صحن جامع الحاكم بدلا من الرواق للتحف وسعت لبناء متحف خاص للتحف عام ١٨٨٣ فى ميدان باب الخلق . وهذا المبنى افتتح عام ١٩٠٣ احتلت جزءا منه التحف والجزء الآخر ، الكتبخانة الخديوية .

ولقد بدأ المتحف بمديرين أجانب .. أما أول مدير مصرى للمتحف فهو على بهجت عام ١٩٢١ ثم زكى محمد حسن . وقد اتسع نشاط المتحف فى عهده ، فلم يقتصر على جمع التحف وحسب ، وإنما شمل الكشف أيضا والتنقيب عن التراث الفنى الإسلامى ، والمحافظة عليه .

وشغله بمجموعات السجاد التي لايزال اغلبها داخل الخزائن.

والمتحف يعرض تحفه حسب المتسلسل التاريخي .. وان كان القائمون عليه ابتدعوا قاعة في مدخل الباب الرئيسي سموها بقاعة الروائع، وتشمل بالفعل روائع الفن الإسلامي، ومنها إبريق مروان، وشمعدان الناصر محمد بن قلاوون، وفازة أو زهرية أندلسية عثروا عليها في بنك ناصر الإسلامي وهي مصنوعة في غرناطة وتعود للقرن الرابع عشر الميلادي (٨ هجرية) . ولم يعرف احد قيمتها إلى أن وصلت المتحف وكرسي عشاء ينسب للناصر محمد بن قلاوون ويمتاز بصناعته المتمثلة في فن التكفيت . وهو فن يفرغ الأماكن المراد زخرفتها وصب السائل المراد استخدامه مكان التفريغ .

وحسب التسلسل التاريخي يعرض المتحف الآثار الأموية، حيث يوجد اقدم شاهد حجري عليه تاريخ ٣١ هـ . اي بعد الفتح الإسلامي لمصر بحوالي ١٢ عاما . ثم قاعة خصصت للتحف الفنية التي ترجع إلى العصر العباسي . ومن أروع الآثار الموجودة بالمتحف في هذه القاعة مجموعة من الخزف ذي البريق المعدني .

في إحدى القاعات أيضا مجموعة الأخشاب المعشقة . والأرابيسك تعتبر من اثرى المجموعات في العالم الإسلامي . وهي توضح فن الحفر على الخشب كما تثبت تفوق مصر في هذا الفن . ومن اجمل الآثار الخشبية في المتحف محراب السيدة رقية ومقصورة الإمام الحسين بن علي ومحراب السيدة رقية يتألف من



كرسي نحاسي مكفت بالفضة مزين بكتابة كوفية

ودراسته . ونشره . كما أجريت الحفائر في مواقع العواصم الاسلامية القديمة مثل الفسطاط . والقطائع . والقاهرة القديمة .

● قاعة الروائع ●

والمتحف الآن يضم ٢٥ قاعة بعد أن وسعت بعض قاعاته نتيجة للمرحلة الأولى من تطويرها في عام ١٩٨٤ والتي افتتحها الرئيس حسني مبارك .. وليس في المبنى الآن سوى دور واحد تحتله هيئة الكتاب .. والمتحف في انتظار أن تنقل هذه الكتب الى دار الكتب والوثائق على كورنيش النيل . لكي يجرى ترميم هذا الجزء



العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز

حشوات مزينة بفروع نباتية رقيقة بارزة ، وكل ست حشوات فيها تمثل شكل طبق نجمي وهو عنصر زخرفي شاع استعماله بعد ذلك حتى تميز به العصر المملوكي ويعتبر محراب السيدة رقية أقدم تحفة إسلامية ظهر فيها هذا العنصر الزخرفي .

يضم المتحف قاعة من قاعاته الجديدة يعرض فيها العملات الإسلامية حتى القرن التاسع عشر . ويعرض لاقدم قطعة عملة فى المتحف وهى الدينار - الذى ضربه الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان عام ٧٧ هـ . بالاضافة الى دينار أخر قديم يعود الى عام ٧٥ هـ ، وهو من الحجاز .

يوجد فى المتحف ايضا اكبر مجموعة من الخزف الايرانى . والسجاد التركى .

كما يوجد حوالى ٦٠ مشكاة .

● علاقات متميزة ●

وإذا كان المتحف بأروقته وتحفه خير شاهد على تقدم المسلمين فى الفنون ، فهو ايضا خير شاهد على تقدمهم فى العلوم وبراعتهم فى الحروب .

على أن اهم مافى المتحف من وجهة نظرنا هو مايتعلق بالمشاعر المقدسة . فى

بعض قطع الكسوة كانت تعد فى مصر لتوضع على الكعبة المشرفة بمكة



مكة المكرمة والمدينة المنورة . وهو مايؤكد عمق العلاقات المصرية الحجازية ، والتي كانت في أغلب فتراتها علاقات متميزة .

ومن هذه القطع الهامة :

١ ـ شمعدان من النحاس ذو تجويف بارز على رقبة ضيقة مزخرفة بكتابة نسخية نصها « هذا ما أوقف على الحجرة النبوية ، مولانا السلطان الملك الاشرف أبوالنصر قايتباى بتاريخ ٨٨٧ هـ (١٤٨٨ م) . وفى قاعدة التجويف حواف بارزة محفورة على هيئة حبل . وعلى الرقبة كتابة محفورة هى نص دعائى باسم قايتباى ، حروفه على هيئة ألسنة اللهب ، وهى متقاطعة فى القمة ، وتقع بين شريطين ضيقين من الزخارف النباتية المورقة والمزهرة . وقاعدة الشمعدان تحفها من أسفل ومن أعلى اشرطة مماثلة من الزخارف النباتية . والجزء الأكبر من الفراغ مملوء بشريط من الكتابة النسخية تتكرر فيها عبارة « الوقف » السابقة .

٢ ـ كرسى من النحاس مخرم ومكفت بالفضة ، وارتفاعه ٨٠ سم . وأصله من بيمارستان قلاوون . وفى وسط الكرسى العلوى عصابة مستديرة من الكتابة الكوفية ذات الزخارف والحروف المتداخلة بعضها فى بعض ، والمدببة فى اعلاها كأسنة الرماح . ونص هذه الكتابة : « عز لمولانا السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون » .

٣ ـ مفتاح طويل من النحاس ، عليه كتابة قرآنية ، وكتابة أخرى نصها : « مما عمل لبيت الله الحرام . أشرف شعبان بن حسين ٧٦٥ هـ . » وكان سلاطين المماليك البرقية يهتمون خالص الاهتمام بالمشاعر المقدسة من منطلق دينى ، كما كانوا يعتبرون انفسهم هم حماة المشاعر المقدسة

٣ ـ لوحة تتكون من ستين بلاطة مربعة من الخزف التركى ، عليها رسوم الكعبة بكسوتها السوداء وسط الحرم الشريف . ويظهر فى الرسم تفاصيل مختلفة من عقود يتدلى منها مشكاوان .

٤ ـ لوح قاشانى عليه رسم الحرم المدنى الشريف باللون الأزرق والأحمر والفيروزى على أرضية بيضاوية ، وكتابة نصها « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فى ١٣ جمادى الآخر ١١٤١ م .

٥ ـ لوحة قاشانى من صناعة رودس من ١٦ بلاطة ، وتكون القبلة ، ويوسطها مستطيل رأسى لونه أزرق ، بداخله رسم الحرم المكى بالأبيض والكعبة بالأسود ، ويعلوها مستطيل أفقى بداخله شرفة أفقية زرقاء عليها كتابة بالأبيض تقرأ « كلما دخل عليها زكريا المحراب » . وعلى باقى الأرضية وعلى الإطار زخرفة نباتية من أزهار وأغصان لونها أزرق وأخضر .

٦ ـ كسوة الكعبة المشرفة ، وكانت دار الكسوة منذ العصر الفاطمى فى مصر تصنع الكسوة بالخرشنف (الخرنفش حاليا) . وكان المحمل يحمل هذه الكسوة كل عام لتسلم الى أمير مكة المكرمة . وكان الأمير يسلمها بدوره إلى حفيد بيت السبتى ، سدنة الكعبة منذ العصر الجاهلى . ومع الكسوة كانت توزع النقود والتموين على كل اهل مكة . وكان أمير الحج المصرى يحمل الصرة لفقراء مكة المكرمة .

إن الدلالات القاطعة تستطيع من مشاهدتها أن تروى تاريخ العلاقة بين مصر والحجاز على مر العصور ، وليس العصر الإسلامى .



محمد سعيد
يكتب من
غرب أفريقيا

الشخصيّة الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى

مالى هى نقطة الالتقاء بين الشمال العربى الافريقى والجنوب الافريقى عبر وضعها الجغرافى السياسى فى قلب غرب افريقيا مما يجعل لهذا المكان طبيعة المزج بين الحضارتين العربية والافريقية .

إن افريقيا جنوب صحراء العرب الكبرى تضم أيضا بجانب مالى كلا من تشاد والنيجر وهى غير الأقطار العربية المحيطة بهذه الصحراء من الجنوب اى السودان فى الشرق وموريتانيا فى الغرب والدول العربية الافريقية الشمالية مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب

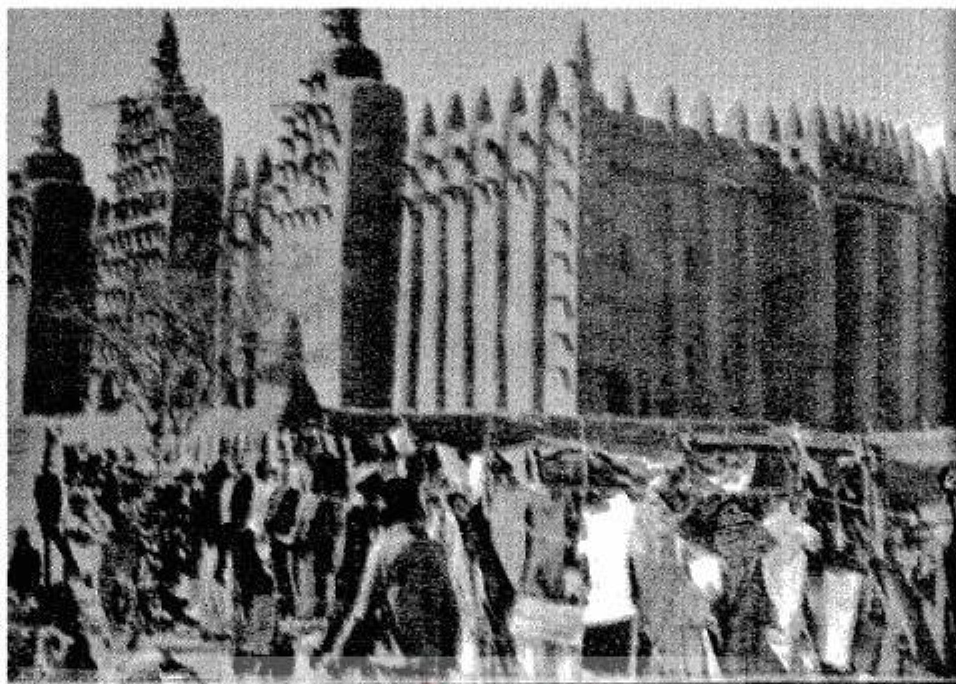
لقد ترك هذا الحال الجيوبوليتكى بصمته على الواقع الثقافى لهذه البلدان وفى رحلة قمت بها الى قلب الغرب الافريقى وجدت السؤال الخاص بالشخصية الافريقية جنوب الصحراء يطفو على سطح أغلب المناقشات ليس فقط بسبب ظروف الزيارة ولكن أيضا نتيجة الشعور بقيمة مايترتب على هذا المزج الذى تراه بين الحضارتين العربية والافريقية على هذه البقعة الضخمة من أرض الغرب الافريقى

وجه عربى من سكان شمال مالى حول العاصمة القديمة "تمبوكتو"



وجه من شمال مالى . شاب من الطوارق ممن يعيشون بجوار العاصمة القديمة





سوق الملابس التي تعقد ظهر يوم
الجمعه في مواجهة مسجد تيجان



مهرجانات الشباب الغنائية والموسيقية في العاصمة باماكو





الشخصية الأفريقية
جنوب الصحراء الكبرى

يبدأ ـ كما قال لي المفكر المالي عمر كوتاري ـ يبدأ من الالمام بالواقع والجذور والتراث وهو مابدأته مالي في مختلف مجالات التعبير عن الانسان في سنوات الربع قرن الأخير .

لقد بدأ البحث عن شخصية الثقافة الافريقية في هذه الأرض قبل حقبة الستينيات من القرن الحالي وفي السنوات التي مهدت لنيل الاستقلال في بداية سنوات الستينيات الأخيرة .

كان السؤال عن الشخصية القومية يمر عبر قنوات عديدة تبحث عن المنهاج وتضع الهدف للوثوب من الواقع عبر المنهاج والوسيلة اليه .. كان السؤال يضع في الحسبان ماعملته القوى الاستعمارية الأوربية لتفريغ وتخريب وتجريد الشخصية الافريقية من ملامحها وعناصرها من خلال فرض لسان غريب وتقاليد غربية على شعب يتمثل تراثه في ثقافته الإسلامية التي تبلورت عبر تراث حضاري إسلامي له جذور افريقية عربية هي صاحبة البصمات الأكثر ثباتا ورسوخا في المشاعر والوجدان وفي المعارف وفي التقاليد والعادات وأيضا فيما يتعامل به الإنسان من لسان عبر لهجات ولغات افريقية محلية .

لقد انعكس بحث الافريقي جنوب الصحراء على شخصيته منطلقا من الفنون والثقافات حيث عرف أن الغرب اراد له البقاء في دائرة التقليد فإذا رسم كان مزاجه غربيا حتى وأن كانت أنامله افريقية سمراء ، واذا كتب ظل فكره تابعه حتى وأن كانت مشاعره ممزقة بين رغبته في الاستقلال وتطلعاته في مستقبل آخر ، وإذا غنى كان تعبيره اللحني وافدا مع أن موروثاته وايقاعاته هي التي وثب عليها الغرب الأمريكي واخرج منها عبر تكنيك العزف والأداء الحديث ايقاعات ونغمات الديسكو والروك والسامبا والتشاتشا والجيرك وغيرها كان رسم ملامح الشخصية القومية الأفريقية

● ابن بطوطة والجذور ●

عرف الفكر العربي اسم مالي منذ كتب عنها الرحالة الأديب ابن بطوطة عبر رحلته التي زار فيها غرب افريقيا جنوب الصحراء والتي اوضح تفاصيلها في المخطوطات القديمة ومنها كتابه الذي يحمل عنوان « تاريخ البربر » . كانت رحلة ابن بطوطة في عام ١٣٥٢ وفيها تحدث عن مملكة مالي القديمه التي يعود زمن أزدهارها الى القرن الرابع عشر الميلادي عندما عرفت المنطقة الممتدة شمالا وغربا من ساحل السنغال على المحيط الأطلنطي الى بنين (داهومي) جنوبا وفي امتداد منحنى المحيط الاطلنطي في غرب افريقيا وحيث ضمت مع السنغال وبنين كلا من بوركينافاسو (فولتا العليا) ومالي الحالية (السودان القديم) وغينيا ، وكانت « كانجابا » عاصمة هذه الامبراطورية ممتدة النفوذ في الغرب الافريقي والتي صحب أزدهار ملكها نشأة العاصمة « تمبوكتو » مكان العاصمة الأخرى كانجابا وحيث أصبحت تمبوكتو أحد أشهر مراكز الثقافة الإسلامية والعربية في افريقيا .. وقد تناول المفكر العربي الكبير عبدالرحمن بن خلدون مكانة تمبوكتو في انتشار الإسلام وفي تدعيم جذور الثقافة العربية الإسلامية في كتاباته التي ترجع الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

وفي اتجاه تمبوكتو كانت رحلات التجارة المنتظمة تتجه في تلك السنوات من الاسكندرية الى سيوه (مصر) وجغبوب وفزان (ليبيا) وعين صلاح (الجزائر) وحتى تمبوكتو عاصمة مملكة مالي القديمة ومن أشهر واكبر هؤلاء التجار الحاج سراج الدين

السكندرى الذى يوجد قبر باسمه فى العاصمة المالية التاريخية « تمبوكتو » ... وغير رحلات التجارة هناك رحلات أخرى سياسية ودينية يسجلها التاريخ مثل رحلة ملك مالى منسى موسى الى الحجاز ومصر فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

ولقد استمر وضوح هذه الشخصية الافريقية عميقة التأثر بالثقافة العربية الإسلامية فى هذه المنطقة من غرب افريقيا حتى خضعت المنطقة للاستعمار الغربى عندما سيطرت فرنسا فى عام ١٨٦٥ على المنطقة وأسمتها السودان الفرنسى وحيث واجه الفرنسيون مقاومة متفرقة تبلورت مطالبها فى سنوات الحرب العالمية الثانية بظهور حزب الوحدة الديمقراطية الافريقية الذى كونه ليوبولد سنغور مع موديبوكيتا واحمد سيكتورى وقد انقسم فكر هذا الحزب الوطنى الى اتجاهين تبعا لمكونات الشخصية الثقافية لزعاماته على النحو التالى :

١ ـ تيار الاستقلال الكامل الذى يستهدف البحث عن الشخصية القومية التى تتخلص من كل مظاهر فترة الاستعمار الغربى وقد تزعم هذا الاتجاه أحمد سيكتورى (غينيا) وموديبوكيتا (مالى) وكلاهما تعلم وتشكل ثقافيا فى المدارس الإسلامية فى كوناكرى وباماكو .

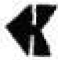
٢ ـ تيار الاعجاب بالثقافة الفرنسية والدعوة الى الاستقلال مع التمسك بتقاليد الثقافة الغربية وهو اتجاه برز فى تعبير من تشكلت ملامحهم التعليمية والثقافية فى المدارس الارسالية الفرنسية وهم ليوبولد سنغور (السنغال) وهوفوبيه بوينيه (ساحل العاج) ويامييجو (فولتا العليا) .

وحدث الانشقاق فى حزب الوحدة الديمقراطية نتيجة لهذا الاختلاف فى الهدف الفكرى وحيث تفاقم هذا الشقاق بعد تصدى فرنسا للتيار الذى يرغب فى الاستقلال السياسى والفكرى وقد ترتب على بروز مطالب الاستقلال الكامل طرح فكرة اتحاد مالى الفيدرالى بين السودان الفرنسى (مالى) والسنغال وغينيا وساحل العاج واتخاذ داكار عاصمة لهذا الاتحاد غير أن هذا الاتجاه الفيدرالى لم يستمر سوى عام واحد حيث انفصلت كل وحدة سياسية واعترفت فرنسا بالاستقلال بعد تفرق هذه الكيانات المتحدة .

● الأصول العربية والجذور الافريقية ●

وكما يعتقد المسلمون الافارقة من الهوسا فى غرب افريقيا خاصة فى نيجيريا انهم ينحدرون من أصول عربية ولهذا فهم يرددون حكايات وأساطير تدعم هذا الاعتقاد ، غير أن هناك من يبرر هذا من علماء الاجناس حيث يتصورون ان هذا الاعتقاد مرجعه مايبقى فى الذاكرة الفلكلورية من الاندماج الذى حدث بين قبائل البربر المسلحة ، التى تحركت من شمال افريقيا مع السودانيين من سكان جنوب الصحراء الكبرى فى القرن الحادى عشر الميلادى غير أن أغلب من راجعوا الأصول التاريخية لدخول الإسلام الى غرب افريقيا ، يرجعون ذلك إلى تأثير العناصر الثقافية العربية الإسلامية التى جاءت مع مقدم عمرو ابن العاص وفتح الاسكندرية ، ثم الاستقرار فى مصر وضمها الى الدولة الإسلامية . وبعد ذلك نجاح فتوحات عقبة بن نافع وطارق بن زياد فى الشمال الافريقى وحيث يرى زويمر فى كتابه « عالم المسلمين » أن الإسلام انتشر فى هذه البقاع ، منذ عام ٦٣٨ عند فتح مراكش ثم المناطق الصحراوية جنوب ليبيا ، وحتى غرب السودان ، وقد سادت هذه الفتوحات والهجرات الإسلامية فى ثلاثة اتجاهات أولها من مصر حتى بحيرة تشاد وثانيها من مراكش حتى جنوب تشاد والثالثة من شمال افريقيا حتى حوض نهر النيجر .

ويتفق اغلب المؤرخين على هذه المسالك الثلاثة التى عبرها المد الاسلامى ، وحيث عرف الناس فى مالى واقطار غرب افريقيا





الإسلام عبر ثلاثة مداخل امتزج فيها جهد الرحلات التجارية مع جهد الدعاة وتقديم قدوة حسنة من خلال سلوك الرحالة والتجار وكانت الطرق الثلاث لهذه الرحلات على النحو المفصل التالى

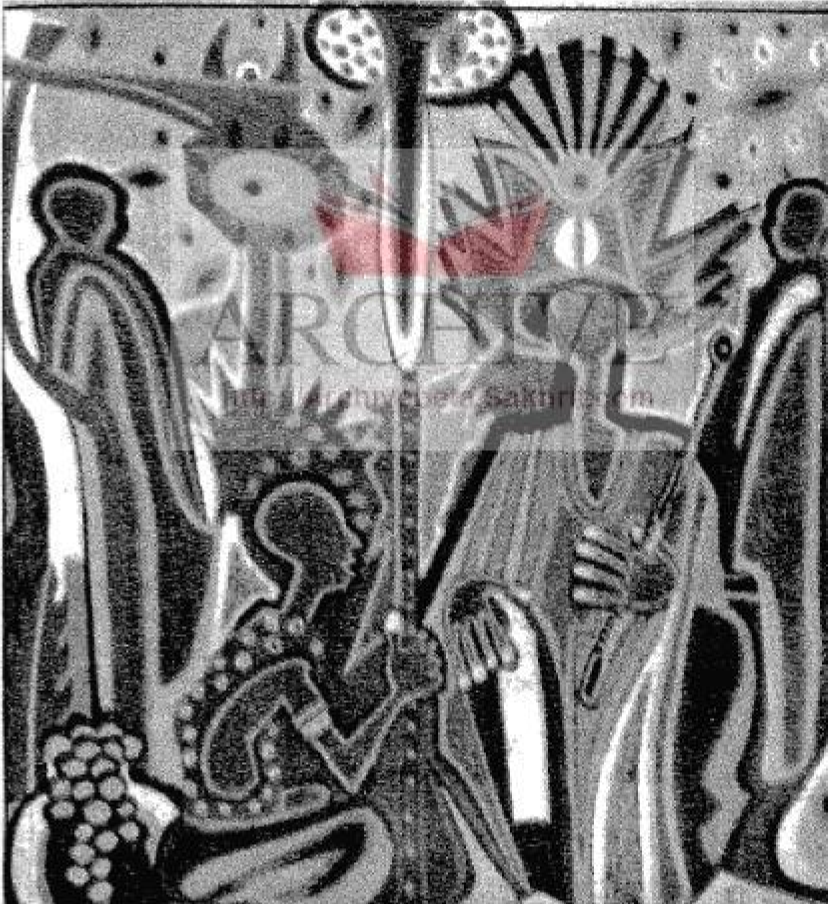
اولا ـ طريق مصر من النوبة الى مملكة برنو (ولاية برنو الحالية فى نيجيريا) ومن هذه المملكة القديمة الى البلاد التى تعيش فيها قبائل الهوسا فى غرب افريقيا .

ثانيا ـ طريق القرن الافريقى عبر الصومال والحبشة واريتريا الى قبائل اليوربا والأشانتى .

ثالثا ـ طريق ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الى حوض نهر النيجر .

وقد اضحت معالم دخول الإسلام الى هذه البقاع واضحة فى تأثير عناصر الثقافة

من اعمال الفن التشكيلي لوحة للمصور الفنان انسومانا



د . بكرى تراورى وزير ثقافة مالى

العربية الإسلامية ورموز هذه الثقافة ومن ثم مظاهرها فى الملابس والعمائم وتجنب العرى المعروف فى المناطق المدارية والاستوائية واستعمال السيوف والرماح والدروع والتى تطور استخدامها من حقبة الى أخرى .

وقد فتح القبول بالإسلام فى هذه المناطق التسليم بالأساليب الثقافية العربية من معارف ومعتقدات ساعد على الأخذ بها مايتمتع به الفكر الإسلامى من مرونة وقدرة على التفاعل مع تقاليد وثقافات الشعوب التى اعتنقت الإسلام ووجدت فى بساطته التى تتبلور فى الإيمان المرتكز على أركانه الخمسة من شهادة وصلاة وزكاة وصيام وحج الى بيت الله .

ان عدد سكان جمهورية مالى - وهى الحالة التى تخصها بهذا الحديث - يزيد على ثمانية ملايين نسمة حسب تقديرات ١٩٨٦ ويدين ٩٠٪ منهم بالإسلام . والأصول السكانية تضم نسبة كبيرة من الأصول العربية حيث نجد من أصول السكان الطوارق والمور وهم يمثلون ٥٪ من اجمالى السكان وهم من أصول بربرية وعربية يعيشون حول « تمبوكتو » وتعود جذورهم القديمة الى صنهاجة فى مناطق تجمعات بربر شمال افريقيا وعرب حمير فى اليمن كما يعود البعض بنسبهم الى الفاتح العربى المسلم طارق بن زياد . والفلاتيين ممن يعودون فى نسبهم الى الفاتح العربى المسلم عقبة بن نافع ويرجع السبب فى هذا النسب الى ان أسلافهم حضروا الى هذه المناطق بعد فتوحات عقبة بن نافع فى شمال افريقيا . ويختلف المؤرخون فى تحديد اصولهم هل هم من صعيد مصر وبلاد النوبة أم أنهم من قبائل شرق افريقيا فى اريتريا والصومال والحبشة ممن جاءوا عبر السودان واستقروا فى حوض النيجر وتصل نسبة الفلانيين الى نحو ٤٪ من مجموع السكان .

أما السنغاى وهم يمثلون ٦٪ من السكان فهم نتاج زواج العرب من زنوج المنطقة . أما النسبة الكبرى من السكان فهم زنوج ماندى ويمثلون ٥٠٪ من السكان وينتمى اليهم البامبارا والدوجون والسنوفو . أما البل وهم نتاج زواج البربر والعرب والزنوج فيمثلون نحو ٢٩٪ من مجموع السكان .

وغالبية سكان مالى يتحدثون لغة البامبارا " Bambara " وهى لغة التخاطب الرئيسية بين السكان وكانت تكتب باللغة العربية فى السنوات السابقة ولكن أخيرا بدأ العمل على كتابتها بالحروف اللاتينية وهى الحروف المستخدمة فى اللغة الفرنسية التى تعد لغة التعامل الرئيسية فى البلاد الافريقية المسماة بمجموعة « الفرانكفون » . أما اللغة العربية فهى تنتشر فى شمال مالى وفى المناطق المحيطة بمدن موبتى وتمبوكتو وسيجو بجانب الاهتمام بدراستها فى الكتاتيب القديمة والمدارس الأهلية وبعض المدارس الحكومية ولقد دعم اللسان العربى والثقافة العربية فى مالى انشاء جمعية اتحاد ورقى الإسلام فى عام ١٩٨٠ لتنظيم تعليم القرآن الكريم والحديث وسبل الدعوة الإسلامية ، كما صحب انشاء هذه الجمعية انشاء اتحاد المدارس العربية الإسلامية ، فى مدينة « سيجو » لتنظيم أساليب الثقافة والتربية الإسلامية ، ومكافحة الأمية ويضم هذا الاتحاد ١٥ مدرسة تضم نحو ثمانية الاف طالب وطالبة . وهى غير



فصول تعليم اللغة العربية الملحقة بالمراكز الثقافية العربية . مثل المركز الإسلامي الذى تقيمه الإمارات العربية مع ليبيا ، والمراكز الثقافية الجزائرية والسعودية والعراقية وغيرها .

● صراع فكرى ●

وعلى الرغم من أن المسلمين هم غالبية سكان مالى الا أن دستور مالى (الذى صدر فى عام ١٩٧٤ وبعد خمس سنوات من تولى الرئيس موسى تراورى مسئولية الحكم بعد الرئيس السابق موديبوكيتا) ينص على الاتجاه للعلمانى للدولة بمعنى فصل للدين عن الأداء العام للدولة وهو مايترتب عليه وجود صراع فكرى بين الحضارة الإسلامية بجذورها التاريخية العميقة والواقع العلمانى الذى يرتبط باتجاهات وقيم الثقافة الغربية ورموزها الحضارية المختلفة .

وقد انعكس هذا الحال على وضع مالى الداخلى وعلاقاتها الخارجية حيث تقوم سياستها من خلال الالتزام بالفلسفة البراجماتية والتى تبدو فى عشرات المواقف مثل الالتزام بالاجماع الافريقى وخلق روابط واقعية مع الدول المجاورة مثلما نجد فى العلاقات مع موريتانيا والجزائر فى الشمال الافريقى وغينيا وساحل العاج على حدود مالى الجنوبية والنيجر فى الشرق والسنغال فى الغرب ، وهو مايبدو ـ خاصة ـ فى تبنى مالى لفكرة منظمة الدول المحيطة للصحراء الكبرى وهى منظمة الدول الصحراوية التى تضم معها الجزائر وليبيا وتشاد والنيجر وموريتانيا وتونس والمغرب .

● عواقب الغزو الفكرى ●

والاتجاه البراجماتى فى السياسة المالية نراه ايضا فى رسم السياسات الثقافية حيث أعرف من الدكتور بكرى تراورى وزير الثقافة أثناء حواره مع « الهلال » انه يرى ان ثقافة الناس فى بلاده هى فى تعبيرهم عن مشاعرهم تجاه بعضهم البعض وتجاه الآخرين من جانب آخر والجانب الاول مظهره التكافل والتراحم والتضامن العائلى اما الجانب الآخر فمظهره حسن الظن والترحيب والود .

والدور الثقافى فى مالى الآن هو دور الربط بين جذور هذه الثقافة وتراثها وحاضر التعبير عن هذه الثقافة ومن بين سبل التعبير عن هذه الثقافة تبدو تلك العلاقة بين أصالة التراث والرغبة فى التقدم من خلال الامساك بسبل المعاصرة وحيث نشعر بمدى الحرص على التمسك بقيم الثقافتين العربية والافريقية وهما تراث نتوارثه من أيام مملكة مالى التاريخية .

اما الاخذ بأساليب التحديث والالمام برموز هذا العصر فاننا نفرق بينه وبين الغزو الفكرى الذى يأتى لنا من الخارج عبر السلوكيات الغربية المعبرة عن ثقافات اجنبية لاتربطها ادنى صلة بجذورنا وواقعنا . هذا التخوف الذى نستشعره يجعلنا نضع فى الحسبان دائما أهمية الاحساس بجذور ثقافتنا وهى ثقافة اسلامية افريقية تعود الى القرن الحادى عشر الميلادى .

وهذا التمسك بجذور ثقافتنا الأصيلة وتدعيم جذورها القديمة ومايطرح عبر فروعها وأغصانها وبراعمها الجديدة يجعلنا فى مأمن من عواقب الغزو الفكرى الخارجى وهو سياج لايحول بيننا وبين الانفتاح الثقافى على



رقصات الاقنعة الافريقية ولكن دون عرى الاجساد كما نلحظ فى رقصات المناطق الاستوائية والمدارية .. من اثار الاسلام على الفنون

الخارج من خلال العديد من مظاهر اللقاء مع الفنون والثقافات الخارجية مثلما يحدث عندما يقام البينالى الافريقى لفنون النحت والتصوير فى باماكو ومثلما تحرص على استضافة المهرجانات الفنية والثقافية واسابيع الافلام من خلال برنامج يغطى معظم شهور السنة وهذا غير الحرص على تدعيم دور المتحف الوطنى والمتاحف الاقليمية بتدعيم وحماية المقتنيات المختلفة .

ان الثقافة هى المحرك القوى الذى يسهم فى تحديد الاختيار الوطنى والاختيار التنموى لان التكنولوجيا هى ايضا تعبير عن حاضر ثقافى يرعى طموحات ومطالب الاغلبية .

● العودة الى « تمبوكتو » ●

ومن خلال هذا الفهم لاهمية مزج مدخلات الاصالة والمعاصرة وهضم المخرجات التى توضح مدى استيعاب هذا التفكير يبدو النشاط الثقافى المعبر عن مختلف الفنون التعبيرية والتشكيلية وحيث يتبلور هذا العطاء فى كتابات عدد من المبدعين من المشتغلين بالفكر والفلسفة والأدب والفن والصحافة وعلى نحو



بلمحه في تقفل اسماء اشهر نجوم مالي في الثمانينيات حيث تجد من بين نجوم الكتابة للسينما والاخراج الفنان سليمان كيتو ومن اشهر اعماله فيلم «يارا» . والمخرج شيخ عمر سيسكو ومن اعماله «نيامتو» .

اما ابرز الكتاب والروائيين فهو الأديب بالله موسى كيتا ومن ابرز الموسيقيين والملحنين ونجوم الغناء سليف كيتا ووري كانتي وفوتا ديبيا .

وفي مالي نشاط مسرحي يمثله تقديم أعمال المسرح العالمي والمسرح الأفريقي ومؤلفات المسرح المكتوبة باللغة المحلية وهي تقدم ضمن عروض المسرح القومي في باماكو وهناك ايضا فرقة الفنون الشعبية وفرقة أخرى للغناء وموسيقى الآلات التقليدية وهي غير مسرح فريق الباليه الأفريقي . اما السينما فقد كان ابرز اعمالها فيلم روائي اثار ضجة كبيرة بسبب جرأة المعالجة وهو فيلم يحمل اسم «مكان تجميع الفضلات» . وهناك عمل آخر انتجته مالي بالاشتراك مع اليونان ويحمل عنوان «تيالي مارك» .

والتليفزيون في مالي هو أحدث وسائط التعبير الإعلامي وهو مع الراديو اكثر اجهزة الإعلام انتشارا والتليفزيون في مالي يقدم الأعمال الفنية المحلية والأعمال الأجنبية المختلفة غير ان اهم الأعمال الفنية التي لقيت التجاوب من جمهور المشاهدين كانت تلك المعتمدة على اصول دينية إسلامية . مثل فيلم «الرسالة» اخراج مصطفى العقاد والحلقات التليفزيونية الدرامية «محمد رسول الله والذين معه» قصة امينة الصاوى واخراج احمد طنطاوى وهذه الأعمال تقدم باللغة العربية ويصحبها تعليق وشرح وترجمة للحوار باللغة المحلية المعروفة باسم لغة البامبارا .

ويبقى ان نتحدث عن ابرز المشروعات الثقافية طموحا في غرب افريقيا وهى مشروعات احياء الدور الحضارى والثقافى للعاصمة القديمة تمبوكتو ، وانعاش دور مدرستها الثقافية في الفكر والفلسفة الإسلامية وهو ما علمته من الاقتصادى أدريس كيتا وزير التنمية في مالي والسكرتير العام السابق لمنظمة دول وسط افريقيا وهو ايضا المسئول عن احياء تراث مدينة «تمبوكتو» التي يهددها اليوم خطر التصحر ، الذى يقلق حاضرها ويبعثر تراثها الحضارى الذى يضم عددا هائلا من المخطوطات العربية النادرة مثل كتابات جلال الدين السيوطي وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم .

ان مشكلات الصحراء الكبرى المتصلة بخطر التصحر تترك بصماتها على المنطقة المجاورة للعاصمة القديمة تمبوكتو التي كانت في القرن الرابع عشر الميلادى احد ابرز مراكز المعارف والثقافات الإسلامية وكان لها دور هام في تدعيم الاتصال الثقافى الإسلامى في تلك البقاع الواقعة في افريقيا جنوب الصحراء العربية الكبرى .

ان خطر التصحر ينعكس على حال مدينة «تمبوكتو» ، كما ينعكس على اتصالات شمال افريقيا بغرب القارة وهو وضع لم يكن بنفس الخطورة في الحقب الماضية وبرغم التسليم بالبعد الجغرافى وما استجد من ابعاد جيوبوليتيكية في مرحلة الاستعمار الغربى ، ومع وجود هذا العازل التضاريسى الضخم الذى لم يحل دون الاتصالات والرحلات خلال القرون الماضية .

لقد اصبحت تمبوكتو الآن ـ وكما عرفت من الاقتصادى ادريس كيتا وزير التنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ عاصمة الاقليم الشمالى بعد ان كان هناك عاصمة اخرى ، وقد اقر مؤتمر المدن والعواصم الاسلامية مشروعا طموحا يجرى التخطيط لتنفيذه

بالتعاون مع المصرف الإسلامى . وحكومة مالى بشأن تدعيم مركز احمد بابا للمخطوطات فى تمبوكتو . وهو المركز الذى يضم عددا ضخما من الأصول القيمة التى تتصل بفنون وثقافات ومعارف وقته واحدة من ازهى فترات صحوة الفكر الإسلامى فى افريقيا . ونظرا لوعورة الظروف الطبيعية فى المنطقة خاصة مع سنوات الجفاف والقحط ومع صعوبة الانتقال الى مدينة تمبوكتو بالطرق البرية . هناك دراسات تجرى لتطوير الميناء الجوى (مطار تمبوكتو) بجانب ماتجرى على انشاء احد السدود القريبة من تمبوكتو على مجرى نهر النيجر ومد فرع من النهر الى المدينة . بعد ان ردم الأهمال والتصحر الترعة الملاحية التى كانت تصل تمبوكتو بالمجرى الرئيسى لنهر النيجر .

ان مشكلة تمبوكتو وتقلص دورها الحضارى يرجع فى الأصل الى صعوبات الوصول اليها . فالطرق البرية التى تربطها بالجزائر وموريتانيا والمغرب والسنغال والنيجر تعانى من غزو رمال الصحراء وتهديد موجات التصحر والطريق الجوى معطل بسبب تخلف امكانات مطار تمبوكتو والطريق الملاحى النهرى بطىء تستغرق رحلته من باماكو فى الجنوب وحتى تمبوكتو فى الشمال نحو أسبوع فى الذهاب ومثله فى العودة .

لقد عادت تمبوكتو من جديد الى بؤرة الاهتمام الثقافى من خلال ادراك دورها التاريخى والحضارى . وذلك بعد اهتمام منظمة اليونسكو ومنظمة المدن والعواصم الإسلامية بواقعها الحالى واهميتها الزمنية وبجانب خطط ومشروعات المصرف الإسلامى هناك معاونات من عدد من بلاد العالم من بينها هدية جمهورية البوسنة والهرسك اليوغوسلافية المدينة والمتمثلة فى اقامة مركز ثقافى وتعليمى وتجرى حديث بجانب التخطيط لإقامة متحف لمدينة تمبوكتو يعد مع دار المخطوطات احد اهم سبل العمل لوضع سياج من الحرص لحماية التراث الحضارى لهذه العاصمة القديمة ذات الاسهامات الحضارية الواضحة فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى القارة الافريقية .

على غير موعد

[illegible] إبراهيم

ليا جارتا .. نحن التقينا وضمنا ... كما ضمّ حجّاج الأقاليم مجمعُ
على حين الهانى الخطوب ولم يعُدْ ... لحقُّ العيون النجل فى القلب موضع
غريبان مُذْ كنا فكيف تجمّعت ... بنا الدارُ أم حنَّ الفؤادُ الموزّعُ
تناولنى رخص البنان كأنما ... تدلتى الىّ الموت ثم ترفع
لقول وتقسى كالشتيت وبينها ... ويعنى تراح ليتها ماتودع
لماذا تقس لم تزل "ليت" عندها ... هى السر والعهد الذى لا يُضيع
وكيف اعتبطتى بالليالى ولم أزل ... اذا قلت طاب مضجع مل مضجع

يوغسلاف من أصل عربي وآخرون من أصل أفريقي

بقلم : د . جمال الدين سيد محمد

الفكرة الشائعة عن اليوغسلاف انهم شعب أوربي ، لونهم ابيض ، لذا فان معلومة وجود مواطنين يوغسلاف تتراوح سمرة بشرتهم بين ، اللون القمحي ، المنتشر في البلاد العربية ، وبين الأسمر الداكن الذي لا يرى إلا في إفريقيا تعد معلومة على درجة كبيرة من الغرابة .

الأغلبية الساحقة من هؤلاء اليوغسلاف السمر مسلمون ، وكثير منهم يعرف اللغة العربية ، وبعضهم يعرف أصله العربي أو الافريقي معرفة دقيقة .

وكثير من هؤلاء اليوغسلاف ذوى الأصل العربي ـ الافريقي ، يعيشون في مدينة ، أولتسيني ، الواقعة على ساحل بحر الادرياتيك (جمهورية الجبل الأسود) ويبلغ تعدادها حوالى ستة آلاف نسمة .
من أين جاء هؤلاء اليوغسلاف وماهي أصولهم ؟ وكيف ظلوا على إسلامهم وحافظوا على لغتهم العربية حتى الآن ؟

لقد كان الباحثون وعلماء التاريخ يعتقدون ـ الى عهد غير بعيد ـ أن العلاقة بين اليوغسلاف والمسلمين العرب لم تنشأ إلا مع سيطرة العثمانيين على الأراضي اليوغسلافية (القرن الخامس عشر الميلادى) ، ولكن بمرور الزمن ، وتعدد الأبحاث ، ثبت عدم صحة هذا الاعتقاد ، وبدأت تتكشف الأواصر الأولى لهذه العلاقات ، وتعود بها الى تاريخها الأول ، قبل التواجد العثمانى بالأراضى اليوغسلافية ، وبدأت كتب التاريخ القديمة تفتح أوراقها الصفراء ، وتقدم الأسانيد التاريخية على وجود علاقات متعددة قبل هذا التاريخ بزمن بعيد .

ويقتضينا الأمر أن نعود الى الماضى ، وبالتحديد ، إلى القرن السادس الميلادى ، حيث أخذ أسلاف اليوغسلاف ـ وهم السلاف الجنوبيون ـ يتدفقون بشكل متواصل عبر نهر الدانوب ، ويستوطنون فى شبه جزيرة البلقان خلال القرن السادس ، وحتى العقود الأولى من القرن السابع الميلادى ، قد أدت هذه الهجرات الى تغيرات عنصرية أساسية وجذرية فى شبه جزيرة البلقان ، وامتدت الى المناطق اليونانية جنوب شبه الجزيرة التى كانت تتاخم حدود الامبراطورية البيزنطية ، وقد اعتبر الحكام البيزنطيون هذه الهجرات السلافية بمثابة تهديد لسلامة وأمن الامبراطورية ، وأدى ذلك إلى نشوب معارك وغلوات عديدة بين الطرفين تتراوح بين دخول الجيش البيزنطى أملاك وأراضى السلاف الجنوبيين وإغارة السلاف على أراضى الامبراطورية البيزنطية .

وفى بداية القرن السابع الميلادى لم يكن لدى الامبراطورية البيزنطية مايكفيها من الجنود لذا فقد شرع الامبراطور هرقل فى تشكيل جيش بيزنطى جديد عن طريق إدخال نظام الأجناد أو الثغور ويتمثل جوهر هذا النظام فى استقرار الجند بأقاليم آسيا الصغرى ، وجرى إطلاق كلمة أجناد على الأقاليم الحربية التى نشأت حديثا وترتب على ذلك أن الكلمة التى كانت تطلق على لواء الجند صارت تطلق على الأرض التى تحتلها القوات العسكرية ، وتقرر منح الجنود مساحات من الأراضى شريطة أن تكون الخدمة العسكرية وراثية مقابل ذلك . وفى البداية جرى توطين الجنود البيزنطيين ، إلا أن عددهم لم يكن كافيا بالمرة ، وكانت هذه مشكلة من أصعب المشاكل التى واجهها الامبراطور هرقل .

● رشوة نيقولا ●

بيد أن العجز الناشىء فى صفوف الجيش البيزنطى لم يكن بالامكان سده إلا عن طريق السلاف الجنوبيين الذين أصبحوا فى ذلك الحين بالذات على اتصال وثيق بالامبراطورية البيزنطية نتيجة لهجرتهم إلى الأراضى البيزنطية ثم استيطانهم بها . وهكذا انضم السلاف الجنوبيون الى الجيش البيزنطى لكى يعملوا به جنودا ومزارعين يحصلون بعد استيطانهم على أراض زراعية . وأصبح هؤلاء الجند الفلاحون المستوطنون فى الأجناد (أو الثغور) عنصرا ثابتا فى قوات الجيش البيزنطى ، وأمدتهم فى قطاعاتهم بالوسائل الاقتصادية التى تكفل لهم سبل العيش وتدريبهم تدريبا عسكريا فضلا عن أنهم كانوا يتقاضون رواتب

يوغسلاف

من أصل عربي وآخرون من أصل أفريقي

منتظمة . وهكذا تم تطعيم الجيش البيزنطى بدماء شابة جديدة من السلاف الجنوبيين الذين يرجع إليهم الفضل فى الانتصارات التى سيحققها الجيش البيزنطى فيما بعد .

وقد قام الامبراطور جستنيان الثانى بعد عامى ٦٨٨ ـ ٦٨٩ م . بتهجير كثير من السلاف الجنوبيين من منطقة شبه جزيرة البلقان الى ثغر الأبيسق فى آسيا الصغرى حيث تم من قبل توطينهم . وفى عام ٦٩٢ م . كون الامبراطور من هؤلاء السلاف المهجرين جيشا قوامه ثلاثون الف جندى وتوجه بهم لمحاربة العرب فى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان . واضطر العرب ، رغما عنهم ، إلى قبول الحرب المفروضة ، إلا أن قائد الجيش العربى نجح فى رشوة قائد الجيش البيزنطى ، وهو القائد السلافى نيقولا ، وكانت غالبية جنوده من السلاف الجنوبيين ، وعلى إثر ذلك انتقل القائد السلافى الى صف العرب ومعه ٢٠ الفا من اتباعه فى المعركة التى جرت فى سفا ستيبول بقليقيا ، وبذلك تمكن العرب من الانتصار وانهزم البيزنطيون هزيمة منكرة .

واخذ العرب يوطنون اللاجئين من السلاف الجنوبيين فى سوريا واستخدموهم كجنود فى معاركهم التالية مع بيزنطة . وبعد ذلك مباشرة قام العرب بالهجوم على الامبراطورية البيزنطية . ولا شك أن السلاف الجنوبيين قد أدوا للعرب خدمات جليلة نتيجة لمعرفتهم بالأراضى البيزنطية غير أن السلاف الجنوبيين لم يقدموا أية مساعدات للعرب فى هجماتهم على القسطنطينية . وفى عامى ٦٩٢ ـ ٦٩٤ م . قام بعض العرب بالاشتراك مع السلاف الجنوبيين فى نهب مناطق آسيا الصغرى . ومما يذكر أن مروان بن محمد عين اثنين من السلاف الجنوبيين ولاة على المناطق الواقعة على الحدود العربية البيزنطية .

وقد ظل اللقب العربى الذى اطلقه العرب على السلاف الجنوبيين وهو « الصقالبة » مسجلا فى اسم القلعة السلافية « حصن الصقالبة » . ووفقا لما كتبه ابن خرداذبة فى كتابه « المسالك والممالك » فإن الحصن يقع بالقرب من لوادن ، وهى قلعة بيزنطية تقع على الحدود بين سوريا وقبادوكيا وكانت تحرس الممر الرئيسى عن طريق طاوروس . وإطلاق هذا اللقب يفترض أنه كان يوجد بالجيش العربى جنود يعرفون اللغة السلافية .

● تبادل العبيد بالقمح ●

وجدير بالذكر انه منذ القرن الثالث عشر الميلادى ومدينة دوبروفنيك اليوغسلافية الواقعة على ساحل بحر الأدرياتيك ـ ترتبط بعلاقات تجارية منتظمة مع مصر وتونس وغيرهما من البلاد العربية . وكانت تنقل البضائع على سفنها سواء الكان لحسابها أم لحساب غيرها من الدول . وهناك وثائق محفوظة

فى يوغسلافيا تتحدث عن العلاقات الدبلوماسية والتجارية وعن المشاكل التى نشأت بين جمهورية دوبروفنيك وبين المغرب والجزائر وطرابلس ومصر .

وقد سجل المؤرخون انه منذ بداية القرن الرابع عشر أخذت تنتشر بدعة امتلاك العبيد الزنوج من افريقيا ، وهى بدعة سادت قصور الأمراء والأثرياء وقواد السفن وكبار التجار فى دول البحر الأبيض المتوسط . ونشأت هذه البدعة نتيجة العلاقات التجارية المتعددة مع دول المشرق حيث كان الحكام المسلمون وكبارهم يحيطون أنفسهم بالحرس وبالعبيد الزنوج الذين كانوا يباعون فى

الموانىء البحرية فى المنطقة الممتدة من الجزائر وحتى بورسعيد فى مصر . وكان من المعتاد أن يتم استبدال العبيد والزنوج بالقمح والشاى والسكر ومختلف السلع الغذائية وكان البحارة يبيعون فى أغلب الأحيان هؤلاء الزنوج فى موانىء البحر الأبيض لأشخاص يعقدون معهم مسبقا اتفاقات مكتوبة .

وليس من قبيل المصادفة المحضة أن الحمل كان رمزا لمدينة « اولتسينى » اليوغسلافية حتى منتصف القرن السادس عشر . وكانت هذه المدينة تعيش حياة مسالمة خوفا من القراصنة ومن الحروب ، وكان سكانها يعيشون على الزراعة بوجه عام وعلى زراعة الزيتون بشكل خاص وكذلك على الحرف اليدوية وعلى التجارة . ولكن لم تكن هذه المدينة تمتلك سفنا خاصة بها .

وفى اكتوبر عام ١٥٧١ م حدثت معركة عند « ليبانت » وانهزم الأسطول التركى انهزاما مريعا أمام أسطول الحلف المقدس ، إلا انه بعد انتهاء المعركة مباشرة وقعت مدينة « اولتسينى » تحت السيطرة العثمانية وترك السكان الأصليون مدينتهم ، وسمح السلطان التركى للقرصان العربى « على » بأن يوطن رجاله فى المدينة المهجورة المدمرة كدليل على العرفان بالجميل والشكر من جانب السلطان التركى مقابل الخدمات التى أداها له القرصان المشهور ، فقد اشترك فى صف الأتراك فى المعركة المذكورة ، ولكن مساعدته لم تستطع أن تغير من مصير الأسطول التركى . إلا أن القرصان العربى ورجاله من القراصنة الشجعان حاربوا بشرف من أجل الامبراطورية العثمانية

وقبل القراصنة بحماس بالغ عرض السلطان العثمانى . وكان معظم هؤلاء القراصنة من الجزائريين . واستوطن حوالى أربعمائة منهم فى مدينة « اولتسينى » اليوغسلافية . وكان بينهم عدد كبير من الزنوج الافارقة . ومنذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا والزنوج والعرب يعيشون معا ويتزاوجون وينجبون الأجيال المتلاحقة فى هذه المدينة اليوغسلافية الواقعة فى أقصى جنوب الساحل الأدرياتيكى .

وبعد استيطان القراصنة من الأفارقة والعرب فى مدينة اولتسينى استأنفوا حرفتهم القديمة الا وهى القرصنة . وفى هذه المدينة كان لديهم جميع الظروف المواتية للقرصنة من الساحل الذى تكثر به الحفر والثغرات الصالحة للاختفاء

يوغسلاف
من أصل عربي
وآخرون من أصل أفريقي

والاحتماء ، ومن صخور مرتفعة عالية لمراقبة السفن في غدوها ورواحها . وما لبثت أن أصبحت لهؤلاء القراصنة السيادة المطلقة على ساحل الادرياتيك بطوله . وكان بعض زعماء القراصنة يطلق على نفسه اسما أو لقبا معينا للشهرة مثل « السيف » أو « العين السوداء » أو « سوط صقلية » أو ماشابه ذلك . وبغض النظر عن هذه الأسماء والألقاب فقد كان لكل زعيم من زعماء القراصنة عدد من الزنوج على سفينته . وكان القراصنة يقدرون أيما تقدير هؤلاء الزنوج الموجودين على سفنهم . ولم يكن هذا التقدير عفويا أو بلا سبب . فكلما هاجم القراصنة سفينة كان الزنوج هم أول من يهجم عليها ويقتحمها في جسارة وبلا تهيب . وكان القراصنة الزنوج يستلون في ذلك الحين سيوفا ضخمة ، وحيث إنهم كانوا يرتدون ملابس مزركشة فقد كانوا يدخلون الرعب في قلوب أفراد السفينة الضحية . وكانوا يصيحون ويهتفون أثناء هجومهم على السفينة بالاسم الفظيع المرعب لزعيمهم . وعلى إثر هذا الصياح المفزع وهذا الهتاف المرعب يستسلم تجار السفينة المهاجمة بلا أدنى تردد .

وكان القراصنة يوزعون الغنائم كلها بالتساوى فيما بينهم وبين الزنوج ويتم اقتياد الأسرى من المسافرين والبحارة إلى مدينة « أولتسيني » حيث يتم بيعهم في سوق العبيد . ونظرا لأنه كانت توجد بين الأسرى شخصيات هامة فقد كان القراصنة يحصلون على مبالغ ضخمة من المال فدية لهم . تذكر السجلات الرسمية لهذه المدينة أنه ، على سبيل المثال اضطرت السيدة لوتسيا زوجة السيد إيليا مرفيتسا من قرية برتشانيا بيوغسلافيا ـ إلى أن تفتدى زوجها بمبلغ كبير . وتذكر كذلك أن السيد بوجه تريبوف وهو أيضا من قرية برتشانيا توفى وهو مازال عبدا فاقدا لحريته في مدينة « أولتسيني » في الخامس عشر من أغسطس ١٦٦٨ م .

● سيرفانتس عبدا ●

ويذكر العالمون بماضى وتاريخ مدينة « أولتسيني » أنه توجد وثيقة في مدينة نيس الفرنسية يتضح منها أن الكاتب الأسباني المشهور « سيرفانتس » ، مؤلف رواية « دون كيشوت » كان عبدا لدى قراصنة مدينة « أولتسيني » . ولكن تم إطلاق سراحه بعد تدخل فينيسيا مباشرة . ورغم كثرة الحديث عن هذه الوثيقة فإنها لم تظهر علانية أبدا .

وخلال القرون التالية كانت توجد على الدوام بمدينة « أولتسيني » من اثنتى عشرة إلى عشرين جماعة من القراصنة . وكان لدى كل جماعة سفنها العديدة التي كانت تستخدم لنقل الزيتون والزيت . وبعد تحميل السفينة وتحريكها وهي تحمل راية الدولة التي تكون على صلات طيبة مع الدولة صاحبة السفينة يقترب منها

القراصنة للاستيلاء عليها . ويبدأون هجومهم عليها وسلبهم لها واحمولتها ، ونتيجة لذلك اكتظت أقبية منازل القراصنة بالثروات المتنوعة .

وكان هؤلاء الأفارقة يقيمون منازل جميلة الشكل والبناء بجانب منازل زعمائهم في أغلب الأحوال . وكان زعماء القراصنة يهتمون اهتماما بالغا بتزويج هؤلاء الزنوج ولا يبخلون بالمال في هذا المجال ويتم حينذاك تزيين إحدى السفن بأجمل الزينات وترحل وعليها العريس الزنجي إلى أحد المواني‌ء الافريقية حيث يختار عروسا له . وحينما تعود السفينة بالعروس إلى « أولتسيني » لا يجرؤ بل ولا يفكر أحد من القراصنة التابعين لأية جماعة في سلب السفينة أو حتى الهجوم عليها . وعند وصول السفينة إلى المدينة حاملة العريس وعروسه يستقبلهما أهل المدينة استقبالا حافلا رائعا ويرافقونهما بالغناء والرقص والموسيقى حتى منزلهما . وكانت من عاداتهم ان يقدم العريس الزنجي بعد زواجه مباشرة الاقتراح الجديد بعملية القرصنة التالية ذلك لأنهم كانوا يعتقدون انه سعيد الحظ وأن هذه العملية ستأتي بالوفير من الغنائم .

ومن الأساطير الطريفة التي تحكي حتى الآن في مدينة « أولتسيني » اليوغسلافية أساطير تتعلق بالحياة التي تحياها زوجات الزنوج . فقد كن ـ تشبها بزوجات باقي القراصنة ـ يتعودن بسرعة على الوحدة وعلى النظر إلى مياه البحر والتأمل فيها انتظارا لعودة الزوج . ونادرا مايحدث الا تنجب زوجة الزنجي . وإذا ماحدث ذلك فقد كان الزوج يهجر زوجته ، ولم يكن ليتركها في « أولتسيني » بل كان يصحبها إلى مكان بعيد ، غالبا ما يصحبها إلى افريقيا من حيث اتى بها . وفي أحيان أخرى كان ببساطة يلقي بها من السفينة ويذهب الى أي ميناء آخر لاحضار عروس جديدة .

لم يهتم أهل « أولتسيني » كثيرا بقرارات الدول العظمى آنذاك واستمروا في هجماتهم على السفن وعلى المدن الساحلية . وبالرغم من أن معاهدة بلغراد لعام ١٧٣٩ قد حرمت على هؤلاء القراصنة ممارسة اعمالهم فإنهم صموا اذانهم أمام كل المعاهدات . وهناك وثيقة ترجع لعام ١٧٦١ تشكو فيها مصلحة التجارة بجمهورية فينيسيا من ازدياد قوة قراصنة « أولتسيني » لدرجة انهم اقاموا لهم مستوطنات في المواني‌ء الرئيسية لسوريا ومصر .

واستمرت المناقشات العديدة عن قراصنة أولتسيني حتى عام ١٨١٥ م . حينما صدرت اتفاقية باريس بمنع القرصنة . ومن العسير الاعتقاد بأن هؤلاء القراصنة كانوا سيحترمون مواد هذه الاتفاقية لو لم تسيطر السفن التجارية على البحار وتفرض سيادتها على مياهها ، وكانت هذه في الحقيقة هي النهاية الفعلية للقرصنة .

وهكذا انتهى عهد القرصنة في « أولتسيني » اليوغسلافية ولكن ظل الأفارقة والعرب يعيشون ويتعايشون حتى يومنا هذا في يوغسلافيا في ظل التغيرات العالمية المتباينة .

كتاب الشهر

مختصر تاريخ مصر

تأليف : عفاف لطفي السيد

عرض : هبة عادل عيد

يعد هذا الكتاب نموذجا للكتب التي تدرس تاريخنا المعاصر بعيون أجنبية ، فعلى الرغم من أن كاتبته مصرية فإن اقتناعها بوجهة النظر الغربية يبدو واضحا في عرضها وتحليلها لتاريخنا المعاصر .

وتبدو محاولة الكاتبة من أول وهلة التركيز على توضيح التأثير الكبير والمباشر للظروف الاقتصادية على أشكال الحكومات المتعاقبة على مصر ، وبالتالي على السياستين الداخلية والخارجية .

لقد استعرضت عفاف لطفي السيد تاريخ مصر بشكل مختصر منذ الفتح الإسلامي ، حتى عهد الرئيس مبارك . والفكرة المحورية في الكتاب هي أن الفجوة بين الشعب والحكام لم تضق يوما بسبب أن مصر لم يحكمها أهلها إلا بعد ١٩٥٢ ، أي أن تاريخ مصر الحديث كله ـ كما تقول ـ لم يصنعه أبناؤها .

بل أكثر من ذلك فهي تعتبر بغداد غريب ، على أن العرب كانوا أجانب وأغراب بالنسبة للمصريين وظلوا كذلك .

وفي البداية لابد من مناقشة هذه القضية ، التي يروج لها الآن بشكل أكثر تركيزا ، وملاحظتنا عليها تشمل عدة نقاط نجمل أهمها في النقاط التالية :

ـ لقد غاب عن الدكتورة عفاف لطفي السيد ، أن الدين الإسلامي كعقيدة لم يفرق بين البشر كأجناس ، إلا كان مبدأ ، لا فرق بين عربي أو





أعجمي الا بالتقوى ، هو أســـاس الدعوة وأساس انتشارها ، وتميــز كل من دخل فيها ·
الاسلام بانه عقيدة توحد تحت رايتها

ــ ان فكرة القومية التي تحدثت عنها الكاتبة ، وعلى أساسهـــــا اقامت فكرة الاجانب ، لم تـــــكن معروفة بمعناها السياسي الحديث ، كما ان ظروف الماضي كانت مختلفـــة كليا ، فمثلا لا يمكن تصور أن يجيء المصريون بجندي البانى (محمد على)

كان يحارب في جيش اعتبره معاديا لهم ، ليقيموه حاكما عليهم · لكننا اذا ما حاولنا فهم ذلك في ظـــروفه وتاريخه بدا لنا الامر مغــــايرا تماما ·

ــ ان ظروف الفتح العربي لمصر ، وعلاقة الجوار بين الجزيرة ومصـــر وما ترتب عليهما ، يشيران الى انه اولا يجب الا ننظر الى انتشـــــار العقيدة بالمعايير العادية ، والا فكيف انتشر الاسلام وقبله أهــــل مصر ، ودخلوا فيه ، والمؤلفة نفسها تشير بقوة الى ان المصريين كانوا يعيشون تحت اضطهاد البيزنطيين وجـــاء المسلمون بعقيدتهم وخلصوهم ــ في الواقع ــ من هذا الاضطهاد · ولانقف طويلا امام قولها أن المصريين دخلوا الاسلام هربا من دفع الجزية ، اذ ان دفع الجزية في حينه كان أيســـر ، في الواقع ، من التزام المسلمين بالزكاة ، والجهاد الذي يجــــودون فيه بأرواحهم ·

أما بالنسبة لعلاقة المصريين بالعرب قبل الفتح الاسلامي ، فقد امتـــدت العلاقات التجارية ، كما لجأت قبائل عربية عديدة الى مصر وبقيت فيهـــا ، ولم تتوقف الموجات العربيــــــة من الجزيرة الى مصر ·

على أية حال فان الكـــاتبة تمضي في تتبعها نظام الحكم في مصـــر بعد الفتح الاسلامي ، فتم نقـــــل العاصمة من الاسكندرية الى الفسطاط

كتاب الشهر

ورويدا رويدا بدأت اللغة العربية تأخذ مكانها على ألسنة المصريين وحتى الاقباط اقبلوا على تعلم اللغة العربية ، حتى يستطيعوا العمل ، والمشاركة فى الحكم . وفى عهد الامويين انتقلت العاصمة الى دمشق ورغم أن حكام بنى أمية وخلفاءهم العباسيين لم يكونوا مثلا يحتذى فى العمل بالقرآن فانه كان دائما هناك (القاضى) الذى تلمس عنده المصريون العدل .

وبعد استعراضها الدءوب لتقلب انظمة الحكم فى مصر تنتقل بنا الى بداية « الدولة الحديثة » فى عصر محمد على ، وهو الذى تتوقف امامه الوقفة الاطول .

● استقلال سياسى واقتصادى ●

محمد على هو الذى جعل لمصر شكل الدولة .. بالمفهوم العصرى لهذه الكلمة .. اذ انه عمل على ان تكتفى مصر ذاتيا فى مجالى الزراعة والصناعة .. واهتم محمد على بالجيش ليحمى منجزاته .. وواكب ذلك نهضة علمية كبيرة لتخريج جيش على احدث المستويات العلمية لهذا الوقت .. فاستطاع بذلك ان يبنى لمصر جيشا قوامه ١٠٠ر٠٠٠ جندى .. وهذه النظرة المتقدمة المتكاملة للامن القومى والاستقلال الاقتصادى نتيجة الاكتفاء الذاتى .. هى التى جعلت من محمد على احد صناع تاريخ مصر الحديثة .. رغم ان محمد على كان اميا لا يجيد القراءة والكتابة ..

ايضا كان محمد على يريد ان تتحد مصر مع جيرانها ، مع السودان والحجاز وسوريا .. لان ذلك من شأنه ان يدعم الاستقلال الذاتى لتلك البلاد .

وللاسف فان اولاد محمد على لم يتمتعوا بمثل هذه النظرة المتكاملة فسرحوا الجيش واهملوا التصنيع الذى بداه أبوهم .. ولم تقف الامور عند هذا الحد ومنذ عصر سعيد .. الذى اعطى امتياز حفر قناة السويس .. لشركة فرنسية بشروط اقل ما يقال عنها انها مجحفة .. ثم جاء اسماعيل باسرافه .. الذى دفعه حتى الى بيع اسهم مصر من قناة السويس بثمن بخس .. ووصلت الامور الى الحد الذى لم يستطع معه اسماعيل ان يسدد حتى فوائد ديونه .. وطلب اسماعيل المساعدة من الدول الاوروبية التى كانت تخطط لهذه اللحظة وتنتظرها بعد ان اعدت لها جيدا .. ومنذ ذلك الوقت خضعت مصر للتدخلات الاجنبية فى شئونها بحجة ضمان تسديد الديون .. وتم تعيين وزير انجليزى واخر فرنسى لاول مرة فى الحكومة المصرية ..

ونشط ملاك الاراضى الاثرياء يضغطون بشدة من اجل تشكيل برلمان وحكومة يكون لهم صوت فيها .. وسط الاحوال المتردية التى تمر عليها البلاد .. وذلك حتى يضمنوا الحفاظ على ممتلكاتهم ومصالحهم .. وقد استطاع هؤلاء التاثير على توفيق لتحقيق مطامعهم .. وذلك لانهم كانوا اعضاء فى المجلس الماسونى معه ..

وأعقب ذلك أن استقطب (الباشوات) الاثرياء عددا من الشباب ·· وحفعوه الى اقامة مظاهرات تطالب بحياة نيابية وحكومة جديدة ·· وقد عرف هؤلاء الاثرياء بأنهم يريدون تطبيق المبدىء الليبرالية فى مصر ·· على اعتبار انهم ليبراليون · ولم يمانع هؤلاء الليبراليون فى أن يدخلوا معهم البرجوازية الكبيرة والمتوسطة الحكومة الجديدة ·· ذلك لانهم كانوا ايضا يمتلكون أراضى ، ولهم مصالح يهمهم الدفاع عنها ·

ثم تورد د · عفاف لطفى السيد التفاصيل التى سبقت الاحتلال البريطانى لمصر ·· والذى جاء بناء على طلب الخديوى ، الذى ظن انهم سيعيدون النظام فى البلاد ·· ثم يرحلون الى بلادهم · ولم يكن الخديوىيتصور أن الجيش الانجليزى قد جاء ليبقى ، وأن منطقة قناة السويس ·· قد اصبحت فى استراتيجيتهم السياسية ·· حقا يجب ان يحافظوا عليه ··

وفى هذا السياق تروى مؤلفة الكتاب واقعة تسخر فيها من الشعب المصرى بصورة لاداعى لها ·· !

● الاحتلال الانجليزى لمصر ●

واول ما يلفت النظر··أن مجموعة الليبرالية ·· سارعوا لاعلان فروض الولاء والطاعة للخديوى وللبريطانيين بعد غزوهم لمصر · خشية فقدهم لنفوذهم فى هذه الظروف الجديدة ·· وايضا تحمل الفلاح المصرى نتيجة هذا التعاون ·· بالاضافة الى خسائره فى الارواح فى مقاومته للاحتلال الانجليزى مع عرابى ··

وكانت السياسة البريطانية فى مصر هى سياسة (ملء البطون ·· بمعنى انهم كانوا مقتنعين بأن المصريين لايعنيهم حكم انفسهم ذاتيا ·· بقدر ما يعنيهم توفير غذائهم أما الصفوة الليبرالية فلا مانع من أن يزدادوا ثراء وبالتالى يصبح التعاون مع قواتهم امرا بديهيا ·

ثم ظهر مصطفى كامل ·· الذى شجعه الخديوى عباس حلمى على السفر الى فرنسا للتأثير فى الرأى العام العالمى ، وجاء حادث دنشواى وبدأت الحرب العالمية الاولى ، ومرة اخرى عانى الفلاح المصرى فى تلك الفترة اكثر من اى فئة اخرى فالنفقات الكبيرة للحرب تحملها من قوت يومه ، عندما اجبره البريطانيون على ترك حقله والعمل على تمهيد الطرق وتعبيدها لجيش الاحتلال الذى كان يحتاج الى طرق مواصلات لسهولة وصول الامدادات والمؤن والاسلحة التى يحتاجون اليها ·

وعند نهاية الحرب ظهرت الولايات المتحدة كقوة متنامية على الصعيد الدولى ، تطمع فى اخذ مكان لها ، فأعلن ويلسون مبادئه الاربعة عشر وأثار مبدأ حق تقرير المصير للشعوب ضجة كبرى ، اذ كان بمثابة اعتراف بالظلم الواقع على شعوب كثيرة محرومة من هذا الحق ·· ولكن الكاتبة تغفل الاسباب والدواعى التى دعت ويلسون الى اعلان هذا المبدأ ، ذلك ان الولايات المتحدة كانت قد بدأت تفكر فى المقابل الذى يمكنها الحصول عليه من الحلفاء كثمن لدخولها الحرب معهم ··وهذا الثمن كان مشاركة قوى الاستعمار القديم بهدف ازاحتها نهائيا والحلول مكانها ، ولكن بأساليب اخرى اكثر عصرية ، واكثر ملاءمة للظروف

للوضوعية والتاريخية ..

وتم اعلان الامير فؤاد ملكا على البلاد . وفي عام ١٩٢٢ اعلن البريطانيون الغاء الحماية على مصر .. ووقف العمل بقانون الطوارىء

● فشل التجربة الليبرالية ●

ولكن رغم هذا الاعلان فان البريطانيين وضعوا اربعة تحفظات عليه .. كانت تعني ببساطة ان مصر لم تستقل بعد . وهذه التحفظات هي ..

● حق الدفاع عن مصر ضد اى تدخل اجنبي .

● تأمين المواصلات الى الامبراطورية البريطانية (وهذا الشرط خاص بقناة السويس التى لولاها ما كانت للانجليز اهمية خاصة) .

● حق حماية المصالح الاجنبية والاقليات .

● حق الدفاع عن السودان .

وسمح بتكوين احزاب في البلاد فكان حزب الوفد وحزب (الاحرار الدستوريين) .. المنشق عنه ..

وسمح لسعد زغلول بتشكيل الوزارة .. وما بين قصر عابدين حيث الملك فؤاد يتربع على عرش مصر وقصر الدوبارة حيث المندوب الانجليزى هو الحاكم الفعلى للبلاد والملك غير المتوج . كان على سعد زغلول ان يوازن بين اختياراته ... الممكن منها والمستحيل .. وكان عليه ايضا الا يقطع الخط الذى يصله بالاثنين .. وفى نفس الوقت عليه ان يظل المتحدث الرسمى عن جموع الشعب .

ولم ينجح سعد زغلول فى التفاوض مع البريطانيين بشأن التحفظات الاربعة ... وبعد ذلك بجيء حادث اغتيال السير لى ستاك في السودان ويقدم سعد زغلول استقالته بعد ان حرر شيكا بنصف مليون جنيه للبريطانيين على سبيل التعويض ..

وتوالت الوزارات . وزارة يضعها الملك .. ووزارة الوفد ..

وتجدر الاشارة الى ان البرلمان الذى كونه ملاك الاراضى فى هذا الوقت . لم يهتم بالفلاح او العامل ادنى اهتمام .

ولبيان مدى الظلم الواقع على هاتين الفئتين - تقول الكاتبة - ان نصف الاراضى الزراعية فى الدولة كان يملكها ١٦-٢٢ من ملاك الاراضى . اى ان نصف الاراضى الزراعية كان يتحكم فيها ٢٪ من سكان مصر . فى حين ان ٦٦٪ يمتلكون ٢٠٠-٣٠٠ فدان فمثلا عندما جاء الملك فؤاد الى الحكم كان يملك ٨٠٠ فدان . وفى نهاية عهد الملك فاروق فى عام ١٩٥٢ عندما انحسرا ممتلكاته بلغت ١٠٠ الف فدان .

ايضا تذكر د . عفاف لطفى السيد ان اصحاب الاراضى من الاثرياء تعاونوا مع الانجليز لتتحول مصر الى بلد يزرع محصولا واحدا هو القطن، ذلك لانه يضمن لهم الربح والثراء ، ولكنه فى نفس الوقت يربطهم اكثر واكثر ويقرب بينهم وبين بريطانيا ، المشترى الرئيسى للقطن . فهذه الصلة الاقتصادية كان لها انعكاس طبيعى على العلاقة السياسية بين هؤلاء

(كانوا يحكمون ولهم رأى فى البرلمان) وبين بريطانيا .. اذ انها حطمت معارضتهم للاحتلال البريطانى فى مصر ..

وكانت فى بعض الاحيان لاتمكن وزارة اكثر من اسبوع واحد .. ثم تقال او تستقيل .. مما جعل الاهالى ينظرون الى الاحزاب والوزارات على انها مناورات .. تخدم مصالح اصحابها فقط ..

وتقول الكاتبة .. انه بالرغم من انه كان بين رجال الوفد أناس على درجة من الوطنية تدفعهم لمحاولة الحصول على الاستقلال لبلادهم ، فانهم فى نفس الوقت كانوا يعتبرون مسألة تحسين ظروف الفلاحين امرا لا يخصهم ، وهذا الفصل الحاد بين الاستقلال السياسى والقضية الاجتماعية ادى الى قصور دفاعهم عن القضية الوطنيه على الاقل بالنسبة لجموع الشعب .. عندما يتحدثون عنها .

وكان هناك آخرون يدفعهم خوفهم من الافلاس كما تذكر الكاتبة الى اتباع القواعد البريطانية فى التعامل مع الاحتلال الانجليزى فى مصر ..

ولما لم يشأ الباشوات مالكو الاراضى ان يعترفوا بانه فرق بين الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى .. ببعده الاجتماعى ايضا قام طلعت حرب بتاسيس بنك مصر .. لاشهار مبدأ الاستقلال الاقتصادى ضد الانجليز .. كركيزة اساسية للاستقلال السياسى .. ولكن حتى عندما استجاب اصحاب رءوس الاموال لدعوة طلعت حرب .. وأقاموا بعض المصانع .. لم يتخذوا موقفا ازاء ملاك الاراضى .. يقنعهم بتغيير ارائهم .. بل على العكس انحازوا لهم اذ اعتبروا انفسهم من نفس الطبقة .. فهم كانوا يتطلعون الى طبقة الملاك الاثرياء ذلك ان اصحاب المصانع كان معظمهم من البرجوازية الكبيرة ، او المتوسطة .. وما لبثت ان ذابت الحدود بينهم .. عندما شارك ملاك الاراضى بأموالهم فى اقامة المصانع وادارتها .. ثم بالزواج بين أبناء الفئتين لم يعد ممكنا التمييز بينهم .. وكان ذلك على حساب العمال هذه المرة .. اذ عندما دخل اصحاب المصانع البرلمان لم يثيروا مشكلة تحديد ساعات العمل .. ومشاكل العمال الاخرى .. تماما مثلما فعلت طبقة ملاك الاراضى .. من قبل ، وكانت النتيجة انه بالرغم من ان مبدأ تملك المصريين للمصانع .. كان هو المدخل الطبيعى لاستقلالهم الاقتصادى ، لان المصانع المصرية شاركت المصانع الانجليزية فى استغلال العامل ..

وهكذا وجد الفلاحون والعمال انفسهم بين شقى رحى مع ملاك الاراضى والمصانع والبرلمان وبدا السخط الشديد يسود فى اوساط العمال والفلاحين والطلبة المتعلمين الذين لا يجدون وظائف يعملون فيها

وعن التعليم تقول انه يكفى ان نشير الى ان ايام الاحتلال البريطانى فى مصر .. كانت ميزانية التعليم ١٪ وظل هذا الوضع سائدا حتى بعد صدور القوانين التى جعلت التعليم الزاميا فى المرحلة الابتدائية ، لان هذه القوانين ظلت معطلة بحجة قلة الامكانيات .. والمكاسب الحقيقية فى مجال التعليم لم تتم الا فى عهد عبد الناصر وفى عام ١٩٣٦ تسوفى

كتاب الشهر

الملك فؤاد بعد ان حكم مصر كسلطان ثم كملك لمدة تسعة عشر عاما ·· وجاء بعده الملك فاروق وظهر انشقاق آخر فى حزب الوفد ·· على شكل حزب آخر اسمه « السعديين » ولم يكن بينه وبين الوفد او « الاحرار الدستوريين » اى تناقضات جوهرية سواء فى المنهج او الفكر ·· ذلك لان الدافع الى هذه الانشقاقات كان الخلافات الشخصية المحضة ·· لذلك كان كل حزب يستمد شخصيته من شخصية رئيسه وشعبيته والنتيجة انها احزاب قامت على اشخاص اكثر مما قامت على مبادىء ·· حسبما ذكرت د · عفاف لطفى السيد ·

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ اندلع حريق القاهرة ·· الذى لم يعرف فاعله حتى اليوم ·· والذى انهى فترة التجربة الليبرالية فى مصر ··وانهى الملكية ··

ثم جاءت ثورة الضباط الاحرار ورحل فاروق عن مصر والغيت الملكية واعلنت مصر جمهورية نظامها رئاسى ·· وانتخب محمد نجيب كاول رئيس جمهورية لمصر ·

● من عبد الناصر الى عهد مبارك ●

تنتقد المؤلفة عبد الناصر ·· الانتقادات التقليدية فى مجال الديمقراطية وحقوق الانسان ··

وانتشار التعليم بصورة تعذر معها استيعاب هذا العدد بعد التخرج ·· وتصفه بالطفولة حين تقول أن (غلطة الطفولى) دفعه الى تاميم قناة السويس ··· ولا أدرى من اعطاها حق السب هذا ·· فنختلف مع عبد الناصر فى الرأى ·· وليس من حقها ان تنذل من قدر احد زعمنائنا البارزين ·· ويبدو أن الكاتبة لم يرق لها حكم عبد الناصر ·· ولها كل الحق فى ذلك ·· رغم اختلافنا الشديد معها ·

والكاتبة فى نهاية حقبة السادات تقول انه من المفارقات الغريبة والمثيرة فى التاريخ ان المصريين لم يذرفوا دمعة واحدة على اغتيال السادات بهذه الطريقة (المأساوية)، فى حين ان مصر كلها خرجت تبكى فى الشوارع لدى سماعها نبأ وفاة عبد الناصر ·

و د · عفاف لطفى السيد دهشة من ذلك ·· اذ كيف تبكى جموع الشعب المصرى ـ الذى خسر الحروب وعرض مصر للغزو والعدوان الاجنبى · وبين الرجل الذى جلب لهم السلام واستعاد الارض المحتلة·· كانت المفارقة واضحة وجلية ·· ولكنها لم تفهم السبب !·

وبالقطع فان المصريين يعرفون السبب جيدا ! لقد اختار السادات طريق الغرب ولم ينحز للبسطاء من شعبه ، اما عبد الناصر فقد تكلم بلغة البسطاء ففهموها ·· وفهموه ·· ودخل فى صدام مع الغرب كله ، ورغم انه جر عليهم المتاعب ·· كما تقول الكاتبة ـ فانهم احبوه ·

الذئبة

بقلم: سليمان فياض

قابلتنا، وقد دعتنا الى عشاء، وهى فى قميص نوم، من الحرير البمبى، وكنا عشرة، خمسة رجال، وخمس نساء، نظرنا نحن الرجال، الى بعضنا البعض. وهمست لنا نساؤنا قائلات:

- اعذروها. انشغلت باعداد الطعام، ومازالت.

وسارعت نساؤنا الى مساعدتها، بين المطبخ وغرفة المائدة. ونحن الرجال جلوس، ننتظر تمام السفرة وشغل المقاعد بالآكلات معنا. وكانت هى آخر من جلس. جلست كما هى، بقميص نومها البمبى، قائلة:

- اعذرونى. لم أجد وقتا لتغيير ثيابى.

فتضاحكنا وقلنا نحن الرجال، لها:

- نحن أهل. لا تهتمى.

وانتظرنا، نحن الرجال، أن تمتد يدها هى الى الطعام أولا، وتدعونا اليه، لكنها وثبت فجأة قائلة:

- نسيت.

وذهبت مسرعة، وعادت تحمل زجاجة ويسكى، وكئوسا، وسطل ثلج، وضعته على المائدة، وقالت لنا:

- بعضكم يشرب، وبعضكم لا يشرب.

ونظرت الى، وقالت:

- هم أصحابك، وأنت تعرف من منهم يشرب، ومن منهم لا يشرب. تصرف. ومدت يدها الى الطعام، وقالت للنساء الأخريات:

- أطعمن رجالكن.

كانت هى الوحيدة بينهن، بلا رجل مات زوجها عنها، قبل ثلاث سنوات. وكنا، نحن الرجال، ننظر اليها، الآن، ونتذكرها برغبة ما، طامعة ومكبوتة، طامحة ومشكومة، فلنسا نساؤنا، وزوجها الراحل كان لنا صديقا.

لاحظت وأنا أضع الثلج بالكئوس الثلاث، أنها، مضيفتنا، ترتدى قميصها البمبى على اللحم وأن عينيها مكحلتان، وأن شعرها الملموم بالمشابك قد رطبه بخار الطهى. ولاحظ الرجال الأربعة ذلك معى، فقد رأيتهم ينظرون اليها، والى بعضهم البعض.

فجأة، رفعت رأسها، وقالت لى:

- وأنا؟ أين كأسى؟

كنت أعرف أنها تشرب. وقد شربت معها، فى حياة زوجها،



الذئبة

ويعد حياة زوجها ، وزوجتي معي فسارعت بصب كاس لها ، قائلا :

– اسف • ظننت انك الليلة ••

فضحكت من قلبها ضحكا تردد في سقف حلقها ، وقالت مناغشة :

– الليلة ؟ ولم الليلة ؟

وضحكت النسوة ، وتجهم الرجال الذين معي ، وانكفأوا على طعامهم • وضعت الكاس امامها وهممت بوضع الثلج ، فقالت لي ، كمن عزمت على السرور في ليلتها :

– لا ثلج ، ولا ماء ، ولا صودا • الليلة سك •

وانفجرنا ضاحكين ، وقد اثارنا الاعجاب بصراحتها ، وجراتها ، وشجاعتها • وعادت تقول ، وهي تنظر الي :

– اعرف ما تفكر فيه • كان ينبغي ان تشرب اولا قبل الاكل • فاتني ذلك •

واضافت قائلة للكل ، لمن يشربون :

– كلوا على مهلكم • اعتبروا الاكل « مزة » •

وضحكت ضحكتها المفرقعة ، التي تتردد في سقف حلقها • وضحكنا • وصبت كاسها في حلقها دفعة واحدة ووضعتها امامي ، وقالت امرة فارعة عنقها اللفينوس :

– صب •

وصببت ضعف المعتاد ، فقالت لي زوجتي :

– على مهلك • ستسكرها •

فقالت هي ، مضيفتنا :

– لن اسكر • انا سكرانة فعلا •

وكانت عيناها في عيني ، عينان واسعتان ، معبرتان ، في وجه اسمر تذكراني بها ، وكانما تتحدثان الي ، حديثا معادا اعرفه ، ولا يعرفه سواي ، تحدثت لي العينان عن صاحبتهما عندما كانت فتاة صغيرة، تزوجها رجل مطلق يكبرها بعشرين سنة • ذكرتني العينان بساروته لامراتي ، عن يوم زفافها ، حين دخل عليها زوجها ، وراته كما ولدته امه، يحمل زجاجة صفراء ، كهذه الزجاجة وجلس اليها ، وسقاها ، فشربت الزجاجة سكا ، وحملت الى المستشفى تلك الليلة ، لغسل معدتها• وحدثتني العينان عن رجلها كيف غار عليها من جاره ، فصار يغلق عليها الباب بالمفتاح ، وعن تدللها لرجلها اسبوعا بعد اسبوع ، واعتذاره لها ، ثم شغله فيها ، فلديه ابحاث يكتبها ، والجنس يفرغ طاقته وعقله ، والمراة كانثى النحل لا تكاد تفرغ من الذكر ،حتى تقطع رقبته وصاحت، مضيفتنا في فجاة :

– كانك تعرف ما افكر فيه • صب •

وصببت • لكننا لم نكد نفرغ من الزجاجة ، ومن الطعام ، حتى رايناها تقف ، وتضحك بلا سبب ، مترنحة ، ثم تجلس على الارض ، وظهرها الى الجدار ، تحت النافذة البحرية المفتوحة ، وقد ضمت فخذيها الى صدرها بساعديها بشدة ،ولاتزال تضحك • فقالت لي زوجتي :

– مبسوط • سكرت •

وانشغلت النسوة الاخريات ،برفع



الطعام ، طبلنا ، واطباقنا الى المطبخ. يرحن ويجئن ، ناظرات الينا ، والينا، نحن الرجال • وكنا ندخن ونرقبها، ولا يجرؤ احدنا ، في حضور نسائنا على تقديم عون لها • حتى صاحت احداهن فينا ، وكنا ندخن :

ـ اذهبوا الى الاكثريه •

لكننا ، قبل ان نستجيب ، رأيناها مضيفتنا ، تتمدد على الارض ، وتتمطى ، وتتقلب ، وهي تعوى ذئبة، وتدحرجت ، تحت المائدة ، حتى مس جسدها اقدامنا •

في تلك اللحظة ، وقفنا ، فقد تحول عواؤها الى بكاء محرق • واسرعت نساؤنا الى معاونتها • وذهبنا نحن الى الاكثريه ، ننتظر نساءنا ، وقدومها ، حتى جاءت في الزمن ، وقد غيرت ثيابها وصففت شعرها ، تحمل صينية القهوة ، وتجهد حتى لا تترنح في سيرها ، وجلست صامتة تحدق في وجوهنا ، نحن الرجال ، واحدا واحدا • ولزمت نساؤنا الصمت • كن لها صديقات • وفي صمتهن خوف علينا ، وعلى انفسهن•

قنديليات



بقلم : يحيى حقى

نحن فى الانتظار

فى الوقت الذى بدا فيه - حتى بشهادة كبار الكتاب - انبعاث الانتاج الادبى وظهور جيل جديد يبشر بالخير - وفى الوقت الذى بدأت فيه ترجمة أعمال الاجيال الجديدة ايضا الى اللغات الاجنبية بنجاح - اصبح من المأمول ان يواكب ذلك انبعاث فى حركة النقد ، واتمنى ان اقرأ بحثا جادا عن تطور النقد فى العصر الحديث،وارجو الا اخطيء كثيرا اذا قلت انه فيما يبدو لى بدأ نقدا ادبيا جماليا ، ثم تحول الى شعبتين ، نقد مذهبى حين ظهرت الدعوة الى الاشتراكية فقسم النقد الساب الى ملتزم وغير ملتزم ..

ولا احجم عن المصارحة بأن الحركة الادبية قد نالت من هذا التقسيم فقد ظهرت الشللية وغاب عن الذهن معنى الفن قبل الشكل والمضمون ، ويبدو أن هذا التقسيم قد خفت حدته .

والشعبة الثانية اسميها بالنقد المدرسى الذى يعنى بوضع القواعد والقوالب ويحذر من الخروج عنها وزاد من انبعاثه مشاركة اساتذة الجامعة فى هذا التيار وكثرة المصطلحات النقدية التى قد لايفهمها القارىء العادى ، واصبح المقال النقدى اشبه بتحليل كيميائى ، وخيل لى أن الكاتب الناشىء وضعت فى يديه وقدميه الاغلال وقيل له : « امش » ..

وهكذا غاب ايضا الى حد ما معنى الفن ، فالفن يعلو على جميع القواعد .. ويحتم أن النقد الان يتلمس طريقا جديدا للحكم على الاعمال الادبية لم يهتد اليها بعد ..

اريد ان اقترح منهجا يبدأ اولا بالقول بأن النقد هو عمل ادبى يتيح للقارىء الامتاع والمؤانسة تلك الصفة التى يحجم كثير من النقاد عن اشتراطها فى العمل الادبى .. لابد ان يكون هناك خيط واضح مفهوم يصل الناقد بالقارىء العادى .

ثانيا : ان العمل الادبى ذاته هو الذى يفتح باب النقد الملائم له ، فالكاتب الذى يتميز بثراء لغوى

لا يكون أسير لفظ يتكرر او طـــول فى الجملة لا يتبدل ..

يتجه النقد حينئذ الى دراسة مبلغ نجاحه فى معاملة اللغة العربيـــة. والكاتب الذى يتميز بمهـــارته فى الصنعة من حيث تطبيقه لطالب النقد المدرسى يكون السؤال مدى ما لحق عمله من نفع أو ضرر من هـــذا التقيد .

والكاتب الذى تبدو مهـــارته كالترزى فى تفصيل قطعة القمـــاش التى بين يديه الى ثوب محـــكم فيمازج بين النص والوصف والمونولوج الداخلى والحوار والفـــلاش باك وتلاعب بالزمن ، يلاحقه النقـــد فى مثل هذه المحاولة ليرى مبلـــغ توفيقه ، وهل أحسن الاختيار لأداء هذا التحول من وسيلة الى أخـــرى

اما الكاتب الذى يقصد متابعة تطور المجتمع ، ومصـــائب الاجيـــال فان النقد يتناوله من هذه الناحية ليعرف مبلغ صدقه لتشخيص الوضـــع .

ثم أعود وأقول : لماذا يقتصـــر النقد على الدخول من باب واحد من هذه الابواب المتعددة فالنموذج الأمثل عندى هو الذى يشملها جميعا ..

ويبقى اخيرا التزام الـــكاتب بالابتعـــاد عن الاجتـــراء على القيم الاخلاقية فاذا ورد فى كـــلامه شىء من هذا القبيل لدواعى القصـــة فيتبقى الا يسرده على نفس المستوى الذى يسود أسلوبه ، بل أن يجعـــل القارىء يشعر انه وصل الى محور رئيس فى القصة ينتبه له ، ولا يتأتى هذا الا اذا شعر بأن الكاتب أيضـــا منتبه له ، وان لم يطالبه باصـــدار حكم عليه .



وفــاء امــرأة

لما أمر معاوية بقتل هدبة بن الخشرم ، أرسل هدبة خلف زوجته ليلا ، فأتته فى أثواب من الخز (الحرير) يفوح منها المسك ، وكانت من أجمل النساء ، فلما اجتمعا تحدثا وتباكيا . فلما أصبح ، وأخرجوه من السجن إلى القتل ، التفت إلى زوجته فلما رآها أنشأ يقول :

أقلى علىَّ اللوم ، وارعى لمن رعى
ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا ، والوجه ، ليس بأنزعا ،

فلما سمعت ذلك منه مالت الى جدار حائط وجدعت « حزّت » أنفها بسكين ، ثم التفتت اليه وقالت : « هل بعد هذا نكاح ؟ » فقال : « الآن طاب الموت » .



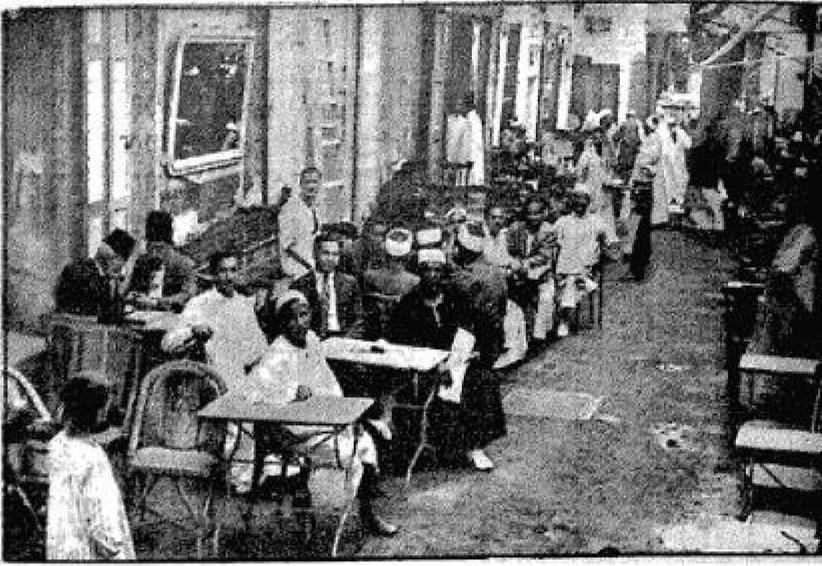
مقاهي القاهرة

منابر سياسة ومدارس أدب

بقلم : د. محمد رجب البيومي

قرأت تحليل كتاب (القهوة والمقاهي في الشرق) الذى كتبه مصطفى نبيل بعدد اكتوبر سنة ١٩٨٦ من مجلة الهلال ، وقد ختمه الكاتب راجيا أن يحين الوقت لأن يكتب باحث عربي تاريخ المقاهي ، فتذكرت بالأسى اللاذع صديقي الفقيد العزيز الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف ، فهو الباحث الذى امتلأ صدره بتاريخ المقاهي في مصر ، وقد كان مجلسنا بالفيشاوى معه ، سجلا لتاريخ حافل يرويه الراحل الكريم عن مقاهي القاهرة ، وكأنه يقرأ من كتاب ، وقد دون بعض هذا التاريخ في مجلة الرسالة وجريدة المصرى وكتاب فلاسفة وصعاليك ، ولكن ما دون معشار ما ترك ، وليتني الآن أستطيع تذكر ما قال ، وإذا فاتني الكثير ، فأستعيض ببعض ما لدى من الأسفار ، ليرى قارىء الهلال كيف كانت مقاهي القاهرة مدارس أدب ، ومنابر سياسة ، وكيف حددت تاريخ مصر في بعض فتراتها ، وماذا تظن بمجالس تجمع الصفوة من كبار المفكرين ، وفي كل صدر خواطر ، ولكل جالس من هؤلاء لسان ينطق ، وعين ترى ، وعقل يجال ، وضمير يستنكر ، والأحداث تتوالى ، والفجاءات تتتالى وإذا تحدث عنها العامل والتاجر والصانع فهل يسكت الزعيم الموجه ، والكاتب المدلل ، والصحافي النابه ، والشاعر المؤيد ، وهؤلاء هم صفوة الجالسين ، وخيرة المقتدين !

ولن يسمح مقال متواضع في الهلال أن يتسع للحديث عن مقاهي القاهرة حديثا مستوعبا ، فالمقاهي بها لا تعد والمرتادون من الصفوة كثيرون ، وما ننقل عنهم أقل مما أهمل ، وسبيلنا أن نكتفي بالمثال ، فقد يكون باعثا لدراسة مستوعبة يقوم بها دارس متئد ، في مجال فسيح .



قهوة تضم جميع الفئات

حين ورد الى القاهرة حكيم الشرق وباعث نهضته المصلح الفيلسوف الثائر جمال الدين الافغانى ، كان صدره يغلى بافكاره فتتطلب متنفسا ينتقل بها من الضيق الى السعة ، وكان لسانه الحكيم موهبته التى لا تفارقه قيد خطوة ، فهو يتحدث فى المنزل والطريق والمسجد مع من اجتباهم من تلاميذه ، وهم صفوة طلاب الازهر ، من أمثال محمد عبده وعبد الكريم سليمان وابراهيم اللقانى وابراهيم الهلباوى وشيئا فشيئا ذاع فضل الرجل ، وانتمى اليه سليم نقلا واديب اسحق وابراهيم المويلحى وعبد الله النديم ومحمود سامى البارودى ، وزادت الحلقة اتساعا فخرجت من المنزل الى قهوة البوستة المعروفة بقهوة انطون ، وكان الافغانى مشرد النوم لا تكاد عينه تغمض ، فأعانه ذلك على السهر الطويل مع صحابته ، وهو على لكنته الاعجمية ، جياش الخاطر متدفق الحديث ، لان رسالته الاصلاحية ذات جيشان يهدد ويصطخب بين ضلوعه ، وله وجيه فصيح الملامح ، وعين وهاجة البريق وغوص على الاعماق المستكنة ، وخبرة بكوارث الاستعمار ، ونفاق المستوزرين وغفلة النائمين ، فاذا عبر عن كل ذلك فقد نقل الناس من حال الى حال ، حين يرشدهم الى الهوة العميقة التى توشك أن تتسع لتبتلع ما فوق الارض من كوائن ، وفى قهوة البوستة تألف الحزب الوطنى الحر ، وهو أول حزب عرفته مصر على يد الافغانى كما وضعت مبادىء الثورة لاصلاح يعم العالم الاسلامى مبتدئا بمصر ، اذ زار الافغانى ربوع الشرق ، وفكر وقدر ، فرأى أن مصر قلب العالم الاسلامى ، واذا نهضت

فقد فاتت سواها ، وحق ما قدر ، وطبيعى ان يلتهب السامعون حقيقة حين يكشف لهم الافغانى دور الاستعمار فى الاستبداد السياسى ، والنهب المالى ، والتدخل فى صميم الامور بحجة الحفاظ على سداد الدين الاجنبى ، وقد جاهر بمعاداة الخديوى اسماعيل واقالة من يصطنعهم من أمثال نوبار ، ودعا الى انشاء صحافة حرة توقظ النائمين ، وتتحدث عن معضلات السياسة ، وأحابيل الاستعمار اذ لا يكفى أن يتحدث على القهوة فى مجتمع محدود، فلابد ان تنتشر الاراء بين الناس ، وبتشجيع الافغانى أصدر الكاتب الشاب أديب اسحق جريدة مصر وكان محمد عبده وابراهيم اللقانى وعبد الكريم سليمان من كتابها ، بل كان الافغانى على رأس هؤلاء اذ صدرت مقالاته بتوقيع (مظهر بن وضاح) ولاول مرة فى تاريخ الادب الحديث ظهرت المقالة السياسية ، واتسع المجال للحديث عن معاضل الاجتماع ومساوىء التعليم ، وأكوام الجهل والفقر والمرض ! كما عرف المصريون أن لهم الشأن فى ادارة بلادهم وان الحاكم يجب أن يصدر عن أمرهم . وليس له ان يستبد بالامر دون رجوع الى مجلس نيابى يبحث ويقرر، قال الدكتور احمد امين: وكان الادب قبل الافغانى غزلا فى حبيب او رسالة الى صديق ، او مدحا لامير أو استعطافا له ، أو وصفا لسفينة ، أو شكرا على هدية ! أما مصر وحالة شعبها وبؤس قومها ، وظلم حكامها وحقوق الناس فلا شيء ، فلما جاء جمال الدين قلب هذا الوضع ، وكانت قهوة البوستة هى مدرسة

الافغانى التى غيرت مهب الريح المضحكخانة الكبرى

فى الوقت الذى كان فيه الافغانى يشعل نار الثورة فى مجالسه بقهوة البوستة ، كان هناك مجلس اخر فى قهوة اخرى بحى الخليفة بالقرب من مسجد السيدة سكينة رضى الله عنها .

وان اتجه مجلس الافغانى الى الجد الصارم فقد اتجه رواد مقهى الخليفة الى الهزل المازح ، والضحك المباح . وكان رئيس المجلس هو الفكاهى المشهور الشيخ حسن الالاتى ، وله كتاب فى ثلاثة اجزاء اسماه (ترويح النفوس ومضحك العبوس) والشيخ حسن الالاتى نادرة عصره فى النكتة الطريفة ، والبديهة الحاضرة ، اهدى اليه فى مجلسه بالقهوة احد الكبار من الرؤساء حذاء جديدا فلمسه الشيخ بيده اذ كف بصره فى عهده الاخير ، وقال للمهدى على البديهة : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال (يحشر المؤمن فى ظل صدقته) وهو تعليق يدل على منبع الفكاهة فى نفس الشيخ ، وقد اشتهر مجلسه اشتهارا كبيرا فوند اليه المتعلمون فى الازهر ، وكان الوزراء وكبار الاعيان يذهبون الى المقهى متنكرين فى غير ازيائهم الرسمية ليجهل مكانتهم فلا يحتشمهم الحاضرون ، ويأخذون فى التندر كما يشاءون ، غير أن عبد الله باشا فكرى وزير المعارف، وهو اديب بطبعه لم يشأ ان يتنكر ، فكان يحضر المقهى ليأخذ فى السمر على طبيعته مع رواده الادباء والعلماء من أمثال عبد الهادى الابيارى وعلى الليثى وأبى النصر المنفلوطى ، وعثمان مدوخ ، وما منهم الا شاعر او خطيب أو عالم ، والذكر ان على مبارك قد اشتاق لمقهى الخليفة ، وحالت صعوبات يراها امامه دون أن يتمتع

بندوة الالاتى ، فطلبت من عبد الله فكرى ان ينتقل الجمع الى داره ، حيث كانت له ندوة أسبوعية آهلة ، حضرها عبد العزيز فهمى فى صباه الاول . وتحدث عنها فى بعض ما كتب ، ولكن حسن الالاتى لم يرغب فى ترك المقهى مع جماعة ، وظل على مباركه يتسمع أخبار المجتمعين عن طريق بعض روادها ، وقد طارت شهرة كتاب (مضحك العبوس) حين صدوره ، لان جامعه الذكى قد انتقاه ليؤدى رسالته فى الترويح والتسرية، وحسبك ان يكون مضحك العبوس !! ومن المعروف أن جمعية المعارف حينئذ قد نشرت طائفة من كتب التراث مثل الاغانى والعقد الفريد والمستطرف وبها الرائع من النوادر فعكف الالاتى على قراءتها ، وأضاف اليها من حلاوة روحه ، وخفة تندره ما جعلها حلوة الوقع حين تروى ، وحين يحتذيها بطرائف كثيرة من بنات صدره ، تصادف الارتياح والايناس ، يقول الدكتور أحمد امين (واظهر ما فى الكتاب من فنون المضحكات ، فن المفارقات ، فقد ارتقى على يد الشيخ حسن الالاتى واستخدمه استخداما كبيرا ، فهو يقول فى مطلع خطاب له « الى السيد الهباب والضبع الوثاب ، الصادق الكذاب ، عالم العصر ، ومصلى الظهر وتارك العصر الذى بلى على ظهره مائة قصر، أعز الاخوان ، من تهابه الخرفان ، الضارب بالنقرزان ، قاهر ابن خلكان ، مولانا الشيخ رمضان » .

وقد يكون هذا القول حين يسرد فى كتاب ، ولكنه حين يروى مع امثاله فى مجلس الخليفة ، ويدور حوله التعليق تنكيتا وتبكيتا ، وموافقة ومخالفة فانه يكسب المجلس طرافة وبهجة ، فى وقت لم يكن فيه من أسباب الترويح غير الحديث الساخر ، والسمر اللذيذ .

مذكرات شائقة

أصدر العلامة السورى الاستاذ محمد كرد على مذكرات شائقة عن حياته فى عدة أجزاء ، وبين صفحاتها حديث عن ندوات الادب فى مصر اذ شاهد فى ماهيين شهيرين اجتماعات أدبية لاعيان الفكر فى عصره ، ففى قهوة (متاتيا) تجاه حديقة الازبكية ، كان يطيب له ان يجلس مع من سماهم جماعة دار العلوم كل مساء ، حيث يسمر أحمد المكندرى ومحمد الخضرى وعبد العزيز شاويش وحفنى ناصف ، وسلطان محمد وأحمد ابراهيم ومحمود ذياب وحسن منصور ومحمد المهدى ومحمد عبد المطلب ، وجميع هؤلاء كما يعرف المثقفون من ذوى الرصانة والتوقر ، فاذا دار الحديث فعن عيون المسائل فى الدراسات الادبية واللغوية والتاريخية ، وان مقهى يحفل بهؤلاء، او باكثرهم كل مساء لهو جامعة اهلة ، وقد تجمع الجامعة المتوسط والجيد ، اما جامعة دار العلوم هذه فقد جمعت نخبة ممتازة لكل عضو منها دوره البارز فى فنه أدبا او فقها او تربية او تاريخا ، ولو ان بعض تلاميذهم وفق الى تسجيل ما يدور من الحوار !.. فى صفحات متتابعة لادهش واعجب ! وليس ذلك بغريب عن تراث العربية ، فقد الف ابو حيان التوحيدى اعظم كتبه (الامتاع والمؤانسة) مقتبسا من مجالس السمر فى دار الوزير ابن سعدان ، حين احتفل الوزير بقضايا الفكر وحرص على مسامرة ذويه ، فى ليال عدة ، شهدها ابو حيان وسجل خلاصاتها بأسلوبه البارع ! ولعمرى كم فقد الادب المعاصر حين حرم

مقاهي القاهرة

تسجيل هذه الامسيات ، وقد كان مما يفسح لها فى النفوس انها سبقت مساق السمر المتنقل من موضوع الى موضوع ، ولم توصم بالجفاف المتزمت ، وقد أسف الاستاذ كرد على لرحيله عن القاهرة ، وغيابه عن منهل المقهى المستطاب .

أما المقهى الثاني الذى تحدث عنه الاستاذ كرد على فهو مقهى السلام فى شارع ابراهيم باشا ، وكان يحفل كل مساء بأعضاء البعكوكة الادبية ، وهى جماعة من اخوان الصفاء يرأسها الشهير وحيد بك الايوبى ، ويقوم المحامى الكبير ادوارد قصيرى بك بنيابة الرئاسة عند غياب الرئيس ، وتتألف جماعة المقهى كما يقول الاستاذ كرد على من محامين واطباء واعضاء بمجلس النواب ورؤساء دواوين وصحافيين ولا يقل المواظبون على الاجتماع الليلى الدائم عن ثلاثين رجلا ، ما فيهم الا الممتاز بأدبه وفضله ، وكانت اجتماعاتهم للمرح والتنادر ، وتناقل الاخبار وتاهيك بجمعية يحضرها الدكتور محجوب ثابت ذو الروح الخفيفة ، والامال الشاسعة فى السياسة والطب . واذا وقفت جماعة دار العلوم بمقهى متاتيا عند الجد الرصين ، فان جماعة مقهى السلام تجاوزت الجد الى المرح الضاحك ، ولعل الاستاذ وحيد الايوبى كان احد بواعث هذا الضحك اذ جعل من دأبه أن يكتب فى أمور اللغة دون عمق وأن يشارك فيها فى عجلة ، وربما اخترع الفاظا جديدة لاشياء مستحدثة يكثر حولها التعليق ، لقد تحدث وزير بريطانى فى ايام ثورة سنة ١٩١٩ فذكر أن الانجليز يرابطون بجيشهم فى مصر لحماية الاستقلال ، ولم يسكت الاستاذ وحيد على هذا التصريح الهازل ، فكتب فى الاهرام تعقيبا يقول فيه : اذن عندنا احتلال « انجليزى واستقلال مصرى ، فلماذا نسمى الاحتلال والاستقلال فى ان واحد ؟ لابد أن ننحت من الكلمتين كلمة واحدة ، هى (الاحتقلال) اذ نأخذ من الاحتلال حرفين ومن الاستقلال ثلاثة ! وكان اهتداء رئيس الجماعة الى هذا اللفظ مجال تندر فى الصحف والمجالس دام أسابيع ! ولابد أن ندوة مقهى السلام قد سعدت بنقاش ذوى الدربة من اعضائها ، وان الاستاذ وحيد هاجم وهوجم ، ورضى وغضب ، وهاج واستقر ، ومن وراء ذلك انس السمر ولطافة الحديث

ندوة الحلمية

فى شارع محمد على الصاعد الى قلعة صلاح الدين ، وأمام مسجد قوصيون كانت قهوة الحلمية ناديا أدبيا سياسيا معا اذ كان حافظ ابراهيم ومحمد عبد المطلب وحسين شفيق المصرى وأحمد نسيم ممن يرتادونه فينشدون الشعر ، ويروون الطرائف ثم هبت ثورة ١٩١٩ وصارت السياسة شغل الناس جميعا واضطر القائمون باشعال اللهب الى كتابة المنشورات السياسية المتوالية فى مكان بعيد عن شارع الازهر ، فكان نادى الحلمية مأوى مصطفى القاياتى ومحمود أبى العيون وعراز وعلى سرور الزنكلونى ، ومن يلتف حولهم من الشباب الثائر كعبد الرحمن الجنيلى وابراهيم عبد الهادى ، وطبيعى أن ترتفع الاصوات بالحوار ، وأن تدبر الخطط لمهاجمة الاحتلال

ثم تكون النتيجة أن يلتفت المستعمر الى مكمن الخطر ، فيطلق عليه النار ، ويأمر باغلاق المقهى لعهد طويل ، وقد اثار الشاعر محمد الهراوى فى رثائه لابى الفتح الفقى وكانا معا من مؤسسى نادى الحلمية ومن اشهر مرتاديه) اشار الهراوى الى مجالس (الحلميتين) الحلمية القديمة والحلمية الجديدة فقال

سل الحلميتين وما قضينا
هنا لك من ليالينا العذاب
وكن فى دجاها او ضحاها
كزهر الافق او زهر الروابى
يضم شتاتنا ناد فنحيى
عليه عكاظ فى سوق عجاب
تمر الثورة الكبرى علينا
فنغشاها مع الاسد الغضاب
ولا نخشى السهام ولا العوالى
ولا الجند المدجج بالحراب
فنقضى حق مصر وقد دعتنا
ونرجع الحديث المستطاب
فسائل نادى الاداب عما
تضمنه من الادب اللباب
قضينا ربع قرن فى حماه
نهبنا صفوه اى انتهاب

ثم مات صاحب المقهى ، وبدل مكان بمكان ، فانتقلت الندوة الى مقهى اخر بالحلمية نفسها ، اذ تقدمت فى الطريق الى القلعة عدة امتار واصبح النادى الجديد مقهى متواضعا أسرع اليه من ذكرنا من الادباء والشعراء ، بل أخذوا يتزايدون فكان منهم حسن القاياتى ومحمد الاسمر وزكى مبارك وأحمد شفيع السيد وأحمد الزين ، وجلهم شعراء يمثلون لونا خاصا من الوان الشعر ، لهم انصار الديباجة البيانية ، وعشاق الجزالة الاسرة انا ، والرقة السلسة انا اخر ، وحين تحدث الناس عن مبايعة شوقى بالامارة انقسم المتندون بالحلمية شطرين ، شطرا أيد المبايعة ويتزعمه محمد عبد المطلب وشطرا عارضها ويتزعمه محمد الهراوى

ثم ظهرت جماعة ابولو وناوأت انصار القديم ، او بتعبير ادق ، ناوأها ادباء الحلمية وشعراؤها فناوأتهم وامتدت الخصومة وكثر الاخذ والرد ، وقيل الشعر المهاجم ، والشعر المدافع ، ودوت الصحف بكثير مما قيل ، ثم مات الهراوى فانفرط العقد وتشاغل بعض عن بعض واصبحت الندوة تاريخا يروى .

مقهى الفيشاوى

كان من الاجدر ان ابدأ الحديث بمقهى الفيشاوى ، ولكن خفت أن تتزاحم الطرائف عنه فيبتلع سواه ، لان مقهى الفيشاوى كان الى عهد قريب معلما من معالم مصر يفد اليه السائح شرقا او غربا كما يفد الى ابى الهول والهرم والنيل ، وقد تجمعت عوامل شتى منذ تاسيسه من ١٨٦٣ فى عهد الخديوى اسماعيل على احاطته باطار سحرى يعبق بأريج التاريخ ، فالقاهرة الفاطمية تتمثل فى حى الازهر والحسين ، والسراديب المتداخلة بين البيوت العالية ذات الشرفات المتعانقة عن يمين وشمال تجعل السائح يدور فى

مقاهي القاهرة

مثل بيت جحا ، وخان الخليلي يعاجه وابنوسه وسجاده وأوانيه الاثرية يرسم صورة الامد البعيد ، وينتقل من مصر الفاطمية الى مصر المملوكية حين كانت هذه التحف انفس ما يوضع في منازل الكبار من الرؤساء ، اما المقهى نفسه فيروع بتداخل حجراته واختلاف ممراته ، وغرائب من فيه ، لان جو الحي الحسيني يقذف الى المقهى بطرائف لا تقف عند حد ، فحامل البخور يمر صائحا مسبحا لله ، ومجانيب الباب الاخضر يفتنون بهياكلهم الاثرية ، واردیتهم الواسعة ذات الالوان البراقة ولحاهم السوداء التي تحيط بالوجوه ، فتكون اطارا للعيون المتوهجة والاذان البارزة وصوت المجذوب يصيح : الله الله : فيلفت الغريب والقريب الى شيء غير طبيعي، على تكراره اليومي ، لان تأثيره يتجدد بتجدد الصباح ، والقطط الاليفة على الركب والايدي في تودد لا يخيف ، وفي الصائحات والصائحين من يحضر لها السمك واللحم واللبن للصغار ! ويأخذ المقهى ابهى حلته الزاهية في سهرات رمضان ، حين يجتمع القاهريون من الضواحي للسهر في المقهى ، واحساسهم بقربه من الحسين والازهر يحيط السهرات بروح نبيلي يكسبها معاني الرحمة والثواب والغفران ، وبخاصة اذا كان الشاي الاخضر او الاحمر هو المشروب الدائم ، وله طابع خاص لاتجده في غير مقهى الفيشاوي، فالبراد البنفسجي،والصينية الصفراء والاكواب الرشيقة الصغيرة ، تحمل قليلا من الماء البارد ليصب عليها الشاي الساخن ، وقطع السكر ذات الحجم الضئيل تترك ليأخذ منها الشارب او ليدع حسب هواه ، كل ذلك يظهر في مظهر الشيء الجديد بالمقهى ، حتى النرجيلة ذات طابع خاص منظرا وصوتا وطعما ، يجذب الالتفات ، ثم يمر بك بائع الكتب يحمل عبئه الثقيل في رضى وقنوع ، وبائع الفول السوداني واللب اسمر وابيض والحمص في قراطيس صغيرة، فترحب بكل هؤلاء ، اما الذي يغضب حقا فماسح الحذاء ، حين يلح عليك، وهو يعلم ان زميله قد سبقه الى اداء مهمته بدقائق وجعة الصبغة السوداء او الحمراء او البيضاء شاهدة ناطقة ، ومع ذلك ، لا ينصرف دون ان يلح ، والسياسيون والفنانون والادباء جميعا من رواد المقهى في في سهرات رمضان ، فتكرى اباظة وحنفي محمود وتوفيق دياب وصبري ابو علم ، وزكريا احمد وبيرم التونسي والسيد بغير ، كل هؤلاء قد عرفت وجوههم هنا في سهرات رمضان !

اما عبد الحميد الديب ومصطفى حمام وطاهر ابو فاشا ومحمود غنيم ونجيب محفوظ فلهم ذكريات عن المقهى لا تنقطع ، وقد كتب الاستاذ احمد بهجت فصلا بديعا بجريدة الاهرام عن مقهى الفيشاوي تحدث فيه عن نشأته وحياة صاحبه ، وصوره بصورة له فوق حصانه الاشهب ، ومما ذكره الاستاذ احمد بهجت ان الفنانه نجوى سالم شاهت

ان تسخر من بائع الفول السوداني بالمقهى ، فاظهرت حبها له حتى اقتنع، واخذ يطالبها بتعجيل الزفاف ، ثم اوحت الى سائق سيارتها ان يهاجم البائع المسكين ، ويدعى انه اخوها وانه يرفض هذا الزواج ، ويكون مشهدا تمثيليا يجذب الانظار ،ويأخذ طرافته حين يكون النظارة جميعا هم الممثلون اذ يتدخلون لفض النزاع ، وترضية البائع ببعض عبارات العزاء! وقد تضاءلت مكانة المقهى هذه الايام ولكننا نفد اليه لنتذكر الماضي ونوازن بين عهدين !!

مقاه مماثلة

فى كتاب (خبايا القاهرة)للاستاذ احمد محفوظ حديث طريف عن مقاهى العاصمة وفى مقدمتها مقهى نوبار الذى كان يجذب الجمهور طمعا فى رؤية عبده الحمولى وسماع صوته ، ومقهى دار الكتب وزعيم رواده حافظ ابراهيم ، ومقهى الانجلو وزعيمه الدكتور على باشا ، وبار « صولت » وقد كان شوقي يلازمه ولا يكاد يبرحه الى عشرات من هذه الامثلة التى يضيق المجال عن استيفائها ، وفى عواصم المحافظات مقاه مماثلة، يعرفها الجمهور بروادها الادباء ، فللزيات مقهى بالمنصورة ، وللرافعى مقهى بطنطا ، ولاحمد محرم مقهى بدمنهور فاين من يتتبع هذه الاماكن لينقل بعض ما دار ، اذ لا يزال من الاحياء فى كل مكان من يحتفظ بذاكرته القوية ، فيتحدث بما كان ، ومعلوم أن احاديث الندوات تعلن من الخبايا ما لا تعلنه الكتب المتداولة ، فالاديب الكبير يلزم الحيطة فيما يوقعه باسمه متقدما به الى الجمهور العريض ، أما ما يقوله عن زملائه واعيان عصره فى مجلسه الضيق بالمقهى فيتسع للنقد الجرىء ! ومن هنا تتجسد الاهمية الكبيرة لتدوين ما تردد من هذه الاحاديث ..

النسيان

لتلمس جفونى كل هذه .. حتى تعرفها
حتى تتجرح
وليحتفظ دمى بنكهة الظل الذى
لا يستطيع السماح بالنسيان

نيرودا

وجهة نظر

الغرق فى البحور الناضبة وافتعال التفعيلات

بقلم : ابراهيم فتحى

يتساءل البعض فى هذه الايام« هل هى نهاية الشعر العربى» ويؤكدون على سقوط فن الشعر العربى لان شعراء التفعيلة الشبان باتوا يجهلون الاوزان والبحور ، ولان الشعراء الجدد الملتزمين بالاوزان المتكاملة تدل اشعارهم على ان معرفة اكثرهم بالاوزان مهتزة ضعيفة ، فموت الشعر يرجع الى الجهل بالاوزان .

وقبل ذلك تكررت الدعوى نفسها عند كثيرين ، المرحوم العقاد اعتبر الشعر الحر نثرا ، واخرون اعتبروه ردة عن الاسلام ولغة القرآن بل نجد ناقدا متبحرا واسع الافق هو الدكتور الطاهر احمد مكى يرفض هذا الشعر الحر ويعلن انه شخصيا ليس منه فى شىء ، لا يستسيغه ولا يتذوقه ويتمنى لو ينتهى الشعراء من رحلتهم فى عالم هذا الشعر الى شىء تحكمه قاعدة ويجرى عبر شكل ليعود التائهون الى الموارد الاولى (عالم الكتاب . العدد الثانى ١٩٨٤) ان هؤلاء حريصون كل الحرص على موسيقى الشعر ، وعلى الحدود الفاصلة بين الشعر والنثر ، وعلى معرفة التراث والعروض ، وهو حرص يشاركهم فيه كل من يحب الشعر العربى ، ولكن قرار اتهام للشعراء الجدد ينهض على افتراضات مسبقة تستحق المناقشة المتأنية .

● الايقاع ليس مرادفا للوزن ●

يختلف الشعر بطبيعة الحال من حيث الكيف عن النثر ، فهو مضمار متكامل من القول ، له عناصره المميزة وقوانينه الداخلية . فهو من حيث نسيجه الصوتى باجمعه يتميز بانتظام يشيع فى جميع ارجائه ، بل

ان العامل المهيمن الذى يعيد تشكيل كل العناصر الاخرى هو « النموذج الايقاعى » . وهذا النموذج الايقاعى يؤثر فى جميع مستويات البناء الشعرى : مستوى الدلالة والايحاء الانفعالى والمستويات اللغوية الظاهرة من تركيب نحوى وصرفى وصوتى .

والايقاع هنا تناوب منتظم فى الزمان لظواهر قابلة للمقارنة فيما بينها ، وهذه الظواهر خبرات حسية سمعية (وبصرية وشعرية على نحو تابع) تمتلك امكانا للتقويه والتطوير وتستطيع ان تغير قيمتها الانفعالية خلال التعديلات المنسجمة وليست مقصورة على تعاقب اصوات الحركة والسكون . فالايقاع هو نسق الوجود الانفعالى وتجربة معايشته يتسع ليشمل تفاعل الاشكال بخطوطها وكتلها اللفظية ، وتعانق الالوان والنسيج او توتر العواطف وانفراجها وسرعة التدفق اللفظى او تمهله ، جرس « الكلمات » وتناغمها او خشونتها وتباينها ، انه ايقاع الشكل وايقاع الصور وايقاع الفكرة وايقاع الانفعال .

ومن الاقوال الشائعة التى كثر تداولها ان الشعر ليس تعاقب مقاطع الكلمات فى انتظام يتعلق بالحركة والسكون فحسب . فهناك هالات ترابط الكلمات وتداعيها ووتيرة توالى هذه الهالات ، والمسافات الطويلة والقصيرة للانفعالات والتصورات ، وثراء او هزال الصور البصرية ، ووتيرة التوقف المفاجىء للاسترسال الخيالى بواسطة وقائع خالصة او الوقائع المألوفة بواسطة خيال مباغت ، وانتظام تعليق المعنى اللفظى بواسطة التماس بطول ثم يحل بواسطة كلمة بمثابة المفتاح طال انتظارها وكل ذلك مرتبط ببناء الايقاع وهيكله الموحد الشامل ويقال ان التوتر الذى تحققه الموسيقى خلال التنافر النغمى ، واعادة التوجيه فى كل حل جديد نحو الانسجام (الهارمونى) لهما مقابل شعرى فى انواع من تعليق وغموض يحيط بمعنى القضايا اللغوية ثم الوصول الى ضروب من الفصل والحسم تتحقق على نحو دورى منتظم فى القصيدة (سوزان لانجر - الفلسفة فى مفتاح جديد)

فالبناء « الهارمونى » للشعر - ان استعرنا اللفظ من الموسيقى - لا يقتصر على الرخامة ، وحسن الوقع فى الاذن اى على « ميلوديا » اللفظ (اللحن اللفظى) ، فتلك اقرب الى لون النغمة فى الموسيقى .

وكل هذا الاستطراد ضرورى للوصول الى ان الايقاع انتظام وتناسب متقنان ، وتجسيد خارجى لنبضات باطنة وليس الطاعة الالية لمعادلات رياضية ميتة الاحساس ، وهو يتعلق بتجارب شعورية تسيل فى تدفق مرن وتوشك ان تذوب كانها النغمات الموسيقية تنبض موحية بالحياة فى كل اوجهها الصغيرة والكبيرة الساكنة والمتوثبة وبكل اوجه النفس ، وهل يصلح لذلك وعاء جامد يابس ، اتخذ منذ قرون صفة القالب الجاهز الناجز ؟

وبعد ذلك الاستطراد الى الايقاع الرحيب الذى يشمل الايقاع الصوتى وغيره ، نعود الى الايقاع الصوتى فى الشعر . ووظيفته تجسيد الانواع الاخرى من الايقاع ، فموسيقية الادب لا تقاس كما يقول نقاد الرمزية - بترابطات صائتة للالفاظ فى مصطلحات كمية شبه رقمية « عدد معين من التفاعل » فتلك العلاقات الصوتية شديدة البساطة تقلل القدرة الايحائية الكامنة فى الكلمات

نفسها ، وليس ذلك مقصورا على استخدام الموارد والامكانات الموسيقية للغة استخداما متعمدا ، فهناك تفاعل فى الشعر بين عالم الصوت وعالم الفكر والانفعال وليس الصوت الشعرى دندنة او غمغمة او حلية منتظمة ضئيلة القيمة لا تبهج الا الاذن .

ولكن القيمة الانفعالية الفكرية لايقاع تداعيات الصور « وغيرها » ، فى الشعر لا سبيل اليها بمعزل عن الايقاع الصوتى ، وفى الشعر الحر ينفسح الايقاع الى اوسع مدى .

ان كانا منصفا مثل الدكتور على عشرى زيد « كلية دار العلوم » فى كتابه عن « بناء القصيدة العربية الحديثة » ينتقد اهتمام نقاد القصيدة العربية الموروثة بالموسيقى وهى لا تتجاوز عندهم الوزن والقافية لا باعتبارها وسيلة من وسائل الايحاء تعبر باعذب الاصوات واشدها تدالا عن اعمق ما فى القلب الانسانى واخفاه وانما باعتبارها قالبا محكما صارما يتضمن المعنى او ينظم فيه الشاعر افكاره واحاسيسه وخواطره « ص ١٦٥ » .

وهو يشارك الذين يرون فى الاوزان التقليدية ايقاعا مسرفا فى البساطة مملا ، وتؤدى الى نظم رتيب يبعث على الضيق ، وهو على الرغم من كثرة الالتزامات والقيود يتألف من نغمة واحدة منضبطة مكررة .

ويجب ان نوضح هنا حقيقة تتعرض للنسيان من انصار العروض التقليدية ، وهى أن البحر الشعرى للقصيدة لا علاقة له باغراض القصيدة ، فالبحر البسيط مثلا « مستفعلن فاعلن ، اربع مرات) يقول فيه ابو نواس .

انى امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لاحظ لى فيه الا لذة النظر

وما اشبه بذلك ، كما تجىء فيه بردة البوصيرى فى مدح الرسول ونهج البردة لشوقى . وفى القصيدة الواحدة من هذا البحر ينتقل الشاعر من البكاء عند الرحيل « معلقة الاعشى الكبير » .

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل

الى معابثة احزاء من جسمها فى فرحة ، الى الحكم والمواعظ فليس « البحر » وعاء جامدا غليظ الحس لا علاقة له بالتلوين الانفعالى ، انه يصلح للرثاء والهجاء والغزل والحكمة والنزة، فى نفس الوقت .

وهل فى هذا القول مساس بروعة الموروث الشعرى ؟

● قواعد موسيقى الشعر ●

هناك خلط شديد بين موسيقى القصيدة الموروثة الباطنة فيها ، وبين محاولات النقاد والعلماء لاكتشاف قواعد هذه الموسيقى ، ولن اكرر عشرات « الكسور » العروضية التى اكتشفها العروضيون فى معلقات الشعر الجاهلى نفسها . ان طريقة التوصيل والتناقل الشفاهية فرضت أن يكون « البيت » هو وحدة القصيدة متمشيا مع قدرة الناطق على التحكم فى التنفس ، وقدرة السامعين على تمييز الاجزاء بدقة ، كما جاء القالب الخارجى الموزون خير معين على الحفظ وسهولة التذكر بل لقد امتد ذلك ليشمل قواعد النحو المنظومة وغير ذلك من العلوم . لاذ كان ذلك مقتضى ضرورة خارجية لا ضرورة داخلية فى موسيقى الشعر .

ان الشكل العروضى للقصيدة العربية الموروثة » وهنا اختلف مع الدكتور على عشرى زايد » لم يتسع لابعاد تجربة الشاعر العربى ، وانا ازعم ان الشكل الموسيقى الحق اى النموذج الايقاعى للشعر العربى مازال فى حاجة الى اكتشاف كنوزه ، بل ان الاطار الخارجى العروضى قد عاق فى بعض الاحيان هذا الاكتشاف

فقد روج تلك المغالطة تذهب الى ان الايقاع مرادف للوزن • ان الوزن ليس الا حالة خاصة خارجية فى اوضاع الرواية الشفاهية للشعر ، وهو دليل سطحى على وجود هذا الايقاع

بل ان هناك تناقضا ضروريا بين « البحر » والايقاع

فالايقاع مبدأ تحول وتبدل ونمو وانتقال من طور وهو امر حاسم فى تحقيق التاثير الجمالى اما البحر فما أسهل ان يتحول الى تصلب فى الانسجة ، تناقض بين التنوع الايقاعى والطابع الالى الرتيب للبحر •

ولكن مشكلة التناقض بين اى نموذج مثالى مقترح للوزن والايقاع الفعلى للشعر ستظل قائمة فليس الشعر فى المحل الاول تجميلا موسيقيا خارجيا بواسطة الوزن والقافية ، بل ان براعة الوزن والمهارة الحرفية فيه لا تعرف فرقا جوهريا بين الروائع الشعرية والاعمال العادية ، لذلك فان وضع الوزن على العرش هو افتئات الى الروح الشعرية وازهاق لها ، وهبوط به الى الية المعادلات •

ولكن الشعر على النقيض من ذلك بناء مركب متعدد الابعاد ، وهذه الابعاد لن تتكامل الا من خلال وحدة الهدف الجمالى اى الوحدة متعددة الاصوات للقصيدة ، حيث تناظر كثافة الوسيط الشعرى الكثافة النغمية متعددة المستويات لجسد العالم ، وهنا نجد الشاعر مشتبكا فى صراع مع هذا العالم من خلال وسيط ايقاعى لا يمكن اختزاله الى حركة حروف وسكونها •

● افتعال التفعيلة ●

ونقطة الضعف الاساسية فى الدراسات العروضية التقليدية هى فكرة التفعيلة « القدم FOOT فى الانجليزية » ، وهى عنصر متخيل وليس طبيعيا كما يحاول بعض الناس أن يدفعنا الى الظن فالوحدة الحقيقية هى السطر الشعرى باعتباره شذرة متميزة ، شذرة معنى أو دلالة ملتحمة كل الالتحام بعناصر تكوينها الايقاعى التركيبى فهى فى نفس الوقت وحدة تنغيم •

ولنأخذ مثلا البيت :

من يتب عن حب معشوقه
لست عن حبى له تائبا

واستمع الى تقطيعه :

منتيبعن حببمع شوقهى
لستعنحب بيلهو تائبا
فاعلاتن فاعلن فاعلن
فاعلاتن فاعلان فاعلن

/٥//٥/٥ /٥//٥ /٥//٥
/٥//٥/٥ /٥//٥ /٥//٥

بحر المديد ، العروض الثانية ، الضرب الاول

او البيت :

فكلنا جميعا من حلاوة لفظه
نحن ولم نستطع لمنطقه صبرا

وتقطيعه

فكلنا جميعمن حلاو تلفظهى

وجهة نظر

نجنن ولنسطع لنط فهيصبرا
فعولن مفاعلين فعول مفاعلن
فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

من بحر الطويل « فعول مفاعيلن اربع مرات »

ونلاحظ في « التقطيع » تمزيقا للعلاقة بين النظم والدلالة وطمسا لحدود الكلمات ذات المعنى واصطناعا مفتعلا لموضع السكتة بين الكلمات ، وللربط بين حروف كلمات منفصلة المعنى والنطق وللفصل بين حروف الكلمة الواحدة ، وكل ذلك نشاز يلحق الضرر بأهم شيء في موسيقى الشعر وهو تفاعل الصوت والمعنى « النظم والدلالة » ، فحدود الكلمة والجملة عامل مؤثر في ادراكنا الحسي للقصيدة ، « دكتور ارليس الشكلية الروسية بالانجليزية »

وفي العربية كما في لغات اخرى تبتعد الدراسات العروضية التقليدية عن التاريخ الحي للشعر لابتعاد الدراسات النحوية عن التاريخ الحي للغة .

وهناك محاولة شهيرة للايماء الى طريق الحل عند جورج طومسون ، وهو يرى أن الفنون الثلاثة الرقص والموسيقى والشعر بدأت جميعا فنا واحدا وكان مصدرها الحركة الايقاعية للاجساد البشرية المستغرقة في عمل جمعي وكان لهذه الحركة الايقاعية عنصران عنصر الحركة الجسدية المنتظمة المتناسقة وعنصر الاصوات اللغوية في الغناء « الانشاد » المصاحب للحركة .

وثمة صلة وثيقة بين الايقاع والعمل « النسج الحصاد التجديف حمل الاثقال » ، وربما كانت أغاني العمل في البداية تعاويذ ورقى صاحبت الحركة التي تتكرر في فترات منتظمة دون تنوع أو تغاير وثمة مقطعان « هيلا ـ هوب مثلا » الثاني لحظة بذل الجهد ، والاول تحضير وتمهيد واحيانا يستكمل المقطعان بمقطع ثالث للاسترخاء . ولحظة بذل الجهد هي العنصر الثابت أما المقطع التحضيري فعنصر متغير وهما يشيران الى رفع اليد أو القدم وخفضها في الرقصة ، ويبقى منها في المصطلح العروضي التقليدي اثر خافت مشوه مقطوع الصلة بينابيعه الحية ، هو : المقطع المنبور

او ما يسميه بعض الباحثين العرب المقطع الطويل ، ويتكون عندهم من صامت + صائت طويل مثل حرف النفي لا ، او صامت + صائت قصير + صامت مثل حرف الجر من » ويقابل لحظة بذل الجهد في العمل او رفع اليد او القدم في الرقصة أما المقطع التحضيري فيقابل المقطع غير المنبور في الانجليزية

أو ما يسميه بعض الباحثين العرب المقطع القصير ، « ويتكون من صامت + صائت قصير مثل حرف الجر ب » وهكذا تمتد جذور النبر الى حركة الطرق بالاقدام والعصي والتصفيق والدق ثم الى نماذج العمل الاولية .

وقد تطورت اغنية العمل ـ التي امتصها بناء القصيدة فيما بعد بتوسيع نطاق التغير المرتجل بين لحظتي بذل الجهد ، لحظتي الارتكاز وتوليد الحوار بين الصوت المتفرد الجماعة المرددة « الجوقة » التي لا تكتفي بالترديد بل تعكس تعقيب « الجماعة » على السلوك الفردي وتجسد الحكمة المتبلورة والاعراف

شعر

فولاذ عبد الله الأنور

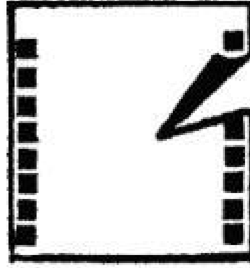


مرّ فى قلبى المُغنّى ألفُ وجهٍ قبْلَ وجهكْ
لفتاةٍ حُرّةٍ أو مرأةٍ فى مثل أسرِكْ
فتبدّدْنَ دُخاناً ، واستقرّتْ نارُ سَحرِكْ
فحملتُ النار فى القلب وهاجرت لبحرِكْ

فجأةً ،
صرت أقوم الليل مبهوتاً ،
وامضى خلف صوتٍ غير مسموعٍ حوالىّ ،
وكفّى تنقبُ الظلمة : ،
هل أنت هنا ،
أم أنّهُ الحلْمُ الذى طار مع اليقظةِ ،
قولى ؟.
عينك الدكْناءُ ،
لمّا سافرَتْ نظرتُها فى نظرتى ،
كنتُ تناسيتُ صداها فى زحام اللغو والزيفِ
وفى زحفى على الشمس ،



ونومى آخر الليل صريعا محبطا ،
كنت تناسيت صداها ،
فجاةً ،
تحتَ سياط الحلم ،
عرَّتْنى من النسيانِ ،
قادَتْنى إلى أرض النبيينَ ،
وساقتنى لوادى الجنّ مرتداً ،
وعادتْ بى إلى موتىَ فى الليل ،
وكفى تنقُبُ الظلمة ،
هل أنت هنا ؟ ،
أمْ أنه الحلم الذى طار مع اليقظةِ ،
قولى ؟.
أيُها الحبّ المحطَّمْ
لا تعذِّبْنى تكلَّمْ
وجهُكِ الهادىء شوِّط فى الليالى ليس يرحمْ
يتلوَّى منه قلبى وضلوعى تتألَّمْ
أعجز الحبُ لسانى ياحبيبى ، فتكلَّمْ .



سينما في مفترق الطرق

بقلم: مصطفى درويش



قبل ان يلملم عام ١٩٨٦ أطرافه ويختفي في العدم جاء "شادى عبدالسلام" الموت في الثامن من اكتوبر ، وهو في الستة والخمسين من سنيه ، ليغادر الارض مخلفا فيلما روائيا طويلا واحدا من اخراجه على امتداد عشرين عاما الا قليلا ، ومشروعا لفيلم ثان يحكى ماساة عمرها ثلاثة آلاف عام او يزيد .. حياة اخناتون الفرعون الكافر .

هذا المشروع الذى استهلك خمسة عشر عاما قضاها صاحب "ليلة حساب السنين" في البحث التاريخي وكتابة السيناريو .. في صنع المجوهرات ، الصولجانات ، الملابس ، الاثاث ، عربات الحرب والمراكب الملكية .. في اعادة البناء والرسم للمعابد التى لم يعد لها وجود ، وللمقابر التى اغتصبت ، جردت من محتوياتها الشيقة النفيسة منذ امد بعيد .

كل ذلك جرى من أجل ان يبعث اخناتون الفرعون الذى خرج على دين الاباء والاجداد ، كى يقيم عبادة جديدة عمادها تقديس قرص الشمس ، وتكريسه إلها واحدا لا شريك له .

كل ذلك بذل من عرق ودم وهم ليرتطم بجدار الافق المسدود .

● الجريمة لا تفيد ●

وما كادت تنقضى عشرة ايام على رحيل حكيم السينما عنّا في هدوء كما عاش في وادينا هادئا رقيقا كالنسيم ، حتى روع الوسط الفني بخبر مقتل نيازى مصطفى رائد السينما في مصر وشيخ مخرجيها ، وهو في الخامسة والسبعين من العمر ، ليترك المعترك مخلفا مائة

واثنين وخمسين فيلما آخرها "التوت والنبوت" المأخوذ عن الحكاية التى تنتهى بها حرافيش "نجيب محفوظ" والتى تراها فى الفيلم ، وقد تحولت الى زعيق وخناقات وضرب بالنبابيت ، وامرأة يلهث وراءها رجالات الحارة وفتواتها ، وغانية وخواجة يلهثان صباح مساء وراء زين الفتوات "سمير صبرى" !! ، وكذلك مشروعا لفيلم اسمه "القرداتى" (فاروق الفيشاوى) شاءت الاقدار للمخرج القتيل الا يرحل دون ان يكمله بتصوير آخر لقطاته ، تاركا أمر التوليف للخلف المستفيد من كل الضجيج والعجيج والاضواء الذى لابد ان يصاحب حادث قتل وتمثيل بجسم نجم له فى سماء سينما الشباك شأن كبير .

● حيرة وضياع ●

ولو حاولنا ان نسترجع ما جرى للفن السابع فى ديار مصر قبل الثامن من اكتوبر وبعده ، لوجدناه فى حالة جزر يثير القلق .

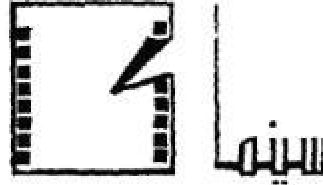
فأى متأمل لحصاد ١٩٨٦ من الافلام المتسمة بالجدية او المصطنعة لها يلاحظ عليها .

أولا : انها بالنسبة لرقم الأفلام التى عرضت خلال العام ـ وهو قياسى ـ قليلة جدا ، فهى لا تزيد على عشرة افلام بدأت بفيلم "للحب قصة اخيرة" لرأفت الميهى ثم "سعد اليتيم" لأشرف فهمى "فقفص الحريم" لحسين كمال و "الطوق والاسورة" لخيرى بشارة" و "مشوار عمر" لمحمد خان و "البداية" لصلاح ابو سيف و "الجوع" لعلى بدرخان و "اليوم السادس" ليوسف شاهين و "عودة مواطن" لمحمد خان وانتهت "باه يابلد آه" لحسين كمال .

ثانيا : إنها فى معظمها تتعامل بأسلوب بال عفا عليه الزمن ، ومع موضوعات قديمة طرقت من قبل كالضياع والفساد

سعاد حسنى بائعة بطاطا فى "الجوع"





والاستبداد وشقاء المرأة والفقراء الى غير حد ، وانتشار التنافس والتباغض والاحتيال الى آخر هذه الرذائل التى تتكشف عنها الطبيعة الانسانية حين تلم بها الخطوب ، وتلح عليها الكوارث باختصار لم تسع بحثا عن آفاق جديدة ، عن احلام ترفض الاستسلام ، تصعد بنا قليلا لنبصر .

ثالثا : إنها ، فيما كان منها مأخوذا عن أعمال أدبية كقفص الحريم "والطوق والاسورة" "والجوع" "واليوم السادس" ، إما قد خانت أمانة الرؤية الصادقة لهذه الاعمال ، او اسرفت فى الاصطناع والتعقيد لتفاصيلها ، او تحولت بها من مرآة للحياة الى كاريكاتور زائف لها .

رابعا : إنها فى غالبيتها لم تثمر قليلا ، لم تطفىء نارا ملتهبة فى القلوب . لم تثر اهتماما ولو كان قليلا ، لم تظفر بنجاح جماهيرى ولو كان ضئيلا ، وكما جاءت ذهبت دون أن تترك أثرا له وزن على مسار السينما فى الوطن العربى .

● الطوفان .. لماذا ؟ ●

ولعل الفشل المذهل الذى كان من نصيب الجوع يستلزم وقفة قصيرة عنده بالذات ، فى محاولة منا لالقاء بعض الضوء على اسباب الفشل المزلزل الذى واجه افلام العام بوجه عام .

في اعتقادى ان "الجوع" فيلم اتيح له من فرص النجاح ما لم يتح لفيلم آخر جاد منذ اعوام .

فمخرجه "على بدرخان" صاحب "الحب الذى كان" وافلام أخرى ظفر بعضها باعجاب الكثير .

ونجمته "سعاد حسنى" مشهود لها بحضور على الشاشة آسر ساحر للقلوب .

ونجمه "محمود عبدالعزيز" له فى التمثيل منزلة رفيعة لا يرقى اليها الا القليل الموعود .

ومصمم ديكوراته وازيائه "صلاح مرعي" ذلك الفنان المرموق الذى لعب دورا كبيرا فى النهوض بالمومياء .

وفوق هذا فهو مستوحى من احدى حكايات "الحرافيش" للاديب "نجيب محفوظ" ، وبالتحديد الحكاية التاسعة .

ومع ذلك ، فما نكاد نمضى فى مشاهدته ، حتى يدركنا شيء من خيبة الامل .. لماذا ؟

● الأصل والصورة ●

من المعروف عن حرافيش الاديب الكبير انها ميلودراما صارخة من عشر حكايات ، اولاها "عاشور الناجى" تنتهى به فتوة للحارة دون منازع ، مقيما فتوته على الاصول ، ناشرا العدل والكرامة والطمأنينة .

فاذا ما اختفى ، ولم يعثر له على اثر فى بداية الحكاية الثانية "شمس الدين" لم يتوقف الزمن .

فها هى عائلته فى الحكايات التالية تمر بحياة محصورة فى الحارة ، كثرت فيها

الفتن والمحن والكوارث ، وصرحت فيها النفوس عن مكنونها ، فظهر الضعف والقوة ، والاخلاص والجبن .

ظهر كل ذلك واكثر ، وإذا الايام تكشف عن أنيابها الحادة القاسية ،ففيضان النيل شحيح ، وشبح الجوع يتضخم ، ويشيع ان الناس يأكلون الخيل والحمير والكلاب والقطط ، وانهم عما قريب سيأكل بعضهم بعضا .

فى هذا الظلام الذى يسود الحكاية التاسعة "سارق النعمة" تخلقت معجزة ، فثمة صرة حاوية لطعام تدس فى ايدى المعذبين بالجوع ، تعقبها همسة تقول من "عاشور الناجى" .

وفى الحق كان صاحب صرة الرحمة والهمسة هو "فتح الباب" حفيد الجد المختفى .

لقد كان فتى يرى جده "عاشور" فى كل مكان ، ينبض فى قلبه وخياله ، يشتعل فى اشواقه وآماله .

ويرى فى اجولة الغلال المكتنزة فى مخزن اخيه "سماحة" ذى الوجه القبيح حقا للسائل والمحروم .

وإذن فالصراع الدرامى فى "سارق النعمة" ، انما يدور بين الأخوين "فتح الباب" و "سماحة" .

وهو فى الحكاية ينتهى بانتصار الاول على الاخير عندما سيطر الحرافيش على الحارة تحت قيادة الاخ الأصغر اقتحموا مخزن "سماحة" الفتوة ، نهبوا ما فيه من غلال حتى آخر حبة .

ولم يكتفوا بذلك ، بل انهالوا بالطوب على الاخ الاكبر "سماحة" حتى انهار فوق عتبة الدار مسلما الروح .

وسرعان ما عرف دور "فتح الباب" فى المعركة ، فتجسد أسطورة ونودى به فتوة الحارة .

ولكنه لسوء الحظ لم يكن يملك قوة جده "عاشور" ، فلم يكد يتولى امور اهل الحارة بالعدل ، حتى حدد الاشرار اقامته فى مسكنه حيث امتد به الزمن بلا حياة تنصف ، ولا موت يسعف .

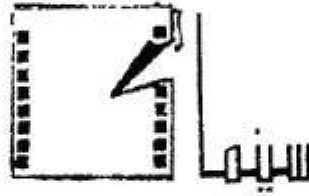
وذات صباح عثر على جثته مهشمة فى اسفل المئذنة ، وقيل انه آثر التخلص من الحياة بالانتحار وهكذا انتهت سيرته وجهاده .

● التحوير والتدوير ●

وهنا قد يكون من المناسب بيان كيف تناولت المعالجة السينمائية تلك الحكاية .

الحرافيش وكيف تبتذل اعمال نجيب محفوظ





بادىء ذى بدء ، يلاحظ ان عنوانها "سارق النعمة" قد تغير فى الفيلم الى عنوان ابشع هو "الجوع" .

والاغرب ان المؤلف قد اغفل ذكر اسمه تماما فى عناوين الفيلم وملصقاته ، وكأن الحرافيش لقيط بلا مبدع اسمه "نجيب محفوظ" .

والأكثر غرابة أن أسماء أبطال الحكاية قد ادخل عليها هى الاخرى التغيير والتبديل .

فكان أن تحول "عاشور الناجى" الى "فضل الجبالى" و "سماحة" الى "فرج (محمود عبدالعزيز) و "فتح الباب" الى "جابر" (عبدالعزيز مخيون) و "فردوس" الى "ملك" (يسرا) .

ومهما يكن من امر كل هذا التحوير والتدوير فى الاسماء الذى يصل الى حد تعمد الاخفاء ، فالادهى والأمر هو تكليف الحكاية ما لا تطيق باقحام شخصيات ، وبافتعال مواقف ونهايات .

● عدوى الشبك ●

ولعل شخصيتى الزوجة الاولى الدميمة (سناء يونس) "وزبيدة" بائعة البطاطا (سعاد حسنى) هما أهم شخصيتين جرى اقحامهما على سياق الحكاية بشكل مخل زاد الفيلم تعقيدا وترهلا .. كيف ؟ "ففرج" ذو الوجه القبيح فى حكاية "نجيب محفوظ" لم يتزوج سوى مرة واحدة من الجميلة الصغيرة الغنية "ملك" بنت الحسب والنسب ، مالكة محل الغلال التى وهبته "عطايا من العذوبة والنضارة ، ورغدا من حياة القصور وأساليب المعيشة الرفيعة" أنساه ماضى الفقر والقهر الذى كان يحيط بالحرافيش فى الحارة ، ولايزال .

اما زوجة ايام الذل والهوان الاولى ، فهى شخصية مختلقة اتاح لها صاحب الفيلم وجودا لم يكن لها فى الحكاية .

ويبدو انه اريد بها استغلال الامكانيات الكوميدية عند الممثلة التى ادت دورها (سناء يونس) لانتزاع الضحكات .

إلا أن شيئا من هذا لم يحدث ، لأن تمثيلها كان قوامه المبالغة والافتعال على وجه انحدر بالمشاهد التى ظهرت فيها الى مستوى مشوب بالابتذال .

ومن المعلوم ان ابغض الضحك ما يقوم على الحط من شأن المرأة بالسخرية السوقية منها .

وجابر "سارق النعمة" لم يكتب له فى الحكاية ان يتزوج الى يوم العثور عليه منتحرا .

● بطاطا وثورة ●

الا انه فى الفيلم واقع منذ البداية فى حب بائعة البطاطا "زبيدة" التى تعترف له بأن احد الفتوات قد اعتدى عليها ، فيذهب الى المعتدى الآثم : مطالبا اياه باصلاح غلطته فى حقها بالزواج منها دون جدوى .

ويمضى الفيلم فاذا بهذا المعتدى يقتل فى معركة بين الفتوات تصادمت فيها



حسين فهمي وفريد شوقي في واحد من اجمل ادواره ايوب (اد بابلد اه)

النبابيت وسالت الدماء ، حتى انتهت "بفرج" منتصبا بين الحرافيش زعيما بلا منافس .

واذا بسارق النعمة يصلح غلطة الفتوة المقتول ، فيتزوج من حبيبة عمر بائعة البطاطا الحامل سفاحا غير حافل ولا مكترث .

ويمضى الفيلم هكذا على شر حال حتى يضبط متلبسا بانتحال شخصية جده "الجبالى" ويسرقة النعمة ، فيأمر أخوه "فرج" بتعليقه من قديمه في السقف حتى تصفى روحه نقطة بعد نقطة .

وهنا تتحول "زبيدة" بائعة البطاطا الى امرأة ثورية ، تحرض الحرافيش على العصف بقصر الذى طغى حيث تعثر على زوجها معلقا ، مدلى الذراعين ، مغمى عليه بين الحياة و الموت .

● الطريق الى جهنم ●

وطبعا لا ينتهى الفيلم بسارق النعمة ميتا كما فى الحكاية ، وانما حى يرزق. فى احضان بائعة البطاطا التى استحالت داعية لاعداد النبابيت والاستعداد لمواجهة قوى الاستغلال الباغية .

وقد يكون من الخير هنا ان نلاحظ اخيرا ان الفيلم لا هو بالواقعى ولا هو بالمتجاوز لها ، تحليقا فى آفاق الخيال وانما هو شىء بين الاثنين يملأ النفس حيرة وسأما .

وان شخصياته كثيرا ما ابتذلت من قبل فى افلام مدارها عالم الفتوات ، آخرها حرافيش حسام الدين مصطفى والتوت والنبوت .

ولربما هذا ـ مع ازمة السينما ـ هو الذى اوقع "الجوع" فى هاوية اعراض الناس عنه .

ورغم ذلك فالفيلم يستحق المشاهدة لامرين : اولهما ديكورات الحارة والملابس التى ابدعها خيال صلاح مرعى .

والثانى .. ولعله الامر الاهم ـ هو تامل كيف ترتطم النوايا الحسنة فى السينما بجدار الافق المسدود .



حين أقام العراق للفن عرساً !!

معرض

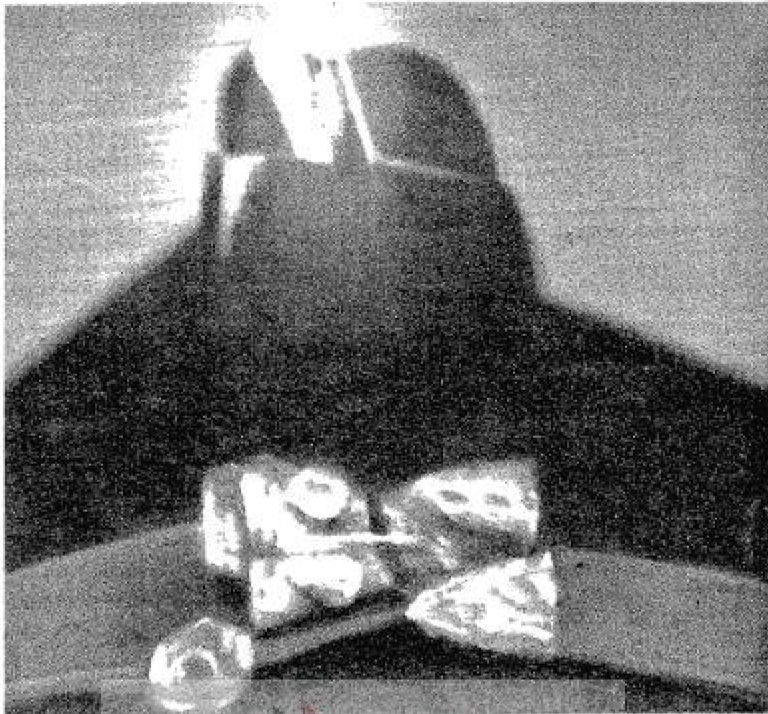
بقلم : عز الدين نجيب

مهما اختلفت زوايا النظر الى مهرجان بغداد الدولي للفن التشكيلي ـ الذي افتتح في ٢٦ اكتوبر الماضي ، فلا خوف حول اهميته وقيمته ، سواء كاحتفال ابداعي ، أو كموقف من جانب العراق المحارب ، يضعه امام العالم في صورة متحضرة ومستقرة ومحبة للسلام ، ترفع رايات الجمال بدلا من ان تدق طبول الحرب !

شاركت في المهرجان والمعرض حوالي خمسون دولة من قارات اسيا وافريقيا واوربا الشرقية والغربية وامريكا اللاتينية ، بألف عمل فني لما يزيد على مائتين وعشرين فنانا ، من بينهم ستون فنانا عراقيا على وجه التقريب ، وستون فنانا عربيا يمثلون اثنتي عشرة بلدا عربيا ، بين رسام ونحات وحفار ، بالاضافة الى عدد كبير من النقاد والصحفيين من انحاء العالم ، وقد تواجدت مصر بسبعة عشر فنانا وناقدين تشكيليين .

اقيم المعرض في مبنى فاخر بشارع حيفا الجديد ، اهداه الرئيس صدام حسين الى الفنانين العراقيين ليكون مركزا دائما للفنون ، وهو يعد في حد ذاته عملا ابداعيا دائما .

واستقبل الفنانون والنقاد في اكبر فنادق بغداد ، التي تزينت باعلام هذه الدول وتلألأت بالاضواء في سهرات تذكر ببغداد الرشيد ، واقيم ـ تكريما للفنانين ـ مهرجان طريف بشارع الرشيد يستعيد تكريات هذا الشارع العريق ، من الازياء والعربات القديمة ، الى المظاهرات الوطنية ، الى احتفالات الزواج ومهرجانات البلاعة !! . وكانت كل مظاهر بغداد التي بنيت في سنوات الحرب من جديد على أرقى الطرز المعمارية مع استلهام الروح العربية ـ توحي



لوحة للفنان العراقي على طالب الفائز بإحدى الجوائز الأولى في الاتجاه الرمزي

بالاستقرار والبهجة ، التي تخفي تحتها الكثير من الأحزان .

واعتمد لجوائز المسابقة مبلغ ١٥٠ الف دولار ، كان نصيب العراق منها الجوائز الثلاث الأولى للفنانين : على طالب ، شاكر حسن ، رافع الناصرى . أما الثلاثة الباقية فكانت من نصيب : نجا مهداوى (تونس) رشيد قريشى (الجزائر) يوسف احمد (قطر) . وخصصت بعدها عشر جوائز تقديرية لمختلف بلاد العالم ، كان نصيب مصر منها واحدة ، حصل عليها المثال صالح رضا - نقيب الفنانين التشكيليين ورئيس الوفد المصرى !

هذا المهرجان - وان كان قد اقيم لتحقيق أهداف سياسية اشرت اليها فى المقدمة - فهو محصلة طبيعية لنهضة كبيرة فى مجال الفن التشكيلى بالعراق ، نهضة تسابق لتحقيقها كل من الدولة والفنان على مدار السنوات العشر الماضية على الاقل ، حتى اصبح الفن التشكيلى بحق جزءا اصيلا فى الحياة اليومية للمواطنين اينما تواجدوا ، واصبح له مستوى ابداعيا متقدما وجديرا بالاهتمام ، بما يحظى به الفنان من حرية مطلقة فى التعبير بالاسلوب الذى يحلو له ، دون تدخل من الدولة مقابل دعمها له ، ومن هنا كان اقامة مركز للفن التشكيلى تكلف الملايين ،

حين أقام العراق للفن عرساً !!

وانفاق مئات الالاف على اقامة المهرجان ومنح الجوائز فى ظروف الحرب المريرة ، ما هو الا استمرار لاستراتيجية ثابتة بالنسبة للفن وليس عملا دعائيا فحسب .

● تفاعل ابداعى ●

ولعلها المرة الاولى فى مهرجانات الفن فى البلاد العربية ، ان يوجه الاهتمام الى بلاد اسيا وامريكا اللاتينية واوروبا الاشتراكية ، فقد ظلت الحركات الفنية العربية طوال تاريخها اسيرة للاتجاهات الفنية فى اوروبا الغربية فحسب ، دون ان تعرف الا القليل عن بقية العالم . لذا كانت مشاركة بلدان جنوب شرق اسيا والصين واليابان والهند وامريكا اللاتينية والاتحاد السوفييتى ودول اوربا الشرقية ، فضلا عن دول اوربا الغربية ، كانت عاملا جديدا ومهما لاحداث تفاعل ابداعى ومناظرة بين العالم الاول والثانى والثالث ، واستكشافا لرؤى جديدة فى الفن .

وقد لعبت الصحافة واجهزة الاعلام دورا كبيرا لتبليغ رسالة المهرجان الى الجماهير ، حتى ان الصحف العراقية الاربع كانت تخصص اربع صفحات يومية كاملة للمهرجان فضلا عن مساحات مماثلة فى الاذاعة والتليفزيون .. الامر الذى جعل عدد المترددين على المعرض يوميا يصل الى الالاف ، ممتلئين بالاعتزاز والدهشة معا ..

وهكذا توفرت للمهرجان اهم دعائم النجاح ، حتى استطاع ان يعطى بالفعل صورة تذكارية جميلة للعراق وهو يقيم للفن عرسا متالقا !

●● لكن ... بقدر هذا النجاح ، كانت هناك اخطاء جسيمة وقع فيها منظمو المهرجان ، افسدت كثيرا من رونقه .. اذكرها هنا من واقع معايشتى له خلال تواجدى كناقد مع الوفد المصرى ، ومن منطلق الحرص على نجاح اكبر فى المستقبل .

● اقليمية ضيقة ●

● اول هذه الاخطاء هو غياب البعد العربى للمهرجان .. فمن ناحية تنسيق الاجنحة كانت اعمال الفنانين العرب كالغرباء التائهين فى مدينة غريبة مزدحمة ، وقد تبعثرت فى رواق طويل وسط العديد من اعمال الدول الاوربية واللاتينية والاسيوية ، اما اعمال الجناح المصرى ـ وهو اكبر جناح فى المهرجان كله بعد العراق ـ فقد كدست فى قاعة « كسيارة الاوتوبيس » مع اعمال اربع دول اخرى ، مما افسد القدرة على استقبالها او التعرف عليها ، هذا فى الوقت الذى اختص المنظمون جناح العراق باكبر القاعات والمساحات ، واتاحوا لكل عمل فنى فراغا محيطا به يهيىء للعين ان تستقبله .. هذا فضلا عن جناح اخر للفنانين العراقيين بالدور العلوى خارج التحكيم ضم اكثر من مائة فنان . والنتيجة هى ان المعرض يبدو فى مجمله معرضا للفن

● وثاني الاخطاء كان في عزل معظم الوفود العربية في فندق بعيدا عن الوفود الاجنبية من القارات الاخرى ، مما حال دون تحقيق التفاعل والحوار المنشود بيننا وبينهم ، وزاد الامر سوءا هرولة كل وسائل الاعلام والصحافة خلف هؤلاء الفنانين الاجانب - ومعهم الفنانون العراقيون - لتصويرهم واجراء الحوارات معهم ومع الفنانين العراقيين في مساحات واسعة ، بينما بقى معظم العرب ، خاصة المصريين ، مهملين في الظل لا يكاد يشعر بوجودهم أحد !

وصاحب ذلك عدم قيام ادارة المهرجان بتنظيم لقاءات للتعارف بين الفنانين من خلال الندوات وحلقات الحوار ، حتى يتم التفاعل المفقود .

● أما الخطأ الثالث فكان في أسلوب تشكيل لجنة تحكيم الجوائز ، حيث تكونت من ستة من غير العرب واثنين من العراقيين ، ولم تكن مصر ممثلة في اللجنة ، وتم تدارك ذلك بناء على طلب الوفد المصرى في اللحظة الاخيرة ، باختيار الفنان أحمد نوار ، بالرغم من انه يشترك باعماله في المسابقة (اضطر بعد ذلك الى الانسحاب من المسابقةليمكنه التحكيم) في الوقت الذى كان ضمن الوفد المصرى ناقدان متخصصان دعتهما العراق بوصفهما ناقدين .. ولفوق ذلك اصبح موضوع المسابقة المعلن من قبل (وهو : الفن للانسانية) في خبر كان !..

وكان طبيعيا أن تكون نتيجة التحكيم انحيازا واضحا للجانب العراقي ، وانحيازا ثانيا لاتجاه معين في الفن وهو التجريبية الحروفية ، حيث ان

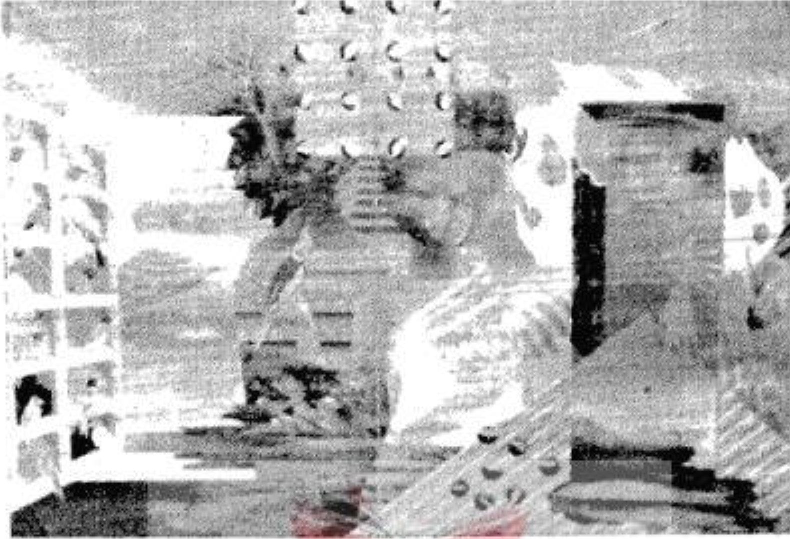


الفنان صالح رضا مع المجموعة النحتية الخاصة به والتى حصلت على إحدى الجوائز

العراقى ، مع بعض ضيوف الشرف الاجانب !!

وان كنت أعتبر ان هذا السلوك نوع من الاقليمية الضيقة من بعض الذين قاموا بتنسيق المعرض ، مما يتعارض حتى مع التوجه القومى العربى للعراق ، فانني لا اذهب - كما ذهب بعض الزملاء - الى اعتبار ذلك كيناميتا ضد المصريين ، والدليل على ذلك أن معظم البلاد العربية الاخرى لقيت معاملة أسوأ ، والدليل الثانى ان ادارة المهرجان اسندت الى مصر القاء كلمة الافتتاح باسم الوفود العربية جميعا .. وربما كنا شركاء في هذا الخطأ بعدم ارسال «قومسيير» مصرى لمصاحبة جناحنا ، حيث كان يمكنه الاشتراك في اختيار المكان وتنسيق الاعمال ، وهو شيء معمول به في المعارض الدولية .

حين أقام العراق للفن عرسًا!!



لوحة من الجناح الفلبيني الحائز على إحدى الجوائز وكان مفاجأة المعرض من حيث تميزه

خمسة من الفائزين الستة الاول يمثلون هذا الاتجاه ، وهو ما يتسق مع رؤية الاجانب عن الشرق ··· وكان أولى أن تضم اللجنة عددا اكثر من النقاد العرب ، وان توضع معايير محـــددة للتقييم ·

وفي تقديري أن الخطأ يبدأ أصلا من مبدأ اجراء المسـابقة لسـببين : الاول هو ان هذا مهرجان احتفالي أو مظاهرة جمالية لا ينبغي أن تفسـدها حساسيات الصراع حـــول الجوائز وسوء الظن أو التقدير ، والثاني ان فرض الفضليات للاعمال الفنية اصبح أمرا مستحيلا بالنسبة للفنون الحديثة مما جعل معظـــم البيناليات الدولية تستبعد نظام منح الجـــوائز الفردية وتفضل منح جوائز لبعض الاجنحـــة المتميزة ·

لكن ·· بالرغم من كـــل هـــذه الاخطاء ، فان المهرجان كان حـــدثا حضاريا كبيرا ، يجعل الفنان المصرى يشعر بثقل مأساة العزلة التي يعيشها عن شعبه وعن العالم ، وبالحـــرمان المرير من أى دعم من الدولة ··

ش
شهريات

حصاد الفكر والفن

الثقافة فى مصر عام ١٩٨٦



أرى الجيل الجديد من القصاصين مبشر وواعد وكل مايحتاجه أن يضعه الناس فى دائرة الضوء

د . على الراعى



لا أذكر فى علم ١٩٨٦ بالتحديد شيئا يلفت النظر .

محمد فاضل



لو استمرت الظواهر الجيدة التى نشهدها فى المسرح هذا الموسم لكان ذلك مؤشرا فى الاتجاه الصحيح للمسرح المصرى .

فؤاد دواره



مازال تقديم البرامج الثقافية فى التليفزيون متخلفا باستثناء البرامج التى تعتمد فى مادتها على الشرائط الأجنبية .

أسامة أنور عكاشة

ش
شهريات

• كلمة •

اعتادت الصحف والمجلات العربية ان تقيم النشاط الثقافى نهاية كل عام ، عادة عن طريق محرريها ، أو من تستكتبهم من المبدعين، لكننا رأينا حتى نبتعد عن التحيز المفترض ، ان نلجأ الى « النقاد »، او من تتوفر لهم هذه القدرة ، ليقوموا ، كل فى مجاله بهذه المهمة ، قصدا الى تنوع الاراء ، وان نبتعد بالمناسبة عن الخفة لنضعها فى اطار الرأى المستقيم .

ولابد من ان نذكر اننا طلبنا راى عدد كبير من النقاد فى مجالات الثقافة المختلفة ، وكان ان استجاب البعض ، واعتذر آخرون بحجج مختلفة، ومع ذلك فقد اضطرتنا الاراء الواردة الى ان ننشرها ، نظرا للمساحة المتاحة ، على حلقتين ، فيما يلى الجزء الاول ، اما الجزء الثانى فننشره فى العدد القادم وسيشمل اراء النقاد فى مجالات الشعر والشعر العامى والفنون التشكيلية ، ونظن اننا بذلك نكون قد استوعبنا مجمل النشاط الثقافى البارز فى العام المنصرم .

● عبده جبير
● محمد الشربينى

ش
شهريات

الرواية

● الرواية الجديدة : محاولة جادة لتوسيع نطاق الرؤية ●

د . علي الراعي

انني أرى أن من افضل الاعمال الروائية التي وصلتني وقرأتها عام ١٩٨٦ اضع روايتي « قالت ضحى » لبهاء طاهر و (يوم قتل الزعيم) لنجيب محفوظ، على وجه التخصيص أما بشكل عام فانني أرى ان هناك ازدهارا كبيرا في حقل الرواية ، وان كانت المجموعات القصصية ايضا تشاركها في هذا الازدهار ، واخيرا على سبيل المثال قرأت مجموعة محمد المنسي قنديل « احتضار قط عجوز » فوجدتها تبلغ مبلغا كبيرا من النضج الذي تشاركه فيه مجموعات أخرى كتبت عنها في المصور .

هذه الاعمال الروائية والقصصية تستشرف وترتاد عوالم جديدة مختلفة عن العوامل التي كانت الرواية المصرية تدور في محاورها سابقا .

هي ترتاد عوالم جمالية،ومستويات من الشعور مختلفة ، تستدعي المأثورات الشعبية وتستبطن الاحلام، وتعكس ايمان الشخصيات الواقعية التي تكتب عنها بالخوارق والمعتقدات الشعبية الغنية بدلالاتها ، هذا ما اسميه لتوسيع نطاق القصة ، وهو ما فعله كبار كتاب القصة مثل تشيخوف الذي دفع بالقصة لان تبلغ نطاق الرواية من حيث الغنى ، وتعدد المستويات .

وانني أرى أن هذا الجيل ، وانا اقصد هذا الجيل الجديد ، مبشرا وواعدا ، وامامه عوالم غنية ينهل منها ، واعتقد انه يتقدم ليحتل الساحة ، وكل مايحتاج اليه هو ان يضعه الناس في دائرة الضوء ، وليس صدفة في تقديري ان يعرف يحيى الطاهر عبد الله طريقه للسينما ،كذلك ابراهيم اصلان وصنع الله ابراهيم اعرف ان هناك محاولات لتقديم اعمالهما للسينما هذا له مغزى كبير وهو ان هذه الاعمال تلقى استجابة من دائرة اوسع من المهتمين ، وعلى الرغم من ان الترجمة الى اللغات الاخرى قد تكون لها دلالة ، فان ما يعنيني هو تاثير هذه الاعمال في بيئتها وفي محيطها بحيث تنمو وتترعرع اولا .

● حصاد جديد غني ●

ادوار الخراط :

اتصور ان هذا العام كان خصبا حقا في مجال القصة القصيرة والرواية ، وفي تصوري انه عام آخر قد اثبت بما لا يدع مجالا للشك ان موجة الحساسية التقليدية قد انحسرت بالفعل ، وانها لم تعد قادرة على عطاء حقيقي جديد . فالقدامى اذا كانوا قد قدموا شيئا فهو من قبيل خبرة مكرورة ليس فيها ما يثير ، بل ليس فيها ما يدعو للابتهاج .

وعلى العكس من ذلك فان معظم الانجازات الحقيقية انما تدور فيما اسميته ، ومازلت اسميه ، مظلة الحساسية الجديدة ، أو الكتابة الجديدة .

انتهى العام الماضي بظهور رواية لبهاء طاهر « قالت ضحى » التي تؤكد مكانته ، كما تؤكد اكثر فاكثر انتماءه الى تيار الحداثة الجديدة .

وفي نقطة ما تقع بين التواضع



غير المبرر ، وتضخيم الذات غير المبرر ايضا سوف اضع ظهور « ترابها زعفران » فى اول هذا العام كعلامة اساسية فى تقنيات ورؤى هذه الصاحبة الجميلة ايضا .

فى هذا العام قرات روايات مثل رواية عبد الحكيم قاسم « طرف من خبر الاخرة » ، بما فيها من تجريبية ، وخروج على النمطية ، وذهاب الى تخوم التقشف فى داخل السياق الروائى ، كما قرانا شيئا غير تمطى ابدا هو « السحر الاسود » لشفيق مقار ، وينتهى العام بنموذج قد لنفس الخروج عن النمطية ، هى رواية « الخوف » لعبد الفتاح الجمل مع انها ليست بالرواية الجيدة لكن ظهورها فى اخر العام تاكيد لكانة للرجل ، ولخبرته اللغوية اللافتة .

ثم فى خلال هذا العام قرانا رواية متميزة هى « النزول الى البحر » لجميل عطية ، ولقد لقيت تفسيرا نقديا واسعا .

من هنا نرى ان حصيلة هذا العام من روايات فى الكتابة الجديدة ، هى حصاد غنى ، اما فى القصص القصيرة فسوف تتميز فى ذاكرتنا « طعم القرنفل » لجار النبى الحلو ، و « احتقار قط عجوز » للمنسى قنديل من كتاب هذا الجيل الذى يقع على تخوم الستينيات والسبعينيات .

كما تتميز الفنون والرؤى لعبد الحكيم قاسم الذى يذكرنا فى هذه المجموعة ببداية انجازاته فى الستينيات .

المسرح

● مؤشرات فى الاتجاه الصحيح ●

فؤاد دواره :

هناك ظواهر متعددة جديدة ومبصرة بموسم مسرحى جاد ، وهى بدايات لو استمرت لكان ذلك مؤشرا فى الاتجاه الصحيح الذى لابد ان يلعبه مسرحنا .

ارى ان البداية الحقيقية للمسرح القومى هذا العام هى بمسرحية « لعبة السلطان » التى كتبها فوزى فهمى واخرجها نبيل الالفى ، حتى ليمكن القول بانه اول عرض محترف يقدمه المسرح القومى بعد تجديده عقب ثلاثة عروض اقرب لاجتهادات الهواة وتجاربهم ، ودعك من « ايزيس » التى سبقت هذه العروض فى افتتاح المبنى ، فهى من انتاج وزارة الثقافة لا المسرح القومى .

وفى مسرح الطليعة مازال العرض الناجح « العسل عسل والبصل بصل » الذى اعده واخرجه سمير العصفورى عن مقامات بيرم التونسى يلقى اقبالا جماهيريا كبيرا وهذه ظاهرة فى حد ذاتها جديرة بالدراسة والفحص ، وفى المسرح الحديث بدا الموسم بعرض جيد من اخراج د . محمد عبد المعطى عن نص « كوكب الفيران » للكاتب محفوظ عبد الرحمن ، والمسرح المتجول مازال يثبت انه انشط فرق الدولة واغزرها انتاجا وكنت احب ان اضيف واخصبها

تأثيرا فى حركتنا المسرحية لولا بعض التحفظات على عرضيه الاولين اللذين استهل بهما موسمه هذا العام ،وهما عرض « حلم يوسف » الذى كتبهبهيج اسماعيل وأخرجه حسن عبد الحميد وهو عرض شاعرى أقرب للتجريبية من العروض الجماهيرية للمسرح المتجول ، والثانى « الجذور » الذى يقدمه « مسرح الغرفة » باعتباره « القراءة الاولى فى تاريخ المسرح المصرى » الذى اعده وأخرجه ابوبكر خالد وبدلا من ان يميل الىالتعليمية والدراسة التأصيلية اذا به يتجرف الى الجماهيرية والترفيه وكأنه يقدم فى مسرح قطاع خاص وليس فى غرفة صغيرة لا تتسع لأكثر من مائة مشاهد غالبيتهم من الدارسين والمهتمين بقضايا المسرح ومشكلاته.

● الخروج من عنق الزجاجة ●

حسن عطية :

● يتضح بعد استقراء العروض القليلة التى قدمت طوال عام ٨٦، ان المسرح المصرى مازال فى عنق الزجاجة ، ورغم دخولنا الى ما يمكن تسميته بمسرح التسعينيات الذى يأتى بعد قليل جدا ، ورغم المحاولات المستمرة لاجتياز المضيق الذى انحسر فيه المسرح المصرى ، والذى يكشف لنا حالة التردى التى سقط فيها ، فان مسرحنا لن يخرج مما هو فيه الا من خلال التغيير الكامل والشامل ، ليس فقط من خلال الاعمال الصغيرة المتناثرة والتى تشغل مساحة ما وتتواجد على الساحة المسرحية ، وليس أيضا بعروض مثل « لعبة السلطان » يمكن ان تقدم وجها جديدا للمسرح المصرى لان كل هذا يكتفى بتعليق الافكار وتفجير المناقشات داخل مساحة تنتسب للتراث ولكنها فى الحقيقة مجادلات عقلية اكثر منها دراما حية.

ونحن لا نستطيع أن نخرج من هذه الكبوة عن طريق اللاحل او التشاؤم، ولانها عامة فى عروض هذا العام ، نقول انه لابد من ان يبحث المسرح المصرى عن ملامح جديدة وشكل جديد وتواصل مختلف مع الجمهور ، وهذا يتحدد فى اتجاهات مختلفة ، خارج الاطار الاحترافى ، وهو ما يحدث حاليا على استحياء ، ويتركز اساسا فى المسرح الجامعى ، بكل نضج هذا المسرح ، وان عابه انه موسمى العروض ، يقدم لمدة ليلة واحدة فقط، دون ان يتحول الى الاستمرارية ، وكذلك المسرح العمالى الذى يغبن حقه ويضيع فى أوراق لجان تحكيم غير صحية وغير سليمة ومن خلال موجهين لا تعنيهم رسالة المسرح فى شىء ، وكذلك العروض الصغيرة التى نجدها فى جمعية هواة المسرح أو فى جماعة منف الثقافية أو فى الشعبة التجريبية للفرقة النموذجية بالثقافة الجماهيرية ، ويغلب على هذه العروض النبرة التشاؤمية .

مسرح الثقافة الجماهيرية مازال

شهريات

يتارجح بين الاحتراف والهواية ، وخطورة هذا انه يقف فى المنتصف بين هذا وذاك ، ويقف فنانوه فى منتصف الطريق ، فلا يقدمون عروضهم بروح الهواية ولا هم يلعبون عروضهم بتكنيك المحترف ، فيصبح بالتالى بعيدا تماما عن تطويع قدرته على التجريب او تقديم فن جماهيرى واسع • والملاحظ فى هذا المسرح انه لم يقدم شيئا ذا بال خلال هذا الموسم فضلا عن غياب مهرجاناته السنوية وكذلك غياب عروضه المتميزة فى الاقاليم باستثناءات قليلة ••

هناك أيضا المسرح داخل اكاديمية الفنون والذى يقوم به طلبة المعهد العالى للفنون المسرحية من خلال ثلاثة أنشطة اساسية وهى « مهرجان المسرح العربى » فى ديسمبر من كل عام ، و « مهرجان المسرح العالمى » من فبراير من كل عام ، و « العروض النهائية لطلبة المعهد » ويشرف عليها أساتذة المعهد وهى تعرض فى مايو ويونيو من كل عام •

● تليفزيون

● أزمة فى النقد التليفزيونى ●

محمد فاضل :

فى السنوات الأخيرة لا اتابع التليفزيون متابعة دقيقة لانى ارى واحس انه يستهلك الوقت بدون عائد، وانا احاول ان احرص على وقتى ولو كان من اجل الراحة فقط ، حتى لا ارى ما يستفزنى •

فى عام ٨٦ لا اذكر بالتحديد شيئا يلفت النظر ، وانا ابحث دائما عن اسماء مؤلفى الاعمال الدرامية قبل ان اتابع ، ولم اشعر خلال متابعتى لاعمال غيرى الدرامية ان هناك ما يشدنى لاستمرار المتابعة •

● اتابع طبعا حلقات برنامج « نادى السينما » وبرنامج « امسية ثقافية » لانى اضمن ـ على الاقل ـ ان وقتى لن يضيع فى الترهات المستفزة

للاسف هناك تقهقر فى الانتاج الدرامى والاعمال الرديئة غالبة على هذا الكم ، وانا الآن لا اذكر عملا جيدا ، لانه لو كان هناك بالفعل شىء جاد لعلق بالذاكرة •

ولا شك أن غياب النقد هو احد الاسباب الرئيسية فى هذا التقهقر الى الخلف ، ولان معظم ما يكتب لا يتعدى الانطباعات ـ سلبا وايجابا ـ ولا يفيد الدراما التليفزيونية أن يكتب عنها نقاد يقيسونها بمقاييس ووسائل اخرى كالسينما والمسرح •

الدراما التليفزيونية فن قائم بذاته له اسسه وقواعده الفنية ، والناحية التكنيكية فى التليفزيون هامة جدا ، واحد علماء التليفزيون يقول « الوسيلة هى الرسالة» وهو يعنى ان التليفزيون فى حد ذاته رسالة ، لانه يغير من تقاليد المجتمعات وسلوك الناس ،

مجرد وجـــوده فى اى منزل ، بغض النظـــر عما يقدم ، اذن الناحيـــة التكنيكيـــة والعلمية لهذه الوســـيلة الجديدة يجب ان يصـــبح لها نقادها المتابعون ، ولكن معظم ما يحدث الآن هو كتابات عن الحـــدوتة والممثلين، التليفزيون اصبح علما يدرس ونظريات وعلماء يبحثون ، وللاسف فان السبيل الى ذلك غير متوفر فى مصر ، فليس هناك معهد متخصص فى التليفزيون رغم مرور ربع قرن على بداية بث الارسال التليفزيونى •

● دراما الكم لا الكيف ●

اسامة انور عكاشة :

الدراما المقدمة فى عام ٨٦ مثلها مثل الأعوام السابقة تعتمد على الكم الكبير لا الكيف ، ومازالت المشكلة الأساسية قائمة والمتعلقة بندرة الأعمال المتميزة والجادة ، فمعظم ما قـــدم دون المستوى المطلوب الا استثناءات قليلة ، اذكر منها مثلا مسلسل « سفر الاحـــلام » الذى كتبه وحيد حـــامد واخرجه سمير سيف للتليفزيون لاول مرة ، وايضـــا مسلسل « سنوات الضحك والدموع » للـــكاتب عاصـــم توفيق وقد يختلف معى الكثيرون حول اهمية هذا المسلسل ، ولكنى ارى ان النص الدرامى جيد جدا ، ولكن لـــم تتح له ظروف التنفيذ العادلة ••

وفى شهر رمضان الماضى باعتباره موسم الدراما السنوى ، لفت نظرى المسلسل الدينى الذى اخرجه احمـــد توفيق •

حرصت هذا العام على متابعـــة اعمال المخرجين محمد فاضل ، انعام محمد على ، وايضا المخرج سـمير سيف ، لانى اعتقد ان دخوله مجـال الاخـــراج فى التليفزيون جـــدير بالمتابعة •

هناك حركة نشـــاط برامجية فى القناة الثالثة وهناك روح شـــابة تسرى فى هذه القناة التى استطاعت ان تجذب المتفرج لمتابعتها لانها قائمة فى الاساس على فكرة البرامج السريعة الخفيفة وهى تتناسب بلا شـــك مع اسلوب العصر •

مازالت هناك سمة عامة فى برامج التليفزيون ـ ليس هذا العـــام فقط ولكن ايضا فى الاعوام الســـابقة ـ وخاصة البرامج الثقافية ـ مازال تقديمها متخلفا ، ماعدا البرامج التى تعتمد فى مادتهـــا على الشرائط الاجنبية ، مثل برنامج « فن البالية » الذى تقدمه منى جبر وبرنامج « صوت الموسيقى » الذى تقدمه د • ســمحة الخـــولى ، ورغم انهما للخاصـــة والمتذوقين ، ولكنهما يقدمان مستوى رفيعا يطل المشاهد من خلالهمـــا على الاعمـــال العظيمة والهامة فى تاريخ الموســـيقى والباليه ، ما عـــدا ذلك فالبرامج الثقافية شبه كسيحة وتقدم بطريقة ساذجة على طريقة (برامج الكراسى) وهى طريقة تثبت فشـــلها يوما بعد يوم •

وزير الثقافة للهلال :
لا أزمة ثقافة لدينا..
وعطاء مصر لا يتوقف أبدًا



أجرى الحوار :
عاطف مصطفى

الثقافة هى مرآة الحضارة لأى شعب من الشعوب ، وهناك متطلبات لكى تزدهر الثقافة فى مصر ، من بينها تيسير الكتاب وتوفير المجلات الثقافية ، وخلق نهضة مسرحية وسينمائية ، تتيح ترقية الحس الفنى ، والتعرف على قضايا المجتمع المختلفة .

من بين المشكلات التى تواجهها مصر الآن ، الارتفاع المستمر لأسعار الكتاب ، والتدهور الذى نلمسه فيما يقدم من مسرحيات وأفلام سينمائية دون المستوى ، فضلا عن عقبات كثيرة تواجه المشتغلين بالثقافة من بينها على سبيل المثال منح التفرغ وجوائز الدولة .

وهذه المشكلات تحدد معالم الأزمة الثقافية التى نمر بها الآن ، وتحتاج إلى مواجهة صريحة ، وحسم سريع ، ليستمر دور مصر الريادى فى مجال العطاء الفكرى والأدبى ، الذى لم يتوقف طوال نصف قرن .

وللتعرف على إمكانية حل تلك المشكلات التقت « الهلال » بالدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة .

● نعم .. هناك معوقات بسبب القرارات الاقتصادية

● الحروب هي السبب في بعض ماتعانيه الثقافة من ركود ..

● نسعى أن يكون عطاء مصر الثقافي بحجم تاريخها وتراثها ...

● لا أنزه إدارة التفرغ عن الخطأ، كما لا أنزه أية إدارة عن الخطأ!..

● مصر غنية في ثقافتها، لكن العطاء الثقافي ليس بالقدر الذي يتناسب مع حجم مصر..

●● قلت في بداية الحوار .. هناك ازمة ثقافة ، كيف نتخطاها .. وهل يمكن ان نحقق لشعبنا نسبة معقولة في القراءة من خلال توفير الكتاب المناسب بالسعر المناسب ؟

ـ قال الوزير : إن وجهة نظرى ترفض أن نسمى مانحن فيه أزمة ثقافة ، وهناك مبالغة كبيرة في هذه التسمية ، وماتحن فيه ، يمكن أن نسميه بعض الفتور الثقافى ، أو عدم الازدهار الثقافى بالقدر الكافى ، لأن فى بلادنا ثقافة قوية ، ومسيرة ثقافية واضحة وأنشطة ثقافية لا يمكن أن تجحد فى مجال الكتاب ، وفى مجال المسرح والسينما والثقافة الجماهيرية والموسيقى ، وفى الفنون التشكيلية والآثار وغيرها وكل هذه المجالات لها أنشطة واضحة وفعالة ومؤثرة ، ومايصيبها لايمكن أن أسميه بعدم الازدهار الثقافى بالقدر الكافى .

ولا أقول ذلك باعتبارى وزيرا للثقافة ، وإنما أقوله باعتبارى مواطنا مصريا ، ورجلا يعمل فى الثقافة وهى حرفته وهوايته ومصدر قوته

وربما المبالغة أساسها الحماس وحب الثقافة ، والرغبة في دفع عجلتها اكثر ، ويريد الذين يقولون هذا ان يروا ازدهارا ثقافيا متألقا وواضحا ، يرضى طموحهم وحبهم لبلدهم .. لكن في مجال

وزير الثقافة

التقويم وفي مجال الموازين الصحيحة لايمكن من وجهة نظري ـ على الأقل ـ أن نسمي مانحن فيه أزمة ثقافة !

لم تكف السينما عن العطاء ، ولم تغلق أبواب المسارح ، ولم تغلق دور النشر ، ولم يختف الكتاب ، ولم تخفت أصوات الفرق الموسيقية الراقية ، ولم تغلق المعارض ، ولم تغب الثقافة ، فضلا عن أن تصاب بأزمة .. أزمة كلمة قاسية وشديدة .

● معاناة وصعوبات ●

هناك إذن بعض الصعوبات في طريق الثقافة ، وإذا تجاوزنا وقلنا بعض الركود الثقافي ، أو عدم ازدهار ثقافي بالقدر الكافي ، وأسباب هذا تكمن في أشياء كثيرة من أهمها ماخاضته مصر من حروب عديدة ، أدت إلى تخريب البنية الأساسية في كثير من المواقع ، وإتلاف كثير من المرافق ، وإحداث خسائر كثيرة في المنشآت والأرواح ، وتوقف عمليات التنمية في المرافق العامة ، الأمر الذي سبب لونا من المعاناة والصعوبات في مجالات الحياة اليومية للناس ، أو في مجالات المعيشة الحيوية للجماهير ، كالإسكان والمواصلات والمنشآت التعليمية وغيرها

إن الحروب التي فرضت علينا أرهقت اقتصادنا ، وسببت المعاناة كما أشرت ، وهذه المعاناة هي السبب الأساسي في بعض ماتعاني الثقافة من عدم ازدهار ، لأن الازدهار الثقافي يتطلب استقرارا اجتماعيا ، ولونا من الراحة النفسية ، وأوشك أن أقول يتطلب مستوى معينا من الرخاء والكفاية وهناك صعوبات في الذهاب لسماع محاضرة ، أو الذهاب للاستمتاع بمسرحية بسبب زحام المواصلات ، ووجود مكان ميسر للانتظار ، ولابد للانسان أن تكون لديه الكفاية من ضرورات الحياة تشبعه وترضيه ، قبل أن يفكر في شراء كتاب أو مشاهدة عرض مسرحي !

هذه الصعوبات صرفت الناس إلى الجري وراء الضرورات ، وحقيقة فإن الثقافة من الضرورات ، لكنها ضرورات معنوية ، تأتي في المقام الثاني بعد الضرورات المادية والحيوية ، وأنا أقول إنه ليس بالخبز وحده يحيا الناس ، لكن الرغيف قبل الكتاب بالقطع ، وكوب الماء قبل مشاهدة المسرحية ، والمسكن قبل الذهاب إلى السينما ، وهذا شيء لامشاحة فيه ، ولا أنتظر أن يقول لي إنسان إن فلانا يدعو إلى ماديات الحياة ، أو يدعو إلى ضرورات ، ويعتبر الثقافة رفاهية .

إن الثقافة ضرورة ، ولكن لكي يقبل الناس عليها ، ولكي تزدهر ، ينبغي أن تخف المعاناة ، وتخف المشكلات الملحة !

وبرغم الظروف القهرية التي فرضت على مصر والتي ألجأتنا إلى حروب عديدة ، ومانتج عنها ، لم تصب الثقافة بأزمة ، ولايزال الكتاب المصري يخرج من هيئة الكتاب التابعة لوزارة الثقافة بشكل مشرف رغم ارتفاع أسعاره عند بعض دور النشر ، ولاتزال الأنشطة الثقافية بشتى ألوانها تعطي عطاءها وتؤدي رسالتها .

ويكفى أن أقول إن مصر لايزال يكتب فيها توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ود. لويس عوض وثروت أباظة وعبدالرحمن الشرقاوى، ولايزال يكتب فيها جملة من الشعراء الذين يعتبرون فى الصدارة من شعراء الأمة العربية كما أن أرقى سينما ومسرح وأجود كتاب فى مصر، وأرقى نماذج للفن التشكيلى تخرج من مصر، ولا أقول هذا انحيازا لبلدى، ولكننى أقول كلمة حق.. إنه طموحنا العظيم، الذى يرجو أن تكون ثقافتنا أكثر ازدهارا

وثقافتنا ليست متخلفة، وليست فى أزمة، وليست فى غرفة إنعاش كما يطيب للبعض أن يقول، ولم تنتزع راية الثقافة من يد مصر كما يطيب للبعض أن يقول، ولم يسحب بساط الثقافة من تحت أقدام المصريين، وإنما الثقافة الريادية والجيدة والطليعية من هنا فى مصر، حتى مع بعض الصعوبات التى نلاحظها، والتى يسميها البعض أزمة ثقافة.

●● إذن هل يمكن القول بأن مصر غنية فى ثقافتها؟

- نعم.. إن مصر غنية فى ثقافتها، بمعنى تراثها الثقافى وأجهزتها الثقافية، ومنتجى الثقافة فيها، هى غنية جدا، لكن العطاء الثقافى ليس بالقدر الذى يتناسب مع حجم مصر، أو مثقفى مصر، وإمكانيات وأجهزة مصر

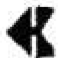
إن ماترجوه ونسعى لتحقيقه أن يكون حجم العطاء الثقافى من مصر بحجمها وتاريخها وتراثها، ويتم ذلك بإزالة المعوقات التى تحول دون الازدهار الثقافى الذى نرجوه، ويتحقق هذا بتعبيد الطريق أمام عجلة الثقافة، لكى تنطلق أكثر، وبتنحية السلبيات، وإحلال إيجابيات محلها، وهذا ممكن، وهو العمل الأساسى الآن لوزارة الثقافة، وهذا واجبى الذى أضنى من أجل تحقيقه.

● قانون مجلس الثقافة ●

●● الدكتور احمد هيكل من مثقفينا الذين يعلمون جيدا المعاناة التى يعيشها مثقفو مصر.. هناك قضايا تشغلنا وتحتاج إلى حلول جذرية.. فكل العاملين فى المجلس الأعلى للفنون والآداب من الموظفين. تواجه الكثيرين من الأدباء مشكلات خاصة بالتفرغ.. كيف يمكن حسمها؟

●● يقول وزير الثقافة: إن العاملين فى المجلس الأعلى للثقافة، ليسوا جميعا من الموظفين، والمجلس له قمة تتدرج إلى أن نصل إلى قاعدة. وقمة المجلس الأعلى هيئة الأعضاء وأكثر من ٩٥٪ منها من كبار الأدباء والمثقفين والمفكرين الذين اختيروا لعضوية المجلس لقيمتهم ولأسمائهم الكبيرة ولمكانتهم الأدبية، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر نجيب محفوظ وزكى نجيب محمود والدكتور ابراهيم بيومى مدكور والاستاذ مهدى علام والدكتور حسين فوزى وعشرات من الأسماء.

وقانون المجلس يحتم أن يكون إلى جانب هؤلاء بعض العاملين فى وزارة الثقافة من كبار القيادات بها، وليس عيبا أن يكونوا موظفين، لأن مجرد الوظيفة ليست عيبا، والعدد القليل من قيادات وزارة الثقافة الموظفين هم أناس فى نفس مستوى هذه الأسماء الكبيرة التى اختيرت لذواتها، وهم رؤساء الهيئات، وهم جميعا من كبار المثقفين والمفكرين وهم الدكتور



أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار ، والدكتور عز الدين اسماعيل رئيس أكاديمية الفنون والدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب ، والموسيقار يوسف السيسى وهو من كبار قادة الموسيقى .

والكلام عن أن المجلس كله موظفون ، أو أغلبيته موظفون ، كلام فيه تزيد يتناقله الناس واحدا عن واحد بحسن نية ، وأحيانا بسوء نية ، لكن الحقيقة غير هذا .

وهذه قمة المجلس .. هيئة الأعضاء معظمها من كبار المفكرين والمثقفين والأدباء يعينون لذواتهم ، قلة منهم من القيادات الثقافية العاملة فى الوزارة ولا يعيبها انهم من الموظفين ، لأنهم ليسوا كتبة ولاعمال أرشيف ، وإنما هم قيادات ثقافية مصرية وعربية ، بل عالمية أحيانا ، ووجودهم فى المجلس الأعلى ، كان ينبغى أن يكون باعتبارهم موظفين فى الوزارة ، أو باعتبارهم مثقفين .

تلى هذه القمة شعب المجلس ، ومعظمها من غير الموظفين ، إنهم أناس يختارون للجان المجلس من المتخصصين فى كل فرع ، فى القصة وفى الشعر ، والدراسات الأدبية ، وفى المسرح والآثار .. الخ

ولجان المجلس تختار من المثقفين الذين ليسوا موظفين فى المجلس ، ويختارون لقيمتهم ومكانتهم وعطائهم ، وهذه اللجان ليس فيها موظفون ، وقد يكون هناك موظف بالصدفة فى وزارة الثقافة أو فى غيرها ، لكنه اختير حسب تخصصه ، وهذه اللجان التى تمثل القاعدة العريضة للمجلس ، كل أعضائها اختيروا لذواتهم .

وهذه اللجان تتجمع فى ثلاث شعب ، وعلى رأس كل شعبة واحد من أعضاء المجلس الكبار ، ويساعد هؤلاء جميعا موظفون فى السكرتارية والادارة والحسابات ، وهم معاونون للأدباء والمفكرين فى المجلس ونسميهم الأمانات الفنية ، يؤدون دورهم على أكمل وجه ، ولايعيب المجلس أن يكون فيه هؤلاء الموظفون ، لأنهم أناس يقوم عليهم العمل الادارى والمالى والتنظيمى ، لكن روح المجلس وصلبه من أناس هم مثقفون اختيروا لذواتهم ولمكانتهم .

● حسم المشكلات ●

●● وماذا عن مشكلات التفرغ ، وكيف يمكن التغلب عليها ؟

ـ إدارة التفرغ وجدت لكى تمنح التفرغ لأى منتج أو مبدع للثقافة تحول ظروف الحياة العملية بينه وبين الابداع ، تريد وزارة الثقافة أن تعطيه الوقت الكافى ، وتجرى عليه مكافأة مجزية إلى حد ما ، لكى لاترهقه لقمة العيش ، والجرى وراء القوت ، فينصرف عن الابداع وهذه فكرة التفرغ .

والإدارة تجمع أعضاء لجنة التفرغ ، الذين ينظرون فى انتاج من ينتجون ، والذين يختارون الأسماء التى تتفرغ ، والذين يتابعون العملية الفنية لجنة من الفنيين أو الفنانين المتخصصين الذين نختارهم وهذا لايمنع أن هناك بعض السلبيات ، تبدأ بأن يمنح أى انسان تفرغا ولاينتج ، وتسأله فيقول ، لم يفتح الله على ولم ألهم ، أو يختار انسان غير جدير

بالتفرغ لخطأ بشرى تقع فيه اللجنة ، أو تقدير المكافأة لانسان تأتى دون المستوى ، وهو خطأ أيضا من اللجان ، أو من الاداريين ، يعني .. لا أنزه إدارة التفرغ عن الخطأ ، كما لا أنزه أية إدارة عن الخطأ ! وتحسم هذه المشكلات فوراً ، كما حدث بالنسبة لشيخ المخرجين أحمد كامل مرسى ولديه منحة تفرغ لانتاج كتاب عن تاريخ السينما المصرية وهذا العمل لاينتهى فى سنة أو سنتين ، وقد حلت مشكلته وصرفت مكافأته ، ولكن تحدث مشاكل من وقت لآخر ونحن نعالجها .

● تخفيض سعر الكتاب ●

●● مشكلة الكتاب برزت فى الآونة الأخيرة ، وتتمثل فى أسعاره المرتفعة ، ومعوقات طباعته ، وعدم دعم القطاع الخاص .. كيف ستواجه ذلك ؟

ـ يشير الدكتور أحمد هيكل إلى أن مشكلة الكتاب كانت منذ سنوات قليلة حادة جدا وتشكل أزمة ، تتمثل فى جوانب شتى : سعره ، ووصوله إلى القراء ، وخروجه من مصر ، وانتشاره فى الخارج ، وحاولت وزارة الثقافة ، حتى قبل أن أتولاها ، أن تذلل هذه العقبات بتوجيه من الرئيس حسنى مبارك ، حين طالب أكثر من مرة حسم مشكلة الكتاب ، وحل قضيته بحيث ينتشر ويزدهر ، ويصل إلى الناس بسعر رخيص ، وتزال من طريقه كل العقبات ، لكى ينتشر كما كان من قبل وبدأنا فى حل مشكلة الكتاب بنسبة تصل إلى ٩٥٪ .

وفيما يتعلق بسعر الكتاب ، تصدر هيئة الكتاب ، كتبا ثقافية جيدة بأقلام كبار الكتاب ، ويصل ثمن الكتاب إلى ٢٥ قرشا ، وهذا المبلغ أقل بكثير من ثمن الكتاب فى الستينيات .

ولقد أزيلت المعوقات أمام الكتاب المصرى ليصدر للخارج ، باستثناء الرقابة على الكتب الدينية ، فلايزال الأزهر الشريف عنده حق فى أن تكون له حماية للفكر الاسلامى وحماية لديننا الحنيف .

وقد توجد عقبات شكلية فى البريد مثلا ، وهى مسائل مقدور عليها ، ونحن فى سبيلنا للقضاء عليها تماما .

وأمامنا طلبات كثيرة على تصدير الكتاب المصرى من كثير من دور النشر فى الخارج فى البلاد العربية وفى البلاد الأوربية .

وهناك كتاب آخر تنتجه دور نشر أهلية ، لايزال مرتفع السعر ، وحجج من ينتجونه معقولة إلى حد كبير ، فمنها ارتفاع سعر الورق ، وارتفاع سعر أدوات الطباعة ، وارتفاع عمالة الطباعة

ومع هذا نسعى لتخفيض سعر الكتاب عن طريق خفض ضريبة الورق أو إلغائها ، وخفض الجمارك على أدوات الطباعة أو إلغائها ، ومحاولة اقناع العمالة أن تخفض الأجر بطريقة أو بأخرى .

ونحن لانستطيع أن نطلب إلى ناشر قطاع خاص أن يبيع الكتاب بالسعر الذى نبيع به كتابا أنتجته الدولة ، لأننا ندعم الكتاب وتحميه ، كما ندعم الرغيف والكساء الشعبى ، ولانلزم القطاع الخاص بأن يفعل نفس الشيء ، وإنما نساعده ، على أن يقوم ببعض التخفيض ، لكن سيبقى سعر الكتاب فى القطاع الخاص مرتفعا بعض الشيء ، لأنه يخضع للسوق التجارية ، ولايخضع للقطاع العام .

إن من لايستطيع أن يشترى كتابا من القطاع الخاص ، نظرا لارتفاع ثمنه يشترى من القطاع العام ، والذى لايستطيع شراءه من هنا أو هناك يقرؤه فى المكتبة العامة .

حسب الدولة أنها تصدر كتبا تراثية جليلة ومترجمات عظيمة ، وموسوعات كبيرة ، وكتبا ثقافية ، وكتبا دينية على كل المستويات ، وبسعر يبدأ من ٢٥ قرشا وينتهى بجنيه وربع تقريبا ، والدولة تعطيك كتابا فى كل فرع من فروع الثقافة بسعر رخيص ، وبأقلام ممتازة ولمؤلفين كبار وبثمن الورق تقريبا . وهذا سبيلنا إلى حل مشكلة الكتاب واعتقد أننا نجحنا بنسبة لاتقل عن ٩٥٪

●● أضرت القرارات الاقتصادية التى وضعت للكتاب أو المطبوعة التى ترد من الخارج . فما الذى يقوله وزير الثقافة ؟

– صدرت قرارات بالفعل فى الأشهر الأخيرة لزيادة الجمارك ، ولم يقصد بها الكتاب لذاته ، وإنما انسحبت على الكتب والمجلات ، وبعض الصحف الآتية من الخارج ، وأوشكت أن تسبب بعض التعويق ، وأعترف بهذا ، ونحن بسبيلنا مع وزير المالية لتذليل هذه الصعوبة لإعادة الوضع إلى ماكان عليه من قبل ، أو بتخفيفها إلى أقل حد ممكن ، بحيث لاتحس لا فى استيراد الكتاب ولا فى تصديره ، ولم يقصد بهذه القرارات أن تعوق الكتاب أو الثقافة ، وإنما إصلاح اقتصادى معين ، ينظم أشياء كثيرة منها ما انطبق على الكتاب ، وربما دون قصد ، وسنصلح هذا إن شاء الله .

● العيب فى نظام الجائزة ●

●● هناك قول بأن جوائز الدولة تحجب مع وجود من يستحقها . هل ستوضع ضوابط فى المستقبل ، حتى لاندخل فى متاهات ، ويزداد القيل والقال ، وماهو تصورك كمسئول وكمثقف قبل كل شىء ؟

– يقول الدكتور أحمد هيكل : فى جوائز الدولة جانبان .. هناك الجوائز التشجيعية ، وليست فيها مشكلة فى رأيى ، لأن من يريد أن ينال الجائزة التشجيعية ، عليه أن يتقدم بإنتاج فى المجالات المعلن عنها ، سواء فى الشعر أو القصة أو الترجمة ، وغيرها ، وتؤلف لجان المتخصصين على مستوى رفيع من المعرفة والخبرة والحيدة ، لكى يختاروا من ينال الجائزة

وفى الجائزة التقديرية يختلف الأمر ، لايتقدم من ينال الجائزة التشجيعية أو من يرشح لها ، وإنما ترشحه هيئات بعينها نص عليها القانون .

وليست هناك لجنة تفحص أحوال من يرشحون ، فتفضل انسانا على انسان وإنما هناك اقتراع سرى من أعضاء المجلس الأعلى للثقافة ، وهذا الاقتراع له طريقة خاصة .

وكانت الجائزة منذ عدة سنوات واحدة ، وأصبحت ثلاث جوائز فى كل فرع ، وعلى كل عضو فى هذه الحالة أن يكتب ثلاثة أسماء ، ثم تتم التصفية ، ومن يحصل على ثلثى أصوات الحضور يكون مجازا ، ومن لايحصل على ثلثى هذه الأصوات لاينال الجائزة .

وفيما سبق كانت المسألة تمر بيسر ، لأن المرشحين كانوا أقل ، ولأن الأسماء كانت كبيرة ، وذات بريق عظيم ورصيد ضخم ، بحيث تفرض نفسها من أول جولة .

فمثلا حينما عرض اسم طه حسين وافق الجميع فورا ، وبالتالي اسم العقاد لم تحدث مشكلة ، كذلك عزيز أباظة وأحمد رامى ، ثم ظلت السنون تتوالى إلى أن كثر عدد المرشحين ، وليس بينهم بالقطع من هو فى قيمة طه حسين من ناحية البريق والشموخ .

ومن هنا ظهرت فى السنوات الأخيرة سلبيات تحتاج إلى معالجة ، ماكانت تظهر فى الماضى ، نظرا لما قلت من قلة الأسماء المعروضة ، وللبريق الشديد لبعض الأسماء التى كانت تفرض نفسها وتحسم الموقف

اختلف الوضع الآن ، فالأسماء كثيرة والبريق عند البعض ليس كافيا ، وتكون النتيجة أن توزع الأصوات لكثرة العدد ، ولاينال البعض وهو مرموق وعظيم كل أصوات الحاضرين ، فتحجب الجائزة بحكم القانون ، لا لأنه لايستحق ، ولا لأن مصر فقيرة من الرجال ، ولا لأن أعضاء المجلس ضد فلان من الناس ، وإنما هكذا أدى النظام القائم .

ومن هنا أقول إن العيب فى النظام وليس فى الأدباء المرشحين ، والفنانين ، ولافى الاساتذة الذين يقترعون .

وأنا بسبيلى هذه الأيام ، ومنذ شهور إلى تعديل هذا النظام الذى أدى إلى هذه السلبيات ، وأرجو أن ينجز التعديل قريبا ، وأن يتلافى هذه السلبيات ، وأن نجد دائما وفى كل عام أناسا قد نالوا الجائزة وهم يستحقون ، ولاتحجب الجائزة مع وجوب من يستحق ، اما تفصيلات الموضوع فأعتذر عنها الآن لأنها فى شكل التقويم والاعداد ، وأعد بتلافى هذه السلبيات ، ليس أنا وإنما الأجهزة القانونية والتشريعية ، باستشارة أعضاء المجلس والخبراء لكى نصل الى تلافى هذه السلبية التى اعترف بها ، وخلاصتها أن الجائزة تحجب أحيانا مع وجود من يستحقها !

● ننافس فى المضمون ●

●● قبل أن أترك وزير الثقافة سألته عن دعم الوزارة للمجلات الثقافية فى مصر

ـ قال على الفور : لا أزعم أننا نستطيع منافسة المجلات التى تطبع فى البلاد العربية على ورق فاخر وبإنفاق بذخ وبتحرير مسرف ، ولكننا بالقطع ننافس جدا من ناحية المضمون وقيمة الكتاب الذين يحررون المجلات .

وبالإضافة للمجلات التى تصدرها وزارة الثقافة ، فإننى أشيد بالمجلات التى تظهر عن طريق دور نشر صحفية أخرى مثل مجلة « الهلال » العريقة الرائدة التى ظلت سنوات طوالا وهى المجلة الأدبية الأولى فى العالم العربى . وأنا مستعد أن أساهم فى دعم هذه المجلة بالطريق الذى نستطيعه كوزارة ثقافة وأعتز بالهلال وأراها أختا شقيقة أو صديقة حميمة لمجلات وزارة الثقافة .

والمهم أننا لانحجم عن دعم أية مجلة أدبية مصرية تبيض وجوهنا وتقف شامخة ، لتقول للعالم العربى ، وللعالم غير العربى ، هنا مصر ، وهنا الأدب المصرى وهنا الريادة فى مصر .



• نـــدوة •

العودة من المتغيرات إلى الثوابت

بقلم: مصطفى الحسيني



احسنت اللجنة المصرية للتضامن الاسيوى ـ الافريقى عملا عندما نظمت ندوة ((٣٠ عاما على تاميم قناة السويس)) ، واحسن المشاركون فى الندوة ـ او اغلبهم عملا عندما نظروا الى تاميم القناة فى ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى الذى ترتب عليه او استخدم ذريعة له على أنه بداية حرب مستمرة استؤنفت فى ١٩٦٧ ، التى استوجبت ردا عليها فى ١٩٧٣ ، ثم واصل العدوان مسيرته أو استانفها ملتفا من حول هذا الرد تيفرغه فى مفاوضات مطولة انتهت الى ما نعرف من صلح مع اسرائيل ، ليست هذه السطور مجال الخوض فيه اكثر من القول بانه حقق لقوى السيطرة الاستعمارية الغربية أكثر مما استهدفت هذه القوى بعدوان ١٩٥٦ .



انتونى ناتنج والكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل ومايكل فوت اثناء الندوة



ولقد كانت أهم مآثر هذه الندوة هى نغمتها الصحيحة ، التى ارستها مداخلة محمد حسنين هيكل ، اذ دارت فى اطار كتابه الأخير • وفضل الكتاب والمداخلة أنها رفعت الى مستوى التوثيق والتدقيــق ، ما كان من قبلهمـا فى مستوى التحليل والاستنتاج والحس السياسى ، وهى مقولة أن هذه الحروب كلها وهذه المفاوضات جميعا هى حرب واحدة تتواصل بوسائل وقوى متباينة ومتداخلة فى آن ، فقدما تأصيلا وثيقا لدعاوى كتب سابقة يحضر الى الذهن منها كتابا ارسكين تشايلدرز وكينيث لاف اللذان صدرا فى أعقاب حـرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ على التوالى ، ولم تكن حلقات الحرب المستمرة قد اكتملت بعد ، او بالأصح كانت حلقاتها حتى اللحظة فى رحم التاريخ لا تزال ، ولم تكن الوثائق الكاشفة الدامغة التى اعتمد عليها هيكل وأباح بعضها للمرة الاولى ، قد افرج عنهـا بعد ، كمـا استكملت هذه النغمة الصحيحة ابعادها بالمداخلة غير المقررة فى صلب الندوة والتى أضافها تعقيب الدكتور محمود عبدالفضيل على مداخلة الكاتب الفرنسى كلود جوليان اذ اوضحت هذه المداخلة انه كما ان الحـرب هى ممارسـة السياسة بوسائل أخرى ، فان الاقتصاد يمكن أن يحـقق اغراض الحـرب بوسائل اشد فتكا وخطرا ، لأنه اذا كانت الحرب تكسر من الأمة ذراعهـا المسلح كى ترتهن ارادتها ، فان الاقتصاد يفتك بعصب الأمة كى يشل ارادتها •

واذا كان فضل هذه النـدوة على هذا النحو أنها أوضحت بعض فصول تاريخنا المعاصر ، فان من افضالها الاخرى ، انهـا تدعو الى ندوة ثانية تكمل ما بدأت •

العودة من

المتغيرات الى الثوابت

فقد تناولت الندوة الحرب المستمرة ، من أجل السيطرة على مصر والتحكم في ارادتها وتشكيل دورها او الغائه ، بدءا من تاميم قناة السويس في ١٩٥٦ لكن هذا لا يعني ان هذه الحرب بدأت في ذلك العام او من ذلك الحدث فليس من قبيل تحميل التاريخ اكثر مما يحتمل ان يقال انه في حدود ما يحوى التاريخ المدون أن هذه الحرب بدأت منذ الاسكندر المقدوني الذى غزا مصر باعتبار أن غزوها هو خطوة الأساس وقاعدة الارتكاز « لبناء امبراطورية شرقية عظيمة » • وأن الدولة الرومانية لم تتحول الى الامبراطورية الرومانية الا بعد أن فتحت مصر ، وأن نابليون بونابرت ، دخل الى التاريخ عندما عبر بوابات « حكومة القناصل » يلهمه حلم الاسكندر المقدوني ذاته ببناء « امبراطورية شرقية عظيمة » خطوة الاساس وقاعدة الارتكاز فيها هي غزو مصر ، وأنه بعد أن هزمت الحملة الفرنسية وانكشف عجز فرنسا عن تحقيق هدفها الامبراطورى بالوسائل العسكرية ، سعت الى تحقيق الحلم ذاته بوسائل « الهندسة المدنية » فحصل فرديناند دي ليسبس على امتياز شق قناة السويس ، وكان حلم فرنسا ايضا من ورائه هو « اقامة امبراطورية شرقية عظيمة » تكون مصر الخاضعة لفرنسا بالهندسة هذه المرة عوضا عن الجيش ، نقطة انطلاقها وقاعدتها • وأن « الصراع الدولى » طوال القرن التاسع عشر ، والذى كان في مجمله صراعا بين بريطانيا وفرنسا ، كان صراعا من أجل السيطرة على مصر بدءا من حملة بونابرت في سنوات ختام القرن الثامن عشر الى دور الاميرال ويلسون والاسطول البريطاني في اجلاء الفرنسيين من مصر ، الى قيام قوة الانقاذ ذاتها باحتلال الاسكندرية والانتشار على امتداد ساحل مصر المتوسطي سعيا الى السيطرة على رشيد ، الى ثنائية التقرب الى محمد على والتآمر عليه التي تبادلت فيها بريطانيا وفرنسا الادوار على مدى يقرب من أربعين سنة ، الى أن تصالحتا على تصفية مشروعه بحصره داخل مصر والحد من قدراته وطاقاته داخل حدودها ، الى قصة حفر قناة السويس التى استخدمت فيها فرنسا العلم وبينما لجأت بريطانيا الى محاولة تزويره كي تحقق الحد الادنى من هدفها ، بأن تمنع فرنسا من شق القناة التي تعرف أنها يمكن أن تكون مفتاحا للسيطرة على مصر ، الى الصراع بينهما من أجل السيطرة على القناة بعد أن شقت ، وهو الصراع الذى لم ينهه الا بهدنة « الوفاق الودى » بينهما في مطلع هذا القرن ، وهو « الوفاق » الذى تأكد وتوسع في اتفاقية « سايكس — بيكو » وهي التى كتبت في سجلات التاريخ على انها اتفاقية على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ، ولا شك انها كانت كذلك، لكنها ايضا كانت اتفاقية على تمزيق « ميملية مصر » ان جازت ، استعارت هذا التعبير العربي ، وفي سياق هذه الاتفاقية نسب الى شبه جزيرة سيناء للمرة الاولى التى

يعرفها التاريخ المدون « سـتارا من الرمال » يعزل مصر عن هذه الهيمنة، وبالمناسبة فان وصف سيناء بأنها « سـتار من الرمال » هو التعبير المفضل الذى ادخله شيمون بيريز الى الفكر العسكرى الاسرائيلي كواحد من أسس الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، ومن أهم هذه الاسس ·

ودرس هذا العرض التاريخى البالغ الايجاز أو المبالغ فيه ، هو موضوع الندوة الثانية التى تدعو اليها الندوة الاولى · ففى عصر تطغى فيه « المتغيرات » وتاخذ بالالباب والانفاس لخطرها وسرعتها ، تكاد تغيب « الثوابت » او يغيب الاهتمام بها · وقد كانت حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و ١٩٧٣ فصولا فى باب « المتغيرات » تماما مثلما كانت حملة الاسكندر المقدونى وصعود الامبراطورية الرومانية وحملة بونابرت وانشاء قناة السويس وما دار حوله وتلاه من صراع · أما « الثابت » الذى دارت عليه ومن حوله هـذه « المتغيرات » كلها هو موقع مصر·وقد رأت فيه الامبراطوريات الكبرى قديمها وحديثها ليس مجرد جائزتها الكبرى وانما العود الضرورى كى يستقيم عودها ويشتد · فسعت الى السيطرة عليه ان نجحت ، والى الحاق الهـوان به ان فشلت وفى الحالين كانت السيطرة على مصر هى منشأ الامبراطوريات الكبرى ، وفقدانها هو مقتلها والايذان بافولها وقد صدقت هذه القاعدة من الاسكندر المقدونى الى الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشـمس ، وتصـدق الآن على الامبراطورية الامريكية الاسرائيلية مهما تصورناه حلما مجنونا · فالامبراطورية الامريكية منذ بداية هـذا الصعود وشغلها الشاغل هو محاولة السيطرة على مصر ، منذ مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط ، الى حلف الشرق الاوسط ، الى حلف بغداد ، وقد فشلت فيهـا جميعا · أما حلم الامبراطورية الاسرائيلية ، فيتكشف فى سعى اسرائيل الدائـب والدائر بين ضرب مصر أو « تحقيق السلام معها » ولم يكن سعى اسرائيل الى هـذا « السلام » أو « الصلح » للسـبب الذى تعلنه وهو « الخطر » ، بمعنى أن « الخطر الرئيسى على أمن اسرائيل يأتى من مصر » ، وانما السبب الحقيقى هو أن مصر هى الدرع الـذى اذا تكسر أو اخترق وصل نصل السيف الى اللحم الحى ، وانهـارت الجبهات أمام الزحـف الاسرائيلى « حربا » أو « تطبيعا » :

ولعل الندوة الثـانية التى تدعو اليها الندوة الاولى ، تخرج بالاهتمام من دائرة « المتغـيرات » الى دائرة « الثوابت » لتضيف الى اسهام جمال حمدان الفذ حول « عبقرية المكان » ، اسهاما حول « خطر المكان » لأنه اذا كـان الوعى بالمتغيرات مرشـدا الى طريق التحرر والاسـتقلال فان الوعى بالثوابت واهم دروسه هو « خطـر المكان » هو المرشـد الضرورى الى صيانة التحرر والاستقلال من خطـر المتغيرات ·

وهذا هو موضوع الندوة الثانية التى تدعو اليها الندوة الاولى ·

وفى هذا فليتنافس المتنافسون ·

د. محمود عبد الفضيل



شخصية العدد

أحمد زكى اليمانى نظرية بمائة مليار دولار !

بقلم : فيليب جلاب

لابد ان يكون السيد احمد زكى اليمانى - وزير البترول السعودى السابق - خبيرا فى شئون النفط من طراز خاص . ولا بد ان تكون نظريته فى تسويق النفط بعد اكثر من ربع قرن قضاها فى منصبه عصية على افهام كل الخبراء !

وفى حدود الارقام الرسمية المعروفة فقد كلف تطبيق نظريته السعودية وبقية دول « الاوبك » اكثر من مائة مليار دولار . اذن فهى « اغلى » نظرية عرفها المنتجون والمستهلكون للبترول منذ اكتشافه حتى الآن !

ونظرية اليمانى فى غاية البساطة اذا اخذت بظاهرها ونتائجها، الا اذا ثبت للاجيال القادمة بعد ان ينفد البترول ما قد يكون خافيا منها !

قال المستهلكون للبترول من الدول الصناعية الكبرى ان اسعار البترول اكثر مما يجب وسنعمل على البحث عن مصادر اخرى للطاقة ونضاعف من قدرتنا على تخزين كميات اكبر ، حتى تهبط الاسعار وليذهب المنتجون الى الجحيم!

ورد اليمانى ممثل المنتجين بزيادة الانتاج لكى يساهم فى عدم « زعزعة استقرار » الدول الصناعية الكبرى ويتيح لهم القدرة على التخزين والتحكم فى اسعار النفط .



وتساءل بعض الخبراء الذين يتمتعون بعبقرية اليماني : اليس من المناسب ان نحد من الانتاج ونفوت على المنافسين خطة ضرب اسعار البترول وهو المصدر الوحيد لثروتنا؟

لكن اليماني سخر من تخوف شركائه لان الهدف الاسمى هو اغراق السوق بالبترول «حتى لانفقد حصتنا في السوق» .

« وصح » ماتوقعه اليماني فلم نفقد حصتنا في السوق لكن فقدنا حصتنا في الثروة . وكاد ان يصل ثمن برميل البترول الى اقل من تكاليف انتاجه بعد ان اكتمل للدول الصناعية الكبرى مخزون هائل يعصمهم لفترة غير قصيرة من الحاجة ومن الضغوط .

اما الذين حافظنا بكل ما نملك على « استقرارهم الاقتصادى واشتروا النفط بابخس الاثمان ودارت مصانعهم باقل التكاليف فلم يصدروا الينا شيئا باسعار تساعد على « عدم زعزعة » استقرارنا .. لكن ماذا يهم ان نستقر نحن وتضطرب شئون الاخرين ؟!

.. وبعد ان ادى اليماني مهمته على الوجه الاكمل ، وقبل ان يوزع البترول مجانا على من يستطيع التنقيب عنه واخراجه صدر قرار الملك فهد باعفائه .

والحقيقة هى انه قرار مناسب للرجل المناسب .. بعد فترة طويلة من الوقت المناسب !

قصة قصيرة

رقصة المطر..

بقلم: حسين عبد العليم

هطل السيل وازداد تدريجيا اختفى الناس من الشوارع . كل اغلق بابه عليه و من شاهدوه اقسموا على انه مجنون من سمعوه سمعوا قهقهة هيستيرية مخيفة حينما يتم الحدث عادة يتم بعده تذكر المقدمات – تلك التى لولا وقوع الحدث لما كان لها اية دلالة او اهمية . لولا الوفاة لما كان مهما ان يتذكر احدا ، لما كان مهما ابدا أن يتذكره احد ويقول : يا الهى .. انه الغريب . نوع من الانجذاب بين انسان واشياء ، بائدو البخور، التراب . نفس التراب القديم ذو الرائحة المتعفنه وابور الجاز اروقة الازهر ، الكتاتيب وكتب السحر القديمة ، الورق الاصفر . النظرة الغريبة كانت تتشابه ليلا ، شاهده احدهم واقسم على انه كان يلحق حجارة الجامع يبغا بالاذان مؤذنا ولان وقت الصلاة معين لكل المساجد تؤذن تباعا فى وقت واحد . تحدث الانتفاضات ، يبدأ التشويش والتشابك يا مصر يا حبيبة الاحياء البلدية الفرانون العجلاتية الملاية اللف . العطارون السمنة ، الترام الاصفر القديمة ، الوصفات البلدية عشيقتى والله عشيقتى يا مصر . النظرة الغريبة كانت تعود ليلا. المماليك ، ابواب القاهرة القديمة ، الحمامات فى السوق ، الشارع المبلط يا مصر حبرك ماخنتنى ولا هنتى يا مصر ، حتى كلمات الحتيمه، الكلمات البليته، المشاجرات،حتى نكأته يا مصر . ولد الغريب قال انه كانيصلى صلاة المطر . يرقص رقصة المطر ، كان فاردا ذراعيه كالمصلوب والراس الى اعلى .ربما لانه غريب عن المكان قالوا عنه الغريب الغريب ذهب ، الغريب جاء . الغريب – هذه الصفة لم تجيء هكذا! مرة واحدة جزافا الشارع ملىء بالناس



من كل لون وجنس وملة. لكنهم لم يقولوا عنهم غرباء . الناس يذهبون ولا يعودون . الناس يذهبون ويجيء غيرهم الغريب كان يذهب ثم يعود . يذهب ثم يعود في البداية كان الغريب واحدا من آلاف الناس، ثم تمت عملية تحديد تلقائية حيث سمي بالغريب ، حين اعتاد الناس على رؤيته هائما

شيء من السرحان والتيه النظرة الغريبة ترتسم وتتسع العينان بشدة يهتديه الوش،وش ،وش وش ، يبدأ التداخل والتضارب . لا احد يعلم من اين جاء او من اين يجيء او اين يذهب المنازل القديمة المبنية بالحجارة ، والله معقوله . الحارات رائحة شواء السمك، لبان الذكر ، القهوة

والحسين ، السكرجة الغبار ، بائعو المسبح لا اله الا الله ، وحضوره كان يقهقه في هيسترية يتمرغ في مياه المطر يقبل المساجد والمآذن القديمة يبكي حينا ثم يضحك ، وعيناه ، عيناه كلتاهما ملتمعتين كجمهر طاحون في الصباح وحده حينا متقلبا ، لكنه كان هادىء الوجه .

أدب هوانم .. أم أدب نسائي ؟



كلير انشرلي

بقلم : محمود قاسم

لم تثر هوانم الادب ـ اللاتى يعمل اغلبهن بالصحافة ـ من تلك الندوات التى عقدت فى معهد جوتة بالقاهرة فى اكتوبر الماضى سوى ثرثرات سطحية حول وجود او عدم وجود ادب نسائى وراح بعضهن يملأ الصحف والمجلات كتابة عن هذه الندوة مؤكدات ان قضية الازل عند الكاتبة المصرية هى : هل هناك ادب نسائى ام لا ..

وراحت احداهن تهاجم كاتبا كبيرا لانه اهتم بكاتبة لبنانية هى بلا شك اكثر موهبة وثقافة واطلاعا .. ليس من فراغ . بل من اعمالها .. اما ان نناقش قضية قيلت فيها الكلمة الاخيرة وحسمت يؤكد اننا لا نزال نتساءل ايهما اسبق الكتكوت ام البيضة . بينما كبر الكتكوت ووضع سلالا من البيض تحولت بدورها الى كتاكيت ودواجن فالادب النسائى موجود وحسمت قضيته .. وسوف نؤكد حسمه فى هذا المقال .. وعلى من لايقتنع ان يظل يملأ الصفحات صياحا وغضبا بدلا من البحث عن الحديث والجديد فى اداب العالم الذى قطعت فيه المرأة شوطا لا يمكن ان يحدث الا مع قيام حركة تنوير ضخمة بداتها كاتبة عظيمة هى سيمون دى بوفوار فى « الجنس الثانى » .

فبدلا من ان تلقى احدى كاتباتنا بقذائف غير صحيحة عليها ان تبحث عن روايات الكاتبات اللاتى سنذكرهن .. لقد كتبت احدهن : « كانت البداية منذ اعوام عندما اثير سؤال ميتافيزيقى لا جدوى منه على الاطلاق : هل هناك ادب نسائى او غير نسائى» كلمة سؤال ميتافيزيقى هنا فى غير موضعها .. واليكم الجواب عن



فرجينيا وولف .. غير نسائية



سيمون دى بوفوار الأدب نسوى

للسؤال الذى طرح منذ سنوات ..

● ادب السيقان الصلبة ●

المرأة اديبة .. على العين والراس .. بل واديبة مبدعة تطاول الرجل فى ادبه بل وتتفوق على الكثير من الرجال .. والمرأة احق من الرجل فى الخلق الادبى .. لان ملكة الابداع عندها اقوى .. ويتضح هذا من حكايات الحواديت للاطفال التى لو سجلت لكانت تراثا ضخما .. لكنها لم تسجل . وقد عرف القرن التاسع عشر اديبات عظيمات من طراز جورج اليوت واميلى برونتى صاحبة المعجزة المسماة مرتفعات ويذرنج وجورج صاند .. كما عرف قرننا العشرون سلمى لاجير لوف وبيرل بك وفرجينيا وولف ودوريس ليسنج ومرجريت دوراس ولم نسمع احدا يردد ان ادبهن نسائيا او ادب امرأة .. هن اديبات يكتبن ادبا عظيما . وليس فى الادب العظيم تفرقة بين امرأة ورجل .. ونحن نتفق فى هذا . لكن اذا ظهرت ظروف اجتماعية وسياسية تدعو الى ظهور نوع من الادب فاننا يجب ان نتنبه الى هذه الظاهرة .. مع ظهور كتاب « الجنس الثانى » عام ١٩٤٩ . وهو لم يكن عملا ابداعيا .. لكنه دفع الكثير من المبدعات فى فنى الكتابة والسينما الى اعتناق ما جاء به .. ومن هنا ظهرت حركة النسوية .. التى افرزت ادبا نسويا ـ ولا اقول نسائيا ـ كان يجب الوقوف عنده .. فالرجل عند سيمون دى بوفوار ينظر الى المرأة على انها مخلوق آخر . لها دور آخر كان يعجب بها . وعليها أن تتصرف بتوجيهاته مما يدفع المرأة ان تشعر بدونية عن الرجل . « اذا كانت النسوية مضفومة بالحديد الساخن فعلينا أن نعلمها بجدية . ليس فقط للبنات . ولكن للصبيان ايضا » . وقد تحدثت سيمون عن استقلال المرأة اقتصاديا « لاأود أن اظل طيلة حياتى اخضع لشخص آخر لانه يمتلكنى » .

وقد وجدت النساء الامريكيات فى اراء سيمون دى بوفوار ملاءمة للتطور الاجتماعى الذى كان المجتمع

أدب هوانم.. أم أدب نسائي؟

الامريكي يشهده في تلك الآونة. بينما نظرت الاوربيات الى هذه الازمة بحذر شديد .. ورغم ان كتاب سيمون ظهر في اواخر الاربعينيات . الا ان اول جمعية نسوية ادبية لم تظهر الا مع اوائل السبعينيات .

كان على هذه الجمعيات والاتحادات ان تتكاتف وان تنادى بآرائها .. ليس في اجتماعات مغلقة .. بل على الملا .. ورأينا كيف تحولت المجلات النسائية الاوربية لتخاطب عقل المرأة بدلا من ان تقدم لها احدث الازياء وادوات الزينة والبسة البحر .. وبدأت اديبات في المناداة بالاستقلال عن الرجل للشعور بالذات اكثر .. وكتبت اخريات عن وضع المرأة الاجتماعية في مجتمعها الصغير — اسرتها — وفي المجتمع الكبير الذي تعمل فيه وتنتمي اليه .. ولانه لم تكتب كل نساء السبعينيات والثمانينيات ادبهن بهذا الاسلوب . فلا يمكن ان نقول ان كل ما تكتبه المرأة ادبا نسويا Feministe .. بل برعت اديبات عديدات في كتابة ادب مثل الذي تحدثنا عنه .. ادب مجرد .. مثل الرواية التاريخية والواقعية والاجتماعية والبوليسية وكما برزت هؤلاء النساء .. برزت نسوة اخريات مثل كلير اتشرللى وكرستيان روشفور وبرجيت شويجر وجان شامبيون وسوزان برو ومرويت اتوود وكلاريس ليسكبتور والعشرات منهن ..

فلو رأينا الوصف الدقيق الذى تصفه اليز بطلة رواية الحياة الحقيقية لكلير اتشرللى لرحلتها من مدينة ليون الى باريس لرأينا اى عالم نسوى تعيشه اليز . فهى ليست امرأة غريبة مثل نساء عديدات ظهرن فيما بعد ولكنها فتاة رقيقة تنحدر من اسرة شديدة الاملاق . ترحل مع اخيها للبحث عن فرصة للعمل كى تجد مكانا لها تحت الشمس. وهناك مشهد فى منتهى الاهمية عندما تتقدم اليز لاختبار اختيار عاملات فى مصنع رينو للسيارات فيقوم رجل باختبار صلابة ساقيها حيث ان العمل الذى ستؤديه يتطلب صاحبة سيقان قوية لانها ستضطر للوقوف طويلا اثناء العمل .. وتوافق اليز من اجل لقمة عيش . مثلما وافقت نساء عديدات طالبن بالمساواة مع الرجل فى الاجر. والحق المدنى . والتصويت والميراث واشياء عديدة ..

قد لا تكون مشكلة اليز مهمة لبعض هوانم الادب . لان نساءهم مشغولات بالتطريز والثرثرة فى المكاتب والنوادى الرياضية تلك الاماكن التى يعلن بها نجواتهن .. وهناك نماذج عديدة من النساء المناضلات فى ادب كليراتشرللى .. ولكننا لن نقف عند نموذج واحد من هذا الادب . فالكاتبة بياتريكس بيكس قد صورت عالم الشيخوخة عند امرأتين تعيشان وحدهما بعيدا عن الرجل .. لقد ولى عهد الجمال .. والعطاء .. وهاهما يعيشان سنوات انتظار من يأت على غفلة فى رواية تحمل عنوان « نولى » .. وقد نالت هذه الرواية جائزة جونكور .. كما رشحت لنيل جائزة فيمينا التى تمنح بصفة خاصة للادب النسوى .. وقد تبدو التجربة غريبة على مجتمعنا ايضا .. فالتآلف الذى تعيشه المرأة

فى هذا السن فى احضان احفادها يجعل مثل هذا النوع من التناول الادبى غريبا غير مناسب لنا.. لكن شيخوخة المرأة فى مجتمعنا لها صور عديدة لم تتناولها ايضا اديباتنا بنفس ما لها من اهمية اجتماعية ..

اما الكاتبة الالمانية برجيت شويجر فتصور العلاقة بين ام وابنتها من خلال رواية « تزوجى يا ابنتى » تدرك المرأة فجأة انها تزوجت كى تكون ماكينة للغسيل والطهو والتربية وان المجتمع قد وضعها فى اطار يسمى « الزوجة » وتقول ساخرة : « ايجب ان يكون لنا ابناء لا . ليست المرأة التى بدون رجل نكرة » . لذا فهى تدفع ابنتها الا تتزوج ولا تكرر نفس التجربة وتؤمن الصغيرة ان تعيش التجربة رغم اخطارها ..

● المرأة كلمة

تمتعها الصدمات ●

تناولت الكاتبة الامريكية جويس كارول اوتس العلاقة بين امرأة وابنها فى روايتها « متأنقون » فريتشارد قد اصبح طفلا كهلا نتيجة العقد النفسية التى رسبتها فيه امه . امرأة شابة جميلة لا يعرف عنها ابنها اشياء كثيرة . انها كثيرة الخروج مع زوجها الثرى . وللذا ـ وهو اسمها اسلوبان فى ممارسة حياتها . فهى امام المجتمع امرأة انيقة تتنقل بين المدن الكبرى . لما الاسلوب الاخر فتعيش به بوهيمية فى احياء نيويورك الفقيرة ..

ويعيش الابن هذا الفصام . يحاول ان يحلل هذا العالم الذى يحوطه يوصل بواقع ه ويحاول ان يدرك اسبابها كأنه طبيب نفسى من هؤلاء الاطباء المنتشرين فى الولايات المتحدة . هؤلاء الذين عليهم ان يفتحوا اذانهم وجيوبهم لسماع مشاكل الاخرين . وتبدو الاديبة التى تحل مشاكل القراء فى كتاباتها يصعب عليها ان تحل مشكلة ابنها الذى اصابته الشيخوخة قبل ان يبلغ سن الصبا .

واذا كانت كلير اتشرللى قد جسدت تجربتها الخاصة مع ثراء باريس فى شخصية اليز فان الكاتبة الجزائرية مارى كاردينال تجسد تجربتها مع امها فى العديد من رواياتها .. فقد تزوجت امها الفرنسية جزائريا .. وبعد ان انفصلت عنه اخذت تربى كل عقد النيابى ابنتها . تجاه الرجال . ففى روايتها « مسقط راسى » تتحدث عن الكلمات التى كانت ترددها امها فى كل ليلة حول ابيها : لو استطعت ان اعرف السوء الذى سيحيق بى اذا كان يجب ان اطلق صيحة تحذير ، ما تزوجت اباك » .

● انا حرة ●

تلك نماذج من الادب النسوى .. انشغلت كاتباته بالدفاع عن قضايا المرأة .. فاذا كان ادب المرأة من هذه النوعية فهو نسوى .. واذا لم يكن فهو أدب يدخل فى طى التصنيفات الاخرى للادب .. الطريف ان الجوائز الادبية التى تمنحها هذه الجمعيات النسائية وبعض الاكاديميات النسوية قد منحت دوما بعض الرجال جائزة الادب النسوى فيمينا .. لان الروايات الفائزة يجب ان تناصر قضايا المرأة بصرف النظر عن جنس كاتبها .. ويمكن فى مثل هذه الحالات منح الكثير من روايات احسان عبد القدوس هذه الجائزة مثل « انا حرة والنظارة السوداء »شريطة الا تقع فايزة فى « انا حرة » فى اسر رجولة عباس فى الرواية .. لانها بهذا قد تخلت عن قضية امنت بها فلم تعد حرة بالمرة ..

العالم في سطور



اسطنبول

● بخور الشرق .. وخمور الغرب ●

المرأة الاولى

عنوان الرواية التى صدرت فى الشهر الماضى للكاتب التركى نديم رسل .. الذى ولد فى جنوب تركيا عام ١٩٥١ · تروى حكاية شاب مسلم فى مقتبل العمر يذهب الى ماخور لاول مرة فى نفس الليلة التى تموت فيها امه · ثم رحلته الى باريس

مع روايته الاولى « صيف طويل فى اسطنبول » المنشورة عام ١٩٧٦ واعتبرها النقاد احسن رواية تركية صدرت فى السبعينات · وكتب عنه الروائى المعروف يشار كمال : « يمكن ان نقول ان نديم رسل هو احد الكتاب المعاصرين النادرين الذين جاءوا بالجديد الى ادبنا ··· كما اعتبره الناقد الفرنسى ايتمبل فى كتابه مقالات فى الادب العالمى » احد الذين يعون الخصوصية الانسانية بعمق ·

يعمل نديم الان مدرسا للادب فى باريس · كما حصل على شهادة الدكتوراه فى ادب اراجون وناظم حكمت .. ومن الواضح ان اعماله تكشف عن مزيج بين رجل تنسم من بخور الشرق .. وخمور الغرب ·

الفيديو



فتاة الفيوم مصر

لتلك المرأة القبطية ووجهها الصبوح .. ونظرتها الشاردة . وجمالها الربانى .. وقد عاشت فى القرن الثالث الميلادى .

وقد رسم وجه هذه المرأة فوق نسيج من الحرير الملتصق على خشب مصمغ .. ولا تزال اللوحة تحتفظ بنضارتها رغم عمرها الذى يناهز سبعة عشر قرنا .. كتب عنها جوزيف روى انها أشبه بأضواء حقيقية تهب فوق الظلال التى تنير الاشجار الكثيفة لفن الموزيكو الذى نراه فى المساجد التى بناها الامويون فى دمشق حيث القصر الهاشمى .

وحسب روى ايضا فان هذه اللوحة قد بيعت فى المعرض بمبلغ ٢٠٩ آلاف فرنك فرنسى ويقول أن هذا ليس فنا مصريا قبطيا فقط . ولكن القرن الثالث الميلادى شهد فى الاسكندرية مزيجا من فنون العالم الذى جاء الى الثغر ساعيا الى احياء ثقافته القديمة ..

باريس

● لم احب سواك ●

فى العام الماضى نشرت الهلال مقالا عن ظاهرة الممثلات اللاتى تحولن الى الابداع الروائي .. وقلنا ان هذه الظاهرة قد تكون نزوة عابرة لا تتكرر . خاصة أن عام ١٩٨٦ شهد ممثلات اخريات يقمن بالتجربة الابداعية مثل البلجيكية نيقول كالفن .. لكن هذه المتنوبة لم تكن نزوة عابرة عند مارى فرانس بيزيه .. لعدة أسباب . منها ان روايتها الاولى « حقل المحافظ » نجحت على كافة المستويات .. أما روايتها الجديدة « لم احب سواك » فانها تحقق الان نفس النجاحات .. من جديد تؤكد أن مارى فرانس بيزيه نجحت كممثلة وكاتبة سيناريو ومخرجة سينمائية ..

والرواية الجديدة ـ مثل سابقاتها ـ

مارى فرانس بيزيه





العالم في سطور

تجربة حقيقية حول أشخاص عديدين عرفتهم الكاتبة فهناك لورا المصورة ومريم الكاتبة المشهورة · والمناضلة من أجل حقوق الانسان · وتعجب لورا بالكاتبة التي وهبت حياتها من أجل الدفاع عن المرأة فتصبح المصورة الخاصة لها ترافقها الى أطراف الدنيا في كل رحلاتها وعودتها · · وفجأة تخرج مريم من حياة لورا وتختفى تماما · · فتقرر لورا أن تقوم بدورها في عدة ميادين بما فيهم فراش زوجها · · فترحل الى بلاد كثيرة تنادى بنفس المبادىء · · وتكتشف يوما أن مريم موجودة في احدى الدول المشهورة بالنظام الديكتاتورى · تعمل مرشدة في متحف الثورة · · لقد قررت أن تبقى هناك حتى ترى بعينيها تطبيق حقوق الانسان ·

برلين

● بريخت .. معلما .. أم مؤلفا ●

ثلاثون عاما على ذكرى · ·
تلك هى العبارة التى ملأت الصحف والمجلات العربية والعالمية فى الشهر الماضى · · ثلاثون عاما على حرب السويس · · وأخرى على غزو بودابست · · لكن ما يهمنا فى المجال الثقافى هو ذكرى برتولت بريخت

أحد الذين أثاروا جدلا كبيرا بمسرحهم الملحمى التعليمى · · واعجب به الكثيرون · · وراه البعض مجرد كاتب سعى الى التجريب مثل غيره ·

بريخت الذى عاش بين عامى ١٨٩٨ و ١٩٥٦ هو أحد الذين تعرضوا للاضطهاد النازى فغادروا المانيا مثل «ستيفان زفايج وتوماس من» سافر الى الاتحاد السوفيتى · واصدر مجلة «الكلمة» لمكافحة النازية · · ادخل التعبيرية الى المسرح الالمانى · · له نظرية فى الاداء المسرحى تعرف باسم النظرية «الابتكارية» مؤداها أن المسرح وسيلة للتعليم لا للتسلية وهدف المؤلف ليس حل مشاكل الواقع · بل القاء درس على النظارة فعلى الممثل ان يبتعد عن الدور الذى يلعبه بدلا من أن ينغمس فيه · وان يخاطب عقول النظارة لا عواطفهم · من اشهر مسرحياته «دائرة الطباشير القوقازية» «حياة جاليليو» «الام شجاعة» · · واوبرا «البنات الاربعة» التى تعرض الآن فى المانيا فى اطار الاحتفال به ·

بريخت



هوليود

● كلنا .. ابناء هذا الرجل ●

خرج ابناء القرن العشرين من جعبة الفنان الامريكي والت ديزني تلك مقولة لا يمكن لاحد أن يردها فالشخصيات العديدة التي ابتدعها ديزني قد عاشت كامنة فينا .. نراها صغاراً وكباراً في مجلات الرسوم والافلام التحريك .. ميكي ماوس · العم بطوط عبقريتو والاميرة والاقزام والسبعة ، والغزال بامبي ·

يحتفل العالم بديزني في خلال شهر ديسمبر في مناسبتين هامتين · لقد ولد وألت في هذا الشهر منذ ٨٥ عاما .. ومات ايضا في نفس الشهر منذ عشرين عاما .. لا تقتصر أهمية ديزني على المخلوقات التي ابتدعها .. بل على اكسابها هذه السمات الانسانية المدهشة · والبساطة المتناهية .. رسمها فوق كارتون .. وحركها فوق اشرطة السلويد .. ثم قام بتلوينها فيما بعد .. انشأ لها مدينة كبيرة يؤمها الاف البشر يوميا وبث فيها الحياة عندما نقلها الى الشاشة الروائية .. بل وسعى الى ان يكسب بعض الالات الجامدة الحس طرافة وانسانية ومذاقا خاصا · مثل السيارة الطائشة المعروفة في سلسلة افلام « هربي » ..

مدريد ـ بكين

● رجل .. العالم المتحرر ●

من حق مدريد .. وبكين .. وباريس والقاهرة .. وكل مدن العالم المتحرر الاحتفال باندريه مالرو (١٩٠١ ـ ١٩٧٦) .. ذلك الرجل الذى نادى



بالحرية والثورة في كل اقطاب الارض .. ولم يكن مجرد روائي يكتب الثورة والتحرر كلاما نظريا دون ان يطبق ذلك سوى في الخطب الرنانة والاجتماعات السياسية المليئة بالحماس .. لا بل ذهب الى الصين لمدة ثلاثة أعوام يشترك بنصيب موفور في الحرب الاهلية الصينية · ثم رحل الى مدريد اربع سنوات ليشارك في الحرب الاهلية الاسبانية .. ومن عصير تجربته مع الصينيين يكتب ثلاث روايات من ابدع ما يكون هي « الغزاة » ١٩٢٨، « الطريق الملكي » ١٩٣٥ « مصير البشر » ١٩٣٦ التى نالت جائزة جونكور .. اما عن المقاومة الاسبانية فقد صورها في « زمن الاحتقار » ، « الامل » .. لم يكن مالرو المتحرر .. او الروائي فقط .. بل شارك بكتابات عديدة في احياء الفنون الحديثة فاقام المتاحف .. واصدر الكتب التى من أهمها « سيكولوجية الفن » ١٩٤٧، « متحف بلا جدران » ١٩٤٩ · انضم الى الديجوليين عام ١٩٤٧ واصبح ناطقا باسم حركتهم .. وعمل وزيرا للثقافة في حكومة ديجول .. فكانت سنواته من ازهى ما عرفت بلاده من انشطة .. زار مصر اكثر من مرة ·

لغويات



● سمعت بعض المتادبين في ندوة يقرأ بيت المتنبي في هجاء كافور الاخشيدى :

سادات كل اناس من نفوسهم
وسادة المسلمين الأعبد القزم

فنبه سامعيه الى ان المتنبي قد حرك القاف والزاى بالفتح في كلمة « القزم » لضروره الوزن ، وان الصواب هو « القزم » بكسر القاف وتسكين الزاى ، والجمع اقزام ..

والحقيقة ان « الضرورة » لا وجود لها في كلمة « القزم » بتشكيلها في هذا البيت ، وهو فتح القاف والزاى ، فان « القزم » بهذا الشكل تقال للجمع كما تقال للواحد ، وللمذكر والمؤنث .. تقول : « رجل قزم » و « رجال قزم » بنفس الشكل ، وقد استعمل المتنبي كلمة « القزم » في بيته هذا للجمع لا للمفرد كما توهم المتادب الفاضل ، لان « الأعبد » ــ بضم الباء ــ .. جمع « عبد » ! ..

● في الدقائق الاولى من طلوع الشمس في بكرة الصباح يقال : شرقت الشمس .. فاذا اضاءت وصفا لونها بعد نصف ساعة مثلا ، يقال : اشرقت الشمس ! .. وهذا من دقائق اللغة العربية التي تهتم بمتغيرات الزمان والمكان والاشياء ، ولو في مدة نصف ساعة .. وقد كان العرب قديما ادق الشعوب في الشعور بالمتغيرات ومدلولاتها والعمل بمقتضاها ! ..

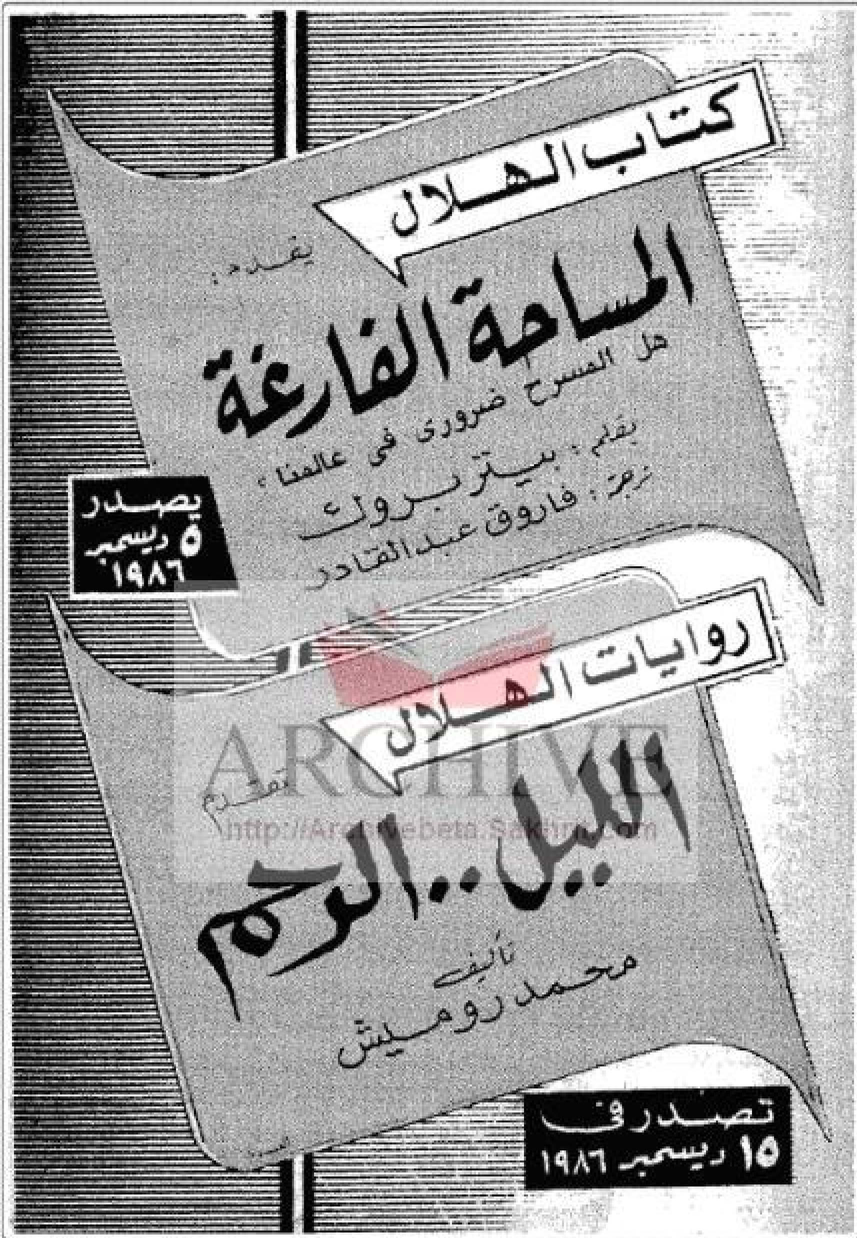
● حرف واحد يقلب معنى الفعل الى ضده ، فتقول : اقسط الرجل في حكمه ، اذا عدل فيه .. وتقول : « قسط » بفتح القاف والسين « الرجل في حكمه » اذا ظلم وطغى ! ..

● يقول المصلى في بدء الصلاة : « نويت اصلى » .. ويقول الصائم « نويت الصوم » .. واصل هذا الاصطلاح الديني ــ اصطلاح النية ــ هو قول القائل : « نويت » او « انويت » اذا اكل لحم التمر ورمى النواة .. فالمعنى هو استخلاص الفائدة ورمى ما لا فائدة فيه ! وكلام العرب القدماء يدور كله حول بيئتهم ونشاطهم اليومي فيها ، ومنه خرجت جميع المصطلحات الدينية والفلسفية والادبية وغيرها في حضارة الاسلام .

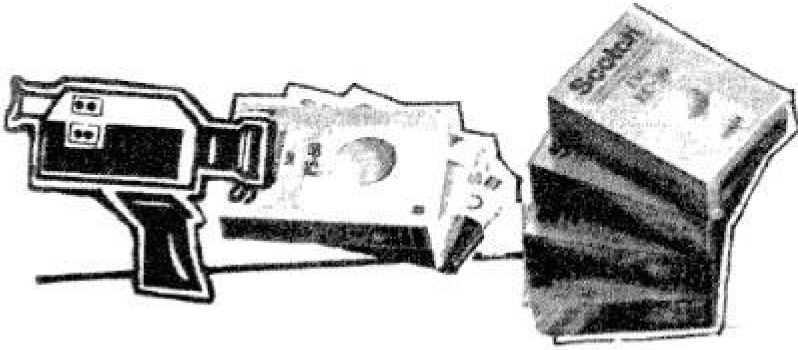
● يقال : اصبح القوم .. اذا دخلوا في الصبح .. ويقال : اليلوا اذا دخلوا في الليل .. ويقال : اقمروا .. اذا دخلوا في ضوء القمر .. ويقال : اييس القوم .. اذا دخلوا في مكان يابس .. ويقال : ايمنوا .. اذا قصدوا نحو اليمن ، وثمة كلمات كثيرة من هذا القبيل ..

● يقول احد العامة اذا هدد صاحبه : « انا افسر الشداك » ! .. وهو قول لا يبعد عن الفصاحة .. تقول : « فادت الرجل » .. اى اصبت فؤاده .. اى قتلته ! .. وهذا هو معنى التهديد الذى تقوله العامة ، وليس قولهم « الشداك » اصله «افتداك» .. وهذا ما يبدو لكاتب هذه السطور على الارجح !.

● اعتاد المتادبون ان يكتبوا : « فلان اسقط في يده » بضم الالف .. وصوابها « سقط في يده » .. بضم السين وكسر القاف .. وليس فيها الف ولا همزة ! .. ومعناها : لم تبق له حيلة أو وسيلة ! ..



كتاب الهلال
يقدم:
المساحة الفارغة
هل المسرح ضرورى فى عالمنا؟
بقلم: بيتر بروك
ترجمة: فاروق عبد القادر
يصدر ٥ ديسمبر ١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم
الليل.. الرحم
تأليف
محمد روميش
تصدر فى ١٥ ديسمبر ١٩٨٦



أثر الفيديو على السينما

بقلم : سمير فريد



ان القنوات الجديدة لتوزيع الافلام السينمائية ليست قنوات توزيع ، وانما قنوات عرض . فالموزع قد يشترى حقوق التوزيع لقناة واحدة منها ، او لكل القنوات معا . ولذلك فالقضية ليست قضية توزيع ، وانما قضية عرض

ومن ناحية اخرى ، فمشكلة الحقوق ، والحفاظ على الملكية مشكلة قانونية بحتة ، اى تتعلق بمدى تشدد أو تراخى القوانين ، وبمدى التشدد او التراخى فى تطبيقها . وهى ترتبط بالمستوى الحضارى لكل دولة .

وقد تبدو مشاكل القنوات الجديدة لعرض الافلام السينمائية مشاكل عالمية ، ولكن الواقع انها تختلف من دولة الى اخرى حسب المستوى الحضارى لكل دولة ، او لكل مجموعة من الدول المتجانسة حضاريا .



إن قنوات عرض الافلام فى مصر على سبيل المثال تتضمن الراديو ، منذ ان عرفت مصر الراديو وحتى الآن ، فهل هناك افلام تذاع بالراديو فى دول اخرى . والراديو فى مصر يذيع الافلام دون ان يحصل صاحب حقوق التوزيع فى مصر على أى حقوق ، وعقود التوزيع ذاتها لاتتضمن حقوق الراديو ، فهل هناك وضع مشابه لهذا الوضع فى دول اخرى .

ولقد حسمت ورقة العمل المقدمة للباحثين فى الندوة الدولية لمهرجان قرطاج السينمائى الحادى عشر نقطة اساسية فى موضوع بحث قنوات العروض السينمائية الجديدة عندما اكدت انه لاتوجد ازمة جمهور ، او بالأحرى أزمة متفرجين ، اذا اعتدنا تفرقة سارتر بين الجمهور والمتفرجين ، وهى تفرقة صائبة تماما ، بمعنى ان عدد الذين يشاهدون الافلام فى ظل الاشكال الجديدة للعروض وهى الراديو والتليفزيون ثم الفيديو سواء كان بالاشتراك فى محطة (كابل) ام بشراء الشرائط او ايجارها لم يقل ، وانما على العكس تضاعف اضعافا مضاعفة .

ومعنى هذا بالنسبة لصانع الفيلم ان جمهوره اصبح اذا كان لديه جمهور يتوجه اليه ، لأن وسائل مشاهدة فيلمه اصبحت اكثر ، اما اذا لم يكن لديه جمهور معين ، فقد أصبح لديه عدد اكبر من المشاهدين . فهو اذن لايعانى فى جميع الأحوال من كم المتلقين لعمله ، ولكن يعانى من تأثير هذه القنوات الجديدة على إبداعه الفنى .

● مشكلة جمالية ●

وتلك هى المشكلة . فاذا كانت مشكلة المنتج هى ضبط مواد تعاقده مع الموزع ، واذا كانت مشكلة الموزع هى قوانين الدولة التى يوزع فيها ، ومدى تشددها ، ومدى تشدد تطبيقها ، بحيث يحصل على كافة حقوقه كاملة ، فان مشكلة صانع الفيلم هى كيف يصنع فيلما للعرض على شاشة السينما فاذا به معروض على شاشة صغيرة ، او يجد شريط الصوت فقط يذاع فى الراديو ، والمذيع يصف حركة المشاهد حيث لايمكن الاكتفاء بشريط الصوت .

انها مشكلة جمالية بحتة ، مثل مشكلة الرسام الذى يكتفى بعض مشاهدى أعماله بمشاهدة الصور الفوتوغرافية لهذه الاعمال فى كتاب مطبوع ، ومشكلة الروائى الذى يكتفى بعض قراءه بقراءة روايته عندما ينشرها على حلقات فى صحيفة يومية قبل ان ينشرها فى كتاب . ففى هذه الاحوال يزداد عدد المتلقين للعمل الفنى ، ولكن لا يكون التلقى صحيحا لانه تلقى لعمل آخر غير العمل الأصلى .

ودون وعى الفنان المبدع بالفرق بين عمله الأصلى ، وهذا العمل فى قنوات العرض الجديدة ، ودون وعى المتلقى بهذا الفرق ايضا ، يصبح تأثير هذه القنوات سلبيا تماما على تطور عملية الابداع فى هذا الفن او ذاك ، لأن التطور فى هذه الحالة يمضى فى اتجاه معاكس لتطور علاقة المتلقى بالعمل الفنى . وهذا الوضع جدير بأن يؤدى الى تدهور الفن خاصة مع ازدياد كمية الإنتاج لمواجهة ازدياد كمية المشاهدين .

ما العمل إذن . اننا لايجب ان نجد أنفسنا فى وضع مثل وضع شارلى شابلن عندما وصف الفيلم الناطق فى بدايته بانه « حمار ينهق .. » ، ولم يدرك انه كذلك لانه

أثر الفيديو على السينما

فى البداية فقط ، وانه سوف يغير من طبيعة اللغة السينمائية ، ويجعلها اكثر تكاملا بأن تكون سمعية ـ بصرية ، وليست بصرية فقط . ولكن التغيير الذى تحدثه قنوات العرض الجديدة لايرتبط بلغة التعبير السينمائى من حيث هى لغة ، وانما يرتبط اساسا بتغيير العلاقة بين الفيلم ومشاهديه ، وعلينا ان نعمل ليكون هذا التغيير مع تطور الفن .

وليس من المجدى ان تقول لمشاهدى الأفلام إن عليهم مشاهدتها فقط فى دور العرض السينمائى لان صانع الفيلم صنعه ليعرض فى هذه الدورة : هذا لن يحدث ابدا ، ولن يكون قائل ذلك غير دون كيشوت يحارب طواحين الهواء ، وليست المشكلة فى حجم الشاشة فقط ، فمن المؤكد ان شاشات تليفزيونية فى حجم شاشات السينما سوف توجد فى القريب العاجل ، وقد تنبأ بذلك راى براد برى فى روايته « ٤٥١ فهرنهيت » عندما وصف شاشات التليفزيون الجدارية . ولكن المشكلة ان تلقى الفيلم فى دار العرض يعنى انك تختاره ، وتخصص له وقتا ، وترتدى له ملابسا خاصة ، وانك تشاهده مع افراد اختاروه مثلك ، وخصصوا له وقتا ، وارتدوا له ملابسا خاصة .

اما الاستماع الى الفيلم فى الراديو ، فهو تقليد يجب ان يزول ، ولو بالقانون ، لأنه لا احد يملك الحق الاخلاقى فى ان يعرض نصف فيلم ، بإذاعة شريط الصوت دون شريط الصورة ، ويدعى انه يذيع الفيلم كاملا بوصفه اختيارا لشريط الصورة . اما مشاهدة الفيلم عند اذاعته فى التليفزيون فهو اختيار بالسلب اى من حيث توفر امكانية اختيار عدم المشاهدة وإغلاق التليفزيون او التحول الى قناة اخرى ، وكذلك الامر بالنسبة لتخصيص وقت للمشاهدة . والمؤكد ان المشاهد لايتفرغ لمشاهدة الفيلم كما يتفرغ فى دار العرض .

ويقف الفيديو بين دار العرض والتليفزيون ، فهو اختيار كامل مثل اختيار دار العرض ، ولكنه مثل التليفزيون لايعنى التفرغ لمشاهدة الفيلم . ولعل مايفتقد بالكامل فى عروض التليفزيون والفيديو هو المشاهدة الجماعية للفيلم . ولكن المشاهدة الجماعية لها تأثيرها الاجتماعى فقط على تطور الفن السينمائى ، فدور العرض ، مثل المسرح ، من شأنها زيادة الترابط الاجتماعى بأن تعايش مجموعة مختلفة من الافراد تجربة شعورية واحدة .

● رقابة مستحيلة ●

وقد يقال هنا ان من بين مزايا العرض فى دور العرض ان الرقابة على الافلام فيها ، اقل تشددا من الرقابة على التليفزيون ، فيقال من الناحية الأخرى ان الرقابة على الفيديو مستحيلة عمليا لأنه لايمكن مراقبة كل شريط ، وعندئذ يصبح الفيديو افضل من دار العرض والتليفزيون

معا . ولكن هذا الحديث يجر أطرافه الى اختيارات ومفاضلات زائفة ، لأن الأصل فى العمل الفنى الا تحذف منه أية لقطة ، ومهما كانت اختلافات الرأى فهناك فى النهاية معايير لتعريف العمل الفنى .

لقد تنبأ جريفث بوجود الفيديو عندما قال انه مع بداية القرن القادم سوف تعرض الافلام فى القطارات والبيوت ولن تكون الصورة مهتزة ولا الصوت مشوشا . كان جريفث يقصد ان العرض السينمائى سوف يكون سهلا ، وبمعدات اقل حجما من معدات بداية القرن . وتنبأ جوناس ميكاس فى بداية الستينيات بالفيديو عندما قال ان فيلم المستقبل سوف يصوره مبدعه بكاميرا مثل القلم ويحمضه فى معمل ملحق بالبيت ، وسوف يوضع فى المكتبة جنبا الى جنب مع الكتب . وكان ميكاس يقصد ان التصوير السينمائى سوف يكون سهلا ، وبمعدات اقل حجما من معدات بداية الستينيات . وها نحن فى الثمانينيات نرى نبوءات جريفث وميكاس وقد تحققت بوجود الفيديو الذى يجمع بين سهولة التصوير وسهولة العرض ويجعل الافلام فى المكتبة مثل الكتب تماما .

ومن البدهى أن يفضل الناس مشاهدة الافلام فى الفيديو على مشاهدتها فى دور العرض لأن الناس تفضل دائما الأسهل ، حتى لو لم يكن الأفضل ، وهذا امر طبيعى . وتلك هى الخطورة الحقيقية للفيديو . فالفيديو لايعرض الافلام فقط ، وانما أيضا المسرحيات والأوبرا والباليه والموسيقى والاغانى والمباريات الرياضية ، ومع مرور الوقت يزداد رخص اسعار اجهزة الفيديو واسعار شرائط الفيديو ، فى الوقت الذى ترتفع فيه اسعار الكتب وكافة انواع المطبوعات بسبب زيادة اسعار الورق .

وسواء فى الدول النامية ، أو الدول المتقدمة ، فان تعاظم ثقافة الصورة لاينبغى ان يؤدى الى تدهور ثقافة الكلمات ، فالانسان يختلف ويتميز عن غيره من المخلوقات باللغة التى ينطق بها ، ويعبر ويتواصل مع الآخرين . وهو لاينطق بلغته فقط ، وانما يفكر ايضا باللغة ، وكلما قرأ الانسان بلغة صحيحة بغض النظر عن موضوع او مضمون مايقرأ ، استطاع ان يفكر أفضل ، وبالتالى يعبر افضل ويتواصل مع الآخرين اعمق . والمؤكد ان نهاية الكلمة هى نهاية العالم .

إن كتب الديانات كلمات وليست صورا ، والقوانين كلمات وليست صورا ، وتراث الانسانية من العلوم والآداب كلمات وليس صورا ، حتى مفردات لغة الموسيقى حروف وعلامات مكتوبة وليست صورا ، وتراث الانسانية المصور يتمثل فى اللوحات والتماثيل فقط ، وهى منذ رسم الانسان أول رسوماته على جدران الكهوف لم تغنه عن الكلمة ولم تتعارض معها .

ولعل الدول التى تعنى بتنمية الانسان تدعم الكتاب كما تدعم رغيف الخبز ، وتقلل من ساعات الارسال التليفزيونى بعد وجود وانتشار الفيديو . ولعل دور المثقفين الطليعيين فى هذه الدولة أو تلك هو توعية الناس بشتى الوسائل والسبل بأن ثقافة الصور لاتغنى عن ثقافة الكلمات .

● الجمهور .. إلى أين ؟ ! ●

هل يعنى ذلك ان دور العرض فى طريقها الى الزوال ، وهل يعنى زوال دور

أثر الفيديو على السينما

العرض زوال الافلام السينمائية لتحل محلها شرائط الفيديو . الاجابة فى تاريخ المسرح الحديث ، فوجود دور العرض السينمائية لم يلغ دور العرض المسرحى ، ولكنه ادى الى تغييرها ، ووجود الفيلم لم يلغ المسرحية ، ولكنه ادى الى تغييرها ايضا ، بل اننا نستطيع القول بأن المسرح بعد السينما افضل من المسرح قبل السينما سواء من ناحية الجمهور ، ام من ناحية النص ووسائل الصوت والضوء والديكور .

لقد اخذت السينما من المسرح الجمهور الذى كان على استعداد لأن يترك المسرح اصلا . وبقى للمسرح الجمهور الذى يختاره ويفضله . ونفس الامر حدث مع السينما بعد التليفزيون وبعد الفيديو.. ودور العرض بعد التليفزيون والفيديو لايقل عددها ، وانما تتغير ، وتتحول من دور عرض كبيرة تتسع لعدة آلاف ، إلى دور عرض صغيرة تصل الى ثلاثين مقعدا ، وتكاد تكون ملحقة بالمنازل ، ودور العرض الجديدة افضل من دور العرض التقليدية ، لأنها مجهزة باحدث وسائل العرض ، والمقاعد الوثيرة ، بل هناك فى بعض منها اقسام خاصة بالمدخنين .

والتطور الهائل فى وسائل العرض ومقاعد دور العرض هو استجابة لتحدى التليفزيون والفيديو اللذين يغريان المتفرج بتوصيل الفيلم اليه وهو مستريح فى منزله . فهذه الدور تغريه ايضا بمقاعدها المريحة ، وقربها من المنازل ، والأهم من هذا وذاك بمشاهدة صورة لايمكن ان يشاهدها على شاشة التليفزيون وصوت لايمكن ان يسمعه من خلالها سواء عن طريق الاذاعة التليفزيونية ام عن طريق الفيديو . كما ان الخروج من المنزل الى السينما يظل بالنسبة للغالبية الساحقة من الناس متعة فى ذاته .

لن تزول دور العرض السينمائى اذن ، وانما سوف تتغير ، بل قد تغيرت بالفعل الى ما وصفناه سالفا فى عديد من مدن العالم . **ولكن حتى لو زالت دور العرض ، لن تزول الافلام السينمائية** ابدا ، اى الافلام **المصورة على السيلوليد** ، لأن **انتاج هذه الافلام لايرتبط** بوسائل عرضها **من الناحية العضوية** ، وكم من الافلام **انتجت ولم تعرض قط باية وسيلة من الوسائل لهذا السبب او ذاك** .

ان الافلام السينمائية تعبر بلغة السينما ، وقد اصبحت هذه اللغة من بين لغات التعبير الانسانى المستقرة التى لايؤثر على وجودها التليفزيون او الفيديو حتى لو انتجت بعض الافلام خصيصا للعرض فى التليفزيون او الفيديو اما الاعمال المصورة على شرائط الفيديو سواء للعرض عن طريق الاذاعة التليفزيونية ام عن طريق الفيديو فلها لغتها الخاصة المستقلة تماما عن لغة السينما ، وهى لغة ماتزال فى طور التكوين حتى الآن .

التليفزيون والفيديو اذن هما سبب أزمة الاقبال على دور العرض ، ولكن اى دور عرض . ان هذه الازمة لا توجد الا حيث لايدرك اصحاب دور العرض أن عهد الدور الكبيرة التقليدية قد ولى ، وجاء عهد دور العرض الصغيرة المنتشرة فى مختلف الاحياء ، والمجهزة بأحدث وسائل العرض ، والتى توفر أقصى درجات الراحة بالهدوء والنظام والنظافة والهواء المكيف والمقاعد الوثيرة .

وهذه الأزمة لاتوجد إلا حيث يتصور أصحاب دور العرض ان العروض السينمائية هى فقط عروض الافلام التى تعرض لأول مرة ، وان متفرجى السينما هم فقط متفرجو الافلام التى تعرض لأول مرة . لقد جاء أوان نوادى السينما لتصبح هى السوق وتكف عن وجودها على هامش السوق ، وجاء اعضاء دور اعضاء نوادى السينما ليصبحوا هم المتفرجون وليسوا الفئة الهامشية التى لاتؤثر فى قليل او كثير .

لقد ادى وجود التليفزيون ثم الفيديو الى بعث الافلام السينمائية القديمة ، وسهولة تداولها فى العالم ، فلم يعد عرضها مقصورا على متاحف وإراشيف الفيلم ، أو دور عرض الدرجة الثانية والدرجة الثالثة ، وانما اصبحت ولأول مرة تعرض للجميع من جديد ، بل وعادت الى دور عرض الدرجة الأولى وخاصة مع انتشار الدور الصغيرة ، وادى كل ذلك بالطبع الى زيادة ايرادات شركات الانتاج والتوزيع ، وايرادات العاملين فى صناعة السينما بالتالى . لقد حفظا افلام السينما من الضياع ، سواء الضياع المادى المتمثل فى تلف النسخ ، أو الضياع الفكرى من ذاكرة الناس .

● سينما الفيديو ●

وهناك اليوم محاولات لصنع افلام سينمائية بكاميرا الفيديو ، وخاصة بعد نجاح التجارب الأولى لانتاج نظام الأدوان الجديد « اتش دى تى فى » (هاى ديفينشان تيللى فيجن) الذى تصل فيه الخطوط المكونة للصورة الى ١١٢٥ خطا و ١٢٥٠ خطا بدلا من الخطوط الحالية السائدة ومجموعها ٦٢٥ خطا .

لقد اتجه اغلب الهواة الى صنع الأفلام بكاميرات الفيديو خاصة بعد أن انخفض سعرها فى الولايات المتحدة مثلا من ٢٠ الف دولار عام ١٩٧٥ الى الف دولار عام ١٩٨٥ . ولكن ما معنى افلام شرائط سينمائية بكاميرا الفيديو ، ولماذا لاتقول افلام فيديو ، او شرائط فيديو بدلا من شرائط السيلولويد التى تصنع بها الافلام . المقصود هنا ، وكما يفهم من كلمة انتونيونى فى ندوة الافلام الالكترونية التى عقدت فى مهرجان فينسيا هو استخدام لغة السينما ولكن على شريط الفيديو . وانتونيونى هو اول مخرج محترف استخدم هذه الكاميرات فى تصوير فيلمه .

ان الفصل بين لغة السينما وشريط السيلولويد امر مستحيل ، لأن الارتباط عضوى بينهما ، والمؤكد ان هناك لغة جديدة تتكون مع تطور الفيديو اجهزة وشرائط الفيديو المتلاحق ولم تزل « ثورة الفيديو » بعد فى بدايتها .



● التطعيم ضد البلهارسيا ●

تذهب بعض التقديرات الى ان عدد المصابين فى مصر بالبلهارسيا يقرب ١٠ ملايين نسمة وان خسارة مصر الاقتصادية نتيجة الاصابة بمرض البلهارسيا حوالى ٢٠٠٠ مليون جنيه سنويا كما ان هناك مشاكل عديدة تحيط حتى الان بالادوية المستخدمة فى علاج البلهارسيا ناهيك عن عدم وجود لقاح يؤمن الانسان ضد هذا المرض .

ومن المعروف ان الاصابة بالبلهارسيا تسببها طفيليات تقضى الطور الاول من حياتها فى قواقع تعيش فى الماء العذب وتخرج اليرقات المجهرية للطفيل - وتسمى السركاريا - من هذه القواقع لتدخل جسم الانسان من خلال الجلد حين يخوض المرء حافى القدمين فى القنوات مثلا ..

ويستوجب العلاج الامثل للمصاب بالبلهارسيا القضاء على طفيلياتها قبل ان تبدأ فى وضع البيض داخل جسم المصاب ذلك ان القروح الداخلية الناتجة عن تكوين الانسجة الليفية حول البيض هى التى تسبب الاذى الاكبر فى هذا المرض .

لكن تشخيص الاصابة فى مرحلة مبكرة ظل حتى الان امرا مستعصيا بسبب صعوبة التمييز بين الاصابة بالبلهارسيا وحالات التسمم بالطعام او الاصابة بالطفيليات او الديدان الاخرى ومن هنا كانت قيمة الفحص الذى توصل اليه اخيرا فريق من الباحثين الامريكيين الذى يمكن الاطباء من تشخيص الاصابة بالبلهارسيا قبل مرحلة التبويض بزمن ، وبعد اسبوع واحد من دخول اليرقات الى الجسم ويجرى ذلك عن طريق مركب او كاشف كيميائى يبين وجود البروتين الخاص بيرقة السركاريا اى البروتين الذى يحفز على انتاج الاجسام المضادة عند دخول الدم او الانسجة التابعة لكائن غريب . وتولى فريق الباحثين تحضير الاجسام المضادة للسركاريا وذلك بحقن بروتينها بعد تنقيته فى ارانب ثم القيام بفصل وتنقية الاجسام المضادة التى انتجتها الارانب كرد فعل لدخول بروتينات الطفيل اليها .

وقد اجريت عملية تنقية لهذه الاجسام المضادة ربما استخدامها تجريبيا لتشخيص الاصابة بالبلهارسيا فى الفئران بصورة مبكرة ونجحت هذه التجارب بالفعل .

وهكذا انفتح الباب للكشف عن وجود الطفيل المسبب لمرض البلهارسيا فى الانسان بعد اسبوع فقط من دخول الطفيل الى جسمه . وبهذا يصبح ممكنا التخلص من الطفيليات قبل بدء المضاعفات الخطرة للمرض .

وجدير بالذكر ان فريقا اخر يشارك فيه العالم المصرى عادل عبد الفتاح

محمود استاذ الامراض الباطنيــة بجامعة كليف لاند الامريكيــة يدرس امكانية تحضـير اول لقاح ضـد البلهارسيا عن طريق اسـتخدام الاجسام المضادة من ديدان وبويضات ويرقات البلهارسيا ، واختبـار كل منها كطعم واق من المرض .

● فيروسات الحرب البيولوجية والايدز ●

كشف النقاب اخيرا عـن دعـوى قضائية تنظرها المحاكم الامريكية ضد وزارة الدفاع (البنتاجون) بصـدد اخفاء كميات من فيروس ـ كان قـد اعد للاستخدام فى الحرب البيولوجية ـ من احد معامل الجيش الامـريكى خلال عام ١٩٨١ .

واكد احد العلمـاء الامريكيين ان بمقدور الكمية المتسربة من هـذا الفيروس الخطير التسبب فى اصابة كافة سكان العالم بعدوى مميتة،مما اضطر الجيش الامريكى الى اصـدار بيان اكد فيه عدم خطورة الفيروسات المختفية . .

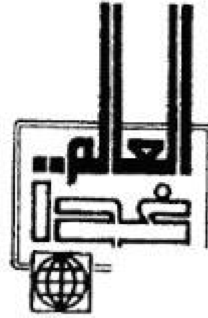
والدعوى التى رفعتها ضـد البنتاجون واحدة من جماعات البيئة الامريكية تطالب بأن توقف معامـل الجيش اجراء اية تجارب جـديدة على الفيروسات حتى يتـم تحقيق الاجراءات الامنية .

وجدير بالذكر ان هنـاك بعض وجهات النظر التى تزعم ان الضجة التى تحيط بالحديث عن مرض فقدان المناعة (الايدز) هى من اختـراع وكالة الاستخبارات الامريكيـة التى اوجدت فيروس هذا الداء ليكون احد اسلحتها فى حرب الميكروبات ، حيث سبق واستعمله الجيش الامريـكى ابان حرب فيتنام . ومن هنا حمـلة التمويه الاعلامية التىتستهدف الايحاء بتنوع مصادر الداء بل وتعمـل على تحويل مصدر الايدز الى القـارة السوداء ، وفى سبيل ذلك تتجاهـل وتتلاعب بتاريخ ظهـور اول حالات الاصابة بهذا المرض .

وايا كان نصيب وجهة النظر هذه من الصحة فان ملابسات الموقف كله تكشف عن المخاطر الجمة التى تحيط بانشطة تجرى فى الخفاء ، ويمكن ان يكون لها آثار مدمـرة على الجنس البشرى برمته ، والملابسات المشار اليها ليست شذوذا فى بابها وليست مقصورة على الولايات المتحدة الامريكية وان كانت ظروف المجتمـع الامريكى الخاصة تتيح ما يتعذر كشف النقاب عنه فى كثير من المجتمعات الاخرى ومنها من يحاول التحكم فى منطقتنا ومصائرنا . ان غياب الحديث لايعنى غياب الفعل وبالتالى امكان وقـوع الآثار المدمرة . .

● حرب النجوم على حقيقتها ●





اتخذ ٥٤٥ عالما بريطانيا قرارا بعدم الاشتراك في مشروع « حرب النجوم »(مبادرة الدفاع الاستراتيجي للرئيس ريجان) رغم انضمام بريطانيا رسميا لهذا المشروع . وقد أعرب هؤلاء العلماء ومعظمهم من الخبراء في الالكترونيات والفيزياء والرياضيات ، وبينهم ثلاثة من الحاصلين على جائزة نوبل ، اعربوا عن معارضتهم للمشروع مؤكدين عدم صلاحيته للتنفيذ من وجهة النظر الفنية ، الامر الذى سيجعل النتيجة الوحيدة لمواصلته تصعيد سباق التسليح ، ذلك بالاضافة الى خلقه عقبة اضافية امام الجهود الرامية الى الحد من سباق التسلح النووى

ويلفت النظر ان هذا جانب من وجهة النظر السوفييتية التى تعارض المشروع .

وجدير بالذكر ان ستة الاف عالم امريكى اعلنوا قبل ذلك ادانتهم لهذا البرنامج وقرروا عدم المشاركة فيه .

المهم ان الرئيس الامريكى رونالد ريجان مازال على ولعه بسيناريو « حرب النجوم » ويكشف مبلغ هذا الولع ما صرح به العالم الامريكى جون بارد ، الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء والمستشار العلمى للرئيس ريجان ، لجريدة « الحد من التسلح اليوم » من أن الخطاب الذى القاه ريجان يوم ٢٣ مارس ١٩٨٣ حول حرب النجوم تم اعداده دون دراسة مسبقة لامكان تنفيذه مع الخبراء الفنيين وحتى دون التشاور مع خبراء البنتاجون المختصين بصواريخ الدفاع أو جورج كيوورث مستشاره العلمى . وبين باردين ان المستشارين العلميين للرئيس ريجان كانوا قد عقدوا اجتماعا قبل ايام من اذاعة هذا الخطاب وناقشوا بعض الجوانب التقنية « لحرب النجوم » ولكن أحدا لم يكلف نفسه مشقة استشارتهم فى شأن مبادرة الدفاع الاستراتيجى ..

ويداعب الرئيس ريجان بموقفه هذا احلام كثير من الامريكيين فى التعامل مع العالم من موقف القوة ، ويسعى الى اقناع من لم يقتنعوا ـ بعد ـ بأهمية المشروع بصفته نقطة مساومة البتت نجاحها مع السوفييت كما يعمل على استنزاف الاقتصاد السوفييتى فى جولة جديدة لتكريس تقنية تسلح باهظة التكاليف ويستند ريجان فى ذلك كله بالطبع الى دعم الشركات والمؤسسات المستفيدة من تنفيذ المشروع ، اذ يتوقع البعض أن تصل تكاليف اقامته وتشغيله لعشر سنوات ٧٧٠ بليون دولار .

● كيف واجه ١٠٠ الف يلعبون ضده ●

هل يمكن لاحد أن ينسى ذلك الاسبوع من كأس العالم الاخير ، الذى حسمت نتائج مبارياته ضربات الجزاء الترجيحية (بل ٢٧ ضربة جزاء) وكان بين نجومه باتس

الفرنسي الذي صد ضربتي جـــزاء وأخرج بذلك فريق البـــرازيل من البطولة . وشـــوماخر الالمـــاني الغربي ، الذي أفلح في صـــد ضربتي جزاء رغم زئير ١٠٠ الف متفرج ضده ليصعد بفريقه الى دور الاربعـــة .

لقد صار حسم المباريات بضربـــات الجزاء الترجيحية احد الفصـــول المثيرة في مجريات الكرة هذه الايام، وتكررت ظاهرة كأس العـــالم في مباريات ـ الدورة الاسيوية أخـــيرا . ترى كيف يستعد حراس المرمى لمثل هذه المسئولية ؟ هل يقتصر الامـــر على ما يشيع في كلام المعلقين من أن التوفيق الذي يصادف حراس المرمى يرجع الى تركيز الواحد منهم علـــى الاتجاه نحو زاوية معينة و « هـــو وبخته » ؟ لا بأس من ســـماع رأى شوماخر نفسه .

يقول شوماخر عن صد ضـــربة الجزاء : « اعتقد أن فرصة حـــارس المرمى مكافئة لفرصة من يســـدد الضربة فلا يمكن اغفال ان الضغوط النفسية على هذا الاخير اكبر بكثير من الضغوط الواقعة على حـــارس المرمى ، لان الكل ينظـــر الى ضربة الجزاء باعتبارها هدفامضموناوبالتالى فليس هناك ما يفقده حارس المرمى حتى اذا فشل في صد الضربة .

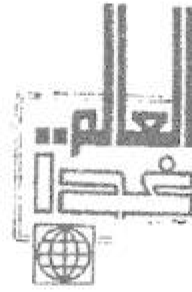
وأنا احتفظ بسجل خـــاص لمن يسددون ضربة الجزاء في كل الفرق العالمية تحسبا لامكانية أن اواجـــه احدهم وجها لوجه .. اسجل اســـم اللاعب والنادي الذي يلعب له وكيف يسدد : بأي قدم ، وفي أي جـــانب ، وحتى في أي توقيت .. واقوم بتجميع معلوماتي معتمدا على انطباعـــاتي الشخصية وعلى الشرائط التليفزيونية للمباريات وعلى ما ينشر من صـــور في الصحف ناهيك عن اقوال زملائي من حراس المرمى ..



شوماخر

هذا عن الخصم فماذا يا تـــرى عن اعداد حارس المرمى نفســـه .. يقول شوماخر على الرغـــم من ان الموهبة هي الاساس في قدرات حارس المرمى الا انها لا تـــكفي فـــلابد من صقلها ودعمها بالتدريب الشـــاق ، والقدرة على تحمل الالم ، وعـــدم هيبة مهاجم أيا كان . هذا ولا يقتصر التدريب على المهـــارات الفردية واللياقة البدنية وتنمية رد الفعـــل السريع بل يمتد الى الاعداد النفسى وفي هذا الصدد تفيد جدا تدريبـــات التحكم في النفس « أوتو ترينتج » . وهي عبارة عن خبرات تتجمـــع في فرع علمي جديد بات يســـتغل على نطاق واسع في العالم المعاصر يواجه الانسان من خلالها ظروف الاجهـــاد والانفعال والتوتر ، وطرائقه اقـــرب الى بعض خبرات اليوجا الهندية ..

وان كان لنا من اضافة هنا فهي ان شوماخر قال هذا الكلام قبـــل مباريات كأس العالم بشهور الامـــر الذي يعزز مصداقيته ..



الاطفال العرب فى لبنان

اعلن الامير طلال بن عبد العزيز رئيس برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية نتيجة الدراسة الميدانية التى قامت بها الجامعة الامريكية فى بيروت بتمويل من البرنامج خلال عام ١٩٨٥ حول « عالم الطفولة فى لبنان » .

وقد كشفت هذه الدراسة عن أن :

- نسبة العائلات المهجرة من مساكنها ٥٤٪
- نسبة العائلات التى فقدت مورد دخلها ٥٩٪
- نسبة أطفال اللاجيء الذين يعانون من الاصابة بالأمراض الطفيلية ٣٣٪
- نسبة الاطفال الذين طعموا ضد شلل الاطفال لا تتجاوز ٥٠٪
- نسبة الاطفال الذين يعانون من تسوس الاسنان ٦٢٪
- نسبة الاطفال الذين يعانون من فقر الدم ٤٢٪
- نسبة الاطفال الذين يعانون من الامراض النفسجسمية ٥٨٪

هذا كما كشفت الدراسة عن أن ٦٠٪ من الاطفال يعانون من عاهات مستديمة وعن أن اطفال اللاجيء القصر قامة من اترابهم وعن ان ٤٠٪ من اطفال اللاجيء التحقوا بها رغم وجود والديهم على قيد الحياة ..

يورانيوم من مياه البحر

بينما يكثر الحديث عن أزمة فى موارد اليورانيوم الموجودة على اليابسة اعلن الخبراء البريطانيون عن التوصل الى طريقة لاستخراج اليورانيوم من البحر بكميات معقولة يمكن ان تجعل مثل هذه العملية اقتصادية التكاليف .

وتعتمد الطريقة الجديدة على سلم متحرك يدور تحت الماء صنع حزامه الناقل من حصائر مجدولة من الياف بالغة الرهافة تستطيع التقاط اليورانيوم وامتصاصه ثم افرازه من جديد عند غسلها بمحاليل حمضية . ويمكن لحزام ناقل (طوله ٤٠٠ متر وعرضه عشرة أمتار وسمكه لا يزيد على السنتيمتر) أن يجمع بطريقة التشرب ثم الافراز هذه حوالى ستة اطنان من اليورانيوم كل عام .

والانجاز العلمى الذى تعتمد عليه هذه الطريقة هو المادة القادرة على امتصاص اليورانيوم وتشربه فى درجات الحرارة الاعتيادية لمياه البحر ، وعلى اتمام هذا الامتصاص بطريقة انتقائية بحيث لا يستخلص الا اليورانيوم مع ترك العناصر غير المرغوب فيها .

وترجع اهمية هذه الطريقة الى ان كميات اليورانيوم التى يمكن الحصول عليها من المحيط تزيد بمقدار الف مرة على الكميات الموجودة منه على اليابسة لكن مازالت هناك مشكلات كبرى تحول بين استخلاص الاطنان الثلاثة من اليورانيوم الموجودة فى كل كيلومتر مكعب من مياه البحر اهمها رفع معدل استخلاص اليورانيوم والتوصل الى طريقة لمنع الرمال العالقة بالمياه من سد وتلويث الالياف

التدخين

أخطر أمراض العصر

بقلم: د. مصطفى الديواني

« السيجارة » احدى مشاكل العصر التى تواجهنا ، فهى مشكلة يومية يعانى منها الفرد ، ويكتوى المجتمع بنارها لما تسببه من خسائر على مستويات متعددة .

فالسيجارة تحتل - ونحن هنا نتكلم عن مصر - ثلاث صفحات من جرائدنا ومجلاتنا كمادة يطالعها القارىء يوميا !! وتحتل ٣٢ دقيقة يوميا من مساحة الافلام التى يراها المتفرج مع كل فيلم .

وتشكل جرائم مخالفة التسعيرة الجبرية المتعلقة بالسجائر نسبة ١٠٪ من اجمالى هذه النوعية من الجرائم. كما تستقطع ٥٪ من ميزانية كل اسرة مصرية شهريا . وتحتل ٩٥٪ من مجموع مبيعات السوق الحرة بمطار القاهرة .

ونحن الان نعيش دنيا السجائر ، وعالم المدخنين عالم عجيب ومشحون بالحكايا والمفارقات : يستوقفنا احيانا طابور الصباح لعشاق السجائر « السوبر » . بضحى بعضنا بجزء هام من قوت الاسرة مقابل علبة التبغ الاجنبية الانيقة .. ويضيع الصغار مصروفهم اليومى فى شراء السجائر « الفرط » الملوثة بايدى الباعة فى الاكشاك .

وترتفع حلقات الدخان من شفاه حواء بقصد المساواة المظهرية مع الرجل ، وتحتل علبة التبغ مكانا هاما فى « شنطة » يد المرأة بجوار

التدخين

ادوات مكياجها ، وربما على حساب ضروريات أشد .

● السيجارة الاولى ●

من استطلاع أجريناه على نماذج متعددة خرجنا بالحصيلة التالية :

شاب عمره ٢٣ عاما يقول : « بدأت اول سيجارة وانا في سنة اولى اعدادى ، فقد كان جسمى كبيرا عن سنى وكنت اريد أن اشعر بالرجولة ، فبدأت رحلة الدخان مع السيجارة الاولى ، ومن وقتها والرحلة لا تنتهى »

ويقول حمدى أحمد ـ ٢٦ سنة ـ خريج الفنية العسكرية :

● فى الكلية يحصل الطالب على مكافاة تعتبر كبيرة اثناء الدراسة ، والكلية مجتمع مغلق لا يكلف الطالب شيئا ، ورغم وجود لائحة تحرم تدخين السجائر فانها تباع فى بوفيه الكلية ويبدو أن كلمة « ممنوع » مع وجود فائض من النقود ، مع مجتمع الكلية المغلق جعلونى أخوض تجربة السيجارة الاولى وبعد خمس سنوات تخرجت وقد عقدت صداقتى معها .

أما شريف طاهر ـ ٢٧ سنة ـ ضابط شرطة فيقول : كانت أول سيجارة لى داخل كلية الشرطة ، وكنت يومها محبوسا يوم الخميس ، وكنت أحس بأن حبسى تم دون وجه حق ، فاشتريت علبة سجائر كنوع من التمرد أو العناد لان السجائر كانت ممنوعة فى الكلية .

ويقول أحد ابناء الصعيد : أنني من جبل الصف ، حيث نبدأ الرجولة من سن ١٠ سنين ، فعندما بلغت هذه السن احضر عمى لى سيجارة وقال لى اشرب ، وعندما رفضت تدخل أبى وارغمنى ـ فلقد صرت رجلا .

الاصابع الرقيقة أيضا !

قد يكون محزنا أن تصبح البيئة هى الدافع وراء التدخين ، كما فى الحالة السابقة ، لكن الغريب فى أمر تدخين المرأة انها وهى الحريصة على جمالها تقوم بفعل مناقض ، فهى من جهة تدفع الكثير ثمنا لمستحضرات التجميل التى تخفى بها ماقد يكون قد ظهر على ملامح وجهها من تجاعيد ، ثم هى فى نفس الوقت تدخن فتظهر التجاعيد .

اسباب كثيرة تتجمع وراء السيجارة الاولى بالنسبة للمراة . احداهن ، وهى ربة منزل ، تقول انها بدأت باشعال سيجارة خاطبها والتقاط انفاس منها ، وكان هذا يشعرها بان خاطبها « رجل عصرى » يؤمن بمساواة المرأة بالرجل ، وتطور الامر ، حتى اصبحت تشعل لنفسها سيجارة بعد ان تشعل سيجارة خاطبها .

طالبة جامعية ـ ٢٤ سنة ـ تقول انها تلقت السيجارة الاولى فى غرفة الطالبات بالكلية ، كنوع من المشاركة مع اخريات سبقتها للتدخين ، وكنوع من الشعور بالتواصل ، « خلى الكلام يحلو » .

أما احدى المطربات فقد ظلت فترة طويلة تدخن لانها اعتقدت أن من مقومات مهنتها كما تقول أن تمسك بالسيجارة وتنفث الدخان ، كما ان كثيرا من « الصحفيات » و « المديرات » يعتقدن ان التدخين يضفى عليهن مسحة من الجدية والحزم « الوقوف موقف الرجل ، لكن هذه المطربة التى امتنعت عن التدخين لا تزال تحمل فى حقيبتها دائما علبة سجائر .

ولكن ما السر وراء هــذا الرواج الكبير للسيجارة ؟ •

لقد تعددت الاجابات عن هذا السؤال لكن كلها تضمنت • الاعلان • كعامل اول يقف وراء رواج السجائر •

فشركات انتاج السجائر اصبحت تنفق على الاعلان مبالغ ضخمة تصل الى قيمة ما تنفقــه شركات انتاج الملابس ، على الرغم من ان الملابس شيء ضروري للانسان ، بل قــد تتفوق بعض شركات السجائر في ذلك •

فشركة « كيم » انفقت في العام الماضي للاعلان عن سيجارتها مبلغا تفوق على ما انفقته شركة « ليفز شتراوس » على الاعلان عن الجينز الشهير •

وتقــيم شركات الســجائر ندوات ومؤتمرات تدعو لها المتخصصين في العلوم النفسية والاجتمــاعية وتكلفهم بعمل « استبيانات » مع كل الاعمار ، ومع الجنسين ، تدور كلهــا حــول التدخين بل وحول تاثير لون وشكل وحجم علبة السجائر !

● رأى الطب ●

كما أن السيجارة كانت موضــوعا

● الإفــــراط في التدخين يســبب السرطان وعقم الرجال

● بـدايـة التدخين مظهـر حضــاري يـؤدي إلى الدمار

لكثير من الابحاث والدراسات العلمية التى اثبتت جميعها ان التدخين احــد أهم الاسباب المعروفة للاصابة بالسرطان وانه قد يكون السبب الوحيد لسرطان الرئة ، وان ٩٠٪ من المدخنين تنعدم مناعتهم ضد مرض السل •

اما تاثير الســيجارة على رجولة الرجل فقد اثبتت الابحاث ان عــديدا من حالات عقم الرجال يتسبب فيهــا التدخين ، كما ان عــددا كبيــرا من النساء المدخنات تظهر عليهن اعراض قلة الهيــرمون الانثوى ، الامر الذى يؤدى الى ظهور شعر الذقن والذراعين والساقين كما انه يسببلهن اضطرابات في الدورة الشهرية ، والبرود الجنسي وبعض حالات العقم والاجهاض . كما يصيب الاجنة بالتشوه •

امــا الطبيب النفسى الدكتور يحيى الرخاوى فيقول « ان رأيى لا يصر انم ولا حرام من المدخنين ، فبالاضافة الى ما للتدخين من مصائب على الصحة الجسدية ، فانه من الناحية النفسية مسئول عن عدم قدرة المدخن على عمل علاقات حميمة مع الاخرين ، فالمدخن يستبدل الاخر بالسيجارة التى هى اكثر استسلاما ، واســهل مرقا ، واسرع استجابة حين يتــركه من يتعلق به عاطفيا ، او من يقسو عليه • ويعجز عن رده ، والنــاس يقبــلون على السيجارة للتخفيف من وطاة العلاقات المهددة ، والرؤية المزعجة ، واذا كان الانسان يحتاج الى شيء ليخفف منــه فالافضل ان يكون هذا الشيء مرحليــا وموقوتا للرجل والمرأة على حد سواء، دون ان يكون هناك استمرار وادمان•

فهل بعد ذلك ستبدا الدرس الاول لمقاطعة التدخين ؟

دراسة الهلال

أزمة الجامعة العربيّة والنظام الإقليمى العربى!!

بقلم : جميل مطر

تتعرض جامعة الدول العربية لأزمة حادة تبدو فى ظاهرها ازمة مالية ، ولكنها فى الحقيقة أزمة سياسية متعددة الأبعاد . وليست هذه اولى ازمات الجامعة ، إلا انها تختلف عن سابقاتها فى العديد من النواحى تختلف من حيث طبيعتها ، فهى أزمة شاملة فيها معظم ملامح جميع الأزمات السابقة . فهناك تهديد دولة عضو بالانسحاب ، وهناك الانفراد لسياسات خارجية تتناقض مع مواقف الجامعة وقراراتها ، وهناك خرق لميثاق الجامعة والدفاع العربى المشترك ، وهناك تراخٍ ولا مبالاة فالقمة لاتعقد ، والأنصبة فى ميزانية الجامعة لاتسدد . ويكفى لتقدير طبيعة الأزمة الراهنة أن نعرف ان اى مظهر من مظاهر الأزمة الراهنة كان وحده كفيلا بأن يتسبب فى أزمة من الأزمات التى تعرضت لها الجامعة على مدى اربعين عاما من عمرها .



صدام حسين



الملك حسين

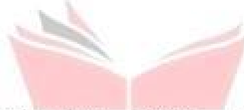


محمود رياض



الشاذلى بن جديد





وتختلف من حيث حدتها ، فالأزمة الحالية تهدد مشروعية الجامعة واستمرار وجودها كمؤسسة عربية ، لأن قوامها عدم الثقة . عدم ثقة بين الدول الأعضاء ، وبين الدول والجامعة . وبين الجامعة والشارع العربى . ولأن معاول التقويض تعددت واشتدت ضرباتها ، فمن مطالب بضم دول غير عربية الى الجامعة كمالطة وجزر المالديف وجزر القمر ، إلى قرارات تهدف الى اصناف المقاطعة العربية ضد اسرائيل ، الى توقف معظم مشروعات التكامل الاقتصادى العربى .

● أسباب للأزمة ●

وتختلف من حيث أسبابها ، فلا توجد للأزمة الراهنة اسباب مباشرة . وانما نشأت الأزمة وتطورت حتى تعمقت لاسباب يتعلق اغلبها بتغيرات بيئية وهيكلية وايديولوجية شملت النظام الاقليمى العربى وفى هذا المقال أعرض فى ايجاز لبعض هذه الاسباب فمن التغيرات البيئية ـ وهى كثيرة ـ اخترت واقع التغير الجذرى فى طبيعة ومدى الاختراق الأجنبي للمنطقة العربية . ومن التغيرات الهيكلية وجدت النفط مثالا نموذجيا لآثار هذه التغيرات على ترابط الجامعة العربية وفاعليتها . ومن التغيرات الايديولوجية يبرز على الفور عنصر الانحسار القومى باعتباره الأكثر حدة وخطورة .

● الاختراق الأجنبى ●

نشأت جامعة الدول العربية فى ظل

أزمة الجامعة العربية

هيمنة مطلقة على النظام الاقليمي العربي . ولاشك أنه قد توافر في ذلك الحين التوافق بين ارادة الاستعمار وارادات الدول الاعضاء حول الوظائف التي يمكن أن يحققها انشاء جامعة للدول العربية . اذ كان الشعور القومي في العالم العربي جارفا وكان لابد من استيعاب هذا الشعور او امتصاصه ، ضمانا لاستقرار هذه الدول . في نفس الوقت كان الخوف ـ لدى الاستعمار وبعض الدول ـ من ان تقوم دول عربية باستغلال الشعور القومي لتتجاوز حدودها المصطنعة وتتوسع باسم القومية على حساب جاراتها . اما الوظيفة الثالثة فكانت وظيفة استراتيجية ـ أمنية تتعلق بالمحافظة على الخصوصية العربية لهذه المنطقة لصالح التوازن الدولي القائم وقتذاك . وحرصا من الآباء المؤسسين للجامعة على تحقيق هذه الوظائف تجنبوا في الميثاق النص على الوحدة العربية واكتفوا بصيغة التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي .

ثم تدرج النظام الاقليمي العربي في التحول من واقع الهيمنة البريطانية الفرنسية الى الهيمنة الامريكية ، والواقعان شديدا الاختلاف ، ولكن يهمنا في هذا المثال التركيز على اختلافين رئيسيين لهما علاقة مباشرة بأزمة الجامعة العربية . ويتعلق الاختلاف الأول بنظرة الطرفين الخارجيين الى مسألة العروبة . فالولايات المتحدة رفضت دائما التعامل مع المنطقة العربية كمنطقة لها خصوصية قومية ، ولكنها تعاملت معها كجزء من منطقة أوسع هي منطقة الشرق الأوسط . وهذه النظرة تعكس في الواقع الاختلاف بين الاستراتيجية البريطانية والأمريكية . فالاستراتيجية البريطانية كانت تركز على حماية مستعمرات بريطانيا والممرات المائية والبرية والجوية المؤدية اليها . اما الاستراتيجية الأمريكية فتركز على مبدأ حصار الاتحاد السوفييتي عن طريق إقامة تحالفات او احلاف في المناطق المحيطة به . وفي اطار هذا المبدأ يصبح من المتعذر اعتبار العالم العربي منطقة متفردة ، وإنما جزء من منطقة جغرافية ـ سياسية اكثر صلاحية لتنفيذ هذه الاستراتيجية .

لذلك كان الموقف الأمريكي منذ البداية مناهضا ليس فقط للتيار القومي العربي ، لكن أيضا لأي عمل تكاملي قد يدعم الخصوصية العربية . ان العمل التكاملي إذا نجح ، فإنه حتما سوف يبعث الروح في التيار القومي ، والتيار القومي قد يتحول الى مد قومي يجرف في طريقه استقرار وسيادة الاقطار العربية ويهدد الهيمنة الأمريكية على المنطقة . من ناحية أخرى قد يؤدي التكامل العربي إلى توثيق العلاقات الأفقية ـ وخصوصا الأمنية ـ إلى حد يضعف معه اعتماد اقطار المنطقة على دولة الهيمنة الرئيسية ، ويؤدي في نفس الوقت الى اثارة مشكلات أمنية لدول غير عربية كاسرائيل وايران ـ الشاه ، وكلاهما من دعائم الاستراتيجية في المنطقة . ومع ذلك فقد يبدو أحيانا أن

السياسة الأمريكية تسعى لنوع من توافق الرأى بين الدول العربية ، ولكنه ليس من الصعب على المراقب المدقق ان يلحظ على الفور أن فى جميع هذه المحاولات بلا استثناء يكون السعى الأمريكى من أجل تحقيق موقف عربي يخدم مصالح اسرائيل ، ويسهم فى عملية ادماج المنطقة العربية فى منطقة الشرق الأوسط .

يكمن الاختلاف الثاني في حقيقة ان الولايات المتحدة لم تشارك فى إقامة جامعة الدول العربية بل ولم تتحمس لها ، الخصم ومن ناحية اخرى وقفت الجامعة موقف الخصم من الولايات المتحدة مع بدايات الاختراق الأمريكى للمنطقة العربية . إذ اضطرت الجامعة إلى مسايرة المد القومى الجارف الذى ساد المنطقة خلال الخمسينيات ، وتسربت مفاهيم وسلوكيات هذا المد إلى داخل أجهزة الجامعة ، فتكونت للجامعة وظائف جديدة أكثرها تتناقض جذريا مع الوظائف التى سعى الاستعمار التقليدى الى تحقيقها بقيام الجامعة . وصارت الجامعة رمزا للقومية ومنبرا للمواقف القومية . وتسلل تعبير الوحدة العربية إلى عدد من وثائقها . وأقيمت مشروعات تكاملية حقيقية بعضها تعلق بصناعة السلاح والأمن الغذائى . وأصبح على الدول الأعضاء فى الجامعة ـ التى تختار ممارسة سلوك يتناقض مع الرموز القومية ـ أن تمارس هذا السلوك خارج الجامعة بتكلفة سياسية باهظة .

ولمواجهة هذا الوضع ، ومع تكثف الاختراق الأمريكى للمنطقة ، حدثت عدة محاولات لاضعاف الجامعة . فنشأت منظمات اقليمية أو مذهبية لا تشكل دول الجامعة العربية فيها أغلبية وتقوم بنفس وظائف الجامعة ، ونشأت منظمات اقليمية من بعض الدول العربية . وتكررت محاولات التدخل غير المباشر فى أعمال القمم العربية ، وتعددت أساليب الاختراق لأجهزة العمل العربى المشترك لاستدراجها الى مجالات عمل ومهمات فرعية عن مهمات تحقيق التكامل وتسوية النزاعات . وتوقف مشروع تصنيع السلاح ومشروع الأمن الغذائى ، وتجمد الحوار العربى الأوربى ، وتعثر التعاون العربى الافريقى .

● النفط العربى ●

قامت الجامعة العربية بدور كبير خلال مرحلة المد القومى من أجل حمايته من استنزاف الدول الأجنبية المالكة له ، واستعادة أصحابه الشرعيين لحقوقهم فيه . وانشأت الجامعة لهذا الغرض اجهزة متخصصة كانت النواة الحقيقية للتعاون القائم حاليا بين دول النفط . اذن فالنفط العربى مدين للجامعة العربية وللشعور القومى .

ومن ناحية أخرى لعب النفط دورا ايجابيا فى مساندة دول المواجهة العربية فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، وخلال حرب ١٩٧٣ ثم لعب دورا حيويا فى بناء عدة مشروعات تكاملية عربية خلال السبعينيات . ورفع مستوى طموحات التكامليين العرب ـ وخصوصا داخل أجهزة الجامعة العربية ـ الى حدود قصوى وجدت ترجمتها فى وثيقة عمان الشهيرة التى صدرت عن قمة عمان عام ١٩٨٠ . وعندها ـ أو ربما قبلها بقليل ـ بدأ دور النفط فى التكامل ينحسر وبالفعل تحولت وثيقة عمان من مشروع

أزمة الجامعة العربية

نهضة جماعية عربية الى مشروع يجسد الاخفاق الجماعي العربي ويجمد التكامل العربي ويصيب بخيبة الأمل كل التكامليين العرب .

ولكن يقابل كل انجازات النفط سواء على ارضه القطرية ـ وهي في حد ذاتها رصيد للأمة العربية ـ او على صعيد التكامل العربي ، سلبيات ايضا هائلة .

فمن ناحية تسبب النفط فى انشاء نظام للتفاعلات العربية لايقوم على اسس صحية . إذ إنه كمتغير رئيسي في النظام الجديد لم يتمكن ـ بسبب طبيعته كمصدر وحيد لدخل معظم المنتجين أو بسبب علاقاته الخارجية ـ من أن يتمتع بالمرونة الكافية اللازمة لاقامة نظام تفاعلات قوى ومرن فى المنطقة العربية .

من ناحية ثانية : تسببت ثروة النفط فى خلق انماط جديدة لسلوك الدول داخل الجامعة العربية . ان كل مايقال عن ابتزاز الدول الأقل حظا فى الثروة للدول الأوفر حظا ، ومايقال عن تعالى دول النفط او تدخلها فى توجيه السياسة العربية ليس فى الحقيقة سوى انعكاس لواقع صريح فى الجامعة العربية . فالدول النفطية بسبب ثروتها لايستطيع الآخرون تجاهلها ، ولكنها ـ وبالرغم من ثروتها ـ ضعيفة لاتستطيع تجاهل الآخرين ، وهو واقع كان يمكن أن يكون مفيدا ومثمرا للعمل العربي المشترك ، لأنه يمثل حالة مثلى من الاعتماد المتبادل . إلا انه للأسف أدى الى شلل الجامعة .

من ناحية ثالثة : تسببت الثروة النفطية ـ عن وعى فى أحيان وعن غير قصد فى احيان أخرى ـ فى تسيب عدد من الأجهزة الادارية والمسئولة عن العمل العربي المشترك . وتكررت قضايا الفساد وتحكمت سلوكياته فى عدد من الممارسات ، وتراخى الانضباط الوظيفى والالتزام القومى .

من ناحية رابعة : كان لقيام مجلس التعاون الخليجى اثاره السلبية على كفاءة وتماسك جامعة الدول العربية . إذ إن قيام المجلس من دول كلها منتجة للنفط وتشكل دخولها مجتمعة نسبة كبرى من الدخل القومى العربي خلق شبهة التجمع النوعى ، وليس التجمع الاقليمى الذى يشجع الميثاق على قيامه . ومن سوء حظ الجامعة العربية أن يقوم هذا المجلس فى ظل انحسار قومى شديد يؤكد شبهة التقوقع . وفى ظل عجز بقية الاطراف فى الجامعة من انشاء تجمعات اقليمية مشابهة .

● الانحسار القومى ●

من الأمور المتعارف عليها أن اية مؤسسة تفقد سبب وجودها واستمرارها إذا هى تخلت عن مصدرين لمشروعيتها ، اى اذا قصرت فى انجاز مهامها واذا تخلت عن النسق الفكرى أو الايديولوجى الذى يبرر وجودها وينظم تعاملها مع جمهورها بالنسبة للانجاز يتضح بجلاء أن المهمة الرئيسية وهى التكامل الاقتصادى وتسوية النزاعات لاتنجز

لأسباب سبق ذكرها . وبالنسبة للالتزام القومي فالوضع لاشك أشد خطورة .

الجامعة العربية ـ كما هو معروف ـ لم تنشأ بمشروعية الالتزام القومي ، ولكنها اعتنقت القومية بسبب ظروف حرب فلسطين وخلال مرحلة المد القومي . حينئذ فقط تحولت الى صيغة تمثل رمزا لحد أدنى يجسد فكرة العروبة . وكان هذا التحول يعنى فى الممارسة الفعلية أن تلتزم فى سلوكها رأى السلوك العلنى لأعضائها وقراراتها ووثائقها وموظفيها ـ بالسلوك القومى . فاصبحت الجامعة منبرا تتبارى فيه الدول لابراز مواقعها القومية .

وبعد حرب ١٩٦٧ ، توالت فى ترتيب محكم وبتداعى لافت للنظر أحداث أسهمت فى انحسار التيار القومى . فالى جانب حملة اعلامية وسياسية وأمنية هائلة طاردت القومية العربية واتهمتها بالالحاد وحملتها مسئولية النزاعات العربية والتخلف الاقتصادي ، نشبت حرب لبنان الطائفية ، وانتشر لهيبها الى اجزاء اخرى من الوطن العربى ، وتعرض الفلسطينيون شعبا وقيادة الى مذبحة تلو مذبحة ، وترحيل بعد ترحيل فى ظل صمت عربى رهيب . ووقعت اتفاقية صلح مع اسرائيل بتشجيع ثنائى من البعض أعقبه تنديد جماعى ، واحتلت اسرائيل لبنان ، وقصفت مفاعل بغداد . وكان الهدف تحطيم ثقة الشارع العربى فى حكوماته ومبادئه ومؤسساته القومية . وبالتدريج ـ وبسبب التقييم الاعلامى ـ انقطع الاتصال بين المواطن العربى وتطورات قضاياه القومية . فتقلص دور الشارع العربى فى صنع القرار العربى . وتحرر كثير من الدول العربية من ضغوطه .

وهنا تكمن خطورة هذا التطور بالنسبة للجامعة العربية ، اذ انه حين خفت صوت الرأى العام العربى ، وفقد الشارع العربى دوره على مسرح السياسة العربية ، انتهى دور الجامعة العربية كمنبر لهذا الشارع أو كرمز للحد القومي الأوفى وفتر ماتبقى من حماس الدول للجامعة ، لأنها لم تعد بحاجة الى منبر تبرر من فوقه تصرفاتها ، ولأن المنبر لم يعد له جمهور .

ازمة الجامعة العربية اذن ليست مجرد ازمة مالية ، وليست أزمة عابرة أو طارئة هى فى الحقيقة نتيجة حتمية للفراغ الايديولوجى الذى تتطاير فيه اقطار وامكانات وأهداف الوطن العربى . والدول العربية أو الأجنبية التى طاردت الفكر القومى واشخاصه وصحافته ومفكريه ونظمه السياسية لم تقدم بعد البديل الايديولوجى المناسب للمنطقة ، او اعتقد بعضها ان الواقعية السياسية ـ كمذهب رائج منذ الأيام ـ قادرة على تحقيق أهداف شعوب المنطقة فى غياب ايديولوجية تضع ضوابط لهذه الواقعية وتحمى امكانات العرب وخصوصيتهم .

ومع كل هذا يتبقى للجامعة العربية رصيد أساسى لم يستنزف بعد .

فالجامعة مازالت ـ وكما كانت منذ نشأتها ـ قوة مضافة لدبلوماسية أى دولة عضو فيها . ولاتوجد حتى الآن الدولة العربية التى تستطيع ـ مهما كان المدى الذى وصلت اليه فى تحالفاتها الخارجية او فى مصادر قوتها الذاتية . أن تنسلخ عن الجامعة وتعزل نفسها عربيا الا بتكلفة باهظة .

انت .. و
الهلال

● احمد امين فى ذكراه المئوية ●



● فى ذكــرى ميلاده المئوية نذكر تلك الصــورة القلمية التى رسمها له المرحوم الاستاذ طـاهر الطناحي مدير تحرير الهــلال الاسبق فى كتابه « حديقة الادباء » وقد رمز له بمالك الحـزين حيث كان قدماء المصريين يرمــزون به وهو من طيور الماء الى العــالم المفكر .

تذكره فى حديقة الهـلال كما تذكره المرحوم الطناحي بالتاجــه المتعدد الالوان ، والمتنوع العطاء بما جعل احمد امين صــاحب الذكرى فى طليعة المفكرين العرب الذين اسهموا فى مجـالات الادب والفلسفة والاخلاق وتحقيق التراث، وحققوا ذاتية الفــكر العربى المعاصر .

بدأ احمد امين الكتابة فى سنة ١٩١٨ فى جريدة النور دفاعا عن حرية المرأة وآراء قاســم امين الاصلاحية حتى الفترة التى امتدت من سنة ١٩٣٠ وحتى وفاته فى ٣٠ مايو سنة ١٩٥٤، كاتبا فى الهلال، واهم الخصائص التى تبلورت منه هى حرية التفكير ، وســعة الافق وقد استطاع ان يحقق بعصاميته المثال للاديب الموسوعى .. والمفكر الذى مزج الادب بالفلسفة فى اطار من التاريخ الواعى للامــة العربية ، وبين الثقافتين العربية والغربيــة ، كمــا كان ايمــانه بضــرورة التواصل الفكرى بين الشرق والغرب ، والتســامح المذهبى من اهم الســمات فى شخصيته ، ففى كتابه « الشرق والغرب » يثير تســاؤلات تتعلق بالموقف العام للحضــارة الغربية الحديثة ، والسبيل الى تحــديد الفكر العربى ، ويجب عنهــا فى كتابه الى « ولدى » ويقرر قــدرة العقل العربى على التجدد والعطاء والاسهام فى مسيرة الحضــارة الانسانية المعاصرة

واحمد امين فى دوره الرائد فى الفكر العربى كان جامعــا بين ثقافة السلف وثقــافة العصر الحاضر

كتب احمد امين مقاله الاخيـر « يضحك قوم ويبكى اخرون » فى هلال مايو سنة ١٩٥٤ فاختتم به حياته الصــافلة مفكرا كبيرا ومثقفا موسوعيا قدر له ان يلعب اخطر الادوار فى حياتنا الثقافية الفكرية والادبية .

عمرو عبد المنعم حمودة
رئيس قرية بمحافظة الغربية

● لنا الله ●



يظل النزف متصلا
بهذا العالم الظمآن
وتسقط زهرة الايام
والاحلام فى الهجران
ونزرع خضرة الكلمات
يطويها لظى النكران
فكيف نظل يا قلبى
نجوب متاهة الحرمان
لنا الله .. لنا الله
لنا الله .. لنا الرحمن

د . احمد عامر

قصة قصيرة :
● زهرة تفتحت مبكرا ●

● يقطع الحجرة ذهابا وايابا فى ايقاع اقرب الى السير فى رتابة وأناة .. فى غاية السعادة هو ، تتالق الفرحة فى عينيه الخضراوين ، يشعر فى داخله كان زمام العالم صار بيده ، الحمدوالشكر لك يارب ـ احاسيس شتى تتملكه ، تترجم فى النهاية الى شعور بالسرور يكاد جسده النحيل ان يرقص فرحا له ، كيف لا وقد فتح حصالته وقام بعملية احصاء لما فيها ؟ لقد اصبح الآن يملك خمسة جنيهات بالتمام والكمال ، غير بضعة قروش سيتنازل عنها لشقيقته الصغيرة!! الحمد والشكر لله يا رب .. يستمر فى سيره داخل الحجرة بايقاع اسرع ، الان فقط يستطيع ان يثار لكرامته ، اصبح فى مقدوره ان يسير مرفوع الهامة ، سيرد على من اهانه ليس بالكلام فقط لكن بالفعل !!

سيمتلك عما قريب جدا « كرة قدم » لكى لا يذل نفسه لزميله الذى رفض ان يشركه فى اللعب بكرته واهانه وسط جمع من انداده تلاميذ المرحلة الاعدادية ! يكف عن السير ، يجلس على مقعد متهالك .. آه ما احلى الاحلام الجميلة حينما تتحقق !! سيترك المنزل الان ليشترى الكرة من محل الادوات الرياضية ، يده تقبض على نقوده .. يقف .. يبدأ فى السير .. تتحرك شفتاه بكلمات اغلب الظن انها اغنية .. يلقى النظر الى النقود وعيناه تلمعان بفرح طفولى .. يعبر الطريق الى خارج الحجرة ولكن .. يبطىء يتوقف تماما .. يصل الى سمعه صوت والده يخاطب امه بنبرة

أنت والهلال

واهنة : اليوم الخامس والعشرون من الشهر وليس معى اى نقود !! يسمع الام فى صوت اكثر وهنا : « وما العمل ؟؟ » يجيب الاب فى استسلام : « ساحاول ان اقترض من احد الزملاء ! » تلف الشقة فترة سكون تسمع من خلالها ابواق السيارات وضجيج الباعة فى الشارع وما تلبث ان تقطع بصوت الباب وهو يغلق بعد خروج الاب الذى لم يلحظ الواقف فى ركن من الصالة ! وبحركة لا ارادية تتجه الى امه مادا يده بالخمسة الجنيهات فى خجل فطرى وابتسامة عذبة .. تترقرق دموع فى عينى الام وهى تطبع قبلة على وجنة ابنها .

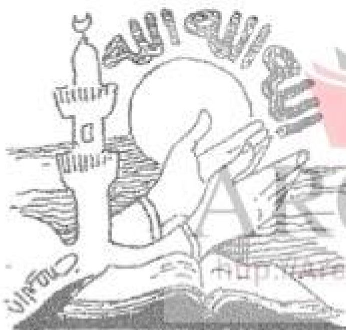
عمرو محمد عبد الحميد

سوهاج

● تصوف ●

حنـــانك واذكـــرينى ما حييت
انا احيا بذكـره .. ما حييت
واسكن حبك الغـــالى بروجا
اشيدها ويجنح بى ثبوت !
اعاودها على شـــغفى ولهفى
اعابثها .. فيحفظها الثبوت
جمالك قد تفـــرق فى دروبى
وغشى الكون .. فاجتمع الشتيت
فلا قبح يشين الكون نقصـــا
ولا غـــدر ولا داء مقيـــت !
ولا شر هنالك .. او عـــذاب
ولا الم به يوما .. بليـــت
عميت عن النقائص والدنايـــا
وعن جنات حسنك .. ماعميت!

عماد احمد غزالى



● الاحبار والجمارك ●

● فى كلمة «عزيزى القارىء» تحدثتم عن مشكلة الجمـــارك المفروضة على الكتب وعلى احبار الطباعة .. ان املنا كبيـــر فى الحكومة ان تحل هاتين المشكلتين، وان يعود الكتاب المصـــرى الى عرشه ، ولعلها قامت بهذه الخطوة فعلا تدعيما للمسيرة الثقافيـــة المصرية ..

عاصم فريد البرقوقى

الإسكندرية ـ شارع خليل مطران

● تعقيب على لغويات ●

● في عدد أكتوبر من مجلة الهلال ، وجهت صفحة لغـويات سؤالا الى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وكان الشيخ قد قال ان كل ما جاء في القرآن من ريح فهو يعني العذاب ، اما الرياح فتعني الرحمة • وتقـول صفحة لغويات ما قول الشيخ في الاية التى تقول: (هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ٠٠) ٢٢ يونس ٠٠ أن الآية الكريمـة جاءت هنا على خـلاف القاعدة التى ذكرها الشيخ !!

وقد تحدث السيوطى فى كتابه المتميز - الاتقان في علوم القرآن وقام بالرد على سؤال لغـويات الهلال ٠٠ في اسلوب سلس

يقول السيوطى - جلال الدين: « الريح ذكرت مجموعة ، ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمـة جمعت ، او في سياق العـذاب افردت •

وتمام الرحمة انما يحصـل بوحدة الريح لا باختلافهـا فان السفينة لا تسير الا بريح واحدة من وجه واحد •

فان اختلفت عليه الرياح ٠٠كان سبب الهلاك والمطلوب هنا ريح واحدة ولهذا اكـد المعنى بوصفها بالطيبة » معنى هذا انه لو قال - جل شانه - وجرين بهم (برياح) • اتباعا للقاعدة ٠٠ لفسد الغرض واختلت الصورة • لان الرياح ستتناوش السفينة من كل جانب بينما هي في حاجـة لريح واحـدة تملأ الاشـرعة فتدفعها للامام ٠٠ وحتى لا يختلط الامر وصف الريح بانها غيـر ما اتفق عليه من قبـل ٠٠ فهي ريح طيبة • والله أعلم ٠٠ ولعل في هذه الكلمة العجلى ما يغنى ٠٠ والله من وراء القصد •

عبد الله السيد شرف

● تعليق :

- اكتفينا من رسـالتكم المستفيضة بهذه السـطور التى تبين المعنى الذى تقصدونه ، وانتم تعلمون ان كافة المطـلعين على تفسير القرآن الكـريم يعـرفون استعمال كلمتى الريح والرياح في اسلوبه المعجز ، ولكن الشيخ الشعراوى ذكر ذلك بلا استثنـاء الآية ٢٢ في سـورة يونس ، فلزم أن تنبه اليها ، ومن المعـروف ان الشيخ الفاضل انما ينقـل من كلام قدماء المفسـرين ، ولا وقت لديه في احاديثـه التليفزيونيـة العاجلة للاشارة الى المصـادر التى يأخذها عنها، وهو معذور لان الاحاديث التليفزيونيـة ليست بحوثا علمية موثقة ٠٠ وتشكركم•

● شعر العقاد ●

● طالعنا فى عدد اكتوبر من الهلال كلمة للاستاذ محمد سيد كيلانى يهاجم بها شعر العقاد وشخصه .. والعقاد لن يؤثر فى شخصه او مؤلفاته راى مثل راى الاستاذ كيلانى الذى اقول له هل تريد شهرة على حساب التطاول على الاستاذ العقاد ، واين مؤلفاتك حتى نعرفك ، واين انت من الاستاذ العقاد ؟ ! ..

محمد عبد الوهاب المراكبى
مدير الادارة الاجتماعية بسنورس

● مزاعم الكاتب الجبار ●

● كتب زكى مبارك يقول فى كتابه « احمد شوقى » الذى صدر من تسع سنوات : « زعم الاستاذ العقاد بعد موت سعد باشا ان سعدا كان يسميه الكاتب الجبار وكنت استغرب من هذا واقول : كان يجب ان يذاع هذا الوصف وسعد حى ، اما التقول على سعد بعد الموت فهو ضرب من الجبار ورايى فى العقاد ليس بالراى الطيب فقد كنا زميلين فى تحرير البلاغ وزميلين فى تحرير الرسالة وما قرات مقالة ارضتنى فهل كان سعد من الجهل بحيث يخلع عليه لقب الكاتب الجبار ثم تظهر الحقيقة المؤذية ، والقول الحق ايذاء فى ايذاء ؟!

ظهرت الحقيقة حين اصدرت مجلة الثقافة عددا خاصا عن سعد زغلول وكان الاستاذ محمد كامل سليم سكرتير سعد يدون مذكرات يومية عن حياة الزعيم فدعته مجلة الثقافة لتقديم كلمات فى تلك المذكرات قال الاستاذ كامل سليم ما نصه : « ان سعدا كان يسمى الاستاذ عبد القادر حمزة (الكاتب الجبار) وانه سأل سعد باشا عن سبب تسميته بهذا اللقب فقال : « عبد القادر كاتب ملحم وكتابته لا تقوم على الزخرف وانما تقوم على المنطق»

من هنا يظهر لى ان شخصية العقاد ليست سوية لانه يخلع الالقاب على نفسه ليدارى عجزا يعرفه هو ، وعلى الذين يعانون من السيكوباتيا والرومانيكية العصبية ان يراجعوا معاركه مع

« الرافعي » فهي وحدها البرهان الواضح لمزاج صاحبنا .
على مصطفى العشماوى
بنك القاهرة فرع شبرا

● الحاقد على العقاد ●

● يبدو لي ان هذه الذويعة التي اثارها الاستاذ كيلاني اراد ان ينال بها الشهرة بعد ان عاش في الظل ٧٤ عاما لا احد يسمع عنه ، هل حظيت كتب الاستاذ كيلاني بالدراسات العليا مثل الماجستير والدكتوراه وليس ذنب الاستاذ كيلاني انه لم يفهم كتب العقاد فلم يفهم كتب العقاد كثيرون مثل د . طه حسين لم يفهم كتاب عبقرية عمر وقال عن ذلك لم افهم كتابا اقرب الى الفلسفة منه الى التاريخ ويقول د . طه حسين : ان منزلة العقاد عندى منزلة ضخمة وآثاره العلمية والادبية تشهد له بالعبقرية والنبوغ واذا كانت الشمس ساطعة ونظرنا اليها ولم نرها فالرمد في اعيننا نحن ، والعقاد كالشمس تضيء لنا الطريق وهدانا الله واياك لحسن السبيل

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم


العقاد


د . طه حسين

● العقاد خالد ●

يا استاذ كيلاني كفاك هجوما على العقاد فلن تتحدى التاريخ ولن تغير من الامر شيئا ، فالعقاد باق واعماله باقية بقاء الدهر . وما عليك الا ان تراجع نفسك وعفا الله عما سلف !

ابراهيم طنطاوى – ١٣ ش السلطان سليم مصر الجديدة

● اخاف الغدر ●

ما بين ضلوعى يذكرنى
بعذاب الهجر
هل حقا قلبك يذكرنى
يا ضوء الفجر
ان كان ضميرك يسالنى
هل معك الصبر
فبريق عيونك يشغلنى
هل معك الغدر
وجنود الشك تطاردنى
واخاف الغدر
فليالى البدر تؤرقنى
ويذوب الدهر
وانا اشتاق لرؤيتها
من قبل العمر



خالد سعد الدين محمدالصغير

● كفى عراكا حول العقاد ●

● لا اعتقد ان « الهـلال » سعيد بما يجرى على صفحاته من حوار حول العقاد بلغ حد التهاتر بين الاستاذ محمد سيد كيلانى ومعارضيه ، فنرجو اغـلاق هذا الباب ، والكف عن نشـر المقالات الناقدة لانتاج الاستـاذ العقاد ، فما نشر منها يـكفى

أحمد قاسم أحمد
مدير التعليم الثانوى
بمديرية قنا للتربية والتعليم

تعليق :

● نوافق الاستاذ احمد قاسم احمد على ان موضوع العقـاد وشوقى قد قتله اصحابه عراكا ،وقد وجب ان توضع له نهـاية ، نرجو أن يوافقنا القراء علي اغلاق أبواب هذه المعـركة ، فلن ننشر بعد اليوم عنها شيئا ٠٠ وفى المقالات والتعليقات الجادة متسع للجميع ! ٠٠

● مع الاصدقاء ●

● محمد العائش القوتى ـ تونس:
ـ نشكركم على تهنئتكم للهلال بدخوله فى سنته الرابعة والتسعين فى خدمة الثقافة العربية

● محمود عبد الحفيظ :
ـ قد عرفنا عذرك فى ارسـال قصيدتك الينا والى مجلة اخرى

فى وقت واحد ونرجو ان تتنبه فى المرات القادمة اذا اضطررت الى ارسال نسختين من قصيدة واحدة الى مجلتين .. ونرحب بكم على هذا الاساس ، وعفا الله عما سلف .

● صلاح والى :

– اعترف لك يابنى العزيز اننى – بكل اسف – لم اسمع باسمك من قبل ، وهذا تقصير منى لامنك ، لا يضيرك ،لان كثيرين لا يعرفون حتى الان اسم شيكسبير ، واما نجاحك الذى تتحدث عنه فلا ادرى شيئا عنه ولا اعلم ان كان نجاحا فى الشعر ام فى القصة ام فى المسلسلات ام فى شىء اخر ، غير ان الذى يعنينى حقا ان ما ارسلته الينا من تفعيلات ، كان فيه اشياء ينقصها الوزن الى جانب الاشياء الاخرى الموزونة .. ولك الاحترام ولكل الصحف التى تنشر شعرك فلعل هذه الصحف لا تبالى الاوزان او تحتاج الى معرفة الاوزان .. اما نحن فحريصون على صحة اللغة وصحة الاوزان سواء كان الشعر تفعيليا او غير تفعيلى .. ونغفر لك تشبيه نفسك بطه حسين وعلى عبد الرازق ويوسف ادريس ، فرحم الله من عرف قدر نفسه .. واخيرا نقول لك يا بنى : اننا ما ارشدناك الى اوزانك المكسورة ، الا لكى تحاول « تجبير » كسورها ، لا لتأخذك العزة بجهل الاوزان.. يا بنى العزيز ! ..

● نشر الهلال فى العدد الاسبق قصيدة للشاعر محيى الدين عطية بعنوان « الناموس » وقد وقع خطأ غير مقصود فى اسم الشاعر نعتذر اليه منه !

● عبد المجيد محمد عبد المجيد الاسداوى – الطويلة – شرقية :

– اشعاركم كثيرة وغزيرة ولعلكم توافقوننا على اننا لانقدر على نشر ست عشرة صفحة لشاعر واحد ، فاختر قطعة مناسبة وارسلها الينا مشكورا

● وردت الينا رسائل من عدة مدن وقرى فلسطينية من السادة : محمد شكرى سوبر جو «غزة» محمد عبد العزيز « فلسطين ».. نادية حسين « عكا » مها محمد طاهر « قرية اللاجئين بفلسطين » عبد الكريم عبد الله موسى عياد « لواء رام الله » .. محمد حسن « يافا » .. ورسائل اخرى لا نستطع قراءة الاسماء والعناوين فيها .. ونشكر اخواننا واخواتنا هؤلاء على رسائلهم ونعتذر اليهم بسبب ضيق المجال .

● ملحوظة :

– بقيت لدينا من رسائل هذا الشهر بضع عشرات ، نرجو ان نتمكن من الرد عليها تباعا فمعذرة ! .. والى الاعداد القادمة ان شاء الله

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			



ليكن اختيارك الأول ..



مصر للطيران

مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات

٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم

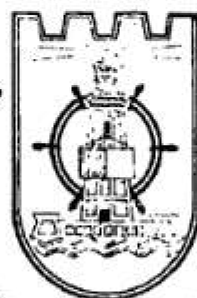
مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..

بنك الإسكندرية التجاري والبحري

ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK

خدمات مصرفية متكاملة

مراسلين في جميع أنحاء العالم





ACMB



ذات الدخل الربع سنوي

- حسابات جارية بالعملات المصرية والأجنبية
- تسهيلات ائتمانية للأنشطة الاقتصادية المختلفة.
- حسابات توفير ودائع بالعملات المصرية والأجنبية.
- إدارات لدراسة الجدوى وأمناء استثمار.
- فتح اعتمادات مستندية وإصدار خطابات الضمان.
- شهادات إدخار بفائدة مجزية.

★ وللمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك وفروعه

الإسكندرية: المركز الرئيسي: ٨٥ طريق الحرية ت: ٤٩٢١٥٥٦/٤٩٢١٢٣٧/٤٩٢٩٢٠٣
تلكس: ٥٤٥٥٣ ـ العنوان البرقي: كومارشيا ـ ص.ب ٢٣٧٦
القاهرة: ١٠ شارع طلعت حرب ـ عمارة اليفرجيتي.
فرع الإسكندرية: تحت التجهيز
٧ شارع أديب ناصية سعد زغلول وأديب.